

عبد الرحمز ب ماصر الشعدي في المشاعدي عبد الرحمز ب ماصر الشعدي في المشاعدي في المشاعدي في المشاعدي في المشاعدي في المشاعدين عقيد المشاعدين في المشاعدين المشاعدين في المشاعدين

# المنتان المالية المالي

# في تفسير كالرمر التان

العَتَّلَامَةُ الشَّتَيْخِ عَبُدالرِّجْمُنِ ثِن فَاضِرالسَّعُدِيُ ١٣٠٧ هـ - ١٣٧٦ ه رَحِمَهُ اللَّهَ تَعَالَىٰ

وت تم لكه

فضيكة إثيخ محكرالضا لحالفيمين

فضيَّلة لِيَخِعَالِله بن عَبلِعَزَزْنِي عَقِيل

اعتنى به تحقيقًا ومُقابِلَة عدّالرّحمن من معَلّااللّويحنّى

# الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

# CKuelläuso

الرياض ـ العليا ـ تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة. ص.ب: ۲۲۸۰۷ الرياض ۱۱۵۹۰ هاتف: ۲۲۵۶۶۲۶، فاكس: ۲۲۵۰۱۲۹



# والوالرحم فالرحيم

الحدلاه وحده، والصلاة والسلام على مى لابني بعده أمالعذ: مَإِن مِن نِم السعزوجل ما من به على والدنا الثيي : عدالرحن ميرناصر السعدي من تأكيف تقسيره المعروف بدلتيسيرالكهم آلرجن مي هشيريكلم ا لمنان) فقد كتب الله لهذا التفسيرا لقبول مَا نتنع به الجم الغفيرمن النَّابِي مطبع مرأت عديدة أولاها : طبعة الكلتية السلفية ومطبعتها لمحدالدين الخليب - رسماله - أعصب طبعة المؤسسة السعيدية بمراحمة وتقعيم: محدده يميالنجار ، ولكن كثير من العلماء ولحلية العلم لاحظوا على هاشين الطبعيين – خاصة طبعة النجار ب ملاحظات عديدة ، جرت عليط الطبعات اللاحقة جميعه ، وقدتبين صدور هذه الملامكيات وظهرت إ ضعانها عبذراً جعة التَفسيرعلى بسنجلتيه المخطوطيتين ، منيان ما من المصلم عن الأخطاء والنقص والزباّدة. ولقدعكمنا جهدد: عبدالرحن مد معلاا للوحمد –الامتاذا لمساعدني عليد إشريع بالرباض – من تصميم تفسير والدنا ، ومعًا بلية على النسخة في الخطيبين مع ا حراجه مي مجلد واحد على هامش المعمن ، مراينا أن هذا العمل متدسلم من عوارالأعال السابغة متميزعها بيكباء التعسير على السنخة التى تحط الوالدررح إله ومراجعة على للسنحة الخطية التي اعتديها المطبعة السلفية ، تمصار التفيسر بهذا أمرّب ما يكون كما إرادة مؤللته سرحاله - ملهذه الاعتبارات نؤكنا نعتمد هذه العليمة بتحقيق ومقابل عبالرحن برمعلااللوسعد، ونعدها الطيعة التي يجب أن تكون أ مدلاً لغيها من الطبعات اللاحقة ) منامل أن تكف المطابع ودورالنشر عن اعادة طبا عترالطبعات السابقة كما منها من أخطاء تتبين بعرّاءة مقدة هذا العمل المبارك . مع وعائنا البرعزومل أن يغير للوالدالينيخ: عبدالرح ف بما صرالسعدي، وأن مجرل له الأجروالمتوبة وصال ليلى ببينا محدواً لد دصي كر عمد الله ربار لمولان درم مر ليندروس ف مرابعري Will En fant continued

# المقدمسات

مقدمة فضيلة الشيخ؛ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل.

مقدمة فضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين.

مقدمة الحقق.



# مقدمة صاحب الفضيلة الشيخ: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن الله بحكمته ورحمته أنزل كتابه تبياناً لكل شيء، وجعله هدى وبرهاناً لهذه الأمة، ويسره للذكر والتلاوة والهداية بجميع أنواعها ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ أنزله بلسان عربي مبين، وتكفل بحفظه وإبلاغه لجميع البشر، وقيض له من العلماء من يفسرونه، ويبلغونه للناس ألفاظه ومعانيه، لتتم بذلك الهداية وتقوم به الحجة. وقد أكثر العلماء من التأليف في تفسير القرآن العظيم كل بما أوتي من علم، فمنهم من يفسر القرآن بالقرآن، ومنهم من يفسره بالأخبار والآثار، ومنهم من يفسره من حيث اللغة العربية بأنواعها، ومنهم من يعتني بآيات الأحكام إلى غير ذلك.

وقد كان لشيخنا العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي \_ رحمه الله \_ من ذلك حظ وافر وذلك بتفسيره المسمى: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) حيث جاء هذا التفسير سهل العبارة، واضح الإشارة، وصاغه على نمط بديع بعبارات قريبة لا خفاء فيها ولا غموض، فهو يعتني بإيضاح المعنى المقصود من الآية بكلام مختصر مفيد، مستوعب لجميع ما تضمنته الآية من معنى أو حكم سواء من منطوقها أو مفهومها، دون إطالة أو استطراد أو ذكر قصص أو إسرائيليات، أو حكاية أقوال تخرج عن المقصود، أو ذكر أنواع الإعراب إلا في النادر الذي يتوقف عليه المعنى، بل يركز على المعنى المقصود من الآية بعبارة واضحة يفهمها كل من يقرؤها مهما كان مستواه العلمي فهو في الحقيقة سهل المقصود من الآية بعبارة واضحة يفهمها كل من يقرؤها مهما كان مستواه العلمي فهو في الحقيقة سهل المعتنع يفهم معناه من مجرد تلاوة لفظه، وقد اهتم بترسيخ العقيدة السلفية، والتوجه إلى الله، واستنباط الأحكام الشرعية، والقواعد الأصولية، والفوائد الفقهية إلى غير ذلك من الفوائد الأخرى التي لا توجد في غير تفسيره مع اهتمامه بتفسير آيات الصفات بمقتضى عقيدة السلف خلافاً لما يؤولها بعض المفسرين.

وقد من الله علي فسمعت منه بعض تفسيره شفهياً في حلقات الدروس في مسجد الجامع بعنيزة، كما أنني ممن أشار عليه بطبعه فطبع الجزء الخامس فقط في حياته عام ١٣٧٥ه في المطبعة السلفية بمصر، وبعد ذلك تشاورنا في طبع بقيته، وساهمت في ذلك أيام كنت قاضياً في عنيزة فطبع باقيه بعد وفاته في عامي ٧٦ و ٧٧، وبعد تمام طبعه تداوله الناس بالقراءة والتدريس، ودرسناه لإخواننا وأبنائنا الطلاب وحصل بذلك خير كثير وقرأه أثمة المساجد على جماعاتهم لوضوح عباراته. وقد طبع بعد ذلك طبعات أخرى لا يخلو كل منها من ملاحظة أو مؤاخذة.

ولما صارت طبعاته بهذه المثابة مع حاجة الناس إليه سمت همة ابننا الشيخ الفاضل: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إلى طبعه على هامش المصحف الموجه كل جزء (٢٠) صفحة مراعياً في كل صفحة وضع ما يتعلق بتفسيرها. وقد عرض علي النماذج الأولى لهذه الطبعة فأعجبتني، وسررت بها جداً مؤملاً أن تكون هذه الطبعة خير معين على فهم كتاب الله تعالى، والاعتناء به تلاوة وحفظاً وفهماً، لأنه بهذا الصنيع يقرب الاستفادة لتالي القرآن لسهولة

التناول وسرعة الرجوع إلى تفسير الآية من نفس الصفحة بدلاً من الرجوع إليها من كتب التفاسير البعيدة. كما أنه سيعتني بتصحيح الأصل وجودة الطبع، فأسأل الله أن يشكر للابن الشيخ عبد الرحمن بن معلا اللويحق هذا الصنيع المبارك وأن يجزيه أفضل الجزاء وأن ينفع بهذه الطبعة كما نفع بسابقاتها وأن يجزي كل من ساهم في إخراج هذا المشروع النافع أفضل الجزاء وأن يتغمد الجميع ومؤلف التفسير برحمته إنه جواد كريم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

حرر فی ۱۲۱۲/ ۱۶۱۳هـ

وكتبه الفقير إلى الله عبد العزيز بن عقيل رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقاً وعضو بمجلس القضاء الأعلى (متقاعد)

#### مقدمة صاحب الفضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن تفسير شيخنا عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى المسمى (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) من أحسن التفاسير حيث كان له ميزات كثيرة:

منها سهولة العبارة ووضوحها حيث يفهمها الراسخ في العلم ومن دونه.

ومنها تجنب الحشو والتطويل الذي لا فائدة منه إلا إضاعة وقت القارىء وتبلبل فكره.

ومنها تجنب ذكر الخلاف إلا أن يكون الخلاف قوياً تدعو الحاجة إلى ذكره وهذه ميزة مهمة بالنسبة للقارىء حتى يثبت فهمه على شيء واحد.

ومنها السير على منهج السلف في آيات الصفات فلا تحريف ولا تأويل يخالف مراد الله بكلامه فهو عمدة في تقرير العقيدة.

ومنها دقة الاستنباط فيما تدل عليه الآيات من الفوائد والأحكام والحكم وهذا يظهر جلياً في بعض الآيات كآية الوضوء في سورة المائدة حيث استنبط منها خمسين حكماً وكما في قصة داود وسليمان في سورة ص.

ومنها أنه كتاب تفسير وتربية على الأخلاق الفاضلة كما يتبين في تفسير قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿خَذَ العَفُو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾

ومن أجل هذا أشير على كل مريد لاقتناء كتب التفسير أن لا تخلو مكتبته من هذا التفسير القيم.

وأسأل الله تعالى أن ينفع به مؤلفه وقارئه إنه كريم جواد وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

كتبه محمد الصالح العثيمين في ١٥ / رمضان ١٤١٦هـ



الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن إنزال القرآن الكريم على هذه الأمة منة عظمى؛ لأنه سبيل الهداية، وطريق السلامة من الضلال والغواية: ﴿ فَإِمَا يَأْتَينَكُم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ﴾.

ولكن الاستفادة الحقة من هذا الكتاب الكريم تكون بدوام الصلة به علماً وعملاً، تلاوة وتدبراً، وفهماً: وكتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ومن سبل ذلك التدبر، والفهم: النظر فيما كتب أهل العلم في تفسير القرآن العظيم؛ فإن من كمال حفظ الله عز وجل لهذا الذكر الحكيم أن قيض له جهابذة فهموا مراد الله عن الله وعن رسوله و أفضائه ونفيا المتاب الفاظ القرآن، وأبانوا ما يعسر فهمه، وفصلوا ما جاء فيه من القواعد والكليات، ودفعوا التعارضات المتوهمة، وبينوا مراجع الضمائر، وعينوا المعاني المرادة إذا احتمل الكلام أوجها متعددة وكانوا طرائق قدداً في عنايتهم بهذا الكتاب العظيم حتى جاء شيخ مشايخنا العلامة: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي رحمه الله فجعل جلّ عنايته بالمعاني التي هي المراد الأعظم، فكان كتابه فتحاً في هذا العلم؛ إذ أوقف القارىء على المراد، وأعانه على تدبر التنزيل، دون أن يقف به على المشغلات الصارفات عن ذلك كالبحوث اللغوية الصرفة، والإسرائيليات ونحوها، وليس ذلك عن قصور إذ لا يبلغ هذا المبلغ من القدرة على تسهيل المعاني، وبيان المراد إلا من ملك من علوم الآلة، عن قصور إذ لا يبلغ هذا المبلغ من القدرة على تسهيل المعاني، وبيان المراد إلا من ملك من علوم الآلة، وسعة الاطلاع على كتب التفسير ما يؤهله للقيام بهذه المهمة العظيمة.

ولقد من الله علي بالعناية بهذا التفسير، ومحبة صاحبه رحمه الله وقراءة التفسير وإقرائه، والنصح بقراءته، ومن الله علي بالعناية بطبعه في مجلد واحد يهدم الحواجز النفسية الصادة عن قراءته في مجلداته السبعة التي كان عليها في أشهر طبعاته السابقة، وكان الهم منصرفاً إلى ذلك، ولم يكن الذهن ملتفتاً إلى طبعات الكتاب وما فيها من أخطاء حتى هاتفني بعض أفاضل طلبة العلم من المشايخ الكرام كان منهم: فضيلة الدكتور: عبد الرزاق بن الشيخ عبد المحسن العباد البدر، وفضيلة الدكتور: خالد بن عثمان السبت، حيث جرت مهاتفات معهما ومقابلة للشيخ: عبد الرزاق كانت فاتحة خير للاهتمام بالتفسير وبنسخه المخطوطة، وطبعاته معتبن أن في الطبعات عواراً كثيراً، وأن التفسير لم يخرج حتى الآن على الصورة التي تركها الشيخ ـ رحمه الله وبيان ذلك يحتاج إلى تفصيل تأريخي لكتابة الشيخ لهذا التفسير، وما وقع من طباعته، فرأيت أن أعرض الأمر مفصلاً في هذه المقدمة حتى يستبين الأمر للقارى الكريم، ويرى ما يمكن أن يفعله الكتبيون والناشرون في الكتب.

#### تأليف الشيخ للتفسير:

بدأ الشيخ ـ رحمه الله ـ تأليفه لهذا التفسير المبارك في عام ١٣٤٢هـ وأنهاه في عام ١٣٤٤هـ. وبهذا يظهر أنه قد بدأه وله من العمر خمسة وثلاثون عاماً وأتمه وله من العمر سبعة وثلاثون عاماً.

والذي يقرأ التفسير يحسب أنه لا يمكن لمن كان في هذا السن أن يكتبه إذ يمثل كتابة عالم ناضج متمكن من العلم وآلاته، واسع الاظلاع ﴿وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾.

وقد كتب نسخة واحدة ثم أمر من ينسخ له نسخة أخرى، وبالتتبع والسؤال يبدو لي أنه لم يُنسخ من التفسير إلا هاتان النسختان: نسخة الشيخ ــ رحمه الله ــ والنسخة التي أمر النساخ بنسخها.

وابتغاء توضيح الأمر أبين تفاصيل متعلقة بهاتين النسختين مع وصف لهما:

#### النسخة الأولى:

هذه النسخة هي التي كانت في حوزة الشيخ وملكه، وهي في جملتها كما سيظهر بخط الشيخ ــ رحمه الله ــ وهذا وصف لها:

تتكون هذه النسخة من تسعة أجزاء، جعلها الشيخ رحمه الله في تسعة مجلدات:

#### المجلد الأول:

وقد كتب على غلافه (المجلد الأول من تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، من منن الله على عبده، وابن عبده، وابن أمته: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي) (۱) وفوقها بخط الشيخ ـ رحمه الله ـ وبحرف صغير (هذه التسمية مأخوذة من قوله: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذّكر﴾ وقوله: ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ﴿ وفي وسط الصفحة وبخط الشيخ أيضاً: «شرعت في هذا التفسير المبارك غرة شهر ( )(۱) سنة ١٣٤٢ه أرجو الله أن يتمه بنعمته.

وهذا المجلد بخط الشيخ \_ رحمه الله \_ وعليه هوامش وتعديلات بخطه أيضاً، ويقع في (١٥٠) صفحة، في كل صفحة (٣٠) سطراً تقريباً أوله المقدمة، ثم تفسير الفاتحة إلى تفسير قوله تعالى: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم﴾ الآية (١٢٩) من سورة آل عمران.

#### المجلد الثاني:

وهو بخط الشيخ ـ رحمه الله ـ ويقع في (١٩٢) صفحة في كل صفحة (٣٠) سطراً تقريباً، أوله تفسير الآية (١٣٠) من سورة آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعكم تفلحون﴾ وآخره: آخر تفسير سورة الأنعام.

#### المجلد الثالث:

وهو بخط الشيخ ــ رحمه الله ــ ويقع في (٢١٤) صفحة في كل صفحة (٢٥) سطراً تقريباً أوله أول تفسير سورة الأعراف، وآخره آخر تفسير سورة هود.

#### المجلد الرابع:

وهو بخط الشيخ ـ رحمه الله ـ ويقع في (١٢٩) صفحة في كل صفحة (٢٦) سطراً تقريباً أوله أول تفسير سورة يوسف، وآخره آخر تفسير سورة الإسراء.

<sup>(</sup>١) يلاحظ أن هذه العبارة كتبت على طرة كل مجلد بعد ذكر رقمه، مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ، ففي طرة المجلد الثاني جاءت العبارة هكذا: (المجلد الثاني من تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن لجامعه: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي غفر الله له ولوالديه وللمسلمين. . آمين) وفي المجلد الثالث: (المجلد الثالث من تيسير الرحمن في تفسير القرآن لجامعة الفقير إلى الله: عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي).

<sup>(</sup>٢) الكلمة غير واضحة في الأصل والذي يبدو أنه شهر صفر أو محرم لأن الشيخ أتم هذا الجزء في نهاية شهر ربيع الأول.

#### المجلد الخامس:

وهو بخط الشيخ ـ رحمه الله ـ ويقع في (٢٢٩) صفحة في كل صفحة (٢٨) سطراً تقريباً، أوله تفسير سورة الكهف وآخره آخر تفسير سورة النمل.

#### المجلد السادس:

وهذا المجلد بخط الشيخ: محمد بن منصور بن إبراهيم بن زامل ـ رحمه الله ـ أتم كتابته في ٢٤ رجب سنة ( ١٣٤٥هـ) وهو خط جميل، ولكنه كثير الأخطاء، ويفصل بين جزئي الكلمة في سطرين، ويكثر هذا منه مما يربك القارى.

وعلى هذا الجزء هوامش وتعديلات بخط الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ــ رحمه الله ــ ويقع في (١٤٢) صفحة في كل صفحة (٢٩) سطراً تقريباً، أوله تفسير سورة القصص، وآخره آخر تفسير سورة الصافات.

#### المجلد السابع:

وهو بخط الشيخ ـ رحمه الله ـ ويقع في (١٥٣) صفحة في كل صفحة (٢٨) سطراً تقريباً، أوله: تفسير سورة (ص) وآخره: آخر تفسير سورة الفتح.

#### المجلد الثامن:

وهو بخط الشيخ ـ رحمه الله ـ ويقع في (١٤٦) صفحة في كل صفحة (٢٩) سطراً، أوله أول تفسير سورة الحجرات، وآخره آخر تفسير سورة القيامة.

#### المجلد التاسع:

وهو بخط الشيخ ـ رحمه الله ـ ويقع في (٥٠) صفحة في كل صفحة (٣٠) سطراً تقريباً، أوله تفسير سورة الإنسان، وآخره آخر تفسير سورة الناس.

#### النسخة الثانية:

#### المجلد الأول:

وقد كتب عليه: (المجلد الأول من تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن لمعلقه الفقير إلى الله عبد الرحمن بن ناصر السعدي غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين) وهكذا كتبت هذه العبارة أو قريباً منها باختلاف يسير على طرة كل مجلد.

وفي وسط الصفحة ما يلي: (تنبيه: اعلم أن طريقتي في هذا التفسير أني أذكر عند كل آية ما يحضرني من معانيها، ولا أكتفي بذكري ما يتعلق بالمواضع السابقة عن ذكر ما تعلق بالمواضع اللاحقة؛ لأن الله وصف هذا الكتاب أنه «مثاني» تثنى فيه الأخبار، والقصص، والأحكام، وجميع المواضيع النافعة، لحكم عظيمة، وأمر بتدبره جميعه؛ لما في ذلك من زيادة العلوم والمعارف، وصلاح الظاهر والباطن، وإصلاح الأمور كلها).

وكثير من هذا المجلد بخط الشيخ ـ رحمه الله ـ إلا الصفحات ما بين الصفحة (٣٦) والصفحة (٩٦) فهي بخط مغاير لخط الشيخ ـ رحمه الله ـ وبداية المجلد ونهايته كالنسخة الأولى.

#### المجلد الثاني:

وهو بخط الشيخ علي الحسن العلي الحسن البريكان، وبداية المجلد ونهايته مثل النسخة الأولى، وللشيخ

( ١٦ )

عبد الرحمن السعدي رحمه الله عليه تصويبات مما يدل على أنه قرأه ويقع في (١٧٧) صفحة في كل صفحة (٣١) سطراً تقريباً.

#### المجلد الثالث:

وقد نسخ هذا المجلد ناسخان بدأ الأول بنسخ اثني عشرة صفحة ولكن خطه سقيم، وأخطاءه كثيرة ولذلك كتب الشيخ رحمه الله بخطه على الصفحة الثانية: (الصحائف الأولى من هذا الجزء خطها سقيم، الأمل التأني فيها عند تصحيحها) ثم نسخت الصحائف التالية إلى آخر الجزء بخط مغاير أمثل من الخط الأول، ولم يكتب على هذا الجزء اسما الناسخين.

ويقع هذا الجزء في (١٥٢) صفحة كل صفحة (٣١) سطراً. وبداية المجلد ونهايته كمثيله في النسخة الأولى.

#### المجلد الرابع:

وهذا الجزء بخط الشيخ سليمان الحمد البسام وللشيخ عبد الرحمن السعدي عليه بعض تصويبات بخط يده رحمه الله ويقع في (١٠٣) صفحات في كل صفحة (٢٨) سطراً وبداية المجلد ونهايته كما في النسخة الأولى.

#### المجلد الخامس:

وهذا المجلد هو الذي بعث به الشيخ رحمه الله للطباعة أول الأمر.

وكتب الشيخ بخط يده المقدمة التي طبعت مع هذا الجزء أول ما طبع، وهي مقدمة أثبتها في هامش هذه الطبعة عند أول تفسير سورة الكهف، وهذا المجلد نقل عن خط الشيخ المؤلف رحمه الله وليس عليه اسم كاتبه، وقد ألحق الشيخ رحمه الله به أصول من أصول التفسير، وتفسير ألفاظ عامة يكثر في القرآن ورودها ويحتاج إلى معرفتها) وهي بخط الشيخ رحمه الله وقد جعلتها ملحقة بهذه الطبعة في آخر التفسير.

وفي آخر الجزء فهرس لمحتوياته، ثم نقل للخطاب الموجه من الشيخ رحمه الله إلى الشيخ محمد نصيف رحمه الله إلى الشيخ محمد نصيف رحمه الله وقد أرخ في ٢١/٣/ ١٢٧٤هـ ونص الخطاب تجده في هذه المقدمة وعدد صفحات هذا المجلد (٢١٤) صفحة في كل صفحة من صفحات هذا الجزء (٣٠) سطراً، أوله تفسير سورة الكهف، وآخره آخر تفسير سورة النمل ثم بعدها أصول من أصول التفسير وتفسير الأسماء الحسني.

#### المجلد السادس:

وهذا المجلد بخط الشيخ رحمه الله وبدايته من أول سورة القصص ونهايته بنهاية تفسير سورة الصافات. وعدد صفحات هذا الجزء (١٥٤) صفحة في كل صفحة ما بين ( ٢٥. ٢٨) سطراً وبدايته ونهايته كمثيله في النسخة الأخرى.

#### المجلد السابع:

وهو بخط الشيخ: سليمان بن حمد العبد الله البسام رحمه الله وعدد صفحات هذا الجزء (١٢٢) صفحة في كل صفحة (٢٢) سطراً، وبداية الجزء ونهايته كمثيله في النسخة الأخرى.

#### المجلد الثامن:

وهو بخط الشيخ رحمه الله وعدد صفحات هذا الجزء (٢٠١) صفحة.

ويبدأ من أول تفسير سورة الحجرات وينتهي بتفسير سورة الناس.

وبهذا فإن هذه النسخة تحتوي على ثمانية أجزاء بينما النسخة الأخرى على تسعة أجزاء.

هذا عن نسخ التفسير المخطوطة وأما طباعته فقد كانت فاتحتها طباعة الجزء الخامس منه، إذ بعث الشيخ رحمه الله إلى الشيخ محمد نصيف رحمه الله برسالة مدونة في خاتمة المجلد الخامس من النسخة (ب) مؤرخة في ٣٠/ ٢/ ١٣٧٤هـ. وقد نقلت من خط الشيخ بخط مغاير هذا نصها: بسم الله الرحمن الرحيم، حضرة محترم المقام الشيخ محمد نصيف حفظه الله آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. سبق جواب كتابكم الآمل وصوله، ثم إننا نكلفكم حيث أرسلت لكم تفسيرنا الكبير المجلد الخامس منه وقع النظر على الاقتصار على طبعه فجعلنا له مقدمة وختمناه بأصول وكليات من أصول وكليات التفسير، ونريد أن يطبع منه خمسة آلاف نسخة، وأحببت أن يكون الاختيار لجنابكم في اختيار من يتولى طبعه، إما محب الدين الخطيب أو الشيخ حامد أو من ترجح وتحثه على العناية التامة فيه، ولو زاد علينا المصرف، وقد وصيت الشيخ: عبد الله المحمد العوهلي يسلم لكم كل الذي تطلبون لأجل طبعه وأرجو الله أن يثيبكم الثواب الجزيل، ويشكر مساعيك ويجزيك عنا أفضل الجزاء فأنت طال عمرك عوض النفس في كل شيء والله الموفق والسلام.

محبك (١) عبد الرحمن الناصر السعدي

#### وتنبه الطابع على طبع خاتمة

#### الأصول وكليات التفسير للحاجة الشديدة إليها

وقد أبان الشيخ \_ رحمه الله \_ عن مقصوده من إفراد هذا الجزء بالطباعة في المقدمة التي كتبها لهذا الجزء (٢) فقال: وقد تكرر علي السؤال من كثير من الأصحاب في نشر تفسيرنا هذا جميعه وألحوا لما يرونه من الفائدة الكبيرة فاعتذرت بأن ذلك يصعب جداً؛ لأنه مبسوط، وأيضاً في هذه الأوقات قلت رغبات الناس في الكتب المطولة، لذلك أحببت إجابتهم لنشر بعض ما طلبوا وهو الاقتصار على جزء واحد من أجزاء هذا التفسير، ووقع الاختيار على الجزء الأوسط من سورة الكهف إلى آخر النمل فما لا يحصل جميعه لا يترك جميعه). وقد طبع هذا المجلد عام ١٣٧٥ه، ثم بعث الشيخ \_ رحمه الله ببقية أجزاء الكتاب للشيخ محب الدين الخطيب \_ رحمه الله \_ فأتم طباعة الكتاب كله، فطبع الكتاب في عام ١٣٧٦ه، وقبل وفاته بشهر تقريباً بعث إلى شيخنا عبد الله بن عقيل رسالة قال فيها: (التفسير مثل ما ذكرت لك، وصلني منه الجزء الأول عدة ملازم من زمان، وبعد ذلك ما جاءنا عنه خبر) وبعدها الأول من التفسير، ويذكر الشيخ نصيف أنهم إن شاء الله مجتهدون في إنجازه، يسر الله ذلك به وسقله) (٤). وبهذا يتبين أن الشيخ رحمه الله لم ير الكتاب كاملاً ويبدو أنه لم يبد ملاحظات على ما طبع منه، إذ توفى بعد رسالته السابقة بشهر تقريباً.

\* \* \*

وتتميز هذه الطبعة أولاً بالسبق الزمني فإنها أول الطبعات، وهي أصل جميع الطبعات السابقة فليس هناك طبعة إلا وكان أصلها عائداً إلى هذه الطبعة. وهي بذلك أسلم من غيرها، وأقل في الأخطاء والتصحيفات والتحريفات، وهذا لا يعنى جودتها، وموافقتها للأصل، إذ ثم ملاحظ لا بد من بيانها:

<sup>(</sup>١) تصحفت الكلمة في النسخة إلى: (محمد)، لأن الخطاب فيما يظهر منقول عن كتابة الشيخ ـ رحمه الله ـ فهو بخط مغاير لخط .

<sup>(</sup>٢) انظر نص المقدمة عند أول تفسير سورة الكهف من هذه الطبعة.

<sup>(</sup>٣) الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة (٢٩٦).

<sup>(</sup>٤) الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة (٢٩٨).

#### الملحظ الأول:

التصرف في طريقة الشيخ في تفسير الآيات، حيث يعمد الشيخ \_ رحمه الله \_ إلى ذكر الآيات أحياناً، وأحياناً يقول إلخ القصة، إذا كانت قصة من القصص وأحياناً يورد كلاماً في سياق التفسير لا يقصد به ذكر الآية فيغير المصححون ذلك فيقومون بإيراد الآيات كاملة، ويغيّرون كلامه ويشطبون في المخطوطة، ويضعون الآية أو الآيات بدلاً منه.

#### ومن أمثلة ذلك:

إن الشيخ رحمه الله أورد قصة قارون هكذا: (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم) إلى آخر القصة فشطب المصححون على قوله: (إلى آخر القصة)، وأوردوا الآيات كاملة، وهي في هامش النسخة بخط المصحح.

وكذا عند إيراد قصة لوط في سورة العنكبوت حيث أورد الآيات من قوله تعالى: ﴿ولوطاً إذ قال لقومه﴾ إلى قوله: ﴿ولقد تركنا منها آية بيّنة لقوم يعقلون﴾ وهي في هامش النسخة بخط المصحح.

#### الملحظ الثاني:

التصرف في تقسيم الكتاب، حيث قسم الشيخ التفسير إلى ثمانية أجزاء في إحدى النسخ وتسعة في الأخرى، وكانت النسخة التي اعتمدت عليها المطبعة السلفية في ثمانية أجزاء ينتهي الأول منها بنهاية تفسير قوله تعالى: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم﴾ في سورة آل عمران (١٢٩) فجعلوا نهاية الجزء (تم المجلد الأول من تيسير الرحيم الرحمن في تفسير القرآن عن نسخة مؤلفه العلامة الجليل الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ويليه المجلد الثاني وأوله تفسير سورة النساء، والحمد لله رب العالمين)(١) وليس الأمر كما قالوا بل تقسيم النسخة التي اعتمدوها على خلاف ما ذكروا.

#### الملحظ الثالث:

الزيادات، لقد زاد القائمون على هذه الطبعة في التفسير زيادات وإن كانت يسيرة إلا أنه لم يتم الإشارة إليها لا في المقدمة، ولا في مواضع الزيادات فمن ذلك:

- الحزء من أجزاء القرآن الكريم قبل بدايته فقبل بداية الجزء الثالث كتبوا عنواناً في وسط الصفحة (الجزء الثالث) (۲) وكذا عند الجزء الرابع وليس في النسخة المخطوطة شيء من ذلك، ولم يشيروا إلى كونها ليست من كلام الشيخ رحمه الله.
- ٢- زيادة جملة: (قوله تعالى) أو: (قال تعالى) في مواضع كثيرة ومن أمثلة ذلك زيادتها في أول سورة النساء
   مع أن عادة الشيخ ـ رحمه الله ـ أن يبدأ الكلام بذكر الآيات المفسرة بعد البسملة (٢٠).
- ٣- زيادة قوله من ديارهم، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ الآية، حيث قال الشيخ: (ففرض عليهم أن لا يسفك بعضهم دم بعض، ولا يخرج بعضهم بعضاً وإذا وجدوا أسيراً منهم وجب عليهم فداؤه) فزادوا جملة من ديارهم فصار النص

<sup>(1) (1/</sup> ۸۸۲).

<sup>(1) (1/131).</sup> 

<sup>(</sup>٣) المخطوطة ب (٢/ ٢٣) وطبعة السلفية (٢/ ٣).

هكذا: (ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم).

٤ ومن أمثلة ذلك قال رحمه لله: (أي (و) أرسلنا (إلى مدين) القبيلة المعروفة المشهورة (شعيباً) فأمرهم).

فعدل النص حتى صار بزياداته هكذا: (أي: (و): أرسلنا (إلى مدين) القبيلة المعروفة المشهورة أخاهم شعيباً الذي أمرهم).

وبعدها بقليل قال الشيخ (فكذبوه) فأخذهم عذاب الله فعدلت فصارت (فكذبوه فأخذتهم الرجفة) أي: عذاب الله)(١).

وهذا كثيراً جداً، وبعض التصرف تصرف مقبول في الأصل؛ للحاجة إليه، أو لخطأ في سياق الكلام، إما بعود الضمير المذكر على مؤنث أو نحو ذلك، وإما بنقص أو نحوه، ولكن هذا التصرف وإن كان مقبولاً في الأصل إلا إنه لم ينبه عليه، ولم يشر المصحح إلى شيء من التغيير.

#### الملحظ الرابع:

التصحيح في بعض الجمل تصحيحاً خاطئاً \_ بل ظاهر الخطأ \_ ومن ذلك:

١\_ قال الشيخ رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾: (﴿ لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ بأن كان عنه مسافة قصر فأكثر، أو بعيداً عنه عرفاً، فهذا الذي يجب عليه الهدي).

وقد جاء التعديل عجباً من العجب حيث غيرت عنه إلى عند أو كلمة (عرفاً) إلى (عرفات) فجاء النص هكذا: (بأن كان عند مسافة قصر فأكثر أو بعيداً عند عرفات فهذا الذي يجب عليه الهدي)(٢).

وقد تتابعت كل الطبعات مقلدة هذا الخطأ.

٧\_ ومن التعديل ما يكون بدون مسوغ ظاهر أو بمسوغ من وجهة نظر المصحح دون إشارة للتعديل ومثال ذلك:

قال الشيخ رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ الآية، (وأنتم تعرفونه منذ نشأ بينكم لا يكتب ولا يقرأ فأتاكم بكتاب زعم أنه من عند الله). غيرت كلمة زعم إلى: (أخبركم أنه من عند الله)<sup>(٣)</sup>.

#### الملحظ الخامس:

#### بعض الأخطاء الظاهرة مثل:

قال الشيخ رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾.

(فالشرك لا يغفره الله إلا بالتوبة) هكذا في المخطوطتين وجاء في طبعة السلفية (فالشرك لا يغفره الله بالتوبة) (٤٤) وهذا خطأ شنيع، وعلى ذلك تتابعت الطبعات (٥٠).

杂杂类

وبعد ظهور هذه الطبعة بسنين طبع التفسير طبعة أخرى عن طريق المؤسسة السعيدية، التي كلفت الأستاذ

<sup>(</sup>١) ينظر الطبعة السلفية (٦/٣٤)، والمخطوطة ب (٦/٣٣).

<sup>(</sup>٢) المخطوطة ب (٨٢) ، طبعة السلفية، (١/١١٧).

<sup>(</sup>٣) انظر ص ٢٨ من المخطوط (ب) من الطبعة السلفية (١/ ٢٧).

<sup>(3) (1/271).</sup> 

<sup>(</sup>٥) ينظر طبعة النجار (١/ ٢٨٧).

محمد زهري النجار بتصحيح الكتاب، والنجار يوصف بأنه من علماء الأزهر، وله بعض الأعمال الأخرى كتصحيحه لكتاب الأم للشافعي، وهذه الطبعة طبعة تميزت بأنها أضحت الطبعة المعتمدة لسائر طبعات التفسير بعدها بل اعتمدت طبعها الرئاسة العامة للافتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، وقد كان ذلك لإحسانهم الظن في المؤسسة ومصححها، ولقد تبين لي جملة من الملاحظ تظهر عوار تلك الطبعة أذكر هنا جملة منها:

#### الملحظ الأول:

اعتماد هذه الطبعة اعتماداً كلياً على الطبعة السلفية، دون الإشارة إلى ذلك في مقدمة الطبعة، وهذا الاعتماد جعل الملاحظ المذكورة سابقاً على الطبعة السلفية تصدق على هذه الطبعة أيضاً، بل قد زادت طبعة النجار الأمر فجمعت إلى ذلك ملاحظ أخرى أشد وأخطر، ولو أن الطبعة السلفية صورت بدل أن يعهد بتصحيحها إلى النجار لكان الأمر أهون.

#### الملحظ الثاني:

#### التصرف في مواقع الآيات من التفسير:

لقد جرت عادة الشيخ - رحمه الله - أن يبدأ فيذكر الآيات التي يريد تفسيرها كاملة ثم يشرع في تفسيرها مجزأة عقب ذلك، وفي بعض الأحيان يقوم رحمه الله بذكر الآيات إذا كانت قصصاً للأنبياء فيقول إلى آخر القصة، وفي أحيان قليلة يغفل ذكر الآيات كاملة فيشرع في تفسيرها مباشرة، وعلى ذلك يجري سياق التفسير، ولكن النجار عمد إلى جعل الآيات في أعلى الصفحة، وجعل بينها وبين التفسير خطاً ثم حذف الآيات في التفسير، ومن هنا يأتي اضطراب السياق في بعض الأحيان فيضطر إلى حذف بعض الكلمات أو الإضافة أو نحو ذلك.

#### الملحظ الثالث:

#### التصرف بالزيادة:

إن من أعجب ما عمل النجار أن زاد في التفسير ففي بعض المواضع ترك الشيخ ـ رحمه الله \_ تفسير بعض الآيات سهواً، فيقوم النجار بتفسيرها من عنده.

وفي مواضع أخرى تكون النسخة التي اعتمدت عليها الطبعة السلفية ناقصة؛ لأن الناسخ تجاوز الآيات فيقوم النجار من قبله بتفسير هذه الآيات. وهذه المواضع كثيرة جداً تصل في بعض المواقع إلى صفحات، وفي بعضها إلى أسطر، وفي أخرى إلى كلمات، وهذه أمثلة لها:

- ا\_ سقط من النسخة الخطية (ب) تفسير الآية (٢٠٧) من سورة البقرة وهي قول الله عز وجل: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾ وبناء على سقوطها من النسخة سقطت من الطبعة السلفية فجاء النجار ففسر الآية من عنده، وبدأ بمعاني المفردات، ورجع إلى جملة مراجع؛ كالقاموس والصحاح، وتفسير ابن كثير، ولم يشر إلى أن الكلام من كلامه، وليس من كلام الشيخ \_ رحمه الله \_ وقد وقع هذا في صفحتين ونصف من طبعته ابتداء من منتصف الصفحة (٢٥٢) من المجلد الأول إلى نهاية ص (٢٥٤)، والقارى للكلام يعلم أنه ليس من كلام الشيخ \_ رحمه الله \_ لأن الشيخ لا ينقل من مصادر، وإنما يفسر بما فتح الله عليه كما قرر ذلك في أول الكتاب.
- ٢- ومن الزيادات الطويلة التي زادها النجار زيادته في تفسير الآيات رقم ( ١٠٥ ـ ١٠٧) من سورة الأنعام
   حيث تجاوزها الشيخ فلم يفسرها ففسرها النجار في الصفحات ذوات الأرقام (٤٥٠، ٤٥١، ٤٥١) من

الجزء الثاني، ولم يشر إلى التصرف، وظاهر من أسلوبه أنه ليس أسلوب الشيخ حيث أتى ببعض الإعرابات والمعاني اللفظية ثم ذكر المعنى الإجمالي. ومن عجيب أمره أنه في الصفحة (٤٤٩) تصرف تصرفاً يسيراً بأن قدم كلمة على أخرى، وأشار في الهامش إلى ذلك التصرف، ولم يشر إلى تصرفه بزيادة ثلاث صفحات.

- ٣\_ في تفسير الآيتين (٥٠، ٥١) من سورة الحج سبق قلم الشيخ \_ رحمه الله \_ إلى الآية رقم ٥٦ فجمع بينهما وبين هذه الآية فكتب ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك أصحاب الجحيم﴾، ثم فسر الآية على وفق ما كتب، فعمد النجار إلى تغيير التفسير والزيادة زيادة طويلة يصل مجموعها إلى صفحة ونصف الصفحة تقريباً (١) ولم يشر إلى شيء من التعديل.
- ٤ـ ومن الزيادات العجيبة أن الشيخ عبد الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ أورد قوله سبحانه: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾ من الآية رقم (٢٩) من سورة الدخان، في سياق تفسيره للآية رقم (٤١) من سورة المؤمنون، مستشهداً بها، ولكن يبدو أن النجار ظنها من السورة نفسها ففسرها تفسيراً من عند نفسه ونسبه إلى الشيخ، ولم يعلق، ولم يبين أنه من كلامه، وهذه الزيادة تقع في صفحة تقريباً (٢٠).

ومن عجيب حاله أنه يعلق أحياناً في الهامش على زياداته وكأنها تعليق على كلام الشيخ رحمه الله<sup>(٣)</sup>.

#### الملحظ الرابع:

#### الحواشي والتعقبات:

لقد قام النجار بتعقب الشيخ رحمه الله في مواضع كثيرة من التفسير ووضع هوامش لتلك التعقبات فتعدى (مهمته، وتجاوز طوره، فراح يعلق على هذا التفسير القيم بآراء بعدت عن الصواب، وجانبت الحق في أجلى معانيه مما شوه به هذا الكتاب، وأساء إلى المؤلف، وغش القراء، وأضل الناشئة كما أنه اعترض على المؤلف، ورد أقواله بآراء من عنده لم يوفق فيها إلى الحق والصواب، مع أنه ليس من حقه ذلك، ولا من مهمته أن يعترض على المؤلف فيما اختاره، وإنما مهمته هي تحقيق النص وتصحيحه)(٤).

(والذي في أول الكتاب من هذه التعقبات اعتراضات بسيطة على عبارة، أو لفظة أو نحوها، أما الذي في وسطه وآخره فهي اعتراضات وخيمة تحريف لكلام الله، وغلو في الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وتنقص للعلماء وكذب عليهم) (٥).

ولقد كان في معظم تعليقاته متهماً للشيخ وأسلوبه وهذه بعض تعبيراته التي تظهر ذلك قال: (والعبارة قلقة كما ترى)(٢٦)، (العبارة مبهمة تحتاج إلى إيضاح)(٧)، (العبارة فيها شيء من الاضطراب فالأوضح أن يقال)(١٨)، (وفي العبارة غموض كما ترى)(٩).

<sup>(</sup>١) انظر طبعة النجار ٥/٣٠٨، ٣٠٩، وقارنه بما في هذه الطبعة.

<sup>(</sup>٢) ينظر طبعة النجار (٥/ ٣٥٠).

<sup>(</sup>٣) ينظر طبعة النجار (١/٤٥٤).

<sup>(</sup>٤) الشيخ محمد سليمان البسام: كشف الستار عن تلفيق وتعليق النجار على تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي (٧).

<sup>(</sup>٥) المصدر السابق (٩).

<sup>.(1.8/1) (1)</sup> 

<sup>(</sup>V) (1/Par).

<sup>.(</sup>YE+/1) (A)

<sup>(4) (1/137).</sup> 

ولقد أبان الشيخ محمد بن سليمان البسام عوار تلك التعقبات بياناً شافياً في رسالة مستقلة عنوانها: (كشف الستار عن تلفيق وتعليق النجار على تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي).

وذكر أمثلة كثيرة دالة على أخطاء النجار فيما زعمه من أخطاء وقع فيها الشيخ ـ رحمه الله \_ وأكتفي بالإحالة على تلك الرسالة الماتعة، ففيها نقد علمي قوي لأخطاء ظاهرة وقع فيها النجار وأشير هنا إلى ثلاث تعقبات فقط أبين من خلالها شيئاً يسيراً من سوء صنيع النجار، وأما التعقبات التي تحتاج إلى نقد علمي فأحيل فيها إلى رسالة الشيخ محمد البسام.

١ ــ وقوع النجار في الخطأ ثم تخطئة الشيخ رحمه الله به:

قال الشيخ \_ رحمه الله \_ في تفسيره قوله تعالى: ﴿ فَإِن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره ﴾ «أي نكاحاً صحيحاً ويطأها؛ لأن النكاح الشرعي لا يكون إلا صحيحاً، ويدخل فيه العقد والوطء، وهذا بالاتفاق) هكذا في النسختين وفي الطبعة السلفية التي اعتمد عليها النجار، ولكنه أسقط (إلا) فصارت العبارة: «لأن النكاح الشرعي لا يكون صحيحاً وهذا فعله، وليس فعل الشيخ \_ رحمه الله \_ ثم قال النجار في الهامش قوله: «لأن النكاح الشرعي الخ» في العبارة اضطراب، والصواب أن يقال: «لأن النكاح الشرعي الصحيح، يدخل فيه العقد والوطء بإجماع العلماء» فأخطأ النجار ثم خطأ الشيخ، وعدل خطأ الشيخ بزعمه.

٢- إقحام تعليقات لا محل لها فمن ذلك. قال الشيخ \_ رحمه الله \_ "والظلم الذي بين العبد وربه فيما دون الشرك تحت المشيئة والحكمة". قال النجار: (وفي هذا المعنى قال صاحب جوهرة التوحيد:

ومن يمت ولم يتب من ذنبه فأمره مفوض لربه

٣- الاستدراك في غير محله: قال الشيخ - رحمه الله - «فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة وزيادة في النعم المفقودة». قال في الهامش قوله: «فالشكر فيه بقاء النعم. . الخ» عبر العلماء عن هذا المعنى بقولهم: «الشكر قيد للموجود، وصيد للمفقود»(١) فكأنه خطأ الشيخ في اختيار اللفظ وليس هذا بخطأ بل الأمر واسع في اختيار اللفظ المناسب.

#### الملحظ الخامس:

#### سوء توزيع النص

حيث قام بإعادة توزيع النص إلى فقرات وعمد إلى أن تكون تلك الفقرات قصيرة جداً وعليه فقد فرق أجزاء الجملة بين الأسطر، وقطع الكلام عن سياقه إذ نجد فعل الشرط في سطر وجوابه في آخر، والمعلول في سطر وتعليله في آخر، ولذلك تضخم التفسير جداً مع أن صفحاته يمكن أن تكون أقل من ذلك بكثير، والله أعلم بالهدف من وراء ذلك التضخيم.

存 格 推

إن هذه الملاحظ ليست إلا أمثلة دالة على أن عمل النجار لم يكن عملاً أميناً على هذا التفسير.

وبمجمل هذا العرض يتضح أن التفسير لم يخرج بصورته التي كتبها الشيخ ـ رحمه الله ـ إذ جميع الطبعات كانت نسخاً مكرورة عن طبعة النجار، التي اعتمد فيها صاحبها على الطبعة السلفية، والطبعة السلفية اعتمدت على النسخة الثانية التي لم تكن بخط الشيخ وكان فيها بعض النقص وبعض التحريف من النساخ.

ولما كان الأمر بهذه الصورة التي تظهر الحاجة الماسة إلى إخراج هذا التفسير المبارك إخراجاً علمياً مصححاً كما أراده الشيخ رحمه الله فقد عمدت إلى العمل ثلاث سنين في هذا الكتاب راجياً أن يكون العمل

<sup>.(1/0/1) (1)</sup> 

ساداً للثلمة ومبرئاً للذمة.

#### العمل الذي قمت به:

لقد من الله علي بأمر لم يتوفر لمن اعتنى بهذا التفسير من قبل وهو الحصول على النسخة (أ) التي كانت بحوزة الشيخ \_ رحمه الله \_ وتحت نظره ومحل عنايته إلى أن توفي، وهي في الجملة أسلم من النسخة (ب) التي كانت أصل جميع الطبعات، ولما بدأت في العمل كان الهدف الذي سعيت إليه جاهداً هو: إخراج التفسير كما كتبه الشيخ \_ رحمه الله \_ دون تعديل أو تبديل، أو زيادة أو نقص، وعلى ذلك قمت بما يلي:

أولاً: نسخ التفسير كما هو ويتضمن ذلك: إثبات الآيات المفسرة كما كتبها الشيخ ـ رحمه الله ـ فحين يورد الآيات كاملة، أوردها كاملة كما فعل، وحين يورد جزءاً منها ويقول: إلخ القصة، أثبتها على هذا الوجه، وحين تفترق النسختان أطبق قواعد المقابلة التي سأبينها لاحقاً بحول الله، وقد راعيت في النسخ ما يلي:

- ١- توزيع النص توزيعاً جيداً، بحيث يكون تقسيم فقرات الكلام وأجزائه متصلاً بمعانية، واجتهدت ألا أقطع السياق الواحد بين فقرتين مختلفتين، وأن أبدأ تفسير الآية أو الآيات من أول السطر.
- ٢\_ ترقيم الآيات المفسرة في بداية تفسيرها، وهذا لم يكن من عمل الشيخ ـ رحمه الله ـ ولكن وجدته مهماً
   لأجل سهولة معرفة مواضع الآيات.
  - ٣\_ تصحيح بعض الأخطاء الإملائية الظاهرة التي لا تخفى على الشيخ \_ رحمه الله \_ ولكنها سبق قلم.

ولقد حرصت على عدم التدخل في التفسير والتعديل فيه بأي وجه من الوجوه إلا في ثلاث حالات:

الأولى: أن يكون الخطأ في الآيات فهنا أثبت الصواب ولا ألتفت إلى الخطأ، ولكن في بعض الأحيان يحدث أن يكون قلم الشيخ سبق إلى آيات في غير السورة، أو في السورة نفسها، وليست في ذلك الموضع، ثم يفسر الآيات التي كتب، فأثبت الصواب في الآيات، وأبقي التفسير كما هو، وأشير إلى ما عملت في الهامش.

الثانية: أن يكون الخطأ ظاهراً، ولا يمكن أن يقبل به المؤلف \_ رحمه الله \_ فهنا أثبت التعديل الذي أراه صواباً، وأشير في الهامش إلى ما في الأصل من خطأ، أو سبق قلم.

الثالثة: أن يكون التعديل طفيفاً كأن يكون تعديلاً في ضمير فيقول: (خالقهما) والصواب (خالقها) أو العكس أو يقول (التي) والصواب (الذي) ونحو ذلك، فهنا أصوب الكلام، وأشير في أحيان يسيرة إلى ما عملت، خاصة وأن الشيخ ـ رحمه الله ـ: (كان سريع الكتابة، ويكتب بخط دقيق، وبدون نظارة، لكنه على قاعدة صحيحة) (١٠ وكانت جل عنايته بالمعاني، ولذلك قال في رسالة للشيخ عبد الله بن عقيل ـ حفظه الله \_ (فحسن الإملاء والجري مع المعاني أولى من اعتبار حسن الخط، فذاك أهميته بالنسبة لحسن الإنشاء قليلة). (٢)

#### ثانياً \_ المقابلة:

وابتغاء توضيح الأمر أبين ما قمت به في نقاط:

أولاً: اعتمدت النسخة (أ) وجعلتها أصلاً لأمور:

الأول: أن معظمها بخط الشيخ \_ رحمه الله \_.

والثاني: أنها النسخة التي كانت بيد الشيخ ـ رحمه الله ـ إلى حين وفاته.

<sup>(</sup>١) الشيخ عبد الله بن عقيل: الأجوبة النافعة (المقدمة) (٧).

<sup>(</sup>٢) الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة (٦٧).

الثالث: أنها سالمة من التعديل والشطب اللذين وقعا من النساخ أو الطابعين أو المصححين بعكس النسخة (ب) فإن هذه النسخة سلمت للمطبعة السلفية، فكان المصححون للطبعة يعدلون عليها ويشطبون، بل تجد على هوامشها أسماء (عمال الصف) فنجد اسم (محمود) أو فلان منهم وذلك لتوزيع العمل عليهم، بينما النسخة (أ) لم تمسها الأيدي بشطب أو تعديل.

الرابع: سلامة هذه النسخة من الخروم والنقص لأن معظمها بخط الشيخ ـ رحمه الله ـ بينما النسخة (ب) كتب معظمها بخطوط النساخ فوقع فيها بعض النقص والخروم.

الخامس: أنها أجود كثيراً من النسخة الأخرى في إملائها بينما تجد في النسخة (ب) أخطاء ظاهرة.

ثانياً: يلاحظ أنني ذكرت في وصف النسختين أن معظم النسخة الأولى كان بخط الشيخ \_ رحمه الله \_ وأن النسخة الثانية في جملتها بخطوط النساخ وهذا توضيح تفاوت الكتابة على التفصيل مع بيان ما قمت به حيال ذلك التفاوت:

 ١- أجزاء كانت في النسختين بخط الشيخ - رحمه الله - وذلك مثل كثير من المجلد الأول، والمجلد الثامن، والتاسع، وفي هذه الأجزاء يلاحظ وجود الاشكالات الآتية:

- (أ) أن الشيخ رحمه الله في المجلد فسر الآيات من قوله تعالى: ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ سورة البقرة، الآية: ٢٣٨، إلى نهاية تفسير قوله تعالى: ﴿ ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم﴾ سورة آل عمران، الآية: ١٢٩ تفسيراً جديداً فليس ما في النسختين متوافقاً بل هو متغاير من حيث الألفاظ والصياغة والأسلوب وكأن الشيخ رحمه الله كتب ذلك مرتين، ولم يكن هناك احتمال لأن يكون الكلام ليس بكلامه، لأن ما في النسختين بخطه رحمه الله وووح الكلام وأسلوبه هو ذات أسلوب الشيخ رحمه الله وقد قلبت النظر بين خيارات عدة، وكان ما استقر الرأي عليه أن أجعل في صلب التفسير ما كان في النسخة قلبت النظر بين توفي الشيخ رحمه الله وهي في بيته، وأما ما في النسخة (ب) وهو المطبوع في طبعات الكتاب السابقة فقد جعلته في ملحق في آخر التفسير.
- (ب) أن الشيخ رحمه الله في المجلد الثامن من بداية سورة الحجرات وحتى نهاية التفسير نسخ التفسير بخطه نسخة ثانية، ولكنه كان يعدل في الألفاظ ويزيد في الكلمات وينقص منها، ولذلك تفاوت حجم المقابلة بين بعض أجزاء الكتاب بشكل واضح، حيث تجد فروقاً كبيرة بين النسختين في أجزاء ولا تجد إلا اليسير من الفروق في أجزاء أخرى.
- (ج) أن بعض الأجزاء كانت في النسخة (أ) بغير خط الشيخ ـ رحمه الله ـ وفي النسخة (ب) بخط الشيخ ـ رحمه الله ـ كما في المجلد السادس وهنا كثرت الأخطاء في النسخة (أ) وقلت في (ب) فاستفدت من (ب) في المقابلة وجعلت جل اعتمادي عليها إذ هي أصح لولا ما عابها من تعديلات مصححي المطبعة السلفية عليها.

ثالثاً: الزيادات: جاءت زيادات في إحدى النسختين عن الأخرى وقد جعلت الزيادات بين قوسين مركنين [ ] وهي على ثلاثة أنواع:

الأول: الزيادات التي في الأصل على (ب) وقد جعلتها بين قوسين مركنين، دون إشارة في الهامش إلى شيء.

الثاني: الزيادات التي في (ب) وقد جعلتها بين قوسين مركنين، وأشرت إلى الزيادة في الهامش بقولي: زيادة في ب، وهذا النوع من الزيادات يكثر في الأجزاء التي كانت بخط الشيخ ـ رحمه الله ـ في النسختين كلتيهما.

الثالث: الزيادات التي جعلتها لاقتضاء السياق وعدم استقامته بدونها فقد جعلتها بين قوسين مركنين وأشرت إلى الزيادة في الهامش بقولى: (زيادة يقتضيها السياق).

وبعد، فيلاحظ إني لم أثبت تخريج الأحاديث في الكتاب، لأن ما في الكتاب من الأحاديث ليس بالكثير، ومعظم ما نقل \_ رحمه الله \_ هو من صحيح البخاري ومسلم، كما لم أفهرس فهرسة تفصيلية، لأن الفهرسة التي يمكن أن يستفاد منها هي الفهرسة الموضوعية للفوائد الإيمانية، والتربوية، والسلوكية، والعلمية، ونحوها التي في الكتاب، وإذا نظرنا إلى الفهرسة بهذا الاعتبار فإن الكتاب يحتاج إلى فهرسة كبيرة وطويلة جداً يمكن الاستغناء عنها بقراءة الكتاب لمريد الاستفادة، وأما الفهارس التفصيلية للآيات والأحاديث والاعلام أو القبائل. ونحوها، فإن طبيعة التفسير لا تدل على الحاجة لذلك، وإن عمل على هذا التفسير فإنما هذا العمل نوع من التزيد والتكثر لا حاجة له.

资 歩 歩

وبعد فهذا الجهد الذي بذلت وهو جهد استغرق ثلاثة أعوام قرأت فيها التفسير قراءة مقابلة ثلاث مرات واجتهدت في إخراج التفسير على أتم الوجوه ـ قدر الإمكان ـ وما كان لي أن أصل إلى هذا لولا فضل الله عز وجل فله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

ثم الشكر من بعد لمن كان عوناً لي في إخراج هذا التفسير بأي وجه من أوجه العون وأخص بالذكر صاحبي الفضيلة العالمين الجليلين الشيخ محمد بن صالح العثيمين، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل. وفضيلة والدي الكريم الشيخ معلا اللويحق، والمشايخ الفضلاء الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر الذي أعانني على الحصول على النسخة الثانية (ب) لمخطوط التفسير، وأبدى من جميل الملحوظات ما كان عوناً لي على ضبط العمل، والدكتور خالد السبت، الذي كانت مهاتفاته بداية حفز لإعادة العمل في التفسير، والشيخ صالح الهبدان، والشيخ عبد الرحمن الراجحي، والشيخ محمد الخضيري، والاخوة الذين عملوا معي في المقابلة فأمضوا وقتاً طويلاً في سبيل ذلك، وبذلوا جهداً لا أنساه في إعانتي الشيخ إدريس حامد محمد، والشيخ تراوري مامادوا، والأخ فيصل بن طلع المطيري فللجميع مني الشكر والعرفان والدعاء بالتوفيق والتسديد.

وأسأل الله المغفرة عما وقع من تقصير، واستمد منه العون فهو وحده المستعان. والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

وكتب

عبد الرحمن بن معلا اللويحق المطيري بعد عشاء ليلـة الثامـن والعشرين من شهر ذي القعدة عام ١٤١٩هـ



#### تنبيــه

اعلم أن طريقتي في هذا التفسير أني أذكر عند كل آية ما يحضرني من معانيها، ولا أكتفي بذكري ما تعلق بالمواضع السابقة عن ذكر ما تعلق بالمواضع اللاحقة، لأن الله وصف هذا الكتاب أنه (مثاني) تثنى فيه الأخبار والقصص والأحكام، وجميع المواضيع النافعة لحكم عظيمة، وأمر بتدبره جميعه، لما في ذلك من زيادة العلوم والمعارف وصلاح الظاهر والباطن، وإصلاح الأمور كلها().

<sup>(</sup>۱) هذا التنبيه جعله الشيخ \_ رحمه الله \_ على غلاف المجلد الأول فصدرت به التفسير كما فعل \_ رحمه الله \_.



#### مقدمة المؤلف

#### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الفرقان الفارق بين الحلال والحرام، والسعداء والأشقياء، والحقِّ والباطل.

وجعله برحمته هدى للناس عموماً، وللمتقين خصوصاً، من ضلال الكفر والمعاصي والجهل، إلى نور الإيمان والتقوى والعلم، وأنزله شفاء للصدور من أمراض الشبهات والشهوات، ويحصل به اليقين والعلم في المطالب العاليات، وشفاء للأبدان من أمراضها وعللها وآلامها وسقمها (۱). وأخبر أنه لا ريب فيه ولا شك بوجه من الوجوه، وذلك لاشتماله على الحق العظيم في أخباره، وأوامره، ونواهيه، وأنزله مباركاً، فيه الخير الكثير، والعلم الغزير، والأسرار البديعة، والمطالب الرفيعة، فكل بركة وسعادة تنال في الدنيا والآخرة، فسببها الاهتداء به واتباعه، وأخبر أنه مصدق ومهيمن على الكتب السابقة، فما يشهد له فهو الحق، وما ردَّه فهو المردود، لأنه تضمنها وزاد عليها، وقال تعالى فيه: (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام)، فهو هاد لدار السلام، مبين لطريق الوصول إليها، وحاثَ عليها، كاشف عن الطريق الموصلة إلى دار الآلام ومحذَّر عنها، وقال تعالى مخبراً عنه: (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من الطريق الموصلة إلى دار الآلام ومحذَّر عنها، وقال تعالى مخبراً عنه: لا كتاب الحق من الباطل والرشد من الضلال، تفصيلاً كاشفاً للبس، لكونه صادراً من حكيم خبير، فلا يخبر إلا بالصدق والحق واليقين، ولا يأمر إلا بالعدل والإحسان والبر، ولا ينهى إلا عن المضار الدينية والدنيوية.

وأقسم تعالى بالقرآن ووصفه بأنه «مجيد»، والمجد: سعةُ الأوصاف وعظمتها، وذلك لسعة معاني القرآن وعظمتها، ووصفه بأنه «ذو الذكر» أي: يُتذكر به العلوم الإلهية والأخلاق الجميلة والأعمال الصالحة، ويتعظ به من يخشى.

وقال تعالى: ﴿إِنَا أَنزِلنَاه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ فأنزله<sup>(٣)</sup> بهذا اللسان لنعقله ونتفهمه، وأمرنا بتدبره، والتفكر فيه، والاستنباط لعلومه، وما ذاك إلا لأن تدبره مفتاح كل خير، محصل للعلوم والأسرار. فلله الحمد والشكر والثناء، الذي جعل كتابه هدى وشفاء ورحمة ونوراً، وتبصرة وتذكرة، وبركة، وهدى وبشرى للمسلمين.

فإذا علم هذا، علم افتقار كل مكلُّف لمعرفة معانيه والاهتداء بها.

وكان حقيقاً بالعبد أن يبذل جهده، ويستفرغ وسعه في تعلمه وتفهمه بأقرب الطرق الموصلة إلى ذلك.

وقد كثرت تفاسير الأثمة رحمهم الله لكتاب الله، فمن مطوّل خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مُقْصِر، يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية. [بقطع النظر عن المراد](1).

(٢) في ب: بتمييز.

<sup>(</sup>۱) في ب: وأسقامها. وأنزله.

<sup>(</sup>٤) زيادة من هامش ب، مشطوبة من أ.

وكان الذي ينبغي في ذلك، أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه. فينظر في سياق الكلام، وما سيق لأجله، ويقابل بينه وبين نظيره في موضع آخر؛ ويعرف أنه سيق لهداية الخلق كلهم، عالمهم وجاهلهم، حضريهم وبدويهم، فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله، من أعظم ما يُعين على معرفته وفهم المراد منه، خصوصاً إذا انضم إلى ذلك معرفة على اختلاف أنواعها.

فمن وفق لذلك، لم يبق عليه إلا الإقبال على تدبره وتفهمه وكثرة التفكر في ألفاظه ومعانيه ولوازمها، وما تتضمنه، وما تدل عليه منطوقاً ومفهوماً، فإذا بذل وسعه في ذلك، فالرب أكرم من عبده، فلا بد أن لِفتح عليه من علومه أموراً لا تدخل تحت كسبه.

ولما منَّ الباري عليَّ وعلى إخواني بالاشتغال بكتابه العزيز بحسب الحال اللائقة [بنا] أحببت أن أرسم من تفسير كتاب الله ما تيسر، وما منَّ به الله علينا، ليكون تذكرة للمحصلين، وآلة للمستبصرين، ومعونة للسالكين، ولأقيده خوف الضياع، ولم يكن قصدي في ذلك إلاّ أن يكون المعنى هو المقصود، ولم أشتغل في حل الألفاظ والعقود، للمعنى الذي ذكرت، ولأن المفسرين قد كفوا مَنْ بعدهم، فجزاهم الله عن المسلمين خيراً.

والله أرجو، وعليه أعتمد، أن ييسر ما قصدت، ويذلل ما أردت، فإنه إن لم ييسره الله، فلا سبيل إلى حصوله، وإن لم يعن عليه، فلا طريق إلى نيل العبد مأموله.

وأسأله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به النفع العميم، إنه جواد كريم. اللهم صل على محمد وآله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

#### فوائد مهمة تتعلق بتفسير القرآن من بـدائـع الفوائـد لابن القيم رحمه الله تعالى<sup>(۱)</sup>

[قال: فصل] النّكرة في سياق النفي تَعُم، مستفاد من قوله تعالى: ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أخفى لهم من قرة أعين﴾، وفي الاستفهام من قوله تعالى: ﴿هل تعلم له سمياً﴾، وفي الشرط من قوله: ﴿فإما تَرَينٌ من البشر أحداً﴾، ﴿وإن أحدٌ من المشركين استجارك﴾ وفي النهي من قوله تعالى: ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾.

وفي سياق الإثبات، بعموم العلة والمقتضى كقوله: ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾.

وإذا أضيف إليها «كل» نحو ﴿وجاءت كل نفسٍ معها سائق وشهيد﴾، ومن عمومها بعموم المقتضى ﴿ونفس وما سواها﴾.

#### فصل

ويستفاد عموم المفرد المحلَّى باللام من قوله: ﴿إِنَ الإِنسانَ لَفِي خَسرِ﴾ وقوله: ﴿ويقول الكافر﴾ وعموم المفرد المضاف من قوله: ﴿وصدقت بكلمات ربها وكتبه﴾ (وكتابه)(٢).

وقوله: ﴿هذا كتابُنا يَنطق عليكم بالحق﴾ والمراد جميع الكتب التي أحصيت فيها أعمالهم، وعموم الجمع المحلّى باللام من قوله: ﴿وإذا الرُسل أُقتت﴾، وقوله: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾، وقوله تعالى: ﴿إِن المسلمين والمسلمات﴾ إلى آخرها. والمضاف من قوله: ﴿كلَّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾.

وعموم أدوات الشَّرط من قوله تعالى: ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ﴾، وقوله: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ﴾، [وقال] ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾، وقوله ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ﴾، وقوله: ﴿ووحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾، وقوله: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم ﴾، وقوله: ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ هذا إذا كان الجواب طلباً مثل هاتين الآيتين.

فإن كان خبراً ماضياً، لم يلزم العموم، كقوله: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها﴾ ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ﴾.

وإن كان مستقبلاً، فالتزموا ردَّ العموم، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أُو وَزَنُوهُمْ يَخْسُرُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَإِذَا مَرُوا بَهُم يَتَغَامِرُونَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّهُم كَانُوا إِذَا قَيْلُ لَهُم لَا إِلَّهَ إِلَّا الله يستكبرون﴾.

وقد لا يعم، كقوله تعالى: ﴿وإذا رأيتُهم تُعجبُك أجسامُهم﴾.

<sup>(</sup>١) جاءت هذه الفوائد في: أ بعد تفسير سورة الفاتحة، وقد كتب الشيخ ـ رحمه الله ـ في هامش النسخة: (حق هذه المقدمة أن تتقدم على الفاتحة).

 <sup>(</sup>۲) كتبت الكلمة مرتين مرة بالإفراد، ومرة بالجمع، وجاء في هامش أ ما نصه: (قرأ أهل البصرة وحفض (وكتبه). وقرأ الآخرون (وكتابه) على التوحيد).

#### فصل

ويستفاد كون الأمر المطلق للوجوب، مِن ذمّه لمن خالَفه، وتسميته إياه عاصياً، وترتيبه عليه العقاب بالعاجل أو الآجل.

ويستفاد كون النهي للتحريم، من ذمِّه لمن ارتكبه، وتسميته عاصياً، وترتيبه العقاب على فعله.

ويستفاد الوجوب بالأمر تارة، وبالتصريح بالإيجاب والفرض والكُتْب، ولفظة «على»، ولفظة: حق على العباد وعلى المؤمنين.

ويستفاد التحريم من النهي، والتصريح بالتحريم والحظر، والوعيد على الفعل، وذم الفاعل، وإيجاب الكفارة بالفعل.

وقوله: «لا ينبغي» فإنها في لغة القرآن والرسول للممتنع عقلاً وشرعاً.

ولفظة «ما كان لهم كذا وكذا» و «لم يكن لهم»، وترتيب الحدِّ على الفعل، ولفظة «لا يحل» و «لا يصلح»، ووصف الفعل بأنه فساد، وأنه من تزيين الشيطان وعمله، وأن الله تعالى لا يحبه ولا يرضاه لعباده، ولا يزكي فاعله ولا يكلمه ولا ينظر إليه ونحو ذلك.

وتستفاد الإباحة من الإذن والتخيير، والأمر بعد الحَظْر، ونفي الجُناح والحرج والإثم والمؤاخذة، والإخبار بأنه يعفو عنه، والإقرار على فعله في زمن الوحي، وبالإنكار على من حرَّم الشيء، والإخبار بأنه خلق لنا كذا وجعله لنا، وامتنائه علينا به، وإخباره عن فعل مَنْ قبلنا، غير ذام لهم عليه.

فإن اقترن بإخباره مدحٌ، دلُّ على رجحانه استحباباً أو وجوباً.

#### فصل

وكل فعل عظّمه الله ورسوله، أو مدحه، أو مدح فاعله لأجله، أو فرح به، أو أحبّه، أو أحبّ فاعله، أو رضي به، أو رضي عن فاعله، أو وصفه بالطّيب، أو البركة، أو الحُسن، أو نصبه سبباً لمحبته أو لثواب عاجلٍ أو آجلٍ (١)، أو نصبه سبباً لذكره لعبده، أو لشكره له، أو لهدايته إياه، أو لإرضاء فاعله، أو وصف فاعله (٢) بالطيب، أو وصف الفعل بأنه معروف، أو نفى الحُزن والخوف عن فاعله، أو وعده بالأمن، أو نصبه سبباً لولايته، أو أخبر عن دعاء الرسل بحصوله، أو وصفه بكونه قربة، أو أقسم به أو بفاعله، كالقسم بخيل المجاهدين وإغارتها (١)، أو ضحك الرب جل جلاله من فاعله، أو عجبه به، فهو دليل على مشروعيته المشتركة بين الوجوب والندب.

#### فصل

وكل فعل طلب الشارع تركه، أو ذم فاعله، أو عيب عليه، أو مقت فاعله، أو لعنه، أو نفى محبته إياه، أو محبة فاعله، أو نفى الرضا به، أو الرضا عن فاعله، أو شبّه فاعله بالبهائم أو الشياطين، أو جعله مانعاً من الهدى، أو وصفه بسوء أو كراهة، أو استعاذ الأنبياء منه أو أبغضوه، أو جعل سبباً لنفي الفلاح، أو لعذاب عاجل أو آجل، أو لذم أو لوم، أو ضلالة أو معصية، أو وصفه بخبث (أ)، أو رجس، أو نجس، أو بكونه فسقاً أو إثماً، أو سبباً لإثم أو رجس، أو لعن أو غضب، أو زوال نعمة، أو حلول نقمة، أو حد من الحدود، أو قسوة، أو خزي، أو ارتهان نفس، أو لعداوة الله أو محاربته، أو الاستهزاء به وسخريته، أو جعله سبباً لنسيانه لفاعله، أو وصف نفسه بالصبر عليه، أو الصفح أو الحلم عنه، أو دعا إلى التوبة منه، أو وصف فاعله بخبث أو احتقار، أو نسبه إلى الشيطان وتزيينه، أو تولي الشيطان لفاعله، أو وصفه بصفة ذم، مثل كونه ظلماً أو بغياً، أو عدواناً أو إثماً، أو تبرأ الأنبياء منه أو من فاعله، أو شكوا

<sup>(</sup>١) في ب: أو لثوابه عاجلاً أو آجلاً.

<sup>(</sup>٣) في ب: وإثارتها.(٤) في ب: بالخبث.

<sup>(</sup>٢) في ب: فاعليه.

إلى الله من فاعله، أو جاهروا فاعله بالعداوة، أو نصب سبباً لخيبة فاعله عاجلاً أو آجلاً، أو رتب عليه حرمان الجنة، أو وصف فاعله بأنه عدو لله أو الله عدوه، أو أعلم فاعله بحرب من الله ورسوله، أو حمل فاعله إثم غيره، أو قيل فيه «لا ينبغي هذا» أو «لا يصلح» أو أمر بالتقوى عند السؤال عنه، أو أمر بفعل يضاده، أو هجر فاعله، أو تلاعن فاعلوه في الآخرة، أو تبرأ بعضهم من بعض، أو وصف فاعله بالضلالة، أو أنه دليس من الله في شيء» أو أنه ليس من الرسول وأصحابه، أو قَرنَ بمحرم ظاهر التحريم في الحكم والخبر عنهما (۱ بخبر واحد، أو جعل اجتنابه سبباً للفلاح، أو جعل سبباً لإيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين، أو قيل لفاعله «هل أنت منته» أو نهى الأنبياء عن الدعاء لفاعله، أو رتب عليه والبغضاء بين المسلمين، أو قيل لفاعله «هل أنت منته» أو نهى الأنبياء عن الدعاء لفاعله، أو رتب عليه القيامة، ولا ينظر إليه، ولا يزكيه»، أو أن الله لا يصلح عمله، ولا يهدي كيده، أو أن فاعله لا يفلح، ولا يكون يوم القيامة من الشهداء ولا من الشفعاء، أو أن الله يغار من فعله، أو نبه على وجه المفسدة فيه، أو أخبر أنه لا يقبل من فاعله صرفاً ولا عدلاً، أو أخبر أن من فعله قيض له الشيطان فهو له قرين، أو جعل الفعل سبباً لإزاغة الله قلب فاعله، أو صرفه عن آياته وفهم آلائه، أو سؤال الله سبحانه عن علة الفعل «لم فعل» نحو: ﴿لم تصدون عن سبيل الله مَنْ آمن﴾، ﴿لم تلبسون الحق بالباطل﴾، ﴿ما منعك أن الشجد)»، ﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾ ما لم يقترن به جواب من المسؤول (۲٪ فإذا قرن به جواب، كان به حواب، كان

فهذا ونحوه، يدل على المنع من الفعل، ودلالته على التحريم أطرد من دلالته على مجرد الكراهة. وأما لفظة يكرهه الله ورسوله، أو مكروه، فأكثر ما يستعمل في المحرَّم، وقد يستعمل في كراهة التنزيه.

وأما لفظة «وأما أنا فلا أفعل» فالمتحقق (٣) منه الكراهة كقوله: «أما أنا فلا آكل متكناً».

وأما لفظة «ما يكون لك» و «ما يكون لنا» فاطرد استعمالها في المحرَّم، نحو ﴿ما يكون لك أن تتكبر فيها﴾، ﴿ما يكون لل أن تتكبر فيها﴾، ﴿ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾.

#### قصل

وتستفاد الإباحة من لفظ الإحلال، ورفع الجناح، والإذن، والعفو، و "إن شئت فافعل" و "إن شئت فلا تفعل"، ومن الامتنان بما في الأعيان من المنافع، وما يتعلق بها من الأفعال، نحو: ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين﴾ ونحو ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾.

ومن السكوت عن التحريم، ومن الإقرار على الفعل في زمن الوحى.

#### فائدة

التعجُّبُ كما يدل على محبة الله تعالى للفعل نحو «عَجِب ربُّك مَنْ شاب ليست له صبوة» ونحوه، قد يدل على بغض الفعل كقوله: ﴿وإنْ تَعجب فعجبٌ قولهم﴾ وقوله: ﴿بل عَجِبتَ ويسخَرُون﴾.

وقوله: ﴿وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله﴾.

وقد يدل على امتناع الحكم، وعدم حسنه، كقوله: ﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله﴾.

ويدل على حسن المنع منه قدراً، وأنه لا يليق به فعله، كقوله تعالى: ﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم﴾.

<sup>(</sup>۱) في ب: عنه. (۳) في ب: فالمحقق.

<sup>(</sup>٤) كذا في ب، وفي أ: بعد.

<sup>(</sup>٢) في ب: من السؤال.

#### فائدة

نفي التساوي في كتاب الله، قد يأتي بين الفعلين، كقوله تعالى: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمنُ آمن بالله واليوم الآخر﴾ الآية.

وقد يأتي بين الفاعلين كقوله: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله ﴾.

وقد يأتي بين الجزائين كقوله: ﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة﴾.

وقد جمع الله بين الثلاثة في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتُويُ الْأَعْمَى والبَصْيَرِ وَلَا الظلمات ولا النور﴾ الآيات.

#### فائدة

في ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور:

التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس، بحيث يكون نسبته للعقل، كنسبة المحسوس إلى الحس.

وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر، وإبطال أمر.

#### فائدة

السياق يرشد إلى بيان المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم (١) احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته، فانظر إلى قوله: ﴿ذَقَ إِنكَ أَنت العزيز الكريم﴾ كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير.

#### فائدة

إخبار الرب عن المحسوس الواقع له عدة فوائد:

منها: أن يكون توطئةً وتقدمةً لإبطال ما بعده.

ومنها: أن يكون موعظة وتذكرة.

ومنها: أن يكون شاهداً على ما أخبر به من توحيده، وصدق رسوله، وإحياء الموتى.

ومنها: أن يذكر في معرض الامتنان.

ومنها: أن يذكر في معرض اللوم والتوبيخ.

ومنها: أن يذكر في معرض المدح والذم.

ومنها: أن يذكر في معرض الإخبار عن اطلاع الرب عليه. وغير ذلك من الفوائد.

انتهى كلامه رحمه الله. ، وهو في غاية النفاسة، والاشتمال على كثير من القواعد والضوابط المتعلقة بتفسير القرآن، فجزاه الله خيراً.

قلت: وقد اشتمل القرآن على عدة علوم قد ثنيت فيه وأعيدت:

فمنها: ضرب الأمثال، وقد ذكر ابن القيم فيما تقدم فوائدها.

ومنها ذكر صفات أهل السعادة والشقاوة، وفي ذلك فوائد عديدة:

منها: أن الأوصاف التي يوصف بها أهل الخير، تدل على محبة الله ورضاه وأنها محمودة، والصفات التي يوصف بها أهل الشر، تدل على بغض الله لها وأنها مذمومة.

ومنها: ما يكرم الله به أولياءه من الثناء الحسن بين عباده، فهو ثواب معجل، ويهين به أعداءه من الأوصاف القبيحة، فيكون عقاباً معجلاً.

ومنها: أن فيه حثاً للنفوس على الاقتداء بأهل الخير ومنافستهم، وتنشيط العمال على الأعمال ببيان من عملها من أولياء الله.

وفيه الترهيب من أفعال أهل الشر، وتبغيض المعاصى التي أثرت مع عامليها ما أثرت.

ومنها: الاعتبار بصفات أهل الخير والشر، وأن مَنْ فعل مثل فعلهم ناله ما نالهم.

وقد حتَّ تعالى على الاعتبار، في غير موضع من كتابه. وحقيقته: العبور من شيء إلى شيء، وقياس الشيء على نظيره.

ومنها: أن العبد إذا رأى<sup>(۱)</sup> أعمال أهل الخير وعجزه عن القيام بها، أوجب له ذلك الإزراء على نفسه واحتقارها، وهذا هو عين فساده، إلى غير ذلك من الفوائد.

ومنها: ذكر صفات الله وأسمائه وأفعاله، وتقديسه عن النقائص، وفي ذلك فوائد عظيمة:

منها: أن هذا العلم \_ وهو العلم المتعلق بالله تعالى \_ أشرف العلوم وأجلها على الإطلاق.

فالاشتغال بفهمه والبحث التام عنه، اشتغال بأعلى المطالب، وحصوله للعبد من أشرف المواهب.

ومنها: أن معرفة الله تعالى تدعو إلى محبته وخشيته، وخوفه ورجائه، وإخلاص العمل له، وهذا عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله، إلا بمعرفة أسمائه وصفاته، والتفقه في فهم معانيها.

وقد اشتمل القرآن من ذلك على ما لم يشتمل عليه غيره، من تفاصيل ذلك وتوضيحها، والتعرف بها إلى عباده، وتعريفهم لنفسه كي يعرفوه.

ومنها: أن الله خلق الخلق ليعبدوه ويعرفوه، فهذا هو الغاية المطلوبة منهم، فالاشتغال بذلك اشتغال بما خلق له العبد، وتركه وتضييعه إهمال لما خلق له. وقبيح بعبدٍ، لم تَزَل نعم الله عليه متواترة، وفضله عليه عظيم من كل وجه، أن يكون جاهلاً بربه معرضاً عن معرفته.

ومنها: أن أحد أركان الإيمان، بل أفضلها وأصلها الإيمان بالله، وليس الإيمان بمجرد قوله: «آمنت بالله» من غير معرفة بربه.

بل حقيقة الإيمان، أن يعرف الرب الذي يؤمن به، ويبذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته، حتى . يبلغ درجة اليقين، وبحسب معرفته بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه ازداد إيمانه وكلما نقص، نقص. نقص.

وأقرب طريق يوصله إلى ذلك، تدبر صفاته وأسمائه من القرآن.

والطريق في ذلك، إذا مر به اسم من أسماء الله، أثبت  $^{(7)}$  له ذلك المعنى وكماله وعمومه، ونزهه  $^{(7)}$  عما يضاد ذلك.

ومنها: أن العلم به تعالى أصل الأشياء كلها، حتى إن العارف به حقيقة المعرفة، يستدل بما عرف من صفاته وأفعاله على ما يفعله، وعلى ما يشرعه من الأحكام، لأنه لا يفعل إلا ما هو مقتضى أسمائه وصفاته، فأفعاله دائرة

<sup>(</sup>١) في ب: أن يثبت.

<sup>(</sup>٢) في ب: وينزهه.

بين العدل والفضل والحكمة.

وكذلك لا يشرع ما يشرعه من الأحكام، إلا على حسب ما اقتضاه حمده وحكمته وفضله وعدله.

فأخباره كلها حق وصدق، وأوامره ونواهيه عدل وحكمة.

وهذا العلم أعظم وأشهر من أن ينبه عليه لوضوحه:

وكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

ومنها: ذكر الأنبياء والمرسلين، وما أرسلوا به، وما جرى لهم مع أممهم. وفي ذلك عدة فوائد:

منها: أن من تمام الإيمان بهم معرفتهم بصفاتهم وسيرهم وأحوالهم. وكلما كان المؤمن بذلك أعرف، كان أعظم إيماناً بهم، ومحبة لهم، وتعظيماً لهم، وتعزيزاً وتوقيراً.

ومنها: أن من بعض حقوقهم علينا \_ خصوصاً النبي محمد ﷺ \_ معرفتهم ومحبتهم محبة صادقة، ولا سبيل لذلك إلا بمعرفة أحوالهم.

ومنها: أن معرفة الأنبياء موجبة لشكر الله تعالى على ما منّ به على المؤمنين، إذ بعث فيهم رسولاً منهم يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، بعد أن كانوا في ضلال مبين.

ومنها: أن الرسل هم المربون للمؤمنين، الذين ما نال المؤمنون(١) مثقال ذرة من الخير، ولا اندفع عنهم مثقال ذرة من الشر، إلا على أيديهم ويسببهم.

فقبيح بالمؤمن أن يجهل حالة مربيه ومزكيه ومعلمه.

وإذا كان من المستنكر جهل الإنسان بنحال أبويه ومباعدته لذلك، فكيف بحالة الرسول، الذي هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهو أبوهم الحقيقي، الذي حقه مقدم على سائر الحقوق بعد حق الله تعالى؟!!

ومنها: أن في معرفة ما جرى لهم وجرى عليهم، تحصُل للمؤمن (٢) الأسوة والقدوة، وتخف عنه كثير من المقلقات والمزعجات، لأنها مهما بلغت من الثقل والشدة، فلا تصل إلى بعض ما جرى على الأنبياء. قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾.

ومن أعظم الاقتداء بهم، الاقتداء بتعليماتهم، وكيفية إلقاء العلم على حسب مراتب الخلق، والصبر على التعليم، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وبهذا وأمثاله كان العلماء ورثة الأنبياء.

ومن فوائد معرفة الرسول ﷺ، معرفة الآيات القرآنية المنزلة عليه وفهم المعنى. والمراد منها موقوف على معرفة أحوال الرسول، وسيرته مع قومه وأصحابه وغيرهم من الناس، فإن الأزمنة والأمكنة والأشخاص تختلف اختلافاً كثيراً.

فلو أراد إنسانٌ (٢) أن يصرف همه لمعرفة معاني القرآن من دون معرفة منه لذلك، لحصل من الغلط على الله وعلى رسوله، وعلى مراد الله من كلامه، شيء كثير.

وهذا إنما يعرفه من عرف ما في أكثر التفاسير من الأغلاط القبيحة التي ينزه عنها كلام الله(٤)، وغير

<sup>(</sup>١) كَلْمَا في ب، وفي أ: المؤمن.

<sup>(</sup>٢) في ب: للمؤمنين.

<sup>(</sup>٣) في ب: الإنسان.

<sup>(</sup>٤) في ب جاءت الجملة هكذا (ما في كثير من التفاسير من الأغلاط التي ينزه عنها كلام الله) وقد شطبت هذه الجملة، وكتب الشيخ ــ رحمه الله ــ في الهامش بدلاً عنها ما يلي (كيف كثر حمل مراد الله ورسوله على العرف الحادث فوقع الخلل الكثير).

ذلك من الفوائد المفيدة والنتائج السديدة.

ومن علوم القرآن: الأمر والنهي الموجه لهذه الأمة وغيرها، وهذا هو المقصود منهم، وفي معرفة ذلك عدة فوائد:

منها: أن الله تعالى حث على معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله، وذم من لم يعرف ذلك.

ومن أعظم ما يجب معرفة حدوده؛ الأوامر والنواهي التي كلفنا بها، وألزمنا بالقيام بها وتعلمها وتعليمها.

ولا سبيل إلى امتثالها، [أو اجتنابها،](١) إلا بمعرفتها، ليتأتى فعلها [أو تركها](٢) وذلك أن المكلف إذا أمر بأمر، وجب عليه أولاً معرفة ما هو الذي أمر به، وما يدخل به وما لا يدخل.

فإذا عرف ذلك استعان بالله، واجتهد في امتثاله بحسب القدرة والإمكان.

وكذلك إذا نهي عن أمر من الأمور، وجب عليه معرفة ذلك المنهي وحقيقته، ثم يبذل جهده مستعيناً بربه على تركه، امتثالاً لأمر الله، واجتناباً لنهيه، وامتثال الأمر، واجتناب النهي، كل منهما واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. فعرفت أن العلم بها قبل العمل، ومتقدم عليه.

ومنها: أن الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يمكن حصولها وتحصيلها إلا بعد معرفة الخير ليدعو له، ومعرفة المعروف ليأمر به، ومعرفة المنكر لينهى عنه، والقرآن مشتمل على ذلك أعظم اشتمال، ومتضمن له أكمل تضمن.

ومن علوم القرآن أحوال اليوم الآخر، وهو ما يكون بعد الموت مما أخبر به الله في كتابه، أو أخبر به رسوله من أهوال الموت، والقبر والموقف، والجنة والنار، وفي العلم بذلك فوائد كثيرة:

منها: أن الإيمان باليوم الآخر، أحد أركان الإيمان الستة، التي لا يصح الإيمان بدونها، وكلما ازدادت معرفته بتفاصيله، ازداد إيمانه (۳).

ومنها: أن العلم بذلك<sup>(٤)</sup> حقيقة المعرفة، يفتح للإنسان باب الخوف والرجاء، اللذين إن خلا القلب منهماً خرب كل الخراب، وإن عمر بهما أوجب له الخوف الانكفاف عن المعاصي، والرجاء تيسير الطاعة وتسهيلها، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة تفاصيل الأمور التي يخاف منها وتحذر؛ كأحوال القبر وشدته، وأحوال الموقف الهائلة، وصفات النار المفظعة.

وبمعرفة تفاصيل الجنة وما فيها من النعيم المقيم، والحبرة والسرور، ونعيم القلب والروح والبدن، فيحدث بسبب ذلك الاشتياق الداعي للاجتهاد في السعي للمحبوب المطلوب، بكل ما يقدر عليه.

ومنها: أنه يعرف بذلك فضل الله وعدله، في المجازاة على الأعمال الصالحة، والسيئة، الموجب لكمال حمده والثناء عليه بما هو أهله.

وعلى قدر علم العبد بتفاصيل الثواب والعقاب، يعرف بذلك فضل الله وعدله وحكمته.

ومن علوم القرآن: مجادلة المبطلين، ودفع شبه الظالمين، وإقامة البراهين العقلية الموافقة للأدلة النقلية.

وهذا الفن من علوم القرآن من خواص العلماء الربانيين، والجهابذة الراسخين، والعقلاء المستبصرين، وقد اشتمل القرآن من الأدلة العقلية، والقواطع البرهانية، ما لو جمع ما عند جميع

<sup>(</sup>۱) زیادة من هامش ب.

<sup>(</sup>٢) زيادة من هامش ب.

<sup>(</sup>٣) في ب: إيمان العبد به.

<sup>(</sup>٤) في ب: أن معرفة ذلك.

المتكلمين من حق، لكان بالنسبة إليه كنقرة عصفور بالنسبة لماء البحر؛ ذلك بأن القرآن هو الحق، وقد اشتمل على الحق والصدق والعدل والميزان العادل والقسط والصلاح والفلاح، فإن ذكر التوحيد والشرك، وأمر بالأول ونهى عن الثاني، أقام من البراهين القاطعة على صحة التوحيد وحسنه وتعينه طريقاً للنجاة، وقبح الشرك وبطلانه، وكونه هو الطريق للهلاك، ما يجعل ذلك للبصيرة كالشمس في نحر الظهيرة.

وإن أمر بالأوامر الشرعية، وحث على الآداب ومكارم الأخلاق، رأيته ينبه العقول النيرة على ما اشتملت عليه من المصالح الضرورية، التي يحتاجونها في معاشهم ومعادهم، ما يجزم بأنه (١) لا أحسن منها، وأن حكمته تقتضى الأمر بها أشد اقتضاء.

وإن نهى عن المحارم والقبائح والخبائث، أخبر بما في ضمنها من الفساد والضرر، والشر الحاصل بتناولها، وأن نعمة الله عليهم بتحريمها عليهم وتنزيههم عنها، وتكريمهم وتعلية أقدارهم عن التلبس بها فوق كل نعمة، فالمأمورات مشتملات (٢) على الصلاح، والمحرمات مشتملات (٢) على المفاسد.

وإن شرع في الحجاج للمبطلين، وتزييف شبه المشبهين، وبطلان مذاهب الضالين، فقل ما شئت من إحقاق حق، ودمغ باطل، وإرشاد ضال، وإقامة الحجة على المعاند، وبيان أن الباطل لا يقوم لأقل شيء من الحق، بل هو على اسمه باطل لا حقيقة له، إن هي إلا أسماء يسمون بها الباطل إذا جردت، تبينت هباء منثوراً.

ورأيته يسوق البراهين العقلية، بأوضح عبارة وأوجزها وأسلمها من الاعتراض والنقض والخفاء، فيجمع بين الدليل العقلي والنقلي في كلمة واحدة، إيجازاً غير مخل بالمطلوب، وتارة يفصل ذلك، ويسرد من البراهين ما يكفي بعضه بالبيان. فلله الحمد والشكر.

فهذه مقدمة نافعة، إن شاء الله، ينبغي استقراؤها في [كل] مواردها، والتنبه لكل ما يرد من هذه المطالب على وجه التفصيل، فمن استعملها في كل ما يرد عليه من الآيات، انتفع بها نفعاً عظيماً. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

(٣) في ب: مشتملة.

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ: به أنه.

<sup>(</sup>۲) في ب: مشتملة.

## تفسير الفاتحة وهي مكية

﴿١ - ٧﴾ ﴿بسبم الله السرحسن الرحيم الحمد لله رب العالمين \* الرحمن الرحيم \* مالك يوم الدين \* إياك نعبد وإياك نستعين \* اهدنا الصراط المستقيم \* صراط الذين أنعمت عليهم \*غير المغضوب عليهم \* ولا الضالين ♦ أي: أبتدىء بكل أسم شه تعالى، لأن لفظ «اسم» مفرد مضاف، فيعمُّ جميع الأسماء [الحسنى]، ﴿اللهِ : هُو المألوه المعبود، المستحق لإفراده بالعبادة لما اتصف به من صفات الألوهية، وهي صفات الكمال، ﴿الرحمن الرحيم﴾: اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فلهم نصيب منها.

واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأثمتها، الإيمان بأسماء الله وصفاته، وأحكام الصفات، فيؤمنون مثلاً بأنه رحمن رحيم، ذو الرحمة التي اتصف بها، المتعلقة بالمرحوم، فالنعم كلها أثر من آثار رحمته، وهكذا في سائر الأسماء. يقال في العليم: إنه عليم ذو علم يعلم يعلم على شيء، قدير ذو قدزة يقدر على كل شيء.

والحمد شه: [هو] الثناء على الله بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد الكامل بجميع الوجوه. ﴿ رب العالمين ﴾ الرّب: هو المربي جميع العالمين وهم من سوى الله \_ بخلقه لهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها لم يمكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة فمنه تعالى.

وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة.

فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر، ولعل هذا [المعنى] هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخامة

فدلٌ قوله: ﴿رَبِّ المعالمين على انفراده بالخلق والتدبير والنعم، وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار.

﴿ مالك يوم الدين ﴾ المالك: هو من اتصف بصفة الملك التي من آثارها أنه يأمر وينهى، ويثيب ويعاقب، ويتصرف بمماليكه بجميع أنواع التصرفات، وأضاف الملك ليوم الدين، وهو يوم القيامة، يوم يُدَان الناس فيه بأعمالهم خيرها وشرها، لأن في ذلك اليوم يظهر للخلق تمام الظهور كمال ملكه وعدله وحكمته، وانقطاعُ أملاك الخلائق، حتى [إنه] يستوي في ذلك اليوم الملوك والرعايا والعبيد والأحرار، كلهم مذعنون لعظمته خاضعون لعزته، منتظرون لمجازاته، راجون ثوابه، خائفون من عقابه، فلذلك خصُّه بالذكر، وإلا فهو المالك ليوم الدين ولغيره من الأيام.

وقوله: ﴿إِياكَ نَعْبَدُ وَإِياكَ نَسْتُعِينَ﴾ أي: ننخصتُ وحدك بالعبادة والاستعانة، لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه، فكأنه يقول: نعبدك، ولا نعبد غيرك، ونستعين بك، ولا نستعين بغيرك.

وقدّم (٢٦) العبادة على الاستعانة، من باب تقديم العام على الخاص، واهتماماً بتقديم حقه تعالى على حق عبده،

و "العبادة": اسم جامع لكل ما يجبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، و "الاستعانة": هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك.

والقيام بعبادة الله والاستعانة به هو الوسيلة للسعادة الأبدية، والنجاة من جميع الشرور، فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما، وإنما تكون العبادة عبادة مقصوداً بها وجه الله، فبهذين الأمرين تكون عبادة، وذكر «الاستعانة» بعد "العبادة» مع دخولها فيها، لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله تعالى، فإنه إن لم يعنه الله، لم يحصل له تعالى، فإنه إن لم يعنه الله، لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر واجتناب النواهى.

ثم قال تعالى: ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ أي: دُلنا وأرشِدْنا ووفقنا للصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله وإلى جنته، وهو معرفة الحق والعمل به، فاهدنا إلى الصراط واهدنا في الصراط، فالهداية إلى الصراط: لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علماً وعملاً. فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد، ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته، لضرورته إلى ذلك.

وهذا الصراط المستقيم هو: وصراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وغير صراط والمغضوب عليهم الذين عرفوا الحق وتركوه كاليهود ونحوهم، وغير صراط (الضالين) الذين تركوا الحق على جهل وضلال، كالنصارى ونحوهم.

فهذه السورة على إيجازها، قد

احتوت على ما لم تحتو عليه سورة من

سور القرآن، فتضمنت أنواع التوحيد

الثلاثة: توحيد الربوبية يؤخذ من

قوله: ﴿رب العالمين﴾ ، وتوحيد

الإلهية، وهو إفراد الله بالعبادة، يؤخذ

من لفظ: ﴿اللهِ ﴾ ومن قوله: ﴿إياك

نعبد﴾ ، وتوحيد الأسماء والصفات،

وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى،

التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله من

غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه، وقد

دلً على ذلك لفظ ﴿ الحمد ﴾ كما تقدم.

﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ لأن ذلك

ممتنع بدون الرسالة .

غالف لذلك.

العالمين.

وتضمنت إثبات النبوة في قوله:

وإثبات الجزاء على الأعمال في

قوله:﴿مالك يوم الدين﴾ ، وأنَّ الجزآء

يكون بالعدل، لأن الدين معناه الجزاء

فاعلُّ حقيقة، خلافاً للقدرية والجبرية.

البدّع [والضلال] في قوله: ﴿ آهدنا

الصراط المستقيم الأنه معرفة الحق

والعمل به، وكل مبتدع [وضال] فهو

عبادةً واستعانةً في قوله : ﴿إِياكُ نعبِد

وإياك نستعين فالحمد شرب

تفسير سورة البقرة

وهي مدنية

﴿١٥٥ ﴿بِسِمَ اللهِ السِرِحْسِنَ

الرحيم الم \* ذلك الكتاب لا ريب فيه

هدى للمتقين \* الذين يؤمنون بالغيب

ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم

ينفقون \* والذين يؤمنون بما أنزل

إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم

يوقنون \* أولئك على هدى من ربهم

وأولئك هم المفلحون القدم الكلام

على البسملة، وأما الحروف المقطَّعة في

أوائل السور، فالأسلم فيها السكوت

عن التعرض لمعناها، [من غير مستند

شرعي] مع الجزم بأن الله تعالى لم يُنزلها

عبثاً بل لحكمة لا نعلمها.

وتضمنت إخلاص الدِّين لله تعالى

وتضمنت إثباتَ القدر، وأن العبد

بل تضمنت الردِّ على جميع أهل

الكتاب العظيم الذي هو الكتاب على الحقيقة، المشتمل على ما لم تشتمل عليه كتب المتقدمين والمتأخرين من العلم العظيم، والحق المبين، فـ ﴿لا ريب فيه﴾ ولا شك بوجه من الوجوه، ونفئ الرَّيب عنه يستلزم ضده، إذ ضدُّ الريب والشك اليقين، فهذا الكتاب مشتمل على علم اليقين المزيل للشك والرَّيب، وهذه قاعدة مفيدة أن النفي المقصود به المدح لا بدأن يكون

وقال في موضع آخر : ﴿هـدي للناس) فعمَّم، وفي هذا الموضع وغيره ﴿ هدى للمتقين ﴾ الأنه في نفسه هدى لجميع الخلق، فالأشقياء لم يرفعوا به رأساً، ولم يقبلوا هدى الله، فقامت عليهم به الحجة، ولم يستفعوا به لشقائهم، وأما المتقون الذين أتوا بالسبب الأكبر لحصول الهداية وهو التقوى، التي حقيقتها: اتخاذ ما يقى سخط الله وعذابه بامتثال أوامره واجتناب النواهي، فاهتدوابه، وانتفعوا غاية الانتفاع، قال تعالى: ﴿يَا أيها الَّذِين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ﴾ فالمتقون هم المنتفعون بالآيات القرآنية والآيات الكونية.

ولأن الهداية نوعان: هداية البيان، وهداية التوفيق، فالمتقون حصلت لهم

وقوله: ﴿ ذلك الكتاب ﴾ أي: هذا متضمناً لضده، وهو الكمال، لأن النفي عدم، والعدم المحضُ لا مدح

فلما اشتمل على اليقين وكانت الهداية لا تحصل إلا باليقين قال: ﴿هُدِّي لِلْمُتَقِينَ﴾ ، والهدى: ما تحصل به الهداية من الضلالة والشبه، وما به الهداية إلى سلوك الطرق النافعة، وقال: ﴿هَدِّي﴾ وحذف المعمول، فلم يقل هدى للمصلحة الفلانية، ولا للشيء الفلاني، لإرادة العموم، وأنه هدى لجميع مصالح الدارين، فهو مرشد للعباد في السائل الأصولية والفروعية، ومُبينٌ للحق من الباطل، والصحيح من الضعيف، ومبين لهم كيف يسلِّكون الطرق النافعة لهم في دنياهم وأخراهم.

بنب ألقوالر فمزال في ٱلْحَكَمْدُيْهُورَبِ ٱلْعَكَلِمِينَ ۞ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ مَنْ لِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۞ إِيَّاكَ نَعْبُدُوَ إِيَاكَ نَشْتَعِينُ۞ٱهْدِنَا ٱلصِرَطَ ٱلْمُسْتَقِيرَ۞ صِرَطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَــُمْتَ عَلَيْهِمْ عَنْدِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّالِّينَ ۞

الهدايتان، وغيرهم لم تحصل لهم هداية التوفيق، وهداية البيان بدون توفيق للعمل بها ليست هداية حقيقية [تامة].

ثم وصف المتقين بالعقائد والأعمال الباطنة والأعمال الظاهرة، لتضمن التقوى لذلك، فقال: ﴿الذين يُؤمنون بالغيب، حقيقة الإيمان: هو التصديق التَّام بما أخبرت به الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح، وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر، إنما الشأن في الإيمان بالغيب، الذي لم نَره ولم نُشاهده، وإنما نؤمن به لخبر الله وخبر رسوله، فهذا الإيمان الذي يُميَّز به المسلم من الكافر، لأنه تصديق مجرد لله ورسله، فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله، سواء شاهده أولم يشاهده، وسواء فهمه وعقله أو لم يهتد إليه عقله وفهمه، بخلاف الزنادقة المكذبين للأمور الغيبية؛ لأن عقولهم القاصرة المقصِرة لم تهتدِ إليها، فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ففسدت عقولهم، ومَرَجتُ أحلامُهم، وزكت عقول المؤمنين المصدقين المهتدين بهدى الله.

ويدخل في الإيمان بالغيب [الإيمان بـ] جميعُ ما أخبر الله به من الغيوب الماضية والمستقبلة، وأحوال الآخرة، وحمقائق أوصاف الله وكيفيتها، [وما أخبرت به الرسل من

## 

## يسب إلله الزمن التحدير

الَّمَ ۞ ذَاكَ ٱلْكِنْكُ لَارَيَّ فِيهُ هُدُى الْمُنْقِينَ۞ ٱلْذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الْصَلَوْةَ وَمِمَّا رَزَقْنَ لَهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مِمَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا ٱلْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِئُونَ ۞ أُولَلَيِكَ عَلَى هُدَى مِن رَبِّهِمْ وَأُولَتِيكَ هُوَالْمُعْلِحُونَ هُدَى مِن رَبِهِمْ وَأُولَتِيكَ هُوَالْمُعْلِحُونَ



ذلك] فيؤمنون بصفات الله ووجودها، ويتيقنونها وإن لم يفهموا كيفيتها.

ثم قال: ﴿ويقيمون الصلاة ﴾ لم قال: يفعلون الصلاة ، أو يأتون بالصلاة ، لأنه لا يكفي فيها مجرد الإتيان بصورتها الظاهرة ، فإقامة الصلاة ، إقامتها ظاهراً بإتمام أركانها وواجباتها وشروطها ، وإقامتها باطنا (القلب بإقامة روحها ، وهو حضور القلب فيها ، وتدبر ما يقوله ويفعله منها ، فهذه الصلاة هي التي قال الله فيها : والمنكر وهي التي عن الفحشاء والمنكر وهي التي يترتب عليها الشواب ، فلا ثواب للإنسان (٢) من صلاته إلا ما عقل منها ، ويدخل في الصلاة فرائضها ونوافلها .

ثم قال: ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يَنْفَقُونُ﴾،
يدخل فيه النفقات الواجبة كالزكاة،
والمنفقة على الزوجبات والأقارب
والمماليك، ونحو ذلك، والنفقات
المستحبة بجميع طرق الخير، ولم يذكر
ولأن النفقة من حيث هي قربة إلى الله،
ولأن النفقة من حيث هي قربة إلى الله،
وأتى بـ "من" الدالة على التبعيض،
لينبههم أنه لم يُرد منهم إلا جزءاً يسيراً
من أموالهم، غير ضار لهم ولا مُثقل،
بل ينتفعون هم بإنفاقه، وينتفع به

إخوانهم.

وفي قوله: ﴿ رِزقناهم ﴾ إشارة إلى أن هذه الأموال التي بين أيديكم، أن هذه الأموال التي بين أيديكم، وإنما هي رزق الله الذي خَوِّلكم، وأنعم به عليكم، فكما أنعم عليكم وفضًلكم على كثير من عباده، فاشكروه بإخراج بعض ما أنعم به عليكم، وواسوا إخوانكم المُعدِمِين.

وكثيراً ما يجمع تعالى بين الصلاة والزكاة في القرآن، لأن البصلاة متضمنة للإخلاص للمعبود، والزكاة فعنوان سعادة العبد إخلاصه للمعبود، وسعيه في نفع الخلق، كما أن عنوان شقاوة العبد عدم هذين الأمرين منه، فلا إخلاص ولا إحسان.

ثم قال: ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك ﴾ وهو القرآن والسنة ، قال تعالى: ﴿وَأَنزِل الله عليك الكتاب والحكمة ﴾ فالمتقون يؤمنون بجميع ما جاء به أنزل إليه ، فيؤمنون بيعضه ، ولا يفرقون بين بعض ما يؤمنون ببعضه ، ولا يومنون ببعضه ، أما بجحده أو تأويله ذلك من يفعله من المبتدعة ، الذين يؤولون النصوص الدالة على خلاف قولهم ، بما حاصله عدم التصديق يؤمنوا بها إيمانا حقيقياً .

وقوله: ﴿وما أنزل من قبلك﴾ يشمل الإيمان بالكتب (٣) السابقة، ويتضمن الإيمان بالكتب الإيمان بالرسل وبما اشتملت عليه، خصوصاً التوراة والإنجيل والزبور، وهذه خاصية المؤمنين يؤمنون بجميع الكتب السماوية (٤)، وبجميع الرسل فلا يفرقون بين أحد منهم.

ثم قال: ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ ، و «الآخرة» . اسم لما يكون بعد الموت، وخصّه [بالذكر] بعد العموم، لأن الإيمان باليوم الآخر أحد أركان

الإيمان؛ ولأنه أعظم باعث على الرّغبة والرهبة والعمل، و "اليقين": هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك، الموجب للعمل.

﴿أُولِئك﴾ أي: الموصوفون بتلك الصفات الحميدة ﴿على هدى من رجم ﴾ أي: على هدى عظيم، لأن التنكير للتعظيم، وأيُّ هداية أعظم من تلك الصفات المذكورة المتضمنة للعقيدة الصحيحة والأعمال المستقيمة، وهل الهداية [الحقيقية] إلا هدايتهم، وما سواها [عا خالفها]، فهو (٥٠) ضلالة.

وأتى به "على" في هذا الموضع، الدَّالة على الاستعلاء، وفي الضلالة يأتي به "في" كما في قوله: ﴿وإِنَا أُو إِنَا أُو إِنَا أُو لَيْ ضلال مبين﴾ لأن صاحب الهدى مستعل بالهدى، مرتفع به، وصاحب الضلال منغمس فيه عتقر.

ثم قال: ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ والفلاح [هو] الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب، حصر الفلاح فيهم؛ لأنه لا سبيل إلى الفلاح إلا بسلوك سبيلهم، وما عدا تلك السبيل فهي سبل الشقاء والهلاك والحسار التي تفضي بسالكها إلى الهلاك، فلهذا لما ذكر صفات المؤمنين حقاً، ذكر صفات المؤمنين حقاً، ذكر صفات للرسول، فقال:

والله الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ، يخبر تعالى أن والصبغوابه، وصار وصفاً لهم لازما لا يَرْدَعُهم عنه رادع، ولا ينجع فيهم وعظ، إنهم مستمرون على كفرهم، لا يؤمنون، وحقيقة الكفر: هو المحدود لما جاء به الرسول، أو جحد بعضه، فهؤلاء الكفار لا تفيدهم،

(٥) في ب: فهي ضلالة.

<sup>(</sup>٣) في ب: بجميع الكتب.

<sup>(</sup>٤) في ب: بالكتب السماوية كلها.

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ: وباطنها.

<sup>(</sup>٢) في ب: للعبد.

الدعوة إلا إقامة الحجة عليهم، وكأن في هذا قطعاً لطمع الرسول ﷺ في إيمانهم، وأنك لا تَبأسَ عليهم، ولا تَذهب نفسُك عليهم حسرات.

ثم ذكر الموانع المانعة لهم من الإيمان، فقال: ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾ أي: طبع عليها بطابع لا يدخلها الإيمان، ولا ينفذ فيها، فلا يعُون ما ينفعهم، ولا يسمعون ما يفيدهم.

﴿وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ أي: غشاء وغطاء وأكنّة تمنعها عن النظر الذي ينفعهم، وهذه طرق العلم والخير قد سدت عليهم، فلا مطمع فيهم، ولا خير يُرجى عندهم، وإنما منعوا ذلك، وسدّت عنهم أبواب الإيمان بسبب كفرهم وجحودهم ومعاندتهم بعدما تبين لهم الحق، كما قال تعالى: يؤمنوا به أول مرة ﴾ وهذا عقاب عاحل.

ثم ذكر العقاب الآجل، فقال: ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ وهو عذاب النار، وسخط الجبار المستمر الدائم.

ثم قال تعالى في وصف المنافقين الذين ظاهرهم الإسلام وباطنهم الكفر، فقال:

﴿٨ .. ، ١﴾ ﴿ ومن الناس من يقول آسنا بالله وباليوم الآخير وما هم بمؤمنين \* يخادعون الله والذين آمنوا ومما يخدعون إلا أن فسسهم وما يخدعون \* في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون ﴾ واعلم أن النفاق هو: عذا التعريف النفاق الاعتقادي والنفاق العملي ، فالنفاق العملي كالذي ذكر النبي على في قوله: «آية المنافق ثلاث: افزا وعد أخلف، وإذا وعد أخلف، وإذا وعد أخلف،

خاصم فَجَرًا.

وأما النفاق الاعتقادي المخرج عن دائرة الإسلام، فهو الذي وصف الله به المنافقين في هذه السورة وغيرها، ولم يكن النفاق موجوداً قبل هجرة الرسول الله [من مكة] إلى المدينة، وبعد أن هاجر، فلما كانت وقعة ذل (٢) من في المدينة عمن لم يسلم، فأظهر بعضهم الإسلام خوفاً ومخادعة، وتسلم أموالهم، فكانوا بين أظهر المسلمين في الظاهر في الخيمة ليسوا منهم، وفي الحقيقة ليسوا منهم.

فمن لطف الله بالمؤمنين أن جالاً أحوالهم ووصفهم بأوصاف يتميّزون بها، لئلا يغتر بهم المؤمنون، ولينقمعوا أيضاً عن كثير من فجورهم [قال تعالى]: ﴿ يُعذر المنافقون أن تنزل عليهم فوصفهم الله بأصل النفاق، فقال: ﴿ وما هم بمؤمنين ﴾ فإنهم يقولون النسنة هم ما ليس في قلوبهم بالسنتهم ما ليس في قلوبهم بالسنتهم ما ليس في قلوبهم، فأكذبهم الله بقوله: ﴿ وما هم بمؤمنين ﴾ لأن الإيمان الحقيقي ما تواطأ عليه القلب واللسان، وإنما هذا خادعة لله ولعباده المؤمنين.

والمخادعة: أن يُظهر المُخادعُ لن يُخادعه شيئاً ويُبطن خلافه، لكي يتمكن من مقصوده بمن يخادع، فهؤلاء المنافقون سلكوا مع الله وعباده هذا المسلك، فعاد خداعهم على أنفسهم، فإن " هذا من العجائب؛ لأن المخادع إما أن يُنتج خداعُه ويحصّل ما يريد (أ) أو يسلم لا لَهُ ولا عليه، وهؤلاء عاد خداعهم عليهم، وكأنهم (أ) يعملون ما يعملون من المكر لإهلاك أنفسهم وإضرارها وكيدها؛ لأن الله تعالى لا يتضرر بخداعهم، [شيئاً] وعباده المؤمنون لا يضرهم كيدهم شيئاً، فلا

يضر المؤمنين أَنْ أَظْهَرَ المنافقون الإيمان، فسلِمت بذلك أموالهم وحقنت دماؤهم، وصار كيدهم في نحورهم، وحصل لهم بذلك الخزي والفضيحة في الدنيا، والحزن المستمر بسبب ما يحصل للمؤمنين من القوة والنصرة.

ثم في الآخرة لهم العذاب الأليم الموجع المفجع، بسبب كذبهم وكفرهم وفجورهم، والحال أنهم من جهلهم وحماقتهم لا يشعرون بذلك.

وقوله: ﴿ فِي قلوبهم مرض الشكُ والمراد بالمرض هنا: مرض الشكُ والشبهات والنفاق، لأن (٢) القلب يعرض له مرضان يُخرجانِه عن صحته واعتداله: مرض الشبهات الباطلة، ومرض الشهوات المردية، فالكفر والنفاق والشكوك والبدع، كلها من مرض الشهوات، والزنا ومحبة [الفواحش و] المعاصي وفعلها من مرض الشهوات، كما قال تعالى: ﴿ فَيطمع الذي في قلبه مرض ﴾ وهي من شهوة الزنا، والمعافى من عوفي من شهوة الزنا، والمعافى من عوفي من والإيمان، والصبر عن كل معصية، وأقل في أثواب العافية.

وفي قبوله عن المنافقين: ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً بيان لحكمته تعالى في تقدير المعاصي على العاصين، وأنه بسبب ذنوبهم السابقة، يبتليهم بالمعاصي اللاحقة الموجبة لعقوباتها كما قال تعالى: ﴿ونقلب مرة ﴾ وقال تعالى: ﴿وأما أزاغ الله قلوبهم وقال تعالى: ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم فعقوبة المعصية المعصية المعصية المعسنة الحسنة الحسنة الحسنة الحسنة الحسنة المعدوا هدى ﴾ .

<sup>(</sup>٤) في ب: ويحصل له مقصوده.

 <sup>(</sup>٥) في ب: عاد خداعهم على أنفسهم
 فكأنهم.

<sup>(</sup>١) في ب: ولا بعد الهجرة حتى كانت وقعة بدر.

<sup>(</sup>٢) في ب: فذل.

<sup>(</sup>٣) في ب: وهذا.

<sup>(</sup>٦) في ب: وذلك أن.

﴿ ١١ - ١٢﴾ ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون \* ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون أي: إذا نئي هؤلاء المنافقون عن الإفساد في الأرض، وهو سرائر المؤمنين لعدوهم وموالاتهم للكافرين ﴿ قالوا إنما نحن مصلحون ﴾ فجمعوا بين العمل بالفساد في الأرض، وإظهارهم أنه ليس بإفساد بل هو إصلاح، قلباً للحقائق وجعاً بين فعل الباطل واعتقاده حقاً، وهذا أعظم جناية ممن يعمل بالمعصية، مع اعتقاد وأبها معصية (١٠)، فهذا أقرب للسلامة،

ولما كان في قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحَنَّ مصلحون) حصرٌ للإصلاح في جانبهم ـ وفي ضمنه أن المؤمنين ليسوًا من أهل الإصلاح -قلبَ الله عليهم دعواهم بقوله: ﴿ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُّ المفسدون ﴿ فإنه لا أعظم فساداً (٢) ممن كفر بآيات الله، وصدُّ عن سبيل الله، وخـــــادع الله وأولياءه، ووالى المحاربين لله ورسوله، وزعم مع ذلك أن هذا إصلاح، فهل بعد هذًا آلفساد فساد؟!! ولكن لا يعلمون علماً ينفعهم، وإن كانوا قد علموا بذلك علماً تقوم به عليهم حجة الله، وإنما كان العمل بالمعاصي في الأرض إفساداً، لأنه يتضمن فساد (٢) ما على وجمه الأرض من الحبوب والشمار والأشجار والنبات، بما(٤) يحصل فيها من الآفات بسبب (٥) المعاصى، ولأن الإصلاح في الأرض أن تتعسر بطاعة الله والإيمان به، لهذا خلق الله الخلق، وأسكنهم في الأرض، وأدرًّ لهم (٢) الأرزاق، ليستعينوا بها على طاعته [وعبادته]، فإذا عمل فيها بضده، كان سعياً بالفساد فيها،

وإخراباً لها عما خلقت له .

(۱۳) فوإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ولكن الا إنهم هم السفهاء ولكن المعافقين لا يعلمون أي: إذا قيل للمنافقين آمنوا كما آمن الناس، أي: كإيمان الصحابة رضي الله عنهم، وهو الإيمان بالقلب واللسان، قالوا السفهاء؟ يعنون \_ قبحهم الله الصحابة رضي الله عنهم، بزعمهم (۱۷) السفهم أوجب لهم الإيمان، وترك الأوطان، ومعاداة الكفار، والعقل السفه؛ وفي ضمنه (۱۸) أنهم هم العقلاء أرباب الحجى والنهى.

فرد الله ذلك عليهم، وأخبر أنهم هم السفهاء على الحقيقة، لأن حقيقة السفه<sup>(P)</sup>: جهل الإنسان بمصالح نفسه، وسعيه فيما يضرها، وهذه الصفة منطبقة عليهم وصادقة عليهم مصالح نفسه، والسعي فيما ينفعه وأني دفع ما يضره، وهذه الصفة منطبقة على [الصحابة و] المؤمنين وصادقة عليهم، فالعبرة بالأوصاف والبرهان، لا بالدعاوى المجردة والأقوال الفارغة.

ثم قال تعالى: ﴿١٤ – ١٥ ﴾ ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤون \* الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾ هذا من قولهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، [وذلك] أنهم إذا اجتمعوا بالمؤمنين أظهروا أنهم على طريقتهم وأنهم معهم، فإذا خلوا إلى شياطينهم \_أي: رؤسائهم وكبرائهم في الشر \_قالوا: إنا معكم في الحقيقة، وإنما نحن

مستهزؤون بالمؤمنين بإظهارنا لهم أنّا على طريقتهم، فهذه حالهم الباطنة والظاهرة، ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله.

قال تعالى: ﴿الله يستهزيء بهم ويمدُهم في طغيانهم يعمهون﴾ وهذا جزاء لهم على استهزائهم بعباده، فمن من الشقاء والحالة الخبيثة، حتى ظنوا أنهم مع المؤمنين لما لم يُسلَّط الله المؤمنين عليهم، ومن استهزائه بهم يوم القيامة أنه يعطيهم مع المؤمنين نوراً ظاهراً، فإذا مشى المؤمنون بنورهم طفيء نور فإذا مشى المؤمنون بنورهم طفيء نور المنافقين، وبَقُوا في الظلمة بعد النور متحيرين، فما أعظم الياس بعد النور الطمع، ﴿ ينادونهم ألم نكن معكم، قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم﴾ الآية.

قوله: ﴿ويمدهم﴾أي: يزيدهم ﴿في طغيانهم﴾أي: فجورهم وكفرهم، ﴿يعمهون﴾أي: حاثرون مترددون، وهذا من استهزائه تعالى

ثم قال تعالى كاشفاً عن حقيقة أحوالهم:

(١٦) ﴿أولشك البذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾ أولئك، أي: المنافقون المرصوفون بتلك الصفات ﴿الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ أي: رغبوا في الضّلالة رغبة المشتري بالسلعة، الشي من رغبته فيها يبذل فيها الأثمان (١٠) النفيسة، وهذا من أحسن الأمثلة، فإنه جعل الضلالة التي هي غاية الشر كالسلعة، وجعل الهدى غاية الشر كالسلعة، وجعل الهدى فبذلوا الهدى رغبة عنه بالضلالة الثمن، فبذلوا الهدى رغبة عنه بالضلالة، رغبة فيها، فهذه تجارتهم، فبئس التجارة، وبس الصفقة صفقتهم (١١)

<sup>(</sup>٥) في ب: التي سببها.

<sup>(</sup>٦) في ب: عليهم.

<sup>(</sup>٧) في ب: لزعمهم.

<sup>(</sup>٨) في ب: وفي ضمن ذلك.

<sup>(</sup>۱) ممن يعمل بالمعاصي مع اعتقاد تحريمها.

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: فساداً.

<sup>(</sup>٣) في ب: لأنه سبب فساد.

<sup>(</sup>٤) في ب: لما.

<sup>(</sup>٩) كذا في ب، وفي أ: الفسقة.

<sup>(</sup>١٠) في بُّ: الأموالُ.

<sup>(</sup>۱۱) في ب: وهذه صفقتهم فبئس

وإذا كان من بذل<sup>(١)</sup> ديناراً في مقابلة درهم خاسراً، فكيف من بذل جوهرة وأخذ عنها درهماً؟! فكيف من بذل الهدى في مقابلة الضلالة، واختار الشقاء على السعادة، ورغب في سافل الأمور عن أعاليها<sup>(٢)</sup>؟! فما ربحت تجارته، بل خسر فيها أعظم خسارة. ﴿قُل إِنَّ الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المين﴾.

وقوله: ﴿وما كانوا مهندين﴾ تحقيق لضلالهم، وأنهم لم يحصل لهم من الهداية شيء، فهذه أوصافهم القبيحة. ثم ذكر مثلهم الكاشف لها غاية الكشف، فقال:

﴿١٧ \_ ٢٠ ﴾ ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون \* صمُّ بكمُّ عُميٌ فهم لا يرجعون \* أو كصيّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين \* يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه، وإذا أظلم عليهم قاموا، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم، إن الله على كل شيء قدير ﴾ أي: مثلهم المطابق لما كانوا عليه كمثل الذي استوقد ناراً، أي: كان في ظلمة عظيمة وحاجة إلى النار شديدة فاستوقدها من غيره، ولم تكن عنده معدة، بل هي خارجة عنه، فلما أضاءت النار ما حوله، ونظر المحل الذي هو فيه، وما فيه من المخاوف وأمنها، وانتفع بتلك النار، وقرت بها عينه، وظن أنه قادر عليها، فبينما هو كذلك إذ ذهب الله بنوره، فذهب عنه النور وذهب معه السرور، وبقي في الظلمة العظيمة والنار المحرقة، فذهب

الإحراق، فبقى في ظلمات متعددة: ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر، والظلمة الحاصلة بعد النور، فكيف يكون حال هذا الموصوف؟ فكذلك هؤلاء المنافقون، استوقدوا نار الإيمان من المؤمنين ولم تكن صفة لهم، فانتفعوا بها(٣) وحقنت بذلك دماؤهم، وسلمت أموالهم، وحصل لهم نوع من الأمن في الدنيا، فبينما هم على ذلك(٤) إذ هجم عليهم الموت، فسلبهم الانتفاع بذلك النور، وحصل لهم كل هم وغم وعذاب، وحصل لهم ظلمة القبر وظلمة الكفر وظلمة النفاق، وظلم (٥) المعاصي على اختلاف أنواعها، وبعد ذلك ظلمة النار [وبئس القرار] فلهذا قال تعالى [عنهم]: وصم ای: عن سماع الخير، ﴿بِكُمُّ ﴿ [أي]: عن السَّطْق بِه، ﴿عُمِينِ﴾ عن رؤية الحق، ﴿فهم لا يرجعون﴾ لأنهم تركوا الحق بعد أنّ عرفوه، فلا يرجعون إليه، بخلاف من ترك الحق عن جهل وضلال، فإنه لا يعقل، وهو أقرب رجوعاً منهم.

ثم قال تعالى: ﴿أَوْ كَصِيّبٍ مَنُ السَمَاءُ يعني: أَوْ مثلهم كَصِيب، أَي: كصاحب صيب من السماء، وهو المطو الذي يصوب، أي: ينزل بكثرة، ﴿فِيه ظلمات﴾: ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر، ﴿ورعد﴾ وهبو الصوت الذي يسسمع من السحاب، ﴿وبرق﴾: وهو الضوء اللامع] المشاهد مع (١) السحاب، ﴿كلما أضاء لهم ﴾البرق في تلك الظلمات ﴿مشوافيه، وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ أي: وقوا.

فهكذا حال (٧) المنافقين، إذا سمعوا القرآن وأوامره ونواهيه ووعده ووعده ووعده، جعلوا أصابعهم في آذانهم، وأعرضوا عن أمره ونهيه ووعده ووعده و وعده و وتزعجهم

إِنَ ٱلَّذِيرَ كُفَرُوا سَوَّاةً عَلَيْهِمْ ءَلَنَزَتَهُمْ أَمْ لَرَتُنذِرُهُمْ لَانُوْمِنُونَ ۞ خَمَّ أَقَهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَسَمِهِمْ وَعَلَى أَشَهُ رِهِمْ غِشَلُوا أُوكُمُ مُعَذَابُ عَظِيمٌ ﴿ وَمِنَ ٱلسَّاسِ مَن يَقُولُ عَامَتُ ابِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ ٱلْآخِيرِ وَمَاهُم مِحْوْمِينَ ٥ يُخَذِيعُونَ الْقَدَوَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخَدْ مَعُوبَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَايَشْعُرُونَ ۞ فِي عُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ أَعَدُمْ مَنَ أَوْلَمُ عَذَاتُ أَلِيهُ مُا كَانُوا بِتَكْفِيغُونَ ۞ وَإِذَا فِيلَ لَمُهُمْ كَتُفْسِدُوا فِي ٱلأَرْضِ قَالُوا إِنَّا خَنُ مُصْدِحُونَ ﴿ ٱلْآ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَذِي لَابَشْمُرُونَ ۞ وَلِذَافِلَ لَكُمْ عَامِنُواْ حَمَاءَ امْنَ النَّاسُ فَالْوَا أَنْوْمِنُ كُمّا عَامَنَ السُّفَهَاتُهُ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَكِينَ لَايَمْ لَمُونَ ۞ وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ مَاسَوا فَالْواْ مَامَنًا وَإِذَاخَلُوا إِلَىٰ شَيَعِطِينِهِمْ فَالْوَا إِنَّا مَعَكُمُ إِنَّا نَحْنُ مُسْتَهْ زِمُونَ ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْ زِئْ بِهِمْ وَيَسُدُّهُمْ فِي كُلغَيْنِهِمْ يَسْمَعُونَ ۞ أُوْلَتِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْرَقُوا الصَّهَ كَالَةَ وللهُ الْمُدَىٰ فَمُارَعَت بِمُحَارَقُهُمْ وَمَاكَ الْوَامُهُمِّدِينَ ﴿ ACTUACION - LONGEON

A HEILES

وعوده، فهم يعرضون عنها غاية ما يمكنهم، ويكرهونها كراهة صاحب اللذي يسمع الرعد، ويجعل (١) أصابعه في أذنيه (١) خشية الموت، فهذا تمكن له (١) السلامة، وأما المنافقون فأنى لهم السلامة، وهو تعالى عيط يمجزونه، بل يحفظ عليهم أعمالهم، ويجازيهم عليها أتم الجزاء.

ولما كانوا مبتلين بالصمم والبكم والعمى العنوي، ومسدودة عليهم طرق الإيمان، قال تعالى: ﴿ولو أي: الحسيَّة، ففيه تحذيرٌ لهم وتخويف بالعقوبة الدنيوية ليحذروا، فيرتدعوا عن بعض شرهم ونفاقهم، ﴿إن الله على كل شيء قدير ﴾ فلا يعجزه شيء، ومن قدرته أنه إذا شاء شيئاً فعله من غير عانع ولا معارض.

وفي هذه الآية وما أشبهها رد على القدرية القائلين بأن أفعالهم غير داخلة في قدرة الله تعالى، لأن أفعالهم من جملة الأشياء الداخلة في قوله:

﴿ ٢١ \_ ٢٢﴾ ﴿يا أيها الناس اعبدوا

كذا في ب، وفي أ: أذنه.

في ب: حالة.

**(V)** 

في ب: فيجعل.

(A)

ما فيها من الإشراق، وبقى ما فيها من

<sup>(</sup>٤) في ب: هم كذلك.

<sup>(</sup>٥) في ب: وظلمة.

<sup>(</sup>٦) ني ب: من.

<sup>(</sup>۱۰) في ب: ربما حصلت له.

۱) فی ب: یبذل.

<sup>(</sup>٢) في ب: وترك عاليها.

<sup>(</sup>٣) في ب: ما ستضاءوا بها مؤقتاً

وانتفعوا فحقنت.

THE WHITE IN THE PARTY OF THE P

ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الدي خلقكم الذي جعل لكم الأرض فراشأ والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الشمرات رزقاً تعلمون هذا أمر عام لكل (۱) الناس، بأمر عام، وهو العبادة الجامعة لامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، فأمرهم تعالى بما خلقهم له، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.

إِنَّكْتُنَّرُصَادِقِينَ ۞ فَإِنْ لَرَّضَّكُواْ وَلَنَ نَفْعَكُواْ فَاتَّقُواْ

ٱلنَّارَأَلْيِي وَفُودُهَا ٱلنَّاسُ وَلَلْحِبَارَةُ أَعِدَّتْ لِلْكَفِينَ ۞

شم استدل على وجوب عبادته وحده، بأنه ربكم الذي رباكم بأصناف النعم، فخلقكم بعد العدم، وخلق الذين من قبلكم، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، فجعل لكم الأرض فراشاً تستقرون عليها، وتنتفعون بالأبنية والزراعة والحراثة، والسلوك من على إلى على، وغير ذلك من أنواع (٢) الانتفاع بها، وجعل السماء بناء لمسكنكم، وأودع فيها من المنافع ما كالشمس والقمر والنجوم.

﴿وأنزل من السماء ماء ﴾ والسماء:
[هو] كل ما علا فوقك فهو سماء،
ولهذا قال الفسرون: المراد بالسماء
هاهنا: السحاب، فأنزل منه تعالى ماء،
﴿ فأخرج به من الشمرات ﴾ كالحبوب
والشمار من نخيل وفواكه [وزروع]
وغيرها، ﴿ رزقاً لكم ﴾ به ترتزقون
وتقوتون، وتعيشون وتفكهون.

وفلا تجعلوا لله أنداداً ها أي: نظراء وأشباها من المخلوقين، فتعبدونهم كما تعبدونهم كما تحبون الله، وهم مثلكم مخلوقون مرزوقون مدبرون، لا يملكون مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض، ولا يضعونكم ولا يضرون، ووأنتم نظير، لا في الخلق والرزق والتدبير، ولا في العبادة (٣)، فكيف تعبدون معه الهة أخرى مع علمكم بذلك؟ هذا من أعجب العجب، وأسفه السفه.

وهذه الآية جمعت بين الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وبيان الدليل الباهر على وجوب عبادته، وبطلان عبادة من سواه، وهو [ذكر] توحيد الربوبية المتضمن لانفراده بالخلق والرزق والتدبير، فإذا كان كل أحد مقراً بأنه ليس له شريك في ذلك، فكذلك فليكن إقسراره بأن [الله] لا شريك له في العبادة، وهذا أوضح دليل عقي على وحدانية الباري، وبطلان الشرك.

وقوله تعالى: ﴿لعلكم تتقون﴾ عتمل أن المعنى: أنكم إذا عبدتم الله وحده، اتقيتم بذلك سخطه وعذابه، لأنكم أتيتم بالسبب الدافع لذلك، ويحتمل أن يكون المعنى: أنكم إذا عبدتم الله، صرتم من المتقين الموصوفين بالتقوى، وكلا المعنيين

صحيح، وهما متلازمان، فمن أتى بالعبادة كاملة كان من المتقين ومن كان من المتقين، حصلت له النجاة من عذاب الله وسخطه ثم قال تعالى: .

ه ٤ )

﴿٣٧ - ٤٤﴾ ﴿وإن كنتم في ريب عا نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداء كم من دون الله إن كنتم صادقين \* فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين وهذا دليل عقلي على صدق رسول الله على وصحة ما جاء به ، فقال:

وإن كنتم معشر المعاندين للرسول، الرادين دعوته، الزاعمين كذبه في شك واشتباه مما نزلنا على عبدنا، هل هو حق أو غيره؟ فهاهنا أمر نَصَفٌ، فيه الفيصلة بينكم وبينه، وهو أنه بشر مثلكم، ليس بأفصحكم ولا بأعلمكم (٤)، وانتم تعرفونه منذ نشأ بينكم لا يكتب ولا يقرأ، فأتاكم بكتاب زعم أنه من عند الله، وقلتم أنتم أنه تقوَّله وافتراه، فإن كان الأمر كماً تقولون، فأتوا بسورة من مثله، واستعينوا بمن تقدرون عليه من أعوانكم وشهدائكم، فإن هذا أمر يسير عليكم، خصوصاً وأنتم أهل الفصاحة والخطابة والعداوة العظيمة للرسول، فإن جئتم بسورة من مثله، فهو كما زعمتم، وإن لم تأتوا بسورة من مثله وعجزتم غاية العجز، ولن تأتوا بسورة من مثله، ولكن هذا التقييم (٥) على وجه الإنصاف والتنزل معكم، فهذا آية كبرى ودليل واضح [جلي] على صدقه وصدق ما جاء به، فيتعين عليكم اتباعه، واتقاء النار التي بلغت في الحرارة العظيمة [والشدة]، أن كانت وقودها الناس والحجارة، ليست كنار الدنيا التي إنما تتقد

<sup>(</sup>١) في ب: لجميع.

<sup>(</sup>٢) ني ب: وجوه.

 <sup>(</sup>٣) في ب: ولا في الألوهية والكمال.

<sup>(</sup>٤) هكذا في أ، وفي ب: شطب قوله (بأقصحكم ولا بأعلمكم) وفي هامش النسخة بخط المؤلف جملة أخرى هي (من جنس آخر) فتكون الجملة هكذا (ليس من جنس آخر).

<sup>(</sup>٥) هكذا وردت الكلمة في هامش أ، وهي ليست في ب، ويبدو أن المراد وهذا العرض.

بالحطب، وهذه النار الموصوفة معدّة ومهيَّأة للكافرين بالله ورسله، فاحذروا الكفر برسوله بعدما تبين لكم أنه رسول الله.

وهذه الأية ونحوها يسمونها آيات التحدي، وهو تعجيز الخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن، قال تعالى: ﴿قل لنَّوْر اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾.

وكيف يقدر المخلوق من تراب، أن

يكون كلامه ككلام رب الأرباب؟ أم كيف يقدر الناقص الفقير من كل الوجوه، أن يأتي بكلام ككلام الكامل الذي له الكمال المطلق، والغني الواسع من كل الوجوه؟ هنذا ليس في الإمكان، ولا في قدرة الإنسان، وكل من له أدني ذوق ومعرفة [بأنواع] الكلام، إذا وزن هذا القرآن العظيم بغيره من كلام البلغاء، ظهر له الفرق العظيم .

وفي قوله: ﴿وإن كنتم في ريب﴾ إلى آخره، دليل على أن الذي يرجى له الهداية من الضلالة: [هو] الشاك الحائر الذي لم يعرف الحق من الضلال، فمهذا إذا بين له الحتق فمهمو حمري بالتوفيق (١)، إن كان صادقاً في طلب

وأما المعاند الذي يعرف الحق ويتركه، فهذا لا يمكن رجوعه، لأنه ترك الحق بعدما تبين له، لم يتركه عن جهل، فلا حيلة فيه.

وكذلك الشاك غير الصادق(٢) في طلب الحق، بل هو معرض غير مجتهد فى طلبه، فهذا فى الغالب أنه

وفي وصف الرسول بالعبودية في هذا المقام العظيم، دلالة على أن أعظم أوصافه عِين، قيامه بالعبودية التي لا يلحقه فيها أحدمن الأولين والاخرين.

كما وصفه بالعبودية في مقام الإسراء، فقال: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ﴾ وفي مقام الإنزال، فقال: ﴿تبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ﴾ .

وفي قوله: ﴿أعدت للكافرين﴾ ونحوهًا من الآيات، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، أن الجنة والنار مخلو قتان خلافاً للمعتزلة، وفيها أيضاً، أن الموحدين وإن ارتكبوا بعض الكبائر لا يخلدون في النار، لأنه قال: ﴿أعدت للكافرين ﴾ فلو كان [عصاة الموحدين] يخلدون فيها لم تكن معدة للكافرين وحدهم، خلافاً للخوارج والمعتزلة .

وفيه دلالة على أن العذاب مستحق بأسبابه، وهو الكفر وأنواع المعاصي على اختلافها.

﴿ ٢٥﴾ ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون﴾ لما ذكر جزاء الكافرين، ذكر جبزاء المؤمنين أهل الأعبمال الصالحات على طريقته تعالى في القرآن (٣)، يجمع بين الترغيب والترهيب، ليكون العبد راغباً راهباً، خائفاً راجياً، فقال: ﴿وبشُر﴾ أي: [يا أيها الرسول ومن قيام مقيامه](٢)، ﴿الَّذِينَ آمنوا﴾ بقلوبهم ﴿وعملوا الصالحات، بجوارحهم، فصدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة.

ووصفت أعمال الخير بالصالحات، لأن بها تصلح أحوال العبد، وأمور دينه ودنياه، وحياته الدنيوية والأخروية، ويزول بها عنه فساد الأحوال، فيكون بذلك من الصالحين الذين يصلحون لمجاورة الرحمن في

فبشرهم ﴿أنَّ لهم جنات ﴾ أي: بساتين جامعة من الأشجار العجيبة،

وَيَشْهِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَيِهِ أُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّا لَهُ مُ جَنَّاتِ تَحَيَى مِن عَنْهَا ٱلْأَنْهَارِ أَكُمُ لَمَا أُرْفِقُوا مِنْهَا مِن أَسَرَةِ رَزْقًا فَسَالُواْ هَلَـذَا ٱلَّذِى رُزِفْسَا مِن خَسْلٌ وَأَوَّا بِهِ مُسَسَّكِهِ مَا وَلَهُ رَفِهَا أَزْوَجُ مُطَلَقَ رَةً وَهُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ٥ • إَنَ ٱللَّهُ لَا يَسْنَعَي تأن يَضْرِبَ مَثْلًا مَّا بَعُوضَ مَا وَقَهَا فَأَتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا فِيَصْلَمُونَ أَنْهُ الْحَثِّينِ رَبِهِ مِّرُوَأَمَا ٱلْيَيِ كُنَـرُوا فِيقُولُونِ مَانَاۤ أَرَادَاْتُلَهُ مِهَـٰنَا مَشَكًا يُعْيِدُ لُهِمِ ، كَيْرًا وَبَهْدِى بِهِ ، كَيْرًا وَمَا يْغِيدِ لَّهِ عِنْ إِلَّا ٱلْفَنْسِقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَنْفُضُونِ عَهْدَ أَنَّادِ مِنْ بَعْدِ مِينَ عِهِ ء وَيَقْطَعُونَ مَاۤ أَمْرَا لَعَهُ مِوءَ أَن مُوسَلَ وَيُفْسِيدُ ونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُولَيْهِكَ هُمُ ٱلْخَسِرُونَ ۞ حَيِّفَ تَكْفُرُونَ بِأَلَّهِ وَكُنْتُهُ أَمُونَ أَلَّا فَأَخْبُكُمُ نُرِّيُبِ تُحَمِّم ثُرِّ يَخْمِي كُونُدٌ إِلَيْهِ نُرْحَمُونَ ﴿ هُوَالَّذِي خَلَقَ لَكُمُ مَّافِ ٱلْأَرْضِ جَيعًا لُزَّاسْتَوَكَا إِلَى ٱلسَّمَاةِ ا فَسَوْنَهُنَّ سَبْعَ سَنَوَاتٍ وَهُوَيِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ TOLEGE LONGE

والشمار الأنيقة والنظيل المديند، [والأغسان والأفسان وبلذلك](°) صارت جنة يجتن بها داخلها، وينعم فيها ساكنها.

﴿تجرى من تحتها الأنهار﴾ أي: أنهار الماء، واللبن، والعسل، والخمر، يفجرونها كيف شاءوا، ويصرفونها أين أرادوا، وتشرب<sup>(٦)</sup> منها تلك الأشجار فتنبت أصناف الثمار.

﴿ كُلُّما رِزْقُوا مِنْهَا مِنْ ثُمُرةً رِزْقًا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ان أي: هذا من جنسه وعلى وصفه، كلها متشابهة في الحسن واللذة، ليس فيها ثمرة خاصة، وليس لهم وقت خال من اللذة، فهم دائماً متلذذون بأكلها.

وقوله: ﴿وأتوابه متشابها ﴾ قيل: متشابهاً في الاسم، مختلف الطعوم وقيل: متشابهاً في اللون مختلفاً في الاسم، وقيل: يشبه بعضه بعضاً في الحسن واللذة والفكاهة، ولعل هذا هو الصحيح(^).

ثم لما ذكر مسكنهم وأقواتهم من الطعام والشراب وفواكههم، ذكر أزواجهم، فوصفهن بأكمل وصف وأوجزه وأوضحه، فقال: ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة﴾ فلم يقل «مطهرة من

في أ: أي: يا محمد. (٤)

في ب: المديد ما صارت به جنة. (0) في ب: باتباعه. (1)

**(Y)** 

في ب: الذي ليس بصادق. فی ب: کما هی طریقته تعالی فی (٣)

في ب: وتسقى. (٦)

في ب: مختلفاً في الطعم. (V)

> في ب: أحسن. (A)

CONTROL CONTROL العيب الفلاني، ليشمل جميع أنواع التطهير، فهن مطهرات الأخلاق، مطهرات الخلق، مطهرات اللسان، مطهرات الأبصار، فأخلاقهن أنهن عُرُبٌ متحببات إلى أزواجهن بالخلق الحسن، وحسن التبعل والأدب القولي والفعلى، ومطهر خلقهن من الحيض والنفاس والمني، والبول والغائط، والمخاط والبصاق، والرائحة الكريهة، ومطهرات الخلق أيضاً بكمال الجمال، فليس فيهن عيب، ولا دمامة خلق، بل هن خيرات حسان، مطهرات اللسان والطرف، قاصرات طرفهين على أزواجهن، وقاصرات ألسنتهن عن كل كلام قبيح .

ففي هذه الآية الكريمة، ذكر البشر والمبشر والمبشر والمبشر : هو لسبب الموصل الرسول على ومن قام مقامه من أمته، والمبشر: هم والمبشر: هم المؤمنون العاملون الصالحات، والمبشر به: هي الجنات الموصوفات بتلك الصفات، والسبب الموصل لذلك هو الإيمان والعمل المصالح، فلا سبيل إلى الوصول إلى هذه البشارة إلا بهما، وهذا أعظم بشارة حاصلة على يد أفضل الخلق،

بأفضل الأسباب.

وفيه استحباب بشارة المؤمنين وتنشيطهم على الأعمال بذكر جزائها [وثمراتها]، فإنها بذلك تخف وتسهل، وأعظم بشرى حاصلة للإنسان توفيقه للإيمان والعمل الصالح، فذلك أول البشارة وأصلها، ومن بعده البشرى عند الموت، ومن بعده الوصول إلى هذا النعيم المقيم، نسأل الله أن يجعلنا منهد.

﴿٢٦ \_ ٢٧﴾ ﴿إِنَّ الله لا يستحيى أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين \* الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل وينفسندون في الأرض أولشك هم الخاسرون، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهُ لا يستحيى أن يضرب مثلاً ما ، أي: أيَّ مثل كأن ﴿بعوضةَ فما فوقها﴾ لاشتمال الأمثال على الحكمة، وإيضاح الحق، والله لا يستحيبي من الحق، وكأنَّ في هذا جواباً لمن أنكر ضرب الأمثال في الأشياء الحقيرة، واعترض على الله في ذلك، فليس في ذلك محل اعتراض، بل هو من تعليم الله لعباده ورحمته بهم، فيجب أن تتلقى بالقبول والشكر، ولهذا قال: ﴿فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم) فيتفهمونها، ويتفكرون فيها.

فإن علموا ما اشتملت عليه على وجه التفصيل، ازداد بذلك علمهم وإيمانهم، وإلا علموا أنها حق، وما اشتملت عليه حق، وإن خفي عليهم وجه الحق فيها لعلمهم بأن الله لم يضربها عبثاً، بل لحكمة بالغة ونعمة صابغة.

﴿ وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مشلا ، فيسعترضون

ويتحيرون، فيزدادون كفرأ إلى كفرهم، كما ازداد المؤمنون إيماناً على إيمانهم، ولهذا قال: ﴿يضلُّ بِهِ كَثِيراً ويهدى بِهِ كثيراً﴾ فهذه حال المؤمنين والكافرين عند نزول الآيات القرآنية. قال تعالى: ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون \* وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون، فلا أعظم نعمة على العباد من نزول الآيات القرآنية، ومع هذا تكون لقوم محنة وحبيرة [وضلالة] وزيبادة شر إلى شرّهم، ولقوم منحة [ورحمة] وزيادة خير إلى خيرهم، فسبحان من فاوت بين عباده، وانفرد بالهداية والإضلال.

بين عبده، واعرد بالهداية والإصادن.
ثم ذكر حكمته في إضلال من
يضلهم وأن ذلك عدل منه تعالى (٢)
فقال: ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾
أي: الخارجين عن طاعة الله؛
المعاندين لرسل الله؛ الذين صار الفسق
وصفهم، فلا يبغون به بدلاً، فاقتضت
حكمته تعالى إضلالهم لعدم
صلاحيتهم للهدى، كما اقتضت
حكمته وفضله هداية من اتصف
بالإيمان وتحلى بالأعمال الصالحة.

والفسق نوعان: نوع مخرج من الدين، وهو الفسق المقتضي للخروج من الإيمان، كالمذكور في هذه الآية ونحوها، ونوع غير مخرج عن الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِّينَ آمنوا إِنْ جَاءَكُم فَاسِقَ بَنْا فَتِينُوا﴾ [الآية].

ثم وصف الفاسقين، فقال: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ وهذا يعم العهد الذي بينهم وبينه (٣) ؛ والذي بينهم وبين عباده (٤) ؛ الذي أكده عليهم بالمواثيق الثقيلة والإلزامات، فلا يبالون بتلك المواثيق، بل ينقضونها ويتركون أوامره، ويرتكبون نواهيه، وينقضون العهود التي بينهم وبين الخلق.

له من فضله. (٣) في ب: وبين ربهم.

<sup>(</sup>٤) في ب: الخلق.

<sup>(</sup>١) في ب: نسأل الله من فضله.

<sup>(</sup>۲) في ب: ثم ذكر حكمته وعدله في إضلال من يضل.

وأخفى.

وكثيراً ما يقرن بين خلقه للخلق وإثبات علمه كما في هذه الآية، وكما في قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعِلُمُ مِنْ خَلَقَ وهو اللطيف الخبير، لأن خلقه للمخلوقات أدل دليل على علمه وحكمته وقدرته.

﴿٣٠ ـ ٣٤﴾ ﴿وإذ قسال ربسك للملائكة إن جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إن أعلم ما لا تعلمون \* وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين \* قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم \* قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون \* وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ هذا شروع في ذكر فضل آدم عليه السلام أبي البشر (°)، أن الله حين أراد خلقه أخبر الملائكة بذلك، وأن الله مستخلفه في الأرض، فقالت الملائكة عليهم السلام: ﴿ أَتَجِعلَ فيها من يفسد فيها المعاصى ﴿ ويسفك الدماء ﴾ [و] هذا تخصيص بعد تعميم، لبيان [شدة] مفسدة القتل، وهذا بحسب ظنهم أن الخليفة المجعول في الأرض سيحدث منه ذلك، فنزهوا البارى عن ذلك، وعظموه، وأخبروا أنهم قائمون بعبادة الله على وجه خال من المفسدة، فقالوا: ﴿ونحن نسبِّح بحمدك ﴾ أي: ننزهك التنزيه اللائق بحمدك وجلالك، ﴿ونقدس لك﴾ يحتمل أن معناها: ونقدسك، فتكون اللام مفيدة للتخصيص والإخلاص، ويحتمل أن يكون: ونقدس لك أنفسنا، أي:

في ب: هذا شروع في ابتداء خلق

آدم عليه السلام أبي البشر وفضله.

فيجازيكم الجزاء الأوفى، فإذا كنتم في تصرفه وتدبيره وبره، وتحت أوامره الدينية، ومن بعد ذلك تحت دينه الجزائي، أفيليق بكم أن تكفروا به، وهل هذا إلا جهل عظيم وسفه وحماقة ؟(٢) بل الذي يليق بكم أن تؤمنوا به وتتقوه وتشكروه، وتخافوا عذابه وترجوا ثوابه.

﴿٢٩﴾ ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ﴾ أي: خلق لكم براً بكم ورحمة، جميع ما على الأرض، للانتفاعُ والاستمتاع والاعتبار.

وفي هذه الآية العظيمة (٣) دليل على أن الأصل في الأشياء الإباحة والطهارة، لأنها سيقت في معرض الامتنان، يخرج بذلك الخبأنث، فإن [تحريمها أيضاً] يؤخذ من فحوى الآية، ومعرفة القصود منها، وأنه خلقها لنفعنا، فما فيه ضرر فهو خارج من ذلك، ومن تمام نعمته منعنا من الخبائث تنزيهاً لنا.

وقوله: ﴿ ثم استوى إلى السماء نسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليمه

﴿ استوى ﴾: ترد في القرآن على ثلاثة معانى: فتارة لا تعدى بالحرف، فيكون معناها الكمال والتمام، كما في موله عن موسى: ﴿ولما بلغ أشده واستوی) وتارة تكون بمعنى «علا» و «ارتفع»، وذلك إذا عديت بـ «على» كما في قوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾(١)، ﴿لتستووا على ظهوره﴾ وتارة تكون بمعنى اقصدا كما إذا عديت بر «إلى» كما في هذه الآية، أي: لما خلق تعالى الأرض قصد إلى خلق السماوات ﴿فسواهن سبع سماوات﴾ فخلقها وأحكمها وأتقنها ، ﴿وهو بكل شيء عليم ﴾ ف ﴿يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، و ﴿يعلم ما تسرون وما تعلنون ، يعلم السرّ

**ويسقط ع**ون ما أمر الله بعه أن يوصل﴾ وهذا يدخل فيه أشياء كثيرة، فإن الله أمرنا أن نصل ما بيننا وبينه

بالإيمان به والقيام بعبوديته، وما بيننا وبين رسوله بالإيمان به ومحبته وتعزيره والقيام بحقوقه، وما بيننا وبين الوالدين والأقارب والأصحاب، وسائر الخلق بالقيام بتلك الحقوق<sup>(١)</sup>

التي أمر الله أن نصلها.

فأما المؤمنون فوصلوا ما أمر الله به أن يوصل من هذه الحقوق؛ وقاموا بها أتم القيام، وأما الفاسقون فقطعوها ونبذوها وراء ظهورهم معتاضين عنها بالفسق والقطيعة، والعمل بالمعاصي، وهو: الإفساد في الأرض.

ف ﴿ أُولِتُكُ ﴾ أي: من هذه صفته ﴿ هم الخاسرون ﴾ في الدنيا والآخرة، فحصر الخسارة فيهم، لأن خسرانهم عام في كل أحوالهم، ليس لهم نوع من الربح؛ لأن كل عمل صالح شرطة الإيمان، فمن لا إيمان له لا عمل له، وهذا الخسار هو خسار الكفر، وأما الخسار الذي قد يكون كفراً، وقد يكون معصية، وقد يكون تفريطاً في ترك مستحب، المذكور في قوله تعالى: ﴿إِن الإنسان لفي خسرٌ ﴾ فهذا عام لكل مخلوق، إلا من اتصف بالإيمانُ والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصى بالصبر، وحقيقته فوات الخير الذي [كان] العبد بصدد تحصيله وهو تحت إمكانه .

﴿۲۸﴾ ثـم قـال تعالى: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) هذا استفهام بمعنى التعجب والتوبيخ والإنكار، أي: كيف يحصل منكم الكفر بالله الذي خلقكم من العدم؟ وأنعم عليكم بأصناف النعم، ثم يميتكم عند استكمال آجالكم، ويجازيكم في القبور، ثم يحييكم بعد البعث والنشور، ثم إليه ترجعون،

(1)

في ب: أورد آية أخرى هي: ﴿الرحمن على العرش استوى).

في ب: بحقوقهم. في ب: وسفه كبير، بل. **(Y)** 

في ب: الكريمة. **(T)** 

نطهرها بالأخلاق الجميلة، كمحبة الله وخشيته وتعظيمه، ونطهرها من الأخلاق الرذيلة.

قال الله تعالى للملائكة: ﴿إِنَّ أعلم الحليفة وما لا تعلمون ﴾؛ لأن كلامكم بحسب ما ظننتم، وأنا عالم بالظواهر والسرائر، وأعلم أن الخير الحاصل بخلق هذا الخليفة أضعاف أضعاف ما في ضمن ذلك من الشر، فلو لم يكن في ذلك إلا أن الله تعالى أراد أن يجتبي منهم الأنبياء والصدِّيقين والشهداء والصالحين، ولتظهر آياته لخلقه، ويحصل من العبوديات التي لم تكن تحصل بدون خلق هذا الخليفة كالجهاد وغيره، وليظهر ما كمن في غرائز بني آدم'' من الخير والشر بالامتحان، وليتبين عدوه من ولية، وحزبه من حربه، وليظهر ما كمن في نفس إبليس من الشر الذي انطوى عليه واتصف به، فهذه حكم عظيمة يكفي بعضها في

ثم لما كان قول الملائكة عليهم السلام، فيه إشارة إلى فضلهم على الخليفة الذي يجعله الله في الأرض، أراد الله تعالى أن يبين لهم من فضل آدم ما يعرفون به فضله، وكمال حكمة الله وعلمه، ف ﴿علّم آدم ومن هو مسمى بها، فعلّمه الاسم والمسمى، أي: الألفاظ والمعاني، حتى المكبر من الأسماء كالقصعة، والمصغر كالقصعة، والمصغر

﴿ السميات ﴿ عرضهم ﴾ أي: عرض المسميات ﴿ على الملائكة ﴾ امتحاناً لهم، هل يعرفونها أم لا؟

﴿فقــال أنبئوني بـأسمـاء هــؤلاء إن كنتـم صادقـين﴾ في قولكم وظنكم، أنكم أفضل من هذا الخليفة.

﴿قالوا سبحانك﴾ أي: نُنَزِّهُك عن الاعتراض منا عليك ومخالفة أمرك، ﴿لا علم لنا﴾ بوجه من الوجوه، ﴿إلا ما علمتنا﴾ إياه، فضلاً منك وجوداً،

﴿إِنْكُ أَنْتُ الْعَلَيْمِ الْحَكَيْمِ ﴾ العليم الذي أحاط علماً بكل شيء، فلا يغيب عنه ولا يعزب مثقال ذرة في السماوات والأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر. الحكيم: من له الحكمة التامة التي مأمور، فما خلق شيئاً إلا لحكمة، ولا أمر بشيء إلا لحكمة، والحكمة: وضع الشيء في موضعه اللائق به، فأقروا واعترفوا بعلم الله وحكمته، واعترافهم بفضل الله عليهم، وتعليمه إياهم ما لا يعلمون.

فحينئذ قال الله: ﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم ﴾ أي: أسماء المسميات التي عرضها الله على الملائكة فعجزوا عنها. ﴿فلما أنبأهم بأسمائهم ﴾ تبين للملائكة فضل آدم عليهم، وحكمة الباري وعلمه في استخلاف هذا الخليفة، ﴿قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض ﴾ وهو ما غاب عنا فلم نشاهده، فإذا كان عالماً بالغيب، فالشهادة من باب أولى، ﴿وأعلم ما تكتمون ﴾ أي: تظهرون ﴿وما كنتم تكتمون ﴾ .

ثم أمرهم تعالى بالسجود لآدم، إكراما له وتعظيماً، وعبودية لله تعالى، فامتشلوا أمر الله وبادروا كلهم بالسجود، ﴿إلا إبليس أبي ﴾ امتنع عن السجود، واستكبر عن أمر الله وعلى آدم، قال: ﴿أأسجد لمن خلقت طيناً ﴾ وهذا الإباء منه والاستكبار نتيجة الكفر الذي هو منطو عليه، فتبينت حينتذ عداوته لله ولآدم، وكفره واستكباره.

عداوله لله و و دم، و تعره و استجره. وفي هذه الآيات من العبر والآيات متكلماً يقول ما شاء ويتكلم بما شاء، وأنه عليم حكيم، وفيه أن العبد إذا خفيت عليه حكمة الله في بعض المخلوقات والمأمورات فالواجب عليه التسليم، واتهام عقله، والإقرار لله بالحكمة، وفيه اعتناء الله بشأن الملائكة، وإحسانه بهم، بتعليمهم ما

جهلوا، وتنبيههم على ما لم يعلموه. وفيه فضيلة العلم من وجوه:

منها: أن الله تعرف لملائكته بعلمه وحكمته، ومنها: أن الله عرّفهم فضل العبد، ومنها: أن الله عرّفهم بالسجود لآدم إكراماً له لما بان فضل علمه، ومنها: أن الامتحان للغير، إذا عجزوا عما امتحنوا به، ثم عرفه صاحب الفضيلة، فهو أكمل مما عرفه ابتداء، ومنها: الاعتبار بحال أبوي الإنس والجن، وبيان فضل آدم، وإفضال الله عليه، وعداوة إبليس له، إلى غير ذلك من العبر.

(٣٩ ـ ٣٦) ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً عيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين \* فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كان فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين له لما خلق الله آدم وفضله، أتم نعمته عليه بأن خلق منه زوجة ليسكن إليها ويستأنس بها، وأمرهما بسكنى الجنة والأكل منها وأمرهما بسكنى الجنة والأكل منها وأمرهما بسكنى الجنة والأكل منها وشتما أي: واسعاً هنيئاً، ﴿حيث وألك شئتما أي: من أي أصناف الثمار والفواكه، وقال الله له: ﴿إن لك لا تظمأ فيها ولا تعرى \* وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى \* .

ولا تقربا هذه الشجرة النوع من أنواع شجر الجنة الله أعلم بها، وإنما نهاهما عنها امتحاناً وابتلاء [أو لحكمة غير معلومة لنا] (٢)، ﴿ فتكونا من الظالمين ﴾ دل على أن النهي للتحريم، لأنه رتب عليه الظلم.

فلم يزل عدوهما يوسوس لهما، ويزين لهما تناول ما نهيا عنه، حتى أزلهما، أي: حملهما على الزلل بتزيينه، ﴿وقاسمهما﴾ بالله ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾ فاغترابه وأطاعاه، فأخرجهما مما كانا فيه من النعيم والرغد، وأهبطوا إلى دار التعب والنصب والمجاهدة.

﴿بعضكم لبعض عدو﴾ أي: آدم وذريته، ومن وذريته، اعداء لإبليس وذريته، ومن عدوم أن العدو يجدّ ويجتهد في ضرر عدوه وإيصال الشرّ إليه بكل طريق، هذا، تحذير بني آدم من الشيطان، كما قال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو من أصحاب السعير﴾ ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بش للظالمين بدلا﴾.

ثم ذكر منتهى الإهباط إلى الأرض، فقال: ﴿ولكم في الأرض مستقر﴾ أي: مسكن وقرار، ﴿ومتاع إلى حين﴾ انقضاء آجالكم، ثم تنتقلون منها للدار التي خلقتم لها، وخلقت لكم، ففيها أن مدة هذه الحياة مؤقتة عارضة، ليست مسكناً حقيقياً، وإنما هي معبر ليست منها لتلك الدار، ولا تعمر للاستقرار.

(٣٧) ﴿ فتلقى آدم ﴾ أي: تلقف وتلقن، وألهمه الله ﴿ من ربه كلمات ﴾ وهي قوله: ﴿ وربنا ظلمنا أنفسنا ﴾ الآية، فاعترف بذنبه وسأل الله مغفرته ﴿ ونتاب ﴾ الله ﴿ عليه ﴾ ورحم ﴿ إنه هو التواب ﴾ لمن تاب إليه وأناب.

وتوبته نوعان: توفيقه أولاً، ثم قبوله للتوبة إذا اجتمعت شروطها ثانياً.

﴿الرحيم﴾ بعباده، ومن رحمته بهم أن وفقهم للتوبة وعفا عنهم وصفح.

﴿٣٨ ـ ٣٩ ﴿ وَلَمْنَا اهْبِطُوا مَنْهَا هِيمَا فَإِمَا يَأْتِينَكُمْ مِنْي هَدَى فَمِن تَبِعِ هِدَاي فَلْ خُوفُ عَلَيْهِمْ وَلا هَمِ عَزِنُونَ \* وَالذَيْنَ كَفُرُوا وَكَذَبُوا بِآيَاتَنَا وَلِمْتُكُ أُصِحَابِ النَّارِ هِمْ فَيْهَا وَلِمْنَكُ أُصِحَابِ النَّارِ هِمْ فَيْهَا خَالدُونَ ﴾ كُرُّر الإهباط ليرتب عليه ما ذكر وهو قوله: ﴿ وَإِمَا يَأْتِينَكُمْ مَنِي هَدَى ﴾ أي: أيَّ وقت وزمان جاءكم مني - يا معشر الثقلين \_ هدى ، أي: رسول وكتاب يهديكم لما يقربكم مني ، ويدنيكم من رضائي ، ﴿ وَمَن تبع ويدنيكُمْ من رضائي ، ﴿ وَمَن تبع هداي ﴾ منكم ، بأن آمن برسلي وكتبي واهتدى بهم ، وذلك بتصديق جميع أخبار الرسل والكتب ، والامتثال للأمر

والاجتناب للنهي، ﴿فلا خوف عليهم ولا هم يجزنون﴾.

وفي الآية الأخرى: ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾.

فرتب على اتباغ هداه أربعة أشياء:

نفي الخوف والحزن، والفرق بينهما
أن المكروه إن كان قد مضى أحدث
الحزن، وإن كان منتظراً أحدث
الخوف، فنفاهما عمن اتبع هداه، وإذا
انتفيا حصل ضدهما وهو الأمن التام،
هداه وإذا انتفيا ثبت ضدهما، وهو
الهدى والسعادة، فمن اتبع هداه،
والأخروية والهدى، وانتفى عنه كل
مكروه من الخوف والحزن والضلال
والشقاء، فحصل له المرغوب واندفع
عنه المرهوب، وهذا عكس من لم يتبع

ف ﴿ أُولِئكُ أُصحابِ النارِ ﴾ أي: الملازمون لها ملازمة الصاحب لصاحبه، والغريم لغريمه، ﴿ هم فيها خالدون ﴾ لا يخرجون منها، ولا يفتر عنهم العذاب ولا هم ينصرون.

وفي هذه الآيات وما أشبهها، انقسام الخلق من الجن والإنس إلى أهل السعادة وأهل الشقاوة، وفيها صفات الفريقين والأعمال الموجبة لذلك، وأن الجن كالإنس في الثواب والعقاب، كما أنهم مثلهم في الأمر والنهى.

ثم شرع تعالى يذكّر بني إسرائيل نِعَمَهُ عليهم وإحسانه، فقال:

بعد عيهم وإصدانه لعنان المرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأونوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون \* وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به فاتقون \* ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون \* وأقيموا المصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين \* إباسرائيل المراد بالسرائيل : يعقوب عليه السلام، والخطاب مع فرق بني إسرائيل ، الذين والحيا، ويدخل فيهم من

أتى من بعدهم، فأمرهم بأمر عام، فقال: ﴿اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ وهو يشمل سائر النعم التي سيذكر في هذه السورة بعضها، والمراد بذكرها بالقلب اعترافاً، وباللسان ثناءً، وبالجوارح باستعمالها فيما يحبه ويرضيه.

﴿وأوفوا بعهدي ﴾ وهو ما عهده إليهم من الإيمان به وبرسله وإقامة شرعه، ﴿أوف بعهدكم ﴾ وهو المجازاة على ذلك.

والمراد ببذلك: ما ذكره الله في قوله: ﴿ولقد أُخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً، وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة [وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي] الله إلى المواء السبيل .

ثم أمرهم بالسبب الحامل لهم على الوفاء بعهده، وهو الرهبة منه تعالى، وخشيته وحده، فإن من خشِيّهُ أوجبت له خشيته امتثال أمره واجتناب نهيه.

ثم أمرهم بالأمر الخاص الذي لا يتم إيمانهم، ولا يصح إلا به، فقال: ﴿وَآمنوا بِما أَنزلت ﴾ وهو القرآن الذي أنزله على عبده ورسوله عمد عمد على أنزله على عبده ورسوله واتباعه، ويستلزم ذلك الإيمان بمن أنزل عليه، وذكر الداعي لإيمانهم به، فقال: ﴿مصدقاً لما معكم ﴾ أي: موافقاً له معكم من الكتب غير خالف موافقاً لما معكم من الكتب غير خالف لها، فلا مانع لكم من الإيمان به، لأنه جاء بما جاءت به المرسلون، فأنتم أولى من آمن به وصدق به، لكونكم أهل الكتب والعلم.

وأيضاً فإن في قوله: ﴿مصدقاً لما معكم﴾ إشارة إلى أنكم إن لم تؤمنوا به، عاد ذلك عليكم بتكذيب ما معكم، لأن ما جاء به هو الذي جاء به موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء، فتكذيبكم له تكذيب لما معكم.

وأيضاً فإن في الكتب التي بأيديكم صفة هذا النبي الذي جاء بهذا القرآن والبشارة به، فإن لم تؤمنوا به كذبتم ببعض ما أنزل إليكم، ومن كذب

ببعض ما أنزل إليه فقد كذب بجميعه، كما أن من كفر برسولٍ، فقد كذب الرسل جميعهم.

فلما أمرهم بالإيمان به، نهاهم وحذرهم من ضده وهو الكفر به، فقال: ﴿ولا تكونوا أول كافر به﴾ أي: بالرسول والقرآن.

وفي قوله: ﴿أول كافر به﴾ أبلغ من قوله: ﴿ولا تكفروا به﴾ لأنهم إذا كانوا أول كافر به، كان فيه مبادرتهم إلى الكفر به، عكس ما ينبغي منهم، وصار عليهم إثمهم وإثم من اقتدى بهم من بعدهم.

ثم ذكر المانع لهم من الإيمان، وهو اختيار العرض الأدنى على السعادة الأبدية، فقال: ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً﴾ وهو ما يحصل لهم من المناصب والمآكل، التي يتوهمون انقطاعها إن آمنوا بالله ورسوله، فاشتروها بآيات الله واستحبوها وآثروها.

شم قال: ﴿ولا تسلبسوا﴾ أي: غلطوا ﴿الحق بالباطل وتكتموا الحق ﴾ فنهاهم عن شيئين، عن خلط الحق بالباطل وكتمان بيان الحق؛ لأن المقصود من أهل الكتب والعلم، تمييز الحق من الباطل وإظهار الحق، ليهتدي بذلك المهتدون، ويرجع الضالون، وتقوم الحجة على المعاندين؛ لأن الله فصل آياته وأوضح بيناته، ليميز الحق من الباطل، ولتستبين سبيل المهتدين من سبيل المهتدين أهل العلم فهو من خلفاء الرسل وهداة الأمم.

ومن لبس الحق بالباطل، فلم يميز هذا من هذا مع علمه بذلك، وكتم الحق الذي يعلمه، وأمر بإظهاره، فهو

من دعاة جهنم، لأن الناس لا يقتدون في أمر دينهم بغير علمائهم، فاختاروا لأنفسكم إحدى الحالتين.

ثم قال: ﴿وأقيموا الصلاة ﴾ أي: طاهراً وباطناً ﴿وآتوا الركاة ﴾ مستحقيها، ﴿واركعوا مع الراكعين ﴾ أي: صلوا مع المصلين، فإنكم إذا فعلتم ذلك مع الإيمان برسل الله وآيات الله، فقد جمعتم بين الأعمال الظاهرة والباطنة، وبين الإخلاص للمعبود والإحسان إلى عبيده، وبين العبادات القلية والبدنية والمالية.

وقوله: ﴿واركعوا مع الراكعين﴾ أي: صلوا مع المصلين، ففيه الأمر بالجماعة للصلاة ووجوبها، وفيه أن الركوع ركن من أركان الصلاة لأنه عبر عن الصلاة بالركوع، والتعبير عن العبادة بجزئها يدل على فرضيته فيها.

﴿ ٤٤﴾ ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِ ﴾ أي: بالإيمان والخير ﴿ وتنسون انفسكم ﴾ أي: تتركونها عن أمرها بذلك، والحال: ﴿ وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ وأسمى العقل (١) عقلاً لأنه يعقل به ما ينفعه من الخير، وينعقل به عما يضره، وذلك أن العقل يحث صاحبه أن يكون أول فاعل لما يأمر به، وأول تارك لما ينهى عنه، فمن أمر غيره بالخير ولم يفعله، أو نهاه عن الشر فلم يتركه، دل على عدم عقله وجهله، خصوصاً إذا كان عالماً بذلك، قد قامت عليه الحجة.

وهذه الآية وإن كانت نزلت في سبب بني إسرائيل، فهي عامة لكل أحد، لقوله تعالى: ﴿ وَيا أَيّها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون، وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أنه يترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لأنها دلت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين، وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه، وأمر نفسه ونهيها، فترك

أحدهما لا يكون رخصة في ترك الآخر، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين، والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر، فليس في رتبة الأول، وهو دون الأخير، وأيضاً فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة.

﴿ ٤٥ \_ ٤٨) ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلاعلى الخاشعين \* الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون \* يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين \* واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولايقبل منها شفاعة ولايؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون﴾ أمرهم الله أن يستعينوا في أمورهم كلها بالصبر بجميع أنواعه، وهو الصبر على طاعة الله حتى يؤديها، والصبر عن معصية الله حتى يتركها، والصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، فبالصبر وحبس النفس على ما أمر الله بالصبر عليه معونة عظيمة على كل أمر من الأمور، ومن يتصبر يصبره الله، وكذلك الصلاة التي هي ميزان الإيمان، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، يستعان بها على كل أمر من الأمور ﴿ وَإِنْهَا ﴾ أي: الصلاة ﴿ لكبيرة ﴾ أي: شاقة ﴿إِلا على الخاشعين﴾ فإنها سهلة عليهم خفيفة ؛ لأن الخشوع وخشية الله ورجاء ما عنده يوجب له فعلها، منشرحاً صدره لترقبه للثواب، وخشيته من العقاب، بخلاف من لم يكن كذلك، فإنه لا داعى له يدعوه إليها، وإذا فعلها صارت من أثقل الأشياء عليه.

والخشوع هو: خضوع القلب وطمأنينته وسكونه لله تعالى، وانكساره بين يديه ذلاً وافتقاراً، وإيماناً به وبلقائه.

ولهذا قال: ﴿الذين يظنون﴾ أي: يستيقنون ﴿أنهم ملاقو ربيم ﴾ فيجازيهم بأعمالهم ﴿وأنهم إليه راجعون﴾ فهذا الذي خفف عليهم العبادات وأوجب لهم التسلي في المصيبات، ونفس عنهم الكربات، وزجرهم عن فعل السيئات، فهؤلاء لهم النعيم المقيم في الغرفات العاليات، وأما من لم يؤمن بلقاء ربه، كانت الصلاة وغيرها من العبادات من أشق شيء عليه.

ثم كرر على بنى إسرائيل التذكير بنعمته، وعظاً لهم وتحذيراً وحثاً. وخوفهم سيوم القيامة المذي ﴿لا تجزي﴾ نيه، أي: لا تغني ﴿نفسٌ ﴾ ولو كانت من الأنفس الكريمة كالأنبياء والصالحين وعن نفس﴾ ولو كانت من العشيرة الأقربين ﴿ شيئاً ﴾ لا كبيراً ولا صغيراً، وإنما ينفع الإنسان عمله الذي قدمه، ﴿ وَلا يَقْبِلُ مِنْهَا ﴾ أي: النفس، شفاعة لأحـــد بـــدون إذن الله ورضــــاه عـــن المشفوع له، ولا يرضى من العمل إلا ما أريد به وجهه، وكان على السبيل والسنة، ﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ أي: فداء ﴿ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب﴾ ولا يقبل منهم ذلك ﴿ولا هم ينصرون﴾ أي: يدفع عنهم المكروه، فنفى الانتفاع من الخلق بوجه من الوجوه، فقوله: ﴿ لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ﴿ هذا في تحصيل المنافع، ﴿ولا هم ينصرون ﴾ هذا في دفع المضار، فهذا النفي للأمر المستقل<sup>(١)</sup> به النافع.

﴿ولايقبل منها شفاعة، ولا يؤخذ منها عدل﴾ هذا نفي للنفع الذي يطلب عن يملكه بعوض كالعدل، أو بغيره كالشفاعة، فهذا يوجب للعبد أن ينقطع قلبه من التعلق بالمخلوقين، لعلمه أنهم لا يملكون له مثقال ذرة من النفع، وأن يعلقه بالله الذي يجلب المنافع ويدفع المضار، فيعبده وحده

لا شريك له، ويستعينه على عبادته.

﴿٤٩ ــ ٧٥﴾ ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم \* وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون \* وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ﴿ ثُمْ عَفُونًا عَنْكُمْ من بعد ذلك لعلكم تشكرون \* وإذُ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون \* وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارتكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم \* وإذ قلتم یا موسی لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون \* ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون \* وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ هذا شروع في تعداد نعمه على بني إسرائيل على وجه التفصيل، فقال: ﴿وإذ نجّيناكم من آل فرعون ♦ أي: من فرعون وملثه وجنوده، وكانوا قبل ذلك ﴿يسومونكم ﴾ أي: يولونهم ويستعملونهم، ﴿سُوء العذابِ﴾ أي: أشدة بأن كانوا ويذبحون أبناءكم خشية نموكم فويستحيون نساءكم أي: فلا يقتلونهن، فأنتم بين قتيل ومذلل بالأعمال الشاقة، مستحيئ على وجه المنة عليه والاستعلاء عليه فهذا غاية الإهانة، فمنَّ الله

وهم ينظرون لتقرّ أعينهم. ﴿وفي ذلكه أي: الإنجاء ﴿بلاء ﴾ أي: إحسان ﴿من ربكم عظيم ﴾ فهذا مما يوجب عليكم الشكر والقيام بأوامره.

عليهم بالنجاة التامة وإغراق عدوهم

ئم ذكر منته عليهم بوعده لموسى أربعين ليلة لينزل عليه التوراة المتضمنة

قُلْنَا أَهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيمًا فَإِمَّا يَأْنِينَ كُمْ مِنِي هُدَى فَنَ سَبِهَ هُدَاىَ فَلَاحَوْفُ عَلَيْهِ رَوَلَاهُ رَيْمَزُوْنَ ۞ وَالَّذِينَ كَفُرُواْ وَكَذَبُواْ بِمَا لِنَيْنَا أَوْلَتِهِكَ أَصْمَلُ ٱلذَّارِ مُعْرِفِهَا خَلِدُونَ ﴿ يَئِيَ إِسْزَةٍ مِلَ أَذَكُرُواْ نِعْمَتِيَّ ٱلِّي ٓ أَنْعَنْتُ عَلَيْكُرُ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِي بِمَهْ يَكُرُ وَإِنَّنِي فَأَرْهَبُونِ ۞ وَوَامِنُواْ بِمَا أَزَلْتُ مُصَيِّفًا لِلْاَمَعَكُوْ وَلَا تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرِيدٍ ، وَلَانَشْتُرُ وَابِنَايَتِي غَنَا فَلِيلًا وَإِنِّنَ فَانَّقُونِ ۞ وَلَا مَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْفَطِلِ وَيَتَحَمُّوا ٱلْحَقَّ وَأَنْهُ مَّالَمُونَ ۞ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوْةَ وَءَانُواْ ٱلزَّكَوْةَ وَأَرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّكِيدِينَ ۞ • أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرُونَنْسَوْنَ أَنفُسَكُرُ وَأَشَدُ تَنْلُونَ ٱلْكِنَبُ أَفَلَا تَفَقِلُونَ ۞ وَٱسْتَعِينُوا إِلْضَيْرِ وَالسَّلَوَةُ وَإِنَّهَا لَكِيرَةُ إِلَّاعَلَ لَلْمُنْشِعِينَ ۞ ٱلَّذِينَ بَطُنُونَ أَنَّهُ مُّلَاعُوا رَبِّهِ وَأَنَّهُمُ إِلَّهِ وَرَجِعُونَ ۞ بَبَيِّ إِنْهُ إِنَّ إِلَيْ اَذَكُرُواْ يِعْمَنِيَ الْمِيَّ أَفَعَنْتُ عَلَيْكُوْ وَأَنِّ فَضَّلْتُكُوْ عَلَى ٱلْعَلَيِينَ ۞ وَٱنَّعُواْ يَوْمًا لَّا يَحَرِي لَفَسُّ عَن لَفْسٍ شَبْنًا وَلَايُعُبُرُهُ ﴿ أُ إِلَّهُ مَا لَكُ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَكُلُّ وَلَاهُمْ يُعَمَّرُونَ ﴿ OZDADZ V KARCEON

التنالية

للنعم العظيمة والمصالح العميمة، ثم إنهم لم يصبروا قبل استكمال المعاد حتى عبدوا العجل من بعده، أي:

﴿وأنتم ظالمون﴾ عالمون بظلمكم، قد قامت عليكم الحجة، فهو أعظم جرماً وأكبر إثماً.

ثم إنه أمركم بالتوبة على لسان نبيه موسى بأن يقتل بعضكم بعضاً، فعفا الله عنكم بسبب ذلك ﴿لعلكم تشكرون﴾ الله.

وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وهذا غاية الظلم والجراءة على الله وعلى رسوله، وفأخذتكم الصاعقة ﴾: إما الموت، أو الغشية العظيمة، ﴿وأنتم تنظرون ﴾ وقوع ذلك، كل ينظر إلى صاحبه ﴿ثم بعشناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾

ثم ذكر نعمته عليهم في التيه والبرية الخالية من الظلال وسعة الأرزاق، فقال: ﴿وظلّنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم الن وهو اسم جامع لكل رزق حسن يحصل بلا تعب، ومنه الزنجبيل والكمأة والخبز وغير ذلك، ﴿والسلوى ﴿ طائر صغير يقال له السماني، طيب اللحم، فكان ينزل عليهم من المن والسلوى ما يكفيهم

وَإِذْ نَجْيَنْكُمْ مِنْ وَالْ فِسْرَعُونَ يَسُومُونَكُو سُوَّ ٱلْعَذَاب بُدَغِوُك أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَخِبُونَ يِسَاءَكُونُونَ ذَالِكُمْ بَكَدَّةً مِن زَيْكُرْعَظِيدٌ ۞ وَإِذْ فَزَفْنَا يَكُوْ ٱلْمَحْدُوفَا غَيْنَا حُكُمْ وَأَغَهُنا ٓ عَالَ فِرْعَوْرَ وَأَنتُهُ تَنظُرُونَ ۞ وَإِذْ وَعَدْمَا مُوسَىٰ أَرْبَعَيِنَ لَيْلَةً ثُمَّ أَغَنَدُثُمُ الْمِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَنْتُمْ ظَلْلُونَ ﴿ مُزْعَفَوْنَاعَنَكُمْ مِنْ أَمِنْدِ ذَاكِ لَمَلَّكُوْ نَفَكُرُونَ ﴿ وَإِذْ مَانَيْنَا مُوسَى ٱلْكِئْبَ وَٱلْفُرْقِانَ لَصَلَّكُوْتَهُ تَدُّونَ ۞ وَإِذْ فَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ مِنْقَوْمِ إِنْكُرْ ظَلَمُنُدُ أَنفُسَكُمُ بِأَيْفَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَّا بَارِيكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُ تَكُرُ ذَٰ لِكُمْ خَيْرً لَكُوْ عِندَ بَارِيكُوْ فَنَابَ عَلَيْكُمُ إِنَّهُ مُواَلَّوَّابُ ٱلرِّحِيدُ ۞ وَإِذْ قُلْتُدُيْكُوسَ لَن نُوْيِنَ لَكَ حَتَّىٰ فَرَكَ اللّهَ جَعْدَةً فَأَخَذَتُكُمُ ٱلصَّدِيقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿ ثُمَّ بِّعَثْكُمْ يَنَ بَمْدِمَوْنِكُمْ لَمَلَّكُمْ فَشَكُرُونَ ۞ وَظَلَّلْنَا عَلِيَكُرُ النسمام وأنزأنا عليتكرالن والسفوي كأوابن عليبت مَارَزَفْنَكُرُ وَمَاظَلُمُونَا وَلَكِنَ كَانُوٓأَ أَنفُ هُرُيظِ إِمُونَ ۞

ويقيتهم ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ أي: رزقاً لا يحصل نظيره لأهل المدن المترفهين، فلم يشكروا هذه النعم، واستمروا على قساوة القلوب وكثرة الذنوب.

وما ظلمونا پعني بتلك الأفعال المخالفة لأوامرنا لأن الله لا تضره معصية العاصين، كما لا تنفعه طاعات الطائعين، فولكن كانوا أنفسهم يظلمون فيعود ضرره عليهم.

﴿٨٥ \_ ٩٥﴾ ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدأ وادخلوا الباب سجدأ وقولوا حِطّة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين \* فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون، وهذا أيضاً من نعمته عليهم بعد معصيتهم إياه، فأمرهم بدخول قرية تكون لهم عزأ ووطناً وسكناً، ويحصل لهم فيها الرزق الرغد، وأن يكون دخولهم على وجه خاضعين لله فيه بالفعل، وهو دخول الباب ﴿ سُجِّداً ﴾ أي: خاضعين ذليلين، وبالقول وهو أن يقولوا: ﴿حِطَّةُ ﴾ أي: أن يحط عنهم خطاياهم بسؤالهم إياه مغفرته.

﴿نغفر لكم خطاياكم ﴾ بسؤالكم المغفرة، ﴿وسنزيد المحسنين ﴾ بأعمالهم، أي: جزاء عاجلاً وآجلاً، ﴿فبدل الذين ظلموا ﴾ منهم، ولم يقل

فبدلوا لأنهم لم يكونوا كلهم بدلوا ﴿ قولاً غير الذي قيل لهم ﴾ فقالوا بدل حطة: حبة في حنطة، استهانة بأمر الله واستهزاء، وإذا بدلوا القول مع خفته فتبديلهم للفعل من باب أولى وأحرى، ولهذا دخلوا يزحفون على أدبارهم، ولما كان هذا الطغيان أكبر سبب لوقوع عقوبة الله بهم، قال: ﴿ فَأَنْرَلْنَا عَلَى عقوبة الله بهم، قال: ﴿ فَأَنْرَلْنَا عَلَى عذاباً ﴿ من السماء ﴾ بسبب فسقهم وبغيهم.

﴿٦٠﴾ ﴿وإذ استسقىٰ موسىٰ لقومه

فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزّق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين، استسقى أي: طلب لهم ماء يشربون منه، ﴿ فقلنا اضرب بعصاك الحجر ﴾ إما حجر مخصوص معلوم عنده، وإما اسم جنس، ﴿فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ﴾ وقبائل بني إسرائيل اثنتا عشرة قبیلة، ﴿قدعلُم كُلُ أَنَاسُ﴾ منهم ﴿مشربهم أي: محلهم الذي يشربون عليه من هذه الأعين، فلا يزاحم بعضهم بعضاً، بل يشربونه متهنئين لا متكدرين، ولهذا قال: ﴿كلوا واشربوا من رزق الله اي: الذي أتاكم من غير سعي ولا تعب، ﴿ولا تعثوا في الأرض﴾ أي: تخربوا على وجه الإفساد.

(۱۲) ﴿ وَإِذْ قَلْتُم يَا مُوسَى لَنْ نَصِبر عَلَى طَعَامُ واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثانها وفومها وعدسها وبصلها قال أستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون أي: واذكروا، إذ قلتم لموسى على وجه التملل لنعم الله والاحتقار لها: ﴿ لن المعام واحد ﴾ أي: جنس من الطعام، وإن كان كما تقدم أنواعاً، الطعام، وإن كان كما تقدم أنواعاً، لكنها لا تتغير، ﴿ فادع لنا ربك يخرج

لنا مما تنبت الأرض من بقلها ﴾ أي: نباتها الذي ليس بشجر يقوم على ساقه، فوققائها ﴾ وهو الخيار ﴿وفومها ﴾ أي: ثومها، والمعدس والبصل معروف، قال لهم موسى ﴿أتستبدلون اللذي هو أدنى ﴾ وهو الأطعمة والسلوى، فهذا غير لائق بكم، فإن هذه الأطعمة التي طلبتم، أي مصر هبطتموه وجدتموها، وأما طعامكم الذي من الله به عليكم، فهو خير الأطعمة وأشرفها، فكيف تطلبون به دلاً؟

ولما كان الذي جرى منهم فيه أكبر دليل على قلة صبرهم واحتقارهم لأوامر الله ونعمه، جازاهم من جنس عملهم، فقال: ﴿وضربت عليهم ﴿والمسكنة﴾ بقلوبهم، فلم تكن أنفسهم عزيزة، ولا لهم هم عالية، بل أنفسهم أنفس مهينة، وهمهم أردأ الهمم، ﴿وباؤوا بغضب من الله﴾ أي: لم تكن غنيمتهم التي رجعوا بها وفازوا، إلا أن رجعوا بسخطه عليهم، وبنست الغنيمة غنيمتهم، وبنست الغالة حالتهم،

﴿ذلك﴾ الذي استحقوا به غضبه ﴿بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله﴾ الدالات على الحق الموضحة لهم، فلما كفروا بها عاقبهم بغضبه عليهم، وبما كانوا ﴿يقتلون النبين بغير الحق﴾

وقوله: ﴿بغير الحق﴾ زيادة شناعة، وإلا فمن المعلوم أن قتل النبي لا يكون بحق، لكن لئلا يظن جهلهم وعدم علمهم.

﴿ ذَلك بِما عَصَوا﴾ بأن ارتكبوا معاصي الله ﴿ وكانوا يعتدون ﴾ على عباد الله ، فإن المعاصي يجر بعضها بعضاً ، فالغفلة ينشأ عنها الذنب الصغير ، ثم ينشأ عنه الذنب الكبير ، ثم ينشأ عنها أنواع البدع والكفر وغير ذلك ، فنسأل الله العافية من كل بلاء .

واعلم أن الخطاب في هذه الآيات لأمة بني إسرائيل الذين كانوا موجودين وقت نزول القرآن، وهذه الأفعال

المذكورة خوطبوا بها وهي فعل اسلافهم، ونسبت إليهم لفوائد عديدة، منها: أنهم كانوا يتمدحون ويزكون أنفسهم، ويزعمون فضلهم على محمد ومن آمن به، فبين الله من

أحوال سلفهم ألتي قد تقررت عندهم، ما يبين به لكل أحد [منهم] أنهم ليسوا من أهل الصبر ومكارم الأخلاق ومعالي الأعمال، فإذا كانت هذه حالة سلفهم، مع أن المظنة أنهم أولى وأرفع حالة ممن بعدهم فكيف الظن بالمخاطين؟!!

ومنها: أن نعمة الله على المتقدمين منهم نعمة واصلة إلى المتأخرين، والنعمة على الآباء نعمة على الأبناء، فخوطبوا بها، لأنها نعم تشملهم وتعمهم.

ومنها: أن الخطاب لهم بأفعال غيرهم، مما يدل على أن الأمة المجتمعة على دين تتكافيل وتتساعد على مصالحها، حتى كان متقدمهم ومتأخرهم في وقت واحد، وكان الحدث من بعضهم حادثاً من الجميع؛ لأن ما يعمله بعضهم من الخير يعود بضرر الجميع، وما يعمله من الشريعود بضرر الجميع.

ومنها: أن أفعالهم أكثرها لم ينكروها، والراضي بالمعصية شريك للعاصي، إلى غير ذلك من الحِكم التي لا يعلمها إلا الله.

و يعلمها إذ الله. و الله ... الفرق الكتابية: ﴿إِنَّ النَّيْنِ آمنوا الفرق الكتابية: ﴿إِنَّ النَّيْنِ آمنوا والنين هادوا والنصارى والصابئين مَن فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يجزنون وهذا الحكم على أهل الكتاب خاصة، لأن الصابئين، الصحيح أنهم من جملة فرق النصارى، فأخبر الله أن المؤمنين من النصارى، واليهود والنصارى والصابئين، واليهود والنصارى والصابئين، واليهود والنصارى والتهود والنها واليوم والصابئين، وصدّقوا رسلهم، فإن لهم

الأجر العظيم والأمن، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأما من كفر منهم بالله ورسله واليوم الآخر، فهو بنضد هذه الحال، فعليه الخوف والحذن.

والصحيح أن هذا الحكم بين هذه الطوائف من حيث هم، لا بالنسبة إلى الإيمان بمحمد، فإن هذا إخبار عنهم قبل بعثة محمد على وهذه طريقة القرآن إذا وقع في بعض النفوس عند سياق الآيات بعض الأوهام، فلا بد أن تجد ما يزيل بعض الوهم، لأنه تنزيل مَنْ يعلم الأشياء قبل وجودها، ومَنْ رحمته وسعت كل شيء.

وذلك والله أعلم - أنه لما ذكر بني إسرائيل وذمهم، وذكر معاصيهم وقبائحهم، ربما وقع في بعض النفوس أنهم كلهم يشملهم الذم، فأراد الباري تعالى أن يبين من لم يلحقه الذم منهم بوصفه، ولما كان أيضاً ذكر بني إسرائيل خاصة يوهم الاختصاص بهم. ذكر تعالى حكما عاماً يشمل التوهم والإشكال، فسبحان من أودع في كتابه ما يبهر عقول العالمين.

ثم عاد تبارك وتعالى يُوبِّخُ بني إسرائيل بما فعل سلفهم.

﴿٣٦ - ٦٤﴾ ﴿وإذ أخذنا ميثاتكم ورفعنا فوقكم الطورَ خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون \* ثم عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ﴾ عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ﴾ أي: واذكروا ﴿إذ أخذنا ميثاقكم ﴾ وهو العهد الثقيل المؤكد بالتخويف لهم ، برفع الطور فوقهم (١١) ، وقيل لهم: ﴿خذوا ما آتيناكم ﴾ من التوراة على أوامر الله ، ﴿واذكروا ما فيه ﴾ أي: ما في كتابكم بأن تتلوه وتتعلموه ، ﴿لعلكم تتقون ﴾ أي خذاب الله وسخطه ، أو لتكونوا من عذاب الله وسخطه ، أو لتكونوا من

وَإِذْ قُلْنَا آدْخُلُواْ هَا نِيهِ الْفَرْكِةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِفْتُ رَغَــَدُا وَآذِخُـ لُوا ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَغَفِرْلَكُوْ خَطَلَيْنَكُو وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿ فَيَدُّلُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا فَوْلَاغَيْرَالَّذِي فِيلَ لَمُدُ فَأَزَلْنَا عَلَى الَّذِيكَ ظَلَمُوا رِجْزَاتِنَ السَّمَآءِ بِمَاكَانُواْ يَغْسُفُونَ ۞ • وَإِذِ السَّنَّفَىٰ مُومَىٰ لِفَوْمِهِ عَفَلْنَا ٱضْرِب بِعَصَاكَ ٱلْحَجَرُ فَأَنفَجَرَتَ مِنْهُ ٱلْنَتَاعَشْرَةَ عَبْنُ أَفَدْ عَلِرَكُلُ أَنكس مَشْرَبَهُمُّ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّذْقِ ٱللَّهِ وَلَا نَفْنُواْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ وَإِذْ قُلْتُدُيْنُوسَىٰ لَنَ نَصْبِرَعَلَ طَعَامِ وَلِيدٍ فَأَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُحْرِجُ لَنَا يَمَّا تُنْبِتُ ٱلْأَوْضُ مِلْ بَقْلِهِ كَا وَفِئَّا إِمِكَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا فَالَ أَنَسَتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَأَذَنَّ بِٱلَّذِي هُوَخَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُومَاسَأَلْتُدُّ وَشُرِيَّتْ عَلِيْهِدُ الذِّلَّةُ وَٱلْمَسْحَنَّةُ وَبَاَّهُ ويعَضَب مِّن ٱللَّهُ ذَالِكَ بِأَنَّهُ مُزَّانُواْ يَكْفُرُونَ بِعَابِنَتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلبَّينِينَ بِعَيْرِالْخِنَّ ذَلِكَ بِمَاعَصَواْ وَكَانُواْ بَعْتَدُونَ ۞ QUESTIVE OF LOTTER

فبعد هذا التأكيد البليغ ﴿توليتم﴾ وأعرضتم، وكان ذلك موجباً لأن يحل بكم أعظم العقوبات، ولكن ﴿لولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين﴾

أهل التقوي.

(77 - 77) (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين \* فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين أي: ولقد تقرر عندكم حالة (الذين اعتدوا منكم في السبت وهم الذين ذكر الله قصتهم مبسوطة في سورة الأعراف في قوله: (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت الآيات.

فأوجب لهم هذا الذنب العظيم، أن غضب الله عليهم وجعلهم ﴿قردة خَاسِين﴾ حقيرين ذليلين.

وجعل الله هذه العقوبة ﴿نكالاً لما بين يديها أي: لمن حضرها من الأمم، وبلغه خبرها بمن هو في وقتهم، ﴿وما خلفها ﴾ أي: من بعدهم، فتقوم على العباد حجة الله، وليرتدعوا عن معاصيه، ولكنها لا تكون موعظة نافعة إلا للمتقين، وأما من عداهم فلا ينتفعون بالآيات.

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ: برفع الطور

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَلَىٰ وَٱلصَّابِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْدِ ٱلْآخِرِ وَعَيَىلَ صَالِحًا فَلَهُ وَأَجْرُهُرُ عِندَرَيْهِمْ وَلَاخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحَرَّثُونَ ۞ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَلَقَاكُمْ وَدَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلظُّورَحُدُوْامَآءَايْنَنَكُمُ بِمُوَةِ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ مَنْفُونَ ۞ ثُمَّ وَكُلِّنَهُ مِّنْ اللَّهِ وَلَاكَ فَلَوْ لَا فَضَلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وُلَكُمْتُهُ مِّنَ ٱلْخَلِيرِينَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَٱلَّذِينَ ٱغْتَدُوْا مِنكُرُفِ ٱلسَّبْتِ فَغُلْنَا لَمُرَّكُونُواْ قِرَدَةً خَلِيئِينَ ۞ جَعَلْنَهَا تَكَلَا لِمَايَنَ يَدَيْهَا وَمَاخَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ۞ وَلِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ مَإِنَّ اللَّهُ يَأْمُهُكُمْ أَن مَّذْبَحُواْ بَقَكَرَةٌ فَكَالُواْ أَتَنَّخِذُنَا هُزُولًا قَالَ أَعُوذُ بِإِللَّهِ أَنْ أَحَكُونَ مِنَ ٱلْجَلِهِ لِينَ ﴿ فَالْوَا آدَعُ لَنَا رَبِّكَ بُبَيِّنِ لِّنَا مَاهِي فَالَ إِنَّهُ بِعَوْلُ إِنَّهَ ابْعَرَةٌ لَاهَارِتُ وَلَا يِكُرُ عَوَانُ ابِنِي ذَلِكَ فَأَفْصَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿ قَالُواْ أَدَعُ لَنَا رَبُّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنَهُمَّا قَالَ إِنَّهُ وَيَكُولُ إِنَّهَ الْفَكَرَةُ مُسَفِّرَاتُهُ فَاقِعٌ لَّوْنُهُ السُّرُّ النَّظِينَ ۞

MOJEMBU - KOREKO

﴿ ٦٧ \_ ٧٤ ﴾ ﴿ وإذ قسال مسوسسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين \* قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون \* قالوا ادع لنا ربك يبينٌ لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين \* قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون \* قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون \* وإذ قتلتم نفسأ فادارأتم فيها والله مخرج ماكنتم تكتمون \* فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقّلون \* ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإنَّ منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون ﴾ أي: واذكروا ما جرى لكم مع موسى، حين قتلتم قتيلاً وادارأتم فيه، أي: تدافعتم واختلفتم في قاتله، حتى تفاقم الأمر بینکم وکاد \_لولا تبیین الله لکم \_ يحدث بينكم شركبير، فقال لكم

موسى في تبيين القاتل: اذبحوا بقرة،

وكان من الواجب المبادرة إلى امتثال أمره وعدم الاعتراض عليه، ولكنهم أبوا إلا الاعتراض، فقالوا: ﴿أَتَتَخَذَنَا هزواً﴾ فقال نبى الله: ﴿أُعُودُ بِاللهُ أَنْ أكون من الجاهلين، فإن الجاهل هو الذي يتكلم بالكلام الذي لا فائدة فيه، وهو الذي يستهزيء بالناس، وأما العاقل فيري أن من أكبر العيوب المزرية بالدين والعقل، استهزاءه بمن هـو آدمـي مثله، وإن كـان قـد فـضـل عليه، فتفضيله يقتضى منه الشكر لربه والرحمة لعباده. فلما قال لهم موسى ذلك، علموا أن ذلك صدق، فقالوا: ﴿ ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ﴾ أي: ما سنها؟ ﴿قال إنه يقول: إنها بقرة لا فارض﴾ أي: كبيرة﴿ولا بكر﴾ أي: صغيرة ﴿عوان بين ذلك فافعلوا ما تومرون التشديد والتعنت.

﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها، قال إنه يقول: إنها بقرة صفراء فاقع لونها﴾ أي: شديد ﴿تسر الناظرين﴾ من حسنها.

﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا﴾ فلم نهتد إلى ما تريد﴿وإنا إن شاء الله لهتدون﴾ ﴿قال إنه يقول: إنها بقرة لا ذلول﴾ أي: مذللة بالعمل، ﴿تشير الأرض﴾ بالحراثة، ﴿ولا تسقي الحرث﴾ أي: ليست بساقية، ﴿مسلَّمة﴾ من العيوب أو من العمل ﴿لاشية فيها﴾ أي: لا لون فيها غير لونها الموصوف المتقدم.

﴿قالوا الآن جئت بالحق﴾ أي: بالبيان الواضع، وهذا من جهلهم، وإلا فقد جاءهم بالحق أول مرة، فلو أنهم اعترضوا أي: بقرة لحصل القصود، ولكنهم شددوا بكثرة الأستلة شاء الله لم يهتدوا أيضاً إليها، ﴿فَدْبِحُوها ﴾ أي: البقرة التي وصفت بتلك الصفات ﴿وما كادوا يفعلون ﴾ بسبب التعنت الذي جرى منهم.

فلما ذبحوها، قلنا لهم اضربوا

القتيل ببعضها، أي: بعضو منها، إما معين أو أي: عضو منها، فليس في تعيينه فائدة، فضربوه ببعضها فأحياه الله، وأخرج ما كانوا يكتمون، فأخبر بقاتله، وكان في إحيائه وهم يشاهدون ما يدل على إحياء الله الموتى، ﴿لعلكم تعقلون﴾ فتنز جرون عن ما يضركم.

﴿ثم قست قلوبكم﴾ أي: اشتدت وغلظت فلم تؤثر فيها الموعظة، ﴿من بعد ما أنعم عليكم بالنعم العظيمة وأراكم الآيات، ولم يكن ينبغي أن تقسو قلوبكم لأن ما شاهدتم عما يوجب رقة القلب وانقياده، ثم وصف قسوتها بأنها ﴿كَالْحِجَارة﴾ التي هي أشد قسوة من الحديد، لأن الحديد والرصاص إذا أذيب في النار ذاب بخلاف الأحجار.

وقوله: ﴿أو أشد قسوة﴾ أي: إنها لا تقصر عن قساوة الأحجار، وليست «أو» بمعنى «بل». ثم ذكر فضيلة الأحجار على قلوبهم، فقال: ﴿وإن من المجارة لما يتفجر منه الأنهار، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء، وإن منها لما يشبط من خشية الله فبهذه الأمور فضكت قلوبكم، ثم توعدهم تعالى أشد الوعيد، فقال: ﴿وما الله بغافل عما تعملون كا بل هو عالم بها حافظ تعملون كا بل هو عالم بها حافظ لصغيرها وكبيرها، وسيجازيكم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه.

واعلم أن كشيراً من الفسرين رحمهم الله قد أكشروا في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل، ونزلوا عليها الآيات القرآنية، وجعلوها تفسيراً لكتاب الله، محتجين بقوله عليه الحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج».

الموفق.

ولا تكذبوهم"، فإذا كان مرتبتها أن تكون مشكوكاً فيها، وكان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن القرآن يجب الإيمان به، والقطع بألفاظه ومعانيه، فلا يجوز أن تجعل تلك القصص المنقولة بالروايات المجهولة، التي يغلب على الظن كذبها أو كذب أكثرها، معاني لكتاب الله، مقطوعاً بها ولا يستريب بهذا أحد، ولكن بسبب

 (۵۷ – ۷۸)
 (افتطمعون آن يؤمنوا لكم وقدكان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعدً ما عقلوه وهم يعلمون \* وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله علیکم لیحاجوکم به عند ربکم افلا تعقلون \* أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون \* ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإنَّ هم إلا يظنون﴾ هذا قطع لأطماع المؤمنين من إيمان أهل الكتاب، أي: فلا تطمعوا في إيمانهم وحالتهم (١) لا تقتضي الطمع فيهم، فإنهم كانوا يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وعلموه، فيضعون له معاني ما أرادها الله، ليوهموا الناس أنها من عند الله، وما هى من عند الله، فإذا كانت هذه حالهم في كتابهم الذي يرونه شرفهم وديشهم، يتصدون به الشاس عين سبيل الله، فكيف يرجى منهم إيمان لكم؟! فهذا من أبعد الأشياء.

الغفلة عن هذا حصل ما حصل، والله

ثم ذكر حال منافقي أهل الكتاب فقال: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾ فأظهروا لهم الإيمان قولاً بألسنتهم، ما ليس في قلوبهم، ﴿وإذا خلا بعضهم إلى بعض) فلم يكن عندهم أحد من غير أهل دينهم، قال بعضهم لبعض: ﴿أتحدثونهم بما فتح الله عليكم﴾ أي: أتظهرون لهم الإيمان وتخبرونهم أنكم مثلهم، فيكون

ذلك حجة لهم عليكم؟

يقولون: إنهم قد أقروا بأن ما نحن عليه حق، وما هم عليه باطل، فيحتجون عليكم بذلك عندربكم ﴿أَنْلَا تَعْقُلُونَ﴾أي: أَفْلَا يَكُونَ لَكُمْ عقلٌ فتتركون ما هو حجة عليكم؟ هذا يقوله بعضهم لبعض.

﴿ أُولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فهم وإن أسرُّوا ما يعتقدونه فيما بينهم، وزعموا أنهم بإسرارهم لا يتطرق عليهم حجة للمؤمنين، فإن هذا غلط منهم وجهل كبير، فإن الله يعلم سرهم وعلنهم، فيظهر لعباده ما أنتم عليه .

﴿ ومنهم ﴾ أي: من أهل الكتاب ﴿أُمِيُونَ﴾ أي: عوام، ليسوا من أهل العلم، ﴿لا يعلمون الكتاب إلا أمان أي: ليس لهم حظ من كتاب الله إلا التلاوة فقط، وليس عندهم خبر بما عند الأولين الذين يعلمونُ حق المعرفة حالهم، وهؤلاء إنما معهم ظنون وتقاليد لأهل العلم

فذكر في هذه الآيات علماءهم وعوامُّهُم، ومنافقيهم ومن لم ينافق منهم، فالعلماء منهم متمسكون بما هم عليه من الضلال، والعوام مقلدون لهم لا بصيرة عندهم، فلا مطمع لكم في الطائفتين.

(٧٩٠) ﴿فُويِلُ لِلذِينِ يِكْتِبُونِ الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مماكشبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون الوعد تعالى المحرفين للكتاب، الذين يقولون لتحريفهم وما يكتبون: ﴿هذا من عند الله ﴾ وهذا فيه إظهار الباطل وكتم الحق، وإنما فعلوا ذلك مع علمهم ﴿ليشتروابه ثمناً قليلاً﴾ والدنيا كلها من أولها إلى آخرها ثمن قليل، فجعلوا باطلهم شركاً يصطادون به ما في أيدي الناس، فظلموهم من وجهين: من جهة تلبيس دينهم عليهم، ومن جهة أخذ أموالهم

قَالُواْ آدُعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّن لَنَامَا هِيَ إِنَّ الْبِضَرَ تَشَدِيَهُ عَلَيْنَ اً وَإِنَّا إِن شَكَآةَ اللَّهُ لَمُهْ مَدُونَ ۞ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَضَرَةٌ ۗ لَاَدَلُولُ تُنِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَانَسْفِي ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَايشبِهَ َ فِيهَا قَالُواْ ٱلْفَنَ جِنْتَ بِٱلْحَقِّ فَنَبَعُوهَا وَمَاكَادُواْ يَضْعَلُونَ ۞ وَإِذْ فَنَلْتُ مُنَفْسًا فَأَذَرَهُ ثُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْدِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۞ فَقُلْنَا ٱضْرِيُوهُ بِتَغْضِيَّا كَذَٰلِكَ يُحَى ٱللَّهُ ٱلْمَوْنَىٰ وَيُرِيكُوْ ءَايَنتِهِ ءِلَعَلَكُوْ تَعْفِلُونَ ۞ ثُمَّ صَبَّتَ قُلُوبُكُم مِّنَ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالِجُحَارَةِ أَوْأَشَدُّ فَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَاَيَتَفَجَّرُينُهُ ٱلْأَنْهُ لُو وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَفَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَتَاءُ و إِنَّ مِنْهَا لَمَا يَقْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِعَلِهِ لِعَمَّا مَسْلُونَ ٠ أَفَظَمْتُمُونَ أَنْ يُؤْمِنُواْ لَكُوْ وَقَدْكَانَ فَكِرِينٌ إُ يَنْهُ وَيَسْمَعُونَ كَلَوَالْقَوْتُ يُحَرِّوْنَهُ وَمِنْ بَعْدِ مَاعَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْ لَمُونَ ۞ وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالْوَاءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ قَالُوٓ ٱ أَتَحُدَدِ ثُونَهُ مِ بَافَتَحَ ٱللَّهُ المَّ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ ، عِندَ رَبِّكُوْ أَفَلَا تَمْ قِلُونَ ۞ DECEMBER "ESPECIA

بغير حق، بل بأبطل الباطل، أعظم ممن يأخذها غصباً وسرقة ونحوهما، ولهذا توعدهم بهذين الأمرين، فقال: ﴿فُويِلُ لَهُمْ مُمَا كُتبِتُ أَيْدِيهُمْ ﴾ أي: من التحريف والباطل، ﴿ وويلُ لهم مما يكسبون﴾ من الأموال، والويل: شدة العذاب والحسرة، وفي ضمنها الوعيد

قال شيخ الإسلام لما ذكر هذه الآيات من قوله: ﴿أَفْتُطْمُعُونَ﴾ إلى ﴿يُكَسِبُونُ﴾: فَإِنَّ اللهُ ذُمُ الَّذِينَ يحرفون الكلم عن مواضعه، وهو متناول لمن حمل الكتاب والسنة، على ما أصله من البدع الباطلة .

وذم الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، وهو متناول لمن ترك تدبر القرآن ولم يمعلم إلا مجمرد تملاوة حمروفه، ومتناول لمن كتب كتاباً بيده مخالفاً لكتاب الله لينال به دنيا، وقال: إنه من عند الله، مثل أن يقول: هذا هو الشرع والدين، وهذا معنى الكتاب والسنة، وهذا معقول السلف والأثمة، وهـذا هـو أصـول الـديـن الـذي يجـب اعتقاده على الأعيان والكفاية، ومتناول لمن كتم ما عنده من الكتاب والسنة، لئلا يحتج به مخالفه في الحق الذي

وهذه الأمور كثيرة جداً في أهل الأهواء جملة كالرافضة، وتفصيلاً مثل كثير من المنتسبين إلى الفقهاء.

وقالوالن تسنا والنار إلا أياماً معدودة قل أنخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون \* بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون \* والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون في ذكر أفعالهم القبيحة، ثم ذكر مع هذا أنهم يزكون أنفسهم، ويشهدون لها بالنجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، وأنهم لن تمسهم النار إلا أياماً معدودة، أي: قليلة تعد بالأصابع، فجمعوا بين الإساءة والأمن.

ولما كان هذا مجرد دعوى، رد الله عليهم، فقال: ﴿قَلْ ﴾ لهم يا أيها الرسول ﴿ آغذتم عند الله عهداً ﴾ أي: بالإيمان به وبرسله وبطاعته، فهذا الوعد الموجب لنجاة صاحبه الذي لا يتغير ولا يتبدل، ﴿ أَم تقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ ؟ فأخبر تعالى أن صدق دعواهم متوقفة على أحد هذين الأمرين اللذين لا ثالث لهما: إما أن يكونوا قد اتخذوا عند الله عهداً، فتكون دعواهم صحيحة.

وإما أن يكونوا متقوّلين عليه فتكون

كاذبة، فيكون أبلغ لخزيهم وعذابهم، وقد علم من حالهم أنهم لم يتخذوا عند الله عهداً لتكذيبهم كثيراً من الأنبياء، حتى وصلت بهم الحال إلى أن قتلوا طائفة منهم، ولِنُكُولِهم عن طاعة الله ونقضهم المواثيق، فتعين بذلك أنهم متقولون مختلقون، قائلون عليه ما لا يعلمون، والقول عليه بلا علم من أعظم المحرمات وأشنع القبيحات.

ثم ذكر تعالى حكماً عاماً لكل أحد، يدخل به بنو إسرائيل وغيرهم، وهو الحكم الذي لا حكم غيره، وهو لا أمانيهم ودعاويهم بصفة الهالكين والناجين، فقال: ﴿بلى الله ولكن ﴿من كسب سيئة ﴾ وهو لكرة في سياق الشرط، فيعم الشرك فما دونه، والمراد به هنا الشرك، بدليل قوله: ﴿وأحاطت به خطيئته ﴾ أي: وهذا لا يكون إلا الشرك، فإن من معه الإيمان لا تحيط به خطيئته.

﴿فأولئك أصحاب النارهم فيها خالدون﴾ وقد احتج بها الخوارج على كفر صاحب المعصية، وهي حجة عليهم كما ترى، فإنها ظاهرة في الشرك، وهكذا كل مبطل يحتج بآية أو حديث صحيح على قوله الباطل، فلا بد أن يكون فيما احتج به حجة

﴿والذين آمنوا﴾ باش، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ﴿وعملوا الصالحات﴾ ولا تكون الأعمال صالحة إلا بشرطين: أن تكون خالصة لوجه الله، متبعاً بها سنة رسوله.

فحاصل هاتين الآيتين أن أهل النجاة والفوز أهل الإيمان والعمل الصالح، والهالكون أهل النار المشركون بالله، الكافرون به.

﴿٨٣﴾ ﴿وإذ أخذنا ميشاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وتولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة

وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون وهذه الشرائع من أصول الدين التي أمر الله بها في كل شريعة، لاشتمالها على المصالح العامة في كل زمان ومكان، قلا يدخلها نسخ، كأصل الدين، ولهذا أمرنا الله بها في قوله: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً إلى آخر الآية.

فقوله: ﴿وإِذْ أَخِذْنَا مِيثَاقَ بِنِي إسرائيل﴾ هذا من قسوتهم أن كل أمر أمروابه، استعصوا؛ فلا يقبلونه إلا بالأيمان الغليظة والعهود الموثقة ﴿ لا تسعسيدون إلا الله ﴾ حسذا أمسرً بعبادة الله وحده، ونهى عن الشرك به، وهذا أصل الدين، فلا تقبل الأعمال كلها إن لم يكن هذا أساسها، فهذا حق الله تعالى على عباده، ثم قال: ﴿وبِالوالدين إحساناً﴾ أي: أحسنوا بالوالدين إحساناً، وهذا يعمُّ كل إحسان قولي وفعلي مما هو إحسان إليهم، وفيه النهى عن الإساءة إلى الوالدين، أو عدم الإحسان والإساءة، لأن الواجب الإحسان، والأمر بالشيء نهي عن ضده.

وللإحسان ضدَّان: الإساءة، وهي أعظم جرماً، وترك الإحسان بدون إساءة، وهذا محرم، لكن لا يجب أن يلحق بالأول، وكذا يقال في صلة الأقارب واليتامى والمساكين، وتفاصيل الإحسان لا تنحصر بالعد، بل تكون بالحد، كما تقدم.

ثم أمر بالإحسان إلى الناس عموماً، فقال: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ ومن القول الحسن أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العلم، وبذل السلام، والبشاشة، وغير ذلك من كل كلام طيب.

ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماله، أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار، ولهذا قال تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾.

ومن أدب الإنسان الذي أدب الله به

عباده، أن يكون الإنسان نزيهاً في أقواله وأفعاله، غير فاحش ولا بذي، ولا خاصم، بل يكون حسن الحلق، عاملاً لكل أحد، صبوراً على ما يناله من أذى

الخلق، امتثالاً لأمر الله ورجاء لثوابه. ثم أمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، لما تقدم أن الصلاة متضمنة للإخلاص للمعبود، والزكاة متضمنة للإحسان إلى العبيد.

﴿ أُم ﴾ بعد هذا الأمر لكم بهذه الأوامر الحسنة التي إذا نظر إليها البصير العاقل، عرف أن من إحسان الله إلى عباده أن أمرهم بها، وتفضل بها عليهم، وأخذ المواثيب عليكم وتوليتم ﴾ على وجه الإعراض، لأن المتولي قد يتولى وله نيةً رجوع إلى ما تولى ولا رجوع في هذه الأوامر، فنعوذ بالله من الخذلان.

. وقوله: ﴿إلا قليلاً منكم﴾ هذا استثناء لئلا يوهم أنهم تولوا كلهم، فأخبر أن قليلاً منهم عصمهم الله وبنهم.

﴿ ٨٤ ـ ٨٦﴾ ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون \* ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أساري تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون \* أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾ وهذا الفعل المذكور في هذه الآية فعل للذين كانوا في زمن الىوحىي بىللديىنة، وذلك أن الأوس والخزرج \_وهم الأنصار \_كانوا قبل مبعث النبي ﷺ مشركين، وكانوا

يقتتلون على عادة الجاهلية، فنزلت عليهم الفرق الثلاث من فرق اليهود: بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، فكل فرقة منهم حالفت فرقة من أهل المدينة.

فكانوا إذا اقتتلوا أعان اليهودي حليفه على مقاتليه الذين تعينهم (١) الفرقة الأخرى من اليهود، فيقتل اليهودي اليهودي، ويخرجه من دياره إذا حصل جلاء ونهب، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها، وكان قد حصل أسارى بين الطائفتين فدى بعضهم بعضاً.

والأمور الثلاثة كلها قد فرضت عليهم، ففرض عليهم أن لا يسفك بعضهم دم بعض، ولا يخرج بعضهم بعضاً، وإذا وجدوا أسيراً منهم وجب عليهم فداؤه، فعملوا بالأخير وتركوا الأولين، فأنكر الله عليهم ذلك، فقال: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب﴾ وهو فداء الأسير، ﴿وتكفرون ببعض﴾ وهو القتل والإخراج.

وفيها أكبر دليل على أن الإيمان يقتضي فعل الأوامر واجتناب النواهي، وأن المأمورات من الإيمان، قال تعالى: ﴿ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ﴾ وقد وقع ذلك فأخزاهم الله، وسلط رسوله عليهم، فقتل من قتل، وسبى من سبى منهم، وأجلى من أجل.

﴿ ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب أي: أعظمه ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾

ثم أخبر تعالى عن السبب الذي أوجب لهم الكفر ببعض الكتاب والإيمان ببعضه، فقال: ﴿أُولئكُ اللّٰين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة﴾ توهموا أنهم إن لم يعينوا حلفاءهم حصل لهم عار، فاختاروا النار على العار، فلهذا قال: ﴿فلا يُخفف عنهم العذاب﴾ بل هو باق على شدته، ولا يحصل لهم راحة بوقت من الأوقات، ﴿ولا هم ينصرون﴾ أي:

يدفع عنهم مكروه.

﴿٨٧﴾ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البيتنات وأيدناه بروح القدس أنكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً أن أرسل إليهم كليمه موسى وآتاه التوراة، ثم تابع من بعده بالرسل الذين يحكمون بالتوراة، إلى أن ختم أنبياءهم بعيسي ابن مريم عليهم السلام، وآتاه من الآيات البينات ما يؤمن على مثله البشر، ﴿وأيُدناه بروح القدس﴾ أي: قواه الله بروح القدس.

قال أكثر الفسرين: إنه جبريل عليه السلام، وقيل: إنه الإيمان الذي يؤيد الله به عباده.

ثم مع هذه النعم التي لا يقدر قدرها، لما أتوكم ﴿بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم عن الإيمان بهم، ﴿ففريقاً ﴾ منهم ﴿كذبتم وفريقاً تقتلون ﴾ فقدمتم الهوى على الهدى، وآثرتم الدنيا على الآخرة، وفيها من التوبيخ والتشديد ما لا يخفى.

وقالوا قُلُوبِنا عُلَفٌ بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون اي: اعتذروا عن الإيمان لما دعوتهم إليه، يا أيها الرسول، بأن قلوبهم عُلفٌ، أي: عليها غلاف وأغطية، فلا تفقه ما تقول، يعني فيكون لهم ب بزعمهم عذر لعدم العلم، وهذا كذب منهم، فلهذا قال تعالى: ﴿بل لعنهم الله بكفرهم ﴾ أي: أنهم مطرودون ملعونون بسبب كفرهم، فقليلاً المؤمن منهم، أو قليلاً إيمانهم، وكفرهم هو الكثير.

فر ٩٠ \_ ٩٠ فرولا جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين \* بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤوا

بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين أي: ولما جاءهم كتابٌ من عند الله على يد أفضل الخلق وخاتم من التوراة، وقد علموا به وتيقنوه، من التوراة، وقد علموا به وتيقنوه، حتى إنهم كانوا إذا وقع (۱) بينهم وبين المشركين في الجاهلة حروب، بخروجه، وأنهم يقاتلون المشركين معه، فلما جاءهم هذا الكتاب والنبي ينزل الله من فضله على من يشاء من ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، فلعنهم الله وغضب عليهم غضباً بعد غضب، لكثرة كفرهم عروالي شكهم وشركهم.

ولهم في الآخرة عذاب مهين، أي: مؤلم موجع، وهو صلي الجحيم، وفوت النعيم المقيم، فبئس الحال حالهم، وبئس ما استعاضوا واستبدلوا من الإيمان بالله وكتبه ورسله، الكفر به وبكتبه وبرسله، مع علمهم وتيقنهم، فيكون أعظم لعذابهم.

﴿٩٦ ـ ٩٣﴾ ﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين \* ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم المجل من بعده وأنتم ظالمون \* وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم المجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين﴾ أي: وإذا أمر اليهود بالإيمان بما أنزل الله على رسوله وهو القرآن، استكبروا وعتوا، و ﴿قالوا نؤمن بما آنزل علينا، ويكفرون بما وراءه﴾ أي: بما سواه من الكتب، مع أن الواجب أن يُؤمَنَ بما أنزل الله مطلقاً، سواء أنزل عليهم أو على غيرهم، وهذا هو الإيمان النافع، الإيمانُ بما أنزل الله على جميع رسل الله.

وأما التفريق بين الرسل والكتب،

وزَغُم الإيمان ببعضها دون بعض، فهذا ليس بإيمان، بل هو الكفر بعينه ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك ببعض وتريدون أن يتخذوا بين ذلك

ولهذا ردَّ عليهم تبارك وتعالى هنا رداً شافياً، والزمهم إلزاماً لا محيد لهم عنه، فردَّ عليهم بكفرهم بالقرآن بأمرين، فقال: ﴿وهو الحقُّ ﴾ فإذا كان هو الحق في جميع ما اشتمل عليه من الإخبارات والأوامر والنواهي، وهو من عند ربهم، فالكفر به بعد ذلك كفر باش، وكفر بالحق الذي أنزله.

ثم قال: ﴿مصدقاً لما معهم﴾ أي: موافقاً له في كل ما دل عليه من الحق ومهيمناً عليه.

فلم تؤمنون بما أنزل عليكم، وتكفرون بنظيره؟ هل هذا إلا تعصبٌ واتباع للهرى لا للهدى؟

وأيضاً فإن كون القرآن مصدقاً لما معهم، يقتضي أنه حجة لهم على صدق ما في أيديهم من الكتب، فلا سبيل لهم إلى إثباتها إلا به، فإذا كفروا به وجحدوه، صاروا بمنزلة من ادعى دعوى بحجة وبينة ليس له غيرها، ولا تتم دعواه إلا بسلامة بينته، ثم يأتي هو لبينته وحجته فيقدح فيها ويكذب بها، أليس هذا من الحماقة والجنون؟ فكان كفرهم بالقرآن كفراً بما في أيديم ونقضاً له.

ثم نقض عليهم تعالى دعواهم الإيمان بما أنزل إليهم بقوله: ﴿قل﴾ لهم: ﴿فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين \* ولقد جاءكم موسى بالبينات﴾ أي: بالأدلة الواضحات المبينة للحق ﴿ثم اتخذتم العجل من بعده﴾ أي: بعد بجيئه ﴿وأنتم ظالمون﴾ في ذلك ليس لكم عذر.

﴿وإِذَ أَخْلُنَا مِيثَاقِكُم ورفعنا فوقكم البطور، خبلوا منا آتينناكم بـقـوة واسمعوا﴾ أي: سماع قبول وطاعة

واستجابة، ﴿قالوا: سمعنا وعصينا﴾ أي: صارت هذه حالتهم ﴿وأُشْرِبُوا في قلوبُهم العِجلَ﴾ أي: صبغ حب العجل وحب عبادته في قلوبهم، وتشرَّبها(٢) بسبب كفرهم.

﴿قل بشسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين ﴾ أي: أنتم تدعون الإيمان وتتمدحون بالدين الحق، وأنتم قتلتم أنبياء الله، واتخذتم العجل إلها من دون الله لما غاب عنكم موسى، نبي الله، ولم تقبلوا أوامره ونواهيه إلا بعد التهديد ورفع الطور فوقكم، فالتزمتم بالقول ونقضتم بالفعل، فما هذا الإيمان الذي ادعيتم، وما هذا الدين؟

فإن كان هذا إيماناً على زعمكم، فبئس الإيمان الداعي صاحبه إلى الطغيان والكفر برسل الله، وكثرة العصيان، وقد عهد أن الإيمان الصحيح يأمر صاحبه بكل خير، وينها، عن كل شر، فوضح بهذا كذبهم، وتين تناقضهم.

﴿ ٩٤ ـ ٩٦﴾ ﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين \* ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالين \* ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لويعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يُعمر والله بصير بما يعملون﴾ أي: ﴿قل﴾ لهم على وجه تصحيح دعواهم: ﴿إِن كانت لكم الدار الآخرة﴾ يعني الجنة ﴿خالصةً من دون الناس﴾ كما زعمتم أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصاري، وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة، فإن كنتم صادقين بهذه الدعوى ﴿فتمنُّوا الموت﴾ وهذا نوع

مباهلة بينهم وبين رسول الله على وليس بعد هذا الإلجاء والمضايقة لهم بعد العناد منهم، إلا أحد أمرين: إما أن يؤمنوا بالله ورسوله، وإما أن يباهلوا على ما هم عليه بأمر يسير

بذلك كفر بالله وآياته، وعداوة لله ولرسله وملائكته، فإن عداوتهم لجبريل لا لذاته، بل لما ينزل به من عند الله من الحق على رسل الله.

الجزء الأول ]

فيتضمن الكفر والعداوة للذي أنزله وأرسله، والذي أرسل به، والذي أرسل إليه، فهذا وجه ذلك.

﴿ ٩٩﴾ ﴿ ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون ﴾ يقول لنبيه ﷺ : ﴿ ولقد أنزلنا إليك آيات بينات ﴾ تحصل بها الهداية لمن استهدى، وإقامة الحجة على من عاند، وهي في الوضوح والدلالة على الحق قد بلغت مبلغاً عظيماً، ووصلت إلى حالة لا يمتنع من قبولها إلا من فسق عن أمر الله، وخرج عن طاعة الله، واستكبر غاية التكبر.

﴿ ١٠٠﴾ ﴿ أُوكِلُما عاهدُوا عهداً نبيله فريقٌ منهم بيل أكثرهم لا يؤمنون ﴾ وهذا فيه التعجيب (١) من كثرة معاهداتهم، وعدم صبرهم على

ف ﴿ كُلُما ﴾ تفيد التكرار ، فكلما وجد العهد تربَّب عليه النقض ، ما السبب في ذلك ؟ السبب أن أكشرهم لا يؤمنون ، فعدم إيمانهم هو الذي أوجب لهم نقض العهود ، ولو صدق إيمانهم لكانوا مثل من قال الله فيهم : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ .

رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون التبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد

عليهم، وهو تمني الموت الذي يوصلهم إلى المدار التي هي خالصة لهم، فامتنعوا من ذلك.

فعلم كل أحد أنهم في غاية المعاندة والمحادة لله ولرسوله، مع علمهم بذلك، ولهذا قال تعلى: ﴿وَوَلَنَ يَتَمَنُوهُ البِدا بِمِا قَدَمَتُ أَيدَيهِم﴾ من الكفر والمعاصي، لأنهم يعلمون أنه طريق لهم إلى المجازاة بأعمالهم الخبيثة، فالموت أكره شيء إليهم، وهم أحرص على الحياة من كل أحد من الناس، حتى من المشركين الذين لا يؤمنون بأحد من الرسل والكتب.

ثم ذكر شدة محبتهم للدنيا، فقال: ﴿يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ﴾ وهذا أبلغ ما يكون من الحرص، تمنوا حالة هي من المحالات، والحال أنهم لو عمروا العمر المذكور، لم يغن عنهم شيئاً، ولا دفع عنهم من العذاب شيئاً.

﴿والله بصيرٌ بما يعملون ، تهديد لهم على المجازاة بأعمالهم.

و ۹۸ \_ ۹۸ ﴾ ﴿قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله

ببرين عبد لرك على سبت بودن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين \* من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين أي: قل لهؤلاء اليهود الذين زعموا أن الذي منعهم من ولو كان غيره من ملائكة الله، لآمنوا بك وصدقوا، إن هذا الزعم منكم تناقض وتهافت، وتكبر على الله، فإن جبريل عليه السلام هو الذي نزل على الله على قلبك، وهو بالقرآن من عند الله على قلبك، وهو بالذي ينزل على الأنبياء قبلك، وهو الذي أمره وأرسله بذلك، فهو رسول عض.

مع أن هذا الكتاب الذي نزل به جبريل مصدقاً لما تقدمه من الكتب معنون عالم عنوب عالم عنوب عنوب المنافض المناوع الضلالات، والبشارة بالخير الدنيوي والأخروي لمن آمن به، فالعداوة لجبريل الموصوف

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَاقَكُمْ لَانَسْفِكُونَ دِمَاءَ كُمْ وَلَائْحُرْجُونَ أَنفُسَكُم مِن دِينَدِكُونُدُ أَفَرَاتُمْ وَأَسَدُ نَشْهَدُونَ اللهِ الْ ثُمَّا أَتُهُ مُعَنَّوُلَآ مِنْفَلُونَ أَنفُسَكُمْ وَنُمْرِجُونَ فَرِيفًا مِنكُم مِن دِبَنرِهِمْ تَعَلَىٰ مَرُوبَ عَلَيْهِم بِالْإِنْمِ وَٱلْعُدُونِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُمَّارَىٰ تُعَدُّوهُمْ وَهُوَكُمْرَةُ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمُّ أَفَتُوْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْ<del>كِ</del>نْبُ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ فَمَاجَزَةُ مَن بَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّاحِرْى فِي ٱلْحَبَوْةِ ٱلدُّنِيُّ أَ ا وَيَوْمَ ٱلْفِينَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَـٰذِ ٱلْعَـٰذَابُّ وَمَااَهَمُ بِعَفِلِ عَمَّاتَعْمَلُونَ ﴿ أُوْلَتِهِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَقُا ٱلْحَيَوْةَ ٱلدُّنِيَ إِ إِلْأَيْرِزُّ فَلَا يُمَنَّفُ عَنْهُمُ الْمَكَابُ وَلَاهُمْ بُصَرُونَ ۞ وَلَقَدْ مَانَيْنَا مُوسَى ٱلْكِنْبَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ عِالْمُسُلِّ وَمَا لَيْنَا عِيسَى آنَ مَرْيَهُمَ ٱلْبَيْنَاتِ وَأَيْدُنَكُ مِرْجَ ٱلْعُدُيُّ الْفَسَحُلْمَا عَآءَكُورَسُولُ إِمَا لَانَهُوكَ أَنْفُسُكُو ٱسْتَكْبَرُتُمْ ﴿ فَفَرِيتًا كَذَبْتُمْ وَقِيعًا تَقَنَّالُونَ ۞ وَقَالُواْ فَلُواْنَا غُلَفْ بَلِ لَمَّنَهُ مُ اللَّهُ يِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۞ ACTERON DECEMBER

علموا لن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون \* ولو أنهم آمنوا واتقوا لشوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون أي: ولما جاءهم هذا الرسول الكريم بالكتاب العظيم بالحق الموافق لما معهم، وكانوا يزعمون أنهم متمسكون بكتابم، فلما كفروا بهذا الرسول وبما جاء به ﴿نبذ فريق من أنزل إليهم، أي: طرحوه رغبة عنه أنزل إليهم، أي: طرحوه رغبة عنه الإعراض كأنهم في فعلهم هذا من الجاهلين، وهم يعلمون صدقه، الجاهلين، وهم يعلمون صدقه، وحقية (ما جاء به )

تبين بهذا أن هذا الفريق من أهل الكتاب لم يبق في أيديهم شيء حيث لم يؤمنوا بهذا الرسول، فصار كفرهم به كفراً بكتابهم من حيث لا يشعرون.

ولما كان من العوائد القدرية والحكمة الإلهية أن من ترك ما ينفعه، وأمكنه الانتفاع به فلم ينتفع، ابتلي بالاشتغال بما يضره، فمن ترك عبادة الرحمٰن، ابتلي بعبادة الأوثان، ومن ترك عبة الله وخوفه ورجاءه، ابتلي بمحبة غير الله وخوفه ورجائه، ومن لم ينفق ماله في طاعة الله، أنفقه في طاعة الشبالذ، ومن ابتلي ماله في طاعة الله، أنفقه في طاعة الشبالذ، ومن ترك الذل لربه، ابتلي

وَكَابَكَ آهُمْ حِكِنَّ فِنْ عِندِ الْقَوْمَسِدِ قَلِ الْمَعَهُمُ وَكَابَكَ آهُمُ مُ الْمُلَّدِينَ الْمَعَهُمُ الْمَعَلَمُ الْمَعَلَمُ الْمَعَلَمُ الْمَعَلَمُ الْمَعَلَمُ الْمَعَلَمُ الْمَعَلَمُ اللَّهِ عَلَى الْفَرِينَ الْمَعْلَمُ الْمَعْلَمُ الْمَعْلَمُ الْمَعْلَمُ الْمُعْلَمُ الْمَعْلَمُ الْمَعْلَمُ الْمُعْلَمُ الْمَعْلَمُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْ

اختاقالية

المجال المعبيد، ومن ترك الحق ابتلي بالباطل.

خُدُوا مَآءَاتَيْنَكُم بِفُوَرُواسْمَعُواْ قَالُواْسَيِعْنَا

وعَصَيْتَ وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِ مُ ٱلْمِحْ لَ بِكُفْرِهِمْ

قُلْ بِنْسَمَا يَأْمُرُكُمُ مِيمِيّا بِمَنْكُمُو إِن كُنتُ مِثَوْمِينِ ﴿ ۞

كذلك هؤلاء اليهود لما نبذوا كتاب الله اتبعوا-ما تتلو الشياطين وتختلق من السحر على ملك سليمان حيث أخرجت الشياطين للناس السحر، وزعموا أن سليمان عليه السلام كان يستعمله، وبه حصل له الملك العظيم.

وهم كذبة في ذلك، فلم يستعمله سليمان، بل نزهه الصادق في قيله: ﴿وما كفر سليمان﴾ أي: بتعلم السيحر، فلم يتعلمه، ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ بذلك.

﴿ يعلَمون الناس السحر ﴾ من إضلالهم وحرصهم على إغواء بني أضلالهم وحرصهم على إغواء بني أدر على اللكين الكائنين بأرض بابل من أرض العراق، أنزل عليهما السحر امتحاناً وابتلاءً من الله لعباده فيعلمانهم السحر .

﴿وما يعلمان من أحد حتى ﴾ ينصحاه، و ﴿يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ أي: لا تتعلم السحر فإنه كفر، فينهانه عن السحر، ويخبرانه عن مرتبته، فتعليم الشياطين للسحر على وجه التدليس والإضلال، ونسبته وترويجه إلى من برأه الله منه وهو سليمان عليه السلام. وتعليم الملكين امتحاناً مع نصحهما لئلا يكون لهم

حجة .

فهؤلاء اليهود يتبعون السحر الذي تعلمه الشياطين، والسحر الذي يعلمه الملكان، فتركوا علم الأنبياء والمرسلين وأقبلوا على علم الشياطين، وكلَّ يَصبُو إلى ما يناسبه.

ثم ذكر مفاسد السحر، فقال: ﴿ فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه الموم أن محبة الزوجين لا تقاس بمحبة غيرهما، لأن الله قال في حقهما: ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ وفي هذا دليل على أن السحر له حقيقة، وأنه يضر بإذن الله، أي: بإرادة الله، والإذن نوعان: إذن قدري، وهو المتعلق بمشيئة الله، كما في هذه الآية، وإذن شرعي كما في قُولُه تعالى في الآية السابقة: ﴿ فَإِنَّهُ نَزِلُهُ على قلبك بإذن الله الله وفي هذه الآية وما أشبهها أن الأسباب مهمًا بلغت في قوة التأثير، فإنها تابعة للقضاء والقدر ليست مستقلة في التأثير، ولم يخالف في هذا الأصل أحَّدٌ من فرق الأمة غير القدرية في أفعال العباد، زعموا أنها مستقلة غير تابعة للمشيئة، فأخرجوها عن قدرة الله، فخالفوا كتاب الله وسنة رسوله وإجماع المصحابة والتابعين.

ثم ذكر أن علم السحر مضرة عضة، ليس فيه منفعة لا دينية ولا دنيوية كما يوجد بعض المنافع الدنيوية في بعض المعاصي، كما قال تعالى في الخمر والمسر: ﴿قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ فهذا السحر مضرة محضة، فليس له داع أصلاً، فالمنهيات كلها إما مضرة محضة، أو شرها أكبر من خيرها.

كما أن المأمورات إما مصلحة محضة، أو خيرها أكثر من شرها.

﴿ولقد علموا﴾ أي: اليهود﴿لن اشتراه﴾ أي: رغب في السحر رغبة المشتري في السلعة.

﴿ما له في الآخرة من خلاق﴾ نصيب، بل هو موجب للعقوبة، فلم يكن فعلهم إياه جهلاً، ولكنهم

استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة.

﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾ علماً يثمر العمل ما فعلوه.

﴿ ١٠٤ \_ ١٠٥﴾ ﴿ يِا أَيِهَا الْبَدِينَ آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم \* ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا الشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ كان المسلمون يقولون حين خطابهم للرسول عند تعلمهم أمر الدين: ﴿راعنا﴾ أي: راع أحوالنا، فيقصدون بها معنى صحيحاً، وكان اليهود يريدون بها معنيّ فاسداً، فانتهزوا الفرصة، فصاروا يخاطبون الرسول بذلك، ويقصدون المعنى الفاسد، فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة سداً لهذا الباب، ففيه النهي عن الجائز إذا كان وسيلة إلى محرم، وفيه الأدب واستعمال الألفاظ، التي لا تحتمل إلا الحسن، وعدم الفحش، وترك الألفاظ القبيحة، أو التي فيها نوع تشويش أو احتمال لأمر غير لائق، فأمرهم بلفظة لا تحتمل إلا الحسن، فقال: ﴿وقولوا انظرنا﴾ فإنها كافية يحصل بها المقصود من غير محذور، ﴿واسمعوا﴾ لم يذكر المسموع ليعم ما أمر باستماعه، فيدخل فيه سماع القرآن، وسماع السنة التي هي الحكمة لفظاً ومعنى واستجابة، ففيه الأدب والطاعة.

ثم توعد الكافرين بالعذاب المؤلم الموجع، وأخبر عن عداوة اليهود والمسركين للمؤمنين، أنهم ما يودون وأن ينزل عليكم من خير أي: لا قليلاً ولا كثيراً ومن ربكم حسداً منهم، وبغضاً لكم أن يختصكم بفضله، فإنه وذو الفضل العظيم ومن فضله عليكم إنزال الكتاب على رسولكم، ليزكيكم ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون، فله الحمد والمنة.

﴿١٠٦ ـ ١٠٦﴾ ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم

تعلم أن الله على كل شيء قدير \* ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض وما لكم من دون الله من ولي المحقيقة النسخ: هو النقل، فحقيقة النسخ نقل المكلفين من حكم مشروع إلى حكم آخر، أو إلى إسقاطه، وكان اليهود ينكرون النسخ ويزعمون أنه لا يجوز، وهو مذكور عندهم في التوراة، فإنكارهم له كفر وهوى عضى.

فأخبر الله تعالى عن حكمته في النسخ، وأنه ما ينسخ من آية ﴿أُو النسها العباد، فنزيلها من قلوبهم، ﴿نَاتُ بِخير منها﴾ وأنفع لكم

فدلً على أن النسخ لا يكون لأقل مصلحة لكم من الأول، لأن فضله تعالى يزداد خصوصاً على هذه الأمة، التي سهل عليها دينها غاية التسهيل.

وأخبر أن من قدح في النسخ فقد قدح في ملكه وقدرته، فقال: ﴿ أَلَمُ تَعْلَمُ أَنَّ اللهُ عَلَى كُلُّ شِيءَ قدير \* أَلَمُ تَعْلَمُ أَنَّ اللهُ لَهُ مَلْكُ السماوات تعلم أن الله له ملك السماوات متصرف المالك البر متصرف المالك البر فراوامره ونواهيه، فكما أنه لا حجر عليه في تقدير ما يقدره على عباده من أنواع التقادير، كذلك لا يعترض عليه فيما يشرعه لعباده من الأحكام. فالعبد مدبر مسخر تحت أوامر ربه الدينية والقدرية، فما له والاعتراض؟

وهو أيضاً ولي عباده وتصيرهم، فيتولاهم في تحصيل منافعهم، وينصرهم في دفع مضارهم، فمن ولايته لهم أن يشرع لهم من الأحكام ما تقتضيه حكمته ورحته بهم.

ومن تأمِّل ما وقع في القرآن والسنة من النسخ، عرف بذلك حكمة الله ورحمته عباده، وإيصالهم إلى مصالحهم من حيث لا يشعرون بلطفه.

﴿۱۱۸ ـ ۱۱۸ ﴾ ﴿أَمْ تَسْرِيسَدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولُكُمْ كَمَا سَتْلُ مُوسَى مَنْ

قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل \* ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأت الله بأمره إن الله على كل شيء قدير \* وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير ﴾ ينهى الله المؤمنين أو اليهود، بأن يسألوا رسولهم ﴿كما سئل موسى من قبل﴾ والمراد ببذلك أستبلة التعنب والاعتراض، كما قال تعالى: ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك، فقالوا أرنا الله جهرة ﴾.

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ فهذه ونحوها هي النهي

وأما سؤال الاسترشاد والتعلم، وأما سؤال الاسترشاد والتعلم، فهذا محمود قد أمر الله به، كما قال تعالى: ﴿فَاسَأَلُوا أَهْلِ الذّكْرِ إِنْ كَنتَم لا تعلمون﴾. ويقررهم (١١) عليه، كما في قوله: ﴿يسَأَلُونَكُ عَنِ الخَمْرِ وَالْحِسْرِ ﴾ و ﴿يسَأَلُونَكُ عَنِ اليتامي﴾ و نحو ذلك.

ولما كانت المسائل المنهي عنها مذمومة، قد تصل بصاحبها إلى الكفر، قال: ﴿ ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل ﴾ .

ثم أخبر عن حسدٍ كثير من أهل الكتاب، وأنهم بلغت بهم الحال أنهم ودوا ﴿لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً﴾ وسعوا في ذلك، وأعملوا المكايد، وكيدهم راجع عليهم، [كما] قال تعالى: ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون﴾ وهذا من حسدهم الصادر من عند أنفسهم.

فأمرهم الله بمقابلة من أساء إليهم غاية الإساءة بالعفو عنهم والصفح

BIA SOL غُن إِن كَانَتُ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِيرَةُ عِندَافَةِ خَالِصِهَةُ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ مَنْكَنَّوُ ٱللَّوْتَ إِن كُنتُهُ مِنْدِ فِينَ ۞ وَلَنَ يَشَكَنُوهُ أَلِيكًا مِمَاقَدُمَتْ أَيْدِيهِ فُرُواللَّهُ عَلِيدًا بِالظَّالِمِينَ ۞ وَلَنَجِدَنْهُمْ أَخْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَبَوْۃِ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَضْرَكُواْ يَوَدُّ لَحَادُ هُرْلُوْيُكُمُ الْفَ سَنَةِ وَمَاهُوَ بُرُخْرِيو عِن ٱلْعَذَابِ أَن يُعَكَّرُ وَأَقَدُ بَعِيدِ فِي كَايَعْ حَلُونَ ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِيجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ، نَزَّلُهُ عَلَىٰ فَلْبِلْكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَكِيةً قَالِلًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدُّى وَيُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ مَنَ كَانَ عَدُوًّا يَقِهِ وَمَلَيْ كَيْهِ مَوَرُسُلِهِ مَوَجِبُرِيلَ وَمِيكَ اللَّهُ عَدُّ أَوْلَكُ لَهِ مَا اللَّهُ عَدُّ أَوْلِكُ لِمِينَ ۞ وَلَقَدْ أَزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَائِنَةٍ بَيْنَاتًا وَمَا يَكُفُرُهُ كَا إِلَّا ٱلْفَاسِعُونَ ۞ أوَكُلَّنَاعَهُ وَاعَهُ دُانَّتِنَهُ وَيَعَّى نِنْهُ رَّبِلَ اكْثَرُهُمْ لَايْوْمِنُونَ ۞ وَلَمَّاحَاءَهُمْ رَسُولُ مِنْ عِندِاللَّهِ مُصَدِينٌ لِمَامَعَهُ مُنَدَ وَيِنْ مِنَ ٱلَّذِيكَ أُونُواْ ٱلْكِتَبَ كِنْبَ اللَّهِ وَرَآءَ مُلْهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٥ TOWERDS " LORGEOF

حتى يأتي الله بأمره.

ثم بعد ذلك أتى الله بأمره إياهم بالجهاد، فشفى الله أنفس المؤمنين منهم، فقتلوا من قتلوا، واسترقوا من استرقوا، وأجلوا من أجلوا ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾.

ثم أمرهم [الله] بالاشتغال في الوقت الحاضر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وفعل كل القربات، ووعدهم أنهم مهما فعلوا من خير، فإنه لا يضيع عند الله، بل يجدونه عنده وافراً موفراً قد حفظه ﴿إن الله بما تعملون بصير﴾.

يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين \* بلى من أسلم وجهه لله وهو عسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون أي: قال اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فحكموا لأنفسهم بالجنة وحدهم، وهذا بجرد أماني غير بالجنة وحدهم، وهذا بجرد أماني غير كنتم صادفين، وهكذا كل من ادعى متبولة إلا بلد أن يُقيم البرهان على صحة دعواه، وإلا فلو قلبت عليه دعواه، وادعى مدع عكس ما ادعى بلا برهان

وَاتَّبَعُوا مَانَشْلُوا الشَّيَطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَنٌّ وَمَاكَمَةً سُلَبْنَنُ وَلَاكِرَ ۖ الشَّيْطِينَ كَغَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَوَمَآ أُنُزِلَ عَلَى ٱلْمُلْكَحَىيْنِ بِسَائِلَ هَسُرُوتَ وَمَثْرُوتً وَمَايُعُكِمَانِ مِنْ أَحَدِ حَنَّى يَقُولًا ۚ إِنَّمَا غَنُ فِتْتَةٌ فَلَا تَكُفُرُّ فَبْتَعَلِّمُونَ مِنْهُمَا مَايُفَرِقُونَ بِهِۦبَيْنِ ٱلْمَرْءِ وَزَفِيهِۦّ وَمَاهُم بِضَآ زِينَ بِهِۦمِنْ أَحَـدٍ إِلَّا إِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَايَحَبُ رُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدَ عَلِيمُواْ لَمَنِ أَشْفَرَكُ مَالَمُفِ ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَقَ وَلِينْتُ مَاسْكَوْاْبِدِة أَنْفُسَهُمْ لَوْكَانُواْ يَعْلَمُونَ ۞ وَلَوْأَنَهُمُ وَامَنُواْ وَآتَفَوْا لَمُثُوبَ أَمِنْ عِندِ آللَّهِ خَيْرٌ لَّوْكَ الْوَايَمْ لَمُونَ اللَّهُ اللَّلَّالِمُ اللَّهُ اللّ وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَ فِيرِينَ عَذَابُ أَلِيدٌ ۞ مَا يَوَدُ ٱلَّذِيكَ كَفَ رُوا مِنْ أَهْ لِي ٱلْكِتْبِ وَلَا ٱلْمُنْرِكِينَ أَنْ يُنْزُلُ عَلَيْ حَكُم مِنْ خِيْرِمِن تَيِحَكُمُّ وَاللَّهُ يَخْتَشُ بِرَحْتَ عِن يَسْكَ أَوْالْقَهُ دُوالْفَضْ إِلْفَعَلِيمِ TOLOROW IN LONGED

لكان لا فرق بينهما، فالبرهان هو الذي يصدق الدعاوى أو يكذبها، ولما لم يكن بأيديهم برهان عُلِمَ كذبهم بتلك الدعوى.

ثم ذكر تعالى البرهان الجلي العام لكل أحد، فقال: ﴿بلى﴾ أي: ليس بأمانيكم ودعاويكم، ولكن ﴿من أسلم وجهه شه أي: أخلص شأعماله، متوجها إليه بقلبه، ﴿وهو﴾ مع إخلاصه ﴿عسنٌ﴾ في عبادة ربه، بأن عبده بشرعه، فأولئك هم أهل الجنة وحدهم.

فلهم أجرهم عند ربهم وهو الجنة بما اشتملت عليه من النعيم، ﴿ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾ فحصل لهم المرغوب، ونجوا من المرهوب.

ويفهم منها أن من ليس كذلك، فهو من أهل النار الهالكين، فلا نجاة إلا لأهل الإخلاص للمعبود، والمتابعة للرسول.

﴿ ۱۳﴾ ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يشلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ وذلك أنه بلغ بأهل الكتاب الهوى والحسد إلى أن بعضهم ضلّل بعضاً، وكفر بعضهم بعضهم ضلّل بعضاً، وكفر بعضهم

بعضاً، كما فعل الأميون من مشركي العرب وغيرهم.

فكل فرقة تضلل الفرقة الأخرى، ويحكم الله في الآخرة بين المختلفين بحكمه العدل، الذي أخبر به عباده، فإنه (1) لا فوز ولا نجاة إلا لمن صدق جميع الأنبياء والمرسلين، وامتثل أوامر ربه واجتنب نواهيه، ومن عداهم فهو هالك.

﴿ ١١٤﴾ ﴿ ومن أظلم عمن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم أي: لا أحد أظلم وأشد جرماً، عمن مساجد الله عن ذكر الله فيها، وإقامة الصلاة وغيرها من أنواع الطاعات.

﴿ وسَعي اجتهد وبذل وسعه ﴿ فِي خرابها ﴾ الحسى والمعنوي، فالخراب الحسى: هدمها وتخريبها وتقِذيرها، والخراب المعنوي: منع الذاكرين لاسم الله فيها، وهذا عام لكل من اتصف بهذه الصفة، فيدخل في ذلك أصحاب الفيل وقريش حين صدوا رسول الله عنها عام الحديبية، والنصاري حين أخربوا بيت المقدس، وغيرهم من أنواع الظلمة الساعين في خرابها، محادة لله، ومساقة. فجازاهم الله، بأن منعهم دخولها شرعا وقدراً، إلا خائفين ذليلين، فلما أخافوا عباد الله، أخافهم الله، فالشركون الذين صدوا رسوله، لم يلبث رسول الله ﷺ إلا يسيرا، حتى أذن الله له في فتح مكة ومنع المشركين من قربان بيته، فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم مذا∳ .

وأصحاب الفيل، قد ذكر الله ما جرى عليهم، والنصارى، سلط الله عليهم المؤمنين فأجلوهم عنه.

وهكذا كل من اتصف بوصفهم،

فلا بد أن يناله قسطه، وهذا من الآيات العظيمة، أخبر بها الباري قبل وقوعها، فوقعت كما أخبر.

واستدل العلماء بالآية الكريمة، على أنه لا يجوز تمكين الكفار من دخول المساجد.

لهم خزي في الدنيا أي: فضيحة كما تقدم، ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظمه

وإذا كان لا أظلم عن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، فلا أعظم إيماناً عمن سعى في عمارة المساجد بالعمارة الحسية والمعنوية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمَرُ مُسَاجِدُ اللهُ مَنْ اللَّهِ وَالْمُومُ اللَّحْرَ ﴾.

بل قد أمر الله تعالى برفع بيوته وتعظيمها وتكريمها، فقال تعالى: ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾.

وللمساجد أحكام كثيرة، يرجع حاصلها إلى مضمون هذه الآيات الكريمة.

﴿ ١١٥﴾ ﴿ و لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فشم وجه الله إن الله واسع عليم ﴾ أي: ﴿ ولله المشرق والمغرب ﴾ ، خصهما بالذكر ، لأنهما محل الآيات العظيمة ، فهما مطالع الأنوار ومغاربها ، فإذا كان مالكاً لها ، كان مالكاً لها ، كان مالكاً لكل الجهات .

﴿فأينما تولوا﴾ وجوهكم من الجهات، إذا كان توليكم إياها بأمره، إما أن يأمركم باستقبال الكعبة بعد أن كنتم مأمورين بالسقبال بيت المقدس، أو تؤمرون بالصلاة في السفر على الراحلة ونحوها، فإن القبلة حيثما توجه العبد أو تشتبه القبلة، فيتحرى الصلاة إليها، ثم يتبين له الخطأ، أو يكون معذوراً بصلب أو مرض ونحو ذلك، فهذه الأمور، إما أن يكون العبد فيها معذوراً أو مأموراً.

إثبات الوجه لله تعالى، على الوجه السلائق به تعالى، وأن لله وجها لا تشبهه الوجوه، وهو \_ تعالى واسع الفضل والصفات عظيمها، عليم بسرائركم ونياتكم.

فمن سعته وعلمه، وسع لكم الأمر، وقبل منكم المأمور، فله الحمد والشكر.

﴿ ١١٧ ـ ١١٢ ﴾ ﴿ وقسالوا الخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون \* بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾ ، ﴿ وقالوا ﴾ أي: اليهود والنصارى والمشركون، وكل من قال ذلك : ﴿ انْخذ الله ولداً ﴾ ، فنسبوه إلى ما لا يليق بجلاله ، وأساؤوا كل الإساءة ، وظلموا أنفسهم .

وهو \_ تعالى \_ صابر على ذلك منهم، قد حلم عليهم، وعافاهم، ورزقهم مع تنقصهم إياه.

وسبحانه ، أي: تنزه وتقدس عن كل ما وصفه به المشركون والظالمون عما لا يليق بجلاله. فسبحان من له الكمال المطلق، من جميع الوجوه، الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه.

ومع رده لقولهم، أقام الحجة والبرهان على تنزيه عن ذلك، فقال: فبل له ما في السماوات والأرض ، أي: جميعهم ملكه وعبيده، يتصرف فيهم تصرف المالك بالماليك، وهم قانتون له مسخرون تحت تدبيره، فإذا كانوا كلهم عبيده، مفتقرين إليه، وهو غني عنهم، فكيف يكون منهم أحد، يكون له ولداً، والولد لا بد أن يكون من جنس والده، لأنه جزء منه.

والله تعالى المالك القاهر، وأنتم المملوكون المقهورون، وهو الغني وأنتم الفقراء، فكيف مع هذا، يكون له ولد؟ هذا من أبطل الباطل وأسمجه.

والفنوت نوعان: قنوت عام: وهو قنوت الخلق كلهم، تحت تدبير الخالق، وخاص: وهو قنوت العبادة.

فالنوع الأول كما في هذه الآية، والنوع الثاني: كما في قوله تعالى:

﴿وقوموا لله قانتين﴾.

ثم قال: ﴿بديع السماوات والأرض﴾، أي: خالقهما على وجه قد أتقنهما وأحسنهما على غير مثال سق.

﴿وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، فلا يستعصى عليه، ولا يمتنع منه.

﴿ ١١٨ ـ ١١٩ ﴾ ﴿ وقال السذيسن لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قدبينا الآيات لقوم يوقنون \* إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونلديراً ولا تسال عن أصحاب الححيم) ، أي: قال الجهلة من أهل الكتاب وغيرهم: هلا يكلمنا، كما كلم الرسل. ﴿أُو تَأْتِينَا آيِةٍ﴾ ، يعنون آيات الاقتراح، التي يقترحونها بعقولهم الفاسدة، وآراثهم الكاسدة، التي تجرأوا بها على الخالق، واستكبروا على رسله كقولهم: ﴿ لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ ، ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) الآية وقالوا: ﴿ لُولا أَنْزِلُ إِلَيْهُ مِلْكُ فَيَكُونَ معه نذيراً، أو يلقى إليه كنز، أو تكون له جنة﴾، الآيات وقوله: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً)، الآيات.

فهذا دأبهم مع رسلهم، يطلبون آيات التعنت، لا آيات الاسترشاد، ولم يكن قصدهم تبين الحق، فإن الرسل قد جاؤوا من الآيات، بما يؤمن بمثله البشر، ولهذا قال تعالى: ﴿قد بيئنا الآيات لقوم يوقنون﴾.

فكل موقّىن، فقد عرف من آيات الله الباهرة، وبراهينه الظاهرة، ما حصل له به اليقين، واندفع عنه كل شك وريب.

شم ذكر تعالى بعض آية موجزة غتصرة جامعة للآيات الدالة على صدقه ﷺ، وصحة ما جاء به، فقال: ﴿إِنَا أُرسَلْنَاكُ بِالْحِقِ بِشيرا ونذيراً﴾، فهذا مشتمل على الآيات التي جاء بها، وهي ترجع إلى ثلاثة أمور:

الأول: في نفس إرساله، والثاني: في سيرته، وهديه ودله، والثالث: في

فالأول والثاني قد دخلا في قوله: ﴿إِنَا أُرسِلْنَاكِ﴾، والثالث دخل في قوله: ﴿بِالحَقِّهِ.

معرفة ما جاء به من القرآن والسنة.

وبيان الأمر الأول وهرو نفس إرساله أنه قد علم حالة أهل الأرض قبل بعثته على وما كانوا عليه من عبادة الأوثان والنيران، والصلبان، وتبديلهم للأديان، حتى كانوا في ظلمة من الكفر، قد عمتهم وشملتهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، قد انقرضوا قبيل البعثة.

وقد علم أن الله تعالى لم يخلق خلقه سدّى، ولم يتركهم هملاً، لأنه حكيم عليم، قدير رحيم، فمن حكمته ورحمته بعباده أن أرسل إليهم هذا الرسول العظيم، يأمرهم بعبادة الرخمن وحده لا شريك له، فبمجرد رسالته يعرف العاقل صدقه، وهو آية كبيرة على أنه رسول الله وأما الثاني: فمن عرف النبي ﷺ معرفة تامة، وعرف سيرته وهديه قبل البعثة، ونشوءه على أكمل الخصال، ثم من بعد ذلك قد ازدادت مكارمه وأخلاقه العظيمة الباهرة للناظرين، فمن عرفها وسَبَر أحواله، عَرَف أنها لا تكون إلا أخلاق الأنبياء الكاملين، لأن الله تعالى جعل الأوصاف أكبر دليل على معرفة أصحابها وصدقهم وكذبهم س

وأما الثالث: فهو معرفة ما جاء به على من الشرع العظيم، والقرآن الكريم المشتمل على الإخبارات الصادقة، والأوامر الحسنة، والنهي عن كل قبيح، والمعجزات الباهرة، فجميع الآيات تدخل في هذه الثلاثة.

قوله: ﴿سَيراً﴾ أي: لمن أطاعك بالسعادة الدنيوية والأخروية، ﴿نَدِيراً﴾ لمن عصاك بالشقاوة والهلاك الدنيوي والأخروي.

﴿ ولا تُسأَلُ عن أصحاب الجحيم ﴾ أي: لست مسؤولاً عنهم، إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب.

﴿١٢٠﴾ ﴿ولن ترضى عنك اليهود

ولا النصاري حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا تصير ﴾ يُحبر تعالى رسوله أنه لا يرضى منه اليهود ولا النصاري إلا باتباعه دينهم، لأنهم دعاة إلى الديس الذي هم عليه، ويزعمون أنه الهدى، فقل لهم: ﴿إِنَّ هُدى الله ﴾ الذي أرسلت به ﴿هو

وأما ما أنتم عليه فهو الهوي، بدليل قوله: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولى ولا نصير ﴾ .

فهذا فيه النهى العظيم عن اتباع أهواء اليهود والنصاري، والتشبع بهم فيما يختص به دينهم، والخطابُ وإن كان لرسول الله ﷺ فَإِنْ أَمْتُهُ دَاخَلَةٌ فَي ذلك، لأن الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب، كما أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ثم قال: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون ﷺ يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين \* واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شُفاعة ولا هم يُنصرون﴾ .

يخبر تعالى أن الذين آتاهم الكتاب ومنَّ عليهم به منة مطلقة، أنهم ﴿يتلونه حق تلاوته ﴾ أي: يتبعونه حق اتباعه، والتلاوة: الاتباع، فيحلُّون حلاله، ويُحرِّمون حرامه، ويعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، وهؤلاء هم السعداء من أهل الكتاب، الذين عرفوا نعمة الله وشكروها، وآمنوا بكل الرسل، ولم يفرقوا بين أحد منهم.

فهؤلاء هم المؤمنون حقاً، لا من قال منهم: ﴿نَوْمِنُ بِمَا أَنْزِلُ عَلَيْنَا ويكفرون بما وراءه، 🕻 .

ولهذا توعدهم بقوله: ﴿وَمِنْ يَكُفُرُ به فأولئك هم الخاسرون ﴾ وقد تقدم تفسير الآية التي بعدها.

﴿ ١٢٤ \_ ١٢٥ ﴾ ﴿ وإذ ابستسلى

جانب عظيم من الإيمان والأعمال إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى الصالحة، والأخلاق الجميلة، جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي والشمائل السديدة، والمحبة التامة، قال لا ينال عهدى الظالمين \* وإد والخشية والإنابة، فأين الظلم وهذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمنأ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلي وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي ودلٌ مفهوم الآية أن غير الظالم للطائفين والعاكفين والركع السجودي بخبر تعالى عن عبده وخليله إبراهيم

سينال الإمامة، ولكن مع إتيانه

ثم ذكر تعالى، نموذجاً باقياً دالاً على إمامة إبراهيم، وهو هذا البيت الحرام الذي جعل قصده ركناً من أركان الإسلام، حاطًا للذنوب والآثام.

وفيه من آثار الخليل وذريته، ما عرف به إمامته، وتذكرت به حالته، فقال: ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس ﴾ أي: مرجعاً يشوبون إليه، لحصول منافعهم الدينية والدنيوية، يترددون إليه ولا يقضون منه وطراً، ﴿و﴾ جعله ﴿أَمْنَا ﴾ يأمن به كل أحد، حتى الوحش، وحتى الجمادات كالأشجار. ولهذا كانوا في الجاهلية \_ على شركهم \_ يحترمونه أشد الاحترام، ويجد أحدهم قاتل أبيه في الحرم فلا يهيجه، فلما جاء الإسلام زاده حرمة وتعظيماً وتشريفاً وتكريماً.

﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مقام إبراهيم مصلى ﴾ يحتمل أن يكون المراد بذلك المقام المعروف الذي قد جعل الآن مقابل باب الكعبة، وأن المراد بهذا ركعتا الطواف، يستحب أن تكونا خلف مقام إبرّاهيم، وعليه جمهور المفسرين، ويحتمل أن يكون القام مفرداً مضافاً، فيعم جميع مقامات إبراهيتم في الحج، وتعنى المشاعر كلمنا: من الطواف والسعى، والوقوف بعرفة ومزدلفة، ورمى الجمار، والنحر، وغير ذلك من أفعال الحج.

فيكون معنى قوله: ﴿مُصَلَّى ﴾ أي: معبداً، أي: اقتدوا به في شعائر الحج، ولعل هذا المعنى أولى، لدخول المعنى الأول فيه، واحتمال اللفظ له.

﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل﴾ أي: أوحينا إليهما، وأمرناهما بتطهير بيت الله من المشرك، والكفر والمعاصي، ومن الرجس والنجاسات

عليه السلام. فأتمَّ ما ابتلاه الله به وأكمله ووفَّاه، فشكر الله له ذلك، ولم ينزل الله شكوراً، فقال: ﴿إِنَّ جَاعِلُكُ لَلْنَاسُ إماماً ﴾ أي: يقتدون بك في الهدى، ويمشون خلفك إلى سعادتهم الأبدية، ويحصل لك الثناء الدائم والأجر الجزيل، والتعظيم من كل أحد.

عليه السلام، المتفق على إمامته

وجلالته، الذي كلِّ من طوائف أهل

الكتاب تدعيه، بل وكذلك المشركون:

أن الله ابتلاه وامتحنه بكلمات، أي:

بأوامر ونواهى، كما هي عادة الله في

ابتلائه لعباده، ليتبين الكاذب الذي

لا يثبت عند الابتلاء والامتحان، من

الصادق الذي ترتفع درجته، ويزيد

قدره ويزكو عمله، ويخلص ذهبه،

وكان من أجلهم في هذا المقام الخليل

وهذه - لَعَمْر الله - أفضل درجة تنافس فيها المتنافسون، وأعلى مقام شمَّر إليه العاملون، وأكمل حالةً حصلها أولو العزم من المرسلين وأتباعهم، من كل صديق متبع لهم، داع إلى الله وإلى سبيله.

فلما اغتبط إبراهيم بهذا المقام وأدرك هذا، طلب ذلك لذريته لتعلو درجته ودرجة ذريته، وهذا أيضاً من إمامته ونصحه لعباد الله، وعبته أن يُكثّر فيهم المرشدون، فلله عظمة هذه الهمم العالية والمقامات السامية.

فأجابه الرحيم اللطيف، وأخبر بالمانع من نيل هذا المقام، فقال: ﴿ لا ينال عهدى الظالمين ﴾ أي: لا ينال الإمامة في الدين من ظلم نفسه وضرها، وحط قدرها، لمنافاة الظلم لهذا المقام، فإنه مقام آلته الصبر واليقين، ونتيجته أن يكون صاحبه على النظاللة المراكا • مَا نَسَخْ مِنْ ءَايَةِ أَوْنُسِهَا نَأْتِ بِعَنْدِ مِنْهَا أَوْمِثْلِهَا أَلَزْتَعَلَزَانَّ ٱللَّهَ عَلَىكُ لِنَى وَقِيرُ ۞ ٱلْزَعَلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّكُوْتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكَ مُ مِن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِمْ وَلَانتَهِ مِن إِنَّ أَمْ يُرِيدُونَ أَن تَسْعَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَاسُيلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدِّلِ ٱلْكُفْرَالْإِيمَن فَقَدْضَلَ سَوَآءَ السّبيل ﴿ وَذَكِيثِرُمِنَ أَهْلِ الْكِلْب لَوْيَـرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَنِكُرُّكُ فَالْاحْسَدُ امِنْ عِندِ أَنفُسِهم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَمُهُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى بَأْنِي أَلْقَهُ بِأَمْرِوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلْ شَيْءٍ فَدِيرٌ ۞ وَأَقِيهُوا الصَّلَوٰةَ وَمَا تُوا الرِّيكُوةُ وَمَا نُفَدِّمُوا لِأَنفُ كُرُ يِّنْ خَيْرِيَّحِـ دُوهُ عِندَاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عِمَالَقَ مَالُونَ بَصِيرٌ ﴿ وَقَالُواْ لَنَ بِنَخُلَ الْجَنَّـةَ إِلَّا مَنَ كَانَ هُودًا أَوْضَارَتْ الْ يَلْكَ أَمَانِيَّهُمُ قُلُ هَانُواْ رُحْلَنَكُمْ إِن كُسُمُ مَانِيَةِ ﴿ بَالَىٰ مَنْ أَسْلَمُ وَجْهَا مُولِنَّهِ وَهُوَ عُسِنٌ مَلَهُ وَأَجْرُهُ عِندَرَيْهِ ، وَلَاخُوْتُ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ بَعُزَوُنَ ٥

المن الله به ذريتهما خاصة، وسائر الخلق عامة، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "أنا دَعُوةُ أَنِي إبراهيم".

ولما عظم الله إبراهيم هذا التعظيم، وأخبر عن صفاته الكاملة، قال تعالى: ﴿١٣٠ ــ ١٣٤﴾ ﴿ومن يرغب عن ملَّة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين \* إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين \* ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون الأأم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهأ واحدأ ونحن له مسلمون \* تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴿ .

أي: ما يرغب (عن ملة إبراهيم) بعدما عرف من فضله (إلا من سفه نفسه) أي: جهلها وامتهنها ورضي لها بالدون، وباعها بصفقة المغبون، كما أنه لا أرشد وأكمل، ممن رغب في ملة إبراهيم، ثم أخبر عن حالته في الدنيا والآخرة، فقال: (ولقد اصطفيناه في الدنيا) أي: اخترناه ووفقناه للأعمال، التي صاربها من

الرحيم # ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم أي: واذكر إبراهيم وإسماعيل في حالة رفعهما القواعد من البيت الأساس، واستمرارهما على هذا العمل العظيم، وكيف كانت حالهما من الخوف والرجاء، حتى إنهما مع هذا العمل دعوا الله أن يتقبَّل منهما عَمَلهما، حتى يحصل (١) فيه النفع العميم. ودعوا لأنفسهما، وذريتهما بالإسلام، الذي حقيقته خضوع القلب، وانقياده لربه المتضمن لانقياد الجوارح. ﴿وأرنا مناسكنا﴾ أي: علمناها على وجه الإراءة والمشاهدة، ليكون أبلغ. يحتمل أن يكون المراد بالمناسك: أعمال الحج كلها، كما يدل عليه السياق والمقام، ويحتمل أن يكون المراد ما هو أعم من ذلك وهو الدين كله والعبادات كلها، كما يدل عليه عموم اللفظ، لأن النسك: التعبد، ولكن غلب على متعبدات الحج تغليباً عرفياً، فيكون حاصل دعائهماً يرجع إلى التوفيق للعلم النافع، والعمل الصالح، ولما كان العبد\_ مهما كان \_ لا بدأن يعتريه التقصير ويحتاج إلى التوبة، قالا: ﴿وتُبْ علينا إنك أنت التواب الرحيم،

وربنا وابعث فيهم أي: في ذريتنا وابعث فيهم ليكون أرفع ورسولا منهم ليكون أرفع لدرجتهما، ولينقادوا له، وليعرفوه حقيقة المعرفة. ويتلو عليهم آياتك لفظاً وحفظاً وتحفيظاً، وويعلمهم الكتاب والحكمة في معنى.

﴿ ويزكيهم ﴾ بالتربية على الأعمال الردية الصالحة ، والتبري من الأعمال الردية التي لا تزكو النفوس (٢) معها ﴿ إنك أي: القاهر لكل شيء اللذي لا يستنبع على قوته شيء ﴿ الحكيم ﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها ، فبعزتك وحكمتك ابعث فيهم هذا الرسول ، فاستجاب الله لهما فبعث الله هذا الرسول الكريم ، الذي

والأقذار، ليكون ﴿للطائفين﴾ فيه ﴿والعاكفين والركع السجود﴾ أي: المصلين، قدم الطواف لاختصاصه بالمسجد [الحرام]، ثم الاعتكاف لأن من شرطه المسجد مطلقاً، ثم الصلاة مع أنها أفضل، لهذا المعنى.

وأضاف الباري البيت إليه لفوائد، منها: أن ذلك يقتضي شدة اهتمام إبراهيم وإسماعيل بتطهيره، لكونه بيت الله، فيسلندلان جهدها، ويستفرغان وسعهما في ذلك.

ومنها: أن الإضافة تقتضي التشريف والإكرام، ففي ضمنها أمر عباده بتعظيمه وتكريمه.

ومنها: أن هذه الإضافة هي السبب الجاذب للقلوب إليه .

﴿ ١٢٦﴾ ﴿ وإذ قال إسراهيم ربّ اجعل هذا بلدا آمناً وارزق أهله من الشمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾ أي: وإذ دعا إبراهيم لهذا البيت، أن يجعله الله بلدا آمناً، ويرزق أهله من أنواع الشمرات، ثم قيد عليه السلام هذا الدعاء للمؤمنين تأدباً مع الله، إذ كان دعاؤه الأول فيه الإطلاق، فجاء الجواب فيه مقيداً بغير الظالم.

فلما دعا لهم بالرزق وقيده بالمؤرق وقيده بالمؤمن، وكان رزق الله شاملاً للمؤمن والكافر والعاصي والطائع، قال تعالى: ﴿ وَمِن كَفَر﴾ أي: أرزقهم كلهم، مسلمهم وكافرهم، أما المسلم فيستعين بالرزق على عبادة الله، ثم ينتقل منه إلى نعيم الجنة، وأما الكافر فيتمتع فيها قليلاً ﴿ ثم أضطره ﴾ أي: ألجشه وأخرجه مكرهاً ﴿ إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾ .

﴿ ١٢٧ - ١٢٧ ﴾ ﴿ وإذ يـرفـع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم \* ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنيا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب

وَقَالَتِ ٱلْبَهُودُ لِنَسَتِ ٱلنَّصَدَرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلتَّعَسُرَىٰ لَهْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِئَلَّ كَذَلِكَ قَالَ ٱلَّذِيكَ لَابِعَهَ لَمُونَ مِثْلَ فَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَعَكُمُ بَيْنَهُمْ وَوَوَ ٱلْقِينَـمَةِ فِيمَاكَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۞ وَمَنْ أَظْلُرُمِنَ مَّنَعَ مُسَلَجِدَ اللَّهِ أَن يُنْكَرَفِهَا أَسْهُ، ومَسَعَىٰ فِحَرَاجٍٱ أُوْلَتِكَ مَاكَاتَ لَمُمُولَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَالِهِينَ لَمُمْ فِالدُّنْيَا يَزِيُّ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيرٌ ۞ وَيِقَوَأَلْشَرِقُ وَلَلْغَيْثُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعُ عَلِيمٌ ۞ وَقَالُواْ اغَّتَكَ اللَّهُ وَلَذَا سُبْحَلَنَهُ مِلَ لَهُ مَا فِي السَّعَوَبَ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَمُوْفَنِيتُوك ۞ بَدِيعُ ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلاَّ مَّنَوِّ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن يَكُونُ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَصْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا أَلِمَهُ أَوْ نَأْيِنَآ ءَايُّهُ كَذَلِكَ فَالَ الَّذِيرَ مِن مَبْلِهِ مِيْشَلَ فَوْلِهِ مُ تَشَبَّهَتْ فَلُوبُهُ مُّدُ مَدْيَنَتَ الْأَبْلَتِ لِفَوْمِ يُوفِينُونَ ۞ إِنَّا أَرْسَلَنْكَ بِٱلْمَيِّ بَشِيرًا وَنَكِذِيزًا وَلَانْسُنَاكُ عَنْ أَصْلَبِ ٱلْمُتَصِيرَ الْمُتَصِيرَ الْمُتَصِيرَ TOWN TOWN OF THE PARTY OF THE P

المصطفين الأخيار.

﴿ وإنه في الآخرة لن الصالحين ﴾ الذين لهم أعلى الدرجات.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبِهُ أَسلَمَ قَالَ ﴾ امتثالاً لربه ﴿أسلمت لرب العالمين ﴾ إخلاصاً وتوحيداً، ومحبة وإنابة، فكان التوحيد لله نعته.

ثم ورثه في ذريته ووصاهم به، وجعلها كلمة باقية في عقبه وتوارثت فيهم، حتى وصلت ليعقوب فوصًى بها بنيه، فأنتم. يا بني يعقوب ـ قد وصاكم أبوكم بالخصوص، فيجب عليكم كمال الانقياد واتباع خاتم الأنبياء، قال: ﴿يا بني إن الله اصطفى لكم الدين﴾ أي: اختاره وتخيره لكم رحة بكم، وإحساناً إليكم، فقوموا به واتصفوا بشرائعه، وانصبغوا بأخلاقه، حتى تستمروا على ذلك فلا يأتيكم الموت إلا وأنتم عليه، لأن من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه.

ولما كان اليهود يزعمون أنهم على ملة إبراهيم، ومن بعده يعقوب، قال تعلى منكراً عليهم: ﴿أَمْ كُنتُم شهداء﴾ أي: حضوراً ﴿إِذْ حضر يعقوب الموت﴾ أي: مقدماته وأسبابه، فقال لبنيه على وجه الاختبار، ولتقرّ عينه في حياته بامتثالهم ما وصاهم به: ﴿ما

تعبدون من بعدي ؟ فأجابوه بما قرت به عينه، فقالوا: ﴿نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحداً ﴾ فلا نشرك به شيئاً، ولا نعدل به أحداً، ﴿ونحن له مسلمون ﴾ فجمعوا بين التوحيد والعمل.

ومن المعلوم أنهم لم يحضروا يعقوب، لأنهم لم يوجدوا بعد، فإذا لم يحضروا، فقد أخبر الله عنه أنه وصى بنيه بالحنيفية لا باليهودية.

ثم قال تعالى: ﴿تلك أمة قد خلت﴾ أي: مضت ﴿لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾ أي: كل له عمله، وكل سيجازى بما فعله، لا يؤخذ (١) أحد بذنب أحد، ولا ينفع أحداً إلا إيمانه وتقواه فاشتغالكم بهم وادعاؤكم أنكم على ملتهم، والرضا بمجرد القول، أمر فارغ لا حقيقة له، بل الواجب عليكم أن تنظروا حالتكم التي أنم عليها، هل تصلح للنجاة أم لا؟

(۱۳۵) ﴿ وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ أي: دعا كل من اليهود والنصارى المسلمين إلى الدخول في دينهم، زاعمين أنهم هم المهتدون وغيرهم ضال.

قل له (۲) تجيباً جواباً شافياً: ﴿بل﴾ نتّبعُ ﴿ملة إبراهيم حنيفاً﴾ أي: مقبلاً على الله، معرضاً عما سواه، قائماً بالتوحيد، تاركاً للشرك والتنديد.

فهذا الذي في اتباعه الهداية، وفي الإعراض عن ملته الكفر والغواية.

المواصلة عن ملك المكور والموايد.

إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوق موسى وعيسى وما أوق النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون هذه الآية الكريمة قد اشتملت على جميع ما يجب الإيمان به.

واعلم أن الإيمان الذي هو تصديق القلب التام بهذه الأصول، وإقراره المتضمن لأعمال القلوب والجوارح، وهو بهذا الاعتبار يدخل فيه الإسلام،

وتدخل فيه الأعمال الصالحة كلها، فهي من الإيمان وأثر من آثاره، فحيث أطلق الإيمان دخل فيه ما ذكر، وكذلك الإسلام، إذا أطلق دخل فيه الإيمان، فإذا قرن بينهما، كان الإيمان اسماً لما في القبلب من الإقرار والتصديق، والإسلام اسماً للأعمال الظاهرة وكذلك إذا جمع بين الإيمان والأعمال الصالحة. فقوله تعالى: ﴿قُولُوا﴾ أي: بألسنتكم متواطئة عليها قلوبكم، وهذا هو القول التام المترتب عليه الثواب والجزاء، فكما أن النطق باللسان بدون اعتقاد القلب، نفاقً وكفرٌ، فالقول الخالي من العمل عمل القلب عديم التأثير، قليل الفائدة، وإن كان العبد يؤجر عليه، إذا كان خيراً ومعه أصل الإيمان، لكن فرق بين القول المجرد والمقترن به عمل القلب.

وفي قوله: ﴿قولوا﴾ إشارة إلى الإعلان بالعقيدة، والصدع بها والدعوة لها، إذ هي أصل الدين وأساسه.

وفي قوله: ﴿آمنًا ﴾ ونحوه مما فيه صدور الفعل منسوباً إلى جميع الأمة ، الاعتصام بحبل الله جميعاً والحث على الائتلاف، حتى يكون داعيهم واحداً ، وعملهم متحداً ، وفي ضمنه النهي عن الافتراق، وفيه أن المؤمنين كالجسد الواحد.

وفي قوله: ﴿قولوا آمنا بالله الخ، دلالة على جواز إضافة الإنسان إلى نفسه الإيمان على وجه التقييد، بل على وجوب ذلك، بخلاف قوله: ﴿أَنَا مؤمن ونحوه، فإنه لا يقال إلا مقرونا بالاستثناء بالمشيئة لما فيه من تزكية النفس، والشهادة على نفسه بالإيمان. فقوله: ﴿آمنا بالله ﴾ أي: بأنه موجود، واحد أحد، متصف بكل صفة كمال، منزه عن كل نقص وعيب، مستحق لإفراده بالعبادة كلها، وعدم الإشراك به في شيء منها، بوجه وعدم الإشراك به في شيء منها، بوجه

من الوجوه.

﴿وما أنزل إلينا﴾ يشمل القرآن والسنة لقوله تعالى: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة﴾ فيدخل فيه الإيمان بما تضمنه كتاب الله وسنة رسوله، من وسفات الباري، وصفات رسله، والمستقبلة، والإيمان بما تضمنه ذلك من الأحكام الشرعية الأمرية، وأحكام الجزاء وغير ذلك.

﴿ وما أنزل إلى إبراهيم ﴾ إلى آخر الآية، فيه الإيمان بجميع الكتب المنزلة على جميع الأنبياء، والإيمان بالأنبياء عموماً، وخصوصاً ما نص عليه في الآية لشرفهم، ولإتيانهم بالشرائع الكبار فالواجب في الإيمان بالأنبياء والكتب أن يؤمن بهم على وجه العموم والشمول، ثم ما عرف منهم بالتفصيل، وجب الإيمان به مفصلاً.

وقوله: ﴿لا نفرق بين أحد منهم﴾ أي: بل نؤمن بهم كلهم، هذه خاصية المسلمين التي انفردوا بها عن كل من يدعي أنه على دين.

فاليهود والنصارى والصابتون وغيرهم \_ وإن زعموا أنهم يؤمنون بما يؤمنون به يؤمنون به يؤمنون به يؤمنون به يؤمنون به والكتب، بعضها يؤمنون به، ويعضها يكفرون به، وينقض تكذيبهم تصديقهم، فإن الرسول الذي زعموا أنهم قد آمنوا به، قد صدق سائر الرسل وخصوصاً عمد على الله المنار الرسل عمداً، فقد كذبوا رسولهم فيما أخبرهم به، فيكون كفراً برسولهم فيما

وفي قوله: ﴿وما أوتي النبيون من ربهم﴾ دلالة على أن عطية الدين هي العطية الحقيقية المتصلة بالسعادة الدنيوية والأخروية. لم يأمرنا أن نؤمن بما أوتي الأنبياء من الملك والمال ونحو ذلك، بل أمرنا أن نؤمن بما أعطوا من الكتب والشرائع.

وفيه أن الأنبياء مبلّغون عن الله، ووسائط بين الله وبين خلقه في تبليخ دينه، ليس لهم من الأمر شيء.

وفي قوله: ﴿من ربهم﴾ إشارة إلى أنه من كمال ربوبيته لعباده أن ينزل

عليهم الكتب، ويرسل إليهم الرسل، فلا تقتضي ربوبيته تركهم سدى ولا هملاً.

وإذا كان ما أوتي النبيون إنما هو من ربهم، ففيه الفرق بين الأنبياء وبين من يدعي النبوة، وأنه يحصل الفرق بينهم بمجرد معرفة ما يدعون إليه، فالرسل لا يدعون إلا خير، ولا ينهون إلا عن كل شر، وكل واحد منهم يصدق الآخر ويشهد له بالحق، من غير تخالف ولا تناقض لكونه من عند ربهم ﴿ولو كان من عند ربهم ﴿ولو اختلافاً كثيراً﴾.

وهذا بخلاف من ادعى النبوة، فلا بدأن يتناقضوا في أخبارهم وأوامرهم ونواهيهم، كما يعلم ذلك من سبر أحوال الجميع وعرف ما يدعون إليه.

فلما بين تعالى جميع ما يؤمن به، عموماً وخصوصاً، وكان القول لا يغني عن العمل، قال: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مَسْلَمُونَ ﴾ أي: خاضعون لعظمته، منقادون لعبادته بباطننا وظاهرنا، خلصون له العبادة بدليل تقديم المعمول، وهو ﴿له﴾ على العامل، وهو ﴿له﴾

فقد اشتملت هذه الآية الكريمة \_ على إيجازها واختصارها ـعلى أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، واشتملت على الإيمان بجميع الرسل وجميع الكتب، وعلى التخصيص الدال على الفضل بعد التعميم، وعلى التصديق بالقلب واللسان والجوارح والإخلاص لله في ذلك، وعلى النفرق بين الرسل الصادقين، ومن ادعى النبوة من الكاذبين، وعلى تعليم الباري عباده كيف يقولون، ورحمته وإحسانه عليهم بالنعم الدينية المتصلة بسعادة الدنيا والآخرة، فسبحان من جعل كتابه تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة لقوم

﴿١٣٧﴾ ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في

شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم، أي: فإن أمن أهل الكتاب ﴿ بِمثل ما آمنتم به ﴾ ـ يا معشر المؤمنين - من جميع الرسل وجميع الكتب، الذين أول من دخل فيهم، وأولى خاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ والقرآن، وأسلموا لله وحده، ولم يفرقوا بين أحد من رسل الله ﴿فقد اهتدوا، للصراط المستقيم، الموصل النعيم، أي: فلا سبيل لهم إلى الهداية إلا بهذا الإيمان، لا كما زعموا بقولهم: «كونوا هوداً أو نصاري تهتدوا) فزعموا أن الهداية خاصة بما كانوا عليه، و«الهدى» هو العلم بالحق والعمل به، وضدَّه الضلال عن العلم والضلال عن العمل بعد العلم، وهو الشقاق الذي كانوا عليه، لما تولوا وأعرضوا، فالمشاق: هو الذي يكون في شق، والله ورسوله في شق، ويلزم من المشاقة المحادة، والعداوة البليغة، التي من لوازمها بذل ما يقدرون عليه من أذية الرسول، فلهذا وعد الله رسوله أن يكفيه إياهم، لأنه السميع لجميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، العليم بما بين أيديهم وما خلفهم، بالغيب والشهادة، بالظواهر والبواطن، فإذا كان كذلك، كفاك الله شرهم.

وقد أنجز الله لرسوله وعده، وسلطه عليهم حتى قتل بعضهم، وسبى بعضهم، وأجلى بعضهم، وشرّدهم كل مشرد.

ففيه معجزة من معجزات القرآن، وهو الإخبار بالشيء قبل وقوعه، فوقع طبق ما أخبر.

﴿١٣٨﴾ ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾ أي: الزموا صبغة الله، وهو دينه، وقوموا به قياماً تاماً بجميع أعماله الظاهرة والباطنة، وجميع عقائده في جميع الأوقات، حتى يكون لكم صبغة وصفة من صفاتكم، فإذا كان صفة من صفاتكم، أوجب ذلك لكم الانقياد لأوامره، طوعاً واختياراً وعبة، وصار الدين طبيعة لكم بمنزلة الصبغ التام

للثوب الذي صار له صفة، فحصلت لكم السعادة الدنوية والأخروية، لحث الدين على مكارم الأخلاق وعاسن الأعمال ومعالي الأمور، فلهذا قال على سبيل التعجيب المتقرر للعقول الزكية : ﴿ومن أحسن من الله صبغة ﴾ أي: لا أحسن صبغة من صبغة من

وإذا أردت أن تعرف نموذجاً يبين لك الفرق بين صبغة الله وبين غيرها من الصبغ، فقس الشيء بضده، فكيف ترى في عبد آمن بربه إيماناً صحيحاً، أثر معه خضوع القلب وانقياد الجوارح، فلم يزل يتحلى بكل وصف حسن، وفعل جميل، وخلق كامل، ونعت جليل، ويتخلى من كل وصف قبيح، ورذيلة وعيب، فوَضْفُه: الصَّدق في قوله وفعله، والصبر والحلم، والعفة، والشجاعة، والإحسان القولي والفعلي، ومحبة الله وخشيته، وخوفه ورجاؤه، فحاله الإخلاص للمعبود، والإحسان لعبيده، فقسه بعبد كفر بربه وشرد عنه، وأقبل على غيره من المخلوقين فاتصف بالصفات القبيحة، من الكفر، والشرك، والكذب، والخيانة، والمكر، والخداع، وعدم العفة، والإساءة إلى الخلق في أقواله وأفعاله، فلا إخلاص للمعبود، ولا إحسان إلى عبيده.

فإنه يظهر لك الفرق العظيم بينهما، ويتبين لك أنه لا أحسن صبخة من صبخة الله، وفي ضمنه أنه لا أقبح صبغة عمن انصبغ بغير دينه.

وفي قوله: ﴿ونحن له عابدون﴾ بيان لهذه الصبغة، وهي القيام بهذين الأصلين: الإخلاص والمتابعة، لأن العبادة السم جامع لكل ما يحبه الله ويسرضاه من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة، ولا تكون كذلك حتى يشرعها الله على لسان رسوله، والإخلاص: أن يقصد العبد وجه الله وحده في تلك الأعمال، فتقديم المعمول يؤذن بالحصر.

وقال: ﴿ونحن له عابدون﴾ فوصفهم باسم الفاعل الدال على الثبوت والاستقرار ليدل على اتصافهم بذلك وكونه صار صبغة لهم ملازماً.

﴿١٣٩﴾ ﴿قِل أتحاجوننا في الله

وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون المحاجّة: هي المجادلة بين اثنين فأكثر ، تتعلق في المُسائل الخلافية، حتى يكون كلِّ منْ الخصمين يريد نصرة قوله وإبطال قول خصمه، فكل واحد منهما يجتهد في إقامة الحجة على ذلك، والمطلوب منها أن تكون بالتي هي أحسن، بأقرب طريق يرد الضّال إلى الحق، ويقيم الحجة على المعاند، ويوضح الحق ويبين الباطل، فإن خرجت عن هذه الأمور، كانت مماراة ومخاصمة لا خير فيها، وأحدثت من الشر ما أحدثت، فكان أهل الكتاب يزعمون أنهم أولى بالله من المسلمين، وهذا مجرد دعوى تفتقر إلى برهان ودليل. فإذا كان رب الجميع واحداً، ليس رباً لكم دوننا، وكل منا ومنكم له عمله، فاستوينا نحن وإياكم بذلك، فهذا لا يوجب أن يكون أحد الفريقين أولى بنالله من غيره؛ لأن التفريق مع الاشتراك في الشيء من غير فرق مؤثر دعوى باطلة، وتفريق بين متماثلين، ومكابرة ظاهرة، وإنما يحصل التفضيل بإخلاص الأعمال الصالحة لله وحده، وهذه الحالة وصف المؤمنين وحدهم، فتعين أنهم أولى بالله من غيرهم؛ لأن الإخلاص هو الطريق إلى الخلّاص، فهذا هو المفسرق بسين أولياء السرخمسن وأولياء

﴿ ١٤٠﴾ ﴿ أُم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل

الشيطان، بالأوصاف الحقيقية التي

يسلمها أهل العقول، ولا ينازع فيها

إلا كل مكابر جهول، ففي هذه الآية

إرشاد لطيف لطريق المحاجة، وأن

الأمور مبنية على الجمع بين المتماثلين،

والفرق بين المختلفين.

أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون وهذه دعوى أخرى منهم، وعاجة في رسل الله، زعموا أنهم أولى بهؤلاء الرسل المذكورين من المسلمين. فرد الله عليهم بقوله: ﴿أأنتم أعلم أم الله فالله يقول: ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين وهم يقولون: بل كان يهودياً أو نصرانياً.

قاما أن يكونوا هم الصادقين السعالين، أو يكون الله تعالى هو الصادق العالم بذلك، فأحد الأمرين متعين لا عالمة، وصورة الجواب مبهم، وهو في غاية الوضوح والبيان، حتى إنه من وضوحه لم يحتج أن يقول بل الله أعلم وهو أصدق، ونحو ذلك، لانجلائه لكل أحد، كما إذا أيل الليل أنور، أم النهار؟ والنار أحر أم الماء؟ والشرك أحسن أم التوحيد؟

وهذا يعرفه كل من له أدني عقل، حتى إنهم بأنفسهم يعرفون ذلك، ويعرفون أن إبراهيم وغيره من الأنبياء لم يكونوا هوداً ولا نصاري، فكتموا هذا العلم وهذه الشهادة، فلهذا كان ظلمهم أعظم الظلم. ولهذا قال تعالى: ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ فهي شهادة عندهم، مودعة من الله، لا من الخلق، فيقتضى الاهتمام بإقامتها، فكتموها وأظهروا ضدها، جمعوا بين كَتْم الحق وعدم النطق به، وإظهار الباطل والدعوة إليه، أليس هـ ذا أعـ ظـم الـظـلـم؟ بـلى والله، وسيعاقبهم عليه أشد العقوبة، فلهذا قال: ﴿وَمَا اللهُ مِعَافِلُ عَمَا تعملون ﴾ بل قد أحصى أعمالهم وعدُّها وادِّخر لهم جزاءها، فبئس الجزاء جزاؤهم، وبئست النار مثوي للظالمين، وهذه طريقة القرآن في ذكر العلم والقدرة، عقب الآيات المتضمنة للأعمال التي يجازي عليها.

فيفيد ذلك الوعد والوعيد،

والترغيب والترهيب، ويفيد أيضاً ذكر الأسماء الحسنى بعد الأحكام، أن الأمر الديني والجزائي أثر من آثارها، وموجب من موجباتها، وهي مقتضية له.

(181) ثم قال تعالى: ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون تقدم تفسيرها، وكرّرها لقطع التعلق بالمخلوقين، وأن المعول عليه ما اتصف به الإنسان، لا عمل أسلافه وآبائه، فالنفع الحقيقي بالأعمال، لا بالانتساب المجرد للرجال.

﴿ ١٤٢ - ١٤٢﴾ ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم \* وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ قد اشتملت الآية الأولى على: معجزة، وتسلية، وتطمين قلوب المؤمنين، واعتراض، وجوابه من ثلاثة أوجه، وصفة المعترض، وحينه.

فأخبر تعالى أنه سيعترض السفهاء من الناس وهم الذين لا يعرفون مصالح أنفسهم، بل يضيعونها ويبيعونها بأبخس ثمن، وهم اليهود والنصاري، ومن أشبههم من المعترضين على أحكام الله وشرائعه، وذلك أن المسلمين كانوا مأموريين باستقبال بيت القدس مدة مقامهم بمكة، ثم بعد الهجرة إلى المدينة، نحو سنة ونصف ــ لما لله تعالى في ذلك من الحكم التي سيشير إلى بعضها، وكانت حكمته تقتضى أمرهم باستقبال الكعبة، فأخبرهم أنه لا بدأن يقول السفهاء من الناس: ﴿ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، وهي استقبال بيت المقدس، أي: أيُّ شيء صرفهم عنه؟ وفي ذلك الاعتراض على حكم الله وشرعه وفضله وإحسانه، فسلاهم وأخبر بوقوعه، وأنه إنما يقع ممن اتصف بالسفه قليل العقل والحلم والديانة، فلا تبالوا بهم، إذ قد علم

مصدر هذا الكلام، فالعاقل لا يبالي باعتراض السفيه، ولا يلقي له ذهنه. وحدّت الآية على أنه لا يعترض على أحكام الله إلا سفيه جاهل معاند، وأما الرشيد المؤمن العاقل، فيتلقى أحكام ربه بالقبول والانقياد والتسليم، كما قال تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة أذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية، ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وقد كان في قوله «السفها» ما يغنى عن رد قولهم قوله المغنى عن رد قولهم

وعدم المبالاة به .

ولكنه تعالى مع هذا لم يترك هذه الشبهة، حتى أزالها وكشفها مما سيحرض لبعض القلوب من الاعتراض، فقال تعالى: ﴿قُلُّ لَهُم بجيباً : ﴿ للهُ المشرقُ والمغربُ يهدي من ُ يشاء إلى صراط مستقيم اي: فإذا كان المشرق والمغرب ملكاً لله، ليس جهة من الجهات خارجة عن ملكه، ومع هذا يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ومنه هدايتكم إلى هذه القبلة التي هي من ملة أبيكم إبراهيم، فلأي: شيء يعترض المعترض بتوليتكم قبلةً داخلة تحت ملك الله، لم تستفبلوا جهة ليست ملكاً له؟ فهذا يوجب التسليم لأمره بمجرد ذلك، فكيف وهو من فضل الله عليكم، وهدايته وإحسانه أن هداكم لذلك، فالمعترض عليكم، معترض على فضل الله حسداً لكم وبغياً.

ولما كان قوله: ﴿ يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ والمطلق يحمل على المقيد، فإن الهداية والضلال لهما أسباب أوجبتها حكمة الله وعدله، وقد أخبر في غير موضع من كتابه بأسباب الهداية، التي إذا أتى بها العبد حصل له الهدى، كما قال تعالى: ﴿ يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ﴾ ذكر في هذه الآية السبب الموجب لهداية هذه الأمة مطلقاً بجميع أنواع الهداية، ومنة الله عليها، فقال:

وكذلك جعلناكم أمة وسطاً وي عدلاً خياراً، وما عدا الوسط أي: عدلاً خياراً، وما عدا الوسط فأطراف داخلة تحت الخطر، فجعل الله وسطاً في كل أمور الدين، وسطاً في الأنبياء، بين من غلا فيهم كالنصارى، وبين من جفاهم كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطاً في الشريعة بذلك، ووسطاً في الشريعة لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى.

وفي باب الطهارة والطاعم، لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، ولا يطهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليهم طيباتٍ عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئاً، ولا يحرمون شيئاً، بل أباحوا ما دب ودرج.

بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمها، وأباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرم عليهم الخبائث من ذلك، فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها.

ووهبهم الله من العلم والحلم والعدل والإحسان، ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا ﴿أَمَّةُ وَسَطَّأَ﴾ [كاملين] ليكونوا ﴿شهداء على الناس، بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم، فما شهدت له هذه الأمة بالقبول فهو مقبول، وما شهدت له بالرد فهو مردود، فإن قيل: كيف يقبل حكمهم على غيرهم، والحال أن كل مختصمين غير مقبول قول بعضهم على بعض؟ قيل: إنما لم يقبل قول أحد المتخاصمين لوجود التهمة، فأما إذا انتفت التهمة، وحصلت العدالة التامة كما في هذه الأمة، فإنما المقصود الحكم بالعدل والحق، وشرط ذلك العلم والعدل، وهما موجودان في هذه الأمة، فقبل قولها.

فإن شكَّ شاكُ في فضلها، وطلب مزكّياً لها فهو أكمل الخلق نبيهم گي، فلهذا قال تعالى: ﴿ويكور الرمول

عليكم شهيداً ﴾

ومن شهادة هذه الأمة على غيرهم أنه إذا كان يوم القيامة وسأل الله المرسلين عن تبليغهم، والأمم المكذبة عن ذلك، وأنكروا أنَّ الأنبياء بلغتهم، استشهدت الأنبياء بهذه الأمة، وزكاها

وفي الآية دليل على أن إجماع هـ ذه الأمة حجة قاطعة، وأنهم معصومون عن الخطأ، لإطلاق قوله: ﴿وسطاً﴾ فلو قدر اتفاقهم على الخطأ لم يكونوا وسطاً إلا في بعض الأمور، ولقوله: ﴿ولتكونوا شُهداء على الناس﴾ يقتضي أنهم إذا شهدوا على حكم أن الله أحله أو حرمه أو أوجبه، فإنها معصومة في ذلك. وفيها اشتراط العدالة في الحكم والشهادة والفتيا، ونحو ذلك.

﴿ ١٤٣ ﴾ يقول تعالى: ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم، يقول تعالى: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنتب عليها﴾ وهي استقبال بيت المقدس أولاً ﴿إلا لنعلم﴾ أي: علماً يتعلق به الثواب والعقاب، وإلا فهو تعالى عالم بكل الأمور قبل وجودها.

ولكن هذا العلم لا يعلق عليه ثواباً ولا عقاباً، لتمام عدله وإقامة الحجة على عباده، بل إذا وجدت أعمالهم ترتب عليها الثواب والعقاب، أي: شرعنا تلك القبلة لنعلم ونمتحن ومن يتبع الرسول﴾ ويؤمن به، فيتبعه على كل حال، لأنه عبد مأمور مدبر، ولأنه قد أخبرت الكتب المتقدمة أنه يستقبل الكعبة، فالمنصف الذي مقصوده الحق، مما يزيده ذلك إيماناً وطاعة للرسول.

وأما من انقلب على عقبيه، وأعرض عن الحق واتبع هواه، فإنه يزداد كفراً إلى كفره، وحيرةً إلى حيرته، ويدلي بالحجة الباطلة، المبنية على شبهة لا حقيقة لها.

﴿لكبيرة﴾ أي: شاقة ﴿إلا على الذين هدى الله ﴿ فعرفوا بذلك نعمة الله عليهم، وشكروا وأقرُّوا له بالإحسان حيث وجههم إلى هذا البيت العظيم، الذي فضله على سائر الأرض، وجعل قصده ركناً من أركان الإسلام، وهادماً للذنوب والآثام، فلهذا خف عليهم ذلك، وشق على من سواهم.

ثم قال تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ أي: ما ينبغي له ولا يليق به تعالى، بل هي من المتنعات عليه، فأخبر أنه ممتنع عليه ومستحيل أن يضيع إيمانكم، وقي هذا بشارة عظيمة لن من الله عليهم بالإسلام والإيمان، بأن الله سيحفظ عليهم إيمانهم فلا يضيعه، وحفظه نوعان:

حفظ عن الضياع والبطلان بعصمته لهم عن كل مفسد ومزيل له ومنقص من المحن القلقة، والأهواء الصادّة، وحفظً له بتنميته لهم، وتوفيقهم لما يزداد به إيمانهم، ويتم به إيقانهم، فكما ابتدأكم بأن هداكم للإيمان، فسيحفظه لكم، ويتم نعمته بتنميته وتنمية أجره وثوابه، وحفظه من كل مكدر، بل إذا وجدت المحن التي المقصود منها تبيين المؤمن الصادق من الكاذب، فإنها تمحص المؤمنين وتظهر صدقهم، وكأنَّ في هذا احترازاً عما يقال إن قوله: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ قد يكون سببا لترك بعض المؤمنين إيمانهم، فدفع هذا الوهم بقوله: ﴿وماكان الله ليضيع إيمانكم، بتقديره لهذه المحنة أو

ودخل في ذلك من مات من المؤمنين قبل تحويل الكعبة، فإن الله لا يضيع إيمانهم، لكونهم امتثلوا أمر الله وطاعة رسوله في وقتها، وطاعة الله امتثال أمره في كل وقت بحسب ذلك، وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان تدخل فيه أعمال الجوارح.

وقوله: ﴿إِنَّ اللهُ بِالْنَاسِ لَرُؤُوفُ ﴿ وإن كانت ﴾ أي: صرفك عنها رحيم ﴾ أي: شديد المرحمة بهم

عظيمها، فمن رأفته ورحمته بهم أن يتم عليهم نعمته التي ابتدأهم بها، وأن ميّز عنهم من دخل في الإيمان بلسانه دون قلبه، وأن امتحنهم امتحاناً زادبه إيمانهم، وارتفعت به درجتهم، وأن وجُّههم إلى أشرف البيوت، وأجلُّها.

﴿۱٤٤﴾ ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون﴾ يقول الله لنبيه: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء ﴾ أي: كثرة تردده في جميع جهاته، شوقاً وانتظاراً لنزول الوحي باستقبال الكعبة، وقال: ﴿وجهك﴾ ولم يقل: «بصرك» لزيادة اهتمامه، ولأن تقليب الوجه مستلزم لتقليب

﴿فلنولينك﴾ أي: نوجهك لولايتنا إياك، ﴿قبلة ترضاها﴾ أي: تحبها وهي الكعبة، وفي هذا بيان لفضله وشرفه ﷺ، حيث إن الله تعالى يسارع في رضاه، ثم صرح له باستقبالها فقال: ﴿فُولُ وجهك شطر المسجد الحرام، والوجه: ما أقبل من بدن الإنسأن، ﴿وحيثما كنتم﴾ أي: من بر وبحر، شرق وغرب، جنوب وشمال ﴿فُولُوا وَجُوهُكُم شَطِّرُهُ ۚ أَيِّ : جَهُمْهُ .

ففيها اشتراط استقبال الكعبة للصلوات كلها، فرضها ونفلها، وأنه إن أمكن استقبال عينها، وإلا فيكفى شطرها وجهتها، وأن الالتفات بالبدن مبطل للصلاة، لأن الأمر بالشيء نهى عن ضده، ولما ذكر تعالى فيماً تقدم المعترضين على ذلك من أهل الكتاب وغيرهم، وذكر جوابهم، ذكر هنا أن أهل الكتاب والعلم منهم يعلمون أنك في ذلك على حق وأمر، لما يجدونه في كتبهم، فيعترضون عناداً وبغياً، فإذا كانوا يعلمون بخطئهم فلا تبالوا بذلك، فإن الإنسان إنما يغمه اعتراض من اعترض عليه، إذا كان الأمر مشتبهاً، وكان محكناً أن يكون معه صواب.

فأما إذا تيقن أن الصواب والحق مع المعترض عليه، وأن المعترض معاند، عارف ببطلان قوله، فإنه لا محل للمبالاة، بل ينتظر بالمعترض العقوبة الدنيوية والأخروية، فلهذا قال تعالى: ﴿وما الله بغافل عما يعملون﴾ بل يحفظ عليهم أعمالهم، ويجازيهم عليها، وفيها وعيد للمعترضين، وتسلية للمؤمنين.

﴿ ١٤٥ ﴾ ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين ﴿ كان النبي على من كمال حرصه على هداية الخلق يبذل لهم غاية ما يقدر عليه من النصيحة، ويتلطف بهدايتهم، ويحزن إذا لم ينقادوا لأمر الله، فكأن من الكفار من تمود عن أمر الله واستكبر على رسل الله، وترك الهدى عمداً وعدواناً، فمنهم: اليهود والنصاري، أهل الكتاب الأول، الذين كفروا بمحمد على عن يقين لا عن جهل، فلهذا أخبره الله تعالى أنك لو ﴿ أُتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ﴾ أي: بكل برهان ودليل يوضح قولك، ويبين ما تدعو إليه، ﴿مَا تَبْعُوا قَبْلُتُكُ ﴾ أي: ما تبعوك، لأن اتباع القبلة دليل على اتباعه، ولأن السبب هو شأن القبلة، وإنما كان الأمر كذلك لأنهم معاندون، عرفوا الحق وتركوه، فالآيات إنما تفيد وينتفع بها من يتطلب الحق وهو مشتبه عليه، فتوضح له الأيات البينات، وأما من جزم بعدم اتباع الحق فلا حيلة فيه.

وأيضاً فإن اختلافهم فيما بينهم حاصل، وبعضهم غير تابع قبلة بعض، فليس بغريب منهم مع ذلك أن لا يتبعوا قبلتك يا محمد، وهم الأعداء حقيقة الحسدة، وقوله: ﴿وما أنت بتابع قبلتهم﴾ أبلغ من قوله: ﴿ولا تتبع﴾ لأن ذلك يتضمن أنه على الصف بمخالفتهم، فلا يمكن وقوع

ذلك منه، ولم يقل: ﴿ولو أتوا بكل آيةِ﴾ لأنهم لا دليل لهم على قولهم.

وكذلك إذا تبين الحق بأدلته اليقينية ، لم يلزم الإتيان بأجوبة الشبه الواردة عليه ، لأنه لا حدّ لها، ولأنه يعلم بطلانها، للعلم بأن كل ما نافي الحق الواضح فهو باطل، فيكون حل الشبه من باب التبرع .

﴿ ولئن اتبعت أهواءهم ﴾ إنما قال:

«أهواءهم» ولم يقل «دينهم» لأن ما هم
عليه بجرد أهوية (١) نفس، حتى هم في
قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين، ومن
ترك الدين اتبع الهوى ولا محالة، قال
تعالى: ﴿ أَفْر أَيت من اتّخذ إلهه هواه ﴾.

﴿ وَمِن بعد ما جاءك من العلم ﴾ بأنك على الحق، وهم على الباطل، ﴿ إنك إذا ﴾ أي: إن اتبعتهم، فهذا احتراز لثلا تنفصل هذه الجملة عما قبلها، ولو في الأفهام، ﴿ لَمْ الطّالمين ﴾ أي: داخل فيهم، ومندرج في جملتهم، وأي: طلم أعظم من ظلم من علم الحق والباطل، فاثر الباطل على الحق، وهذا وإن كان الخطاب له ﷺ، فإن أمته هو ﷺ لو فعل ذلك \_ وحاشاه \_ داخلة في ذلك، وأيضاً فإذا كان صار ظالماً مع علو مرتبته، وكثرة حسناته (٢٠)، فغيره من باب أولى وأحرى.

﴿ 187 ـ 187﴾ ثم قال تعالى: ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون \* الحق من ربك فلا تكونن من المترين ﴾

غبر تعالى أن أهل الكتاب قد تقرر عندهم وعرفوا أن محمداً رسول الله، وأن ما جاء به حق وصدق، وتيقنوا ذلك كما تيقنوا أبناءهم بحيث لا يشتبهون عليهم بغيرهم، فمعرفتهم بمحمد على وصلت إلى حد لا يشكون فيه ولا يمترون، لكن فريقاً منهم وهم أكثرهم الذين كفروا به، كتموا هذه الشهادة مع تيقنها، وهم يعلمون ﴿ومن أظلم عن

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْمُهُودُ وَلَا ٱلنَّصَارَىٰ حَتَّى تَنبَّعَ مِلْنَهُمُّ قُلُ إِنَّ هُدَى آللَهِ هُوٓ آلْفُدَى وَلَينِ ٱلبَعْتَ أَهْوَآ عُرَبَعْدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلْمِيلْمِ مَالِكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيِّ وَلَانَصِيرِ ۞ ٱلَّذِينَ ءَانْشِكُمُ ٱلْكِنَابَ يَتَلُونَهُ وَفَي يَلاَ وَيَهِ الْوَلْيَك بُوْمِ وُنَ بِهِ وَمَن يَكُفُرُ بِهِ -مَأُولَتِكَ هُرُ ٱلْحَيْرُونَ ۞ بَنِيَ إِسْرَةَ بِلَ ٱذَكُرُواْ يَعْسَيَ ٱلَّيَ أَهْمَنتُ عَلَيْكُمُ وَأَنِي فَضَلْتُكُوعَلَى ٱلْعَلَمِينَ ۞ وَأَشَّفُواْ يَوْمَا لَاجَزِى نَفْشُ عَن نَفْسِ شَبْنًا وَلَا يَفْبَلُ مِنْهَا عَذَلَّ وَلَا لَنَفَعُهَا شَفَعَةً وَلِاهُمْ يُنْصَرُونَ ۞ • وَإِذِ أَبْتَ لَيْ الْرَفِيعَ رَيُّهُ وَكَلِنَتِ وَأَنْهُ فَيْ أَلَ إِنِي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن دُرِّبَيْقٌ قَالَ لَايْنَالُ عَهْدِي ٱلظَّائِدِينَ ۞ وَإِذْ يَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَالَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنَا وَأَنْيَذُوا مِن مَعَامِرِ إِزَهِيتَ مَصْلَ وَعَهِدُمَا إِلَىٰٓ إِبْرَهِهُمَ وَإِسْكِيدِلَ أَنطَهِرَا بَيْنِيَ لِلطَّآيِفِينَ وَٱلْعَكِفِينَ وَٱلْكُومُ ٱلنَّجُودِ @ وَإِذْ قَالَ إِنْزَهِ عُرُرَبِ الْجَعَلْ هَذَا بَكَدًا ءَامِنًا وَأَرْزُفُ أَهَلَهُ مِنَ الشَّعَرَتِ مَنْ مَامَنَ مِنْهُ مِ مِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْآخِيرُ قَالَ وَمَن كَفَرَ إِلَّ وَأَمْيَتُمُ مُ فَلِيلًا ثُمَّ أَخْطَرُهُ وَإِلْ عَذَابِ ٱلنَّارِّ وَيَشْ ٱلْحَيْدِ ٥ DESTRUCTION OF THE PROPERTY OF

كتم شهادة عنده من الله في وفي ضمن ذلك تسلية للرسول والمؤمنين، وتحذير لهم من شرهم وشبههم، وفريق منهم من يحتموا الحق وهم يعلمون، فمنهم من آمن [به] ومنهم من كفر [به] جهلاً، فالعالم عليه إظهار الحق وتبيينه وبرهان ومثال، وغير ذلك، وإبطال وتمييزه عن الحق، وتشيينه وتقبيحه للنفوس، بكل طريق مؤد لذلك، فهؤلاء الكاتمون عكسوا الأمر، فانعكست أحوالهم.

﴿ الحق من ربك ﴾ أي: هذا الحق الذي هو أحق أن يسمى حقاً من كل شيء الما استمل عليه من المطالب العالية والأوامر الحسنة ، وتزكية النقوس وحثها على تحصيل مصالحها الذي من جملة تربيته لك أن أنزل عليك هذا القرآن الذي فيه تربية العقول والنقوس، وجمع المصالح.

﴿ فَلا تَكُونُنَ مِنَ الْمُمْتِرِينَ ﴾ أي: فلا يحصل لك أدنى شك وريبة فيه، بل تفكّر فيه وتأمّل حتى تصل بذلك إلى اليقين، لأن التفكر فيه لا محالة دافع للشك، موصل لليقين.

﴿١٤٨﴾ ﴿ولِكُلِّ وِجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت

واذِ بَغُ إِلَيْهِ مُلْقَاعِمَنَ الْبَيْنِ وَاسْكِيدُلْ رَبِنَا اَسْتَلْ اللّهِ اللّهِ الْمَلْكِيدُ اللّهِ الْمَلْكِيدُ اللّهِ الْمَلْكِيدُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللللّهُ اللللللللللللللللللللللل

TOWERD WITH THE PERSON OF THE بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير، أي: كل أهل دين وملة له وجهة يتوجه إليها في عبادته، وليس الشأن في استقبال القبلة، فإنه من الشرائع التي تتغير بها الأزمنة والأحوال، ويدخلها النسخ والنقل من جهة إلى جهة، ولكن الشأن كل الشأن في امتثال طاعة الله والتقرب إليه، وطلب الزلفي عنده، فهذا هو عنوان السعادة ومنشور الولاية، وهو الذي إذا لم تتصف به النفوس، حصلت لها خسارة الدنيا والآخرة، كما أنها إذا اتصفت به فهي الرابحة على الحقيقة، وهذا أمر متفق عليه في جميع الشرائع، وهو الذي خلق الله له الخِلْق وأمرهم

والأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها يتضمن فعلها وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الأخرة إلى الجنات، فالسابقون أعلى الختاق درجة، والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل، من صلاة وصيام وزكوات (1) وحج وعمرة وجهاد، ونفع متعد وقاصر.

ولما كان أقوى ما يجث النفوس على

المسارعة إلى الخير وينشطها، ما رتب الله عليها من الشواب، قال: ﴿أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير ﴾ فيجمعكم ليوم القيامة بقدرته، فيجازي كل عامل بعمله ﴿ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾.

ويستدل بهذه الآية الشريفة على الإتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل، كالصلاة في أول وقتها، والمبادرة إلى إبراء النمة من الصيام والحج، والحمرة، وإخراج الزكاة، والإتيان بسنن العبادات وآدابها، فلله ما أجمعها وأنفعها من آية!!

﴿ ١٤٩ ] - ١٥٩ ﴾ ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحقّ من ربك وما الله بغافل عما تعملون ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلاّ الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون ﴾ أي: ﴿ ومن حيث خرجت ﴾ في أسفارك وغيرها، وهذا للعموم ﴿ فولُ وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ أي: جهته.

ثم خاطب الأمة عموماً، فقال: ﴿وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ وقال: ﴿وإنه للحق من ربك ﴾ أكده بر "إن" واللام، لئلا يقع لأحد فيه أدنى شيهة، ولئلا يظن أنه على سبيل التشهي لا الامتثال.

﴿وما الله بغافل عما تعملون لله بغافل عما تعملون لله هو مطلع عليكم في جميع أحوالكم، فتأدبوا معه، وراقبوه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإن أعمالكم غير مغفول عنها، بل مجازون عليها أتم الجزاء، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وقال هنا: ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ أي: شرعنا لكم استقبال الكعبة المشرقة، لينقطع عنكم

احتجاج الناس من أهل الكتاب والمشركين، فإنه لو بقي مستقبلاً بيت المقدس لتوجهت عليه الحجة، فإن أهل الكتاب يجدون في كتابهم أن قبلته المستقرة هي الكعبة البنيت الحرام، والمشركون يرون أن من مفاخرهم هذا البيت العظيم وأنه من ملة إبراهيم وأنه نحوه حججهم، وقالوا: كيف يدعي أنه على ملة إبراهيم، وهو من ذريته، وقد ترك استقبال قبلته؟

فباستقبال الكعبة (٢) قامت الحجة على أهل الكتاب والمشركين، وانقطعت حججهم عليه.

إلا من ظلم منهم، أي: من احتج منهم بحجة هو ظالم فيها، وليس لها مستند إلا اتباع الهوى والظلم، فهذا لا سبيل إلى إقناعه والاحتجاج عليه، وكذلك لا معنى لجعل الشبهة التي يوردونها على سبيل الاحتجاج علا يوبه لها، ولا يلقى لها بال، فلهذا قال تعالى: ﴿فلا تخشوهم﴾ لأن حجتهم باطلة، والباطل كاسمه غذول، غذول عاحبه، وهذا بخلاف صاحب الحق، فإن للحق صولة وعزاً، يوجب خشية من هو معه، وأمر تعالى بخشيته التي هي أصل (٣) كل خير، فمن لم يخش الله هي أصل (٣) كل خير، فمن لم يخش الله لم ينكف عن معصيته، ولم يمتثل أمره.

وكان صرف المسلمين إلى الكعبة عما حصلت فيها فتنة كبيرة، أشاعها أهل الكتاب والمنافقون والمشركون، وأكثروا فيها من الكلام والشبه، فلهذا بسطها الله تعالى وبينها أكمل بيان، وأكدها بأنواع من التأكيدات التي تضمنتها هذه الآيات.

منها: الأمر بها ثلاث مرات مع منها: الأمر بها ثلاث مرات مع كفاية المرة الواحدة، ومنها: أن المعهود، أن الأمر إما أن يكون للرسول، فتدخل فيه الأمة تبعاً، أو للأمة عموماً، وفي هذه الآية أمر فيها الرسول بالخصوص في قوله: ﴿فول وجهك﴾ والأمة عموماً في قوله: ﴿فول وجوهكم﴾

ومنها: أنه رد فيه جميع الاحتجاجات الباطلة التي أوردها أهل العناد، وأبطلها شبهة شبهة كما تقدم توضيحها، ومنها: أنه قطع الأطماع من اتباع الرسول قبلة أهل الكتاب، ومنها قوله: ﴿وإنه للحق من ربك﴾ فمجرد إخبار الصادق العظيم كافشاف، ولكن مع هذا قال: ﴿وإنه للحق من ربك﴾ .

ومنها: أنه أخبر \_وهو العالم بالخفيات \_أن أهل الكتاب متقرر عندهم صحة هذا الأمر، ولكنهم يكتمون هذه الشهادة مع العلم.

ولما كان توليته لنا إلى استقبال القبلة نعمة عظيمة، وكان لطفه بهذه الأمة ورحمته لم يزل يتزايد، وكلما شرع لهم شريعة فهي نعمة عظيمة، قال: ﴿ولاتم نعمتي عليكم﴾.

فأصل النعمة الهداية لدينه، بإرسال رسوله وإنزال كتابه، ثم بعد ذلك، النعم المتممات لهذا الأصل، لا تعد كثرة ولا تحصر، منذ بعث الله رسوله ألى أن قرب رحيله من الدنيا، وقد أعطاه الله من الأحوال والنعم، وأعطى أمته، ما أتم به نعمته عليه وعليهم، وأنزل الله عليه: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم، وأتمت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾.

فلله الحمد على فضله، الذي لا نبلغ له عداً، فضلاً عن القيام بشكره، ﴿ولعلكم تهتدون﴾ أي: ا تعلمون الحق وتعملون به، فالله تبارك وتعالى \_من رحمته \_بالعباد، قد يسر لهم أسباب الهداية غاية التيسير، ونبههم على سلوك طرقها، وبينها لهم أتم تبيين حتى إن من جملة ذلك أنه يقيض للحق المعاندين له فيجادلون فيه، فيتضح بذلك الحق، وتظهر آياته وأعلامه، ويتضح بطلان الباطل، وأنه لا حقيقة له، ولولا قيامه في مقابلة الحق، لربما لم يتبين حاله لأكثر الخلق، وبضدها تتبين الأشياء، فلولا الليل ما عرف فضل النهار، ولولا القبيح ما عرف فضل الحسن، ولولا الظلمة ما

عرف منفعة النور، ولولا الباطل ما

اتضح الحق اتضاحاً ظاهراً، فلله الحمد على ذلك.

(١٥١ – ١٥١) ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون \* فاذكروني أذكركم واشكروالي ولا تكفرون \* يقول تعالى: إن إنعامنا عليكم باستقبال الكعبة وإتحامها بالشرائع والنعم المتممة، ليس ذلك ببدع من إحساننا، ولا بأوله، بل أنعمنا عليكم بأصول النعم ومتمماتها، فأبلغها إرسالنا إليكم هذا الرسول الكريم منكم، تعرفون نسبه وصدقه وأمائته وكماله ونصحه.

﴿ يتلو عليكم آياتنا ﴾ وهذا يعم الآيات القرآنية وغيرها، فهو يتلو عليكم الآيات المبينة للحق من الباطل، والهدى من الضلال، التي دلتكم أولاً على توحيد الله وكماله، ثم على صدق رسوله ووجوب الإيمان به، ثم على جميع ما أخبر به من المعاد والغيوب، حتى حصل لكم الهداية التامة والعلم القيني.

ويزكيكم أي: يطهر أخلاقكم ونفوسكم، بتربيتها على الأخلاق الجميلة، وتنزيهها عن الأخلاق الرذيلة، وذلك كتزكيتهم من الشرك إلى التوحيد، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق، ومن التباغض والتهاجر والتقاطع إلى التحاب والتواصل والتوادد، وغير ذلك من أنواع التزكية.

﴿ويعلمكم الكتاب﴾ أي: القرآن، الفاظه ومعانيه، ﴿والحكمة ﴾ قيل: هي السنة، وقيل: الحكمة: معرفة أسرار الشريعة والفقه فيها، وتنزيل الأمور منازلها.

فيكون \_على هذا \_ تعليم السنة داخلاً في تعليم الكتاب، لأن السنة تبين القرآن وتفسره، وتعبر عنه، ﴿ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ لأنهم كانوا قبل بعثته في ضلال مبين،

لا علم ولا عمل، فكل علم أو عمل نالته هذه الأمة فعلى يده على وبسببه كان، فهذه النعم هي أصول النعم على الإطلاق، ولهي أكبر نعم ينعم بها على عباده، فوظيفتهم شكر الله عليها والقيام بها، فلهذا قال تعالى: ففاذكروني أذكركم فأمر تعالى بذكره، ووعد عليه أفضل جزاء، وهو ذكره لمن ذكره، كما قال تعالى على لسان رسوله: "من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ خير منهم".

وذكر الله تعالى أفضله ما تواطأ عليه القلب واللسان، وهو الذكر الذي يثمر معرفة الله ومحبته وكثرة ثوابه، والذكر هورأس الشكر، فلهذا أمربه خصوصاً، ثم من بعده أمر بالشكر عموماً، فقال: ﴿واشكروالي﴾ أي: على ما أنعمت عليكم بهذه النعم، ودفعت عنكم صنوف النقم، والشكر يكون بالقلب إقراراً بالنعم واعترافاً، وباللسان ذكراً وثناء، وبالجوارح طاعة لله وانقياداً لأمره واجتناباً لنهيه، فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة، قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ وفي الإتيان بالأمر بالشكر، بعد النعم الدينية، من العلم وتزكية الأخلاق والتوفيق للأعمال، بيان أنها أكبر النعم، بل هي النعم الحقيقية التي تدوم إذا زال غيرها، وأنه ينبغي لمن وفقوا لعلم أو عمل، أن يشكروا الله على ذلك، ليزيدهم من فضله، وليندفع عنهم الإعجاب، فيشتغلوا بالشكر.

ولما كان الشكر ضده الكفر، نهى عن ضده، فقال: ﴿ولا تكفرون﴾ المراد بالكفر هاهنا ما يقابل الشكر، فهو كفر النعم وجحدها وعدم القيام بها، ويحتمل أن يكون المعنى عاماً، فيكون الكفر أنواعاً كثيرة، أعظمه الكفر بالله، ثم أنواع المعاصي على اختلاف أنواعها وأجناسها من الشرك فما دونه.

﴿١٥٣﴾ ﴿يما أيها الذيس آمسوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع

الصابرين ﴾ أمر الله تعالى المؤمنين بالاستعانة على أمورهم الدينية والدنيوية ﴿بالصبر والصلاة﴾ فالصبر هو: حبس النفس وكفها على ما تكره، فهو ثلاثة أقسام: صبرها على طاعة الله حتى تؤديها، وعن معصية الله حتى تتركها، وعلى أقدار الله المؤلمة فلا تتسخطها، فالصبر هو العونة العظيمة على كل أمر، فلا سبيل لغير الصابر أن يدرك مطلوبه، خصوصاً الطاعات الشاقة المستمرة، فإنها مفتقرة أشد الافتقار إلى تحمل الصبر، وتجرع المرارة الشاقة، فإذا لازم صاحبها الصبر فاز بالنجاح، وإن رده المكروه والمشقة عن الصبر والملازمة عليها، لم يدرك شيئاً وحصل على الحرمان، وكذلك المعصية التي تشتد دواعي النفس ونوازعها إليها وهي في محل قدرة العبد، فهذه لا يمكن تركها إلا بصبر عظيم وكف لدواعي قلبه ونوازعها لله تعالى، واستعانة بالله على العصمة منها، فإنها من الفتن الكبار. وكذلك البلاء الشاق خصوصاً إن استمر، فهذا تضعف معه القوى النفسانية والجسدية، ويوجد مفتضاها وهو التسخط، إن لم يقاومها صاحبها بالصبر لله والتوكل عليه، واللجأ إليه والافتقار على الدوام.

فعلمت أن الصبر محتاج إليه العبد، بل مضطر في كل حالة من أحواله، فلهذا أمر الله تعالى به، وأخبر أنه ﴿مع الصابرين﴾ أي: مع من كان الصبر وتوفيقه وتسديده، فهانت عليهم بذلك المشاق والمكاره، وسهل عليهم كل عظيم، وزالت عنهم كل صعوبة، وهذه معية خاصة تقتضي محبته ومعونته ونصره وقربه، وهذه [منقبة عظيمة](١) للصابرين فلو لم يكن للصابرين فلو لم يكن للصابرين لكفي بها فضلاً وشرفاً، وأما المعية العامة فهي معية العلم والقدرة، كما

في قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ وهذه عامة للخلق.

وأمر تعالى بالاستعانة بالصلاة لأن الصلاة هي عماد الدين ونور المؤمنين، وهي الصَّلة بين العبد وبين ربه، فإذا كانت صلاة العبد صلاة كاملة، مجتمعاً فيها ما يلزم فيها وما يسن، وحصل فيها حضور القلب الذي هو لبها، فصار العبدإذا دخل فيها استشعر دخوله على ربه، ووقوفه بين يديه موقف العبد الخادم المتأدب، مستحضراً لكل ما يقوله وما يفعله، مستغرقاً بمناجاة ربه ودعائه لا جرم أن هذه الصلاة، من أكبر المعونة على جميع الأمور، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولأن هذا الحضور الذي يكون في الصلاة، يوجب للعبد في قلبه وصفاً، وداعياً يدعوه إلى امتثالًا أوامر ربه واجتناب نواهيه، هذه هي الصلاة التي أمر الله أن نستعين بها على کل شيء.

﴿١٥٤﴾ ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون له لا ذكر تبارك وتعالى، الأمر بالاستعانة بالصبر على جميع الأمور (٢٦)، ذكر نموذجاً عما يستعان بالصبر عليه، وهو الجهاد في سبيله، وهو أفضل الطاعات البدنية وأشقها على النفوس لمشقته في نفسه، ولكونه مؤدياً للقتل وعدم الحياة، التي إنما يرغب الراغبون في هذه الدنيا لحصول الحياة ولوازمها، فكل ما يتصرفون به فإنه سعى لها، ودفع لما يضادها.

ومن المعلوم أن المحبوب لا يتركه المعاقل إلا لمحبوب أعلى منه وأعظم، فأخبر تعالى: أن من قتل في سبيله، بأن قاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه الظاهر، لا لغير ذلك من الأغراض، فإنه لم تفته الحياة المحبوبة، بل حصل له حياة أعظم وأكمل عما تظنون وتحسبون.

فالشهداء ﴿أحياء عندرهم

يرزقون \* فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يجزنون \* يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا ينضيع أجر المؤمنين .

فهل أعظم من هذه الحياة المتضمنة للقرب من الله تعالى، وتمتعهم برزقه البدني من المأكولات والمشروبات اللذيذة، والرزق الروحي، وهو الفرح والاستبشار (۳)، وزوال كل خوف وحزن، وهذه حياة برزخية أكمل من الحياة الدنيا، بل قد أخبر النبي بيني أن أرواح الشهداء في أجواف طيور(١٤) خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش. وفي هذه الآية أعظم حث على الجهاد في سبيل الله وملازمة الصبر عليه، فلو شعر العباد بما للمقتولين في سبيل الله من الثواب لم. يتخلف عنه أحد، ولكن عدم العلم اليقيني التام هو الذي فتر العزائم، وزاد نوم النائم، وأفات الأجور العظيمة والغنائم، لم لا يكون كذلك والله تعالى قد: ﴿اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون﴾ .

فوالله لو كان للإنسان ألف نفس تذهب نفساً فنفساً في سبيل الله، لم يكن عظيماً في جانب هذا الأجر العظيم، ولهذا لا يتمنى الشهداء بعدما عاينوا من ثواب الله وحسن جزائه إلا أن يردوا إلى الدنيا حتى يقتلوا في سبيله مرة بعد مرة.

و وفي الآية دليل على نعيم البرزخ وعـذابه، كـما تكاثرت بـذلـك النصوص.

﴿ ١٥٥ \_ ١٥٥ ﴾ ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والشمرات وبشر الصابرين \* الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون \* أولئك

<sup>. (</sup>٣) في ب: وهو الاستبشار.

<sup>(</sup>٤) في ب: طير.

<sup>(</sup>۱) زیادة من هامش: ب.

<sup>(</sup>٢) في ب: الأحوال.

عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون، أخبر تعالى أنه لا بدأن يبتلى عباده بالمحن، ليتبين الصادق من الكاذب، والجازع من الصابر، وهذه سنته تعالى في عباده؛ لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان ولم يحصل معها محنة لحصل الاختلاط الذي هو فساد، وحكمة الله تقتضى تمييز أهل الخير من أهل الشر. هذه فأثدة المحن، لا إزالة ما مع المؤمنين من الإيمان، ولا ردهم عن دينهم، فما كان الله ليضيع إيمانً المؤمنين، فأخبر في هذه الآية أنه سيبتلي عباده ﴿بشيء من الخوف ﴾ من الأعداء ﴿والجوع﴾ اي: بشيء يسير منهما؛ لأنه لو آبتلاهم بالخوف كله أو الجوع لهلكوا، والمحن تمحص لا تهلك.

﴿ونقص من الأموال﴾ وهذا يشمل جميع النقص المعتري للأموال من جواثح سماوية، وغرق وضياع، وأخذ الظلمة للأموال، من الملوك الظلمة وقطاع الطريق، وغير ذلك.

﴿والأنفس﴾ أي: ذهاب الأحباب من الأولاد والأقارب والأصحاب، ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، أو بدن من يحبه، ﴿والشمرات﴾ أي: الحبوب، وثمار النخيل، والأشجار كلها، والخضر؛ ببرد أو بَرَدٍ، أو حرق، أو آفة سماوية من جراد(١)

فهذه الأمور لا بدأن تقع، لأن العليم الخبير أخبر بها، فوقعت كما أخبر، فإذا وقعت انقسم الناس قسمين: جازعين وصابرين، فالجازع حصلت له المصيبتان، فوات المحبوب وهو وجود هذه المصيبة، وفوات ما هو أعظم منها، وهو الأجر بامتثال أمر الله بالصبر، ففاز بالخسارة والحرمان، ونقص ما معه من الإيمان، وفاته الصبر والرضا والشكران، وحصل [له] السخط الدال على شدة النقصان.

وأما من وفقه الله للصبر عند وجود هذه المصائب، فحبس نفسه عن

التسخط قولاً وفعلاً، واحتسب أجرها عند الله، وعلم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له، بل المصيبة تكون نعمة في حقه، لأنها صارت طريقاً لحصول ماهو خير له وأنفع منها، فقد امتثل أمر الله وفاز بالثواب، فلهذا قال تعالى: ﴿وبشر الصابرين﴾ أي: بشرهم بأنهم يوفون أجرهم بغير حساب، فالصابرون هم الخييمة والمنحة الجيمة، ثم وصفهم بقوله: ﴿الذين القالب أو البدن أو كلهما مما تقدم القلب أو البدن أو كلهما مما تقدم

﴿قَالُوا إِنَّا شُهُ أَي: عملوكون شه، مدبرون تحت أمره وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء منها فقد تصرف أرحم الراحين بمماليكه وأموالهم، فلا أعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد علمه بأن وقوع البلية من المالك الحكيم الذي أرحم بعبده من نفسه، فيوجب له ذلك الرضاعن الله، والشكر له على تدبيره، لما هو خير لعبده وإن لم يشعر بذلك، ومع أننا مملوكون لله، فإنا إليه راجعون يوم المعاد، فمجاز كل عامل بعمله، فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفراً عشده، وإن جزعنا وسخطنا لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر، فكون العبد لله وراجعٌ إليه من أقوى أسباب الصبر.

﴿أولئك﴾ الموصوفون بالصبر المذكور ﴿عليهم صلوات من ربهم﴾ أي: ثناء وتنويه بحالهم ﴿ورحمة﴾ عظيمة، ومن رحمته إياهم أن وفقهم ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ الذين عرفوا الحق، وهو في هذا الموضع علمُهُم بأنهم لله وأجعون، وعملوا به وهو هنا صبرهم لله.

ودلَّت هذه الآية على أن من لم يصبر فله ضد ما لهم، قحصل له الذم

من الله والعقوبة والضلال والخسار، فما أعظم الفرق بين الفريقين وما أقل تعب المصابرين، وأعظم عناء الجازعين، فقد اشتملت هاتان الآيتان على توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها، لتخف وتسهل إذا وقعت وهو وبيان ما تقابل به إذا وقعت وهو الصبر، وبيان ما يعين على الصبر، وما للصابر من الأجر، ويعلم حال غير الصابر بضد حال الصابر.

وأن هذا الابتلاء والامتحان سنة الله التي قد خلت، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، وبيان أنواع المصائب.

﴿١٥٨﴾ ﴿إِن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم ﴾ يُجبر تعالى شعائر الله أي: أعلام دينه الظاهرة، التي تعبد الله بها عباده، وإذا كانا من شعائر الله ، فقد أمر الله بتعظيم شعائر الله ، فقد أمر الله بتعظيم شعائر الله فقال: ﴿ومن يعظّم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ فدلً مجموع تعظيم شعائره من تقوى القلوب.

والتقوى واجبة على كل مكلف، وذلك يدل على أن السعي بهما فرض لازم للحج والعمرة كما عليه الجمهور، ودلت عليه الأحاديث النبوية وفعله النبي ﷺ، وقال: «خذوا عنى مناسككم».

وفمن حج البيت أو اعتمر، فلا جناح عليه أن يُطوف بهما ﴿ هذا دفع لوهم من توهم وتحرج من المسلمين عن الطواف بينهما، لكونهما في الجاهلية تعبد عندهما الأصنام، فنفي تعلل الجناح لدفع هذا الوهم، لا لأنه غير لازم.

ودل تقييد نفي الجناح فيمن تطوف بهما في الحج والعمرة، أنه لا يتطوع بالسعى مقرداً إلا مع انضمامه لحج أو

<sup>(</sup>١) كذا في ب، معدلة في الهامش وفي

عمرة، بخلاف الطواف بالبيت فإنه يشرع مع العمرة والحج،.وهو عبادة

فأما السعى والوقوف بعرفة ومزدلفة ورمى الجمار، فإنها تتبع النسك، فلو فعلت غير تابعة للنسك كانت بدعة، لأن البدعة نوعان: نوع يتعبد لله بعبادة لم يشرعها أصلاً، ونوع يتعبد له بعبادة قد شرعها على صفة مخصوصة، فتفعل على غير تلك الصفة وهذا منه.

وقوله: ﴿ومن تطوع﴾ أي: فعل طاعة مخلصاً بها لله تعالى ﴿خيراً ﴾ من حج، وعمرة، وطواف، وصلاة، وصوم وغير ذلك ﴿فهو خير له﴾ فدلٌ هذا على أنه كلما ازداد العبد من طاعة الله، ازداد خيره وكماله ودرجته عند الله، لزيادة إيمانه.

ودل تقييد التطوع بالخير، أن من تطوع بالبدع التي لم يشرعها الله ولا رسوله، أنه لا يحصل له إلا العناء، وليس بخير له، بل قد يكون شراً له إن كان متعمداً عالماً بعدم مشروعية

﴿ فَإِنَّ اللَّهُ شَاكِرَ عَلَيْمٌ ﴾ الشاكر والشكور من أسماء الله تعالى، الذي يقبل من عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه العظيم من الأجر، الذي إذا قام عبده بأوامره وامتثل طاعته، أعانه على ذلك، وأثنى عليه ومدحه، وجازاه في قلبه نوراً وإيماناً وسعة، وفي بدنة قوة ونشاطاً، وفي جميع أحواله زيادة بركة ونماء، وفي أعماله زيادة توفيق.

ثم بعد ذلك يقدم على الثواب الآجل عند ربه كاملاً موفراً، لم تنقصه هذه الأمور .

ومن شكره لعبده، أن من ترك شيئاً لله أعاضه خيراً منه، ومن تقرُّب منه شبراً تقرَّب منه ذراعاً، ومن تقرَّب منه ذراعاً تقرَّب منه باعاً، ومن أتاه يمشي أتاه هرولة، ومن عامله ربح عليه أضعافاً مضاعفة.

ومع أنه شاكر فهو عليم بمن يستحقّ الثواب الكامل، بحسب نيته وإيمانه وتقواه، ممن ليس كذلك، عليم بأعمال العباد فلا يضيعها، بل يجدونها

أوفر ما كانت، على حسب نياتهم التي اطلع عليها العليم الحكيم.

﴿ ١٥٩ \_ ١٦٢ ﴾ ﴿إِن السَّذِيسِنِ يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللَّاعنون \* إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك

أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم \* إن

الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك

عليهم لعنة الله والملائكة والناس

أجمعين \* خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ هذه الآية وإن كانت نازلة ٰفي أهل الكتاب، وما كتموا من شأن الرسول على وصفاته، فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله ﴿من البينات﴾ الدالات على الحق المظهرات له، ﴿والهدى﴾ وهو العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، ويتبين به طريق أهل النعيم من طريق أهل الجحيم، فإن الله أخذ الميثاق على أهل العلم بأن يبينوا للناس ما من الله به عليهم من علم الكتاب ولا يكتموه، فمن نبذ ذلك وجمع بين الفسدتين: كتم ما أنزل الله، والغشّ لعباد الله، فأولَتُكُ ﴿ يلعنهم الله ﴾ أي: يبعدهم ويطردهم عن قربه ورحمته.

﴿ ويلعنهم اللاعنون ﴾ وهم جميع الخليقة، فتقع عليهم اللعنة من جميع الخليقة ، لسعيهم في غش الخلق وفساد أديبانهم، وإبحادهم من رحمة الله، فجُوزوا من جنس عملهم، كما أن معلم الناس الخير يصلى الله عليه وملائكته، حتى الحوت في جوف الماء، لسعيه في مصلحة الخلق وإصلاح أديسانهم، وقسربهم مسن رحمة الله، فجوزي من جنس عمله، فالكاتم لما أنزله الله، مضاد الأمر الله

مشاق لله، يبين الله الآيات للناس ويوضحها وهذا يطمسها ويعميها<sup>(١)</sup>، فهذا عليه هذا الوعيد الشديد.

﴿ إِلَّا الَّذِينِ تَابِوا ﴾ أي: رجعوا عما هم عليه من الذنوب ندماً وإقلاعاً، وعيزماً على عدم المساودة، ﴿وأصلحوا﴾ ما قسد من أعمالهم، فلا يكفى ترك القبيح حتى يحصل فعل الحسن.

ولا يكفى ذلك في الكاتم أيضاً، حتى يبين ما كتمه، ويبدي ضد ما أخفى، فهذا يتوب الله عليه، لأن توبة الله غير محجوب عنها، فمن أتى بسبب التوبة تاب الله عليه، لأنه ﴿التوابِ﴾ أي: الرجاع على عباده بالعفو والصفح بعد الذُّنب إذا تابوا، وبالإحسان والنعم بعد المنع إذا رجعوا، ﴿الرحيم﴾ اللذي اتصف بالرحمة العظيمة التي وسعت كل شيء، ومن رحمته أن وفقهم للتوبة والإنابة فتابوا وأنابوا، ثم رحمهم بأن قبل ذلك منهم لطفأ وكرماً، هذا حكم التائب من الذنب.

وأما من كفر واستمر على كفره حتى مات ولم يرجع إلى ربه، ولم ينب إليه ولم يتب عن قريب، فأولئك ﴿عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لأنه لما صار كفرهم وصفاً ثابتاً، صارت اللعنة عليهم وصفاً ثابتاً لا تزول، لأن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً، ﴿خَالَدُينِ فَيِهِا﴾ أي: في اللعنة أو في العذاب والعنيان (٢) متلازمان.

﴿ لا يَحْفَفُ عَنْهُمُ الْعَذَابِ ﴾ بل عذابهم دائم شديد مستمر، ﴿ولا هم ينظرون، أي: يمهلون، لأن وقت الإمهال وهو الدنيا قد مضي، ولم يبق لهم عذر فيعتذرون.

﴿١٦٣﴾ ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، يخبر تعالى ـ وهـ وأصدق القائلين ـ أنه ﴿ إله واحد ﴾ أي: متوحد منفردٌ في ذاته، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فليس له

في ب. وهذا يسعى في طمسها (٢) في ب: وهما متلازمان. (1) وإخفائها.

شريك في ذاته، ولا سمي له ولا كفو، ولا مثل ولا نظير، ولا خالق ولا مدبر غيره، فإذا كان كذلك فهو المستحق لأن يؤله ويعبد بجميع أنواع العبادة، ولا يشرك به أحد من خلقه، لأنه ﴿الرحْن الرحيم﴾ المتصف بالرحمة أحد، فقد وسعت كل شيء، وعمّت كل فقد وسعت كل أنواع الكمالات، وبرحمته وجدت المخلوقات، وبرحمته اندفع عنها كل نقمة، وبرحمته وبرحمته المناه عنها كل نقمة، وبرحمته لهم كل ما يحتاجون إليه من مصالح دينهم ودنياهم بإرسال الرسل وإنزال

فإذا علم أن ما بالعباد من نعمة فحمن الله، وأن أحداً من المخلوقين لا ينفع أحداً، علم أن الله هوالمستحق لجميع أنواع العبادة، وأن يفرد بالمحبة والخوف والرجاء والتعظيم والتوكل، وغير ذلك من أنواع الطاعات.

وأن من أظلم الظلم وأقبح القبيح، أن يعدل عن عبادته إلى عبادة العبيد، وأن يشرك المخلوق (١) من تراب برب الأربباب، أو يبعب المخلوق المدبر العاجز من جميع الوجوه مع الخالق المدبر القادر القوي، الذي قد قهر كل شيء ودان له كل شيء.

فنفي هذه الآية إثبات وحدانية الباري وإلهيته، وتقريرها بنفيها عن غيره من المخلوقين، وبيان أصل الدليل على ذلك وهو إثبات رحمته التي من آثارها وجود جميع النعم، واندفاع المنقع النقم، فهذا دليل إجمالي على وحدانيته تعالى.

﴿١٦٤﴾ ثم ذكر الأدلة التفصيلية فقال: ﴿إِن في خلق السماوات والأرض واختسلاف الليل والسنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب

السخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون.

أخبر تعالى أن في هذه المخلوقات العظيمة آيات، أي: أدلة على وحدانية الباري وإلهيته، وعظيم سلطانه ورحمته، وسائر صفاته، ولكنها ﴿ لقوم يعملونها فيما خلقت له، فعلى حسب ما من الله عيل عبده من العقل، ينتفع بالآيات ويعرفها بعقله وفكره وتدبره، ففي وتساعها، وإحكامها وإتقانها، وما والنجوم، وتنظيمها لمصالح العباد.

وفي خلق ﴿الأرضِ﴾ مهاداً للخلق يمكنهم القرار عليها والانتفاع بما عليها، والاعتبار. ما يدل ذلك على انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير، وبيان قدرته العظيمة التي بها خلقها، وحكمته التي بها أتقنها وأحسنها ونظمها، وعلمه ورحمته التي بها أودع ما أودع، من منافع الخلق ومصالحهم، وضروراتهم وحآجاتهم. وفي ذلك أبلغ الدليل على كماله واستحقاقه أن يفرد بالعبادة، لانفراده بالخلق والتدبير، والقيام بشؤون عباده، ﴿ ﴾ في ﴿اختلاف الليل والنهار﴾ وهو تعاقبهما على الدوام، إذا ذهب أحدهما خلفه الآخر، وفي اختلافهما في الحر والبرد والتوسط، وفي الطول والقصر والتوسط، وما ينشأ عن ذلك من الفصول التي بها انتظام مصالح بني آدم وحيبواناتهم، وجميع مناعلي وجمه الأرض من أشجار ونوابت. كل ذلك بانتظام وتدبير، وتسخير تَنبَهرُ له العقول، وتعجز عن إدراكه من الرَّجال الفحول، ما يدل ذلك على قدرة مصرفها وعلمه وحكمته ورحمته الواسعة ولطفه الشامل، وتصريفه وتدبيره الذي تفرد به، وعظمته وعظمة ملكه وسلطانه، مما يوجب أن يؤلُّه ويُعبد، ويفرد بالمحبة والتعظيم،

وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْنَصَدَرَىٰ تَهْنَدُواْ فَلْ بَلْمِلَّةَ إِزَاهِمَ حَنِفًا وَمَاكَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ فُولُوٓاْ ءَامَنَ ابِاللَّهِ وَمَاۤ أُرُلَ إِلَيٰنَا وَمَآ أُرُلَ إِلَىٰٓ إِبْرُجِيءَ وَإِسْمُعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُونِيَ مُوسَىٰ وَعِبسَىٰ وَمَاۤ أُونِتَ ٱلنَّيْوُنَ مِن زَّيْهِمْ لَانْفُرْقُ بَيْنَ أَسْدِينْهُمْ وَيَحْنُ أَهُر مُسْلِمُونَ ۞ فَإِنْ ءَامَنُواْ عِنْلِ مَآءَامَنتُ ربِدِءفَقَدِاْ هُسَدَواً وَإِن فَوَلُواْ فَإِنْسَا هُمْ فِي سِنْقَاقِ فَسَيَكُفِيكُ عُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّيعُ ٱلْعَسَلِيمُ ﴿ مِبِنْفَ لَلَّةً وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَتَحَنَّ لَكُ عَيِدُونَ ۞ قُلْ أَنْحَا جُونَنَافِ اللَّهِ وَهُورَيُّ وَيَكُمْ وَلَنَا أَعَمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَتَعْنَاكُهُ مُعْلِصُونَ ۞ أَمْ تَقُولُونَا إِنَّ إِنَّوْهِ وَإِسْمَعِيلَ وَلِسْحَنَّ وَيَسْفُونَ وَأَلْسَبَاطَ كَ انُوا هُودًا أَوْنَصَدَرَيٌّ قُلْ ءَأَنتُ دُأَعْ بَكُرُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلُرُ مِسَّ كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِن اللَّهِ وَمَا اللَّهُ يِفَا فِلْ عَمَّا تَعْسَلُونَ ﴿ يَلْكَأْمَةُ مَّذَخَلَتْ لَهَا مَاكَسَتَتْ وَلَكُوْمًا كَسَبْتُمُ وَلَائْتَتَلُونَ عَمَّا كَانُواْبَعْ مَلُوت ا OLUMOU! " CONTRO!

والخوف والرجاء، وبذل الجهد في محابه ومراضيه.

﴿و﴾ في ﴿الفلك التي تجري في السحر﴾ وهي السفن والمراكب ونحوها، مما ألهم الله عباده صنعتها، وخلق لسهم من الآلات الداخلية والخارجية ما أقدرهم عليها.

ثم سخر لها هذا البحر العظيم، والرياح التي تحملها بما فيها من الركاب والأموال، والبضائع التي هي من منافع الناس، وبما تقوم مصالحهم وتنتظم معايشهم.

فمن الذي ألهمهم صنعتها وأقدرهم عليها، وخلق لهم من الآلات ما به يعملونها؟ أم من الذي سخر لها البحرية تجري فيه بإذنه وتسخيره والرياح؟ أم من الذي خلق للمراكب البرية والبحرية النار والمعادن المعينة على حملها وحمل ما فيها من الأموال؟ فهل هذه بعملها هذا المخلوق الضعيف العاجز، للذي خرج من بطن أمه لا علم له ولا يعلمه تعليمه، أم المسخر لذلك رب يساء تعليمه، أم المسخر لذلك رب واحد حكيم عليم، لا يعجزه شيء، ولا يمتنع عليه شيء؟ بل الأشياء قد دانت لربوبيته، واستكانت لعظمته،

• سَيَقُولُ السُّفَعَاآءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَهُمْ عَن فِلْهُمُ الَّتِي كَافُا عَلَيْهَا فُل يَتَهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمُغْرِبُ بَعْدِى مَن يَشَدَّهُ إِلَى حِرَطِ مُستَفِيهِ ﴿ وَكَنَاكِكَ جَعَلْنَكُو أَتَهُ وَسَطًّا لِتَكُونُوا شُهِدَاءً عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُوشَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا ٱلْفِيلَةَ ٱلِّي كُنتَ عَلَيْهَا ٓ إِلَّا لِنَعْلَرُمَنَ يَبِّعُ ٱلرَّسُولَ مِنْن يَنْقَلِبُ عَلَىٰعَقِبَيْدُ وَإِن حَسَانَتْ لَكَجِيرَةً إِلَّا عَلَى ٰ اَذَٰذِبَ هَدَى اللَّهُ وَمَاكَ انَ اللَّهُ لِيُغِيمَ إِيمَنْكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَهُ وَفُ زَجِيهُ ﴿ فَلَهُ زَكَا نَقَلُبَ وَجِيكَ فِ السَّمَاةِ فَلَوَلِيَنَكَ فِلْهُ زَصْلَهُ أَوْلِوَجْهَا فَ مَنْظُرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْعَرَارِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُدْ فَوْلُوا وُجُوهَ حَكُمْ شَطْرَةً وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتُلَبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن تَبِعِدُ وَمَا اَتَهُ مِنْ يَهْلِ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۞ وَلَهِنْ أَيَّتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلكِنْبَ بِكُلِ مَا يَوْمَا نَيِعُوا فِلنَنْكُ وَمَا أَنَ بِتَابِعِ فِلْنَهُمُ وَمَابَعَتُهُم بِتَابِعِ فِلْلَا بَعْضِ وَلَهِنِ أَتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِنْ بَعْدِ مَا جَاةً لُكُ مِنَ ٱلْعِلْدِ إِنَّكَ إِنَّا لِنَا الظَّلِيدِينَ ﴿

وخضعت لجبروته.

وغاية العبد الضعيف، أن جعله الله جزءاً من أجزاء الأسباب، التي بها وجدت هذه الأمور العظام، فهذا يدل على رحمة الله وعنايته بخلقه، وذلك يوجب أن تكون المحبة كلها له، والخوف والرجاء، وجميع الطاعة، والذل والتعظيم.

TOWNSON " MORRED

﴿وما أنزل الله من السماء من ماء﴾ ومحبة وإنابة وعبادة؟ وهو المطر النازل من السحاب. وفي تسخير الس

﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ فأظهرت من أنواع الأقوات وأصناف النبات، ما هو من ضرورات الخلاثق التي لا يعيشون بدونها.

أليس ذلك دليلاً على قدرة من أنزله وأخرج به ما أخرج، ورحمته ولطفه بعباده، وقيامه بمصالحهم، وشدة افتقارهم وضرورتهم إليه من كل وجه؟ أليس ذلك دليلاً على إحياء الموتى ومجازاتهم بأعمالهم؟ ﴿وبتَ فيها﴾ أي: في الأرض ﴿مِن كل دابة﴾ أي: نشر في أقطار الأرض من الدواب المتنوعة، ما هو دليل على قدرته وعظمته، ووحدانيته وسلطانه العظيم، وجوه الانتفاع.

فمنها: ما يأكلون من لحمه، ويشربون من درّه، ومنها: ما يركبون، ومنها: ما يركبون، ومنها: ما يعتبر به، وحراستهم، ومنها: ما يعتبر به، ومع (١١) أنه بث فيها من كل دابة، فإنه سبحانه هو القائم بأرزاقهم المتكفل بأقواتهم، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها.

وفي وتصريف الرياح باردة وحارة، وجنوباً وشمالاً، وشرقاً ودبوراً، وبين ذلك، وتارة تشير السحاب، وتارة تؤلف بينه، وتارة تلقحه، وتارة تدره، وتارة تمزقه، وتزيل ضرره، وتارة تكون رحة، وتارة ترسل بالعذاب.

فمن الذي صرفها هذا التصريف، وأودع فيها من منافع العباد ما لا يستغنون عنه؟ وسخّرها ليعيش فيها جميع الحيوانات، وتصلح الأبدان والأشجار، والحبوب والنوابت، إلا العزيز الحكيم الرحيم، اللطيف بعباده، المستحق لكل ذل وخضوع وعدة وإنابة وعادة؟

وفي تسخير السحاب بين السماء والأرض على خفته ولطافته يحمل الماء الكثير، فيسوقه الله إلى حيث شاء، فيحيي به البلاد والعباد، ويروي التلول والوهاد، وينزله على الخلق وقت حاجتهم إليه، فإذا كان يضرهم كثرته أمسكه عنهم، فينزله رحمة ولطفاً، ويصرفه عناية وعطفاً، فما أعظم سلطانه وأغزر إحسانه، وألطف امتنانه!!

أليس من القبيح بالعباد أن يتمتعوا برزقه، ويعيشوا ببره، وهم يستعينون بذلك على مساخطه ومعاصيه؟ أليس ذلك دليلاً على حلمه وصبره وعفوه وصفحة، وعميم لطفه؟

فله الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

والحاصل أنه كلما تدبر العاقل في

هذه المخلوقات، وتغلغل فكره في بدائع المبتدعات، وازداد تأمله للصنعة وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة، علم بذلك أنها خلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات وكتب دلالات، على ما أخبر به الله عن نفسه ووحدائيته، وما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر، وأنها مسخرات، ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها.

فتعرف أن العالم العلوي والسفلي كلهم إليه مفتقرون، وإليه صامدون، وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات، فلا إله إلا الله، ولا ربسواه.

﴿ وَمِن النَّاسِ مِن يَتَخَذّ مِن دُون الله وَمِن النَّاسِ مِن يَتَخَذّ مِن دُون الله أَنْدَاداً يَحِيونهم كحب الله والذين آمنوا يرون العذاب أنّ القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب \* إذ تبرّأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب \* وقال الذين اتبعوا لو أن لنّا كرة فنتبراً منهم كما تبرّؤوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾ .

ما أحسن اتصال هذه الآية بما قبلها، فإنه تعالى لما بين وحدانيته وأدلتها القاطعة، وبراهينها الساطعة الموصلة إلى علم اليقين، المزيلة لكل شك، ذكر هنا أن ﴿من الناس﴾ مع هذا البيان التام من يتخذ من المخلوقين أنداداً شه، أي: نظراء ومشلاء، يساويهم في الله بالعبادة والمحبة، والتعظيم والطاعة.

ومن كان بهذه الحالة ـ بعد إقامة الحجة، وبيان التوحيد ـ علم أنه معاند لله مشاق له، أو معرض عن تدبر آياته، والتفكر في نخلوقاته، فليس له أدنى عذر في ذلك، بل قد حقت عليه كلمة العذاب.

وهؤلاء الذين يتخذون الأنداد

مع الله، لا يسوونهم بالله في الخلق والرزق والتدبير، وإنما يسوونهم به في العبادة، فيعبدونهم ليقربوهم إليه، وفي قوله: ﴿اتّخذوا﴾ دليل على أنه ليس لله ند وإنما المشركون جعلوا بعض المخلوقات أنداداً له، تسمية قال تعالى: ﴿وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول﴾.

﴿إِنْ هِي إِلَّا أَسِمَاءُ سِمِيتُمُوهَا أَنْتُمُ وآباؤكم ماً أنزل الله بها من سلطان إنّ يتبعون إلا الظن﴾ فالمخلوق ليس نبدأ لله لأن الله هنو الخياليق وغبيره مخلوق، والرب الرازق ومن عداه مرزوق، والله هو الغني وأنتم الفقراء، وهو الكامل من كل الوجوه، والعبيد ناقصون من جميع الوجوه، والله هو النافع الضار، والمخلوق ليس له من النفع والضر والأمر شيء، فعلم علماً يقينا بطلان قول من اتخذ من دون الله آلهة وأنداداً، سواء كان ملكاً أو نبياً أو صالحاً أو صتماً أو غير ذلك، وأن الله هو المستحق للمحبة الكاملة والذل التام، فلهذا مدح الله المؤمنين بقوله: ﴿والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾ أي: من أهل الأنداد لأندادهم، لأنهم أخلصوا محبتهم له، وهؤلاء أشركوا بها، ولأنهم أحبوا من يستحق المحبة على الحقيقة، الذي محبته هي عين صلاح العبد وسعادته وفوزه، والمشركون أحبوا من لا يستحق من الحب شيئاً، ومحبته عين شقاء العبد وفساده، وتشتت أمره.

فلهذا توعدهم الله بقوله: ﴿ولو يرى الذين ظلموا﴾ باتخاذ الأنداد والانقياد لغير رب العباد وظلموا الخلق بصدهم عن سبيل الله، وسعيهم فيما يضرهم.

﴿إذ يسرون السعسذاب﴾ أي: يسوم القيامة عياناً بأبصارهم، ﴿أَنَّ القوة لله جميعاً وأَنَّ الله شديد العذاب﴾ أي: لعلموا علماً جازماً أن القوة والقدرة لله كلها، وأن أندادهم ليس فيها من القوة شيء، فيتبين لهم في ذلك اليوم

ضعفها وعجزها، لا كما اشتبه عليهم في الدنيا وظنوا أن لها من الأمر شيئاً، وأنها تقربهم إليه وتوصلهم إليه، فخاب ظنهم وبطل سعيهم، وحق عليهم شدة العذاب، ولم تدفع عنهم أندادهم شيئاً، ولم تغن عنهم مثقال ذرة من النفع، بل يحصل لهم الضرر منها من حيث ظنوا نفعها.

وتبرأ المتبوعون من التابعين، وتقطعت بينهم الوُصَل التي كانت في الدنيا، لأنها كانت لغير الله، وعلى غير أمر الله، ومتعلقة بالباطل الذي لا حقيقة له، فاضمحلت أعمالهم وتلاشت أحوالهم، وتبين لهم أنهم كانوا كاذبين، وأن أعمالهم التي يؤملون نفعها وحصول نتيجتها انقلبت عليهم حسرة وندامة، وأنهم خالدون في النار لا يخرجون منها أبدا، فهل بعد هذا الخسران خسران؟ ذلك بأنهم اتبعوا الباطل، فعملوا العمل الباطل ورجوا غير مرجو، وتعلقوا بغير متعلق، فبطلت الأعمال ببطلان متعلقها، ولما بطلت وقعت الحسرة بما فاتهم من الأمل فيها، فضرتهم غاية الضرر، وهذا بخلاف من تعلق بالله الملك الحق المبين، وأخلص العمل لوجهه ورجا نفعه، فهذا قد وضع الحق في موضعه، فكانت أعماله حقاً لتعلقها بالحق، ففاز بنتيجة عمله، ووجد جزاءه عند ربِّه غير منقطع، كما قال تعالى: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم \* والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بمانزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم \* ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم).

وحينئذ يتمنى التابعون أن يردوا إلى الدنيا فيتبرووا من متبوعيهم، بأن يتركوا الشرك بالله ويقبلوا على إخلاص العمل لله، وهيهات، فات الأمر، وليس الوقت وقت إمهال وإنظار، ومع هذا فهم كذبة، فلو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، وإنما هو قول يقولونه وأماني

يتمنونها، حنقاً وغيظاً على المتبوعين لما تبرؤوا منهم والذنب ذنبهم، فرأس المتبوعين على الشر إبليس، ومع هذا يقول لأتباعه لما قُضي الأمر. ﴿إِنَّ اللهُ وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ﴾.

﴿١٦٨ ـ ١٧٠﴾ ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين \* إنَّما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون \* وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون، هذا خطاب للناس كلهم، مؤمنهم وكافرهم، فامتن عليهم بأن أمرهم أن يأكلوا من جميع ما في الأرض، من حبوب وثمار وفواكه وحيوانات، حالة كونها ﴿حلالاً﴾ أي: محلَّلاً لكم تناوله، ليس بغصب ولا سرقة، ولا محصلاً بمعاملة محرمة أو على وجه محرم، أو معيناً على محرم.

﴿طيباً﴾ أي: ليس بخبيث كالميتة والدم ولحم الخنزير، والخبائث كلها، ففي هذه الآية دليل علي أن الأصل في الأعيان الإباحة، أكلا وانتقاعاً، وأن المحرم نوعان: إما محرّم لذاته، وهو المحبيث الذي هو ضد الطيب، وإما محرم لما عرض له، وهو المحرم لتعلق حق الله، أو حق عباده به، وهو ضد الحلال.

وفيه دليل على أن الأكل بقدر ما يقيم البنية واجب، يأثم تاركه لظاهر الأمر، ولما أمرهم باتباع ما أمرهم به إذ هو عين صلاحهم - نهاهم عن اتباع أمر بها، وهي جميع المعاصي من كفر وفسوق وظلم، ويدخل في ذلك تحريم السوائب والحام، ونحو ذلك، ويدخل فيه أيضاً تناول المأكولات المحرمة، فيه أيضاً تناول المأكولات المحرمة، العداوة، فلا يريد بأمركم إلا غشكم،

وأن تكونوا من أصحاب السعير، فلم يكتف ربنا بنهينا عن اتباع خطواته، حتى أخبرنا . وهو أصدق القائلين ... بعداوته الداعية للحذر منه، ثم لم يكتف بذلك، حتى أخبرنا بتفصيل ما يأمر به، وأنه أقبح الأشياء وأعظمها مفسدة، فقال: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمُ بِالسَّوِّ ﴾ أي: الشر الذي يسوء صاحبه، فيدخل في ذلك جميع المعاصى، فيكون قوله: ﴿والفحشاء﴾ من باب عطف الخاص على العام، لأن الفحشاء من المعاصى، ما تناهي قبحه، كالزنا وشرب الخمر، والقتل، والقذف، والبخل، ونحو ذلك مما يستفحشه من له عقل، ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ فيدخل في ذلك القول على الله بلا علم، في شرعه وقدره، فمن وصف الله بغير ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، أو نفى عنه ما أثبته لنفسه، أو أثبت له ما نفاه عن نفسه، فقد قال على الله بلا علم، ومن زعم أن لله نداً، وأوثاناً تقرب من عبدها من الله، فقد قال على الله بلا علم، ومن قال: إن الله أحل كذا أو حرم كذا، أو أمر بكذا، أو نهى عن كذا، بغير بصيرة، فقد قال على الله بلا علم، ومن قال: إن الله خلق هذا الصنف من المخلوقات للعلة الفلانية بلا برهان له بذلك، فقد قال على الله بلا علم، ومن أعظم القول على الله بلا علم، أن يتأول المتأول كلامه أو كلام رسوله على معان اصطلح عليها طائفة من طوائف الضلال، ثم يقول: إن الله أرادها، فالقول على الله بلا علم من أكسر المحرمات وأشملها وأكبر طرق الشيطان التي يدعو إليها، فهذه طرق الشيطان التي يدعو إليها هو وجنوده، ويبذلون مكرهم وخداعهم على إغواء الخلق بما يقدرونُ عليه.

وأما الله تعالى فإنه يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، فلينظر العبد نفسه مع أي: الداعين هو، ومن أي: الحزبين؟ أتتبع داعي الله الذي يريد لك الخير والسعادة الدنيوية

والأخروية، الذي كل الفلاح بطاعته، وكل الفوز في خدمته، وجميع الأرباح في معاملته المنعم بالنعم الظاهرة والباطنة، الذي لا يأمر إلا بالخير، ولا ينهى إلا عن الشر، أم تتبع داعي الشيطان الذي هو عدو الإنسان، الذي يريد لك الشر، ويسعى بجهده على إهلاكك في الدنيا والآخرة؟ الذي كل الشر في طاعته، وكل الخسران في ولايته، الذي لا يأمر إلا بشر، ولا ينهى إلا عن خير. ثم أخبر تعالى عن حال المشركين؛ إذا أمروا باتباع ما أنزل الله على رسوله - مما تقدم وصفه \_رغبواعن ذلك، وقالوا: ﴿ بِلِ نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾ فاكتفوا بتقليد الآباء، وزهدوا في الإيمان بالأنبياء، ومع هٰذا قآباؤهم أجهل الناس وأشدهم ضلالاً، وهذه شبهة لرد الحق واهية، فهذا دليل على إعراضهم عن الحق ورغبتهم عنه، وعدم إنصافهم، فلو هدوا لرشدهم وحسن قصدهم، لكان الحق هو القصد، ومن جعل الحق قصده، ووازن بينه وبين غيره، تبين له الحق قطعاً، واتبعه إن كان منصفاً.

ثم قال [تعالى]: ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء، صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾.

لًا بين تعالى عدم انقيادهم لما جاءت به الرسل، وردهم لذلك بالتقليد، علم من ذلك أنهم غير قابلين للحق ولا مستجيبين له، بل كان معلوماً لكل أحد أنهم لن يزولوا عن عنادهم، أخبر تعالى أن مثلهم عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان كمثل البهائم التي ينعق لها الإيمان كمثل البهائم التي ينعق لها داعيها ومناديها، فهم يسمعون بجرد داعيها ومناديها، فهم يسمعون بحرد ولكنهم لا يفقهونه فقهاً ينفعهم، فلهذا كانوا صمًا لا يسمعون الحق سماع فهم وقبول، عمياً لا ينظرون نظر اعتبار، بكماً فلا ينطقون بما فيه نظر اعتبار، بكماً فلا ينطقون بما فيه

خير لهم.

والسبب الموجب لذلك كله أنه ليس لهم عقل صحيح، بل هم أسفه السفهاء، وأجهل الجهلاء.

فهل يستريب العاقل أن من دعي إلى الرشاد، وذيد عن الفساد، ونهي عن اقتحام العذاب، وأمر بما فيه صلاحه وفلاحه وفوزه ونعيمه، فعصى الناصح وتولى عن أمر ربه، واقتحم النار على بصيرة، واتبع الباطل ونبذ الحق. أن هذا ليس له مسكة من عقل، وأنه لو اتصف بالمكر والخديعة والدهاء أنه من أسفه السفهاء.

﴿ ١٧٢ ـ ١٧٣ ﴾ ﴿ يِمَا أَيِّهَا الَّذِينَ آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون \* إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عادِ فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم) هذا أمر للمؤمنين خاصة بعد الأمر العام، وذلك أنهم هم المنتفعون على الحقيقة بالأوامر والنواهي بسبب إيمانهم، فأمرهم بأكل الطيبات من الرزق، والشكر لله على إنعامه باستعمالها بطاعته، والتقوى بها على ما يوصل إليه، فأمرهم بما أمربه المرسلين في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُلُّ كُلُوا ا من الطيبات واعملوا صالحاً ﴾ فالشكر في هذه الآية هو العمل الصالح، وهنا لم يقل "حلالاً» لأن المؤمن أباح الله له الطيبات من الرزق خالصة من التبعة، ولأن إيمانه يحجزه عن تناول ما ليس

وقوله: ﴿إِن كنتم إِياه تعبدون﴾ أي: فاشكروه، فدل على أن من لم يشكر الله فلم يعبده وحده، كما أن من شكره فقد عبده وأتى بما أمر به، ويدل أيضاً على أن أكل الطيب سبب للعمل الصالح وقبوله، والأمر بالشكر عقيب النعم؛ لأن الشكر يحفظ النعم الموجودة، ويجلب النعم المفقودة، ويزيل النعم الموجودة.

ولما ذكر تعالى إباحة الطيبات ذكر تحريم الخبائث، فقال: ﴿إنما حرَم

عليكم الميتة وهي ما مات بغير تذكية شرعية ، لأن الميتة خبيثة مُضرة لرداءتها في نفسها ، ولأن الأغلب أن تكون عن مرض ، في كون زيادة ضرر (١١) واستثنى الشارع من هذا العموم ميتة الجراد وسمك البحر ، فإنه حلال

﴿والدم﴾ أي: المسفوح كما قيد في الآية الأخرى.

﴿وما أهل به لغير الله اي : ذبح لغير الله أي : ذبح لغير الله كالذي يذبح للأصنام والأوشان من الأحجار، والقبور ونحوها، وهذا المذكور غير حاصر للمحرمات، جيء به لبيان أجناس الحبائث المدلول عليها بمفهوم قوله : ﴿طبباتُ فعموم المحرمات تستفاد من طبباً كما تقدم .

وإنما حرم علينا هذه الخبائث ونحوها، لطفا بنا وتنزيها عن المضر، ومع هذا ﴿فمن اضطر﴾ أي: ألجى، ﴿فير بجوع وعدم، أو إكراه، ﴿فير باغ﴾ أي: غير طالب للمحرم مع قدرته على الحلال، أو مع عدم في تناول ما أبيح له اضطراراً، فمن أضطر وهو غير قادر على الحلال، أفلا إثم [أي: جناح] عليه، وإذا ارتفع وأكل بقدر الضرورة فلا يزيد عليها، الجناح ( رجع الأمر إلى ما كان عليه، وإذا ارتفع والإنسان بهذه الحالة مأمورٌ بالأكل، بل منهي أن يلقي بيده إلى التهلكة، وأن يلقي بيده إلى التهلكة، وأن يلقي بيده إلى التهلكة، وأن

فيجب إذاً عليه الأكل، ويأثم إن ترك الأكل حتى مات، فيكون قاتلاً لنفسه، وهذه الإباحة والتوسعة من رحمته تعالى بعباده، فلهذا ختمها بهذين الاسمين الكريمين المناسبين غاية المناسبة، فقال: ﴿إِنَّ اللهُ غَفُورٌ رحيم﴾.

ولما كبان الحل مشروطاً بهذين الشرطين، وكان الإنسان في هذه الحالة

ربما لا يستقصي تمام الاستقصاء في تحقيقها . أخبر تعالى أنه غفور ، فيغفر له ما أخطأ فيه في هذه الحال، خصوصاً وقد غلبته الضرورة، وأذهبت حواسه. المشقة .

وفي هذه الآية دليل على القاعدة المسهورة: «الفضرورات تسبيح المحظورات»، فكل محظور اضطر له الإنسان، فقد أباحه له الملك الرحمن أفله الحمد والشكر أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً].

﴿ ١٧٤ ـ ١٧٦﴾ ﴿إن الــــذيـــن يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلّمهم الله يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم \* أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار \* ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد﴾ هذا وعيد شديد لن كتم ما أنزل الله على رسله، من العلم الذي أخذ الله الميثاق على أهله، أن يبينوه للناس ولا يكتموه، فمن تعوض عنه بالحطام الدنيوي ونبذ أمر الله، فأولئك: ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بِطُونِهِم إِلاَّ النار﴾ لأن هذا الثمن الذي اكتسبوه، إنما حصل لهم بأقبح المكاسب وأعظم المحرمات، فكان جزاؤهم من جنس عبملهم، ﴿ولا يَكُلُّمُهُمُ اللَّهُ يُومُ القيامة﴾ بل قد سخط عليهم وأعرض عنهم، فهذا أعظم عليهم من عذاب النار، ﴿ولا يسرُ كسينهم ﴾ أي: لا يطهرهم من الأخلاق الرذيلة، وليس لهم أعمال تصلح للمدح والرضا والجزاء عليها، وإنما لم يزكهم لأنهم فعلوا أسباب عدم التزكية التي أعظم أسبابها العمل بكتاب الله، والاهتداء به، والدعوة إليه، فهؤلاء نبذوا كتاب الله وأعرضوا عنه، واختياروا النضلالة على الهدى،

والعذاب على المغفرة، فهولاء لا يصلح لهم إلا النار، فكيف يصبرون عليها، وأنى لهم الجلد عليها؟!! ﴿ذلك﴾ المذكور، وهو مجازاته بالعدل ومنعه أسباب الهداية، ممن أباها واختار سواها.

﴿بأن الله نزل الكتاب بالحق﴾ ومن الحق عبازاة المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وأيضاً ففي قوله: ﴿نزل الكتاب بالحق﴾ ما يدل على أن الله أنزله لهداية خلقه، وتبيين الحق من الباطل، والهدى من الضلال، فمن صرفه عن مقصوده فهو حقيق بأن يجازى بأعظم العقه بة.

﴿ وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد أي: وإن الذين اختلفوا في الكتاب، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه، أو الذين حرفوه وصرفوه على أهوائهم ومراداتهم ﴿ لفي شقاق ﴾ أي: عادة، ﴿ بعيد ﴾ عن الحق شقاق ﴾ أي: عادة ، ﴿ بعيد ﴾ عن الحق الموجب للاتفاق وعدم التناقض، بالحق الموجب للاتفاق وعدم التناقض، على ذلك افتراقهم، بخلاف أهل على ذلك افتراقهم، بخلاف أهل الكتاب الذين آمنوا به وحكموه في كل شيء، فإنهم اتفقوا وارتفقوا بالمحبة والاجتماع عليه.

وقد تضمنت هذه الآيات الوعيد للكاتمين لما أنزل الله، المؤثرين عليه عرض الدنيا بالعذاب والسخط، وأن الله لا يطهرهم بالتوفيق ولا بالمغفرة، وذكر السبب في ذلك بإيثارهم الضلالة على الهدى، فترتب على المغفرة. على ذلك اختيار العذاب على المغفرة. ثم توجع لهم بشدة صبرهم على النار، لعملهم بالأسباب التي يعلمون أنها لعملهم بالأسباب التي يعلمون أنها الحق الموجب للاتفاق عليه وعدم الخقراق، وأن كل من خالفه فهو في غاية البعد عن الحق، والمنازعة

<sup>(</sup>١) في ب: مرض.

<sup>(</sup>٢) في أ: (وإذا ارتفع الجناح) وفوق كلمة الجناح كلمة (الإثم) وفي ب، وردت الجملة هكذا (وإذا ارتفع الاثم).

والمخاصمة، والله أعلم.

﴿١٧٧﴾ ﴿ليس السبر أن تسولسوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامي والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتي الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولتك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون، يقول تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ﴾ أي: ليس هذا هو البر المقصود من العباد، فيكون كثرة البحث فيه والجدال من العناء الذي ليس تحته إلا الشقاق والخلاف، وهذا نظير قوله ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» ونحو ذلك .

﴿ولكن البر من آمن بالله﴾ أي: بأنه إله واحد، موصوف بكل صفة كمال، منزه عن كل نقص.

﴿واليوم الآخر﴾ وهو كل ما أخبر الله به في كتابه أو أخبر به الرسول مما يكون بعد الموت.

﴿والملائكة ﴾ الذين وصفهم الله النا في كتابه ، ووصفهم رسوله ﴿والكتاب ﴾ أي : جنس الكتب التي أنزلها الله على رسله ، وأعظمها القرآن ، فيؤمن بما تضمنه من الأخبار والأحكام ، ﴿والنبيين ﴾ عموماً ، خصوصاً خاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ .

﴿وآتى المال﴾ وهو كل ما يتموله الإنسان من مال، قليلاً كان أو كثيراً، أي: أعطى المال ﴿على حبه﴾ أي: حب المال، بيّن به أن المال محبوب للنفوس، فلا يكاد يخرجه العبد.

فمن أخرجه مع حبه له تقرباً إلى الله تعالى، كان هذا برهاناً لإيمانه، ومن إيناء المال على حبه أن يتصدق وهو صحيح شحيح، يأمل الغنى، ويخشى الفقر، وكذلك إذا كانت الصدقة عن قلة كانت أفضل، لأنه في هذه الحال

يحب إمساكه، لما يتوهمه من العدم والفقر.

وكذلك إخراج النفيس من المال، وما يحبه من ماله كما قال تعالى: ﴿لن تنالوا البرحتى تنفقوا نما تحبون﴾ فكل هؤلاء نمن آتي المال على حبه.

ثم ذكر المنفق عليهم، وهم أولى الناس ببرّك وإحسانك. من الأقارب الذين تتوجع لمصابهم، وتضرح بسرورهم، آلذين يتناصرون ويتعاقلون، فمن أحسن البر وأوفقه تعاهد الأقبارب ببالإحسبان المالي والقولي، على حسب قربهم وحاجتهم. ومن اليتامي الذين لا كاسب لهم، وليس لهم قوة يستغنون بها، وهذا من رحمته [تعالى] بالعباد، الدالة على أنه تعالى أرحم بعباده من الوالد بولده، فالله قد أوصى العباد، وفرض عليهم في أموالهم الإحسان إلى من فَقِدَ آباؤهم ليصيروا كمن لم يفقد والديه، ولأن الجزاء من جنس العمل، فمن رحم يتيم غيره رُحِمَ يتيمه.

والمساكين : وهم الذيسن أسكنتهم الحاجة وأذلهم الفقر، فلهم حق على الأغنياء بما يدفع مسكنتهم أو يخففها، بما يقدرون عليه وبما يتيسر، وابن السبيل : وهو الغريب المنقطع به في غير بلده، فحث الله عباده على لكونه مظنة الحاجة، وكثرة المصارف، فعلى من أنعم الله عليه بوطنه وراحته وخوله من نعمته، أن يرحم أخاه الغريب الذي بهذه الصفة على حسب الذي بهذه الصفة على حسب استطاعته، ولو بتزويده أو إعطائه آلة لسفره، أو دفع ما ينوبه من المظالم وغيرها.

﴿والسائلين﴾ أي: الذين تعرض لهم حباجة من الحوائج توجب السؤال، كمن ابتلي بأرش جناية، أو ضريبة عليه من ولاة الأمور، أو يسأل الناس لتعمير المسالح العامة، كالمساجد والمدارس والقناطر، ونحو ذلك، فهذا له حقّ وإن كان غنياً ﴿وفي الرقاب﴾ فيدخل فيه العتق والإعانة والرقاب

عليه، وبذل مال للمكاتب ليوفي سيده، وفداء الأسرى عند الكفار أو عند الظلمة.

﴿وأقام الصلاة وآتى الزكاة ﴾ قد تقدم مراراً أن الله تعالى يقرن بين الصلاة والزكاة ، لكونهما أفضل العبادات وأكمل القربات ، عبادات قلبية وبدنية ومالية ، وبهما يوزن الإيمان ، ويعرف ما مع صاحبه من الإيقان .

﴿ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ﴾ والعهد: هو الالتزام بإلزام الله أو إلزام حقوق الله علمه . فدخل في ذلك حقوق الله كلها، لكون الله ألزم بها عباده والتزموها، ودخلوا تحت عهدتها، ووجب عليهم أداؤها، وحقوق العباد التي أوجبها الله عليهم، والحقوق التي التزمها العبد كالأيمان والنذور، ونحو ذلك.

﴿والصابرين في البأساء ﴾ أي: الفقر ؛ لأن الفقير يحتاج إلى الصبر من وجوه كثيرة ، لكونه يحصل له من الآلام القلبية والبدنية المستمرة ما لا يحصل لغيره .

فإن تنعَم الأغنياء بما لا يقدر عليه تألمً، وإن جاع أو جاعت عياله تألمً، وإن أكل طعاماً غير موافق لهواه تألم، وإن غري أو كاد تألمً، وإن نظر إلى ما بين يديه وما يتوهمه من المستقبل الذي يستعد له تألمً، وإن أصابه البرد الذي لا يقدر على دفعه تألمً.

فكلُّ هذه ونحوها مصائب يؤمر بالصبر عليها والاحتساب، ورجاء الثواب من الله عليها.

﴿والسفسراء ﴾ أي: المرض على اختلاف أنواعه ، من حمى وقروح ورياخ ووجع عضو ، حتى الضرس والإصبع ونحو ذلك ، فإنه يحتاج إلى الصبر على ذلك ؛ لأن النفس تضعف والبدن يألم ، وذلك في غاية المشقة على النفوس ، خصوصاً مع تطاول ذلك ، فإنه يؤمر بالصبر احتساباً لثواب الله [تعالى].

﴿وحين البأس﴾ أي: وقت القتال للأعداء المأمور بقتالهم، لأن الجلاد يشق غاية المشقة على النفس، ويجزع الإنسان من القتل أو الجراح أو الأسر، فاحتيج إلى الصبر في ذلك احتساباً، ورجاء لشواب الله [تعالى] الذي منه النصر والمعونة التي وعدها الصابرين.

﴿ أُولِئُكُ ﴾ أي: المتصفون بما ذكر من العقائد الحسنة ، والأعمال التي هي آثار الإيمان وبرهانه ونوره ، والأخلاق التي هي جمال الإنسان وحقيقته الإنسانية ، فأولئك هم ﴿ الذين صدقوا ﴾ في إيمانهم ، لأن أعمالهم المتقون ﴾ ؛ لأنهم تركوا المحظور وفعلوا المتقون ﴾ ؛ لأنهم تركوا المحظور وفعلوا كل خصال الخير تضمناً ولزوماً ، لأن العبادات المنصوص عليها في الوفاء بالعهد يدخل فيه الدين كله ، ولأن العبادات المنصوص عليها في هذه الآية أكبر العبادات، ومن قام بها كان بما سواها أقوم ، فهؤلاء هم كان بما سواها أقوم ، فهؤلاء هم الأبرار الصادقون المتقون .

وقد علم ما رتب الله على هذه الأمور الثلاثة من الثواب الدنيوي والأخروي، عما لا يمكن تفصيله في [مثل] هذا الموضع.

﴿ ١٧٨ - ١٧٩ ﴿ إِيا أَيَّهَا اللّهُ يَنَ المَّتَلَى المَّنَوَ كُتَبِ عَلَيْكُمُ القصاص في القتل الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم \* ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون ﴾ يمتن تعالى على عباده المؤمنين، بأنه فرض عليهم ﴿ القصاص في بأنه فرض عليهم ﴿ القصاص في القتلى ﴾ أي: المساواة فيه، وأن يقتل القتل على الصفة التي قتل عليها القتول، إقامة للعدل والقسط بين العباد.

وتوجيه الخطاب لعموم المؤمنين،

فيه دليل على أنه يجب عليهم كلهم، حتى أولياء القاتل، حتى القاتل بنفسه، إعانة ولي المقتول إذا طلب القصاص، وتمكينه (۱) من القاتل، وأنه لا يجوز لهم أن يجولوا بين هذا الحد ويمنعوا الولي من الاقتصاص، كما عليه عادة الجاهلية ومن أشبههم من إيواء المحدثين.

ثم بين تفصيل ذلك، فقال: ﴿الحر بالذكر، بالحر﴾ يدخل بمنطوقها الذكر بالذكر، والأنثى بالأنثى، ويكون منطوقها مقدماً على مفهوم قوله: «الأنثى بالأنثى، مع دلالة السنة، على أن الذكر يقتل دلالة السنة، على أن الذكر يقتل وإن علوا، فلا يقتلان بالولد، لورود السنة بذلك، مع أن في قوله: (القصاص) ما يدل على أنه ليس من العدل أن يقتل الوالد بولده، ولأن ما في قلب الوالد من الشفقة والرحمة، ما يمنعه من القتل لولده إلا بسبب اختلال في عقله، أو أذية شديدة جداً من الولد

وخرج من العموم أيضاً الكافر بالسنة، مع أن الآية في خطاب المؤمنين خاصة.

وأيضاً فليس من العدل أن يقتل ولي الله بعدوه، والعبد بالعبد، ذكراً كان أو أنثى، تساوت قيمهما أو اختلفت، ودل بمفهومها على أن الحر لا يقتل بالعبد، لكونه غير مساو له، والأنثى بالأنثى، أخذ بمفهومها بعض أهل العلم، فلم يجز قتل الرجل بالمرأة، وتقدم وجه ذلك.

وفي هذه الآية دليل على أن الأصل وجوب القود في القتل، وأن الدية بدل عنه، فلهذا قال: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾ أي: عفا ولي المقتول عن القاتل إلى الدية، أو عفا بعض الأولياء، فإنه يسقط القصاص وتجب الدية، وتكون الخيرة في القود واختيار

ٱلَّذِينَ ءَاللَّمَا هُمُ ٱلْكِنْكَ بَعْرِفُونَهُ رُكَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَ مُمَّ وَإِنَّ وَيَعَّايَنَهُمْ لِتَكْتُدُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْ لَمُونَ ﴿ ٱلْحَقُّ مِن زَّيِكٌّ فَلَاتَكُوْنَزُينَ ٱلْمُنْزِينَ ﴿ وَلِكُوْ يَجْمُةُ هُومُولِهَا ۗ فَأَسْنَيَقُواْ ٱلْخَيْرَاتُ إِنَّ مَانَّكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَيِعَكُمُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰكُ لِي مَنَّىءِ فَدِيرٌ ﴿ وَمِنْ حَبْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّي وَجْهَكَ شَطْرَلْنَسْجِدِ ٱلْحُرَادِ وَ إِنْمُلْلْحَقُّ مِن زَّيْكُ وَمَااللَّهُ بِعَنَهْلِعَمَّانَفُ مَلُونَ ﴿ وَمِنْ حَبْثُ خَرَّجْتَ فَوْلَيْنِجُكَ شَطْرًا لِسَيْدِ الْحُرَادُ وَحَيْثُ مَا كُنُتُ فَوْلُوا وُجُوعَكُمْ شَطْرَهُ لِتَلَابَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْتُ مُ جُمَّةً إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُمْ فَلْاغَنْشُوهُمْ وَأَخْشُونِي وَلِأَيْدُ فِيعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَكُمْ مَّمَتُدُون ﴿ كُمَّ آزْسَلَنَا فِيكُرْرَسُولَامِنَكُمْ بَسْلُوا عَلَيْكُوْ ، لَاَيْنَا وَيُرَكِيكُمْ وَيُعَلِّنُكُمُ ٱلْكِنْفَ وَلِيُكُمُ وَيُعَلِيهُ كُمُ مَا لَرَنكُونُواْ مَا لَوْن ﴿ فَاذْكُرُونِ أَذَكُرُونِ أَذَكُرُ مُن وَالْفَكُرُواْلِيوَلَانَكُفُرُونِ ﴿ بَتَأَيُّهَا ٱلَّذِيرَ ۖ مَاسَوًّا ٱسْتَعِينُواْ بِٱلعَمْدِ وَالصَّلَوْةُ إِنَّ ٱللَّهُ مَعَ الصَّدِينَ ۞ OYEARY " ERREEA الدية إلى الولى .

فإذا عفا عنه وجب على الولي [أي: ولي المقسدول] أن يستبع القاسل ﴿بالمعروف﴾ من غير أن يشق عليه، ولا يحمله ما لا يطيق، بل يحسن الاقتضاء والطلب، ولا يحرجه.

وعلى القاتل ﴿أداء إليه بإحسان﴾ من غير مطل ولا نقص ولا إساءة فعلية أو قولية، فهل جزاء الإحسان الله بالعفو إلا الإحسان بحسن القضاء، وهذا مأمور به في كل ما ثبت في ذمم الناس للإنسان، مأمور من له الحق بالاتباع بالمعروف، ومن عليه الحق بالأداء بإحسان (٢).

وفي قوله: ﴿فمن عفي له من أخيه﴾ ترقيق وحث على العفو إلى الدية، وأحسن من ذلك العفو مجاناً.

وفي قوله: ﴿أخيه ﴾ دليل على أن القاتل لا يكفر، لأن المراد بالأخوة هنا أخوة الإيمان، فلم يخرج بالقتل منها، ومن باب أولى أن سائر المعاصي التي هي دون الكفر لا يكفر بها فاعلها، وإنما ينقص بذلك إيمانه.

وإذا عفا أولياء المقتول، أو عفا بعضهم، احتقن دم القاتل، وصار معصوماً منهم ومن غيرهم، ولهذا قال: ﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ أي:

وَلَا نَفُولُواْ لِنَ يُفْتَلُ فِي سَهِيلِ اللَّهِ أَمُونَا أَبْلُ أَخِسَا ۗ وَلَا كَا رَا لَاتَنْعُرُونَ ﴿ وَلَنَبَلُونَكُمُ بِنَيْ وِمِنَ الْخُوْفِ وَلَلْمُ وَمَنْفِ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَمْشِينَ وَٱلشَّمَرَاتُ وَيَشِرَ السَّهِينَ ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا أَمِيَنَهُمُ مُصِيبَةٌ فَالْوَ إِنَّا لِغَو وَإِنَّا إِلْيُورَجِعُونَ ﴿ أَوْلَتِهَكَ عَلَبْهِ وْصَلَوَتْ مِن دَيْنِهِ وْ وَدَحْدَنَةٌ وَأَوْلَتِكَ هُمُ ٱلْهُنَدُونَ ۞ • إِنَّ ٱلصَّفَاوَٱلْمَرَّوَةَ مِن شَعَآبِرِأِلَّوْفَنَّ حَجَّ ٱلْبَيْنَ أَوَاعْنَ كَرَفَلَاجُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوْفَ بِهِمَّاوَضَ تَلَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ أَلَقَ شَاكِرُعَلِيمٌ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْكِنَامِنَ ٱلْبَيْنَتِ وَالْحُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا يَثِنَكُ لِلسَّاسِ فِي ٱلۡكِنَّبِ أُوۡلَٰئِكَ يَلۡعَنُّهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُّهُمُ ٱللَّاعِنُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَآصَلَحُواْ وَبَيَّتُواْ فَأُوْلَئِهَكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلنَّوَابُ ٱلرَّجِـدُ ۞ إِنَّا أَلِينَكُمْرُوا وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارُ أُوْلَتِكَ عَلَيْهِ زَلَنَا أُلْفَو وَلَلْكَتِهِ كَوْ وَالسَّاسِ أَخْمَهِ فَا خَلِدِينَ فِيمَا لَا يَخَفُّ عَنْهُ وَالْعَمَابُ وَلَاهُمْ يُعَلُّمُ ۞ وَإِلْفَكُو إِلَّهُ وَنَيدُ لَا إِنْ إِلَّهُ وَالْرَخْلُ الْيَجِدُ۞ ACTUACY " ECROEC

بعد العفو ﴿فله عذاب أليم﴾ أي: في الآخرة، وأما قتله وعدمه فيؤخذ مما تقدم، لأنه قتل مكافئاً له، فيجب قتله بذلك.

وأما من فسر العذاب الأليم بالقتل، فإن الآية تدل على أنه يتعين قتله، ولا يجوز العفو عنه، ويذلك قال بعض العلماء والصحيح الأول، لأن جنايته لا تزيد على جناية غيره.

ثم بين تعالى حكمته العظيمة في مشروعية القصاص، فقال: ﴿ولكم في القصاص حياة ﴾ أي: تنحقن بذلك عرف أنه مقتول إذا قتل، لا يكاد يصدر منه القتل، وإذا رؤي القاتل مقتولا انذعر بذلك غيره وانزجر، فلو كانت عقوبة القاتل غير القتل، لم يكصل انكفاف الشر الذي يحصل بالقتل، وهكذا ساتر الحدود الشرعية، فيها من النكاية والانزجار ما يدل على حكمة الحكيم الغفار، ونكر «الحياة» لإفادة التعظيم والتكثير.

ولما كان هذا الحكسم لا يعرف حقيقته إلا أهل العقول الكاملة، والألباب الثقيلة، خصهم بالخطاب دون غيرهم، وهذا يدل على أن الله تعالى يجب من عباده أن يعملوا أفكارهم

وعقولهم، في تدبر ما في أحكامه من الحكم، والمصالح الدالة على كماله، وكمال حكمته وحمده، وعدله ورحمته الواسعة، وأن من كان بهذه المثابة فقد استحق المدح بأنه من ذوي الألباب الذين وجه إليهم الخطاب، وناداهم رب الأرباب، وكفى بذلك فضلا وشرفاً لقوم يعقلون.

وقوله: ﴿لعلكم تنقون﴾ وذلك أن من عرف ربه وعرف ما في دينه وشرعه من الأسرار العظيمة والحكم البديعة والآيات الرفيعة، أوجب له ذلك أن ينقاد لأمر الله، ويعظم معاصيه فيتركها، فيستحق بذلك أن يكون من المتقين.

﴿ ١٨٠ \_ ١٨٧ ﴾ ﴿ كُتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين \* فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم \* فمن خاف من موص جنفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم أي: فرض الله عليكم يا معشر المؤمنين ﴿إذا حفر أحدكم الموت ﴿ أي: أسبابه، كالمرض المشرف على الهلاك، وحضور أسباب المهالك، وكان قد ﴿ترك خيراً﴾ [أي: مالاً] وهو المال الكثير عرفاً، فعليه أن يوصى لوالديه وأقرب الناس إليه بالمعروف، على قدر حاله من غير سرف ولا اقتصار على الأبعد دون الأقرب، بل يرتبهم على القرب والحاجة، ولهذا أتى فيه بأفعل التفضيل.

وقوله: ﴿حقاً على المتقينِ ﴾ دل على وجوب ذلك، لأن الحق هو الثابت، وقد جعله الله من موجبات التقوى.

واعلم أن جهور الفسرين يرون أن هذه الآية منسوخة بآية المواريث وبعضهم يرى أنها في الوالدين والأقربين غير الوارثين، مع أنه لم يدل على التخصيص بذلك دليل، والأحسن

في هذا أن يقال: إن هذه الوصية للوالدين والأقربين مجملة، ردها الله تعالى إلى العرف الجاري.

ثم إن الله تعالى قدر للوالدين الوارثين وغيرهما من الأقارب الوارثين هذا المعروف في آيات المواريث بعد أن كان مجملاً، وبقي الحكم فيمن لم يرثوا من الوالدين الممنوعين من الإرث وعفى، فإن الإنسان مأمور بالوصية لهؤلاء، وهم أحق الناس ببره، وهذا القول تتفق عليه الأمة، ويحصل به الجمع بين القولين المتقدمين، لأن كلاً من القائلين بهما كل منهم لحظ ملحظاً، واختلف المورد.

قبهذا الجمع يحضل الاتفاق والجمع بين الآيات، لأنه (١) مهما أمكن الجمع كان أحسن من ادعاء النسخ، الذي لم يدل عليه دليل صحيح.

ولما كان الموصى قد يمتنع من الوصية، لما يتوهمه أن من بعده قد يبدل ما وصى به، قال تعالى: ﴿ فَمَن بدله ﴾ أي: الإيصاء للمذكورين أو غيرهم ﴿ بعدما سمعه ﴾ [أي:] بعدما عقله، وعرف طرقه وتنفيذه، ﴿ فإنما إلهه على الذين يبدلونه ﴾ وإلا فالموصى وقع أجره على الله، وإنما الإثم على المبدل

﴿إِن الله سميع ﴾ يسمع سائر الأصوات، ومنه سماعه لمقالة الموصي ووصيته، فينبغي له أن يراقب من يسمعه ويراه، وأن لا يجور في وصيته، ﴿عليم ﴾ بنيته، وعليم بعمل الموصى إليه، فإذا اجتهد الموصى وعلم الله من نيته ذلك، أثابه ولو أخطأ، وفيه التحذير للموصى إليه من التبديل، فإن الله عليم به، مطلع على ما فعله، فليحذر من الله، هذا حكم الوصية العادلة، وأما الوصية التي فيها حيف وجنف وإشم، فينبغي لمن حضر الموصى وقت الوصية جا، أن ينصحه بما هو الأحسن والأعدل، وأن ينهاه

عن الجور والجنف، وهو الميل بها عن خطأ، من غير تعمد، والإثم: وهو التعمد لذلك.

فإن لم يفعل ذلك، فينبغى له أن يصلح بين الموصى إليهم، ويتوصل إلى العدل بينهم على وجه التراضي والمصالحة، ووعظهم بتبرئة ذمة ميتهم، فهذا قد فعل معروفاً عظيماً، وليس عليه إثم، كما على مبدل الوصية الجائزة، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهُ غَفُورِ﴾ أي: يغفر جميع الزلات، ويصفح عن التبعات لمن تاب إليه، ومنه مغفرته لمن غض من نفسه وترك بعض حقه لأخيه، لأن من سامح سامحه الله، غفور ليتهم الجائر في وصيته إذا احتسبوا بمسامحة بعضهم بعضا لأجل براءة ذمته، رحيم بعباده، حيث شرع لهم كل أمر به يتراحمون ويتعاطفون، فدلت هذه الآيات على الحث على الوصية، وعلى بيان من هي له، وعلى وعيد المبدل للوصية العادلة، والترغيب في الإصلاح في الوصية الجائرة.

﴿ ١٨٣ \_ ١٨٥ ﴾ ﴿ يِا أَيِّا الَّذِينِ آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون \* أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خيرٌ له وأن تصوموا خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون \* شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على هداكم ولعلكم تشكرون، يخبر تعالى بما منَّ به على عباده، بأنه فرض عليهم الصيام، كما فرضه على الأمم السابقة، لأنه من الشرائع والأوامر التي هي مصلحة للخلق في كل زمان.

وفيه تنشيط لهذه الأمة بأنه ينبغى

لكم أن تنافسوا غيركم في تكميل الأعمال، والمسارعة إلى صالح الخصال، وأنه ليس من الأمور الثقيلة التي اختصيتم بها.

ثم ذكر تعالى حكمته في مشروعية الصيام، فقال: ﴿لعلكم تتقون﴾ فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى، لأن فيه امتال أمر الله واجتناب نهه.

فمما اشتمل عليه من التقوى: أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها، التي تميل إليها نفسه، متقرباً بذلك إلى الله، راجياً بتركها ثوابه، فهذا من التقوى.

ومنها: أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسه مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع الله عليه، ومنها: أن الصيام يضيق مجرى الشيطان، فإنه يجري من ابن آدم مجرى منه المعاصي، ومنها: أن الصائم في الغالب تكثر طاعته، والطاعات من الغالب تكثر طاعته، والطاعات من خصال التقوى، ومنها: أن الغني إذا ذاق ألم الجوع أوجب له ذلك مواساة لفقراء المعدمين، وهذا من خصال التقوى.

ولما ذكر أنه فرض عليهم الصيام، أخبر أنه أيام معدودات، أي: قليلة في غاية السهولة.

ثم سهل تسهيلاً آخر، فقال: ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ وذلك للمشقة في الغالب، رخص الله لهما في الفطر.

ولما كان لا بد من حصول مصلحة الصيام لكل مؤمن، أمرهما أن يقضياه في أيام أخر إذا زال المرض، وانقضى السفر، وحصلت الراحة.

وفي قوله: ﴿فعدة من أيام﴾ فيه دليل على أنه يقضي عدد أيام رمضان، كاملاً كان أو ناقصاً وعلى أنه يجوز أن يقضي أياماً قصيرة باردة، عن أيام طويلة حارة كالعكس.

وقوله: ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾

أي: يطيقون الصيام ﴿فدية﴾ عن كل يوم يفطرونه ﴿طعام مسكين﴾ وهذا في ابتداء فرض الصيام، لما كانوا غير معتادين للصيام، وكان فرضه حتماً فيه مشقة عليهم، درجهم الرب الحكيم بأسهل طريق، وخير المطيق للصوم بين أن يصوم وهو أفضل أو يطعم، ولهذا قال: ﴿وأن تصوموا خير لكم﴾

ثم بعد ذلك جعل الصيام حتماً على المطيق، وغير المطيق يفطر ويقضيه في أيام أخر [وقيل: ﴿وعلى الله يست يطيقونه ويشتى عليهم مشقة غير محتملة كالشيخ الكبير فدية عن كل يوم مسكين (١)، وهذا هو الصحيح](٢).

وشهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن أي: الصوم المفروض عليكم هو شهر رمضان، الشهر العظيم الذي قد حصل لكم فيه من الله الفضل العظيم، وهو القرآن الكريم، المشتمل على الهداية لمصالحكم الدينية والدنيوية، وتبين الحق بأوضح بيان، والفرقان بين الحق والباطل، والهدى والنشاوة.

فحقيق بشهر هذا فضله، وهذا إحسان الله عليكم فيه أن يكون موسماً للعباد مفروضاً فيه الصيام.

فلمنا قرره وبين فيضيلته، وحكمة الله تعالى في تخصيصه، قال: فنهن شهد منكم الشهر فليصمه هذا فيه تعيين الصيام على القادر الصحيح الحاضر.

ولما كان النسخ للتخيير بين الصيام والفداء خاصة، أعاد الرخصة للمريض والمسافر، لثلا يتوهم أن الرخصة أيضاً منسوخة، [فقال] ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ أي: يريد الله تعالى أن ييسر عليكم الطرق الموصلة إلى رضوانه أعظم تيسير، ويسهلها أشد (٣) تسهيل، ولهذا كان جميع ما أمر الله به عباده في غاية

<sup>(</sup>٣) في ب: أبلغ تسهيل.

<sup>(</sup>۱) ظاهرُ أن المراد عن كل يوم طعام (۲) زيادة من هامش ب.

السهولة في أصله .

وإذا حسلت بعض العوادض الموجبة لثقله سهّله تسهيلاً آخر، إما بإسقاطه، أو تخفيفه بأنواع التخفيفات. وهذه جملة لا يمكن تفصيلها لأن

تفاصيلها جميع الشرعيات، ويدخل فيها جميع الرخص والتخفيفات.

﴿ولتكملوا العدة ﴾ وهذا \_ والله أعلم \_ لثلا يتوهم متوهم أن صيام رمضان بحصل المقصود منه ببعضه ، ونع هذا الوهم بالأمر بتكميل عدته ، ويشكر الله [تعالى] عند إتمامه على توفيقه وتسهيله وتبيينه لعباده ، وبالتكبير عند انقضائه ، ويدخل في ذلك التكبير عند رؤية هلال شوال إلى فراغ خطبة العيد .

وإذا سألك عبادي عني فإن قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم ليرشدون هذا جواب سؤال، سأل النبي الله بعض أصحابه فقالوا: يا بعيد فنناجيه، أم عبادي عني فإني قريب النام الله تعالى عبادي عني فإني قريب المطلع على السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهو قريب أيضاً من داعيه بالإجابة، ولهذا قال: وأجيب دعوة الداع إذا دعان والدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة.

والقرب نوعان: قرب بعلمه من كل خلقه، وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق.

فمن دعا ربه بقلب حاضر ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء، كأكل الحرام ونحوه، فإن الله قد وعده بالإجابة، وخصوصاً إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية، والإيمان به الموجب للاستجابة، فلهذا قال: ﴿
وَفُولُهُ اللّٰهُ اللّٰهُ

يرشدون، أي: يحصل لهم الرشد

الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويزول عنهم الغيّ المنافي للإيمان والأعمال الصالحة. ولأن الإيمان بالله والاستجابة لأمره سبب لحصول العلم، كما قال تعالى: ﴿ يا أيها

لحصول العلم، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا لَكُم الدَّينِ آمنوا إِنْ تَتَقُوا الله يجعل لكم فرقاناً ﴾.

﴿١٨٧﴾ ﴿ ١٨٧﴾ ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن

الحم كنتم عثانون الفسحم فعاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأبيض من الغجر ثم أغوا الصيام في المساجد تملك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته فرض الصيام، يحرم على المسلمين في أول فرض الصيام، يحرم على المسلمين في الليل بعد النوم الأكل والشرب والجماع، فحصلت المشقة لبعضهم، ولا يالي الصيام كلها الأكل والشرب في ليالي الصيام كلها الأكل والشرب

. ﴿ فَتَابِ ﴾ الله ﴿ عَلَيْكُم ﴾ بأن وسع لكم أمراً كان \_ لولا توسعته \_ موجباً للإثم ﴿ وعفا عنكم ﴾ ما سلف من التخون.

والجماع، سواء نام أو لم ينم، لكونهم

يختانون أنفسهم بترك بعض ما أمروا

﴿ فَالآنَ اللهِ بعد هذه الرخصة والسعة من الله ﴿ باشروهن ﴾ وطأً وقبلة ولمسأ

وغير ذلك.

﴿وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾ أي:
انووا في مباشرتكم لزوجاتكم التقرب
إلى الله تعالى والمقصود الأعظم من
الوطء، وهو حصول الذرية وإعفاف
فرجه وفرج زوجته، وحصول مقاصد
النكاح.

وتما كتب الله لكم ليلة القدر، الموافقة لليالي صيام رمضان، فلا ينبغي لكم أن تشتغلوا بهذه اللذة عنها

وتضيعوها، فاللذة مدركة، وليلة القدر إذا فاتت لم تدرك.

﴿وكلُوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ هذا غاية للأكل والشرب والجماع، وفيه أنه إذا أكل ونحوه شاكاً في طلوع الفجر فلا بأس عليه.

وفيه: دليل على استحباب السحور للأمر، وأنه يستحب تأخيره أخذاً من معنى رخصة الله وتسهيله على العباد.

وفيه: أيضاً دليل على أنه يجوز أن يدركه الفجر وهو جنب من الجماع قبل أن يغتسل، ويصح صيامه، لأن لازم إباحة الجماع إلى طلوع الفجر، أن يدركه الفجر وهو جنب، ولازم الحق حق.

وشم اذا طلع الفجر وأقوا الصيام أي: الإمساك عن الفطرات وإلى الليل وهو غروب الشمس ولما كان إباحة الوطء في ليلي الصيام ليست إباحة () عامة لكل أحد، فإن المعتكف وولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجل أي: وأنتم متصفون بذلك، ودلت الآية على مشروعية الاعتكاف، وهو لزوم المسجد لطاعة الله [تعالى]، وانقطاعا إليه، وأن الاعتكاف لا يصح إلا في مسجد.

ويُستفاد من تعريف المساجد، أنها المساجد المعروفة عندهم، وهي التي تقام فيها الصلوات الخمس.

وفيه أن الوطء من مفسدات الاعتكاف.

﴿تلك﴾ المذكورات ـ وهو تحريم الأكل والشرب والجماع ونحوه من الفطرات في الصيام، وتحريم الفطر على غير المعذور، وتحريم الوطء على المعتكف، ونحو ذلك من المحرمات ونهاهم عنها، فقال: ﴿فلا تقربوها﴾ أبلغ من قوله: «فلا تفعلوها» لأن القربان، يشمل النهي عن فعل المحرم بنفسه، والنهى عن وسائله الموصلة المنسه، والنهى عن وسائله الموصلة المناكلة المناكلة الموصلة المناكلة المناكلة

والعبد مأمور بترك الحرمات، والبعد منها غاية ما يمكنه، وترك كل سبب يبدعو إليها، وأما الأوامر فيقول الله فيها: ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾ فينهى عن مجاوزتها.

﴿كذلك﴾ أي: بيِّن [الله] لعباده الأحكام السابقة أتم تبيين، وأوضحها لهم أكمل إيضاح .

﴿يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾ فإنهم إذا بان لهم الحق اتبعوه، وإذا تبين لهم الباطل اجتنبوه، فإن الإنسان قد يفعل المحرم على وجه الجهل بأنه محرم، ولو علم تحريمه لم يفعله، فإذا بين الله للناس آياته، لم يبقُّ لهم عذر ولا حجة، فكان ذلك سبباً

﴿١٨٨﴾ ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾ أي: ولا تأخذوا أموالكم، أي: أموال غيركم، أضافها إليهم؛ لأنه ينبغي للمسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويحترم ماله كما يحترم ماله؛ ولأن أكله لمال غيره يجرىء غيره على أكل ماله عند القدرة.

ولما كان أكلها نوعين: نوعاً بحق، ونوعاً بباطل، وكان المحرم إنما هو أكلها بالباطل، قيده تعالى بذلك، ويدخل في ذلك أكلها على وجه الغصب والسرقة والخيانة في وديعة أو عارية، أو نحو ذلك، ويدخل فيه أيضاً أخذها على وجه المعاوضة، بمعاوضة محرمة، كعقود الربا والقمار كلها، فإنها من أكل المال بالباطل، لأنه ليس في مقابلة عوض مباح، ويدخل في ذلك أخذها بسبب غش في البيع والشراء والإجارة، ونجوها، ويدخل في ذلك استعمال الأجراء وأكبل أجرتهم، وكذلك أخذهم أجرة على عمل لم يقوموا بواجبه، ويدخل في ذلك أخذ الأجرة على العبادات والقربات التي لا تصح، حتى يقصد بها وجه الله

تعالى، ويدخل في ذلك الأخذ من الزكوات والصدقات والأوقاف، والوصايا لمن ليس له حق منها، أو فوق

فكل هذا ونحوه من أكل المال بالباطل، فلا يحل ذلك بوجه من الوجوه حتى ولو حصل فيه النزاع وحصل الارتفاع إلى حاكم الشرع، وأدلى من يريد أكلها بالباطل بحجة غلبت حجة المحق، وحكم له الحاكم بذلك. فإن حكم الحاكم لا يبيح محرماً ولا يحلل حراماً، إنما يحكم على نحو مما يسمع، وإلا فحقائق الأمور باقية، فليس في حكم الحاكم للمبطل راحة ولا شبهة، ولا استراحة.

فمن أدل إلى الحاكم بحجة باطلة وحكم له بذلك، فإنه لا يحل له، ويكون آكلاً لمال غيره بالباطل والإثم وهو عالم بذلك. فيكون أبلغ في عقوبته وأشد في نكاله.

وعلى هذا فالوكيل إذا علم أن موكله مبطل في دعواه، لم يحل له أن يخاصم عن الخيائين، كيميا قيال تبعيالي: ﴿ولا تكن للخائنين خصيماً﴾.

﴿١٨٩﴾ ﴿يسَأَلُونُكُ عَنِ الْأَهْلَةُ قُلَّ هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأنَّ تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ يقول (١) تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة ﴾: جمع هلال، ما فائدتها وحكمتها؟ أو عن ذاتها، ﴿قل هي مواقيت للناس﴾ أي: جعلها الله تعالى بلطفه ورحمته على هذا التدبير يبدو الهلال ضعيفاً في أول الشهر، ثم يتزايد إلى نصفه، ثم يشرع في النقص إلى كماله، وهكذا ليعرفُ الناس بذلك مواقيت عباداتهم من الصيام، وأوقات الزكاة، والكفارات، وأوقات الحج.

ولما كمان الحسج يسقسع فسي أشبهسر معلومات، ويستغرق أوقاتاً كثيرةً، قال: ﴿والحج﴾ وكذلك تعرف بذلك أوقات المديون المؤجلات، ومدة

إِذَ فِ حَلْقِ السَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ ٱلْبَلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلُكِ ٱلِّيَ جَدِي فِ ٱلْبَحْدِ عِمَايَنَعُمُ ٱلنَّاسَ وَمَاۤ أَزَلَكِ ٱللَّهُ مِنَ السَّكَاءَ مِن مَّاءِ فَأَحْبَ الِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْفِهَا وَبَثَّ فِهَامِن كُلِ دَانَتَ فِي وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَتِعِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخِّرِيَيْنَ ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضِ لَآيَكَ لِقُوْمِ يَفْقِلُونَ ۞ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَنَّخِبُ نُين دُونِ ٱللَّهِ أَنْدَادَا يُجِيُّونِهُ مُرْكَحُبُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَشَدُّ حُبَّايَتَهِ وَلَوْبَرَى الَّذِينَ طَلَكُوّا إِذْ يَرُونَ ٱلْعَكَابَ أَنَّ الْفُوَّةَ يَقْدِجَيعَ اوَّأَتَ اللَّهُ مُسْدِيدُ الْعَذَابِ ﴿ إِذَ تُبَرِّأً ٱلَّذِيكِ البُّعُوامِنَ ٱلَّذِيكِ ٱنَّبَعُوا وَرَأَوْا ٱلْعَكَابَ وَتَعَطَّسَتْ بِهِدُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ٱبْتَعُوا لَوَأَذَاكَ ا كَنَّ فَنَتَكُزُ أَمِنْهُمْ كَمَا نَبْزُهُ وأَمِنّا كُنَّاكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْنَلَهُمْ حَسَرَت عَلَيْهِمْ وَمَاهُم عِنْرِوِينَ مِنَ ٱلشَّادِ ا ا يَتَأَيُّهُا ٱلنَّاسُ كُلُوا عَا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبَا وَلَا تَنْيَعُوا خُلُونِتِ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُوْعَدُو تُمْيِبُ ۞ إِنَّا يَأْمُرُكُم بِالنَّقِ الله وَالْفَحَثُكَاء وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَاتَفَ لَمُونَ اللَّهِ مَا لَاتَفَ لَمُونَ ا CLEAR WEAR END

الإجارات، ومدة العدد والحمل، وغير ذلك مما هو من حاجات الخلق، فجعله تعالى حساباً يعرفه كل أحد من صغير وكبير، وعالم وجاهل، فلوكان الحساب بالسنة الشمسية لم يعرفه إلا النادر من الناس.

﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها، وهذا كما كان الأنصار وغيرهم من العرب إذا أحرموا لم يدخلوا البيوت من أبوابها، تعبداً بذلك، وظنّاً أنه بر، فأخبر الله أنه ليس ببر(۲۲)، لأن الله تعالى لم يشرعه لهم، وكُل من تعبد بعبادة لم يشرعها الله ولا رسوله، فهو متعبدببدعة، وأمرهم أن يأتوا البيوت من أبوابها لما فيه من السهولة عليهم، التي هي قاعدة من قواعد الشرع.

ويستفاد من إشارة الآية أنه ينبغي في كل أمر من الأمور أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب، الذي قد جعل له موصلاً، فالأمر بالمعروف والناهي عن المنكر، ينبغي أن ينظر في حالة المأمور، ويستعمل معه الرفق والسياسة التي بها يحصل المقصود أو بعضه، والمتعلم والمعلم ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله، يحصل به مقصوده، وهكذا كل من حاول أمراً من الأمور وأتاه من أبوابه وثابر عليه،

فلا بدأن يحصل له القصود بعون الملك المعبود.

﴿واتقوا الله ﴾ هذا هو البر الذي أمر الله به، وهو لزوم تقواء على الدوام، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فإنه سبب للفلاح الذي هو الضوز بالمطلوب، والنجاة من المرهوب، فمن لم يتق الله تعالى لم يكن له سبيل إلى الفلاح، ومن اتقاه فاز بالفلاح والنجاح.

﴿ ١٩٠ \_ ١٩٣﴾ ﴿ وقاتسلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين \* واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فإن انتهوا فإن الله فيد ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا على الظالمين ﴿

هذه الآيات، تتضمن الأمر بالقتال في سبيل الله، وهذا كان بعد الهجرة إلى المدينة، لما قوي المسلمون للقتال أمرهم الله به، بعدما كانوا مأمورين بكف أيديهم، وفي تخصيص القتال

﴿ في مسبسيل الله ﴾ حدث عسلى الإخلاص، ونهي عن الاقتتال في الفتن بين المسلمين.

﴿الذّين يقاتلونكم﴾ أي: الذين هم مستعدون لقتالكم، وهم المكلفون الرجال، غير الشيوخ الذين لا رأي: لهم ولا قتال.

والنهي عن الاعتداء يشمل أنواع الاعتداء كلها، من قتل من لا يقاتل من النساء والمجانين والأطفال والرهبان ونحوهم، والتمثيل بالقتلى، وقتل الحيوانات، وقطع الأشجار [ونحوها] لغير مصلحة تعود للمسلمين.

ومن الاعتداء مقاتلة من تقبل منهم الجزية إذا بذلوها، فإن ذلك لا يجوز.

﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم ﴾ هذا أمر بقتالهم أينما وجدوا، في كل وقت، وفي كل زمان، قتال مدافعة، وتال مهاجمة ثم استثنى من هذا العموم قتالهم ﴿ عند المسجد الحرام ﴾ وأنه يقاتلون جزاء لهم على اعتدائهم، وهذا يقاتلون جزاء لهم على اعتدائهم، وهذا مستمر في كل وقت، حتى ينتهوا عن كفرهم فيسلموا، فإن الله يتوب عليهم، ولو حصل منهم ما حصل من الكفر بالله والشرك في المسجد الحرام، وصد الرسول والمؤمنين عنه، وهذا من رحته وكرمه يعباده.

ولما كان القتال عند المسجد الحرام يتوهم أنه مفسدة في هذا البلد الحرام، أخبر تعالى أن المفسدة بالفتنة عنده بالشرك والصدعن دينه، أشد من مفسدة القتل، فليس عليكم -أيها المسلمون حرج في قتالهم.

ويستدل بهذه (ألم الآية على القاعدة المشهورة، وهي: أنه يرتكب أخف المستين لدفع أعلاهما.

ثم ذكر تعالى المقصود من القتال في سبيله، وأنه ليس المقصود به سفك دماء الكفار وأخذ أموالهم، ولكن المقصود به أن ﴿ يكون الدين لله ﴾ تعالى فيظهر دين الله [تعالى]، على سائر الأديان،

ويدفع كل ما يعارضه من الشرك وغيره، وهو المراد بالفتنة، فإذا حصل هذا القصود فلا قتل ولا قتال، ﴿فإن انتهوا﴾ عن قتالكم عند المسجد الحرام ﴿فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ أي: فليس عليهم منكم اعتداء إلا من ظلم منهم، فإنه يستحق المعاقبة بقدر ظلمه.

(١٩٤) ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ يقول تعالى: ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام عتمل أن يكون المراد به ما وقع من صد المشركين للنبي وأصحابه عام الحديبية عن المدخول لكة، وقاضوهم على دخولها من قابل، وكان الصد والقضاء في شهر حرام، وهو ذو القعدة، فيكون هذا الصحابة يتمام نسكهم وكماله.

ويحتمل أن يكون المعنى: إنكم إن قاتلتموهم في الشهر الحرام<sup>(٢)</sup> فقد قاتلوكم فيه، وهم المعتدون، فليس عليكم في ذلك حَرَجٌ وعلى هذا فيكون قوله ﴿ ﴿ وَالحرمات قصاص ﴾ من ياب عطف العام على الخاص، أي: كل شيء يحترم من شهر حرام، أو بلد حرام، أو إحرام، أو ما هو أعم من ذلك، جميع ما أمر الشرع باحترامه، فمن تجرأ عليها فإنه يقتص منه، فمن قاتل في الشهر الحرام قوتل، ومن هتك البلَّد الحرام أخذ منه الحد ولم يكن له حرمة، ومن قتل مكافئاً له قتل به، ومن جرحه أو قطع عضواً منه اقتص منه، ومن أخذ مال غيره المحترم أخذ منه بدله، ولكن هل لصاحب الحق أن يأخذ من ماله بقدر حقه أم لا؟ خلاف بين العلماء، الراجح من ذلك أنه إن كان سبب الحق ظاهراً كالضيف إذا لم يقره غيره، والزوجة والقريب إذا امتنع من تجب عليه النفقة، [من الإنفاق عليه] فإنه يجوز أخذه من ماله.

<sup>(</sup>١) في ب: ويستدل في هذه.

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: بالشهر الحرام.

وإن كان السبب خفياً كمن جحد دين غيره، أو خانه في وديعة، أو سرق منه ونحو ذلك، فإنه لا يجوز له أن يأخذ من ماله مقابلة له، جمعاً بين الأدلة، ولهذا قال تعالى تأكيداً وتقوية لما تقدم: ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴿ هذا تفسير لصفة المقاصة، وأنها هي المماثلة في مقابلة المعتدي.

ولما كانت النفوس في الغالب لا تقف على حدها إذا رخص لها في المعاقبة لطلبها التشفي، أمر تعالى بلزوم تقواه، التي هي الوقوف عند حدوده وعدم تجاوزها، وأخبر تعالى أنه ﴿مع المتقبن﴾ أي: بالعون، والنصر، والتأييد، والتوفيق.

ومن كان الله معه حصل له السعادة الأبدية، ومن لم يلزم التقوى تخلى عنه وليه وخذله، فوكله إلى نفسه، فصار هلاكه أقرب إليه من حبل الوريد.

﴿١٩٥﴾ ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين له يأمر تعالى عباده بالنفقة في سبيله، وهو إخراج الأموال في الطرق الموصلة إلى الله، وهي كل طرق الخير من صدقة على مسكين، أو قريب، أو إنفاق على من تجب مؤنته.

وأعظم ذلك وأول ما دخل في ذلك الإنفاق في الجهاد في سبيل الله، فإن النفقة فيه جهادٌ بألمال، وهو فرض كالجهاد بالبدن، وفيها من المصالح العظيمة الإعانة على تقوية المسلمين، وعلى توهية الشرك وأهله، وعلى إقامة ديسن الله وإعسزازه، فسالجمهاد فسي سبيل الله لا يقوم إلا على ساق النفقة، فالنفقة له كالروح، لا يمكن وجوده بدونها، وفي ترك الإنفاق في سبيل الله إبطال للجهاد، وتسليط للأعداء، وشدة تكالبهم، فيكون قوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ كالتعليل لذلك، والإلقاء باليد إلى التهلكة يرجع إلى أمرين: ترك ما أمر به العبد، إذا كان تركه موجباً أو مقارباً

لهلاك البدن أو الروح، وفعل ما هو سبب موصل إلى تلف النفس أو الروح، فيدخل تحت ذلك أمور كثيرة، فمن ذلك ترك الجهاد في سبيل الله أو ومن ذلك تخرير الإنسان بنفسه في مقاتلة أو سفر نخوف، أو محل مسبعة أو حيات، أو يصعد شجراً أو بنياناً خطراً، أو يدخل تحت شيء فيه خطر، ونحو ذلك، فهذا ونحوه عمن ألقى بيده إلى التهلكة.

ومن الإلقاء باليد إلى التَّهُلُكَة (1) الإقامة على معاصي الله، واليأس من التوبة، ومنها ترك ما أمر الله به من الفرائض، التي تَرْكُها هلاك للروح والدين.

ولما كانت النفقة في سبيل الله نوعاً من أنواع الإحسان، أمر بالإحسان عموماً، فقال: ﴿وَاحسنوا إِنَّ اللهُ يجب المحسنين﴾ وهذا يشمل جميع أنواع الإحسان، لأنه لم يقيده بشيء دون شيء، فيدخل فيه الإحسان بالمال كما تقدم.

ويدخل فيه الإحسان بالجاه بالشفاعات ونحو ذلك، ويدخل في ذلك الإحسان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم العلم النافع، ويدخل في ذلك قضاء حوائج الناس من تفريج كرباتهم وإزالة شداتهم، وإعانة من يعمل وإرشاد ضالهم، وإعانة من يعمل عملاً، والعمل لمن لا يحسن العمل، ونحو ذلك مما هو من الإحسان الذي أمر الله به، ويدخل في الإحسان أيضاً الإحسان في عبادة الله تعالى، وهو كما ذكر النبي على "أه تكن تراه فإنه يراك».

فمن اتصف بهذه الصفات، كان من الذين قال الله فيهم: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ وكان الله معه يسدده ويعينه على كل أموره.

ولما فرغ تعالى من [ذكر] أحكام الصيام فالجهاد، ذكر أحكام الحج

﴿١٩٦﴾ ﴿وأتموا الحج والعمرة لله فإن أخصرتُم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي عله فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ يستدل بقوله [تعالى]:

فقال:

﴿ وأتموا الحج والعمرة ﴾ على أمور: أحدها: وجوب الحج والعمرة، وفرضيتهما.

الثاني: وجوب إتمامهما بأركانهما وواجباتهما التي قد دل عليها فعل النبي وقوله: «خذوا عني مناسككم».

الشالث: أن فيه حجة لمن قال بوجوب العمرة.

الرابع: أن الحج والعمرة يجب إتمامهما بالشروع فيهما، ولوكانا نفلاً.

الخامس: الأمر باتقانهما وإحسانهما، وهذا قدر زائد على فعل ما يلزم لهما.

السادس: وفيه الأمر بإخلاصهما لله تعالى.

السابع: أنه لا يخرج المحرم بهما بشيء من الأشياء حتى يكملهما، إلا بما استثناه الله وهو الحصر، فلهذا قال: ﴿ فإن أحصرتم ﴾ أي: منعتم من الوصول إلى البيت لتكميلهما، بمرض أو ضلالة أو عدو، ونحو ذلك من أنواع الحصر، الذي هو المنع.

﴿ فما استيسر من الهدي ﴾ أي: فاذبحوا ما استيسر من الهدي، وهو سبع بدنة، أو سبع بقرة، أو شاة يذبحها المحصر، ويحلق ويحل من إحرامه بسبب الحصر، كما فعل النبى على وأصحابه لما صدهم

المشركون عام الحديبية، فإن لم يجد الهدي، فليصم بدله عشرة أيام كما في المتمتع، ثم يحل.

ثم قال تعالى: ﴿ولا تعلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله﴾ وهذا من محظورات الإحرام، إزالة الشعر بحلق أو غيره، لأن المعنى واحد، من الرأس أو من البدن، لأن المقصود من ذلك حصول الشعث والمنع من الترفه بإزالته، وهو موجود في بقية الشعر.

وقاس كثير من العلماء على إزالة الشعر تقليم الأظفار بجامع الترفه، ويستمر المنع عما ذكر حتى يبلغ الهدي علمه، وهو يوم النحر، والأفضل أن يكون الحلق بعد النحر، كما تدل عليه الآية.

ويستدل بهذه الآية على أن المتمتع إذا ساق الهدي لم يتحلل من عمرته قبل يوم النحر، فإذا طاف وسعى للعمرة أحرم بالحج، ولم يكن له إحلال بسبب سوق الهدي، وإنما منغ تبارك وتعالى من ذلك لما فيه من الذل والخضوع لله والانكسار له، والتواضع الذي هو عين مصلحة العبد، وليس عليه في ذلك من ضرر، فإذا حصل الضرر بأن كان به أذى من مرض ينتفع بحلق رأسه له، أو قروح، أو قمل وتنحو ذلك، فإنه يحل له أن يحلق رأسه، ولكن يكون عليه فدية من صيام ثيلاثة أيام، أو صدقة على ستة مساكين (١١)، أو نسك ما يجزىء في أضحية، فهو مخير، والنسك أفضل، فالصدقة، فالصيام.

ومثل هذا كل ما كان في معنى ذلك من تقليم الأظفار، أو تغطية الرأس، أو لبس المخيط، أو التطيب، فإنه يجوز عند الضرورة، مع وجوب الفدية المذكورة لأن القصد من الجميع إزالة ما به ته فه.

ثم قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَمِنتَمَ ﴾ أي: بأن قدرتم على البيت من غير مانع عدو وغيره ﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج ﴾ بأن توصل بها إليه، وانتفع بتمتعه بعد الفراغ منها.

﴿ فما استيسر من الهدي ﴾ أي: فعليه ما تيسر من الهدي ، وهو ما يجزى و في أضحية ، وهذا دم نسك ، مقابلة لحصول النسكين له في سفرة واحدة ، ولإنعام الله عليه بحصول الانتفاع بالمتعة بعد فراغ العمرة وقبل الشروع في الحج ، ومثلها القران له .

ويدل مفهوم الآية على أن المفرد للحج ليس عليه هدي، ودلت الآية على جواز بل فضيلة المتعة، وعلى جواز فعلها في أشهر الحج.

﴿ وَمَن لَم يَجِد﴾ أي: الهدي أو ثمنه ﴿ وَصَالِم ثَلاثة أَيام في الحج﴾ أول جوازها من حين الإحرام بالعمرة ، وآخرها ثلاثة أيام بعد النحر ، أيام رمي الجمار ، والمبيت بـ «منى» ولكن الأفضل منها أن يصوم السابع والثامن والتاسع ، ﴿ وسبعة إذا رجعتم ﴾ أي: فرغتم من أعمال الحج ، فيجوز فعلها في مكة وفي الطريق ، وعند وصوله إلى

﴿ذلك﴾ المذكور من وجوب الهدي على المتمتع ﴿لن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ بأن كان عنه مسافة قصر فأكثر، أو بعيداً عنه عرفاً، فهذا الذي يجب عليه الهدي لحصول النسكين له في سفر واحد، وأما من كان أهله من حاضري المسجد الحرام، فليس عليه هدي لعدم الموجب لذلك.

﴿واتسقسوا الله ﴾ أي: في جميع أموركم، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ومن ذلك امتثالكم لهذه المأمورات، واجتناب هذه المحظورات المذكورة في هذه الآية.

﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ أي: لمن عصاه، وهذا هو الموجب للتقوى، فإن من خاف عقاب الله، انكف عما يُوجب العقاب، كما أن من رجا ثواب الله عمل لما يوصله إلى الثواب، وأما من لم يخف العقاب ولم يرج الثواب، اقتحم المحارم وتجرأ على ترك الواجبات.

(١٩٧) (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون با أولي الألباب) يخبر تعالى أن (الحج) واقع في (أشهر معلومات) عند المخاطبين، مشهورات بحيث لا تحتاج إلى تخصيص، كما احتاج الصيام إلى تعيين شهره، وكما بين تعالى أوقات الخمس.

وأما الحج فقد كان من ملة إبراهيم التي لم تزل مستمرة في ذريته، معروفة بينهم.

والمراد بالأشهر المعلومات عند جمهور العلماء: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة، فهي التي يقع فيها الإحرام بالحج غالباً.

﴿ فَمِن فُرضَ فَيهِن الحَجِ ﴾ أي: أحرم به، لأن الشروع فيه يصيره فرضاً ولو كان نفلاً.

واستدل بهذه الآية الشافعي ومن تابعه على أنه لا يجوز الإحرام بالحج قبل أشهره، قلت: لو قبل: إن فيها دلالة لقول الجمهور بصحة الإحرام [بالحج] قبل أشهره لكان قريباً، فإن قوله: ﴿ فمن فرض فيهن الحج﴾ دليل على أن الفرض قد يقع في الأشهر المذكورة، وقد لا يقع فيها، وإلا لم يقيده.

وقوله: ﴿فلا رفت ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴿ أي: يجب أن تعظموا الإحرام بالحج، وخصوصاً الواقع في أشهره، وتصونوه عن كل ما يفسده أو ينقصه من الرفث، وهو الجماع ومقدماته الفعلية والقولية، خصوصاً عند النساء بحضرتهن.

والفسوق وهو: جميع المعاصي، ومنها محظورات الإحرام.

والجدال وهو: المماراة والمنازعة والمخاصمة، لكونها تثير الشر، وتوقع العداوة.

والمقسسود من الحج: اللذل

والانكسار لله، والتقرب إليه بما أمكن من القربات، والتنزه عن مقارفة السيئات، فإنه بذلك يكون مبروراً، والمبرور ليس له جزاء إلا الجنة، وهذه الأشياء وإن كانت ممنوعة في كل مكان وزمان، فإنها(١) يتغلظ المنع عنها في

واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله بترك المعاصى حتى يفعل الأوامر، ولهذا قال تعالى: ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله ♦ أتى بد «من التنصيص العموم، فكل خير وقربة وعبادة، داخل في ذلك، أي: فإن الله به عليم، وهذا يتضمن غاية الحث على أفعال الخير، وخصوصاً في تلك البقاع الشريفة والحرمات المنيفة، فإنه ينبغى تدارك ما أمكن تداركه فيها، من صلاة وصيام وصدقة وطواف وإحسان قولي وفعلي.

ثم أمر تعالى بالتزود لهذا السفر المبارك، فإن التزود فيه الاستغناء عن المخلوقين، والكف عن أموالهم سؤالاً واستشرافاً، وفي الإكثار منه نفع وإعانة للمسافرين، وزيادة قربة لرب العالمين، وهذا الزاد الذي المراد منه إقامة البنية بلغةٌ ومتاع.

وأما الزاد الحقيقي المستمر نفعه لصاحبه في دنياه وأخراه، فهو زاد التقوى الذي هو زاد إلى دار القرار، وهو الموصل لأكمل لذة، وأجلّ نعيم دائم أبدأ، ومن ترك هذا الزاد، فهو المنقطع به الذي هو عرضة لكل شر، وممنوع من الوصول إلى دار المتقين، فهذا مدح للتقوي.

شم أمربها أولى الألباب فقال: ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: يَا أَهُلُ العقول الرزينة، اتقوا ربكم الذي تقواه أعظم ما تأمر به العقول، وتركها دليل على الجهل وفساد الرأي.

﴿۱۹۸ ـ ۲۰۲﴾ ﴿ليس عــليكـــ جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم فإذاً أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر ألحرام واذكروه كما هداكم وإن

كنتم من قبله لمن الضالين \* ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم \* فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً فمن الناس من يقول ربناً آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق \* ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وني الآخرة حسنة وقنا عذاب النار \* أولنك لهم نصيب ما كسبوا والله سريع الحساب للاأمر تعالى بالتقوى، أخبر تعالى أن ابتغاء فضل الله بالتكسب في مواسم الحج وغيره ليس فيه حرج إذا لم يشغل عما يجب إذا كان المقصود هو الحج، وكان الكسب حلالاً منسوباً إلى فضل الله، لا منسوباً إلى حذق العبد، والوقوف مع السبب ونسيان السبب، فإن هذا هو الحرج بعينه .

وفى قوله: ﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام، دلالة على أمور:

أحدها: الوقوف بعرفة، وأنه كان معروفاً أنه ركن من أركان الحج، فالإفاضة من عرفات لا تكون إلا بعد الوقوف.

الثانى: الأمر بذكر الله عند المشعر الحرام وهو المزدلفة، وذلك أيضاً معروف، يكون ليلة النحر بائتاً بها، وبعد صلاة الفجر يقف في المزدلفة داعياً حتى يسفر جداً، ويدخل في ذكر الله عنده، إيقاع الفرائض والنوافل

الثالث: أن الوقوف بمزدلفة متأخر عن الوقوف بعرفة، كما تدل عليه الفاء والترتيب.

المرابع والخامس: أن عمرفات ومزدلفة كلاهما من مشاعر الحج المقصود فعلها وإظهارها.

السادس: أن مزدلفة في الحرم كما قيده بالحرام.

السابع: أن عرفة في الحل كما هو مفهوم التقييد بـ امزدلفة).

﴿واذكروه كما هداكم وإن كنتم من

 أَنَّسَ ٱلْبِرَآنَ ثُولُوا وُجُوهَكُمْ فِلَ ٱلْمُشْرِقِ وَٱلْفَرْبِ وَلِيكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِأَنَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِيرِ وَلَلْكَتَهَكَةِ وَٱلْكِتَبُ وَالنَّيْعِنَ ﴿ وَءَانَ ٱلْمَالَ عَلَىٰ جُبِهِ ء ذَوِى ٱلْفُرْنِيَ وَٱلْمِينَ عَرَالْمَيْنَ كَانَ وَالْمَيْنَ كَن وَأَن ٱلسَّيِدِيلِ وَالسَّكَآبِلِينَ وَفِي ٱلرِّفَابِ وَأَفَامَ الصَّلَوْةَ وَمَانَ الزَّكُونَ الأُونُونَ بِمَعْدِهِمْ إِذَاعَلَهُ وَالصَّامِينَ فِي الْمَأْسَاءِ اً وَالْفَرِّلَةِ وَعِينَ ٱلْبَالَيْنُ أُوْلَتِهِكَ ٱلَّذِيرَ مَنْدَقُوا وَأُولَتِهِكَ هُمُ ٱلْمُثَوِّرِينَ ﴿ بِتَأْتُهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْكُيْبَ عَلَيْكُمُ ٱلْفِصَاصُ فِ ٱلْفَنَلِّ ٱلْحُرُّ بَالْحُرُّ وَٱلْعَبَدُ بَالْفَسِدِ وَٱلْأَنْئَ يَالْأَنْنَ فَنَ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَيْبَاعُ لِلْفَرُوفِ وَأَدَادُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنُّ ذَلِكَ غَنْيِفُ مِن رَيِّكُمْ وَرَدْعَةٌ فَرَاعَدَى بَعْدَذَٰلِكَ فَلَمُعَذَابُ أَلِيدٌ ﴿ وَلَكُمْ فِٱلْفِصَاصِ جَوَةٌ الله المُنْ اللَّهُ اللَّاللَّا الللَّهُ اللّل حَضَرَ أَحَدُكُمُ ٱلْمُؤْتُ إِن ثَرَكَ حَبْرًا ٱلْوَصِيتَ لُلِوَلِلْيْنِ وَٱلْأَوْيِنَ إِ إِلْمُتُهُونِ حَفًّا عَلَى ٱلْمُنْقِينَ ﴿ فَنَ ابْذَلُهُ بَعْدَ مَاسَيِعَهُ إِنَّمُ أَوْنَمَا إِشْهُ مَلَ الَّذِينَ يُبَيِّلُونَهُ وَإِنَّ اللَّهُ سَيبِعُ عَلِيدٌ ﴿ OLOGO WEGNEED

قبله لمن الضالين ﴾ أي: اذكروا الله تعالى كما من عليكم بالهداية بعد الضلال، وكما علمكم ما لم تكونوا تعلمون، فهذه من أكبر النعم التي يجب شكرها ومقابلتها بذكر المنعم في القلب واللسان.

﴿ ثُم أَفْيِضُوا مِن حِيثُ أَفَّاضِ الناس﴾ أي: ثم أفيضوا من مزدلفة من حيث أفاض الناس، من لدن إبراهيم عليه السلام إلى الآن، والقصود من هذه الإفاضة كان معروفاً عندهم، وهو رمى الجمار، وذبيح السدايا، والطواف، والسعى، وآلمبيت بـ «منى» ليالي التشريق، وتكميل باقى المناسك.

ولما كانت [هذه] الإفاضة يقصد بها ما ذكر، والمذكورات آخر المناسك، أمر تعالى عند الفراغ منها باستغفاره والإكثار من ذكره، فالاستغفار للخلل الواقع من العبد في أداء عبادته وتقصيره فيها، وذكر الله شكر الله على إنعامه عليه بالتوفيق لهذه العبادة العظيمة والمنة الجسيمة.

وهكذا ينبغي للعبد كلما فرغ من عبادة، أن يستغفر الله عن التقصير، ويشكره على التوفيق، لا كمن يرى أنه قد أكمل العيادة، ومنَّ بها على ربه، وجعلت له محلاً ومنزلة رفيعة، فهذا حقيق بالمقت ورد العمل، كما أن

الأول حقيق بالقبول والتوفيق لأعمال أخر.

ثم أخبر تعالى عن أحوال الخلق، وأن الجميع يسألونه مطالبهم، ويستدفعونه ما يضرهم، ولكن مقاصدهم تختلف، فمنهم: ﴿من يقول ربنا آتنا في الدنيا ﴾ أي: يسأله من مطالب الدنياً ما هو من شهواته، وليس له في الآخرة من نصيب لرغبته عنها، وقصر همته على الدنيا، ومنهم من يدعو الله لمصلحة الدارين، ويفتقر إليه في مهمات دينه ودنياه، وكل من هؤلاء وهؤلاء لهم نصيب من كسبهم وعملهم، وسيجازيهم تعالى على حسب أعمالهم وهماتهم ونياتهم، جزاء دائراً بين العدل والفضل، يحمد عليه أكمل حمد وأتمه، وفي هذه الآية دليل على أن الله يجيب دعوة كل داع، مسلماً أو كافراً أو فاسقاً، ولكن ليست إجابته دعاء من دعاه دليلاً على محبته له وقربه منه، إلا في مطالب الآخرة ومهمات الدين.

والحسنة المطلوبة في الدنيا يدخل فيها كل ما يحسن وقعه عند العبد، من رزق هنيء واسع حلال، وزوجة صالحة، وولد تقر به العين، وراحة، وعلم نافع، وعمل صالح، ونحو ذلك من المطالب المحبوبة والمباحة.

وحسنة الآخرة هي السلامة من العقوبات في القبر والموقف، والنار،

وحصول رضا الله، والفوز بالنعيم المقيم، والقرب من الرب الرحيم، فصار هذا الدعاء أجم دعاء وأكمله، وأولاه بالإيثار، ولهذا كان النبي على من الدعاء به، ويحث عليه.

وردك فرواذكروا الله في أيسام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لا اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه غشرون في يأمر تعالى بذكره في الأيام المعدودات، وهي أيام التشريق الثلاثة بعد العيد، لمزيتها وشرفها، وكون بقية أحكام المناس أضيافاً لله فيها، ولهذا حرم صيامها، فللذكر فيها مزية ليست لغيرها، ولهذا قال النبي ﷺ: "أيام المتشريق، أيسام أكمل وشرب،

ويدخل في ذكر الله فيها ذكره عند رمي الجمار، وعند الذبح، والذكر المقيد عقب الفرائض، بل قال بعض العلماء: إنه يستحب فيها التكبير المطلق كالعشر، وليس ببعيد.

﴿ فَمَن تَعْجُلُ فَي يُومِينَ ﴾ أي: خرج من «منى» ونفر منها قبل غروب شمس اليوم الثاني ﴿ فلا إثم عليه ، ومن تأخر ﴾ بأن بات بها ليلة الثالث تغفيف من الغد ﴿ فلا إثم عليه ﴾ وهذا إباحة كلا الأمرين ، ولكن من المعلوم أنه إذا أبيح كلا الأمرين ، فالتأخر أفضل لأنه أكثر عبادة .

ولما كان نفي الحرج قد يفهم منه نفي الحرج في ذلك المذكور وفي غيره، والحاصل أن الحرج منفي عن المتقدم، والمتأخر فقط قيده بقوله: ﴿ لَمْ اتقى الله في جميع أموره وأحوال الحج، فمن اتقى الله في كل شيء، حصل له نفي الحرج في كل شيء، ومن اتقاه في شيء دون شيء، كان الجزاء من جنس العمل.

﴿ واتقوا الله بامتشال أوامره واجتناب معاصيه، ﴿ واعلموا أنكم إليه تحشرون ﴾ فمجازيكم بأعمالكم، فمن اتقاه وجد جزاء التقوى عنده،

ومن لم يتقه عاقبه أشد العقوبة، فالعلم بالجزاء من أعظم الدواعي لتقوى الله، فلهذا حث تعالى على العلم بذلك.

﴿٢٠٢ ـ ٢٠٤﴾ ﴿ومن الناس من يُحجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام \* وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد \* وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبشس المهاد﴾.

لا أمر تعالى بالإكثار من ذكره، وخصوصاً في الأوقات الفاضلة الذي هو خير ومصلحة وبر، أخبر تعالى بحال من يتكلم بلسانه ويخالف فعله قوله، فالكلام إما أن يرفع الإنسان أو يخفضه، فقال: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾ أي: إذا تكلم راق كلامه السامع، وإذا نطق تكلم راق كلامه السامع، وإذا نطق يقول بأنه ﴿يشهد الله على ما في قلبه بأن يخبر أن الله يعلم أن ما في قلبه موافق لما نطق به، وهو كاذب في ذلك، لأنه يخالف قوله فعله.

فلو كان صادقاً لتوافق القول والفعل، كحال المؤمن غير المنافق، فلهذا قال: ﴿وهو ألد الخصام﴾ أي: إذا خاصمته، وجدت فيه من اللدد والصعوبة والتعصب، وما يترتب على ذلك ما هو من مقابح الصفات، ليس كأخلاق المؤمنين الذين جعلوا السهولة مركبهم، والانقياد للحق وظيفتهم، والانقياد للحق وظيفتهم،

وإذا تولى هذا الذي يعجبك قوله إذا حضر عندك وسعى في الأرض ليفسد فيها أي: يجتهد على أعمال المعاصي التي هي إفساد في الأرض وويسلك بسبب ذلك والمنسل فالزروع والثمار والمواشي تتلف وتنقص وتقل بركتها، يسبب العمل في المعاصي، ووالله لا يحب الفساد فهو يبغض العبد الفسد في الأرض غاية البغض، وإذا كان لا يحب الأرض غاية البغض، وإذا كان لا يحب الأرض غاية البغض، وإذا كال بلسانه ولا حسناً.

ففي هذه الآية دليل على أن الأقوال التي تصدر من الأشخاص ليست دليلاً عـــلى صـــدق ولا كـــذب، ولا بــر ولا فجور، حتى يوجد العمل المصدق لها المزكى لها، وأنه ينبغي اختبار أحوال الشهود، والمحق والبطل من الناس بسبر أعمالهم، والنظر لقرائن أحوالهم، وأن لا يغتر بتمويهم وتزكيتهم أنفسهم.

ثم ذكر أن هذا المفسد في الأرض بمعاصى الله، إذا أمر بتقوى الله تكبّر وأنف، و﴿أخذته العزة بالإثم﴾ فيجمع بين العمل بالمعاصي والكبرا على الناصحين.

﴿ فحسبه جهنم ﴾ التي هي دار العاصين والمتكبرين، ﴿ولبئسَ المهاد﴾ أي: المستقر والمسكن عذاب دائم، وهم لا ينقطع، ويأس مستمر، لا يخفف عنهم العذاب ولا يرجون الثواب، جزاء لجناياتهم ومقابلة لأعمالهم، فعياذاً بالله من أحوالهم.

﴿۲۰۷﴾ ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾ هؤلاء هم الموفقون الذين باعوا أنفسهم وأرخصوها وبذلوها طلبآ لمرضاة الله ورجاءً لثوابه، فهم بذلوا الثمن للمليء الوفي الرؤوف بالعباد، الذي من رأفته ورحمته أن وفقهم لذلك، وقد وعد الوفاء بذلك، فقال: ﴿إِنَ اللهِ اشترى من المؤمنين أنفسهم وأمواليهم بأن ليهم الجنة) إلى آخر الآية. وفي هذه الآية أخبر أنهم اشتروا أنفسهم وبذلوها، وأخبر برأفته الموجبة لتحصيل ما طلبوا، وبذل ما به رغبوا، فلا تسأل بعد هذا عن ما يحصل لهم من الكريم، وما ينالهم من الفوز والتكريم(

﴿٢٠٨ ــ ٢٠٩﴾ ﴿يا أيها الـذيـن آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين \*

فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم، هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن يدخلوا ﴿ في السُّلم كافَّة ﴾ أي: في جميع شرائع الدين، ولا يتركوا منها شيئاً، وأنَّ لا يكونوا بمن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه تركه، بل الواجب أن يكون الهوى تبعاً للدين، وأن يفعل كل ما يقدر عليه من أفعال الخير، وما يعجز عنه، يلتزمه وينويه، فيدركه بنيته.

ولما كان الدخول في السلم كافة لا يمكن ولا يتصور إلا بمخالفة طرق الشيطان، قال: ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴿ أي: في العمل بمعاصى الله ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ والعدو المبين لا يتأمر إلا بالسوء والفحشاء وما به الضرر عليكم.

ولماكان العبد لابدأن يقع منه خلل وزلل، قال تعالى: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُم من بعد ما جاءتكم البينات ﴿ أي: على علم ويقين ﴿فاعلموا أن الله عزيز حکیم﴾.

وفيه من الوعيد الشديد والتخويف ما يوجب ترك الزلل، فإن العزيز القاهر (٣) الحكيم إذا عصاه العاصي قهره بقوته، وعذبه بمقتضى حكمته، فإن من حكمته تعذيب العصاة

﴿ ٢١٠﴾ ﴿ هـل يستظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور، وهذا فيه من الوعيد الشديد والتهديد ما تنخلع له القلوب. ، يقول تعالى: هل ينتظر الساعون في الفساد في الأرض، المتبعون لخطوات الشيطان، النابذون لأمر الله، إلا يوم الجزاء بالأعمال، الذي قد حشى من الأهوال والشدائد والفظائع ما يقلقل قلوب الظالمين،

على نفي هذه الصفات، بل العقل دل على أن الفاعل أكمل من الذي لا يقدر

> في ب: والتكبر. (1)

ويحق به الجزاء السيىء على المفسدين،

وذلك أن الله تعالى يطوى السموات والأرض، وتنثر الكواكب، وتكور الشمس والقمر، وتنزل الملائكة الكرام فتحيط بالخلائق، وينزل الباري [تبارك] تعالى: ﴿في ظلل من الغمام﴾ ليفصل بين عباده بالقضاء العدل.

فتوضع الموازين، وتنشر الدواوين، وتبيض وجوه أهل السعادة، وتسود وجوه أهل الشقاوة، ويتميز أهل الخير من أهل الشر، وكلُّ يجازي بعمله، فهنالك يعض الظالم على يديه إذا علم حقيقة ما هو عليه .

وهذه الآية وما أشبهها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، المثبتين للصفات الاختيارية، كالاستواء والنزول والمجيء، ونحو ذلك من الصفات التي أخبر بها تعالى عن نفسه، أو أخبر بها عنه رسوله ﷺ، فيثبتونها على وجه يليق بجلال الله وعظمته، من غير تشبيه ولا تحريف، خلافاً للمعطلة على اختلاف أنواعهم، من الجهمية والمعتزلة والأشعرية، ونحوهم، بمن ينفى هذه الصفات، ويتأول لأجلها الآيات بتأويلات ما أنزل الله عليها من سلطان، بل حقيقتها القدح في بيان الله وبيان رسوله، والزعم بأنّ كلامهم هو الذي تحصل به الهداية في هذا الباب، فهؤلاء ليس معهم دليل نقلى، بل ولا دليل عقلى، أما النقلي فقد اعترفوا أن النصوص الواردة في الكتاب والسنة، ظاهرها بل صريحها، دال على مذهب أهل السنة والجماعة، وأنها تحتاج لدلالتها على مذهبهم الباطل، أن تخرج عن ظاهرها، ويزاد فيها وينقص، وهذا كما ترى لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من

وأما العقل فليس في العقل ما يدل

من أول الآية إلى هنا سافط من: ب، وقد قام النجار بتفسير الآية من عند نفسه انظر طبعة النجار (١/ ٢٥٢ ـ ٢٥٤) ولم يبين أن هذا **(Y)** ليس من كلام الشيخ \_ رحمه الله \_.

في ب: العزيز المقام. (٣)

على الفعل، وأن فعله تعالى المتعلق بنفسه والمتعلق بخلقه هو كمال، فإن زعموا أن إثباتها يدل على التشبيه بخلقه، قبل لهم: الكلام على الصفات يتبع الكلام على الذات، فكما أن لله ذاتاً لا تشبهها الذوات، فلله صفات لا تشبهها الصفات، فصفاته تبع لذاته، وصفات خلقه تبع لذواتهم، فليس في إثباتها ما يقتضي التشبيه بوجه.

ويقال أيضاً لمن أثبت بعض الصفات ونفى بعضاً، أو أثبت الأسماء دون الصفات: إما أن تثبت الجميع كما أثبته الله لنفسه وأثبته رسوله، وإما أن تنفى الجميع وتكون منكرأ لرب العالمين، وأما إثباتك بعض ذلك ونفيك لبعضه، فهذا تناقض، ففرَّق بين ما أثبته وما نفيته، ولن تجد إلى الفرق سبيلاً، فإن قلت: ما أثبته لا يقتضى تشبيها، قال لك أهل السنة: والإثبات لما نفيته لا يقتضي تشبيها، فإن قلت: لا أعقل من الذي نفيته إلا التشبيه، قال لك النفاة: ونحن لا نعقل من الذي أثبته إلا التشبيه، فما أجبت به النفاة، أجابك به أهل السنة، لما نفيته.

والحاصل أن من نفى شيئاً وأثبت شيئاً مما دل الكتاب والسنة على إثباته، فهو متناقض، لا يثبت له دليل شرعي ولا عقلي، بل قد خالف المعقول والمنقول.

﴿ ٢١١﴾ ﴿ سل بني إسرائيل كما آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإنَّ الله شديد المعقاب يقول تعالى: ﴿ سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ﴾ تدل على الحق وعلى صدق الرسل، فتيقنوها وعرفوها، فلم يقوموا بشكر هذه النعمة التي تقتضى القيام بها.

بل كفروا بها وبدلوا نعمة الله كفراً، فلهذا استحقوا أن ينزل الله عليهم عقابه ويحرمهم من ثوابه، وسمى الله

تعالى كفر النعمة تبديلاً لها، لأن من أنعم الله عليه بنعمة دينية أو دنيوية فلم يشكرها ولم يقم بواجبها، اضمحلت عنه وذهبت، وتبدلت بالكفر والمعاصي، فصار الكفر بدل النعمة، وأما من شكر الله تعالى وقام بحقها، فإنها تثبت وتستمر، ويزيده الله منها.

(۲۱۲) ﴿ زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ يجبر تعالى أن الذين كفروا بالله وبآياته ورسله ولم يتقادوا لشرعه، أنهم زينت لهم الحياة الدنيا، فزينت في أعينهم وقلوبهم، فرضوا بها والممأنوا بها، وصارت أهواؤهم وإراداتهم وأعمالهم كلها لها، فأقبلوا وعظموها وعظموا من شاركهم في عليهم، واحتقروا المؤمنين واستهزأوا بهم، وقالوا: أهؤلاء من الله عليهم من بيننا؟

وهذا من ضعف عقولهم ونظرهم القاصر، فإن الدنيا دار استلاء وامتحان، وسيحصل الشقاء فيها لأهل الإيمان والكفران، بل المؤمن في الدنيا وإن ناله مكروه، فإنه يصبر ويحتسب، فيخفف الله عنه بإيمانه وصبره ما لا يكون لغيره.

وإنما الشأن كل الشأن والتفضيل الحقيقي في الدار الباقية، فلهذا قال تعالى: ﴿والذين اتقوا فوقهم يوم المقيامة﴾ فيكون المتقون في أعلى الدرجات، متمتعين بأنواع النعيم والسرور والبهجة والحيور.

والكفار تحتهم في أسفل الدركات، معذبين بأنواع العذاب والإهانة والشقاء السرمدي الذي لا منتهى له، ففي هذه الآية تسلية للمؤمنين، ونعي على الكافرين، ولما كانت الأرزاق الدنيوية والأخروية لا تحصل إلا بتقدير الله، ولن تنال إلا بمشيئة الله، قال تعالى: ﴿والله برزق من يشاء بغير

حساب الرزق الدنيوي يحصل للمؤمن والكافر، وأما رزق القلوب من العلم والإيمان، وعبة الله وخشيته ورجائه، ونحو ذلك، فلا يعطيها إلا من يجب.

﴿٢١٣﴾ ﴿كَانَ النَّاسِ أُمةُ وَاحِدَةً فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما أختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيأ بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله مدي من يشاء إلى صراط مستقيم♦ (أي: كان الناس) [أي: كانوا مجتمعين على الهدى، وذلك عشرة قرون بعد نوح عليه السلام، فلما اختلفوا في الدين فكفر فريق منهم وبقي الفريق الآخر على الدين، وحصل النزاع وبعث الله الرسل ليفصلوا بين الخلائق ويقيموا الحجة عليهم، وقيل بل كانوا](١) مجتمعين على الكفر والضّلال والشقاء، ليس لهم نور ولا إيمان، فرحمهم الله تعالى بإرسال الرسل إليهم ﴿مبشرين﴾ من أطاع الله بشمرات الطاعات، من الرزق والقوة في البدن والقلب والحياة الطيبة، وأعلى ذلك الفوز برضوان الله والجنة.

﴿ومنذرين﴾ من عصى الله بثمرات المصية، من حرمان الرزق، والضعف والإهانة، والحياة الضيقة، وأشد ذلك سخط الله والنار.

﴿وأنزل معهم الكتاب بالحق﴾ وهو الإخبارات الصادقة والأوامر العادلة، فكل ما اشتملت عليه الكتب، فهو حق يفصل بين المختلفين في الأصول والفروع، وهذا هو الواجب عند الاختلاف والتنازع، أن يرد الاختلاف إلى الله وإلى رسوله، ولولا أن في كتابه وسنة رسوله فصل النزاع لما أمر بالرد إليهما.

ولما ذكر نعمته العظيمة بإنزال الكتب على أهل الكتاب، وكان هذا

 <sup>(</sup>۱) زيادة في هامش ب، لم يحدد محلها، وبالنظر إلى السياق يظهر أن الأقرب أن هذا محلها، ولهذا وليتسق الكلام يكون آخره هكذا
 (وقيل بل كانوا مجتمعين على الكفر) ويكون قوله: (أي كان الناس) مكرراً.

والحاجة، فالإنفاق عليهم صدقة وصلة، ﴿واليتامى﴾ وهم الصغار الذين لا كاسب لهم، فهم في مظنة الحاجة لعدم قيامهم بمصالح أنفسهم، وفقد الكاسب، فوصى الله بهم العباد رحمة منه بهم ولطفأ، ﴿والمساكين﴾ وهم أهل الحاجات وأرباب الضرورات الذين أسكنتهم الحاجة، فينفق عليهم لدفع حاجاتهم وإغنائهم.

لْمَالَّكُمْ مُنْلِحُونَ ﴿ وَقَلْنِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ

إِلَّهُ المُنْفِلُونَكُمْ وَلَاتَمْنَدُوٓ أَإِنَّا مَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُثَدِينَ ۞

وابن السبيل أي: الغريب المنقطع به في غير بلده، فيعان على سفره بالنفقة التي توصله إلى مقصده.

ولما خسس الله تسعالى هولاء الأصناف لشدة الحاجة، عمم تعالى، فقال: ﴿وما تفعلوا من خير﴾: من صدقة على هؤلاء وغيرهم، بل ومن جميع أنواع الطاعات والقربات، لأنها تدخل في اسم الخير، ﴿فَإِنَّ الله به عليم﴾ فيجازيكم عليه ويحفظه لكم، كل على حسب نيته وإخلاصه، وكثرة نفقته وقعها ونفعها.

﴿٢١٦﴾ ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو شر خير لكم وعسى أن تجوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، هذه الآية فيها فرض القتال في سبيل الله ، بعدما كان المؤمنون مأمورين بتركه ، لضعفهم وعدم احتمالهم لذلك ، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وكشر

أبدانهم ﴿وزلزلوا﴾ بأنواع المخاوف من التهديد بالقتل، والنفي، وأخذ الأموال، وقتل الأحبة، وأنواع المضار حتى وصلت بهم الحال وآل بهم الزلزال، إلى أن استبطأوا نصر الله مع يقينهم به.

ولكن لشدة الأمر وضيقه قال ﴿الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله﴾.

فلما كان القرج عند الشدة، وكلما ضاق الأمر اتسع، قال تعالى: ﴿أَلا إِن نصر الله قريب﴾ فهكذا كل من قام بالحق فإنه يمتحن.

فكلما اشتدت عليه وصعبت، إذا صبر وثابر على ما هو عليه انقلبت المحنة في حقه منحة، والمشقات راحات، وأعقبه ذلك الانتصار على الأعداء، وشفاء ما في قلبه من الداء، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿أَم حسبتم أَن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله المنين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾.

وقوله [تعالى:] ﴿ الله \* أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون \* ولقد فتنًا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فعند الامتحان، يكرم المرء أو يهان.

﴿ ٢١٥﴾ ﴿ يسألونك ما ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامي والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإنَّ الله به عليم اي: يسألونك عن النفقة، وهذا يعم السؤال عن المنفق والمنفق عليه، فأجابهم عنهما، فقال: ﴿قل ما أنفقتم من خير﴾ أي: مال قليل أو كثير، فأولى الناس به وأحقهم بالتقديم، أعظمهم حقاً عليك، وهم الوالدان الواجب برهما والمحرم عقوقهما، ومن أعظم برهما، النفقة عليهما، ومن أعظم العقوق ترك الإنفاق عليهما، ولهذا كانت النفقة عليهما واجية، على الولد الموسوء ومن بعد الوالدين الأقربون على اختلاف طبقاتهم، الأقرب فالأقرب، على حسب القرب

يقتضي اتفاقهم عليها واجتماعهم، فأخبر تعالى أنهم بغى بعضهم على بعض، وحصل النزاع والخصام وكثرة الاختلاف.

فاختلفوا في الكتاب الذي ينبغي أن يكونوا أولى الناس بالاجتماع عليه، وذلك من بعد ما علموه وتيقنوه بالآيات البينات والأدلة القاطعات، فضلوا بذلك ضلالاً بعيداً.

﴿فهَدَى الله الذين آمنوا ﴾ من هذه الأمة ﴿لما اختلفوا فيه من الحق ﴾ فكل ما اختلف فيه أهل الكتاب، وأخطأوا فيه الحق والصواب، هدى الله للحق فيه هذه الأمة ﴿بإذنه ﴾ تعالى وتيسيره لهم ورحمته.

والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم فعم الخلق تعالى بالدعوة إلى الصراط المستقيم، عدلاً منه تعالى، وإقامة حجة على الخلق، لثلا يقولوا: أما جاءنا من بشير ولا نذير وهدى \_ بقضله ورحمته، وإعانته ولطفه \_ من شاء من عباده، فهذا وحكمته، وإحسانه، وذاك عدله وحكمته.

﴿ ٢١٤﴾ ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب غبر تبارك وتعالى أنه لا بد أن يمتحن عباده بالسراء والضراء والمشقة كما فعل بمن قبلهم، فهي سنته الجارية التي وشرعه لا بدأن يبتليه، فإن صبر على أمر الله ولم يبال بالمكاره الواقفة في سبيله، فهو الصادق الذي قد نال من السعادة كمالها، ومن السيادة آلتها.

ومن جعل فتنة الناس كعذاب الله، بأن صدّته المكاره عما هو بصدده، وثنته المحن عن مقصده، فهو الكاذب في دعوى الإيمان، فإنه ليس الإيمان بالتحلي والتمني ومجرد الدعاوى، حتى تصدقه الأعمال أو تكذبه.

فقد جرى على الأمم الأقدمين ما ذكر الله عنهم همستهم البأساء له أي: هو الضراء في الأمراض في

المنظالية وَاقْتُلُوهُمْ حَبْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَلَغْرِجُوهُمْ مِنْ حَبْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِلْسَةُ أَشَدُّمِنَ الْفَنْلُ وَلَانْفَيْلُوهُمْ عِندَ الْسَّجِدِ الْخِرَامِحَيَّ مُقَيْلُوكُمْ فِيهِ فَإِن فَنَلُوكُمْ فَأَفَنُلُوهُمْ كَنَاكِكُ جَزَّاءُ ٱلْكَفِينِينَ ﴿ فَإِنِ ٱنْهَوَا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَقَـٰيلُوهُمْ حَنَّى لَانَكُونَ فِئْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ بِتَهِ فَإِنِ ٱننَهَوْا فَلَاعُدُونَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّلِمِينَ ۞ ٱلشَّهُرُ ٱلْحَرَامُرُ بِٱلشَّهْرِلَغْرَادِ وَلَغْرُمُكُ قِصَاصٌ فَنَ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُرٌ فَأَعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِمَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُرُّ وَٱنْقُوا اللَّهُ وَاعْلَمُواْ أَتَ ٱللَّهُ مَعَ ٱلْمُثَقِينَ ۞ وَآفِيقُوا فِ سَيِيلِ آمَّهِ وَلَائْلَقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَّا لَتَهَاكُمُّةً وَأَحْسِنُوٓأَإِنَّ اللَّهَ يَجِبُ لَلْحُسِنِينَ ۞ وَأَيْتُواْ الْحَجَّ وَٱلْمُمْرَةَ يَقَّ عَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَأَ ٱسْنَيْسَرَينَ ٱلْحَذْيُّ وَلَا تَعْلِفُواْ دُهُ وَسَكُوْتَى بَيْكُمْ ٱ لَمُ مَنْ يَعِلُّهُ وَمَنَ كَانَ مِن كُمْ مِينِهُا أَوْبِهِ يَاذَكُ مِنْ زَأْمِيهِ مَفَيْلَيَةٌ مِنْ صِيَادِ أَوْصَلَقَةِ أَوْنُسُكِ فَإِذَا ٓ أَيْسَدُّ فَنَ غَنْعَ إِلْمُسْرَةِ إِلَى لُخْتِجَ فَسَا ٱسْنَيْسَرَيِنَ ٱلْمُدَيُّ فَنَ لَّرْيَجِدْ فَعِيبَامُ الْكَثَةِ أَيَّا مِفِ ٱلْحَيْجَ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ قِلْكَ عَشَرَةً كَامِلَةً ذَٰلِكَ لِلنَ لَرَيكُنَ أَهُلُهُ كَامِرِي ٱلْتَعِيدِ المُرَامِ وَأَتَقُوا اللهَ وَاعْمُوا أَنَ اللهَ صَدِيدُ الْمِقَابِ ١

المسلمون وقووا، أمرهم الله تعالى المسلمون وقووا، أمرهم الله تعالى فيه من التعب والمشقة، وحصول أنواع المخاوف والتعرض للمتالف، ومع هذا العظيم، والتحرز من العقاب الأليم، والتحرز من العقاب الأليم، والنصر على الأعداء والظفر بالغنائم، الكراهة فوعسى أن تجبوا شيئاً وهو شر لكم وذلك مثل القعود عن الجهاد لطلب الراحة، فإنه شر، لأنه يعقب لطلب الراحة، فإنه شر، لأنه يعقب الإسلام وأهله، وحصول الذل والهوان وفوات الأجر العظيم وحصول الغال العقاب.

وهذه الآيات عامة مطردة في أن أفعال الخير التي تكرهها النفوس لما فيها من المشقة أنها خير بلا شك، وأن أفعال الشر التي تحب النفوس لما تتوهمه فيها من الراحة واللذة فهي شر بلا شك.

وأما أحوال الدنيا فيلس الأمر مطرداً، ولكن الغالب على العبد المؤمن أنه إذا أحب أمراً من الأمور، فقيض الله [له] من الأسباب ما يصرفه عنه أنه خير له، فالأوفق له في ذلك أن يشكر الله، ويجعل الخير في الواقع، لأنه يعلم أن الله تعالى أرحم بالعبد من نفسه، وأقدر على مصلحة عبده منه، وأعلم بمصلحته منه، كما قال [تعالى:] ﴿والله يسعلم وأنتم وانتمال:] ﴿ والله يسعلم وأنتما

مع أقداره، سواء سرتكم أو ساءتكم. ولما كان الأمر بالقتال لو لم يقيد لشمل الأشهر الحرم وغيرها، استثنى تعالى القتال في الأشهر الحرم، فقال:

﴿ ٢١٧﴾ ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾

الجمهور على أن تحريم القتال في الأشهر الحرم منسوخ بالأمر بقتال المشركين حيثما وجدوا، وقال بعض المفسرين: إنه لم ينسخ، لأن المطلق عمول على المقيد، وهذه الآية مقيدة، لعموم الأمر بالقتال مطلقاً؛ ولأن من جلة مزية الأشهر الحرم، بل أكبر مزاياها تحريم القتال فيها، وهذا إنما هو في قتال الابتداء، وأما قتال الدفع، فإنه يجوز في الأشهر الحرم، كما يجوز في البلد الحرام.

ولما كانت هذه الآية نازلة بسبب ما حصل لسرية عبد الله بن جحش، وقتلهم عمرو بن الحضرمي، وأخذهم أموالهم، وكان ذلك -على ما قيل \_ في شهر رجب، عيرهم المشركون بالقتال بالأشهر الحرم، وكانوا في تعييرهم ظالمين، إذ فيهم من القبائح ما بعضه أعظم مما عيروا به المسلمين، قال تعالى في بيان ما فيهم: ﴿وصدَ عن سبيل الله أي: صد المشركين من يريد الإيمان بالله وبرسوله، وفتنتهم من امن به، وسعيهم في ردهم عن دينهم، وكفرهم الحاصل في الشهر الحرام والبلد الحرام، الذي هو بمجرده كاف في الشر، فكيف وقد كان في شهر حرام وبلد حرام؟! ﴿وإخراج أهله ﴾ أي: أهل المسجد الحرام، وهم النبي ﷺ وأصحابه، لأنهم أحق به من المشركين؛ وهم عماره على الحقيقة،

فأخرجوهم ﴿منه ﴾ ولم يمكنوهم من الوصول إليه، مع أن هذا البيت سواء العاكف فيه والباد، فهذه الأمور كل واحد منها ﴿أكبر من القتل ﴾ في الشهر الحرام، فكيف وقد اجتمعت فيهم؟! فعلم أنهم فسقة ظلمة في تعييرهم المؤمنين.

ثم أخبر تعالى أنهم لن يزالوا يقاتلون المؤمنين، وليس غرضهم في أموالهم وقتلهم، إنما غرضهم أن يرجعوهم عن دينهم، ويكونوا كفاراً بعد إيمانهم، حتى يكونوا من أصحاب السعير، فهم باذلون قدرتهم في ذلك ساعون بما أمكنهم، ﴿ويأبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾.

وهذا الوصف عام لكل الكفار، لا يزالون يقاتلون غيرهم حتى يردوهم عن دينهم، وخصوصاً أهل الكتاب من اليهود والنصارى، الذين بذلوا الجمعيات، ونشروا الدعاة، وبثوا الأطباء، وبنوا المدارس لجذب الأمم إلى دينهم، وتدخيلهم عليهم كل ما يمكنهم من الشبه التي تشككهم في دينهم.

ولكن المرجو من الله تعالى، الذي منّ على المؤمنين بالإسلام، واختار لهم دينه القيم، وأكمل لهم دينه، أن يتم عليهم نعمته بالقيام به أتم القيام، وأن يخذل كل من أراد أن يطفىء نوره، ويجعل كيدهم في نحورهم، وينصر دينه، ويعلي كلمته.

وتكون هذه الآية صادقة على هؤلاء الموجودين من الكفار، كما صدقت على من قبلهم: ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون .

ثم أخبر تعالى أن من ارتد عن الإسلام، بأن اختار عليه الكفر واستمر على ذلك حتى مات كافراً، ﴿فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾ لعدم وجود شرطها وهو الإسلام، ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾

ودلَّت الآية بمفهومها أن من ارتد شم عاد إلى الإسلام، أنه يرجع إليه عمله الذي قبل ردته، وكذلك من تاب من المعاصي، فإنها تعود إليه أعماله المقدمة.

﴿ ١٨٧﴾ ﴿إِنّ الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم ﴾ هذه الأعمال الثلاثة هي عنوان السعادة وقطب رحى العبودية ، وبها يعرف ما الإنسان من الربح والخسران ، فأما الإيمان فلا تسأل عن فسياته ، وكيف تسأل عن شيء هو الفاصل بين أهل السعادة وأهل الشقاوة ، وأهل الجنة من أهل أهل النار؟ وهو الذي إذا كان مع العبد قبلت أعمال الخير منه ، وإذا عدم منه لم يقبل له صرف ولا عدل ، ولا فرض ولا نفل .

وأما الهجرة: فهي مفارقة المحبوب المألوف لرضا الله تعالى، فيترك المهاجر وطنه وأمواله وأهله وخلانه، تقرُباً إلى الله، ونصرة لدينه.

وأما الجهاد: فهو بذل الجهد في مقارعة الأعداء، والسعي التام في نصرة دين الله وقمع دين الشيطان، وهو ذروة الأعمال الصالحة، وجزاؤه أفضل الجزاء، وهو السبب الأكبر لتوسيع دائرة الإسلام وخذلان عباد الأصنام، وأمن المسلمين على أنفسهم وأموالهم وأولادهم.

فمن قام بهذه الأعمال الثلاثة على الأوائها ومشقتها كان لغيرها أشد قياماً به وتكميلاً.

فحقيق بهؤلاء أن يكونوا هم الراجون رحمة الله، لأنهم أتوا بالسبب الموجب للرحمة، وفي هذا دليل على أن الرجاء لا يكون إلا بعد القيام بأسباب السعادة، وأما الرجاء المقارن للكسل، وعدم القيام بالأسباب، فهذا عجز وتمن وغرور، وهو دالٌ على ضعف همة صاحبه ونقص عقله، بمنزلة من يرجو وجود ولد بلا نكاح، ووجود الغلة بلا بذر وسقى، ونحو ذلك.

وفي قوله: ﴿أُولَسُكُ بِسرِجُونَ رحمة الله إشارة إلى أن العبد ولو أتى من الأعمال بما أتى به لا ينبغي له أن يعتمد عليها ويعول عليها، بل يرجو رحمة ربه، ويرجو قبول أعماله ومغفرة ذنوبه، وستر عيوبه.

ولهذا قال: ﴿والله غفور﴾ أي: لن تاب توبة نصوحاً ﴿رحيم﴾ وسعت رحمته كل شيء، وعمّ جوده وإحسانه كل حى.

وفي هذا دليل على أن من قام بهذه الأعمال المذكورة حصل له مغفرة الله، إذ الحسنات يذهبن السيئات، وحصلت له رحمة الله.

وإذا حصلت له المغفرة، اندفعت عنه عقوبات الدنيا والآخرة، التي هي آثار الدنوب، التي قد غفرت واضمحلت آثارها، وإذا حصلت له الرحمة حصل على كل خير في الدنيا والآخرة؛ بل أعمالهم المذكورة من يريدوها، ولولا إقدارهم عليها لم يقدروا عليها، ولولا إحسانه لم يتمها ويقبلها منهم، فله الفضل أولاً وآخراً، وهو الذي من بالسبب والمسبب.

(٢١٩) ثم قال تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما أي: يسألك \_يا أيها الرسول \_ المؤمنون عن أحكام الخمر والميسر، وقد كانا مستعملين في الجاهلية وأول الإسلام، فكأنه وقع فيهما إشكال، فلهذا سألوا عن حكمهما، فأمر الله تعالى نبيه أن يبين لهم منافعهما ومضارهما، ليكون ذلك مقدمة لتحريمهما وتحتيم تركهما.

فأخبر أن إثمهما ومضارهما، وما يصدر منهما من ذهاب العقل والمال، والصد عن ذكر الله وعن الصلاة والعداوة والبغضاء \_أكبر مما يظنونه من نفعهما، من كسب المال بالتجارة بالخمر وتحسيله بالقمار، والطرب للنفوس عند تعاطيهما، وكان هذا

الْفَيْجُ أَشْهُرُ مَعْ لُومَتُ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْمُجْ فَلَارَفَتَ إُ وَلَافُسُونَ وَلَاحِدَالَ فِي لَلْمَجُّ وَمَاتَفَعَ كُواْ مِنْ خَيْرٍ الله الله الله وَ الله الله وَ الله وَ الله الله وَ الله و إِلَّ يَتَأُونِ ٱلْأَلْمِنَ ۗ ۞ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَن تَسْتَعُواْ فَضْلَا مِن زَيِحُمُّ فَكَإِذَا أَفَضْتُ مُعِنَّ عَرَفَكَ فَأَذْ كُرُواْ اللَّهَ عِنْدَ ٱلْمَشْعَكِرِ ٱلْحَكَرَامِ وَأَدْكُرُوهُ كَمَا هَدَنكُمْ وَإِن كُنتُ مِين قَبْلِهِ عِلْنَ ٱلنِّكَ ٓ لِينَ ﴿ ثُمَّ أَقِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَ اضَ النَّاسُ وَآسَنَغْفِرُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَنْفُورٌ زَّحِيهُ ۞ فَإِذَا قَضَيْتُ م مَّنَاسِكَكُمْ فَأَذْبِكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُرُ ا ءَاكِآءَ كُمْ أَوْأَشَدُ وَكُرُا فَيِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعُولُ إِلَّ وَيَنَكَآ مَانِكَ إِلَّهُ أَنْدُ أَنْكَ أَوْمَالَهُ فِ ٱلْآخِرَ وَمِنْ ﴾ خَلَقٍ ۞ وَمِنْهُم مِّن بَعُولُ رَبِّنَآءَ الِنَافِ ٱلدُّنْبَا حَسَنَهُ وَ الْآخِدَرَةِ حَدَدَةً وَقِدَاعَذَابَ ٱلنَّادِ ۞ أُولَتِهِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ سَرِيعُ لِلْحَسَابِ ٥ aseans n someson البيان زاجراً للنفوس عنهما، لأن

ا ينولو النظافي المنظلة

البيان زاجراً للنفوس عنهما، لأن العاقل يرجع ما ترجحت مصلحته، ويجتنب ما ترجحت مضرته، ولكن لما كانوا قد ألفوهما، وصعب التحتيم مقدمة للتحريم، الذي ذكره في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِّينَ أَمنُوا إِنَّما الحمر والميسر والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان إلى قوله: ﴿ منتهون ﴿ وهذا الشيطان ﴾ إلى قوله: ﴿ منتهون ﴿ وهذا لمن نزلت قال عمر رضي الله عنه: انتهينا.

فأما الخمر: فهو كل مسكر خامر العقل وغطاه، من أي نوع كان، وأما الميسر: فهو كل المغالبات التي يكون فيها عوض من الطرفين، من النرد والشطرنج، وكل مغالبة قولية أو فعلية بعوض<sup>(۱)</sup> سوى مسابقة الخيل والإبل والإبل والسهام، فإنها مباحة لكونها معينة على الجهاد، فلهذا رخص فيها الشارع.

﴿ ٢١٩ - ٢١٩﴾ ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون \* في الدنيا والآخرة ﴾ وهذا سؤال عن مقدار ما ينفقونه من أموالهم، فيسر الله لهم الأمر، وأمرهم أن ينفقوا العفو، وهو الميسر من أموالهم، الذي لا تتعلق به حاجتهم وضرورتهم، وهذا يرجع إلى

• وَأَذْكُرُواْ اللَّهُ فِي آلْتِ الرِمَعْدُودُنَّ فَنَ نَعَجَّلَ فِي وَمَن فَلَا إِنْ مَ عَلَيْهِ وَمَن تَأْخَ رَفَلاَ إِنْ مَ عَلَيْهِ إِلْهَن اتَعَىٰ وَاتَّعُوا اللَّهُ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْدِ عُمُنْرُونَ ۞ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِكَ فَوَلَهُ فِ ٱلْحَوْةِ ٱلدُّنْهَ وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَافِ قَلِيهِ ء وَهُوَ أَلَدُ ٱلْخِصَامِ ۞ وَإِذَا تُولَّا ستغى ف الأرَّضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْ لِكَ ٱلْحُدَّرْتُ وَالْشَلُّ وَاقَةُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿ وَإِذَا فِيلَ لَهُ اتَّقَ الْقَدَّ أَخَذَنَّهُ ٱلْهِ زَهُ يَا لَانْدِرُ فَحَسْبُهُ جَهَنَّدُ وَكِينُسَ الْهَادُ ۞ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْشِرِي نَفْسَهُ ٱبْيَعْكَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَاللَّهُ رَهُ وفُكُ بِٱلْعِبَ إِنَّ مِنَا أَبُّهُمَا ٱلَّذِينَ اَمَنُوا أَدْخُ لُوا فِ ٱلسِّلْمِ كَافَةً وَلَا تَبَّعُوا خُلُونَةٍ ٱلشَّبْطَنُّ إِنَّهُ لِكُمْ عَدُوًّ ثُمِّيتً ۞ فَإِن لَلْتُدِينَ بَعْدِ مَاجَاءَ تَكُمُ ٱلْبَيْنَاتُ فَاعْلَوْا أَنْ أَنَّهُ عَزِيرُ عَكِيمٌ ۞ هَلْ يَنظُرُهُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَهُ مُ اللَّهُ فِ خُلُلٌ مِنْ ٱلْفَحَامِ وَالْمُلَدِّكِ مَا فَعُنِولَ الْأَرْبُ وَإِلَى اللَّهِ فَرْجَعُ الْأُمُورُ ۞ TOLOROW TERROLO

كل أحد بحسبه، من غني وفقير ومتوسط، كل له قدرة على إنفاق ما عفا من ماله، ولو شق تمرة.

ولهذا أمر الله رسوله الله أن يأخذ العفو من أخلاق الناس وصدقاتهم، ولا يكلفهم ما يشق عليهم. ذلك بأن الله تعالى لم يأمرنا بما أمرنا به حاجة أمرنا بما فيه سعادتنا، وما يسهل علينا، وما به النفع لنا ولإخواننا، فيستحق على ذلك أتم الحمد.

ولما بين تعالى هذا البيان الشافي، وأطلع العباد على أسرار شرعه، قال: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ أي: الدالات على الحق، المحصلات للعلم النافع والفرقان، ﴿لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة﴾ أي: لكي تستعملوا أفكاركم في أسرار شرعه، وتعرفوا أن أوامره فيها مصالح الدنيا والآخرة، وأيضاً لكي تتفكروا في الدنيا وسرعة وأيضائها، فترفضوها، وفي الآخرة وبقائها، وأنها دار الجزاء فتعمروها.

﴿ ۲۲۰﴾ ﴿ ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم ﴾ لما نزل قوله تعالى: ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون

في بطونهم نارأ، وسيصلون سعيراً ﴾ شقّ ذلك على المسلمين، وعزلوا طعامهم عن طعام اليتامي خوفاً على أنفسهم من تناولها، ولو في هذه الحالة التي جرت العادة بالمشاركة فيها، وسألوا النبي ﷺ عن ذلك، فأخبرهم تعالى أن المقصود إصلاح أموال اليتامي بحفظها وصيانتها والآتجار فيها، وأن خلطتهم إياهم في طعام أو غيره جائز على وجه لا يضر باليتامي، لأنهم إخوانكم، ومن شأن الأخ مخالطة أخيه، وألرجع في ذلك إلى النية والعمل، فمن علم الله من نيته أنه مصلح لليتيم، وليس له طمع في ماله، فلو دخل عليه شيء من غير قصد لم يكن عليه بأس، ومن علم الله من نيته أن قصده بالمخالطة التوصل إلى أكلها وتناولها، فذلك الذي حَرجَ وأثِم، و «الوسائل لها أحكام المقاصدً».

وفي هذه الآية دليل على جواز أنواع المخالطات في المآكل والمشارب، والعقود وغيرها، وهذه الرخصة لطف من الله [تعالى] وإحسان، وتوسعة على المؤمسنين، وإلا ف ﴿ لو شاء الله لأعنتكم أي: شق عليكم بعدم الرخصة بذلك فحرجتم، وشق عليكم وأثمتم، ﴿إن الله عزيز﴾ أي: له القوة الكاملة والقهر لكل شيء، ولكنه مع ذلك ﴿حكيم﴾ لا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته الكاملة وعنايته التامة، فعزته لا تنافى حكمته، فلا يقال: إنه ما شاء فعل، وافق الحكمة أو خالفها، بل يقال: إن أفعاله وكذلك أحكامه تابعة لحكمته، فلا يخلق شيئاً عبثاً، بل لا بدله من حكمة عرفناها أم لم نعرفها، وكذلك لم يشرع لعباده شيئاً مجرداً عن الحكمة، فلا يأمر إلا بما فيه مصلحة خالصة أو راجحة، ولا ينهى إلا عما فيه مفسدة خالصة أو راجحة ، لتمام حكمته ورحمته.

﴿٢٢١﴾ ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين

حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ولا تنكحوا النساء والمشركات ما دمن على شركهن وحتى يؤمن ولا للغت خير من المشركة من الدمامة ما بلغت خير من المشركة ولو بلغت من الحسن ما بلغت، وهذه وخصصتها آية المائدة في إباحة نساء وخصصتها آية المائدة في إباحة نساء أهل الكتاب، كما قال تعالى: ووالمحصنات من النين أوتوا الكتاب .

﴿ ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ﴾ وهذا عام لا تخصيص فيه. ثم ذكر تعالى الحكمة في تحريم نكاح المسلمة لمن خالفهما في الدين، فقال: ﴿ أُولَـٰتُكُ يدعون إلى النار﴾ أي: في أقوالهم أو أفعالهم وأحوالهم، فمخالطتهم على خطر منهم، والخطر ليس من الأخطار الدنيوية، إنما هو الشقاء الأبدى.

ويستفاد من تعليل الآية، النهي عن خالطة كل مشرك ومبتدع، لأنه إذا لم يجز التزوج مع (۱۱) أن فيه مصالح كثيرة فالخلطة المجردة من باب أولى، وخصوصاً الخلطة التي فيها ارتفاع المشرك ونحوه على المسلم، كالخدمة ونحوها.

وفي قوله: ﴿ولا تستكموا المشركين﴾ دليل على اعتبار الولي [في النكاح].

والله يدعو إلى الجنة والمغفرة الله أي: يدعو عباده لتحصيل الجنة والمغفرة التي من آثارها دفع العقوبات، وذلك بالدعوة إلى أسبابهما من الأعمال الصالحة، والتوبة النصوح، والعلم النافع، والعمل الصالح.

وريبين آياته أي: أحكامه وحكمها وللناس لعلهم يتذكرون في فيوجب لهم ذلك التذكر لما نسوه، وعلم ما جهلوه، والامتثال لما ضيعوه.

سَلْ بَنِيَّ إِسْرَآءِ بِلَكُرْءَ اتَّيْنَهُم مِنْ ءَايَةٍ بَيْنَةُ وَمَن يُبَدِّلْ يَعْسَةَ أَشَّهِ مِنْ بَعْدِ مَاجَآءَتُهُ فَإِنَّ أَلَّهَ شَدِيدُ ٱلْمِقَابِ ۞ رُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلذُّنْهَا وَيَسْحَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّسَفَوْا فَوْقَهُ رَبُّومَ ٱلْفِينَدَةِ وَٱللَّهُ يُرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِحِسَابِ ۞ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَجِمَةً فَبَعَثَ اللَّهُ ٱلنَّبِيعِنَ مُبَيِّعِينٍ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِنْكِ بِالْجَقِّ لِيَحْكُرُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِهَا ٱخْلَقُواْ فِيهُ وَمَا أَخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَلَّاتُهُمُ ٱلْبِيِّنَاتُ بَغَيَّا بَيْنَهُمُّ فَهَدَى اللَّهُ ٱلَّذِيكَ ءَامَنُوا لِمَا ٱخْلَفُوا فِيهِ مِنَ ٱلْحَيِّقَ بِإِذْنِيهُ ۚ وَٱلْفَةُ بُعَ لِي مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيعٍ المُ مَدِينَهُ أَن مَنْ عُلُوا الْمُنَةَ وَلَا بَاٰذِكُمْ مَنْ لُالَّذِينَ خَكَوَاين فَبْلِكُمُ مِّسَنَعُهُمُ الْبَأْسِكَةُ وَالضَّرَّلَةُ وَلَٰ لِلْوَا حَنَّ بِتُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكُهُ مِنَى نَصْرُلَقُوالْأَإِنَّ النَصْرَاتَدَةِ قِرِبُ ۞ بَسْعَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ فُلُمَّ أَنفَقْتُم وَنَ حَبْرِ فَلِلْوَلِدَيْبِ وَٱلْأَفْرَيِينِ وَٱلْمُتَكِينِ أُ وَآيَنِ ٱلسَّيِيلِ وَمَاتَفَعَ لُوا مِنْ خَيْرِ فَإِتَ ٱلمَّابِهِ مَعَلِيمٌ ۞

لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس وألله سميع عليم، المقصود من اليمين والقسم تعظيم المقسم به، وتأكيد المقسم عليه، وكانَ الله تعالى قد أمر بحفظ الأيمان، وكان مقتضى ذلك حفظها في كل شيء، ولكن الله تعالى استثنى من ذلك إذا كان البر باليمين، يتضمن ترك ما هو أحب إليه، فنهى عباده أن يجعلوا أيمانهم عرضة، أي: مانعة وحائلة عن أن يبروا: أن (١) يفعلوا خيراً، أو يتقوا شراً، أو يصلحوا بين الناس، فمن حلف على ترك واجب وجب حنثه، وحرم إقامته على يىمىنە، ومن حلف على تىرك مستحب استحب له الحنث، ومن حلف على فعل محرم، وجب الحنث، أو على فعل مكروه استحب الحنث، وأما المباح فينبغى فيه حفظ اليمين عن

ويستدل بهذه الآبة على القاعدة المشهورة، أنه "إذا تزاحمت المسالح، قدم أهمها، فهنا تتميم اليمين مصلحة، وامتثال أوامر الله في هذه الأشياء مصلحة أكبر من ذلك، فقدمت لذلك.

لم ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين، فقال: ﴿والله سميع﴾ أي: لجميع الأصوات ﴿عليم﴾ بالمقاصد ﴿إِن الله يحب التوابين ﴾ أي: من ذنوبهم على الدوام، ﴿ويجب المتطهرين ﴾ أي: المتنزهين عن الآثام، وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث.

ففيه مشروعية الطهارة مطلقاً لأن الله يحب المتصف بها، ولهذا كانت الطهارة مطلقاً، شرطاً لصحة الصلاة والطواف، وجواز مس المصحف، ويشمل التطهر المعنوي عن الأخلاق الرذيلة، والصفات القبيحة، والأفعال الخسيسة.

﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنه أنى شئتم ﴾ مقبلة ومدبرة، غير أنه لا يكون إلا في القبل لكونه موضع الحرث، وهو الموضع الذي يكون منه الدلد.

وفيه دليل على تحريم الوطء في الدبر، لأن الله لم يبح إتيان المرأة إلا في الموضع الذي منه الحرث، وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي الله في تحريم ذلك، ولعن فاعله.

﴿وقدموا لأنفسكم اي: من التقرب إلى الله بفعل الخيرات، ومن ذلك أن يباشر الرجل امرأته ويجامعها على وجه القربة والاحتساب، وعلى رجاء تحصيل الذرية الذين ينفع الله

فواتقوا الله أي: في جميع أحوالكم كونوا ملازمين لتقوى الله، مستعينين بذلك لعلمكم، فأنكم ملاقوه ومجازيكم على أعمالكم الصالحة وغيرها.

ثم قال: ﴿وبشر المؤمنين﴾ لم يذكر البشر به ليدل على العموم، وأن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وكل خير واندفاع كل ضير رتب على الإيمان، فهو داخل في هذه البشارة.

وفيها محبة الله للمؤمنين، ومحبة ما يسرهم، واستحباب تنشيطهم وتشويقهم بما أعد الله لهم من الجزاء الدنيوي والأخروي.

﴿ ٢٢٤ ﴾ ﴿ وُلا تجعلوا الله عرضة

(۲۲۲ – ۲۲۲) ثم قال تعالى: ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شنتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوة وبشر المؤمنين .

يخبر تعالى عن سؤالهم عن المحيض، وهل تكون المرأة بحالها بعد الحيض كما كانت قبل ذلك، أم تجتنب مطلقاً كما يفعله اليهود؟

فأخبر تعالى أن الحيض أذى وإذا كان أذى، فمن الحكمة أن يمنع الله تعالى عباده عن الأذى وحده، فلهذا قال: ﴿فاعتزلوا النساء في المحيض﴾ أي: مكان الحيض، وهو الوطء في الفرج خاصة، فهذا المحرم إجماعاً، وتخصيص الاعتزال في المحيض يدل على أن مباشرة الحائض وملامستها في على الوطء في الفرج جائز.

لكن قوله: ﴿وَلا تقربوهن حتى يطهرن﴾ يدل على أن المباشرة فيما قرب من الفرج، وذلك فيما بين السرة والركبة ينبغي تركه، كما كان النبي ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأته وهي حائض، أمرها أن تأتزر فيباشرها.

وحد هذا الاعتزال وعدم القربان للحُيِّض ﴿حتى يطهرن﴾ أي: ينقطع دمهن، فإذا انقطع الدم زال المنع الموجود وقت جريانه، الذي كان لحله شرطان، انقطاع الدم والاغتسال منه.

فلما انقطع الدم زال الشرط الأول، ويقي الشاني، فلهذا قال: ﴿فَإِذَا تَطْهُرُنُ ﴾ أي: اغتسلن ﴿فَأْتُوهُن مَن حيث أمركم الله ﴾ أي: في القبل لا في الدبر، لأنه محل الحرث.

وفيه دليل على وجوب الاغتسال للحائض، وأن انقطاع الدم شرط لصحته.

ولما كان هذا المنع لطفاً منه تعالى . بعباده وصيانة عن الأذى، قال تعالى :

ڪُيبَ عَلَيَكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَكُرُهُ ٱلْكُرُوْتُعَنَىٰٓ أَنْ تُكُرُهُواْ شَيْنَا وَهُوَخَيْرٌ لِمُكُمِّ وَعَسَىٰ أَن يُعِبُوا شَيْنَا وَهُوَ شَرٍّ لِّكُمُّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَسْتُمْ لَاتَغْلَمُونَ ۞ يَسْتَلُونَكَ عَنَ النَّهْرِ ٱلْحَرَادِ فِتَالِ فِيهِ قُلْ فِتَالٌ فِيهِ حَكِيدٌ ۗ وَصَلَّعَنَ سَبِيلَ آللهِ وَكُفُرُ بِهِ، وَالْمُسْجِدِ الْحَكَرامِ وَ إِخْرَامُ أَهْلِهِ مِنْهُ أسخترُعِندَاتَتَهُ وَالْفِتْنَةُ أَحْتَبُرُمِنَ الْقَتْلُ وَلَايْزَالُونَ بْقَنَيْلُونَكُرْحَقَىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُرْ إِنِ اَسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُوْعَن دِيدِهِ عَيْمَتُ وَهُوكِافِرٌ فَأُولَيْكَ حَبِطَتْ أَغَمَالُهُمْ فِ ٱلدُّنْسَاوَ ٱلْآخِرَةِ وَأُوْلَيْمِكَ أَصْحَبُ ٱلنَّارِّ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَثُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَتِهِكَ يَرْبِحُونَ رَحْتَ اللَّهُ وَاللَّهُ عَنَكُورٌ تَحِيدٌ ﴿ ﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَيْرِ وَلَلْيُسِرِّ قُلْفِهِمِنَا إِثْمُّ كَيِيرُ وَمَنَفِعُ لِلنَّاسِّ وَإِثْمُهُمَّا أَكْبَرُ مِن نَفْعِهِمَا ۗ وَيَسْنَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْمَفُّوكَذَالِكَ يُبَيِّثُ اللَّهُ لُكُمُ ٱلْأَبَنَتِ لَعَلَّكُمْ لِنَّفَكِّرُونَ ۞ ACCUPACION PLANTERS

والنيات، ومنه سماعه لأقوال الحالفين، وعلمه بمقاصدهم هل هي خير أم شر، وفي ضمن ذلك التحذير من مجازاته، وأن أعمالكم ونياتكم قد استقر علمها عنده.

﴿ ٢٧٩﴾ ثسم قسال تسعسالى: ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم، ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم، والله غفور حليم﴾.

أي: لا يؤاخذكم بما يجري على ألسنتكم من الأيمان اللاغية التي يتكلم بها العبد من غير قصد منه ولا كسب قلب، ولكنها جرت على لسانه، كقول الرجل في عرض كلامه: «لا والله»، وكحلفه على أمر ماض يظن صدق نفسه، وإنما المؤاخذة على ما قصده القلب.

وفي هذا دليل على اعتبار المقاصد في الأقوال، كما هي معتبرة في الأفعال.

﴿والله غــفــور﴾ لمن تــاب إليه، ﴿حليم﴾ بمن عصاه، حيث لم يعاجله بالعقوبة، بل حلم عنه وستر، وصفح مع قدرته عليه وكونه بين يديه.

﴿ ٢٢٦ ـ ٢٢٧﴾ ﴿للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاؤوا فإن الله غفور رحيم \* وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم﴾ وهذا من الأيمان الخاصة بالنووجة، في أمر خاص، وهو حلف الزوج على ترك

وطء زوجته مطلقاً، أو مقيداً، بأقل من أربعة أشهر أو أكثر.

فمن آلى من زوجته خاصة، فإن كان لدون أربعة أشهر، فهذا مثل سائر الأيمان، إن حنث كفر، وإن أتم يمينه فلا شيء عليه، وليس لزوجته عليه سبيل، لأنه ملكه أربعة أشهر.

وإن كان أبداً أو مدة تزيد على أربعة أشهر من أشهر، ضربت له مدة أربعة أشهر من يمينه إذا طلبت زوجته ذلك، لأنه حق لها، فإذا تمت أمر بالفيئة وهو الوطء، فإن وطىء فلا شيء عليه إلا كفارة اليمين، وإن امتنع أجبر على الطلاق، فإن امتنع طلق عليه الحاكم.

ولكن الفيئة والرجوع إلى زوجته أحب إلى الله تعالى، ولهذا قال: ﴿فَإِنَ فَاؤُوا﴾ أي: رجعوا إلى ما حلفوا على تركه، وهو الوطء. ﴿فَإِنَ اللهُ غَفُور﴾ يغفر لهم ما حصل منهم من الحلف بسبب رجوعهم. ﴿رحيم﴾

جعل لأيمانهم كفارة وتحلة، ولم يجعلها لازمة لهم غير قابلة للانفكاك، ورحيم بهم أيضاً، حيث فاؤوا إلى زوجاتهم وحنوا عليهن ورحموهن.

﴿ وإن عزموا الطلاق ﴾ أي: امتنعوا من الفيئة، فكان ذلك دليلاً على رغبتهم عنهن، وعدم إرادتهم لأزواجهم، وهذا لا يكون إلا عزما على الطلاق، فإن حصل هذا الحق الواجب منه مباشرة، وإلا أجبره الحاكم عليه أو قام به.

﴿ فَإِن الله سميع عليم ﴾ فيه وعيد وتهديد لمن يحلف هذا الحلف، ويقصد بذلك المضارة والمشاقة.

ويستدل بهذه الآية على أن الإيلاء خاص بالنزوجة، لقوله: ﴿من نسائهم﴾ وعلى وجوب الوطء في كل أربعة أشهر مرة، لأنه بعد الأربعة، يجبر إما على الوطء، أو على الطلاق، ولا يكون ذلك إلا لتركه واجباً.

﴿ ٢٢٨﴾ ﴿ والمطلّقاتُ يتربصن بأنفُسِهنَّ ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهنَّ أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً ولهن

مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم﴾ أي: النساء اللاق طلقهن أزواجهن ﴿يتربصن بأنفسهن ﴾ أي: ينتظرن ويعتددن مدة ﴿ ثلاثة قروء ﴾ أي: حيض، أو أطهار، على اختلاف العلماء في المراد بذلك، مع أن الصحيح أن القرء الحيض، ولهذه العدة عدة حكم، منها: العلم ببراءة الرحم، إذا تكررت عليها ثلاثة الأقراء، علم أنه ليس في رحمها حمل، فلا يفضي إلى اختلاط الأنساب، ولهذا أوجب تعالى عليهن الإخبار عن ﴿ما خلق الله في أرحامهن﴾ وحرم عليهن كتمان ذلك من حمل أو حيض، لأن كتمان ذلك يفضى إلى مفاسد كثيرة، فكتمان الحمل موجب أن تلحقه بغير من هو له، رغبة فيه واستعجالاً لانقضاء العدة، فإذا ألحقته بغير أبيه، حصل من قطع الرحم والإرث واحتجاب محارمه وأقاربه عنه، وربما تزوج ذوات محارمه، وحصل في مقابلة ذلكَ إلحاقه بغير أبيه، وثبوت توابع ذلك من الإرث منه وله، ومن جعلُّ أقارب الملحق به أقارب له، وفي ذلك من الشر والفساد ما لا يعلمه إلا رب العباد، ولو لم يكن في ذلك إلا إقامتها مع من نكاحها باطل في حقه، وفيه

وأما كتمان الحيض، بأن استعجلت وأخبرت به وهي كاذبة، ففيه من انقطاع حق الزوج عنها وإباحتها لغيره، وما يتفرع عن ذلك من الشر كما ذكرنا، وإن كذبت وأخبرت بعدم وجود الحيض لتطول العدة فتأخذ منه نفقة غير واجبة عليه، بل هي سحت عليها محرمة من جهتين:

الإصرار على الكبيرة العظيمة وهي

الزنا، لكفي بذلك شراً.

من كونها لا تستحقه، ومن كونها نسبته إلى حكم الشرع وهي كاذبة، وربما راجعها بعد انقضاء العدة، فيكون ذلك سفاحاً لكونها أجنبية عنه، فلهذا قال تعالى: ﴿ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر﴾

فصدور الكتمان منهن دليل على عدم إيمانهن بالله واليوم الآخر، وإلا فلو آمن بالله واليوم الاخر، وعرفن أنهن مجزيات عن أعمالهن، لم يصدر منهن شيء من ذلك.

وفي ذلك دليل على قبول خبر المرأة عما تخبر به عن نفسها، من الأمر الذي لا يطلع عليه غيرها، كالحيض والحمل ونحوه (١).

ثم قال تعالى: ﴿وبعولتهن أحق بردهن في ذلك﴾ أي: لأزواجهن ما دامت متربصة في تلك العدة، أن يردوهن إلى نكاحهن ﴿إن أرادوا إصلاحاً﴾ أي: رغبة وألفة ومودة.

ومفهوم الآية أنهم إن لم يريدوا الإصلاح فليسوا بأحق بردهن، فلا يحل لهم أن يراجعوهن لقصد المضارة لها، وتطويل العدة عليها، وهل يملك ذلك مع هذا القصد؟ فيه قولان.

الجمهور على أنه يملك ذلك مع التحريم، والصحيح أنه إذا لم يرد الإصلاح لا يملك ذلك، كما هو ظاهر الآية الكريمة، وهذه حكمة أخرى في هذا التربص، وهي: أنه ربما أن زوجها ندم على فراقه لها، فجعلت له هذه المدة، ليتروى بها ويقطع نظره.

وهذا يدل على عبته تعالى للألفة بين الزوجين، وكراهته للفراق، كما قال النبي على الخلال إلى الله المطلاق، وهذا خاص في الطلاق الرجعي، وأما الطلاق البائن فليس البعل بأحق برجعتها، بل إن تراضيا على التراجع فلا بد من عقد جديد عبم الشروط.

ثم قال تعالى: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ أي: وللنساء على بعولتهن من الحقوق واللوازم مثل الذي عليهن لأزواجهن من الحقوق اللازمة والمستحبة.

ومرجع الحقوق بين الزوجين يرجع

إلى المعروف، وهو: العادة الجارية في ذلك البلد، وذلك الزمان من مثلها لمثله، ويختلف ذلك باختلاف الأزمنة والأمكنة، والأحوال، والأشخاص، والعوائد.

وفي هذا دليل على أن النفقة والكسوة والمعاشرة والمسكن وكذلك الوطء الكل يرجع إلى المعروف، فهذا موجب العقد المطلق.

وأما مع الشرط، فعلى شرطهما، إلا شرطاً أحلُّ حراماً أو حرَّم حلالاً.

﴿وللرجال عليهن درجة ﴾ أي: رفعة ورياسة، وزيادة حق عليها، كما قال تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾.

ومنصب النبوة والقضاء، والإمامة الصغرى والكبرى، وساثر الولايات مختصٌ بالرجال، وله ضعفا ما لها في كثير من الأمور، كالميراث ونحوه.

و الله عزيز حكيم الي : له العزة القاهرة والله عزيز حكيم الذي دانت له ميع الأشياء، ولكنه مع عزته حكيم في تصرفه.

ويخرج من عموم هذه الآية الحوامل، فعدتهن وضع الحمل، واللاتي لم يدخل بهن فليس لهن عدة، والإماء فعدتهن حيضتان، كما هو قول الصحابة رضي الله عنهم، وسياق الآيات (٢) يدل على أن المراد بها الحرة.

الايات يدن على الا المراد به الحره. 

( ٢٢٩) ( الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا عما آتيتموهن شيئاً إلا أن يقيما حدود الله فإن خفتم ألا افتدت به تلك حدود الله فأولشك هم ومن يتعذ حدود الله فأولشك هم الظالمون كان الطلاق في الجاهلية، واستمر أول الإسلام، يُطلق الرجل وجته بلا نهاية، فكان إذا أراد مضارتها طلقها، فإذا شارفت انقضاء عدتها راجعها، ثم طلقها، وصنع بها مثل

ذلك أبداً، فيحصل عليها من الضرر ما الله به عليم، فأخبر تعالى أن ﴿الطلاق﴾ أي: الذي تحصل به الرجعة ﴿مرتان﴾ ليتمكن الزوج إن لم يرد المضارة من ارتجاعها، ويراجع رأيه في هذه المدة، وأما ما فوقها فليس محلاً لذَّلك، لأن من زاد على الثنتين فإما متجرىء على المحرم، أو ليس له رغبة في إمساكها، بل قصده المضارة، فلهذا أمر تعالى الزوج أن يمسك زوجته ﴿بمعروف﴾ أي: عشرة حسنة، ويجرى مجرى أمثاله مع زوجاتهم، وهذا هو الأرجح، وإلا يسرحها ويفارقها ﴿بإحسانَ﴾ ومن الإحسان أن لا يأخذ على فراقه لها شيئاً من مالها، لأنه ظلم، وأخذ للمال في غير مقابلة بشيء، فلهذا قال: ﴿ولا يحل لكم أن تأخذُوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافاً أن لا يقيما حدود الله وهي المخالعة بالمعروف، بأن كرهت الزوجة زوجها لخلقه أو خُلقه أو نقص دينه، وخافت أن لا تطيع الله فيه، ﴿فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ﴾ ؛ لأنه عوض لتحصيل مقصودها من الفرقة، وفي هذا مشروعية الخلع، إذا وجدت هذه الحكمة .

﴿ تلك ﴾ أي: ما تقدم من الأحكام الشرعية ﴿ حدود الله ﴾ أي: أحكامه التي شرعها لكم، وأمر بالوقوف معها، ﴿ ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾ وأي: ظلم عن اقتحم الحلال، وتعدى منه إلى الحرام، فلم يسعه ما أحل الله ؟

والظلم ثلاثة أقسام:

ظلم العبد فيماً بينه وبين الله، وظلم العبد الأكبر الذي هو الشرك، وظلم العبد فيما بينه وبين الخلق، فالشرك لا يغفره الله إلا بالتوبة، وحقوق العباد لا يترك الله منها شيئاً، والظلم الذي بين العبد وربه فيما دون الشرك، تحت المشيئة والحكمة.

﴿ ٢٣٠ \_ ٢٣١﴾ ﴿فإن طلقها فلا

تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون \* وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارأ لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوآ واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم القول تعالى: ﴿ فَإِنْ طَلْقُهَا ﴾ أي: الطَّلْقَةُ الثَّالَثَةُ ﴿ فَلَا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره﴾ أي: نكاحاً صحيحاً ويطؤها، لأن النكاح الشرعي لا يكون إلا صحيحاً، ويدخل فيه العقد والوطء، وهذا بالاتفاق.

ويشترط (١١) أن يكون نكاح الثاني نكاح رغبة، فإن قصد به تحليلها للأول فليس بنكاح، ولا يفيد التحليل، ولا يفيد وطء السيد لأنه ليس بزوج، فإذا تزوجها الثاني راغباً ووطئها ثم فارقها أي: على الزوج الأول والزوجة ﴿أن يتراجعا﴾ أي: يجددا عقداً جديداً بينهما، لإضافته التراجع إليهما، فدل على اعتبار التراضي.

ولكن يشترط في التراجع أن يظنا ﴿أن يقيما حدود الله بأن يقوم كل منهما بحق صاحبه، وذلك إذا ندما على عشرتهما السابقة الموجبة للفراق، وعزما أن يبدلاها بعشرة حسنة، فهنا لا جناح عليهما في التراجع.

ومفهوم الآية الكريمة أنهما إن لم يظنا أن يقيما حدود الله، بأن غلب على ظنهما أن الحال السابقة باقية، والعشرة السيئة غير زائلة أن عليهما في ذلك جناحاً، لأن جميع الأمور إن لم يقم فيها أمر الله، ويسلك بها طاعته، لم يحل الإقدام عليها.

وفي هذا دلالة على أنه ينبغي للإنسان إذا أراد أن يدخل في أمر من

الأمور، خصوصاً الولايات الصغار والكبار، نظر في نفسه (۲)، فإن رأى من نفسه قوة على ذلك ووثق بها، أقدم وإلا أحجم.

ولما بين الله تعالى هذه الأحكام العظيمة، قال: ﴿وتلك حدود الله﴾ أي: شرائعه التي حدّدها وبيّنها ووضحها.

﴿يبينها لقوم يعلمون﴾ لأنهم هم المنتفعون بها، النافعون لغيرهم.

وفي هذا من فضيلة أهل العلم ما لا يخفى، لأن الله تعالى جعل تبيينه لحدوده خاصاً بهم، وأنهم المقصودون بذلك، وفيه أن الله تعالى يحب من عباده، معرفة حدود ما أنزل على رسوله والتفقه بها.

ثم قال تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النَّسَاءِ ﴾ أي: طلاقاً رجعياً بواحدة أو ثتهن.

﴿فبلغن أجلهن﴾ أي: قاربن انقضاء عدتهن.

﴿ فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف أي: إما أن تراجعوهن ونيتكم القيام بحقوقهن، أو قال: ﴿ ولا تمسكوهن ضراراً ﴾ أي: مضارة بهن ﴿ لتمتدوا ﴾ في فعلكم هذا الحلال، إلى الحرام؛ فالحلال: الإمساك بمعروف (٣)، والحرام: المضارة، وومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ﴾ ولو كان الحق يعود للمخلوق فالضرر عائد إلى من أراد الضرار.

ولا تتخذوا آيات الله هزوا له له الله هزوا له الله التبين، وكان المقصود العلم بها والعمل، والوقوف معها وعدم مجاوزتها، لأنه تعالى لم ينزلها عبثاً، بل أنزلها بالحق والصدق والجد، نهى عن اتخاذها هزواً، أي: لعباً بها، وهو التجرؤ عليها، وعدم الامتثال لواجبها، مثل استعمال المضارة في الإمساك أو الفراق، أو كثرة الطلاق، أو جمع الشلاث، والله من

رحمته جعل له واحدة بعد واحدة، رفقاً

به وسعياً في مصلحته .

﴿واذكروا نعمة الله عليكم ﴾ عموماً، باللسان ثناء وحمداً، وبالقلب اعترافاً وإقراراً، وبالأركان بصرفها في طاعة الله، ﴿وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة ﴾ أي: السنة، اللذين بين لكم بهما طرق الخير ورغبكم فيها، وطرق الشر وحذركم إياها، وعزفكم نفسه ووقائعه في أوليائه وأعدائه، وعلمكم ما لم تكونوا تعلمون.

وقيل: المراد بالحكمة أسرار الشريعة، فالكتاب فيه الحكم، والحكمة فيها بيان حكمة الله في أوامره ونواهيه، وكلا المعنيين صحيح، ولهذا قال: ﴿يعظكم به﴾ أي: بما أنزل عليكم، وهذا بما يقوي أن المراد بالحكمة أسرار الشريعة، لأن الموعظة ببيان الحكم والحكمة، والترغيب أو الحكمة مع الترغيب يوجب الرغبة، والحكمة مع الترغيب يوجب الرغبة.

﴿واتقوا الله ﴿ في جميع أموركم ﴿واعلموا أن الله بكل شيء عليم ﴾ فلهذا بين لكم هذه الأحكام بغاية الإتقان والإحكام، التي هي جارية مع المصالح في كل زمان ومكان [فله الحمد والمنة].

﴿ ٢٣٢﴾ ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر خلطاب لأولياء المرأة المطلقة دون الثلاث، إذا خرجت من العدة، وأراد زوجها أن ينكحها ورضيت بذلك، فلا يجوز لوليها من أب وغيره أن يعضلها، يجوز لوليها من التزوج به حنقاً عليه وغضبا، واشمئزازاً لما فعل من الطلاق وغضبا، واشمئزازاً لما فعل من الطلاق الأول.

وذكر أن من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإيمانه يمنعه من العضل، فإن ذلك أزكى لكم وأطهر وأطيب عما يظن

المتكبرين.

الولى أن عدم تزويجه هو الرأي:

واللائق، وأنه يقابل بطلاقه الأول بعدم

التزويج له(١<sup>)</sup>، كما هو عادة المترفعين

تـزويجـه، فالله ﴿يعلم وأنـتـم

لا تعلمون، فامتثلوا أمر من هو عالم

بمصالحكم، مريد لها، قادر عليها،

ميسر لها من الوجه الذي تعرفون

وفي هذه الآية دليل على أنه لا بد

من الولي في النكاح، لأنه نهى الأولياء

عن العضل، ولا ينهاهِم إلا عن أمر

﴿٢٣٣﴾ ثـم قـال تـعـالى:

﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين

كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى

المولود له رزقهنَ وكسوتهن بالمعروف لا

تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة

بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث

مثل ذلك فإن أرَادَا فصالاً عن تراض

منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن

أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح

عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف

واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون

هذا خبر بمعنى الأمر، تنزيلاً له

ولما كان الحول يطلق على الكامل

وعلى معظم الحول، قال. ﴿كاملين لمن

أراد أن يتم الرضاعة ﴾ فإذا تم للرضيع

حولان فقد تم رضاعه، وصار اللبن

بعد ذلك بمنزلة سائر الأغذية، فلهذا

كان الرضاع بعد الحولين غير معتبر

ويؤخذ من هذا النص، ومن قوله

تعالى: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾

أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وأنه

﴿وعلى المولسود لسه ﴾ أي: الأب

﴿رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾ وهذا

منزلة المتقرر الذي لا يحتاج إلى أمر بأن

﴿يرضعن أولادهن حولينَ ﴿ .

هو تحت تدبيرهم ولهم فيه حق.

فإن كان يظن أن المصلحة في عدم

شامل لما إذا كانت في حباله أو مطلقة، وكسوتها، وهي الأجرة للرضاع.

ودل هذا على أنها إذا كانت في حماله، لا يجب لها أجرة غير النفقة والكسوة، وكل بحسب حاله، فلهذا قال: ﴿لا تكلف نفس إلا وسعها﴾ فلا يكلف الفقير أن ينفق نفقة الغني، ولا من لم يجد شيئاً بالنفقة حتى يجدً، ﴿لا تضار والدة بولدها، ولا مولود له بولده الى: لا يحل أن تضار الوالدة بسبب ولدها، إما أن تمنع من إرضاعه، أو لا تعطى ما يجب لها من النفقة والكسوة أو الأجرة، ﴿ولا مولود له بولده ، بأن تمتنع من إرضاعه على وجه المضارة له، أو تطلب زيادة عن الواجب، ونحو ذلك من أنواع

ودل قوله: ﴿مولود له﴾ أن الولد لأبيه، لأنه موهوب له، ولأنه من كسبه، فلذلك جاز له الأخذ من ماله رضي أو لم يرض، بخلاف الأم.

وقوله: ﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾ أي: على وارث الطفل إذا عدم الأب وكان الطفل ليس له مال ، مثل ما على الأب من النفقة للمرضع والكسوة، فدل عبلي وجبوب ننفقة الأقبارب المعسرين على القريب الوارث الموسر، ﴿ فَإِن أَرَادًا ﴾ أي: الأبوان ﴿ فصالا ﴾ أي: فطام الصبي قبل الحولين، ﴿عن تراض منهما ﴾ بأن يكونا راضيين ﴿وتشاور﴾ فيما بينهما، هل هو مصلحة للصبى أم لا؟ فإن كان مصلحة ورضيا ﴿فلا جناح عليهما ﴾ في فطامه قبل الحولين. فدلت الآية بمفهومها على أنه إن رضي أحدهما دون الآخر، أو لم يكن مصلحة للطفل، أنه لا يجوز

وقوله: ﴿وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم﴾ أي: تطلبوا لهم المراضع غير أمهاتهم على غير وجه المضارة، ﴿فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف، أي: للمرضعات، ﴿واللهُ

فإن على الأب رزقها، أي: نفقتها

خَيْرٌ وَإِن تُعَالِطُوهُمْ فَإِخْوَنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعَلَمُ ٱلْمُفْسِدَمِنَ ٱلْصَالِحُ وَلَوْسَاءَ اللَّهُ لَأَغَسَنَكُم إِنَّ اللَّهَ عَزِيزُ حَكِمتُ ٥ وَلَاتَنكِحُواْ ٱلْشُرِكَاتِ حَنَّى بُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَبْرٌ مِّن مُّشْرِكَةِ وَلَوْأَغِمَّنَكُمْ وَلَاتُنكِحُواْ الْشُركِيبَ حَيَّ وُوْمِنُواْ وَلَقَيْدٌ مُّوْمِنُ خَيْرِيْنِ مُشْرِكِ وَلَوْ أَغِيَكُمُ أُولَيْكَ يَدْعُونَ إِلَى ٓ النَّارِّ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓ إِلَى ٓ الْجِنَآ بِوَٱلْفَغْضَ ٓ بِإِذْبِيِّرُونِيِّينُ ءَائِيْهِ وِلِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَنَّذَكَّرُونَ ۞ وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلْجِيضَّ قُلْهُوٓ أَذَى فَأَغْتَرِلُواْ ٱلنِّسَآةِ فِٱلْمَحِيضِ وَلَاتَفْرَبُوهُنَّ حَتَىٰ يَطَهُرُنَ ۚ فَإِذَا تَطَهَّرُنَ فَأَنْوُهُ ﴾ مِنْ حَبْثُ أَمَّهِكُ مُر اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَّطِّقِ رِينَ ۞

ينسَّ آؤُكُمْ حَرْثُ لَكُرْ فَأَتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّ شِنْتُمْ وَقَاتِمُواْ

إِلَّانَفُيكُمُّ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمُ أَلْقُوهُ وَيَثِّيرِ

ٱلْمُوْمِنِينَ ۞ وَلَا تَعْمَلُوا اللَّهَ عُنْهَا لَا لِتَمَنِّكُمْ أَن تَبْرُوا

عَ وَتَنَفُواْ وَنُصْلِحُوا بَيْكَ ٱلنَّاسُّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٥

فِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآئِدِ رَوُّ وَيَسْتَلُونَكَ عَيِ ٱلْبَسَّعَيُّ فُلْ إِصْلاَمُ لَكُمُ

المنطقة المنتقة

ONE DOLL TO LEGISLE بما تعملون بصير﴾ فمجازيكم على ذلك بالخير والشر.

﴿٢٣٤﴾ ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجأ يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير، أي: إذا توفى الزوج مكثت زوجته متربصة أربعة أشهر وعشرة أيام وجوباً، والحكمة في ذلك، ليتبين الحمل في مدة الأربعة، ويتحرك في ابتدائه في الشهر الخامس، وهذا العام مخصوص بالحوامل، فإن عدتهن بوضع الحمل، وكذلك الأمة عدتها على النصف من عدة الحرة، شهران وخمسة أيام.

وقوله: ﴿فَإِذَا بِلَغِنِ أَجِلُهِنَ ﴾ أي: انقضت عدتهن ﴿فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن﴾ أي: من مراجعتها للزينة والطيب، ﴿بالمعروف﴾ أي: على وجه غير محرم ولا مكروه.

وفي هذا وجوب الإحداد مدة العدة على المتوفي عنها زوجها، دون غيرها من المطلقات والمفارقات، وهو مجمع عليه بين العلماء.

﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٍ ﴾ أي: عالم بأعمالكم ظاهرها وباطنها، جليها وخفيها، فمجازيكم عليها.

وفي خطابه للأولياء بقوله: ﴿فلا

في ب: بعدم تزويجه.

يمكن وجود الولد بها.

لَا يُؤَاحِدُكُمُ ٱللَّهُ بِاللَّغُوفِ آينَكِي كُرُ وَلَاكِن نُوَاحِدُكُمُ ٱلْكَسَبَتْ فُلُوبُكُمْ وَأَنَّهُ عَفُوزُ حَلِيهٌ ۞ لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِسَآ بِهِمْ زَيُّسُ أَرْبِعَةِ أَشْهُرُ فَإِنْ فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ عَفُورٌ زَّجِيدٌ ﴿ وَإِنْ عَرَمُواْ ٱلطَّلَقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ وَٱلْطُلَّقَاتُ بَرَّبَصْنَ إِلْفُيهِنَّ ثَلَثَةَ قُرُورٌ وَلَا يَعِلُّ لَكُنَّ أَن يَكُنُهُنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُوْمِنَ بِاللَّهِ وَٱلْبَوْمِ ٱلْآخِرُ وَيُعُولِنُّهُنَّ أَحَقُّ رَدِّهِنَ فِذَلِكَ إِنْ أَرَادُوْا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْعُرُوفِّ وَلِلرِّحَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَيَةٌ وَلَقَهُ عَنِ زُعَكِيدُ ۞ ٱلطَّلَقُ مَزَّهَ أَنِّ فَإِسْسَاكُ يَعْرُوفِ أَوْنَتْرِيحُ إِلِحْكُنِّ وَلَا يَحِلُّ لَكَمُ أَلَ مَأْخُدُواْعَاً ءَانَيْتُمُوهُنَّ شَيْعًا إِلَّا أَن يَعَافَآ أَلَّا يُقِيمَاحُدُودَاللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمُ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ أُلَّهِ فَلَاجُنَاحَ عَلَيْهَا فِيمَا أَفْتَدَتْ بِيرِّهِ تِلْكُ حُدُودُ اللَّهِ فَلَاتَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَيْهِكَ هُمُّ ٱلظَّالِمُونَ ۞ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَايَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعَدُحَتَّى تَيَحَ زَفَجًا عَيْرَةُ وَإِن طَلَقَهَا فَلَاجُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَرْاجَعَا إِن ظُنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ أَلِلَّهِ وَيَلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقُومِ يَعْلَمُونَ ۞

TOLERON IN LONGED جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن، دليل على أن الولى ينظر على المرأة، ويمنعها مما لا يجوز فعله، ويجبرها على ما يجب، وأنه مخاطب بذلك، واجب

﴿٢٣٥﴾ ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكْنَنْتُم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا. تواعدوهن سراً إلا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم المعداد حكم المعتدة من وفاة، أو المبانة في الحياة، فيحرم على غير مبينها أن يصرح لها في الخطبة، وهو المراد بقوله: ﴿ولكن لا تواعدوهن سرآ﴾ وأما التعريض فقد أسقط تعالى فيه الجناح .

والفرق بينهما أن التصريح لا يحتمل غير النكاخ، فلهذا حرم خوفاً من استعجالها، وكذبها في انقضاء عدتها رغبة في النكاح، ففيه دلالة على منع وسائل المحرم، وقضاء لحق زوجها الأول بعدم مواعدتها لغيره مدة عدتها.

النكاح وغيره، فهو جائز للبائن، كأن يقول لها: إني أريد التزوج، وإني أحب أن تشاوريني عند انقضاء عدتك، ونحو ذلك، فهذا جائز لأنه ليس بمنزلة الصريح، وفي النفوس داع قوي

وكذلك إضمار الإنسان في نفسه أن يتزوج من هي في عدتها إذا انقضت، ولهذا قال: ﴿ أُو أَكُننتم في أَنفسِكم، علم الله أنكم ستذكرونهن، هذا التفصيل كله في مقدمات العقد.

وأما عقد النكاح فلا يحل ﴿حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ أي: تنقضي

﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم﴾ أي: فانووا الخير ولا تنووا الشر، خوفاً من عقابه ورجاء لثوابه.

﴿واعلموا أن الله غمفور﴾ لمن صدرت منه الذنوب فتاب منها، ورجع إلى ربه ﴿حليم﴾ حيث لم يعاجل العاصين على معاصيهم، مع قدرته

﴿٢٣٦﴾ ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعأ بالمعروف حقأ على المحسنين الي أي: ليس عليكم يا معشر الأزواج جناح وإثم بتطليق النساء قبل المسيس وفرض المهر، وإن كان في ذلك كسر لها، فإنه ينجبر بالمتعة، فعليكم أن تمتعوهن بأن تعطوهن شيئاً من المال، جبراً لخواطرهن. ﴿على الموسع قدره وعلى المقتر ﴾ أي: المعسر ﴿قدره ﴾.

وهذا يرجع إلى العرف، وأنه يختلف باختلاف الأحوال، ولهذا قال: ﴿متاعاً بالمعروف﴾ فهذا حق واجب ﴿على المحسنين﴾ ليس لهم أن يبخسوهن.

فكما تسببوا لتشوفهن واشتياقهن وأما التعريض، وهو الذي يحتمل - وتعلق قلوبهن، ثم لم يعطوهن ما رغبن

فيه، فعليهم في مقابلة ذلك المتعة.

فلله ما أحسن هذا الحكم الإلهي، وأدله على حكمة شارعه ورحمته!! ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟!!، فهذا حكم المطلقات قبل المسيس وقبل فرض المهر .

ثم ذكر حكم المفروض لهن، فقال :

﴿٢٣٧﴾ ﴿وإن طلَقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير ان إذا طلقتم النساء قبل المسيس، وبعد فرض المهر، فللمطلقات من المهر المفروض نصفه، ولكم تصفه.

هذا هو الواجب ما لم يدخله عفو ومسامحة، بأن تعفو عن نصفها لزوجها، إذا كان يصح عفوها، ﴿أُو يعفو الذي بيده عقدة النكاح، وهو الزوج على الصحيح(١)، لأنه الذي بيده حل عقدته؛ ولأن الولي لا يصح أن يعفو عن ما وجب للمرأة، لكونه غير مالك ولا وكيل.

ثم رغب في العفو، وأن من عفا كان أقرب لتقوآه، لكونه إحساناً موجباً لشرح الصدر، ولكون الإنسان لا ينبغى أن يهمل نفسه من الإحسان والمعروف، وينسى الفضل الذي هو أعلى درجات المعاملة ، لأن معاملة الناس فيما بينهم على درجتين: إما عدل وإنبصاف واجب، وهو أخذ الواجب وإعطاء الواجب، وإما فضل وإحسان، وهو إعطاء ما ليس بواجب والتسامح في الحقوق والغض مما في النفس، فلا ينبغى للإنسان أن ينسى هذه الدرجة ولو في بعض الأوقات وخصوصاً لمن بينك وبينه معاملة أو مخالطة، فإن الله مجاز المحسنين بالفضل

<sup>(</sup>١) • جاء في هامش أ ما نصه: (هذا بحسب ما ظهر لي وقت كتابتي لهذا الموضع، ثم بعد ذلك تبين لي أن القول بأن الذي بيده عقدة النكاح هو الولي الأقرب، وهو الأب، هو الأصح لمساعدة اللفظ له والمعنى كما هو ظاهر للمتدبر).

وفي هامش ب زيادة بخط المؤلف هي: (وقيل: إنه الأب، وهو الذي يدل عليه لفظ الآية الكريمة).

﴿۲۳۸ \_ ۲۳۹﴾ ﴿حافظواعلى الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين \* فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ يأمر بالمحافظة على الصلوات عموماً وعلى الصلاة الوسطى، وهي العصر خصوصاً، والمحافظة عليها أداؤها بوقتها وشروطها وأركانها وخشوعها وجميع ما لهامن واجب ومستحب، وبالمحافظة على الصلوات تحصل المحافظة على سائر العبادات، وتفيد النهى عن الفحشاء والمنكر خصوصاً إذا أكملها كما أمر بقوله: ﴿وقوموا شه قانتين اي: ذليلين خاشعين، ففيه الأمر بالقيام والقنوث والنهي عن الكلام، والأمر بالخشوع، هذا مع الأمن والطمأنينة ﴿ فإن خفتم ﴾ (١) لم يذكر ما يخاف منه ليشمل الخوف من كافر وظالم وسبع، وغير ذلك من أنواع المخاوف، أي: إن خفتم بصلاتكم على تلك الصفة فصلوها ﴿ رجالاً ﴾ أي: على أقدامكم، ﴿أو ركباناً ﴾ على الخيل والإبل وغيرها، ويلزم على ذلك أن يكونوا مستقبلي القبلة وغير مستقبليها، وفي هذا زيادة التأكيد على المحافظة على وقتها حيث أمر بذلك ولو مع الإخلال بكثير من الأركان والشروط، وأنه لا يجوز تأخيرها عن وقتها ولو في هذه الحالة الشديدة، فصلاتها على تلك الصورة أحسن وأفضل بل أوجب من صلاتها مطمئناً خارج الوقت ﴿فإذا أمنتم أي: زال الخوف عنكم ﴿فَاذَكُرُوا اللَّهُ ﴾ وهذا يشمل جميع أنواع الذكر ومنه الصلاة على كمالها وتمامها ﴿كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ فإنها نعمة عظيمة ومنة جسيمة، تقتضي مقابلتها بالذكر والشكر ليبقى نعمته عليكم ويزيدكم عليها، ثم قال

والكرم، ولهذا قال ﴿إن الله بما تعالى: تعملون بصير ﴾ ثم قال تعالى:

﴿ ٢٤٠﴾ ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجأ وصية لأزواجهم متاعأ إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معتروف والله عزيز حكيم اي: الأزواج الذين يموتون ويتركون خلفهم أزواجاً فعليهم أن يوصوا ﴿وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج ﴾ أي: يوصون أن يلزمن بيوتهم مدة سنة لا يخرجن منها ﴿فَإِنْ خُرَجِنْ﴾ من أنفسهن ﴿فلا جناح عليكم﴾ أيها الأولياء ﴿فيما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم ﴾ أي: من مراجعة الزينة والطيب ونحو ذلك وأكثر المفسرين أن هذه الآية منسوخة بما قبلها وهي قوله: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجأ يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ﴾ وقيل لم تنسخها بل الآية الأولى دلت على أن أربعة أشهر وعشر واجبة، وما زاد على ذلك فهي مستحبة ينبغى فعلها تكميلاً لحق الزوج، ومراعاة للزوجة، والدليل على أن ذلك مستحب أنه هنا نفى الجناح عن الأولياء إن خرجن قبل تكميل الحول، فلو كان لزوم المسكن واجباً لم ينف الحرج عنهم. (121 - 721) ♦ (elladlal)

متاع بالمعروف حقاً على المتقين \* كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون اى: لكل مطلقة متاع بالمعروف حقاً على كل متق، جبراً لخاطرها وأداء لبعض حقوقها، وهذه المتعة واجبة على من طلقت قبل المسيس، والفرض سنة في حق غيرها كما تقدم، هذا أحسن ما قيل فيها، وقيل إن المتعة واجبة على كل مطلقة احتجاجاً بعموم هذه الآية، ولكن القاعدة أن الطلق محمول على القيّد، وتقدم أن الله فرض المتعة للمطلقة قبل الفرض والمسيس خاصةً، ولما بين تعالى هذه الأحكام العظيمة المشتملة على

وَإِذَا طَلَقَتُهُ ٱلنَّسَآءَ فَكَفَى أَسَلَعُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ عَفُرُوفِ أَوْسَرَجُوهُمْ إِيَعَرُونِ وَلَانتُنسِكُوهُنَّ ضِرَالُالِتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلُ ذَلِكَ فَقَدْظَلَرَ تَفْسَهُ وَلَاتَنَاخِذُوٓا ءَايَتِ ٱللَّهِ هُزُوّاً وَاذَكُرُواْ بِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُرُومَا أَنْلَ عَلَيْكُم مِنَ الْكِنَابِ وَلَيْكُمْنَهِ بِعِظْكُم بِدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَوْا أَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ ثَنَى عَلِيمٌ ۞ وَإِذَا طَلَقَتُمُ النِّسَاءَ فَلَغَنَ لَجَلَهُنَّ فَلَانَفْضُلُوهُنَّ أَن يَنْكِحْنَ أَزْوَجَهُنَّ إِذَا تَرْضَوْا بَيْنَهُم بِٱلْمُعْرُوفِّ ذَلِكَ يُوعَظُ بِدِ مَنَ كَانَ مِنكُرُ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَٱلْمَوْمِ ٱلْآخِيرُ ذَٰلِكُمُ ا أَذَكَ لَكُوْ وَأَطَلْهَرُّ وَٱلْفَهُ يُعَلَرُ وَأَشَرُ لِالْفَلَدُونَ ﴿ \* وَٱلْوَلِلَاتُ يُرْضِعَنَ أَوَٰلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنُ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُبِيَّدُّ ٱلرَّضَاعَةُ وَعَلَ ٱلْوَلُودِلَةُ رِزْفَهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْعَرُوفِ لَا تُكَلَّفُ مَنْسُ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لِانْشَازَ وَإِلَّهُ أَبِوَلَدِهَا وَلَامَوْلُودُكُمْ بِوَلَدِهِ عُوَكَلْ أَوْارِثِ مِثْلُ ذَلِكٌ فَإِنْ أَرَادَا فِصَهَا لَاعَن تَرَاضِ مِنْهُمَا وَتَشَا وُرِفَلا ا جُنَاحَ عَلَيْهِمَ أُوَإِنْ أَرَدَتُمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا أَوْلَدَكُمْ فَلَاجْنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَكَلَمْتُ مِمَّاءَ انْبِتُ مِ فِلْفَرُوفِيُّ مُ وَأَنَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عِمَاتَعَمْ الْوَرْبَ بَصِيرٌ ۞ TOWEST WEST WEST

الحكمة والرحمة امتن بها على عباده فقال: ﴿كذلك يبين الله لكم آياته﴾ أي: حدوده، وحلاله وحرامه والأحكام النافعة لكم، لعلكم تعقلونها فتعرفونها وتعرفون المقصود منها، فإن من عرف ذلك أوجب له العمل بها، ثم قال تعالى:

﴿ ٢٤٣ \_ ٢٤٣ ﴾ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الدِّينَ خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون \* وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم \* من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون الهيقص تعالى علينا قصة الذين خرجوا من ديارهم على كثرتهم واتفاق مقاصدهم، بأن الذي أخرجهم منها حذر الموت من وباء أو غيره، يقصدون بهذا الخروج السلامة من الموت، ولكن لا يغنى حذر عن قدر، ﴿فقال الله لهم موتوا﴾ فماتوا ﴿ثُمُ ﴾ إن الله تعالى ﴿أحياهم﴾ إما بدعوة نبي أو بغير ذلك، رحمة بهم ولطفاً وحلماً، وبياناً لآياته لخلقه بإحياء الموتى، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهِ

من هنا بدأ الاختلاف بين النسختين، وقد أشرت إليه في المقدمة بشيء من التفصيل وقد أثبت التفسير المأخوذ من النسخة ب في

وَالْيَن يَوْفَرَت دِنكُمْ وَيَدُون أَنْ يَا يُرْضِن بِأَلْشِيهِنَ الْمَثِيهِنَ الْمَثِيهِنَ الْمَثِيمَةُ الْمُؤْمِنَ الْمَثَمِينَ الْمَثِيمَةُ الْمُؤْمِنَ الْمَثَلِينَ الْمَثَلِينَ الْمَثَلِينَ الْمُثَلِّمِينَ الْمُثَلِّمِينَ الْمُثَلِّمِينَ الْمَثَلِمِينَ الْمُثَلِّمِينَ الْمُثَلِّمِينَ الْمَثَلِمِينَ الْمَثَلِمِينَ الْمُثَلِمِينَ الْمَثَلِمِينَ وَلَمَينَ الْمَثَلِمُ الْمُثَلِمِينَ الْمَثَلِمُ الْمُثَلِمِينَ الْمُثَلِمُ الْمُثَلِمِينَ الْمُثَلِمُ الْمُثَلِمِينَ الْمُثَلِمُ الْمُثِلِمُ الْمُثَلِمُ الْمُثِلِمُ الْمُثِلِمُ الْمُثِلِمُ الْمُثِلِمُ الْمُثَلِمُ الْمُثَلِمُ الْمُثَلِمُ الْمُثَلِمُ الْمُثَلِمُ الْمُثَلِمُ الْمُثِلِمُ الْمُثَلِمُ الْمُثِلِمُ الْمُثَلِمُ الْمُثَلِمُ الْمُثَلِمُ الْمُثَلِمُ الْمُثَلِمُ الْمُلِمُ الْمُثِلِمُ الْمُثِلِمُ الْمُثِلِمُ الْمُثَلِمُ الْمُثَلِمُ الْمُثِلِمُ الْمُثِلِمُ الْمُثِلِمُ الْمُثِلِمُ الْمُثَلِمُ الْمُنْ الْمُثِلِمُ الْمُثِلِمُ الْمُثِلِمُ الْمُثِلِمُ الْمُنْ الْمُلْمُ الْمُنْ الْمُنْكِلِمُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْكِلِمُ الْمُنْ الْمُ

ADDEADY WEDDED

A SHIP IN THE SHIP

لذو فضل﴾ أي: عظيم ﴿على الناس ولكن أكشرهم لا يشكرون الله تزيدهم النعمة شكراً، بل ربما استعانوا بنعم الله على معاصيه، وقليل منهم الشكور الذي يعرف النعمة ويقربها ويصرفها في طاعة المنعم، ثم أمر تعالى بالقتال في سبيله، وهو قتال الأعداء الكفار لإعلاء كلمة الله ونصر دينه، فقال: ﴿وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم اي: فأحسنوا نياتكم واقصدوا بذلك وجه الله، واعلموا أنه لا يفيدكم القعود عن القتال شيئاً، ولو ظننتم أن في القعود حياتكم وبقاءكم، فليس الأمر كذلك، ولهذا ذكر القصة السابقة توطئة لهذا الأمر، فكما لم ينفع الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت خروجهم، بل أتاهم ما حذروا من غير أن يحتسبوا، فاعلموا أنكم كذلك، ولما كان القتال في سبيل الله لا يتم إلا بالنفقة وبذل الأموال في ذلك، أمر تعالى بالإنفاق في سبيله ورغب فيه، وسماه قرضاً فقال: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴿ فينفق ما تيسر من أمواله في طرق الخيرات، خصوصاً في الجهاد، والحسن هو الحلال المقصود به وجه الله تعالى، ﴿فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾. الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، بحسب حالة المنفق ونيته ونفع نفقته والحاجة

اليها، ولما كان الإنسان ربما توهم أنه إذا أنفق افتقر دفع تعالى هذه الوهم بقوله: ﴿وَالله بِقَبْضُ ويبسط﴾ أي: يوسع الرزق على من يشاء ويقبضه عمن يشاء، فالتصرف كله بيديه ومدار الأمور راجع إليه، فالإمساك لا يبسط الرزق، والإنفاق لا يقبضه، ومع ذلك فالإنفاق غير ضائع على أهله، بل لهم يوم يجدون ما قدموه كاملاً موفراً مضاعفاً، فلهذا قال ﴿وَإليه ترجعون﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

ف في هذه الآيات دليل على أن الأسباب لا تنفع مع القضاء والقدر، وخصوصاً الأسباب التي تترك بها أوامر الله. وفيها: الآية العظيمة بإحياء الموتى أعياناً في هذه الدار. وفيها: الأمر بالقتال والنفقة في سبيل الله، وذكر الأسباب الداعية لذلك الحاثة عليه، من تسميته قرضاً، ومضاعفته، وأن الله يقبض ويبسط وإليه ترجعون.

﴿٢٤٦ ـ ٢٤٨﴾ ﴿ أَلَمْ تَــر إِلَى اللَّهُ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تسولسوا إلا قسليلاً مستسهسم والله عسليم بالظالمين \* وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم \* وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم ويقية بما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ليقص تعالى على نبيه قصة الملأ من بني إسرائيل وهم الأشـراف والـرؤسـاء، وخـص الملأ بالذكر، لأنهم في العادة هم الذين يبحثون عن مصالحهم ليتفقوا فيتبعهم غيرهم على ما يرونه، وذلك أنهم أتوا إلى نبى لهم بعد موسى عليه السلام

فقالوا له ﴿ابعث لنا ملكاً﴾ أي: عين لنا ملكاً ﴿نقاتل في سبيل الله﴾ ليجتمع متفرقنا ويقاوم بنا عدونا، ولعلهم في ذلك الوقت ليس لهم رئيس يجمعهم، كما جرت عادة القبائل أصحاب البيوت، كل بيت لا يرضى أن يكون من البيت الآخر رئيس، فالتمسوا من نبيهم تعيين ملك يرضي للطرفين ويكون تعيينه خاصاً لعوائدهم، وكانت أنبياء بني إسرائيل تسوسهم، كلما مات نبي خلفه نبي آخر، فلما قالوا لنبيهم تلك المقالة وقال الهم نبيهم ﴿هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ﴾ أي: لعلكم تطلبون شيئاً وهو إذا كتب

عليكم لا تقومون به، فعرض عليهم

العافية فلم يقبلوها، واعتمدوا على ِ

عزمهم ونيتهم، فقالوا: ﴿وما لنا ألاَّ

نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من

ديارنا وأبنائنا اأي: أي: شيء يمنعنا

من القتال وقد ألجأنا إليه، بأن أخرجنا

من أوطاننا وسبيت ذرارينا، فهذا

موجب لكوننا نقاتل ولولم يكتب

علينا، فكيف مع أنه فرض علينا وقد

حصل ما حصل، ولهذا لما لم تكن

نياتهم حسنة ولم يقوَ توكلهم على ربهم

﴿ فلما كتب عليهم القتال تولوا ﴾

فجبنوا عن قتال الأعداء وضعفوا عن

المصادمة، وزال ما كانوا عزموا عليه،

واستولى على أكثرهم الخور والجبن ﴿إلا

قليلاً منهم فعصمهم الله وثبتهم

وقوى قلوبهم فالتزموا أمر الله ووطنوا

أنفسهم على مقارعة أعدائه، فحازوا

شرف الدنيا والآخرة، وأما أكثرهم

فظلموا أنفسهم وتركوا أمر الله، فلهذا

قال: ﴿والله عليم بالظالمين \* وقال

لهم نبيهم مجيباً لطلبتهم ﴿إن الله قد

بعث لكم طالوت ملكاً ﴾ فكان هذا

تعييناً من الله الواجب عليهم فيه القبول

والانقياد وترك الاعتراض، ولكن أبوا

إلا أن يعترضوا، فقالوا: ﴿أَنِّي يَكُونَ

له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم

يؤت سعة من المال أي: كيف يكون

ملكاً وهو دوننا في الشرف والنسب

ونحن أحق بالملك منه. ومع هذا فهو

الصابرين \* ولما برزوا لجالوت وجنوده

قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا

كيفظوا عكى الصكواب والصكوة الوسطى وقومواية فَنتين ٨ فَإِنْ خِفْتُ مُوْجِكَ الْا أُوْرِكُ بَانَا فَإِذَا أَينتُ مَ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَا لَمْ نَكُونُواْ نَصَالُونَ ﴿ وَالَّذِينَ بُنُونَوْنَ مِنكُمْ وَلِلَّارُونَ أَزْوَجَا وَصِيتَةً لِآزُوزَجِهِم مَّنَكُا إِلَى ٱلْحَوْلِ عَيْرَ إِخْرَاجُ فَإِنَّ خَرَجَى فَلَاجُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِ مَافَعَلْ فِي أَنفُسِهِ ﴾ مِن مَّعْرُونُ وَأَلْلَهُ عَرَيزُ حَكِيدٌ ۞ وَللْسُطَلَقَتْنِ مَنْتُكُمْ إِلْفُرُوفِي حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَقِينَ ١ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايْنَيْهِ عَلَمَكُمْ نَعْفِلُونَ ٠ الزَسَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِينَ رِهِمْ وَهُمُ أَلُوفُ حَدَرَ الْمُوْتِ فَقَالَ لَمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَجَاهُمُّ إِنَّ اللَّهُ لَذُو مَشْلِ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَلِكِنَّ أَحْتُ ثَرَ ٱلنَّاسِ لَا بَسْتُكُرُونَ ۞ وَقَائِلُوا فِي سَهِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهُ سَيعِمْ عَلِيدٌ ۞ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرَّضًا حَسَنَا فَيْضَلِعِفَكُولَةُ وَأَضْعَافَا مُ كَوْنِيرَةً وَاللَّهُ يَمْمِنُ وَيَبْعَتُهُ اللَّهِ وَإِلَيْدِ تُرْجَعُونَ ۞

PERSON PERSON

لهم بالصبر ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كشيرة بإذن الله أي: بإرادته ومشيئته فالأمر لله تعالى، والعزيز من أعزه الله، والذليل من أذله الله، فلا تغنى الكثرة مع خذلانه، ولا تضر القلة مع تصره، ﴿والله مع الصابرين﴾ بالنصر والمعونة والتوفيق، فأعظم جالب لمعونة الله صبر العبد لله، فوقعت موعظته في قلوبهم وأثرت معهم، ولهذا لما برزوا لجالوت وجنوده ﴿قالوا﴾ جميعهم ﴿ربنا أفرغ علينا صبراً ﴾ أي: قو قلوبنا، وأوزعنا الصبر، وثبت أقدامنا عن التزلزل والفرار، وانصرنا على القوم الكافرين. من هاهنا نعلم أن جالوت وجنوده كانوا كفاراً، فاستجاب الله لهم ذلك الدعاء لإتيانهم بالأسباب الموجبة لذلك، ونصرهم عليهم ﴿فهزموهم بإذن الله، وقتل داود ﴾ عليه السلام، وكان مع جنود طالوت، ﴿جالوت﴾ أي: بناشر قتل ملك الكفار بيده لشجاعته وقوته وصبره ﴿وآتاه الله ﴾ أي: آتى الله داود ﴿الملك والحكمة ﴾ أي: منَّ عليه بتملكه على بني إسرائيل مع الحكمة، وهي النبوة المشتملة على الشرع العظيم والصراط المستقيم، ولهذا قال ﴿وعلمه مما يشاء ﴾ من العلوم الشرعية والعلوم السياسية، فجمع الله له الملك والنبوة، وقد كان من قبله من الأنبياء يكون الملك

وانصرنا على القوم الكافرين \* فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه ممايشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين \* تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين، أي: لما تملُّك طالوت ببني إسرائيل واستقر له الملك تجهزوا لقتال عدوهم، فلما فصل طالوت بجنود بني إسرائيل وكانوا عدداً كثيراً وجماً عفيراً، امتحنهم بأمر الله ليتبين الثابت المطمئن عمن ليس كذلك فقال: ﴿إِن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني، فهو عاص ولا يتبعنا لعدم صبره وثباته ولمعصيته ﴿ومن لم يطعمه ﴾ أي: لم يشرب منه فإنه منى ﴿ إلا من اغترف غرفة بيده ﴾ فلا جناح عليه في ذلك، ولعل الله أن يجعل فيها بركة فتكفيه، وفي هذا الابتلاء ما يدل على أن الماء قد قل عليهم ليتحقق الامتحان، فعصى أكثرهم وشربوا من النهر الشرب المنهى عنه، ورجعوا على أعقابهم ونكصوا عن قتال عدوهم وكان في عدم صبرهم عن الماء ساعة واحدة أكبر دليل على عدم صبرهم على القتال الذي سيتطاول وتحصل فيه المشقة الكبيرة، وكان في رجوعهم عن باقي العسكر ما يزداد به الشابتون توكلاً على الله، وتضرعأ واستكانة وتبرؤأ من حولهم وقوتهم، وزيادة صبر لقلتهم وكثرة عدوهم، فلهذا قال تعالى: ﴿فلما جاوزه ان: النهر همو أي: طالوت ﴿والذين آمنوا معه ﴾ وهم الذين أطاعوا أمر الله ولم يشربوا من النهر الشرب المنهى عنه فرأوا. . . قلتهم وكثرة أعدائهم، قالوا أي: قال كثير منهم ﴿لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، لكثرتهم وعددهم وعُددهم ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظْنُونَ أَنَّهُم مَلَاقُوا اللَّهِ أي: يستيقنون ذلك، وهم أهل الإيمان الثابت واليقين الراسخ، مثبتين

لباقيهم ومطمئنين لخواطرهم، وآمرين

فقير ليس عنده ما يقوم به الملك من الأموال، وهذا بناء منهم على ظن فاسد، وهو أن الملك ونحوه من الولايات مستلزم لشرف النسب وكثرة المال، ولم يعلموا أن الصفات الحقيقية التي توجب التقديم مقدمة عليها، فلهذا قال لهم نبيهم: ﴿إِن الله اصطفاه عليكم الزمكم الانقياد لذلك ﴿وزاده الله بسطة في العلم والجسم أي: فضله عليكم بالعلم والجسم، أي: بقوة الرأي: والجسم اللذين بهما تتم أمور الملك، لأنه إذا تم رأيه وقوي على تنفيذ ما يقتضيه الرأى: المصيب، حصل بذلك الكمال، ومتى فاته واحد من الأمرين اختل عليه الأمر، فلو كان قوي البدن مع ضعف الرأي، حصل في الملك خرق وقمهر ومخالفة للمشروع، قوة على غير حكمة، ولو كان عالماً بالأمور وليس له قوة على تنفيذها لم يفده الرأي: الذي لا ينفذه شيئاً ﴿والله واسع ﴾ الفضل كثير الكرم، لا يخص برحمته وبره العام أحداً عن أحد، ولا شريفاً عن وضيع، ولكنه مع ذلك ﴿عليم﴾ بمن يستحق الفضل فيضعه فيه، فأزال بهذا الكلام ما في قلوبهم من كل ريب وشك وشبهة لتبيينه أن أسباب الملك متوفرة فيه، وأن فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، ليس له راد، ولا لإحسانه صاد، ثم ذكر لهم نبيهم أيضاً آية حسية يشاهدونها وهي إتيان التابوت الذي قد فقدوه زماناً طويلاً وفي ذلك التابوت سكينة تسكن بها قلوبهم، وتطمئن لها خواطرهم، وفيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، فأتت به الملائكة حاملة له وهم يرونه عياناً.

﴿۲۷۹ ـ ۲۵۲ ﴾ ﴿فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلاً منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع

النت رَال المَلاِ بِرَابَقِ إِسْرَةٍ بِلَ بِرَامِةِ مِوْمِنَ إِذَ قَالُوا الْمَلْاِ بِرَابَةِ بِاسْرَةٍ بِلَ بِرَامِةٍ مِوْمِنَ إِذَ قَالُوا الْمَلْاِ بِرَابَةِ فِي سَعِيرِالَةِ قَالَ الْمَلْ الْمَلْفِيلُوا سَعِيرِالَةِ قَالَ الْمَلْ الْمَلْفِيلُوا سَعِيرِالَةِ وَقَدَ أَخِينَا اللَّهِ مَنْ الْمَلْفِيلُوا لَمَلِيلُوا اللَّهِ مَنْ الْمَلْفِيلُوا اللَّهِ مَنْ الْمَلْفِيلُوا اللَّهِ مَنْ اللَّهِ اللَّهُ الْمُعْلِيلُولُ اللَّهُ اللْمُلِي الللَّهُ اللْمُلِيلُولُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ ا

لغيرهم، فلما نصرهم الله تعالى اطمأنوا في ديارهم وعبدوا الله آمنين مطمئنين لخذلان أعدائهم وتمكينهم من الأرض، وهذا كله من آثار الجهاد في سبيله، فلولم يكن لم يحصل ذلك فلهذا قال تعالى: ﴿ولولادفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ أي: لولا أنه يدفع بمن يقاتل في سبيله كيد الفجار وتكالب الكفار لفسدت الأرض باستيلاء الكفار عليها وإقامتهم شعائر الكفر ومنعهم من عبادة الله تعالى، وإظهار دينه ﴿ولكن الله ذو فضل على العالمين، حيث شرع لهم الجهاد الذي فيه سعادتهم والمدافعة عنهم ومكنهم من الأرض بأسباب يعلمونها، وأسباب لا يعلمونها، ثم قال تعالى ﴿ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق﴾ أي: بالصدق الذي لا ريب فيها المتضمن للاعتبار والاستبصار وبيان حقائق الأمور ﴿وإنك لمن المرسلين، فهذه شهادة من الله لرسوله برسالته التي من جملة أدلتها ما قصه الله عليه من أخبار الأمم السالفين والأنبياء وأتباعهم وأعدائهم التي لولا خبر الله إياه لما كان عنده بذلك علم بل لم يكن في قومه من عنده شيء من هذه الأمور، فدل أنه رسول الله حقاً ونبيه صدقاً الذي بعثه بالحق ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وفي هذه القصة من الآيات والعبر ما يتذكر به أولو الألباب، فمنها: أن اجتماع أهل الكلمة والحل والعقد وبحثهم في الطريق الذي تستقيم به أمورهم وفهمه، ثم العمل به، أكبر سبب لإرتقائهم وحصول مقصودهم، كما وقع لهؤلاء الملأحين راجعوا نبيهم في تعيين ملك تجتمع به كلمتهم ويلم متفرقهم، وتحصل له الطاعة منهم، ومنها: أن الحق كلما عورض وأوردت عليه الشبه ازداد وضوحا وتميز وحصل به اليقين التام كما جرى لهؤلاء، لما اعترضوا على استحقاق طالوت للملك أجيبوا بأجوبة حصل بها الإقناع وزوال الشبه والريب. ومنها: أن العلم والرأي: مع القوة المنفذة بهما كمالً الولايات، وبفقدهما أو فقد أحدهما نقصانها وضررها. ومنها: أن الاتكال على النفس سبب الفشل والخذلان، والاستعانة بالله والصبر والالتجاء إليه سبب النصر، فالأول كما في قولهم لنبيهم ﴿وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا، فكأنه نتيجة ذلك أنه لما كتب عليهم القتال تولوا، والثاني في قوله: ﴿وَلَمَّا بِرِزُوا لجالوت وجنوده قالوا ربئا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين \* فهزموهم بإذن الله . ومنها: أن من حكمة الله تعالى تمييز الخبيث من الطيب، والصادق من الكاذب، والصابر من الجبان، وأنه لم يكن ليذر العباد على ما هم عليه من الاختلاط وعدم التمييز. ومنها: أن من رحمته وسننه الجارية أن يدفع ضرر الكفار والمنافقين بالمؤمنين المقاتلين، وأنبه لبولا ذلبك ليفسيدت الأرض باستيلاء الكفر وشعائره عليها، ثم قال تعالى:

﴿٢٥٣﴾ ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو

شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ﴾ يخبر تعالى أنه فضل بعض الرسل على بعض بما خصهم من بين سائر الناس بإيحائه وإرسالهم إلى الناس، ودعائهم الخلق إلى الله، ثم فضل بعضهم على بعض بما أودع فيهم من الأوصاف الحميدة والأفعال السديدة والنفع العام، فمنهم من كلمه الله كموسى بن عمران خصه بالكلام، ومنهم من رفعه على سائرهم درجات كنبينا عَلَيْ الذي اجتمع فيه من الفضائل ما تفرق في غيره، وجمع الله له من المناقب ما قاق به الأولين والآخرين ﴿وآتينا عيسي ابن مريم البينات﴾ الدالات على نبوته وأنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴿وأبدناه بروح القدس﴾ أي: بالإيمان واليقين الذي أيده به الله وقواه على ما أمر به، وقيل أيده بجبريل عليه السلام يلازمه في أحواله ﴿ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات، الموجبة للاجتماع على الإيمان ﴿ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر، فكان موجب هذا الاختلاف التفرق والمعاداة والمقاتلة، ومع هذا فلو شاء الله بعد هذا الاختلاف ما اقتتلوا، فدل ذلك على أن مشيئة الله نمافذة غالبة للأسباب، وإنما تنفع الأسباب مع عدم معارضة المشيئة، فإذا وجدت اضمحل كل سبب، وزال كل موجب، فلهذا قال ﴿ولكن الله يفعل ما يريد ﴾ فإرادته غالبة ومشيئته نافذة، وفي هذا ونحوه دلالة على أن الله تعالى لم يرل يفعل ما اقتضته مشيئته وحكمته، ومن جملة ما يفعله ما أخبر به عن نفسه وأخبر به عنه رسوله ﷺ من الاستواء والنزول والأقوال، والأفعال التي يعبرون عنها بالأفعال الاختيارية. فائدة: كما يجب على المكلف معرفته بربه، فيجب عليه معرفته برسله، ما يجبُ لهم ويمتنع عليهم ويجوز في حقهم، ويؤخذ جميع ذلك مما وصفهم الله به في آيات متعددة، منها: أنهم رجال لا نساء، من أهل

القرى لا من أهل البوادي، وأنهم مصطفون مختارون، جمع الله لهم من الصفات الحميدة ما به الاصطفاء والاختيار، وأنهم سالمون من كل ما يقدح في رسالتهم من كذب وخيانة وكتمان وعيوب مزرية، وأنهم والتكليف، وأن الله تعالى خصهم بوحيه، فلهذا وجب الإيمان بهم ومن قدح في واحد منهم أو سبه فهو كافر، كافر يتحتم قتله، ودلائل هذه الجمل كفيرة، من تدبر القرآن تبين له الحق، مقال تعالى:

﴿٢٥٤﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لابيع فيه ولاخلة ولاشفاعة والكافرون هم الظالمون، وهذا من لطف الله بعباده أن أمرهم بتقديم شيء مما رزقهم الله، من صدقة وأجبة ومستحبة، ليكون لهم ذخراً وأجراً موفراً في يوم يحتاج فيه العاملون إلى مثقال ذرة من الخير، فلا بيع فيه ولو افتدى الإنسان نفسه بملىء الأرض ذهبأ ليفتدي به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منه، ولم ينفعه خليل ولا صديق لا بوجاهة ولا بشفاعة، وهو اليوم الذي فيه يخسر المبطلون ويحصل الخزي على الظالمين، وهم الذين وضعوا الشيء في غير موضعه، فتركوا الواجب من حق الله وحق عباده وتعدوا الحلال إلى الحرام، وأعظم أنواع الظلم الكفر بالله الذي هو وضع العبادة التي يتعين أن تكون لله فيصرفها الكافر إلى مخلوق مثله، فلهذا قال تعالى: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ وهذا من باب الحصر، أي: الذين ثبت لهم الظلم التام، كما قال تعالى: ﴿إِن الشرك لظلم عظيم ♦. ثم قال تعالى:

﴿٢٥٥﴾ ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات

والأرض ولا يَؤودُه حفظهما وهو العلي العظيم الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة والصفات الكريمة، فلهذا كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها وجعلها ورداً للإنسان في أوقاته صباحاً ومساء وعند نومه وأدبار الصلوات المكتوبات، فأخبر تعالى عن نفسه الكريمة بأنه ﴿لا إله إلا هو﴾ أي: لا معبود بحق سواه، فهو الإله الحق الذي تتعين أن تكون جميع أنواع العبادة والطاعة والتأله له تعالى، لكماله وكمال صفاته وعظيم نعمه، ولكون العبد مستحقاً أن يكون عبداً لربه، ممتثلاً أوامره مجتنباً نواهيه، وكل ما سوى الله تعالى باطل، فعبادة ما سواه باطلة، لكون ما سوى الله مخلوقاً ناقصاً مدبِّراً فقيراً من جميع الوجوه، فلم يستحق شيئاً من أنواع العبادة، وقوله: ﴿ الحي القيوم ﴾ هذان الاسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسني دلالة مطابقة وتضمناً ولزوماً، فالحيّ من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك، والقيوم: هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، وذلك مستلزم جميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء من الاستواء والنزول والكلام والبقول والخبلق والبرزق والإماتية والإحياء، وسائر أنواع التدبير، كل ذلك داخل في قيومية الباري، ولهذا قال بعض المحققين: إنهما الاسم الأعظم الذي إذا دعى الله به أجاب، وإذا سئل به أعطى، ومن تمام حياته وقيوميته أنه ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ والسنة النعاس ﴿له ما في السماوات وما في الأرض) أي: هو المالك وما سواه تملوك وهو الخالق الرازق المدبر وغيره مخلوق مرزوق مدبر لايملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض فلهذا قال: ﴿ مَن ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ أي: لا أحد يشفع عنده بدون إذنه،

فالشفاعة كلها لله تعالى، ولكنه تعالى إذا أراد أن يرحم من يشاء من عباده أذِن لمن أراد أن يكرمه من عباده أن يشفع فيه، لا يبتدى الشافع قبل الإذن، ثم قال ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ أي: ما مضى من جميع الامور ﴿وما خلفهم اي: ما يستقبل منها، فعلمه تعالى محيط بتفاصيل الأمور، متقدمها ومتأخرها، بالظواهر والبواطن، بالغيب والشهادة، والعباد ليس لهم من الأمر شيء ولا من العلم مثقال ذرة إلا ما علمهم تعالى، ولهذا قال: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض، وهذا يدل على كمال عظمته وسعة سلطانه، إذا كان هذه حالة الكرسي أنه يسع السماوات والأرض على عظمتهما وعظمة من فيهما، والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هنا ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتكل الأبصار، وتقلقل الجبال وتكع عنها فحول الرجال، فكيف بعظمةً خالقها ومبدعها، والذي أودع فيها من الحكم والأسزار ما أودع، والذي قد أمسك السماوات والأرض أن تزولا من غير تعب ولا نصب، فلهذا قال: ﴿ولا يؤودُه﴾ أي: يثقله ﴿حفظهما وهو العلي﴾ بذاته فوق عرشه، العلى بقهره لجميع المخلوقات، العلى بقدره لكمال صفاته ﴿العظيم﴾ الذي تتضائل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة، فسبحان من له العظمة العظيمة والكبرياء الجسيمة والقهر والغلبة لكل شيء، فقد اشتملت هذه الآية على توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وعلى إحاطة ملكه وإحاطة علمه وسعة سلطانه وجلاله ومجده، وعظمته وكبريانه وعلوه على جميع مخلوقاته، فهذه الآية بمفردها عقيدة في أسماء الله وصفاته، متضمنة لجميع الأسماء الحسني والصفات العُلاً، ثم قال تعالى:

4707\_ ۲0٦﴾ ﴿لا إكسراه فسى الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم \* الله ولي الذين أَمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ يخبر تعالى أنه لا إكراه في الدين لعدم الحاجة إلى الإكراه عليه، لأن الإكراه لا يكون إلا على أمر خفية أعلامه، غامضة أثاره، أو أمر في غاية الكراهة للنفوس، وأما هذا الدين القويم والصراط المستقيم فقد تبينت أعلامه للعقول، وظهرت طرقه، وتبين أمره، وعرف الرشد من الغي، فالموفق إذا نظر أدنى نظر إليه آثره واختاره، وأما من كان سيىء القصد فاسد الإرادة، خبيث النفس يرى الحق فيختار عليه الباطل، ويبصر الحسن فيميل إلى القبيح، فهذا ليس لله حاجة في إكراهه على الدين، لعدم النتيجة والفائدة فيه، والمكره ليس إيمانه صحيحاً، ولا تدل الآية الكريمة على ترك قتال الكفار المحاربين، وإنما فيها أن حقيقة الدين من حيث هو موجب لقبوله لكل منصف قصده اتباع الحق، وأما القتال وعدمه فلم تتعرض له، وإنما يؤخذ فرض القتال من نصوص أخر، ولكن يستدل في الآية الكريمة على قبول الجزية من غير أهل الكتاب، كما هو قول كثير من العلماء، فمن يكفر بالطاغوت فيترك عبادة ما سوى الله وطاعة الشيطان، ويؤمن بالله إيماناً تاماً أوجب له عبادة ربه وطاعته ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقي ﴾ أي: بالدين القويم الذي ثبتت قواعده ورسخت أركانه، وكان المتمسك به على ثقة من أمره، لكونه استمسك بالعروة الوثقي التي ﴿لا انفصام لها﴾ وأما من عكس القضية فكفر بالله وآمن بالطاغوت، فقد أطلق هذه العروة الوثقى التي بها العصمة والنجاة، واستمسك بكل باطل مآله إلى الجحيم ﴿والله سميع عليم﴾ فيجازي كلاً

منهما بحسب ما علمه منهم من الخير والشر، وهذا هو الغاية لمن استمسك بالعروة الوثقي ولمن لم يستمسك بها، ثم ذكر السبب الذي أوصلهم إلى ذلك فقال: ﴿الله ولى الذين آمنوا) وهذا يشمل ولايتهم لربهم، بأن تولوه فلا يبغون عنه بدلاً ولا يشركون به أحداً، قد اتخذوه حبيباً وولياً، ووالوا أولياءه وعادوا أعداءه، فتولاهم بلطفه ومنَّ عليهم بإحسانه، فأخرجهم من ظلمات الكفر والمعاصى والجهل إلى نور الإيمان والطاعة والعلم، وكان جزاؤهم على هذا أن سلمهم من ظلمات القبر والحشر والقيامة إلى النعيم المقيم والراحة والفسحة والسرور ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت﴾ فتولوا الشيطان وحزبه، واتخذوه من دون الله ولياً ووالوه وتركوا ولاية ربهم وسيدهم، فسلطهم عليهم عقوبة لهم فكانوا يـؤزونهـم إلى المعـاصـي أزّاً، وينزعجونهم إلى الشر إزعاجاً، فيخرجونهم من نور الإيمان والعلم والطاعة إلى ظلمة الكفر والجهل والمعاصي، فكان جزاؤهم على ذلك أن حرموا الخيرات، وفاتهم النعيم والبهجة والمسرات، وكانوا من حزب الشيطان وأولياءه في دار الحسرة، فلهذا قال تعالى: ﴿أُولِئِكُ أُصِحابِ النار هم فيها خالدون، ٠

﴿٢٥٨﴾ ﴿أَلُم تَسر إلى اللَّذِي حَسَاحِ إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تُر إِلَّى الذِّي حاج إبراهيم في ربه ﴾ أي: إلى جرائته وعجاهله وعنادة ومحاجته فيما لايقبل التشكيك، وما حمله على ذلك إلا ﴿أن آتاه الله الملك الله الملك وطغى ورأى نفسه مترئساً على رعيته، فحمله ذلك على أن حاج إبراهيم في ربوبية الله فزعم أنه يفعل كما يفعل الله، فقال إبراهيم ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾ أي: هو المنفرد بأنواع التصرف،

وخص منه الإحياء والإماتة لكونهما أعظم أنواع التدابير، ولأن الإحياء مبدأ الحياة الدنيا والإماتة مبدأ ما يكون في الآخرة، فقال ذلك المحاج: ﴿أَنَا أحيى وأميت) ولم يقل أنا الذي أحيى وأميت، لأنه لم يدع الاستقلال بالتصرف، وإنما زعم أنه يفعل كفعل الله ويصنع صنعه، فزعم أنه يقتل شخصاً فيكون قد أماته، ويستبقي شخصاً فيكون قد أحياه، فلما رآه إبراهيم يغالط في مجادلته ويتكلم بشيء لا يصلح أن يكون شبهة فضلاً عن كونه حجة ، اطرد معه في الدليل فقال إبراهيم ﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق ﴾ أي: عياناً يقربه كل أحد حتى ذلك الكافر ﴿فأت بها من المغرب﴾ وهذا إلزام له بطرد دليله إن كان صادقاً في دعواه، فلما قال له أمراً لا قوة له في شبهة تشوش دليله، ولا قادحاً يقدح في سبيله ﴿ بهت الذي كفر ﴾ أي: تحير فلم يرجع إليه جواباً وانقطعت حجته وسقطت شبهته، وهذه حالة المبطل المعاند الذي يريد أن يقاوم الحق ويغالبه، فإنه مغلوب مقهور، فلذلك قال تعالى: ﴿والله لا مدى القوم الظالمين ♦ بل يبقيهم على كفرهم وضلالهم، وهم الذين اختاروا لأنفسهم ذلك، وإلا فلو كان قصدهم الحق والهداية لهداهم إليه ويسر لهم أسباب الوصول إليه، ففي هذه الآية برهان قاطع على تفرد الرب بالخلق والتدبير، ويلزم من ذلك أن يفرد بالعبادة والإنابة والتوكل عليه في جميع الأحوال، قال ابن القيم رحمه الله: وفي هذه المناظرة نكتة لطيفة جداً، وهي أن شرك العالم إنما هو مستند إلى عبادة الكواكب والقبور، ثم صورت الأصنام على صورها، فتضمن الدليلان اللذان استدل بهما إبراهيم إبطال إلهية تلك جُملةً بأن الله وحده هو الذي يحيى ويميت، ولا يصلح الحي الذي يموت للإلْهية لا في حال حياته ولا بعد موته، فإن له رباً قادراً قاهراً متصرفاً فيه إحياة وإماتةً، ومن كان كذلك فكيف يكون إلها حتى يتخذ الصنم على

TO SET OF LONG LON

بتوارد الأدلية اليقينية مما يزداد به الإيمان ويكمل به الإيقان ويسعى في نيله أولوا العرفان، فقال له ربه ﴿فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك♦ أي: ضمهن ليكون ذلك بمرأى منك ومشاهدة وعلى يديك. ﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ﴾ أي: مزقهن، اخلط أجزاءهن بعضها ببعض، واجعل على كل جبل، أي: من الجبال التي في القرب منه، جزء من تلك الأجزاء ﴿ثم ادعهن يأتينك سعياً ﴾ أي: تحصل لهن حياة كاملة، ويأتينك في هذه القوة وسرعة الطيران، ففعل إبراهيم عليه السلام ذلك وحصل له ما أراد وهذا من ملكوت السماوات والأرض الذي أراه الله إياه في قولمه ﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ﴾ ثم قال: ﴿واعلم أن الله عزيز حكيم اي: ذو قوة عظيمة سخر بها المخلوقات، فلم يستعص عليه شيء منها، بل هي منقادة لعزته خاضعة جلاله، ومع ذلك فأفعاله تعالى تابعة لحكمته، لا يفعل شيئاً عبثاً، ثم

﴿٢٦١﴾ ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة منة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾ هذا بيان للمضاعفة التي ذكرها الله في

قال تعالى:

من قبورهم، لتكون أنموذجاً محسوساً مشاهداً بالأبصار، فيعلموا بذلك صحة ما أخبرت به الرسل ﴿وانظر إلى العظام كيف ننشزها العظام كيف ندخل بعضها في بعض، ونركب بعضها ببعض ﴿ثُمُّ نكسوها لحماً ﴾ فنظر اليها عياناً كما وصفها الله تعالى، ﴿ فلما تبين له ﴾ ذلك وعلم قدرة الله تعالى ﴿ قَالَ أَعِلُمُ أَنَ اللهُ عَلَى كُلُّ شَيء قدير ﴾ والظاهر من سياق الآية أن هذا رجل منكر للبعث أراد الله به خيراً، وأن يجعله آية ودليلاً للناس لثلاثة أوجه أحدها قوله ﴿أني يحيى هذه الله بعد موتها﴾ ولو كان نبياً أو عبداً صالحاً لم يقل ذلك، والثاني: أن الله أراه آية في طعامه وشرابه وحماره ونفسه ليراه بعينه فيقر بما أنكره، ولم يذكر في الآية أن القرية المذكورة عمرت وعادت إلى حالتها، ولا في السياق ما يدل على ذلك، ولا في ذلك كثير فائدة، ما الفائدة الدالة على إحياء الله للموتى في قرية خربت ثم رجع إليها أهلها أو غيرهم فعمروها؟! وإنما الدليل الحقيقي في إحيائه وإحياء حماره وإبقاء طعامه وشرابه بحاله، والثالث في قوله: ﴿فلما تبين له﴾ أي: تبين له أمر كان يجهله ويخفى عليه، فعلم بذلك صحة ما ذكرناه، والله أعلم. ثم قال تعالى:

للناس﴾ على قدرة الله وبعثه الأموات

﴿ ٢٦٠﴾ ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبِرَاهِيمُ رَبُ
أَرِي كيفُ تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جَبَلِ منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ وهذا فيه أيضاً أعظم دلالة حسية على قدرة الله وإحيائه الموتى للبعث والجزاء، فأخبر تعالى عن خليله إبراهيم أنه سأله أن يريه ببصره كيف يخيي الموتى، لأنه قد تيقن ذلك بخبر الله تعالى، ولكنه أحب أن يشاهده عياناً ليحصل له مرتبة عين يشاهده عياناً ليحصل له مرتبة عين قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴿ وذلك أنه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ وذلك أنه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ وذلك أنه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ وذلك أنه

صورته، ويعبد من دونه، وكذلك الكواكب أظهرها وأكبرها للحس هذه الشمس وهي مربوبة مدبرة مسخرة، لا تصرف لها بنفسها بوجه ما، بل ربها وخالقها سبحانه يأتي بها من مشرقها فتنقاد لأمره ومشيئته، فهي مربوبة مسخرة مدبرة، لا إله يعبد من دون الله. «من مفتاح دار السعادة»، ثم قال تعالى:

﴿٢٥٩﴾ ﴿أو كالذي مر على قرية

وهي خاوية على عروشها قال أني يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مئة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير، وهذا أيضاً دليل آخر على توحد الله بالخلق والتدبير والإماتة والإحياء، فقال: ﴿أُو كالذي مرعلى قرية وهي خاوية على عروشها) أي: قد باد أهلها وفني سكانها وسقطت حيطانها على عروشها، فلم يبق بها أنيس بل بقيت موحشة من أهلها مقفرة، فوقف عليها ذلك الرجل متعجباً و ﴿قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها، استبعاداً لذَّلك وجهلاً بقدرة الله تعالى، فلما أراد الله به خيراً أراه آية في نفسه وفي حماره، وكان معه طعام وشراب، ﴿فأماته الله مئة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أوْ بعض يوم﴾ أستقصاراً لتلك المدة التي مات فيها لكونه قد زالت معرفته وحواسه وكان عهد حاله قبل موته، فقيل له ﴿بل لبثت مئة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه ﴾ أي: لم يتغير بل بقى على حاله على تطاول السنين واختلاف الأوقات عليه، ففيه أكبر دليل على قدرته حيث أبقاه وحفظه عن التغير والفساد، مع أن الطعام والشراب من أسرع الأشياء فساداً ﴿وانظر إلى حمارك ﴾ وكان قدمات وتمزق لحمه وجلده وانتثرت عظامه، وتفرقت أوصاله ﴿ولنجعلك آية

عناده الرسُلُ مَعَمَّا البَسْسَهُمْ عَلَى مَعْضِ مِنْهُمْ مَّنْ مُطْمِ اللَّهُ وَوَقَعَ بِعَصْمَهُمْ مَن كُلُمُ اللَّهُ وَوَقَعَ بِعَصَمَهُمْ مَن كُلُمُ اللَّهُ وَوَقَعَ بِعَصَمَهُمْ مَن كُلُمُ اللَّهِ الْمُدُونِ وَقَالَمَا أَلَّهُمُ الْمَرْدِينِ وَلَالْمَا أَلَّهُ الْمَالِمُن وَلَوْسَاءَ أَلَهُ الْمَالُونِ وَلَوْسَاءً اللَّهُ الْمَرْدِينِ وَلَا الْمَدْتِ الْمَدِينِ وَلَا اللَّمِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الْمُعْلِيلُولُولُولُ اللَّهُ اللَّهُ الللِّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلِيلُولُ

OVERDY " EDROED!

قوله ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسباً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾ وهنا قال: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾ أي: في طاعته ومرضاته، وأولاها إنفاقها في الجهاد في سبيله ﴿ كَمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة ﴾ وهذا إحضار لصورة المضاعفة بهذا المثل، الذي كان العيد يشاهده ببصره فيشاهد هذه الضاعفة ببصيرته، فيقوى شاهد الإيمان مع شاهد العيان، فتنقاد النفس مذعنة للإنفاق سامحة بها مؤملة لهذه المضاعفة الجزيلة والمنة الجليلة، ﴿والله يضاعف﴾ هذه المضاعفة ﴿ لمن يساء ﴾ أي: بحسب حال المنفق وإخلاصه وصدقه وبحسب حال النفقة وحلها ونفعها ووقوعها موقعها، ويحتمل أن يكون ﴿والله يسضاعيف﴾ أكشر من هذه المضاعفة ﴿ لمن يشاء ﴾ فيعطيهم أجرهم بغير حساب ﴿والله واسع﴾ الفضل، واسع العطاء، لا ينقصه نائل ولا يحفيه سائل، فلا يتوهم المنفق أن تلك المضاعفة فيها نوع مبالغة، لأن الله تعالى لا يتعاظمه شيء ولا ينقصه العطاء على كثرته، ومع هذا فهو ﴿عليم﴾ بمن يستحق هذه المضاعفة ومن لأ يستحقها، فيضع المضاعفة في موضعها لكمال علمه وحكمته. ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله

ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم

﴿٢٦٤﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين، ينهى عباده تعالى لطفاً بهم ورحمة عن إبطال صدقاتهم بالمن والأذى ففيه أن المن والأذى يبطل الصدقة، ويستدل بهذا على أن الأعمال السيئة تبطل الأعمال الحسنة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهُرُوا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون، فكما أن الحسنات يذهبن السيئات فالسيئات تبطل ما قابلها من الحسنات، وفي هذه الآية مع قوله تعالى ﴿ولا تبطلوا أعمالكم الحث على تكميل الأعمال وحفظها من كل ما يفسدها لئلا يضيع العمل سدى، وقوله: ﴿كالذي يَنفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ أي: أنتم وان قصدتم بذلك وجه الله في ابتداء الأمر، فإن المنة والأذى مبطلان لأعمالكم، فتصير أعمالكم بمنزلة الذي يعمل لمراءاة الناس ولا يريد به الله والدار الآخرة، فهذا لا شك أن عمله من أصله مردود، لأن شرط العمل أن يكون لله وحده وهذا في الحقيقة عمل للناس لا لله ، فأعماله باطلة وسعيه غير مشكور، فمثله المطابق لحاله ﴿كمثل صفوان، وهو الحجر الأملس الشديد ﴿عَلَيه ترابِ فأصابِه وابل﴾ أي: مطر غزير ﴿فتركه صلداً ﴾ أي: ليس عليه شيء من التراب، فكذلك حال هذا الرأئي، قلبه غليظ قاس بمنزلة الصفوان، وصدقته ونحوها من أعماله بمنزلة التراب الذي على الصفوان، إذا رآه الجاهل بحاله ظن أنه أرض زكية قابلة للنبات، فإذا انكشفت حقيقة حاله زال ذلك التراب وتبين أن عمله بمنزلة السراب، وأن قلبه غير صالح

أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولا هم يحزنون \* قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذي والله غني حليم، أي: الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله وسبيله، ولا يتبعونها بما ينقصها ويفسدها من المن بها على المنفق عليه بالقلب أو باللسان، بأن يعدد عليه إحسانه ويطلب منه مقابلته، ولا أذية له قولية أو فعلية، فهؤلاء لهم أجرهم اللائق بهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فحصل لهم الخير واندفع عنهم الشر لأنهم عملوا عملأ خالصاً لله سالماً من المفسدات ﴿قول معروف، أي: تعرفه القلوب ولا تنكره، ويدخل في ذلك كل قول كريم فيه. إدخال السرور على قلب المسلم، ويدخل فيه رد السائل بالقول الجميل والدعاء له ﴿ومغفرة﴾ لمن أساء إليك بترك مؤاخذته والعفو عنه، ويدخل فيه العفو عما يصدر من السائل مما لا ينبغى، فالقول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التي يتبعها أذى، لأن القول المعروف إحسان قولي، والمغفرة إحسان أيضاً بترك المؤاخذة، وكلاهما إحسان ما فيه مفسد، فهما أفضل من الإحسان بالصدقة التي يتبعها أذي بمن أو غيره، ومفهوم الآيَّة أن الصدقة التي لا يتبعها أذي أفضل من القول المعروف والمغفرة، وإنما كان المن بالصدقة مفسداً لها محرماً، لأن المنة لله تعالى وحده، والإحسان كله لله، فالعبد لا يمن بنعمة الله وإحسانه وفضله وهو ليس منه، وأيضاً فإن المان مستعبد لمن يمن عليه، والذل والاستعباد لا ينبغي إلا لله، والله غنى بذاته عن جميع مخلوقاته، وكلها مفتقرة إليه بالذات في جميع الحالات والأوقات، فصدقتكم وإنفاقكم وطاعاتكم يعود مصلحتها إليكم ونفعها إليكم، ﴿والله غني﴾ عنها، ومع هذا فهو ﴿حليم﴾ على من عصاه لا يعاجله بعقوبة مع قدرته عليه، ولكن رحمته وإحسانه وحلمه يمنعه من معاجلته للعاصين، بل يمهلهم ويصرف لهم الآيات لعلهم يرجعون إليه وينيبون إليه، فإذا علم

OZZADZ II KOKUKOK العمل وزاد حرصه، وكان له ذرية ضعفاء ما فيهم معاونة له، بل هم كل عليه، ونفقته ونفقتهم من تلك الجنة، فبينما هو كذلك إذ أصاب تلك الجنة إعصار وهو الريح القوية التي تستدير ثم ترتفع في الجو، وفي ذلك الإعصار نار فاحترقت تلك الجنة، فلا تسأل عما لقى ذلك الذي أصابه الكبر من الهم والغم والحزن، فلو قدر أن الحزن يقتل صاحبه لقتله الحزن، كذلك من عمل عملاً لوجه الله فإن أعماله بمنزلة البذر للزروع والثمار، ولا يزال كذلك حتى يحصل له من عمله جنة موصوفة بغاية الحسن والبهاء، وتلك المفسدات التي تفسد الأعمال بمنزلة الإعصار الذي فيه نار، والعبد أحوج ما يكون لعمله إذا مات وكان بحالة لا يقدر معها على العمل، فيجد عمله الذي يؤمل نفعه هباءً منثوراً، ووجد الله عنده فوفاه

والله سريع الحساب فلو علم الإنسان وتصور هذه الحال وكان له أدنى مسكة من عقل لم يقدم على ما فيه مضرته ونهاية حسرته ولكن ضعف الإيمان والعقل وقلة البصيرة يصير صاحبه إلى هذه الحالة التي لو صدرت من مجنون لا يعقل لكان ذلك عظيماً وخطره جسيماً، فلهذا أمر تعالى

حسابه.

يصبها وابل فطلَ ﴾ أي: مطر قليل يكفيها لطيب منبتها، فهذه حالة المنفقين أهل النفقات الكثيرة والقليلة كل على حسب حاله، وكل ينمي له ما أنفق أتم تنمية وأكملها والمُنَمِّي لها هو الذي أرحم بك من نفسك، الذي يريد مصلحتك حيث لا تريدها، فيالله لو قدر وجود بستان في هذه الدار بهذه الصفة لأسرعت إليه الهمم وتزاحم عليه كل أحد، ولحصل الاقتتال عنده، مع انقضاء هذه الدار وفنائها وكثرة أفاتها وشدة نصبها وعنائها، وهذا الثواب الذي ذكره الله كأن المؤمن ينظر إليه بعين بصيرة الإيمان، دائم مستمر فيه أنواع المسرات والفرحات، ومع هذا تجد النفوس عنه راقدة، والعزائم عن طلبه خامدة، أترى ذلك زهداً في الآخرة ونعيمها، أم ضعف إيمان بوعد الله ورجاء ثوابه؟! وإلا فلو تيقن العبد ذلك حق اليقين وباشر الإيمان به بشاشة قلبه لانبعثت من قلبه مزعجات الشوق إليه، وتوجهت همم عزائمه إليه، وطوعت نفسه له بكثرة النفقات رجاء المثوبات، ولهذا قال تعالى: ﴿والله بِما تعملون بصير ﴾ فيعلم عمل كل عامل ومصدر ذلك العمل، فيجازيه عليه أتم الجزاء ثم قال تعالى:

﴿ ٢٦٦﴾ ﴿ أبود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ وهذا المثل مضروب لمن عمل عملاً لوجه الله تعالى من صدقة أو غيرها ثم عمل أعمالاً تُفسِدُه، فمثله كمثل صاحب هذا البستان الذي فيه من كل الثمرات، وخص منها النخل والعنب لفضلهما وخص منها النجل والعنب لفضلهما وفاكهة وحلوى، وتلك الجنة فيها (١) وفاكهة وحلوى، وتلك الجنة فيها الأنهار الجارية التي تسقيها من غير مؤنة، وكان صاحبها قد اغتبط بها

وسرته، ثم إنه أصابه الكبر فضعف عن

لنبات الزرع وزكائه عليه، بل الرياء الذي فيه والإرادات الخبيثة تمنع من انتفاعه بشيء من عمله، فلهذا ﴿لا يقدرون على شيء﴾ من أعمالهم التي اكتسبوها، لأنهم وضعوها في غير موضعها وجعلوها لمخلوق مثلهم، لا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً وانصرفوا عن عبادة من تنفعهم عبادته، فصرف الله قلوبهم عن الهداية، فلهذا قال: ﴿والله لا يهدى القوم الكافرين﴾

﴿٢٦٥﴾ ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطلَ والله بما تعملون بصير ﴾ هذا مثل المنفقين أموالهم على وجه تزكو عليه نفقاتهم وتقبل به صدقاتهم فقال تعالى: ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله الي : قصدهم بذلك رضى ربهم والفوز بقربه ﴿وتثبيتاً من أنفسهم﴾ أي: صدر الإنفاق على وجه منشرحة له النفس سخية به، لاعلى وجه التردد وضعف النفس في إخراجها وذلك أن النفقة يعرض لها آفتان إما أن يقصد الإنسان بها محمدة الناس ومدحهم وهو الرياء، أو يخرجها على خور وضعف عزيمة وتردد، فهؤلاء سلموا من هاتين الآفتين فأنفقوا ابتغاء مرضات الله لا لغير ذلك من المقاصد، وتثبيتاً من أنفسهم، فمثل نفقة هؤلاء ﴿ كمثل جنة ﴾ أي: كثيرة الأشجار غزيرة الظلال، من الاجتنان وهو الستر، لستر أشجارها ما فيها، وهذه الجنة ﴿بَرْبُوة﴾ أي: محل مرتفع ضاح للشمس في أول النهار ووسطه وآخره، فثماره أكثر الثمار وأحسنها، ليست بمحل نازل عن الرياح والشمس، ف ﴿أصابِها ﴾ أي: تلكَ الجنة التي بربوة ﴿وابل﴾ وهو المطر الغزير ﴿فَآتت أكلها ضعفين ﴾ أي: تضاعفت ثمراتها لطيب أرضها ووجود الأسباب الموجبة لذلك، وحصول الماء الكثير الذي ينميها ويكملها ﴿فإن لم

وَإِذْ قَالَ إِنْزَهِ عِمُرَتِ أَرِنِي كَيْفَ نَحْيَ الْمُؤْفِّ قَالَ أَوْلَرَ تُوْمِنُ ۗ فَالَ بَلَىٰ وَلَكِ مِن لِيَعَلَمَ مِنْ قَلْقَي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَ مَذَ مِنْ ٱلطَّيْرِ فَسُرُهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ آجْعَلْ عَلَى حُلِ جَبَلِ مِنْهُنَّ جُدُرُواثُمَّ أَدْعُهُنَّ بَأْتِينَكَ سَعْبًا وَأَعْلَمْ أَنَ اللَّهُ عَيْهِيرُ عَكِيدٌ ۞ مَّثُلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمُوالَهُ رَفِي سَبِيلِ الْقَوكَمُثُل حَبَيَ أَلْبُتَتْ كَنْعَ سَنَائِلَ فِ كُلِ سُلْبُلُةٍ مِّأْفَةً حَبَّةً وَاللَّهُ يُصَلِّعِفُ لِنَ يَشَكَآهُ وَاللَّهُ وَاسِعُ عَلِيدٌ ۞ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَ لَكُمْ فِ سَيِبِلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُنَّفِعُونَ مَاۤ أَنفَقُواْ مَنَّا وَلآ أَذَى ۚ لَمُّمْ أَجْرُهُمْ عِندَرَيْهِمْ وَلَاحُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ بَحْزُونَ ۞ \* قَوْلُ مَعْدُ رُوفُ وَمَغْفِرَةُ خَيْرِينَ صَدَفَ فِي يَبْعُهَا أَذَى وَاللَّهُ عَنِيُّ حَلِيمٌ ۞ يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَانْبَطِلُواْ صَدَقَائِكُم بِٱلْمَنِ وَٱلْأَذَىٰ كَالَّذِي بُنِفُ مَالَمُدِكَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآَحِرُ فَمَثَلُهُ مَصْلِ صَفُولَ عَلَيْهِ تُرَابُ فَأَصَابَهُ وَابِلُ فَتَرَكَ مُرْسَكَهُ مَسَلَداً لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مَنْ وِيمَا كَسَبُواْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي ٱلْفَوْمَ ٱلْكَفِرِينَ ۞ TORONO .. LORGED

بالتفكر وحثَّ عليه، فقال: ﴿كَذَلَكَ يَبِينَ اللهُ لَكُمُ الآيَاتُ لَـعَلَـكُم تفكرون﴾.

﴿٢٦٧ ـ ٢٦٧﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد\* الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم، يأمر تعالى عباده المؤمنين بالنفقة من طيبات ما يسر لهم من المكاسب، ومما أخرج لهم من الأرض فكما من عليكم بتسهيل تحصيله فانفقوا منه شكرا لله وأداء لبعض حقوق إخوانكم عليكم، وتطهيراً لأموالكم، واقصدوا في تلك النفقة الطيب الذي تحبونه لأنفسكم، ولاتيمموا الردىء الذي لاترغبونه ولا تأخذونه إلا على وجه الإغماض والمسامحة ﴿واعلموا أن الله غني حميد﴾ فهو غنى عنكم ونفع صدقاتكم وأعمالكم عائد إليكم، ومع هذا فهو حميد على ما يأمركم به من الأوامر الحميدة والخصال السديدة، فعليكم أن تمتثلوا أوامره لأنها قوت القلوب وحياة النفوس ونعيم الأرواح، وإياكم أن تتبعوا عدوكم الشيطان الذي يأمركم بالإمساك، ويخوفكم بالفقر والحاجة إذا أنفقتم، وليس هذا نصحاً لكم، بل

هذا غاية الغش ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، بل أطيعوا ربكم الذي يأمركم بالنفقة على وجه يسهل عليكم ولا يضركم، ومع هذا فهو ﴿يعدكم مغفرة﴾ لذنوبكم وتطهيراً لعيوبكم ﴿وفضلا﴾ وإحساناً إليكم في الدنيا والآخرة، من الخلف العاجل، وانشراح الصدر ونعيم القلب والروح والقبر، وحصول ثوابها وتوفيتها يوم القيامة، وليس هذا عظيماً عليه لأنه ﴿واسع﴾ الفضل عظيم الإحسان ﴿عليم﴾ بما يصدر منكم من النفقات قليلها وكثيرها، سرها وعلنها، فيجازيكم عليها من سعته وفضله وإحسانه، فلينظر العبد نفسه إلى أي: الداعيين يميل، فقد تضمنت هاتان الآيتان أموراً عظيمة منها: الحث على الإنفاق، ومنها: بيان الأسباب الموجبة لذلك، ومنها: وجوب الزكاة من النقدين وعروض التجارة كلها، لأنها داخلة في قوله: ﴿من طيبات ما كسبتم الركاة في الزكاة في الخارج من الأرض من الحبوب والثمار والمعادن، ومنها: أن الزكاة على من له الزرع والثمر لا على صاحب الأرض، لقوله ﴿أَخْرِجِنَا لَكُمْ﴾ فمن أخرجت له وجبت عليه ومنها: أن الأموال المعدة للاقتناء من العقارات والأواني ونحوها ليس فيها زكاة، وكذلك الديون والغصوب ونحوهما إذا كانت مجهولة، أو عند من لا يقدر ربها على استخراجها منه، ليس فيها زكاة، لأن الله أوجب النفقة من الأموال التي يحصل فيها النماء الخارج من الأرض، وأموال التجارة مواساة من نمائها، وأما الأموال التي غير معدة لذلك ولا مقدوراً عليها فليس فيها هذا المعني، ومنها: أن الرديء ينهى عن إخراجه ولا يجزىء في الزكاة ثم قال تعالى:

﴿٢٦٩﴾ ﴿يؤتِ الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب للا أمر تعالى بهذه الأوامر العظيمة المستملة على الأسرار والحكم وكان ذلك لا يحصل لكل أحد، بل لمن منَّ عليه وآتاه الله

الحكمة، وهي العلم النافع والعمل الصالح ومعرفة أسرار الشرائع وحكمها، وإنَّ من آتاه الله الحكمة فقد آتاه خيراً كثيراً وأي: خير أعظم من خير فيه سعادة الدارين والنجاة من شقاوتهما! وفيه التخصيص بهذا الفضل وكونه من ورثة الأنبياء، فكمال العبد متوقف على الحكمة، إذ كماله بتكميل قوتيه العلمية والعملية فتكميل قوته العلمية بمعرفة الحق ومعرفة المقصود به، وتكميل قوته العملية بالعمل بالخير وترك الشر، وبذلك يتمكن من الإصابة بالقول والعمل وتنزيل الأمور منازلها في نفسه وفي غيره، وبدون ذلك لا يمكنه ذلك، ولما كان الله تعالى قد فطر عباده على عبادته ومحبة الخير والقصد للحق، فبعث الله الرسل مذكرين لهم بما ركز في فطرهم وعقولهم، ومفصلين لهم مالم يعرفوه، انقسم الناس قسمين قسم أجابوا دعوتهم فتذكروا ما ينفعهم ففعلوه، وما يضرهم فتركوه، وهؤلاء هم أولو الألباب الكاملة، والعقول التامة، وقسم لم يستجيبوا لدعوتهم، بل أجابوا ما عرض لفطرهم من الفساد، وتركوا طاعة رب العباد، فهولاء ليسوا من أولي الألباب، فلهذا قال تعالى: ﴿وما ينذكر إلا أولو الألباب

﴿ ٢٧٠﴾ ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يتعلمه وما للظالمين من أنصار، وهذا فيه المجازاة على النفقات، واجبها ومستحبها، قليلها وكثيرها، التي أمر الله بها، والنذور التي ألزمها المكلف نفسه، وإن الله تعالى يعلمها فلا يخفى عليه منها شيء، ويعلم ما صدرت عنه، هل هو الإخلاص أو غيره، فإن صدرت عن إخلاص وطلب لمرضاة الله جازى عليها بالفضل العظيم والثواب الجسيم، وإن لم ينفق العبد ما وجب عليه من النفقات ولم يوفِ ما أوجبه على نفسه من المنذورات، أو قصد بذلك رضى المخلوقات، فإنه ظالم قد وضع الشيء في غير موضعه، واستحق

العقوبة البليغة، ولم ينفعه أحدمن الخلق ولم ينصره، فلهذا قال: ﴿وما للظالمين من أنصار ﴾.

﴿٢٧١﴾ ﴿إِن تبدوا البصدقيات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير، أي: ﴿إِنَّ تبدوا الصدقات، فتظهروها وتكون علانية حيث كان القصد بها وجه الله ﴿فنعما هي﴾ أي: فنعم الشيء ﴿ همى ﴾ لحصول القصود بها ﴿ وإن تخفوها ﴾ أي: تسروها ﴿وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم، ففي هذا أن صدقة السرعلى الفقير أفضل من صدقة العلانية، وأما إذا لم تؤت الصدقات الفقراء فمفهوم الآية أن السر ليس خيراً من العلانية، فيرجع في ذلك إلى المصلحة، فإن كان في إظهارها إظهار شعائر الدين وحصول الاقتداء ونحوه، فهو أفضل من الإسرار، ودل قوله: ﴿وتؤتوها الفقراء ﴾ على أنه ينبغى للمتصدق أن يتحرى بصدقته المحتاجين، ولا يعطى محتاجاً وغيره أحوج منه، ولما ذكر تعالى أن الصدقة خير للمتصدق ويتضمن ذلك حصول الثواب قال: ﴿ويكفر عنكم من سيئاتكم، ففيه دفع العقاب ﴿والله بِما تعملون خبير، من خير وشر، قليل وكثير والمقصود من ذلك المجازاة.

﴿۲۷۲ \_ ۲۷۲﴾ ﴿ليس عـــليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لاتظلمون \* للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لايسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم \* الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرأ وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم

بحزنون، يقول تعالى لنبيه ﷺ ليس عليك هدي الخلق، وإنما عليك البلاغ المبين، والهداية بيدالله تعالى، ففيها دلالة على أن النفقة كما تكون على المسلم تكون على الكافر ولو لم يهتد، فلهذا قال: ﴿وما تنفقوا من خير ﴾ أي: قليل أو كثير على أي: شخص كان من مسلم وكافر ﴿فلأنفسكم﴾ أي: نفعه راجع إليكم ﴿وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ﴾ هذا إخبار عن نفقات المؤمنين الصادرة عن إيمانهم أنها لا تكون إلا لوجه الله تعالى، لأن إيمانهم يمنعهم عن المقاصد الردية ويوجب لهم الإخلاص ﴿وما تنفقوا من خير يوف إليكم، يوم القيامة تستوفون أجورك ﴿وأنتم لا تظلمون ﴾ أي: تنقصون من أعمالكم شيئاً ولا مثقال ذرة، كما لا يزاد في سيئاتكم، ثم ذكر مصرف النفقات الذين هم أولى الناس بها فوصفهم بست صفات أحدها الفقر، والثاني قوله: ﴿ أَحَصَّرُوا فِي سبيل الله ﴾ أي: قصروها على طاعة الله من جهاد وغيره، فهم مستعدون لذلك محبوسون له، الثالث عجزهم عن الأسفار لطلب الرزق فقال: ﴿لا يستطيعون ضرباً في الأرض ﴾ أي: سفراً للتكسب، الرابع قوله: ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وهذا بيان لصدق صبرهم وحسن تعففهم. الخامس: أنه قال: ﴿تعرفهم بسيماهم) أي: بالعلامة التي ذكرها الله في وصفهم، وهذا لا ينافي قوله: ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء ﴾ فإن الجاهل بحالهم ليس له فطنة يتفرس بها ما هم عليه، وأما الفطن المتفرس فمجردماً يراهم(١) يعرفهم بعلامتهم، السادس قوله: ﴿لا يسألون الناس إلحافاً ﴾ أي: لا يسألونهم سؤال إلحاف، أي: إلحاح، بل إن صدر منهم سؤال إذا احتاجوا لذلك لم يلحوا على من سألوا، فهؤلاء أولى الناس وأحقهم بالصدقات لما وصفهم به من جميل الصفات، وأما

النفقة من حيث هي على أي: شخص

وَمَثَلُ الَّذِيرَ يُنفِقُونَ أَمْوَكُمُ ٱبْتِفَآةً مَهْمَانِ اللَّهِ الم وَتَنْسِتُا مِن أَفْسِهِ مَكْسُل جَنَّةِ مِرَوْوَ أَسِهَا بَا وَابِلُ ﴿ فَنَاتَتْ أَكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّرْبُصِبْهَا وَابِلَّ فَطَلَّ وَلَلَّهُ إِمَانَهَ مَلُونَ بَصِيرٌ ۞ أَيُوَدُّ لَمَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ حَنْفٌ يَن نِجْنِيلِ وَأَعْسَابِ بَعْرِي مِن تَعْنِعَا ٱلْأَمْكُ زُلَهُ ﴾ فهامن ڪُل اَلثَمَرَتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِيرُ وَلَهُ ذُرْيَةٌ ضُعَفَآهُ مَلْسَابَهَا إغْصَارُ فِيهِ مَالُ فَأَعْتَرَفَّتُ كَذَلِكَ بُبَيْنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيِنَانِ لَمَا لَكُمُ أَنْفَاكُرُونَ ﴿ بَالْمِهَا ٱلَّذِيٰكَ اَمَنُوٓا أَنفِقُوا مِن طَيِّئِتِ مَاكَسَبْتُهُ وَيَمَّا ٱخْيَخِنَا الكُوْمِنَ الْأَرْضِ وَلَانِيمَتُهُوا الْخِيتَ مِنْهُ شَفِقُونَ عَيُّ حَيدُ ۞ ٱلشَّبْطَنُ بَعِدُكُمُ ٱلْفَغْرَوَيَأْمُ كُو بِٱلْفَحْثَأْدِ الله وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَهُ يَنَّهُ وَفَضْلُا وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ ا ﴿ يُؤْنِي لَلِهِ كُمَّةُ مَنْ بَشَكَاءٌ وْمَنْ بُؤْتَ لَلْحِكُمَّةً المُ مَعَدُ أُونِ حَيْرًا كَيْدِيرًا وَمَايَدُكُمُ الْآ أُولُواْ ٱلْأَلْبَ

المنطقة المقالة

DESIDE " EDREED كان، فهي خير وإحسان وبريثاب عليها صاحبها ويؤجر، فلهذا قال: ﴿وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم﴾ ثم ذكر حالة التصدقين في جميع الأوقات على جميع الأحوال فقال: ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله أي: طاعته وطريق مرضاته، لا في المحرمات والمكروهات وشبهوات أنفسهم خبالليل والنهار سرأ وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ﴾ أي: أجر عظيم من خير عند الرب الرحيم ﴿ولا خوف عليهم اذا خاف المقصرون ﴿ولا هم يحزنون ﴾ إذا حزن المفرطون، ففازوا بحصول القصود الطلوب، ونجوا من الشرور والمرهوب، ولما كمل تعالى حالة المحسنين إلى عباده بأنواع النفقات ذكر حالة الظالمين المسيئين إليهم غاية الإساءة فقال:

﴿ ٢٧٥ \_ ٢٨١ ﴾ ﴿ الذين يأكلون الربا لايقومون إلاكما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون \* يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم \* إن الذين آمنوا وعملوا

TO SERVEY LEINER DECK وَمَا آنَفَقَتُ مِن نَفَقَةَ أَوْنَدَرْتُ مِن نَّذِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلطَّلِيدِينَ مِنْ أَنْسَرَادٍ ﴿ إِن بُدُوا ٱلْمَدَوَا إ فَيْعِمَا هِيٌّ وَإِن تُحْفُوهِ كَا وَتُوْتُوهِ كَا ٱلْفُفْ كَآمَا فَهُو خَيْرُ أُكُمُ وَيُكَفِّ رُعَنكُم مِن سَيِّعَ أَيْتُ كُمْ وَاللَّهُ مِمَا نَعْدَمُ وَرَحَ خِيدٌ ﴿ • لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَنَهُ رُ وَلَكِ نَاللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَكَآءُ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْر فَلِأَنْفُيكُمْ وَمَاتُنفِقُونَ إِلَّا أَبْقِكَ أَهَ وَجَدِهِ اللَّهُ وْمَاتُنفِقُوا مِنْ خَيْرِيُوفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْدُولًا تُطْلَعُونَ ﴿ لِلْفُقَرَّةِ الَّذِينَ أَخْسِرُوا فِي سَيِيلِ الله لايستطيعون متربكاف الأزنس يخسبهم المحكاه أغيب آءي التّعَفُّفِ مَعْدِفْهُم بِيسِمَهُمْ لَابَسْنَالُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَانُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ مَعَلِيدٌ ۞ ٱلَّذِينَ يُمْنِفِقُونَ أَمْوَكُمْهُ وَالَّسِلِ وَالنَّهَارِسِرَّا وَعَلَانِيكَ فَلَهُ مُ أَجْدُهُمْ عِندَ ا رَبِهِمْ وَلَاحُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ بَحْرَثُونَ ۞ AGUERON PERSON

الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة

لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون \* يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين \* فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون \* وإن كان ذو عسرة فنظِرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون \* واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، يخبر تعالى عن أكلة الربا وسوء مآلهم وشدة منقلبهم، أنهم لا يقومون من قبورهم ليوم نشورهم ﴿إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴿ أي: يصرعه الشيطان بالجنون، فيقومون من قبورهم حیاری سکاری مضطربین، متوقعين لعظيم النكال وعسر الوبال، فكما تقلبت عقولهم و ﴿قالوا إنما البيع مثل الرباك وهذا لا يكون إلا من جاهل عظيم جهله، أو متجاهل عظيم عناده، جازاهم الله من جنس أحوالهم فصارت أحوالهم أحوال المجانين، ويحتمل أن يكون قوله : ﴿لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبَّطُه الشيطان من المس﴾ أنه لما انسلبت عقولهم في طلب المكاسب الربوية خفت أحلامهم وضعفت أراؤهم، وصاروا في هيئتهم وحركاتهم يشبهون المجانين في عدم انتظامها وانسلاب العقل الأدبي عنهم،

قال الله تعالى راداً عليهم ومبيناً حكمته العظيمة ﴿وأحل الله البيع﴾ أي: لما فيه من عموم المصلحة وشدة الحاجة وحصول الضرر بتحريمه، وهذا أصل في حل جميع أنواع التصرفات الكسبية حتى يرد ما يدل على المنع ﴿وحرم الربا﴾ لما فيه من الظلم وسوء العاقبة، والربا نوعان: ربا نسيئة كبيع الربا بما يشاركه في العلة نسيئة، ومنّه جعل ما في الذمة رأس مال، سلم، وربا فضل، وهو بيع ما يجري فيه الربا بجنسه متفاضلاً، وكلاهما محرم بالكتاب والسنة، والإجماع على ربا النسيئة، وشذ من أباح ربا الفضل وخالف النصوص المستفيّضة، بل الربا من كباثر الذنوب وموبقاتها ﴿فمن جاءه موعظة من ربه ﴾ أي: وعظ وتذكير وترهيب عن تعاطى الربا على يد من قيضه الله لموعظته رحمة من الله بالموعوظ، وإقامة للحجة عليه ﴿فَانْتُهِي﴾ عن فعله وانزجر عن تعاطيه ﴿فله ما سلف﴾ أي: ما تقدم من المعاملات التي فعلها قبل أن تبلغه الموعظة جزاء لقبوله للنصيحة، دل مفهوم الآية أن من لم ينته جوزي بالأول والآخر ﴿وأمره إلى الله ﴾ في مجازاته وفيما يستقبل من أموره ﴿ومن عاد﴾ إلى تعاطى الربا ولم تنفعه الموعظة، بل أصر على ذلك ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، اختلف العلماء رحمهم الله في نصوص الوعيد التي ظاهرها تخليد أهل الكبائر من الذنوب التي دون الشرك بالله، والأحسن فيها أن يقال هذه الأمور التي رتب الله عليها الخلود في النار موجبات ومقتضيات لذلك، ولكن الموجب إن لم يوجد ما يمنعه ترتب عليه مقتضاه، وقد علم بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن التوحيد والإيمان مانع من الخلود في النار، فلولا ما مع الإنسان من التوحيد لصار عمله صالحاً للخلود فيها بقطع النظر عن كفره، ثم قال تعالى:

﴿ يمحق الله الربا﴾ أي: يذهبه ويذهب

بركته ذاتاً ووصفاً، فيكون سبباً لوقوع

الآفات فيه ونزع البركة عنه، وإن أنفق

منه لم يؤجر عليه بل يكون زاداً له إلى النار ﴿ويربي الصدقات﴾ أي: ينميها وينزل البركة في المال الذي أخرجت منه وينمي أجر صاحبها وهذا لأن الجزاء من جنس العمل، فإن المرابي قد ظلم الناس وأخذ أموالهم على وجه غير شرعي، فجوزي بذهاب ماله، والمحسن إليهم بأنواع الإحسان ربه أكرم منه، فيحسن عليه كما أحسن على عباده ﴿والله لا يحب كل كفار ﴾ لنعم الله، لا يمؤدي ما أوجب عليه من الصدقات، ولا يسلم منه ومن شره عباد الله ﴿ أَثِيمٍ ﴾ أي: قد فعل ما هو سبب لإثمه وعقوبته. لما ذكر أكلة الربا وكان من المعلوم أنهم لو كانوا مؤمنين إيماناً ينفعهم لم يصدر منهم ما صدر ذكر حالة المؤمنين وأجرهم، وخاطبهم بالإيمان، ونهاهم عن أكل الربا إن كانوا مؤمنين، وهؤلاء هم الذين يقبلون موعظة ربهم وينقادون لأمره، وأمرهم أن يتقوه، ومن جملة تقواه أن يذروا ما بقي من الربا أي: المعاملات الحاضرة الموجودة، وأما ما سلف، فمن اتعظ عفا الله عنه ما سلف، وأما من لم ينزجر بموعظة الله ولم يقبل نصيحته فإنه مشاق لربه محارب له، وهو عاجز ضعيف ليس له يدان في محاربة العزيز الحكيم الذي يمهل للظالم ولا يهمله حتى إذا أخذه، أخذه أخذ عزيز مقتدر ﴿وإن تبتم ﴾ عن الربا ﴿ فلكم رؤوس أموالكم ﴾ أي: أنزلوا عليها ﴿لا تظلمون ﴾ من عاملتموه بأخذ الزيادة التي هي الربا ﴿ولا تظلمون بنقص رؤوس أموالكم ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ المدين﴿ذُو عَسْرَةُ﴾ لا يجد وفاء ﴿فنظرة إلى ميسرة ﴾ وهذا واجب عليه أن ينظره حتى يجد ما يوفي به ﴿وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون، إما بإسقاطها أو بعضها.

﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴿ وهذه الآية من آخر ما نزل من القرآن، وجعلت خاتمة لهذه الأحكام والأوامر والنواهي، لأن فيها الوعد على الخير، والوعيد على فعل PERSON WEDROLD يلزم الولى من العدل ما يلزم من عليه الحق من العدل، وعدم البخس لقوله ﴿بالعدل﴾ التاسع عشر: أنه يشترط عدالة الولى، لأن الإملاء بالعدل المذكور لا يكون من فاسق، العشرون: ثبوت الولاية في الأموال، الحادي والعشرون: أن الحقّ يكون على الصغير والسفيه والمجنون والضعيف، لاعلى وليهم، الثاني والعشرون: أن إقرار الصغير والسفيه والمجنون والمعتوه ونحوهم وتصرفهم غير صحيح، لأن الله جعل الإملاء لوليهم، ولم يجعل لهم منه شيئاً لطفاً بهم ورحمةً ، خوفاً من تلاف أموالهم، الثالث والعشرون: صحة تصرف الولى في مال من ذكر، الرابع والعشرون: فيه مشروعية كون الإنسان يتعلم الأمور التي يتوثق بها المتداينون كل واحد من صاحبه، لأن المقصود من ذلك التوثق والعدل، وما لايتم المشروع إلابه فهو مشروع، الخامس والعشرون أن تعلم الكتابة مشروع، بل هو فرض كفاية، لأن الله أمر بكتابة الديون وغيرها، ولا يحصل ذلك إلا بالتعلم، السادس والعشرون: أنه مأمور بالإشهاد على العقود، وذلك على وجه الندب، لأن القصود من ذلك الإرشاد إلى ما يحفظ الحقوق، فهو عائد لمصلحة المكلفين، نعم إن كان اعتبار كتابته، لأن الفاسق لا يعتبر قوله ولا كتابته، السابع أنه يجب عليه العدل بينهما، فلا يميل لأحدهما لقرابة أو صداقة أو غير ذلك، الثامن: أن يكون الكاتب عارفاً بكتابة الوثائق وما يلزم فيها كل واحد منهما، وما يحصل به التوثق، لأنه لا سبيل إلى العدل إلا ﴿٢٨٢﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا

بذلك، وهذا مأخوذ من قوله: ﴿وليكتب بينكم كاتب بالعدل﴾ التاسع: أنه إذا وجدت وثيقة بخط المعروف بالعدالة المذكورة يعمل بها، ولو كان هو والشهود قد ماتوا، العاشر قوله: ﴿ولا يأبَ كاتب أن يكتب﴾ أي: لا يمتنع من منَّ الله عليه بتعليمه الكتابة أن يكتب بين المتداينين، فكما أحسن الله إليه بتعليمه، فليحسن إلى عباد الله المحتاجين إلى كتابته، ولا يمتنع من الكتابة لهم، الحادي عشر: أمر الكاتب أن لا يكتب إلا ما أملاه من عليه الحق، الثاني عشر: أن الذي يملي من المتعاقدين من عليه الدين، الثالث عشر: أمره أن يبين جميع الحق الذي عليه ولا يبخس منه شيئاً، الرابع عشر أن إقرار الإنسان على نفسه مقبول، لأن الله أمر من عليه الحق أن يمل على الكاتب، فإذا كتب إقراره بذلك ثبت موجبه ومضمونه، وهو ما أقربه على نفسه، ولو ادعى بعد ذلك غلطاً أو سهواً، الخامس عشر أن من عليه حقاً من الحقوق التي البينة (١) على مقدارها وصفتها من كثرة وقلة وتعجيل وتأجيل، أن قوله هو المقبول دون قول من له الحق، لأنه تعالى لم ينهه عن بخس الحق الذي عليه، إلا أن قوله مقبول على ما يقوله من مقدار الحق وصفته، السادس عشر أنه يحرم على من عليه حق من الحقوق أن يبخس وينقص شيئاً من مقداره، أو طيبه وحسنه، أو أجله أو غير ذلك من توابعه ولواحقه، السابع عشر أن من لا يقدر على إملاء

الحق لصغره أو سفهه أو خرسه، أو

نحو ذلك، فإنه ينوب وليه منابه في

الإملاء والإقرار، الثامن عشر: أنه

الشر، وأن من علم أنه راجع إلى الله فمجازيه على الصغير والكبير والجلي والخفي، وأن الله لا يظلمه مثقال ذرة، أوجب له الرغبة والرهبة، ويدون حلول العلم في ذلك في القلب لا سبيل إلى ذلك.

تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولايأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن ينمل هنو فبليميلل وليه ببالتعبدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولايأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلكم أقسط عندالله وأقوم للشهادة وأدني ألأ ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم المذه آية الدين، وهي أطول آيات القرآن، وقد اشتملت على أحكام عظيمة جليلة المنفعة والمقدار، أحدها: أنه تجوز جميع أنواع المداينات من سلم وغيره، لأن الله أخبر عن المداينة التي عليها المؤمنون إخبار مقرر لها ذاكراً أحكامها، وذلك يدل على الجواز، الثاني والثالث أنه لابد للسلم من أجل وأنَّه لا يد أن يكون معيناً معلوماً فلا يصح حالاً ولا إلى أجل مجهول، الرابع: الأمر بكتابة جميع عقود المداينات إما وجوبأ وإما استحبآباً لشدة الحاجة إلى كتابتها، لأنها بدون الكتابة يدخلها من الغلط والنسيان والمنازعة والمساجرة شرعطيم، الخامس: أمر الكاتب أن يكتب، السادس أن يكون عدلاً في نفسه لأجل

ولللهِ عَلَيْهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا لَدَا يَنْتُ رِبِتَيْنِ إِلَىٰٓ أَجَلِ مُسَتَّعً وَأَحْتُبُوهُ وَلِيَكُنُ بِينَكُمُ مَكَانِهُ إِلْمَدَلُّ وَلَا كَأْبَ كَانِتُ أَن يَكْثُ كُمّا عَلْمَهُ أَللَّهُ فَلْيَكُ عُثُ وَلَيْمُ لِل الَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَسَتِّي ٱللَّهُ رَبُّهُ وَلَا يَبْحَسْ مِنْهُ شَيَئاً فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْوَالْحَقُّ سَفِيهًا أَوْضَعِيمًا أَوْلَايَسْنَطِيمُ أَنْ يُمُلَّ هُوَ فَلِيثُ مِلْ وَلِيْهُ وَإِلْمَتَ مِنْ وَأَسْ نَشْهِدُ وَأَشْ مِينَ مِن يَحَالِحُمُ أَهُ إِن لَّرَيْكُونَا رَجُلَون فَرَجُ لُ وَأَمْرَأَنَانِ مِنَن تَرْضَوْك مِنَ الشُّهِكَ آءِ أَن تَصِلَّ إِحْدَنهُ مَا فَلُكَحِرَ بِعْدَنهُ مَا ٱلْأَخْرَيُ وَلَا بَأْبَ ٱلشُّهَدَاءُ إِذَا مَادُءُ أُولَا تَسْتَقُواْ أَن تَكْنُبُوهُ صَغِيرًا أَوْكَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُو أَفْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقَوْمُ لِلشَّهَدَةِ وَأَذَنَّ أَلَّا نَرْنَا وَأَلِا لَا أَنْ سَكُونَ يِحَكَرَةً حَالِيْرَةً مُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْتُكُمْ جُنَامُ ٱلْآتَكْنُومُ وَأَوَاشِهِ دُوَا إِنَاتِهَا يَعْتُدُ وَلَا يُصَارَّدُ كَايَبٌ وَلَاشَهِيدٌ وَإِن قَلْعَكُواْ فَإِنَّهُ وَمُسُولًا بِكُرُّ إُ وَأَنَّهُواْ اللَّهُ وَيُعَلِّمُ كُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ مَنْ عَلِيمٌ ﴿

المتصرف ولي يتيم أو وقف ونحو ذلك مما يجب حفظه تعين أن يكون الإشهاد الذي به يحفظ الحق واجباً، السابع والعشرون: أن نصاب الشهادة في الأموال ونحوها رجلان أو رجل وامرأتان، ودلت السنة أيضاً أنه يقبل الشاهد مع يمين المدعى، الثامن والعشرون: أن شهادة الصبيان غير مقبولة لمفهوم لفظ الرجل، التاسع والعشرون أن شهادة النساء منفردات في الأموال ونحوها لا تقبل، لأن الله لم يقبلهن إلا مع الرجل، وقد يقال إن الله أقام المرأتين مقام رجل للحكمة التي ذكرها وهي موجودة سواء كن مع رجيل أو منفيرداتٍ والله أعلم. الثلاثون: أن شهادة العبد البالغ مقبولة كسهادة الحر لعموم قوله: ﴿فاستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾ والعبد البالغ من رجالنا، الحادي والثلاثون: أنَّ شهادة الكفار ذكوراً كانوا أو نساء غير مقبولة، لأنهم ليسوا منا، ولأن مبنى الشهادة على العدالة وهو غير عدل، الثاني والثلاثون: فيه فضيلة الرجل على المرأة، وأن الواحد في مقابلة المرأتين لقوة حفظه ونقص حفظها، الثالث والثلاثون: أن من نسى شهادته ثم ذكرها فذكر فشهادته مقبولة لقوله: ﴿فتذكر إحداهما الأخرى﴾ الرابع والثلاثون: يؤخذ من المعنى أن الشاهد إذا خاف نسيان

شهادته في الحقوق الواجبة وجب عليه كتابتها، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، والخامس والثلاثون: أنه يجب على الشاهد إذا دعى للشهادة وهو غير معذور، لا يجوزله أن يأبي لقوله: ﴿ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا﴾ السادس والثلاثون: أن من لم يتصف بصفة الشهداء المقبولة شهادتهم، لم يجب عليه الإجابة لعدم الفائدة بها ولأنه ليس من الشهداء، السابع والثلاثون: النهى عن السآمة والضجر من كتابة الديون كلها من صغير وكبير وصفة الأجل وجميع ما احتوى عليه العقدمن الشروط والقيود، الثامن والثلاثون بيان الحكمة في مشروعية الكتابة والإشهاد في العُقود، وأنه ﴿أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا، فإنها متضمنة للعدل الذي به قوام العباد والبلاد، والشهادة المقترنة بالكتابة تكون أقوم وأكمل وأبعد من الشك والريب والتنازع والتشاجر، التاسع والثلاثون: يؤخذ من ذلك أن من اشتبه وشك في شهادته لم يجزله الإقدام عليها بل لابد من اليقين، الأربعون: قوله: ﴿ إِلَّا أَنْ تُكُونَ تَجَارَةٌ حَاضَرَةً تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها الرخصة في ترك الكتابة إذا كانت التجارة حاضراً بحاضر، لعدم شدة الحاجة إلى الكتابة، الحادي والأربعون: أنه وإن رخص في ترك الكتابة في التجارة الحاضرة، فإنه يشرع الإشبهاد ليقوله: ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم الثاني والأربعون: النهي عن مضارة الكاتب بأن يدعى وقت اشتغال وحصول مشقة عليه، الثالث والأربعون: النهي عن مضارة الشهيد أيضاً بأن يدعى إلى تحمل الشهادة أو أدائها في مرض أو شغل يشق عليه، أو غير ذلك هذا على جعل قوله: ﴿ولا

يضار كاتب ولاشهيد ، مبنياً

للمجهول، وأماعلي جعلها مبنياً

للفاعل ففيه نهى الشاهد والكاتب أن

يضارا صاحب الحق بالامتناع أو طلب

أجرة شاقة ونحو ذلك، وهذان هما

الرابع والأربعون والخامس والأربعون. السادس والأربعون أن ارتكاب هذه المحرمات من خصال الفسق لقوله: ﴿وإن تفعلوا فَإِنَّهُ فَسُوقَ بكم، السابع والأربعون أن الأوصاف كالفسق والإيمان والنفاق والعداوة والولاية ونحو ذلك تتجزأ في الإنسان، فتكون فيه مادة فسق وغيرها، وكذلك مادة إيمان وكفر لقوله: ﴿فإنه فسوق بكم﴾ ولم يقل فأنتم فاسقون أو فُسَّاق. الشَّامن والأربعون: \_وحقه أن يتقدم على ما هنا لتقدم موضعه \_ اشتراط العدالة في الشاهد لقوله: ﴿ بمن ترضون من الشهداء ﴾ . التاسع والأربعون أن العدالة يشترط فيها العرف في كل مكان وزمان، فكل من كان مرضياً معتبراً عند الناس قبلت شهادته، الخمسون: يؤخذ منها عدم قبول شهادة المجهول حتى يزكى، فهذه الأحكام مما يستنبط من هذه الآية الكريمة على حسب الحال الحاضرة والفهم القاصر، ولله في كلامه حِكُم وأسرار يخص بها من يشاء من عباده. وقوله تعالى:

﴿٢٨٣﴾ ﴿وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم، أي: إن كنتم مسافرين ﴿ولم تجدوا كاتباً لله يكتب بينكم ويحصل به التوثق ﴿ فرهان مقبوضة ﴾ أي: يقبضها صاحب الحق وتكون وثيقة عنده حتى يأتيه حقه، ودل هذا على أن الرهن غير المقبوضة لا يحصل منها التوثق، ودل أيضاً على أن الراهن والمرتهن لو اختلفا في قدر ما رهنت به، كان القول قول المرِّتهن، ووجه ذلك أن الله جعل الرهن عوضاً عن الكتابة في توثق صاحب الحق، فلولا أن قول المرتهن مقبول في قدر الذي رهنت به لم يحصل المعنى المقصود، ولما كان المقصود بالرهن التوثق جاز حضراً وسفراً، وإنما نص الله على السفر، لأنه في مظنة الحاجة

إليه لعدم الكاتب فيه، هذا كله إذا كان صاحب الحق يحب أن يتوثق لحقه، فما كان صاحب الحق آمناً من غريمه وأحب أن يعامله من دون رهن فعلى من عليه الحق أن يؤدي إليه كاملاً غير ظالم له ولا باخس حقه ﴿وليتق الله ربه ﴾ في أداء الحق ويجازي من أحسن به الظن بالإحسان ﴿ولا تكتموا الشهادة ﴾ لأن الحق مبنى عليها لا يثبت بدونها، فكتمها من أعظم الذنوب، لأنه يترك ما وَجَبَ عليه من الخبر الصدق ويخبر بضده وهو الكذب، ويترتب على ذلك فوات حق من له الحق، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنْ يَكْتُمُهَا فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم، وقد اشتملت هذه الأحكام الحسنة التي أرشد الله عباده إليها على حِكم عظيمة ومصالح عميمة دلت على أن الخلق لو اهتدوا بإرشاد الله لصلحت دنياهم مع صلاح دينهم، لاشتمالها على العدل والصلحة، وحفظ الحقوق وقطع المشاجرات والمنازعات، وانتظام أمر المعاش، فلله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه لا نحصى ثناة عليه .

﴿٢٨٤﴾ ﴿لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه بحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ هذا إخبار من الله أنه له ما في السماوات وما في الأرض، الجميع خلقهم ورزقهم ودبرهم لصالحهم الدينية والدنيوية، فكانوا ملكاً له وعبيداً، لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، وهو ربهم ومالكهم الذي يتصرف فيهم بحكمته وعدله وإحسانه، وقد أمرهم ونهاهم وسيحاسبهم على ما أسروه وأعلنوه، ﴿فيغفر لمن يشاء ﴾ وهو لمن أتى بأسباب، المغفرة، ويعذب من يشاء بذنبه الذي لم يحصل له ما يكفره ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلُّ شَيَّءَ قَدْيُرُ ﴾ لا يعجزه شيء، بل كل الخلق طوع قهره ومشيئته وتقديره وجزائه.

﴿٢٨٥﴾ ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحدمن رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ يخبر تعالى عن إيمان الرسول والمؤمنين معه، وانقيادهم وطاعتهم وسؤالهم مع ذلك المغفرة، فأخبر أنهم آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله، وهذا يتضمن الإيمان بجميع ما أخبر الله به عن نفسه، وأخبرت به عنه رسله من صفات كماله ونعوت جلاله على وجه الإجمال والتفصيل، وتنزيه عن التمثيل والتعطيل وعن جميع صفات النقص، ويتضمن الإيمان باللائكة الذين نصت عليهم الشرائع جملة وتفصيلاً، وعلى الإيمان بجميع الرسل والكتب، أي: بكل ما أخبرت به الرسل وتضمنته الكتب من الأخبار والأوامر والنواهي، وأنهم لا يفرقون بين أحد من رسله، بل يؤمنون بجميعهم، لأنهم وسائط بين الله وبين عباده، فالكفر ببعضهم كفر بجميعهم بل كفر بالله ﴿وقالوا سمعنا﴾ ما أمرتنا به ونهيتنا ﴿وأطعنا﴾ لك في ذلك، ولم يكونوا ممن قالوا سمعنا وعصينا، ولما كان العبد لا بد أن يحصل منه تقصير في حقوق الله تعالى وهو محتاج إلى مغفرته على الدوام، قالوا ﴿غَفْرَانك﴾ أي: نسألك مغفرة لما صدر منا من التقصير والذنوب، ومحو ما اتصفنا به من العيوب ﴿وإليك المصير ﴾ أي: المرجع لجميع الخلائق فتجزيهم بما عملوا من خير وشر.

﴿٢٨٦﴾ ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لهاما كسبت وعليهاما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولاتحمل علينا إصرأكما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين للانزل قوله تعالى ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ شق ذلك على المسلمين لما توهموا أن ما يقع في القلب من الأمور اللازمة والعارضة المستقرة وغيرها

• وَإِن حُنتُ مَعَلَى سَفَرِ وَلَرْ يَعِدُواْ كَايَهَا فَهِمَنَّ مَفُوضَةً وَانْ أَمِنَ بِعَدُكُمُ بِعَضَا فَلْيُؤَوِّ ٱلَّذِي أَوْتُمِنَ أَمَنْتُهُ وَلَيْسَتِّي الله وَيَدَا مُولَاتًا كُنُهُ وَالشَّهَادَةُ وَمَن يَكَنُهُ وَاللَّهُ وَمَنْ يَكُنُّهُ وَاللَّهُ وَمَ مَايْدُوْقَلْبُهُ وَاللَّهُ مِمَانَعَتْ مَلُونَ عَلِيبٌ ﴿ فَ يَتَوْمَا فِ ٱلسَّمَوَّتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِن تَبُدُواْ مَا فِيَ ٱلْفُيدِكُمُ أَوْغُنْ فُوهُ كِمَا يِسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِسَ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَنْكَأَةُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ مَنْي و فَدِيرٌ ﴿ مَامَزَا لَيُولُ إِيَّا أَيْلَ إِلَيْهِ مِن زَّيْهِ وَلَلْوُمِنُوثُ كُلُّ مَا مَنَ بِاللَّهِ وَمَلَّهَ كَذِهِ وَحَكُنُهُ وِعَوْرُسُ لِوَء لَانْفُ مَرْقُ بَيْنَ أَحَدِيْنِ رُسُلِوْء وَقَالُواْ سَيِعْنَا وَأَلَمَ عُنَا عُفُرانك رَبِّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۞ لَا يُتَكِلَفُ اللَّهُ تَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَمُتَامَّا كُسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا أَحَةُ تَسَبَتُ رَبُّنَا لَا ثُوْلِغِذْ نَآ إِن نَسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاً رَبُّنَا وَلَا غَيْلُ عَلَيْنَا آ إِصْرَاكُمَا حَمَلْتُهُ وَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِينًا وَبِّنَا وَلَا غُتِيلًا مَا لَاطَافَهَ لَنَا بِيِّهِ وَأَعْفُ عَنَّا وَأَغْفِرُ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْ مَوْلَدْنَا فَأَنْصُرْنَا عَلَى ٱلْفَوْمِ ٱلْكَفِيرِينَ ۞ and a little of the later of th

مؤاخذون به، فأخبرهم بهذه الآية أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها أي: أمراً تسعه طاقتها، ولا يكلفها ويشق عليها، كما قال تعالى ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ فأصل الأوامر والنواهي ليست من الأمور التي تشق على النفوس، بل هي غذاء للأرواح ودواء للأبدان، وحمية عن الضرر، فالله تعالى أمر العباد بما أمرهم به رحمة وإحساناً، ومع هذا إذا حصل بعض الأعذار التي هي مظنة المشقة حصل التخفيف والتسهيل، إما بإسقاطه عن المكلف، أو إسقاط بعضه كما في التخفيف عن المريض والمسافر وغيرهم، ثم أخبر تعالى أن لكل نفس ما كسبت من الخير، وعليها ما اكتسبت من الشر، فلا تزر وازرة وزر أخرى ولا تذهب حسنات العبد لغيره، وفي الإتيان بـ "كسب" في الخير الدال على أن عمل الخير يحصل للإنسان بأدنى سعى منه بل بمجرد نية القلب وأتى بـ «اكتسب» في عمل الشر للدلالة على أن عمل الشر لا يكتب على الإنسان حتى يعمله ويحصل سعيه، ولما أخبر تعالى عن إيمان الرسول والمؤمنين، معه وأن كل عامل سيجازي بعمله، وكان الإنسان عرضة للتقصير والخطأ والنسيان، وأخبر أنه لا يكلفنا إلا ما نطيق وتسعه قوتنا، أخبر عن دعاء المؤمنين بذلك، وقد أخبر النبي ﷺ

CHEDICA T स्वाधार ने शिक्षाकृत्र के الَّهَ ۞ اللَّهُ لَا إِلَّهُ إِلَّاهُمُّ أَلْحَى الْفَيُّومُ ۞ زَزْلَ عَلَيْكَ الْكِتَبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا يَنَ يَدَيُّهُ وَأَنَلَ ٱلنَّوْرَنةَ وَٱلْإِنِحِيلَ ۞ مِن مَنلُ هُدَى لِلنَّاسِ وَأَنِلَ الْفُرْقَانُّ إِنَّا أَذِينَ كَفَرُوا بِعَابَتِ اللَّهِ لَمُمَّ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَرِيزُهُ وَٱنفِقامِ ۞ إِنَّاللَّهَ لَا يَعَنَّ عَلَيْهِ شَىٰ ۗ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآ اِ ۞ هُوَٱلَّذِى بُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْسَادِ كُيْفَ يَشَآةً لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَٱلْمَرِيزُ ٱلْحَكِمُ ۞ هُوَّ ٱلَّذِي ٓ أَزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِنْبَ مِنْهُ ءَابَنْتُ مُّحَكَّنَتُ هُنَا أَمُّ ٱلْكِنْبِ وَأُخَرُ مُتَشَيِّهَا فَكُ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْعٌ فَيَنَيِّمُونَ مَا نَشَبَهَ ينهُ ٱبْيَغَآءَ ٱلْفِسْدَةِ وَٱبْيَغَآءَ تَأْوِيلِدُّ وَمَا يَعْسَكُرُ تَأْوِيلَهُ ۖ وَإِلَّالُكُ وَالرَّيْعِوُنَ فِي ٱلْمِلْ بِمُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ مُكُلِّ مِنْ عِندِ رَيِّتَ وَمَا يَذَكُّرُ إِلَّا أُولُواْ ٱلْأَلْبَ ۞ رَبَّنِا لَانُّزِغُ قُلُوبَكَ اللَّهَ إِذْ هَدَيْنَنَا وَهَبْ لَنَامِن لَّذَنك رَحَمَّةٌ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْوَهَّابُ ۞ رَبَّنآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمِ لَّارَبِّ فِيهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحْلِفُ ٱلْمِيمَادَ ۞ 

أن الله قال: قد فعلت. إجابة لهذا الدعاء، فقال ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، والفرق بينهما: أن النسيان: ذهول القلب عن ما أمر به فيتركه نسيانًا، والخطأ: أن يقصد شيئًا يجوز له قصده ثم يقع فعله على ما لا يجوز له فعله: فهذان قد عفا الله عن هذه الأمة ما يقع بهما رحمة بهم وإحساناً، فعلى هذاً من صلى في ثوب مغصوب، أو نبجس، أو قد نسى نجاسة على بدنه، أو تكلم في الصلاة ناسياً، أو فعل مفطراً ناسياً، أو فعل محظوراً من محظورات الإحرام التي ليس فيها إتلاف ناسياً، فإنه معفو عنه، وكذلك لا يحنث من فعل المحلوف عليه ناسياً، وكذلك لو أخطأ فأتلف نفساً أو مالاً فليس عليه إثم، وإنما الضمان مرتب على مجرد الإتلاف، وكذلك المواضع التي تجب فيها التسمية إذا تركها الإنسان ناسياً لم يضر. ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصراً ﴾ أي: تكاليف مشقة ﴿كما حملته على الذين من قبلنا﴾ وقد فعل تعالى فإن الله خفف عن هذه الأمة في الأوامر من الطهارات وأحوال العبادات ما لم يخففه على غيرها ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ وقد فعل وليه الحمد ﴿واعف عنا واغفر لنا وارحمناك فالعفو والمغفرة يحصل بهما دفع المكاره والشرور، والرحمة يحصل بها صلاح الأمور ﴿أنت مولانا ﴾ أي:

ربنا ومليكنا وإلهنا الذي لم تزل ولايتُك إيانا منذ أو جدتنا وأنشأتنا فنعمك دارة علينا متصلة عدد الأوقات، ثم أنعمت علينا بالنعمة العظيمة والمنحة الجسيمة، وهي نعمة الإسلام التي جميع النعم تبع لها، فنسألك يا ربنا ومولانا تنصرنا على القوم الكافرين، الذين كفروا بك وبرسلك، وقاوموا أهل دينك ونبذوا أمرك، فانصرنا عليهم بالحجة والبيان والسيف والسنان، بأن تمكن لنا في الأرض وتخذلهم وترزقنا الإيمان والأعمال التي يحصل بها النصر، والحمد لله رب العالمين. تم تفسير سورة البقرة بعون الله وتوفيقه وصلى الله على محمد وسلم.

## تفسير سورة آل عصران وهي مدنية

نزل صدرها إلى بضع وثمانين آية في مخاصمة النصارى وإبطال مذهبهم ودعوتهم إلى الدخول في الدين الحق دين الإسلام كما نزل صدر البقرة في عاجة اليهود كما تقدم.

﴿ ١ \_ ٦ ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم الم \* الله لا إله إلا هأو الحي القيوم \* نرُّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل \* من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام \* إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرضُ ولا في السماء ۞ هو الذّي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم، افتتحها تبارك وتعالى بالإخبار بألوهيته، وأنه الإله الذي لا إله إلا هو الذي لا ينبغي التأله والتعبد إلا لوجهه، فكل معبود سواه فهو باطل، والله هو الإله الحق المتصف بصفات الألوهية التي مرجعها إلى الحياة والقيومية، فالحي من له الحياة العظيمة الكاملة المستلزمة لجميع الصفات التي لا تتم ولا تكمل الحيآة إلابها كالسمع والبصر والقدرة والقوة والعظمة والبقاء والدوام والعز الذي لا يرام ﴿القيوم﴾ الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام بغيره

فافتقرت إليه جميع مخلوقاته في الإيجاد والإعداد والإمداد، فهو الذي قام بتدبير الخلائق وتصريفهم، تدبير للأجسام وللقلوب والأرواح، ومن قيامه تعالى بعباده ورحمته بهم أن نزل على رسوله محمد على الكتاب، الذي هو أجَلِّ الكتب وأعظمها المشتمل على الحق في إخباره وأوامره ونواهيه، فما أخبر به صدق، وما حكم به فهو العدل، وأنزله بالحق ليقوم الخلق بعبادة ربهم ويتعلموا كتابه ﴿مصدقا لما بين يديه الكتب السابقة، فهو المزكى لها، فما شهد له فهو المقبول، وما رده فهو المردود، وهو المطابق لها في جميع المطالب التي اتفق عليها المرسلون، وهي شاهدة له بالصدق، فأهل الكتاب لا يمكنهم التصديق بكتبهم إن لم يؤمنوا به، فإن كفرهم به ينقض إيمانهم بكتبهم، ثم قال تعالى ﴿وأنزل التوراة﴾ أي: على موسى ﴿والإنجيل ﴾ على عيسى ﴿من قبل﴾ إنزال القرآن ﴿هدي للناس﴾ الظاهر ان هذا راجع لكل ما تقدم، أي: أنزل الله القرآن والتوراة والإنجيل هدى للناس من الضلال، فمن قبل هدى الله فهو المهتدي، ومن لم يقبل ذلك بقي على ضلاله ﴿وأنزلُ الفرقان، أي: الحجج والبينات والبراهين القاطعات الدالة على جميع المقاصد والمطالب، وكذلك فصل وفسر ما يحتاج إليه الخلق حتى بقيت الأحكام جلية ظاهرة، فلم يبق لأحد عذر ولا حجة لمن لم يؤمن به وبآياته، فلهذا قال ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفُرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ أي: بعد ما بينها ووضحها وأزاح العلل ﴿لهم عذاب شديد﴾ لا يُقْدَرُ قدره ولا يدرك وصفه ﴿والله عزيز﴾ أي: قوي لا يعجزه شيء ﴿ ذُو انتقام ﴾ بمن عصاه ﴿إن الله لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴾ وهذا فيه تقرير إحاطة علمه بالمعلومات كلها، جليها وخفيها، ظاهرها وباطنها، ومن جملة ذلك الأجنة في البطون التي لا يدركها بصر المخلوقين، ولا ينالها علمهم، وهو تعالى يدبرها بألطف

تدبير، ويقدرها بكل تقدير، فلهذا قال

وهو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء من كامل الخلق وناقصه، وحسن وقبيح، وذكر وأنثى هلا إله إلا هو العزيز الحكيم تضمنت هذه الآيات تقرير إلهية الله وتعينها، وإبطال النصارى الذين يزعمون إلهية عيسى النصارى الذين يزعمون إلهية عيسى ابن مريم عليه السلام، وتضمنت ابن مريم عليه السلام، وتضمنت المتضمنتين جميع الصفات المقدسة كما المتضمنتين جميع الصفات المقدسة كما رحمة وهداية للناس، وتقسيم الناس إلى مهتد وغيره، وعقوبة من لم يهتد بها، وتقرير سعة علم الباري ونفوذ مشيئته وحكمته.

﴿٧ - ٩ ﴾ ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربناً وما يذكر إلا أولوا الألباب \* ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب \* ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا تخسلف الميعاد) القرآن العظيم كله محكم كما قال تعالى ﴿كتابِ أحكمت آياتُه ثم فصلت من لدن حكيم خبير، فهو مشتمل على غاية الإتقان والإحكام والعدل والإحسان ﴿ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ وكله متشابه في الحسن والبلاغة وتصديق بعضه لبعضه ومطابقته لفظاً ومعنى، وأما الإحكام والتشابه المذكور في هذه الآية فإن القرآن كما ذكره الله ﴿منه آيات محكمات♦أي: واضحات الدلالة، ليس فيها شبهة ولا إشكال ﴿هن أم الكتاب أي: أصله الذي يرجع إليه كل متشابه، وهي معظمه وأكثره، ﴿وَ﴾ منه آيات ﴿أَخْرَ مَتْشَابِهَاتُ﴾ أي:

يلتبس معناها على كثير من الأذهان: لكون دلالتها مجملة، أو يتبادر إلى بعض الأفهام غير المراد منها، فالحاصل أن منها آيات بينة واضحة لكل أحد، وهي الأكثر التي يرجع إليها، ومنه آيات تشكل على سعيض الناس، فالواجب في هذا أن يرد المتشابه إلى المحكم والخفي إلى الجلى، فبهذه الطريق يصدق بعضه بعضأ ولا يحصل فيه مناقضة ولا معارضة، ولكن الناس انقسموا إلى فرقتين ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ أي: ميل عن الاستقامةً بأن فسدت مقاصدهم، وصار قصدهم الغي والضلال وانحرفت قلوبهم عن طريق الهدى والرشاد ﴿فيتبعون ما تشابه منه اي: يتركون المحكم الواضح ويلذهبون إلى المتشابه، ويعكسون الأمر فيحملون المحكم على المتشابه ﴿ابتغاء الفتنة﴾ لمن يدعونهم لقولهم، فإن المتشابه تحصل به الفتنة بسبب الاشتباه الواقع فيه، وإلا فالمحكم الصريح ليس محلاً للفتنة، لوضوح الحق فيه لن قصده اتباعه، وقوله ﴿وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله الله المفسرين في الوقوف على «الله» من قوله ﴿وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ قولان، جمهورهم يقفون عندها، ويعضهم يعطف عليها هوالراسخون في العلم € وذلك كله محتمل، فإن التأويل إن أريد به علم حقيقة الشيء وكنهه كان الصواب الوقوف على ﴿إِلاَّ الله ﴾ لأن المتشابه الذي استأثر الله بعلم كنهه وحقيقته، نحو حقائق صفات الله وكيفيتها، وحقائق أوصاف ما يكون في اليوم الآخر ونحو ذلك، فهذه لا يعلمها إلا الله، ولا يجوز التعرض للوقوف عليها، لأنه تعرض لما لا يمكن معرفته، كما سئل الإمام مالك رحمه الله عن قوله ﴿الرحمن على العرش [استوى](۱) ﴾ فقال السائل: كيف استوى؟ فقال مالك: الاستواء معلوم،

والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فهكذا يقال في سائر الصفات لمن سأل عن كيفيتها أنّ يقال كما قال الإمام مالك، تلك الصفة معلومة، وكيفيتها مجهولة، والإيمان بها واجب، والسؤال عنها بدعة، وقد أخبرنا الله بها ولم يخبرنا بكيفيتها، فيجب علينا الوقوف على ما حد لنا، فأهل الزيخ يتبعون هذه الأمور المشتبهات تعرضاً لما لا يعني، وتكلفاً لما لا سبيل لهم إلى علمه، لأنه لا يعلمها إلا الله، وأما الراسخون في العلم فيؤمنون بها ويكلون المعنى إلى الله فيُسلِّمون وَيسلمون، وإن أريد بالتأويل التفسير والكشف والإيضاح، كان الصواب عطف ﴿الراسخونُ على «الله» فيكون الله قد أخبر أن تفسير المتشابه ورده إلى المحكم وإزالة ما فيه من الشبهة لا يعلمها إلا هو تعالى والراسخون في العلم يعلمون أيضاً، فيؤمنون بها ويردونها للمحكم ويقولون ﴿كُلُ مِن المحكم والمتشابه ﴿من عند ربنا) وما كان من عنده فليس فيه تعارض ولا تناقض بل هو متفق يصدق بعضه بعضاً ويشهد بعضه لبعض (٢<sup>)</sup>: وفيه تنبيه على الأصل الكبير، وهو انَّهم إذا علموا أنَّ جميعه من عند الله، وأشكل عليهم مجمل المتشابه، علموا يـقـيناً أنـه مردودٌ إلى المحـكـم، وإن لم يفهموا وجه ذلك. ولما رغب تعالى في التسليم والإيمان بأحكامه وزجرعن اتباع المتشابه قال ﴿وما يذكر ﴾ أي: يتعظ بمواعظ الله ويقبل نصحه وتعليمه إلا ﴿أُولُوا الألبابِ﴾ أي: أهل العقول الرزينة لب العالم وخلاصة بني آدم يصل التذكير إلى عقولهم، فيتذكرون ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه، وأما من عداهم فهم القشور الذي لا حاصل له ولا نتيجة تحته، لا ينفعهم الزجر والتذكير لخلوهم من العقول النافعة.

<sup>(</sup>١) سقطت كلمة استوى من الأصل وأضفتها؛ لأنها موضع الشاهد.

 <sup>(</sup>۲) في هامش الأصل زيادة نصها: (وفيه تنبيه على الأصل الكبير وهو أنهم إذا علموا أن جميعه من عند الله، وأشكل عليهم مجمل المتشابه علموا يقيناً أنه مردود إلى المحكم وإن لم يفهموا وجه ذلك). ولم يتبين لي محلها إلا أن الأقرب أنها هنا.

ثم أخبر تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يدعون ويقولون ﴿ ربنا لا تزع قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ أي: لا تملها عن الحق جهلاً وعناداً منا، بل اجعلنا مستقيمين هادين مهتدين، فثبتنا على هدايتك وعافنا عا(١) ابتليت به الزائغين ﴿ وهب لنا من لدنك رحمة ﴾ أي: عظيمة توفقنا بها للخيرات وتعصمنا بها من المنكرات ﴿ إنك أنت الوهاب أي: واسع العطايا والهبات، كثير الريات.

﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إنك لا تخلف الميعاد ﴾ فمجازيهم بأعمالهم حسنها وسيئهاء وقد أثني الله تعالى على الراسخين في العلم بسبع صفات هي عنوان سعادة العبد: إحداها: العلم الذي هو الطريق الموصيل إلى الله، المبين لأحكامه وشرائعه، الثانية: الرسوخ في العلم وهذا قدر زائد على مجرد العلم، فإنَّ الراسخ في العلم يقتضي أن يكون عالماً محققاً، وعارفاً مدققاً، قد علمه الله ظاهر العلم وباطنه، فرسخ قدمه في أسرار الشريعة علماً وحالاً وعملاً، الثالثة: أنه وصفهم بالإيمان بجميع كتابه ورد لتشابه إلى محكمه، بقوله ﴿يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾ الرابعة: أنهم سألوا الله العفو والعافية مما ابتلي به الزائغون المنحرفون، الخامسة: اعترافهم بمنة الله عليهم بالهداية وذلك قوله ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا السادسة: أنهم مع هذا سألوه رحمته المتضمنة حصول كل خير واندفاع كل شر، وتوسلوا إليه باسمه الوهاب، السابعة: أنه أخبر عن إيمانهم وإيقانهم بيوم القيامة وخوفهم منه، وهذا هو الموجب للعمل الرادع عن الزلل، ثم قال تعالى:

﴿١٠ ــ ١٣﴾ ﴿إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار \* كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا

بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب \* قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد \* قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار) يخبر تعالى أن الكفار به وبرسله، الجاحدين بدينه وكتابه، قد استحقوا العقاب وشدة العذاب بكفرهم وذنوبهم وأنه لا يغني عنهم مالهم ولا أولادهم شيئاً، وإن كانوا في الدنيا يستدفعون بذلك النكبات التي ترد عليهم، ويقولون ﴿ نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين ﴿ فيوم القيامة يبدو لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ﴿وبدالهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن السلاولاد والأموال قدر عند الله، إنما ينفع العبد إيمانه بالله وأعماله الصالحة، كما قال تعالى ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفي إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون) وأخبر هنا أن الكفار هم وقود النار، أي: حطبها، الملازمون لها دائماً أبداً، وهذه الحال التي ذكر الله تعالى أنها لا تغنى الأموال وأولاد عن الكفار شيئاً، سنته الجارية في الأمم السابقة ، كما جرى لفرعون ومن قبله ومن بعدهم من الفراعنة العتاة الطغاة أرباب الأموال والجنود لما كذبوا بآيات الله وجحدوا ما جاءت به الرسل وعاندوا، أخذهم الله بذنوبهم عدلاً منه لا ظلماً والله شديد العقاب على من أتى بأسباب العقاب وهو الكفر والذنوب على إختلاف أنواعها وتعدد مراتبها، ثم قال تعالى ﴿قل ﴾ يا محمد ﴿للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد، وفي هذا إشارة للمومنين بالنصر والغلبة وتحذير للكفار، وقد وقع كما أخبر تعالى، فنصر الله المؤمنين على أعدائهم من كفار المشركين واليهود

والنصاري، وسيفعل هذا تعالى بعباده وجنده المؤمنين إلى يوم القيامة، ففي هذا عبرة وآية من آيات القرآن المشاهدة بالحسِّ والعيان، وأخبر تعالى أن الكفار مع أنهم مغلوبون في الدار أنهم محشورون ومجموعون يوم القيامة لدار البوار، وهذا هو الذي مهدوه لأنفسهم فبئس المهاد مهادهم، وبئس الجزاء جزاؤهم، ﴿قد كان لكم آية﴾ أي: عبرة عظيمة﴿في فئتين التَّقتا﴾ وهذا يوم بدر ﴿فئة تقاتل في سبيل الله ﴾ وهم الرسول على وأصحابه ﴿وأخرى كافرة﴾ أي: كفار قريش الذين خرجوا من ديارهم بطراً وفخراً ورثاء الناس، ويصدون عن سبيل الله، فجمع الله بين الطائفتين في بدر، وكان المشركون أضعاف المؤمنين، فلهذا قال ﴿ يرونهم مثليهم رأي: العين أي: يسرى المؤمنون الكافرين يزيدون عليها زيادة كثيرة، تبلغ المضاعفة وتزيد عليها، وأكد هذا بقوله ﴿رأى العين ﴾ فنصر الله المؤمنين وأيدهم بنصره فهزموهم، وقتلوا صناديدهم، وأسروا كثيراً منهم، وما ذاك إلا لأن الله ناصر من نصره، وخاذل من كفر به، ففي هذا عبرة لأولي الأبصار، أي: أصحاب البصائر النافذة والعقول الكاملة، على أن الطائفة المنصورة معها الحق، والأخرى مبطلة، وإلا فلو نظر الناظر إلى مجرد الأسباب الطاهرة والعدد والعُدد لجزم بأن غلبة هذه الفئة القليلة لتلك الفئة الكثيرة من أنواع المحالات، ولكن وراء هذا السبب المشاهد بالأبصار سبب أعظم منه لا يدركه إلا أهل البصائر والإيمان بالله والتوكل على الله والثقة بكفايته، وهو نصره وإعزازه لعباده المؤمنين على أعدائه الكافرين.

﴿ ١٤ - ١٧ ﴾ ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب \* قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا

عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار

اللهِ إِنَّ الَّذِيرَ كُفَنُرُوا لَن تُغِي عَنْهُمْ أَمُوالُهُمْ وَلَا أَوْلَدُهُمْ مِنَ الله شَنَا وَأُولَتِها عَمْ مَوْدُ السَّادِ ۞ كَمَا أَبِ مَالِ الفِيْعَوْبَ وَٱلَّذِيبَ مِن قَبْلَهِ مُ كَذَّبُواْ بِعَايِنَيْنَا فَأَخَذَهُواْلِلَّهُ بِذُنُوبِهِمٌّ وَأَنْتَهُ شَكِيدُ الْعِفَابِ ۞ قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ سَلُّغُلَبُونَ وَغُشْرُونَ إِلَّى جَهَنَّمٌ وَيِسْنَ لِلْهَادُ ۞ وَدُكَاتَ لَكُمْ مَايَةً فِي فِئَتَيْنِ ٱلْنَقَتَآفِنَةُ نُفَيْلُ فِي سَهِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَىٰ كَالْعَيْنُ وَلَهُمْ مِنْلَيْهِمْ رَأْى ٱلْعَيْنُ وَلَلَّهُ اً يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ عَن يَشَكَأَةُ إِنَ فِي ذَالِثَ لَعِبْرَةً لِأَوْلِي ٱلْأَبْصَئُو۞ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَكَةِ وَٱلْمِيَينِ وَٱلْفَنَنَطِيرِٱلْقَنَطَرَةِينِ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْحَنْبِلِٱلْسُوَّمَةِ وَٱلْأَنْفُنِهِ وَٱلْحَرْبُ ذَلِكَ مَنَعُٱلْحَوْةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱللَّهُ عِندَمُ حُسْنُ ٱلْمَعَابِ ۞ • قُل أَوْنَيَتُكُم بِحَنْدِمِّن ذَايكُمْ لِلَّذِينَ أَتَّقُوْا عِندَ رَبِعِمْ جَنَّتُ جَنِي مِن غَيْمَا ٱلْأَنْفُ رُخَادِين فِهَا وَأَزْوَجُ مُطَهَّرَةً وَيضَوَتْ مِن اللَّهُ وَاللَّهُ بَعِيب بِرُا إِلْمِكَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَعِيب بِرُا إِلْمِكَ اللَّهِ ONE TO LONG LONG

﴿١٨ - ٢٠ ﴿ وشهد الله أنه لا إله إلاهو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم \* إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم، ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب \* فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) هذا تقرير من الله تعالى للتوحيد بأعظم الطرق الموجبة له، وهبي شبهادته تعالى وشبهادة خواص الخلق وهم الملائكة وأهل العلم، أما شهادته تعالى فيما أقامه من الحجج والبراهين القاطعة على توحيده، وأنه لًا إله إلا هو، فنوع الأدلة في الآفاق والأنفس على هذا آلأصل العظيم، ولو لم يكن في ذلك إلا أنه ما قام أحد بتوحيده إلا ونصره على المشرك الجاحد المنكر للتوحيد، وكذلك إنعامه العظيم الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع النقم إلا هو، والخلق كلهم عاجزون عن المنافع والمضار لأنفسهم ولغيرهم، ففي هذا برهان قاطع على وجوب التوحيد وبطلان الشرك، وأما شهادة الملائكة بذلك فنستفيدها بإخبار الله لنا بذلك وإخبار رسله، وأما شهادة أهل العلم فلأنهم هم الثمار، والأنهار الجارية على حسب مرادهم والأزواج المطهرة من كل قذر ودنس وعيب ظاهر وباطن، مع الخلود الدائم الذي به تمام النعيم، مع الرضوان من الله الذي هو أكبر نعيم، فقس هذه الدار الجليلة بتلك الدار الحقيرة، ثم اختر لنفسك أحسنهما واعرض على قلبك المفاضلة بينهما ﴿والله بصير بالعباد ﴾ أي: عالم بما فيهم من الأوصاف الحسنة والأوصاف القبيحة، وما هو اللائق بأحوالهم، يوفق من شاء منهم ويخذل من شاء. فالجنة التي ذكر الله وصفها ونعتها بأكمل نعت وصف أيضاً المستحقين لها وهم الذين اتقوه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، وكان من دعائهم أن

﴿١٦ ـ ١٧﴾ ﴿ ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار﴾ توسلوا بمنة الله عليهم بتوفيقهم للإيمان أن يغفر لهم ذنوبهم ويقيهم شر آثارها وهو عنذاب النبار، ثم فيصل أوصاف التقوى. فقال ﴿الصابرين﴾ أنفسهم على ما يحبه الله من طاعته، وعن معصيته، وعلى أقداره المؤلمة، ﴿والصادقين﴾ في إيمانهم وأقوالهم وأحوالهم ﴿والمنفقين﴾ مما رزقهم الله بأنواع النفقات على المحاويج من الأقبارب وغيرهم ﴿والمستغفرين بالأسحار، لما بين صفاتهم الحميدة ذكر احتقارهم لأنفسهم وأنهم لايرون لأنفسهم، حالاً ولا مقاماً، بل يرون أنفسهم مذنبين مقصرين فيستغفرون ربهم، ويتوقعون أوقات الإجابة وهي السحر، قال الحسن: مدوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا يستغفرون ربهم. فتضمنت هذه الآيات حالة الناس في الدنيا وأنها متاع ينقضي، ثم وصف الجنة وما فيها من النعيم وفاضل بينهما، وفضل الآخرة على الدنيا تنبيهاً على أنه يجب إيثارها والعمل لها، ووصف أهل الجنة وهم المتقون، ثم فصل خصال التقوى، فبهذه الخصال يزن العبد نفسه، هل هو من أهل الجنة **1 4**? خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد \* الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار \* الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفريين بالأسحار﴾ يخبر تعالى أنه زين للناس حب الشهوات الدنيوية، وخص هذه الأمور المذكورة لأنها أعظم شهوات الدنيا وغيرها تبع لها، قال تعالى ﴿إِنَا جعلنا ما على الأرض زينة لها، فلما زينت لهم هذه المذكورات بما فيها من الدواعي المثيرات، تعلقت بها نفوسهم ومالت إليها قلوبهم، وانقسموا بحسب الواقع إلى قسمين: قسم: جعلوها هي المقصود، فصارت أفكارهم وخواطرهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة لها، فشغلتهم عما خلقوا لأجله، وصحبوها صحبة البهائم السائمة، يتمتعون بلذاتها ويتناولون شهواتها، ولا يبالون على أي: وجه حصلوها، ولا فيما أنفقوها وصرفوها، فهؤلاء كانت زاداً لهم إلى دار الشقاء والعناء والعذاب، والقسم الثاني: عرفوا المقصود منها وأن الله جعلها ابتلاء وامتحاناً لعباده، ليعلم من يقدم طاعته ومرضاته على لذاته وشهواته، فجعلوها وسيلة لهم وطريقاً يتزودن منها لآخرتهم ويتمتعون بما يتمتعون به على وجه الاستعانة به على مرضاته، قد صحبوها بأبدانهم وفارقوها بقلوبهم، وعلموا أنها كما قال الله فيها ﴿ ذلك متاع الحياة الدنيا﴾ فجعلوها معبراً إلى الدار الآخرة ومتجرأ يرجون بها الفوائد الفاخرة، فهؤلاء صارت لهم زاداً إلى ربهم. وفي هذه الآية تسلية للفقراء الذين لا قدرة لهم على هذه الشهوات التي يقدر عليها الأغنياء، وتحذير للمغترين بها وتزهيد لأهل العقول النيرة بها، وتمام ذلك أن الله تعالى أخبر بعدها عن دار القرار ومصير المتقين الأبرار، وأخبر أنها خير من ذلكم المذكور، ألا وهي الجنات العاليات ذات المنازل الأنيقة والغرف العالية، والأشجار المتنوعة المثمرة بأنواع

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبُّنَّا إِنَّنَّا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَ كَا وَفِيكَ عَذَابَ النَّادِ ۞ ٱلصَّابِرِينَ وَٱلصَّادِقِينَ وَٱلْفَائِينِينَ وَٱلْمُنْفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَادِ ۞ شَهِدَ اَهَهُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّاهُوَ وَلَلْكَتِهِكَةُ وَأُولُواْ ٱلْعِلْمِ فَآيِئًا بَالْقِسْطُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّاهُوَ الْعَرِيزُ لَلْحَيْكُ مُ ۞ إِنَّ الدِّيبَ عِندَاللَّهِ ٱلْإِسْلَادُ وَمَا أَخْلَفَ ٱلَّذِينَ أُوثُواْ ٱلْكِنْبَ إِلَّا مِنْ نَعْدِ مَاجَاءَهُمُ ٱلْمِلْرُبَعْنَا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكُفُرُ بِعَايْتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِبَابِ ۞ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجُهِي لِلَّهِ وَمَنِ أَنَّبَعَنَّ وَقُلْ لِلَّذِيكَ أُوتُواْ ٱلْكِنْبَ وَٱلْإُمْتِينَ ءَأَمَسَكَمَتُهُ فَإِنَّ أَسْلَمُواْفَعَدِٱهْسَنَدُّواْ وَإِن وَلَّوْأَ وَإِمَّا عَلَيْكَ ٱلْبَلَامُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۞ إِذَّ ٱلَّذِيكَ يَكْفُرُونَ بِعَابِكَتِ اللَّهِ وَيَقْنُلُونَ النَّبِيِّسَ بِعَالِرِحَقِّ وَيَقْنُلُونِ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَيْرَهُم بِعَذَابِ أَلِيهِ ۞ أُوَلَتِهِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْنَلُهُمْ فِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَمُمْ مِن نَصِينَ ۞ A DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

المرجع في جميع الأمور الدينية خصوصاً في أعظم الأمور وأجلها وأشرفها وهو التوحيد، فكلهم من أولهم إلى آخرهم قد اتفقوا على ذلك ودعوا إليه وبينوا للناس الطرق الموصلة إليه، فوجب على الخلق التزام هذا الأمر المشهود عليه والعمل به، وفي هذا دليل على أن أشرف الأمور علم التوحيد لأن الله شهدبه بنفسه وأشهدعليه خواص خلقه، والشهادة لا تكون إلا عن علم ويقين، بمنزلة المشاهدة للبصر، ففيه دليل على أن من لم يـصـل في عـلـم التوحيد إلى هذه الحالة فليس من أولي العلم. وفي هذه الآية دليل على شرف العلم من وجوه كثيرة، منها: أن الله خصهم بالشهادة على أعظم مشهود عليه دون الناس، ومنها: أن الله قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وكفي بذلك فضلاً، ومنها: أنه جعلهم أولي العلم، فأضافهم إلى العلم، إذ هم القائمون به المتصفون بصفته، ومنها: أنه تعالى جعلهم شهداء وحجة على الناس، وألزم الناس العمل بالأمر المشهود به، فيكونون هم السبب في ذلك، فيكون كل من عمل بذلك نالهم من أجره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ومنها: أن إشهاده تعالى أهل العلم يتضمن ذلك تزكيتهم وتعديلهم وأنهم أمناء على ما استرعاهم عليه، ولما قرر توحيده قرر عدله، فقال: ﴿قَائما

بالقسط ﴾ أي: لم يزل متصفاً بالقسط في أفعاله وتدبيره بين عباده، فهو على صراط مستقيم في ما أمر به ونهي عنه، وفيما خلقه وقدره، ثم أعاد تقرير توحيده فقال ﴿لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ . واعلم أن هذا الأصل الذي هو توحيد الله وإفراده بالعبودية قد دلت عليه الأدلة النقلية والأدلة العقلية، حتى صار لذوى البصائر أجلى من الشمس، فأما الأدلة النقلية فكل ما في كتاب الله وسنة رسوله، من الأمر به وتقريره، ومحبة أهله وبغض من لم يقم به وعقوباتهم، وذم الشرك وأهله، فهو من الأدلة النقلية على ذلك، حتى كاد القرآن أن يكون كله أدلة عليه، وأما الأدلة العقلية التي تدرك بمجرد فكر العقل وتصوره للأمور فقد أرشد القرآن إليها ونبه على كثير منها، فمن أعظمها: الاعتراف بربوبية الله، فإن من عرف أنه هو الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور أنتج له ذلك أنه هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ولما كان هذا من أوضح الأشياء وأعظمها أكثر الله تعالى من الاستدلال به في كتابه. ومن الأدلة العقلية على أن الله هو الذي يؤله دون غيره انفراده بالنعم ودفع النقم، فإن من عرف أن النعم الظاهرة والباطنة القليلة والكثيرة كلها من الله، وأنه ما من نقمة ولا شدة ولاكربة إلا وهو الذي ينفرد بدفعها وإن أحداً من الخلق لا يملك لنفسه ــ فضلاً عن غيره \_جلب نعمة ولا دفع نقمة، تيقن أن عبودية ما سوى الله من أبطل الباطل وأن العبودية لا تنبغي إلا لمن انفرد بجلب المصالح ودفع المضار، فلهذا أكثر الله في كتابه من التنبيه على هذا الدليل جداً، ومن الأدلة العقلية أيضاً على ذلك: ما أخبر به تعالى عن المعبودات التي عبدت من دونه، بأنها لاتملك نفعاً ولا ضراً، ولا تنصر غيرها ولاتنصر نفسها، وسلبها الأسماع والأبصار، وأنها على فرض سماعها لا تغنى شيئاً، وغير ذلك من

الصفات الدالة على نقصها غاية

النقص، وما أخبر به عن نفسه العظيمة

من الصفات الجليلة والأفعال الجميلة، والقدرة والقهر، وغير ذلك من الصفات التي تعرف بالأدلة السمعية والعقلية، فمن عرف ذلك حق المعرفة عرف أن العبادة لا تليق ولا تحَسُن إلا بالرب العظيم الذي له الكمال كله، والمجدكله، والحمدكله، والقدرة كلها، والكبرياء كلها، لا بالمخلوقات المُدَبِّرات الناقصات الصم البكم الذين لا يعقلون، ومن الأدلة العقلية على ذلك ما شاهده العباد بأبصارهم من قديم الزمان وحديثه، من الإكرام لأهل التوحيد، والإهانة والعقوبة لأهل الشرك، وما ذاك إلا لأن التوحيد جعله الله موصلاً إلى كل خير دافعاً لكل شر ديني ودنيوي، وجعل الشرك به والكفر سببأ للعقوبات الدينية والدنيوية، ولهذا إذا ذكر تعالى قصص الرسل مع أمم المطيعين والعاصين، وأخبر عن عقوبات العاصين ونجاة الرسل ومن تبعهم، قال عقب كل قصة: ﴿إِن في ذلك لآية﴾ أي: لعبرة يعتبر بها المعتبرون فيعلمون أن توحيده هو الموجب للنجاة، وتركه هو الموجب للهلاك، فهذه من الأدلة الكبار العقلية النقلية الدالة على هذا الأصل العظيم، وقد أكثر الله منها في كتابه وصرفها ونوعها ليحيى من حي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة فله الحمد والشكر والثناء.

ولما قرر أنه الإله الحق المعبود، بين العبادة والدين الذي يتعين أن يعبد به ويبدان له، وهو الإسلام الذي هو الاستسلام لله بتوحيده وطاعته التي وهو الذي لا يقبل من أحد دين سواه، وهو الذي لا يقبل من أحد دين سواه، وهو متضمن للإخلاص له في الحب والخوف والرجاء والإنابة والدعاء ومتابعة رسوله في ذلك، وهذا هو دين الرسل كلهم، وكل من تابعهم فهو على طريقهم، وإنما اختلف أهل الكتاب بعد ما جاء تهم كتبهم تحثهم على وظلماً وعدواناً من أنفسهم، وإلا فقد وظلماً وعدواناً من أنفسهم، وإلا فقد جاءهم السبب الأكبر الموجب أن يتبعوا

مَافِ ٱلسَّمَوَتِ وَمَافِ ٱلْأَرْضُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىء فَدِيرٌ ۞

TO ENDE OF ENDERS من الذم والعقاب ما أصابهم، بل الواجب على كل أحد إذا دعى إلى كتاب الله أن يسمع ويطيع وينقاد، كما قال تعالى ﴿إِنْمَا كَانَ قُولَ المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾ والسبب الذي غر أهل الكتاب بتجرثهم على معاصي الله هو قولهم ﴿ لَن تُمَسِّنَا النَّارِ إِلَّا أَيَّاماً معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون﴾ افتروا هذا القول فظنوه حقيقة فعملوا على ذلك ولم ينزجروا عن المحارم، لأن أنفسهم منتهم وغرتهم أن مآلهم إلى الجنة، وكذبوا في ذلك، فإن هذا مجرد كذب وافتراء، وإنما مآلهم شر مآل، وعاقبتهم عاقبة وخيمة، فلهذا قال تعالى ﴿ فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ﴾ أي: كيف يكون حالهم ووخيم ما يقدمون عليه، حالة لا يمكن وصفها ولايتصور قبحها لأن ذلك اليوم يوم توفية النفوس ماكسبت ومجازاتها بالعدل لا بالظلم، وقد علم أن ذلك على قدر الأعمال، وقد تقدم من أعمالهم ما يبين أنهم من أشد الناس

﴿٢٦ ـ ٢٧﴾ ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك يمن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير \* تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج

عذاباً.

ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم \* أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين﴾ هؤلاء الذين أخبر الله عنهم في هذه الآية، أشد الناس جرماً وأي : جرم أعظم من الكفر بآيات الله التي تدل دلالة قاطعة على الحق الذي من كفر بها فهو في غاية الكفر والعناد ويقتلون أنبياء الله الذين حقهم أوجب الحقوق على العباد بعد حق الله ، الذين أوجب الله طاعتهم والإيمان بهم، وتعزيرهم، وتوقيرهم، ونصرهم وهؤلاء قابلوهم بضد ذلك، ويقتلون أيضاً الذين يأمرون الناس بالقسط الذي هو العدل، وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذي حقيقته إحسان إلى المأمور ونصح له، فقابلوهم شر مقابلة، فاستحقواً بهذه الجنايات المنكرات أشد العقوبات، وهو العذاب المؤلم البالغ في الشدة إلى غاية لا يمكن وصفها، ولا يقدر قدرها المؤلم للأبدان والقلوب والأرواح، وبطلت أعمالهم بما كسبت أيديهم، وما لهم أحد ينصرهم من عذاب الله ولا يدفع عنهم من نقمته مثقال ذرة، بل قد أيسوا من كل خير، وحصل لهم كل شر وضير، وهذه الحالة صفة اليهود ونحوهم، قبحهم الله ما أجرأهم على الله وعلى أنبيائه وعباده الصالحين.

﴿٢٣ ــ ٢٥﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِّينَ أُوتُوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون \*ذلك بأنهم قالوالن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون \* فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴿ يُخبِرُ تعالى عن حال أهل الكتاب الذين أنعم الله عليهم بكتابه، فكان يجب أن يكونوا أقوم الناس به وأسرعهم انقياداً لأحكامه، فأخبر الله عنهم أنهم إذا دعوا إلى حكم الكتاب تولى فريق منهم وهم يعرضون، تولوا بأبدانهم، وأعرضوا بقلوبهم، وهذا غاية الذم، وفي ضمنها التحذير لنا أن نفعل كفعلهم، فيصيبنا

الحق ويتركوا الاختلاف، وهذا من كفرهم، فلهذا قال تعالى﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلامن بعدما جاءهم العلم بغيأ بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب فيجازي كل عامل بعمله، وخصوصاً من ترك الحق بعد معرفته ، فهذا مستحق للوعيد الشديد والعقاب الأليم، ثم أمر تعالى رسوله ﷺ عند محاجة النصاري وغيرهم بمن يفضل غير دين الإسلام، عليه أن يقول لهم: قد ﴿أسلمت وجهى لله ومن اتبعن ﴾ أي: أنا ومن اتبعنى قد أقررنا وشهدنا وأسلمنا وجوهنا لربنا، وتركنا ما سوى دين الإسلام، وجزمنا ببطلانه، ففي هذا تأييس أن طمع فيكم، وتجديد لدينكم عند ورود الشبهات، وحجة على من اشتبه عليه الأمر، لأنه قد تقدم أن الله اسشهدعلي توحيده يأهل العلم من عباده ليكونوا حجة على غيرهم، وسيد أهل العلم وأفضلهم وأعلمهم هو نبينا محمد ﷺ، ثم من بعده أتباعه على اختلاف مراتبهم وتفاوت درجاتهم، فلهم من العلم الصحيح والعقل الرجيح ماليس لأحد من الخلق ما يساويهم أو يقاربهم، فإذا ثبت وتقرر توحيد الله ودينه بأدلته الظاهرة، وقام به أكمل الخلق وأعلمهم، حصل بذلك اليقين وانتفى كل شك وريب وقادح، وعرف أن ما سواه من الأديان باطلة ، فلهذا قال ﴿ وقبل للذين أوتوا الكتباب ﴿ من النصاري واليهود ﴿والأميين﴾ مشركي العرب وغيرهم ﴿أأسلمتم فإن أسلموا ﴾ أي: بمثل ما أمنتم به ﴿فقد اهتدوا که کسما اهتدیسم وصاروا إخوانكم، لهم مالكم، وعليهم ما عليكم ﴿وإن تبولوا﴾ عن الإسلام ورضوا بالأديان التي تخالفه ﴿فإنما عليك البلاغ، فقدوجب أجرك على ربك، وقامت عليهم الحجة، ولم يبق بعدهذا إلا مجازاتهم بالعقاب على جرمهم، فلهذا قال ﴿والله بصير بالعبادك

(۲۱ - ۲۲) ﴿إِن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغيرحق

وَمَ يَحِدُكُلُ نَفْسِ مَا عَلِتُ مِنْ خَيْرِيْعُضَرًا وَمَا عَبِلَتْ مِن سُوِّهِ نَوَدُ لُوَأَنَّ يَيْنَهَا وَبَيْنَهُ وَأَمَدًا بَعِيدُ أُوكِيَذُ رُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفُ بِٱلْعِبَادِ ۞ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُونَ ٱللَّهَ قَانَيْ عُونِي يَحْيِبُكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُرْ ذُنُوبِكُرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَفُولٌ رَّجِيرٌ ۞ قُلْ أَطِيعُواْ اللَّهُ وَالرَّسُولُّ فَإِن تُولُّواْ فَإِنَّ اللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْكَفِرِينَ ۞ • إِنَّ اللَّهَ أَصْطَلَعَنَ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَهِيمَ وَءَالَ عِنْرُنَ عَلَ الْعَلَمِينَ ۞ دُرِيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضِ وَاللَّهُ سَمِيعُ عَلِيدُ ۞ إِذْ قَالَتِ أَمْزَاتُ عِسْرَنَ رَبِّ إِنْ نَذَرْتُ لَكَ مَا فِ بَطْنِي تُحَرِّلُا فَنَقَبَّلُ مِنْ ۖ إِنَّكَ أَسَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ فَلَمَّا وَضَعَنْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّ وَضَعْنُهَآ أَنْفُ وَاللَّهُ أَعَلَرُ بِمَا وَصَعَتْ وَلَبْسَ الذَّكَرُ كَالْأَنْيُّ وَإِنِّ سَمَيْنَهُا مَرْيَهُم وَإِنِّ أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَنِ الرَّحِيمِ ﴿ فَنَقَبَّلُهَا رَجُمَا بِقَبُولِ حَسَنِ وَأَنْهُمُ آنِهَا وَسَنَا وَكُفَّلُهَا لُكُرِيّاً عَلَمَا وَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيًّا أَلْحُرَابَ وَجَدَعِندَهَا رِفْقاً قَالَ يَنْمَزَّمُ أَفَّ لَكِ هَنَدَّأَ قَالَتْ هُوَمِنْ عِندِاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآهُ بِعَيْرِحِسَابٍ TOTAL " LANGE OF

الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب﴾ يقول الله لنبيه ﷺ ﴿قل اللهم مالك الملك \* أي: أنت الملك المالك لجميع الممالك، فصفة الملك المطلق لك، والملكة كلها علويها وسفليها لك والتصريف والتدبير كله لك، ثم فصل بعض التصاريف التي انفرد الباري تعالى بها، فقال: ﴿تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ﴾ وفيه الإشارة إلى أن الله تعالى سينزع الملك من الأكاسرة والقياصرة ومن تبعهم ويؤتيه أمة محمد، وقد فعل ولله الحمد، فحصول الملك ونزعه تبع لمشيئة الله تعالى، ولا ينافي ذلك ما أجرى الله به سنته من الأسباب الكونية والدينية التي هي سبب بقاء الملك وحصوله وسبب زواله، فإنها كلها بمشيئة الله لا يوجد سبب يستقل بشيء، بل الأسباب كلها تابعة للقضاء والقدر، ومن الأسباب التي جعلها الله سببأ لحصول الملك الإيمان والعمل الصالح، التي منها اجتماع المسلمين

واتفاقهم، وإعدادهم الالات التي يقدروا عليها والصبر وعدم التنازع، قال الله تعالى: ﴿ وعد الله الدِّين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلُهم﴾ الآية فأخبر أن الإيمان والعمل الصالح سبب للاستخلاف المذكور، وقال تعالى: ﴿ هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم الآية

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين أَمنوا إذا لقيتم فثة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين، فأخبر أن ائتلاف قلوب المؤمنين وثباتهم وعدم تنازعهم سبب للنصر على الأعداء، وأنت إذا استقرأت الدول الإسلامية وجدت السبب الأعظم في زوال ملكها ترك الدين والتفرق الذي أطمع فيهم الأعداء وجعل بأسهم بينهم، ثم قال تعالى: ﴿وتعز من تشاء ﴾ بطاعتك ﴿وتذل من تشاء﴾ بمعصيتك ﴿إنك على كل شيء قدير، لا يمتنع عليك أمر من الأمور بل الأشياء كلها طوع مشيئتك وقدرتك ﴿تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل، أي: تدخل هذا على هذا، وهذا على هذا، فينشأ عن ذلك من الفصول والضياء والنور والشمس والظل والسكون والانتشار، ما هو من أكبر الأدلة على قدرة الله وعظمته وحكمته ورحمته ﴿وتخرج الحي من الميت﴾ كالفرخ من البيضة، وكالشجر من النوي، وكالزرع من بذره، وكالمؤمن من الكافر ﴿وتخرَج الميت من الحي﴾ كالبيضة من الطائر وكالنوى من الشجر، وكالحب من الزرع، وكالكافر من المؤمن، وهذا

أعظم دليل على قدرة الله، وأن جميع الأشياء مسخرة مدبرة لاتملك من التدبير شيئاً، فخلقه تعالى الأضداد، والضدمن ضده بيان أنها مقهورة ﴿وترزق من تشاء بغير حساب؛ أي: ترزق من تشاء رزقاً واسعاً من حيث لا يحتسب ولا يكتسب، ثم قال تعالى:

﴿٢٨ ــ ٣٠﴾ ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير \* قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السماوات وما في الأرض والله على كل شيء قدير # يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحنذركه الله نسفسسه والله رؤوف بالعباد، أوهذا نهى من الله تعالى للمؤمنين عن موالاة الكافرين بالمحبة والنصرة والاستعانة بهم على أمر من أمور المسلمين، وتوعد على ذلك فقال: ﴿ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾ أي: فقد انقطع عن الله، وليسّ له في دين الله نصيب، لأن موالاة الكافرين لا تجتمع مع الإيمان، لأن الإيمان يأمر بموالآة الله وموالاة أوليائه المؤمنين المتعاونين على إقامة دين الله وجهاد أعدائه، قال تعالى: ﴿والمؤمنونَ والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، فمن والى ــ الكافرين من دون المؤمنين الذين يريدون أن يطفؤا نور الله ويفتنوا أولياءه خرج من حزب المؤمنين، وصار من حزب الكافرين، قال تعالى: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم، وفي هذه الآية دليل على الابتعاد عن الكفار وعن معاشرتهم وصداقتهم، والميل إليهم

جاء في هامش النسخة ما يلي: (قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «المنهاج»: وأما قوله: ﴿إِلاَّ أَنْ تَتَقُوا منهم تقاة﴾ قال مجاهد: لا مصانعة، والتقاة ليست بأن أكذب وأقول بلساني ما ليس في قلبي، فإن هذا نفاق، ولكن أفعل ما أقدر عليه كما في «الصحيح» عن النبي ﷺ: "من رأى منكم متكراً، الخ، فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار لم يكن عليه أن يجاهدهم بيده مع عجزه، ولكن إن أمكنه بلسانه وإلا فبقلبه، مع أنه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في قلبه، إما أن يظهر دينه وإما أن يكتمه، وهو مع هذا لا يوافقهم على دينهم كله بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون وامرأة فرعون، وهو لم يكن موافقاً لهم على جميع دينهم، ولا كان يكذب، ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه، بل كان يكتم إيمانه، وكتمان الدين شيء وإظهار الدين الباطل شيء آخر، فهذا لم يبحه الله إلا لمن أكره الخ.

والركون إليهم، وأنه لا يجوز أن يولي كافر ولاية من ولايات المسلمين، ولا يستعان به على الأمور التي هي مصالح لعموم المسلمين. قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ أي: تخافوهم على أنفسكم فيحل لكم أن تفعلوا ما تعصمون به دماءكم من التقية باللسان وإظهار ما به تحصل التقية . ثم قال تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه ﴾ أي: فلا تتعرضوا لسخطه بارتكاب معاصيه فيعاقبكم على ذلك ﴿وإلى الله المصير﴾ أي: مرجع العباد ليوم التناد، فيحصى أعمالهم ويحاسبهم عليها ويجازيهم، فإياكم أن تفعلوا من الأعمال القباح ما تستحقون به العقوبة، واعملوا ما به يحصل الأجر والمثوبة، ثم أخبر عن سعة علمه لما في النفوس خصوصاً، ولما في السماء والأرض عموماً، وعن كمال قدرته، ففيه إرشاد إلى تطهير القلوب واستحضار علم الله كل وقت فيستحي العبد من ربه أن يري قلبه محلاً لكل فكر رديء، بل يشغل أفكاره فيما يقرب إلى الله من تدبر آية من كتاب، أو سنة من أحاديث رسول الله، أو تصور وبحث في علم ينفعه، أو تفكر في مخلوقات الله ونعمه، أو نصح لعباد الله، وفي ضمن أخبار الله عن علمه وقدرته الإحبار بما هو لازم ذلك من المجازاة على الأعمال، ومحل ذلك يوم القيامة، فهو الذي توفى به النفوس بأعمالها فلهذا قال ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ﴾ أي: كاملاً موفراً لم ينقص مثقال ذرة، كما قال تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ والخير: اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله من الأعمال الصالحة صغيرها وكبيرها، كما أن السوء اسم جامع لكل ما يسخط الله من الأعمال السيئة صغيرها وكبيرها ﴿وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾ أي: مسافة بعيدة، لعظم أسفها وشدة حزنها، فليحذر العبد من أعمال السوء التي لا بدأن يحزن عليها أشد الحزن، وليتركها وقت الإمكان قبل أن يقول ﴿ يَا حَسِرتًا عَلَى مَا فَرَطْتَ فَي جَنِّبِ

الله ﴿ وَيُومِئِذُ يُودُ الذِّينَ كَفُرُوا وَعَصُوا الرمسول ليو تسسوي بهم الأرض) ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني أتخذت مع الرسول سبيلاً \* يا ويلتاً ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً ﴾ ﴿حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين الله فوالله لترك كل شهوة ولذة وإن عسر تركها على النفس في هذه الدار أيسر من معاناة تلك الشدائد واحتمال تلك الفضائح، ولكن العبد من ظلمه وجهله لا ينظر إلا الأمر الحاضر، فليس له عقل كامل يلحظ به عواقب الأمور فيقدم على ما ينفعه عاجلاً وآجلاً، ويحجم عن ما يضره عاجلاً وآجلاً، ثم أعاد تعالى تحذيرنا نفسه رأفة بنا ورحمة لئلا يطول علينا الأمد فتقسو قلوبنا، وليجمع لنا بين التزغيب الموجب للرجاء والعمل الصالح، والترهيب الموجب للخوف وترك الذنوب، فقال ﴿ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد، فنسأله أن يمن علينا بالحذر منه على الدوام، حتى لا نفعل ما يسخطه ويغضبه.

﴿٣١﴾ ﴿قبل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم الأية فيها وجسوب محبة ألله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها، فقال ﴿قَلْ إِنْ كنتم تحبون الله أي: ادعيتم هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها رتبة فلا يكفى فيها مجرد الدعوى، بل لابد من الصدق فيها، وعلامة الصدق اتباع رسوله ﷺ في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن، فمن اتبع الرسول دل على صدق دعواه مجبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ورحمه وسدده في جميع حبركاته وسكناته، ومن لم يتبع الرسول فليس محبالله تعالى، لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله، فما لم يوجد ذلك دل على عدَّمها وأنه كاذب إن ادعاها، مع أنها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول

يكون إيمانهم وحبهم لله، وما نقص من ذلك نقص.

﴿٣٢﴾ ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين، وهذا أمر من الله تعالى لعباده بأعم الأوامر، وهو طاعته وطاعة رسوله التي يدخل بها الإيمان والتوحيد، وما هـ ومن فروع ذلك من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، بل يدخل في طاعته وطاعة رسوله اجتناب ما نهي عنه، لأن اجتنابه امتثالاً لأمر الله هو من طاعته، فمن أطاع الله ورسوله، فأولئك هم المفلحون ﴿فإن تولوا﴾ أى: أعرضوا عن طاعة الله ورسوله فليس ثم أمرُ يرجعون إليه إلا الكفر وطاعة كل شيطان مريد ﴿كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير ﴾ فلهذا قال: ﴿فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين، بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم أشد العقوبة، وكأنَّ في هذه الآية الكريمة بياناً وتفسيراً لاتباع رسوله، وأن ذلك بطاعة الله وطاعة رسوله، هذا هو الاتباع الحقيقي، ثم قال تعالى:

﴿٣٧ \_ ٣٧﴾ ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين \* ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم # إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل منى إنك أنت السميع العليم \* فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنشى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإن سميتها مريم وإن أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم \* فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، يخبر تعالى باختيار من اختاره من أوليائه وأصفيائه وأحبابه، فأخبر أنه اصطفى آدم، أي: اختاره على سائر المخلوقات، فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجودله، وأسكنه جنته، وأعطاه من العلم

والحلم والفضل ما فاق به سائر المخلوقات، ولهذا فضل بنيه، فقال تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير عمن خلقنا تفضيلاً﴾.

واصطفى نوحاً فجعله أول رسول إلى أهل الأرض حين عبدت الأوثان، ووفقه من الصبر والاحتمال والشكر والدعوة إلى الله في جميع الأوقات ما أوجب اصطفاءه واجتباءه، وأغرق الله أهل الأرض بدعوته، ونجاه ومن (١١) معه في الفلك المشحون، وجعل ذريته هم الباقين، وترك عليه ثناء يذكر في جميع الأحيان والأزمان.

واصطفى آل إبراهيم وهو إبراهيم خليل الرحمن الذي اختصه الله بخلته، وبدل نفسه للنيران وولده للقربان وماله للمضيفان، ودعا إلى ربه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً، وجعله الله أسوة يقتدي به من بعده، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، ويدخل في آل إبراهيم جميع ذريته، وقد خصهم بأنواع الفضائل ما كانوا به صفوة على العالمين، ومنهم سيد ولد آدم نبينا محمد على ألى أبي ومنهم تعالى جمع فيه من الكمال ما تفرق في غيره، وفاق على الأولين والآخرين، فكان سيد المرسلين المصطفى من ولد أبراهيم

واصطفى الله آل عمران وهو والد مريم بنت عمران، أو والد موسى بن عمران عليه السلام، فهذه البيوت التي ذكرها الله هي صفوته من العالمين، وتسلسل الصلاح والتوفيق بذرياتهم، فلهذا قال تعالى ﴿ذرية بعضها من بعض﴾ أي: حصل التناسب والتشابه بينهم في الخلق والأخلاق الجميلة، بينهم في الخلق والأخلاق الجميلة، الداخلين في ضمن هذه البيوت الكبار ﴿ومن آبائهم وهديناهم إلى صراط واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط

مستقيم، ﴿والله سميع عليم ﴿ يعلم من يستحق الاصطفاء فيصطفيه ومن لا يستحق ذلك فيخذله ويرديه، ودل هذا على أن هؤلاء اختارهم لما علم من أحوالهم الموجبة لذلك فضلأ منه وكرماً، ومن الفائدة والحكمة في قصه علينا أخبار هؤلاء الأصفياء أن نحبهم ونقتدي بهم، ونسأل الله أن يوفقنا لما وفقهم، وأن لا نزال نزري(٢) أنفسنا بتأخرنا عنهم وعدم اتصافنا بأوصافهم ومزاياهم الجميلة، وهذا أيضاً من لطفه بهم، وإظهاره الثناء عليهم في الأولين والآخرين، والتنويه بشرفهم، فلله ما أعظم جوده وكرمه وأكثر فوائد معاملته، لو لم يكن لهم من الشرف إلا أن أذكارهم نحلدة ومناقبهم مؤبدة لكفي بذلك فضلاً، ولما ذكر فضائل هذه البيوت الكريمة ذكر ما جرى لمريم والدة عيسى وكيف لطف الله بها في تربيتها ونشأتها، فقال: ﴿إِذْ قَالَتَ امرأَةً عمران الله أي: والدة مريم لما حملت ﴿رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً﴾ أي: جعلت ما في بطني خالصاً لوجهك، محرراً لخدمتك وخدمة بيتك ﴿فتقبل مني﴾ هذا العمل المبارك ﴿إنك أنت السميع العليم﴾ تسمع دعائي وتعلم نيتي وقصدي، هذا وهي في البطن قبل وضعها ﴿فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثي ﴾ كأنها تشوفت أن يكون ذكراً ليكون أقدر على الخدمة وأعظم موقعاً، ففي كلامها [نوع]<sup>(٣)</sup> عذر من ربيا، فقالُ الله: ﴿وَاللَّهُ آعِلُم بِمَا وَضَعَتُ﴾ أي: لا يحتاج إلى إعلامها، بل علمه متعلق بها قبل أن تعلم أمها ما هي ﴿وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم﴾ فيه دلالة على تفضيل الذكر على الأنثي، وعلى التسمية وقت الولادة، وعلى أن للأم تسمية الولد إذا لم يكره الأب ﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) دعت لها ولذريتها أن يعيذهم الله من الشيطان الرجيم

﴿فتقبلها ربها بقبول حسن ﴿ أي: جعلها نذيرة مقبولة، وأجارها وذريتها من الشيطان ﴿وأنبتها نباتاً حسناً﴾ أي: نبتت بباتأ حسناً في بدنها وخلقها وأخلاقها، لأن الله تعالى قيض لها زكريا عليه السلام ﴿وكفلها﴾ إياه، وهذا من رفقه بها ليربيها على أكمل الأحوال، فنشأت في عبادة ربها وفاقت النساء، وانقطعت لعبادة ربها، ولزمت محرابها أي: مصلاها فكان ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً﴾ أي: من غير كسب ولا تعب، بل رزق ساقه الله إليها، وكرامة أكرمها الله بها، فيقول لها زكريا ﴿أني لك هذا قالت هو من عند الله ﴿ فضلاً وإحساناً ﴿إِنَّ اللَّهُ يَرْزَقَ مِنْ يَشَاءُ بَغَيْرِ حساب أي: من غير حسبان من العبد ولاكسب، قال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ وفي هذه الآية دليل على إثبات كرامات الأولياء الخارقة للعادة كما قد تواترت الأخبار بذلك، خلافاً لمن نفى ذلك، فلما رأى زكريا عليه السلام ما منَّ الله به على مريم، وما أكرمها به من رزقه الهنيء الذي أتاها بغير سعى منها ولاكسب، طمعت نفسه بالولد، فلهذا قال تعالى:

﴿٣٨ ـ ١٤﴾ ﴿هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء \* فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين \* قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني ما يشاء \* قال رب اجعل لي آية قال ما يشاء \* قال رب اجعل لي آية قال واذكر ربك كشيراً وسبّح بالعشي واذكر ربك كشيراً وسبّح بالعشي والإبكار﴾ أي: دعا زكريا عليه السلام ربه أن يرزقه ذرية طيبة، أي: طاهرة الدينية والدنيوية بهم، فاستجاب له الدينية والدنيوية بهم، فاستجاب له

<sup>(</sup>١) في الأصل: وممن.

<sup>(</sup>٢) في الأصل: نزدي.

 <sup>(</sup>٣) الكلمة غير واضحة في الأصل ويبدو
 – والله أعلم أنها كما أثبت.

OPPORT " LONGLO

﴿ ٤٥ ـ ٥٨ ﴾ ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسي ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين \* ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين ﴿ قالت رب أني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون \* ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل \* ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبسرص وأحسيى الموتسي بسإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين \* ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون \* إنَّ الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم \* فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون \* ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين \* ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين \* إذ قال الله يا عيسى إن متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم

الراكعين \* ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون النوه تعالى بفضيلة مريم وعلو قدرها، وأن الملائكة خاطبتها بذلك فقالت ﴿ يا مريم إن الله اصطفاك أي: اختارك ﴿ وطه ك ﴾ من الآفات المنقصة ﴿واصطفاكُ على نساء العالمين، الاصطفاء الأول يرجع إلى المصفات الحميدة والأفعال السديدة، والاصطفاء الثاني يرجع إلى تفضيلها على سائر نساء العالمين، إما على عالمي زمانها، أو مطلقاً، وإن شاركها أفراد من النساء في ذلك كخديجة وعائشة وفاطمة، لم يناف الاصطفاء المذكور، فلما أخبرتها الملائكة باصطفاء الله إياها وتطهيرها، كان في هذا من النعمة العظيمة والمنحة الجسيمة ما يوجب لها القيام بشكرها، فلهذا قالت لها الملائكة: ﴿ وَمَا مَرْيُمُ اقنتي لربك﴾ القنوت دوام الطاعة في أ خضوع وخشوع، ﴿واسجدي واركعي مع الراكعين ﴿ خص السجود والركوع لضضلهما ودلالتهما على غاية الخضوع لله، ففعلت مريم، ما أمرت به شكراً لله تعالى وطاعة، ولما أخبر الله نبيه بما أخبر به عن مريم، وكيف تنقلت بها الأحوال التي قيضها الله لها، وكان هذا من الأمور الغيبية التي لا تعلم إلا بالوحى، قال ﴿ ذلك مِن أَنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم، أي: عندهم ﴿إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم للا ذهبت بها أمها إلى من لهم الأمر على بيت المقدس، فتشاحوا وتخاصموا أيهم يكفل مريم، واقترعوا عليها بأن ألقوا أقلامهم في النهر، فأيهم لم يجر قلمه مع الماء فله كفالتها، فوقع ذلك لزكريا نبيهم وأفضلهم، فلما أخبرتهم يا محمد بهذه الأخبار التي لا علم لك ولا لقومك بها دل على أنك صادق وأنك رسول الله حقاً، فوجب عليهم الانقياد لك وامتثال أوامرك، كما قال تعالى: ﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر ﴾ الآيات.

دعاءه، وبينما هو قائم في محرابه يتعبد لربه ويتضرع نادته الملائكة ﴿أن الله يرجع إليه في الأمور ﴿وحصوراً﴾ حصلت البشارة بوجوده، وبكمال يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر، وكل واحد من الأمرين مانع من وجود الؤلد، فكيف وقد اجتمعا، فأخبره الله تعالى أن هذا خارق للعادة، فقال: ﴿كذلك الله يفعل ما يشاء﴾ فكما أنه تعالى قدر وجود الأولاد بالأسباب التي منها التناسل، فإذا أراد أن يوجدهم من غير ما سبب فعل، لأنه لا يستعصى عليه شيء، فقال زكريا عليه السلام استعجالا لهذا الأمر، وليحصل له كمال الطمأنينة ﴿رِبُ اجعل لِي آية ﴾ أي: علامة على وجود الولد قال ﴿ آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً ﴿أَي: ينحبس لسانك عن كلامهم من غير آفة ولا سبوء، فبلا تبقيدر إلا عبلي الإشبارة والرمز، وهذا آية عظيمة أن لا تقدر على الكلام، وفيه مناسبة عجيبة، وهي أنه كما يمنع نفوذ الأسباب مع وجودهاء فإنه يوجدها بدون أسبابها ليدل ذلك أن الأسباب كلها مندرجة في قضائه وقدره، فامتنع من الكلام ثلاثة أيام، وأمره الله أن يشكره ويكثرُ من ذكره بالعشى والإبكار، حتى إذا خرج على قومه من المحراب ﴿فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً ﴾ أي: أول النهار وآخره.

يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله ﴾ أي: بعيسى عليه السلام، لأنه كان بكلمة الله ﴿وسيداً﴾ أي: يحصل له من الصفات الجميلة ما يكون به سيداً

أي: تمنوعاً من إتيان النساء، فليس في قلبه لهنّ شهوة، اشتغالاً بخدمة ربّه

وطاعته ﴿ونباً مِن الصالحينِ فأي: بشارة أعظم من هذا الولد الذي

صفاته، وبكونه نبياً من الصالحين،

فقال زكريا من شدة فرحه ﴿ربِ أني

﴿٢٤ ــ ٤٤﴾ ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك

على نسآء العالمين \* يا مريم اقنتى لربك واستجدي واركعني مع

TOWNSON OF BELLEVIEW

فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون \* فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابأ شديدأ فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين # وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين \* ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم، يخبر تعالى أن الملائكة بشرت مريم عليها السلام بأعظم بشارة، وهو كلمة الله عبده ورسوله عيسي ابن مريم، سمي كلمة الله لأنه كان بالكلمة من الله، لأن حالته خارجة عن الأسباب، وجعله الله من آياته وعجائب مخلوقاته، فأرسل الله جبريل عليه السلام إلى مريم، فنفخ في جيب درعها فولجت فيها تلك النفخة الذكية من ذلك الملك الزكى، فأنشأ الله منها تلك الروح الزكية، فكَّان روحانياً نشأ من مادة روحانية ، فلهذا سمى روح الله ﴿وجيهاً في الدنيا والآخرة﴾ أي: له الوجاهة العظيمة في الدنيا، جعله الله أحد أولي العزم من المرسلين أصحاب الشرائع الكبار والأتباع، ونشر الله له من الذكر ما ملاً ما بين المشرق والمغرب، وفي الآخرة وجيهاً عند الله يشفع أسوة إخوانه من النبيين والرسلين، ويظهر فضله على أكثر العالمين، فلهذا كان من المقربين إلى الله، أقرب الخلق إلى ربهم، بل هو عليه السلام من سادات المقربين ﴿ويكلم الناس في المهد وكهلا وهذا غير

التكليم المعتاد، بل المراد يكلم الناس بما فيه صلاحهم وفلاحهم، وهو تكليم المرسلين، ففي هذا إرساله ودعوته الخلق إلى ربهم، وفي تكليمهم في المهد آية عظيمة من آيات الله ينتفع بها المؤمنون، وتكون حجة على المعاندين، أنه رسول رب العالمين، وأنه عبد الله، وليكون نعمة وبراءة لوالدته يما رميت به ﴿ومن الصالحين﴾ أي: يمن عليه بالصلاح، من منَّ عليهم، ويدخله في جملتهم، وفي هذا عدة بشارات لمريم مع ما تضمن من التنويه بذكر المسيح عليه السلام ﴿قالت رب أني يكون أي ولد ولم يمسسني بشر، والولد في العادة لا يكون إلا من مس البشر، وهذا استغراب منها، لا شك في قدرة الله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلْكُ اللهُ يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ فأخبرها أن هذا أمر خارق للعادة، خلقه من يقول لكل أمر أراده: كن فيكون، فمن تيقن ذلك زال عنه الاستغراب والتعجب، ومن حكمة البارى تعالى أن تدرج بأخبار العباد من الغريب إلى ما هو أغرب منه، فذكر وجود يحيى بن زكريا بين أبوين أحدهما كبير والآخر عاقر، ثم ذكر أغرب من ذلك وأعجب، وهو وجود عيسى عليه السلام من أم بلا أب ليدل عباده أنه الفعال لما يريد وأنه ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن، ثم أخبر تعالى عن منته العظيمة على عبده ورسوله عيسي عليه السلام، فقال ﴿ويعلمه الكتاب﴾ يحتمل أن يكون المراد جنس الكتاب، فيكون ذكر التوراة والإنجيل تخصيصا لهما، لشرفهما وفضلهما واحتواثهما على الأحكام والشرائع التي يحكم بها أنبياء بني إسرائيل والتعليم، لذلك يدخل فيه تعليم ألفاظه ومعانيه، ويحتمل أن يكون المراد بقوله ﴿ويعلمه الكتاب ♦أى: الكتابة، لأن الكتابة من أعظم نعم الله على عباده ولهذا امتن تعالى على عباده بتعليمهم بالقلم في أول سورة أنزلها فقال ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خَلَق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم)

والمراد بالحكمة معرفة أسرار الشرع، ووضع الأشياء مواضعها، فيكون ذلك امتنانا على عيسى عليه السلام بتعليمه الكتابة والعلم والحكمة، وهذا هو الكمال للإنسان في نفسه، ثم ذكر له كمالاً آخر وفضلاً زائداً على ما أعطاه الله من الفضائل، فقال ﴿ورسولا إلى بنى إسرائيل ﴾ فأرسله الله إلى هذا الشعب الفاضل الذين هم أفضل العالمين في زمانهم يدعوهم إلى الله، وأقام له من الآيات ما دلهم أنه رسول الله حقاً ونبيه صدقاً ولهذا قال ﴿أَنِي قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين الطيرا، أي: أصوره على شكل الطير ﴿فَأَنْفُخُ فَيهُ فَيكُونَ طَيراً بِإِذَنَّ الله الله أي: طيراً له روح تطير بإذن الله ﴿وأبرىء الأكمه ﴾ وهو الذي يولد أعمى ﴿والأبرص﴾ بإذن الله ﴿وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين اوأى: آية أعظم من جعل الجماد حيواناً، وإبراء ذوي العاهات التي لا قدرة للأطباء في معالجتها، وإحياء الموتى، والإخبار بالأمور الغيبية، فكل واحدة مِن هذه الأمور آية عظيمة بمفردها، فكيف بها إذا اجتمعت وصدق بعضها بعضها؟ فإنها موجبة للإيقان وداعية للإيمان ﴿ومصدقاً لما بين يدى من التوراة ﴾ أي: أتيت بجنس ما جاءت به التوراة وما جاء به موسى عبليه السلام، وعلامة الصادق أن يكون خبره من جنس خبر الصادقين، يخبر بالصدق، ويأمر بالعدل من غير تخالف ولا تناقض، بخلاف من ادعى دعوى كاذبة، خصوصاً أعظم الدعاوي وهي دعوى النبوة، فالكاذب فيها لابدأن يظهر لكل أحد كذب صاحبها وتناقضه ومخالفته لأخبار الصادقين وموافقته لأخبار الكاذبين، هذا موجب السنن الماضية والحكمة الإلهية والرحمة الربانية بعباده، إذ لا يشتبه الصادق بالكاذب في دعوى النبوة أبداً، بخلاف بعض الأمور الجزئية، فإنه قد يشتبه فيها الصادق بالكاذب، وأما النبوة فإنه

عيسى من اليهود، حتى بعث الله نبينا محمداً على فكان السلمون هم المتبعين لعيسى حقيقة، فأيدهم الله ونصرهم على اليهود والنصاري وسائر الكفار، وإنما يحصل في بعض الأزمان إدالة الكفار من النصاري وغيرهم على المسلمين، حكمة من الله وعقوبة على تركهم لاتباع الرسول ﷺ ﴿ثم إلى مرجعكم، أي: مصير الخلائق كلها ﴿ فَأَحِكُم بِينَكُم فِيمًا كُنْتُم فِيهُ تختلفون، كل يدعى أن الحق معه وأنه المصيب وغيره مخطىء، وهذا مجرد دعاوي تحتاج إلى برهان، ثم أخبر عن حكمه بينهم بالقسط والعدل، فقال ﴿فَأَمَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: بالله وآياته ورسله ﴿فَأَعِذْبُهُمْ عِذَابًا شَدِيداً فَي الدنيا والآخرة﴾ أما عذاب الدنيا، فهو ما أصابهم الله به من القوارع والعقوبات المشاهدة والقتل والذل، وغير ذلك مما هو نموذج من عذاب الآخرة، وأما عذاب الآخرة فهو الطامة الكبري والمصيبة العظمي، ألا وهو عذاب النار وغضب الجبار وحرمانهم ثواب الأبرار ﴿وما لهم من ناصرين﴾ ينصرونهم من عنداب الله ، لا من زعموا أنهم شفعاء لهم عند الله، ولا ما اتخددوهم أولياء من دونه، ولا أصدقائهم وأقربائهم، ولا أنفسهم ينصرون، ﴿وأما الذين آمنوا ﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وغير ذلك مما أمر الله بالإيمان به ﴿وعملوا الصالحات﴾ القلبية والقولية والبدنية التي جاءت بشرعها المرسلون، وقسصدوا بها رضا رب السعالين ﴿فيوفيهم أجورهم﴾ دل ذلك على أنه يحصل لهم في الدنيا ثواب لأعمالهم من الإكرام والإعزاز والنصر والحياة الطيبة، وإنما توفية الأجوريوم القيامة، يجدون ما قدموه من الخيرات محضراً موفراً، فيعطى منهم كل عامل أجر عمله ويزيدهم من فضله وكرمه ﴿والله لا يحب الظالمين ﴿ بل يبغضهم ويحل عليهم سخطه وعذابه ﴿ذلكُ نتلوه عليك من الأبات والذكر الحكيم﴾وهذا منة عظيمة على رسوله

الأنصار ﴿نحن أنصار الله ﴾ أي: انتدبوا معه وقاموا بذلك، وقالوا: ﴿آمنا بالله ﴿فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ أي: الشهادة النافعة، وهي الشهادة بتوحيد الله وتصديق رسوله مع القيام بذلك، فلما قاموا مع عيسى بنصر دين الله وإقامة شرعه آمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة، فاقتتلت الطائفتان فأيد الله الذين آمنوا بنصره على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، فلهذا قال تعالى هنا ﴿ومكروا﴾ أي: الكفار بإرادة قسل نبيي الله وإطفاء نبوره ﴿ومكر الله ﴾ بهم جزاء لهم على مكرهم ﴿والله خير الماكرين﴾ رد الله كيدهم في نحورهم، فانقلبوا خاسرين ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عَيْسَى إِنْ مُتُوفِيكُ ورافعك إلى وصطبهرك من الـذيـن كفروا﴾ فرفع الله عبده ورسوله عيسي إليه، وألقى شبهه على غيره، فأخذوا من ألقى شبهه عليه فقتلوه وصلبوه، وباؤوا بالإثم العظيم بنيتهم أنه رسول الله، قال الله ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ وفي هذه الآية دليل على علو الله تعالى واستواثه على عرشه حقيقة، كما دلت على ذلك النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تلقاها أهل السنة بالقبول والإيمان والتسليم، وكان الله عزيزاً قوياً قاهراً، ومن عزته أن كف بنى إسرائيل بعد عزمهم الجازم وعدم المانع لهم عن قتل عيسي عليه السلام، كما قال تعالى ﴿ وإذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين محكيم يضع الأشياء مواضعها، وله أعظم حكمة في إلقاء الشبه على بني إسرائيل، فوقعوا في الشبه كما قال تعالى ﴿وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وجاعل اللَّين اتبعوكُ فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، وتقدم أن الله أيد المؤمنين منهم على الكافرين، ثم إن النصارى المنتسبين لعيسي عليه السلام لم يزالوا قاهرين لليهود لكون النصاري أقرب إلى اتباع

يترتب عليها هداية الخلق أو ضلالهم وسعادتهم وشقاؤهم، ومعلوم أن الصادق فيها من أكمل الخلق، والكاذب فيها من أخس الخلق وأكذبهم وأظلمهم، فحكمة الله ورحمته بعياده أنَّ يكون بينهما من الفروق ما يتبين لكل من له عقل، ثم أخبر عيسى عليه السلام أن شريعة الإنجيل شريعة فيها سهولة ويسرة فقال ﴿ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم، فدلٌ ذلكُ على أن أكثر أحكام التوراة لم ينسخها الإنجيل بل كان متمماً لها ومقرراً ﴿وجئتكم بآية من ربكم﴾ تدل على صدقي ووجوب اتباعي، وهي ما تقدم من الآيات، والمقصود من ذلك كله قوله ﴿فاتقوا اللهِ بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه وأطيعوني فإن طاعة الرسول طاعة لله ﴿إِنَّ اللهُ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبِدُوهُ﴾ استدل بتوحيد الربوبية الذي يقر به كل أحدعلى توحيد الإلهية الذي ينكره المشركون، فكما أن الله هو الذي خلقنا ورزقنا وأنعم علينا نعمأ ظاهرة وباطنة، فليكن هو معبودنا الذي نألهه بمالحب والخوف والرجياء والدعياء والاستعانة وجميع أنواع العبادة، وفي هذا رد على النصاري القائلين بأنّ عيسى إله أو ابن الله، وهذا إقراره عليه السلام بأنه عبد مدبّر مخلوق، كما قال ﴿إِنِّ عبد الله آتان الكتاب وجعلني نبياً ﴾ وقال تعالى: ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته ﴿ إلى قوله ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم، وقوله ﴿هذا ﴾ أي: عبادة الله وتقواه وطاعة رسوله وصراط مستقيم موصل إلى الله وإلى جنته، وما عدا ذلك فهي طرق موصلة إلى الجحيم، ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر أي: رأى منهم عدم الانقياد له، وقالوا هذا سِحر مبين، وهموا بقتله وسعوا في ذلك ﴿قال من أنصاري إلى الله من يعاونني ويقوم معي بنصرة دين الله ﴿قال الحواريونُ ﴿ وهم م

عمد شخص وعلى أمته، حيث أنزل عليهم هذا الذكر الحكيم، المحكم المتقن، المفصل للأحكام والحلال والحرام وإخبار الأنبياء الأقدمين، وما أجرى الله على أيديهم من الآيات البيئات والمعجزات الباهرات، فهذا القرآن يقص علينا كل ما ينفعنا من الأخبار والأحكام، فيحصل فيها العلم والعبرة وتثبيت الفؤاد ما هو من أعظم رحمة رب العباد، ثم قال تعالى:

﴿٥٩ ـ ٢٠ ﴾ ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون \* الحق من ربك فلا تكن من المترين، يخبر تعالى محتجاً على النصاري الزاعمين بعيسى عليه السلام ماليس له بحق، بغير برهان ولاً شبهة، بل بزعمهم أنه ليس له والد استحق بذلك أن يكون ابن الله أو شريكاً لله في الربوبية، وهذا ليس بشبهة فضلاً أن يكون حجة، لأن خلقه كذلك من آيات الله الدالة على تفرد الله بالخلق والتدبير وأن جميع الأسباب طوع مشيئته وتبع لإرادته، فهو على نقيض قولهم أدل، وعلى أن أحداً لا يستحق المشاركة لله بوجه من الوجوه أولى، ومع هذا فآدم عليه السلام خلقه الله من تراب لا من أب ولا أم، فإذا كان ذلك لا يوجب لآدم ما زعمه النصاري في المسيح، فالمسيح المخلوق من أم بلا أب من باب أولى وأحرى، فإن صح ادعاء البنوة والإلهية في المسيح، فادعاؤها في آدم من باب أولى وأحرى، فلهذا قال تعالى ﴿إِنَّ مِثْلُ عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون \* الحق من ربك اى: هذا الذي أخبرناك به من شأن المسيح عليه السلام هو الحق الذي في أعلى رتب الصدق، لكونه من ربك الذي من جملة تربيته الخاصة لك ولأمتك أن قصَّ عليكم ما قصَّ من أخبار الأنبياء عليهم السلام ﴿فلا تكن من الممترين أي: الشاكين في شيء مما أخبرك به ربك، وفي هذه الآية وما

بعدها دليل على قاعدة شريفة وهو أن ما قامت الأدلة على أنه حق وجزم به العبد من مسائل العقائد وغيرها، فإنه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكل شبهة تورد عليه فهي فاسدة، سواء قدر العبد على حلّها أم لا، فلا يوجب له عجزه عن حلّها القدح فيما علمه، لأن ما خالف الحق فهو باطل، قال تعالى ﴿فماذا بعد الحق فهو باطل، قال تعالى ﴿فماذا بعد الحق تنحلُ عن الإنسان إشكالات كثيرة يوردها المتكلمون ويرتبها المنطقيون، فوظيفته أن يبين الحق بأدلته ويدعو إله.

« ٦٦ \_ ٦٢ ﴾ ﴿ فمن حاَجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبنآءنا وأبنآءكم ونسآءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين \* إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم \* فإن تولوا فإن الله عليم بالفسدين اين الفسن جادلك ﴿وحاجك﴾ في عيسي عليه السلام وزعم أنه فوق منزلة العبودية، بل رفعه فوق منزلته ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ بأنه عبد الله ورسوله وبينت لمن جادلك ما عندك من الأدلة الدالة على أنه عبد أنعم الله عليه، دل على عناد من لم يتبعك في هذا العلم اليقيني، فلم يبق في مجادلته فائدة تستفيدها ولا يستفيدها هو، لأن الحق قد تبين، فجداله فيه جدال معاند مشاق لله ورسوله، قصده اتباع هواه، لا اتباع ما أنزل الله، فهذا ليس فيه حيلة، فأمر الله نبيه أن ينتقل إلى مباهلته وملاعنته، فيدعون الله ويبتهلون إليه أن يجعل لعنته وعقوبته على الكاذب من الفريقين، هو وأحب الناس إليه من الأولاد والأبناء والنساء، فدعاهم النبي ﷺ إلى ذلك فتولوا وأعرضوا ونكلوا، وعلموا أنهم إن لاعنوه رجعوا إلى أهليهم وأولادهم فلم يجدوا أهلا ولامالا وعوجلوا

بالعقوبة، فرضوا بدينهم مع جزمهم ببطلانه، وهذا غاية الفساد والعناد، فلهذا قال تعالى ﴿فَإِن تُولُوا فَإِن اللهِ عليم بالمفسدين فيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة، وأخبر تعالى ﴿إن هذا﴾ الذي قصه الله على عباده هو ﴿القصص الحق﴾ وكل قصص يقص عليهم مما يخالفه ويناقضه فهو باطل ﴿وما من إله إلا اللهِ فهو المألوه المعبود حقاً الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ولا يستحق غيره مثقال ذرة من العبادة ﴿وإن الله لهو العزيز﴾الذي قهر كل شيء وخضع له كل شيء ﴿الحكيم﴾ الذِّي يضع الأشياء مواضعها، وله الحكمة التامة في ابتلاء المؤمنين بالكافرين، يقاتلونهم ويجادلونهم ويجاهدونهم بالقول والفعل'

﴿ ٣٤﴾ ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سوآء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يُتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾أي: قل لأهل الكتاب من اليهود والنصاري ﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ أي: هلموا نجتمع عليها وهي الكلمة التي اتفق عليها الآنبياء والمرسلون، ولم يخالفها إلا المعاندون والضالون، ليست مختصة بأحدنا دون الآخر، بل مشتركة بيننا وبينكم، وهذا من العدل في المقال والإنصاف في الجدال، ثم فسرها بقوله ﴿ أَلَّا نَعِيدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نَشُوكُ بِهِ شَيِئاً ﴾ فنفرد الله بالعبادة ونخصه بالحب والخوف والرجاء ولا نشرك به نبيأ ولا ملكأ ولا وليأ ولا صنمأ ولا وثنأ ولا حيواناً ولا جماداً ﴿ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله الله تكون الطاعة كلها لله ولرسله، فلا نطيع المخلوقين في معصية الخالق، لأن ذلك جعل للمخلوقين في منزلة الربوبية، فإذا دعى أهل الكناب أو غيرهم إلى ذلك، فإَّن أجابوا كانو مثلكم، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، وإن تولوا فهم معاندون متبعون أهواءهم فاشهدوهم CLEADY OF BOLLED عذاب لهم، قال تعالى ﴿الَّذِينَ كَفُرُواْ

وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون، ﴿وما يشعرون﴾ بذلك أنهم يسعون في ضرر أنفسهم وأنهم لايضرونكم شيئاً ﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون) أي: ما الذي دعاكم إلى الكفر بآيات الله مع علمكم بأن ما أنتم عليه باطل، وأن ما جاءكم به محمد على هو الحق الذي لا تشكون فيه، بل تشهدون به ويسر به بعضكم إلى بعض في بعض الأوقات، فهذا نهيهم عن ضلالهم، ثم وبخهم على إضلالهم الخلق، فقال ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون، فوبخهم على لبس الحق بالباطل وعلى كتمان الحق، لأنهم بهذين الأمرين يضلون من انتسب إليهم، فإن العلماء إذا لبسوا الحق بالباطل فلم يميزوا بينهما، بل أبقوا الأمر مبهمأ وكتموا الحق الذي يجب عليهم إظهاره، ترتب على ذلك من خفاء الحق وظهور الباطل ما ترتب، ولم يهتد العوام الذين يريدون الحق لمعرفته حتى يؤثروه، والقصود من أهل العلم أن يظهروا للناس الحق ويعلنوا به، ويميزوا الحق من الباطل، ويظهروا الخبيث من الطيب، والحلال والحرام، والعقائد الصحيحة من العقائد الفاسدة، ليهتدى المهتدون

حنيفاً مسلماً، وجعل أولى الناس به من آمن به من أمته، وهذا النبي وهو محمد على ومن أمن معه، فهم الذين اتبعوه وهم أولى به من غيرهم، والله تعالى وليهم وناصرهم ومؤيدهم، وأما من نبذ ملته وراء ظهره كاليهود والنصاري والمشركين، فليسوا من إبراهيم وليس منهم، ولا ينفعهم مجرد الانتساب الخالي من الصواب. وقد اشتملت هذه الآيات على النهى عن المحاجة والمجادلة بغير علم، وأن من تكلم بذلك فهو متكلم في أمر لا يمكن منه ولا يسمح له فيه، وفيها أيضاً حثُّ على علم التاريخ، وأنه طريق لرد كثير من الأقوال الباطلة والدعاوي التي تخالف ما علم من التاريخ، ثم قالً

﴿ ٦٩ \_ ٧٤ ﴾ ﴿ ودَّت طبائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم ومايشعرون \* يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون أله يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون \* وقالت طآئفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجمون \* ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشآء والله واسع عليم \* يختص برحمته من يشآء والله ذو الفضل العظيم المحدر تعالى عباده المؤمنين عن مكر هذه الطائفة الخبيثة من أهل الكتاب، وأنهم يودون أن يضلوكم، كما قال تعالى ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً ﴾ ومن المعلوم أن من ود شيئاً سعى بجهده على تحصيل مراده، فهذه الطائفة تسعى وتبذل جهدها في رد المؤمنين وإدخال الشبه عليهم بكل طريق يقدرون عليه، ولكن من لطف الله أنه لا يحيق المكر السيىء إلا بأهله فلهذا قال تعالى هووما يضلون إلا أنفسهم) فسعيهم في إضلال المؤمنين زيادة في ضلال أنفسهم وزيادة أنكم مسلمون، ولعل الفائدة في ذلك أنكم إذا قلتم لهم ذلك وأنتم أهل العلم على الحقيقة، كان ذلك زيادة على إقامة الحجة عليهم كما استشهد تعالى بأهل العلم حجة على المعاندين، وأيضاً فإنكم إذا أسلمتم أنتم وآمنتم فلا يعبأ الله بعدم إسلام غيركم لعدم زكائهم ولخبث طويتهم، كما قال تعالى ﴿قُلُّ آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً﴾ الآية وأيضاً فإن في ورود الشبهات على العقيدة الإيمانية عما يوجب للمؤمن أن يجدد إيمانه ويعلن بإسلامه، إخباراً بيقينه وشكراً لنعمة

﴿٦٥ ـ ٦٨﴾ ﴿يا أهل الكتاب لم تحآجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون \* ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلمَ تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون \* ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين \* إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهـذا الـنبـي والـذيـن آمـنـوا والله ولى المؤمنين﴾

كان يهودياً، والنصاري أنه نصراني، وجادلوا على ذلك، رد تعالى محاجتهم ومجادلتهم من ثلاثة أوجه، أحدها: أنَّ جدالهم في إبراهيم جدال في أمر ليس لهم به علم، فلا يمكن لهم ولا يسمح لهم أن يحتجوا ويجادلوا في أمر هم أجانب عنه وهم جادلوا في أحكام التوراة والإنجيل سواء أخطأوا أم أصابوا فليس معهم المحاجة في شأن إبراهيم، الوجه الثاني: أن اليهود ينتسبون إلى أحكام التوراة، والنصاري ينتسبون إلى أحكام الإنجيل، والتوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعد إبراهيم، فكيف ينسبون إبراهيم إليهم وهو قبلهم متقدم عليهم، فهل هذا يعقل؟! فلهذا قال ﴿أفلا تعقلون﴾ أي: فلو عقلتم ما تقولون لم تقولوا ذلك، الوجه الثالث: أن الله تعالى برأ خليله من اليهود والنصاري والمشركين، وجعله

ACTION OF THE PROPERTY OF THE

ويرجع الضالون وتقوم الحجة على المعاندين قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم). ثم أخبر تعالى عن ما همت به هذه الطائفة الخبيثة، وإرادة المكر بالمؤمنين، فقال ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره أي: ادخلوا في دينهم على وجه المكر والكيد أول النهار، فإذا كان آخر النهار فاخرجوا منه ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن دينهم، فيقولون لوكان صحيحاً لما خرج منه أهل العلم والكتاب، هذا الذي أرادوه عجبا بأنفهسم وظنا أن الناس سيحسنون ظنهم بهم ويتابعونهم على ما يقولونه ويفعلونه، ولكن يأبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴿و﴾ قال بعضهم لبعض ﴿لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴾ أي: لا تثقوا ولا تطمئنوا ولا تصدقوا إلا من تبع دينكم، واكتموا(١) أمركم، فإنكم إذا أخبرتم غيركم وغير من هو على دينكم حصل لهم من العلم ما حصل لكم فصاروا مثلكم، أو حاجوكم عندربكم وشهدوا عليكم أنها قامت عليكم الحجة وتبين لكم الهدى فلم تتبعوه، فالحاصل أنهم جعلوا عدم إخبار

المؤمنين بما معهم من العلم قاطعاً عنهم العلم، لأن العلم بزعمهم لا يكون إلا عندهم وموجباً للحجة عليهم، فرد الله عليهم بأن ﴿الهدى هدى الله﴾ فمادة الهدى من الله تعالى لكل من اهتدى، فإن الهدى إما علم الحق، أو إيثارة، ولا علم إلا ما جاءت به رسل الله، ولا موفق إلا من وفقه الله، وأهل الكتاب لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً، وأما التوفيق فقد انقطع حظهم منه لخبث نياتهم وسوء مقاصدهم، وأما هذه الأمة فقد حصل لهم ولله الحمد من هداية الله من العلوم والمعارف مع العمل بذلك ما فاقوا به وبرزوا على كلّ أحد، فكانوا هم الهداة الذين يهدون بأمرالله، وهذا من فضل الله عليها وإحسانه العظيم، فلهذا قال تعالى ﴿قُلُّ إن الفضل بيد الله الله هو الذي يحسن على عباده بأنواع الإحسان ﴿ يؤتيه من يشاء ﴾ بمن أتى بأسبابه ﴿والله واسع ﴾ الفضل كثير الإحسان ﴿عليم﴾ بمن يصلح للإحسان فيعطيه، ومن لا يستحقه فيحرمه إياه ﴿ يُختص برحمته من يشاء ﴾ أي: برحمته المطلقة التي تكون في الدنيا متصلة بالآخرة وهي نعمة الدين ومتمماته ﴿والله ذو الفضل العظيم ﴾ الذي لا يصفه الواصفون ولا يخطر بقلب بشر، بل وصل فضله وإحسانه إلى ما وصل إليه علمه، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً.

﴿٧٧ ـ ٧٧﴾ ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قآئماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأمين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون \* بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين \* إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم في بخبر تعالى عن حال أهل الكتاب في

الوفاء والخيانة في الأموال، لما ذكر خيانتهم في الدين ومكرهم وكتمهم الحق، فأخبر أنَّ منهم الخائن والأمين، وأن منهم ﴿من إن تأمنه بقنطار﴾ وهو المال الكثير ﴿يؤده﴾ وهو على أداء ما دونه من باب أولى، ومنهم الممن إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك، وهو على عدم أداء ما فوقه من باب أولى وأحرى، والذي أوجب لهم الخيانة وعدم الوفاء إليكم بأنهم زعموا أنه ﴿ليس﴾ عليهم ﴿في الأميين سبيل﴾ أى: ليس عليهم إثم في عدم أداء أموالهم إليهم، لأنهم بزعمهم الفاسد ورأيهم الكاسد قد احتقروهم غاية الاحتقار، ورأوا أنفسهم في غاية العظمة، وهم الأذلاء الأحقرون، فلم يجعلوا للأميين حرمة، وأجازوا ذلك، فجمعوا بين أكل الحرام واعتقاد حله وكان هذا كذباً على الله، لأن العالم الذي يحلل الأشياء المحرمة قد كان عند الناس معلوم أنه يخبر عن حكم الله ليس يخبر عن نفسه، وذلك هو الكذب، فلهذا قال ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون الهوذا أعظم إثماً من القول على الله بلا علم، ثم رد عليهم زعمهم الفاسد، فقال ﴿بلي﴾أي: ليس الأمر كما تزعمون أنه ليس عليكم في الأميين حرج، بل عليكم في ذلك أعظم الحرج وأشد الإثم.

ومن أوفي بعهده واتقى والعهد يشمل العهد الذي بين العبد وبين ربه، وهو جميع ما أوجبه الله على العبد من حقه، ويشمل العهد الذي بينه وبين العباد، والتقوى تكون في هذا الموضع، ترجع إلى اتقاء المعاصي التي بين العبد وبين ربه، وبينه وبين الخلق، فمن كان كذلك فإنه من المتقين الذين غمن كان كذلك فإنه من المتقين الذين يجبهم الله تعالى، سواء كانوا من في الأميين أو غيرهم، فمن قال ليس علينا في الأميين سبيل، فلم يوف بعهده ولم يتق الله، فلم يكن ممن يجبه الله، بل محن عرفوا بوفاء العهود وبتقوى الله وعدم عرفوا بوفاء العهود وبتقوى الله وعدم

يتَأَهْلَ ٱلْسِكِنَا لِي تَلْمِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْمَطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَمْ لَمُونَ ﴿ وَقَالَت طَآلِهَ أَمْ مِن أَهْلِ ٱلْكِنْبِ مَامِنُواْ بَالَّذِيَّ أَنِلَ عَلَى ٱلَّذِيثَ مَامَنُوا وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱلْخُمُ وَأَمْ الْحِرْمُ لْمَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ وَلَا تُوْمِنُواْ إِلَّا لِمَن يَهِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْمُتَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤَفِّنَ أَحَدُّ مِنْلَ مَا أُوسِتُ مُ أَوْجُكُمْ مَ عِندَ رَيِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَصْلَ بِيدِ ٱلَّهِ يُؤْنِدِهِ مَن يَشَكَّهُ وَأَفَّهُ وَكِيعٌ عَلِيمٌ ﴿ يَخْتَفُ رِحْمَةِهِ عَنْ يَشَآهُ وَأَلَدُ دُو ٱلْفَضْ إِلَّهُ عَلِيم ٥ • وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِنْكِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِفِيطَارِ مُؤَوِّوتَ إِلْبَكَ وَمِنْهُ مِنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِبْنَارِ لَّابُؤَدُوءَ إِلْبَكَ إِلَّا مَادُسْتَ عَلَيْهِ فَآيِمَا ذَيْكَ بِأَنْهُمْ قَالُواْ لِيَسْ عَلَيْنَا فِي ٱلْمُتِّيعَنَّ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَلْبِ وَهُمْ يَصْلُونَ ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ ، وَأَتَّفَىٰ فَإِنَّ أَلَقَدَ يُحِبُّ ٱلْمُنْفَعِينَ ﴿إِذَالَّذِينَ بَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَبْمَنِهِ مُنْمَنَّا ظَيِيلًا أُولَتِهِكَ لَاخَلَقَ لَهُمْ فِ ٱلْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْفِينَةِ وَلَا يُزَيِّهِمْ وَلَمُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ۞

منَّ الله عليه بالنبوة، فمن قدح في أحد منهم بشيء من ذلك فقد ارتكب إثماً عظيماً وكفراً وخيماً.

ADDEADE " ECREECE

﴿٨١ \_ ٨٢﴾ ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جآءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين \* فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون، يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق النبيين وعهدهم المؤكد بسبب ما أعطاهم من كتاب الله المنزل، والحكمة الفاصلة بين الحق والباطل والهدى والضلال، إنه إن بعث الله رسولاً مصدقاً لما معهم أن يؤمنوا به ويصدقوه ويأخذوا ذلك على أيمهم، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أوجب الله عليهم أن يؤمن بعضهم ببعض، ويصدق بعضهم بعضاً لأن جميع ما عندهم هو من عند الله، وكل ما من عندالله يجب التصديق به والإيمان، فهم كالشيء الواحد، فعلى هذا قد علم أن محمداً عِنْ هو خاتمهم، فكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لو أدركوه لوجب عليهم الإيمان به واتباعه ونصرته، وكان هو إمامهم ومقدمهم ومتبوعهم، فهذه الآية الكريمة من أعظم الدلائل على علو مرتبته وجلالة قدره، وأنه أفضل الأنبياء وسيدهم على لما قررهم تعالى الدال على الحق على المعنى الفاسد، مع علمهم بذلك.

﴿۷۹ \_ ۸۰ ﴾ ﴿ما كان لبشر أن

يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم

يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون \* ولا يأمركم أن تتخذوا الملآئكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ وهذه الآية نزلت رداً لمن أمرهم بالإيمان به ودعاهم إلى طاعته: أتريديا محمد أن نعبدك مع الله، فقوله ﴿ مَا كَانَ لِبِشْرِ ﴾ أي: يمتنع ويستحيل على بشر من الله عليه بإنزال الكتاب وتعليمه ما لم يكن يعلم وإرساله للخلق ﴿أَنْ يِقُولُ لَلْنَاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دون الله ﴾ فهذا من أمحل المحال صدوره من أحد من الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام، لأن هذا أقبح الأوامر على الإطلاق، والأنبياء أكمل الخلق على الإطلاق، فأوامرهم تكون مناسبة لأحوالهم، فلا يأمرون إلا بمعالى الأمور وهم أعظم الناس نهياً عن الأمور القبيحة، فلهذا قال ﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اي: ولكن يأمرهم بأنْ يكونوا ربانيين، أي: علماء حكماء حلماء معلمين للناس ومربيهم، بصغار العلم قبل كباره، عاملين بذلك، فهم يأمرون بالعلم والعمل والتعليم التي هي مدار السعادة، وبفوات شيء منها يحصل النقص والخلل، والباء في قوله ﴿بما كنتم تعلمون الخ، باء السببية، أي: بسبب تعليمكم لغيركم المتضمن لعلمكم ودرسكم لكتاب الله وسنة نبيه، التي بدرسها يرسخ العلم ويبقي، تكونون ربانيين ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباك وهذا تعميم بعد تخصيص، أي: لا يأمركم بعبادة نفسه ولا بعبادة أحد من الخلق من الملائكة والنبيين وغيرهم ﴿أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون، هذا ما لا يكون ولا يتصور أن يصدر من أحد

التجريء على الأموال المحترمة، كانوا هم المحبوبين لله، المتقين الذين أعدت لهم الجنة، وكانوا أفضل خلق الله وأجلُّهم، بخلاف الذين يقولون ليس علينا في الأميين سبيل، فإنهم داخلون في قوله: ﴿إِن الذينِ يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً ويدخل في ذلك كل من أخذ شيئاً من الدنيا في مقابلة ما تركه من حق الله أو حق عباده، وكذلك من حلف على يمين يقتطع بها مال معصوم فهو داخل في هذه الآية، فهؤلاء ﴿لا خلاق لهم في الآخرة﴾ أي: لا نصيب لهم من الخير ﴿ولا يكلمهم الله على يوم القيامة غضباً عليهم وسخطا، لتقديمهم هوي أنفسهم على رضاريهم ﴿ولا يَزكيهم ﴾ أي: يطهرهم من ذنوبهم، ولا يزيل عيوبهم ﴿ ولهم عنداب أليم ﴾ أي: موجع للقلوب والأبدان، وهو عذاب السخط والحجاب، وعذاب جهنم، نسأل الله

﴿٧٨﴾ ﴿وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ يخبر تعالى أن من أهل الكتاب فريقاً يلوون السنتهم بالكتاب، أي: يميلونه ويحرفونه عن المقصود به، وهذا يشمل اللي والتحريف لألفاظه ومعانيه، وذلك أن المقصود من الكتاب حفظ ألفاظه وعدم تغييرها، وفهم المراد منها وإفهامه، وهؤلاء عكسوا القضية وأفهموا غير المراد من الكتاب، إما تعريضاً وإما تصريحاً، فالتعريض في قوله (لتحسيوه من الكتاب) أي: يلوون ألسنتهم ويوهمونكم أنه هو المراد من كتاب الله، وليس هو المراد، والتصريح في قولهم: ﴿ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴿ وهذا أعظم جرماً ممن يقول على الله بلا علم، هؤلاء يقولون على الله الكذب فيجمعون بين نفي المعنى الحق، وإثبات المعنى الباطل، وتنزيل اللفظ

O SUBJECT P وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا بَلُورِكَ أَلْسِنَّهُم إِلْكِتَكِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْحِيكَنَٰبِ وَمَاهُوَمِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَمِنْ عِندِاللهِ وَمَاهُوَمِنْ عِندِاللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ مَا كَانَ لِلشَّرِ أَنْ يُؤْمِنَهُ أَلَّهُ ٱلْكِتُلَ وَلَلْكُكُمْ وَٱلنُّهُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادَا لِي مِن دُونِ اللَّهِ وَلِلْكِن كُونُواْ رَبَّنِيْنَ إِمَا كُنتُمْ نُعُلِّمُونَ ٱلْكِئْبَ وَيِمَاكُنتُهُ تَذَرُسُونَ ۞ وَلَايَأْمُرَكُرُ أَنَ نَنَّخِنُواْ ٱلْمَلَيْهِكَةَ وَٱلنَّبِيِّيَ أَرْبِيابًا أَيَأْمُكُمُّ بِٱلْكُفُرْ بِعُدَإِذُ أَسُّم مُسْلِعُونَ ۞ وَإِذْ أَخَذَاللَّهُ مِيثَنَى َالنَّبِيَّى َلَأَءَاتَبِسَّتُكُرُ ين كِنْ وَحِكْمَةِ ثُرُّجَاءَ كُمْ رَسُولُ مُصَدِّفُ لِلْاَمْعَكُمْ لَتُوْمِثُنَ بِهِ وَلَنْنَصُرُنَّهُ قَالَ ءَاقَرْمُ وَلَغَنْتُمْ عَلَ ذَلِكُمْ إِمْرِيٌّ قَالُوٓا أَقْرُنَا قَالَ فَأَشْهَا دُواْ وَأَنَّا مَعَكُمُ يْنَ ٱلشَّيْهِدِينَ ﴿ فَنَ نَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَتُهِكَ هُمُ ٱلْفَنْسِفُونَ ﴿ أَفَغَنَيْرَدِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ وَأَسْلَوْمَنَ فِي السَّنَوْتِ وَالْأَرْضِ مَلْوَعًا وَكَرْهَا وَإِلَّهِ رُبِّعُونَ ٥

وقالوا أقررنا أي: قبلنا ما أمرتنا به على الراس والعين وقال الله الله لهم: وفاشهدوا على أنفسكم وعلى أعكم بندلك، قبال ووأنيا مسعكم من الشاهدين شفمن تولى بعد ذلك ومن رسله وفأولئك هم الفاسقون فعلى هذا كل من ادعى أنه من أتباع فعلى هذا كل من ادعى أنه من أتباع الأنبياء كاليهود والنصارى ومن تبعهم، فقد تولوا عن هذا الميثاق الغليظ، واستحقوا الفسق الموجب الغليظ، واستحقوا الفسق الموجب بمحمد

MALEROL VERSED

﴿٨٣﴾ ﴿أَفْغِير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرها وإليه يرجعون اي: أيطلب الطالبون ويرغب الراغبون في غير دين الله؟ لا يحسن هذا ولا يليق، لأنه لا أحسن ديناً من دين الله ﴿وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً ﴾ أي: الخلق كلهم منقادون بتسخيره مستسلمون له طوعاً واختياراً، وهم المؤمنون المسلمون المنقادون لعبادة ربهم، وكرها وهم سائىر الخلق، حتى الكافرون مستسلمون لقضائه وقدره لاخروج لهم عنه، ولا امتناع لهم منه، وإليه مرجع الخلائق كلهآ، فيحكم بينهم ويجازيهم بحكمه الدائر بين الفضل والعدل.

﴿ ٨٤﴾ ﴿ قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ تقدم نظير هذه الآية في سورة البقرة ، ثم قال تعالى .

﴿٨٥﴾ ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين أي: من يدين لله بغير دين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده، فعمله مردود غير مقبول، لأن دين الإسلام هو المتضمن للاستسلام لله، إخلاصاً وانقياداً لرسله فما لم يأت به العبد لم يأت بسبب النجاة من عذاب الله والفوز بشوابه، وكل دين سواه فباطل، ثم قال تعالى:

﴿٨٨ ٨٦﴾ ﴿كسيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجآءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين \* أولئك جزآؤهم أن عليهم لعنة الله والملآئكة والناس أجمعين \*خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾ هذا من باب الاستبعاد، أي: من الأمر البعيد أن يهدي الله قوماً أختاروا الكفر والضلال بعدما آمنوا وشهدوا أن الرسول حق بما جاءهم به من الآيات البينات والبراهين القاطعات ﴿والله لا يهدى القوم الظالمين فهؤلاء ظلموا وتركوا الحق بعدما عرفوه، واتبعوا الباطل مع علمهم ببطلانه ظلمأ وبغيأ واتباعأ لأهوائهم، فهؤلاء لا يوفقون للهداية، لأن الذي يرجى أن يهتدي هو الذي لم يعرف الحق وهو حريص على التماسه، فهذا بالحري أن ييسر الله له أسباب الهداية ويصونه من أسباب الغواية، ثم أخبر عن عقوبة هؤلاء المعاندين الظالمين الدنيوية والأخروية، فقال ﴿أُولِنك جِزاؤهم أَن عليهم لعنة الله والملاتكة والناس أجمعين \*خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولاهم

ينظرون أي: لا يفتر عنهم العذاب ساعة ولا لحظة، لا بإزالته أو إزالة بعض شدته، ﴿ولا هم ينظرون ﴾ أي: يمهلون، لأن زمن الإمهال قد مضى، وقد أعذر الله منهم وعمرهم ما يتذكر فيه من تذكر، فلو كان فيهم خير لوجد، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه.

﴿٩٩ ـ ٩١﴾ ﴿إن الـذيـن كـفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون \* إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به أولَتك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين﴾ يخبر تعالى أن من كفر بعد إيمانه، ثم ازداد كفراً إلى كفره بتماديه في الغي والضلال، واستمراره على ترك الرشد والهدى، أنه لا تقبل توبتهم، أي: لا يوفقون لتوبة تقبل بل يمدهم الله في طغيانهم يعمهون، قال تعالى ﴿ونقلبِ أَفتُدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ ﴿فلما زغوا أزاغ الله قلوبهم) فالسيئات ينتج بعضها بعضاً، وخصوصاً لمن أقدم على الكفر العظيم وترك الصراط المستقيم، وقد قامت عليه الحجة ووضح الله له الآيات والبراهين، فهذا هو الذي سعيٰ في قطع أسباب رحمة ربه عنه، وهو الذي سد على نفسه باب التوبة، ولهذا حصر الضلال في هذا الصنف، فقال ﴿وأولئك هم الضالون ﴾ وأي: ضلال أعظم من ضلال من ترك الطريق عن بصيرة، وهؤلاء الكفرة إذا استمروا على كفرهم إلى المات تعين هلاكهم وشقاؤهم الأبدي، ولم ينفعهم شيء، فلو أنفق أحدهم ملء الأرض ذهباً ليفتدي به من عذاب الله ما نفعه ذلك، بل لا يزالون في العذاب الأليم، لا شافع لهم ولا ناصر ولا مغيث ولا مجير ينقذهم من عذاب الله فأيسوا من كل خير، وجزموا على الخلود الدائم في العقاب والسخط، فعياذاً بالله من حالهم.

للناس للذي ببكة مباركاً وهٰدي للعالمين \* فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ﴾ يخبر تعالى عن شرف هذا البيت الحرام، وأنه أول بيت وضعه الله للناس، يتعبدون فيه لربهم فتغفر أوزارهم، وتقال عثارهم، ويحصل لهم به من الطاعات والقربات ما ينالون به رضي ربهم والفوز بثوابه والنجاة من عقابه، ولهذا قال: ﴿مباركاً ﴾ أي: فيه البركة الكثيرة في المنافع الدينية والدنيوية كما قال تعالى ﴿لِيشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) ﴿ وهدى للعالمين ﴾ والهدى نوعان: هدى في المعرفة، وهدى في العمل، فالهدى في العمل ظاهر، وهو ما جعل الله فيه من أنواع التعبدات المختصة به، وأما هدى العلم فبما يحصل لهم بسببه من العلم بالحق بسبب الآيات البينات التي ذكر الله تعالى في قوله ﴿فيه آيات بينات﴾ أي: أدلة واضحات، وبراهين قاطعات على أنواع من العلوم الإلهية والمطالب العالية، كالأدلة على توحيده ورحمته وحكمته وعظمته وجلاله وكمال علمه وسعة جوده، وما منَّ به على أوليائه وأنبيائه، فمن الآيات

إسرائيل ﴿إلا ما حرم إسرائيل﴾ وهو يعقوب عليه السلام ﴿على نفسه﴾ أي: من غير تحريم من الله تعالى، بل حرمه على نفسه لما أصابه عرق النَّسَا نذر لئن شفاه الله تعالى ليحرمن أحب الأطعمة عليه، فحرم فيما يذكرون لحوم الإبل وألبانها وتبعه بنوه على ذلك وكان ذلك قبل نزول التوراة، ثم نزل في التوراة أشياء من المحرمات غير ما حرم إسرائيل مما كان حلالاً لهم طيباً، كما قال تعالى ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم، وأمر الله رسوله إن أنكروا ذلك أن يأمرهم بإحضار التوراة، فاستمروا بعد هذا على الظلم والعناد، فلهذا قال تعالى ﴿ فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون﴾ وأي: ظلم أعظم من ظلم من يدعى إلى تحكيم كتابه فيمتنع من ذلك عناداً وتكبراً وتجبراً، وهذا من أعظم الأدلة على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ وقيام الآيات البينات المتنوعات على صدقه وصدق من نبأه وأخبره بما أخبره به من الأمور التي لا يعلمها إلا بإخبار ربه له بها، فلهذا قال تعالى ﴿قل صدق الله ﴾ أي: فيما أخبر به وحكم، وهذا أمر من الله لرسوله ولمن يتبعه أن يقولوا بالسنتهم: صدق الله، معتقدين بذلك في قلوبهم عن أدلة يقينية، مقيمين هذه الشهادة على من أنكرها، ومن هنا تعلم أن أعظم الناس تصديقاً لله أعظمهم علماً ويقينأ بالأدلة التفصيلية السمعية والعقلية، ثم أمرهم باتباع ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام بالتوحيد وترك الشرك الذي هو مدار السعادة، وبتركه حصول الشقاوة، وفي هذا دليل على أن اليهود وغيرهم ممن ليس على ملة إبراهيم مشركون غير موحدين، ولما

﴿٩٦ \_ ٩٧﴾ ﴿إن أول بيت وضع

أمرهم باتباع ملة إبراهيم في التوحيد

وترك الشرك أمرهم باتباعه بتعظيم بيته

الحرام بالحج وغيره، فقال:

﴿٩٢﴾ ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُواْ مِمَا تُحِبُّونَ وما تنفقوا من شيء فإن الله به الإنفاق في طرق الخيرات، فقال ولن تنالوا﴾ أي: تدركوا وتبلغوا البر الذي هو كل خير من أنواع الطاعات وأنواع الثوبات الموصل لصاحبه إلى الجنة، ﴿حتى تنفقوا بما تحبون ﴾ أي: من أموالكم النفيسة التي تحبها نفوسكم، فإنكم إذا قدمتم محبة الله على محبة الأموال فبذلتموها في مرضاته، دل ذلك على إيمانكم الصادق وبر قلوبكم ويقين تقواكم، فيدخل في ذلك إنفاق نفائس الأموال، والإنفاق في حال حاجة المنفق إلى ما أنفقه، والإنفاق في حال الصحة، ودلت الآية أن العبد بحسب إنفاقه للمحبوبات يكون بره، وأنه ينقص من بره بحسب ما نقص من ذلك، ولما كان الإنفاق على أي: وجه كان مثاباً عليه العبد، سواء كان قليلاً أو كثيراً، محبوباً للنفس أم لا، وكان قوله ﴿ لَن تَنالُوا البرحتي تَنفقوا مِما تحبون، مما يوهم أن إنفاق غير هذا المقيد غير نافع، احترز تعالى عن هذا الوهم بقوله ﴿ وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم الله يضيق عليكم، بل يثيبكم عليه على حسب نياتكم ونفعه.

﴿٩٣ \_ ٩٥﴾ ﴿كيل البطيعيام كيان حلاً لبني إسرآئيل إلا ما حرم إسرآئيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين \* فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون \* قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ وهذا ردعلي اليهود بزعمهم الباطل أن النسخ غير جائز، فكفروا بعيسي ومحمد صلَّى الله عليهما وسلم، لأنهما قد أتيا بما بخالف بعض أحكام التوراة بالتحليل والتحريم فمن تمام الإنصاف في المجادلة إلزامهم بما في كتابهم التوراة من أن جميع أنواع الأطعمة محللة لبني

CHILLET CHICK لَن تَنَالُواْ ٱلْسِرَّحَتَىٰ تُنفِقُوا مِنَا يُحَبُّونَ وَمَا تُنفِعُوا مِن مَنَىءِ فَإِنَّ اللَّهَ بِدِ عَلِيدٌ ﴿ وَكُلُّ الطَّعَارِكَانَ حِلَّا لِيَنِيَ إِسْرَةٍ بِلَّ إِلَّا مَاحَدَكَمَ إِسْرَةِ مِلْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ء مِن فَهَ ثِي أَن ثُنَزُكَ ٱلْقَوْرَيْةُ فُلْ فَأَنُواْ بِالتَّوْرِياءِ فَأَتَّلُوهَا إِن كُنتُمْ صَلَّهِ قِينَ ۞ فَيَ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَتَهِكَ هُمُّ ٱلظَّالِمُونَ ۞ قُلْصَدَقَ اللَّهُ فَانَّيْعُواْ مِلَّةَ إِنْرَهِيمَ حَيْدِيفًا ۗ وَمَاكَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّ أَوْلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّهَ مُبَازَكًا وَهُدَى لِلْعَالَمِينَ ۞ فِيهِ ءَائِتُ أَيْنَاتُ مَّقَامُ إِبْرُهِيمٌ وَمَن دَخَلَهُ حِكَانَ ءَامِنَا ۚ وَلِقَعِ عَلَ النَّاسِحِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَيَّ عَنِ ٱلْعَلَمِينَ ﴿ قُلْ يَتَأَهْلَ ٱلْكِنْبِ لِرَنَّكُفُرُونِ بِعَايَنتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدُ عَلَى مَامَّتُ لُونَ ﴿ فُلْ يَنَأَهُ لَ ٱلْكِئْبِ لِرَتَّصُدُونَ عَن سَيِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بَعُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُدْ شُهَدَلَةُ وَمَا اللَّهُ بِعَفِلِ عَمَّاتَعَمَّلُونَ ۞ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَّنُوۤ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِحَلَ بَرُدُوكُمْ بَعْدَ إِمَنِيكُمْ كَفِيرِي ﴿

TOURSE TO LONG LONG

﴿مقام إبراهيم﴾ يحتمل أن المرادبه المقام المعروف وهو الحجر الذي كان يقوم عليه الخليل لبنيان الكعبة لما ارتفع البنيان، وكان ملصقاً في جدار الكعبة، فلما كان عمر رضي الله عنه وضعه في مكانه الموجود فيه الآن، والآية فيه قيل أثر قدمي إبراهيم، قد أثرت في الصخرة وبقى ذلك الأثر إلى أوائل هذه الأمة، وهذا من خوارق العادات، وقيل إن الآية فيه ما أودعه الله في القلوب من تعظيمه وتكريمه وتشريفه واحترامه، ويحتمل أن المراد بمقام إبراهيم أنه مفرد مضاف يراد به مقاماته في مواضع المناسك كلها، فيكون على هذا جميع أجزاء الحج ومفرداته آيات بينات، كالطواف والسعى ومواضعها، والوقوف بعرفة ومزدلفة، والرمى، وسائر الشعائر، والآية في ذلك ما جعله الله في القلوب من تعظيمها واحترامها وبذل نفائس النفوس والأموال في الوصول إليها وتحمل كل مشقة لأجلها، وما في ضمنها من الأسرار البديعة والمعاني الرفيعة، وما في أفعالها من الحكم والمصالح التي يعجز الخلق عن إحصاء بعضها، ومن الآيات البينات فيها أن من دخله كان آمناً شرعاً وقدراً، فالشرع قد أمر الله

ورسوله إبراهيم ثم رسوله محمد

باحترامه وتأمين من دخله، وأن لا يهاج، حتى إن التحريم في ذلك شمل صيودها وأشجارها ونباتها، وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء أن من جنى جناية خارج الحرم ثم لجأ إليه أنه يأمن ولا يقام عليه الحدحتي يخرج منه، وأما تأمينها قدراً فلأن الله تعالى بقضائه وقدره وضع في النفوس حتى نفوس المشركين به الكافرين بربهم احترامه، حتى إن الواحد منهم مع

من ذكر الوجوب، فتضمنت الآية ثلاثة

أمور مرتبة بحسب الوقائع: أحدها:

الموجب لهذا الفرض فبدأ بذكره،

والثاني: مؤدي الواجب وهو المفترض

عليه وهم الناس، والثالث: النسبة،

والحق المتعلق به إيجاباً وبهم وجوباً

وأداءً، وهو الحج.

شدة حميتهم ونعرتهم وعدم احتمالهم للضيم يجد أحدهم قاتل أبيه في الحرم فلا يهيجه، ومن جعله حرماً أن كل من أراده بسوء فلابدأن يعاقبه عقوبة عاجلة، كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم، وقَدْ رأيت لابن القيم هاهنا كلاماً حسناً أحببت إيراده لشدة الحاجة إليه قال فائدة: ﴿وقه على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴿حج البيت، مبتدأ وخبره في أحد المجرورين قبله، والذي يقتضيه المعنى أن يكون في قوله: «على الناس» لأنه وجوب، والوجوب يقتضى «على»، ويجوز أن يكون في قوله: «ولله» لأنه متضمن الوجوب والاستحقاق، ويرجح هذا التقدير أن الخبر محط الفائدة وموضعها، وتقديمه في هذا الباب في نية التأخير، فكان الأحسن أن يكون «ولله على الناس»، ويرجع الوجه الأول بأن يقال قوله: "حج البيت على الناس، أكثر استعمالاً في باب الوجوب من أن يقال: «حج البيت لله» أي: حق واجب لله، فتأمله. وعلى هذا ففي تقديم المجرور الأول وليس بخبر فاثدتان: إحداهما: أنه اسم للموجب للحج، فكان أحق بالتقديم فتأملها.

والفائدة الثانية: أن الاسم المجرور من حيث كان اسماً لله سبحانه، وجب الاهتمام بتقديمه تعظيما لحرمة هذا الواجب الذي أوجبه، وتخويفاً من تضييعه، إذ ليس ما أوجبه الله سبحانه بمثابة ما يوجبه غيره.

وأما قوله: «مَنْ» فهي بدل، وقد استهوى طائفة من الناس القول بأنها فاعل بالمصدر، كأنه قال: أن يحج البيت من استطاع إليه سبيلاً، وهذا القول يضعف من وجوه، منها: أن الحج فرض عين، ولو كان معنى الآية ما ذكره لأفهم فرض الكفاية، لأنه إذا حج المستطيعون برئت ذمم غيرهم، لأن المعنى يؤل إلى: ولله على الناس حج البيت مستطيعهم، فإذا أدى المستطيعون الواجب لم يبق واجباً على غير المستطيعين، وليس الأمر كذلك، بل الحج فرض عين على كل أحد، حج المستطيعون أو قعدوا، ولكن الله سبحانه عذر غير المستطيع بعجزه عن أداء الواجب، فلا يؤاخذه به ولا يطالبه بأدائه، فإذا حج سقط الفرض عن نفسه، وليس حج المستطيعين بمسقط الفرض عن العاجزين، وإذا أردت زيادة إيضاح، فإذا قلت: واجب على أهل هذه الناحية أن يجاهد منهم الطائفة المستطيعون للجهاد، فإذا جاهدت تلك الطائفة انقطع تعلق الوجوب في غيرهم، وإذا قلت واجب على الناس كلهم أن يجاهد منهم المستطيع، كان الوجوب متعلقأ بالجميع وعذر العاجز بعجزه، ففي نظم الآية على هذا الوجه دون أن يقال: ولله حج البيت على المستطيعين، هذه النكتة البديعة

الوجه الثان: أن إضافة المصدر إلى الفاعل إذا وجد أولى من إضافته إلى المفعول ولا يعدل عن هذا الأصل إلا بدليل منقول، فلو كان مَنْ هو الفاعل لأضيف المصدر إليه فكان يقال: «ولله على الناس حج من استطاع» وحمله على

باب ايعجبني ضربُ زيدِ عمراً اوفيما يفصل فيه بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول والظرف حمل على المكتوب المرجوح، وهي قراءة ابن عامر (قتل أولادهم شركائهم)، فلا يصار إليه. وإذا ثبت أن «من» بدل بعض من كل وجب أن يكون في الكلام ضمير يعود إلى «الناس، كأنه قيل: من استطاع منهم، وحذف هذا الضمير في أكثر الكلام لا يحسن، وحسنه هاهنا أمور منها: أن «من» واقعة على من لا يعقل، كالاسم المبدل منه فارتبطت به، ومنها: أنها موصولة بما هو أخص من الاسم الأول، ولو كانت الصلة أعم لقبح حذف الضمير العائد، ومثال ذلك إذا قلت: رأيت إخوتك من ذهب إلى السوق منهم، كان قبيحاً، لأن الذاهب إلى السوق أعم من الإخوة، وكذلك لوقلت: البس الثياب ما حسن وجمل، يريد منها، ولم يذكر الضمير كان أبعد في الجواز، لأن لفظ ما حسن أعم من الثياب.

وباب البعض من الكل أن يكون أخص من المبدل منه، فإذا كان أعم وأضفته إلى ضمير أو قيدته بضمير يعود إلى الأول ارتفع العصموم ويقي الخصوص، ومما حسن حذف المضاف في هذه أيضاً مع ما تقدم طول الكلام بالصلة والموصول.

وأما المجرور من قوله «ش» فيحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون في موضع من سبيل، كأنه نعت نكرة قدم عليها، لأنه لو تأخر لكان في موضع النعت لسبيل، والثاني: أن يكون متعلقاً بسبيل، فإن قلت: كيف يتعلق به وليس فيه معنى الفعل؟ قيل: السبيل لما كان عبارة هاهنا عن الموصل إلى البيت من قوتٍ وزاد ونحوهما، كان فيه الذي هو الطريق، فصلح تعلق المجرور رائحة الفعل، ولم يقصد به السبيل البيت، واقتضى حسن النظم وإعجاز اللفظ تقديم المجرور وإن كان موضعه التأخير، لأنه ضمير يعود على البيت، والبيت هو المقصود به الاعتناء، وهم

يقدمون في كلامهم ما هم به أهم وببيانه أعني هذا تقرير السهيلي، وهذا بعيد جداً بل الصواب في متعلق الجار والمجرور وجه آخر أحسن من هذين، ولا يليق بالآية سواه، وهو الوجوب المفهوم من قوله "على الناس»، أي: يجب لله على الناس الحج، فهو حق واجب لله، وأما تعليقه بالسبيل وجعله حالاً منها، ففي غاية البعد فتأمله، ولا يكاد يخطر بالبال من الآية، وهذا كما تقول: لله عليك الصلاة والزكاة والصيام.

ومن فوائد الآية وأسرارها أنه سبحانه إذا ذكر ما يوجبه ويحرمه يذكره بلفظ الأمر والنهى، وهو الأكثر، ويلفظ الإيجاب والكتابة والتحريم نحو ﴿كتب عليكم الصيام﴾ ﴿حرمت عليكم الميتة ﴾ ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) وفي الحج أتي بهذا اللفظ الدال على تأكد الوجوب من عشرة أوجه، أحدها أنه قدم اسمه تعالى وأدخل عليه لام الاستحقاق والاختصاص ثم ذكر من أوجبه عليهم بصيغة العموم الداخلة عليها حرف على أبدل منه أهل الاستطاعة، ثم نكر السبيل في سياق الشرط إيذاناً بأنه يجب الحج على أي: سبيل تيسرت، من قوتِ أو مالْ، فعلق الوجوبِ بحصول ما يسمى سبيلاً، ثم أتبع ذلك بأعظم التهديد بالكفر فقال ﴿وَمَن كَفُر﴾ أي : لعدم إلتزامه هذا الواجب وتركه ثم عظم الشأن وأكد الوعيد بإخباره ما يستغنى به عنه، والله تعالى هو الغني الحميد، ولا حاجة به إلى حج أحد، وإنما في ذكر استغنائه عنه هنا من الإعلام بمقته له وسخطه عليه وإعراضه بوجهه عنه ما هو أعظم التهديد وأبلغه، ثم أكد ذلك بذكر اسم «العالمين» عموماً، ولم يقل: فإن الله غنى عنه، لأنه إذا كان غنياً عن العالمين كلهم فله الغنى الكامل التام من كل وجه بكل اعتبار، فكان أدل لعظم مقته لتارك حقه الذي أوجبه عليه، ثم أكد هذا المعنى بأداة «إن» الدالة على التأكيد، فهذه عشرة أوجه تقتضي تأكد

هذا الفرض العظيم.

وتأمل سر البدل في الآية المقتضي لذكر الإسناد مرتين، مرة بإسناده إلى عسوم الناس، ومرة بإسناده إلى خصوص المستطيعين، وهذا من فوائد البدل تقوية المعنى وتأكيده بتكرر الإسناد ولهذا كان في نية تكرار العامل وإعادتة.

ثم تأمل ما في الآية من الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال، وكيف تضمن ذلك إيراد الكلام في صورتين وخلتين، اعتناء به وتأكيد لشأنه، ثم تأمل كيف افتتح هذا الإيجاب بذكر محاسن البيت وعظم شأنه بما تدعوا النفوس إلى قصده وحجه وإن لم يطلب ذلك منها، فقال: ﴿إِنْ أُولَ بِيتَ﴾ الخ، فوصفه بخمس صفات: أحدها كونه أسبق بيوت العالم وضع في الأرض، الثاني: أنه مبارك، والبركة كشرة الخير ودوامه، وليس في بيوت العالم أبرك منه ولا أكثر خيراً ولا أدوم ولا أنفع للخلائق، الثالث: أنه هدى، ووصفه بالمصدر نفسه مبالغة، حتى كأنه نفس الهدى، الرابع ما تضمن من الآيات البينات التي تزيد على أربعين آية، الخامس: الأمن الحاصل لداخله، وفي وصفه بهذه الصفات دون إيجاب قصده ما يبعث النفوس على حجه وإن شطت بالزائرين الديار وتناءت بهم الأقطار، ثم أتبع ذلك بصريح الوجوب المؤكد بتلك التأكيدات، وهذا يدل على الإعتناء منه سبحانه لهذا البيت العظيم، والتنويه بذكره، والتعظيم لشأنه، والرفعة من قدره، ولو لم يكن له شرف إلا إضافته إياه إلى نفسه بقوله ﴿وطهر بيتي﴾ لكفي بهذه الإضافة فضلاً وشرفاً، وهذه الإضافة هي التي أقبلت بقلوب العالمين إليه، وسلبت نفوسهم حباله وشوقأ إلى رؤيته، فهذه المثابة للمحبين يثوبون إليه ولا يقضون منه وطراً أبداً، كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له حبأ وإليه اشتياقاً، فلا الوصال يشفيهم ولا البعاد يسليهم، كما قيل:

رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴿ يوبخ تعالى أهل الكتاب من اليهود والنصاري على كفرهم بآيات الله التي أنزلها الله على رسله، التي جعلها رحمة لعباده يهتدون بها إليه، ويستدلون بها على جميع المطالب المهمة والعلوم النافعة، فهؤلاء الكفرة جمعوا بين الكفر بها وصد من آمن بالله عنها وتحريفها وتعويجها عما جعلت له، وهم شاهدون بذلك عالمون بأن ما فعلوه أعظم الكفر الموجب لأعظم العقوبة ﴿الَّذِينَ كَفُرُوا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون﴾ فلهذا توعدهم هنا بقوله: ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ بل محيط بأعمالكم" ونياتكم ومكركم السيء، فمجازيكم عليه أشر الجزاء لما توعدهم ووبخهم عطف برحمته وجوده وإحسانه وحذر عباده المؤمنين منهم لئلا يمكروا بهم من حيث لا يشعرون، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين، وذلك لحسدهم وبغيهم عليكم، وشدة حرصهم على ردكم عن دينكم، كما قال تعالى: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) ثم ذكر تعالى السبب الأعظم والموجب الأكبر لشبات المؤمنين على إيمانهم، وعدم تزلزلهم عن إيقانهم، وأن ذلك من أبعد الأشياء، فقال: ﴿وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ال الرسول بين أظهركم يتلو عليكم آيات ربكم كل وقت، وهي الآيات البينات التي توجب القطع بموجبها والجزم بمقتضاها وعدم الشك

فيما دلت عليه بوجه من الوجوه، خصوصاً والمبين لها أفضل الخلق وأعلمهم وأفصحهم وأنصحهم الرأوهيم بالمؤمنين، الحريص على هداية الخلق وإرشادهم بكل طريق يقدر عليه، فصلوات الله وسلامه عليه، فقد نصح وبلغ البلاغ المبين، فلم يبق في نفوس القائلين مقالاً ولم يترك لجائل في نفوس القائلين مقالاً ولم يترك لجائل اعتصم به فتوكل عليه وامتنع بقوته ورحمته عن كل شر، واستعان به على مستقيم وصل له إلى غاية المرغوب، كل خير ﴿فقد هدي إلى صراط لأنه جمع بين اتباع الرسول في أقواله مستقيم اأفعاله وأحواله وبين الاعتصام بالله.

﴿١٠٢ - ٣٠١﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وانتم مسلمون \* واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لعلكم تهتدون﴾

من الله لعباده المؤمنين أن يتقوه حق تقواه، وأن يستمروا على ذلك ويثبتوا على ولك ويثبتوا على ذلك ويثبتوا عاش على شيء مات عليه، فمن كان في حال صحته ونشاطه وإمكانه مداوماً لتقوى ربه وطاعته، منيباً إليه على المخاتمة، وتقوى الله حق تقواه كما قال الن مسعود: وهو أن يطاع فلا يعصي، ابن مسعود: وهو أن يطاع فلا يعصي، ويشكر فلا يكفر، وهذه الآية بيان لما يستحقه تعلى من وهذه الآية بيان لما يستحقه تعلى من فكما قال تعالى: ﴿فَاتَقُوا الله ما التقوى، وأما ما يجب على العبد منها، فكما قال تعالى: ﴿فَاتَقُوا الله ما المتلعتم﴾ وتفاصيل التقوى المتعلقة بالقلب والجوارح كثيرة جداً، يجمعها بالقلب والجوارح كثيرة جداً، يجمعها

أطوف به والنفس بعد مشوقة إليه وهل بعد الطواف تداني وألثم منه الركن أطلب بردما بقلبي من شوق ومن هيمان

بسبي من سون رس ميسن فوالله ما ازداد إلا صبحابة ولا القلب إلا كثرة الخفقان

فیاجنة المأوی وباغایة المنی ویا منیتی من دون کل أمان

أبت غلبات الشوق إلا تقربا إليك فحالى بالبعاد يدان

وماكانصدىعنكصدملالة ولي شاهد من مقلتي ولسان

دعوتاصطباريعنكبعدكوالبكا فلبي البكا والصبر عنك عصاني

وقدزعمواأن المحب إذانأى سيبلي هواه بعد طول زمان

ولوكان هذا الزعم حقاً لكانذا دواء الهوى في الناس كل زمان

بلى إنه يسبلى والسهسوى عملى حماله (١) لم يسبله الملسوان (٢)

وهذا محب قاده الشوق والهوى بمغيسر زمام قمائد وعمنمان

أتماك على بسعد المزارِ ولسو ونست معطيسته جداءت بسه البقدميان

انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

(١٠١ - ١٠١) ﴿قسل يسا أهسل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون \* قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون \* يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين \* وكيف تكفرون وأنتم تعلى عليكم آيات الله وفيكم

<sup>(</sup>١) في الهامش كتب: أي الهوى.

<sup>(</sup>٢) في الهامش: (لعل صواب هذا البيت قوله:

بـــلى إنـــه يُــــبُـــلي المحــــبُّ وإنـــه وبمراجعة بدائع الفوائد (٢/ ٤٦) تبين أن البيت كما يلي:

بل إنه يبل التصبر والهوى

ا في الأصل: بأعمالهم ولعل الصواب ما أثبت.

على حالم لم يسبله الملوان)

على حمالم لم يسبلم الملوان

averagy " convers

(۱۰۶ ـ ۱۰۸) ﴿ يسوم تسبيس وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون # وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون \* تلك أيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلماً للعالمين، يخبر تعالى عن حال يوم القيامة وما فيه من آثار الجزاء بالعدل والفضل، ويتضمن ذلك الترغيب والترهيب الموجب للخوف والرجاء فقال: ﴿يوم تبيض وجوه، وهمي وجوه أهل السعادة والخير، أهل الانتلاف والاعتصام بحبل الله ﴿وتسود وجوه﴾ وهي وجوه أهل الشقاوة والشر، أهل الفرقة والاختلاف، هؤلاء اسودت وجوههم بما في قلوبهم من الخزي والهوان والذلة والفضيحة، وأولئك ابيضت وجوههم، لما في قلوبهم من البهجة

ويستهبون عنن المشكر وأولسك هم المفلحون \* ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم أي: وليكن منكم أيها المؤمنون الذين منَّ الله عليهم بالإيمان والاعتصام بحبله ﴿أُمَّهُ أَي: جماعة ﴿يدعون إلى الخير﴾ وهو اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله ويسبعبد من سخطه ﴿ويسأمرون بالمعروف) وهو ما عرف بالعقل والشرع حسنه ﴿وينهون عن المنكر﴾ وهو ما عرف بالشرع والعقل قبحه، وهذا إرشاد من الله للمؤمنين أن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلى سبيله وإرشاد الخلق إلى دينه، ويدخل في ذلك العلماء المعلمون للدين، والوعاظ الذين يدعون أهل الأديان إلى الدخول في دين الإسلام، ويدعون المنحرفين إلى الاستقامة، والمجاهدون في سبيل الله، والمتصدون لتفقد أحوال الناس وإلزامهم بالشرع كالصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من شرائع الإسلام، وكتفقد المكاييل والموازين وتفقد أهل الأسواق ومنعهم من الغش والمعاملات الباطلة، وكل هذه الأمور من فروض الكفايات كما تدل عليه الآية الكريمة في قوله **﴿ولتكن منكم أمة﴾** الخ أي: لتكن منكم جماعة يحصل المقصود بهم في هذه الأشياء المذكورة، ومن المعلوم المتقرر أن الأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلاّ به فكل ما تتوقف هذه الأشياء عليه فهو مأمور به، كالاستعداد للجهاد بأنواع العدد التي يحصل بها نكاية الأعداء وعز الإسلام، وتعلم العلم الذي يحصل به الدعوة إلى الخير وسائلها ومقاصدها، وبناء المدارس للإرشاد والعلم، ومساعدة النواب ومعاونتهم على تنفيذ الشرع في الناس بالقول والفعل والمال، وغير ذلك مما تتوقف هذه الأمور عليه، وهذه الطائفة المستعدة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هم خواص المؤمنين، ولهذا قال تعالى عنهم: ﴿وأولئك هم الفلحون الفائزون بالمطلوب،

فعل ما أمر الله به وترك كل ما نهى الله عنه، ثم أمرهم تعالى بما يعينهم على التقوى وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكمون دعموي المؤمنين واحمدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويجصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوي، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام، ثم ذكرهم تعالى نعمته وأمرهم بذكرها فقال: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء ﴾ يقتل بعضكم بعضاً، ويأخذُ بعضكم مال بعض، حتى إن القبيلة يعادي بعضهم بعضاً، وأهل البلد الواحد يقع بينهم التعادي والاقتتال، وكانوا في شرعظيم، وهذه حالة العرب قبل بعثة النبي على فلما بعثه الله وآمنوا به واجتمعوا على الإسلام وتآلفت قلوبهم على الإيمان كانوا كالشخص الواحد، من تآلف قلوبهم وموالاة بعضهم لبعض، ولهذا قال: ً ﴿فَالْفُ بِينِ قَلُوبِكُمْ فَأُصِبِحَتُمْ بِنَعْمَتُهُ إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار، أي: قد استحقيتم النار ولم يبق بينكم وبينها إلا أن تموتوا فتدخلوها ﴿ فَأَنْقَذُكُم مِنْهَا ﴾ بما منَّ عليكم من الإيمان بمحمد ﷺ ﴿كذلك يبين الله لكم آياته كان: يوضحها ويفسرها، ويبين لكم الحق من الباطل، والهدى من الضلال ﴿لعلكم تهتدون﴾ بمعرفة الحق والعمل به، وفي هذه الآية ما يدل أن الله يحب من عباده أن يذكروا نعمته بقلوبهم وألسنتهم ليزدادوا شكراً له ومحبة، وليزيدهم من فضلة وإحسانه، وإن من أعظم ما يذكرمن نعمه نعمة الهداية إلى الإسلام، واتباع الرسول ﷺ واجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقها .

﴿١٠٤ ــ ١٠٥﴾ ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف

CONTROL OF COMPANY OF وَ يِقَّهِ مَا فِ ٱلسَّمَوَاتِ وَمَا فِ ٱلْأَرْضُ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۞ كُنتُهُ خَيْرَأْمَةِ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُهُونَ بِٱلْمَعَ رُوفِ وَتَنْهَوْرِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْءَاسَ آهْلُ ٱلْحِينَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمَّ مِّنْهُمُ ٱلْتُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَنْسِقُونَ ۞ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَكُّ وَإِن يُقَيْلُوكُمْ يُولُّوكُمُ أَلْأَدْبَا رَّثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ۞ ضُرِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلِذَلَّةُ أَيْنَ مَاثَفِفُوٓ ۚ إِلَّا يِحَبِّىلِ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبِ مِّنَ اللَّهِ وَصُرِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَّةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكُفُرُوك بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَفْتُلُوكَ الْأَيْكَأَءَ بِغَيْرِ حَيَّ ذَلِكَ بِمَاعَصَواْ وَكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۞ • لَيْسُواْ سَوَاءً مِنْ أَهْلِ ٱلْكِنْكِ أَمَّةٌ فَآيِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَنَوَاهَ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۞ يُوْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَسْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكِرِ وَيُسَدِعُونَ فِي ٱلْخَيْزَةِ وَأُولَتِهِكَ مِنَ ٱلصَّلِيحِينَ وَمَايَمْعَلُواْمِنْخَيْرِفَلَن يُكَفِّرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ إِلَّا مُعَيْرِ الْمُعَلِّمُ الْمُثَقِيرِ ﴾ PRESENCE " LEGISLES!

والسرور والنعيم والحبور الذي ظهرت آثاره على وجوههم كما قال تعالى: ﴿ولقاهم نضرة وسروراً ﴾ نضرة في وجوههم وسروراً في قلوبهم، وقالً تعالى: ﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ ﴿فأما الذين اسودت وجوههم كه فيقال لهم على وجه التوبيخ والتقريع: ﴿أَكْفُرْتُمْ بعد إيمانكم أي: كيف آثرتم الكفر والضلال على الإيمان والهدى؟ وكيف تركتم سبيل الرشاد وسلكتم طريق الغي؟ ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون، فليس يليق بكم إلا النار، ولا تستحقون إلا الخزي والفضيحة والعار ﴿وأما الذين ابيضت وجوههم﴾ فيهنؤون أكمل تهنئة ويبشرون أعظم بشارة، وذلك أنهم يبشرون بدخول الجنات ورضى ربهم ورحمته ﴿ففي رحمة الله هم فيها خالدون ﴾ وإذا كانوا خالدين في الرحمة، فالجنة أثر من آثار رحمته تعالى، فهم خالدون فيها بما فيها من النعيم المقيم والعيش السليم، في جـوار أرحـم الـراحمـين، لما بـين الله لرسوله ﷺ الأحكام الأمرية والأحكام الجزائية قال: ﴿تلك آيات الله نتلوها﴾ أي: نقصها ﴿عليك بالحق﴾ لأن أوامره ونواهيه مشتملة على الحكمة والرحمة وثوابها وعقابها، كذلك مشتمل

على الحكمة والرحمة والعدل الخالي من الظلم، ولهذا قال: ﴿وما الله يريد ظلماً للعالمين﴾ نفى إرادته ظلمهم فضلاً عن كونه يفعل ذلك فلا ينقص أحداً شيئاً من حسناته، ولا يزيد في ظلم الظالمين، بل يجازيهم بأعمالهم فقط، ثم قال تعالى:

﴿١٠٩﴾ ﴿وشما في السماوات وما في الأمور﴾ وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور﴾ أي: هو المالك لما في السماوات وما في الأرض، الذي خلقهم ورزقهم ويتصرف فيهم بقدره وقضائه، وفي شرعه وأمره، وإليه يرجعون يوم القيامة فيجازيهم بأعمالهم حسنها.

﴿١١٠ ـ ١١٠﴾ ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون \* لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون \* ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كه يمدح تعالى هذه الأمة ويخبر أنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتكميلهم لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله وجهادهم على ذلك وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغيهم وعصيانهم، فبهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس، لما كانت الآية السابقة وهي قوله: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ أمراً منه تعالى لهذه الأمة، والأمر قد يمتثله المأمور ويقوم به، وقد لا يقوم به ، أخبر في هذه الآية أن الأمة قد قامت بما أمرها الله بالقيام به، وامتثلت أمر ربها واستحقت الفضل على سائر الأمم ﴿ولو آمن أهل الكتاب

لكان خيراً لهم﴾ وفي هذا من دعوته بلطف الخطاب ما يدعوهم إلى الإيمان، ولكن لم يؤمن منهم إلا قليل، وأكثرهم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله المعادون لأولياء الله بأنواع العداوة، ولكن من لطف الله بعباده المؤمنين أنه رد كيدهم في نحورهم، فليس على المؤمنين منهم ضرر في أديانهم ولا أبدانهم، وإنما غاية ما يصلون إليه من الأذي أذية الكلام التي لا سبيل إلى السلامة منها من كلّ معادي، فلو قاتلوا المؤمنين لولوا الأدبار فرارأ ثم تستمر هزيمتهم ويدوم ذلهم ولا هم ينصرون في وقت من الأوقات، ولهذا أخبر تعالى أنه عاقبهم بالذلة في بواطنهم والمسكنة على ظواهرهم، فلا يستقرون ولا يطمئنون ﴿ إِلَّا بِحِيلِ ﴾ أي: عهد ﴿ مِن اللهِ وحبل من الناس) فلا يكون اليهود إلا تحت أحكام المسلمين وعهدهم، تؤخذ منهم الجزية ويستذلون، أو تحت أحكام النصارى وقد ﴿باؤوا﴾ مع ذلك ﴿ مِنْ صَبِ مِنْ اللهِ ﴾ وهذا أعظم العقوبات، والسبب الذي أوصلهم إلى هذه الحال ذكره الله بقوله : ﴿ذَلَكُ بِأَنَّهُمُ كانوا يكفرون بآيات الله التي أنزلها الله على رسوله محمد ﷺ الموجبة لليقين والإيمان، فكفروا بها بغياً وعناداً ﴿ويقتلون الأنبياء بغير حق، أي: يقابلون أنبياء الله الذين يحسنون إليهم أعظم إحسان بأشر مقابلة، وهو القتل ، فهل بعد هذه الجراءة والجناية شيء أعظم منها، وذلك كله بسبب عصيانهم واعتدائهم، فهو الذي جرأهم على الكفر بالله وقتل أنبياء الله، ثم قال تعالى:

﴿ ١١٥ ـ ١١٥ ﴾ ﴿ ليسوا سوآء من أهل الكتاب أمة قآئمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون \* يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين \* وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ﴾ لما بين تعالى الفرقة الفاسقة من أهل الكتاب وبين أفعالهم وعقوباتهم،

CARACTO RECERDED.

ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور \* إن تمسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط﴾ ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يتخذوا بطانة من المنافقين من أهل الكتاب وغيرهم يظهرونهم على سرائرهم أو يولونهم بعض الأعمال الإسلامية وذلك أنهم هم الأعداء الذين امتلأت قلوبهم من العداوة والبغضاء فظهرت على أفواههم ﴿وما تخفى صدورهم أكبر، ما يسمع منهم فلهذا ﴿لا يألونكم خبالا ﴾ أي: لا يقصرون في حصول الضرر عليكم والمشقة وعمل الأسباب التي فيها ضرركم ومساعدة الأعداء عليكم قال الله للمؤمنين ﴿قدبينا لكم الآيات﴾ أى: التي فيها مصالحكم الدينية والدنيوية ﴿لعلكم تعقلون﴾ فتعرفونها وتفرقون بين الصديق والعدو، فليس كل أحد يجعل بطانة، وإنما العاقل من إذا ابتلى بمخالطة العدو أن تكون مخالطة في ظاهره ولا يطلعه من باطنه على شيء ولو تملق له وأقسم أنه من أوليائه قال الله مهيجاً للمؤمنين على الحذر من هؤلاء المنافقين من أهل الكتاب، ومبيناً شدة عداوتهم ﴿هاأنتم ﴿١١٦ ـ ١١٧﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفُرُوا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون \* مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴾ يخبر تعالى أن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً، أي: لا تدفع عنهم شيئاً من عذاب الله ، ولا تجدي عليهم شيئاً من ثواب الله، كما قال تعالى: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفي إلا من آمن وعمل صالحاً ﴾ بل تكون أموالهم وأولادهم زاداً لهم إلى النار، وحجة عليهم في زيادة نعم الله عليهم، تقتضي منهم شكرها، ويعاقبون على عدم القيام بها وعلى كفرها، ولهذا قال: ﴿أُولَئُكُ أَصِحَابِ النار هم فيها خالدون،

ثم ضرب مثلاً لما ينفقه الكفار من أموالهم التي يصدون بها عن سبيل الله ويستعينون بها على إطفاء نور الله، بأنها تبطل وتضمحل، كمن زرع زرعاً يرجو نتيجته ويؤمل إدراك ريعه، فبينما هو كذلك إذ أصابته ريح فيها صر، أي: برد شديد محرق، فأهلكت زرعه، ولم يحصل له إلا التعب والعناء وزيادة الأسف، فكذلك هؤلاء الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفُرُوا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ﴾ ﴿وما ظلمهم الله بإبطال أعمالهم ﴿ولكن﴾ كانوا ﴿أتفسهم يظلمون محيث كفروا بآيات الله وكذبوا رسوله وحرصوا على إطفاء نور الله، هذه الأمور هي التي أحبطت أعمالهم وذهبت بأموالهم، ثم قال

﴿١١٨ \_ ١٢٠﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون \* ها أنتم أولاء تحبونهم

بين هاهنا الأمة المستقيمة، وبين أفعالها وثوابها، فأخبر أنهم لا يستوون عنده، بل بينهم من الفرق ما لا يمكن وصفه، فأما تلك الطائفة الفاسقة فقدمضى وصفهم، وأما هؤلاء المؤمنون، فقال تعالى منهم ﴿أمة قائمة ﴾ أي: مستقيمة على دين الله، قائمة بما ألزمها الله به من المأمورات، ومن ذلك قيامها بالصلاة ﴿ يَسَلُونَ آيِاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيلِ وهِمَ يسجدون اوهذا بيان لصلاتهم في أوقات الليل وطول تهجدهم وتلاوتهم لكتاب ربهم وإيثارهم الخضوع والركوع والسجود له ﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ أي: كإيمان المؤمنين إيماناً يوجب لهم الإيمان بكل نبي أرسله، وكل كتاب أنزله الله، وخص الإيمان باليوم الآخر لأن الإيمان الحقيقي باليوم الآخر يحث المؤمن به على ما يقر به إلى الله، ويثاب عليه في ذلك اليوم، وترك كل ما يعاقب عليه في ذلك اليوم ﴿ويأمرون بالمعروف وينهون عن ألمنكر ﴾ فحصل منهم تكميل أنفسهم بالإيمان ولوازمه، وتكميل غيرهم بأمرهم بكل خير، ونهيهم عن كل شر، ومن ذلك حثهم أهل دينهم وغيرهم على الإيمان بمحمد ﷺ، ثم وصفهم بالهمم العالية ﴿و﴾ أنهم ﴿يسارعون في الخيرات﴾ أي: يبادرون إليها فينتهزون الفرصة فيها، ويفعلونها في أول وقت إمكانها، وذلك من شدة رغبتهم في الخير ومعرفتهم بفوائده وحسن عوائده، فهؤلاء الذين وصفهم الله بهذه الصفات الجميلة والأفعال الجليلة ﴿من الصالحين﴾ الذين يدخلهم الله في رحمته ويتغمدهم بغفرانه وينيلهم من فضله وإحسانه، وأنهم مهما فعلوا ﴿من خير﴾ قليلاً كان أو كثيراً ﴿فلن يكفروه ﴾ أي: لن يحرموه ويفوتوا أجره، بل يثيبهم الله على ذلك أكمل ثواب، ولكن الأعمال ثوابها تبع لما يقوم بقلب صاحبها من الإيمان والتقوى، فلهذا قبال ﴿والله عليم بالمتقين ﴾ كما قال تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين،

MOVEDON IN CONTROL

أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله أي: جنس الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه وهم لا يؤمنون بكتابكم، بل إذا لقوكم أظهروا لكم خلوا عضوا عليكم الأنامل وهي أطراف الأصابع من شدة غيظهم عليكم ﴿قل موتوا بغيظكم إن الله عليم للمؤمنين أن هؤلاء الذين قصدوا للمؤمنين أن هؤلاء الذين قصدوا غيظهم لا يقدرون على تنفيذه، بل لا يزالون معذبين به حتى يموتوا فيتنقلوا من عذاب الدنيا إلى عذاب الآخرة.

﴿إِن تَمسكم حسنة ﴾ كالنصر على الأعداء وحصول الفتح والغنائم وتسؤهم ﴾ أي: تغمهم وتحزنهم ﴿وإِن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط ﴾ فإذا أتيتم بالأسباب التي وعد الله عليها النصر وهي الصبر والتقوى لم يضركم مكرهم، بل يجعل الله مكرهم في نحورهم لأنه عيط بهم علمه وقدرته فلا منفذ لهم عن ذلك ولا يخفى عليهم منهم شيء.

﴿ ١٢١ \_ ١٢١﴾ ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم \* إذ همت طائفتان منكم أن تفسلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل

المؤمنون﴾. هذه الآيات نزلت في وقعة «أحد»، وقصتها مشهورة في السير والتواريخ، ولعل الحكمة في ذكرها في هذا الموضع، وأدخل في أثَّنائها وقعة «بدر» لما أنّ الله تعالى قد وعد المؤمنين أنهم إذا صبروا واتقوا نصرهم، ورد كيد الأعداء عنهم، وكان هذا حكماً عاماً ووعداً صادقاً لا يتخلف مع الإتيان بشرطه، فذكر نموذجاً من هذا في هاتين القصتين، وأن الله نصر المؤمنين في «بدر» لما صبروا واتقوا، وأدال عليهم العدو لما صدر من بعضهم من الإخلال بالتقوى ما صدر، ومن حكمة الجمع بين القصتين أن الله يحب من عباده إذا أصابهم ما يكرهون أن يتذكروا ما يحبون، فيخف عنهم البلاء ويشكروا الله على نعمه العظيمة التي إذا قوبلت بما ينالهم من المكروه الذي هو في الحقيقة خير لهم، كان المكروه بالنسبة إلى المحيوب نزراً يسيراً، وقد أشار تعالى إلى هذه الحكمة في قوله ﴿أُولَا أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها ﴾ وحاصل قضية «أحد» وإجمالها أن المشركين لما رجع فُلهم من "بدر" إلى مكة، وذلك في سنة اثنتين من الهجرة، استعدوا بكل ما يقدرون عليه من العدد بالأموال والرجال والعُدد، حتى اجتمع عندهم من ذلك ما جزموا بحصول غرضهم وشفاء غيظهم، ثم وجهوا من مكة للمدينة في ثلاثة آلاف مقاتل، حتى نزلوا قرب المدينة، فخرج النبي على اليهم هو وأصحابه بعد المراجعة والمشاورة حتى استقر رأيهم على الخروج، وخرج في ألف، فلما ساروا قليلاً رجع عبد الله بن أبي المنافق بثلث الجيش عن هو على مثل طريقته، وهمت طائفتان من المؤمنين أن يرجعوا وهم بنو سلمة وبنو حارثة فثبتهم الله، فلما وصلوا إلى أحد رتبهم النبي ﷺ في مواضعهم وأسندوا ظهورهم إلى أحد، ورتب النبي ﷺ خمسين رجلاً من أصحابه في خلة في جبل اأحدا وأمرهم أن يلزموا مكانهم ولا يبرحوا منه ليأمنوا أن يأتيهم أحدمن ظهورهم، فلما التقى السلمون

والمشركون انهزم المشركون هزيمة قبيحة وخلفوا معسكرهم خلف ظهورهم، واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فلما رأهم الرماة الذين جعلهم النبى على في الجبل، قال بعضهم لبعض: الغنيمة الغنيمة، ما يقعدنا هاهنا والمشركون قدانهزموا، ووعظهم أميرهم عبدالله بن جبير عن المعصية فلم يلتفتوا إليه، فلما أخلوا موضعهم فلم يبق فيه إلا نفر يسير، منهم أميرهم عيدالله بن جبير، جاءت خيل المشركين من ذلك الموضع واستدبرت المسلمين وقاتلت ساقتهم، فجال المسلمون جولة ابتلاهم الله بها وكفر بها عنهم، وأذاقهم فيها عقوبة المخالفة، فحصل ما حصل من قتل من قُتلُ منهم، ثم إنهم انحازوا إلى رأس جبل «أحد» وكف الله عنهم أيدي المشركين والكفأوا إلى بلادهم، ودخل رسول الله على وأصحابه المدينة قال الله تعالى ﴿وَإِذْ عَدُوتَ مِنْ أَهْلُكُ ﴾ والغدو هاهنا مطلق الخروج، ليس المراد به الخروج في أول النهار، لأن السبي على وأصحابه لم يخرجوا إلا بعدما صلوا الجمعة ﴿تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال﴾ أي: تنزلهم وترتبهم كل في مقعده اللائق به، وفيها أعظم مدح للنبي ﷺ حيث هو الذي يباشر تدبيرهم وإقامتهم في مقاعد القتال، وما ذاك إلا لكمال علمه ورأيه، وسداد نظره وعلو همته، حيث يباشر هذه الأمور بنفسه وشجاعته الكاملة صلوات الله وسلامه عليه ﴿والله سميع ﴾ لجميع المسموعات، ومنه أنه يسمع ما يقول المؤمنون والمنافقون كل يتكلم بحسب ما في قلبه ﴿عليم ﴾ بنيات العبيد، فيجازيهم عليها أتم الجزاء، وأيضاً فالله سميع عليم بكم، يكلؤكم، ويتولى تدبير أموركم، ويؤيدكم بنصره كما قال تعالى لموسى وهارون ﴿إنني معكما أسمع وأرى) ومن لطفه بهم وإحسانه إليهم أنه، لما ﴿ همت طائفتان ﴾ من المؤمنين بالفشل وهم بنو سلمة وبنو حارثة كما تقدم ثبتهما الله تعالى نعمة عليهما وعلى سائر المؤمنين، فلهذا قال

فاقتتلوا، ونصر الله المسلمين نصراً

عظيماً، فقتلوا من المشركين سبعين

قتيلاً من صناديد المشركين وشجعانهم،

وأسروا سبعين، واحتووا على معسكرهم ستأتى \_إن شاء الله \_

CONTROL PROPERTY OF THE PROPER • وَسَارِعُوٓ إِلَّ مَغْفِرَةِ مِن زَّيْكُمْ وَجَنَّةٍ عَهْمُهَا ٱلسَّكَوَّتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ الْمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُسْفِفُونَ فِي ٱلمَّرَّاءِ وَٱلضَّرَّاءِ وَٱلْكَغِيمِ وَٱلْكَافِينَ عَنَ ٱلنَّالِينُ وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَنَحِسُةً أَوْظِلُمُواْ أَفْسَهُمْ ذَكُرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفُرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْضِرُ الذُّنُوبِ إِلَّا أَلَيَّهُ وَلَرْبَصِ رُّواعَلَىٰ مَافَعَلُواْ وَهُمْ يَعَلَمُونَ ۞ أُوْلَيْكَ جَزَّا وُهُمَّ مَغْفِرَةً يِّن نَيْهِرْ وَجَنَنَتُ تَحْدِي مِن غَيْنِكَ ٱلْأَنْهَارُ خَلِيدِنَ فِهَا وَمَعْـمَأَجْـرُٱلْعَـيِدِينَ ۞ قَدْخَلَتْ مِن قَبْلِكُمْسُنَنَّ مَي بِرُوا فِ ٱلأَرْضِ فَأَنظُرُواْ كَيْفَكَاتَ عَلَيْتُهُ ٱلْمُكَذِينَ۞ هَنَابَيَانُ لِلْنَاسِ وَهُدَى وَمَوْعِظَةٌ ٱلشَّقِينَ ﴿ وَلَاتِهِمُوا وَلَا غَنَّ رَفُوا رَأَنَّهُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُم مُؤْمِنِينَ ﴿ إِن يَسَسَكُونَ عُضَدَمَسَ الْفَوْمَ فَسَرْحٌ يُصْلُهُ وَيَلْكَ ٱلْأَبْثَامُ ثُدَاوِلُهَ ابْيَنَ ٱلْنَاسِ وَلِيَعْكَرَالَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِلَّ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَكَاآةً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّلِلِينَ ۞ TO THE WEST OF

يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض).

﴿ ١٢٧﴾ ﴿ ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين﴾ يخبر تعالى أن نصره عباده المؤمنين لأحد أمرين: إما أن يقطع طرفاً من الذين كفروا، أي: جانباً منهم وركناً من أركانهم، إما بقتل، أو أسر، أو استيلاء على بلد، أو غنيمة مال، فيقوى بذلك المؤمنون ويذل الكافرون، وذلك لأن مقاومتهم ومحاربتهم للإسلام تتألف من أشخاصهم وسلاحهم وأموالهم وأرضهم فبهذه الأمور تحصل منهم المقاومة والمقاتلة فقطع شيء من ذلك ذهاب لبعض قوتهم، الأمر الثاني أن يريد الكفار بقوتهم وكثرتهم، طمعاً في المسلمين، ويمنوا أنفسهم ذلك، ويحرصوا عليه غاية الحرص، ويبذلوا قواهم وأموالهم في ذلك، فينصر الله المؤمنين عليهم ويردهم خائبين لم ينالوا مقصودهم، بل يرجعون بخسارة وغم وحسرة، وإذا تأملت الواقع رأيت نصر الله لعباده المؤمنين دائراً بين هذين الأمرين، غير خارج عنهما إما نصر عليهم أو خذل

﴿۱۲۸ \_ ۱۲۹﴾ ﴿ليس لـك مـن الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون \* ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب

القصة في سورة الأنفال، فإن ذلك موضعها، ولكن الله تعالى هنا أتى بها ليتذكر بها المؤمنون ليتقوا ربهم ويشكروه، فلهذا قال ﴿فاتقوا الله لعلكم تشكرون﴾ لأن من اتقى ربه فقد شكره، ومن ترك التقوى فلم يشكره، إذ تقول يا محمد للمؤمنين يوم بدر مبشراً لهم بالنصر ﴿ أَلن يكفيكم أن بمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملاثكة منزلين \* بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا ﴾ أي: من مقصدهم هذا، وهو وقعة بدر ﴿ يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين أي: معلمين بعلامة الشجعان، فشرط الله لإمدادهم ثلاثة شروط: الصبر، والتقوي، وإتيان المشركين من فورهم هذا، فهذا الوعد بإنزال الملائكة المذكورين وإمدادهم بهم، وأما وعد النصر وقمع كيد الأعداء فشرط الله له الشرطين الأولين كما تقدم في قوله: ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ﴾ ﴿وما جعله الله الله الله الله أي: إمداده لكم بالملائكة ﴿إِلا بِشرى﴾ تستبشرون بها وتفرحون ﴿ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله ﴾ فلا تعتمدوا على ما معكم من الأسباب، بل الأسباب فيها طمأنينة لقلوبكم، وأما النصر الحقيقي الذي لا معارض له، فهو مشيئة الله لنصر من يشاء من عباده، فإنه إن شاء نصر من معه الأسباب كما هي سنته في خلقه، وإن شاء نصر المستضعفين الأذلين ليبين لعباده أن الأمر كله بيديه، ومرجع الأمور إليه، ولهذا قال ﴿عند الله العزيز الله يمتنع عليه مخلوق، بل الخلق كلهم أذلاء مدبرون تحت تدبيره وقهره ﴿الحكيم﴾الذي يضع الأشياء مواضعها، وله الحكمة في إدالة الكفار

في بعض الأوقات على المسلمين إدالة

غير مستقرة، قال تعالى: ﴿ذَلَكُ وَلُو

﴿والله وليهما ﴾ أي: بولايته الخاصة، التي هي لطفه بأوليائه، وتوفيقهم لما فيه صلاحهم وعصمتهم عمافيه مضرتهم، فمن توليه لهما أنهما لما هما بهذه المعصية العظيمة وهي الفشل والفرار عن رسول الله عصمهما، لما معهما من الإيمان كما قال تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ ثم قال ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ففيها الأمر بالتوكل الذي هو اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار، مع الشقّة بالله، وأنَّه بحسب إيمان العبد يكون توكله، وأن المؤمنين أولى بالتوكل على الله من غيرهم، وخصوصاً في مواطن الشدة والقتال، فإنهم مضطرون إلى التوكل والاستعانة بربهم والاستنصار له، والتبري من حولهم وقوتهم، والاعتماد على حول الله وقوته، فيذلك ينصرهم ويدفع عنهم البلايا والمحن، ثم قال تعالى:

﴿۱۲۳ ـ ۱۲۳﴾ ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأتتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون \* إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين # بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين \* وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عندالله العزيز الحكيم ﴿ وهذا امتنان منه على عباده المؤمنين، وتذكير لهم بما نصرهم به يوم بدر وهم أذلة في قلة عددهم وعُددهم مع كثرة عدد عدوهم وعُددهم، وكانت وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة، خرج النبي ﷺ من المدينة بثلاث مئة وبضعة عشر من أصحابه، ولم يكن معهم إلا سبعون بعيرا وفرَسانِ لطلب عير لقريش قدمت من الشام، فسمع به المشركون فتجهزوا من مكة لفكاك عيرهم، وخرجوا ني زهاء ألف مقاتل مع العدة الكاملة والسلاح العام والخيل الكثيرة، فالتقوا هم والمسلمون في ماء يقال له «بدر» بين مكة والمدينة

من يشاء والله غفور رحيم لل جرى یوم «أحد» ما جرى، وجرى على النبى ﷺ مصائب، رفع الله بها درجته، فشج رأسه وكسرت رباعيته، قال «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم» وجعل يدعو على رؤساء من المشركين مثل أبي سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، أنزل الله تعالى على رسوله نهياً له عن الدعاء عليهم باللعنة والطرد عن رحمة الله ﴿ ليس لنك من الأمر شيء ﴾ إنما عليك البلاغ وإرشاد الخلق والحرص على مصالحهم، وإنما الأمر لله تعالى هو الذي يدبر الأمور، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء، فلا تدع عليهم بل أمرهم راجع إلى ربهم، إن اقتضت حكمته ورحمته أن يتوب عليهم ويمن عليهم بالإسلام فعل، وإن اقتضت حكمته إبقاءهم على كفرهم وعدم هدايتهم، فإنهم هم الذين ظلموا أنفسهم وضروها وتسببوا بذلك، فعل، وقد تاب الله على هؤلاء المعينين وغيرهم، فهداهم للإسلام رضى الله عنهم، وفي هذه الآية مما يدل على أن اختيار الله غالب على اختيار العباد، وأن العبد وإن ارتفعت درجته وعلا قدره قد يختار شيئاً وتكون الخيرة والمصلحه في غيره، وأن الرسول ﷺ ليس له من الأمر شيء فغيره من باب

أولى، ففيها أعظم رد على من تعلق

السفر الأول من هذا التفسير المبارك بالأنبياء أو غيرهم من الصالحين بيسر من الله وإعانة فله الحمد والشكر وغيرهم، وأن هذا شرك في العبادة، والثناء وأسأله المزيد من فضله وكرمه نقص في العقل، يتركون من الأمر كله وإحسانه، ويليه المجلد الثاني، أوله له ويدعون من لا يملك من الأمر قول الباري جل جلاله يا أيها الذين مثقال ذرة، إن هذا لهو الضلال آمنوا لاتأكلوا الربا أضعافأ مضاعفة البعيد، وتأمل كيف لما ذكر تعالى توبته الآية وذلك في تسع وعشرين من شهر عليهم أسند الفعل إليه، ولم يذكر منهم ربيع الأول من سنة ١٣٤٣ ثالث سبباً موجباً لذلك، ليدل ذلك على أن النعمة محض فضله على عبده، من غير النبوية وصلى الله على محمد وسلم سبق سبب من العبد ولا وسيلة، ولما ذكر العذاب ذكر معه ظلمهم، ورتبه على العذاب بالفاء المفيدة للسببية، فقال ﴿أُو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾ ليدل ذلك على كمال عدل الله وحكمته، حيث وضع العقوبة موضعها، ولم يظلم عبده بل العبد هو الذي ظلم نفسه، ولما نفي عن رسوله أنه ليس له من الأمر شيء

قرر من الأمر له فقال ﴿ولله ما في

السماوات وما في الأرض) من

الملائكة والإنس والجن والحيوانات

والأفلاك والجمادات كلها، وجميع ما

في السماوات والأرض، الكل ملكَ لله

مخلوقون مدبرون متصرف فيهم تصرف

الماليك، فليس لهم مثقال ذرة من

الملك، وإذا كانوا كذلك فهم دائرون

بين مغفرته وتعذيبه فيغفر لمن يشاء بأن

يهديه للإسلام فيغفر شركه ويمن عليه

بترك العصيان فيغفر له ذنبه، ﴿ويعذب

من يشاء ﴾ بأن يكله إلى نفسه الجاهلة

الظالمة المقتضية لعمل الشر فيعمل الشر

ويعذبه على ذلك، ثم ختم الآية

باسمين كريمين دالين على سعة رحمته

وعموم مغفرته وسعة إحسانه وعميم

إحسانه، فقال ﴿والله عَفُورِ رحيم﴾

ففيها أعظم بشارة بأن رحمته غلبت

غضبه، ومغفرته غلبت مؤاخذته،

فالآية فيها الإخبار عن حالة الخلق وأن

منهم من يغفر الله له ومنهم من يعذبه،

فلم يختمها باسمين أحدهما دال على

الرحمة، والثاني دال على النقمة، بل

ختمها باسمين كليهما يدل على الرحمة،

فله تعالى رحمة وإحسان سيرحم بها

عباده لا تخطر ببال بشر ، ولا يدرك لها

وصف، فنسأله تعالى أن يتغمدنا

ويدخلنا برحمته في عباده الصالحين. تم

المجلد الثاني من تيسير الكريم المنان في تغسير كلام الرحمن لجامعه الفقير إلى الله: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي غفر الدله ولوالديه وللمسلمين أمين.

وأربعين وثلاث مئة وألف من الهجرة

تسليما كشيرا بقلم جامعه

عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله

السعدي غفر الله له ولوالديه وإخوانه

المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد شنحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، واشمهم ان لا إلمه إلا الله وحمده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله على تسليماً كثيراً قال تعالى:

﴿ ١٣٠ \_ ١٣٦﴾ ﴿ يِهَا أَيِّهَا اللَّذِينَ آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون \* واتقوا النار التي أعدت للكافرين \* وأطبيعوا الله والبرسول لنعملكم ترحمون \* وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين \* الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين \* والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يعفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون \* أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين،

تقدم في مقدمة هذا التفسير أن العبد ينبغي له مراعاة الأوامر والنواهي الجزء الرابع م

في نفسه وفي غيره، وأن الله تعالى إذا أمره بـأمـر وجـب عـليه \_أولاً \_أن يعرف حده، وما هو الذي أمربه، ليتمكن بذلك من امتثاله، فإذا عرف ذلك اجتهد، واستعان بالله على امتثاله في نفسه وفي غيره، بحسب قدرته وإمكانه، وكذلك إذا نهى عن أمر عرف حده، وما يدخل فيه وما لا يدخل، ثم اجتهد واستعان بربه في تركه، وأن هذا ينبغي مراعاته في جميع الأوامر الإلهية والنواهي، وهذه الآيات الكريمات قد اشتملت على أوامر وخصال من خصال الخير، أمر الله [بها] وحث على فعلها، وأخبر عن جزاء أهلها، وعلى نواهي حث على

ولعل الحكمة \_والله أعلم \_في إدخال هذه الآيات أثناء قصة «أحد» أنه قىدتقىدمأن اللهتعالي وعدعباده المؤمنين، أنهم إذا صبروا واتقوا نصرهم على أعدائهم، وخذل الأعداء عنهم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ﴾.

ثم قال: ﴿بلي إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم ﴾ الآيات.

فكأنَّ النفوس اشتاقت إلى معرفة خصال التقوى، التي يحصل بها النصر والفلاح والسعادة، فذكر الله في هذه الآيات أهم خصال التقوى التي إذا قام العبد بها فقيامه بغيرها من باب أولى وأحرى، ويدل على ما قلنا أن الله ذكر لفظ «التقوى» في هذه الآيات ثلاث مرات: مرة مطّلقة وهي قوله: ﴿أعدت للمتقين﴾ ومرتين مقيدتين، فقال: ﴿واتقوا اللهِ ﴿واتقوا النارِ﴾ فقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ كل ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الذين آمنوا﴾ افعلوا كذا، أو اتركوا كذا، يدل على أن الإيمان هو السبب الداعى والموجب لامتثال ذلك الأمر، واجتناب ذلك النهي؛ لأن الإيمان هو التصديق الكامل بما يجب التصديق به، المستلزم لأعمال الجوارح، فنهاهم عن أكل الربا أضعافاً مضاعفة، وذلك هو

ما اعتاده أهل الجاهلية، ومن لا يبالي بالأوامر الشرعية من أنه إذا حل الدين على المعسر ولم يحصل منه شيء، قالوا له: إما أن تقضى ما عليك من الدين، وإما أن نزيد في المدة، ويزيد ما في ذمتك، فيضطر ألفقير ويستدفع غريمة ويلتزم ذلك، اغتناماً لراحته الحاضرة، فيزداد - بذلك - ما في ذمته أضعافاً مضاعفة، من غير نفع وأنتفاع.

ففي قوله: ﴿أَضِعَافَا مِضَاعَفَةٍ﴾ تنبيه على شدة شناعته بكثرته، وتنبيه لحكمة تحريمه، وأن تحريم الربا حكمته أن الله منع منه لما فيه من الطلم.

وذلك أن الله أوجب إنظار المعسر، وبقاء ما في ذمته من غير زيادة، فإلزامه بما فوق ذلك ظلم متضاعف، فيتعين على المؤمن المتقى تركه وعدم قربانه، لأن تركه من موجبات التقوي .

والفلاح متوقف على التقوى، فلهذا قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلُحُونَ \* واتقوا النار التي أعدت للكافرين، بترك ما يوجب دخولها، من الكفر والمعاصي، على اختلاف درجاتها، فإن المعاصي كلها .. وخصوصاً المعاصي الكبار - تجر إلى الكفر، بل هي من خصال الكفر الذي أعد الله آلنار لأهله، فترك المعاصى ينجى من النار، ويقى من سخط الجبار، وأفعال الخير والطاعة توجب رضا الرحمن، ودخول الجنان، وحصول الرحمة، ولهذا قال: ﴿وأطيعوا الله والبرسول﴾ بفعل الأوامر امتثالا، واجتناب النواهي ﴿لعلكم ترحمون﴾

فطاعة الله وطاعة رسوله، من أسباب حصول الرحمة كما قال تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاةُ ﴾ الآيات.

ثم أمرهم تعالى بالمسارعة إلى مغفرته وإدراك جنته التي عرضها السماوات والأرض، فكيف بطولها، التي أعدها الله للمتقين، فهم أهلها وأعمالً التقوى هي الموصلة إليها، ثم وصف المتقين وأعمالهم، فقال: ﴿اللَّهِن ينفقون في السراء والضراء﴾ أي: في

يَنَاتُهُا ٱلَّذِي ءَاسَنُوَّا إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَعَمُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٓ أَعْقَابِكُمْ فَنَعَلِبُواْ خَلِيرِينَ @ بَلِ اللَّهُ مُولَد كُمٌّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّصِيف ۞ كُنْلِقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَيْمُ وَأَالْرُعْبِ بِمَا أَشْرَكُواْ مَالَهُ مَا لَهُ ثُمَالًا ثُمَالًا لِيهِ عَسُلُطَكُمَا وَمَسَاْوَنَهُمُ ٱلنَّاارُّوَيَشُوَ مَنْوَكِ ٱلظَّلِلِينِ ۞ وَلَقَـٰدُ صَدَّفَكُمُ اللَّهُ وَعَدَهُ وَإِذْ نَحُسُونَهُم بِإِذْ نِيْ عَحَقَى إذَا فَيْسَلْتُهُ وَتَسْتَزَعْتُ ذِفِ ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُ وَيْنِ بَعْدِ مَا آرَيْڪُم مَّا يُحْبُونَ مِنڪُم مَّن يُرِيدُ الدُنْيَا وَمِنكُم مِّن رُبِيدُ ٱلْآخِرَةَ ثُمَّ مَبَرُفَكُمُ عَنْهُ وْلِيَنْتَلِيكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَأَقَدُوفُنْ إِ عَلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ ﴿ إِذْ تُصَمِّعِهُ وَبَ وَلَاتَنَّاوُونَ عَلَىٰٓ لَكَ وَالرَّسُولُ يَنْعُوكُمْ فِي أَخْرَنْكُمْ فَأَثَنَبَكُمْ عَمَّاٰ بِعَنِمْ لِيكِيمُ لِيكَ بَلَا تَحْسَرُ فُواْ عَكُلُ مَا المَّا اللهُ DESIDE " BORGEON

حال عسرهم ويسرهم، إن أيسروا أكثروا من النفقة، وإن أعسروا لم يحتقروا من المعروف شيئاً ولو قل.

﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ أي: إذا حصل لهم من غيرهم أذية توجب غيظهم ـ وهـو امتلاء قلوبهم من الحنق، الموجب للانتقام بالقول والفعل \_، هؤلاء لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية، بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ، ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم.

﴿والعافين عن الناس﴾ يدخل في العفو عن الناس، العفو عن كل من أساء إليك بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم، لأن العفو ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء، وهذا إنما يكون ممن تحلى بالأخلاق الجميلة، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، وبمن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله رحمة بهم، وإحساناً إليهم، وكراهة لحصول الشر عليهم، وليعفُّو الله عنه، ويكون أجره على ربه الكريم، لا على العبد الفقير، كما قال تعالى: ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله 🌣 .

ثم ذكر حالة أعم من غيرها، وأحسن وأعلى وأجل، وهمي الإحسان، فقال [تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحَبُّ المحسنين والإحسان نوعبان: الإحسان في عبادة الخالق. [والإحسان إلى المخلوق، فالإحسان في عبادة

CHELLING T 6期以 原创 ثُمَّ أَنْلَ عَلَيْكُم مِنْ بَعْدِ الْغَيْمَ أَمَنَةُ نَقُ اسَا يَعْشَى طَآهِفَةً مِنكُمُ وَطَآبِفَةً قَدْ أَهَمَّتُهُمْ أَهْمُهُمْ يَظُنُونَ بِأَلَّهِ عَيْرَ ٱلْحَقِّ ظُنَّ ٱلْجَهِلِنَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَامِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيَّءُقُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَكُلِّهُ مُعِنَّفُونَ فِي أَنْشِيهِم مَّا لَابِنُدُونَ لَكَّ ۖ يَقُولُونَ لَوْكَانَ لَنَامِنَ ٱلْأَمْرِشَى ۚ مَا قُيْلَنَا هَفُنَّا قُلُ لَوْكُنتُهُ فِيُونِكُرُ لَمَزَ ٱلَّذِيكَ كُيْبَ عَلَيْهِمُ ٱلْفَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمَّ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُنْدَجْصَ مَا فِي قُلُوبِكُوُّ وَآلَقَهُ عَلِيمُ إِذَاتِ الصُّدُودِ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِسَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَ ٱلْجَنِعُ كَانِ إِمَّا ٱلسِّنَزَلَّهُمُ ٱلشَّبْطَنُ بِبَعْضِ مَا كُسُرُوٓآ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُم م إِنَّ اللَّهَ عَنْهُ رُحِلِيدٌ ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَانَّكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُواْ لِإِخْوَلِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِ ٱلْأَرْضِ أَوْكَانُواْ عُنْزًى لَوْكَانُواْ عِندَنَا مَا مَا نُواْ وَمَاقِنُلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي فُلُوبِهِمُّ وَاللَّهُ عُيْءَوَيُسِتُ وَٱللَّهُ يِمَا تَعْسَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَلَيْنِ قَيْلُمٌّ فِي سَيِيلِٱللَّهِ أَوْمُشُمْ لِلْقَفِرَةُ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ خَيْرُ مِنَا يَجْمَعُونَ ۞ MODERON VERTOES

فسرها النبي ﷺ بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

الخالق](١)

وأما الإحسان إلى المخلوق، فهو السال النفع الديني والدنيوي إليهم، ودفع الشر الديني والدنيوي عنهم، فيدخل في ذلك أمرهم بالمعروف، وتعليم عن المنكر، وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، والنصيحة لعامتهم، والسعي في جمع كلمتهم، والسعي في جمع كلمتهم، والستحبة إليهم، على اختلاف أحوالهم وتباين أوصافهم، فيدخل في أحوالهم وتباين أوصافهم، فيدخل في واحتمال الأذى، كما وصف الله به المتين في هذه الآيات، فمن قام بهذه الأمور، فقد قام بحق الله وحق

ثم ذكر اعتذارهم لربهم من جناياتهم وذنوبهم، فقال: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ﴾ أي: صدر منهم أعمال [سيئة] (٢) كبيرة، أو ما دون ذلك، بادروا إلى الستوبة والاستغفار، وذكروا ربهم، وما توعد به المتقين، فسألوه المغفرة لذنوبهم، والستر لعيوبهم، مع إقلاعهم عنها وندمهم عليها، فلهذا

قال: ﴿ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾

﴿أُولِمُمْكُ الموصوفون يسلك الصفات ﴿جَزَاؤَهُم مَغْفَرة مِن رَجِمُ ﴾ تزيل عنهم كل محذور، ﴿وجنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ فيها من النعيم والبهجة والسرور والبهاء ، والخير والسرور، والقصور والمنازل الأنيقة العاليات، والأشجار الشمرة المساكن الطيبات، ﴿خالدين فيها ﴾ المساكن الطيبات، ﴿خالدين فيها ﴾ لا يحولون عنها، ولا يبغون بها بدلا، أجر العاملين ﴾ عملوا لله قليلاً فأجروا كثيراً ف عند الصباح يحمد القوم السري، وعند الجزاء يجد العامل أجر كاملاً موفراً.

وهذه الآيات الكريمات من أدلة أهل السنة والجماعة، على أن الأعمال تدخل في الإيمان، خلافاً للمرجئة، ووجه الدلالة إنما يتم بذكر الآية، التي سورة الحديد، نظير هذه الآيات، في سورة الحديد، نظير هذه الآيات، من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذيين آمنوا بالله ورسله فلم يذكر فيها إلا لفظ الإيمان به وبرسله، وهنا قال: ﴿أعدت للمتقين بهذه المحتقين بهذه المتقين بهذه الموالئة والبدنية، فدل على أن هؤلاء المتقين الموصوفين بهذه الصفات هم أولئك المؤمنون.

(۱۳۷ – ۱۳۸) شم قال تعالى: ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الكذبين \* هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقن﴾

وهذه الآيات الكريمات، وما بعدها في قصة «أحد» يعزي تعالى عباده المؤمنين ويسليهم، ويخبرهم أنه مضى قبلهم أجيال وأمم كثيرة، امتحنوا، وابتلي المؤمنون منهم بقتال الكافرين، فلم يزالوا في مداولة ومجاولة، حتى جعل الله العاقبة

للمتقين، والنصر لعباده المؤمنين، وآخر الأمر حصلت الدولة على المكذبين، وخذلهم الله بنصر رسله وأتباعهم.

﴿ فسيروا في الأرض ﴾ بأبدانكم وقلوبكم ﴿ فانظروا كيف كان عاقبة المكفيين ﴾ فإنكم لا تجدوبم إلا معذبين بأنواع العقوبات الدنيوية ، قد خوت ديارهم ، وتبين لكل أحد خسارهم ، وذهب عزهم وملكهم ، وزال بذخهم وفخرهم ، أفليس في هذا أعظم دليل ، وأكبر شاهد على صدق ما جاءت به الرسل؟!!

وحكمة الله التي يمتحن بها عباده، ليبلوهم ويتبين صادقهم من كاذبهم، ولهذا قال تعالى: ﴿هذا بيان للناس﴾ أي: دلالة ظاهرة، تبين للناس الحق من الباطل، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، وهو الإشارة إلى ما أوقع الله بالكذبين.

﴿وهدى وموعظة للمتقين﴾ لأنهم هم المنتفعون بالآيات فتهديهم إلى سبيل الرشاد، وتعظهم وتزجرهم عن طريق الغي، وأما باقي الناس فهي بيان لهم، تقوم [به] عليهم الحجة من الله، ليهلك من هلك عن بينة.

ويحتمل أن الإشارة في قوله: ﴿هذا بِيان للناس﴾ للقرآن العظيم، والذكر الحكيم، وأنه بيان للناس عموماً، وهدى وموعظة للمتقين خصوصاً، وكلا المعنين حق.

﴿ ١٣٩ \_ ١٣٩ ﴾ ﴿ ولا تهند من ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين \* إن يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين \* وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين \* أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ويعلم الصابرين \* ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون يقول تعالى مشجعاً

لعباده المؤمنين، ومقوياً لعزائمهم، ومنهضاً لهممهم: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا﴾ أي: ولا تهنوا وتضعفوا في أبدانكم، ولا تحزنوا في قلوبكم، عندما أصابتكم المصيبة، وابتليتم صِذْه البلوى، فإن الحزن في القلوب، والوهن على الأبدان، زيادة مصيبة عليكم، وعون لعدوكم عليكم، بل شجعوا قلوبكم وصبروها، وادفعوا عنها الحزن وتصلُّبوا على قتال عدوكم، وذكر تعالى أنه لا ينبغى ولا يليق بهم الوهن والحزن، وهم الأعلون في الإيمان، ورجاء نصر الله وثوابه، فالمؤمن المتيقن ما وعده الله من الثواب الدنيوي والأخروي لا ينبغى منه ذلك، ولهذا قال [تعالى:] ﴿ وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ .

ثم سلاً هم بما حصل لهم من الهزيمة ، وبيَّن الحِكَمَ العظيمة المترتبة على ذلك ، فقال : ﴿إِن يمسكم قرحٌ فقد مسَّ القوم قرح مثله ﴾ فأنتم وإياهم قد تساويتم في القرح ، ولكنكم ترجون من الله ما لا يرجون كما قال تعلى : ﴿إِن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون من الله ما لا يرجون هن الله ما لا يرجون هن الله ما لا يرجون هن الله ما

ومن الحكم في ذلك أن هذه الدار يعطي الله منها المؤمن والكافر، والبر والماجر، فيداول الله الأيام بين الناس، يوم لهذه الطائفة، ويوم للطائفة الأخرى؛ لأن هذه الدار الدنيا منقضية فانية، وهذا بخلاف الدار الانرة، فإنها خالصة للذين آمنوا.

وليعلم الله الذين آمنوا هذا أيضاً من الحكم أنه يبتلي الله عباده بالهزيمة والابتلاء، ليتبين المؤمن من المنافق؛ لأنه لو استمر النصر للمؤمنين في جميع الوقائع لدخل في الإسلام من يعض أنواع الابتلاء، تبين المؤمن حقيقة الذي يرغب في الإسلام، في الضراء واليسر والعسر، عن ليس كذلك.

﴿ويتخذ منكم شهداء﴾ وهذا أيضاً من بعض الحكم، لأن الشهادة عند الله

من أرفع المنازل، ولا سبيل لنيلها إلا بما يحصل من وجود أسبابها، فهذا من رحته بعباده المؤمنين، أن قيش لهم من الأسباب ما تكرهه النفوس، لينيلهم ما يجبون من المنازل العالية والنعيم المقيم، فوالله لا يحب الظالمين الذين ظلموا أنفسهم، وتقاعدوا عن القتال في سبيله، وكأن في هذا تعريضاً بذم المنافقين، وأنهم مبغضون لله، ولهذا ثبطهم عن القتال في سبيله.

﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة، ولكن كره الله انبعاثهم فتبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾.

وليمحص الله الذين آمنوا وهذا أيضاً من الحكم أن الله يمحص بذلك المؤمنين من ذنوبهم وعيوبهم، يدل ذلك على أن الشهادة والقتال في سبيل الله يكفر الذنوب، ويزيل العيوب، وليمحص الله أيضاً المؤمنين من غيرهم من المنافقين، فيتخلصون منهم، ويعرفون المؤمن من المنافق، ومن الحكم أيضاً أنه يقدر ذلك، ليمحق الكافرين، أي: ليكون سبباً ليمحق الكافرين، أي: ليكون سبباً لمحقهم واستئصالهم بالعقوبة، فإنهم طغيانهم، يستحقون به المعاجلة بالعقوبة، رحمة بعباده المؤمنين.

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ حَسَبَتُمُ أَنْ تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾

جاهدوا منكم ويعلم الصابرين استفهام إنكاري، أي: لا تظنوا، ولا يخطر ببالكم أن تدخلوا الجنة من دون مشقة واحتمال المكاره في سبيل الله وابتغاء مرضاته، فإن الجنة المنافسون، وكلما عظم المطلوب عظمت وسيلته، والعمل الموصل إليه، فلا يوصل إلى الراحة إلا بترك الراحة، ولا يدرك النعيم إلا بترك النعيم، ولكن مكاره الدنيا التي تصيب العبد في سبيل الله عند توطين النفس لها، وتمرينها عليها ومعرفة ما تؤول إليه، تقلب عند أرباب البصائر منحاً يسرون بها، وذلك فضل الله،

يؤتيه من يشاء.

ثم وبخهم تعالى على عدم صبرهم بأمر كانوا يتمنونه ويودون حصوله، فقال: ﴿ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه ﴾ وذلك أن كثيراً من الصحابة رضي الله عنهم ممن فاته بدر يتمنون أن يحضرهم، قال الله [تعالى] لهم: ﴿فقد حلهم، قال الله [تعالى] لهم: ﴿فقد رأيتم ما تمنيتم بأعينكم ﴿وأنتم تنظرون ﴾ فما بالكم وترك الصبر؟ هذه حالة لا تليق ولا تحسن، خصوصاً لمن تمنى ذلك، وحصل له ما واستفراغ الوسع في ذلك.

وفي هذه الآية دليل على أنه لا يكره تمني الشهادة، ووجه الدلالة أن الله تعالى أقرهم على أمنيتهم، ولم ينكر عليهم، وإنما أنكر عليهم عدم العمل بمقتضاها، والله أعلم.

﴿ ١٤٤ - ١٤٤ ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يخسر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين \* وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ومن يرد ثواب المنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين ﴾

يقول تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ أي: ليس ببدع من الرسل، بل هو من جنس الرسل الذين قبله، وظيفتهم تبليغ رسالات ربهم وتنفيذ أوامره، ليسوا ممخلدين، وليس بقاؤهم شرطاً في امتثال أوامر الله، بل الواجب على الأمم عبادة ربهم في كل وقت وبكل حال، ولهذا قال: ﴿أَوْإِنْ مَاتَ أَوْ قَتْلُ الْقَلْبَتُم عَلَى أَعْقَابِكُم ﴾ بترك ما جاءكم به من إيمان أو جهاد، أو غير ذلك.

قال [الله] تعالى: ﴿ومن ينقلب على عقب عقب عقب عقب فلن يضر الله شيئا﴾ إنما يضر نفسه، وإلا فالله تعالى غني عنه، وسيقيم دينه، ويعز عباده المؤمنين، فلما وبخ تعالى من إنقلب على عقبيه، مدح من ثبت مع رسوله، وامتثل أمر ربه، فقال: ﴿وسيعجري الله

الشاكرين﴾ والشكر لا يكون إلا بالقيام بعبودية الله تعالى في كل حال.

بالعيم بببوييه الما على عي حل على . وفي هذه الآية الكريمة إرشاد لا يزعزعهم عن إيمانهم أو عن بعض لوازمه، فقد رئيس ولو عظم، وما ذاك الدين بعدة أناس من أهل الكفاءة فيه، إذا فقد أحدهم قام به غيره، وأن يكون عموم المؤمنين قصدهم إقامة دين الله، لا يكون لهم قصد في رئيس دون رئيس، فبهذه الحال يستتب لهم أمرهم، وتستقيم أمورهم.

وفي هذه الآية أيضاً أعظم دليل على فضيلة الصديق الأكبر أبي بكر، وأصحابه الذين قاتلوا المرتدين بعد رسول الله ﷺ، لأنهم هم سادات

الشاكرين.

ثم أخبر تعالى أن النفوس جيعها متعلقة بآجالها بإذن الله وقدره وقضائه، فمن حَتَّم عليه بالقدر أن يموت، مات ولو بغير سبب، ومن أراد بقاءه، فلو أتى (() من الأسباب كل سبب، لم يضره ذلك قبل بلوغ أجله، وذلك أن الله قضاه وقدره وكتبه إلى أجل مسمى: ﴿إذا جاء أجلهم فسلا يستقدمون﴾.

ثم أخبر تعالى أنه يعطي الناس من ثواب الدنيا والآخرة ما تعلقت به إراداتهم، فقال: ﴿ومن يردثواب الآخرة نؤته منها ومن يردثواب الآخرة نؤته منها﴾.

قال الله تعالى: ﴿ كُلاَ نمدُ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً \* انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ﴾.

﴿وسنجزي الشاكرين﴾ ولم يذكر جزاءهم ليدل ذلك على كشرته وعظمته، وليعلم أن الجزاء على قدر الشكر، قلة وكثرة وحسناً.

﴿ ١٤٦ ـ ١٤٨ ﴾ ﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين \* وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانتصرنا على النَّقوم الكافرين \* فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب الحسنين ﴾ هذا تسلية للمؤمنين، وحث على الاقتداء بهم، والفعل كفعلهم، وأن هذا أمر قد كأن متقدماً، لم تزل سنة الله جارية بذلك، فقال: ﴿وكأين من نبى ﴾ أي: وكم من نبي ﴿قاتل معه ربيون كثير ﴾ أي: جماعات كثيرون من أتباعهم، الذين قد ربتهم الأنبياء بالإيمان والأعمال الصالحة، فأصابهم قتل وجراح وغير

﴿ وَمَا وَهُوا لَمَا أَصَابِهُمْ فِي سَبِيلُ اللهُ وَمَا ضَعِفُوا وَمَا استَكَانُوا ﴾ آي: ما ضعفت قلوبهم، ولا وهنت أبدانهم، ولا استكانوا، أي: ذلوا لعدوهم، بل صبروا وثبتوا، وشجعوا أنفسهم، ولهذا قال: ﴿ وَاللّٰهُ يَعِبُ الصّابِرِينَ ﴾ .

ثم ذكر قولهم واستنصارهم لربهم، فقال: ﴿وما كان قولهم ﴾ أي: في تلك المواطن الصعبة ﴿إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ﴾ والإسراف: هو مجاوزة الحد إلى ما حرم، علموا أن الذنوب والإسراف من أعظم أسباب الخذلان، وأن التخلي منها من أسباب النصر، فسألوا ربهم مغفرتها.

ثم إنهم لم يتكلوا على ما بذلوا جهدهم به من الصبر، بل اعتمدوا على الله، وسألوه أن يثبت أقدامهم عند ملاقاة الأعداء الكافرين، وأن ينصرهم عليهم، فجمعوا بين الصبر وترك ضده، والتوبة والاستغفار، والاستغفار، نصرهم، وجعل لهم العاقبة في الدنيا والآخرة، ولهذا قال: ﴿فَاتَاهُمُ اللهُ وُوابُ الدنيا﴾ من النصر والظفر

والغنيمة، ﴿وحسن ثواب الآخرة﴾ وهو الفوز برضا ربهم، والنعيم المقيم الذي قد سلم من جميع المنكدات، وما ذاك إلا أنهم أحسنوا له الأعمال، فجازاهم بأحسن الجزاء، فلهذا قال: ﴿والله يجب المحسنين﴾ في عبادة الخالق ومعاملة الخلق، ومن الإحسان أن يفعل عند جهاد الأعداء، كفعل هؤلاء الموصوفين (٢).

﴿ ١٤٩ - ١٥٩ ﴾ ثم قال تعالى:
﴿ يَا أَيُّهَا الذَّيْنِ آمنوا إِنْ تَطَيْعُوا الذَّيْنِ
كَفُرُوا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا
خاسرين \* بل الله مولاكم وهو خير
الناصرين \* سنلقي في قلوب الذين
كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل
به سلطاناً ومأواهم النار وبئس مثوى
الظالمن ﴾ .

وهذا نهي من الله للمؤمنين أن يطيعوا الكافرين من المنافقين والمشركين، فإنهم إن أطاعوهم لم يسريدوا لهم إلا السسر، وهم [قصدهم] (٢٠ ردهم إلى الكفر الذي عاقبته الخيبة والخسران.

ثم أخبر أنه مولاهم وناصرهم، ففيه إخبار لهم بذلك، وبشارة بأنه سيتولى أمورهم بلطفه، ويعصمهم من أنواع الشرور.

وفي ضمن ذلك الحث لهم على اتخاذه وحده ولياً وناصراً من دون كل أحد، فمن ولايته ونصره لهم أنه وعدهم أنه سيلقي في قلوب أعدائهم من الكافرين الرعب، وهو الخوف العظيم الذي يمنعهم من كثير من مقاصدهم، وقد فعل تعالى.

وذلك أن المشركين ـ بعدما انصرفوا من وقعة «أحد» ـ تشاوروا بينهم، وقالوا: كيف ننصرف، بعد أن قتلنا منهم من قتلنا، وهزمناهم ولما نستأصلهم؟ فهموا بذلك، فألقى الله الرعب في قلوبهم، فانصرفوا خائبين، ولا شك أن هذا من أعظم النصر، لأنه قد تقدم أن نصر الله لعباده المؤمنين لا يخرج عن أحد أمرين: إما أن يقطع الجزء الرابع)

طرفاً من الذين كفروا، أو يكبتهم ورسوله. فينقلبوا خائبين، وهذا من الثاني.

> ثم ذكر السبب الموجب لإلقاء الرعب في قلوب الكافرين، فقال: ﴿ بِمَا أَسُرِكُوا بِاللهِ مِا لَمْ يِسْزِلُ بِهِ سلطاناً ﴾ أي: ذلك بسبب ما اتخذوا من دونه من الأنداد والأصنام، التي اتخذوها على حسب أهوائهم وإرادتهم الفاسدة، من غير حجة ولا برهان، وانقطعوا من ولاية الواحد الرحمن، فمن ثم كان المشرك مرعوباً من المؤمنين، لا يعتمد على ركن وثيق، وليس له ملجأ عند كل شدة وضيق، هذا حاله في الدنيا، وأما في الآخرة فأشد وأعظمَ، ولهذا قال: ﴿ومأواهم النار﴾أي: مستقرهم الذي يأوون إليه ولیس لهم عنها خروج، ﴿وبِئس مثوى الظالمين بسبب ظلمهم وعدوانهم صارت النار مثواهم.

﴿١٥٢﴾ ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلت وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد مأ أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فنضل على المؤمنين أي: ﴿ ولقد صدقكم الله وعده النصر، فنصركم عليهم، حتى ولوكم أكتافهم، وطفقتم فيهم قتلاً، حتى صرتم سبباً لأنفسكم، وعوباً لأعدائكم عليكم، فلما خصل منكم القشل وهو الضعف والخور ﴿وتنازعتم في الأمر﴾الذي فيه ترك أمر الله بالاتتلاف وعدم الاختلاف، فاختلفتم، فمن قائل نقيم في مركزنا الذي جعلنا فيه النبي عليي ومن قائل: ما مقامنا فيه وقد انهزم العدو، ولم يبق محذور، فعصيتم الرسول، وتركتم أمره من بعدماً أراكم الله ما تحبون وهو انخذال أعدائكم؛ لأن الواجب على من أنعم الله عليه بما أحب، أعظم من

فالواجب في هذه الحال خصوصاً، وفي غيرها عموماً، امتثال أمر الله

﴿منكم من يريد الدنيا﴾ وهم الذين أوجب لهم ذلك ما أوجب، ﴿ومنكم من يريد الأخرة﴾ وهم الذين لزموا أمر رسول الله ﷺوثبتوا حيث أمروا.

﴿ثم صرفكم عنهم الى: بعدما وجدت هذه الأمور منكم، صرف الله وجوهكم عنهم، فصار الوجه لعدوكم، ابتلاء من الله لكم وامتحاناً، ليتبين المؤمن من الكافر، والطائع من العاصى، وليكفر الله عنكم بهذه الصيبة ما صدر منكم، فلهذا قال: ﴿ ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين أي: ذو فضل عظيم عليهم، حيث منَّ عليهم بالإسلام، وهداهم لشرائعه، وعفا عنهم سيئاتهم، وأثابهم على مصيباتهم .

ومن فضله على المؤمنين أنه لا يقدر عليهم خيراً ولا مصيبة،" إلا كان خيراً لهم. إن أصابتهم سراء فشكروا جازاهم جزاء الشاكرين، وإن أصابتهم ضراء فصبروا، جازاهم جزاء الصابرين .

۱۵۳ = ۱۵۲ ﴾ ﴿إذ تسصيدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثباكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابك والله خبير بما تعملون \* ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما نفي قلوبكم والله عليم بذات الصدور ﴾ يذكرهم تعالى حالهم في وقت انهزامهم عن القتال، ويعاتبهم على ذلك، فقال: ﴿إِذْ تَصِعِدُونَ ﴾ أي: تجِدُونَ في الهرب ﴿ولا تلوون على أحد اني: لا يلوى أحدمنكم على أحد، ولا ينظر إليه،

بل ليس لكم هم إلا الفرار والنجاء عن

وَلَيْنِ مُنَّدِّ أَوْفُيَلَتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تَحْشَرُونَ ﴿ فِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ الله الله الله المُ وَالرُّكُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَالفَصَّهُ وَاللَّهِ الْمُفْصَدُّ وَاللَّ مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِ ٱلْأَمْرِ ۚ فَإِذَا عَرَمْتَ فَنَوَكَ لَ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُؤْكِلِينَ ۞ إِن يَصُرُكُمُ ٱللَّهُ فَلَاغَالِبَ لَكُوْ وَإِن يَخْذُلُكُو ۚ فَن ذَا ٱلَّذِي يَحْرُكُمُ مِّنْ بَعْدِهِ ۚ وَعَلَىٰ اللَّهِ قَلْيَتَوَكَّلُ الْمُؤْمِنُونَ ۞ وَمَاكَانَ لِنَيِيَ أَن يَعُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ ٱلْفِيدَ عَفْرْثُمَّ قُوفً كُلُّ نَفْسِ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُطْلَمُونَ ۞ أَفَنَ الْبَعَ رِضُونَ ٱللَّهَ كُمَّنَ ٰ كِنَّةَ إِسَخَطِينَ ٱللَّهِ وَمَأْوَلَهُ جَعَنَمُ وُيَشُنَ ٱلْمَصِيرُ الله هُمْ دَرَجَاتً عِندَاللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْسَلُونَ ﴿ لَقَدْمَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلمَوْمِيٰينِ إِذْ بِعَثَ فِيهِمْ رَمُولَامِنْ أَنفُسِهِمْ يَنْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَنتِهِ ءَوُيُزَكِيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِنَبَ الوَالْحِيْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن فَلُ لِيَ صَلَالٍ شِيدٍ ۞ أَوَلَنَّا أَصَبَنَكُومُ مُصِيبَةً مَدْ أَصَبْتُ مِنْ لَيَهَا مُلْتُمْ أَنَّ هَا دُا رُ أَفَا هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ إِنَّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ مَنْ وَقِدِيرٌ ﴿ DESCRIPTION WEDDER

والحال أنه ليس عليكم خطر كبير، إذ لستم آخر الناس مما يلي الأعداء، ويباشر الهيجاء، بل ﴿ والرسول يدعوكم في أخراكم الى: بما يلي القوم يقول: «إلى عباد الله»، فلم تلتفتوا إليه، ولا عرجتم عليه، فالفرار نفسه موجب للوم، ودعوة الرسول الموجبة لتقديمه على النفس، أعظم لوماً بتخلفكم عنها، ﴿فأثابكم ﴾أى: جازاكم على فعلكم ﴿غما بغم﴾أي: غماً يتبع غماً، غمّ بفوات النصر وفوات الغَّنيمة، وغم بانهزامكم، وغم أنساكم كل غم، وهو سماعكم أن محمداً ﷺقد قتل.

ولكن الله \_ بلطفه وحسن نظره لعباده ـ جعل اجتماع هذه الأمور لعباده المؤمنين خيراً لَهم، فقال: ﴿لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ﴾من النصر والظفر، ﴿ولا ما أصابِكُمُ ﴾من الهزيمة والقتل والجراح، إذا تحققتم أن الرسول ﷺ يقتل هانت عليكم تلك المصيبات، واغتبطتم بوجوده المسلى عن كل مصيبة ومحنة، فلله ما في ضمن البلايا والمحن من الأسرار والحكم، وكل هذا صادر عن علمه وكمال خبرته بأعمالكم، وظواهركم وبواطنكم، ولهذا قال: ﴿والله خبيسر بما تعملون،

ويحتمل أن معنى قوله: ﴿لكيلا

قال تعالى: ﴿إِنْ عِبَادِي لِيسَ لَكُ

عليهم سلطان كه أخبر أنه عفا عنهم

بعدماً فعلوا ما يوجب المؤاخذة، وإلا

﴿إِن الله غفور ﴾ للمذنبين الخطائين

بما يوفقهم له من التوبة والاستغفار،

والمصائب المكفرة، ﴿حليم﴾

لا يعاجل من عصاه، بل يستأني به،

ويدعوه إلى الإنابة إليه، والإقبال عليه.

كأنه لم يجر منه ذنب، ولم يصدر منه

عيب، فلله الحمد على إحسانه.

ثم إن تاب وأناب قبل منه، وصيره

﴿١٥٨ \_١٥٨﴾ ﴿يا أيها اللَّذِينَ

آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا

لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو

كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما

قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم

والله يحيى ويميت والله بما تعملون

بصير ﴿ ولئن قتلتم في سبيل الله أو

متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما

يجمعون \* ولئن متم أو قتلتم لإلى الله

تحشرون كه ينهى تعالى عباده المؤمنين أن

يشابهوا الكافرين، الذين لا يؤمنون

برجم، ولا بقضائه وقدره، من

ينهاهم عن مشابهتهم في كل شيء،

وفيي هذا الأمر الخاص وهو أنهم

يقولون لإخوانهم في الدين أو في

النسب: ﴿إِذَا صَرِبُوا فِي الأرضِ ﴾

أي: سافروا للتجارة ﴿أُو كَانُوا غَرَى﴾

أي: غزاة، ثم جري عليهم قتل أو

موت، يعارضون القدر ويقولون:

﴿لُو كَانُوا عَنْدُنَّا مَا مَاتُوا وَمَا قَتُلُوا﴾

وهذا كذب منهم، فقد قال تعالى:

﴿قُلُ لُو كُنْتُم فِي بِيُوتِكُمْ لِبُرِزُ الَّذِينَ

كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم

ولكن هذا التكذيب لم يفدهم، إلا

المنافقين وغيرهم.

فلو واخذهم لاستأصلهم.

من سلطان.

يسمل الأمر القدري، والأمر الشرعي، فجميع الأشياء بقضاء الله وقدره، وعاقبة (١) النصر والظفر لأوليائه وأهل طاعته، وإن جرى عليهم ما جري.

أنفسهم ما لا يبدون لك ﴾ ثم بين الأمر في قلوبكم من وساوس الشيطان،

﴿والله عليم بذات الصدور ﴾ أي: بما فيها وما أكنته، فاقتضى علمه وحكمِته أن قدر من الأسباب، ما به

﴿١٥٥﴾ ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم﴾ يخبر تعالى عن حال الذين انهزموا يوم «أحد» وما الذي أوجب لهم الفرار، وأنه من تسويل الشيطان، وأنه تسلط عليهم ببعض ذنوبهم. فهم الذين أدخلوه على أنفسهم، ومكنوه بما فعلوامن المعاصي، لأنها مركبه ومدخله، فلو اعتصموا بطاعة ربهم لما كان له عليهم

﴿يخفون ﴿ يعنى المنافقين ﴿ في الذي يخفونه، فقال: ﴿ يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ♦ أي: لو كان لنا في هذه الواقعة رأى: ومشورة ﴿ما قتلنا هاهنا﴾ وهذا إنكار منهم وتكذيب بقدر الله، وتسفيه منهم لرأي: رسول الله على ورأى: أصحابه، وتزكية منهم لأنفسهم، فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ لُو كُنتُمْ فِي بِيُونَكُمُ ﴾ التي هي أبعد شيء عن مظان القتل ﴿لبرز النين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم فالأسباب وإن عظمت \_إنما تنفع إذا لم يعارضها القدر والقضاء، فإذا عارضها القدر لم تنفع شيئاً، بل لا بدأن يمضي الله ما كتب في اللوح المحفوظ من الموت والحياة، ﴿وَلَيْسِتُمْ اللهُ مِا فَسَى صدوركم﴾ أي: يختبر ما فيها من نفاق وإيمان وضعف إيمان، ﴿وليمحص ما وما تأثر عنها من الصفات غير

الحميدة . تظهر نُحبَّآت الصدور وسرائر الأمور .

CHARITORY T 631(H) 160() وَمَا أَصَدِ بَكُوْ وَمَ ٱلْنَقَى ٱلْجَعَانِ فَيَاذُنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْ لَرَ ٱلْوَّمِيٰنِ ۖ @ وَلِيَعَلَرُ الَّذِينَ نَافَعُواْ وَفِيلَ لَمُهُمْ تَمَا لَوْاْ فَنِيلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ آوادَفَعُوّاً فَعَالُواْ لَوَيَعَا لَهُ فِيَتَالَا لَّانَبَعْنَكُمُ مُعْمَ لِلْحَكْفِر يَوْمَهِ ذِأَفْرَ مِنْهُمْ لِلْإِعَنْ يَقُولُونَ بِأَفْرَاهِهِ مِمَّالِيِّسَ فِي قُلُوبِهِ أُولَا لَهُ أَعَلَرُ مِمَا يَكُتُمُونَ ۞ الَّذِينَ قَالُواْ الإِخْرَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَيْدُلُواْ قُلْ فَاذْرَهُ وَأَعَنْ أَفْسِكُمُ لَلْوْتَ إِن كُنتُو صَادِيْنِ ۞ وَلَاغَسَانَ ٱلَّذِينَ مَّيْنَاكُواْ في سَيِيلِ اللَّهِ أَمْوَانًا بَلْ أَحْبَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ مُرْزَقُونَ اللَّهِ فَيِينَ عِمَّا مَانَتَهُمُ أَلَقَهُ مِن فَضَلِهِ ، وَيَسْتَنْشِرُونَ إِلَّذِينَ لْزَيَلْحَقُواْ بِعِدِينْ خَلْفِهِ مْ أَلَّاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلِاهُمْ يَعْزَنُونَ ۞ • يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَسْلِ وَأَنَّ الْقَالَابُضِيعُ أَبْرَ ٱلْمُوْمِنِينَ ۞ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا مِنْهُووَالرَّسُولِ مِنْ مَدْمِنَا أَصَابَهُمُ ٱلْفَتْحُ لِلَّذِيكَ أَحْسَنُوامِنْهُمْ وَاتَّفَوْا أَجْرُعَيْلِيدُ ۞ ٱلَّذِينَ قَالَ لَمُّتُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْجَمَعُواْ لَحَكُمْ فَأَخْشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِينَا وَمَا أُواْحَسَبُنَا اللَّهُ وَفِعْمَ الْوَكِيلُ ۞ ADDEDU VI KONSKO

تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم، يعنى: أنه قدَّر ذلك الغم والمصيبة عليكم، لكي تتوطن نفوسكم، وتمرنوا على الصبر على المسيبات، ويخف عليكم تحمل المشقات: ﴿ ثُم أَنْزُلُ عليكم من بعد الغم) الذي أصابكم ﴿ أَمنةً نُعاساً يغشى طأئفة منكم ﴾.

ولا شك أن هذا رحمة بهم، وإحسان وتثبيت لقلوبهم، وزيادة طمأنينة ؛ لأن الخائف لا يأتيه النعاس لما في قلبه من الخوف، فإذا زال الخوف عن القلب أمكن أن يأتيه النعاس.

وهذه الطائفة التي أنعم الله عليها بالنعاس هم المؤمنون الذين ليس لهم ورسوله، ومصلحة إخوانهم المسلمين.

وأما الطائفة الأخرى الذين ﴿قد أهمتهم أنفسهم اللهم هم في غيرها، لنفاقهم أو ضعف إيمانهم، فلهذا لم يصبهم من النُّعَاس ما أصاب غيرهم ﴿ يقولُونَ هِلَ لَنَا مَنِ الأَمرِ مِن شيء ﴾ وهذا استفهام إنكاري، أي: ما لنا من الأمر \_أي: النصر والظهور \_ شيء، فأساؤوا الظن برجم وبدينه ونبيه، وظنواأن الله لا يتم أمر رسوله، وأن هذه الهزيمة هي الفيصلة والقاضية على دين الله، قال الله في جوابهم: ﴿قُلُّ إِنَّ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِللَّهِ ۗ الْأُمُّرُ

أن الله يجعل هذا القول، وهذه العقيدة حسرة في قلوبهم، فتزداد مصيبتهم، وأما المؤمنون بالله فإنهم يعلمون أن ذلك بقدر الله، فيؤمنون ويسلمون،

المهمات، الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما يعاملهم به علي، من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالاً لأمر الله، وجذباً لعباد الله لدين الله.

ثم أمره الله تعالى بأن يعفو عنهم ما صدر منهم من التقصير في حقه عَلَيْ، ويستغفر لهم في التقصير في حق الله، فيجمع بين العفو والإحسان.

﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ أي: الأمور التي تحتاج إلى استشارة ونظر وفكر، فإن في الآستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره: أ منها: أن المشاورة من العيادات المتقرب بها إلى الله.

ومنها: أن فيها تسميحاً لخواطرهم، وإزالة لما يصير في القلوب عند الحوادث، فإن من له الأمر على الناس \_إذا جمع أهل الرأى: والفضل وشاورهم في حادثة من الحوادث \_ اطمأنت نفوسهم وأحبوه، وعلموا أنه ليس بمستبد (٣) عليهم، وإنما ينظر إلى المصلحة الكلية العامة للجميع، فبذلوا جهدهم ومقدورهم في طاعته، لعلمهم بسعيه في مصالح العموم، بخلاف من ليس كذلك، فإنهم لا يكادون يحبونه محبة صادقة، ولا يطيعونه وإن أطاعوه فطاعة غير

ومنها: أن في الاستشارة تنور الأفكار، بسبب إعمالها فيما وضعت له، فصار في ذلك زيادة للعقول.

ومنها: ما تنتجه الاستشارة من الرأى: المصيب، فإن المشاور لا يكاد يخطىء في فعله، وإن أخطأ أو لم يتم له مطلوب، فليس بملوم، فإذا كان الله يقول لرسوله ﷺ \_ وهو أكمل الناس عقلاً، وأغزرهم علماً، وأفضلهم رأياً \_: ﴿وشاورهم في الأمر ﴾ فكيف بغيره؟!

(٣) في ب: يستبد.

أليس من أوجب الواجبات، وأهم

وَرُسُلِهِ عَوَانِ تُوْمِنُواْ وَنَفْقُواْ فَلَكَ مُمْ أَجْرُ عَظِيمٌ ۞ وَلَا بَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْحُلُونَ بِمَاءَ النَّهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضِّلِهِ عُوَخَيْرًا لَمَ مُنْ هُوَشَرُكُمْ شَكِطُوَفُوبَ مَا بَيْلُواْ بِدِ، يَوْمَ ٱلْفِيكَ مَا يَيْلُواْ بِدِ، يَوْمَ ٱلْفِيكَ مَذْ وَيَلَّهُ مِيزَتُ ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضِ وَاللَّهُ مِمَانَعَ مَلُونَ حَيدٌ ١ alegae w egreen

ثم قال تعالى: ﴿فإذا عزمت﴾ أي: على أمر من الأمور بعد الاستشارة فيه، إن كان يحتاج إلى استشارة ﴿فتوكل على الله ﴾ أي: اعتمد على حول الله وقوته، متبرئاً من حولك وقوتك، ﴿إِن الله يحب المتوكلين ﴾ عليه ، اللاجئين إليه.

धारधाइक्ट्रिंग

فَانْقَلَبُواْ بِيْعَمَةِ مِنَ ٱللَّهِ وَفَضْلِ لِّزَيْسَتُهُمْ سُوَّةٌ وَأَنَّبُعُواْ

رِضَوَنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ دُوفَضَلِ عَظِيمٍ ﴿ إِنَّا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطُنُ

الْ يُحَوِّفُ أَوْلِيآ اَءَ أُوْلَا عَافُوهُمْ وَحَافُونِ إِن كُسُومُ وُمِنِينَ ﴿

وَلَا يَحْزُنُكَ ٱلَّذِيرَ لِيُسْرِعُونَ فِي ٱلْكُفُرُ إِنَّهُ وَلَن يَصُرُّواْ ٱللَّهَ

شَيْنَا أُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَا يَجْعَلَ لَمُهُ حَظًّا فِ ٱلْآخِرَةِ وَلَمْزِعَذَابُ

عَظِيمٌ ۞ إِنَّ ٱلَّذِي ٱشْتُرُواْ ٱلْكُمْرَ بَالْإِيمَنِ لَن يَضُرُواْ اللَّهُ

شَيْنَا وَلَمْهُمْ عَذَاكِ أَلِيدٌ ۞ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓ أَأَمَّا عُلى لَمُ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِم إِنَّا غُلِي لَمُمُ لِيزُدَادُوۤ الْعُلُولَمُمُ عَذَابُ

مُّهِينٌ ١ مَا كَانَ اللَّهُ لِينَدُرَا لُكُوْمِنُينَ عَلَىٰمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَنَّى

يَيْزَ ٱلْخَيِيتَ مِنَ ٱلطَّيْتِ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَ كُمْ عَلَى

ٱلْغَيْبِ وَلَنَكِنَّ ٱللَّهَ يَعِنَّنِي مِن زُّسُلِهِ عَن يَشَآهُ فَعَامِثُواْ بِٱللَّهِ

﴿١٦٠﴾ ﴿إِن يستصركه الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون ان إن يمددكم الله بنصره ومعونته ﴿فلا غالب لكم﴾ فلو اجتمع عليكم من في أقطارها وما عندهم من العدد والعُدد، لأن الله لا مغالب له، وقد قمهر العباد وأخذ بنواصيهم، فلا تتحرك دابة إلا بإذنه، ولا تسكن إلا بإذنه.

﴿وإِن يُخذلكم ﴾ ويكلكم إلى أنفسكم ﴿فمن ذا الذي ينصركم من بعده؟ ﴾ فلا بدأن تنخذلوا ولو أعانكم جميع الخلق.

وفسي(٤) ضمسن ذلسك الأمسر بالاستنصار بالله والاعتماد عليه، والبراءة من الحول والقوة، ولهذا قال: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴿ تقديم المعمول يؤذن بالحصر، أي: على الله فيهدي الله قلوبهم ويثبتها، ويخفف فكيف بغيره؟! بذلك عنهم المصيبة.

قال الله رداً عليهم: ﴿والله يحيي ويميت) أي: هو المنفرد(١) بذلك، فلا يغني حذر عن قدر.

﴿والله بما تعملون بصير﴾ فيجازيكم بأعمالكم وتكذيبكم.

ثم أخبر تعالى أن القتل في سبيله أو الموت فيه، ليس فيه نقص ولا محذور، وإنما هو مما ينبغي أن يتنافس فيه المتنافسون، لأنه سبب مفض وموصل إلى مغفرة الله ورحمته، وذلك خير مما يجمع أهل الدنيا من دنياهم، وأن الخلق أيضاً إذا ماتوا أو قتلوا بأي: حالة كانت، فإنما مرجعهم إلى الله، ومآلهم إليه، فيجازي كلا بعمله، فأين الفرار إلا إلى الله، وما للخلق عاصم إلا الاعتصام بحبل الله؟!!

﴿١٥٩﴾ ﴿فيما رحمة من الله لنت لهم ولوكنت فظأ غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذأ عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلينَ ﴾ أي: برحمة الله لك ولأصحبابك، منَّ الله عليك أن ألنت<sup>(٢)</sup> لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك.

﴿ ولو كنت فظاً ﴾ أي: سيىء الخلق ﴿ غليظ المقلب ﴾ أي: قاسيه، ﴿لانفنضوا من حولك الأن هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق

فالأخلاق الحسنة من الرثيس في الدين، تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول،

في ب: المتفرد. (1)

في الأصل: (لنت). **(Y)** 

व्याधारम् । لَقَدْسَيَعَ اللَّهُ قُولَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ فَقِ يَرُّونَغَنُ أَغِيكَا أُسَنَكُتُ مَاقَالُوا وَقَلْهُ مُوالْأَيْكَاءَ بِعَكْرِحَقَ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا فَدَّمَتْ اً أَيْدِيكُمْ وَأَنَ اللَّهَ لَيْسَ بِطَلَّامِ لِلْعَبِيدِ ۞ ٱلَّذِينَ فَالْوَالِتَ اللَّهَ عَهِ مَهِ إِلَيْكَ أَلَّا نُوْمِ لِيَسُولِ حَنَّى يَأْمِينَا بِفُرْبَانِ تَأْكُلُهُ ٱلنَّازُ قُلْ فَدْجَآءَكُمْ رُسُلُّ مِن فَهْ بِٱلْبَيْنَتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُحْ فَيَلِمَ فَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُرْصَادِقِينَ ﴿ فَإِن كَ فَهُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلُ مِن مَسْ إِلْ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَٱلْكِنْفِ ٱلْذِيدِ ﴿ كُلُّهَنِ ذَا إِفَ أَلْوَنِ وَإِنَّا أَوْفَرْتَ أَجُورَكُمْ مِوْمَ ٱلْقِيكَ مَوَّ فَسَن دُحْدِجَ عَنِ ٱلشَّارِ وَأَدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَنَازُّوْمَا ٱلْفَيَوَةُ ٱلدُّنيَّ ۗ إِلَّا مَنَكُمُ ٱلْفِرُورِ ﴿ • كَتُبْلُونَ فِ أَمْوَلِكُورُ وَأَنْشُكِ مُ وَلِتَنْتَكُنَّ مِنَ الَّذِي أُوتُوا ٱلْكِنَابَ ين قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِيكِ أَشْرَكُوۤا أَذَى كَيْرُأ وَإِن نَصْبِرُواْ وَمَنَّ قُواْ فَإِن اللَّهِ مِنْ عَسَرْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿ 

توكلوا لا على غيره، لأنه قد علم أنه هو الناصر وحده، فالاعتماد عليه توحيد محصل للمقصود، والاعتماد على غيره شرك غير نافع لصاحبه، بل ضار.

وفي هذه الآية الأمر بالتوكل على الله وحده، وأنه بحسب إيمان العبد يكون توكله.

﴿١٦١﴾ ﴿وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، الغلول هو: الكتمان من الغنيمة، [والخيانة في كل مال يتولاه الإنسان](١) وهو محرم إجماعاً، بل هو من الكبائر، كما تدل عليه هذه الآية الكريمة وغيرها من النصوص، فأخبر الله تعالى أنه ما ينبغي ولا يليق بنبى أن يغل، لأن الغلول - كما علمت من أعظم الذنوب وأشر العيوب. وقد صان الله تعالى أنبياءه عن كل ما يدنسهم ويقدح فيهم، وجعلهم أفضل العالمين أخلاقاً، وأطهرهم نفوساً، وأزكاهم وأطيبهم، ونزههم عن كل عيب، وجعلهم محل رسالته، ومعدن حكمته ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾.

فبمجرد علم العبد بالواحد منهم، يجزم بسلامتهم من كل أمر يقدح فيهم، ولا يحتاج إلى دليل على ما قيل فيهم من

أعدائهم، لأن معرفته بنبوتهم، مستلزم لدفع ذلك، ولذلك أتى بصيغة يمتنع معها وجود الفعل منهم، فقال: ﴿وما كان لنبي أن يغل﴾ أي: يمتنع ذلك ويستحيل على من اختارهم الله لنبوته. ثم ذكر الوعيد على من غل، فقال: ﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة﴾ أي: يأت به حامله على ظهره، حيوانا كان أو متاعاً، أو غير ذلك، ليعذب به يوم القيامة، ﴿ثم توفى كل نفس ما كسبت﴾ الغال وغيره، كل يوفى أجره ووزره على مقدار كسبه، ﴿وهم ووزره على مقدار كسبه، ﴿وهم سيئاتهم، ولا يهضمون شيئاً من حسناتهم، وتأمل حسن هذا الاحتراز

لما ذكر عقوبة الغال، وأنه يأتي يوم القيامة بما غله، ولما أراد أن يذكر توفيته وجزاءه، وكان الاقتصار على الغال يوهم - بالمفهوم - أن غيره من أنواع العاملين قد لا يوفون - أتى بلفظ عام جامع له ولغيره.

في هذه الآية الكريمة.

﴿ ١٩٣ ـ ١٩٣ ﴾ ﴿ أفسن السبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومآواه جهنم وبئس المصير \* هم درجات عند الله والله بنصير بما يعملون ﴾ يخبر تعالى أنه لا يستوي من كان قصده رضوان ربه، والعمل على ما يرضيه، كمن ليس كذلك، من هو مكب على المعاصي، مسخط لربه، هذان لا يستويان في حكم الله، وحكمة الله، وفي فطر عباد الله.

﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً، لا يستوون ﴾ ولهذا قال هنا: ﴿هم درجات عند الله ﴾ أي: كل هؤلاء متفاوتون في درجاتهم ومنازلهم بحسب تفاوتهم في أعمالهم.

فالمتبعون لرضوان الله يسعون في نيل الدرجات العاليات، والمنازل والغرفات، فيعطيهم الله من فضله وجوده على قدر أعمالهم، والمتبعون لمساخط الله يسعون في المنزول في الدركات إلى أسفل سافلين، كل على

حسب عمله، والله تعالى بصير بأعمالهم، لا يخفى عليه منها شيء، بل قد علمها، وأثبتها في اللوح المحفوظ، ووكل ملائكته الأمناء الكرام، أن يكتبوها ويحفظوها، ويضبطونها.

﴿١٦٤﴾ ﴿لقد من الله على المؤمنين الله على المؤمنين عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ هذه المنة التي امتن الله بها على عباده، أكبر النعم، بل أصلها، وهي الذي أنقذهم الله به من الضلالة، الذي أنقذهم الله به من الضلالة، وعصمهم به من الهلكة، فقال: ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم وحاله، ولسانه، من قومهم وقبيلتهم، ناصحاً لهم، مشفقاً عليهم، يتلو ومعانيها.

﴿ ويركبيه م ﴾ من المسرك، والمعاصي، والرذائل، وسائر مساوى، الأخلاق.

و ﴿يعلمهم الكتاب ﴾ إما جنس الكتاب الذي هو القرآن، فيكون قوله: ﴿يتلو عليهم آياته ﴾ المراد به الآيات الكونية، أو المراد بالكتاب - هنا - الكتابة، فيكون قد امتن عليهم، بتعليم الكتاب والكتابة، التي بها تدرك العلوم وتحفظ، ﴿والحكمة ﴾ هي: السنة، التي هي شقيقة القرآن، أو وضع الأشياء مواضعها، ومعرفة أسرار الشريعة.

فجمع لهم بين تعليم الأحكام، وما به تنفذ الأحكام، وما به تدرك فوائدها وثمراتها، ففاقوا بهذه الأمور العظيمة جميع المخلوقين، وكانوا من العلماء الربانيين، ﴿وإن كانوا من قبل﴾ بعثة هذا الرسول ﴿لقي ضلال مبين﴾ لا يعرفون الطريق الموصل إلى ربهم، ولا ما يزكي النفوس ويطهرها، بل ما زين لهم جهلهم فعلوه، ولو ناقض زين لهم جهلهم فعلوه، ولو ناقض

ذلك عقول العالمين.

﴿ ١٦٥\_١٦٨﴾ ﴿أُولَّا أَصَابِتُكُم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أني هذا قل هو من عند أنفْسكم إن الله على كل شيء قدير \* وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين \* وليملم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالًا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون \* الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤوأ عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين، هذا تسلية من الله تعالى لعباده المؤمنين، حين أصابهم ما أصابهم يوم اأحدا، وقتل منهم نحو سبعين، فقال الله: إنكم ﴿قد أصبتم♦من المشركين ﴿مثليها ﴾ يوم بدر فقتلتم سبعين من كبارهم وأسرتم سبعين، فليهن الأمر ولتخف المصيبة عليكم، مع أنكم لا تستوون أنتم وهم، فإن قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار.

﴿قلتم أنى هذا ﴾أي: من أين أصابنا ما أصابنا وهزمنا؟ ﴿ ﴿ قُلْ هُو من عند أنفسكم وحين تنازعتم وعصيتم من بعد مأ أراكم ما تحبون، فعودوا على أنفسكم باللوم، واحذروا من الأسباب المردية.

﴿إِن الله على كل شيء قدير ﴾ فإياكم وسوء الظن بالله، فإنَّه قادر على نصركم، ولكن له أتم الحكمة في ابتلائكم ومصيبتكم. ﴿ ذلك ولو يشاء الله، لانتصر منهم، ولكن ليبلو بعضكم ببعض﴾ .

ثم أخبر أن ما أصابهم يوم التقى الجمعان، جمع المسلمين وجمع المشركين في "أحد" من القتل والهزيمة، أنه بإذنه وقضائه وقدره، لا مردله ولا بدمن وقوعه. والأمر القدري \_إذا نفذ، لم يبق إلا التسليم له، وأنه قدّره لحكم عظيمة وفوائد جسيمة، وأنه ليتبين بذلك المؤمن من المنافق، الذين لما أمروا

﴿وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أي: ذبّاً عن دين الله، وحمايةً له وطلباً لمرضاة الله، ﴿أُو ادفعوا) عن محارمكم وبلدكم، إن لم يكن لكم نية صالحة، فأبوا ذلك واعتذروا بأن ﴿قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم)أي: لو نعلم أنكم يصير بينكم وبينهم قتال لاتبعناكم، وهم كذبة في هذا. قد علموا وتيقنوا وعلم كل أحد أن هؤلاء المشركين، قد مُلِئوا من الحنق والغيظ على المؤمنين بما أصابوا منهم، وأنهم قد بذلوا أموالهم، وجمعوا ما يقدرون عليه من الرجال والعدد، وأقبلوا في جيش عظيم قاصدين المؤمنين في بلدهم، متحرقين على قتالهم، فمن كانت هذه حالهم، كيف يتصور أنهم لا يصير بينهم وبين المؤمنين قتال؟ خصوصاً وقد خرج المسلمون من المدينة وبرزوا لهم، هذا من المستحيل، ولكن المنافقين ظنوا أن هذا العذر، يروج على المؤمنين، قال تعالى: ﴿ هم للكُّفر يومئذ ﴾ أي: في تلك الحال التي تركوا فيها الخروج مع المؤمنين ﴿أقرب منهم للإيمان، يقولون بأنواههم ما ليس في قلوبهم) وهذه

وسرائرهم. ومنه قولهم: ﴿لُونَعِلُمُ قَتَالاً لاتبعناكم) فإنهم قد علموا وقوع القتال.

خاصة المنافقين، يظهرون بكلامهم

وفعالهم ما يبطنون ضده في قلوبهم

ويستدل بهذه الآية على قاعدة «ارتكاب أخف المسدتين للدفع أعلاهما، وقعل أدنى المصلحتين، للعجز عن أعلاهما»؛ [لأن المنافقين أمروا أن يقاتلوا للدين، فإن لم يفعلوا فللمدافعة عن العيال والأوطان](<sup>(١)</sup> ﴿والله أعلم بما يكتمون ﴾ فيبديه لعباده المؤمنين، ويعاقبهم عليه.

شم قبال تبعيلي: ﴿اللَّذِينِ قِبَالُوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا) أي: جمعوا بين التخلف عن الجهاد، وبين الاعتراض والتكذيب بقضاء الله

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَكَ لَتُكِتَكُ لَتُكِتَكُ لَلْكَاسِ ولاتكتُونَدُونَدُونَدُوهُ وَزَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْتَرُواْ بِهِ عَنَا فَلِيلًا فِينْسَمَايَشْتَرُونَ ﴿ لَا نَحْسَتَنَا الَّذِينَ يَفْرَحُونَ اللهِ عَمَّا أَفَواْ وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ مَا لَرَهَا مَلُواْ فَلَا غَسَمَتَهُمُ إِيمَفَا ذَوْتِنَ ٱلْعَكَدَابُ وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيدٌ ۞ وَيَعَومُلْكُ ٱلسَّكُوَاتِ وَٱلْأَرْضُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ فَدِيرٌ ﴿ إِنَّ في خَلْقِ ٱلسَّدَوْتِ وَٱلْأَرْضِ وَآخِيلَفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَلَتِ لِأَوْلِ ٱلْأَلِبَ ۞ ٱلَّذِينَ يَنْكُرُونَ ٱللَّهَ فِلْمَا وَفُحُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضِ ال رَبَّنَا مَاخَلَقْتَ هَذَا بَطِلًا مُسْبَحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿ رَبِّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلسَّارَفَقَدْ أَخْرَيْت كُمُّومَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ الصَارِ ﴿ زَبِّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِبَائِنَادِي الْإِيمَانِ أَنْ المَامِنُواْ بِرَيْكُرْ فَعَامَنَا أَرَبَّنا فَأَغْفِرْ لِنَا ذُنُوبَنَا وَكَيْفِرْعَنَّا سَيِّعَالِنَا وَنَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْسَرَادِ ۞ رَبَّنَا وَمَالِنَا مَا وَعَدَثَنَا الله عَلَى رُسُلِكَ وَلَا يُعَزِّزُنَا يَوْمَ الْقِينَدَةُ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ لَلْبِعَادَ ﴿ OUTON VEDRUEON

6期課 图

CUEBISE T

وقدره، قال الله رداً عمليهم: ﴿قُلَّ فادرؤوا افي: ادفعوا ﴿عن أنفسكم الموت إن كستم صادقين﴾إنهم لو أطاعوكم ما قتلوا، لا تقدرون على ذلك ولا تستطيعونه.

وفي هذه الآيات دليل على أن العبد قديكون فيه خصلة كفر وخصلة إيمان، وقد يكون إلى أحدهما أقرب منه إلى الأخرى.

﴿ ١٦٩\_ ١٧١﴾ ﴿ ولا تحسب ن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون \* فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون \* يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين محمده الآيات الكريمة (٢٦ فيها فضيلة <sup>(٣)</sup> الشهداء وكرامتهم، وما منَّ الله عليهم به من فضله وإحسانه، وفي ضمنها تسلية الأحياء عن قتلاهم وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله والتعرض للشهادة، فقال: ﴿ وَلا تحسبن اللَّهِ مِن قَسَلُوا فَي سبيل الله الله أي: في جهاد أعداءً الدين، قاصدين بذلك إعلاء كلمة الله ﴿أمواتاً ﴾أي: لا يخطر ببالك وحسبانك أنهم ماتوا وفقدوا، وذهبت عنهم لذة الحياة الدنيا والتمتع بزهرتها،

MODEROUS WESTERS الذي يحذر من فواته، من جبن عن القتال، وزهد في الشهادة. ﴿بل﴾ قد حصل لهم أعظم مما يتنافس فيه المتنافسون. فهم ﴿أحياء عندربهم﴾ في دار كرامته .

ولفظ: ﴿عند ربهم﴾ يقتضي علو درجستهم، وقسربهم من ربهم، ﴿يرزقون من أنواع النعيم الذي لا يعلم وصفه، إلا من أنعم به عليهم، ومع هذا ﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله اي: مغتبطين بذلك، قد قرت به عيونهم، وفرحت به نفوسهم، وذلك لحسنه وكثرته، وعظمته، وكمال اللذة في الوصول إليه، وعدم المنغص، فجمع الله لهم بين نعيم البدن بالرزق، ونعيم القلب والروح بالفرح بما آتاهم من فضله: فتم لهم (١) النعيم والسرور، وجعلوا ﴿يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم اي: يبشر بعضهم بعضاً، بوصول إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم، وأنهم سينالون ما نالوا، ﴿الاخوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ أي: يستبشرون بزوال المحذور عنهم وعن إخوانهم المستلزم كمال السرور، ﴿يستبشرون بنعمة من الله وفضل﴾ آي: يهنيء بعضهم بعضاً، بأعظم مهنأ

به، وهو: نعمة ربهم، وفضله، وإحسانه، ﴿وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين بل ينميه ويشكره، ويزيده من فضله، ما لا يصل إليه سعيهم.

وفى هذه الآيات إثبات نعيم البرزخ، وأن الشهداء في أعلى مكان عندربهم، وفيه تلاقي أرواح أهل الخير، وزيارة بعضهم بعضاً، وتبشير بعضهم بعضاء

استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم \* الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل \* فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فيضل عظيم \* إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين له لما رجع النبي على من اأحدا إلى المدينة، وسمع أن أبا سفيان ومن معه من المشركين قد هموا بالرجوع إلى المدينة، ندب أصحابه إلى الخروج، فخرجوا -على ما بهم من الجراح -استجابة لله ولرسوله، وطاعة لله ولرسوله، قوصلوا إلى «حراء الأسَد»، وجاءهم من جاءهم وقال لهم: ﴿إِنَّ السناس قيد جمعوا ليكم كوهموا باستئصالكم، تخويفاً لهم وترهيباً، فلم يزدهم ذلك إلا إيماناً بالله واتكالاً

﴿وَقَالُوا حَسَبُنَا اللَّهُ أَي: كَافَيْنَا كل ما أهمنا ﴿ونعم الوكيل﴾ المفوض إليه تدبير عباده، والقائم بمصالحهم.

﴿فَانْقُلْبُوا﴾ أي: رجعوا ﴿بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء،

وجاء الخبرُ المشركينَ أن الرسول وأصحابه قد خرجوا إليكم، وندم من تخلف منهم، فألقى الله الرعب في قلوبهم، واستمروا راجعين إلى مكة، ورجع المؤمنون بنعمة من الله وفضل،

حيث منَّ عليهم بالتوفيق للخروج بهذه الحالة والاتكال على ربهم، ثم إنه قد كتب لهم أجر غزاة تامة، فبسبب إحسانهم بطاعة ربهم، وتقواهم عن معصيته، لهم أجر عظيم، وهذا فضل الله عليهم ثم قال تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ﴾ أي: إن ترهيب من رهب من المشركين، وقال: إنهم جمعوا لكم، داع من دعاة الشيطان، يخوف أولياءه الذين عُدم ﴿۱۷۷ \_ ۱۷۷﴾ ﴿السنيسن إيمائهم، أو ضَعُف. ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ أي: فلا تخافوا المشركين أولياء الشيطان، فإن نواصيهم بيد الله، لا يتصرفون إلا بقدره، بل خافوا الله الذي ينصر أولياءه الخائفين منه (٢) المستجيبين

وفي هذه الآية وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله، والخوف المحمود: ما حجز العبدَ عن محارم الله.

﴿١٧٧ \_ ١٧٦﴾ ﴿ولا يحسزنسك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئاً يريد الله ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة ولهم عذاب عظيم \* إنّ الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئاً ولهم عذاب أليم، كان النبى ر الله حريصاً على الخلق، مجتهداً في هدايتهم، وكان يحزن إذا لم يهتدوا، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحَرِّنُكُ الذين يسارعون في الكفر كمن شدة رغيتهم فيه، وحرصهم عليه ﴿إنهم لن يضروا الله شيئاً ﴿ فَاللهُ نَاصِرُ دَينَهُ ، ومؤيد رسوله، ومنفذ أمره من دونهم، فلا تبالهم ولا تحفل بهم، إنما يضرون ويسعون في ضرر أنفسهم، بفوات الإيمان في الدنيا، وحصول العذاب الأليم في الأخرى، من هوانهم على الله وسقوطهم من عينه، وإرادته أن لا يجعل لهم نصيباً في الأخرة من ثوابه. خذلهم فلم يوفقهم لما وفق له

<sup>(</sup>١) في النسختين: فتم له.

في النسختين: الخائفين له، ولعل الأقرب ما أثبت. **(Y)** 

أولياءه ومن أراد به خيراً، عدلاً منه وحكمة، لعلمه بأنهم غير زاكين عل الهدى، ولا قابلين للرشاد، لفساد أخلاقهم وسوء قصدهم.

ثم أخبر أن الذين اختاروا الكفر على الإيمان، ورغبوا فيه رغبة من بذل ما يحب من المال، في شراء ما يحب من السلع ﴿ لَنْ يَضُرُواْ اللَّهُ شَيْئاً ﴾ بل ضرر فعلهم يعود على أنفسهم، ولهذا قال: ﴿ولسهم عداب أليم ﴾ وكسيف يضرون الله شيئاً، وهم قد زهدوا أشد الزهد في الإيمان، ورغبوا كل الرغبة بالكفر بالرحمن؟! فالله غنى عنهم، وقد قيض لدينه من عباده الأبرار الأزكياء سواهم، وأعدله ممن ارتضاه لنصرته - أهل البصائر والعقول، وذوي الألباب من الرجال الفحول، قال الله تعالى: ﴿قُلْ آمنوابه أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً

ولا يحسبن الذين كفروا الما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إلما ولهم عذاب مهين أي: ولا يظن الذين كفروا برجم ونابذوا دينه، وحاربوا رسوله أن تركنا إياهم في هذه الدنيا، وعدم استئصالنا لهم، وإملاءنا لهم خير لأنفسهم، وعجة منا لهم.

كلا، ليس الأمر كما زعموا، وإنما ذلك لشريريده الله بهم، وزيادة عذاب وعقوبة إلى عذابهم، ولهذا قال: ﴿إِنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾: فالله تعالى يملي للظالم، حتى يزداد طغيانه، ويترادف كفرانه، حتى إذا أخذه أخذه (١) أخذ عزيز مقتدر، فليحذر الظالمون من الإمهال، ولا يظنوا أن يفوتوا الكبير المتعال.

﴿١٧٩﴾ ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا

وتتقوا فلكم أجر عظيم أي: ما كان في حكمة الله أن يترك المؤمنين على ما أستم عليه من الاختلاط وعدم التميز (٢)، حتى يميز الخبيث من الطيب، والمؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب.

ولم يكن في حكمته أيضاً أن يطلع عباده على الغيب الذي يعلمه من عباده، فاقتضت حكمته الباهرة أن يبتلي عباده، ويفتنهم بما به يتميز الخبيث من الطيب، من أنواع الابتلاء والامتحان، فأرسل [الله] رسله، وأمر بطاعتهم، والانقياد لهم، والإيمان بهم، ووعدهم على الإيمان والتقوى الأجر العظيم.

فانقسم الناس بحسب اتباعهم للرسل قسمين: مطيعين وعاصين، ومؤمنين ومنافقين، ومسلمين وكافرين، ليرتب على ذلك الثواب والعقاب، وليظهر عدله وفضله، وحكمته لخلقه.

﴿١٨٠﴾ ﴿ولا يحسين اللذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوابه يوم القيامة ولله ميراث السماوات والأرض والله بما تعملون خبير ﴾ أي: ولا يظن الذين يبخلون، أي: يمنعون ما عندهم مما آتاهم الله من فضله، من المال والجاه والعلم، وغير ذلك مما منحهم الله، وأحسن إليهم به، وأمرهم ببذل ما لا يضرهم منه لعباده، فبخلوا بذلك، وأمسكوه، وضنوا به على عباد الله، وظنوا أنه خير لهم، بل هو شر لهم، في دينهم ودنىياهم، وعاجلهم وأجلهم ﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ أي: يجعل ما بخلوا به طوقاً في أعناقهم، يعذبون به كما ورد في الحديث الصحيح، «إن البخيل يمثل له ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع، له زبيبتان، يأخذ بلهزمتيه يقول: أنا مالك، أنا كنزك، وتلا

METERS CHIEF يَّنَايُهُا النَّاسُ الفَّوَّا رَيَّكُمُ اللَّذِي خَلَقَّكُمِ مِن فَشِي وَلِحِدَوْ وَخَلَقَ مِنْهَا زَيْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا يِبَالُا كَذِيرًا وَنِسَلَهُ وَأَنْفُواْ الشَّمَالِّذِي تَسَلَّهُ لُونَ بِهِ وَٱلْأَرْحَامُ إِنَّالَقَةَ كَانَ عَلَيْكُرْزِقِينًا ۞ وَمَاقُواْ ٱلْبَتَنَآ أَمُولَآ ﴿ وَلاَنْتَبَدُّ لُوا الْمَغْيَيتَ وَالطَّيْبُ وَلاَتَأْسَكُلُوا أَمُولَكُمُ إِلَى أَمْوَلِكُمُ إِنَّهُ كَانَحُهُ ٱلَّذِيرًا ۞ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّانْتُشِيطُواْ فِٱلْكِنْكُمَ أَنْكُولُواْ مَا كَمَاتَ لَكُوْمِينَ ٱلِنْسَاتَهِ مَسْنَىٰ وَثُلَثَ وَزُومَةٌ فَإِنْ حِفْتُمْ ٱلْآنَفِ لُواْ فَوْجِدَةُ أَوْمَامَلُكُ أَيْمَنْكُو ذَٰلِكَ أَدَنَاۤ أَلَاتُمُولُوا ۞ وَوَاتُوا ٱلنِّسَآةُ صَدُّ قَيْنِهِنَّ نِعْلَةٌ فَإِن طِلْقَ لَكُوْعَن شَيْءِ وِبْنَهُ فَشَا فَكُلُوهُ عَيَيْنَامَ يَوْفًا ۞ وَلَا نُوْثُواْ السُّفَهَآءَ أَمْوَلَكُو ٱلْبِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُورُ فِيَنَا وَازِدُوْمُ مِهَا وَأَكْمُومُ وَفُولُواْ لَمَمْ فَوَلَامَعْهُ فَا صَالَهُمْ فَالْمَعْمُ فَا ٱلْمِتَنْ يَحَيِّ إِذَا بَلَغُواْ النِكَاحَ فَإِنْ عَانَسْتُم مِنْهُمْ رُشْدًا فَأَدْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَلَهُمْ وَلَا تَأْكُلُومًا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْبَسْنَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْسَاكُلُّ بِٱلْفَرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَلَكُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكُفَّا بِاللَّهِ حَيِيبًا TO THE WEST OF THE

فهؤلاء حسبوا أن بخلهم نافعهم، ومجد عليهم، فانقلب عليهم الأمر، وصار من أعظم مضارهم، وسبب عقابهم.

﴿ وَلَهُ ميراث السماوات والأرض ﴾ أي: هو تعالى مالك الملك، وترد جميع الأملاك إلى مالكها، وينقلب العباد من الدنيا ما معهم درهم ولا دينار، ولا غير ذلك من المال.

قال تعالى: ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون ﴾ وتأمل كيف ذكر السبب الابتدائي والسبب الغائي، الموجب كل واحد منهما أن لا يبخل العبد بما أعطاه الله.

أخبر أولاً: أن الذي عنده وفي يده فضل من الله ونعدمة، ليس ملكاً للعبد، بل لولا فضل الله عليه وإحسانه، لم يصل إليه منه شيء، فمنعه لذلك منع لفضل الله وإحسانه؛ ولأن إحسانه موجب للإحسان إلى عبيده كما قال تعالى: ﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾.

فمن تحقق أن ما بيده، فضل من الله، لم يسمنع الفضل الذي لا يضره، بل ينفعه في قلبه وماله، وزيادة إيمانه، وحفظه من الآفات.

ثم ذكر ثانياً: أن هذا الذي بيد

رسول الله على مصداق ذلك، هذه

العباد كلها ترجع إلى الله، ويرثها تعالى، وهو خير الوارثين، فلا معنى للبخل بشيء هو زائل عنك منتقل إلى غيرك.

ثم ذكر ثالثاً: السبب الجزائي، فقال: ﴿والله بما تعملون خبير﴾ فإذا كان خبيراً بأعمالكم جميعها \_ ويستلزم ذلك الجزاء الحنسن على الخيرات، والعقوبات على الشر \_ لم يتخلف من في قلبه مثقال ذرة من إيمان عن الإنفاق الذي يُجزى به الثواب، ولا يرضى بالإمساك الذي به العقاب.

ول الذين قالوا إن الله فقير ونحن قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق \* بظلام للعبيد \* يغير تعالى، عن قول هؤلاء المتمردين، الذين قالوا أقبح المقالة وأشنعها، وأسمجها، فأخبر أنه مع أفعالهم الشنيعة، وهو: قتلهم مع أفعالهم الشنيعة، وهو: قتلهم دلك أشد العقوبة، وأنه سيعاقبهم على بدل قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء بدل قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء من البدن إلى الأفتدة، وأن عذابهم ليس

ظلماً من الله لهم، فإنه ﴿ليس بظلاًم للعبيد﴾ فإنه منزه عن ذلك، وإنما ذلك بما قدمت أيديهم من المخازي والقبائح، التي أوجبت استحقاقهم العذاب، وحرمانهم الثواب.

وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود، تكلموا بذلك، وذكروا منهم «فنحاص بن عازوراء» من رؤساء علماء اليهود في المدينة، وأنه لما سمع قول الله تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴿ وأقرضوا الله قرضاً حسناً ﴾ قال: \_ على وجه التكبر والتجرهم \_ هذه المقالة قبحه الله، فذكرها الله عنهم، وأخبر أنه ليس ببدع من شنائعهم، بل قد سبق لهم من الشنائع ما هو نظير ذلك، وهو: ﴿قتلهم الأنبياء بغير حق﴾ هذا القيد يراد به، أنهم تجرأوا على قتلهم مع علمهم بشناعته، لا جهلاً وضلالاً، بل تمرداً وعناداً.

﴿ ١٨٤ \_ ١٨٤ ﴾ ﴿ اللَّذِينِ قَالُوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين \* فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤوا بالبينات والزبر والكتاب المنيرم يخبر تعالى عن حال هؤلاء المفترين القائلين: ﴿إِنَّ اللهُ عنهد إلينا ﴾ أي: تـقـدم إلينـا وأوصسي، ﴿أَلَا نَـوْمـن لرسول، حتى يأتينا بقربان تأكله النار، فجمعوا بين الكذب على الله، وحصر آية الرسل بما قالوه، من هذا الإفك المبين، وأنهم إن لم يؤمنوا برسول لم يأتهم بقربان تأكله النار، فهم - في ذلك مطيعون لربهم، ملتزمون عهده، وقد علم أن كل رسول يرسله الله، يؤيده من الأيات والبراهين، ما على مثله آمن البشر، ولم يقصرها على ما قالوه، ومع هذا فقد قالوا إفكاً لم يلتزموه، وباطلاً لم يعملوا به، ولهذا أمر الله رسوله أن يقول

لهم: ﴿قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات﴾ الدالات على صدقهم ﴿وبالذي قلتم﴾ بأن أتاكم بقربان تأكله صدقين؟﴾ أي: في دعواهم الإيمان برسول يأتي (٢) بقربان تأكله النار، فقد تبين بهذا كذبهم، وعنادهم وتناقضهم.

ثم سلى رسوله ﷺ، فقال: ﴿فَإِنَّ كَذَبُوكُ فَقَدَ كَذَبُ رَسُلَ مِن قَبِلُكُ ﴾ كَذَبُوكُ فَقَدَ كَذَبُ رَسُلَ مِن قَبِلُكُ ﴾ أي: هذه عادة الظالمين، ودأبهم الكفر تكذيبهم لرسل الله، عن قصور ما أتوا به، أو عدم تبين حجة، بل قد ﴿جاؤوا بالسينات ﴾ أي: الحجج العقلية، بالبيات أي: والبراهين النقلية، ﴿والزبر ﴾ أي: الكتب المزبورة المنزلة من السماء، التي الكتب المزبورة المنزلة من السماء، التي

﴿والكتابُ المنير﴾ للأحكام الشرعية، وبيان ما اشتملت عليه من المحاسن العقلية، ومنير أيضاً للأخبار الصادقة، فإذا كان هذا عادتهم في عدم الإيمان بالرسل، الذين هذا وصفهم، فلا يجزئك أمرهم، ولا يهمنك شأنهم. ﴿كل نفس دَائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم الحيامة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾.

هذه الآية الكريمة فيها التزهيد في الدنيا بفنائها وعدم بقائها، وأنها متاع الغرور، تفتن بزخرفها، وتخدع بغرورها، وتغر بمحاسنها، ثم هي منتقلة، ومنتقل عنها إلى دار القرار، التي توفى فيها النفوس ما عملت في هذه الدار، من خير وشر.

﴿فمن زحرَح ﴾ أي: أخرج، ﴿عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾ أي: حصل له الفوز العظيم من العذاب الأليم، والوصول إلى جنات النعيم، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ومفهوم الآية، أن من لم يزحزح عن

يحصل لهم إن حصل من بعض الرياسات، والأموال الحقيرة، من سفلتهم المتبعين أهواءهم، المقدمين شهواءهم على الحق، ﴿فبئس ما يشترون﴾ لأنه أخس العوض، والذي فيه السعادة الأبدية، والمصالح الدينية والمالب وأجلها، فلم يختاروا الذيء الحسيس ويتركوا العالي النفيس، إلا لسوء حظهم وهوانهم، وكونهم لا يصلحون لغير ما خلقوا له.

OUTSING W BORRESK

ثم قال تعالى: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا﴾ أي: من القبائح والباطل القولى والفعلى.

﴿ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ﴾ أي: بالخير الذي لم يفعلوه، والحق الذي لم يقولوه، فجمعوا بين فعل الشر وقوله، والفرح بذلك وعبة أن يحمدوا على فعل الخير الذي ما فعلوه.

﴿فلا تحسبنهم بمفارة من العذاب﴾ أي: بمحل نجوة منه وسلامة، بل قد استحقوه، وسيصيرون إليه، ولهذا قال: ﴿ولهم عذاب أليم﴾.

ويدخل في هذه الآية الكريمة أهل الكتاب الذين فرحوا بما عندهم من العلم، ولم ينقادوا للرسول، وزعموا أنهم هم المحقون في حالهم ومقالهم، وكذلك كل من ابتدع بدعة قولية أو فعلية، وفرح بها، ودعا إليها، وزعم

إذا وقع؛ لأنهم قد استعدوا لوقوعه، فيهون عليهم حمله، وتخف عليهم مؤنته، ويلجأون إلى الصبر والتقوى، ولهذا قال: ﴿وَإِن تصبروا وتتقوا﴾ أي: إن تصبروا على ما نالكم في أموالكم وأنفسكم، من الابتلاء والامتحان وعلى أذية الظالمن، وتتقوا الله في ذلك الصبر بأن تنووا به صبركم الحد الشرعي من الصبر في موضع لا يحل لكم فيه الاحتمال، بل وظيفتكم فيه الانتقام من أعداء الله.

﴿ فَإِنْ ذَلِكُ مِنْ عَزِمِ الأَمُورِ ﴾ أي: من الأُمُورِ التي يعزم عليها، وينافس فيها، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم والهمم العالية كما قال تعالى: ﴿ وما يلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ .

ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون \* لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسينهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم) الميثاق هو العهد الثقيل المؤكد، وهذا الميثاق أخذه الله تعالى على كل من أعطاه [الله] الكتب وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه ماعلمه الله، ولا يكتمهم ذلك، ويبخل عليهم به، خصوصاً إذا سألوه، أو وقع ما يوجب ذلك، فإن كل من عنده علم يجب عليه في تلك الحال أن يبيّنه، ويوضح الحق من الباطل.

فأما الموفقون، فقاموا بهذا أتم القيام، وعلموا الناس مما علمهم الله، ابتغاء مرضاة ربهم، وشفقة على الخلق، وخوفاً من إثم الكتمان.

وأما الذين أوتوا الكتاب، من اليهود والنصارى ومن شابههم، فنبذوا هذه العهود والمواثيق وراء ظهورهم، فلم يعبأوا بها، فكتموا الحق، وأظهروا الباطل، تجرؤاً على محارم الله، وتهاوناً بحقوق الله، وحقوق الخلق، واشتروا بذلك الكتمان ثمناً قليلاً، وهو ما

النار ويدخل الجنة، فإنه لم يفز، بل قد شقى الشقاء الأبدي، وابتلي بالعذاب السرمدى.

وفي هذه الآية إشارة لطيفة إلى نعيم البرزخ وعذابه، وأن العاملين يجزون فيه بعض الجزاء مما عملوه، ويقدم لهم أنموذج مما أسلفوه، يفهم هذا من قوله: ﴿وَإِنَّمَا تُوفُونَ أَجُورُكُم يُومُ القيامة﴾ أي: توفية الأعمال التامة، إنما يكون يوم القيامة، وأما ما دون ذلك فيكون في البرزخ، بل قد يكون قبل ذلك في الدنيا كقوله التعالى: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ﴾.

﴿١٨٦﴾ ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾ يخبر تعالى ويخاطب المؤمنين أنهم سيبتلون في أموالهم من النفقات الواجبة والمستحبة، ومن التعريض لإتلافها في سبيل الله، وفي أنفسهم من التكليف بأعباء التكاليف الثقيلة على كثير من الناس، كالجهاد في سبيل الله، والتعرض فيه للتعب والقتل والأسر والجراح، وكالأمراض التي تصيبه في نفسه، أو فيمن يحب.

﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم، ومن الذين أشركوا أذى كثيراً﴾ من الطعن فيكم، وفي دينكم وكتابكم ورسولكم.

وفي إخباره لعباده المؤمنين بذلك، عدة فوائد:

منها: أن حكمته تعالى تقتضي ذلك، ليتميز المؤمن الصادق من غيره.

ومنها: أنه تعالى يقدر عليهم هذه الأمور، لما يريده بهم من الخير ليعلي درجاتهم، ويكفر من سيئاتهم، وليزداد بذلك إيمانهم، ويتم به إيقانهم، فإنه إذا أخبرهم بذلك ووقع كما أخبر وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً ﴾.

ومنها: أنه أخبرهم بذلك لتتوطن نفوسهم على وقوع ذلك، والصبر عليه

وَٱلَّتِي بَأْيِنِ الْفَلْحِشَةَ مِن نِسَآ بِكُوْفَاسْنَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْيَعَـ لَهُ مِنْ صَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْمُدُونِ حَقَّ بِتَوَفَّهُنَّ ٱلْمُوتُ أَوْيَجَعَكَ أَلَّهُ لَهُرَى سَبِيلًا ۞ وَٱلَّذَانِ يَأْتِينَهَا مِنڪُمْ فَنَادُوهُمَّا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْعَنْهُمَا إِنْ اللَّهَ كَانَ تَوَابُارَّعِيمًا ۞ إِمَّا ٱلتَّوْبَ أُعَلَ اللَّهِ لِلَّذِينَ بَعْ مَلُونَ ٱلسُّومَ بِعَهَ لَهَ ثُمَّ يَثُوبُوكَ مِن فَرِيبٍ فَأُوْلَلَهِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمٌّ وَكَاحَ ۖ اللَّهُ عَلِيسًا حَكِيمًا ۞ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْيَةُ لِلَّذِينَ بَعْمَلُونَ ٱلسَّيَتَانِحَ فَي إِذَا حَمَرَ لِحَكَدَهُمُ ٱلْمُوتُ قَالَ إِنِي بَيْتُ ٱلْمَنَ وَلَا ٱلَّذِيكِ يَمُونُوكِ وَهُمْ سُكُفًا أَزُاؤُلِكِكَ أَعَدُنَا لَهُمْ عَذَاتِ أَلِيمًا ۞ يَنَأَيُّهُا الَّذِينَ وَاسْتُوا لَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ نَيْثُواْ النِّسَآةِ كَرْهَا ۚ وَلَا نَعْضُ لُوهُ ﴾ لِتَذْهَبُواْ بِبَغْضِ مَآءَانَبْتُمُوهُكِ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَنْحِشَةٍ مُبَيِّنَةً وَعَايِثُرُوهُ إِن الْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُ مُوهُنَّ فَعَنَى النَّحَرُهُواْ شَيْعًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَيْدُونِ acede . Ecoeco

THE THEORY

أنه محق وغيره مبطل، كما هو الواقع من أهل البدع.

ودلت الآية بمفهومها على أن من أحب أن يحمد ويثني عليه بما.فعله من الخير واتباع الحق، إذا لم يكن قصده بذلك الرياء والسمعة، أنه غير مذموم، بل هذا من الأمور المطلوبة، التي أخبر الله أنه يجزى بها المحسنين له الأعمال والأقوال، وأنه جازي بها خواص خلقه، وسألوها منه، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين، وقال: ﴿سلام على نوح في العالمين، إنا كذلك نجزى المحسنين المحسنين وقد قال عباد الرحمن: ﴿واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ وهي من نعم الباري على عبده، ومننه التي تحتاج إلى الشكر .

﴿١٨٩﴾ ﴿ولله ملك السماوات والأرض والله على كل شيء قدير، أي: هو المالك للسماوات والأرض وما فيهما، من سائر أصناف الخلق، المتصرف فيهم بكمال القدرة، وبديع الصنعة، فلا يمتنع عليه منهم أحد، ولا يعجزه أحد.

﴿١٩٠ ـ ١٩٤﴾ ﴿إِنَّ فَـيَ خَـلَـقَ السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لأياتِ لأولى الألبابِ \* الذين يذكرون الله قيامأ وقعودأ وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا

عذاب النار \* ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار \* ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفّنا مع الأبرار \* ربنا وآتِنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، يخبر تعالى: ﴿إِن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب، وفي ضمن ذلك حث العباد على التفكر فيها، والتبصر بآياتها، وتدبر خلقها، وأبهم قوله: ﴿آبِاتِ ﴾ ولم يعقبل: "عبلي المطلب الفلان اشارة لكثرتها وعمومها، وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية، فأما تفصيل ما اشتملت عليه، فلا يمكن لمخلوقِ أن يحصره، ويحيط ببعضه، وفي الجملة فما فيها من العظمة والسُّعة، وانتظام السير والحركة، يدل على عظمة خالقها، وعظمة سلطانه وشمول قدرته. وما فيها من الإحكام والإتقان، وبديع الصنع، ولطائف الفعل، يدل على حكمة الله ووضعه الأشياء مواضعها، وسعة علمه. وما فيها من المنافع للخلق، يدل على سعة رحمة الله، وعموم فضله، وشمول بره، ووجوب شکره.

وكل ذلك يدل على تعلق القلب بخالقها ومبدعها، وبذل الجهد في مرضاته، وأن لا يشرك به سواه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وخص الله بالآيات أولى الألباب، وهم أهل العقول؛ لأنهم هم المنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم.

ثم وصف أولي الألباب بأنهم ﴿ يَذَكُرُونَ اللَّهُ ﴿ فَي جَمِيعَ أَحُوالُهُمَ : ﴿قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ﴿ وهذا يشمل جميع أنواع الذكر بالقول والقلب، ويدخل في ذلك الصلاة قائماً، فإن لم يستطع فقاعداً، فإن لم

يستطع فعلى جنب، وأنهم ﴿يتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾ أي: ليستدلوا بها على المقصود منها، ودل هذا على أن التفكر عبادة من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكروا بها، عرفوا أن الله لم يخلقها عبثاً، فيقولون: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك﴾ عن كل ما لا يليق بجلالك، بل خلقتها بالحق وللحق، مشتملة على الحق.

﴿ فقنا عذاب النار ﴾ بأن تعصمنا من السيئات، وتوفقنا للأعمال الصالحات، لننال بذلك النجاة من النار.

ويتضمن ذلك سؤال الجنة، لأنهم إذا وقاهم الله عذاب النار حصلت لهم الجنة، ولكن لما قام الخوف بقلوبهم، دعوا الله بأهم الأمور عندهم، ﴿ ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته أي: لحصوله على السخط من الله، ومن ملائكته، وأوليائه، ووقوع الفضيحة التي لا نجاة منها، ولا منقذ منها، ولهذا قال: ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ ينقذونهم من عذابه، وفيه دلالة على أنهم دخلوها بظلمهم .

﴿ ربنا إننا سمعنا منادياً بنادى للإيمان وهو محمد على أي: يدعو الناس إليه، ويرغبهم فيه، في أصوله

﴿ فَآمَنا ﴾ أي: أجبناه مبادرة، وسارعنا إليه، وفي هذا إخبار منهم بمنة الله عليهم، وتبجح بنعمته، وتوسل إليه بذلك، أن يغفر ذنوبهم ويكفر سيئاتهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات، والذي منَّ عليهم بالإيمان، سيمن عليهم بالأمان التام.

﴿ وتوفنا مع الأبرار ﴾ يتضمن هذا الدعاء التوفيق لفعل الخير، وترك الشر، الذي به يكون العبد من الأبرار، والاستمرار عليه، والثبات إلى الممات.

ولما ذكروا توفيت الله إيناهم للإيمان، وتوسلهم به إلى تمام النعمة، سألوه الثواب على ذلك، وأن ينجز لهم ما وعدهم به على ألسنة رسله من النصر، والظهور في الدنيا، ومن الفوز

المنتفالينفا وَإِنْ أَرْدَتُمُ ٱسْتِبْدَالَ زُوْجِ مَّكَابَ زُوْجٍ وَءَالَيْتُ إِمْلَا لَهُ كَا مَا لَا تَأْخُدُ وَأَمِنْهُ شَيْقًا أَمَا خُدُونَهُ بُهْتَنَاوَإِنْمَانَيُبِتَ ۞ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَكُووَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُ كُمْ إِلَىٰ بَعْضِ وَأَخَذْ كَ مِنكُم مِيثَقًا غَلِظًا ۞ وَلَانَنْكِحُواْمَانَكُمْ مَابَآؤُكُمْ مِن 🎉 اَلِنْسَآ إِلَّامَا فَدْسَلَفَ أَلِنَهُ كَانَ فَحِشَةَ وَمَفْتًا وَسُانَهُ سَكِيلًا ﴿ حُرِّمَتْ عَلَبْ كُمْ أَمَّهَا نَكُو وَبِنَا أَكُوْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَنْتُكُو وَخَلَلْتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَجْ وَيُنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَا تُكُثُ مُ الَّذِيِّ أَرْضَ عَنَكُ وَلَخَوَنُكُم مِن الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاكُ نِسَابِكُمْ وَرُبَيِبُكُمُ اللَّذِي فِي حُجُورِكُم مِن نِسَايَحِمُ ٱلَّتِي دَخَلْتُ مِنِهِ كَ فَإِن لَّرْتَكُونُواْ يَخَلْتُ مِنِهِنَّ فَكُلَّا المُنكَ عَلَيْكُمْ وَحَلَيْهِلُ أَبْنَآيِكُمُ ٱلَّذِينَ الله الله المنظمة والمنطقة المنافقة الم أُ إِلَّامَا فَذَ سَكَفَّ إِنَ اللَّهَ كَانَ غَفُوزًا رَّجِيمًا ۞ DEEDER IN EDREED'S

البدنيا على البديين كما فعل أهل الانحراف الذين يكتمون ما أنزل الله ويشترون به ثمناً قليلاً، وأما هؤلاء فعرفوا الأمر على الحقيقة، وعلموا أن من أعظم الخسران، الرضا بالدون عن الدين، والوقوف مع بعض حظوظ النفس السفلية، وتركُّ الحق الذي هو: أكبر حظ وفوز في الدنيا والآخرة، فأشروا الحق وبينوه، ودعوا إليه، وحذروا عن الباطل، فأثابهم الله على ذلك بأن وعدهم الأجر الجزيل، والثواب الجميل، وأخبرهم بقربه، وأنه سريع الحساب، فلا يستبطؤون ما وعدهم الله، لأن ما هو آت محقق حصوله، فهو قريب.

ثم حض المؤمنين على ما يوصلهم إلى الفلاح \_وهو: الفوز والسعادة والنجاح، وأن الطريق الموصل إلى ذلك لزوم الصبر، الذي هو حبس النفس على ما تكرهه، من ترك المعاصى، ومن الصبر على المصائب، وعلى الأوامر الثقيلة على النفوس، فأمرهم بالصبر على جميع ذلك.

والمصابسرة أي(١): الملازمة والاستمرار على ذلك، على الدوام، ومقاومة الأعداء في جميع الأحوال. والمرابطة: وهي<sup>(٢)</sup> لـزوم المحــل

وأنواع العز، والغلبة في بعض الأوقات، فإن هذا كله فرمتاع قليل﴾ ليس له ثبوت ولا بقاء، بلّ يتمتعون به قليلاً، ويعذبون عليه طويلاً، هذه أعلى حالة تكون للكافر، وقد رأيت ما تؤول إليه.

وأما المتقون لربهم، المؤمنون به ـ فمع ما يحصل لهم من عز الدنيا ونعيمها ﴿لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها،

فلو قدر أنهم في دار الدنيا، قد حصل لهم كل بؤس وشدة، وعناء ومشقة، لكان هذا بالنسبة إلى النعيم المقيم، والعيش السليم، والسرور والحبور، والبهجة نزراً يسيراً، ومنحة في صورة محنة، ولهذا قال تعالى: ﴿وما عند الله خير للأبرار) وهم الذين برت قلوبهم، فبرت أقوالهم وأفعالهم، فأثابهم البر الرحيم من بره أجراً عظيماً، وعطاء جسيماً، وفوزاً دائماً.

﴿ ١٩٩٧ - ٢٠٠ ﴾ ﴿ وإن من أهمل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إنّ الله سريع الحساب \* يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ا أي: وإن من أهل الكتاب طائفة موفقة للخير، يؤمنون بالله، ويؤمنون بما أنـزل إليكـم وما أنـزل إليهـم، وهـذا الإيمان النافع لاكمن يؤمن ببعض الرسل والكتب، ويكفر ببعض.

ولهدا الكاكان إيسانهم عاما حقيقياً - صار نافعاً، فأحدث لهم خشية الله، وخضوعهم لجلاله الموجب للانقياد لأوامره ونواهيه، والوقوف عند حدوده.

وهؤلاء أهل الكتاب والعلم على الحقيقة، كما قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ ومن تمام خشيتهم لله، أنهم ﴿لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً ﴾ فلا يقدمون

برضوان الله وجنته في الآخرة، فإنه تعالى لا يخلف الميعاد، فأجاب الله دعاءهم، وقبل تضرعهم، فلهذا قال:

﴿١٩٥﴾ ﴿فاستجاب لهم ربهم أن لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الشواب♦ ، أي: أجاب الله دعاءهم، دعاء العبادة، ودعاء الطلب، وقال: إن لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى، فالجميع سيلقون ثواب أعمالهم كاملاً موفّراً، ﴿بعضكم من بعض﴾ أي: كلكم على حد سواء في الشواب والعقاب، ﴿فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا فجمعوا بين الإيمان والهجرة، ومفارقة المحبوبات من الأوطان والأموال، طلب لرضاة ربهم، وجاهدوا في سبيل الله .

﴿ لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله الذي يعطى عبده الثواب الجزيل على العمل القليل.

﴿والله عنده حسن الشواب ﴿ عما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فمن أراد ذلك، فليطلبه من الله بطاعته والتقرب إليه، بما يقدر عليه العبد.

﴿١٩٦ ـ ١٩٨﴾ ﴿لا يسغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد \* متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد \* لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلاً منّ عند الله وما عند الله خير للأبرار) وهذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا، وتنعمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب واللذات،

<sup>(1)</sup> في ب: هي.

في النسختين وهو، ولعل الصواب ما أثبت. (٢)

THE TREATMENT THE TREATMENT TO THE TREATMENT THE TREATMENT TO THE TREATMENT THE T • وَالْفُصْنَاتُ مِنَ الْلِسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَ فَ أَغَنَّكُمْ " كِتَبَ أَمَّةِ عَلَيْكُمُّ وَأُجِلَّ لَكُم مَّا وَزَآ وَلَاكُمْ أَن تبتغوا بأموالكم تخصينين غيرمك فيعين فأأستنتغم بِهِ، مِنْهُنَّ فَنَاتُوهُ ﴾ أَجُورَهُ كَ فَرِيضَاءٌ وَلَاجُنَاحَ عَلَيْكُو فِيمَا نَرْضَيْتُم بِهِ ، مِنْ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَكَةُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِمًا عَكِمًا ۞ وَمَن لَّرَيَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنكِمُ الخصيئت المثفونية فينما ملكت أيمنك أيمنك فَنَيْكَيْكُوْ ٱلْوَٰمِنَاتُ وَأَفَةَ أَعَالَمُ إِيكِنِكُمْ ٱلْمُعْمَلِمُ مِنْ بَعْضِ ۚ فَأَنكِ مُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِتَ وَءَاتُوهُنَ أَجُورَكُنَّ بِٱلْمَعُرُوفِ مُحْصَنَاتٍ عَيْرَمُسَافِحَتٍ وَلَامُتَّحِذَاتِ أَخْدَانِّ فَإِذَا أَحْصِنَ فَإِنْ أَنَيْنَ بِفَيْحِثُ وَفَعَلَيْهِنَ يَضِفُمَا عَلَى ٱلْمُصْنَدَ مِن ٱلْعَدَابِّ ذَلِكَ لِلْ خَيْو ) أَعَنَتَ مِنكُوْ وَأَن تَصْبِرُ وَأَخَيْرُ لَّكُمُّ وَاللَّهُ عَفُورٌ تَجِيمٌ رُبِدُأَنَّةُ لِبُنَيِّنَ لَكَ مُ وَيَعْدِينَكُوسُ نَنَ ٱلْذَبِنَ أُ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُونَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَكِيمٌ ۞

الذي يخاف من وصول العدو منه، وأن يراقبوا أعداءهم، ويمنعوهم من الوصول إلى مقاصدهم، لعلهم يفلحون: يفوزون بالمحبوب الديني والدنيوي والأخروي، وينجون من المكروه كذلك.

فعلم من هذا أنه لا سبيل إلى الفلاح بدون الصبر والمصابرة والمرابطة المذكورات، فلم يفلح من أفلح إلا بها، ولم يفت أحداً القلاح إلا بالإخلال بها أو بعضها.

والله الموفق ولا حول ولا قوة إلا

تم تفسير اسورة آل عمرانا والحمد لله على نعمته، ونسأله تمام النعبة

## تفسير سورة النساء وهي مدنية

﴿١﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ال أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾ افتتح تعالى هذه السورة بالأمر بتقواه، والحث على عبادته، والأمر بصلة الأرحام، والحث على

على ذلك.

وبيَّن السبب الداعي الموجب لكل من ذلك، وأن الموجب لتقواه لأنه ﴿ ربكم الذي خلقكم ﴾ ورزقكم، ورباكم بنعمه العظيمة، التي من جملتها خلقكم ﴿من نفس واحدةٍ وخلق منها زوجهاً﴾ ليناسبها، فيسكن إليها، وتتم بذلك النعمة، ويحصل به السرور، وكذلك من الموجب الداعي لتقواه تساؤلكم به وتعظيمكم، حتى إنكم إذا أردتم قضاء حاجاتكم ومآربكم، توسلتم لها بالسؤال بالله . فيقول من يريد ذلك لغيره: أسألك بالله أن تفعل الأمر الفلان؛ لعلمه بما قام في قلبه من تعظيم الله الداعي أن لا يرد من سأله بالله، فكما عظمتموه بذلك فلتعظموه بعبادته وتقواه.

وكذلك الإخبار بأنه رقيب، أي: مطلع على العباد في حال حركاتهم وسكونهم، وسرهم وعلنهم، وجميع أحوالهم، مراقباً لهم فيها مما يوجب مراقبته، وشدة الحياء منه، بلزوم تقواه.

وفي الإخبار بأنه خلقهم من نفس

واحدة، وأنه بثهم في أقطار الأرض، مع رجوعهم إلى أصل واحد \_ ليعطف بعضهم على بعض، ويرقق بعضهم على بعض. وقرن الأمر بتقواه بالأمر ببر الأرحام والنهى عن قطيعتها، ليؤكد هذا الحق، وأنه كما يلزم القيام بحق الله، كذلك يجب القيام بحقوق الخلق، خصوصاً الأقربين منهم، بل القيام بحقوقهم هو من حق الله الذي أمر الله به، وتأمل كيف افتتح هذه السورة بالأمر بالتقوى، وصلة الأرحام والأزواج عموماً، ثم بعد ذلك فصل هذه الأمور أتم تفصيل، من أول السورة إلى آخرها. فكأنها مبنية على هذه الأمور المذكورة، مفصلة لما أجمل منها، موضحة لما أبهم.

وفي قوله: ﴿وخلق منها زوجها﴾ تنبيه على مراعاة حتى الأزواج

والزوجات والقيام به، لكون الزوجات مخلوقات من الأزواج، فبينهم وبينهن أقرب نسب وأشد اتصال، وأقرب(١) علاقة.

وقوله تعالى: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً﴾ ، هذا أول ما أوصى به من حقوق الخلق في هذه السورة. وهم اليتامى الذين فقدوا آباءهم الكافلين (٢) لهم، وهم صغار ضعاف لا يقومون بمصالحهم.

فأمر الرؤوف الرحيم عباده أن يحسنوا إليهم، وأن لا يقربوا أموالهم إلا بالتي هي أحسن، وأن يوتوهم أموالهم إذا بلغوا ورشدوا، كاملة الذي هو أكل مال اليتيم بغير حق. ﴿بالطيب﴾ وهو الحلال الذي ما فيه حرج ولا تبعة. ﴿ولا تأكلوا أموالهم تنبيه لقبح أكل مالهم بهذه الحالة، التي تنبيه لقبح أكل مالهم بهذه الحالة، التي من الرزق في ماله. فمن تجرأ على هذه الحالة، فقد أتى ﴿حوباً كبيراً على هذه الحالة، فقد أتى ﴿حوباً كبيراً على هذه الحالة، ووزراً جسيماً.

ومن استبدال الخبيث بالطيب أن يأخذ الولي من مال اليتيم النفيس، ويجعل بدله من ماله الخسيس. وفيه الولاية على اليتيم، لأن مِنْ لازم إيتاء اليتيم ماله، ثبوت ولاية المؤتي على

وفيه الأمر بإصلاح مال اليتيم، لأن تمام إيتائه ماله حفظه، والقيام به بما يصلحه وينميه، وعدم تعريضه للمخاوف والأخطار.

﴿٣ ـ ٤ ﴾ ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا \* وآنوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء

<sup>(</sup>١) في ب: وأوثق.

<sup>(</sup>۲) كذا في ب، وفي أ: الذين فقدت آباؤهم الكافلون.

ALDERDA AL PROPERTO بنضروراتهم وحاجاتهم الدينية والدنيوية، وأن يقولوا لهم قولاً معروفاً، بأن يعدوهم \_إذا طلبوها \_ أنهم سيدفعونها لهم بعد رشدهم، ونحو ذلك، ويلطفوا لهم في الأقوال

جبراً لخواطرهم. وفي إضافته تعالى الأموال إلى الأولياء، إشارة إلى أنه يجب عليهم أن يعملوا في أموال السفهاء ما يفعلونه في أموالهم، من الحفظ والتصرف وعدم التعريض للأخطار. وفي الآية دليل على أن نفقة المجنون والصغير والسفيه في مالهم، إذا كان لهم مال، لقوله: ﴿وَارِزْقُوهُمْ فَيُهَا وَاكْسُوهُمْ ﴾ .

وفيه دليل على أن قول الولى مقبول فيما يدعيه من النفقة المكنة والكسوة؛ لأن الله جعله مؤتمناً على مالهم، فلزم قبول قول الأمين.

﴿ ٢ ﴾ ﴿ وابتلوا اليتامي حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدأ فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبرواً ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفي بالله حسيبام الابتلاء: هو الاختبار والامتحان. وذلك بأن يدفع لليتيم المقارب للرشد، الممكن رشده، شيئاً من ماله، ويتصرف فيه التصرف اللائق بحاله، فيتبين بذلك رشده من سفهه. فإن

ولما كان كثير من الناس يظلمون النساء، ويهضمونهن حقوقهن، خصوصاً الصداق الذي يكون شيئاً كثيراً، ودفعة واحدة، يشق دفعه للزوجة، أمرهم وحثهم على إيتاء النساء ﴿صدقاتهن ﴾ أي: مهورهن ﴿نحلة﴾ أي: عن طيب نفس، وحال طمأنينة، فلا تمطلوهن أو تبخسوا منه شيئاً. وفيه: أن المهر يدفع إلى المرأة إذا كانت مكلفة، وأنها تملكه بالعقد، لأنه أضافه إليها، والإضافة تقتضي التمليك.

﴿ فإن طبن لكم عن شيء منه ﴾ أي: من الصداق ﴿نفساً ﴾ بأن سمحن لكم عن رضا واختيار بإسقاط شيء منه، أو تأخيره أو المعاوضة عنه. ﴿ فكلوه هنيئاً مريئاً ﴾ أي: لا حرج عليكم في ذلك ولا تبعة.

وفيه دليل على أن للمرأة التصرف في مالها \_ولو بالتبرع \_إذا كانت رشيدة، فإن لم تكن كذلك، فليس لعطيتها حكم، وأنه ليس لوليها من الصداق شيء، غير ما طابت به.

وفي قوله: ﴿فَانْكُحُوا مَا طَابُ لَكُمْ من النسَّاء﴾ دليل على أن نكاح الخبيثة غير مأموربه، بل منهني عنه، كالمشركة، وكالفاجرة، كما قال تعالى: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ وقال: ﴿الزانية لا ينكحها إلاّ زان أو مشرك 🦫 .

﴿٥﴾ وقوله تعالى: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفاً﴾ السفهاء، جمع «سفيه»، وهو مَنْ لا يحسن التصرف في المال، إما لعدم عقله كالمجنون والمعتوه، ونحوهما، وإما لعدم رشده كالصغير وغير الرشيد. فنهي الله الأولياء أن يؤتوا هؤلاء أموالهم، خشية إفسادها وإتلافها، لأن الله جعل الأموال قياماً لعباده في مصالح دينهم ودنياهم، وهؤلاء لا يحسنون القيام عليها وحفظها، فأمر الولي أن لا يؤتيهم إياها بل يرزقهم منها ويكسوهم، ويبذل منها ما يتعلق

منه نفساً فكلوه هنيئاً مرئياً﴾ أي: وإن خفتم ألا تعدلوا في يتامى النساء اللاتي تحت حجوركم وولايتكم، وخفتم أن لا تقوموا بحقهن لعدم محبتكم إياهن، فاعدلوا إلى غيرهن، وانكحوا﴿ما طاب لكم من النساء) أي: ما وقع عليهن اختياركم، من ذوات الدين، والمال، والجمال، والحسب، والنسب، وغير ذلك من الصفات الداعية لنكاحهن، فاختاروا على نظركم، ومن أحسن ما يختار من ذلك صفة الدين، كما قال النبي ﷺ: اتُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولجمالها، ولحسبها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يمينك».

وفي هذه الآية \_ أنه ينبغي للإنسان أن يختار قبل النكاح، بل وقد أباح له الشارع النظر إلى مَنْ يريد تزوجها، ليكون على بصيرة من أمره. ثم ذكر العدد الذي أباحه من النساء فقال: ﴿مثنى وثلاَّث ورباع﴾ أي: مَنْ أحب أن يأخذ ثنتين فليفعل، أو ثلاثاً فليفعل، أو أربعاً فليفعل، ولا يزيد عليها، لأن الآية سيقت لبيان الامتنان، فلا يجوز الزيادة على غير ما سمى الله تعالى إجماعاً.

وذلك لأن الرجل قد لا تندفع شهوته بالواحدة، فأبيح له واحدة بعد واحدة، حتى يبلغ أربعاً، لأن في الأربع غنية لكل أحد، إلا ما ندر، ومع هذا فإنما يباح له ذلك إذا أمن على نفسه الجور والظّلم، ووثق بالقيام بحقوقهن.

فإن خاف شيئاً من هذا، فليقتصر على واحدة، أو على ملك يمينه. فإنه لإ يجب عليه القسم، في ملك اليمين. ﴿ذلك﴾ أي: الاقتصار على واحدةٍ، أو ما ملكت اليمين ﴿أدني ألا تعولوا﴾ أي: تظلموا.

وفي هذا أن تعرض العبد للأمر الذي يخاف منه الجور والظلم، وعدم القيام بالواجب \_ ولو كان مباحاً \_ أنه لا ينبغي له أن يتعرض له، بل يلزم السعة والعافية، فإن العافية خير ما أعطى العبد.

استمر غير محسن للتصرف، لم يدفع إليه ماله، بل هو باق على سفهه، ولو بلغ عمراً كثيراً.

فإن تبين رشده وصلاحه في ماله وبلغ النكاح ﴿ فادفعوا إليهم أموالهم ﴾ كاملة موفرة. ﴿ ولا تأكلوها إسرافا ﴾ أي: بحاوزة للحدد الحلال الذي أباحه الله الحرام من أموالكم، إلى الحرام الذي حرمه الله عليكم من أموالهم.

﴿وبداراً أن يسكسبروا﴾ أي: ولا تأكلوها في حال صغرهم، التي لا يمكنهم فيها أخذها منكم، ولا منعكم من أكلها، تبادرون بذلك أن يكبروا، فيأخذوها منكم ويمنعوكم

وهذا من الأمور الواقعة من كثير من الأولياء، الذين ليس عندهم خوف من الله، ولا رحمة ومحبة للممولى عليهم، يرون هذه الحال، حال فرصة، فيغتنمونها ويتعجلون ما حرم الله عليهم، فنهى الله تعالى عن هذه الحالة بخصوصها.

﴿٧﴾ ﴿للرجال نصيب عما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب عما ترك ترك الوالدان والأقربون عما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً ﴾ كان العرب في الجاهلية ـ من جبروتهم (١) وقسوتهم،

لا يورثون الضعفاء، كالنساء والصبيان، ويجعلون الميراث للرجال الأقوياء، لأنهم \_ بزعمهم \_ أهل الحرب والقتال، والنهب والسلب، فأراد الرب الرحيم الحكيم أن يشرع لعباده شرعاً، يستوي فيه رجالهم ونساؤهم، وأقوياؤهم وضعفاؤهم. وقداً بحملا، لتوطن على ذلك أمراً مجملا،

فيأتي التفصيل بعد الإجمال، قد تشوفت له النفوس، وزالت الوحشة التي منشؤها العادات القبيحة، فقال: ﴿للرجال نصيب﴾ أي: قسط وحصة ﴿مَا ترك﴾ أي: خلف ﴿الوالدان﴾ أي: الأب والأم ﴿والأقربون﴾ عموم بعد خصوص ﴿وللنساء نصيبٌ مَا ترك الوالدان والأقربون﴾

فكأنه قيل: هل ذلك النصيب راجع إلى العُرف والعادة، وأن يرضخوا لهم ما يشاؤون؟ أو شيئاً مقدراً؟ فقال تعالى: ﴿نصيباً مفروضاً﴾ أي: قد قدره العليم الحكيم، وسيأتي إن شاء الله \_ تقدير ذلك.

وأيضاً فهاهنا توهم آخر، لعل أحداً يتوهم أن النساء والولدان ليس لهم نصيب إلا من المال الكثير، فأزال ذلك بقوله: ﴿عما قل منه أو كثر﴾ فتبارك الله أحسن الحاكمين.

﴿٨﴾ ﴿وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً ﴾ وهذا من أحكام الله الحسنة الجليلة الجابرة أي: قسمة المواريث ﴿أولو القربى ﴾ أي: الأقارب غير الوارثين، بقرينة وله: ﴿القسمة ﴾ لأن الوارثين من المقسوم عليهم. و﴿اليتامى والمساكين ﴾ فوارزقوهم منه ﴾ أي: أعطوهم ما تيسر من هذا المال الذي جاءكم بغير كد ولا تعب، ولا عناء ولا نصب، فإن نفوسهم متشوفة إليه، وقلوهم ما

متطلعة، فاجبروا خواطرهم بما لا يضركم وهو نافعهم.

ويؤخذ من المعنى أن كل مَنْ له تطلع وتشوف إلى ما حضر بين يدي الإنسان، ينبغي له أن يعطيه منه ما تيسر، كما كان النبي على يقول: "إذا جاء أحدكم خادمه بطعامه فليجلسه معه، فإن لم يجلسه معه، فليناوله لقمة أو لقمتين" أو كما قال.

وكان الصحابة رضي الله عنهم - إذا بدأت باكورة أشجارهم - أتوا بها رسول الله على ، فبرّك عليها، ونظر الله أسخر وليد عنده فأعطاه ذلك، علماً منه بشدة تشوفه لذلك، وهذا كله مع إمكان الإعطاء، فإن لم يمكن ذلك - لكونه حق سفهاء، أو ثم أهم من ذلك - فليقولوا لهم قولاً معروفاً يردوهم (٢) رداً جميلاً، بقول حسن غير فاحش ولا قبيح .

و ١٠ - ١٩ و وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً \* إن الذين يأكلون في بطونهم اليتامي ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً \* قيل: إن هذا خطاب لمن يحضر مَنْ حضره الموت وأجنف في وصيته، أن يأمره بالعدل في وصيته والمساواة فيها، بدليل قوله: وليقولوا قولاً سديداً \* أي: سداداً، موافقاً للقسط والمعروف. وأنهم يأمرون مَنْ يريد الوصية على أولاده، بعا يجون معاملة أولادهم بعدهم.

به يبرى تعادل و دعم بعدم و و و و يسل : إن المراد بدلسك أولياء السفهاء من المجانين والصغار والضعاف، أن يعاملوهم في مصالحهم من بعدهم من ذريتهم الضعاف. ولايتهم لغيرهم، أي: يعاملونهم بما فيه تقوى الله، من عدم إهانتهم، والقيام عليهم، والزامهم لتقوى الله.

ولما أمرهم بذلك، زجرهم عن أكل أموال اليتامي، وتوعد على ذلك أشد

الفرض عن النصف، ولا ثم بعده إلا الثلثان. وأيضاً فقوله: ﴿للذُّكر مثل حظ الأنثيين﴾ إذا خلَّف ابناً وبنتاً، فإن الابن له الثلثان، وقد أخبر الله أنه مثل حظ الأنثيين، فدل ذلك على أن للبنتين الثلثين .

وأيضاً فإن البنت إذا أخذت الثلث مع أخيها \_ وهو أزيد ضرراً عليها من أُختها، فأخذها له مع أختها من باب أولى وأحرى. وأيضاً فَإن قوله تعالى في الأختين: ﴿ فإن كانتا اثنتين، فلهما الثلثان مما ترك الختين

فإذا كان الأختان الثنتان \_مع بُعدهما \_ يأخذان الثلثين، فالابنتان \_ مع قربهما \_من باب أولي وأحرى. وقد أعطى النبي ﷺ ابنتي سعد الثلثين كما في الصحيح .

بقى أن يقال: فما الفائدة في قوله: ﴿ فُوقَ النَّتِينَ ﴾ ؟ قيل: الفائدة في ذلك \_والله أعمله \_أنه ليعمله أن الفرض الذي هو الثلثان، لا يزيد بزيادتهن على الثنتين، بل من الثنتين فصاعداً. ودلت الآية الكريمة أنه إذا وجد بنت صلب واحدة، وبنت ابن أو بنات ابن، فإن لبنت الصلب النصف، ويبقى من الثلثين اللذين فرضهما الله للبنات أو بنات الابن السدس، فيعطى بنت الابن، أو بنات الابن، ولهذا يسمى هذا السدس تكملة الثلثين.

فإنه غير مذكور في ذلك. لكنه قد ثبت في السنن، عن المغيرة بن شعبة، ومحمد بن مسلمة أن النبي ﷺ أعطى الجدة السدس، مع إجماع العلماء على

فقوله تعالى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم♦ أي: أولادكم ∟يا معشر الواللديس -عندكم ودائع قد وصاكم الله عليهم، لتقوموا بمصالحهم الدينية والدنيوية، فتعلمونهم وتؤدبونهم، وتكفونهم عن المفاسد، وتأمرونهم بطاعة الله، وملازمة التقوي على الدوام كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِّينَ آمنُوا قُوا أَنفُسِكُم وأهليكم نارأ وقودها الناس والحجارة كالأولاد عند والديهم موصى بهم، فإما أن يقوموا بتلك الوصية، وإما أن يضيعوها، فيستحقوا بذلك الوعيد والعقاب. وهذا مما يدل على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالدين، حيث أوصى الوالدين مع كمال شفقتهم، عليهم.

ثم ذكر كيفية إرثهم فقال: ﴿للذكر مشل حظ الأنشيين ﴾ أي: الأولاد للصلب، والأولاد للابن، للذكر مثل حظ الأنثيين، إن لم يكن معهم صاحب فرض، أو ما أبقت الفروض يقتسمونه كذلك، وقد أجمع العلماء على ذلك، وأنه مع وجود أولاد المصلب م فالميراث لهم. وليس لأولاد الابن شيء، حيث كان أولاد الصلب، ذكوراً وإناثاً، هذا مع اجتماع الذكور والإنباث. وهينا حالسان: انفراد الذكور، وسيأتي حكممها. وانفراد الإناث، وقد ذكره بقوله: ﴿فَإِنْ كُنَّ نساء فوق اثنتين﴾ أي: بنات صلب أو بنات ابن، ثلاثاً فأكثر ﴿فلهن ثلثا ما ترك، وإن كانت واحدة ﴾ أي: بنتأ أو بنت ابن ﴿فلها النصف﴾ وهذا إجماع. بقى أن يقال: من أين يستفاد أن للابنتين الثنتين الثلثين بعد الإجماع على

فالجواب أنه يستفاد من قوله: ﴿وَإِنَّ كانت واحدة فلها النصف، فمفهوم ذلك أنه إن زادت على الواحدة، انتقل

العذاب فقال: ﴿إِن الذين يأكلون أموال اليتامي ظلماً ﴾ أي: بغير حق، وهذا القيد يخرج به ما تقدم، من جواز الأكل للفقير بالمعروف، ومن جواز خلط طعامهم بطعام اليتامي.

فمَنْ أكلها ظلماً، فـ ﴿إنما يأكلون في بطونهم نارأ ﴿ أَي : فإن الذي أكلوه نار تتأجج في أجوافهم وهم الذين أدخلوها في بطونهم. ﴿وسيصلون سعيراً﴾ أي : ناراً محرقة متوقدة . وهذا أعظم وعيد ورد في الذنوب، يدل على شناعة أكل أموال اليتامي وقبحها، وأنها موجبة لدخول النار، فدل ذلك أنها من أكبر الكبائر. نسأل الله

﴿١١ ـ ١٢﴾ ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين أباؤكم وأبناءكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً # ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بهآأو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم﴾ هذه الآيات، والآية التي هي آخر السورة هن آيات المواريث المتضمنة لها. فإنها مع حديث عبد الله بن عباس الثابت في صحيح البخاري «ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر» \_مشتملات على جل أحكام الفرائض، بل على جميعها

كما سترى ذلك، إلا ميراث الجدات

وتدل الآية أنه متى استغرق البنات أو بنات الابن الثلثين، أنه يسقط من دونهن من بنات الابن، لأن الله لم يفرض لهن إلا الثلثين، وقد تم. فلو لم يسقطن، لزم من ذلك أن يفرض لهن أزيد من الثلثين، وهو خلاف النص. وكل هذه الأحكام مجمع عليها لمين العلماء، ولله الحمد.

ودل قوله: ﴿ عَا ترك ﴾ أن الوارثين يرثون كل ما خلف الميت، من عقار، وأثاث، وذهب وفضة، وغير ذلك، حتى الدية التي لم تجب إلا بعد موته، وحتى الديون التي في الذمم(١).

شم ذكر ميراث الأبوين فقال: ﴿ولأبويه ﴾ أي: أبوه وأمه ﴿لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد أي: ولد صلب أو ولد ابن، ذكراً كان أو أنثى، واحداً أو متعدداً. فأما الأم فلا تزيد على السدس مع أحد من الأولاد.

وأما الأب فمع الذكور منهم، لا يستحق أزيد من السدس، فإن كان

الولد أنثى أو إناثاً، ولم يبق بعد الفرض شيء \_ كأبوين وابنتين \_ لم يبق له تعصيب. وإن بقي بعد فرض البنت أو البنات شيء، أخذ الأب السدس فرضاً، والباقي تعصيباً، لأننا ألحقنا الفروض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر، وهو أولى من الأخ والعم، وغيرهما.

وفإن لم يكن له ولد، وورثه أبواه، فلأُمه الثلث الذب أي: والباقي للأب، لأنه أضاف المال إلى الأب والأم، إضافة واحدة، ثم قدر نصيب الأم، فدل ذلك، على أن الباقي للأب.

وعلم من ذلك أن الأب مع عدم الأولاد لا فرض له، بل يرث تعصيباً المال كله، أو ما أبقت الفروض، لكن لو وجد مع الأبوين أحد الزوجين ويعبر عنهما بالعمريتين فإن الزوج أو الزوجة يأخذ فرضه، ثم تأخذ الأم ثلث الباقي والأب الباقي.

وقد دلَّ على ذلك قوله: ﴿وورثه أبواه، فلأمه الثلث﴾ أي: ثلث ما ورثه الأبوان. وهو في هاتين الصورتين، إما سدس في زوج وأم وأب، وإما ربع في زوجة وأم وأب. فلم تدل الآية على إرث الأم، ثلث المال كاملاً، مع عدم الأولاد حسى يسقال: إن هاتين الصورتين قد استثنيتا من هذا.

ويوضع ذلك أن الذي يأخذه الزوج أو الزوجة بمنزلة ما يأخذه الغرماء، فيكون من رأس المال، والباقي بين الأبوين.

الد بويس. ولأنا لو أعطينا الأم ثلث المال، لزم زيادتها على الأب في مسألة الزوج، أو أخذ الأب في مسألة الزوجة زيادة عنها نصف السدس، وهذا لا نظير له، فإن المعهود مساواتها للأب، أو أخذه ضعف ما تأخذه الأم.

﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخُوهَ فَلْأُمُّهُ السُّدس﴾ أشقاء، أو لأب، أو لأم، ذكوراً كانوا

أو إناثاً، وارثين أو محجوبين بالأب، أو الجد [لكن قد يقال: ليس ظاهر قوله: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِحْوَةٌ شَامَالاً لَغَيْرِ الوَارثين بدليل عدم تناولها للمحجوب بالنصف، فعلى هذا لا يحجبها عن المناسك من الإخوة إلا الإخوة الوارثون. ويؤيده أن الحكمة في الوارثون. ويؤيده أن الحكمة في حجبهم لها عن الثلث لأجل أن يتوفر لهم شيء من المال، وهو معدوم، والله أعلم] أن ولكن بشرط كونهم اثنين فأكثر، ويشكل على ذلك إتيان لفظ فأكثر، ويشكل على ذلك إتيان لفظ ذلك بأن القصود مجرد التعدد ذلك بأن القصود مجرد التعدد لا الجمع، ويصدق ذلك باثنين.

وقد يطلق الجمع ويراد به الاثنان، كما في قوله تعالى عن داود وسليمان. 
وكنا لحكمهم شاهدين وقال في الإخوة للأم: ﴿ وإن كان رجل يورك كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث \*

فأطلق لفظ الجمع والمراد اثنان فأكثر بالإجماع. فعلى هذا لو خلف أما وأبا وإخوة، كان للأم السدس، والباقي للأب، فحجبوها عن الشلث، مع حجب الأب إياهم [إلا على الاحتمال الآخر فإن للأم الشلث والباقي للأس](").

ثم قال تعالى: ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين ﴾ أي: هذه الفروض والأنصباء والمواريث، إنما ترد وتستحق بعد نزع الديون التي على الميت لله أو للآدميين، وبعد الوصايا التي قد أوصى الميت بها بعد موته، فالباقي عن ذلك، هو التركة الذي يستحقه الورثة.

وقدم الوصية مع أنها مؤخرة عن الدين للاهتمام بشأنها، لكون إخراجها شاقاً على الورثة، وإلا فالديون مقدمة عليها، وتكون من رأس المال.

<sup>(</sup>١) في ب: الذمة.

 <sup>(</sup>۲) زيادة من هامش ب وهناك زيادة أخرى في هامش أ وإن لم يتبين محلها، لكنها ذات صلة بهذا الموضوع وهي قوله: [وعند شيخ الإسلام إذا كان الإخوة غير وارثين فإنهم لا يحجبون الأم] وبعد كلمة الأم كلمة غير واضحة في الأصل.

<sup>(</sup>٣) زيادة من هامش ب.

الجزء الجزء الرابع كم

وأما الوصية فإنها تصح من الثلث فأقل، للأجنبي الذي هو غير وارث. وأما غير ذلك فلا ينفذ إلا بإجازة الورثة، قال تعالى: ﴿آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً﴾ .

فلورد تقدير الإرث إلى عقولكم واختياركم لحصل من الضور ما الله بهُ عليم، لنقص العقول وعدم معرفتها بما هو اللائق الأحسن، في كل زمان ومكان. فلا يدرون أي: الأولاد أو الوالدين أنفع لهم وأقرب، لحصول مقاصدهم الدينية والدنيوية .

﴿ فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً ﴾ أي: فرضها الله الذي قد أحاط بكل شيء علماً، وأحكم ما شرعه، وقدر ما قدره على أحسن تقدير، لا تستطيع العقول أن تقترح مثل أحكامه الصالحة الموافقة لكل زمآن ومكان وحال.

ثم قال تعالى: ﴿ولكم ايها الأزواج ﴿نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بهأ أو دين، ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد، فإن كان لكم ولد فلهن الثمن عما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين﴾ 🦼

ويدخل في مسمى الولد المشروط وجوده أو عدمه، ولد الصلب أو ولد الابن الذكر والأنثى، الواحد والمتعدد، الذي من الزوج أو من غيره، ويخرج عنه ولد البنات إجماعاً.

شم قبال تعالى: ﴿وإِنْ كِبَانُ رَجِيلِ يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت﴾ أي: من أم، كما هي في بعض القراءات. وأجم العلماء على أن المراد بالإخوة هنا الإخوة للأم، فإذا كان يورث كلالة أي: ليس للميت والدولا ولـد أي: لا أب ولا جـد ولا ابـن ولا ابن ابن ولا بنت، ولا بنت ابن وإن نزلوا. وهذه هي الكلالة، كما فسرها

بذلك أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وقد حصل على ذلك الاتفاق، ولله الحمد.

﴿ فلكل واحد منهما ﴾ أي: من الأخ والأخت ﴿السدس﴾ ﴿فإن كانوا أكثر من ذلك) أي: من واحد ﴿فهم شركاء في الثلث، أي: لا يزيدون على الثلث ولو زادوا عن اثنين. ودل قوله: ﴿فهم شركاء في الثلث﴾ أن ذكرهم وأنشاهم سواء، لأن لفظ «التشريك»(١) يقتضى التسوية.

ودل لفظ «الكلالة» على أن الفروع وإن نيزلوا، والأصبول الذكبور وإن علوا، يسقطون أولاد الأم، لأن الله لم يورثهم إلا في الكلالة، فلولم يكن يورث كَلالة، لَّم يرثوا منه شيئاً اتفاقاً.

ودل قبوله: ﴿فهم شركاء في الثلث الإخوة الأشقاء يسقطون في المسألة المسماة بالحمارية. وهي: زوج، وأم، وإخسوة لأم، وإخسوة أشقاء. للزوج النصف. وللأم السيدس، وللإخوة للأم الشلث، ويسقط الأشقاء، لأن الله أضاف الثلث للإخوة من الأم، فلو شاركهم الأشقاء لكان جعاً لما فرق الله حكمه. وأيضا فإن الإخوة للأم أصحاب فروض، والأشقاء عصبات. وقد قال النبي ﷺ: "ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقى فلأولى رجل ذكر». وأهل الفروض هم الذين قدر الله أنصباءهم، ففي هذه المسألة لا يبقى بعدهم شيء، فيسقط الأشقاء، وهذا

هو الصواب في ذلك. وأما ميسراث الإخبوة والأخبوات الأشقاء أو لأب، فمذكور في قوله: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾ الآية.

فالأخت الواحدة شقيقة أو لأب لها النصف، والثنتان لهما الثلثان، والشقيقة الواحدة مع الأخت للأب، أو الأخوات، تأخذ النصف والباقي

أُوْلَتِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَن ٱللَّهُ فَلَن جَدَلَهُ مُصِيرًا ۞ أَمْلَهُمْ نَصِيبُ مِنْ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْمِّن النَّاسَ نَقِيرًا ۞ أَمْرَيَحْسُدُ وِنَ ٱلنَّاسَ عَلَى مَآءَا تَنْهُمُ أَلْقَدُمِن فَضَيلِهُ وَفَعَدْءَانَيْنَا ءَالَ إِبْرُهِيمَ ٱلْكِتَبَ وَلَلْحَكُمَةً وَءَالَيْنَهُمُ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿ فِينْهُم مِّنْ ءَامَنَ بِهِ ء وَمِنْهُم مِّن صَدَّعَنْهُ وَكُوَّ بِحَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَائِنَيْنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ مَالًّا كُلُّمَا نَضِحَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرِهَا لِيَذُوفُواْ ٱلْعَذَاتُ إِنَ ٱللَّهَ كَانَ عَيْرِزَاحَيْكُ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَيِلُواْ الصَّلِيحَتِ سَنُدَخِلُهُمُّ جَنَّتِ تَحْدِي مِن تَعِيهَا ٱلْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِهَا أَبَدُّا لَهُمْ فِهَا أَزْوَاحُ مُّطَهَّرَةً وَنُدْخِلُهُمْ ظِلَّاطَلِيلًا ۞ • إِنَّالَةَ يَأْمُرُكُمُ أَنْ تُوَدُّواْ ٱلْأَمْنَاتِ إِلَّا أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُ رَبِّينَ ٱلنَّاسِ أَنْ غَكْمُواْ بِٱلْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ يَفِيمًا يَعِظُكُمْ بِمِثَّمَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَيِيرًا ﴿ يَنَأَيُّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوۤ أَلِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِمِن كُرُّ فَإِن سَّنَزَعْتُمْ فِي شَيْءِ فَرُدُّوهُ إِلَى الْمَهِ وَالرَّسُولِ إِن الله الله المُعْمَ الله وَالله وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ اللَّالَّالِمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالَّاللَّالِمُ وَاللَّهُ واللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّ 

من الشلشين للأخت أو الأخوات لأب (٢)، وهو السدس تكملة الثلثين. وإذا استغرقت الشقيقات الثلثين سقط الأخوات للأب كما تقدم في البنات وبنات الابن. وإن كان الإخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين.

فإن قيل: فهل يستفاد حكم ميراث القاتل، والرقيق، والمخالف في الدين، والمبعض، والخنثى، والجدمع الإخوة لغير أم، والعول، والرد، وذوي الأرحام، وبقية العصبة، والأخوات لغير أم، مع البنات أو بنات الابن من القرآن أم لا؟

قيل: نعم، فيه تنبيهات وإشارات دقيقة يعسر فهمها على غير المتأمل، تدل على جميع المذكورات. فأما (القاتل والمخالف في الدين) فيعرف أنهما غير وارثين من بيان الحكمة الإلهية في توزيع المال على الورثة، بحسب قربهم ونفعهم الديني والدنيوي.

وقد أشار تعالى إلى هذه الحكمة بقوله: ﴿لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً ﴾ . وقد علم أن القاتل قد سعى لمورثه (٣) بأعظم الضرر، فلا ينتهض ما فيه من موجب الإرث، أن يقاوم ضرر القتل الذي هو ضد النفع الذي

في ب: الشريك. (١)

في النسختين أخوات الأب، والصواب ـ والله أعلم ـ ما أثبته، وظاهر أنه سبق قلم. (٢)

في الأصل: لموروثه. (٣)

الْوَسُولُ الَّذِي مَعْمُوبُ أَفَهُمْ مَا سُؤُومِ اَلْ اَلْكَ الْكَانُونِ وَمَا أَنْرِلُ النَّكَ مُوكِ الْمَيْعَا الْمَالُونُ وَمَا أَنْرِلُ اللَّهُ مَعْمَلُوا الْمَالُمُونِ وَمَا أَنْرِلُوا أَنْ النَّهُ وَمَا اللَّهُ مَعْمَلُوا اللَّهُ مَعْمَلُوا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ مَعْمَلُوا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ مَعْمَلُوا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُولُولُولُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللْهُ وَاللَّهُ وَالل

THE RESIDENCE STREET

رتب عليه الإرث. فعلم من ذلك أن القتل أكبر مانع يمنع الميراث، ويقطع الرحم الذي قال الله فيه: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾. مع أنه قد استقرت القاعدة الشرعية أن "من استعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه".

وبهذا ونحوه يعرف أن المخالف لدين الموروث لا إرث له، وذلك أنه قد تعارض الموجب الذي هو اتصال النسب الموجب للإرث، والمانع الذي هو المخالفة في الدين، الموجبة للمباينة من كل وجه، فقوي المانع، ومنع موجب الإرث الذي هو النسب، فلم يعمل الموجب لقيام المانع. يوضح ذلك أن الله تعالى قد جعل حقوق المسلمين أولى من حقوق الأقارب الكفار الدنيوية، فإذا مات المسلم انتقل ماله إلى مَنْ هو أولى وأحق به. فيكون قوله تعالى: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إذا اتفقت أديانهم، وأما مع تباينهم، فالأخوة الدينية مقدمة على الأخوة النسبية المجردة.

قال ابن القيم في «جلاء الأفهام»: «وتأمل هذا المعنى في آية المواريث، وتعليقه سبحانه التوارث فيها بلفظ الزوجة، دون المرأة، كما في قوله

تعالى: ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم . إيذاناً بأن هذا التوارث إنما وقع بالزوجية المقتضية للتشاكل والتناسب، والمؤمن والكافر لا تشاكل بينهما ولا تناسب، فلا يقع بينهما التوارث. وأسرار مفردات القرآن ومركباته فوق عقول العالمين (١) [انتهى].

وأما (الرقيق) فإنه لا يرث ولا يمورّث، أماكمونه لا يمورث فواضح، لأنه ليس له مال يورث عنه، بل كلّ ما معه فهو لسيده. وأما كونه لا يرث، فلأنه لا يملك، فإنه لو ملك لكان لسيده، وهو أجنبي من الميت، فيكون مثل قوله تعالى: ﴿للذَّكُرُ مثل حظ الأنثيين ﴾ \_ ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم ، ﴿ فلكل وأحد منهما السدس، ونحوها، لمن يتأتى منه التملك، فأما الرقيق فلا يتأتى منه ذلك، فعلم أنه لا ميراث له. وأما من بعضه حر وبعضه رقيق، فإنه تتبعض أحكامه. فما فيه من الحرية يستحق بها ما رتبه الله في المواريث، لكون ما فيه من الحرية قابلاً للتملك، وما فيه من الرق فليس بقابل لذلك، فإذا يكون المعض، يرث ويورث، ويحجب بقدر ما فيه من الحرية. وإذا كان العبد يكون محموداً مذموماً، مثاباً ومعاقباً، بقدر ما فيه من موجبات ذلك، فهذا كذلك.

يه من موجبت دين، فهذا تدين. وأما (الخنثى) فلا يخلو إما أن يكون واضحاً ذكوريته أو أنوثيته، أو مشكلاً. فإن كان واضحاً فالأمر فيه واضح.

إن كان ذكراً فله حكم الذكور، ويشمله النص الوارد فيهم.

وإن كان أُنثى فله حكم الإناث، ويشملها النص الوارد فيهن.

وإن كان مشكلاً، فإن كان الذكر والأنثى لا يختلف إرثهما \_ كالإخوة للأم \_ فالأمر فيه واضح، وإن كان مختلف إرثه بتقدير ذكوريته وبتقدير أنوثيته، ولم يبق لنا طريق إلى العلم بذلك، لم نعطه أكثر التقديرين،

لاحتمال ظلم من معه من الورثة، ولم نعطه الأقل، لاحتمال ظلمنا له. فوجب التوسط بين الأمرين، وسلوك أعدل الطريقين، قال تعالى: ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ وليس لنا طريق إلى العدل في مثل هذا أكثر من هذا الطريق المذكور. و ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾

وسعه والمورات المدا استعمام . . وأما (ميراث الجد) مع الإخوة الأشقاء أو لأب، وهل يرثون معه أم لا؟ فقد دل كتاب الله على قول أبي بكر الصديق رضى الله عنه، وأن الجد يجب الإخوة أشقاء أو لأب أو لأم، كما يجبهم الأب.

وبيان ذلك: أن الجد أب في غير موضع من القرآن، كقوله تعالى: ﴿إِذَ حضر يعقوب الموت، إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسحاق الآية. وقال يوسف عليه السلام: ﴿واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾.

فسمى ألله الجد وجد الأب أباً. فدل ذلك على أن الجد بمنزلة الأب، يرث ما يرثه الأب، ويحجب من عجه.

وإذا كان العلماء قد أجعوا على أن الجد حكمه حكم الأب عند عدمه في ميراثه مع الأولاد وغيرهم، من بني الإخوة والأعمام وبنينهم، وسائر أحكام (٢) المواريث، فينبغي أيضاً أن يكون حكمه حكمه في حجب الإخوة لغير أم.

وإذا كان ابن الابن بمنزلة ابن الصلب، فلِمَ لا يكون الجد بمنزلة الأب؟ وإذا كان جد الأب مع ابن الأخ، قد اتفق العلماء على أنه يحجبه. فلِمَ لا يحجب جد الميت أخاه؟ فليس مع مَنْ يورث الإخوة مع الجد، نص ولا إشارة، ولا تنبيه ولا قياس

وأماً مسائل (الغول) فإنه يستفاد حكمها من القرآن، وذلك أن الله تعالى قد فرض وقدر لأهل المواريث أنصباء،

وَلَوْاَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اَقْتُلُوۤاْ اَنْفُسَكُمْ أَوَاخْرُجُوامِن دِينرِكُمْ مَافَعَكُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ قَلَوْ أَنَّهُمْ فَعُلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦٓلَكَانَڂَيۡزَالَّهُمۡ وَأَشَـدَّ تَنْفِيسُنَا ۞ وَإِذَا لَاَنْبَنَهُمۡ مِن لَّدُنَّا أَخِرًا عَظِيمًا ﴿ وَلَهَ يَنْهُمْ صِرَطًا سُسَيِّقِهِمًا ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَيْهِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَـمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ ٱلنَّبَيَّىٰ وَٱلصِّدِيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّلِٰحِينَٰ وَحَسُرُ أُوْلَيْهَكَ رَفِيقًا ۞ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُينِ ٱللَّهَ وَكَعَمَا بِاللَّهِ عَلِيكًا ۞ يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْخُذُواْحِدُرَكُمْ غَايَفِرُواْ ثُبَاتٍ أُواْنِفِرُواْ جَيعًا ۞ وَإِذَّ مِنكُوْلَنَ لَّبُيُّطِانَكُ فَإِنْ أَصَنَبَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ فَدْ أَنْفَ مَاللَّهُ عَلَى إِذْ لُو أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿ وَلَيِنْ أَصَابَكُوْ فَضَدَّ لِّينَ ٱللَّهِ لِيَقُولَنَّ كَان لُرْ تَكُنْ بَيْنَ كُمْ وَبَيْتَ وُمُودًةً يُلَلِّنَي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ۞ • فَلْيُقَيْلُ فِي سَيِيلِ اللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوْةَ ٱلدُّنْيَ الْإِلْآخِ رَفَّوَمَن يُقَالِيْلُ فِ ا سَيِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ أَوْيَغَلِبْ فَسَوْفَ نُوْتِيهِ لَجُرًّا عَظِيمًا ۞

فإن تساووا من كل وجه اشتركوا. والله

TOWNSON MEDICAL

وأما كون الأخوات لغير أم مع البنات، أو بنات الابن عصبات، يأخذن ما فضل عن فروضهن، فلأنه ليس في القرآن ما يدل على أن الأخوات يسقطن بالبنات.

فإذا كان الأمر كذلك، وبقى شيء بعد أخذ البنات فرضهن، فإنه يعطى للأخوات، ولا يعدل عنهن إلى عصبة أبعد منهن، كابن الأخ والعم، ومَنْ هو أبعد منهم. والله أعلم.

﴿١٤ \_ ١٤ ﴾ ﴿تلك حيدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم \* ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ﴾ أي: تلك التفاصيل التي ذكرها في المواريث حدود الله التي يجب الوقوف معها، وعدم مجاوزتها، ولا القصور عنها، وفي ذلك دليل على أن الوصية للوارث منسوخة بتقديره تعالى أنصباء الوارثين. شم قوليه تعالى: ﴿ تُعَلَّكُ حدود الله (٢) فالوصية للوارث بزيادة

علة الرد كونه صاحب فرض قريباً، إما أن يحجب بعضهم بعضاً، أو وعلى القول الآخر أن الزوجين كغيرهما من ذوى الفروض يرد عليهما؛ فكما ينقصان بالعول فإنهما يزادان بالرد كغيرهما فالعلة على هذا كونه وارثأ صاحب فرض، فهذا هو الظاهر من دلالة الكتاب والسنة، والقياس الصحيح والله أعلم]<sup>(١)</sup>.

وبهذا يعلم أيضاً (ميراث ذوي الأرحام) فإن الميت إذا لم يخلف صاحب فرض ولا عاصباً، وبقى الأمر دائراً بين كون ماله يكون لبيت المال لمنافع الأجانب، وبين كون ماله يرجع إلى أقاربه المدلين بالورثة المجمع عليهم، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿وأُولُو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله الله الله فصرفه لغيرهم ترك لن هو أولى من غيره، فتعين توريث ذوي الأرحام. وإذا تعين توريثهم، فقد علم أنه ليس لهم نصيب مقدر بأعيانهم في كتاب الله. وأن بينهم وبين الميت وسائط، صاروا بسببها من الأقارب. فينزلون منزلة مَنْ أدلوا به من تلك الوسائط. والله أعلم.

وأما (ميراث بقية العصبة) كالبنوة، والأخوة وبنيهم، والأعمام وبنيهم إلخ فإن النبي ﷺ قال: «ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر». وقال تعالى: ﴿وَلَكُلُّ جِعَلْنَا مُوالَى مُمَا ترك الوالدان والأقربون ﴾. فإذا ألحقنا الفروض بأهلها، ولم يبق شيء، لم يستحق العاصب شيئاً، وإن بقي شيء أخذه أولى العصبة، وبحسب جهاتهم ودرجاتهم.

فإن جهات العصوبة خمس: البنوة، ثم الأبوة، ثم الأخوة وبنوهم، ثم العمومة وبنوهم، ثم الولاء، فيقدم منهم الأقرب جهة. فإن كانوا في جهة واحدة، فالأقرب منزلة، فإن كانوا في منزلة واحدة، فالأقوى وهو الشقيق،

وهم بين حالتين :

فإن حجب بعضهم بعضاً، فالمحجوب ساقط لا ينزاحم ولا يستحق شيئاً، وإن لم يحجب بعضهم بعضاً، فلا يخلو، إما أن لا تستغرق الفروض التركة، أو تستغرقها من غير زيادة ولا نقص، أو تزيد الفروض على التركة، ففي الحالتين الأوليين كلّ يأخذ فرضه كاملاً. وفي الحالة الأخيرة، وهي ما إذا زادت الفروض على التركة فلا يخلو من

إما أن ننقص بعض الورثة عن فرضه الذي فرضه الله له، ونكمل للباقين منهم فروضهم، وهذا ترجيح بغير مرجح، وليس نقصان أحدهم بأولى من الآخر، فتعينت الحال الثانية، وهي: أننا نعطي كل واحد منهم نصيبه بقدر الإمكان، ونحاصص بينهم كديون الغرماء الزائدة على مال الغريم، ولا طريق موصل إلى ذلك إلاَّ بالعول، فعلم من هذا أن العول في الفرائض قد بينه الله في كتابه.

وبعكس هذه الطريقة بعينها يعلم (الرد). فإن أهل الفروض إذا لم تستغرق فروضهم التركة، وبقي شيءً ليس له مستحق من عاصب قريب ولا بعيد، فإن رده على أحدهم ترجيح بغير مرجح، وإعطاؤه غيرهم ممن ليس بقريب للميت، جنف وميل، ومعارضة لقوله: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴿ . فتعين أن يردعلي أهل الفروض بقدر

فروضهم. ولما كان الزوجان ليسا من القرابة، لم يستحقا زيادة على فرضهم المقدر [هذا عند من لا يورث الزوجين بالرد، وهم جمهور القائلين بالرد فعلى هذا تكون

ما بين القوسين زيادة من هامش أ. وقد جاء في ب بدل هذه الزيادة ما نصه: [عند القائلين بعدم الرد عليهما. وأما على القول الصحيح أن حكم الزوجين حكم باقي الورثة في الرد فالدليل المذكور شامل للجميع، كما شملهم دليل العول].

هنا سبقُ قلم من الشيخ ــ رحمه الله \_ فالآية ﴿تلك حدود الله﴾ وأثبت الشيخ ــ زيادة ﴿فلا تعتدوها﴾ وليس هنا محلها، وعلى مقتضى ما أثبت فسر، فأبقيت الكلام كما هو، وعدلت الآية.

وَمَالَكُمْ لَانْفَيْلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَلْسُنَصَّعَفِينَ مِنَ الْمِيَالِ وَالْسَلَةِ وَٱلْوِلْدَانِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبِّنآ أَخْرِجْنَامِنْ هَافِهِ ٱلْقَرِّيْةِ ٱلظَّالِرَاهُلُهَا وَلَجْعَلَ لَّنَامِنِ لِّدُنُكَ وَلِيًّا وَأَجْعَلَ لِّنَامِن لَدُنكَ نَصِيرًا ۞ ٱلَّذِينَ مَامَوْا يُعَيْدُونَ فِي سَبِيلَ لَقَّةً وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُعَيِّدُونَ فِ سَبِيلِ ٱلطَّاغُوتِ فَقَائِلُوٓا أَوْلِيآا ٓ الشَّيْطَنِّ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَيْنَ كَانَ صَعِفًا ۞ أَلَرْسَرَاكَ الَّذِينَ قِيلَ لَمُتُمَّ كُفُوّاً أَيْدِيكُمْ وَأَقِيمُواْ السَّالَوَةَ وَوَاتُواْ ٱلزَّكُونَ فَلَمَّاكُيْبَ عَلَيْهِمُ الْقِنَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَحْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْأَشَدَّ خُشْيَةً وَقَالُواْرَيَّنَا لِرَكَيْلُتَ عَلَيْنَا ٱلْقِنَالَ لَوْلَآ أَخَرَيۡنَآ ۚ إِلَىٓ أَجَلِ فَرِيبٍ ۚ قُلْ مَنَاعُ ٱلدُّنْيَا قِلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ حَيْرٌ لِيَنَانَغَنَ وَلَانُظُلَمُونَ فَتِيلًا ۞ أَيْنَمَا نَكُونُواْ بُدْرِكَكُرُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْكُنتُدُ فِي بُرُوجٍ مُّشَيِّدَةً وَان نَصِبْهُمَّ حَسَنَةً يَتُولُواْ هَاذِوءِمِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَإِن تُصِبَّهُمْ سَيِئَةٌ يَقُولُواْ هَاذِوءِمِنْ عِندِكًّ قُلُكُلِّ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ فَأَلِ هَنَوُلِكُمْ ٱلْقَوْمِ لَايْكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۞ مَّأَأَصَابِكَ مِنْ حَسَنَةٍ فِينَ ٱللَّهِ وَمَاَّأَصَابِكَ مِن سَيِّتَة فِينَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلَنَكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكُنْ بِالْقَوشَبِيدُا ۞

على حقه، يدخل في هذا التعدي، مع قوله ﷺ: «لا وصية لوارث». ثم ذكر طاعة الله ورسوله ومعصيتهما عموماً، ليدخل في العموم لزوم حدوده في الفرائض، أو ترك ذلك، فقال: ﴿وَمَنْ يَطِعُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ بامتثال أمرهما الذي أعظمه طاعتهما في التوحيد، ثم الأوامر على اختلاف درجاتها، واجتناب نهيهما الذي أعظمه الشرك بالله، ثم المعاصى على اختلاف طبقاتها ﴿يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾. فمَنْ أدى الأوامر، واجتنب النواهي، فلا بدله من دخول الجنة والنجآة من النار. ﴿وذلك الفوز العظيم ﴾ الذي حصل به

NOVERDY "EDROED"

لا يصفه الواصفون. ﴿وَمَنْ يَعِصُ اللهِ ورسولُهُ ويتعد حدوده يدخله نارا خالداً فيها وله عذاب مهين، ويدخل في اسم المعصية الكفر فما دونه من المعاصى، فلا. يكون فيها شبهة للخوارج القائلين بكفر أهل المعاصى فإن الله تعالى رتب دخول الجنة على طَّاعته وطاعة رسوله. ورتب دخول النارعلي معصيته ومعصية رسوله، فمن أطاعه طاعة تامة دخل الجنة بلا عذاب.

النجاة من سخطه وعذابه، والفوز

بثوابه ورضوانه بالنعيم المقيم الذي

ومَنْ عصى الله ورسوله معصية تامة، يدخل فيها الشرك فما دونه،

دخل النار وخلَّد فيها، ومَنْ اجتمع فيه معصية وطاعة، كان فيه من موجب الثواب والعقاب بحسب ما فيه من الطاعة والمعصية. وقد دلت النصوص المتواترة على أن الموحدين الذين معهم طاعة التوحيد، غير مخلدين في النار، فما معهم من التوحيد مانع لهم من الخلود فيها.

﴿١٦ \_ ١٦﴾ ﴿والسلاتي يسأتسين الفاحشة من نساءكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً \* واللَّذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابأ رحيماً ﴾ أي: النساء ﴿اللاتِ يأتين الفاحشة اي: الزنا، ووصفها بالفاحشة لشناعتها وقبحها.

أي: من رجالكم المؤمنين العدول. ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَأُمْسَكُوهِنْ فِي البِيوتِ﴾ أي: احبسوهن عن الخروج الموجب للريبة، وأيضاً فإن الحبس من جملة العقوبات ﴿حتى يتوفاهن الموت﴾ أي: هذا منتهى الحبس. ﴿ أُو يَجعل الله لهن سبيلاً أي: طريقاً غير الحبس في البيوت، وهذه الآية ليست منسوخة، وإنما هي مغياة إلى ذلك الوقت، فكان الأمر في أول الإسلام كذلك، حتى جعل ألله لهن سبيلاً، وهو رجم المحصن وجلد غير المحصن.

﴿وَ كَذَلْكَ ﴿ اللَّذَانَ يَأْتِيانُهَا ﴾ أي: الفاحشة ﴿منكم﴾ من الرجال والنساء ﴿فَأَذُوهُما ﴾ بالقول والتوبيخ والتعيير، والضرب الرادع عن هذه الفاحشة، فعلى هذا يكون الرجال إذا فعلوا الفاحشة يؤذون، والنساء يحبسن ويؤذين.

فالحبس غايته إلى الموت، والأذية نهايتها إلى التوبة والإصلاح، ولهذا قىال: ﴿فَاإِنْ تِمَامِنا﴾ أي: رجعًا عن الذنب الذي فعلاه وندما عليه، وعزما على أن لا يعودا ﴿وأصلحا﴾ العمل الدال على صدق التوبة ﴿فأعرضوا عنهما ﴾ أي: عن أذاهما ﴿إِن الله كان

توابأ رحيماً ﴾ أي: كثير التوبة على المذنبين الخطائين، عظيم الرحمة والإحسان، الذي \_من إحسانه \_ وفقهم للتوبة وقبلها منهم، وسامحهم عن ما صدر منهم.

ويؤخذ من هاتين الآيتين أن بينة الزنا، لابدأن تكون أربعة رجال مؤمنين، ومن باب أولى وأحرى اشتراط عدالتهم؛ لأن الله تعالى شدد في أمر هذه الفاحشة، ستراً لعباده، حتى إنه لا يقبل فيها النساء منفردات، ولا مع الرجال، ولا ما دون أربعة.

ولا بدمن التصريح بالشهادة، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، وتسومسيء إليه هسذه الآيسة لما قسال: ﴿فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾. لم يكتف بذلك حتى قال: ﴿فَإِن شُهُدُوا﴾ أي: لا بد من شهادة صريحة عن أمر ﴿ فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ﴾ يشاهد عياناً، من غير تعريض ولا كناية.

ويؤخذ منهما أن الأذية بالقول والفعل والحبس، قد شرعه الله تعزيراً لجنس المعصية الذي يحصل به الزجر.

﴿ ١٧ \_ ١٨ ﴾ ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً \* وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً ﴾ توبة الله على عباده نوعانُ: توفيق منه للتوبة، وقبول لها بعد وجودها من العبد، فأخبر هنا \_أن التوبة المستحقة على الله حق أحقه على نفسه، كرماً منه وجوداً، لمن عمل السوء، أي: المعاصى ﴿بِجِهِالةِ﴾ أي: جهالة منه بعاقبتها، وإيجابها لسخط الله وعقابه، وجهل منه بنظر الله ومراقبته له، وجهل منه بما تؤول إليه من نقص الإيمان أو إعدامه، فكل عاص لله، فهو جاهل بهذا الاعتبار، وإن كان عالماً بالتحريم. بل العلم بالتحريم شرط لكونها معصية معاقب عليها. ﴿ثم يتوبون من قريب كا يحتمل أن يكون المعنى: ثم

يتوبون قبل معاينة الموت، فإن الله يقبل توبة العبد إذا تاب قبل معاينة الموت والعذاب قطعاً. وأما بعد حضور الموت، فلا يقبل من العاصين توبة، ولا من الكفار رجوع، كما قال تعالى قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل الآية. وقال تعالى: وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك ينفعهم إيمانهم، لما رأوا بأسنا،

وقال هنا: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات﴾ أي: المعاصي فيما دون الكفر.

وحتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن، ولا الذين يموتون وهم كفار، أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً وذلك أن التوبة في هذه الحال توبة اضطرار لا تنفع صاحبها، إنما تنفع توبة الاختيار. ويحتمل (١) أن يكون معنى قوله: همن قريب، أي: قريب فيكون المعنى: أن من بادر إلى الإقلاع من حين صدور الذنب، وأناب إلى الله يخلاف من استمر على ذنوبه (٢)، وأصر على عيوبه، حتى صارت فيه وأصر على عيوبه، حتى صارت فيه التوبة التامة.

والخالب أنه لا يوفق للتوبة، ولا ييسر لأسبابها، كالذي يعمل السوء على علم تام<sup>(٣)</sup> ويقين، وتهاون<sup>(٤)</sup> بنظر الله إليه، فإنه سد<sup>(٥)</sup> على نفسه باب الرحة.

نعم قد يوفق الله عبده المصر على اللذنوب عن عمد ويقين لتوبة (١) تامة (١) [التي] يمحو بها ما سلف من سيئاته، وما تقدم من جناياته، ولكن الرحمة والتوفيق للأول أقرب، ولهذا

ختم الآية الأولى بقوله: ﴿وكان اللهُ عليماً حكيماً ﴾ .

فمن علمه أنه يعلم صادق التوبة وكاذبها، فيجازي كلاً منهما بحسب ما يستحق بحكمته، ومن حكمته أن يوفق من اقتضت حكمته ورحمته توفيقه للتوبة، ويخذل من اقتضت حكمته وعدله عدم توفيقه. والله أعلم.

﴿ ١٩ - ٢١ ﴾ ﴿ يا أيها الذِّين آمنوا

لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً \* وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثماً مبيناً \* وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً ﴾ كانوا في الجاهلية إذا مات أحدهم عن زوجته، رأي قريبه كأخيه وابن عمه ونحوهما أنه أحق بزوجته من كل أحد، وحماها عن غيره، أحبت أو كرهت. فإن أحبها تزوجها على صداق يحبه دونها، وإن لم يرضها عضلها، فلا يزوجها إلا مَنْ يختاره هو، وربما امتنع من تزويجها حتى تبذل له شيئاً من ميراث قريبه أو من صداقها، وكان الرجل أيضاً يعضل زوجته التي [يكون] يكرهها ليذهب ببعض ما آتاها، فنهى الله المؤمنين عن جميع هذه الأحوال إلا حالتين: إذا رضيت واختارت نكاح قريب زوجها الأول، كنما هنو مفهوم قنوله: ﴿ كُرِها ﴾. وإذا أتين بقاحشة مبينة

ثم قال: ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾

كالزنا والكلام الفاحش وأذيتها

لزوجها، فإنه في هذه الحال يجوز له أن يعضلها، عقوبة لها على فعلها، لتفتدى

مَّن يُعِلِمِ الرَّسُولِ فَغَدْ أَطَاعَ اللَّهُ وَمَن فَوَلَّ فَكَمَّ أَرْسَلْنَكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۞ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَابُرُرُو أُمِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طُأَيْفَةٌ مِّنَهُمْ غَيْرُالَّذِى تَقُولٌ وَاللَّهُ يُكُبُّ مَا يُبَيِّنُونٌ ۖ فَأَعْرِضَ عَنْهُمْ وَتُوحَكِّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَيْ بِأُللَّهِ وَكِيلًا ﴿ أَفَلَا يَتَكَثَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَّ وَلَوْكَانَ مِنْ عِندِغَيْرِ ٱللَّهَ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَفَا كَيْبِيرًا ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ يِّنَ ٱلْآمَٰنِ أَوِا لْحَوْفِ أَنَاعُوابِهِ عَوْلُورَةُ وُهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَى أَوْلِ ٱلْأَرْمِينَهُمُ لِمَايِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَلْبِطُونَهُ مِنْهُمُّ وَلَوْلَا فَضَلَّ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْتُهُ لَا نَبَّعْتُمُ الشَّيْطُانُ إِلَّ قَلِيلًا ۞ فَقَيْلُ فِي سَيِيلُ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفَسَكُ وَحَرِّضِ ٱلْمُوَّمِينِينَّ عَنَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُ تَنكِيلًا ۞ تَن يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن أَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِنَةً يَكُن أَهُ كِف لِكُمِنْهَا وَّكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءِ مُنِينًا ﴿ وَإِذَا حُبِيتُمْ بِنَجِيتَةِ ا خَبُوا بِأَحْسَنَ يَنْهَمَّا أَوْرُدُوهَمْ إِنَّ الْقَدَكَانَ عَلَىٰ كُلِّي شَيْءٍ حَرِيبًا ﴿

وهذا يشمل المعاشرة القولية والفعلية، فعلى الزوج أن يسعى اشر زوجت بالمعروف، من الصحبة الجميلة، وكف الأذى، وبذل الإحسان، وحسس المعاملة، ويدخل في ذلك النفقة والكسوة ونحوهما، فيجب على الزوجته المعروف من مثله لمثلها في ذلك الزمان والمكان، وهذا يتفاوت بتفاوت

DECREE " LONGEON

و فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً في أي: ينبغي لكنم \_أيها الأزواج \_أن تمسكوا زوجاتكم مع الكراهة لهن، فإن في ذلك خيراً كثيراً. من ذلك امتثال أمر الله، وقبول وصيته التي فيها سعادة الدنيا والآخرة.

ومنها أن إجباره نفسه \_ مع عدم عبته لها \_ فيه مجاهدة النفس، والتخلق بالأخلاق الجميلة. وربما أن الكراهة تزول وتخلفها المحبة، كما هو الواقع في ذلك. وربما رزق منها ولدأ صالحاً، نفع والديه في الدنيا والآخرة. وهذا كله مع الإمكان في الإمساك وعدم المحذور.

فأن كان لا بدمن الفراق، وليس

- (۲) فی ب: ذنبه.
- (٣) في ب: قائم.
- (٤) في ب: متهاون.

منه إذا كان عضلاً بالعدل.

- (۵) فی ب:یسد.
- (٦) ني ب: للتوبة.
- (٧) في ب: النافعة.

 (۱) في هامش أ [ويؤيد هذا الاحتمال أن الله قال: ﴿إنما التوبة على الله﴾ الحاضرة ولم يقل: إنما يتوب الله، وبين اللفظين فرق ظاهر].

الإمساك على فليس الإمساك بلازم. بل متى ﴿أردتم استبدال زوج مكان زوج ، وتزوج أي: قطليق زوجة ، وتزوج أخرى . أي: فلا جناح عليكم في ذلك ولا حرج . ولكن إذا ﴿آتيتم أو التي المفارقة ، أو التي تزوجها ﴿قنطاراً ﴾ أي: مالاً كثيراً . ﴿فلا تأخذوا منه شيئاً ﴾ بل وفروه لهن ، ولا تمطلوا بهن .

وفي هذه الآية دلالة على عدم تحريم كشرة المهر، مع أن الأفضل واللاتق الاقتداء بالنبي على في تخفيف المهر. ووجه الدلالة أن الله أخبر عن أمريقع منهم، ولم ينكره عليهم. فدل على عدم تحريمه [لكن قد ينهى عن كثرة الصداق إذا تضمن مفسدة دينية وعدم مصلحة تقاوم](١).

ثم قال: ﴿أَتَأْخِذُونَهُ بِمِنَانَا وَإِثْمَا مبيناً﴾ فإن هذا لا يحل، ولو تحيلتم عليه بأنواع الحيل، فإن إثمه واضح.

وقد بين تعالى حكمة ذلك بقوله: وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض، وأخذن منكم ميشاقاً غليظاً». وبيان ذلك: أن الزوجة قبل عقد النكاح محرمة على الزوج، ولم ترض بحلها له إلا بذلك المهر الذي يدفعه لها، فإذا دخل بها وأفضى إليها، وباشرها المباشرة التي كانت حراماً قبل

ذلك، التي لم ترض ببذلها إلا بذلك العوض، فإنه قد استوفى المعوض، فثبت عليه العوض، فكيف يستوفي المعوض، ثم بعد ذلك يرجع على العوض؟ هذا من أعظم الظلم والجور، وكذلك أخذ الله على الأزواج ميثاقاً غليظاً بالعقد، والقيام بحقوقها. ثم قال تعالى:

﴿٢٢﴾ ﴿ولا تنكحوا ما نكح أباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً﴾ أي: لا تتزوجوا من النساء ما تزوجهن آباؤكم، أي: الأب وإن علا. ﴿إنه كان فاحشة ﴾ أي: أمراً قبيحاً يفحش ويعظم قبحه ﴿ومقتاً ﴾ من الله لكم ومن الخلق، بل يمقت بسبب ذلك الابن أباه، والأب ابنه، مع الأمر ببره.

﴿ وساء سبيلا ﴾ أي: بئس الطريق طريقاً لمن سلكه، لأن هذا من عوائد الجاهلية، التي جاء الإسلام بالتنزه عنها والبراءة منها.

﴿٢٤ \_ ٢٤﴾ ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نساءكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نساءكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبناءكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً \* والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولأجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليماً حكيماً ﴾ هذه الآيات الكريمات مشتملات على المحرمات بالنسب، والمحرمات بالرضاع، والمحرمات بالصهر، والمحرمات بالجمع، وعلى المحللات من النساء. فأما المحرمات

في النسب فهن السبع اللاتي ذكرهن الله.

الأم، يدخل فيها كل مَنْ لها عليك ولادة، وإن بعدت. ويدخل في البنت كل مَنْ لك عليها ولادة، والأخوات الشقيقات، أو لأب أو لأم. والعمة: كل أخت لأبيك، أو لجدك، وإن علا. وإلى الحدت لأبيك، أو جدتك وإن علت، وإن علت، وإن علت، وإن علت، وإن علت، وإن أم لا. وبنات الأخ، وبنات الأخ،

فهؤلاء هن المحرمات من النسب بإجماع العلماء، كما هو نص الآية الكريمة، وما عداهن فيدخل في قوله: 
وأحل لكم ما وراء ذلكم وذلك كبنت العمة والعم، وبنت الخال والخالة.

وأما المحرمات بالرضاع فقد ذكر الله منهن الأم، والأخت. وفي ذلك تحريم الأم مع أن اللبن ليس لها، إنما هو لصاحب اللبن، دل بتنبيهه على أن صاحب اللبن، يكون أباً للمرتضع فإذا ثبتت الأبوة والأمومة، ثبت ما هو فرع عنهما، كإخوتهما وأصولهم وفروعهم (٢).

وقال النبي على: "يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب". فينتشر التحريم من جهة المرضعة ومَنْ له اللبن، كما ينتشر في الطفل المرتضع إلى ذريته فقط. لكن بشرط أن يكون الرضاع خس رضعات في يكون، كما بينت السنة.

وأما المحرمات بالصهر، فهن أربع. حلائل الآباء وإن علوا، وحلائل الأبناء وإن نزلوا، وارثين أو محجوبين. وأمهات الزوجة وإن علون، فهؤلاء الثلاث يحرمن بمجرد العقد.

والرابعة: الربيبة، وهي بنت زوجته وإن نزلت، فهذه لا تحرم حتى يدخل بزوجته كما قال هنا ﴿وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن﴾ الاية.

وقد قال الجمهور: إن قوله: ﴿اللاتِ في حجوركم﴾ قيد خرج نخرج

الغالب، لا مفهوم له، فإن الربيبة تحرم ولو لم تكن في حجره، ولكن للتقييد بذلك فائدتان:

إحداهما: فيه التنبيه على الحكمة في تحريم الربيبة، وأنها كانت بمنزلة البنت فمن المستقبح إباحتها.

والثانية: فيه دلالة على جواز الخلوة بالربيبة، وأنها بمنزلة مَنْ هي في حجره من بناته ونحوهن. والله أعلم.

وأما المحرمات بالجمع، فقد ذكر الله الجمع بين الأختين وحَرَّمَهُ. وحرّم النبي على الأختين وحَرَّمَهُ. وحرّم النبي على الجمع بين المرأتين وعمتها، أو خالتها، فكل امرأتين بينهما رحم محرم، لو قدر إحداهما ذكراً والأخرى أنشى، حرمت عليه، فإنه يحرم الجمع بينهما، وذلك لما في ذلك من أسباب التقاطع بين الأرحام.

ومن المحرمات في النكاح والمحصنات من النساء أي: ذوات الأزواج. فإنه يحرم نكاحهن ما دمن في عدتها. ﴿ إِلاَ ما ملكت أيمانكم أي: عدتها. ﴿ إِلاَ ما ملكت أيمانكم أي: بالسبي، فإذا سبيت الكافرة ذات النوج حلت للمسلمين، بعد أن تستبرأ. وأما إذا بيعت الأمة المزوجة أو وهبت، فإنه لا ينفسخ نكاحها لأن الملك الثاني نزل منزلة الأول، ولقصة بريرة حين خيرها النبي

وقوله: ﴿ كتاب الله عليكم ﴾ أي: النرموه واهتدوا به، فإن فيه الشفاء والنور، وفيه تفصيل الحلال من الحرام.

ودخل في قوله: ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم كل ما لم يذكر في هذه الآية، فإنه حلال طيب. فالحرام محسور، والحلل ليس له حد ولا حصر، لطفاً من الله ورحمة، وتسيراً للعباد.

وقوله: ﴿أَنْ تَبَتَغُوا بِأَمُوالَكُمَ ﴾أي: تطلبوا من وقع عليه نظركم واختياركم، من اللاقي أباحهن الله لكم حالة كونكم ﴿محصنين ﴾أي: مستعفين عن الزنا، ومعفين نساءكم.

﴿غير مسافحين﴾ والسفح: سفح الماء في الحلال والحرام، فإن الفاعل لذلك لا يحصن زوجته، لكونه وضع شهوته في الحرام، فتضعف داعيته للحلال، فلا يبقى محصناً لزوجته. وفيها دلالة على أنه لا يزوج غير العفيف، لقوله تعالى: ﴿الزاني لا ينكِح إلا زانية أو مشركة، والزانية لا ينكِحها إلا زان أو مشركه.

﴿ فما استمتعتم به منهن ﴾ أي: عن تزوجتموها ﴿ فاتوهن أجورهن ﴾ أي: الأجور في مقابلة الاستمتاع. ولهذا إذا صداقها، ﴿ فريضة ﴾ أي: إتيانكم صداقها، ﴿ فريضة ﴾ أي: إتيانكم عليكم، ليس بمنزلة التبرع الذي إن شاء أمضاه وإن شاء رده. أو معنى قوله فريضة: أي: مقدرة قد قدر تموها، فوجبت عليكم، فلا تنقصوا منها فوجبت عليكم، فلا تنقصوا منها

شبثأ

وولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة أي: بزيادة من الزوج، أو إسقاط من الزوجة عن رضا وطيب نفس [هذا قول كثير من المفسرين، وقال كثير منهم: إنها نزلت في متعة النساء التي كانت حلالا في أول الإسلام، ثم حرمها النبي وأنه يؤمر بتوقيتها، وأجرها، ثم إذا انقضى الأمد الذي بينهما فتراضيا بعد الفريضة فلا حرج عليهما، والله أعلم](١).

﴿إِن الله كان عليماً حكيماً ﴾ أي: كامل العلم واسعه، كامل الحكمة. فمن علمه وحكمته شرع لكم هذه الشرائع، وحدً لكم هذه الحدود الفاصلة بين الحلال والحرام.

﴿ ٢٥﴾ ثم قال تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمَ يَسْتَطِعُ مِنْكُمْ طُولاً أَنْ يَنْكُمُ المُحْسَنَاتُ فَمِنْ مَا مَلْكُتُ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتِياتُكُمْ المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات

أخدان فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم أي: ومَنْ لم يستطع الطول الذي هو المهر لنكاح المحصنات، أي: الحرائر المؤمنات، وخاف على نفسه العنت، أي: الزنا أو المشقة الكثيرة، فيجوز له نكاح الإماء المملوكات المؤمنات. وهذا بحسب ما يظهر، وإلا فأمور الدنيا مبنية على ظواهر الأمور، وأحكام الآخرة مبنية على ما في البواطن.

﴿فَانْكُحُوهُنَ﴾ أي: المملوكات ﴿بِإِذْنُ أَهْلُهُنَ﴾ أي: سيدهن، واحداً، أو متعدداً.

﴿ وآتوهن أجورهن بالمعروف ﴾
أي: ولو كن إماء، فإنه كما يجب المهر للحرة، فكذلك يجب للأمة. ولكن لا يجوز نكاح الإماء إلا إذا كن ﴿ عصنات ﴾ أي: عفيفات عن الزنا ﴿ وَلا متخذات أخدان ﴾ أي: أخلاء ﴿ وَلا متخذات أخدان ﴾ أي: أخلاء ﴿ وَلا متخذات أخدان ﴾ أي: ألسر.

فالحاصل أنه لا يجوز للحر المسلم نكاح أمة ، إلا بأربعة شروط ذكرها الله: الإيمان بهن ، والعفة ظاهراً وباطناً ، وعدم استطاعة طول الحرة ، وخوف العنت ، فإذا تمت هذه الشروط جاز له نكاحهن .

ومع هذا فالصبر عن نكاحهن أفضل، لما فيه من تعريض الأولاد للرق، ولما فيه من الدناءة والعيب. وهذا إذا أمكن الصبر، فإن لم يمكن الصبر عن المحرم إلا بنكاحهن وجب ذلك. ولهذا قال: ﴿وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم﴾

وقوله: ﴿فَإِذَا أَحَصَنَ ﴾أي: تزوجن أو أسلمن، أي: الإماء ﴿فعليهن نصف ما على المحصنات﴾ أي: الحرائر ﴿من العذاب﴾

وذلك الذي يمكن تنصيفه، وهو

الجلد، فيكون عليهن خسون جلدة. وأما الرجم فليس على الإماء رجم، لأنه لا يتنصف، فعلى القول الأول إذا لم يتزوجن فليس عليهن حد، إنما عليهن تعزير يردعهن عن فعل الفاحشة.

وعلى القول الثاني: إن الإماء غير المسلمات، إذا فعلن فاحشة أيضاً عزرن.

وختم هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين «الغفور والرحيم» لكون هذه الأحكام رحمة بالعباد، وكرماً وإحساناً إليهم، فلم يضيق عليهم، بل وسع غاية السعة.

ولعل في ذكر المغفرة بعد ذكر الحد إشارة إلى أن الحدود كفارات، يغفر الله بها ذنبوب عباده، كما ورد بذلك الحديث. وحكم العبد الذكر في الحد المذكور حكم الأمة لعدم الفارق بنهما.

﴿٢٦ ـ ٢٨﴾ ﴿يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم # والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً \* يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً مخبر تعالى بمنته العظيمة، ومنحته الجسيمة، وحسن تربيته لعباده المؤمنين، وسهولة دينه، فقال: ﴿ يريد الله ليبين لكم ﴾ أي: جميع ما تحتاجون إلى بيانه من الحق والباطل، والحلال والحرام، ﴿ويهديكم سنن الذين من قبلكم ﴿ أي: الذين أنعم الله عليهم من النبيين وأتباعهم، في سيرهم الحميدة، وأفعالهم السديدة، وشمائلهم الكاملة، وتوفيقهم التام. فلذلك نفذ ما أراده، ووضح لكم، وبيّن بياناً ما بُيّنَ لمن قبلكم، وهداكم هداية عظيمة في العلم والعمل.

﴿ ويتوب عليكم ﴾ أي: يلطف بكم في أحوالكم وما شرعه لكم، حتى تكنوا (١) من الوقوف على ما حده الله، والاكتفاء بما أحله، فتقل ذنوبكم

بسبب ما يسر الله عليكم، فهذا من توبته على عباده .

ومن توبته عليهم أنهم إذا أذنبوا فتح لهم أبواب الرحمة، وأوزع قلوبهم الإنابة إليه، والتذلل بين يديه، ثم يتوب عليهم بقبول ما وفقهم له. فله الحمد والشكر على ذلك.

وقوله: ﴿والله عليم حكيم أي: كامل الحكمة، فمن علمه أن علمكم ما لم تكونوا تعلمون، ومنها هذه الأشياء والحدود. ومن حكمته أنه يتوب على مَنْ اقتضت حكمته ورحمته التوبة عليه، ويخذل مَنْ اقتضت حكمته وعدله مَنْ لا يصلح للتوبة.

وقوله: ﴿والله يسريه أن يستوب عليكم﴾ أي: توبة تلم شعشكم، وتجمع متفرقكم، وتقرّب بعيدكم.

وربريد الذين يتبعون الشهوات الله ي : يميلون معها حيث مالت، ويقدمونها على ما فيه رضا مجبوبهم، ويعبدون أهواءهم، من أصناف الكفرة والعاصين، المقدمين الأهوائهم على طاعة ربهم، فهؤلاء يريدون وأن تميلوا ميلاً عظيماً الي: [أن] تنحرفوا عن الصراط المنتقيم، إلى صراط المغضوب عليهم والضالين.

يريدون أن يصرفوكم عن طاعة الرحن إلى طاعة الشيطان، وعن التزام حدود من السعادة كلها في امتثال أوامره، إلى من الشقاوة كلها في اتباعه. فإذا عرفتم أن الله تعالى يأمركم بما فيه صحاحكم وفلاحكم وسعادتكم، وأن هولاء التبعين لشهواتهم يأمرونكم بما فيه غاية الخسار والشقاء، فاختاروا لأنفسكم أولى الداعين، وتخيروا أحسن الطريقتين.

﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ أي: بسهولة ما أمركم به و [ما] نهاكم عنه، ثمم مع حصول المشقة في بعض الشرائع، أباح لكم ما تقتضيه حاجتكم، كالميتة والدم ونحوهما للمضطر، وكتزوج الأمة للحر بتلك الشروط السابقة. وذلك لرحمته التامة

وإحسانه الشامل، وعلمه وحكمته بضعف الإنسان من جميع الوجوه، ضعف البنية، وضعف الإرادة وضعف العزيمة، وضعف الإيمان، وضعف الصبر، فناسب ذلك، أن يخفف الله عنه، ما يضعف عنه وما لا يطيقه إيمانه وصبره وقوته.

(٢٩ - ٣٠) ﴿ إِيأَيّها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكنم رحيماً النفسك ذلك على الله يسيراً الله ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يأكلوا أموالهم بينهم بالباطل، وهذا يشمل أكلها بالغصوب والسرقات، وأخذها بالقمار والمكاسب الرديثة. بل لعله يدخل في والإسراف، لأن هذا من الباطل وليس من الحق.

ثم إنه \_ لما حرم أكلها بالباطل \_ أباح لهم أكلها بالتجارات والمكاسب الخالية من الموانع، المستملة على الشروط من التراضي وغيره.

﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ أي: لا يقتل بعضكم بعضاً، ولا يقتل الإنقاء الإنسان نفسه. ويدخل في ذلك الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، وفعل الأخطار المفضية إلى التلف والهلاك. ﴿ إِن الله كان بكم رحيماً ﴾ ومن رحمته، أن صان نفوسكم وأموالكم، ونهاكم عن إضاعتها وإتلافها، ورتب على ذلك ما رتبه من الحدود.

وتأمل هذا الإيجاز والجمع في قبوله: ﴿لا تأكيلوا أموالكم ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ كيف شمل أموال غيرك ومال نفسك، وقتل نفسك وقتل غيرك، بعبارة أخصر من قوله: ﴿لا يأكل بعضكم مال بعض» و قصور هذه العبارة على مال الغير، ونفس الغير فقط.

مع أن إضافة الأموال والأنفس إلى

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهُ كَانَ بِكُلِّ شَيَّء عليماً ﴾ فيعطى من يعلمه أهلاً لذلك، ويمنع من يعلمه غير مستحق.

QUIOU " CONTEON

﴿٣٣﴾ ﴿ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إنّ الله كان على كل شيء شهيداً ﴾ أي: ﴿ولكل ﴾ من الناس ﴿جعلنا موالي﴾ أي: يتولونه ويتولاهم، بالتعزز والنصرة، والمعاونة عملي الأمور. ﴿ مما تسرك الموالدان والأقربون، وهذا ينشمل سائر الأقبارب، من الأصبول والتفروع والحواشي، هؤلاء الموالي من القرابة.

ثم ذكر نوعاً آخر من الموالي فقال: ﴿واللَّذِينِ عَقَدت أيمانكم ﴾ أي: حالفتموهم بما عقدتم معهم من عقد المحالفة على النصرة والمساعدة، والاشتراك بالأموال، وغير ذلك. وكل هذا من نِعم الله على عباده، حيث كان الموالي يتعاونون بما لا يقدر عليه بعضهم مفرداً.

قال تعالى: ﴿فَأَتُوهُم نَصِيبُهُم ﴾ أي: آتوا الموالي نصيبهم، الذي يجب القيام به من النصرة والمعاونة والمساعدة، على غير معصية الله. والميراث للأقارب الأدنين من الموالي.

﴿إِن الله كان على كل شيء شهيداً ﴾ أي: مطلعاً على كل شيء، بعلمه لجميع الأمور، وبصره لحركات عباده، وسمعه لجميع أصواتهم.

المشتملة على ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ويدخل في اجتناب الكبائر فعل الفرائض التي يكون تاركها مرتكبأ كبيرة، كالصلوات الخمس، والجمعة وصوم رمضان، كما قال النبي على: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهما، ما اجتنبت الكبائر».

وأحسن ما حُدّت به الكبائر، أن الكبيرة ما فيه حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو نفي إيمان، أو ترتيب لعنة، أو غضب عليه.

﴿٣٢﴾ ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً ﴾ ينهى تعالى المؤمنين عن أن يتمنى بعضهم ما فضل الله به غيره، من الأمور المكنة وغير المكنة. فلا تتمنى النساء خصائص الرجال التي بها فضلهم على النساء، ولا صاحب الفقر والنقص حالة الغني والكمال، تمنياً مجرداً، لأن هذا هو الحسد بعينه، تمنى نعمة الله على غيرك أن تكون لك ويسلب إياها .

ولأنه يقتضي السخط على قدر الله، والإخلاد إلى الكسل والأماني الباطلة، التي لا يقترن بها عمل ولا كسب. وإنما المحمود أمران: أن يسعى العبد على حسب قدرته بما ينفعه من مصالحه الدينية والدنيوية، ويسأل الله تعالى من فضله، فلا يتكل على نفسه، ولا على غير ربه. ولهذا قال تعالى: ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا ، أي: من أعمالهم المنتجة للمطلوب.

﴿وللنساء نصيب عما اكتسبن ﴿ فكل منهم لا يناله غير ما كسبه وتعب فيه. ﴿ واسألوا الله من فضله ﴾ أي: من جميع مصالحكم في الدين والدنيا. فهذا كمال العبد وعنوان سعادته، لا من يترك العمل، أو يتكل على نفسه غير مفتقر لربه، أو يجمع بين الأمرين، فإن هذا مخذول خاسر . عموم المؤمنين فيه دلالة على أن المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ومصالحهم، كالجسد الواحد، حيث كان الإيمان يجمعهم على مصالحهم الدينية والدنيوية.

ولما نهى عن أكل الأموال بالباطل التي فيها غاية الضرر عليهم، على الآكل، ومن أخذ ماله، أباح لهم ما فيه مصلحتهم من أنواع المكاسب والستسجسارات، وأنسواع الحسرف والإجارات، فقال: ﴿إِلَّا أَنْ تُكُونُ تجارة عن تراض منكم ﴾ أي: فإنها مباحة لكم.

وشرط التراضى -مع كونها تجارة \_لدلالة أنه يشترط أن يكون العقد غير عقد ربا، لأن الربا ليس من التجارة، بل مخالف لمقصودها، وأنه لا بدأن يرضى كل من المتعاقدين ويأتي به اختياراً.

ومن تمام الرضا أن يكون المعقود عليه معلوماً، لأنه إذا لم يكن كذلك لا يتصور الرضا مقدوراً على تسليمه، لأن غير المقدور عليه شبيه ببيع القمار، فبيع الغرر بجميع أنواعه خال من الرضّا، فلا ينفذ عقده.

وفيها أنه تنعقد العقود بما دل عليها من قبول أو فيعيل، لأن الله شرط الرضا، فبأى: طريق حصل الرضا انعقد به العقد. ثم ختم الآية بقوله: ﴿إِنْ الله كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ ومن رحمته أن عصم دماءكم وأموالكم وصانها، ونهاكم عن انتهاكها.

﴿٣٠﴾ ثم قال: ﴿ومَنْ يَفْعَلَ ذلك الأموال بالباطل، وقتل النفوس ﴿عدواناً وظلماً ﴾ أي: لا جهلاً ونسياناً ﴿فسوف نصليه ناراً﴾ أي: عظيمة كما يفيده التنكير ﴿وكان ذلك على الله يسيرا).

﴿٣١﴾ ﴿إِن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نفكر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً ﴾ وهذا من فضل الله وإحسانه على عباده المؤمنين وعدهم أنهم إذا اجتنبوا كبائر المنهيات غفر لهم جميع الذنوب والسيئات، وأدخلهم مدخَّلاً كريماً، كثير الخير وهو الجنة،

آيسيد القديدة وين الفريدين عَمْ أُولِ الشَّرَو وَالْجَهْدُونَ وَالْمَهْدُونَ وَالْجَهْدُونَ وَالْمَهْدُونَ وَالْمَهْدُونَ وَالْمَهْدُونَ الْمَعْدِينَ الْمَوْلِيمْ وَالْمَهْدُونَ الْمَعْدِينَ الْمُولِيمْ وَالْمُونِيمْ الْمَدْالَةُ الْمُسْفَرُونَهُ وَمَعْمُ الْمَالِيمَ الْمَعْدِينَ الْمُولِيمِ الْمَعْدُونَ اللَّهُ الْمَعْدُونَ الْمَعْدُونَ الْمَعْدُونَ الْمَعْدُونَ الْمَعْدُونَ الْمَعْدُونَ الْمُعْدُونَ الْمُعْدُونَ الْمُعْدُونَ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الْمُعْلِقُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلِل

ACTION IN PROPERTY ﴿٣٤﴾ ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان علياً كبيراً ﴾ يخبر تعالى ﴿أَن الرجال قوامون على النساء ﴾ ، أي: قوامون عليهن بإلزامهن بحقوق الله تعالى، من المحافظة على فرائضه، وكفهن عن المفاسد، والرجال عليهم أن يلزموهن بذلك، وقوامون عليهن أيضاً بالإنفاق عليهن، والكسوة والمسكن، ثم ذكر السبب الموجب لقيام الرجال على النساء، فقال: ﴿بِما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم أي: بسبب فضل الرجال على النساء، وإفضالهم عليهن، فتفضيل الرجال على النساء من وجوه متعددة: من كون الولايات مختصة بالرجال، والنبوة، والرسالة، واختصاصهم بكثير من العبادات كالجهاد والأعياد والجمع. وبما خصهم الله به من العقل والرزانة والصبر والجُلَد الذي ليس للنساء مثله. وكذلك خصهم بالنفقات على الزوجات، بل وكثير من النفقات

يختص بها الرجال، ويتميزون عن النساء.

ولعل هذا سر قوله: ﴿ بِما أَنفقوا ﴾ وحذف الفعول، ليدل على عموم النفقة. فعلم من هذا كله أن الرجل كالوالي والسيد لامرأته، وهي عنده عانية أسيرة خادمة، فوظيفته أن يقوم بما استرعاه الله به.

شم قسال: ﴿والسلاتِ تخسافسون نشوزهن﴾ أي: ارتفاعهن عن طاعة أزواجهن، بأن تعصيه بالقول أو الفعل، فإنه يؤديها بالأسهل فالأسهل، ﴿ فعظوهن ﴾ أي: ببيان حكم الله في طاعة الزوج ومعصيته، والترغيب في الطاعة، والترهيب من معصيته، فإن انتهت فذلك المطلوب، وإلا فيهجرها الزوج في المضجع، بأن لا يضاجعها، ولا يجامعها بمقدار ما يحصل به المقصود، وإلا ضربها ضرباً غير مبرح، فإن حصل المقصود بواحد من هذه الأمور وأطعنكم ﴿فلا تبغوا عليهن سبيلاً أي: فقد حصل لكم ما تحبون، فاتركوا معاتبتها على الأمور الماضية، والتنقيب عن العيوب التي يضر ذكرها، ويحدث بسببه الشر.

وإن الله كان علياً كبيراً أي : له العلو المطلق، بجميع الوجوه والاعتبارات، علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، الكبير الذي لا أكبر منه ولا أجل ولا أعظم، كبير الذات والصفات.

﴿٣٥﴾ ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من

أهلها إن يُريد إصلاحاً يوفق الله بينهما إنَّ الله كان عليماً خبيراً ﴾ أي: وإن خفتم الشقاق بين الزوجين، والمباعدة والمجانبة، حتى يكون كل منهما في شق، ﴿فَابِعِثُوا حَكُماً مِنْ أَهْلُهُ وَحَكُما من أهلها الله أي: رجلين مكلفين، مسلمين عدلين عاقلين، يعرفان ما بين الزوجين، ويعرفان الجمع والتفريق. وهذا مستفاد من لفظ «الحكم» لأنه لا يصلح حكماً، إلا مَنْ اتصف بتلك الصفات. فينظران ما ينقم كل منهما على صاحبه، ثم يلزمان كلا منهما ما يجب، فإن لم يستطع أحدهما ذلك، قَنَّعَا الزوج الآخر بالرضا بما تيسر من الرزق والخلق، ومهما أمكنهما الجمع والإصلاح فلا يعدلا عنه.

فإن وصلت الحال إلى أنه لا يمكن اجتماعهما وإصلاحهما، إلا على وجه المعاداة والمقاطعة، ومعصية الله، ورأيا أن التفريق بينهما أصلح، فرقا بينهما. ولا يشترط رضا الزوج، كما يدل عليه، أن الله سماهما حكمين، والحكم يحكم، ولو<sup>(1)</sup> لم يسرض المحكوم عليه، ولهذا قال: ﴿إِنْ يَرِيدا إصلاحاً يُوفَى الله بينهما ﴾ أي: بسبب الرأي: الميمون والكلام الذي يجذب القلوب، ويؤلف بين القرينين.

﴿إِن الله كان عليماً خبيراً ﴾ أي: عالماً بجميع الظواهر والبواطن، مطلعاً على خفايا الأُمور وأسرارها. فمن علمه وخيره أن شرع لكم هذه الأحكام الجليلة، والشرائع الجميلة.

والمسلمة والمسلمة والمسلمة الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى والبتامى والمساكين والجار ذي القربى وابان المسبيل وما ملكت بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخوراً \* الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذاباً الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر

ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له، وهو الدخول تحت رق عبوديته، والانقياد لأوامره ونواهيه، عبة وذلاً وإخلاصاً له، في جميع العبادات الظاهرة والباطنة.

وينهى عن الشرك به شيئاً، لا شركاً أصغر ولا أكبر، لا ملكاً ولا نبياً ولا ولياً ولا غيرهم من المخلوقين، الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، بل الواجب المتعين إخلاص العبادة لمن له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وله التدبير الكامل الذي لآ يشركه ولا يعينه عليه أحد. ثم بعد ما أمر بعبادته والقيام بحقه، أمر بالقيام بحقوق العباد، الأقرب فالأقرب. فقال: ﴿وبالوالدين إحساناً ﴾ أي: أحسنوا إليهم بالقول الكريم، والخطاب اللطيف والفعل الجميل، بطاعة أمرهما، واجتناب نهيهما، والإنفاق عليهما، وإكرام مَنْ له تعلق بهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا بهما. وللإحسان ضدان، الإساءة، وعدم الإحسان. وكلاهما منهى عنه.

وبدي القربي أيضاً إحساناً، ويشمل ذلك جميع الأقارب، قربوا أو بعدوا، بأن يحسن إليهم بالقول والفعل، وأن لا يقطع برحمه بقوله أو فعله.

﴿واليتامى﴾ أي: الذين فقدوا آباءهم (١) وهم صغار، فلهم حق على المسلمين، سواء كانوا أقارب أو غيرهم، بكفالتهم، وبرهم، وجبر خواطرهم، وتأديبهم، وتربيتهم أحسن تربية، في مصالح دينهم ودنياهم.

﴿والمساكين﴾ وهم الذين أسكنتهم الحاجة والفقر، فلم يحصلوا على كفايتهم، ولا كفاية مَنْ يمونون. فأمر الله تعالى بالإحسان إليهم، بسد

خلتهم، وبدفع فاقتهم، والحض على ذلك، والقيام بما يمكن منه.

﴿والجار ذي القربي ﴾ أي: الجار القربي ﴾ أي: الجار القريب الذي له حقان، حق الجوار وحق القرابة، فله على جاره حق وإحسان راجع إلى العرف. وكذلك والجار الجنب أي: الذي ليس له قرابة. وكلما كان الجار أقرب باباً، كان آكد حقاً، فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية والصدقة، والدعوة، واللطافة بالأقوال والأفعال، وعدم أذيته بقول أو فعل.

﴿والصاحب بالجنب﴾ قيل: الرفيق بالسفر، وقيل: الزوجة، وقيل الصاحب مطلقا، ولعله أولى، فإنه يشمل الصاحب في الحضر والسفر، ويشمل الزوجة.

فعلى الصاحب لصاحبه، حق زائد على مجرد إسلامه، من مساعدته على أمور دينه ودنياه، والنصح له؛ والوفاء معه في اليسر والعسر، والمنشط والمكره، وأن يجب له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، وكلما زادت الصحبة تأكد الحق وزاد.

﴿وابن السبيل﴾ وهو: الغريب الذي احتاج في بلد الغربة أو لم يحتج، فله حت على المسلمين لشدة حاجته، وكونه في غير وطنه، بتبليغه إلى مقصوده [وبإكرامه وتأنيسه] (٢).

وما ملكت أيمانكم أي: من الآدميين والبهائم، بالقيام بكفايتهم وعدم تحميلهم ما يشق عليهم وإعانتهم على ما يتحملون، وتأديبهم لما فيه مصلحتهم. فمَنْ قام بهذه المأمورات فهو الخاضع لربه، المتواضع لعباد الله، المتواضع لعباد الله وشرعه، الذي يستحق الثواب الجزيل والثناء الجميل، ومَنْ لم يقم بذلك فإنه عبد معرض عن ربه، غير منقاد لأوامره، ولا متواضع غير منقاد لأوامره، ولا متواضع معجب بنفسه، فخور بقوله، ولهذا

قال: ﴿إِن الله لا يحب مَنْ كَان مختالاً ﴾ أى: معجباً بنفسه، متكبراً على الخلق. ﴿فَحُوراً﴾ يثني على نفسه ويمدحها، على وجه الفخر والبطر على عباد الله. فهؤلاء ما بهم من الاختيال والفخر، يمنعهم من القيام بالحقوق. ولهذا ذمهم بذلك، بقوله: ﴿النَّاسِن يبخلون اي: يمنعون ما عليهم من الحقوق الواجبة، ﴿ويأمرون الناس بالبخل﴾ بأقوالهم وأفعالهم، ﴿ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ﴾ أي: من العلم الذي يهتدي به الضالون ويسترشد به الجاهلون، فيكتمونه عنهم، ويظهرون لهم من الباطل ما يحول بينهم وبين الحق. فجمعوا بين البخل بالمال، والبخل بالعلم، وبين السعى في خسارة أنفسهم وخسارة غيرهم، وهذه هي صفات الكافرين، فلهذا قال تعالى: ﴿ وَأَعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً ﴾ أي: كما تكبروا على عباد الله، ومنعوا حقوقه وتسببوا في منع غيرهم، من البخل وعدم الاهتداء، أهانهم بالعذاب الأليم، والخزي الدائم. فعياذاً بك اللهم من کل سوء.

ثم أخبر عن النفقة الصادرة، عن رياء وسمعة، وعدم إيمان به، فقال: ﴿والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس﴾ أي: ليروهم ويسمد حسوهم، ويعظموهم، ﴿ولا يومنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ أي: ليس إنفاقهم صادراً عن إخلاص وإيمان بالله، ورجاء ثوابه. أي: فهذا من خطوات الشيطان وأعماله التي يدعو حزبه إليها، ليكونوا من أصحاب السعير. وصدرت منهم بسبب مقارنته لهم وأزهم إليها، فلهذا قال: ﴿وَمَنْ يَكُنَّ الشيطان له قريناً فساء قريناً ﴾ أي: بئس المقارن والصاحب الذي يريد إهلاك مَنْ قارنه، ويسعى فيه أشد السعى .

فكما أن مَنْ بخل بما آتاه الله،

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ: الذين فقد آباؤهم.

<sup>(</sup>٢) زيادة من هامش ب.

وكتم ما مَنْ به الله عليه عاص آشم غالف لربه، فكذلك مَنْ أنفق وتعبّد لغير الله، فإنه آشم عاص لربه، مستوجب للعقوبة، لأن الله إنما أمر بطاعته وامتثال أمره، على وجه الإخلاص، كما قال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فهذا العمل المقبول الذي يستحق صاحبه المدح والثواب، فلهذا حث تعالى عليه بقوله:

﴿٣٩﴾ ﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأتفقوا بما رزقهم الله وكان الله بهم عليماً ﴾ أي: أي: شيء عليهم، وأي: حرج ومشقة تلحقهم، لو حصل منهم الإيمان بالله، الذي هو الإخلاص، وأنفقوا من أموالهم التي رزقهم الله وأنعم بها عليهم، فجمعوا بين الإخلاص سراً بين العبد وبين ربه، لا يطلع عليه إلا الله، أخبر تعالى بعلمه بجميع الأحوال فقال: بعلمه بجميع الأحوال فقال:

﴿ ٤٠ - ٤٤ ﴿ ﴿ أَنَّ الله لا ينظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً \* فكيف إذا جثنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً \* يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً ﴾ يخبر عما يضاد ذلك من الظلم القليل عما يضاد ذلك من الظلم القليل مثقال ذرة أي : ينقصها من حسنات عبده، أو يزيدها في سيئاته، كما قال يره، ومَنْ يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومَنْ يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ .

﴿ وَإِن تَكَ حَسَنَةً يَضَاعَفُها ﴾ أي: إلى عشرة أمثالها، إلى أكثر من ذلك، بحسب حالها ونفعها، وحال صاحبها، إخلاصاً ومحبة وكمالاً.

﴿ويبؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ أي: زيادة على ثواب العمل بنفسه، من التوفيق لأعمال أخر، وإعطاء البر الكثير والخير الغزير.

ثم قال تعالى: ﴿فكيف إذا جئنا من

كل أمّة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ أي: كيف تكون تلك الأحوال، وكيف يكون ذلك الحكم العظيم، الذي جمع أن مَنْ حكم به كامل العدل، كامل العدل، كامل الحكمة، بشهادة أزكى الخلق، وهم الرسل على أعهم، مع إقرار المحكوم عليه؟!! فهذا \_ والله \_ الحكم الذي هو أعم الأحكام وأعدلها وأعظمها.

وهناك يبقى المحكوم عليهم مقرين له لكمال الفضل والعدل، والحمد والثناء. وهنالك يسعد أقوام بالفوز والفلاح والعز والنجاح. ويشقى أقوام بالخزي والفضيحة والعذاب المهن.

ولهذا قال: ﴿يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول﴾ أي: جمعوا بين الكفر بالله وبرسوله، ومعصية الرسول ﴿لو تسوّى بهم الأرض﴾ أي: تبتلعهم ويكونون تراباً وعدماً، كما قال تعالى: ﴿ويقول الكافريا ليتني كنت تراباً﴾.

﴿ولا يكتمون الله حديثاً ﴾ أي: بل يقرون له بما عملوا، وتشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. يومئذ يوفيهم الله جزاءهم الحق، ويعلمون أن الله هو الحق المين.

فأما ما ورد من أن الكفار يكتمون كفرهم وجحودهم، فإن ذلك يكون في بعض مواضع القيامة، حين يظنون أن جحودهم مغن عنهم من عداب الله، فإذا عرفوا الحقائق، وشهدت عليهم جوارحهم، حينلذ ينجلي الأمر، ولا يبقى للكتمان موضع، ولا نفع ولا فائدة.

﴿٤٣﴾ ﴿يما أيها الله يمن آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إنَّ الله كان عفواً غفوراً ﴾ ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يقربوا الصلاة وهم سكارى، حتى يعلموا ما

يقولون، وهذا شامل لقربان مواضع الصلاة كالمسجد، فإنه لا يمكن السكران من دخوله. وشامل لنفس الصلاة، فإنه لا يجوز للسكران صلاة ولا عبادة، لاختلاط عقله، وعدم علمه بما يقول، ولهذا حدّد تعالى ذلك السكران. وهذه الآية الكريمة منسوخة بتحريم الخمر مطلقاً، فإن الخمر في أول الأمر حان غير عرّم، ثم إن الله تعالى عرض لعباده بتحريمه، بقوله: في الخمر والميسر قل فيهما أكبر ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما أك.

ثم إنه تعالى نهاهم عن الخمر عند حضور الصلاة، كما في هذه الآية، ثم إنه تعالى حرّمه على الإطلاق في جميع الأوقات في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾ الآبة.

ومع هذا فإنه يشتد تحريمه وقت حضور الصلاة، لتضمنه هذه المفسدة العظيمة، بعد حصول مقصود الصلاة الذي هو روحها ولبها، وهو الخشوع القلب، فإن الخمر يسكر الشالب، ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة، ويؤخذ من المعنى منع الدخول في الصلاة في حال النعاس المفرط، الذي لا يشعر صاحبه بما يقول ويفعل، بل لعل فيه إشارة إلى أنه ينبغي لمن أراد الصلاة أن يقطع عنه كل شاغل يشغل فكره، كمدافعة الأخبين، والترق لطعام ونحوه، كما ورد في ذلك الحديث الصحيح.

ثم قال: ﴿ولا جنباً إلا عابري سبيل ﴾ أي: لا تقربوا الصلاة حالة كون أحدكم جنباً ، إلا في هذه الحال، وهو عابر السبيل ، أي: تمرون في المسجد ولا تمكثون فيه ، ﴿حتى تغتسلوا ﴾ أي: فإذا اغتسلتم ، فهو غاية المنع من قربان الصلاة للجنب ، فيحل للجنب المرور في المسجد فقط .

ووإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم

مِنهُم مَعَكَ وَلِيَاخُذُوا أَسْلِمَتُهُمْ فَإِنَّا سَجَدُواْ فَالْكُووْا مِن وَوَلَهِكُمْ وَلَتَالِ طَالِمَتُهُمْ وَالْسَلِحَةُ أَمْرَهُ الْمِسْلُواْ فَالْسَكُواْ مَعْكَ وَلَيْسُأَخُولُ فِذَهُمْ وَالْسِلِحَةُمُ وَوَالْمِيْكُمُ وَالْمِيْكُولُوا لَوْتَفَقُلُونَ مَنْ أَسْلِحَيْكُمْ وَأَضِيَّةُ وَلَا مُنْكَاعِمَ مَنْ فَيْكِلُونَ عَلَيْكُمْ مَنْ اللَّهُ وَلَيْمَةً وَلَا مُنْكُمَ عَلَيْكُمُ إِنْ مَنْ مَنْ اللَّهِ وَلَيْكُونَ بِكُمْ أَذَى مِنْ مَظْلُولُ الشَّعْدُ الْمَنْعُوالُ الشَّعْدُ اللَّهِ اللَّهِ الْمُنْعُولُ اللَّهِ اللَّهِ المَنْكُمُ

وَمُدُواْ عِنْدَ مُنْ الْمُنْ الْمُنْدَافِنَا اللّهِ عِنْهَا مُعِيدًا ۞

﴿ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ

حَدَاتَ الْمُؤَدِّ وَتَدْخُونَ مِنَ الْهَوَالَا يَوْمُوثُ وَكَانَ الْمَدَّالِيَ الْمُؤْمِثُ وَكَانَ الْمُؤْمِنُ الْمَدَّالِيَ الْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِنُ الْمُثَالِيَةِ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ الْمُثَالِقِينَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُلْمِينَا الْمُنْفِيلِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُثَالِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُنْفِقِينَ الْمُثَلِقِينَ الْمُنْفِقِينَ الْمُنْفِينِينَا لِلْمُنْ الْمُنْفِيلِينَا الْمُلْمِينَ الْمُنْفِقِينَ الْمُنْفِيلِينِي الْمُنْفِقِينَا الْمُنْفِيلِينَا الْمُنْفِيلِينَا الْمُنْفِيلِكِينَا الْمُنْفِيلُونِ الْم

لقیه لا یشرك به شیئاً، لأتاه بقرابها مغفرة.

﴿ ٤٤ ـ ٤٤ ﴾ ﴿ أَلَمْ تَسرِ إِلَى الْسَذِيسِنِ أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل \* والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليأ وكفي بالله نصيراً \* من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليّاً بألسنتهم وطعناً في الدين ولوّ أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا له هذا ذم لن ﴿ أُوتُوا نصيباً من الكتاب ، وفي ضمنه تحذير عباده عن الاغترار بهم، والوقوع في أشراكهم، فأخبر أنهم، في أنفسهم ﴿يشترون الضلالة ﴾أي: يحبونها محبة عظيمة، ويؤثرونها إيثار من يبذل المال الكثير في طلب ما يجبه، فيؤثرون الضلال على الهدى، والكفر على الإيمان، والشقاء على السعادة، ومع هذا ﴿يريدون أن تـضــلـوا السبيل.

فهم حريصون على إضلالكم غاية الحرص، باذلون جهدهم في ذلك، ولكن لما كان الله ولي عباده المؤمنين وناصرهم، بين لهم ما اشتملوا عليه من الضلال والإضلال، ولهذا قال: ﴿وكفى بالله ولياً ﴾أي: يتولى أحوال عباده، ويلطف بهم في جميع أمورهم،

وقوله: ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ﴾ هذا محل المسح في التيمم: الوجه جميعه، واليدان إلى الكوعين، كسما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، ويستحب أن يكون ذلك بضربة واحدة، كما دل على ذلك حديث عمار، وفيه أن تيمم الجنب كتيمم غيره، بالوجه واليدين.

## فاندة

اعلم أن قواعد الطب تدور على شلاث قواعد: حفظ الصحة عن المؤذيات، والاستفراغ منها، والحمية عنها. وقد نبه تعالى عليها في كتابه العزيز.

أما حفظ الصحة والحمية عن المؤذي، فقد أمر بالأكل والشرب وعدم الإسراف في ذلك، وأباح للمسافر والمريض الفطر، حفظاً لصحتهما، باستعمال ما يصلح البدن على وجه العدل، وحماية للمريض عما يضره.

وأما استفراغ المؤذي، فقد أباح تعالى للمحرم المتأذي برأسه أن يحلقه لإزالة الأبخرة المحتقنة فيه، ففيه تنبيه على استفراغ ما هو أولى منها، من البول والغائط والقيء والمني والدم، وغير ذلك، نبه على ذلك ابن القيم رحمه الله تعالى.

وفي الآية وجوب تعميم مسح الوجه واليدين، وأنه يجوز التيمم ولو لم يضق الوقت، وأنه لا يخاطب بطلب الماء إلا بعد وجود سبب الوجوب والله أعلم.

ثم ختم الآية بقوله: ﴿إِن الله كان عفواً غفوراً ﴾ أي: كثير العفو والمغفرة لعباده المؤمنين، بتيسير ما أمرهم به، وتسهيله غاية التسهيل، بحيث لا يشق على العبد امتثاله، فيحرج بذلك.

ومن عفوه ومغفرته أن رحم هذه الأمة بشرع طهارة التراب بدل الماء، عند تعذر استعماله. ومن عفوه ومغفرته أن فتح للمذنبين باب التوبة والإنابة ودعاهم إليه، ووعدهم بمغفرة ذنوبهم. ومن عفوه ومغفرته، أن المؤمن لو أتاه بقراب الأرض خطايا ثم

النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا التيمم المريض مطلقاً مع وجود الماء وعدمه، والعلة المرض الذي يشق معه استعمال الماء، وكذلك السفر فإنه مظنة فقد الماء، فإذا فقده المسافر أو وجد ما يتعلق بحاجته من شرب ونحوه، جاز له التيمم.

وكذلك إذا أحدث الإنسان ببول أو غائط أو ملامسة النساء، فإنه يُباح له التيمم إذا لم يجد الماء، حضراً وسفراً، كما يدل على ذلك عموم الآية. والحاصل: أن الله تعالى أباح التيمم في حالتين:

حال عدم الماء، وهذا مطلقاً في الحضر والسفر. وحال المشقة باستعماله بمرض ونحوه.

واختلف المفسرون في معنى قوله: أو لامستم النساء كه هل المراد بذلك: الجماع، فتكون الآية نصاً في جواز التيمم للجنب، كما تكاثرت بذلك الأحاديث الصحيحة؟ أو المراد بذلك عرد اللمس باليد، ويقيد ذلك بما إذا كان مظنة خروج المذي، وهو المس الذي يكون لشهوة، فتكون الآية دالة على نقض الوضوء بذلك؟

واستدل الفقهاء بقوله: ﴿ فلم تجدوا ماء ﴾ بوجوب طلب الماء عند دخول الوقت، قالوا: لأنه لا يقال: ﴿ لم يجدٍ» لمن لم يطلب، بل لا يكون ذلك إلا بعد الطلب، واستدل بذلك أيضاً على أن الماء المتغير بشيء من الطاهرات يجوز بل يتعين التطهر به لدخوله في قوله: ﴿ فلم تجدوا ماء ﴾ وهذا ماء. ونوزع في ذلك بأنه ماء غير مطلق، وفي ذلك

وفي هذه الآية الكريمة مشروعية هذا الحكم العظيم الذي امتن به الله على هذه الأمة، وهو مشروعية التيمم، وقد أجمع على ذلك العلماء ولله الحمد، وأن التيمم يكون بالصعيد الطيب، وهو كل ما تصاعد على وجه الأرض، سواء كان له غبار أم لا، ويحتمل أن يختص ذلك بذي الغبار، لأن الله قال: ﴿ فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ﴾ وما لا غبار له لا يمسح به.

وييسر لهم ما به سعادتهم وفلاحهم. ﴿وكفى بالله نصيراً ﴾ ينصرهم على أعدائهم، ويبين لهم ما يحذرون منهم ويعينهم عليهم. فولايته تعالى فيها حصول الخير، ونصره فيه زوال الشر.

ثم بين كيفية ضلالهم وعنادهم، وإيثارهم الباطل على الحق فقال: ﴿من الذين هادوا﴾ أي: اليهود، وهم علماء الضلال منهم.

﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه إما بتغيير اللفظ أو المعنى، أو هما جميعاً. فمن تحريفهم تنزيل الصفات التي ذكرت في كتبهم، التي لا تنطبق ولا تصدق إلا على محمد على على أنه غير مراد بها، ولا مقصود بها، بل أريد بها غيره، وكتمانهم ذلك.

نهذا حالهم في العلم أشر حال، قلبوا فيه الحقائق، ونزلوا الحق على الباطل، وجحدوا لذلك الحق، وأما حالهم في العمل والانقياد فإنهم في العمل والانقياد فإنهم قولك وعصينا أمرك، وهذا غاية الكفر والعناد، والشرود عن الانقياد، وكذلك يخاطبون الرسول وأبعده عن الأدب، فيقولون: خطاب وأبعده عن الأدب، فيقولون: مناغير مسمع ما تحب، بل يا تحد، وراعنا في تحديد المسمع ما تحب، بل مسمع ما تحب، بل يا تحديد المسمع ما تحب بل مسمع م

الرعونة، بالعيب القبيح، ويظنون أن اللفظ \_ لما كان محتملاً لغير ما أرادوا من الأمور \_ أنه يروج على الله وعلى رسوله، فتوصلوا بذلك اللفظ الذي يلوون به ألسنتهم إلى الطعن في الدين، والعيب للرسول، ويصرحون بذلك فيما بينهم، فلهذا قال: ﴿لِيا بالسنتهم وطعناً في الدين﴾

ثم أرشدهم إلى ما هو خيرٌ لهم من ذلك فقال: ﴿ ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم من حسن الخطاب والأدب اللائق في غاطبة الرسول، والدخول تحت غاطبة الرسول، والدخول تحت طاعة الله والانقياد لأمره، وحسن التلطف في طلبهم العلم، بسماع سؤالهم، والاعتناء بأمرهم، فهذا هو الذي ينبغي لهم سلوكه. ولكن لما كانت طبائعهم غير زكية، أعرضوا عن ذلك، وطردهم الله، بكفرهم لعنهم الله بكفرهم لعنهم الله بكفرهم لله يؤمنون إلا قليلاً

﴿٤٧﴾ ﴿يا أيها الذيب أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً يأمر تعالى أهل الكتاب من اليهود والنصارى، أن يؤمنوا بالرسول عمد وما أنزل الله عليه من القرآن العظيم، المهيمن على غيره من الكتب السابقة الذي قد صدقها، فإنها أخبرت به فلما وقع المخبر به كان تصديقاً لذلك

وأيضاً فإنهم إن لم يؤمنوا بهذا القرآن، فإنهم لم يؤمنوا بما في أيديهم من الكتب، لأن كتب الله يصدق بعضها بعضاً، ويوافق بعضها بعضاً. فدعوى الإيمان ببعضها دون بعض، دعوى باطلة، لا يمكن صدقها.

وفي قوله: ﴿آمنوا بِما نزلنا مصدقاً لما معكم﴾ حث لهم، وأنهم ينبغي أن

يكونوا قبل غيرهم مبادرين إليه، بسبب ما أنعم الله عليهم به من العلم، والكتاب الذي يوجب أن يكون ما عليهم أعظم من غيرهم، ولهذا توعدهم على عدم الإيمان فقال: ﴿من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها) وهذا جزاء من جنس ما عملوا، كما تركوا الحق، وآثروا الباطل، وقلبوا الحقائق، فجعلوا الباطل حقاً والحق باطلاً، جوزوا من جنس ذلك بطمس وجوههم كما طمسوا الحق، وردها على أدبارها، بأن تجعل في أقفائهم، وهذا أشنع ما يكون ﴿أُو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت﴾ بأن يطردهم من رحمته، ويعاقبهم بجعلهم قردة، كما فعل بإخوانهم الذين اعتدوا في السبت، ﴿فقلنا لهم كونوا قردة خاسَّئين﴾. ﴿وكان أمر الله مفعولاً كقوله: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ .

﴿٤٨﴾ ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ﴾ يخبر تعالى: أنه لا يغفر لمن أشرك به أحدا من المخلوقين، ويغفر ما دون الشرك(١٠) من الذنوب، صغائرها وكبائرها، وذلك عند مشيئته مغفرة ذلك، إذا اقتضت حكمته مغفرته.

فالذنوب التي دون الشرك قد جعل الله لمغفرتها أسباباً كثيرة، كالحسنات الماحية، والمصائب الكفرة في الدنيا، والبرزخ، ويوم القيامة، وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وشفاعة الشافعين. ومن فوق ذلك كله رحمته التي أحق بها أهل الإيمان والتوحيد.

وهذا بخلاف الشرك فإن المشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد، ولا تفيده المصائب شيئاً وما لهم يوم القيامة ﴿من شافعين \* ولا صديق حميم ﴾.

ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَشُرُكُ بِاللَّهِ

لهم وحدهم \_فإنهم كذبة في ذلك، ليس لهم من خصال الزاكين نصيب، بسبب ظلمهم وكفرهم، لا بظلم من الله لهم، ولهذا قال: ﴿ وَلا يظلمون فتيلاكه وهذا لتحقيق العموم، أي: لا يظلمون شيئاً، ولا مقدار الفتيل الذي في شق النواة، أو الذي يفتل من وسخ اليد وغيرها.

قال تعالى: ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب أي: بتزكيتهم أنفسهم، لأن هذا من أعظم الافتراءً على الله . لأن مضمون تزكيتهم لأنفسهم، الإخبار بأن الله جعل ما هم عليه حقاً، وما عليه المؤمنون المسلمون باطلاً. وهذا أعظم الكذب، وقلب الحقائق بجعل الحق باطلاً، والباطل حقاً. ولهذا قال: ﴿وكفي بِهِ إِثْماً مبيناً ﴾ أي: ظاهراً بيناً، موجباً للعقوبة البليغة والعذاب الأليم.

﴿٥١ - ٧٥﴾ ﴿أَلَمْ تَسْرُ إِلَى السَّذِيسِنَ أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً \* أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً \* أم لهم نصيب من الملك فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً \* أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً \* فمنهم من آمن به ومنهم من صدعته وكفي بجهنم سعيراً \* إنَّ الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارأ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً \* والذين أمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدأ لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلاً وهذا من قبائح اليهود وحسدهم للنبي ﷺ والمؤمنين، أن أخلاقهم الرذيلة، وطبعهم الخبيث، حملهم على ترك الإيمان بالله ورسوله والتعوض عنه بالإيمان بالجبت والطاغوت، وهو الإيمان بكل عبادة لغير الله، أو حكم بغير شرع الله. فدخل في ذلك السحر والكهانة،

فقد افترى إثماً عظيماً ﴿أَي: افترى جرماً كبيراً، وأي: ظلم أعظم ممن سؤى المخلوق \_من تراب، الناقص من جميع الوجوه، الفقير بذاته من كل وجه، الذي لا يملك لنفسه \_فضلاً عمَّن عبده \_نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً .. بالخالق لكل شيء، الكامل من جميع الوجوه، الغني بذاته عن جميع مخلوقاته، الذي بيده النفع والضر، والعطاء والمنع، الذي ما من نعمة بالمخلوقين، إلا فمنه تعالى، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟

ولهذا حتم على صاحبه بالخلود بالعذاب وحرمان الثواب ﴿إنه مَنْ يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النارك . وهذه الآية الكريمة في حق غير التائب وأما التائب، فإنه يغفر له الشرك فما دونه، كما قال تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ أي: لمن تاب إليه

﴿٤٩ ـ ٥٠﴾ ﴿أَلْمُ تَسرَ إِلَى السَّذَيِسِنَ يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء ولا يظلمون فتيلاً \* انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفي به إئماً مبيناً ﴾ هذا تعجيب من الله لعباده، وتوبيخ للذين يزكون أنفسهم من اليهود والنصاري، ومَنْ نحا نحوهم، من كل مَنْ زكى نفسه، بأمر ليس فيه. وذلك أن اليهود والنصاري يقولون: ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ ويقولون: ﴿لن يدخل الجنة إلا مَنْ كان هوداً أو نصاری ﴾ وهذا مجرد دعوی لا برهان عليها، وإنما البرهان ما أخبر به في القرآن في قوله: ﴿ بِلِّي مَنْ أَسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون). فهؤلاء هم الذين زكاهم الله، ولهذا قال هنا: ﴿ بِلِ اللهِ يَزِكُي مَنْ يَشَاءُ ﴾ أي: بالإيمان والعملّ الصالح، بالتخلي عن الأخلاق الرذيلة، والتحلي بالصفات الجميلة.

وأما هؤلاء فهم \_وإن زكوا أنفسهم بزعمهم أنهم على شيء، وأن الثواب

• لَّاخَ يْرَفِ كَيْرِيْن غَوْلُهُ ۚ إِلَّا مَنْ أَكْرُبِكَ فَوَ المُومَعُ رُوفِ أَوْ إِصْلَيْجِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلُ ذَلِكَ أَبْيَفَكَأَةً مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسُوفَ نُوْتِبِ وَأَحْدُرُ عَظِيمًا ﴿ وَمَن يُسَافِق ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَاتَبَيَّرَ لَهُ ٱلْمُدَىٰ وَيَشِّعْ غَيْرَسَكِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ثُوَلِّهِ عَانَوَلْ وَنُصَيلِهِ ، جَهَنَكُمُّ ﴾ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۞ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ عَ وَيَغْفِرُمَادُونِ ذَٰلِكَ لِلْ يَشَكَّاءُ وَمَن يُنْرِكِ بِاللَّهِ فَقَدْضَلَّ ضَلَلَابَعِيدًا ۞ إِن يَنْعُونَ مِن دُونِيهِ ۗ إِلَّا إِنْكُنَا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا مُنْسَبِطَنَا مِّرِيدًا ﴿ لَمُسَنَّدُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَاَتَيُّنَا َكِيرِهُ عِبِكِ لِكَ مَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿ وَلَكْمِنَا مُنْهُمُ وَلَأَمُنِيَّنَّهُمْ وَلَآمُزُهُمُمْ فَكُبَّيْكُنَّ ءَاذَابَ ٱلْأَمْكِيرِ وَلَاَمْرَهُمْ فَلَيُغَيِّرُكُ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَ خِذِ ٱلشَّيْطَان الله الله المرابعة الله والمنطقة المنساحة المرابعة المرابعة الله المرابعة ا إِيمِدُهُمْ وَيُمَنِيْهِمْ وَمَايِعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَانُ إِلَّاعُرُولَا ۞ الْوَلَيْكَ مَأْوَلُهُ مُرْجَهُمُ مُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا يَحِيدًا ١ CHANGE WERRED

THE REPORT OF THE PARTY OF THE

وعبادة غير الله، وطاعة الشيطان، كل هذا من الجبت والطاغوت، وكذلك حملهم الكفر والحسدعلي أن فضلوا طريقة الكافرين بالله \_عبدة الأصنام \_ على طريق المؤمنين، فقال: ﴿ ويقولون للذين كفروا ( أي: الأجلهم ، تملقاً لهم ومداهنة، وبغضاً للإيمان: ﴿ هُولاً ع أهدى من الذين آمنوا سبيلاً هأي: طريقاً. فما أسمجهم وأشد عنادهم، وأقل عقولهم!! كيف سلكوا هذا المسلك الوخيم، والوادي الذميم؟!! هل ظنوا أن هذا يروج على أحد من العقلاء، أو يدخل عقل أحد من الجهلاء، فهل يفضل دين قام على عبادة الأصنام والأوثان، واستقام على تحريم الطيبات، وإباحة الخبائث، وإحلال كثير من المحرمات، وإقامة الظلم بين الخلق، وتسوية الخالق بالمخلوقين، والكفر بالله ورسله وكتبه، على دين قام على عبادة الرحمن، والإخلاص لله في السر والإعلان، والكفر بما يعبد من دونه من الأوثان والأنداد والكاذبين، وعلى صلة الأرحام والإحسان إلى جميع الخلق، حتى البهائم، وإقامة العدل والقسط بين الناس، وتحريم كل خبيث وظلم، والصدق في جميع الأقوال والأعمال فهل هذا إلا من الهذيان، وصاحب هذا القول إما من أجهل الناس وأضعفهم عقلاً، وإما من أعظمهم عناداً وتمرداً ومراغمة للحق،

وَالَّذِي ءَامَـنُوا وَعَسَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَـنُدَّخِلُهُۥ جَنَّت يَحْرى مِن تَجْتِهِ ﴾ ٱلأَنْهَ كُرِخَالِدِينَ فِهَآ أَبَكُأُ وَعْدَاللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ وَقِيلًا ۞ لَّيْسَ بِأَمَانِيَكُمْ وَلَا أَمَانِيَ أَهْلِ ٱلْكِئلَيُّ مَن يَعْمَلْ مُوَاً يُحْدَرُهِ وَلَا يَعِدُ لَكُونِ دُونِ اللَّهِ وَلِيَّا وَلَانْصِيرًا ۞ وَمَن يَعْمَلُمِنَ ٱلصَّالِحَاتِ مِن دَكَرَأُواْنَيُ وَهُوَّ مُؤْمِنُ اَلْوَلَتِهِكَ مَنْخُلُونَ ٱلْحَنَّةَ وَلَائِظُلُمُونَ نَقِيرًا ١ وَمَنْ أَحْسُنُ دِينًا مِّمَنْ أَسْلَمُ وَجَهَكُ اللَّهِ وَهُوَ يُحْسِنُ وَأَبْعَ مِلَّةَ إِبْرُهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّعَٰذَ اللَّهُ إِبْرُهِيمَ خَلِيلًا ۞ وَيلَّهِ مَانِي ٱلسَّكَوْتِ وَمَافِ ٱلْأَرْضِ وَكَاتَ ٱللَّهُ كِكُلُّ مُوَّدِ يِّحِيطًا ۞ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِ ٱلِنْسَآءَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُو فِيهِنَّ وَمَايُتُكَاعَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِئْبِ فِي يَنْعَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِي لَاتُوْفُونَهُنَّ مَا كِيتِ لَهُنَّ وَرَغَبُونَ أَن سَيَحُوفُنَّ وَٱلْمُسْ يَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَسَامَىٰ إِلْقِسْطِ وَمَاتَفْ عَلُواْمِنْ خَيْرِ فَإِنَّ أَلَّهُ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ۞ MODEMON WEDNESS

وهذا هو الواقع، ولهذا قال تعالى عنهم: ﴿أُولِئُكُ الذّين لعنهم الله أي: طردهم عن رحمته، وأحل عليهم نقمته. ﴿ومن يلعن الله فلن تجدله نصيراً﴾ أي: يتولاه، ويقوم بمصالحه، ويحفظه عن المكاره، وهذا غاية الخذلان.

وأم لهم نصيب من الملك أي: فيفضلون من شاؤوا على مَنْ شاؤوا بمجرد أهوائهم، فيكونون شركاء لله في تدبير المملكة، فلو كانوا كذلك قال: ﴿فَإِذَا ﴾ أي: لو كان لهم نصيب من الملك ﴿لا يؤتون الناس نقيراً ﴾ أي: شيئاً، ولا قليلاً. وهذا وصف لهم بشدة البخل، على تقدير وجود ملكهم المشارك لملك الله. وأخرج هذا عخرج الاستفهام المتقرر إنكاره، عند كل

﴿أُم يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله ﴾ آي: هل الحامل لهم على قولهم كونهم شركاء لله، فيفضلون مَنْ شاؤوا؟ أم الحامل لهم على ذلك الحسد للرسول وللمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله؟ وذلك ليس ببدع ولا غريب على فضل الله.

﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴿ وذلك ما أنعم الله به على إبراهيم وذريته، من النبوة والكتاب والملك الذي أعطاه من

أعطاه من أنبيائه كد «داود» و «سليمان». فإنعامه لم يزل مستمراً على عباده المؤمنين.

فكيف ينكرون إنعامه بالنبوة والنصر والملك لمحمد على أفضل الخلق وأجلهم، وأعظمهم معرفة بالله وأخشاهم له؟!!

وف منهم من آمن به أي: بمحمد وأله في الله السعادة الدنيوية والفلاح الأخروي. وومنهم من صدعنه عناداً وبغياً وحسدا، فحصل لهم من شقاء الدنيا ومصائبها، ما هو بعض آثار معاصيهم وكفى بجهنم سعيراً لله تسعر على مَنْ كفر بالله، وجحد نبوة أنبيائه من اليهود والنصارى، وغيرهم من أصناف الكفرة.

ولهذا قال: ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم تاراً﴾ أي: عظيمة الموقود، شديدة الحرارة، ﴿كلما نضجت جلودهم﴾ أي: احترقت العذاب ﴾ أي: ليبلغ العذاب منهم كل مبلغ. وكما تكرر منهم الكفر والعناد، وصار وصفاً لهم وسجية؛ كرر عليهم العذاب جزاءاً وفاقاً، ولهذا قال: العزاء لعظيمة، والحكمة في خلقه وأمره، وثوابه وعقابه.

﴿والدّين آمنوا﴾ أي: بالله، وما أوجب الإيسان به ﴿وعسلوا الصالحات﴾ من الواجبات والمستحبات ﴿سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة﴾ أي: من الأخلاق الرذيلة، والخلق الذميم، وعما يكون من نساء الدنيا من كل دنس وعيب ﴿وندخلهم ظلا ظليلا﴾

﴿٥٨ ـ ٥٩ ﴿ إِنَ اللهِ يأمركم أَن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً \* يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله

والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً الأمانات كل ما اؤتمن عليه الإنسان وأمر بالقيام به. فأمر الله عباده بأدائها أي: كاملة موفرة، لا منقوصة ولا مبخوسة، ولا محطولاً بها، ويدخل في ذلك أمانات الولايات والأموال والأسرار؛ والمأمورات التي لا يطلع عليها إلا الله.

وقد ذكر الفقهاء، على أن مَنْ اؤتمن أمانة وجب عليه حفظها في حرز مثلها. قالوا: لأنه لا يمكن أداؤها إلا بحفظها؛ فوجب ذلك.

وفي قوله: ﴿إلى أهلها﴾ دلالة على أنها لا تدفع وتؤدى لخير المؤتمن، ووكيله بمنزلته؛ فلو دفعها لغير ربها لم يكن مؤدياً لها.

﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ وهذا يشمل الحكم بينهم في الدماء، والأموال، والأعراض، القليل من ذلك والكثير، على القريب والبعيد، والبر والفاجر، والولي والعدو.

والمراد بالعدل الذي أمر الله بالحكم به، هو ما شرعه الله على لسان رسوله من الحدود والأحكام، وهذا يستلزم معرفة العدل ليحكم به. ولما كانت هذه أوامر حسنة عادلة، قال: ﴿إِنَّ الله عما يعظكم به، إِنَّ الله كان سميعاً وهذا مدح من الله لأوامره ونواهيه، لاشتمالها على مصالح الدارين ودفع مضارهما، لأن شارعها السميع البصير الذي لا تخفى عليه السميع البصير الذي لا تخفى عليه خافية، ويعلم بمصالح العباد ما لا يعلمون.

ثم أمر بطاعته وطاعة رسوله، وذلك بامتشال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما. وأمر بطاعة أولي الأمر، وهم: الولاة على الناس، من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله، ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط أن لا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك، فلا طاعة لمخلوق في

رحيماً \* فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ يخبر تعالى خبراً في ضمنه الأمر والحث على طاعة الرسول والانقياد له. وأن الغاية من إرسال الرسل أن يكونوا مطاعين، ينقاد لهم المرسل إليهم في جميع ما أمروا به ونهوا عنه، وأن يكونوا معظمين، تعظيم المطيع (٢) للمطاع.

DESIDE " EDREED!

وفي هذا إثبات عصمة الرسل فيما يبلغونه عن الله، وفيما يأمرون به وينهون عنه؛ لأن الله أمر بطاعتهم مطلقاً، فلولا أنهم معصومون لا يشرعون ما هو خطأ، لما أمر بذلك مطلقاً .

وقوله: ﴿بَإِذِنَ اللهِ أَيِّ: الطَّاعَةُ من المطيع، صادرة بقضاء الله وقدره. ففيه إثبات القضاء والقدر، والحث على الاستعانة بالله، وبيان أنه لا يمكن الإنسان -إن لم يعنه الله -أن يطيع الرسول.

ثم أخبر عن كرمه العظيم وجوده، ودعوته لمن اقترف السيشات، أن يعترفوا ويتوبوا ويستغفروا الله فقال: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك﴾ أي: معترفين بذنوبهم، باخعين بها.

إلى الطاغوت﴾ وهو كل مَنْ حكم بغير شرع الله فهو طاغوت.

والحال أنهم وقد أمروا أن يكفروا به الكيف يجتمع هذا والإيمان؟ فإن الإيمان يقتضى الانقياد لشرع الله وتحكيمه في كل أمر من الأمور، فمَنْ زعم أنه مؤمن واختار حكم الطاغوت على حكم الله، فهو كاذب في ذلك. وهذا من إضلال الشيطان إياهم، ولهذا قال: ﴿ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴾ عن الحق.

﴿فكيف ﴾ يكون حال هؤلاء الضالين ﴿إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم) من المعاصي، ومنها تحكيم الطاغوت؟!

﴿ثم جاؤوك﴾ معتذرين (١) لما صدر منهم، ويقولون: ﴿إنْ أَرْدُنَا إِلَّا إِحْسَانَاً وتوفّيقاً﴾ أي: ما قصدنا في ذلك إلاّ الإحسان إلى المتخاصمين والتوفيق بينهم، وهم كذبة في ذلك. فإن الإحسان كل الإحسان تحكيم الله ورسوله ﴿ومَنْ أحسن من الله حكماً لقوم يوقئون﴾ .

ولهذا قال: ﴿أُولِسُكُ اللَّهِينَ يعلم الله ما في قلوبهم أي: من النفاق والقصد السييء . ﴿ فَأَعرض عنهم اي: لا تبال بهم ولا تقابلهم على ما فعلوه واقترفوه. ﴿وعظهم﴾ أي: بين لهم حكم الله تعالى، مع الترغيب في الانقياد لله، والترهيب من تركه، ﴿وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغا انصحهم سرأ بينك وبينهم، فإنه أنجح لحصول المقصود، وبالغ في زجرهم وقمعهم عمّا كانوا عليه، وفي هذا دليل على أن مقترف المعاصي وإن أعرض عنه، فإنه ينصح سرا، ويبالغ في وعظه بما يظن حصول المقصود به.

﴿ ٢٤ \_ ٦٥) ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابأ

معصية الخالق. ولعل هذا هو السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم، وذكره مع طاعة الرسول فإن الرسول، لا يأمر آلا بطاعة الله، ومَنْ يطعه فقد أطاع الله، وأما أولو الأمر فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية.

ثم أمر برد كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه، إلى الله وإلى رسوله، أي: إلى كتاب الله وسُنّة رسوله؛ فإن فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية، إما بصريحهما، أو عمومهما؛ أو إيماء، أو تنبيه، أو مفهوم أو عموم معنى يقاس عليه ما أشبهه، لأن كتاب الله وسُنّة رسوله عليهما بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا سما .

فالرد إليهما شرط مي الإيمان، فلهذا قال: ﴿إِن كنتم تُؤمنون بالله واليوم الآخر، فدل ذلك على أن مَن لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة، بل مؤمن بالطاغوت، كما ذكر في الآية بعدها ﴿ذلك﴾ أي: الرد إلى الله ورسوله ﴿خير وأحسن تأويلا﴾ فإن حكم الله ورسوله، أحسن الأحكام وأعدلها، وأصلحها للناس، في أمر دينهم ودنياهم وعاقبتهم.

﴿٦٠ ـ ٦٣﴾ ﴿أَمْ تَسر إِلَى السَّذِيسِن يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً \* وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا \* فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً \* أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً العجب تعالى عباده من حالة المنافقين. ﴿الذين يزعمون أنهم﴾ مؤمنون بما جاء به الرسول وبما قبله، ومع هذا ﴿يريدون أن يتحاكموا

في النسختين: متعذرين. (١)

في النسختين: تعظيم المطاع للمطيع، وهو سبق قلم، وقد عدلت في ب عن طريق المطبعة السلفية إلى تعظيم المطاع من المطيع. **(Y)** 

يَكَانُهُ اللَّهِ حَدَّ المَثُوا كُولُوا فَوَهِ بَهِ إِلْفِيلَا لَهُ مَدَدُ لَمُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْمُحْدَدُ الْمُحْدِينَ الْمُحْدِدُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْمُحْدَدُ الْمُحْدِدُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْمُحْدَدُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْمُحْدَدُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْمُحْدَدُ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْمُحْدَدُ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الْمُعْلِقُ اللَّهُ الْمُعْلِقُ الْمُعْلِيلُولِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلِيلُولُ ال

ARTHUR CONTRACTOR

وفاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً أي: لتاب عليهم بمغفرته ظلمهم، ورحمهم بقبول التوبة والتوفيق لها، والشواب عليها، وهذا المجيء إلى الرسول عليه غنص بحياته؛ لأن السياق يدل على ذلك، لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء، بل ذلك شرك.

ثم أقسم تعالى بنفسه الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله فيما شجر بينهم، أي: في كل شيء يحصل فيه اختلاف، بخلاف مسائل الإجماع، فإنها لا تكون إلا مستندة للكتاب والسنة، ثم لا يكفي هذا التحكيم حتى ينتفي الحرج من قلوبهم والضيق، ثم لا يكفي ذلك (۱) حتى يسلموا لحكمه تسليماً، بانشراح صدر، والباطن.

فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان. فمن استكمل هذه المراتب وكملها، فقد استكمل مراتب الدين كلها. فمَنْ ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزم له فهو كافر، ومَنْ

تركه، مع التزامه فله حكم أمثاله من العاصين.

﴿٦٦ \_ ٦٨) ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان حيراً لهم وأشد تثبيتاً \* وإذا لآتيناهم من لدناً أجراً عظيماً \* ولهديناهم صراطاً مستقيماً ﴾ يخبر تعالى أنه لو كتب على عباده الأوامر الشاقة على النفوس من قتل النفوس، والخروج من الديار، لم يفعله إلا القليل منهم والنادر، فليحمدوا رمهم وليشكروه على تيسير ما أمرهم به من الأوامر التي تسهل على كل أحد، ولا يشق فعلها، وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي أن يلحظ العبد ضد ما هو فيه من المكروهات، لتخف عليه العبادات، ويزداد حمداً وشكراً لربه.

ثم أخبر أنهم لو فعلوا ما يوعظون به، أي: ما وظف عليهم في كل وقت بحسبه، فبذلوا هممهم، ووفروا نفوسهم للقيام به وتكميله، ولم يكونوا نفوسهم لما لم يصلوا إليه، ولم يكونوا بصدده، وهذا هو الذي ينبغي للعبد، أن ينظر إلى الحالة التي يلزمه القيام بها فيكملها، ثم يتدرج شيئاً فشيئاً، حتى يصل إلى ما قدر له من العلم والعمل في أمر الدين والدنيا، وهذا بخلاف من طمحت نفسه إلى أمر لم يصل إليه ولم يؤمر به بعد، فإنه لا يكاد يصل إلى ذلك بسبب تفريق الهمة، وحصول الكسل وعدم النشاط.

ثم رتب ما يحصل لهم على فعل ما يوعظون به، وهو أربعة أمور:

(أحدها) الخيرية في قوله: ﴿لكان خيراً لهم﴾ أي: لكانوا من الأخيار المتصفين بأوصافهم، من أفعال الخير، التي أمروا بها، أي: وانتفى عنهم بذلك صفة الأشرار، لأن ثبوت الشيء يستلزم نفى ضده.

(الثاني) حصول التثبيت والثبات وزيادته، فإن الله يثبت الذين آمنوا بسبب ما قاموا به من الإيمان، الذي

هو القيام بما وعظوا به، فيثبتهم في الحياة الدنيا، عند ورود الفتن في الأوامر والنواهي والمصائب، فيحصل لهم ثبات يوفقون لفعل الأوامر وترك الزواجر، التي تقتضي النفس فعلها، وعند حلول المصائب، التي يكرهها العبد. فيوفق للتثبيت بالتوفيق للصبر أو للرضا أو للشكر.

فينزل عليه معونة من الله للقيام بذلك، ويحصل له الثبات على الدين، عند الموت وفي القبر.

وأيضاً فإن العبد القائم بما أمر به، لا يزال يتمرن على الأوامر الشرعية حتى يألفها، ويشتاق إليها وإلى أمثالها، فيكون ذلك معونة له على الثبات على الطاعات.

(الثالث): قوله: ﴿وَإِذَا لَآتَيناهُم من لدنا أجراً عظيماً ﴾ أي: في العاجل والآجل، الذي يكون للروح والقلب والبدن، ومن النعيم المقيم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

(الرابع) الهداية إلى صراط مستقيم. وهذا عموم بعد خصوص، لشرف الهداية إلى الصراط المستقيم، من كونها متضمنة للعلم بالحق، وعبته وإيثاره والعمل به، وتوقف السعادة والفلاح على ذلك، فحس هدي إلى صراط مستقيم، فقد وفق لكل خير، واندفع عنه كل شر وضير.

والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً \* ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً أي: كل مَن أطاع الله ورسوله على حسب حاله، وقدر الواجب عليه من ذكر وأنثى وصغير وكبير، ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم أي: النعمة الذي تقتضي الكمال والفلاح والسعادة، ﴿من النبيين الذين فضلهم الله بوحيه، واختصهم بغرسالهم إلى الخلق،

الطاعة الكبيرة، التي بها يقوى الإيمان، ويسلم بها العبد من العقوبة والحسران، ويحصل له فيها عظيم الثواب، ورضا الكريم الوهاب.

وأما القعود فإنه وإن استراح قليلاً، فإنه يعقبه تعب طويل وآلام عظيمة، ويفوته ما يحصل للمجاهدين.

ثم قال: ﴿ ولئن أصابكم فضل من الله أي: نصر وغنيمة ﴿ليقولنَ كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً ﴾ أي : يتمنى أنه حاضر لينال من المغانم، ليس له رغبة ولا قصد في غير ذلك، كأنه ليس منكم، يا معشر المؤمنين ولا بينكم وبينه المودة الإيمانية، التي<sup>(١)</sup> من مقتضاها أن المؤمنين مشتركون في جميع مصالحهم ودفع مضارهم، يفرحون بحصولها ولو على يد غيرهم من إخوانهم المؤمنين (٢)، ويألمون بفقدها، ويسعونَ جميعاً في كل أمر يصلحون به دينهم ودنياهم، فهذا الذي يتمنى الدنيا فقط، ليست معه الروح الإيمانية المذكورة.

ومن لطف الله بعباده أن لا يقطع عنهم رحمته، ولا يغلق عنهم أبوابها. بل من حصل منه غير ما يليق، أمره ودعاه إلى جبر نقصه، وتكميل نفسه،

ولهذا قال: ﴿فانفروا ثبات﴾ أي:
متفرقين بأن تنفر سرية أو جيش، ويقيم
غيرهم ﴿أو انفروا جميعاً﴾ وكل هذا تبع
للمصلحة والنكاية، والراحة للمسلمين
في دينهم، وهذه الآية نظير قوله
تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من
قوة﴾.

ثم أخبر عن ضعفاء الإيمان المتكاسلين عن الجهاد فقال: ﴿وإِن منكم ﴾ أي: أيها المؤمنون ﴿لن ليبظنن ﴾ أي: يتثاقل عن الجهاد في سبيل الله، ضعفاً، وخوراً، وجبناً، هذا الصحيح.

وقيل معناه: ليبطئن غيره، أي: يزهده عن القتال، وهؤلاء هم المنافقون ولكن الأول أولى، لوجهين:

أحدهما: قوله ﴿منكم﴾ والخطاب \_ للمؤمنين.

والثاني: قوله في آخر الآية: ﴿كَأَنْ لم تكن بينكم وبينه مودة﴾ فإن الكفار من المشركين، والمنافقين، قد قطع الله بينهم وبين المؤمنين المودة. وأيضاً فإن هذا هو الواقع، فإن المؤمنين على قسمين:

صادقون في إيمانهم، أوجب لهم ذلك كمال التصديق والجهاد.

وضعفاء دخلوا في الإسلام، فصار معهم إيمان ضعيف لا يقوى على الجهاد.

كما قال تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ إلى آخر الآيات. ثم ذكر غايات هؤلاء المتثاقلين، ونهاية مقاصدهم، وأن ﴿فَإِنَ أَصَابِتُكُم مصيبة﴾ أي: هزيمة، وقتل، وظفر الأعداء عليكم في بعض ﴿قال ولله في ذلك من الحكم. ﴿قال ولك المتخلف ﴿قد أنعم الله في إذ لم أكن معهم شهيداً ﴾ رأى من ضعف عقله وإيمانه أن التقاعد عن الجهاد الذي فيه تلك المصيبة نعمة. ولم يدر أن النعمة الحقيقية هي التوفيق لهذه

ودعوتهم إلى الله تعالى ﴿والصديقين﴾ وهم: الذين كمل تصديقهم بما جاءت به الرسل، فعلموا الحق وصدقوه بيقينهم، وبالقيام به قولاً وعملاً، ﴿والشهداء﴾ الذين قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، فقتلوا، ﴿والصالحين﴾ للذين صلح ظاهرهم وباطنهم، فصلحت أعمالهم، فكل مَنْ أطاع الله تعالى كان مع هؤلاء وفي صحبتهم، تعالى كان مع هؤلاء وفي صحبتهم، فوحسن أولئك رفيقاً ﴾ بالاجتماع بهم جوار رب العالمين.

﴿ذَلَكُ النَّفِضِلِ﴾ النَّذِي نَالُوهُ ﴿من الله﴾ فهو الذي وفقهم لذلك، وأعانهم عليه، وأعطاهم من الثواب، ما لا تبلغه أعمالهم.

وكفى بالله عليماً > يعلم أحوال عباده، ومن يستحق منهم الثواب الجزيل، بما قام به من الأعمال الصالحة، التي تواطأ عليها القلب والجوارح.

﴿٧١ ـ ٧٤﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً \* وإن منكم لن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم شهيداً \* ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً \* فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بألآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾ يأمر تعالى عباده المؤمنين بأخذ حذرهم من أعدائهم الكافرين. وهذا يشمل الأخذ بجميع الأسباب، التي بها يستعان على قتالهم، ويستدفع مكرهم وقوتهم، من استعمال الحصون والخنادق، وتعلم الرمي والركوب، وتعلم الصناعات التي تعين على ذلك، وما به يعرف مداخلهم ومحارجهم، ومكرهم، والنفير في سبيل الله .

<sup>(</sup>١) في النسختين: الذي.

<sup>(</sup>٢) في النسختين: على يد غيره من أخوانه.

ACTION SERVED RESIDENT • لَا يُحِبُّ اللَّهُ لَلْهُ مَ بَالسُّورَةِ مِنَ الْقُولِ إِلَّامَن ظُلِم أَوْكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيسًا ۞ إِن بُندُواْ خَيْرًا أَوْتُخْفُوهُ أَوْتَعْفُواْ عَن سُوٓهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا فِنَيرًا ۞ إِنَّ ٱلَّذِيكَ يَكُفُّرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُ لِهِ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَيَقُولُونَ نُوْمِرُ بِيَعْضِ وَنَكُفُ رُبِيعْضِ وَيُحِرِيدُونَ أَن يَنَّخِـدُواْ يَرْبَ ذَٰلِكَ سَهِيلًا ۞ أُوَلِّيَكَ هُمُ ٱلْكَهْرُونَ حَقَّا وَلَقَتَ ذَمَا لِلْكَ فِينَ عَذَابًا ثُهِينًا ۞ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ ء وَلَرَيْفَ رَقُواْ بَيْنَ لَسَدِمِنْهُمْ أَوْلَيَكَ سَوْفَ | يُؤْتِيهِمْ أُجُرِيهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ۞ يَتَمُلُكَ أَهَلُ ٱلْكِتَبُ أَنْ تُنْزِلُ عَلَيْهِمْ كِتَلْبَامِنَ ٱلسَّكَةَ فَقَدْ سَأَلُواْمُوسَى أَحْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَيْنَا أَلَدَ جَهْرَةً فَأَخَذَهُمُ الْصَبْعِقَةُ بِطُلِعِمْ ثُمُّ ٱلْخَذُوا ٱلْعِجْلُ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ مُ ٱلْبِيْنَاتُ فَعَفَوْنَاعُن ذَلِكَ وَوَالَيِّنَامُوسَىٰ سُلْطَلْنَا شِّيتًا ﴿ وَرَفِّمَنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَبِيسُنْقِهِمْ وَقُلْنَا لَمَهُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَدًا وَقُلْنَا لَمُنْمُ لَاتَعَدُواْ فِ ٱلسِّبْتِ وَلَنَذُنَامِنْهُم مِّيثَقَاعَلِيظًا ﴿

فلهذا أمر هؤلاء بالإخلاص، والخروج في سبيله، فقال: ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة﴾ . هذا أحد الأقوال في هذه الآية، وهو أصحها.

وقيل: إن معناه: فليقاتل في سبيل الله المؤمنون الكاملو الإيمان، الصادقون في إيمانهم (الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ) أي: يبيعون الدنيا رغبة عنها، بالآخرة رغبة فيها.

فإن هؤلاء هم الذين يوجه إليهم الخطاب، لأنهم الذين قد أعدوا أنفسهم ووطنوها على جهاد الأعداء، لما معهم من الإيمان التام المقتضي

وأما أولئك المتثاقلون، فلا يعبأ بهم، خرجوا أو قعدوا، فيكون هذا نظير قوله تعالى: ﴿قُلَ آمنوا به أو لا تؤمنوا، إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً إلى آخر الأيات. وقوله: ﴿فَإِنْ يَكُفُرُ بِهَا هُولًا فَقَدُ وَكُلْنَا بِهَا قُومًا لِسُوا بِهَا بِكَافُرِينَ ﴾. وقيل: إن معنى للكفار، الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة، فيكون على هذا الوجه بالآخرة، فيكل نصب على المفعولية.

﴿وَمَنْ يَقَاتُلُ فِي سَبِيلُ اللهِ ﴾ بأنَّ يكون جهاداً، قد أمر الله به ورسوله، ويكون العبد مخلصاً لله فيه قاصداً

وجه الله. ﴿ فيقتل أو يغلب فسوف نوتيه أجراً عظيماً ﴾ زيادة في إيمانه ودينه، وغنيمة، وثناء حسناً، وثواب المجاهدين في سبيل الله الذين أعد الله لهم في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

﴿٥٧﴾ ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والسنضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾ هذا حث من الله لعباده المؤمنين، وتهييج لهم على القتال في سبيله، وأن ذلك قد تعين عليهم، وتوجه اللوم العظيم عليهم بتركه فقال: ﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله الحال أن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، ومع هذا فقد نالهم أعظم الظلم من أعدائهم، فهم يدعون الله أن يخرجهم من هذه القرية الظالم أهلها لأنفسهم بالكفر والشرك وللمؤمنين بالأذى والصدعن سبيل الله، ومنعهم من الدعوة لدينهم والهجرة.

ويدعون الله أن يجعل لهم ولياً ونصيراً، يستنقذهم من هذه القرية الظالم أهلها، فصار جهادكم على هذا الوجه من باب القتال، والذب عن عيلاتكم وأولادكم ومحارمكم، لا من باب الجهاد الذي هو الطمع في ويلام المتخلف عنه أعظم لوم، فالجهاد الذي فيه استنقاذ المستضعفين منكم أعظم أجراً، وأكبر فائدة بحيث يكون من باب دفع الأعداء.

﴿٧٦﴾ ثم قال: ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إنَّ كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾.

هذا إخبار من الله بأن المؤمنين يقاتلون في سبيله ﴿والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾ الذي هو الشيطان. في ضمن ذلك عدة فوائد:

منها: أنه بحسب إيمان العبد يكون جهاده في سبيل الله، وإخلاصه ومتابعته. فالجهاد في سبيل الله من آثار الإيمان ومقتضياته ولوازمه، كما أن القتال في سبيل الطاغوت من شعب الكفر ومقتضياته.

ومنها: أن الذي يقاتل في سبيل الله ينبغي له ويحسن منه من الصبر والجلد ما لا يقوم به غيره، فإذا كان أولياء الشيطان يصبرون ويقاتلون وهم على باطل، فأهل الحق أولى بذلك، كما قال تعلل في هذا المعنى: ﴿إِن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون، وترجون من الله ما لا يرجون﴾ الآية.

ومنها: أن الذي يقاتل في سبيل الله معتمدٌ على ركن وثيق، وهو الحق، والتوكل على الله. فصاحب القوة والركن الوثيق، يطلب من من الصبر والثبات والنشاط ما لا يطلب ممن يقاتل عن الباطل، الذي لا حقيقة له ولا عاقبة حميدة. فلهذا قال تعالى: في السيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً .

والكيد: سلوك الطرق الخفية في ضرر العدو، فالشيطان وإن بلغ مكره مهما بلغ فإنه في غاية الضعف، الذي لا يقوم لأدنى شيء من الحق، ولا لكيد الله لعباده المؤمنين.

و ٧٧ ـ ٧٧ ﴿ أَلَم تر إِلَى الذِين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قِل متاع المدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً \* أين ما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج يدرككم الموت ولو كنتم في بروج بمكة \_ مأمورين بالصلاة والزكاة، بمكة \_ مأمورين بالصلاة والزكاة، أي: مواساة الفقراء، لا الزكاة المعرفة ذات النصب والشروط، فإنها لم تفرض إلا بالمدينة، ولم يؤمروا بجهاد الأعداء، لعدة فوائد:

منها: أن من حكمة الباري تعالى أن يشرع لعباده الشرائع على وجه لا يشقى الجزء الخامس ]

سوط في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها". ولذاتها صافية عن المكدرات، أخفى لهم من قرة أعين♦ . وقال الله على لسان نبيه: «أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن

سمعت، ولا خطر على قلب بشر». وأما لذات الدنيا فإنها مشوبة بأنواع التنغيص، الذي لو قوبل بين لذاتها وما يقترن بها من أنواع الآلام، والهموم والغموم، لم يكن لذَّلك نسبة بوجه من

وأما زمانها، فإن الدنيا منقضية، وعمر الإنسان بالنسبة إلى الدنيا شيء يسير، وأما الآخرة، فإنها دائمة النعيم، وأهلها خالدون فيها، فإذا فكر العاقل في هاتين الدارين، وتصور حقيقتهماً حق التصور، عرف ما هو أحق بالإيثار، والسعى له، والاجتهاد لطلبه، ولهذا قال: ﴿وَالْآخِرة خير لمن اتقى، أي: اتقى الشرك، وسائر المحرمات.

﴿ وَلا تَظْلُمُونَ فَتَيْلاً ﴾ أي: فسعيكم للدار الآخرة، ستجدونه كاملاً موفراً، غير منقوص منه شيئاً.

ثم أخبر أنه لا يغني حذر عن قدر، وأنَّ القاعد لا يدفع عنه قعوده شيئاً، فقال: ﴿ أَسِن ما تَكُونُوا يِدركُنكُم الموت﴾ أي: فـــى أي: زمـــان، وأي: مكان. ﴿ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ أي: قصور منيعة، ومنازل رفيعة، وكل هذا حث على الجهاد في سبيل الله تاره بالترغيب في فضله وثوابه، وتارة بالترهيب من عقوبة تركه، وتارة بالإخبار أنه لا ينفع القاعدين قعودهم، وتارة بتسهيلَ الطريق في ذلك وقصرها .

﴿٨٧ \_ ٨٠﴾ ثـــم قـــال: ﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمالهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً \* ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من

بل كل ما خطر بالبال، أو دار في الفكر من تصور لذة، فلذة الجنة فوقّ ذلك كما قال تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما

وَمَاقَنَلُوهُ يَقِينًا ۞ بَلَرَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَرْسِزًا حَكِيمًا @ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَكِ إِلَّا لَيُؤْمِ نَنَّ بِهِ ، قَبْلَ مَوْتِيَّةٍ ، وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۞ فَيَظُلْمِ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُولُ حَرِّمْنَاعَلَيُهِمْ طَيِّبَاتٍ أُجِلَّتُ لَهُمُ وَيَصَدِهِمْ عَن سَبِيلَاللَّهِ

كَثِيرًا ۞ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّيَوَا وَقَدْنُهُواْعَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَلَا ٱلْنَاسِ يَالْفَطِلُ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَهْرِينَ مِنْهُمْ عَنَابًا أَلِهَا ۞ لَٰكِئِ ٱلرَّبِحُونَ فِ ٱلْعِلْمِينَهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ عِمَّا أَنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزِلَ مِن مَّبْلِكَ ۚ وَٱلْفِيمِينَ ٱلصَّلَوَةَ ۚ وَٱلْمُتَوْتُونَ ٱلزَّكُوةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُولَتِهِ فَ سَنُوْنِهِمَ أَجْرًا عَظِيمًا ۞

ALLEGA III EGA ELA

THE REPORT OF THE PARTY OF THE

فَجَانَقُضِهِم مِيثَقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِنَايَتِ اللَّهِ وَقَلِلِهِمُ ٱلْأَنْكِآءَ

بِغَيْرِحَقِّ وَفُوْلِهِمْ قُلُونُنَاغُلُفُ بُلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهُ الكُفْرِهِمْ

فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَرَّلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهُمَّنَّا

عَظِيمًا ﴿ وَقُولِهِمْ إِنَّا فَتَلْنَا ٱلْمَيمَ عِيسَى آنَ مَ حُرْسُولَ

ٱللَّهِ وَمَا قَنَالُوهُ وَمَا صَلْبُوهُ وَلَا كِن شُبِّهَ لَهُمُّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ

ٱخْتَلَفُواْفِيهِ لِنَي شَكِي مِّنْهُ مَا لَكُمْ بِدِيمِنْ عِلْمِ إِلَّا إِنْبَاعَ ٱلظَّرَّ

سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولاً وكفي بالله شهيداً \* من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ يخبر تعالى عن الذين لا يعلمون، المعرضين عما جاءت به الرسل، المعارضين لهم، أنهم إذا جاءتهم حسنة، أي: خصب وكثرة أموال، وتوفر أولاد وصحة، قالوا: ﴿ هذه من عند الله ﴾ وأنهم إن أصابتهم سيئة، أي: جدب، وفقر، ومرض، وموت أولاد وأحباب قالوا: ﴿ هذه من عندك اي: بسبب ما جئتنا به يا محمد، تطيروا برسول الله ﷺ، كما تطير أمثالهم برسل الله، كما أخبر الله عن قوم فرعون أنهم قالوا لموسى ﴿فَإِذَا جَاءَتُهُمُ الْحُسْنَةُ قَالُوا لِنَا

وقال قوم صالح: ﴿قالوا اطيرنا بك وبمَنْ معك ﴾.

هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى

ومَنْ معه ﴾ .

وقال قوم ياسين لرسلهم: ﴿إِنَّا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم) الآية. فلما تشابهت قلوبهم بالكفر، تشابهت أقوالهم وأعمالهم. وهكذا كل مَنْ نسب حصول الشر أو زوال الخير لما جاءت به الرسل أو لبعضه، فهو داخل في هذا الذم الوخيم.

قال الله في جوابهم: ﴿قُلْ كُلْ﴾ أي: من الحسنة والسيئة، والخير والشر. ﴿من عند الله ﴾ أي: بقضائه عليهم؛ ويبدأ بالأهم فالأهم، والأسهل فالأسهل.

ومنها: أنه لو فرض عليهم القتال \_ مع قلة عدّدهم وعُدّدهم، وكثرة أعدائهم \_ لأدى ذلك إلى اضمحلال الإسلام، فروعي جانب المصلحة العظمي على ما دونها، ولغير ذلك من الحكم.

وكان بعض المؤمنين يودون أن لو فرض عليهم القتال في تلك الحال، غير اللائق فيها ذلك، وإنما اللائق فيها القيام بما أمروا به في ذلك الوقت من التوحيد والصلاة والزكاة ونحو ذلك، كما قال تعالى: ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً﴾ فلما هاجروا إلى المدينة، وقوي الإسلام، كُتب عليهم القتال في وقته المناسب لذلك، فقال فريق من الذين يستعجلون القتال قبل ذلك، خِوفاً من الناس وضعفاً وخوراً: ﴿ربنا لم كتبت علينا القتال﴾؟ وفي هذا تضجّرهم، واعتراضهم على الله، وكان الذي ينبغى لهم ضد هذه الحال، التسليم لأمر الله، والتصبر على أوامره، فعكسوا الأمر المطلوب منهم، فقالوا: ﴿لُولا أَحْرِتْنَا إِلَى أَجِلَ قَرِيْبِ﴾ أي: هلاً أخرت فرض القتال مدة متأخرة عن الوقت الحاضر، وهذه الحال كثيراً ما تعرض لمن هو غير رزين واستعجل في الأمور قبل وقتها، فالغالب عليه أنه لا يصبر عليها وقت حلولها، ولا ينوء بحملها، بل يكون قليل الصبر. ثم إن الله وعظهم عن هذه الحال، التي فيها التخلف عن القتال فقال: ﴿قُلَّ متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ﴾ أي: التمتع بلذات الدنيا وراحتها قليل، فتحمل الأثقال في طاعة الله في المدة القصيرة مما يسهل على النفوس ويخف عليها؛ لأنها إذا علمت أن المشقة التي تنالها لا يطول لبثها، هان عليها ذلك، فكيف إذا وازنت بين الدنيا والآخرة، وأن الآخرة خير منها، في ذاتها، ولذاتها، وزمانها، فذاتها ـكما ذكر النبي ﷺ في الحديث الثابت عنه \_ اأن موضع

وفضله، وأخبرهم أن المعاصي مانعة من فضله، فإذا فعلها العبد فلا يلومن إلاَّ نفسه فإنه المانع لنفسه، عن وصول فضل الله وبره.

ثم أخبر عن عموم رسالة رسوله عمد ﷺ فقال: ﴿وأرسلناك للناس رسولاً وكفي بالله شهيداً ﴾ على أنك رسول الله حقاً بما أيدك بنصره، والمعجزات الساهرة، والسراهين الساطعة، فهي أكبر شهادة على الإطلاق، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَي: شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم﴾ فإذا علم أن الله تعالى، كامل العلم، تام القدرة، عظيم الحكمة، وقد أيد الله رسوله بما أيده، ونصره نصراً عظيماً، تيقن بذلك أنه رسول الله، وإلا فلو تقول عليه بعض الأقاويل، لأخذ منه باليمين، ثم لقطع منه الوتين.

فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً \* ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفي بالله وكيلاً ﴾ أي: كل مَنْ أطاع رسول الله في أوامره ونواهيه ﴿فقد أطاع الله﴾ تعالى، لكونه لا يأمر ولا ينهى إلا بأمر الله، وشرعه، ووخيه وتنزيله، وفي هذا عصمة الرسول ﷺ لأن الله أمر بطاعته مطلقاً، فلولا أنه معصوم في كل ما يبلغ عن الله، لم يأمر بطاعته مطلقاً، ويمدح على ذلك.

(٨٠ ـ ٨١) ومن يطع الرسول

وهذا من الحقوق المشتركة، فإن الحقوق ثلاثة:

حق لله تعالى، لا يكون لأحد من الخلق، وهو عبادة الله والرغبة إليه، وتوابع ذلك .

وقسم مختص بالرسول، وهو التعزير والتوقير والنصرة.

وقسم مشترك، وهو الإيمان بالله ورسوله، ومحبتهما وطاعتهما كما جمع الله بين هذه الحقوق في قوله: ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرةً وأصيلاً ﴿ .

فَمَنْ أَطَاعَ الرسولُ فَقَدَ أَطَاعَ اللهُ، وَلَهُ من الشواب والخير، ما رتب على طاعة الله، ﴿ومَنْ تُولَى﴾ عن طاعة الله ورسوله، فإنه لا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ أي: تحفظ أعمالهم وأحوالهم، بل أرسلناك مبلغاً ومبيناً وناصحاً، وقد أديت وظيفتك، ووجب أجرك على الله، سواء اهتدوا أم لم يهتدوا. كما قال تعالى: ﴿فَذَكُر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر،

ولا بدأن تكون طاعة الله ورسوله ظاهراً وباطناً، في الحضرة والمغيب. فأما مَنْ يظهر في الحضرة الطاعة والالتزام، فإذا خلا بنفسه أو أبناء جنسه، ترك الطاعة وأقبل على ضدها، فإن الطاعة التي أظهرها غير نافعة ولا مفيدة، وقد أشبه مَنْ قال الله فيهم: ﴿ويقولون طاعة ﴾ أي: يظهرون الطاعة إذا كانوا عندك. ﴿فَإِذَا بِرِزُوا مِنْ عندك أي: خرجوا وخلوا في حالة لا يطلع فيها عليهم. ﴿بيت طَائفة منهم غير الذي تقول ﴾ أي: بيتوا ودبروا غير طباعتك ولاثم إلأ

وفي قوله: ﴿بيت طائفة منهم غير الذي تقول الله على أن الأمر الذي استقروا عليه غير الطاعة؛ لأن التبييت تدبير الأمر ليلاً على وجه يستقر عليه الرأي، ثم توعدهم على ما فعلوا فقال:﴿والله يكتب ما يبيتون﴾ أي: يحفظه عليهم، وسيجازيهم عليه أتم الجزاء، ففيه وعيد لهم.

ثم أمر رسوله بمقابلتهم بالإعراض، وعدم التعنيف، فإنهم لا يضرونه شيئاً إذا توكل على الله، واستعان به في نصر دينه، وإقامة شرعه. ولهذا قال: ﴿فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفي بالله وكيلاً ﴾

﴿٨٢﴾ ﴿أَفَلَا يَتَدَبِّرُونَ القرآنَ وَلُو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ يأمر تعالى بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم

ذَيْكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيدًا ﴿ يَكَأَيُّهُا النَّاسُ فَدَ جَاءَكُمُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ ا التَّمُولُ بِالْحَقِينِ تَوْكُمُ فَنامِ فُواخَرُلُكُمُ فَان تَكَشُرُوا فَإِنَّ قَرْمِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ مَانِ ٱلسَّنَوْتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِمًا ١ وقدره وخلقه . ﴿فما لهؤلاء القوم﴾ أي: الصادر منهم تلك المقالة الباطلة. ﴿لا يكادون يفقهون حديثاً اي: لا يفهمون حديثاً بالكلية، ولا يقربون من فهمه، أو لا يفهمون منه إلا فهماً ضعيفاً، وعلى كل فهو ذم لهم وتوبيخ على عدم فهمهم وفقههم عن الله وعن رسوله، وذلك بسبب كفرهم

يَشْهَدُوكَ وَكُنَّ بِأَلْدُوشَهِيدًا ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا

عَنْ سَكِيلِ اللَّهِ قَدْ صَهُلُواْ صَكَلَالًا بَعِيدًا ۞ إِنَّ ٱلَّذِيرَ ﴿

كَفْ رُواْ وَطَلَمُواْ لَرَّبَكِينِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَمُمَّ وَلَا لِيَهْدِيَّهُمْ

طَيِقًا ۞ إِلَّاطَرِينَ جَهَنَّمَ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَكُأُ وَكَانَا ۖ ۖ

AKTINGS .

وفي ضمن ذلك مدح من يفهم عن الله وعن رسوله، والحث على ذلك، وعلى الأسباب المعينة على ذلك، من الإقبال على كلامهما وتدبره، وسلوك الطرق الموصلة إليه. فلو فقهوا عن الله لعلموا أن الخير والشر والحسنات والسيئات كلها بقضاء الله وقدره، لا يخرج منها شيء عن ذلك.

وإعراضهم.

وأن السرسل عمليهم المصلاة والسلام، لا يكونون سببالشر يحدث، هم ولا ما جازوابه، لأنهم بعثوا بصلاح الدنيا والآخرة والدين.

ثم قال تعالى: ﴿مِا أَصَابِكُ مِنْ حسنة ﴾ أي: في الدين والدنيا ﴿ فَمِنَ اللهِ ﴿ هُو الذِّي مُنَّ بِهَا ويسرها بتيسير أسبابها . ﴿ وما أصابك من سيئة ﴿ في الدين والدنيا ﴿ فمن نفسك أي: بذنوبك وكسبك، وما يعفو الله عنه أكثر.

فالله تعالى قد فتح لعباده أبواب إحسانه، وأمرهم بالدخول لبره

ذلك، فإن تدبر كتاب الله مفتاحٌ للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب، وترسخ شجرته.

فإنه يعرف بالرب العبود، وما له من صفات الكمال وما ينزه عنه من سمات النقص، ويعرف الطريق الموصلة إليه، وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرف العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب.

وكلما ازداد العبد تأملاً فيه، ازداد علماً وعملاً ويصيرة، لذلك أمر الله بذلك، وحث عليه، وأخبر أنه [هو] المقصود بإنزال القرآن، كما قال تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليديروا آياته، وليتذكر أولو الألباب، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبِّرُونَ الْقُرَّآنَ أُمْ عَلَى قلوب أقفالها ﴿ .

ومن فوائد التدبر لكتاب الله: أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين، والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً. فترى الحكم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضاً، فبذلك يعلم كمال القرآن، وأنه من عند مَنْ أحاط علمه بجميع الأمور، فلذلك قال تعالى: ﴿ولو كَانَ من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلاً.

﴿٨٣﴾ ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخسوف أذاعسوا به ولسو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المممة، والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن، وسرور آلمؤمنين، أو بالخوف الذي فيه

مصيبة عليهم، أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول، وإلى أولى الأمر منهم، أهل الرأي: والعلم والنصح، والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور، ويعرفون المصالح وضدها.

فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطأ للمؤمنين وسرورأ لهم وتحرزأ من أعدائهم، فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة (١)، أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه، ولهذا قال: ﴿لعلمه الذينَ يستنبطونه منهم اي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة، وعلومهم الرشيدة .

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية، وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور، ينبغي أن يولي مَنْ هُو أهل لذلك، ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ. وفيه النهى عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيقدم عليه الإنسان، أم لا؟ فيحجم

ثم قال تعالى: ﴿ولولا فضل اللهِ عليكم ورحمته اي: في توفيقكم وتأديبكم، وتعليمكم مالم تكونوا تعلمون، ﴿الاتبعتم الشيطان إلا قليلا﴾ لأن الإنسان بطبعه ظالم جاهل، فلا تأمره نفسه إلا بالشر. فإذا لجأ إلى ربه واعتصم به، واجتهد في ذلك، لطف به ربه ووفقه لكل خير، وعصمه من الشيطان الرجيم.

﴿٨٤﴾ ﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً ﴾ هذه الحالة أفضل أحوال العيد، أن يجتهد في نفسه على امتثال أمر الله من الجهاد وغيره، ويحرض غيره عليه، وقد يعدم في العبد الأمران أو أحدهما، فلهذا قال

يَكَأَهْلَ ٱلْكِنْبُ لَاتَمْنُلُوا فِي دِينِكُمْ وَلِائْقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ [ إِلَّا ٱلْحَقُّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى آنُ مَنْ مَرْمُ وَسُولُ ٱلَّهِ وَكَلِمَتُ هُ وَ ٱلْعَنْهَاۤ إِلَىٰ مَرْبَعُ وَرُوحٌ مِنْدَةٌ فَعَامِنُوا بِأَعْدِوَدُسُ لِيَّهِ مَوَلَاتَعُولُواْ ثَلَثَةً أَنْهُوا خَيْرًا لَحَهُمُ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَكِيدٌ مُسْحَنَهُ أَنْ يَكُونِكُهُ وَلَدُّكُهُ مَا فِ الْسَكَوْتِ وَمَا فِ ٱلْأَرْضُ وَكُفَىٰ بِأَهُّووَكِيلًا ۞ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيمُ أَن بَكُونَ عَبْدًا لِقُووَلَا ٱلْمُكَتِيكَ أَلْقُ زَيُونَ وَمَن يستنكف عن عب اديو ويست كيرفسي حثرة إِلَيْهِ جَيِيمًا ۞ فَأَمَّا الَّذِينَ وَامْتُوا وَعَيِلُوا الصَّالِحَٰتِ فَيُوَفِيهِمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمُ مِنْ ضَلْيَةٍ وَأَلَّ ٱلَّذِيرَ آستنكفُوا وَاسْتَكْتَرُوا مَعْكَذِبْهُمْ عَذَابُ أَلِيسَا وَلا يَجِدُونَ لَمُهُمِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيَّا وَلَاضِيرًا ﴿ يَكَأَيُّهُ ٱلنَّاسُ مَّدْجَاءَكُمْ يُوْهَلُ مِّن زَّيْكُوْ وَأَنْزَلْنَ ٓ إِلَيْكُوْ فُوْدَا مِّينِكَ ۞ ا فَأَمَّا ٱلَّذِيثُ وَامْوُا بِاللَّهِ وَاعْتَصَدُوا بِهِ وَمَسْدُ خِلْهُمْ وَفِ وَحَوْمِنْهُ وَفَضْلِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطَاتُسْتَقِيمًا اللهِ ONDADA ... CORRECO

ANTONIOS: SESTION

لرسوله: ﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلانفسك اي: ليس لك(٢) قدرة على غير نفسك، فلن تكلف بفعل غيرك.

﴿وحرّض المؤمنين ﴾ على القتال، وهذا يشمل كل أمر يحصل به نشاط المؤمنين وقوة قلوبهم، من تقويتهم، والإخبار بضعف الأعداء، وفشلهم، وبما أعد الله للمقاتلين من الثواب، وما على المتخلفين من العقاب، فهذا وأمثاله كله يدخل في التحريض على القتال .

﴿ عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا ﴾ أي: بقتالكم في سبيل الله، وتحريض بعضكم بعضاً. ﴿والله أشد بأساً ﴾ أي: قوة وعزة ﴿وأشد تنكيلاً ﴾ بالمذنب في نفسه وتنكيلاً لغيره، فلو شاء تعالى لانتصر من الكفار بقوته ولم يجعل لهم باقية.

ولكن من حكمته يبلو بعض عباده ببعض، ليقوم سوق الجهاد، ويحصل الإيمان النافع، إيمان الاختيار، لا إيمان الاضطرار والقهر الذي لا يفيد شيئاً.

﴿٨٥﴾ ﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتاً ﴾ المراد بالشفاعة هنا:

indian. يَسْتَفْتُونَاكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِٱلْكَلَالَةِ إِنِٱمْ قُلْاَلُكُ لَيْسَ لَمُولَدٌ وَلَهُ وَأَخَتُ فَلَهَا نِصْفُ مَاتَرَكَ وَهُورَرَثُهَا إِن لَّرْ يَكُن لَمَّا وَلَدُّ فَإِن كَانَتَا أَثَنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّكُ اِن مِمَّا فَكُ وَإِنكَ انْوَا إِخُوهُ يِّعَالَا وَيِسَآءُ فَلِلذَّكِرَ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأَثْثِيَيْنُ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُ مَا نَصِلُواْ وَاللهُ بِكُلِ شَيْءٍ عَلِيدُ ا THE PROPERTY OF THE PARTY OF TH

يَكَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَوْفُوا بِٱلْعُقُودُ لُجِلَّتْ ٱلْكُرِبَهِ بِمَةُ ٱلْأَفْسُدِ إِلَّا مَا يُنْلَىٰ عَلَيْ كُوْغَيْرِكُولِيَّا الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمُ إِنَّ اللَّهَ يَعْكُوهُ مَايُرِيدُ ۞ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَانْجُـ لُواْشَعَهِرَالْقَوْلَا ٱلشَّهْرَالْحُرَامَ وَلَا ٱلْحَدْى وَلَا ٱلْقَلَيْهِدَ وَلَا عَلَيْنِ ٱلْبَيْتَ ٱلْحُرَامَ يَبَتَّغُونَ فَضْلَامِّن رَّبِهِمْ وَرِضْوَنَاْ وَإِذَا صَلَتْتُمْ فَأَصْطَاءُوًّا وَلَا يَعْرِمَنَّكُمْ شَكَنَالُ قَوْمِ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمُسْجِدِ ٱلْحُرَادِ أَن نَعْ مَدُواْ وَيَعَسَا وَثُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلنَّسَةُ وَيَّا وَلَانْعَا وَثُواْ عَلَ ٱلْإِشْرِوَٱلْمُدُولَيْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهُ سَكِيدُ ٱلْمِقَابِ ۞ TOWN TOWN WORK OF THE PARTY OF

المعاونة على أمر من الأمور، فمن شفع غيره وقام معه على أمر من أمور الخير ــ ومنه الشفاعة للمظلومين لمن ظلمهم \_ كان له نصيب من شفاعته، بحسب سعيه وعمله ونفعه، ولا ينقص من أجر الأصيل والمباشر شيء، ومَنْ عاون غيره على أمر من الشر، كان عليه كفل من الإثم بحسب ما قام به وعاون عليه. ففي هذا الحث العظيم على التعاون على البر والتقوى، والزجر العظيم عن التعاون على الإثم والعدوان وقرر ذلك بقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شيء مقيتاً ﴾ أي: شاهداً حفيظاً، حسيباً على هذه الأعمال، فيجازي كلاً ما يستحقه.

﴿٨٦﴾ ﴿وإذا حبيتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إنّ الله كان على كل شيء حسيباً التحية هي اللفظ الصادر من أحد المتلاقيين، على وجه الإكرام والدعاء، وما يقترن بذلك اللفظ من البشاشة ونحوها.

وأعلى أنواع التحية ما وردبه الشرع، من السلام ابتداء ورداً. فأمر تعالى المؤمنين أنهم إذا حيوا بأي: تحية كانت، أن يردوها بأحسن منها لفظأ وبشاشة، أو مثلها في ذلك. ومفهوم ذلك النهي عن عدم الرد بالكلية، أو ردها بدونها.

ويؤخذ من الاية الكريمة الحث على

ابتداء السلام والتحية، من وجهين: أحدهما: أن الله أمر بردها بأحسن منها، أو مثلها، وذلك يستلزم أن التحية مطلوبة شرعاً.

الثانى: ما يستفاد من أفعل التفضيل، وهو «أحسن» الدال على مشاركة التحية وردها بالحسن، كما هو الأصل في ذلك.

ويستثنى من عموم الآية الكريمة مَنْ حیا بحال غیر مأمور بها، که «علی مشتغل بقراءة، أو استماع خطبة، أو مصل ونحو ذلك؛ فإنه لا يطلب إجابة تحيته، وكذلك يستثني من ذلك من أمر الشارع بهجره، وعدم تحيته، وهو العاصى غير التائب الذي يرتدع بالهجر، فإنه يهجر ولا يحيا، ولا ترد تحيته، وذلك لمعارضة المصلحة الكبري.

ويدخل في رد التحية كل تحية اعتادها الناس، وهي غير محظورة شرعاً، فإنه مأمور بردها أو أحسن منها، ثم أوعد تعالى وتوعد على فعل الحسنات والسيئات بقوله: ﴿إِنَّ اللهُ كان على كل شيء حسيباً ﴾ فيحفظ على العباد أعمالهم، حسنها وسينها، صغيرها وكبيرها، ثم يجازيهم بما اقتضاه فضله وعدله وحكمه المحمود.

﴿٨٧﴾ ﴿الله لا إلىه إلا هـــو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً ﴾ يخبر تعالى، عن انفراده بالوحدانية، وأنه لا معبود ولا مألوه إلا هو، لكماله في ذاته وأوصافه، ولكونه المنفرد بالخلق والتدبير، والنعم الظاهرة والباطنة.

وذلك يستلزم الأمر بعبادته، والتقرب إليه بجميع أنواع العبودية. لكونيه المستحق لبذلك وحده، والمجازي للعباد بما قاموا به من عبوديته أو تركوه منها، ولذلك أقسم على وقوع محل الجزاء وهو يوم القيامة، فقال: ﴿ليجمعنكم﴾ أي: أولكم

واخركم في مقام واحد.

في ﴿ يُومِ القيامة لا ريب فيه ﴾ أي: لا شك ولا شبهة بوجه من الوجوه، بالدليل العقلي والدليل السمعي، فالدليل العقلي ما نشاهده من إحياء الأرض بعد موتها، ومن وجود النشأة الأولى التي وقوع الثانية أولى منها بالإمكان، ومن الحكمة التي يجزم بأن الله لم يخلق خلقه عبثاً، يحيون ثم يموتون، وأما الدليل السمعي، فهو إخبار أصدق الصادقين بذلك، بل إقسامه عليه، ولهذا قال: ﴿ومَنْ أصدق من الله حديثاً ﴾ كذلك أمر رسوله ﷺ أن يقسم عليه في غير موضع من القرآن، كقوله تعالى: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلي وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾.

وفي قوله: ﴿ وَمَنْ أَصِدَقَ مِنْ اللهِ حديثاً ﴾ ﴿ومَنْ أصدق من الله قيلاً ﴾ إخبار بأن حديثه وأخباره وأقواله في أعلى مراتب الصدق، بل أعلاها. فكلّ ما قيل في العقائد [والعلوم]('') والأعمال ثما يناقض ما أخبر الله به، فهو باطل لناقضته للخبر الصادق اليقيني، فلا يمكن أن يكون حقاً.

﴿٨٨ \_ ٩١ ﴾ ﴿فسما للكسم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً \* ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليأ ولا نصيراً \* إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولوشاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً \* ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ما ردوا إلى الفتنة

أركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً ﴾ المراد بالمنافقين المذكوريين في هذه الآيات: المنافقون المظهرون إسلامهم، ولم يهاجروا مع كفرهم، وكان قد وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم فيهم اشتباه، فبعضهم تحرج عن قتالهم، وقطع موالاتهم بسبب ما أظهروه من الإيمان، وبعضهم علم أحوالهم بقرائن أفعالهم، فحكم بكفرهم، فأخبرهم الله تعالى أنه لا ينبغي لكم أن تشتبهوا فيهم ولا تشكوا، بل أمرهم واضح غير مشكل، إنهم منافقون قد تكرر كفرهم، وودوا مع ذلك كفركم، وأن تكونوا مثلهم. فإذا تحققتم ذلك منهم ﴿فلا تتخذوا منهم أولياء ﴾ وهذا يستلزم عدم محبتهم، لأن الولاية فرع

ويستلزم أيضاً بغضهم وعداوتهم، لأن النهي عن الشيء أمر بضده، وهذا الأمر موقت بهجرتهم، فإذا هاجروا جرى عليهم ما جرى على المسلمين، كما كان النبي على يجري أحكام الإسلام لكل مَنْ كان معه وهاجر إليه، وسواء كان مؤمناً حقيقة أو ظاهر الإيمان.

وأنهم إن لم يهاجروا وتولوا عنها وفخ فرهم واقتلوهم حيث وجدتموهم أي: في أي: وقت، واي: محل كان، وهذا من جملة الأدلة الدالة، على نسخ القتال في الأشهر الحرم، كما هو قول جمهور العلماء، والمنازعون يقولون: هذه نصوص مطلقة، محمولة على تقييد التحريم في الأشهر الحرم.

ثم إن الله استثنى من قتال هؤلاء المنافقين ثلاث فِرَق:

فرقتين أمر بتركهم وحتم [على] ذلك، إحداهما(٢) من يصل إلى قوم بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق بترك القتال، فينضم إليهم، فيكون له حكمهم في حقن الدم والمال.

والفرقة الثانية قوم ﴿حصرت صدورهم أن يقاتلوا قومهم ﴾ أي: بقوا، لا تسمح أنفسهم بقتالكم، ولا بقتال قومهم، وأحبوا ترك قتال الفريقين، فهؤلاء أيضاً أمر بتركهم، وذكر الحكمة بذلك في قوله: ﴿ولو شاء الله لسلطهم عليكم فإن الأمور المكنة ثلاثة أقسام:

إما أن يكونوا معكم ويقاتلوا أعداءكم، وهذا متعذر من هؤلاء، فدار الأمر بين قتالكم مع قومهم، وبين ترك قتال الفريقين، وهو أهون الأمرين عليكم، والله قيادر على تسليطهم عليكم، فاقبلوا العافية، واحمدوا ربكم الذي كف أيديهم عنكم مع التمكن من ذلك.

فهؤلاء ﴿إِن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا﴾

الفرقة الثالثة: قوم يريدون مصلحة أنفسهم، بقطع النظر عن احترامكم، وهم الذين قال الله قيهم: ﴿ ستجدون آخرين ﴾ أي: من هؤلاء المنافقين. ﴿ يريدون أن يأمنوكم ﴾ أي: خوفاً منكم ﴿ ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى المنتة أركسوا قيها ﴾ أي: لا يزالون مقيمين على كفرهم ونفاقهم، وكلما عرض لهم عارض من عوارض الفتن، أعماهم ونكسهم على رؤوسهم، وازداد كفرهم ونفاقهم، وهؤلاء في الصورة كالفرقة الثانية، وفي الحقيقة على المقالمة لها.

فإن الفرقة الثانية تركوا قتال المؤمنين

احتراماً لهم، لا خوفاً على أنفسهم، وأما هذه الفرقة فتركوه خوفاً لا احتراماً، بل لو وجدوا فرصة في قتال المؤمنين، فإنهم مستعدون (٢) لانتهازها، فهؤلاء إن لم يتبين منهم، ويتضح اتضاحاً عظيماً اعتزال المؤمنين قال: ﴿فَإِنْ لَم يعتزلوكم ويلقوا إليكم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم وليكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم عليهم سلطاناً مبيناً ﴾ أي: حجة بينة واضحة، لكونهم معتدين ظالمين لكم واضحة، لكونهم معتدين ظالمين لكم أنسهم.

﴿٩٢﴾ ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله، وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليماً حكيماً ﴾ هذه الصيغة من صيغ الامتناع، أي: يمتنع ويستحيل، أن يصدر من مؤمن قتل مؤمن، أي: متعمداً، وفي هذا الإخبار بشدة تحريمه، وأنه مناف للإيمان أشد منافاة، وإنما يصدر ذلك إما من كافر، أو من فاسق قد نقص إيمانه نقصاً عظيماً، ويخشى عليه ما هو أكبر من ذلك، فإن الإيمان الصحيح يمنع المؤمن من قتل أخيه الذي قد عقد الله بينه وبينه الأخوة الإيمانية، التي من مقتضاها محبته وموالاته، وإزالة ما يعرض لأخيه من الأذي، وأى: أذى أشد من القتل؟

وهـذا يـصـدقـه قـولـه ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب

 <sup>(</sup>١) في هامش أ: (وقد ثبت في الصحيحين من حديث زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ، خرج إلى أحد، فرجم ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ فيهم فرقتين: فرقة تقول: نقتلهم، وفرقة تقول: لا فأنزل الله: ﴿ فما لكم في المنافقين فنتين ﴾ فقال رسول الله ﷺ: ﴿إنها طيبة، وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الحديد». وليس هناك علامة تدل على محل هذه الزيادة.

<sup>(</sup>۲) كذا في ب، وفي أ: أحدها.

<sup>(</sup>٣) في ب: سيقدمون.

بعضكم رقاب بعض». فعلم أن القتل من الكفر العملي، وأكبر الكبائر بعد الشرك بالله.

ولما كان قوله: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً ﴾ لفظاً عاماً لجميع الأحوال، وأنه لا يصدر منه قتل أخيه بوجه من الوجوه، استثنى تعالى قتل الخطأ فقال: ﴿إِلَّا خَطَّأُ﴾ فإن المخطىء الذي لا يقصد القتل غير آثم، ولا متجرىء على محارم الله، ولكنه لما كان قد فعل فعلاً شنيعاً، وصورته كافية في قبحه، وإن لم يقصده أمر تعالى بالكفارة والدية فقال: ﴿ وَمَنْ قَتَلِ مَوْمَنَّا خطأ﴾ سواء كان القاتل ذكراً أو أنثى، حراً أو عبداً، صغيراً أو كبيراً، عاقلاً أو مجنوناً، مسلماً أو كافراً، كما يفيده لفظ «مَنْ» الدالة على العموم، وهذا من أسرار الإتيان بـ «مَنْ، في هذا الموضع، فإن سياق الكلام يقتضي أن يقول: فإن قتله، ولكن هذا لفظ لا يشمل ما تشمله «مَنْ».

وسواء كان المقتول ذكراً أو أنشى، وسواء كان المقتول ذكراً أو أنشى، صغيراً أو كبيراً، كما يفيده التنكير في سياق الشرط، فإن على القاتل ﴿ تحرير وقبة مؤمنة ﴾ كفارة لذلك، تكون في ماله، ويشمل ذلك الصغير والكبير، والذكر والأنشى، والصحيح والمعيب، في قول بعض العلماء.

ولكن الحكمة تقتضي أن لا يجزى، عتق المعيب في الكفارة؛ لأن المقصود بالعتق نفع العتيق، وملكه منافع نفسه، فإذا كان يضيع بعتقه، وبقاؤه في الرق في قوله: ﴿تحرير رقبة﴾ ما يدل على المتحقت منافعه لغيره أن تكون له، فإذا لم يكن فيه منافع، لم يتصور وجود التحرير. فإنه واضح.

وأما الدية فإنها تجب على عاقلة القاتل في الخطأ وشبه العمد.

﴿مسلمة إلى أهله ﴾ جبراً لقلوبهم، والمراد بأهله هنا هم ورثته، فإن الورثة يرثون ما ترك الميت، فالدية داخلة فيما

ترك، وللدية تفاصيل كثيرة مذكورة في كتب الفقه.

وقوله: ﴿إِلاَ أَنْ يَصِدَقُوا﴾ أَي: يتصدق ورثة القتيل بالعفو عن الدية، فإنها تسقط، وفي ذلك حث لهم على العفو، لأن الله سماها صدقة، والصدقة مطلوبة في كل وقت. ﴿فإن كان﴾ المقتول ﴿من قوم عدو لكم﴾ أي: من كفار حربين ﴿وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة﴾ أي: وليس عليكم لأهله دية، لعدم احترامهم في دمائهم وأموالهم.

﴿وإن كان﴾ المقتول ﴿من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾ وذلك لاحترام أهله بما لهم من العهد

لا حشرام الهملة بهما لهم من التحو والميثاق.

وفَمَنْ لم يجد الرقبة ولا ثمنها، بأن كان معسراً بذلك، ليس عنده ما يفضل عن مؤنته وحواتجه الأصلية شيء يفي بالرقبة، وفصيام شهرين متنابعين أي: لا يفطر بينهما من غير عذر، فإن العذر ونحوهما. وإن كان لغير عذر، انقطع التتابع، كالمرض والحيض ونحوهما. وإن كان لغير عذر، انقطع التتابع، ووجب عليه استثناف الصوم. وتوبة من الله أي: هذه الكفارة التي أوجبها الله على القاتل توبة من الله على القاتل توبة من الله على القاتل توبة من الله على وتكفير

للقاتل خطأ. 
﴿ وكان الله عليماً حكيما ﴾ أي: كامل العلم كامل الحكمة، لا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السسماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، في أي: وقت كان وأي: على كان.

لما عساه ان يحصل منهم من تقصير

وعدم احتراز، كما هو واقع كثيراً

ولا يخرج عن حكمته من المخلوقات والشرائع شيء، بل كل ما خلقه وشرعه، فهو متضمن لغاية الحكمة، ومن علمه وحكمته أن أوجب على القاتل كفارة مناسبة لما

صدر منه، فإنه تسبب لإعدام نفس عترمة، وأخرجها من الوجود إلى العدم، فناسب أن يعتق رقبة ويخرجها من رق العبودية للخلق إلى الحرية التامة، فإن لم يجد هذه الرقبة صام شهرين متتابعين، فأخرج نفسه من رق الشهوات واللذات الحسية القاطعة للعبد عن سعادته الأبدية إلى التعبد شة تعالى بتركها تقرباً إلى الله.

ومدها تعالى بهذه المُدة الكثيرة الشاقة في عددها، ووجوب التتابع فيها، ولم يشرع الإطعام في هذا الموضع لعدم المناسبة. بخلاف الظهار، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ومن حكمته أن أوجب في القتل الدية، ولو كان خطأ، لتكون رادعة وكافة عن كثير من القتل، باستعمال الأسباب العاصمة عن ذلك.

ومن حكمته أن وجبت على العاقلة في قتل الخطأ، بإجماع العلماء، لكون القاتل لم يذنب فيشق عليه أن يحمل هذه الدية الباهظة، فناسب أن يقوم بذلك من بينه وبينهم المعاونة والمناصرة، والمساعدة على تحصيل المصالح وكف المفاسد [ولعل ذلك من أسباب منعهم لمن يعقلون عنه من القتل حذراً من تحميلهم] (١)، ويخف عنهم (٢) بسبب ترزيعه عليهم بقدر أحوالهم وطاقتهم، وخففت أيضاً بتأجيلها عليهم ثلاث

ومن حكمته وعلمه أن جبر أهل القتيل عن مصيبتهم، بالدية التي أوجبها على أولياء القاتل.

﴿ ٩٣﴾ ﴿ وَمَن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ﴾ تقدم أن الله أخبر أنه لا يصدر قتل المؤمن من المؤمن، وأن القتل من الكفر العملي، وذكر هنا وعيد القاتل عمداً، وعيداً ترجف له القلوب، وتنصدع له الأفئدة، وتنزعج منه أولو العقول.

فلم يرد في أنواع الكبائر أعظم من هذا الوعيد، بل ولا مثله، ألا وهو

الإخبار بأن جزاءه جهنم، أي: فهذا الذنب العظيم قد انتهض وحده أن يجازى صاحبه بجهنم، بما فيها من العذاب العظيم، والخزي الهين، وسخط الجبار وفوات الفوز والفلاح، وحصول الخيبة والخسار. فعياذاً بالله

من كل سبب يبعد عن رحمته. وهذا الوعيد له حكم أمثاله من

وهدا الوعيد له حجم امتاله من نصوص الوعيد، على بعض الكبائر والمعاصي بالخلود في النار، أو حرمان الجنة.

وقد اختلف الأثمة رحمهم الله في تأويلها، مع اتفاقهم على بطلان قول الخوارج والمعتزلة الذين يخلدونهم في النار ولو كانوا موحدين. والصواب في تأويلها ما قاله الإمام المحقق: شمس الدين بن القيم رحمه الله في المدارج فإنه قال بعدما ذكر تأويلات الأثمة في ذلك وانتقدها فقال:

وقالت فِرقَة: هذه النصوص وأمثالها مما ذكر فيه المقتضي للعقوبة، ولا يلزم من وجود مقتضي الحكم وجوده، فإن الحكم إنما يتم بوجود مقتضيه وانتفاء موانعه.

وغاية هذه النصوص الإعلام بأن كذا سبب للعقوبة ومقتض لها، وقد قام الدليل على ذكر الموانع، فبعضها بالإجماع، وبعضها بالنص. فالتوبة مانع بالإجماع، والتوحيد مانع بالنصوص المتواترة التي لا مدفع لها والحسنات العظيمة الماحية مانعة، والمصائب الكبار المكفرة مانعة، وإقامة الحدود في الدنيا مانع بالنص ولا سبيل إلى تعطيل هذه النصوص، فلا بد من إعمال النصوص من الجانين.

ومن هنا قامت الموازنة بين الحسنات والسيئات، اعتباراً بمقتضى العقاب ومانعه، وإعمالاً لأرجحها.

قالوا: وعلى هذا بناء مصالح الدارين ومفاسدهما. وعلى هذا بناء الأحكام الشرعية، والأحكام القدرية،

وهو مقتضى الحكمة السارية في السوجود، وبه ارتساط الأسباب ومسبباتها، خلقاً وأمراً، وقد جعل الله سبحانه لكل ضد ضداً يدافعه ويقاومه، ويكون الحكم للأغلب منهما.

فالقوة مقتضية للصحة والعافية، وفساد الأخلاط وبغيها مانع من عمل الطبيعة، وفعل القوة، والحكم للغالب منهما، وكذلك قوى الأدوية والأمراض. والعبد يكون فيه مقتض للصحة، ومقتض للعطب، وأحدهما يمنع كمال تأثير الآخر ويقاومه، فإذا ترجع عليه وقهره، كان التأثير له.

ومن هنا يعلم انقسام الخلق إلى مَنْ يدخل الجنة ولا يدخل النار، وعكسه، ومَنْ يدخل النار ثم يخرج منها، ويكون مكثه فيها بحسب ما فيه من مقتضى المكث في سرعة الخروج وبطئه. ومَنْ له بصيرة منورة يرى بها كل ما أخبر الله به في كتابه، من أمر المعاد وتفاصيله، حتى كأنه يشاهده رأي: عين.

ويعلم أن هذا هو مقتضى إلهيته ببحانه، وربوبيته، وعزته، وحكمته، وأنه يستحيل عليه خلاف ذلك، ونسبة ذلك إليه نسبة ما لا يليق به إليه، فيكون نسبة ذلك إلى بصيرته، كنسبة الشمس والنجوم إلى بصره.

وهذا يقين الإيمان، وهو الذي يحرق السيشات، كما تحرق النار الحطب، وصاحب هذا المقام من الإيمان يستحيل إصراره على السيئات، وإن وقعت منه وكثرت، فإن ما معه من نور الإيمان يأمره بتجديد التوبة كل وقت بالرجوع إلى الله في عدد أنفاسه، وهذا من أحب الخلق إلى الله. انتهى كلامه، قدس الله روحه، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً.

﴿ ٩٤﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله

مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً \* يأمر تعالى عباده المؤمنين إذا خرجوا جهاداً في سبيله، وابتغاء مرضاته أن يتبينوا ويتثبتوا في جميع أمورهم المشتبهة.

فإن الأمور قسمان: واضحة وغير إضحة.

فالواضحة البينة لا تحتاج إلى تثبت وتبين، لأن ذلك تحصيل حاصل.

وأما الأمور المشكلة غير الواضحة، فإن الإنسان يحتاج إلى التثبت فيها والتبين، ليعرف هل يقدم عليها أم لا؟ فإن التثبت في هذه الأمور يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكف لشرور عظيمة، ما به يعرف دين العبد وعقله ورزانته، بخلاف المستعجل للأمور في بدایتها<sup>(۱)</sup>، قبل أن يتبين له حكمها، فإن ذلك يؤدي إلى ما لا ينبغي، كما جرى لهؤلاء الذين عاتبهم الله في الآية، لما لم يتثبتوا وقتلوا من سلَّم عليهم، وكان معه غنيمة له أو مالً غيره، ظناً أنه يستكفى بذلك قتلهم، وكان هذا خطأ في نفس الأمر، فلهذا عاتبهم بقوله: ﴿ولا تقولوا لمن ألقي إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة ﴾ أي: فلا يحملنكم العرض الفاني القليل، على ارتكاب ما لا ينبغى فيفوتكم ما عند الله من الثواب الجزيل الباقي، فما عند الله خير وأبقى.

وفي هذا إشارة إلى أن العبد ينبغي له إذا رأى دواعي نفسه مائلة إلى حالة له فيها هوى، وهي مضرة له أن يذكرها ما أعد الله لمن نهى نفسه عن هواها، وقدم مرضاة الله على رضا نفسه، فإن في ذلك ترغيباً للنفس في امتثال أمر الله، وإن شق ذلك عليها.

ثم قال تعالى مذكراً لهم بحالهم الأولى، قبل هدايتهم إلى الإسلام: 

كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم، أي: فكما هداكم بعد ضلالكم، فكذلك يهدي غيركم،

وكما أن الهداية حصلت لكم شيئاً فشيئاً، فكذلك غيركم.

فنظر الكامل لحاله الأولى الناقصة، ومعاملته لن كان على مثلها، بمقتضى ما يعرف من حاله الأولى، ودعاؤه له بالحكمة والموعظة الحسنة من أكبر الأسباب لنفعه وانتفاعه، ولهذا أعاد الأمر بالتين فقال: ﴿فتبينوا﴾.

فإذا كان مَنْ خرج للجهاد في سبيل الله، ومجاهدة أعداء الله، وقد استعد بأنواع الاستعداد للإيقاع بهم، مأموراً بالتبين لمن ألقى إليه السلام، وكانت القرينة قوية، في أنه إنما سلم تعوذاً من القتل، وخوفاً على نفسه فإن ذلك يدل على الأمر بالتبين والتثبت في كل الأحوال التي يقع فيها نوع اشتباه، فيتثبت فيها العبد، حتى يتضح له الأمر ويبين الرشد والصواب.

﴿إِن الله كان بما تعملون خبيراً ﴾ فيجازي كلاً ما عمله ونواه، بحسب ما علمه من أحوال عباده ونياتهم.

﴿ ٩٩ - ٩٩ ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وغد الله الحسني وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً \* درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ أي: لا يستوي من جاهد من المؤمنين بنفسه وماله، ومن لم يخرج للجهاد ولم يقاتل أعداء الله، ففيه الحث على الخروج للجهاد، والترغيب في ذلك، والترهيب من التكاسل والقعود عنه من غير عذر.

وأما أهل الضرر كالمريض والأعمى والأعمى والأعرج، والذي لا يجد ما يتجهز به، فإنهم ليسوا بمنزلة القاعدين من غير عذر، فمَنْ كان من أولي الضرر راضيا بقعوده، لا ينوي الخروج في سبيل الله لولا [وجود] المانع، ولا يحدث نفسه بذلك، فإنه بمنزلة القاعد لغير عذر.

ومَنْ كان عازماً على الخروج في

سبيل الله لولا وجود المانع، يتمنى ذلك ويحدّث به نفسه، فإنه بمنزلة مَنْ خرج للجهاد، لأن النية الجازمة إذا اقترن بها مقدورها من القول أو الفعل ينزل صاحبها منزلة الفاعل.

ثم صرّح تعالى بتفضيل المجاهدين على القاعدين بالدرجة، أي: الرفعة، وهذا تفضيل على وجه الإجمال، ثم صرّح بذلك على وجه التفصيل، ووعدهم بالمغفرة الصادرة من ربهم، والرحمة التي تشتمل على حصول كل خير، واندفاع كل شر.

والدرجات التي فصلها النبي على المحديث الثابت عنه في «الصحيحين»، أن في الجنة مئة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله.

وهذا الثواب الذي رتبه الله على الجهاد، نظير الذي في سورة الصف في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ﴾ إلى آخر السورة.

وتأمل حسن هذا الانتقال، من حالة إلى أعلى منها، فإنه نفى التسوية أولاً بين المجاهد وغيره، ثم صرّح بتفضيل المجاهد على القاعد بدرجة، ثم انتقل إلى تفضيله بالمغفرة والرحمة والدرجات.

وهذا الانتقال من حالة إلى أعلى منها عند التفضيل والمدح، أو النزول من حالة إلى ما دونها، عند القدح والذم ـ أحسن لفظاً، وأوقع في النفس.

وكذلك إذا فضل تعالى شيئاً على شيء، وكل منهما له فضل، احترز بذكر الفضل الجامع للأمرين، لئلا يتوهم أحد ذم الفضل عليه كما قال هنا: ﴿وكلاً وعد الله الحسنى﴾.

وكما [قال تعالى] في الآيات المذكورة في الصف في قوله: ﴿وبِشَر

المؤمنين . وكما في قوله تعالى: 
﴿لا يستوي منكم مَنْ أنفق من قبل الفتح وقاتل ﴾ أي: عمن لم يكن كذلك . 
ثم قال: ﴿وكلا وعد الله الحسنى ﴾ وكما قال تعالى: ﴿فقهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً ﴾ فينبغي لن بحث في التفضيل بين الأشخاص والطوائف والأعمال ، أن يتفطن لهذه النكة .

وكذلك لو تكلم في ذم الأشخاص والمقالات، ذكر ما تجتمع فيه عند تفضيل بعضها على بعض، لئلا يتوهم أن المفضل قد حصل له الكمال. كما إذا قيل: النصارى خير من المجوس، فليقل مع ذلك: وكل منهما كافر.

والقتل أشنع من الزنا، وكل منهما معصية كبيرة، حرمها الله ورسوله وزجر عنها.

ولما وعد المجاهدين بالمغفرة والرحمة المصادرين عن اسميه الكريمين ﴿الغفور الرحيم﴾ ختم هذه الآية بهما. فقال: ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾.

﴿٩٧ \_ ٩٩ ﴾ ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً \* إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً \* فأولئك عسى الله أن يتعبقنو عنتهتم وكنان الله عنفوأ غفوراً ﴿ هذا الوعيد الشديد لمن ترك الهجرة مع قدرته عليها حتى مات، فإن الملائكة الذين يقبضون روحه، يوبخونه بهذا التوبيخ العظيم، ويقولون لهم: ﴿فيم كنتم﴾ أي: على أي: حال كنتم؟ وبأي: شيء تميزتم عن المشركين؟ بل كثرتم سوادهم، وربما ظاهرتموهم على المؤمنين، وفاتكم الخير الكثير والجهاد مع رسوله والكون مع المسلمين ومعاونتهم على أعدائهم.

﴿قالوا كنا مستضعفين في الأرض﴾ أي: ضعفاء مقهورين مظلومين، ليس لنا قدرة على الهجرة. وهم غير صادقين في ذلك، لأن الله وبخهم

وتوعدهم، ولا يكلف الله نفساً إلاّ واستثنى المستضعفين حقيقة، ولهذا قالت لهم الملائكة: ﴿ أَلُمْ تُكُنَّ

أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، وهذا استفهام تقرير، أي: قد تقرر عند كل أحد أن أرض الله واسعة، فحيثما كان العبد في محل لا يتمكن فيه من إظهار دينه، فإنَّ له متسعاً وفسحة من الأرض يتمكن فيها من عبادة الله، كما قال تعالى: ﴿ يَا عبادي الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياي فاعبدون ﴿ . قال الله عن هؤلاء الذين لا عذر لهم: ﴿ فَأُولِنَكُ مِأُواهِم جِهِنَم وساءت مصيراً﴾ وهذا كما تُقدم، فيه ذكر بيان السبب الموجب، فقد يترتب عليه مقتضاه، مع اجتماع شروطه، وانتفاء موانعه، وقدُّ يمنع من ذلك مانع.

وفي الآية دليل على أن الهجرة من أكبر الواجبات، وتركها من المحرمات، بل من الكبائر، وفي الآية دليل على أن كل مَنْ توفي فقد استكمل واستوفي ما قدر له من الرزق والأجل والعمل، وذلك مأخوذ من لفظ «التوفي» فإنه يدل على ذلك، لأنه لو بقى عليه شيء من ذلك لم يكن متوفياً.

وفيه الإيمان بالملائكة ومدحهم، لأن الله ساق ذلك الخطاب لهم على وجه التقرير والاستحسان منهم، وموافقته لمحله.

ثم استثنى المستضعفين على الحقيقة، الذين لا قدرة لهم على الهجرة بوجه من الوجوه ﴿ولا يهتدون سبيلاً﴾.

فهؤلاء قال الله فيهم: ﴿فأولنك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا) و اعسى ونحوها واجب وقوعها من الله تعالى بمقتضى كرمه وإحسانه، وفي الترجية بالثواب لن عمل بعض الأعمال فائدة:

وهو أنه قد لا يوفيه حق توفيته، ولا يعمله على الوجه اللائق الذي ينبغي، بل يكون مقصراً فلا يستحق ذلك الثواب. والله أعلم.

وفي الآية الكريمة دليل على أن من

عجز عن المأمور من واجب وغيره، فإنه معذور، كما قال تعالى في العاجزين عن الجهاد: ﴿لِس على الأعمى حرج ولاعلى الأعرج حرج ولا على المريض حرج). وقيال في عموم الأوامر: ﴿ فَاتَّقُوا اللهُ مَا استطعتم).

وقال النبي على : ﴿إذا أمرتكم بأمر، فأتوا منه ما أستطعتم». ولكن لا يعذر الإنسان إلا إذا بذل جهده، وانسدت عليه أبواب الحيل، لقوله: ﴿لا يستطيعون حيلة﴾ وفي الآية تنبيه على أن الدليل في الحج والعمرة ونحوهما بما يحتاج إلى سفر من شروط الاستطاعة.

﴿۱۰۱﴾ ﴿وَمِسن يهساجسر فسي سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رجيساً ﴾ هذا في بيان الحث على الهجرة، والترغيب وبيان ما فيها من المصالح، فوعد الصادق في وعده، أن مَنْ هاجر في سبيله ابتغاء مرضاته، أنه يجد مراغماً في الأرض وسعة، فالمراغم مشتمل على مصالح الدين والسعة على مصالح الدنيا.

وذلك أن كثيراً من الناس يتوهم أن في الهجرة شتاتاً بعد الألفة، وفقراً بعد الغني، وذلاً بعد العز، وشدة بعد الرخاء.

والأمر ليس كذلك، فإن المؤمن ما دام بين أظهر المشركين، فدينه في غاية النقص، لا في العبادات القاصرة عليه، كالصلاة ونحوها، ولا في العبادات المتعدية، كالجهاد بالقولُ والفعل، وتوابع ذلك، لعدم تمكنه من ذلك، وهو بصدد أن يفتن عن دينه، خصوصاً إن كان مستضعفاً.

فإذا هاجر في سبيل الله تمكن من إقامة دين الله وجهاد أعمداء الله، ومراغمتهم، فإن المراغمة اسم جامع لكل ما يحصل به إغاظة لأعداء الله من قول وفعل، وكذلك يحصل له سعة في رزقه، وقد وقع كما أخبر الله تعالى.

حُرِّمَتْ عَلَيْهِ حُمُّ ٱلْبُتَكَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْجِيْرِيرِ وَمَآ أَهِلَ لِغَيْرِاللَّهِ بِهِ - وَٱلْنُخَنِقَةُ وَٱلْوَفُونَةُ وَٱلْثُمَّرَدِيُّهُ وَالنَّفِيمَةُ وَمَا أَحَلَ السَّبُعُ إِلَّامَا ذَحَيْتُهُ وَمَا ذُبِعَ عَلَى النُّصُب وَأَن نَسْ نَفْسِهُوا بِالْأَزْلَيْهِ ذَلِكُمْ فِسْقُ الْيُوْمَ بَيْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُوْ فَلَا تَعْشَوْمُ وَأَحْشَوْنُ الْيُومُ أَكْمَلْتُ لَكُرُوبِنَكُو وَأَغْمَتْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَةٍ وَيَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَمَ دِينَا فَوَاضِطُ فِي مَخْمَصَةٍ عَيْرُمُنَجَانِفِ لِاشْرِ فَإِنْ اللَّهُ عَفُورٌ رُجِيمٌ ۞ يَسْتَلُونَكَ مَاذَآ أَيُولَ لَمُثُمُّ قُلْ أَيولَ لَكُمُ ٱلطَّيْبَاتُ وَمَاعَلَنتُمْ مِنَ ٱلْجَوَارِجِ مُنْكَلِينَ شَيَاتُونَهُنَّ مِنَاعَلَٰتَكُوْٱللَّهُ فَكُلُوا يَمَّا ٱلْسَكَنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُواْ اَسْمَالَةِ عَلَيْدٍ وَانْقُواْ اللَّدَّإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۞ ٱلْيَوْمُ أَيِلًا كُكُو ٱلطَّيْبَاتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِنَابِ مِلَّ لَكُرْ وَطَعَامُكُو حِلَّ لَمُ مَّرًا لَعُصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِنْكِ مِن مَبْلِكُو إِنَّا ءَانَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُعْصِنِينَ غَيْرَمُكَ فِيعِينَ وَلَامُتَكَ فِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكُفُرُ ا بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْحَبِطَ عَمُلُمُوهُوفِ ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَيرِينَ ۞ CHONON WEDDER

واعتبر ذلك بالصحابة رضى الله عنهم، فإنهم لما هاجروا في سبيل الله وتسركسوا ديسارهمم وأولادهمم وأموالهم لله، كمل بذلَك إيمانهم، وحصل لهم من الإيمان التام والجهاد العظيم والنصر لدين الله، ما كانوا به أئمة لمن بعدهم، وكذلك حصل لهم، مما يترتب على ذلك من الفتوحات والغنائم، ما كانوا به أغنى الناس، وهكذا كل مَنْ فعل فعلهم، حصل له ما يحصل لهم إلى يوم القيامة.

شم قبال: ﴿ وَمَنْ يَخْرِج مِن بِيسَه مهاجراً إلى الله ورسوله ﴾ أي: قاصداً ربه ورضاه، ومحبة لرسوله، ونصراً لدين الله، لا لغير ذلك من المقاصد ﴿ثُم يدركه الموت ﴾ بقتل أو غيره، ﴿ فقد وقع أجره على الله ﴾ أي: فقد حصل له أجر المهاجر الذي أدرك مقصوده بضمان الله تعالى، وذلك لأنه نوی وجزم، وحصل منه ابتداء وشروع في العمل، فمن رحمة الله به وبأمثاله، أن أعطاهم أجرهم كاملاً، ولو لم يكملوا العمل وغفر لهم ماحصل منهم من التقصير في الهجرة وغيرها.

ولهذا ختم هذه الآية بهلين الاسمين الكريمين فقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غفوراً رحيماً بغفر للمؤمنين ما اقترفوه من الخطيئات، خصوصاً التائبين المنيبين إلى رجم .

يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا فَمُنْدَ لِكَ ٱلصَّالَوْوَفَاغْسِلُواْ وُجُوهِ حَكُمْ وَأَيْدِ يَكُمْ إِلَى ٱلْذَافِقِ وَأَسْتُحُواْ بِرُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَانِيُّ وَإِن كُنتُمْ جُنبُ فَاطَهَ رُوا وَإِن كُنتُم مَّ خِنَ أَوْعَلَى سَفَر أَوْجَاءَ أَحَدُ مِنكُم مِنَ ٱلْعَابِطِ أَوَّلَكَ مُمَّ ٱلْسَاءَ فَلَرْجَدُواْ مَلَّهُ فيستواصعيداطيبا فأسكوا وبجوهكم وأبديكم تنة ناركيدُ أللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْتُ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُنِدَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ لَعَلَّكُمْ لَصَّا لَكُوْ نَصْكُرُونَ ٥ وَآذْكُرُوانِفَمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمُ وَمِيثَافَهُ ٱلَّذِي وَاتْقَكُم بِدِيٓ إِذْ قُلْتُ مُسَيِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَاتَّفُواْ اللَّهُ إِلَّ ٱللَّهَ عَلِيهِ رُّونِدَاتِ ٱلصُّدُورِ ۞ يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّمِينَ يَعُوشُكَ أَهُ إِلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنْتَالُ قَوْمِ عَلَنَ أَلَانَهُ بِدُلُواْ أَعْدِلُواْ هُوَ أَفْرَبُ لِلنَّقْوَكُ وَأَنْقُواْ اللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ خِيرُ لِيمَا تَعْمَلُونَ ۞ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَكِيلُواْ ٱلصَّلِيحَتِّ لَمُنْمُ مَعْفِرَةً وَأَجْرُ عَظِيمٌ ۞

(رحيماً) بجميع الخلق، رحمة أوجدتهم وعافتهم، ورزقتهم من المال والبنين والقوة، وغير ذلك. رحيماً بالمؤمنين، حيث وفقهم للإيمان، وعلمهم من العلم ما يحصل به الإيقان، ويسر لهم أسباب السعادة والفلاح، وما به يدركون غاية لأرباح، وسيرون من رحمته وكرمه ما لاعين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فنسأل الله أن لا يجرمنا خيره بشر ما عندنا.

﴿١٠١ \_ ١٠٢﴾ ﴿ وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً \* وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم وذالذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أوكنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً المانان الآيتان أصل في رخصة القصر، وصلاة

الخوف، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرِبَتُم فَي الأَرْضُ﴾ أي: في السفر، وظاهر الآية، [أنه] يقتضي الترخص(١) في أي: سفر كان، ولو كان سفر معصية، كما هو مذهب أي حنيفة رحمه الله، وخالف في ذلك الجمهور، وهم الأئمة الثلاثة وغيرهم، فلم يجوزوا الترخص(٢) في سفر المعصية، تخصيصاً للآية بالمعنى والمناسبة، فإن الرخصة سهولة من الله لعباده إذا سافروا أن يقصروا ويفطروا، والعاصي بسفره، يقصروا ويفطروا، والعاصي بسفره،

وقوله: ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ﴾ أي: لا حرج ولا إثم عليكم في ذلك، ولا ينافي ذلك كون القصر هو الأفضل، لأن نفي الحرج إزالة لبعض الوهم الواقع في كثير من النفوس، بل ولا ينافي الوجوب، كما تقدم ذلك في سورة البقرة، في قوله: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ إلى آخر الآية.

وإزالة الوهم في هذا الموضع ظاهرة، لأن الصلاة قد تقرر عند المسلمين وجوبها على هذه الصفة التامة، ولا يزيل هذا عن نفوس أكثرهم إلا بذكر ما ينافيه.

ويدل على أفضلية القصر على الإتمام أمران:

أحدهما: ملازمة النبي على على القصر في جميع أسفاره.

والثاني: أن هذا من باب التوسعة والترخيص والرحمة بالعباد، والله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته.

وقوله: ﴿أَن تقصروا من الصلاة ﴾ ولم يقل أن تقصروا الصلاة ، فيه فائدتان:

إحداهما: أنه لو قال أن تقصروا الصلاة، لكان القصر غير منضبط بحد من الحدود، فربما ظن أنه لو قصر معظم الصلاة وجعلها ركعة واحدة، لأجزأ، فإتيانه بقوله: ﴿من الصلاة﴾ ليدل ذلك على أن القصر محدود

مضبوط، مرجوع فيه إلى ما تقرر من فعل النبي ﷺ وأصحابه.

الثانية: أن «من» تفيد التبعيض، ليعلم بذلك أن القصر لبعض الصلوات المفروضات، لا جميعها، فإن الفجر والمغرب لا يقصران، وإنما الذي يقصر الصلاة الرباعية من أربع إلى ركعتين.

فإذا تقرر أن القصر في السفر رخصة، فاعلم أن المفسرين قد اختلفوا في هذا القيد، وهو قوله: ﴿إِن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ الذي يدل ظاهره أن القصر لا يجوز إلا بوجود الأمرين كلهما، السفر مع الخوف.

ويرجع حاصل اختلافهم إلى أنه هل المراد بقوله: ﴿أَن تقصروا﴾ قصر العدد فقط؟ أو قصر العدد والصفة؟ فالإشكال إنما يكون على الوجه الأهل.

وقد أشكل هذا على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حتى سأل عنه النبي على فقال: يا رسول الله، ما لنا نقصر الصلاة وقد أمنا؟ أي: والله يقول: ﴿إِن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ﴿ فقال رسول الله على "صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته "أو كما قال.

فعلى هذا يكون هذا القيد أي به نظراً لغالب الحال التي كان النبي وأصحابه عليها، فإن غالب أسفارهم أسفار جهاد.

وفيه فائدة أخرى، وهي بيان الحكمة والمصلحة في مشروعية رخصة القصر، فبين في هذه الآية أنهى ما يتصور من المشقة المناسبة للرخصة، وهي اجتماع السفر والخوف، ولا يستلزم ذلك أن لا يقصر مع السفر وحده، الذي هو مظنة المشقة.

وأما على الوجه الثاني، وهو أن المراد بالقصر: قصر العدد والصفة، فإن القيد على بابه، فإذا وجد السفر والخوف جاز قصر العدد، وقصر الصفة، وإذا وجد السفر وحده جاز

قصر العدد فقط، أو الخوف وحده جاز قصر الصفة.

ولذلك أتى بصفة صلاة الخوف بعدها بقوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِم فأقمت لهم الصلاة﴾ أي: صليت بهم صلاة تقيمها، وتتم ما يجب فيها ويلزم، فعلمهم ما ينبغى لك ولهم فعله.

ثم فسر ذلك بقوله: ﴿فلتقم طائفة منهم معك﴾ أي: وطائفة قائمة بإزاء العدو، كما يدل على ذلك ما يأتي: ﴿فَإِذَا سَجِدُوا﴾ أي: الذين معك، أي: أكسلوا صلاتهم، وعبر عن الصلاة بالسجود، ليدل على فضل السجود، وأنه ركن من أركانها، بل هو أعظم أركانها.

فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا وهم الطائفة الذين قاموا إزاء العدو فليصلوا معك دل ذلك على أن الإمام يبقى بعد انصراف الطائفة الأولى منتظراً للطائفة الثانية، فإذا حضروا صلى بهم ما بقي من فإذا حضروا من يمتظرهم حتى يكملوا صلاته، ثم يسلم بهم، وهذا يكملوا صلاتهم، ثم يسلم بهم، وهذا أحد الوجوه في صلاة الخوف.

فإنها صحت عن النبي الله من وجوه كثيرة كلها جائزة، وهذه الآية تدل على أن صلاة الجماعة فرض عين وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى أمر بها في هذه الحالة الشديدة، وقت اشتداد الخوف من الأعداء وحذر مهاجمتهم، فإذا أوجبها في هذه الحالة الشديدة، فإنجابها في حالة الطمأنينة والأمن من باب أولى وأحرى.

والثاني: أن المصلين صلاة الخوف يتركون فيها كثيراً من الشروط واللوازم، ويعفى فيها عن كثير من الأفعال المطلة في غيرها، وما ذاك إلا لتأكد وجوب الجماعة، لأنه لا تعارض بين واجب ومستحب، فلولا وجوب الجماعة لم تترك هذه الأمور اللازمة لأجلها.

وتدل الآية الكريمة على أن الأولى والأفضل أن يصلوا بإمام واحد. ولو تضمن ذلك الإخلال بشيء، لا يخل به

لو صلوها بعدة أئمة، وذلك لأجل اجتماع كلمة المسلمين واتفاقهم، وعدم تفرق كلمتهم، وليكون ذلك أوقع هيبة السلاح، والحنر في صلاة الخوف، وهذا وإن كان فيه حركة واشتغال عن بعض أحوال الصلاة، فإن فيه مصلحة والجهاد، والحنر من الأعداء الحريصين والجهاد، والحنر من الأعداء الحريصين والميل عليهم وعلى أمتعتهم ولهذا قال تعالى: ﴿ود الذين كفروا لو تغفلون عن الملحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ﴾ .

ثم إن الله عذر من له عذر، من مرض أو مطر، أن يضع سلاحه، ولكن مع أخذ الحذر فقال: ﴿ولا جُناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً .

ومن العذاب المهين ما أمر الله به حزبه المؤمنين وأنصار دينه الموحدين، من قتلهم وقتالهم حيثما ثقفوهم، ويأخذوهم ويحصروهم، ويقعدوا لهم كل مرصد، ويحذروهم في جميع الأحوال، ولا يغفلوا عنهم، خشية أن ينال الكفار بعض مطلوبهم فيهم.

فلله أعظم حمد وثناء على ما من به على المؤمنين، وأيدهم بمعونته وتعاليمه التي لو سلكوها على وجه الكمال لم تهزم لهم راية، ولم يظهر عليهم عدو في وقت من الأوقات.

وفي قوله: ﴿فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ﴾ يدل على أن هذه الطائفة تكمل جميع صلاتها قبل ذهابهم إلى موضع الحارسين. وأن الرسول ﷺ يثبت منتظراً للطائفة الأخرى قبل السلام، لأنه أولاً ذكر أن الطائفة تقوم معه، فأخبر عن مصاحبتهم له. ثم أضاف الفعل بعد إليهم دون الرسول، فدل ذلك على ما ذكرناه.

وفي قوله ﴿ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك﴾ دليل على أن الطائفة الأولى قد صلوا، وأن جميع

indice. Salah Salah وَالَّذِينَ كُفَّرُوا وَحَكَذَّ وُابِعَ إِنْكِنَّا أُولَيْكَ أَضِحَتُ المتحير الماللة الذي المؤاذ كروايست ألَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْهَمَ فَوْمُ أَنْ يَبْسُطُوۤ إِلَيْكُمْ أَيْدِيمُمْ فَكُفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنَكُمْ وَأَنَّ عُوا اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتُوكُلُ ٱلْمُوْمِنُونَ ﴿ \* وَلَقَلْدُ أَخَدُ ٱللَّهُ مِثْلَقَ مِنْ إِسْرَةِ مِلَّ ويَعَثْنَا مِنْهُمُ أَثْنَ عَشَرَيْقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمُّ لَهِنْ أَقَمَتُهُ ٱلعَبَّكُوةَ وَءَانَيْتُهُمُ ٱلزَّكَوْةَ وَءَامَنتُ برُسُ لِي وَعُكَزَّدُتُ تُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهُ قَرْضَا حَسَنَا لَأُكَفِرْكَ عَنكُمْ سَيِّعَاتِكُمْ وَلَأَدْخِلَنَّكُمْ جَنَّنَتِ بَحَرِي مِن غَيْمُكَ ٱلْأَنْهَا رُّفْتَن كَفَرَيَتْ دُ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَّلَةَ ٱلسَّكِيلِ ۞ فِهمَا تقطيهم يبثكفهم لقنكهم وبحك لنافكوبهم فليسيك يُحَرِقُونَ ٱلْحَيْلِرَعَن مُواينيهِ فِي وَنَسُواحَظَّامِمَا أَكِنْرُوا يؤ وَلَاتَذَالُ تَطْلِعُ عَلَ خَالَتِنَا يَسَوْقِنْهُمْ إِلَّا قَلِسَ لَا يَنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَمْفَعْ إِنَ اللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ ACTED TO LONG CO.

صلاة الطائفة الثانية تكون مع الإمام حقيقة في ركعتهم الأولى، وحكماً في ركعتهم الأخيرة، فيستلزم ذلك انتظار الإمام إياهم حتى يكملوا صلاتهم، ثم يسلم بهم، وهذا ظاهر للمتأمل.

﴿١٠٣﴾ ﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم فإذا اطمأنتم فأقيموا الصلاة إنّ الصلاة إنّ الصلاة إذا فرغتم من صلاتكم، صلاة الخوف وغيرها، فاذكروا الله في جميع أحوالكم وهيئاتكم، ولكن خصت صلاة الخوف بذلك لفوائد. منها: أن القلب صلاحه وفلاحه وسعادته، بالإنابة إلى الله تعالى في المحبة وامتلاء القلب من ذكره والثناء عليه.

وأعظم ما يحصل به هذا المقصود الصلاة، التي حقيقتها أنها صلة بين العبد وبين ربه.

ومنها: أن فيها من حقائق الإيمان ومعارف الإيقان، ما أوجب أن يفرضها الله على عباده كل يوم وليلة. ومن المعلوم أن صلاة الخوف لا تحصل فيها هذه المقاصد الحميدة بسبب اشتغال القلب والبدن والخوف فأمر بجبرها بالذكر بعدها.

ومنها: أن الخوف يوجب من قلق القلب وخوفه، ما هو مظنة لضعفه، وإذا ضعف القلب ضعف البدن عن مقاومة العدو، والذكر لله والإكثار منه كانوا يعاقبون عليها، وعلى سائر الأحكام في الآخرة.

وتسرجون مسن الله مسالا يسرجون وكأن الله عليماً حكيماً ﴾ أي: لا تضعفوا ولا تكسلوا في ابتغاء عدوكم من الكفار ، أي: في جهادهم والمرابطة على ذلك، فإن وهن القلب مستدع لوهن البدن، وذلك يضعف

ثم ذكر ما يقوي قلوب المؤمنين، فذكر شيئين:

الأول: أن ما يصيبكم من الألم والتعب والجراح ونحو ذلك، فإنه يصيب أعداءكم، فليس من المروءة الإنسانية والشهامة الإسلامية أن تكونوا أضعف منهم، وأنتم وإياهم قد تساويتم فيما يوجب ذلك، لأن العادة. الجارية لا يضعف إلا مَنْ توالت عليه الآلام وانتصر عليه الأعداء على الدوام، لا مَنْ يدال مرة، ويدال عليه

وقوله: ﴿فإذا اطمأننتم فأقيموا الأمر الثاني: أنكم ترجون من الله الصلاة ﴾ أي: إذا أمنتم من الخوف، ما لا يرجون، فترجون الفوز بثوابه واطمأنت قلوبكم وأبدانكم، فأتموا والنجاة من عقابه، بل خواص المؤمنين صلاتكم على الوجه الأكمل، ظاهراً لهم مقاصد عالية، وآمال رفيعة، من ويباطننا، بأركانها وشروطها، نصر دين الله، وإقامة شرعه، واتساع وخشوعها، وسائر مكملاتها. دائرة الإسلام، وهداية الضالين،

﴿إِن الصلاة كانت عِلى المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾ أي: مفروضاً نَّى وقته، فدل ذلك على فرضيتها، وأن لها وقتاً لا تصح إلابه، وهو هذه الأوقات التى قد تقررت عند المسلمين، صغيرهم وكبيرهم، عالمهم وجاهلهم، وأخذوا ذلك عن نبيهم محمد علي بقوله: «صلُّوا كما رأيتموني أصلي».

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَنَّا أَخَذْ نَا مِينَا فَهُمَّ

فكنشه أحظًا مِسَّا ذُكِّرُ وأبوء فأغَرَبْ ابْبَيْهُمُ ٱلْعَكَاوَةُ

وَالْبَغَصِكَ آمَ إِلَى يَوْمِ الْقِيكَ مَوْ وَسَوْفَ يُنَتَّ مُهُمُ أَلَمَهُ

بِهَاكَانُواْيَصْنَعُونَ ۞ يَتَأَهْلُ ٱلْكِتَٰكِ

قَدْجَاءَكُمْ رَسُولُكَ الْبُرَيْ ﴾ لَكُمْ كَيْرُاعْمًا

كُ يُرْغُمُ فُوكِ مِنَ ٱلْكِتَبِ وَيَسْفُواْعَن

كَثِيرِ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ سُورٌ وَكِنَّابٌ

مَّيِيتُ ۞ يَمْدِى بِوَاللَّهُ مَنِ ٱلنَّبَعَ رِضْوَلَتَهُ

سُبُلَ السَّكَايِ وَيُخْرِجُهُم مِّن ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى

ٱلتُّورِ بِإِذْنِهِ، وَيَعَدِيعِ مُ إِلَكَ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيدٍ

۞ لَقَدْ حَكَمُرُ ٱلَّذِينَ ٱلْوَاْلِيَّ ٱلْمَهُ هُوَٱلْمَسِيحُ

أرث منهيم قُلْ فَسَن يَعْلِكُ مِن اللَّهِ مَسْتِقًا إِن أَزَادُ

أَنْ بُعْلِكَ ٱلْمُسِيحَ آمْتَ مُرْيَمَ وَأُمَّا مُوَمَنَ فِٱلْأَضِ

جَيتُ أُويِنَّهِ مُلْكُ ٱلسَّكَوْنِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا يَنْهُمَأُ

يَخْ لَقُ مَا بَشَكَ أَهُ وَأَلَقَهُ عَلَى كُلِّي ثَفْ وَقَدِيرٌ ۞

من أعظم مقويات القلب.

ذلك من الحكم.

ACCORDE "ECREEN

ومنها: أن الذكر لله تعالى مع الصبر

والثبات سبب للفلاح وألظفر

بالأعداء، كما قال تعالى: ﴿يا أيها

الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا،

واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾.

ودل قوله: ﴿على المؤمنين ﴾ على أن الصلاة ميزان الإيمان، وعلى حسب إيمان العبد تكون صلاته، وتتم وتكمل، ويدل ذلك على أن الكفار وإن كانوا ملتزمين لأحكام المسلمين كأهل الذمة \_ أنهم لا يخاطبون بفروع الدين كالصلاة، ولا يؤمرون بها، بل ولا تصح منهم ما داموا على كفرهم، وإن

﴿٤٠١﴾ ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون عن مقاومة الأعداء. بل كونوا أقوياء نشيطين في قتالهم.

فأمر بالإكثار منه في هذه الحال إلى غير

وقمع أعداء الدين، فهذه الأمور توجب للمؤمن المصدق زيادة القوة، وتضاعف النشاط والشجاعة التامة؛ لأن مَنْ يقاتل ويصبر على نيل عزه الدنيوي إن ناله، ليس كمن يقاتل لنيل السعادة الدنيوية والأخروية، والفوز برضوان الله وجنته، فسبحان مَنْ فاوت بين العباد، وفرّق بينهم بعلمه وحكمته، ولهذا قال: ﴿وَكَانَ اللهِ عليماً حكيماً ﴾ كامل العلم، كامل الحكمة.

﴿ ١٠٥ \_ ١١٣﴾ ﴿إِنَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُ الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً \* واستخفر الله إن الله كان غفوراً

رحيماً \* ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يجب من كان خواناً أثيماً \* يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً \* هاأنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً \* ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً \* ومن يكسبُ إثماً فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً \* ومن يكسب خطيئةً أو إثماً ثم يرم به بريثاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً \* ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمكما لمتكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ يحبر تعالى، أنه أنزل على عبده ورسوله الكتاب بالحق، أي: محفوظاً في إنزاله من

وفي الآية الأخرى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم ٠٠٠٠ فيحتمل أن هذه الآية في الحكم بين الناس، في مسائل النزاع والاختلاف، وتلك في تبيين جميع الدين، وأصوله وفروعه، ويحتمل أنَّ الآيتين كليهما، معناهما واحد، فيكون الحكم بين الناس هنا يشمل الحكم بينهم في الدماء والأعراض والأموال وسائر الحقوق وفى العقائد، وفي جميع مسائل الأحكام.

الشياطين، أن يتطرق إليه منهم باطل

بل نزل بالحق، ومشتملاً أيضا على

الحق فأخباره صدق، وأوامره ونواهيه

عدل ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً

وعدلاً ﴾ وأخبر أنه أنزله ليحكم بين

وقوله: ﴿ مِما أَراكُ الله ﴾ أي: لا بهواك، بـل بـمـا عــلـمـك الله وألهمك، كقوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي، • وفي هذا دليل على عصمته ﷺ فيما يبلغ عن الله من جميع الأحكام

وغيرها، وأنه يشترط في الحاكم (۱) العلم والعدل، لقوله: ﴿ بما أرك الله ولم يقل: بما رأيت. ورتب أيضاً الحكم بين الناس على معرفة الكتاب، ولما أمر الله بالحكم بين الناس المتضمن للعدل والقسط، نهاه عن المخور والظلم الذي هو ضد العدل، فقال: ﴿ ولا تكن للخائنين خصيماً ﴾ أي: لا تخاصم عن مَنْ عرفت خيانته، من مدع ما ليس له، أو منكر حقاً أي: لا تحريم الخصومة في عليه، سواء علم ذلك أو ظنه. ففي هذا دليل على تحريم الخصومة في باطل، والنيابة عن المبطل في الخصومات الدينية والحقوق الدنيوية.

ويمدل منفهوم الآية على جواز الدخول في نيابة الخصومة لمن لم يعرف منه ظلم.

﴿واستغفر الله﴾ مما صدر منك، إن مدر .

﴿إِن الله كان غفوراً رحيماً ﴾ أي: يغفر الذنب العظيم لمن استغفره وتاب إليه وأناب، ويوفقه للعمل الصالح بعد ذلك، الموجب لثوابه وزوال عقابه.

﴿ولا تجادل عن المذين يختانون انفسهم ﴾ . «الاختيان» و «الخيانة» بمعنى الجناية والظلم والإثم، وهذا يشمل النهي عن المجادلة، عن مَنْ أذنب وتوجه عليه عقوبة، من حد أو تعزير، فإنه لا يجادل عنه بدفع ما ترتب على منه من الخيانة، أو بدفع ما ترتب على ذلك من العقوبة الشرعية. ﴿إن الله كثير الخيانة والإثم، وإذا انتفى الحب كثير الخيانة والإثم، وإذا انتفى الحب شبت ضده، وهو البغض، وهذا كالتعليل، للنهى المتقدم.

ثم ذكر عن هؤلاء الخائنين أنهم فيستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وهذا من ضعف الإيمان، ونقصان اليقين، أن تكون خافة الخلق عندهم أعظم من

خافة الله، فيحرصون بالطرق المباحة والمحرمة على عدم الفضيحة عند الناس، وهم مع ذلك قد بارزوا الله بالعظائم، ولم يبالوا بنظره واطلاعه عليهم.

وهو معهم بالعلم في جميع أحوالهم، خصوصاً في حال تبيتهم ما لا يرضيه من القول، من تبرئة الجاني، ورمي البريء بالجناية، والسعي في ذلك للرسول ريه الفعل ما بيتوه.

فقد جمعوا بين عدة جنايات، ولم يراقبوا رب الأرض والسماوات، المطلع على سرائرهم وضمائرهم، ولهذا توعدهم تعالى بقوله: فوكان الله بما يعملون محيطاً ﴾ أي: قد أحاط بذلك علماً، ومع هذا لم يعاجلهم بالعقوبة، بل استأنى بهم، وعرض عليهم التوبة وحذرهم من الله مرا على ذنبهم، الموجب للعقوبة

﴿ هَا أَنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً أي: هبكم جادلتم عنهم في هذه الحياة الدنيا، ودفع عنهم جدالكم بعض ما تخدرون (٢) من العار والفضيحة عند الحلق، فماذا يغني عنهم ويتفعهم؟ ومَنْ يجادل الله عنهم يوم القيامة حين تتوجه عليهم الحجة، وتشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون؟ ﴿ ومِعلمون أن الله هو الحق المين ﴾ .

فمَنْ يجادل عنهم، مَنْ يعلم السر وأخفى، ومَنْ أقام عليهم من الشهود ما لا يمكن معه الإنكار؟ وفي هذه الآية إرشاد (٢) إلى المقابلة بين ما يتوهم من مصالح الدنيا المترتبة على ترك أوامر الله، أو فعل مناهيه، وبين ما يفوت من ثواب الآخرة، أو يحصل من عقوباتها.

فيقول مَنْ أمرته نفسه بترك أمر الله

ها أنت تركت أمره كسلاً وتفريطاً، فما النفع الذي انتفعت به؟ وماذا فاتك من ثواب الآخرة؟ وماذا ترتب على هذا الترك من الشقاء والحرمان والخيبة والخسران؟

وكذلك إذا دعته نفسه إلى ما تشتهيه من الشهوات المحرمة، قال لها: هبك فعلت ما اشتهيت، فإن لذته تنقضي، ويعقبها من الهموم والغموم والخموات، وفوات الثواب وحصول العقاب ما بعضه يكفي العاقل في الإحجام عنها.

وهذا من أعظم ما ينفع العبد تدبره، وهو خاصة العقل الحقيقي. بخلاف الذي (٤) يدعي العقل، وليس كذلك، فإنه بجهله وظلمه يؤثر اللذة الحاضرة، والراحة الراهنة، ولو ترتب عليها ما ترتب. والله المستعان.

ثم قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يعمل سوءاً أو يظلم نفسه، ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴾ أي: مَنْ تجراً على المعاصي واقتحم على الإثم، ثم استغفر الله استغفاراً تاماً، يستلزم الإقرار بالذنب والندم عليه، والإقلاع، والعزم على أن لا يعود. فهذا قد وعده مَنْ لا يخلف الميعاد، بالمغفرة والرحة.

فيغفر له ما صدر منه من الذنب، ويزيل عنه ما ترتب عليه من النقص والعيب، ويعيد إليه ما تقدم من الأعمال الصالحة، ويوفقه فيما يستقبله من عمره، ولا يجعل ذنبه حائلاً عن توفيقه، لأنه قد غفره وإذا غفره، غفر ما يترتب عليه.

واعلم أن عمل السوء عند الإطلاق يشمل سائر المعاصي، الصغيرة والكبيرة، وسمي «سوءاً» لكونه يسوء عامله بعقوبته، ولكونه في نفسه سيئاً غير حسن.

وكذلك ظلم النفس عند الإطلاق يشمل ظلمها بالشرك فما دونه. ولكن

<sup>(</sup>١) في أ: الحكم.

<sup>(</sup>٢) في ب: ما يحذرون.

<sup>(</sup>٣) في ب: الإرشاد.(٤) في ب: من.

عند اقتران أحدهما بالآخر، قد يفسر كل واحد منهما بما يناسبه، فيفسر عمل السوء هنا بالظلم الذي يسوء الناس، وهو ظلمهم في دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

ويفسر ظلم النفس بالظلم والمعاصي التي بين الله وبين عبده، وسمي ظلم النفس «ظلماً» لأن نفس العبد ليست ملكاً له، يتصرف فيها بما جعلها أمانة عند العبد، وأمره أن يقيمها على طريق العدل، بإلزامها للصراط المستقيم، علماً وعملاً، في العمل بما يجب، فسعيه في غير هذا في العمل، الذي ضده الجور والظلم.

ثم قال: ﴿وَمَنْ يكسب إِثْماً فَإِنَما يكسبه على نفسه ﴾ وهذا يشمل كل ما يؤثم من صغير وكبير، فمَنْ كسب سيئة فإن عقوبتها الدنيوية والأخروية قال تعالى: ﴿ولا ترر وازرة وزر قدرى لكن إذا ظهرت السيئات فلم أخرى ﴾ لكن إذا ظهرت السيئات فلم فلا تخرج أيضاً عن حكم هذه الآية الكريمة، لأن مَنْ ترك الإنكار الواجب فقد كسب سيئة.

وفي هذا بيان عدل الله وحكمته، أنه لا يعاقب أحداً بذنب أحد، ولا يعاقب أحداً أكثر من العقوبة الناشئة عن ذنبه، ولهذا قال: ﴿وكان الله عليماً حكيماً﴾ أي: له العلم الكامل، والحكمة التامة.

ومن علمه وحكمته أنه يعلم الذنب وما صدر منه، والسبب الداعي لفعله، والعقوبة المترتبة على فعله، ويعلم حالة المذنب، أنه إن صدر منه الذنب، يغلبة دواعي نفسه الأمارة بالسوء، مع إنابته إلى ربه في كثير من أوقاته، أنه سيغفر

له ويوفقه للتوبة .

وإن صدر منه بتجرئه على المحارم، استخفافاً بنظر ربه، وتهاوناً بعقابه، فإن هذا بعيد من المغفرة، بعيد من التوفيق للتوبة.

ثم قال: ﴿ومن يكسب خطيئة﴾ ما دون أي: ذنباً كبيراً ﴿أو إشماً﴾ ما دون ذلك. ﴿ثم يرم به﴾ أن يتهم بذنبه ﴿بريشاً﴾ من ذلك الذنب، وإن كان أي: فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ مذنباً. ﴿فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ وأثماً ظاهراً بيناً، وهذا يدل على أن قد جمع عدة مفاسد: كسب الخطيئة قد جمع عدة مفاسد: كسب الخطيئة ثم الكذب الشنيع، بتبرئة نفسه واتهام والبريء، ثم ما يترتب على ذلك، من العقوبة الدنيوية، تندفع عمن وجبت عليه، وتقام على مَنْ لا يستحقها.

ثم ما يترتب على ذلك أيضاً من كلام الناس في البريء، إلى غير ذلك من المفاسد التي نسأل الله العافية منها، ومن كل شر.

ثم ذكر مئته على رسوله بحفظه وعصمته عمن أراد أن يضله فقال: ﴿ ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك﴾. وذلك أن هـنه الآيات الكريسات قـد ذكر الفسرون، أن سبب نزولها: أن أهل بيت سرقوا في المدينة، فلما اطلع على سرقتهم فرموها ببيت من هو بريء من ذلك.

واستعان السارق بقومه أن يأتوا رسول الله هي ويطلبوا منه أن يبرىء صاحبهم على رؤوس الناس، وقالوا: إنه لم يسرق، وإنما الذي سرق مَنْ وجدت السرقة ببيته، وهو البريء. فهم رسول الله هذه الآيات

تذكيراً وتبييناً لتلك الواقعة، وتحذيراً للرسول ﷺ من المخاصمة عن الخائنين، فإن المخاصمة عن المبطل من الضلال، فإن الضلال نوعان:

ضلال في العلم، وهو الجهل بالحق، وضلال في العمل، وهو العمل بغير ما يجب. فحفظ الله رسوله عن هذا النوع من الضلال [كما حفظه عن الضلال في الأعمال](١).

وأخبر أن كيدهم ومكرهم يعود على أنفسهم، كحالة كل ماكر، فقال: ﴿ وَما يَضَلُونَ إِلا أَنفُسهم ﴾ لكون ذلك المحيل، لم يحصل لهم فيه مقصودهم، ولم يحصل لهم (٢) إلا الخيبة والحرمان والإثم والحسران، وهذه (٣) نعمة كبيرة على رسوله ﷺ يتضمن النعمة بالعمل، وهو التوفيق لفعل ما يجب، والعصمة له عن كل عرم.

ثم ذكر نعمته عليه بالعلم فقال: ﴿ وَأَنْزِلُ اللهُ عليك الكتابِ والحكمة ﴾ أي: أنزل عليك هذا القرآن العظيم، والذكر الحكيم، الذي فيه تبيان كل شيء، وعلم الأولين والآخرين.

والحكمة: إما السُنّة التي قد قال فيها بعض السلف: إن السُنّة تنزل عليه كما ينزل القرآن.

وإما معرفة أسرار الشريعة الزائدة على معرفة أحكامها، وتنزيل الأشياء منازلها، وترتيب كل شيء بحسبه.

﴿وعلمك ما لم تكن تعلم ﴾ وهذا يشمل جميع ما علمه الله تعالى. فإنه ﷺ كما وصفه الله قبل النبوة بقوله: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ ﴿ووجدك ضالاً فهدى ﴾.

ثم لم يزل يوحي الله إليه ويعلمه ويكمله، حتى ارتقى مقاماً من العلم يتعذر وصوله على الأولين والآخرين،

<sup>(</sup>١) زيادة من هامش: ب.

<sup>(</sup>٢) في النسختين: له، وقد غيرتها للتوافق مع ما سبق من الضمائر.

<sup>(</sup>٣) في النسختين: وهذا.

فكان أعلم الخلق على الإطلاق، وأجمعهم لصفات الكمال، وأكملهم فيها، ولهذا قال: ﴿وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ ففضله على الرسول محمد ﷺ أعظم من فضله على كل مخلوق(١٠).

وأجناس الفضل الذي قد فضله الله به، لا يمكن استقصاؤها<sup>(٢)</sup> ولا يتيسر إحصاؤها<sup>(٣)</sup>.

﴿ ١١٤﴾ ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾ أي: لا خير في كثير عما يتناجى به الناس ويتخاطبون، وإذا لم يكن فيه خير، فإما لا فائدة فيه كفضول الكلام المباح، وإما شرومضرة محضة، كالكلام المحرم بجميع أنواعه.

ثم استثنى تعالى فقال: ﴿ إِلاَ مَنْ أَمر بصدقة ﴾ من مال أو علم، أو أي: نفع كان، بل لعله يدخل فيه العبادات القاصرة، كالتسبيح والتحميد، ونحوه، كما قال النبي ﷺ: "إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تبليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونبي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة الحديث.

﴿أو معلوف﴾ وهو الإحسان والطاعة، وكل ما عرف في الشرع والعقل حسنه، وإذا أطلق الأمر بالمعروف من غير أن يقرن بالنهي عن المنكر دخل فيه النهي عن المنكر، وذلك لأن ترك المنهيات من المعروف، وأيضاً

لا يتم فعل الخير إلا بترك الشر.
وأما عند الاقتران، فيفسر المعروف
بفعل المأمور، والمنكر بترك النهي.
﴿أو إصلاح بين الناس﴾ والإصلاح لا
يكون إلا بين متنازعين متخاصمين،
والنزاع والخصام والتغاضب، يوجب
من الشر والفرقة ما لا يمكن حصره،

فلذلك حث الشارع على الإصلاح بين السناس في الدماء والأموال والأعراض، بل وفي الأديان، كما قال تعلى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله الآبة.

وقال تعالى: ﴿والصلح خير﴾ والساعي في الإصلاح بين الناس أفضل من القانت بالصلاة والصيام والصدقة، والمسلح لا بدأن يصلح الله سعيه وعمله.

كما أن الساعي في الإفساد لا يصلح الله عمله، ولا يتم له مقصوده كما قال تعالى: ﴿إِنَ اللهُ لا يصلح عمل الفسدين﴾. فهذه الأشياء حيثما فعلت فهي خير، كما دل على ذلك الاستثناء.

ولكن كمال الأجر وتمامه بحسب النية والإخلاص، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ يَفْعِلُ ذَلْكُ ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾ فلهذا ينبغي للعبد أن يقصد وجه الله تعالى، ويخلص العمل لله في كل وقت، وفي كل جزء من أجزاء الخير، ليحصل له بذلك الأجر العظيم، وليتعود الإخلاص، فيكون من المخلصين، وليتم له الأجر، سواء تم مقصوده أم لا، لأن النية صلح، واقترن بها ما يمكن من العمل.

﴿ ١١٥ ـ ١١٥ ﴾ ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولَّى ونصله جهنم وساءت مصيراً \* إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾ أي: ومن يخالف الرسول ﷺ ويعانده فيما جاء به ﴿ من بعد ما تبين له الهدى ﴾ بالدلائل القرآنية بعد ما تبين له الهدى ﴾ بالدلائل القرآنية

ENGLISE STATES وَ قَالَتِ ٱلْمَهُودُ وَٱلنَّصَدَىٰ عَنْ أَنْكَةُ ٱللَّهُ وَأَحِنَّا وُمُومًا فَكُمَّ يُعَاذِّ بُكُوْبِذُنُوبِكُمُّ بَلْ أَنتُويَشَرُّمَ عَنْ خَلَقٌ يَغْفِرُلِمَن يَشَكَأَهُ وَيُعَلَيْبُ مَن يَشَأَةً وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّكَوْيِتِ وَٱلْأَصْ وَمَايَيْنَهُمَّ أَوَالَيْوِالْمَهِيرُ ۞ يَتَأَهْلُ ٱلْكِتَبَ قَدْعَآ يَكُو رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمُ عَلَىٰ فَتَرَقِرِينَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَآءَ نَامِنُ بَشِيرِ وَلَانَدِيرُ فَقَدْ جَآءَ حُكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ مَّى وَقَدِيرٌ ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ مَ يَقَوْمِ آذْكُرُواْ يْمُــَةُ ٱللَّهِ عَلَيْتُ مُ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ ٱبْلِيّآ ۚ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكَ اوَءَ اتَمَنكُمُ مَّا لَرَيُوْتِ أَحَدُ امِنَ الْعَلَمِينَ ۞ يَقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلأَرْضَ ٱلْمُقَدِّسَةَ ٱلَّتِي كُنَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَاتَرْبَتْ وَا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَنَنقَلِبُواْ خَسِرِينَ ۞ قَالُواْ يُنْمُوسَى إِنَّ فِيهَا قُومًا جَمَّادِينَ وَإِنَّا لَن نَّدُّخُلُهَا حَتَّى يَغُرُجُوا مِنْهِ كَافَان يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَيْخِلُونَ ۞ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ عَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابِ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُو عَنْلِبُونَ وَعَلَ ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوۤا إِن كُنتُ مِثَّوْمِنِينَ ۞ averau ... Earsea

﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ وسبيلهم هو طريقهم في عقائدهم وأعمالهم ﴿توله ما تولى﴾ أي: نتركه وما اختاره لنفسه، ونخذله فلا نوفقه للخير، لكونه رأى الحق وعلمه وتركه، فجزاؤه من الله عدلاً أن يبقيه في ضلاله حائراً، ويزداد ضلالاً إلى ضلاله.

والبراهين النبوية .

كما قال تعالى: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قبلوبهم الله وقبال تبعالى: ﴿وَنَقِلُبِ أَفِئِدَتُهُمُ وَأَبِصَارِهُمُ كَمَا لَمُ يؤمنوا به أول مرة﴾ . ويدل مفهومها، على أن مَنْ لم يشاقق الرسول، ويتبع غيرسبيل المؤمنين، بأن كان قصده وجه الله، واتباع رسوله، ولزوم جماعة المسلمين، ثم صدر منه من الذنوب أو الهم بها، ما هو من مقتضيات النفوس، وغلبات الطباع، فإن الله لا يوليه نفسه وشيطانه، بل يتداركه بلطفه، ويمن عليه بحفظه، ويعصمه من السوء، كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ أي: بسبب إخلاصه صرفنا عنه السوء، وكذلك كل

<sup>(</sup>١) في ب: الخلق.

<sup>(</sup>٢) في النسختين: استقصاؤه، وقد عدلت في ب، ولعل الصواب ما أثبت.

<sup>(</sup>٣) في النسختين: إحصاؤه، وقد عدلت في ب، ولعل الصواب ما أثبت.

فَالُواْ يَسُمُونِنَيْ إِنَّا لَن نَّذَخُهُمْ أَلِكِدُا مَّا دَامُوا فِيمَّا فَاذَهَتْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَلْلِلَّا إِنَّاهَاهُا قَلْوِدُونَ ۞ قَالَ رَبّ إِنِّ لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْيِقِ وَأَخِلُّ فَافْرُقْ بَنْكَنَا وَيَتْرَك ٱلْقَوْمِ ٱلْفَلْسِفِينَ ۞ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَدِّمَةً عَلَيْمِهُ أَرْبَعَ بَنَ سَنَةً بَيْهِ هُوكِ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْفَرْمِ ٱلْفَلْسِيْيِنَ ٠ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ أَبْنَى ءَادَمَ بِالْحَقِي إِذْ فَرَّا فُرْبَانًا فَتُقُبِّلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنَقَبِّلُ مِنَ الْآخِرَ قَالَ لِأَفْلُنَكُّ قَالَ إِنَّمَا يَنْفَبَّلُ اللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّفِينَ ۞ لَبَنْ بِسَطَتَ إِلَّ يَدَكَ لِتَفْسُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطِ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَفْتُلَكَ ۖ إِنَّ لْنَافُ اللَّهُ رَبِّ ٱلْعَكَمِينَ ۞ إِنَّ أُرِيدُ أَن تَبُوّاً بِإِنْهِي وَإِثْمِكَ مَنْكُونَ مِنْ أَصْحَلِ ٱلنَّكَارُّ وَذَٰ لِكَ جَزَّوُا ٱلظَّالِمِينَ فَطَوَعَتْ لَهُ مَعْمُدُةً لَلَ أَخِيهِ فَعَنَلَمُ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَلِيرِينَ ۞ فَعَتَ ٱللَّهُ عُرَابَ إِبَعْتُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِينُهُكُمْ فَالْأَرْضِ لِيُرِينُهُكُمْ فَالْأِن اسَوْءَةَ أَخِيبُ قَالَ يَنُوتِيكُنِي أَعَجَزَتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَلْذَا ٱلْفُكَابِ فَأُولَزِيَ سَوْءَةَ أَلِفٌ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّكِيمِينَ۞ TOWNS "LANGED

مخلص، كما يدل عليه عموم التعليل.

وقوله: ﴿ونصله جهنم ﴾ أي: نعذبه فيها عذاباً عظيماً. ﴿وساءت مصيراً ﴾ أي: مرجعاً له ومآلاً.

وهمذا الموعبيد المرتب (١) عملي الشقاق، ومخالفة المؤمنين، مراتب لا يحصيها إلا الله، بحسب حالة الذنب صغراً وكبراً فمنه ما يخلد في النار ويوجب جميع الخذلان. ومنه ما هـو دون ذلك، فلّعل الآية الثانية كالتفصيل لهذا المطلق.

وهو: أن الشرك لا يغفره الله تعالى، لتضمنه القدح في رب العالمين وفي وحدانيته، وتسوية المخلوق الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، بمن هو مالك النفع والضر، الذي ما من نعمة إلا منه، ولا يدفع النقم إلا هو، الذي له الكمال المطّلق من جميع الوجوه، والغنى التام بجميع وجوه الاعتبارات.

فمن أعظم الظلم وأبعد الضلال، عدم إخلاص العبادة لمن هذا شأنه وعظمته، وصرف شيء منها للمخلوق، الذي ليس له من صفات الكمال شيء، ولا له من صفات الغني شيء، بل ليس له إلا العدم. عدم الوجود، وعدم الكمال، وعدم

الغني، والفقر من جميع الوجوه.

وأما ما دون الشرك من الذنوب والمعاصي، فهو تحت المشيئة، إن شاء الله غفره برحمته وحكمته، وإن شاء عذب عليه، وعاقب بعدله وحكمته، وقد استدل هذه الآية الكريمة، على أن إجماع هذه الأمة حجة ، وأنها معصومة من الخطأ .

ووجه ذلك: أن الله توعدمن خالف سبيل المؤمنين بالخذلان والنار، و «سبيل المؤمنين» مفرد مضاف، يشمل سائر ما المؤمنون عليه من العقائد والأعمال.

فإذا اتفقوا على إيجاب شيء، أو استحبابه، أو تحريمه، أو كراهته، أو إباحته \_ فهذا سبيلهم، فمن خالفهم في شيء من ذلك بعد انعقاد إجماعهم عليه، فقد اتبع غير سبيلهم. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ .

ووجه الدلالة ممها: أن الله تعالى أخبر أن المؤمنين من هذه الأمة لا يأمرون إلا بالمعروف، فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه، فهو مما أمروا به، فيتعين بنص الآية أن يكون معروفاً، ولا شيء بعد المعروف غير المنكر، وكذلك إذا اتفقوا على النهى عن شيء، فهو مما نهوا عنه، فلا يكون إلا منكِّراً، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾ . فأخبر تعالى أن هذه الأمة جعلها الله وسطاً، أي: عدلاً خياراً، ليكونوا شهداء على الناس، أي: في كمل شيء، فإذا شهدوا على حكم بأن الله أمر به أو نهى عنه أو أباحه، فإن شهادتهم معصومة، لكونهم عالمين بما شهدوا به، عادلين في شهادتهم، فلو كان الأمر بخلاف ذلُّك لم يكونوا عادلين في شهادتهم، ولا عالمين بها .

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء، فردوه إلى الله

والرسول﴾ يفهم منها أن ما لم يتنازعوا فيه، بل اتفقوا عليه، أنهم غير مأمورين برده إلى الكتاب والسُنّة، وذلك لا يكون إلا موافقاً للكتاب والسُنّة، فلا يكون مخالفاً.

فهذه الأدلة ونحوها تفيد القطع، أن إجماع هذه الأمة حجة قاطعة، ولهذا بيّن الله قبح ضلال المشركين بقوله:

﴿١٢١ ــ ١٢١﴾ ﴿إِن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً \* لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً \* ولأضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرتهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً \* يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً \* أولئك مأواهم جهنم لا يجدون عنها عصاكه

أي: ما يدعو هؤلاء المشركون من دون الله إلا إنـــاثـــاً، أي: أوثـــانـــاً وأصناماً، مسميات بأسماء الإناث، ک «العزی» و «مناة» ونحوهما، ومن المعلوم أن الاسم دال على المسمى. فإذا كانت أسماؤها أسماء مؤنثة ناقصة، دل ذلك على نقص المسميات بتلك الأسماء، وفقدها لصفات الكمال، كما أخبر الله تعالى في غير موضع من كتابه، أنها لا تخلق ولا ترزق، ولا تدفع عن عابديها، بل ولا عن نفسها؛ نفعاً ولا ضراً، ولا تنصر أنفسها ممن يريدها بسوء، وليس لها أسماع ولا أبصار ولا أفئدة، فكيف يُعبد مَنَّ هذا وصفه، ويُسترك الإخلاص لمن لمه الأسماء الحسنى والصفات العليا والحمد والكمال، والمجد، والجلال، والعز، والجمال، والرحمة، والبر، والإحسان، والانفراد بالخلق والتدبير، والحكمة العظيمة في الأمر والتقدير؟!! هل هذا إلاَّ من أقبح القبيح، الدال على نقص صاحبه، وبلوغه من الخسة والدناءة أدني ما يتصوره متصور، أو يصفه واصف؟!!

ومع ذلك(١٦) فعبادتهم إنما صورتها فقط لهذه الأوثان الناقصة. وبالحقيقة ما عبدوا غير الشيطان، الذي هو عدوهم، الذي يريد إهلاكهم، ويسعى في ذلك بكل ما يقدر عليه، الذي هو في غاية البعد من الله، لعنه الله وأبعده عن رحمته، فكما أبعده الله من رحمته، يسعى في إبعاد العباد عن رحمة الله. ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ ولهذا أخبر الله عن سعيه في إغواء العباد، وتزيين الشر لهم والفساد، وأنه قال لربه مقسماً: ﴿الْتَخْذُنُ مِن عِبَادِكُ نَصِيباً مِفْرُوضاً ﴾ أي: مقدراً. علم اللعين أنه لا يقدر على إغواء جميع عباد الله، وأن عباد الله المخلصين ليس له عليهم سلطان، وإنما سلطانه على مَنْ تولاه، وآثر طاعته على طاعة مولاه.

وأقسم في موضع آخر ليغوينهم ﴿لأغوينهم أجمين، إلا عبادك منهم المخلصين﴾. فهذا الذي ظنه الخبيث وجزم به، أخبر الله تعالى بوقوعه بقوله: ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين﴾.

وهذا النصيب المفروض الذي أقسم لله إنه يتخذهم (٢)، ذكر ما يريد بهم، وما يسقصده لهم بقوله: ﴿ولأضلنهم أي: عن الصراط المستقيم، ضلالاً في العلم، وضلالاً في العمل.

﴿ولأمنينهم ﴾ أي: مع الإضلال، الممنيهم أن ينالوا ما ناله المهتدون. وهذا هو الغرور بعينه، فلم يقتصر على عجرد إضلالهم حتى زين لهم ما هم فيه شرهم، حيث عملوا أعمال أهل النار الموجبة للعقوبة، وحسبوا أنها موجبة للجنة، واعتبر ذلك باليهود والنصارى ونحوهم، فإنهم كما حكى الله عنهم، وقالوا لن يدخل الجنة إلا مَن كان هوداً أو نصارى، تلك أمانيهم ﴾ ﴿ قل هوداً أو نصارى، تلك أمانيهم ﴾ ﴿ قل

هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً. الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً الآية.

وقال تعالى عن المنافقين إنهم يقولون يوم القيامة للمؤمنين: ﴿ أَلَمُ نَكُنَ مَعْكُمُ ؟ قالوا: بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور﴾.

وقوله: ﴿ولا مرنهم فليبتكن آذان الأنعام﴾ أي: بتقطيع آذانها، وذلك كالبحيرة، والسائبة والوصيلة، والحام، فنبه ببعض ذلك على جميعه. وهذا نوع من الإضلال يقتضي تحريم الله، أو تحليل ما حرم الله، ويلتحق بذلك من الاعتقادات الفاسدة والأحكام الجائرة، ما هو من أكبر الضلال. ﴿ولا مرنهم فليغير الخلقة الله وهذا يتناول تغيير الخلقة والتفلج للحسن، ونحو ذلك، عا أغواهم به الشيطان فغيروا خلقة الرحن.

وذلك يتضمن التسخط من خلقته، والقدح في حكمته، واعتقاد أن ما يصنعون بأيديهم أحسن من خلقة الرحن، وعدم الرضا بتقديره وتدبيره، فإن الله تعالى خلق عباده حنفاء، مفطورين على قبول الحق وإيشاره، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن هذا والسرك، والكفر والفسوق والعصيان.

فإن كل مولود يولد على الفطرة، ولكن أبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، ونحو ذلك مما يغيرون به ما فطر الله عليه العباد، من توحيده، وحبه ومعرفته، فافترستهم الشياطين في هذا الموضع افتراس السبع والذناب للغنم المنفردة.

لولا لطف الله وكرمه بعباده المخلصين، لجرى عليهم ما جرى على

هؤلاء المفتونين، وهذا الذي جرى عليهم مين توليهم عسن رجم وفاطرهم (٢)، وتوليهم لعدوهم المريد لهم الشر من كل وجه، فخسروا الدنيا والأخرة، ورجعوا بالخيبة والصفقة الخاسرة، ولهذا قال: ﴿ومَن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر الشيطان مبيناً ﴿ وأي: خسار أبين وأعظم عن خسر دينه ودنياه، وأوبقته معاصيه وخطاياه؟!! فحصل له الشقاء الأبدي، وفاته النعيم السرمدي.

كما أن مَنْ تولى مولاه وآثر رضاه، ربح كل الربح، وأفلح كل الفلاح، وفاز بسعادة الدارين، وأصبح قرير العين، فلا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، اللهم تولنا فيمن توليت، وعافنا فيمن عافيت.

ثم قال: ﴿يعدهم ويمنيهم﴾ أي: يعد الشيطان من يسعى في إضلالهم. والوعد يشمل حتى الوعيد كما قال تعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ . فإنه يعدهم إذا أنفقوا في سبيل الله افتقروا، ويخوفهم إذا جاهدوا بالقتل وغيره، كما قال تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه كالآية. ويخوفهم عند إيثار مرضاة الله بكل ما يمكن وما لا يمكن، مما يدخله في عقولهم، حتى يكسلوا عن فعل الخَير، وكذلك يمنيهم الأمان الباطلة التي هي عند التحقيق كالسراب الذي لا حقيقة له، ولهذا قال: ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً، أولئك مأواهم جهنم اي: مَنْ انقاد للشيطان، وأعرض عن ربه، وصار من أتباع إبليس وحنربه، مستقرهم النار. ﴿ولا يجدون عنها محيصاً ﴾ أي: مخلصاً ولا ملجاً، بل هم خالدون فيها أبد الآباد.

﴿١٢٢﴾ ولما بين مآل الأشقياء أولياء الشيطان، ذكر مآل السعداء أوليائه فقال: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً، وعد الله حقاً، ومن أصدق من الله

قيلل (1) أي: ﴿آمنوا ﴾ بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، على الوجه الذي أمروا به ، علماً وتصديقاً وإقراراً . ﴿وعملوا الصالحات ﴾ الناشئة عن الإيمان .

وهذا يشمل سائر المأمورات، من واجب ومستحب، الذي على القلب، والذي على اللسان، والذي على بقية الجوارح. كل له من الثواب المرتب على ذلك بحسب حاله ومقامه، وتكميله للإيمان والعمل الصالح.

ويفوته ما رتب على ذلك بحسب ما أخل به من الإيمان والعمل، وذلك بحسب ما علم من حكمة الله ورحمته، وكذلك وعده الصادق الذي يعرف من تتبع كتاب الله وسُنة رسوله.

ولهذا ذكر الثواب المرتب على ذلك بقوله: ﴿سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بسر، من أنواع المآكل والمشارب اللذيذة، والمناظر العجيبة، والأزواج الحسنة، والقصور والغرف المزخرفة، والأشجار المتدلية، والفواكه المستغربة، والأصوات الشجية، والنِعَم السابغة، وتزاور الإخوان، وتذكرهم ماكان منهم في رياض الجنان وأعلى من ذلك كله وأجل رضوان الله عليهم، وتمتع الأرواح بقربه، والعيون برؤيته، والأسماع بخطابه، الذي ينسيهم كل نعيم وسرور، ولولا الثبات من الله لهم لطاروا وماتوا من الفرح والحبور، فلله ما أحلى ذلك النعيم، وما أعلى ما أنالهم الرب الكريم، وماذا حصل لهم من كل خير وبهجة لا يصفه الواصفون، وتمام ذلك وكماله الخلود الدائم في تلك المنازل العاليات، ولهذا قال: ﴿ خَالِدِينِ فِيهِا أَبِداً، وعد الله

وحديثه في الصدق أعلى ما يكون، ولهذا لما كان كلامه صدقاً، وخبره حقاً كان ما يدل عليه مطابقة، وتضمناً، وملازمة، كل ذلك مراد من كلامه، وكذلك كلام رسوله ﷺ لكونه لا يخبر إلا بأمره ولا ينطق إلا عن

﴿ ١٢٣ ـ ١٢٣ ﴾ ﴿ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجربه ولا يجدله من دون الله ولياً ولا نصيراً \* ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً ﴾ أي: ﴿ليس﴾ الأمر والنجاة والتزكية ﴿ بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ﴾ والأماني: أحاديث النفس المجردة عن العمل، المقترن بها دعوى بحردة، لو عورضت بمثلها لكانت من بأمر الإيمان والسعادة الأبدية؟!

فإن أماني أهل الكتاب قد أخبر الله بها، أنهم قالوا: ﴿ لن يدخل الجنة إلا مَنْ كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم ﴾ وغيرهم محن ليس ينتسب لكتاب ولا رسول من باب أولى وأحرى.

وكذلك أدخل الله في ذلك مَنْ ينتسب إلى الإسلام لكمال العدل والإنصاف، فإن مجرد الانتساب إلى : دين كان، لا يفيد شيئاً إن لم يأت الإنسان ببرهان على صحة دعواه. فالأعمال تصدق الدعوى أو تكذبها، ولهذا قال تعالى: ﴿مَنْ يعمل سوءاً يجز به ﴿ وهذا شامل لجميع العاملين، لأن السوء شامل، لأي: ذنب كان (٢)، من صغائر الذنوب وكبائرها، وشامل أيضاً لكل جزاء، قليل أو كثير، دنيوي أو أخروى.

والناس في هذا المقام درجات لا يعلمها إلا الله، فمستقل ومستكثر، فمَنْ كان عمله كله سوءاً، وذلك لا يكون إلا كافراً. فإذا مات من

دون توبة جوزي بالخلود في العذاب الأليم .

ومَنْ كان عمله صالحاً، وهو مستقيم في غالب أحواله، وإنما يصدر منه بعض الأحيان بعض الذنوب الصغار، فما يصيبه من الهم والغم، والأذى، و [بعض] الآلام، في بدنه، أو قلبه، أو حبيبه، أو ماله، ونحو ذلك ـ فإنها مكفرات للذنوب، وهي مما يجزى به على عمله، قيضها الله لطفاً بعباده، وبين هذين الحالين مراتب كثيرة.

وهذا الجزاء على عمل السوء العام، غصوص في غير التائبين، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، كما دلت على ذلك النصوص.

وقوله: ﴿ولا يجدله من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴿ لازالة بعض ما لعله يتوهم أن من استحق المجازاة على عمله، قد يكون له ولي، أو ناصر، أو شافع، يدفع عنه ما استحقه، فأخبر تعالى بانتفاء ذلك، فليس له ولي يحصل له المطلوب، ولا نصير يدفع عنه الموب، إلا ربه ومليكه.

﴿ ومَنْ يعمل من الصالحات ﴾ دخل في ذلك سائر الأعمال القلبية والبدنية ، ودخل أيضاً كل عامل من إنس أو جن ، صغير أو كبير ، ذكر أو أنثى وهو ولهذا قال: ﴿ من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ﴾ وهذا شرط لجميع الأعمال ، لا تكون صالحة ، ولا تقبل ، ولا يتدتب عليها الثواب ، ولا يندفع بها العقاب ، إلا بالإيمان .

فالأعمال بدون الإيمان، كأغصان شجرة قطع أصلها، وكبناء بني على موج الماء، فالإيمان هو الأصل والأساس والقاعدة التي يبنى عليه كل شيء، وهذا القيد ينبغي التفطن له في كل عمل أطلق، فإنه مقيد به.

﴿فأولتك﴾ أي: الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، ﴿يدخلون

فصدق الله العظيم الذي بلغ قوله

حقاً، ومَنْ أصدق من الله قيلاً ﴿ .

<sup>(</sup>١) في ب: أورد الآية كاملة، بينما في أ، اقتصر على أولها.

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: لأي سوء كان.

<sup>(</sup>٣) زيادة من هامش: ب.

الجنة المشتملة على ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ﴿ولا يظلمون نقيراً ﴾ أي: لا قليلاً ولا كثيراً مما عملوه من الخير، بل يجدونه كاملاً موفراً، مضاعفاً أضعافاً كثيرة.

﴿١٢٥﴾ ﴿ومن أحسن ديناً بمن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً ♦﴾ أي: لا أحد أحسن من دين من جع بين الإخلاص للمعبود، وهو إسلام الوجه لله، الدال على استسلام القلب وتوجهه وإنابته وإخلاصه، وتوجه الوجه وسائر الأعضاء لله.

﴿وهو ﴾ مع هذا الإخلاص والاستسلام ﴿عسن ﴾ أي: متبع لشريعة الله التي أرسل بها رسله ، وأنزل كتبه ، وجعلها طريقاً لخواص خلقه وأتباعهم .

﴿واتبع ملة إبراهيم ﴾ أي: دينه وشرعه ﴿حنيفا ﴾ أي: ماثلاً عن الشرك إلى التوحيد، وعن التوجه ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ والخلق أعلى أنواع المحبة، وهذه المرتبة حصلت للخليلين محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وأما المحبة من الله، فهي عليلاً، لأنه وفي بما أمر به وقام بما ابتلي به، فجعله الله إماماً للناس، واتخذه خليلاً، ونوه بذكره في العالمين.

ورا في السماوات ورا الله بكل شيء وما في الأرض وكان الله بكل شيء عيطاً وهذه الآية الكريمة فيها بيان الله بكل شيء إحاطة الله تعالى بجميع الأشياء، فأخبر الأرض أي: الجميع ملكه وعبيده، فهم المملوكون، وهو المالك المتفرد المعلومات، وبصره بجميع المصرات، وبصره بجميع المصرات، وبصره بجميع المحودات، ووسعه بجميع المسموعات، ونفذت وقدرته بجميع الموجودات، ووسعت رحمت الموجودات، والسماوات، وقهر بعزه وقهره كل والسماوات، وقهر بعزه وقهره كل غلوق، ودانت له جميع الأشياء.

(۱۲۷) ﴿ ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلي عليكم في الكتاب في يتامي النساء اللات لاً تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامي بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليماً ﴾ الاستفتاء: طلب السائل من المسؤول بيان الحكم الشرعي في ذلك المسؤول عنه. فأخبر عن المؤمنين أنهم يستفتون الرسول ﷺ، في حكم النساء المتعلق بهم فتولى الله هذه الفتوى بنفسه، فقال: ﴿قل الله يفتيكم فيهن﴾ فاعملوا على ما أفتاكم به في جميع شؤون النساء، من القيام بحقوقهن وترك ظلمهن عموماً وخصوصاً.

وهذا أمرعام يشمل جميع ما شرع الله أمراً ونهياً، في حق النساء الزوجات وغيرهن، الصغار والكبار، ثم خص \_ بعد التعميم \_ الوصية بالضعاف من اليتامي والولدان، اهتماماً بهم، وزجراً عن التفريط في حقوقهم، فقال: ﴿وما يتلي عليكم في الكتاب في يتامي النساء ﴾ أي: ويفتيكم أيضاً بما يتلى عليكم في الكتاب في شأن اليتامي من النساء. ﴿اللاله لا تؤتونهن ما كتب لهن﴾ وهذا إخبار عن الحالة الموجودة الواقعة في ذلك الوقت، فإن اليتيمة إذا كانت تحت ولاية الرجل، بخسها حقها وظلمها، إما بأكل مالها الذي لها أو بعضه، أو منعها من التزوج لينتفع بمالها، خوفاً من استخراجه من يده إن زوجها، أو يأخذ من مهرها الذي تتزوج به بشرط أو غيره، هذا إذا كان راغباً عنها، أو يرغب فيها وهي ذات جمال ومال، ولا يقسط في مهرها، بل يعطيها دون ما تستحق، فكل هذا ظلم يدخل تحت هذا النص، ولهذا قال: ﴿وترغبون أن تنكحوهن ﴾ أي: ترغبون عن نكاحهن، أو في نكاحهن كما ذكرنا تمثيله.

﴿والمستضعفين من الولدان﴾ أي : ويفتيكم في المستضعفين من الولدان الصغار، أن تعطوهم حقهم من الميراث

وغيره، وأن لا تستولوا على أموالهم على وجه الظلم والاستبداد. ﴿وَأَنْ تَقُومُوا اللَّيَّامِي بِالقَسْطَ ﴾ أي: بالعدل التام، وهذا يشمل القيام عليهم بالزامهم أمر الله وما أوجبه على عباده، فيكون الأولياء مكلفين بذلك، يلزمونهم بما أوجبه الله.

ويشمل القيام عليهم في مصالحهم الدنيوية، بتنمية أموالهم، وطلب الأحظ لهم فيها، وأن لا يقربوها إلا بالتي هي أحسن، وكذلك لا يحابون في تزوج وغيره، على وجه الهضم لحقوقهم. وهذا من رحمته تعالى بعباده، حيث حث غاية الحث على القيام بمصالح مَنَ المقوم بمصلحة نفسه، لضعفه وفقد أمه.

ثم حث على الإحسان عموماً، فقال: ﴿وما تفعلوا من خير ﴾ لليتامى ولغيرهم، سواء كان الخير متعدياً أو لازماً، ﴿فإن الله كان به عليماً ﴾ أي: قد أحاط علمه بعمل العاملين للخير، قلة وكثرة، حسناً وضده، فيجازي كلاً بحسب عمله.

﴿ ١٢٨ ﴾ ﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً ﴾ أي: إذا خافت المرأة نشوز زوجها، أي: ترفعه عنها، وعدم رغبته فيها وإعراضه عنها، فالأحسن في هذه الحالة أن يصلحا بينهما صَلحاً، بأن تسمح المرأة عن بعض حقوقها اللازمة لزوجها، على وجه تبقى مع زوجها، إما أن ترضى بأقل من الواجب لها من النفقة، أو الكسوة، أو المسكن، أو القسم، بأن تسقط حقها منه، أو تهب يومها وليلتها لزوجها أو لضرتها.

فإذا اتفقا على هذه الحالة، فلا جناح ولا بأس عليهما فيها، لا عليها ولا على الزوج، فيجوز حينئذ لزوجها البقاء معها على هذه الحال، وهي خير من الفرقة، ولهذا قال: ﴿والصلح

خبر﴾ ويؤخذ من عموم هذا اللفظ والمعنى أن الصلح بين مَن بينهما حق أو منازعة في جميع الأشياء، أنه خير من استقصاء كل منهما على كل حقه، لما فيها من الإصلاح وبقاء الألفة، والاتصاف بصفة السماح.

وهو جائز في جميع الأشياء ، إلا إذا أحل حراماً أو حرّم حلالاً ، فإنه لا يكون صلحاً ، وإنما يكون جوراً . واعلم أن كل حكم من الأحكام لا يتم ولا يكمل ، إلا بوجود مقتضيه وانتفاء موانعه ، فمن ذلك هذا الحكم الكبير الذي هو الصلح ، فذكر تعالى المقتضي لذلك ، ونبّه على أنه خير ، والخير كل عاقل يطلبه ويرغب فيه ، فإن كان مع ذلك \_ قد أمر الله به وحث عليه ازداد المؤمن طلباً له ورغبة فيه .

وذكر المانع بقوله: ﴿وأحضرت الأنفس الشع ﴾ أي: جبلت النفوس على الشح ، وهو: عدم الرغبة في بذل ما على الإنسان، والحرص على الحق الذي له، فالنفوس بجبولة على ذلك طبعاً، أي: فينبغي لكم أن تحرصوا على قبلع هذا الخبلق الدنيء من نفوسكم، وتستبدلوا به ضده، وهو عليك، والاقتناع ببعض الحق الذي عليك.

فمتى وفق الإنسان لهذا الخلق الحسن، سهل حيشد عليه الصلح بينه وبين خصمه ومعامله، وتسهلت الطريق للوصول إلى المطلوب. بخلاف من لم يجتهد في إزالة الشح من نفسه، فإنه يعسر عليه الصلح والموافقة، لأنه لا يرضي إلا جميع ماله، ولا يرضى أن يؤدي ما عليه، فإن كان خصمه مثله الشعر الأمر.

ثم قال: ﴿وإن تحسنوا وتتقوا﴾ أي: تحسنوا في عبادة الخالق، بأن يعبد العبد ربه كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه، وتحسنوا إلى المخلوقين بجميع طرق الإحسان، من نفع بمال، أو علم علم أو جاه، أو غير ذلك. ﴿وتتقوا﴾ الله بفعل جميع المأمورات، وترك جميع المحظور، أو تحسنوا بفعل

المأمور، وتتقوا بترك المحظور ﴿فإن الله كان بما تعملون خبيراً ﴾ قد أحاط به علماً وخبراً، بظاهره وباطنه، فيحفظه لكم، ويجازيكم عليه أتم الجزاء.

﴿١٢٩﴾ ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً ﴾ يخبر تعالى: أن الأزواج لا يستطيعون، وليس في قدرهم العدل التام بين النساء، ودلك لأن العدل يستلزم وجود المحبة على السواء، والداعي على السواء، والميل في القلب إليهن على السواء، ثم العمل بمقتضى ذلك. وهذا متعذر غير ممكن، فلذلك عفا الله عمّا لا يستطاع، ونهى عمّا هو ممكن بقوله: ﴿فَلَّا تَمْيِلُوا كُلِّ الْمِيلُ فَتُذْرُوهُا كالمعلقة ﴾ أي: لا تميلوا ميلاً كثيراً بحيث لا تؤدون حقوقهن الواجبة، بل افعلوا ما هو باستطاعتكم من العدل.

فالنفقة والكسوة والقسم ونحوها، عليكم أن تعدلوا بينهن فيها، بخلاف الحب، والوطء ونحو ذلك، فإن الزوجة إذا ترك زوجها ما يجب لها، صارت كالمعلقة التي لا زوج لها فتستريح وتستعد للتزوج، ولا ذات زوج يقوم بحقوقها.

وإن تصلحوا البنكم وبين زوجاتكم، بإجبار أنفسكم على فعل ما لا تهواه النفس، احتساباً وقياماً بحق الزوجة، وتصلحوا أيضاً فيما بينكم وبين الناس، وتصلحوا أيضاً بين الناس، فيما تنازعوا فيه، وهذا يستلزم الحث على كل طريق يوصل إلى الصلح مطلقاً كما تقدم.

﴿وتتقوا﴾ الله بفعل المأمور وترك المحظور، والصبر على المقدور. ﴿فَإِنْ الله كَانْ غَفُوراً رحيماً ﴾ يغفر ما صدر منكم من الذنوب والتقصير في الحق الواجب، ويرحمكم كما عطفتم على أزواجكم ورحتموهن.

﴿١٣٠﴾ ﴿وإن يتفرقا يغن الله كُلًا من سعته وكان الله واسعاً حكيماً﴾ هذه الحالة الثالثة بين الزوجين، إذا

تعذر الاتفاق فإنه لا بأس بالفراق، فقال: ﴿وإن يتفرقا﴾ أي: بطلاق، أو فسخ، أو خسخ، أو غير ذلك ﴿يغن الله كلا﴾ من الزوجين ﴿من سعته﴾ أي: من فضله وإحسانه الواسع الشامل. فيغني الزوج بزوجة خير له منها، ويغنيها من فضله وإن انقطع نصيبها من زوجها، فإن رزقها على المتكفل بأرزاق جميع الخلق، القائم خيراً منه، ﴿وكان الله واسعاً﴾ أي: خيراً منه، ﴿وكان الله واسعاً﴾ أي: رحمته وإحسانه إلى حيث وصل إليه علمه.

ولكنه مع ذلك ﴿حكيماً﴾ أي: يعطي بحكمة، ويمنع لحكمة. فإذا اقتضت حكمته منع بعض عباده من إحسانه، بسبب من العبد لا يستحق معه الإحسان حرمه عدلاً وحكمة.

﴿ ١٣١ \_ ١٣٢ ﴾ ﴿ وله مسا فسبى السماوات وما في الأرض ولقد وصينًا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإنّ لله ما في السموات وما في الأرض وكبان الله غنياً حميداً \* ولله ما في السماوات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلاً كيبر تعالى عن عموم ملكه العظيم الواسع، المستلزم تدبيره بجميع أنواع التدبير، وتصرفه بأنواع التصريف قدرأ وشرعأء فتصرفه الشرعى أن وصيي الأولين والآخرين أهل الكتب السابقة واللاحقة بالتقوى المتضمنة للأمر والنهي، وتشريع الأحكام، والمجازاة لمن قام بهذه الوصية بالثواب، والمعاقبة لمن أهملها وضيعها بأليم العذاب. ولهذا قال: ﴿وإن تكفروا﴾ بأن تتركوا تقوی الله، وتشرکوا بالله ما لم ینزل به عليكم سلطاناً، فإنكم لا تضرون بذلك إلا أنفسكم، ولا تضرون الله شيئاً، ولا تنقصون ملكه، وله عبيد خير منكم وأعظم، وأكثر مطيعون له خاضعون لأمره. ولهذا رتب على ذلك قوله: ﴿وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله غنياً حميداً﴾ له الجود الكامل والإحسان

الشامل الصادر من خزائن رحمته، التي لا ينقصها الإنفاق، ولا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، لو اجتمع أهل السماوات وأهل الأرض، أولهم وآخرهم، فسأل كل [واحد] منهم ماً بلغت أمانيه، ما نقص من ملكه شيئاً، ذلك بأنه جواد واجد ماجد، عطاؤه كلام، وعذابه كلام، إنما أمره لشيء إذا أراد أن يقول له كن فيكون.

ومن تمام غناه أنه كامل الأوصاف، إذ لو كان فيه نقص بوجه من الوجوه، لكان فيه نوع افتقار إلى ذلك الكمال، بل له كل صفة كمال، ومن تلك الصفة كمالها، ومن تمام غناه أنه لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولا شريكاً في ملكه ولا ظهيراً، ولا معاوناً له على شيء من تدابير ملكه.

ومن كمال غناه افتقار العالم العلوي والسفلي، في جميع أحوالهم وشؤونهم إليه، وسؤالهم إياه جميع حوانجهم الدقيقة والجليلة، فقام تعالى بتلك المطالب والأسئلة، وأغناهم وأقناهم، ومنَّ عليهم بلطفه وهداهم.

وأما الحميد فهو من أسماء الله تعالى الجليلة، الدال على أنه [هو] المستحق لكل حمد، ومحبة وثناء وإكرام، وذلك لما اتصف به من صفات الحمد، التي هي صفة الجمال والجلال، ولما أنعم به على خلقه من النِعم الجزال، فهو المحمود على كل حال.

وما أحسن اقتران هذين الاسمين الكريمين ﴿الغنى الحميد﴾!! فإنه غني محمود، فله كمال من غناه، وكمال من حمده، وكمال من اقتران أحدهما

ثم كرر إحاطة ملكه لما في السماوات وما في الأرض، وأنه على كل شيء وكيل، أي: عالم قائم بتدبير الأشياء على وجه الحكمة ، فإن ذلك من تمام الوكالة، فإن الوكالة تستلزم العلم بما هو وكيل عليه، والقوة والقدرة على

تنفيذه، وتدبيره وكون ذلك التدبير على وجه الحكمة والمصلحة، فما نقص من ذلك فهو لنقص بالوكيل، والله تعالى منزه عن كل نقص.

﴿۱۳۳ \_ ۱۳۲ ﴾ ﴿إِن يسشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً \* من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعاً بصيراً ﴾ أي: هو الغنى الحميد الذي له القدرة الكاملة والمشيئة النافذة فيكم، ﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين غيركم، هم أطوع لله منكم وخير منكم، وفي هذا تهديد للناس على إقامتهم على كفرهم، وإعراضهم عن ربهم، فإن الله لا يعبأ بهم شيئاً إن لم يطيعوه، ولكنه يمهل ويملى ولا يهمل.

ثم أخبر أن مَنْ كانت همته وإرادته دنية، غير متجاوزة ثواب الدنيا، وليس له إرادة في الآخرة، فإنه قد قصر سعيه ونظره، ومع ذلك فلا يحصل له من ثواب الدنيا سوى ما كتب الله له منها، فإنه تعالى هو المالك لكل شيء، الذي عنده ثواب الدنيا والآخرة، فليطلبا منه، ويستعان به عليهما، فإنه لا ينال ما عنده إلا بطاعته، ولا تدرك الأمور الدينية والدنيوية إلا بالاستعانة به، والافتقار إليه على الدوام.

وله الحكمة تعالى في توفيق مَنْ يوفقه، وخذلان مَنْ يُخذلهُ، وفي عطائه ومنعه، ولهذا قال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بصيراً﴾

﴿١٣٥﴾ ثم قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ .

يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا ﴿قُوامِينُ بِالقَسْطُ شَهْدَاءً للهُ ﴾. والقوام صيغة مبالغة، أي: كونوا في كل

Ball Markers مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَاعَلَ بَنِيَ إِسْرَاوِمَ ٱلْمُعُن فَتَلَ نَفْسُنَا بِغَيْرِيَفْسِ أَوْفِيكَ وِفِ ٱلْأَرْضِ فَكُأَنِّهَ اقْتُلْ ٱلنَّاسَ جَيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكُأَمُّا أَخِيا ٱلنَّاسَ جَيعًا وَلَقَدْ جَلَّهَ فَهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَيْ يُؤَامِّنُهُم بَعْدَذَٰلِكَ فِ ٱلْأَرْضِ كَتَبْرِقُونَ ۞ إِنَّسَاجَزَاقُا ٱلَّذِينَ يُحَارِيُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولُهُ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ مَسَادًا أَن يُقَلَقُواْ أَوْيُصَالِبُواْ أَوْتُعَطِّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَنْجُلُهُم مِنْ خِلَفِ أَوْيُسْفَوْايِرِ ٱلْأَرْضِ ۚ ۚ ۚ لِلْكَ لَهُمْ خِـنَى ۗ فِٱلدُّنْتُ وَلَهُمْ فِٱلْاَحْدِرَةِ عَذَابُ عَظِيدُ ۞ إِلَّا ٱلَّذِيرَ كَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَصَّدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَأَعَدَكُواْ أَنَ اللَّهَ عَنْ فُورٌ رَّجِيدٌ ۞ بَنَا يَهُ اللَّذِينَ وَامْتُوا ٱتَّـعُوا ٱللَّهَ وَٱبْسَعُوا إِلَيْ وَالْوَسِيلَةَ وَجَهِدُوا فِي سَجِيلِهِ ، لَسَلَّكُمْ مُقَلِحُونَ ۞ إِذَالَّذِينَ كَفَرُوا لَوَاتَ إُ لَمَهُ مَّالِبُ ٱلْأَرْضِ جَيِمَا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْنَدُوا بِدِينْ المَّ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِينَ مَةِ مَا تَقَيُّ لَ مِنْهُمُّ وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ۞ OLOGO III EGGEO

أحوالكم قائمين بالقسط، الذي هو العدل في حقوق الله، وحقوق عباده، فالقسط في حقوق الله أن لا يستعان بنعمه على معصيته، بل تصرف في

والقسط في حقوق الآدميين، أن تؤدي جميع الحقوق التي عليك(١)، كما تطلب حقوقك. فتؤدي النفقات الواجبة، والديون، وتعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، من الأخلاق والمكافأة، وغير ذلك.

ومن أعظم أنواع القسط القسط في القالات والقائلين، فلا يحكم لأحد القولين، أو أحد المتنازعين، لأنتسابه أو ميله لأحدهما، بل يجعل وجهته العدل بينهما، ومن القسط أداء الشهادة التي عندك على أي: وجه كان، حتى على الأحباب بل على النفس، ولهذا وشهداء لله ولوعلى أنفسكم أو

الوالدين والأقربين، إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما كاني: فلا تراعوا الغنى لغناه، ولا الفقير بزعمكم رحمة له، بَل اشهدوا بالحق، على مَنْ كان.

والقيام بالقسط من أعظم الأمور، وأدل على دين القائم به، وورعه ومقامه في الإسلام، فيتعين على مَن نصح نفسه وأراد نجاتها أن يهتم له غاية الاهتمام، وأن يجعله نصب عينيه،

C. Thanks. بُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَاهُم بِخَرْجِينَ مِنْهَا وَلَمُهُ عَذَاتٌ مُقِيدٌ ۞ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَأَفْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا حَزَامًا بِمَا كَسَبَا نَكَالُامِنَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ عَبِرُ حَكِيدٌ ۞ فَمَن تَابَ مِنْ بَعَدِ ظُلْمِهِ ء وَأَصْلَمَ فَإِنَ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْدُ إِلَى ٱللَّهَ عَفُورٌ زَجِيدُ ۞ ٱلَّرْتَفَ لَرَّ أَنَّالَقَهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَايِّبُ مَن يَشَاهُ وَيَغْفِرُلِمَن يَشَكَأُهُ وَأَلَقَهُ عَلَى كُلِّ فَوَى عِقْدِبِرُ ۞ يَتَأَيُّهَا ٱلرَّسُولَ لَا يَعْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَدِعُونَ فِي ٱلْكُفْرَ مِنَ ٱلَّذِيبَ قَالُوٓاْ ءَامَتَ إِلْفَوْهِهِمْ وَلَرَّتُوْمِبِ قُلُوبُهُمُّ وَمِنَ ٱلَّذِيرَ عَادُواْ سَمَّنَعُونَ لِلْكَذِبِ سَتَنعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَرَيْأَقُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكِلَرِينُ بَعْدِ مَوَاضِعِيْهُ يَعُولُونَ إِنْ أُونِيتُمْ هَا ذَا فَحُدُوهُ وَإِن لَّرَثُوثُوهُ فَأَصْدَرُولُ وَمَن يُسِرِدِ اللَّهُ وَتُنْتُهُ أَنْ فَلَن تَسْلِكَ لَهُ مِن اللَّهِ شَيْئًا أُوْلَيْهِكَ ٱلَّذِيكَ لَرْيُرِيرِ ٱللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُونِهُمُّ لَكُمْ فِي الدُّنْكَ احِنْقُ وَلَهُمْ فِ ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞

و حل إرادته، وأن يزيل عن نفسه كل مانع وعائق يعوقه عن إرادة القسط أو العمل به.

NOVERDE III ERRECO

وأعظم عائق لذلك اتباع الهوى، ولهذا نبه تعالى على إزالة هذا المانع بقوله: ﴿ فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ﴾ أي: فلا تتبعوا شهوات أنفسكم المعارضة للحق، فإنكم إن اتبعتموها عدلتم عن الصواب، ولم توفقوا للعدل، فإن الهوى إما أن يعمي بصيرة صاحبه حتى يرى الحق باطلاً والباطل حقاً، وإما أن يعرف الحق ويتركه لأجل هواه، فمن سلم من هوى نفسه، وفق للحق، وهدي إلى الصراط

ولما بين أن الواجب القيام بالقسط، نهى عن ما يضاد ذلك، وهو لي اللسان عن الحق في الشهادات وغيرها، وتحريف النطق عن الصواب المقصود من كل وجه، أو من بعض الوجوه، ويدخل في ذلك تحريف الشهادة وعدم تكميلها، أو تأويل الشاهد على أمر آخر، فإن هذا، من اللي، لأنه الانحراف عن الحق.

﴿أو تعرضوا﴾ أي: تتركوا القسط المنوط بكم، كترك الشاهد لشهادته وترك الحاكم لحكمه، الذي يجب عليه القيام به.

﴿ فَإِن الله كان بِما تعملون خبيراً ﴾ أي: محيط بما فعلتم، يعلم أعمالكم

خفيها وجليها، وفي هذا تهديد شديد للذي يلوي أو يعرض. ومن باب أولى وأحرى الذي يحكم بالباطل، أو يشهد بالزور، لأنه أعظم جرماً، لأن الأولين تركا الحق، وهذا ترك الحق وقام بالباطل.

﴿ ١٣٦﴾ ﴿ إِما الذين آمنوا آمنوا الله ورسوله والكتاب الذي أنزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾ اعلم أن الأمر إما أن يوجه إلى مَنْ لم يدخل في الشيء ولم يتصف بشيء يدخل في الشيء ولم يتصف بشيء منه، فهذا يكون أمراً له بالدخول فيه، وذلك كأمر مَنْ ليس بمؤمن بالإيمان، كقوله تعالى: ﴿ إِما أَيّها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم ﴾ الآية .

وإما أن يوجه إلى مَنْ دخل في الشيء، فهذا يكون أمره ليصحح ما وجد منه ويحصل ما لم يوجد، ومنه ما ذكره الله في هذه الآية من أمر المؤمنين بالإيمان، فإن ذلك يقتضي أمرهم بما يصحح إيمانهم، من الإخلاص والصدق، وتجنب المفسدات والتوبة من جمع المنقصات.

ويقتضي أيضاً الأمر بما لم يوجد من المؤمن، من علوم الإيمان وأعماله، فإنه كلما وصل إليه نص، وفهم معناه واعتقده، فإن ذلك من الإيمان المأمور به. وكذلك سائر الأعمال الظاهرة والباطنة، كلها من الإيمان، كما دلت على ذلك النصوص الكثيرة، وأجع على سلف الأمة.

ثم الاستمرار على ذلك والثبات عليه إلى الممات كما قال تعالى: 
إيا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون والقرآن هنا بالإيمان به وبرسوله، وبالقرآن وبالكتب المتقدمة، فهذا كله من الإيمان الواجب، الذي لا يكون العبد مؤمناً إلا به، إجمالاً فيما لم يصل إليه تقصيله، وتفصيلاً فيما علم من ذلك بالتفصيل، فمن آمن هذا الإيمان المأمور به، فقد اهتدى وأنجع. ﴿ومن المُمار المُعانِيةِ عَلَيْهِ المُعانِيةِ وَلَمْ عَلَيْهِ الْمُعانِيةِ المُعانِيةِ وَلَمْ عَلَيْهِ الْمُعانِيةِ المُعانِيةِ وَلَمْ عَلَيْهِ الْمُعانِيةِ المُعانِيةِ وَلَمْ عَلَيْهِ الْمُعانِيةِ الْمُعانِيةِ وَلَمْ عَلَيْهِ الْمُعانِيةِ الْمُعانِيةِ وَلَمْ عَلَيْهِ الْمُعانِيةِ وَلَمْ عَلَيْهِ الْمُعانِيةِ وَلَمْ عَلَيْهِ الْمُعانِيةِ وَلَيْهِ عَلَيْهِ الْمُعانِيةِ وَلَيْهِ عَلَيْهِ وَلَيْهِ عَلَيْهِ الْمُعانِيةِ وَلَيْهِ عَلَيْهِ الْمُعانِيةُ وَلَيْهِ عَلَيْهِ اللّهِ الْمُعانِيةُ وَلَيْهِ عَلَيْهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾. وأي: ضلال أبعد من ضلال مَن ترك طريق الهدى المستقيم، وسلك الطريق الموصلة له إلى العذاب الأليم؟!!

واعلم أن الكفر بشيء من هذه المذكورات كالكفر بجميعها، لتلازمها وامتناع وجود الإيمان ببعضها دون بعض، ثم قال:

﴿١٣٧﴾ ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً ﴾ أي: مَنْ تكور منه الكفر بعد الإيمان، فاهتدى ثم ضل، وأبصر ثم عمي، وآمن ثم كفر واستمر على كفره، وازداد منه، فإنه بعيد من التوفيق والهداية لأقوم الطريق، وبعيد من الغفرة، لكونه أتى بأعظم مانع يمنعه من حصولها. فإن كفره، يكون عقوبة وطبعاً، لا يزول كما قال تعالى: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم). ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ﴿ . ودلت الآية : أنهم إن لم يزدادوا كفراً، بل رجعوا إلى الإيمان، وتركوا ما هم عليه من الكفران، فإن الله يخفر لهم، ولو تكررت منهم الردة. وإذا كان هذا الحكم في الكفر، فغيره من المعاصى التي دونه من باب أولى أن العبد لو تكررت منه، ثم عاد إلى التوبة، عاد الله له بالمغفرة.

﴿١٣٨ ـ ١٣٩ ﴾ ﴿بشر المنافقين بأنّ لهم عذاباً أليماً \* الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإنّ العزة لله جيماً ﴾ البشارة تستعمل في الخير، وتستعمل في الشر بقيد، كما في هذه أي: الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا أي: الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، بأقبح بشارة وأسونها، وهو العذاب الأليم، وذلك بسبب مجتهم الكفار وموالاتهم ونصرتهم، وتركهم لحوالاة المؤمنين، فأي: شيء حملهم على ذلك؟ أيبتغون عندهم العزة؟.

وهمذا همو المواقع ممن أحموال

المؤمنين أي: يتصنعون عندهم بكف أيديهم عنهم مع القدرة، ومنعهم من المؤمنين بجميع وجوه المنع من تفنيدهم، وتزهيدهم في القتال، ومظاهرة الأعداء عليهم، وغير ذلك عاهو معروف منهم.

QUETON IN ESTREES

﴿ فَاللّه يحكم بينكم يوم القيامة ﴾ فيجازي المؤمنين ظاهراً وباطناً بالجنة، ويعذب المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات.

ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً في: تسلطاً واستيلاء عليهم، بل لا تزال طائفة من المؤمنين على الحق منصورة، لا يضرهم مَنْ خللهم مَنْ خالهم مَنْ خالهم مَنْ المؤمنين، ودفع لتسلط الكافرين، ما هو مشهود بالعيان. حتى إن البعض] المسلمين الذين تحكمهم لل يتعرضون لأديانهم، ولا يكونون الطوائف الكافرة، قد بقوا محترمين المستصغرين عندهم، بل لهم العز التام من الله، فله "الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

 أنواعهم، فإن احتجاجهم على باطلهم يتضمن الاستهانة بآيات الله، لأنها لا تدل إلا على حق، ولا تستلزم إلا صدقاً، بل وكذلك يدخل فيه حضور مجالس المعاصى والفسوق، التي يستهان فيها بأوامر الله ونواهيه، وتقتحم حدوده التي حدها لعباده ومنتهى هذا النهى عن القعود معهم ﴿حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ أي : غير الكفر بآيات الله والاستهزاء بها. ﴿ إِنكم إِذاً ﴾ أي: إن قعدتم معهم في الحال المذكورة ﴿مثلهم﴾ لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم، والراضى بالمعصية كالفاعل لها، والحياصل أن مَنْ حضر بجيلساً يعصى الله به، فإنه يتعين عليه الإنكار عليهم، مع القدرة أو القيام مع

﴿إِن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً كما اجتمعوا على الكفر والموالاة ولا ينفع الكافرين (١) عبرد كونهم في الظاهر مع المؤمنين كما قال تعالى: ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم إلى آخر الآيات.

ثم ذكر تحقيق موالاة المنافقين للكافرين، ومعاداتهم للمؤمنين فقال: ﴿الذِين يتربصون بكم﴾ أي: ينتظرون الحالة التي تصيرون عليها، وتنتهون إليها، من خير أو شر، قد أعدوا لكل حالة جواباً بحسب نفاقهم. ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتَحْ مِنَ اللهُ قالوا أَلْمُ نَكَنَ مَعْكُمُ فَيْ طَاهِرُونَ أَنْهُم مِع المؤمنين ظاهراً وباطناً، ليسلموا من القدح والطعن وباطناً، ليسلموا من القدح والطعن عليهم، وليشركوهم في الغنيمة والفيء، وليتصروا بهم.

﴿ وَإِن كَانَ لَلْكَافِرِينَ نَصِيبَ ﴾ ولم يقل فتح، لأنه لا يحصل لهم فتح، يكون مبدأ لنصرتهم المستمرة، بل غاية ما يكون، أن يكون لهم نصيب غير مستقر، حكمة من الله. فإذا كان ذلك ﴿ قالوا ألم نستحوذ عليكم ﴾ أي: نستولي عليكم ﴿ ونمنعكم من المنافقين، ساء ظنهم بالله، وضعف يقينهم بنصر الله لعباده المؤمنين، ولحظوا بعض الأسباب التي عند الكافرين، وقصر نظرهم عمّا وراء ذلك، فاتخذوا الكافرين أولياء، يتعززون بهم ويستنصرون.

والحال أن العزة لله جميعاً، فإن نواصي العباد بيده، ومشيئته نافذة فيهم. وقد تكفل بنصر دينه وعباده المؤمنين، وإدالة العدو عليهم إدالة غير مستمرة، فإن العاقبة والاستقرار للمؤمنين، وفي هذه الآية الترهيب العظيم من موالاة الكافرين؛ وترك موالاة المؤمنين، وأن ذلك من صفات المنافقين، وأن الإيمان يقتضي عجبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين وعداوتهم.

﴿ ١٤٠ \_ ١٤١ ﴾ ﴿ وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفربها ويستهزأبها فلاتقعدوا معهم حتّى يخوضوا في حديثِ غيره إنكم إذاً مثلهم إنّ الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً ﴿ الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾ أي: وقد بين الله لكم فيما أنزل عليكم حكمه الشرعي عند حضور مجالس الكفر والمعاصى ﴿أَن إِذَا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ﴾ أي: يستهان بها. وذلك أن الواجب على كل مكلف في آيات الله الإيمان بها، وتعظيمها وإجلالها وتفخيمها، وهذا المقصود بإنزالها، وهو الذي خلق الله الخلق لأجله، فضد الإيمان الكفر بها، وضد تعظيمها الاستهزاء بها واحتقارها، ويدخل في ذلك مجادلة الكفار والمنافقين لإبطال آيات الله ونصر كفرهم.

وكذلك المبتدعون على اختلاف

وَقَفَّيْنَا عَلَى مَا تَسْرِهِ رِجِيسَى أَيْنَ مَرْيَمٌ مُصَدِّقًا لِلْأَيْنَ يَكَذَيْدِمِنَ ٱلتَّوَيِّةِ وَءَاتَيْنَهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدَى وَفُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَاكِينَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْلِينَاةِ وَهُدَى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ۞ وَلْيَخْكُرُ أهْلُ ٱلْإِجْدِلِ بَمَّا أَنْزَلَ ٱللَّهُ فِيدُّ وَمَن لَّرْيَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَتِكَ هُمُ الْفَسِقُونَ ۞ وَأَرَلْنَا إِلِنْكَ الْكِتَبَ بالمقق مُصِدَقًا لِلَابَيْنِ بَدَيْدِ مِنَ ٱلْكِنْبِ وَمُهَنِّيدًا عَلَيْهُ فَأَخْدُ مُ يَنْفَهُم عَنَا أَنْلُ الْفَدُّ وَلَا نَشَيِعُ أَهْوَآءَ هُمَّعَنَا جَآءَكَ مِنَ لَلْقِ لِيكُ لِجَعَلْنَامِن كُوْ شِرْعَكَ وَمُعْلَكًا وَلَوْ سُنَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمُ أَمَّةً وَلِيدَةً وَلَكِن لِيَا فُكُونِ مَا ٓءَ اسْكُورٌ فَأَسْنَيِهُوا ٱلْخَيْرُاتُ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُ كُمْ جَيِهَا فَيُنَيِّ الْكُر بِمَاكُنتُمْرْفِيهِ تَخَنْلِغُونَ ۞ وَأَنِ ٱمْكُمُ يَسْعُمْ بِمَاۤ أَزَلَ ٱلْقَهُ وَلَا أَشَّيْعُ أَهْوَاءَ هُمْ وَلَعْذَرُهُمْ أَنْ يَفْيِنُوكَ عَنْ يَعْضِ مَا أَنْلَ اللَّهُ إِلَيْكُ فَإِن تُوَلِّوا فَأَعَلَرْ أَغَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُم يَبَعِينَ دُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَيْرِكِ مِنَ ٱلنَّاسِ لَفَنْسِفُونَ ۞ أَفَكُمْ ٱلْجَهِلِيَّةِ يَبْغُونُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ أَهَو حُكُمًا لِفَوْمِ بُوقِتُوك ۞ 

بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجدله سبيلاً يخبر تعالى عن المنافقين بما كانوا عليه، من طريقتهم خادعة الله تعالى، أي: بما أظهروه من الإيمان، وأبطنوه من الكفران، ظنوا أنه يروج على الله ولا يعلمه ولا يبديه لعباده، والحال أن الله خادعهم، فمجرد وجود هذه الحال منهم، ومشيهم عليها، خداع لأنفسهم، وأي: خداع أعظم عمن والحرمان؟!!

ويدل بمجرده على نقص عقل صاحبه، حيث جمع بين المعصية، ورآها حسنة، وظنها من العقل والمكر، فلمه ما يصنع الجهل والخذلان ما ذكره الله في قوله: ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا فتيس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم إلى آخر الآيات.

ومن صفاتهم أنهم ﴿إذا قاموا إلى الصلاة﴾ - إن قاموا - التي هي أكبر الطاعات العملية، ﴿قاموا كسال﴾

متثاقلين لها، متبرمين من فعلها، والكسل لا يكون إلا من فقد الرغبة من قلوبهم، فلولا أن قلوبهم فارغة من الرغبة إلى الله وإلى ما عنده، عادمة للإيمان، لم يصدر منهم الكسل، في راؤون الناس أي: هذا الذي انطوت عليه سرائرهم، وهذا مصدر أوية الناس وتعظيمهم واحترامهم، ولا يخلصون لله فله ها ولا يخلصون الله إلا قليلا للامتلاء قلوبهم من الرياء، فإن ذكر الله تعالى وملازمته، لا يكون إلا من مؤمن عتلىء قلبه بمحبة الله وعظمته.

ولا إلى هولاء في أي: مترددين بين ولا إلى هولاء ولا إلى هولاء في المترددين بين فريق الموافرين. فلا من المؤمنين ظاهراً وباطناً، ولا من للكافرين، وظاهرهم للمؤمنين، وهذا أعظم ضلال يقدر. ولهذا قال: ﴿ومن يقدل الله فلن تجد له سبيلا أي: لن تجد طريقاً لهدايته، ولا وسيلة لترك غوايته، لأنه انغلق عنه باب الرحمة، وصار بدله كل نقمة.

فهذه الأوصاف المذمومة، تدل بتنبيهها على أن المؤمنين متصفون بضدها، من الصدق ظاهراً وباطناً والإخلاص، وأنهم لا يجهل ما عندهم، ونشاطهم في صلاتهم وعباداتهم، وكثرة ذكرهم لله تعالى. وأنهم قد هداهم الله ووفقهم للصراط المستقيم، فليعرض العاقل نفسه على هذين الأمرين، وليختر أيهما أولى به، وبالله (1)

﴿ ١٤٤﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا اللَّهِنَ آمَنُوا لا تَتَخَذُوا الكافرين أُولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا شعليكم سلطاناً مبيناً ﴾ لما ذكر أن من صفات المنافقين اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، نهى عباده المؤمنين أن يتصفوا بهذه الحالة القبيحة، وأن يشابهوا المنافقين، فإن ذلك موجب لأن

﴿ تَجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً ﴾ أي: حجة واضحة على عقوبتكم، فإنه قد أنذرنا وحذرنا منها، وأخبرنا بما فيها من المفاسد، فسلوكها بعد هذا موجب للعقاب.

وفي هذه الآية دليل على كمال عدل الله، وأن الله لا يعذب أحداً؟ قبل قيام الحجة عليه، وفيها التحذير من المعاصى؛ فإن فاعلها يجعل لله عليه سلطاناً مسناً.

﴿ ١٤٥ \_ ١٤٧ ﴾ ﴿إِن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً \* إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً \* ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً في يخبر تعالى عن مآل المنافقين، أنهم في أسفل الدركات من العذاب، وأشر الحالات من العقاب. فهم تحت سائر الكفار، لأنهم شاركوهم بالكفر بالله ومعاداة رسله، وزادوا عليهم المكر والخديعة، والتمكن من كثير من أنواع العداوة للمؤمنين، على وجه لا يشغربه ولا يحس. ورتبوا على ذلك جريان أحكام الإسلام عليهم، واستحقاق ما لا يستحقونه، فبذلك ونحوه استحقوا أشد العذاب، وليس لهم منقذ من عذابه، ولا ناصر يدفع عنهم بعض عقابه، وهذا عام لكل منافق، إلا مَنْ منَّ الله عليهم بالتوبة من السيئات. ﴿وأصلحوا ﴾ له الظواهر والبواطن ﴿واعتصموا بالله ﴾ والتجأوا إليه، في جلب منافعهم ودفع المضار عنهم. ﴿وأخلصوا دينهم الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان ﴿للهُ ﴾.

فقصدوا وجه الله بأعمالهم الظاهرة والباطنة، وسلموا من الرياء والنفاق، فمَنْ اتصف بهذه الصفات ﴿فأولئك مع المؤمنين ﴾ أي: في الدنيا، والبرزخ، ويوم القيامة، ﴿وسوف يوتي الله المؤمنين أجراً عظيماً ﴾ لا يعلم كنهه

إلا الله، مما لا عمين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وتأمل كيف خص الاعتصام والإخلاص بالذكر، مع دخولهما في قوله: ﴿وأصلحوا﴾ لأن الاعتصام والإخلاص من جملة الإصلاح، لشدة الحاجة إليهما، خصوصاً في هذا المقام فلا يزيله إلا شدة الاعتصام بالله، ودوام اللجأ والافتقار إليه في دفعه، للنفاق، فذكرهما لفضلهما وتوقف للناعاة عليهما، الأعمال الظاهرة والباطنة عليهما، ولشدة الحاجة في هذا المقام إليهما.

وتأمل كيف لما ذكر أن هؤلاء مع المؤمنين لم يقل: وسوف يؤتيهم أجرأ عظيماً، مع أن السياق فيهم. بل قال: ﴿وسوف يسؤي الله المؤمنين أجراً عظيماً ﴾ لأن هذه القاعدة الشريفة لل يزل الله يبدىء فيها ويعيد، إذا كان يرتب(١) عليه ثواباً أو عقاباً وكان ذلك يرتب الثواب في مقابلة الحكم العام الذي تندرج تحته تلك القضية وغيرها، ولئلا يتوهم اختصاص الحكم بالأمر ولئلا يتوهم اختصاص الحكم بالأمر البديعة، فالتائب من المنافقين، مع المؤمنين وله ثوابهم.

شم أخبر تعالى عن كمال غناه، وسعة حلمه، ورحمته وإحسانه، فقال: ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ﴾ والحال أن الله شاكر عليم. يعطي المتحملين لأجله الأثقال الدائبين في الأعمال جزيل الشواب وواسع الإحسان، ومَنْ ترك شيشاً لله أعطاه الله خراً منه.

ومع هذا يعلم ظاهركم وباطنكم، وأعمالكم وما تصدر عنه من إخلاص وصدق، وضد ذلك. وهو يريد منكم التوبة والإنابة والرجوع إليه، فإذا أنبتم إليه، فأي: شيء يفعل بعذابكم؟ فإنه لا يتشفى بعذابكم، ولا ينتفع

بعقابكم، بل العاصي لا يضر إلا نفسه، كما أن عمل المطيع لنفسه.

والشكر هو خضوع القلب، واعترافه بنعمة الله، وثناء اللسان على المشكور، وعمل الجوارح بطاعته، وأن لا يستعين بنعمه على معاصيه.

﴿١٤٩ ـ ١٤٩ ﴾ ﴿لا يحسب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً \* إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإنّ الله كان عفواً قديراً ﴾ يخبر تعلى أنه لا يحب الجهر بالسوء من القول، أي: يبغض ذلك ويمقته ويعاقب عليه، تسوء وتحزن، كالشتم والقذف والسب ونحو ذلك، فإن ذلك كله من المنهي عنه الذي يبغضه الله.

ويدل مفهومها أنه يحب الحسن من القول كالذكر والكلام الطيب اللين.

وقوله: ﴿إِلا مَنْ ظُلِمْ ﴾ أي: فإنه يجوز له أن يدعو على مَنْ ظلمه، ويتشكى (٢) منه، ويجهر بالسوء لن جهر له به، من غير أن يكذب عليه، ولا يزيد على مظلمته، ولا يتعدى بشتمه غير ظالمه، ومع ذلك فعفوه، وعدم مقابلته أولى، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وأصلح فأجره على الله ﴾.

رمين عنه واعتماع تابره على الله و في الله و كانت الآية قد اشتملت على الكلام السيء والحسن والمباح، أخبر تعالى أنه سميع، فيسمع أقوالكم، فاحذروا أن تتكلموا بما يغضب ربكم فيعاقبكم على

وفيه أيضاً ترغيب على القول الحسن ﴿عليم﴾ بنياتكم ومصدر أقوالكم. ثم قال تعالى: ﴿إن تبدوا خيراً أو تخفوه﴾ وهذا يشمل كل خير قولي وفعلي، ظاهر وباطن، من واجب ومستحب.

﴿ أُو تعفوا عن سوء ﴾ أي: عمّن ساء كم في أبدانكم وأموالكم وأعراضكم، فتسمحوا عنه، فإن الجزاء من جنس العمل. فمَنْ عفا شه عفا الله عنه، ومَنْ أحسن أحسن الله

إليه، فلهذا قال: ﴿فإن الله كان عفواً قديراً﴾ أي: يعفو عن زلات عباده وذنوبهم العظيمة، فيسدل عليهم ستره، ثم يعاملهم بعفوه التام الصادر عن قدرته.

وفي هذه الآية إرشاد إلى التفقه في معاني أسماء الله وصفاته، وأن الخلق والأمر صادر عنها، وهي مقتضية له، ولهذا يعلل الأحكام بالأسماء الحسني، كما في هذه الآية.

لما ذكر عمل الخير والعفو عن المسيء رتب على ذلك، بأن أحالنا على معرفة أسمائه، وأن ذلك يغنينا عن ذكر ثوابها الخاص.

﴿ ١٥٠ \_ ١٥٠ ﴾ ﴿إن السذيسن يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً \* أولئك هم الكافرون حقاً أمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً ﴾.

هنا قسمان قد وضحا لكل أحد: مؤمن بالله وبرسله كلهم وكتبه، وكافر بذلك كله.

وبقي قسم ثالث: وهو الذي يزعم أنه يؤمن ببعض الرسل دون بعض ، وأن هذا سبيل ينجيه من عذاب الله ، إن هذا إلا مجرد أماني . فإن هؤلاء يريدون التفريق بين الله وبين رسله .

فإن مَنْ تولى الله حقيقة تولى جميع رسله، لأن ذلك من تمام توليه، ومَنْ عادى أحداً من رسله فقد عادى الله، وعادى جميع رسله كما قال تعالى: ﴿مَنْ كان عدواً للهِ الآيات.

وكذلك من كفر برسول فقد كفر بجميع الرسل، بل بالرسول الذي يزعم أنه به مؤمن، ولهذا قال: ﴿ أُولِئكُ هِمَ الكافرون حقاً ﴾ وذلك لئلا يتوهم أن مرتبتهم متوسطة بين الإيمان والكفر.

ووجه كونهم كافرين ـ حتى بما

زعموا الإيمان به - أن كل دليل دلهم على الإيمان بمن آمنوا به موجود هو أو مثله، أو ما فوقه للنبي الذي كفروا به، وكل شبهة يزعمون أنهم يقدحون بها في النبي الذي كفروا به موجود مثلها أو أعظم منها فيمن آمنوا به.

فلم يبق بعد ذلك إلا التشهي والهوى ومجرد الدعوى التي يمكن كل أحد أن يقابلها بمثلها، ولما ذكر أن هؤلاء هم الكافرون حقاً، ذكر عقاباً شاملاً لهم ولكل كافر، فقال: ﴿وَاعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾ كما تكبروا عن الإيمان بالله، أهانهم بالعذاب الأليم المخزي.

﴿والذين آمنوا بالله ورسله ﴾ وهذا يتضمن الإيمان بكل ما أخبر الله به عن نفسه ، وبكل ما أجبر الله به عن الأخبار والأحكام . ﴿ولم يفرقوا بين أحدٍ ﴾ من رسله ، بل آمنوا بهم كلهم، فهذا هو الإيمان الحقيقي ، واليقين المبنى على البرهان .

﴿أولئك سوف يؤتيهم أجورهم ﴾ أي: جزاء إيمانهم ، وما ترتب عليه من عمل صالح ، وقول حسن ، وخلق جيل ، كلّ على حسب حاله . ولعل هذا هو السر في إضافة الأجور إليهم ، ﴿وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ يغفر السيئات ويتقبل الحسنات .

﴿ ١٥٣ \_ ١٦١ ﴾ ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبيناً \* ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً \* فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا \* وبكفرهم وقولهم على مريم بمتاناً عظيماً \* وقولهم إناً قتلنا المسيح عيسي ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم

وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه ما لهم به من علم إلا أتباع الظن وما قتلوه يقيناً \* بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً \* وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً \* فبظلم من الذين واحدمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كشيراً \* أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً \* هذا السؤال الصادر وجه العناد والاقتراح، وجعلهم هذا السؤال يتوقف عليه تصديقهم أو للسؤال يتوقف عليه تصديقهم أو تكذيبهم. وهو أنهم سألوه أن ينزل

عليهم القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل، وهذا غاية الظلم منهم والجهل، فإن الرسول بشر عبد الأمر كله لله، وهو الذي يرسل وينزل ما يشاء على عباده، كما قال تعالى عن الرسول، لما ذكر الآيات التي فيها اقتراح المشركين على عمد الآيات التي فيها سبحان ربي هل كنت إلا بشراً

وكذلك جعلهم الفارق بين الحق والباطل مجرد إنزال الكتاب جملة أو مفرقاً، مجرد دعوى لا دليل عليها، ولا مناسبة، بل ولا شبهة، فمن أين يوجد في نبوة أحد من الأنبياء أن الرسول الذي يأتيكم بكتاب نزل مفرقاً فلا تؤمنوا به ولا تصدقوه؟

بل نزول هذا القرآن مفرقاً بحسب الأحوال، عما يدل على عظمته واعتناء الله بمن أنزل عليه، كما قال تعلى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً. ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ﴾.

فلما ذكر اعتراضهم الفاسد أخبر أنه ليس بغريب من أمرهم، بل سبق لهم من المقدمات القبيحة ما هو أعظم مما سلكوه مع الرسول الذي يزعمون أنهم آمنوا به، من سؤالهم له رؤية الله

عياناً، واتخاذهم العجل إلهاً يعبدونه، من بعد ما رأوا من الآيات بأبصارهم ما لم يره غيرهم.

ومن امتناعهم من قبول أحكام كتابهم وهو التوراة، حتى رفع الطور من فوق رؤوسهم، وهددوا أنهم إن لم يؤمنوا أسقط عليهم، فقبلوا ذلك على وجه الإغماض، والإيمان الشبيه بالإيمان الضروري.

ومن امتناعهم من دخول أبواب القرية التي أمروا بدخولها سجداً مستغفرين، فخالفوا القول والفعل. ومن اعتداء من اعتدى منهم في السبت، فعاقبهم الله تلك العقوبة الشنيعة.

وبأخذ الميثاق الغليظ عليهم، فنبذوه وراء ظهورهم، وكفروا بآيات الله، وقتلوا رسله بغير حق. ومن قولهم: أنهم قتلوا المسيح عيسى وصلبوه، والحال أنهم ما قتلوه وما صلبوه، بل شبه لهم غيره، فقتلوا غيره وصلبوه.

وادعائهم أن قلوبهم غلف لا تفقه ما تقول لهم ولا تفهمه، وبصدهم الناس عن سبيل الله، فصدوهم عن الحق، ودعوهم إلى ما هم عليه من الضلال والغي. وبأخذهم السحت والربا مع نهي الله لهم عنه، والتشديد فه.

فالذين فعلوا هذه الأفاعيل، لا يستنكر عليهم أن يسألوا الرسول عمداً أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، وهذه الطريقة من أحسن الطرق لمحاجة من الاعتراض الباطل ما جعله شبهة له ولغيره في رد الحق، أن يبين من حاله الخبيثة وأفعاله الشنيعة، ما هو من أقبح ما صدر منه، ليعلم كل أحد أن هذا الاعتراض من ذلك الوادي الخسيس، وأن له مقدمات يجعل هذا معها.

وكذلك كل اعتراض يعترضون به على نبوة عمد على يمكن أن يقابل بمثله، أو ما هو أقوى منه في نبوة من يدعون إيمانهم به، ليكتفى بذلك شرهم، وينقمع باطلهم، وكل حجة سلكوها في تقريرهم لنبوة مَنْ آمنوا

به، فإنها ونظيرها وما هو أقوى منها، دالة ومقررة لنبوة محمد ﷺ.

ولما كان المراد من تعديد ما عدد الله من قبائحهم هذه المقابلة ، لم يبسطها في هذا الموضع، بل أشار إليها، وأحال على مواضعها، وقد بسطها في غير هذا الموضع في المحل اللائق ببسطها .

وقوله: ﴿وإنَّ مِن أَهِلَ الْكِتَابِ إِلَّا ليؤمنن به قبل موته > يحتمل أن الضمير هنا في قوله: ﴿قبِل موته﴾ يعود إلى أهل الكتاب، فيكون على هذا كل كتابي يحضره الموت، ويعاين الأمر حقيقة، فإنه يؤمن بعيسي عليه السلام، ولكنه إيمان لا ينفع، إيمان اضطرار، فيكون مضمون هذًا التهديد لهم والوعيد، وأن لا يستمروا على هذه الحال التي سيندمون عليها قبل مماتهم، فكيف يكون حالهم يوم حشرهم وقيامهم؟!!

ويحتمل أن الضمير في قوله: ﴿قبل موته ﴾ راجع إلى عيسى عليه السلام، فيكون المعنى: وما من أحدٍ من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح عليه السلام قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علاماتها

فإنه تكاثرت الأحاديث الصحيحة في نزوله عليه السلام في آخر هذه الأمة. يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين. ويوم القيامة يكون عيسي عليهم شهيداً، يشهد عليهم بأعمالهم، وهل هي موافقة لشرع الله أم لا؟

وحينئذ لا يشهد إلا ببطلان كل ما هم عليه، مما هو مخالف لشريعة القرآن ولما دعاهم إليه محمد ﷺ، علمنا بذلك، لعلمنا بكمال عدالة المسيح عليه السلام وصدقه، وأنه لا يشهد إلا بالحق، إلا أن ما جاء به محمد ﷺ هو الحق، وما عداه فهو ضلال وباطل.

ثم أخبر تعالى أنه حرم على أهل الكتاب كثيراً من الطيبات التي كانت حلالاً عليهم وهذا تحريم عقوبة، بسبب ظلمهم واعتدائهم، وصدهم الناس عن سبيل الله، ومنعهم إياهم من الهدي، وبأخذهم الربا وقد نهوا

عنه، فمنعوا المحتاجين ممن يبايعونه عن العدل، فعاقبهم الله من جنس فعلهم، فمنعهم من كثير من الطيبات التي كانوا بصدد حلها، لكونها طيبة، وأما التحريم الذي على هذه الأمة، فإنه تحريم تنزيه لهم عن الخبائث التي تضرهم في دينهم ودنياهم.

﴿١٦٢﴾ ﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرأ عظيماً ﴾ لما ذكر معايب أهل الكتاب، ذكر الممدوحين منهم، فقال: ﴿لكن الراسخون في العلم، أي: الذين ثبت العلم في قلوبهم، ورسخ الإيقان في أفئدتهم، فأثمر لهم الإيمان التام العام ﴿بِما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ﴾ .

وأثمر لهم الأعمال الصالحة، من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، اللذين هما أفضل الأعمال، وقد اشتملتا على الإخلاص للمعبود، والإحسان إلى العبيد. وآمنوا باليوم الآخر فخافوا الوعيد ورجوا الوعد.

﴿ أُولِنُكُ سِنؤتيهم أَجِراً عظيماً ﴾ لأنهم جمعوا بين العلم والإيمان، والعمل الصالح، والإيمان بالكتب والرسل السابقة واللاحقة.

﴿ ١٦٣ \_ ١٦٥ ﴾ ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسي وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً \* ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً \* رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله من الشرع العظيم والأخبار الصادقة ما أوحى إلى هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفي هذا عدة فوائد:

منها: أن محمداً عَلِيْ ليس ببدع من الرسل، بل أرسل الله قبله من المرسلين

. يَنَأَيُّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَانَدَّخِذُوا الْبَهُودَ وَالنَّصَرَيَّ أَوْلِيَا مُبَحُّمُ أَوْلِيَآ اُبُعْضِ وَمَن يَتُوَكُّم مِنكُو فَإِنَّهُ مِنْهُمَّ إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ۞ فَتَرَى ٱلَّذِنَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَقَّنُ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ غَنْهَ آنَ تُصِيبَ الْآيِرَةُ فَعَسَى ٱلْلَهُ أَن يَأْقِيَ الْفَتْحِ أَوْلَمْ مِنْ عِندِهِ - فَيصَّبِحُواعَلُ مَا أَسَرُوا فِ أَنفُيهِمْ نَدِمِينَ ﴿ وَيَعُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَهَنَـ وُلِآءِ ٱلَّذِينَ أَفْسَهُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْنُومْ إِنَّهُمُ لَعَكُمُّ حَيِطَتَ أَعْلَلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَيْرِينَ ۞ يَكَأَيُّهُ ٱلَّذِينَ مَامَنُواْسَ يَرْنَدُ مِنكُوْعَن دِينِهِ، فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِغَوْمِ يُحِيُّهُمْ وَيُحِيُّونُهُ وَأَذِلَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّهُ عَلَى ٱلْكَيْضِينَ يُحَيِّهِ دُونَ فِ سَيِسِلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآيَحُ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُوْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَسِعُ عَلِيمٌ ۞ إِنَّا وَلِيْكُو ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوْةَ وَيُؤَوُّونَ الزَّكُوةَ وَهُمْ رَكِعُونَ ﴿ وَمَن يَتُولُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَتُوا فَإِنَّ حِرْبَ اللَّهِ هُمُ ٱلْعَلِيمُونَ ۞ يَتَأَيُّمُ ٱلَّذِينَ ا يَمَتُوا لَانَتَيْفِدُوا لَلِينَ أَغَنَدُوا دِينَكُمْ هُزُوَا وَلِيمَا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا يُّ الْكِتَبَينِ فَبْلِكُو وَالْكُفَّارَأُولِيَّةَ وَالْفُواْلَةَ إِن كُنَّمُ مُؤْمِنِينَ ۞ DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

العدد الكثير والجم الغفير، فاستغراب رسالته لا وجه له إلا الجهل أو العناد.

ومنها: أنه أوحى إليه كما أوحى إليهم من الأصول والعدل الذي اتفقوا عليه، وأن بعضهم يصدق بعضاً، ويوافق بعضهم بعضاً.

ومنها: أنه من جنس هؤلاء الرسل، فليعتبره المعتبر بإخوانه المرسلين، فدعوته دعوتهم؛ وأخلاقهم متفقة؛ ومصدرهم واحد؛ وغايتهم واحدة، فلم يقرنه بالمجهولين؟ ولا بالكذابين، ولا بالملوك الظالمين.

ومنها: أن في ذكر هؤلاء الرسل وتعدادهم، من التنويه بهم، والثناء الصادق عليهم، وشرح أحوالهم، مما يزداد به المؤمن إيماناً بهم، ومحبة لهم، واقتداء بهديهم، واستناناً بسنتهم، ومعرفة بحقوقهم، ويكون ذلك مصداقاً لقوله: ﴿سلام على نوح في العالمين ﴿ سلام على إبراهيم ﴾ ﴿سلام على موسى وهارون﴾ ﴿سلَّام على إلَّ ياسين، إنَّا كذلك نجزي المحسنين.

فكل محسن له من الثناء الحسن بين الأنام بحسب إحسانه. والرسل ـ خصوصاً هؤلاء المسمون \_في المرتبة العليا من الإحسان.

ولما ذكر اشتراكهم بوحيه، ذكر تخصيص بعضهم، فذكر أنه آتي داود الزبور، وهو الكتاب المعروف، المزبور

HARLES SHARE وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَاوَاتَغَنَّدُوهَا هُزُوا وَلِعِبًّا ذَلِكَ بِأَنْهُ مُدْوَوْ لَايِمْ قِلُونَ ﴿ قُلْ يَكَأَعْلَ ٱلْكِتَبِ مَلْ تَفِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ النَّا بألله وَمَا أَمْزِلَ إِلَيْنَا وَمِّآ أَمْزِلَ مِن قِيلُ وَأَنَّ أَكْثَرُكُو فَلِيهُونَ ۞ قُلْ هَلْ أَنْبَتَكُمُ بِشَرَقِن ذَٰلِكَ مَثُويَةً عِندَاللَّهِ مَن لَّعَنَـهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَحَمَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَلَكُنَا إِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّلْعُوتُ أُولَتِيكَ مَرَّبِّكَانَا وَلَسَرُ عَن سَوَلَهِ السَّبِيلِ ۞ وَإِذَا لِنَا يُحِرُّوَا لُوْآَ يَامَنَا وَقَدَّمُنُلُواْ بِالْكُفْرِوَهُمْ فَفَخَرَهُ إِيهِ وَالْقَهُ أَعَلَمُ عَاكَانُواْ يَكْتُنُونَ ۞ وَمَرَىٰ كَيْعِرا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْإِنْدِوَآلْعُدَوَٰنِ وَٱكْلِهِمُ ٱلسُّمَّتُ لَيَشَرَمَاكَانُواْيَعَمَلُونَ ۞ لَوَلَايَنْهَ هُمُّٱلرَّيَكَيْثُونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَرْلِهِمُ ٱلْإِنْمُ وَأَكِلِهِمُ ٱلسُّمْتُ لِيَنْسَمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ۞ وَقَالَتِ ٱلْمَهُودُ يَدُاللَّهِ مَغْلُولَةً عُلَّتَ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنَواْ مَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنِفِي كَفَ يَشَاءُ وَلَيْزِيدَنَّ كِيرا مِنْهُم مَّ أَنْزِلَ إِلَيْكَ مِن ذَيْكِ مُلْغِيْنَا وَكُفْراً وَٱلْقِينَا يَيْنَهُمُ ٱلْمَسَدُوَّةُ وَٱلْمِعْضَةَ إِلَى يَوْمِ ٱلْفِيكَ مُوْكُلِّكَ ٱلْوَقَدُواْ لَالْ لِلْحَسِّرِبِ ٱلْمُفَالْحَا اللَّهُ وَمُسْعَوْثَ فِي ٱلْأَرْضِ مُسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿ A DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF THE PROPERTY

الذي خص الله به داود عليه السلام لفضله وشرفه، وأنه كلّم موسى تكليماً، أي: مشافهة منه إليه، لا بواسطة، حتى اشتهر بهذا عند العالمين، فيقال: «موسى كليم الرحن».

وذكر أن الرسل منهم من قصه الله على رسوله، ومنهم مَنْ لم يقصصه على رسوله، وهذا يدل على كثرتهم وأن الله أرسلهم مبشريان لمن أطاع الله واتبعهم، بالسعادة الدنيوية والأخروية، ومنذرين مَنْ عصى الله وخالفهم بشقاوة الدارين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا: ﴿ما جاءنا من بشير ولا نذير. فقد جاءكم بشير ونذير﴾.

فلم يبق للخلق على الله حجة لإرساله الرسل تترى، يبينون لهم أمر دينهم، ومراضي ربهم ومساخطه، وطرق الجنة وطرق النار، فمَنْ كفر منهم بعد ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

وهذا من كمال عزته تعالى وحكمته، أن أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وذلك أيضاً من فضله وإحسانه، حيث كان الناس مضطرين إلى الأنبياء أعظم ضرورة تقدر، فأزال هذا الاضطرار، فله

الحمد وله الشكر. ونسأله كما ابتدأ علينا نعمته بإرسالهم، أن يتمها بالتوفيق لسلوك طريقهم، إنه جواد كريم.

وليك أنزله بعلمه والملاتكة يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملاتكة يشهدون وكفى بالله شهيداً الله ذكر أن الله أوحى إلى رسوله محمد على كما أوحى بشهادته تعالى على رسالته وصحة ما جاء به، وأنه ﴿أنزله بعلمه﴾ يحتمل أن يكون المراد أنزله مشتملاً على علمه، أي: فيه من العلوم الإلهية والأحكام الشرعية والأخبار الغيبية، ما هو من علم الله تعالى الذي علم به عباده.

ويحتمل أن يكون الراد: أنزله صادراً عن علمه، ويكون في ذلك إشارة وتنبيه على وجه شهادته، وأن المعنى: إذا كان تعالى أنزل هذا القرآن المشتمل على الأوامر والنواهي، وهو يعلم ذلك، ويعلم حالة الذي أنزله عليه، وأنه دعا الناس إليه، فمن أجابه وصدقه كان وليه، ومَنْ كذبه وعاداه كان عدوه واستباح ماله ودمه، والله تعالى يمكنه، ويوالي نصره، ويجيب دعواته، ويخذل أعداءه وينصر أولياءه، فهل توجد شهادة أعظم من هذه الشهادة وأكبر؟!! ولا يمكن القدح في هذه الشهادة، إلا بعد القدح بعلم الله وقدرته وحكمته، وإخباره تعالى بشهادة الملائكة على ما أنزل على رسوله، لكمال إيمانهم ولجلالة هذا المشهود عليه .

فإن الأمور العظيمة لا يستشهد عليها إلا الخواص، كما قال تعالى في الشهادة على التوحيد: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ وكفى بالله شهيداً.

﴿ الله الله الله الله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيداً \* إنّ الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم

طريقاً \* إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يسيراً \* لما أخبر عن رسالة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وأخبر برسالة خاتمهم محمد، وشهد بها وشهدت ملائكته ـ لزم من ذلك، ثبوت الأمر المقرر والمشهود به، فوجب تصديقهم، والإيمان بهم واتباعهم.

ثم توعد من كفر بهم فقال: ﴿إِنَّ اللّٰهِ كَفُرُوا وصدوا عن سبيل الله أي: جمعوا بين الكفر بأنفسهم، وصدهم الناس عن سبيل الله. وهؤلاء هم أئمة الكفر ودعاة الضلال ﴿قد ضلوا ضلالاً بعيداً ﴾. وأي: ضلال ضلوا ضلالاً بعيداً ﴾. وأي: ضلال غيره، فباء بالإشمين، ورجع قال: ﴿إِنَّ الذِينَ كَفُرُوا وظلموا ﴾ وهذا الظلم هو زيادة على كفرهم، وإلا فالكفر عند إطلاق الظلم يدخل فيه.

والمراد بالظلم هنا أعمال الكفر والاستغراق فيه، فهؤلاء بعيدون من المغفرة والهداية للصراط المستقيم. ولهذا قال: ﴿لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً إلا طريق جهنم﴾.

وإنما تعذرت المغفرة لهم والهداية ، لأنهم استمروا في طغيانهم ، وازدادوا في كفرانهم (۱۱) ، فطبع على قلوبهم وانسدت عليهم طرق الهداية بما كسبوا ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ ,

﴿وكان ذلك على الله يسيراً ﴾ أي: لا يبالي الله بهم ولا يحبأ، لأنهم لا يصلحون للخير، ولا يليق بهم إلا الحالة التي اختاروها لأنفسهم.

﴿ ١٧٠﴾ ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض وكان الله عليماً حكيماً ﴾ يأمر تعالى جميع الناس أن يؤمنوا بعبده ورسوله محمد ﷺ. وذكر السبب الموجب للإيمان به، والمفائدة من الإيمان به، فالسبب الموجب هو إخباره الإيمان به، فالسبب الموجب هو إخباره

بأنه جاءهم بالحق. أي: فمجيئه نفسه حق، وما جاء به من الشرع حق، فإن العاقل يعرف أن بقاء الخلق في جهلهم يعمهون، وفي كفرهم يترددون، والرسالة قد انقطعت عنهم، غير لائق بحكمة الله ورحمته، فمن حكمته ورحمته العظيمة نفس إرسال الرسول إليهم، ليعرفهم الهدى من الضلال، والغي من الرشد، فمجرد النظر في رسالته دليل قاطع على صحة نبوته.

وكذلك النظر إلى ما جاء به من الشرع العظيم والصراط المستقيم. فإن فيه من الإخبار بالغيوب الماضية والمستقبلة، والخبر عن الله وعن اليوم الآخر - ما لا يعرف إلا بالوحي والرسالة. وما فيه من الأمر بكل خير وصلاح، ورشد، وعدل، وإحسان، وصدق، وبر، وصلة، وحسن خلق، ومن النهي عن الشر والفساد، والبغي والعقوق، مما يقطع به أنه من عند الله.

وكلما ازداد به العبد بصيرة، ازداد إيمانه ويقينه، فهذا السبب الداعي للإيمان.

وأما الفائدة في الإيمان، فأخبر أنه خير لكم والخير ضد الشر. فالإيمان خير للمؤمنين، في أبدانهم وقلوبهم وأرواحهم، وذلك لما يترتب عليه من المصالح والفوائد، فكل ثواب عاجل وآجل، فمن ثمرات الإيمان، فالنصر والهدى والعلم، والعمل الصالح، والسرور والأفراح، والجنة وما اشتملت عليه، من النعيم كل ذلك مسبب عن الإيمان.

كما أن الشقاء الدنيوي والأخروي من عدم الإيمان أو نقصه. وأما مضرة عدم الإيمان به على فيعرف بضد ما يترتب على الإيمان به. وأن العبد عنه، لا تضره معصية العاصين، ولهذا قال: ﴿فَإِنْ شَمَا فَي السَمَاوَاتِ وَلَمَا لَا يَضُر وَلَمَا اللهِ وَالأَرْضُ أَي: الجميع خلقه وملكه، وتحت تدبيره وتصريفه ﴿وكان الله عليماً بكل شيء ﴿حكيماً في عليماً بكل شيء ﴿حكيماً في خلقه وأمره. فهو العليم بمن يستحق خلقه وأمره. فهو العليم بمن يستحق

الهداية والغواية، الحكيم في وضع الهداية والغواية موضعهما.

﴿ ١٧١﴾ ﴿ بِا أَمِلِ الْحَسَابِ لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسي ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولدله ما في السماوات وما في الأرض وكفي بالله وكيلاً بنهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو في الدين، وهو بجاوزة الحد والقدر المشروع، إلى ما ليس بمشروع. وذلك كقول النصاري في غلوهم بعيسي عليه السلام، ورفعه عن مقام النبوة والرسالة إلى مقام الربوبية الذي لا يليق بغير الله، فكما أن التقصير والتفريط من المنهيات، فالغلو كذلك، ولهذا قال: ﴿ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾ وهذا الكلام يتضمن ثلاثة

أمرين منهي عنهما، وهما قول الكذب على الله، والقول بلا علم في أسماته وصفاته وأفعاله، وشرعه ورسله، والثالث: مأمور به وهو قول الحق في هذه الأمور.

أشياء:

ولما كانت هذه قاعدة عامة كلية ، وكان السياق في شأن عيسى عليه السلام نصَّ على قول الحق فيه ، المخالف لطريقة اليهودية والنصرانية فقال: ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم السلام ومنتهى ما يصل إليه من مراتب الكمال، أعلى حالة تكون للمخلوقين، وهي درجة الرسالة التي هي أعلى الدرجات، وأجل المثوبات.

وأنه ﴿كلمته﴾ التي ﴿القاها إلى مريم﴾ أي: كلمة تكلم الله بها فكان بها عيسى، ولم يكن تلك الكلمة، وإنما كان بها، وهذا من باب إضافة التشريف والتكريم.

وكذلك قوله: ﴿وروح منه ﴾ أي: من الأرواح التي خلقها، وكملها بالصفات الفاضلة والأخلاق الكاملة، أرسل الله روحه جبريل عليه السلام،

فنفخ في فرج مريم عليها السلام، فحملت بإذن الله، بعيسى عليه السلام.

فلما بين حقيقة عيسى عليه السلام، أمر أهل الكتاب بالإيمان به وبرسله، ونهاهم أن يجعلوا الله ثالث ثلاثة، أحدهم عيسى، والثاني مريم، فهذه مقالة النصارى قبحهم الله.

فأمرهم أن ينتهوا، وأخبر أن ذلك خير لهم، لأنه الذي يتعين أنه سبيل النجاة، وما سواه فهو طريق الهلاك، ثم نزه نفسه عن الشريك والولد، فقال: ﴿إنما الله إله واحد﴾ أي: هو المنفرد بالألوهية، الذي لا تنبغي العبادة إلا له. ﴿سبحانه﴾ أي: تنزه وتقدس ﴿أن يكون له ولد﴾ لأن ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ فالكل مملوكون له، مفتقرون إليه، فمحال أن يكون له شريك منهم أو ولد.

ولما أخبر أنه المالك للعالم العلوي والسفلي، أخبر أنه قائم بمصالحهم الدنيوية والأخروية وحافظها، ومجازيهم عليها تعالى.

﴿ ١٧٢ ـ ١٧٢ ﴾ ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة القربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً \* فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾

لا ذكر تعالى غلو النصارى في عيسى عليه السلام، وذكر أنه عبده ورسوله، ذكر هنا أنه لا يستنكف عن عبادة ربه، أي: لا يمتنع عنها رغبة عنها لا هو ﴿ولا الملائكة المقربون﴾. فنزههم عن الاستنكاف، وتنزيههم عن الاستكبار من باب أولى، ونفي الشيء فيه إثبات ضده.

أي: فعيسى والملائكة المقربون، قد رغبوا في عبادة ربهم، وأحبوها وسعوا فيها بما يليق بأحوالهم، فأوجب لهم ذلك الشرف العظيم، والفوز العظيم،

فلم يستنكفوا أن يكونوا عبيداً لربوبيته ولا لإلهيته، بل يرون افتقارهم لذلك فوق كل افتقار.

ولا يظن أن رفع عيسى أو غيره من الخلق، فوق مرتبته التي أنزله الله فيها، وترفعه عن العبادة كمالاً، بل هو المنقب، وهو عل الذم والعقاب، ولهذا قال: ﴿ومَنْ يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً﴾ أي: فسيحشر الخلق كلهم إليه، المستنكفين والمستكبرين، وعباده المؤمنين، فيحكم بينهم بحكمه العدل، وجزائه الفصل.

ثم فصل حكمه فيهم فقال: ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي: جعوا بين الإيمان المأمور به، وعمل الصالحات من واجبات ومستحبات، من حقوق الله وحقوق عباده.

﴿فيوفيهم أجورهم﴾ أي: الأجور التي رتبها على الأعمال، كل بحسب إيمانه وعمله.

ويزيدهم من فضله من الثواب الذي لم تنله أعمالهم، ولم تصل إليه أفعالهم، ولم يخطر على قلوبهم. ودخل في ذلك كل ما في الجنة من المآكل والمسارب، والمناكح، والمناظر، والسرور، ونعيم القلب والروح، ونعيم البدن، بل يدخل في ذلك كل خير ديني ودنيوي رتب على الإيمان والعمل الصالح.

﴿وأما الذين استنكفوا واستكبروا ﴾ أي: عن عبادة الله تعالى ﴿فيعذهم عذاباً أليماً ﴾ وهو سخط الله وغضبه، والنار الموقدة التي تطلع على الأفئدة.

ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيراً إي: لا يجدون أحداً من الخلق يتولاهم فيحصل لهم المطلوب، ولا مَنْ ينصرهم فيدفع عنهم الرهوب، بل قد تخلى عنهم أرحم الراهين، وتركهم في عذابهم خالدين، وما حكم به تعالى فلا راد لحكمه، ولا مغير لقضائه.

﴿١٧٤ ـ ١٧٤﴾ ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً \* فأما الذين أمنوا بالله

واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً وفضل يمتن تعالى على سائر الناس بما أوصل إليهم من البراهين القاطعة والأنوار الساطعة، ويقيم عليهم الحجة، ويوضح لهم المحجة، فقال: ﴿يا أيها الناس قد جاء كم برهان من ربكم وتوضحه، وتين ضده.

وهذا يشمل الأدلة العقلية والنقلية، الآيات الأفقية والنفسية ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ .

وفي قوله: ﴿ وَمن ربكم ﴾ ما يدل على شرف هذا البرهان وعظمته، حيث كان من ربكم الذي رباكم التربية الدينية والدنيوية، فمن تربيته لكم التي يحمد عليها ويشكر، أن أوصل إليكم البينات، ليهديكم بها إلى الصراط المستقيم، والوصول إلى جنات النعيم. ﴿ وَأَنْزَلْنَا إليكم نُوراً مبيناً ﴾ وهو هذا القرآن العظيم، الذي قد اشتمل على على علوم الأولين والآخريس،

هذا القرآن العظيم، الذي قد اشتمل على عملوم الأولين والآخرين، والأخبار الصادقة النافعة، والأمر بكل عدل وإحسان وخير، والنهي عن كل ظلم وشر، فالناس في ظلمة إن لم يستضيئوا بأنواره، وفي شقاء عظيم إن لم يقتبسوا من خيره.

ولكن انقسم الناس - بحسب الإيمان بالقرآن، والانتفاع به - قسمين:

﴿فأما اللّهِ المنوابِالله أي:
اعترفوا بوجوده، واتصافه بكل وصف
كامل، وتنزيه من كل نقص وعيب.
﴿واعتصموا به أي: لجأوا إلى الله
واعتمدوا عليه، وتبرؤوا من حولهم
وقسوتهم، واستعانوا بربهم،
﴿فسيدخلهم في رحمة منه وفضل أي: فسيتغمدهم بالرحمة الخاصة،
فيوفقهم للخيرات، ويجزل لهم
الشوبات، ويدفع عنهم البليات
والمكروهات.

﴿ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً ﴾ أي: يوفقهم للعلم والعمل، معرفة الحق والعمل به.

أي: ومَنْ لم يؤمن بالله ويعتصم به ويتمسك بكتابه، منعهم من رحمته، وحرمهم من فضله، وخلى بينهم وبين أنفسهم، فلم يهتدوا، بل ضلوا ضلالا مبيناً، عقوبة لهم على تركهم الإيمان، فحصلت لهم الخيبة والحرمان، نسأله تعالى العفو والعافية والمعافاة.

﴿ ١٧٦﴾ ﴿ يستفتونك قبل الله يفتيكم في الكلالة إن امرة هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم﴾ أخبر تعالى أن الناس استفتوا رسوله ﷺ أي: في الكلالة بدليل قوله: ﴿قل الله يفتيكم في الكلالة وهي المت يموت وليس له ولد صلب ولا ولد ابن، ولا أب، ليس له ولد أي: لا ذكر ولا أنثى، لا ولد صلب ولا ولد ابن.

وكذلك ليس له والد، بدليل أنه ورث فيه الإخوة، والأخوات بالإجماع لا يرثون مع الوالد، فإذا هلك وليس له ولد، ولا والد ﴿وله أخت﴾ أي: شقيقة أو لأب، لا لأم، فإنه قد تقدم حكمها. ﴿فلها نصف ما ترك﴾ أي: نصف متروكات أخيها، من نقود وعقار وأثاث، وغير ذلك، وذلك من بعد الدين والوصية كما تقدم.

﴿وهو﴾ أي: أخوها الشقيق، أو الذي للأب ﴿يرثها إن لم يكن لها ولد﴾ ولم يقدر له إرثاً لأنه عاصب، فيأخذ مالها كله، إن لم يكن صاحب فرض ولا عاصب يشاركه، أو ما أبقت الفروض.

وفيان كانسا وأي: الأخسان والتين أي: فما فوق وفلهما الثلثان عما تبرك، وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء وأي: اجتمع الذكور من الإخوة لغير أم مع الإناث وفللذكر مثل حظ الأنشيين فيسقط فرض الإناث ويعصبهن إخوتهن.

﴿يبين الله لكم أن تضلوا ﴾ أي:

شنأن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب) يقول تعالى: ﴿ إِما أَيُّهَا الذِّينَ آمنوا لا تحلوا شعائر الله﴾ أي: محرماته التي أمركم بتعظيمها، وعدم فعلها والنهى يشمل النهى عن فعلها، والنهى عن اعتقاد حلها؛ فهو يشمل النهي، عن فعل القبيح، وعن اعتقاده.

إُ إِمَا لَا تَقَوَىٰٓ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقَا كُذَّبُواْ وَفَرِيقِـَا يَقْتُ لُوك ۞

ويدخل في ذلك النهى عن محرمات الإحرام، ومحرمات الحرم. ويدخل في ذلك ما نص عليه بقوله: ﴿وَلَا السُّهُرِ الحرام، أي: لا تنتهكوه بُالْقتال فيه وغيره من أنواع الظلم كما قال تعالى: ﴿إِنْ عِدْةُ الشَّهُورِ عِنْدُ اللهُ اثنا عِشْرِ شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن آنفسكم﴾.

والجمهور من العلماء على أن القتال في الأشهر الحرم منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيثٌ وجدتموهم﴾ وغير ذلك من العمومات التي فيها الأمر بقتال الكفار مطلقاً، والوعيد في التخلف عن قتالهم مطلقاً. وفروعه، فكلها داخلة في العقود التي أمر الله بالقيام بها . (١)

ثم قال ممتناً على عباده: ﴿ أَحِلْتُ لكم اي: لأجلكم، رحمة بكم ﴿ بهيمة الأنعام ﴾ من الإبل والبقر والغنم، بل ربما دخل في ذلك الوحشي منها، والظباء وحمر الوحش، ونحوها من الصيود.

واستدل بعض الصحابة بهذه الاية على إباحة الجنين الذي يموت في بطن أمه بعدما تذبح.

﴿ إلا ما يتلى عليكم ﴾ تحريمه منها في قوله: ﴿حرَّمت عليْكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾ إلى آخر الآية. فإن هذه المذكورات وإن كانت من بهيمة الأنعام فإنها محرمة.

ولما كانت إباحة بهيمة الأنعام عامة في جميع الأحوال والأوقات، استثنى منها الصيد في حال الإحرام فقال: ﴿ غير محلي الصيد وأنتم حرم ﴾ أي: أحلت لكم بهيمة الأنعام في كل حال، إلا حيث كنتم متصفين بأنكم غير محلى الصيد وأنتم حرم، أي: متجرؤون على قتله في حال الإحرام، وفي الحرم، فإن ذلك لا يحل لكم إذا كان صيداً، كالظباء ونحوه .

والبصيد هبو الحيبوان المأكبول المتوحش.

﴿إِن الله يحكم ما يريد ﴾ أي: فمهما أراده تعالى حكم به حكماً موافقاً لحكمته، كما أمركم بالوفاء بالعقود لحصول مصالحكم ودفع المضار عنكم. وأحل لكم بهيمة الأنعام رحمة بكم، وحرم عليكم ما استثنى منها من ذوات العوارض، من الميتة ونحوها، صوناً لكم واحتراماً، ومن صيد الإحرام احتراماً للإحرام وإعظاماً.

﴿٢﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعباتسر الله ولا السشبهبر الحبرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً فهذا الأمر شامل لأصول الدين وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم

يبين لكم أحكامه التي تحتاجونها، ويوضحها ويشرحها لكم، فضلاً منه وإحساناً لكي تهتدوا ببيانه، وتعملوا بأحكامه، ولئلا تضلوا عن الصراط المستقيم بسبب جهلكم وعدم علمكم.

﴿والله بكل شيء عليم ﴾ أي: عالم بالغيب والشهادة، والأمور الماضية والمستقبلة، ويعلم حاجتكم إلى بيانه وتعليمه، فيعلمكم من علمه الذي ينفعكم على الدوام في جميع الأزمنة والأمكنة.

## آخر تفسير سورة النساء فلله الحمد والشكر

## تفسير سورة المائدة وهي مدنية

﴿١﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد الما أمر من ألله تعالى لعباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالوفاء بالعقود، أي: بإكمالها، وإتمامها، وعدم نقضها ونقصها. وهذا شامل للعقود التي بين العبد وبين ربه، من التزام عبوديته، والقيام بها أتم قيام، وعدم الانتقاص من حقوقها شيئاً، والتي بينه وبين الرسول بطاعته واتباعه، والتي بينه وبين الوالدين والأقارب، ببرهم وصلتهم، وعدم قطيعتهم .

والتي بينه وبين أصحابه من القيام بحقوق الصحبة في الغني والفقر، واليسر والعسر، والتي بينه وبين الخلق من عقود المعاملات، كالبيع والإجارة، ونحوهما، وعقود التبرعات كالهبة ونحوها، بل والقيام بحقوق المسلمين التي عقدها الله بينهم في قوله: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ بالتناصر على الحق، والتعاون عليه والتآلف بين المسلمين وعدم التقاطع .

<sup>(</sup>١) في هامش أ ما نصه: (ويستدل بهذه الآية أن الأصل في العقود والشروط الإباحة، وأنها تنعقد بما دلّ عليها من قول أو فعل لإطلاقها) وليس هناك علامة تدل على موضع الزيادة. ويبدو أن موضعها هنا ـ والله أعلم ـــ

وَحَسِبُوٓا أَلَّاتَكُونَ فِنْتَةٌ فَكُوا وَكُمُوا أَوْكُمُوا أَمُوا أَمُوا أَمُوا أَمُوا أَمُوا أَلَهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَكُواْ وَكُمُّواْ كَيْدِيُّرُونَهُمُّ وَاللَّهُ بَعِيدِيًّا بِمَا يَعْمَلُونَ ۞ لَقَدْكَ فَرَالَّذِينَ قَالُوٓ الِنَ ٱللَّهَ هُوَٱلْمَسِيحُ أَبُّ مَنْهَامٌ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَسَبَى إِسْرَةِ يلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكَ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَئهُ الْكَارُّ وَمَا لِلظَّل لِمِينَ مِنْ أَنْصَادٍ ۞ لَّقَدُّكُفَّ رَالَّذِينَ قَالُوٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهُ قَالِثُ ثَلَنَتُةُ وَمَامِنْ إِلَاهِ إِلَّا إِلَهُ وَخِيدٌ وَإِن لَّرَينَتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لِتَمَسَّنَ ٱلَّذِينَ كَفَّتُرُواْمِنْهُ مُوعَدَّاتِ أَلِيدُ ۞ أَفَلًا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَكِسْ تَغْفِرُونَ اللَّهِ عَكُورٌ رَّجِيدٌ مَا ٱلْمَسِيحُ آئِنُ مَنْ عَنْ الْرَسُولُ فَ مَا ٱلْمَسِيحُ آئِنُ مَنْ الْمَسْولُ فَ مَا ٱلْمَسْرِينَ الْمَسْرِينَ الْمَسْرِينَ الْمُسْرِينَ الْمُسْرِينِ الْمُسْرِينَ الْمُسْرِينَ الْمُسْرِينَ الْمُسْرِينَ الْمُسْرِينَ الْمُسْرِ فَبِيهِ ٱلْإِسُلُ وَأَمُّهُ صِدِيفَةٌ كَانَا يَأْكُ لَابَ ٱلطَّعَامُ ٱنظُرُكَيْتُ ثُنِّينُ لَهُمُ ٱلْأَيْتِثُ مَّ ٱنظُرْ أَنَّا يُؤْفِكُونَ ﴿ قُلْ أَنْعَبُ دُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَحَمُ مُسَرًّا وَلَانَهْ عُلَّا وَاللَّهُ هُوَالسَّيمِ عُ الْعَلِيدُ MONEGOU ... BORGEO

وبأن النبي على قاتل أهل الطائف في ذي القعدة، وهو من الأشهر الحرم.

وقال آخرون: إن النهي عن القتال في الأشهر الحرم غير منسوخ لهذه الآية وغيرها، مما فيه النهي عن ذلك بخصوصه، وحملوا النصوص المطلقة الواردة على ذلك، وقالوا: المطلق يحمل على المقيد.

وفصل بعضهم فقال: لا يجوز ابتداء القتال في الأشهر الحرم، وأما استدامته وتكميله إذا كان أوله في غيرها، فإنه يجوز.

وحملوا قتال النبي هي الأهل المناف على ذلك، لأن أول قتالهم في «حنين» في «شوال». وكل هذا في القتال الذي ليس المقصود منه الدفع.

فأما قتال الدفع إذا ابتدأ الكفار المسلمين بالقتال، فإنه يجوز للمسلمين القتال، دفعاً عن أنفسهم في الشهر الحرام وغيره بإجماع العلماء.

وقوله: ﴿ولا الهدي ولا القلائد﴾
أي: ولا تحلوا الهدي الذي يهدى إلى
ببت الله في حج أو عمرة، أو غيرهما
من نعم وغيرها، فلا تصدوه عن
الوصول إلى محله، ولا تأخذوه بسرقة
أو غيرها، ولا تقصروا به، أو تحملوه
ما لا يطيق، خوفاً من تلفه قبل وصوله
إلى محله، بل عظموه وعظموا مَنْ جاء

﴿ولا القلائد﴾ هذا نوع خاص من أنواع الهدي، وهو الهدي الذي يفتل له قلائد أو عرى، فيجعل في أعناقه إظهاراً لشعائر الله، وحملاً للناس على الاقتداء، وتعليماً لهم للسنة، وليعرف أنه هدي فيحترم، ولهذا كان تقليد الهدي من السنن والشعائر المسنونة.

ولا آمين البيت الحرام أي: قاصدين له ويبتغون فضلا من ربهم ورضوانا أي: من قصد هذا البيت الحرام، وقصده فضل الله بالتجارة والمكاسب المباحة، أو قصده رضوان الله بحجه وعمرته والطواف به، والصلاة، وغيرها من أنواع العبادات، فلا تتعرضوا له بسوء، ولا تهينوه، بل أكرموه، وعظموا الوافدين الزائرين لبيت ربكم.

ودخل في هذا الأمر الأمرُ بتأمين الطرق الموصلة إلى بيت الله، وجعل القاصدين له مطمئنين مستريحين، غير خائفين على أنفسهم من القتل فما دونه، ولا على أموالهم من المكس والنهب ونحو ذلك.

وهذه الآية الكريمة مخصوصة بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ فالمشرك لا يمكن من الدخول إلى الحرم.

والتخصيص في هذه الآية بالنهي عن التعرض لمن قصد البيت ابتغاء فضل الله أو رضوانه \_ يدل على أن مَنْ قصده ليلحد فيه بالمعاصي، فإن من تمام احترام الحرم صد مَنْ هذه حاله عن الإفساد ببيت الله، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾.

ولما نهاهم عن الصيد في حال الإحرام قيال: ﴿وَإِذَا حَلَّمُ الْحَمْ مِنْ فَاصَطَادُوا﴾ أي: إذا حللتم من الإحرام بالحج والعمرة، وخرجتم من الحرم حل لكم الاصطياد، وزال ذلك التحريم. والأمر بعد التحريم يرد الأشياء إلى ما كانت عليه من قبل.

﴿ولا بجرمـنـكـم شـنـآن قـوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾

أي: لا يحملنكم بغض قوم وعداوتهم واعتداؤهم عليكم، حيث صدوكم عن المسجد على الاعتداء عليهم، طلبا للاشتفاء منهم، فإن العبد عليه أن يلتزم أمر الله، ويسلك طريق العدل، ولو جني عليه أو ظلم واعتدي عليه، فلا يحل له أن يكذب على مَنْ كذب عليه، أو يخون مَنْ خانه.

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ أي: ليعن بعضكم بعضاً على البر. وهو: اسم جامع لكل ما يجبه الله ويرضاه، من الأعمال الظاهرة والباطنة، من حقوق الله وحقوق الآدمين.

والتقوى في هذا الموضع: اسم جامع لترك كل ما يكرهه الله ورسوله، من الأعمال الظاهرة والباطنة. وكل خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، أو خصلة من خصال الشر المأمور بفعلها بنفسه، بركها، فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه، ويمعاونة غيره من إخوانه المؤمنين عليها، بكل قول يبعث عليها وينشط لها، وبكل فعل كذلك.

﴿ولا تعاونوا على الإثم ، وهو التجرؤ على المعاصى التي يأثم صاحبها، ويحرج. ﴿والعدوان ، وهو التعدي على الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فكل معصية وظلم يجب على العبد، كف نفسه عنه، ثم إعانة غيره على تركه.

مُ ﴿ وَاتَقُوا الله إن الله شديد المقاب ﴾ على من عصاه وتجرأ على محارمه ، فاحذروا المحارم لئلا يحل بكم عقابه العاجل والآجل .

وسلم المنت عليكم الميتة والدم ولحم الحنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام في قوله: ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾. في قوله: ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾. واعلم أن الله تبارك وتعالى لا يحرم ما يين للعباد ذلك وقد لا يبين.

فأخبر أنه حرم ﴿الميشة﴾ والمراد

بالميتة: ما فقدت حياته بغير ذكاة شرعية، فإنها تحرم لضررها، وهو احتقان الدم في جوفها ولحمها المضر بآكلها، وكثيراً ما تموت بعلة تكون سبباً لهلاكها، فتضر بالآكل، ويستثنى من ذلك ميتة الجراد والسمك، فإنه حلال.

﴿واللم﴾ أي: المسفوح، كما قيد في الآية الأخرى. ﴿ولحم الخنزير﴾ وذلك شامل لجميع أجزائه، وإنما نص الله عليه من بين سائر الخبائث من السباع، لأن طائفة من أهل الكتاب من النصارى يزعمون أن الله أحله لهم. أي: فلا تغتروا بهم، بل هو محرم من جملة الخبائث.

﴿وما أهل لغير الله به ﴾ أي: ذُكر عليه اسم غير الله تعالى، من الأصنام والأولياء والكواكب وغير ذلك من المخلوقين. فكما أن ذكر الله تعالى يطيب الذبيحة، فذكر اسم غيره عليها، يفيدها خبئاً معنوياً، لأنه شرك بالله تعالى.

﴿والمنخنقة﴾ أي: الميتة بخنق، بيد أو حبل، أو ادخالها رأسها بشيء ضيق، فتعجز عن إخراجه حتى تموت.

﴿والموقوذة﴾ أي: الميتة بسبب الضرب بعصاً أو حصى أو خشبة، أو هدم شيء عليها، بقصد أو بغير قصد.

﴿والمشردية ﴾ أي: الساقطة من علو ، كجبيل أو جدار أو سطح ونحوه، فتموت بذلك .

﴿والنطيحة﴾ وهي التي تنطحها غيرها فتموت.

﴿وما أكل السبع ﴾ من ذئب أو أسد أو نمر، أو من الطيور التي تفترس الصيود، فإنها إذا ماتت بسبب أكل السبع، فإنها لا تحل.

وقوله: ﴿إلا ما ذكيتم﴾ راجع لهذه المسائل، من منخنقة، وموقوذة، ومتردية، ونطيحة، وأكيلة سبع، إذا ذكيت وفيها حياة مستقرة لتتحقق الذكاة فيها، ولهذا قال الفقهاء: «لو أبان السبع أو غيره حشوتها، أو قطع حلقومها، كان وجود حياتها كعدمه، لعدم فائدة الذكاة فيها الوبعضهم لم يعتبر فيها إلا وجود الحياة فإذا ذكاها وفيها حياة حلت ولو كانت مبانة الحشوة وهو ظاهر الآية الكريمة](١).

﴿وأن تستقسموا بالأزلام ﴾ أي: وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام. ومعنى الاستقسام: طلب ما يقسم لكم ويقدر بها، وهي قداح ثلاثة كانت تستعمل في الجاهلية، مكتوب على أحدها «افعل» وعلى الثاني «لا تفعل» والثالث غفل لا كتابة فيه.

فإذا هم أحدهم بسفر أو عرس أو نحوس أو نحوهما، أجال تلك القداح المتساوية في الجرم، ثم أخرج واحداً منها، فإن خرج المكتوب عليه «افعل» مضى في أمره، وإن ظهر المكتوب عليه «لا تفعل» لم يفعل ولم يمض في شأنه، وإن ظهر الآخر الذي لا شيء عليه، أعادها حتى يخرج أحد القدحين فيعمل

فحرَّمه (۲) الله عليهم الذي في هذه الصورة وما يشبههه، وعوضهم عنه بالاستخارة لربهم في جميع أمورهم.

﴿ذلكم فسق﴾ الإشارة لكل ما تقدم من المحرمات، التي حرمها الله صيانة لعباده، وأنها فسق، أي: خروج عن طاعته إلى طاعة الشيطان.

ثم امتنَّ على عباده بقوله:

﴿٣﴾ ﴿اليوم يئس الذين كفروا من
 دينكم فلا تخشوهم واخشونِ اليوم
 أكملت لكم دينكم وأقمت عليكم

نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم،

واليوم المسار إليه يموم عرفة، إذ أتم الله دينه، ونصر عبده ورسوله، وانخذل أهل الشرك انخذالاً بليغاً، بعدما كانوا حريصين على رد المؤمنين عن دينهم، طامعين في ذلك.

فلما رأوا عز الإسلام وانتصاره وظهوره، يشسوا كل اليأس من المؤمنين، أن يرجعوا إلى دينهم، وصاروا يخافون منهم ويخشون، ولهذا في هذه السنة التي حج فيها النبي عشر حجة الوداع لم يجج فيها مشرك، ولم يطف بالبيت عريان.

وله ذا قال: ﴿فلا تخشوهم واخشون﴾أي: فلا تخشوا المشركين، واخشوا الله الذي نصركم عليهم وخذلهم، وردكيدهم في نحورهم.

﴿اليوم أكملت لكم دينكم ﴿ بتمام النصر، وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة، الأصول والفروع، ولهذا كان الكتاب والسُنة كافيين كل الكفاية، في أحكام الدين أصوله وفروعه.

فكل متكلف يزعم أنه لا بدللناس في معرفة عقائدهم وأحكامهم إلى علوم غير علم الكتاب والسنة، من علم الكلام وغيره، فهو جاهل، مبطل في دعواه، قد زعم أن الدين لا يكمل إلا بما قاله ودعا إليه، وهذا من أعظم الظلم والتجهيل لله ولرسوله.

﴿ وَأَتَمَتَ عَلَيكُم نَعْمَتِي ﴾ الظاهرة والباطنة ﴿ ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ أي: اخترته واصطفيته لكم ديناً ، كما ارتضيتكم له ، فقوموا به شكراً لربكم ، واحمدوا الذي مَنَّ عليكم بأفضل الأديان وأشرفها وأكملها .

﴿ فَ مِنْ اصْطر ﴾ أي: ألجاته الضرورة إلى أكل شيء من المحرمات

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ: كعدمه.

<sup>(</sup>٢) كذا في النسختين، ولعل الأقرب: فحرم.

السابقة، في قوله: ﴿حرمت عليكم المينة ﴾ ﴿ في محمصة ﴾ أي: مجاعة ﴿غير متجانف﴾ أي: ماثل ﴿لإثم﴾ بأن لا يأكل حتى يضطر، ولا يزيد في الأكل على كفايته ﴿فَإِنَّ اللَّهُ غَفُور رحيم المحيث أباح له الأكل في هذه الحال، ورحمه بما يقيم به بنيته من غير نقص يلحقه في دينه .

﴿ ٤﴾ ﴿ يسَّأَلُونَكُ مَاذًا أَحَلُ لَهُم قُلَّ أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عمليه واتمقوا الله إن الله سريع الحساب الله يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿يسألونكِ ماذا أحل لهم الأطعمة؟ ﴿قل أحل لكم الطيبات﴾ وهي كل ما فيه نفع أو لذة، من غير ضرر بالبدن ولا بالعقل، فدخل في ذلك جميع الحبوب والثمار التي في القرى والبراري، ودخل في ذلك جميع حيوانات البحر وجميع حيوانات آلبر، إلا ما استثناه الشارع، كالسباع والخبائث منها .

ولهذا دلت الآية بمفهومها على تحريم الخبائث، كما صرح به في قوله تعالى: ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث).

﴿ وما علمتم من الجوارح ﴾ أي: أحل لكم ما علمتم من الجوارح إلى آخر الآية . دلت هذه الآية على أمور :

أحدها: لطف الله بعباده ورحمته لهم، حيث وسع عليهم طوق الحلال، وأبياح لنهم منالم يتذكبوه ممنا صيادتيه الجوارح، والمراد بالجوارح: الكلاب، والفهود، والصقر، ونحو ذلك، مما

يصيد بنابه أو بمخلبه.

الثاني: أنه يشترط أن تكون معلمة، بما يعد في العرف تعليماً، بأن يسترسل إذا أرسل، وينزجر إذا زجر، وإذا أمسك لم يأكل، ولهذا قال: ﴿تعلمونهن بما علمكم الله فكلوا بما أمسكن عليكم اي: أمسكن من

وما أكل منه الجارح فإنه لا يعلم أنه أمسكه على صاحبه، ولعله أن يكون أمسكه على نفسه .

الثالث: اشتراط أن يجرحه الكلب أو الطير ونحوهما، لقوله: ﴿من الجوارح، مع ما تقدم من تحريم المنخنقة. فلو خنقه الكلب أو غيره، أو قتله بثقله لم يبح [هذا بناء على أن الجوارح اللاتي يجرحن الصيد بأنيابها أو مخالبهآ، والمشهور أن الجوارح بمعنى الكواسب أي: المحصلات للصيد والمدركات لها فلا يكون فيها على هذا دلالة\_ والله أعلم \_]<sup>(۱)</sup>.

الرابع: جواز اقتناء كلب الصيد، كما ورد في الحديث الصحيح، مع أن اقتناء الكلب محرم، لأن من لازم إباحة صيده وتعليمه جواز اقتنائه.

الخامس: طهارة ما أصابه فم الكلب من الصيد، لأن الله أباحه ولم

يذكر له غسلاً، فدل على طهارته.

السادس: فيه فضيلة العلم، وأن الجارح المعلم \_بسبب العلم \_يباح صيده، والجاهل بالتعليم لا يباح

السابع: أن الاشتغال بتعليم الكلب أو الطير أو نحوهما، ليس مذموماً، وليس من العبث والباطل. بل هو أمر مقصود، لأنه وسيلة لحل صيده والانتفاع به .

الثامن: فيه ججة لمن أباح بيع كلب الصيد، قال: لأنه قد لا يحصل له إلاّ بذلك.

التاسع: فيه اشتراط التسمية عند إرسال الجارح، وأنه إن لم يسم الله متعمداً، لم يبح ما قتل الجارح.

العاشر: أنه يجوز أكل ما صاده الجارح، سواء قتله الجارح أم لا. وأنه إن أدركه صاحبه، وفيه حياة مستقرة فإنه لا يباح إلا بها.

ثم حث تعالى على تقواه، وحذر من إتيان الحساب في يوم القيامة، وأن ذلك أمر قد دناً واقترب، فقال: ﴿واتقوا الله إن الله سريع الحساب﴾

﴿ ٥ ﴾ ﴿ اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حلّ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين، كور تعالى إحلال الطيبات لبيان الامتنان، ودعوة للعباد إلى شكره والإكثار من ذكره، حيث أباح لهم ما تدعوهم الحاجة إليه، ويحصل لهم الانتفاع به من الطيبات.

﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حِلَّ لكم، أي: ذبائح اليهود والنصاري حلال لكم \_يا معشر المسلمين \_دون باقى الكفار، فإن ذبائحهم لا تحل للمسلمين، وذلك لأن أهل الكتاب ينتسبون إلى الأنبياء والكتب.

وقد اتفق الرسل كلهم على تحريم الذبح لغير الله، لأنه شرك، فاليهود والنصاري يتدينون بتحريم الذبح لغير الله، فلذلك أبيحت ذبائحهم دون غيرهم. والدليل على أن المراد بطعامهم ذبائحهم، أن الطعام الذي ليس من الذبائح كالحبوب والثمار ليس لأهل الكتاب فيه خصوصية، بل يباح ذلك ولو كان من طعام غيرهم.

وأيضاً فإنه أضاف الطعام إليهم. فدل ذلك، على أنه كان طعاماً، بسبب ذبحمهم. ولا يسقسال: إن ذلسك للتمليك، وأن المراد: الطعام الذي يملكون. لأن هذا، لا يباح على وجه الغصب، ولا من المسلمين.

﴿وطعامكم﴾ أيها المسلمون ﴿حل لهم﴾ أي: يحل لكم أن تطعموهم إياه ﴿وَ﴾ أحل لكم ﴿المحصناتِ﴾ أي: الحرائر العفيفات ﴿من المؤمنات﴾ والحراثر العفيفات ﴿من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اي: من اليهود والنصاري.

وهنذا مخصص لقوله تعالى. ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾

الصيد لأجلكم.

الجزء السادس

ومفهوم الآية، أن الأرقاء من المؤمنات لا يبناح نكاحهن للأحرار، وهمو كذلك.

وأما الكتابيات فعلى كل حال لا يبحن، ولا يجوز نكاحهن للأحرار مطلقاً، لقوله تعالى: ﴿من فتياتكم المؤمنات﴾ وأما المسلمات إذا كن رقيقات فإنه لا يجوز للأحرار نكاحهن إلا بشرطين، عدم الطول وخوف العنت.

وأما الفاجرات غير العفيفات عن الزنا فلا يباح نكاحهن، سواء كن مسلمات أو كتابيات، حتى يتبن لقوله تعالى: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة﴾ الآية.

وقوله: ﴿إِذَا آتيتموهن أجورهن﴾ أي: أبحنا لكم نكاحهن، إذا أعطيتموهن على أعطيتموهن ومن عزم على أن لا يؤتيها مهرها فإنها لا تحل له. وأمر بإيتائها إذا كانت رشيدة تصلح للإيتاء، وإلا أعطاه الزوج لوليها.

وإضافة الأجور إليهن دليل على أن المرأة تملك جميع مهرها، وليس لأحد منه شيء، إلا ما سمحت به لزوجها أو وليها أو غيرهما. ﴿عصنين غير مسافحين﴾ أي: حالة كونكم \_أيها الأزواج \_عصنين لنسائكم، بسبب حفظكم لفروجكم عن غيرهن.

﴿غير مسافحين﴾ أي: زانين مع كل أحد ﴿ولا متخلي أخدان﴾. وهو: الزنا مع العشيقات لأن الزناة في الجاهلية، منهم مَنْ يزني مع مَنْ كان، فهذا المسافح. ومنهم مَنْ يزني مع خدنه وعبه. فأخبر الله تعالى أن ذلك كله ينافي العفة، وأن شرط التزوج أن يكون الرجل عفيفاً عن الزنا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكَفُر بِالْإِيمَانُ فَقَدْ حَبِطَ عَمِلُهُ أَي: وَمَنْ كَفُر بِاللهِ فَقَدْ حَبِطُ عَمِلُهُ أَي: ومَنْ كَفُر بِاللهِ تعالى، وما يجب الإيمان به من كتبه ورسله أو شيء من الشرائع، فقد حبط عمله، بشرط أن يموت على كفره، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرِ تَدْدُ مَنْكُم عَن كينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ﴿ ﴿وهو في الدّين أَوَاللّهُ مَنْ الحّاسرين ﴾ أي: الدّين الذّين

خسروا أنفسهم وأموالهم وأهليهم يوم القيامة، وحصلوا على الشقاوة الأبدية. ﴿٦﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم

إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الله المرافق وامسحوا بر ووسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون هذه آية عظيمة قد اشتملت على أحكام كثيرة، نذكر منها ما يسره الله وسهله.

أحدها: أن هذه المذكورات فيها امتثالها والعمل بها من لوازم الإيمان الذي لا يتم إلا به، لأنه صدرها بقوله فيا أيها الذين آمنوا الإيمان يا أيها الذين آمنوا، اعملوا بمقتضى إيمانكم بما شرعناه لكم.

الثاني: الأمر بالقيام بالصلاة لقوله: ﴿ إِذَا قَمْتُم إِلَى الصلاة ﴾

الثالث: الأمر بالنية للصلاة، لقوله: ﴿إِذَا قمتم إلى الصلاة﴾ أي: بقصدها ونيتها.

الرابع: اشتراط الطهارة لصحة الصلاة، لأن الله أمر بها عند القيام إليها، والأصل في الأمر الوجوب.

الخامس: أن الطهارة لا تجب بدخول الوقت، وإنما تجب عند إرادة الصلاة.

السادس: أن كل ما يطلق عليه اسم الصلاة، من الفرض والنفل، وفرض الكفاية، وصلاة الجنازة، تشترط له الطهارة، حتى السجود المجرد عند كثير من العلماء، كسجود التلاوة والشكر.

السابع: الأمر بغسل الوجه، وهو: ما تحصل به المواجهة من منابت شعر الرأس المعتاد، إلى ما انحدر من اللحيين والـذقـن طـولاً. ومـن الأذن إلى الأذن عرضاً.

ويدخل فيه المضمضة والاستنشاق، بالسُنّة، ويدخل فيه الشعور التي فيه.

فأيتأخل الكتك لاتفأوا في دينكم غَيْرَاكُمُ وَلَاتَنَّهُ عَوَّا أَهُوآهُ قُومِ فَدْ صَالُوامِكِ فَبَدْلُ وَأَصَالُوا كَيْمُوا وَضَالُوا عَن سَوَاهِ السَّكِيل ۞ لُهِنَ ٱلَّذِيكَ كَفُرُواْ مِنْ بَحِي إِمْرَاء بِلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُردَ وَعِيسَى آَيْنِ مَرْيَحٌ ذَلِكَ بِمَاعَصُواْ وَكَ انُواْ بَعْتُ دُونَ الله كَانُوا لَا يَـتَنَاهُونَ عَنْ مُنكَرِفَعُ لُوهُ لَبِثْنَ مَاكَانُواْ يَفْعَلُونَ ۞ نَرَىٰ كَيْ يُعَالِمُهُمْ يَتُوَلُّونِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِبَثْسَ مَافَدَّ مَتْ لَكُمُّ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَدَابِ هُمَّ خَلِادُونِ ۞ وَلَوْكَ اثُواْ يُوْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَٱ أَنْزِلَ إِلَيْهِ مَا أَغَنَدُ وَهُمْ أَوْلِيكَآءَ وَلَكِئَ كَتَحْدِيرًا مِنْهُمْ فَلْسِقُونَ ٥ • لَتَحِمَّكُ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَوَةً لِلَّذِبَ ءَامَنُوا ٱلْهُودَ اللَّهُ وَاللَّهِ مِنَ أَشْرَكُمُ وَالنَّجِدَ كَ أَفْرَتُهُ مُودَّةً وَللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّمْ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ و اسْنُوا ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَدَرَيُّ ذَٰلِكَ بِأَنْ مِنْهُمْ مُ فِيسِّيسِينَ وَرُهِٰكَ اَنَا فَأَنَّهُ مُولَايَسَةَكْبُرُونَ ﴿ OZENDZ W KOREKOW

لكن إن كانت خفيفة فلا بد من إيصال الماء إلى البشرة، وإن كانت كثيفة اكتفي بظاهرها.

الثامن: الأمر بغسل اليدين، وأن حدهما إلى المرفقين و (إلى كما قال جمهور المفسرين بمعنى «مع»، كقوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ﴾ ولأن الواجب لا يتم إلا بغسل جميع المرفق.

التاسع: الأمر بمسح الرأس.

العاشر: أنه يجب مسح جميعه، لأن الباء ليست للتبعيض، وإنما هي للملاصقة، وأنه يعم المسح بجميع الرأس.

الحادي عشر: أنه يكفي المسح كيفما كان، بيديه أو إحداهما، أو خرقة أو خشبة أو نحوهما، لأن الله أطلق المسح ولم يقيده بصفة، فدل ذلك على إطلاقه.

الثاني عشر: أن الواجب المسع. فلو غسل رأسه ولم يمريده عليه لم يكف، لأنه لم يأت بما أمر الله به.

الثالث عشر: الأمر بغسل الرجلين إلى الكعبين، ويقال فيهما ما يقال في اليدين.

الرابع عشر: فيها الردعلى الرافضة، على قراءة الجمهور بالنصب، وأنه لا يجوز مسحهما ما دامتا مكشوفتين.

الخامس عشر: فيه الإشارة إلى مسح

وإذَا سَيعُواْمَا أُوْلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَيَّا أَعْدُنَهُمْ تَعِيثُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّاعَرُهُوا مِنَ لَغُقِّ مُقُولُونَ رَبِّنَآ ءَامَنَا فَأَحُمُّ بُنَا مَعَ ٱلشُّهدِينَ ﴿ وَمَالَنَا لَانُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَاجَآءَ تَامِنَ ٱلْمَيْقَ وَنَظْمَعُأَن يُدْخِلَنَ ارَبُّنَامَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّلِحِينَ ۞ فَأَنْبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُولُ جَنَّتِ جَمْرِي مِن تَقَيْعَا ٱلْأَنْفُكُرُ خَلِا بِينَ فِيسَفَّأَ وَذَالِكَ حَنَّاهُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ وَالَّذِينَ حَسَمُوا فَكُنَّوا بِتَايَنِيَنَا أُوْلَتِهِكَ أَصْحَابُ لَلْهَجِيدِ ۞ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ۗ امْنُواْ لانحَيْرِمُوا طَيِبَنَتِ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلِا نَعْتُ دُوًّا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۞ وَكُلُواْمِتَارَزَقَكُمُ ٱللَّهُ مَلَكُ طَيِّبًا ۚ وَانَّـ هُواْ اللَّهَ ٱلَّذِيٓ انْشُدىدِيهُ مُوْمِئُونَ ۞ لَايُوَاحِدُكُمُ ۗ ٱللَّهُ إِللَّهْ فِي أَيْمَنْ كُمُ وَلَكِن يُؤلِنِذُكُر بِمَا عَقَّدتُمُ ٱلْأَيْمَانَ ۗ فَكُفُكَرُتُهُ ۖ وَإِظْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاحِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَاتُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْكِنَا وَهُمُّرا أَوْتَحْرِيهُ رُرَعَبَا فَيَنَا لَهُ بِعَدْ فَصِيامُ ثَلَاثَةِ أَيَّا إِذَ لِكَ كَفَّدَرُهُ أَيَّلَيْكُمْ إِذَا حَلَفَتُدُّ وَأَحْفَظُواْ أَيَّنَتَكُو ْكَ نَالِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُوْ مَالِّنِهِ - لَعَلَّكُوْ تَفْكُرُونَ ۞

سرائي ميل المستقال ا

وتكون كل من القراءتين، محمولة على معنى، فعلى قراءة النصب فيها، غسلهما إن كانتا مكشوفتين، وعلى قراءة الجر فيها، مسحهما إذا كانتا مستورتين بالخف.

السادس عشر: الأمر بالترتيب في الوضوء، لأن الله تعالى ذكرها مرتبة. ولأنه أدخل محسوحاً ـ وهو الرأس ـ بين مغسولين، ولا يعلم لذلك فائدة غير الترتيب.

السابع عشر: أن الترتيب مخصوص بالأعضاء الأربعة المسميات في هذه الآبة.

وأما الترتيب بين المضمضة والاستنشاق والوجه، أو بين اليمنى واليسرى من اليدين والرجلين، فإن ذلك غير واجب، بل يستحب تقديم المضمضة والاستنشاق على غسل الوجه، وتقديم اليمنى على اليسرى من اليدين والرجلين، وتقديم مسح الرأس على مسح الأذنين.

الثامن عشر: الأمر بتجديد الوضوء عند كل صلاة، لتوجد صورة المأمور به.

التاسع عشر: الأمر بالغسل من الجنابة.

العشرون: أنه يجب تعميم الغسل للبدن، لأن الله أضاف التطهر للبدن، ولم يخصصه بشيء دون شيء.

الحادي والعشرون: الأمر بغسل ظاهر الشعر وباطنه في الجنابة.

الثاني والعشرون: أنه يندرج الحدث الأصغر في الحدث الأكبر، ويكفي من هما عليه أن ينوي، ثم يعمم بدنه، لأن الله لم يذكر إلا التطهر، ولم يذكر أنه يعيد الوضوء.

الثالث والعشرون: أن الجنب يصدق على مَنْ أنزل المني يقظة أو مناماً، أو جامع ولو لم ينزل.

الرابع والعشرون: أن مَنْ ذكر أنه احتلم ولم يجد بللاً، فإنه لا غسل عليه، لأنه لم تتحقق منه الجنابة.

الخامس والعشرون: ذكر منة الله تعالى على العباد، بمشروعية التيمم.

السادس والعشرون: أن من أسباب جواز التيمم وجود المرض الذي يضره غسله بالماء، فيجوز له التيمم.

السابع والعشرون: أن من جملة أسباب جوازه، السفر والإتيان من البول والغائط إذا عدم الماء، فالمرض يجوز التيمم مع وجود الماء لحصول التضرر به، وباقيها يجوزه العدم للماء ولو كان في الحضر.

الثامن والعشرون: أن الخارج من السبيلين من بول وغائط، ينقض الوضو.

التأسع والعشرون: استدل بها مَن قال: لا ينقض الوضوء إلا هذان الأمران، فلا ينتقض بلمس الفرج ولا بغيره.

الثلاثون: استحباب التكنية عما يستقذر التلفظ به(١٠)، لقوله تعالى: ﴿أوجاء أحد منكم من الغائط﴾

الحادي والشلاثون: أن لمس المرأة بلذة وشهوة ناقض للوضوء.

الثاني والثلاثون: اشتراط عدم الماء لصحة التيمم.

الثالث والثلاثون: أنه مع وجود الماء ولو في الصلاة، يبطل التيمم

لأن الله إنما أباحه مع عدم الماء.

الرابع والشلاثون: أنه إذا دخل الوقت وليس معه ماء، فإنه يلزمه طلبه في رحله وفيما قرب منه، لأنه لا يقال الم يجد الله لم يجد الله لم يطلب.

الخامس والثلاثون: أن مَنْ وجد ماء لا يكفي بعض طهارته، فإنه يلزمه استعماله، ثم يتيمم بعد ذلك.

السادس والثلاثون: أن الماء التغير بالطاهرات، مقدم على التيمم، أي: يكون طهوراً، لأن الماء المتغير ماء، فيدخل في قوله: ﴿فلم تجدوا ماء﴾.

السابع والثلاثون: أنه لا بد من نية التيمم لقوله: ﴿فتيمموا﴾ أي: اقصدوا.

الثامن والثلاثون: أنه يكفي التيمم بكل ما تصاعد على وجه الأرض من تراب وغيره. فيكون على هذا، قوله: ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ﴾ إما من باب التغليب، وأن الغالب أن يكون له غبار يمسح منه ويعلق بالوجه واليديس، وإما أن يكسون إرشاداً للأفضل، وأنه إذا أمكن التراب الذي فيه غبار فهو أولى.

التاسع والثلاثون: أنه لا يصح التيمم بالتراب النجس، لأنه لا يكون طيباً بل خبيثاً.

الأربعون: أنه يمسح في التيمم الوجه واليدان فقط، دون بقية الأعضاء.

الحادي والأربعون: أن قبوله: هر وجوهكم في شامل لجميع الوجه وأنه يعممه (٢) بالمسح، إلا أنه معفو عن إدخال التراب في الفم والأنف، وفيما تحت الشعور، ولو خفيفة.

السُاني والأربعون: أن اليدين تمسحان إلى الكوعين فقط، لأن اليدين عند الإطلاق كذلك.

فلو كان يشترط إيصال المسح إلى الذراعين لقيده الله بذلك، كما قيده في الوضوء.

الثالث والأربعون: أن الآية عامة في جواز التيمم، لجميع الأحداث كلها، الحدث الأكبر والأصغر، بل ولنجاسة البدن، لأن الله جعلها بدلا عن طهارة الماء، وأطلق في الآية فلم يقيد [وقد يقال أن نجاسة البدن لا تدخل في حكم التيمم لأن السياق في الأحسداث وهو قول جمهور العلماء](١٠).

الرابع والأربعون: أن محل التيمم في الحدث الأصغر والأكبر واحد، وهو الوجه واليدان.

الخامس والأربعون: أنه لو نوى من عليه حدثان التيمم عنهما، فإنه يجزى، أخذاً من عموم الآية وإطلاقها.

السادس والأربعون: أنه يكفي المسح بأي: شيء كان، بيده أو غيرها، لأن الله قال: ﴿فامسحوا﴾ ولم يذكر الممسوح به، فدل على جوازه بكل شيء.

السابع والأربعون: اشتراط الترتيب في طهارة التيمم، كما يشترط ذلك في الوضوء، ولأن الله بدأ بمسح الوجه قبل مسح اليدين.

الثامن والأربعون: أن الله تعالى \_ فيما شرعه لنا من الأحكام \_ لم يجعل علينا في ذلك من حرج ولا مشقة ولا عسر، وإنما هو رحمة منه بعباده ليطهرهم، وليتم نعمته عليهم.

وهذا هو التاسع والأربعون: أن طهارة الظاهر بالماء والتراب، تكميل لطهارة الباطن بالتوحيد، والتوبة النصوح.

الخمسون: أن طهارة التيمم، وإن لم يكن فيها نظافة وطهارة تدرك بالحس والمشاهدة، فإن فيها طهارة معنوية ناشئة عن امتثال أمر الله تعالى.

الحادي والخمسون: أنه ينبغي للعبد أن يستدبر الحكم والأسرار في شرائع الله، في الطهارة وغيرها ليزداد معرفة وعلماً، ويزداد شكراً لله ومحبة له، على ما شرع من الأحكام التي توصل العبد إلى المنازل العالية الرفيعة.

وميثاقه الذي والقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور في أمر تعالى عباده بذكر نعمه الدينية والدنيوية، بقلوبهم وألسنتهم. فإن في استدامة ذكرها داعياً لشكر الله تعالى وعبته، وامتلاء القلب من إحسانه.

وفيه زوال للعجب من النفس بالنعم الدينية، وزيادة لفضل الله وإحسانه. ﴿وميشاقه﴾ أي: واذكروا ميشاقه ﴿الذي واثقكم به﴾ أي: عهده الذي أخذه عليكم.

وليس المراد بذلك أنهم لفظوا ونطقوا بالعهد والميثاق، وإنما المراد بذلك أنهم بإيمانهم بالله ورسوله قد التزموا طاعتهما، ولهذا قال: ﴿إِذْ قلتم سمعنا وأطعنا﴾ أي: سمعنا ما دعوتنا به من آياتك القرآنية والكونية، سمع فهم وإذعان وانقياد. وأطعنا ما أمرتنا به بالامتشال، وما نهيتنا عنه بالاجتناب. وهذا شامل لجميع شرائع الدين الظاهرة والباطنة.

وأن المؤمنين يذكرون في ذلك عهد الله وميثاقه عليهم، وتكون منهم على بال، ويحرصون على أداء ما أمروا به كاملاً غير ناقص.

﴿ واتقوا الله ﴾ في جميع أحوالكم ﴿ إِنَ الله عليم بذات الصدور ﴾ أي : بما تنطوي عليه من الأفكار والأسرار والخواطر. فاحذروا أن يطلع من قلوبكمعلى أمر لا يرضاه، أو يصدر منكم ما يكرهه، واعمروا قلوبكم بمعرفته ومحبته والنصح لعباده. فإنكم إن كنتم كذلك عفر لكم المسئات، وضاعف لكم الحسنات، ولعدم .

﴿ ﴿ ﴿ لَا أَيّهَا اللَّذِينَ آمنوا كُونُوا قُوامِنَ للهُ شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ أي: ﴿ يا أيها اللَّذِينَ آمنوا ﴾ بما أمروا بالإيمان به، قوموا بلازم إسمانكسم، بأن تكونوا ﴿ قوامين لله شهداء بالقسط ﴾ بأن تنشط للقيام بالقسط حركاتكم الظاهرة

والباطنة وأن يكبون ذلك القيام لله وحده، لا لغرض من الأغراض الدنيوية، وأن تكونوا قاصدين للقسط، الذي هو العدل، لا الإفراط ولا التفريط، في أقوالكم ولا أفعالكم، وقوموا بذلك على القريب والبعيد، والصديق والعدو.

﴿ولا يجرمنكم﴾ أي: يحملنكم بغض ﴿قوم على ألا تعدلوا﴾ كما يفعله مَنْ لا عدل عنده ولا قسط، بل كما تشهدون لوليكم، فاشهدوا عليه، ولم كان تشهدون على عدوكم فاشهدوا له، ولو كان كافراً أو مبتدعاً، فإنه يجب العدل فيه، وقبول ما يأتي به من الحق، لأنه حق لا لأنه قاله، ولا يرد الحق لأجل قوله، فإن هذا ظلم للحق.

﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ أي: كلما حرصتم على العدل واجتهدتم في العمل به، كان ذلك أقرب لتقوى قلوبكم، فإن تم العدل كملت التقوى.

﴿إِن الله خبير بما تعملون﴾ فمجازيكم بأعمالكم، خيرها وشرها، صغيرها وكبيرها، جزاء عاجلاً، وآجلاً.

وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم \* والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولت ك أصحاب الجحيم أي: ﴿ وعمد الله الذي لا يخلف الميعاد وهو أصدق القائلين - المؤمنين به وبكتبه ورسله واليوم الآخر، ﴿ وعملوا السصالحات ﴾ من واجسسات ومستحبات - بالمغفرة لذنوبهم، بالعفو عنها وعن عواقبها، وبالأجر العظيم الذي لا يعلم عظمه إلا الله تعالى.

﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾.

﴿وَالذَينَ كَفَرُوا وَكَذَبُوا بِآيَاتَنا﴾ الدالة على الحق المين، فكذبوا بها بعدما أبانت الحقائق. ﴿أُولَئُكُ أُصحابِ المحيمِ المحيمِ الملازمون لها ملازمة الصاحب لصاحبه.

﴿١١﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا

نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون له يذكر تعالى عباده المؤمنين بنعمه العظيمة، ويحثهم على تذكرها بالقلب واللسان، وأنهم - كما أنهم يعدون قتلهم لأعدائهم، وأخذ أموالهم وبلادهم وسبيهم نعمة - فليعدوا أيضا أيامامه عليهم بكف أيديهم عنهم، ورد كيدهم في نحورهم نعمة. فإنهم الأعداء قد هموا بأمر، وظنوا أنهم قادرون عليه.

فإذا لم يدركوا بالمؤمنين مقصودهم، فهو نصر من الله لعباده المؤمنين ينبغي لهم أن يشكروا الله على ذلك، ويعبدوه ويذكروه، وهذا يشمل كل من هم بالمؤمنين بشر، من كافر ومنافق وباغ، كف الله شره عن المسلمين، فإنه داخل في هذه الآية.

ثم أمرهم بما يستعينون به على الانتصار على عدوهم، وعلى جميع أمورهم، فقال: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ أي: يعتمدوا عليه في جلب مصالحهم الدينية والدنيوية، وتبرؤوا من حولهم وقوتهم، ويثقوا بالله تعالى في حصول ما يحبون. وعلى حسب إيمان العبد يكون توكله، وهو من واجبات القلب المتفق عليها.

﴿١٢ \_ ١٣﴾ ﴿وليقد أخد الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً وقال الله إن معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضأ حسنأ لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل \* فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظأ تما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فأعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين) يخبر تعالى أنه أخذ على بني إسرائيل الميثاق الثقيل المؤكد، وذكر صفة الميثاق وأجرهم إن قاموا به، وإثمهم إن لم

يقوموا به، ثم ذكر أنهم ما قاموا به، وذكر ما عاقبهم به، فقال: ﴿ولقد أَخَذَ اللهُ ميثاق بني إسرائيل﴾ أي: عهدهم المؤكد الغليظ، ﴿وبعثنا منهم النبي عشر نقيباً﴾ أي: رئيساً وعريفاً على من تحته، ليكون ناظراً عليهم، حاثاً لهم على القيام بما أمروا به، مطالباً يدعوهم.

﴿وقال الله ﴾ للنقباء الذين تحملوا من الأعباء ما تحملوا: ﴿إِنِي معكم ﴾ أي: بالعون والنصر، فإن المعونة بقدر المؤنة.

ثم ذكر ما واثقهم عليه فقال: ﴿لَثُنَّ أقمتم الصلاة ﴾ ظاهراً وباطناً، بالإتيان بما يلزم وينبغي فيها، والمداومة على ذلك ﴿ وَآتيتم الركاة ﴾ لستحقيها ﴿وآمنتم برسلي ميعهم، الذين أفضلهم وأكملهم محمد على الله ﴿وعزرتموهم أي: عظمتموهم، وأديتم ما يجب لهم من الاحترام والطاعة ﴿وأقرضتم الله قرضاً حسناً﴾ وهو الصدقة والإحسان، الصادر عن الصدق والإخلاص وطيب المكسب، فإذا قمتم بذلك ﴿الْأَكْفُرِنَّ عَنْكُم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار). فجمع لهم بين حصول المحبوب بالجنة وما فيها من النعيم، واندفاع المكروه بتكفير السيئات، ودفع ما يترتب عليها من العقوبات.

﴿ فَمَنْ كَفَرْ بِعَدْ ذَلِكُ ﴾ العهد والميثاق المؤكد بالأيمان، والالتزامات المقرون بالترغيب بذكر ثوابه.

﴿ فقد ضل سواء السبيل ﴾ أي: عن عمد وعلم، فيستحق ما يستحقه الضالون من حرمان الثواب، وحصول العقاب. فكأنه قيل: ليت شعري ماذا فعلوا؟ وهل وفوا بما عاهدوا الله عليه، أم نكثوا؟

فبيّن أنهم نقضوا ذلك فقال: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم أي: بسببه عاقبناهم بعدة عقوبات:

الأولى: أنا ﴿لمعنهاهم أي: طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا، حيث أغلقوا على أنفسهم أبواب الرحمة، ولم يقوموا بالعهد الذي أخذ عليهم، الذي

هو سببها الأعظم.

الثانية: قوله: ﴿وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ أي: غليظة لا تجدي فيها المواعظ، ولا تنفعها الآيات والنذر، فلا يرغبهم تشويق، ولا يزعجهم تخويف، وهذا من أعظم العقوبات على العبد، أن يكون قلبه بهذه الصفة التي لا يفيده الهدى والخير إلا شراً.

الثالثة: أنهم ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ أي: ابتلوا بالتغيير والتبديل، فيجعلون للكلم الذي أراد الله معنى غير ما أراده الله ولا رسوله.

الرابعة: أنهم ﴿نسواحظاً عما ذكروا به ﴾ فإنهم ذكروا بالتوراة، وبما أنزل الله على موسى، فنسوا حظاً منه، وهذا شامل لنسيان علمه، وأنهم نسوه وضاع عنهم، ولم يوجد كثير مما أنساهم الله إياه عقوبة منه لهم.

وشامل لنسيان العمل الذي هو الترك، فلم يوفقوا للقيام بما أمروا به، ويستدل بهذا على أهل الكتاب بإنكارهم بعض الذي قد ذكر في كتابم، أو وقع في زمانهم، أنه عما نسوه.

الخامسة: الخيانة المستمرة التي إلا تزال تطلع على خائنة منهم أي: خيانة شه ولعباده المؤمنين.

ومن أعظم الخيانة منهم، كتمهم الطن [عن] مَنْ يعظهم ويحسن فيهم الظن الحق، وإبقاؤهم على كفرهم، فهذه خيانة عظيمة، وهذه الخصال الذميمة، حاصلة لكل مَنْ اتصف بصفاتهم.

فكل من لم يقم بما أمر الله به، وأخذ به عليه الالتزام، كان له نصيب من اللعنة وقسوة القلب، والابتلاء بتحريف الكلم، وأنه لا يوفق للصواب، ونسيان حظ مما ذكر به، وأنه لا بدأن يبتلى بالخيانة، نسأل الله العافية.

وسمى الله تعالى ما ذكروا به حظاً، لأنه هو أعظم الحظوظ، وما عداه فإنما هي حظوظ دنيوية، كما قال تعالى: فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما

قالوا إنَّ الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير \* وقالت اليهود والنصاري نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير، لما ذكر تعالى أخذ الميثاق على أهل الكتابين، وأنهم لم يقوموا به بل نقضوه، ذكر أقوالهم

OVEREN TO LEGIS

فذكر قول النصارى، القول الذي ما قاله أحد غيرهم، بأن الله هو المسيح ابن مريم، ووجه شبهتهم أنه ولدمن غير أب، فاعتقدوا فيه هذا الاعتقاد الباطِل. مع أن حواء نظيره، خلقت بلا أم، وآدم أولى منه، خُلق بلا أب ولا أم، فهلا ادعوا فيهما الإلهية كما ادعوها في المسيح؟

فدل على أن قولهم اتباع هوى من غير برهان ولا شبهة. فردّ الله عليهم بأدلة عقلية واضحة فقال: ﴿قُلُّ فَمَنَّ يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومَنْ في الأرض

فإذا كان المذكورون لا امتناع عندهم يمنعهم لو أراد الله أن يهلكهم، من اليهود والنصاري، وأنهم نقضوا ذلك إلا قليلاً منهم، أمرهم جميعاً أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ، واحتج عليهم بآية قاطعة دالة على صحة نبوته، وهي: أنه بين لهم كثيراً مما يخفون عن الناس، حتى عن العوام من أهل ملتهم، فإذا كانوا هم المشار إليهم في العلم ولا علم عند أحد في ذلك الوقت إلا ما عندهم، فالحريص على العلم لا سبيل له إلى إدراكه إلا منهم، فإتيان الرسول على بهذا القرآن العظيم الذي بيّن به ما كانوا يتكاتمونه بينهم، وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب من أدل الدلَّائل على القطع برسالته، وذلك مثل صفة محمد في كتبهم، ووجود البشائر به في كتبهم، وبيان آية الرجم ونحو

﴿ويعفو عن كثير﴾ أي: يترك بيان ما لا تقتضيه الحكمة.

﴿قد جاءكم من الله نـور﴾ وهـو القرآن، يستضاء به في ظلمات الجهالة وعماية الضلالة.

﴿وكتاب مبين ﴾ لكل ما يحتاج الخلق إليه من أمور دينهم ودنياهم. من العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومن العلم بأحكامه الشرعية وأحكامه الجزائية .

ثم ذكر مَنْ الذي يهتدي بهذا القرآن، وما هو السبب الذي من العبد لحصول ذلك، فقال: ﴿ يهدى به الله مَنْ اتبع رضوانه سبل السلام﴾ أي: يهدي به مَنْ اجتهد وحرص على بلوغ مرضاة الله، وصار قصده حسناً ــ سبل السلام التي تسلم صاحبها من العذاب، وتوصله إلى دار السلام، وهو العلم بالحق والعمل به، إجمالاً وتفصيلا .

﴿ويخرجهم من﴾ ظلمات الكفر والبدعة والمعصية، والجهل والغفلة. إلى نور الإيمان والسُنّة، والطاعة، والعلم، والذكر.

وكل هذه الهداية بإذن الله، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. ﴿ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾.

﴿١٧ ـ ١٨﴾ ﴿لقد كفر الذين

أُوتِي قارون، إنه لذو حظ عظيم﴾ وقال في الحظ النافع: ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقّاها إلا ذو حظ عظيم﴾.

وقوله: ﴿إِلا قِلْيلاً منهم ﴾ أي: فإنهم وفوا بما عاهدوا الله عليه فوفقهم وهداهم للصراط المستقيم.

﴿فاعف عنهم واصفح ﴾ أي: لا تؤاخذهم بما يصدر منهم من الأذى، الذي يقتضي أن يعفى عنهم، واصفح، فإن ذلك من الإحسان﴿إِن الله يحبُّ المحسنين﴾ والإحسان: هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فإنه يراك.

وفي حق المخلوقين: بذل النفع الديني والدنيوي لهم .

﴿١٤﴾ ﴿ومن الله يسن قبالوا إنبا

نصاري أخذنا ميثاقهم فنسوا حظأ تما ذكروابه فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ا وكما أخذنا على اليهود العهد والميثاق، فكذلك أخذنا على ﴿الذين قالوا إنا نصاری لعیسی ابن مریم، وزکوا أنفسهم بالإيمان بالله ورسله وما جاؤوا به، فنقضوا العهد، ﴿فنسوا حظاً مما ذكروابه ﴾ نسياناً علمياً، ونسياناً

﴿فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ أي: سلطنا بعضهم على بعض، وصار بينهم من الشرور والإحن ما يقتضي بغض بعضهم بعضأ ومعاداة بعضهم بعضاً إلى يوم القيامة، وهذا أمر مشاهد، فإن النصاري لم يزالوا ولا يزالون في بغض وعداوة وشقاق. ﴿وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون﴾ فيعاقبهم عليه.

﴿١٦ ـ ١٦﴾ ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين \* يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم،

tialiti. 西田村 أُمِلَ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَنَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّا رُوِّ وَحُرْمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّمَادُمْتُ وَحُرُمُ ۗ وَأَفَعُوا السَّالَيْنَ إِلَيْهِ غُنْمُرُونَ ۞ • جَعَلَ اللَّهُ ٱلْكَبِّدَ ٱلْمَيْتَ الْمُعَالَمُ مِنْعَالِلنَّاسِ وَالشَّهْرَلِلْحَرَامَ وَالْمُنْدَى وَٱلْعَلَيْدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِ ٱلسَّهَ كُونِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ مَنى عِلِيدُ ﴿ اعْلَمُوا أَنَ اللَّهُ سَدِيدُ ٱلْمِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ وَعِيدٌ ﴿ مَاعَلَ الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلُّغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَاتَبْدُودِ وَمَاتَكُتُمُونَ ۞ قُل لَابَسْنَوِى لَلْجَيثُ وَٱلطَّيْبُ وَلِوَأَغِيَاكَ كُنْزُهُ ٱلْخِيثِ فَاتَّـعُوا اللَّهَ بَنَـا وَلِي ٱلْأَلِيبِ لَعَلَّاكُمْ تُغَلِّحُونَ ۞ يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا لَاتَسْعَلُوا عَنْ أَشْكِلَةَ إِن بُنْدَلَكُمْ تَشُوَّكُمْ وَإِن تَنْكُواْعَنْهَا حِينَ يُزَكُ ٱلْقُرْءَانُ بُدُلَكُمْ عَمَا ٱللَّهُ عَنْهَ ٱوَاللَّهُ عَفُورُ حَلِيدٌ @ مَدْسَالْمَا فَوَمُ مِن مَلِكُونُدُ أَصْبَحُوا بِمَا كَيْدِينَ ۞ مَاجَعَلَ آللةُ مِن بَيِهِ وَوَلَا سَآيِهِ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا عَامٍ وَلَكِنَ ٱلَّذِيثَ كَفَرُوا يَمْنَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُّ وَأَحْفَرُ كُونَا فِعْلُونَ ۞

ولا قدرة لهم على ذلك دل على بطلان إلهية من لا يمتنع من الإهلاك، ولا في قوته شيء من الفكاك.

ومن الأدلة أنَّ ﴿ لله ﴾ وحده ﴿ ملك السماوات والأرض ﴾ يتصرف فيهم بحكمه الكوني والشرعي والجزائي، وهم محلوكون مدبرون، فهل يليق أن يكون المملوك العبد الفقير، إلها معبوداً غنياً من كل وجه؟ هذا من أعظم المحال.

ولا وجه لاستغرابهم لخلق المسيع عيسى ابن مريم من غير أب، فإن الله فيخلق ما يشاء ﴾ إن شاء من أب وأم، كسائر بني آدم، وإن شاء من أب بلا أم، كحواء. وإن شاء من أم بلا أب، كعيسى. وإن شاء من غير أب ولا أم لكادم](١).

فنوع خليقته تعالى بمشيئته النافذة، التي لا يستعصي عليها شيء، ولهذا قال: ﴿والله على كل شيء قدير﴾.

ومن مقالات اليهود والنصارى أن كلاً منهما ادعى دعوى باطلة ، يزكون بها أنفسهم ، بأن قال كل منهما: فنحن أبناء الله وأحباؤه » .

والابن في لغتهم هو الحبيب، ولم يريدوا البنوة الحقيقية، فإن هذا ليس

من مذهبهم إلا مذهب النصارى في السح.

قال الله رداً عليهم حيث ادعوا بلا برهان: ﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾؟ فلو كنتم أحبابه ما عذبكم [لكون الله لا يحب إلا من قام بمراضيه](٢).

﴿ ١٩﴾ ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا ببين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير ﴾ يدعو تبارك وتعالى أهل الكتاب \_بسبب ما من عليهم من كتابه \_ أن يؤمنوا برسوله عمد عليه ويشكروا الله تعالى الذي أرسله إليهم على حين ﴿ فترة من الرسل ﴾ وشدة حاجة إله .

وهذا مما يدعو إلى الإيمان به، وأنه يبين لهم جميع المطالب الإلهية والأحكام الشرعية.

وقد قطع الله بذلك حجتهم، لثلا يقولوا: ﴿ما جاءنا من بشير ولا نذير، فقد جاءكم بشير ونذير ﴾ يبشر بالثواب العاجل والآجل، وبالأعمال الموجبة لذلك، وصفة العاملين بها. وينذر بالعقاب العاجل والآجل، وبالأعمال الموجبة لذلك، وصفة العاملين بها.

﴿والله على كل شيء قدير ﴾ انقادت الأشياء طوعاً وإذعاناً لقدرته، فلا يستعصي عليه شيء منها، ومن قدرته أن أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأنه يشيب مَنْ أطاعهم ويعاقب مَنْ عصاهم.

﴿٢٦ \_ ٢٦﴾ ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكأ وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين \* يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة ﴾ إلى آخر القُصة (٣٠). لما امتنَّ الله على موسى وقومه بنجاتهم من فرعون وقومه وأسرهم واستعبادهم، ذهبوا قاصدين لاوطانهم ومساكنهم، وهي بيت المقدس وما حواليه، وقاربوا وصول بيت المقدس، وكمان الله قلد فرض عليهم جهاد عدوهم ليخرجوه من ديارهم. فوعظهم موسى عليه السلام؛ وذكّرهم ليقدموا على الجهاد فقال لهم: ﴿ أَذْكُرُوا نَعْمَةُ اللهُ عَلَيْكُم ﴾ بقلوبكم وألسنتكم. فإن ذكرها داع إلى محبته تعالى ومنشط على العبادة، ﴿إِذَ جعل فيكم أنبياء الله يدعونكم إلى الهدى، ويحذرونكم من البردي ويحثونكم على سعادتكم الأبدية، ويعلمونكم مالم تكونوا تعلمون ﴿وجعلكم ملوكاً ﴾ تملكون أمركم، بحيث إنه زال عنكم استعباد عدوكم لكم، فكنتم تملكون أمركم، وتتمكنون من إقامة دينكم.

﴿وآتاكم﴾ من النعم الدينية والدنيوية ﴿ما لم يبؤت أحداً من العالمين﴾ فإنهم في ذلك الزمان خيرة الخلق، وأكرمهم على الله تعالى. وقد أنعم عليهم بنعم ما كانت لغيرهم.

فلكرهم بالنعم الدينية والدنيوية، الداعي ذلك لإيمانهم وثباتهم على الجهاد، وإقدامهم عليه، ولهذا قال: ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة﴾ أي: المطهرة ﴿التي كتب الله لكم﴾.

فأخبرهم خبراً تطمئن به انفسهم، إن كانوا مؤمنين مصدقين بخبر الله، وأنه قد كتب الله لهم دخولها، وانتصارهم على عدوهم.

﴿ ولا ترتدوا ﴾ أي: ترجعوا ﴿ على أدباركم، فتنقلبوا خاسرين ﴾ قد

<sup>(</sup>۱) زیادة من هامش ب.

<sup>(</sup>۲) زیادة من هامش ب.

<sup>(</sup>٣) في ب: كتب الآيات إلى قوله: ﴿ فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾.

لنا من دخولها .

والمقالفة المنافقة المنافقة **2016** وَإِذَا قِلَ لَمُتَمَّ مَّنَا لَوْ إِلَّ مَا أَزَلَ أَقَدُ وَإِلَّ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَ مَاوَجَدُنَا عَلَيْهِ ءَاكِآءً نَأْ أَوَلَوْكَ انَ ءَاكِآؤُهُمْ لايعْ لَمُونَ شَيْنَا وَلَابَهْ نَدُونَ ۞ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُوْ أَفَسُكُوْ لَا يَضُرُّكُم مِّن صَلَّ إِذَا آهَنَدَ يَتُمُّ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُبَتَثِكُمُ عِاكُتُ مُعَمَلُونَ ۞ يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا شَهَدَةُ يَتْنِكُمُ إِنَا حَضَرَلُحَدَكُوالْمُونُ حِينَ الْوَصِيَّةِ آتَنَانِ ذَوَاعَدُلِ مِّنكُوْ أَوْ ءَاحَرُانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَمَّةُ ضَرَيْتُو فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَبُنَكُمُ مُصِيبَ أَلْوَدَةً تَحْيِسُونَهُ مَا مِنْ بَعْدِ ٱلصَّهَ لَوْةِ فَيُقْسِمَانِ بِالْقَوِإِنِوَارْتَبْتُدُلَانَشْتَرِى بِهِ ثَمَّنَا وَلَوْكَانَ ذَاقُرْبَيْ وَلِانَكْتُ مُشْهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لِّينَ الْآيْدِينَ ۞ فَإِنْ عُيْرَعَلَ أَنَّهُمَا أَسْنَحَفَّا إِثْمَا فَعَاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِيبَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلِيَنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱلْقِولَسُهَا دَشَا ٱلْحَقِّينِ شَهَا مَيْعِمًا وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَيْنَ الظَّالِينَ ۞ ذَاكَ أَدَانَ أن يَأْتُواْ بِالشَّهَادُةِ عَلَى وَجِهِ مَا أَنْ يَخَافُوا أَنْ ثُرُدًّا أَيْنُ بُعَدَ أَيْمَلُهِمْ اً وَانَّقُوا اللَّهُ وَاسْتَعُوا وَاقَدُ لَا يَهُ دِى الْقَوْمُ الْفَسِيقِينَ ۞

المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعباد لعدوها، ولم تكن لها همم ترقيها إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تتربى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد، والذل المانع من السعادة.

ولما علم الله تعالى أن عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق، خصوصاً قومه، وأنه ربما رق لهم، واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها، مع أن الله قد حتمها، قال: ﴿فلاتأسَ على القوم الفاسقين﴾ أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلماً منا.

﴿٧٧ ــ ٣١﴾ ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق) إلى آخر القصة (١). أي: " قص على الناس وأخبرهم بالقضية التي جرت على ابني آدم بالحق، تلاوة يعتبر بها المعتبرون، صدقاً لا كذباً، وجداً لا لعباً، والظاهر أن ابني آدم هما ابناه لصلبه، كما يدل عليه ظاهر الآية والسياق، وهو قول جمهور المفسرين. أي: اتل عليهم نبأهما في حال تقريبهما للقربان، الذي أداهما إلى الحال ومواجهتهم لنبيهم فيه في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرة نبيهم، وإعزاز

وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم، وأمة محمد ﷺ حيث قال الصحابة لرسول الله ﷺ حين شاورهم في القتال يوم «بدر» مع أنه لم يحتم عليهم: يا رسول الله، لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ولو بلغت بنا برك الغماد ما تخلف عنك أحد. ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: ﴿ادْهِبِ أَنتِ وربِكُ فَقَاتِلًا إِنَّا هَاهِنَا قاعدون﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك.

فلما رأى موسى عليه السلام عتوهم عليه ﴿قال: ربِّ إني لا أملكُ إلا نفسى وأخي اي: فلا يدان لنا بقتالهم، ولست بجبار على هؤلاء.

﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ أي: احكم بيننا وبينهم، بأن تنزل فيهم من العقوبة ما اقتضته حكمتك، ودل ذلك على أن قولهم وفعلهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق.

﴿قَالَ﴾ الله مجيباً لدعوة موسى: ﴿فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض﴾ أي: إن من عقوبتهم أن نحرم عليهم دخول هذه القرية التي كتبها الله لهم، مدة أربعين سنة، وتلك المدة أيضاً يتيهون في الأرض، لا يهتدون إلى طبريت ولا يسقون مطمئنين، وهذه عقوبة دنيوية، لعل الله تعالى كفر بها عنهم، ودفع عنهم عقوبة أعظم منها، وفي هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نقمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر .

ولعل الحكمة في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه

خسرتم دنياكم بما فاتكم من النصر على الأعداء وفتح بلادكم. وآخرتكم بما فاتكم من الشواب، وما استحققتم -بمعصيتكم -من العقاب، فقالوا قولاً يدل على ضعف قلوبهم، وخور نفوسهم، وعدم اهتمامهم بأمر الله ورسوله . ﴿ قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين شديدي القوة والشجاعة، أي: فهذا من الموانع

﴿وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلُهَا حَتَّى يُخْرِجُوا مِنْهَا فإن يخرجوا منها فإنا داخلون، وهذا من الجبن وقلة اليقين، وإلا فلو كان معهم رشدهم، لعلموا أنهم كلهم من بني آدم، وأن القوي مَنْ أعانه الله بقوة من عنده، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، ولعلموا أنهم سينصرون عليهم، إذ وعدهم الله بذلك، وعداً خاصاً.

﴿قسال رجسلان مسن السذيسن يخافون﴾ الله تـعـالي، مــشــجـعـين لقومهم، منهضين لهم على قتال عدوهم واحتلال بلادهم. ﴿أنعم الله عليهما التوفيق، وكلمة الحق في هذا الموطن المحتاج إلى مثل كلامهم، وأنعم عليهم بالصبر واليقين.

وادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون﴾ أي: ليس بينكم وبين نصركم عليهم إلا أن تجزموا عليهم، وتدخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه عليهم فإنهم سينهزمون، ثم أمراهم بمعمدة همي أقموي المعمدد، فمقمالا: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾. فإن في التوكل على الله ـ وخصوصاً في هذا الموطن ــ تيسيراً للأمر، ونصراً على الأعداء. ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، فلم ينجع فيهم هذا الكلام، ولا نفع فيهم الملام، فقالوا قول الأذلين: ﴿ يِمَا مُوسِي، إِنَّا لَـنّ ندخلها أبداً ما داموا فيها، فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾.

فما أشنع هذا الكلام منهم،

BEILE FILE रेप्राची रेज्य । يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلُ فَيَقُولُ مَاذَا أَجِبْتُ وَالُوا لَاعِلْ لَنَا أَنْ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ ٱلْفُيُوبِ ۞ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَغِيسَى آَنِ مَنْ يَكُ آذْ كُرْنِعْ مَقِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالْدَيْكَ إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوجٍ ٱلْفُدُسِ تُحَكِيرُ النَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكُهْ لَأُ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَبَ وَلِلْحِكَمَةَ وَٱلتَّوْرَكِةَ وَٱلْإِنْجِيلِّ وَلِذَعَنْكُو مِنَ ٱلطِّينِ كَفَيْتَةِ ٱلطَّيْرِ بِإِنِّنِي فَنَنَفُخُ فِهَا فَتَكُونَ طَيْرًا بِإِذَنِّ وَيُدِينُ ٱلْأَحْمَةَ وَٱلْأَرْصَ بِإِذْ فِي وَاذْ غُيْجُ لَلْوَلْكِ بِإِذْ فِي وَإِذْ كَمَفَتْ بَيْنَ إِسْرَةَ بِلَ عَنكَ إِذْ حِثْتَهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ فَقَ الْمَالَّذِينَ كَفَتْمُواْمِنْهُمْ إِنْ هَا ذَا إِلَّا سِحْرُقُبِيثُ ۞ قَاذَ أَوْجَنْتُ إِلَى ٱلْحَوَادِيِّنَ أَنْ مَامِنُواْ بِ وَيِرَسُولِي فَالْوَاْمَامَنَا وَأَشْهَدُ بِأَنْسَامُسْلِمُونَ 🐡 إِذْ قَالَ ٱلْحَوَانِيُّوْكَ يَعِيسَى ٱبْكَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُكَ أَنْ يُنَزِلَ عَلَيْنَا مَآيِدَةً مِنَ السَّكَأَةِ قَالَ الشَّفُوا الله إن عَيْنُم مُوْمِنِينَ ۞ فَالْوَانْرِيدُ أَن نَأْكُلُ مِنْهَا وَيَظْمَيّنَ مُلُوبُكَ

مُوْمِينَ ﴿ قَالِمَ الْمِيدَانُ الْمُسَالِّينَ الْمُؤْمِدِينَ ﴾ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ وَتَعْلَمُونَ فَعَنْ مَنْ فَنْنَا وَتُكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّهِدِينَ ﴾ وَتَعْلَمُونَ فَلْهُ اللَّهُ اللَّهُ

المذكورة .

﴿إِذ قربا قرباناً ﴾ أي: أخرج كل منهما شيئاً من ماله لقصد التقرب إلى الله، ﴿فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ﴾ بأن علم ذلك بخبر من السماء، أو بالعادة السابقة في الأمم، أن علامة تقبل الله للقربان، أن تنزل نار من السماء فتحرقه.

﴿قَالَ﴾ الابن، الذي لم يتقبل منه للآخر حسداً وبغياً ﴿الْقتلنك﴾. فقال للآخر \_ مترفقاً له في ذلك \_ ﴿إنما يتقبل الله من المتقبن ﴿فَاي: ذنب لي وجناية توجب لك أن تقتلني؟ إلا أن اتقيت الله تعلل، الذي تقواه واجبة علي وعليك، وعلى كل أجد، وأصح علي وعليك، وعلى كل أجد، وأصح المتقين لله في ذلك العمل، بأن يكون عملهم خالصاً لوجه الله، متبعين فيه لسنة رسول الله ﷺ

ثم قال له نخبراً أنه لا يريد أن يتعرض لقتله، لا ابتداء ولا مدافعة فقال: ﴿لَنْ بَسِطْتَ إِنَّ يَدِكُ لِتَقْتَلْنِي، ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ﴾ وليس ذلك جبناً مني ولا عجزاً. وإنما ذلك لأي ﴿أَخَافُ الله رب السعالين ﴾ والخائف لله لا يقدم (١) على الذنوب، خصوصاً الذنوب الكبار.

وفي هذا تخويف لمن يريد القتل،

وأنه ينبغي لك أن تتقي الله وتخافه .

﴿إِنِي أُرِيد أَن تبوء ﴾ أي: ترجع ﴿إِنْ أُرِيد أَن تبوء ﴾ أي: إنه إذا دار الأمر بين أن أكون قاتلاً أو تقتلني فإني أوثر أن تقتلني، فتبوء بالوزرين ﴿فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين لله هذا على أن القتل من كبائر الذنوب، وأنه موجب لدخول النار.

فلم يرتدع ذلك الجاني ولم ينزجر، ولم يزل يعزم نفسه ويجزمها، حتى طوعت له قتل أخيه الذي يقتضي الشرع والطبع احترامه. ﴿فقتله فأصبح من الخاسرين﴾ دنياهم وآخرتهم، وأصبح قد سن هذه السُنة لكل قاتل.

«وَمَن سنَّ سُنَّة سيئة، فعليه وزرها ووزر مَن عمل بها إلى يوم القيامة».

ولهذا ورد في الحديث الصحيح أنه هما من نفس تقتل إلا كان على ابن آدم الأول من شطر من دمها، لأنه أول من سن القتل». فلما قتل أخاه لم يدر كيف يصنع به؛ لأنه أول ميت مات من بني يصنع به؛ لأنه أول ميت مات من بني الأرض أي: يثيرها ليدفن غراباً آخر ميتاً. ﴿ليريه ﴾ بذلك ﴿كيف يواري سوءة أخيه ﴾ أي: بدنه، لأن بدن الليت يكون عورة ﴿فأصبح من الندامة والخسارة.

و٣٦﴾ ﴿من أجل ذلك كتبنا على المن إسراتيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم لمسرفون وقد يعقول تعالى: ﴿من أجل ذلك وأن المقتل عن قصة ابني آدم، وقتل أحدهما أخاه، وسَنْه القتل لمن وخسارة في الدنيا والآخرة، ﴿كتبنا وخيمة وخسارة في الدنيا والآخرة، ﴿كتبنا على بني إسرائيل أهل الكتب على بني إسرائيل أهل الكتب السماوية ﴿أنه مَنْ قتل نفساً بغير نفس أو فكأنما قتل الناس جميعاً ؛ لأنه ليس وفكأنما قتل الناس جميعاً ؛ لأنه ليس

معه داع يدعوه إلى التبيين، وأنه لا يقدم على القتل إلا بحق، فلما تجرأ على قتل النفس التي لم تستحق القتل، علم أنه لا فرق عنده بين هذا المقتول وبين غيره، وإنما ذلك بحسب ما تدعوه إليه نفسه الأمّارة بالسوء. فتجرؤه على قتله، كأنه قتل الناس جميعاً.

وكذلك مَنْ أحيا نفساً أي: استبقى أحداً، فلم يقتله مع دعاء نفسه له إلى قتله، فمنعه خوف الله تعالى من قتله، فهذا كأنه أحيا الناس جميعاً، لأن ما معه من الخوف يسمنعه من قتل مَنْ لا يستحق القتل.

ودلت الآية على أن القتل يجوز بأحد مرين:

إما أن يقتل نفساً بغير حق متعمداً في ذلك، فإنه يحل قتله، إن كان مكلفاً مكافئاً، ليس بوالد للمقتول.

وإما أن يكون مفسداً في الأرض، بإفساده لأديان الناس أو أبدانهم أو أموالهم، كالكفار المرتدين والمحاربين، والدعاة إلى البدع الذين لا ينكف شرهم إلا بالقتل.

وكذلك قطّاع الطريق ونحوهم، ممن يصول على الناس لقتلهم، أو أخذ أموالهم.

﴿ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ﴾ التي لا يبقى معها حجة لأحد. ﴿ثم إن كثيراً منهم ﴾ أي: من الناس ﴿بعد ذلك ﴾ البيان القاطع للحجة ، الموجب للاستقامة في الأرض ﴿لمسرفون ﴾ في العمل بالمعاصي ، وخالفة الرسل الذين جاءوا بالبينات والحجج .

﴿٣٣ ـ ٣٣﴾ ﴿إنَّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الذيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم \* إلاّ الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أنّ الله غفور رحيم للحاربون لله ورسوله، هم الذين بارزوه بالعداوة، وأفسدوا في الأرض بارزوه بالعداوة، وأفسدوا في الأرض

تَكُونُ لَنَاعِيكَ لِأَقَلْنَا وَءَلِيزِنَا وَءَلِينَا وَءَلَةُ مِنْكُ وَأَرْزُفَنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّزِفِينَ ۞ فَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِلُمُ اعَلَيْكُو فَنَ يَكُثُرُ بَعْدُمِنكُوْ فِإِنِّ أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أَعَذِّبُهُۥ لَكَامِّ فَالْعَالَمِينَ ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُنْعِيسَى آنِ مَرْبَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ لَيَّعَدُونِ وَأَيْ إِلَهَ يَنِينِ دُونِواللَّهِ قَالَ سُبَحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَالْيَسَ لِي عَنَّ إِن كُنتُ قُلْتُ مُفَعَّدٌ عَلِمْتَ هُ تَعَلَيْمَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَوُمَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّمُ ٱلْفُيُوبِ ۞ مَا قُلْتُ لَمَتُمْ إِلَّامَآ أَمْزَهَي بِدِيَّ أَنِ اَعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُوْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ مَهِيدًا مَّادُمْتُ فِيهِمُّ فَلَمَّا فَوَقَّتَنِي كُنَّ أَنَّ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمُّ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِ شَيْءِ شَهِيدٌ ۞ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكُّ وَإِن تَعْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْمَرْمِزُ أَتْحَكِيمُ ۞ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ ٱلصَّدُونِينَ صِدْقُهُمْ لَمُ جَنَّتُ تَعْرِيمِن تَعْيِهَا ٱلْأَنْهَ رُخَالِدِنَ

المقربة إليه، الجهاد في سبيله، وهو: بذل الجهد في قتال الكافرين بالمال، والنفس، والرأي، واللسان، والسعى فى نصر دين الله بكل ما يقدر عليه التعبد، لأن هذا النوع من أجلً

فِهَا أَبَدا ُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْعَنَّهُ ذَلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ يَتُو

مُلْكُ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَافِيقِنَّ وَهُوَعَلَى كُلِ شَيْءٍ فَدِيرًا ۞

MOJEMOJ W KORJKOK

**原则 原即原。** 

قَالَ عِيسَى أَنُّ مَرْجَمَ اللَّهُ ذَرَيَّنَ ٱلْزِلْ عَلَيْنَا مَآبِدَةً مِنَ السَّمَا

الطاعات وأفضل القربات. ولأن مَنْ قام به، فهو على القيام بغيره أحرى وأولى ﴿لعلكم تفلحون﴾ إذا اتقيتم الله بترك المعاصي، وابتغيتم الوسيلة إلى الله، بفعل الطاعات، وجاهدتم في سبيله ابتغاء مرضاته.

والفلاح هو الفوز والظفر بكل مطلوب مرغوب، والنجاة من كل مرهوب، فحقيقته السعادة الأبدية والنعيم المقيم .

﴿٣٦ \_ ٣٧﴾ ﴿إن الذين كفروا لو أنّ لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم \* يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم، يخبر تعالى عن شناعة حال الكافرين بالله يوم القيامة ومآلهم الفظيع، وأنهم لو افتدوا من عذاب الله بملء الأرض ذهبا ومثله معه ما تقبل منهم، ولا أفاد، لأن محل الافتداء قد فات، ولم يبق إلا العذاب الأليم، الموجم الدائم المذي لا يخرجون منه أبدأ، بل هم ماكثون فيه سرمداً.

﴿٣٨ \_ ٤٠) ﴿والسارق والسارقة

إفساد في الأرض.

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبِلُ أَنْ تَقَدِّرُوا عليهم اي: من هؤلاء المحاربين، ﴿فَاعَلَّمُوا أَنْ اللهُ عَفُور رحيم ﴾ آي: فيسقط عنه ما كان لله، من تحتم القتل والصلب والقطع والنفي، ومن حق الأدمى أيضاً، إنَّ كان المحارب كافراً ثم أسلَّم، فإن كان المحارب مسلماً فإن حق الآدمي، لا يسقط عنه من القتل وأخذ المال. ودل مفهوم الآية على أن توبة المحارب \_بعد القدرة عليه \_أنها لا تسقط عنه شيئاً، والحكمة في ذلك

وإذا كانت التوبة قبل القدرة عليه، تمنع من إقامة الحد في الحرابة، فغيرها من الحدود \_إذا تاب مَنْ فعلها، قبل القدرة عليه \_ من باب أولى .

﴿٣٥﴾ ﴿يا أيها اللذين أمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون، هذا أمر من الله لعباده المؤمنين، بما يقتضيه الإيمان من تقوى الله والحذر من سخطه وغضبه، وذلك بأن يجتهد العبد، ويبذل غاية ما يمكنه من المقدور فى اجتناب ما يسخطه الله، من معاصى القلب واللسان والجوارح، الظاهرة والباطنة. ويستعين بالله على تركها، لينجو بذلك من سخط الله وعذابه.

﴿وَابِتِغُوا إِلَيْهِ الْوِسِيلَةِ ﴾ أي: القرب منه، والحظوة لديه، والحب له، وذلك بأداء فرائضه القلبية، كالحب له وفيه، والخوف والرجاء، والإنابة والتوكل. والبدنية: كالزكاة والحج. والمركبة من ذلك كالصلاة ونحوها، من أنواع القراءة والذكر، ومن أنواع الإحسان إلى الخلق بالمال والعلم والجاه، والبدن، والنصح لعباد الله، فكل هذه الأعمال تقرب إلى الله. ولا يزال العبد يتقرب بها إلى الله حتى يحبه الله، فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي [بها] ويستجيب الله له الدعاء.

ثم خص تبارك وتعالى من العبادات

بالكفر والقتل، وأخذ الأموال، وإخافة السبل.

والمشهور أن هذه الآية الكريمة في أحكام قطّاع الطريق، الذين يعرضون للناس في القرى والبوادي، فيغصبونهم أموالهم، ويقتلونهم، ويخيفونهم، فيمتنع الناس من سلوك الطريق التي هم بها، فتنقطع بذلك.

فأخبر الله أن جزاءهم ونكالهم ــ عند إقامة الحد عليهم .. أن يفعل بهم واحد من هذه الأمور .

واختلف المفسرون: هل ذلك على التخيير، وأن كل قاطع طريق يفعل به الإمام أو نائبه ما رآه الصلحة من هذه الأمور المذكورة؟ وهذا ظاهر اللفظ، أو أن عقوبتهم تكون بحسب جرائمهم، فكل جريمة لها قسط يقابلها، كما تدل عليه الآية بحكمتها وموافقتها لحكمة الله تعالى. وأنهم إن قتلوا وأخذوا مالأتحتم قتلهم وصلبهم، حتى يشتهروا ويختزوا ويرتدع غيرهم.

وإن قتلوا ولم يأخذوا مالاً تحتم قتلهم فقط. وإن أخذوا مالاً ولم يقتلواً تحتم أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، اليد اليمني والرجل اليسري.

وإن أخافوا الناس ولم يقتلوا، ولا أخذوا مالاً، نفوا من الأرض، فلا يتركون يأوون في بلد حتى تظهر توبتهم. وهذا قول ابن عباس رضى الله عنه وكثير من الأثمة ، على اختلاف في بعض التفاصيل.

﴿ذَلَكُ ﴾ السكال ﴿لهم خزي في الدنيا ﴾ أي: فضيحة وعار ﴿ولهم في الآخرة عنَّاب عظيم اللَّخرة عنَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ قطع الطريق من أعظم الذنوب، موجب لفضيحة الدنيا وعذاب الآخرة، وأن فاعله محارب لله

وإذا كان هذا شبأن عظم هذه الجريمة، علم أن تطهير الأرض من المفسدين، وتأمين السبل والطرق، عن القتل، وأخذ الأموال، وإخافة الناس، من أعظم الحسنات وأجل الطاعات، وأنه إصلاح في الأرض، كما أن ضده

الْتَسَدُهُ مِنْ الْدِي مُنْ الْسَكَنَوْتِ وَالْأَوْنَ وَجَمَلُ الْمُلْكُتِ

وَالْوَرَّ وَهُوَ الْمَنْ مُنَوْنَ الْسَكَنُوتِ وَالْأَوْنَ وَجَمَلُ الْمُلْكُتِ

وَالْوَرْتُ وَالْمِنْ مُنَى الْمَنْ مُنَى الْمَنْ الْمَنْ الْمَنْ مُنَا الْمَنْ مُنَا الْمَنْ مُنَا الْمَنْ مُنَا الْمُنْ مُنَا الْمُنْ مُنَا الْمُنْ مُنَا الْمَنْ مُنَا الْمُنْ مُنَا الْمُنْ مُنَا الْمُنْ مُنَا الْمُنْ مُنَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُولُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

TO LEGISLAND AND LONG TO A CONTROL OF THE CONTROL O

فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم \* فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم \* ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير السارق: هو مَن اخذ مال غيره المحترم خفية، بغير رضاه. وهو من كبائر الذنوب الموجبة لترتب العقوبة الشنيعة، وهو قطع اليد اليمنى، كما هو في قراءة بعض الصحابة.

وحد اليد عند الإطلاق من الكوع، فإذا سرق قطعت يده من الكوع، وحسمت في زيت لتنسد العروق فيقف الدم، ولكن السنة قيدت عموم هذه الآية من عدة أوجه:

منها: الحرز، فإنه لابد أن تكون السرقة من حرز، وحرز كل مال: ما يحفظ به عادة. فلو سرق من غير حرز فلا قطع عليه.

ومنها: أنه لا بدأن يكون المسروق نصاباً، وهو ربع دينار، أو ثلاثة دراهم، أو ما يساوي أحدهما، فلو سرق دون ذلك فلا قطع عليه.

ولعل هذا يؤخذ من لفظ السرقة ومعناها، فإن لفظ «السرقة» أخذ الشيء على وجه لا يمكن الاحتراز

منه، وذلك أن يكون المال محرزاً، فلو كان غير محرز لم يكن ذلك سرقة شرعية.

ومن الحكمة أيضاً أن لا تقطع اليد في الشيء النزر التافه، فلما كان لا بد من التقدير، كان التقدير الشرعي خصصاً للكتاب.

والحكمة في قطع اليد في السرقة، أن ذلك حفظ للأموال، واحتياط لها، وليقطع العضو اللذي صدرت منه الجناية، فإن عاد السارق قطعت رجله اليسرى، فإن عاد، فقيل: تقطع يده اليسرى، ثم رجله اليمنى، وقيل: يجبس حتى يموت.

وقوله: ﴿جزاء بما كسبا﴾ أي: ذلك القطع جزاء للسارق بما سرقه من أموال الناس.

ونكالاً من الله أي: تنكيلاً وترهيباً للسارق ولغيره، ليرتدع السراق \_إذا علموا \_أنهم سيقطعون إذا سرقوا.

﴿ والله عزيـز حـكـيــم ﴾ أي: عـز وحكم فقطع السارق.

وفمن تاب من بعد ظلمه وأصلح، فبإن الله عنهور وأبد الله عنهور رحيم فيغفر لمن تاب فترك الذنوب، وأصلح الأعمال والعيوب. وذلك أن لله ملك السماوات والأرض، يتصرف فيهما بما شاء من التصاريف القدرية والشرعية، والمغفرة والعقوبة، بحسب ما اقتضته حكمته ورحمته الواسعة ومغفرته.

﴿ الله الله الله المسال الرسول لا يجزئك الله ين يسارعون في الكفر من الله ين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الله ين هادوا سماعون لم يأتوك يكرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الله ين عليم يو واهم يطهر قلوبهم لهم في الله يا خزي ولهم يطهر قلوبهم لهم في الله المنا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم \* سماعون في الآخرة عذاب عظيم \* سماعون

للكذب أكالون للسحت فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يجب المقسطين \* وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين \* إنّا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون \*

الرسول على من شدة حرصه على الحافرون السول على من شدة حرصه على يرجع إلى الكفر، فأرشده الله تعالى، إلى أنه لا يأسى ولا يحزن على أمثال هؤلاء. فإن هؤلاء لا في العير ولا في النفير. إن حضروا لم ينفعوا، وإن غابوا لم يفقدوا، ولهذا قال مبيناً للسبب المؤجب لعدم الحزن عليهم ولم تؤمن الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم فإن الذين "يؤسى ويحزن عليهم، من كان معدوداً من المؤمنين، ولا عليهم، من كان معدوداً من المؤمنين، وحاشا لله أن يرجع هؤلاء عن دينهم ويرتدوا، فإن الإيمان \_إذا خالطت ويرتدوا، فإن الإيمان \_إذا خالطت بشاشته القلوب \_لم يعدل به صاحبه غيره، ولم يبغ به بدلا.

ومن الذين هادوا أي: اليهود وسمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوك أي: مستجيبون ومقلدون لرؤسائهم، المبني أمرهم على الكذب والضلال والغي. وهؤلاء أعرضوا عنك، وفرحوا بما عندهم من أحرضوا عنك، وفرحوا بما عندهم من الباطل وهو تحريف الكلم عن مواضعه، أي: جلب معان للألفاظ ما أرادها الله ولا قصدها، لإضلال الخلق ولدفع الحق، فهؤلاء المنقادون للدعاة إلى الضلال، المتبعين للمحال، الذين يأتون بكل كذب، لا عقول لهم ولا

وَلَيْكُنَا مُ مَلَكُ الْبَعْمَانَهُ مُنِهُ وَلِلْهِ اللهِ اللهِ

فَيْرُ ۞ وَهُوَ ٱلْفَلِهِ مُؤْقَ عِبَلِيهِ وَهُوَا فَيَكِ مُ ٱلْخَيِيرُ ۞

A DESIGN III NEGRELE

وضياء وذكراً للمتقين ﴿ فِحكم بها ﴾ بين الذيبن هادوا، أي: اليهود في القضايا والفتاوى ﴿ النبيون الذين أسلموا ﴾ لله وانقادوا لأوامره، الذين إسلامهم أعظم من إسلام غيرهم، وهم صفوة الله من العباد. فإذا كان هؤلاء النبيون الكرام والسادة للأنام قد اقتدوا بها وائتموا ومشوا خلفها، فما الذي منع هؤلاء الأراذل من اليهود من الاقتداء بها؟

وما الذي أوجب لهم أن ينبذوا أشرف ما فيها من الإيمان بمحمد في الذي لا يقبل عمل ظاهر وباطن، إلا بتلك العقيدة؟ هل لهم إمام في ذلك؟ نعم لهم أثمة دأبهم التحريف، وإقامة رياستهم ومناصبهم بين الناس، والتأكل بكتمان الحق، وإظهار الباطل، أولئك أثمة الضلال الذين يدعون إلى النار.

وقوله: ﴿والربانيون والأحبار﴾ أي: وكذلك يحكم بالتوراة للذين هادوا أثمة الدين من الربانين، أي: العلماء العاملين المعلمين الذين يربون الناس بأحسن تربية، ويسلكون معهم مسلك الأنياء المشفقين.

والأحبار أي: العلماء الكبار الذين يقتدى بأقوالهم، وترمق آثارهم، ولهم لسان الصدق بين أعهم. وليست هذه منسوخة، فإنه عند تحاكم هذا الصنف إليه عير بين أن يحكم بينهم، أو يعرض عن الحكم بينهم، بسبب أنه لا قصد لهم في الحكم الشرعي إلا أن يكون موافقاً لأهوائهم، وعلى هذا فكل مستفت ومتحاكم إلى عالم، يعلم من حاله أنه إن حكم عليه لم يرض، لم يجب الحكم ولا يكم بالقسط، ولهذا قال: ﴿وَإِن يُكُومُ بِينَهُم وَجِب أَن يُكُمُ بِالقَسط، ولهذا قال: ﴿وَإِن يُكُمُ بِالقَسط، ولهذا قال: ﴿وَإِن تَعرض عنهم فلن يضروك شيئاً، وإن يكم بالقسط، إن الله حكمت فاحكم بينهم بالقسط، إن الله يجب المقسطين﴾ حتى ولو كانوا ظلمة وأعداء، فلا يمنعك ذلك من العدل في الحكم بينهم.

وفي هذا بيان فضيلة العدل والقسط في الحكم بين الناس، وأن الله تعالى عمه.

ثم قال متعجباً لهم (۱): ﴿وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله، ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين فإنهم لوكانوا مؤمنين عاملين بما يقتضيه الإيمان ويوجبه لم يصدفوا عن حكم الله الذي في التوراة التي بين أيديهم، لعلهم أن يجدوا عندك ما يوافق أهواءهم.

وحين حكمت بينهم بحكم الله الموافق لما عندهم أيضاً، لم يرضوا بذلك بل أعرضوا عنه، فلم يرتضوه أيضاً.

قال تعالى: ﴿وما أُولئك﴾ الذين هذا صنيعهم ﴿بالمؤمنين﴾ أي: ليس هذا دأب المؤمنين، وليسوا حريين بالإيمان. لأنهم جعلوا آلهتهم أهواءهم، وجعلوا أحكام الإيمان تابعة لأهدائه.

﴿إِنا آنزَلنا التوراة على موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام. ﴿فيها هدى ﴾ يهدي إلى الإيسان والحق، ويعصم من الضلالة ﴿ونور ﴾ يستضاء به في ظلم الجهل والحيرة والشكوك، والشبهات والشهوات، كما قال تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان همم. فلا تبال أيضاً إذا لم يتبعوك، لأنهم في غاية النقص، والناقص لا يؤبه له ولا يبالى به.

يقول بعضهم لبعض: إن حكم لكم محمد بهذا الحكم الذي يوافق أهواءكم، فاقبلوا حكمه، وإن لم يحكم لكم به، فاحذروا أن تتابعوه على ذلك، وهذا فتنة واتباع ما تهوى الأنف.

﴿ وَمَنْ يَرِدُ اللهُ فَتَنَتَهُ فَلَنَ تَمَلَّكُ لَهُ مِنْ اللهُ شَيِئاً ﴾ كقوله تعالى: ﴿ إِنْكُ لَا تَهْدِي مَنْ أُحبِبت ولكن الله يهدي مَنْ يشاء ﴾ .

﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم أي: فلذلك صدر منهم ما صدر. فدل ذلك على أن مَنْ كان مقصوده بالتحاكم إلى الحكم الشرعي اتباع هواه، وأنه إن حكم له رضي، وإن لم يحكم له سخط، فإن ذلك من عدم طهارة قلبه، كما أن مَنْ حاكم هواه أو خالفه، فإنه من طهارة القلب، هواه أو خالفه، فإنه من طهارة القلب، حير، وهو أكبر داع إلى كل قول رشيد وعمل سديد.

﴿ لَهُمِ فَي السَّدِنيا خَرْيَ ﴾ أي : فضيحة وعار ﴿ ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ هو: النار وسخط الجبار.

وسماعون للكذب والسمع هاهنا سمع استجابة، أي: من قلة دينهم وعقلهم، أن استجابوا لمن دعاهم إلى القول الكذب.

﴿أَكُالُونَ لَلْسَحَتَ ﴾ أي: المال الحرام، بما يأخذونه على سفلتهم وعوامهم من المعلومات والرواتب، التي بغير الحق، فجمعوا بين اتباع الكذب وأكل الحرام.

﴿ فَإِنْ جَالُولُ فَاحِكُمْ بِينِهُمْ أُو أعرض عنهم ﴾ فأنت مخير في ذلك.

قُلْ أَيُّ مَنَّى وَأَكْبَرُهُ لَكُونًا فَقُلُ اللَّهُ شَهِيدُ يَنِي وَيُسْكُرُ وَأُوحَ لِلَّ هَنَا ٱلْقُرُوَ اللَّهِ إِنْ إِنْ وَكُم بِهِ وَمَنْ بِلَغُ أَلِينًا كُرُ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ عَالِهَةَ أُخْرِكُ قُلُ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّا هُوَ إِلَهُ وَلِيدٌ وَإِنَّنِي بَرِئَةٌ ثِمَّا أَثْشُرِكُونَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْتُهُمُ ٱلْكِنْبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَيِرُوٓا أَنْفُسُهُمْ فَهُمْ ٱلْيُؤْمِنُونَ ۞ وَمَنْ أَظْلَرُ عَنَ افْتَرَىٰ عَلَ الْقَوِكَذِا أَوْكَذَّ بَ إِنَّا لِنَوْتِ إِنَّهُ لَا يُعْسَلِحُ ٱلظَّالِيُوكَ ۞ وَيَوْمَ غَشْرُكُوْجَيِعَاثُمَّ فَقُولُ لِلَّذِيكَ أَشْرُكُوا أَنَّ شُرِكَ آفُكُوالَّذِينَ كُنْتُ زُعْمُونَ ۞ ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِنْنَهُمُ لِلْآلَ وَالْوَا وَالْعَوْرَيْنَا مَاكُمّاً مُشْرِكِينَ ۞ ٱلطَّارَكَيْفَ كَذَّبُواْ عَلَيْأَلْفُسِهِمْ وَصَلَّعَنْهُ رَمَّا كَانُواْ يَمْ ثَرُونَ ۞ وَمَنْهُم مَّن يَسْتَبِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةُ أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقُرْأَ وَلِن يَرَوْأَ كُلَّ مَائِهِ لَا يُؤْمِنُواْ بِمَا حَقَرَالِنَاجَآءُوكَ يُجَلِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كُفَرُواْ إِنْ هَنْذَا إِلَّا أَسْلَطِيرًا لَأَوْلِينَ ۞ وَهُمْ يَنْفُونَ عَنْهُ وَيَنْفُونَ عَنْهٌ وَلِنْ يُقْلِكُونَ إِلَّا أَمْسُهُمْ وَمَا يَنْعُرُونَ ۞ وَلَوْزَكَا إِذْ وَعِنُوا عَلَالَنَا وِفَعَا أَوْا يَلْيَتَنَانُرَدُ وَلَا ثُكَيْبَ بِعَايَتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ TOURS WEST SERVED

وذلك الحكم الصادر منهم الموافق للحق ﴿بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾ أي: بسبب أن الله استحفظهم على كتابه، وجعلهم أمناء عليه، وهو أمانة عندهم، أوجب عليهم حفظه من الزيادة والنقصان والكتمان، وتعليمه لمن لا يعلمه.

وهم شهداء عليه، بحيث إنهم المرجوع إليهم فيه، وفيما اشتبه على الناس منه، فالله تعالى قد حمل أهل العلم، ما لم يحمله الجهال، فيجب عليهم القيام بأعباء ما حلوا.

وأن لا يقتدوا بالجهال، بالإخلاد إلى البطالة والكسل، وأن لا يقتصروا على مجرد العبادات القاصرة، من أنواع الذكر، والصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، ونحو ذلك من الأمور، التي إذا قام بها غير أهل العلم سلموا

وأما أهل العلم فكما أنهم مطالبون بالقيام بما عليهم أنفسهم، فإنهم مطالبون أن يعلموا الناس وينبهوهم على ما يحتاجون إليه من أمور دينهم، خصوصاً الأمور الأصولية والتي يكثر وقوعها وأن لا يخشوا الناس بل يخشون ربهم، ولهذا قال: ﴿فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا﴾ فتكتمون الحق، وتظهرون

الباطل، لأجل متاع الدنيا القليل، وهذه الآفات إذا سلم منها العالم فهو من توفيقه وسعادته، بأن يكون همه الاجتهاد في العلم والتعليم، ويعلم أن الله قد استحفظه ما (١١) أو دعة من العلم واستشهده عليه، وأن يكون خائفاً من ربه، ولا يمنعه خوف الناس وخشيتهم من القيام بما هو لازم له، وأن لا يؤثر الدنيا على الدين.

كما أن علامة شقاوة العالم أن يكون خلداً للبطالة، غير قائم بما أمر به، ولا مبال بما استحفظ عليه، قد أهمله وأضاعه، قد باع الدين بالدنيا، قد ارتشى في أحكامه، وأخذ المال على فتاويه، ولم يعلم عباد الله إلا بأجرة

فهذا قد مَنَّ الله عليه بمنة عظيمة، كفرها ودفع حظاً جسيماً، محروماً منه غيره، فنسألك اللهم علماً نافعاً، وعملاً متقبلاً، وأن ترزقنا العفو والعافية من كل بلاء يا كريم.

﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِما أَنْزِلُ اللهُ مَنْ الْحَقِ الْمِينَ، وحكم بِالباطل الذي يعلمه، لغرض من أغراضه الفاسدة وأولئك هم الكافرون في فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر، وقد يكون كفراً ينقل عن الملة، وذلك إذا اعتقد حله وجوازه، وقد يكون كبيرة من كبائر الذنوب، ومن أعمال الكفر قد اسحق من فعله العذاب الشديد.

﴿ وَ وَ كَتِبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والسن بالسن بالشف والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وي الترواة، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا بها النبيون والأحبار. إن الله أوجب عليهم فيها أن النفس إذا قتلت عليهم فيها أن النفس إذا قتلت والعين تقلع بالعين، والأذن تؤخذ والمنافئة، والسن، ومثل بالأذن، والسن ينزع بالسن. ومثل

هذه ما أشبهها من الأطراف التي يمكن الاقتصاص منها بدون حيف.

﴿والجسروح قسصاص﴾ والاقتصاص: أن يفعل به كما فعل. فمَنْ جرح غيره عمداً اقتص من الجارح جرحاً مثل جرحه للمجروح، حداً، وموضعاً، وطولاً، وعرضاً وعمقاً، وليعلم أن شرع من قبلنا شرع لنا، ما لم يرد شرعنا بخلافه.

﴿ فَمَنْ تصدق به ﴾ أي: بالقصاص في النفس، وما دونها من الأطراف والجروح، بأن عفا عمن جني، وثبت له الحق قبله.

وفيهو كفارة له أي: كفارة للجهاني، كفارة للجاني، لأن الآدمي عفا عن حقه، والله تعالى أحق وأولى بالعفو عن حقه، وكفارة أيضاً عن العافي، فإنه كما عفا عمن جنى عليه، أو على من يتعلق به، فإن الله يعفو عن زلاته وجناياته.

ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون قال ابن عباس: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفست دون فست، فهو ظلم أكبر، عند استحلاله، وعظيمة كبيرة عند فعله غير مستحل له.

﴿ ٤٦ ـ ٤٧ ﴾ ﴿ وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين \* وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون أي: وأتبعنا هؤلاء الأنبياء والمرسلين الذين يحكمون بالتوراة بعبدنا ورسولنا عيسى ابن مريم، روح الله وكلمته التى ألقاها إلى مريم.

بعثة ألله مصدقاً لما بين يديه من التوراة، فهو شاهد لموسى ولما جاء به من التوراة بالحق والصدق، ومؤيد لدعوته، وحاكم بشريعته، وموافق له في أكثر الأمور الشرعية.

وقد يكون عيسى عليه السلام أخف في بعض الأحكام، كما قال تعالى عنه

أنه قال لبني إسرائيل: ﴿ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾.

﴿ وآتيناه الإنجيل ﴾ الكتاب العظيم المتمم للتوراة . ﴿ فيه هدى ونور ﴾ يهدي إلى الصراط المستقيم ، ويبين الحق من الباطل . ﴿ ومصدقاً لما بين يديه من المتوراة ﴾ بتثبيتها والشهادة لها والمرافقة . ﴿ وهدى وموعظة للمتقين ﴾ فإنهم الذين ينتفعون بالهدى ، ويتعظون بالمواعظ ، ويرتدعون عمّا لا يليق .

﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ﴾ أي: يلزمهم التقيد بكتابهم، ولا يجوز لهم العدول عنه. ﴿ومَنْ لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾.

﴿ ٤٨ \_ ٥٠ ﴾ ﴿ وأنــزلــنــا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما أتأكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كشيراً من الناس لفاسقون \* أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون من الله حكماً لقوم تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الكتابِ الذي هو القرآن العظيم، أفضل الكتب وأجلها.

﴿بالحق أي: إنسزالاً بالحق، ومشتملاً على الحق في أخباره وأوامره ونواهيه. ﴿مصدقا لما بين يديه من الكتاب لأنه شهد لها ووافقها، وطابقت أخباره أخبارها، وشرائعه الكبار شرائعها، وأخبرت به، فصار وجوده مصداقاً لخبرها.

﴿ومهيمناً عليه ﴾ أي: مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة، وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية. فهو الكتاب الذي تتبع كل

حق جاءت به الكتب فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه.

وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكم الذي عرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود، قد دخله التحريف والتبديل، وإلا فلو كان من عند الله، لم يخالفه.

﴿ فاحكم بينهم بما أنزل الله من الحكم الشرعي الذي أنزله الله عليك. ﴿ وَلا تَتْبِع أَهُواءهم عمّا جاءك من الحق أي: لا تجعل اتباع أهوائهم الفاسدة المعارضة للحق بدلاً عمّا جاءك من الحق فتستبدل الذي هو أدنى بالذي

ولكل جعلنا منكم الها الأمم جعلنا وشرعة ومنهاجاً إي: سبيلا وسُنة، وهذه الشرائع التي تختلف باختلاف الأمم، هي التي تتغير بحسب تغير الأزمنة والأحوال، وكلها ترجع إلى العدل في وقت شرعتها، وأما الأصول الكبار التي هي مصلحة وحكمة في كل زمان، فإنها لا تختلف، فتشرع في جميع الشرائع. ولولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة واحدة المتعارها و[لا] ومتقدمها.

﴿ولكن ليبلوكم فيما آتاكم﴾ فيختركم وينظر كيف تعملون، ويبتل كل أمة بحسب ما تقتضيه حكمته، ويوقي كل أحد ما يليق به، وليحصل التنافس بين الأمم فكل أمة تحرص على سبق غيرها، ولهذا قال: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ أي: بادروا إليها وأكملوها، ومستحب، من حقوق الله وحقوق عباده، لا يصير فاعلها سابقاً لغيره مستولياً على الأمر، إلا بأمرين:

المبادرة إليها، وانتهاز الفرصة حين يجيء وقتها ويعرض عارضها، والاجتهاد في أداثها كاملة على الوجه المأمور به. ويستدل بهذه الآية، على المبادرة لأداء الصلاة وغيرها في أول

وقتها، وعلى أنه ينبغي أن لا يقتصر العبد على مجرد ما يجزى، في الصلاة وغيرها من العبادات من الأمور المواجبة، بل ينبغي أن يأي بالمستحبات، التي يقدر عليها لتتم وتكمل، ويحصل بها السبق.

ولاحمل، ويحصل بها السبق.

إلى الله مرجعكم جميعاً الأمم
السابقة واللاحقة، كلهم
سيجمعهم الله ليوم لا ريب فيه.

﴿فَينْبِنْكُم بِما كنتم فيه تختلفون من
الشرائع والأعمال، فيثيب أهل الحق
والعمل الصالح، ويعاقب أهل الباطل

﴿ وَأَن احكم بينهم بما أنزل الله ﴾ هذه الآية هي التي قيل: إنها ناسخة لقوله: ﴿ فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ﴾ .

والصحيح: أنها ليست بناسخة، وأن تلك الآية تدل على أنه على خير بين الحكم بينهم وبين عدمه، وذلك لعدم قصدهم بالتحاكم للحق.

وهذه الآية تدل على أنه إذا حكم، فإنه يحكم بينهم بما أنزل الله من الكتاب والسنة، وهو القسط الذي تقدم أن الله قال: ﴿وَإِنْ حَكَمَتُ فَاحِكُم بِينَهُم بِالقسط﴾ ودل هذا على بيان السقسط، وأن مادته هو ماشرعه الله من الأحكام، فإنها المشتملة على غاية العدل والقسط، وما خالف ذلك فهو جور وظلم.

﴿ولا تتبع أهواءهم ﴾ كرر النهي عن اتباع أهوائهم لشدة التحذير منها. ولأن ذلك في مقام الحكم والفتوى، وهو أوسع، وهذا في مقام الحكم أهواءهم المخالفة للحق، ولهذا قال: ﴿واحدِرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾ أي: إياك والاغترار بمم، وأن يفتنوك فيصدوك عن بعض ما أنزل [الله] إليك، فيصدار اتباع موائهم سبباً موصلاً إلى ترك الحق الواجب، والفرض اتباعه.

﴿ فَإِنْ تُولُوا ﴾ عن اتباعث واتباع الحق ﴿ فَاعلم ﴾ أن ذلك عقوبة عليهم وأن الله يريد ﴿ أن يصيبهم ببعض

ذنوبهم فإن للذنوب عقوبات عاجلة وآجلة، ومن أعظم العقوبات أن يبتلي العبد ويزين له ترك اتباع الرسول، وذلك لفسقه.

﴿وإن كثيراً من الناس لفاسقون﴾ أي: طبيعتهم الفسق والخروج عن طاعة الله واتباع رسوله.

﴿ أفحكم الجاهلية يبغون﴾ أي: أفيطلبون بتوليهم وإعراضهم عنك حكم الجاهلية، وهو كل حكم خالف ما أنزل الله على رسوله. فلا ثم إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية. فمَنْ أعرض عن الأول ابتلي بالثاني المبني على الجهل والظلم والغي، ولهذا أضافه الله للجاهلية، وأما حكم الله تعالى فمبني على العلم، والعدل والقسط، والنور والهدى.

وَمَنْ أَحَسُنَ مَنْ الله حكماً لقوم يوقنون في فالموقن هو الذي يعرف الفرق بين الحكمين ويميز بإيقانه ما في حكم الله من الحسن والبهاء، وأنه يتعين عقلاً وشرعاً ماتباعه.

واليقين، هو العلم التام الموجب للعمل.

﴿٥١ - ٥٣ ﴿ وَيا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصاري أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين \* فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين \* ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين كيرشد تعالى عباده المؤمنين حين بين لهم أحوال اليهود والنصاري وصفاتهم غير الحسنة، أن لا يتخذوهم أولياء. فإن بعضهم أولياء بعض يتناصرون فيما بينهم ويكونون يدأ على مَنْ سواهم، فأنتم لا تتخذوهم أولياء، فإنهم الأعداء على الحقيقة ولا يبالون

بضركم، بل لا يدخرون من مجهودهم شيئاً على إضلالكم، فلا يتولاهم إلا مَنْ هو مثلهم، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ يتولهم منكم فإنه منهم﴾ لأن التولي

يتولهم منكم فإنه منهم لان التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم. والتولي القليل يدعو إلى الكثير، ثم يتدرج شيئاً فشيئاً، حتى يكون العبد منهم.

﴿إِن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ أي: الذين وصفهم الظلم، وإليه يرجعون، وعليه يعولون. فلو جنتهم بكل آية ما تبعوك، ولا انقادوا لك. ولما نهى الله المؤمنين عن توليهم، أخبر أن بمن يدعى الإيمان طائفة تواليهم، فقال: ﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض﴾ أي: شك ونفاق، وضعف إيمان، يقولون: إن تولينا إياهم للحاجة، فإننا ﴿نخشى أن تصيبنا دائىرة ﴾ أي: تكون الدائرة لليهود والنصاري، فإذا كانت الدائرة لهم، فإذا لنا معهم يد يكافؤوننا عنها، وهذا سوء ظن منهم بالإسلام، قال تعالى \_ راداً لظنهم السييء ..: ﴿ فعسى الله أن يأتى بالفتح) الذي يعز الله به الإسلام على اليهود والنصاري، ويقهرهم المسلمون ﴿أُو أمر من عنده ﴾ ييأس به المنافقون من ظفر الكافرين من اليهود وغيرهم ﴿فيصبحوا على ما أسروا﴾ أي: أضمروا ﴿في أنفسهم نادمين﴾ على ماكان منهم وضرهم بلا نفع حصل لهم، فحصل الفتح الذي نصر الله به الإسلام والمسلمين، وأذل به الكفر والكافرين، فندموا وحصل لهم من الغم ما الله به عليم.

ويقول الذين آمنوا المتعجبين من حال هؤلاء الذين في قلوبهم مرض: المدان في قلوبهم مرض: أيمانهم إلى الله جهد أيمانهم إلى المحملة أي: حلفوا وأكدوا حلفهم، وغلظوه بأنواع التأكيدات: إنهم لمعكم في الإيمان، وما يلزمه من النصرة والمحبة والموالاة، ظهر ما أضمروه، وتبين ما أسروه، وصار كيدهم الذي كادوه، وظنهم الذي ظنوه بالإسلام وأهله \_باطلا،

فبطل كيدهم وبطلت ﴿أعمالهم﴾ في الدنيا ﴿فأصبحوا خاسرين﴾ حيث فاتهم مقصودهم، وحضرهم الشقاء والعذاب.

﴿٤٥﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم الخني عن على أنه الغني عن العالمين، وأنه مَنْ يرتد عن دينه فلن يضر الله شيئاً، وإنما يضر نفسه. وأن لله عباداً مخمل صين، ورجمالاً صادقين، قد تكفل الرحمن الرحيم بهدايتهم، ووعد بالإتيان بهم، وأنهم أكمل الخلق أوصافاً، وأقواهم نفوساً، وأحسنهم أخلاقاً، أجل صفاتهم أن الله ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾. فإن عبة الله للعبد هي أجل نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضّيلة، تفضل الله بها عليه، وإذا أحب الله عبداً يسرله الأسباب، وهون عليه كل عسير، ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة

ومن لوازم محبة العبد لربه، أنه لا بدأن يتصف بمتابعة الرسول على ظاهراً وباطناً، في أقواله وأعماله وجميع أحواله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَتُمْ عَبُونُ اللهُ فَاتُبْعُونِ يَجْبُكُمُ اللهُ﴾.

كما أن من لازم (١١) عبة الله للعبد، أن يكثر العبد من التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل، كما قال النبي على الله: ﴿وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه، ولا يزال [عبدي] يتقرب إلى بالسوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني

ومن لوازم محبة الله معرفته تعالى،

والإكثار من ذكره، فإن المحبة بدون

معرفة بالله ناقصة جداً، بل غير

موجودة وإن وجدت دعواها، ومَنْ

أحبب الله أكسشر من ذكره، وإذا

أحب الله عبداً قبل منه السير من

ومن صفاتهم أنهم ﴿ أَذَٰكُ عَلَى

المؤمنين أعزة على الكافرين العلم فهم

للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم،

ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم

ورأفتهم، ورحمتهم بهم وسهولة

جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب

منهم وعلى الكافرين بالله، المعاندين

لأياته، المكذبين لىرسله \_أعزة قد

أجتمعت هممهم وعزائمهم على

معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل

سبب يحصل به الانتصار عليهم، قال

تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من

قوة ومن رباط الخيل ترهبون به

عدو الله وعدوكم وقال تعالى:

﴿أَشْدَاءُ عَلَى الْكَفَّارِ رَحْمَاءُ بِينْهُمَ﴾

فالغلظة والشدة على أعداء الله مما

يقرب العبد إلى الله، ويوافق العبد ربه

في سخطه عليهم، ولا تمنع الغلظة

عليهم والشدة دعوتهم إلى الدين

الإسلامي بالتي هي أحسن. فتجتمع

الغلظة عليهم، واللين في دعوتهم،

وكلا الأمرين من مصلحتهم ونفعه

وأنفسهم، بأقوالهم وأفعالهم.

﴿ولا يخافون لومة لائم﴾ بل يقدمون

رضا ربهم والخوف من لومه على لوم

المخلوقين، وهذا يدل على قوة هممهم

وعزائمهم، فإن ضعيف القلب ضعيف

الهمة، تنتقض عزيمته عندلوم

اللائمين، وتفتر قوته عندعذل

العاذلين. وفي قلوبهم تعبد لغير الله،

بحسب ما فيها من مراعاة الخلق

وتقديم رضاهم ولومهم على أمر الله،

فلا يسلم القلب من التعبد لغير الله،

حتى لا يُحاف في الله لومة لائم.

﴿ يُجاهدون في سبيل الله ﴾ بأموالهم

عائد إليهم.

العمل، وغفر له الكثير من الزلل.

صَّرُنا وَلا مُبَدِّلَ لِكِيلَتِ اللَّهِ وَلَقَدْجَلَتُكُ مِن ثَبَاي ٱلْرَسَيِينَ ۞ وَإِن كَانَكُبُرُ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ أَسْتَطَمْتَ أَنْ بَتْنَيْنَ مَنَفَافِ ٱلْأَرْضِ أَوْسُلُمُ إِلَى السَّمَلَةِ مَثَالِيتُهُم بِعَلِيمُ وَلَوْسَكَ اللَّهُ الْ لَجَمَّعَهُمْ عَلَى الْهُدَيُّ فَكَ الْحُونَ مِنَ الْمُلْهِلِينَ ۞ الفضل فيعطيه، فالله أعلم حيث يجعل

﴿٥٥ \_ ٥٦﴾ ﴿إنـمـا وليكـم الله

الزكاة من أموالهم لمستحقيها منهم. وقوله: ﴿وهم راكعون﴾ أي: خاضعون لله ذليلون . فأداة الحصر في قوله: ﴿إنما وليكم الله ورسولُه والذين آمنوا﴾ تدل على أنه يجب قصر الولاية على المذكورين، والتبري من ولاية غيرهم.

ثنم ذكر فائدة هذه الولاية فقال: ﴿وَمَنْ يَتُولُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمِنُوا

ولما مدحهم تعالى بما منَّ به عليهم من الصفات الجليلة والمناقب العالية، المستلزمة لما لم يذكر من أفعال الخير ـ أخبر أن هذا من فضله عليهم وإحسانه لئلا يعجبوا بأنفسهم، وليشكروا الذي منَّ عليهم بذلك ليزيدهم من فضله، وليعلم غيرهم أن فضل الله تعالى ليس عليه حجاب، فقال: ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه مَنْ يشاء والله واسع عليم، أي: واسع الفضل والإحسان، جزيل المنن، قد عمت رحمته كل شيء، ويوسع على أوليائه من فضله، ما لا يكون لغيرهم، ولكنه عليم بمن يستحق

رسالته أصلاً وفرعاً.

ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون \* ومن يتول الله ورسوله.والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ لما نهى عن ولاية الكفار من اليهود والنصاري وغييرهم، وذكر مال توليهم أنه الخسران المبين، أخبر تعالى مَنْ يجب ويستعين تـوليه، وذكـر فـائـدة ذلـك ومصلحته فقال: ﴿إنما وليكم الله ورسوله ﴾. فولاية الله تدرك بالإيمان والتقوى. فكل مَنْ كان مؤمناً تقياً كـان لله ولياً، ومَـنْ كـان ولياً لله فـهـو ولي لرسوله، ومَنْ تولى الله ورسوله كان تمام ذلك تولي مَنْ تولاه، وهم المؤمنون الذين قاموا بالإيمان ظاهرأ وباطناً، وأخلصوا للمعبود، بإقامتهم المصلاة بمشروطمها وفروضها ومكملاتها، وأحسنوا للخلق، وبذلوا

بَلْ بِنَا لَمُهُمْ مَّاكِنَاهُ أَيْخَفُونَ مِن قَبْلُ قُلُو رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نَهُواْ عَنْهُ وَالْمُهُمِّ لَكُفِيثُونَ ۞ وَقَالُوٓ إِنْ هِمَ إِلَّاحَيَ اثَّنَا ٱلدُّنِّيَا وَمَا غَنُّ يَبْعُوثِينَ ۞ وَلَوْزَيَّ إِذْ وُقِعُوا عَلَى رَقِومٌ فَالَ أَلِيسَ هَنَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ فَإَ وَرَيْنَا قَالَ فَذُوقُوا ٱلْمَنَابَ يَمَا كُنُتُ مَّ تَكْفُرُونَ ۞ مَا خَيرَ الَّذِيبَ كَلَّهُ إِلِقَالَهِ اللَّهِ حَيَّ إِنَا جَآةَ فَهُ وُالسَّاعَةُ بَعْنَةَ فَالْوَاْ يَحَدَّرَتَنَاعَلَ مَافَتَطَنَا فِهَا وَهُمْ يَحْدِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰظُهُورِهِيْمُ أَلَاسَكَهُ مَايَزِرُونَ ۞ وَمَالَكُيْرُوُ ٱلدُّنِيَّ إِلَّا لَيُّ وَلَهُوُّ وَلَلْنَازُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرً لِلَّذِينَ بَتَّقُوبٌ أَفَلَا صَفِلُونَ ۞ مَدْ مَعْدُ إِيْمُلِيَتُمُزُنُكَ ٱلَّذِي يَعُولُونَ ۖ وَإِنَّهُمْ لَا يُكُونُونَكَ وَلَكِنَّ ٱلطَّالِمِينَ مِنَايِنَتِ اللَّهِ يَجْسَدُونَ ۞ وَلَقَدْ كُنِّيتَ رُسُلُيْنِ فَبَيْكِ فَصَبَرُوا عَلَى مَاكَيْدُوا وَأُوذُوا حَفَّ أَلْنَهُمْ

فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ أي: فإنه من الحزب المضافين إلى الله إضافة عبودية وولاية، وحزبه هم الغالبون الذين لهم العاقبة في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ وإن جندنا لهم الغالبون، ﴿.

ALEGA IN LONG CON

وهذه بشارة عظيمة لمن قام بأمر الله وصار من حزبه وجنده، أن له الغلبة، وإن أديل عليه في بعض الأحيان لحكمة يريدها الله تعالى، فآخر أمره، الغلبة والانتصار، ومَنْ أصدق من الله قبلا

﴿٥٧ ـ ٥٨﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوأ ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين \* وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوأ ولعبأ ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ ينهى عباده المؤمنين عن اتخاذ أهل الكتاب من اليهود والنصاري ومن سائر الكفار أولياء يحبونهم ويتولونهم، ويبدون لهم (۱<sup>۱)</sup> أسرار المؤمنين، ويعاونونهم على بعض أمورهم التي تضر الإسلام والمسلمين، وأن ما معهم من الإيمان يوجب عليهم ترك موالاتهم، ويحثهم على معاداتهم، وكذلك التزامهم لتقوى الله التي هي امتشال أوامره واجتناب زواجره مما

عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانأ وأضل عن سواء السبيل \* وإذا جاؤوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون \* وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون \* لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإث وأكلهم النسحت ليئس ماكاتوا يستعون اي: ﴿قَالَ اللَّهُ يَا أَيُّا الرسول: ﴿يا أهل الكتابِ﴾ ملزماً لهم، إن دين الإسلام هو الدين الحق، وإن قدحهم فيه قدح بأمر ينبغي المدح عليه: ﴿ هُلُ تَنْقُمُونَ مِنَا إِلَّا أَنَّ آمَنَا بِاللَّهُ وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون﴾ أي: هل لنا عندكم من العيب إلا إيماننا بالله، وبكتبه السابقة واللاحقة، وبأنبيائه المتقدمين

فهل تنقمون منا بهذا الذي هو أوجب الواجبات على جميع المكلفين؟!! ومع هذا فأكثركم فاسقون، أي: خارجون عن طاعة الله، متجرئون على معاصيه، فأولى لكم \_ أيها الفاسقون \_ السكوت، فلو كان عيبكم وأنتم سالمون من الفسق، وهيهات ذلك \_ لكان الشر أخف من قدحكم فينا مع فسقكم.

والمتأخرين، وبأننا نجزم أن مَنْ لم يؤمن

كهذا الإيمان فإنه كافر فاسق؟

ولما كان قدحهم في المؤمنين يقتضي أنهم يعتقدون أنهم على شر، قال تعالى: ﴿قُلْ ﴾ لهم مخبراً عن شناعة ما كانوا عليه: ﴿هُلُ أَنْ بَشْرَ مِن ذَلِكُ ﴾ الذي نقمتم فيه علينا، مع التنزل معكم، ﴿مَنْ لعنه الله أي: أبعده عن رحمته ﴿وغضب عليه ﴾ وعاقبه في الدنيا والآخرة ﴿وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ﴾ وهو الشيطان، وكل ما عُبدَ من دون الله فهو طاغوت. ﴿أُولتُكُ المذكورون به فهو طاغوت. ﴿أُولتُكُ المذكورون به فهو المقيحة ﴿شر مكاناً ﴾ من

المؤمنين الذين رحمة الله قريب منهم،

ورضي الله عنهم وأثابهم في الدنيا

والآخرة، لأنهم أخلصوا له الدين.

SECTION SECTION • إِنَّا يَسْتَجِبُ ٱلَّذِيكَ يَسْمَعُونَ وَالْوَقَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْحَقُونَ ۞ وَقَالُواْ لَوْلَانُزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن زَيِهِۦ قُلْ إِنَ آلَةَ قَادِدُ عَلَىٰٓ أَنْ يُمْزِلَ مَائِةً وَلَكِنَ أَكُونَ أَكْثَرُهُمْ لِأَيْقَلُونَ ۞ وَمَايِن ذَاتَبَ وَفِي ٱلْأَرْضِ وَلَاطَلَيْهِ يَعِلِيرُ بِحَنَاحَيْدِ إِلَّا أُمُّ أَمَّنَالُكُمْ مَّا فَرَهَ لَنَا فِي ٱلْكِئْكِ مِن شَيْءٍ ثُرَّ إِلَّا رَفِقِمْ يُحْشَرُونَ ﴿ وَالَّذِيكِ لَمَّ فَوَانِ مَا لِنَيْنَاصُمُّ وَمُحْكُمٌ فِي ٱلظُّلُنَةُ مَن يَتَكَم أَمَّهُ يُضْلِلُهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَطِرِمُّ سَقِيمٍ ۞ قُلْ أَرَّيْنَكُو إِنْ أَتَنَكُرْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْ كُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرًا لِلَّهِ يَدْعُونَ إِن كَنْتُدُمُ لَدِ فِينَ ۞ بَلْ إِيَّاهُ مَّذَّعُونَ فَيَكَمِّينَكُ مَامَّذْعُونَ إِلْتُعَانِ شَكَآءً وَمَسْتُونَ مَانْتُمْرِكُونَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَّهُ أَمْ مِن مَبْلِكَ فَأَخَذْنَهُم إِلْبَكَأْسَاءَ وَالضِّرَّآهِ لَسَلَّهُمْ يَضَرَّعُونَ @ فَلُولَا إِذْ جَكَةَ هُرَ بَأْكُنَا مَضَرَّعُواْ وَلَكِنَ مَكَ قُلُومُهُمْ وَنَيْنَ لَهُمُ ٱلصَّبْطُنُ مَا كَانُواْ مِنْ مَلُونَ ۞ مَلْمَا نَسُواْ مَاذُكِرُواْ بِهِ وَتَحْسَاعَلَيْهِ ذَاْوَابَ كُلِ شَى وَحَقَّ إِنَا فَيَرِحُواْ يَمَّا أُوقِوا أَخَذَنْهُمْ بَغْتَةً فَإِذَاهُم مُّبْلِمُونَ ١ TOWNSON IN MORE WORK

تدعوهم إلى معاداتهم، وكذلك ما كان عليه المشركون والكفار المخالفون الممسلمين، من قدحهم في دين المسلمين، واتخاذهم إياه هزواً ولعباً، واحتقاره واستصغاره، خصوصاً الصلاة التي هي أظهر شعائر المسلمين، وأجل عباداتهم، إنهم إذا نادوا إليها اتخذوها هزواً ولعباً، وذلك لعدم عقلهم ولجهلهم العظيم، وإلا فلو كان لهم عقول لخضعوا لها، ولعلموا أنها لكبر من جميع الفضائل التي تتصف بها

فإذا علمتم - أيها المؤمنون - حال الكفار وشدة معاداتهم لكم ولدينكم، فممن لم يعادهم بعد هذا دل على أن الإسلام عنده رخيص، وأنه لا يبالي بمن قدح فيه أو قدح بالكفر والضلال، وأنه ليس عنده من المروءة والإنسانية شيء.

فكيف تدعي لنفسك ديناً قيماً، وأنه الدين الحق وما سواه باطل، وترضى بموالاة مَنْ اتخذه هزواً ولعباً، وسخر به وبأهله، من أهل الجهل والحمق؟!

وهذا فيه من التهييج على عداوتهم ما هو معلوم لكل مَن له أدنى مفهوم. ﴿ ٥٩ - ٣٣ ﴾ ﴿قل يا أهل الكتاب

هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون \* قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب

وهذا النوع من باب استعمال أفعل التفضيل في غير بابه وكذلك قوله: 
وأبعد عن قصد السبيل. وأبعد عن قصد السبيل. وأبعد عن قصد السبيل. ومكراً فوق هم فقد دخلوا مستملين على الكفر فوهم قد خرجوا من هؤلاء وأقبح حالاً منهم؟!! فوالله أعلم بما كانوا يكتمون أنها منها والمية وا

ثم استمر تعالى يعدد معايبهم، انتصاراً لقدحهم في عباده المومنين، فقال: ﴿وترى كثيراً منهم ﴾ أي: من اليهود ﴿يسارعون في الإثم والعدوان أي: يحرصون، ويبادرون المعاصي المتعلقة في حق الخالق والعدوان على المخلوقين.

﴿وأكلهم السحت﴾ الذي هو الحرام. فلم يكتف بمجرد الإخبار أنهم يضعلون ذلك، حتى أخبر أنهم يسارعون فيه، وهذا يدل على خبثهم وشرهم، وأن أنفسهم بحبولة على حب المعاصي والظلم. هذا وهم يدعون لأنفسهم المقامات العالية. ﴿لبئس ما كانوا يعملون﴾ وهذا في غاية الذم لهم والقدح فيهم.

﴿لُولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن تولهم الإثم وأكلهم السحت﴾ أي: هلا ينهاهم العلماء المتصدون لنفع الناس، الذين مَنَّ الله عليهم بالعلم والحكمة عن المعاصي التي تصدر منهم، ليزول ما عندهم من الجهل، وتقوم حجة الله عليهم، فإن العلماء عليهم أمر الناس ونهيهم، وأن يبينوا لهم الطريق الشرعي، ويرغبونهم في الخير ويرهبونهم من الشر ﴿لبئس ما كانوا يصنعون﴾

(15 - 71) ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً والقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما

النظائفة المنطقة المن

كُويدي حَرَايِّ الْقَوْقَ الْمَا الْمُتَالِلَيْتِ وَلَا اَفْلُ الْحَدْمِ الْوَقِيلَ الْمَعْمِ الْوَقِيلَ الْمَقْمِ الْمَلْمِينَ وَالْمَعْمِ الْمُتَعِمِّ الْمُتَعِمِّ الْمُتَعِمِّ الْمُتَعِمِينَ الْمَعْمِدُ الْمُتَعِمِدُ الْمُتَعِمِدُ الْمُتَعِمِدُ الْمُتَعِمِّ الْمُتَعِمِّ الْمُتَعِمِّ الْمُتَعِمِدُ الْمُتَعْمِدُ الْمُتَعِمِدُ الْمُعْلِمِينَ الْمُتَعِمِدُ الْمُعِمِدِينَ الْمُتَعِمِدُ الْمُتَعِمِدُ الْمُتَعِمِدُ الْمُتَعِمِينَ الْمُتَعِمِدُ الْمُتَعِمِدُ الْمُتَعِمِدُ الْمُتَعِمِدُ الْمُعِلَّ الْمُتَعِمِ الْمُتَعِمِدُ الْمُتَعِمِدُ الْمُتَعِمِدُ الْمُتَعِمِدُ الْمُتَعِمِينَ الْمُعْمِينَ الْمُتَعِمِينَ الْمُتَعِمِينَ الْمُتَعِمِينَ الْمُعْمِينَ الْمُعْمِينَ الْمُتَعِمِينَ الْمُعْمِينَ الْمُعْمِينَ الْمُعِلَّ الْمُعْمِينَ الْمُعْمِينِ الْمُعْمِينِ الْمُعْمِينِ الْمُع

ويسعون في الأرض فساداً أي : 
ويسعون في الأرض فساداً أي : 
يجتهدون ويجدون، ولكن بالفساد في الأرض، بعمل المعاصي، والدعوة إلى 
دينهم الباطل، والتعويق عن الدخول 
في الإسلام فوالله لا يحب المفسدين 
بل يبغضهم أشد البغض، وسيجازيهم 
على ذلك [ثم قال تعالى].

ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم وهذا من كرمه وجوده، حيث ذكر قبائح أهل الكتاب ومعايبهم وأقوالهم الباطلة، دعاهم إلى التوبة، وجميع رسله، واتقوا الماصي، لكفر عنهم سيئاتهم ولو كانت ما كانت، ولأدخلهم جنات النعيم التي فها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم ﴾ أي: قاموا بأوامرهما ونواهيهما، كما ندنهم الله وحثهم.

ومن إقامتهما الإيمان بما دعيا إليه، من الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن، فلو قاموا بهذه النعمة العظيمة التي أنزلها ربهم إليهم، أي: لأجلهم وللاعتناء بهم ﴿لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهمم أي: لأدر الله عليهم

ولا يخطر على بال العبد، ويلطف بهم في جميع أمورهم، ويوصل إليهم من الإحسان، ويدفع عنهم من النقم ما لا يشعرون بكثير منه، فسبحان من كل النعم التي بالعباد فمنه، وإليه يجأرون في دفع المكاره، وتبارك مَنْ لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وتعالى مَنْ لا يخلو العباد من كرمه طرفة عين، بل لا وجود لهم ولا بقاء إلا بجوده.

وقبّح الله مَنْ استغنى بجهله عن ربه، ونسبه إلى ما لا يليق بجلاله، بل لو عامل الله اليهود القائلين تلك المقالة، ونحوهم عمن حاله كحالهم ببعض قولهم، لهلكوا، وشقوا في دنياهم، ولكنهم يقولون تلك الأقوال، وهو تعالى يحلم عنهم، ويصفح، ويمهلهم ولا يهملهم.

وقوله: ﴿وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً ﴾ . وهذا أعظم العقوبات على العبد (٢٠) ، أن يكون الذكر الذي أنزله الله على والمروح ، وسعادة الدنيا والآخرة ، وفلاح الدارين الذي هو أكبر منة امتن الله بها على عباده ، توجب عليهم المنادة إلى قبولها ، والاستسلام لله بها ، وشكراً لله عليها ، أن تكون لمثل بها ، وكفر إلى كفره ، وذلك بسبب طغيانه ، وكفر إلى كفره ، وذلك بسبب إعراضه عنها ، ورده لها ، ومعاندته إياها ، ومعارضته لها بالشبه الباطلة .

والقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يسوم القيامة فيلا يستالفون، ولا يتفقون على حالة فيها مصلحتهم، بل لم يزالوا متباغضين في قلوبهم، متعادين بأفعالهم إلى يوم القيامة (كلما أوقدوا ناراً للحرب ليكيدوا بها الإسلام وأهله، وأبدوا وأعادوا، وأجلبوا بخيلهم ورجلهم وأطفأها الله بخيلهم وتفرق جنودهم، وانتصار المسلمين عليهم.

أوقدوا نباراً للحرب أطفاها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يجب المفسدين \* ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم \* ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون يخبر تعالى عن مقالة اليهود الشنيعة، وعقيدتهم الفظيعة، فقال: ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾

﴿ خلت أيديهم ولعنوا بما قالوا﴾ وهذا دعاء عليهم بجنس مقالتهم. فإن كلامهم متضمن لوصف الله الكريم، بالبخل وعدم الإحسان. فجازاهم بأن كان هذا الوصف منطبقاً عليهم.

أي: عن الخير والإحسان والبر.

فكانوا أبخل الناس وأقلهم إحسانا، وأسوأهم ظناً بالله، وأبعدهم الله عن رحمته التي وسعت كل شيء، وملأت أقطار العالم العلوي والسفلي، ولهذا قال: ﴿بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ لا حجر عليه، ولا مانع يمنعه عما أراد، فإنه والدنيوي، وأمر العباد أن يتعرضوا لنفحات جوده، وأن لا يسدوا على أنفسهم أبواب إحسانه بمعاصيهم.

فيداه (١) سحاء الليل والنهار، وخيره في جميع الأوقات مدرار، يفرج كربا، ويزيل غما، ويغني فقيرا، ويغب ويفك أسيراً ويجبر كسيراً، ويجيب سائلاً، ويعطي فقيراً عائلاً، ويجيب المسائلين. المضطرين، ويستجيب للسائلين. طلب العافية، ولا يحرم من خيره عاصياً، بل خيره يرتع فيه البر والفاجر، ويجود على أوليائه بالتوفيق ويضيفها اليهم، وهي من جوده ويشيبهم عليها، ويشيبهم عليها، والآجل ما لا يدركه الوصف،

<sup>(</sup>۱) في ب: فيده.

<sup>(</sup>٢) في ب: وهذا أعظم من العقوبات على العبد.

CA UNION BOIL ROLL وَكُلَاكَ مَنْنَا إِسْنَهُم يَعْضِ لِيَعُولُوا أَمْنَوُلَا مِنَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ بِنِينَ أَلْيَسَ اللَّهُ إِعْلَمُ النَّاكِرِينَ ﴿ وَإِنَّا جَآءَكَ ٱلَّذِيكَ يُوْمِثُوكَ بِعَائِلَتِنَا فَقُلْ سَلَامً عَلَيْكَ مَكُنَّهُ رَيَّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِ وَالرَّحْ مَةَ أَنَّهُ مِنْ عَكِيلَ مِنكُمْ مُوَاً جِهَلَا وَثُرَّاكُ مِنْ بَعْدو ، وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ مَعْ فُورٌ رَّحِيدٌ ۞ وَكُمْتَالِكَ مُفَصِّلُ ٱلْآيَلَتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُحْرِمِينَ ۞ قُلْ إِنِّي نَهُيتُ أَنْ أَعْبُ لَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُلُ لَّا أَنَّيْهُ أَهْوَا ۚ كُوْمَا صَلَاتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُنْدِينَ ۞ قُلْ إِنِّ عَلَىٰ بَيِّتَ مُونِ زَّتِ وَكَ ذَّبْتُم بِدُّ مَاعِد و عاماً نَسْتَعْبِلُوتَ بِيْدَ إِن لَلْكُ عُمُ إِلَّا يَتَّوْبَهُ شُ ٱلْحَقِّ وَهُوَخَيْرُ ٱلْفَصِيلِينَ ۞ قُل لَّوَاكَ عِندِى مَانَتَ تَعْيِلُونَ بِهِ لَقُعِنَ ٱلْآَمْرُبَيْنِ وَبَيْنَكُمُّ وَاللَّهُ أَعَلَمُ الْفَالِمِينَ ٥ • وَعِندَهُ مَفَى اعْ الْغَيْبِ لَا يَشْلُمُهُمَّا إِلَّاهُو وَيَعْدَمُ مَا فِ الْبَرِّ وَٱلْبَحْدِرُ وَمَانَسْفُطُ مِن وَدَفَتَةٍ إِلَّايَسْ لَمُهَا وَلَاحَتَت رِفِ

ظُلُمُنَ ٱلْأَرْضِ وَلَارَظُ وَلَاكِ إِسِ إِلَّافِي كِنْمِ مِينَامِي وَلَاكِ إِسِ إِلَّافِي كِنْمِ مِ TOURSE WEST SER

الرزق، والأمطر عليهم السماء، وأنبت لهم الأرض كما قال تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، .

﴿منهم أي: من أهل الكتاب ﴿ أُمة مقتصدة ﴾ أي: عاملة بالتوراة والإنجيل، عملاً غير قوي ولا نشيط، ﴿وكثير منهم ساء ما يعملون اي: والمسيء منهم الكثير. وأما السابقون منهم فقليل ما هم.

﴿٧٧﴾ ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ بأعظم الأوامر وأجلها، وهو التبليغ لما أنزل الله إليه، ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه على من العقائد والأعمال والأقوال، والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية. فبلغ ﷺ أكمل تبليغ، ودعا وأنذر وبشر، ويسر، وعلم الجهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين، وبلغ بقوله وفعله وكتبه ورسله. فلم يبق خير إلا دل أمنه عليه، ولا شر إلا حذرها عنه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين.

﴿وإن لم تفعل﴾أي: لم تبلغ ما أنزل إليك من ربك ﴿ فما بلغت رسالته ﴾ أي: فما امتثلت أمره.

﴿والله يعصمك من الناس، هذه حماية وعصمة من الله لرسوله من الناس، وأنه ينبغي أن يكون حرصك على التعليم والتبليّغ، ولا يثنيك عنه خوف من المخلوقين فإن نواصيهم بيد الله وقد تكفل بعصمتك، فأنت إنما عليك البلاغ المبين، فمن اهتدى فلنفسه، وأما الكافرون الذين لا قصد لهم إلا اتباع أهوائهم فإن الله لا يهديهم ولا يوفقهم للخير، بسبب

﴿ ٦٨ ﴾ ﴿ قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزلَ إليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين، أي: قل لأهل الكتاب، منادياً على ضلالهم، ومعلناً بباطلهم: ﴿لستم على شيء ﴾ من الأمور الدينية، فإنكم لا بالقرآن ومحمد آمنتم، ولا بنبيكم وكتابكم صدقتم، ولا بحق تمسكتم، ولا على أصل اعتمدتم ﴿حتى تقيموا التوراة والإنجيل) أي: تجعلوهما قائمين بالإيمان بهما واتباعهما، والتمسك بكل ما يدعوان إليه.

﴿ وَ ﴾ تقيموا ﴿ ما أنزل إليكم من ربكم الذي رباكم، وأنعم عليكم، وجعل أجل إنعامه، إنزال الكتب إليكم. فالواجب عليكم، أن تقوموا بشكر الله، وتلتزموا أحكام الله، وتقوموا بما حملتم من أمانة الله وعهده.

﴿ وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً، فلا تأس على القوم الكافرين،

﴿ ٦٩ ﴾ ﴿إِن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصاري من آمن بمالله واليوم الآخسر وعسمسل صمالحسأ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ يخبر تعالى عن أهل الكتب (١١)، من أهل

القرآن والتوراة والإنجيل، أن سعادتهم ونجاتهم في طريق واحد، وأصل واحد، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر [والعمل الصالح](٢). فمَنْ آمن منهم بالله واليوم الآخر، فله السجاة، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من الأمور المخوفة، ولا هم يحزنون على ما خلفوا منها. وهذا الحكم المذكور يشمل سائر الأزمنة.

﴿٧١\_٧٠﴾ ﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كُذْبُوا وفريقاً يقتلون \* وحسبواً ألاتكون فشنة فعموا وصمواثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثي منهم والله بصير بما يعملون، يقول تعالى: ﴿لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل ﴾ أي: عهدهم الثقيل بالإيمان . بالله، والقيام بواجباته التي تقدم الكلام عليها في قوله: ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً ﴾ إلى آخر الأيات ﴿وأرسلنا إليهم رسلاكه يتوالون عليهم بالدعوة، ويتعاهدونهم بالإرشاد، ولكن ذلك لم ينجع فيهم، ولم يفد ﴿كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم، من الحق كذبوه وعاندوه، وعاملوه أقبح المعاملة ﴿ فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون، وحسبوا أن لا تكون فتئة ﴾ أي: ظنوا أن معصيتهم وتكذيبهم لا يجر عليهم عذاباً ولا عقوبة، فاستمروا على باطلهم. ﴿فعموا وصموا﴾ عن الحق وثم العشهم و وتاب الله عليهم ا حين تابوا إليه وأنابوا ﴿ثُم﴾ لم يستمروا على ذلك حتى انقلب أكثرهم إلى الحال القبيحة . ﴿ فعموا وصموا كثير منهم ﴾ بهذا الوصف، والقليل استمروا على توبتهم وإيمانهم. ﴿والله بصير بما یعملون، فیجازی کل عامل بعمله، إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

﴿٧٧ \_ ٧٧﴾ ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي

وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار \* لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم \* أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفورً رحيم \* ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقةً كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أني يؤفكون ﴿ يُخبرُ تعالى عن كفر النصارى بقولهم: ﴿إِنَّ اللهِ هُو المُسيحِ ابنِ مريمٍ بشبهة أنه خرج من أم بلا أب، وخالف المعهود من الخلقة الإلهية، والحال أنه عليه الصلاة والسلام قد كذبهم في هذه الدعوى، وقال لهم: ﴿يَا بَنِّي إِسْرَائِيلَ اعبدوا الله ربي وربكم﴾ فأثبت لنفسه العبودية التامة، ولربه الربوبية الشاملة لكل مخلوق.

فإنه مَن يشرك بالله أحداً من المخلوقين، لا عيسى ولا غيره. فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وذلك لأنه سوى الخلق بالخالق، وصرف ما خلقه الله له \_ وهو العبادة الخالصة \_ لغير من هي له، فاستحق أن يخلد في النار.

﴿وما للظالمين من أنصار ﴾ ينقذونهم من عذاب الله، أو يدفعون عنهم بعض ما نزل بهم.

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث شلائة ﴿ وهذا من أقوال النصارى المنصورة عندهم، زعموا أن الله ثالث شلائة: الله، وعيسى، ومريم، تعالى الله عن قولهم علواً كبراً.

وهذا أكبر دليل على قلة عقول النصارى، كيف قبلوا هذه القالة الشنعاء، والعقيدة القبيحة؟! كيف اشتبه عليهم الخالق بالمخلوقين (١٠)؟! كيف خفي عليهم رب العالمين؟! قال تعالى ـرادا عليهم وعلى أشباههم ـ: ﴿
ووما من إله إلا إله واحد متصف

بكل صفة كمال، منزه عن كل نقص، منفرد بالخلق والتدبير، ما بالخلق من نعمة إلا منه. فكيف يجعل معه إله غيره؟!! تعالى الله عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

ثم توعدهم بقوله: ﴿وَإِن لَم ينتهوا عَمَا يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ثم دعاهم إلى التوبة عمّا صدر منهم، وبين أنه يقبل التوبة عن عباده فقال: ﴿أَفَلا يتوبون إلى الله أي: يرجعون إلى ما يجبه ويرضاه من الإقرار لله بالتوحيد، وبأن عيسى عبد الله ورسوله، عمّا كانوا يقولونه عبد الله فورسوله، عمّا كانوا يقولونه ﴿ويستغفرونه عن ما صدر منهم ﴿والله غفور رحيم ﴾ أي: يغفر ذنوب ويرجمهم بقبول توبتهم، وتبديل ويرجمهم بقبول توبتهم، وتبديل سيئاتهم حسنات.

وصدر دعوتهم إلى التوبة بالعرض الذي هو في غاية اللطف واللين في قوله: ﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللهُ﴾.

ثم ذكر حقيقة المسيح وأمه، الذي هو الحق، فقال: ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ أي: هذا غايته ومنتهى أمره، أنه من عباد الله المرسلين، الذين ليس لهم من الأمر ولا من التشريع، إلا ما أرسلهم به الله، وهو من جنس الرسل قبله، لا مزية له عليهم، تخرجه عن البشرية إلى مرتبة الربوبية.

﴿وَأُمه ﴾ مريم ﴿صديقة ﴾ أي: هذا أيضاً غايتها، أن كانت من الصديقين الذين هم أعلى الخلق رتبة بعد الأنبياء والصديقية ، هي العلم النافع المنمر لليقين ، والعمل الصالح . وهذا دليل أحوالها الصديقية ، وكفي بذلك فضلاً وشرفاً . وكذلك سائر النساء لم يكن منهن نبية ، لأن الله تعالى جعل النبوة في أكمل الصنفين ، في الرجال كما قال تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا قال تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا

رجالاً نوحي إليهم . فإذا كان عيسى عليه السلام من جنس الأنبياء والرسل من قبله، وأمه صديقة، فلأي: شيء اتذهما النصارى إلهين مع الله؟

وقوله: ﴿كانا يأكلان الطعام ﴾ دليل ظاهر على أنهما عبدان فقيران ، محتاجان كما يحتاج بنو آدم إلى الطعام والشراب، فلو كانا إلهين لاستغنيا عن الطعام والشراب، ولم يحتاجا إلى شيء، فإن الإله هو الغنى الحميد.

ولما بين تعالى البرهان قال: ﴿انظر كيف نبين لهم الآيات الموضحة للحق، الكاشفة لليقين، ومع هذا لا تفيد فيهم شيئاً، بل لا يزالون على إنكهم وكذبهم وافترائهم، وذلك ظلم وعناد منهم.

﴿٧٦﴾ ﴿قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم﴾ أي: ﴿قل﴾ لهم أيها الرسول: ﴿أتعبدون من دون الله من المخلوقين الفقراء المحتاجين، ﴿من لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً﴾ وتدعون من انفرد بالضر والنفع والعطاء والمنع، ﴿والله هو السميع﴾ لجميع الأصوات باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات.

والعليم بالظواهر والبواطن، والغيب والشهادة، والأمور الماضية والمستقبلة، فالكامل تعالى الذي هذه أوصافه هو الذي يستحق أن يفرد بجميع أنواع العبادة، ويخلص له الدن.

﴿٧٧ ـ ٨١﴾ ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل \* لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون \* كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون \* ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن

سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون \* ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون يقول تعالى لنبيه على الحتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق أي الباطل، لا تتجاوزوا وتتعدوا الحق إلى الباطل، وذلك كقولهم في المسيح، ما تقدم حكايته عنهم.

وكغلوهم في بعض المشايخ، اتباعاً لـ ﴿أهواء قوم قد ضلوا من قبل﴾ أي: تقدم ضلالهم.

﴿وأضلوا كثيراً ﴾ من الناس بدعوتهم إياهم إلى الدين، الذين هم عليه. ﴿وضلوا عن سواء السبيل﴾ أى: قصد الطريق، فجمعوا بين الضلال والإضلال، وهؤلاء هم أئمة الضلال الذين حذر الله عنهم وعن اتباع أهوائهم المردية، وآرائهم المضلة، ثم قال تعالى: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل﴾ أي: طردوا وأبعدوا عن رحمة الله ﴿على لسان داود وعيسى ابن مريم الى: بشهادتهما وإقرارهما، بأن الحجة قد قامت عليهم، وعاندوها. ﴿ذَلُكُ ﴾ الكفر واللعن ﴿بِما عصوا وكانوا يعتدون﴾ أي: بعصيانهم له، وظلمهم لعباد الله، صار سبباً لكفرهم وبعدهم عن رحمة الله، فإن للذنوب والظلم عقوبات.

ومن معاصيهم التي أحلت بهم المثلات، وأوقعت بهم العقوبات أنهم: ﴿ كَانُوا لا يتناهون عن منكر فعلوه﴾ أي: كانوا يفعلون المنكر، ولا ينهى بعضهم بعضاً، فيشترك بذلك المباشر وغيره، الذي سكت عن النهي عن المنكر مع قدرته على ذلك.

وذلك يدل على تهاونهم بأمر الله، وأن معصيته خفيفة عليهم، فلو كان لديهم تعظيم لربهم لغاروا لمحارمه، ولغضبوا لغضبه، وإنما كان السكوت عن المنكر \_ مع القدرة \_ موجباً للعقوبة، لما فيه من المفاسد العظيمة: منها: أن مجرد السكوت، فعل

معصية، وإن لم يباشرها الساكت.

فإنه \_ كما يجب اجتناب المعصية \_ فإنه يجب الإنكار على مَنْ فعل المعصية . ومنها: ما تقدم أنه يدل على التهاون

ومنها: ما نقدم آنه يدن على التهاول بالمعاصى، وقلة الاكتراث بها.

ومنها: أن ذلك يجرىء العصاة والفسقة على الإكثار من المعاصي إذا لم يردعوا عنها، فيزداد الشر، وتعظم المصيبة الدينية والدنيوية، ويكون لهم الشوكة والظهور، ثم بعد ذلك يضعف أهل الخير عن مقاومة أهل الشر، حتى لا يقدرون على ما كانوا يقدرون عليه أولاً.

ومنها: أن \_ في ترك (١) الإنكار للمنكر \_ يندرس العلم، ويكثر الجهل، فإن المعصية \_ مع تكررها وصدورها من كثير من الأشخاص، وعدم إنكار أهل الدين والعلم لها \_ يظن أنها ليست بمعصية، وربما ظن الجاهل أنها عبادة مستحسنة، وأي: مفسدة أعظم من اعتقاد ما حرّم الله، ورؤية الباطل حقاً؟!!

ومنها: أن السكوت (٢) على معصية العاصين، ربما تزينت المعصية في صدور الناس، واقتدى بعضهم ببعض، فالإنسان مولع بالاقتداء بأضرابه وبني جنسه، ومنها ومنها.

فلما كان السكوت عن الإنكار بهذه المثابة، نص الله تعالى أن بني إسرائيل الكفار منهم لعنهم بمعاصيهم واعتدائهم، وخص من ذلك هذا المنكر العظيم.

﴿لِبِسُن ما كانوا يفعلون \* ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا﴾ بالمحبة والموالاة والنصرة.

﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ﴾ هذه البضاعة الكاسدة ، والصفقة الخاسرة ، وهي سخط الله الذي يسخط لسخطه كل شيء ، والخلود الدائم في العذاب العظيم ، فقد ظلمتهم أنفسهم حيث قدمت لهم هذا النزل غير الكريم ، وقد ظلموا أنفسهم إذ فوتوها

(۲) كذا في ب، وفي أ: السكوت.

النعيم المقيم.

ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ﴾. فإن الإيمان بالله وبالنبي وما أنزل إليه، يوجب على العبد موالاة ربه، وموالاة أوليانه، ومعاداة مَنْ كفر به وعاداه، وأوضع في معاصيه، فشرط ولاية الله والإيمان به، أن لا يتخذ أعداء الله أولياء، وهؤلاء لم يوجد منهم الشرط، فدل على انتفاء المشروط. ﴿ولكن كثيراً فدل على انتفاء المشروط. ﴿ولكن كثيراً منهم فاسقون ﴾ أي: خارجون عن طاعة الله والإيمان به وبالنبي. ومن فسقهم موالاة أعداء الله.

ثم قال تعالى :

فرالا - ٨٦﴾ ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون \* وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين \* فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من فتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين \* والذين كفروا وكذبوا بأياتنا أولئك أصحاب الجحيم \*.

يقول تعالى في بيان أقرب الطائفتين إلى المسلمين، وإلى ولايتهم ومجبتهم، وأبعدهم من ذلك: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾. فهؤلاء الطائفتان على الإطلاق أعظم الناس معاداة للإسلام والمسلمين، وأكثرهم سعياً في إيصال الضرر إليهم، وذلك لشدة بغضهم لهم، بغياً وحسداً وعناداً وكفراً.

﴿ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ﴾ وذكر تعالى لذلك عدة أسباب:

منها: أن ﴿منهم قسيسين ورهباناً﴾ أي: علماء متزهدين، وعُبّاداً في

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ: أن في ترك.

الصوامع متعبدين. والعلم مع الزهد وكذلك العبادة بما يلطف القلب ويرققه، ويزيل عنه ما فيه من الجفاء والغلظة، فلذلك لا يوجد فيهم غلظة اليهود، وشدة المشركين.

ومنها: ﴿أنهم لا يستكبرون﴾ أي: ليس فيهم تكبر ولا عتو عن الانقياد للحق، وذلك موجب لقربهم من المسلمين ومن محبتهم، فإن المتواضع أقرب إلى الخير من المستكبر.

ومنها: أنهم ﴿إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول عمد ﷺ أثر ذلك في قلوبهم وخشعوا له، وفاضت أعينهم بسبب ما سمعوا من الحق الذي تيقنوه، فلذلك آمنوا وأقروا به فقالوا: ﴿ربنا مَم الشاهدين وهم أمة عمد ﷺ، يشهدون لله بالتوحيد، ولرسله بالرسالة وصحة ما جاؤوا به، ويشهدون على الأمم السابقة بالتصديق والتكذيب.

وهم عدول، شهادتهم مقبولة، كما قال تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾. فكأنهم ليموا على إيمانهم ومسارعتهم فيه، فقالوا: ﴿وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا يمنعنا من الإيمان بالله، والحال أنه قد جاءنا الحق من ربنا، الذي لا يقبل الشك والريب، ونحن إذا آمنا واتبعنا الحق طمعنا أن يدخلنا الله الجنة مع القوم الصالحين، فأي: مانع يمنعنا؟ القوم الصالحين، فأي: مانع يمنعنا؟ اليسان وعدم التخلف عنه.

قال الله تعالى: ﴿فأنابهم الله بما قالوا﴾ أي: بما تفوهوا به من الإيمان ونطقوا به من التصديق بالحق ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، وذلك جزاء المحسنين﴾. وهذه الآيات ني النصارى الذين آمنوا بمحمد على كالنجاشي وغيره ممن آمن منهم. وكذلك لا يزال يوجد فيهم

مَنْ يختار دين الإسلام، ويتبين له بطلان ما كانوا عليه، وهم أقرب من اليهود والمشركين إلى دين الإسلام.

ولما ذكر ثواب المحسنين، ذكر عقاب المسيئين قال: ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴿ لأنهم (١) كفروا بالله، وكذبوا بآياته المبينة للحق.

﴿٨٨ ـ ٨٨﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يجب المعتدين \* وتلوا بما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ﴾ يقول تعلى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ﴾ من المطاعم والمشارب، فإنها نِعَم أنعم الله بها عليكم، فاحمدوه إذ أحلها لكم، واشكروه ولا تردوا نعمته بكفرها أو عدم قبولها، أو اعتقاد تحريمها، فتجمعون بذلك بين القول على الله الكذب، وكفر النعمة، واعتقاد الحلال الطيب حراماً خبيثاً، فإن هذا من الاعتداء.

والله قد نهى عن الاعتداء فقال: ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يجب المعتدين﴾ بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم على ذلك.

شم أمر بضد ما عليه المسركون، الذين يحرمون ما أحل الله فقال: ﴿وَكُلُوا مَا رَزْقَكُم الله حلالاً طيباً ﴾ أي: كلوا من رزقه الذي ساقه إليكم، بما يسره من الأسباب، إذا كان حلالاً لا سرقة ولا غصباً ولا غير ذلك من أنواع الأموال التي تؤخذ بغير حق، وكان أيضاً طيباً، وهو الذي لا خبث فيه، فخرج بذلك الخبيث من السباع والخبائث.

﴿واتقوا الله في امتثال أوامره، واجتناب نواهيه. ﴿الذي أنتم به مؤمنون ﴾ فإن إيمانكم بالله يوجب عليكم تقواه ومراعاة حقه، فإنه لا يتم إلا بذلك. ودلّت الآية الكريمة على أنه إذا حرم حللاً عليه، من طعام

وشراب، وسرية وأمة، ونحو ذلك، فإنه لا يكون حراماً بتحريمه، لكن لو فعله فعليه كفارة يمين، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُهَا النّبِي لَم تَحْرِم ما أَحْلِ الله لك﴾ الآية. إلا أن تحريم الزوجة فيه كفارة ظهار، ويدخل في هذه الآية أنه لا ينبغي للإنسان أن يتجنب الطيبات ويحرمها نفسه، بل يتناولها مستعيناً بها طاعة ربه.

﴿٩٩﴾ ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم التي في أيمانكم التي صدرت على وجه اللغو، وهي الأيمان التي حلف بها المقسم من غير نية ولا قصد، أو عقدها يظن صدق نفسه، فبان بخلاف ذلك. ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾ أي: بما عزمتم عليه، وعقدت عليه قلوبكم. كما قال في الآية الأخرى: ﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ﴾ ﴿فكفارته أي: كفارة اليمين الذي عقدتموها بقصدكم كفارة اليمين الذي عقدتموها بقصدكم ﴿إطعام عشرة بساكين ﴾.

وذلك الإطعام ﴿من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم ﴾ أي: كسوة عشرة مساكين، والكسوة هي التي تجزىء في الصلاة. ﴿أو تحرير رتبة ﴾ أي: عتق رقبة مؤمنة كما قيدت في غير هذا الموضع، فمتى فعل واحداً من هذه الثلاثة فقد انحلت يمينه. ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِد ﴾ واحداً من هذه الثلاثة ﴿فَصِيام ثلاثة أيام ذلك ﴾ المذكور ﴿كفارة أيمانكم إذا حلفتم ﴾ تكفرها وتحوها وتمنع من الإثم.

وواحفظوا أيمانكم في عن الحلف بالله كاذباً، وعن كشرة الأيمان، واحفظوها إذا حلفتم عن الحنث فيها، إلا إذا كان الحنث خيراً، فتمام الحفظ: أن يفعل الخير، ولا يكون يمينه عرضة لذلك الخير.

﴿كذلك يبين الله لكم آياته ﴾ المبينة للحال من الحرام، الموضحة للأحكام. ﴿لعلكم تشكرون ﴾ الله حيث علمكم ما لم تكونوا تعلمون. فعلى العباد شكر الله تعالى على ما من به

عليهم، من معرفة الأحكام الشرعية والميسر، ليوقع بين المؤمنين العداوة وتبيينها .

> ﴿٩١ ــ ٩١﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون \* إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ يذم تعالى هذه الأشياء القبيحة، ويخبر أنها من عمل الشيطان، وأنها رجس. ﴿فاجتنبوه أي: اتركوه ﴿لعلكم تفلحون﴾ فإن الفلاح لا يتم إلا بترك ما حرّم الله، خصوصاً هذه الفواحش المذكورة وهي الخمر وهي: كل ما خامر العقل أي: غطاه بسكره والميسر، وهو: جميع المغالبات التي فيها عوض من الجانبين، كالمراهنة ونحوها، والأنصاب، التي هي: الأصنام والأنداد ونحوها، مما ينصب ويعبد من دون الله، والأزلام التي يستقسمون بها، فهذه الأربعة نهى الله عنها وزجر، وأخبر عن مفاسدها الداعية إلى تركها واجتنابها. فمنها: أنها رجس، أي: خبث، نجس معنى، وإن لم تكن نجسة

والأمور الخبيثة مما ينبغى اجتنابها وعذم التدنس بأوضارها .

ومنها: أنها من عمل الشيطان، الذي هو أعدى الأعداء للإنسان.

ومن المعلوم أن العدو يحذر منه، وتحذر مصايده وأعماله، خصوصاً الأعمال التي يعملها ليوقع فيها عدوه، فإنها فيها هلاكه، فالحزم كل الحزم البعد عن عمل العدو المبين، والحذر منها، والخوف من الوقوع فيها.

ومنها: أنه لا يمكن الفلاح للعبد إلا باجتنابها، فإن الفلاح هو: الفوز بالمطلوب المحبوب، والنجاة من المرهوب، وهذه الأمور مانعة من الفلاح ومعوقة له .

ومنها: أن هذه موجبة للعداوة والبغضاء بين الناس، والشيطان حريص على بثها، خصوصاً الخمر

والبغضاء.

فإن في الخمر من انغلاب العقل وذهاب حجاه، ما يدعو إلى البغضاء بينه وبين إخوانه المؤمنين، خصوصاً إذا اقترن بذلك من السباب ما هو من لوازم شارب الخمر، فإنه ربما أوصل إلى القتل. وما في الميسر من غلبة أحدهما للآخر، وأخذ ماله الكثير في غير مقابلة، ما هو من أكبر الأسباب للعداوة والبغضاء.

ومنها: أن هذه الأشياء تصد القلب، ويتبعه البدن عن ذكر الله وعن الصلاة، اللذين خلق لهما العبد، وبهما سعادته، فالخمر والمسر، يصدانه عن ذلك أعظم صد، ويشتغل قلبه، ويذهل لبه في الاشتغال بهما، حتى يمضى عليه مدة طويلة وهو لا يدري أين هو.

فأي: معصية أعظم وأقبح من معصية تدنس صاحبها، وتجعله من أهل الخبث، وتوقعه في أعمال الشيطان وشباكه، فينقاد له كما تنقاد البهيمة الذليلة لراعيها، وتحول بين العبد وبين فلاحه، وتوقع العداوة والبغضاء بين المؤمنين، وتصدعن ذكر الله وعن الصلاة؟!! فهل فوق هذه المفاسد شيء أكبر منها؟!!

ولهذا عرض تعالى على العقول السليمة النهي عنها، عرضاً بقوله: ﴿فَهُلُ أَنتُم مُنتَهُونَ﴾ . لأن العاقل \_إذا نظر إلى بعض تلك المفاسد ـ انزجر عنها وكفت نفسه، ولم يحتج إلى وعظ كثير ولا زجر بليغ.

﴿٩٢﴾ ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) طاعة الله وطاعة رسوله واحدة، فمَنْ أطاع الله فقد أطاع الرسول، ومَنْ أطاع الرسول فقد أطاع الله. وذلك شامل للقيام بما أمر الله به ورسوله من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة، الواجبة والمستحبة، المتعلقة بحقوق الله وحقوق خلقه، والانتهاء عما نهي الله ورسوله عنه كذلك.

وهذا الأمر أعم الأوامر، فإنه كما تري يدخل فيه كل أمر ونهي، ظاهر وباطن، وقوله: ﴿واحذروا﴾ أي: من معصية الله ومعصية رسوله، فإن في ذلك الشر والخسران المبين. ﴿فَإِنَّ توليتم﴾ عمّا أمرتم به ونهيتم عنه. ﴿فَاعَلُمُوا أَنْمَا عَلَى رَسُولُنَا البِلاغِ المبين، وقد أدى ذلك. فإن اهتديتم فلأنفسكم، وإن أسأتم فعليها، والله هو الذي يحاسبكم، والرسول قد أدى ما عليه وما حمل به.

﴿ ٩٣ ﴾ ﴿ ليس على اللذين آمسوا وعملوا الصالحات جناخ فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين، لما نزل تحريم الخمر والنهي الأكيد والتشديد فيه، تمنى أناس من المؤمنين أن يعلموا حال إخوانهم الذين ماتوا على الإسلام قبل تحريم الخمر وهم يشربونها.

فأنزل الله هذه الآية، وأخبر تعالى أنه ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح﴾ أي: حرج وإثم ﴿فيما طعموا﴾ من الخمر والميسر قبل تحريمهما.

ولما كان نفى الجناح يسمل المذكورات وغيرها، قيد ذلك بقوله: ﴿إِذَا مِنَا اتَّتَقَّبُوا وآمنُوا وعَسَمُلُوا الصالحات أي: بشرط أنهم تاركون للمعاصي، مؤمنون بالله إيماناً صحيحاً، موجباً لهم عمل الصالحات، ثم استمروا على ذلك. وإلا فقد يتصف العبد بذلك في وقت دون آخر . فلا يكفي حتى يكون كذلك حتى يأتيه أجله، ويدوم على إحسانه، فإن الله يحب المحسنين في عسادة الخالق، المحسنين في نفع العبيد، ويدخل في هذه الآية الكريمة، من طعم المحرم، أو فعل غيره بعد التحريم، ثم اعترف بذنبه وتاب إلى الله، واتقى وآمن وعمل صالحاً، فإن الله يغفر له، ويرتفع عنه الإثم في

﴿ 98 \_ 97 ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمِنُوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله الجزء السابع )

أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم \* يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام \* أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعأ لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾ هذا من منن الله على عباده، أن أخبرهم بما سيفعل قضاء وقدرأ، ليطيعوه ويقدموا على بصيرة، ويهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ لا بد أن يختبر الله إيمانكم .

﴿ليبلونكم الله بشيء من الصيد﴾ أي: بشيء غير كثير، فتكون محنة يسيرة، تَخَفيفاً منه تعالى ولطفاً، وذلك الصيد الذي يبتليكم الله به ﴿تناله أيديكم ورماحكم اي: تتمكنون من صيده، ليتم بذلك الابتلاء، لا غير مقدور عليه بيد ولا رمح، فلا يبقى للابتلاء فائدة.

ثم ذكر الحكمة في ذلك الابتلاء، فقال: ﴿ليعلم اللهُ علماً ظاهراً للخلق يترتب عليه الثواب والعقاب ﴿من يخافه بالغيب﴾ فيكف عما نهى الله عنه مع قدرته عليه وتمكنه، فيثيبه الثواب الجزيل عمن لا يخافه بالغيب، فلا يرتدع عن معصية تعرض له فيصطاد ما تمكن منه ﴿فَمَن اعتدى ﴾ منكم ﴿بعد ذلك ﴾ البيان، الذي قطع الحجج، وأوضح السبيل. ﴿فَلَهُ عَذَابُ أليم﴾ أي: مؤلم موجع، لا يقدر على وصفه إلا الله، لأنه لا عذر لذلك المعتدي، والاعتبار بمن يخافه بالغيب،

وعدم حضور الناس عنده. وأما إظهار

مخافة الله عند الناس، فقد يكون ذلك،

لأجل مخافة الناس، فلا يشاب على

ثم صرح بالنهي عن قتل الصيد، في حال الإحرام، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حسرم الي: محسرمسون فسي الحسج والعمرة، والنهي عن قتله يشمل النهي عن مقدمات القتل، وعن المشاركة في القتل، والدلالة عليه، والإعانة على قتله، حتى إن من تمام ذلك أنه ينهى المحرم عن أكل ما قتل أو صيد لأجله، وهذا كله تعظيم لهذا النسك العظيم، أنه يحرم على المحرم قتل وصيد ما كان حلالاً له قبل الإحرام.

وقوله: ﴿ومَنْ قتلهُ منكم متعمداً﴾ أى: قتل صيداً عمداً ﴿ ف عليه ﴿جزاء مثل ما قتل من النعم ﴿ أي: الإبل، أو البقر، أو الغنم، فينظر ما يشبه شيئاً من ذلك، فيجب عليه مثله، يذبحه ويتصدق به. والاعتبار بالمماثلة أن ﴿ يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ أي: عدلان يعرفان الحكم، ووجه الشبه، كما فعل الصحابة رضى الله عنهم، حيث قضوا بالحمامة شاة، وفي النعامة بدنة، وفي بقر الوحش \_على اختلاف أنواعه \_بقرة، وهكذا كل ما يشبه شيئاً من النعم، ففيه مثله، فإن لم يشبه شيئاً ففيه قيمته، كما هو القاعدة في المتلفات، وذلك الهدي لا بد أن يكونَ ﴿ هدياً بالغ الكعبة ﴾ أي: يذبح في

﴿أُو كفارة طعام مساكين ﴾ أي: كفارة ذلك الجزاء طعام مساكين، أي: يجعل مقابلة المثل من النعم، طعام يطعم المساكين.

قال كثير من العلماء: يقوم الجزاء، فيشتري بقيمته طعام، فيطعم كل مسكين مُذَّ بُرِّ أو نصف صاع من غيره. ﴿أُو عدل ذلك ﴾ الطعام ﴿صياماً ﴾ أي: يصوم عن إطعام كل مسكين يوماً. ﴿ليذوق﴾ بإيجاب الجزاء المذكور عليه ﴿وبال أمره ﴾ ﴿ومَنْ عاد ﴾ بعد

وهُوَالَّذِي يَنْوَفَّن كُم بِالَّيْلِ وَيَسْلَمُ مَا بَرَحْنُدِ بِالنَّهَ الِنُّكُ ينعثكم فيولفننا ككالشكم ثزالنه تزجعك ثُرُيْنَتُكُمْ عَاكُسُمُ مَنْكُونَ ۞ وَهُوَٱلْقَامِمُ فَوْدَعِيادِهِ ۗ وَرُسِلُ عَلَنَكُ حَفَظَةً حَفَّا ذَابِيَّاءَ أَعَدُكُوا لَوْتُ تَوَفَّتُهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَيِّمُ لُونَ ۞ ثُرُّزُدُ وَإِلْلَا فَوَمُولَعُ الْفَيْ أَلَا لَهُ ٱلْمُسُكِّرُ وَهُوَأَسْرَعُ ٱلْحَلِيدِينَ ۞ قُلْ مَن يُنَجِيكُ مِن طُلُسُت الْبَرَ وَٱلْبَحْيِرِيَدْعُونِهُ تَضَمُّرُعَا وَخُفْيَحَةً لِّينَ أَيْحَانَا مِنْ هَالِهِ عِلْمَكُونَةً مِنَ الشَّنْكِينَ ۞ قُلِ اللَّهُ يُنَيِّيكُمُ يَسْمَا وَمِن كُلِّكَرْبِ ثُرَّأَتُ تُشْرِكُونَ ۞ قُلْهُوَ الْقَادِرُعَلَ آَلَ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِن فَوْقِكُرُ أَوْمِن تَحْتِ أَرْجُلِكُرُ أَوْيَلْإِسَكُمْ شِيَعَا وَيُنِيَّ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضِ أَنظُ كِيْفَ نَصَرِفُ ٱلْأَيْلَتِ لَعَلَّهُ مُ يَفْقَهُونَ ۞ وَكَذَّبَ مِدِ، مَوْمُكَ وَمُوَالْحَقُّ ثُلَّ لَنْتُ عَلَنَكُمْ وَكِلِ۞ لِكُلِّنَا مُسْتَقَرُّ فِي اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ ال فَأَعْضَ عَنْهُمْ حَنَّى يَكُوضُواْ فِ حَدِيثٍ عَكَيْرِةً وَالْمَا يُعْسِينَكَ ٱلشَّيْطَانُ فَلَا نَقَعُ مُدَبِّمً دَ ٱلذِّكَرَيٰ مَعَ ٱلْفَوْمِ ٱلظَّلِمِينَ ۞ ONDION FOR EDITION

ذلك﴿فينتقم الله منه، والله عزيز ذو انتقام 🦫 .

وإنمانص الله على المتعمد لقتل الصيد، مع أن الجزاء يلزم المتعمد والمخطىء، كما هو القاعدة الشرعية \_ أن المتلف للنفوس والأموال المحترمة، فإنه يضمنها على أي: حال كان، إذا كان إتلافه بغير حق، لأن الله رتب عليه الجزاء والعقوبة والانتقام، وهذا للمتعمد. وأما المخطىء فليس عليه عقوبة، إنما عليه الجزاء، [هذا جواب الجمهور من هذا القيد الذي ذكره الله. وطائفة من أهل العلم يرون تخصيص الجزاء بالمتعمد وهو ظاهر الآية. والفرق بين هذا وبين التضمين في الخطأ في النفوس والأموال في هذا الموضع آلحق فيه لله، فكما لا إثم لا جزاء لاتلاف نفوس الآدميين وأموالهم](١).

ولما كان الصيد يشمل الصيد البري والبحري، استثنى تعالى الصيد البحري فقال: ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه اي: أحل لكم \_في حال إحرامكم \_ صيد البحر، وهو الحي من حيواناته وطعامه، وهو الميت منها، فدل ذلك على حل ميتة البحر . ﴿متاعاً لكم وللسيارة﴾ أي: الفائدة في إباحته

ما بين القوسين زيادة من هامش أ، وجاء في هامش ب بدلاً منها بخط المؤلف: (هذا قول جمهور العلماء، والصحيح ما صرحت (1) به الآية أنَّه لا جزاء على غير المعتمد كما لا إثم عليه).

CA CHANGE CANCELL CONTRACTOR وَمَاعَلَ اللَّهِ اللَّهِ عَنْ مِنْ مِنْ مِنْ اللَّهِ عَيْنَ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ وْ صَمَا كَالْمُعْمَدُ مِنْ فُونَ ﴿ وَوَرِالَّذِي أَفِّى وَوَلِيَّاهُمْ لَهِ اوَلَهُوا وَغَنَّهُ مُرْلَخُتُوهُ ٱلدُّنياً وَدَكِوْرِيهِ آنَ بُسَكُنَّ نَفْنُ عِاكَسَبَتْ لَيْسَلَهَا مِن دُونِ آهَدَ وَلِي وَلَا شَفِيمٌ وَان مَنْ وِلْ كُلُّ عَدْلِ لَا يُؤخَذُ مِنْهُ أَوْلَيْهِ لَالَّذِينَ أُمْسِلُوا عَاسَكُ مُؤَلِّكُ مُشَرَابُ مِنْ حَيدٍ وَعَذَابُ أَلِيدُ إِمَاكَ افُوا يَّكُمُرُونَ ۞ قُلْ أَنْدَعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَ وَلَا يَضُرُّنَا وَثُرَدُّ عَلَىٰ أَعْمَىٰ إِنَاهِمْ لَهِ إِذْ هَدَسْنَا ٱللَّهُ كَالَّذِي ٱسْتَهُولَهُ ٱلشَّيَطِينُ فِٱلْأَرْضِ حَكِرانَ لَهُ وَأَصْحَبُ بَنْعُونَهُ وَإِلَى ٱلْهُدَى ٱنْتِنَا قُلْ إِنَ هُدَى ٱللَّهِ هُوَالْمُدَثَّى وَأَيْرَا لِلسَّارِرَ لِمَيْتِ الْمَسَلِمَةِ مِنْ ۞ وَأَنْ أَفِيسُوا الصَّسَلَوةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَالَّذِي إِلَيْهِ غُشَرُونَ ۞ وَهُوَالَّذِي خَلَقَ السَّنَوْنِ وَالْأَرْضَ بِالْعَقِّ وَيْزِمَ كِنُوكُ كُن بِكُونً فَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْسُلْكَ يَوْمَ بُنِفَحُ فِ ٱلصُّورُ عَسَارُ ٱلْمُنكِبِ وَالشَّهَدُةُ وَهُوَالْحَكِيدُ الْخِيدُ وَالْحَيدُ TOLEMON MODELON

لكم أنه لأجل انتفاعكم وانتفاع رفقتكم الذين يسيرون معكم. ﴿وحرَم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً﴾. ويؤخذ من لفظ «الصيد» أنه لا بد أن يكون وحشياً، لأن الإنسي ليس بصيد. ومأكولاً، فإن غير المأكول لا يصاد ولا يطلق عليه اسم الصيد. ﴿واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾ أي: اتقوه بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، واستعينوا أمر به، وترك ما نهى عنه، واستعينوا فيجازيكم، هل قمتم بتقواه فيثيبكم الشواب الجزيل، أم لم تقومموا بها فيعاقبكم؟

﴿ ١٩ - ٩٩﴾ ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم \* اعلموا أن الله غفور رحيم \* ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون يخبر تعالى يعلم ما تبدون وما تكتمون يخبر تعالى للناس ﴾ . يقوم بالقيام بتعظيمه دينهم ودنياهم ، فبذلك يتم إسلامهم ، وبه يقصده - العطايا الجزيلة ، والإحسان بقصده - العطايا الجزيلة ، والإحسان وتتقحم ('' - من أجله - الأهوال .

ويجتمع فيه من كل فج عميق جميع أجناس المسلمين، فيتعارفون ويستعين بعضهم ببعض، ويتشاورون على المصالح العامة، وتنعقد بينهم الروابط في مصالحهم الدينية والدنيوية.

قال تعالى: ﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ ومن أجل كون البيت قياماً للناس قال مَنْ قال من العلماء: إن حج بيت الله فرض كفاية في كل سنة. فلو ترك الناس حجه لأثم كل قادر، بل لو ترك الناس حجه لزال ما به قوامهم، وقامت القيامة.

وقوله: ﴿والهدي والقلائد﴾ أي: وكذلك جعل الهدي والقلائد ـ التي هي أشرف أنواع الهدي \_ قياماً للناس، ينتفعون بهما ويثابون عليهما. ﴿ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأن الله بكل شيء عليم﴾.

فمن علمه أن جعل لكم هذا البيت الحرام، لما يعلمه من مصالحكم الدينية والدنيوية.

﴿اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم أي: ليكن هذان العلمان موجودين في قلوبكم على وجه الجزم واليقين، تعلمون أنه شديد العقاب العاجل والآجل على مَن عصاه، وأنه غفور رحيم لمن تاب إليه وأطاعه. فيثمر لكم هذا العلم الخوف من عقابه، والرجاء لمغفرته وثوابه، والرجاء.

ثم قال تعالى: ﴿ما على الرسول إلا البلاغ وقد بلغ كما أمر، وقام بوظيفته وما سوى ذلك، فليس له من الأمر شيء. ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فيجازيكم بما يعلمه تعالى منكم.

﴿ ١٠٠﴾ ﴿ قِلْ لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم عن المشر ومرغباً في الخير: ﴿ قل المناس عذراً في الخير: ﴿ لا يستوي الخبيث والطيب أن من كل سيء، فلا يستوي الإيمان والكفر، ولا الطاعة والمعصية، ولا أهل الحنة والأعمال الطيبة، ولا المال الحرام بالمال الحلال.

﴿ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾ فإنه لا ينفع صاحبه شيئاً، بل يضره في دينه ودنياه.

﴿ فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون ﴾ فأمر أولي الألباب، أي: أهل العقول الوافية، والآراء الكاملة، فإن الله تعالى يوجه إليهم الخطاب. وهم الذين يؤبه لهم، ويرجى أن يكون فيهم خير.

ثم أخبر أن الفلاح متوقف على التقوى التي هي موافقة الله في أمره ونهيه، فمن اتقاه أفلح كل الفلاح، ومن ترك تقواه حصل له الخسران وفاته الأرباح.

وكالسوال الذي يترتب عليه تشديدات في الشرع ربنما أحرجت الأُمة، وكالسوال عما لا يعني، فهذه الأسئلة، وما أشبهها هي المنهي عنها، وأما السوال الذي لا يترتب عليه شيء

لا تعلمون♦.

عمّا سكت الله عنه.

ورضوانه.

أنبيائهم».

تبد لكم أي: وإذا وافق سؤالكم محله

فسألتم عنها حين ينزل عليكم القرآن،

فتسألون عن آية أشكلت، أو حكم

خفى وجهه عليكم، في وقت يمكن

فيه نزول الوحى من السماء، تبد لكم،

أي: تبين لكم وتظهر، وإلا فاسكتوا

لعباده منها، فكل ما سكت الله عنه

فهو مما أباحه وعفا عنه. ﴿والله غفور

حليم) أي: لم يزل بالمغفرة موصوفاً،

وبالحلم والإحسان معروفاً، فتعرضوا

لمغفرته وإحسانه، واطلبوه من رحمته

وهذه المسائل التي نهيتم عنها ﴿قد

سألها قوم من قبلكم أي: جنسها

وشبهها، سؤال تعنت لا استرشاد.

فلما بينت لهم وجاءتهم وأصبحوا بها

كافرين كما قال النبى على في الم

الحديث الصحيح: "ما نهيتكم عنه

فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك مَنْ كان قبلكم

كثرة مسائلهم، واختلافهم على

﴿ ١٠٣ \_ ١٠٤ ﴾ ﴿ ما جعل الله من

بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام

ولكن الذين كفروا يفترون على الله

الكذب وأكثرهم لا يعقلون \* وإذا

قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه

آباءنا أوَلَوْ كَانَ آباؤهم لا يعلمون شيئاً

ولا يهتدون مذا ذم للمشركين الذين

شرعوا في الدين ما لم يأذن به الله،

وحرموا ما أحله الله، فجعلوا بآرائهم

الفاسدة شيئا من مواشيهم محرما، على

حسب اصطلاحاتهم التي عارضت ما

أنزل الله، فقال: ﴿ماجعل الله من

بحيرة، وهي: ناقة يشقون أذنها، ثم

يحرمون ركوبها ويرونها محترمة.

﴿عَفَا الله عنها﴾ أي: سكت معافياً

﴿ وَلا سَائِبَةَ ﴾ وهي: ناقة، أو بـقـرة، أو شـاة، إذا بـلُـغـت شـيـئـأ اصطلحوا عليه، سيبوها فلا تركب ولا يحمل عليها ولا تؤكل، وبعضهم ينذر شيئاً من ماله يجعله سائبة.

﴿ولاحام اي: جمل يحمى ظهره عن الركوب والحمل، إذا وصل إلى حالة معروفة بينهم.

فكل هذه مما جعلها المشركون محرمة بغير دليل ولا برهان وإنما ذلك افتراء على الله، وصادرة من جهلهم وعدم عقلهم، ولهذا قال: ﴿ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) فلا نقل فيها ولا عقل، ومع هذا فقد أعجبوا بآرائهم التي بنيت على الجهالة والظلم.

فبإذا دعـوا ﴿إِلَى مِنَا أُنْسُولُ اللهِ وَإِلَى الرسول) أعرضوا فلم يقبلوا، و ﴿قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا﴾ من الدين، ولو كان غير سديد، ولا ديناً ينجى من عذاب الله.

ودراية لهان الأمر. ولكن آباءهم لا يعقلون شيئاً، أي: ليس عندهم من المعقول شيء، ولا من العلم والهدى

فتبألن قلّد مَن لا علم عنده صحيح، ولا عقل رجيح، وترك اتباع ما أنزلَ الله، واتباع رسله الذي يملأ القلوب علماً وإيماناً وهدى وإيقاناً .

﴿ ١٠٥ ﴾ ﴿ يِا أَبِهَا الَّذِينَ آمِنُوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم اي: وإلزامها سلوك الصراط المستقيم، الدين القويم، وإنما يضر نفسه.

ولا يدل هذا على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لا يضر العبد تركهما وإهمالهما، فإنه لا يتم هداه إلا

من ذلك فهذا (١) مأمور به، كما قال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم ﴿ وَإِن تَسَأَلُوا عِنْهَا حِينَ يِنْزُلُ القرآنِ

ولوكان في آبائهم كفاية ومعرفة

بما كنتم تعلمون) يقول تعالى: ﴿يا اجتهدوا في إصلاحها وكمالها فإنكم إذا صلحتم لا يضركم مَنْ ضل عن الصراط المستقيم، ولم يهتد إلى

LE STEEL TO • وَإِذْ قَالَ إِنْرُهِيدُ لِأَبِيهِ ءَازُرُ أَنْتَغِذُ أَسْنَامًا مَالِهَةً إِنَّ أَرَاكُ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالِ مُبِينٍ ۞ وَكَذَٰ لِكَ نُرِيَّ إِبْرَهِيهَ مَلَكُونَ السَّمَوْنِ وَالْأَرْضِ وَلِيكُوْنَ مِنَ الْمُوفِيدِ @ فَلْتَاجَنَّ عَلَيْهِ الَّيْلُ رَوَا كُوْكَيًّا قَالَ هَلِنَا رَبُّ فَلُمَّا أَفْكَلَ فَالَ لِآلُهِ أَنَّ فِيلِينَ ﴿ فَلْمَارَةِ ٱلْفَكْرَ إِنَّا قَالَ هَلْنَا رَبِّي فَلَتَّا أَفَكَ قَالَ لَهِن لَّرْيَهُدِنِ رَبِّ لَأَكُونَنَّ مِنَ الْفَوْمِ ٱلْمَهِ آلِين ﴿ فَلْمَارَةُ ٱللَّهُ مُسَ بَانِفَ مُعَالَ هَا مُا اللَّهِ هَلِنَآ أَكَ بَرُّفَ لَمَاۤ أَفَلْتَ قَالَ يَلَقَوْمِ إِنِّ بَرِيَّ مُّ مَا نُشْرِكُونَ ۞ إِنِّ وَحَمَّهُ تُوحِيَ لِلَّذِى فَعَلَ رَالسَّسَنُونِ وَٱلْأَرْضَ حَيْفًا وَمَا أَمَا أَمَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ وَمَلَّبُهُ فَوْمُهُمُ قَالَ أَتُحَتَّجُونِي فِ اللَّهِ وَقَدْ هَدَنَّ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ إِمِدَ إِلَّا أَن يَثَآ أَدَنِي شَيْئًا وَسِعَ رَفِيكُلُّ مَنْ عِلْمَا أَفَلَا ا تَنَدَّكَّرُونَ ۞ وَكَيْنَ أَغَافُ مَاۤ أَشْرَكَنُهُ وَلَا عَنَافُونِ أَنْكُوْ أَشْرَكَنُهُ وِبَاللَّهِ مَا لَوْيُزَلِّ بِورِعَلَيْكُو سُلْطَنَّا فَأَيُّ ٱلْفَكِرِيقَ يَنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ أَن كَسُمُ مُعَلِّمُ وَلَا مَن اللَّهُ مِن اللَّهُ مَن اللَّهُ وَ اللَّهُ مِن اللَّا مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِنْ اللَّمِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللّه resident in Education

بالإتيان بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

نعم، إذا كان عاجزاً عن إنكار المنكر بيده ولسانه وأنكره بقلبه، فإنه لا يضره ضلال غيره.

وقوله: ﴿إِلَى اللهِ مرجعكم جميعاً ﴾ أي: مآلكم يوم القيامة، واجتماعكم بين يدي الله تعالى. ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون) من خير وشر .

﴿ ١٠٦﴾ ﴿ ١٠٦﴾ ﴿ إِمَا أَيَّا الَّذِينَ آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمناً ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنَّا إذا لمن الآثمين \* فإن عثر على أنهما استحقا إثماً فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذاً لمن الظالمين \* ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدى القوم الفاسقين كينبر تعالى خبراً متضمناً للأمر بإشهاد اثنين على الوصية، إذا حضر الإنسان مقدمات الموت وعلائمه، فينبغي له أن

SENION SENION الَّذِيكَ وَاسْتُوا وَلَرْ مَلِيسُوٓ لِمَا يَنْتَهُمُ مِظْلَمِ أُوْلَيْكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهُ تَدُونَ ۞ وَقِلْكَ حُتَمُنَآ ءَاتَيْنَهَآ إِبْرُهِ بِمِعَلَىٰ قَوْمِدِّ، نَرْفَعُ دَرَجَتِ مَن نَصَلَهُ إِنَّ رَبِّكَ حَكِيمُ عَلِيمٌ ۞ وَوَهَنَالُهُ وَإِسْخَنَ وَيَقْفُوبَ حُكُلًّا هَدَيْنَا وَتُوعًا هَدَيْنَا مِن مِّنَالُ وَمِن ذُرِّيِّتِهِ وَالْهُدَ وَمُسُلِّئَكُنَّ وَأَنُّوبَ وَتُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَ ذَكِ لَكَ نَجْزِي ٱلْخَسِيْنَ ﴿ وَذَكَرِهَا وَيَحْنَى وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسُ كُلُّ مِنَ ٱلصَّلِحِينَ ﴿ وَإِسْمَعِيلَ وَٱلْمِسَعَ وَيُونُنَ وَلُوطًا وَكُلُّ فَضَلَا عَلَى ٱلْعَنَالَمِينَ ۞ وَمِنْ ءَاجَآبِهِمْ وَذُونِكَيْتُومْ وَلَخَرُنُومْ وَلَجْنَبُنَاهُمْ يوء من يَشَاَّهُ مِنْ عِبَادِيَّهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَّا كَافُوا وَٱلشَّبُوَةَ فَإِن يَكُفَرُيهِا مَوْلِكَةً فَعَدْ وَكَلْدَايِهَا فَوَمَا لَيْسُوا بِهَا كِنْفِينَ ۞ أُولَيْكَ ٱلَّذِينَ مَدَى ٱللَّهُ فَهُدَنْهُمُ ٱفْتَدُّهُ قُلْلًا أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا وَكُونِ الْعَدَلِينَ ۞

وَهَدَيْنَهُمْ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيدٍ ۞ ذَاكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِى اللَّهِ مِنْكُونِ ﴿ أُوْلَيْكَ ٱلَّذِي مَانِيَّتُهُمُ ٱلْكِتَ وَلَنْكُمْ إِلَّهِ

يكتب وصيته، ويشهد عليها اثنين ذوي

عدل بمن تعتبر شهادتهما. ﴿ أُو آخران من غيركم ﴾ أي: من غير أهل دينكم، من اليهود أو النصاري أو غيرهم، وذلك عند الحاجة والضرورة وعدم غيرهما من المسلمين.

﴿إِن أَنتم ضربتم في الأرض﴾ أي: سافرتم فيها ﴿فأصابتكم مصيبة الموت﴾ أي: فأشهدوهما، ولم ينأمر بشهادتهما إلا لأن قولهما في تلك الحال مقبول، ويؤكد عليهما، بأن يحبسا ﴿من بعد البصلاة ﴾ التي يعظمونها.

﴿ فيقسمان بالله ﴾ أنهما صدقا، وما غيرا ولا بدّلا، هذا ﴿إن ارتبتم ﴿ في شهادتهما، فإن صدقتموهما، فلا حاجة إلى القسم بذلك.

ويقولان: ﴿لا نشترى به ﴾ أي: بأيماننا ﴿ثمنا ﴾ بأن نكذب فيها، لأجل عرض من الدنيا. ﴿ولو كان ذا قربي﴾ فلا نراعيه لأجل قربه منا ﴿وَلاَ نَكُتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ ﴾ بل نؤديها على ما سمعناها ﴿إِنَّا إِذَا ﴾ أي: إن كتمناها ﴿ لَمْنُ الْأَثْمِينَ ﴾ .

﴿ فُلِن عَشْرِ عَلَى أَنْهُ مِنْ أَي : الشاهدين ﴿استحقا إثماً ﴾ بأن وجد من القرائن ما يدل على كذبهما وأنهما

خانا ﴿فَأَخُرَانَ يَقُومُانَ مَقَامُهُمَا مِنْ الذين استحق عليهم الأوليان،

أي: فليقم رجلان من أولياء الميت، وليكونا من أقرب الأولياء إليه. ﴿فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما﴾ أي: أنهما كذبا، وغيرا وخانا. ﴿وما اعتمدينا إنا إذا لمن الظالمين أي: إن ظلمنا واعتدينا، وشهدنا بغير الحق.

قال الله تعالى في بيان حكمة تلك الشهادة وتأكيدها، وردها على أولياء الميت حين تظهر من الشاهدين الخيانة: ﴿ ذَلَكَ أَدْنَى ﴾ أي: أقرب ﴿ أَنْ يَأْتُوا بالشهادة على وجهها ﴾ حين تؤكد عليهما تلك التأكيدات. ﴿ أُو يَخافُوا أَن ترد أيمان بعد أيمانهم اي: أن

﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين أي: الذين وصفهم الفسق، فلا يريدون الهدي والقصد إلى الصراط المستقيم.

لا تقبل أيمانهم، ثم ترد على أولياء

وحماصل همذا، أن الميت إذا حضره الموت في سفر ونحوه، مما هو مظنة قلة الشهود المعتبرين \_ أنه ينبغي أن يوصى شاهدين مسلمين عدلين. فإن لم يجد إلا شاهدين كافرين، جاز أن يوصى إليهما، ولكن لأجل كفرهما فإن الأولياء إذا ارتابوا بهما فإنهم يحلفونهما(١) بعدالصلاة، أنهما ما خانا، ولا كذبا، ولا غيّرا، ولا بدّلا، فيبرآن بذلك من حق يتوجه إليهما.

فإن لم يصدقوهما ووجدوا قرينة تدل على كذب الشاهدين، فإن شاء أولياء الميت، فليقم منهم اثنان، فيقسمان بالله: لشهادتهما أحق من شهادة الشاهدين الأولين، وأنهما خانا وكذبا، فيستحقون منهما ما يدعون.

وهذه الآيات الكريمة نزلت في قصة «تميم الداري» و «عدى بن بداء» المشهورة حين أوصى لهما العدوي، والله أعلم.

ويستدل بالآيات الكريمات على

عدة أحكام:

منها: أن الوصية مشروعة، وأنه ينبغي لمن حضره الموت أن يوصي.

ومنها: أنها معتبرة، ولوكان الإنسان وصل إلى مقدمات الموت وعلاماته، ما دام عقله ثابتاً.

ومنها: أن شهادة الوصية لا بد فيها من اثنين عدلين.

ومنها: أن شهادة الكافرين في هذه الوصية ونحوهامقبولة لوجود الضرورة، وهذا مذهب الإمام أحمد. وزعم كثير من أهل العلم: أن هذا الحكم منسوخ، وهذه دعوى لا دليل عليها .

ومنها: أنه ربما استفيد من تلميح الحكم ومعناه، أن شهادة الكفار \_عند عدم غيرهم، حتى في غير هذه المسألة \_مقبولة، كما ذهب إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.

ومنها: جواز سفر المسلم مع الكافر إذا لم يكن محذور .

ومنها: جواز السفر للتجارة.

ومنها: أن الشاهدين \_إذا ارتيب منهما، ولم تبد قرينة تدل على خيانتهما، وأراد الأولياء ــ أن يؤكدوا عليهم اليمين، ويحبسوهما من بعد الصلاة، فيقسمان بصفة ما ذكر الله تعالى .

ومنها: أنه إذا لم تحصل تهمة ولا ريب لم يكن حاجة إلى حبسهما، وتأكيد اليمين عليهما .

ومنها: تعظيم أمر الشهادة حيث أضافها تعالى إلى نفسه، وأنه يجب الاعتناء بها والقيام بها بالقسط.

ومنها: أنه يجوز امتحان الشاهدين عند الريبة منهما، وتفريقهما لينظر عن شهادتهما.

ومنها: أنه إذا وجدت القرائن الدالة على كذب الوصيين في هذه المسألة \_ قام اثنان من أولياء الميت فأقسما بالله: أن أيماننا أصدق من أيمانهما، ولقد خانا وكذَّما .

ثم يدفع إليهما ما ادعياه، فتكون

الجزء السابع)

HENDEY BEING وَمَافَدُرُوا اللَّهَ حَقَّ فَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَاۤ أَنْ زَلَالَةُ عُلَىٰ بَشَرِين شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْلَ ٱلْكِئْبَ ٱلَّذِي عِنَّاءَ مِهِ مُوسَىٰ فُورًا وَهُدَى لَلْتَامِنَّ خَعَلُونَدُوٓ اَطِيرَ بُندُونَا وَتُعَوُّزَكَ عَنْ الْعَلْمَا أَنُّمْ وَلِآءَابَا أَوْكُمْ مُ قُلِ اللَّهُ أُرُّدُوهُمْ فِحَضِهِ مَ يَلْعَبُونَ ۞ وَهَلْذَاكِنَابُ أَزَلْنَاهُ مُبَارَكُ مُصَدِقُ الَّذِي يَنْ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَأُمُّ ٱلْفُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَمَا ۚ وَٱلَّذِيرَ ﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ يُوْمِنُونَ بِإِنَّهِ وَهُمْ عَلَى مَلَاتِهِمْ يُحَافِظُورَ ۞ وَمَنْ أَظَلَمُ عَنَ ٱفْفَرَكَاعَلَ فَعَرَكُهُمَّا أَوْقَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَرَوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأَمْزُلُ مِثْلَ مَٓا أَمْزُلُ اللَّهُ وَلَوْسَرَى إِذِ الظَّالِمُونِ فِي عَسَمَرْتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمُلَيِّكَةُ بارطوا أيديوه أخربوا أنفككم ألوم تخنزون عذاب ٱلْهُونِ يِمَاكُ نُشَرِّقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ عَنْيِرَالُعَقِ وَكُنشُرُ عَنْ الِكِنِهِ مِنْتَ عَيْرُونَ ﴿ وَلَقَدْ جِنْ تُمُونَا فُرُوكَا كُمَّا إلى خَلَقَتَكُمْ أَوَّلَ مَنْ وَرَحَتُمْ مَا خَوَّنَكُمْ وَرَآءَ عَلَهُ ورِكُوْوَمًا 

آمنا﴾ إلى آخر الآياب (١) أي: واذكر نعمتي عليك إذ يسرت لك أتباعاً وأعواناً. فأوحيت إلى الحواريين أي: ألهمتهم، وأوزعت قلوبهم الإيمان بي وبسرسولي، أو أوحبيت إليهم على لسانك، أي: أمرتهم بالوحى الذي جاءك من عند الله، فأجابوا لذلك وانقادوا، وقالوا: آمنا بالله، واشهد بأننا مسلمون، فجمعوا بين الإسلام الظاهر، والانقياد بالأعمال الصالحة، والإيمان الباطن المخرج لصاحبه من النفاق ومن ضعف الإيمان.

والحواريون هم: الأنصار، كما قال تعالی کما قال عیسی ابن مریم(۲) للحواريين: ﴿مَنْ أَنصاري إلى الله؟ قال الحواريون: نحن أنصار الله♦.

﴿إِذْ قَالَ الْحُوارِيونَ يَا عَيْسَي ابِن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ﴾ أي: مائدة فيها طعام، وهذا ليس منهم عن شك في قدرة الله، واستطاعته على ذلك. وإنما ذلك من باب العرض والأدب منهم.

ولما كان سؤال آيات الاقتراح منافياً للانقياد للحق، وكان هذا الكلام الصادر من الحواريين ربما أوهم ذلك، وعظهم عيسي عليه السلام فقال: ولعيسى عليه السلام من ذلك، ما لإخوانه من أولي العزم من المرسلين، من التكليم في حال الكهولة، بالرسالة والدعوة إلى الخير، والنهى عن الشر، وامتاز عنهم بأنه كلّم الناس في المهد، فقال: ﴿إِنَّ عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حباً ﴾ الآبة .

وخصوصاً التوراة، فإنه من أعلم أنبياء بني إسرائيل \_ بعد موسى \_ بها. ويشمل الإنجيل الذي أنزله الله عليه. والحكمة هي: معرفة أسرار الشرع وفوائده وحكمه، وحسن الدعوة والتعليم، ومراعاة ما ينبغي، على

الوجه الذي ينبغي.

﴿وإذ علمتك الكتاب والحكمة ﴾

فالكتاب يشمل الكتب السابقة،

﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير﴾ أي: طيراً مصوراً لا روح فيه. فتنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وتبرىء الأكمه الذي لا بصر له ولا عين. ﴿وَالْأَبُوصِ بِإِذْنِ، وَإِذْ تَخْسُرَجُ المُوتِي بإذن، فهذه آيات بيّنات، ومعجزات باهرات، يعجز عنها الأطباء وغيرهم، أيد الله بها عيسى وقوّى بها دعوته .

﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بِنِي إِسْرَائِيلُ عَنْكُ ، إِذْ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم الم جاءهم الحق مؤيداً بالبينات الموجبة للإيمان به. ﴿إن هذا إلاَّ سحر مبين . وهموا بعيسي أن يقتلوه، وسعوا في ذلك، فكف الله أيديهم عنه، وحفظه منهم وعصمه.

فهذه منن امتن الله بها على عبده ورسوله عيسي ابن مريم، ودعاه إلى شكرها والقيام بها، فقام بها عليه السلام أتم القيام، وصبر كما صبر إخوانه من أولي العزم.

﴿ ١١١ \_ ١٢٠﴾ ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا القرينة -مع أيمانهما -قائمة مقام

﴿١١٩ ـ ١١٩﴾ ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لاعلم لنا إنك أنت علام الغيوب \* إذْ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذن فتنفخ فيها فتكون طيرأ بإذني وتسبرىء الأكسمه والأبرص ببإذن وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحرٌ مبين﴾ يخبر تعالى عن يوم القيامة وما فيه من الأهوال العظام، وأن الله يجمع به جميع الرسل فيسألهم: ﴿ماذا أجبتم﴾ أي: ماذا أجابتكم به أعكم.

ف ﴿قالوا لا علم لنا﴾ وإنما العلم لك يا ربنا، فأنت أعلم منا. ﴿إنك أنت علام الغيوب﴾ أي: تعلم الأمور الغائبة والحاضرة.

﴿إِذْ قَالَ اللهِ يَا عَيْسَى ابْنُ مُرِيَّمُ اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك) أي: اذكرها بقلبك ولسانك، وقم بواجبها شكراً لربك، حيث أنعم عليك نعماً ما أنعم بها على غيرك.

﴿إِذْ أَيدتِكُ بِرُوحِ القدسِ اللهِ أَي: إِذْ قويتك بالروح والوحي، الذي طهرك وزكاك، وصار لك قوة على القيام بأمر الله والدعوة إلى سبيله. وقيل: إنَّ المراد «بروح القدس» جبريل عليه السلام، وأن الله أعانه به وبملازمته له، وتثبيته في المواطن المشقة.

﴿تَكِلُّمُ النَّاسِ فِي المهد وكهلاً﴾ المراد بالتكليم هنا، غير التكليم المعهود الذي هو مجرد الكلام، وإنما المراد بذلك التكليم الذي ينتفع به المتكلم والمخاطب، وهو الدعوة إلى الله.

في ب أكمل الآيات إلى قوله: (وهو على كل شيء قدير).

هكذا في الأصل والمراد بيّن وهو كما قال الله تعالى حكاية لقول عيسى ابن مريم للحواريين. **(Y)** 

﴿اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴿ فإن المؤمن يحمله ما معه من الإيمان على ملازمة التقوى، وأن ينقاد لأمر الله، ولا يطلب من آيات الاقتراح التي لا يدري ما يكون بعدها شيئاً.

فأخبسر الحواريمون أنهم ليس مقصودهم هذا المعنى، وإنما لهم مقاصد صالحة، ولأجل الحاجة إلى ذلك ف ﴿قالوا نريد أن نأكل منها﴾ وهذا دليل على أنهم محتاجون لها، ﴿وتطمئن قلوبنا﴾ بالإيمان حين نرى الآيات العيانية، فيكون (١١) الإيمان عين اليقين، كما كان قبل ذلك علم اليقين. كما سأل الخليل عليه الصلاة والسلام ربه أن يريه كيف يحيى الموتى ﴿قال أُوَلُّمُ تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ . فالعبد محتاج إلى زيادة العلم واليقين والإيمان كلّ وقت، ولهذا قال: ﴿ونعلم أن قد صدقتنا﴾ أي: نعلم صدق ما جئت به، أنه حق وصدق، ﴿ونــكــون عــليهــا مــن الشاهدين، فتكون مصلحة لمن بعدنا، نشهدها لك، فتقوم الحجة، ويحصل زيادة البرهان بذلك.

فلما سمع عيسى عليه الصلاة والسلام ذلك، وعلم مقصودهم، أجابهم إلى طلبهم في ذلك، فقال:

﴿اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك﴾ أي: يكون وقت نـزولـهـا عـيـدأ وموسماً، يتذكر به هذه الآية العظيمة، فتحفظ ولا تنسى على مرور الأوقات وتكرر السنين.

كما جعل الله تعالى أعياد المسلمين ومناسكهم مذكراً لآياته، ومنبهاً على سنن المرسلين وطرقهم القويمة، وفضله وإحسانه عليهم. ﴿وارزقنا وأنت خير الرازقين﴾ أي: اجعلها لنا رزقاً، فسأل عيسي عليه السلام نزولها وأن تكون لهاتين المصلحتين، مصلحة الدين بأن تكون آية باقية، ومصلحة الدنيا، وهي أن تكون رزقاً.

﴿قَالَ اللهِ إِنِّي مِنْزِلُهَا عِلَيْكُمْ فَمَنْ يكفر بعد منكم، فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين لانه شاهد الآية الباهرة وكفر عناداً وظلماً، فاستحق العذاب الأليم والعقاب الشديد. واعلم أن الله تعالى وعد أنه سينزلها، وتوعدهم \_إن كفروا \_جذا الوعيد، ولم يذكر أنه أنزلها، فيحتمل أنه لم ينزلها بسبب أنهم لم يختاروا ذلك، ويــدل عــلى ذلــك، أنــه لم يــذكــر فــى الإنجيل الذي بأيدي النصارى، ولا له وجود. ويحتمل أنها نزلت كما وعمد الله، والله لا يخلف الميعاد، ويكون عدم ذكرها في الأناجيل التي بأيديهم من الحيظ البذي ذكروا به فنسوه.

أو أنه لم يذكر في الإنجيل أصلاً، وإنما ذلك كان متوارثاً بينهم، ينقله الخلف عن السلف، فاكتفى الله بذلك عن ذكره في الإنجيل، ويدل على هذا المعنى قوله: ﴿ونكون عليها من الشاهدين﴾ والله أعلم بحقيقة الحال.

﴿ وإذ قال الله يا عيسى إبن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ﴾. وهذا توبيخ للنصاري الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة،

فيقول الله هذا الكلام لعيسي. فيتبرأ عيسى ويقول: ﴿سبحانك ﴿ عن هذا الكلام القبيح، وعمّا لا يليق بك.

﴿ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ أي: ما ينبغي لي، ولا يليق أن أقول شيئاً ليس من أوصافي ولا من حقوقي، فإنه ليس أحد من المخلوقين، لا الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون ولا غيرهم له حق ولا استحقاق لمقام الإلهية وأنما الجميع عباد، مدبرون، وخلق مسخرون، وفقراء عاجزون ﴿إن كنت قلته فقد علمته، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ﴿ فأنت أعلم بما صدر مني و ﴿أنت علام الغيوبِ ﴿ وهذا من كمال أدب المسيح عليه الصلاة والسلام في خطابه لربه، فلم يقل عليه السلام: «لم أقل شيئاً من ذلك»، وإنما أخبر بكلام ينفي عن نفسه أن يقول كل مقالة تنافى منصبه الشريف، وأن هذا من الامور المحالة، ونزه ربه عن ذلك أتم تنزيه، ورد العلم إلى عالم الغيب والشهادة.

ثم صرّح بذكر ما أمر به بني إسرائيل، فقال: ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به ﴾ فأنا عبد متبع لأمرك، لا متجرىء على عظمتك، ﴿أَن اعبدوا الله ربي وربكم الله أي: ما أمرتهم إلا بعبادة الله وحده وإخلاص الدِين له، المتضمن للنهي عن اتخاذي وأمي إلىهين من دون الله، وبيان أني عبد مربوب، فكما أنه ربكم فهو ربي.

﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم اشهد على مَنْ قام بهذا الأمر، ممن لم يقم به . ﴿ فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم اي: المطلع على سرائرهم وضمائرهم. ﴿وأنت عَلَى كُلُّ شيء شهيد) علماً وسمعاً وبصراً، فعلمك قد أحاط بالمعلومات، وسمعك بالمسموعات، وبصرك بالمبصرات، فأنت الذي تجازي عبادك بما تعلمه فيهم من خير وشر .

﴿إِن تعذبهم فإنهم عبادك وأنت أرحم بهم من أنفسهم وأعلم بأحوالهم، فلولا أنهم عباد متمردون لم تعذبهم. ﴿وإِن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ أي: فمغفرتك صادرة عن تمام عزة وقدرة، لا كمن يغفر ويعفو عن عجز وعدم قدرة.

الحكيم حيث كان من مقتضى حكمتك أن تغفر لمن أتى بأسباب المغفرة.

وقال الله مبيناً لحال عباده يوم القيامة، ومَنْ الهالك، ومَنْ الهائك، ومَنْ الهائك، ومَنْ الهائك، ومَنْ الهائك، عنفع الصادقين صدقهم والصادقون هم الذين استقامت أعمالهم وأقوالهم والقويم، فيوم القيامة يجدون ثمرة ذلك الصدق، إذا أحلهم الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ولهذا قال: صدق عند مليك مقتدر، ولهذا قال: خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم والكاذبون بضدهم، سيجدون ضرر والكاذبون بضدهم، سيجدون ضرر الفاسدة.

﴿لله ملك السماوات والأرض﴾ لأنه الخالق لهما والمدبر لذلك بحكمه القدري، وحكمه الجزائي، ولهذا قال: ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ فلا يعجزه شيء، بل جميع الأشياء منقادة لمشيئته، ومسخرة

تم تفسير سورة المائدة بفضل من الله وإحسان، والحمد لله رب العالمين

## تفسير سورة الأنعام وهي مكية

﴿١-٢﴾ ﴿بسبم الله السرهن السرحيم الحمد لله السرحيم الحمد لله المذي خلق والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون \* هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون﴾ هذا إخبار عن حمده والثناء عليه بصفات الكمال، ونعوت العظمة

والجلال عموماً، وعلى هذه الذكورات خصوصاً. فحمد نفسه على خلقه السماوات والأرض، الدالة على كمال قدرته، وسعة علمه ورحمته، وعموم حكمته، وانفراده بالخلق والتدبير، وعلى جعله الظلمات والنور، وذلك شامل للحسي من ذلك كالليل والنهار

والشمس والقمر. والمعنوي كظلمات الجهل والشك، والشرك والمعصية، والغفلة، ونور العلم والإيمان واليقين والطاعة، وهذا كله يدل دلالة قاطعة أنه تعالى هو المستحق للعبادة وإخلاص الدين له، ومع هذا الدليل ووضوح البرهان وشم الذين كفروا برجم يعدلون به سواه، يعدلون به سواه، يسوونهم به في العبادة والتعظيم، مع يسوونهم لم يساووا الله في شيء من الكمال، وهم فقراء عاجزون ناقصون من كل وجه.

﴿ هو الذي خلقكم من طين ﴾ وذلك بخلق مادتكم وأبيكم آدم عليه السلام. ﴿ ثم قضى أجلا﴾ أي: ضرب لمدة إقامتكم في هذه الدار أجلاً، تتمتعون به وتمتحنون، وتبتلون بما يرسل إليهم به رسله.

﴿لِيبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ ويعمركم ما يتذكر فيه مَنْ تذكر . ﴿وَأَجِلُ مسمى عنده ﴾ وهي: الدار الآخرة، التي ينتقل العباد إليها من هذه الدار، فيجازيهم بأعمالهم من خير وشر.

﴿ تُم ﴾ مع هذا البيان التام وقطع الحجة ﴿ أَنتُم تَمْرُونَ فِي وَعَد الله ووعيده ، ووقوع الجزاء يوم القيامة .

وذكر الله الظلمات بالجمع، لكثرة موادها وتنوع طرقها. ووحد النور لكون الصراط الموصلة إلى الله واحدة لا تعدد فيها، وهي: الصراط المتضمنة للعلم بالحق والعمل به، كما قال تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾.

(٣٩) ﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم

ويعلم ما تكسبون أي : وهو المألوه المعبود في السماوات وفي الأرض، فأهل السماء والأرض، متعبدون لربهم خاضعون لعظمته، مستكينون لعزه وجلاله، الملائكة المقربون، والأنبياء والمسلون، والصديقون والشهداء والصالحون.

وهو تعالى يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون، فاحذروا معاصيه وارغبوا في الأعمال التي تقربكم منه، وتدنيكم من رحمته، واحذروا من كل عمل يبعدكم منه ومن رحمته.

﴿٤ ـ ٦﴾ ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين \* فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون \* الم يرواكم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنأ آخرين، هذا إخبار منه تعالى عن إعراض المشركين، وشدة تكذيبهم وعداوتهم، وأنهم لا تنفع فيهم الآيات حتى تحل بهم المثلات، فقال: ﴿وما تأتيهم من آية من آيات رجم، الدالة على الحق دلالة قاطعة، الداعية لهم إلى اتباعه وقبوله ﴿إِلاَّ كَانُوا عِنْهَا معرضين﴾ لا يلقون لهابالا، ولا يصغون لها سمعاً، قد انصرفت قلوبهم إلى غيرها، وولوها أدبارهم.

وفقد كذبوا بالحق لما جاءهم والحق حقه أن يتبع، ويشكر الله على تسيره لهم، وإتيانهم به، فقابلوه بضد ما يجب مقابلته به فاستحقوا العقاب الشديد وفسوف يأتيهم أنباء ما كانوا استهزؤون أي: فسوف يرون ما استهزؤوا به، أنه الحق والصدق، ويبين الله للمكذبين كذبهم وافتراءهم، والمنار، فإذا كان يوم القيامة قيل للمكذبين: وهذه النار التي كنتم بها تكذبون .

وقال تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلي

وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون \* ليبن لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ثم أمرهم أن يعتبروا بالأمم السالفة فقال:

﴿ أَلْم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن ألى يروا كم تتابع إهلاكنا للأمم المكذبين، وأمهلناهم قبل ذلك الإهلاك، بأن ﴿مكناهم في الأرض ما لم نمكن له لهؤلاء من الأموال والبنين والرفاهية.

﴿وأرسلنا السماء عليهم مدراراً، وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم ﴾ فينبت لهم بذلك ما شاء الله من زروع وثمار، يتمتعون بها، ويتناولون منها ما يشكروا الله على نعمه، بل أقبلوا على الشهوات، وألهتهم أنواع اللذات، فجاءتهم رسلهم بالبينات فلم يصدقوها، بل ردوها وكذبوها فأهلكهم الله بذنوبهم وأنشأ ﴿من بعدهم قرنا آخرين﴾.

فهذه سُنّة الله ودأبه في الأمم السابقين واللاحقين، فاعتبروا بمَنْ قص الله عليكم نبأهم.

الله الله المساوه بايديهم لقال الذين وطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين \* وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون \* ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون \* هذا إخبار من الله ليس تكذيبهم لقصور فيما جئتهم به، ليس تكذيبهم لقصور فيما جئتهم به، ولا لجهل منهم بذلك، وإنما ذلك ولولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم وتيقنوه فلقال الذين كفروا خلاماً وعلواً فإن هذا إلا سحر مين \* .

فأي: بينة أعظم من هذه البينة، وهذا قولهم الشنيع فيها، حيث كابروا المحسوس الذي لا يمكن مَنْ له أدنى مسكة من عقله دفعه؟!!

﴿وقالوا﴾ أيضاً تعنتاً مبنياً على الجهل، وعدم العلم بالمعقول، ﴿لُولا

أنزل عليه ملك أي: هلا أنزل مع عمد ملك، يعاونه ويساعده على ما هو عليه بـزعـمـهـم أنه بـشر، وأن رسالة الله، لا تكون إلا على أيدي اللا:كة

قال الله في بيان رحمته ولطفه بعباده، حيث أرسل إليهم بشرأ منهم يكون الإيمان بما جاء به عن علم وبصيرة وغيب. ﴿ولو أنزلنا ملكاً﴾ برسالتنا، لكان الإيمان لا يصدر عن معرفة بالحق، ولكان إيماناً بالشهادة الذي لا ينفع شيئاً وحده، هذا إن آمنوا، والغالب أنهم لا يؤمنون بهذه الحالة، فإذا لم يؤمنوا قضى الأمر بتعجيل الهلاك عليهم وعدم إنظارهم، لأن هذه سُنّة الله فيمن طلب الآيات المقترحة فلم يؤمن بها، فإرسال الرسول البشري إليهم بالآيات البينات، التي يعلم الله أنها أصلح للعباد وأرفق بهم، مع إمهال الله للكافرين والمكذبين، خير لهم وأنفع، فطلبهم لإنزال الملك شرلهم لو كانوا يعلمون، ومع ذلك فالملك لو أنزل عليهم، وأرسل، لم يطيقوا التلقي عنه، ولا احتملوا ذلك، ولا أطاقته قواهم

ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً لأن الحكمة لا تقتضي سوى ذلك. وللبسنا عليهم ما يلبسون أي: ولكان الأمر ختلطاً عليهم وملبوساً وذلك بسبب ما لبسوه على أنفسهم، فإنهم بنوا أمرهم على هذه القاعدة التي فيها اللبس، وبها عدم بيان الحق.

فلما جاءهم الحق بطرقه الصحيحة، وقواعده التي هي قواعده، لم يكن ذلك هداية لهم، إذا اهتدى بذلك غيرهم، والذنب ذنبهم، حيث أغلقوا على أنفسهم باب الهدى، وفتحوا أبواب الضلال.

﴿ ١٠ - ١١﴾ ﴿ ولقد استهزى و برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون \* قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ يقول تعالى \_ مسلياً لرسوله، ومصبراً ومتهدداً أعداءه

ومتوعداً. ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك ﴾ لما جاؤوا أمهم بالبينات كذبوهم واستهزؤوا بهم وبما جاؤوا به. فأهلكهم الله بذلك الكفر والتكذيب، ووفي لهم من العذاب أكمل نصيب. ﴿فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون ﴾ فاحذروا \_أيها المكذبون \_أن تستمروا على تكذيبكم، فيصيبكم ما أصابهم.

فإن شككتم في ذلك أو ارتبتم، فسيروا في الأرض ثم انظروا، كيف كان عاقبة المكذبين، فلن تجدوا إلا قوماً مهلكين، وأما في المثلات تالفين، قد أوحشت منهم المنازل، وعدم من تلك الربوع كل متمتع بالسرور نازل، أبادهم الملك الجبار، وكان بناؤهم عبرة لأولي الأبصار. وهذا السير المأمور به سير القلوب والأبدان، الذي يتولد منه الاعتبار، وأما بجرد النظر من غير اعتبار، فإن ذلك لا يفيد شيئاً.

﴿قل لمن ما في السماوات والأرض قبل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون يقول تعالى لنبيه على : ﴿قل ﴾ لهؤلاء المسركين بالله، مقرراً لهم وملزماً بالتوحيد: ﴿لمن ما في السماوات والأرض ﴾ أي: من الخالق لذلك، المالك له المتصرف فيه؟

﴿قل﴾ لهم: ﴿لله﴾ وهم مقرون بذلك لا ينكرونه، أفلا حين اعترفوا بانفراد الله بالملك والتدبير، أن يعترفوا له بالإخلاص والتوحيد؟!!

وقوله: ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾
أي: العالم العلوي والسفلي تحت ملكه
وتدبيره، وهو تعالى قد بسط عليهم
رحمته وإحسانه، وتغمدهم برحمته
وامتنانه، وكتب على نفسه كتاباً أن
رحمته تغلب غضبه، وأن العطاء أحب
إليه من المنع، وأن الله قد فتح لجميع
العباد أبواب الرحمة، إن لم يغلقوا
إليهم أبوابها بذنوبهم، ودعاهم إليها
وعيوبهم، وقوله: ﴿ليجمعنكم إلى يوم
وعيوبهم، وقوله: ﴿ليجمعنكم إلى يوم
القيامة لا ريب فيه﴾ وهذا قسم منه،

وهو أصدق المخبرين، وقد أقام على ذلك من الحجج البينة والبراهين، ما يجعله حق اليقين، ولكن أبي الظالمون إلا جحوداً، وأنكروا قدرة الله على بعث الخلائق، فأوضعوا في معاصيه، وتجرؤوا على الكفر به، فخسروا دنياهم

وأخراهم، ولهذا قال: ﴿الذين خسروا

أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾

﴿١٣ ــ ٢٠﴾ ﴿وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم \* قلُّ أغير الله أتخذوليا فباطر السماوات والأرض وهو يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ قل إن أمسرت أن أكسون أوَّلُ مَسِنَ أُمسلَسُم ولاً تكونن من المشركين \* قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم \* من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين \* وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلاً هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير \* وهو القاهر فوق عباده وهو آلحكيم الخبير \* قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إئي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أَتُنَّكُمُ لتشهدون أنَّ مع الله آلهةً أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنَّني بريء ثما تشركون \* الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يتؤمنون اعلم أن هذه السورة الكريمة قد اشتملت على تقرير التوحيد بكل دليل عقلي ونقلي، بل كادت أن تكون كلها في شأن التوحيد ومجادلة

فهذه الآيات ذكر الله فيها ما يتبين به الهدى، وينقمع به الشرك. فذكر أن ﴿له﴾ تعالى ﴿مَا سكن في الليل والنهار﴾ وذلك هو المخلوقات كلها، من آدميها وجنُّها، وملائكتها، وحيواناتها وجماداتها، فالكل خلق مدبرون، وعبيد مسخرون لربهم العظيم القاهر المالك، فهل يصح في عقل ونقل أن يعبدمن هؤلاء الماليك، الذي لا نفع عنده ولا ضر؟ ويترك الإخلاص للخالق المدبر المالك، النضار النافع؟! أم العقول السليمة والفطر المستقيمة تدعو

المشركين بالله المكذبين لرسوله.

إلى إخلاص العبادة، والحب والخوف، والرجاء لله رب العالمين؟!

﴿ السميع ﴾ لجميع الأصوات على اختلاف اللغات بتفنن الحاجات. ﴿العليم﴾ بما كان، وما يكون، وما لم یکن، لو کان کیف کان یکون، الطلع على الظواهر والبواطن؟!

﴿ قُلِ ﴾ لهؤ لاء المشركين بالله: ﴿أُغْيِرُ اللهُ أَتَخَـٰذُ وَلَيَّا﴾ مِن هـؤلاء المخلوقات العاجزة يتولاني وينصرني؟! فلا أتخذمن دونه تعالى ولياً لأنه فاطر السماوات والأرض، أي: خالقهما ومدبرهما. ﴿وهو يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ ﴾ أي: وهو الرزاق لجميع الخلق، من غير حاجة منه تعالى إليهم، فكيف يليق أن أتخذ ولياً غير الخالق الرزاق، الغنى الحميد؟! ﴿قُلُّ إِنَّ أمرت أن أكون أوّل مَنْ أسلم ﴾ لله بالتوحيد، وانقاد له بالطاعة، لأني أولى من غيري بامتثال أوامر ربي.

﴿ ولا تكونن من المشركين ﴾ أي: ونهيت أينضاً عن أن أكون من المشركين، لا في اعتقادهم ولا في مجالستهم، ولا في الاجتماع بهم، فهذا أفرض الفروض على، وأوجب الواجبات.

﴿ قَـل إِن أَحَـاف إِن عَـصـيـت ربي عذاب يوم عظيم ، فإن المعصية في الشرك توجب الخلود في النار، وسخط الجبار، وذلك اليوم هو اليوم الذي يخاف عذابه، ويحذر عقابه؛ لأنه مَنْ صُرف عنه العذاب يومئذ فهو المرحوم، ومَنْ نجا فيه فهو الفائز حقاً، كما أن مَنْ لم ينج منه فهو الهالك الشقى .

ومن أدلة توحيده، أنه تعالى المنفرد بكشف الضراء، وجلب الخير والــــراء، ولــهــذا قــال: ﴿وإِن يمسسك الله بضر﴾ من فقر، أو مرض، أو عسر، أو غم، أو هم أو نحوه. ﴿فلا كاشف له إلا هو، وَإِنَّ يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير﴾ . فإذا كان وحده النافع الضار ، فهو الذي يستحق أن يفرد بالعبودية

THE PROPERTY OF THE PARTY OF TH ﴾ وَهُوَعَا كُلَّنِي وَكِيلٌ ۞ لَّنَدُرِكُهُ ٱلْأَبْصَرُرُ ا وَهُوَيْدُرِكُ ٱلْأَصْدِرِّوْهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿ فَدْحَاءَكُمُ بَصَآبِرُين زَّبَكُوْ فَنَ أَبْصَرَ فِلِنَفْ يُوْءُ وَمَنْ عِيرٍ فَعَكَيْهَا وَمَآ النَّاعَلَيْكُمْ يَعَفِيظِ ۞ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَبْلَتِ اللهِ وَلِيَقُولُواْ دَرُسْتُ وَلِنُكِتَنَهُ لِقَوْمِ يَعْلَمُونَ ۞ أَيَّعْ مَا أُوحِي إُ إِلَيْكَ مِن زَيِكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّهُ وَأَوْأَغْرِضَ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ وَلَوْسُكَآءَ اللهُ مَا أَنْرَكُوا وَمَاجَعَلَنَكَ عَلَيْهِ مُرْحَفِيظًا وَمَا أَتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلِ ۞ وَلَاتَسُبُّوا الَّذِينَ يَتْعُونَ مِن دُوبِ اللَّهِ فَيَسُبُوا ٱللَّهَ عَمَدُوَّا بِعَنْ رِعِلْمِ كَذَلِكَ زَيِّنَا لِكُلِّ أَمَّةٍ عَمَلَهُمْ لْزُوَالْ رَبِّهِ مِمَّرْجِعُهُمْ فَيُنِيَّنَهُ مُ عِبَاكَ الْوَايَعْ مَلُوك ۞ يُّ وَأَقْسَمُوا بِالسَّوِجَهْدَ أَيْنَ بِعِدْ لَإِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةً لِّيُوْمِنُنَ بِهِـَاقُلُ إِنَّمَا ٱلْآيَتُ عِندَاللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَلَّمَتْ لَا يُؤْمِنُونَ الله وَنُقَلِبُ أَفْوِدَتَهُمْ وَأَبْصَــُ رَفْعَ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِوة اللَّهُ اللَّهُ مَرْزُونَ مَنْ وَهُمْ فِ طُلْفِكَ وَمِرْيَتُ مَحُونَ ٥ 

﴿وهو القاهر فوق عباده ﴾ فلا يتصرف منهم متصرف، ولا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن إلا بمشيئته، وليس للملوك وغيرهم الخروج عن ملكه وسلطانه، بل هم مدبرون مقهورون، فإذا كان هو القاهر وغيره مقهوراً، كان هو المستحق للعبادة .

﴿وهو الحكيم﴾ فيما أمر به ونهي، وأثاب وعاقب، وفيما خلق وقدر. ﴿الحبير﴾ المطّلع على السرائر والضمائر وخفايا الأمور، وهذا كله من أدلة التوحيد.

﴿قل﴾ لهم - لما بينا لهم الهدى، وأوضحنا لهم المسالك -: ﴿أَي شيء أكبر شهادة ﴾ على هذا الأصل العَظيم ﴿قُلُّ اللهِ ﴾ أكبر شهادة، فهو ﴿شهيد بيني وبينكم ﴾ فلا أعظم منه شهادة ولا أكبر، وهو يشهد لي بإقراره وفعله، فيقرن على ما قلت لكم، كما قال تعالى: ﴿ولو تقوُّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه البوتين﴾ فالله حكيم قدير، فلا يليق بحكمته وقدرته أن يقر كاذبأ عليه، زاعماً أن الله أرسله ولم يرسله، وأن الله أمره بدعوة الخلق ولم يأمره، وأن الله أباح له دماء مَنْ خالفه وأموالهم ونساءهم، وهو مع ذلك يصدقه بإقراره وبفعله، فيؤيده على ما

SENIOR I COMPANY • وَلَوْأَنْنَا نَزَلْنَا إِلَيْهُ الْكُلِّيكَ عَمْ وَكُلِّمَهُ مُالُوْقٌ وَحَدْنَا عَلَيْهِ مُزُلِّ شَيْءٍ قُبُلًامَّا كَانُوا لِيُوْمِنُواْ إِلَّا أَن يَنَكَآءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكُنَّ أَكُنَّ مُعْمَعُهُونَ ۞ وَكُذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلْ بَي عَدُوًّا مُسَيَطِينَ ٱلْإِنِي وَٱلْجِنِّ يُوجِي بَعْضُهُ مُ إِلَّى بَعْضِ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ عُرُوزًا وَلَوْسُ ٓ آءَرَتُكِ مَافِعَلُوهُ فَ ذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۞ وَلِنَصْغَنَ إِلَيْهِ أَفْعِدَهُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِدَوْوَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَفَيْرِفُواْ مَاهُمُمُّقَنِّرِفُونَ ۞ أَفَغَيْرَاتَهِ أأشكى حككا وهُوَالَّذِيَّ أَسْزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِنْبَ مُفَصَّلًا وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَكُمُوٓ ٱلْكِنَّابَيْعَ لَمُونَ ٱنَّهُ مُثَرِّلٌ مِنْ زَيِكَ بِلَلْيِّ فَلاَ تُكُونَكِ مِنَ ٱلْمُنْمَيِّدِكِ ۞ وَتَكَثْ كَلِمَتُ رَبِيكَ صِدْفًا وَعَنْدُلاً لَامْتَ لِللِّهِ لِلسِّلِينَةِ وَهُوَ السَّيْعِ الْعَكِيمُ ۞ قان تُطِعَ أَحُثُرَ مَن فِ ٱلْأَرْضِ يُضِلُوكَ عَن سَهِيلِ ٱللَّهُ إِن يَسَيِّعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمُمَّ إِلَّا يَخْدُونُونَ ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَأَعْلَرُمَن يَضِلُ عَن سَكِيدِ لِيِّيءُوهُوَأَعْلَوُ بِٱلْهُمْ تَدِينَ ۞ فَكُلُوا يَمَادُكِ رَأْسُمُ أَهُو عَلَيْ مِ إِن كُنتُ رِبَالِنْ لِهِ مُؤْمِنِينَ ۞

قال بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة، وينصره ويخذل مَنْ خالفه وعاداه، فأي: شهادة أكبر من هذه الشهادة؟!!

وقوله: ﴿وأوحي إلى هذا القرآن لأنلزكم به ومن بسلغ أي: وأوحى الله إلى هذا القرآن الكريم لنفعتكم ومصلحتكم، لأنذركم به من العقاب الأليم. والنذارة إنما تكون بذكر ما ينذرهم به من الترغيب، والترهيب، وببيان الأعمال والأقوال، الظاهرة والباطنة، التي مَنْ قام بها فقد قبل النذارة، فهذا القرآن فيه النذارة لكم أيها المخاطبون، وكل مَنْ بلغه القرآن إلى يوم القيامة، فإن فيه بيان كل ما يحتاج إليه من المطالب الإلهية.

لما بين تعالى شهادته التي هي أكبر الشهادات على توحيده، قال: قل لهؤلاء المعارضين لخبر الله، والمكذبين لرسله: ﴿أَنْنَكُم لتشهدون أن مع الله الهة أخرى، قل لا أشهد﴾ أي: إن شهدوا، فلا تشهد معهم.

فوازن بين شهادة أصدق القائلين ورب العالمين، وشهادة أزكى الخلق المؤيدة بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة على توحيد الله وحده لا شريك له، وشهادة أهل الشرك

الذين مرجت عقولهم وأديانهم، وفسدت آراؤهم وأخلاقهم، وأضحكوا على أنفسهم العقلاء.

بل خالفوا بشهادة فطرهم، وتناقضت أقوالهم على إثبات أن مع أنه لا يقوم على مع أنه لا يقوم على ماقالوه (١٠) أدنى شبهة فضلاً عن الحجج، واختر لنفسك أي: الشهادتين إن كنت تعقل، ونحن نختار لأنفسنا ما اختاره الله لنبيه، الذي أمرنا الله بالاقتداء به، فقال: ﴿قل إنما هو إله واحد﴾ أي: منفرد لا يستحق العبودية والإلهية سواه، كما أنه المنفرد بالخلق والتدس.

﴿وإنني بريء مما تشركون ﴾ به من الأوثان والأنداد، وكل ما أشرك به مع الله. فهذا حقيقة التوحيد، إثبات الإلهية لله ونفيها عما عداه.

لا بين شهادته وشهادة رسوله على التوحيد، وشهادة المشركين الذين لا علم لديم على ضده، ذكر أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى. في يعرفون صحة التوحيد (كما يعرفون أبناءهم) أي: لا شك عندهم فيه بوجه، كما أنهم لا يشتبهون بأولادهم، خصوصا البين الملازمين في الغالب لآبائهم.

ويحتمل أن الضمير عائد إلى الرسول محمد على وأن أهمل الكتاب لا يشتبهون بصحة رسالته ولا يمترون بها، لما عندهم من البشارات به، ونعوته التي تنطبق عليه ولا تصلح لغيره، والمعنيان متلازمان.

قوله: ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ أي: فوتوها ما خلقت له من الإيمان والتوحيد، وحرموها الفضل من الملك المجيد ﴿فهم لا يؤمنون﴾ فإذا لم يوجد الإيمان منهم، فلا تسأل عن الخسار والشر، الذي يحصل لهم.

﴿٢١﴾ ﴿ومن أظلَم مُن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون﴾ أي: لا أعظم

ظلماً وعناداً ممن كان فيه أحد الوصفين، فكيف لو اجتمعا افتراء الكذب على الله، أو التكذيب بآياته، التي جاءت بها المرسلون، فإن هذا أظلم الناس، والظالم لا يفلح أبداً.

﴿٢٢ \_ ٢٤﴾ ﴿وينوم ننحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون \* ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين \* انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون، يخبر تعالى عن مأل أهل الشرك يوم القيامة، وأنهم يسألون ويوبخون فيقال لهم: ﴿أين شركاؤكم الذين كنتم تسزعهمون﴾ أي: إن الله ليس لمه شريك، وإنما ذلك على وجه الزعم منهم والافتراء ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ أي: لم يكن جوابهم حين يفتنون ويختبرون بذلك السؤال، إلا إنكارهم لشركهم وحلفهم أنهم ماكانوا مشركين ﴿انظر﴾ متعجباً منهم ومن أحوالهم ﴿كيف كذبوا على أنفسهم اي: كذبوا كذباً عاد بالخسار على أنفسهم وضرهم ـ والله ـ غاية الضرر ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون، من الشركاء الذين زعموهم مع الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

﴿ ٢٥﴾ ﴿ ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرأ وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقول النيسن كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ أي: ومن هؤلاء المشركين قوم يحملهم بعض الأوقات، بعض الدواعي إلى الاستماع لما تقول، ولكنه استماع خال من قصد الحق واتباعه، ولهذا لا ينتفعون بذلك الاستماع لعدم ولهذا لا ينتفعون بذلك الاستماع لعدم

المؤمنين \* بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل، فإنهم كانوا يخفون في أنفسهم أنهم كانوا كاذبين، ويبدو في قلوبهم في كثير من الأوقات. ولكن الأغراض الفاسدة صدتهم عن ذلك، وصرفت قلوبهم عن الخير، وهم كذبة في هذه الأمنية، وإنما قصدهم أن يدفعوا بها عن أنفسهم العذاب.

﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم

﴿وقالوا﴾ منكرين للبعث ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا ﴾ أي: ما حقيقة الحال والأمر وما المقصود من إيجادنا، إلا الحياة الدنيا وحدها. ﴿وما نحن بمبعوثين،

﴿٣٠﴾ ﴿ولو ترى إذ وقفوا على

ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلي وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون، أي: ﴿ولو ترى﴾ الكافرين ﴿إِذْ وقَفُوا عِلَى رَجِيمِ﴾ لرأيت أمراً عظيماً، وهولا جسيماً، ﴿قالَ لَهُمُ موبخاً ومقرعاً: ﴿ أَلِيسِ هِذَا ﴾ الذي ترون من العذاب ﴿بالحق؟ قالوا: بلي وربناكه فأقروا واعترفوا حيث لا ينفعهم ذلك، ﴿قال فذوقوا العذابِ بما كنتم تكفرون،

﴿٣١﴾ ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما ينزرون، أي: قند خناب وخسر وحرم الخير كله، مَنْ كذَّب بلقاء الله، فأوجب له هذا التكذيب، الاجتراء على المحرمات، واقتراف الموبقات ﴿حتى إذا جاءتهم الساعة﴾ وهم على أقبح حال وأسوئه، فأظهروا غاية الندم. و ﴿قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها، ولكن هذا تحسّر ذهب وقته، ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون. فإن وزرهم وزر يثقلهم ولا يقدرون على التخلص منه، ولهذا خلدوا في النار، واستحقوا التأبيد في غضب الجبار .

﴿٣٢﴾ ﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهؤ وللدار الآخرة خير للذين يتقون

إرادتهم للخير ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أي: أغطية وأغشية، لئلا يفقهوا كلام الله، فصان كلامه عن أمثال هؤلاء. ﴿وفِي آذانهم﴾ جعلنا ﴿وقراً﴾ أي: صمماً، فلا يستمعون ما

﴿ وَإِنْ يُرُوا كُلِّ آيةً لا يؤمنوا بِها ﴾ وهذا غاية الظلم والعناد، أن الآيات البينات الدالة على الحق، لا ينقادون لها، ولا يصدقون بها، بل يجادلون بالباطل الحقّ ليدحضوه.

ولهذا قال: ﴿حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ أي: مأخوذ من صحف الأولين المسطورة، التي ليست عن الله ولا عن رسله. وهذا من كفرهم، وإلا فكيف يكون هذا الكتاب الحاوي لأنباء السابقين واللاحقين، والحقائق التي جاءت بها الأنبياء والمرسلون، والحِّق، والقسط، والعدل التام من كل وجه، أساطير الأولين؟

﴿٢٦﴾ ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن بهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون، وهم: أي: المشركون بالله، المكذبون لرسوله، يجمعون بين الضلال والإضلال، ينهون الناس عن اتباع الحق، ويحذرونهم منه، ويبعدون بأنفسهم عنه، ولن يضروا الله ولا عباده المؤمنين بفعلهم هذا شيئاً. ﴿إِن يَهْلَكُونَ إِلَّا أَنفُسِهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾

﴿۲۷ ــ ۲۹﴾ ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نردّ ولا نكذب بآیات ربنا ونکون من المؤمنین \* بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون \* وقالوا إن هي إلاّ حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين، يقول تعالى \_ مخبراً عن حال المشركين يوم القيامة، وإحضارهم النار: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾ ليوبخوا ويقرعوا، لرأيت أمراً هائلاً وحالاً مفظعة. ولرأيتهم كيف أقروا على أنفسهم بالكفر والفسوق، وتمنوا أن لو يردوا إلى الدنيا. ﴿فقالُوا يَا لَيْتُنَا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من

CAN CHEMICE'S وَمَالَكُهُ الْآنَاكُ لَهُ إِمَّا ذُكِرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَلَّ لَكُمْ مَّاحَ مَعَلَقَ عُمْ إِلَّامَا أَضْطُرُتُمْ إِلَيْهُ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيْصَلُونَ بِأَفْوَآنِهِ مِنْفِيرِ عِلْمِ أَنَّ رَبُّكِ هُوَأَعْلَ مُأَلَّفُتَكِينَ ۞ وَذَرُواْ طَلْهِمَ ٓ ٱلْإِنْهِرُورَا لِلنَّهُ وَأَنْ ٱلَّذِيبَ بَكْسِبُوبَ ٱلْإِنْمُ سُيْخِ وَنِ عَاكَانُواْتِقَدِّرُوْنَ ۞ وَلَاتَأْكُلُواْ عَمَا لَهُ مُذْكَر ٱسْمُ أَمَّو عَلَيْهِ وَإِنَّهُ مُلْفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيْطِينَ لَهُهُ إِنَّ إِلَّا أَوْلِيَ آبِهِ ذِلْهُ كَانِ أُوكُرُواْنِ أَطَعْتُ مُوهُمْ لِأَكُمُ لَمُشْرِكُونَ ۞ أُوَمَنَكَانَ مَيْتَا فَأَخْيَيْنَاهُ وَحَمَلْنَالُهُ نُورًا يَمْشِي بِدِي النَّاسِ كُنَ مَّنَّكُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِحَسَانِ يَرْتُمَّا كَذَٰلِكَ نُئَنَ لِلْكُفِينَ مَاكَانُواْ مِنْكُونَ ۞ كَلَّٰلِكَ جَمَلْنَا فِ كُلِّ قَنْهَةٍ أَكَيْرَكُمْ مِيهَا لِيَمْكُرُواْفِيمًا وَمَا يَمْ الْحُرُونَ إِلَّا إِلَّهُ مُعْمِدُ مَا يَشْعُرُونَ ۞ وَإِذَا عَلَةَ نَهُمْ اللَّهُ قَالُوا لَ قَنْدِي حَقَّىٰ فَوَقَامِنْ لَمَا أُونَ رُسُلُ ٱللَّهُ ٱلمَّهُ أَعْدُ مُحَيْثُ يَجْعَتُ رِيسَالَتَهُ سَيُعِيبُ ٱلَّذِيثَ أَجَرُواْ مَهَارُعِندَاهُو وَعَذَابُ شَكِيدً عِاكَانُواْ يَنْكُرُونَ ۞ aleady w conver

أفلا تعقلون ﴿ هذه حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة، أما حقيقة الدنيا فإنها لعب ولهو، لعب في الأبدان، ولهو في القلوب، فالقلوب لها والهة، والنفوس لها عاشقة، والهموم فيها متعلقة، والاشتغال بها كلعب الصبيان.

وأما الآخرة فإنها ﴿خير للذين يتقون﴾ في ذاتها وصفاتها، وبقائها ودوامها، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، من نعيم القلوب والأرواح، وكثرة السرور والأفراح، ولكنها ليست لكل أحد، وإنما هي للمتقين الذين يفعلون أوامر الله، ويتركون نواهيه وزواجره ﴿أفلا تعقلون﴾ أي: أفلا يكون لكم عقول، بها تدركون، أي: الدارين أحق بالإيثار.

﴿٣٣ \_ ٣٥﴾ ﴿قد نعملم إنه ليحرنك المذي يقولون فأنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون \* ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولامبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين \* وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغى نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية ولوشاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين﴾ أي: قد نعلم أن الذي يقول المكذبون فيك يحزنك ويسؤك، ولم

٢ كولاالانتفال المنتقبة

نأمرك بما أمرناك به من الصبر إلا لتحصل لك المنازل العالية والأحوال الغالية. فلا تظن أن قولهم صادر عن اشتباه في أمرك وشك فيك ﴿فإنهم لا يكذبونك الأنهم يعرفون صدقك ومدخلك ومخرجك، وجميع أحوالك، حتى إنهم كانوا يسمونه قبل البعثة الأمين. ﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون، أي: فإن تكذيبهم لأيات الله التي جعلها الله على يديك(١).

﴿ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا﴾ فاصبر كما صبروا، تظفر كما ظفروا، ﴿ولقد جاءك من نباً المرسلين، ما به يثبت فؤادك، ويطمئن بە قلىك .

﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم أى: شق عليك من حرصك عليهم ومحبتك لإيمانهم، فابذل وسعك في ذلك، فليس في مقدورك أن تهدي مَنْ لم يرد الله هدايته.

﴿ فَإِن استطعت أَن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية ﴾ أي: فافعل ذلك، فإنه لا يفيدهم شيئاً، وهذا قطع لطمعه في هدايته أشباه هؤلاء المعاندين.

﴿ولوشاء الله لجسمعهم على

الهدي، ولكن حكمته تعالى اقتضت أنهم يبقون على الضلال. ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ الذين لا يعرفون حقائق الأمور، ولا ينزلونها على منازلها.

﴿٣٧٣﴾ ﴿إنَّما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون \* وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إنّ الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون، يقول تعالى لنبيه ﷺ : ﴿إنما يستجيب لدعوتك ويلبى رسالتك وينقاد لأمرك ونهيك﴿الذين يسمعون﴾ بقلوبهم ما ينفعهم، وهم أولو الألباب

والأسماع. والمراد بالسماع هنا: سماع القلب والاستجابة، وإلا فمجرد سماع الأذن، يشترك فيه البر والفاجر. فكل المكلفين قد قامت عليهم حجة الله تعالى باستماع آياته، فلم يبق لهم عذر في عدم القبول. ﴿ والموتى يبعثهم الله ثم إليه

يرجعون ﴾ يحتمل أن المعنى مقابل للمعنى المذكور . أي : إنما يستجيب لىك أحياء القلوب، وأما أموات القلوب الذين لا يشعرون بسعادتهم، ولا يحسون بما ينجيهم، فإنهم لا يستجيبون لك ولا ينقادون، وموعدهم القيامة، يبعثهم الله ثم إلية يرجعون، ويحتمل أن المراد بالآية على ظاهرها، وأن الله تعالى يقرر المعاد، وأنه سيبعث الأموات يوم القيامة ثم ينبئهم بما كانوا يعملون .

ويكون هذا متضمناً للترغيب في الاستجابة لله ورسوله، والترهيب من عدم ذلك .

﴿ وقالوا ﴾ أي: المكذبون بالرسول تعنتاً وعناداً: ﴿ لُولًا نَزَلُ عَلَيْهِ آيةٌ مِنْ ربه ﴾ يعنون بذلك آيات الاقتراح، التي يقترحونها بعقولهم الفاسدة وآرائهم

كقولهم: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب،

فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً، أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾ الآيات.

﴿قُلُ مُحِيباً لقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهُ قادر على أن ينزل آية ﴾ فليس في قدرته قصور عن ذلك، كيف وجميع الأشياء منقادة لعزته، مذعنة لسلطانه؟!

ولكن أكثر الناس لا يعلمون فهم لجهلهم وعدم علمهم يطلبون ما هو شر لهم من الآيات، التي لو جاءتهم فلم يؤمنوا بها، لعوجلوا بالعقاب، كما هي سُنّة الله التي لا تبديل لها، ومع هذا فإن كان قصدهم الآيات التي تبين لهم الحق، وتوضح السبيل، فقد أتى محمد ﷺ بكل آية قاطعة، وحجة ساطعة، دالة على ما جاء به من الحق، بحيث يتمكن العبد في كل مسألة من مسائل الدين، أن يجد فيما جاء به عدة أدلة عقلية ونقلية، بحيث لا تبقى في القلوب أدنى شك وارتياب، فتبارك الذي أرسل رسوله بالهدي ودين الحق، وأيده بالايات البينات ليهلك مَنْ هلك عن بينة، ويحيا مَنْ حيّ عن

بينة، وإن الله لسميع عليم. ﴿٣٨﴾ ﴿وما من دابةٍ في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون، أي: جميع الحيوانات الأرضية والهوائية، من البهائم والوحوش والطيور، كلها أمم أمثالكم خلقناها كما خلقناكم، ورزقناها كما رزقناكم، ونفذت فيها مشيئتنا وقدرتنا

كما كانت نافذة فيكم .

﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ أي: ما أهملنا ولا أغفلنا في اللوح المحفوظ شيئاً من الأشياء، بل جميع الأشياء، صغيرها وكبيرها، مثبتة في اللوح المحفوظ على ما هي عليه، فتقع جميع الحوادث طبق ما جرى به القلم. أ وفي هذه الآية دليل على أن الكتاب

الأول قد حوى جميع الكائنات، وهذا أحد مراتب القضاء والقدر، فإنها أربع مراتب: الجزء السابع /

التي يضطر إلى دفعها، هل تدعون آلهتكم وأصنامكم، أم تدعون ربكم الملك الحق المبين.

﴿بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون﴾ فإذا كانت هذه حالكم مع أندادكم عند الشدائد، تنسونهم، لعلمكم أنهم لا يملكون لكم ضرأ ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

وتخلصون لله الدعاء، لعلمكم أنه هو النافع الضار، المجيب لدعوة المضطر، فما بالكم في الرخاء تشركون به وتجعلون له شركاء؟ هل دلكم على ذلك عقل أو نقل، أم عندكم من سلطان بهذا؟ بل (٢) تفترون على الله الكذب.

﴿ ٤٦ \_ ٤٤ ﴾ ﴿ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون \* فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون \* فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون \* فقطع دأبر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين له يقول تعالى: ﴿ولقبد أرسلنا إلى أمم من قبلك، من الأمم السالفين والقرون المتقدمين، فكذبوا رسلنا وجحدوا آياتنا ﴿فَأَحَذُنَاهِم بِالبِّأْسَاءِ وَالضَّرَاءَ ﴾ أي: بالفقر والمرض والآفات والمصائب، رحمة منا بهم. ﴿لعلهم يتضرعون﴾ إلينا، ويلجأون عند الشدة إلينا.

﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم﴾ أي: استحجرت فلا تلين للحق. ﴿وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون، فظنوا أن ما هم عليه دين الحق، فتمتعوا في باطلهم برهة من الزمان، ولعب بعقولهم الشيطان.

﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ﴾ من الدنيا ولذاتها وغفلاتها وحتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون،

ا وَلِكُلِّ دَرَحَتُ مِّمَاعَكِلُواْ وَمَارَبُكَ بِعَكِفِلِ عَكَمَا يَعْسَلُونَ ۞ وَرَثُكَ الْغَيُّ دُوُ الزَّعْسَةُ إِن يَشَأَ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُم مَايَنَكَ أَكُماّ أَنْسُأُكُمْ مِن ذُرِّنَيَةَ فَوْمِ ءَاحْدِينَ ﴿ إِنَّ مَا وَعُكُونَ لَآتِ وَمَآ أَنتُ مِنتَجِيزِي ﴿ قُلْ بَكَفُومِ أَعْسَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمُ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفِ مَّتُ مَوْكَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَلَيْهَ أَلَدَّارٍ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِمُ ٱلظَّلِيمُونَ المُ وَجَعَكُواْ بِعَوْمِنَا ذَرَأُ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَقْلَمِ نَصِيبًا فقكالوأهك ذايقه زغه وزقك ذالش كرك آبثافتا

كَانَ لِشُرَكَ آبِهِ مُ فَلَائِصِ أَ إِلَى ٱللَّهِ وَكَا كَانَ يَقُونَهِ لَوَ إِلَى شُرَكَ آبِهِ وَأَسَاءً مَايَحْتُمُونَ ۞ وَكَنْالِكَ ذَيِّنَ لِكَيْبِهِ ﴾ مِن ٱلْمُشْرِكِينَ مَنْلَ أَوْلَدِهِمْ شُرَكَ آوُعُورُ إلى نده وهم وليكليسوا عكيوم دينهم ولؤشكة

اللهُ مَافِعَكُوهُ فَكَذَرُهُمْ وَمَايَفٌ رَوْبَ اللهُ مَافِعَكُوهُ فَكَذَرُهُمْ وَمَايَفٌ رَوْبَ ا

ONOTON WE DESCRIPTION

CENTRAL CHESTS CHESTS

أى: آيسون من كل خير، وهذا أشد ما يكون من العذاب، أن يؤخذوا على غرة وغفلة وطمأنينة، ليكون أشد لعقوبتهم وأعظم لمصيبتهم.

﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ أي: اصطلموا بالعذاب، وتقطعت بهم الأسباب. ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ على منا قنضناه وقندره من هنلاك المكذبين. فإن بذلك تتبين آياته، وإكرامه لأوليائه، وإهانته لأعدائه، وصدق ما جاءت به المرسلون.

﴿ ٤٦ ـ ٤٧ ﴾ ﴿ قسل أرأيستهم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كييف نصرف الآيات ثم هم يصدفون \* قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون، يخبر تعالى أنه كما أنه المتفرد بخلق الأشياء وتدبيرها، فإنه المنفرد بالوحدانية والإلهية، فقال: ﴿قُلُ أُرأُيتُمُ إِنْ أَخَذُ اللهُ سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم، فبقيتم بلا سمع ولا بصر ولا عقل ﴿من إله غير الله يأتيكم به ﴿ فإذا لم يكن غير الله يأتي بذلك، فلِمَ عبدتم معه مَنْ لا قدرة له على شيء إلا إذا شاءه الله. وهذا من أدلة التوحيد وبطلان الشرك، ولهذا قال: ﴿انظر كيف

علم الله الشامل لجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الموجودات، ومشيئته وقدرته النافذة العامة لكل

شيء، وخلقه لجميع المخلوقات، حتى أفعال العباد .

ويحتمل أن المراد بالكتاب هذا القرآن، وأن المعنى كالمعنى في قوله تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتابُ تبياناً لكل شيء ﴾.

وقوله: ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾ أي: جميع الأمم تحشر وتجمع إلى الله في موقف القيامة، في ذلك الموقف العظيم الهائل، فيجازيهم بعدله وإحسانه، ويمضى عليهم حكمه الذي يحمده عليه الأولون والآخرون، أهل السماء وأهل الأرض.

﴿٣٩﴾ ﴿والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم، هذا بيان لحال المكذبين بآيات الله المكذبين لرسله، أنهم قد سدوا على أنفسهم باب الهدي، وفتحوا باب الردى، وأنهم ﴿صم﴾ عن سماع الحق ﴿ بِكُم ﴾ عن النطق به، فلا ينطقون إلا

﴿ فِي الظلماتِ ﴾ أي: منغمسون في ظلمات الجهل والكفر، والظلم، والعناد، والمعاصي. وهذا من إضلال الله إياهم، في ﴿ مَنْ يَسَأُ اللهُ يضلله ومَنْ يشأ يجعله على صراط مستقيم الأنه المنفرد بالهداية والإضلال، بحسب ما اقتضاه فضله وحكمته.

﴿ ٤١ ــ ٤١ ﴾ ﴿قبل أرأيتكم إن أتاكم عنذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين \* بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون، يقول تعالى لرسوله: ﴿قل ﴾ للمشركين بالله، العادلين به غيره: ﴿أَرْأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين اي: إذا حصلت هذه المشقات، وهذه الكروب

نصرف الآيات أي: ننوعها، ونأي بها من كل فن، ولتنير الحق، وتتبين سبيل المجرمين. وثم هم مم مغ هذا البيان التام ويصدفون عن آيات الله ويعرضون عنها.

ويعرضون عنها.

﴿ قل أرأيتكم ﴾ أي: أخبروني ﴿ إِنَّ أَتَاكُم عَذَابِ الله بِغَنَة أو جهرة ﴾ أي: أتاكم عذاب الله بغنة أو جهرة ﴾ أي: مفاجأة أو قد تقدم أمامه مقدمات، تعلمون بها وقوعه ﴿ هل يهلك إلا القوم الظالمون ﴾ اللين صاروا سبباً لوقوع العذاب بهم، بظلمهم وعنادهم. فاحذروا أن تقيموا على الظلم، فإنه الهلاك الأبدي، والشقاء السرمدي.

﴿٤٨ ـ ٤٩﴾ ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون \* كانوا يفسقون ﴾ يذكر تعالى زبدة ما أرسل به المرسلين، أنه البشارة والنذارة، وذلك مستلزم لبيان المبشر والمبشر به، والأعمال التي إذا عملها العبد حصلت له البشارة. والمُنذِرُ به، والأعمال التي مَنْ عملها حقت عليه النذارة.

ولكن الناس انقسموا \_ بحسب إجابتهم لدعوتهم وعدمها \_ إلى قسمين :

﴿فمن آمن وأصلح اي: آمن

بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وأصلح إيمانه وأعماله ونيته ﴿فلا خوف عليهم﴾ فيما يستقبل ﴿ولا هم يجزنون﴾ على ما مضى.

﴿والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب﴾ أي: ينالهم ويذوقونه ﴿بما كانوا يفسقون﴾ .

﴿ ٥٠ ﴿ وَلَ لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني مَلك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا بتفكرون ﴿ يقول تعلل لنبيه ﷺ المقترحين (١) عليه الآيات، أو القائلين له: إنما تدعونا لنتخذك إلها مع الله: وإنما تدعونا لنتخذك إلها مع الله: أي: مفاتيح رزقه ورحته. ﴿ ولا أعلم الغيب ﴿ وإنما ذلك كله عند الله فهو الذي ما يفتح للناس من رحمة فلا الذي ما يفتح للناس من رحمة فلا بعده، وهبو وحده عالم الغيب عسك لها وما يمسك فلا مرسل له من والشهادة. فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من رسول.

﴿ ولا أقول لكم إني ملك ﴾ فأكون نافذ التصرف قوياً ، فلست أدعي فوق منزلتي التي أنزلني الله بها. ﴿ إِنْ أُتِع ومنتهى أمري وأعلاه ، إن أتبع إلا ما يوحى إلى ، فأعمل به في نفسي ، وأدعو الخلق كلهم إلى ذلك .

فإذا عُرفت منزلتي، فلأي: شيء يبحث الباحث معي، أو يطلب مني أمراً لست أدعيه، وهل يلزم الإنسان بغير ما هو بصدده؟

ولأي: شيء إذا دعوتكم، بما أوحي إلي أن تلزموني أني أدعي لنفسي غير مرتبتي، وهل هذا، إلا ظلم منكم وعناد وتمرد؟ قل لهم في بيان الفرق بين مَنْ قَبِلَ دعوتي وانقاد لما أوحي إلي، وبين مَنْ لم يكن كذلك ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا يتفكرون وناهو أولى بالاختيار والإيثار؟

﴿١٥ \_ ٥٥﴾ ﴿وأنـذر بـه الـذيـن الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون \* ولا تطرد الذين يدعون رجم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين \* وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين \* وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفورٌ رحيم \* وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين القرآن نذارة للخلق كلهم، ولكن إنما ينتفع به ﴿الدِّين يَخَافُونَ أَن يُحَسِّرُوا إِلَى رَبُّم ﴾ فهم متيقنون للانتقال من هذه الدار إلى دار القرار، فلذلك يستصحبون ما ينفعهم ويدعون ما يضرهم. ﴿ليس لهم من دونه﴾ أي: من دون الله ﴿ولي ولا شفيع أي: لا من يتولى أمرهم فيحصل لهم المطلوب ويدفع عنهم المحذور، ولا من يشفع لهم، لأن الخلق كلهم ليس لهم من الأمر شيء. ﴿لعلهم يتقونَ الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإن الإنذار موجب لذلك، وسبب من أسبابه.

﴿ولا تبطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه أي : لا تطرد عنك وعن مجالستك أهل العبادة والإخلاص، رغبة في مجالسة غيرهم، من الملازمين لدعاء ربهم، دعاء العبادة بالذكر والصلاة ونحوها، ودعاء المسألة في أول النهار وآخره، وهم قاصدون بذلك وجه الله، ليس وهم من الأغراض سوى ذلك الغرض الجليل، فهؤلاء ليسوا مستحقين للطرد والإعراض عنهم، بل هم مستحقون للطرلانهم ومجبتهم، وإدنائهم وتقريبهم، لأنهم الصفوة من الخلق وإن كانوا فقراء، الأعزاء في الحقيقة وإن كانوا

عند الناس أذلاء.

﴿ ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وعمله الحسن وعمله القبيع. ﴿ فتطردهم فتكون من الظالمين وقد امتثل على هذا الأمر أشد امتثال، فكان إذا جلس الفقراء من المؤمنين صبر نفسه معهم، وأحسن معاملتهم، وألان لهم جانبه، وحسن خلقه، وقربهم منه، بل كانوا هم أكثر أهل مجلسه رضى الله عنهم.

وكان سبب نزول هذه الآيات، أن أناساً [من قريش، أو] من أجلاف العرب قالوا للنبي على : إن أردت أن نؤمن لك ونتبعك، فاطرد فلانا وفلانا، أناساً من فقراء الصحابة، فإنا نستحيي أن ترانا العرب جالسين مع هؤلاء الفقراء، فحمله حبه لإسلامهم واتباعهم له، فحدثته نفسه بذلك. فعاتبه الله بهذه الآيات ونحوها.

وكذلك فتنا بعضهم ببعض، ليقولوا أهولاء من الله عليهم من بيننا أي: هذا من ابتلاء الله لعباده، حيث جعل بعضهم غنياً؛ وبعضهم فقيراً، وبعضهم شريفاً، وبعضهم وضيعاً، فإذا من الله بالإيمان على الفقير أو الوضيع؛ كان ذلك على عنة للغني والشريف فإن كان قصده الحق واتباعه آمن وأسلم، ولم يمنعه من ذلك مشاركة الذي يراه دونه بالغنى أو الشرف، وإن لم يكن صادقاً في طلب الحق، كانت هذه عقبة ترده عن اتباع الحق،

وقالوا محتقرين لن يرونهم دونهم:

﴿ أَهُولًا عَنَّ الله عليهم من بيننا ﴾ .

فمنعهم هذا من اتباع الحق، لعدم المتضمن الاعتراض على الله في هداية هولاء، وعدم هدايتهم هم.

﴿ أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾ الذين يعرفون النعمة، ويقرون بها، ويقومون بما تقتضيه من العمل الصالح، فيضع فضله ومنته عليهم، دون مَنْ ليس

بشاكر، فإن الله تعالى حكيم لا يضع فضله عند مَن ليس له بأهل، وهؤلاء المعترضون بهذا الوصف، بخلاف مَن وغيرهم فإنهم هم الشاكرون. ولما نهى الله رسوله عن طرد المؤمنين الله رسوله عن طرد المؤمنين والإعظام، والتبجيل والاحترام، بآياتنا فقل سلام عليكم أي: وإذا جاءك المؤمنون ويقهم ورخب بهم ولقهم منك تحية وسلام، وبشرهم بما ينشط عزائمهم وهممهم، من رحمة الله وسعة جوده وإحسانه، وحثهم على كل

ورهبهم من الإقامة على الذنوب، وأمُرهم بالتوبة من المعاصي لينالوا مغفرة ربهم وجوده، ولهذا قال: «كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه مَن عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح أي: فلا بد مع ترك الذنوب والإقلاع والندم عليها، من إصلاح العمل وأداء ما أوجب الله، وإصلاح ما فسد من الأعمال الظاهرة والباطنة.

فإذا وجد ذلك كله ﴿فأنه غفور رحيم﴾ أي: صب عليهم من مغفرته ورحته، بحسب ما قاموا به مما أمرهم به.

﴿ وكذلك نفصل الآيات ﴾ أي: نوضحها ونبينها، ونميز بين طريق الهدى من الضلال، والغي والرشاد، ليهتدي بذلك المهتدون، ويتبين الحق الذي ينبغي سلوكه. ﴿ ولتستبين سبيل المجرمين ﴾ الموصلة إلى سخط الله وعذابه، فإن سبيل المجرمين إذا الستبانت واتضحت أمكن اجتنابها والبُعد منها، بخلاف ما لو كانت مشتبهة ملتبسة، فإنه لا يحصل هذا المقصود الجليل.

﴿٥٦ ـ ٨٥﴾ ﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا وما أنا

من المهتدين \* قل إني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين \* قبل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بين وبينكم والله أعلم بالظالمين ﴾ يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قل الهؤلاء المشركين الذين يدعون مع الله آلهة أخرى: ﴿إِنِي نَهِيت أَن أُعبِدُ الذين تدعون من دون الله ﴾ من الأنداد والأوثبان التي لا تملك نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فإن هذا باطل، وليس لكم فيه حجة بل ولا شبهة، إلا اتباع الهوى الذي اتباعه أعظم الضلال، ولهذا قال: ﴿قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذاً الله أي: إن اتبعت أهواءكم ﴿وما أنا من المهتدين﴾ بوجه من الوجوه، وأما ما أنا عليه من توحيد الله وإخلاص العمل له، فإنه هو الحق الذي تقوم عليه البراهين والأدلة القاطعة .

وأنا ﴿على بيّنة من ربي ﴾ أي: على يقين مبين، بصحته وبطلان ما عداه، وهذه شهادة من الرسول جازمة لا تقبل التردد، وهو أعدل الشهود من الخلق على الإطلاق. فصدق بها المؤمنون، وتبين لهم من صحتها وصدقها، بحسب ما مَنَّ الله به عليهم.

و الكنكم أيها المسركون و كذبتم به وهو لا يستحق هذا منكم، ولا يليق به إلا التصديق، وإذا استمررتم (۱) على تكذيبكم، فاعلموا أن العذاب واقع بكم لا محالة، وهو عند الله، هو الذي ينزله عليكم إذا شاء وكيف شاء، وإن استعجلتم به فليس بيدي من الأمر شيء ﴿إن الحكم الله فكما أنه هو الذي حكم بالحكم الجزائي، فإنه بيحكم بالحكم الجزائي، فيثيب بالحكم المحرقي، فأنه ويعاقب، بحسب ما تقتضيه حكمته، فالاعتراض على حكمه مطلقاً مدفوع، فإنه وقد أوضح السبيل وقص على عباده وقد أوضح السبيل وقص على عباده

الحق قصاً، قطع به معاذيرهم، وانقطعت له حجتهم، ليهلك من هلك عن بينة ﴿وهو عن بينة ﴿وهو خير الفاصلين﴾ بين عباده في الدنيا والآخرة، فيفصل بينهم فصلا يحمده عليه، حتى مَنْ قضي عليه، ووجه الحق نحوه.

وقل للمستعجلين بالعذاب، جهلا وعناداً وظلماً، ولو أن عندي ما تستعجلون به لقضى الأمر بيني وبينكم له فأوقعته بكم ولا خير لكم في الصبور، الذي يعصيه العاصون، المدي عليهم نعمه الظاهرة ويرزقهم ويسدي عليهم نعمه الظاهرة والباطنة. ووالله أعلم بالظالمين لا ولا يهملهم.

﴿٥٩﴾ ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، هذه الآية العظيمة من أعظم الآيات تفصيلاً لعلمه المحيط، وأنه شامل للغيوب كلها، التي يطلع منها ما شاء من خلقه. وكثير منها طوى علمه عن الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين، فضلاً عن غيرهم من العالمين، وأنه يعلم ما في البراري والقفار من الحيوانيات والأشبجيار، والبرميال والحصى والتراب، وما في البحار من حيواناتها ومعادنها وصيدها، وغير ذلك مما تحتويه أرجاؤها، ويشتمل عليه ماؤها

﴿وما تسقط من ورقة ﴾ من أشجار البر والبحر، والبلدان والقفر، والدنيا والآخرة، إلا يعلمها. ﴿ولا حبة في ظلمات الأرض ﴾ من حبوب الثمار والزوع، وحبوب البذور التي يبذرها الخلق؛ وبذور النوابت البرية التي ينشيء منها أصناف النباتات.

﴿ولا رطب ولا يابس ﴾ هذا عموم بعد خصوص ﴿إلا في كتاب مبين ﴾ وهو اللوح المحفوظ قد حواها واشتمل

عليها، وبعض هذا المذكور يبهر عقول العقلاء، ويذهل أفئدة النبلاء، فدل هذا على عظمة الرب العظيم وسعته في أوصافه كلها.

وأن الخلق - من أولهم إلى آخرهم - لو اجتمعوا على أن يحيطوا ببعض صفاته، لم يكن لهم قدرة ولا وسع في ذلك، فتبارك الرب العظيم، الحاسع، العليم، الحميد المجيد، المحيط.

وجل من إله لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده، فهذه الآية، دلت على علمه المحيط بجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الحوادث.

﴿٦٠ ـ ٦٢﴾ ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بماكنتم تعملون \* وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ۞ ثم ردوا إلى الله مولاهم الحسق ألا لسه الحسكسم وهسو أسسرع الحاسبين، هذا كله تقرير لإلوهيته، واحتجاج على المشركين به، وبيان أنه تعالى المستحق للحب والتعظيم، والإجلال والإكرام، فأخبر أنه وحده المتفرد بتدبير عباده، في يقظتهم ومنامهم، وأنه يتوفاهم بالليل وفاة النوم، فتهدأ حركاتهم، وتستريح أبدانهم، ويبعثهم في اليقظة من نومهم، ليتصرفوا في مصالحهم الدينية والدنيوية وهو -تعالى -يعلم ما جرحوا وما كسبوا من تلك الأعمال. ثم لا يزال تعالى هكذا يتصرف فيهم، حتى يستوفوا آجالهم. فيُقضى بهذا التدبير أجل مسمى، وهو: أجل الحياة، وأجل آخر فيما بعد ذلك، وهو البعث بعد الموت، ولهذا قال: ﴿ ثم إليه مرجعكم لا إلى غيره ﴿ ثُمَّ ينبئكم بما كنتم تعملون ، من خير

﴿وهو﴾ تعالى﴿القاهر فوق عباده﴾ ينفذ فيهم إرادته الشاملة ومشيئته

العامة، فليسوا يملكون من الأمر شيئاً، ولا يتحركون ولا يسكنون إلا بإذنه، ومع ذلك فقد وكل بالعباد حفظة من الملائكة، يحفظون العبد ويحفظون عليه ما عمل، كما قال تعالى: ﴿وإن عليكم لحافظين. كراماً كاتبين. يعلمون ما تفعلون﴾. ﴿عن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ فهذا حفظه لهم في حال الحياة.

وحتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا أي: الملائكة الموكلون بقبض الأرواح وهم لا يفرطون في ذلك، فلا يزيدون ساعة مما قدر الله وقضاه ولا ينقصون، ولا ينفذون من ذلك إلا بحسب المراسيم الإلهية والتقادير الربانية.

﴿ ثُمَ ﴾ بعد الموت والحياة البرزخية وما فيها من الخير والشر ﴿ردوا إلى الله مولاهم الحق) أي: الذي تولاهم بحكمه القدري، فنفذ فيهم ما شاء من أنواع التدبير، ثم تولاهم بأمره ونهيه، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، ثم ردوا إليه ليتولى الحكم فيهم بالجزاء، ويثيبهم على ما عملوا من الخيرات، ويعاقبهم على الشرور والسيئات، ولهذا قال: ﴿ أَلَا لَهُ الحكم) وحده لا شريك له ﴿وهو أسرع الحاسبين، لكمال علمه وحفظه لأعمالهم، بما أثبته في اللوح المحفوظ، ثم أثبتته ملائكته في الكتاب الذي بأيديهم، فإذا كان تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير، وهو القاهر فوق عباده، وقد اعتنى بهم كل الاعتناء في جميع أحوالهم، وهو الذي له الحكم القدري، والحكم الشرعي، والحكم الجزائي، فأين للمشركين العدول عن من هذا وصفه ونعته، إلى عبادة مَن ليس لـه مـن الأمـر شـيء، ولا عـنـده مثقال ذرة من النفع، ولا له قدرة وإرادة؟!

أما والله لو علموا حلم الله عليهم وعفوه ورحمته بهم، وهم يبارزونه بالشرك والكفران، ويتجرؤون على عظمته بالإفك والبهتان، وهو يعافيهم

يعقلون.

ويرزقهم، لانجذبت دواعيهم إلى معرفته، وذهلت عقولهم في حبه، ولمقتوا أنفسهم أشد المقت، حيث انقادوا لداعي الشيطان، الموجب للخزي والخسران، ولكنهم قوم لا

﴿٦٤ \_ ٦٤﴾ ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين \* قُل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون، أي: ﴿قُلِ ﴾ للمشركين بالله الداعين معه آلهة أخرى، ملزماً لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية، على ما أنكروا من توحيد الإلهية ﴿من ينجيكم من ظلمات البر والبحر﴾ أي: شدائدُهما ومشقاتهما، وحين يتعذر أو يتعسر عليكم وجه الحيلة، فتدعون ربكم تضرعاً بقلب خاضع، ولسان لا يزال يلهج بحاجته في الدّعاء، وتقولون وأنتم في تلك الحال: ﴿لِنُنِ أَنجانًا مِن هَذُهُ السَّدَةُ التي وقعنا فيها ﴿لنكونن من الشاكرين ﴾ لله، أي: المعترفين بنعمته، الواضعين لها في طاعة ربهم، الذين حفظوها عن أن يبذلوها في معصيته .

﴿قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ﴾ أي: من هذه الشدة الخاصة ، ومن جميع الكروب العامة ﴿ثم أنتم تشركون ﴾ لا تفون لله بما قلتم ، وتنسون نعمه عليكم ، فأي: برهان أوضح من هذا على بطلان الشرك ، وصحة التوحيد؟!!

(7 - 77) وقل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل \* لكل نبأ مستقر وسوف يعلمون أي: هو تعالى قادر على إرسال العذاب إليكم من كل جهة. ومن فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم أي: يخلطكم وشيعاً ويذيق

بعضكم بأس بعض﴾ أي: في الفتنة، وقتل بعضكم بعضاً.

فهو قادر على ذلك كله، فاحذروا من الإقامة على معاصيه، فيصيبكم من العذاب ما يتلفكم ويمحقكم، ومع هذا فقد أخبر أنه قادر على ذلك. ولكن من رحمته، أن رفع عن هذه الأمة العذاب من فوقهم بالرجم والحصب ونحوه، ومن تحت أرجلهم بالخسف. ولكن عاقب من عاقب منهم بأن أذاق بعضهم بأس بعض، وسلط

وانظر كيف نصرف الآيات اي أي : ننوعها، ونأتي بها على أوجه كثيرة وكلها دالة على الحق. ولعلهم يفقهون أي : يفهمون ما خلقوا من أجله، ويفقهون الحقائق الشرعية والمطالب الإلهية.

بعضهم على بعض، عقوبة عاجلة يراها

المعتبرون، ويشعر بها العالمون<sup>(١)</sup>.

﴿ وكذَب به ﴾ أي: بالقرآن ﴿ قومك وهو الحق ﴾ الذي لا مرية فيه، ولا شك يعتريه. ﴿ قبل لست عليكم بوكيل ﴾ أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها، وإنما أنا منذر ومبلغ.

﴿لكل نبأ مستقر ﴾ أي: وقت يستقر فيه، وزمان لا يتقدم عنه ولا يتأخر ﴿وسوف تعلمون﴾ ما توعدون به من العذاب.

﴿١٨ - ٩٦﴾ ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴿ وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون المراد بالخوض في آيات الله: التكلم بما يخالف الحق، من تحسين المقالات الباطلة والدعوة إليها والإعراض عن الحق والقدح فيه وفي أهله. فأمر الله رسوله والقدح فيه وفي أهله. فأمر الله رسوله أصلا، وأمته تبعاً، إذا رأوا من يخوض أصلا، وعدم حضور بجالس الخائضين بالباطل، والاستمرار على ذلك حتى بالباطل، والاستمرار على ذلك حتى

وَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَ اللَّهُ عَل ءَالذَكَ مَن حَرَّمَ أُوالأَثُكِينِ أَمَّا الْفُحَمَلَ عَلَيْهِ أَنْ حَامُ ٱلْأَنْكَيْنَ بَتُونِ بِعِنْمِ إِن كُنْتُومَ لِيقِينَ ، وَمِنَ ٱلْإِبلِ آشَنِينِ وَمِنَ ٱلْبَصَرَ آشَيْنُ قُلْ ءَٱلذُّكُرَيْنِ حَرِّرَ أَوِ ٱلْأَنْتَكِينِ أَمَّا ٱشْتَمَكَ عَلَيْهِ أَزْحَامُ ٱلْأُنْتُ تُنَّ أَرْكُ بِنُدْشُهُ لَمَا أَهُ إِذْ وَضَاحِكُمُ أَلَقَهُ بِهَا لَمَا فَأَنْ أَظَلَكُمُ مِّنَ أَفْرَىٰ عَلَى أَلَّهُ كَذِيا لِيُصِلُ ٱلْكَاسَ بِفَكِيرِ عِلْمِيْ أَنْ ٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْرَ ٱلظَّلالِينَ ﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِي مَّا أُرِينَ إِلَّا عُرَرِّمًا عَلَى طَاعِدِ يَعَلَّمَتُ مُهُ وَإِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَ ةً أَوْدَمَا مَّنْ غُومًا أَوْلَحْ مَ خِيْرِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسُ أَوْفِيتُ مَّا أُهِلَّ لِفَيْرِاللَّهِ بِهُ وَفَنَ أَضْعُلْ رَغَيْرَكِ إِعْ وَلاعَ اوْفَإِلَ رَقَكَ عَكَفُورٌرَّحِيدٌ ۞ وَعَكَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ الله وي الله الما المنافية الم الشخومهُ مَا إِلَّا مَا مَ لَتَ طُهُودُهُ مَا أُوا لَحُوَابِ ٱ أَوْمَا ٱخْلَطَ إِمَطَاءُ ذَلِكَ جَنَيْنَا ثُمُ بِسَغِيهِ مُّوَانَا لَسَكِوفُونَ ۞ AND THE WEST OF THE SERVICE OF THE S

يكون البحث والخوض في كلام غيره، فإذا كان في كلام غيره زال النهي المذكور.

فإن كان مصلحة كان مأموراً به، وإن كان غير دلك كان غير مفيد ولا مأمور به، وفي ذم الخوض بالباطل، حث على البحث والنظر والمناظرة بالحق شم قال: ﴿وَإِمَا ينسينك الشيطان﴾ أي: بأن جلست معهم، على وجه النسيان والغفلة. ﴿فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ يشمل الخائضين بالباطل، وكل متكلم الجلوس والحضور عند حضور المنكر، الذي لا يقدر على إزالته.

هذا النهي والتحريم لمن جلس معهم، ولم يستعمل تقوى الله، بأن كان يشاركهم في القول والعمل المحرم، أو يسكت عنهم وعن الإنكار، فإن استعمل تقوى الله تعالى، بأن كان يأمرهم بالخير، وينهاهم عن الشر والكلام الذي يصدر منهم، فيترتب على ذلك زوال الشر أو تخفيفه، فهذا ليس عليه حرج ولا إثم، ولهذا فهذا ليس عليه حرج ولا إثم، ولهذا قال: ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون الله تعالى.

ENE LENE I إِ فَإِن كَ نَبُوكَ فَقُل رَبُّكُمْ دُورَهُ } وَاسِعَةِ وَلاَيْرُدُ بَأْسُهُ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْمِعِينَ ۞ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱلسَّرَكُوا لْوَشَآةَ اللَّهُ مَآ أَشْرَكَ نَا وَلآءَابَ أَوْنَا وَلاَحْرَيْنَ امِن شَيْءً كَذَلِكَ كَنَّبَ الَّذِيرَ مِن قَبْلِهِ مُحَتَّى ذَاْقُواْ بَأْسَتُ اللَّهِ مَا لَكُلُّ هَلْ عِندَكُمُ مِنْ عِلْمِ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن مَثْ يَعُوكَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُذَ إِلَّا تَخْرُصُونَ ۞ قُلْ فَلِقَوْ لَلْحُجَتُهُ ٱلْبَالِيُّفَّةُ فَلَوْنَآ اللَّهُ لَكُواْجَمَعِينَ ۞ قُلْمَكُوَّ شُهَدَآ الْحَجُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱلْقَامَحَرُّمَ هَلَذَاً ۚ فَإِن شَهِدُواْفَلَا تَشْهَدْمَعَهُمْ وَلَائتَكِمْ أَهُوَآهُ ٱلَّذِينَ كَنْجُواٰ بِعَالِكِتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُوْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَهُمْ رِزَتِهِمْ يَعْدِلُونَ ۞ قُلْ تَعَيَالُواْ أَتُلُمَا حَرِّمَ رَعُبُمُ عَلَيْتَ مَنْ الْاَثْنَارِكُواْ يهِ سَيَنَّا وَبِٱلْوَلِامَيْ إِحْسَانًا وَلَاٰتَقْتُ أَوَا أَوْلُامَتُ مِنْ إِمَلَقِّ غَنُ زَزْقُكُمْ وَإِنَّاهُمُّ وَلِانَقَ رَبُوا ٱلْفَوْحِشَ ماظه رَّمِنْهَا وَمَا بَعَلَى وَلَا تَفْتُ لُوا النَّفْسَ الَّهِ كَرِّيرً مُّ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقُّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُر بِيلَعَلَّكُونَهُ فِلْوِنَ ﴿

وفي هذا دليل على أنه ينبغي أن يستعمل المذكر من الكلام ما يكون أقرب إلى حصول مقصود التقوى. وفيه دليل على أنه إذا كان التذكير والوعظ عما يزيد الموعوظ شراً إلى شره، إلى أن تركه هو الواجب(١١)، لأنه إذا ناقض المقصود، كان تركه مقصوداً.

﴿٧٠﴾ ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شرابٌ من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون القصود من العبآد أن يخلصوا لله الدين، بأن يعبدوه وحده لا شريك له، ويبذلوا مقدورهم في مرضاته ومحابه. وذلك متضمن لإَقبال القلب على الله وتوجهه إليه، وكون سعى العبد نافعاً، وجداً لا هزلاً، وإخلاصاً لوجه الله لا رياء وسمعة، هذا هو الدين الحقيقي الذي يقال له دين، فأما مَنْ زعم أنه على الحق، وأنه صاحب دين وتقوى، وقد اتخذ دينه لعباً ولهواً. بأن لها قلبه عن محبة الله ومعرفته، وأقبل على كل ما يضره، ولها في باطله، ولعب فيه ببدنه، لأن العمل والسعى إذا كان

لغير الله فهو لعب، فهذا أمر الله تعالى أن يترك ويحذر، ولا يغتر به، وتنظر حاله، ويحذر من فعاله، ولا يغتر بتعويقه عمّا يقرب إلى الله.

وذكر به أي: ذكر بالقرآن ما ينفع العباد، أمراً، وتفصيلاً، وتحسيناً له، بذكر ما فيه من أوصاف الحسن، وما يضر العباد نهياً عنه، وتفصيلاً لأنواعه، وبيان ما فيه من الأوصاف القبيحة الشنيعة الداعية لتركه، وكل هذا لئلا تبسل نفس بما كسبت، أي: قبل اقتحام العبد للذنوب وتجرئه على علام الغيوب، واستمرارها على ذلك المرهوب، فذكرها، وعظها، لترتدع وتنزجر وتكف عن فعلها.

وقوله: ﴿لِيس لها من دون الله ولي ولا شفيع ﴾ أي: قبل [أن] تحيط بها ذنوبها، ثم لا ينفعها أحد من الخلق، لا قريب ولا صديق، ولا يتولاها من دون الله أحد، ولا يشفع لها شافع ﴿وإن تعدل كل عدل ﴾ أي: تفتدي بكل فداء، ولو بملء الأرض ذهبا ﴿لا يؤخذ منها ﴾ أي: لا يقبل ولا يفيد.

﴿أُولَــُك﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿الذين أبسلوا﴾ أي: أهلكوا وأيسوا من الخير، وذلك ﴿بما كسبوا، لهم شراب من حميم﴾ أي: ماء حار قد انتهى حره، يشوي وجوههم، ويقطع أمعاءهم ﴿وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾.

﴿٧٧ ـ ٧٧﴾ ﴿قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى اثننا قل إن العدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين \* وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون \* وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب

والشهادة وهو الحكيم الخبير ﴾ ﴿قل﴾ يا أيها الرسول للمشركين بالله ، الداعين معه غيره ، الذين يدعونكم إلى دينهم ، التي مبيناً وشارحاً لوصف آلهتهم ، التي يكتفي العاقل بذكر وصفها عن النهي عنها ، فإن كل عاقل إذا تصور مذهب المسركين جزم ببطلانه قبل أن تقام البراهين على ذلك ، فقال : ﴿أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ﴾ وهذا وصف يدخل فيه ، كل من عبد من دون الله ، فإنه لا ينفع ولا يضر، وليس له من الأمر شيء ، إن الأمر وله .

﴿ونسرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله الله أي: وننقلب بعد هداية الله لنا إلى الضلال، ومن الرشد إلى النغي، ومن الصراط الموصل إلى جنات النعيم، إلى الطرق التي تفضى بسالكها إلى العذاب الأليم، فهذه حال لا يرتضيها ذو رشد، وصاحمها ﴿كالذي استهوته الشياطين في الأرض﴾ أي: أضلته وتيهته عن طريقه ومنهجه، الموصل له إلى مقصده. فبقى ﴿حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى الشياطين يدعونه إلى الردى، فبقى بين الداعيين حائراً وهذه حال الناس كلهم، إلا مَنْ عصمه الله تعالى، فإنهم يجدون فيهم جواذب ودواعي (٢) متعارضة، دواعي (٣) الرسالة والعقل الصحيح، والفطرة المستقيمة ﴿يدعونه إلى الهدي، والصعود إلى أعلى عليين.

ودواعي (1) الشيطان ومن سلك مسلكه، والنفس الأمّارة بالسوء، يدعونه إلى الضلال، والنزول إلى أسفل سافلين، فمن الناس مَنْ يكون مع داعي الهدى في أموره كلها أو أغلبها، ومنهم مَنْ بالعكس من ذلك. ومنهم مَنْ يتساوى لديه الداعيان، ويتعارض عنده الجاذبان، وفي هذا الموضع تعرف أهل السعادة من أهل الشقاوة.

وقوله: ﴿قل إن هدى الله هو اللهدى﴾ أي: ليس الهدى إلا الطريق

<sup>(</sup>٣) كذا في ب، وفي أ: داع.

<sup>(</sup>٤) كذا في ب، وفي أ: داعي.

<sup>(</sup>۱) في ب: كان تركه هو الواجب.

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: دواع.

التي شرعها الله على لسان رسوله، وما

عمداه فمهمو ضلال وردي وهملاك. ﴿وأمرنا لنسلم لرب العالمين ﴿ بأن ننقاد لتوحيده، ونستسلم لأوامره ونواهيه، وندخل تحت رق عبوديته، فإن هذا أفضل نعمة أنعم الله بها على العباد، وأكمل تربية أوصلها إليهم.

﴿وأن أقيموا الصلاة ﴾ أي: وأمرنا أن نقيم الصلاة بأركانها وشروطها وسننها ومكملاتها. ﴿واتقوه﴾ بفعل ما أمر به، واجتناب ما عنه نهي. ﴿وهو الذي إليه تحشرون ﴿ أَي: تجمعون ليوم القيامة، فيجازيكم بأعمالكم خيرها

﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق﴾ ليأمر العباد وينهاهم، ويثيبهم ويعاقبهم، ﴿ويوم يقول كن فيكون قوله الحق﴾ الذي لا مرية فيه ولا مثنوية، ولا يقول شيئاً عبثاً ﴿وله الملك يوم ينفخ في الصور، أي: يوم القيامة، خصه بالذكر - مع أنه مالك كل شيء \_ لأنه تنقطع فيه الأملاك، فلا يبقى ملك إلا لله الواحد القهار. وعالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير ﴾ الذي له الحكمة التامة، والنعمة السابغة، والإحسان العظيم، والعلم المحيط بالسرائر والبواطن والخفايا، لا إله إلا هو، ولا رب

﴿٧٤ \_ ٨٣ ﴾ ﴿وإذ قبال إسراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين \* وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ﴾ إلى آخر القصة. يقول تعالى: واذكر قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، مثنياً عليه ومعظماً في حال دعوته إلى التوحيد، ونهيه عن الشرك، إذ قال لأبيه ﴿آزر أتتخذ أصناماً آلهة﴾ أي: لا تنفع ولا تضر وليس لها من الأمر شيء، ﴿إني أراك وقومك في ضلال مبين ﴾ حيث عبدتم مَنْ لا يستحق من

العبادة شيئاً، وتركتم عبادة خالقكم، ورازقكم ومدبركم.

﴿وكذلك ﴿ حين وفقناه للتوحيد والدعوة إليه ﴿نرى إبراهيم ملكوت الـــــمـاوات والأرض♦ أي: ليرى ببصيرته ما اشتملت عليه من الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة ﴿وليكون من الموقنين ﴾ فإنه بحسب قيام الأدلة يحصل له الإيقان، والعلم التام بجميع المطالب.

﴿ فِلْمَا جَنَّ عِلْيَهِ اللَّيْلِ ﴾ أي: أظلم ﴿رأى كوكباً﴾ لعله من الكواكب المضيئة، لأن تخصيصه بالذكر يدل على زيادته عن غيره، ولهذا \_والله أعلم \_ قال مَنْ قال: إنه الزهرة.

﴿قَالَ هَذَا رِي﴾ أي: على وجه التنزل مع الخصم، أي: هذا ربي، فهلم ننظر، هل يستحق الربوبية؟ وهل يقوم لنا دليل على ذلك؟ فإنه لا ينبغي لعاقل أن يتخذ إلهه هواه بغير حجة ولا

﴿ فِلْمَا أَفِلْ ﴾ أي: غياب ذلك الكوكب ﴿قال لا أحب الآفلين﴾ أي: الذي يغيب ويختفي عمن عبده، فإن المعبود لابدأن يكون قائماً بمصالح من عبده، ومدبراً له في جميع شؤونه، فأما الذي يمضى وقت كثير وهو غائب، فمن أين يستحق العبادة؟! وهل اتخاذه إلهاً إلا من أسفه السفه، وأبطل الباطل؟!

﴿ فلما رأى القمر بازغاً ﴾ أي: طالعاً، ورأى زيادته على نور الكواكب ومخالفته لها ﴿قال هذا ربي﴾ تنزلاً. ﴿ فلما أفل قال: لئن لم يهدني ربي الأكونن من القوم الضالين ﴿ فَافْتَقْرُ عَايَةً الافتقار إلى هداية ربه، وعلم أنه إن لم يهده الله فلا هادي له، وإن لم يعنه على طاعته فلا معين له .

﴿ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر ﴾ من الكوكب ومن القمر. ﴿فلما أفلت﴾ تقرر حينئذ الهدي، واضمحل الردي فـ ﴿قال يا

وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلُ وَالْمِيزَاتَ بِٱلْقِسْطِ لَانْكَلِفُ فَسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُ مُ فَأَعْدِلُواْ وَلَوْكَ انْ ذَاقَرُكُمْ وَبِعَهِدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا أَذَالِكُمْ وَصَّاكُمُ بِهِ عَلَمَكُمْ مَنَذَكُّونَ اللَّهِ عَلَمَكُمْ مَنَذَّكُّرُونَ ا وَأَنَّ هَا خَاصِرَ عِلَى مُسْتَقِيمًا فَأَيَّهُ عُوهٌ وَلَائتَ عُوا ٱلسُّبُلَ فَنَفَرَقَ بِكُمْ عَنْ سَكِيلِهِ ۚ ذَٰ لِكُمْ وَصَّاكُم به ِ لَعَلَّاكُ مِنْ الْكِنَابُ مَامًا عَلَى ٱلَّذِيَّ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةُ لَعَلَّهُم بِلِمَآ الْمَوْمُونُونُونَ ۞ وَهَلَا كِنَاجُ أَزَلْنَاهُ مُبَالِكُ فَأَتَبِعُوهُ وَأَتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ رُحُمُونَ ﴿ أَن تَقُولُوا إِغَّا أُنْزِلَ ٱلْكِنَّابُ عَلَىٰ طَآبِهَنَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّاعَن دِرَا سَيْمِهِمْ لَغَفِلِينَ ۞ أَوْتَقُولُواْ لُوٓاْنَآ أَيْزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِنْبُ لَكُنَّا ٱهْدَىٰمِهُمْ فَقَدْجَآءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن زَّيْكُ وَهُدَّى وَرَحْتَمُّ فَنَ أَظْارُحُ نَكَ ذَبَ بِنَايَتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْ الْمُسَجِّرِي ٱلَّذِينَ يَصِّدِ قُونَ عَنْءَ ايَنتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ عِمَا كَانُواْ يَصِّدِ فُونَ ۞

وَلِانَقْ رَبُواْ مَالَ ٱلْمِنْتِ إِلَّا بِالَّهِ إِلَّا إِلَّهِ إِلَّا إِلَّا إِلَّا إِلَّا إِلَّا إِلَّا إِلَّا إِلَّا إِلَّهِ أَلْمُدَّ

LEGISTE 1

قوم إنى برىء مما تشركون ، حيث قام البرهان الصادق الواضح على بطلانه.

evenev ii earveat

﴿إِنِّ وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً ﴾ أي: لله وحده، مقبلاً عليه، معرضاً عن مَنْ سواه. ﴿وما أنا من المشركين﴾ فتبرأ من الشرك، وأذعن بالتوحيد، وأقام على ذلك البرهان [وهذا الذي ذكرنا في تفسير هذه الآيات هو الصواب، وهو أن المقام مقام مناظرةٍ من إبراهيم لقومه وبيان بطلان إلهية هذه الأجرام العلوية وغيرها. وأما من قال إنه مقام نظر في حال طفوليته فليس عليه دليل](١).

﴿ وحاجه قومه قال: أتحاجون فى الله وقد هدان، ♦ أي فائدة لمحاجة (۲) لم يتبين لَه الهدى؟ فأما مَنْ هـداه الله، ووصل إلى أعـلى درجــات اليقين، فإنه \_ هو بنفسه \_ يدعو الناس إلى ما هو عليه .

﴿ولا أخاف ما تشركون به ﴾ فإنها لن تضرني، ولن تمنع عني من النفع شيئاً. ﴿ إِلَّا أَن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون ﴾ فتعلمون أنه وحده المعبود المستحق للعبودية .

﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ﴾ وحالها حال العجز وعدم النفع، ﴿ولا

زيادة من هامش: ب وهي بخط الشيخ ــ رحمه الله ــ. (1)

كذا في ب، وفي أ: المحاجة لمن. **(Y)** 

١ ينونوالانجيان المنافق عَلْ يَظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْنِيَهُ مُ الْلَّهِ كُذَّا أَوْيَأْتِ رَثُكَ أَوْيَأْتِ يَعْضُ ءَايَكِ وَيَكُّ تُومَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَكِ وَيَلِكَ لَا يَفَعُ نَفْسًا إِيَنْهُا لَرَٰتَكُنَّ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْكَسَنَتْ فِيَإِيمَنِهَا خَيُّرَا فَإِلَيْظُ فَإِلَى إِنَّامُنْنَظِرُونَ ۞ إِنَّالَّذِينَ فَرَقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيعًالَّتَ مِنْهُمْ فِي ثَنِيَّ ۚ إِنَّآ أَمُّوهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُرُّونِيَتُكُمُ بِمَا كَانُواْ يَفْعَكُونَ ٨ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَنْ الِمَأْ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيَعَةِ فَلَا بُجُزَيَّ إِلَّامِشْلَهَا وَهُوَ لَا يُظْلَمُونَ ۞ قُلْ إِنِّي هَدَنِي رَفِّ إِلَّا صرط مُسْتَقِيدِ دِينَاقِيمَا مِلَّةَ إِرَاهِ يَرَخِيفَأُ وَمَاكَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ قُلْ إِنَّ صَكَاتِي وَلُسُكِي وَتَحْيَاكَ وَتَمَالِكَ بِلَّوَرَبِّ ٱلْمَالِمِينَ ۞ لَاشْرِيكَ أَدْ وَيِذَاكِ أُرِيْتُ وَأَنَا أُوْلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۞ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ ٱبْغِي رَبَّا وَهُورَتُ كُلِّ شَيَّءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ٳڷؙٵۼٙڸٙۼٲ۠ٷڵٲڒۯڎٳڒؚۯۊٞٞۅۯ۫ڗٲؙڂٞٷؙٛڞٛڴٳڶۮڗؾٟۣۘڡٛػۄٞڂڿڰؙڗؙ فَبُنَيْ شُكُمْ مِبَاكْ نَتُمْ فِي وَتَخَلِّفُونَ ۞ وَهُوَالَّذِى جَمَلَكُو ۗ الْإِ خَلَيْفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُرُ فَوْقَ بَعْضِ دَرَحَنْتِ لِيَبْلُوكُونِ مَآءَاتَنكُرُ إِنَّ رَبُّكَ سَرِيعُ ٱلْمِقَابِ وَانْدُلْكَ غُورٌ رَجِيدٌ ۞ TOLERON WORKER

تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا أي: إلا بمجرد اتباع الهوى. ﴿ وَفَأَي : الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ﴾.

قال الله تعالى فاصلاً بين الفريقين ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا ﴾ أي : يخلطوا ﴿إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ الأمن من المخاوف والعذاب والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقاً، لا بشرك ولا بمعاصي، حصل لهم الأمن التام والهداية التامة .

وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها. ومفهوم الآمران، لم يحصل لهم هداية ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء.

ولما حكم لإبراهيم عليه السلام، بما بين به من البراهين القاطعة قال: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾ أي: علا بها عليهم، وفلجهم مها.

﴿نرفع درجات مَنْ نشاء ﴾ كما رفعنا درجات إبراهيم عليه السلام في الدنيا والآخرة، فإن العلم يرفع الله به صاحبه فوق العباد درجات. خصوصاً

العالم العامل المعلم، فإنه يجعله الله إماماً للناس بحسب حاله، ترمق أفعاله، وتقتفى آثاره، ويستضاء بنوره، ويمشى بعلمه في ظلمة

..رو قال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درِجات﴾.

﴿إِن ربك حكيم عليم﴾ فلا يضع العلم والحكمة، إلا في المحل اللاتق بها، وهو أعلم بذلك المحل وبما ينبغي

♦٩٠ \_ ٨٤ ﴿ ووهبنا له إسحاق

ويعقوب كلأ هدينا ونوحأ هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويبوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين \* وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين \* وإسماعيل واليسع ويونس ولوظأ وكلأ فضلنا على العالمين \* ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم \* ذلك هدی الله بهدی به من یشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون \* أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين \* أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكري للعالمين﴾ لما دخر الله تعالى عبده وخليله إبراهيم عليه السلام، وذكر ما منَّ الله عليه به من العلم والدعوة والصبر، ذكر ما أكرمه الله به من الذرية الصالحة، والنسل الطيب. وأن الله جعل صفوة الخلق من نسله، وأعظم بهذه المنقبة

العالمين. ﴿كُلاَّ﴾ منهما﴿هدينا﴾ الصراط المستقيم في علمه وعمله.

والكرامة الجسيمة، التي لا يدرك لها

نظير فقال: ﴿ ووهبنا له إسحاق

ويعقوب، ابنه، الذي هو إسرائيل،

أبو الشعب الذي فضله الله على

﴿وَنُوحًا هدينا﴾ ﴿من قبل﴾

وهدايته (۱) من أنواع الهدايات الخاصة التي لم تحصل إلا لأفراد من العالم؛ وهم أولو العزم من الرسل الذي هو أحدهم.

﴿ وَمَن ذريته ﴾ يحتمل أن الضمير عائد إلى نوح ، لأنه أقرب مذكور ، ولأن الله ذكر مع مَنْ ذكر لوطاً ، وهو من ذرية نوح ، لا من ذرية إبراهيم لأنه ابن أخيه .

ويحتمل أن الضمير يعود إلى إبراهيم، لأن السياق في مدحه والثناء عليه، ولوط وإن لم يكن من ذريته وأنه من آمن على يده، فكان منقبة الخليل وفضيلته بذلك، أبلغ من كونه جود ابن له.

﴿ داود وسليمان ﴾ بسن داود ﴿ وأيوب ويوسف ﴾ بن يعقوب . ﴿ وموسى وهارون ﴾ ابني عمران ، ﴿ وكذلك ﴾ كما أصلحنا ذرية إبراهيم الخليل ، لأنه أحسن في عبادة ربه ، وأحسن في نفع الخلق ﴿ كذلك نجزي المحسنين ﴾ بأن نجعل لهم من الثناء الصدق ، والذرية الصالحة بحسب إحسانه .

﴿وزكريا ويحيى ابنه ﴿وعيسى ﴾ ابن مريم. ﴿وإلياس كل ﴾ من هؤلاء ﴿من المصالحين ﴾ في أخلاقهم وأعمالهم وعلومهم، بل هم سادة الصالحين وقادتهم وأثمتهم.

وواسماعيل بن إبراهيم أبو الشعب الذي هو أفضل الشعوب، وهو الشعب العربي، ووالد سيد ولد وهو الشعب العربي، ووالد سيد ولد ولوطاً بن هاران، أخي إبراهيم، وكلاً من هؤلاء الأنبياء والمرسلين وفضلنا على العالمين لأن درجات الفضائل أربع - وهي التي ذكرها الله بقوله: ﴿وَمَنْ يَطِعُ اللهُ والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فهؤلاء من الدرجة العليا، بل هم أفضل الرسل على الإطلاق، فالرسل الذين قصهم الله الإطلاق، فالرسل الذين قصهم الله المسل على

في كتابه، أفضل ممن لم يقص علينا نبأهم بلا شك.

ومن آبائهم اي: آباء هؤلاء المذكورين ووذياتهم وإخوانهم أي: وهدينا من آباء هؤلاء وذرياتهم وإخوانهم أي: وإخوانهم فواجتبيناهم أي: اخترناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم .

وذأ ... ك السهدى المذكرور وهدى الله الذي لا هدى إلا هداه. ويهدى الله الذي لا هدى إلا هداه. ويهدى به من يشاء من عباده واطلبوا منه الهدى فإنه إن لم يهدكم فلا هادي لكم غيره، وعمن شاء هدايته هؤلاء المذكورون. وولو أشركوا وعلى الفرض والتقدير ولحبط عنهم ما كانوا يعملون فإن الشرك عبط للعمل، موجب للخلود في النار. فإذا كان موجب للخلود أله النار، فإذا كان وحاشاهم \_ لحبطت أعمالهم، فغيرهم أولى.

وأولتك المذكورون والمذين هدى الله فبهداهم اقتده أي: امش منها الرسول الكريم حلف هؤلاء الأنبياء الأخيار، واتبع ملتهم وقد امتثل هن فاهتدى بهدي الرسل قبله، وجمع كل كمال فيهم. فاجتمعت لديه فضائل وخصائص فاق بها جميع المعلين، وكان سيد المرسلين وإمام المتقين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وبهذا الملحظ استدل من استدل من الصحابة، أن رسول الله من أفضل الرسل كلهم.

﴿إِن هـ و إِلا ذكرى لـ لـ عـ المِن ﴾ يتذكرون به ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيذرونه ويتذكرون به معرفة ربهم بأسمائه وأوصافه. ويتذكرون به الأخلاق الحميدة، والطرق الموصلة

إليها، والأخلاق الرذيلة، والطرق المفضية إليها، فإذا كان ذكرى للعالمين، كان أعظم نعمة أنعم الله بها عليهم فعليهم قبولها والشكر عليها.

﴿٩١﴾ ﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون، هذا تشنيم على مُنَّ نفي الرسالة ، [من اليهود والمشركين] (1) وزعم أن الله ما أنزل على بشر من شيء، فمن قال هذا، فما قدر الله حق قدره، ولا عظمه حق عظمته، إذ هذا قدح في حكمته، وزعم أنه يترك عباده هملاً، لا يأمرهم ولا ينهاهم، ونفي لأعظم منة امتن الله بها على عباده، وهي الرسالة التي لا طريق للعباد إلى نيل السعادة، والكرامة، والفلاح، إلا بها، فأي: قدح في الله أعظم من هذا؟!!

﴿قل لهم \_ ملزماً بفساد قولهم وقررهم، بما به يقرون \_: ﴿مَنْ أَنزلُ الْكِتَابِ الذي جاء به موسى ﴿ وهو التوراة العظيمة ﴿ نوراً ﴾ في ظلمات الجهل ﴿ وهدى ﴾ من الضلالة، وهادياً الكتاب الذي شاع وذاع، وملاً ذكره القلوب والأسماع. حتى إنهم جعلوا يتناسخونه في القراطيس، ويتصرفون فيه بما شاؤوا، فما وافق أهواءهم منه أبدوه وأظهروه، وما خالف ذلك أخفوه وكتموه، وذلك كثير.

﴿وعلمتم﴾ من العلوم التي بسبب ذلك الكتاب الجليل ﴿ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾ فإذا سألتهم عن مَنْ آنزل هذا الكتاب الموصوف بتلك الصفات، فأجب عن هذا السؤال. و ﴿قل الله﴾ الذي أنزله، فحينئذ يتضح الحق وينجلي مثل الشمس، وتقوم عليهم الحجة، ثم إذا ألزمتهم بهذا الإلزام ﴿ وَرَهُمْ فِي خُوضُهم بلعبونَ ﴾ أي:

القال المنافع المنافع

اتركهم يخوضوا في الباطل، ويلعبوا بما لا فائدة فيه، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون.

﴿٩٢﴾ ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون أي: ﴿وهذا ﴾ القرآن الذي ﴿أنزلناه ﴾ إليك ﴿مبارك ﴾ أي: وصفه البركة ، وذلك لكثرة خيراته وسعة مبراته . ﴿مصدق الذي بين يديه ﴾ أي: موافق للكتب السابقة ، وشاهد لها بالصدق . ﴿ولها ﴾

ولتنذر أم القرى ومن حولها الله : وأنزلناه أيضاً لتنذر أم القرى، وهي : مكة المكرمة، ومن حولها من ديار العرب، بل ومن سائر البلدان. فتحذر الناس عقوبة الله، وأخذه والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به لأن الخوف إذا كان في القلب عمرت أركانه، وانقاد لمراضي الله.

﴿وهم على صلاتهم يحافظون أي: يداومون عليها، ويحفظون أركانها وحدودها وشروطها وآدابها، ومكملاتها. جعلنا الله منهم.

﴿ ٣٣ \_ ٩٤ ﴾ ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل

وَلِالْقَيْرَا هَانِهِ وَالشَّجْرَةَ مَنْكُونَا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ ۞ فَوَسُّوسَ كَمُنَا ٱلشَّيْطَانُ لِبُبْدِيَ لَمُنْهَا مَا وُرِي عَنْهُمَا مِن سَوْءَ يُعِمَّا وَقَالَ مَانَهَ مَكُمَا تَوْتُكُمَا عَنْ هَلَاهِ ٱلشَّبَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْتَكُونَا مِنَ ٱلْخَلِدِينَ ۞ وَقَاسَمَهُمَنّا إِنِ الْكَالِنَ ٱلتَّصِيدِ ٢٠٠٠ ۞ خَذَلْنَهُمَا يِغُرُهُ رِّ فَكُنَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَحَكُمَا سَوْءَتُهُمُ اوَطَفِقًا يخصفان عَلَيْهِ مَا مِن وَزَقِ ٱلْجَنَّةُ وَنَادَنهُ مَا نَتُهُمَّا ٱلْرَأَنْهَكُمَّا عَن يَلْكُمُ ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُلِكُمُ إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمَّا عَدُوَّ عُيِينً ۞ TO SO TON YOUR OF ON ما أنـزل الله ولـو تـرى إذ الـظـالمون فـى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون \* ولقد جئتمونا فرادي كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ، يقول تعالى: لا أحد أعظم ظلماً ولا أكبر جرماً ممن كَذَبَ [علي] الله، بأن نسب

ويدخل في ذلك ادعاء النبوة، وأن الله يوحي إليه وهو كاذب في ذلك، فإنه ممع كذبه على الله، وجرأته على عظمته وسلطانه ميوجب على الخلق أن يتبعوه، ويجاهدهم على ذلك، ويستحل دماء من خالفه وأموالهم.

إلى الله قولاً أو حكماً وهو تعالى برىء

منه، وإنما كان هذا أظلم الخلق، لأن

فيه من الكذب وتغيير الأديان أصولها

وفروعها، ونسبة ذلك إلى الله ــ ما هو

من أكبر المفاسد.

ويدخل في هذه الآية كل مَنْ ادعى النبوة، كمسيلمة الكذّاب والأسود العَنْسي والمختار، وغيرهم ممن اتصف بهذا الوصف.

﴿ومَـن قـال سـأنـزل مـثـل مـا أنزل الله أي: ومن أظلم ممن زعم،

أنه يقدر على ما يقدر الله عليه، ويجاري الله في أحكامه، ويشرع من الشرائع كما شرعه الله، ويدخل في هذا كل مَنْ يزعم أنه يقدر على معارضة القرآن، وأنه في إمكانه أن يأتي بمثله. وأي: ظلم أعظم من دعوى الفقير العاجز بالذات، الناقص من كل وجه، مشاركة القوي الغني الذي له الكمال المطلق، من جميع الوجوه، في ذاته وسفاته ؟!!

ولما ذم الظالمين ذكر ما أعد لهم من العقوبة في حال الاحتضار، ويوم العقامة، فقال: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت﴾ أي: شدائده واهواله الفظيعة، وكربه الشنيعة لرأيت أمراً هائلاً، وحالة لا يقدر الواصف أن يصفها.

﴿والملائكة باسطو أيديهم ﴾ إلى أولئك الظالمين المحتضرين بالضرب والعذاب، يقولون لهم عند منازعة أرواحهم وقلقها، وتعصيها للخروج من الأبدان: ﴿ أَخرجوا أَنفُسكم اليوم تجزون عذاب الهون، أي: العذاب الشديد الذي يهينكم ويذلكم، والجزاء من جنس العمل، فإن هذا العذاب ﴿بِمَا كُنتُم تَقُولُونَ عَلَى اللهُ غَيْرِ الْحَقِّ﴾ من كذبكم عليه، وردكم للحق، الذي جاءت به الرسل. ﴿وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ أي: تَرَفَّعُون عن الانقياد لها، والاستسلام لأحكامها. وفي هذا دليل على عذاب البرزخ ونعيمه، فإن هذا الخطاب والعذاب الموجه إليهم، إنما هو عند الاحتضار وقبيل الموت

وفيه دليل على أن الروح جسم يدخل ويخرج، ويخاطب، ويساكن الجسد ويفارقه، فهذه حالهم في البرزخ.

رأما يوم القيامة فإنهم إذا وردوها، وردوها مفلسين فرادى بـلا أهـل ولا مـال ولا أولاد ولا جـنـود ولا أنصار، كما خلقهم الله أول مرة، عارين من كل شيء.

فإن الأشياء، إنما تتمول وتحصل بعد ذلك بأسبابها التي هي أسبابها،

وفي ذلك اليوم تنقطع جميع الأمور التي كانت مع العبد في الدنيا، سوى العمل الصالح والعمل السيّىء، الذي هو مادة الدار الآخرة، الذي تنشأ عنه، ويكون حسنها وقبحها، وسرورها وغمومها، وعذابها ونعيمها، بحسب الأعمال. فهي التي تنفع أو تضر، وتسوء أو تسر، وما سواها من الأهل والولد، والمال والأنصار، فعواري خارجية، وأوصاف زائلة، وأحوال حائلة، ولهذا قال تعالى:

﴿ولقد جنتمونا فرادی کما خلقناکم أول مرة وترکتم ما خولناکم ﴾ أي: أعطيناکم وأنعمنا به عليکم ﴿وراء ظهورکم ﴾ لا يغنون عنکم شيئاً ﴿وما نری معکم شفعاءکم الذين زعمتم أنهم فيکم شرکاء ﴾

فيان المشركين يسشركون بالله، ويعبدون معه الملائكة والأنبياء والصالحين، وغيرهم، وهم كلهم لله، ولكنهم يجعلون لهذه المخلوقات نصيباً من أنفسهم، وشركة في عبادتهم، وهذا زعم منهم وظلم، فإن الجميع عبيد لله، والله مالكهم، والمستحق لعبادتهم، فشركهم في العبادة، وصرفها لبعض العبيد، تنزيل لهم منزلة الخالق المالك، فيوبخون يوم القيامة ويقال لهم هذه المقالة.

﴿ وما نرى معكم شفعاء كم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء، لقد تقطع بينكم ﴾ أي: تقطعت الوصل والأسباب بينكم وبين شركائكم، من الشفاعة وغيرها، فلم تنفع ولم تجد شيئاً. ﴿ وضل عنكم ما كنتم والنجاة، التي زينها لكم الشيطان وحسنها في قلوبكم، فنطقت بها السنتكم. واغتررتم بهذا الزعم الباطل الذي لا حقيقة له، حين تبين لكم نقيض ما كنتم تزعمون، وظهر أنكم الخاسرون لأنفسكم وأهليكم وأموالكم.

﴿ ٩٥ \_ ٩٨ ﴾ ﴿إِن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى

تؤفكون \* فالق الإصباح وجعل الليل سكنأ والشمس والقمر حسبانأ ذلك تقدير العزيز العليم \* وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون \* وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ يخبر تعالى عن كماله، وعظمة سلطانه، وقوة اقتداره، وسعة رحمته، وعموم كرمه، وشدة عنايته بخلقه، فقال: ﴿إِنَّ اللهُ فالق الحب، شامل لسائر الحبوب التي يباشر الناس زرعها، والتي لا يباشرونها، كالحبوب التي يبثها الله في البراري والقفار، فيفلق الحبوب عن الزروع والنوابت، على اختلاف أنواعها وأشكالها ومنافعها، ويفلق النوى عن الأشجار من النخيل والفواكه، وغير ذلك. فينتفع الخلق من الآدميين والأنعام والدواب. ويرتعون فيما فلق الله من الحب والنوى، ويقتاتون وينتفعون بجميع أنواع المنافع التي جعلها الله في ذلك. ويريهم الله من بره وإحسانه ما يبهر العقول، ويذهل الفحول، ويريهم من بدائع صنعته وكمال حكمته، ما به يعرفونه ويوحدونه، ويعلمون أنه هو الحق، وأن عبادة ما سواه باطلة.

﴿يُخرِج الحي من الميت﴾ كما يخرِج من المني حيواناً، ومن البيضة فرخاً، ومن الحب والنوى زرعاً وشجراً.

﴿وَخُرِجِ المُيتُ﴾ وهو الذي لا نمو فيه، أو لا روح ﴿من الحي﴾ كما يخرج من الأشجار والزروع، النوى والحب، ويخرج من الطائر بيضاً، ونحو ذلك.

﴿ذَلَكُم﴾ الذي فعل ما فعل، وانفرد بخلق هذه الأشياء وتدبيرها ﴿الله﴾ ربكم أي: الذي له الألوهية والعبادة على خلقه أجمعين، وهو الذي ربى جميع العالمين بنعمه، وغذاهم بكرمه. ﴿فَأَنَى تَوْفَكُونَ﴾ أي: فأنى تصرفون، وتصدون عن عبادة مَنْ هذا شأنه، إلى عبادة مَنْ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة،

ولما ذكر تعالى، مادة خلق الأقوات، ذكر منته بتهيئة المساكن، وخلقه كل ما يحتاج إليه العباد، من الضياء والظلمة، وما يترتب على ذلك من أنواع المنافع والمصالح فقال: ﴿فالق الإصباح﴾ أي: كما أنه فالق الحب والنوى، كذلك هو فالق ظلمة الليل الداجي، الشامل لما على وجه الأرض، بضياء الصبح الذي يفلقه شيئاً فشيئاً، حتى الضياء والنور العام، الذي يتصرف به الخلق في مصالحهم ومعايشهم، ومنافع دينهم ودنياهم.

ولما كان الخلق محتاجين إلى السكون والاستقرار والراحة، التي لا تتم بوجود النهار والنور ﴿جعل﴾ الله ﴿الليل سكناً ﴾ يسكن فيه الآدميون إلى دورهم ومنامهم، والأنعام إلى مأواها، والطيور إلى أوكارها، فتأخذ نصيبها من الراحة، ثم يريل الله ذلك، بالضياء، وهكذا أبداً إلى يوم القيامة ﴿وَ ﴾ جعل تعالى ﴿الشمس والقمر حسبانا كالمهاتعرف الأزمنة والأوقات، فتنضبط بذلك أوقات العبادات، وآجال المعاملات، ويعرف بها مدة ما مضى من الأوقات التي لولا وجود الشمس والقمر وتناويهما واختلافهما سلاعرف ذلك عامة الناس، واشتركوا في علمه، بل كان لا يمعرفه إلا أفراد من الناس بعد الاجتهاد، وبذلك يفوت من المصالح الضرورية ما يفوت.

وذلك التقدير المذكور وتقدير المعزيز العليم الذي من عزته انقادت له هذه المخلوقات العظيمة، فجرت مذللة مسخرة بأمره، بحيث لا تتعدى ما حده الله لها، ولا تتقدم عنه ولا تتأخر والعليم الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والأوائل والأواخر.

ومن الأدلة العقلية على إحاطة علمه، تسخير هذه المخلوقات العظيمة، على تقدير رنظام بديع، تحير العقول في حسنه وكماله وموافقته للمصالح والحكم.

وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر والبحر حين تشتبه عليكم المسالك، ويتحير في سيره السالك، فجعل الله النجوم هداية للخلق إلى السبل، التي يحتاجون إلى سلوكها لمصالحهم وتجاراتهم وأسفارهم.

منها: نجوم لا تزال ترى، ولا تسير عن محلها، ومنها ما هو مستمر السير، يعرف سيره أهل المعرفة بذلك، ويعرفون به الجهات والأوقات.

ودلت هذه الآية ونحوها على مشروعية تعلم سير الكواكب ومحالها الذي يسمى علم التسيير، فإنه لا تتم الهداية ولا تمكن إلا بذلك.

﴿قد فصلنا الآيات﴾ أي: بيناها، ووضحناها، وميزنا كل جنس ونوع منها عن الآخر، بحيث صارت آيات الله بيادية ظاهرة. ﴿لقوم يعلمون﴾ أي: لأهل العلم والمعرفة، فإنهم الذين يوجه إليهم الخطاب، ويطلب منهم الجواب، بخلاف أهل وعن العلم الذي جاءت به الرسل، فإن البيان لا يفيدهم شيئاً، والإيضاح لا يزيل عنهم ملتبساً، والإيضاح لا يكشف لهم مشكلاً.

﴿ وهو الدِّي أنشأكم من نفس واحمدة ﴾ وهمو آدم عمليه المسلام. أنشأ الله منه هذا العنصر الأدمى؛ الذي قيد مبلأ الأرض. ولم يبزل في زيادة ونمو، الذي قىد تىفاوت فى أخلاقه وخلقه وأوصافه تفاوتأ لا يمكن ضبطه، ولا يدرك وصفه، وجعل الله لهم مستقراً، أي: منتهى ينتهون إليه، وغاية يساقون إليها، وهي دار القرار التي لا مستقر وراءها، ولا نهاية فوقهاً، فهذه الدار هي التي خلق الخلق لسكناها، وأوجدوا في الدنيا ليسعوا في أسبابها، التي تنشأ عليها وتعمر بها، وأودعهم الله في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم، ثم في دار الدنيا، ثم في البرزخ، كل ذلك على وجه الوديعة، التي لا تستقر

ولا تثبت، بل ينتقل منها حتى يوصل إلى الدار، التي هي المستقر، وأما هذه الدار فإنها مستودع وممر ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ عن الله آياته، ويفهمون عنه حججه وبيناته.

﴿٩٩﴾ ﴿وهـو الـذي أنـزل مـن السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرأ نخرج منه حبأ متراكباً ومن النخل من طلَّعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إنّ في ذلكم لآياتٍ لقوم يؤمنون، وهذا من أعظم مننه العظيمة، التي يضطر إليها الخلق من الآدميين وغيرهم، وهو أنه أنزل من السماء ماء متتابعاً وقت حاجة الناس إليه، فأنبت الله به كل شيء مما يأكل البناس والأنسعام، فرتم الخلق بفضل الله، وانبسطوا برزقه، وفرحوا بإحسانه، وزال عنهم الجدب واليأس والقحط، ففرحت القلوب، وأسفرت الوجوه، وحصل للعبادمن رحمة الرحمن الرحيم، ما به يتمتعون وبه يرتعون، ما يوجب لهم أن يبذلوا جهدهم في شكر مَنْ أسدى النعم، وعبادته والإنابة إليه، والمحبة له.

ولما ذكر عموم ما ينبت بالماء، من أنواع الأشجار والنبات، ذكر الزرع والنخل، لكثرة نفعهما وكونهما قوتاً لأكثر الناس فقال: ﴿فَاخْرِجنا منه خَصْراً نخرج منه ﴾ أي: من ذلك خضراً نخرج منه ﴾ أي: من ذلك فوق بعض، من بر وشعير، وذرة، وفي وصفه بأنه متراكب، إشارة إلى أن حبوبه متعددة، وجميعها تستمد من مادة وإشارة أيضاً إلى كثرتها، وشمول ريعها وإشارة أيضاً إلى كثرتها، وشمول ريعها وغلتها، ليبقى أصل البذر، ويبقى بقية وغلتها، ليبقى أصل البذر، ويبقى بقية

﴿ومن النخل﴾ أخرج الله ﴿من طلعها﴾ وهو الكفرى، والوعاء قبل ظهور القنو منه، فيخرج من ذلك الوعاء ﴿قنوان دانية﴾ أي: قريبة سهلة

التناول، متدلية على مَنْ أرادها، بحيث لا يعسر التناول من النخل وإن طالت، فإنه يوجد فيها كُرَبٌ ومراقي يسهل صعودها.

و اخرج تعالى بالماء وجنات من أعناب والزيتون والرمان فه فهذه من الأشجار الكثيرة النفع، العظيمة الوقع، فلذلك خصصها الله بالذكر بعد أن عمَّ جميع الأشجار والنوابت.

وقوله: ﴿مشتبها وغير متشابه﴾ يحتمل أن يرجع إلى الرمان والزيتون، أي: مشتبها في شجره وورقه، غير مشابه في ثمره.

ويحتمل أن يرجع ذلك إلى سائر الأشجار والفواكه، وأن بعضها مشتبه، يشبه بعضه بعضاً، ويتقارب في بعض أوصافه، وبعضها لا مشابهة بينه وبين غيره، والكل ينتفع به العباد، ويتفكهون، ويقتاتون ويعتبرون، ولهذا أمر تعالى بالاعتبار به، فقال: ﴿انظروا﴾ نظر فكر واعتبار ﴿إلى شمره﴾ أي: الأشجار كلها، خصوصاً: النخل إذا أثمر.

﴿وينعه ﴾ أي: انظروا إليه وقت إطلاعه، ووقت نضجه وإيناعه، فإن في ذلك عبراً وآيات يستدل بها على رحمة الله، وسعة إحسانه وجوده وكمال اقتداره وعنايته بعباده.

ولكن ليس كل أحد يعتبر ويتفكر، وليس كل مَنْ تفكر أدرك المعنى المقصود، ولهذا قيد تعالى الانتفاع بالآيات بالمؤمنين، فقال: ﴿إِن في المؤمنين يحملهم ما معهم من الإيمان، على العمل بمقتضياته ولوازمه، التي منها التفكر في آيات الله، والاستنتاج منها ما يراد منها، وما تدل عليه عقلا وفطرة وشرعاً.

﴿ ١٠٠ – ١٠٠﴾ ﴿ وجعلوا لله بنين شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون \* بديع السماوات والأرض أتى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم \* ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو عليم \*

خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير \* قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ يجبر تعالى: أنه مع إحسانه لعباده وتعرفه إليهم بآياته البينات، وحججه الواضحات \_أن المشركين به من قريش وغيرهم، جعلوا له شركاء يدعونهم ويعبدونهم من الجن والملائكة، الـذيـن هـم خـلـق مـن خلق الله، ليس فيهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، فجعلوها شركاء لمن له الخلق والأمر، وهو المنعم بسائر أصناف النُّعَمِّ، الدافع لجميع النقم، وكذلك «خرق المشركون» أي: ائتفكوا وافتروا من تلقاء أنفسهم لله، بنين وبنات بغير علم منهم، ومن أظلم عن قال على الله بلا علم، وافترى عليه أشنع النقص، الذي يجب تنزيه الله عنه؟!!

ولهذا نزه نفسه عمّا افتراه عليه المشركون، فقال: ﴿سبحانه وتعلى عمّا يصفون﴾ فإنه تعالى الموصوف بكل كممال، المنزه عن كل نقمص وآفة وعيب.

﴿بديع السماوات والأرض﴾ أي: خالقهما، ومتقن صنعتهما، على غير مثال سبق، بأحسن خلق ونظام وبهاء، لا تقترح عقول أولي الألباب مثله، وليس له في خلقهما مشارك.

﴿أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة أي: كيف يكون لله الولد، وهو وهو الإله السيد الصمد، الذي لا صاحبة له، أي: لا زوجة، وهو الغني عن مخلوقاته، وكلها فقيرة إليه، مضطرة في جميع أحوالها إليه، والولد لا بد أن يكون من جنس والله، والله خالق كل شيء وليس شيء من المخلوقات مشابها لله بوجه من الوجوه.

ولما ذكر عموم خلقه للأشياء، ذكر إحاطة علمه بها، فقال: ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ وفي ذكر العلم بعد الخلق، إشارة إلى الدليل العقلي إلى

ثبوت علمه، وهو هذه المخلوقات، وما اشتملت عليه من النظام التام، والخلق الباهر فإن في ذلك دلالة على سعة علم الخالق، وكمَّال حكمته، كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعِلُمُ مَنَّ خَلَقَ وَهُو اللطيف الخبير) وكما قال تعالى: ﴿وهبو الخلاق العليم﴾ ذلكم الذي خلق ما خلق، وقدَّر ما قدر.

> ﴿ الله ربكم ﴾ أي: المألوه المعبود، الذي يستحق نهاية الذل، ونهاية الحب، الرب الذي ربى جميع الخلق بالنُّعَمْ، وصرف عنهم صنوف النِقَم. ﴿لا إِلَّهُ إِلاَّ هِـو خِالِـق كِيل شيء فاعبدوه ﴾ أي: إذا استقر وثبت أنه الله الذي لا إله إلا هو، فاصرفوا له جميع أنواع العبادة، وأخلصوها لله، واقتصدوا بها وجهه. فإن هذا هو المقصود من الخلق الذي خلقوا لأجله ﴿ومِا خِلْقَتِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِلاَّ ليعبدون).

﴿وهو على كل شيء وكيل ﴿ أي: جميع الأشياء تحت وكالة الله وتدبيره، خلقاً وتدبيراً وتصريفاً.

ومن المعلوم أن الأمر المتصرف فيه يكون استقامته وتمامه وكمال انتظامه، بحسب حال الوكيل عليه. ووكالته تعالى على الأشياء ليست من جنس وكالة الخلق، فإن وكالتهم وكالة نيابة، والوكيل فيها، تابع لموكله .

وأما الباري تبارك وتعالى، فوكالته من نفسه لنفسه، متضمنة لكمال العلم، وحسن التدبير والإحسان فيه والعدل، فبلا يسكن لأحد، أن يستدرك على الله، ولا يرى في خلقه خللاً ولا فطوراً، ولا قى تدبيره نقصاً

ومن وكالته أنه تعالى، توكل ببيان دينه، وحفظه عن المزيلات والمغيرات، وأنه تولى حفظ المؤمنين وعصمتهم عما يزيل إيمانهم ودينهم.

﴿لا تدركه الأبصار﴾ لعظمته

وجلاله وكماله، أي: لا تحيط به الأبصار، وإن كانت تراه وتفرح بالنظر إلى وجهه الكريم، فنفى الإدراك لا ينفى الرؤية، بل يثبتها بالمفهوم. فإنه إذا نفي الإدراك الذي هو أخص أوصاف الرؤية، دلّ على أن الرؤية

فإنه لو أراد نفى الرؤية، لقال: «لا تراه الأبصار» ونحو ذلك، فعلم أنه ليس في الآية حجة لمذهب المعطلة، الذين ينفون رؤية ربهم في الآخرة، بل فيها ما يدل على نقيض قولهم.

﴿ وهو يدرك الأبصار ﴾ أي: هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، وسمعه، بجميع الأصوات الظاهرة والخفية، وبصره، بجميع المبصرات، صغارها وكبارها، ولهذاً قال: ﴿وهو اللطيف الخبير ﴾ الذي لطف علمه وخبرته، ودق حتى أدرك السرائر والخفايا، والخبايا والبواطن.

ومن لطفه أنه يسوق عبده إلى مصالح دينه، ويوصلها إليه بالطرق التي لآ يشعر بها العبد، ولا يسعى فيها، ويوصله إلى السعادة الأبدية، والفلاح السرمدي، من حيث لا بحتسب، حتى إنه يقدر عليه الأمور التي يكرهها العبد ويتألم منها، ويدعو الله أن يزيلها، لعلمه أن دينه أصلح، وأن كماله متوقف عليها، فسبحان اللطيف لما يشاء، الرحيم

﴿قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ البين تعالى من الآيات البينات، والأدلة الواضحات، الدالة على الحق في جميع المطالب والمقاصد، نبه العباد عليها، وأخبر أن هدايتهم وضدها لأنفسهم، فقال: ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم ﴾ أي: آيات تبين الحق، وتجعله للقلب بمنزلة الشمس للأبصار، لما اشتملت عليه من

عَالاَدَ مِّنَا طَلَقَنَا أَنْفُكَنا وَلادَ لَيْغَفِ لَنَا وَرَّحْتَ الْنَكُونَ مِنَ الْخَسِينَ ۞ قَالَ الْمِطُوالْمِنْ كُولِيَعْضِ عَدُو وَلَكُمْ فِ ٱلْأَرْضِ مُسَنَّقَرُّ وَمَتَنَكُمُ إِلَى حِينِ ۞ قَالَ فِيهَا تَغَيَّرُكَ وَفِيهَا غَوْوُنَ وَمِنْهَا غُرْيُهُونَ ﴿ يَلَنِيَ ءَادَمَ قَدْ أَزَلْنَا عَلَيْهُ وَلِكَامًا يُوَرَى سَوَةَ لِيَكُو وَرِيشَ أَوَلِهَا مُ ٱلتَّقُوىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِن ءَايَنتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَدَّكَّرُونَ ۞ يَنِنِيٓ ادْمَ لَايَفْنِنَكُرُ ٱلشَيْعَانُ كُمَّا أَخْرَجُ إِنِّوَيْكُمْ مِنَ ٱلْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِسَاسَهُمَا لِلْإِيَّهُمَا سَوِّةً تِعِمَّا أَنَّهُ رَيْنِكُمْ هُوَوَجِّيلُهُ مُنِ حَيْثُ لَانَرَوْنَهُمُ إِنَّاجَعَى لَنَا ٱلشَّيْطِينَ أَوْلِيكَةً لِلَّذِينَ لَابُوْمِنُونَ ۞ وَلَاَ مَسَلُوا فَاحِشَةَ قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَلَةَ فَاوَاللَّهُ أَمْزَابِهُ أَفَّ إِنَّ ٱللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَهُ حُسَّالًا وَأَنْقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَاتَفَاكُمُونَ ۞ فُلْ أَمَرُ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَلَقِيمُوا وُبُوهَكُمْ عِندَكُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُغْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَّ كَمَّا بَدَأَكُمُ مِّعُودُونَ ۞ فَرِيقًا حَدَىٰ وَفِيعًا حَقَّ عَلَيْهِ مُ الشِّهَ لَلَّهُ إِنَّهُمُ أَغَّت ثُوا الشَّيَطِينَ أَوْلِيكَة مِن دُوبِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُ مُثَّهُ مَثُمُ وَنَ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُ مُثَّمَ مُثَمَّ مَذُونَ ۞ CARROL IOT LONG

فصاحة اللفظ، وبيانه، ووضوحه، ومطابقته للمعاني الجليلة، والحقائق الجميلة، لأنها صادرة من الرب الذي ربى خلقه بصنوف نعمه الظاهرة والباطنة، التي من أفضلها وأجلُّها تبيين الأيات، وتوضيح المشكلات.

﴿فمن أبصر﴾ بتلك الآيات مواقع العبرة، وعمل بمقتضاها﴿فلنفسه﴾ فإن الله هو الغنى الحميد.

﴿ وَمَنْ عَمَى ﴾ بأن بصر، فلم يتبصر، وزجر، فلم ينزجر، وبيّن له الحق، فما انقاد له ولا تواضع، فإنما عماه مضرته عليه.

﴿ وما أنا ﴾ أيها الرسول ﴿ عليكم بحفيظ المحفظ أعمالكم وأراقبها على الدوام، إنما على البلاغ المبين وقد أديته، وبلغت ما أنزل الله إلى، فهذه وظيفتي، وما عدا ذلك فلست موظفاً فيه(١).

﴿١٠٨﴾ ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عدواً بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون، ينهى الله المؤمنين عن أمر كان جائزاً، بل مشروعاً في الأصل، وهو سب آلهة المشركين، التي اتخذت أوثاناً وآلهة

انتقل الشيخ ـ رحمه الله ـ بعد تفسير هذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿ولا تسبوا. . . ﴾ فلم يفسر الآيات من قوله تعالى: (وكذلك نصرف الآيات) إلى قوله: (ومَا أنت عليهم بوكيل) ذات الأرقام (١٠٥ ـ ١٠٧) فقام النجار بتفسيرها دون الإشارة إلى أنها ليست من كلام الشيخ ـ رحمه الله ـ انظر طبعة النجار (٢/ ٤٥٠ ـ ٤٥٢).

CONTROL V SAIRLED REAL • يَنْبَنِي ٓ ادَّمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَكُلِ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَاتُتُرِقُواْ إِنَّةَ لِآيُحِبُ لَلْتُنْرِفِينَ ۞ قُلْمَنْ حَرَّمَ زِينَ ٓ اَلَّهِ ٱلْقِيَّ ٱخْدَجَ لِعِبَ الدِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الزِزْقَ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِ ٱلْحَيَوٰوَ ٱلدُّنْيَاحَالِصَهُ يَوْمَ ٱلْقِيكُمَّةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمِ يَعْلَمُونَ ۞ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي ٱلْفَوْحِسْ مَاظَهَ رَمِنْهَا وَمَابِطُنَ وَٱلْإِثْرُوٓٱلْبَغْيَ بِعَيْرِٱلْحَقِّ وَأَن نُشْرِكُواْ بِٱهْوِمَا لَرَيُزَلْ بِيهِ سُلَطَنَا وَانَ نَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَفَـٰ لَمُونَ ۞ وَلِكُلِّ أَمَّةٍ أَجَرٌّ أَ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُ مُ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۞ يَنْبَنِي ادَّمَ إِمَا يَأْتِينَكُورُ مُثُلِّ مِنْ كُرِيَةُ صُولَ عَلَيْكُو الْبَيِّ فَنَ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَاحُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَعَزَوُنَ ۞ وَالَّذِينَ كَنَّبُوا بِعَايِنَيْنَا وَأَسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا أَوْلَيْكَ أَصْحَبُ ٱلنَّ أَرْهُرِفِهَا خَلِهُ وَوَ ﴾ فَنَ أَظُلَرُمِ مِّنَ أَفَلَهُ مِعْ مَنْ أَظُلَهُ مِعِّنِ أَفَكَرَىٰ عَلَى الْعَوَكَذِ بَا أَوْكَذَبَ وِعَلِيْشِتَأُوْلَلَهِكَ يَسَاهُمُ مَنْسِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِنْشِيَّةُ وَأَجَلَةَ ثَهُرَ رُسُلُنَا يَتَوَقَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَاكُنتُ مِّنَعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَالْوَاضَالُواْعَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٓ أَنفُسِهِمَ أَنَّهُمْ كَافُوا كَفِينَ ۞ TO DE TOTAL TO THE PARTY OF THE

مع الله، التي يتقرب إلى الله بإهانتها وسبها.

ولكن لما كان هذا السب طريقاً إلى سب المشركين لرب العالمين، الذي يجب تنزيه جنابه العظيم عن كل عيب، وآفة، وسب، وقدح \_نهى الله عن لدينهم، ويتعصبون له. لأن كل أمة زين الله لهم عملهم، فرأوه حسناً وذبوا عنه، ودافعوا بكل طريق، حتى رسخت عظمته في قلوب الأبرار والفجار، إذا سب المسلمون الهتم.

ولكن الخلق كلهم مرجعهم ومألهم إلى الله يوم القيامة، يعرضون عليه، وتعرض أعمالهم، فينبئهم بما كانوا يعملون، من خير وشر.

وفي هذه الآية الكريمة دليل للقاعدة الشرعة وهي أن الوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها، وأن وسائل المحرم ولو كانت جائزة تكون محرمة، إذا كانت تفضى إلى الشر.

﴿ ١٠٩ - ١١١ ﴾ ﴿ وَأَقسموا بِالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمننَ بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنبًا إذا جاءت لا يؤمنون \* ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون \*

ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكشرهم يجهلون اي: وأقسم المشركون المكذبون لسلرسول عمد ﷺ. ﴿بالله جهد أيمانهم ﴾ أي: قسماً اجتهدوا فيه وأكدوه. ﴿لَئُن جاءتهم آية ﴾ تدل على صدق محمد ﷺ ﴿ليؤمنن بها﴾ وهذا الكلام الذي صدر منهم لم يكن قصدهم فيه الرشاد، وإنما قصدهم، دفع الاعتراض عليهم، ورد ما جاء به الرّسول قطعاً، فإن الله أيد رسوله ﷺ بالآيات البينات، والأدلة الواضحات، التي \_عند الالتفات لها ـ لا تبقى أدنى شبهة ولا إشكال في صحة ما جاء به، فطلبهم \_ بعد ذلك \_ للآيات من باب التعنت، الذي لا يلزم إجابته، بل قد يكون المنع من إجابتهم أصلح لهم، فإن الله جرت سنته في عباده، أن المقترحين للآيات على رسلهم، إذا جاءتهم فلم يؤمنوا بها ـ أنه يعاجلهم بالعقوبة، ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتَ عَنْدُ اللَّهُ ۗ أَي: هو الذي يرسلها إذا شاء، ويمنعها إذا شاء، ليس لي من الأمر شيء، فطلبكم منى الآيات ظلم، وطلب لمأ لا أملَك، وإنما توجهون إلى توضيح ما جئتكم به وتصديقه، وقد حصل، ومع ذلك فليس معلوماً، أنهم إذا جاءتهم الآيات يؤمنون ويصدقون، بل الغالب ممن هذه حاله أنه لا يؤمن،

﴿ وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾

ولهذا قال:

ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون أي: ونعاقبهم إذا لم يؤمنوا أول مرة يأتيهم فيه الداعي، وتقوم عليهم الحجة، بتقليب القلوب، والحيلولة بينهم وبين الإيمان، وعدم التوفيق لسلوك الصراط المستقيم.

وهذا من عدل الله وحكمته بعباده، فإنهم الذين جنوا على أنفسهم، وفتح

لهم الباب فلم يدخلوا، وبيَّن لهم الطريق فلم يسلكوا، فبعد ذلك إذا حرموا التوفيق كان مناسباً لأحوالهم.

وكذلك تعليقهم الإيمان بإرادتهم ومشيئتهم وحدهم، وعدم الاعتماد على الله من أكبر الغلط، فإنهم لو جاءتهم الآيات العظيمة، من تنزيل الملائكة إليهم يشهدون للرسول بالرسالة، وتكليم الموتى، وبعثهم بعد موتهم، وحشر كل شيء إليهم حتى يكلمهم (1) ﴿ قبلا ﴾ ومشاهدة ومباشرة، بصدق ما جاء به الرسول ما حصل منهم الإيمان، إذا لم يشأ الله إيمانهم ولكن أكثرهم يجهلون. فلذلك رتبوا إيمانهم، على مجرد إتيان الآيات، وإنما العقل والعلم أن يكون العبد مقصوده اتباع الحق، ويطلبه بالطرق التي بينها الله، ويعمل بذلك، ويستعين ربه في اتباعه، ولا يتكل على نفسه وحوله وقوته، ولا يطلب من الآيات الاقتراحية ما لا فائدة فيه.

﴿ ١١٣ ـ ١١٣ ﴾ ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون \* ولتصغي إليه أفئدة الذين ما هم مقترفون \* يقول تعالى ـ مسلياً لرسوله محمد ﷺ \_ وكما جعلنا لك أعداء يردون دعوتك، ويحاربونك ويحدونك، فهذه سنتنا، أن نجعل لكل نبي نرسله إلى الخلق أعداء، من شياطين الإنس والجن، يقومون بضد ما جاءت به الرسل.

﴿يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً أي: يزين بعضهم لبعض الأمر الذي يدعون إليه من الباطل، ويزخرفون له العبارات حتى يجعلوه في أحسن صورة، ليغتر به السفهاء، وينقاد له الأغبياء الذين لا يفهمون الحقائق، ولا يفقهون المعاني، بل تعجبهم الألفاظ المزخرفة، والعبارات المموهة، فيعتقدون الحق والعبارات المموهة، فيعتقدون الحق

باطلاً والباطل حقاً، ولهذا قال تعالى: ﴿ولتصغي إليه﴾ أي: ولتميل إلى ذلك الكلام المزخرف ﴿أَفْسُدَهُ اللَّذِينَ لا يؤمنون بالأخرة﴾ لأن عدم إيمانهم باليوم الآخر وعدم عقولهم النافعة، يحملهم على ذلك، ﴿وليرضوه﴾ بعد أن يصغوا إليه فيصغون إليه أولاً، فإذا مبالبوا إليه ورأوا تبلبك البعببارات المستحسنة رضوه، وزين في قلوبهم، وصار عقيدة راسخة، وصفة لازمة، ثم ينتج من ذلك، أن يقترفوا من الأعمال والأقوال ما هم مقترفون، أي: يأتون من الكذب بالقول والفعل، ما هو من لوازم تلك العقائد القبيحة، فهذه حال المغترين، بشياطين الإنس والجن، المستجيبين لدعوتهم، وأما أهل الإيمان بالآخرة، وأولو العقول الوافية والألباب الرزينة، فإنهم لا يغترون بتلك العبارات، ولا تخلبهم تلك التمويهات، بل همتهم مصروفة إلى معرفة الحقائق، فينظرون إلى المعاني التي يدعو إليها الدعاة، فإن كانت حقاً قبلوها وانقادوا لها، ولو كسيت عبارات ردية، وألفاظاً غير وافية، وإن كانت باطلاً، ردوها على مَنْ قالها، كانناً مَنْ كان، ولو ألبست من العبارات المستحسنة، ما هو أرق من الحريو.

ومن حكمة الله تعالى في جعله للأنبياء أعداء، وللباطل أنصاراً قائمين بالدعوة إليه، أن يحصل لعباده الابتلاء والامتحان، ليتميز الصادق من الكاذب، والعاقل من الجاهل، والبصير من الأعمى.

ومن حكمته أن في ذلك بياناً للحق، وتوضيحاً له، فإن الحق يستنير ويتضح إذا قام الباطل يصارعه ويقاومه. فإنه \_ حينلذ \_ يتبين من أدلة الحق، وشواهده الدالة على صدقه وحقيقته، ومن فساد الباطل وبطلانه، ما هو من أكبر المطالب التي يتنافس فيه المتنافسون.

﴿١١٤ ــ ١١٥﴾ ﴿أَفْغَيْرُ اللهُ أَبْتَغَيُّ

حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين \* وقت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبذل لكلماته وهو السميع العليم أي: قبل يا أيها الرسول ﴿أفغير الله أبتغي حكماً ﴾ أحاكم إليه، وأتقيد بأوامره ونواهيه. فإن غير الله محكوم عليه، لا حاكم. وكل تدبير وحكم للمخلوق فإنه مشتمل على وحكم للمخلوق وإنما الذي

﴿اللّه أنزل إليكم الكتاب مفصلاً أي: موضحاً فيه الحلال والحرام، والأحكام الشرعية، وأصول الدين وفروعه، الذي لا بيان فوق بيانه، ولا برهان أجل من برهانه، ولا أحسن منه حكماً، ولا أقوم قيلاً، لأن أحكامه مشتملة على الحكمة والرحة.

يجب أن يتخذ حاكماً، فهو الله وحده

لا شريك له، الذي له الخلق والأمر .

وأهل الكتب السابقة من اليهود والنصارى، يعترفون بذلك ﴿ويعلمون أنه منزل من ربك بالحق﴾ ولهذا تواطأت الإخبارات ﴿فلا﴾ تشكن في ذلك ولا ﴿تكونن من الممترين﴾

ثم وصف تفصيلها فقال: ﴿وَمَتَ كَلَمَةُ رَبِكُ صِدَقاً وَعَدَلاً﴾ أي: صدقاً في الأحبار، وعدلاً في الأمر والنهي. فلا أصدق من أخبار الله التي أودعها هذا الكتاب العزيز، ولا أعدل من أوامره ونواهيه ﴿لا مبدل لكلماته﴾ [حيث حفظها وأحكمها بأعلى أنواع الصدق وبغاية الحق، فلا يمكن تغييرها ولا اقتراح أحسن منها](١).

﴿وهو السميع ﴾ لسائر الأصوات، باختلاف اللغات على تفنن الحاجات. ﴿العليم ﴾ الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والماضي والمستقبل.

(١١٧ - ١١٧) ﴿ ﴿ وَإِن تَطْع أَكْثَر مَن فِي الأَرْض يَضْلُوكُ عَنْ سَبِيلَ اللهُ إِنْ يَسْبَعُ وَنَ إِلاَّ السَّطْن وَإِنْ هَم إِلاَّ يَخْرَصُون \* إِنَّ رَبك هو أَعلم من يَضْل

عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين پيقول تعالى لنبيه محمد على عدراً عن طاعة أكثر الناس: ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله فإن أكثرهم قد انحرفوا في أديانهم وأعمالهم وعلومهم. فأديانهم فاسدة، وأعمالهم تبع لأهوائهم، وعلومهم ليس فيها تحقيق، ولا إيصال لسواء الطريق.

بل غايتهم أنهم يتبعون الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً، ويتخرصون في القول على الله ما لا يعلمون، ومَنْ كان بهذه المثابة، فحري أن يحذر الله منه عباده، ويصف لهم أحوالهم؛ لأن هذا \_ وإن كان خطاباً للنبي على المتحدد أمته أسوة له في سائر الأحكام التي ليست من خصائصه.

والله تعالى أصدق قيلاً، وأصدق حديثاً، و ﴿هو أعلم من يضل عن سبيله ﴾ وأعلم بمن يهتدي ويهدي. فيجب عليكم \_ أيها المؤمنون \_ أن تتبعوا نصائحه وأوامره ونواهيه لأنه أعلم بمصالحكم، وأرحم بكم من أنسكم.

ودلت هذه الآية على أنه لا يستدل على الحق بكثرة أهله، ولا يدل قلة السالكين لأمر من الأمور أن يكون غير حق، بل الواقع بخلاف ذلك، فإن أهـل الحـق هـم الأقـلـون عـدداً، الأعظمون عند الله \_قدراً وأجراً، بل الواجب أن يستدل على الحق والباطل، بالطرق الموصلة إليه.

(114 ـ 114) (فكلوا عما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين \* وما لكم ألا تأكلوا عما ذكر اسم الله عليه وقد فضل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بلعتدين يأمر تعالى عباده المؤمنين بمقتضى الإيمان، وأنهم، إن كانوا مومنين، فليأكلوا عما ذكر اسم الله عليه من بهيمة الأنعام، وغيرها من الحيوانات المحللة، ويعتقدوا حلها،

ولا يفعلوا كما تفعله الجاهلية، من تحريم كثير من الحلال، ابتداعاً من عند أنفسهم، وإضلالا من شياطينهم، فذكر الله أن علامة المؤمن مخالفة أهل الجاهلية، في هذه العادة الذميمة، المتضمنة لتغيير شرع الله، وأنه أي شيء يمنعهم من أكل ما ذكر اسم الله عليه، وقد فصل الله لعباده ما حرّم عليهم، وبينه ووضحه؟ فلم يبق فيه إشكال ولا شبهة توجب أن يمتنع من أكل بعض الحلال، خوفاً من الوقوع في الحرام، ودلت الآية الكريمة على أن الأصل في الأشياء والأطعمة، الإباحة، وأنه إذا لم يرد الشرع بتحريم شيء منها، فإنه باق على الإباحة، فما سكّت الله عنه فهو حلال، لأن الحرام قد فصّله الله فما لم يفصله الله، فليس

ومع ذلك فالحرام الدي قد فصله الله وأوضحه، قد أباحه عند الضرورة والمخمصة، كما قال تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾ إلى أن قال: ﴿فمن اضطر في خمصة غير متجانف الإثم فإن الله غفور رحيم﴾.

ثم حذر عن كثير من الناس، فقال:
﴿ وَإِنْ كَثِيراً لَيْضَلُونَ بِأَهُوائُهُم ﴾ أي:
بمجرد ما تهوى أنفسهم ﴿ بغير علم ﴾
ولا حبجة. فليحذر العبد من أمثال
هؤلاء، وعلامتهم - كما وصفهم الله
لعباده - أن دعوتهم غير مبنية على
برهان، ولا لهم حجة شرعية، وإنما
يوجد لهم شبه، بحسب أهوائهم
الفاسدة، وآرائهم القاصرة، فهؤلاء
معتدون على شرع الله وعلى عباد الله،
والله لا يجب المعتدين، بخلاف الهادين
والله تدين، فإنهم يدعون إلى الحق
والهدى، ويؤيدون دعوتهم بالحجج
المعقلية والنقلية، ولا يتبعون في
دعوتهم إلا رضا ربهم والقرب منه.

﴿ ١٢٠﴾ ﴿ وَذِرُوا ظَاهِ رِ الإِنْمُ وباطنه إنّ الذين يكسبون الإِنْمُ سيجزون بما كانوا يقترفون ﴾ الراد بالإئم: جميع المعاصي التي تؤثم العبد، أي: توقعه في الإثم والحرج، من

الأشياء المتعلقة بحقوق الله وحقوق عباده. فنهى الله عباده عن اقتراف الإثم الظاهر والباطن، أي: السر والعلانية، المتعلقة بالبدن والجوارح، والمتعلقة بالقلب، ولا يتم للعبد ترك المعاصي الظاهرة والباطنة إلا بعد معرفتها والبحث عنها، فيكون البحث عنها، ومعرفة معاصي القلب والبدن، والعلم بذلك واجباً متعيناً على المكلف.

وكثير من الناس، تخفي عليه كثير من المعاصي، خصوصاً معاصي القلب، كالكبر والعجب والرياء، ونحو ذلك، حتى إنه يكون به كثير منها، وهو لا يحس به ولا يشعر، وهذا من الإعراض عن العلم وعدم البصيرة.

ثم أخبر تعالى أن الذين يكسبون الإثم الظاهر والباطن، سيجزون على حسب كسبهم، وعلى قدر ذنوبهم، قلت أو كثرت، وهذا الجزاء يكون في الآخرة، وقد يكون في الدنيا، يعاقب العبد، فيخفف عنه بذلك من سيئاته.

﴿ ١٢١﴾ ﴿ ولا تأكلوا عما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ويدخل تحت هذا المنهي عنه ما ذكر عليه اسم غير الله، كالذي ينبيح للأصنام وآلهتهم، فإن هذا عما أهل لغير الله به، المحرم بالنص عليه خصوصاً.

ويدخل في ذلك متروك التسمية مما ذبح ش، كالضحايا والهدايا، أو للحم والأكل، إذا كان الذابح متعمداً ترك التسمية عند كثير من العلماء.

ويخرج من هذا العموم الناسي بالنصوص الأخر، الدالة على رفع الحرج عنه، ويدخل في هذه الآية ما مات بغير ذكاة من الميتات، فإنها عالم يذكر اسم الله عليه.

ونص الله عليها بخصوصها في قوله: ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ ولعلها سبب نزول الآية، لقوله: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾ بغير علم.

فإن المشركين \_حين سمعوا تحريم الله ورسوله الميتة، وتحليله للمذكاة، وكانوا يستحلون أكل الميتة \_ قالوا \_معاندة لله ورسوله، ومجادلة بغير حجة وبرهان \_أتأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل الله؟ يعنون بذلك: المئة.

وهذا رأي: فاسد، لا يستند على حجة ولا دليل، بل يستند إلى آرائهم الفاسدة التي لو كان الحق تبعاً لها لفسدت السماوات والأرض، ومَنْ فيهن.

فتباً لمن قدم هذه العقول على شرع الله وأحكامه، الموافقة للمصالح العامة والمنافع الخاصة. ولا يستغرب هذا منهم، فإن هذه الآراء وأشباهها صادرة عن وحي أوليائهم من الشياطين، الذين يريدون أن يضلوا الخلق عن دينهم، ويدعوهم ليكونوا من أصحاب السعير.

وإن أطعتموهم في شركهم وتحليلهم الحرام، وتحليلهم الحرام، وتحريمهم الحلال وإنكم اتخذتموهم الله أولياء من دون الله، ووافقتموهم على ما به فارقوا المسلمين، فلذلك كان طريقكم طريقهم.

ودلت هذه الآية الكريمة على أن ما يقع في القلوب من الإلهامات والكشوف، التي يكثر وقوعها عند الصوفية ونحوهم، لا تدل ممجردها على أنها حق، ولا تصدق حتى تعرض على كتاب الله وسئة رسوله.

فإن شهدا لها بالقبول قبلت، وإن ناقضتهما ردت، وإن لم يعلم شيء من ذلك، توقف فيها ولم تصدق ولم تكذب، لأن الوحي والإلهام يكون من الرحمن، ويكون من الشيطان، فلا بد من التمييز بينهما والفرقان، وبعدم التفريق بين الأمرين حصل من الغلط والضلال، ما لا يحصيه إلا الله.

﴿۱۲۲ ـ ۱۲۲﴾ ﴿أومَن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما

كانوا يعملون \* وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلاّ بأنفسهم وما يشعرون \* وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون لهيقول تعالى: ﴿أُو مَنْ كان من قبل هداية الله له ﴿ميتاً ﴾ في ظلمات الكفر والجهل والمعاصي، ﴿فأحييناه ﴾ بنور العلم والإيمان والطاعة، فصار يمشي بين الناس في النور، متبصراً في أموره مهتدياً لسبيله، عارفاً للخير مؤثراً له، مجتهداً في تنفيذه في نفسه وغيره، عارفاً بالشر، مبغضاً له، مجتهداً في تركه وإزالته عن نفسه وعن غيره. أفيستوي هذا بمَنْ هو في الظلمات، ظلمات الجهل والغي، والكفر والمعاصي.

﴿ليس بخارج منها﴾قد التبست عليه الطرق، وأظلمت عليه المسالك، فحضره الهم والغم والحزن والشقاء. فنبه تعالى العقول بما تدركه وتعرفه، أنه لا يستوي هذا ولا هذا كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلمة، والأحياء والأموات.

فكأنه قيل: فكيف يؤثر مَنْ له أدنى مسكة من عقل، أن يكون بهذه الحالة، وأن يبقى في الظلمات متحيراً: فأجاب بأنه ﴿ زين للكافرين ما كانوا يعملون الشيطان يحسن لهم أعمالهم، ويزينها في قلوبهم، حتى استحسنوها ورأوها حقاً. وصار ذلك عقيدة في قلوبهم، وصفة راسخة ملازمة لهم، فلذلك رضوا بما هم عليه من الشر والقبائح. وهؤلاء الذين في الظلمات يعمهون، وفي باطلهم يترددون غير متساوين.

فمنهم: القادة، والرؤساء، والمتبوعون، ومنهم: التابعون المرؤوسون، والأولىون منهم الذين فازوا بأشقى الأحوال، ولهذا قال:

﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها﴾أي: الرؤساء الذّين قد كبر جرمهم، واشتد طغيانهم ﴿ليمكروا

فيهاكبالخديعة والدعوة إلى سبيل الشيطان، ومحاربة الرسل وأتباعهم بالقول والفعل، وإنما مكرهم وكيدهم يعود على أنفسهم، لأنهم يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

وكذلك يجعل الله كبار أئمة الهدى وأفاضلهم يناضلون هؤلاء المجرمين، ويردون عليهم أقوالهم ويجاهدونهم في سبيل الله، ويسلكون بذلك السبل الموصلة إلى ذلك، ويعينهم الله ويسدد رأيهم ويثبت أقدامهم، ويداول الأيام بينهم وبين أعدائهم، حتى يدول الأمر فى عاقبته بنصرهم وظهورهم، والعاقبة للمتقين.

وإنما ثبت أكابر المجرمين على باطلهم، وقاموا برد الحق الذي جاءت به الرسل، حسداً منهم وبغياً، فقالوا: ﴿لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوق رسل الله من النبوة والرسالة. وفي ا هذا اعتراض منهم على الله، وعجبُ بأنفسهم، وتكبر على الحق الذي أنزله الله على أيدي رسله، وتحجر على فضل الله وإحسانه.

فرد الله عليهم اعتراضهم الفاسد، وأخبر أنهم لا يصلحون للخير، ولا فيهم ما يوجب أن يكونوا من عباد الله الصالحين، فضلاً أن يكونوا من النبيين والمرسلين، فقال: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ فمن غلمه يصلح لها، ويقوم بأعبائها، وهو متصف بكل خلق جميل، ومتبرؤ من كل خلق دنء، أعطاه الله منها ما تقتضيه حكمته أصلاً وتبعاً، ومن لم يكن كذلك، لم يضع أفضل مواهبه، عند مَنْ لا يستأهله، ولا يزكو عنده. وفي هذه الآية دليل على كمال

حكمة الله تعالى، لأنه وإن كان تعالى رحيماً واسع الجود كثير الإحسان، فإنه حكيم لا يضع جوده إلا عند أهله، ثم توعد المجرمين، فقال: ﴿سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله ﴾ أي: إهانة وذل، كما تكبروا على الحق أذلهم الله. ﴿وعذاب شديد بما كانوا يمكرون﴾أي: بسبب مكرهم،

لا ظلماً منه تعالى.

CHANGE A CONTRACTOR قَالَ انْحُلُوا فِي أَكْرِ فَدْخَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِنَ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِسِ فِالنَّارِكُلِّمَا دَخَلَتْ أُمَّةً لَّمَنَ أَخَدُمَّا حَتَّى إِذَا أَنَّارَكُولِفِهَا جَيعًا قَالَتَ أَخَرَهُمُ لِأُولَدَهُمْ دَبِّنَا هَنْوَلَآ وَأَصَالُونَا فَعَاتِعِهُ عَذَا كَامِهِ عَفَا مِنَ النَّارِقَالِ إِكْلِ مِنعَفَّ وَلَكِن لَّا مَا مُونَ ﴿ وَقَالَتَ أُولَنَهُمْ لِأَخْرَنِهُمْ فَأَكَّانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلَ فَذُوقُواْ ٱلْمَدَاْبِ بَاكُنتُهُ تَكْمِبُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَنَّوُا بِعَالِيَتِنَا وَأَسْتَكُكُرُ وَأَعَنْهَا لَانْفَنْتُحُ لَمُدْ أَيُّوبُ ٱلسَّحَلَّةِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَقَّا يَلِيَمَ ٱلْحِكَلُّ فِي سَدِّ ٱلْحِسَاطُّ وَكُنَّالِكَ بَعْزِي ٱلْكَبْرِمِينَ ۞ لَمُمْ مِن جَهَامُّ مِهَادُّ وَمِن فَوْقِهِ غُوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجِنزِي الظَّالِمِينَ ۞ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَيْلُواْ الْصَلِيحَتِ لَا مُكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وَسُعَمَّا أَوْلَيْكَ أَصْحَبُ ٱلْجَنَّةُ مُزِفِيهَا خَللِدُونَ ۞ وَزُعَنَامَافِ صُدُورِهِرِينَ غِلِّ جَنْرِي مِن كَ غَنْهِ مُ ٱلأَنْهَا رُوَّقَالُوا ٱلْحَكَمْ مُرَقِّوا ٱلْذِي هَدَنَا لِهَا اَوْمَا كُنَّا إِنْهُنَايِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَنَا اللَّهُ لَلَنْدُ جَلَّةَ فُرُسُلُ رَوْسَا إِلَّاحِقُّ إِلَى وَثُودُوا أَن يَلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثِتُ مُوهَا عِاكُنُتُمْ مَعْ مَكُونَ ۞ 

﴿١٢٥﴾ ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله أنه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون، يقول تعالى \_ مبيناً لعباده علامة سعادة العبد وهدايته، وعلامة شقاوته وضلاله \_: إن من انشرح صدره للإسلام، أي: اتسع وانفسح، فاستنار بنور الإيمان، وحيى بضوء اليقين، فاطمأنت بذلك نفسه، وأحب الخير، وطوعت له نفسه فعله، متلذذاً به غير مستثقل فإن هذا علامة على أن الله قد هداه، ومن عليه بالتوفيق، وسلوك أقوم الطريق.

وإنَّ علامة من يرد الله أن يضله، أنه يجعل صدره ضيقاً حرجاً. أي: في غاية الضيق عن الإيمان والعلم واليقين، قد انغمس قلبه في الشبهات والشهوات، فلا يصل إليه خير، لا ينشرح قلبه لفعل الخير كأنه من ضيقه وشدته يكاد يصعد في السماء، أي: كأنه يكلف الصعود إلى السماء الذي لا حيلة له فيه.

وهذا سببه عدم إيمانهم هو الذي أوجب أن يجعل الله الرجس عليهم، لأنهم سدوا على أنفسهم باب الرحمة والإحسان، وهذا ميزان لا يعول، وطريق لا يتغير، فإن مَنْ أعطى واتقى وصدّق بالحسني، يسره الله لليسري، ومَنْ بخل واستغنى وكذَّب بالحسني،

دِينَهُ مُ لَوَا وَلَمِسًا وَعَرَبْهُ مُ الْحَيَوَةُ الدُّنِّيا فَالْحَوْرَ نَسَنَعُ وَكُمَّا

نَسُوالِقَآءَ يَوْمِهِمُ هَلْمَا وَمَاكَانُواْ بِتَالِيْنَا يَجْمَعُونَ ۞

المام (۱۵۱) فسييسره للعسرى

﴿١٢٦ ـ ١٢٦﴾ ﴿وهــذا صــراط ربك مستقيماً قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون \* لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون، أي: معتدلاً، موصلاً إلى الله وإلى دار كرامته، قدبينت أحكامه، وفصّلت شرائعه، وميّز الخير من الشر. ولكن هذا التفصيل والبيان ليس لكل أحد، إنما هو ﴿لقوم يذكرون﴾ فإنهم الذين علموا، فانتفعوا بعلمهم، وأعدّ الله لهم الجزاء الجزيل، والأجر الجميل، فلهذا قال: ﴿لهم دار السلام عند ربهم المحميت الجنة دار السلام، لسلامتها من كل عيب وآفة وكدر، وهم وغم، وغير ذلك من المنغصات، ويلزم من ذلك أن يكون تعيمها في غاية الكمال، ونهاية التمام، بحيث لا يقدر على وصفه الواصفون، ولا يتمنى فوقه المتمنون، من نعيم الروح والقلب والبدن، ولهم فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون.

وهو وليهم الذي تولى تدبيرهم وتربيتهم، ولطف بهم في جميع أمورهم، وأعانهم على طاعته، ويسر لهم كل سبب موصل إلى مجبته، وإنما تولاهم بسبب أعمالهم الصالحة، ومقدماتهم التي قصدوا بها رضا مولاهم، بخلاف مَنْ أعرض عن

مولاه واتبع هواه، فإنه سلّط عليه الشيطان فتولاه، فأفسد عليه دينه ودنياه.

﴿۱۲۸ ـ ۱۳۵﴾ ﴿ويوم يحشرهم

جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلاَّ ما شاء الله إنَّ ربك حكيم عليم \* وكذلك نُولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون \* يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آيأتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين \* ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون \* ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون \* وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم اخرين \* إنَّ ما توعدون لآتِ وما أنتم بمعجزين \* قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون﴾ يقول تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعاً ﴾ أي: جميع الثقلين، من الإنس والجِن، مَنْ ضل منهم، ومَنْ أضل غيره، فيقول موبخاً للجن الذين أضلوا الإنس، وزينوا لهم الشر، وأزوهم إلى المعاصى: ﴿ يَا مَعَشُرُ الْجِنُ قَدُ اسْتَكُثُّرُتُمُ من الإنس ﴾ أي: من إضلالهم وصدهم عن سبيل الله، فكيف أقدمتم على محارمي، وتجرأتم على معاندة رسلى؟ وقمتم محاربين لله، ساعين في صدعباد الله عن سبيله إلى سبيل الجحيم؟

فاليوم حقت عليكم لعنتي، ووجبت لكم نقمتي، وسنزيدكم من العذاب بحسب كفركم، وإضلالكم لغيركم. وليس لكم عذر به تعتذرون، ولا ملجأ إليه تلجأون، ولا شافع يشفع ولا دعاء يسمع، فلا تسأل حيشذ، عمّا يحل بهم من النكال والخزي والوبال، ولهذا لم يذكر الله

لهم اعتذاراً، وأما أولياؤهم من الإنس فأبدوا عذراً غير مقبول، فقالوا: ﴿ رَبِنا استمتع بعضنا ببعض﴾ أي: تمتع كل من الجِني والإنسي بصاحبه، وانتفع به.

فالجنبي يستمتع بطاعة الإنسى له، وعبادته وتعظيمه، واستعاذته به. والإنسى يستمتع بنيل أغراضه، وبلوغه بسبب خدّمة الجنّي له بعض شهواته، فإن الإنسى يعبد الجنّي، فيخدمه الجنّي، ويحصل له منه بعض الحوائج الدنيوية، أي: حصل منا من الذنوب ما حصل، ولا يمكن رد ذلك، ﴿وبِلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾ أي: وقد وصلنا المحل الذِّي تجازي فيه بالأعمال، فافعل بنا الآن ما تشاء، واحكم فينا بما تريد، فقد انقطعت حجتنا ولم يبق لنا عذر، والأمر أمرك، والحكم حكمك. وكأن في هذا الكلام منهم نوع تضرع وترقق، ولكن في غير أوانه. ولهذا حكم فيهم بحكمه العادل، الذي لا جور فيه، فقال: ﴿ النار مثواكم خالدين فيها ﴾ .

ولما كان هذا الحكم من مقتضى حكمته وعلمه، ختم الآية بقوله: ﴿إِن ربك حكيم عليم﴾ فكما أن علمه وسع الأشياء كلها وعمها، فحكمته الغائية شملت الأشياء وعمتها ووسعتها.

﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ﴾ أي: وكما ولينا الجن المردة وسلطناهم على إضلال أوليائهم من الإنس وعقدنا بينهم عقد الموالاة والموافقة، بسبب كسبهم وسعيهم بذلك.

كذلك من سنتنا أن نولي كل ظالم ظالماً مثله، يؤزه إلى الشر ويحثه عليه، ويزهده في الخير وينفره عنه، وذلك من عقوبات الله العظيمة الشنيع أثرها، البليغ خطرها.

والذنب ذنب الظالم، فهو الذي أدخل الضرر على نفسه، وعلى نفسه جنى ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾. ومن ذلك أن العباد إذا كثر ظلمهم وفسادهم، ومنعهم الحقوق الواجبة، ولم عليهم ظلمة يسومونهم سوء

الربح والفلاح ودخول الجنة، فإن بينهم من الفرق ما لا يعلمه إلا الله، مع أنهم كلهم قد رضوا بما آتاهم مولاهم، وقنعوا بما حباهم.

فنسأله تعالى أن يجعلنا من أهل

الفردوس الأعلى، التي أعدها الله

للمقربين من عباده، والمصطفين من خلقه، وأهل الصفوة من أهل وداده. ﴿ وَهِمَا رَبِكُ بِعَافَلُ عَمّا يَعْمَلُونَ ﴾ فيجازي كلاً بحسب عمله، وبما يعلمه من مقصده، وإنما أمر الله العباد بالأعمال الصالحة، ونهاهم عن الأعمال السيئة، رحمة بهم وقصداً لصالحهم، وإلاّ فهو الغني بذاته عن الطائعين، كما لا تضره معصية العاصين.

وإن يشأ يذهبكم بالإهلاك وويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنسأكم من ذرية قوم أخرين فإذا عرفتم بأنكم لا بدأن تنتقلوا من هذه الدار كما انتقل غيركم، وترحلون منها وتخلونها لمن بعدكم، كما رحل عنها من قبلكم وخلوها لكم، فلِمَ اتخذ تموها قراراً؟ وتوطنتم بها ونسيتم، أنها دار ممر لا دار مقر. وأن أمامكم داراً، هي الدار التي جمعت كل نعيم وسلمت من كل آفة ونقص؟

وهي الدار التي يسعى إليها الأولون والآخرون، ويرحل نحوها السابقون واللاحقون، التي إذا وصلوها، فثم الخلود الدائم، والإقامة اللازمة، والمغايمة المتمى لا غايمة وراءهما، والمطلوب الذي يستهم إليه كل مطلوب، والمرغوب الذي يضمحل دونه كل مرغوب، هنالك والله، ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، ويتنافس فيه المتنافسون، من لذة الأرواح وكثرة الأفراح، ونعيم الأبدان والقلوب، والقرب من علام الغيوب، فلله همة تعلقت بتلك الكرامات، وإرادة سمت إلى أعلى الدرجات!! وما أبخس حظ من رضي بالدون، وأدني همة من اختار صفقة المغبون!! ولا يستبعد المعرض الغافل، سرعة

العذاب، ويأخذون منهم بالظلم والجور أضعاف ما منعوا من حقوق الله، وحقوق عباده، على وجه غير مأجورين فيه ولا محتسبين.

كسا أن العباد إذا صلحوا واستقاموا، أصلح الله رعاتهم، وجعلهم أئمة عدل وإنصاف، لا ولاة ظلم واعتساف، ثم وبّخ الله جميع مَنْ أعرض عن الحق ورده، من الجِن والإنس، وبيّن خطأهم فاعترفوا بذلك، فقال:

﴿يا معشر الجِن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي﴾ الواضحات البينات، التي فيها تفاصيل الأمر والنهي والخير والشر، والوعد والوعيد.

﴿وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ ويعلمونكم أن النجاة فيه، والفوز إنما هو بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وأن الشقاء والخسران في تضييع ذلك، فأقروا بذلك واعترفوا، فـ ﴿قَالُوا﴾ بلي وشهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا) بزينتها وزخرفها، ونعيمها، فاطمأنوا بها ورضوا، وألهتهم عن الآخرة، ﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانبوا كافرين كافقامت عليهم حجة الله، وعملم حينئذكل أحد، حتى هم بأنفسهم عدل الله فيهم، فقال لهم: حاكماً عليهم بالعذاب الأليم: ﴿ ادخلوا في ﴿ جملة ﴿ أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس﴾ صنعوا كصنيعكم، واستمتعوا بخلاقهم كما استمعتم، وخاضوا بالباطل كما خضتم، إنهم كانوا خاسرين، أي: الأولون من هؤلاء والآخرون، وأي: خسران أعظم من خسران جنات النعيم، وحرمان جوار أكرم الأكرمين؟! ولكنهم وإن اشتركوا في الخسران، فإنهم يتفاوتون في مقداره تفاوتاً عظيماً .

﴿ولكل﴾ منهم ﴿درجات مما عملوا﴾ بحسب أعمالهم، لا يجعل قليل الشر منهم ككثيره، ولا التابع كالمتبوع، ولا المرؤوس كالرئيس، كما أن أهل الثواب والجنة وإن اشتركوا في



الوصول إلى هذه الدار، ف ﴿إِن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين﴾ لله، فارين من عقابه، فإن نواصيكم تحت قبضته، وأنتم تحت تدبيره وتصرفه.

﴿ قُلِ ﴾ يا أيها الرسول لقومك إذا دعوتهم إلى الله، وبيّنت لهم ما لهم وما عليهم من حقوقه، فامتنعوا من الانقياد لأمره واتبعوا أهواءهم، واستمروا على شركهم: ﴿يا قبوم اعتملوا على مكانتكم أي: على حالتكم التي أنتم عليها، ورضيتموها لأنفسكم ﴿إني عامل ﴾ على أمر الله، ومتبع لمراضى الله. ﴿ فسوف تعلمون مَن تكون له عاقبة الدار﴾ أنا أو أنتم، وهذا من الإنصاف بموضع عظيم حيث بين الأعممال وعامليها، وجعل الجزاء مقروناً بنظر البصير، ضارباً فيه صفحاً عن التصريح الذي يغني عنه التلويح. وقد علم أن العاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة للمتقين، وأن المؤمنين لهم عقبى الدار، وأن كل معرض عن ما جاءت به الرسل عاقبته عاقبة سوء وشر، ولهذا قال: ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ فكل ظالم، وإن تمتع في الدنيا بما تمتع به، فنهايته [فيه] الاضمحلال والتلف «إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته».

﴿١٣٦ \_ ١٤٠﴾ ﴿وجعلوا شُنَا ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا شُه بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان

مَالَاتَمَاكُونَ ۞ أَوَغِبْتُدَأَنَ جَآثُرُونِكُرُّ مِن تَبَكُوعَلَ رَجُل مِنكُولِينُ فِرَكُمْ وَلِنَتَكُوا وَلَعَلَكُمْ رُزَّحُونَ ۞ فَكُذَّهُوهُ وَأَغِينَكُ وَٱلَّذِينَ مَعَمُ فِي ٱلْفُلْكِ وَأَغَرَفَ ٱلَّذِينَ كَنَّبُوا بِنَا يَتِنَأُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَينَ ۞ • وَ الْمَاعَادِ أَخَاهُرُهُوذًا قَالَ بَكَقَوْمِ أَعْبُدُواْ اللَّهُ مَالَكُم مِنْ إِلَاهِ عَنْدُواُرٌّ أَفَلَانَتَغُونَ ۞ قَالَ ٱلْكَالْأَالَٰذِيكَ كَفَرُوامِن فَيْمِمِيَّ إِنَّا لَكُولَاكَ فِي سَمَا هَ مَوْ وَإِنَّا لَنَظُنُّكُ مِنَ ٱلْكَنْدِينَ ﴿ فَكَالَ يَكْوَر لَيْسَ فِي مَنْفَاهَا وَلَكِينَ رَسُولُ مِن ذَي الْعَلِينَ ۞ لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو ينصل إلى شركائهم ساء ما بحكمون \* وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون \* وقبالبوا هذه أنبعنام وحبرث حبجبر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون \* وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنّه حكيم عليم \* قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين، يخبر تعالى عمّا عليه المشركون المكذبون للنبي ﷺ ، من سفاهة العقل وخفة الأحلام، والجهل البليغ، وعدد تبارك

وتعالى شيئاً من خرافاتهم لينبه بذلك

على ضلالهم والحذر منهم، وأن

معارضة أمثال هؤلاء السفهاء للحق

الذي جاء به الرسول، لا تقدح فيه

أصلاً، فإنهم لا أهلية لهم في مقابلة

الحق، فذكر من ذلك أنهم ﴿جعلوا للهُ

مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ﴾

ولشركائهم من ذلك نصيباً، والحال

أن الله تعالى هو الذي ذرأه للعباد،

وأوجده رزقأ، فجمعوا بين محذورين

DE GIENNES V

محظورين، بل ثلاثة محاذير، منتهم على الله في جعلهم له نصيباً، مع اعتقادهم أن ذلك منهم تبرع، وإشراك الشركاء الذين لم يرزقوهم، ولم يوجدوا لهم شيئاً في ذلك، وحكمهم الجائز في أن ما كان لله لم يبالوا به ولم يهتموا،

ولو كان واصلاً إلى الشركاء، وما كان لشركائهم اعتنوا به واحتفظوا به ولم يصل إلى الله منه شيء، وذلك أنهم إذا حصل لهم من زروعهم وثمارهم وأنعامهم التي أوجدها الله لهم \_ شيء، جعلوه قسمين:

قسماً قالوا: هذا لله بقولهم وزعمهم، وإلا فالله لا يقبل إلاَّ ما كانُ خالصاً لوجهه، ولا يقبل عمل مَنْ أشرك يه .

وقسماً جعلوه حصة شركائهم من الأوثان والأنداد.

فإن وصل شيء مما جعلوه لله، واختلط بما جعلوه لغيره، لم يبالوا بذلك، وقالوا: الله غنى عنه، فلا يردونه، وإن وصل شيء مما جعلوه لآلهتهم إلى ما جعلوه لله، ردوه إلى محله، وقالوا: إنها فقراء، لا بد من رد نصيبها.

فهل أسوأ من هذا الحكم. وأظلم؟!! حيث جعلوا ما للمخلوق، يجتهد فيه وينصح ويحفظ، أكثر مما يفعل بحق الله.

ويحتمل أن تأويل الآية الكريمة، ما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال عن الله تعالى أنه قال: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَنْ أشرك معى شيئاً تركته وشركه».

وأن معنى الآية أن ما جعلوه وتقربوا به لأوثانهم، فهو تقرب خالص لغير الله، ليس لله منه شيء، وما جعلوه لله على زعمهم وفإنه لا يصل إليه لكونه شركاً، بل يكون حظ الشركاء والأنداد، لأن الله غنى عنه، لا يقبل العمل الذي أشرك به معه أحد من الخلق.

ومن سفه المشركين وضلالهم أنه زين لكثير من المشركين شركاؤهم ـ أي: رؤساؤهم وشياطينهم ـ قتل

أولادهم، وهو: الوأد، الذين يدفنون أولادهم الذكور خشية الافتقار، والإناث خشية العار.

وكل هذا من خدع الشياطين، الذين يريدون أن يردوهم بالهلاك، ويلبسوا عليهم دينهم، فيفعلون الأفعال التي في غاية القبح، ولا يزال شركاؤهم يزينونها لهم، حتى تكون عندهم من الأمور الحسنة والخصال المستحسنة، ولو شاء الله أن يمنعهم ويحول بينهم وبين هذه الأفعال، ويمنع أولادهم عن قتل الأبوين لهم، ما فعلوه، ولكن اقتضت حكمته التخلية بينهم وبين أفعالهم، استدراجاً منه لهم، وإمهالاً لهم، وعدم مبالاة بما هم عليه، ولهذا قال: ﴿فذرهم وما يفترون، أي: دعهم مع كذبهم وافترائهم، ولا تحزن عليهم، فإنهم لن يضروا الله شيئاً.

ومن أنواع سفاهتهم أن الأنعام التي أحلها الله لهم عموماً، وجعلها رزقاً ورحمة، يتمتعون بها وينتفعون، قد اخترعوا فيها بدعاً وأقوالاً من تلقاء أنفسهم، فعندهم اصطلاح في بعض الأنعام [والحرث] أنهم يقولون فيها: ﴿ هذه أنعام وحرث حجر ﴾ أي: محرم ﴿لا يطعمها إلا مَنْ نشاء ﴾ أي: لا يجوز أن يطعمه أحد، إلا مَنْ أردنا أن يطعمه، أو وصفناه بوصف -من عندهم ..

وكل هذا بزعمهم لا مستندلهم ولا حجة، إلا أهويشهم وأراءهم الفاسدة.

وأنعام ليست محرمة من كل وجه، بل يحرمون ظهورها أي: بالركوب والحمل عليها، ويحمون ظهرها، ويسمونها الحام، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها، بل يذكرون اسم أصنامهم وماكانوا يعبدون من دون الله عليها، وينسبون تلك الأفعال إلى الله، وهم كذبة فجار في ذلك.

﴿سيجزيهم بما كانوا يفترون على الله من إحلال الشرك، وتحريم الحلال من الأكل والمنافع.

ومن آرائهم السخيفة أنهم يجعلون

للذكور والإناث.

بساتين، فيها أنواع الأشجار المتنوعة، وَاذْكُرُوا إِذْ خَسَلَكُو خَلَفَ آءَ مِنْ بَعْدُ فَوْرِ نُوجِ وَزَادَكُرُ فِي ٱلْحَكَاقِ يَضْطَلُّهُ فَاذَكُرُواْءَ الْآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ ثُمُّ لِحُونَ ۞ قَالُوٓا أَجِعُنَّنَا لِنَعْمُدُ ٱللَّهُ وَجَدَهُ وَنَكَذَرُ مَاكَانَ

﴿معروشات وغير معروشات﴾ أي: بعض تلك الجنات، مجعول له عرش، تنتشر عليه الأشجار، ويعاونها

فقال: ﴿وهو الذي أنشأ جنات﴾ أي:

والنباتات المختلفة.

في النهوض عن الأرض. وبعضها خَالَ من العروش، تنبت على ساق، أو تنفرش في الأرض، وفي هذا تنبيه على كثرة منافعها وخيراتها، وأنه تعالى علم

العباد كيف يعرشونها وينمونها. ﴿وَ﴾ أنشأ تعالى ﴿النخل والزرع مختلفاً أكله﴾ أي: كله في محل واحد، ويشرب من ماء واحد، ويفضل الله بعضه على بعض في الأكل.

وخص تعالى النخل والزرع على

اختلاف أنواعه لكثرة منافعها، ولكونها هي القوت لأكثر الخلق. ﴿وَ﴾ أنشأ تعالى ﴿الزيتون والرمان متشابهاً ﴿ في شجره ﴿وغير متشابه ﴾ في ثمره وطعمه. كأنه قيل: لأي: شيء أنشأ الله هذه الجنات، وما عطف عليها؟ فأخبر أنه أنشأها لمنافع العباد فقال: ﴿كلوا من ثمره ﴾ أي: النخل والزرع ﴿إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ أي: أعطوا حق الزرع، وهو الزكاة ذات الأنصباء المقدرة في الشرع، أمرهم أن يتعطوها يوم حصادها، وذلك لأن حصاد الزرع بمنزلة حولان الحول، لأنه الوقت الذي تتشوف إليه نفوس الفقراء،

وقوله: ﴿ولا تسرفوا﴾ يعم النهي عن الإسراف في الأكل، وهو مجاوزة الحد والعادة، وأن يأكل صاحب الزرع أكلاً يضر بالزكاة، والإسراف في إخراج حق الزرع بحيث يخرج فوق الواجب عليه، ويُضر نفسه أو عائلته أو غرماءه، فكل هذا من الإسراف الذي نهى الله عنه، الذي لا يحبه الله بل يبغضه ويمقت عليه .

ويسمهل حينشذ إخبراجه على أهل

الزروع، ويكون الأمر فيها ظاهراً لمن

أخرجها، حتى يتميز المخرج ممن

وفي هـ ذه الآية دليل عـ لي وجـوب

يَمْبُدُ ءَاكِ وَأَ فَأَيْنَا يَمَا مِّهَدُنَ ٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّابِقِينَ ۞ قَالَ قَدْ وَقَعْ عَلَيْكُم مِن رَّبِكُمْ بِيحَسُّ وَعَصَبُ أنجُ لِلْوَيِّي فِي آلَت كَاءِ سَنَيْتُ مُوحَا أَنَّدُو وَ البَاوُكُم مَّانَ زَّلَ الْقَدْيِهِ كَامِن سُلْطَكَ فَأَنْظِ رُوَّا إِنِّي مَعَكُمُ مِّنَ ٱلْنَيْطِينِ ۞ فَأَجْيَنَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْ مَوْمِنَاً وَقِطَعْنَا دَارِرَالَّذِينَ كُذَّبُواْ بِعَالِمَتِنَّا وَمَاكَانُواْ مُؤْمِنِينَ الله تَسُودَ لَحَاهُمْ صَلِيماً قَالَ بِكَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهُ مَالَكُ مِينَ إِلَا عَنْهُمُ أَنْ خَامَةً مَّ صَلَّم يَيْكُ مِّين

1022102 101 150 120 1 الزكاة في الثمار، وأنه لا حول لها،

إِنَّ أَرْضِ اللَّهِ وَلَائتَمُ وَمَا مِنْ وَمِيَّا أَنْكُرُ عَذَابُ أَلِيدُ

رَّيَكُمُّ هَانِهِ وِمَافَ اللَّهِ لَكُمْ مَاكِثُّ فَاذَرُوهَا اَكُلُّ

بل حولها حصادها في الزروع، وجذاذ النخيل، وأنه لا تتكرر فيها الزكاة، لو مكثت عند العبد أحوالاً كثيرة، إذا كانت لغير التجارة، لأن الله لم يأمر بالإخراج منه إلا وقت حصاده.

وأنه لو أصابها آفة قبل ذلك بغير تفريط من صاحب الزرع والثمر، أنه لا يضمنها، وأنه يجوز الأكل من النخل والزرع قبل إخراج الزكاة منه، وأنه لا يحسب ذلك من الزكاة، بل يزكى المال الذي يبقى بعده.

وقد كان النبي ﷺ يبعث خارصاً يخرص للناس ثمارهم، ويأمره أن يدع لأهلها الثلث، أو الربع، بحسب ما يعتريها من الأكل وغيره من أهلها

﴿ ١٤٢ \_ ١٤٤ ﴾ ﴿ ومن الأنعام حمولة وفرشأ كلواتما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين \* ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل الذكرين حرّم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنشيين نبؤون بعلم إن كنتم صادقين \* ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكرين حرَّم أم الأنثيين أمَّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم

بعض الأنعام ويعينوها \_ محرماً ما في بطنها على الإناث دون الذكور، فيقولون: ﴿ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا﴾ أي: حلال لهم، لا يشاركهم فيها النساء، ﴿وعرم على أزواجنا ﴾ أي: نسائنا، هذا إذا ولد حياً، وإن يكن ما [في] بطنها يولد ميتاً، فهم فيه شركاء، أي: فهو حلال

حيث وصفوا ما أحله الله بأنه حرام، ووصفوا الحرام بالحلال، فناقضوا شرع الله وخالفوه، ونسبوا ذلك إلى آلله: ﴿إنه حكيم﴾ حيث أمهل لهم، ومكنهم بما هم فيه من الضلال. ﴿عليم﴾ بهم، لا تخفى عليه خافية، وهو تعالى يعلم بهم وبما قالوه عليه وافتروه، وهو يعافيهم ويرزقهم جل

﴿ سيجزيه ﴾ الله ﴿ وصفهم ﴾

﴿ ١٤٠ ﴾ ثم بين خسرانهم وسفاهة عقولهم فقال: ﴿قد خسر الذِّين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم﴾ أي: خسروا دينهم وأولادهم وعقولهم، وصار وصفهم \_بعد العقول الرزينة \_السفه المردى والضلال.

﴿وحرموا ما رزقهم الله أي: ما جعله رحمة لهم، وساقه رزقاً لهم. فردوا كرامة ربهم، ولم يكتفوا بذلك، بل وصفوها بأنها حرام، وهي من أحل الحلال.

وكل هذا ﴿افتراءَ على اللهِ الله كذباً يكذب به كل معاند كفار . ﴿قد ضلوا وما كانوا مهتدين اي قد ضلوا ضلالاً بعيداً، ولم يكونوا مهتدين في شيء من أمورهم.

﴿ ١٤١﴾ ﴿ وهو الذي أنشأ جناتِ معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين للا ذكر تعالى تصرف المشركين في كثير مما أحله الله لهم من الحروث والأنعام، ذكر تبارك وتعالى نعمته عليهم بذلك، ووظيفتهم اللازمة عليهم في الحروث والأنعام

وَانْكُوْوَا إِذْ جَمَلَكُمْ مُلْكَةْ مِنْ مَصَادِهُمَا وَوَالَّهُمْ وَالْمَالَةُ مِنْ مَصَدِعا وَ وَوَالَّكُمْ وَالْمَالُونَ الْمَعْلَقُولَا الْمَالُونَ الْمَعْلَقُولَا الْمَالُونَ الْمَعْلَقُولَا الْمَالُونَ الْمَعْلَقُولَا الْمَالُونَ الْمَعْلِقُولَا الْمَالُونَ الْمَعْلِقُولَا الْمَالُونَ الْمَعْلِقُولَ الْمَعْلِقُولَ الْمَعْلَقُولَ الْمَعْلَقُولَ الْمَعْلِقُولَ الْمَعْلَقُولَ الْمَعْلِقُولَ الْمَعْلِقُولَ الْمَعْلِقُولَ الْمَعْلِقُولَ الْمَعْلِقُولَ الْمَعْلِقُولَ الْمَعْلِقُولَ الْمُعْلِقُ الْمُعْلِقُ الْمُعْلِقُ الْمُعْلِقُولُ الْمُعْلِقُ الْمُعْلِقُولُ الْمُعْلِقُ الْمُعِلِقُ الْمُعْلِقُ الْمُ

الظالمين أي: ﴿وَهُ خلق وأنشأ ﴿من الظالمين أي: ﴿وَهُ خلق وأنشأ ﴿من الأنعام حمولة وفرشاً ﴾ أي: بعضها تحملون عليه وتركبونه، وبعضها لا تصلح للحمل والركوب عليها لصغرها كالفصلان ونحوها، وهي الفرش، فهي من جهة الحمل والركوب تنقسم إلى هذين القسمين.

شَكَعْوَةً مِّن دُورِبِ ٱلنِّسَاءَ بَلْ أَنسُدُ فَوْرٌ مُّسْرِفُوبَ ۞

وأما من جهة الأكل وأنواع الانتفاع، فإنها كلها تؤكل وينتفع بها. ولهذا قال: ﴿كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان أي: طرقه وأعماله التي من جملتها أن تحرموا بعض ما رزقكم الله. ﴿إنه لكم عدو مين فلا يأمركم إلا بما فيه مضرتكم وشقاؤكم الأبدي.

وهذه الأنعام التي امتن الله بها على عباده، وجعلها كلها حلالاً طيباً، فصلها بأنها: ﴿ ثمانية أزواج من الضأن اثنين ﴾ ذكر وأنثى ﴿ ومن المعز اثنين ﴾ كذلك، فهذه أربعة، كلها داخلة فيما أحل الله، لا فرق بين شيء منها، فقل لهؤلاء المتكلفين، الذين يحرمون منها شيئاً دون شيء، أو يحرمون لهم بعدم وجود الفرق بين ما أباحوا منها وحرموا ﴿ الله وَ الله من الضأن والمعز ﴿ حرم ﴾ الله، فلستم تقولون بذلك وتطردونه، ﴿ أم الأنشيين ﴾ حرم الله من الضأن والمعز، فليس هذا وولكم، لا تحريم الذكور الخلص،

ولا الإناث الخلص من الصنفين.

بقي إذا كان الرحم مشتملاً على ذكر وأنشى، أو على مجهول فقال: ﴿أَمِ تحرمون ﴿ما اشتملت عليه أرحام الأنشيين﴾ أي: أنشى الضأن وأنشى المعز، من غير فرق بين ذكر وأنثى، فلستم تقولون أيضاً بهذا القول.

فإذا كنتم لا تقولون بأحدهذه الأقوال الثلاثة، التي حصرت الأقسام المكنة في ذلك، فإلى أي: شيء تذهبون؟

﴿نبؤونِ بعلم إن كنتم صادقين﴾ في قولكم ودعواكم، ومن المعلوم أنهم لا يمكنهم أن يقولوا قولاً سائغاً في العقل، إلا واحداً من هذه الأمور الثلاثة. وهم لا يقولون بشيء منها. إنما يقولون: إن بعض الأنعام التي يصطلحون عليها اصطلاحات من عند أنـفـسـهـم، حـرام عـلى الإنباث دون اللذكور، أو محرمة في وقت من الأوقات، أو نحو ذلك من الأقوال، التي يعلم علماً لا شك فيه أن مصدرها من الجهل المركب، والعقول المختلة المنحرفة، والآراء الفاسدة، وأن الله ما أنئزل \_بما قالوه \_من سلطان، ولا لهم عليه حجة ولا برهان.

ثم ذكر في الإبل والبقر مثل ذلك. فلمّا بيّن بطلان قولهم وفساده، قال لهم قولاً لا حيلة لهم في الخروج من تبعته، إلا في اتباع شرع الله. ﴿أَم كنتم شهداء إذ وصَاكم الله ﴾ أي: لم يبق عليكم إلا دعوى، لا سبيل لكم إلى صدقها وصحتها. وهي أن تقولوا: إن الله وصَّانا بذلك، وأوحى إلينا كما أوحى إلى رسله، بل أوحى إلينا وحياً مخالفاً لما دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب، وهذا افتراء لا يجهله أحد، ولهذا قال: ﴿فَمَنْ أَطْلُم مِن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم، أي: مع كذبه وافتراثه على الله، قصده بذلك، إضلال عباد الله عن سبيل الله، بغير بيّنة منه ولا برهان، ولا عقل ولا نقل.﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين الذين لا إرادة لهم في

غير الظلم والجور والافتراء على الله. ﴿١٤٥ ــ ١٤٦﴾ ﴿قل لا أجد في ما أوحى إلَي محرماً على طاعم يطعمه إلاً أن يكون ميتة أو دما مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير اللهٰ به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإنّ ربك غفور رحيم \* وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنّا لصادقون﴾ لما ذكر تعالى ذم المشركين على ما حرموا من الحلال ونسبوه إلى الله، وأبطل قولهم. أمر تعالى رسوله أن يبيِّن للناس ما حرّمه الله عليهم، ليعلموا أن ما عدا ذلك حلال، مَنْ نسب تحريمه إلى الله فهو كاذب مبطل، لأن التحريم لا يكون إلا من عند الله على لسان رسوله، وقدقال لرسوله: ﴿قل لا أجد فيما أوحي إلى محرماً على طاعم﴾ أي: محرماً أكَّله، بقطع النظر عن تحريم الانتفاع بغير الأكل وعدمه. ﴿ إِلاَّ أَن يَكُونَ مِينَةً ﴾ والمينة: ما مات بغير ذكاة شرعية، فإن ذلك

لا يحل. كما قال تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾. ﴿أو دماً مسفوحاً ﴾ وهو الدم الذي يخرج من الذبيحة عند ذكاتها، فإنه الدم الذي يضر احتباسه في البدن، فإذا خرج من البدن زال الضرر بأكل

اللحم، ومفهوم هذا اللفظ، أن الدم

الذي يبقى في اللحم والعروق بعد الذبح، أنه حلال طاهر .

﴿ أُو لَحْمِ خَنزيرِ فإنه رجس ﴾ أي: فإن هذه الأشياء الثلاثة رجس، أي: خبث نجس مضر، حرمه الله لطفاً بكم، ونزاهة لكم عن مقاربة الخبائث.

بهم، وترامه تحتم عن معاربه المبالك . ﴿ أُو ﴾ إلا أن يكون ﴿ فسقاً أهل لغير الله به ﴾ أي: إلا أن تكون الذبيحة مذبوحة لغير الله، من الأوثان والآلهة التي يعبدها المشركون، فإن هذا من الفسق الذي هو الخروج عن طاعة الله إلى معصيته، أي: ومع هذا، فهذه الأشياء المحرمات، من اضطر إليها، أي: حملته الحاجة والضرورة إلى أكل

شيء منها، بأن لم يكن عنده شيء وخاف على نفسه التلف ﴿غير باغ ولا عاد﴾ أي: ﴿غير باغ﴾ أي: مريد لأكلها، من غير اضطرار ولا متعدٍ، أي: متجاوز للحد، بأن يأكل زيادة عن حاجته. ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عد فإن ربك غفور رحيم﴾ أي: فالله قد سامح مَنْ كان بهذه الحال.

واختلف العلماء رحمهم الله في هذا الحصر المذكور في هذه الآية، مع أن ثم عرمات لم تذكر فيها، كالسباع وكل ذي مخلب من الطير ونحو ذلك، فقال بعضهم: إن هذه الآية نازلة قبل تحريم ما زاد على ما ذكر فيها، فلا ينافي هذا الحصر المذكور فيها التحريم المتأخر بعد ذلك؛ لأنه لم يجده فيما أوحي إليه في ذلك الوقت، وقال بعضهم: إن هذه الآية مشتملة على سائر المحرمات، بعضها صريحاً، وبعضها يؤخذ من المعنى وعموم العلة.

فإن قوله تعالى في تعليل الميتة والدم ولحم الخنزير، أو الأخير منها فقط: ﴿ وَإِنَّهُ رَجِسٍ ﴿ وَصِفْ شَامِلُ لَكُلُ عُمِرِم، فإن المحرمات كلها رجس وخبث، وهي من الخبائث المستقذرة التي حرمها الله على عباده، صيانة لهم وتكرمة عن مباشرة الخبيث الرجس.

ويتوحد تفاصيل الرجس المحرم من ويؤخذ تفاصيل الرجس المحرم من المستة، فإنها تفسر القرآن، وتبين من المطاعم إلا ما ذكر، والتحريم لا يكون مصدره إلا شرع الله حدل ذلك على أن المشركين، الذين حرموا ما رزقهم الله مفترون على الله، متقولون عليه ما لم يقل.

وفي الآية احتمال قوي، لولا أن الله ذكر فيها الخنزير، وهو أن السياق في نقض أقوال المشركين المتقدمة، في تحريمهم لما أحله الله وخوضهم بذلك، بحسب ما سولت لهم أنفسهم، وذلك في بهيمة الأنعام خاصة، وليس منها محرم إلا ما ذكر في الآية: الميتة منها، وما أهل لغير الله وفي الميتة منها، وما أهل لغير الله

به، وما سوى ذلك فحلال.

ولعل مناسبة ذكر الخنزير هنا على هذا الاحتمال، أن بعض الجهال قد يدخله في بهيمة الأنعام، وأنه نوع من أنواع الغنم، كما قد يتوهمه جهلة النصارى وأشباههم، فينمونها كما ولا يفرقون بينها وبين الأنعام، فهذا المحرم على هذه الأمة كله (١) من باب التنزيه لهم والصيانة.

وأما ما حرم على أهل الكتاب، فبعضه طيب ولكنه حرم عليهم عقوبة لهم ولهذا، قال: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾ وذلك كالإبل وما أشبهها وحرمنا عليهم.

ومن البقر والغنم بعض أجزائها، وهو: وشحومهما وليس المحرم جميع الشحوم منها، بل شحم الألية والثرب، ولهذا استثنى الشحم الحلال من ذلك، فقال: وإلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا وأي: الشحم المخالط للأمعاء وأو ما اختلط بعظم .

﴿ ذلك ﴾ التحريم على اليهود ﴿ جزيناهم ببغيهم ﴾ أي: ظلمهم وتعديهم في حقوق الله وحقوق عباده، فحرم الله عليهم هذه الأشياء عقوبة لهم ونكالاً. ﴿ وإنا لصادقون ﴾ في كل ما نقول ونفعل ونحكم به، ومن أصدق من الله حديثاً، ومَن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون.

المحسن من المحتجه للوم يولوو. 

(157) ﴿ وَإِنْ كَذَبُوكُ فَقَلَ رَبَّكُمُ الْمَجْرِمِينَ ﴾ أي: فإن كذبك هؤلاء المشركون، فاستمر على دعوتهم، بالترغيب والترهيب، وأخبرهم بأن الله ﴿ وَوْ رَحْمَةُ وَاسْعَةً ﴾ أي: عامة شاملة [جميع] للمخلوقات كلها، فسارعوا إلى رحمته بأسبابها، التي رأسها ومادتها تصديق محمد المنتية فيما عاء به.

﴿ ولا يسرد بسأسه عسن السقسوم المجرمين ﴾ أي: الذين كثر إجرامهم

وذنوبهم، فاحذروا الجرائم الموصلة لبأس الله، التي أعظمها ورأسها تكذيب محمد ﷺ

﴿ ١٤٨ ـ ١٤٨ ﴾ ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرّمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون الا الظن وإن أنتم إلا تخرصون \* قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ هذا إخبار من الله أن المشركين سيحتجون على شركهم والقدر، ويجعلون مشيئة الله الشاملة والقدر، ويجعلون مشيئة الله الشاملة لكل شيء من الخير والشر، حجة لهم في دفع اللوم عنهم.

وقد قالوا ما أخبر الله أنهم سيقولونه، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء﴾ الآية.

فأخبر تعالى أن هذه الحجة لم تزل الأمم المكذبة تدفع بها عنهم دعوة الرسل ويحتجون بها، فلم تجد فيهم شيئاً ولم تنفعهم، فلم يزل هذا دأبهم حتى أهلكهم الله وأذاقهم بأسه.

فلو كانت حجة صحيحة ، لدفعت عنهم العقاب ، ولما أحل الله بهم العذاب ، لأنه لا يحل بأسه إلا بمن استحقه ، فعلم أنها حجة فاسدة ، وشبهة كاسدة من عدة أوجه :

منها: ما ذكر الله من أنها لو كانت صحيحة لم تحل بهم العقوبة.

ومنها: أن الحجة لا بدأن تكون حجة مستندة إلى العلم والبرهان، فأما إذ كانت مستندة إلى مجرد الظن والخرص الذي لا يُغني من الحق شيئاً، فإنها باطلة، ولهذا قال: ﴿قُلَ

هل عندكم من علم فتخرجوه لنا كان لهم علم \_ وهم خصوم ألداء \_ لأخرجوه، فلما لم يخرجوه علم أنه لا علم عندهم. ﴿إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ﴿ومَنْ بنى حججه على الخرص والظن، فهو مبطل

خاسر، فكيف إذا بناها على البغي والعناد والشر والفساد؟

ومنها: أن الحجة لله البالغة، التي لأحد عذراً، التي اتفقت عليها الأنبياء والمرسلون، والكتب الإلهية، والآثار النبوية، والعقول الصحيحة، والفطر المستقيمة، والأخلاق القويمة، فعلم بذلك أن كل ما خالف هذه الأدلة (١) القاطعة باطل، لأن نقيض الحق لا يكون إلا باطلاً.

ومنها: أن الله تعالى أعطى كل خلوق قدرة وإرادة يتمكن بها من فعل ما كُلُف به، فلا أوجب الله على أحد ما لا يقدر على فعله، ولا حرم على أحدما لا يتمكن على تركه، فالاحتجاج بعد هذا بالقضاء والقدر، ظلم محض وعناد صرف.

ومنها: أن الله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم، بل جعل أفعالهم تبعاً لاختيارهم، فإن شاؤوا فعلوا، وإن شاؤوا كفوا. وهذا أمر مشاهد لا يستكره إلا مَنْ كابر وأنكر المحسوسات، فإن كل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية والحركة القسرية، وإن كان الجميع داخلاً في مشيئة الله، ومندرجاً تحت إرادته.

ومنها: أن المحتجين على المعاصي بالقضاء والقدر يتناقضون في ذلك. فإنهم لا يمكنهم أن يطردوا ذلك، بل لو أساء إليهم مسيء بضرب أو أخذ مال أو نحو ذلك، واحتج بالقضاء والقدر، لما قبلوا منه هذا الاحتجاج، ولغضبوا من ذلك أشد الغضب.

فياً عجباً كيف يحتجون به على معاصي الله ومساخطه، ولا يرضون من أحد أن يحتج به في مقابلة مساخطهم؟!!

ومنها: أن احتجاجهم بالقضاء والقدر ليس مقصوداً، ويعلمون أنه ليس بحجة، وإنما المقصود منه دفع الحق، ويرون أن الحق بمنزلة الصائل، فهم يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم من

الكلام وإن كانوا يعتقدونه خطأً(٢).

﴿ ١٥٠ ﴾ ﴿ قل هلم شهداء كم الذين يشهدون أن الله حرّم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون ﴾ أي: قل لن حرّم ما أحل الله، ونسب ذلك إلى الله: أحضروا شهداء كم الذين يشهدون أن الله حرم هذا، فإذا قيل لهم هذا الكلام، فهم بين أمرين:

إما: أن لا يحضروا أحداً يشهد بهذا، فتكون دعواهم إذاً باطلة، خلية من الشهود والبرهان.

وإما: أن يحضروا أحداً يشهد لهم بذلك، ولا يمكن أن يشهد بهذا إلا كل أفاك أثيم غير مقبول الشهادة، وليس هذا من الأمور التي يصح أن يشهد بها العدول؛ ولهذا قال تعالى لهوا نبيه وأتباعه عن هذه الشهادة \_: هوان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يـؤمنون بالآخرة وهـم بربهم يعدلون في أي: يسوون به غيره من الأنداد والأوثان.

فإذا كانوا كافرين باليوم الآخر غير موحدين لله، كانت أهويتهم مناسبة لعقيدتهم، وكانت دائرة بين الشرك والتكذيب بالحق، فحري بهوى هذا شأنه، أن ينهى الله خيار خلقه عن اتباعه، وعن الشهادة مع أربابه، وعلم حينئذ أن تحريمهم لما أحل الله صادر عن تلك الأهواء المضلة.

﴿ ١٥١ - ٣٥١ ﴾ ﴿ قل تعالوا أتل ما حرَم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاقي نحن نرزقكم منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون \* ولا تقربوا مال اليتيم لوأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف

نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون \* وأن هذا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون \* يقول تعالى النبيه على الله : ﴿قَلَ لَهُ لَاءَ الذين حرَّموا ما أحل الله : ﴿قَالَ لَهُ لَاءَ الذين حرَّموا عليكم \* تحريماً عاماً شاملاً لكل أحد، عليكم \* تحريماً عاماً شاملاً لكل أحد، والمشارب والأقوال والأفعال. ﴿ألا قليلاً تشركوا به شيشاً ﴾ أي: لا قليلاً ولا كثيراً.

وحقيقة الشرك بالله: أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يعظم كما خصائص الربوبية والإلهية، وإذا ترك العبد الشرك كله صار موحداً، خلصاً لله في جميع أحواله، فهذا حق الله على عباده، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً.

ثم بدأ بآكد الحقوق بعد حقه فقال: 

وبالوالدين إحساناً من الأقوال الكريمة الحسنة، والأفعال الجميلة المستحسنة، فكل قول وفعل يحصل به منفعة للوالدين أو سرور لهما، فإن ذلك من الإحسان، وإذا وجد الإحسان انتفى العقوق.

﴿ولا تقتلوا أولادكم ﴾ من ذكور وإناث ﴿من إملاق ﴾ أي: بسبب الفقر وضيقكم من رزقهم، كما كان ذلك موجوداً في الجاهلية القاسية الظالمة، وإذا كانوا منهيين عن قتلهم في هذه الحال وهم أولادهم، فنهيهم عن قتلهم لغير موجب، أو قتل أولاد غيرهم من باب أولى وأحرى.

﴿نحن نرزقكم وإياهم أي: قد تكفلنا برزق الجميع، فلستم الذين ترزقون أولادكم، بل ولا أنفسكم، فليس عليكم منهم ضيق. ﴿ولا تقربوا الفواحش ﴾ وهي: الذنوب العظام المستفحشة، ﴿وما ظهر منها وما بطن ﴾

<sup>(</sup>١) في ب: الآية.

<sup>(</sup>٢) في ب: من الكلام المصيب عندهم والمخطىء.

أي: لا تقربوا الظاهر منها والخفي، أو المتعلق منها بالظاهر، والمتعلق بالقلب والباطن.

والنهي عن قربان الفواحش أبلغ من النهي عن مجرد فعلها، فإنه يتناول النهي عن مقدماتها ووسائلها الموصلة إليها.

﴿ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله وهي: النفس المسلمة، من ذكر وأنثى، صغير وكبير، بر وفاجر، والكافرة التي قد عصمت بالعهد والميثاق. ﴿إلا بالحق كالزاني المحصن، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق

﴿ذَلَكُمَ ﴾ المذكور ﴿وصاكم بــه لعلكم تعقلون﴾ عن الله وصيته، ثم تحفظونها، ثم تراعونها وتقومون بها.

ودلت الآية على أنه بحسب عقل العبد يكون قيامه بما أمر الله به.

ولا تقربوا مال اليتيم بأكل، أو معاوضة على وجه المحاباة لأنفسكم، أو أخذ من غير سبب. وإلا بالتي هي أحسن أي: إلا بالحال التي تصلح بها أموالهم، وينتفعون بها. فدل هذا على وجه يضر اليتامى، أو على وجه لا مضرة فيه ولا مصلحة، وحتى يبلغ باليتيم وأشده أي: حتى يبلغ ويرشد، ويعرف التصرف، فإذا بلغ أشده، أعطي حينتذ ماله، وتصرف فيه

وفي هذا دلالة على أن اليتيم \_ قبل بلوغ الأشد \_ محجور عليه، وأن وليه يتصرف في ماله بالأحظ، وأن هذا الحجر ينتهي ببلوغ الأشد.

وواوفوا الكيل والميزان بالقسط وأي: بالمعدل والوفاء التام، فإذا اجتهدتم في ذلك، ف ولا نكلف نفساً إلا وسعها أي: بقدر ما تسعه، ولا تضيق عنه. فمن حرص على الإيفاء في الكيل والوزن، ثم حصل منه تقصير لم يفرط فيه ولم يعلمه، فإن الله عفو غفور (١٠).

وبهذه الآية ونحوها استدل الأصوليون، بأن الله لا يكلف أحداً ما لا يطيق، وعلى أن من اتقى الله فيما أمر، وفعل ما يمكنه من ذلك، فلا حرج عليه فيما سوى ذلك.

﴿ وإذا قلتم ﴾ قولاً تحكمون به بين الناس، وتفصلون بينهم الخطاب، وتتكلمون به على المقالات والأحوال فاعدلوا ﴾ في قولكم بمراعاة الصدق في من تكرهون، والإنصاف، وعدم كتمان ما يلزم بيانه، فإن الميل على مَنْ تكره بالكلام فيه أو في مقالته من الظلم المحرم.

بل إذا تكلم العالم على مقالات أهل البدع، فالواجب عليه أن يعطي كل ذي حق حقه، وأن يبين ما فيها من الحق والباطل، ويعتبر قربها من الحق وبعدها منه.

وذكر الفقهاء أن القاضي يجب عليه العدل بين الخصمين في لحظه ولفظه.

وربعهد الله أونوا وهذا يشمل المهد الذي عاهده عليه العباد من القيام بحقوقه والوفاء بها، ومن العهد الذي يقع التعاهد به بين الخلق. فالجميع يجب الوفاء به، ويحرم نقضه والإخلال به.

﴿ذلك م ﴾ الأحكام المذكورة ﴿وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾ ما بينه لكم من الأحكام، وتقومون بوصية الله لكم حق القيام، وتعرفون ما فيها من الحكم والأحكام.

ولما بين كثيراً من الأوامر الكبار، والشرائع المهمة، أشار إليها وإلى ما هو أعم منها، فقال: ﴿وَأَنْ هَذَا صراطي مستقيماً ﴾ أي: هذه الأحكام وما أشبهها، مما بينه الله في كتابه ووضحه لعباده، صراط الله الموصل إليه وإلى دار كرامته، المعتدل السهل المختصر.

﴿فاتبعوه ﴾لتنالوا الفوز والفلاح، وتدركوا الآمال والأفراح ﴿ولا تتبعوا السُبل ﴾أي: الطرق المخالفة لهذا الطريق ﴿فتفرق بكم عن سبيله ﴾أي: تضلكم عنه وتفرقكم يميناً وشمالاً،

ال وَمَاكَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ فَكَالُواْ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ فَنْ يَنْكُمُ أَنَّهُ مُأْنَاتُ تَطَفَّرُونَ ﴿ فَأَعْيَنَكُ وَأَهْلَهُ إِلَّا اَمْرَأَتُ مُكَانَتْ مِنَ الْعَكَمِينَ ﴿ وَأَمْطَانِهَا عَلَيْهِ وَعَلَمَّ إِنَّا فَلَوْ رَكِيْفَ كَانَ عَلَيْكُ ٱلْمُجْرِوِينَ @ وَإِلَىٰ مَذَيِّكَ أَخَاهُمْ شُكَيْبًا قَالَ يَنْقَوْمِ أَعْبُدُواْ اللَّهَ مَالَكُ مِينَ إِلَا غَيْرُةً فَذَكَآءَتُكُم بَيْنَ قُيْنِ زَّيْكُمُّ فَأُوفُواْ ٱلْكَبْلَ وَٱلْمِيَّاتَ وَلَاتَبْخَسُواْ ٱلنَّكَاسَ أَشْرِيَآءَ هُمْرُ وَلَائْفُسِ دُواْ فِ ٱلْأَرْضِ مَنْدَ إِصْلَاحِمَّا ذَالِكُ مُخَيِّرًا كُمُ مِن كُنتُم مُّؤْمِنِيك @ وَلَا تَعْمُدُوا بِكُلِ مِيرَطٍ وَعِيدُونَ وَتَصُدُونَ عَن كبيل القومَنْ مَامَرَكَ بِعِيوَوَبَهْ فُونَهَا عِوَجَاً وَأَذْكُرُوٓا إِنْ اللَّهُ اللَّهُ وَلِيلًا فَكَ ثُمُّكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ العَنْهَاءُ ٱلْفُسِدِيك ﴿ وَإِن كَانَ طَآمِهَ أَيْنَاكُمُ المَّا اَسْتُوا بِالَّذِي أَرْسِلْتُ بِمِورَطَا إِفَّةٌ لَّرَيُوْمِ مُوا فَاصْبِرُوا المَا عَنَا يَعْكُمُ اللَّهُ يَيْنَ مَا وَهُوَ خَيْرُ لُلَّ كِينَ 

فإذا ضللتم عن الصراط المستقيم، فليس ثم إلا طرق توصل إلى الجحيم.

﴿ذلكم وضاكم به لعلكم تتقون﴾ فإنكم إذا قمتم بما بينه الله لكم علماً وعملاً صرتم من المتقين وعباد الله المفلحين، ووحد الصراط وأضافه إليه، لأنه سبيل واحد موصل إليه، والله هو المعين للسالكين على سلوكه.

﴿١٥٤ \_ ١٥٧﴾ ﴿ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون \* وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون \* أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دارستهم لغافلين \* أوتقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدي ورحمة فمن أظلم ممن كنذب بآيات الله وصدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون المامافي هذا الموضع، ليس المراد منها الرتيب الزماني، فإن زمن موسى عليه السلام متقدم على تلاوة الرسول محمد بيليزهذا الكتاب، وإنما المراد الترتيب الإخباري. فأخبر أنه آتى ﴿موسى الكتاب، وهو التوراة ﴿تماماً ﴾ لنعمته، وكمالاً لإحسانه. ﴿على الذي أحسن﴾

CHANGE A PENETRY OF THE • قَالَ الْكُلُّ ٱلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ مِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَنْشُعَيْبُ وَالَّذِيرَ وَامْنُوا مَّعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْلَتَعُودُ كَ فِي مِلَّتِكًا قَالَ أَوْلُوَكُنَّا كَنْ مِعِينَ ۞ فَدِأْفَتُرَيِّنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبَّا إِنْ عُدْنَا فِي لِلَّةِكُمْ بَعَدَ إِذْ بَعَّنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لُنَّا أَن نَعُودَ فِيهَ ٓ إِلَّا أَن يَشَكَّةَ اللَّهُ زَبُّنَّا وَسِعَ زَبُّنَاكُلَ شَقَءٍ عِلْأَعَلَى اللَّهِ وَكُلَّنَاً رَبَّنَا ٱفْنَحْ يَنْنَنَا وَيَيْنَ فَوَمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَلْيِحِينَ ﴿ وَقَالَ لَلْكَذُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِيَنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُكِيِّتًا إِنَّكُمُّ إِذَا لَخَسِرُونَ ۞ فَأَخَذَتْهُ مُ الرَّخْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِ دَارِهِمْ جَلِثِمِينَ ۞ ٱلَّذِينَ كَنَّافُوا شُعَيْبَاكَ أَنْ لَّرَيْفَوْ إِفِيهًا ۗ ٱلَّذِيكَ لَذَبُوا شُعَيْبَاكَ أَوَاهُمُ الْخَسِرِينَ ﴿ فَوَلَّ عَنْمُ وَقَالَ يَكُونِ مُ لَقَدْ أَبْلَغُنُكُ مُ رِيسَلْكَتِ رَبِّي وَيَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَامَىٰعَلَىٰ قَوْمِكَ فِينِ ﴾ وَمَاۤ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةُ مِن نِّي إِلَّا لَمُنْنَا أَهْلَهَا إِلْبَأْسَلَهِ وَالضَّنَّلَ لَعَلَّهُ مُ يَضَّرَّعُونَ ۞ ثُرُبَدُكَ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنَّا اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ ٱلطَّرِّلَةُ وَٱلْسَسَلَّةُ فَأَخَذْنَهُ مِبْغَتَةً وَحُرَلابَشْعُرُونَ ۞ TORONOU III DONNE DO

من أمة موسى، فإن الله أنعم على المحسنين منهم بنِعَم لا تحصى. من جلتها وتمامها إنزال التوراة عليهم. فتمت عليهم نعمة الله، ووجب عليهم القيام بشكرها.

﴿وتفصيلاً لكل شيء ﴾ يمتاجون الله تفصيله، من الحلال والحرام، والأمر والنهي، والعقائد ونحوها. ﴿وهدى ورحمة ﴾ أي: يهديهم إلى والفروع. ﴿ورحمة ﴾ يحصل به لهم السعادة والرحمة والخير الكثير. والبينات عليهم ﴿بلقاء ربهم يؤمنون ﴾ فإنه الشعمل من الأدلة القاطعة على للبعث والجزاء بالأعمال، ما يوجب لهم الإيمان بلقاء ربهم والاستعداد له.

فأكبر سبب لنيل رحمة الله اتباع هذا الكتاب علماً وعملاً.

﴿أَن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين ﴾ أي: أنزلنا إليكم هذا الكتاب المبارك قطعاً لحجتكم، وخشية أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا، أي: اليهود والنصاري.

من فيدا ، اليهود والمصارى . ﴿ وإن كنا عن دراستهم لغافلين ﴾ أي: تقولون لم تنزل علينا كتاباً ، والكتب التي أنزلتها على الطائفتين ليس لنا بها علم ولا معرفة ، فأنزلنا إليكم كتاباً ، لم ينزل من السماء كتاب أجمع ولا أوضح ولا أبين منه .

﴿أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم ﴾ آي: إما أن تعتذروا بعدم وصول أصل الهداية إليكم، وإما أن تعتذروا، [بعدم] بكمالها وتمامها، فحصل لكم بكتابكم أصل الهداية وكمالها، ولهذا قال: ﴿فقد جاءكم بينة من ربكم ﴾ وهذا اسم جنس يدخل فيه كل ما يبين الحق ﴿وهدى ﴾ من الضلالة ﴿ورحمة ﴾ أي: سعادة لكم في الانقياد لأحكامه والإيمان بأخباره، وأن مَنْ لم يرفع به رأساً وكذّب به، فإنه أظلم الظالين، ولهذا قال: ﴿فَمَنْ وَطَلَم المِنْ عَدْب بايات الله وصدف أظلم عن كذب بايات الله وصدف عنها ﴾ أي: أعرض ونأى بجانبه.

﴿سنجري الذين يصدفون عن آياتنا سوء المعذاب أي: المعذاب الذي يسوء صاحبه ويشق عليه. ﴿بما كانوا يصدفون ﴾ لأنفسهم ولغيرهم، جزاء لهم على عملهم السيّى، ﴿وما ربك بظلام للعبيد ﴾.

وفي هذه الآيات دليل على أن علم القرآن أجل العلوم وأبركها وأوسعها، وأنه به تحصل الهداية إلى الصراط المستقيم، هداية تامة لا يحتاج معها إلى تخرص المتكلمين، ولا إلى أفكار المتفلسفين، ولا لغير ذلك من علوم الأولين والآخرين.

وأن المعروف أنه لم ينزل جنس الكتاب إلا على الطائفتين، [من] اليهود والنصارى، فهم أهل الكتاب عند

الإطلاق، لا يدخل فيهم سائر الطوائف، لا المجوس ولا غيرهم.

وفيه: ما كان عليه الجاهلية قبل نزول القرآن، من الجهل العظيم وعدم العلم بما عند أهل الكتاب، الذين عندهم مادة العلم وغفلتهم عن دراسة كتبهم.

﴿١٥٨﴾ ﴿ هـ ل يـ خطرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربكم يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون ﴾ يقول تعالى: هل ينظر هؤلاء الذين استمر ظلمهم وعنادهم، ﴿ إلا أن تأتيهم ﴾ مقدمات العذاب، ومقدمات الآخرة بأن تأتيهم وصلوا إلى تلك الحال لم ينفعهم الإيمان ﴿ الملائكة ﴾ لقبض أرواحهم، فإنهم إذا ولا صالح الأعمال. ﴿ أو يأتي ربك ﴾ لفصل القضاء بين العباد، ومجازاة المحسنين والمسيئين. ﴿ أو يأتي بعض أيات ربك ﴾ الدالة على قرب الساعة.

﴿يوم يأي بعض آيات ربك ﴾ الخارقة للعادة، التي يعلم بها أن الساعة قد دنت، وأن القيامة قد اقتربت. ﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خبراً ﴾ أي: إذا وجد بعض آيات الله لم ينفع الكافر إيمانه أن آمن، ولا المؤمن المقصر أن يزداد خيره بعد ذلك، بل ينفعه ما كان معه من الإيمان قبل ذلك، وما كان له من الخير المرجو قبل أن يأتي بعض من الآيات.

والحكمة في هذا ظاهرة، فإنه إنما كان الإيمان ينفع إذا كان إيماناً بالغيب، وكان اختياراً من العبد، فأما إذا وجدت الآيات صار الأمر شهادة، ولم يبق للإيمان فائدة، لأنه يشبه الإيمان الضروري، كإيمان الغريق والحريق ونحوهما، عمن إذا رأى الموت أقلع عمّا هو فيه، كما قال تعالى: وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا، سُنة الله التي قد خلت في عباده .

وقد تكاثرت الأحاديث الصحيحة عن النبي المنافقة أن المراد ببعض آيات الله، طلوع الشمس من مغربها، وأن الناس إذا رأوها آمنوا، فلم ينفعهم إيمانهم، ويغلق حينئذ باب التوبة.

ولما كان هذا وعيداً للمكذبين بالرسول على منتظراً، وهم ينتظرون بالنبي على وأتباعه قوارع الدهر ومصائب الأمور، قال: ﴿قل انتظروا إنّا منتظرون﴾ فستعلمون أينا أحق بالأمن.

وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السُنة والجماعة في إثبات الأفعال الاختيارية لله تعالى، كالاستواء والنزول، والإتيان لله تبارك وتعالى، من غير تشبيه له بصفات المخلوقين.

وفي الكتاب والسئة من هذا شيء كثير، وفيه أن من جملة أشراط الساعة طلوع الشمس من مغربها. وأن الله تعالى حكيم قد جرت عادته وسئته، أن الإيمان إنما ينفع إذا كان اختيارياً لا اضطرارياً، كما تقدم.

وأن الإنسان يكتسب الخير بإيمانه. فالطاعة والبر والتقوى إنما تنفع وتنمو إذا كان مع العبد الإيمان. فإذا خلا القلب من الإيمان لم ينفعه شيء من ذلك.

ودلت الآية الكريمة أن الدين يأمر

بالاجتماع والانتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف في أهل الدين، وفي سائر مسائله الأصولية والفروعية. وأمره أن يتبرأ ممن فرقوا دينهم فقال: ﴿لست منهم في شيء﴾ أي: لست منهم وليسوا منك، لأنهم خالفوك وعاندوك ﴿إنما أمرهم إلى الله ويبحانهم بأعمالهم ﴿ثم ينبئهم بما كانوا

ثم ذكر صفة الجزاء، فقال: ﴿مَنْ جَاء بِالحَسنة ﴾ القولية والفعلية، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله أو حق خلقه ﴿فله عشر أمثالها ﴾ هذا أقل ما يكون من التضعيف.

﴿وُمَنْ جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها ﴾ وهذا من تمام عدله تعالى وإحسانه، وأنه لا يظلم مثقال ذرة، ولهذا قال: ﴿وهم لا يظلمون﴾.

(۱۲۱ - ۱۲۱) ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴿ قل إن صلاتي ونسكي وعياي وعماتي لله رب العالمين ﴿ لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴿ قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا ترر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه غنلفون ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما أتاكم إن ربك

سريع العقاب وإنه لففور رحيم تعالى نبيه في أن يقول ويعلن بما هو عليه من الهداية إلى الصراط المستقيم: الدين المعتدل المتضمن للعقائد النافعة، والأعمال الصالحة، والأمر بكل حسن، والنهي عن كل قبيح، الذي عليه الأنبياء والمرسلون، خصوصاً إمام الحنفاء، ووالد من بعث من بعد موته من الأنبياء، خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو الدين الحنيف المائل عن كل دين غير مستقيم، من

أديان أهل الانحراف، كاليهود والنصاري والمشركين.

وهذا عموم، ثم خصص من ذلك أشرف العبادات فقال: ﴿قل إن صلاي ونسكي﴾ أي: ذبحي، وذلك لشرف هاتين العبادتين وفضلهما، ودلالتهما على محبة الله تعالى، وإخلاص الدين له، والتقرب إليه بالقلب واللسان والجوارح، وبالذبح الذي هو بذل ما تحبه النفس من المال، لما هو أحب إليها وهو الله تعالى.

ومَنُ أخلص في صلاته ونسكه، استلزم ذلك إخلاصه لله في سائر أعماله. وقوله: ﴿وعياي ومماتي عليّ، وما يجريه الله عليّ، وما يقدر علي في عماتي الجميع ﴿لله رب العالمين لا شريك له ﴾ في العبادة، كما أنه ليس له شريك في الملك والسدبير، وليس هذا الإخلاص لله ابتداعاً مني، وبدعاً أتيته أمراً حتماً، لا أخرج من التبعة إلا بامتثاله ﴿وأنا أوّل المسلمين و من هذه الأمة.

﴿قل أغير الله ﴿ من المخلوقين ﴿ أَبغي رباً ﴾ أي: أيحسن ذلك ويليق بي، أن أتخذ غيره مربياً ومدبراً والله رب كل شيء، فالخلق كلهم داخلون تحت ربوبيته، منقاذون الأمره؟!!

فـتـعـين عـليّ وعـلى غـيـري، أن يتخذ الله رباً، ويرضى به، وألا يتعلق بأحد من المربوبين الفقراء العاجزين.

ثم رغب ورهب بذكر (۱) الجنزاء فقال: ﴿ولا تكسب كل نفس﴾ من خير وشر ﴿إلاً عليها﴾ كما قال تعالى: ﴿مَنْ عمل صالحاً فلنفسه ومَنْ أساء فعليها﴾.

﴿ولا تـزر وازرة وزر أخـرى ﴿ بـل كلّ عليه وزر نفسه، وإن كان أحد قد تسبب في ضلال غيره ووزره، فإنّ عليه وزر التسبب من غير أن ينقص من وزر المباشر شيء.

﴿ ثم إلى ربُّكم مرجعكم ﴾ يوم

القيامة ﴿فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ من خير وشر، ويجازيكم على ذلك، أوفي الجزاء.

﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ أي: يخلف بعضكم بعضاً، واستخلفكم الله في الأرض، وسخر لكم جميع ما فيها، وابتلاكم، لينظر كيف تعملون.

﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات ﴿ في القوة والعافية ، والرزق والخلق والخلق . ﴿ليبلوكم فيما آتاكم ﴾ فتفاوتت أعمالكم . ﴿إن ربك سريع العقاب ﴾ لمن عصاه وكذب بآياته ﴿وإنه لغفور رحيم ﴾ لمن آمن به وعمل صالحاً ، وتاب من الموبقات .

آخر تفسير سورة الأنعام، فلله الحمد والثناء وصلى الله وسلم على نبينا محمد [وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين](١).

المجلد الثالث من تيسير الرحمن في تفسير القرآن لجامعه الفقير إلى الله: عبد الرحمن بن تاصر البعدى.

## بسم الله الرحمن الرحيم

## تفسير سورة الأعراف مكيـــة

وا \_ ٧ ﴿ وسم الله السرحسن الرحس الله السرحس المص \* كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين \* اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون \* وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون \* فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين \* فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين \* فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين \* يقول تعالى لرسوله كنا غائبين \* يقول تعالى لرسوله

عمد الله مبيناً له عظمة القرآن: (كتاب أنزل إليك) أي: كتاب جليل حوى كل ما يحتاج إليه العباد، وجميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية، عكماً مفصلاً (فلا يكن في صدرك حرج منه أي: ضيق وشك واشتباه، بل لتعلم أنه تنزيل من حكيم حميد ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وأنه

أصدق الكلام فلينشرح له صدرك، ولتطمئن به نفسك، ولتصدع بأوامر، ونواهيه، ولا تخش لائماً ومعارضاً. ﴿لتنذر به ﴾ الخلق، فتعظهم وتذكرهم، فتقوم الحجة على المعاندين. ﴿وَ لَكُونَ ﴿ ذَكُرَى للمؤمنين ﴾ كما قال تعالى: ﴿ وَذَكُر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ يتذكرون به الصراط المستقيم، وأعماله الظاهرة والباطنة، وما يحول بين العبد وبين سلوكه.

ثم خاطب الله العباد، وألفتهم إلى الكتاب فقال: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم﴾ أي: الكتاب الذي أريد إنزاله لأجلكم، وهو ﴿من ربكم﴾ الذي يريد أن يتم تربيته لكم، فأنزل عليكم هذا الكتاب الذي، إن اتبعتموه كملت تربيتكم، وقت عليكم النعمة، وهديتم لأحسن الأعمال والأخلاق

وتتركون لأجلها الحق. ﴿قليلاً ما تذكرون ﴾ فلو تذكرتم وعرفتم المصلحة ، لما آثرتم الضار على النافع، والعدو على الولى .

ومعاليها ﴿ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾ أي: تتولونهم وتتبعون أهواءهم،

ثم حذرهم عقوباته للأمم الذين كذبوا ما جاءتهم به رسلهم، لئلا يشابهوهم (٢٠) فقال: ﴿وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا﴾ أي: عذابنا الشديد ﴿بياتاً أو هم قائلون﴾ أي: في

حين غفلتهم، وعلى غرتهم غافلون، لم غطر الهلاك على قلوبهم. فحين جاءهم العذاب لم يدفعوه عن أنفسهم، ولا أغنت عنهم آلهتهم التي كانوا يرجونهم، ولا أنكروا ما كانوا يفعلونه من الظلم والمعاصى.

وفما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين كما قال تعالى: وحركم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين \* فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون \* لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون \* قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين \* فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين .

وقوله: ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم﴾ أي: لنسألن الأمم الذين أرسل أرسل الله إليهم المرسلين، عما أجابوا به رسلهم ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ الآيات.

﴿ ولنسألن المرسلين ﴾ عن تبليغهم لرسالات ربهم، وعما أجابتهم به أعهم.

﴿ فلنقصن عليهم ﴾ أي: على الخلق كلهم ما عملوا ﴿ بعلم ﴾ منه تعالى لأعمالهم ﴿ وما كنا غائبين ﴾ في وقت من الأوقات، كما قال تعالى: ﴿ وقال تعالى: ﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين ﴾ .

﴿٨ ـ ٩ ﴾ ثم ذكر الجرزاء على الأعمال، فقال: ﴿والوزن يومئذِ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون \* ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ أي: والوزن يوم القيامة يكون بالعدل والقسط، الذي لا جور

<sup>(</sup>۱) زيادة من ب، وقد جاء بعدها قول الناسخ: (وكان الفراغ من كتابته في يوم الجمعة الموافق خمس وعشرين من جمادى الآخرة، سنة ١٣٤٥هـ، بقلم الفقير إلى ربه المنان: على الحسن العلي الحسن البريكان، وقد نسخته على نسخة المؤلف غفر الله له وأثابه على ذلك الثواب الجزيل، وجزاه الله عنّا وعن جميع المسلمين أفضل الجزاء في دار الجزاء، وأدخله الله برحمته فسيح الجنان، ووقانا وإياه عذاب النيران بفضله وكرمه، إنه قريبٌ مجيب، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين ثم آمين يا رب العالمين.

النالثان المستخدمة المتعالقة المتعا

﴿ ثُرَبَعُنْنَا مِنْ بَعْدِهِمِ قُوسَول بِعَائِنِينَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِنْهِم

ا فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنظُر كَيْفَ كَانَ عَنْهِبَهُ ٱلْمُضْدِينَ ۞

رِ وَقَالَ مُوسَعَلَ يَنفِرْعَوْنُ إِنِّ رَسُولٌ مِن زَّتِ ٱلْعَلَيْدِي ﴿

OZOGOZ W KOROKO

وأشرّهم.

﴿فاخرج إنك من الصاغرين﴾ أي: المهانين الأذلين، جزاءً على كبره وعجبه بالإهانة والذل.

فلما أعلن عدو الله بعداوة الله، وعداوة آدم وذريته، سأل الله النظرة والإمهال إلى يوم البعث، ليتمكن من إغواء ما يقدر عليه من بني آدم، ولما كانت حكمة الله مقتضية لابتلاء العباد واختبارهم، ليتبين الصادق من الكاذب، ومن يطبعه من يطبع عدوه، أجابه لما سأل، فقال: ﴿إنك من المنظرين﴾.

(1- 17) وقال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم \* ثم وعن أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين أي: قال إبليس لل أبلس وأيس من رحمة الله \_ ﴿فيما أغويتني لاقعدن لهم ﴾ أي: لالزمن الصراط ولاسعى غاية جهدي على صد الناس عنه وعدم سلوكهم إياه.

﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم أي: من جميع الجهات والجوانب، ومن كل طريق يتمكن فيه من إدراك بعض مقصوده فيهم. لفضله، فامتثلوا أمر ربهم، فسجدوا كلهم أجمعون وإلا إبليس أبى أن يسجدله، تكبراً عليه وإعجاباً بنفسه، فوبخه الله على ذلك وقال: وما منعك ألا تسجد كه لما خلقت بيدي، أي: شرفته وفضلته بهذه الفضيلة، التي لم تكن لغيره، فعصيت أمري وتهاونت بي؟

﴿قال﴾ إبليس معارضاً لربه: ﴿أَنَا خَيْرَ مِنهُ ثُم بِرهِنَ عَلَى هَذَه الدعوى الباطلة بقوله: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ وموجب هذا أن المخلوق من نار أفضل من المخلوق من طين، لعلو النار على الطين وصعودها، وهذا القياس من أفسد الأقيسة، فإنه باطل من عدة أوجه:

منها: أنه في مقابلة أمر الله له بالسجود، والقياس إذا عارض النص، فإنه قياس باطل، لأن المقصود بالقياس، أن يكون الحكم الذي لم يأت فيه نص، يقارب الأمور المنصوص عليها، ويكون تابعاً لها.

فأما قياس يعارضها، ويلزم من اعتباره إلغاء النصوص، فهذا القياس من أشنع الأقيسة.

ومنها: أن قوله: ﴿أنا خير منه﴾ بمجردها كافية لنقص إبليس الحبيث. فإنه برهن على نقصه بإعجابه بنفسه وتكبره، والقول على الله بلا علم. وأي: نقص أعظم من هذا؟!!

ومنها: أنه كذب في تفضيل مادة النار على مادة الطين والتراب، فإن مادة الطين في السكون والرزانة، الطين فيها الخشوع والسكون والرزانة، ومنها تظهر بركات الأرض من الأشجار وأنواع النبات، على اختلاف أجناسه وأنواعه، وأما النار ففيها الخفة والطيش والإحراق.

ولهذا لما جرى من إبليس ما جرى، انحط من مرتبته العالية إلى أسفل السافلين، فقال الله له: ﴿فاهبط منها﴾ أي: من الجنة ﴿فما يكون لك أن تتكبر فيها﴾ لأنها دار الطيبين الطاهرين، فلا تليق بأخبث خلق الله

فيه ولا ظلم بوجه. ﴿فمن ثقلت موازينه ﴾ بأن رجحت كفة حسناته على سيئاته ﴿فأولئك هم الفلحون ﴾ أي: السناجون من المكروه ، المدركون للمحبوب الذين حصل لهم الربح العظيم ، والسعادة الدائمة .

﴿ومن خفّت موازينه بأن رجحت سيئاته، وصار الحكم لها، ﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ إذ فاتهم النعيم المقيم، وحصل لهم العذاب الأليم ﴿ما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ فلم ينقادوا لها كما يجب عليهم ذلك.

﴿١١﴾ ﴿ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون﴾ يقول تعالى عتناً على عباده بذكر المسكن والمعيشة: ﴿ولقد مكناكم في الأرض﴾ أي: هيأناها لكم، بحيث تتمكنون من البناء عليها وحرثها، ووجوه الانتفاع بها ﴿وجعلنا لكم فيها والنبات، ومعادن الأرض، وأنواع والصنائع والتجارات، فإنه هو الذي هيأها وسخر أسبابها.

﴿قليلاً ما تشكرون﴾ الله، الذي أنعم عليكم بأصناف النعم، وصرف عنكم النقم.

(۱۱ - ۱۱) ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين \* قال ما منعك ألا تسجد نار وخلقته من طين \* قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين \* قال أنظرين إلى يوم يبعثون \* قال إنك من المنظرين \* قال أنظرين إلى يقول تعالى خاطباً لبني آدم: ﴿ ولقد علقناكم ﴾ بخلق أصلكم ومادتكم التي منها خرجتم: أبيكم آدم عليه السلام فأمم صورناكم \* في أحسن صورة وأحسن تقويم ، وعلمه الله تعالى ما به تكمل صورته الباطنة ، أسماء كل شيء.

ثم أمر الملاثكة الكرام أن يسجدوا لآدم، إكراماً واحتراماً، وإظهاراً ﴿١٩ ـ ٢٣﴾ ﴿ويا آدم اسكن أنت

原则 即知底 / BEN / BE حَقِيقٌ عَلَيْ أَن لَا أَفُولَ عَلَى لَقُولِلَّا الْحَقَّ فَذَجِنْتُكُم بِيَنْ مَا يْن زَيْكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِي بَيْ إِسْرَة بِلَ ۞ قَالَ إِن كُنتَ جِنْتَ بِنَايَةِ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّادِقِيفَ ۞ فَأَفَّقَ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَعْبَ إِنَّ مُّهِ يِتُ ۞ وَزَعَ يَدَّمُو إِذَا هِي بَيْضَلَةُ لِلتَظِيرِيَ ۞ قَالَ لَلكَأْمِن قَوْرِفِيْهَوْنَ إِذَّ هَٰذَاۤ السَّيْرُ عَلِيدٌ ۞ يُرِيدُ أَن يُغْرِجَكُم مِنْ أَرْضِيكُوفَانَا تَأْمُرُونَ @ قَالُواْ أَرْجِهُ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمُكَآبِنِ خَيْشِرِينَ ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِ سَيْرِ عَلِيهِ ۞ وَجَآءَ ٱلسَّحَدَةُ فِرْعَوْتَ فَالْوَا إِنَّ لَنَا لَأَخِرًا إِن كُنَّا غَنْ ٱلْفَكِيدِ فَ قَالَ فَمَ وَلِنَكُوْ لَمِنَ ٱلْفَرَّيِينَ ۞ فَالْوَائِسُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ غَنُ ٱلْمُلْفِينَ ﴿ وَاللَّهُ أَمْلَنَّا ٱلْفَوْلَ مَحَدُولًا أَعَيُرُ النَّاسِ وَأَسْتَرْهَ بُوهُمْ وَجَآ أُوبِيعْ عَظِيمٍ ۞ • وَأُوحِينَا إِلَى مُوسَىٰ أَنْ ٱلْقِيعَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَايَأُوكُونَ الله فَوْقَعَ لَكُونُ وَيَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٠ فَعُلِبُواْ هُمَالِكَ المَّا وَالْعَلَبُوا مَدِينِ ﴿ وَأَلْقِنَ السَّحَدَرَةُ سَنَجِدِينَ ۞ TOWNSON WEST OF THE PROPERTY O

ولما علم الخبيث أنهم ضعفاء قد تغلب الغفلة على كثير منهم، وكان جازماً ببذل مجهوده على إغوائهم، ظن وصدق ظنه فقال: ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ فإن القيام بالشكر من سلوك الصراط المستقيم، وهو يريد صدهم عنه، وعدم قيامهم به، قال تعالى: ﴿ إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾.

وإنما نبهنا الله على ما قال وعزم على فعله، لناخذ منه حذرنا ونستعد لعدونا، ونحترز منه بعلمنا، بالطرق التي يأتي منها، ومداخله التي ينفذ منها، فله تعالى علينا بذلك أكمل نعمة

﴿١٨﴾ ﴿قال اخرج منها مذؤوماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجعين﴾ أي: قال الله لإبليس لما قال: ﴿اخرج منها﴾ خروج صغار واحتقار، لا خروج إكرام بل ﴿مذؤوماً﴾ أي: مذموماً ﴿مدحوراً﴾ مبعداً عن الله وعن رحمته وعن كل

﴿لأملأن جهنم﴾ منك وبمن تبعك منهم ﴿أجمعين﴾ وهذا قسم منه تعالى أن النار دار العصاة، لا بدأن يملأها من إبليس وأتباعه من الجن والإنس.

ثم حذّر آدم شره وفتنته فقال:

وزوجك الجنّة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين \* فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴿ وقاسمهما إن لكما لمن الناصحين \* فدلهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين \* قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، أي: أمر الله تعالى أدم وزوجته حواء، التي أنعم الله بها عليه ليسكن إليها، أنَّ يأكلا من الجنة حيث شاءا ويتمتعا فيها بما أرادا، إلا أنه عين لهما شجرة، ونهاهما عن أكلها، والله أعلم ما هي، وليس في تعيينها فائدة لنا. وحرّم عليهما أكلها، بدليل قوله: ﴿فتكونا من الظالمين فلم يزالا ممتثلين لأمر الله، حتى تغلغل إليهما عدوهما إبليس بمكره، فوسوس لهما وسوسة خدعهما بها، وموه عليهما وقال: ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أي: من جنس الملاثكة ﴿أُو تَكُونًا مِنِ الخَالِدِينِ ﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿ هِلْ أَدَلْكُ عِلَى شَجِرَةً الخلد وملك لا يبلي ومع قوله هذا أقسم لهما بالله ﴿إِن لَكُمَا لِنَ الناصحين أي: من جملة الناصحين حيث قلت لكما ما قلت، فاغترا بذلك، وغلبت الشهوة في تلك الحال على العقل.

﴿فدلاهما ﴾ أي: نزّلهما عن رتبتهما العالية، التي هي البعد عن الذنوب والمعاصي إلى التلوث بأوضارها، فأقدما على أكلها.

﴿فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما﴾ أي: ظهرت عورة كل منهما بعدما كانت مستورة، فصار العري الباطن من التقوى في هذه الحال أثر في اللباس الظاهر، حتى انخلع فظهرت

عوراتهما، ولما ظهرت عوراتهما خجلا وجعلا يخصفان على عوراتهما من أوراق شجر الجنة، ليستترا بذلك. ﴿وناداهما ربهما ﴾ وهما بتلك الحال موبخاً ومعاتباً: ﴿ أَلَمُ أَنْهُكُما عَنِ تَلَكُما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين﴾ فلم اقترفتما المنهي، وأطعتما عدوكما؟ فحينئذٍ منّ الله عليهما بالتوبة وقبولها، فاعترفا بالذنب، وسألا من الله مغفرته فقالا: ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ أي: قد فعلنا الذنب، الذي نهيتنا عنه، وضرينا أنفسنا باقتراف الذنب، وقد فعلنا سبب الخسار إن لم تغفر لنا، بمحو أثر الذنب وعقوبته، وترحمنا بقبول التوبة والمعافاة من أمثال هذه الخطايا. فغفر الله لهما ذلك ﴿وعصىٰ آدم ربه فغوى. ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدي♦.

هذا وإبليس مستمر على طغيانه، غير مقلع من عصيانه، فمن أشبه آدم بالاعتراف وسؤال المغفرة والندم والإقلاع \_ إذا صدرت منه الذنوب \_ اجتباه الله وهداه.

ومن أشبه إبليس \_ إذا صدر منه الذنب، لا يزال يزداد من المعاصي \_ فإنه لا يزداد من الله إلا بعداً.

وفيها تموتون ومنها تخرجون \* يا بني وفيها تموتون ومنها تخرجون \* يا بني سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خيير ذلك من آيات الله لعلهم يدكرون أي : لما أهبط الله آدم بحال إقامتهم فيها، وأنه جعل لهم فيها والابتلاء، وأنهم لا يزالون فيها، والابتلاء، وأنهم لا يزالون فيها، يرسل إليهم رسله، وينزل عليهم كتبه، يرسل إليهم رسله، وينزل عليهم كتبه، إذا استكملوا بعثهم الله وأخرجهم منها إلى الدار التي هي الدار حقيقة، التي هي دار المقامة.

ثم امتن عليهم بما يسر لهم من اللباس الضروري، واللباس الذي

ف ﴿إنه ﴾ يراقبكم على الدوام، و ﴿يراكم هو وقبيله ﴾ من شياطين الجن ﴿من حيث لا ترونهم، إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون فعدم الإيمان هو الموجب لعقد الولاية بين الإنسان والشيطان.

﴿إِنَّهُ لِيسَ لَهُ سَلِّطَانَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وعلى ربهم يتوكلون \* إنما سلطانه على الذين يتولونه، والذين هم به مشركون).

﴿٢٨ \_ ٣٠) ﴿وإذا فعلوا فاحشة

قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون \* قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عندكل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون \* فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون، يقول تعالى مبيناً لقبح حال المشركين الذين يفعلون الذنوب، وينسبون أن الله أمرهم بها. ﴿وإذا فعلوا فاحشة ﴾ وهي: كل ما يستفحش ويستقبح، ومن ذلك طوافهم بالبيت عراة ﴿قالوا: وجدنا عليها آباءنا﴾ وصدقوا في هذا. ﴿والله أمرنا بها﴾ وكذبوا في هذا، ولهذا رد الله عليهم هذه النسبة فقال: ﴿قُلْ إِنْ الله لا يأمرُ بالفحشاء ﴾ أي: لا يليق بكماله وحكمته أن يأمر عباده بتعاطى الفواحش، لا هذا الذي ينفعله المشركون ولا غيره ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون ، وأي: افتراء أعظم من

ثم ذكر ما يأمر به، فقال: ﴿قُلْ أَمْرُ ربى بالقسط﴾ أي: بالعدل في العبادات والمعاملات، لا بالظلم والجور. ﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾ أي: توجهوا لله، واجتهدوا في تكميل العبادات، خصوصاً «الصلاة» أقيموها، ظاهراً وباطناً، ونقوها من كل نقص ومفسد. ﴿وادعوه مخلصين له الدين ﴾ أي: قاصدين بذلك وجهه

اً قَالُواْ ءَامَنَكَ رَبِ ٱلْعَلِيدِينَ ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَحَدُونَ ﴿ قَالَ فِيْ عَوْنُ ءَامَنتُم بِهِ فَبَلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُو إِنَّ هَلَنَا لَكُو مُنَكَ تَكُو فِ ٱلْدُرَيَةِ لِتُخْرِجُ أَمِنْهَا أَهْلَهَا فَمُوفِ تَعَلَّمُونَ ﴿ لَأُقْلِلْمَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِنْ خِلَف ثُرَّ لَأُمْكِيْتُكُمُّ أَجْمَعِينَ ۞ قَالُواْ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا أَسْقَلِهُونَ ﴿ وَمَا لَسُومُ مِنَّا إِلَّا أَنْ مَامَّنًا ۞ وَقَالَ ٱلْكُلُّ مِن قَرْمِ فِرَعَوْنِ أَتَذَرُّمُوسَىٰ وَقَرْمَهُ لِفُسِدُوا فِ ٱلْأَرْضِ وَيَكذَرُكَ وَمَالِلْهَنَكَ ۚ قَالَ مَسَنُقَيِّلُ أَبْسَكَهُ مُرّ وَلَسْنَحْي لِسَكَّةَ هُرُ وَلِنَّا فَوَقَهُمْ قَلِهِ ثُولَا ۞ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَسْتَوَينُوا بِاللَّهِ وَأَحْسِيرُوا لِإِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا

の記憶

مَن يَثَ آءُمِنْ عِسُادِمُّ وَٱلْعَلَقِيَةُ لِلْمُنَّقِينَ ﴿ قَالُولُ أوذيك من مِّنل آن تَأْتِينَك اوَينُ بَعْد مَاحِثْ مَنْ أَعَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُعْلِلَ عَدُّوَّكُمْ وَيَسْمَخْلِفَكُمْ فِ ٱلأَرْضِ فِيَنْظُرُكَيْفَ تَعَمَلُونَ ۞ وَلِقَدَ أَخَذَنَآ مَالَ يً فِرْيَحُونَ بِٱلسِّينِ وَنَقْصِ بِنَ ٱلشَّمَرَتِ لَمَا لَهُمُ مَيَّا صَحَّرُونَ ﴿ QUEDE 110 ESPECIA

بعَائِبَ رَبِّنَا لِمَا جَآءَ ثَنَّا رَبِّنآ أَفْرَغُ عَلَيْنَا صَبْرًا وَقَوْفُا مُسْلِحِينَ

CO CONTRACTO

وحده لا شريك له. والدعاء يشمل دعاء المسألة، ودعاء العبادة، أي: لا تراؤا ولا تقصدوا من الأغراض في دعائكم سوى عبودية الله ورضاه.

﴿كما بدأكم﴾ أول مرة ﴿تعودون﴾ للبعث، فالقادر على بدء خلقكم، قادر على إعادته، بل الإعادة أهون من الداءة .

﴿ وَرِيقاً ﴾ منكم ﴿ هدى ﴾ الله ، أي: وفقهم للهداية، ويسر لهم أسبابها، وصرف عنهم موانعها. ﴿وفريقاً حق عليهم الضلالة ﴾ أي: وجبت عليهم الضلالة بما تسببوا لأنفسهم وعملوا بأسباب الغواية .

ف ﴿ إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله﴾ ﴿ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً ﴾ فحين انسلخوا من ولاية الرحمن، واستحبوا ولاية الشيطان، حصل لهم النصيب الوافر من الخذلان، ووكلوا إلى أنفسهم فخسروا أشد الخسران. وهم يحسبون أنهم مهتدون، لأنهم انقلبت عليهم الحقائق، فظنوا الباطل حقاً والحق بأطلاً، وفي هذه الآيات دليل على أن الأوامر والنواهي تابعة للحكمة والمصلحة، حيث ذكر تعالى أنه لا يتصور أن يأمر بما تستفحشه وتنكره العقول، وأنه لا يأمر إلا المقصود منه الجمال، وهكذا سائر الأشياء، كالطعام والشراب والمراكب، والمناكح ونحوها، قد يسر الله للعباد ضروريها، ومكمل ذلك، و[بين لهم](١) أن هذا ليس مقصوداً بالذات، وإنما أنزله الله ليكون معونة لهم على عبادته وطاعته، ولهذا قال: ﴿ولباس التقوى ذلك خير، من اللباس الحسى، فإن لباس التقوى يستمر مع العبد، ولا يبلى ولا يبيد، وهو جمال القلب والروح

وأما اللباس الظاهري، فغايته أن يستر العورة الظاهرة في وقت من الأوقات، أو يكون جمالاً للإنسان، وليس وراء ذلك منه نمع.

وأيضاً فبتقدير عدم هذا اللباس، تنكشف عورته الظاهرة التي لا يضره كشفها مع الضرورة، وأما بتقدير عدم لباس التقوى، فإنها تنكشف عورته الباطنة، ويناله الخزى والفضيحة.

وقوله: ﴿ ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون الى: ذلك المذكور لكم من اللباس، مما تذكرون به ما ينفعكم ويضركم، وتشبهون<sup>(٢)</sup> باللباس الظاهر<sup>ا</sup> على الباطن.

﴿٢٧﴾ ﴿يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ يقول تعالى محذراً لبني آدم أن يفعل بهم الشيطان كما فعل بأبيهم: ﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان ﴾ بأن يزين لكم العصيان، ويدعوكم إليه ويرغبكم فيه، فتنقادون له ﴿كما أُخرِج أبويكم من الجنة ﴾ وأنزلهما من المحل العالى إلى أنزل منه، فأنتم يريد أن يفعل بكم كذلك، ولا يألو جهده عنكم، حتى يفتنكم إن استطاع، فعليكم أن تجعلوا الحذر منه في بالكم، وأن تلبسوا لأمة الحرب بينكم وبينه، وأن لا تغفلوا عن المواضع التي يدخل منها إليكم.

زيادة من هامش ب.

CONTRACT V TO STATE ASSESSED. وَاذَا يَهَا تَهُدُوا لَحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَا فِيهِ وَان تَصِيبُهُمْ سَسَتَتُما يَقَلِيَرُوابِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَكُمُ إِلاَّ إِنَّمَاطَلَيْرُهُمْ عِندَاللَّهِ وَلَكِنَّ أَحَةُ وَهُزُلَامِنَا لَوُنَ ۞ وَقَالُواْ مَهْ مَا تَأْتِنَا بِيوِينَ ءَابِحَوْلِتَسْتَحَوَّنَا بِهَا فَمَا غَنُّ لَكَ بُوْمِنِينَ ۞ فَأَرْسَكْنَا عَلَيْهِ مُ التَّلُوفَانِ وَالْجَرَادَ وَالْقُمُلُ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَمَ ءَايِنَتِ ثُفَصَلَتِ فَأَسْتَكَ بَرُواْ وَكَافُواْ فَوَمَا تَجْوِيدِ ﴿ @ وَلِمَا وَقَعَ عَلَيْهِ مُ الرِّحْ زُقَالُو أَيْسُوسَى أَدَّعُ لَكَ ارْبَاكَ مِمَا عَهِدَعِندَكُ لَهِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّحْدَزَ لُنُوْمِنَ لَكَ وَلَوْسِلَنَّ مَعَكَ بَيْ إِسْرَةِ يل ۞ فَكَنَّاكَ شَفْنَا عَنْهُمُ ٱلِيِّجِينَ إِلَيْآجُولِهُ رِبَالِمُوهُ إِذَا هُرَيَّ كُنُونَ ۞ فَأَسْقَدْنَا مِنْهُدُ فَأَغَرَهُ لَهُرُفِ ٱلْدَيْرِيأَنْهُدُكَ لَذُوْ إِنَّا لِاَيْدَا وَكَافُواْعَهُا غَيْفِلِينَ ۞ وَأَوَرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضَعَعُونَ مَسُوقَ ٱلْأَرْضِ وَمَعَكِرِبَهَا ٱلَّذِي بَرَحَكَ الْفِيهُ ۗ وَمُنَتَ كلِتُ رَوْكَ ٱلْحُسْنَ عَلَى بَنِي إِسْرَةِ مِلْ يَاصَبُرُواْ وَرَمَّنَا مَاكَانَ يَصْنُعُ فِرْجُونُ وَقَوْمُهُ وَمَاكَا فُواْيَعْ بِشُونَ ۞

بالعدل والإخلاص، وفيه دليل على أن الهداية بفضل الله ومنه، وأن الضلالة بخذلانه للعبد، إذا تولى \_ بجهله وظلمه \_ الشيطان، وتسبب لنفسه بالضلال، وأن من حسب أنه مهتد وهو ضال، أنه لا عذر له، لأنه متمكن من الهدى، وإنما أتاه حسبانه من ظلمه بترك الطريق الموصل إلى الهدى.

﴿٣١﴾ ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ يقول تعلى ببي آدم خذوا زينتكم لباساً يواري سوآتهم وريشاً: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ أي: استروا عوراتكم عند الصلاة كلها، فرضها ونفلها، فإن سترها زينة للبدن، كما أن كشفها يدع البدن قبيحاً

ويحتمل أن المراد بالزينة هنا ما فوق ذلك من اللباس النظيف الحسن، ففي هذا الأمر بستر العورة في الصلاة، وباستعمال التجمل فيها، ونظافة السترة من الأدناس والأنجاس.

ثم قال: ﴿وكلوا واشربوا﴾ أي: مما رزقكم الله من الطيبات ﴿ولا تسرفوا﴾ في ذلك، والإنسراف إما أن يكون بالزيادة على القدر الكافي والشره في المأكولات الذي يضر بالجسم، وإما أن يكون بزيادة الترفه والتنوق في المآكل والمشارب واللباس، وإما بتجاوز

الحلال إلى الحرام.

﴿إِنه لا يحب المسرفين ﴾ فإن السرف يبغضه الله، ويضر بدن الإنسان ومعيشته، حتى إنه ربما أدت به الحال إلى أن يعجز عما يجب عليه من النفقات، ففي هذه الآية الكريمة الأمر بتناول الأكل والشرب، والنهي عن تركهما، وعن الإسراف فيهما.

﴿٣٣ \_ ٣٣﴾ ﴿قسل مسن حسرم

زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قلُّ هي للَّذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون \* قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعملون، يقول تعالى منكراً على من تعنت، وحرم ما أحل الله من الطيبات ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده، من أنواع اللباس على اختلاف أصنافه، والطيبات من الرزق، من مأكل ومشرب بجميع أنواعه، أي: من هذا الذي يقدم على تحريم ما أنعم الله بها على العباد، ومن ذا الذي يضيق عليهم ما وسعه الله؟!!

وهذا التوسيع من الله لعباده بالطيبات، جعله لهم ليستعينوا به على عبادته، فلم يبحه إلا لعباده المؤمنين، ولهذا قال: ﴿قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾ أي: لا تبعة عليهم فيها.

ومفهوم الآية أن من لم يؤمن بالله، بل استعان بها على معاصيه، فإنها غير خالصة له ولا مباحة، بل يعاقب عليها وعلى التنعم بها، ويسأل عن النعيم يوم القيامة.

﴿كذلك نفصل الآيات ﴾ أي: نوضحها ونبينها ﴿لقوم يعلمون ﴾ لأنهم الذين ينتفعون بما فصله الله من الآيات، ويعلمون أنها من عند الله، فيعقلونها ويفهمونها.

ثم ذكر المحرمات التي حرمها الله في كل شريعة من الشرائع فقال: ﴿قَلْ إِنَّامَا حَرَم رِبِ الفواحش﴾ أي: الذنوب

الكبار التي تستفحش وتستقبح لشناعتها وقبحها، وذلك كالزنا واللواط ونحوهما.

وقوله: ﴿ما ظهر منها وما بطن﴾
أي: الفواحش التي تتعلق بحركات
البدن، والتي تتعلق بحركات القلوب،
كالكبر والعجب والرياء والنفاق،
ونحو ذلك، ﴿والإثم والبغي بغير
الحق﴾ أي: الذنبوب التي توشم
وتوجب العقوبة في حقوق الله،
والبغي على الناس في دمانهم وأموالهم
وأعراضهم، فدخل في هذا الذنوب
المتعلقة بحق الله، والمتعلقة بحق

﴿وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ﴾ أي: حجة ، بل أنزل الحجة والبرهان على التوحيد. والشرك هو أن يشرك مع الله في عبادته أحد من الخلق، وربما دخل في هذا الشرك الأصغر كالرياء، والحلف بغير الله، ونحو ذلك .

وأن تسقولوا على الله مسا لا تعلمون في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه، فكل هذه قد حرّمها الله، ونهى العباد عن تعاطيها، لما فيها من المفاسد الخاصة والعامة، ولما فيها من الظلم والتجري على الله، والاستطالة على عباد الله، وتغيير دين الله وشرعه.

(٣٤% ﴿ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ أي: وقد أخرج الله بني آدم إلى الأرض، وأسكنهم فيها، وجعل لهم أجلاً مسمى لا تتقدم أمة من الأمم على وقتها المسمى، ولا تتأخر، لا الأمم المجتمعة ولا أفرادها.

و ۳۹ ـ ۳۹ ﴿ وَلِمَ الْمِبْعَةَ وَلَا الْمِرْدَاءُ الْمِرْدَاءُ وَلِمُ الْمِبْعَةِ وَلِمُ الْمِرْدَاءُ الْمِرْدَاءُ الْمِنْكُم رسل منكم يقصون عليكم عليهم ولا هم يحزنون \* والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ لما أخرج الله بني آدم من الجنة ، ابتلاهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب عليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب عليهم يقصون عليهم آيات الله ويبينون لهم يقصون عليهم آيات الله ويبينون لهم

STATE OF THE PARTY وَجَوَزُنَا بِهِنِيَ إِمْ مِنْ مِلَ الْبَحْرَ فَاتَوْا عَلَىٰ فَوْمِ يَعْسَكُفُونَ عَلَىٰ أَصْبَ الرِلْمُ وَالْوَائِدُوسَى تَجْعَلُ أَنَا إِلَهُ استَعَالَمُ عَلِيَّةً وَالَ إِنَّكُوْ فِي مُعَمِّلُونَ ﴿ إِنَّ مَثَوَّاتُهُ مُسَبِّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَطِلُ مَّاكَانُواْ مِتَكُونَ ۞ قَالَ أَغَيْرَالُمَّوَ أَبْنِيكُمُّ إِلَهَا وَهُوَ فَضَلَكُمُ عَلَىٰ الْمُعَلِينِ ۞ وَإِذْ أَنْجَيْنَكُمُ مِّنْ وَإِلَ فِرْغُونَ يَسُومُونَكُمْ مُسَوَّعُ ٱلْعَكَابِ يُمَنِّيَ لُونَ أَنِكَةَ كُمْ وَلَمْتُ عَوُنَ نِلْكُمْ مُولِدُ فَلِكُمْ بَكَدَّ مِن زَيْكُمْ عَظِيرٌ ۞ • وَوَعَدْنَا مُومَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَثْمَنْنَهَا بِمَشْرِهُنَّةً مِيقَكُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيَلَةً وْقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ وَهَلَرُونَ ٱخْلُفُنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحَ وَلَانَتَيَّعُ كَيْلَ ٱلْمُتْمْسِدِينَ ﴿ وَلَمَّاجَلَةَ مُوسَىٰ لِيقَائِنَا وَكَالْمَتُهُ وُ رَبُّهُ وَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرُ إِلْيَاكَ ۚ قَالَ لَن زَيْنِي وَلِكِيِّ أَنظُرٌ إِلَى ٱلْجَبَكِ فَإِنِ ٱسْنَقَرَّمَكَ اَمْدُمْ مُوْفَ تُرَكِيٰ مَكَا جَلَّا ا رَبُهُ لِلْجَبَلِ جَعَكَهُ دُكَاوَخَرَّمُوسَ صَعِقَا فَلَمَا مُّ الْمَاقَ قَالَ سُبْحَلَنَكَ ثَبْتُ إِلَيْكَ وَأَمَّا أُوَّلُ كُلُوْمِدِينَ ﴿

TO SEAL IN SEAL SEAL

نجزي المجرمين \* لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين محبر تعالى عن عقاب من كذب بآياته فلم يؤمن بها، مع أنها آيات بينات، واستكبر عنها فلم ينقد لأحكامها، بل كذب وتولى، أنهم آيسون من كل خير، فلا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا وصعدت تريد العروج إلى الله، فتستأذن فلا يؤذن لها، كما لم تصعد في الدنيا إلى الإيمان بالله ومعرفته ومحبته، كذلك لا تصعد بعد الموت، فإن الجزاء من جنس العمل.

ومفهوم الآية أن أرواح المؤمنين المنقادين لأمر الله المصدقين بآياته، تفتح لها أبواب السماء حتى تعرج إلى الله، وتصل إلى حيث أراد الله من العالم العلوي، وتبتهج بالقرب من ربها والحظوة برضوانه.

وقوله عن أهل النار ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل، وهو البعير المعروف ﴿ في سم الخياط ﴾ أي: حتى يدخل البعير الذي هو من أكبر الحيوانات جسماً، في خرق الإبرة، الذي هو من أضيق الأشياء، وهذا من باب تعليق الشيء بالمحال، أي: فكما أنه محال دخول الجمل في سم الخياط، فكذلك المكذبون بآيات الله محال دخولهم الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة

على ما مضيتم عليه من الكفر والاستكبار، فاستحق الجميع الخزى والبوار، كلما دخلت أمة من الأمم العاتية النار ﴿لعنت أختها﴾ كما قالُ تعالى: ﴿ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ﴿ حتى إذا ادَّاركوا فيها جميعاً ﴾ أي: اجتمع في النار جميع أهلها، من الأولين والأخريس، والقادة والرؤساء، والمقلدين الأتباع.

﴿ قالت أخراهم ﴾ أي: متأخروهم، المتبعون للرؤساء ﴿الأولاهم﴾ أي: لرؤسائهم، شاكين إلى الله إضلالهم إياهم: ﴿ رَبُّنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار﴾ أي: عذبهم عذاباً مضاعفاً لأنهم أضلونا، وزينوا لنا الأعمال الخبيثة.

﴿٣٩﴾ ﴿وقـالـت أولاهـ لأخراهم الى: الرؤساء قالوا لأتباعهم: ﴿فما كان لكم علينا من فضل﴾ أي: قد اشتركنا جيعاً في الغي والضلال، وفي فعل أسباب العَّذاب، فأي: فضل لكم علينا؟ ﴿قال ﴾ الله ﴿لكل﴾ منكم ﴿ضعف﴾ ونصيب من العذاب.

﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابِ بِمَا كُنْتُم تكسبون، ولكنه من المعلوم أن عذاب الرؤساء وأثمة الضلال، أبلغ وأشنع من عذاب الأتباع، كما أن نعيم أئمة الهدى ورؤساته أعظم من ثواب الأتباع، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفُرُوا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون، فهذه الآيات ونحوها، دلت على أن سائر أنواع المكذبين بآيات الله، مخلدون في العذَّاب، مشتركون فيه وفي أصله، وإن كانوا متفاوتين في مقداره، بحسب أعمالهم وعنادهم وظلمهم وافترائهم، وأن مودتهم التي كانت بينهم في الدنيا تنقلب يوم القيامة عداوة وملاعنة .

﴿ ٤٠ ـ ٤١ ﴾ ﴿إِنَّ السَّذِيسَ كَسَدُبُوا بأياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك

أحكامه، ثم ذكر فضل من استجاب لهم، وخسار من لم يستجب لهم فقال: ﴿فمن اتقى﴾ ما حرّم الله، من الشرك والكبائر، والصغائر، ﴿وأصلح﴾ أعماله الظاهرة والباطنة ﴿فلا خوف عليهم﴾ من الشر الذي قد يخافه غيرهم ﴿ولاَّ هم يحزنون﴾ علَى ما مضى، وإذا انتفى الحوف والحزن حصل الأمن التام، والسعادة، والفلاح الأبدي.

ووالذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها﴾ أي: لا آمنت بها قلوبهم، ولا انقادت لها جوارحهم، ﴿أُولَـٰتُكُ أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ كما استهانوا بآياته، ولازموا التكذيب بها أهينوا بالعذاب الدائم الملازم.

﴿٣٧﴾ ﴿فمن أظلم ثمن افترى

على الله كذباً أو كذب بأياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين اي: لا أحد أظلم ﴿ ممن افترى على الله كذباً ﴾ بنسبة الشريك له، أو النقص له، أو التقول عليه ما لم يقل، ﴿أُو كذب بِآياته ﴾ الواضحة المبينة للحق المبين، الهادية إلى الصراط المستقيم، فهؤلاء وإن تمتعوا بالدنيا، ونالهم نصيبهم مما كان مكتوباً لهم في اللوح المحفوظ، فليس ذلك بمغن عنهم شيئاً، يتمتعون قليلاً، ثم يعذبون طويلاً، ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم أي: الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم واستيفاء آجالهم. ﴿قالوا﴾ لهم في تلك الحالة توبيخاً وعتاباً ﴿أَين مَا كَنْتُم تُدْعُونُ مِنْ دون الله من الأصنام والأوثان، فقد جاء وقت الحاجة إن كان فيها منفعة لكم أو دفع مضرة. ﴿قالوا ضلوا عنا﴾ أي: اضمحلوا وبطلوا، وليسوا مغنين عنا من عذاب الله من شيء. ﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ مستحقين للعذاب المهين الدائم.

فقالت لهم الملائكة ﴿ادخلوا في أمم﴾ أي: في جملة أمم ﴿قد خلت من قبلكم من الجن والإنس) أي: مضوا

**新版版** فَالْ يَنْمُوسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاصِ بِرِسَالَتِي وَبِكُلِّي فَخُذْمَا ءَاتَيْنُكَ وَكُن مِنَ الشَّلِكِينَ ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاجِ مِن كُلُ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَيَقْصِيلُا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأَمْرَ قَوْمَكَ يَلْغُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِجُ دَارَٱلْفَنْسِقِينَ ۞ سَأَصْرِفُ عَنْءَائِقِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَّمُّونَا فِ ٱلْأَرْضِ بِعَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن بَرَوْا كُلَّ ءَائِهِ لَا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن بَرَوْا سَهِيلَ الرُّفْ دِ لَا يَتَخِذُوهُ سَهِيلًا وَإِن يَرَوُا سَكِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَكِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَنَّ بُولِيَالِنَا وَكَانُواْعَنْهَاعَنْهِايِنَ ۞ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْيَالِكُلِنَا وَلِقَكَ الْآخِرَوْجِيَطَتْ أَعْلَلُهُمْ مَلْ يُجْزَوْكِ إِلَّمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ @ وَأَيِّكَ فَوَرُّرُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُلِيِّهِ ۗ عِلاجَتَ عَالَٰهُ خُوَارُ الرِّيرَوْ أَنَّ مُلاَّثِكُونَ مُرَالِيَهِ بِيهِمْ سكيلًا أَتَّحَانُوهُ وَكَانُواْ طَالِمِينَ ۞ وَلَأَسُوْعَا فِ أَيْدِيهِ مِن أَوَا أَنَّهُمْ فَدْضَ أُواْ قَالُواْ لَهِن لَّرَيْحَتْنَا تَتُنَا وَيَغْفِرُ إِنَّا لَنَكُونَ مِنَ الْخَسِرِينَ ٥

ومأواه النارك وقال هنا ﴿وكذلك نجزي المجرمين﴾ أي: الذين كثر إجرامهم واشتد طغيانهم.

TOUT TOU WE TO SEE TO

﴿لهم من جهنّم مهاد﴾أي: فراش من تحتهم ﴿ومن فوقهم غواش﴾أي: ظلل من العذاب، تغشاهم. ﴿وكذلك نجزي الظالمين﴾ لأنفسهم، جزاء وفاقاً، وما ربك بظلام للعبيد.

﴿ ٤٧ ـ ٤٣ ﴾ ﴿ والسَّذِيسِ آمستوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسأ إلأ وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون \* ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هداناً لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون كا ذكر الله تعالى عقاب العاصين الظالمين، ذكر ثواب المطيعين فقال: ﴿والذين آمنوا) بقلوبهم ﴿وعملوا الصالحات﴾ بجوارحهم، فجمعوا بين الإيمان والعمل، بين الأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة، بين فعل الواجبات وتبرك المحرمات، ولما كبان قبوليه: ﴿وعملوا الصالحات الفظا عاماً يشمل جميع الصالحات الواجبة والمستحبة، وقد يكون بعضها غير مقدور للعبد، قال تعالى: ﴿لا نكلف نفساً إلا وسعها اي: بمقدار ما تسعه طاقتها، ولا يعسر على قدرتها، فعليها في هذه

الحال أن تتقي الله بحسب استطاعتها، وإذا عجزت عن بعض الواجبات التي يقدر عليها غيرها سقطت عنها، كما قال تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما أتاها﴾ ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ فلا واجب مع العجز، ولا محرم مع الضرورة.

والعمل الصالح واسحاب الجنة هم والعمل الصالح واصحاب الجنة هم فيها خالدون أي: لا يحولون عنها ولا يبغون بها بدلاً، لأنهم يرون فيها من أنواع اللذات وأصناف المشتهيات ما تقف عنده الغايات، ولا يطلب أعلى

﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ وهذا من كرمه وإحسانه على أهل الجنة، أن الغل الذي كان موجوداً في قلوبهم، والتنافس الذي بينهم، أن الله يقلعه ويزيله حتى يكونوا إخواناً متحابين، وأخلاء متصافين.

قال تعالى: ﴿ونرعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين﴾ ويخلق الله لهم من الكرامة ما به يحصل لكل واحد منهم الغبطة والسرور، ويرى أنه لا فوق ما هو فيه من النعيم نعيم، فبهذا يأمنون من التحاسد والتباغض، لأنه قد فقدت أساءه.

وقوله: ﴿ تَجري من تحتهم الأنهار ﴾ أي: يفجرونها تفجيراً، حيث شاؤوا، وأيسن أرادوا، إن شاءوا في خلال القصور، أو في تلك الغرف العاليات، أو في رياض الجنات، من تحت تلك الحدائق الزاهرات أنهار تجري في غير أخدود، وخيرات ليس لها حد محدود وأكرمهم به ﴿ قالوا الحمد لله الذي وأكرمهم به ﴿ قالوا الحمد لله الذي قلوبنا، فآمنت به، وانقادت للأعمال الموصلة إلى هذه الدار، وحفظ الله علينا إيماننا وأعمالنا، حتى أوصلنا بها إلى هذه الدار، فنعم الرب الكريم، إلى هذه الدار، وأسدى من النعم الذي ابتدأنا بالنعم، وأسدى من النعم

الظاهرة والباطنة مالا يحصيه المحصون، ولا يعده العادون، ﴿وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله أي : ليس في نفوسنا قابلية للهدى، لولا أنه تعالى من بهدايته واتباع رسله.

﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ أي: حين كانوا يتمتعون بالنعيم الذي أخبرت به الرسل، وصار حق يقين لهم يعد أن كان علم يقين [لهم]، قالوا لقد تحققنا، ورأينا ما وعدتنا به الرسل، وأن جميع ما جاؤوا به حق اليقين، لا مرية فيه ولا إشكال، ﴿ونودوا﴾ تمنئة لهم وإكراماً، وتحية واحتراماً، ﴿ أَن تلكم الجنة أورثتموها ﴾ أي: كنتم الوارثين لها، وصارت إقطاعاً لكم، إذ كان إقطاعاً لكم، إذ كان إقطاعاً لكم، إذ كام كان إقطاع الكفار النار، أورثتموها ﴿ فِي مَعلون ﴾ .

قال بعض السلف: أهل الجنة نجوا من النار بعفو الله، وأدخلوا الجنة برحمة الله، واقتسموا المنازل وورثوها بالأعمال الصالحة، وهي من رحمته، بل من أعلى أنواع رحمته.

﴿ ٤٤ \_ ٤٤ ﴾ ﴿ ونادي أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذِّن مؤذِّن بينهم أن لعنة الله على الطالمين \* الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة كافرون، يقول تعالى لمّا ذكر استقرار كل من الفريقين في الدارين، ووجدوا ما أخبرت به الرسل ونطقت به الكتب، من الشواب والعقاب، أن أهل الجنة نادوا أصحاب النار بأن قالوا: ﴿ أَنْ قَدُ وَجَدُنَا مَا وعدنا ربنا حقاً ﴾ حين وعدنا على الإيمان والعمل الصالح الجنة، فأدخلناها، وأرانا ما وصفه لنا ﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم الكفر والمعاصى ﴿حقاً قالوا نعم﴾ قد وجدناه حقاً، فتبين للخلق كلهم، بياناً لا شك فيه، صدق وعد الله، ومن أصدق من الله قيلاً، وذهبت عنهم الشكوك والشبه، وصار الأمر حق اليقين، وفرح المؤمنون بوعد الله واغتبطوا، وأيس الكفار من الخير، وأقروا على

أنفسهم بأنهم مستحقون للعذاب.

﴿فَأَذُن مؤذن بينهم ﴾ أي: بين أهل النار وأهل الجنة ، بأن قال ﴿أَن للنار وأهل الجنة الله ﴾ أي: بعده وإقصاؤه عن كل خير ﴿على الظالمين ﴾ إذ فتح الله لهم أبواب رحمته ، فصدفوا أنفسهم عنها ظلماً ، وصدوا عن سبيل الله بأنفسهم ، وصدوا غيرهم ، فضلوا وأضاه ا .

والله تعالى يريد أن تكون مستقيمة ، ويعتدل سير السالكين إليه ، ﴿و﴾ هؤلاء يريدونها ﴿عوجاً﴾ منحرفة سالة عن سواء السبيل، ﴿وهم بالآخرة كافرون﴾ وهذا الذي أوجب على شهوات النفوس المحرمة ، عدم إيمانهم بالبعث، وعدم خوفهم من العقاب ورجائهم للثواب، ومفهوم هذا النداء أن رحمة الله على المؤمنين عليه م

عليهم . ﴿٤٦ ــ ٤٩) ﴿وبينهما حجابً وعلى الأعراف رجال ينعرفون كبلأ بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون \* وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين \* ونادي أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغني عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون \* أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمةِ ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون اي: وبين أصحاب الجنة وأصحاب النار حجاب يقال له: ﴿الأعراف﴾ لا من الجنة ولا من النار، يشرف على الدارين، وينظر من عليه حال الفريقين، وعلى هذا الحجاب رجال يعرفون كلاً من أهل الجنة والنار بسيماهم، أي: علاماتهم، التي بها يعرفون ويميزون، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوهم ﴿أن سلام عليكم﴾ أي: يحيونهم ويسلمون عليهم، وهم \_إلى

يطمعون في دخولها، ولم يجعل الله الطمع في قلوبهم إلا لما يريد بهم من كرامته.

﴿وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار في ورأوا منظراً شنيعاً، وهولاً فظيعاً ﴿قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فأهل الجنة [إذا رآهم أهل الأعراف] (١) يطمعون أن يكونوا معهم في الجنة، ويحيونهم ويسلمون عليهم، وعند انصراف أبصارهم بغير اختيارهم لأهل النار، يستجيرون بالله من حالهم هذا على وجه العموم.

ثم ذكر الخصوص بعد العموم فقال: ﴿ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم﴾ وهم من أهل النار، وقد كانوا في الدنيا لهم أبهة وشرف، وأموال وأولاد، فقال لهم أصحاب الأعراف، حين رأوهم منفردين في العذاب، بلا ناصر ولا مغيث: ﴿مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جُمَّعُكُمْ ﴾ في الدنيا، الذي تستدفعون به المكاره، وتتوسلون به إلى مطالبكم في الدنيا، فاليوم اضمحل، ولا أغنى عنكم شيئاً، وكذلك، أي شيء نفعكم استكباركم على الحق وعلى من جاء به وعلى من اتبعه، ثم أشاروا لهم إلى أناس من أهل الجنة كانوا في الدنيا فقراء ضعفاء يستهزىء بهم أهل النار، فقالوا لأهل النار: ﴿أَهُولَاءَ﴾ الذين أدخلهم الله الجنة ﴿الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة احتقاراً لهم وازدراء وإعجاباً بأنفسكم، قد حنثتم في أيمانكم، وبدا لكم من الله ما لم يكُن لكم في حساب، ﴿ادخلوا الجنة﴾ بما كنتم تعملون، أي: قيل لهؤلاء الضعفاء إكراماً واحتراماً: ادخلوا الجنة بأعمالكم الصالحة ﴿لا خوف عليكم الكاره فيما يستقبل من المكاره ﴿ولا أنتم تحزنون﴾ على ما مضى، بل آمنون مطمئنون فرحون بكل خير.

وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنْ الذِّينَ أُجرموا كانوا من الذِّينَ آمنوا يضحكون \* وإذا مروا بهم يتغامزون﴾

إلى أن قال: ﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون \*على الأرائك ينظرون ﴿ واختلف أهل العلم والمفسرون، من هم أصحاب الأعراف، وما أعمالهم؟

والصحيح في ذلك، أنهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فلا رجحت سيئاتهم فدخلوا النار، ولا رجحت حسناتهم فدخلوا الجنة، فصاروا في الأعراف ما شاء الله، ثم إن الله تعالى يدخلهم برحمته الجنة، فإن رحمته تسبق وتغلب غضبه، ورحمته وسعت كل شيء.

﴿٥٠ ــ ٥٣ ﴾ ﴿ونادي أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو ممنا رزقكم الله قبالنوا إنّ الله حرّمهما على الكافرين \* الذين اتخذوا دينهم لهوأ ولعبأ وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوأ لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون \* ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون \* هل ينظرون إلاّ تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضلٌ عنهم ما كانوا يفترون﴾ أي: ينادي أصحاب النار أصحاب الجنة، حين يبلغ منهم العذاب كل مبلغ، وحين يمسهم الجوع المفرط والظمأ الموجع، يستغيثون بهم، فيقولون: ﴿ أُفْسِيضُوا عِلْمِنَا مِنْ المَّاءُ أَوْ مُمَّا رزقكم الله كله من الطعام، فأجابهم أهل الجنة بقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهُ حَرَّمُهُما ﴾ أي: ماء الجنة وطعامها ﴿على الكافرين﴾ وذلك جرزاء لهم على كفرهم بآيات الله، واتخاذهم دينهم الذي أمروا أن يستقيموا عليه، ووعدوا بالجزاء الجزيل عليه.

﴿لهوا ولعباً ﴾ أي: لهت قلوبهم وأعرضت عنه، ولعبوا واتخذوه سخرياً، أو أنهم جعلوا بدل دينهم اللهو واللعب، واستعاضوا بذلك عن

الآن \_لم يدخلوا الجنة، ولكنهم

الدين القيم .

﴿وغرَّتُهُمُ الحِياةِ الدُّنيا﴾ بزينتها وزخرفها وكثرة دعاتها، فاطمأنوا إليها ورضوا بها وفرحوا، وأعرضوا عن الأخرة ونسوها .

﴿فاليوم ننساهم﴾ أي: نتركهم في العذاب ﴿ كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ فكأنهم لم يخلقوا إلا للدنيا، وليس أمامهم عرض ولا جزاء.

﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتُنَا يُجِحَدُونَ﴾ والحال أن جحودهم هذا لا عن قصور في آيات الله وبيناته، بل قد ﴿جئناهم بكتاب فصلناه ﴾ أي: بينا فيه جميع المطالب التي يحتاج إليها الخلق ﴿على علم الله بأحوال العباد في كل زمان ومكان، وما يصلح لهم وما لا يصلح، ليس تفصيله تفصيل غير عالم بالأمور، فتجهله بعض الأحوال، فيحكم حكما غير مناسب، بل تفصيل من أحاط علمه بكل شيء، ووسعت رحمته کل شیء .

﴿ هدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ أي: تحصل للمؤمنين بهذا الكتاب الهداية من الضلال، وبيان الحق والباطل، والغيّ والرشد، ويحصل أيضاً لهم به الرحمة، وهي: الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، فينتفى عنهم بذلك الضلال والشقاء.

وهؤلاء الذين حق عليهم العذاب، لم يتؤمنوا بهذا الكتاب العظيم، ولا انقادوا لاوامره ونواهيه، فلم يبق فيهم حيلة إلا استحقاقهم أن يحل بهم ما أخبر به القرآن.

ولهذا قال: ﴿ هِلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تأويله ﴾ أي: وقوع ما أخبر به، كما قال يوسف عليه السلام حين وقعت رؤياه: ﴿ هذا تأويل رؤياي من قبل ﴾ .

﴿ يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل متندمين متأسفين على ما مضى منهم، متشفعين في مغفرة ذنوبهم. مقرين بما أخبرت به الرسل: ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد﴾ إلى الدنيا ﴿فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ وقد فات الوقت عن الرجوع إلى الدنيا.

﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴿ .

وسؤالهم الرجوع إلى الدنيا، ليعملوا غير عملهم كذب منهم، مقصودهم به دفع ما حل بهم، قال تعالى: ﴿ولُو ردواً لعادوا لما نهوا عنه

وإنهم لكاذبون).

﴿قد خسروا أنفسهم﴾ حين فوتوها الأرباح، وسلكوا بها سبيل الهلاك، وليس ذلك كخسران الأموال والأثاث أو الأولاد، إنما هذا خسران لا جبران لمصابه، ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ في الدنيا بما تمنيهم أنفسهم به، ويعدهم به الشيطان، قدموا على مالم يكن لهم في حساب، وتبين لهم باطلهم وضلالهم، وصدق ما جاءتهم يه الرسل.

﴿٤٥﴾ ﴿إِنَّ رَبِّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خُلْقَ السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألاله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين، يقول تعالى مبيناً أنه الرب المعبود وحده لا شريك له: ﴿إِن ربكم الله اللذي خلق السماوات والأرض، وما فيهما على عظمهما وسعتهما، وإحكامهما وإتقانهما، وبديع خلقهما.

﴿ فِي سِنَّةِ أَيَّامِ ﴾ أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، فلما قضاهما وأودع فسيسهسما مسن أمسره مسا أودع ﴿استوى البارك وتعالى ﴿على العرش، العظيم الذي يسع السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، استوى استواء يليق بجلاله وعظمته وسلطانه، فاستوى على العرش، واحتوى على الملك، ودبر الممالك، وأجرى عليهم أحكامه الكونية، وأحكامه الدينية، ولهذا قال: ﴿يغشى الليل﴾ المظلم ﴿النهار﴾ المضيء، فيظلم ما على وجه الأرض، ويسكن الآدميون، وتأوي المخلوقات إلى مساكنها، ويستريحون من التعب والذهاب والإياب الذي حصل لهم في النهار.

﴿ يطلبه حثيثاً ﴾ كلما جاء الليل ذهب النهار، وكلما جاء النهار ذهب

الليل، وهكذا أبداً على الدوام، حتى يطوي الله هذا العالم، وينتقل العباد إلى دار غير هذه الدار.

﴿ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ﴾ أي: بتسخيره وتدبيره، الدال على ماله من أوصاف الكمال، فخلقها وعظمها دال على كمال قدرته، وما فيها من الإحكام والانتظام والإتقان دال على كمال حكمته، وما فيها من المنافع والمصالح الضرورية وما دونها دال على سعة رحمته وذلك دال على سعة علمه، وأنه الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له.

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرِ ﴾ أي: له الخبلق البذي صدرت عبنه جميع المخلوقات علويها وسفليها، أعيانها وأوصافها وأفعالها، والأمر المتضمن للشرائع والنبوات، فالخلق: يتضمن أحكامه الكونية القدرية، والأمر: يتضمن أحكامه الدينية الشرعية، وثم أحكام الجزاء، وذلك يكون في دار البقاء، ﴿ تبارك الله اي أي: عظم وتعالى وكثر خيره وإحسانه، فتبارك في نفسه لعظمة أوصافه وكمالها، وبارك في غيره بإحلال الخير الجزيل والبر الكثير، فكل بركة في الكون، فمن آثار رحمته، ولهذا قال: فـ ﴿تبارك الله رب العالمين 🤏 .

ولما ذكر من عظمته وجلاله ما يدل ذوي الألباب على أنه وحده، المعبود المقصود في الحواثج كلها، أمر بما يترتب على ذلك، فقال:

﴿٥٥ ــ ٥٦﴾ ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنَّه لا يحب المعتدين \* ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين الدعاء يدخل فيه دعاء المسألة، ودعاء العبادة، فأمر بدعائه ﴿تضرعاً ﴾ أي: إلحاحاً في المسألة، ودؤوباً في العبادة، ﴿وخفية﴾ أي: لا جهراً وعلانية يخاف منها الرياء، بل خفية وإخلاصاً لله تعالى.

﴿إنه لا يحب المعتنديسن أي: المتجاوزين للحد في كل الأمور، ومن الاعتداء كون العبد يسأل الله مسائل

وَلْنَا رَجَعَ مُوسَى إِلَىٰ قَوْمِهِ ، غَضْيَكِنَ أَسِفًا قَالَ بِشَكَمَا خَلَفْتُهُ فِي مِنْ مِنْدِيَّةُ أَعِلْتُ دَأْمُ رَيِّكُمْ وَأَلْقَ ٱلْأَلْوَاحُ وَلَنَدَ رَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ وَالْيَدُّ قَالَ آنَنَ أَمَّاكَ ٱلْقَوْرَ ٱسْتَضَعَفُونِ وكادُواْيَقْتُ لُونَي فَلَانْشَمِتْ بِيَ ٱلْأَخْدَآةَ وَلَا تَجْعَلَى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّلِلِينَ ۞ قَالَ رَبِٱغْفِرْلِ وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِ رَحْمَيَكَ وَأَتَ أَرْحَهُ الرَّحِينَ ۞ إِذَا لَذِينَ ٱغَّفَ نُواْ ٱلْيِجْلَ سَيَنَا لَمُنْ غَضَبٌ مِن دَيْهِ مْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيْوَ ٱلدُّنيَّةُ وَكَذَلِكَ بَخَدِي لَلْفُهُ يَعِدَ ۞ وَالَّذِنَ عَيِلُواْ ٱلسَّيَعَاتِ ثُرُّ تَابُواٰمِنُ بَعَدِهَا وَءَامَنُواْ إِنَّ زَبَّكِ مِنْ بَعَدِهَا لَغَنَفُورٌ تَحِيرٌ @ وَلِنَاسَكَتَ عَن تُوسَى ٱلْعَصَبُ لَغَذَ ٱلْأَلْحَ وَفِ مُتحَيِّهَا هُنَى وَرَحْمَةً لِلَّذِيرَ كُمْ لِرَبِّهِمْ رَهَكَبُونَ ﴿ وَأَخْلَرَمُومَى وَوَمَدُسَبْعِينَ رَجُلًا لِيقَائِنَّا فَكَنَّا أَخَذَتُهُ وُالرِّخَفَ مُ قَالَ رَبِ لَوَشِئْتَ أَهْلَكُنْهُ مِن قِبُلُ وَإِنِّنَ أَنَّهُ لِكُنَامَا فَعَالَالْتُفَهَّاةُ مِنَّآ إِنْ هِيَ إِلَّا فِنْنُكُ تُصِٰلُ بِهَا مَن نَشَكَهُ وَتَهْدِي مَن تَشَاةً إِنَّ وَلِنْنَا فَأَغْفِرُكُنَا وَأَرْحَمُنَا وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْفَكَغِيرَةَ ۞ ACTEMENT ... ROBERS

> فهم الذين ينتفعون بما فصل الله في كتابه من الأحكام والمطالب الإلهية، لأنهم يرونها من أكبر النعم الواصلة إليهم من ربهم، فيتلقونها مفتقرين إليها فرحين بها، فيتدبرونها ويتأملونها، فيبين لهم من معانيها بحسب استعدادهم، وهذا مثال للقلوب حين ينزل عليها الوحي الذي هو مادة الخياة، كما أن الغيث مادة الحيا، فإن القلوب الطيبة حين يجيئها الوحي، تقبله وتعلمه وتنبت بحسب طيب أصلها، وحسن عنصرها.

وأما القلوب الخبيثة التي لا خير فيها، فإذا جاءها الوحي لم يجد محلاً قابلاً، بل يجدها غافلة معرضة، أو معارضة، فيكون كالمطر الذي يمر على السباخ والرمال والصخور، فلا يؤثر فيها شيئاً، وهذا كقوله تعالى: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ﴾ الآيات.

﴿ ٩ ٩ - ٦ ٤ ﴾ ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾ إلى آخر القصة (١١ لما ذكر تعالى من أدلة توحيده جملة صالحة ، أيد ذلك بذكر ما جرى للأنبياء الداعين إلى توحيده مع أعهم المنكرين لذلك ، وكيف أيد الله أهل التوحيد، وأهلك من عاندهم ولم ينقد لهم ، وكيف اتفقت دعوة المرسلين على دين واحد

أي: الرياح المبشرات بالغيث، التي تثيره بإذن الله من الأرض، فيستبشر الخلق برحمة الله، وترتاح لها قلوبهم قبل نزوله.

وحتى إذا أقلت الرياح وسحاباً ثقالاً قد أثاره بعضها، وألفه ريح أخرى وسقناه أخرى، وألقحه ريح أخرى وسقناه لبلد ميت قد كادت تهلك حيواناته، وكاد أهله أن ييأسوا من رحمة الله وفانزلنا به أي: بذلك البلد الميت والماء الغزير من ذلك السحاب وسخر الله له ريحاً تدره وتفرقه الحذن الله.

﴿ فَأَخرِ جِنَا بِهِ مِن كُلِ الشَّمْرِ اتَّ عِنْ فَأَصِبِحُوا مُسْتِشْرِين بِرِحَة الله، واتعِين بِخير الله، وقوله: ﴿ كَذَلْكُ نَخْرِجِ اللهِ تَكْرُونَ ﴾ أي: كما أحيينا الأرض بعد موتها بالنبات، كذلك نخرج الموتى من قبورهم، بعدما كانوا رفاتاً متمزقين، وهذا بعدما كانوا رفاتاً متمزقين، وهذا المحرين، فمنكر البعث استبعاداً له من المعرف مع أنه يرى ما هو نظيره \_ من باب العناد، وإنكار المحسوسات.

وفي هذا الحث على التذكر والتفكر في آلاء الله، والنظر إليها بعين الاعتبار والاستندلال، لا بنعنين النغنفسلة والإهمال.

﴿ ٥٨ ﴾ ثم ذكر تفاوت الأراضي، التي ينزل عليها المطر، فقال: ﴿ والبلد الطيب ﴾ أي: طيب التربة والمادة، إذا نال عليه مطر ﴿ يُخرج نباته ﴾ الذي هو مستعد له ﴿ بإذن ربه ﴾ أي: بإرادة الله ومشيئته، فليست الأسباب مستقلة بوجود الأشياء، حتى يأذن الله بذلك. ﴿ والذي خبث ﴾ من الأراضي ﴿ لا يُخرج إلا نكداً ﴾ أي: إلا نباتاً خاسًا لا نفع فيه ولا بركة.

﴿كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون أي: ننوعها ونبينها ونضرب فيها الأمثال ونسوقها لقوم يشكرون الله بالاعتراف بنعمه، والإقرار بها، وصرفها في مرضاة الله،

لا تصلح له، أو يتنطع في السؤال، أو يبالغ في رفع صوته بالدعاء، فكل هذا داخل في الاعتداء المنهى عنه.

﴿ولا تفسدوا في الأرض﴾ بعمل المعاصي ﴿بعد إصلاحها﴾ بالطاعات، فإن المعاصي تفسد الأخلاق والأعمال والأرزاق، كما قال تعالى: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾ كما أن الطاعات تصلح بها الأخلاق، والأعمال، والأرزاق، وأحوال الدنيا والآخرة.

﴿وادعوه خوفاً وطمعاً ﴾ أي: خوفاً من عقابه، وطمعاً في ثوابه، طمعاً في قبولها، وخوفاً من ردها، لا دعاء عبد مدل على ربه قد أعجبته نفسه، ونزل نفسه فوق منزلته، أو دعاء من هو غافل لاه.

وحاصل ما ذكر الله من آداب الدعاء: الإخلاص فيه لله وحده، لأن ذلك يتضمنه الجفية، وإخفاؤه وإسراره، وأن يكون القلب خائفاً مبال بالإجابة، وهذا من إحسان مبال بالإجابة، وهذا من إحسان لا نقص فيها بوجه من الوجوه، ولهذا قسال: ﴿إِن رحمة الله قسريب من المحسنين ﴾ في عبادة الله، المحسنين إلى عباد الله، فكلما كان العبد أكشر إحسانًا، كان أقرب إلى رحمة ربه، وكان إحسانًا، كان أقرب إلى رحمة ربه، وكان رحمة ربه، وكان الحشيل من رحمة ربه، وكان الحشاعلى الإحسان ما لا يخفى.

﴿٧٥ ـ ٥٠﴾ ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد مبت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لمملكم بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون﴾ يبن تعالى أثراً من آثار قدرته، ونفحة يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ويرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ويرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته والمناح بشراً بين يدي رحمته والمناح بشراً بين يدي رحمته

و تاخشالنان عليوالنشا عسدة ويا الاختراء والنشاعسة ويا الاخترة ويا الاخترة ويا الاخترة ويا الاخترة ويا الاخترة ويا الاخترة ويتعالم المناسبة وي

ومعتقد واحد، فقال عن نوح \_أول المرسلين \_ ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه الله وحده، قومه الله وحده، حين كانوا يعبدون الأوثان ﴿فقال﴾ لهم: ﴿ يَا قُومُ اعبدُوا الله ﴾ أي: وحده ﴿مالكم من إله غيره ﴾ لأنه الخالق الرازق المدبِّر لجميع الأمور، وما سواه مخلوق مدبر، ليس له من الأمر شيء، ثم خوفهم إن لم يطيعوه عذاب ألله، فقال: ﴿إِنِّ أَخَافَ عَلَيْكُمْ عَذَابِ يُومُ عظيم الموامن نصحه عليه الصلاة والسلام وشفقته عليهم، حيث خاف عليهم العذاب الأبدي، والشقاء السرمدي، كإخوانه من المرسلين الذين يشفقون على الخلق أعظم من شفقة آبائهم وأمهاتهم، فلما قال لهم هذه المقالة، ردوا عليه أقبح رد.

TOLEROW W. MOREON

﴿ ١٠ ﴿ ﴿ وَقَالَ اللَّا مِن قومه ﴾ أي : الرؤساء الأغنياء المتبوعون الذين قد جرت العادة باستكبارهم على الحق، وعدم انقيادهم للرسل، ﴿ إِنَّا لِنَراكُ فِي ضَلَالُ مَبِينَ ﴾ فيلم يكفهم وضلال مبين ﴾ فيلم يكفهم استكبروا عن الانقياد له، وقدحوا فيه أعظم قدح، ونسبوه إلى الضلال، ولم يكتفوا بمجرد الضلال حتى جعلوه ضلالاً مبيناً، واضحاً لكل أحد.

وهذا من أعظم أنواع المكابرة، التي

لا تروج على أضعف الناس عقلا، وإنما هذا الوصف منطبق على قوم نـوح، الـذيـن جـاؤوا إلى أصـنـام قـد صوروها ونحتوها بأيديهم، من الجمادات التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تغنى عنهم شيئاً، فنزلوها منزلة فاطر السماوات، وصرفوا لها ما أمكنهم من أنواع القربات، فلولا أن لهم أذهاناً تقوم بها حجة الله عليهم لحكم عليهم بأن المجانين أهدى منهم، بل هم أهدي منهم وأعقل، فرد نوح عليهم رداً لطيفاً، وترقق لهم لعلهم ينقادون له فقال: ﴿يا قوم ليس بي ضلالة ﴾ أي: لست ضالاً في مسألة من المسائل بوجه من الوجوه، وإنما أنا هاد مهتد، بل هدايته عليه الصلاة والسلام من جنس هداية إخوانه أولي

العزم من المرسلين، أعلى أنواع الهدايات وأكملها وأتمها، وهي هداية الرسالة التامة الكاملة، ولهذا قال: ﴿ولكني رسول من رب العالمين﴾أي: ربي وربكم ورب جميع الخلق، الذي ربي جميع الخلق، الذي من أعظم تربيته أن أرسل إلى عباده رسلاً تأمرهم بالأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والعقائد الحسنة

وتنهاهم عن أضدادها، ولهذا قال:

﴿أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم﴾ أي: وظيفتي تبليغكم، ببيان توحيده وأوامره ونواهيه، على وجه النصيحة لكم والشفقة عليكم، ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ فالذي يتعين أن تطيعوني وتنقادوا لأمري إن كنتم تعلمون، ﴿أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم ﴾أي: كيف تعجبون من حالة لا ينبغي العجب منها، وهو أنه جاءكم التذكير والموعظة والنصيحة، على يد رجل منكم،

تعرفون حقيقته وصدقه وحاله؟!! فهذه الحال من عناية الله بكم وبره

وإحسانه الذي يتلقى بالقبول والشكر، وقوله: ﴿لينذركم ولتتقوا، ولعلكم تسرحمون﴾أى: لينذركم العداب

الأليم، وتفعلوا الأسباب المنجية من استعمال تقوى الله ظاهراً وباطناً، وبذلك تحصل عليهم وتنزل رحمة الله الواسعة، فلم يفد فيهم، ولا نجح ففكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك أي: السفينة التي أمر الله نوحاً عليه الصلاة والسلام بصنعتها، وأوحى إليه أن يحمل من كل صنف من وأوحى إليه أن يحمل من كل صنف من الحيوانات، زوجين اثنين وأهله ومن آمن معه، فحملهم فيها ونجاهم الله

وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين عن الهدى، أبصروا الحق، وأراهم الله على يدنوح من الآيات البينات، ما بهم يؤمن أولوا الألباب، فسخروا منه، واستهزؤوا به وكفروا.

﴿ ٣٥ - ٧٧﴾ ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً ﴾ إلى آخر القصة (١٠). أي: ﴿ و ﴾ أرسلنا ﴿ إلى عاد ﴾ الأولى، الذين كانوا في أرض اليمن ﴿ أخاهم ﴾ في النسب ﴿ هوداً ﴾ عليه السلام، يدعوهم إلى التوحيد وينهاهم عن الشرك والطغيان في الأرض.

ف ﴿ قال الملا الذين كفروا من قومه ﴿ رايه: ﴿ إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين ﴾ أي: ما نراك إلا سفيها غير رشيد، ويغلب على ظننا أنك من جملة الكاذبين، وقد انقلبت عليهم الحقيقة، واستحكم عماهم حيث رموا نبيهم عليه السلام بما هم متصفون به، وهو أبعد الناس عنه، فإنهم السفهاء حقاً الكاذبون.

وأي سفه أعظم ممن قابل أحق الحق بالرد والإنكار، وتكبر عن الانقياد للمرشدين والنصحاء، وانقاد قلبه وقالبه لكل شيطان مريد، ووضع العبادة في غير موضعها، فعبد من

(1)

COLUMN V **多端脚** وَقَطَعْنَ مُواَفِّنَةَ عَشْرَةَ أَسْسَاطًا أَمَمُ وَأَوْحِنَكَ آلَ مُوسَى إذ أسْتَسْقَيْهُ قَوْمُهُ إِنْ أَضْرِبِ بِعَصَى الْدُانْحِ بَحِرُ فَأَنْكِجَسَتْ مِنْهُ ٱلْفُتَاعَشْرَةَ عَيْنًا فَذْ عَلِرُكُلُّ أَسَاسٍ مَّتْرَبَّهُمُّ وَظَلَّلْتَ عَلَيْهِمُ ٱلْفَكَمْمَ وَأَرْلَتَ عَلَيْهِمُ ٱلْنَّ وَالسَّالُومُ مُعَلِّمُ اللَّهِ مَا رُزُفُنَكُمْ وَمَا طْلَكُونًا وَلِيُكِن كَانُوا أَنفُكُ مُرْيَظُ لِهُونَ ۞ وَإِذْ قِيلَ لَمُعُرَّاتُ كُنُواْهَا ذِواْلَقَرْبَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِينَتُ مَوْفُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا ٱلْبَابَ سُجَكَا لَغَيْرُ لَكُمْ خَطِيَّانِكُمْ مُكنِّيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ فَتَلَا الَّذِينَ طَلَعُوا مِنْ هُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِعِ فِيلَ لَمُّتُهُ فأرْسَلْنَا عَلَيْهِ وَرِحْدَرُا مِنَ ٱلسَّكَلَّةِ بِمَاكَ الْوَا يَظْلِمُونَ ﴿ وَسَمَّلُهُمْ عَنِ ٱلْفَرْبِ وَٱلَّهِ كَانَّتْ عَلِيْهِوَ ٱلْبَحْدِياذَ يَسْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَ الْهُمْ يَوْمَ سَكِيْنِ فِي مُثَرَّعَكَ اوْيُوْمَ لَا يَسْبِ ثُوكٌ لَاتَأْتِيهِمْ كَنْلِكَ نَبْلُومُ مِبَاكَ افْأَيْفُسُفُونَ ۞

عليهم الحجج، فلم ينقادوا لها، وأمروا بالإيمان فلم يؤمنوا فكان عاقبتهم الهلاك، والخزي والفضيحة.

﴿وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة، ألا إن عاداً كفروا ربهم ألا بغداً لعاد قوم هود﴾.

وقال هناً: ﴿وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين﴾ بوجه من الوجوه، بل وصفهم التكذيب والعناد، ونعتهم الكبر والفساد.

۹۷۹ – ۷۲۹ ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً ﴾ إلى آخر قصتهم (١). أي: ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلى تمود﴾ القبيلة المعروفة الذين كانوا يسكنون الحجر وما حمولمه ممن أرض الحمجاز وجمزيسرة العرب، أرسل الله إليهم ﴿أخاهم صالحاً ﴾ نبياً يدعوهم إلى الإيمان والتوحيد، وينهاهم عن الشرك والتنديد، ف ﴿قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره الاعوته عليه الصلاة والسلام من جنس دعوة إخوانه من المرسلين، الأمر بعبادة الله، وبيان أنه ليس للعباد إله غير الله، ﴿قد جاءتكم بينة من ربكم اي: خارق من خوارق العادات، التي لا تكون إلا آية سماوية لا يقدر الناس عليها، ثم فسرها بقوله: ﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾ أي: هذه ناقة شريفة فاضلة لإضافتها

﴿ أَجِنتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ﴾ قبحهم الله، جعلوا الأمر الذي هو أوجب الواجبات وأكمل الأمور، من الأمور التي لا يُعارَضُون بها ما وجدوا عليه آباءهم، فقدموا ما عليه الآباء الضالون من الشرك وعبادة الأصنام، على ما دعت إليه الرسل من توحيد الله وحده لا شريك له، وكذبوا نبيهم، وقالوا: ﴿ فَاتَتنا بِمَا تَعدنا إِن كنت من الصادقين ﴾ وهذا استفتاح منهم على أنفسهم.

فقال لهم هود عليه السلام: ﴿قد

وقع عليكم من ربكم رجس وغضب﴾

أي: لا بلدمن وقوعه، فإنه قد انعقدت أسيايه، وحان وقت الهلاك ﴿ أَتِجَادُ لُونَنِي فِي أَسِمَاءُ سِمِيتُمُوهَا أَنتُمُ وآباؤكم﴾ أي: كيف تجادلون على أمورً لا حقائق لها، وعلى أصنام سميتموها آلهة، وهي لا شيء من الآلهة فيها، ولا مثقالُ ذرة و ﴿مَا نَزَلُ اللَّهُ بِهَا مِنْ سلطان الإكانت صحيحة لأنزل الله جا سلطاناً، فعدم إنزاله له دليل على بطلانها، فإنه ما من مطلوب ومقصود \_وخصوصاً الأمور الكبار \_ إلا وقد بين الله فيها من الحجج ما يدل عليها، ومن السلطان مالا تخفي معه ﴿فانتظروا﴾ ما يقع بكم من العقاب، الذي وعدتكم به ﴿إنِّ معكم من النتظرين ﴿ وفرق بين الانتظارين ، انتظار من يخشى وقوع العقاب، ومن يرجو من الله النصر والثواب، ولهذا فت الله بين الفريقين فقال: ﴿فَأُنَّجِينَاهُ أَي: هُوداً ﴿وَالَّذِينَ ﴾ آمنوا ﴿معه برحمة منا ﴾ فإنه الذي هداهم للإيمان، وجعل إيمانهم سبباً ينالون به رحمته فأنجاهم برحمته، ﴿وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي: استأصلناهم بالعذاب الشديد الذي لم يبق منهم أحداً، وسلط الله عليهم الريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، فأهلكوا فأصبحوا لا يري إلا مساكنهم، فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الذين أقيمت

لا يغني عنه شيئاً من الأشجار والأحجار؟!!

وأيّ كذب أبلغ من كذب من نسب هذه الأمور إلى الله تعالى؟!!

﴿قال يا قوم ليس بي سفاهة ﴾ بوجه من الوجوه، بل هو الرسول المرشد الرشيد، ﴿ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ﴾ .

فالواجب عليكم أن تتلقوا ذلك بالقبول والانقياد وطاعة رب العباد.

﴿ أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ﴾ اي: كيف تعجب منه، كيف تعجب منه، وهو أن الله أرسل إليكم رجلاً منكم تعرفون أمره، يذكركم بما فيه النفع مصالحكم، ويحثكم على ما فيه النفع لكم، فتعجبتم من ذلك تعجب المنكرين.

﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قسوم نسوح ﴾ أي: واحمسدوا ربسكسم واشكروه، إذ مكن لكم في الأرض، وجعلكم تخلفون الأمم الهالكة الذين كذبوا الرسل، فأهلكهم الله وأبقاكم، لينظر كيف تعملون، واحذروا أن تقيموا على التكذيب كما أقاموا، فيصيبكم ما أصابهم، ﴿وَ ﴾ اذكروا نعمة الله عليكم التي خصكم بها، وهي أن﴿زادكم فَي الخلق بسطة﴾ في القوة وكبر الأجسام، وشدة البطش، ﴿ فَاذَكُ رُوا آلاء الله ﴾ أي: نعممه الواسعة، وأياديه المتكررة ﴿لعلكم﴾ إذا ذكرتموها بشكرها وأداء حقها ﴿تفلحون﴾ أي: تفوزون بالمطلوب، وتنجون من المرهوب، فوعظهم وذكرهم، وأمرهم بالتوحيد، وذكر لهم وصف نفسه، وأنه ناصح أمين، وحذرهم أن يأخذهم الله كما أخذ من قبلهم، وذكرهم نعم الله عليهم وإدرار الأرزاق إليهم، فلم ينقادوا ولا استجابوا.

ف ﴿قالوا﴾ متعجبين من دعوته، ومخبرين له أنهم من المحال أن يطيعوه:

**医型型形式 图明图 图** وَإِذْ قَالَتْ أَمَّةٌ يُسْهُمْ لِرَتَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُمُ مِلِكُهُمْ أَوْمُعَكِبُهُمْ عَنَابًا شَكِيدًا قَالُواْ مَعْ ذِرَةً إِلَا رَيِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ٥ فَكَأَنْسُوا مَا ذُكِرُوا بِمِقَا أَغِيَنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوِّهِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَكُوا بِعِكَ الِ بَعِيسِ بِمَاكَ انُواْ يَفْسُقُونَ @ فَكُمَا عَتَوَاْعَن مَّانُهُواْعَنْهُ قُلْنَا لَمُتُوكُونُواْ قِرَدَةً خَلِيءِينَ @ وَإِذْ تَأَذَّ كَ رَبُّكَ لَيَبْعَثُنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيكَ مَعْمَنَ يَسُومُهُ مِنْ مُوَةِ ٱلْعَكَ الِثَّالِ وَبَلِكَ لَسَرِيعُ ٱلْمِيقَابُ وَإِنَّهُ لَفَكُورُ تَوَجِدُ ۞ وَقَطَّعْنَاهُرُ فِ ٱلْأَرْضِ أَمَا أَيّنْهُدُ ٱلصَّلِلِحُونَ وَمِنْهُرْدُونَ ذَالِكَ ۖ وَيَلَوْنَهُم بِٱلْحَسَنَلَتِ وَٱلسَّيَاتِ لَعَلَّهُ مِّ يَرْجِعُونَ ۞ عَلَفَ مِنْ بَعِّدِهِ مِّ خَلْفُ وَرِيُّواً ٱلْكِنَابَ يَأْخُذُونَ عَهَنَ هَاذَا ٱلْأَدَنَا وَيَتُولُونَ سَيُغْفُرُكِنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَهَنَّ مِنْلُهُ بَلْغُدُوهُ أَلَرَ يُوْخَذُ عَلَيْهِمْ مِينَاقُ ٱلْكِئَلِبِ أَن لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا ٱنْحَقَّ وَدَرَسُوا مَافِيةٌ وَالنَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِيكَ يَتَّقُونُّ أَفَلَاتَمْ قِلُوكَ ۞ وَٱلَّذِينَ يُمَّسِّكُونَ إِلْكِنَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَوةَ إِنَّا لَانْضِيعُ أَجْرَلُلْصَلِحِينَ ۞

الى الله تعالى إضافة تشريف، لكم فيها آية عظيمة. وقد ذكر وجه الآية في قوله: ولها شرب ولكم شرب يوم معلوم . وكان عندهم بشر كبيرة، وهي المعروفة ببئر الناقة، يتناوبونها هم والناقة، للناقة يوم تشربها ويشربون اللبن من ضرعها، ولهم يوم يردونها، وتصدر الناقة عنهم.

وقال لهم نبيهم صالح عليه السلام: ﴿فَدُرُوهِا تَاكُلُ فَي السلام: ﴿فَدُرُوهِا تَاكُلُ فَي أُرض الله فلا عليكم من مؤونتها شيء، ﴿ولا تمسوها بسوء ﴾ أي: بعقر أو غيره، ﴿فَيأْخَذُكُم عَذَابِ الله ﴾ .

واذكروا إذ جعلكم خلفاء في الأرض تتمتعون بها وتدركون مطالبكم ومن بعد عاد الذين أهلكهم الله وجعلكم خلفاء من بعدهم، ووبوأكم في الأرض أي: مكن لكم فيها، وسهل لكم الأسباب الموصلة إلى ما قصوراً أي: الأراضي السهلة التي تصوراً أي: الأراضي السهلة التي العالية والأبنية الحصينة، ووتنحتون المجال بيوتاً كما هو مشاهد إلى الآن المبال بيوتاً كما هو مشاهد إلى الآن من أعمالهم التي في الجبال، من المساكن والحجر ونحوها، وهي باقية ما المساكن والحجر ونحوها، وهي باقية ما بقيت الجبال، وناقي من الحيال، وناقية ما بقيت الجبال، وناقية ما بقيت المناقية ما بقيت ال

أي: نعمه، وما خولكم من الفضل والرزق والقوة، ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ أي: لا تخربوا الأرض بالفساد والمعاصي، فإن المعاصي تدع الديار العامرة بلاقع، وقد أخلت ديارهم منهم، وأبقت مساكنهم موحشة بعدهم.

﴿قال الملاَّ الذين استكبروا من قومه أي: الرؤساء والأشراف الذين تكبروا عن الحق، ﴿للذين استضعفوا ﴾ ولما كنان المستضعفون ليسوا كلهم مؤمنين، قالوا ﴿لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه ﴾ أي: أهو صادق أم كاذب؟

فقال المستضعفون: ﴿إِنَا بِمَا أَرْسُلُ بِهِ مؤمنون﴾ من توحيد الله والخبر عنه وأمره ونهيه.

﴿قال الذين استكبروا: إنا بالذي آمنتم به كافرون﴾ حملهم الكبر أن لا ينقادوا للحق الذي انقاد له الضعفاء.

وفعقروا الناقة التي توعدهم إن مسوها بسوء أن يصيبهم عذاب أليم، وعتوا عن أمر ربهم أي: قسوا عنه، واستكبروا عن أمره الذي من عتا أذاقه العذاب الشديد. لا جرم أحل الله بهم من النكال ما لم يحل بغيرهم ووقالوا مع هذه الأفعال متجرئين على الله، مُعجرين له، غير مبالين بما فعلوا، بل مفتخرين له، غير الصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من العذاب، فقال: وتمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب .

﴿فَأَحَدُتُهُم الرَّجِفَةُ فَأَصْبِحُوا فَي دَارِهُم جَائِمِينَ ﴾ على ركبهم، قد أبادهم الله، وقطع دابرهم، ﴿فَتُولُ عَنْهُم ﴾ صالح عليه السلام حين أحل الله بم العذاب، ﴿وقال ﴾ غاطباً لهم توبيخاً وعتاباً، بعدما أهلكهم الله: ﴿يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ﴾ أي: جميع ما أرسلني الله به إليكم، قد أبلغتكم به

وحرصت على هدايتكم، واجتهدت في سلوككم الصراط المستقيم والدين القويم. ﴿ولكن لا تجبون الناصحين﴾ بل رددتم قول النصحاء، وأطعتم كل شيطان رجيم.

واعلم أن كشيراً من الفسرين يذكرون في هذه القصة أن الناقة قد خرجت من صخرة صماء ملساء اقترحوها على صالح، وأنها تمخضت تمخض الحامل، فخرجت الناقة وهم ينظرون، وأن لها فصيلاً حين عقروها، رغى ثلاث رغيات، وانفلق له الجبل ودخل فيه، وأن صالحاً عليه السلام قال لهم: آية نزول العذاب بكم، أن تصبحوا في اليوم الأول من الأيام الثلاثة ووجوهكم مصفرة، واليوم الشاني: عمرة، والشالث.

وكل هذا من الإسرائيليات التي لا ينبغي نقلها في تفسير كتاب الله، وليس في القرآن ما يدل على شيء منها بوجه من الوجوه، بل لوكانت صحيحة لذكرها الله تعالى، لأن فيها من العجائب والعبر والأيات ما لا يهمله تعالى ويدع ذكره، حتى يأتي من طريق من لا يوثق بنقله، بل القرآن يكذب بعض هذه المذكورات، فإن صالحاً قال لهم: ﴿ تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾ أي: تنعموا وتلذَّذوا بهذا الوقت القصير جداً، فإنه ليس لكم من المتاع واللذة سوى هذا، وأي: لذة وتمتع لمن وعدهم نبيهم وقوع العذاب، وذكر لهم وقوع مقدماته، فوقعت يومأ فيومأ على وجه يعمهم ويشملهم [احمرار وجوههم، واصفرارهم واسودادها من العذاب](١).

هل هذا إلا مناقض للقرآن، ومضاد له؟!!. فالقرآن فيه الكفاية والهداية عن ما سواه.

نعم لو صح شيء عن رسول الله على الا يناقض كتاب الله، فعلى الرأس والعين، وهو مما أمر القرآن باتباعه ﴿وما آتاكم

الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ♦. وقد تقدم أنه لا يجوز تفسير كتاب الله بالأخبار الإسرائيلية، ولو على تجويز الرواية عنهم بالأمور التي لا يجزم بكذبها، فإن معاني كتاب الله يقينية، وتلك أمور لا تصدق ولا تكذب، فلا يمكن اتفاقهما.

﴿٨٠ ـ ٤٨﴾ ﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴾ إلى آخر القصة (١) . أي : ﴿وَهِ اذْكُر عبدنا ﴿لوطاً ﴾ عليه الصلاة والسلام، إذ أرسلناه إلى قومه يأمرهم بعبادة الله وحده، ويشهاهم بها أحد من الفاحشة التي ما سبقهم بها أحد من والشناعة \_ إلى أن استغرقت أنواع الفحش، ﴿ما سبقكم بها من أحد من والتملين ﴾ فكونها فاحشة من أشنع الأشياء، وكونهم ابتدعهم، من وابتكروها، وسنوها لمن بعدهم، من أيكون أيضاً.

ثم بينها بقوله: ﴿إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء ﴾ أي: كيف تذرون النساء اللاتي خلقهن الله لكم، وفيهن المستمتع الموافق للشهوة والفطرة، وتقبلون على أدبار الرجال، التي هي غاية ما يكون في الشناعة والخبث، عل تخرج منه الأنتان فضلاً عن ملامستها وقربها، ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ أي: متجاوزون لما عده الله متجرئون على محارمه.

﴿وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون أي: يتنزهون عن فعل الفاحشة. ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾.

﴿فَأَنْجِينَاهُ وَأَهِلَهُ إِلاَ امرأته كانت من الغابرين ﴾ أي: الباقين المعذبين، أمره الله أن يسري بأهله ليلاً، فإن العذاب مصبح قومه فسرى بهم، إلا امرأته أصابها ما أصابهم.

﴿وأمطرنا عليهم مطراً ﴾ أي: حجارة حارة شديدة ، من سجيل ، وجعل الله عاليها سافلها ، ﴿فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ الهلاك والخزي الدائم .

﴿ ٨٨ ـ ٣٩ ﴾ ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً ﴾ . . . إلى آخر القصة (٢) أي : ﴿ وَ القصة (٢) أي : ﴿ وَ السبب ﴿ شعيباً ﴾ ﴿ أخاهم ﴾ في النسب ﴿ شعيباً ﴾ يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ويأمرهم بإيفاء المكيال والميزان، لا يعثوا في الأرض مفسدين، بالإكثار من عمل المعاصي، ولهذا قال : ﴿ وَلا تَنْفُسُدُوا فَي الأَرْضُ بعد وافي الأَرْضُ بعد مؤمنين ﴾ فإن ترك المعاصي امتثالاً مؤمنين ﴾ فإن ترك المعاصي امتثالاً من ارتكابها الموجب لسخط الجبار، وعذاب النار.

﴿ولا تقعدوا اللناس ﴿بكل صراط) أي: طريق من الطرق التي يكثر سلوكها، تحذرون الناس منها و ﴿توعدون﴾ من سلكها ﴿وتصدون عن سبيل الله من أراد الاهتداء به ﴿وتعنونا عوجاً ﴾ أي: تبغون سبيل الله تكون معوجة، وتميلونها اتباعاً لأهوائكم، وقد كان الواجب عليكم وعلى غيركم الاحترام والتعظيم للسبيل التي نصبها الله لعباده ليسلكوها إلى مرضاته ودار كرامته، ورحمهم بها أعظم رحمة، وتَصَدُّون لنصرتها والدعوة إليها، والذب عنها، لا أن تكونوا أنتم قطاع طريقها، الصادين الناس عنها، فإن هذا كفر لنعمة الله ومحادة لله، وجعل أقوم الطرق وأعدلها مائلة، وتشنعون على من سلكها.

واذكروا ( نعمة الله عليكم وإذ كنتم قليلا فكثركم ( أي: نماكم بما أنعم عليكم من الزوجات والنسل ، والصحة ، وأنه ما ابتلاكم بوباء أو أمراض من الأمراض المقللة لكم ، ولا

سلط عليكم عدواً يجتاحكم ولا فرقكم في الأرض، بل أنعم عليكم باجتماعكم، وإدرار الأرزاق وكثرة النسل.

﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين فإنكم لا تجدون في جوعهم إلا الشتات، ولا في ربوعهم إلا الوحشة والانبتات ولم يورثوا ذكراً حسناً، بل أتبعوا في هذه الدنيا لعنة، ويوم القيامة أشد خزياً وفضيحة.

﴿ وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا ، وهم الجمهور منهم . ﴿ فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ﴾ فينصر المحق، ويوقع العقوبة على المطل.

وقال الملأ الذين استكبروا من قومه وهم الأشراف والكبراء منهم الذين اتبعوا أهواءهم ولهوا بلذاتهم، فلما أتاهم الحق ورأوه غير موافق لأهوائهم الرديئة، ردوه واستكبروا عنه، فقالوا لنبيهم شعيب ومن معه من شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا استعملوا قوتهم السبعية، في مقابلة الحق، ولم يراعوا السبعية، في مقابلة الحق، ولم يراعوا واتبعوا أهواءهم وعقولهم السفيهة التي ولتهم على هذا القول الفاسد، فقالوا: إما أن ترجع أنت ومن معك إلى ديننا أو لنخرجنكم من قريتنا.

ف «شعيب» عليه الصلاة والسلام كان يدعوهم طامعاً في إيمانهم، والآن لم يسلم من شرهم، حتى توعدوه إن لم يتابعهم - بالجلاء عن وطنه، الذي هو ومن معه أحق به منهم.

فرقال لهم شعيب عليه الصلاة والسلام متعجباً من قولهم: ﴿ أُولُو لُو كَنَا كَارِهِينَ ﴾ أي: أنتابعكم على دينكم وملتكم الباطلة، ولو كنا كارهين لها لعلمنا ببطلانها، فإنما يدعى إليها من له نوع رغبة فيها، أما من يعلن بالنهي عنها، والتشنيع على من اتبعها فكيف

يدعى إليها؟!!

﴿قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها أي: اشهدوا علينا أننا إن عدنا فيها بعدما نجانا الله منها وأنقذنا من شرها، أننا كذبون مفترون على الله الكذب، فإننا شريكاً، وهو الواحد الأحد الفرد السمد، الذي لم يستخذ ولداً ولا صاحبة، ولا شريكاً في الملك.

﴿ وما يكون لنا أن نعود فيها ﴾ أي: يمتنع على مثلنا أن نعود فيها، فإن هذا من المحال، فآيسهم عليه الصلاة والسلام من كونه يوافقهم من وجوه متعددة، من جهة أنهم كارهون لها مبغضون لما هم عليه من الشرك. ومن جهة أنه جعل ما هم عليه كذباً، وأشهدهم أنه إن اتبعهم ومن معه فإنهم كاذبون.

ومنها: اعترافهم بمنة الله عليهم إذ أنقذهم الله منها.

ومنها: أن عودهم فيها \_ بعدما هداهم الله \_ من المحالات، بالنظر إلى حالتهم الراهنة، وما في قلوبهم من تعظيم الله تعالى والاعتراف له بالعبودية، وأنه الإله وحده الشريك له، وأن آلهة المشركين أبطل الباطل، وأعل المحال.

وحيث إن الله من عليهم بعقول يعرفون بها الحق والباطل، والهدى والضلال.

وأما من حيث النظر إلى مشيئة الله وإرادته النافذة في خلقه، التي لا خروج لأحد عنها، ولو تواترت الأسباب وتوافقت القوى، فإنهم شيئاً أو يتركونه، ولهذا استثنى ﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾ أي: فلا يمكننا ولا غيرنا، الخروج عن مشيئته التابعة لعلمه وحكمته، وقد ﴿وسع ربنا كل شيء علماً فيعلم ما يصلح للعباد وما

يدبرهم عليه. ﴿على الله توكلنا﴾ أي: اعتمدنا أنه سيثبتنا على الصراط الستقيم، وأن يعصمنا من جميع طرق الجحيم، فإن من توكل على الله كفاه، ويسر له أمر دينه ودنياه.

﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ﴾ أي: انصر المظلوم وصاحب الحق، على الظالم المعاند للحق ﴿ وأنت خير الفاتحين ﴾ وفتحه تعالى لعباده نوعان: فتح العلم، بتبيين الحق من الباطل، ومن هو من المستقيمين على الصراط، بمن هو من محرف عنه.

والنوع الثاني: فتحه بالجزاء وإيقاع العقوبة على الظالمين، والنجاة والإكرام للصالحين، فسألوا الله أن يفتح بينهم وبين قومهم بالحق والعدل، وأن يريهم من آياته وعبره، ما يكون فاصلاً بين الفريقين.

﴿ وقال الملا الذين كفروا من قومه ﴾ عذرين عن اتباع شعيب، ﴿ لثن اتبعتم شعيباً إنكم إذاً لخاسرون ﴾ هذا ما سولت لهم أنفسهم أن الخسارة والشقاء في اتباع الرشد والهدى، ولم يدروا أن الخسارة كل الخسارة في لزوم ما هم عليه من المضلال والإضلال، وقد علموا ذلك حين وقع بهم النكال.

وفأخذتهم الرجفة أي: الزلزلة الشديدة وفأصبحوا في دارهم جاثمين أي: صرعى ميتين هامدين، قال تعالى ناعياً حالهم والذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها أي: كأنهم ما أمتعوا في عرصاتها، ولا تفيئوا في ظلالها، ولا أكلوا من غنوا في مسارح أنهارها، ولا أكلوا من ممار أشجارها، حين فاجأهم العذاب، فنقلهم من مورد اللهو واللعب واللذات، إلى مستقر الحزن والمنقاء والعقاب والدركات ولهذا والشاسرين أي: الحسار محصور فيهم، الخاسرين أي: الحسار محصور فيهم، يوم القيامة، ألا ذلك هو الحسران يوم القيامة، ألا ذلك هو الحسران

المبين، لا من قالوا لهم: ﴿لَنُنَ اتبعتمُ شَعِيبًا إِنَّكُمْ إِذَا لِخَاسُرُونَ﴾،

فحين هلكوا تولى عنهم نبيهم شعيب عليه الصلاة والسلام ﴿وقال﴾ معاتباً وموبخاً ومخاطباً بعد موتهم: ﴿يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي﴾ أي: أوصلتها إليكم، وبينتها حتى بلغت منكم أقصى ما يمكن أن تصل إليه، وخالطت أفئدتكم ﴿ونصحت لكم﴾ فلم تقبلوا نصحي، ولا انقدتم لإرشادي، بل فسقتم وطغيتم.

﴿ فكيف آسى على قوم كافرين ﴾ أي: فكيف أحزن على قوم لا خير فيهم، أتاهم الخير فردوه ولم يقبلوه، ولا يليق بهم إلا الشر، فهؤلاء غير حقيقين أن يحزن عليهم، بل يفرح بإهلاكهم ومحقهم، فعياذاً بك اللهم من الخزي والفضيحة، وأي: شقاء وعقوبة أبلغ من أن يصلوا إلى حالة يتبرأ منهم أنصح الخلق لهم؟!!

﴿ ٩٤ \_ ٩٥﴾ ﴿وما أرسلنا في قرية من نبى إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون \* ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ يقول تعالى: ٰ ﴿وما أرسلنا في قرية من نبي﴾ يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عن ما هم فيه من الشر، فلم ينقادوا له: إلاابتلاهم الله ﴿بالبأساء والضراء﴾ أي: بالفقر والمرض وأنواع البلايا. ﴿لعلهم﴾ إذا أصابتهم، أخضعت نفوسهم فتضرعوا إلى الله واستكانوا للحق. ﴿ثُمُّ إِذَا لَمْ يَفَدُ فَيَهُمُ ، واستمر استكبارهم، وازداد طغيانهم. ﴿ بدلنا مكان السيئة الحسنة ﴾ فأذرَّ عليهم الأرزاق، وعافي أبدانهم، ورفع عنهم البلاء ﴿ حتى عفوا ﴾ أي: كثروا، وكثرت أرزاقهم وانبسطوا في نعمة الله وفضله، ونسوا ما مرعليهم من البلاء. ﴿ وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء ﴾ أي: هذه عادة جارية لم تزل موجودة في الأولين واللاحقين، تارة

يكونون في سراء وتارة في ضراء، وتارة في فرح، ومرة في ترح، على حسب تقلبات الزمان وتداول الأيام، وحسبوا أنها ليست للموعظة والتذكير، ولا للاستندراج والنكير حتى إذا اغتبطوا، وفرحوا بما أوتوا، وكانت الدنيا، أسر ما كانت إليهم، أخذناهم بالعذاب﴿بغتة وهم لا يشعرون﴾ أي: لم يخطر لهم الهلاك على بال، وظنُّوا أنهم قادرون على ما آتاهم الله، وأنهم غير زائلين ولا منتقلين عنه.

﴿٩٦ ـ ٩٩ ﴾ ﴿ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض وللكن كنذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون \* أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون \* أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون \* أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ لما ذكر تعالى أن المكذبين للرسل يبتلون بالضراء موعظة وإنذارأ، وبالسراء استدراجاً ومكراً، ذكر أن أهل القري، لو آمنوا بقلوبهم إيماناً صادقاً صدقته الأعمال، واستعملوا تقوى الله تعالى ظاهراً وباطناً، بترك جميع ما حرّم الله، لفتح عليهم بركات السماء والأرض، فأرسل السماء عليهم مدراراً، وأنبت لهم من الأرض ما به يعيشون وتعيش بهائمهم، في أخصب عيش وأغزر رزق، من غير عناه ولا تعب، ولا كدولا نصب، ولكنهم لم يؤمنوا ويتقوا ﴿فَأَخَذُنَاهُمُ بما كانوا يكسبون ، بالعقوبات والبلايا ونزع البركات، وكثرة الآفات، وهي بعض جزاء أعمالهم، وإلا فلو واخذهم بجميع ماكسبوا، ما ترك عليها من دابة . ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس، ليذيقهم بعض الذي عملوا، لعلهم

﴿أَفَأَمِنَ أَهِلِ القرى﴾ أي: المكذبة، بقرينة السياق ﴿أَن يأتيهم بأسنا ﴾ أي:

عذابنا الشديد ﴿بياتاً وهم نائمون﴾ أي: في غفلتهم، وغرتهم وراحتهم. ﴿ أُو أَمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ﴾ أي: أي: شيء يؤمنهم من ذلك، وهم قد فعلوا أسبابه، وارتكبوا من الجرائم العظيمة، ما يوجب بعضه الهلاك؟!

﴿أَفَأَمِنُوا مِكْرِ اللهِ حِيث يستدرجهم من حيث لا يعلمون، ويملى لهم، إن كيده متين، ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، فإن من أمن من عذاب ألله، فهو (١١) لم يصدق بالجزاء على الأعمال، ولا آمن بالرسل حقيقة الإيمان.

وهذه الآية الكريمة فيهامن التخويف البليغ، على أن العبد لا ينبغي له أن يكون أمناً على ما معه من الإيمان.

بل لا يزال خائفاً وجلاً أن يبتلي ببلية تسلب ما معه من الإيمان، وأن لا يزال داعياً بقوله: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، وأن يعمل ويسعى، في كل سبب يخلصه من الشر عند وقوع الفتن، فإن العبد ـ ولو بلغت به آلحال ما بلغت ـ فليس على يقين من السلامة.

﴿١٠٠ ـ ١٠٠﴾ ﴿أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون \* تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين \* وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين، يقول تعالى منبهاً للأمم الغابرين بعد هلاك الأمم الغابرين (٢٠): ﴿ أُولُم يَهِدُ للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ﴾ أي: أو لم يتبين ويتضح للأمم الذين ورثوا الأرض، بعد إهلاك من قبلهم بذنوبهم، ثم عملوا كأعمال أولئك

TO COLUMN A SHORTH TO COLUMN A S • وَإِذْ نَنَقْنَا ٱلْجُبُلُ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةً وَظَلْوا أَنْهُ وَاقْرُبِهِم خُذُوا مَآ ءَالَيۡنَكُمُ بِقُوۡ مَوَاۡذَٰكُرُواۡ مَافِيهِ لَعَلَّكُوۡ نَتَقُوبَ ۞ وَإِذْ أَخَذَرَتُكَ مِنْ بَيْءَ أَدَمَ مِنْ ظَهُورِهِمْ ذُرْيَتُ هُرُوَأَشْهَدَهُ عَلَىٓ أَنفُ حِزْ ٱلسَّتُ رَبِّكُمْ قَالُوا بِكَلْ شَهَدْ مَثَٱلَ مَتَعُولُوا يَوْمُ ٱلْقِيكُمَّةِ إِنَّاكُنَّاعَنْ هَاذَا غَلِفِلِينَ ۞ أَوْتَقُولُوا إِثَمَّا أَشْرُكُ ءَاسَآ وُمَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِيْرٍ أَفْنُهُ لِلْكُا يَمَا فَعَلَ ٱلْتَبْطِلُونَ ۞ وَكُذَاكِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَكِتِ وَلَعَكَلَّهُ مُنْ تَجْعُوبَ ا وَاتَلُ عَلَيْهِ مِرْبَا ٱلَّذِي ءَاتَيْنَهُ مَاكِينِنَا فَانسَلَمَ مِنْهَا فَأَنْبَكُ ٱلشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْعَادِينَ 🚭 وَلَوَّ شِيعًٰنَا لَرَضَنَهُ بِهَا وَلَكِنَهُ مِلْنَادَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّهُ هُوَلِهُ فَشَكْهُ كَشَكِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْدِلْ عَلَيْهِ بِٱلْهَثْ أَوْ تَرْكُ عُدُيًّا هَتْ ذَاكَ مَنْكُ ٱلْقَوْمِ ٱلْذِيرِ كُذَّ بُوابِ كَالِينَا فَأَصْبُصِ ٱلْمُصَصَ لَعَلَمُهُ يَنْفَكَ رُونَ ۞ سَلَّةَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَنَّبُواْ بِكَانِينَا وَأَنفُكُمُ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ۞ مَن يَهْدِ ألَّهُ فَهُوَ لَلْهُ تَدَى وَمَن يُعَلِلْ فَأُولَلِنِكَ حُرُ أَتَحَكَيرُونَ ۞ 

الهلكن؟

أولم يهتدوا أن الله لو شاء الأصابهم بذنوبهم، فإن هذه سنته في الأولين ا والآخرين.

وقوله: ﴿ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون ﴿ أَي : إذا نبهَهُم الله فلم ينتبهوا، وذكرهم فلم يتذكروا، وهداهم بالآيات والعبر فلم يهتدوا، فإن الله تعالى يعاقبهم ويطبع على قلوبهم، فيعلوها الران والدنس، حتى يختم عليها، فلا يدخلها حق، ولا يصل إليها خير، ولا يسمعون ما ينفعهم، وإنما يسمعون ما به تقوم الحجة عليهم.

﴿تلك القرى﴾ الذين تقدم ذكرهم ﴿نقص عليك من أنبائها﴾ ما يحصل به عبرة للمعتبرين، وازدجار للظالمين، وموعظة للمتقين.

﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ أي: ولقد جاءت هؤلاء المكذبين رسلهم تدعوهم إلى ما فيه سعادتهم، وأيدهم الله بالمعجزات الظاهرة، والبينات المبينات للحق بياناً كاملاً، ولكنهم لم يفدهم هذا، ولا أغني عنهم شيئاً، ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ﴾ أي: بسبب تكذيبهم وردهم الحق أول مرة، ما كان الله ليهديهم

في ب: فإنه. (١)

في هامش ب في بيان معنى كلمة الغابرين المتكررة ما يلي: الغابرين: الباقين، الغابرين: الماضين. (٢)

وَلَمْدَ دَرَانَا لِحَمْمُ كَيْرِكُ مَنَ الْمِينَ وَالْإِيشَ لِمُعْمُونَ الْمَعْمُونَ الْمَعْمُونَ الْمِينَ وَالْمِيشَةِ الْمُعْمُونَ الْمَعْمُونَ الْمَعْمُونَ الْمَعْمُونَ الْمَعْمُونَ الْمَعْمُونَ الْمُعْمُونَ الْمُعْمُونَ الْمُعْمُونَ الْمُعْمَونَ الْمَعْمُونَ الْمُعْمَونَ الْمُعْمَونَ الْمُعْمَونَ الْمُعْمَونَ الْمُعْمَونَ الْمُعْمَونَ الْمُعْمَونَ الْمُعْمَونَ الْمُعْمَونَ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّه

الإيمان، جزاء لهم على ردهم الحق، كما قال تعالى: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لو يؤمنوا به أول مرة، ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾. ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾ عقوبة منه. وما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم.

﴿وَما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾ أي: وما وجدنا لأكثر الأمم الذين أرسل الله إليهم الرسل من عهد، أي: من ثبات والتزام لوصية الله التي أوصى بها جميع العالمين، ولا انقادوا لأوامره التي ساقها إليهم على ألسنة رسله.

﴿ وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين ﴾ أي: خارجين عن طاعة الله، متبعين لأهوائهم بغير هدى من الله، فالله تعلى امتحن العباد بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وأمرهم باتباع عهده وهداه، فلم يمتثل لأمره إلا القليل من الناس، الذين سبقت لهم من الله سابقة السعادة.

وأما أكثر الخلق فأعرضوا عن الهدى، واستكبروا عما جاءت به الرسل، فأحل الله بهم من عقوباته المتنوعة ما أحل.

﴿١٠٣ ـ ١٧١﴾ ﴿ثم بعثنا من

بعدهم موسى بأياتنا إلى فرعون وملائه ﴾ إلى أخر قصته (١). أي: ثم بعثنا من بعد أولئك الرسل موسى الكليم، الإمام العظيم، والرسول الكريم، إلى قوم عتاة جبابرة، وهم فرعون وملته، من أشرافهم وكبراتهم، فأراهم من آيات الله العظيمة ما لم يشاهد له نظير ﴿فظلموا بها﴾ بأن لم ينقادوا لحقها الذي من لم ينقد له فهو ظالم، بل استكبروا عنها ﴿فَانْظُرُ كَيْفُ كأن عاقبة المفسديين كيف أهلكهم الله، وأتبعهم الذم واللعنة في الدنيا ويوم القيامة، بئس الرفد المرفود، وهذا مجمل فصله بقوله: ﴿وقال موسى، حين جاء إلى فرعون يدعوه إلى الإيمان ﴿ يا فرعون إني رسول من رب العالمين أي: إن رسول من مرسل عظيم، وهو رب العالمين، الشامل للعالم العلوي والسفلي، مربي جميع خلقه بأنواع التدابير الإلهية، التي من جملتها أنه لا يتركهم سدى، بل يرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين، وهو الذي لا يقدر أحد أن يتجرأ عليه، ويدعى أنه أرسله ولم يرسله .

فإذًا كان هذا شأنه، وأنا قد اختارني واصطفاني لرسالته، فحقيق على أن لا أكذب عليه، ولا أقول عليه إلا أكتب عليه، ولا أقول عليه إلا العقوبة، وأخذني أخذ عزيز مقتدر. بالعقوبة، وأخذني أخذ عزيز مقتدر خصوصاً وقد جاءهم ببينة من الله فوجب عليهم أن يعملوا بمقصود واضحة على صحة ما جاء به من الحق، رسالته، ولها مقصودان عظيمان: إسرائيل الشعب الذي فضله الله على العملين، أولاد الأنبياء، وسلسلة يعقوب عليه السلام، الذي موسى يعقوب عليه السلام، الذي موسى عليه السلام واحد منهم.

فقال له فرعون: ﴿إِنْ كَنْتَ جَنْتُ بِآية فأت بها إِنْ كَنْتَ مِنْ الصَّادَقِينَ \* فَالْقَى الْمُوسِى ﴿عَصَاهُ ۚ فِي الْأَرْضِ

﴿ فَإِذَا هِي تُعبِانَ مِبِينَ ﴾ أي: حية ظاهرة تسعى، وهم يشاهدونها.

﴿ونزع يده ﴾ من جيبه ﴿فإذا هي بيضاء للناظرين من غير سوء، فهاتان آيتان كبيرتان دالتان على صحة ما جاء به موسى وصدقه، وأنه رسول رب العالمين، ولكن الذين لا يؤمنون لو جاءتهم كل آية لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم، فلهذا ﴿قال الملأ من قوم فرعون که حین بهرهم ما رأوا من الآيات، ولم يؤمنوا، وطلبوالها التأويلات الفاسدة: ﴿إنَّ هَذَا لَسَاحِرِ عليم﴾ أي: ماهر في سحره، ثم خوفوا ضعفاء الأحلام وسفهاء العقول، بأنه ﴿يريد﴾ موسى بفعله هذا ﴿أَن يُخرجكم من أرضكم﴾ أي: يريد أن يجليكم (٢) عن أوطانكم ﴿فَمَاذَا تأمرون﴾ أي: إنهم تشاوروا فيما بينهم ما يفعلون بموسى، وما يندفع به ضرره بزعمهم عنهم، فإن ما جاء به إن لم يقابل بما يبطله ويدحضه، وإلا دخل في عقول أكثر الناس، فحينتذ انعقد رأيهم إلى أن قالوا لفرعون: ﴿أُرجِهُ وأخاه أي: احبسهما وأمهلهما، وابعث في المدائن أناساً يحشرون أهل المملكة ويأتون بكل سحار عليم، أي: يجيئون بالسحرة المهرة، ليقابلوا ما جاء به موسى، فقالوا: يا موسى اجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى.

﴿قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى \* فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى \* وقال هنا: ﴿وجاء السحرة فرعون ﴾ طلبوا ف ﴿قالوا: إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين ﴾ ﴿ وقال ﴾ فرعون : ﴿وانكم لم أجر ﴿وإنكم لم المقربين ﴾ فوعدهم الأجر ﴿والتقريب، وعلو المنزلة عنده، ليجتهدوا ويبذلوا وسمهم وطاقتهم في مغالبة موسى، فلما حضروا مع موسى بحضرة الخلق وعدم التغليم ﴿قالوا ﴾ على وجه التألى وعدم العظيم ﴿قالوا ﴾ على وجه التألى وعدم العظيم ﴿قالوا ﴾ على وجه التألى وعدم

<sup>(</sup>١) في ب: أورد الآيات كاملة.

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: يريد ليجليكم من.

المبالاة بما جاء به موسى: ﴿يا موسى المبالاة بما جاء به موسى إما أن تلقي﴾ ما معك ﴿وإما أن نكون نحد المقين في المقين في القوا ﴾ لأجل أن يرى الناس ما معهم وما مع موسى.

وفلما ألقوا حبالهم وعصيهم، إذا هي من سحرهم كأنها حيات تسعى، ف وسحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤوا بسحر عظيم لم يوجد له نظير من السحر.

واوحينا إلى مسوسسى أن ألت عصاك فألقاها ﴿فإذا هي ﴿ حية تسعى، ف ﴿تلقف ﴾ جميع ﴿ما يأفكون ﴾ أي: يكذبون به ويموهون.

﴿ فوقع الحق﴾ أي: تبين وظهر، واستعلن في ذلك المجمع، ﴿ وبطل ما كانوا يعملون \* فغلبوا هنالك ﴾ أي: في ذلك المقام ﴿ وانقلبوا صاغرين ﴾ أي: حقيرين قد اضمحل باطلهم، وتلاشي سحرهم، ولم يحصل لهم المقصود الذي ظنوا حصوله.

وأعظم من تبين له الحق العظيم أهل الصنف والسحر، الذين يعرفون من أنواع السحر وجزئياته ما لا يعرفه غيرهم، فعرفوا أن هذه آية عظيمة من آيات الله لا يدان لأحد بها.

﴿وألقي السحرة ساجدين \* قالوا آمنا برب العالمين \* رب موسى وهارون ﴾ أي: وصدقنا بما بعث به موسى من الآيات البينات.

ف ﴿قال﴾ لهم ﴿فرعون﴾ متهدداً على الإيمان: ﴿آمنتم به قبل أن آذن لكم﴾ كان الخبيث حاكماً مستبداً على الأبدان والأقوال، قد تقرر عنده وعندهم أن قوله هو المطاع، وأمره نافذ فيهم، ولا خروج لأحد عن قوله وحكمه، وبهذه الحالة تنحط الأمم، وتضعف عقولها ونفوذها، ولهذا قال الله عنه: ﴿فاستخف قومه فأطاعوه﴾ وقال هنا: ﴿آمنتم به قبل أن آذن لكم ﴾ أي: هنا اسوء أدب منكم وتجرؤ على .

ثم موه على قومه وقال: ﴿إِن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها﴾ أي: إن موسى كبيركم الذي علمكم السحر، فتواطأتم أنتم وهو على أن تنغلبوا له، فيظهر فتتبعوه، ثم يتبعكم الناس أو جمهورهم، فتخرجوا منها أهلها.

وهذا كذب يعلم هو ومن سبر الأحوال، أن موسى عليه الصلاة والسلام لم يجتمع بأحد منهم، وأنهم جمعوا على نظر فرعون ورسله، وأن ما جاء به موسى آية إلهيّة، وأن السحرة قد بذلوا مجهودهم في مغالبة موسى، حتى عجزوا وتبين لهم الحق، فاتبعوه. ثم توعدهم فرعون بقوله: ﴿ فسوف تعلمون ﴾ ما أحل بكم من العقوبة، ﴿الأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف الخبيث أنهم مفسدون في الأرض، وسيصنع بهم ما يصنع بالمفسدين، من تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف، أي: اليد اليمني والرجل اليسرى. ﴿ثم لأصلبنكم﴾ في جذوع النخل، لتختزوا بزعمه ﴿أَجِعِينَ ﴾ أي: لا أفعل هذا الفعل بأحد دون أحد، بل كلكم سيذوق هذا العذاب، فقال السحرة الذين آمنوا لفرعون حين تهددهم: ﴿إِنَّا إِلَّى رَبُّنَا منقلبون اي: فلا نبالي بعقوبتك، فالله خير وأبقى، فاقض ما أنت قاض. ﴿ وما تنقم منا ﴾ أي: وما تعيب منا على إنكارك علينا وتوعدك لنا؟ فليس

جاءتنا] (۱) فإن كان هذا ذنباً يعاب عليه، ويستحق صاحبه العقوبة، فهو ذنبنا.
ثم دعوا الله أن يثبتهم ويصبرهم فقالوا: ﴿ ربنا أفرغ ﴾ أي: أفض ﴿ علينا صبراً ﴾ أي: عظيماً، كما يدل

لنا ذنب ﴿إلا أن آمنا﴾ [بآيات] ربنا [لما

عليه التنكير، لأن هذه محنة عظيمة، تؤدي إلى ذهاب النفس، فيحتاج فيها من الصبر إلى شيء كثير، ليثبت الفؤاد، ويطمئن المؤمن على إيمانه،

ويزول عنه الانزعاج الكثير .

وروفنا مسلمين أي: منقادين الأمرك، متبعين لرسولك، والظاهر أنه أوقع بهم ما توعدهم عليه، وأن الله تعالى ثبتهم على الإيمان.

هذا وفرعون وملأه وعامتهم المتبعون للملأ، قد استكبروا عن آيات الله، وجحدوا بها ظلماً وعلواً، وقالوا لفرعون مهيجين له على الإيقاع بموسى، وزاعمين أن ما جاء باطل وفساد: ﴿أَتَذْر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض﴾ بالدعوة إلى الله، وإلى التي هي الصلاح في الأرض، وما هم عليه هو الفساد، ولكن الظالمين لا يبالون بما يقولون.

﴿ويندرك وآلهتك ﴾ أي: يدعك أنت وآلهتك، وينهى عنك، ويصد الناس عن اتباعك.

ف ﴿قال﴾ فرعون بحيباً لهم، بأنه سيدع بني إسرائيل مع موسى بحالة لا ينمون فيها، ويأمن (٢) فرعون وقومه \_ بزعمه \_ من ضررهم: ﴿سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم أي: نستبقيهن فلا نقتلهن، فإذا فعلنا ذلك أمنا من كثرتهم، وكنا مستخدمين لباقيهم، ومسخرين لهم على ما نشاء من الأعمال ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾ لا قدرة، وهذا نهاية الجبروت من فرعون والعتو والقسوة.

ف ﴿قال موسى لقومه ﴾ موصياً لهم في هذه الحالة ، \_ التي لا يقدرون معها على شيء ، ولا مقاومة \_بالمقاومة الإلهية ، والاستعانة الربانية : ﴿استعينوا بالله أي : اعتمدوا عليه في جلب ما ينفعكم ، ودفع ما يضركم ، وثقوا بالله أنه سيتم أمركم ﴿واصبروا ﴾ أي : الزموا الصبر على ما يحل بكم ، منتظرين للفرح .

﴿إِنَّ الأَرْضُ شَهُ لِيست لَفَرَعُونَ ولا لقومه حتى يتحكموا فيها ﴿يورثها

<sup>(</sup>١) زيادة من هامش ب، وهي في أ: آمنا بربنا.

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: ويؤمن.

من يشاء من عباده أي: يداولها بين الناس على حسب مشيئته وحكمته، ولكن العاقبة للمتقين، فإنهم - وإن المتحنوا مدة ابتلاء من الله وحكمة، فإن النصر لهم، ﴿والعاقبة ﴾ الحميدة عند القدرة، أن يفعل من الأسباب الدافعة عنه أذى الغير، ما يقدر عليه، وعند العجز، أن يصبر ويستعين الله، وينتظر الفرج.

﴿قالوا﴾ لموسى متضجرين من طول ما مكثوا في عذاب فرعون، وأوذيته: ﴿أوذينا من قبل أن تأتينا﴾ فإنهم يسوموننا سوء العذاب، يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا ﴿ومن بعد ما جنتنا﴾ كذلك ف ﴿قال﴾ لهم موسى مرجياً [لهم](١) الفرج والخلاص من شرهم: ﴿عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض﴾ أي: يمكنكم فيها، ويجعل لكم التدبير فيها ﴿فينظر كيف تعملون﴾ هل تشكرون أم تكفرون؟. وهذا وعد أنجزه الله لما

﴿ ١٣٠ ﴾ قال الله تعالى في بيان ما عامل به آل فرعون في هذه المدة الأخيرة، أنها على عادته وسنته في الأمم، أن يأخذهم بالبأساء والضراء، لعلهم يضرعون. الآيات:

﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ﴾ أي: بالدهور والجدب، ﴿ ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ﴾ أي: يتعظون أن ما حل بهم وأصابهم معاتبة من الله لهم، لعلهم يرجعون عن كفرهم، فلم ينجع فيهم ولا أفاد، بل استمروا على الظلم والفساد.

﴿فَإِذَا جاءتهم الحسنة ﴾ أي: الخصب وإدرار الرزق ﴿قالوا لنا هذه ﴾ أي: نحن مستحقون لها، فلم يشكروا الله عليها ﴿وإن تصبهم سيئة ﴾ أي: قحط وجدب ﴿يطيروا بموسى ومن معه ﴾ أي: يقولوا: إنما جاءنا بسبب مجيء موسى، واتباع بني إسرائيل له.

قال الله تعالى: ﴿ أَلا إِنما طَائرهم عند الله ﴾ أي: بقضائه وقدرته، ليس كما قالوا، بل إن ذنوبهم وكفرهم هو السبب في ذلك، بل ﴿ أكثرهم لا يعلمون ﴾ أي: فلذلك قالوا ما قالوا.

﴿وقالوا﴾ مبينين لموسى أنهم لا يزالون، ولا يزولون عن باطلهم: ﴿مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾ أي: قد تقرر عندنا أنك ساحر، فمهما جئت بآية جزمنا أنها سحر، فلا نؤمن لك ولا نصدق، وهذا غاية ما يكون من العناد، أن يبلغ بالكافرين إلى أن تستوي عندهم الحالات، سواء نزلت عليهم الآيات أم لم تنزل.

وفأرسلنا عليهم الطوفان أي:
الماء الكثير الذي أغرق أشجارهم
وزروعهم، وأضر بهم ضرراً كثيراً
ووالجراد فأكل ثمارهم، وزروعهم،
ونباتهم ووالقمل قيل: إنه الدباء،
أي: صغار الجراد، والظاهر أنه القمل أوعيتهم، وأقلقتهم، وآذتهم أذية أوعيتهم، وأقلقتهم، وآذتهم أذية الرعاف، أو كما قال كثير من المفسرين، أن ماءهم الذي يشربون الا القلب دماً، فكانوا لا يشربون إلا بدم.

﴿آيات مفسلات ﴾ أي: أدلة وبينات على أنهم كانوا كاذبين ظالمن، وعلى أن ما جاء به موسى حق وصدق ﴿فاستكبروا ﴾ لما رأوا الآيات ﴿وكانوا ﴾ في سابق أمرهم ﴿قوماً عرمن ﴾ فلذلك عاقبهم الله تعالى، بأن أبقاهم على الغي والضلال.

ولا وقع عليهم الرجز أي: العناب، يحتمل أن المرادب: الطاعون، كما قاله كثير من المفسرين، ويحتمل أن يرادبه ما تقدم من الآيات: الطوفان، والجراد، والقمل، والخضفادع، والدم، فإنها رجز وعذاب، وأنهم كلما أصابهم واحد منها ﴿قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما

عهد عندك أي: تشفعوا بموسى بما عهد الله عنده من الوحي والشرع، ولئن كشفت عنا الرجز، لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل وهم في ذلك كذبة، لا قصد لهم إلا زوال ما حل بهم من العذاب، وظنوا إذا رفع لا يصيبهم غيره.

﴿ فَلَما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه ﴾ أي: إلى مدة قدر الله بقاءهم إليها، وليس كشفاً مؤبداً، وإنما هو مؤقت، ﴿ إذا هم ينكثون ﴾ العهد الذي عاهدوا عليه موسى، ووعدوه بالإيمان به، وإرسال بني إسرائيل، فلا آمنوا به ولا أرسلوا معه بني إسرائيل، بل استمروا على كفرهم يعمهون، وعلى تعذيب بني إسرائيل دائين.

﴿فَانْتَقَّمْنَا مِنْهُم ﴾ أي: حين جاء الوقت المؤقت له لاكهم، أمر الله موسى أن يسري ببني إسرائيل ليلاً، وأخبره أن فرعون سيتبعهم هو وجنوده ﴿فأرسل فرعون في المدائن حاشرين﴾ يجمعون الناس ليتبعوا بني إسرائيل، وقالوا ليهم: ﴿إِنَّ هِـؤُلَّاء لِشرَدْمة قليلون \* وإنهم لنا لغائظون \* وإنا لجميع حاذرون الفأخرجناهم من جنات وعيون ۞ وكنوز ومقام كريم ۞ كذلك وأورثناها بنى إسرائيل \* فأتبعوهم مشرقين \* فلما تراءي الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون \* قيال كيلا إن منعني ربي سيهدين \* فأوحينا إلى موسى أنَّ اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم \* وأزلفنا ثم الآخرين \* وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ۞ ثم أغرقنا الآخرين﴾.

وقال هنا: ﴿فأغرقناهُم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ أي: بسبب تكذيبهم بآيات الله وإعراضهم عما دلت عليه من الحق.

﴿ وأورثُنا القوم الذين كانوا يستضعفون ﴿ في الأرض ، أي: بني إسرائيل الذين كانوا خدمة لآل

CONTRACT A الله المَا لَمُ لِلْكُ لِنَفِي نَفَعًا وَلَاضَرًا إِلَّا مَا شَكَّةَ اللَّهُ وَلَوْكُنتُ آغَادُ ٱلْفَنْدَ لَاسْتَكُفَّاتُ مِنَ آغَيْرُ وَمَامَتِينَ ٱلنُّسِفُ إِنَّ أَنَّا الْأَنَدَرُّ وَمَشَرِّ لِقَوْمِ تُوْمِنُونَ ﴿ ﴿ هُوَالَّذِي خَلَقَكُم يِّن نَفْسِ وَجِدَةِ وَبَحَدَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ الْيَهَا فَكَا تَفَشَّعُا مَلَفَحَلَاخَفِيفَا فَرَّفَ بِيعَظَّآ أَتَقَلَت دُعُوا أَنْهُ زَيَّهُ مَا لَنْ ءَاتَيْتُنَامَ لِلهَا لَتَكُونَ مِنَ الشَّلِيمِينَ ﴿ فَلَكَآ ءَاتَنهُمَا صَلِلمًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتُنهُمُأَفَعَلَ إَلَّهُ مَّا يُنْرِكُونَ ۞ أَيْنَزُكُونَ مَا لاَيَنْقُ شَيْعًا وَفُرِيَّنَا فَقُونَ @ وَلَايِسْ تَطِيعُونَ لَكُمْ نَصَرًا وَلَا أَنْسُ عُرْيَاصُرُوكَ ۞ وَإِن نَدْعُومُ إِلَى لَلْمُنَىٰ لَا يَنِّيعُوكُمْ سُوّاءُ عَلَيْكُمْ أَنْعُونُكُمْ المَّالَتُ مُركِبُونَ ﴿ إِنَّالَةِيكَ تَدْعُوكِ مِن دُوْكِ الْعَوْ المَّا الْمُنْ الْكُثِّرُ فَادْعُومُوا فَايْتُ يَجِيبُوا لَكُولُ الْمُنْانِ كُنْدُ الكَيْرُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُثَالِّينَ اللَّهُ اللَّالِيلِّ اللَّهُ اللَّ يَا أَمْ لَكُمْ أَعَيْنَ يُنْصِيرُونَ بِمَا أَمْ لَكُمْ وَاذَانُ يُسْتَمَعُونَ بِهَا قُلِ اَدْعُوا شُرَكَ آءَ كُونُدُّ كِيدُونِ فَلَا نُنْظِرُونِ ۞ TO SO TO SO

الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى، ويتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وأنه ينشئهم نشأة كاملة، يقدرون معها على رؤية الله تعالى، ولهذا رتب الله الرؤية في هذه الآية على ثبوت الجبل، فقال مقتعاً لموسى في عدم إجابته للرؤية مكانه إذا تجلى الله له فونسوف ترانى .

﴿ فلما تجلى ربه للجبيل ﴾ الأصم الغليظ ﴿جعله دكاً ﴾ أي: انهال مثل الرمل، انزعاجاً من رؤية الله وعدم ثبوته لها(١)، ﴿وخر موسى ﴿ حين رای ما رأی ﴿صعقاً﴾ فتبین له حیند أنه إذا لم يشبت الجبل لرؤية الله، فيموسي أولى أن لا يشبت لذلك، واستغفر ربه لما صدر منه من السؤال، الذي لم يوافق موضعاً و[للذلك](٢) ﴿قال سبحانك ﴾ أي: تنزيهاً لك، وتعظيماً عما لا يليق بجلالك ﴿تبت إليك، من جميع الذنوب، وسوء الأدب معك ﴿وأنا أول المؤمنينِ ﴾ أي: جدد عليه الصلاة والسلام إيمانه، بما كمل الله له عما كان يجهله قبل ذلك، فلما منعه الله من رؤيته \_ بعدما كان متشوقاً إليها \_ أعطاه خيراً كثيراً فقال: ﴿يا موسى إني اصطفيتك على الناس﴾ أى: اخترتك واجتبيتك وفضلتك

بما يدعى من دونه .

ثم ذكرهم ما امتن الله به عليهم فقال: ﴿ وَإِذْ أُنْجِينَاكُم مِنْ آلَ فَرَعُونَ ﴾ أي: من فرعون وآله ﴿ يسومونكم سوء العذاب) أي: يوجهون إليكم من العذاب أسوأه، وهو أنهم كانوا ويقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم النجاة من عذابهم ﴿بلاء من ربكم عظيم أي: نعمة جليلة، ومنحة جزيلة، أو: وفي ذلك العذاب الصادر منهم لكم بلاء من ربكم عليكم عظيم، فلما ذكرهم موسى ووعظهم انتهوا عن ذلك. ولما أتم الله نعمته عليهم بالنجاة من عدوهم، وتمكينهم في الأرض، أراد تبارك وتعالى أن يتم نعمته عليهم، بإنزال الكتاب الذي فيه الأحكام الشرعية، والعقائد المرضية، فواعد موسى ثلاثين ليلة، وأتمها بعشر، فصارت أربعين ليلة، ليستعد موسى، ويتهيأ لوعد الله، ويكون لنزولها موقع كبير لديهم، وتشوق إلى إنزالها .

ولما ذهب موسى إلى ميقات ربه قال لهارون موصياً له على بني إسرائيل من حرصه عليهم وشفقته: ﴿ الحلفني في قومي ﴾ أي: كن خليفتي فيهم، واعمل فيهم بسما كنت أعمل، ﴿ وأصلح ﴾ أي: اتبع طريق الصلاح وولا تتبع سبيل الفسدين ﴾ وهم الذين يعملون بالمعاصى.

﴿ولما جاء موسى لميقاتنا ﴾ الذي وقتناه له لإنزال الكتاب ﴿وكلمه ربه ﴾ بما كلمه من وحيه وأمره ونهيه، تشوق إلى رؤية الله، ونزعت نفسه لذلك، حباً لربه ومودةً لرؤيته.

ف ﴿قال رب أرني أنظر إليك قال﴾ الله ﴿لن تراني﴾ أي: لن تقدر الآن على رويتي، فإن الله تبارك وتعالى أنشأ الخلق في هذه الدار على نشأة لا يقدرون بها، ولا يثبتون لرؤية الله، وليس في هذا دليل على أنهم لا يرونه في الجنة، فإنه قد دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أن أهل،

زيادة من هامش ب.

**(Y)** 

فرعون، يسومونهم سوء العذاب أورثهم الله خمسارق الأرض ومغاربها والمراد بالأرض هاهنا، أرض مصر التي كانوا فيها مستضعفين، أذلين، أي: ملكهم الله جيعها، ومكنهم فيها التي باركنا فيها إسرائيل بما صبروا حين قال لهم موسى: خاستعينوا بالله واصبروا، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه ﴾ من الأبنية الهائلة، والساكن المزخرفة ﴿وما كانوا يعرشون ﴾ ﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا، إن في ذلك لآية لقوم يعلمون ﴾

وجاوزنا ببني إسرائيل البحر بعدما أنجاهم الله من عدوهم فرعون وقومه، وأهلكهم الله، وبنو إسرائيل ينظرون.

﴿فأتوا﴾ أي: مروا ﴿على قوم يعكفون على أصنام لهم ﴾ أي: يقيمون عندها ويتبركون بها، ويعبدونها. في ﴿قالوا ﴾ من جهلهم وسفههم لنبيهم موسى بعدما أراهم الله من الآيات ما أراهم ألها كما لهم آلهة ﴾ أي: اشرع لنا إلها كما أصناماً آلهة كما اتخذها هؤلاء.

ف ﴿قال﴾ لهم موسى: ﴿إنكم قوم عَهِلُون﴾ وأي جهل أعظم من جهلٍ مَن جَهِلُ ربه وخالقه وأراد أن يسوي به غيره، ممن لا يملك نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً؟!! ولهذا قال لهم موسى: ﴿إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون﴾ لأن دعاءهم إياها باطل، وهي باطلة.

﴿قال أغير الله أبغيكم إلها ﴾ أي: أأطلب لكم إلها غير الله المألوه، الكامل في ذاته وصفاته وأفعاله. ﴿وهو فضلكم على العالمين ﴾

أَنْ تقابلوا فضله وتفضيله بالشكر، وذلك بإفراده وحده بالعبادة، والكفر

إِنَّ وَلِقِ ٱللَّهُ ٱلَّذِي زَلَّ ٱلْكِتَابُّ وَهُوَ يَتُولَّى ٱلصَّالِمِينَ اللَّهِ الْمُعَالِمِينَ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ وَلَا يَسْ نَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلاَّ أَنفُسَهُمْ يَصُرُونَ ۞ وَإِن تَنْعُوهُمْ إِلَى ٱلْحُدَىٰ لَايْمَعُواْ وَرَنَهُمْ يَنظُونَ إِلَيْكَ وَهُرَلَا يُبْعِيرُونَ ۞ خُذِ ٱلْعَفُو وَأُمِّرً بِٱلْعُرْفِ وَأَعْيِضْ عَنِ ٱلْجَهِلِينَ ۞ وَلِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ زُزُّمُ فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَكِيعٌ عَلِيهٌ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوَّا إِذَا مَنَّهُ مُعَلَّمِ قُلْ مِنْ مِنْ الشَّيْطَانِ مَذَّكُّرُواْ فَإِذَا هُرَتْبَيِرُونَ ۞ وَلِخُونَهُمْ يَكُدُّونَهُمْ فِ الْغَيَّكُمُ لَايُقْصِرُونَ ۞ وَإِنَا لَوْتَأْتِهِ رِبِكَايَوْقَالُواْ لَوْلَا لَجَنَّيْنَهَا قُلْ إِنَّمَا أَنَّهُ مُالُوحَنَّ إِلَّ مِن لَّتِ عَلْمَالِكُمَ إِلَّهُ مِن لَّتِكُمَّ وَهُ مُكَى وَرَحْتُ لِمُقَوْمِ يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُدْرَانُ فَأَسْتَهِمُوالْمُوَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمُّ تَزُحَمُونَ ۞ وَاذَكُر يِّنَكِ فِي غَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيضَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِينَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْفَكْوِ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُنُّ مِّنَ ٱلْعَنْفِلِينَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَايِسْتَكَمْرُونَ عَنْ عِبَادَ يَهِ وَيُسَيِّحُونَهُ وَلَمُيَسَّجُدُونَ 🚭 TO LONG IN LONG BO

وخصصتك بفضائل عظيمة، ومناقب جليلة، ﴿برسالاتِ﴾ التي لا أجعلها، ولا أخص بها إلا أفضل الخلق.

﴿وبكلامي﴾ إياك من غير واسطة، وهذه فضيلة اختص بها موسى الكليم، وعسرف بها مسن بين إخوانسه من المرسلين، ﴿فخذ ما آتيتك من الأمر والنهي بانشراح صدر، وتلقه بالقبول والانقياد، ﴿وكن من الشاكرين﴾ نه على ما خصك وفضلك.

﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء كالله العباد ﴿موعظة ﴾ يحتاج إليه العباد ﴿موعظة ﴾ ترغب النفوس في أفعال الخير، وتفصيلاً لكل شيء كه من الأحكام الشرعية، والعقائد والأخلاق والآداب ﴿فخذها بقوة ﴾ أي: بجد واجتهاد على إقامتها، الأوامر الواجبة والمستحبة، فإنها الأوامر الواجبة والمستحبة، فإنها أوامر الله في كل شريعة كاملة وادلة حسنة.

﴿سأريكم دار الفاسقين ﴾ بعدما أهلكهم الله ، وأبقى ديارهم عبرة بعدهم ، يعتبر بها المؤمنون الموفقون المتواضعون ، وأما غيرهم ، فقال عنهم : ﴿سأصرف عن آياتي ﴾ أي : عن الاعتبار في الآيات الأفقية والنفسية ، والفهم لآيات الكتاب ﴿الذين يتكبرون

في الأرض بغير الحق﴾ أي: يتكبرون على عباد الله وعلى الحق، وعلى من جاء به، فيمن كان بهذه الصفة، حرمه الله خيراً كثيراً وخذله، ولم يفقه من آيات الله ما ينتفع به، بل ربما انقلبت عليه الحقائق، واستحسن القيح.

﴿وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ﴾ لإعراضهم واعتراضهم، ومحادتهم شه ورسوله، ﴿وإن يروا سبيل الرشد ﴾ أي: الهدى والاستقامة، وهو الصراط الموصل إلى الله، وإلى دار كرامت. ﴿ولا يتخذوه ﴾ أي: لا يسلكوه ولا يرغبوا فيه ﴿وإن يروا سبيل الني ﴾ أي: الغواية الموصل لصاحبه إلى دار كانسوافهم هذا الانحراف ﴿ذلك بأنهم الشقاء ﴿يتخذوه سبيلا ﴾ والسبب في انحرافهم هذا الانحراف ﴿ذلك بأنهم فردهم لآيات الله، وغفلتهم عما يراد بها واحتقارهم لها ـ هو الذي أوجب لهم من سلوك طريق الغي، وترك طريق الرشاد ما أوجب.

﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ العظيمة الدالة على صحة ما أرسلنا به رسلنا . ﴿ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم ﴾ لأنها على غير أساس، وقد فقد شرطها وهو الإيمان بآيات الله، والتصديق بجزائه وحصوا ، ضد مقصودهم ﴿إلا ما كانوا يعملون ﴾ فإن أعمال من لا يؤمن بليوم الآخر ، لا يرجو فيها ثواباً ، وليس لها غاية تنتهي إليه ، فلذلك اضمحلت وبطلت ﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً ﴾ صاغه السامري وألقى عليه قبضة من وصوت ، فعدوه واتخذوه إلها .

وقال (هذا إلهكم وإله موسى فنسي وموسى، وذهب يطلبه، وهذا من سفههم، وقلة بصيرتهم، كيف اشتبه عليهم رب الأرض والسماوات، بعجل من أنقص المخلوقات؟!!

ولهذا قال مبيناً أنه ليس فيه من الصفات الذاتية ولا الفعلية، ما يوجب أن يحكون إلها فإلم يسروا أنه

لا يكلمهم أي: وعدم الكلام نقص عظيم، فهم أكمل حالة من هذا الحيوان أو الجماد، الذي لا يتكلم ﴿ولا يهديهم سبيلا) أي: لا يدلهم طريقاً دينياً ، ولا يحصل لهم مصلحةً دنيوية، لأن من المتقرر في العقول والفطر، أن اتخاذ إله لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر من أبطل الباطل، وأسمج السفه، ولهذا قال: ﴿اتَّخذُوهُ وكانُوا ظالمين كلم حيث وضعوا العبادة في غير موضعها، وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وفيها دليل على أن من أنكر كلام الله، فقد أنكر خصائص إلهية الله تعالى، لأن الله ذكر أن عدم الكلام دليل على عدم صلاحية الذي لا يتكلم للإلهية.

وله وله رجع موسى إلى قومه، فوجدهم على هذه الحال، وأخبرهم بضلالهم ندموا و وسقط في أيديهم أي: من الهم والندم على فعلهم، وورأوا أنهم قد ضلوا فتنصلوا، لله وتضرعوا و وقالوا: لئن لم يرحمنا ربنا فيدلنا عليه، ويرزقنا عبادته، ويوفقنا لصالح الأعمال، ويوفقنا لصالح الأعمال، العجل ولنكونن من الخاسرين الذين الخاسرين الذين والآخرة.

ولا رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا أي: عملنا غضباً وغيظاً عليهم، لتمام غيرته عليه الصلاة والسلام، وكمال نصحه وشفقته، ﴿قال بئسما خلفتموني من بعدي أي: بئس الحالة التي خلفتموني بها من بعد ذهابي عنكم، فإنها حالة تفضي إلى الهلاك الأبدي، والشقاء السرمدي.

واعجلتم أمر ربكم وحيث وعدكم بإنزال الكتاب. فبادرتم وعدكم بإنزال الكتاب. فبادرتم برأيكم الفاسد - إلى هذه الخصلة القبيحة والقى الألواح أي: رماها من الغضب وأخذ برأس أخيه هارون ولحيته (يجره إليه وقال له: هما منعك إذ رأيتهم ضلوا، أن لا تتبعن أفعصيت أمري لك بقولي: واخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين في قومي وأصلح ولا تتبع

تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل، ولم ترقب قولي﴾ و ﴿قال﴾ هنا ﴿ابن أم﴾ هذا ترقيق لأخيه، بذكر الأم وحدها، وإلا فهو شقيقه لأمه وأبيه: ﴿إن القوم استضعفون ♦ أي: احتقروني حين قلت لهم: ﴿يا قوم إنما فتنتم به، وإن ربكم الرحمن، فاتبعوني وأطيعوا أمري ﴾ ﴿ وكادوا يقتلونني ﴾ أي: فلا تظن بي تقصيراً ﴿ فلا تشمت بي الأعداء ﴾ بنهرك لي، ومسك إياي بسوء، فإن الأعداء حريصون على أن يجدوا عليِّ عشرة، أو يطلعوا لي على زلة ﴿ولا تجعلني مع القوم الظالمين ﴾ فتعاملني معاملتهم.

فندم موسى عليه السلام على ما استعجل من صنعه بأخيه قبل أن يعلم براءته، مما ظنه فيه من التقصير، و ﴿قال رب اغفر لي ولأخي﴾ هارون ﴿وأدخلنا في رحمتك ﴾ أي: في وسطها، واجعل رحمتك تحيط بنا من كل جانب، فإنها حصن حصين من جميع الشرور، وثمَّ كل خير وسرور.

﴿وأنت أرحم الراحين أي: أرحم بنا من كل راحم، أرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا وأولادنا وأنفسنا، قال الله تعالى مبيناً حال أهل العجل النديس عبدوه: ﴿إِنَّ النَّذِيسَ اتَّخَذُواْ العجل ﴾ أي: إلها ﴿سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيام كما أغضبوا ربهم واستهانوا بأمره.

﴿وكذلك نجزي المفترين ﴿ فكل مفتر على الله كاذب على شرعه، متقول عليه مالم يقل، فإن له نصيباً من الغضب من الله، والذل في الحياة الدنيا، وقد نالهم غضب الله، حيث أمرهم أن يقتلوا أنفسهم، وأنه لا يرضى الله عنهم إلا بذلك، فقتل بعضهم بعضاً، وانجلت المعركة عن كثير من القتلى(١)، ثم تاب الله عليهم بعد ذلك، ولهذا ذكر حكماً عاماً يدخلون فيه هم وغيرهم، فقال: ﴿والذين عملوا السيئات﴾ من شرك

وكبائر، وصغائر ﴿ثم تابوا من بعدها﴾ بأن ندموا على ما مضى وأقلعوا عنها، وعزموا على أن لا يعودوا ﴿وآمنوا﴾ بالله وبما أوجب الله من الإيمان به، ولا يتم الإيمان إلا بأعمال القلوب، وأعمال الجوارح المترتبة على الإيمان ﴿إِن رَبِكُ مِن بِعَدِهِا﴾ أي: بعد هذه الحالة، حالة التوبة من السيئات والرجوع إلى الطاعات، ﴿لغفور﴾ يغفر السيئات ويمحوها، ولو كانت قراب الأرض ﴿رحيم ﴾ بقبول التوبة، والتوفيق لأفعال الخير وقبولها.

﴿ ولما سكت عن موسى الغضب ﴾ أي: سكن غضبه، وتراجعت نفسه، وعرف ما هو فيه، اشتغل بأهم الأشياء عنده، ف ﴿ أَخِذُ الأَلُواحِ ﴾ التي ألقاها، وهى ألواح عظيمة المقدار، جليلة ﴿وفي نسختها ﴾ أي: مشتملة ومتضمنة ﴿هدى ورحمة ﴾ أي: فيها الهدى من الضلالة، وبيان الحق من الباطل، وأعمال الخير وأعمال الشر، والسهدى لأحسن الأعسال، والأخلاق، والآداب، ورحمة وسعادة لمن عمل بها، وعلم أحكامها ومعانيها، ولكن ليس كُل أحد يقبل هدى الله ورحمته، وإنما يقبل ذلك وينقاد له، ويتلقاه بالقبول الذين [هم](۲) ﴿لربهم يرهبون﴾ أي: يخافون منه ويخشونه، وأما من لم يخف الله ولا المقام بين يديه، فإنه لا يزداد بها إلا عتواً ونفوراً، وتقوم عليه حجة الله

﴿وَ﴾ لما تاب بنو إسرائيل وتراجعوا إلى رشدهم ﴿اختار موسىٰ ﴾ منهم ﴿سبعين رجلا﴾ من خيارهم، ليعتذروا لقومهم عندرهم، ووعدهم الله ميقاتاً يحضرون فيه، فلما حضروا، قالوا: يا موسى، ﴿أَرِنَا اللهُ جهرة ﴾ فتجرؤوا على الله جراءة كبيرة، وأساؤوا الأدب معه، ف ﴿ أَخِذْتُهُمُ الرَّجِفَةُ ﴾ فصعقوا وهلكوا.

﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهَا لِلْهُ الْأَنْسَالُ يَقِيوَالرَّسُولُ فَأَنْتَ قُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُواْذَاتَ بَيْنِكُمُّ وَأَطِيعُواْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِن كُنتُم مُوْمِنِينَ ۞ إِنَّا ٱلْوَقِينُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا دُكِرَاتَهُ وَيَهَتَ ا قُلُوبَهُمْ وَإِذَا تَلِيَتَ عَلَيْهِمْ ءَالِلتُهُ زَادَتْهُمْ إِيَانَا وَعَسَ إِنْ يَعِمْ يَوَكَ لُونَ ۞ ٱلْدِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّكُوةَ وَعَارَزَقَنَاهُمْ السَيْفِقُونَ ۞ أُوْلَيْكَ هُرُالْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَمُتَرَدَيَّ كُتُ عِندَ رَبِهِ رُومَعْ فِرَةً وَرِنْقُ كَيدُ ۞ كُمَّا أَخْرَبُكَ رَبُّكَ مِنُ يَيْنِكَ بِأَنْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ٥ يُجَادِلُونِكَ فِي ٱلْحَيِّ بَعَدْمَا تَبَيِّنَ كَأَفَّا لِيسَاقُونَ إِلَى ٱلْمُوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُهِنَ ۞ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآيِفَتَيْنِ النَّهَا لَكُوْوَقَوْدُونَ أَنَّ عَيْرَدَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُوْ ا وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعِقَّ آغَقَ يَكُونُ يَوْمَ نَذِهِ وَيَقَطَعَ دَارِرَا لَكُنْفِرِينَ ۞ إِلَيْ الْمُحِنَّ الْمُعَنَّ وَيُنْظِلَ ٱلْمُعِلِّلَ وَلَوْكَ رِهَ ٱلْمُحْرِمُونَ ۞ 

والسلام، يتضرع إلى الله ويتبتل ويقول: ﴿رب لو شَنْت أهلكتهم من قبل﴾ أن يحضروا ويكونوا في حالة يعتذرون فيها لقومهم، فصاروا هم الظالمين ﴿أتهلكنا بِما فعلَ السفهاء منا﴾ أي: ضعفاء العقول، سفهاء الأحلام، فتضرع إلى الله واعتذر بأن المتجرئين على الله ليس لهم عقول كاملة، تردعهم عما قالوا وفعلوا، وبأنهم حصل لهم فتنة يخطر بها الإنسان، ويخاف من ذهاب دينه فقال: ﴿إِن هِي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين، أي: أنت خير من غفر، وأولى من رحم، وأكبرم من أعطى وتفضل، فكأن موسى عليه الصلاة والسلام قال: المقصوديا رب بالقصد الأول لنا كلنا، هو التزام طاعتك والإيمان بك، وأن من حضره عقله ورشده، وتم على ما وهبته من التوفيق، فإنه لم يزل مستقيماً، وأما من ضعف عقله، وسفه رأيه، وصرفته الفتنة، فهو الذي فعل ما فعل، لذينك السببين، ومع هذا فأنت أرحم الراحمين، وخير الغافرين، فاغفر لنا

﴿١٥٦﴾ فأجاب الله سؤاله، فلم يزل موسى عليه الصلاة وأحياهم من بعد موتهم، وغفر لهم

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبِّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَيْ يُمِدُّكُم بِأَلْفِ مِنَ ٱلْكُنِّيكَةِ مُرْدِفِينَ ۞ وَمَاجَعَكُهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشَرَىٰ وَلِتَظْمَينَ بِدِعَلُوبُ كُمُّ وَمَا ٱلنَّصَرُ إِلَّامِنْ عِندِ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَيْنِزُ حَرِيدُ ۞ إِذْ يُعَشِّيكُمُ ٱلنَّعَاسَ أَمَنَكُ مِنْهُ وَيُتَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءُ لِيُطَهِّرَكُم بِدِء وُيُذْهِبَ عَنَكُوْ رِجْزَالشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَفَّ كَامَ ۞ إِذْ يُوحِي رَثُكَ إِلَى ٱلْمُلَيِّكَ قِ أَنِّى مَعَكُمْ فَيْتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَأَلَقِ فِ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱصَّرِيُواْ فَوْفَ ٱلْأَعْسَاقِ وَلَضْرِيُواْ مِنْهُ مُكُلِّ بَسَانِ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ شَسَآ قُواْ أَلْفَهُ وَزَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِي أَلِلَّهُ وَرَسُولُهُ فَإِنْ أَلَّهُ شَكِيدً ٱلْمِعَابِ ۞ ذَالِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَ لِلْكَاغِرِينَ عَنَابَ ٱلنَّادِ ۞ يَنَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامُّتُوْ إِذَا لَقِيتُ مُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفَا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۞ وَمَن يُوَلَّمِ يُوْمِينٍ دُبُرَهُ وَإِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَ إِلَى أَوْمُتَحَيِّزًا إِلَى فِسَوَفَقَدْ بَآةَ بِغَضَبِ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَكَهُ جَهَنَّ مُّ وَبِثْسَ ٱلْمَصِيرُ ۞ TOURDE WE DESCRIPTION

ذنوبهم، وقال موسى في تمام دعائه: ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة﴾ من علم نافع، ورزق واسع، وعمل صالح.

﴿ وَفِي الآخرة ﴾ حسنة وهي ما أعد الله لأوليائه الصالحين من الثواب. ﴿ إِنَا هَدِنَا إِلَيْكُ أَي: رجعنا مقرين بتقصيرنا، منيين في جميع أمورنا ﴿ قال ﴾ الله تعالى: ﴿ عذاي أصيب به من أشاء ﴾ عمن كان شقياً، متعرضاً لأسبابه، ﴿ ورحتي وسعت كل شيء ﴾ من العالم العلوي والسفلي، البروالفاجر، المؤمن والكافر، فلا مخلوق والفاجر، المؤمن والكافر، فلا مخلوق فضله وإحسانه، ولكن الرحمة الخاصة فضله وإحسانه، ولكن الرحمة الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة، ليست للكل أحد، ولهذا قال عنها:

﴿ويسؤتون الركاة ﴾ الواجبة مستحقيها ﴿والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾ ومن تمام الإيمان بآيات الله معرفة معناها، والعمل بمقتضاها، ومن ذلك اتباع النبي ﷺ ظاهراً وباطناً، في أصول الدين وفروعه.

﴿فسأكتبها للذين يتقون﴾ المعاصي،

صغارها وكبارها.

﴿١٥٧﴾ ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ﴾ احتراز عن سائر الأنبياء، فإن المقصود بهذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ

والسياق في أحوال بني إسرائيل

وأن الإيمان بالنبي محمد على شرط في دخولهم في الإيمان، وأن المؤمنين به المتبعين، هم أهل الرحمة المطلقة، التي كتبها الله لهم، ووصفه بالأمي لأنه من العرب الأمة الأمية، التي لا تقرأ ولا تكتب، وليس عندها قبل القرآن كتاب.

﴿الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، باسمه وصفته، التي من أعظمها وأجلها، ما يدعو إليه وينهى عنه. وأنه ﴿يأمرهم بالمعروف ﴾ وهو كل ما عرف حسنه وصلاحه ونفعه.

﴿وينهاهم عن المنكر﴾ وهو: كل ما

عرف قبحه في العقول والفطر، فيأمرهم بالصلاة، والزكاة، والصوم، والخيح، وصلة الأرحام، وبسر السوالدين، والإحسان إلى الجار والمملوك، وبذل النفع لسائر الخلق، والنصدق، والعفاف، والبر، والنصيحة، وما أشبه ذلك، وينهى عن الشرك بالله، وقتل النفوس بغير حق، والظلم لسائر الخلق، والكذب، والمخلق، والكذب،

ف أعظم دليل يدل على أنه وسول الله، ما دعا إليه وأمر به، ونهى عنه، وأحله وحرّمه، فإنه ويحل لهم الطيبات من المطاعم والمشارب، والمناكح.

﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ من المطاعم والمشارب والمناكح، والأقوال والأفعال.

﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم أي: ومن وصفه أن دينه سهل سمح ميسر، لا إصر فيه ولا أغلال، ولا مشقات ولا تكاليف ثقال.

﴿فالذين آمنوا به وعزروه ﴾ أي: عظموه وبجلوه ﴿ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ﴾ وهو القرآن، الذي يستضاء به في ظلمات الشك والجهالات، ويقتدى به إذا تعارضت المقالات، ﴿أولئك هم المفلحون ﴾ الطافرون بخير الدنيا والآخرة،

والناجون من شرهما، لأنهم أتوا بأكبر أسباب الفلاح.

وأما من لم يؤمن بهذا النبي الأمي، ويعزره وينصره، ولم يتبع النور الذي أنزل معه، فأولئك هم الخاسرون.

ولما دعا أهل التوراة من بني إسرائيل إلى اتباعه، وكان ربما توهم متوهم أن الحكم مقصور عليهم، أتى بما يدل على العموم فقال: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ أي: عربيكم، وعجميكم، أهل الكتاب منكم، وغيرهم.

﴿الله على السسماوات والأرض عنصرف فيهما بأحكامه والأرض عنصرف فيهما بأحكامه الكونية والتدابير السلطانية، وبأحكامه الشرعية الدينية التي من جملتها: أن أرسل إليكم رسولاً عظيماً يدعوكم إلى الله وإلى دار كرامته، ويحذركم من كل ما يباعدكم منه، ومن دار كرامته.

ولا إله إلا هو أي: لا معبود بحق إلا الله وحده لا شريك له، ولا تعرف عبادته إلا من طريق رسله، ويحيي ويحيت أي: من جملة تدابيره: الإحياء والإماتة، التي لا يشاركه فيها أحد، الذي جعل الموت جسراً ومعبراً يعبر منه إلى دار البقاء، التي من آمن بها صدق الرسول عمداً على الله علما .

﴿ فَامَنُوا بِاللهِ ورسوله النبي الأمي ﴾ إيماناً في القلب، متضمنا لأعمال القلوب والجوارح ﴿ الذي يؤمن بالله وكلماته ﴾ أي: آمنوا بهذا الرسول المستقيم في عقائده وأعماله، ﴿ واتبعوه لعلكم تهدون ﴾ في مصالحكم الدينية والدنيوية، فإنكم إذا لم تتبعوه ضللتم ضلالاً بعيداً.

﴿١٥٩﴾ ﴿ومن قوم موسىٰ أمة﴾ أي: جماعة ﴿يهدون به الناس في يعدلون﴾ أي: يهدون به الناس في تعليمهم إياهم وفتواهم لهم، ويعدلون به بينهم في الحكم بينهم، بقضاياهم، كما قال تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ وفي هذا فضيلة لأمة موسىٰ عليه الصلاة والسلام، وأن الله تعالى عليه الصلاة والسلام، وأن الله تعالى

الجزء التاسع كم

جعل منهم هداة يهدون بأمره.

وكأن الإتيان صِذه الآية الكريمة فيه نوع احتراز مما تقدم، فإنه تعالى ذكر فیما تقدم جملة من معایب بن*ی* إسرائيل، النافية للكمال المناقضة للهداية، فربما توهم متوهم أن هذا يعم جميعهم، فذكر تعالى أن منهم طائفة مستقيمة هادية مهدية.

﴿١٦١﴾ ﴿وقطعناهم ﴾ أي: قسمناهم ﴿اثنتي عشرة أسباطاً أنماً ﴾ أي: اثنتي عشرة قبيلة متعارفة متوالفة، كل بني رجل من أولاد يعقوب قبيلة . ﴿وَأُوحِينَا إِلَى مُوسِيِّ إِذْ استسفاهُ قومه﴾ أي: طلبوا منه أن يدعو الله تعالى، أن يسقيهم ماءً يشربون منه

وتشرب منه مواشيهم، وذلك لأنهم \_

والله أعلم \_ في محل قليل الماء . فأوحى الله لموسئ إجابة لطلبتهم ﴿أَن اضرب بعصاك الحجر﴾ يحتمل أنه حجر معين، ويحتمل أنه اسم جنس، يشمل أي حجر كان، فضربه ﴿فانبجست ﴿ أي: انفجرت من ذلك الحجر ﴿ اثنتا عشرة عيناً ﴾ جارية سارحة.

﴿قد علم كل أناس مشربهم ﴾ آي: قد قسم على كل قبيلة من تلك القبائل الاثنتي عشرة، وجعل لكل منهم عيناً، فعلموها واطمأنوا، واستراحوا من التعب والمزاحمة، والمخاصمة، وهذا من تمام نعمة الله عليهم.

﴿ وظللنا عليهم الغمام ﴾ فكان يسترهم من حر الشمس ﴿وأنزلنا عمليهم المن وهرو الحملوي، ﴿والسلوي﴾ وهو لحم طير من أحسن أنواع الطيور وألذها، فجمع الله لهم بين الظلال، والشراب، والطعام الطيب، من الحلوى واللحوم، على وجه الراحة والطمأنينة .

وقيل لهم: ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم وماظلمونا الله حين لم يـشكروا الله، ولم يـقـومـوا بـمـأ أوجب الله عليهم.

﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

حیث فوتوها کل خیر ، وعرضوها للشر والنقمة، وهذا كان مدة لبثهم في التيه .

﴿١٦١﴾ ﴿وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية﴾ أي: ادخلوها لتكون وطناً لكم ومسكناً، وهي «إيلياء» ﴿وكلوا منها حيث شئتم﴾ أي: قرية كانت كثيرة الأشجار، غزيرة الثمار، رغيدة العيش، فلذلك أمرهم الله أن يأكلوا منها حيث شاؤوا.

﴿ وقولوا ﴾ حين تدخلون الباب: ﴿حطة﴾ أي: احطط عنا خطايانا، واعف عنا.

﴿وادخلوا الباب سجداً ﴾ أي: خاضعين لربكم مستكينين لعزته، شاكرين لنعمته، فأمرهم بالخضوع وسؤال المغفرة، ووعدهم على ذلك مغفرة ذنوبهم والثواب العاجل والآجل فقال: ﴿نغفر لكم خطيماتكم سنزيد المحسنين، من خير الدنيا والآخرة، فلم يمتثلوا هذا الأمر الإلهي، بل ﴿بِدُلُ الذِّينِ ظِلْمُوا مِنْهُمَ ﴾ أي: عصوا الله واستهانوا بأمره ﴿قُولاً غَير الذي قيل لهم الفالوا بدل طلب المغفرة، وقولهم: ﴿حطة﴾ ، (حبة في شعيرة)، وإذا بدلوا القول \_مع يسره وسهولته \_ فتبديلهم للفعل من باب أولى، ولهذا دخلوا وهم يزحفون على أستاههم.

﴿ فَأُرْسِلْنَا عَلَيْهِم ﴾ حين خالفوا أمر الله وعصوه ﴿ رَجِزاً مِن السماء ﴾ أي: عذاباً شديداً، إما الطاعون وإما غيره من العقوبات السماوية.

وما ظلمهم الله بعقابه وإنما كان ذلك ﴿بما كأنوا يظلمون ﴾ أي: يخرجون من طاعة الله إلى معصيته، من غير ضرورة ألجأتهم ولاداع دعاهم سوى الخبث والشر الذي كان كامناً في نفوسهم.

﴿١٦٣﴾ ﴿واسألهم ﴾ أي: اسأل بنى إسرائيل ﴿عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾ أي: على سأحله في حال تعديهم وعقاب الله إياهم.

٨ يُولِعُ الْأَلْتُكُلِكُ } فَلَزَقَفْتُ لُوهُمْ وَلَاكِنَّ اللَّهَ قَتَكُهُمْ وَمَارَمَيْتِ إِذْ رَمَيْتِ وَلَكِنَ اللَّهُ زَيَّ وَلِيسُهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَكَلَّةً حَسَنَّالِنَّ أَلَّهُ سَكِيعٌ عَلِيدٌ ۞ ذَلِكُمْ وَأَنَ اللَّهُ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَلِينَ ۞ إِن نَسْتَفْنِحُواْ فَقَدْجَآءَكُمُ الْفَتَهُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرًا لَكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدُ وَإِن تُعْنَى عَنْكُمْ فِنَائُكُمْ شَيْنًا وَلَوْكَ ثُرُتُ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ يَّنَافُهُ ٱلَّذِيثَ مَامَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا وَلَوَاعَنْهُ وَأَنتُمُ تَسْمَعُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَايَسْمَعُونَ۞ • إِنَّ شَرَّالدَّوَآبَ عِندَاسُّوالصُّوُّالْبُحُـمُ ٱلَّذِينَ لَايَمْ قِلُونَ ۞ وَلَوْعَلِمُ ٱللَّهُ فِيهِ مُحَيِّرًا لَّأَسَّمَعَهُمٌّ وَلَوَا أَسْمَعَهُ مُ لَقُولُواْ وَهُمْ مُعْيِضُونَ ۞ يَنَافُهُمَا ٱلَّذِيرَ مَامَثُوا أَسْتَجِبِ بُوا يَدَّو وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمُ لِلَا يُحِيِّيكُمْ وَاعْلُمُوا أَنَ اللَّهَ يَجُولُ بَيْنَ اللَّهُ وَقَلْ فِي وَأَنَّهُ وَإِلَّهُ الْمُنْفَرُونَ @ وَانَّـ غُوافِفْ نَهُ لَانْصِيبَنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الْمُ منكُمْ خَاصَةً وَأَعْ لَوْا أَنَ الْقَرَسُكِيدُ ٱلْمِقَابِ، ONDER WINDS

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبِّ وَكَانَ اللهُ تعالى قد أمرهم أن يعظموه ويحترموه ولا يصيدوا فيه صيداً، فابتلاهم الله وامتحنهم، فكانت الحيتان تأتيهم ﴿ يوم سبتهم شرعاً ﴾ أي: كثيرة طافية على وجه البحر.

﴿ويوم لا يسبتون﴾ أي: إذا ذهب يوم السبت ﴿لا تأتيهم ﴾ أي: تذهب في البحر فلا يرون منها شيئاً ﴿كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون، ففسقهم هو الذي أوجب أن يبتليهم (١) الله، وأن تكون لهم هذه المحنة، وإلا فلو لم يفسقوا، لعافاهم الله، ولما عرضهم للبلاء والشر، فتحيلوا على الصيد، فكانوا يحفرون لها حفراً، وينصبون لها الشباك، فإذا جاء يوم السبت ووقعت في تلك الحفر والشباك، لم يأخذوها في ذلك اليوم، فإذا جاء يوم الأحد أُخْذُوها، وكثر فيهم ذلك، وانقسموا ثلاث فرق:

﴿١٦٤﴾ معظمهم اعتدوا وتجرؤوا، وأعلنوا بذلك.

وفرقة أعلنت بنهيهم والإنكار

وفرقة اكتفت بإنكار أولئك عليهم، ونهيهم لهم، وقالوا لهم: ﴿ لَمُ تَعَظُونَ قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً ﴾ كأنهم يقولون: لا فأثدة في 74.4

THE HEADING A وَٱذْكُرُوٓ إِلَا أَلَّهُ مَلِكُ لُسُنَعْمُونَ فِي ٱلْأَصْ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَعَاوَلكُمْ وَأَيَّدُكُمْ بَصْروء وَرَزَقَكُم مِنَ الْعَلِيَنِ لَمَلَكُمْ مَنْ الْعَلِيَاتِ لَمَلَكُمْ مَنْ كُرُونَ ﴿ كِأَلَّهُا الَّذِينَ وَامْنُواْ لَاغَوُنُوا اللَّهُ وَالرَّمُولَ وَغُونُواْ الْمُنَافِيكُمْ وَانْتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ وَاعْلَمُوا أَثَنَّا أَمْوَلُكُمْ وَأُولَاكُمْ فِنَتَةً وَأَنَ اللَّهَ عِندَهُ المَرْعَظِيمُ ۞ بَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِن لَنَّ قُوا اللهِ يَغِمَل لَكُ مُوْقِافًا وَيُكِفِرْ عَن رُوسِيَا يَكُمْ وَيَغْفِرُ لِكُدُّرُ وَالْفَصْلِ الْعَظِيمِ ۞ وَإِذْ يَنْكُرُ اللَّهِ بِكَ ٱلَّذِينَ كَمُنْرُوا لِيَنْيِتُوكَ أَوْيَغَنْلُوكَ أَوْيُغْرِجُوكَ وَيَعْكُرُونَ وَيَعْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ لُلْكِينِ ۞ وَاذَاتُ لَيْعَلِّهِمْ اللَّهِ مَا يَكُنَا فَالْوَافَدُ سَمِعْتَ الْوَنْشَكَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَنذاً إِنْ هَنذاً إِلَّا أَسْطِيرًا لَأَوَّلِينَ ۞ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَلِذَاهُوَانْحُقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْعَلَيْنَا جَارَةً مِنَ السَّمَّلَةِ أَوِاتْنِنَابِكَذَابِ أَلِيدٍ وَمَاكَانَ أَلَهُ لِيُعَذِّبُهُ مَوَاتَ فِيهِذُ وَمَاكَانَ أَلَقَهُ مُعَاذِبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۞ AQUEADU WEDDOED

وعظ من اقتحم محارم الله، ولم يصغ للنصيح، بل استمر على اعتدائه وطغيانه، فإنه لا بدأن يعاقبهم الله، إما بهلاك أو عذاب شديد.

فقال الواعظون: نعظهم وننهاهم ﴿معذرة إلى ربكم ﴾ أي: لنعذر فيهم.

﴿ولعلهم يتقون اي: يتركون ما هم فيه من المعصية، فلا نيأس من هدايتهم، فربما نجع فيهم الوعظ، وأثر فيهم اللوم.

وهذا القصود الأعظم من إنكار المنكر ليكون معذرة، وإقامة حجة على المأمور المنهى، ولعل الله أن يهديه فيعمل بمقتضي ذلك الأمر والنهي.

﴿ فلما نسوا ما ذكروا به ﴾ أي: تركوا ما ذكروا به، واستمروا على غيهم واعتدائهم.

﴿ المجينا ﴾ من العذاب ﴿ الذين ينهون عن السوء كه وهكذا سنة الله في عباده، أن العقوبة إذا نزلت نجا منها الآمرون بالمعروف والناهون عن

﴿وَأَخَذُنَا الَّذِينَ ظُلِّمُوا ﴾ وهم الذين اعتدوا في السبت ﴿بعذابِ بنيس﴾ أي. شديد ﴿ بِما كانوا يفسقون ﴾

وأما الفرقة الأخرى التي قالت للناهين: ﴿ لم تعظون قُوماً الله مهلكهم فالختلف المفسرون في نجاتهم وهلاكهم، والظاهر أنهم كانوا من الناجين، لأن الله خص الهلاك

بعدهم خلف. زاد شرهم ﴿ورثوا﴾ بالظالمين، وهو لم يذكر أنهم ظالمون، بعدهم ﴿الكتابِ﴾ وصار المرجع فيه فدل على أن العقوبة خاصة بالمعتدين في إليهم، وصاروا يتصرفون فيه السبت، ولأن الأمر بالمعروف والنهي بأهوائهم، وتبذل لهم الأموال، ليفتوا عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به ويحكموا بغير الحق، وفشت فيهم البعض سقط عن الآخرين، فاكتفوا بإنكار أولئك، ولأنهم أنكروا عليهم الرشوة.

بقولهم: ﴿ لَمُ تَعْظُونَ قُومًا اللهُ مَهَلَّكُهُمْ

على من بقى منهم فقال: ﴿ وَإِذْ تَأْذُنْ

ويقولون مقرين بأنه ذنب وأنهم أو معذبهم عداباً شديداً ﴾ فأبدوا من ظلمة: ﴿سيغفر لنا﴾ وهذا قول خال غضبهم عليهم، ما يقتضي أنهم من الحقيقة، فإنه ليس استغفاراً وطلباً كارهون أشد الكراهة لفعلهم، وأن الله للمغفرة على الحقيقة. سيعاقبهم أشد العقوبة .

قلو كان ذلك لندموا على ما فعلوا، ﴿١٦٦﴾ ﴿فلماعتواعمانهوا وعزموا على أن لا يعودوا، ولكنهم -عنه ﴾ أي: قسوا فيلم يبلينوا إذا أتاهم عرض آخر، ورشوة أخرى -ولا اتعظوا، ﴿قلنا لهم﴾ قولاً قدرياً: ﴿كونوا قردة خاسئين فانقلبوا يأخذوه . بإذن الله قردة، وأبعدهم الله من رحمته، ثم ذكر ضرب الذلة والصغار

ربك ﴾ أي: أعلم إعلاماً صريحاً: ﴿ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) أي: يهينهم ويذلهم. ﴿إِنْ رَبِكُ لِسَرِيعِ الْعَقَابِ﴾ لمن عصاه، حتى إنه يعجل له العقوبة في الدنيا. ﴿وإنه لغفور رحيم ﴾ لمن تاب إليه وأناب، يغفر له الذنوب، ويستر عليه العيوب، ويرحمه بأن يتقبل منه الطاعات، ويشيبه عليها بأنواع المثوبات، وقد فعل الله بهم ما أوعدهم به، فلا يزالون في ذل وإهانة تحت حكم غيرهم، لا تقوم لهم راية، ولا ينصر لهم عَلَمٌ. ﴿١٦٨﴾ ﴿وقطعناهم في الأرض

> أيماً ﴾ أي: فرقناهم ومزقناهم في الأرض بعدما كانوا مجتمعين، ﴿منهم الصالحون) القائمون بحقوق الله وحقوق عباده، ﴿ومنهم دون ذلك﴾ أي: دون الصلاح، إما مقتصدون، وإما ظالمون لأنفسهم، ﴿وبِلُونَاهُمُ على عادتنا وسنتنأ، ﴿بالحسنات والسيئات، أي: بالعسر واليسر.

﴿لعلهم يرجعون﴾ عما هم عليه مقيمون من الردي، يراجعون ما خلقوا له من الهدي، فلم يزالوا بين صالح وطالح ومقتصد، حتى خلف من

فاشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، قال الله [تعالى] في الإنكار عليهم، وبيان جراءتهم: ﴿ أَلَمْ يَوْحُذُ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق﴾ فما بالهم يقولون عليه غير الحق اتباعاً لأهوائهم، وميلاً مع مطامعهم. ﴿و﴾ الحال أنهم قد ﴿ درسوا ما فيه ﴾ فليس عليهم فيه إشكال، بل قد أتوا أمرهم متعمدين، وكانوا في أمرهم مستبصرين، وهذا أعظم للذنب، وأشد للوم، وأشنع للعقوبة، وهذا من نقص عقولهم، وسفاهة رأيهم، بإيثار الحياة الدنيا على الآخرة، ولهذا قال: ﴿والدار الآخرة خير للذين يتقون الماحزم الله عليهم، من المآكل التي تصاب، وتؤكل رشوة على الحكم بغير ما أنبزل الله، وغيير ذليك من أنبواع

ويأخذون عرض هذا الأدنسي

﴿ أَفِلا تَعقلُونَ ﴾ أي: أفلا يكون لكم عقول توازن بين ما ينبغي إيثاره، وما ينبغي الإيثار عليه، وما هو أولى بالسعي إلَّيه، والتقديم له على غيره، فخاصية العقل النظر للعواقب.

وأما من نظر إلى عاجل طفيف منقطع، يفوت نعيماً عظيماً باقياً فأني له العقل والرأى؟!!

وإنما العقلاء حقيقة من وصفهم الله بقوله: ﴿والذين يمسكون

المنافقة الم وَمَا لَهُمْ أَلَا يُعُكِنِّهِ مُواللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمُسْجِدِ أُ الْحَدَادِ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيآ ءَ مُرِانَ أَوْلِيآ وُمُواِلَّا لَكُنْ قُونَ ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْنَهُ لَا يَعْدَلُونَ ۞ وَمَاكَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَالْكِيْتِ إِلَّامُكَاآءَ وَتَصْدِينَهُ مَذُوقُوا الْعَذَابِ عِمَا كُنتُرِ تَكُفُرُونَ ﴿ إِنَّالَّذِينَ كَغَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَلَهُمْ لِيصُدُ وَاعَن سَكِيلِ أَلَدً فَسَيُنْ فِقُونَهَا ثُعُّ تَكُونُ عَلَيْهِ مَحْسُرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونُ وَالَّذِيكَ كَفَرُواْ إِلَّاجِهُمَّ يُحْشَرُونَ ۞ لِيكِيزَالْقَهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ الظَّيْبِ وَيَجْعَلُ أنخيت بفض أبتل بغض فيزكم كمد بجيت فيجعك الله عَمَنَ مُأْوَلَتِكَ هُمُ ٱلْخَلِيرُونَ ۞ قُل لِلَّذِيكَ كَفُرُوا إِن كِننَهُوا يُعُفَرُ لِمُكْرِمًا فَكُ سَكَفَ وَإِن يُّ يَتُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوْلِينَ ۞ وَقَائِلُوهُمْ حَقَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْتُ قُرِّيَكُونَ ٱلدِّيثُ كُلُّهُ يَقُوفَإِنِ أَسَّهُ وَأَفَاكَ أَلَقَهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَإِن تُولُّوا الله المُعَامَوا أَنَ اللهَ مَوْلَدْكُمْ يَعْمُ الْوُلَى وَفِعَ النَّصِيرُ ۞ TOTAL WEST EST

به في ذلك الوقت على ظلمهم في كفرهم، وعنادهم في الدنيا والآخرة، ولكن ليس في الآية ما يدل على هذا، ولا له مناسبة، ولا تقتضيه حكمة الله تعالى، والواقع شاهد بذلك.

فإن هذا العهد والميثاق، الذي ذكروا، أنه حين أخرج الله ذرية آدم من ظهره، حين كانوا في عالم كالذر، لا يذكره أحد، ولا يخطر ببال آدمى، فكيف يحتج الله عليهم بأمرليس عندهم به خبر، ولا له عين ولا أثر؟!! ولهذا لما كنان هذا أمراً واضحاً جلياً، قال تعالى: ﴿وكذلك نسفصصل الآيات﴾ أي: نبينها ونوضحها، ﴿ولعلهم يرجعون﴾ إلى ما أودع الله فسي فسطسرهم، وإلى مسا عاهدوا الله عليه، فيرتدعون عن القبائح.

﴿١٧٥﴾ ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون، يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا﴾

﴿و﴾ حين أخرجهم من بطون أمهاتهم وأصلاب آبائهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم أي: قررهم بإثبات ربوبيته، بما أودعه في فطرهم من الإقرار، بأنه ربهم وخالقهم

قالوا: بلى قد أقررنا بذلك، فإن الله تعالى فطر عباده على الدين الحنيف

فكل أحد فهو مفطور على ذلك، ولكن الفطرة قد تغير وتبدل بما يطرأ عليها من العقائد الفاسدة، ولهذا ﴿قالوا بلي شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾

أي: إنما امتحناكم حتى أقررتم بما تقرر عندكم، من أن الله تعالى ربكم، خشية أن تنكروا يوم القيامة، فلا تقروا بىشىء مىن ذلىك، وتىزعىمون أن حجة الله ما قامت عليكم، ولا عندكم بها علم، بل أنتم غافلون عنها لاهون.

فاليوم قد انقطعت حجتكم، وثبتت الحجة البالغة لله عليكم، أو تحتجون أيضاً بحجة أخرى، فتقولون: ﴿إِنَّمَا أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم، فحذونا حذوهم، وتبعناهم في باطلهم.

﴿أَفْتَهَلَّكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمِطْلُونِ ﴾ فقد أودع الله في فطركم ما يدلكم على أن ما مع آبائكم باطل، وأن الحق ما جاءت به الرسل، وهذا يقاوم ما وجدتم عليه آباءكم، ويعلو عليه.

نعم قد يعرض للعبد من أقوال آبائه الضالين ومذاهبهم الفاسدة ما يظنه هو الحق، وما ذاك إلا لإعبراضه، عن حجج الله وبيناته وآياته الأفقية والنفسية، فإعراضه عن ذلك، وإقباله على ما قاله المبطلون، ربما صيره بحالة يفضل بها الباطل على الحق، هذا هو الصواب في تفسير هذه الآيات.

وقد قيل: إن هذا يوم أخذ الله الميثاق على ذرية آدم، حين استخرجهم من ظهره وأشهدهم على أنفسهم، فشهدوا بذلك، فاحتج عليهم بما أقروا

بالكتاب أى: يتمسكون به علما قرنا بعد قرن. وعملاً، فيعلمون ما فيه من الأحكام والأخبار التي علمها أشرف العلوم.

> ويعملون بما فيها من الأوامر التي هى قرة العيون وسرور القلوب، وأفسراح الأرواح، وصلاح السدنيا والآخرة.

ومن أعظم ما يجب التمسك به من المأمورات إقامة البصلاة، ظاهراً وباطناً، ولهذا خصها الله بالذكر لفضلها وشرفها، وكونها ميزان الإيمان، وإقامتها داعية لإقامة غيرها من العبادات.

ولما كان عملهم كله إصلاحاً، قال تعالى: ﴿إِنَا لَا نَضِيعِ أَجِرِ المصلحينِ ﴾ في أقوالهم وأعمالهم ونياتهم، مصلحين لأنفسهم ولغيرهم.

وهذه الآية وما أشبهها دلّت على أن الله بعث رسله عليهم الصلاة والسلام بالصلاح لا بالفساد، وبالمنافع لا بالمضآر، وأنهم بعشوا بصلاح الدارين، فكل من كان أصلح، كان أقرب إلى اتباعهم.

﴿١٧١﴾ ثم قال تعالى: ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم﴾ حين امتنعوا من قبول ما في التوراة .

فألزمهم الله العمل ونتق فوق رؤوسهم الجبل، فصار فوقهم ﴿كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم ﴾ وقيل لهم: ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ أي: بجد واجتهاد.

﴿واذكروا ما فيه ﴾ دراسة ومباحثة ، واتصافاً بالعمل به ﴿لعلكم تتقونُ إذا فعلتم ذلك.

﴿١٧٢﴾ ﴿وإِذْ أَخَذَ رَبُّكُ مِن بِنِي آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلي شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون ، يقول تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم أي: أخرج من أصلابهم ذريتهم، وجعلهم يتناسلون ويتوالدون

المثالث المثالث من المنظالات المنظالات

ولِذِي الْفُرِيِّ وَلَلْتَكُمْ وَلَلْسَكَبِينِ وَلَيْ السَّبِيلِ

إِن كُنْمُ مَاسَتُم الْفَوْمَ الْزَلْتَا عَلَى عَبِينَ وَلَيْ السَّبِيلِ

يَوْمَ الْنَمْ الْمُنْمَ اللَّهُ عَلَى الْمُلْكِمِينَ وَلَيْكُمْ الْمُلْكَالِكِمْ الْمُلْكِمِينَ وَلَا لِلْمُنْفِينَ وَالْكُمْ الْمُلْكِمُ وَالْمُلْكِمُ الْمُلْكِمُ وَالْمُلْكِمُ الْمُلْكِمُ وَالْمُلْكِمُ وَالْمُلْكِمُ وَالْمُلْكِمِينَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ وَالْمُلْكِمُ وَالْمُلْكُمُ وَلِيْكُمُ وَاللَّمُ وَالْمُلْكِمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكِمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلِكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكِمُ وَالْمُلْكِمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلِكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلِكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ ولِلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكِمُ وَالْمُلْكُمُولُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكِمُ وَالْمُلْكُمُ الْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ الْمُلْكُمُ الْمُلْكُمُ الْمُلِلْكُمُ الْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَلِلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْكِمُ لِلْمُلْكِمُ وَالْمُلْكُمُ لَلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَلِلْلْكُمُ وَالْمُلْكُمُ وَالْمُلْلِلُلُكُمُ وَلِلْكُمُ لَالْل

هَلَكَ عَنْ يَسْتَحُوهِ يَحْنَى فَنْ حَسَمَنَ يَسْتُو فَواكَ اللَّهَ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى عَلِيدُ ﴿ إِذْ يُرْبِحُهُ أُواللَّهُ فِلْ سَنَاعِكَ قَلِيدٌ وَقَلَى الْمَرْوَلِكُنَّ الْمُرْوَلِكُنَّ الْمُرْوَلِكُنَّ الْمُرْوَلِكُنَّ الْمُرْوَلِكُنَّ الْمُرْوَلِكُنَّ الْمُرْوَلِكُنَّ الْمُرْوَلِكُنَّ الْمُرْوَلِكُنَ الْمُرْوَدِ ﴿ وَالْمُرْوَلِكُنَ الْمُرْوَدِ ﴿ وَالْمُرْوَالِكُنَ الْمُرْوَدِ ﴿ وَالْمُرْوَدِ الْمُرْوَدِ الْمُرْوَدِ الْمُرْوَدِ الْمُرْوَدِ الْمُرْوَدِ الْمُرْوَدِ الْمُرْوَدِ الْمُرْوَدِ الْمُرْوَدِ اللَّهُ وَالْمُرْوَدِ اللَّهُ الْمُرْوَدِ الْمُرْوَدِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُرْوَدِ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ اللْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَامِينَامِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ اللْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِين

الْمُوْرُ هِ يَتَأَيِّهُ اللَّذِي مَا تَتَوَالِوَالْمِيْمُ وَيَحَدُّ الْفَرْدُوْرُونَ الْمُتَكِّرُ اللَّهِ عَيْرِالْمُلَكُمُ اللَّهِ فَيْنَ هِي الْمُلَكِّمُ اللَّهِ فَيْنَ هِي الْم الله المُوارِدُ عِنْهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ اللهِ اللهِ الله

العالم الكبير والحبر النحرير.

أي: علمناه علم كتاب الله، فصار

أَعْدُوهِ لِيَقْضِي أَلْقُهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ رُبِّعُ

﴿فانسلخ منها، فأتبعه الشيطان﴾ أي: انسلخ من الاتصاف الحقيقي بالعلم بذلك، بالعلم بذلك، يصير صاحبه متصفاً بمكارم الأخلاق وعاسن الأعمال، ويرقى إلى أعلى الدرجات وأرفع المقامات، فترك هذا كتاب الله وراء ظهره، ونبذ الأخلاق التي يأمر بها الكتاب، وخلعها كما يخلع اللباس.

فلما انسلخ منها أتبعه الشيطان، أي: تسلط عليه حين خرج من الحصن الحصين، وصار إلى أسفل سافلين، فأزه إلى المعاصي أزاً. ﴿فكان من الراشدين المرشدين، وهذا لأن الله تعالى خذله ووكله إلى نفسه، فلهذا قال تعالى: ﴿وولو شئنا لرفعناه بها﴾ بأن نوفقه للعمل بها، فيرتفع في الدنيا والآخرة، فيتحصن من أعدائه.

﴿ ولكنه ﴾ فعل ما يقتضي الخذلان، فأخلد إلى الأرض، أي: إلى الشهوات السفلية، والمقاصد الدنيوية، ﴿ واتبع هواه ﴾ وترك طاعة مولاه، ﴿ فمثله ﴾ في شدة حرصه على الدنيا وانقطاع قلبه إليها، ﴿ كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ أي: لا يزال لاهئاً في كل حال، وهذا لا يزال

حريصاً حرصاً قاطعاً قلبه، لا يسد فاقته شيء من الدنيا.

﴿ ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ بعد أن ساقها الله إليهم، فلم ينقادوا لها، بل كذبوا بها وردوها، لهوانهم على الله، واتباعهم لأهوائهم، بغير هدى من الله.

﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ في ضرب الأمثال، وفي العبر والآيات، فإذا تفكروا علموا، وإذا علموا عملوا.

﴿١٧٧﴾ ﴿ساء مثلاً القوم الذين

كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون الله أي: ساء وقبح، مشل من كذب بآيات الله، وظلم نفسه بأنواع المعاصي، فإن مثلهم مثل السوء، وهذا الذي أناه الله آياته، يحتمل أن المراد به شخص معين، قد كان منه ما ذكره الله، فقص الله قصته تنبيها للعباد. ويحتمل أن المراد بذلك أنه اسم جنس، وأنه شامل لكل من آتاه الله آياته فانسلخ منها.

وفي هذه الآيات الترغيب في العمل بالعلم، وأن ذلك رفعة من الله لصاحبه، وعصمة من الشيطان، والترهيب من عدم العمل به، وأنه نزول إلى أسفل سافلين، وتسليط للشيطان عليه، وفيه أن اتباع الهوى، وإخلاد العبد إلى الشهوات، يكون سبباً للخذلان.

﴿١٧٨﴾ ثم قال تعالى مبيناً أنه المنفرد بالهداية والإضلال: ﴿من يهد الله ﴾ بأن يوفقه للخيرات، ويعصمه من المكروهات، ويعلمه ما لم يكن يعلم ﴿فهو المهتدي ﴾ حقاً لأنه آثر هدايته تعالى، ﴿ومن يضلل ﴾ فيخذله ولا يوفقه للخير ﴿فأولئك هم الخاسرون ﴾ لأنفسهم وأهليهم يوم الخيران المين.

﴿ ١٧٩﴾ ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ تعالى مبيناً كثرة الغاوين الضالين،

المتبعين إبليس اللعين: ﴿ولقد ذرأنا﴾ أي: أنشأنا وبثثنا ﴿لجهنم كثيراً من الجن والإنس﴾ صارت البهائم أحسن حالة منهم.

﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾ أي: لا يصل إليها فقه ولا علم، إلا مجرد قيام الحجة.

﴿ولهم أعين لا يبصرون بها﴾ ما ينفعهم، بل فقدوا منفعتها وفائدتها.

﴿ ولهم آذان لا يسمعون بها ﴾ سماعاً يصل معناه إلى قلوبهم.

﴿أُولِئُكُ الذين بهذه الأوصاف القبيحة ﴿كَالأَنْعَام ﴾ أي: البهائم، التي فقدت العقول، وهؤلاء آثروا ما يفنى على ما يبقى، فسلبوا خاصية العقل.

﴿بل هم أضل﴾ من البهائم، فإن الأنعام مستعملة فيما خلقت له، ولها أذهان تدرك بها، مضرتها من منفعتها، فلذلك كانت أحسن حالاً منهم. ﴿أُولِئُكُ هم الغافلون﴾ الذين غفلوا عن الإيمان بالله وطاعته وذكره.

خلقت لهم الأفشدة والأسماع والأبصار، لتكون عوناً لهم على القيام بأوامر الله وحقوقه، فاستعانوا بها على ضد هذا المقصود.

فهؤلاء حقيقون بأن يكونوا ممن ذرأ الله لجهنم وخلقهم لها، فخلقهم للنار، وبأعمال أهلها يعملون.

وأما من استعمل هذه الجوارح في عبادة الله، وانصبغ قلبه بالإيمان بالله وعبته، ولم يغفل عن الله، فهؤلاء أهل الجنة ، وبأعمال أهل الجنة يعملون.

﴿ ١٨٠﴾ ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾ هذا بيان لعظيم جلاله وسعة أوصافه، بأن له الأسماء الحسنى، أي: له كل اسم حسن، وضابطه: أنه كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى، فإنها لو دلت على غير صفة، بل كانت علماً محضاً لم تكن حسنى، وكذلك لو دلت على صفة ليست بصفة وكذلك لو دلت على صفة ليست بصفة كمال، بل إما صفة نقص أو صفة

منقسمة إلى المدح والقدح، لم تكن حسنى، فكل اسم من أسمائه دال على جميع الصفة التي اشتق منها، مستغرق لجميع معناها.

وذلك نحو «العليم» الدال على أن له علماً محيطاً عاماً لجميع الأشياء، فلا يخرج عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

و اكالرحيم الدال على أن له رحمة عظيمة واسعة لكل شيء.

واكالقدير؛ الدال على أن له قدرة عامة، لا يعجزها شيء، ونحو ذلك.

ومن تمام كونها «حسنى» أنه لا يبدعن إلا بها، ولبذلك قبال: ﴿ فادعوه بها ﴾ وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة، فيدعى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، فيقول الداعي مثلاً: اللهم اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم، وتب علي يا تواب، وارزقني يا رزاق، والطف بي يا لطيف ونحو ذلك.

وقوله: ﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾ أي: عقوبة وعذاباً على إلحادهم في أسمائه، وحقيقة الإلحاد الميل بها عما جعلت له، إما بأن يسمى بها من لا يستحقها، كتسمية المشركين بها لا يستحقها، وأما بنفي معانيها وتحريفها، وأن يجعل لها معنى ما أراده الله ولا رسوله، وإما أن يشبه بها غيرها، فالواجب أن يحذر الإلحاد فيها، ويحذر اللحدون فيها، وقد ثبت في الصحيح عن النبي على اللحدود فيها، وقد ثبت في الصحيح عن النبي من أحصاها دخل الجنة،

﴿ ١٨١﴾ وقوله: ﴿ وَمَن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ أي: ومن جملة من خلقنا أمة فاضلة كاملة في نفسها، مكملة لغيرها، يهدون أنفسهم وغيرهم بالحق، فيعلمون الحق ويعملون به، ويعلمونه، ويدعون إليه وإلى العمل به.

﴿وبه يعدلون ﴾ بين الناس في أحكامهم إذا حكموا في الأموال والدماء والحقوق والمقالات، وغير ذلك، وهولاء هم أئمة الهدى، عليهم بالإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وهم الدين مرتبتهم تلي مرتبة الرسالة، وهم في أنفسهم مراتب متفاوتة كل بحسب حاله وعلو منزلته، فسبحان من يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

﴿١٨٢﴾ ﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم إن كيدى متين أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي: حديث بعده يؤمنون \* من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعممهون، أي: والذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة ما جاء به محمد ﷺمن الهدى فردوها ولم يقبلوها. ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون بأن يدر لهم الأرزاق. ﴿وأملي لهم﴾ أي: أمهلهم حتى يظنوا أنهم لا يوخذون ولا يعاقبون، فيزدادون كفراً وطغياناً، وشراً إلى شرهم، وبذلك تزيد عقوبتهم، ويتضاعف عذابهم، فيضرون أنفسهم من حيث لا يشعرون، ولهذا قال: ﴿إِنْ كَيْدِي مِتِينَ ﴾ أي: قوي بليغ.

﴿ ١٨٤﴾ ﴿ أولم يستفكروا ما بصاحبهم ﴾ محمد ﷺ ﴿ من جنّة ﴾ أي: أو لم يعملوا أفكارهم، وينظروا هل في صاحبهم الذي يعرفونه ولا يخفى عليهم من حاله شيء، هل هو بحنون؟ فلينظروا في أخلاقه وهديه، ودلّه وصفاته، وينظروا في ما دعا إليه، فلا يجدون فيه من الصفات إلا أكملها، ولا من الأخلاق إلا

أتمها، ولا من العقل والرأي: إلا ما فاق به العالمين، ولا يدعو إلا لكل خير، ولا ينهئ إلا عن كل شر.

أفبهذا يا أولي الألباب من جنة؟!! أم هو الإمام العظيم والناصح المبين، والماجد الكريم، والرؤوف الرحيم؟!! ولهذا قال: ﴿إن هو إلا نذير مبين﴾ أي: يدعو الخلق إلى ما ينجيهم من العذاب، ويحصل لهم الثواب.

﴿ ١٨٥) ﴿ ﴿ أُولَمُ يُنظرُوا فِي ملكوت السماوات والأرض ﴾ فإنهم إذا نظروا إليها وجدوها أدلة دالةً على توحيد ربها، وعلى ماله من صفات الكمال.

وه كذلك لينظروا إلى جميع ﴿ما خلق الله من شيء ﴿ فَإِنْ جَمِع أَجْزَاء الله من شيء ﴾ فإن جميع أجزاء وقدرته وحكمته وسعة رحمته ، وإحسانه، ونفوذ مشيئته، وغير ذلك من صفاته العظيمة، الدالة على تفرده بالخلق والتدبير، الموجبة لأن يكون هو المعبود المحمود، المسبح الموحد المحبوب.

وقوله: ﴿وأن عسىٰ أن يكون قد اقترب أجلهم ﴾أي: لينظروا في خصوص حالهم، وينظروا لأنفسهم قبل أن يقترب أجلهم، ويفجأهم الموت وهم في غفلة معرضون، فلا يتمكنون حينتذ من استدراك الفارط.

وفبأي: حديث بعده يؤمنون الله إذا لم يؤمنون الله إذا لم يؤمنوا بهذا الكتاب الجليل، فبأي: حديث يؤمنون به؟!! أبكتب الكذب والضلال؟ أم بحديث كل مفتر دحال؟

ولكن الضال لا حيلة فيه، ولا سبيل إلى هدايته، ولهذا قال تعالى: ﴿من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون﴾أي: متحيرين (١) يترددون، لا يخرجون منه ولا يهتدون إلى حق.

﴿ ١٨٧﴾ ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجلّبها لوقتها إلا هو ثقلت في

السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفيَّ عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون \* قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يومنون في يقول تعالى لرسوله يحمد ﷺ: ﴿يسالونك أي: يكمد الكذبون لك، المتعنتون ﴿عن الساعة أيان مرساها أي: متى وقتها الذي أيان مرساها أي: متى وقتها الذي

وقل إنما علمها عند ربي أي: إنه تعالى مختص بعلمها، ﴿لا يجليها لوقتها إلا هو﴾ أي: لا يظهرها لوقتها الذي قدر أن تقوم فيه إلا هو.

﴿ ثقلت في السماوات والأرض ﴾ أي: خفي علمها على أهل السماوات والأرض، واشتد أمرها أيضاً عليهم، فهم من الساعة مشفقون.

﴿لا تأتيكم إلا بغتة﴾ أي: فجأة من حيث لا تشعرون، لم يستعدوا لها، ولم يتهيؤوا لقيامها.

﴿ يسألونك كأنك حقي عنها ﴾ أي: هم حريصون على سؤالك عن الساعة، كأنك مستحف عن السؤال عنها، ولم يعلموا أنك \_ لكمال علمك بربك، وما ينفع السؤال عنها، ولا حريص على ذلك، فليم لا يقتدون بك، ويكفون عن المسلحة المتعذر علمه، فإنه لا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب. وهي من الأمور التي أخفاها الله عن الخلق، من الأمور التي أخفاها الله عن الخلق، لكمال حكمته وسعة علمه.

﴿قل إنما علمها عند الله، ولكن أكثر الناس لا يعلمون فلذلك حرصوا على ما لا ينبغي الحرص عليه، وخصوصاً مثل حال هؤلاء الذين يتركون السؤال عن الأهم،

ويدعون ما يجب عليهم من العلم، ثم يذهبون إلى مالا سبيل لأحد أن يدركه، ولا هم مطالبون بعلمه.

﴿١٨٨﴾ ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً ﴾ فإني فقير مدبر، لا يأتيني خير إلا من الله، ولا يدفع عني الشر إلا هو، وليس لي من العلم إلا ما علمني الله تعالى.

﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ﴾ أي: لفعلت الأسباب التي أعلم أنها تنتج لي المصالح والمنافع، ولحذرت من كل ما يفضي إلى سوء ومكروه، لعلمي بالأشياء قبل كونها، وعلمي بما تفضي اله.

ولكني \_ لعدم علمي \_ قد ينالني ما ينالني من السوء، وقد يفوتني ما يفوتني من مصالح الدنيا ومنافعها، في لا علم لي بالنيب.

﴿إِنْ أَنَا إِلَا نَذْيِرِ ﴾ أَنْذُر العقوبات الدينية والدنيوية والأخروية، وأبين الأعمال المفضية إلى ذلك، وأحذر منها.

﴿وَبِسْيِرٍ﴾ بالشواب العاجل والآجل، ببيان الأعمال الموصلة إليه والترغيب فيها، ولكن ليس كل أحد يقبل هذه البشارة والنذارة، وإنما ينتفع بذلك ويقبله المؤمنون، وهذه الآيات الكريمات، مبينة جهل من يقصد النبي على ويدعوه لحصول نفع أو دفع ضر.

فإنه ليس بيده شيء من الأمر، ولا ينفع من لم ينفعه الله، ولا يدفع الضر عمن لم يدفعه الله عنه، ولا له من العلم إلا ما علمه الله تعالى، وإنما ينفع من قبل ما أرسل به من البشارة والنذارة، وعمل بذلك، فهذا

نفعه ﷺ، الذي فاق نفع الآباء والأمهات، والأخلاء والإخوان بما حث العباد على كل خير، وحذرهم عن كل شر، وبينه لهم غاية البيان والإيضاح.

﴿١٨٩﴾ ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين \* فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون \* أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يُخلقون \* ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم يَنصرون \* وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون، أي: ﴿ هُو الذِّي خُلَقَكُم ﴾ أيها الرجال والنساء، المنتشرون في الأرض على كثرتكم وتفرقكم. ﴿من نفس واحدة﴾ وهو آدم أبو البشر ﷺ

﴿وجعل منها زوجها ﴾ أي: خلق من آدم زوجته حواء لأجل أن يسكن إليها لأنها إذا كانت منه حصل بينهما من المناسبة والموافقة ما يقتضي سكون أحدهما إلى الآخر، فانقاد كل منهما إلى صاحبه بزمام الشهوة.

﴿فلما تغشاها﴾ أي: تجللها مجامعاً لها قدر الباري أن يوجد من تلك الشهوة وذلك الجماع النسل، [وحينثذ](١) حملت حملاً خفيفاً، وذلك في ابتداء الحمل، لا تحس به الأنثى، ولا يثقلها.

﴿فلما﴾ استمرت به و ﴿أثقلت﴾ به حين كبر في بطنها، فحيننذ صار في قلوبهما الشفقة على الولد، وعلى خروجه حياً صحيحاً، سالماً لا آفة فيه (٢٠) [كذلك]، فدعوا ﴿الله ربهما لئن آتيتنا﴾ ولدا ﴿صالحاً﴾ أي: صالح

الخلقة تامها، لا نقص فيه ﴿لنكونن من الشاكرين﴾

﴿ فلما آتاهما صالحاً ﴾ على وفق ما طلبا، وتمت عليهما النعمة فيه ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما ﴾ أي: جعلا لله شركاء في ذلك الولد الذي انفرد الله بإيجاده والنعمة به، وأقرَّ به أعين والديه، فعبَّداه لغير الله. إما أن يسمياه بعبدغیر الله که «عبد الحارث» و"عبد العزيز"(١) و"عبد الكعبة" ونحو ذلك، أو يشركا بالله في العبادة، بعدما منَّ الله عليهما بما منَّ من النعم التي لا يحصيها أحد من العباد.

وهذا انتقال من النوع إلى الجنس، فإن أول الكلام في آدم وحواء، ثم انتقل إلى الكلام في الجنس، ولا شك أن هذا موجود في الذرية كثيراً، فلذلك قررهم الله على بطلان الشرك، وأنهم في ذلك ظالمون أشد الظلم، سواء كان الشرك في الأقوال، أم في الأفعال، فإن الخالق لهم من نفس . واحدة، الذي خلق منها زوجها وجعل لهم من أنفسهم أزواجاً، ثم جعل بينهم من المودة والرحمة ما يسكن بعضهم إلى بعض، ويألفه، ويلتذبه، ثم هداهم إلى ما به تحصل الشهوة واللذة، والأولاد والنسل.

شم أوجد النذريسة فسي بسطون الأمهات، وقتاً موقتاً، تنشوف إليه نفوسهم، ويدعون الله أن يخرجه سوياً صحيحاً، فأتم الله عليهم النعمة وأنالهم مطلوبهم .

أفلا يستحق أن يعبدوه، ولا يشركوابه في عبادته أحداً، ويخلصوا له الدين، ولكن الأمر جاء على العكس، فأشركوا بالله من ﴿ يَخِلْقُ شَيِئًا وَهُمْ يَخِلُقُونَ \* ولا يستطيعون لهم) أي: لعابديها ﴿نصراً ولا أنفسهم ينصرون﴾

فإذا كانت لا تخلق شيئاً، ولا مثقال ذرة، بل هي مخلوقة،

ولا تستطيع أن تدفع المكروه عن من يعبدها، بلولا عن أنفسها، فكيف تتخذمع الله آلهة؟!! إن هذا إلا أظلم الظلم، وأسفه السفه.

وإن تدعوا، أيها المشركون هذه الأصنام، التي عبدتم من دون الله ﴿ إِلَّ الْهَدِي لا يَتْبِعُوكُمْ سُواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون، فصار الإنسان أحسن حالة منها، لأنها لا تسمع ولا تبصر، ولا تهدى ولا تُهدّي، وكل هذا إذا تصوره اللبيب العاقل تصوراً مجرداً، جزم ببطلان إلهيتها، وسفاهة من عبدها.

﴿ ١٩٤ - ١٩٦) ﴿ إِن السَّدِينِ تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون إن وليِّي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، وهذا من نوع التحدي للمشركين العابدين للأوثان، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهِنِّ تَدْعُونَ مِنْ دُونَ اللَّهُ عباد أمثالكم أي: لا فرق بينكم وبينهم، فكلكم عبيد لله مملوكون، فإن كنتم كما تزعمون صادقين في أنها تستحق من العبادة شيئاً ﴿فادعوهم فليستجيبوا لكم، فإن استجابوا لكم وحصلوا مطلوبكم، وإلا تبين أنكم كاذبون في هذه الدعوي، مفترون على الله أعظم الفرية، وهذا لا يحتاج إلى التبين فيه، فإنكم إذا نظرتم إليها وجدتم صورتها دالة على أنه ليس لديها من النفع شيء، فليس لها أرجل تمشي بها، ولا أيد تبطش بها، ولا أعين تبصر بها، ولا أذان تسمع بها، فهي عادمة لجميع الآلات والقوى الموجودة في الإنسان.

فإذا كانت لا تجيبكم إذا دعوتموها، وهي عباد أمثالكم، بل أنتم أكمل منها وأقوى على كثير من الأشياء، فلأي:

CONTRACTOR ASSESSED TO THE SECOND PROPERTY OF وأطبعه االله وريه والمولانك زعوا فنفشكوا وتذهب ريحكم وَأَصْبُرُواْ إِنَّ ٱللَّهُ مَمَ الصَّهُ بِينَ ۞ وَلِا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ حَرَجُواْ مِن دِين رِهِ مِبَطِّرًا وَرِينَآةَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ عُمِيظٌ ۞ وَلِذَ نَهُنَ لَمُهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْلَلَهُمْ وَقَالَ لَاغَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمِينَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّ كُازُلُكُمْ مُّلَمَّا رُّأَءَتِ ٱلْفِئْتَ إِنْ نَكُصَعَلَ عَيْبَيْهِ وَقَالَ إِنْ بَرِيَّ \* يِنْكُمْ إِنِّ أَرَىٰ مَا لَازُوْنَ إِنَّ أَغَافُ أَلَّهُ وَأَلَّهُ مُسَدِيدُ ٱلْمِقَابِ ﴿ إِذْ يَتَعُولُ ٱلْنَنْفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِ وَمَّرَضُّ عَـُزَّهَٓٓٓ وُلِآءٍ دِيثُ هُرٌّ وَمَن بَتُوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فَإِن اللَّهَ عَن يُزُّ حَكِيدٌ ۞ وَلَوْزَيَّ إِذْ يَتَوَفَّ الَّذِيبَ كَفَتُرُوا الْمُلَّبِكَةُ يَضْرِيُونَ وُجُوهَهُمُ وَأَدْبُكُوهُ وَدُوقُولُ عَذَابَ آتُحَكِينِ ۞ ذَالِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ أَنَّهَ لَيْسَ بِطَلَّا بِرِلْفَتِيدِ ۞ كَنْلِ ءَالِ فِرْجُونَ وَٱلَّذِينَ مِن مَّلِهِمَّ حَكَمُوا بِعَايَتِ ٱللَّهِ فَأَخَلَهُ وُاللَّهُ يِذُنُّونِهِ مُ إِن اللَّهَ فَوِيٌّ شَدِيدُ الْمِعَابِ ۞ DUSTER WILLIAM STATE

شيء عبدتموها.

﴿قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون اجتمعوا أنتم وشركاؤكم على إيقاع السوء والمكروه بى، من غير إمهال ولا إنظار (٢)، فإنكم غير بالغين لشيء من المكروه بي، لأن وليَّى الله الذي يتولاني فيجلب لي المنافع ويدفع عنى المضار .

﴿الذي نزَّل الكتابِ﴾ الذي فيه الهدى والشفاء والنور، وهو من توليته وتربيته لعباده الخاصة الدينية.

﴿وهو يتولى الصالحين ﴾ الذين صلحت نياتهم وأعمالهم وأقوالهم، كما قال تعالى: ﴿الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ فالمؤمنون الصالحون الما تولوا ربهم بالإيمان والتقوى، ولم يتولوا غيره ممن لا ينفع ولا يضر -تولاهم الله ولطف بهم وأعانهم على ما فيه الخير والمصلحة لهم، في دينهم ودنياهم، ودفع عنهم بإيمانهم كل مكروه، كما قال تعالى: ﴿إِنْ اللهِ يدافع عن الذين

﴿١٩٧﴾ ﴿والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وإن تدعوهم إلى الهدى لرسول الله على، فتحسبهم ينظرون الالك يا رسول الله نظر اعتبار يتبين به الصادق من الكاذب، ولكنهم ولا يبصرون حقيقتك وما يتوسمه المتوسمون فيك من الجمال والكمال والصدق.

﴿ ١٩٩﴾ ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل، أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم، ولا يتكبر على الصغير لصغره، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال

﴿وأمر بالعرف﴾ أي: بكل قول حسن وفعل جيل، وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما تعليم علم، أو حث على خسر، من صلة رحم، أو برر واللدين، أو إصلاح بين الناس، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية، ولما كان لا بد من أذية الجاهل، بالإعراض عنه وعدم مقابلته الجاهل، بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فصِله، ومن ظلمك فاعدل فيه.

وأما ما ينبغي أن يعامل به العبد وأما ما ينبغي أن يعامل به العبد ه: ﴿وتراهم شياطين الإنس والجن، فقال تعالى: بصرون﴾ أن ﴿٢٠٠﴾ ﴿وإما ينزغنك من الشيطان كين المكذبين نزغ فاستعذبالله إنه سميع عليم \* إن

ن الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من به الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون \* م وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون \*

أي: أيُّ وقت، وفي أي: حال في نزغنك من الشيطان نزغ أي: عسر منه بوسوسة وتثبيط عن الخير، أو حث على الشر وإيعاز إليه. فالستعذ بالله أي: التجيء واعتصم بالله واحتم بحماه فإنه فسميع لما تقول. فعليم بنيتك وضعفك، وقوة التجائك له، فسيحميك من فتنته، ويقيك من وسوسته، كما قال تعالى فرن الناس إلى آخر

ولما كان العبد لا بد أن يغفل وينال من الشيطان، الذي لا يزال مرابطاً ينتظر غرته وغفلته، ذكر تعلى علامة المتقين من الغاوين، وأن المتقي إذا أحس بذنب، ومسه طائف من الشيطان، فأذنب بفعل عرم أو ترك واجب ـ تذكر من أي: باب أي، ومن أي: مدخل دخل الشيطان عليه، وما عليه وتذكر ما أوجب الله عليه، وما عليه من لوازم الإيمان، فأبصر واستغفر الله تعلى، واستدرك ما فرط منه بالتوبة النصوح والحسنات الكثيرة، فرد شيطانه خاسئاً حسيراً، قد أفسد عليه شيطانه خاسئاً حسيراً، قد أفسد عليه

وأما إخوان الشياطين وأولياؤهم، فإنهم إذا وقعوا في الذنوب، لا يزالون يمدونهم في الغي ذنباً بعد ذنب، ولا يقصرون عن ذلك، فالشياطين لا تقصر عنهم بالإغواء، لأنها طمعت فيهم حين رأتهم سلسي القياد لها، وهم لا يقصرون عن فعل الشر.

كل ما أدركه منه.

﴿ ٢٠٣﴾ ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهُم بِآية قَالُوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلى من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ أي: لا يزال هؤلاء المكذبون لك في تعنت وعناد،

HENRY RESERVE إِ ذَلِكَ بِأَنَ اللَّهَ لَرَيْكُ مُغَيِّرُانِعْتُمَةً أَنْفِهُمَا عَلَىٰ قَوْمِحَتَّىٰ يُغَيِّرُولُ مَا إِنْفُسِهِ وَأَنَ ٱللَّهُ سَمِيعُ عَلِيدٌ ۞ كَدَأْبِ اللَّهِ فِيْعُونَ وَالَّذِينَ مِن قَبِلِهِمْ كَنَّاهُ إِيمَالِتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكُنَّهُم بِذُنُوبِهِ مِ وَأَغَرَقِنَا ٓ وَالَ فِيغَوَذُ وَكُلُّ كَانُوا ظَلِمِينَ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلِدَّوَآتِ عِندَ ٱللَّوَالَّذِينَّ لَكُّرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ عَلَهَ مَنْ مَنْهُمْ ثُمَّ مَنْفُونَ عَمْدَهُ وَفِي كُلِّهَ تَهْ وَهُزِلَايَتَ قُونَ ۞ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّ هُرَفِي ٱلْحَسَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْخَلْفَهُمْ لَكَمُّ لَهُمْ يَذَّكُّرُونَ ۞ وَلَمَّا تَخَافَنَ مِن فَوَرِجِيَانَةُ فَأَنِكُ إِلَيْهِ رَعَلَى سَوَّاهِ إِنَ الْقَدَلَا يُحِبُّ ٱلْكَآيِدِينَ @وَلَا يَعْسَابُنَ الَّذِيكَ كَفَرُواسَ بَقُواْ إِنَّهُمُ لَا يُعْجِرُونَ ﴿ وَأَعِدُوا لَمُ مَا اسْتَطَعَدُ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَ الِلهُ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهُ وَعَدُوَّكُمْ وَمَاخِيرَ مِن دُونِهِمْ لَاتَعَنَّهُ وَهُمَّ أَلَقَهُ يَعَلَّهُمُ وَمَا أَشُوهُوا مِن شَيْءٍ فِي سَهِيلِ لَقَهِ يُوَفِّ إِلَيْكُوْوَأَنْ فُرُلاتُظُلِكُونَ ۞ • وَلِدْ جَنَحُوْلِلْسَلِّمِ فَأَجْنَعْ لَمَا وَتَوَكَّ لَ عَلَى اللهِ إِنْدُمُو السَّحِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ ACTUAL IN ECTIVE لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم

لا يبصرون وهذا أيضاً في بيان عدم استحقاق هذه الأصنام التي يعبدونها من دون الله لشيء من العبادة، لأنها ليس لها استطاعة ولا اقتدار في نصر أنفسهم، ولا في نصر عابديها، وليس لها قوة العقل والاستجابة، فلو دعوتها إلى الهدى لم تهتد، وهي صور لا حياة وتنشرح له صدورهم. فيها، فتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون حقيقة، لأنهم صوروها على صور الحيوانات من الآدميين أو غيرهم، وجعلوا لها أبصاراً وأعضاء، فإذا رأيتها قلت: هذه حية، فإذا تأملتها عرفت أنها جمادات لا حراك بها، ولا حياة، فبأي: رأي اتخذها المشسركسون آلسهسة مسع الله؟ ولأي: مصلحة أو نفع عكفوا عندها وتقربوا لها بأنواع العبادات؟

> فإذا عرف هذا، عرف أن المشركين وآلهتهم التي عبدوها، ولو اجتمعوا وأرادوا أن يكيدوا من تولاه فاطر الأرض والسماوات، متولي أحوال عباده الصالحين، لم يقدروا على كيده بمثقال ذرة من الشر، لكمال عجزهم وعجزها، وكمال قوة الله واقتداره، وقوة من احتمى بجلاله وتوكل عليه.

وقيل: إن معنى قوله: ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾أن الضمير يعود إلى المشركين الكذبين

ولو جاءتهم الآيات الدالة على الهدى والرشاد، فإذا جنتهم بشيء من الآيات الدالة على صدقك لم ينقادوا.

﴿ وإذا لم تأتهم بآية ﴾ من آيات الاقتراح التي يعينونها ﴿ قالوا لولا المتبيتها ﴾ أي: هلا اخترت الآية ، فصارت الآية الفلانية ، أو المعجزة الفلانية كأنك أنت المنزل للآيات ، المدبر لجميع المخلوقات ، ولم يعلموا أنه ليس لك من الأمر شيء ، أو أن المغنى: لولا اخترعتها من نفسك .

﴿قُلُ إِنَّمَا أَتْبُعُ مَا يُوحِي إِلَّي مِنْ ربي الله تعالى منبع مدبّر، والله تعالى هو الذي ينزل الآيات ويرسلها على حسب ما اقتضاه حمده وطلبته حكمته البالغة، فإن أردتم آية لا تضمحل على تعاقب الأوقات، وحجة لا تبطل في جميع الآنات، فهذا القرآن العظيم والذكر الحكيم ﴿بصائر من ربكم﴾ يستبصر به في جميع المطالب الإلهية والمقاصد الإنسانية، وهو الدليل والمدلول فمن تفكر فيه وتدبره، علم أنه تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبه قامت الحجة على كل من بلغه، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون، وإلا فمن آمن، فهو ﴿هدى الضلال ﴿ورحمة ﴾له من الشقاء، فالمؤمن مهتد بالقرآن، متبع له، سعيد في دنياه

وأما من لم يؤمن به، فإنه ضال شقي في الدنيا والآخرة.

﴿ ٢٠٤﴾ ﴿ وإذا قرى السقران فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترجون ﴾ هذا الأمر عام في كل من سمع كتاب الله يتلى ، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات ، والفرق بين الاستماع والإنصات ، أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه .

وأما الاستماع له، فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع، فإن من لازم على هذين الأمرين حين

يتلى كتاب الله، فإنه ينال خيراً كثيراً وعلماً غزيراً، وإيماناً مستمراً متجدداً، وهدى متزايداً، وبصيرة في دينه، ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما، فدل ذلك على أن من تلى عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير

ومن أوكد ما يؤمر به مستمع القرآن، أن يستمع له وينصت في الصلاة الجهرية إذا قرأ إمامه، فإنه مأمور بالإنصات، حتى إن أكثر العلماء يقولون: إن اشتغاله بالإنصات، أولى من قراءته الفاتحة

﴿ ٢٠٦ - ٢٠٦﴾ ﴿ واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والأصال ولا تكن من الغافلين \* إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه ولم يسجدون الذكر لله تعالى يكون يسجدون اللسان، ويكون باللسان، ويكون بهما، وهو أكمل أنواع الذكر وأحواله، فأمر الله عبده ورسوله محمداً أصلاً، وغيره تبعاً بذكر ربه، في نفسه، أي: غلصاً خلااً.

﴿تضرعاً ﴾ أي: متضرعاً بلسانك، مكرراً لأنواع الذكر، ﴿وخيفة ﴾ في قلبك بأن تكون خائفاً من الله، وَجِلُ القلب منه، خوفاً أن يكون عملك غير مقبول، وعلامة الخوف أن يسعى ويجتهد في تكميل العمل وإصلاحه، والنصح به.

ودون الجهر من القول أي: كن متوسطاً، لا تجهر بصلاتك، ولا تخافت بها، وابتغ بين ذلك سبيلاً. وبالغدو أول النهار ﴿والآصال أخره، وهذان الوقتان لذكر الله فيهما مزية وفضيلة على غيرهما.

ولا تكن من الغافلين الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فإنهم حرموا خير الدنيا والآخرة، وأعرضوا عمن كل السعادة والفوز في ذكره وعبوديته، وأقبلوا على من كل الشقاوة

THE AND AND METERS IN THE PROPERTY OF THE PROP وَان يُرِيدُوٓاْ أَن يَغْ مَعُوكَ فَإِن حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِيَّ أَيَّدُكُ يِنَصْرِهِ وَيَالْمُونِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيْنَ تُلُوبِهِمُّ لَوْ أَنْفَقْتَ ﴿ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنِ قُلُوبِهِ مَّر وَلَكِنَّ ٱللَّهَ ٱلَّفْ يَنْهُمْ إِنَّهُ عَزِيزُكِكِيرٌ ۞ يَنَأَيُّهَا ٱلنَّبَيُّ حَسَبُكَ ٱللَّهُ وَمِنِ أَتَبَّعَكُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ يَنَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرَضٍ ﴾ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَ إِلَّ إِن يَكُنْ مِنْكُمْ عِنْمُونَ صَبُرُونَ يَغْلِوُا مِاثَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُنْ مِنكُم مِاكَ أَيْغَىٰ لِبُوا ٱلْفَاعِينَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّهُمْ قَوْرٌ لَّا يَفْقُهُونَ ۞ ٱلْتَنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُرُ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفَأَ فَإِن يَكُن مِّنكُمْ مِّالْمَةٌ صَابِرَةٌ يُغَلِبُواْ مِأْتَدَيْنِ وَإِن يَكُن مِنكُمُ ٱلْفُ يَغَلِبُواْ ٱلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّهِينِ ۞ مَاكَانَ لِنَبِيِّ أَن يَكُونَ لَهُوَأَسْرَىٰ حَفِّي أَيْشِونَ فِي ٱلْأَرْضِ ثَرِيدُونَ عَنْ ٱلدُّنْيَا وَاللَّهُ ﴾ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةُ وَالْقَدَّعَزِيزُ حَكِيدٌ ۞ فَوْلَا كِنَبْثِينَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَتَنَكُّرُونِيمَا أَغَذْ ثُرَعَنَاكُ عَظِيرٌ ۞ فَكُمُ أَيِّنَا الله عَنِينَةُ مَلَاكُ طَيِّبًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيدٌ ۞ DESTRUCTION WEDGES

والخيبة في الاشتغال به، وهذه من الآداب التي ينبغي للعبد أن يراعيها حق رعايتها، وهي الإكثار من ذكر الله أناء الليل والنهار، خصوصاً طرّفي النهار، خلصاً خاشعاً متضرعاً، متذللاً، ساكناً، وتواطئا عليه قلبه ولسانه، بأدب ووقار، وإقبال على الدعاء والذكر، وإحضار له بقلبه وعدم غفلة، فإن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه.

ثم ذكر تعالى أن له عباداً مستديمين لعبادته، ملازمين لخدمته وهم الملائكة، فلتعلموا أن الله لا يريد أن يتكثر بعبادتكم من قلة، ولا ليتعزز بها من ذلة، وإنما يريد نفع أنفسكم، وأن تربحوا عليه أضعاف أضعاف أضعاف ما عملتم، فقال: ﴿إن الذين عند ربك﴾ من الملائكة المقربين، وحملة العرش والكروبيين ﴿لا يستكبرون عن عبادته ﴾ بل يذعنون لها وينقادون والنهار لا يفترون.

﴿ول ﴾ وحده لا شريك له ﴿يسجدون ﴾ فليقتد العباد بهؤلاء الملائكة الكرام، وليداوموا [على] عبادة الملك العلام.

تم تفسير سورة الأعراف ولله الحمد والشكر والثناء وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

يَنَأَيُّهُا ٱلنَّبِيُّ قُلِيلَنِ فِي أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَشْرَعَ إِن يَسْلِرُ ٱللَّهُ فِي قُلُو بِكُوخَيْرًا ثُوْمَة كَمْرَخِيْرَا مِثَا أَلِيغُذَ مِن فُو وَمَفْيِمْ لَكُمُّ وَلَقَهُ عَـعُورٌ فَيْحِـدُ ۞ وَإِن يُربِدُ وَأَخِيـا أَتَكَ فَقَدْ حَافُوا اللَّهَ مِن قَتِلُ فَأَمْكُنَ مِنْهُدُّ وَاللَّهُ عَلَيْهُ حَكِيدٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجِرُوا وَجَلَهَ دُوا مِا مُؤلِيدٌ وَأَنفُ وَيَ فِي سَبِيلًا عَو وَالَّذِينَ عَاوَواْ وَمَصَرُواْ أُوْلَيْكَ مَعْضُهُمْ أَوْلِيكَ أَمْسُونُ وَالَّذِيثَ ءَامَنُواْ وَلَيْهُا حِرُواْ مَالَكَ مُعِن وَلَيْنِهِمِ مِن شَيْءِ حَقَّيْهَا يُولُ وَلِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمُ فِي ٱلدِينِ فَعَكَيَّكُ مُ ٱلصَّرُ إِلَّا عَمَلَ قَوْمِ بَيِّنَكُوْوَيَيْنَهُم يِّبَتَقُّ وَٱلْقَدْيَاتَتَكُم أُوكَ بَصِيرٌ ۞ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِي آهُ بَعْضُ إِلَّالْفَعَلُوهُ تَكُنُ مِنْكَةً فِ ٱلْأَرْضِ وَفَسَادُ كَبِيرٌ ۞ وَالَّذِينَ ءَامَتُوا وَهَاجُوا وَيَعَامُلُوا فِ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِيبَ مَا وَوا وَنَصَرُوۤ ا أُوْلَيَهِكَ مُوۤ الْوُصِدُونَ حَقَّا لَهُ مُعْدِيرَةً وَرِزْقَ كَيرِهُ ﴿ وَالَّذِينَ مَامَنُولِينَ إِمَّا لَهُ وكابتروا وكنهدوا معكمة فأولتيك منكز وأولوا الأزعار بَعْضُ فُرَأُولَ بِبَعْضِ فِي كِتَبِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَكُلِّ مَنْ وَعِلِيمٌ ﴿ TO TO THE WAR TO THE OWN TO THE OWN TH

تفسير سورة الأنفال وهي مدنية

﴿ ١ - ٤ ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين \* إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيساناً وعلى ربهم يتوكلون \* الذِّين يقيمون الصلاة وعماً رزقناهم ينفقون \* أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند رسم ومغفرة ورزق كريم، الأنفال هي الغنائم التي ينفلها ألله لهذه الأمة من أموال الكفار، وكانت هذه الآيات في هذه السورة قد نزلت في قصة «بدر» أول غنيمة كبيرة غنمها المسلمون من المشركين، فحصل بين بعض المسلمين فيها نزاع، فسألوا رسول الله ﷺ عنها، فأنزل الله: ﴿ يسألونك عن الأنفال) كيف تقسم وعلى من

﴿قل﴾ لهم: الأنفال لله ورسوله يضعانها حيث شاءا، فلا اعتراض لكم على حكم الله ورسوله، بل عليكم إذا حكمهما، وتسلموا الأمر لهما، وذلك داخل في قوله: ﴿فاتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿ واصلُحُوا ذات بينكم ﴾ أي:

أصلحوا ما بينكم من التشاحن ف والتقاطع والتدابر، بالتوادد والتحاب و والتواصل. فبذلك تجتمع كلمتكم، ه ويزول ما يحصل ـ بسبب التقاطع \_ ي من التخاصم، والتشاجر والتنازع. كا ويدخل في إصلاح ذات البين ال

تحسين الخلق لهم، والعفو عن المسيئين أ منهم فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في الله القلوب من البغضاء والتدابر، والأمر الجامع لذلك كله قوله: ﴿وأطيعوا الله ا ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾ فإن الإيمان المحدو إلى طاعة الله ورسوله، كما أن

من لم يطع الله ورسوله فليس بمؤمن. ومن نقصت طاعته لله ورسوله، فذلك لنقص إيمانه، ولما كان الإيمان

قسمين: إيماناً كاملاً يترتب عليه المدح والثناء، والفوز التام، وإيماناً دون ذلك ذكر الإيمان الكامل فقال: ﴿إنما

المؤمنون الألف واللام للاستغراق لشرائع الإيمان. ﴿ الله وجلت الله وجلت قلوبهم ﴾ أي: خافت ورهبت،

فأوجبت لهم خشية الله تعالى الانكفاف عن المحارم، فإن خوف الله تعالى أكبر علاماته أن يحجز صاحبه عن

وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إسماناً ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره فعند ذلك يزيد إيمانهم، لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بدأن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقاً إلى كرامة وإدجاراً عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان.

والتوكل هو الحامل للأعمال كلها، فلا توجد ولا تكمل إلا به.

لا توجد ولا تكمل إلا به. ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ من

فرائض ونوافل، بأعمالها الظاهرة والباطنة، كحضور القلب فيها، الذي هو روح الصلاة ولبها، ﴿وعما رزقناهم ينفقون النفقات الواجبة، كالزكوات، والكفارات، والنفقة على الزوجات والأقارب، وما ملكت أيمانهم، والمستحبة كالصدقة في جميع طرق الخير.

﴿أُولِمُتُك﴾ الذي اتصفوا بتلك الصفات ﴿هم المؤمنون حقا﴾ لأنهم جمعوا بين الإسلام والإيمان، بين الأعمال الظاهرة، بين العلم والعمل، بين أداء حقوق الله وحقوق عباده.

وقدم تعالى أعمال القلوب، لأنها أصل لأعمال الجوارح وأفضل منها، وفيها دليل على أن الإيمان، ينزيد وينقص، فيزيد بفعل الطاعة وينقص ضدها

وأنه ينبغي للعبد أن يتعاهد إيمانه وينميه، وإن أولى ما يحصل به ذلك تدبر كتاب الله تعالى والتأمل لمعانيه. ثم ذكر ثواب المؤمنين حقاً فقال: ﴿لهم درجات عند ربهم﴾ أي: عالية بحسب علو أعمالهم ﴿ومغفرة﴾ لذنوبهم ﴿وورزق كريم﴾ وهو ما أعد الله لهم في دار كرامته، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب

ودل هذا على أن من لم يصل إلى درجتهم في الإيمان - وإن دخل الجنة - فلن ينال ما نالوا من كرامة الله التامة.

﴿ ه \_ ٨ ﴾ ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون \* يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون \* وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين \* ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ﴾ قدم تعالى \_ أمام هذه الغزوة الكبرى المباركة \_ الصفات التي على المؤمنين أن يقوموا بها، لأن من قام

بها استقامت أحواله وصلحت أعماله، التي من أكبرها الجهاد في سبيله.

فكما أن إيمانهم هو الإيمان الحقيقي، وجزاءهم هو الحق الذي وعدهم الله به، كذَّلك أخرج الله رسوله على من بيته إلى لقاء المسركين في "بدر" بالحق الذي يحبه الله تعالى، وقد قدره وقضاه.

وإن كان المؤمنون لم يخطر ببالهم في ذلك الخروج أنه يكون بينهم وبين عدوهم قتال.

فحين تبين لهم أن ذلك واقع، جعل فريق من المؤمنين يجادلون النبي ﷺ في ذلك، ويكرهون لقاء عدوهم، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون.

والحال أن هذا لا ينبغي منهم، خصوصاً بعدما تبين لهم أن خروجهم بالحق، ومما أمر الله به ورضيه، فبهذه الحال ليس للجدال محل [فيها](١)، لأن الجدال محله وفائدته عند اشتباه الحق والتباس الأمر، فأما إذا وضح ويان، فليس إلا الانقياد والإذعان.

هذا وكثير من المؤمنين لم يجر منهم من هذه المجادلة شيء، ولا كرهوا لقاء عدوهم، وكذلك الذين عاتبهم الله، انقادوا للجهاد أشد الانقياد، وثبتهم الله، وقيض لهم من الأسباب ما تطمئن به قلوبهم كما سيأتي ذكر بعضها.

وكان أصل خروجهم يتعرضون لعير خرجت مع أبي سفيان بن حرب لقريش إلى الشآم، قافلة كبيرة، فلما سمعوا برجوعها من الشام، ندب النبي على الناس، فخرج معه ثلاث مئة، وبضعة عشر رجلاً، معهم سبعون بعيراً، يعتقبون عليها، ويحملون عليها متاعهم، فسمعت بخبرهم قريش، فخرجوا لمنع عيرهم، في عدد كثير وعُدةٍ وافرة من السلاح والخيل والرجال، يبلغ عددهم قريباً من الألف.

فوعد الله المؤمنين إحدى الطائفتين، إما أن يظفروا بالعير، أو

بالنفير، فأحبوا العير لقلة ذات يد المسلمين، ولأنها غير ذات شوكة، ولكن الله تعالى أحب لهم وأراد أمرأ أعلى مما أحبوا.

أراد أن يظفروا بالنفير الذي خرج ووضع الأشياء مواضعها. فيه كبراء المشركين وصناديدهم، ﴿ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ﴾ فينصر أهله ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ أي: يستأصل أهل الباطل، ويُري عباده من نصره للحق أمراً لم يكن يخطّر

ببالهم .

﴿لَيحِق الحق﴾ بما يظهر من الشواهد والبراهين على صحته وصدقه، ﴿ويبطل الباطل﴾ بما يقيم من الأدلة والشواهد على بطلانه ﴿ولو كره المجرمون﴾ فلا يبالي الله بهم.

﴿٩ - ١٤ ﴾ ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين \* وما جعله الله إلاًّ بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم \* إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام \* إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى في قلوب الذين كفروا

الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا

منهم كل بنان \* ذلك بأنهم شاقوا الله

ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله

شديد العقاب \* ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار﴾ أي: اذكروا نعمة الله عليكم، لما قارب التقاؤكم بعدوكم، استغثتم بربكم، وطلبتم منه أن يعينكم وينصركم ﴿فاستجاب لكم﴾ وأغاثكم بعدة أمور:

منها: أن الله أمدكم ﴿ بِأَلْفُ مِنْ الملائكة مردفين ﴾ أي: يردف بعضهم بعضاً، ﴿وما جعله اللهِ أي: إنزال الملائكة ﴿إلا بشرى﴾ أي: لتستبشر بذلك نفوسكم، ﴿ولتطمئن به قلوبكم﴾ وإلا فالنصر بيد الله، ليس بكثرة عدد ولا عُدّد.

﴿إِنْ اللهِ عزيز ﴾ لا يغالبه مغالب، بل هو القهار، الذي يخذل من بلغوا من الكثرة وقوة العدد والآلات ما بلغوا. ﴿حكيم ، حيث قدر الأمور بأسبابها،

ومِن نصره واستجابته لدعائكم أن أنزل عليكم نعاساً ﴿يغشيكم﴾ [أي] فيذهب ما في قلوبكم من الخوف والوجل، ويكون ﴿أمنة﴾ لكم وعلامة على النصر والطمأنينة.

ومن ذلك: أنه أنزل عليكم من السماء مطراً ليطهركم به من الحدث والخبث، وليطهركم به من وساوس الشيطان ورجزه.

﴿ وليربط على قلوبكم ﴾ أي: يثبتها فإن ثبات القلب، أصل ثبات البدن، ﴿ويثبت به الأقدام﴾ فإن الأرض كانت سهلة دهسة فلمانزل عليها المطر تلبدت، وثبتت به الأقدام.

ومن ذلك: أن الله أوحي إلى الملائكة ﴿أَنَّ مَعْكُم﴾ بالعون والنصر والتأييد، ﴿فَتُبِتُوا الذِّينِ آمِنُوا﴾ أي: ألقوا في قلوبهم، وألهموهم الجراءة على عدوهم، ورغبوهم في الجهاد وفضله.

﴿سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب، الذي هو أعظم جند لكم عليهم، فإن الله إذا ثبت المؤمنين وألقى الرعب في قلوب الكافرين، لم يقدر الكافرون على الشبات لهم، ومنحهم الله أكتافهم.

﴿فَاصْرِبُوا فُوقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أي: على الرقاب ﴿واضربوا منهم كل بنان﴾ أى: مفصل.

وهذا خطاب، إما للملائكة الذين أوحى الله إليهم أن يثبتوا الذين آمنوا، فيكون في ذلك دليل أنهم باشروا القتال يوم بدر، أو للمؤمنين يشجعهم الله، ويعلمهم كيف يقتلون المشركين، وأنهم لا يرحمونهم، وذلك لأنهم شاقوا الله ورسوله أي: حاربوهما وبارزوهما بالعداوة. ﴿ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب، ومن عقابه

تسليط أوليائه على أعدائه وتقتيلهم.

﴿ذُلْكُمْ ﴾ العدذاب المذكور ﴿فَذُوقُوه ﴾ أيها المشاققون لله ورسوله عذاباً معجلاً، ﴿وأن للكافرين عذاب

وفى هذه القصة من آيات الله العظيمة ما يدل على أن ما جاء به محمد ﷺ رسول الله حقاً.

منها: أن الله وعبدهم وعبداً،

ومنها: ما قال الله تعالى: ﴿قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين﴾ الآية .

ومنها: إجابة دعوة الله للمؤمنين لما استغاثوه بما ذكره من الأسباب، وفيها الاعتناء العظيم بحال عباده المؤمنين، وتقييض الأسباب التي بها ثبت إيمانهم، وثبتت أقدامهم، وزال عنهم المكروه والوساوس الشيطانية.

ومنها: أن من لطف الله بعبده أن يسهل عليه طاعته، وييسرها بأسباب داخلية وخارجية .

﴿١٥ ـ ١٦﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار \* ومن يولهم يومئذ دبره إلاّ متحرفاً لقتال أو متحيراً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ يأمر تعالى عباده المؤمنين بالشجاعة الإيمانية، والقوة في أمره، والسعى في جلب الأسباب المقوية للقلوب والأبدان، ونهاهم عن الفرار إذا التقى الزحفان، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً أي: في صف القتال، وتزاحف الرجال، واقتراب بعضهم من بعض، ﴿فلا تولوهم الأدبار ﴾ بل اثبتوا لقتالهم، واصبروا على جلادهم، لقلوب المؤمنين، وإرهاباً للكافرين.

﴿ومن يولهم يومئذٍ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء﴾ أي: رجع ﴿بغضب من الله ومأواه ﴾ أي: مقره ﴿جهنم وبئس المصير﴾ وهذا يدل على أن الفرار من الزحف

من غير عذر من أكبر الكبائر، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة وكما نص هنا على وعيده بهذا الوعيد الشديد.

ومفهوم الآية: أن المتحرف للقتال، وهو الذي ينحرف من جهة إلى أخرى، ليكون أمكن له في القتال، وأنكى لعدوه، فإنه لا بأس بذلك، لأنه لم يول دبره فاراً، وإنما ولي دبره ليستعلى على عدوه، أو يأتيه من محل يصيب فيه غرته، أو ليخدعه بذلك، أو غير ذلك من مقاصد المحاربين، وأن المتحيز إلى فئة تمنعه وتعينه على قتال الكفار، فإن ذلك جائز، فإن كانت الفئة في العسكر، فالأمر في هذا واضح، وإنَّ كانت الفئة في غير محل المعركة كانهزام المسلمين بين يدي الكافرين والتجائهم إلى بلد من بلدان المسلمين أو إلى عسكر آخر من عسكر المسلمين، فقد ورد من آثار الصحابة ما يدل على أن هذا جائز، ولعل هذا يقيد بما إذا ظن المسلمون أن الانهزام أحمد عاقبة، وأبقى عليهم. أما إذا ظنوا غلبتهم للكفار في

ثباتهم لقتالهم، فيبعد \_ في هذه الحال \_أن تكون من الأحوال المرخص فيها، لأنه على هذا لا يتصور الفرار المنهى عنه، وهذه الآية مطلقة، وسيأتي في آخر السورة تقييدها بالعدد. ﴿١٧ ــ ١٩﴾ ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً إن الله سميع عليم \* ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين \* إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فتتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين﴾ يقول تعالى ـ لما انهزم المشركون يوم بدر، وقتلهم المسلمون عرفلم فإن في ذلك نصرة لدين الله، وقوة تقتلوهم بحولكم وقوتكم ﴿ولكن اللهُ قتلهم﴾ حيث أعانكم على ذلك بما تقدم ذكره.

﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رميٰ﴾ وذلك أن النبي ﷺ وقت القتال دخل العريش وجعل يدعو الله، ويناشده في نصرته، ثم خرج منه،

فأخذ حفنة من تراب، فرماها في وجوه المشركين، فأوصلها الله إلى وجوههم، فما بقى منهم واحد إلا وقد أصاب وجهه، وفمه وعينيه منها، فحينئذِ انكسر حدهم، وفتر زندهم،

وبان فيهم الفشل والضعف، فانهزموا. يقول تعالى لنبيه: لست بقوتك \_ حين رميت التراب \_أوصلته إلى أعينهم، وإنما أوصلناه إليهم بقوتنا واقتدارنا، ﴿وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً ﴾ أي: إن الله تعالى قادر على انتصار المؤمنين من الكافرين، من دون مباشرة قتال، ولكن الله أراد أن يمتحن المؤمنين، ويوصلهم بالجهاد إلى أعلى الدرجات، وأرفع المقامات، ويعطيهم أجراً حسناً وثواباً جزيلاً.

﴿إِنْ الله سميع عليم ﴾ يسمع تعالى ما أسر به العبد وما أعلن ، ويعلم ما في قلبه من النيات الصالحة وضدها، فيقدر على العباد أقداراً موافقة لعلمه وحكمته ومصلحة عباده، ويجزي كلا بحسب نيته وعمله.

﴿١٨﴾ ﴿ذلكم﴾ النصر من الله لكم ﴿وأن الله موهن كيد الكافرين ﴾ أي: مضعف كل مكر وكيد يكيدون به الإسلام وأهله، وجاعل مكرهم محيقاً

﴿١٩﴾ ﴿إِن تِستِفتِحواكُ أَيُّهَا المشركون، أي: تطلبوا من الله أن يوقع بأسه وعذابه على المعتدين الظالمن.

﴿ فقد جاءكم الفتح ﴾ حين أوقع الله بكم من عقابه، مآكان نكالاً لكم وعبرة للمتقين ﴿ وإن تنتهوا ﴾ عن الاستفتاح ﴿فهوخير﴾ لأنه ربما أمهلتم، ولم يعجل لكم النقمة. ﴿وإن تعودوا ﴾ إلى الاستفتاح وقتال حزب الله المؤمنين ﴿ نعد ﴾ في نصرهم

﴿ولن تغنى عنكم فتتكم ﴾ أي: أعوانكم وأنصاركم، الذين تحاربون وتقاتلون، معتمدين عليهم، شيئاً وأن الله مع المؤمنين .

ومن كان الله معه فهو المنصور وإن كان ضعيفاً قليلاً عدده، وهذه المعية

التي أخبر الله أنه يؤيد بها المؤمنين، تكون بحسب ما قاموا به من أعمال الإيمان.

فإذا أديل العدو على المؤمنين في بعض الأوقات، فليس ذلك إلا تفريطاً من المؤمنين وعدم قيام بواجب الإيمان ومقتضاه، وإلا فلو قاموا بما أمر الله به من كل وجه، لما انهزم لهم راية [انهزاماً مستقراً](۱)، ولا أديل عليهم عدوهم أمداً.

﴿٢١ ـ ٢١﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون \* ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ﴾ لما أخبر تعالى أنه مع المؤمنين، أمرهم أن يقوموا بمقتضى الإيمان الذي يدركون به معيته، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ﴾ بامتثال أمرهما واجتناب نهيهما.

﴿ولا تولوا عنه ﴾ أي: عن هذا الأمر الذي هو طاعة الله ، وطاعة رسوله ، ﴿وأنتم تسمعون ﴾ ما يتلى عليكم من كتاب الله ، وأوامره ، ووصاياه ، ونصائحه ، فتوليكم في هذه الحال من أقبع الأحوال .

﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ﴾ أي: لا تكتفوا بمجرد الدعوى الخالية التي لا حقيقة لها، فإنها حالة لا يرضاها الله ولا رسوله، فليس الإيمان بالتمني والتحلي، ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال.

﴿٢٧ ـ ٢٧﴾ ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون \* ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون » يقول تعالى: ﴿إن شر الدواب عند الله » من لم تفد فيهم الآيات والنذر، وهم الصم » عن استماع الحق ﴿البكم » عن النطق به ﴿الذين لا يعقلون » ما يضعهم، ويؤثرونه على ما يضرهم،

فهؤلاء شرعند الله من جميع (۲) الدواب، لأن الله أعطاهم أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، ليستعملوها في طاعة الله، فاستعملوها في معاصيه وعدموا \_ بذلك \_ الخير الكثير، فإنهم كانوا بصدد أن يكونوا من خيار البرية.

فأبوا هذا الطريق، واختاروا لأنفسهم أن يكونوا من شر البرية، والسمع الذي نفاه الله عنهم، سمع المعنى المؤثر في القلب، وأما سمع الحجة، فقد قامت حجة الله تعالى عليهم بما سمعوه من آياته، وإنما لم يسمعهم السماع النافع، لأنه لم يعلم فيهم خيراً يصلحون به لسماع آياته.

﴿ ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم على الفرض والتقدير ﴿ لَتَوَلَّوْا ﴾ عن الطاعة ﴿ وهم معرضون ﴾ لا التفات لهم إلى الحق بوجه من الوجوه، وهذا دليل على أن الله تعالى لا يمنع الإيمان والخير، إلا لمن لا خير فيه، الذي لا يزكو لديه ولا يشمر عنده. وله الحمد تعالى والحكمة في هذا.

﴿ ٢٤ - ٢٥ ﴿ ﴿ إِنا أَيَّهَا الذَّيْنَ آمَنُوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون \* واتقوا فتنة واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول، أي: الانقياد لما أمرا به والمبادرة إلى ذلك والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه والنهى عنه.

وقوله: ﴿إذا دعاكم لما يحييكم﴾ وصف ملازم لكل ما دعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلب والروح، بعبودية الله تعالى ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام.

ثم حذر عن عدم الاستجابة لله مستضعفون في الأرض تخافون أنّ

بَكَآةَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِيكَ عَلَمَةُ مُ مِنَ ٱلْشَرِكِينَ ۞ فيسيحوا في الأنض أنعِكة أشهر وَاعْ كَوَّا الْكُوْعَيْرُمُعْ جزى اللهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُغْزِي الْكَافِينَ ۞ وَأَذَنَّ مُنَ اللَّهِ وَرَسُولِية إِلَى السَّاسِ وَوَالْحَيْمَ الْأَحْتَى وِلْنَاللَّهُ مَرِيَّةٌ فِنَ الْمُعْرِكِينَ ۚ وَرَسُولُةً فَإِن ثَبْتُ مُفَهُوَ غَيْرًا لَكُمْ وَإِن ثَوَلَّتُ مُفَاعَلَمُوا أَنْكُو عَيْرُمُعْجِينِي ٱللَّهِ وَيَشِيرُ ٱلَّذِيكَ كَفَرُواْ بِعَكَ ابِ أَلِيهِ ۞ إِلَّا الَّذِي عَلَمَانًا مُنَّ الشَّرِكِينَ أَرُّ لَرَّيَا عُصُوكُمْ شَيْئًا وَلِرُيْظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَيْمُواْ إِلَيْهِمْ عَمْنَهُمْ إِلَى مُنْتِعِمُّ إِنَّالَقَةَ بَعِبُ ٱلْمُنْقِينَ ۞ فَإِنَا ٱنْسَلَمَ ٱلْأَشْهُ وُٱلْحُدُو فَاقْتُلُوا الْنُشْرِكِ بِنَحِيْثُ وَجَدِيثُوهُمْ وَتُمُدُومُ وَلَحْمُرُومُ وَاَقْدُدُواْ لَمُسْرَكُمُ مُرْصِدُ فَإِن سَابُواْ وَأَصَامُواْ ٱلْصَيَكُوةَ وَءَاتُواْ الزَّكَوْةَ عَنْلُواكِيهِ لَهُمْ إِنْ اللَّهُ عَنْوِرٌ وَيَجِدُّ ۞ وَإِنْ أَحَدُّ مِنَ ٱلْشَرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ وَأَحِدُهُ حَقَّى يَسْمَعُ المَّدَالَقَوْمُ أَلِيفُهُ مَأْمَنَهُ رُّذَاكِ بِأَنْهُمْ وَرَرُّ لَايَفَ لَحُونَ ۞ TOWN TOROUGH

وللرسول فقال: ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ﴾ فإياكم أن تردوا أمر الله أول ما يأتيكم، فيحال بينكم ويختلف وينه إذا أردقوه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم، فإن الله يحول بين المرء وقلبه، يقلب القلوب حيث شاء ويصرفها أنى شاء.

فليكثر العبد من قول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مصرف القلوب، اصرف قلبي إلى طاعتك.

﴿وَأَنَّهُ إِلَيهُ تَحْشُرُونَ ﴾ أي: تجمعون ليوم لا ريب فيه، فيجازى المحسن بإحسانه، والمسيء بعصيانه.

﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ بل تصيب فاعل الظلم وعيره، وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير، فإن عقوبته تعم الفاعل وغيره، وتقوى (٣) هذه الفتنة بالنهي عن المنكر، وقدمع أهل الشر والفساد، وأن لا يمكنوا من المعاصي والظلم مهما أمكن.

﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ لمن تعرض لمِساخطه، وجانب رضاه. ﴿٢٦﴾ ﴿واذكروا إذ أنستم قسليل

<sup>(</sup>۱) زیادة من هامش ب.

<sup>(</sup>٢) في ب: من شرار.

<sup>(</sup>٣) هكذا في النسختين والمراد ظاهرٌ وهو: أن اتقاء هذه الفتنة يكون بالنهي عن المنكر

٠ كالغالبية كَيْفَيْكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهَدُّعِ دَاللَّهِ وَعِنهَ رَسُولِهِ وَالْاَالَّذِينَ عَلَهَدَ فَرْعِندَ الْمُسْجِدِ الْحُرَّالِّهِ فَالسَّقَطُولُ لَكُمْ فَأَسْتَقِيمُوا لَمُدُّ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُ ٱلْمُتَقِينَ ۞ كَيْفَ وَان يَظْهَرُ وَاعَلَنْكُمْ لَا يَرْفُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلانِمَةً يُرْضُونَكُم بِالْوَلِمِهِ وَتَأْلِنَ قُلُوبُهُمُ وَأَنْدُهُمُ فَكَسِفُونَ ۞ أَشْتَرَقَاٰ بِنَايَتِ اللَّهِ ثَمَنَا قَلِيلًا فَصَدُّواْ عَن كِيدِياً إِنَّهُ مُن اللَّهُ مَاكَ أَوْا يَعْ مَلُونَ ۞ لَا رَفُّونَ فِ مُؤْمِنَ إِلَّا وَلِلاِمْتَةُ وَأَوْلِلَتِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ۞ فَإِن تَكَابُواْ وَأَفَامُواْ الصِّكَوْةَ وَءَاتَوُاْ الرَّحَىٰوَةَ فَإِخْوَثُكُمْ فِي ٱلدِّيبُّ وَيْفَصِّلُ ٱلْأَيْلَتِ لِقَوْمِ يَعْلَمُونَ ۞ قَانَ نَّكَثُواْ ﴿ أَيْنَنَهُرِ مِنْ بَعَدِ عَهْدِهِرْ وَمَلَعَ نُواْفِي دِينِكُمْ فَقَا تِلُواْ أَيِمَةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمُ لَا أَيْمَالَ لَمُعَالِمُ لَمُعَالِكُمُ مُعَالَكُمُ مِنْتَ الْحُونَ ۞ ٱلاَنْتُكَذِلُونَ قَوْمُانَكَغُوٓا أَيْمَنَعُوْ وَهَكُواْ باخ المنظون ومن المنظوا بالمنظم والمنطوا المنظم والمنطوا المنطوا المن أَغَنَّ وَنَهُمُّ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن غَنْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٣ 

يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يقول تعالى ممتناً على عباده في نصرهم بعد الذلة، وتكثيرهم بعد القلة، وإغنائهم بعد العيلة.

﴿واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض﴾ أي: مقهورون تحت حكم غيركم ﴿تخافون أن يتخطفكم الناس﴾ أي: يأخذونكم.

فاآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات فجعل لكم بلداً تأوون إليه، وانتصر من أعدائكم على أيديكم، وغنمتم من أموالهم ما كنتم به أغنياء.

لعلكم تشكرون الله على منته العظيمة وإحسانه التام، بأن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً.

وي سروب به الله الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون \* واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم فيأمر تعالى عباده المؤمنين أن يؤدوا ما انتمنهم الله عليه من أوامره ونواهيه، فإن الأمانة قد عرضها الله على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها

الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً، فمن أدى الأمانة استحق من الله الثواب الجزيل، ومن لم يؤدها بل خانها استحق وللعقاب الوبيل، وصار خائناً لله وللرسول ولأمانته، منقصاً لنفسه بكونه اتصفت نفسه بأخس الصفات، وأقبح الشيات، وهي الخيانة مفوتاً لها أكمل الصفات وأتمها، وهي الأمانة.

ولما كان العبد ممتحناً بأمواله وأولاده، فربما حمله محبة (١) ذلك على تقديم هوى نفسه على أداء أمانته، أخبر الله تعالى أن الأموال والأولاد فتنة يبتلي الله بهما عباده، وأنها عارية استودى لمن أعطاها، وترد لمن استودعها هوأن الله عنده أجبر عظرة

فإن كان لكم عقل ورَأَيٌ ، فآثروا فضله العظيم على لذة صغيرة فانية مضمحلة ، فالعاقل يوازن بين الأشياء ، ويؤثر أولاها بالإيثار ، وأحقها بالتقديم .

﴿٢٩﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيثاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم امتثال العبد لتقوى ربه عنوان رتب الله على التقوى من خير الدنيا والآخرة شيئاً كثيراً، فذكر هنا أن من اتقى الله على الناء ما أدبعة أشياء، كل

واحد منها خير من الدنيا وما فيها: الأول: الفرقان: وهو العلم والهدى الذي يفرق به صاحبه بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، وأهل السعادة من أهل الشقاوة.

الثاني والثالث: تكفير السيئات، ومغفرة الذنوب، وكل واحد منهما داخل في الآخر عند الإطلاق وعند الاجتماع. يفسر تكفير السيئات بالذنوب الصغائر، ومغفرة الذنوب بتكفير الكبائر.

الرابع: الأجر العظيم والثواب الجزيل لمن اتقاه وآثر رضاه على هوى نفسه. ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾

و٣٠﴾ ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكر الله والله خير اللكريسن أي: ﴿وَ اذكر أيها الرسول، ما منّ الله به (٢٠ عليك. ﴿إذ يمكر بك الذين كفروا ﴾ حين تشاور المشركون في دار الندوة فيما يصنعون بالنبي ﷺ، إما أن يثبتوه عندهم بالحس ويوثقوه.

وإما أن يقتلوه فيستريحوا -بزعمهم - من شره.

وإما أن يخرجوه ويجلوه من يارهم.

فكلً أبدى من هذه الآراء رأياً رآه، فاتفق رأيهم على رأي: رآه شريرهم أبو جهل لعنه الله، وهو أن يأخذوا من كل قبيلة من قبائل قريش فتى ويعطوه سيفا صارما، ويقتله الجميع قتلة رجل واحد، ليتفرق دمه في القبائل فيرضى بنو هاشم [ثمً] بديته، فلا يقدرون على مقاومة سائر (٣) قريش، فترصدوا للنبي على الليل ليوقعوا به إذا قام من فراشه.

فجاءه الوحي من السماء، وخرج عليهم، فذرَّ على رؤوسهم التراب وخرج، وأعمى الله أبصارهم عنه، حتى إذا استبطؤوه جاءهم آت وقال: خيبكم الله، قد خرج محمد وذرَّ على رؤوسكم التراب.

فنفض كل منهم التراب عن رأسه، ومنع الله رسوله منهم، وأذن له في الهجرة إلى المدينة، فهاجر إليها، وأيده الله بأصحابه المهاجريين والأنصار، ولم يزل أمره يعلو حتى دخل مكة عنوة، وقهر أهلها، فأذعنوا له وصاروا تحت حكمه، بعد أن خرج

<sup>(</sup>١) في ب: محبته.

<sup>(</sup>٢) في النسختين: ما منَّ الله بك عليك.

<sup>(</sup>٣) في ب: جميع.

مستخفياً منهم، خانفاً على نفسه. فسبحان اللطيف بعبده الذي لا يغالبه مغالب.

﴿٣١ ـ ٣٤ وقوله: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إلا أساطير الأولين \* وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو اثتنا بعذاب أليم \* وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون \* وما كان الله معذبهم الله وهم يستغفرون \* وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن السجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم الكذبين للرسول ﷺ: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا ﴾ الدالة على صدق ما جاء عليهم آياتنا ﴾ الدالة على صدق ما جاء الرسول.

﴿قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴿وهذا من عنادهم وظلمهم، وإلا فقد تحداهم الله أن يأتوا بسورة من مثله، ويدعوا من استطاعوا من دون الله، فلم يقدروا على ذلك، وتين عجزهم.

فهذا القول الصادر من هذا القاتل مجرد دعوى، كذبه الواقع، وقد علم أنه يشامي لا يقرأ ولا يكتب، ولا رحل ليدرس من أخبار الأولين، فأتى بهذا الكتاب الجليل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تزيل من حكيم حميد.

﴿ وَإِذْ قَالُوا اللّهِ مِ إِنْ كَانَ هَذَا ﴾ الذي يدعو إليه محمد ﴿ هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو اثننا بعذاب أليم ﴾ قالوه على وجه الجزم منهم بباطلهم، والجهل بما ينبغي من الخطاب.

فلو أنهم إذ أقاموا على باطلهم من الشبه والتمويهات ما أوجب لهم أن يكونوا على بصيرة ويقين منه، قالوا لمن ناظرهم وادعى أن الحق معه: إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له، لكان أولى لهم وأستر لظلمهم.

فمذ قالوا: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية، علم بمجرد قولهم أنهم السفهاء الأغبياء، الجهلة الظالمون، فلو حاجلهم الله بالعقاب لما أبقى منهم باقية، ولكنه تعالى دفع عنهم العذاب بسبب وجود الرسول بين أظهرهم، فقال: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وفوجوده ﷺ بين أظهرهم أمنة لهم من العذاب.

وكانوا مع قولهم هذه المقالة التي يظهرونها على رؤوس الأشهاد، يدرون بقبحها، فكانوا يخافون من وقوعها فيهم، فيستغفرون الله [تعالى فلهذا] قال تعالى: ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾.

فهذا مانع يمنع من وقوع العذاب بهم، بعدما انعقدت أسبابه، ثم قال: ﴿وَمَا لَهُمُ أَلَّا يَعَذَّبُهُمُ اللَّهُ أَيَّ: أي: شيء يمنعهم من عذاب الله، وقد فعلُوا ما يوجب ذلك، وهو صد الناس عن المسجد الحرام، خصوصاً صدهم النبي ﷺوأصحابه، الذين هم أولى به منهم، ولهذا قال: ﴿وما كانوا ﴿ أَي: المشركون ﴿أُولِياء المُعتمل أَن الضمير يـــعــود إلى الله، أي: أولياء الله. ويحتمل أن يعود إلى المسجد الحرام، أي: وما كانوا أولى به من غيرهم ﴿إنَّ أولياؤه إلا المتقون ﴿ وهم الذين آمنوا بالله ورسوله، وأفردوا الله بالتوحيد والعبادة، وأخلصوا له الدين، ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون الللك ادَّعَوْا لأنفسهم أمراً غيرهم أولى به.

وصه كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون يعني أن الله تعالى إنما جعل بيته الحرام ليقام فيه دينه، وتخلص له فيه العبادة، فالمؤمنون هم المذين قاموا بهذا الأمر، وأما هؤلاء ملاتهم فيه التي هي أكبر أنواع العبادات ﴿إلا مكاء وتصدية ﴾أي: صفيراً وتصفيقاً، فعل الجهلة الأغبياء، الذين ليس في قلوبهم تعظيم لربهم، ولا معرفة بحقوقه، ولا احترام

فَنَيْلُوهُ مُرِيُكَ ذِنْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُغْزِهِمُ وَيَضَرَكُمُ عَلَيْهِدْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمِ ثُوْمِينِ ﴿ ۞ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِ قُرِيَّتُوبُ اللَّهُ عَلَيْ مَن يَشَكَآهُ وَاللَّهُ عَلِي مُحَكِيمُ ﴿ أَرْحَبِ بِنُدُأَن تُنْرَكُو أُولَكَا يَعْلَمُ اللَّهُ ٱلَّيْنَ جَلَهُ مُواْ مِنڪُمْ وَلَرُيَّخِـ ذُوامِن دُونِ اللَّهِ وَلَارَسُولِهِ وَلَاللَّهُ عِنْ وَلِيجَةٌ وَاللَّهُ خِيرٌ مَا فَعَـٰ مُلُونَ ۞ مَا كَانَ الْمُشْرِكِينَ أَن يَعْـُمُرُواْ مَسَجِدَاللَّهُ شَهِدِينَ عَلَىٓ أَنفُسِهِم يَالْكُفْرُ أَوْلَاَيِكَ حَيِطَتْ أَعْمَلُهُمْ وَفِي ٱلنَّارِهُمْ خَدَالِهُ وَنَ إنمَّا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلمَسَلَوْةَ وَمَانَ ٱلرَّبِحَوْةَ وَلَرْيَغْنَ إِلَّا ٱللَّهُ مُسَكَى أُولَيَكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ لَلْهُ تَدِينَ ﴿ وَ أَجْمَالُتُدْمِيقَاكِمَ ٱلْمَالَجَ وَعَمَارَةً لُلْسَجِدِ ٱلْحَرَامِ كُنَنْ الْمِنْ بِالْقُووَالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَكَلَمَ فِي سَيِيلِ ٱللَّهِ لَايَسْتَوُونَ عِندَاللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِينِ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَيَحِهَدُوا فِي سَيِيلِ ٱللَّهِ وَأَمْوَلِمْ وَأَنفُيهِ اَعْظَمُ وَرَجَةً عِندَاللَّهِ وَأَوْلَكُمْكُ هُمُ الْفَكَآرِيُونَ ۞ CLERCE WEST OF SECTION

لأفضل البقاع وأشرفها، فإذا كانت هذه صلاتهم فيه، فكيف ببقية العبادات؟!!

فبأي: شيء كانوا أولى بهذا البيت من المؤمنين السنين هم في صلاتامذخاشعون، والذين هم عن السلخو معرضون، إلى آخر ما وصفهم الله به من الصفات الحميدة، والأفعال السديدة.

لا جرم أورثهم الله بيته الحرام، ومكنهم منه، وقال لهم بعدما مكن لهم فيه فيا أيها الذين آمنوا إنما المسركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال هنا: 

﴿ وَلَوْ وَوَا العَذَابِ بِمَا كُنْتُمْ تَكُفُرُونَ ﴾

والله المذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم كيمسرون \* ليمييز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون فيقول تعالى مبيناً لعداوة المشركين وكيدهم ومكرهم، المشركين وكيدهم ومكرهم، إطفاء نوره وإخاد كلمته، وأن وبال مكرهم سيعود عليهم، ولا يحيق المكر السيع، إلا بأهله، فقال: ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن

سبيل الله أي: ليبطلوا الحق وينصروا الباطل، ويبطل توحيد الرحمن، ويقوم دين عبادة الأوثان.

﴿فسينفقونها ﴾ أي: فسيصدرون هذه النفقة، وتخف عليهم لتمسكهم بالباطل، وشدة بغضهم للحق، ولكنها ستكون عليهم حسرة، أي: ندامة وخزياً وذلاً، ويغلبون فتذهب أموالهم وما أملوا، ويعذبون في الآخرة أشد العذاب، ولهذا قال: ﴿والذين كفروا إلى جهنم يحشرون اي: يجمعون إليها، ليذوقوا عذابها، وذلك لأنها دار الخبث والخبثاء، والله تعالى يريد أن يميز الخبيث من الطيب، ويجعل كل واحدة على حدة، وفيي دار تخصه، فيجعل الخبيث بعضه على بعض، من الأعسمال والأمسوال والأشسخساص. ﴿فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون﴾ الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين.

﴿٣٨ ـ ٤٠﴾ ﴿قل للذين كفروا إن يعودوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين \* وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإنّ الله بما يعملون بصير \* وإن تولوا فاعلموا أنّ الله بصير \* وإن تولوا فاعلموا أنّ الله بصير \*

مولاكم نعم المولى ونعم النصير ﴾ هذا من لطفه تعالى بعباده لا يمنعه كفر العباد ولا استمرارهم في العناد، من أن يدعوهم إلى طريق الرشاد والهدى، وينهاهم عما يهلكهم من أسباب الغي والردى، فقال: ﴿قل للذين كفروا إن يستتهوا ﴾ عن كفرهم، وذلك بالإسلام شه وحده لا شريك له.

﴿ يَعْفُر لَهُم مَا قَدْ سَلْفَ ﴾ منهم من الجرائم ﴿وإنَّ يعودوا ﴾ إلى كفرهم وعنادهم ﴿فقد مضت سنة الأولين﴾ بإهلاك الأمم المكذبة، فلينتظروا ما حل بالمعاندين، فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون، فهذا خطابه للمكذبين، وأما خطابه للمؤمنين عندما أمرهم بمعاملة الكافرين، فقال: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ أي: شرك وصد عن سبيل الله، ويذعنوا لأحكام الإسلام، ﴿ويكون الدين كله لله اله فهذا المقصود من القتال والجهاد لأعداء الدين، أن يدفع شرهم عن الدين، وأن يذب عن دين الله الذي خلق الخلق له، حتى يكون هو العالى على سائر الأديان.

﴿ فإن انتهوا ﴾ عن ما هم عليه من الظلم ﴿ فإن الله بما يعملون بصير ﴾ لا تخفى عليه منهم خافية .

﴿وإن تولوا﴾ عن الطاعة وأوضعوا في الإضاعة ﴿فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى﴾ الذي يتولى عباده المؤمنين، ويوصل إليهم مصالحهم، ويبسر (١) لهم منافعهم الدينية والدنيوية، ﴿ونعم النصير﴾ الذي ينصرهم، فيدفع عنهم كيد الفجار، وتكالب الأشرار.

ومن كان الله مولاه وناصره فلا خوف عليه، ومن كان الله عليه فلا عِزَّ له ولا قائمة له.

﴿٤١ ـ ٤٢﴾ ﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيء فأن لله خسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا

يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير \* إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإنّ الله لسميع عليم، يقول تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء ﴾ أي: أخذتم من مال الكفار قهراً بحق، قليلاً كنان أو كشيراً، ﴿ فَأَن لله خسه ﴾ أي: وباقيه لكم أيها الغانمون، لأنه أضاف الغنيمة إليهم، وأخرج منها خمسها، فدل على أن الباقي لهم، يقسم على ما قسمه رسول الله على: للراجل سهم، وللفارس سهمان لفرسه، وسهم له.

وأما هذا الخمس، فيقسم خمسة أسهم، سهم لله ولرسوله، يصرف في مصالح المسلمين العامة، من غير تعيين لمسلحة، لأن الله جعله له ولرسوله، والله ورسوله غنيان عنه، فعلم أنه لعباد الله، فإذا لم يعين الله له مصرفا، دل على أن مصرفه للمصالح العامة.

والخمس الثاني: لذي القربي، وهم قرابة النبي الله من بني هاشم وبني المطلب، وأضافه الله إلى القرابة دليلا على أن العلة فيه مجرد القرابة، فيستوي فيه غنيهم وفقيرهم، ذكرهم وأنثاهم. والخمس الثالث لليتامي، وهم الذين فقدت آباؤهم وهم صغار، جعل الله لهم خس الخمس رحمة بهم، حيث كانوا عاجزين عن القيام بمصالحهم، وقد فقد من يقوم بمصالحهم.

والخمس الرابع للمساكين، أي: المحتاجين الفقراء من صغار وكبار، ذكور وإناث.

والخمس الخامس لابن السبيل، وهو (٢): الغريب المنقطع به في غير بلده، [وبعض المفسرين يقول إن خس الغنيمة لا يخرج عن هذه الأصناف ولا يلزم أن يكونوا فيه على السواء بل ذلك

تبع للمصلحة وهذا هو الأولى](1) وجعل الله أداء الخمس على وجهه شرطاً للإيمان، فقال: ﴿إِن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان وهو يوم "بدر" الذي فرق الله به بين الحق وألباطل، وأظهر الحق وأبطل الباطل.

﴿بوم التقى الجمعان﴾ جمع السلمين، وجمع الكافرين، أي: إن كان إيمانكم بالله، وبالحق الذي أنزله الله على رسوله يوم الفرقان، الذي حصل فيه من الآيات والبراهين، ما دل على أن ما جاء به هو الحق. أحد إلا غله.

﴿إِذْ أَنسَم بِالمِدوة الدنيا ﴾ أي : بعدوة الوادي القريبة من المدينة، وهم بعدوته أي : جانبه البعيدة من المدينة، فقد جمعكم واد واحد.

﴿والركب﴾ الذي خرجتم لطلبه، وأراد الله غيره﴿أسفل منكم﴾ مما يلي ساحل البحر.

﴿ولو تواعدتم﴾ أنتم وإياهم على هذا الوصف وبهذه الحال ﴿لاختلفتم في الميعاد﴾ أي: لا بد من تقدم أو تأخر، أو اختيار منزل، أو غير ذلك، عما يعرض لكم أو لهم، يصدفكم عن ميعادكم (٢).

﴿ولحُن﴾ الله جمعكم على هذه الحال ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ﴾ أي: مقدراً في الأزل، لا بدمن وقوعه.

فليهلك من هلك عن بينة أي: ليكون حجة وبينة للمعاند، فيختار الكفر على بصيرة وجزم ببطلانه، فلا يقى له عذر عند الله.

﴿ ويحيا من حيّ عن بيئنة ﴾ أي: يزداد المؤمن بصيرة ويقيناً، بما أرى الله الطائفتين من أدلة الحق وبراهينه، ما هو تذكرة لأولي الألباب.

﴿وإن الله لسميع عليم ﴾ سميع المعات ، المعات ،

على تفنن الحاجات، عليم بالظواهر والضمائر والسرائر، والغيب والشهادة.

﴿ ٤٣ ـ ٤٤ ﴾ ﴿إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلّم إنّه عليم بذات الصدور \* وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور ﴾ وكان الله قد أرى رسوله المشركين في الرؤيا عدداً قليلاً، فبشر بذلك أصحابه، فاطمأنت قلويهم وتثبت أفئدتهم.

ولو أراكهم الله إياهم كثيراً فأخبرت بذلك أصحابك ولفشلتم ولتنازعتم في الأمر ف فمنكم من يرى الإقدام على قتالهم، ومنكم من لا يرى ذلك فوقع من الاختلاف والتنازع ما يوجب الفشل.

﴿ولكن الله سلم﴾ فلطف (٣) بكم ﴿إِنه عليم بذات الصدور﴾ أي: بما فيها من ثبات وجزع، وصدق وكذب، فعلم الله من قلوبكم ما صار سبباً للطفه وإحسانه بكم، وصدق الله رؤيا رسوله، فأرى الله المؤمنين عدوهم، قليلاً في أعينهم، ويقللكم \_يا معشر المؤمنين \_في أعينهم، فكل من المطائفتين ترى الأخرى قليلة، لتقدم كل منهما على الأخرى.

فل سهائ على المراوي. ﴿ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ﴾ من نصر المؤمنين وخذلان الكافرين وقتل قادتهم ورؤساء الضلال منهم، ولم يبق منهم أحد له اسم يذكر، فيتيسر بعد ذلك انقيادهم إذا دعوا إلى الإسلام، فصار أيضاً لطفاً بالباقين، الذين منّ الله عليهم بالإسلام.

﴿وإلى الله ترجع الأمور ﴾ أي: جميع أمور الخلائق ترجع إلى الله، فيميز الخبيث من الطيب، ويحكم في الخلائق بحكمه العادل، الذي لا جور فيه ولا ظلم.

﴿ ٤٥ ــ ﴿ ٤٤﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذَا لَقَيْتُم فَنَهُ فَاثْبِتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهُ كَثْيُراً

CENTRE CENTRE الْمُعَنَّوْبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مِنْ يَشْكَأَهُوا لَقَدُعُ عُمُّا رَحِيدُ ﴿ يَنَانُهُا الَّذِينَ وَاسْتُواْ إِنَّمَا الْمُنْهِكُونَ نَجَتُ فَلَا يَقْدَ يُوا ٱلْمَسْجِ كَ ٱلْحَرَامَ يَعْدَعَامُهِ وَهَنَاأً وَانْ خِفْتُ مَيْدَ لَهُ فَمَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضَالِحَة النشكآة أن الله عَلِيمُ حَكِيمٌ ﴿ قَائِلُوا ٱلَّذِينَ لَانْ مِنْوَكِ مِلْقَهُ وَلَا سَأَلَوْمِ ٱلْآلِفِ وَلَا يُحْتَوْمُونَ مَا حَرِّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَاكِ بِنُوكِ دِيكَ ٱلْحَقِّ مِن الَّذِي أُوتُوا الْكِنْبَ حَقِّ يُعْطُوا الْحِزْيَةَ عَن يَدِ وَهُمْ مِسَاخِرُونَ ۞ وَقَالَتِ ٱلْمِينَهُودُ عُزَيْزُانَتُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ أَبْثُ اللَّهِ وَاللَّ قَوْلُهُم بأَفَرُهِ عِنْمُ يُصَابِعُونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ الله وَاللَّهُ مُواللُّهُ اللَّهِ اللّ المُنكارَهُ وَوَحْدَتُهُ مُوارِّكِ اللَّهِ اللَّهِ وَلِي اللَّهِ اللَّهِ وَلِي اللَّهِ فَكُنْلَهُمُ اللَّهُ أَلِّي فَوْفَكُونَ ۞ أَتَّخَذُواْ وَالْمَسَيِيمَ اللَّهِ مِنْ مِنْ مُنْ وَمَا أَمِيرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَّهَا وَعِيدُ الْآلِكَ إِلَّاهُوسُ بَحِكَنَهُ وَكَالْخُرُونَ ٥ CHOMON WEST OF SERVICE

لعلكم تفلحون \* وأطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إنّ الله مع الصابرين \* ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط \* وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب \* إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكُّل على الله فإنَّ الله عزيز حكيم ، يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة ﴾ أي: طائفة من الكفار تقاتلكم.

﴿فاثبتوا﴾ لقتالها، واستعملوا الصبر وحبس النفس على هذه الطاعة الكبيرة، التي عاقبتها العز والنصر.

واستعينوا على ذلك بالإكثار من ذكر الشولعلكم تفلحون أي: قدركون ما تطلبون من الانتصار على أعدائكم، فالصبر والثبات والإكثار من ذكر الله من أكبر الأسباب للنصر.

واطب عوا الله ورسول ه في استعمال ما أمرا به، والمشي خلف ذلك في جميع الأحوال.

المنطقة المنط

ولا تنازعوا بنازعاً يوجب تشتت القلوب وتفرقها، وفتفشلوا أي: تجبنوا ووتذهب ريحكم أي: تنحل عزائمكم، وتفرق قوتكم، ويرفع ما وعدتم به من النصر على طاعة الله ورسوله.

﴿واصبروا﴾ نفوسكم على طاعة الله ﴿إِن الله مع الصابرين﴾ بالعون والنصر والتأييد، واخشعوا لربكم واخضعوا له.

ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء الناس ويصدون عن سبيل الله أي: هذا مقصدهم الذي خرجوا إليه، وهذا الذي أبرزهم من ديارهم لقصد الأشر والبطر في الأرض، وليراهم الناس ويفخروا للهمه.

والقصود الأعظم أنهم خرجوا ليصدوا عن سبيل الله من أراد سلوكه، ﴿والله بِما يعملون محيط﴾ فلذلك أخبركم بمقاصدهم، وحذركم أن تشبهوا بهم، فإنه سيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة.

فليكن قصدكم في خروجكم وجه الله تعالى وإعلاء دين الله، والسدعن الطرق الموسلة إلى سخط الله وعقابه، وجذب الناس إلى سبيل الله القويم الموصل لجنات النعيم.

﴿ وَإِذْ زِينَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُم ﴾

حسنها في قلوبهم وخدعهم. ﴿ووقال لا غالب لكم اليوم من الناس﴾ فإنكم في عَدَدٍ وعُدَدٍ وهيئة لا يقاومكم فيها محمد ومن معه.

﴿وإني جار لكم﴾ من أن يأتيكم أحد عمن تخشون غائلته، لأن إبليس قد تبدَّى لقريش في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، وكانوا يخافون من بني مدلج لعداوة كانت بينهم.

فقال لهم الشيطان: أنا جار لكم، فاطمأنت نفوسهم وأتوا على حرد قادرين.

﴿فلما تراءت الفئتان﴾ المسلمون والكافرون، فرأى الشيطان جبريل عليه السلام يزع الملائكة خاف خوفاً شديداً و ﴿نكص على عقبيه﴾ أي: ولى مدبراً، ﴿وقال﴾ لمن خدعهم وغرهم: ﴿إِنّ بريء منكم إِنّ أرى ما لا ترون﴾ أي: أرى الملائكة الذين لا يدان لأحد بقتالهم.

﴿إِنِ أَخَافُ اللهِ أَي: أَخَافُ أَن يعاجلني بالعقوبة في الدنيا ﴿واللهُ شديد العقابِ ﴾.

ومن المحتمل أن يكون الشيطان، قد سول لهم، ووسوس في صدورهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس، وأنه جار لهم، فلما أوردهم مواردهم، نكص عنهم، وتبرأ منهم، كما قال تعالى: ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر، فلما كفر قال: إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين \* فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين \*.

﴿إِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونُ وَاللَّيْنُ فَي قلوبهم مرض﴾ أي: شك وشبهة، من ضعفاء الإيمان، للمؤمنين حين أقدموا \_مع قلتهم \_على قتال الشركين مع كثرتهم.

وُغرُّ هؤلاء دينهم أي: أوردهم الدين الذي هم عليه هذه الموارد التي لا يدان لهم بها، ولا استطاعة لهم بها، يقولونه احتقاراً لهم واستخفافاً لعقولهم، وهم - والله - الأخِفَّاء عقولاً، الضعفاء أحلاماً.

فإن الإيمان يوجب لصاحبه الإقدام على الأمور الهائلة التي لا يقدم عليها الجيوش العظام، فإنَّ المؤمن المتوكل على الله، الذي يعلم أنه ما من حول ولاقوة ولا استطاعة لأحد إلا بالله تعالى، وأن الخلق لو اجتمعوا كلُّهم على نفع شخص بمثقال ذرّة لم ينفعوه، ولو اجتمعوا على أن يضروه لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، وعلم أنه على الحقّ، وأن الله تعالى حكيم رحيم في كل ما قدره وقضاه، فإنه لا يبالي بما أقدم عليه من قوة وكثرة، وكان واثقاً بربه، مطمئن القلب لا فزعاً ولا جباناً، ولهذا قال: ﴿ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز﴾ لا يغالب قوته قوة، ﴿حكيم﴾ فيما قضاه وأجراه.

﴿ ٥ - ٢٥﴾ ﴿ ولو ترى إذ يتوقى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق \* ذلك بما قدّمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد \* كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قويً شديد العقاب بيقول تعالى: ولو ترى الذين كفروا بياات الله حين توفاهم الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم وقد اشتد بهم يضربون وجوههم وأدبارهم في يقولون لهم: أخرجوا أنفسكم، ونفوسهم متمنعة مستعصية على الخروج، لعلمها ما أمامها من العذاب الأليم.

وله أمان: ﴿وذوق واعداب الحريق أي: العداب الشديد المحرق، ذلك العداب حصل لكم، غير ظلم ولا جور من ربكم، وإنما هو بما قدمت أيديكم من المعاصي التي أثرت لكم ما أثرت، وهذه سنة الله في الأولين والآخرين، فإن دأب هؤلاء المكذبين أي: سنتهم وما أجرى الله عليهم من الهلاك بذنوبهم.

﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم ﴾ من الأمم المكذبة ﴿كفروا بآيات الله فأخذهم الله بالعقاب ﴿بندوهم، إن الله قوي شديد العقاب لا يعجزه أحد يريد أخذه

﴿ما من دابة إلا هو آخذ ناصيتها﴾ . ﴿٥٣ - ٥٤ ﴾ ﴿ذلك بأنَّ الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأنّ الله سمّيع عليم \* كدأب آل فرعون والذبن من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين﴾ ﴿ذلك ﴾ العذاب الذي أوقعه الله بالأمم المكذبين(١)، وأزالُ عنهم ما هم فيه من النعم والنعيم، بسبب ذنوبهم وتغييرهم ما بأنفسهم، فإن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم من نعم الدين والدنيا، بل يبقيها ويزيدهم منها، إن از دادوا له شكراً، ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ من الطاعة إلى المعصية فيكفروا نعمة الله ويبدلوها كفرأ، فيسلبهم إياها ويغيرها عليهم كما غيروا ما بأنفسهم.

ولله الحكمة في ذلك والعدل والإحسان إلى (٢) عباده، حيث لم يعاقبهم إلا بظلمهم، وحيث جذب قلوب أوليائه إليه، بما يذيق العباد من النكال إذا خالفوا أمره.

﴿وأن الله سميع عليم﴾ يسمع جميع ما نطق به الناطقون، سواء من أسر القول ومن جهر به، ويعلم ما تنطوي عليه الضمائر، وتخفيه السرائر، فيجري على عباده من الأقدار ما اقتضاه علمه وجرت به مشيئته.

﴿كَدَأُبِ آلُ فَرَعُونَ﴾ أي: فرعون وقومه ﴿والذين من قبلهم كذبوا بآيات رجم ﴾ حين جاءتهم ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ كل بحسب جرمه.

﴿وأَغْرِقْنَا آل فُرْعُونَ وكل ﴾ من المهلكين المعذبين ﴿كانوا ظالمِن ﴾ لانفسهم، ساعين في هلاكها، لم يظلمهم الله، ولا أخذهم بغير جرم اقترفوه، فليحذر المخاطبون أن يشابهوهم في الظلم، فيحل الله بهم من عقابه ما أحل بأولئك الفاسقين.

وه - ٧٥ فإن شر الدواب عسد الله الذين كفروا فهم الم يؤمنون \* الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون \* فإما تثقفتهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون في هؤلاء الذين جمعوا هذه الخصال الشلات: الكفر، وعدم الإيمان، والخيانة، بحيث لا يثبتون على عهد عاهدوه ولا قول قالوه، هم شر عالدواب عند الله فهم شر من الحمير والكلاب وغيرها، لأن الخير معدوم منهم، والشر متوقع فيهم، فإذهاب هؤلاء ومحقهم هو المتعين، لئلا يسري داؤهم لغيرهم، ولهذا قال:

وفاماً تُثقفنَهم في الحرب اي: تجديهم في حال المحاربة، بحيث لا يكون لهم عهد وميثاق.

﴿فشرد بهم من خلفهم﴾ أي: نكل بهم غيرهم، وأوقع بهم من العقوبة ما يصيرون [به] عبرة لمن بعدهم ولعلمهم أي: من خلفهم فيذكرون صنيعهم، لئلا يصيبهم ما أصابهم، وهذه من فوائد العقوبات والحدود المرتبة على المعاصي، أنها سبب لازدجار من لم يعمل المعاصي، بل وزجراً لمن عملها أن لا يعاودها.

ودل تقييد هذه العقوبة في الحرب أن الكافر \_ولو كان كثير الخيانة سريع الغدر \_أنه إذا أُعْطِيَ عهداً لا يجوز خيانته وعقوبته.

﴿٥٨ ﴾ ﴿وإِمّا تخافنَ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إنّ الله لا يحب الخائنين ﴾ أي: وإذا كان بينك وبين قوم عهد وميثاق على ترك القتال فخفت منهم خيانة، بأن ظهر من قرائن أحوالهم ما يدل على خيانتهم من غير تصريح منهم بالخيانة،

﴿فَأَنْبِدُ إِلَيْهِمِ﴾ عهدهم، أي: ارمه عليهم، وأخبرهم أنه لا عهد بينك

وبينهم ﴿على سواء﴾ أي: حتى يستوي علمك وعلمهم بذلك، ولا يحل أن تغدرهم، أو تسعى في شيء مما منعه موجب العهد، حتى غيرهم بذلك.

﴿إِن الله لا يحب الحائشين ﴾ بل يبغضهم أشد البغض، فلا بد من أمر بين يبرئكم من الحيانة.

ودلّت الآية على أنه إذا وجدت الخيانة المحققة (٤) منهم لم يحتج أن ينبذ إلهم عهدهم، لأنه لم يخف منهم، بل علم ذلك، ولعدم الفائدة ولقوله: ﴿ عِلْ سَوَاءُ ﴾ وهنا قد كان معلوماً عند الجميع غدرهم.

ودل مفهومها أيضاً أنه إذا لم يُحفُ منهم خيانة، بأن لم يوجد منهم ما يدل على ذلك، أنه لا يجوز تبذ العهد إليهم، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته.

﴿ ٥٩ ﴾ ﴿ ولا يحسبنَ الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون ﴾ أي: لا يحسب الكافرون بربهم المكذبون بآياته، أنهم سبقوا الله وفاتوه، فإنهم لا يعجزونه، والله لهم بالمرصاد.

وله تعالى الحكمة البالغة في إمهالهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة، التي من جلتها ابتلاء عباده المؤمنين وامتحانهم، وتزودهم من طاعته ومراضيه، ما يصلون به إلى المنازل العالية، واتصافهم بأخلاق وصفات لم يكونوا بغيره بالغيها، فلهذا قال لعباده المؤمنين:

﴿ ٣٠ ﴾ ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تنظيل الماعين في هلاككم لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم، ﴿ ما استطعتم من قوة ﴾ أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة

<sup>(</sup>١) في ب: المكذبة.

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: على.

<sup>(</sup>٣) زيادة يقتضيها السياق ليست في النسختين.

<sup>(</sup>٤) في ب: المحقة.

ونحو ذلك، مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي: والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتعلم الرُمْي، والشجاعة والتدبير.

ولهذا قال النبي ﷺ: «ألا إن القوة الرَّمْيُ» ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال، ولهذا قال تعالى: ﴿ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ وهذه العلم موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علّه.

فإذا كان شيء موجود (١) أكثر إرهاباً منها، كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأموراً بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلم الصناعة، وجب ذلك، لأن «ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب».

وقوله: ﴿ترهبون به عدو الله وعدو الله وعدوكم﴾ من تعلمون أنهم أعداؤكم. ﴿وآخرين من دونهم لا تعلمونهم من سيقاتلونكم بعد هذا الوقت الذي يخاطبهم الله به ﴿الله يعلمهم ﴾ فلذلك أمرهم بالاستعداد لهم، ومن أعظم ما يعين على قتالهم بذل النفقات المالية في جهاد الكفار.

ولهذا قال تعالى مرغباً في ذلك: ﴿ وَمَا تَنْفَقُوا مِنْ شَيِّ فِي سَبِيلِ اللهُ ﴿ وَمَا تَنْفَقُوا مِنْ شَيِّ فِي سَبِيلِ اللهُ ﴾ أجره يوم القيامة مضاعفاً أضعافاً كثيرة، حتى إن النفقة في سبيل الله، تضاعف إلى سبع منة ضعف إلى أضعاف كثيرة. ﴿ وَأَسْتُمُ لا تَظْلُمُ مَسُونُ ﴾ أي: ﴿ وَأَسْتُمُ لا تَظْلُمُ مَسُونُ ﴾ أي:

لا تنقصون من أجرها وثوابها شيئاً. ﴿ ٦٦ ــ ٦٤﴾ ﴿ وإن جنحوا للسلم

فاجنح لها وتوكّل على الله إنّه هو السميع العليم \* وإن يريدوا أن يندوك فإن يريدوا أن بنصره وبالمؤمنين \* وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم إنّه عزيز حكيم \* يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين \* يقول تعالى: ﴿ وَإِن جَنحوا ﴾ أي: الكفار المحاربون، أي: مالوا ﴿ للسلم ﴾ أي: الصلح وترك القتال.

﴿ فَاجِنْعُ لَهَا وتوكل على الله أي: أجبهم إلى ما طلبوا متوكلا على ربك، فإن في ذلك فوائد كثيرة.

منها: أن طلب العافية مطلوب كل وقت، فإذا كانوا هم المبتدئين في ذلك، كان أولى لإجابتهم.

ومنها: أن في ذلك إجماماً لقواكم، واستعداداً منكم لقتالهم في وقت آخر، إن احتيج لذلك.

ومنها: أنَّكم إذا أصلحتم وأمن بعضكم بعضاً، وتمكن كل من معرفة ما عليه الآخر، فإن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، فكل من له عقل وبصيرة إذا كان معه إنصاف فلا بدأن يؤثره على غيره من الأديان، لحسنه في أوامره ونواهيه، وحسنه في معاملته للخلق والعدل فيهم، وأنه لا جور فيه ولا ظلم بوجه، فحينئذِ يكثر الراغبون فيه والمتبعون له، فصار هذا السلم عوناً للمسلمين على الكافرين، ولا يخاف من السلم إلا خصلة واحدة، وهي أن يكون الكفار قصدهم بذلك خدع السلمين، وانتهاز الفرصة فيهم، فأخبرهم الله أنه حسبهم وكافيهم خداعهم، وأن ذلك يعود عليهم ضرره، فقال: ﴿وإن يسريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله أي: كافيك ما يؤذيك، وهو القائم بمصالحك ومهماتك، فقد سبق [لك] من كفايته لك ونصره ما يطمئن به قلبك.

فل ﴿ موالذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴾ أي: أعانك بمعونة

سماوية، وهو النصر منه الذي لا يقاومه شيء، ومعونة بالمؤمنين بأن قيضهم لنصرك.

﴿والف بين قلوبهم﴾ فاجتمعوا وائتلفوا، وازدادت قوتهم بسبب اجتماعهم، ولم يكن هذا بسعي أحد، ولا بقوة غير قوة الله، فلو أنفقت ما في الأرض جميعاً من ذهب وفضة وغيرهما لتأليقهم بعد تلك النفرة والفرقة الشديدة ﴿ما الفت بين قلوبهم﴾ لأنه لا يقدر على تقليب القلوب إلا الله تعالى.

﴿ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ومن عزته أن ألف بين قلوبهم، وجمعها بعد الفرقة كما قال تعلى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِي حسبك الله أي: كافيك ﴿ ومن البيعك من المؤمنين ﴾ أي: وكافي أتباعك من المؤمنين، وهذا وعد من الله لعباده المؤمنين المتبعين لرسوله، بالكفاية والنصرة على الأعداء.

. فإذا أتوا بالسبب الذي هو الإيمان والاتباع، فلا بدأن يكفيهم ما أهمهم من أمور الدين والدنيا، وإنما تتخلف الكفاية بتخلف شرطها.

﴿ ١٥ - ٣٦﴾ ﴿ يا أيها النبيّ حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن بأنّم قوم لا يفقهون \* الآن خفف الله منكم مئة صغلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم ألف يغلبوا الفين بإذن الله والله مع الصابرين ﴾ يقول تعلى لنبيه ﷺ: مع الصابرين ﴾ يقول تعلى لنبيه ﷺ: مناسلة المؤمنين على ما يقوي عزائمهم وأنهضهم إليه بكل ما يقوي عزائمهم ويدشط همهم، من الترغيب في الجهاد ومقارعة الأعداء، والترهيب من ضد ذلك، وذكر فضائل

صابرين بأن يكونوا متدربين على الصبر .

ومفهوم هذا أنهم إذا لم يكونوا صابرين، فإنه يجوز لهم الفرار، ولو أقل من مثليهم [إذا غلب على ظنهم الضرر](١)، كما تقتضيه الحكمة الإلهية.

ويجاب عن الأول بأن قوله: ﴿الآن خفف الله عنكم الله آخرها، دليل على أن هذا أمر (٢) لازم وأمر بحتم، ثم إن الله خففه إلى ذلك العدد، فهذا ظاهر في أنه أمر، وإن كان في صيغة

وقد يقال: إن في إتيانه بلفظ الخبر، نكتة بديعة لا توجد فيه إذا كان بلفظ الأمر، وهي تقوية قلوب المؤمنين، والبشارة بأنهم سيغلبون الكافرين.

ويجاب عن الشاني: أن المقصود بتقييد ذلك بالصابرين، أنه حث على الصبر، وأنه ينبغي منكم أن تفعلوا الأسياب الموجبة لذَّلك [فإذا فعلوها صارت الأسباب الإيمانية والأسباب المادية مبشرة بحصول ما أخبر الله به

من النصر لهذا العدد القليل]<sup>(٣)</sup>. ﴿ ٦٧ ـ ٦٩﴾ ﴿ما كان لنبئ أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة

والله عزيز حكيم \* لولا كتابٌ من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم \* فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتَّقوا الله إنَّ الله غفور رحيم﴾ هذه معاتبة من الله لرسوله وللمؤمنين يوم

«بدر» إذ أسروا المشركين وأبقوهم لأجل الفداء، وكان رأى: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في هذه الحال، قتلهم

واستئصالهم. فقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لَنْبِي أَنْ يُكُونَ له أسرى حتى يثخن في الأرض، أي:

أحدهما أنهابصورة الخبر، والأصل في الخبر أن يكون على بابه، وأن المقصود بذلك الامتنان والإخبار بالواقع .

وَالْثَانِ: تقييد ذلك العدد أن يكونوا

وَاللَّهُ لَائِمُ دِي الْغَوْرَ الْكَامِينَ ۞ يَنَأَيُّهُا الَّذِينَ ءَاكَنُوامَالَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ أَنْفِرُوا فِي سَكِيلِ الله أفك قلتُ ملك الأرض أرضيتُ م بالحكيزة الدُّنيّا مِنَ ٱلْآخِرَةُ وَكُمَّا مَتَنَّعُ ٱلْحَكِيزَةِ ٱلدُّنْسِيافِ ٱلْآخِرَةِ إِلَّاقِيلُ ۞ إِلَّا لَنَافِرُواْ فِيكِذِبْكُمْ عَذَابُ الْلِيمَا فَلَسَنَتِيلُ فَوَمَا غَيْرَكُمْ وَلَاتَفُرُوهُ مَسَيْنًا وَالْقَدُعَلَ كُلِّشَى وَقَدِيرُ ﴿ إِلَّانَصُرُوهُ فَقَلَدُ نَصَرُوا لَقَهُ إِذَ أخرجك الذيب كف ثوا كاف المنازية مسكاني الغار الْ يَعْدُلُ لِصَلْحِيدِ لِاتَّحْدَرُنْ إِنَّ أَقَدَ مَعَنَ مَا أَخَلَ اللَّهِ مَعَنَ الْأَنْ زَلَ الله مكينت مُعَلَد وَأَتِدَهُ بِعُنُودِ لَّوْدَرُوكِ وَ وَحَدَالَ عَلَيْهُ الَّذِينَ كَالْمَالُ عُلَالًا

ما ينبغي ولا يليق به إذا قاتل الكفار الذين يريدون أن يبطفؤوا نبور الله ويسعوا لإخماد دينه، وأن لا يبقى على وجه الأرض من يعبد الله، أن يتسرع إلى أسرهم وإبقائهم لأجل الفداء الذي يحصل منهم، وهو عرض قليل بالنسبة إلى المصلحة المقتضية لإبادتهم وإبطال شرهم، فما دام لهم شر وصولة، فالأوفق أن لا يؤسروا.

وكيتةُ اللَّهِ مِنَ الْمُلْيَ أَوَاللَّهُ عَزِيرُ حَكِيدُ ٥

DEPOS III BORGEO

Carlos arms are

المَا النِّيوسُ، زِيَادَةً فِ ٱلْكُفْرِيمُوسَلُ بِوالَّذِينَ

كَغُرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَعُكَ مُونِكُمُ عَامًا لَهُ اللهُ أَعِدُا

مَاكَزِّمُ اللَّهُ فَيُعِلُّواْ مَاكَزَّمُ اللَّهُ فَيْنِ لَمُنْ مُنْ الْمُعْلَمُهُ

فإذا أشخنوا، وبطل شرهم، واضمحل أمرهم، فحينتذ لا بأس بأخذ الأسرى منهم وإبقائهم.

يقول تعالى: ﴿تريدون﴾ بأخذكم الفداء وإبقائهم ﴿عرض الحياة الدنيا﴾ أي: لا لمصلحة تعود إلى دينكم.

﴿والله يريد الآخرة ﴾ بإعزاز دينه، ونصر أوليائه، وجعل كلمتهم عالية فوق غيرهم، فيأمركم بما يوصل إلى

﴿ وَالله عزيز حكيم ﴾ أي: كامل العزة، لو شاء أن ينتصر من الكفار من دون قتال لفعل، لكنه حكيم، يبتلي بعضكم ببعض.

﴿لُولا كتاب من الله سبق﴾ به القضاء والقدر، أنه قد أحل لكم الغنائم، وأن الهرفع عنكم \_أيها الأمة \_العذاب ﴿ لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ وفي الحديث: «لو نزل

الشجاعة والصبر، وما يترتب على ذلك من خير الدنيا والأخرة، وذكر مضار الجبن، وأنه من الأخلاق الرذيلة المنقصة للدين والمروءة، وأن الشجاعة بالمؤمنين أولى من غيرهم ﴿إِنْ تَكُونُوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون﴾.

﴿إِن يَكُن مَنْكُم ﴾ أيها المؤمنون ﴿عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا﴾ يكون الواحد بنسبة عشرة من الكفار، وذلك بأن الكفار ﴿قوم لا يفقهون﴾ أي: لا علم عندهم بما أعد الله للمجاهدين في سبيله، فهم يقاتلون لأجل العلوفي الأرض والفساد فيها، وأنتم تفقهون المقصود من القتال، أنه لأعلاء كلمة الله وإظهار دينه، والذب عن كتاب الله، وحصول الفوز الأكبر عند الله، وهذه كلها دواع للشجاعة والصبر والإقدام على القتال.

ثم إن هذا الحكم خففه الله على العباد، فقال: ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ﴾ فلذلك اقتضت رحمته وحكمته التخفيف، ﴿فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين، بعونه وتأييده.

وهذه الآيات صورتها صورة الإخبار عن المؤمنين، بأنهم إذا بلغوا هذا المقدار المعين يغلبون ذلك المقدار المعين في مقابلته من الكفار، وأن الله يمتن عليهم بما جعل فيهم من الشجاعة الإيمانية.

ولكن معناها وحقيقتها الأمر وأن الله أمر المؤمنين ـ في أول الأمر ـ أن الواحد لا يجوز له أن يفر من العشرة، والعشرة من المئة، والمئة من

ثسم إن الله خفف ذلك، فصار لا يجوز فرار المسلمين من مثليهم من الكفار، فإن زادوا على مثليهم جاز لهم الفرار، ولكن يردعلي هذا أمران:

آنف رُواْ خِفَافَا وَثِقَا لَا وَجَهِدُواْ بِأَمْوَلِكُمْ وَأَنفُسِكُو ۖ الْإِ فِي سَكِيلِ ٱللَّهِ ذَالِكُرُ خَيْرًا لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تُعَلَّمُونَ ۞ لَوْكَانَ عَهَا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّانَّبَعُوكَ وَلَكِئَ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّفَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لِوَأَسْتَطَعْنَا لَخَيْخَنَا مَعَكُمْ يُمْلِكُونَ أَنفُكُمْ وَأَلْقَهُ يُعَلِّمُ إِنَّهُمْ لَكَلْفِوْنَ ۞ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِهِ أَذِنْتَ لَهُ مُرْحَقَّ يَتَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعَلَّمَ ٱلۡكَايَٰدِينَ ۞ لَايَسْتَنْذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أَن يُجَابِهُ وَا بِأَمْوَ لِمِيدٌ وَأَنفُسِ هُرِّ وَٱللَّهُ عَلِيهُ وَالْمُنْقِينَ ۞ إِنَّا يَسْتَغَذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَايُؤْمِثُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِدِ وَٱرْتَ ابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِ رَبِّ هِرّ يَـُتَرَدَّدُونِ ۞ • وَلَوْ أَرَادُوا ٱلْخُـُرُوعَ لَأَعَــُ ثُولَاً عُـدَّةً وَلَاكِن كَرِهُ ٱللَّهُ ٱلْبِعَالَهُمْ فَشَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اَقْتُدُوا مَعَ اَلْقَلَعِدِينَ ۞ لَوَخَجُواْفِيكُمُ مَازَادُ وُكُرُّهُ إِلَّاخَبَ الَّا وَلِأَوْضَعُواْ خِلَلَّاكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِئْنَةُ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَمَكُمُّ وَاللَّهُ عَلِيدُ وَإِلْقَالِمِينَ ۞ TO COTO WILLIAM CONTROL OF THE PARTY OF THE

عذاب يوم بدر، ما نجا منه إلا عمر».

﴿ فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً ﴾ وهذا من لطفه تعالى بهذه الأمة، أن أحل لها الغنائم ولم يحلها لأمة قبلها.

﴿واتقوا الله ﴿ في جميع أموركم ولازموها، شكراً لنعم الله عليكم، ﴿إِن الله غفور ﴾ يغفر لمن تاب إليه جميع الذنوب، ويغفر لمن لم يشرك به شيئاً جميع المعاصي.

﴿ رحيم ﴾ بكم، حيث أباح لكم الغنائم وجعلها حلالاً طيباً.

فراس الله في أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً بما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم \* وإن يعلم والله غفور رحيم \* وإن فأمكن منهم والله عليم حكيم وهذه نزلت في أسارى يوم بدر، وكان في جلتهم العباس عم رسول الله عليه فلما طلب منه الفداء، ادّعى أنه مسلم قبل ذلك، فلم يسقطوا عنه الفداء، فأنزل الله تعالى جبراً لخاطره ومن كان على مثل حاله.

﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يوتكم خيراً عن المؤتكم ﴾ أي: من

المال، بأن ييسر لكم من فضله، خيراً وأكثر<sup>(١)</sup> بما أخذ منكم.

﴿ويغفر لكم﴾ ذنوبكم، ويدخلكم الجنة وقد الجنة وعده للعباس وغيره، أنجز الله وعده للعباس وغيره، فحصل له بعد ذلك من المال شيء كشير، حتى إنه مرة لما قدم على النبي على مال كثير، أناه العباس فأمره أن يأخذ منه بثوبه ما يطيق حمله، فأخذ منه ما كاد أن يعجز عن حمله.

﴿ وإن يريدوا خيانتك ﴾ في السعي لحربك ومنابذتك ، ﴿ فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم ﴾ فليحذروا خيانتك ، فإنه تعلل قادر عليهم وهم تحت قبضته ، ﴿ والله عليم حكيم ﴾ أي : عليم بكل شيء ، حكيم يضع الأشياء مواضعها ، ومن علمه وحكمته أن شرع لكم هذه الأحكام الجليلة ، وأن تكفل (٢) بكفايتكم شأن الأسرى وشرهم إن أرادوا خيانة .

﴿٧٧﴾ ﴿إِنَّ الدُّينِ آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بمضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلآعلي قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير﴾ هذا عقد موالاة ومحبة، عقدها الله بين المهاجرين الذين آمنوا وهاجروا في سبيل الله، وتركوا أوطانهم لله لأجل الجهاد في سبيل الله، وبين الأنصار الذين آووا رسول الله ﷺ وأصحابه وأعانوهم في ديارهم وأموالهم وأنفسهم، فهؤلاء بعضهم أولياء بعض، لكمال إيمانهم وتمام اتصال بعضهم ببعض.

﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا فإنهم قطعوا ولايتكم بانفصالهم عنكم في وقت شدة الحاجة إلى الرجال، فلما

لم يهاجروا لم يكن لهم من ولاية المؤمنين شيء لكنهم ﴿إن استنصروكم في الدين﴾ أي: لأجل قتال من قاتلهم لأجل دينهم ﴿فعليكم النصر﴾ والقتال معهم، وأما من قاتلوهم لغير ذلك من المقاصد فليس عليكم نصرهم.

وقوله تعالى: ﴿إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ أي: عهد بترك القتال، فإنهم إذا أراد المؤمنون المتميزون الذين لم يهاجروا قتالهم، فلا تعينوهم عليهم، لأجل ما بينكم وبينهم من الميثاق.

﴿والله بما تعملون بصير ﴾ يعلم ما أنتم عليه من الأحوال، فيشرع لكم من الأحكام ما يليق بكم.

﴿٧٣﴾ ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ لما عقد الولاية بين المؤمنين، أخبر أن الكفار حيث جمعهم أولياء لبعض (٣)، فلا يواليهم إلا كافر مثلهم.

وقوله: ﴿إلا تفعلوه﴾ أي: موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين، بأن واليتموهم كلهم أو عاديتموهم كلهم، أو واليتم الكافرين وعاديتم المؤمنين.

﴿تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾ فإنه يحصل بذلك من الشر ما لا ينحصر من اختلاط الحق بالباطل، والمؤمن بالكافر، وعدم كثير من العبادات الكبار، كالجهاد والهجرة، وغير ذلك من مقاصد الشرع والدين التي تفوت إذا لم يتخذ المؤمنون وحدهم أولياء بعضهم لبعض.

﴿٧٤ ـ ٧٤﴾ ﴿والـذيسن آمنوا وهـاجروا وجـاهـدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق، كريم \* والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل

شيء عليم > الآيات السابقات في ذكر عقد الموالاة بين المؤمنين من المهاجرين والأنصار.

وهذه الآيات في بيان مدحهم وشوابهم، فقال: ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك أي: المؤمنون من المهاجرين والأنصار ﴿هم بما قاموا به من الهجرة والنصرة والموالاة بعضهم لبعض، وجهادهم لأعدائهم من الكفار والمنافقين.

﴿لهم مغفرة﴾ من الله تمحى بها سيئاتهم، وتضمحل بها زلاتهم، ﴿و﴾ لهم ﴿رزق كريم﴾ أي: خير كثير من الرب الكريم في جنات النعيم.

وربما حصل لهم من الثواب المعجل ما تقرُّ به أعينهم، وتطمئن به قلوبهم، وكذلك من جاء بعد هؤلاء المهاجرين والأنصار، عن اتبعهم بإحسان فآمن وهاجر وجاهد في سبيل الله. ﴿ فَأُولُنُكُ مَنْكُم ﴾ لهم ما لكم وعليهم ما عليكم (١).

فهذه الموالاة الإيمانية ـ وقد كانت في أول الإسلام ـ لها وقع كبير وشأن عظيم، حتى إن النبي وسلام آخي أخى بين المهاجرين والأنصار أخوة خاصة، غير الأخوة الإيمانية العامة، وحتى كانوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله فلا يرثه إلا أقاربه من العصبات وأصحاب الفروض، فإن لم يكونوا، فأقرب قراباته من ذوي الأرحام، كما دل عليه عموم هذه الآية الكريمة، وقوله: ﴿ فِي كتاب الله أي خكمه وشرعه.

﴿إِن الله بكل شيء عليم > ومنه ما يعلمه من أحوالكم التي يجري من شرائعه الدينية عليكم ما يناسبها.

تم تفسير سورة الأنفال ولله الحمد

## تفسير سورة براءة ويقال: سورة التوبسة، وهي مدنيسة

﴿ ١ - ٢﴾ ﴿ براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المسركين \* فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله خزي الكافريين ﴾ أي: هذه براءة من الله ومن رسوله إلى جميع المشركين المعاهدين، أن لهم أربعة أشهر يسيحون في الأرض على اختيارهم، آمنين من المؤمنين، وبعد الأربعة الأشهر فلا عهد لهم ولا ميثاق.

وهذا لمن كان له عهد مطلق غير مقدر، أو مقدر بأربعة أشهر فأقل، أما من كان له عهد مقدر بزيادة على أربعة أشهر، فإنه يتعين أن يتمم له عهده إذا لم يخف منه خيانة، ولم يبدأ بنقض العهد..

ثم أنذر المعاهدين في مدة عهدهم، أنهم وإن كانوا آمنين، فإنهم لن يعجزوا الله ولن يفوتوه، وأنه من استمر منهم على شركه فإن الله لا بد أن يخزيه، فكان هذا مما يجلبهم إلى الدخول في الإسلام، إلا من عاند وأصر ولم يبال بوعيد الله له.

﴿٣﴾ ﴿واْذَان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المسركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴾ هذا ما وعد الله به المؤمنين، من نصر دينه وإعلاء كلمته، وخذلان أعدائهم من المشركين الذين أخرجوا الرسول ومن معه من مكة، من البيت الله الحرام، وأجلوهم، عما لهم السلط عليه من أرض الحجاز.

نصر الله رسوله والمؤمنين حتى افتتح مكة، وأذل المشركين، وصار للمؤمنين الحكم والغلبة على تلك الديار.

لَقَدَ إَبْنَكُوا الْفِنْكَةُ مِن قَبْلُ وَفَكَلِّوْ اللَّكَ الْأَمُورَحَكَّ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهِ رَأَمُهُ أَهَّهِ وَهُ مُركَارِهُونَ ﴿ وَمِنْهُ وَمَن يَكُولُ أَنْذَن لِل وَلَالَفْتِ يَّيَّ ٱلَّافِ ٱلْفِسْنَةِ سَقَطُواً وَالْ جَهَنَّزَلَمُ حِيطَةً إِلَّاكَ عَرِينَ ۞ إِن تُصِينِكَ حَسَنَةً نَسُوْهُ مُرْوَان نُصِينَكَ مُصِيبَةً يَغُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمَّرُكَ امِن قَبْلُ وَيَتَوَلِّواْ وَهُمْ فَرِحُوبَ ۞ قُل أَن يُصِيبَ نَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَـنَانًا وَعَلَى اللَّهِ فَلْمَدِّوَكِّ لِٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ قُلْ هَلَ مَّلَّ مَنْ مُونَ بِنَآ إِلَّا إِحْدَى ٱلْحُسْنَيْنِ وَخَنْ نَكَيْصٌ بِحَدْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ يُعَذَابِ مِنْ عِندِهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّالِي مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّالِي مِنْ اللَّالِمِي مِنْ اللَّمِي مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ مَعَكُم مُّنَّكِمُ مُونَ ۞ قُلْ أَنفِ قُواْ طَوْعًا أَوْكَرْهُا لَنْ يُنَقَبَلُ مِنْكُمُّ لِنَكُمْ حَدُّ لِأَنْكُمْ حَدُّ مُنْعُونُ الْفَسِفِينَ ﴿ وَمَا مَنْعَهُمْ أَنْ تُعْبَىلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنْ هُرَ كَ غَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّالَوَةَ إِلَّا الله وَهُمْ حَكُما لَا وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُرْكَ رِهُونَ ٥ DANGE TO LONG LONG

فأمر النبي (٢) مؤذنه أن يؤذن يوم الخج الأكبر، وهو يوم النحر، وقت اجتماع الناس مسلمهم وكافرهم، من جميع جزيرة العرب، أن يؤذن بأن الله بيء ورسوله من المشركين، فليس لهم عنده عهد وميثاق، فأينما وجدوا قتلوا، وقيل لهم: لا تقربوا المسجد الحرام بعد عامكم هذا، وكان ذلك سنة تسم من الهجرة.

وحج بالناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأذن ببراءة \_ يوم النحر \_ ابن عم رسول الله على على بن أبي طالب رضى الله عنه.

ثم رغّب تعالى المشركين بالتوبة، ورهبهم من الاستمرار على الشرك فقال: ﴿فَإِنْ تَبْتُم فَهُو خِيرِ لَكُم، وإِنْ تُولِيتُم فَاعِلُمُ مُوا أَنْكُم غَيْسِر معجزي الله .

أي: فائتيه، بل أنتم في قبضته، قادر أن يسلط عليكم عباده المؤمنين. ووبشر الذين كفروا بعذاب أليم أي: مؤلم مفظع في الدنيا بالقتل والأسر والجلاء، وفي الآخرة بالنار وبس القرار.

ربس معروب ( الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ: له ما لكم وعليه ما عليكم.

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: الله.

CONTRACTOR OF THE PARTY OF THE فَلاَتُعْجِنِكَ أَمْوَلُمُووَلاَ أَوْلَادُهُمْ إِنَّا أَرْمَدُ اللَّهُ لِيُحَاذِعُهُم بهاني ألْحَيَوْةِ ٱلدُّنْيَاوَتَرْهَقَ أَنفُسُهُرُ وَهُرْكَافِرُونِ @ وَيَعْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُ مُلِّنَاكُمْ وَمَا هُرِمِنَكُمْ وَلَائِمُهُمَّ قَوْمُرِيفَ رَقُونَ ۞ لَوْيَحِ دُونَ مَلْجَعًا أَوْمَعَكَرَتِ أُوَّمُدَّعَكَدُ لَوَّلُوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَعُونَ ۞ وَمِنْهُ مِمَّنَ يَلْمِزُكَ فِي الصَدَقَاتِ فَإِنْ أَعْطُواْ مِنْهِ كَارَضُواْ وَإِن لَّرَيْعُطُوْ أَمِنْهِ كَأَإِذَا هُمْ يَسْخُطُونَ @ وَلَوَّأَنَّهُمْ رَضُواْ مَا ٓءَاتَ لَهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَ اللَّهُ مِن فَضِّيهِ وَرَسُولُهُ رَائِنَا إِلَى اللَّهِ رَاغِنُونَ ۞ • إِنْ مَا ٱلصَّدَ مَّتُ لِلْفُ قَرَّاةِ وَٱلْمُسَاكِينِ وَٱلْعَكِيلِينِ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤْلَفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِيَّابِ وَٱلْمَكِرِمِينَ وَفِ سِيَيلِ ٱللَّهِ وَٱيْزَالسِّيلٌ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيهُ مَكِيدٌ ۞ وَمِنْهُ وُالَّذِينَ يُوْدُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَأُدُنَّ قُلُ أَدُنُ خَيْرِلَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينِ وَزَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ،امَنُوا مِنكُمُّ وَٱلَّذِيكَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَمُدَّعَدَاكَ ٱلِّيمْ ۞

عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين ﴾ أي: هذه البراءة التامة المطلقة من جميع المشركين . ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ﴾ واستمروا على عهدهم ، ولم يجر منهم ما يوجب النقض ، فلا نقصوكم شيئاً ، ولا عاونوا عليكم أحداً ، فهؤلاء أقوا لهم (١١) عهدهم إلى مدتهم ، قلت أو كثرت ، لأن الإسلام لا يأمر بالخيانة وإنما يأمر بالوفاء .

TOWNSON WEST VERY

﴿إِن الله يحب المتقين﴾ الذين أدوا ما أمروا به، واتقوا الشرك والخيانة، وغير ذلك من المعاصى.

﴿ ٥ ﴾ ﴿ فَإِذَا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ﴾ يقول تعالى: ﴿ فَإِذَا انسلخ الأشهر الحرم ﴾ أي: التي حرم فيها قتال المشركين المعاهدين، وهي أشهر التسيير الأربعة، وتمام المدة لمن له مدة أكثر منها، فقد برئت منهم الذمة.

﴿فاقسلوا المسركين حيث وجدتموهم في أي: مكان وزمان، ﴿وخذوهم أسرى ﴿واحصروهم ﴾ أي: ضيقوا عليهم، فلا تدعوهم يتوسعون في بلاد الله وأرضه التي جعلها [الله] معبداً لعباده.

فهؤلاء ليسوا أهلاً لسكناها، ولا يستحقون منها شبراً، لأن الأرض أرض الله، وهم أعداؤه المنابذون له ولرسله، المحاربة الذين يريدون أن يخلوا الأرض من دينه، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

﴿واقعدوا لهم كل مرصد أي: كل ثنية وموضع يمرون عليه، ورابطوا في جهادهم وابذلوا غاية مجهودكم في ذلك، ولا تزالوا على هذا الأمر حتى يتوبوا من شركهم.

ولهذا قال: ﴿فإن تابوا﴾ من شركهم ﴿وأقاموا الصلاة﴾ أي: أدوها بحقوقها ﴿وآتوا الزكاة﴾ لستحقيها ﴿فخلوا سبيلهم﴾ أي: اتركوهم، وليكونوا مثلكم، لهم ما لكم،

﴿إِنْ الله غفور رحيم ﴾ يغفر الشرك فما دونه للتائبين، ويرحمهم بتوفيقهم للتوبة، ثم قبولها منهم.

وفي هذه الآية دليل على أن من امتنع من أداء الصلاة أو الزكاة، فإنه يقاتل حتى يؤديهما، كما استدل بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

والم الشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون لا يعلمون لا يعلمون لا أكان ما تقدم من قوله: وفإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا الشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد أمراً عاماً في جميع الأحوال، وفي كل المسلحة إذا اقتضت تقريب بعضهم الأسخاص منهم، ذكر تعالى أن المسلحة إذا اقتضت تقريب بعضهم أحد من المشركين استجارك أي: وإن للجل أن يسمع كلام الله، وينظر حالة الإسلام.

﴿فَأَجِره حتى يسمع كلام الله عنه ثم إن أسلم فذاك، وإلا فأبلغه مأمنه، أي : المحل الذي يأمن فيه، والسبب في ذلك أن الكفار قوم لا يعلمون،

فريما كان استمرارهم على كفرهم لجهل منهم، إذا زال اختاروا عليه الإسلام، فلذلك أمر الله رسوله، وأمته أسوته في الأحكام، أن يجيروا من طلب أن يسمع كلام الله.

وفي هذا حجة صريحة لذهب أهل السنة والجماعة، القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، لأنه تعالى هو المتكلم به، وأضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى موصوفها، وبطلان مذهب المعتزلة ومن أخذ بقولهم: أن القرآن مخلوق.

وكم من الأدلة الدالة على بطلان هذا القول، ليس هذا محل ذكرها.

◊٧﴾ ﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يجب المتقين﴾ هذا بيان للحكمة الموجبة لأن يتبرأ الله ورسوله من المشركين عهد عند الله وعند رسوله؟!﴾ هل قاموا بواجب الإيمان، أم تركوا رسول الله والمؤمنين من أذيتهم؟ أما حاربوا الحق ونصروا الباطل؟

أما سعوا في الأرض فساداً؟ فيحق لهم أن يتبرأ الله منهم، وأن لا يكون لهم عهد عنده ولا عند رسوله.

﴿ إلا الذين عاهدتم ﴾ من المشركين ﴿ عند المسجد الحرام ﴾ فإن لهم في العهد وخصوصاً في هذا المكان الفاضل حرمة ، أوجب أن يراعوا فعا.

﴿ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم، إن الله يحب المتقين ﴾ ولهذا قال:

﴿٨ ـ ١١﴾ ﴿كيف وإن يِظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون \* اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون \* لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون \* فإن تبابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الركاة

(1)

فإخوانكم في الدين ونفصّل الآيات لقوم يعلمون ﴾ أي: ﴿كيف ﴾ يكون للمشركين عند الله عهد وميثاق ﴿و﴾ الحال أنهم ﴿إن ينظهروا عليكم) بالقدرة والسلطة، لا يرحموكم، و ﴿لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة﴾ أي: لا ذمة ولا قرابة، ولا يخافون الله فيكم، بل يسومونكم سوء العذاب، فهذه حالكم معهم لو ظهروا.

ولا يغرنكم منهم ما يعاملونكم به وقت الخوف منكم، فإنهم ﴿يرضونكم بأفواههم وتأبي قلوبهم الميل والمحبة لكم، بل هم الأعداء حقاً، المبغضون لكم صدقاً، ﴿وأكشرهم فاسقون﴾ لا ديانة لهم ولا مروة.

﴿استروا بآيات الله تمناً قليلاً ﴾ أي: اختاروا الحظ العاجل الخسيس في الدنيا على الإيمان بالله ورسوله، والانقياد لآيات الله .

﴿فصدوا﴾ بأنفسهم، وصدوا غيرهم ﴿عن سبيله، إنهم ساء ما كانوا يعملون \* لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ﴾ أي: لأجل عداوتهم للإيمان

فالوصف الذي جعلهم (۱) يعادونكم لأجله ويبغضونكم، أهو الإيمان، فذبوا عن دينكم، وانصروه واتخذوا من عاداه لكم عدواً ومن نصره لكم ولياً، واجعلوا الحكم يدور معه وجوداً وعدماً، لا تجعلوا الولاية والعداوة طبيعية (٢) تميلون بهما، حيثما مال الهوى، وتتبعون فيهما النفس الأمارة بالسوء، ولهذا: ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ عن شركهم، ورجعوا إلى الإيمان ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَّاةُ وَآتُوا الزَّكَاةُ فَإِخُوانَكُمْ في الدين، وتناسوا تلك العداوة إذ كأنوا مشركين، لتكونوا عباد الله المخلصين، وبهذا يكون العبد عبدأ حقيقة. لما بين من أحكامه العظيمة ما

بين، ووضح منها ما وضح، أحكاماً

وجكَماً وجُكُماً وحكمة قال: ﴿ونفصل الآيات﴾ أي: نوضحها ونميزها ﴿لقوم يعلمون﴾ فإليهم سياق الكلام، وبهم تعرف الأيات والأحكام، وبهم عرف دين الإسلام وشرائع الدين.

اللهم اجعلنا من القوم الذين يعلمون، ويعملون بما يعلمون، برحمتك وجودك وكرمك [وإحسانك يا رب العالمين].

﴿١٢ ... ١٥﴾ ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أثمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون \* ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين \* قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين \* ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم، يقول تعالى بعدما ذكر أن المعاهدين من المشركين إن استقاموا على عهدهم فاستقيموا لهم على الوفاء: ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم) أي: نقضوها وحلوها، فقاتلوكم أو أعانوا على قتالكم، أو نقصوكم، ﴿وطعنوا في دينكم﴾ أي: عابوه وسخروا منه.

ويدخل في هذا جميع أنواع الطعن الموجمهة إلى الدين، أو إلى القرآن، ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ أي: القادة فيه، الرؤساء الطاعنين في دين الرحمن، الناصرين لدين الشيطان، وخصهم بالذكر لعظم جنايتهم، ولأن غيرهم تبع لهم، وليدل على أن من طعن في الدين وتصدي للرد عليه، فإنه من أثمة الكفر .

﴿إنهم لا أيمان لهم ﴿ أي: لا عهود ولا مواثيق يلازمون على الوفاء بها، بل لا يزالون خائنين،

يخلفون بألله لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأَحَدُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَافُواْمُؤْمِنِينَ ۞ أَلْرَيْعَ لَمُوَاأَنَّهُ مِنَ يُحَادِدِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَأَنَ لَهُ فَارْجَهَ فَرَخَالِهُ فِيهَا ذَلِكَ ٱلْجِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ۞ يَحْـذُرُٱلْمُنَكَ فِقُوتَ أَنْ أَنْزُلَ عَلَيْهِمْ سُورَةُ ثُنَيَتُهُمُ مِهَافِ قُلُوبِهِ مُّ قُلُ اَسْنَهْ نِهُ وَالِنَ اللَّهَ مُغْرِجٌ مَّا تَحْنَذُ دُونَ ۞ وَلَهِ نَ كَأَلْتَهُ مُ لَكِنُّ وَأَنَّ إِنْكَا عُنَّا نَخُونُ وَنَلْسَبُ قُلْ أَبِ اللَّهِ وَمَا يَكِيهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمُ تَسْتَهْ رُوُونَ ۞ لَاتَقَتَىٰ ذِرُوا فَدَّكَ فَرَيْنُهُ بَعْتَ إيكنيكُمَّ أِن نَقَفُ عَن طَآيِفَةً عِن كُونُفُكَذِبٌ طَآيِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ۞ ٱلْنَقِقُونَ وَٱلْنَفِقَاتُ بَعْضُهُ مِينَ بَعْضُ يَأْمُهُ لَكُ اللَّهُ عَلَى وَيَسْعَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْدُوفِ وَيَقْبِضُونِ أَيْدِيَّهُمّْ نَسُواْ اللَّهَ فَنَسِيَهُمُّ اللَّهِ ٱلْمُنْفِقِينَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ۞ وَعَدَاْتَهُ ٱلْمُنْفِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَٱلْكُفَّارَكَ ارْجَهَا مِّرْخَكِلِينَ فِيهَا هِي حَسْبُهُمُ وَلَعَنَ هُوُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَاتِ مُعِيدً ٥ DECEMBER IN MARCHES

ناكثين للعهد، لا يوثق منهم.

«لعلهم» في قتالكم إياهم ﴿ينتهون عن الطعن في دينكم، وربما دخلوا فيه، ثم حث على قتالهم، وهيج المؤمنين بذكر الأوصاف التي صدرت من هؤلاء الأعداء، والتي هم موصوفون بها، المقتضية لقتالهم فقَّال: ْ ﴿ أَلَا تَقَاتِلُونَ قُوماً نَكِثُوا أَيْمَانُهُم وهموا بإخراج الرسول، الذي يجب احترامه وتوقيره وتعظيمه؟ وهم هموا أن يجلوه ويخرجوه من وطنه وسعوا في ذلك ما أمكنهم، ﴿وهم بدؤوكم أول مرة﴾ حيث نقضوا العهد وأعانوا عليكم، وذلك حيث عاونت(٣) قريش - وهم معاهدون \_ بني بكر حلفاءهم على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ، وقاتلوا معهم كما هو مذكور مبسوط في السيرة .

﴿أَتَخْشُونُهُمُ فِي تَرِكُ قِتَالُهُمْ ﴿فَاللَّهُ أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ﴾ فإنه (٤) أمركم بقتالهم، وأكد ذلك عليكم غاية التأكيد.

فإن كنتم مؤمنين فامتثلوا لأمر الله، ولا تخشوهم فتتركوا أمر الله، ثم أمر بقتالهم وذكر ما يترتب على قتالهم من

في النسختين: جعلوهم، ولعل الصواب ما أثبت. (1)

في ب: طبعية. (٢)

في ب: أعانت. (4)

فى ب: فالله. (1)

كَالِّدِينِ قِبْلِكُ مِي كَافُوا أَشِدِّ مِن قَبْلِكُ مُ كَافُوا أَشِدُّ مِن كُمْ فُوَّةً وَأَكْثَرَ أمَّوالْا وَأُولِكَ مَا فَأَسْتَمْنَعُواْ بِخَلَقِهِمْ فَأَسْتَمْنَعْتُمْ بِخَلَقِكُمْ كمَا ٱسْتَمْنَعُ ٱلَّذِيكِ مِن فَبَلِكُم يَخَلَقِهِ مُوحَضَّمُ كَالَّذِي خَاضُوٓ أَوْلَيْهِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمَّ فِ الدُّنْيَا وَالْآتِيْرَةُ وَأُوْلَتِهَكَ هُمُوا تَغَيْرُونَ ۞ أَلَّةِ يَأْتِهِمْ نَبُ أَالَّذِينَ مِن فَبَلِهِدْ فَوْمِ نُوجٍ وَيَحَسَادٍ وَكَمُودَ وَقُومِ إِزَاهِمَ وَأَصْحَبَ مَنْ يَنَ وَالْمُؤْفِدِكَ مَنَّ أَلَنْهُ مُرْدُسُلُهُمْ إِلَّيْمَنَّ فَمَا كَانَ أَفَدُ لِيظَلِمَ هُرُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُكَ هُرَيظَلِمُونَ ۞ وَٱلْمُوْمِنُونِ وَٱلْمُوْمِنَاتُ بَعَضُهُمْ أَوْلِكَٱءُ بَعْضِ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَصْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكِرِ وَيُعِيسُونَ ٱلصَّكَوْةَ وَيُوْتُونَ ٱلزَّكَوْةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَيَسُولُهُمْ أُوْلَيْكَ سَيَرْمَهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزُ حَكِيرٌ ۞ وَعَكَ اللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَكَ جَنَّكِ جَنَّكِ جَنَّكِ جَنَّكِ مَعْمِهِ ٱلأَنْهَا رُخَالِدِينَ فِهَا وَمَسِكَكِنَ طَلِيَّهُ فِي جَنَّكِ عَدَّنَّهِ وَيضَوَنُ مِن اللَّهُ أَكْ بَرُّذَالِكَ هُوَالْفَوْزُ ٱلْمَطِيرُ ۞

الفوائد، وكل هذا حث وإنهاض للمؤمنين على قتالهم، فقال: فقال: فقال فقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم بالقتل فويخزهم إذا نصركم الله عليهم، وعرص عليه، فوينصركم عليهم، هذا وعد من الله وبشارة قد أنجزها.

﴿ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ﴾ فإن في قلوبهم من الحنق والغيظ عليهم ما يكون قتالهم وقتلهم شفاء لما في قلوب المؤمنين من الغم والهم، إذ يرون هؤلاء الأعداء محاربين لله ولرسوله، ساعين في إطفاء نور الله، وزوالا لغيظ الذي في قلوبهم، وهذا يدل على عبة الله لعباده المؤمنين، واعتنائه بأحوالهم، حتى إنه جعل \_من جملة المقاصد الشرعية \_شفاء ما في صدورهم وذهاب غيظهم.

ثم قال: ﴿ويستوب الله على من يشاء ﴾ من هؤلاء المحاربين، بأن يوفقهم للدخول في الإسلام، ويزينه في قلوبهم، ويُكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان.

﴿والله عليم حكيم ﴾ يضع الأشياء مواضعها، ويعلم من يصلح للإيمان فيهديه، ومن لا يصلح فيبقيه في غيه وطغيانه.

﴿١٦﴾ ﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم

يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون المؤمنين بعدما أمرهم بالجهاد: ﴿أَمْ حسبتم أَنْ تَتْرَكُوا ﴾ من دون ابتلاء وامتحان، وأمر بما يبين به الصادق والكاذب.

﴿ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ﴾ أي: علماً يظهر مما في القوة إلى الخارج، ليترتب عليه الشواب والعقاب، فيعلم الذين يجاهدون في سبيله لإعلاء كلمته ﴿ولم يتخذوا من دون الله ولا رمسوله ولا المؤمنين وليجة ﴾ أي: ولياً من الكافرين، بل يتخذون الله ورسوله والمؤمنين أولياء.

فشرع الله الجهاد ليحصل به هذا المقصود الأعظم، وهو أن يتميز الصادقون الذين لا يتحيزون إلا لدين الله، من الكاذبين الذين يزعمون الإيمان وهم يتخذون الولائم والأولياء من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين.

﴿والله خبير بما تعملون أي : يعلم ما يصير منكم ويصدر، فيبتليكم بما يظهر به حقيقة ما أنتم عليه، ويجازيكم على أعمالكم خيرها وشرها.

(١٧ - ١٨) ﴿ ﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون \* إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله نعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ يقول تعالى: ﴿ ما كان ﴾ أن يعمروا مساجد الله بالعبادة أي: ما ينبغي ولا يليق ﴿ للمشركين والصلاة، وغيرها من أنواع الطاعات، والحال أنهم شاهدون ومقرون على وفطرهم، وعلم كثير منهم أنهم على الكفر والباطل.

فإذا كانوا ﴿ الله على أنفسهم بالكفر ﴾ وعدم الإيمان الذي هو شرط لقبول الأعمال، فكيف يزعمون أنهم عُمَّارُ مساجد الله، والأصل منهم

مفقود، والأعمال منهم باطلة؟!! ولهذا قال: ﴿أُولَئِكُ حبطت أعمالهم﴾ أي: بطلت وضلت ﴿وفي النار هم خالدون﴾

ثم ذكر من هم عمّار مساجد الله فقال: ﴿إِنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة ﴾ الواجبة والمستحبة، بالقيام بالظاهر منها والباطن.

﴿وآتي الزكاة﴾ لأهلها ﴿ولم يخش إلا الله اي: قصر خشيته على ربه، فكف عما حرم الله، ولم يقصر بحقوق الله الواجبة.

فوصفهم بالإيمان النافع، وبالقيام بالأعمال الصالحة التي أمها الصلاة والزكاة، وبخشية الله التي هي أصل كل خير، فهؤلاء عمار المساجد على الحقيقة وأهلها الذين هم أهلها.

﴿فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ و"عسى" من الله واجبة. وأما من لم يـومن بالله ولا باليوم الآخر، ولا عنده خشية لله، فهذا ليس من عمار مساجد الله، ولا من أهلها الذين هم أهلها، وإن زعم ذلك وادعاه.

﴿١٩ ـ ٢٢﴾ ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم النظالمين \* اللهيس آمسوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عندالله وأولئك هم الفائزون ١٠ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم \* خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم الختلف بعض المسلمين، أو بعض المسلمين وبعض المشركين، في تفضيل عمارة المسجد الحرام، بالبناء والصلاة والعبادة فيه وسقاية الحاج، على الإيمان بالله والجهاد في سبيله، أخبر الله تعالى بالتفاوت بينهما، فقال: ﴿ أجعلتم سقاية الحاج ﴾ أي: سقيهم الماء من زمزم كما هو المعروف إذا أطلق هذا الاسم، أنه المراد ﴿وعمارة المسجد

الحرام كسمن آسن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله .

فالجهاد والإيمان بالله أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بدرجات كثيرة، لأن الإيمان أصل الدين، وبه تقبل الأعمال وتزكو الخصال.

وأما الجهاد في سبيل الله فهو ذروة سنام الدين، الذي به يحفظ الدين الإسلامي ويتسع، وينصر الحق ويخذل الباطل.

وأما عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج، فهي وإن كانت أعمالاً صالحة، فهي متوقفة على الإيمان، وليس فيها من المصالح ما في الإيمان والجهاد، فلذلك قال: ﴿لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ أي: النين وصفهم الظلم، الذين لا يصلحون لقبول شيء من الخير، بل لا يليق بهم إلا الشر.

ثمَّ صرح بالفضل فقال: ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم بالنفقة في الجهاد وتجهيز الغزاة ﴿وانفسهم بالخروج بالنفس ﴿أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ﴾ أي: لا يفوز بالمطلوب ولا ينجو من المرهوب، إلا من اتصف بصفاتهم، وتخلق بأخلاقهم.

﴿يبشرهم ربهم جوداً منه، وكرماً وبراً بهم، واعتناء وعبة لهم، ﴿برحة منه أزال بها عنهم الشرور، وأوصل إليهم [بها] كل خير. ﴿ورضوان منه تعلى عليهم، الذي هو أكبر نعيم الجنة وأجله، فيحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبداً.

﴿وجنات لهم فيها نعيم مقيم﴾ من كل ما اشتهته الأنفس، وتلذ الأعين، عما لا يعلم وصفه ومقداره إلا الله تعالى، الذي منه أن الله أعد للمجاهدين في سبيله مئة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، ولو اجتمع الخلق في درجة

يقول للشيء كن فيكون.

﴿ ٢٣ ــ ٤٢﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباء كم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون \* قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشير تكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى

يأي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين عقول تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا له اعملوا بمقتضى الإيمان، بأن توالوا من قام به، وتعادوا من لم يقم

و ﴿لا تتخذوا آباءكم وإخواتكم﴾ الذين هم أقرب الناس إليكم، وغيرهم من باب أولى وأحرى، فلا تتخذوهم ﴿أُولِياء إِن استحبوا﴾ أي أ اختاروا على وجه الرضا والمحبة ﴿الكفر على الإيمان﴾ .

ومن يتولهم منكم فأولئك هم السظالون لا أبهم تجرووا على معاصي الله، واتخذوا أعداء الله أولياء، وأصل الولاية: المحبة والنصرة، وذلك أن اتخاذهم أولياء موجب لتقديم طاعتهم على طاعة الله، ورسوله.

ولهذا ذكر السبب الموجب لذلك، وهو أن محبة الله ورسوله، يتعين تقديمهما على محبة كل شيء، وجعل جميع الأشياء تابعة لهما، فقال: ﴿قل إن كان آباؤكم ﴿ ومثلهم الأمهات ﴿ وأبناؤكم وإخوانكم ﴾ في النسب والعشرة (١) ﴿ وأزواجكم وعشيرتكم ﴾ أي: قراباتكم عموماً ﴿ وأموال اقترفتموها ﴾ أي: اكتسبتموها وتعبتم

في تحصيلها، خصها بالذكر، لأنها أرغب عند أهلها، وصاحبها أشد حرصاً عليها ممن تأتيه الأموال من غير تعب ولا كد.

وَوَتَجَارة تَخْشُون كسادها ﴾ أي: رخصها ونقصها، وهذا شامل لجميع أنواع التجارات والمكاسب من عروض التجارات، من الأثمان، والأواني، والأسلحة، والأمتعة، والحبوب، والحروث، والأنعام، وغير ذلك.

﴿وَمساكن ترضُونها﴾ من حسنها وزخرفتها وموافقتها لأهوائكم، فإن كانت هذه الأشياء ﴿أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله﴾ فأنتم فسقة ظلمة.

﴿فتربصوا﴾ أي: انتظروا ما يحل بكم من العقاب ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ الذي لا مرد له.

والله لا يهدي القوم الفاسقين الي الخارجين عن طاعة الله ، المقدمين على عبة الله شيئاً من المذكورات .

وهذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وعلى تقديمهما على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد، على من كان شيء من هذه المذكورات أحب إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله.

وعلامة ذلك أنه إذا عرض عليه أمران، أحدهما يحبه الله ورسوله، وليس لنفسه فيه هوى، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه، ولكنه يُفَوِّتُ عليه عبوباً لله ورسوله، أو ينقصه، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه، على ما يحبه الله، دل ذلك على أنه ظالم تارك لما يجب

﴿ ٢٥ ـ ٢٧﴾ ﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين \* ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين \* ثم يتوب الله من بعد ذلك

على من يشاء والله غفور رحيم به يمتن تعالى على عباده المؤمنين، بنصره إياهم في مواطن اللقاء، ومواضع الحروب والهيجاء، حتى في يوم "حنين" الذي اشتدت عليهم فيه الأزمة، ورأوا من التخاذل والفرار، ما ضاقت عليهم به الأرض على رحبها وسعتها.

وذلك أن النبي على لما فتح مكة ، سمع أن هوازن اجتمعوا لحربه ، فسار إليهم على في أصحابه الذين فتحوا مكة ، وبمن أسلم من الطلقاء أهل مكة ، فكانوا اثني عشر ألفاً ، والمشركون أربعة آلاف، فأعجب بعض السلمين بكثرتهم ، وقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة .

فلما التقواهم وهوازن، حملوا على المسلمين حملة واحدة، فانهزموا لا يلوي أحد على أحد، ولم يبق مع رسول الله على إلا نحو مئة رجل، ثبتوا معه، وجعلوا يقاتلون المشركين، وجعل النبي على يركض بغلته نحو المشركين ويقول: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب».

ولما رأى من المسلمين ما رأى، أمر العباس بن عبد المطلب أن ينادي في الأنصار وبقية المسلمين، وكان رفيع السموت، فناداهم: يا أصحاب السمرة، يا أهل سورة البقرة.

فلما سمعوا صوته، عطفوا عطفة رجل واحد، فاجتلدوا مع المشركين، فهزم الله المشركين هزيمة شنيعة، واستولوا على معسكرهم ونسائهم وأموالهم.

وذلك قوله تعالى: ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين ﴾ وهو اسم للمكان الذي كانت فيه الوقعة بين مكة والطائف.

﴿إِذْ أُعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ﴾ أي: لم تفدكم شيئاً، قليلاً ولا كثيراً ﴿وضاقت عليكم الأرض﴾ بما أصابكم من الهم والغم حين انهزمتم ﴿يما رحبت﴾ أي: على رحبها

وسعتها، ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ أي: منهزمين.

﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والسكينة ما يجعله الله في القلوب وقت القلاقل والزلازل والمفظعات، مما يثبتها ويسكنها ويجعلها مطمئنة، وهي من نعم الله العظيمة على العباد.

﴿وأنزل جنوداً لم تروها ﴾ وهم الملائكة، أنزلهم الله معونة للمسلمين يوم حنين، يثبتونهم ويبشرونهم بالنصر.

﴿وعدَّب الذين كفروا﴾ بالهزيمة والقتل، واستيلاء المسلمين على نسائهم وأولادهم وأموالهم.

﴿وذلك جـزاء الـكسافسريسن﴾ يعذبهم الله في الدنيا، ثم يردهم في الآخرة إلى عذاب غليظ.

﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ﴾ فتاب الله على كثير ممن كانت الموقعة عليهم، وأتوا إلى النبي عليهم مسلمين تائبين، فرد عليهم نساءهم وأولادهم.

والله عفور رحيم الي : ذو مغفرة واسعة ، ورحمة عامة ، يعفو عن الذنوب العظيمة للتائبين ، ويرحمه بتوفيقهم للتوبة والطاعة ، والصفح عن جرائمهم وقبول توباتهم ، فلا يبأسن أحد من مغفرته ورحمته ، ولو فعل من الذنوب والإجرام ما فعل .

﴿٢٨﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم » يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون » بالله الذين عبدوا معه غيره ﴿نجس ﴾ أي: خبثاء في عقائدهم وأعمالهم ، وأي: نجاسة أبلغ عن كان يعبد مع الله آلهة لا تنفع ولا تضر، ولا تغني عنه شيئا؟!!

وأعمالهم ما بين محاربة لله، وصد عن سبيل الله، ونصر للباطل، ورد للحق، وعمل بالفساد في الأرض

لا في الصلاح، فعليكم أن تطهروا أشرف البيوت وأطهرها عنهم.

﴿فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ وهو سنة تسع من الهجرة، حين حج بالناس أبو بكر الصديق، وبعث النبي ﷺ ابن عمه علياً، أن يـؤذن يـوم الحـج الأكبر بـ «براءة»، فنادى أن لا يجج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عربان.

وليس المراد هنا نجاسة البدن، فإن الكافر كغيره طاهر البدن، بدليل أن الله تعالى أباح وطء الكتابية ومباشرتها، ولم يأمر بغسل ما أصاب(١)

والمسلمون ما زالوا يباشرون أبدان الكفار، ولم ينقل عنهم أنهم تقذروا منها، تَقَذَّرُهم من النجاسات، وإنما المراد كما تقدم نجاستهم المعنوية، بالشرك، فكما أن التوحيد والإيمان، طهارة، فالشرك نجاسة.

وقوله: ﴿وَإِنْ خَفْتُمَ﴾

﴿عيلة﴾ أي: فقراً وحاجة، من منع المشركين من قربان المسجد الحرام، بأن تنقطع الأسباب التي بينكم وبينهم من الأمور الدنيوية، ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله﴾ فليس الرزق مقصوراً على باب واحد، ومحل واحد، بل لا ينغلق باب إلا وفتح غيره أبواب كثيرة، فإن فضل الله واسع، وجوده عظيم، فصوصاً لمن ترك شيئاً لوجهه الكريم، فإن الله أكرم الأكرمين.

وقد أنجز الله وعده، فإن الله أغنى المسلمين من فضله، وبسط لهم من الأرزاق ما كانوا من أكبر الأغنياء والملوك.

وقوله: ﴿إِن شاء﴾ تعليق للإغناء بالمشيئة، لأن الغنى في الدنيا ليس من لوازم الإيمان، ولا يدل على محبة الله، فلهذا علقه الله بالمشيئة، فإن الله يعطي المدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان والدين إلا من

﴿إِن الله عليم حكيم ﴾ أي: علمه

وينزلها منازلها .

نزلت هذه الآية.

واسع، يعلم من يليق به الغني، ومن

﴿فلا يقربوا المسجد الحرام بعدّ عامهم

هذا ﴾ أن المشركين بعدما كانوا هم

الملوك والرؤساء بالبيت، ثم صار بعد

الفتح الحكم لرسول الله والمؤمنين، مع

إقامتهم في البيت، ومكة المكرمة، ثم

ولما مات النبي ﷺ أمر أن يجلوا من

الحجاز، فلا يبقى فيها دينان، وكل

هذا لأجل بُعْدِ كل كافر عن المسجد

الحرام، فيدخل في قوله ﴿فلا يقربوا

۲۹۶ ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون

بمالله ولا بماليوم الآخسر ولا يحسرمسون

ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين

الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى

يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون،

هذه الآية أمر بقتال الكفار من اليهود

والنصاري من ﴿الذين لا يؤمنون بالله

ولا باليوم الآخر﴾ إيماناً صحيحاً

يصدقونه بأفعالهم وأعمالهم.

ولا يحرمون ما حرّم الله، فلا يتبعون

شرعيه في تحريدم المحرميات،

﴿ ولا يسديستسون ديسن الحسق ﴾ أي:

لا يدينون بالدين الصحيح، وإن

زعموا أنهم على دين، فإنه دين غير

الحق، لأنه ما بين دين مبدل، وهو

الذي لم يشرعه الله أصلاً، وإما دين

منسوخ قد شرعه الله، ثم غيره بشريعة

محمد على ، فيبقى التمسك به بعد

فأمره بقتال هؤلاء وحث على ذلك،

لأنهم يدعون إلى ما هم عليه، ويحصل

الضرر الكثير منهم للناس، بسبب أنهم

وغبي ذلك القتال وحتى يُعطوا

الجزية ﴾ أي: المال الذي يكون جزاء

لترك المسلمين قتالهم، وإقامتهم آمنين

على أنفسهم وأموالهم بين أظهر

السلمين، يؤخذ منهم كل عام، كلّ

النسخ غير جائز .

آهل کتاب.

المسجد الحرام بعد عامهم هذام

لا يلَّيق، ويضع الأشياء مواضعها وتدل الآية الكريمة، وهي قوله: المؤمنين.

اقتدارهم، ويعطونها بأيديهم، لا تقبل إلا من أيديهم، ﴿وهم صاغرون﴾ .

فإذا كانوا بهذه الحال، وسألوا المسلمين أن يقروهم بالجزية، وهم تحت أحكام المسلمين وقهرهم، وحال الأمن من شرهم وفتنتهم، واستسلموا للشروط التي أجراها عليهم المسلمون ما ينفى عزهم وتكبرهم، وتوجب ذلهم وصغارهم، وجب على الإمام أو نائبه أن يعقدها لهم.

واستدل بهذه الآية الجمهور الذين يقولون: لا تؤخذ الجزية إلا من أهل الكتاب، لأن الله لم يذكر أخذ الجزية

وأما غيرهم فلم يذكر إلا قتالهم حتى يسلموا، وألحق بأهل الكتاب في أخمذ الجريمة وإقرارهم في ديمار المسلمين، المجوس، فإن النبي على أخذ الجزية من مجوس هجر، ثم أخذها أمير المؤمنين عمر من الفرس المجوس. وقيل: إن الجزية تؤخذ من سائر الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، لأن هذه الآية نزلت بعد الفراغ من قتال العرب المشركين، والشروع في قتال أهل الكتاب ونحوهم، فيكون هذا القيد إخباراً بالواقع، لا مفهوم له.

ويدل على هذا أن المجوس أخذت منهم الجزية وليسوا أهل كتاب، ولأنه قد تواتر عن المسلمين من الصحابة ومن بعدهم أنهم يدعون من يقاتلونهم إلى إحمدى تبلاث: إما الإسلام، أو أداء الجزية، أو السيف، من غير فرق بين

في ب: أنه لمّا تسلط الملوك.

على حسب حاله، من غني وفقير ومتوسط، كما فعل ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وغيره من أمراء

وقوله: ﴿عن يد﴾ أي: حتى يبذلوها(١) في حال ذلهم، وعدم فلا يرسلون بها خادماً ولا غيره، بل

وإلا بأن لم يفوا، ولم يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، لم يجز إقرارهم بالجزية، بل يقاتلون حتى يسلموا.

إلا منهم.

يَكَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَيْهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنْفِقِينَ وَأَغْلُظُ عَلَيْهِمْ وَمَأُونَاهُمْ جَهَا لِمُرْتُونِفُسُ لَلْصِيرُ ۞ يَخِلِفُونَ بِالْقُومَاقَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِوَكَ فَرُواْ بَعْدَ إِسْلَيْوِمْ وَهِكُوا بِمَا لَرَيْكَ الْوَأْ وَكَافَقَكُواْ إِلَّا أَنْ أَغَنَا بُهُ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضَيادُ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَمُدَّوَّان يَتَوَلُواْ يُعَاذِّبْهُمُ ٱللّهُ عَكَذَابًا أَلِيسِمًا فِي ٱلدُّنْيِكَ وَٱلْآيَخِ مَرَةً وَمَا لَمُنَّذِ فِي ٱلْأَرْضِ ين وَلِيَ وَلَانَصِيرِ۞ • وَمِنْهُ رَمِّنْ عَكَهَدَ ٱلْفَهَ لَهِنْ ءَاتَنَتَ مِن فَشْيِلُوء لَنَصَّدَّفَ وَلَنكُونَ مِنَ الصَّلِلِحِينَ 🐡 فَلَمَّا آءَاتَ اللهُ مِين فَضَيلِهِ ، يَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَهُم مُعْرِضُونَ ۞ فَأَعْفَبَهُمْ فِكَ أَوْ فُلُوبِهِمْ إِلَى يُوْمِ يَلْقَوْنِهُ مِيَّا أَخْلَفُواْ الله مَاوَعَدُوهُ وَيِمَاكَ اللهُ الْبَكْيْرُونَ ﴿ الْزَيْعَ لَكُواْ أَنَ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مِسْرَهُمْ وَنَجُونَهُمْ وَأَنَ ٱللَّهُ عَلَيْمُ الْغُيُوبِ ۞ ٱلَّذِيكَ يَلْمِزُونَ ٱلْطُوِّيمِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِٱلصَّيَدَ قَلْتِ وَٱلَّذِينَ لَايَجِدُونَ إِلَّاجُهَّدَهُمْ

كِتَابِي وغيره . ﴿٣٠ \_ ٣٣﴾ ﴿وقالت اليهود عزير

ولَا فَيَسَحَدُونَ مِنْهُوْسَحِكُولَةُ مِنْهُوْ مَكَالَةُ مِنْهُو فَكَوْعَمَلُكُ إِلَيْمُ

TOWNSON WEDDING

ابن الله وقالت النصاري المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون \* اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلاّ ليعبدوا إلهاً وآحداً لا إله إلاّ هو سبحانه عما يشركون \* يريدون أن يطفؤوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلآ أن يتم نوره ولو كره الكافرون \* هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، لما أمر تعالى بقتال أهل الكتاب، ذكر من أقوالهم الخبيثة، ما يهيج المؤمنين الذين يغارون لربهم ولدينه على قتالهم، والاجتهاد وبذل الوسع فيه فقال: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله ﴾ وهذه المقالة وإن لم تكن مقالة لعامتهم فقد قالها فرقة منهم، فيدل ذلك على أن في اليهود من الخبث والشر ما أوصلهم إلى أن قالوا هذه المقالة التي تجرؤوا فيها على الله، وتنقصوا عظمته وجلاله.

وقد قيل: إن سبب ادعائهم في «عزير» أنه ابن الله، أنه لما سلَّط الله الملوك(٢) على بني إسرائيل، ومزقوهم كل بمزق، وقتلواً حَمَلَةَ التوراة، وجدوا

كذا في ب، وفي أ: يبذلونها.

آستَفْفِرَ لَمُدُ أَوْلَاتَسْتَغْفِرْ لَمَكُرُ إِن تَسْتَغْفِرْ لَمُكُرِّسَيْعِينَ مَرَّةَ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ فَكُمُّ ذَٰلِكَ بِأَنْهُرْكَ غَرُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْرَ الْفَنْسِقِينَ ۞ فُرْعَ ٱلْتُخَلُّونَ يَقْعَدِهِ خِلَفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوٓ الْنِيجَهِ وُوا بِأَمْرَ لِحِيْرٍ وَأَنفُسِهِ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُواْ لَانْمَغِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُجَهَ مِّرَ أَشَدُّ حَرًّا \* لَّوْكَافُواْ يَفْغَهُونَ ۞ فَلْيَضْ كَكُواْ قَلِيلًا وَلَيْنَكُواْ حَيْمِكُا جَزَّلَهُ إِمَا كَافُواْ يَكْمِبُونَ ۞ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَآمِفَةِ مِنْهُمْ فَأَسْتَغَذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلُ لَى تَغَدُجُواْمَعِي أَبَدُاوَلَنَ

تُقَائِلُواْمَعِي عَدُوًّا إِنَّكُرُ رَضِيتُ مِ إِلْقَعُودِ أَوْلَ مَرِّةٍ فَاقَعْبُ وَأ

مَعَ ٱلْغَلِفِينَ ﴿ وَلَا تُصَيِلَ عَلَىٓ أَحَدِ مِنْهُ مَاتَ أَبَدَ وَلَا تُعَمَّرُ

عَلَ فَبْرِقَةً إِنَّهُ مُرَّكَفَ رُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا ثُواْ وَهُرْ فَلْمِي فُونَ

@ وَلَا تُعَجِبُكَ أَمْوَالُمُ وَأُولَادُمُ مَا إِنَّا أَرْبِيدُ أَهَدُ أَن يُكَ ذِبَهُم

بِهَا فِي ٱلدُّنْكَ اوَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُرَ كَافِرُونَ ۞ وَإِذَا

أُيْلَتْ سُورَةً أَنْ عَلِمِنُوا بِاللَّهِ وَيَحَلِهِ دُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعَذَنَكَ

إِلَّهُ الْفَلُوا الطَّوْلِرِينْهُمْ وَقَدَالُواْ نَدْنَا نَكُنْ مِّعَ الْفَنْهِدِينَ ۞

عزيراً بعد ذلك حافظاً لها أو لأكثرها، فأملاها عليهم من حفظه، واستنسخوها، فادعوا فيه هذه الدعوى الشنبعة .

﴿وقالت النصاري المسيح﴾ عيسي ابن مريم ﴿ ابن الله ك قال الله تعالى ﴿ذَلُكُ ﴾ القول الذي قالوه ﴿قولهم بأفواههم لم يقيموا عليه حجة ولا برهاناً.

ومن كان لا يبالي بما يقول، لا يستغرب عليه أي: قول يقوله، فإنه لا دين ولا عقل يحجزه عما يريد من الكلام.

ولهذا قال: ﴿يضاهمون اي: يشابهون في قولهم هذا ﴿قُولُ الذِّينَ كفروا من قبل اي: قول المشركين الذين يقولون: «الملائكة بنات الله» تشابهت قلوبهم، فتشابهت أقوالهم في البطلان.

﴿قاتلهم الله أنَّى يؤفكون ﴾ أي: كيف يصرفون عن الحق الصرف الواضح المبين، إلى القول الباطل المبين.

وهذا \_وإن كان يستغرب على أمة كبيرة كثيرة أن تتفق على قول \_يدل على بطلانه أدنى تفكر وتسليط للعقل عليه، فإن لذلك سبباً وهو أنهم: ﴿اتخذوا أحبارهم﴾ وهم علماؤهم ﴿ورهبانهم﴾ أي: العُبَّاد المتجردين

حرم الله فيحلونه، ويحرمون لهم ما أحل الله فيحرمونه، ويشرعون لهم من الشرائع والأقوال المنافية لدين الرسل فيتبعونهم عليها.

وكانوا أيضاً يغلون في مشايخهم وعبادهم ويعظمونهم، ويتخذون قبورهم أوثاناً تعبد من دون الله، وتقصد بالذبائح والدعاء والاستغاثة. ﴿والمسيح ابن مريم﴾ اتخذوه إلهاً من دون الله، والحال أنهم خالفوا في ذلك أمر الله لهم على ألسنة رسله فما ﴿أُمرُوا إِلَّا لِيعبِدُوا إِلٰهَا وَاحِداً لَا إِلَّهُ إِلَّا هو﴾ فيخلصون له العبادة والطاعة،

﴿سبحانه ﴾ وتعالى ﴿عما والأبدان والدنيا والآخرة. يشركون﴾ أي: تنزه وتقدس، وتعالت عظمته عن شركهم وافتراثهم، فإنهم ينتقصونه في ذلك، ويصفونه بما لا يليق بجلاله، والله تعالى العالي في أوصافه وأفعاله عن كل ما نسب إليه، عا ينافى كماله المقدس.

سلطانأ

فلما تبين أنه لا حجة لهم على ما قالوه، ولا برهان لما أصَّلوه، وإنما هو بجرد قول قالوه وافتراء افتروه، أخبر أنهم ﴿يريدون﴾ بهذا ﴿أن يطفئوا نور الله بأفواههم ﴾ .

ونور الله: دينه الذي أرسل به الرسل، وأنزل به الكتب، وسماه الله نوراً، لأنه يستنار به في ظلمات الجهل والأديان الباطلة، فإنه علم بالحق، وعمل بالحق، وما عداه فإنه بضده، فهؤلاء اليهود والنصاري ومن ضاهوه من المشركين، يريدون أن يطفؤوا نور الله بمجرد أقوالهم، التي ليس عليها دليل أصلاً.

﴿ وَيِأْمِيٰ اللهِ إِلاَّ أَنْ يَتُم نُورِه ﴾ لأنه النور الباهر، الذي لا يمكن لجميع الخلق لو اجتمعوا على إطفائه أن يطفئوه، والذي أنزله جميع نواصي العباد بيده، وقد تكفل بحفظه من كلُّ من يريده بسوء، ولهذا قال: ﴿ويأبىٰ الله إلا أن يتم نوره ولو كره ﴿أَرْبَابًا مِن دُونَ اللهُ عِجُلُونَ لَهُم مَا الكَافِرُونَ ﴾ وسعوا ما أمكنهم في رده

وإبطاله، فإن سعيهم لا يضر الحق شيئاً.

ثم بين تعالى هذا النور الذي قد تكفل بإتمامه وحفظه فقال: ﴿هُو الذي أرسل رسوله بالهدي، الذي هو العلم النافع ﴿ودينِ الحق﴾ الذي هو العمل الصالح فكان ما بعث الله به عمداً على مشتملاً على بيان الحق من الباطل في أسماء الله وأوصافه وأفعاله، وفي أحكامه وأخباره، والأمر بكل مصلحة نافعة للقلوب، والأرواح والأبدان من إخلاص الدين لله وحده، ومحبة الله وعبادته، والأمر بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، والأعمال الصالحة ويخصونه بالمحبة والدعاء، فنبذوا والآداب النافعة، والنهى عن كل ما أمر الله وأشركوا به مالم ينزل به يضاد ذلك ويناقضه من الأخلاق والأعمال السيئة المضرة للقلوب

فأرسله الله بالهدى ودين الحق ﴿ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) أي: ليعليه على سائر الأديان بالحجة والبرهان، والسيف والسنان، وإن كره المشركون ذلك، وبغواله الغوائل، ومكروا مكرهم، فإن المكر السيّع، لا يضر إلا صاحبه،

فوعد الله لا بدأن ينجزه، وما ضمنه لا بدأن يقوم به.

﴿٣٤ ـ ٣٥﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم \* يوم بحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذاما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون، هذا نحذير من الله تعالى لعباده المؤمنين عن كثير من الأحبار والرهبان، أي: العلماء والعباد الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، أي: بغير حق، ويصدون عن سبيل الله، فإنهم إذا كانت لهم رواتب من أموال الناس، أو بذل الناس لهم من أموالهم، فإنه لأجل علمهم وعبادتهم، ولأجل هداهم وهدايتهم، وهؤلاء يأخذونها

ويصدون الناس عن سبيل الله، فيكون أخذهم لها على هذا الوجه سحتاً وظلماً، فإن الناس ما بذلوا لهم من أموالهم إلا ليدلوهم إلى الطريق المستقيم.

ومن أخذهم لأموال الناس بغير حق، أن يعطوهم ليفتوهم أو يحكموا لهم بغير ما أنزل الله، فهؤلاء الأحبار والرهبان، ليحذر منهم هاتان الحالتان: أخذهم لأموال الناس بغير حق، وصدهم الناس عن سبيل الله.

﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ﴾ أي: يمسكونهما ﴿ولا ينفقونها في سبيل الله أي: طرق الخير الموصلة إلى الله، وهذا هو الكنز المحرم، أن يمسكها عن النفقة الواجبة، كأن يمنع منها الزكاة أو النفقات الواجبة للزوجات أو الأقارب، أو النفقة في سبيل الله إذا وجبت.

﴿فبشرهم بعذاب أليم ﴾ ثم فسره بقوله: ﴿يوم يحمى عليها ﴾ أي: على أموالهم، ﴿في نار جهنم ﴾ فيحمى كل دينار أو درهم على حدته.

﴿فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم في يوم القيامة كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خسين ألف سنة، ويقال لهم توبيخاً ولوماً: ﴿هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون وعا فلمكم ولكنكم ظلمتم أنفسكم وعذبتموها بهذا الكنز.

وذكر الله في هاتين الآيتين انحراف الإنسان في ماله، وذلك بأحد أمرين:

إما أن ينفقه في الباطل الذي لا يبدي عليه نفعاً، بل لا يناله منه إلا المصرر المحض، وذلك كإخراج الأموال في المعاصي والشهوات التي لا تعين على طاعة الله، وإخراجها للصد عن سبيل الله.

وإما أن يمسك ماله عن إخراجه في

الواجبات و «النهي عن الشيء، أمر مضده».

﴿٣٣﴾ وقوله: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة المتقين﴾ يقول تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله أي: في قضائه وقدره ﴿إثنا عشر شهراً﴾ وهي هذه الشهور المعروفة عشر شهراً﴾ وهي هذه الشهور المعروفة والأرض﴾ وأجرى ليلها ونهارها، وقدراً أوقاتها فقسمها على هذه الشهور وشهراً.

﴿منها أربعة حرم﴾: وهي: رجب الفرد، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وسميت حرماً لزيادة حرمتها، وتحريم القتال فيها.

﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾ يحتمل أن الضمير يعود إلى الاثني عشر شهراً، وأن الله تعلل بين أنه جعلها مقادير للعباد، وأن تعمر بطاعته، ويشكر الله تعالى على مِنْتِه بها، وتقييضها لمصالح العباد، فلتحذروا من ظلم أنفسكم فيها.

ويحتمل أن الضمير يعود إلى الأربعة الحرم، وأن هذا نهي لهم عن الظلم فيها، خصوصاً مع النهي عن الظلم كل وقت، لزيادة تحريمها، وكون الظلم فيها أشد منه في غيرها.

ومن ذلك النهي عن القتال فيها، على قول من قال: إن القتال في الأشهر الحرام (۱) لم ينسخ تحريمه عملاً بالنصوص العامة في تحريم القتال فها.

ومنهم من قال: إن تحريم القتال

فيها منسوخ، أخذاً بعموم نحو قوله تعالى ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾أي: قاتلوا جميع أنواع المشركين والكافريس برب العالمين.

ولا تخصوا أحداً منهم بالقتال دون أحد، بل اجعلوهم كلهم لكم أعداء كما كانوا هم معكم كذلك، قد اتخذوا أهل الإيمان أعداء لهم، لا يألونهم من الشر شيئاً.

ويحتمل أن ﴿كافة﴾ حال من الواو فيكون معنى هذا: وقاتلوا جميعكم المشركين، فيكون فيها وجوب النفير على جميع المؤمنين.

وقد نسخت على هذا الاحتمال بقوله: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ الآية . ﴿واعلموا أن الله مع المتقين بعونه ونصره وتأييده ، فلتحرصوا على استعمال تقوى الله في سركم وعلنكم ، والقيام بطاعته ، خصوصاً عند قتال الكفار ، فإنه في بالتقوى في معاملة الكفار الأعداء المحاربين .

و٣٧﴾ ﴿إنما النسي، زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً وعلم ويجرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله في حصالهم والله لا يهدي القوم الكافرين النسيء: هو ما كان أهل الجاهلية يستعملونه في الأشهر الحرم، وكان من جملة بدعهم الباطلة، أنهم لما وأوا احتياجهم للقتال في بعض أوقات الفاسدة \_أن يحافظوا على عدة الأشهر الحرم، التي حرم الله القتال فيها، وأن يؤخروا بعض الأشهر الحرم، أو يجعلوا مكانه من أشهر الحل ما أرادوا، فإذا جعلوه مكانه أحلوا ما أرادوا، فإذا جعلوه مكانه أحلوا

القتال فيه، وجعلوا الشهر الحلال حراماً، فهذا \_كما أخبر الله عنهم \_ أنه زيادة في كفرهم وضلالهم، لما فيه من المحاذير.

منها: أنهم ابتدعوه من تلقاء أنفسهم، وجعلوه بمنزلة شرع الله ودينه، والله ورسوله بريئان منه.

ومنها: أنهم قلبوا الدين، فجعلوا الحلال حراماً، والحرام حلالاً.

ومنها: أنهم مَوَّهوا على الله بزعمهم وعلى عباده، ولبسوا عليهم دينهم، واستعملوا الخداع والحيلة في دين الله.

ومنها: أن العوائد المخالفة للشرع مع الاستمرار عليها، يزول قبحها عن النفوس، وربما ظن أنها عوائد حسنة، فحصل من الغلط والضلال ما حصل، ولهذا قال: ﴿يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطؤا عدة ما حرَّم الله ﴾ أي: ليوافقوها في العدد، فيحلوا ما حرَّم الله .

﴿ زين لهم سوء أعمالهم ﴾ أي: زينت لهم الشياطين الأعمال السيئة، فرأوها حسنة، بسبب العقيدة المزينة في قلوبهم.

﴿والله لا يهدي القوم الكافرين ﴿ أي: الذين انصبغ الكفر والتكذيب في قلوبهم، فلو جاءتهم كل آية لم يؤمنوا.

(٣٩ ـ ٣٩) قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير ﴾ اعلم أن كثيراً من هذه السورة الكريمة نزلت في غزوة تبوك، إذ ندب النبي على المسلمين إلى غزو الروم، وكان الوقت حاراً، والزاد

قليلاً، والمعيشة عسرة، فحصل من بعض المسلمين من التثاقل ما أوجب أن يعاتبهم الله تعالى عليه ويستنهضهم، فقال تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا ﴾ ألا تعملون بمقتضى الإيمان، وداعي (١) اليقين من المبادرة لأمر الله، والمسارعة إلى رضاه، وجهاد أعدائه والنصرة لدينكم، ف ﴿ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله المأرض ﴾ أي: تكاسلتم، وملتم إلى الأرض والدعة والسكون فيها.

﴿ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ﴾ أي: ما حالكم إلا حال من رضي بالدنيا وسعى لها ولم يبال بالآخرة ، فكأنه ما آمن مها .

﴿ فَمَا مَتَاعِ الحَيَاةُ الدَّنِيا﴾ التي مالت بكم، وقدمتموها على الآخرة ﴿ إلا قليل ﴾ أفليس قد جعل الله لكم عقولاً تَسْرِئُون بها الأمور، وأيها أحق بالإيثار؟.

أفليست الدنيا - من أولها إلى آخرها - لا نسبة لها في الآخرة. فما مقدار عمر الإنسان القصير جداً من الدنيا حتى يجعله الغاية التي لا غاية وراءها، فيجعل سعيه وكده وهمه وارادته لا يتعدى حياته الدنيا القصيرة المملوءة بالأكدار، المشحونة بالأخطار.

فبأي: رَأْي رأيتم إيثارها على الدار الآخرة الجامعة لكل نعيم، التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وأنتم فيها خالدون، فوالله ما آثر الدنيا على الآخرة من وقر الإيمان في قلبه، ولا من عُدَّ من أولي الألباب، ثم توعدهم على عدم الغير فقال:

و إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة، فإن عدم النفير في حال الاستنفار من كبائر الذنوب الموجبة لأشد العقاب، لما فيها من المضار الشديدة، فإن المتخلف قد

عصى الله تعالى وارتكب لنهيه، ولم يساعد على نصر دين الله، ولا ذب عن كتاب الله وشرعه، ولا أعان إخوانه المسلمين على عدوهم الذي يريد أن يستأصلهم ويمحق دينهم، وربما اقتدى به غيره من ضعفاء الإيمان، بل ربما فَتَ في أعضاد من قاموا بجهاد أعداء الله، فحقيق بمن هذا حاله أن يتوعده الله بالوعيد الشديد، فقال:

﴿ إِلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ﴾ ثم لا يكونوا أمثالكم ﴿ ولا تضروه شيئاً ﴾ فإنه تعالى متكفل بنصر دينه وإعلاء كلمته، فسواء امتثلتم لأمر الله، أو ألقيتموه وراءكم ظهرياً.

﴿وَاللهُ عَلَى كَلَ شَيِءَ قَلَدِيرٍ ﴾ لا يعجزه شيء أراده، ولا يغالبه أحد.

﴿ ٤ ﴾ ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بعنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلي وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم ﴾ أي: إلا تنصروا رسوله محمداً على فأنه غني عنكم، لا تضرونه شيئاً، فقد نصره في أقل ما يكون وأذله ﴿ إذ أخرجه الذين كفروا ﴾ من مكة لما هموا بقتله، وسعوا في فألجؤوه إلى أن يخرج.

وثاني اثنين أي: هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه وإذ هما في الغار أي: لما هربا من مكة، لجآ إلى غار ثور (٢) في أسفل مكة، فمكثا فيه ليرد عنهما الطلب.

فهما في تلك الحالة الحرجة الشديدة المشقة، حين انتشر الأعداء من كل جانب يطلبونهما ليقتلوهما، فأنزل الله عليهما من نصره ما لا يخطر على البال. ﴿ إِذْ يقولِ ﴾ النبي ﷺ ﴿ لصاحبه ﴾

أبى بكر لما حزن واشتد قلقه،

<sup>(</sup>١) في ب، ودواعي.

<sup>(</sup>٢) في أ: (إلى غار حراء)، وفي ب: عدلت إلى: (غار ثور) وهو الصحيح فيبدو ـ والله أعلم ـ أنه سبق قلم.

﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ بعونه ونصره وتأييده.

﴿فَأَنْزَلُ اللهِ سَكَيْنَتُهُ عَلَيْهُ أَي: الثبات والطمأنينة والسكون المثبتة للفؤاد، ولهذا لما قلق صاحبه سكنه وقال: ﴿لا تَحزن إن الله معنا﴾.

﴿وأيده بجنود لم تروها ﴿ وهي الملائكة الكرام ، الذين جعلهم الله حرساً له ، ﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفل ﴾ أي: الساقطة المخذولة ، فإن الذين كفروا قد كانوا على حرد قادرين ، في ظنهم على قتل الرسول ﷺ وأخذه ، حنقين عليه ، فعملوا غاية مجهودهم في ذلك ، فخذلهم الله ولم يتم لهم مقصودهم ، بل ولا أدركوا شيئاً منه .

ونصر الله رسوله بدفعه عنه، وهذا هو النصر المذكور في هذا الموضع، فإن النصر على قسمين: نصر المسلمين إذا طمعوا في عدوهم بأن يتم الله لهم ما طلبوا وقصدوا، ويستولوا على عدوهم ويظهروا عليهم.

والثاني نصر المستضعف الذي طمع فيه عدوه القادر، فنصر الله إياه أن يرد عنه عدوه، ويدافع عنه، ولعل هذا النصر أنفع النصرين، ونصر الله رسوله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين من هذا النوع.

وقوله: ﴿وكلمة الله هي العليا﴾ أي: كلماته القدرية وكلماته الدينية، هي العالية على كلمة غيره، التي من جملتها قوله: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾ فدين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان، بالحجج الواضحة، والآيات الباهرة والسلطان الناصر.

﴿والله عزيز﴾ لا يغالبه مغالب، ولا يفوته هارب، ﴿حكيم﴾ يضع الأشياء مواضعها، ويؤخر نصر حزبه إلى وقت آخر اقتضته الحكمة الإلهية.

وفي هذه الآية الكريمة فضيلة أي بكر الصديق بخصيصة لم تكن لغيره من هذه الأمة، وهي الفوز جذه المنقبة

الجليلة، والصحبة الجميلة، وقد أجم السلمون على أنه هو المراد بهذه الآية الكريمة، ولهذا عدوا من أنكر صحبة أبي بكر للنبي كافراً، لأنه منكر للقرآن الذي صرح بها.

وفيها فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش بها الأفئدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته.

وفيها: أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين، مع أن الأولى \_ إذا نزل بالعبد \_ أن يسعى في ذهابه عنه، فإنه مضعف للقلب، موهن للعزيمة.

﴿ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾ آي: ابذلوا جهدكم في ذلك، واستفرغوا وسعكم في المال والنفس، وفي هذا دليل على أنه \_ كما يجب الجهاد في المال، حيث اقتضت الحاجة ودعت لذلك.

ثم قال: ﴿ ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ أي: الجهاد في النفس والمال ، خير لكم من التقاعد عن ذلك، لأن فيه رضا الله تعالى، والفوز بالدرجات العاليات عنده، والنصر للين الله، والدخول في جملة جنده

لو كان خروجهم لطلب العرض القريب، أي: منفعة دنيوية سهلة

التناول ﴿و﴾ كان السفر ﴿سفراً قاصداً﴾ أي: قريباً سهلاً ﴿لاتبعوك﴾ لعدم المشقة الكثيرة، ﴿ولكن بعدت عليهم السفة، وصعب عليهم السفر، فلذلك تثاقلوا عنك، وليس هذا من أمارات العبودية، بل العبد حقيقة هو المتعبد لربه في كل حال، القائم بالعبادة السهلة والشاقة، فهذا العبد لله على كل

﴿وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم﴾أي: سيحلفون أن تخلفهم عن الخروج، أن لهم أعذراً، وأنهم لا يستطيعون ذلك.

﴿يهلكون أنفسهم » بالقعود والكذب والإخبار بغير الواقع، ﴿والله يعلم إنهم لكاذبون » .

وهذا العتاب إنما هو للمنافقين، الذين تخلفوا عن النبي على في «غزوة تبوك» وأبدوا من الأعذار الكاذبة ما أبدوا، فعفا النبي على عنهم بمجرد اعتذارهم، من غير أن يمتحنهم، فيتبين له الصادق من الكاذب، ولهذا عاتبه الله على هذه المسارعة إلى عذرهم فقال:

(27 - 63) (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين \* لا يستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين \* إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يسترددون يسقول تعالى لرسوله على (عفر لك ما أجريت.

﴿ لَمْ أَذَنت لَهِم ﴾ في التخلف ﴿ حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴾ بأن تمتحنهم، ليتبين لك الصادق من الكاذب، فتعذر من يستحق ذلك.

ثم أخبر أن المؤمنين بالله واليوم الآخر، لا يستأذنون في ترك الجهاد بأموالهم وأنفسهم، لأن ما معهم من الرغبة في الخير والإيمان، يحملهم على الجهاد من غير أن يحثهم عليه حاث،

فضلاً عن كونهم يستأذنون في تركه من غير عذر .

﴿والله عليم بالمتقين ﴾ فيجازيهم على ما قاموا به من تقواه، ومن علمه بالمتقين، أنه أخبر، أن من علاماتهم أنهم لا يستأذنون في ترك الجهاد.

﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذَنُكُ الذِينُ لا يؤمنونُ بِاللهُ واليوم الآخر وارتابت قلوبهم ﴾ أي: ليس لهم إيمان تام، ولا يقين صادق، فلذلك قلت رغبتهم في الخير، وجبنوا عن القتال، واحتاجوا أن يستأذنوا في ترك القتال. ﴿فهم في ربيهم يترددون ﴾ أي: لا يزالون في الشك والحيرة.

﴿٤٦ ـ ٤٨ ﴾ ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ﴿ لُو خرجوا فيكم ما زآدوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين \* لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون﴾ يقول تعالى مبيناً أن المتخلفين من المنافقين قد ظهر منهم من القرائن ما يبين أنهم ما قصدوا الخروج للجهاد بالكلية، وأن أعذارهم التي اعتذروها باطلة، فإن العذر هو المانع الذي يمنع إذا بذل العبد وسعه، وسعى في أسباب الخروج، ثم منعه مانع شرعي، فهذا الذي يعذر.

و الله المؤلاء المتافقون ف الموادور الخروج لأعدوا له عدة الله أي : لاستعدوا وعملوا ما يمكنهم من الأسباب، ولكن لما لم يعدوا له عدة، علم أنهم ما أرادوا الخروج.

ولكن كره الله انبعاثهم معكم في الخروج للغزو ﴿فَتْبِطهم فَدَا وَقَضَاء، وإن كان قد أمرهم وحثهم على الخروج، وجعلهم مقتدرين عليه، ولكن بحكمته ما أراد إعانتهم، بل خذلهم وثبطهم ﴿وقيل اقعدوا مع النساء والمعذورين.

ثم ذكر الحكمة في ذلك فقال: ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا﴾ أى: نقصاً.

﴿ولأوضعوا خلالكم اي: ولسعوا في الفتنة والشربينكم، وفرقوا جماعتكم المجتمعين، ﴿يبغونكم الفتنة ﴾ أي: هم حريصون على فتنتكم وإلقاء العداوة بينكم.

﴿وفيكم﴾ أناس ضعفاء العقول ﴿سماعون لهم﴾ أي: مستجيبون لدعوتهم يغترون بهم، فإذا كانوا هم حريصين على خذلانكم، وإلقاء الشر بينكم، وتثبيطكم عن أعدائكم، وفيكم من يقبل منهم ويستنصحهم. مع المؤمنين، والنقص الكثير منهم، فلله أتم الحكمة حيث ثبطهم ومنعهم من الخروج مع عباده المؤمنين رحمة بهم، ولطفا من أن يداخلهم ما يضوهم بل يضوهم.

﴿والله عليم بالظالمين ﴾ فيعلم عباده كيف يحذرونهم ، ويبين لهم من المفاسد الناشئة من خالطتهم .

ثم ذكر أنه قد سبق لهم سوابق في ا الشر فقال:

ولقد ابتغوا الفتنة من قبل أي: حين هاجرتم إلى المدينة، بذلوا الجهد، وقسلبوا لك الأصور أي: أداروا الخيار، وأعملوا الحيل في إبطال دعوتكم وخذلان دينكم، ولم يقصروا في ذلك، وحتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون فبطل كيدهم واضمحل باطلهم، فحقيق بمثل هؤلاء أن يحذر الله عباده المؤمنين منهم، وأن لا يبالي المؤمنون بتخلفهم عنهم،

نقال : ﴿ لُو وَالنَّفَاقَ بِأَنْ مَقْصُودُي مَقْصُودُ حَسَنَ ، لا خبالا ﴾ فإن في خروجي فتنة وتعرضاً للشر، وفي عدم خروجي عافية وكفاً عن

قال الله تعالى مبيناً كذب هذا القول: ﴿ الله في الفتنة سقطوا ﴾ فإنه على تقدير صدق هذا القائل في قصده ، [فإن] في التخلف مفسدة كبرى وفتنة عظمى محققة ، وهي معصية الله ومعصية رسوله ، والتجرىء على الإثم فمفسدة قليلة بالنسبة للتخلف ، وهي مقومة ، مع أن هذا القائل قصده متوهمة ، مع أن هذا القائل قصده الله يقوله : ﴿ وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ ليس لهم عنها مفر ولا مناص ، ولا فكاك ولا خلاص .

﴿ ٥ \_ ٥ ﴾ ﴿إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون \* قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ يقول تعلى مبينا أن النافقين هم الأعداء حقاً، المبغضون للدين صرفاً: ﴿إن تصبك حسنة ﴾ كنصر وإدالة على العدو ﴿تسؤهم ﴾ أي: تحزنهم وتغمهم .

وإن تصبك مصيبة > كإدالة العدو عليك (يقولوا) متبجحين بسلامتهم من الحضور معك.

﴿قد أخذنا أمرنا من قبل ﴾ أي: قد حذرنا وعملنا بما ينجينا من الوقوع في مثل هذه المصيبة.

﴿ويتولوا وهم فرحون ﴾ فيفرحون بمصيبتك، وبعدم مشاركتهم إياك فيها. قال تعالى راداً عليهم في ذلك ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ أي: قدره وأجراه في اللوح المحفوظ.

﴿هو مولانا﴾ أي: متولي أمورنا الدينية والدنيوية، فعلينا الرضا بأقداره وليس في أيدينا من الأمر شيء.

﴿وعلى الله وحده ﴿فَليتوكل المؤمنون ﴾ أي: يعتمدوا عليه في جلب مصالحهم ودفع المضار عنهم، ويثقوا به في تحصيل مطلوبهم، فلا خاب من توكل عليه، وأما من توكل على غيره، فإنه مخذول غير مدرك لما أمل.

﴿٢٥﴾ ﴿قل هل تربصون بنا إلاَّ

إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنّا معكم متربصون﴾ أي: قل للمنافقين الذين يتربصون بكم الدوائر: أي: شيء تربصون بنا؟ فإنكم لا تربصون بنا إلا أمراً فيه غاية نفعنا، وهو إحدى الحسنيين، إما الظفر بالأعداء والنصر عليهم ونيل الثواب الأخروي والدنيوي. وإما الشهادة التي هي من أعلى درجات الخلق، وأرفع المنآزل عند الله.

وأما تربصنا بكم \_يا معشر النافقين \_ فنحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده، لا سبب لنا فيه، أو بأيدينا بأن يسلطنا عليكم فنقتلكم. ﴿فتربصوا﴾ بنا الخير ﴿إِنَّا مَعْكُمُ مُتَرَبِّصُونَ﴾ بكم الشر .

﴿٥٣ ــ ٤٥٤ ﴿قُلُ أَنفُقُوا طُوعاً أَو كرهاً لن يتقبل منكم إنّكم كنتم قوماً فاسقين \* وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلآ أنهم كفروا بالله وبرسوله ولأ يأتون الصلاة إلا وهم كسالي ولا ينفقون إلا وهم كارهون، يقول تعالى مبيناً بطلان نفقات المنافقين، وذاكراً السبب في ذلك ﴿قل﴾ لهم ﴿أنفقوا طوعاً﴾ من انفسكم ﴿أو كرُّهاً﴾ على ذلك، بغير اختياركم. ﴿لن يتقبلُ منكم السيء من أعمالكم (إنكم كنتم قوماً فاسقينَ ﴾ خارجين عن طاعة الله، ثم بين صفة فسقهم وأعمالهم، فقال: ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ﴾ والأعمال كلها شرط قبولها الإيمان، فهؤلاء لا إيمان لهم ولا عمل صالح، حتى إن الصلاة التي هي أفضل أعمال البدن، إذا قاموا إليها قاموا كسالي، قال: ﴿ولا يأتون البصلاة إلا وهم كسالي﴾ أي: متثاقلون، لا يكادون يفعلونها من ثقلها عليهم.

﴿وَلَا يَنْفَقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارُهُونَ﴾ من غير انشراح صدر وثبات نفس، ففي هذا غاية الذم لمن فعل مثل فعلهم، وأنه ينبغى للعبد أن لا يأتي الصلاة إلا وهو نشيط البدن والقلب إليها، ولا ينفق إلا وهو منشرح الصدر ثابت

القلب، يرجو ذخرها وثوابها من الله وحده، ولا يتشبه بالمنافقين.

﴿٥٥ ـ ٧٥﴾ ﴿فيلاتعبيك أموالهم ولا أولادهم إنّما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون \* ويحلفون بالله إنهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون \* لو يجدون ملجاً أو معارات أو مدخلاً لولوا إليه وهم يجمحون، يقول تعالى: فلا تعجبك أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم، فإنه لا غبطة فيها، وأول بركاتها عليهم أن قدموها على مراضى ربهم، وعصواً الله لأجلها ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لَيْعَذَّبُهُمْ بَهَا فِي الْحِياةُ الدنيا﴾ والمراد بالعذاب هنا، ما ينالهم من الشقة في تحصيلها، والسعى الشديد في ذلك، وهم القلب فيها، وتعب البدن.

فلو قابلت لذاتهم فيها بمشقاتهم، لم يكن لها نسبة إليها، فهى ـ لما ألهتهم عن الله وذكره - صارت وبالأعليهم حتى في الدنيا .

ومن وبالها العظيم الخطر، أن قىلوبىم تىتعىلىق بها، وإراداتهم لا تتعداها، فتكون منتهى مطلوبهم وغاية مرغوبهم، ولا يبقى في قلوبهم للآخرة نصيب، فيوجب ذلك أن ينتقلوا من الدنيا ﴿وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ .

فأي: عقوبة أعظم من هذه العقوبة الموجبة للشقاء الدائم والحسرة الملازمة.

﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم﴾ قصدهم في حلفهم هذا أنهم ﴿قُومُ يَفْرِقُونَ﴾ أي: يخافونُ الدوائر، وليس في قلوبهم شجاعة تحملهم على أن يبينوا أحوالهم. فيخافون إن أظهروا حالهم منكم، ويخافون أن تتبرؤوا منهم، فيتخطفهم الأعداء من كل جانب.

وأما حال قوي القلب ثابت الجنان، فإنه يحمله ذلك على بيان حاله، حسنة كانت أو سيئة، ولكن المنافقين خلع عليهم خلعة الجبن، وحلوا بحلية الكذب.

الله وَشُوا بِأَن يَكُونُواْ مَعَ أَنْخَوَالِفِ وَعُلِيمَ عَلَ ثُدُوبِهِ مَعْهُمُ لَايَفْغَهُونَ ۞ لَكِنَ النَّهُولُ وَالَّذِينَ مَامَنُواْ مَعَكُمُ جَهَدُوا بِأَمْوَلِهِ وَأَنفُسِ وَرُواْوَلَيْكَ لَمَوْالْحَيْرَتُ وَأُولَيْكَ هُ مُلْتُفْلِحُونَ ۞ أَعَدَّاللَّهُ لَمُعْجَنَّاتِ تَجْرِي مِن تَعْتِهَا ٱلْأَنْهُ مُرْخَلِدِينَ فِيهَأَ ذَلِكَ ٱلْفَوْرُ ٱلْعَظِيمُ ۞ وَيَلَّهَ ٱلْمُقَدِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِنُوْدَنِ لَمُنْهُ وَقِعَكُ ٱلَّذِينِ كَنَعُوالْقَةَ وَرَمُولَةُ مُسَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَ رُواْمِنْهُ وْعَذَابُ الِّيمُ ۞ لِّسَ عَلَ ٱلشُّعَفَ لَهِ وَلَاعَلَ ٱلْمُضَىٰ وَلَاعَلَ ٱلَّذِيرَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجُ إِذَا نَصَحُواْ يَقُو وَرَسُولِهُ مَاعَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَيِيلٌ وَأَلْقَهُ عَنْ فُوزٌ تَجِيدٌ ۞ وَلِاعَلَ ٱلَّذِيكِ إِذَا مَّا أَوَّكَ لِتَحْمِلَهُ مُوقَلَتَ لَآ أَجِدُ مَّآ أَجِّهُ كُمُ عَلَيْهِ تَوَلِّواْ وَأَعْيُنُهُ مُرْتَقِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَـُزُنَّا ٱلَّا يَجِهُ مُواْ مَا يُسْفِقُونَ ﴿ • إِنَّمَا ٱلسَّكِيدُ أَعْلَ الَّذِينَ يَسْتَعْذِفُونَكَ وَهُمْ أَغْذِبَ آَةُ رَصُّوا بِأَن يَكُونُوا الله مَعَ أَغُوَ الفِ وَطَلَبَعَ أَلَقَهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِ مَنْهُمُ لَا يَعُ لَمُونَ ۞ TO DE TO SE TO SE

ثم ذكر شدة جبنهم فقال: ﴿لو يجدون ملجأ، يلجؤون إليه عندما تنزل بهم الشدائد، ﴿أو مغارات﴾ يدخلونها فيستقرون فيها ﴿أو مدخلاً﴾ أي: محلاً يدخلونه فيتحصنون فيه ﴿لولوا إليه وهم يجمحون اي: يسرعون ويهرعون، فليس لهم ملكة يقتدرون بها على الثبات.

﴿٥٨ ــ ٥٩ ﴿ ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون \* ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون﴾ أي: ومن هؤلاء المنافقين من يعيبك في قسمة الصدقات، وينتقد عليك فيها، وليس انتقادهم فيها وعيبهم لقصد صحيح، ولا لرأي: رجيح، وإنما مقصودهم أن يعطوا منها. ﴿ فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يتعطوا مشها إذا هم يسخطون، وهذه حالة لا تنبغي للعبد أن يكون رضاه وغضبه، تابعاً لهوي نفسه الدنيوي وغرضه الفاسد، بل الذي ينبغي أن يكون هواه تبعاً لمرضاة ربه، كما قال النبي ﷺ: ﴿لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعأ لما جئت

وقال هذا: ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ﴾ أي: أعطاهم من قليل وكثير. ﴿وقالواحسبنا اللهِ

CENTRAL DESIGNATION OF THE PERSON OF THE PER يَتُ ذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَتُمْ الْيَهِمُ قُلُ لِأَنْفَتَذِرُواْ لَنْ فَوْمِنَ لَكُمْ مَّذَ نَسَأَنَا أَقَدُمِنَ أَخِبَارِكُمُّ وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرُسُولُهُ مُعَرِّدُونَ إِلَى عَلِيمِ الْفَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْبَثُّ كُمِهَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ سَيَحْلِغُونَ بالقولكم إذا أنقلَتُ ولاته مراتع مِبُوا عَنْهُمُ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُ وَرَحْقُ وَمَأْوَلُهُمْ جَهُا نَرْجُزَّاءُ كَا كَانُواْ يَكُوبُونَ ۞ يَعْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمٌّ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمَّ فَإِنَ أَنَّهُ لَا يُرْضَى عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَلْسِيقِينَ ۞ ٱلْأَعْرَابُ أشد كمُ عُزُاوَيْفَ اقَا وَأَجْ مَدُ أَلَّا يِمُّ لَمُؤْمِدُودَ مَا أَنزَلَ الْقَهُ عَلَىٰ رَسُولُهِ وَالْقَهُ عَلِيهُ حَكِيدٌ ۞ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ نَ يَتَخِذُ مَايُنِ فِي مَغْرَمَا وَكِنَّيَّ صَابِحُدُ ٱلْدُوَآبِرَ عَلَيْهِ رُدَا بِرَهُ ٱلسَّوْءُ وَلَقَهُ سَكِيمٌ عَلِيثٌ ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْزَابِ مَنْ أَوْمِنُ بِالْقُورَالْقِرِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُمَا يُنِقُ قُرُكُتُو عِنْدَ اللَّهِ وَسَكَوْتِ الرَّسُولِ اللَّهِ الْمَالَمُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّه سَيُنْ خِلْهُ وُ اللَّهُ فِ رَحْمَتِ وَعِلْ اللَّهُ عَنْ فُورٌ وَكِيدٌ ۞ TO SO TO SECOND SECOND

أي: كافينا الله، فنرضى بما قسمه لنا، وليؤملوا فضله وإحسانه إليهم بأن يقولوا: ﴿سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون﴾ أي: متضرعون في جلب منافعنا ودفع مضارنا، لسلموا من النفاق ولهدوا إلى الإيمان والأحوال العالية، ثم بيّن تعالى كيفية قسمة الصدقات الواجبة فقال:

﴿ 7 ﴾ ﴿ إِنَّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلّفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ يقول تعالى: ﴿ إِنَمَا الصدقات ﴾ أي: الركوات الواجبة ، بدليل أن الصدقة المستحبة لكل أحد، لا يخص بها أحد دون أحد.

أي: إنسما النصدقيات ليهولاء المذكوريين دون من عداهم، لأنه حصرها فيهم، وهم ثمانية أصناف.

الأول والثاني: الفقراء والمساكين، وهم في هذا الموضع صنفان متفاوتان، فالفقير أشد حاجة من المسكين، لأن الله بدأ بهم، ولا يبدأ إلا بالأهم فالأهم، ففسر الفقير بأنه الذي لا يجد شيئا، أو يجد بعض كفايته دون نصفها.

والمسكين: الذي يجد نصفها فأكثر،

ولا يجد تمام كفايته، لأنه لو وجدها لكان غنياً، فيعطون من الزكاة ما يزول به فقرهم ومسكنتهم.

والثالث: العاملون على الزكاة، وهم كل من له عمل وشغل فيها، من حافظ لها، أو جاب لها من أهلها، أو راع، أو حامل لها، أو كاتب، أو نحو ذلك، فيعطون لأجل عمالتهم، وهي أجرة لأعمالهم فيها.

والرابع: المؤلفة قلوبهم، المؤلف قلبه: هو السيد المطاع في قومه، ممن يرجى إسلامه، أو يخشى شره أو يرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلام نظيره، أو جبايتها عن لا يعطيها، فيعطى ما يحصل به التأليف والمصلحة.

الخامس: الرقاب، وهم المكاتبون الذين قد اشتروا أنفسهم من ساداتهم، فهم يسعون في تحصيل ما يفك رقابهم، فيعانون على ذلك من الزكاة، وفك الرقبة المسلمة التي في حبس الكفار داخل في هذا، بل أولى، ويدخل في هذا أنه يجوز أن يعتق منها الرقاب استقلالاً، لدخوله في قوله:

الــــادس: الــغــارمــون، وهـــم قسمان:

أحدهما: الغارمون لإصلاح ذات البين، وهو أن يكون بين طائفتين من الناس شر وفتنة، فيتوسط الرجل للإصلاح بينهم بمال يبذله لأحدهم أو لهم كلهم، فجعل له نصيب من الزكاة، ليكون أنشط له وأقوى لعزمه، فيعطى ولو كان غنياً.

والثاني: من غرم لنفسه ثم أعسر، فإنه يعطى ما يُوفِّى به دينه.

والسابع: الغّازي في سبيل الله، وهم الغزاة المتطوعة، الذين لا ديوان لهم، فيعطون من الزكاة ما يعينهم على غزوهم، من ثمن سلاح أو دابة، أو نفقة له ولعياله، ليتوفر على الجهاد ويطمئن قلبه.

وقال كثير من الفقهاء: إن تفرغ

القادر على الكسب لطلب العلم، أعطي من الزكاة، لأن العلم داخل في الجهاد في سبيل الله.

وقالوا أيضاً: يجوز أن يعطى منها الفقير لحج فرضه، [وفيه نظر](١)

والثامن: ابن السبيل، وهو الغريب المنقطع به في غير بلده، فيعطى من الزكاة ما يوصله إلى بلده، فهؤلاء الأصناف الثمانية الذين تدفع إليهم الزكاة وحدهم.

﴿ فريضة من الله ﴾ فرضها وقدرها، تابعة لعلمه وحكمه ﴿ والله عليم حكيم ﴾ واعلم أن هذه الأصناف الثمانية، ترجع إلى أمرين:

أحدهما: من يعطى لحاجته ونفعه، كالفقير والمسكين ونحوهما.

والثاني: من يعطى للحاجة إليه وانتفاع الإسلام به، فأوجب الله هذه الحصة في أموال الأغنياء، لسد الحاجات الخاصة والعامة للإسلام والمسلمين، فلو أعطى الأغنياء زكاة أموالهم على الوجه الشرعي، لم يبق فقير من المسلمين، ولحصل من الأموال ما يسد الثغور، ويجاهد به الكفار وتحصل به جميع المصالح الدينية.

﴿ ٦٦ \_ ٦٣ ﴾ ﴿ ومنهم اللذيسن يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم \* يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يسرضوه إن كانوا مؤمنين # ألم يعلموا أنه من يجادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم، أي: ومن مؤلاء المنافقين ﴿الذين يؤذون النبي﴾ بالأقوال الردية، والعيب له ولدينه، ﴿ويقولون هو الأذية للنبي، ويقولون: إذا بلغه عنا بعض ذلك، جئنا نعتذر إليه، فيقبل منا، لأنه أذن، أي: يقبل كل ما يُقال له، لا يميز بين صادق وكاذب،

وقصدهم \_قبحهم الله \_فيما بينهم، أنهم غير مكترثين بذلك، ولا مهتمين به، لأنه إذا لم يبلغه فهذا مطلوبهم، وإن بلغه اكتفوا بمجرد الاعتذار الباطل.

فأساؤوا كبل الإساءة من أوجه كثيرة، أعظمها أذية نبيهم الذي جاء لهدايتهم، وإخراجهم من الشقاء والهلاك إلى الهدى والسعادة.

ومنها: عدم اهتمامهم أيضاً بذلك، وهو قدر زائد على مجرد الأذية.

ومنها: قدحهم في عقل النبي على وعدم إدراكه وتفريقه بين الصادق وعدم إدراكه وتفريقه بين الصادق والكاذب، وهو أكمل الخلق عقلاً، وأقبهم إدراكاً، وأثقبهم رأياً وبصيرة، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلَ أَذْنَ خَيْرَ لَكُمْ ﴾ أي : يقبل من قال له خيراً وصدقاً.

وأما إعراضه وعدم تعنيفه لكثير من المنافقين المعتذرين بالأعذار الكذب، فلسعة خلقه، وعدم اهتمامه بشأنهم (١)، وامتثاله لأمر الله في قوله: ﴿ سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم إنهم رجس ﴾.

وأما حقيقة ما في قلبه ورأيه، فقال عنه: ﴿يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾ الصادقين، ويعلم الصادق من الكاذب، وإن كان كثيراً يعرض عن الذين يعرف كندبهم وعدم صدقهم، ﴿ورحة للذين آمنوا منكم﴾ فإنهم به يهتدون، وبأخلاقه يقتدون.

وأما غير المؤمنين فإنهم لم يقبلوا هذه الرحمة، بل ردوها، فخسروا دنياهم وآخسرتهسم، ﴿والسنيسن يسؤذون رسول الله بالقول أو الفعل ﴿لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة، ومن العذاب الأليم أنه يتحتم قتل مؤذيه وشاتمه.

﴿ يحلفون بالله لكم ليرضوكم ﴾ فيتبرؤوا مما صدر منهم من الأذية وغيرها، فغايتهم أن ترضوا عليهم. ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا

مؤمنين كه لأن المؤمن لا يقدم شيئاً على رضا ربه ورضا رسوله، فدل هذا على انتفاء إيمانهم حيث قدموا رضا غير الله ورسوله.

وهذا محادة لله ومشاقة له، وقد توعد من حاده بقوله: ﴿ أَلَّمْ يَعْلَمُوا أَنْهُ مِن يَحَادُدُ اللهُ ورسوله ﴾ أي (٢٠): يكون في حد وشق مبعد عن الله ورسوله بأن تهاون بأوامر الله، وتجرأ على محارمه.

﴿ فأن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الحزي العظيم ﴾ الذي لا خزي أشنع ولا أفظع منه، حيث فاتهم النعيم المقيم، وحصلوا على عذاب الجحيم عياذاً بالله من أحوالهم (٣).

﴿٢٤ – ٢٦﴾ ﴿ عَدْر النافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قدل است هـ زووا إنّ الله غـرج ما تغذرون \* ولئن سألتهم ليقولنَ إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون \* لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا عبرمين ﴾ كانت هذه السورة الكريمة تسمى «الفاضحة» لأنها بينت أسرار المنافقين، وهتكت أستارهم، فما زال الله يقول: ومنهم ومنهم، ويذكر أوصافهم، إلا أنه لم يعين أشخاصهم لفائدتين:

إحداهما: أن الله سِتّيرٌ يحب الستر على عباده.

والثانية: أن الذم على من اتصف بذلك الوصف من المنافقين، الذين توجه إليهم الخطاب وغيرهم إلى يوم القيامة، فكان ذكر الوصف أعم وأنسب، حتى خافوا غاية الخوف.

قال الله تعالى: ﴿لَمُن لَمُ يَمْتُهُ الْمُنافَقُونُ وَالدِّينَ فِي قَلُوبِهُم مُرضُ وَالمُرجِفُونُ فِي المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً \* ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً \*.

وقال هنا: ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم﴾

(٣) في ب: حالهم.

الْ وَالسَّنِيقُونَ الْأَزُّلُونَ مِنَ الْفُهُجِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ [ اَتَّبَعُهُ هُو بِلِحْسَن زَّضِي ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَيَضُواْعَنْهُ وَأَعَذَّ كَلَّمْ كَنَّتِ بَغَرِي تَعْتَهَا ٱلْأَنْهَارُ خَلِادِينَ فِيهَآ أَبِدَا ذَلِكَ اللَّهُ وَأَلْمُوا لِيمُ ﴿ وَمَنْ خَوْلِكُمْ مِنَ الْأَغْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْدِينَاةُ مَرَدُواْعَلَى ٱلنِّفَ الْاتَعَالَمُ مُرْتَحَنَّ ﴾ نَعَلَمُ هُوَّ سَنُعَا نِبُهُرَ مَّتَهَ بِنِ ثُرَيُّرُدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيرٍ @ وَءَاخُرُونِ أَعْتَرُفُواْ بِنُوْبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلَاصَلِحَاوَ الْعَرَ مَسَيًّا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهُ عَفُورٌ تَجِيمٌ ۞ خُذْمِنْ أَمْوَلِلِهُ صَدَفَةٌ تُعَلِّهُ رُهُرٌ وَيُكِيهِ مِيهِ وَيِهَا وَصَلِّعَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوْلُكَ سَكُنَّ لَمُكَدُّ وَلَقَهُ سَكِيعٌ عَلِيدٌ ۞ أَلْزَيَعْ لَمُوَّا أَنَّ أَلَةَ هُوَيَقَبُلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِسَادِهِ وَيَلْخُذُ ٱلصَّدَقَتِ وَأَنَّ ٱلْنَهَ هُوَالْتُوَاْبُ ٱلرَّحِيثُر ۞ وَقُلِ ٱعْسَلُواْ فَسَكَرَى ٱلْلَهُ عَمَلَكُرُّ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَكُرَدُونَ إِلَا عَلِي ٱلْغَيْبِ وَالشَّهَا لَوَ فَيُنَتِثُكُمُ عِاكْنَتُ مَعْمُلُونَ ﴿ وَمَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ الاَمْرَالَةِ إِمَّالِعُنَدِبُهُمْ وَامَّالِتُوبُ عَلَيْهِمْ وَالْقَامُ عَلِيمٌ عَكِيمٌ ۞ OPERENT TO BE SEED.

أي: تخبرهم وتفضحهم، وتبين أسرارهم، حتى تكون علانية لعباده، ويكونوا عبرة للمعتبرين.

﴿قل استهزؤوا﴾ أي: استمروا على ما أنتم عليه من الاستهزاء والسخرية. ﴿ إِنَّ الله مُخرِج ما تحذرون﴾ وقد وفَى تعالى بوعده، فأنزل هذه السورة التي بينتهم وفضحتهم وهتكت أستارهم.

ولئن سألتهم عما قالوه من الطعن في المسلمين وفي دينهم، يقول طائفة منهم في غزوة تبوك "ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء - يعنون النبي وأصحابه - أرغب بطوناً، [وأكذب ألسناً](1) وأجبن عند اللقاء» ونحو

ولما بلغهم أن النبي على قد علم بكلامهم، جاؤوا يعتذرون إليه ويقولون: ﴿إِنَمَا كَنَا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ أَي: نَتَكُلُم بكلام لا قصد لنا به، ولا قصدنا الطعن والعيب.

قال الله تعالى مبيناً عدم عذرهم وكذبهم في ذلك -: ﴿قل﴾ ﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون \* لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ فإن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر غرج عن الدين لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله، وتعظيم

<sup>(</sup>١) في النسختين: بشأنه.

<sup>(</sup>٢) في ب: بأنَّ.

CENTRE CENTRE وَالَّذِينَ ٱتَّحَادُواْ مَسْجِدَاضِرَارًا وَكُفْرًا وَيَضْرِيقًا بَيْنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَانْصَادَا لِمَنْ حَارَبَ ٱللَّهُ وَرَسُولَهُ مِن فَبُلُّ وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدُنَكَ إِلَّا ٱلْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُ لِكُونُونَ ﴿ لَالْقُدُ فِي وَأَبِكُأَ لَّمُسْجِدُ أُمِّيسَ عَلَى ٱلتَّافُوكِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمِ أَحَقُ أَن تَكُومَ فِيهِ فِيهِ وِيجَالٌ يُحَبُّونَ أَن يَنَطَهَرُواً وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِينَ ۞ أَفَكُنْ أَسْسَ بُنْيَكُنَّهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهُ وَرِضُوَابٍ خَيْراً مِّنَّ أَسَّكِ بُنْكُنَهُ عَلَى شَفَاجُ رُفِ هَ ارِفَأَنْهَ ارْبِهِ فِ نَارِجَهَ تَرُّوُلُنَّهُ لَا يَهْ دِي ٱلْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ لَا يَنَزَلُ بُنْيَتَنُا كُمُ ٱلَّذِي بَنَوْارِيكَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمُ حَسِيمٌ ۞ • إِنَ اللَّهُ أَشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسُهُمْ وَأَمُّوٰكُمْ إِلَى لَمُنْ ٱلْجَنَّةُ يُقَالِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقَالُونَ وَيُفْتَلُونَ وَعَدَّاعَلَيْ وحَقَّ افِ ٱلتَّوْرَبِ فِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُدْوَانَّ وَمَنَّ أَوْفَ بِعَمَّدِهِ مِنَ ٱللَّهُ فَأَسْتَبْشِرُوا بِيَنِعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُ مِيدًا وَذَلِكَ هُوَ الْفُوزُ الْفَطِيمُ ۞ TOREGOU ENTRE

دينه ورسله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل، ومناقض له أشد المناقضة.

وله ذا لما جاؤوا إلى السرسول يعتذرون بهذه المقالة، والرسول لا يزيدهم على قوله: ﴿ إِبَاللهُ وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون \* لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾.

وقوله: ﴿إِن نعف عن طائفة منكم﴾ لتوبتهم واستغفارهم وندمهم، ﴿نعذب طائفة﴾ منكم ﴿بأنهم﴾ بسبب آنهم ﴿كانوا مجرمين﴾ مقيمين على كفرهم ونفاقهم.

وفي هذه الآيات دليل على أن من أسر سريرة، خصوصاً السريرة التي يمكر فيها بدينه، ويستهزى، به وبآياته ورسوله، أن الله تعالى يظهرها ويفضح صاحبها، ويعاقبه أشد العقربة.

وأن من استهزأ بشيء من كتاب الله أو سنة رسوله الثابتة عنه، أو سخر بذلك، أو تنقصه، أو استهزأ بالرسول أو تنقصه، أنه كافر بالله العظيم، وأن التوبة مقبولة في كل ذنب وإن كان عظيماً.

﴿٦٧ ـ ٦٨ ﴾ ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إنّ المنافقين هم السفاسقون \* وعد الله المنافقين

والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم في يقول تعالى: ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض لأنهم اشتركوا في النفاق، فاشتركوا في تولي بعضهم بعضاً، وفي هذا قطع للمؤمنين من ولايتهم.

ثم ذكر وصف المنافقين العام، الذي لا يخرج منه صغير منهم ولا كبير، فقال: ﴿يأمرون بالمنكر﴾ وهو الكفر والفسوق والعصيان.

﴿وينهون عن المعروف﴾ وهو الإيسان، والأخلاق الشاضلة، والأعمال الصالحة، والآداب الحسنة. ﴿ويقبضون أيديهم﴾ عن الصدقة وطرق الإحسان، فوصفهم البخل.

﴿ نسوا الله ﴾ فلا يذكرونه إلا قليلاً ، ﴿ فنسيهم ﴾ من رحمته ، فلا يوفقهم لخير ، ولا يدخلهم الجنة ، بل يتركهم في الدرك الأسفل من النار ، خالدين فيها مخلدين .

﴿إِنْ المنافقين هم الفاسقون﴾ حصر الفسق فيهم، لأن فسقهم أعظم من فسق غيرهم، بدليل أن عذابهم أشد من عذاب غيرهم، وأن المؤمنين قد ابتلوا بهم، إذ كانوا بين أظهرهم، والاحتراز منهم شديد.

وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم جمع المنافقين والكفار في النار، والمعنة والخلود في ذلك، لاجتماعهم في الدنيا على الكفر، والمعاداة لله ورسوله والكفر بآياته.

﴿ 19 - ٧٠ ﴿ كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقهم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون \* ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين

والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وقول تعالى محذراً للمنافقين أن يصيبهم ما أصاب من قبلهم من الأمم المكذبة. ﴿قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أي: قرى قوم لوط.

فكلهم ﴿أتتهم رسلهم بالبينات﴾ أي: بالحق الواضح الجلى، المبين لحقائق الأشياء، فكذَّبوا بها، فجرى عليهم ما قص الله علينا، فأنتم أعمالكم شبيهة بأعمالهم، استمتعتم بخلاقكم، أي: بنصيبكم من الدنيا فتناولتموه على وجه اللذة والشهوة معرضين عن المراد منه، واستعنتم به على معاصى الله ولم تتعد همتكم وإرادتكم ما خولتم من النعم كما فعل الذين من قبلكم، وخضتم كالذي خاضوا، أي: وخضتم بالباطل والزور وجادلتم بالباطل لتدحضوا به الحق، فهذه أعمالهم وعلومهم، استمتاع بالخلاق وخوض بالباطل، فاستحقوا من العقوبة والإهلاك ما استحق من قبلهم من فعلوا كفعلهم، وأما المؤمنون فهم وإن استمتعوا بنصيبهم وما خولوا من الدنيا، فإنه على وجه الاستعانة به على طاعة الله، وأما علومهم فهي علوم الرسل، وهي الوصول إلى اليقين في جميع المطالب العالية، والمجادلة بالحق لإدحاض الباطل.

قوله: ﴿فما كان الله ليظلمهم ﴾ إذ أوقع بهم من عقوبته ما أوقع ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ حيث تجرؤوا على معاصيه، وعصوا رسلهم، واتبعوا أمر كل جبار عنيد.

﴿١٧ - ٧٧﴾ ﴿والمؤمسنسون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الله الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إنّ الله عزيز حكيم \* وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيّبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو المفوز العظيم﴾ لما ذكر أن المنافقين المفوز العظيم﴾ لما ذكر أن المنافقين

بعضهم أولياء بعض (١) ، ذكر أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، ووصفهم بضد ما وصف به المنافقين، فقال: ﴿والمؤمنون والمؤمنات﴾ أي: ذكورهم وإناثهم ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ في المحبة والموالاة والانتماء والنصرة.

﴿يأمرون بالمعروف ﴾ وهو اسم جامع لكل ما عرف حسنه من العقائد الحسنة ، والأعمال الصالحة ، والأخلاق الفاضلة ، وأول من يدخل في أمرهم أنفسهم ، ﴿وينهون عن المنكر ﴾ وهو: كل ما خالف المعروف وناقضه من العقائد الباطلة ، والأعمال الخبيثة ، والأخلاق الرذيلة .

﴿ويسطيعون الله ورسوله﴾ أي: لا يزالون ملازمين لطاعة الله ورسوله على الدوام.

﴿أُولِسُكُ سِيرِحْهِم اللهِ أَي: يدخلهم في رحمته، ويشملهم بإحسانه.

﴿إِنَّ الله عزيز حكيم ﴾ أي: قوي قاهر، ومع قوته فهو حكيم، يضع كل شيء موضعه اللائق به الذي يحمد على ما خلقه وأمر به.

ثم ذكر ما أعد الله لهم من الثواب نقال:

﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ جامعة لكل نعيم وفرح ، خالية من كل أذى وترح ، تجري من تحت قيصورها ودورها وأسجارها الأنهار الغزيرة ، المروية للبساتين الأنيقة ، التي لا يعلم ما فيها من الخيرات والبركات إلا الله تعالى .

﴿ خالدين فيها ﴾ لا يبغون عنها حولاً ﴿ ومساكن طيبة في جنات عدن ﴾ قد زخرفت وحسنت وأعدت لعباد الله المتقين، قد طاب مرآها، وطاب منزلها ومقيلها، وجمعت من الات المساكن العالية ما لا يتمنى فوقه المتمنون، حتى إن الله تعالى قد أعد لهم غرفاً في غاية الصفاء والحسن، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من يرى طاهرها من باطنها، وباطنها من

ظاهرها .

فهذه المساكن الأنيقة، التي حقيق بأن تسكن إليها النفوس، وتنزع إليها القلوب، وتشتاق لها الأرواح، لأنها في جنات عدن، أي: إقامة لا يظعنون عنها، ولا يتحولون منها.

﴿ورضوان من الله يحله على أهل الجنة ﴿أكبر ﴾ مما هم فيه من النعيم ، فإن نعيمهم لم يطب إلا برؤية ربهم ورضوانه عليهم ، ولأنه الغاية التي أمّها العابدون ، والنهاية التي سعى نحوها المحسبون ، فسرضا رب الأرض والسماوات أكبر من نعيم الجنات .

﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ حيث حصلوا على كل مطلوب، وانتفى عنهم كل محذور، وحسنت وطابت منهم جميع الأمور، فنسأل الله أن يجعلنا معهم بجوده.

و ٧٣ - ٤٧ و إيا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير \* يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير و يقول تعالى لنبيه و إلى النبي جاهد الكفار والمنافقين أي : إيا النبي جاهد الكفار والمنافقين أي : بالغ في جهادهم والغلظة عليهم حيث اقتضت الحال الغلظة عليهم .

وهذا الجهاد يدخل فيه الجهاد باليد، والجهاد بالحجة واللسان، فمن بارز منهم بالمحاربة فيجاهد باليد، واللسان والسيف والبيان.

والصيب والبيين. ومن كان مذعناً للإسلام بذمة أو عهد، فإنه يجاهد بالحجة والبرهان

ويبين له محاسن الإسلام، ومساوى، الشرك والكفر، فهذا مالهم في الدنيا.

﴿و﴾ أما في الآخرة فـ ﴿مأواهم جهنم﴾ أي: مقرهم الذي لا يخرجون منها ﴿وبئس المصير﴾

الله ما قالوا ولقد قالوا وداعي المروءة الإنسآنية .

المَّا التَّيْبُونِ الْعَكِيدُونِ أَلْحَكِيدُونِ الشَّيِّحُودُ التَّكِيمُودُ التَّكِيمُونَ لِّ السَّاحِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمُعْرُونِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْنُكُرِ ﴾ وَٱنْحَافِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهُ وَيَشِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ @مَاكَانَ النَّيْقِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغُفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ مُ ۚ وَلَوْكَ اثْوَا أُولِي قُرْفَ مِنْ بَعْدِ مَاتِّرَيِّكَ كَلَّمُ أَنَّهُمْ أَحْمَابُ ٱلْجَحِيرِ ۞ وَمَاكَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِرَّاهِيرَ لأبيه إلَّاعَن مَّوْعِدَةٍ وَعَكَمَا إِينَاهُ فَلَمَّا اَبْتَيْنَ لَهُوَانَّهُ عَدُوُ لِنَونَكِزُ أَمِنْهُ إِنَّ الرَّهِيجِ لَأَوَّهُ مَيلِيدٌ ﴿ وَمَاكَانَ اللَّهُ اللَّهُ لِيُضِلِّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَناهُ رَحَقَ يُبَيِّبَ لَمُومًا يَتَكُونَأُ إِنَ اللَّهَ يَكُلُّ ثَوَى وَعَلِيدُ ۞ إِنَ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَّتِ وَالْأَنْصِ يُعْيِعُونِينِ وَكَيْدِتُ وَمَالَكَ مُعْن دُونِ الْتَوِين وَلِمِ وَلَانَتِيبِ ۞ لَقَدَنَّابَ اللَّهُ عَكَلَ كُلُ ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَاجِينِ وَٱلْأَنْصَارِ ٱلَّذِينَ ٱلَّبَكُوهُ فِ الساعكة ٱلْمُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَاكَ ادْيَزِيعُ قُلُوبُ فَكِوبِي المِنْهُ مُنْدَثُمُ مَاكِ عَلَيْهِ مُ إِنَّهُ بِهِ مُرَدُهُ وفُّ لَيْحِدُ وْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مُ ONON " PORTORO"

كلمة الكفر ﴾ أي: إذا قالوا قولاً كقول من قال منهم "ليخرجن الأعز منها الأذل» والكلام الذي يتكلم به الواحد بعد الواحد، في الاستهزاء بالدين وبالرسول.

فإذا بلغهم أن النبي عَلَيْ قد بلغه شيء من ذلك، جاؤوا إليه يحلفون بالله ما قالوا.

قال تعالى مكذباً لهم: ﴿ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ فإسلامهم السابق \_ وإن كان ظاهره أنه أخرجهم من دائرة الكفر \_ فكلامهم الأخير ينقض إسلامهم، ويدخلهم بالكفر.

﴿وهموا بما لم ينالوا ﴿ وذلك حين هموا بالفتك برسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فقص الله عليه نبأهم، فأمر من يصدهم عن قصدهم.

وَعَلَىٰ الثَّلَاثَةِ الَّذِيكَ خُلِفُواْحَتَّىٰۤ إِذَاضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلأَرْضُ بَارَجْتَ وَصَافَتْ عَلَيْهِ ذَانفُسُ هُرُ وَظَانُوا أَن لَامَلْحِ كَأِمِنَ ٱللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ اللَّهِ عَلَيْهِ مِلْ لِتُوْبُواْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَالْتُوَابُ ٱلرِّحِيدُ ۞ يَـٰ أَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ اَنَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِ فِينَ ۞ مَا كَانَا لَأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَكُنْ تَحَلُّمُ مِنَ ٱلْأَغَرَابِ أَن يَتَحَلَّفُوا عَن زَّمُولِ اللَّهِ وَلَا رَغَبُوا الْكُ بِأَنفُسِهِ عَن نَفْسِ مِعْذَلِكَ بِأَنْهُمْ لَا يُصِيبُهُ مَظَمَأُولَا نَصَبُ وَلَا عَنْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَنُونَ مَوْطِعًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّالَ وَلَايِنَالُونَ مِنْ عَدُوِنَّيَلًا إِلَّاكُيْبَ لَمُمْ بِهِ عَمَلًا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرةً وَلَاكِيرَةً وَلَا يَقَطَعُونَ وَادِيًّا إِلَّاكُتِبَ لَمُدِّرِلِيَجْزِيَّهُ مُرَالِقَهُ أَحْسَنَ مَاكَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ • وَمَاكَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِينَفِرُواْ كَافَةً ۗ فَلَوْلَانَفَرَ مِن كُلِ فِرْقَ لَمْ مِنْهُ مِّ طَآبِفَةً لِيَنَفَقَّهُ وَأَفِي ٱلدِينِ وَلِيُنذِرُواْ فَوْمَهُمْ إِذَا رَحَعُوٓ اللَّهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعَذَرُونَ ۞ ACTION FOR TO

ثم عرض عليهم التوبة فقال: ﴿فَإِنْ يتوبوا يك خيراً لهم﴾ لأن التوبة أصل لسعادة الدنيا والآخرة.

﴿وإن يتولوا﴾ عن التوبة والإنابة ﴿يعنبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة﴾ في الدنيا بما ينالهم من الهم والغم والحزن على نصرة الله لدينه، وإعزاز نبيه، وعدم حصولهم على مطلوبهم، وفي الآخرة في عذاب السعير.

﴿وَما لهم في الأرض من ولي ﴾ يتولى أمورهم، ويحصل لهم المطلوب ﴿ولا نصير ﴾ يدفع عنهم المكروه، وإذا انقطعوا من ولاية الله تعالى، فشَمَّ أصناف الشر والخسران، والشقاء والحرمان.

وسرويان. (٧٥ ـ ٧٧) (ومنه هسم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدة ق ولنكونن من الصالحين \* فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون \* فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون \* ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام

الغيوب أي: ومن هؤلاء المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه ولئن آتانا من فضله من الدنيا فبسطها لنا ووسعها ولنحونن من الصالحين فنصل الرحم، ونقري الضيف، ونعين على نوائب الحق، ونفعل الأفعال الحسنة الصالحة.

﴿ فلما آتاهم من فضله ﴾ لم يفوا بما قالوا، بل ﴿ بخلوا به وتولوا ﴾ عن الطاعة والانقياد ﴿ وهم معرضون ﴾ أي: غير ملتفتن إلى الخير.

فلما لم يفوا بما عاهدوا الله عليه، عاقبهم ﴿فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم﴾ مستمراً ﴿إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾.

فليحذر المؤمن من هذا الوصف الشنيع، أن يعاهد ربه، إن حصل مقصوده الفلاني ليفعلن كذا وكذا، ثم لا يفي بذلك، فإنه ربما عاقبه الله بالنفاق كما عاقب هؤلاء.

وقد قال النبي على في الحديث الثابت في الحديث الثابت في الصحيحين: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف».

فسهذا المنسافي الذي وعند الله وعاهده، لئن أعطاه الله من فضله، ليصدقن وليكونن من الصالحين، حدث فكذب، وعاهد فغدر، ووعد فأخلف.

ولهذا توعد من صدر منهم هذا الصنيع بقوله: ﴿أَلْمُ يعلموا أَنْ الله يعلم سرهم ونجواهم وأَنْ الله علام الغيوب وسيجازيهم على ما عملوا من الأعمال التي يعلمها الله تعالى، وهذه الآيات نزلت في رجل من المنافقين يقال له: «تعلبة» جاء إلى النبي على وسأله أن يدعو الله له، أن يعطيه الله من فضله، وأنه إن أعطاه ليتصدقن، ويصل الرحم، ويعين على

النوائب، فدعا له النبي هي فكان له غنم، فلم تزل تتنامى حتى خرج بها عن المدينة، فكان لا يحضر إلا بعض الصلوات الخمس، ثم أبعد، فكان لا يحضر إلا صلاة الجمعة، ثم كثرت فأبعد بها، فكان لا يحضر جمعة ولا جاعة.

ففقده النبي على فأخبر بحاله، فبعث من يأخذ الصدقات من أهلها، فمروا على ثعلبة، فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، فلما لم يعطهم جاؤوا فأخبروا بذلك النبي على فقال: "يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة»

فلما نزلت هذه الآية فيه، وفي أمثاله، ذهب بها بعض أهله فبلغه إياها، فجاء بزكاته، فلم يقبلها النبي على ثم جاء بها لأبي بكر بعد وفاة النبي على فلم يقبلها، ثم جاء بها بعد أبي بكر لعمر فلم يقبلها، فيقال: إنه هلك في زمن عثمان (١٠).

﴿٧٩ ـ ٨٠﴾ ﴿اللَّذِينَ يُسلَّمُ رُونَ المطوعين من المؤمنين في الصدقات والنديس لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بسالله ورمسوله والله لا يهدي السقسوم الفاسقين اله وهذا أيضاً من مخازي المنافقين، فكانوا \_قبحهم الله \_ لا يدعون شيئاً من أمور الإسلام والسلمين يرون لهم مقالاً، إلا قالواً وطعنوا بغياً وعدواناً، فلما حتَّ الله ورسوله على الصدقة، بادر المسلمون إلى ذلك، وبذلوا من أموالهم كل على حسب حاله، منهم المكثر، ومنهم المقل، فيلمزون المكثر منهم، بأن قصده بنفقته الرياء والسمعة، وقالوا

١) قصة ثعلبة هذه ذكرها كثير من المفسرين، وقد ضعفها جهابذة أهل الحديث كابن حزم، والبيهةي، والقرطبي، والهيثمي، والعراقي، وابن حجر، والسيوطي والمناوي وغيرهم ـ رحمهم الله ـ، وبينوا أن في إسنادها علي بن يزيد، وهو ضعيف كما أن من رواتها: معان بن رفاعة، والقاسم بن عبد الرحمن وهما ضعيفان، وذكر ابن حزم تضعيفها من جهة متنها أيضاً. ينظر المحلى: (٢١٠/٨١)، والإصابة: ترجمة ثعلبة، ومجمع الزوائد (٧/٣)، والجامع لأحكام القرآن (٨/٢١)، وفيض القدير (٤/٧٥٢)، وفتح الباري (٨/٣)، ولباب النقول للسيوطي (١٢١) وتخريج الإحياء للعراقي (٣٨/٣).

للمقل الفقير: إن الله غني عن صدقة هذا، فأنزل الله تعالى: ﴿الدّين يسلمزون﴾ أي: يعيبون ويطعنون ﴿المطوعين من المؤمنين في الصدقات﴾ فيقولون: مراؤون، قصدهم الفخر والرياء.

﴿وَ لِلمَزُونَ ﴿الذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلاَ جِهدهم فِيخرجونَ مِا استطاعوا ويقولون: الله غني عن صدقاتهم ﴿فيسخرون منهم ﴾ .

فقابلهم الله على صنيعهم بأن السخر الله منهم ولهم عذاب أليم الله فإنهم جمعوا في كلامهم هذا بين عدة عاذر .

منها: تتبعهم لأحوال المؤمنين، وحرصهم على أن يجدوا مقالاً يقولونه فيهم، والله يقول: ﴿إِنَّ الذَّينَ يَعْبُونُ أَنْ تَشْيعُ الفَاحِشَةُ فِي الذَّينَ آمنوا لهم عذاب اليم ﴾.

ومنها: طعنهم بالمؤمنين لأجل إيمانهم، كفر بالله تعالى وبغض للدين. ومنها: أن اللمز محرم، بل هو من كبائر الذنوب في أمور الدنيا، وأما اللمز في أمر الطاعة، فأقبح وأقبح.

ومنها: أن من أطاع الله وتطوع بخصلة من خصال الخير، فإن الذي ينبغي [هو] إعانته وتنشيطه على عمله، وهؤلاء قصدوا تثبيطهم بما قالوا فيهم وعابوهم عليه.

ومنها: أن حكمهم على من أنفق مالاً كثيراً بأنه مراء، غلط فاحش، وحكم على الغيب، ورجم بالظن، وأي: شر أكبر من هذا؟!!

ومنها: أن قولهم لصاحب الصدقة القليلة: «الله غني عن صدقة هذا»، كلام مقصوده باطل، فإن الله غني عن صدقة المتصدق بالقليل والكثير، بل وغني عن أهل السماوات والأرض، ولكنه تعالى أمر العباد بما هم مفتقرون إليه، فالله وإن كان غنياً عنهم فقراء إليه ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ وفي هذا القول من التثبيط عن الخير ما هو ظاهر بين، ولهذا كان

جزاؤهم أن سخر الله منهم، ولهم عذاب أليم.

﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة على وجه المبالغة، وإلا فلا مفهوم لها.

﴿ فلن يغفر الله لهم ﴾ كما قال في الآية الآخرى: ﴿ سواء عليهم أستغفرت لهم لن يغفر الله للهم لن يغفر الله لهم لا يغفرة الله لهم فقال: ﴿ ذلك بِأنهم كفروا بالله ورسوله ﴾ والكافر لا ينفعه الاستغفار ولا العمل ما دام كافراً.

﴿ والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ أي: الذين صار الفسق لهم وصفاً، بحيث لا يختارون عليه سواه ولا يبغون به بدلاً، يأتيهم الحق الواضح فيردونه، فيعاقبهم الله تعالى بأن لا يوفقهم له بعد ذلك.

﴿ ٨٨ \_ ٨٣﴾ ﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحرقل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون \* فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون \* فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي فاحدوا مع الخالفين ﴾ يقول تعالى مبيناً تبجح المنافقين بتخلفهم وعدم مبالاتهم بذلك، الدال على عدم الإيمان، واختيار الكفر على الإيمان.

﴿ فَرِحِ المُحَلَّفُونَ بِمَقْعَدُهُمْ خَلَافُ رَسُولُ اللهِ وَهُذَا قَدَرَ زَائدُ عَلَى مُجَرِدُ التَّخَلَف، فإن هذا تَخْلَف مُحرَّم، وزيادة رضا بفعل المعصية، وتبجح به.

ووكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وهذا بخلاف المؤمنين الذين إذا تخلفوا - ولو لعذر - حزنوا على تخلفهم وتأسفوا غاية الأسف، ويحبون أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، لما في قلوبهم

من الإيمان، ولما يرجون من فضل الله وإحسانه وبره وامتنانه.

﴿وقالوا ﴾ أي: المنافقة ون ﴿لا تنقروا في الحر ﴾ أي: قالوا: إن النفير مشقة علينا بسبب الحر، فقدموا راحة قصيرة منقضية على الراحة الأبدية التامة.

وحذروا من الحر الذي يقي منه الظلال، ويذهبه البكر (١) والآصال، على الحر الشديد الذي لا يقادر قدره، وهو النار الحامية.

ولهذا قال: ﴿قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون للا آثروا ما يفنى على ما يبقى، ولما فروا من المشقة الخفيفة المنقضية، إلى المشقة الشديدة الدائمة.

قال الله تعالى: ﴿فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً﴾ أي: فليتمتعوا في هذه الدار المنقضية، ويفرحوا بلذاتها، ويلهوا بلعبها، فسيبكون كثيراً في عذاب أليم ﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾ من الكفر والنفاق، وعدم الانقياد لأوامر ربهم.

﴿ فإن رجعك الله إلى طائفة منهم ﴾ وهم الذين تخلفوا من غير عذر ، ولم يحزنوا على تخلفهم ﴿ فاستأذنوك للخروج ﴾ لغير هذه الغزوة ، إذا رأوا السهولة . ﴿ فقل ﴾ لهم عقوبة ﴿ لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً ﴾ فسيغنى الله عنكم .

﴿إِنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين وهذا كما قال تعالى: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ﴾ فإن المتثاقل المتخلف عن المأمور به عند انتهاز الفرصة لا يوفق له بعد ذلك، ويحال بينه وبينه.

وفيه أيضاً تعزير لهم، فإنه إذا تقرر عند المسلمين أن هؤلاء من الممنوعين من الخروج إلى الجهاد لمعصيتهم، كان

ذلك توبيخاً لهم، وعاراً عليهم ونكالاً أن يفعل أحد كفعلهم.

﴿ ٨٤﴾ ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ يقول تعالى: ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ﴾ من المنافقين ﴿ ولا تقم على قبره ﴾ بعد الدفن لتدعو له، فإن صلاته ووقوفه على قبورهم شفاعة منه لهم، وهم لا تنفع فيهم الشفاعة.

﴿إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ومن كان كافراً ومات على ذلك، فما تنفعه شفاعة الشافعين، وفي ذلك عبرة لغيرهم، وزجر ونكال لهم، وهكذا كل من علم منه الكفر والنفاق، فإنه لا يصلى عليه.

وفي هذه الآية دليل على مشروعية الصلاة على المؤمنين، والوقوف عند قبورهم للدعاء لهم، كما كان النبي على يفعل ذلك في المؤمنين، فإن تقييد النهي بالمنافقين يدل على أنه قد كان مقرراً في المؤمنين.

﴿ ٥٨﴾ ﴿ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾ أي: لا تغتر بما أعطاهم الله في الدنيا من الأموال والأولاد، فليس ذلك لكرامتهم عليه، وإنما ذلك إهانة منه لهم. ﴿ إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا ﴾ .

فيتعبون في تحصيلها، ويخافون من زوالها، ولا يتهنّؤون بها.

بل لا يزالون يعانون الشدائد والمشاق فيها، وتلهيهم عن الله والدار الآخرة، حتى ينتقلوا من الدنيا ﴿وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ قد سلبهم حبها عن كل شيء، فماتوا وقلوبهم بها متعلقة، وأفتدتهم عليها متحرقة.

٨٩ ـ ٨٩ ﴿ وإذا أنزلت سورة أن أمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين \* رضوا بأن يكونوا مع

الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون يقول تعالى: في بيان استمرار المنافقين على التثاقل عن الطاعات، وأنها لا تؤثر فيهم السور والآيات: فوإذا أنزلت سورة يؤمرون فيها بالإيمان بالله والجهاد في سبيل الله. أولي الغنى والأموال، الذين لا عذر لهم، وقد أمدهم الله بأموال وبنين، أفلا يشكرون الله ويحمدونه، ويقومون بما أوجبه عليهم، وسهل عليهم أمره، ولكن أبوا إلا التكاسل والاستئذان في المقاعدين .

﴿ ٨٧﴾ قال تعالى: ﴿ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ أي: كيف رضوا لأنفسهم أن يكونوا مع النساء المتخلفات عن الجهاد، هل معهم فقه أو عقل دلهم على ذلك؟ أم طبع الله على قلوبهم فلا تعي الخير، ولا يكون فيها إرادة لفعل ما فيه الخير والفلاح؟ فهم لا يفقهون مصالحهم، فلو فقهوا حقيقة الفقه، لم يرضوا لأنفسهم بهذه الحال التي تحطهم عن منازل الرجال.

﴿ ٨٨ ـ ٨٩ ﴾ ﴿ لكن السرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون \* أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ﴾

غلف هؤلاء المنافقون عن الجهاد، فالله سيغني عنهم، ولله عباد وخواص من خلقه اختصهم بفضله يقومون بهذا الأمر، وهم ﴿الرسول﴾ محمد وانفسهم﴾ غير متثاقلين ولا كسلين، وأنفسهم﴾ غير متثاقلين ولا كسلين، لهم فرحون مستبشرون، ﴿وأولئك لهم الخيرات﴾ الكثيرة في الدنيا والآخرة، ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ المفين ظفروا بأعلى المطالب وأكمل الرغائب.

﴿أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم و فتباً لمن لم يرغب بما رغبوا فيه، وخسر دينه ودنياه وأخراه، وهذا

نظير قوله تعالى: ﴿قل أمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يـتلى عمليهم يخرون لـلأذقان سجداً ﴾.

وقوله: ﴿فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين﴾.

﴿ ٩٠ \_ ٩٣﴾ ﴿ وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم \* ليس على الضعفاء ولأ على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم \* ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ﴿ إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون، يقول تعالى: ﴿وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لمهم اي: جاء الذين تهاونوا، وقصروا منهم في الخروج لأجل أن يؤذن لهم في ترك الجهاد، غير مبالين في الاعتذار لجفائهم وعدم حيائهم، وإتيانهم بسبب ما معهم من الإيمان الضعيف.

وأما النذين كذبوا الله ورسوله منهم، فقعدوا وتركوا الاعتذار بالكلية، ويحتمل أن معنى قوله: ﴿ المعذرون ﴾ أي: الذين لهم عذر، أتوا إلى رسول الله على ليعذرهم، ومن عادته أن يعذر من له عذر.

﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ﴾ في دعواهم الإيمان، المقتضي للخروج، وعدم عملهم بذلك، ثم توعدهم بقوله: ﴿سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾ في الدنيا والآخرة.

لا ذكر المعتذرين، وكانوا على قسمين، قسم معذور في الشرع، وقسم غير معذور، ذكر ذلك بقوله:

﴿لَيس على الضعفاء﴾ في أبدانهم وأبصارهم، الذين لا قوة لهم على الخروج والقتال. ﴿ولا على المرضى﴾

وهذا شامل لجميع أنواع المرض الذي (١) لا يقدر صاحبه معه على الخروج والجهاد، من عرج، وعمى، وهي والفالج، وغير ذلك.

﴿ولا على النيس لا يجدون ما يسنفقون ﴾ أي: لا يجدون زاداً، ولا راحلة يتبلغون بها في سفرهم، فهؤلاء ليس عليهم حرج، بمسرط أن ينصحوا لله ورسوله، بأن يكونوا صادقي الإيمان، وأن يكون من نيتهم وعزمهم أنهم لو قدروا لجاهدوا، وأن يفعلوا ما يقدرون عليه من الحث والترغيب والتشجيع على الجهاد.

وما على المحسنين من سبيل أي: من سبيل أي: من سبيل يكون عليهم فيه تبعة ، فإنهم - بإحسانهم فيما عليهم من حقوق الله وحقوق العباد -أسقطوا توجه اللوم عليهم، وإذا أحسن العبد فيما يقدر عليه، سقط عنه ما لا يقدر عليه.

ويستدل بهذه الآية على قاعدة وهي: أن من أحسن على غيره، في [نفسه] (٢) أو في ماله، ونحو ذلك، ثم ترب على إحسانه نقص أو تلف، أنه غير ضامن لأنه عسن، ولا سبيل على المحسنين، كما أنه يدل على أن غير المحسن \_ وهو المسيء \_ كالمفرط، أن عليه الضمان.

﴿والله غفور رحيم﴾ من مغفرته ورحمته، عفا عن العاجزين، وأثابهم بنيتهم الجازمة ثواب القادرين الفاعلين.

﴿ولا على السذيسن إذا مسا أتوك لتحملهم فلم يصادفوا عندك شيئا ﴿قلت ﴾ لهم معتذراً: ﴿لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون ﴾ فإنهم عاجزون باذلون لأنفسهم، وقد صدر منهم من الحزن والمشقة ما ذكره الله عنهم.

فهؤلاء لا حرج عليهم، وإذا سقط الحرج عنهم، عاد الأمر إلى أصله،

وهو أن من نوى الخير، واقترن بنيته الجازمة سغي فيما يقدر عليه، ثم لم يقدر، فإنه ينزل منزلة الفاعل التام.

﴿إنها السبيل » يتوجه واللوم يتناول الذين (٣) يستأذنوك وهم أغنياء قادرون على الخروج لا عذر لهم، فهؤلاء ﴿رضوا ﴾ لأنفسهم ومن دينهم ﴿بأن يكونوا مع الخوالف ﴾ كالنساء والأطفال ونحوهم.

﴿و﴾ إنما رضوا بهذه الحال لأن الله طبع على قلوبهم أي: ختم عليها، فلا يدخلها خير، ولا يحسون بمصالحهم الدينية والدنيوية، ﴿فهم لا يعلمون﴾ عقوبة لهم على ما اقترفوا.

(48 - 47) ويعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم أنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون \* يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن الله يرضى عن القوم الفاسقين \* لما ذكر لا يرضى عن القوم الفاسقين \* لما ذكر لا يرضى عن القوم الفاسقين \* لما ذكر لهم، أخبر أنهم سد ويعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم من غزاتكم.

﴿قُلَى لَهُم ﴿لا تَمْتَذُرُوا لَنَ نَوْمَنَ لَكُم ﴾ أي: لن نصدقكم في اعتذاركم الكاذب.

﴿قد نبأنا الله من أخباركم ﴾ وهو الصادق في قيله ، فلم يبق للاعتذار فائدة ، لأنهم يعتذرون بخلاف ما أخبر الله عنهم ، ومحال أن يكونوا صادقين فيما يخالف خبر الله الذي هو أعلى مراتب الصدق .

﴿وسيرى الله عملكم ورسوله ﴾ في الدنيا، لأن العمل هو ميزان الصدق من الكذب، وأما مجرد الأقبوال، فلا دلالة فيها على شيء من ذلك.

﴿ نُسم تردون إلى عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفى عليه خافية ، ﴿ فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ من خير وشر، ويجازيكم بعدله أو بفضله، من غير أن يظلمكم مثقال ذرة .

واعلم أن المسىء المذنب له ثلاث حالات: إما [أن] يقبل قوله وعذره، ظاهراً وباطناً، ويعفى عنه بحيث يبقى كأنه لم يذنب. فهذه الحالة هي المذكورة هنا في حقّ المنافقين، أن عذرهم غير مقبول، وأنه قد تقررت أحوالهم الخبيثة وأعمالهم السيئة، وإما أن يعاقبوا بالعقوبة والتعزير الفعلي على ذنبهم، وإما أن يعرض عنهم، ولا يقابِلُوا بما فعلوا بالعقوبة الفعلية، وهذه الحال الثالثة هي التي أمر الله بها فى حق المنافقين، ولهذا قال: ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم﴾ أي: لا توبخوهم، ولا تجلدوهم أو تقتلوهم.

﴿إنهم رجس ﴾ أي: إنهم قذر خبثاء، ليسوا بأهلٍ لأن يبالى بهم، وليس التوبيخ والعقوبة مفيداً فيهم، ﴿و﴾ تكفيهم عقوبة جهنم جزاء بما كانوا يكسبون.

وقوله: ﴿ يحلفون لكم لترضوا عنهم ﴾ أي: ولهم أيضاً هذا المقصد الآخر منكم، غير مجرد الإعراض، بل يحبون أن ترضوا عنهم، كأنهم ما فعلوا شيئاً.

﴿ فَإِن تَرْضُوا عَنْهُمُ فَإِن اللهُ لا يَرْضَى عَن القوم الفاسقين ﴾ أي: فلا ينبغي لكم أيها المؤمنون أن ترضوا عن من لم يرض الله عنه، بل عليكم أن توافقوا ربكم في رضاه وغضه.

وتأمل كيف قال: ﴿فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ ولم يقل: «فإن الله لا يرضى عنهم ليدل ذلك على أن باب التوبة مفتوح، وأنهم مهما تابوا هم أو غيرهم، فإن الله مهما تابوا هم أو غيرهم، فإن الله

 <sup>(</sup>۲) زيادة من هامش ب.
 (۳) في ب واللوم يتأكد على الذين.

يتوب عليهم ويرضى عنهم.

وأما ما داموا فاسقين، فإن الله لا يرضى عليهم، لوجود المانع من رضاه، وهو خروجهم عن ما رضيه الله لهم من الإيمان والطاعة، إلى ما يغضبه من الشرك والنفاق والمعاصي.

وحاصل ما ذكره الله أن المنافقين المتخلفين عن الجهاد من غير عذر، إذا اعتذروا للمؤمنين، وزعموا أن لهم أعذاراً في تخلفهم، فإن المنافقين يريدون بدلك أن تعرضوا عنهم، وترضوا وتقبلوا عذرهم، فأما قبول العذر منهم والرضا عنهم، فلا حبأ ولا كرامة لهم.

وأما الإعراض عنهم، فيعرض المؤمنون عنهم، إعراضهم عن الأمور الردية الرجس، وفي هذه الآيات، إثبات الكلام لله تعالى في قوله: ﴿قد نبأنا الله من أنحباركم﴾ وإثبات الأفعال الاختيارية لله ، الواقعة بمشيئته [تعالى] وقىدرتىم فى هىذا، وفى قىولىم: ﴿وسيرى الله عملكم ورسوله﴾ أخبر أنه سيراه بعد وقوعه، وفيها إثبات الرضا لله عن المحسنين، والغضب والسخط على الفاسقين.

﴿ ٩٧ \_ ٩٩﴾ ﴿الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنسزل الله عسلى رسسولسه والله عسليم حكيم \* ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم \* ومن الأعبراب من يـؤمن بـالله واليوم الآخر ويتخذما ينفق قربات عندالله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إنّ الله غفور رحيم ، يقول تعالى: ﴿الأعراب ﴾ وهيم سكيان البادية والبراري أشد كفراً ونفاقاً﴾ من الحاضرة الذين فيهم كفر ونفاق، وذلك لأسباب كثيرة:

منها: أنهم بعيدون عن معرفة الشرائع الدينية والأعمال والأحكام، فهم أحرى ﴿وأجدر ألا يعلموا حدود

ما أنزل الله على رسوله ﴾ من أصول الإيمان وأحكام الأوامر والنواهي، بخلاف الحاضرة، فإنهم أقرب لأن يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، فيحدث لهم \_بسبب هذا العلم \_ تصورات حسنة، وإرادات للخير، الذي يعلمون، ما لا يكون في البادية .

وفيهم من لطافة الطبع والانقياد للداعي ما ليس في البادية، ويجالسون أهل الإيمان، ويخالطونهم أكثر من أهل البادية، فلذلك كانوا أحرى للخير من أهل البادية، وإن كان في البادية والحاضرة، كفار ومنافقون، ففي البادية أشد وأغلظ مما في الحاضرة.

ومن ذلك أن الأعراب أحرص على الأموال وأشح فيها.

﴿٩٨﴾ فمنهم ﴿من يتخذ ما ينفق﴾ من الزكاة والنفقة في سبيل الله وغير ذلك، ﴿مغرماً ﴾ أي: يراها خسارة ونقصاً، لا يحتسب فيها، ولا يريد بها وجه الله، ولا يكاديؤديها إلا كرهاً.

﴿ ويتربص بكم الدوائر ﴾ أي: من عداوتهم للمؤمنين وبغضهم لهم، أنهم يودون وينتظرون فيهم دوائر الدهر، وفجائع الزمان، وهذا سينعكس عليهم، فعليهم دائرة السوء.

وأما المؤمنون فلهم الدائرة الحسنة على أعدائهم، ولهم العقبي الحسنة، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْمٌ ﴾ يعلم نيات العباد، وما صدرت عنه الأعمال من إخلاص وغيره.

وليس الأعراب كلهم مذمومين، بل منهم ومن يومن بالله واليوم الأخر﴾ فيسلم بذلك من الكفر والنفاق ويعمل بمقتضى الإيمان.

﴿وَيتخذ ما ينفق قربات عند الله أي: يحتسب نفقته، ويقصد بها وجه الله تعالى والقرب منه ﴿و﴾ يجعلها وسيلة لـ ﴿صلوات الرسول﴾ أي: دعائه لهم، وتبريكه عليهم، قال تعالى مبيناً لنفع صلوات الرسول: ﴿ أَلَا إنها قربة لهم ﴿ تقربهم إلى الله، وتنمى

أموالهم وتحل فيها البركة. ﴿سيدخلهم الله في رحمته ﴾ في جملة عباده الصالحين إنّه غفور رحيم، فيغفر السيئات العظيمة لمن تاب إليه، ويعم عباده برحمته، التي وسعت كل شيء، ويخص عباده المؤمنين برحمة يوفقهم فيها إلى الخيرات، ويحميهم فيها من المخالفات، ويجزل لهم فيها أنواع

وفيى هذه الآية دليل على أن الأعبراب كأهل الحاضرة، منهم الممدوح ومنهم المذموم، فالم يذمهم الله على مجرد تعربهم وباديتهم، إنما ذمهم على ترك أوامر الله، وأنهم في مظنة ذلك.

المثوبات.

ومنها: أن الكفر والنفاق يزيد وينقص ويغلظ ويخف بحسب الأحوال.

ومنها: فضيلة العلم، وأن فاقده أقرب إلى الشر عمن يعرفه ، لأن الله ذم الأعبراب، وأخبر أنهم أشد كفراً ونفاقاً، وذكر السبب الموجب لذلك، وأنهم أجدر أن لا يعلموا حدودما أنزل الله على رسوله.

ومنها: أن العلم النافع الذي هو أنفع العلوم، معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله، من أصول الدين وفروعه، كمعرفة حدود الإيمان، والإسلام، والإحسان، والتقوى، والفلاح، والطاعة، والبر، والصلة، والإحسان، والكفر، والنفاق، والفسوق، والعصيان، والزنا، والخمر، والربا، ونحو ذلك. فإن في معرفتها يتمكن من فعلها \_إن كانت مأمور بها(١)، أو تركها إن كانت محظورة \_ومن الأمر بها أو النهى

ومنها: أنه ينبغي للمؤمن أن يؤدي ما عليه من الحقوق، منشرح الصدر، مطمئن النفس، ويحرص أن تكون مغنماً، ولا تكون مغرماً.

﴿١٠٠) ﴾ ﴿والسابقُونِ الأولونِ من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم

بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم السابقون هم الذين سبقوا هذه الأمة وبدروها إلى الإيمان والهجرة والجهاد، وإقامة دين الله.

﴿من المهاجرين ﴿ الذين ، أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون ﴾ .

﴿وَ هُ مِن ﴿الأَنْصَارِ ﴾ ﴿الذِينَ تَبُوُّوا الدَارِ وَالإِيمَانِ ، [من قبلهم] يجبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ .

﴿والذين اتبعوهم بإحسان ﴾ بالاعتقادات والأقوال والأعمال، فهؤلاء هم الذين سلموا من الذم، وحصل لهم نهاية المدح، وأفضل الكرامات من الله.

مورضي الله عنهم ورضاه تعالى أكبر من نعيم الجنة، فورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار الجارية التي تساق إلى سَفْي الجنان، والحداثق الزاهية الزاهرة، والرياض الناضة.

﴿خالدين فيها أبداً﴾ لا يبغون عنها حولاً، ولا يطلبون منها بدلاً، لأنهم مهما تمنوه أدركوه، ومهما أرادوه، وجدوه.

﴿ ذَلك الفوز العظيم ﴾ الذي حصل لهم فيه، كل محبوب للنفوس، ولذة للأرواح، ونعيم للقلوب، وشهوة للأبدان، واندفع عنهم كل محذور.

﴿١٠١﴾ ﴿وَمُـنَ حَـولَـكَـم مَـنَ الْعُرابِ مَنافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم ﴾ يقول تعالى: ﴿ومُعن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة ﴾ أيضاً منافقون ﴿مردوا على النفاق ﴾ أي: قرنوا عليه، واستمروا وإدادوا فيه طغياناً.

ولا تعلمهم بأعيانهم فتعاقبهم،
 أو تعاملهم بمقتضى نفاقهم، لما شه في
 ذلك من الحكمة الباهرة.

﴿نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين﴾ يحتمل أن التثنية على بابها، وأن عذابهم عذاب في الدنيا، وعذاب في الآخرة. ففي الدنيا ما ينالهم من الهم والحزن (١٠)، والكراهة لما يحسيب المؤمنين من الفتح والنصر، وفي الآخرة عذاب النار وبئس القرار.

ر. ويحتمل أن المراد سنغلظ عليهم العذاب، ونضاعفه عليهم ونكرره.

(۱۰۳ – ۱۰۲) ﴿ وَأَحَسَرُونَ اعْتَرَفُوا بَذُنُوبِهِم خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخِرُ سِيئاً عَسَى الله أن يتوب عليهم إنّ الله غفور رحيم \* خَذَ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إنّ صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ﴾ يقول تعالى: ﴿ وَآخُرُونَ ﴾ عن بالمدينة ومن حولها، بل ومن سائر البلاد الإسلامية، ﴿ اعترفُوا بَذُنُوبِهِم ﴾ أي: أقروا بها، وندموا عليها، وسعوا في التوبة منها، والتطهر من أدرانها.

﴿خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيناً﴾ ولا يكون العمل صالحاً إلا إذا كان مع العبد أصل التوحيد والإيمان، المخرج عن الكفر والشرك، الذي هو شرط لكل عمل صالح، فهؤلاء خلطوا المسيئة، بالأعمال السيئة، من التجرؤ على بعض المحرمات، من التقصير في بعض الواجبات، مع الاعتراف بذلك والرجاء بأن يغفر اللهم، فهؤلاء ﴿عسى الله أن يتوب

عليهم الله وتوبته على عبده نوعان: الأول: التوفيق للتوبة. والثاني:

ادون: اعتوقيق تعتوبه، واقتاي قبولها بعد وقوعها منهم.

بري بعد ويوسه مهم، أي: وصفه المغفرة والرحمة، اللتان لا يخلو مخلوق منهما، بل لا بقاء للعالم العلوي والسفلي إلا بهما، فلو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من داءة

﴿إِن الله يحسك السحاوات والأرض أن ترولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً ﴾.

ومن مغفرته أن المسرفين على أنفسهم الذين قطعوا أعمارهم بالأعمال السيئة، إذا تابوا إليه وأنابوا ولو قبيل موتهم بأقل القليل، فإنه يعفو عنهم، ويتجاوز عن سيئاتهم، فهذه الآية دلت<sup>(۲)</sup> على أن المخلط المعترف النادم، الذي لم يتب توبة نصوحاً، أنه تحت الخوف والرجاء، وهو إلى السلامة أق ب

وأما المخلط الذي لم يعترف ويندم على ما مضى منه، بل لا يزال مصراً على الذنوب، فإنه يخاف عليه أشد الخوف.

قال تعالى لرسوله ومن قام مقامه، آمراً له بما يطهر المؤمنين، ويتمم إيمانهم: ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ وهي الزكاة المفروضة، ﴿تطهرهم وتزكيهم بها﴾ أي: تطهرهم من الذنوب والأخلاق الرذيلة.

وُوتزكيهم أي: تنميهم، وتزيد في أخلاقهم الحسنة، وأعمالهم الصالحة، وتزيد في ثوابهم الدنيوي والأخروي، وتنمي أموالهم.

وصل عليهم أي الدع لهم، أي المؤمنين عموماً، وخصوصاً عندما يدفعون إليك زكاة أموالهم.

﴿إِن صَلَاتَكُ سَكَنَ لَهُم ﴾ أي: طمأنينة لقلوبهم، واستبشار لهم، ﴿والله سميع ﴾ لدعائك، سمع إجابة وقول.

﴿عليم ﴾ بأحوال العباد ونياتهم ، فيجازي كل عامل بعمله ، وعلى قدر نيته ، فكان النبي ﷺ يمتثل لأمر الله ، ويأمرهم بالصدقة ، ويبعث عماله لجبايتها ، فإذا أناه أحد بصدقته دعا له وبرك .

ففي هذه الآية دلالة على وجوب الزكاة في جميع الأموال، وهذا إذا كانت للتجارة ظاهرة، فإنها أموال

<sup>(</sup>١) في ب: والغم.

تنمى ويكتسب بها، فمن العدل أن يـواسـى مـنـهـا الـفـقـراء، بـأداء مـا أوجب الله فيها من الزكاة.

وما عدا أموال التجارة، فإن كان المال ينمى، كالحبوب، والشمار، والماشية المتخذة للنماء والدر والنسل، فإنها تجب فيها الزكاة، وإلا لم تجب فيها، لأنها إذا كانت للقنية، لم تكن بمنزلة الأموال التي يتخذها الإنسان في العادة مالاً يتمول، ويطلب منه المقاصد المالية، وإنما صرف عن المالية بالقنية ونحوها.

وفيها: أن العبد لا يمكنه أن يتطهر ويتزكى حتى يخرج زكاة ماله، وأنه لا يكفرها شيء سوى أدائها، لأن الزكاة والتطهير متوقف على إخراجها. وفيها: استحباب الدعاء من الإمام أو نائبه لمن أدى زكاته بالبركة، وأن ذلك ينبغي أن يكون جهراً، بحيث يسمعه المتصدق فيسكن إليه.

ويؤخذ من المعنى، أنه ينبغي إدخال السرور على المؤمن بالكلام اللين، والدعاء له، ونحو ذلك مما يكون فيه طمأنينة، وسكون لقلبه.

وأنه ينبغي تنشيط من أنفق نفقة وعمل عملاً صالحاً بالدعاء له والثناء، ونحو ذلك.

﴿١٠٤﴾ ﴿ أَمْ يعلموا أَنَّ اللهُ هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأنَّ اللهُ هو وأنَّ اللهُ هو التواب الرحيم ﴾ أي: أما علموا سعة رحمة الله وعموم كرمه وأنه ﴿ يقبل التوبة عن عباده ﴾ التأثين من أي: ذنب كان، بل يفرح تعالى بتوبة عبده إذا تاب أعظم فرح يقدر.

﴿ويأخذ الصدقات ﴾ منهم، أي: يقبلها ويأخذها بيمينه، فيربيها لأحدهم كما يربي الرجل فلوه، حتى تكون التمرة الواحدة كالجبل العظيم، فكيف بما هو أكبر وأكثر من ذلك.

﴿وأن الله هو التواب﴾ أي: كثير التوبة على التائبين، فمن تاب إليه تاب عليه، ولو تكررت منه [المعصية (١)] مراراً. ولا يمل الله من التوبة على

عباده، حتى يملوا هم، ويأبوا إلا النفار والشرود عن بابه، وموالاتهم عدوهم.

﴿الرحيم﴾ الذي وسعت رحمته كل شيء، وكتبها للذين يتقون، ويؤتون الزكاة، ويؤمنون بآياته، ويتبعون رسوله.

﴿١٠٥﴾ ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبتكم بما كنتم تعملون ﴾ يقول تعالى: ﴿وقل ﴾ لهؤلاء المنافقين: ﴿اعملوا ﴾ ما ترون من الأعمال، واستمروا على باطلكم، فلا تحسبوا أن ذلك سيخفى.

﴿فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤسنون أي: لا بدأن يتبين عملكم ويتضح ، ﴿وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ومن خير وشر، ففي هذا التهديد والوعيد الشديد على من استمر على باطله وطغيانه وغيه وعصيانه.

عي بعد وعيد وعيد وعيد وعديد. ويحتمل أن المعنى: أنكم مهما عملتم من خير أو شر، فإن الله مطلع عليكم، وسيطلع رسوله وعباده المؤمنين علي أعمالكم ولو كانت باطنة.

﴿ ١٠٦﴾ ﴿ وَآخسرون مسرجون الله إمّا يعذبهم وإمّا يتوب عليهم وأمّا يتوب عليهم وأمّا يتوب عليهم من المخلفين مؤخرون ﴿ لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم ﴾ ففي هذا التخويف الشديد للمتخلفين، والحث لهم على التوبة والندم.

﴿والله عليم﴾ بأحوال العباد ونياتهم ﴿حكيم﴾ يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، فإن اقتضت حكمته أن يغفر لهم ويتوب عليهم غفر لهم وتاب عليهم، وإن اقتضت حكمته أن يخذلهم ولا يوفقهم للتوبة، فعل ذاك.

﴿١٠٧ - ١١٠﴾ ﴿واللَّذِينَ اتخذُوا مسجداً ضِراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمسنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا

الحسني والله يشهد إنهم لكاذبون \* لا تقم فيه أبدأ لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين \* أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين \* لا يزال بنيانهم الذي بنو ريبة في قلوبهم إلاّ أن تقطّع قُلوبهمّ والله عليم حكيم لله كان أناس من المنافقين من أهل قبأء اتخذوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء، يريدون به المضارة والمشاقة بين المؤمنين، ويعدونه لمن يرجونه من المحاربين لله ورسوله، يكون لهم حصناً عند الاحتياج إليه، فبين تعالى خزيهم، وأظهر سرهم فقال: ﴿واللَّذِينَ اتَّخَذُوا مُسْجِداً ضراراً ♦ أي: مضارة للمؤمنين ولمسجدهم الذي يجتمعون فيه ﴿وكفراً ﴾ أي: قصدهم فيه الكفر، إذا قصد غيرهم الإيمان.

﴿وتفريقاً بين المؤمنين أي: ليتشعبوا ويتفرقوا ويختلفوا، ﴿وإرصاداً أي: إعسداداً ﴿لَمْنُ حَارِبِ اللهُ ورسوله من قبل أي: إعانة للمحاربين لله ورسوله، الذين تقدم حرابهم واشتدت عداوتهم، وذلك كأبي عامر الراهب، الذي كان من أهل المدينة، فلما قدم النبي ﷺ وهاجر إلى المدينة، كفر به، وكان متعبداً في الجاهلية، فذهب إلى المستعين بهم على حرب رسول الله ﷺ.

فلما لم يدرك مطلوبه عندهم ذهب إلى قيصر بزعمه أنه ينصره، فهلك اللعين في الطريق، وكان على وعد وعالأة، هو والمنافقون. فكان مما أعدوا له مسجد الضرار، فنزل الوحي بذلك، فبعث إليه النبي على من يهدمه وعرق، وصار بعد ذلك مزبلة.

قال تعالى بعدما بين من مقاصدهم

الفاسدة في ذلك المسجد ﴿وليحلفن إن أردنا ﴾ في بنائنا إياه ﴿إلا الحسنى ﴾ أي: الإحسان إلى الضعيف، والعاجز والضرير.

﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ فشهادة الله عليهم أصدق من حلفهم. ﴿لا تقم فيه أبداً﴾ أي: لا تصل

في ذلك المسجد الذي بني ضراراً أبداً، فالله يغنيك عنه، ولست بمضطر إليه. ولمسجد أسس على التقوى من أول

يوم فلهر فيه الإسلام في "قباء"، وهو مسجد "قباء"، أسس على إخلاص الدين لله، وإقامة ذكره وشعائر دينه، وكان قديماً في هذا عريقاً فيه، فهذا المسجد الفاضل فأحق أن تقوم فيه وتتعبد، وتذكر الله تعالى فهو فاضل، وأهله فضلاء، ولهذا مدحهم الله بقوله: فوفيه رجال يحبون أن يتطهروا من الذنوب، ويتطهروا من الأوساخ، والنجاسات

ومن المعلوم أن من أحب شيئاً لا بد أن يسعى له ويجتهد فيما يجب، فلا بد أنهم كانوا حريصين على التطهر من الذنوب والأوساخ والأحداث، ولهذا كانوا عن سبق إسلامه، وكانوا مقيمين للصلاة، محافظين على الجهاد مع رسول الله على وإقامة شرائع الدين، وعن كانوا يتحرزون من مخالفة الله ورسوله.

وسألهم النبي على بعدما نزلت هذه الآية في مدحهم عن طهارتهم، فأخبروه أنهم يتبعون الحجارة الماء، فحمدهم على صنيعهم.

﴿والله يحب المطهرين > الطهارة المعنوية، كالتنزه من الشرك والأخلاق الرذيلة، والطهارة الحسية كإزالة الأنجاس ورفع الأحداث.

ثم فاضل بين المساجد بحسب مقاصد أهلها وموافقتها لرضاه فقال: ﴿أَفْمِنْ أُسِسُ بِنَيانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ الله﴾ أي: على نية صالحة وإخلاص ﴿ورضوان﴾ بأن كان موافقاً لأمره،

فجمع في عمله بين الإخلاص والمتابعة، وخير أم من أسس بنيانه على شفا أي: على طرف وجرف هار أي: بال، قد تداعى للانهدام، وفانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الطالمين لا فيه مصالح دينهم ودنياهم.

ولا يزال بنيائهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم أي: شكا وريباً ماكثاً في قلوبهم أي: شكا وريباً ماكثاً في قلوبهم بأن يندموا غاية الندم ويتوبوا إلى ربهم، ويخافوه غاية الخوف، فبذلك يعفو الله عنهم، وإلا فبنيائهم لا يزيدهم إلا ريباً إلى ربهم، ونفاقاً إلى نفاقهم.

والله عليم بجميع الأشياء، ظاهرها وباطنها، خفيها وجليها، وبما

أسره العباد، وأعلنوه.

﴿حكيم﴾ لا يفعل ولا يخلق ولا يأمر ولا ينهى، إلا ما اقتضته الحكمة وأمر به فلله الحمد(١).

وفي هذه الآيات فوائد عدّة: منها: أن اتخاذ المسجد الذي يقصد به الضرار لمسجد آخر بقربه، أنه محرم، وأنه يجب هدم مسجد الضرار، الذي اطلع على مقصود أصحابه.

ومنها: أن العمل وإن كان فاضلاً تغيره النية، فينقلب منهياً عنه، كما قلبت نية أصحاب مسجد الضرار عملهم إلى ما ترى.

ومنها: أن كل حالة يحصل بها التفريق بين المؤمنين، فإنها من المعاصي التي يتعين تركها وإزالتها.

كما أن كل حالة بحصل بها جمع المؤمنين وائتلافهم، يتعين اتباعها والأمر بها والحث عليها، لأن الله علل اتخاذهم لمسجد الضرار بهذا المقصد الموجب للنهي عنه، كما يوجب ذلك الكفر والمحاربة لله ورسوله.

ومنها: النهي عن الصلاة في أماكن المعصية، والبعد عنها، وعن قربها.

ومنها: أن المعصية تؤثر في البقاع، كما أثرت معصية المنافقين في مسجد الضرار، ونهى عن القيام فيه، وكذلك

الطاعة تؤثر في الأماكن كما أثرت في مسجد "قباء" حتى قال الله فيه: ﴿لسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾

ولهذا كأن لمسجد قباء من الفضل ما ليس لغيره، حتى كان ﷺ يزور قباء كل سبت يصلي فيه، وحث على الصلاة فه.

ومنها: أنه يستفاد من هذه التعاليل المذكورة في الآية، أربع قواعد مهمة، وهي:

كُل عمل فيه مضارة لمسلم، أو فيه معصية لله، فإن المعاصي من فروع الكفر، أو فيه تفريق بين المؤمنين، أو فيه معاونة لمن عادى الله ورسوله، فإنه عرم محنوع منه، وعكسه بعكسه.

ومنها: أن الأعمال الحسية الناشئة عن معصية الله لا تزال مبعدة لفاعلها عن الله بمنزلة الإصرار على المعصية حتى يزيلها ويتوب منها توبة تامة بحيث يتقطع قلبه من الندم والحسرات.

ومنها: أنه إذا كان مسجد قباء مسجداً أسس على التقوى، فمسجد النبي على الذي أسسه بيده المباركة وعمل فيه واختاره الله له من باب أولى وأحرى.

ومنها: أن العمل المبني على الإخلاص والمتابعة، هو العمل المؤسس على التقوى، الموصل لعامله إلى جنات النعيم.

والعمل المبني على سوء القصد وعلى المبدع والضلال، هو العمل المؤسس على شفا جرف هار، فانهار به في نار جهنم، والله لا يهدي القوم الظالمين.

﴿ ١١١﴾ ﴿ إِنَّ اللهُ السترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ يخبر تعالى خبراً صدقاً ، ويعد وعداً حقاً بمبايعة

عظيمة، ومعاوضة جسيمة، وهو أنه ﴿اشترى﴾ بنفسه الكريمة ﴿من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾ فهي المثمن والسلعة المبيعة.

﴿بأن لهم الجنّة ﴾ التي فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين من أنواع اللذات، والأفراح، والمسرات، والحور الحسان، والمنازل الأنيقات.

وصفة العقد والمبايعة، بأن يبذلوا ش نفوسهم وأموالهم في جهاد أعدائه، لإعلاء كلمته وإظهار دينه ف ﴿يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون فهذا العقد والمبايعة، قد صدرت من الله موكدة بأنواع التأكيدات.

﴿وعداً عليه حقاً في السوراة والإنجيل والقرآن التي هي أشرف الكتب التي طرقت العالم، وأعلاها، وأكملها، وجاء بها أكمل الرسل أولو العزم، وكلها اتفقت على هذا الوعد الصادق.

﴿ومسن أوفى بسعسهده مسن الله فاستبشروا ﴾ أيها المؤمنون القائمون بما وعدكم الله ، ﴿ببيعكم الذي بايعتم به أي: لتفرحوا بذلك، وليبشر بعضكم بعضاً ، ويحث بعضكم بعضاً ،

ووذلك هو الفوز العظيم الذي لا فوز أكبر منه ولا أجل، لأنه يتضمن السعادة الأبدية، والنعيم المقيم، والرضا من الله الذي هو أكبر من نعيم الجنات، وإذا أردت أن تعرف مقدار الصفقة، فانظر إلى المشتري من هو؟ وهو الله جل جلاله، وإلى المعوض، وهو أكبر الأعواض وأجلها، جنات النعيم، وإلى الثمن المبذول فيها، وهو النفس، وإلى الثمن الذي هو أحب الأشياء للإنسان.

وإلى من جرى على يديه عقد هذا التبايع، وهو أشرف الرسل، وبأي: كتاب رقم، وهي كتب الله الكبار المنزلة على أفضل الخلق.

﴿١١٢﴾ ﴿السائبون السابدون الحابدون الحسابدون السائبدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر

المؤمنين كأنه قيل: من هم المؤمنون الذين لهم البشارة من الله بدخول الجنات ونيل الكرامات؟ فقال: هم ﴿التائبون كأي: الملازمون للتوبة في جميع الأوقات عن جميع السيئات. ﴿السمايدون كأي: المتصفون

بالعبودية ش، والاستمرار على طاعته من أداء الواجبات والمستحبات في كل وقت، فبذلك يكون العبد من العابدين.

﴿ الحامدون ﴾ لله في السسراء والضراء، واليسر والعسر، المعترفون بما لله عليهم من النعم الظاهرة والباطنة، المثنون على الله بذكرها وبذكره في آناء الليل وآناء النهار.

والسائحون و فسرت السياحة بالصيام، أو السياحة في طلب العلم، وفسرت بسياحة القلب في معرفة الله وعبيته، والإنابة إليه على الدوام، والصحيح أن المراد بالسياحة: السفر في القربات، كالحج، والعمرة، والجهاد، وطلب العلم، وصلة الأقارب، ونحو ذلك.

﴿الراكعون الساجدون﴾ أي: المكثرون من الصلاة المشتملة على الركوع والسجود.

﴿الآمرون بالمعروف﴾ ويدخل فيه جميع الواجبات والمستحبات.

﴿ والناهون عن المنكر ﴾ وهي جميع ما نهي الله ورسوله عنه .

﴿والحافظون لحدود الله بتعلمهم حدود ما أنزل الله على رسوله، وما يسدخل في الأوامر والنواهي والأحكام، وما لا يدخل، الملازمون لها فعلاً وتركا.

﴿وبسر المؤمنين﴾ لم يذكر ما يبشرهم به، ليعم جميع ما رتب على الإيمان من ثواب الدنيا والدين والآخرة، فالبشارة متناولة لكل مؤمن.

وأما مقدارها وصفتها فإنها بحسب حال المؤمنين، وإيـمانهـم، قـوة، وضعفاً، وعملاً بمقتضاه.

﴿١١٤ ــ ١١٤﴾ ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين

ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم \* وماكان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إنّ إبراهيم لأواه حليم لله يعنى: ما يليق ولا يحسن للنبي وللمؤمنين به ﴿أَنْ يُستَغَفِّرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: لمن كفر به وعبد معه غيره ﴿ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ فإن الاستغفار لهم في هذه الحال غلط غير مفيد، فلا يليق بالنبي والمؤمنين، لأنهم إذا ماتوا على الشرك، أو علم أنهم يموتون عليه، فقد حقت عليهم كلمة العذاب، ووجب عليهم الخلود في النار، ولم تنفع فيهم شفاعة الشافعين، ولا استغفار المستغفرين.

وأيضاً فإن النبي والذين آمنوا معه، عليهم أن يوافقوا ربهم في رضاه وغضبه، ويوالوا من والاه الله، والاستغفار منهم لمن تبين أنه من أصحاب النار مناف لذلك، مناقض له، ولئن وجد الاستغفار من خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام لأبيه فإنه ﴿عن موعدة وعدها إياه﴾ في قوله:

ربي إنه كان بي حفياً ﴾ وذلك قبل أن يعلم عاقبة أبيه .

فلما تبين لإبراهيم أن أباه عدو شه، سيموت على الكفر، ولم ينفع فيه الوعظ والتذكير ﴿تبرأ منه﴾ موافقة لربه وتأدياً معه.

﴿إِن إِسراهيم لأواه ﴾ أي: رجّماع إلى الله في جميع الأمور، كثير الذكر والدعاء والاستغفار والإنابة إلى ربه.

﴿ حليم ﴾ أي: ذو رحمة بالخلق، وصفح عما يصدر منهم إليه من الزلات، لا يستفزه جهل الجاهلين، ولا يقابل الجاني عليه بجرمه، فأبو، قال له: ﴿ لأرجمنك ﴾ وهو يقول له: ﴿ سلام عليك سأستغفر لك ربى ﴾ .

فعليكم أن تقتدوا وتتبعوا ملّة إبراهيم في كل شيء ﴿إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك﴾ كما نبهكم الله عليها وعلى غيرها، ولهذا قال:

﴿ ١١٥ ــ ١١٦ ﴾ ﴿ ومــا كــان الله

ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إنّ الله بكل شيء عليم \* إنّ الله له ملك السماوات والأرض يحي ويميت وما لكم من ولي ولا نصير > يعني أن الله تعالى إذا من على قوم بالهداية، أن الله تعالى يتمم عليهم إحسانه، ويبين لهم ضرورتهم، فلا يتركهم ضالين ضرورتهم، فلا يتركهم ضالين على كمال رحمته، وأن شريعته وافية بجميع ما يحتاجه العباد في أصول بجميع ما يحتاجه العباد في أصول الدين وفروعه.

ويحتمل أن المراد بـذلـك ﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾ فإذا بين لهم ما يتقون فلم ينقادوا له، عاقبهم بالإضلال جزاء لهم على ردهم الحق المين، والأول أولى.

﴿إِنَ اللهُ بِكُلِ شِيءَ عَلَيْمٍ ﴾ فلكمال علمه وعمومه علمكم ما لم تكونوا تعلمون، وبين لكم ما به تتنفعون.

﴿إِن الله له ملك السماوات والأرض يحيي ويسميت ﴾ أي: هو المالك لذلك، المدبر لعباده بالإحياء والإماتة وأنواع التدابير الإلهية، فإذا كان لا يخل بتدبيره القدري فكيف يخل بتدبيره الديني المتعلق بإلهيته، ويترك عباده سدى مهملين، أو يدعهم ضالين جاهلين، وهو أعظم توليه لعباده؟!!

فلهذا قال: ﴿وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾ أي: ولي يتولاكم بجلب المنافع لكم، أو ﴿نصير﴾ يدفع عنكم المضار.

﴿١١٧ ـ ١١٨ ﴾ ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنّه بهم رؤوف رحيم \* وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم

الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا الميه من الله إلا المتوبوا إن الله هو التواب الرحيم في غير تعالى أنه من لطفه وإحسانه (تاب على النبي في محمد التواب الزلات، ووفر لهم الحسنات، ورقاهم الزلات، ووفر لهم الحسنات، وزقاهم قيامهم بالأعمال الصعبة الشاقات، ولهذا قال: (الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقعة (تبوك) (الوكان في الرحية عدو، مما يدعو إلى والركوب، وكثرة عدو، مما يدعو إلى التخلف.

فاستعانوا الله تعالى، وقاموا بذلك فرين بعد ما كاديزيغ قلوب فريق منهم أي: تنقلب قلوبهم، ويميلوا إلى الدعة والسكون، ولكن الله ثبتهم وقواهم. وزَيْغُ القلب هو انحرافه عن الصراط المستقيم، فإن كان الانحراف في أصل الدين كان كفراً، وإن كان في شرائعه كان بحسب تلك الشريعة التي زاغ عنها، إما قصر عن فعلها، أو فعلها على غير الوجه الشرعى.

وقوله: ﴿ثم تاب عليهم﴾ أي: قبل توبتهم ﴿إنه بهم رؤوف رحيم﴾ ومن رأفته ورحمته أن مَنَ عليهم بالتوبة، وقبلها منهم وثبتهم عليها.

﴿وَ كَذَلْكُ لَقَدْ تَابِ الله ﴿عَلَى النَّالاَثَةُ الذِّينَ خَلَقُوا ﴾ عن الحُروج مع المسلمين في تلك الغزوة، وهم: «كعب بن مالك» وصاحباه، وقصتهم مشهورة معروفة في الصحاح والسنن. ﴿حَتَى إِذَا ﴾ حزنوا حزناً عظيماً، و﴿ضَافَتَ عَلَيْهِمُ الأَرْضِ بِما رحبت ﴾ و﴿ضَافَتَ عَلَيْهِم الأَرْضِ بِما رحبت ﴾

وحتى إذا خزنوا حزناً عظيماً، ووضاقت عليهم الأرض بما رحبت و أي: على سعتها ورحبها ووضاقت عليهم أنفسهم التي هي أحب إليهم من كل شيء، فضاق عليهم الفضاء الواسع، والمحبوب الذي لم تجر العادة بالضيق منه، وذلك لا يكون إلا من

أمر مزعج، بلغ من الشدة والمشقة ما لا يمكن التعبير عنه، وذلك لأنهم قدموا رضا الله ورضا رسوله على كل شيء.

وظنوا أن لا ملجاً من الله إلا إليه أن ايد أي: تيقنوا وعرفوا بحالهم، أنه لا ينجي من الشدائد ويلجأ إليه، إلا الله وحده لا شريك له، فانقطع تعلقهم بالمخلوقين، وتعلقوا بالله ربهم، وفروا منه إليه، فمكثوا بهذه الشدة نحو خسين ليلة.

وثم تاب عليهم أي: أذن في توبتهم ووفقهم لها وليتوبوا أي: لتقع منهم، فيتوب الله عليهم، وإن الله هو التواب أي: كثير التوبة والعصيان، والغفران عن الزلات والعصيان، والرحيم وصفه الرحمة التي لا تزال تنزل على العباد في كل وقت وحين، في جميع اللحظات، ما تقوم به أمورهم الدينية.

وفي هذه الآيات دليل على أن توبة الله على العبد أجل الغايات، وأعلى النهايات، فإن الله جعلها نهاية خواص عباده، وامتنَّ عليهم بها، حين عملوا الأعمال التي يحبها ويرضاها.

ومنها: لطف الله بهم وتثبيتهم في إيمانهم عند الشدائد والنوازل المزعجة. ومنها: أن العبادة الشاقة على النفس، لها فضل ومزية ليست لغيرها، وكلما عظمت المشقة عظم الأجر.

ومنها: أن توبة الله على عبده بحسب ندمه وأسفه الشديد، وأن من لا يبالي بالذنب ولا يحرج إذا فعله، فإن توبته مدخولة، وإن زعم أنها مقولة.

ومنها: أن علامة الخير وزوال الشدة، إذا تعلق القلب بالله تعالى تعلقاً تاماً، وانقطع عن المخلوقين.

ومنها: أن من لطف الله بالثلاثة، أن وسمهم بوسم، ليس بعار عليهم فقال: ﴿خلفوا﴾ إشارة إلى أن المؤمنين

خلفوهم، [أو خلفوا عن من بُتَ في قبول عذرهم أو في رده [(۱) وأنهم لم يكن تخلفهم رغبة عن الخير، ولهذا لم يقل: (تخلفوا».

ومنها: أنَّ الله تعالى مَنَّ عليهم بالصدق، ولهذا أمر بالاقتداء بهم فقال:

﴿١١٩﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين أي: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ بالله، وبما أمر الله بالإيمان به، قوموا بما يقتضيه الإيمان، وهو القيام بتقوى الله تعالى، باجتناب ما نهى الله عنه والبعد عنه.

﴿وكونوا مع الصادقين في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم الذين أقوالهم صدق، وأعمالهم، وأحوالهم لا تكون إلا صدقاً خلية من الكسل والفتور، سالمة من المقاصد السيئة، مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البريهدي إلى البر، وإن البريهدي إلى البر، وإن البريهدي إلى البر، وإن البريهدي إلى الجنة.

قال الله تعالى: ﴿ هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾ الآية .

﴿١٢٠ \_ ١٢١﴾ ﴿ما كان لأمل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا نحصمة في سبيل ألله ولا يطؤون موطِئاً يغيظ الكَفار ولا ينالون من عدوً نيلاً إلاّ كتب لهم به عمل صالح إنَّ الله لا يضيع أجر المحسنين \* ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلاّ كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون القول تعالى -حاثاً لأهل المدينة المنورة من المهاجرين، والأنصار، ومن حولهم من الأعراب، الذين أسلموا فحسن إسلامهم ..: ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ﴾ أي: ما ينبغي لهم ذلك، ولا يليق بأحوالهم.

﴿ولا يرغبوا بأنفسهم ﴾ في بقائها

وراحتها، وسكونه ﴿عن نفسه﴾ الكريمة الزكية، بل النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فعلى كل مسلم عليها، فعلامة تعظيم الرسول ﷺ لا يتخلفوا عنه، ثم ذكر التواب الحامل على الخروج، فقال: ﴿ذلك بأنهم﴾ لا يصبيهم ظمأ ولا نصب أي: تعب ومشقة ﴿ولا خمصة في سبيل الله أي: عاعة.

﴿ولا يطوّون موطئاً يغيظ الكفار ﴾ من الخوض لديارهم والاستيلاء على أوطانهم، ﴿ولا ينالون من عدو نيلاً ﴾ كالظفر بجيش أو سرية أو الغنيمة لمال ﴿إلا كتب لهم به عمل صالح ﴾ لأن هذه آثار ناشئة عن أعمالهم.

﴿إِن الله لا يضيع أَجَرُ المحسنين ﴾ المذين أحسنوا في مبادرتهم إلى أمر الله، وقيامهم بما عليهم من حقه وحق خلقه، فهذه الأعمال آثار من آثار عملهم.

ثم قال: ﴿ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً في ذهابهم إلى عدوهم ﴿إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسس ما كانسوا يعملون ﴾.

ومن ذلك هذه الأعمال، إذا أخلصوا فيها شه، ونصحوا فيها، ففي هذه الآيات أشد ترغيب وتشويق للنفوس إلى الخروج إلى الجهاد في سبيل الله، والاحتساب لما يصيبهم فيه من المشقات، وأن ذلك لهم رفعة درجات، وأن الآثار المترتبة على عمل العبد له فيها أجر كبير.

﴿۱۲۲﴾ ﴿وصا كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يعذرون يقول تعالى: \_ منبها لعباده المؤمنين على ما ينبغي لهم \_ ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ أي: جميعاً لقتال

عدوهم، فإنه يحصل عليهم المشقة بذلك، وتفوت به كثير من المصالح الأخرى، ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم﴾ أي: من البلدان، والقبائل، والأفخاذ ﴿طائفة﴾ تحصل بها الكفاية والمقصود لكان أولى.

ثم نبه على أن في إقامة المقيمين منهم وعدم خروجهم مصالح لو خرجوا لفاتتهم، فقال: ﴿ليتفقهوا﴾ أي: القاعدون ﴿في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ أي: ليتعلموا العلم الشرعي، ويعلموا معانيه، ويفقهوا أسراره، وليعلموا غيرهم، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم.

ففي هذا فضيلة العلم، وخصوصاً الفقه في الدين، وأنه أهم الأمور، وأن من تعلم علماً، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم، من بركته وأجره الذي ينمى له.

وأما اقتصار العالم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجسهال ما لا يعلمون، فأي: منفعة حصلت للمسلمين منه؟ وأي: نتيجة نتجت من علمه؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وشمرته، وهذا غاية الحرمان، لن آتاه الله علماً ومنحه فهماً.

وفي هذه الآية أيضاً دليل وإرشاد وتنبيه لطيف، لفائدة مهمة، وهي: أن المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها، مصالحهم، وتتم منافعهم، ولتكون مصالحهم، ولتهية ما يقصدون قصداً واحداً، وهو قيام مصلحة دينهم ولو تفرقت الطرق وتعددت المشارب، فالأعمال متباينة، والقصد واحد، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جيع الأمور.

﴿ ﴿ ١٢٣﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الذَّينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الذَّينَ يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم الْ يَتَأَيُّهُا الَّذِي ءَاسَنُواْ قَائِلُوا الَّذِينَ مَلُونَكُمْ مِنَ ٱلْكُفَّا وَلْيَحِدُواْ فِيكُمْ غِلْظُهُ وَأَغْلُمُ الْكَالْكَ الْمُوَمَعُ الْمُنْقِينَ @ وَإِذَا مَا أَيْرَكَ سُورَةٌ فَهِنْ هُرْمَن يَقُولُ أَيْسَكُمْ زَادَتْهُ هَ لَذِهِ وَإِي مَنَأَ فَأَمَّا الَّذِيبَ مَا مَسُوَّا فَسَزَادَتْهُمْ إِيمَنَا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُون ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِ مِنْتَرَقُّ فَزَادَتْهُمْ رِجْكًا إِلَى رِحْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ حَكَايِمُ وَنَ اللَّهُ أُولَاكِرُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِمَامِمَّزَةً أَوْمَزَهَ يَنِ ثُرُّ لَا يَتُوبُونَ وَلَاهُ مُرْيَنَّكُرُونَ ﴿ وَلَاهُ مُرَيِّنَكُ رُونَ ﴿ وَلَاَ مَّا أَيْنَاتَ سُورَةً نَظَرَبَةُ صُهُمْ لِلْ بَعْضِ هَلْ يَرَبُكُم مِنْ أَكِ ثُمَّ ٱنْصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم سِأَنَّهُ مُوَّوِّهُ لَايَفْ فَعُونَ ۞ لَقَدْ جَآءً كُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُو عَيْدِيزُ عَلَيْهِ مَا عَنِثُ مُ كَرِيضٌ عَلَيْ كُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ كَ أَرُونُ تَرْجِيدٌ ﴿ فَإِن تُولُوا فَقُلْ حَسْبِي اللَّهُ لَا إِلَّهُ إِلَّاهُوِّ عَلَيْهُ وَوَكَمْ لَتُ وَهُوَرَبُ ٱلْمَرْشِ ٱلْمَظِيمِ ۞ 

متسللين، وانقلبوا معرضين، فجازاهم الله بعقوبة من جنس عملهم، فكما انصرفوا عن العمل الحقوب الله قلوبهم أي: صدها عن الحق وخذلها.

TO DE TO LEGIS ED

﴿بأنهم قوم لا يفقهون ﴿ فقها ينفعهم، فإنهم لو فقهوا، لكانوا إذا نزلت سورة آمنوا بها، وانقادوا لأمرها.

والمقصود من هذا بيان شدة نفورهم عن الجهاد وغيره من شرائع الإيمان، كما قال تعالى عنهم: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم موض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت.

(۱۲۸ – ۱۲۸) (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم \* فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلاً هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم يمتن [تعالى] على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي عن أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو والسعي في مصالحهم.

﴿عزيز عليه ما عنتم ﴾ أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم.

انقيادهم لما تحثهم عليه.

﴿ وأما الذين في قلوبهم مرض ﴾ أي: شك ونفاق ﴿ فزادتهم رجساً إلى مرضهم ، رجسهم ﴾ أي: مرضاً إلى مرضهم ، وشكاً إلى شكهم ، من حيث إنهم كفروا بها وعاندوها وأعرضوا عنها ، فازداد لذلك مرضهم ، وترامى بهم إلى الهلاك ﴿ وَ الطبع على قلوبهم ، حتى ﴿ مانوا وهم كافرون ﴾ .

وهذا عقُوبة لهم، لأنهم كفروا بآيات الله وعصوا رسوله، فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه.

قال تعالى \_ موبخاً لهم على إقامتهم على ماهم عليه من الكفر والنفاق \_: ﴿أُو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين﴾ بما يصيبهم من البلايا والأمراض، وبما يبتلون من الأوامر الإلهية التي يرادبها اختبارهم.

﴿ثم لا يتوبون﴾ عما هم عليه من ﴿ولا هم يذكرون﴾ ما ينفعهم، فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه.

فالله تعالى يبتليهم ـ كما هي سنته في سائر الأمم ـ بالسراء والضراء وبالأوامر والنواهي ليرجعوا إليه، ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون.

وفي هذه الآيات دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، وأنه ينبغي للمؤمن أن يتفقد إيمانه ويتعاهده، فيجدده وينميه، ليكون دائماً في صعود.

(۱۲۷) وقوله: ﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون پعني: أن النافقين الذين يحذرون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، إذا نزلت سورة ليؤمنوا بها، ويعملوا بمضمونها ﴿نظر بعضهم إلى بعض جازمين على ترك العمل بها، ينتظرون الفرصة في الاختفاء عن أعين المؤمنين، ويقولون:

﴿هل يراكم من أحدثم انصرفوا﴾

غلظة واعلموا أن الله مع المتقين وهذا أيضاً إرشاد آخر، بعدما أرشدهم إلى التدبير فيمن يباشر القتال، أرشدهم إلى أنهم يبدؤون بالأقرب فالأقرب من الكفار، والغلظة عليهم، والشدة في القتال، والشجاعة والثبات.

﴿واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ أي: وليكن لديكم علم أن المعونة من الله تنزل بحسب التقوى، فلازموا على تقوى الله، يُعِنْكُم وينصركم على عدوكم.

وهذا العموم في قوله: ﴿قاتلوا النين يلونكم من الكفار﴾ خصوص بما إذا كانت المصلحة في قتال غير الذين يلوننا، وأنواع المصالح كثيرة جداً.

﴿ ١٢٤ - ١٢١﴾ ﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً قلوبهم مسرض فزادتهم رجساً إلى ومسهم وماتوا وهم كافرون \* أولا مرتين أمم لا يتوبون ولا هم يذكرون ﴾ يقول تعالى: مبيناً حال المنافقين، وحال المؤمنين عند نزول القرآن، وتفاوت ما بين الفريقين فقال: والنهي، والخبر عن نفسه الكريمة، وعن الأمور الغائبة، والحث على الجهاد.

﴿فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً﴾ أي: حصل الاستفهام لن حصل له الإيمان بها من الطائفتين.

قال تعالى \_مبيناً الحال الواقعة \_: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً ﴾
بالعلم بها، وفهمها واعتقادها،
والعمل بها، والرغبة في فعل الخير،
والانكفاف عن فعل الشر.

﴿وهم يستبشرون﴾ أي: يبشر بعضهم بعضاً بما من الله عليهم من آياته، والتوفيق لفهمها والعمل بها. وهذا دال على انشراح صدورهم لآيات الله، وطمأنينة قلوبهم، وسرعة

﴿حريص عليكم﴾ فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه. ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم.

ولهذا كان حقه مقدماً على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيره، وتوقيره ﴿ فَإِنْ ﴾ آمنوا، فذلك حظهم وإن ﴿ تولوا ﴾ عن الإيمان والعمل، فامض على سبيلك، ولا تسزل في دعسوتك، وقسل حسبي الله ﴾ أي: الله كافي في جميع ما أهمني، ﴿ لا إله إلا هو ﴾ أي: لا معبود بحق سواه.

﴿عليه توكلت﴾ أي: اعتمدت ووثقت به، في جلب ما ينفع، ودفع ما يضر، ﴿وهو رب العرش العظيم﴾ الذي هو أعظم المخلوقات. وإذا كان رب العرش العظيم، الذي وسع المخلوقات، ان ربًا لما دونه من باب أول وأحرى.

تم تفسير سورة التوبة بعون الله ومنّه فللـه الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطنـاً

## تفسیر سورة یونس مکیـــة

ومع هذا فأعرض أكثرهم فهم لا يعلمون، فتعجبوا ﴿أنْ أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس﴾ عذاب الله، وخوفهم نقم الله، وذكرهم بآيات الله.

وبشر الذين آمنوا المانا صادقاً في المانا صادقاً في الله قدم صدق عند ربهم أي الله مجزاء موفور (١١) وثواب مذخور عند ربهم بما قدموه وأسلفوه من الأعمال الصالحة الصادقة .

فتعجب الكافرون من هذا الرجل العظيم تعجباً حملهم على الكفر به، ف ﴿قال الكافرون﴾ عنه: ﴿إِن هذا لساحر مبين﴾ أي: بَيْنُ السحر، لا يخفى بزعمهم على أحد، وهذا من سفههم وعنادهم، فإنهم تعجبوا من أمر ليس مما يتعجب منه ويستغرب، وإنما يتعجب من جهالتهم وعدم معرفتهم بمصالحهم.

كيف لم يؤمنوا بهذا الرسول الكريم، الذي بعثه الله من أنفسهم، يعرفونه حق المعرفة، فردوا دعوته، وحرصوا على إبطال دينه، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

٣ - ٤ > ﴿إن ربــكـــم الله السذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام شم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله

ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون \* إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين بما كانوا يكفرون \* يقول تعالى مبيناً لربوبيته وإلهيته وعظمته: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام \* مع أنه قادر على خلقها في لحظة واحدة، ولكن لما له في ذلك من الحكمة الإلهية، ولأنه رفيق في أفعاله.

ومن جملة حكمته فيها، أنه خلقها بالحق وللحق، ليعرف بأسمائه وصفاته ويفرد بالعبادة.

﴿ سُم ﴾ بعد خلق السماوات والأرض ﴿ استوى على العرش ﴾ استواء يليق بعظمته.

﴿يدبر الأمر ﴾ في العالم العلوي والسفلي، من الإماتة والإحياء، وإنزال الأرزاق، ومداولة الأيام بين الناس، وكشف الضرعن المضرورين، وإجابة سؤال السائلين.

فأنواع التدابير نازلة منه وصاعدة إليه، وجميع الخلق مذعنون لعزه (٢)، خاضعون لعظمته وسلطانه.

﴿ما من شفيع إلا من بعد إذنه ﴾ فلا يقدم أحد منهم على الشفاعة ، ولو كان أفضل الخلق ، حتى يأذن الله ولا يسأذن ، إلا لمن ارتسضي ، ولا يسرتضي إلا أهل الإخلاص والتوحيد له .

﴿ ذلكم ﴾ الذي هذا شأنه ﴿ الله ربكم ﴾ أي: هو الله الذي له وصف الإلهية الجامعة لصفات الكمال، ووصف الربوبية الجامع لصفات الأفعال.

﴿فاعبدوه﴾ أي: أفردوه بجميع ما تقدرون عليه من أنواع العبودية، ﴿أَفَلا تَذْكَرُونَ﴾ الأدلة الدالة على أنه وحده المعبود المحمود، ذو الجلال والإكرام. فلما ذكر حكمه القدري وهو

التدبير العام، وحكمه الديني وهو

(٢) في ب: لعزته.

شرعه، الذي مضمونه ومقصوده عبادته وحده لا شريك له، ذكر الحكم الجزائي، وهو مجازاته على الأعمال بعد الموت، فقال: ﴿إليه مرجعكم جميعاً﴾ أي: سيجمعكم بعد موتكم لميقات يوم معلوم.

﴿إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ فالقادر على إعادته ، على ابتداء الخلق قادر على إعادته ، والذي يرى ابتداء بالخلق ، ثم ينكر إعادته للخلق ، ثم ينكر لأحد المثلين مع إثبات ما هو أولى منه ، فهذا دليل عقلي واضح على المعاد . ثم ذكر الدليل النقلي فقال :

﴿ وَعَدُ اللهِ حَقّاً ﴾ أي: وعده صادق لا بد من إتمامه.

﴿ليجزي الذين آمنوا﴾ بقلوبهم بما أمرهم الله بالإيمان به .

﴿وعملوا الصالحات ، بجوارحهم، من واجبات ومستحبات، ﴿بالقسط » أي: بإيمانهم وأعمالهم، جزاء قد بينه لعباده، وأخبر أنه لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴿واللّهِن

كفروا بآيات الله وكذبوا رسل الله. ولهم شراب من حميم اي: ماء حار، يشوي الوجوه، ويقطع الأمعاء. وعذاب أليم من سائر أصناف العذاب وبما كانوا يكفرون أي: بسبب كفرهم وظلمهم، وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون.

«٥-٢» ﴿ هـو الـذي جـعـل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلاً بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون \* إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض وإلهيته، ذكر الأدلة العقلية الأفقية الدالة على ذلك وعلى كماله، في والسماوات والأرض وجميع ما خلق فيهما من سائر أصناف المخلوقات، وأخبر أنها آيات ﴿لقوم يعلمون﴾ و والقوم يتقون \*.

فإن العلم يهدي إلى معرفة الدلالة فيها، وكيفية استنباط الدليل<sup>(١)</sup> على أقرب وجه، والتقوى تحدث في القلب الرغبة في الخير، والرهبة من الشر، الناشئين عن الأدلة والبراهين، وعن العلم واليقين.

وحاصل ذلك أن بجرد خلق هذه المخلوقات بهذه الصفة، دال على كمال قدرة الله تعالى، وعلمه، وحياته، وقيوميته، وما فيها من الإحكام والإتقان والإبداع والحسن، دال على كمال حكمة الله، وحسن خلقه وسعة والمصالح \_ كجعل الشمس ضياء، والقمر نوراً، يحصل بهما من النفع والمصروري وغيره ما يحصل \_ يدل ذلك على رحمة الله تعالى واعتناته بعباده وسعة بره وإحسانه، وما فيها من التخصيصات دال على مشيئة الله وإرادته النافذة.

وذلك دال على أنه وحده المعبود المحبوب المحمود، ذو الجلال والإكرام والأوصاف العظام، الذي لا تنبغي الرغبة والرهبة إلا إليه، ولا يصرف خالص الدعاء إلا له، لا لغيره من المخلوقات المربوبات، المفتقرات إلى الله في جميع شؤونها.

وفي هذه الآيات الحث والترغيب على التفكر في مخلوقات الله، والنظر فيها بعين الاعتبار، فإن بذلك تنفتح البصيرة، ويزداد الإيمان والعقل، وتقوى القريحة، وفي إهمال ذلك، تهاون بما أمر الله به، وإغلاق لزيادة الإيمان، وجود للذهن والقريحة.

و الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون \* أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون في يقول تعالى: ﴿إِنَّ الذين لا يرجون لقاءنا أي: لا يطمعون بلقاء الله، الذي هو أكبر ما طمع فيه الطامعون، وأعلى ما أمله المؤملون، بل أعرضوا عن ذلك، وربما كذبوا به ﴿ورضوا بالحياة الدنيا ﴾

بدلاً عن الآخرة.

﴿واطمأنوا بها﴾ أي: ركنوا إليها، وجعلوها غاية مرامهم (٢٢ ونهاية قصدهم، فسعوا لها وأكبوا على لذاتها وشهواتها، بأي: طريق حصلت حصلوها، ومن أي: وجه لاحت ابتدروها، قد صرفوا إراداتهم ونياتهم وأعمالهم إليها.

فكأنهم خلقوا للبقاء فيها، وكأنها ليست دار ممر، يتزود منها المسافرون إلى الدار الباقية التي إليها يرحل الأولون والآخرون، وإلى نعيمها ولذاتها شمر الموفقون.

﴿والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ فلا ينتفعون بالآيات القرآنية ، ولا بالآيات الأفقية والنفسية ، والإعراض عن الدليل مستلزم للإعراض والغفلة ، عن المدلول المقصود .

﴿ أُولِمُك ﴾ الذين هذا وصفهم ﴿ مأواهم النار ﴾ أي: مقرهم ومسكنهم التي لا يرحلون عنها.

وبما كانوا يكسبون من الكفر والشرك وأنواع المعاصي، فلما ذكر عقابهم ذكر ثواب المطيعين، فقال:

﴿ ٩ - ١٠ ﴾ ﴿إِنَّ السَّدِسِ آمسَوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم \* دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾ يقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينِ آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي: جمعوا بين الإيمان، والقيام بموجبه ومقتضاه من الأعمال الصالحة، المستملة على أعمال القلوب وأعمال الجوارح، على وجه الإخلاص والمتابعة.

ويه ديهم بإيمانهم أي: بسبب ما معهم من الإيمان يثيبهم الله أعظم الثواب، وهو الهداية، فيعلمهم ما ينفعهم، ويمن عليهم بالأعمال الناشئة عن الهداية، ويهديهم للنظر في آياته، ويهديهم في هذه الدار إلى

الصراط المستقيم وفي الصراط المستقيم، وفي دار الجزاء إلى الصراط الموصل إلى جنات النعيم، ولهذا قال: ﴿ تجرى من تحتهم الأنهار ﴾ الجارية على الدوام ﴿ فِي جِناتُ النعيمِ ﴾ أضافها الله إلى النعيم، لاشتمالها على النعيم التام، نعيم القلب بالفرح والسرور والبهجة والحبور، ورؤية الرحمن وسماع كلامه، والاغتباط برضاه وقربه، ولقآء الأحبة والإخوان، والتمتع بالاجتماع بهم، وسماع الأصوات المطربات، والنغمات المشجيات، والمناظر الفرحات. ونعيم البدن بأنواع المآكل والمشارب، والمناكح، ونحو ذُلُّك، مما لا تعلمه النفوس، ولا خطر ببال أحد، أو قدر أن يصفه الواصفون.

﴿ دعواهم فيها سبحانك اللهم ﴾ أي: عبادتهم فيها شه، أولها تسبيح شه وتنزيه له عن النقائص، وآخرها تحميد شه، فالتكاليف سقطت عنهم في دار الجزاء، وإنما بقي لهم أكمل اللذات، الذي هو ألذ عليهم من المآكل اللذيذة، ألا وهو ذكر الله الذي تطمئن به القلوب، وتفرح به الأرواح، وهو ومشقة.

﴿و﴾ أما ﴿تحيتهم﴾ فيما بينهم عند التلاقي والتزاور، فهو السلام، أي: كلام سالم من اللغو والإثم، موصوف بأنه ﴿سلام﴾ وقد قيل في تفسير قوله: ﴿دعواهم فيها سبحانك﴾ إلى آخر الطعام والشراب ونحوهما \_قالوا للهم في سبحانك اللهم، فأحضر لهم في الحال.

فإذا فرغوا قالوا: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾

﴿ ١١﴾ ﴿ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون ﴾ وهذا من لطفه وإحسانه بعباده، أنه لو عجل لهم الشر إذا أتوا بأسبابه، وبادرهم بالعقوبة على

ذلك، كما يعجل لهم الخير إذا أتوا بأسبابه ﴿لقضي إليهم أجلهم﴾ أي: لمحقتهم العقوبة، ولكنه تعالى يمهلهم ولا يهملهم، ويعفو عن كثير من حقوقه، فلو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة.

ويدخل في هذا أن العبد إذا غضب على أولاده أو أهله أو ماله، ربما دعا عليهم دعوة لو قبلت منه لهلكوا، ولأضره ذلك غاية الضرر، ولكنه تعالى حليم حكيم.

وقوله: ﴿ فَنَدُر الدَّين لا يرجون لقاءنا﴾ أي: لا يؤمنون بالآخرة، فلذلك لا يستعدون لها، ولا يعملون ما ينجيهم من عذاب الله، ﴿ في طغيانهم ﴾ أي: باطلهم، الذي جاوزوا به الحق والحد.

﴿يعمهون﴾ يترددون حائرين، لا يهتدون السبيل ولا يوفقون لأقوم دليل، وذلك عقوبة لهم(١) على ظلمهم، وكفرهم بآيات الله.

﴿ ١٢﴾ ﴿ وَإِذَا مِسَ الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضرّه مر كأن لم يدعنا إلى ضرّ مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ﴾ وهذا إخبار عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وأنه إذا مسه ضر، من مرض أو مصيبة، اجتهد في الدعاء، وسأل الله في جميع أحواله، قائماً وقاعداً ومضطجعاً، وألح في الدعاء ليكشف الله عنه ضره.

﴿فلما كشفنا عنه ضره مركأن لم يدعنا إلى ضر مسه أي: استمر في غفلته معرضاً عن ربه، كأنه ما جاءه ضره، فكشفه الله عنه، فأي: ظلم أعظم من هذا الظلم؟!! يطلب من الله قضاء غرضه، فإذا أناله إياه لم ينظر إلى حق ربه، وكأنه ليس عليه لله حق. وهذا تزيين من الشيطان، زين له ما كان مستهجناً مستقبحاً في العقول والفطر.

﴿كَذَلُكُ زِينَ لَلْمُسْرِفِينَ﴾ أي: ﴿ كَانُوا يَعْمُلُونَ ﴾ .

(۱۲ - ۱۲) ﴿ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين \* ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون ﴾ يخبر تعالى أنه أهلك كيف تعملون ﴾ يغبر تعالى أنه أهلك جاءتهم البينات على أيدي الرسل تبين الحق فلم ينقادوا لها ولم يؤمنوا. فأحل بهم عقابه الذي لا يرد عن كل مجرم متجرىء على محارم الله، وهذه سنته في جميع الأمم.

﴿ثم جعلناكم﴾ أيها المخاطبون ﴿خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾ فإن أنتم اعتبرتم واتعظتم بمن قبلكم واتبعتم آيات الله وصدقتم رسله، نجوتم في الدنيا والآخرة.

وإن فعلتم كفعل الظالمين قبلكم، أحل بكم ما أحل بهم، ومن أنذر فقد أعذر.

﴿١٥ ـ ١٧﴾ ﴿وإذا تسلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بذله قل ما يكون لى أن أبدّله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحي إلى إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم # قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون \* فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنّه لا يفلح المجرمون، يذكر تعالى تعنت الكلبين لرسوله محمد ﷺ ، وأنهم إذا تسلى عليهم آيات الله القرآنية المبينة للحق، أعرضوا عنها، وطلبوا وجوه التعنت فقالوا، جراءة منهم وظلماً: ﴿ائت بقرآن غير هذا أو بدّله ﴾ فقبحهم الله، ما أجرأهم على الله، وأشدهم ظلماً ورداً لآياته.

فإذا كان الرسول العظيم يأمره الله أن يقول لهم: ﴿قل ما يكون لي﴾ أي: ما ينبغي ولا يليق ﴿أنْ أبدله من تلقاء نفسي﴾ فإني رسول محض، ليس لي من الأمر شيء، ﴿إنْ أتبع إلا ما يوحى

إلى أي: ليس لي غير ذلك، فإني عبد مأمور، ﴿إِنِ أَخَافَ إِنْ عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴿ فَهَذَا قُولُ خَيْرِ الْخُلُقُ وأَدْبِهُ مَعَ أُوامِر ربه ووحيه، فكيف بهؤلاء السفهاء الضالين، الذين جمعوا بين الجهل والضلال، والظلم والعناد، والتعنت والتعجيز لرب العالمين، أفلا يخافون عنذاب يوم عظيم؟!!.

فإن زعموا أن قصدهم أن يتبين لهم الحق بالآيات التي طلبوا فهم كَذَبَةٌ في ذلك، فإن الله قد بين من الآيات ما يؤمن على مشله البشر، وهو الذي يصرفها كيف يشاء، تابعاً (١١ لحكمته الربانية ورحمته بعباده.

﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به، فقد لبثت فيكم عمراً﴾ طويلاً ﴿من قبله﴾ أي: قبل تلاوته، وقبل درايتكم به، وأنا ما خطر على بالي، ولا وقع في ظني.

﴿ أَفَلا تعقلون ﴾ أي حيث لم أتقوله في مدة عمري، ولا صدر مني ما يدل على ذلك، فكيف أتقوله بعد ذلك، وقد لبثت فيكم عمراً طويلاً تعرفون حقيقة حالي، بأني أمي لا أقرأ ولا أكتب، ولا أدرس ولا أتعلم من أحداداً

فأتيتكم بكتاب عظيم أعجز الفصحاء، وأعيا العلماء، فهل يمكن مع هذا أن يكون من تلقاء نفسي، أم هذا دليل قاطع أنه تنزيل من حكيم حميد؟

فلو أعملتم أفكاركم وعقولكم، وتدبرتم حالي وحال هذا الكتاب، لجزمتم جزماً لا يقبل الريب بصدقه، وأنه الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، ولكن إذ (٢) أبيتم إلا التكذيب والعناد، فأنتم لا شك أنكم ظالمون.

﴿ فَمِن أَظَلَم مِن افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذَباً، أَو كَذَبِ بَايَاته ﴾؟!!

فلو كنت مُتَقَوِّلاً لكنت أظلم الناس، وفاتني الفلاح، ولم تخف عليكم حالي، ولكني جئتكم

بآیات الله، فكذبتم بها، فتعین فیكم الظلم، ولا بدأن أمركم سیضمحل، ولن تنالوا الفلاح، ما دمتم كذلك.

ودل قوله: ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ الآية، أن الذي حملهم على هذا التعنت الذي صدر منهم هو عدم إيمانهم بلقاء الله وعدم رجائه، وأن من آمن بلقاء الله، فلا بدأن ينقاد لهذا الكتاب ويؤمن به، لأنه حسن القصد.

﴿١٨﴾ ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبثون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ يقول تعالى: المشركون المشركون المشركون المشركون الرسول الله ﷺ

﴿من دون الله منالا يسضسرهم ولا ينفعهم أي: لا تملك لهم مثقال ذرة من النفع ولا تدفع عنهم شيئاً.

﴿ ويقولون ﴾ قولاً خالياً من البرهان: ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ أي: يعبدونهم ليقربوهم إلى الله، ويشفعوا لهم عنده، وهذا قول من تلقاء أنفسهم، وكلام ابتكروه هم، ولهذا قال تعالى \_مبطلاً لهذا القول -: ﴿قُلُ أَتُنْبُثُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ في السماوات ولا في الأرض﴾ أي ﴿ الله تعالى هو العالم، الذِّي أحاط علماً بجميع ما في السماوات والأرض، وقد أخبركم بأنه ليس له شريك ولا إله معه، أفأنتم \_يا معشر المشركين \_ تزعمون أنه يوجد له فيها شركاء؟ أفتخبرونه بأمر خفي عليه، وعلمتموه؟ أأنتم أعلم أم الله؟ فهل يوجد قول أبطل من هذا القول، المتضمن أن هؤلاء الضلال الجهال السفهاء أعلم من رب العالمين؟

فليكتف العاقل بمجرد تصور هذا القول، فإنه يجزم بفساده وبطلانه: ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ أي: تقدس وتنزه أن يكون له شريك أو نظير، بل هو الله الأحد الفرد الصمد

THE REPORT OF THE PARTY OF THE إِذَّ الَّذِبَ لِارْجُونَ لِقَآمَ مَا وَرَضُوا بِٱلْحَمَةِ وَٱلدُّنْسَا وَاطْمَالُوْا ا بِهَا وَٱلَّذِينَ هُرَعَنْ ءَايْنِينَا عَنْفِلُونَ ۞ أُوْلَيْكَ مَأْوَنِهُمُ النَّارُ مَا كَانُواْ يَكْمِهُ وَكَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِيكَ وَامْثُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِاحَتِ يَهِدِيهِ رَبَّهُ مِهِ إِلَيْنِهِ مُّرِيَّةِ مِنْ تَغِيمُ ٱلْأَمْرُ فِ جَنَّاتِ ٱلنَّهِيرِ ۞ دَعُونُهُ مْ فِيهَا مُنْ حَنَاكَ ٱللَّهُمَّ وَيَيْنَهُ مُوْمَ فِهَا سَلَكُو وَاخِدُو عَوَنَهُمْ أَنِ ٱلْحَسَمَدُ لِلَّهِ رَبّ ٱلْعَالَمِينَ ۞ • وَلَوْ تُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرِّ ٱسْتِعْجَالَحُهُ بٱغَيِّرِ لَقَضِيَ إِلَيْهِ رَأَجَ لُهُمُّ فَنَكُرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَالَةَ نَا فِي مُلْفِينَ فِي مِنْ مُعُونَ ۞ وَاذَا مَسَ ٱلْإِنسَانَ ٱلضُّرُدَعَانَا لِجَنْبِهِ عِزَّوْقَ اعِدًا أَوْقَ آبِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ مُثَرِّهُ مُرِّكَأَن لَّرَيْدُعُنَ ۚ إِلَّى مُثِرِّمُنَّكَهُ كَا كَاكُ نُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْيِعْ مَلُونَ ۞ وَلَقَدْ أَهْلَكُمَا ٱلْقُرْفِيةَ كُلُ مِن مِّلِكُمْ لِمُناظِمُوا فَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ وَالْبِيِّنَاتِ وَمَاكَانُواْ لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْرِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِوِينَ ۞ ثُرَّبَعَلَنَكُرُ الأرض في الأرض بن بعدهم لِننظر كيف تعملون ٥ OVERDU IN LONG CON

الذي لا إله في السماوات والأرض إلا هو، وكل معبود في العالم العلوي والسفلي سواه، فإنه باطل عقلاً وشرعاً وفطرة.

﴿ذَلَكُ بِأَنَ اللهِ هِـو الحِـق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير﴾.

﴿١٩ - ٢٠ ﴿ وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولو لا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ﴿ ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إلى معكم من المنتظرين ﴾ أي: ﴿ وما كان الناس إلا أمة واحدة ﴾ متفقين على الدين الصحيح ، ولكنهم اختلفوا ، فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه .

﴿ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ بإمهال العاصين وعدم معاجلتهم بذنوهم ، ﴿لقضي بينهم ﴾ بأن ننجي المؤمنين ، ونهلك الكافرين المكذبين ، وصار هذا فارقاً بينهم ﴿فيما فيه يختلفون ﴾

ولكنه أراد امتحانهم وابتلاء بعضهم ببعض، ليتبين الصادق من الكاذب.

﴿ويسقولون﴾أى: المكذبون المتعنتون، ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ يعنون: آيات الاقتراح التي يعينونها كقولهم: ﴿ لُولُولًا أَنْزُلُ إِلَّيْهُ مَلَكُ فيكون معه نذيراً ﴾ الآيات.

وكقولهم: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ﴾

﴿ فقل ﴾ لهم إذا طلبوا منك آية ﴿إنما الغيب لله الحيط علماً بأحوال العباد، فيدبرهم بما يقتضيه علمه فيهم وحكمته البديعة، وليس لأحد تدبير في حكم ولا دليل، ولا غاية ولا تعليل.

﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ أي: كل ينتظر بصاحبه ما هو أهل له، فانظروا لمن تكون العاقبة.

﴿٢١﴾ ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكراً إنّ رسلنا يكتبون ما تمكرون كيقول تعالى: ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم) كالصحة بعد المرض، والغني بعد الفقر، والأمن بعد الخوف، نسوا ما أصابهم من الضراء، ولم يشكروا الله على الرخاء والرحمة، بل استمروا في طغيانهم ومكرهم.

آياتنا الله أي: يسعون بالباطل ليبطلوا به

﴿قُلُ اللهُ أُسْرَعُ مُكُواً ﴾ فإن المكر السيّىء لا يحيق إلا بأهله، فمقصودهم منعكس عليهم، ولم يسلموا من التبعة، بل تكتب الملائكة عليهم ما يعملون، ويحصيه الله عليهم، ثم يجازيهم [الله] عليه أوفر الجزاء.

﴿۲۲ \_ ۲۲﴾ ﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لنن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين \* فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق بأ أبها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبِّئكُم بما كنتم تعملون لل ذكر تعالى القاعدة العامة في أحوال الناس عند إصابة الرحمة لهم بعد الضراء، واليسر بعد العسر، ذكر حالة تؤيد ذلك وهي حالهم في البحر عند اشتداده، والخوف من عواقبه، فقال: ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر﴾ بما يسر لكم من الأسباب المسيرة (١) لكم فيها، وهداكم إليها.

﴿ حتى إذا كنتم في الفلك ﴿ أِي: السفن البحرية ﴿وجرين بهم بريح طيبة﴾موافقة لما يهوونه من غير انزعاج ولا مشقة.

﴿وفرحوا بها ﴾ واطمأنوا إليها، فبينما هم كذلك، إذ ﴿جاءتها ربح همها وحزنها وحسرتها. عاصف اشديدة الهبوب الوجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم اي: عرفوا أنه الهلاك، فانقطع حينتذ تعلقهم بالمخلوقين، وعرفوا أنه لا ينجيهم من هذه الشدة إلا الله وحده، فدعوه مخلصين له الدين ووعدوا من أنفسهم على وجه الإلزام، فقالوا: ﴿ لِنُن أَنجِيتُنَا مِن هَذَّهُ لِنكُونِنَ من الشاكرين \* فلما أنجاهم إذا هم ولهذا قال: ﴿إذا لهم مكر في يبغون في الأرض بغير الحق أي:

نسوا تلك الشدة وذلك الدعاء، وما ألزموه أنفسهم، فأشركوا بالله، من اعترفوا بأنه لا ينجيهم من الشدائد، ولا يدفع عنهم المضايق، فهلا أخلصوا لله العبادة في الرخاء، كما أخلصوه في الشدة؟!! .

ولكن هذا البغي يعود وباله عليهم، ولهذا قال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسِ إِنَّمَا بِغَيْكُمْ على أنفسكم متاع الحياة الدنيا﴾ أي: غاية ما تؤملون ببغيكم وشرودكم عن الإخلاص له، أن تنالوا شيئاً من حطام الدنيا وجاهها النزر اليسير الذي سينقضي سريعاً، ويمضي جميعاً، ثم تنتقلون عنه بالرغم.

﴿ثم إلينا مرجعكم ﴾ في يوم القيامة ﴿فننبئكم بما كنتم تعملون ﴾ وفي هذا غاية التحذير لهم عن الاستمرار على

﴿ كُلُّ ﴾ ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون وهذا المثل من أحسن الأمثلة، وهو مطابق لحالة الدنيا، فإن لذاتها وشهواتها وجاهها ونحو ذلك يزهو لصاحبه إن زها وقتاً قصيراً، فإذا استكمل وتم اضمحل، وزال عن صاحبه، أو زال صاحبه عنه، فأصبح صفر اليدين منها، عمتلىء القلب من

فذلك ﴿كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض♦أي: نبت فيها من كل صنف، وزوج بهيج ﴿ مُمَا يأكل الناس كالحبوب والثمار ﴿وَ ﴾ ما تأكل ﴿الأنعام ﴾ كأنواع العشب، والكلأ المختلف الأصناف.

﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت ان تزخرفت في منظرها، واكتست في زينتها، فصارت بهجة للناظرين، ونزهة للمتفرجين، وآية

للمتبصرين، فصرت ترى لها منظراً عجيباً ما بين أخضر، وأصفر، وأبيض وغيره.

﴿وظن أهلها أنهم قادرون عليها﴾ أي: حصل معهم طمع بأن ذلك سيستمر ويدوم، لوقوف إراداتهم عنده، وانتهاء مطالبهم فيه.

فبينما هم في تلك الحالة ﴿أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس﴾ أي: كأنها ما كانت فهذه حالة الدنيا، سواء بسواء.

﴿كذلك نفصل الآيات ﴾ أي: نبينها ونوضحها، بتقريب المعاني إلى الأذهان، وضرب الأمثال ﴿لقوم يتفكرون ﴾ أي: يعملون أفكارهم فيما ينفعهم.

وأما الغافل المعرض، فهذا لا تنفعه الآيات، ولا يزيل عنه الشك البيان، ولما ذكر الله حال المدنيا وحاصل نعيمها، شَوَّق إلى الدار الباقية، فقال:

﴿ ٢٥ - ٢٦﴾ ﴿ والله يسدعسو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم \* للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ .

عمة تعالى عباده بالدعوة إلى دار السلام والحث على ذلك والترغيب، وخص بالهداية من شاء استخلاصه واصطفاءه، فهذا فضله وإحسانه، والله يختص برحمته من يشاء، وذلك عدله وحكمته، وليس لأحد عليه حجة بعد البيان والرسل، وسمى الله الجنة «دار والنقائص، وذلك لكمال نعيمها وتمامه وبقائه، وحسنه من كل وجه.

ولما دعا إلى دار السلام، كأن النفوس تشوقت إلى الأعمال الموجبة

لها الموصلة إليها، فأخبر عنها بقوله: (المذين أحسنوا الحسنى وزيادة أي: للذين أحسنوا في عبادة الخالق، بأن عبدوه على وجه المراقبة والنصيحة في عبوديته، وقاموا بما قدروا عليه منها، وأحسنوا إلى عباد الله بما يقدرون عليه من الإحسان القولي والفعلي، من بذل الإحسان المالي، والإحسان البدني، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهلين، ونصيحة المعرضين، وغير ذلك من وجوه البر والإحسان.

فهؤلاء الذين أحسنوا لهم «الحسنى» وهي الجنة الكاملة في حسنها و «زيادة» وهي النظر إلى وجه الله الكريم وسماع كلامه، والفوز برضاه والبهجة بقربه، فبهذا حصل لهم أعلى ما يتمناه المتمنون، ويسأله السائلون.

ثم ذكر اندفاع المحذور عنهم فقال: ﴿ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ﴾ أي: لا ينالهم مكروه بوجه من السوجسوه، لأن المكسروه إذا وقسع بالإنسان، تبين ذلك في وجهه، وتغير وتكدر.

وأما هؤلاء \_ فهم كما<sup>(١)</sup> قال الله عنهم \_ ﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم ﴾ ﴿أولئك أصحاب الجنة ﴾ الملازمون لها ﴿هم فيها خالدون ﴾ لا يحسولسون ولا يسزولسون، ولا يتغيرون.

﴿٢٧﴾ ﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ لما ذكر أصحاب البنة ذكر أصحاب النار، فذكر أن بضاعتهم التي اكتسبوها في الذنيا هي الأعمال السيئة المسخطة لله، من أنواع الكفر والتكذيب، وأصناف المعاصي، فجزاؤهم سيئة مثلها، أي:

وَإِنَّا أَذَقَنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةُ مِنْ بَعْدِ ضَرًّا مَسْنَا هُوْ إِذَا لَكُمُ مَّكُ في ٓ اَيَانِنَا قُلُ اللهُ أَسْرَعُ مَكَ رَّأُ إِنَّ رُسُكُنَا يَكُدُبُونَ مَاتَمَكُرُونَ۞ هُوَ ٱلَّذِي بُسَيَرُكُرُ فِي ٱلْبُرُو ٱلْبَحْسِّحَ فَيَ إِذَا كُتُدُونَ ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهدِيدِج طَيْبَةِ وَفَرِحُواْبِهَا جَأَةَتُهَا رِيحُ عَاضِفٌ وَيَمَاءَهُمُ الْمُوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَلْمُواْ أَنَّهُمُ لِّحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ تُحْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لِمَنْ أَغَيْنَهَ مَا مِنْ هَذِهِ، لَتَكُونَ مِنَ الشَّكِينِ ﴾ فَلَمَّا أَنِحَنهُمْ إِذَاهُمْ رَبِّغُونَ فِ ٱلْأَرْضِ بِعَيْرِ ٱلْحَقِّ ثِنَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا بَغْيُكُمْ عَلَىٰۤ أَنفُسِكُمْ ۖ مَّنَعَٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَّا لُرُّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأَنْيَّ فَكُمْ بِإَكْسَامُ مَّنْكُونَ ۞ إِنَّا مَثَلُ ٱلْحَيْزِةِ الدُّنْيَ أَكُمَّا وِ أَزَلْنَكُ مِنَ السَّمَّاءِ فَاخْتَلَطَ بِمِينَاتُ الأَرْضِ مِنَايَأْكُ لُالنَّاسُ وَٱلْأَفْتُرُحَّقَا إِنَّا آخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزَّيْتَ وَظَنَّ أَهُلُمَّا أَنَّهُمْ قَلْدُونَ عَيْمَا أَنْهَا أَمْرُهَا لِيَلَّا أَوْنَهَا لَا يَحْدَلُنَهَا حَصِيدُ اكَارِلُوْ تَمَّنَ بَالْأَمْسُ كَلَّاكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ لِقَوْمِ يَنْفَكَّرُونَ ۞ وَلَقَهُ مَّ يَنْعُوْ إِلَىٰ دَارِ السَّلَادِ وَيَهْدِي مَن يَسُلَّهُ إِلَى سِرَطِمْ سُتَقِيدٍ ۞

جزاء يسوؤهم بحسب ما عملوا من السيئات على اختلاف أحوالهم .

﴿وترهقهم ﴾ أي: تغشاهم ﴿ذَلة ﴾ في قلوبهم وخوف من عذاب الله ، لا يدفعه عنهم دافع ولا يعصمهم منه عاصم ، وتسري تلك الذلة الباطنة إلى ظاهرهم ، فتكون سواداً في الوجوه (٢٠) .

﴿ كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ فكم بين الفريقين من الفرق، وينا بعد ما بينهما من التفاوت؟!

﴿وجوه يومئذِ ناضرة \* إلى ربها ناظرة \* ووجوه يومئذِ باسرة \* تظن أن يفعل بها فاقرة ﴿ ووجوه يومئذِ مسفرة \* فاجحة مستبشرة \* ووجوه يومئذِ عليها غبرة \* ترهقها قترة \* أولئك هم الكفرة الفجرة ﴾.

﴿٢٨ ـ ٣٠ ﴿ ويوم نحشرهم جيماً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إنانا تعبدون \* فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين \* هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا

CHANGE I • لَلْذِي أَحْسَنُوا أَنْمُسَمِّ وَزِيادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وَجُوهَهُمْ مَّرُّ وَلَاذِلَةُ أُوْلَتِكَ أَصْحَبُ أَيْمَنَ قُمْدِ فِهَا خَلِدُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواٱلسَّيِّعَاتِ جَزَّاهُ سَيِّعَتِي عِثْلِهَا وَتَرْجَعُهُمْ دِلَّةٌ ۗ مَا لَمُهُ فِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِيرًا كَأَنَّا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنْ ٱلَّيْلِ مُظَلِمًا أَوْلَيْكَ أَصْعَبُ ٱلنَّادِهُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ﴿ وَعَوْمَ غَشْرُهُمْ جَيعًا ثُرَّنَعُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُوْ أَسَرُّواْ مُكَانَكُوْ فَرْيَلْنَا يَيْنَهُمُ وَقَالَ شُرَكَّا وُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا نَعْبُدُونَ ٥ فَكُوَّ إِللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَ كَا وَكَيْنَكُمُ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَ تِكُرُ لَفَكَ فِيلِينَ ٥هُنَالِكَ تَبْلُوا حَكُلُ تَفْسِمَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّواْ إِلَى اللَّهِ مَوْلَمُهُمُ ٱلْمُقَرِّقُ وَضَلَ عَنْهُم مَاكَانُولَ مِفْتَرُونَ ۞ قُلْمَن يَرُوُفُكُمُ مِنَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْ لِكُ السِّمَعَ وَالْأَبْصَلُووَيَن يُخْرِجُ آتَى مِنَ لَلْيَتِ وَيُخْرِجُ لَلْيَتَ مِنَ أَثْمَى وَمَن يُدَيِّرُ ٱلأَمْرِيَّ فُسَيَعُولُونَ اللَّهُ فَقُلُ أَفَلَانَتَ عُونَ ۞ فَنَالِكُمُ اللَّهُ تَفَكُّرُ ٱلْمَقُّ فَإِنَا بَقِدَ ٱلْمُحَةِ إِلَّا ٱلصَّدَالُّهُ فَأَنَّ تُصْرَفُونَ ۞ كَذَاكِ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِيكَ فَسَقُوا أَنْهَدُ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ TO SECTION TO THE SECTION OF THE SEC

يفترون الله يقول تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً ﴾ أي: نجمع جميع الخلائق لميعاد يوم معلوم، ونحضر المشركين، وما كانوا يعبدون من دون الله.

﴿ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم ﴾ أي: الزموا مكانكم ليقع التحاكم والفصل بينكم وبينهم ، ﴿فَرْيِلْنَا بِينَهُم ، البعد البدني والقلبي ، وحصلت بينهم العداوة الشديدة ، بعد أن بذلوا لهم في الدنيا خالص المحبة وصَفْوَ الوداد ، فانقلبت تلك المحبة والولاية بغضاً وعداوة .

وتبرأ شركاؤهم منهم وقالوا: ﴿ما كنتم إيانا تعبدون﴾ فإننا ننزه الله أن يكون له شريك أو نديد. ﴿فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ منا أمسرناكم بيسا، ولا دعوناكم لذلك، وإنما عبدتم من دعاكم إلى ذلك، وهو الشيطان كما قال تعلى: ﴿أَمْ أَعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدومين﴾.

وقال: ﴿ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون \* قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾.

فالملائكة الكرام والأنبياء والأولياء ونحوهم يتبرؤون عمن عبدهم يوم القيامة ويتنصلون من دعائهم إياهم إلى عبادتهم وهم الصادقون البارون في ذلك، فحيتنذ يتحسر المشركون حسرة قدموا من الأعمال، وما أسلفوا من رديء الخصال، ويتبين لهم يومئذ أنهم كانوا كاذبين، وأنهم مفترون على الله، معبوداتهم، واضمحلت عبادتهم، واضمحلت معبوداتهم، وتقطعت بهم الأسباب والوسائل.

ولهذا قال تعالى: ﴿هنالك﴾ أي: في ذلك اليوم ﴿تبلو كل نفس ما أسلفت﴾ أي: تتفقد أعمالها وكسبها، وتتبعه بالجزاء، وتجازى بحسبه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وضل عنهم ما كانوا يفترون من قولهم بصحة ما هم عليه من الشرك وأن ما يعبدون من دون الله تنفعهم وتدفع عنهم العذاب.

(٣٩ ـ ٣٣) ﴿ قال من يرزقكم من الجميع الأشد السماء والأرض أمن يملك السمع نعمة إلا من والأبصار ومن يخرج الحي من الميت هو، ولا يد فسيقولون الله فقل أفلا تتقون العطيمة والج فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق فأنى ته حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم وجوده إلا الأ المضلال فأنى تصرفون المؤلاء الذين نفعاً ولا خاشركوا بالله، ما لم ينزل به سلطاناً ولا نشوراً. الربوبية، على ما أقروا به من توحيد فليس لل الأبوبية، على ما أنكروه من توحيد ولا شركة والأرض المزال الأرزاق من السماء ولا يشفع وإخراج أنواعها من الأرض، وتيسير عدموا عقول وإخراج أنواعها من الأرض، وتيسير عدموا عقول

أسبابها فيها؟ ﴿أم من يملك السمع والأبصار﴾ أي: من هو الذي خلقهما وهو مالكهما؟، وخصهما بالذكر من باب التنبيه على المفضول بالفاضل، ولكمال شرفهما ونفعهما.

﴿ومن يخرج الحيي من الميت﴾ وهدى للعالمين.

كإخراج انواع الأشجار والنبات من الحبوب والنوى، وإخراج المؤمن من الكافر، والطائر من البيضة، ونحو ذلك، ﴿ويخرج الميت من الحي﴾ عكس هذه المذكورات، ﴿ومن يدبر. الأمر﴾ في العالم العلوي والسفلي، وهذا شامل لجميع أنواع التدابير ﴿فسيقولون الله﴾ لأنهم يعترفون بجميع ذلك، وأن الله لا شريك له في شيء من المذكورات.

وفقل للهم إلزاماً بالحجة ﴿أفلا تتقون الله فتخلصون له العبادة وحده لا شريك له، وتخلعون ما تعبدون من دونه من الأنداد والأوثان.

﴿فَذَلَكُم﴾ الذي وصف نفسه بما وصفها به ﴿اللهُ ربكم﴾ أي: المألوه المعبود المحمود، المربي جميع الخلق بالنعم وهو: ﴿الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾.

فإنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير لجميع الأشياء، الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يدفع السيئات إلا هو، ذو الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العظيمة والجلال والإكرام.

وفائنى تصرفون عن عبادة من هذا وصفه، إلى عبادة الذي ليس له من وجوده إلا العدم، ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرًا، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

فليس له من الملك مشقال ذرة، ولا شركة له بوجه من الوجوه، ولا يشفع عند الله إلا بإذنه، فتباً لمن أشرك به، وويحاً لمن كفر به، لقد عدموا عقولهم بعد أن عدموا أديانهم، بل فقدوا دنياهم وأخراهم.

ولهذا قال [تعالى] عنهم: ﴿كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون﴾ بعد ما أراهم (١٦) الله من الآيات البينات والبراهين النيرات ما فيه عبرة لأولي الألباب، وموعظة للمتقين حد عالما الما

و ۳۲ ۳۲۶ وقبل مبل مبن شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأتى تؤفكون \* قل هل من شركائكم من يهدى إلى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلَّا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون \* وما يتبع أكثرهم إلاّ ظناً إنّ الظنّ لا يغنى من الحق شيئاً إنّ الله عليم بما يفعلون﴾ يقول تعالى \_مبيناً عجز آلهة المشركين وعدم اتصافها بما يوجب اتخاذها آلهة مع الله \_: ﴿قُلُّ هل من شركائكم من يبدأ الخلق، أي: يبتديه ﴿ثم يعيده ﴾ وهذا استفهام بمعنى النفي والتقرير، أي: ما منهم أحد يبدأ الخلق ثم يعيده، وهي أضعف من ذلك وأعجز، ﴿قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده من غير مشارك ولا معاون له على ذلك.

﴿فأنى تؤفكون﴾ أي: تصرفون، وتحرفون عن عبادة المنفرد بالابتداء، والإعادة إلى عبادة من لا يخلق شيئاً وهم يخلقون.

﴿قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق﴾ ببيانه وإرشاده أو بإلهامه وتوفيقه.

﴿قل الله ﴾ وحده ﴿يهدي للحق ﴾ بالأدلة والبراهين، وبالإلهام والتوفيق، والإعانة إلى سلوك أقوم طريق.

﴿ أَمَّن لا يهدي ﴾ أي: لا يهتدي ﴿ إلا أن يهدى ﴾ لعدم علمه ولضلاله ، وهي شركاؤهم التي لا تهدي ولا تهتدي إلا أن تُهدَى ﴿ فما لكم كيف تحكمون ﴾ أي: أي شيء جعلكم تحكمون هذا الحكم الباطل ، بصحة عبادة أحد مع الله ، بعد ظهور الحجة والبرهان أنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده .

فإذا تبين أنه ليس في آلهتهم التي يعبدون مع الله أوصافاً معنوية ولا أوصافاً فعلية، تقتضي أن تعبد مع الله، بل هي متصفة بالنقائص الموجبة لبطلان إلهيتها، فلأي: شيء جعلت مع الله آلهة؟

فالجواب: أن هذا من تريين

الشيطان للإنسان، أقبح البهتان، وأضل الضلال، حتى اعتقد ذلك وألفه وظنه حقاً، وهو لا شيء.

ولهذا قال: وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء أي: ما يتبعون في الحقيقة شركاء لله، فإنه لبس لله شريك أصلاً عقلاً ولا نقلاً، وإنما يتبعون الظن و ﴿إِن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ فسموها آلهة وعبدوها مع الله، ﴿إِن هِي إِلا أسماء سميتموها أنسر وآباؤكم ما أنزل الله بها من

﴿إِن الله عليم به المعقوبة البليغة . وسيجازيهم على ذلك بالعقوبة البليغة . ﴿٣٧ ـ ٤١ ﴾ ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب المعالمين \* أم

سلطان ٠٠٠

يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين \* بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب

الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة

الظالمين \* ومنهم من يؤمن به ومنهم

من لا يومن به وربك أعلم

بالفسدين \* وإن كذّبوك فقل لي عملي للحق للحق ولكم عملكم أنتم بريثون مما أعمل وأنا لتوفيق ، بريء مما تعملون > يقول تعالى: ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله > يهتدي أي: غير ممكن ولا متصور، أن يفترى

هذا القرآن على الله تعالى، لأنه الكتاب العظيم الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم

حيد ﴾ وهو الكتاب الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمشله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وهو كتاب الله الذي تكلم به

[رب العالمين]، فكيف يقدر أحد من الخلق أن يتكلم بمثله، أو بما يقاربه، والكلام تابع لعظمة المتكلم

ووصفه؟!! فإن كان أحد يماثل الله في عظمته وأوصاف كماله، أمكن أن يأتي بمثل هذا القرآن، ولو تنزلنا على الفرض والتقدير، فَتَقوَّله أحد على رب

العالمين، لعاجله بالعقوبة وبادره مالنكال.

﴿ ولكن ﴾ الله أنزل هذا الكتاب رحمة للعالمين، وحجة على العباد أجمعين.

أنزله ﴿تصديق الذي بين يديه ﴾ من كتب الله السماوية، بأن وافقها وصدقها بما شهدت به، وبشرت بنزوله، فوقع كما أخبرت.

﴿وتفصيل الكتابِ للحلال والحرام، والأحكام الدينية والقدرية، والإخبارات الصادقة.

﴿لا ريب فيه من رب العالمين﴾ أي: لا شك ولا مرية فيه بوجه من الوجوه، بل هو الحق اليقين: تنزيل من رب العالمين الذي ربَّى جميع الخلق بنعمه.

ومن أعظم أنواع تربيته أن أنزل عليهم هذا الكتاب الذي فيه مصالحهم الدينية والدنيوية، المشتمل على مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال.

﴿ أَم يقولونَ ﴾ أي: المكذبون به عناداً وبغياً: ﴿ افتراه ﴾ محمد على الله واختلقه، ﴿ قل ﴾ لهم \_ ملزماً لهم بشيء \_ إن قدروا عليه، أمكن ما ادّعوه، وإلا كان قولهم باطلاً.

﴿فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين بعاونكم على الإتيان بسورة مثله، وهذا محال، ولو كان ممكناً لادعوا قدرتهم على ذلك، ولأتوا

ولكن لما بان عجزهم تبين أن ما قالوه باطل، لا حظً له من الحجة، والذي حملهم على التكذيب بالقرآن المشتمل على الحق الذي لا حق فوقه، أنهم لم يحيطوا به علماً.

فلو أحاطوا به علماً وفهموه حق فهمه، لأذعنوا بالتصديق به، وكذلك إلى الآن لم يأتهم تأويله الذي وعدهم أن ينزل بهم العذاب ويحل بهم النكال، وهذا التكذيب الصادر منهم من جنس تكذيب من قبلهم، ولهذا قال: ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ وهو الهلاك

الذي لم يبق منهم أحداً.

فليحذر هؤلاء أن يستمروا على تكذيبهم، فيحل بهم ما أحل بالأمم المكذبين والقرون المهلكين.

وفي هذا دليل على التثبت في الأمور، وأنه لا ينبغي للإنسان أن يبادر بقبول شيء أو رده قبل أن يحيط به علماً.

﴿ومنهم من يؤمن به﴾ أي: بالقرآن وما جاء به، ﴿ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين﴾ وهم الذين لا يؤمنون به على وجه العناد والظلم والفساد، فسيجازيهم على فسادهم بأشد العذاب.

﴿ وإن كنبوك فاستمر على دعوتك، وليس عليك من حسابهم من شيء، وما من حسابك عليهم من شيء، لكل عمله. ﴿ فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريثون مما قال تعالى: ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعلما ﴾.

﴿٤٤ \_ ٤٤﴾ ﴿ومسنسهم مسن يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون \* ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون \* إنّ الله لا يظلم الناس شيئاً ولكنّ الناس أنفسهم يظلُّمون﴾ يخبر تعالى عن بعض المكذبين للرسول ﴿وَ﴾ أَنْ ﴿منهم من ولما جماء يستمعون الله النبي عَلَيْ وقت قراءته للوحي، لا على وجه الاسترشاد، بل على وجه التفرج والتكذيب وتطلب العثرات، وهذا استماع غير نافع ولا مجَدِ على أهله خيراً، لا جرم انسد عليهم باب التوفيق، وحرموا من فائدة الاستماع، ولهذا قال: ﴿أَفَأَنْتُ تُسْمُعُ الصم ولو كانوا لا يعقلون وهذا الاستفهام بمعنى النفي المتقرر، أي: لا تسمع الصم الذين لا يستمعون القول ولو جهرت به، وخصوصاً إذا كان عقلهم معدوماً .

فإذا كأن من المحال إسماع الأصم

الذي لا يعقل للكلام، فهؤلاء المكذبون، كذلك ممتنع إسماعك إياهم إسماعاً ينتفعون به.

وأما إسماع الحجة، فقد سمعوا ما تقوم عليهم به حجة الله البالغة، فهذا طريق عظيم من طرق العلم قد انسد عليهم، وهو طريق المسموعات المتعلقة ماخبر.

ثم ذكر انسداد الطريق الثاني، وهو: طريق النظر فقال: ﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ فلا يفيده نظره إليك، ولا سبر أحوالك شيئاً، فكما أنك لا تهدي السعمسي ولسو كانسوا لا يسمسرون، فكذلك لا تهدي

فإذا فسدت عقولهم وأسماعهم وأبصارهم التي هي الطرق الموصلة إلى العلم ومعرفة الحقائق، فأين الطريق الموصل لهم إلى الحق؟

ودل قوله: ﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ الآية، أن النظر إلى حالة النبي ﷺ وهديه وأخلاقه وأعماله وما يدعو إليه من أعظم الأدلة على صدقه وصحة ما جاء به، وأنه يكفي البصير عن غيره من الأدلة.

وقوله: ﴿إِن الله لا يظلم الناس شيشاً ﴾ فلا يزيد في سيشاتهم، ولا ينقص من حسناتهم.

﴿ولكن الناس أنفسهم يظلمون ﴾ يجيئهم الحق فلا يقبلونه، فيعاقبهم الله بعد ذلك بالطبع على قلوبهم، والختم على أسماعهم وأبصارهم.

﴿ وَ وَ وَ عَشْرِهُم كَانَ لَمُ يَلْبُثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارِفُونَ بِينَهُم قَدَ خَسْرِ النَّذِينَ كَذَبُوا بِلقَاء الله وما كانوا مهتدين ﴾ يخبر تعالى عن سرعة انقضاء الدنيا، وأن الله تعالى إذا حشر الناس وجمعهم ليوم لا ريب فيه، كأنهم ما لبثوا إلا ساعة من نهار، وكأنه ما مر عليهم نعيم ولا بؤس، وهم يتعارفون بينهم، كحالهم في الدنيا، فغي هذا اليوم يربح المتقون، ويخسر للذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين كالمناه مهتدين كالمناه عليه المنيا،

إلى الصراط المستقيم والدين القويم، حيث فاتهم النعيم، واستحقوا دخول النار.

﴿٤٦﴾ ﴿وإما نريتك بعض الذي نعدهم أو نتوفيتك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾ أي: لا تحزن أيها الرسول على هـولاء الكذبين، ولا تستعجل لهم، فإنهم لا بد أن يصيبهم الذي نعدهم من العذاب.

إما في الدنيا فتراه بعينك، وتَقرُّ به نفسك.

وإما في الآخرة بعد الوفاة، فإن مرجعهم إلى الله، وسينبثهم بما كانوا يعملون، أحصاه الله ونسوه، والله على كل شيء شهيد، ففيه الوعيد الشديد لهم، والتسلية للرسول الذي كذبه قومه وعاندوه.

(٤٧٤ - ٤٩) ﴿ ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون \* ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين \* قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ يقول تعالى: ﴿ ولكل أمة ﴾ من الأمم الماضية ورسول ﴾ يدعوهم إلى توحيد الله ودينه.

﴿فَإِذَا جِاءَ﴾ هم ﴿رسولهم) بالآيات، صدقه بعضهم وكذبه آخرون، فيقضي الله بينهم بالقسط بنجاة المؤمنين، وإهلاك المكذبين ﴿وهم لا يظلمون﴾ بأن يعذبوا قبل إرسال الرسول وبيان الحجة، أو يعذبوا بغير جرمهم، فليحذر المكذبون لك من مشابة الأمم المهلكين، فيحل بهم ما حل بأولئك.

ولا يستبطئوا العقوبة ويقولوا: همتى هذا الوعد إن كنتم صادقين فإن هذا ظلم منهم، حيث طلبوه من النبي ﷺ، فإنه ليس له من الأمر شيء، وإنما عليه البلاغ والبيان للناس الجزء الحادي عشر 🏿

وأما حسابهم وإنزال العذاب عليهم فمن الله تعالى، ينزله (١١) عليهم إذا جاءً الأجل الذي أجله فيه، والوقت الذي قدره فيه، الموافق لحكمته الإلهية.

فإذا جاء ذلك الوقت لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، فليحذر المكذبون من الاستعجال بالعذاب، ,فإنهم مستعجلون بعذاب الله الذي إذا نزل لا يرد بأسه عن القوم المجرمين، ولهذا قال:

﴿٥٠ ــ ٢٥﴾ ﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتاً أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون \* أثم إذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون \* ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلدهل تجزون إلا بما كنتم تكسبون ، يقول تعالى: ﴿قُل أَرأيتُم إِن أَتَاكُم عَذَابِهُ بياتاً ﴾ وقت نومكم بالليل ﴿أَوْ نِهاراً ﴾ في وقت غفلتكم ﴿ماذا يستعجل منه المجرمون ﴾ أي: أي: بشارة استعجلوا بها؟ وأي: عقاب ابتدروه؟

﴿أَنُّم إذا ما وقع آمنتم به ﴾ فإنه لا ينفع الإسمان حين حلول عذاب الله، ويقال لهم توبيخاً وعتاباً في تلك الحال التي زعموا أنهم يؤمنون، ﴿آلان اللهُ تؤمنون في حال الشدة والمشقة؟ ﴿وقد كنتم به تستعجلون ، فإن سنة الله في عباده أنه يعتبهم إذا استعتبوه قبل وقوع العذاب.

فإذا وقع العذاب لا ينفع نفسأ إيمانها، كما قال تعالى عن فرعون، لما أدركه الغرق ﴿قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾ وأنه يقال له: ﴿الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين♦.

وقال تعالى: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده﴾ وقال هنا: ﴿أَثُمُّ إِذَا ما وقع آمنتم به، الآن ﴾ تدعون الإسمان(٢)، ﴿ وقد كنتم به تستعجلون، فهذا ما عملت أيديكم، وهذا ما استعجلتم به.

﴿ثم قيل للذين ظلموا﴾ حين يوفون أعمالهم يوم القيامة: ﴿ ذُوقُوا عذاب الخلد ﴾ أي: العذاب الذي تخلدون فيه، ولا يفتر عنكم ساعة. ﴿ هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون ﴾ من الكفر والتكذيب والمعاصى.

﴿٥٣ - ٥٦﴾ ﴿ويستنبتونك أحق هو قبل إي وريّ إنه لحقٌّ وما أنسم بمعجزين \* ولو أن لكل نفس ظلمت المحرين ما نبي الأرض لافتيدت به وأسروا الندامة لما رأوا والعذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون \* ألَّا إن للهُ ما في السلماوات والأرض ألا إن وعد ألله حق ولكن أكشرهم لا يعلمون \* هو بحيى ويميت وإليه ترجعون که يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ويستنبئونك أحق هو﴾ أي: يستخبرك المكذبون على وجه التعنت والعناد، لا على وجه التبين والرشاد<sup>(٣)</sup>.

﴿أحق هو﴾ أي: أصحيح حشر العباد، وبعثهم بعد موتهم ليوم المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشز؟

﴿ قُلِ ﴾ لهم مقسماً على صحته، مستدلأ عليه بالدليل الواضح والسيرهان: ﴿إِي وربي إنه لحسق﴾ لا مرية فيه ولا شبهة تعتريه.

﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ شأن يبعثكم، فكما ابتدأ خلقكم ولم تكونوا شيئاً، كذلك يعيدكم مرة أخرى ليجازيكم بأعمالكم.

﴿وَ إِذَا كَانِتِ القيامة فِي ﴿ لُو أَن لكل نفس ظلمت > بالكفر والمعاصى ﴿ما في الأرض﴾ من ذهب وفضة وغيرهما، لتفتدي به من عذاب الله ﴿لافتدت به﴾ ولما نفعها ذلك، وإنما النفع والضر والثواب والعقاب، على الأعمال الصالحة والسيئة.

﴿وأسروا﴾ [أي] الذين ظلموا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ ندموا على ما قدموا، ولات حين مناص، ﴿وقضى

THE PARTY OF THE P ا قُلْ عَلْمِن شُرِّكَا بَكُمْ مِّن سِّدَقُوا آنْحَاقَ ثُمِّ بُصُدُفُقُ القَّهُ يَدُوُا آخَاقَ مُرْسَدُمُ فَأَنَّ تُوْفَكُونَ ﴿ قُلْ عَلْمِينَ شُرِّكًا بِكُو مَّن يَهْدِي إِلَى ٱلْحُقُّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَنَ يَهْدِئَ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُشَبَّعَ أَمَّنَ لَّا يَهِدَى إِلَّا أَن يُهُدَكُّ فَأَ الْكُرِكَيْفَ غَنَّكُونَ ۞ وَمَا يَشِّعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّاظُنَّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يَعْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْنًا إِنَّ ٱلفَّاعَلِيمُ كَيَايَهُ عَلُونَ۞ وَمَا كَانَ هَا ذَا ٱلْقُدُرَ الْأَلْنُ يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَّيْهِ وَتَغْصِيلَ الْكِتَابِ لَارْيَبَ ﴾ يِهِ مِن زَّتِ ٱلْمَالِمِينَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَنــُهُ قُلُ فَــَأَقُواْ مِسُورَةِ مِثْلِهِ وَأَدْعُواْ مَنِ أَسْتَطَعُتُرِ مِن دُونِ أَلَيْهِ إِن كُنْتُرْصَا فِي اللهِ بَلْكَذَهُ إِيَالَتِيعُيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَكَا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كُذَٰلِكَ كُذَّبَ ٱلَّذِيكِ مِن مَّ لِهِمُّ فَانظُرُ كَن عَلَيْهُ ٱلظَّالِينَ ۞ وَمِنْهُرَمِّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُرَمِّنَ لَا يُؤْمِثُ بِهِ وَرَقَالَكَ أَعْلَمُ المَّنْسِدِينَ ۞ قان ڪَنَّهُ الْا فَقُل إِنْ عَلِي وَالْكُوعَمُلُكُونَ التُدريَةِ ون مِينَّا أَغْمَلُ وَأَنازِينَ ومُنعَمِّن ٥ وَمُعُمِّن يَسْنَيمُونَ إِلَيْكُ أَفَأَتَ نُسَيعُ الشُّمَّ وَلَوْكَافُوا لَا يَعْفِلُونَ ۞ ON TO SOLVE TO SOLVE

بينهم بالقسط اي: العدل التام الذي لا ظلم ولا جور فيه بوجه من

﴿ أَلَا إِن شُهُ مِنَا فِي السَّمِنَاوَاتِ والأرض كا يحكم فيهم بحكمه الديني والقدري، وسيحكم فيهم بحكمه الجزائي، ولهذا قال: ﴿ أَلَا إِن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴿ فلذلك لا يستعدون للقاء الله، بل ربما لم يؤمنوا به، وقد تواترت عليه الأدلة القطعية والبراهين النقلية والعقلية.

﴿هو يحيى ويميت﴾ أي: هو المتصرف بالإحياء والإماتة، وسائر أنواع التذبير(؛)، لا شريك له في

﴿ وَإِلَيْهُ تُرجِعُونَ ﴾ يوم القيامة ، فيجازيكم بأعمالكم خيرها وشرها.

﴿٧٥ ــ ٥٨﴾ ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين \* قلَّ بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ يقول تعالى \_مرغباً للخلق في الإقبال على هذا الكتاب الكريم، بذكر أوصافه الحسنة الضرورية للعباد فقال: ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم، أي: تعظكم، وتنذركم عن الأعمال الموجبة

في ب: الاسترشاد.

في ب: ينزل.

كذا في ب، وفي أ: للإيمان. **(Y)** 

في ب: التدابير. (٤)

وَمِنْهُ مِنْ مُنْظِرُ البِّكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي ٱلْمُمْنِ وَلْوَكَا وُالْاَيْتِهِرُونَ ۞ إِنَّالِقَةَ لَانْظِاءُ ٱلنَّاسَ شَيْعًا وَلِنِّكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿ وَتَوْمَ يَعْشُرُهُمْ كَأَن لَوْ يَلْتِكُوٓ إِلَّاسَاعَةُ مِنَ النَّهَارِيَّتُكَارَفُونَ بَيْنَهُمُّ قَدْ خَيَرَ الَّذِينَ كُذَّوُ اللَّهَا ۗ اللَّهُ اللَّهُ وَمَا كَانُواْمُهُ تَذِينَ ۞ وَإِمَّازُيِّنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي فَوَدُهُمْ ۖ أَوْنَتُوَقِّيَنَّكَ فَإِلَيْنَامَ رَجِعُهُمُّ رُثُمَّ أَلَقَهُ شَهَيدُ عَلَى مَايَفَعَلُونَ ۞ وَلِكُ لِ أُمْوَرْسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُمُ مُ قَضِى بَيْنَهُ مِ إِلْقِسْطِ وَهُدُلاً يُظْلَمُونَ ۞ وَيَقُولُونَ مَنَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمَّ صَدِيْنَ ۞ قُلُلَآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلِانَفْعًا إِلَّامَا شَكَّمَا لَيُّهُ لِكُلِّى أَمْنَةِ لَجِلُّ إِنَّا كِمَاءً لَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْرِخُ وَيَتَ سَاعَةً وَلَا الْأَ يَسْتَقْدِمُونَ ۞ قُلْ أَوْيَيْتُمْ إِنْ أَتَنكُمُ عَذَا بِمُسِيَّتًا أَوْبَهَا ذَامَاذَا يَسْتَقِمُ لُمِينَهُ ٱلْجُرِعُونَ ۞ أَثُمَّ إِنَا مَا وَقَعَ َّامَنتُم بِيرَّةً ٱلْنَنَ وَقَدَكُتُمُ بِمِ نَتَنَعْبِلُونَ ۞ ثُمَّ قِلَ لِأَذِنَ ظَلْمُوادُوقُوا عَذَابَ ٱلْخُلُومَ لَ تُحَرِّوْنَ إِلَّامِمَا كُنتُ مَّ تَكْسِبُونَ ۞ • وَيَسْتَلْمُونَكَ الْمُ أَحَقُّ هُو قُولُ إِي وَرَبُهُ إِنَّهُ لَكُونًا وَمَا أَنْتُم بِمُعْجِزِينَ ۞

لسخط الله، المقتضية لعقابه وتحذركم عنها ببيان آثارها ومفاسدها.

CONTRACTOR DE CO

﴿وشفاء لما في الصدور ﴾ وهو هذا القرآن، شفاء لما في الصدور من أمراض الشهوات الصادة عن الانقياد للشرع وأمراض الشبهات، القادحة في العلم اليقيني، فإن ما فيه من المواعظ والترهيب، والوعد والوعيد، عما يوجب للعبد الرغبة والرهبة.

وإذا وجدت فيه الرغبة في الخير، والرهبة من الشر، ونمتا على تكرر ما يرد إليها من معاني القرآن، أوجب ذلك تقديم مراد الله على مراد النفس، وصار ما يرضي الله أحب إلى العبد من شهوة نفسه.

وكذلك ما فيه من البراهين والأدلة التي صرّفها الله غاية التصريف، وبيّنها أحسن بيان، عما يزيل الشبه القادحة في الحتى، ويصل به القلب إلى أعلى درجات اليقين.

وإذا صح القلب من مرضه، ورفل بأثواب العافية، تبعته الجوارح كلها، فإنها تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده، ﴿وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ فالهدى هو العلم بالحق والعمل به.

والرحمة هي ما يحصل من الخير والإحسان، والشواب العاجل

والآجل، لمن اهتدى به، فالهدى أجل الموسائل، والرحمة أكمل المقاصد والرغائب، ولكن لا يهتدي به، ولا يكون رحمة إلا في حق المؤمنين.

وإذا حصل الهدى وحلت الرحمة الناشئة عنه، حصلت السعادة والفلاح، والربح والنجاح، والفرح والسرور.

ولذلك أمر تعالى بالفرح بذلك فقال: ﴿قل بفضل الله الذي هو القرآن، الذي هو أعظم نعمة ومنة، وفضل تفضل الله به على عباده ﴿ورحمه الله به على عباده وعبادة الله وعبته ومعرفته. ﴿فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون من مناع الدنيا ولذاتها.

فنعمة الدين التصلة بسعادة الدارين، لا نسبة بينها وبين جميع ما في الدنيا، مما هو مضمحل زائل عن قريب.

وإنما أمر الله تعالى بالفرح بفضله ورحمته، لأن ذلك نما يوجب انبساط النفس ونشاطها وشكرها لله تعالى، وقوتها، وشدة الرغبة في العلم والإيمان الداعي للازدياد منهما، وهذا فرح محمود، بخلاف الفرح بشهوات الدنيا ولذاتها، أو الفرح بالباطل، فإن هذا مذموم كما قال [تعالى عن] قوم قارون له: ﴿لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾.

وكما قال تعالى في الذين فرحوا بما عندهم من الباطل المناقض لما جاءت به الرسل: ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ﴾.

تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم (١) \_: ﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق﴾ يعني أنواع الحيوانات المحللة، التي جعلها الله رزقاً لهم على هذا القول الفاسد \_: ﴿آللهُ أَذَن اللهُ لم أم على الله تفترون﴾ ومن المعلوم أنه له يأذن لهم فعلم أنهم مفترون.

ان الله لم يادن لهم فعلم انهم معترون. ﴿ وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ﴾ أن يفعل الله بهم من النكال، ويحل بهم من العقاب، قال تعالى: ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ﴾ .

﴿إِنَ اللهُ لَذُو فَضَلَ عَلَى النَّاسِ ﴾ كثير، وذو إحسان جزيل، ولكن أكثر الناس لا يشكرون، إما أن لا يقوموا بشكرها، وإما أن يستعينوا بها على معاصيه، وإما أن يُحرموا منها، ويردوا ما منَّ الله به على عباده، وقليل منهم الشاكر الذي يعترف بالنعمة، ويثني بها على طاعته.

ويستدل بهذه الآية على أن الأصل في جميع الأطعمة الحل، إلا ما ورد الشرع بتحريمه، لأن الله أنكر على من حرم الرزق الذي أنزله لعباده.

﴿ ١٦﴾ ﴿ وَمَا تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض وفي السماء ولا أصغر من ذلك عن عموم مشاهدته واطلاعه على جميع أحوال العباد في حركاتهم وسكناتهم، وفي ضمن هذا الدعوة لمراقبته على أوما تكون في شأن والدنيوية. ﴿ وما تتلو منه من قرآن ﴾ أي: وما تتلو منه من قرآن وحاه الله إليك.

﴿ولا تعملون من عمل ﴾ صغير أو كبير ﴿إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ﴾ أي: وقت شروع كسم فيه واستمراركم على العمل به.

فراقبوا الله في أعمالكم، وأدوها على وجه النصيحة والاجتهاد فيها، وإياكم وما يكره الله تعالى، فإنه مطلع عليكم، عالم بظواهركم وبواطنكم.

﴿وما يعزب عن ربك ﴾ أي: ما يغيب (١) عن علمه وسمعه وبصره ومشاهدته ﴿من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾ أي: قد أحاط به علمه، وجرى به قلمه.

وهاتان المرتبتان من مراتب القضاء والقدر، كثيراً ما يقرن الله بينهما، وهما: العلم المحيط بجميع الأشياء، وكتابته المحيطة بجميع الحوادث، كقوله تعالى: ﴿أَلْم تعلم أَن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾.

﴿ ٢٢ \_ ٢٤ ﴿ ﴿ أَلاَ إِنَّ أُولِياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون \* النين آمنوا وكانوا يتقون \* لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾ يجبر تعالى عن أوليائه وأحبائه، ويذكر أعمالهم وأوصافهم وشوابهم فقال: ﴿ أَلا إِن أُولِياء الله أمامهم من المخاوف والأهوال.

ولا هم يحزنون على ما أسلفوا، لأنهم لم يسلفوا إلا صالح الأعمال، وإذا كانوا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ثبت لهم الأمن والسعادة، والخير الكثير الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

ثم ذكر وصفهم فقال: ﴿الذين آمنوا﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وصدقوا إيمانهم باستعمال التقوى، بامتثال الأوامر واجتناب النواهى.

فكل من كان مؤمناً تقياً كان لله [تعالى] ولياً، و ﴿لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾.

أما البشارة في الدُنيا، فهي الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين،

والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق وصرفه عنه مساوى، الأخلاق.

وأما في الآخرة فأولها البشارة عند قبض أرواحهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾.

وفي القبر ما يبشر به من رضا الله تعالى والنعيم المقيم.

وفي الآخرة تمام البشرى بدخول جنات النعيم، والنجاة من العذاب الألم.

﴿لا تبديل لكلمات الله بل ما وعد الله فهو حق، لا يمكن تغييره ولا تبديله، لأنه الصادق في قيله، الذي لا يقدر أحد أن يخالفه فيما قدره وقد ال

﴿ذلك هو الفوز العظيم ﴾ لأنه استمل على النجاة من كل محذور، والظفر بكل مطلوب محبوب، وحصر الفوز لغير أهل الإيمان والتقوى.

والحاصل أن البشرى شاملة لكل خير وشواب، رتبه الله في الدنيا والآخرة على الإيمان والتقوى، ولهذا أطلق ذلك فلم يقيده.

﴿ 70﴾ ﴿ ولا يحزنك قولهم إنّ العزة لله جيعاً هو السميع العليم﴾ أي: ولا يحزنك قول المكذبين فيك من الأقوال التي يتوصلون بها إلى القدح فيك وفي دينك فإن أقوالهم لا تُعِزُّهُم، ولا تضرك شيئاً. ﴿ إِن العزة لله جميعاً ﴾ يؤتيها من يشاء ويمنعها عن يشاء.

قال تعالى: ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً﴾ أي: فليطلبها بطاعته، بدليل قوله بعده: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾. ومن المعلوم أنك على طاعة الله، وأن العزة لك ولاتباعث من الله،

﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾.

THE RESIDENCE OF THE PARTY OF T وَلَوْأَنَّ لِحِكُلَّ نَفْسٍ طَلَعَتْ مَافِي ٱلْأَرْضِ لِآفْتَدَتْ بِيُّ وَأَسَّرُوا ٱلنَدَامَةَ لَنَارَأُواْ الْعَدَابُّ وَقَيْنِي بَنْنَهُ مِ الْقِسْطُ وَهُمْ لَا يُعْلَلُونَ ﴿ أَلاَّ إِنَّ بِلَهِ مَا فِي السَّمَا وَالْأَرْضُ أَلاَّ إِنْ وَعُدَاللَّهِ عَقُّ وَلَاكِنَّ أَكْثَرَهُمُ لَا يَقَامُونَ ۞ هُوَيُحْ .. رَكُيتُ وَإِلَيْهِ ثَيْعَتُونَ ۞ يَنَأَيُّهُا ٱلنَّاسُ قَدْجَلَةَ تَحَكُمُ مَوْعِظَةً مِّن تَيْكُرُ وَشِفَآءُ لِلَافِ الصُّدُودِ وَهُدَى وَرَحْمَةُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَيِرَحْ تَنِهِ عِ فَإِذَاكِ فَلْيَ غَرَجُواْ هُوَخَيْرٌ عَمَّا يَسْمُعُونَ ﴿ قُلْ أَرْدَيْثُمُ مَّا أَمْزَلَ اللَّهُ لَكَ مُعْرَدُنْقِ فَجَعَكْتُ مِنْهُ حَكَرَاهَا وَحَلَاكُ قُلْ ءَاللَّهُ أَذِبَ لَكُمُ أَرْعَلَ لَلَّهِ تَفْتَرُونَ ۞ وَمَاظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَيْبَ يَوْرَالْفِيكَمَيُّ إِنَّاللَهُ لَذُوفَضْلِ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَحَـُثُرَهُمُ لَا يَشْكُرُونَ ۞ وَمَا تَكُونُ فِي شَأَنِ وَمَا تَتُلُواْمِنْ مُن ثَوْمَانِ وَلَاتَفْ مَلُونَ مِنْ عَكُل إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُونُهُ وُدًا إِذْ تَقْيِضُونَ فِيهُ وَمَايَعُنُهُ عَن زَّيَكِ مِن مِّثْقَ الدِّذَرَّةِ فِٱلْأَرْضِ وَلَاف إِلَّ السَّمَالَةِ وَلَا أَصْفَرَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَصْعَبَرُهُ لَّا فِي كَلَيوتُمِينِ ٥ THE THE WORLD

وقوله: ﴿هو السميع العليم﴾ أي: سمعه قد أحاط بجميع الأصوات، فلا يخفى عليه شيء منها.

وعلمه قد أحاط بجميع الظواهر والبواطن، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

وهو تعالى يسمع قولك، وقول أعدائك فيك، ويعلم ذلك تفصيلاً، فاكتف بعلم الله وكفايته، فمن يتق الله فهو حسبه.

﴿٦٦ ــ ٦٧﴾ ﴿ألا إنّ لله مسن فسي السماوات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يستسبحسون إلا السظسن وإن هسم إلا يخرصون \* هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ يخبر تعالى أن له ما في السّماوات والأرض، خلقاً وملكاً وعبيداً، يتصرف فيهم بما شاء(٢) من أحكامه، فالجميع مماليك لله، مسخرون مدبرون، لا يستحقون شيئاً من العبادة، وليسوا شركاء لله بوجه من الوجوه، ولهذا قال: ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن الله الذي لا يغني من الحق شيئاً ﴿وإن هم إلا بخرصون) في ذلك خرص كذب

ألآات أوليآة اللولاخوث عليهد والاهمة يحزؤن ۞ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَفَوَّنَ۞ لَمُمُٱلْكُمُتُمَا فِ ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنْكِ اوَفِ ٱلْآخِدَةُ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ هُوَالْفَوْلِٱلْفَظِيرُ ۞ وَلَا يَحْذُنِكَ قَوْلُهُمُّ إِنَ الْمِزَّةَ يَقِيجِيعًا هُوَالسَّكِيعُ ٱلْمَكِيمُ الْكَالَةُ ۞ الْآلِنَ يقوس في السَّمَعُونِ وَمَن فِ ٱلأَرْضُ وَمَا يَسْكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ أَلْمُوشَرِكَاءً أِن يَتَ عُمُونَ إِلَّا ٱلظَّرَى وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَغَدُّ مُرُونَ ۞ هُوَٱلَّذِي جَعَلَ لَكُ مُ الْتِلَ لِتَسْتُ نُوافِيهِ وَالنَّهَ لَرَمُنْصِ زَّالنَّافِ نَالِكَ لَاَيْنَ لِقَوْمِ يَسْمَعُونَ ۞ قَالُواْ أَتَّعَكَ أَلَهُ وَلِمَا أَسُبْحَنَهُ مُوَالَّفَوَ مِنْ لَهُ مَا لِ السَّمَوْتِ وَمَا فِ ٱلأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِن سُلْطَان بِهِلَدَّ أَتَكُولُونَ عَلَ ٱللَّهِ مَا لَاتَعَنَاكُونَ ۞ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَدُونَ عَلَ ٱللَّهِ ٱلكَذِبَ لَايْمَالِحُرَ ۞ مَتَعْ فِٱلدُّنْيَاثُرُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ يِمَاكَ افْوَا يَكْفُرُونَ ۞ TONOGON III POR OFO

وإفك وبهتان .

فإن كانوا صادقين في أنها شركاء لله، فليظهروا من أوصافها ما تستحق به مثقال ذرة من العبادة، فلن يستطيعوا، فهل منهم أحد يخلق شيئاً أو يرزق، أو يملك شيئاً من المخلوقات، أو يدبر الليل والنهار الذي جعله الله قياماً للناس؟.

و ﴿ هُو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ﴾ في النوم والراحة بسبب الظلمة ، التي تغشى وجه الأرض ، فلو استمر الضياء لما قروا ولما سكنوا .

﴿و﴾ جعل الله ﴿النهار مبصراً﴾ أي: مضيئاً، يبصر به الخلق، فيتصرفون في معايشهم، ومصالح دينهم ودنياهم.

﴿إِن فَسَيْ ذَلْكَ لآيَاتُ لَسَقَّومُ يسمعونَ ﴾ عن الله سمع فهم وقبول واسترشاد، لا سمع تعنت وعناد، فإن في ذلك لآيات لقوم يسمعون، يستدلون بها على أنه وحده المعبود وأنه الإله الحق، وأن إلهية ما سواه باطلة، وأنه الرؤوف الرحيم العليم الحكيم.

﴿ ٦٨ - ٧٠ ﴿ قالوا اتَّخَذَ الله ولداً سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بذا أتقولون على الله ما لا تعلمون \* قل إذّ الذين يفترون على الله الكذب

لا يفلحون \* متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون في يقول تعالى خبراً عن بهت المشركين لرب العالمين ﴿قالوا اتخذ الله ولداً ﴾ فنزه نفسه عن ذلك بقوله: ﴿سبحانه ﴾ أي: تنزه عما يقول الظالمون في نسبة النقائص إليه علواً كبيراً، ثم برهن على ذلك بعدة براهين:

أحدها: قوله: ﴿هو الغني﴾ أي: الغنى منحصر فيه، وأنواع الغنى مستغرقة فيه، فهو الغني الذي له الغنى التام بكل وجه واعتبار من جميع الوجوه، فإذا كان غنياً من كل وجه، فلأى: شيء يتخذ الولد؟

ألحاجَةً منه إلى الولد، فهذا مناف لغناه فلا يتخذ أحد ولداً إلا لنقص في غناه.

البرهان الثاني، قوله: ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ وهذه كلمة جامعة عامة لا يخرج عنها موجود من أهل السماوات والأرض، الجميع مخلوقون عبيد عماليك.

ومن المعلوم أن هذا الوصف العام ينافي أن يكون له منهم ولد، فإن الولد من جنس والده، لا يكون مخلوقاً ولا عملوكاً. فملكيته لما في السماوات والأرض عموماً تنافى الولادة.

البرهان الثالث، قوله: ﴿إِنْ عندكم من سلطان بهذا﴾ أي: هل عندكم من صلطان بهذا﴾ أي: هل عندكم من فلو كان لهم دليل لأبدوه، فلما تحداهم وعجزهم عن إقامة الدليل، علم بطلان ما قالوه. وأن ذلك قول بلا علم، ولهذا قال: ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ فإن هذا من أعظم المحرمات.

وقل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون أي: لا ينالون مطلوبهم، ولا يحصل لهم مقصودهم، وإنما يتمتعون في كفرهم وكذبهم في الدنيا قليلاً، ثم ينتقلون إلى الله ويرجعون إليه، فيذيقهم العذاب

الشديد بما كانوا يكفرون. ﴿وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴿ . ﴿١٧ \_ ٧٧ ﴾ ﴿واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بايات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلى ولا تنظرون \* فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين \* فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجملناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين، يقول تعالى لنبيه: واتل على قومك ﴿نَبُّا نوح﴾ في دعوته لقومه، حين دعاهم إلى الله مدة طويلة، فمكث فيهم ألف سنة إلا خسين عاماً، فلم يزدهم دعاؤه إياهم إلا طغياناً، فتمللوا منه وسنموا، وهوعليه الصلاة والسلام غير متكاسل، ولا متوان في دعوتهم، فقال لهم: ﴿ يَا قُومُ إِنْ كَأَنْ كَبِرَ عُلَيْكُمْ مقامي وتذكيري بآيات الله اي أي: إن كان مقامي عندكم وتذكيري إياكم ما ينفعكم (١) ﴿ بِأَياتُ أَلَّهُ ﴾ الأدلة الواضحة البينة، قد شق عليكم وعظم لديكم، وأردتم أن تنالوني بسوء أو تردوا الحق. ﴿فعلى الله توكلُّت﴾ أي: اعتمدت على الله في دفع كل شريراد بي، وبسما أدعو إليه، فهذا جندي

من أنواع العدّدُ والعُدد. ﴿ فاجمعوا أمركم﴾ كلكم، بحيث لا يتخلف منكم أحد، ولا تدخروا<sup>(٢)</sup>

وعُدِّي. وأنتم فأتوا بما قدرتم عليه،

من مجهودكم شيئاً . ﴿وَ﴾ أحضروا ﴿شركاءكم﴾ الذي كنتم تعبدونهم وتوالونهم من دون الله رب العالمين .

﴿ثم لا يكن أمركم عليكم غمة﴾ أي: مشتبها خفياً، بل ليكن ذلك ظاهراً علانية.

وَّنُم اقتَضوا إليَّ ﴾ أي: اقضوا عليَّ بالعقوبة والسوء الذي في إمكانكم، ولا تنظرون ﴾ أي: لا تمهلون ساعة

الجزء الحادي عشركم

من نهار. فهذا برهان قاطع، وآية عظيمة على صحة رسالته، وصدق ما جاء به، حيث كان وحده لا عشيرة تحميه، ولا جنود تؤويه.

وقد بادأ(١) قومه بتسفيه آرائهم وفساد دينهم وعيب آلهتهم. وقد حملوا من بغضه وعداوته ما هو أعظم من الجبال الرواسي، وهم أهل القدرة والسطوة، وهو يقول لهم: اجتمعوا أنتم وشركاؤكم ومن استطعتم، وأبدوا كلُّ ما تقدرون عليه من الكيد، فأوقعوا بي إن قدرتم على ذلك، فلم يقدروا على شيء من ذلك.

فعلم أنه الصادق حقاً، وهم الكاذبون فيما يدَّعون، ولهذا قال: ﴿فَإِنْ تُولِيتُم﴾ عن ما دعوتكم إليه، فلا موجب لتوليكم، لأنه تبين أنكم لا تولون عن باطل إلى حق، وإنمأ تولون عن حق قامت الأدلة على صحته، إلى باطل قامت الأدلة على

ومع هذا ﴿فما سألتكم من أجر﴾ على دعوتي وعلى إجابتكم، فتقولوا: هذا جاءنا ليأخذ أموالنا، فتمتنعون لأجل ذلك.

﴿إِن أُجِرِي إِلا عِلَى اللهِ أَي: لا أريد الشواب والجزاء إلا منه، ﴿و﴾ أيضاً فإني ما أمرتكم بأمر وأخالفكم إلى ضده، بل ﴿أمرت أن أكون من المسلمين ﴾ فأنا أول داخل وأول فاعل لما أمرتكم به.

﴿فَكَذُبُوهُ بَعَدُمَا دَعَاهُمَ لِيلاً وَنَهَاراً سرأ وجهاراً، فلم يزدهم دعاؤه إلا فراراً، ﴿فنجيناه ومن معه في الفلك﴾ الذي أمرناه أن يصنعه بأعينناً، وقلنا له إذا فار التنور: فـ ﴿ احمل فيها من كلّ زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن﴾ ففعل ذلك.

فأمر الله السماء بماء منهمر وفجر الأرض عيوناً، فالتقى الماء على أمر قد قىدر: ﴿وحملناه على ذات ألمواح ودسر﴾ تجري بأعيننا، ﴿وجعلناهم

خلائف﴾ في الأرض بعد إحلاك

ثم بارك الله في ذريته، وجعل ذريته هم الباقين، ونشرهم في أقطار الأرض، ﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾ بعد ذلك البيان، وإقامة البرهان، ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين، وهو: الهلاك المخزي، واللعنة المتتابعة عليهم في كل قرن يأتي بعدهم، لا تسمع فيهم إلا لوما، ولا ترى إلا قدحاً وذماً.

فليحذر هؤلاء المكذبون، أن يحل بهم ما حل بأولئك الأقوام المكذبين من الهلاك والخزى والنكال.

﴿٧٤﴾ ﴿ثُم بعثنا من بعده رسلاً إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين، أي: ﴿ثم بعثنا﴾ من بعد نوح عليه السلام ﴿رسلاً إلى قومهم المكذبين، يدعونهم إلى الهدى، ويحذرونهم من أسباب الردي.

﴿فجاؤوهم بالبينات﴾ أي: كل نبي أيَّد دعوته بالآيات الدالة على صحة مَّا

﴿ فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾ يعنى: أن الله تعالى عاقبهم حيث جاءهم الرسول، فبادروا بتكذيبه، طبع الله على قلوبهم، وحال بينهم وبين الإيمان بعد أن كانوا متمكنين منه، كما قال تعالى: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول

ولهذا قال هنا: ﴿كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾ أي: نختم عليها، فلا يدخلها خير، وما ظلمهم [الله]، ولكنهم ظلموا أنفسهم بردهم الحق لما جاءهم، وتكذيبهم الأول.

﴿٧٥﴾ ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون ال آخر القصة (٢). أي: ﴿ ثم بعثنا ﴾ من بعد هؤلاء الرسل الذين أرسلهم الله إلى القوم المكذبين

CHARLE CENTRAL CO. • وَٱقْلُ عَلَيْهِ مُنَافُومِ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ وَلَقَوْمِ لِذِ كَانَ كُثَرُ عَلَيْكُمُ اً مَقَامِي وَتَذْكِرِي مِنَائِتِ أَلَّهِ فَعَلَى أَلَلَهِ وَكُلْتُ فَأَجْمُواْ أَمْرُكُمُّ الْ وَثُوكَا مَكُونَا لَا مَكُونَا لَوَكُو عَلَى كُوعَتَهُ فَتَا فُوْآ فَضُوا لِلَّهُ وَلِانْعَلَانِ ﴿ وَإِن نَوَلَنتُهُ فَمَاسَأَ لَتُكُمُّ مِنْ أَجْرٌ إِنْ أَجْرِي إِلَّاعَ إِلَّهُ وَأَيْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۞ فَكُذَّهُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي ٱلْفُلُكِ وَجَعَلْنَهُمْ خَلَيْفَ وَأَعْرَقِنَا ٱلَّذِينَ كَذَّهُمُ إِنَا لِيَتِنَأَ فَأَنظُرُ كُيْفَكَانَ عَلِقِيَةُ ٱلْمُنْذَرِينَ ۞ ثُمُزَعَشْنَامِنُ بَعْدِ مِرْمُلًا اللَّهُ وَمُهِمَدُ فِيَاءُوهُمُ وَالْتَنْتُ فَأَكَانُوا لِنُوْمِهُ إِلَّا تُنْتُ فَأَكَانُوا لِنُومُ وَاعْلَكُنَّوا بهِ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبُعُ عَلَىٰ تُلُوبِ ٱلْمُعْتَذِينَ ۞ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَلَـ رُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْثَ وَمَلَاِئِهِمِ مِنَالِتِنَا اً فَأَسْنَكُمْرُواْ وَكَانُواْ فَوَمَا تَجْرِمِينَ ۞ فَلَنَا جَـَآ هُرُ أَكْتَقُ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ إِنَ هَلَا الْمِيعَرَّمُيعِتْ ۞ قَالَهُوسَيْ التَتُولُونَ لِلْحَقِ لَمَا مِلَةَ كُوْآمِيمُ هَا ذَا وَلَا يُعْلِمُ السَّاحِرُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَّةُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا غَنْ لَكُمَّا بِمُؤْمِنِينَ ۞ DESCRIPTION TO THE PROPERTY OF THE PROPERTY OF

﴿موسى بن عمران كليم الرحمن، أحد أولى العزم من المرسلين، وأحد الكبار المقتدى بهم، المنزل عليهم الشرائع المعظمة الواسعة .

﴿وَ ﴾ جعلنا معه أخاه ﴿هارون﴾ وزيراً بعثناهما ﴿إلى فرعون وملته﴾ أى: كبار دولته ورؤسائهم، لأن عامتهم تبع للرؤساء.

﴿ بِأَياتِنا ﴾ الدالة على صدق ما جاءا به من توحيد الله، والنهى عن عبادة ما سوى الله تعالى، ﴿فاستكبروا ﴾ عنها ظلماً وعلواً، بعدما استيقنوها.

﴿ وكمانسوا قموماً مجرمين ﴿ أي: وصفهم الإجرام والتكذيب.

﴿٧٦﴾ ﴿فُلُما جاءهم الحق من عندنا﴾ الذي هو أكبر أنواع الحق وأعظمها، وهو من عند الله الذي خضعت لعظمته الرقاب، وهو ربّ العالمين المربي جميع خلقه بالنعم.

فلما جاءهم الحق من عند الله على يد موسى، ردوه فلم يقبلوه، و﴿قالوا إنّ هذا لسحر مبين لل يكفهم ـ قبحهم الله - إعراضهم ولا ردهم إياه، حتى جعلوه أبطل الباطل، وهو السحر: الذي حقيقته التمويه، بل جعلوه سحراً مبيناً ظاهراً، وهو الحق

في النسختين: باديء.

في ب أكمل الآيات إلى قوله تعالى: ﴿إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾. (٢)

TO THE PARTY NO. وَقَالَ فِنْهَوْدُ ٱلتَّوْنِ بِكُلِّ سَكِيرٍ عَلِيدِ فَ فَلَاجَاءَ ٱلسَّعَرَةُ قَالَ لَمْ مُوسَى الْفُواْمَ الْنَدُمُلْقُونَ ﴿ فَلَمَّ الْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَاحِثُهُ بِوَالنِيعَ أَنْ اللّهَ سَكِيْظِلُهُ أَنْ اللّهَ لَايْصَلْمُ عَلَ ٱلْتَهْبِيدِينَ ۞ وَيُحِنُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَن تِدِهِ وَلَوَّكُرُوَ ٱلْمُحْرِجُونَ اللهُ فَأَ اللهُ ا فِعَوْنَ وَمَلَإِينِهِمْ أَن يَفْيَنَهُمُ وَانَ فِرْعَوْنَ لَكَ إِلَيْ ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُ لِمَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰ يَكَوْمِ إِن كُنْتُمْ ءَامَنتُ دِبَاللَّهِ فَعَلَيْهِ وَقَوَحَالُوا إِن كُنتُ رُمُّت لِينَ ﴿ فَقَالُواْ عَلَ اللَّهِ وَكَ لَمْنَارَبُّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِينَهُ لِلْقَوْمِ ٱلظَّلِلِينَ ﴿ وَيَجْنَا رِرْحَيَاكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِينِ ۞ وَأُوحِيَّنَآ إِلَى مُوسَىٰ وَلَٰخِيهِ أَن تَبَوَّءَ الِفَوْمِكُمَا بِيصْرَيُونَا وَأَجْعَلُواْ يُوْبَكُونِهَا لَهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوَةُ وَيَشِيرِ لَلْوَمِنِينَ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَمُ زِينَةَ وَأَمْوَ لَا فِي الْعَيْوَةِ ٱلدُّنْيَا رَبِّنَالِيمُضِلُّواعَن سَبِيلِكُ رَبِّنَااطْمِسْ عَكَاآمُولِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَ مُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرُوا الْمَذَابَ ٱلأَلِمَ ۞

المبين. ولهذا ﴿قال﴾ لهم ﴿موسى﴾ - موبخاً لهم عن ردهم الحق الذي موبخاً لهم عن ردهم الحق الذي لا يرده إلا أظلم الناس -: ﴿أتقولون إنه للحق لما جاءكم﴾ أي: أتقولون إنه سحر مبين.

﴿ أسحر هذا ﴾ أي: فانظروا وصفه وما اشتمل عليه، فبمجرد ذلك يجزم بأنه الحق. ﴿ ولا يفلح الساحرون ﴾ لا في الدنيا ولا في الآخرة، فانظروا لمن تكون له العاقبة، ولمن له الفلاح وعلى يديه النجاح. وقد علموا بعد ذلك وظهر لكل أحد أن موسى عليه السلام هو الذي أفلح وفاز بظفر الدنيا والآخرة.

﴿ ٧٨﴾ ﴿ قالوا ﴾ لموسى راديس لقوله بما لا يرده: ﴿ أَجِنْتِنَا لِتَلْفَتْنَا عِمَا وَجِدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنا ﴾ أي: أَجِنْتِنَا لِتَصِدْنَا عِما وجدنا عليه آباءنا من الشرك وعبادة غير الله، وتأمرنا بأن نعبد الله وحده لا شريك له؟ فجعلوا قول آبائهم الضالين حجة، يردون بها الحق الذي جاءهم به موسى عليه السلام.

وقبولهم (1): ﴿وتكون لكما الكبرياء في الأرض اي: وجنتمونا لتكونوا أنتم الرؤساء، ولتخرجونا من أرضنا. وهذا تمويه منهم، وترويج على جهالهم، وتهييج لعوامهم على معاداة موسى وعدم الإيمان به.

وهذا لا يحتج به من عرف الحقائق وميز بين الأمور، فإن الحجج لا تدفع إلا بالحجج والبراهين.

وأما من جاء بالحق فرد قوله بأمثال هذه الأمور، فإنها تدل على عجز موردها عن الإتيان بما يرد القول الذي جاءه به خصمه، لأنه لو كان له حجة لأوردها، ولم يلجأ إلى قوله: قصدك كذا، أو مرادك كذا، سواء كان صادقاً في قوله وإخباره عن قصد خصمه أم كاذباً، مع أن موسى عليه الصلاة والسلام كل من عرف حاله وما يدعو إليه، عرف أنه ليس له قصد في العلو في الأرض، وإنما قصده كقصد إرشادهم لما فيه نفعهم.

ولكن حقيقة الأمر كما نطقوا به بقولهم: ﴿وما نحن لكما بمؤمنين﴾ أي: تكبراً وعناداً، لا لبطلان ما جاء به موسى وهارون، ولا لاشتباه فيه، ولا لغير ذلك من المعاني، سوى الظلم والعدوان، وإرادة العلو الذي رموا به موسى وهارون.

﴿٧٩﴾ ﴿وقال فرعون﴾ معارضاً للحق الذي جاء به موسى ومغالطاً (٢٦) للثه وقومه: ﴿اثتونِ بكل ساحر عليم﴾ أي: ماهر بالسحر، متقن له.

فأرسل في مدائن مصر من أتاه بأنواع السحرة، على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم.

﴿فَلَما جاء السحرة ﴾ للمغالبة مع موسى ألقوا ما أنتم ملقون ﴾ أي: أي: شيء أردتم لا أعين لكم شيئاً، وذلك لأنه جازم بغلبته، غير مبال بهم وبما جاؤوا به.

﴿ فلما ألقوا ﴾ حبالهم وعصيهم، إذا هي كأنها حيات تسعى، ف ﴿ قال موسى ما جئتم به السحر ﴾ أي: هذا السحر الحقيقي العظيم، ولكن مع عظمته ﴿إن الله سيبطله، إن الله يصلح عمل المفسدين ﴾ فإنهم يريدون بذلك نصر الباطل على الحق، وأي: فساد أعظم من هذا؟!!

وهكذا كل مفسد عمل عملاً، واحتال كيداً، أو أتى بمكر، فإن عمله سيبطل ويضمحل، وإن حصل لعمله روجان في وقت ما، فإن ماكه الاضمحلال والمحق.

وأما المصلحون الذين قصدهم بأعمالهم وجه الله تعالى، وهي أعمال ووسائل نافعة مأمور بها، فإن الله يصلح أعمالهم ويرقيها، وينميها على الدوام، فألقى موسى عصاه، فتلقف جميع ما صنعوا، فبطل سحرهم، واضمحل باطلهم.

﴿٨٢﴾ ﴿ويعق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون﴾ فألقي السحرة سُجداً حين تبين لهم الحق. فتوعدهم فرعون بالصلب، وتقطيع الأيدي والأرجل، فلم يبالوا بذلك وثبتوا على إيمانهم.

وأمًا فرعون وملؤه وأتباعهم، فلم يؤمن منهم أحد، بل استمروا في طغيانهم يعمهون.

ولهذا قال: ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه أي: شباب من بني إسرائيل صبروا على الخوف، لما ثبت في قلوبهم الإيمان.

وعلى خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم عن دينهم ﴿وإن فرعون لعال في الأرض﴾ أي: له القهر والغلبة فيها، فحقيق بهم أن يخافوا من بطشه.

﴿وَ خَصَوْصاً ﴿إِنَّه ﴾ كَانَ ﴿لَنَ السَّرِفَيْنَ ﴾ أي: المتجاوزين للحد في البغي والعدوان.

. ي و الحكمة - والله أعلم - بكونه ما آمن لموسى إلا ذرية من قومه، أن الذرية والشباب أقبل للحق، وأسرع له انقياداً، بخلاف الشيوخ ونحوهم، ممن تربى على الكفر فإنهم - بسبب ما مكث في قلوبهم من العقائد الفاسدة - أبعد من الحق من غيرهم.

﴿ ٨٤﴾ ﴿ وقالُ موسى ﴾ موصياً لقومه بالصبر، ومذكراً لهم ما يستعينون به على ذلك فقال: ﴿ يا قوم إن كنتم آمنتم بالله ﴿ فقوموا بوظيفة

الإيمان.

﴿فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ أي: اعتمدوا عليه، والجؤوا إليه واستنصروه.

﴿ ٨٥﴾ ﴿ فقالوا ﴾ متثلين لذلك ﴿ على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ﴾ أي: لا تسلطهم علينا فيفتنونا، أو يغلبونا فيفتتنون بذلك، ويقولون: لو كانوا على حق لما غلبوا.

﴿٨٦﴾ ﴿ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾ لنسلم من شرهم، ولنقيم [على] ديننا على وجه نتمكن به من إقامة شرائعه، وإظهاره من غير معارض ولا منازع.

﴿ ٨٧﴾ ﴿ وأوحسينا إلى مسوسسى وأخيه ﴾ حين اشتد الأمر على قومهما من فرعون وقومه، وحرصوا على فتنهم عن دينهم.

﴿ أَن تَبُوا الْقُومَكُمَا بِمَصْرِ بِيُوتَا ﴾ أي: مروهم أن يجعلوا لهم بيوتاً يتمكنون [به] من الاستخفاء فيها.

﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ أي: اجعلوها محلاً تصلون فيها، حيث عجزتم عن إقامة الصلاة في الكنائس والبع العامة.

وأقيموا الصلاة و فإنها معونة على جميع الأمور، فوبشر المؤمنين بالنصر والتأييد وإظهار دينهم، فإن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً، وحين اشتد الكرب وضاق الأمر، فرّجه الله ووسعه، فلما رأى موسى القسوة والإعراض من فرعون وملثه (۱۱)، دعا عليهم وأمّن هارون على دعائه، فقال:

﴿٨٨﴾ ﴿ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة ﴾ يتزينون بها من أنواع الحلي والثياب، والبيوت المزخرفة، والمراكب الفاخرة، والحدام، ﴿وأموالاً عظيمة ﴿في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ﴾ أي: إن أموالهم لم يستعينوا بها إلا على الإضلال في سبيلك، فيضلُون ويُضِلُون.

﴿ ربنا اطمس على أموالهم ﴾ أي:

أتلفها عليهم: إما بالهلاك، وإما بجعلها حجارة غير منتفع بها.

﴿واشدد على قلوبهم ﴾ أي: قسّها ﴿فلا يـوْمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴾.

قال ذلك غضباً عليهم، حيث تجرؤوا على محارم الله، وأفسدوا عباد الله، ولكمال معرفته بربه، بأن الله سيعاقبهم على ما فعلوا، بإغلاق باب الإيمان عليهم.

﴿ ٨٩﴾ ﴿ قَالَ ﴾ الله تعالى ﴿ قد أَجيب دعوتكما ﴾ هذا دليل على أن موسى [كان] يدعو، وهارون يُؤمِّنُ على دعائه، وأن الذي يؤمن يكون شريكاً للداعى في ذلك الدعاء.

﴿ فاستقيما ﴾ على دينكما، واستمرا على دعوتكما، ﴿ ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾ أي: لا تتبعان سبيل الجهال الضلال، المنحوفين عن الصراط المستقيم، المتبعين لطرق المجديم، فأمر الله موسى أن يسري ببني إسرائيل ليلاً، وأخبره أنهم ببني إسرائيل ليلاً، وأخبره أنهم عاشرين يقولون: ﴿ إِنْ هُولاً ﴾ أي: عاشرين يقولون: ﴿ إِنْ هُولاً ﴾ أي: وإنه الجميع موسى وقومه: ﴿ لشرذمة قليلون \* وإنه الجميع حاذرون ﴾ .

فجمع جنوده قاصيهم ودانيهم، فأتبعهم بجنوده، بغياً وعدواً، أي: خروجهم باغين على موسى وقومه، ومعتدين في الأرض، وإذا اشتد البغي واستحكم الذنب فانتظر العقوبة.

﴿ ٩٠﴾ ﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر ﴾ وذلك أن الله أوحى إلى موسى لما وصل البحر، أن يضربه بعصاه فضربه، فانفلق اثني عشر طريقاً، وسلكه بنو إسرائيل، وساق فرعون وجنوده خلفه (٢) داخلين.

فلما استكمل موسى وقومه خارجين من البحر، وفرعون وجنوده داخلين فيه، أمر الله البحر فالتطم على فرعون وجنوده، فأغرقهم، وبنو

ا قَالَ قَدْ أُجِيتِ دَّعُوتُكُمَا فَأَسْتَقِيمَا وَلَاتَنَّعَ أَنَّ سَكِيلَ ٱلَّذِينَ لَامِعَ لَكُونَ ٥٠ وَجَوْزُونَا بِبَنِي اسْرَةٍ مِلْ أَلْعَرَ فَأَتِّبَكُهُ مِنْ عَوْثُ وَجُنُودُهُ بَغَيًّا وَعَدْوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكُهُ النَّدَقُ قَالَ مَامَنتُ أَنَّهُ لَآ إِلَّهُ إِلَّا الَّذِي مَامَنتَ بِعِيمَ وَالسَّوِيلَ وَأَنَافِنَ ٱلْمُسْلِينَ ۞ مَالَكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِيكَ بِبَدَيْكَ لِتَكُونَ لِنَ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَيْمِ لِيرَاقِ النَّاسِ عَنْ ءَ ايْتِينَا لَغَافِلُونَ ﴿ وَلَقَدْ بَوْأَنا بَنِي إِسْرَهِ مِلْ مُبَوَّأَ صِدْقِ وَزَزَقْنَهُ مِينَ الطَّيِّبَاتِ فَأَ احْسَلَفُواْحَقَّ جَلَّهُ هُو ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبِّكَ يَقْضِي كِينْهُ مُ يُومَ ٱلْقِيَاْمَةِ فِيمَا كَانُواْفِ وَيَخْتَلِفُونَ ۞ فَإِن كُنَّ فِي شَكٍّ يَّمَّا أَنْزُلْنَآ إِلَيْكَ فَسَشَلِ ٱلَّذِيبَ يَقْرَهُ وِكَٱلْكِكْسَ مِن قَبْلِكُ لْقَدْجَآءَكَ ٱلْكُفُّونِ زَيْكَ فَلَاتَكُونَأَ مِنَ ٱلْمُفْتِينَ ۞ وَلَا تَكُونَ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَالِتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ أَتَحَلِّم بِنَ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِ رَكِلِتُ رَيِّكَ لَا يُوْمِنُونَ وَ وَتَوْجَآءَ نَهُمُ كُلُّ اللَّهِ حَنَّا يَرُوا الْمَدَابَ الأَلِيمَ ۞ overow we or seof إسرائيل ينظرون.

حتى إذا أدرك فرعون الغرق، وجزم بهلاكه ﴿قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ﴾ وهو الله الإله الحق الذي لا إله إلا هو ﴿وأنا من المسلمين ﴾ أي: المنقادين

لدين الله، ولما جاء به موسى.

هذا الإيمان في هذه الحالة غير نافع
هذا الإيمان في هذه الحالة غير نافع
برسول الله ﴿وقد عصيت قبل﴾أي:
بارزت بالمعاصي، والكفر والتكذيب
بوكنت من الفسدين فلا ينفعك
الإيمان كما جرت عادة الله، أن
الكفار إذا وصلوا إلى هذه الحالة
الاضطرارية أنه لا ينفعهم إيمانهم،
من ورد القيامة، والذي ينفع إنما هو
الإيمان بالغيب.

﴿٩٢﴾ ﴿فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ﴾ قال المفسرون: إن بني إسرائيل لما في قلوبهم من الرعب العظيم من فرعون، كأنهم لم يصدقوا بإغراقه، وشكوا في ذلك، فأمر الله البحر أن يلقيه على نجوة مرتفعة ببدنه، ليكون لهم عبرة وآية.

﴿ وإن كثيراً من الناس عن آياتنا

<sup>(</sup>١) في النسختين : وملئهم، ولعل الصواب ما أثبت.

<sup>(</sup>٢) في أ: وجنودهم خلفهم، وفي ب عدلت إلى: وجنوده خلفه.

CONTRACTOR OF THE PARTY OF THE فَلَةُ لَا كَانَتْ قَرْبُكُ مَاسَتْ فَفَعَهِ آ إِيْنُهُمَّا إِلَّا فُوَرَوُسُ لَتَآءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُرْعَنَابَ أَيْزِي فِي ٱلْحَيَّوْوَالدُّنْيَا وَمَنْقَنَاهُمْ إِلَىٰحِينِ۞ وَلَوْشَكَةَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِٱلْأَوْنِ كُلُهُمْ جَيِيعًا أَفَأَتَ ثُكُرُهُ النَّاسَ حَقَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ۞ وَمَلَكَانَ لِنَفْيِنِ أَنْ ثُوْمِنَ إِلَّا إِذْنِ ٱللَّهِ وَيَخَمُلُ ٱلْخِسَ عَلَ إِلَّذِينَ لِايَمْ عِلُّونَ ۞ قُلِ انْظُرُواْ مَاذَا فِ ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَاتُغَنِي ٱلْآلِكَ وَالنُّدُرُعَن فَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ فَعَلَ مَنْظِرُونَ إِلَّامِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْفَطِ رُوا إِنِّي مَعَكُمُ مِّنَ ٱلْنَفَطِينِ ﴿ ثُرَتُنَعِى رُسُكًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُرْمِنِينَ ۞ قُلْ يَنَالَيْهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكِّي مِن دِينِي فَلَاّ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّعَكُمٌّ وَأَيْرَتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿ وَأَنْ أَقِرُومَ مَكَ لِلدِّينِ حَيْفًا وَلَاتَكُونَنَّ مِنَ لَلْشَرِينِ ۞ وَلَاتَدْعُ مِن دُونِالْقَهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكُ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا يَزَالُطُولِينَ ٥

الفافلون فلذلك تمر عليهم وتتكرر فلا ينتفعون بها لعدم إقبالهم عليها.

وأما من له عقل وقلب حاضر، فإنه يرى من آيات الله ما هو أكبر دليل على صحة ما أخبرت به الرسل.

﴿٩٣﴾ ﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ﴾ أي: أنزلهم الله وأسكنهم في مساكن آل فرعون، وأورثهم أرضهم وديارهم.

﴿ورزقناهم من الطيبات ﴾ من المطاعم والمسارب وغيرهما ﴿فما اختلفوا ﴾ في الحق ﴿حتى جاءهم المعلم ﴾ الموجب لاجتماعهم على وائتلافهم، ولكن بغى بعضهم على بعض، وصار لكثير منهم أهوية وأغراض تخالف الحق، فحصل بينهم من الاختلاف شيء كثير.

﴿إِن رَبِكَ يَقْضَي بِينَهُم يُوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بحكمه العدل الناشيء عن علمه التام، وقدرته الشاملة، وهذا هو الداء الذي يعرض لأهل الدين الصحيح.

وهو: أن الشيطان إذا أعجزوه أن يطيعوه في ترك الدين بالكلية، سعى في التحريش بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء، فحصل من الاختلاف ما

هو موجب ذلك، ثم حصل من تضليل بعضهم لبعض، وعداوة بعضهم لبعض، ما هو قرة عين اللعين.

وإلا فاذا كان ربهم واحداً، ورسولهم واحداً، ورسولهم واحداً، ودينهم واحداً، ومصالحهم العامة متفقة، فلأي: شيء يختلفون اختلافاً يفرق شملهم، ويستت أمرهم، ويحل رابطتهم ونظامهم، فيفوت من مصالحهم الدينية والدنيوية ما يفوت، ويموت من دينهم بسبب ذلك ما يموت؟

فنسألك اللهم لطفاً بعبادك المؤمنين، يجمع شملهم ويرأب صدعهم، ويرد قاصيهم على دانيهم، يا ذا الجلال والإكرام.

﴿ ٩٤ - ٩٤ ﴾ ﴿ فَإِن كنت في شكُ عَا أَنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين \* ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين ﴾ يقول تعالى لنبيه عمد علي ذن في شك عما أنزلنا إليك ﴾ هل هو صحيح أم غير صحيح ؟

وفاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك أهل الكتاب المنصفين، والعلماء الراسخين، فإنهم سيقرون لك بصدق ما أخبرت به، وموافقته لما معهم، فإن قيل: إن كثيراً من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، بل ربما كان أكثرهم ومعظمهم كذبوا رسول الله وعاندوه، وردوا عليه دعوته.

والله تعالى أمر رسوله أن يستشهد بهم، وجعل شهادتهم حجة لما جاء به، وبرهاناً على صدقه، فكيف يكون ذلك؟

فالجواب عن هذا من عدة أوجه: منها: أن الشهادة إذا أضيفت إلى طائفة، أو أهل مذهب، أو بلد ونحوهم، فإنها إنما تتناول العدول

الصادقين منهم.

وأما من عداهم، فلو كانوا أكثر من غيرهم فلا عبرة فيهم، لأن الشهادة مبنية على العدالة والصدق، وقد حصل ذلك بإيمان كثير من أحبارهم الربانيين، كـ "عبد الله بن سلام" [وأصحابه وكثير عمن أسلم في وقت النبي من المنائه ومن بعده] (١٠) وغيرهما.

ومنها: أن شهادة أهل الكتاب للرسول ﷺ مبنية على كتابهم التوراة الذي ينتسبون إليه.

فإذا كان موجوداً في التوراة ما يوافق القرآن ويصدقه، ويشهد له بالصحة، فلو اتفقوا من أولهم لآخرهم (٢) على إنكار ذلك لم يقدح بما جاء به الرسول.

ومنها: أن الله تعالى أمر رسوله أن يستشهد بأهل الكتاب على صحة ما جاءه، وأظهر ذلك وأعلنه على رؤوس الأشهاد.

ومن المعلوم أن كثيراً منهم من أحرص الناس على إبطال دعوة الرسول عمد على أبطال دعوة الرسول عمد الله ، فلو كان عندهم ما يرد ما ذكره الله ، لأبدوه وأظهروه وبينوه ، فلما لم يكن شيء من ذلك ، كان عدم رد المعادي ، وإقرار المستجيب من أدل الأدلة على صحة هذا القرآن وصدقه .

ومنها: أنه ليس أكثر أهل الكتاب رد دعوة الرسول، بل أكثرهم استجاب لها وانقاد طوعاً واختياراً، فإن الرسول بعث وأكثر أهل الأرض المتدينين أهل كتاب (٣).

فلم يمكث دينه مدة غير كثيرة، حتى انقاد للإسلام أكثر أهل الشام، ومصر والعراق وما جاورها من البلدان التي هي مقر دين أهل الكتاب، ولم يبق إلا أهل الرياسات الذين آثروا رياساتهم على الحق، ومن تبعهم من العوام الجهلة، ومن تدين بدينهم اسماً لا معنى، كالإفرنج الذين حقيقة أمرهم

<sup>(</sup>١) زيادة من هامش ب، بخط المؤلف، وقد شطبت في ب الجملة التالية وهي قوله (وكعب الأحبار وغيرهما).

<sup>(</sup>٢) في النسختين: وآخرهم ولعل الصواب ما أثبت.

<sup>(</sup>٣) في ب: أهل الكتاب.

أنهم دهرية منحلون عن جميع أديان الرسل، وإنما انتسبوا للدين المسيحي ترويجاً لملكهم، وتمويهاً لباطلهم، كما يعرف ذلك من عرف أحوالهم البينة الظاهرة.

وقوله: ﴿لقد جاءك الحق﴾ أي: الذي لا شك فيه بوجه من الوجوه ولهذا قال: ﴿من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ كقوله تعالى: ﴿كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه﴾.

﴿٩٥﴾ ﴿ولا تكونىن مَن اللهِ يَن كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين﴾ وحاصل هذا أن الله نهى عن شيئين: الشك في هذا القرآن والامتراء فيه.

وأشد من ذلك التكذيب به، وهو آيات الله البينات التي لا تقبل التكذيب بوجه، ورتب على هذا الحسار، وهو عدم الربح أصلاً، وذلك بفوات الشواب في الدنيا والآخرة، وحصول العقاب في الدنيا والآخرة، والنهي عن الشيء أمر بضده، فيكون أمراً بالتصديق التام بالقرآن، وطمأنينة القلب إليه، والإقبال عليه علماً

فبذلك يكون العبد من الرابحين الذين أدركوا أجل المطالب، وأقضل الرغائب وأتم المناقب، وانتفى عنهم الخسار.

﴿ الله الله ﴿ الله َ الله َا الله َالهُ الله َالله َالهُ الله َالله َالله َالله َالهُ الله َالله َاللهُ الله َا له َا له َالله َالله َالله َالله َالله َا له َا له َالله َالله َالله َالله َا له َا

وما ظلمهم الله، ولكن ظلموا أنفسهم بردهم للحق لما جاءهم أول مرة، فعاقبهم الله بأن طبع على قلوبهم

وأسماعهم وأبصارهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم الذي وعدوا به. فحيئند يعلمون حق اليقين أن ما هم عليه هو الضلال، وأن ما جاءتهم به الرسل هو الحق. ولكن في وقت لا يجدي عليهم إيمانهم شيئاً، فيومئد لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعبون، وأما الآيات فإنها تنفع من

له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

﴿ ٩٨﴾ ﴿ فلولا كآنت قربة آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الحزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ﴾ يقول تعالى: ﴿ فلولا كانت قرية ﴾ من قرى المكذبين ﴿ أمنت ﴾ حين رأت العذاب ﴿ فنفعها إيمانه ﴾ أي: لم يكن منهم أحد انتفع بايمانه حين رأى العذاب، كما قال بايمانه حين رأى العذاب، كما قال قال: ﴿ آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ فقيل له ﴿ آلان وقد عصيت قبل وكنت من

وكما قال تعالى: ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده، وكفرنا بما كنا به مشركين \* فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عماده ﴾.

المفسدين .

وقال تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون \* لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا﴾.

والحكمة في هذا ظاهرة، فإن الإيمان الاضطراري ليس بإيمان حقيقة، ولو صرف عنه العذاب والأمر الذي اضطره إلى الإيمان، لرجع إلى الكفران.

وقوله: ﴿إلا قوم يونس لما آمنوا﴾ بعدما رأوا العذاب، ﴿كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾ فهم مستثنون من العموم السابق، ولا بد لذلك من حكمة لعالم الغيب والشهادة لم تصل إلينا، ولم

تدركها أفهامنا.

قال الله تعالى: ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ إلى قوله: ﴿فأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون \* فآمنوا فمتعناهم إلى حين ولعل الحكمة في ذلك أن غيرهم من المهلكين، لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه.

وأما قوم يـونس فـإن الله عـلــم أن إيمانهم سيستمر، [بل قد استمر فعلاً وثبتوا عليه](۱) والله أعلم.

﴿ ١٠٠ ﴾ ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴿ وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ﴾ يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ﴾ بأن يلهمهم الإيمان، ويوزع قلوبهم للتقوى، فقدرته صالحة لذلك، ولكنه اقتضت حكمته أن كان بعضهم مؤمنين وبعضهم كافرين.

﴿أَفَأَنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ أي: لا تقدر على ذلك، وليس فتى إمكانك، ولا قدرة لغير الله (٢٠ [على] (٣ شيء من ذلك.

﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله أي: بإرادته ومشيئته وإذنه القدري الشرعي، فمن كان من الخلق قابلاً لذلك، يزكو عنده الإيمان، وفقه وهداه.

﴿ويجعل الرجس﴾ أي: الشر والضلال ﴿على الذين لا يعقلون﴾ عن الله أوامره ونواهيه، ولا يلقون بالا لنصائحه ومواعظه.

﴿١٠١ ـ ١٠٩﴾ ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون \* فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين \* ثم ننجى رسلنا والذين

<sup>(</sup>۱) زیادة من هامش ب.

<sup>(</sup>٢) في النسختين: غير الله، وكان لا بد من زيادة اللام لتستقيم العبارة.

<sup>(</sup>٣) زيادة يقتضيها السياق.

آمنوا كذلك حقاً علينا ننج المؤمنين يدعو تعالى عباده إلى النظر لما في السماوات والأرض، والمراد بذلك: نظر الفكر والاعتبار والتأمل، لما فيها وما تحتوي عليه، والاستبصار، فإن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون، وعبراً لقوم يوقنون، تدل على أن الله وحده المعبود المحسمود، ذو الجسلال والإكسرام، والأسماء والصفات العظام.

﴿ وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ فإنهم لا ينتفعون بالآيات لإعراضهم وعنادهم.

﴿فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ﴾ أي: فهل ينتظر هؤلاء الذين لا يؤمنون بآيات الله بعد وضوحها، ﴿إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ﴾ أي: من الهلاك والعقاب، فإنهم صنعوا كصنيعهم، وسنة الله جارية في الأولين والآخرين.

﴿قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين له المنتظرين له المعاقبة الحسنة، والنجاة في الدنيا والآخرة، وليست إلا لمسرسل وأتباعهم.

ولهذا قال: ﴿ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا﴾ من مكاره الدنيا والآخرة وشدائدهما.

﴿ كُذَلَكُ حقاً علينا ﴾ أوجبناه على أنفسنا ﴿ ننجي المؤمنين ﴾ وهذا من دفعه عن المؤمنين فإن الله يدافع عن الذين آمنوا، فإنه \_ بحسب ما مع العبد من الإيمان \_ تحصل له النجاة من المكاره.

الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أيها أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين \* وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكون من المشركين \* ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك لنبيه إذا من الظالمين \* يقول تعالى لنبيه إذا من الظالمين \* يقول تعالى لنبيه إذا من الظالمين \* يقول تعالى لنبيه

عمد على المسلين، وإمام المتقين وخير الموقنين: ﴿قُلْ يَا أَيّهَا النّاسُ إِنْ كَنْتُم فِي شَكْ مِن ديني﴾ أي: في ريب واستباه، فإني لست في شك منه، بل لدي العلم اليقيني أنه الحق، وأن ما تدعون من دون الله باطل، ولي على الساطعة، ولهذا قال: ﴿فلا أعبد اللّذين تعبدون من دون الله ﴾ من الأنداد ولا ترزق، ولا تدبر شيئاً من الأمور، وإنما هي مخلوقة مسخرة، ليس فيها ما يقتضى عبادتها.

﴿وَلَكن أعبد الله الذي يتوفاكم ﴾ أي: هو الله الذي خلقكم، وهو الذي يميتكم ثم يبعثكم ليجازيكم بأعمالكم، فهو الذي يستحق أن يعبد ويصلى له ويخضع ويسجد.

﴿ وأمرت أن أكون من المؤمنين \* وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ﴾ أي: أخلص أعمالك الظاهرة والباطنة شه، وأقم جميع شرائع الدين حنيفاً، أي: مقبلاً على الله، معرضاً عما سواه، ﴿ ولا تكونن من المشركين ﴾ لا في حالهم، ولا تكن معهم.

﴿١٠٦﴾ ﴿ولا تـدع مـن دون الله مالا ينفعك ولا يضرك وهذا وصف لكل مخلوق، أنه لا ينفع ولا يضر، وإنما النافع الضارهو الله تعالى.

﴿ فَإِنْ فَعَلَتَ ﴾ بأن (١) دعوت من دون الله مالا يخفعك ولا يخسرك ﴿ فَإِنْكُ إِذَا مِن الظّالَمِن ﴾ أي: الضارين أنفسهم بإهلاكها، وهذا الظلم هو الشرك كما قال تعالى: ﴿ إِن الشرك لظلم عظيم ﴾ فإذا كان خير الخلق، لو دعا مع الله غيره، لكان من الظالمين المشركين فكيف بغيره؟!!

﴿ ١٠٧﴾ ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم ﴾ هذا من أعظم الأدلة على أن الله وحده المستحق

للعبادة، فإنه النافع الضار، المعطي المانع، الذي إذ مس بضر، كفقر ومرض، ونحوها ﴿ فلا كاشف له إلا هو ﴾ لأن الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوا إلا بما كتبه الله، ولو اجتمعوا على أن يضروا أحداً لم يقدروا على شيء من ضرره، إذا لم يردك بخير فلا راد لفضله أي: لا يقدر أحد من الخلق، أن يرد فضله وإحسانه، كما قال تعالى: ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة، فلا ممل له من يعده ﴾ .

﴿يصيب به من يشاء من عباده ﴾ أي: يختص برحمته من شاء من خلقه ، والله ذو الفضل العظيم ، ﴿وهو الففور ﴾ لجميع الزلات ، الذي يوفق عبده لأسباب مغفرته ، ثم إذا فعلها العبد ، غفر الله ذنوبه كبارها وصغارها .

﴿الرحيم﴾ الذي وسعت رحمته كل شيء، ووصل جوده إلى جميع الموجودات، بحيث لا تستغني عن إحسانه طرفة عين، فإذا عرف العبد بالنعم، وكشف النقم، وإعطاء الحسنات، وكشف النقم، وإعطاء والكربات، وأن أحداً من الخلق، ليس بيده من هذا شيء إلا ما أجراه الله على يده، جزم بأن الله هو الحق، وأن ما يعون من دونه هو الباطل.

ولهذا \_ لما بين الدليل الواضح قال بعده: \_

(۱۰۹ ـ ۱۰۹) ﴿ قـل يـا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن المتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل \* واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ﴾ أي: ﴿قل ﴾ يا أيها الرسول، لما تبين البرهان ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم الحق البرهان ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم الحق

من ربكم أي: الخبر الصادق المؤيد بالبراهين، الذي لا شك فيه بوجه من الدي من أعظم تربيته لكم، أن أنزل اللذي من أعظم تربيته لكم، أن أنزل اليكم هذا القرآن الذي فيه تبيان لكل شيء، وفيه من أنواع الأحكام والمطالب الإلهية والأخلاق المرضية، ما فيه أعظم تربية لكم، وإحسان منه إليكم، فقد تبين الرشد من الغي ولم يبق لأحد شبهة.

﴿فمن اهتدى ﴿بهدى الله بأن علم الحق وتفهمه، وآثره على غيره، فلنفسه والله تعالى غني عن عباده، وإنما ثمرة أعمالهم راجعة إليهم.

﴿ومن ضل ﴾ عن السدى بأن أعرض عن العلم بالحق، أو عن العمل به، ﴿فإنما يضل عليها ﴾ ولا يضر الله شيئاً، فلا يضر إلا نفسه.

﴿ وما أنا عليكم بوكيل ﴾ فأحفظ أعمالكم وأحاسبكم عليها، وإنما أنا لكم نذير مبين، والله عليكم وكيل. فانظروا لأنفسكم ما دمتم في مدة الإمهال.

﴿واتبع﴾أيها الرسول ﴿ما يوحى الله ودعوة الله وحملاً وحالاً ودعوة الله وأصبر على ذلك ، فإن هذا أعلى أنواع الصبر ، وإن عاقبته حميدة ، فلا تكسل ولا تضجر ، بل دم على ذلك واثبت ، ﴿حتى يحكم الله بينك وبين من كذبك ﴿وهو خير الحاكمين ﴾ فإن حكمه مشتمل على العدل التام والقسط الذي يحمد عليه .

وقد امتثل على أمر ربه، وثبت على الصراط المستقيم، حتى أظهر الله دينه على سائر الأديان، ونصره على أعدائه بالسيف والسنان، بعدما نصره [الله] عليهم بالحجة والبرهان، فلله الحمد، والثناء الحسن، كما ينبغي لجلاله وعظمته وكماله وسعة إحسانه.

تم تفسير سورة يونس والحمد لله رب العالمين

## تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام، [وهي] مكية

﴿١-٤﴾ ﴿بسم الله السرحمين الرحيم \* الركتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير \* ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير \* وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجَل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير \* فلي أخاف عليكم عذاب يوم كبير \* قلير » يقول تعالى: هذا ﴿كتاب ﴾ قليم، ونزل كريم، ﴿أحكمت آياته ﴾ أي: أتقنت وأحسنت، صادقة أخبارها، عادلة أوامرها ونواهيها، فصيحة ألفاظه بهية معانيه.

وثم فصّلت أي: ميزت وبينت بياناً في أعلى أنواع البيان، ومن لدن حكيم يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، لا يأمر ولا ينهى إلا بما تقتضيه حكمته، وخبير مطلع على الظواهر والبواطن.

﴿٢﴾ فإذا كان إحكامه وتفصيله من عند الله الحكيم الخبير، فلا تسأل بعد هذا عن عظمته وجلالته واشتماله على كمال الحكمة وسعة الرحمة. وإنما أنزل الله كتابه ل ﴿الاَ تعبدوا إلا الله أي: لأجل إخلاص الدين كلّه لله، وأن لا يشرك به أحد من خلقه.

﴿إِنني لَكُم﴾ أيها الناس ﴿منه﴾ أي : من الله ربكم ﴿نذير ﴾ لن تجرأ على المعاصي بعقاب الدنيا والآخرة ، ﴿وَبِشْير ﴾ للمطيعين لله بثواب الدنيا والآخرة .

(۳) ﴿وأن استغفروا ربكم﴾ عن ما صدر منكم من الذنوب ﴿ثم توبوا البه ﴾فيما تستقبلون من أعماركم بالرجوع إليه، بالإنابة والرجوع عما يكرهه الله إلى ما يجبه ويرضاه.

ثم ذكر ما يترتب على الاستغفار والتوبة فقال: ﴿يمتعكم متاعاً حسناً﴾ أي: يعظيكم من رزقه ما تتمتعون به

وَإِن يَسَسَكَ أَفَهُ بِضُرَ فَلَا كَاشِفَ لَهُ رَالَّاهُوَّ وَإِن رُدِكَ بِخَيْر فَلَا زَآدٌ لِفَصْلِهُ يُصِيبُ بِهِ عَن يَشَكَآءُ مِنْ عِبَ ادِمْ وَهُوَ ٱلْعَنْ عُورُالِيَحِيدُ ﴿ قُلْ يِنَاكُمُ ٱلنَّاسُ قَدْ عِلَةَ حَصُولُونَ الْعَلَى الْعَلَامُ اللَّهِ مِن زَيْكُمْ فَنَ أَهْ تَدَى فَإِنَّ مَا يَهْ تَدِى لِنَفْسِ فِي وَمَنْ هَلَّ فَإِنَّمَا يَضِدُّ عَلَيْهَا ۗ وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم وَكِيلٍ۞ وَأَنِّعُ مَا يُوْتَى إِلَيْكَ وَأَصْبِرْحَقَّ لِيَحْكُمُ اللَّهُ وَهُوَخَيْرًا لَمُعَلِيمِينَ ۞ الَّرْ كِنَّةُ أُخْرِكَتْ مَائِنْتُهُ أَمْ فَصِّلَتْ مِن اَلَّنْ مَتَكِيمٍ خِيرٍ ۞ ٱلَّاتَعَبُدُوٓالِّلَالَقَةَ إِنِّي ٱلْكُرِيۡنَهُ نَنْيُرُوۡيَشِيرٌ۞ وَلَنَّاسَتَغَغْهُواْ رَيَّكُونُونُونُوا لِيَهِ يُمَنِعَكُم مَّنَاهَاحَسَنَا إِلَيَّ أَجَل مُسَتَّى وَيُؤْتِ كُلُّ ذِي فَضْلِ فَضْلَا مُوان تَوَلُّواْ فَإِنِّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يُوْمِكُير ﴿ إِلَّ اللَّهِ مَنْ حِمْكُمْ وَهُوَ عَلَيْكُمْ فَنْ وَقِيرٌ ۞ أَلاَّ إِنَّهُ مُنْفُونَ صُنُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْمِنْهُ ٱلَاحِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مُ الْيُرَّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿ إِنَّهُ عَلِيهُ مَا بِذَاتِ ٱلصَّهُ دُورِ ۞ DECEMBER WEDSTERN وتنتفعون .

> ﴿إِلَى أَجِلَ مسمىٰ ﴾ أي: إلى وقت وفاتكم ﴿ويؤت ﴾ منكم ﴿كل ذي فضل فضله ﴾ أي: يعطي أهل الإحسان والبر من فضله وبره، ما هو جزاء لإحسانهم، من حصول ما يحبون، ودفع ما يكرهون.

﴿ وإن تولوا ﴾ عن ما دعوتكم إليه ، بل أعرضتم عنه ، وربما كذبتم به ﴿ فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير ﴾ وهو يوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأولين والآخريس ، في جازيهم بأعمالهم ، إن خيراً فخير ، وإن شرأ

وفي قوله: ﴿وهو على كل شيء قدير ﴾ كالدليل على إحياء الله الموتى، فإنه قدير على كل شيء (١١)، ومن جملة الأشياء إحياء الموتى، وقد أخبر بذلك وهو أصدق القائلين، فيجب وقوع ذلك عقلاً ونقلاً.

﴿٥﴾ ﴿الا إنهم يشنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور ﴾ يخبر تعالى عن جهل المسركين، وشدة ضلالهم، أنهم ﴿يشنون صدورهم ﴾ أي: يميلونها ﴿ليستخفوا ﴾ من الله، فتقع صدورهم

النفاه النفاق الأرض الأعمالة وزفها ويفاشقه المستقدة المراس وتاب وتاب وتاب وتاب وتأليب المتعالمة وزفها ويفاشقة المراس وتستوزع المتعالمة ويستوزع الأرض في سينة وأقيام قلات عشاء المتعالمة وتاب المتعالمة والمتعالمة وتاب المتعالمة وتاب المتعالمة وتاب المتعالمة وتاب المتعالمة وتاب المتعالمة وتاب المتعالمة المتعالمة المتعالمة المتعالمة المتعالمة المتعالمة المتعالمة المتعالمة المتعالمة وتابية المتعالمة وتابية والمتعالمة وتابية والتعالمة وتابية والمتعالمة وتابية والتعالمة والتعا

٥ وَلَينْ أَذَقَنَ ٱلْإِنسَانَ مِنَّارَفَ لَّهُ ثُمَّ زُيَّعَنَهَا مِنْهُ إِنَّهُ لِيُوسُّ

كَفُورٌ ۞ وَلَهِنْ أَنَقْنَهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّلَةَ مَسَسَّتُهُ

لَيَتُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيَنَاتُ عَنَّ إِنَّهُ لَفَرَحٌ فَوُرُ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ

صَبَرُواْ وَعَسَيمُواْ الصَيْلِ حَتِ أُولَيْكَ لَمُدُمِّغُ فِرَةٌ وَلَعَرُكِيرٌ

﴿ فَلَمَلُكَ ثَارِكُ بَعْضَ مَايُوحَ ﴿ إِلَيْكَ وَصَابَ إِنَّ إِيهِ

صَنْدُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلاَ أُنْ زِلَ عَلَيْهِ كَنْزُأُوْجَآءَمَعُهُ

مَلَكُ إِنَّمَا أَنَّ نَذِيرٌ وَأَلَقُهُ عَلَى كُلِّ مَنْ وَوَكِيلٌ ۞

حاجبة لعلم الله بأحوالهم، وبصره لهيئاتهم.

قال تعالى \_مبيناً خطأهم في هذا الظن \_ ﴿ ألا حين يستغشون ثيابهم ﴾ أي: يتغطون بها، يعلمهم في تلك الحال، التي هي من أخفى الأشياء.

بل ﴿يعلم ما يسرون﴾ من الأقوال والأفعال ﴿وما يعلنون﴾ منها، بل ما هو أبلغ من ذلك، وهو: ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ أي: بما فيها من الإرادات، والوساوس، والأفكار التي لم ينطقوا بها، سراً ولا جهراً، فكيف تخفى عليه حالكم، إذا ثنيتم صدوركم لتستخفوا منه.

ويحتمل أن المعنى في هذا أن الله يذكر إعراض المكذبين للرسول الخافلين عن دعوته، أنهم \_من شدة إعراضهم \_يثنون صدورهم، أي: يحدودبون حين يرون الرسول على للله ينفعهم دعوته، ويعظهم بما ينفعهم، فهل فوق هذا الإعراض شيء؟!!

ثم توعدهم بعلمه تعالى بجميع أحوالهم، وأنهم لا يخفون عليه، وسيجازيم بصنيعهم.

﴿٦﴾ ﴿وما من دابة في الأرض إلاّ على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ أي:

جميع ما دب على وجه الأرض، من آدمي، أو حيوان بري أو بحري، فالله تعالى قد تكفل بأرزاقهم وأقواتهم، فرزقها(١) على الله.

﴿ ويعلم مستقرها ومستودعها ﴾ أي: يعلم مستقرها والدواب، وهو: المكان الذي تقيم فيه وتستقر فيه، وتأوي إليه، ومستودعها: المكان الذي تنتقل إليه في ذهابها ومجيئها، وعوارض أحوالها.

﴿كل﴾ من تفاصيل أحوالها ﴿في كتاب مبين﴾ أي: في اللوح المحفوظ المحتوي على جميع الحوادث الواقعة، والتي تقع في السماوات والأرض. الجميع قد أحاط بها علم الله، وجرى بها قلمه، ونفذت فيها مشيئته، ووسعها رزقه، فلتطمئن القلوب إلى كفاية من تكفل بأرزاقها، وأحاط علما بذواتها، وصفاتها.

﴿٧ ـ ٨﴾ ﴿وهـ والـ ذي خـ لمت السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيتكم أحسن عملاً ولئن قلت إنتكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين \* ولئن أخرنا عنهم العذاب يأتيهم ليس مصروفاً عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ غير تعالى أنه أيام﴾ أولها يوم الأحد وآخرها يوم البلمعة ﴿و﴾ حين خلق السماوات والأرض ﴿كان عرشه على الماء السابعة .

فبعد أن خلق السماوات والأرض استوى عليه، يدبر الأمور، ويصرفها كيف شاء من الأحكام القدرية، والأحكام الشرعية. ولهذا قال: فليلوكم أيكم أحسن عملاً أي: السماوات والأرض بأمره ونهيه، فينظر أيكم أحسن عملاً.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله:

«أخلصه وأصوبه».

قيل يا أبا علي: «ما أخلصه وأصوبه»؟.

فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً، لم يقبل.

وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً.

والخالص: أن يكون لوجه الله، والصواب: أن يكون متبعاً فيه الشرع والسنة، وهذا كما قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.

وقال تعالى: ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن، لتعلموا أن الله على كل شيء قلير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ﴾ فالله تعالى خلق الخلق لعبادته ومعرفته بأسمائه وصفاته، أمر به، فهو من المفلحين، ومن أعرض عن ذلك، فأولئك هم الخاسرون، ولا بد أن يجمعهم في دار يجازيهم فيها على ما أمرهم به ونهاهم.

ولهذا ذكر الله تكذيب المسركين بالجزاء، فقال: ﴿ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾.

أي: ولئن قلت لهولاء وأخبرتهم بالبعث بعد الموت، لم يصدقوك، بل كذبوك أشد التكذيب (٢)، وقدحوا فيما جثت به، وقالوا: ﴿إِنْ هذا إلا سحر مين﴾ ألا وهو الحق المين.

سيرن الدولو المن الميزاب إلى أمة ﴿ ولتن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة أي: إلى وقت مسقد فتباطؤوه، لقالوا من جهلهم وظلمهم ﴿ ما يجبسه ﴾ ومضمون هذا تكذيبهم به، فإنهم يستدلون بعدم وقوعه بهم عاجلاً على كذب الرسول المخبر بوقوع العذاب، فما أبعد هذا الاستدلال!!

﴿ أَلَا يُوم يَأْتِيهِم ﴾ العذاب ﴿ ليس مصروفاً عنهم ﴾ فيتمكنون من النظر في أم هم.

﴿ وَحَاقَ بِهُم ﴾ أي: نزل ﴿ مَا كَانُوا

به يستهزؤون ﴾ من المذاب، حيث يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه تهاونوا به، حتى جزموا بكذب من جاء ملك إنّما أنت نذير والله على كل شيء به.

﴿٩ - ١٠ ﴾ ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنّه ليؤس كفور ﴿ ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنّه لفرح فخور ﴿ إلا الذين صبروا وأحر كبير ﴾ يخبر تعالى عن طبيعة وأجر كبير ﴾ يخبر تعالى عن طبيعة أذاقه منه رحمة كالصحة والرزق، أذاقه منه رحمة كالصحة والرزق، والأولاد، ونحو ذلك، ثم نزعها منه، فإنه يستسلم لليأس، وينقاد للقنوط، فلا يرجو ثواب الله، ولا يخطر بباله أن الله سيردها أو مثلها، أو خيراً منها عله.

وأنه إذا أذاقه رحمة من بعد ضراء مسته، أنه يفرح ويبطر، ويظن أنه سيدوم له ذلك الخير، ويقول: ﴿ذهب السيئات عني، إنه لفرح فخور﴾ أي: فرح (١) بما أوتي مما يوافق هوى نفسه، فخور بنعم الله على عباد الله، وذلك يحمله على الأشر والبطر والإعجاب بالنفس، والتكبر على الخلق، واحتقارهم وازدرائهم، وأي: عيب أشد من هذا؟!!

وهذه طبيعة الإنسان من حيث هو، إلا من وفقه الله وأخرجه من هذا الخلق الذميم إلى ضده، وهم الذين صبروا أنفسهم عند الضراء فلم يبأسوا، وعند السراء فلم يبطروا، وعملوا الصالحات من واجبات ومستحبات.

﴿ أُولِئكُ لَهِم مَغَفَرةَ ﴾ لذنوبهم ، يزول بها عنهم كل محذور . ﴿ وَأَجِر كَبِير ﴾ وهو: الفوز بجنات النعيم ، التي فيها ما تشتهيه الأنفس ، وتلذ الأعين .

﴿١٢ ــ ١٤﴾ ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحي إليك وضائق به صدرك أن

ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل \* أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين \* فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون، يقول تعالى \_ مسلياً لنبيه محمد على عن تكذيب المكذبين \_: ﴿فلعلك تارك بعض ما يسوحي إليك وضمائق بمه صدرك أن يقولوا لبولا أنزل عليه كنز الى: لا ينبغي هذا لمثلك، أن قولهم يؤثر فيك، ويصدك عما أنت عليه، فتترك بعض ما يوحي إليك، ويضيق صدرك لتعنتهم بقولهم: ﴿لُولًا أَنْزُلُ عَلَيْهُ كُنْزُ أو جاء معه ملك ﴾ فإن هذا القول ناشيء من تعنت، وظلم، وعناد، وضلال، وجهل بمواقع الحجج والأدلة، فامض على أمرك، ولا تصدك هذه الأقوال الركيكة التي لا تصدر إلا من سفيه ولا يضق لذلك

فهل أوردوا عليك حجة لا تستطيع حلها؟ أم قدحوا ببعض ما جئت به قدحاً، يؤثر فيه وينقص قدره، فيضيق صدرك لذلك؟!

أم عليك حسابهم، ومطالب بهدايتهم جبراً؟ ﴿إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل ﴾ فهو الوكيل عليهم، يحفظ أعمالهم ويجازيهم بها أتم الجزاء.

﴿ أُم يقولون افتراه ﴾ أي: افترى إلا هو ﴾ . عمد هذا القرآن؟

فأجابهم بقوله: ﴿قل﴾ لهم ﴿فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ أنه قد افتراه (۲۲)، فإنه لا فرق بينكم وبينه في الفصاحة والبلاغة، وأنتم الأعداء حقاً، الحريصون بغاية ما يمكنكم على إبطال

دعوته، فإن كنتم صادقين، فأتوا بعشر سور مثله مفتريات.

﴿ فَإِنَّ لَمْ يَسْتَجْيَبُوا لَكُم ﴾ على شيء من ذلكم ﴿ فَاعَلَمُوا أَنْمَا أَنْزِلُ بِعَلَمُ الله ﴾ [من عند الله] (٢٠) لقيام الدليل والمقتضي، وانتفاء المعارض.

وأن لا إلى إلا هو أي: واعلموا أنه لا إله إلا هو أي: وحده المستحق للألوهية والعبادة، وفيه أنتم مسلمون أي: منقادون لألوهيته، مستسلمون لعبوديته، وفي هذه الآيات إرشاد إلى أنه لا ينبغي للداعي إلى الله أن يصده اعتراض المعرضين، ولا قدح القادحين.

خصوصاً إذا كان القدح لا مستند له، ولا يقدح فيما دعا إليه، وأنه لا يضيق صدره، بل يطمئن بذلك، ماضياً على أمره، مقبلاً على شأنه، وأنه لا يجب إجابة اقتراحات المقترحين للأدلة التي يختارونها. بل يكفي إقامة الدليل السالم عن المعارض، على جميع المسائل والمطالب. وفيها أن هذا القرآن، معجز بنفسه، لا يقدر أحد القرآن، معجز بنفسه، لا يقدر أحد من البشر أن يأتي بمثله، ولا بعشر مثله، لأن الأعداء البلغاء الفصحاء، مثله، لأن الأعداء البلغاء الفصحاء، لعلمهم أنهم لا قدرة فيهم على ذلك.

وفيها: أن مما يطلب فيه العلم، ولا يكفي غلبة الظن، علم القرآن، وعلم التوحيد، لقوله تعالى: ﴿فاعلموا أنسا أنسزل بعلم الله وأن لا إلىه

(١٥ - ١٦) ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون \* أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون يقول تعالى: ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ﴾ أي: كل إرادته مقصورة على الحياة الدنيا، وعلى زينتها

<sup>(</sup>١) في ب: يفرح.

<sup>(</sup>٢) في ب: أي: أنه قد افتراه.

<sup>(</sup>٣) في ب: ﴿فَاعِلْمُوا أَنْمَا أَنْزِلُ بِعِلْمُ اللهِ﴾ [من عند الله] والجملة الأخيرة قد شطبت في أ.

من النساء والبنين والقناطير المقنطرة، من الذهب، والفضة، والخيل المسومة، والخيط رغبته وسعيه وعمله في هذه الأشياء، ولم يجعل لدار القرار من إرادته شيئاً، فهذا لا يكون إلا كافراً، لأنه لو كان مؤمناً، لكان ما معه من الإيمان يمنعه أن تكون جميع إرادته للدار الدنيا، بل نفس إيمانه وما تيسر له من الأعمال أثر من آثار إرادته الدار الآخرة.

ولكن هذا الشقي، الذي كأنه خلق للدنيا وحدها فونوف إليهم أعمالهم في أم فيها أي: نعطيهم ما قسم لهم في أم الكتاب من ثواب الدنيا.

﴿وُهِمْ فَيُهَا لا يَبْخُسُونَ﴾ أي: لا ينقصون شيئاً مما قدر لهم، ولكن هذا منتهى نعيمهم.

﴿ أُولَٰئُكُ الذِّينَ لِيسَ لَهُمْ فِي الآخِرةَ إِلاَ النَّارِ ﴾ خالدين فيها أبداً، لا يُفَتَّر عنهم العذاب، وقد حرموا جزيل الله ال

وُوحبط ما صنعوا فيها ﴾ أي: في الدنيا، أي: بطل واضمحل ما عملوه عماوه عماوة عماوة عماوة من أعمال الخير التي لا أساس لها، ولا وجود لشرطها، وهو الإيمان.

ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون في يذكر تعالى من ورثته القائمين بدينه، وحججه من ورثته القائمين بدينه، وحججه الموقنين بذلك، وأنهم لا يوصف بهم غيرهم ولا يكون أحد مثلهم، فقال: ﴿ أَفُمِن كَانَ عَلَى بِينَة من ربه اللهجة ، الذي أنزل (١) الله فيه المسائل المهمة ، ودلائلها الظاهرة، فتيقن تلك البينة .

﴿ويتلوه أي: يتلو هذه البينة والبرهان برهان آخر ﴿شاهد منه ﴾ وهو شاهد الفطرة الستقيمة، والعقل الصحيح، حين شهد حقية ما

أوحاه الله وشرعه، وعلم بعقله حسنه، فازداد بذلك إيماناً إلى إيمانه. ﴿وَ فَمَّ شاهد ثالث وهو ﴿كتاب موسىٰ ﴾ التوراة التي جعلها الله ﴿إماماً ﴾ للناس ﴿ورحمة ﴾ لهم، يشهد لهذا القرآن بالصدق، ويوافقه فيما جاء

به من الحق. أي: أفمن كان بهذا الوصف قد تواردت عليه شواهد الإيمان، وقامت لديه أدلة اليقين، كمن هو في الظلمات والجهالات ليس بخارج منها؟!

لا يستوون عند الله، ولا عند عباد الله، وأله عند عباد الله، ﴿ أُولئك ﴾ أي: الذين وفقوا لقيام الأدلة عندهم، ﴿ يؤمنون ﴾ بالقرآن حقيقة، فيثمر لهم إيمانهم كل خير في الدنيا والآخرة.

﴿ وَمن يكفر به ﴾ أي: القرآن ﴿ من الأحزاب ﴾ أي: سائر طوائف أهل الأرض، المتحزبة على رد الحق، ﴿ فالنار موعده ﴾ لا بد من وروده إليها ﴿ فلا تك في مرية منه ﴾ أي: في أدنى شك ﴿ إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ إما جهلاً منهم وضلالاً ، وإما ظلماً وعناداً وبغياً ، وإلا فمن كان قصده حسناً وفهمه مستقيماً ، فلا بدأن يؤمن به ، لأنه يرى ما يدعوه إلى الإيمان من كل وجه .

﴿ ١٨ - ٢٢﴾ ﴿ وسن أظلم عمن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين \* الذين يصدون عن سبيل الله كافرون \* أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يفترون \* أولئك الذين خسروا لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون \* أولئك الذين خسروا لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون كانوا يفترون \* أولئك الذين خدم أنهم في الآخرة هم الأخسرون كانوا يفترون \* أولئك الذين كلا أنه لا أحد لا أحد المناه كذباً كانوا يفترون على الله كذباً كانوا يفترون كان

ويدخل في هذا كل من كذب على الله، بنسبة الشريك له، أو وصفه بما لا يليق بجلاله، أو الإخبار عنه، بما لم يقل، أو ادعاء النبوة، أو غير ذلك من الكذب على الله، فهؤلاء أعظم الناس ظلماً ﴿أولئك يعرضون على ربهم﴾ ليجازيهم بظلمهم، فعندما يحكم عليهم بالعقاب الشديد ﴿يقول الأشهاد﴾ أي: الذين شهدوا عليهم بافترائهم وكذبهم: ﴿هؤلاء الذين للفالين﴾ أي: لعنة لا تنقطع، لأن ظلمهم صار وصفاً لهم ملازما،

ثم وصف ظلمهم فقال: ﴿الذين يصدون عن سبيل الله فصدوا بأنفسهم عن سبيل الله، وهي سبيل الرسل التي دعوا الناس إليها، وصدوا غيرهم عنها، فصاروا أئمة يدعون إلى

ويبغونها أي: سبيل الله وعوجاً أي: سبيل الله وعوجاً أي: يجتهدون في ميلها، وتشيينها، وتجينها، لتصير عند الناس غير مستقيمة، فيحسنون الباطل ويقبحون الحق، قبحهم الله ﴿وهم بالآخرة هم كافرون ﴾.

﴿ أُولِئكُ لَم يَكُونُوا مَعْجَزِينَ فَيَ الأُرضُ﴾ أي: ليسوا فائتين الله، لأنهم تحت قبضته وفي سلطانه.

﴿وما كان لهم من دون الله من أولاء و الله من أو الله من أو أو أو يحصلون لهم ما ينفعهم، بل تقطعت بهم الأسباب.

﴿ ويضاعف لهم العذاب ﴾ أي: يغلظ ويزاد، لأنهم ضلوا بأنفسهم وأضلوا غيرهم.

وما كانوا يستطيعون السمع أي: من بغضهم للحق ونفورهم عنه، ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا آيات الله سماعاً ينتفعون به وفما لهم عن التذكرة معرضين \* كأنهم حمر مستنفرة \* فرت من قسورة \* وما كانوا يبصرون \* أي: ينظرون نظر

أَمْرِيتُولُونَ ٱفْتَرَبُّهُ قُلْ فَأَتُواْ مِعَثْمِر سُوَرِ مِثْلِهِ مُفْتَرَّبَّ وَلَاعُو مَن ٱستَطَعْتُ مِين دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ فَ إِلَّةِ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعَلَمُوا أَثَّمَا أُزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لْآَ إِلَّهُ إِلَّاهُوَّ فَهُلْ أَنتُهُمُّ لِمُونَ ۞ مَن كَانَ بُويةُ اتخيؤة الدُّنيّا وَنِينَتَهَا نُوَقِ إِلَيْهِ وَأَعْلَلَهُ مِينَا وَهُدُونِيهَا لَا يُتِحَسُّونَ ۞ أُوْلَيْكَ أَلَّذِيكَ لِمُسْلَمَّةُ فِ ٱلْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُّ وَحَيْظُ مَاصَنَعُوا فِيَاوَبُطِلُّ مَّاكَاثُواْ يَعْمَلُونَ ۞أَفَنَ كَانَ عَلَىٰ يَتَنَكِّهِ مِنْ زَبْهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدُّ مِنْهُ وَمِن فَبْلِهِ كِنَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةٌ أَوْلَلْيَكَ يُؤْمِنُونَ بِيِّمِوْنَ يَكْفُدُرِيهِ مِنَ ٱلْأَحْـزَابِ فَٱلنَّازُمَوْعِ مُدُّ فَلَاللَّهُ فِي مِرْيَةِ مِنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن زَّيِّكَ وَلَكِنَ أَكْ مَثَرَالنَّاسِ لَا يُوْمِنُونَ ۞ وَمَنْ أَظْلَرُعَنِّن ٱفْتَرَى عَلَى ٱللَّهِ كَذِيًّا أَوْلَيْكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَعُولُ ٱلأَشْهَادُ هَنَّوْلَاهِ ٱلَّذِيبَ كَذَبُواْ عَلَا رَبِّهِمْ أَلَا لَتُنَّ أُلِقَوْعَلَى الظَّلْلِيونِ ۞ ٱلَّذِنَ يَصُمُّ تُونَ عَن البيلِ الله وَيَبْغُونَهَا عِرَبُا وَهُم إِلْآخِرَةِ هُمْ كَفِرُونَ ٥ QUETON WEST THE PROPERTY

إليه بداهة العقول، وبمجرد ما يصل إلى أولي الألباب يعرفونه ويتحققونه، لا كالأمور الخفية التي تحتاج إلى تأمل وفكر طويل.

﴿ وما نرى لكم علينا من فضل ﴾ أي: لستم أفضل منا فننقاد لكم، ﴿ بل نظنكم كاذبين ﴾ وكذبوا في قولهم هذا، فإنهم رأوا من الآيات التي جعلها الله مؤيدة لنوح، ما يوجب لهم الجزم التام على صدقه.

ولهذا ﴿قال﴾ لهم نوح بجاوباً ﴿يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي﴾ أي: على يقين وجزم، يعني وهو الرسول الكامل القدوة، الذي ينقاد له أولو الألباب، ويضمحل في جنب عقله عقول الفحول من الرجال، وهو الصادق حقاً، فإذا قال: إني على بينة من ربي، فحسبك بهذا القول شهادة له وتصديقاً.

﴿ وآتاني رحمة من عنده ﴾ أي: أوحى إلى وأرسلني، ومن على بالهداية، ﴿ فعميت عليكم ﴾ أي: خفيت عليكم، وبها تثاقلتم.

﴿أنلزمكموها ﴾ أي: أنكرهكم على ما تحققناه، وشككتم أنتم فيه؟ ﴿وأنتم لها كارهون ﴾ حتى حرصتم على ردما جئت به، ليس ذلك ضارنا، وليس بقادح من يقيننا فيه، ولا قولكم

مثلاً، بل بينهما من الفرق ما لا يأتي عليه الوصف، ﴿أفلا تذكرون﴾ الأعمال التي تنفعكم فتفعلونها، والأعمال التي تضركم فتتركونها.

﴿ ٢٥ - ٤٤ ﴾ ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إنّ لكم نذير مبين ﴾ إلى آخر القصة (١) أي: ولقد أرسلنا رسولنا نبوحاً أول المرسلين ﴿ إلى قسومه ﴾ يدعوهم إلى الله وينهاهم عن الشرك فقال لهم: ﴿ إن لكم نذير مبين ﴾ أي: بينت لكم ما أنذرتكم به بياناً زال به الإشكال.

مُ ﴿أَن لا تعبدوا إلا اللهِ أي: أخلصوا العبادة لله وحده، واتركوا كل ما يعبد من دون الله. ﴿إِنّي أَخَافَ عليكم عذاب يوم أليم ﴾ إن لم تقوموا بتوحيد الله وتطيعوني.

﴿٢٧﴾ ﴿فقال الله الذين كفروا من قومه ﴾أي: الأشراف والرؤساء، رادين لدعوة نوح عليه السلام، كما جرت العادة لأمثالهم، أنهم أول من رد دعوة المسلس.

وهذا مانع وهذا مانع بزعمهم عن اتباعه، مع أنه في نفس بزعمهم عن اتباعه، مع أنه في نفس الأمر هو الصواب الذي لا ينبغي غيره، لأن البَشَر يتمكن البشر أن يتلقوا عنه، ويراجعوه في كل أمر، بخلاف الملائكة.

﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا﴾ أي: ما نرى اتبعك منا إلا الأراذل والسفلة بزعمهم.

وهم في الحقيقة الأشراف وأهل العقول الذين انقادوا للحق، ولم يكونوا كالأراذل الذين يقال لهم الملأ، الذين اتبعوا كل شيطان مريد، واتخذوا آلهة من الحجر والشجر، يتقربون إليها ويسجدون لها، فهل ترى أرذل من هؤلاء وأخس؟

وقولهم: ﴿بادي الرأي﴾ أي: إنما اتبعوك من غير تفكر وروية، بل بمجرد ما دعوتهم اتبعوك، يعنون بذلك أنهم ليسوا على بصيرة من أمرهم، ولم يعلموا أن الحق المين تدعو

عبرة وتفكر، فيما ينفعهم، وإنما هم كالصم البكم الذين لا يعقلون.

﴿أُولِئكُ الذين خسروا أنفسهم﴾ حيث فوتوها أعظم الثواب، واستحقوا أشد العذاب، ﴿وَصَلَ عَنهم ما كانوا يفترون﴾ أي: اضمحل دينهم الذي يدعون إليه ويحسنونه، ولم تغن عنهم المهتهم التي يعبدون من دون الله لما جاء أمر ربك.

﴿لا جرم﴾ أي: حقاً وصدقاً ﴿ أَنْهُم فِي الآخرة هم الأخسرون﴾ حصر الخسار فيهم، بل جعل لهم منه أشده، لشدة حسرتهم وحرمانهم وما يعانون من المشقة من العذاب، نستجير بالله من حالهم.

ولما ذكر حال الأشقياء، ذكر أوصاف السعداء وما لهم عند الله من الثواب، فقال:

وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربّم رادين لدعوة نه أولتك أصحاب الجنة هم فيها جرت العادة لأم خالدون \* مثل الفريقين كالأعمى دعوة المرسلين. والأصم والبصير والسميع هل يستويان فما نراك إلا مثلاً أفلا تذكرون \* يقول تعالى: فإن بزعمهم عن اته الذين آمنوا \* بقلوبهم ، أي: صدقوا الأمر هو الصواعترفوا ، لما أمر الله بالإيمان به من غيره ، لأن البَشَر أصول الدين وقواعده .

وعملوا الصالحات المشتملة على أعسال القلوب والجوارح وأقوال اللسان. ﴿وأخبتوا إلى ربهم ﴾ أي: خضعوا له واستكانوا لعظمته، وذلوا لسلطانه، وأنابوا إليه بمحبته وخوفه ورجائه والتضرع إليه.

﴿أُولِسُكَ ﴿الذين جمعوا تلك الصفات ﴿أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ لأنهم لم يتركوا من الخير مطلباً، إلا أدركوه، ولا خيراً، إلا سبقوا إليه.

وَمُثِلُ الفريقين اي فريق الأشقياء وفريق الاشقياء وفريق السعداء، الاشقياء، والبصير والبصير والسميع مثل السعداء.

﴿هُلُّ يَسْتُونِانَ مِثْلًا﴾ لا يُستوون

ال يُتوافِعِينَ السِّنِينَ السِّنِينَ السِّنِينَ السِّنِينَ السِّنِينَ السِّنِينَ السِّنِينَ السِّنِينَ السِّن أُوْلَيْكَ لَرْيَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَاكَانَ لَمُمِينَ دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيآ أَء يُضَلَّعَفُ لَمُدُالْعَذَابُ مَا كَافُواْيسْ عَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَاكَانُوا يُبْعِيرُونَ ۞ أُوَلَيْكَ ٱلَّذِنَ خَيرُوَا أَنفُكُوْ وَضَلَّ عَنهُ مِمَّاكَ أَوْأَيفَتْرُونَ ۞ لَاجَرَهُ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِدَرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۞ إِنَّا أَلِيْنِ مَا شُوَاوَعِيلُواْ ﴿ ٱلصَّلِحَتِ وَأَجْتُوا إِلَى رَبِيعِهُ أُوْلَيْكَ أَصْحَبُ ٱلْجَنَّةُ هُمُ فِهَاخَلِدُونَ۞ • مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَى وَٱلْأَضَيَمْ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّكِيعُ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَكَّا أَفَلَاتَذَكَّرُونَ۞ وَلَقَدُ أَرْسَكُنَا نُوسًا إِلَىٰ قَرْمِيمَ إِنِّ لَكُونَذِيرٌ مُّبِيرُ ۞ أَن لَا تَعْبُدُوٓا إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيرِ۞ فَقَالَ أَ ٱلْمُكَالَّالَيْنِ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَانْزِيكَ إِلَّابَثَ رَامِثْلَا وَمَازَئِكَ ٱبَّكَكَ إِلَّا ٱلَّذِيكَ هُرَأَرَاذِلْنَا بَادِى ٱلرَّأِي وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَصْلِ مِلْ نَظُنُّكُمْ كَلْدِينَ۞ قَالَ يَلْقَوْمِ أَرَةَ يَتُدُونِ كُنُتُ عَلَى يَيْنِكُومِينَ زَقِ وَءَاتَسْنِي رَجْمَةُ يَنْ 🕍 عِندِهِ مَعْيِيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْكُرْمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَمَا كَرِهُونَ @

وافتراؤكم علينا صادّاً لنا عما كنا عليه.

وإنما غايته أن يكون صادًا لكم انتم، وموجباً لعدم انقيادكم للحق، الذي تزعمون أنه باطل، فإذا وصلت الحال إلى هذه الغاية، فلا نقدر على إراهكم على ما أمر الله، ولا إلزامكم ما نفرتم عنه، ولسهذا قال: فإنلزمكموها وأنتم لها كارهون فويا قوم لا أسألكم عليه أي: على دعوي إياكم فمالا في فتستثقلون الغه م.

وإن أجري إلا على الله وكأنهم طلبوا منه طرد المؤمنين الضعفاء، فقال لهم: ﴿وما أنا بطارد الذين آمنوا أي: ما ينبغي لي ولا يليق بي ذلك، بل أتلقاهم بالرحب والإكرام، والإعزاز والإعظام ﴿إنهم ملاقوا ربهم ﴾ فمثيبهم على إيمانهم وتقواهم بجنات النعيم.

﴿ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾ حيث تأمرونني بطرد أولياء الله وإبعادهم عني، وحيث رددتم الحق لأنهم أتباعه، وحيث استدللتم على بطلان الحق بقولكم إني بشر مثلكم وإنه ليس لنا عليكم من فضل.

﴿ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم ﴾ أي: من يمنعني من عذابه، فإن طردهم موجب للعذاب والنكال الذي لا يمنعه من دون الله مانع.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ما هو الأنفع لكم

والأصلح، وتدبرون الأمور.

﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ﴾ أي: غيايتي أني رسول الله إليكم، أبشركم وأنذركم، وأما ما عدا ذلك فليس بيدي من الأمر شيء، فليست خزائن الله عندي أدبرها أنا، وأعطي من أشاء وأحرم من أشاء، ﴿ولا أعلم الغيب ﴾ فأخبركم بسرائركم وبواطنكم ﴿ولا أقول إني ملك ﴾ والمعنى: أني لا أدعي رتبة فوق رتبتي، ولا منزلة سوى المنزلة التي أنزلني الله بها، ولا أحكم على الناس بظنى.

﴿ولا أقول للذين تزدري أعينكم ﴾
أي: ضعفاء المؤمنين الذين يحتقرهم الله الذين كفروا ﴿لن يـوْتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم ﴾ فإن كانوا صادقين في إيمانهم فلهم الخير الكثير، وإن كانوا غير ذلك فحسابهم على الله.

﴿إِنِ إِذاَ ﴾ أي: إن قلت لكم شيئاً هما تقدم ﴿لن الظالمِن ﴾ وهذا تأييس منه عليه الصلاة والسلام لقومه، أن ينبذ فقراء المؤمنين أو يمقتهم، وتقنيع لقومه بالطرق المقنعة للمنصف.

فلما رأوه لا ينكف عما كان عليه من دعوتهم، ولم يدركوا منه مطلوبهم ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ﴾ من العذاب ﴿إن كنت من الصادقين ﴾ فما أجهلهم وأضلهم، حيث قالوا هذه المقالة لنبيهم الناصح.

فهلا قالوا إن كانوا صادقين: يا نوح قد نصحتنا وأشفقت علينا، ودعوتنا إلى أمر لم يتبين لنا فنريد منك أن تبينه لنا لننقاد لك، وإلا فأنت مشكور في نصحك. لكان هذا الجواب المنصف، الذي قد دعي إلى أمر خفي عليه، ولكنهم في قولهم كاذبون، وعلى نبيهم متجرؤون. ولم يردوا ما قاله بأدنى شبهة، فضلاً عن أن يردوه بحجة.

ولهذا عدلوا - من جهلهم وظلمهم - إلى الاستعجال بالعذاب، وتعجيز الله، ولهذا أجابهم نوح عليه

السلام بقوله: ﴿إِنَمَا يَأْتِيكُم بِهُ اللهَ إِنَّ الْتَصْتُ مَشْيِئْتُهُ وَحَكَمْتُهُ أَنِي: إِنَّ الْتَصْتُ مَشْيِئْتُهُ وَحَكَمْتُهُ أَنْ يَنْزِلُهُ بِكُم، فعل ذلك. ﴿وَمَا أَنْتُمُ بِمُعْجِزِينَ﴾ لله، وأنا ليس بيدي من الأمر شيء.

ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كمان الله يسريد أن يغويكم أي: إن إرادة الله غالبة، فإنه إذا أراد أن يغويكم لردكم الحق، فلو حرصت غاية بجهودي، ونصحت لكم أتم النصح وهو قد فعل عليه السلام فليس ذلك بنافع لكم شيئاً، ويحكم في يفعل بكم ما يشاء، ويحكم فيكم بحما يسريد (وإليه ترجعون) فيجازيكم بأعمالكم.

﴿أُم يقولون افتراه﴾ هذا الضمير عتمل أن يعود إلى نوح كما كان السياق في قصته مع قومه، وأن المعني أن قومه يقولون: افترى على الله كذبا، وكذب بالوحي الذي يزعم أنه من الله، وأن الله أمره أن يقول: ﴿قُلْ إِن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون﴾ أي: كلَّ عليه وزره ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾.

ويحتمل أن يكون عائداً إلى النبي عمد ﷺ، وتكون هذه الآية معترضة في أثناء قصة نوح وقومه، لأنها من الأمور التي لا يعلمها إلا الأنبياء، فلما شرع الله في قصها على رسوله، وكانت من جملة الآيات الدالة على صدقه ورسالته، ذكر تكذيب قومه له مع البيان التام، فقال: ﴿أُم يقولون افتراه﴾ أي: هذا القرآن اختلقه محمد من تلقاء نفسه، أي: فهذا من أعجب الأقوال وأبطلها، فإنهم يعلمون أنه لم يقرأ ولم يكتب، ولم يرحل عنهم لدراسة على أهل الكتب، فجاء بهذا الكتاب الذي تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله.

فإذا زعموا \_ مع هذا \_ أنه افتراه، علم أنهم معاندون، ولم يبق فائدة في حجاجهم، بل اللائق في هذه الحال الإعراض عنهم، ولهذا قال: ﴿قل إن افتريته فعلي إجرامي﴾ أي: ذنبي

ومرساها﴾ أي: تجري على اسم الله، وترسو على اسم الله، وتجري بتسخيره وأمره.

﴿إِن ربي لغفور رحيم ﴾ حيث غفر لنا ورحمنا، ونجانا من القوم الظالمين.

ثم وصف جريانها كأنا نشاهدها فقال: ﴿وهِي تجري بهم﴾ أي: بنوح ومن رکب معه ﴿فَي موج كَالجبالَ ﴾ والله حافظها وحافظ أهلها ﴿ونادى نوح ابنه لل ركب، ليركب معه ﴿وَكَانُ﴾ ابنه ﴿في معزلُ ﴾ عنهم حين ركبوا، أي: مبتعداً وأراد منه، أن يقرب ليركب، فقال له: ﴿ يَا بِنِي اركب معنا ولا تكن مع الكافرين، فيصيبك ما يصيبهم.

ف ﴿قال﴾ ابنه مكذباً لأبيه أنه لا ينجو إلا من ركب معه السفينة.

﴿ سآوي إلى جبل يعصمني من الماء ﴾أي: سأرتقى جبلاً، أمتنع به من الماء، فـ ﴿قَالَ﴾نوح: ﴿لاَّعَاصِم اليوم من أمسر الله إلا من رحم فلا يعصم أحداً، جبل ولا غيره، ولو تسبب بغاية ما يمكنه من الأسباب لما نجا إن لم ينجه الله. ﴿وحال بينهما الموج فكان الابن ﴿من المغرقين﴾.

فلما أغرقهم الله ونجى نوحاً ومن معه ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾ الذي خرج منك، والذي نزل إليك، أي: ابلعي الماء الذي على وجهك ﴿ويا سماء أقلعي فامتثلتا لأمر الله، فابتلعت الأرض ماءها، وأقلعت السماء، فنضب الماء من الأرض، ﴿وقضى الأمر﴾ بهلاك المكذبين ونجاة المؤمنين.

الجودي أي: أرست على ذلك الجبل المعروف في أرض الموصل.

﴿ وقيل بعداً للقوم الظالمين ﴾ أي: أتبعوا بعد هلاكهم لعنة وبعدأ وسحقأ لا يزال معهم.

﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى

وَيَنَغُومُ لِآلَسْنَالُوكُمُ عَلَيْهِ مَالَّا أَنْ أَجْدِي الْأَعْلَاعَ لِلْقَدُومَا أَنَا مِنَادِدِ ٱلَّذِينَ عَامَوًا إِنَّهُ مُلَاقُوارَتِهِ مُرَوِّلَكِينَ أَرَبُكُورُ قَوْمًا تَجْعَلُونَ ۞ وَيَكَفُّوهِ مَن يَنْصُرُ فِينَ اللَّهِ إِن الْمَرْفَعُدُ الْفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ وَلَآ أَقُولُ لَكُوعِندِي خَرَاّهِتُ اللّهِ وَلاَ أَعْدَارُ الْغَيْبُ وَلاَ أَقُولُ إِنْ مَلَكُ وَلاَ أَقُولُ الَّهِ فَا زَدُونَ أَعَيْنَكُوْ لَن تُوْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ عَانِي أَضُهِ مِرَّافَت إِذَا لِّنَ الطَّالِيرِ ﴿ وَالْإِنْ ثُوحُ فَهُ حَكَمُ لَنَّ الْأَلِيرِ فِي وَالْإِنْ ثُوحُ فَهُ حَكَمُ لَنَّا فَأَحْمُونَ جِنَلْنَا فَأَيْنَا مِمَا قِيدُنَا إِن كُنتَ مِنَ ٱلْصَلِيقِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِدِاللَّهُ إِن شَاتًا وَمَآ أَنْتُم بِمُعْدِينَ ۞ وَلَا يَنْفَكُمُ نُصَّحِيَ إِنْ أَرَدِتُ أَنْ أَنْصَبَعَ لَكُرُ إِنْ كَانَ الْقَدُيُرِيدُ أَن يُغْوِيكُمُ

الْمُوَرِّيَّكُمْ وَالْيُهِ تُرْجَعُونَ ۞ أَمْرَهُولُونَ أَفَرَكَةً قُلَ

إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُ مُفَعَلَ إِجْرَاي وَأَنَا بَرِئَ مُنْ أَخْرِمُونَ ﴿ وَأُونَ

إِلَىٰ نُوعِ أَنَّهُ لِنَ يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا

اَبْتَهِسْ عِاكَ الْوَالِقِ عَلْوِنَ ۞ وَأَسْبِنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا

مُّ وَوَجِينَا وَلَا تُعَلِينِي فِي الَّذِينَ ظَالَتُوا إِنَّهُم مُعْرَفُونَ ۞

DESIGN TO BE SEED

من أهلي وإن وعدك الحق،أي: وقد قلت لي: فـ ﴿ احمل فيها من كلُّ زوجين اثنين وأهلك ولن تخلف ما وعدتني

لعله عليه الصلاة والسلام حملته الشفقة، وأن الله وعده بنجاة أهله، ظن أن الوعد لعمومهم، من أمن ومن الدعاء، ومع هذا ففوض الأمر لحكمة الله البالغة.

ف ﴿قال﴾ الله له: ﴿إنه ليس من أهلك الذين وعدتك بإنجائهم ﴿إنه عمل غير صالح أي: هذا الدعاء اللذي دعوت (١) به، لنجاة كافر لا يؤمن بالله ولا رسوله.

﴿فلا تسألن ما ليس لك به علم﴾ أي: مالا تعلم عاقبته ومآله، وهل يكون خيراً أو غير خير .

﴿إِن أعلِظُكُ أَن تُكُونَ مِن الجاهلين ﴾أي: أن أعظك وعظاً تكون ﴿واستوت﴾السفينة ﴿على به من الكاملين، وتنجو به من صفات

فحينئذ ندم نوح عليه السلام ندامة شدیدة علی مأصدر منه و ﴿قَالَ رَبِّ إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾ وكذبي، ﴿وأنا برىء مما تجرمون﴾ أي: فلم تستلجون في تُكذيبي.

وقوله: ﴿وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن أي: قد قسوا، ﴿فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اي: فلا تحزن ولا تبال بهم وبأفعالهم، فإن الله قد مقتهم، وأحق عليهم عذابه الذي لا يرد.

﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾ ای: بحفظنا، ومرای منا، وعلی مرضاتنا، ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا ﴾ أي: لا تراجعتي في إهلاكهم، ﴿إنهم مغرقون﴾ أي: قد حق عليهم القول، ونفذ فيهم القدر.

فامتثل أمر ربه، وجعل يصنع الفلك ﴿وكلما مر عليه ملاً من قومه ﴾ ورأوا ما يصنع ﴿سخروا منه قال إن تسخروا منا﴾ الآن ﴿فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾ نحن أم أنتم. وقد علموا ذلك حين حل بهم العقاب.

﴿حتى إذا جاء أمرنا ﴾أي: قدرنا بوقىت نىزول الىعىذاب يهسم ﴿وفيار التنور ﴾ أي: أنزل الله السماء بالماء المنهمر، وفجر الأرض كلها عيوناً حتى التنانير التي هي محل النار في العادة، وأبعد ما يكون عن الماء، تفجرت، فالتقى الماء على أمو قد قدر.

﴿قلنا﴾لنوح: ﴿احمل فيها من كل زوجين اثنين اأي: من كل صنف من أصناف المخلوقات، ذكر وأنثى، لتبقى مادة سائر الأجناس، وأما بقية الأصناف الزائدة عن الزوجين، فلأن السفينة لا تطيق حملها ﴿وأهلك إلا من سبق عليه القول همن كان كافراً، كابنه الذي غرق.

﴿ومن آمن﴾ ﴿و﴾الحال أنه ﴿ما آمن معه إلا قليل 4

﴿وقِــال﴾نــوح لمن أمــره الله أن يحملهم: ﴿ اركبوا فيها بسم الله مجريها

وَيَضِنَعُ ٱلْفُلُكَ وَحَكُلَّامَ مَ عَلَيْهِ مَلَأَيْنِ قَوْمِهِ مِسَخِرُواْمِنْهُ قَالَ إِن تَسْتَخُرُواْ مِنَا فَإِنَّا لَسْخُرُ مِنكُمْ كُمَّا لَسْخُرُونَ ۞ فَسَوْفَ تَعَلَّمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَاكُ يُغْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَاكُ مُقِيدُ \$ حَتَى إِذَاجِلَةَ أَمُزُا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَ ٱحْمِلْ فِيهَا مِنكُلِّ زَفِّكَيْنِ ٱثَّنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّامَنِ سَبَّقَ عَلَيْهِ ٱلْقُولُ وَمَنْ مَامَنَ وَمَآءَامَنَ مَعَكُم وَالْإِفِلِيلُ ۞ • وَقَالَ أَرْكَبُواْ فِيهَا بِسْدِأَ لِقَهِ مَعْ بِنِهَا وَمُرْسَلُهُمَّ إِنَّ رَبِّي لَفَ فُورٌ رَحِيدٌ ١ وَهِيَ تَجْرِي بِيهِ فِي مَوْجٍ كَأَيْجِكَ إِلْ وَنَادَىٰ نُوْمُ ٱبْنَهُ وَكَالَ فِ مَعْزِلْ يِكِبُنَ أَرْكَبِ مِّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَفِرِينَ ۞ قَالَ سَنَاوِيَ إِلَى جَبَلِ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَاعَاصِمَ ٱلْيُؤمِّ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمُ وَحَالَ بِيْنَهُمَا ٱلْمُوْمُ فَكَاتُ مِنَ لَلْغُرُفِينَ ۞ وَقِيلَ يَنَأَرَضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَسَمَآ الْأَفِي وَغِيضَ لَكُنَّاءُ وَقَضِيَ ٱلْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيُّ وَقِيلًا بُعُـدُ الْلَقَوْمِ الظَّلِينِ ﴿ وَنَادَىٰ ثُوحٌ زَيَّهُ مُفَقَالَ رَبِّ إِنَّ آبَنِي مِنْ أَهْلِ وَإِنْ وَعْدَكَ ٱلْمُقَّ وَأَنتَ أَخْكُوالْكَ كِمِينَ ۞ TOWNSON WILLIAM TO THE STATE OF THE STATE OF

فبالمغفرة والرحمة ينجو العبد من أن يكون من الخاسرين، ودل هذا على أن نوحاً عليه السلام لم يكن عنده علم بأن سؤاله لربه في نجاة ابنه محرم، داخل في قوله ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾ بل تعارض عنده الأمران، وظن دخوله في قوله: ﴿وَاهَلَكُ﴾.

وبعد ذلك تبين له أنه داخل في المنهي عن الدعاء لهم والمراجعة فيهم.

﴿قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم عن معك من الآدميين وغيرهم من الأزواج التي حملها معه، فبارك الله في الجميع، حتى ملأوا أقطار الأرض ونواحيها.

﴿وأمم سنمتعهم ﴾ في الدنيا ﴿ثم يمسهم منا عذاب أليم ﴾ أي: هذا الإنجاء ليس بمانع لنا من أن من كفر بعد ذلك أحللنا به العقاب، وإن متعوا قليلاً، فسيؤخذون بعد ذلك.

قال الله لنبيه محمد ري بي بعدما قص عليه هذه القصة المسوطة التي لا يعلمها إلا من من عليه برسالته.

﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ﴾ فيقولوا: إنه كان يعلمها.

فاحمد الله واشكره، واصبر على ما أنت عليه من الدين القويم، والصراط المستقيم والدعوة إلى الله ﴿إِنَّ العاقبة للمتقين﴾ الذين يتقون الشرك وسائر المعاقبة على قومك، كما كانت لنوح على قومه.

ف ﴿قال﴾ لهم ﴿يا قوم اعبدوا الله على مالكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون﴾ أي: أمرهم بعبادة الله وحده، ونهاهم عما هم عليه من عبادة غير الله، وأخبرهم أنهم قد افتروا على الله الكذب في عبادتهم لغيره، وتجويزهم لنالك، ووضح لهم وجوب عبادة الله، وفساد عبادة ما سواه.

ثم ذكر عدم المانع لهم من الانقياد فقال: ﴿ وَا قوم لا أسألكم عليه أجراً ﴾ أي: غرامة من أموالكم على ما دعوتكم إليه، فتقولوا: هذا يريد أن يأخذ أموالنا، وإنما أدعوكم وأعلمكم عاناً.

﴿إِن أَجِرِي إِلا على الذي فطرني أفلا تعقلون﴾ ما أدعوكم إليه، وأنه موجب لقبوله، متنفٍ المانع عن رده.

﴿ويا قوم استغفروا ربكم ﴾ عما مضى منكم ﴿ثم توبوا إليه ﴾ فيما تستقبلونه بالتوبة النصوح والإنابة إلى الله تعالى.

فإنكم إذا فعلتم ذلك ﴿يرسل السماء عليكم مدراراً بكثرة الأمطار التي تخصب بها الأرض، ويكثر خيرها.

﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم ﴾ فإنهم كانوا من أقوى الناس، ولهذا قالوا: ﴿من أشد منا قوة ﴾؟، فوعدهم أنهم

إن آمنوا زادهم قوة إلى قوتهم.

﴿ولا تتولوا﴾ عنه، أي: عن ربكم ﴿جرمين﴾ أي: مستكبرين عن عبادته، متجرئين على محارمه.

ف ﴿قالوا﴾ رادين لقوله: ﴿يا هود ما جئتنا ببينة ﴾ إن كان قصدهم بالبينة البينة التي يقترحونها، فهذه غير لازمة للحق، بل اللازم أن يأتي النبي بآية تدل على صحة ما جاء به، وإن كان قصدهم أنه لم يأتهم ببينة تشهد لما قاله بالصحة، فقد كذبوا في ذلك، فإنه ما جاء نبي لقومه إلا وبعث الله على يديه من الآيات ما يؤمن على مثله البشر.

ولو لم يكن له آية، إلا دعوته إياهم لإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، والأمر بكل عمل صالح وخلق جميل، والنهي عن كل خلق ذميم من الشرك بالله، والفواحش والظلم، وأنواع المنكرات، مع ما هو مشتمل عليه هود عليه السلام من الصفات التي لا تكون إلا لخيار الخلق وأصدقهم، لكفي بها آيات وأدلة على صدقه.

بل أهل العقول وأولو الألباب، يرون أن هذه الآية أكبر من مجرد الخوارق التي يراها بعض الناس، هي المعجزات فقط. ومن آياته وبيناته الدالة على صدقه، أنه شخص واحد، ليس له أنصار ولا أعوان، وهو يصرخ في قومه ويناديهم، ويعجزهم، ويقول لههم: ﴿إِنِ تموكلت على الله ربي وربكم﴾.

﴿إِنِ أَشهد الله واشهدوا أَنِ بريء عا تشركون من دونه فكيدون جميعاً ثم لا تنظرون وهم الأعداء الذين لهم السطوة والغلبة، ويريدون إطفاء ما معه من النور، بأي: طريق كان وهو غير مكترث منهم، ولا مبال بهم، وهم عاجزون لا يقدرون أن ينالوه بشيء من السوء، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون.

وقولهم: ﴿وما نحن بتاركي آلهتنا

عن قولك) أي: لا نترك عبادة آلهتنا لمجرد قولك الذي ما أقمت عليه بينة بزعمهم، ﴿وما نحن لك بمؤمنين﴾ وهذا تأييس منهم لنبيهم هودعليه السلام في إيمانهم، وأنهم لا يزالون في كفرهم يعمهون.

﴿إِن نقول ﴾ فيك ﴿إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ﴾ أي: أصابتك بخبال وجنون فصرت تهذي بما لا يعقل. فسبحان من طبع على قلوب الظالمين، كيف جعلوا أصدق الخلق الذي جاء بأحق الحق، بهذه المرتبة التي يستحي العاقل من حكايتها عنهم لولًا أن الله حكاها عنهم.

ولهذا بين هود عليه الصلاة والسلام أنه واثق غاية الوثوق أنه لا يصيبه منهم، ولا من آلهتهم أذي فقال: ﴿إِنَّ أَشْهَدُ اللَّهُ وَاشْهَدُوا أَنَّى بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ﴾ أي: اطلبوا لي الضرر كلكم، بكل طريق تتمكنون بها مني ﴿ثُم لا تنظرون أي: لا تمهلوني.

﴿إِن تــوكــلــت عــلى الله الله أي: اعتمدت في أمري كله على الله ﴿ ربي وربكم، أي: هو خالق الجميع، ومدبرنا وإياكم، وهو الذي ربانا.

﴿ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها﴾ فلا تتحرك ولا تسكن إلا بإذنه، فلو اجتمعتم جميعاً على الإيقاع بي، والله لم يسلطكم علي، لم تقدروا على ذلك، فإن سلطكم، فلحكمة أرادها.

ف ﴿إِن رِي على صراط مستقيم﴾ أي: على عدل، وقسط، وحكمة، وحمد في قضائه وقدره، في شرعه وأمره، وفي جزائه وثوابه وعقابه، لا تخرج أفعاله عن الصراط المستقيم، التي يحمد ويثني عليه بها.

﴿فإن تولوا﴾ عما دعوتكم إليه ﴿فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم فلم يبق على تبعة من شأنكم . ﴿ويستخلف ربي قوماً غيركم﴾

يقومون بعبادته ولا يشركون به شيئاً ﴿ولا تضرونه شيئاً ﴾ فإن ضرركم إنما يعود عليكم، فالله لا تضره معصية العاصين، ولا تنفعه طاعة المطبعين<sup>(١)</sup> ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ [﴿إِنَّ رِن على كل شيء حفيظ﴾].

﴿ وَلِمَا جِنَّاءَ أُمِّرِنَّا ﴾ أي: عنذابنا بإرسال الريح العقيم، التي ﴿ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم).

﴿نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ ﴾ أي: عظيم شديد، أحله الله بعاد، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم.

﴿ وتلك عاد ﴾ الذين أوقع الله بهم ما أوقع بظلم منهم لأنهم ﴿جحدوا بآيات رميم ولهذا قالوا لهود: ﴿ما جئتنا سينة ﴾ فتبين سذا أنهم متيقنون لدعوته، وإنما عاندوا وجحدوا ﴿وعبصوا رسله ﴾ لأن من عبصي رسولاً فقد عصى جميع المرسلين، لأن دعوتهم واحدة.

﴿ واتبعوا أمر كل جبار ﴾ أي: متسلط على عباد الله بالجبروت، ﴿عنيد﴾ أي: معاند لآيات الله، فعصوا كل ناصح ومشفق عليهم، واتبعوا كل غاش لهم يريد إهلاكهم لا جرم أهلكهم الله.

﴿ وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ﴾ فكل وقت وجيل، إلا ولأنبائهم القبيحة وأخبارهم الشنيعة، ذكر يذكرون به، وذم يلحقهم ﴿ويوم القيامة﴾ لهم أيضاً لعنة ﴿ أَلا إِن عاداً كفروا ربهم ﴾ أي: جحدوا من خلقهم ورزقهم ورباهم. ﴿ أَلَّا بِعِداً لِعِادِ قِومِ هُودِ ﴾ أي: أبعدهم الله عن كل خير وقربهم من کل شر .

﴿٦١ ـ ٦٨﴾ ﴿وإلى تُمود أخاهم صالحاً ﴾ إلى آخر قصتهم (٢)، أي: ﴿وَ ﴾ أرسلنا ﴿إلى ثمود ﴾ وهم: عاد الثانية، المعروفون الذين يسكنون

OF SHIEW 海湖湖 医黄疸 اللهِ عَالَ كَنُوحُ إِنَّهُ وَلِيْسَ مِنْ أَهْلِكَ أِنَّهُ كُمَّا أُغَيْرُ مَا لِيَّحِ فَلَا تَسْتَلْن الله النه الك بديمارُ إنّ أعظك أن تكوُنُ مِن أَتَحَامِل ﴿ قَالَ رَبِ إِنِّ أَعُودُهِكَ أَنْ أَسْكَكُ مَا لَيْسَ لِي بِمِعْلَمُ وَالَّاتَغَيْرِ لِي وَيَرْحَمْنِيَّ أَكُن مِنَ ٱلْخَسَرِينَ ﴿ قِيلَ يَنُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَاءِ مِنَّا وَبَرَكَتِ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أَمَكِهِ اللهِ مِنْ رَبِّعِكَ وَأَحَمُّ سَنُمَنِّعُ هُزِنُوْ كَيْسُهُ مِنْنَاعِدَاكُ أَلِيمٌ @ يَلْكَ مِنْ أَنْبَالَهِ أَلْغَيْبِ نُوجِهَا ٓ إِلَيْكُ مَا كُنتَ تَعْلَمُا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَلَذَاً فَأَصْبِرُ إِنَّ ٱلْمَاقِبَةَ الْمُتَّقِيبَ ۞ وَ إِلَّى عَادِ أَخَاهُمُ هُودًاْ قَالَ يَنْقَوْمِ أَعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُمُ مِنْ إِلَاهِ عَيْرُهُ إِنْ أَسْتُمْ إِلَّامُفَرِّونَ ۞ يَنْقُومِ لَا أَسْتَلَكُو عَلَيْهِ أَجْزًا إِنْ أَجْرِي إِلَّاعَلَ ٱلَّذِى فَعَلَى إِنَّا هَنْ فَعَلُونَ @ وَيَنفَوْمِ أَسْتَغَيْرُوا رَبَّكُ مُثُمَّ تُوكُوا إِلْيَهِ يُرْسِيل النَّمَاءَ عَلَيْتُ مُعِدِّرَارًا وَيَزِدْ كُمْ فَوَةً إِلَى فَوَيَدِكُمْ الاَتَوَلِّوْا تُجَرِمِين ۞ قَالُوا يَكُودُ مَاحِثَتَ ابِيَنَوْوَمَا مُّ الْحَنُّ بِسَارِكِ مَالِمُتِّنَاعَن قَوْلِكَ وَمَا نَعَنُّ لَكَ يَمُؤْمِنِينَ ﴾ OPEROZ IV EDREED

الحجر، ووادي القرى، ﴿أَخَاهُمُ فِي النسب ﴿صالحاً ﴾ عبد الله ورسوله ﷺ، يدعوهم إلى عبادة الله وحده، ف ﴿قال يا قوم اعبدوا اللهِ ﴾ أي: وحدوه، وأخلصوا له الدين ﴿ما لكم من إله غيره لا من أهل السماء، ولا من أهل الأرض.

﴿ هِ و أنشأكم من الأرض ﴾ أي: خلقكم فيها ﴿واستعمركم فيها﴾ أي: استخلفكم فيها، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، ومكنكم في الأرض تبنون وتغرسون وتزرعون، وتحرثون ما شئتم، وتنتفعون بمنافعها، وتستغلون مصالحها، فكما أنه لا شريك له في جميع ذلك، فلا تشركوا به في عبادته.

﴿فاستغفروه ﴾ مما صدر منكم من الكفر والشرك والمعاصي، وأقلعوا عنها، ﴿ثم توبوا إليه ﴾ أي: ارجعوا إليه بالتوبة النصوح والإنابة، ﴿إن ربي قريب مجيب الى: قريب ممن دعاه دعاء مسألة، أو دعاء عبادة، يجيبه بإعطائه سؤله، وقبول عبادته، وإثابته عليها، أجل الثواب، واعلم أن قربه تعالى نوعان: عام، وخاص، فالقرب العام: قربه بعلمه من جميع الخلق، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ونحن

<sup>(1)</sup> في ب: الطائعين.

في ب: ذكر الآيات كاملة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَا بِعِداً لِتُمود﴾. **(Y)** 

SA CHIEN إِن نَقُولُ إِلَّا أَعْتَرُنُكَ بَعْضُ عَالَهَ مِنَا اللَّهِ ۚ قَالَ إِنَّ أَشْهِدُ أَلَّهُ ا وَاشْهَدُواْ أَنِي بَرِيَّ مُعَاتُثُم كُونَ ﴿ مِن دُونِيٍّ عَلَيْهُ فِي جَيعًاثُدَّ لَانُظِرُونِ۞إِنِي تَوَكَّلْتُ عَلَىٰلَةِ رَبِّي وَرَيْكُرُمَّا مِن دَآبَةِ إِلَّاهُوَ ءَلِيٰذُ كُبِنَاصِيَتِهَ أَإِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطِ مُسْتَقِيرِ ﴿ فَإِن تَوَلِّوا فَقَدْ أَبَلَغَتُكُم مَّا أَرْسِلْتُ بِعِيِّ إِلَيْكُو وَيَسْتَخَلِفُ رَبِى قَوْمًا غَيْرَكُرُ وَلَا نَضُرُّ وَيَهُ شَيْعًا إِنَّ رَبِي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَيْظُ ۞ وَلَكَتَاةَ أَثُرُا نَجَيْنَ اهُودًا وَٱلَّذِنَّ امْتُواْ مَعَكُمُ يِرْمَة مِنْ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ غَلِيظٍ ﴿ وَمِلْكَ عَادُّ جَحَدُواْ عَايَتِ رَبِيهِ رُوعَكُوا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرُكُلُ جَبَارِعَنِيدِ ۞ وَأَتَيْعُوا فِي هَاذِهِ الدُّنْيَا لَعَنَةً وَيَوْمَ الْقِيكَمَةُ أَلَا إِنَّ عَادَاكُمْرُوا رَبِّهُمُّ أَلَابُعُ مَا لِعَادِ قَوْمِ هُودِي • وَإِلَّى ثَكُودَ أَخَاهُمْ صَلِحًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهُ عَيْرُونُهُ هُوَأَنْسَأَكُمُ مِنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرُكُرُونِهَا فَأَسْتَغْفِرُوهُ ثُرَّتُونُوا إِلَيْدِ إِنَّ يَقِى فَسَرِيبُ تِجُيبُ ٥ قَالُولِينَصَلِحُ قَدَكُتَ فِينَامَرُجُوَّا قِلَ هَذَّآ أَنْهَنَآ أَنْ نَعْبُدُ مَايِمْهُدُ ءَابَأَوْنَا وَإِنَّنَا لَنِي شَكِيمَا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۞ TORONOU WILLIAM SONO CON

أقرب إليه من حبل الوريد) والقرب الخاص: قربه من عابديه وسائليه وعبيه، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَاسْجِدُ وَاقْتُرِبُ ﴾ .

وفي هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع ﴾ وهذا النوع، قرب يقتضي إلطافه تعالى، وإجابته لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم، ولهذا يقرن باسمه «القريب» اسمه «المجيب».

فلما أمرهم نبيهم صالح عليه السلام، ورغبهم في الإخلاص لله وحده، ردوا عليه دعوته، وقابلوه أشنع المقابلة.

﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا﴾ اي: قد كنا نرجوك ونؤمل فيك العقل والنفع، وهذا شهادة منهم لنبيهم صالح أنه ما زال معروفاً بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وأنه من خيار

ولكنه لما جاءهم بهذا الأمر الذي لا يوافق أهواءهم الفاسدة، قالوا هذه المقالة التي مضمونها أنك [قد] كنت كاملاً، والآن أخلفت ظننا فيك، وصرت بحالة لا يرجى منك خير.

وذنبه ما قالوه عنه، وهو قولهم: ﴿أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا﴾

وبزعمهم أن هذا من أعظم القدح في صالح، كيف قدح في عقولهم وعقول آبائهم الضالين، وكيف ينهاهم عن عبادة من لا ينفع ولا يضر، ولا يغني شيئاً من الأحجار والأشجار ونحوها.

وأمرهم بإخلاص الدين لله ربهم الذي لم تزل نعمه عليهم تترى، وإحسانه عليهم دائماً ينزل، الذي ما بهم من نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم السيئات إلا هو.

﴿وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب﴾ أي: ما زلنا شاكين فيما دعوتنا إليه شكاً مؤثراً في قلوبنا الريب. وبزعمهم أنهم لو علموا صحة ما دعاهم إليه لاتبعوه، وهم كذبة في ذلك، ولهذا بين كذبهم في قوله: ﴿قَالَ يَا قُوم أَرْأَيْتُم إِنْ كُنْتَ عَلَى بِينَة وَوَلَّا نَا مِنْ ربي﴾ أي: برهان ويقين مني ﴿وَآتَانِ منه رحمة ﴾ أي: من على من برسالته ووحيه، أي: أفأتابعكم على ما أنتم عليه وما تدعونني إليه؟

﴿فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير﴾ أي: غير خسار وتباب وضرر ﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية﴾ لها شرب من البئر يوماً، ثم يشربون كلهم من ضرعها، ولهم شرب يوم معلوم.

ربهم سرب يوم معدوم.

﴿ فَلْدُرُوهِا تَأْكُلُ فِي أَرْضَ الله ﴾
أي: ليس عليكم من مؤنتها وعلفها شيء، ﴿ ولا تمسوها بسوء ﴾ أي: بعقر ﴿ فَيأْخَذُكُم عَذَابِ قَرِيب، فعقروها فقال ﴾ لهم صالح: ﴿ تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ﴾ بل لا بد من وقوعه.

﴿ فَلَمَا جَاء أَمِرِنا ﴾ بوقوع العذاب ﴿ نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ﴾ أي: نجيناهم من العذاب والخزي والفضيحة.

﴿إِن رَبِكَ هُو اللَّقُوي الْعَزِيزِ ﴾ ومن قوته وعزته أن أهلك الأمم الطاغية، ونجى الرسل وأتباعهم، ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾ العظيمة فقطعت

قلوبهم، ﴿فأصبحوا في ديارهم جالمين﴾ أي: خامدين لا حراك

وكأن لم يغنوا فيها ♦ أي: كأنهم لما جاءهم العذاب ما تمتعوا في ديارهم ولا أنسوا بها (١٠) ، ولا تنعموا بها يومأ من الدهر ، قد فارقهم النعيم ، وتناولهم العذاب السرمدي الذي لا ينقطع ، الذي كأنه لم يزل .

﴿ أَلَا إِن تُمود كفروا ربهم ﴾ أي: جحدوه بعد أن جاءتهم الآية المبصرة، ﴿ أَلَا بِعِداً لَتُمود ﴾ فيما أشقاهم وأذلهم، نستجير بالله من عذاب الدنيا وخزيها.

(۲۹ - ۲۸) (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشری) إلى آخر القصة (۲) أي: (ولقد جاءت رسلنا) من الملائكة الكرام، رسولنا (إبراهيم) الخليل (بالبشری) أي: بالبشارة بالولد، حين أرسلهم الله لإهلاك قوم لوط، وأمرهم أن يمروا على إبراهيم، فيبشروه بإسحاق، فلما دخلوا عليه (قالوا سلاماً قال سلام) أي: سلموا عليه، ورد عليهم السلام.

ففي هذا مشروعية السلام، وأنه لم يزل من ملة إبراهيم عليه السلام، وأن السلام قبل الكلام، وأنه ينبغي أن يكون الرد أبلغ من الابتداء، لأن سلامهم بالجملة الفعلية الدالة على التجدد، ورده بالجملة الاسمية، الدالة على الثبوت والاستمرار، وبينهما فرق كير كما هو معلوم في علم العربية.

﴿ فَمَا لَبُثُ إِبِرَاهِيمَ لَمَا دَخَلُوا عَلَيْهُ ﴿ أَنْ جَاء بِعَجَلَ حَنْيِلُهُ أَي: بادر لبيته، فاستحضر لأضيافه عجلاً مشوياً على الرضف سميناً، فقربه إليهم فقال: ألا تأكلون؟

﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه ﴾ أي: إلى تلك الضيافة ﴿نكرهم وأوجس منهم خيفة ﴾ وظن أنهم أتوه بشر ومكروه، وذلك قبل أن يعرف أمرهم.

<sup>(</sup>١) في ب: فيها.

<sup>(</sup>٢) في ب: أكمل الآيات إلى قُوله تعالى: ﴿ وما هي من الظالمين ببعيد ﴾ .

 فرقالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾ أي: إنا رسل الله، أرسلنا الله إلى إهلاك قوم لوط.

وامرأة إبراهيم ﴿قائمة ﴾ تخدم أضيافه ﴿فضحكت ﴾ حين سمعت بحالهم وما أرسلوا به، تعجباً.

﴿فَبِشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ فتعجبت من ذلك و ﴿قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً﴾ فهذان مانعان من وجود الولد ﴿إن هذا لشيء عجيب﴾.

﴿قالوا أتعجبين من أمر الله ﴾ فإن أمره لا عجب فيه، لنفوذ مشيئته التامة في كل شيء، فلا يستغرب على قدرته شيء، وخصوصاً فيما يدبره ويمضيه لأهل هذا البيت المبارك.

ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أي: لا تزال رحمته وإحسانه وبركاته، وهي: الزيادة من خيره وإحسانه، وحلول الخير الإلهي على العبد (عليكم أهل البيت إنه حميد مهات كمال، حميد الأفعال لأن أفعاله إحسان، وجود، وبر، وحكمة، وعدل، وقسط.

مجيد، والمجد: هو عظمة الصفات وسعتها، فله صفات الكمال، وله من كل صفة كمال أكملها وأتمها وأعمها.

﴿ فلما ذهب عن إبراهيم الروع ﴾ الذي أصابه من خيفة أضيافه ﴿ وجاءته البشرى ﴾ بالولد التفت حينتل إلى مجادلة الرسل في إهلاك قوم لوط، وقال لهم: ﴿ إِنْ فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها، لننجينه وأهله إلا امرأته ﴾ .

﴿إِنْ إِبراهِيم لِحَلَيم ﴾ أي: ذو خلق حسن وسعة صدر وعدم غضب عند جهل الجاهلين.

﴿ أُواهِ ﴾ أي: متضرع إلى الله في جميع الأوقات، ﴿ منيب ﴾ أي: رجًاع إلى الله بمعرفته ومجبته، والإقبال عليه، والإعراض عمن سواه، فلذلك كان يجادل عمن حتَّم الله بهلاكهم.

فقيل له: ﴿ يَا إِبراهِيم أَعْرض عن

هذا ﴾ الجدال ﴿إنه قد جاء أمر ربك ﴾ به لاكهم ﴿وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ﴾ فلا فائدة في جدالك.

﴿ ولما جاءت رسلنا ﴾ أي: الملائكة الذين صدروا من إبراهيم لما أتوا ﴿ لوطاً سيء بهم ﴾ أي: شق عليه مجيتهم، ﴿ وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يدوم عصيب ﴾ أي: شديد حرج، لأنه علم أن قومه لا يتركونهم، لأنهم في صور شباب جرد مرد، في غاية الكمال والجمال، ولهذا وقع ما خطر بباله.

ف ﴿وجاء قومه يهرعون إليه ﴾ أي: يسرعون ويبادرون، يريدون أضيافه بالفاحشة، التي كانوا يعملونها، ولهذا قال: ﴿ومن قبل كانوا يعلمون السيئات ﴾ أي: الفاحشة التي ما سبقهم عليها أحد من العالمين.

وقال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم من أضيافي [وهذا كما عرض للميمان على المرأتين أن يشق الولد المختصم فيه لاستخراج الحبق ولعلمه أن بناته ممتنع منالهن ولاحق لهم فيهن والمقصود الأعظم دفع هذه الفاحشة الكبرى](() وفاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أي: إما أن تراعوا تقرى الله، وإما أن تراعوني في ضيفي، ولا تخزون عندهم.

﴿ أليس منكم رجل رشيد ﴾ فينهاكم ويزجركم ، وهذا دليل على مروجهم وانحلالهم من الخير والمروءة .

فرقالوا له: (لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد له أي: لا نريد إلا الرجال، ولا لنا رغبة في النساء.

فاشتد قلق لوط عليه الصلاة والسلام، و ﴿قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾ كقبيلة مانعة لنعتكم.

وهذا بحسب الأسباب المحسوسة، وإلا فإنه يأوي إلى أقوى الأركان وهو الله، الذي لا يقوم لقوته أحد، ولهذا لما بلغ الأمر منتهاه واشتد الكرب.

TO WE WELL IN THE REAL PROPERTY OF THE PERTY قَالَ يَكَفُّومِ أَرْءَ يَنُّدُ إِن كُنتُ عَلَى يَنْكَةٍ مِن زَّفِ وَوَالَّذِي مِنْهُ رَحْمَةً فَنَ يَنْصُرُنِ مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُ مُّوفَا تَرْبِدُونِي عَيْرَتَغْيب ير ﴿ وَيَنقَوْمِ هَانِهِ مَاكَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَسُوهَا بِمُوَّو فِأَخُذَكُرُ عَذَابٌ قِيبٌ ۞ فَعَكَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِ دَالِكُرُ ثَلَنْتَةَ أَيَالِرِّ ذَالِكَ وَعُدُّعَنِي مَكْدُوبٍ ۞ فَلَمَاجَلَةَ أَمْنَا بَيِّنَ اصَلِيمًا وَالَّذِيبَ مَامَنُوا مَعَكُهُ يُرَحُكَمْ مِنَّا وَمِنْ فِرْيُ يَوْمِبِ أَإِنَّ رَبِّكَ هُوَالْقَوِيُّ الْعَزِيدُ ۞ وَأَخَذَالَّذِينَ ظَلَتُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيكِرِهِمْ جَكَيْمِينَ كَأَن لَّرَهَ نَوَافِيما ۚ أَلَاإِنَّ تَسُورًا كَفَرُواٰ رَبَّهُمُّ أَلَابُعُنَا لِنَهُودَ ﴿ وَلَقَدْ جَلَّتَ رُسُلُنَا إِزَهِ بِمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَمَّا قَالَ سَلَدٌّ فَمَا لِكَ أَنجَآءَ بِعِجْلِ حَيْدِ ﴿ فَكَمَّا رَبَّ ا أَيْدِيَهُمُ لَانْضِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَفْحَسَ مِنْهُمْ حِيْفَكُمْ قَالُواْ لَا تَغَفْ إِنَّا أَرْسِلْنَا إِلَىٰ فَوْمِ لُوطٍ ۞ وَلَمْ إَنَّهُ فَآيِمَةُ الله فَضَحِكَ فَبَشِّرُتُهُ إِلِمْ عَنْ وَمِن وَزَّاء إِسْحَقَ يَعْقُوب ﴿ OBBROWN CONTROL

﴿قالوا﴾ له: ﴿إنا رسل ربك﴾ أي: أخبروه بحالهم ليطمئن قلبه، ﴿لن يصلوا إليك﴾ بسوء.

ثم قال جبريل بجناحه، فطمس أعينهم، فانطلقوا يتوعدون لوطاً بمجيء الصبح، وأمر الملائكة لوطاً أن يسري بأهله (بقطع من الليل أي: بجانب منه قبل الفجر بكثير، ليتمكنوا من البعد عن قريتهم.

﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ أي: بادروا بالخروج، وليكن همكم النجاء ولا تلتفتوا إلى ما وراءكم.

﴿إلا امرأتك إنه مصيبها ﴾ من العذاب ﴿ما أصابهم ﴾ لأنها تشارك قومها في الإثم، فتدلهم على أضياف لوط إذا نزل به أضياف.

﴿إِن موعدهم الصبح ﴾ فكأن لوطاً استعجل ذلك ، فقيل له : ﴿اليس الصبح بقريب ﴾ ﴿فلما جاء أمرنا ﴾ بنزول العذاب وإحلاله فيهم ﴿جعلنا ﴾ ديارهم ﴿عاليها سافلها ﴾ أي : قلبناها عليها حجارة من سجيل ﴾ أي : من حجارة النار الشديدة الحرارة ﴿منشود ﴾ أي : من حجارة النار الشديدة من شذ عن القرية .

﴿مسومة عند ربك﴾ أي: معلمة، عليها علامة العذاب والغضب، ﴿وما هي من الظالمين﴾ الذين يشابهون لفعل

CALLY CENTRAL PROPERTY AND PROP قَالَتْ يَدَيْلَةَ إِنَا لَا وَأَنَا عَجُورٌ وَهَلَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَلَا لَشَيْهً عَيِثُ ۞ قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ّرَحْتُ ٱللَّهِ وَيَسَرَكُنْهُ عَلَيْكُ مُ أَهْلَ الْبَيْتُ إِنَّهُ رَحِيدٌ يَجِيدٌ ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِرَّهِي مَالِدَةَعُ وَيَعَلَمَ تُهُ ٱلْمُشْرَىٰ يُجَادِلْنَانِ فَرَمِ لُوطٍ ﴿ إِنَّ إِزَّهِ عَلَمَ لِمَا مُؤَافَةً مُنِيبٌ ۞ يَكَا زَهِ عُمُ أَعْضِ مَنْ مَانَا إِنَّهُ مَّا حَلَّةَ أَمْرُ زَيْكُ فَالْهُمْ مَانِيهِ مْ عَلَابُ عَيْرُمُ فُودِ ۞ وَلَلَّاجَلَةَتْ رُسُلُنَا لُوطًا بِينَ يَعِمْ وَضَاقَ بِعِمْ ذَرْعُا وَقَسَالَ هَنذَا يُؤْمُّ عَصِيبٌ ۞ وَعَلَتْمُ قَوْمُهُ يُمْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُكَافُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيْعَاتُ قَالَ يَكَوْمِ هَنَّوُلاَّةٍ بَنَاتِي هُنَّ أَظْهَرُلِكُمُّ أَ فَاتَتْقُوا اللَّهَ وَلَا يَعْنَرُونِ فِي صَيْفِيٌّ أَلَيْسَ مِن كُرْرَيُمُ لَ رَشِيدٌ ﴿ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَالَنَا فِي بَنَالِكَ مِنْ حَيِّ وَإِنَّكَ لَتَعْ لَمُمَازُدِيدُ ا قَالَ لَوْأَذَ لِي بِكُوفُونَ أَوْ مَاوِيَ إِلَى رُيْتِينِ شَكِيبِهِ ۞ فَالُواْ يَكُوطُ إِنَّارُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكٌ فَأَسْرِ وَأَهْلِكَ بِقِطْع مِنَ الَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِن حَدَّمْ أَمَدُّ إِلَّا أَمَّ إِلَكَّ إِنَّهُ مُصِيبًا مَّا أَسَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُ وَالصَّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِمَوسٍ ٥ AQUEAGE " EGREEO

قوم لوط ﴿ببعيد﴾ فليحذر العباد أن يفعلوا كفعلهم لئلا يصيبهم ما أصابهم.

﴿ ٨٤ - ٩٥ ﴾ ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً ﴾ إلى آخر القصة (١) أي: ﴿ و﴾ أرسلنا ﴿ إلى مدين ﴾ القبيلة المعروفة اللذين يسكنون مدين، في أدنى فلسطين ﴿ أخاهم ﴾ في النسب ﴿ شعيباً ﴾ لأنهم يعرفونه، وليتمكنوا من الأخذ عنه.

ف ﴿ قال ﴾ لهم : ﴿ يما قسوم المبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ أي : أخلصوا له العبادة ، فإنهم كانوا يشركون به ، وكانوا \_ مع شركهم \_ يبخسون المكيال والميزان ، ولهذا نهاهم عن ذلك فقال : ﴿ ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴾ بل أوفوا الكيل والميزان .

﴿إِنِي أُراكم بخير ﴾ أي: بنعمة كثيرة وصحة، وكثرة أموال وبنين، فاشكروا الله على ما أعطاكم، ولا تكفروا نعمة الله فيزيلها عنكم.

﴿وإِنِ أَخَافَ عَلَيْكُمْ عَذَابِ يَـومُ محيط﴾ أي: عذاباً يحيط بكم، ولا يبقى منكم باقية .

﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط﴾ أي: بالعدل الذي ترضون أن تعطوه، ﴿ولا تبخسوا الناس

أشياءهم أي: لا تنقصوا من أشياء الناس، فتسرقوها بأخذها بنقص الكيال والميزان.

ولا تعثوا في الأرض مفسدين فإن الاستمرار على المعاصي، يفسد الأديان، والعقائد، والدين، والدنيا، ويهلك الحرث والنسل.

﴿بقيت الله خير لكم أي: يكفيكم ما أبقى الله لكم من الخير، وما هو لكم، فلا تطمعوا في أمر لكم عنه غنية، وهو ضار لكم جداً.

﴿إِن كنتم مؤمنين ﴾ فاعملوا بمقتضى الإيمان، ﴿وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ أي: لست بحافظ لأعمالكم ووكيل عليها، وإنما الذي يحفظها الله تعالى، وأما أنا فأبلغكم ما أرسلت به.

﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ﴾ أي: قالوا ذلك على وجه التهكم بنبيهم، والاستبعاد لإجابتهم له.

ومعنى كلامهم: أنه لا موجب لنهيك لنا، إلا أنك تصلى لله وتتعبد له، أفإن كنت كذلك، أفيوجب لنا أن نترك ما يعبد آباؤنا، لقول ليس عليه دليل إلا أنه موافق لك، فكيف نتبعك ونترك آباءنا الأقدمين أولي العقول والألباب؟!

وكذلك لا يوجب قولك لنا: ﴿أَنْ نفعل في أموالنا﴾ ما قلت لنا من وفاء الكيل والميزان، وأداء الحقوق الواجبة فيها، بل لا نزال نفعل فيها ما شئنا لأنها أموالنا، فليس لك فيها تصرف.

ولهذا قالوا: في تهكمهم: ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ أي: أننك أنت الذي الحلم والوقار لك خلق، والرشد لك سجية، فلا يصدر عنك إلا رشد، ولا تأمر إلا برشد، ولا تنهى إلا عن غي، أي: ليس الأمر كذلك.

وقصدهم أنه موصوف بعكس هذين الوصفين: بالسفه والغواية. أي: أن المعنى: كيف تكون أنت الحليم الرشيد، وآباؤنا هم السفهاء الغاوون؟!!

وهذا القول الذي أخرجوه بصيغة التهكم، وأن الأمر بعكسه، ليس كما ظنوه، بل الأمر كما قالوه. إن صلاته تأمره أن ينهاهم عما كان يعبد آباؤهم الضالون، وأن يفعلوا في أموالهم ما يشاؤون، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأي: فحشاء ومنكر أكبر من عبادة غير الله، ومن منع حقوق عباد الله، أو سرقتها بالمكاييل والموازين، وهو عليه الصلاة والسلام الحليم الرشيد.

﴿ قَالَ ﴾ لهم شعيب: ﴿ يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ﴾ أي: يقين وطمأنينة في صحة ما جئت به، ﴿ ورزقني منه رزقاً حسناً ﴾ أي: أعطاني الله من أصناف المال ما أعطاني.

﴿و﴾ أنا لا ﴿أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ فلست أريد أن أنهاكم عن البخس في المكيال والميزان، وأفعله أنا، وحتى تتطرق إلى التهمة في ذلك. بل ما أنهاكم عن أمر إلا وأنا أول مبتدر لتركه.

﴿إِن أريد إلا الإصداح مسا استطعت ﴾ أي: ليس لي من المقاصد إلا أن تصلح أحوالكم وتستقيم منافعكم، وليس لي من المقاصد الخاصة لي وحدي شيء بحسب استطاعتي.

ولما كان هذا فيه نوع تزكية للنفس، دفع هذا بقوله: ﴿وَمَا تُوفِيقِي إِلَا بَاللّٰهُ أَي: وما يحصل لي من التوفيق لفعل الخير والانفكاك عن الشر إلا بالله تعالى، لا بحولي ولا بقوت.

﴿عليه توكلت﴾ أي: اعتمدت في أموري ووثقت في كفايته، ﴿وإليه أنيب﴾ في أداء ما أمرني به من أنواع العبادات، وفي [هذا] التقرب إليه بسائر أفعال الخيرات.

وبهذين الأمرين تستقيم أحوال العبد، وهما الاستعانة بربه والإنابة إليه، كما قال تعالى: ﴿فاعبده وتوكل عليه ﴾ وقال: ﴿إياك نعبد وإياك نستعن ﴾ .

عليهم العذاب.

رقيب المحاكم ما يحل بكم.

﴿ولما جاء أمرنا ﴾ بإهلاك قوم شعيب ونجينا شعيبأ والذين آمنوا معه فأصبحوا في ديارهم جاثمين، لا تسمع لهم صوتاً، ولا ترى منهم حركة ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ أي: كأنهم ما أقاموا في ديارهم، ولا تنعموا فيها حين أتاهم العذاب.

﴿ أَلَا بِعِداً لِمُدِينَ ﴾ إذ أهلكها الله وأخزاها ﴿ كما بعدت ثمود ﴾ أي: قد اشتركت هاتان القبيلتان في السحق والبعد والهلاك.

وشعيب عليه السلام كان يسمى خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته لقومه، وفي قصته من الفوائد والعبر شيء کثير .

منها: أن الكفار كما يعاقبون ويخاطبون بأصل الإسلام، فكذلك بشرائعه وفروعه، لأن شعيباً دعا قومه إلى التوحيد، وإلى إيضاء المكيال والميزان، وجعل الوعيد مرتباً على مجموع ذلك.

ومنها: أن نقص المكاييل والموازين من كباتر الذنوب، وتخشى العقوبة العاجلة على من تعاطى ذلك، وأن ذلك من سرقة أموال الناس، وإذا كان سرقتهم في المكاييل والموازين موجبة للوعيد، فسرقتهم ـعلى وجه القهر والغلبة \_من باب أولى وأحرى.

ومنها: أن الجزاء من جنس العمل، فمن بخس أموال الناس يريد زيادة ماله، عوقب بنقيض ذلك، وكان سبباً لزوال الخير الذي عنده من الرزق لقوله: ﴿إِن أَراكم بِخِيرٍ ﴾ أي: فلا تسببوا إلى زواله بفعلكم.

ومنها: أن على العبد أن يقنع بما آتاه الله ويقنع بالحلال عن الحرام وبالمكاسب الباحة عن المكاسب المحرمة، وأن ذلك خير له لقوله: ﴿بقية الله خير لكم ﴾ ففي ذلك من البركة وزيادة الرزق ما ليس في

أنا أم أنتم، وقد علموا ذلك حين وقع ﴿وارتقبوا﴾ ما يحل بي﴿إني معكم

برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة

ومنها: أن ذلك من لوازم الإيمان وآثاره، فإنه رتب العمل به على وجود الإيمان، فدل على أنه إذا لم يوجد العمل فالإيمان ناقص أو معدوم.

ومنها: أن الصلاة لم تزل مشروعة للأنبياء المتقدمين، وأنها من أفضل الأعمال، حتى إنه متقرر عند الكفار فضلها، وتقديمها على سائر الأعمال، وأنها تنهي عن الفحشاء والمنكر، وهي ميزان للإيمان وشرائعه، فبإقامتها تكمل أحوال العبد، وبعدم إقامتها تختل أحواله الدينية .

فَلَمَّا حِسَآة أَمْرُنَا جَعَلْنَ عَلْيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَيْزًا عَلَيْهَا

جَارَةً مِن سِجْمِل مَّنضُودٍ ۞ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبَكُّ وَمَا

عِينَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدِ۞ • وَإِلَّى مَدِّينَ أَخَاهُمْ

شُعَيْبُ أَقَالَ يَنقَوْمِ أَعْبُدُوا أَلَقَهُ مَا لَكُم مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ

وَلَانَقُهُوا ٱلْمُكَيّالَ وَٱلْمِزَاتُ إِنَّ أَرَبُكُ مِعَيْرِ

وَإِنَّ لَغَافُ عَلَيْ كُمْ عَنَابَ يَوْمِ تُحِيطٍ ﴿ وَنَعَوْمِ

أَوْفُواْ الْمُصْكِالَ وَالْمِيزَابَ بِالْقِسْطِّةُ وَلَا تَخْسُواْ النَّاسَ

أَشْيَآةَ هُمُ وَلَاتَعُ ثَوَافِ ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِيكَ ۞ بَقِيَّتُ

ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم ثُّونِمِنِينٌّ وَمَآ أَنَاعَلَيْكُم

بِحَفِيظٍ ۞ قَالُواٰ يَسْعَيْبُ أَصَلَوْلُكَ تَأْمُرُكَ أَن تَتَرُكَ ۗ

مَايَتُهُدُ مَابَ آؤُنَا أَوَأَن نَفْعَ لَ فِي أَمُولِنَا مَانْشَنُوَّا إِنَّكَ

لَأَنَ الْعَلِيمُ الرَّشِيدُ ۞ قَالَ يَكَوْمِ أَرَّةَ يُثُمُّ إِن كُنتُ

عَلَىٰ بَيِّتَ يَوْنُ زَيِّ وَزَزَقِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنَّا وَمَا أُرِيدُ

أَنْ أَخَالِفَكُمُ إِلَّ مَا أَنْهَكُوعَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَامُ

مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تُوْفِيقِ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تِوَكَّلْتُ وَالَّهِ أَنْبُ

average " Margea

التكالب على الأسباب المحرمة من

المحق، وضد البركة.

ومشها: أن المال الذي يرزقه الله الإنسان ـ وإن كان الله قد خوله إياه ـ فليس له أن يصنع فيه ما يشاء، فإنه أمانة عنده، عليه أن يقيم حق الله فيه بأداء ما فيه من الحقوق، والامتناع من المكاسب التي حرمها الله ورسوله، لا كما يزعمه الكفار ومن أشبههم، أن أموالهم لهم أن يصنعوا فيها ما يشاؤون ويختارون، سواء وافق حكم الله أو

ومنها: أن من تكملة دعوة الداعي وتمامها أن يكون أول مبادر لما يأمر غيره به، وأول منته عما ينهى غيره عنه، كما قال شعيب عليه السلام: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ ولقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ ﴿ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي﴾ أي: لا تحملنكم مخالفتي ومشاقتي﴿أن يصيبكم من العقوبات (مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ لا في الدار ولا في الزمان.

﴿واستغفروا ربكم﴾ عما اقترفتم من الذنوب﴿ثم توبُوا إليه له فيما يستقبل من أعماركم بالتوبة النصوح، والإنابة إليه بطاعته، وترك مخالفته .

﴿إِن ربي رحيه ودود﴾ لمن تاب وأناب، يرَّحمه فيغفرْ له، ويتقبل توبته ويحبه، ومعنى الودود من أسمائه تعالى، أنه يحب عباده المؤمنين ويحبونه، فهو «فعول» بمعنى «فاعل» وبمعنى لامقعول).

﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول) أي: تضجروا من نصائحه ومواعظه لهم، فقالوا: ﴿مَا نَفْقُهُ كُثِّيرًا مما تقول ﴾ وذلك لبغضهم لما يقول، ونفرتهم عنه .

﴿وَإِنَّا لِنْرَاكُ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ أي: في نفسك لست من الكبار والرؤساء بل من المستضعفين، ﴿ولولا رهطك﴾ أي: جماعتك وقبيلتك ﴿ لرجمناك وما أنت علينا بعزيز ﴾ أي: ليس لك قدر في صدورنا، ولا احترام في أنفسنا، وإنما احترمنا قبيلتك بتركنا إيّاك.

ف ﴿قال ﴾ لهم مترققاً لهم: ﴿يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله أي: كيف تراعبوني لأجبل رهطي، ولا تراعوني لله، فصار رهطي أعز عليكم

﴿واتخذتموه وراءكم ظهرياً ﴾ آي: نبذتم أمر الله وراء ظهوركم، ولم تبالوا به ولا خفتم منه .

﴿إِنْ رِبِي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطُ﴾ لا يخفى عليه من أعمالكم مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، فسيجازيكم على ما عملتم أتم الجزاء.

﴿وَ﴾ لما أعيوه وعجز عنهم قال: ﴿يا قوم اعملوا على مكانتكم، أي: على حالتكم ودينكم .

﴿إِنْ عَامِلُ سُوفُ تَعَلَّمُونَ مِنْ يَأْتِيهُ عذاب يخزيه ، ويحل عليه عذاب مقيم

SON SHEW I SERVED وَلَكَةُوهِ لَا يَجْرِمَنَكُمْ مِنْقَاقَ أَن صُلكُمْ مِثْاً مَا أَصَالَ قَوْرَ فَيْ أَوْقُوْرَهُود أَوْقُوْرَ صَكِلَهُ وَمَاقَوْمُ لُوطِ مِنْكُم سَعِيدِ ۞ وَأَسْتَغَغُرُواْ رَتَكَكُمْ ثُرَّةُ وُوَا الْتَدَّارِ ﴾ رَبِّي رَحَمْ وَدُودٌ ۞ قَالُوالِمَشْعَنْ مَانَفْقَهُ كَنْهُ لَعَالَقُمْ لُ وَلِنَا لَنَزَلِكَ فِينَاضِعِهِ فَأَوْلَوْ لَارَهُ طِلْكَ لَيَجَمَّنَاكُ وَمَا أَتَ عَلَيْكَ اِيعَزِيزِ ۞ قَالَ يَكَفُّومِ أَرَهُ عِلَى أَعَزُّ عَلَىٰ كُمْ مِنَ ٱللَّهِ وَأَتَّكُذُ ثُوهُ وَلَآءَ كُمْ طِلْمَ يَأْلُتَ دَقِي عَاتَعَ مَلُونَ عُمِيطُ ۞ وَيَنْقُوْمِ أَعْمَلُواْعَلَىٰ مَكَانَكُ مُ إِنْ عَلَمْ أَ سَوْفَ تَعْمَاكُمُونِ مَن يَأْتِيهِ عَذَاتٍ يُحْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَلَدْتُ وَآرَتَقِبُوا إِنَّ مَعَكُمْ رَقِيلٌ ﴿ وَلِمَّا جَلَّهُ أَمُّ الْجَنَّتُ شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوامَعَكُ بِرَحْمَةِ مِنْكَ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ طَلَمُوا الصَّيْحِيةُ فَأَصَّبِهُوا فِي دِينرِهِرْجَايْمِينَ ١ كَأَن لِّيَعْنَوْ إِنْهِما أَلَا بِعُدُ إِلْمُدِّينَ كُمَّا بِهِدَتْ كَمُودُ ۞ وَلَقَدُ أَرْسَكُنَا مُوسَىٰ بِعَالِمَتِنَا وَسُلْطَن مُبِين ۞ إِلَافِيَةُونَ وَمَلَإِيْهِ عَالَتَهُوا أَمْرَ فِرْعَوْدٌ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْثُ بَرَشِيدِ ۞ 

تقولون ما لا تفعلون \* كَبُرَ مَقَتَا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون \* .

ومنها: أن وظيفة الرسل وسنتهم وملتهم، إرادة الإصلاح بحسب القدرة والإمكان، فيأتون بتحصيل المصالح وتكميلها، أو بتحصيل ما يقدر عليه منها، وبدفع المفاسد وتقليلها، ويراعون المصالح العامة على المصالح الخاصة.

وحقيقة المصلحة هي التي تصلح بها أحوال العباد، وتستقيم بها أمورهم الدينية والدنيوية.

ومنها: أن من قام بما يقدر عليه من الإصلاح، لم يكن ملوماً ولا مذموماً في عدم فعله ما لا يقدر عليه، فعلى العبد أن يقيم من الإصلاح في نفسه وفي غيره ما يقدر عليه.

ومنها: أن العبد ينبغي له أن لا يتكل على نفسه طرفة عين، بل لا يتكل على نفسه طرفة عين، بل لا يزال مستعيناً بربه متوكلاً عليه، سائلاً له التوفيق، وإذا حصل له شيء من التوفيق، فلينسبه لموليه ومسديه، ولا يعجب بنفسه لقوله: ﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾.

ومنها: الترهيب بأخذات الأمم وما جرى عليهم، وأنه ينبغي أن تذكر القصص التي فيها إيقاع العقوبات بالمجرمين في سياق الوعظ والزجر.

كما أنه ينبغي ذكر ما أكرم الله به أهل التقوى عند الترغيب والحث على التقوى.

ومنها: أن التائب من الذنب كما يسمح له عن ذنبه، ويعفى عنه فإن الله تعلى يجبه ويوده، ولا عبرة بقول من يقول: "إن التائب إذا تاب، فحسبه أن يغفر له، ويعود عليه العفو، وأما عود الحب فإنه لا يعود». فإن الله قال: ﴿وَاسْتَغْفُرُوا رَبِّكُمْ ثُمْ تَوْبُوا إليه إِنْ رَبِّ رحيم ودود﴾.

ومنها: أن الله يدفع عن المؤمنين بأسباب كثيرة، قد يعلمون بعضها وقد لا يعلمون شيئاً منها، وربما دفع عنهم بسبب قبيلتهم، أو أهل وطنهم الكفار، كما دفع الله عن شعيب رجم قومه بسبب رهطه، وأن هذه الروابط التي يحصل بها الدفع عن الإسلام والمسلمين، لا بأس بالسعي فيها، بل رسما تعين ذلك، لأن الإصلاح مطلوب على حسب القدرة والإمكان.

فعلى هذا لو ساعد المسلمون الذين تحت ولاية الكفار، وعملوا على جعل الولاية جهورية يتمكن فيها الأفراد والشعوب من حقوقهم الدينية والدنيوية، لكان أولى من استسلامهم لدولة تقضي على حقوقهم الدينية والدنيوية، وتحرص على إبادتها، وجعلهم عمَلة وخَدَماً لهم.

نعم إن أمكن أن تكون الدولة للمسلمين وهم الحكام، فهو المتعين، ولكن لعدم إمكان هذه المرتبة، فالمرتبة التي فيها دفع ووقاية للدين والدنيا مقدمة، والله أعلم.

﴿ ١٠١ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ﴾ إلى آخر القصة (١٠) . يقول تعالى: ﴿ ولقد أرسلنا موسى ﴾ بن عمران ﴿ بآياتنا ﴾ الدالة على صدق ما جاء به ، كالعصا واليد ونحوهما من الآيات التي أجراها الله على يدي موسى عليه السلام .

﴿وسلطان مبين﴾ أي: حجة ظاهرة

بينة، ظهرت ظهور الشمس، ﴿إلى فرعون وملئه ﴾ أي: أشراف قومه لأنهم المتبوعون وغيرهم تبع لهم، فلم يتقادوا لما مع موسى من الآيات التي أراهم إياها كما تقدم بسطها في سورة الأعراف، ولكنهم ﴿فاتبعوا أمر فرعون برشيد ﴾ بل هو ضار غاو، لا يأمر إلا بما هو ضرر عض، لا جرم - لما اتبعه قومه - أرداهم وأهلكهم.

﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبتس الورد المورود \* وأتبعوا في هذه أي: في الدنيا ﴿لعنة ويوم القيامة أي: يلعنهم الله وملائكته والناس أجمون في الدنيا والآخرة.

﴿بِئِسْ الرَّفَدُ الْمَرْفُودَ﴾ أي: بَئْس ما اجتمع لهم، وترادف عليهم من عذاب الله، ولعنة الدنيا والآخرة.

ولما ذكر قصص هؤلاء الأمم مع رسلهم، قال الله تعالى لرسوله: ﴿ذلك من أنباء القرى نقصه عليك﴾ لتنذر به، ويكون آية على رسالتك، وموعظة وذكرى للمؤمنين.

﴿منها قائم﴾ لم يتلف، بل بقي من آثار ديارهم ما يدل عليهم، ﴿و﴾ منها ﴿حصيد﴾ قد تهدمت مساكنهم، واضمحلت منازلهم، فلم يبق لها أثر، ﴿وما ظلمناهم ﴾ بأخذهم بأنواع العقوبات ﴿ولكن ظلموا أنفسهم ﴾ باشرك والكفر والعناد.

﴿فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وهكذا كل من التجأ إلى غير الله، لم ينفعه ذلك عند نزول الشدائد.

﴿ وما زادوهم غير تتبيب ﴾ أي: خسار ودمار، بالضد مما خطر ببالهم. ﴿ ١٠٢ ﴾ ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ أي: يقصمهم بالعذاب ويبيدهم، ولا ينفعهم ما كانوا يدعون من دون الله من شيء.

﴿إِن فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من أخذه

للظالمين بأنواع العقوبات، ﴿لآية لمن خاف عذاب الآخرة﴾ أي: لعبرة ودليلاً على أن أهل الظلم والإجرام لهم العقوبة الدنيوية، والعقوبة الأخروية، ثم انتقل من هذا إلى وصف الآخرة، فقال: ﴿ذلك يوم مجموع له الناس﴾ أي: جسعوا لأجسل ذلسك اليوم للمجازاة، وليظهر لهم من عظمة الله وسلطانه وعدله العظيم ما به يعرفونه حق المعرفة.

﴿وذلك يسوم مسسهود ﴾ أي: يشهده الله وملاتكته وجميع المخلوقين، ﴿وما نؤخره ﴾ أي: إتيان يوم القيامة ﴿إلا لأجل معدود ﴾ إذا انقضى أجل الدنيا وما قدر الله فيها من الخلق، فحينتلا ينتقلهم إلى الدار الأخرى، ويجري عليهم أحكامه الجزائية، كما أجرى عليهم في الدنيا أحكامه الشرعة.

﴿يوم يأت﴾ ذلك اليوم، ويجتمع الخلق ﴿لا تكلم نفس إلا بإذنه كتى الأنبياء والملائكة الكرام، لا يشفعون إلا بإذنه، ﴿فَمنهم ﴾ أي: الخلق ﴿شقي وسعيد ﴾ فالأشقياء هم الذين كفروا بالله وكذبوا رسله وعصوا أمره، والسعداء هم: المؤمنون المتقون.

وأما جزاً وهم ﴿فأما الذّين شقوا﴾ أي: حصلت لهم الشقاوة والخزي والفضيحة، ﴿ففي النار﴾ منغمسون في عذابها، ﴿لهم فيها﴾ مشتد عليهم عقابها، ﴿لهم وشههيق﴾ وهيو أشنيع الأصوات وأقحها.

﴿ خُالدين فيها ﴾ أي: في النار التي هذا عذا بها ﴿ ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك ﴾ أي: خالدين فيها أبداً إلا المدة التي شاء الله أن لا يمكونوا فيها، وذلك قبل دخولها، كما قاله جمهور المفسرين، فالاستثناء على هذا راجع إلى ما قبل دخولها، فهم خالدون فيها جميع الأزمان، سوى الزمن الذي قبل الدخول فيها.

﴿إِن رَبِكَ فَعَالَ لِمَا يَرِيدُ﴾ فَكُلُ مَا أُراد فَعَلَه واقتضته حكمته فعله تبارك وتعالى، لا يرده أحد عن مراده.

﴿ وأما الذين سعدوا ﴾ أي: حصلت لهم السعادة، والفلاح والفوز، ﴿ ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك ﴾ ثم أكد ذلك بقوله: ﴿ حطاء غير مجلوذ ﴾ أي: ما أعطاهم الله من النعيم المقيم واللذة العالية، فإنه دائم مستمر، غير منقطع بوقت من الأوقات، نسأل الله الكريم من فضله.

﴿٩٠٩﴾ ﴿فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون إلاً كما يعبد آباؤهم من قبل وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص﴾ يقول الله تعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء﴾ المشركون، أي: لا تشك في حالهم، وأن ما هم عليه باطل، فليس لهم عليه دليل شرعي ولا عقلي، وإنما دليلهم وشبهتهم أنهم ﴿ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل﴾.

ومن المعلوم أن هذا ليس بشبهة ، فضلاً عن أن يكون دليلاً ، لأن أقوال ما عدا الأنبياء يحتج بها ، خصوصاً أمثال هؤلاء الضالين الذين كثر خطأهم وفساد أقوالهم في أصول الدين ، فإن أقوالهم وإن اتفقوا عليها ، فإنها خطأ وضلال .

﴿وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص﴾ أي: لا بدأن ينالهم نصيبهم من الدنيا، عما كتب لهم وإن كثر ذلك النصيب، أو راق في عينك، فإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان والدين الصحيح إلا من يحب. والحاصل أنه لا يغتر باتفاق الضالين على قول الضالين من آباتهم الأقدمين، ولا على ما خولهم الله وأتاهم من الدنيا.

﴿ ١١٠ \_ ١١٣ ﴾ ﴿ ولـ قــ لـ آتــينـا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وإنهم لفي

عَدُهُ وَمُدُوْمَ الْقِيكَ مَوْفَأَ وْيَدُهُمُ الْنَارُ وَيْسَالُوْرُهُ ٱلْمَوْرُودُ ۞ وَأَنْهِمُوا فِي هَاذِهِ مِلْفَنَةُ وَيُؤْمِ ٱلْفِيلَمَةُ بِفْسَ الزِفْدُ ٱلْمُزْفُودُ ۞ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلْفُرَيٰ نَقُصُهُ مُ عَلَيْكٌ مِنْهَا فَآيِدُ وَحَصِيدٌ ۞ وَمَاظَلَمَنَاهُمْ وَلَا كِن ظَلَمُوَّا أَنفُسهُمُّ فَمَا أَغَنتُ عَنْهُمْ اللَّهُ مُمُ اللَّتِي يَتْعُوك مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءِ لِمُتَاجَآءَ أَمْرُرَتِكُّ وَمَازَادُوهُمْ غَيْرَتَيْسِيبٍ ۞ وَكَ نَالِكَ أَخْذُرَيِّكَ إِنَّا أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلْلِمَّةُ إِنَّ لَغَذَهُ أَلِيدُ مُسَكِيدُ ﴿ إِنَّ فِ ذَلِكَ لَآئِكَ لِأَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأَخِرَةُ ذَٰلِكَ يَوْمُرُجَّنِهُ وَعُلَّاكَ أَلْنَاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشَّهُودٌ ۞ وَمَانُوْيَزَهُۥ إِلَّا لِأَجَلِ مَّغَدُودِ۞ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكُلُّمُ نَفْسُ إِلَّا بِإِذْنِهِ فِينَهُ مُرْشَقِقٌ وَرَسَعِيدٌ ۞ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَعُوا فَيَ النَّارِلَمَةُ فِيهَا زَفِيرٌ وَمَنْهِيقٌ۞ خَلِدِيرَ فِيهَا مَا دَاسَتِ السَّنَوَتُ وَأَلْزَصُ إِلَّمَا صَاءَ رَبُكَ إِنَّ رَبَكَ فَعَالٌ لِمَا يُعِيدُ ۞ • وَأَمَّا ٱلَّذِينَ مُعِدُواْ فَيَ ٱلْجَنَّةِ وَخَلِدِينَ فِيهَامَادَامَتِ السَّنَوْتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّمَا مَنَاةً رَبُّكَ عَطَلَةً غَيْرِيَجَ فُوذِهِ AND THE RESERVE OF

١١ يَنْوَلُو الْمِثْنَ

شك منه مريب \* وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير \* فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير \* ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء شم لا تنصرون في يغبر تعالى أنه آتى موسى الكتاب الذي هو التوراة، الموجب للاتفاق على أوامره ونواهيه، والاجتماع، ولكن مع هذا فإن المنتسبين إليه اختلفوا فيه اختلافا أضر بعقائدهم وبجامعتهم الدينية.

﴿ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ بتأخيرهم وعدم معاجلتهم بالعذاب ﴿لقضي بينهم ﴾ بإحلال العقوبة بالظالم ، ولكنه تعالى اقتضت حكمته أن أخر القضاء بينهم إلى يوم القيامة ، وبقوا في شك منه مريب .

وإذا كانت هذه حالهم مع كتابهم فمع القرآن الذي أوحاه الله إليك غير مستغرب من طائفة اليهود، أن لا يؤمنوا به، وأن يكونوا في شك منه مريب.

﴿ وإن كلاً لما ليوفينهم ربسك أعمالهم ﴾ أي: لا بدأن الله يقضي بينهم (١) يوم القيامة بحكمه العدل فيجازي كلاً بما يستحقه.

CANCELL CENTER فَلَانَكُ فِي مِرْبِيةٍ مِّمَا مَقْبُدُ هَوَّ كُلَّةٍ مَا مَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا مَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِن قَبْلُ وَإِنَّالْمُوفِوهُمْ نَصِيبَهُمْ عَيْرَمَنْقُوس ٥ وَلَقَدْ عَالَيْنَامُوسَى ٱلْكِنْبَ فَأَخْرُلِفَ فِيهُ وَلَوْلَا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِن زَيِّكَ لَقُضِي بَيْنَهُمْ وَلِأَهُمْ لِيَ شَكِّ مِنْهُمُ مِي ۞ وَإِنَّ كُلُّالُمَّا لَيُوَقِينَهُمْ رَثُّكِ أَعْمَلُهُمُّ أَنَّهُ مِمَا يَعْمَلُونَ خَيِرُ ۞ فَٱسْتَقِعْ كُمَا أَمِنْ وَمَن تَابَمَعَكَ وَلَاتَظُغُوّا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَهِيرٌ ۞ وَلِا رَجَّكُوا إِلَى الَّذِينَ طَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَالَكُم مِنْ دُونِ أَسَّهِ مِنْ أَوْلِيَاتَهُ ثُمَّ لَانْصَرُونَ ۞ وَأَقِيمُ الصَّلَوْةَ طَرَقِي ٱلنَّهَارِ وَزُلَّفَا مِنَ ٱلَّيْلُ إِنَّ ٱلْحَسَنَتِ يُذُهِبَ ٱلسَّيْعَاتُ ذَلِكَ فِكَ يَكُونُ لِلذَّكِينَ ٥ وَأَصْبِرُ فَإِنَّ أَلَنَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرًا لُمُحْسِنِينَ ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُدُونِ مِن قَبَلِكُمْ أَفُلُوا لِمَيَّةِ مِنْهُونَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِٱلْأَرْضِ إِلَّاقِلِيلًا مِّنَ ٱلْبَيْنَ المِنْهُ وَالَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مَّا أَرَّفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجَّرِمِينَ ۞ وَمَاكَانَ رَبُّكَ إِنَّهُ لِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْرِ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ا ACTOROL " LERGED

﴿إنه بما يعملون﴾ من خير وشر ﴿خبير﴾ فلا يخفي عليه شيء من أعمالهم دقيقها وجليلها.

ثم لما أخبر بعدم استقامتهم التي أوجبت اختلافهم وافتراقهم، أمر نبيه عمداً على ومن معه من المؤمنين أن يستقيموا كما أمروا، فيسلكوا ما شرعه الله من الشرائع، ويعتقدوا ما أخبر الله به من العقائد الصحيحة، ولا يزيغوا عن ذلك يمنة ولا يسرة، ويدوموا على ذلك، ولا يطغوا بأن يتجاوزوا ما حده الله لهم من الاستقامة.

وقوله: ﴿إنه بما تعملون بصير﴾
أي: لا يخفى عليه من أعمالكم شيء،
وسيجازيكم عليها، ففيه ترغيب
لسلوك الاستقامة وترهيب من ضدها،
ولهذا حذرهم عن الميل إلى من تعدى
الاستقامة فقال: ﴿ولا تركنوا﴾ أي:
لا تميلوا ﴿إلى الذين ظلموا﴾ فإنكم إذا
ملتم إليهم وافقتموهم على ظلمهم، أو
رضيتم ما هم عليه من الظلم
وفتمسكم النار﴾ إن فعلتم ذلك ﴿وما
لكم من دون الله من أولياء ﴾ يمنعونكم
من عذاب الله، ولا يحصلون لكم شيئا

﴿ثم لا تنصرون﴾ أي: لا يدفع عنكم العذاب إذا مسكم، ففي هذه الآية التحذير من الركون إلى كل ظالم، والمراد بالركون الميل والانضمام إليه بظلمه وموافقته على ذلك، والرضا بما هو عليه من الظلم.

وإذا كان هذا الوعيد في الركون إلى الظلمة ، فكيف حال الظلمة بأنفسهم؟!! نسأل الله العافية من الظلم.

﴿ وَاقْم السلام وَ الْمَا مِن اللَّيلُ إِن طَرِفِي النَّهِارُ وَزَلْفاً مِن اللَّيلُ إِن السيئات ذلك ذكرى المسلاة كلداكرين \* واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ويأمر تعالى بإقامة الصلاة كاملة ﴿ طرفي النهار ﴾ أي: أوله وآخره، ويدخل في هذا صلاة الفجر، وصلاتا الظهر والعصر، ولانفار ويدخل في ذلك ﴿ وزَلْفا مِن اللَّيل ﴾ ويدخل في ذلك صلاة المغرب والعشاء، ويتناول ذلك قيام الليل، فإنها مما تزلف العبد وتقربه إلى الله تعالى.

(إن الحسنات يذهبن السيئات وما أي: فهذه الصلوات الخمس، وما ألحق بها من التطوعات من أكبر الحسنات، وهي: مع أنها حسنات تقرب إلى الله وتوجب الثواب، فإنها تذهب السيئات وتحدوها، والمراد بذلك الصغائر، كما قيدتها الأحاديث الصحيحة عن النبي شيخ مثل قوله: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى المصدوات الخمس، والجمعة إلى مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر»، مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر»، بل كما قيدتها الآية التي في سورة بل كما قيدتها الآية التي في سورة كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً».

ذلك لعل الإشارة لكل ما تقدم من لزوم الاستقامة على الصراط المستقيم وعدم مجاوزته وتعديه، وعدم الركون إلى الذين ظلموا، والأمر بإقامة

الصلاة، وبيان أن الحسنات يذهبن السيئات، الجميع ﴿ذكرى للذاكرين﴾ يفهمون بها ما أمرهم الله به ونهاهم، ويمتثلون لتلك الأوامر الحسنة المشمرة للخيرات، الدافعة للشرور والسيئات، ولكن تلك الأمور تحتاج إلى مجاهدة النفس والصبر عليها، ولهذا قال:

وواصبر في أي: احبس نفسك على طاعة الله، وعن معصيته، وإلزامها لذلك، واستمر ولا تضجر.

﴿ فَإِنَ الله لا يضيع أَجِر المحسنين ﴾ بل يتقبل الله عنهم أحسن الذي عملوا، ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون، وفي هذا ترغيب عظيم للزوم الصبر، بتشويق النفس الضعيفة إلى ثواب الله كلما ونت وفترت.

﴿ ١٦٦﴾ ﴿ فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا عمن أنجينا منهم واتبع اللين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا عجرمين ﴾ لما ذكر تعالى إهلاك الأمم المكذبة للرسل، وأن أكشرهم منحرفون، حتى أهل الكتب الإلهية وذلك كله يقضي على الأديان بالذهاب والاضمحلال، ذكر أنه لولا أنه جعل والاضمحلال، ذكر أنه لولا أنه جعل يدعون إلى ألهدى، وينهون عن الفساد والردى، فحصل من نفعهم ما بقيت به الأديان، ولكنهم قليلون جداً.

وغاية الأمر أنهم نجوا باتباعهم المرسلين، وقيامهم بما قاموا به من دينهم، وبكون حجة الله أجراها على أيديهم، ليهلك من هلك عن بيئة ويحيا من حيّ عن بيئة (1).

﴿و﴾ لكن ﴿اتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه﴾ أي: اتبعوا ما هم فيه من النعيم والترف، ولم يبغوا به بدلاً.

﴿وكانوا مجرمين﴾ أي: ظالمين باتباعهم ما أترفوا فيه، فلذلك حق عليهم العقاب، واستأصلهم العذاب. وفي هذا حث لهذه الأمة أن يكون

جاء في هامشُ أ ما نصه: (والمعروف في تفسيرها غير هذا المعنى الذي ذكر هنا، وهو أن هذا بمعنى النفي، أي: إنه لم يكن في القرون السالفة أو لو بقية . . . الخ، ﴿إلا قليلاً ممن أنجينا منهم﴾ أي: لكن بقي قليل بهذه الصفة، وهو قريب من المعنى الذي ذكرنا لكن ما ذكرنا في الأصل. . . ) ثم لم يتضح باقي الكلام لإصابته بالبلل، وهو يسير.

فيهم بقايا مصلحون لما أفسد الناس، قائمون بدين الله، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويبصرونهم من العمى.

وهذه الحالة أعلى حالة يرغب فيها الراغبون، وصاحبها يكون إماماً في الدين، إذا جعل عمله خالصاً لرب العالمن.

﴿١١٧﴾ ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ أي: وما كان الله ليهلك أهل القرى بظلم منه لهم، والحال أنهم مصلحون، أي: مقيمون على الصلاح، مستمرون عليه، فما كان الله ليهلكهم إلا إذا ظلموا وقامت عليهم حجة الله.

ويحتمل أن المعنى: وما كان ربك ليهلك القرى بظلمهم السابق، إذا رجعوا وأصلحوا عملهم، فإن الله يعفو عنهم، ويمحو ما تقدم من ظلمهم.

﴿ ١١٩ ـ ١١٨ ﴾ ﴿ ولو شاء ربك المناس أمة واحدة ولا يزالون ختلفين \* إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ يغبر تعالى أنه على الدين الإسلامي، فإن مشيئته غير قاصرة، ولا يمتنع عليه شيء، ولكنه اقتضت حكمته أن لا يزالون مختلفين خالفين للصراط المستقيم، متبعين للسبل الموصلة إلى النار، كل يرى الحق فيما قاله، والضلال في قول غيره.

ولا من رحم ربك فهداهم إلى العلم بالحق والعمل به والاتفاق عليه، فهؤلاء سبقت لهم سابقة السعادة، وتداركتهم العناية الربانية والتوفيق الالهر.

وأما من عداهم فهم مخذولون موكولون إلى أنفسهم .

وقوله: ﴿ولذلك خلقهم﴾ أي: اقتضت حكمته أنه خلقهم، ليكون منهم السعداء والأشقياء، والمتفقون والمختلفون، والفريق الذين هدى الله،

والفريق الذين حقت عليهم الضلالة ، ليتبين للعباد عدله وحكمته ، وليظهر ما كمن في الطباع البشرية من الخير والشر ، وليقوم سوق الجهاد والعبادات التي لا تتم ولا تستقيم إلا بالامتحان والابتلاء .

﴿وَ لَانَهُ ﴿ تَمْتَ كَلَمَةُ رَبِكُ لَأُمَلَأُنَ جَهِنَمُ مِنْ الْجِنَةُ وَالنَّاسُ أَجْعِينُ ﴾ فلا بد أن ييسر للنار أهلاً، يعملون بأعمالها الموصلة إليها.

﴿ ١٢٠ \_ ١٢٣ ﴾ ﴿ وكلاً نبقيص عليك من أنباء الرسل ما نشبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين \* وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون \* وانتظروا إنا منتظرون \* ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون، لما ذكر في هذه السورة من أخبار الأنبياء ما ذكر، ذكر الحكمة في ذكر ذلك، فقال: ﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك أي: قلبك ليطمئن ويثبت، ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهده، وكثرة من قام به.

﴿وجاءك في هذه السورة ﴿ الحق اليسورة ﴿ الحق اليقين، فلا شك فيه بوجه من الوجوه، فالعلم بذلك من العلم بالحق الذي هو أكبر فضائل النفوس.

﴿وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ أي: يتعظون به، فيرتدعون عن الأمور المكروهة، ويتذكرون الأمور المحبوبة لله فيفعلونها.

وأما من ليس من أهل الإيمان فلا تنفعهم المواعظ وأنواع التذكير، ولهذا قال: ﴿ وقل للذين لا يؤمنون ﴾ بعدما قامت عليهم الآيات، ﴿ اعملوا على مكانتكم ﴾ أي: حالتكم التي أنتم

النافعية النافية المستخدا المستخدد والمستخدد والمستخدد

عليها ﴿إِنَّا عَامِلُونَ ﴾ على ما كنا عليه ﴿وانتظروا﴾ ما يحل بنا ﴿إِنَّا منتظرونَ ﴾ ما يحل بكم .

وقد فصل الله بين الفريقين، وأرى عباده نصره لعباده المؤمنين، وقمعه لأعداء الله المكذبين.

﴿ولله غيب السماوات والأرض﴾ أي: ما غاب فيهما من الخفايا، والأمور الغيبية.

﴿وإليه يسرجع الأمر كله ﴾ من الأعمال والعمال، فيميز الخبيث من الطيب ﴿فاعبده وتوكل عليه ﴾ أي: قم بعبادته، وهي جميع ما أمر الله به مما تقدر عليه، وتوكل على الله في ذلك. ﴿وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ من الخد والشد ، با قد أحاط علمه

ووما ربك بغافل عما تعملون من الخير والشر، بل قد أحاط علمه بذلك، وجرى به قلمه، وسيجري عليه حكمه وجزاؤه.

تم تفسير سورة هود والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وسلم [وكان الفراغ من نسخه في يوم السبت في ٢١ من شهر ربيع الآخر ١٣٤٧](١)

المجلد الرابع من تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام السرب المسنان لجامعه الفقيس إلى الله: عبد الرحمن بن ناصر السعدي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين أمين

Carrier a (金) ( 表面) قَالَ يَكُنُونَ لَاتَقْصُصْ رُوْمَاكُ عَلَيْهِ إِنَّا فَكُدُوا لَكَ كَيْدًا إِذَالشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوَّتُهُ بِينٌ ۞ وَكَذَالِكَ يَعْتَبِيكَ رَبُّكِ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْآخَادِيثِ وَيُسْتُمُ مِعَلَيْكَ وَعَلَىٰ الريعَ فُوبَكُما أَنَّمُها عَلَىٰ أَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِزْهِيمَ وَالْعُورُ إِنَّ رَبُّكَ عَلَى مُرَكِّكُ مُ ٥٠ لَقَدْ كَانَ فِي وُسُفَ وَلَحْرَاتِهِ ءَايَتُ لِسَاكَمِلِينَ ۞ إِذْ قَالُواْ لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُ إِلَى لَيِنَامِنَا وَغَنُ عُصَبَةً إِنَّا أَبَانَا لَهِ صَلَالِ مُّيدِب ۞ ٱقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِالْلَهُ وَاللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ وَتَعَالَمُ وَلَا اللَّهِ وَتَكُونُواْ مِنْ بَعْدِهِ ـ قَوْمًا صَلِيحِينَ ۞ قَالَ قَـكَأَ بِلَّ مِنْ هُمُرَلَا نَقَنَّا لُولًا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيْبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْنَقِطُهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّا وَإِن كُنتُم فَكِيلِينَ ۞ قَالُواْ يَتَأَبَّانَ مَالَكَ لَا فَأَمْنَا عَلَيْهُمُ مَنَ وَإِنَّا لَمُلْنَصِيحُونَ ۞ أَرْسِلْهُ مَعَنَاعَنَا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَنفِظُونَ ۞ قَالَ إِنِّ لَيَحْرُثُونَ أَن نَذْ عَبُولُهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّنْهُ وَأَسْتُمْ عَنْهُ غَنِفُونَ ۞ قَالُوا لَيَنَ أَكَلَهُ الذِّقْبُ وَنَغَنُ عُصْبَةً إِنَّا إِذَا لَّخَلِيمُ وين ٥ NOVOZOZ W KOROKO

## تفسير سورة يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام وهي مكيــة

أنه أنزله باللسان العربي، أشرف الألسنة، وأبينها، [المبين لكل ما يحتاجه الناس من الحقائق النافعة](١) وكل هذا الإيضاح والتبيين ﴿لعلكم تعقلون﴾ أي: لتعقلوا حدوده وأصوله وفروعه، وأوامره ونواهيه.

فإذا عقلتم ذلك بإيقانكم، واتصفت قلوبكم بمعرفتها، أثمر ذلك عسمل الجوارح والانقياد إليه، و للعلكم تعقلون أي: تزداد عقولكم بتكرر المعاني الشريفة العالية، على أذهانكم، فتنتقلون من حال إلى أحوال أعلى منها وأكمل.

﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ وذلك لصدقها وسلاسة

عبارتها ورونق معانيها، ﴿بما أوحينا إليك هذا القرآن ﴾ أي: بما اشتمل عليه هذا القرآن الذي أوحيناه إليك، وفضلناك به على سائر الأنبياء، وذاك عض مئة من الله وإحسان.

﴿وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ أي: ما كنت من قبله لمن الكتاب ولا الإيمان قبل أن يوحي الله إليك، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا.

ولما مدح ما اشتمل عليه هذا القرآن من القصص، وأنها أحسن القصص على الإطلاق، فلا يوجد من القصص في شيء من الكتب مثل هذا القرآن، ذكر قصة يوسف، وأبيه وإخوته، القصة العجيبة الحسنة، فقال:

﴿٤ \_ ٦ ﴾ ﴿إذ قبال يوسف الأبيه يا أبت إن رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين \* قال یا بنی لا تقصص رؤیاك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مين \* وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم، واعلم أن الله ذكر أنه يقص على رسوله أحسن القصص في هذا الكتاب، ثم ذكر هذه القصة وبسطها، وذكر ما جرى فيها، فعلم بذلك أنها قصة تامة كاملة حسنة ، فمن أراد أن يكملها أو يحسنها بما يذكر في الإسرائيليات التي لا يعرف لها سند ولا ناقل وأغلبها كذب، فهو مستدرك على الله، ومكمل لشيء يزعم أنه ناقص، وحسبك بأمر ينتهي إلى هذا الحد قبحاً، فإن تضاعيف هذه السورة قد ملئت في كثير من التفاسير، من الأكاذيب والأمور الشنيعة المناقضة لما قصه الله تعالى بشيء كثير.

فعلى العبد أن يفهم عن الله ما قصه، ويدع ما سوى ذلك مما ليس عن النبي ﷺ، ينقل.

فَقُولُه تعالى: ﴿إِذْ قِالَ يُوسِفُ

لأبيه > يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام: ﴿يا أَبِت إِن رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين > فكانت هذه الرؤيا مقدمة لما وصل إليه يوسف عليه السلام من الارتفاع في الدنيا والآخرة.

وهكذا إذا أراد الله أمراً من الأمور العظام قدم بين يديه مقدمة، توطئة له، وتسهيلاً لأمره، واستعداداً لما يرد على العبد من المشاق، لطفاً بعبده، وإحسانا إليه، فأولها يعقوب بأن الشمس: أمه، والمقمر: أبوه، والكواكب: إخوته، وأنه ستنتقل به الأحوال إلى أن يصير إلى حال يخضعون له، ويسجدون له إكراما وإعظاماً، وأن ذلك لا يكون إلا بأسباب تتقدمه من اجتباء الله له، واصطفائه له، وإقام نعمته عليه بالعلم والعمل، والتمكين في الأرض.

وأن هذه النعمة ستشمل آل يعقوب، الذين سجدوا له وصاروا تبعاً له فيها، ولهذا قال:

﴿ وكذلك يجتبيك ربك ﴾ أي: يصطفيك ويختارك بما يمن به عليك من الأوصاف الجليلة والمناقب الجميلة ، ويعلمك من تأويل الأحاديث ﴾ أي: من تعبير الرؤيا، وبيان ما تؤول إليه ونحوها، ﴿ ويتم نعمته عليك ﴾ في الدنيا والآخرة، بأن يؤتيك في الدنيا والآخرة، بأن يؤتيك في الدنيا أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق ﴾ حيث أنعم الله عليهما، بيعم عظيمة واسعة، دينية، ودنوية.

وإن ربك عليم حكيم أي: علمه عيط بالأشياء، وبما احتوت عليه ضمائر العباد من البر وغيره، فيعطي كلاً ما تقتضيه حكمته وحمده، فإنه حكيم يضع الأشياء مواضعها، وينزلها .

ولما بان تعبيرها ليوسف، قال له أبوه:

﴿ يَا بِنِي لا تقصص رؤياك على

CAN CITALIAN CENTRAL فَلَمَا ذَهَبُواْبِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَـاُوهُ فِي غَيَلَتِ ٱلْحُبُّ وَأَوْجُنَّ الَّيْهِ لَتُنَبِّنَنَّهُمُ مِأْمُرُهِمُ هَاذَا وَهُمْ لَايَشْعُرُونَ ۞ وَجَلَّاوُ أَ أَبَاهُمْ عِشَاءً يَيْكُونَ ۞ قَالُواْ يَكَأَبَاناً إِنَّا ذَهَبْ انْسَتَبِقُ وَرَكَنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّنْبُ وَمَآأَتَ بِمُوْمِن أَنَا وَلَوْكُنَّا صَلِيقِينَ ۞ وَجَمَّا مُوعَلَ قِيصِهِ بِهَ مِكَدِّبٌ قَالَ بَلْ سَوَّلَت لَكُمْ أَنفُ مُكُوا أُمِّ أَفْسَكُوا أُمِّ أَفْسَبُرُ حَيداً وَاللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَى مَاتَصِفُونَ ۞ وَجَآةَتَ سَيَّارَةً فَأَرْسَكُواْ وَالِدَهُمْ مَا أَذَ لَى دَلُومُ قَالَ يَكِثْمَرَيٰ هَا خَالُمُ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةٌ وَٱلْقَهُ عَلِيهُ مُرَّايَةً مَكُونَ ۞ وَمَنْزَوْهُ المُتَمَنِ بَغْيِن دَرُهِي مَمَّعٌ مُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ۞ وَكَالَ ٱلَّذِى ٱشْ تَرَاهُ مِن مِصْمَرٌ لِإِثْرَ ٱلْمِيرَا ٓ كَعْرِي مَثْوَلَهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْنَتَخِذَهُ وَلِدَأُوكَ ذَلِكَ مَكَنَّا إِيُوسُفَ فِ ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَكِّمَهُ مِن تَأْوِسِلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ ا عَالِثُ عَلَىٰ أَمْنِ وَلَكِنَّ أَكْمُ زَالْنَاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَلِمُ الْبَلَمْ الشُدَّةُ مُوَالِيَّنَهُ مُكْمَا وَعِلْما وصَحَدَلِكَ جَيْه الْخُيرِينِ قَ

تذهبوا به اي: بحرد ذهابكم به يخزنني ويشق عَلى، لأنني لا أقدر على فراقه، ولو مدة يسيرة، فهذا مانع من إرساله ﴿وَ هُ مانع ثان، وهو أني ﴿أَخَافُ أَن يأكِلُهُ الذّئبِ وأنتم عنه غافلون ﴾ أي: في حال غفلتكم عنه، لأنه صغير لا يمتنع من الذّئب.

﴿قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة ﴾ أي: جماعة، حريصون على حفظه، ﴿إنا إِذَا لِخاسرون ﴾ أي: لا خير فينا ولا نفع يرجى منا إن أكله الذئب وغلبنا عليه.

فلما مهدوا لأبيهم الأسباب الداعية لإرساله، وعدم الموانع، سمح حيشذٍ بإرساله معهم لأجل أنسه.

واجعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأجعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون \* وجاؤوا أباهم عشاء يبكون \* قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين \* وجاؤوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون أي: لما ذهب إخوة يوسف بيوسف بعد ما أذن له أبوه، وعزموا على أن يجعلوه في ذكره، وكانوا قادرين على ما أجعوا غيابة الجب، كما قال قائلهم السابق ذكره، وكانوا قادرين على ما أجعوا عليه، فنفذوا فيه قدرتهم، وألقوه في

﴿ ١٠ ﴾ ﴿ قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين ﴾ أي: ﴿ قائل قائل ﴾ من إخوة يوسف الذين يوسف فإن قتله أعظم إثماً وأشنع، يوسف فإن قتله أعظم إثماً وأشنع، والمقصود يحصل بتبعيده عن أبيه من غير قتل، ولكن توصلوا إلى تبعيده بأن تلقوه ﴿ في غيابة الجب ﴾ وتتوعدوه على أنه لا يخبر بشأنكم، بل على أنه عبد مملوك آبق منكم، لأجل أن عبداً بعض السيارة ﴾ الذين يريدون مكاناً بعيداً، فيحتفظون فيه.

وهذا القائل أحسنهم رأياً في يوسف، وأبرهم وأتقاهم في هذه القضية، فإن بعض الشر أهون من بعض، والضرر الخفيف يدفع به الضرر الثقيل، فلما اتفقوا على هذا الرأى.

﴿١١ \_ ١٤﴾ ﴿قالوا يا أبانا ما لك لا تأمناعل يوسف وإناله لناصحون \* أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون \* قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون \* قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذأ لخاسرون﴾ أي: قال إخوة يوسف، متوصلين إلى مقصدهم لأبيهم: ﴿يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون﴾ أي: لأي: شيء يدخلك الخوف مناعلي يوسف، من غير سبب ولا مسوجب؟ ﴿وَ ﴾ الحال ﴿إنا له لناصحون﴾ أي: مشفقون عليه، نود له ما نود لأنفسنا، وهذا يدل على أن يعقوب عليه السلام لا يترك يوسف يذهب مع إخوته للبرية ونحوها.

فلما نفوا عن أنفسهم التهمة المانعة من عدم إرساله معهم، ذكروا له من مصلحة يوسف وأنسه الذي يجبه أبوه له، ما يقتضي أن يسمح بإرساله معهم، فقالوا:

﴿أرسله معنا غداً يرتع ويلعب﴾ أي: يتنزه في البرية ويستأنس، ﴿وإنا له لحافظون﴾ أي: سنراعيه، ونحفظه من أذى يريده.

فأجابهم بقوله: ﴿إِنِّ ليحزنني أَن

إخوتك فيكيدوا لك كيداً أي: حسداً من عند أنفسهم، أن تكون أنت الرئيس الشريف عليهم.

﴿إِن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾ لا يفتر عنه ليلاً ولا نهاراً، ولا سراً ولا جهاراً، فالبعد عن الأسباب التي يتسلط بها على العبد أولى، فامتثل يوسف أمر أبيه، ولم يخبر إخوته بذلك، بل كتمها عنهم.

﴿إِذْ قَالُوا﴾ فيما بينهم: ﴿ليوسفُ وَأَخُوهُ بَنِيامِينَ، أَي: شقيقه، وإلا فَكُلُهُم إِخُوة، ﴿أُحِب إِلَى أَبِينَا مِنَا وَنَحَن عَصِبَةَ﴾ أَي: جماعة، فكيف يفضلهما علينا بالمحبة والشفقة، ﴿إِن أَبانَا لَفِي ضَلَالُ مَبِينَ﴾ أي: لفي خطأ بين، حيث فضلهما علينا من غير موجب نراه، ولا أمر نشاهده.

﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً ﴾ أي: غيبوه عن أبيه في أرض بعيدة لا يتمكن من رؤيته فيها.

فإنكم إذا فعلتم أحد هذين الأمرين ﴿ يَحْلُ لَكُم وجه أبيكُم ﴾ أي: يتفرغ لكم، ويقبل عليكم بالشفقة والمحبة، فإنه قد اشتغل قلبه بيوسف شغلاً لا يتفرغ لكم، ﴿ وتكونوا من بعده ﴾ أي: من بعد هذا الصنيع ﴿ قوماً صالحين ﴾ أي: أي: تتوبون إلى الله، وتستغفرون من بعد ذبكم.

فقدموا العزم على التوبة قبل صدور الذنب منهم تسهيلاً لفعله، وإزالة لشناعته، وتنشيطاً من بعضهم لبعض.

CANCEL CENTRAL DECE وَرَوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَفِي بَيْتِهَاعَنِ نَفْسِهِ رِوَغَلَّفَتِ ٱلْإَوْلَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكُ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّا هُرَيْنَ أَحْسَنَ مَثُواعَتُ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّلْلِمُونَ ۞ وَلَقَدْهَنَّتْ بِدِّءُوهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن زَءَ الْرُهُ لَنَ رَبِيهِ كَذَالِكَ لِنَصْرِفَ عَنْ هُ ٱلسُّوَّةِ وَٱلْفَحْشَآءُ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْخُلْصِينَ ۞ وَأَسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَييصَهُ ومِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَ اسَيِّدَهَ الدَّالْبَانِ فَالَتْ مَاجَزَلَهُ مَنْ أَزَادَ بِأَهْلِكَ سُوَّةًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْعَذَابُ أَلِيدُ ۞ قَالَ هِيَ زَاوَدَنِّي عَن نَفْيي وَيْسَهِ لَهُ شَاهِدُونَ أَهْلِهَا إِن كَانَ قِيصُهُ وَقُدَّمِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُومِينَ ٱلْكَنْذِيدِ ٥ وَإِن كَانَ قِيصُهُ مُقَدِّمِن دُبُرُوَكُذَبُّ وَهُوَمِنَ ٱلصَّادِقِينَ ۞ فَلَمَّا رَءَا قِيصَهُ وَقُدَّمِن دُبُرِقَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۞ يُوسُفُ أَعْضَ عَنْ هَنَدَأً وَأَسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ اتْخَاطِينَ ٥ • وَقَالَ نِنْمَوَّةُ فِ ٱلْمَدِينَةِ أَمْرَأَتُ ٱلْمَرْيِرِيْزُودُ مُتَكَا إِنَّ عَن نَّفْسِيِّهُ مَّدَّ شَعَفَهَا حُبُّ إِنَّا لَرَّتِهَا فِي صَلَالِ مُّبِينِ ۞ ADDED III EGREEN

الجب، ثم إن الله لطف به بأن أوحى إليه وهو في تلك الحال الحرجة، خلتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون أي: سيكون منك معاتبة لهم، وإخبار عن أمرهم هذا، وهم لا يشعرون بذلك الأمر، ففيه بشارة له، بأنه سينجو مما وقع فيه، وأن الله سيجمعه بأهله وإخوته على وجه العز والتمكين له في الأرض.

﴿وجاؤوا أباهم عشاء يبكون﴾ ليكون إتيانهم متأخراً عن عادتهم، وبكاؤهم دليلاً لهم، وقرينة على صدقهم، فقالوا متعذرين (١) بِعُذر كاذب م ﴿ وَا أَبَانا إِنَا ذَهْبَنا نِستبق﴾ ﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾ توفيراً له وراحة، ﴿ وَأَكُلُه الذّئب ﴾ في حال غيبتنا عنه في استباقنا، ﴿ وما أنت بعدرنا بهذا العذر، والظاهر أنك لا تصدقنا لما في قلبك من الحزن على يوسف، والرقة الشديدة عليه.

ولكن عدم تصديقك إيانا، لا يمنعنا أن نعتذر بالعذر الحقيقي، وكل هذا تأكيد لعذرهم، ﴿وَ عَمَا أكدوا به قولهم، أنهم ﴿جاؤوا على قميصه بدم كذب وعموا أنه دم يوسف حين أكله الذئب، فلم يصدقهم

أبوهم بذلك، و ﴿قال﴾: ﴿بل سولت لكم أنفسكم أمراً ﴾ أي: زينت لكم أنفسكم أمراً قبيحاً في التفريق بيني وبينه، لأنه رأى من القرائن والأحوال [ومن رؤيا يوسف التي قصها عليه](٢) ما دله على ما قال.

﴿ فصبر جيل والله والمستعان على ما تصفون ﴾ أي: أما أنا فوظيفتي سأحرص على القيام بها، وهي أني أصبر على هذه المحنة صبراً جيلاً، سالما من السخط والتَّشكي إلى الخلق، وأستعين الله على ذلك، لا على حولي وقوي، فوعد من نفسه هذا الأمر وشكى إلى خالقه في قوله: ﴿ إنما الشكوى إلى الخالق لا تنافي الصبر المبكوى إلى الخالق لا تنافي الصبر الجميل، لأن النبي إذا وعد وفي.

﴿۱۹ ـ ۲۰﴾ ﴿وجاءت سيسارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون \* وشروه بشمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين اي: مكث يوسف في الجب ما مكث، حتى ﴿جاءت سيارة ﴾ أي: قافلة تريد مصر، ﴿ فَأُرسِلُوا وَاردهم ﴾ أي: فرطهم ومقدمهم، الذي يعس لهم المياه، ويسبرها ويستعد لهم بتهيئة الحياض ونىحو ذلك، ﴿فأدلى ذلك الوارد ﴿دلوه﴾ فتعلق فيه يوسف عليه السلام وخرج، ﴿قال يا بشرى هذا غلام﴾ أي: آستبشر وقال: هذا غلام نفيس، ﴿وأسروه بضاعة﴾ وكان إخوته قريباً منه، فاشتراه السيارة منهم، ﴿بِثمن بخس، أي: قليل جداً، فسره بقوله: ﴿دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين﴾.

لأنه لم يكن لهم قصد إلا تغييبه وإبعاده عن أبيه، ولم يكن لهم قصد في أخذ ثمنه، والمعنى في هذا: أن السيارة لما وجدوه، عزموا أن يُسِرُوا أمره، ويجعلوه من جملة بضائعهم التي معهم، حتى جاءهم إخوته فزعموا أنه عبد أبق

منهم، فاشتروه منهم بذلك الثمن، واستوثقوا منهم فيه لئلا يهرب، والله أعلم.

﴿٢١﴾ ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أي: لما ذهب به السيارة إلى مصر وباعوه بها، فاشتراه عزيز مصر، فلما اشتراه، أعجب به، ووصى عليه امرأته وقال: ﴿أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾ أي: إما ينفعنا كنفع العبيد بأنواع الخدم، وإما أن نستمتع فيه استمتاعنا بأولادنا، ولعل ذلك أنه لم يكن لهما ولد، ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾ أي: كما يسرنا أن يشتريه عزيز مصر، ويكرمه هذا الإكرام، جعلنا هذا مقدمة لتمكينه في الأرض من هذا الطريق.

﴿ ولنعلمه من تأويل الأحاديث ﴾ إذا بقي لا شغل له ولا هَمْ له سوى العلم صار ذلك من أسباب تعلمه علما كثيراً، من علم الأحكام، وعلم التعبير، وغير ذلك، ﴿ والله غالب على أمره أي: أمره تعالى نافذ، لا يبطله مبطل، ولا يغلبه مغالب، ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ فلذلك يجري منهم ويصدر ما يصدر، في مغالبة أحكام الله القدرية، وهم أعجز وأضعف من ذلك.

وعلماً وكذلك نجزي المحسنين أي: وعلماً وكذلك نجزي المحسنين أي: وعلماً وكذلك نجزي المحسنين أي: وعلم المنوية والحسية، وصلح لأن يتحمل الأحمال الثقيلة، من النبوة والرسالة، ﴿آتيناه حكماً وعلماً ﴾ أي: جعلناه نبياً رسولاً، وعالماً ربانياً، ﴿وكذلك نجزي المحسنين ﴾ في عبادة الله ببذل الجهد والنصح فيها، وإلى عباد الله ببذل النفع والإحسان إليهم، نوتيهم من جملة الجزاء على إحسانهم

علماً نافعاً.

ودل هذا، على أن يوسف وفَّ مقام الإحسان، فأعطاه الله الحكم بين الناس، والعلم الكثير والنبوة.

﴿۲۳ ـ ۲۹﴾ ﴿وراودته السي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون \* ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين \* واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم \* قال هي روادتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قُبل فصدقت وهو من الكاذبين \* وإن كان قميصه قُدْ من دُبر فكذبت وهو من الصادقين \* فلما رأيُّ قمیصه قد من دبر قال إنه من کیدکن إن كيدكن عظيم \* يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين من الحنة العظيمة أعظم على يوسف من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجراً، لأنه صبر اختيار مع وجود الدواعي الكثيرة، لوقوع الفعل، فقدم محبة الله عليها، وأما محنته بإخوته، فصيره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره وليس له ملَّجاً إلا الصبر عليها، طائعاً أو كارهاً، وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام بقى مكرماً في بيت العزيز، وكان له من الجمال والكمال والبهاء ما أوجب ذلك، أن ﴿راودته التي هو في بيتها عن نفسه ﴾ أي: هو غلامها، وتحت تدبيرها، والمسكن واحد، يتيسر إيقاع الأمر الككروه من غير إشعار أحد، ولا إحساس بشر.

﴿و﴾ زادت المصيبة، بأن ﴿غلقت الأبوابِ وصار المحل خالياً، وهما آمنان من دخول أحد عليهما، بسبب تغليق الأبواب، وقد دعته إلى نفسها ﴿وقالت: هيت لك ﴾ أي: افعل الأمر المكروه وأقبِلْ إلي، ومع هذا، فهو

غريب، لا يحتشم مثله ما يحتشمه إذا كان في وطنه وبين معارفه، وهو أسير تحت يدها، وهي سيدته، وفيها من الجمال ما يدعو إلى ما هنالك، وهو شاب عزب، وقد توعدته، إن لم يفعل ما تأمره به بالسجن، أو العذاب الأليم.

فصبر عن معصية الله، مع وجود الداعي القوي فيه، لأنه قد هم فيها هما تركه لله، وقدم مراد الله على مراد النفس الأمارة بالسوء، ورأى من برهان ربه \_ وهو ما معه من العلم والإيمان، الموجب لترك كل ما حرم الله \_ ما أوجب له البعد والانكفاف، عن هذه المعصية الكبيرة، و فقال: معاذ الله أي: أعوذ بالله أن أفعل هذا الفعل القبيح، لأنه عا يسخط الله ويبعد منه، ولأنه خيانة في يسخط الله ويبعد منه، ولأنه خيانة في حق سيدي الذي أكرم مثواي.

فلا يليق بي أن أقابله في أهله بأقبح مقابلة، وهذا من أعظم الظُّلم، والظَّالَم لا يقلح، والحاصل أنه جعل الموانع له من هذا الفعل تقوى الله، ومراعاة حق سيده الذي أكرمه، وصيانة نفسه عن الظلم الذي لا يفلح من تعاطاه، وكذلك مامن الله عليه من برهان الإيمان الذي في قلبه، يقتضى منه امتثال الأوامر، واجتناب الزواجر، والجامع لذلك كله أن الله صرف عنه السوء والفحشاء، لأنه من عباده المخلصين له في عباداتهم، الذين أخلصهم الله واختارهم، واختصهم لنفسه، وأسدى عليهم من النعم، وصرف عنهم من المكاره ما كانوا به من خيار خلقه.

ولما امتنع من إجابة طلبها بعد المراودة الشديدة، ذهب ليهرب عنها ويبادر إلى الخروج من الباب ليتخلص، ويهرب من الفتنة، فبادرته إليه، وتعلقت بثوبه، فشقت قميصه، فلما وصلا إلى الباب في تلك الحال، ألفيا سيدها، أي: زوجها لدى الباب، فرأى أمراً شق عليه، فبادرت إلى الكذب، أن المراودة قد كانت من

يوسف، وقالت: ﴿مَا جِزَاءَ مِن أَرَادُ

بأهلك سوءاً ولم تقبل "من فعل بأهلك سوءاً» تبرئة لها وتبرئة له أيضاً من الفعل.

وإنما النزاع عند الإرادة والمراودة، ﴿إلا أن يسجن أو عذاب أليم﴾ أي: أو يعذب عذاباً أليماً.

فبرأ نفسه مما رمته به، وقال: ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ فحينئذ احتملت الحال صدق كل واحد منهما ولم يعلم أسما.

ولكن الله تعالى جعل للحق والصدق علامات وأمارات تدل عليه، قد يعلمها العباد وقد لا يعلمونها، فمن الله في هذه القضية بمعرفة الصادق منهما، تبرئة لنبيه وصفيه يوسف عليه السلام، فانبعث شاهد من أهل بيتها، يشهد بقرينة من وجدت معه، فهو الصادق، فقال: ﴿إن كان معيصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين﴾ لأن ذلك يدل على أنه هو المقبل عليها، المراود لها المعالج، وأنها أرادت أن تدفعه عنها، فشقت قميصه من هذا الجانب.

﴿ وإن كان قميصة قد من دبر، فكذبت وهو من الصادقين ﴿ لأن ذلك يدل على هروبه منها، وأنها هي التي طلبته فشقت قميصه من هذا الجانب، ﴿ فلما رأى قميصه قد من دبر ﴾ عرف بذلك صدق يوسف وبراءته، وأنها هي الكاذبة.

فقال لها سيدها: ﴿إِنّه مِن كيدكن إن كيدكن عظيم ﴾ وهل أعظم من هذا الكيد، الذي برأت به نفسها مما أرادت وفعلت، ورمت به نبي الله يوسف عليه السلام، ثم إن سيدها لما تحقق الأمر، قال ليوسف: ﴿يوسف أعرض عن هذا ﴾ أي: اترك الكلام فيه وتناسه ولا تذكره لأحد، طلباً للستر على أهله، ﴿واستغفري ﴾ أيتها المرأة ولذنبك إنك كنت من الخاطئين ﴾ فأمر يوسف بالإعراض، وهي بالاستغفار والتوبة.

﴿٣٥ ــ ٣٥﴾ ﴿وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً إنا لنراها في ضلال

مبين \* فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكئاً وأتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وتطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلاَّ ملك كريم \* قالت فذلكن الذي لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين \* قال رب السجن أحب إلى بما يدعونني إليه وإلاَّ تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين \* فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم \* ثم بدا لهم من بعد مآ رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ، يعنى: أن الخبر اشتهر وشاع في البلد، وتحدث به النسوة فجعلن يلمنها، ويقلن: ﴿امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً ﴾ أي: هذا أمر مستقبح، هي امرأة كبيرة القدر، وزوجها كبير القدر، ومع هذا لم تزل تراود فتاها الذي تحت يدها وفي خدمتها عن نفسه، ومع هذا فإن حبه قد بلغ من قلبها مبلغاً عظيماً.

﴿قد شغفها حباً ﴾ أي: وصل حبه إلى شغاف قلبها، وهو باطنه وسويداؤه، وهذا أعظم ما يكون من الحب، ﴿إِنَا لَنْ رَاهَا فِي ضَلال مبين ﴾ حيث وجدت منها هذه الحالة التي وتضعه عند الناس، وكان هذا القول منهن مكراً، ليس المقصود به مجرد اللوم يتوصلن بهذا الكلام إلى رؤية يوسف للما والقدح فيها، وإنما أردن أن يتوصلن بهذا الكلام إلى رؤية يوسف الذي فتنت به امرأة العزيز لتحنق امرأة العزيز، وتريهن إياه ليعذرنها، ولهذا سماه مكراً، فقال: ﴿فلما سماه مكراً واللهن اليهن تدعوهن إلى ممنز لها للضافة.

﴿وأعتدت لهن متكا﴾ أي: محلاً مهياً بأنواع الفرش والوسائد، وما يقصد بذلك من المآكل اللذيذة، وكان في جملة ما أتت به وأحضرته في تلك الضيافة طعام يحتاج إلى سكين، إما أترج، أو غيره، ﴿وآتت كل واحدة منهن سكيناً﴾ ليقطعن فيها ذلك الطعام منهن سكيناً﴾ ليقطعن فيها ذلك الطعام

﴿وقالت﴾ ليوسف: ﴿اخرج عليهن﴾ في حالة جماله وبهائه.

﴿فلما رأينه أكبرنه ﴾ أي: أعظمنه في صدورهن، ورأين منظراً فائقاً لم يشاهدن مثله، ﴿وقطعن ﴾ من الدهش ﴿أيديهن ﴾ بتلك السكاكين اللآتي معهن، ﴿وقلن: حاش شه أي: تنزيها شه ﴿ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ﴾ وذلك أن يوسف أغطِيَ من الجمال الفائق والنور والبهاء، ما كان به آية للناظرين، وعبرة للمتأملين.

فلما تقرر عندهن جمال يوسف الظاهر، وأعجبهن غاية، وظهر منهن من العذر لامرأة العزيز، شيء كثير مارادت أن تريهن جماله الباطن بالعفة التامة فقالت معلنة لذلك ومبينة لحبه الشديد غير مبالية، ولأن اللوم انقطع عنها من النسوة: ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ أي: امتنع وهي الأوقات إلا قلقاً وعبة وشوقاً لوصاله وتوقاً.

ولهذا قالت له بحضرتهن: ﴿ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكوناً من الصاغرين﴾ لتلجئه بهذا الوعيد إلى حصول مقصودها منه، فعند ذلك اعتصم يوسف بربه، واستعان به على كيدهن و ﴿قال رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه﴾ وهذا يدل على أن النسوة، جعلن يشرن على يوسف في مطاوعة سيدته، وجعلن يكدنه في ذلك.

فاستحب السجن والعذاب الدنيوي على لذة حاضرة توجب العذاب الشديد، ﴿وَإِلاْ تَصرفَ عني كيدهن أصب إليهن ﴾ أي: أمل إليهن، فإني ضعيف عاجز، إن لم تدفع عني السوء، ﴿وَأَكُن ﴾ إن صبوت إليهن ﴿من الجاهلين ﴾ فإن هذا جهل، لأنه آثر لذة قليلة منغصة، على لذات متتابعات ومن آثر هذا على هذا، فمن أجهل منه؟!! فإن العلم والعقل يدعو إلى تقديم أعظم المصلحتين وأعظم اللذتين، ويؤثر ما كان محمود العاقبة.

﴿فاستجاب له ربه ﴾ حين دعاه ﴿فصرف عنه كيدهن ﴾ فلم تزل تراوده وتستعين عليه بما تقدر عليه من الوسائل، حتى أيسها، وصرف الله عنه كيدها، ﴿إنه هو السميع ﴾ لدعاء الداعي ﴿العليم ﴾ بنيته الصالحة، وبُنيَتِهِ الضعيفة المقتضية لإمداده بمعونته ولطفه، فهذا ما نجى الله به يوسف من أسياده فإنه لما اشتهر الخبر وبان، وصار الناس فيها بين عاذر ولائم وقادح.

﴿بدالهم ﴾ أي: ظهر لهم ﴿من بعد ما رأوا الآيات ﴾ الدالة على براءته ، ﴿ليسجننه حتى حين ﴾ أي: لينقطع بذلك الخبر ويتناساه الناس ، فإن الشيء إذا شاع لم يزل يذكر ويشاع مع وجود أسبابه ، فإذا عدمت أسبابه نُسِيّ ، فرأوا أن هذا مصلحة لهم ، فأدخلوه في السجن .

﴿٣٦ \_ ٤٠ ﴾ ﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إن أراني أعصر خراً وقال الآخر إن أراني أحمل فوق رأسي خبراً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين # قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن بأتيكما ذلكما مما علمني ربي إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون \* واتبعت ملة آبائي إبر أهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون # يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار \* ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعيدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون، أي: ﴿وَ﴾ لما دخل يوسف السجن، كان في جملة من ﴿ دخل معه السجن فتيان ﴾ أي: شابان، فرأى كل واحد منهما رؤيا، فقصها على يوسف ليعبرها، فـ ﴿قال أحدهما: إن أران أعصر خمراً، وقال الآخر: إن أران أحمل فوق رأسى خبزاً ﴾ وذلك الخبز ﴿تأكل الطير منه

الجزء الثاني عشركم

نبئنا بتأويله ﴾ أي: بتفسيره، وما يؤول إليه أمرهما، وقولهما: ﴿إِنَّا نُرَاكُ مِنْ المحسنين﴾ أي: من أهل الإحسان إلى الخلق، فأحسن إلينا في تعبيرك لرؤيانا، كما أحسنت إلى غيرنا، فتوسلا ليوسف بإحسانه.

ف ﴿قال ﴾ لهما محيباً لطلبتهما: ﴿ لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ﴾ أي: فلتطمئن قلوبكما، فإن سأبادر إلى تعبير رؤياكما، فلايأتيكما غداؤكما أو عشاؤكما، أول ما يجيء إليكما، إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما .

ولعل يوسف عليه الصلاة والسلام قصد أن يدعوهما إلى الإيمان في هذه الحال التي بدت حاجتهما إليه، لَيكون أنجع لدعوته، وأقبل لهما.

ثم قال: ﴿ ذلكما ﴾ التعبير الذي سأعبره لكما ﴿ مما علمني ربي ﴾ أي: هذا من علم الله علمنيه وأحسن إلى به، وذلك ﴿إني تسركت مله قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون، والترك كما يكون للداخل في شيء ثم ينتقل عنه، يكون لمن لم يدخل فيه أصلاً.

فلا يقال: إن يوسف كان من قبل، على غير ملة إبراهيم ﴿واتبعت ملَّة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ثم فسر تلك اللَّه بقوله: ﴿مَا كَانَ لَنَّا﴾ أَي: مَا ينبغى ولا يليقُ بنا ﴿أَن نَشْرِكُ بِاللهِ مِنْ شي الله بالتوحيد، ونخلص له الدين والعبادة.

﴿ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس﴾ أي: هذا من أفضل مِنَنِهِ وإحسانه وفضله علينا، وعلى من هداه الله كما هدانا، فإنه لا أفضل من مِنَّة الله على العباد بالإسلام والدين القويم، فمن قبله وانقاد له فهو حظه، وقد حصل له أكبر النعم وأجل الفضائل.

﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون فلذلك تأتيهم المنة والإحسان، فلا يقبلونها ولا يقومون لله بحقه، وفي هذا من الترغيب للطريق التي هو عليها ما لا يخفى، فإن الفتيين لما تقرر عنده

أنهما رأياه بعين التعظيم والإجلال،. وأنه محسن معلم \_ذكر لهما أن هذه الحالة التي أنا عليها، كلها من فضل الله وإحسانه، حيث مَنَّ عَلَّى بترك الشرك وباتباع ملة آبائه، فبهذا وصلت إلى ما رأيتماً، فينبغى لكما أن تسلكا ما سلكت.

ثم صرح لهما بالدعوة، فقال: ﴿يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار، أي: أربابً عاجزة ضعيفة لا تنفع ولا تضر، ولا تعطى ولا تمنع، وهي متفرقة ما بين أشجار وأحجار وملائكة وأموات، وغير ذلك من أنواع المعبودات التي يتخذها المشركون، أتلك ﴿خيرٌ أم الله الذي له صفات الكمال، ﴿الواحد﴾ في ذاته وصفاته وأفعاله فلا شريك له في شيء من ذلك.

﴿القهار﴾ الذي انقادت الأشياء لقهره وسلطانه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ﴿ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، ومن المعلوم أن من هذا شأنه ووصفه خير من الآلهة المتفرقة التي هي بجرد أسماء، لا كمال لها ولا أفعالُ لديها، ولهذا قال: ﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ .

أي: كسوتموها أسماء، وسميتموها آلمهة، وهي لا شيء، ولا فيها من صفات الألوهية شيء، ﴿ما أنزل الله بها من سلطان ﴾ بل أنزل الله السلطان بالنهى عن عبادتها وبيان بطلانها، وإذا لم ينزل الله بها سلطاناً، لم يكن طريق ولا وسيلة ولا دليل لها.

لأن الحكم لله وحده، فهو الذي يأمر وينهى، ويشرع الشرائع ويسن الأحكام، وهو اللّذي أمركم ﴿أَنْ لا تعبدوا إلا إياه، ذلك الدين القيم، أي: المستقيم الموصل إلى كل خير، وما سواه من الأديان، فإنها غير مستقيمة، بل معوجة توصل إلى كل شر.

﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ حقائق الأشياء، وإلا فإن الفرق بين عبادة الله وحده لا شريك له، وبين الشرك به، أظهر الأشياء وأبينها.

TO CHARLE TO SERVE ا لَمْ لَا سَيِعَتْ بَكُرُونَ أَرْسَكَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَتَّكً رُّ وَءَاتَتَ كُلُّ وَيَعِدَةٍ مِنْهُنَّ مِيكُنَّا وَقَالَتِ ٱخْرُجُ عَلَيْهِ فَأَعْلَا لَأَيْثُرُ أَحْيَرُيْهُ وَقِطَعَنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَشْرِيلُو مَاهَلَا ابْشَرَّ إِنْ هَلْأَ الاَّمَلَكُ كَيْمٌ ۞ قَالَتْ مَنَالِكُنَّ ٱلَّذِي لُتَتُنَفِي يِّهِ وَلَقَدْ زَوَدَتُهُمُ عَن نَفْسِهِ عِنَّاسْ تَصْبَرُ وَلَيْن لَرْ يَفْعِلْ مَا ءَامُورُ لِيُسْجَنَك وَلَيْكُونَا مِنَ الصَّلِعَ بِنَّ فَ قَالَ رَبِّ النِّيجُنُّ أَحَبُّ إِلَّ مِمَّا يَدْعُونَيْ إِلَيْهُ وَالَّانَصْرِفْ عَنِي كَيْدُمُنَّأَصْبُ إِلَيْهِنَ وَأَكُن مِّنَ أَنْجَلِهِ لِينَ ۞ فَأَسْتَجَابَ أَفُرَيُّهُ فَسَرَفَ عَنْهُ كَيْمَافُنَّ إِنَّهُ هُوَالسَّيهِ عُالْعَلِيمُ ۞ ثُرَّبَنَا لَحَمْرِينَ بَعْدِمَا رَأُوَا ٱلْآيَتِ اليَسْجُنُنَهُ بِحَقَّىٰ عِينِ ۞ وَيَعَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَيَالِّي قَالَ أَعَمُعُمَّا إِنِّ أَرَنِنِيٓ أَعْصِرُ حَرِّ أَوَقَالَ ٱلْآخَدُ إِنِّ أَرَنِنِيٓ أَعِمُ فَوْقَ رَأْسِي الْخُبْرُا تَأْكُلُ الطَّلِيرُمِنْةُ يَشْنَا بِتَأْوِيلِيِّتِ إِنَّا نَرَيْكُ مِنَ المُخسِينَ ۞ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامُ ثُرُزَةَ الِهِ ۗ إِلَّا نِبَأَتُكُمَا إِ بِتَأْوِيلِهِ قَبَلَ أَن يَأْمَيُّكُمَّا ذَلِكُمَا عَلَا عَلَيْنِ رَبُّ إِنْ حَرَكْتُ إِلَّهُمْ مِنَّةَ فَوْمِرُ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم إِلْآخِرَةِهُمْ كَفِرُونَ ۞ 

ولكن لعدم العلم من أكثر الناس بذلك، حصل منهم ما حصل من الشرك، فيوسف عليه السلام دعا صاحبي السجن لعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، فيحتمل أنهما استجابا وانقادا، فتمت عليهما النعمة، ويحتمل أنهما لم يزالا على شركهما، فقامت عليهما \_بذلك \_الحجة، ثم إنه عليه السلام شرع يعبر رؤياهما، بعد ما وعدهما ذلك، فقال:

﴿٤١﴾ ﴿يا صاحبي السجن أما أحدكما) وهو الذي رأى أنه يعصر خراً، فإنه يخرج من السجن ﴿فيسقى ربه خراً ﴾ أي: يسقى سيده الذي كان يخدمه خمراً، وذلك مستلزم لخروجه من السجن، ﴿وأما الآخر﴾ وهو: الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه .

﴿ فيصلب فتأكل الطير من رأسه ﴾ فإنه عبر [عن] الخبز الذي تأكله الطير، بلحم رأسه وشحمه، وما فيه من المخ، وأنه لا يقبر ويسترعن الطيور، بل يصلب ويجعل في محل، تتمكن الطيور من أكله، ثم أخبرهما بأن هذا التأويل الذي تأوله لهما، أنه لا بد من وقوعه فقال: ﴿قبضى الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ أي: تسألان عن تعبيره و تفسيره .

﴿٤٢﴾ ﴿وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان

وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ وَالِكَاءِيَ إِبْرُهِي مِرَوَاسْخَقَ وَيَعْقُوبُ مَاكَانَ لَنَا أَن نُشٰرِكَ بِاللَّهِ مِن شَحْتُ ذَلِكَ مِن فَسْبِلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَكِئَ أَحَى ثَرَّالْنَاسِ لَا يَشْحَدُونَ ﴿ يُصَبِعِي ٱليتنجن وَأَرْبَابُ مُتَغَرِّقُونَ خَيْرُ أَمِاللّهُ ٱلْوَحِدُ ٱلْقَبَّ كُرُ ۞ مَاتَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ وَإِلَّا أَسْمَا مُسَتَيْسَتُوهَا أَمَّةُ وَمَاكِ أَوْكُ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ يُهَامِن سُلْطَانُ إِن ٱلْحُكُمُ إِلَّا مِّوَّأَمَّنَ أَلَّاتُمُّ بُدُوَّا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّيثُ الْفَيْسَدُ وَلَكِئَ أُ أَحْثَرَ النَّاسِ لَايِمْ لَمُونَ ۞ يَصَوْجِي البِّيجِ الْمَالْحَدُمُ ا فَيَسْقِى زَيْهُ خَمْرًا وَأَمَّا ٱلْآخَرُ فِيصَلَبُ فَتَأْحُ لُٱلطَّيْرُ مِن زَلْمِيهُ فَيْنَى ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ مَّسْتَفْتِيَانِ ۞ وَفَالَ لِلَّذِي ظُنَّ أَنَّهُ ثَلَجٍ مِنْهُمَا أَذْكُرُ فِي عِندَرَيْكَ فَأَنسَكُ ٱلشَّيْطَانُ فِحُرَرَتِهِ عَلَيْثَ فِ الْمِيْجِنِ بِضَعَ مِدِينَ ا وَقَالَ الْلَاكُ إِنَّ أَرْكَ سَبْعَ بَقَرَكَةٍ سِمَانٍ يَأَكُمُهُنَّ سنعجعاف وسنع سننكت خضروأ فزكاب يتايكا ٱلْمَلَا أَفْتُونِ فِي زُمِّيكَ إِن كُمُ مَن اللَّهُ وَالمَّعَارُونَ ۞ ACCEPTANT MEDICED TO THE PROPERTY OF THE PROPE

ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين أي: ﴿وقال ﴾ يوسف عليه السلام: ﴿للذي رأى أنه يعصر خمراً: ﴿اذكرنِ عند ربك ﴾ أي: اذكر له شأني وقصتي، لعله يَرقَ لي، فيخرجني عما أنا فيه، ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه ﴾ أي: فأنسى الشيطان ذكر ربه ذكر الله تعالى، وذكر ما يقرب إليه، ومن جملة ذلك نسيانه ذكر يوسف الذي يستحق أن يجازى بأتم الإحسان، وذلك ليتم الله أمره وقضاءه.

﴿ فَلَبِثُ فِي السَّجِن بِضِع سَنِين ﴾ والبضع من الثلاث إلى التسع، ولهذا قيل: إنه لبث سبع سنين، ولما أراد الله أن يتم أمره، ويأذن بإخراج يوسف من السجن، قدر لذلك سبباً، كان سبباً لإخراج يوسف وارتفاع شأنه وإعلاء قدره، وهو رؤيا الملك.

روي ـ 89 ﴿ وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان بأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون \* قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين \* وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبتكم بتأويله فأرسلون \* يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان

يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون \* قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون \* ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن مأ قدمتم لهن إلاَّ قليلاً ثما تحصنون \* ثم يأتي منَّ بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ﴾ لما أراد الله تعالى أن يخرج يوسف من السجن، أرى الله الملك هذه الرؤيا العجيبة، الذي تأويلها يتناول جميع الأمة، ليكون تأويلها على يديوسف، فيظهر من فضله، ويبين من علمه ما يكون له رفعة في الدارين، ومن التقادير المناسبة أن اللك الذي ترجع إليه أمور الرعية هو الذي رآها، لارتباط مصالحها به.

وذلك أنه رأى رؤيا هالته، فجمع لها علماء قومه وذوي الرأي: منهم وقال: ﴿إِنّ أَرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع ﴾ آي: سبع من البقرات ﴿عجاف ﴾ وهذا من العجب، أن السبع العجاف الهزيلات اللاتي سقطت قوتهن، يأكلن السبع السمان التي كُنّ ناهية في القوة.

﴿وَ﴾ رأيت ﴿سبع سنبلات خضر﴾ يأكبلن سبع سنبلات خضر﴾ يأكبلن سبع سنبلات ﴿يا أيها اللهُ أفتوني في رؤياي﴾ لأن تعبير الجميع واحد، وتأويله شيء واحد، ﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ فتحيروا، ولم يعرفوا لها وجهاً. و ﴿قالوا: أضغاث أحلام﴾ أي: أحلام لا حاصل لها، ولا لها تأويل.

وهذا جزم منهم بما لا يعلمون، وتعذر منهم، [بما ليس بعذر](1) ثم قالوا: ﴿وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾ أي: لا نعبر إلا الرويا، وأما الأحلام التي هي من الشيطان، أو من حديث النفس، فإنا لا نعبرها.

فجمعوا بين الجهل والجزم، بأنها أضغاث أحلام، والإعجاب بالنفس، بحيث إنهم لم يقولوا: لا نعلم

تأويلها، وهذا من الأمور التي لا تنبغي لأهل الدين والحجا، وهذا أيضاً من لطف الله بيوسف عليه السلام. فإنه لو عبرها ابتداء \_ قبل أن يعرضها على الملأ من قومه وعلمائهم، فيعجزوا عنها الميكن لها ذلك الموقع، ولكن لما عرضها عليهم فعجزوا عن الجواب، وكان الملك مهتماً لها غاية، فعبرها يوسف -وقعت عندهم موقعاً عظيماً، وهذا نظير إظهار الله فضل آدم على الملائكة بالعلم، بعد أن سألهم فلم يعلموا. ثم سأل أدم، فعلمهم أسماء كل شيء، فحصل بذلك زيادة فضله، وكما يظهر فضل أفضل خلقه محمد ﷺ في القيامة، أن يلهم الله الخلق أن يتشفعوا بآدم، ثم بنوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عليهم السلام، فيعتذرون عنها، ثم يأتون محمداً ﷺ فيقول: «أنا لها أنا لها»، فيشفع في جميع الخلق، وينال ذلك المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون.

فسبحان من خفيت ألطافه، ودقت في إيصاله البر والإحسان، إلى خواص أصفيائه وأوليائه، ﴿وقال الذي نجا منهما﴾ أي: من الفتين، وهو: الذي أوصاه رأى أنه يعصر خراً، وهو الذي أوصاه يوسف أن يذكره عند ربه ﴿وادّ كر بعد له في تعبيره لرؤياهما، وما وصاه به، وعلم أنه كفيل بتعبير هذه الرؤيا بعد من السنين، فقال: ﴿أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون﴾ إلى يوسف لأسأله

فأرسلوه، فجاء إليه، ولم يعنفه يوسف على نسيانه، بل استمع ما يسأله عنه، وأجابه عن ذلك، فقال: ﴿يوسف أيها الصديق﴾ أي: كثير سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون﴾ فإنهم متشوقون لتمبيرها، وقد أهمتهم.

فعبر يوسف، السبع البقرات السمان والسبع السنبلات الخضر، بأنهن سبع سنين مخصبات، والسبع البقرات العجاف والسبع السنبلات اليابسات، بأنهن سنين مجدّبات، ولعل وجه ذلك \_والله أعلم \_أن الخصب والجدب لما كان الحرث مينياً عليه، وأنه إذا حصل الخصب قويت الزروع والحروث، وحسن منظرها، وكثرت غلالها، والجدب بالعكس من ذلك. وكانت البقر هي التي تحرث عليها الأرض، وتسقى عليها الحروث في الغالب، والسنبلات هي أعظم الأقوات وأفضلها، عبرها بذلك لوجود المناسبة، فجمع لهم في تأويلها بين التعبير والإشارة لما يفعلونه، ويستعدون به من التدبير في سني الخبصب، إلى سنى الجدب فقال: ﴿تررعون سبع سنين دأباً ﴾ أي:

﴿فما حصدتم ﴾ من تلك الزروع ﴿فني سنبله ﴾ وفدروه ﴾ أي: اتركوه ﴿فني سنبله ﴾ لأنه أبقى له وأبعد عن الالتفات إليه ﴿إلا قليلاً عما تأكلون ﴾ أي: دبروا أيضاً أكلكم في هذه السنين الخصبة ، وليكن قليلاً ، ليكثر ما تدخرون ويعظم نفعه ووقعه .

وشم يأتي من بعد ذلك أي: بعد تلك السنين السبع المخصبات، وسبع شداد أي: بجدبات جداً ويأكلن ما قدمتم لهن أي: يأكلن جميع ما ادخر تموه ولو كان كثيراً، وإلا قليلاً مما تحصنون أي: تمنعونه من التقديم لهن.

وثم يأتي من بعد ذلك أي: بعد السبع الشداد وعام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون أي: فيه تكثر الأمطار والسيول، وتكثر الغلات، وتزيد على أقواتهم، حتى إنهم يعصرون العنب ونحوه زيادة على أكلهم، ولعل استدلاله على وجود هذا العام الخصب، مع أنه غير مصرح به في رؤيا الملك، لأنه فهم من التقدير (١) بالسبع المسبع المناس الملك، لأنه فهم من التقدير (١) بالسبع

الشداد، أن العام الذي يليها يزول به شدتها، ومن المعلوم أنه لا يزول الجدب المستمر سبع سنين متواليات، إلا بعام مخصب جداً، وإلا لما كان للتقدير فائدة، فلما رجع الرسول إلى الملك والناس، وأخبرهم بتأويل يوسف للرؤيا، عجبوا من ذلك، وفرحوا بها أشد الفرح.

﴿ ٥٠ \_ ٧٥﴾ ﴿ وقال الملك ائتوني

به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاي قطعن أيديهن إنّ ربي بكيدهن عليم \* قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عسن ننفسسه وإنه لمن الصادقين \* ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأنّ الله لا يهدى كيد الخائنين ﴿ وما أبرى عنفسي إنَّ النفس لأمارة بالسوء إلاّ ما رحمّ ربي إنّ ربي غفور رحيم \* وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسى فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين \* قال اجعلني على خزائن الأرض إن حفيظ عليم \* وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين \* ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون، يقول تعالى: ﴿وقال الملك﴾ لمن عنده ﴿ائتون به ﴾ أي: بيوسف عليه السلام، بأن يخرجوه من السجن ويحضروه إليه، فبلما جاء يبوسف الرسول وأمره بالحضور عند الملك، امتنع عن المبادرة إلى الخروج، حتى تتبين براءته التامة، وهذا من صبره وعقله ورأيه التام.

ف ﴿قال﴾ للرسول: ﴿ارجع إلى ربك ﴾ يعني به الملك، ﴿فاسأله ما بال النسوة اللآي قطعن أيديهن ﴾ أي: اسأله ما شأنهن وقصتهن، فإن أمرهن ظاهر متضح ﴿إن ربي بكيدهن عليم ﴾ فأحضرهن الملك، وقال: ﴿ما خطبكن ﴾ أي: شأنكن ﴿إذ راودتن

يوسف عن نفسه الله فهل رأيتن منه ما يريب؟.

فَبَرَّانَهُ و ﴿قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوه﴾ أي: لا قليل ولا كثير، فحيننذ زال السبب الذي تنبني عليه التهمة، ولم يبق إلا ما عند امرأة العزيز، فد ﴿قالت امرأة العزيز الآن حصحص العزيّ أي: تمحض وتبين، بعد ما كنا ندخل معه من السوه والتهمة، ما أوجب له السجر "؟. ﴿إنّ راوته عن نفسه، وإنه لمن الصادقين﴾ في أقواله ويراءته، ﴿ذلك﴾ الإقرار الذي أقررت [أي راودت يوسف]، ﴿لعلم أني لم أخنه بالغيب﴾.

يحتمل أن مرادها بذلك زوجها أي: ليعلم أني حين أقررت أني راودت يوسف، أني لم أخنه بالغيب، أي: لم يحر مني إلا مجرد المراودة، ولم أفسد عليه فراشه، ويحتمل أن المراد بذلك ذلك ليعلم يوسف حين أقررت أني أنا الذي راودته، وأنه صادق أني لم أخنه في حال غيبته عني، ﴿وأن الله لا يمدي كيد الخائنين﴾ فإن كل خائن، لا بد أن تعود خيانته ومكره على نفسه، ولا بد أن يتين أمره.

ثم لما كان في هذا الكلام نوع تزكية لنفسها، وأنه لم يجر منها ذنب في شأن يوسف، استدركت فقالت. ﴿وما أبرىء نفسسي﴾ أي: من المراودة والهمّ، والحرص الشديد، والكيد في ذلك، ﴿إن النفس الأمارة بالسوء الي: الفاحشة، وسائر الذنوب، فإنها أي: الكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء، مركب الشيطان، ومنها يدخل على مركب الشيطان، ومنها يدخل على الإنسان ﴿إلا ما رحم ربي﴾ فنجاه من نفسه الأمارة، حتى صارت نفسه نفسه الأمارة، حتى صارت نفسه معاصية عن داعي الردى، فذلك ليس من النفس، بل من فضل الله ورحمته بعبده.

﴿إن ربي غفور رحيم ﴾ أي: هو غفور لمن تجرأ على الذنوب والمعاصي ، إذا تباب وأنباب ، ﴿رحيم ﴾ بقبول توبته ، وتوفيقه للأعمال الصالحة ، وهذا هذا من قول امرأة العزيز ، لا من قول يوسف ، فإن السياق في كلامها ، ويوسف إذ ذاك في

السجن لم يحضر .

فلما تحقق الملك والناس براءة يوسف التامة، أرسل إليه الملك وقال: وانتوني به أستخلصه لنفسي أي: أجعله خصيصة في ومقرباً لدي فأتوه به كلامه، وزاد موقعه عنده فقال له: وإنك اليوم لدينا أي: عندنا ومكين أمين على الأسرار، فوقال في يوسف طلباً المصلحة العامة: واجعلني على خزائن الأرض أي: على خزائن جبايات الأرض وغلالها، وكيلاً حياناً مدراً.

﴿إِنِ حَفَيظُ عَلَيمٍ ﴾ أي: حَفَيظُ لَلذي أتولاه، فلا يضيع منه شيء في غير محله، وضابط للداخل والخارج، عليم بكيفية التدبير والإعطاء والمنع، والتصرفات، وليس ذلك حرصاً من يوسف على الولاية، وإنما هو رغبة منه في النفع العام، وقد عرف من نفسه من الكفاءة والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه.

فلذلك طلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض، فجعله الملك على خزائن الأرض وولاه إساها، قال تعالى: ﴿وكذلك﴾ أي: بهذه الأسباب في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء في عيش رغد، ونعمة واسعة، وجاه عريض، ﴿نصيب برحمتنا من نشاء في أي: هذا من رحمة الله بيوسف التي أصابه بها وقدرها له، وليست مقصورة على نعمة الدنيا.

﴿ولا نضيع أجر المحسنين﴾ ويوسف عليه السلام من سادات المحسنين، فله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، ولهذا قال: ﴿ولاَجر آمنوا وكانوا يتقون﴾ أي: لمن جع بين التقوى والإيمان، فبالتقوى تترك الأمور المحرمة من كبائر الذنوب وصغائرها، وبالإيمان التام يحصل تصديق القلب، بما أمر الله بالتصديق به، وتتبعه أعمال القلوب وأعمال

الجوارح، من الواجبات والمستحبات.

﴿٨٥ ـ ٦٨ ﴾ ﴿وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهمله منكرون ﴿ وَلَمَّا جَهِّرُهُم بِجِهَارُهُم قَالَ اثتون بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أونى الكيل وأنَّا خير المنزُّلين \* فإن لم تأتون به فلا كيل لكم عندي ولأ تقربون \* قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون \* وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون \* فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون \* قال هل آمَنكم عليه إلاّ كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحين \* ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير \* قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل \* وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون \* ولَّا دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون ﴾ أي: لما تىولى يىوسىف عىليە الىسىلام خىزائىن الأرض، دبرها أحسن تدبير، فزرع في أرض مصر جميعها في السنين المخصبة زروعاً هائلة، واتخذلها المحلات الكبار، وجبا من الأطعمة شيئاً كثيراً وحفظه، وضبطه ضبطاً تاماً، فلما

منكرون﴾ أي: لم يعرفوه. ﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾ أي: كال

دخلت السنون المجدبة، وسرى الجدب

حتى وصل إلى فلسطين، التي يقيم فيها

يعقوب وبنوه، فأرسل يعقوب بنيه

لأجل الميرة إلى مصر، ﴿وجاء إخوة

يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له

لهم كما كان يكيل لغيرهم، وكان من تدبيره الحسن أنه لا يكيل لكل واحد أكثر من حمل بعير، وكان قد سألهم عن حالهم، فأخبروه أن لهم أخاً عند أبيه، وهو بنيامين.

ف ﴿قال﴾ لهم: ﴿انتونِ بأخ لكم من أبيكم﴾ ثم رغبهم في الإتيان به فقال: ﴿ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين﴾ في الضيافة والإكرام. ثم رهبهم بعدم الإتيان به، فقال: ﴿فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون﴾ وذلك لعلمه باضطرارهم إلى الإتيان إليه، وأن ذلك يحملهم على الإتيان به.

ف ﴿قالوا سنراود عنه أباه ﴾ دل هذا على أن يعقوب عليه السلام كان مولعاً به لا يصبر عنه، وكان يتسلى به بعد يوسف، فلذلك احتاج إلى مراودة في بعثه معهم ﴿وإنا لفاعلون ﴾ لما أمرتنا

﴿ وقال ﴾ يوسف ﴿ لفتيانه ﴾ الذين في خدمته: ﴿ اجعلوا بضاعتهم ﴾ أي: الثمن الذي اشتروا به من الميرة.

﴿ في رحالهم لعلهم يعرفونها ﴾ أي: بضاعتهم إذا رأوها بعد ذلك في رحالهم، ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ لأجل التحرج من أخذها على ما قيل، والظاهر أنه أراد أن يرغبهم في إحسانه إليهم بالكيل لهم كيلاً وافياً، ثم إعادة بضاعتهم إليهم على وجه لا يحسون بضاء ولا يشعرون لما يأتي، فإن الإحسان يوجب للإنسان تمام الوفاء للمحسن.

﴿فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا: يا أبنا منع منا الكيل أي: إن لم ترسل معنا أخانا، ﴿فأرسل معنا أخانا نكتل ﴾ أي: ليكون ذلك سبباً لكيلنا، ثم التزموا له بحفظه، فقالوا: ﴿وإنا له ﴿قال ﴾ لهم يعقوب عليه السلام: ﴿هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل ﴾ أي: تقدم منكم التزام أكثر من هذا في حفظ يوسف، ومع هذا لم تفوا بما عقدتم من التأكيد، فلا أثق بالتزامكم وحفظكم، وإنما أثق

بالله تعالى.

﴿فَالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين﴾ أي: يعلم حالي، وأرجو أنَّ يرحمني، فيحفظه ويرده عَلَى، وكأنه في هذا الكلام قد لان لإرساله معهم، ثم إنهم ﴿ لما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم ﴾ هذا دليل على أنه قد كان معلوماً عندهم أن يوسف قد ردها عليهم بالقصد، وأنه أراد أن يملكهم إياها، ف ﴿قالوا﴾ لأبيهم \_ ترغيباً في إرسال أخيهم معهم -: ﴿يا أبانا ما نبغي الله أي: أي: شيء نطلب بعد هذا الإكرام الجميل، حيث وفي لنا الكيل، ورد علينا بضاعتنا على الوجه الحسن، المتضمن للإخلاص ومكارم الأخلاق؟.

﴿هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ﴾ أي: إذا ذهبنا بأخينا صار سبباً لكيله لناً، فمرنا(١) أهلنا، وأتينا(٢) لهم، بما هم مضطرون إليه من القوت، ﴿ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ﴾ بإرساله معنا، فإنه يكيل لكل واحد حمل بعير، ﴿ذلك كيل يسير﴾ أي: سهل لا ينالك ضرر، لأن المدة الا تطول، والمصلحة قد تبينت.

ف ﴿قال﴾ لهم يعقوب: ﴿لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا بالله ﴿لتأتنني به إلا أن يحاط بكم ﴾ أي : إلا أن يأتيكم أمر لا قِبَل لكم به، ولا تقدرون دفعه، ﴿فلما آتوه موثقهم﴾ على ما قال وأراد ﴿قال: الله على ما نقول وكيل اأي: تكفينا شهادته علينا وحفظه وكفاءته، ثم لما أرسله معهم وصاهم إذا هم قدموا مصر، أن ﴿لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ﴾ وذلك أنه خاف عليهم العين، لكثرتهم وبهاء منظرهم، لكونهم أبناء (٢) رجل واحد، وهذا

﴿و﴾ إلا فـ ﴿ما أغنى عنكم من الله من شيء ﴾ فالمقدر لا بدأن يكون، ﴿إِن الحَكم إِلَّا للهُ ﴾أي: القضاء

قضاؤه، والأمر أمره، فما قضاه وحكم به لا بدأن يقع، ﴿عليه توكلت﴾ أي: اعتمدت على الله، لا على ما وصيتكم به من السبب، ﴿وعليه فليتوكل المتوكلون﴾ فإن بالتوكل يحصل كل مطلوب، ويندفع کل مرهوب.

﴿ولما﴾ ذهبوا و ﴿دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان الفعل ﴿يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها ﴾ وهو موجب الشفقة والمحبة للأولاد، فحصل له في ذلك نوع طمأنينة، وقضاء لما في خاطره.

وليس هذا قصوراً في علمه، فإنه من الرسل الكرام والعلماء الربانيين، ولهذا قال عنه: ﴿ وإنه لذو علم ﴾ أي: لصاحب علم عظيم ﴿لما علمناه ﴾ أي: لتعليمنا إياه، لا بحوله وقوته أدركه، بل بفضل الله وتعليمه، ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون المواقب الأمور ودقائق الأشياء وكذلك أهل العلم منهم، يخفى عليهم من العلم وأحكامه ولوازمه شيء كثير .

﴿٦٩ \_ ٧٩) ﴿ولَّا دَحُـلُوا عَـلَى يوسف آوي إليه أخاه قال إن أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون \* فلمَّا جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنَّكم لسارقون \* قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون \* قالوا نفقد صواع الملك قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارتين \* قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين \* قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالين \* فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع

وَالْهَا أَضْعَكُ أَخَلَارُ وَمَا غَنُ بَنَا وِيلِ ٱلْأَخْلَيرِ بِعَلِيدِينَ ۞ وَقَالَ الَّذِي غَامِنْهُمَا وَادَّكَ رَبِّعْدَ أُمَّةِ أَنَا أُنِيَتُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأْرْسِلُونِ ۞ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّيقِينُ أَفْنَافِ سَنْعِ بَقَرَتِ سِمَان يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِنَافٌ وَسَبْعِ سُنُلُلَتٍ خُضْرِ وَأُخْرَ يَابِسُتِ لَعَلَىٰ أَرْجِهُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ قَالَ تَرْدَعُونَ سَبْعَ سِينِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدَتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْكِلِمِ ٓ إِلَّا قَلِيلَا مِّنَاتَأْكُلُونَ ۞ ثُرِّيَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَنَعٌ مِيْدَادُيَا كُلُنَ مَا قَذَ مُنْ مُ لَمُنَ إِلَّا قَلِيلًا مَمَّا تُحْصِبُونَ ۞ ثُمَّ يَأْفِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامِّهُ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ۞ وَقَالَ ٱلْلَكِ ٱلنَّوْفِ بِيِّرُ فَلَمَّا جَآءُهُ ٱلرَّسُولُ فَالَ ٱرْجِعَ إِلَى رَبِّكَ فَسَنَلُهُ مَا بَالُ ٱلْيَسْوَةِ ٱلَّتِي قَطَّعُنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَقِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيدٌ۞ قَالَ مَاحَطْبُكُنَّ إِذْ زُودَ ثُنَّ يُوسُفَعَن نَفْسِ وَمُثَلِّكُنَّ إِذْ زُودَ ثُنَّ يُوسُفَعَن نَفْسِ وَمُثَلِّ مَاعَلِمْنَاعَلِيْهِ مِن سُوَّةً قَالَتِ آمْرَأَتُ ٱلْمَرِيزِ ٱلْنَ صَمْحَسَ ٱلْمَتَّةُ أَنَازُودَ تُمُمَّنَ نَفْسِيدٌ وَإِنَّمُ لِكَنَّ ٱلصَّلِيقِينَ ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَرَأَ إِنَّ لَوْ أَخُنَّهُ وَالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى كُفِدَ أَغَلَّمِنِينَ ۞ OLEGO WESTER

B. See Constitution I

يبدها لهم قال أنتم شرٌّ مكاناً والله أعلم بما تصفون \* قالوا يا أيها العزيز إنّ له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين \* قال معاذ الله أن نأخذ إلاّ من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون الى: لما دخل إخوة يوسف على يوسف ﴿آوى إليه أخاه ﴾أى: شقيقه وهو «بنيامين» الذي أمرهم بالإتيان به [و] ضمه إليه، واختصه من بين إخوته، وأخبره بحقيقة الحال، و ﴿قال: إن أنا أخوك فلا تبتئس﴾ أي: لا تحزن ﴿بما كانوا يعملون﴾ فإن العاقبة خير لنا، ثم خبره بما يريد أن يصنع ويتحيل لبقائه عنده إلى أن ينتهي الأمر.

﴿ فلما جهزهم بجهازهم ﴿ أي: ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم \* كان لكل واحد من إخوته، ومن جملتهم أخوه هذا، ﴿جعل السقاية﴾ وهو: الإناء الذي يشرب به، ويكال فيه ﴿في رحل أخيه ثم) أوعوا متاعهم، فلما انطلقوا ذاهبين، ﴿أَذَنَ مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون اولعل هذا المؤذن لم يعلم بحقيقة الحال، ﴿قَالُوا ﴾ أي: إخوة يوسف ﴿وأقبلوا عليهم الإبعاد التهمة، فإن السارق درجات من نشاء وفوق كل ذي علم ليس له هَمُّ إلا البعد والانطلاق عمن عليم \* قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له سرق منه، لتسلم لهم سرقته، وهؤلاء من تُبل فأسرها يوسف في نفسه ولم جاءوا مقبلين إليهم، ليس لهم همُّ إلا

يظن أنها فعلت بالقصد، فلما لم يجد في أوعيتهم شيئاً ﴿استخرجها من وعاء أخيه، ولم يقل «وجدها، أو سرقها أخوه» مراعاة للحقيقة الواقعة.

فحينئذ تم ليوسف ما أراد من بقاء أخيه عنده، على وجه لا يشعربه إخوته، قال تعالى: ﴿كذلك كدنا ليوسف اى: يسرناله هذا الكيد، الذي توصل به إلى أمر غير مذموم ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك لأنه ليس من دينه أن يتملُّك السارق، وإنما له عندهم جزاء آخر، فلوردت الحكومة إلى دين اللك، لم يتمكن يوسف من إبقاء أخيه عنده، ولكنه جعل الحكم منهم، ليتم له ما أراد.

قال تعالى: ﴿نرفع درجات من نشاء العلم النافع، ومعرفة الطرق الموصلة إلى مقصدها، كما رفعنا درجات یوسف، ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ فكل عالم، فوقه من هو أعلم منه حتى ينتهى العلم إلى عالم الغيب والشهادة، فلما رأى إخوة يوسف ما رأوا ﴿قالوا إن يسرق﴾ هذا الأخ، فليس هذا غريباً منه، ﴿ فقد سرق أخَّ له من قبل العنون: يوسف عليه السلام، ومقصودهم تبرئة أنفسهم وأن هذا وأخاه قد يصدر منهما ما يصدر من السرقة، وهما ليسا شقيقين لنا.

وفي هذا من الغض عليهما ما فيه، ولهذا: أسرها يوسف في نفسه ﴿ولم يبدها لهم الى: لم يقابلهم على ما قالوه بما يكرهون، بل كظم الغيظ، وأسرً الأمر في نفسه، و ﴿قَالَ﴾ في نفسه ﴿أنتم شر مكاناً ﴾ حيث ذمتمونا بما أنتم على أشر منه، ﴿والله أعلم بما تصفون منا، من وصفنا بالسرقة، يعلم الله أنا براء منها، ثم سلكوا معه مسلك التملق، لعله يسمح لهم بأخيهم.

شيخاً كبيراً أي الله وإنه لا يصبر عنه، وسيشق عليه فراقه، ﴿فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين افأحسن إلىنا وإلى أبينا بذلك، ف ﴿قال﴾ يوسف ﴿معاذ الله أن نأخذ إلا من

وجدنا متاعنا عنده الله أي: هذا ظلم منا، لو أخذنا البريء بذنب من وجدناً متاعنا عنده، ولم يقل «من سرق» كل هذا تحرز من الكذب، ﴿إِنَا إِذَا ﴾ أي: إن أخذنا غير من وجد في رحله ﴿لظالمون﴾ حيث وضعنا العقوبة في غب مو ضعها .

﴿٨٠ \_ ٨٠﴾ ﴿فلما استيأسوا منه خلصوا نحياً قال كبيرهم ألم تعلموا أنّ أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ومن قبل ما فرّطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أن أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين \* ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إنّ ابنك سرق وما شهدنًا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين \* واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنّا لصّادقون \* قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جيل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم الله أي: فلما استياس إخوة يوسف من يوسف أن يسمح لهم بأخيهم ﴿خلصوا نجياً﴾أي: اجتمعوا وحدهم، ليس معهم غيرهم، وجعلوا يتناجون فيما بينهم، ف ﴿قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم مُوثقاً من الله الله الله الله وأنكم تأتون به إلا أن يحاط بكم ﴿ومن قبل مَا فرطتم في يوسف العنمع عليكم الأمران، تفريطكم في يوسف السابق، وعدم إتيانكم بأخيه باللاحق، فليس لي وجه أواجه به أبي .

﴿ فلن أبوح الأرض ﴾ أي: سأقيم في هنذه الأرض ولا أزال بها ﴿حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي الله أي: يقدر لي المجيء وحدي، أو مع أخي ﴿وهو خير الحاكمين؛ ثم وصاهم بما يقولون لأبيهم، فقال: ﴿ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق♦أى: وأخِذَ بسرقته، ولم يحصل لنا أن نأتيك ف ﴿قالوا يا أيها العزيز إن له أبا به، مع ما بذلنا من الجهد في ذلك. والحال أنا ما شهدنا بشيء لم نعلمه، وإنما شهدنا بما علمناً، لأننا رأينا الصواع استخرج من رحله، ﴿وما كنا للغيب حافظين الى : لو كنا نعلم الغيب لما حرصنا وبذلنا المجهود في

CO CENTER CONTRACTOR \* وَمَا أَيْرَىٰ فَفِينَ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمْنَارَةُ بَالسُّورَ وِ الْامَارِحَمَدَيَّ إِنَّ رَبِّي عَنُورٌ رَبِّيعً ﴿ وَقَالَ الْمِلْكُ أَنْوُنِي بِهِ مِ أَسْتَخْلِمُهُ لِنَفِيُّ فَلَمَا كَأَمُّوا لِإِنَّكَ الْوَمِ لَدَيْنَا مِكِنُ أَمِيتُ ۞ قَالَ الْجَعَلْفِي عَلَى حَزَّ إِن الْأَرْضُ إِنْ حَفِيظٌ عَلِيدٌ ﴿ وَكَذَلِكَ مَكُفَّا لَوُسُفَ فِي ٱلأَصْ يَكَنَّبُواْ أَمِنْهَا حَيْثُ يَشَكَةُ نَصِيبُ يَرْعَيْنَامَن نَشَاءً وَلَا نَضِيعُ أَخِرَلُهُ حَسِينِينَ ۞ وَلِأَجْرُ ٱلْآخِرَ وَخَيْرُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواٰ يَنْغُونَ ۞ وَهَآ وَإِخْوَةُ وُسُفَ فَلَخَلُواعَلَيْهِ فَعَرَفِهُمْ وَهُمْ لَدُمُنِكُونَ ﴿ وَلَا اللَّهِ مَا لَا مُنْكِرُونَ ﴿ وَلَا ا حَمَّنَهُم بَهَمَا زِهِرْ قَالَ ٱتَّنُونِ بِأَجْ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمُّ ٱلْاَتَرُونَ أَنَّ أُوفِ ٱلْكَيْلُ وَأَنَا عَيْرُ لِلْكُرُ لِينَ ۞ فَإِن لَّرْ تَأْتُون بِيهِ فَكَلا كَيْلَ لَكُرُّعِندِي وَلَاتَقَرَّهُونِ۞ قَالُواْسَنُرُ وَدُعَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ۞ وَقَالَ لِفِنْكِيْواجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْونَ ريالية لتلفر تيرفونها إذا أفلكوا إل أهله ولعساله يَرْجِعُونَ ۞ مَلْمَا رَجَعُوْ إِلَا أَيهِ مِدَةَ الْوَايِّنَأَبَانَ امْنِعَ مِنَا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَ آلَغَانَانَكُتُلُ وَإِنَّالُهُ لِكَفِيظُونَ ۞ TONO TONO WILLIAM TONO WO

إزالة التهمة التي رموا بها عنهم، فقالوا في هذه الحال : ﴿ماذا تفقدون ﴾ ولم يقولوا: «ما الذي سرقنا» لجزمهم بأنهم براء من السرقة، ﴿قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير ﴾ أي : أجرة له على وجدانه ﴿وأنا به زعيم﴾ أى: كفيل، وهذا يقوله المؤذن المتفقد.

﴿قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض، بجميع أنواع المعاصي، ووما كنا سارقين فإنّ السرقة من أكبر أنواع الفساد في الأرض، وإنما أقسمواً على علمهم أنهم ليسوا مفسدين ولا سارقين، لأنهم عرفوا أنهم سبروا من أحوالهم مأ يدلهم على عفتهم وورعهم، وأن هذا الأمر لا يقع منهم بعلم من اتهموهم، وهذا أبلغ في نفي التهمة، من أن لو قالوا: (تالله لم نفسد في الأرض ولم

﴿قالوا فما جزاؤه ﴾أى: جزاء هذا الفعل ﴿إِن كنتم كاذبين ﴾ بأن كان معكم؟ ﴿قالواجزاؤه من وجد في رحله فهوااي: الموجود في رحله ﴿جزاؤه﴾ بأن يتملكه صاحب السرقة، وكان هذا في دينهم أن السارق إذا ثبتت عليه السرقة كان ملكاً لصاحب المال المسروق، ولهذا قالوا: ﴿كذلك نجزي الظالمين♦.

﴿فيدأ المفتش ﴿بأوعيتهم قبل وعاء أخيه، وذلك لتزول الريبة التي

ذهابه معنا، ولما أعطيناك عهودنا ومواثيقنا، فلم نظن أن الأمر سيبلغ ما بلغ، ﴿واسأل﴾ إن شككت في قولنا ﴿القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها ﴾ فقد اطلعوا على ما أخبرناك به ﴿وإنا لصادقون ﴾ لم نكذب ولم نغير ولم نبدل، بل هذا الواقع.

فلما رجعوا إلى أبيهم وأخبروه بهذا الخبر، اشتد حزنه وتضاعف كمده، واتهمهم أيضاً في هذه القضية، كما اتهمهم في الأولى، و ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل﴾ أي: الجافي ذلك إلى الصبر الجميل، الذي لا يصحبه تسخط ولا جزع، ولا شكوى للخلق، ثم لجأ إلى حصول الفرج لما رأى أن الأمر اشتد، والكربة انتهت فقال: ﴿عسى الله أن يأتيني بهم التهائ) أي: يوسف و قبنيامين، وأخوهم الكبير الذي أقام في مصر.

﴿إِنهُ هُو العليم ﴾ الذي يعلم حالي، واحتياجي إلى تضريجه ومِنْته، واضطراري إلى إحسانه، ﴿الحكيم ﴾ الذي جعل لكل شيء قدراً، ولكل أمر منتهى، بحسب ما اقتضته حكمته الربانية.

را المفى على يوسف وابيضت عيناه من المفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم \* قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين \* قال إنما أشكو بني وحزن أي: وتمولى يعقوب عليه المصلاة أي: وتمولى يعقوب عليه المصلاة والسلام عن أولاده بعدما أخبروه هذا الخبر، واشتد به الأسف والأسى، وابيضت عيناه من الحزن الذي في قلبه، والكمد الذي أوجب له كثرة قلبه، حيث ابيضت عيناه من ذلك.

﴿فهو كظيم ﴾ أي: ممتلى القلب من الحزن الشديد، ﴿وقال يا أسفى على يوسف ﴾ أي: ظهر منه ما كمن من الهم القديم والشوق المقيم، وذكرته هذه المصيبة الخولى، فقال له أو لاده متعجبين من حاله: ﴿تَاللهُ تَفْتَا تَذَكّر يوسف ﴾ أي: لا تزال تذكر يوسف في جميع

أحوالك، ﴿حتى تكون حرضاً﴾ أي: فانياً لا حراك فيك ولا قدرة على الكلام.

﴿أُو تكون من الهالكين ﴾ أي: لا تترك ذكره مع قدرتك على ذكره أبداً، ﴿قال ﴾ يعقوب ﴿إنما أشكو بشي ﴾ أي: ما أبث من الكلام ﴿وحزن ﴾ الذي في قلبي ﴿إلى الله وحده، لا إليكم ولا إلى غيركم من الخلق، فقولوا ما شئتم ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ من أنه سيردهم علي ويقر عيني بالاجتماع بهم.

﴿٨٨ \_ ٨٨﴾ ﴿يا بنت اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنَّه لا ييأس من روح الله إلاَّ القوم الكافرون \* فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدّق علينا إنّ الله يجزي المتصدقين﴾ أي: قال يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿ يِا بِنِيَّ اذْهِبُوا فِتَحْسَسُوا مِنْ يُوسِفُ وأخيه اعن احرصوا واجتهدوا على التفتيش عنهما ﴿ولا تيأسوا من روح الله فإن الرجاء يوجب للعبد السعى والاجتهاد فيما رجاه، والإياس: يوجب له التثاقل والتباطؤ، وأولى ما رجا العباد، فيضل الله وإحسانيه ورحمته وروحيه، ﴿إنَّهُ لا يسيساس مسن روح الله إلا السقسوم الكافرون، فإنهم لكفرهم يستبعدون رحمته، ورحمته بعيدة منهم، فلا تتشبهوا بالكافرين.

ودل هذا على أنه بحسب إيمان العبد يكون رجاؤه لرحمة الله وروحه، فذهبوا فلما دخلوا عليه أي: على يوسف فالوا متضرعين إليه: فيا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا أي: قد اضطررنا نحن وأهلنا فوجئنا ببضاعة مزجاة أي: مدفوعها مرغوب عنها لقلتها، وعدم وقوعها الموقع، فأوف لنا الكيل أي: مع عدم وفاء العرض، وتصدق علينا عدم وفاء العرض، وتصدق علينا بالزيادة عن الواجب. فإن الله يجزي بالنيادة عن الواجب. فإن الله يجزي المتصدقين بواب الدنيا والآخرة.

فلما انتهى الأمر، وبلغ أشده، رقَّ لهم يوسف رِقَّة شديدة، وعرَّفَهُم بنفسه، وعاتبهم.

﴿٨٩ \_ ٩٢ ﴾ ﴿قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون \* قالوا أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد منَ الله علينا إنّه من يتق ويصبر فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين \* قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين \* قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، ﴿قال: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه ﴾ أما يوسف فظاهر فعلهم فيه، وأما أخوه، فلعله والله أعلم قولُهم: ﴿إِنْ يُسْرِقُ فقد سرق أخ له من قبل او أن الحادث الذي فرَّق بينه وبين أبيه، هم السبب فيه، والأصل الموجب له، ﴿إِذْ أَنْتُمْ جاهلون، وهذا نوع اعتذار لهم بجهلهم، أو توبيخ لهم إذ فعلوا فعل الجاهلين، مع أنه لا ينبغي ولا يليق منهم.

فعرفوا أن الذي خاطبهم هو يوسف، فقالوا: ﴿أَإِنَّكُ لأَنْتُ يُوسِفُ؟ قال أنا يوسفُ وهذا أخي قد من الله علينا ﴾ بالإيمان والتقوى والتمكين في الدنيا، وذلك بسبب الصبر والتقوى، ﴿إنه من يتق ويصبر أي : يتقي فعل ما حرم الله، ويصبر على الآلام والمصائب، وعلى الأوامر بامتثالها ﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ فإن هذا من الإحسان، والله لا يضيع أجر عمل أحسن عملاً.

﴿قالوا تالله لقد آثرك الله علينا ﴾
أي: فضلك علينا بمكارم الأخلاق
ومحاسن الشيم، وأسأنا إليك غاية
الإساءة، وحرصنا على إيصال الأذى
إليك، والتبعيد لك عن أبيك،
فآثرك الله تعالى ومكنك ما تريد ﴿وإن
كنا لخاطئين ﴾ وهذا غاية الاعتراف
منهم بالجرم الحاصل منهم على
يوسف.

ف ﴿قال﴾ لهم يوسف عليه السلام، كرماً وجوداً:

﴿لا تشريب عليكم اليوم ﴾ أي: لا أشرب عليكم ولا ألسومكم إيغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين ﴾ فسمح لهم سماحاً تاماً ، من غير تعيير لهم على ذكر الذنب السابق ، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة ، وهذا نهاية الإحسان الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين .

﴿ ٩٣ ـ ٩٨ ﴾ ﴿ اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً وأتونى بأهلكم أجمعين \* ولما فصلت العير قال أبوهم إن لأجد ريح يوسف لولا أن تفنّدون \* قالوا تالله إنَّك لفي ضلالك القديم \* فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً قال ألم أقل لكم إنى أعلم من الله ما لا تعلمون \* قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين \* قال سوف أستغفر لكم ربي إنّه هو الغفور الرحيم، أي: قال يوسف عليه السلام لإخوته: ﴿ اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً ﴾ لأن كل داء يداوى بضده، فهذا القميص - لما كان فيه أثر ريح يوسف، الذي أودع قلب أبيه من الحزن والشوق ما الله به عليم \_ أراد أن يشمه، فترجع إليه روحه، وتتراجع إليه نفسه، ويرجع إليه بصره، ولله في ذلك حكم وأسرار، لا يطلع عليها العباد، وقد اطلع يوسف من ذلك على هذا الأمر.

﴿وائتُونِ بأهلكم أجمعين ﴾ أي: أولادكم وعشيرتكم وتوابعكم كلهم، ليحصل تمام اللقاء، ويزول عنكم نكد المعيشة، وضنك الرزق.

ولما فصلت العير عن أرض مصر مقبلة إلى أرض فلسطين، شَمَّ يعقوب ريح القميص، فقال: ﴿إِنِي الْجَدِريح يوسف لولا أن تفندون ﴾ أي: تسخرون مني، وتزعمون أن هذا الكلام صدر مني من غير شعور، لأنه رأى منهم من التعجب من حاله ما أوجب له هذا القول، فوقع ما ظنه بهم فقالوا:

﴿ تَاللَّهُ إِنكَ لَفِي ضَلَالِكَ القَدَيمِ ﴾ أي: لا تزال تائهاً في بحر الحبّ لا تدرى ما تقول.

﴿فلّما أن جاء البشير ﴾ بقرب الاجتماع بيوسف وإخوته وأبيهم، ﴿القاه ﴾ أي: القميص ﴿على وجهه فارتد بصيراً ﴾ أي: رجع على حاله الأولى بصيراً ، بعد أن ابيضت عيناه من الحزن، فقال لمن حضره من أولاده وأهله الذين كانوا يفندون رأيه، ويتعجبون منه منتصراً عليهم، متبجعاً بنعمة الله عليه: ﴿أَمُ أَقُل لَكُم إِنِي أَعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ حيث كنت مترجياً للقاء يوسف، مترقباً لزوال الهم والغم والخزن.

فاقروا بذنبهم ونجعوا بذلك و ﴿قالوا: يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين﴾ حيث فعلنا معك ما

فعلنا .

ف ﴿ قال ﴾ بجيباً لطلبتهم ، ومسرعاً لإجابتهم : ﴿ سوف أستغفر لكم ربي ، إنه هو الغفور الرحيم ﴾ أي : ورجائي به أن يغفر لكم ويرحمكم ، ويتغمدكم برحمته ، وقد قيل : إنه أخر الاستغفار لهم إلى وقت السحر الفاضل ، ليكون أثم للاستغفار ، وأقرب للإجابة .

﴿٩٩٩ \_ ١٠٠ ﴾ ﴿فلما دخلوا على يوسف آوي إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين \* ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربى حقاً وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزع الشيطان بينى وبين إخوى إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم، أي: ﴿فلما ، تجهز يعقوب وأولاده وأهلهم أجعون، وارتحلوا من بلادهم قاصدين الوصول إلى يوسف في مصر وسكناها، فلما وصلوا إليه، و ﴿دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه ﴾ أي: ضمهما إليه، واختصهما بقربه، وأبدى لهما من البر والإكرام(١) والتبجيل والإعظام شيئاً

عظيماً، ﴿وقال﴾ لجميع أهله: ﴿ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾ من جميع المكاره والمخاوف، فدخلوا في هذه الحال السارة، وزال عنهم النصب ونكد المعيشة، وحصل المسرور والبهجة.

﴿ورفع أبويه على العرش ﴾ أي: على سرير الملك، ومجلس العزيز، ﴿وخروا له سجداً ﴾ أي: أبوه، وأمه وإخوته، سجوداً على وجه التعظيم والتبجيل والإكرام، ﴿وقال ﴾ لما رأى هذه الحال، ورأى سجودهم له: ﴿يا أبت هذا تأويل رُوياي من قبل ﴾ حين رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ألى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر إليه ووصلت ﴿قد جعلها ربي حقاً ﴾ فلم يجعلها أضغاث أحلام.

﴿ وقد أحسن بي ﴾ إحساناً جسيماً ﴿ إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو ﴾ وهذا من لطفه وحسن خطابه عليه السلام، حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الجب، لتمام عفوه عن إخوته، وأنه لا يذكر ذلك الذنب، وأن إتيانكم من البادية من إحسان الله إلى.

فلم يقل: جاء بكم من الجوع والنصب، ولا قال: «أحسن بكم» بل قال ﴿ أحسن بي ﴿ جعل الإحسان عائداً من عباده، ويهب لهم من لدنه رحمة إنه هو الوهاب، ﴿ من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوي ﴾ فلم يقل "نزغ الشيطان إخوي » بل كأن الذنب والجهل صدر من الطرفين، فالحمد لله الذي الشيطان ودحره، وجمعنا بعد تلك الفرقة الشاقة.

﴿إِن ربي لطيف لما يشاء ﴾ يوصل بره وإحسانه إلى العبد من حيث لا يشعر، ويوصله إلى المنازل الرفيعة من أمور يكرهها، ﴿إنه هو العليم ﴾ الذي يعلم ظواهر الأمور وبواطنها، وسرائر العباد وضمائرهم، ﴿الحكيم ﴾ في وضعه الأشياء مواضعها، وسوقه

CONTRACTOR OF STREET الْ قَالَ هَلْ مَانَكُ عُمْ عَلَيْهِ الَّاكِمَا أَمِنْكُمْ عَازَ لَخِيهِ مِن جَنَّلُ فَاللَّهُ مُرْكَحُونِظُأَ وَهُوَ أَرْحُكُمُ ٱلزَّبِعِينَ ﴿ وَلَنَا فَنَحُوامَتَنَعَهُ رَبِيدُوابِصَاعِتَهُ رُدُنِّ إِلَيْهِ مُ قَالُوا يَتَأَبَانَ مَانَتِعَ هَاذِهِ بِعَنَعَنُنَارُدُّتَ إِلَيْكَأُّوْغِيرُأَهُ لَمَنَا وَتَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُكَيْلَ بَعِيْرُ ذَلِكَ كَيْلُ يَعِيدُ ۞ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ فَوْقُونِ مَوْقَقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْنُنَى بِيِّ إِلَّا أَن يُعَاطَ بِكُرْ فَكُنَّا مَا تَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلُ ۞ وَقَالَ بَهِنَيَّ لَانَدْخُلُوا مِنْ بَابِ وَجِدِ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبُوكِ مُّتَفَرِّقَةً وَمَا أَغَنِي عَنكُم مِنْ أَلَوْمِن شَيْءً إِن ٱلْحُكُمْ إِلَّا لِقَوْ عَلَيْهِ قَوَكَ لْمُتَّ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكِّلِ ٱلْمُؤَكِّلُونَ ﴿ وَلِمَا تَخُلُوا مِنْ حَيْثُ أَمْرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُعْفِي عَنْهُرِينَ ٱللَّهِ مِن مَنَّى ۚ إِلَّا كَاجُكَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَامًا وَإِنَّهُ لِذُوعِلْمِ لِمَاعَلَّنَكُ وَلَكِنَّ أَكُمَّ أَلْنَالِسُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ وَلَنَادَ خَالُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَكَ إِلَيْهِ أَخَالُهُ فَالَ مُ إِنَّ أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْنَتُهِ مِنْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞

OLOGO WEGO EST إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون القيول تعالى لنبيه عمد ﷺ: ﴿قُلُ لِلنَّاسِ ﴿هَذُهُ سبيلي♦ أي: طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصَّلة إلَّى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ ۗ أَي: أحُثُّ الخِلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم، وأرغَبُهُمْ في ذلك وأرهّبُهم مما يبعدهم عنه.

ومع هذا فأنا ﴿على بصيرة﴾ من ديني، أي: على علم ويقين من غير شك ولا أمتراء ولا مرية ، ﴿وَ﴾ كذلك ﴿من اتبعني﴾ يدعو إلى الله كما أدعو، على بصيرة من أمره ﴿وسبحان اللهِ ﴾ عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله.

﴿وما أنا من المشركين﴾ في جميع أموري، بل أعبد الله مخلصاً له الدين.

ثم قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً أي: لم نرسل ملائكة ولا غيرهم من أصناف الخلق، فلأي: شيء يستغرب قومك رسالتك، ويزعمون أنه ليس لك عليهم فضل، فلك فيمن قبلك من المرسلين أسوة حسنة ﴿نوحي إليهم من أهل القري﴾ أي: لا من البادية، بل من أهل القرى

عليه من أجر إن هو إلاَّ ذكر للعالمين \* وكأيّن من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون \* ومنا يسؤمن أكتشرههم بنالله إلا وهتم مشركون \* أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون﴾ يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت) على إيمانهم ﴿بمؤمنين﴾ فإن مداركهم ومقاصدهم قد أصبحت فاسدة، فلا ينفعهم حرص الناصحين عليهم ولو عدمت الموانع، بأن كانوا يعلمونهم ويدعونهم إلى ما فيه الخير لهم، ودفع الشر عنهم، من غير أجر ولاً عبوضٌ، ولبو أقياموا ليهيم مين الشواهد والآيات الدالات على صدقهم ما أقاموا. ولهذا قال:

﴿وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين المتذكرون به ما ينفعهم ليفعلوه، وما يضرهم ليتركوه. ﴿وَكَأَيِّنَ﴾ أي: وكم ﴿من آية في

السماوات والأرض يمرون عليهام دالة لهم على توحيد الله ﴿وهم عنها معرضون﴾.

ومع هذا إن وجد منهم بعض الإيمان فلا ﴿يؤمن أكثرهم بالله إلا وهمم مسشركلون﴾ فسهم وإن أقروا بربوبية الله تعالى، وأنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، فإنهم يشركون في ألوهية الله وتوحيده، فهؤلاء الذين وصلوا إلى هذه الحال لم يبق عليهم إلا أن يحل بهم العذاب، ويفجأهم العقاب وهم آمنون، ولهذا قال:

﴿أَفَأُمنُوا﴾ أي: الفاعلون لتلك الأفعال، المعرضون عن آيات الله ﴿أَن تأتيهم غاشية من عذاب الله أى: عذاب يغشاهم ويعمهم ويستأصلهم، ﴿ أُو تأتيهم الساعة بغته ﴾ أي: فجأة ﴿وهم لا يُشعرون ﴾ أي: فإنهم قد استوجبوا لذلك، فليتوبوا إلى الله، ويتركوا ما يكون سبباً في عقابهم.

﴿۱۰۸ \_ ۱۰۹﴾ ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرةٍ أنا ومن اتَّبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين \* وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي الأمور إلى أوقاتها المقدرة لها.

﴿١٠١﴾ ﴿ربِّ قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلمأ وألحقني بالصالحين ﴿ لما أتم ألله ليوسف ما أتم من التمكين في الأرض والملك، وأقر عينه بأبويه وإخوته، وبعد العلم العظيم الذي أعطاه الله إياه، قال مقرأ بنعمة الله شاكراً لها داعياً بالثبات على الإسلام:

﴿رب قد آتيتني من الملك، وذلك أنه كان على خزائن الأرض وتدبيرها ووزيراً كبيراً للملك ﴿وعلمتني من تأويل الأحاديث﴾ أي: من تأويل أحاديث الكتب المنزلة وتأويل الرؤيا وغير ذلك من العلم ﴿فاطر السماوات والأرض أنتّ وليي في الدنبا والآخرة توفني مسلماً ﴾ أي: أدم عَلَى الإسلام وثبتني عليه حتى توفاني عليه، ولم يكن هذا دعاء باستعجال الموت، ﴿وأَلْحَقْنِي بالصالحين من الأنبياء الأبرار والأصفياء الأخيار .

﴿١٠٢﴾ ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ لما قص الله هذه القصة على محمد ﷺ قال الله له: ﴿ ذلك ﴾ الأنباء الذي أخبرناك به ﴿ من أنباء الغيب الذي لولا إيحاؤنا إليك لما وصل إليك هذا الخبر الجليل، فإنك لم تكنُّ حاضراً لديهم ﴿إذ أجمعوا أمرهم أي: إخوة يوسف ﴿وهم يمكرون﴾ به حين تعاقدوا على التفريق بينه وبين أبيه، في حالة لا يطلع عليها إلا الله تعالى، ولا يمكن أحداً أن يصل إلى علمها، إلا بتعليم الله له إياها.

كما قال تعالى لما قص قصة موسى وما جرى له، ذكر الحال التي لا سبيل للخلق إلى علمها إلا بوحيه ﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر، وما كنت من الشاهدين ﴿ الآيات، فهذا أدل دليل على أن ما جاء به رسول الله حقاً.

﴿١٠٣ \_ ١٠٧﴾ ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين \* وما تسألهم

CHANGE A CENTRAL OF THE PARTY O فَلْمَاجَةً زَهُم بِهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلْيَقَايَةَ فِي رَحْل أَخِيهِ ثُرُّ أَذَكَ مُؤَذِنُ أَيْتُهَا ٱلْعِيرُ إِنْكَ مُرْكَبِهِ لَكَ مُؤَذِنٌ ﴿ قَالُواْ وَأَقْتَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ۞ قَالُواْ نَفْقِ دُصُواعَ ٱلْلَكِ وَلِمَنَ جَآءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيدٍ وَأَنَا بِهِ ـ زَعِيدٌ ۞ قَالُواْ تَأْلَقُولُقَدْ عَلِمْتُ مِ مَاحِثْ نَالِنُفِّيدَ فِي ٱلأَرْضِ وَمَاكُنَّا سَرِقِينَ ۞ قَالُواْ فَمَاجَزَّ وُهُ رَان كُنتُر كَانِينَ الله وَالْمُواْحِزَوُهُمَ وَجِدَ فِي رَضِلِهِ وَهُوَحِزَوُّهُمُ لَا لِكَ يَجْزِي الظَّالِمِينَ ۞ فَهَدَّأَ بِأَوْعِيَتِهِ مُرَّقِّلَ وِيَكَةٍ لِّخِيو ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَلَهِ لَخِيوُ كَذَاكِ كَدُمَّا لِيوسُفَّ مَاكَانَ لِيَالْخُذَ لَغَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَآ اللَّهُ زَفَّمُ دَرَجَكِ مِنْ نَشَكَأَهُ وَفَقُ كُلِ ذِي عِلْمِ عَلِيمٌ ﴿ • قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرُقَ أَخُ لَّهُ مِن فَبَثُلُ فَأَسَرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَرَّبُ لِهَا لَمُدُّ قَالَ أَنتُ مِّثَرُّمُكَ أَنَّا وَأَقدَا غَلَرُ يَانَضِهُونَ ۞ قَالُوائِنَانَهُمَا ٱلْمَرِيزُ إِنَّ لَهُوا أَلْمُ مَنْ خَاكِيرًا فَخُذُ أَحَدُنَا مَكَانَهُ وَإِنَّا نَزِيكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ ١ TONDAON EDICED

الذين هم أكمل عقولاً، وأصح آراء، وليتبين أمرهم ويتضح شأنهم.

﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ إذا لم يصدقوا لقولك، ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ كيف أهلكهم الله بتكذيبهم، فاحذروا أن تقيموا على ما أقاموا عليه، فيصيبكم ما أصابهم، ﴿ولدار الآخرة﴾ أي: الجنة وما فيها من النعيم المقيم، ﴿خير للذين اتقوا﴾ الله في امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإن نعيم الدنيا منغص منكد، منقطع، ونعيم الآخرة تام كامل، لا يفني أبداً، بل هو على الدوام في تزايد وتواصل، ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ ﴿أفلا تعقلون﴾ أي: أفلا تكون لكم عقول تؤيرُ الذي هو خير على الأدني.

﴿ ١١٠ - ١١١﴾ ﴿ حست الله المتيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين \* لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كلّ شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ غير تعالى: أنه يرسل الكرام، فيكذبهم القوم المجرمون اللئام، وأن الله تعالى يمهلهم ليرجعوا إلى الحق، ولا يسزال الله يمهلهم حتى إنه تصل الحال إلى غاية المتعالى علمها المتعالى المنافق المعلهم حتى إنه تصل الحال إلى غاية المتعالى علمها المتعالى علمها المتعالى المنافق المتعالى المنافق المتعالى الم

الشدة منهم على الرسل.

حتى إن الرسل - على كمال يقينهم، وشدة تصديقهم بوعد الله ووعيده - ربما أنه يخطر بقلوبهم نوع من الإياس، ونوع من ضعف العلم والتصديق، فإذا بلغ الأمر هذه الحال خاءهم نصرنا فنجي من نشاء وهم الرسل وأتباعهم، ﴿ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ﴾ أي: ولا يرد عذابنا، عمن اجترم، وتجرأ على الله ﴿فما لهم من قوة ولا ناصر ﴾.

﴿لقد كان في قصصهم﴾ أي: قصص الأنبياء والرسل مع قومهم، ﴿عبرة لأولي الألباب﴾ أي: يعتبرون بها، أهل الخير وأهل الشر، وأن من فعل مثل فعلهم ناله ما نالهم من كرامة أو إهانة، ويعتبرون بها أيضاً، ما شه من صفات الكمال والحكمة العظيمة، وأنه الله الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له.

وقوله: ﴿ما كان حديثاً يفترى﴾ أي: ما كان هذا القرآن الذي قص الله به عليكم من أنباء الغيب ما قص من الأحاديث المفتلقة، ﴿ولكن ﴾ كان ﴿تصديق الذي بين يديه﴾ من الكتب السابقة، يوافقها ويشهد لها بالصحة، ﴿وتفصيل كل شيء﴾ يحتاج إليه العباد من أصول الدين وفروعه، ومن الأذلة والبراهين.

﴿وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ فإنهم -بسبب ما يحصل لهم به من العلم بالحق وإيثاره - يحصل لهم الهدى، وبما يحصل لهم من الثواب العاجل والآجل تحصل لهم الرحمة.

مــل

في ذكر شيء من العبر والفوائد التي اشتملت عليها هذه القصة العظيمة التي قال الله في أولها ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ وقال ﴿لقد كان في يسوسف وإخوت آيات للسائلين ﴾ وقال في آخرها ﴿لقد كان

في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ غير ما تقدم في مطاويها من الفوائد.

فمن ذلك، أن هذه القصة من أحسن القصص وأوضحها وأبينها، لما فيها من أنواع التنقلات، من حال إلى حال، ومن محنة إلى منحة ومِنَّة، ومن ذل إلى عز، ومن رق إلى ملك، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع واثتلاف، ومن حزن إلى سرور، ومن رخاء إلى جدب، ومن جدب إلى رخاء، ومن ضيق إلى سعة، ومن إنكار إلى إقرار، فتبارك من قصها فاحسنها، ووضحها وبينها.

ومنها: أن فيها أصلاً لتعبير الرؤيا، وأن علم التعبير من العلوم المهمة التي يعطيها الله من يشاء من عباده، وإن أغلب ما تبني عليه المناسبة والمشابهة في الاسم والصفة، فإن رؤيا يوسف التي رأى أنّ الشمس والقمر، وأحد عشر كوكباً له ساجدين، وجه المناسبة فيها: أن هذه الأنوار هي زينة السماء وجالها، وبها منافعها، فكذلك الأنبياء والعلماء، زينة للأرض وجمال، وبهم يهتدى في الظلمات كما يهتدى بهذه الأنبوار، ولأن الأصبل أبيوه وأميه، وإخوته هم الفرع، فمن المناسب أن يكون الأصل أعظم نوراً وجرماً، لما هو فرع عنه، فلذلك كانت الشمس أمه، والقمر أباه، والكواكب إخوته.

ومن المناسبة أن الشمس لفظ مؤنث، فلذلك كانت أمه، والقمر والكواكب مذكرات، فكانت لأبيه وإخوته، ومن المناسبة أن الساجد معظم عترم للمسجود له، والمسجود [له] معظم عترم، فلذلك دل ذلك على أن يوسف يكون معظماً عترماً عند أبويه وإخوته.

ومن لازم ذلك أن يكون مجتبى مفضلاً في العلم والفضائل الموجبة لذلك، ولذلك قال له أبوه: ﴿وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل

الأحاديث، ومن المناسبة في رؤيا الفتيين، أنه أول رؤيا، الذي رأى أنه يعصر خمراً، أن الذي يعصر في العادة، يكون خادماً لغيره، والعصر يقصد لغيره، فلذلك أوَّلهُ بما يؤول إليه، أنه يسقى ربه، وذلك متضمن لخروجه من

وأوَّل الذلي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه، بأن جلدة رأسه ولحمه، وما في ذلك من المخ، أنه هو الذي يحمله، وأنه سيبرز للطيور، بمحل تتمكن من الأكل من رأسه، فرأى من حاله أنه سيقتل ويصلب بعد موته فيبرز للطيور فتأكل من رأسه، وذلك لا يكون إلا بالصلب بعد القتل.

وأوَّل رؤيا الملك للبقرات والسنبلات، بالسنين المخصبة، والسنين المجدبة، ووجه المناسبة أن الملك، به ترتبط أحوال الرعية ومصالحها، وبصلاحه تصلح، وبفساده تفسد، وكذلك السنون بها صلاح أحوال الرعية، واستقامة أمرً المعاش أو عدمه .

وأما البقر فإنها تحرث الأرض عليها، ويستقى عليها الماء، وإذا أخصبت السنة سمنت، وإذا أجدبت صارت عجافاً، وكذلك السنابل في الخصب، تكثر وتخضر، وفي الجدب تقل وتيبس وهي أفضل غلال

ومنها: ما فيها من الأدلة على صحة نبوة محمد ﷺ، حيث قص على قومه هذه القصة الطويلة، وهو لم يقرأ كتب الأولين ولا دارس أحداً.

يراه قومه بين أظهرهم صباحاً ومساءً، وهو أمِّي لا يخط ولا يقرأ، وهي موافقة، لما في الكتب السابقة، وما كان لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم

ومنها: أنه ينبغي البعد عن أسباب الشر، وكتمان ما تخشى مضرته، لقول يعقوب ليوسف ﴿يا بُنيَّ لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً،

ومنها: أنه يجوز ذكر الإنسان بما يكره على وجه النصيحة لغيره لقوله: ﴿فيكبدوا لك كيداً ﴿

ومنها: أن نعمة الله على العبد، نعمة على من يتعلق به من أهل بيته وأقاربه وأصحابه، وأنه ربما شملتهم، وحصل لهم ما حصل له بسبيه، كما قال يعقوب في تفسيره لرؤيا يوسف ﴿وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب، ولما تمت النعمة على يوسف، حصل لآل يعقوب من العز والتمكين في الأرض والسرور والغبطة ما حصل بسبب يوسف.

ومنها: أن العدل مطلوب في كل الأمور، لا في معاملة السلطان رعيته ولا فيما دونه، حتى في معاملة الوالد لأولاده، في المحبة والإيثار وغيره، وأن في الإخلال بذلك يختل عليه الأمر، وتفسد الأحوال، ولهذا، لما قدم يعقوب يوسف في المحبة وآثره على إخوته، جرى منهم ما جرى على أنفسهم، وعلى أبيهم وأخيهم.

ومنها: الحذر من شؤم الذنوب، وأن الذنب الواحد يستتبع ذنوبأ متعددة، ولا يتم لفاعله إلا بعدة جرائم، فإخوة يوسف لما أرادوا التفريق بينه وبين أبيه، احتالوا لذلك بأنواع من الحيل، وكذبوا عدة مرات، وزوروا على أبيهم في القميص والدم الذي فيه، وفي إتيانهم عشاء يبكون، ولا تستبعد أنه قد كثر البحث فيها في تلك المدة، بل لعل ذلك اتصل إلى أنَّ اجتمعوا بيوسف، وكلما صار البحث، حصل من الإخبار بالكذب، والافتراء ما حصل، وهذا شؤم الذنب، وآثاره التابعة والسابقة واللاحقة.

ومنها: أن العبرة في حال العبد بكمال النهاية، لا بنقص البداية، فإن أولاد يعقوب عليه السلام جري منهم ما جري في أول الأمر، مما هو أكبر أسباب النقص واللوم، ثم انتهى أمرهم إلى التوبة النصوح، والسماح التام من يوسف ومن أبيهم، والدعاء

CONTRACTOR OF THE PARTY OF THE ا قَالَ مَعَاذَاللَّهَ أَن تَأْخُهُ ذَالَّامَن وَحَكْدُنَا مَتَلَعَنَا عِندَهُ رَالًّا الْ الْطَالِمُونِ ﴿ فَلَمَّا أَسْتَغِينُوا مِنْهُ خَلَصُوا غِيرًا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلْزَقَ لَمُوْإِ أَنَّ أَبَاكُمْ مِّقَدْ لَخَذَ عَلَيْكُمْ مَّوْفِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ فَبَلُّ مَا فَرَطِتُ مِّنِي يُوسُفُ فَكَنَ أَبْرَى ٱلْأَرْضَ حَتَىٰ يٰإَذَكَ لِيَ أَنِ أَوْيَعَكُمُ اللَّهُ لِيُّ وَهُوَ خَيْرًا لَحَكِمِينَ ۞ ٱرْجِعُوٓ إِلَىٓ أَبِيكُمْ وَقُولُواْ يَكَأَبَانَ ٓ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَاشَهَدْنَآ إِلَّامِاعَلِقْكَ اوَمَاكُنَّا لِلْغَيْبِ حَفِظِينَ ﴿ وَمِنْ لَا لَقَرْبَةَ ٱلِّي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَالَٰ إِنَّ أَمِّكُ الْفِيمَّا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۞ قَالَ بَلْ سَوَّلَتَ لَكُ مُ أَنفُسُكُرُ أَمْرُ أَفْصَبُرُ جَيِبُ لُّ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِهِنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ ٱلْمَكِلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَنَأْسَفَىٰ عَلَىٰ وُسُفُ وَأَبْيَظَتْ عَيْنَاهُ مِنَ أَنْحُرُنِ فَهُوَكَظِيرٌ ۞ قَالُواْ تَاللَّهِ تَكْفَوُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَقَّا تَكُونَ حَرَضًا أَوْتَكُونَ مِنَ الْمُنْلِكِينَ ﴿ وَالَّهِ إِنَّا أَشَّكُوا إِنَّا أَشْكُوا إِنَّا أَشْكُوا إِنَّا الله وَحُدْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْدَرُونِ اللَّهِ مَا لَا تَعْدَوْنَ ﴿ OZDADZ W KAROKO

لهم بالمغفرة والرحمة، وإذا سمح العبد عن حقه، فالله خير الراحمين.

ولهذا \_ في أصح الأقوال \_ أنهم كانوا أنبياء لقوَّله تعالَى: ﴿وأوحينا إلىّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط) وهم أولاد يعقوب الاثنا عشر وذريتهم، ومما يدل على ذلك أن فى رؤيا يوسف، أنه رآهم كواكب نيرة، والكواكب فيها النور والهداية الذي من صفات الأنبياء، فإن لم يكونوا أنبياء فإنهم علماء هداة .

ومنها: ما مَنَّ الله به على يوسف عليه الصلاة والسلام من العلم والحلم، ومكارم الأخلاق، والدعوة إلى الله وإلى دينه، وعفوه عن إخوته الخاطئين عفواً بادرهم به، وتمم ذلك بأنه لا يثرب عليهم ولا يعيرهم به.

ثم برُّهُ العظيم بأبويه، وإحسانه لإخوته، بل لعموم الخلق.

ومنها: أن بعض الشر أهون من بعض، وارتكاب أخف الضورين أولى من ارتكاب أعظمهما، فإن إخوة يوسف، لما اتفقوا على قتل يوسف أو إلقائه أرضاً، وقال قائل منهم: ﴿لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب﴾ كان قوله أحسن منهم وأخف، وبسببه خف عن إخوته الإثم الكبير.

ومنها: أن الشيء إذا تداولته الأيدي وصار من جملَّة الأموال، ولم يعلم أنه كان على غير وجه الشرع، أنه

EXPERT DESIGNATION OF THE PROPERTY OF THE PROP يكنئ أذهبوا فتحسكوا من يوشف وأجيد ولا كأيتسوا مِن زَوْجِ اللَّهِ إِنَّهُ لِا يَأْتِنَسُ مِن زَوْجِ الْهَ إِلَّا الْفَوْمُ ٱلْكَنْفِرُونَ ٥ فَلَمَا دَخُلُوا عَلَيْهِ وَالْوَايِّنَا أَيْهُا ٱلْعَرِيْدُ مُسَتَّ نَاوَأَهْلَنَا ٱلفُّرُ وَيَحْنَنَا بِبِصَلِعَةِ مُّرْجَلَةِ فَأُوْفِ لَنَا ٱلْكِيْلُ وَتُصَدَّقُ عَلَيْنَ أَإِنَ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿ قَالَ هَلَ عَلِيْتُهُمَّا فَعَالَتُهُ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذَ أَسْتُرْجُهُ لُونَ ٥ قَالُواْ أَهِ نَكَ لَأَنتَ يُوسُفُّ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَىٰ ذَاۤ أَخِنَّ فَكُدُ مَّنَ ٱللَّهُ عَلَيْنَ ۚ إِنَّهُ مِن يَتَّقِ وَيَصِّيرٌ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيحُ لَجْرَالْمُحْسِنِينَ۞ قَالُواْ تَالِمَّولَقَدْ مَاثَرُكَ الْفَدُّعَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَطِيرِ ﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْرِّيَّةُ فِرُالَقُهُ لَكُمُّ وَهُوَأَرْحَكُ ٱلزَّحِينَ ٱذْهَبُوا بِقَصِيصِ هَالْدَا فَأَلْقُوهُ عَكَلَ رَجْدِ أَنِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَنُّونَ بِٱهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ وَلِأَضَكَتِ ٱلْمِيرُقَالَ ٱبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِهُ رِبِيحَ يُوسُفَّ لَوْلَآ أَنَّ تُفَيِّدُونِ۞ قَالُواْ تَأْمَّهِ إِنَّكَ لِنَيْ مَسَلَلِكَ ٱلْقَدِيمِ۞ 

لا إثم على من باشره ببيع أو شراء، أو خدمة أو انتفاع أو استعمال، فإن يوسف عليه السلام باعه إخوته بيعاً حراماً، لا يجوز، ثم ذهبت به السيارة إلى مصر فباعوه بها، وبقي عند سيده غلاماً رقيقاً، وسماه الله شراء (1)، وكان عندهم بمنزلة الغلام الرقيق المكرم.

ومنها: الخذر من الخلوة بالنساء التي يخشى منهن الفتنة، والحذر أيضاً من المحبة التي يخشى ضررها، فإن امرأة العزيز جرى منها ما جرى، بسبب توخدها بيوسف، وحبها الشديد له، الذي ما تركها حتى راودته تلك المراودة، ثم كذبت عليه، فسجن بسببها مدة طويلة.

ومنها: أن الهمّ الذي همّ به يوسف بالمرأة، ثم تركه شه، مما يُقرّبه إلى الله زلفي، لأن الهمّ داع من دواعي النفس الأمارة بالسوء، وهو طبيعة لأغلب الخلق، فلما قابل بينه وبين محبة الله وخشيته، غلبت محبة الله وخشيته خاف مقام ربه ونهى النفس عن داعي النفس والهوى، فكان ممن الهوى ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، أحدهم: «رجل دعته امرأة ذات أحدهم: «رجل دعته امرأة ذات

منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله» وإنما الهم الذي يلام عليه العبد، الهم الذي يساكنه، ويصير عزماً، ربما اقترن به الفعل.

ومنها: أن من دخل الإيمان قلبه، وكان نخلصاً لله في جميع أموره فإن الله يدفع عنه ببرهان إيمانه، وصدق إخلاصه من أنواع السوء والفحشاء وأمياب المعاصي ما هو جزاء لإيمانه وإخلاصه لقوله: ﴿وهم بها لولا أن رأى برهان ربه، كذلك لنصرف عنه المخلصين﴾ على قراءة من قرأها بكسر اللام، ومن قرأها بالفتح، فإنه من إخلاصه هو بنفسه، فلما أخلص الله إياه، وهو متضمن لإخلاصه هو بنفسه، فلما أخلص عمله لله أخلصه الله، وخلصه من السوء والفحشاء.

ومنها: أنه ينبغي للعبد إذا رأى محلاً فيه فتنة وأسباب معصية، أن يفر منه ويهرب غاية ما يمكنه، ليتمكن من التخلص من المعصية ، لأن يوسف عليه السلام ـ لما راودته التي هو في بيتها ـ فر هارباً، يطلب الباب ليتخلص من شرها، ومنها: أن القرائن يعمل بها عند الاشتباه، فلو تخاصم رجل وامرأته في شيء من أواني الدار، فما يصلح للرجل فإنه للرجل، وما يصلح للمرأة فهو لها، إذا لم يكن بينة، وكذا لو تنازع نجار وحداد في آلة حرفتهما من غير بينة، والعمل بالقافة في الأشباه والأثر، من هذا الباب، فإن شاهد يوسف شهد بالقرينة، وحكم بها في قد القميص، واستدل بقَّدُه من دبره على صدق يوسف وكذبهاً.

ومما يدل على هذه القاعدة، أنه استدل بوجود الصواع في رحل أخيه على الحكم عليه بالسرقة، من غير بينة شهادة ولا إقرار، فعلى هذا إذا وجد المسروق في يد السارق، خصوصاً إذا كان معروفاً بالسرقة، فإنه يحكم عليه بالسرقة، وهذا أبلغ من الشهادة،

وكذلك وجود الرجل يتقيأ الخمر، أو وجود المرأة التي لا زوج لها ولا سيد حاملاً فإنه يقام بذلك الحد، ما لم يقم مانع منه، ولهذا سمى الله هذا الحاكم شاهداً فقال: ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾.

ومنها: ما عليه يوسف من الجمال الظاهر، والباطن، فإن جماله الظاهر، أوجب للمرأة التي هو في بيتها ما أوجب، وللنساء اللاتي جمعتهن حين لأنها على ذلك أن قطعن أيديهن وقلن وأما جماله الباطن، فهو العفة العظيمة وأما جماله الباطن، فهو العفة العظيمة الكثيرة لوقوعها، وشهادة امرأة العزيز ولقد راودته عن نفسه والنسوة بعد ذلك ببراءته، ولهذا قالت امرأة العزيز: ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ وقالت بعد ذلك: ﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لن المصادقين ﴾ وقالت النسوة: حراش لله ما علمنا عليه من سوء ﴾.

ومنها: أن يوسف عليه السلام اختار السجن على المعصية، فهكذا ينبغي للعبد إذا ابتلي بين أمرين \_إما فعل معصية، وإما عقوبة دنيوية \_ أن الذنب الموجب للعقوبة الشديدة في الذنيا والآخرة، ولهذا من علامات الإيمان، أن يكره العبد أن يعود في الكفر، بعد أذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار.

ومنها: أنه ينبغي للعبد أن يلتجيء إلى الله، ويحتمي بحماه عند وجود أسباب المعصية، ويتبرأ من حوله وقوته، لقول يوسف عليه السلام: ﴿وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾.

ومنها: أن العلم والعقل يدعوان صاحبهما إلى الخير، وينهيانه عن الشر، وأن الجهل يدعو صاحبه إلى موافقة هوى النفس، وإن كان معصية ضاراً لصاحبه.

<sup>(</sup>۱) كذا في أ، وفي ب: سيداً، ويبدو والله أعلم أن مراد الشيخ ـ رحمه الله ـ أن الله قال: (وشروه) فسمى الله فعلهم شراء مع كونه

ومنها: أنه كما على العبد عبودية لله في الرخاء، فعليه عبودية في الشدة، ف «يوسف» عليه السلام لم يزل يدعو إلى الله، فلما دخل السجن، استمر على ذلك، ودعا الفتيين إلى التوحيد، ونهاهما عن الشرك، ومن فطنته عليه السلام أنه لما رأى فيهما قابلية لدعوته، حيث ظنا فيه الظن الحسن وقالا له: ﴿إِنَّا نُرَاكُ مِنَ الْمُحَسِّنِينَ ﴾ وأتياه لأن يعبر لهما رؤياهما، فرآهما متشوفين لتعبيرها عنده \_رأى ذلك فرصة فانتهزها، فدعاهما إلى الله تعالى قبل أن يعبر رؤياهما ليكون أنجح لمقصوده، وأقرب لحصول مطلوبه، وبين لهما أولاً، أن الذي أوصله إلى الحال التي رأياه فيها من الكمال والعلم، إيمانُه وتوحيده، وتركه ملة من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، وهذا دعاء لهما بالحال، ثم دعاهما بالمقال، وبين فساد الشرك وبرهن عليه، وحقيقة التوحيد وبرهن

ومنها: أنه يبدأ بالأهم فالأهم، وأنه إذا سئل المفتى، وكان السائل حاجته في غير سؤاله أشد أنه ينبغي له أن يعلمه ما يحتاج إليه قبل أن يجيب سؤاله، فإن هذا علامة على نصح المعلم وفطنته، وحسن إرشاده وتعليمه، فإنّ يوسف ـ لما سأله الفتيان عن الرؤيا ـ قدم لهما قبل تعبيرها دعوتهما إلى الله وحده لا شريك له.

ومنها: أن من وقع في مكروه وشدة، لا بأس أن يستعين بمن له قدرة على تخليصه، أو الإخبار بحاله، وأن هذا لا يكون شكوى للمخلوق، فإن هذا من الأمور العادية التي جري العرف باستعانة الناس بعضهم ببعض، ولهذا قال يوسف للذي ظن أنه ناج من الفتيين: ﴿ اذكرني عند ربك ﴾.

ومنها: أنه ينبغي ويتأكد على المعلم استعمال الإخلاص التام في تعليمه وأن لا يجعل تعليمه وسيلة لمعاوضة أحد في مال أو جاه أو نفع، وأن لا يمتنع من التعليم، أولا ينصح فيه، إذا لم يفعل السائل ما كلفه به المعلم، فإن

يوسف عليه السلام قد قال، ووصى أحد الفتيين أن يذكره عند ربه، فلم يذكره ونسي، فلما بدت حاجتهم إلى سؤال يوسف أرسلوا ذلك الفتي، وجاءه سائلاً مستفتياً عن تلك الرؤيا، فلم يعنفه يوسف، ولا وبخه، لتركه ذكره بل أجابه عن سؤاله جواباً تاماً من كل وجه.

ومنها: أنه ينبغي للمسؤول أن يدل السائل على أمر ينفعه بما يتعلق بسؤاله، ويرشده إلى الطريق التي ينتفع بها في دينه ودنياه، فإن هذا من كمال نصحه وفطنته، وحسن إرشاده، فإن يوسف عليه السلام لم يقتصر على تعبير رؤيا الملك، بل دلهم -مع ذلك -على ما يصنعون في تلك السنين المخصبات من كثرة الزرع، وكثرة جبايته.

ومنها: أنه لا يلام الإنسان على السعى في دفع التهمَّة عن نفسه، وطلب البراءة لها، بل يحمد على ذلك، كما امتنع يوسف عن الخروج من السجن حتى تتبين لهم براءته بحال النسوة اللاق قطعن أيديهن، ومنها: فضيلة العلم، علم الأحكام والشرع، وعلم تعبير الرؤيا، وعلم التدبير والتربية؛ وأنه أفضل من الصورة الظاهرة، ولو بلغت في الحسن جمال يوسف، فإن يوسف \_بسبب جماله \_ حصلت له تلك المحنة والسجن، وبسبب علمه حصل له العز والرفعة والتمكين في الأرض، فإن كل خير في المدنيا والآخيرة من آثمار المعمليم وموجباته.

ومنها: أن علم التعبير من العلوم الشرعية، وأنه يثاب الإنسان على تعلمه وتعليمه، وأن تعبير المراثي داخل في الفتوى، لقوله للفتيين: ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان الله وقال اللك: ﴿أَفْتُونِي فِي رؤيباي﴾ وقال الفتي ليوسف: ﴿أَفْتَنَا فِي سَبِعِ بِقُراتِ﴾ الآيات، فلا يجوز الإقدام على تعبير الرؤيا من غير علم.

ومنها: أنه لا بأس أن يخبر الإنسان عما في نفسه من صفات الكمال من علم أو عمل، إذا كان في ذلك

ا فَلَمَا أَن حِمَاءَ ٱلْمَشِيرُ ٱلْقَيْهُ عَلَى وَجِهِهِ عَلَاتِكَ بَصِيراً قَالَ أَلَّهُ أَقُلُ لِّكُمْ إِنِّ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَاتَقَالَمُونَ ۞ قَالُواْ يَنَأَبَانَا ٱسْتَغُفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَطِينَ ۞ قَالَسَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيًّ إِنَّهُ هُوَ ٱلْفَكُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ فَلَنَّا دَحَلُواْ عَلَى وُسُفَ ءَاوَى إِلَيْهِ أَبُونِيهِ وَقَالَ أَدْفُ لُواْمِصْرَ إِن شَكَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۞ وَرَفَعَ أَبُونَهِ عَلَىٰ ٱلْعَرْقِ وَخَرُواْ لَهُ سُجَادًا وَقَالَ يَكَأَبِتِ هَاذَا تَأْوِيلُ رُوَّ يَلَى مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَارَتِي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَبِمَاءً بِكُرِينَ ٱلْبَدْوِينُ بَعْدِ أَن نَزَعَ ٱلشَّيْطَانُ بَيْنِي وَكَيْنَ إِخْوَقَتَّ إِذَ رَبِي لَطِيفٌ لِمُايِثُ أَيْهُ أَهُو أَلْعَلِيمُ أَعْرِكُمُ وَرَبّ قَدْءَ النَّيْتَنِي مِنَ ٱلمُثْلِي وَعَلَّتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَلِيلَ ٱلسَّكَوَّتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيْءِ فِٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ۚ وَقَفْي مُسْلِكًا وَأَلْحِقْنِي إِلْصَلِلِحِينَ ۞ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْكَاءِ ٱلْفَيْبِ تُوجِيهِ إِلَيْكُ وَمَاكُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوْ أَمْرَهُمْ وَهُرَيْنَ كُرُونَ المَّ وَمَا أَكُثُرُ النَّامِ وَلَوْحَرَضَتَ بِمُؤْمِنِينَ ۞ DECEMBER OF STREET

مصلحة، ولم يقصد به العبد الرياء، وسلم من الكذب، لقول يوسف: ﴿ اجعلني على خزائن الأرض إن حفيظ عليم ﴾ وكذلك لا تذم الولاية، إذا كان التولى فيها يقوم بما يقدر عليه من حقوق الله وحقوق عباده، وأنه لا بأس بطلبها، إذا كان أعظم كفاءة من غيره، وإنما الذي يذم، إذا لم يكن فيه كفاية، أو كان موجوداً غيره مثله، أو أعلى منه، أو لم يرد بها إقامة أمر الله، فبهذه الأمور، ينهى عن طلبها، والتعرض لها.

ومنها: أن الله واسع الجود والكرم، يجود على عبده بخير الدنيا والآخرة، وأن خير الآخرة له سببان: الإيمان والتقوى، وأنه خير من ثواب الدنيا وملكها، وأن العبد ينبغي له أن يدعو نفسه، ويشوقها لثواب الله، ولا يدعمها تحزن إذا رأت أهل الدنيا ولذاتها، وهي غير قادرة عليها، بل يسليها بثواب الله الأخروي، وفضله العظيم لقوله تعالى: ﴿ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون .

ومنها: أن جباية الأرزاق \_إذا أريد بها التوسعة على الناس من غير ضرر يلحقهم ـ لا بأس بها، لأن يوسف أمرهم بجباية الأرزاق والأطعمة في السنين المخصبات، للاستعداد للسنين المجدبة، وأن هذا غير مناقض للتوكل على الله، بل يتوكل العبد على الله،

٧ يُؤَالِوُنُونَا وَمَاتَمَتُهُمُ مَلَيْهِ مِنْ أَجْرُ إِنْ هُوَ إِلَّا إِنَّ كُرِّ لِلْعَالِمِينَ ۞ وَكَأَيْنِ مِنْ مَايَةٍ فِٱلسَّنَوْيَةِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُرَ عَنْهَا مُعْرِجْتُونَ ۞ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرَكُونَ ۞ أَفَالَمِنُوَا أَن تَأْنِيَهُ مُعَنِيدٌ تُمِنْ عَذَابِ اللَّهُ أَوْيَالْيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بِغَتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُهُونَ ۞ قُلْهَانِيهِ سكيل أذعُوَّا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةِ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنَّ وَسُبْحَزَّالِيَّهِ وَمَا آَنَا مِنَ ٱلْشُرِكِينَ ۞ وَمَا آَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا يجالًا فُرِحت إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَيْنَ أَفَكَرْ يَسِيرُوا فِ ٱلْأَرْضِ مِنظُهُ إِكَيْفِكُ كَانَ عَلَقِبَةُ ٱلَّذِيبَ مِن قَبِلِهِ مُولَدَالُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِيكَ أَتَّقَوًّا أَفَلَا تَعْمَ قِلُوبَ ۞ حَقَّ إِذَا ٱسْتَيْعَسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُوا أَنْهُمْ قَدْ حَكُذِبُوا جَآءَهُمْ نَصْرُبُ الْمُثِيِّنَ مَن نُشَكَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْمُ مَا عَنِ ٱلْفَوْمِ ٱلْمُجْمِينَ ۞ لَقَدْ كَانَ فِي صَهِمِ هِرْعِبْرَةً لِأَوْلِي ٱلْأَلْبُ مَاكَانَ حَدِيثَا يُمْ تَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْدِ وَتَفْصِلَ كُلِنْنَ وَهُدَى وَرَحْمَةُ لِعَوْمِ وُوْمِنُونَ MONOMONIA ENTRE OF

ويعمل بالأسباب التي تنفعه في دينه ودنياه .

ومنها: حسن تدبير يوسف لما تولى خزائن الأرض، حتى كثرت عندهم الفلات جداً حتى صار أهل الأقطار يقصدون مصر لطلب الميرة منها، لعلمهم بوفورها فيها، وحتى إنه كان لا يكيل لأحد إلا مقدار الحاجة الخاصة أو أقل، لا يزيد كل قادم على كل بعير وحمله.

ومنها: مشروعية الضيافة، وأنها من سنن المرسلين، وإكرام الضيف لقول يوسف لإخوته ﴿ ألا ترون أني أوفى الكيل وأنا خير المنزلين ﴾ .

ومنها: أن سوء الظن مع وجود القرائن الدالة عليه غير عنوع ولا عرم، فإن يعقوب قال لأولاده \_ بعدما امتنع من إرسال يوسف معهم حتى عالجوه أشد المعالجة، ثم قال لهم بعد ما أتوه، وزعموا أن الذئب أكله ﴿بل سولت لكم أنفسكم أمراً ﴾ وقال لهم في الأخر : ﴿هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم عليه إلا كما أمنتكم عليه إلا كما أحتبسه يوسف عنده، وجاء إخوته المتبسه يوسف عنده، وجاء إخوته أنفسكم أمراً ﴾ فهم في الأخيرة \_ وإن أنفسكم أمراً ﴾ فهم في الأخيرة \_ وإن أوجب لأبيهم أن قال ما قال، من غير أوجب لأبيهم أن قال ما قال، من غير أوجب لأبيهم أن قال ما قال، من غير

إثم عليه ولا حرج.

ومنها: أن آستعمال الأسباب الدافعة للعين أو غيرها من المكاره، أو الرافعة لها بعد نزولها، غير ممنوع، بل جائز، وإن كان لا يقع شيء إلا بقضاء وقدر، فإن الأسباب أيضاً من القضاء والقدر، لأمر يعقوب حيث قال لبنيه: ﴿ الله المنه المناورة الدالما المناورة ا

ومنها: جواز استعمال المكايد التي يتوصل بها إلى الحقوق، وأن العلم بالطرق الخفية الموصلة إلى مقاصدها مما يحمد عليه العبد، وإنما الممنوع، التحيل على إسقاط واجب، أو فعل

ومنها: أنه ينبغي لمن أراد أن يوهم غيره، بأمر لا يحب أن يطلع عليه، أنْ يستعمل المعاريض القولية والفعلية المانعة له من الكذب، كما فعل يوسف حيث ألقى الصُّواع في رحل أخيه، ثم استخرجها منه، موهماً أنه سارق، وليس فيه إلا القرينة الموهمة لإخوته، وقال بعد ذلك: ﴿معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده ﴾ ولم يقل «من سرق متاعنا؛ وكذلك لم يقل «إنا وجدنا متاعنا عنده الله أتى بكلام عام يصلح له ولغيره، وليس في ذلك محذور، وإنما فيه إيهام أنه سارق ليحصل المقصود الحاضر، وأنه يبقى عند أخيه (١)، وقد زال عن الأخ هذا الإيهام يوسف. بعد ما تبينت الحال.

> ومنها: أنه لا يجوز للإنسان أن يشهد إلا بما علمه، وتحققه إما بمشاهدة أو خبر من يثق به، وتطمئن إليه النفس لقولهم: ﴿وما شهدنا إلا بما علمنا﴾.

ومنها: هذه المحنة العظيمة التي امتحن الله بها نبيه وصفيه يعقوب عليه السلام، حيث قضى بالتفريق بينه وبين ابنه يوسف، الذي لا يقدر على فراقه ساعة واحدة، ويحزنه ذلك أشد الحزن، فحصل التفريق بينه وبينه مدة طويلة، لا تقصر عن خسة عشر سنة،

ويعقوب لم يفارق الحزن قلبه في هذه المدة ﴿وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ﴾ ثم ازداد به الأمر شدة، حين صار الفراق بينه وبين ابنه الثاني شقيق يوسف، هذا وهو صابر لأمر الله، فحسب الأجر من الله، قد وعد من نفسه الصبر الجميل، ولا شك أنه وفى بما وعد به، ولا ينافي ذلك، قوله: الشكو بثي وحزني إلى الله ﴾ فإن الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، وإنما الذي ينافيه، الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، المخلوقين.

ومنها: أن الفرج مع الكرب؛ وأن مع العسر يسراً، فإنه لما طال الحزن على يعقوب واشتد به إلى أنهى ما يكون، ثم حصل الاضطرار لآل يعقوب ومسهم الضر، أذن الله حينئذ بالفرج، فحصل التلاقي في أشد الأوقات إليه حاجة واضطراراً، فتم بذلك الأجر وحصل السرور، وعلم من ذلك أن الله يبتلي أولياءه بالشدة والرخاء، والعسر واليسر ليمتحن صبرهم وشكرهم، ويزداد \_ بذلك \_ إيمانهم ويقينهم وعرفانهم.

ومنها: جواز إخبار الإنسان بما يجد، وما هو فيه من مرض أو فقر ونحوهما، على غير وجه التسخط، لأن إخوة يوسف قالوا: ﴿يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر﴾ ولم ينكر عليهم يعسف.

ومنها: فضيلة التقوى والصبر، وأن كل خير في الدنيا والآخرة فمن آثار التقوى والصبر، وأن عاقبة أهلهما أحسن العواقب، لقوله: ﴿قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾.

ومنها: أنه ينبغي لمن أنعم الله عليه بنعمة بعد شدة وفقر وسوء حال، أن يعترف بنعمة الله عليه، وأن لا يزال ذاكراً حاله الأولى، ليحدث لذلك شكراً كلما ذكرها، لقول يوسف عليه السلام: ﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو﴾

ومنها: لطف الله العظيم بيوسف، حيث نقله في تلك الأحوال، وأوصل إليه الشدائد والمحن، ليوصله بها إلى أعلى الغايات ورفيع الدرجات.

ومنها: أنه ينبغي للعبد أن يتملق إلى الله دائماً في تثبيت إيمانه، ويعمل الأسباب الموجبة لذلك، ويسأل الله حسن الخاتمة، وتمام النعمة لقول يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿ربّ قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً والحقني بالصالحين.

فهذا ما يسر الله من الفوائد والعبر في هذه القصة المباركة، ولا بدأن يظهر للمتدبر المتفكر غير ذلك.

فنسأله تعالى علماً نافعاً وعملاً متقبلاً، إنه جواد كريم.

تم تفسير سورة يوسفُ وأبيه وإخوته عليهم الصلاة والسلام ، والحمد لله رب العالمين

## تفسير سبورة السرعبد، وهي مدنية، وقيل: مكية

﴿ ا ﴾ ﴿ بسم الله الرحن الرحيم المرتبك الحتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ يخبر تعالى أن هذا القرآن هو آيات الكتاب الدالة على كل ما يحتاج إليه العباد من أصول الدين من ربه هو الحق المبين، لأن أخباره صدق، وأوامره ونواهيه عدل، مؤيدة بالأدلة والبراهين القاطعة، فمن أقبل عليه وعلى علمه، كان من أهل العلم عليه وعلى علمه، كان من أهل العلم بالحق، الذي يوجب لهم علمهم، العمل بما أحب الله.

﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ بهذا القرآن، إما جهلا وإعراضاً عنه وعدم اهتمام به، وإما عناداً وظلماً، فلذلك أكثر الناس غير منتفعين به، لعدم السبب الموجب للانتفاع.

﴿٢ - ٤ ﴾ ﴿الله السندي رفسع
 السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى
 على العرش وسخر الشمس والقمر كل

يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون \* وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون \* وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضًل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ يخبر تعالى عن انفراده بالخلق والتدبير، والعظمة والسلطان الدال على أنه وحده المعبود، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، فقال: ﴿الله الذي رفع السماوات ﴾ على عظمها واتساعها بقدرته العظيمة، ﴿بغير عمد ترونها ﴾ أي: ليس لها عمد من تحتها، فإنه لو كان لها عمد، لرأيتموها، ﴿ثم المعدما خلق السماوات والأرض ﴿استوى على العرش﴾ العظيم الذي هو أعلى المخلوقات، استواء يليق بجلاله ويناسب كماله.

وسخر الشمس والقمر به لمصالح العباد ومصالح مواشيهم وثمارهم، وكل من الشمس والقمر ويجري بتدبير العزيز العليم، ولأجل مسمى بسير منتظم، لا يفتران ولا ينيان، حتى يجيء الأجل المسمى وهو طي الله هذا العالم، ونقلهم إلى الدار الأخرة التي هي دار القرار، فعند ذلك يطوي الله السماوات، ويبدلها، ويغير الأرض ويبدلها، فتكور الشمس والقمر، ويجمع بينهما، فيلقيان في النار، ليرى من عبدهما أنهما غير أهل لعبادة؛ فيتحسر بذلك أشد الحسرة، وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين.

وقوله: ﴿يدبر الأمر يفصل الآيات﴾ هذا جمع بين الخلق والأمر، أي: قد استوى الله العظيم على سرير الملك، يدبر الأمور في العالم العلوي والسفلي، فيخلق ويرزق، ويغني ويفقر، ويرفع أقواماً ويضع آخرين، ويعز ويذل، ويخفض ويرفع، ويقيل العثرات، ويفرج الكربات، وينفذ

القالليق المنظامة ال

الأقدار في أوقاتها التي سبق بها علمه، وجرى بها قلمه، ويرسل ملائكته الكرام لتدبير ما جعلهم على تدبيره.

وينزل الكتب الإلهية على رسله، ويبين ما يحتاج إليه العباد من الشرائع والأوامر والنواهي، ويفصلها غاية التفصيل ببيانها وإيضاحها وتمييزها، ولعلكم بسبب ما أخرج لكم من الآيات الأفقية، والآيات القرآنية، وبلقاء ربكم توقنون فإن كثرة الأدلة وبيانها ووضوحها، من أسباب حصول اليقين في جميع الأمور الإلهية، خصوصاً في العقائد الكبار، كالبعث والنشور والإخراج من القبور.

وأيضاً فقد علم أن الله تعالى حكيم لا يخلق الخلق سدى، ولا يتركهم عبثاً، فكما أنه أرسل رسله وأنزل كتبه لأمر العباد ونهيهم، فلا بد أن ينقلهم إلى دار يحل فيهم جزاؤه، فيجازي المحسنين بأحسن الجزاء، ويجازي المسيئين بإساءتهم.

﴿وهو الذي مدّ الأرض﴾ أي: خلقها للعباد، ووسعها، وبارك فيها، ومهدها للعباد، وأودع فيها من مصالحهم ما أودع، ﴿وجعل فيها رواسي﴾ أي: جبالاً عظاماً، لئلا تميد بالخلق، فإنه لولا الجبال لمادت بأهلها، لأنها على تيار ماء، لا ثبوت لها ولا جعلها الله أوتاداً لها.

**医** وَيَسْتَعْجِلُونِكَ بِٱلسَّيْنَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمُثَلَثُ وَإِذَ رَبِّكَ لَدُومَغْ فِرَوَ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمَهِ وَإِنَّ زَبِّكَ ﴿ لَشَيدُ ٱلْمِقَابِ ۞ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَآ أُسْرِلَ عَلَيْهِ ءَايَةً مِن زَيَةً إِنَّا أَنتَ مُنذِرٌّ وَإِكُلْ قَوْمِهَادِ ۞ ٱللَّهُ يُقِلَدُ مَا تَخْدِلُ كُلُّ أَنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَمْحَامُ وَمَالَوْدَادُّ وَكُنُّ ثَنَّى: عِندَهُ عِقْدَادِ ۞ عَلِيمُ ٱلْعَيْبِ وَٱلْشَهَا لَهِ ۗ ٱلْكَبِيرُٱلْمُنْعَالِ ۞ سَوَّا ۚ يُنكُم مِّنْ أَسَرَّالْقَوْلَ وَمَن جَهَرَيهِ وَمَنْ هُوَمُسْتَخْفِ بِٱلَّيلِ وَسَادِتُ بِٱلنَّهَادِ اللَّهِ ۞لَهُ مُعَقِّبَاتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْدِ وَمِنْ خَلْفِهِ مِيْحَفَظُويَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ أَرَادَ اللَّهُ يِ قَوْمِ مُوتَا فَلا مَرَدٌ لَهُ وَمَا لَحُم مِن دُونِهِ مِن وَال ٩ هُوَالَّذِي يُرِيكُمُ ٱلْبَرْفَ خَوْفَ وَطَمَعًا وَيُنْفِئُ النَّهُ النَّعَالَ ۞ وَيُسَيِّمُ الزَّعَدُ بِحَنْدِهِ وَٱلْلَلْيَكِ اللَّهُ مِنْ خِفَتِهِ وَرُرْسِلُ الصَّوَعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا سَ يَشَأَهُ وَهُمْ يُجَلِدُلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَكِيدُ الْحَالِ ٣ TO STORY OF THE PARTY OF THE PA

﴿و﴾ جعل فيها﴿أنهاراً﴾ تسقى الادميين وبهائمهم وحروثهم، فأخرج بها من الأشجار والزروع والثمار خيراً كثيراً، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ كُلِّ الثَّمْرَاتُ جعل فيها زوجين اثنين ﴾ أي: صنفين مما يحتاج إليه العباد.

﴿يغشى الليل النهار﴾ فتظلم الآفاق، فيسكن كل حيوان إلى مأواه، ويستريحون من التعب والنصب في النهار، ثم إذا قضوا مأربهم من النوم، غشى النهار الليل، فإذا هم مصبحون منتشرون في مصالحهم وأعمالهم في النهار .

﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون).

﴿إِن في ذلك لآيات﴾ على المطالب الإلهية ﴿لقوم يتفكرون﴾ فيها، وينظرون فيها نظر اعتبار دالة على أن الذي خلقها ودبرها وصرفها، هو الله الذي لا إله إلا هو، ولا معبود سواه، وأنه عالم الغيب والشهادة، الرحن الرحيم، وأنه القادر على كل شيء، الحكيم في كل شيء، المحمود على ما خلقه وأمرُّ به تباركُ وتعالى.

ومن الآيات على كمال قدرته وبديع صنعته، أن جعل ﴿ في الأرض قطع متجاورات وجنات ﴿ فيها أنواع

الأشجار ﴿من أعناب وزرع ونخيل﴾ وغير ذلك، والنخيل التي بعضها ﴿صنوان﴾ أي: عدة أشجار في أصل واحد، ﴿وغير صنوانِ بأن كَان كل شجرة على حدتها، والجميع ﴿يسقى بماء واحدى وأرضه واحدة ونفضل بعضها على بعض في الأكل، لوناً، وطعماً، ونفعاً، ولَّذَة؛ فهذه أرض طيبة تنبت الكلأ والعشب الكثير، والأشبجار والزروع، وهدده أرض تلاصقها لا تنبت كلاً ولا تمسك ماء وهذه تمسك الماء، ولا تنبت الكلا، وهذه تنبت الزروع والأشجار، ولا تنبت الكلأ، وهذه آلثمرة حلوة، وهذه مرة، وهذه بين ذلك.

فهل هذا التنوع في ذاتها وطبيعتها؟ أم ذلك تقدير العزيز الرحيم؟

﴿إِن فِي ذَلِكَ لآيات لقوم يعقلون﴾ أي: لقوم لهم عقول تهديهم إلى ما ينفعهم، وتقودهم إلى ما يرشدهم ويعقلون عن الله وصاياه وأوامره ونواهيه، وأما أهل الإعراض، وأهل البلادة فهم في ظلماتهم يعمهون، وفي غيهم يترددون، لا يهتدون إلى ربهم سبيلاً ولا يعون له قبلاً.

﴿٥﴾ ﴿وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنا تراباً أإنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النارهم فيها خالدون ﴾ يحتمل أن معنى قوله ﴿وإن تعجب من عظمة الله تعالى وكثرة أدلة توحيده، فإن العجب \_مع هذا \_ إنكار المكذبين، وتكذيبهم بالبعث، وقولهم ﴿أَإِذَا كُنَا تُرَابِاً أَإِنَا لَفِي خَلَقَ جديد الله أي: هذا بعيد في غاية ألامتناع بزعمهم، أنهم بعدماً كانوا ترابأً، أن الله يعيدهم، فإنهم \_من جهلهم \_ قاسوا قدرة الخالق بقدرة المخلوق.

فلما رأوا هذا ممتنعاً في قدرة المخلوق، ظنوا أنه ممتنع على قدرة الخالق، ونسوا أن الله خلقهم أول مرة ولم يكونوا شيئاً.

قولهم وتكذيبهم للبعث، فإن ذلك من العجائب، فإن الذي توضح له الآيات، ويرى من الأدلة القاطعة على البعث ما لا يقبل الشك والريب، ثم ينكر ذلك، فإن قوله من العجائب.

ولكن ذلك لا يستغرب على ﴿اللَّذِينَ كَفُرُوا بِرَجِمَ ﴾ وجحدوا وحدانيته، وهي أظهر الأشياء وأجلاها، ﴿وأولئكُ الأغلالِ المانعة لهم من الهدى ﴿في أعناقهم ﴾ حيث دعوا إلى الإيمان فلم يؤمنوا، وعرض عليهم الهدى فلم يهتدوا، فقلبت قلوبهم وأفئدتهم عقوبة على أنهم لم يؤمنوا به أول مرة، ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون لا يخرجون منها أبداً.

﴿٦﴾ ﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب، يخبر تعالى عن جهل المكذبين لرسوله، المشركين به، الذين وعظوا فلم يتعظوا، وأقيمت عليهم الأدلة فلم ينقادوا لها، بل جاهروا بالإنكار، واستدلوا بحلم [الله] الواحد القهار عنهم، وعدم معاجلتهم بذنوبهم، أنهم على حق، وجعلوا يستعجلون الرسول بالعذاب، ويقول قائلهم: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء، أو اثننا بعذاب أليم♦.

﴿وَ ﴾ الحال أنه ﴿قد خلت من قبلهم المثلات) أي: وقائع الله وأيامه في الأمم المكذبين، أفلا يتفكرون في حالهم ويتركون جهلهم، ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ أي: لا يزال خيره إليهم، وإحسانه وبره وعفوه نازلاً إلى العباد، وهم لا يزال شرهم(١) وعصيانهم إليه صاعداً.

يعصونه فيدعوهم إلى بابه، ويجرمون، فلا يحرمهم خيره وإحسانه، فإن تابوا إليه فهو حبيبهم، لأنه يحب التوابين، ويحب المتطهرين وإن لم يتوبوا ويحتمل أن معناه: وإن تعجب من فهو طبيبهم، يبتليهم بالمصائب، ليطهرهم من المعايب ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يخفر الذنوب جميعاً، إنه هو الغفور الرحيم). ﴿وإن ربك لشديد العقاب ﴾ على

من لم يزل مصراً على الذنوب، قد أبي التوبة والاستغفار والالتجاء إلى العزيز الغفار، فليحذر العباد من عقوباته بأهل الجرائم، فإن أخذه أليم شديد.

﴿٧﴾ ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ أي: ويقترح الكفار عليك من الآيات، التي يعينونها ويقولون: ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ ويجعلون هذا القول منهم، عذراً لهم في عدم الإجابة إلى الرسول، والحال أنه منذر ليس له من الأمر شيء، والله هو الذي ينزل الآيات.

وقد أيده بالأدلة البينات التي لا تخفى على أولي الألباب، وبها يهتدي من قصده الحق، وأما الكافر الذي \_ من ظلمه وجهله \_يقترح على الله الآيات، فهذا اقتراح منه باطل وكذب وافتراء<sup>(١)</sup>.

فإنه لو جاءته أي: آية كانت لم يؤمن ولم ينقد، لأنه لم يمتنع من الإيمان، لعدم ما يدله على صحته، وإنما ذلك لهوى نفسه، واتباع شهوته، ﴿ولكل قوم هاد﴾ أي: داع يدعوهم إلى الهدى من الرسل وأتباعهم، ومعهم من الأدلة والبراهين ما يدل على صحة ما معهم من الهدى.

﴿٨ - ١١﴾ ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شىء عنده بمقدار \*عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال \* سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار # له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال﴾ يخبر تعالى بعموم علمه،

وسعة اطلاعه، وإحاطته بكل شيء فقال: ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى ﴾ من بني آدم وغيرهم، ﴿وما تغيض الأرحام﴾ أي: تنقص عما فيها، إما أن يهلك الحمل، أو يتضاءل أو يضمحل، ﴿وما تزداد﴾ الأرحام وتكبر الأجنة التي فيها، ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ لا يتقدم عليه ولا يتأخّر، ولا يزيد ولا ينقص إلا بما تقتضيه حكمته وعلمه.

فإنه ﴿عالم الغيب والشهادة الكبير ﴾ في ذاته وأسمائه وصفاته ﴿المتعال﴾ على جميع خلقه، بذاته وقدره وقهره. ﴿سُواءٌ منكم ﴾ في علمه وسمعه،

﴿من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل﴾ أي: مستقر بمكان خفي فيه، ﴿وسارب بالنهار﴾ أي: داخل سربه في النهار، والسرب هو ما يختفي فيه الإنسان، إما جوف بيته، أو غار، أو مغارة، أو نحو

(۱۱۶) وله أي: للإنسان ﴿معقبات﴾ من الملائكة، يتعاقبون في الليل والنهار .

﴿من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله الله أي: يحفظون بدنه وروحه من كل من يريده بسوء، ويحفظون عليه أعماله، وهم ملازمون له دائماً، فكما أن علم الله محيط به، فالله قد أرسل هؤلاء الحفظة على العباد، بحيث لا تخفى أحوالهم ولا أعمالهم، ولاينسي منهاشيء، ﴿إِنَّ الله لا يغير ما بقوم ﴾ من النعمة والإحسان ورغد العيش ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ بأن ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر، ومن الطاعة إلى المعصية، أو من شكر نعم الله إلى البطربها، فيسلبهم الله عند ذلك إياها.

وكذلك إذا غير العباد ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى طاعة الله، غيَّر الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة، ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللهِ بِقُومُ سُوءًا ﴾ أي: عذاباً

TO CHILD IN COUNTY OF THE PARTY لَّهُ وَعُوةً ٱلْحُقِّ وَٱلَّذِيكَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ وَلاَيْتَ جَيِبُوكَ ﴿ لَمُدُرِثَتِي وَإِلَّا كَيْنِيطِ كَفَيِّتِهِ إِلَى ٱلْكَاهِ لِيَبْلُغُونَاهُ وَمَا هُوَ بَبِلِغِيهِ وَمَادُعَآءُ ٱلْكَفِرِينَ الَّافِ صَلَالِ ۞ وَيَلُوبَسُهُ تَمَنُ فِي السَّكُونِ وَالْأَرْضِ لَمْوَعَاوَكُرْهَا وَظِلَالُهُمْ وَالْفُدُو وَالْأَصَالِ ﴿ فَكُلَّمَ زَّبُ الشَّمَوَٰنِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلُ الْمَا تَعَذَّرُ مِن دُونِ وِرَ أَوْلِيكَةً لَا يَلِكُونَ لِأَنفُسِهِ مَنْهَا وَلَاضَرَّا قُلْ هَلْ إِنَّ وَعَالْأَضَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ مَنْتَوِى الظُّلُكُ أَتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا بِنَو شُرَكَ أَهُ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ مُنَشَّلِهَ ٱنْخَلَقُ عَلَيْهِمُّ قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ مَنْ وَوَحُو الْخِيدُ ٱلْفَهَارُ إِلَى اللَّهُ السَّمَاءِ مَا أَنْ مَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ فِقَدَرِهَا فَأَخْمَلَ التنزل زَبَدًا زَلِياً وَعِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ٱبْيَغِيكَ آمِيلَيَّةٍ أَوْمَتَنَّعِ زَيَدٌ مِنْ أُمَّ كُذَاكِ يَضْرِبُ اللَّهُ أَنْحَقَّ وَٱلْبَطِلَّ فَأَمَّا الزَّيَدُ و لَهُ اللَّهُ عَبُّ جُفَأَةً وَأَمَا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمَكُثُ فِي ٱلْأَرْضُ كُذَٰ لِكَ يَقْرِبُ اللَّهُ ٱلأَمْثَالَ ۞ لِلَّذِينَ اَسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَ وَالَّذِيبَ لريستنج بواله لوآن كمتم مان الأرض يحيعا ويشكه ممكلاتندوا و الما الله المراكبة المراكبة المسكاب وَمَا وَهُرْجَا أُرْوَيْ وَالْمَادُ ﴿ DECEMBER OF DEPOSED

وشدة، وأمراً يكرهونه، فإن إرادته لا بدأن تنفذ فيهم.

﴿ وَفَّ إِنَّهُ ﴿ لا مردله ﴾ ولا أحد يمنعهم منه، ﴿وما لهم من دونه من وال) يتولى أمورهم، فيجلب لهم المحبوب، ويدفع عنهم المكروه، فليحذروا من الإقامة على ما يكره الله، خشية أن يحل بهم من العقاب ما لا يرد عن القوم المجرمين.

﴿١٢ ـ ١٣﴾ ﴿ هو الذي يريكم البرق خوفأ وطمعأ وينشىء السحاب الثقال \* ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال) يقول تعالى: ﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً ﴾ أي: يخاف منه الصواعق والهدم، وأنواع الضرر، على بعض الشمار ونحوها، ويطمع في خيره ونفعه، ﴿وينشيء السحاب الثقال؛ بالمطر الغزير الذي به نفع العباد والبلاد.

﴿ويسبح الرعد بحمده ﴾ وهو الصوت، الذي يسمع من السحاب المزعج للعباد، فهو خاضع لربه مسبح بحمده، ﴿و﴾ تسبح ﴿الملائكة من خيفته ﴾ أي: خشعاً لربهم، خائفين من سطوته، ﴿ويرسل الصواعق﴾ وهي هذه النار التي تخرج من السحاب،

GO RELIEF. RESIDIES SO • أَفَنَ تَعَادُ أَنَّنَا أُزِلَ إِلَيْكَ مِن زَيْكَ آنَتُ كُنْ هُوَأَعْنَ إِنَّا إِنَّاكُمُ أَوْلُوا ٱلْأَلْيَكِ ۞ ٱلَّذِينَ وُفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ ٱلَّهِ ثُلَّ ٥ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمْرَ ٱللَّهُ مِهِ وَأَن يُوصَلَ وَيَغْشُونَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ أَلِيسَابِ۞ وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجُودَتِهِ مُ وَأَقَامُواْ الصَّلَوْةَ وَأَنفَقُواْعَ ارْزَفْهُمْ سِرَّا وَعَلَانِيَّةً وَيَدْرَهُ وِنَ بِٱلْمُكَنَةِ ٱلْكِينَةَ أُولَلِكَ كَرُعُقِي ٱلدَّارِ جَنَّتُ عَدْنِ يَدْخُلُونَا وَمَن صَلَمَ مِنْ عَابَآبِهِمْ وَأَزْوَجِهِمْ وَذُرِّيَّا لِهِمْ وَٱلْلَيْكُ مُنْ يَنْخُلُونَ عَلَيْهِ وَنَكْلِ بَابِ۞ سَلَنَدُ عَلَيْكُم بِمَاصَبُرْ ثُمُّ فَغَدَعُفَى ٱلدَّادِ۞ وَٱلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَاللَّهِ مِنْ بَعْدِمِيثَقِهِ وَيَقَطَعُونَ مَّا أَمْرَالَقَهُ بِيرَ أَن يُوْصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُوْلَيْكَ لَمُواُ الْغَنَـٰءُ وَلَمْرُ سُوءُ الدَّارِ ۞ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقَدِرُ وَفَرِحُواْ بِآكَيْوَةِ ٱلدُّنِّهَ وَمَا آكْيَوَةُ ٱلدُّنْيَافِ ٱلْآخِرَةِ إِلَّامَتَكُمْ ۞ وَيَقُولُ ٱلَّذِيرَ كَفَرُوا لَوَلَا أَرْلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن زَيَّةٍ عَلَى أَنَّالَةَ مُضِلًّا مَن يَشَآهُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مِنْ أَسَابَ ۞ ٱلَّذِيرَ مَامَعُوا وَتَطْمَيْنُ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِنِكْرِ اللَّهِ تَطْمَيِنُ ٱلْقُلُوبُ ۞ TOWNS TON LONG BOOK

﴿فيصيب بها من يشاء ﴾ من عباده، بحسب ما شاءه وأراده ﴿وهو شديد المحال ﴾ أي: شديد الحول والقوة، فلا يريد شيئاً إلا فعله، ولا يتعاصى عليه شيء، ولا يفوته هارب.

فإذا كان هو وحده، الذي يسوق للعباد الأمطار والسحب التي فيها مادة أرزاقهم، وهو الذي يدبر الأمور، وتخضع له المخلوقات العظام التي يخاف منها، وتزعج العباد، وهو شديد القوة \_ فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له، ولهذا قال:

(18) والم دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال أي: لله وحده ودعوة الحق وهي: عبادته وحده لا شريك له، وإخلاص دعاء العبادة ودعاء المسألة له والمناب أي: هو الذي ينبغي أن يصرف له الدعاء، والخوف والرجاء، والحب، والرعبة، والإنبابة، لأن الوهيته هي الحق، وألوهية غيره الماطلة، ووالذين يدعون من دونه من المؤثان والأنداد التي جعلوها شركاء لله.

﴿لا يستجيبون لهم﴾ أي: لن يدعوها ويعبدها، بشيء قليل ولا كثير، لا من أمور الدنيا ولا من أمور الآخرة، ﴿إلا كباسط كفيه إلى الماء﴾

الذي لا تناله كفاه لبعده، ﴿ليبلغ﴾ ببسط كفيه إلى الماء ﴿فاه ﴾ فإنه عطشان، ومن شدة عطشه يتناول بيده ويبسطها إلى الماء الممتنع وصولها إليه، فلا يصل إليه.

كذلك الكفار الذين يدعون معه آلهة، لا يستجيبون لهم بشيء ولا ينفعونهم في أشد الأوقات إليهم حاجة، لأنهم فقراء، كما أن من دعوهم فقراء، لا يملكون مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وما لهم فيهما من شرك، وما له منهم من ظهير.

﴿وما دعاء الكافريس إلا في ضلال لله لبطلان ما يدعون من دون الله، فبطلت عباداتهم ودعاؤهم، لأن الوسيلة تبطل ببطلان غاينها، ولما كان الله تعالى هو الملك الحق المبين، كانت عبادته حقاً متصلة النفع لصاحبها في الدنيا والآخرة.

وتشبيه دعاء الكافرين لغير الله بالذي يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه من أحسن الأمثلة؛ فإن ذلك تشبيه بأمر عال، فكما أن هذا محال، فالمشبه به عال، والتعليق على المحال من أبلغ ما يكون في نفي الشيء، كما قال تعالى: هإن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط».

و ۱۵ و وله يستجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالغدو والآصال أي: جميع ما احتوت عليه السماوات والأرض كلها خاضعة لربها، تسجد له ﴿ وطوعاً والخضوع اختياراً كالمؤمنين، والكره والخضوع اختياراً كالمؤمنين، والكره وفطرته تكذبه في ذلك، ﴿ وظلالهم بالغدو والآصال ﴾ أي: ويسجد له وسجود كل شيء بحسب حاله، كما قال تعالى: ﴿ وإن من شيء إلا يسبح محمده ولك؛ لا تفقه دن تستجمه ﴾

بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم). فإذا كانت المخلوقات كلها تسجد

لربها طوعاً وكرهاً، كان هو الإله حقاً، المعبود المحمود حقاً، وإلاهية غيره باطلة، ولهذا ذكر بطلانها وبرهن عليه بقوله:

﴿ ١٦﴾ ﴿ قبل من رب السماوات والأرض قبل الله قبل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً قبل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قبل الله خالق كل شيء وهو المسركين به أوثاناً وأنداداً يجبونها كما والعبادات: أفتاهت عقولكم حتى والعبادات: أفتاهت عقولكم حتى بالعبادة، وليسوا بأهل لذلك؟

فإنهم ﴿لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ﴾ وتتركون ولاية من هو كامل الأسماء والصفات، المالك للأحياء والأموات، الذي بيده الخلق والتدبير والنفع والضر؟ فما تستوي عبادة الله وحده، وعبادة المشركين به، كما لا يستوي الأعمى والبصير، وكما لا تستوي الظلمات والنور.

فإن كان عندهم شك واشتباه، وجعلوا له شركاء زعموا أنهم خلقوا كخلقه، وفعلوا كفعله، فأزل عنهم هذا الاشتباه واللبس، بالبرهان الدال على توحد الإله بالوحدانية، فقل لهم: فلا خالق كل شيء فإنه من المحال أن يخلق شيء من الأشياء نفسه.

ومن المحال أيضاً أن يوجد من دون خالق، فتعين أن لها إلها خالقاً لا شريك له في خلقه، لأنه الواحد القهار، فإنه لا توجد الوحدة والقهر فوقه مخلوق يقهره، ثم فوق ذلك القاهر قاهر أعلى منه، حتى ينتهي القهر للواحد القهار، فالقهر والتوحيد متلازمان، متعينان لله وحده، فتبين مالدليل العقلي القاهر، أن ما يُدعى من دون الله ليس له شيء من خلق المخلوقات، وبذلك كانت عبادته اطلة.

﴿١٧﴾ ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ شبه تعالى الهدى الذي أنزله على رسوله لحياة القلوب والأرواح، بالماء الذي أنزله لحياة الأشباح، وشبه ما في الهدى من النفع العام الكثير الذي يضطر إليه العباد، بما في المطر من النفع العام الضروري، وشبه القلوب آلحاملة للهدى وتفاوتها بالأودية التي تسيل فيها السيول، فوادٍ كبير يسع ماء كثيراً، كقلب كبير يسع علماً كثيراً، ووَادِ صغير ياخِذ مآء قليلاً، كقلب صغير، يسع علماً قليلاً، و هكذا .

وشبه ما يكون في القلوب من الشهوات والشبهات عند وصول الحق إليها، بالزبد الذي يعلو الماء، ويعلو ما يوقد عليه النار من الحلية التي يراد تخليصها وسبكها، وأنها لا تزال فوق الماء طافية مكدرة له، حتى تذهب وتضمحل، ويبقى ما ينفع الناس من الماء الصافى والحلية الخالصة.

كذلك الشبهات والشهوات، لا يزال القلب يكرهها، ويجاهدها الجازمة، حتى تذهب وتضمحل ويبقى الجازمة، خالصاً صافياً، ليس فيه إلا ما القلب خالصاً صافياً، ليس فيه إلا ما ينفع الناس من العلم بالحق وإيثاره، والرغبة فيه، فالباطل يذهب ويمحقه الحق ﴿إن الباطل كان زهوقاً﴾ وقال هنا: ﴿كذلك يضرب الله الأمثال﴾ ليتضح الحق من الباطل والهدى من الضلال.

﴿١٨﴾ ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به أولتك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ لما بين تعالى الحق من الباطل، ذكر أن الناس على قسمين: مستجيب لربه، فذكر

ثوابه، وغير مستجيب، فذكر عقابه فقال: ﴿للذين استجابوا لربهم﴾ أي: انقادت قلوبهم للعلم والإيمان، وجوارحهم للأمر والنهي، وصاروا موافقين لربهم فيما يريده منهم، فلهم ﴿الحسني﴾ أي: الحالة الحسنة، والثواب الحسن.

فلهم من الصفات أجلها، ومن المناقب أفضلها ومن الثواب العاجل والآجل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ بعد ما ضرب لهم الأمثال، وبين لهم الحق، لهم الحالة غير الحسنة، فـ ﴿لو أن لهم ما في الأرض جميعاً﴾ من ذهب وفضة وغيرها، ﴿ومثله معه لافتدوا به﴾ من وأئى لهم ذلك؟!!

وأولتك لهم سوء الحساب وهو الحساب الذي يأتي على كل ما أسلفوه من عمل سيّىء، وما ضيعوه من حقوق الله وحقوق عباده قد كتب ذلك وسطر عليهم، وقالوا: ويا ويلتنا مالهذا الكتاب، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ومأواهم بعد هذا الحساب السيىء ومأواهم جهنم الجامعة لكل عذاب، من الجوع الشديد، والعطش الوجيع، والنار الحامية، والزقوم، والزمهرير، والنمريع، وجميع ما ذكره الله من أصناف العذاب، ووبس المهاد أي:

(19 - 27) ﴿ أَفُمن يعلم أَنما أَنزل إليك من ربك الحق كمن هو أَعمى إنما يتذكر أولوا الألباب \* الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق \* والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب \* والذين صبروا ابتغاء وجه را وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار \* جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون

عليهم من كل باب \* سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار \* يقول تعالى: مفرقاً بين أهل العلم والعمل وبين ضدهم: ﴿ أَفَمَن يَعلَم أَنَما أَنْزِلَ إِلَيك مِنْ رَبِكُ الْحَقّ \* فَفَهم ذلك وعمل به. ﴿ كَمَنْ هُو أَعمى \* لا يعلم الحق ولا يعمل به، فبينهما من الفرق، كما بين السماء والأرض، فحقيق بالعبد أن يتذكر ويتفكر، أيُّ الفريقين أحسن يتذكر ويتفكر، أيُّ الفريقين أحسن ويسلك خلف فريقها، ولكن ما كل أحد يتذكر ما ينفعه ويضره.

﴿إِنَمَا يَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ أي: أولو العقول الرزينة، والآراء الكاملة، الذين هم لُبُ العالم، وصفوة بني آدم، فإن سألت عن وصفهم، فلا تجد أحسن من وصف الله لهم بقوله:

والذين يوفون بعهد الله الذي عهده إليهم، والذي عامدهم عليه من القيام بحقوقه كاملة موفرة، فالوفاء بها توفيتها حقها من التتميم لها، والنصح في ولا ينقضون الميثاق أي: العهد الذي عاهدوا عليه الله، فدخل في ذلك جميع المواثيق والعهود والأينمان والنذور، التي يعقدها العباد، فلا يكون العبد من أولي الألباب الذين لهم الثواب العظيم، إلا بأدائها كاملة، وعدم نقضها وبخسها.

﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ﴿ وهذا عام في كلِّ ما أمر الله بوصله ، من الإيمان به وبرسوله ، وعبته ومحبة رسوله ، والانقياد لعبادته وحده لا شريك له ، ولطاعة رسوله .

ويصلون آباءهم وأمهاتهم، ببرهم بالقول والفعل، وعدم عقوقهم، ويسصلون الأقارب والأرحام، بالإحسان إليهم قولاً وفعلاً. ويصلون ما بينهم وبين الأزواج والأصحاب والماليك، بأداء حقهم كاملاً موفراً، من الحقوق الدينية والدنيوية.

والسبب الذي يجعل العبد واصلاً ما أمر الله به أن يوصل، خشية الله وخوف ينوم الحساب، ولهذا قال: ﴿وِيجُشون ربهم﴾ أي: يخافونه،

فيمنعهم خوفهم منه، ومن القدوم عليه يوم الحساب، أن يتجرؤوا على معاصي الله، أو يقصروا في شيء مما أمر الله به، خوفاً من العقاب ورجاءً للثواب.

و الذين صبروا على المأمورات بالامتثال، وعن النهيات بالانكفاف عنها والبعد منها، وعلى أقدار الله المؤلمة بعدم تسخطها.

ولكن بشرط أن يكون ذلك الصبر ﴿ابتغاء وجه ربهم ﴾ لا لغير ذلك من المقاصد والأغراض الفاسدة، فإن هذا الصبر النافع الذي يحبس به العبد نفسه، طلباً لمرضاة ربه، ورجاء للقرب منه، والحظوة بثوابه، وهو الصبر الذي من خصائص أهل الإيمان، وأما الصبر المشترك الذي غايته التجلد، ومنتهاه الفخر، فهذا يصدر من البر والفاجر، والمؤمن والكافر، فليس هو الممدوح على الحقيقة.

﴿وأقاموا الصلاة ﴾ باركانها ، وشروطها ومكملاتها ، ظاهراً وباطناً ، ﴿وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ﴾ كالزكوات والكفارات ، والنفقات المستحبة ، وأنهم ينفقون حيث دعت الحاجة إلى النفقة ، سراً وعلانية ، ﴿ويدرؤون بالحسنة السيئة ﴾ أي : من أساء إليهم بقول أو فعل ، لم يقابلوه بفعله ، بل قابلوه بالإحسان إليه .

فيعطون من حرمهم، ويعفون عمن ظلمهم، ويصلون من قطعهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، وإذا كانوا يقابلون المسيء بالإحسان، فما ظنك بغير المسيء؟!

﴿أُولِئُك﴾ الذين وصفت صفاتهم الجليلة ومناقبهم الجميلة ﴿لهم عقبى الدار﴾ فسرها بقوله: ﴿جنات عدن﴾ أي: إقامة لا يرولون عنها، ولا يبغون عنها حوّلاً، لأنهم لا يرون فوقها غاية لما اشتملت عليه من النعيم والسرور، الذي تنتهي إليه المطالب والغايات.

ومن تمام نعيمهم وقرة أعينهم، أنهم ﴿يدخلونها ومن صلح من آبائهم﴾ من

الذكور والإناث ﴿وأزواجهم﴾ أي: الزوج أو الزوجة وكذلك النظراء والأحباب، والأحباب، فإنهم من أزواجهم وذرياتهم، ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ يهنئونهم بالسلامة، وكرامة الله لهم ويقولون: ﴿سلام عليكم﴾ أي: حلت عليكم السلامة والتحية من الله وحصلت لكم، وذلك متضمن لزوال كل مكروه، ومستلزم لحصول كل عجوب.

﴿بِما صبرتم﴾ أي: صبركم هو الذي أوصلكم إلى هذه المنازل العالية، والجنان الغالية، ﴿فنعم عقبي الدار﴾.

فحقيق بمن نصح نفسه وكان لها عنده قيمة، أن يجاهدها، لعلها تأخذ من أوصاف أولي الألباب بنصيب، لعلها تخطى بهذه الدار، التي هي منية النفوس، وسرور الأرواح الجامعة لجميع اللذات والأفراح، فلمثلها فليعمل العاملون، وفيها فليتنافس المتنافسون.

﴿٢٥﴾ ﴿والذين ينقضون عهدالله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ لما ذكر حال أهل الجنة، ذكر أن أهل النار بعكس ما وصفهم به، فقال عنهم: ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه اي: من بعد ما أكده عليهم على أيدي رسله، وغلظه عليهم، فلم يقابلوه بالانقياد والتسليم، بل قابلوه بالإعراض والنقض، ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل الله فلم يصلوا ما بينهم وبين ربهم بالإيمان والعمل الصالح، ولا وصلوا الأرحام ولا أدوا الحقوق، بل أفسدوا في الأرض بالكفر والمعاصي، والصدعن سبيل الله، وابتغائها عِوْجاً، ﴿أُولَئُكُ لهم اللعنة﴾ أي: البعد والذم، من الله وملائكته وعباده المؤمنين، ﴿ولهم سوء الدارك وهي: الجحيم، بما فيها من العذاب الأليم.

﴿٢٦﴾ ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة

الدنيا في الآخرة إلا متاع اي: هو وحده يوسع الرزق ويبسطه على من يشاء، ويقدره ويضيقه على من يشاء، فوفرحوا أي: الكفار فبالحياة الدنيا فرحاً، أوجب لهم أن يطمئنوا بها، ويغفلوا عن الآخرة، وذلك لنقصان عقولهم، فوما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع أي: شيء حقير، يتمتع به قليلاً، ويفارق أهله وأصحابه، ويعقبهم ويلاً طويلاً.

﴿٢٧ \_ ٢٩﴾ ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدى إليه من أناب \* الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب \* الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم طوبي وحسن مآب، يخبر تعالى أن الذين كفروا بآيات الله، يتعنتون على رسول الله، ويقترحون ويقولون: ﴿لُولَا أَنْزُلُ عَلَيْهُ آية من ربه ﴾ وبزعمهم أنها لو جاءت لأمنوا، فأجابهم الله بقوله: ﴿قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب﴾ أي: طلب رضوانه، فليست الهداية والضلال بأيديهم، حتى يجعلوا ذلك متوقفاً على الآيات، ومع ذلك فهم كاذبون، ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى، وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً، ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله، ولكن أكشرهم يجهلون).

ولا يلزم أن يأتي الرسول بالآية التي يعينونها ويقترحونها، بل إذا جاءهم بآية تبين ما جاء به من الحق، كفى ذلك، وحصل المقصود، وكان أنفع لهم من طلبهم الآيات التي يعينونها، فإنها لو جاءتهم طبق ما اقترحوا، فلم يؤمنوا بها لعاجلهم العذاب، ثم ذكر تعالى علامة المؤمنين فقال:

﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله أي: يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها.

﴿ أَلَا بِذَكِرِ اللهِ تَطْمِئْنِ القَلُوبِ ﴾ أي: حقيق بما، وحَرِيًّ أَنْ لا تَطْمِئْنِ لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألذ

للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله، ذكر العبد لربه، من تسبيح وتهليل وتكبير وغير ذلك.

وقيل: إن المراد بذكر الله كتابه الذي أنزله ذكري للمؤمنين، فعلى هذا معنى طمأنينة القلوب بذكر الله: أنها حين تعرف معاني القرآن وأحكامه تطمئن لها، فإنها تدل على الحق المين المؤيد بالأدلة والبراهين، وببذلك تطمئن القلوب، فإنها لا تطمئن إلا باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله، مضمون على أتم الوجوه وأكملها، وأما ما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه، فلا تطمئن بها، بل لا تزال قلقة من تعارض الأدلة وتضاد الأحكام. ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ وهذا إنما يعرفه من خبر كتاب الله وتدبره، وتدبر غيره من أنواع العلوم، فإنه يجد بينها وبينه فرقاً عظيماً، ثم قال تعالى: ﴿الذين آمنوا وعملوا الصألحات ﴾ أي: آمنوا بقلوبهم بالله وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وصدقوا هذا الإيمان بالأعمال الصالحة، أعمال القلوب كمحبة الله وخشيته ورجائه، وأعمال الجوارح كالصلاة ونحوها، ﴿طوبي لهم وحسن مآب، أي: لهم حالة طيبة، ومرجع حسن.

وذلك بما ينالون من رضوان الله وكرامته في الدنيا والآخرة، وأن لهم كمال الراحة وتمام الطمأنينة، ومن جملة ذلك شجرة طوبى التي في الجنة، التي يسير الراكب في ظلها مثة عام ما يقطعها، كما وردت بها الأحاديث الصحيحة.

﴿٣٠﴾ ﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم المذي أوحينا إليك وهم يسكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب ﴾ يقول تعالى لنبيه عمد ﷺ ﴿كذلك أرسلناك ﴾ إلى قومك تدعوهم إلى الهدى، ﴿قد خلت

من قبلها أمم أرسلنا فيهم رسلنا، فلست ببدع من الرسل حتى يستنكروا رسالتك، ولست تقول من تلقاء نفسك، بل تتلو عليهم آيات الله التي أوحاها الله إليك، التي تطهر القلوب وتزكى النفوس.

والحال أن قومك يكفرون بالرحمن، فلم يقابلوا رحمته وإحسانه \_التي أعظمها أن أرسلناك إليهم رسولا، وأنزلنا عليك كتاباً \_ بالقبول والشكر، بل قابلوها بالإنكار والرد، أفلا يعتبرون بمن خلا من قبلهم من القرون المكذبة، كيف أخذهم الله بذنوبهم، فقل هو ربي لا إله إلا هو وهذا متضمن للتوحيدين، توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية.

فهو ربي الذي رباني بنعمه منذ أوجدني، وهو إلهي الذي ﴿عليه توكلت﴾ في جميع أموري ﴿وإليه متاب﴾ أي: أرجع في جميع عباداتي وفي حاجاتي.

﴿٣١﴾ ﴿ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريباً من دارهم حتى يأت وعدالله إن الله لا يخلف الميعاد) يقول تعالى مبيناً فضل القرآن الكريم على سائر الكتب المنزلة: ﴿ولو أن قرآناً ﴾ من الكتب الإلهية ﴿سيرت به الجبال ﴾ عن أماكنها ﴿أو قطعت به الأرض) جناناً وأنهاراً ﴿أُو كلم به الموتى لكان هذا القرآن. ﴿ بِلْ للهُ الأمر جميعاً ﴾ فيأتى بالآيات التي تقتضيها حكمته، قما بال المكذبين يقترحون من الآيات ما يقترحون؟ فهل لهم أو لغيرهم من الأمر شيء؟.

﴿أَفْلَم يَياسُ الذَّينَ آمنوا أَنْ لُو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ﴾ فليعلموا أنه قادر على هدايتهم جميعاً، ولكنه لا يشاء ذلك، بل يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ﴿ولا يزال الذين كفروا ﴾ على كفرهم، لا يعتبرون ولا يتعظون، والله تعالى يوالي عليهم

TO SERVE TO SERVE THE SERV اللَّهُ رَبِّ عَامَوُا وَعَمَلُوا ٱلصَّلَاحَتِ عُلُولِيَ لَمُمَّرُوحُتُ مُعَالِقًا كَذَلِكَ أَرْسَلُنَكَ فَيَ أُمَّةِ قَدْ خَلَتْ مِن قَيْلِهَا أَمَمُ لِنَنْكُواْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِي ٓ أَوْجَيْنَ ٓ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكُفُرُونِ إِلَّهُ مِنَّ قُلْ هُورَ بِ لا إلله إلا هُوَ عَلَتْهِ قُو حَلَيْ لَتُ وَ إِلَيْهِ مَنَابِ ۞ وَلُوَالَّ فُوانًا سُرَتْ بِهِ ٱلْجَيَالُ أَوْقِيلَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْكُلِمْ بِهِ ٱلْمُوْتُأْمِل يَتُواْلُأَدُوْمَ عِنَّا أَفَالَهُ وَأَيْتِينَ الَّذِيكَ وَاسْتُواْ أَنْ لَّوَيَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَيعَاً وَلَا يَزَالُ الَّذِيبَ كَفَرُواْ يُصِيبُهُم مَا صَنَّواْ قَارِعَةُ أَوْغَلُ مِّي بِّامِن دَارِهِ مُرحَتَّى يَأْتِ وَعْدُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُتْلِفُ لَلْيِعَادَ ۞ وَلَقَدَ أَسْتُهْزِئَ رُسُلِ مِن قَبْكَ فَأَمْلَتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذَتُهُمُّ فَكَيْفَكَاتَ عِقَابِ ۞ أَفَتَنَّ هُوَّا آيِمُ عَلَاكُ لِنَفْسِ بِمَاكَسَبَتْ وَجَعَلُواْلِيَوشُرُّآءَ قُلْسَتُوهُمُّ أَمْرُتُنِيَعُونَهُ بِمَا لَايَعْلَمُ فِي ٱلْأَرْضِ أَم يِظَلِهِ رِيْنَ ٱلْقَوَّلِّ بَلَّ زُيِّ لِلَّذِيبَ كَفَرُواْ مَكَ رُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَيَيِّ وَمَن يُضْلِل اللهُ فَاللهُ مِنْ هَادِه لِمُرْعَذَكُ فِي انْحَيَوْةِ اللُّهُ يَأْوَلَعَذَابُ الْآيَرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَمُدُمِّرَ اللَّهِ مِن وَاقِ ۞ TO DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF THE PROPERTY

القوارع التي تصيبهم في ديارهم، أو تحل قريباً منها، وهم مصرون على كفرهم ﴿حتى يأتي وعد الله الذي وعدهم به، لنزول العذاب المتصل الذي لا يسمكن رفعه، ﴿إن الله لا يخلف الميعاد ﴾ وهذا تهديد لهم وتخويف من نزول ما وعدهم الله به على كفرهم وعنادهم وظلمهم.

و ٣٢﴾ ﴿ ولقد استهزىء برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب ﴾ يقول تعالى لرسوله \_ مثبتاً له ومسلياً \_ ﴿ ولقد استهزىء برسل من قبلك ﴾ فلست أول رسول كُذُب وأوذِي ﴿ فأمليت للذين كفروا ﴾ برسلهم، أي: أمهلتهم مدة ختى ظنوا أنهم غير معذبين. ﴿ ثم أخذتهم ﴾ بأنواع العذاب ﴿ فكيف كان عقاب ﴾ كان عقاباً شديداً وعذاباً أليماً، فلا يغتر هؤلاء الذين كذبوك واستهزؤوا بك بإمهالنا، فلهم أسوة فيمن قبلهم من الأمم، فليحذروا أن يفعل بهم كما فعل بأولئك.

﴿٣٣ ـ ٣٣﴾ ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد \* لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله ومن الله من الله عذاب الآخرة أشق وما لهم من الله

STEELS WESTERN STEELS • مَثَلُ آنِحِنَّةِ اللَّي وُعِدَ الْمُنْقُونَّ عَبْرى مِن غَيْمَا الْأَفَالِّ أَكُلُمَا دَآيِمُ وَظِلْهَا يَلْكَ عُقْبَ الَّذِينَ اتَّقَوّا أَوْعُقِي الْكَفِينَ الْأَلْ @ وَالَّذِينَ ءَا يَنْهُمُ ٱلْكِتَابَ يَعْرَجُونَ بِمَا أَنْزِلَ إِلَيْكُّ وَمِنَ ٱلْأَحْذَابِ مَن يُسُكِرُ مِعْتَهُ مُثَلُ إِنَّا أَيْرَتُ أَنْ أَعْبُ اللَّهَ وَلاَ أَشْرِكَ بِمِعَ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَنَابِ ۞ وَكَذَالِكَ أَزَلْنَهُ مُحَكَّمًا عَرَبًا وَلَين ٱبَّعْتَ أَهْوَآءَ هُم يَعْدَ مَاجَآءَ الْعَينَ ٱلْمِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيَ وَلَا وَلِهِ ٥ وَلَقَدَ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِن جَيِكَ وَجَعَكُنَا لَهُمْ أَزْوَجُهَا وَذُرْتِيَةٌ وَمَاكَانَ (رَوُلِ أَن يَأْتِي بِعَايَةِ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَل كَتَابُ ۞ يَتْحُوا اللَّهُ مَايِشَاءً وَيُثِيثُ وَعِندَهُ وَعِندَهُ وَأَمْرُ الْكِنْبِ ٢ وَ لِمَا مَّا نُرِيَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَفِدُهُمْ أَوْنَتُومِّيَّنَكَ فَإِغَّا عَلَيْكَ ٱلْبَلَغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ۞ أَوَلَّهُ يَرُواْ أَنَا مَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَتَقُصُهُ إِينَ أَطْرَافِهَا وَٱللَّهُ يَحْتُ مُرْلَامُعَقِّ لِيحُكِيدُ وَهُو سَرِيعُ أَيْسَابٍ وَقَدْمَكُوا لَذِيكَ مِن مَلِهِمْ فَيْعُوالْكُونُ جَيْعَاً يَعْلَمُا تَكِيبُ كُلُّ فَفْسِ وَسَيَعَلَوْ الْكُفَرُ الْتُعْفِي الدَّارِ فَ 

من واق الله يقول تعالى: ﴿أَفَمَنَ هُو قَائَمَ عَلَى كُلُ نَفْسُ بِمَا كَسِبِتُ الْجُزَاءُ الْعَاجِلُ والقسط، العاجل والقسط، وهو الله تبارك وتعالى كمن ليس كذلك؟

ولهذا قال: ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ وهو الله الأحد الفرد الصمد، الذي لا شريك له، ولا يتد ولا نظير، ﴿قَالَ للهُ للهِ مِنْ كَانُوا صَادَقَينَ: ﴿سَمُوهُ لِعَلْمُ حَالَهُمْ، ﴿أَمْ تَنبُونُهُ عِمَا لا يعلم في الأرض﴾ فإنه إذا كان شريكاً، علم بذلك بطلان دعوى شريكاً، علم بذلك بطلان دعوى الشريك له، وأنكم بمنزلة الذي يُعلمه لا يعلمه، وهذا أبطل ما يكون، ولهذا قال: ﴿أَمْ بِظَاهِرُ مِنْ القول﴾ أي: غاية ما يمكن من دعوى الشريك له تعالى، ما يمكن من دعوى الشريك له تعالى، أنه بظاهر أقوالكم.

وأما في الحقيقة، فلا إله إلا الله، وليس أحد من الخلق يستحق شيئاً من العبادة، ولكن ﴿ زين للذين كفروا مكرهم ﴾ الذي مكروه، وهو كفرهم وشركهم، وتكذيبهم لآيات الله، ﴿ وصدوا عن السبيل ﴾ أي: عن الطريق المستقيمة الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، ﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ لأنه ليس لأحد من الأمر شيء.

﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا

ولعذاب الآخرة أشق من عذاب الدنيا لشدته ودوامه، ﴿وما لهم من الله من واق الله من عذاب إذا وجهه إليهم لا مانع منه.

و٣٥٥ ومثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار في يقول تعالى: ومثل الجنة التي وعد المتقون الذين تركوا ما نهاهم الله عنه، ولم يقصروا فيما أمرهم به، أي: صفتها وحقيقتها وتجري من تحتها الأنهار أنهار اللبن، وأنهار اللاء التي تجري في غير أخدود، فتسقي تلك البساتين والأشجار، فتحمل من جميع أنواع الثمار.

﴿ أكلها دائم وظلها ﴾ دائم أيضاً ، ﴿ تلك عقبى الذين اتقوا ﴾ أي : عاقبتهم ومآلهم التي إليها يصيرون ﴿ وعقبى الكافرين النار ﴾ فكم بين الفريقين من الفرق المين؟!!

و٣٦٥ ﴿ والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب الكتاب أي: منتئا عليهم به وبمعرفته، ﴿ والذين آتيناهم به فيؤمنون به ويصدقونه، ويفرحون بما أنزل إليك بموافقة الكتب بعضها لبعض، وتصديق بعضها بعضاً، وهذه حال من آمن من أهل الكتابين، ﴿ ومن الأحزاب من ينكر بعضه ﴾ أي: ومن طوائف الكفار المنحرفين عن الحق، من ينكر بعض عن الحق، من ينكر بعض عن الحق، من ينكر بعض عن الحق، من

ومن ضل فانما أنت يا محمد فإنما يضل عليها إنما أنت يا محمد منذر تدعو إلى الله، وقل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به أي: بإخلاص الدين لله وحده، وإليه أدعو وإليه مآب أي: مرجعي الذي أرجع به إليه، فيجازيني بما قمت به من الدعوة إلى دينه، والقيام بما أمرت به.

عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق أي: ولقد أنزلنا هذا القرآن متقناً، أي: محكماً عربياً، أي: محكماً متقناً، بأوضح الألسنة وأفصح اللغات، لئلا يقع فيه شك واشتباه، وليوجب أن يتبع وحده، ولا يداهن فيه، ولا يتبع ما يضاده ويناقضه من أهواء الذين لا يعلمون.

ولهذا توعد رسوله مع أنه معصوم ليمتن عليه بعصمته، معصوم ليمتن عليه بعصمته، ولتكون أمته أسوته في الأحكام، فقال: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما اتباع أهوائهم، ﴿مالك من الله من ولي يتولاك فيحصل لك الأمر المحبوب، ﴿ولا واق يقيك من الأمر الكروه.

﴿٣٨ ـ ٣٨﴾ ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية وما كنا لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب \* يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ أي: لست أول رسول أرسل إلى الناس حتى يستغربوا رسالتك ، ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً لك أزواج وذرية ، كما كان لإخوانك المرسلين ، فلأي: شيء يقدحون فيك المرسلين ، فلأي: شيء يقدحون فيك بذلك وهم يعلمون أن الرسل قبلك كذلك ؛ إلا لأجل أغراضهم الفاسدة وأهوائهم ؟ ، وإن طلبوا منك آية وأقروها فليس لك من الأمر شيء .

﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله والله لا يأذن فيها إلا في وقتها الذي قدره وقضاه، ﴿لكل أجل كتاب لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه، فليس استعجالهم بالآيات أو بالعذاب موجباً لأن يقدم الله ما كتب أنه يؤخر، مم أنه تعلى فعال لما يريد.

﴿يمحو الله ما يشاء ﴾ من الأقدار ﴿ويثبت ﴾ ما يشاء منها، وهذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه وكتبه قلمه، فإن هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير، لأن ذلك محال على الله،

تكتبها الملائكة، ويجعل الله لثبوتها

أسباباً، ولمحوها أسباباً، لا تتعدى

تلك الأسباب، ما رسم في اللوح

المحفوظ، كما جعل الله البر والصلة

والإحسان من أسباب طول العمر

وسعة الرزق، وكما جعل المعاصى

سبباً لمحق بركة الرزق والعمر، وكما

جعل أسباب النجاة من المهالك

والمعاطب سبباً للسلامة. وجعل

التعرض لذلك، سبباً للعطب، فهو

الذى يدبر الأمور بحسب قدرته

وإرادته، وما يدبره منها لا يخالف ما

﴿ ٤٠ ـ ٤١ ﴾ ﴿ وإن ما نويسك

بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما

عليك البلاغ وعلينا الحساب \* أولم

يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها

والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع

الحساب في يقول تعالى لنبيه محمد على ا

لا تعجل عليهم بإصابة ما يوعدون به

من العذاب، فهم إن استمروا على

طغيانهم وكفرهم، فلا بدأن يصيبهم

ما وعدوا به، ﴿ إما نرينك ﴾ إياه في

البدنيا، فتقر بذلك عينك، ﴿أُوَّ

نتوفينك﴾ قبل إصابتهم، فليس ذلك

شغلاً لك ﴿ فإنما عليك البلاغ ﴾

﴿وعلينا الحساب﴾ فنحاسب الخلق

ثم قال متوعداً للمكذبين: ﴿أُولَمُ

يروا أنا نأى الأرض ننقصها من

أطرافها ﴾ قيل بإهلاك المكذبين

واستئصال الظالمين، وقيل: بفتح بلدان المشركين، ونقصهم في أموالهم

وأبدانهم، وقيل غير ذلك من الأقوال. والظاهر ـ والله أعلم ـ أن المراد

على ما قاموا به، مما عليهم، وضيعوه،

والتبيين للخلق.

ونثيبهم أو نعاقبهم.

قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ.

بذلك، أن أراضي هؤلاء المكذبين جعل الله يفتحها ويجتاحها، ويحل القوارع بأطرافها، تنبيهاً لهم قبل أن يجتاحهم النقص، ويوقع الله بهم من القوارع ما لا يرده أحد، ولهذا قال: ﴿والله يحكم لا معقب لحكمه ويدخل في هذا حكمه الشرعي

توجد في غاية الحكمة والإتقان، عيلى القسط والعدل والحسمد، يوافق الصواب، وقد لا يوافقه، ﴿وهـو سـريـع الحــسـاب، أي: هو آت، فهو قريب.

﴿ ٤٦ ــ ٤٣ ﴾ ﴿ وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعاً يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبي الدار \* ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قل كفي بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ، يقول تعالى: ﴿ وقد مكر الذين من قبلهم ﴾ برسلهم، وبالحق الذي جاءت به الرسل، فلم يغن عنهم مكرهم، ولم يصنعوا شيئاً، فإنهم يحاربون الله ويبارزونه فلله المكر جميعاً ﴾ أي: لا يقدر أحد أن يمكر مكراً إلا بإذنه، وتحت قضائه وقدره، فإذا كانوا يمكرون بدينه، فإن مكرهم سيعود عليهم بالخيبة والندم، فإن الله ﴿ يعلم ما تكسب كل نفس ﴾ أي: همومها وإراداتها وأعمالها الظاهرة

والمكر لا بدأن يكون من كسبها، فلا يخفى على الله مكرهم، فيمتنع أن يمكروا مكرأ يضر الحق وأهله، ويفيدهم شيئاً، ﴿وسيعلم الكفار لمن عقبى الدارك أي: ألهم أو لرسله؟ ومن المعلوم أن العاقبة للمتقين، لا للكفر وأعماله.

﴿ ويعقول الذين كفروا لست مرسلا ﴾ أي: يكنبونك، ويكنبون ما أرسلت به، ﴿قل﴾ لهم \_إن طلبوا

أن يقع في علمه نقص أو خلل، ولهذا قال: ﴿وَعَنده أم الكتابِ﴾ أي: اللوح المحمفوظ المذي ترجع إليه سائر الأشياء، فهو أصلها، وهي فروع له فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب، كأعمال اليوم والليلة التي

والقدري والجزائي.

فهذه الأحكام التي يحكم الله فيها، لا خلل فيها ولا نقص، بل هي مبنية فلا يتعقبها أحدولا سبيل إلى القدح فيها، بخلاف حكم غيره، فإنه قد فلا يستعجلوا بالعذاب، فإن كل ما

وَيَقُولُ الَّذِيكَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَكُا ۚ قُلْ كَفَنَ بِاللَّهِ شهيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتْبِ ۞ CANTIUM C الَّهِ ۚ كِنَابُ أَزَلْنَهُ إِلَيْكَ لِتُغْرِّجُ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمُ لَتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِ مِ إِلَّى صِرَاطِ ٱلْعَسَ زِرْٱلْحَيْبِ فِي اللَّهِ ٱلَّذِي لَهُ مَا فِ السَّكَوَاتِ وَمَا فِ ٱلْأَرْضُ وَوَثِيلٌ لِلْكَ الَّذِينَ يَسْتَحَجُّونَ ٱلْمُيَّاةَ ٱلدُّنْيَاعَلَ ٱلْآخِرَةِ وَيَصَدُّونَ عَنْ سَبِيلاً لِلَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجَالُ أُوْلَيْكَ فِي ضَكَالُ بَعِيدٍ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن زَّسُولِ إِلَّا بِلِسَانِ فَوْمِهُ وَلِيُبَيِّن لَهُمَّ

OPERON TOO CONSEQUE على ذلك شهيداً: ﴿ كَفِي بِاللَّهِ شَهِيداً بيني وبينكم، وشهادته بقوله وفعله وإقراره، أما قوله فيما أوحاه الله إلى أصدق خلقه، مما يثبت به رسالته.

فَيْضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَكَآهُ وَيَهْدِى مَن يَشَكَآهُ وَهُوَٱلْعَرِيرُ

التحكيث ولقد أرسلنا مُوسول بعايلة مَاأن الله المعايلة مَالله مَا الله من المالية الله المالية الما

أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَانِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِ رَهُم

إِنَّ اللَّهُ إِنْ فِي ذَاكَ لَآيَتِ لِكُلِّ مَبَارِسَكُورِ ٥

وأما فعله فيلأن الله تعالى أيد رسوله، ونصره نصراً خارجاً عن قدرته وقدرة أصحابه وأتباعه، وهذا شهادة منه له بالفعل والتأييد.

وأما إقراره، فإنه أخبر الرسول عنه أنه رسوله، وأنه أمر الناس باتباعه، فمن اتبعه فله رضوان الله وكرامته، ومن لم يتبعه فله النار والسخط، وحل له ماله ودمه، والله يقره على ذلك، فلو تقول عليه بعض الأقاويل لعاجله

﴿ ومن عنده علم الكتاب ﴾ وهذا شامل لكل علماء أهل الكتابين، فإنهم يشهدون للرسول، من آمن، واتبع الحق، صرح بتلك الشهادة التي عليه، ومن كتم ذلك، فإخبار الله عنه أن عنده شهادة، أبلغ من خبره، ولو لم یکن عنده شهادة، لرد استشهاده بالبرهان، فسكوته يدل على أن عنده شهادة مكتومة.

وإنما أمر الله باستشهاد أهل الكتاب، لأنهم أهل هذا الشأن، وكل أمر إنما يستشهد فيه أهله، ومن هم أعلم به من غيرهم، بخلاف من هو أجنبي عنه، كالأميين من مشركي العرب وغيرهم، فلا فائدة في

THE REPORT OF THE PARTY OF THE وَإِذْ قَالَ مُوسَولِ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُ وَانْعَكَةُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنِحَاكُ مِينَ ءَالِ فِرْعَوْنِ يَسُومُونَكُمْ سُوَّ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآ كُمْ وَيَسْتَحْوُنِ يَسَآ الْحَمْ وَفِ ذَالِكُ مِلْاً مِن زَيْكُمْ عَظِيرٌ ۞ وَإِذْ نَأَذَنَ رَيْكُ مْ لَهِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَ نُكُرُّ وَلَهِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِ لَشَكِيدٌ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكُثُرُوۡۤ أَنْمُ وَمَن فِٱلْأَرْضِ جَيعًا فَإِنَ ٱللَّهَ لَغَنِّي مِيدُّ ۞ ٱلرِّ يَأْتِكُمْ بَنُوُّا ٱلَّذِينَ مِن قَبَلِكُمْ قَوْمِ نُوحِ وَعَادٍ وَيَسْمُوذُ وَٱلَّذِينَ مِنْ مَعْدِهِمْ لَايِعَلْمُهُمَّ إِلَّا اللَّهُ جُمَّاءَتْهُمْ رُبُسُلُهُم بِٱلْبِيِّنَاتِ فَرَدُّوٓا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَهِهِمْ وَقَالُوَّا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَّا أَرْسِلْتُمْ بِدِ وَإِنَّا لِنَ شَكِي مِّنَاتَ لَنْعُونَنَا ٓ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۞ • قَالَتْ رُسُلُهُمُّ أَفِ ٱللَّهِ شَكُّ فَأَمِلِي ٱلسَّكَوَاتِ وَٱلْأَرْضِيُّ يَدَّعُوكُمْ لِيَغْفِرَ ۖ لَكُم مِن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤخِرَكُمْ إِلَى أَجَلِ مُسكَّنَّ قَالُوا إِنْ أَنسُمْ إِلَّا بَسَرَّيْمَثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّاكَانَ يَعْبُدُ ءَالِبَاقُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانِ مُيسِنِ TO SERVE TO LONG SON

استشهادهم لعدم خبرتهم ومعرفتهم. والله أعلم.

> تم تفسير سورة الرعد، والحمد لله رب العالمين

## تفسير سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهي مكية

﴿١ -٣﴾ ﴿بسبم الله السرحسن الرحيم الركتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إنى صراط العزيز الحميد \* الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد \* الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً أولئك في ضلال بعيد ﴾ يخبر تعالى أنه أنزل كتابه على رسوله محمد ﷺ لنفع الخلق، ليخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر والأخلاق السيئة وأنواع المعاصي، إلى نور العلم والإيمان والأخلاق الحسنة، وقوله: ﴿بِإِذِن ربهم ﴾ أي: لا يحصل منهم المراد المحسوب لله، إلا بسارادة من الله ومعونة، ففيه حث للعباد على الاستعانة بربهم.

الكتأب، فقال: ﴿إلى صراط العزيز الحميد، أي: الموصل إليه وإلى دار كرامته، المشتمل على العلم بالحق والعمل به، وفي ذكر ﴿العربر

الحميد بعد ذكر الصراط الموصل إليه إشارة إلى أن من سلكه فهو عزيز بعز الله، قوي، ولو لم يكن له أنصار إلا الله، محمود في أموره، حسن العاقبة .

وليدل ذلك على أن صراط الله، من أكبر الأدلة على ما لله من صفات الكمال، ونعوت الجلال، وأن الذي نصبه لعباده، عزيز السلطان، حميد في أقواله وأفعاله وأحكامه، وأنه مألوه معبود بالعبادات التي هي منازل الصراط المستقيم، وأنه كما أنَّ له ملك السماوات والأرض خلقأ ورزقأ وتدبيراً، فله الحكم على عباده بأحكامه الدينية، لأنهم ملكه، ولا يليق به أن يتركهم سدى، فلما بين الدليل والبرهان، توعد من لم ينقد لذلك، فقال: ﴿وويل للكافرين من عذاب شديد الا يقدر قدره، ولا يوصف أمره، ثم وصفهم بأنهم ﴿الدِّينِ يستحبون الحياة الدنياعلى الآخرة) فرضوا بها واطمأنوا، وغفلوا عن الدار

﴿ويسصدون﴾ السناس ﴿عبن سبيل الله الله التي نصبها لعباده، وبينها في كتبه وعلى ألسنة رسله، فهؤلاء قد نابذوا مولاهم بالمعاداة والمحاربة، ﴿ويبغونها﴾ أي: سبيل الله ﴿عوجاً﴾ أي: يحرصون على تهجينها وتقبيحها، للتنفير عنها، ولكن يأبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

﴿أُولَئُكُ﴾ الذين ذكر وصفهم ﴿في ضلال بعيد) لأنهم ضلوا وأضلوا، وشاقوا الله ورسوله وحاربوهما، فأي: ضلال أبعد من هذا؟!!، وأما أهل الإيمان فبعكس هؤلاء، يؤمنون بالله وآياته، ويستحبون الآخرة على الدنيا، ويدعون إلى سبيل الله ويحسنونها مهما أمكنهم، ويبينون استقامتها.

﴿٤﴾ ﴿وما أرسلنا من رسول إلاَّ ثم فسر النور الذي يهديهم إليه هذا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾ وهذا من لطفه بغباده، أنه ما أرسل رسولاً ﴿إلا بلسان قومه، ليبين لهم﴾ ما يحتاجون إليه، ويتمكنون من

تعلم ما أتى به، بخلاف ما لو كانوا على غير لسانهم، فإنهم يحتاجون إلى أن يتعلموا تلك اللغة التي يتكلم بها، ثم يفهمون عنه، فإذا بين لهم الرسول ما أمروابه، ونهوا عنه، وقامت عليهم حجة الله ﴿فيضل الله من يشاء ﴾ ممن لم ينقد للهدى، ويهدي من يشاء ممن اختصه برحمته.

﴿وهو العزيز الحكيم﴾ الذي \_ من عزته \_أنه انفرد بالهداية والإضلال، وتقليب القلوب إلى ما شاء، ومن حكمته أنه لا يضع هدايته ولا إضلاله إلا بالمحل اللائق به.

ويستدل سذه الآية الكريمة على أن علوم العربية الموصلة إلى تبيين كلامه وكلام رسوله أمور مطلوبة محبوبة لله، لأنه لا يتم معرفة ما أنزل على رسوله إلا سا.

إلا إذا كان الناس بحالة لا يحتاجون إليها، وذلك إذا تمرنوا على العربية، ونشأ عليها صغيرهم، وصارت طبيعة لهم، فحيئتذ قد اكتفوا المؤنة، وصلحوا لأن يتلقوا عن الله وعن رُسوله ابتداء، كما تلقى عنهم الصحابة رضى الله عنهم.

﴿٥ \_ ٨﴾ ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور # وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم \* وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد \* وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد، تخبر تعالى: أنه أرسل موسى بآياته العظيمة الدالة على صدق ما جاء به وصحته، وأمره بما أمر الله به رسوله محمداً ﷺ ، بل ويما أمر به جميع الرسل قومهم، ﴿أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور ﴾ أي: ظلمات الجهل والكفر وفروعه، إلى نور العلم والإيسان وتوابعه، ﴿وذكرهم

بأيام الله أي: بنعمه عليهم، وإحسانه إليهم وبأيامه في الأمم المكذبين، ووقاتعه بالكافرين، ليشكروا نعمه، وليحذروا عقابه، ﴿إِن في ذلك ﴾ أي: في أيام الله على العباد ﴿لَابِناتِ لَكُلُ صبار شكور ﴾ أي: صبار شكور ﴾ أي: صبار في الضراء والعسر والضيق، شكور على السراء والعمر.

فإنه يستدل بأيامه على كمال قدرته وعميم إحسانه، وتمام عدله وحكمته، ولهذا امتثل موسى عليه السلام أمر ربه، فذكرهم نعم الله فقال: ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾ أي: بقلوبكم والسنتكم. ﴿إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم﴾ أي: يولونكم ﴿سوء المغذاب﴾ أي: أشده، وفسر ذلك بقوله: ﴿ويذبحون أبناءكم ويستحيون بناءكم الإنجاء ﴿بلاء من ربكم عظيم﴾ أي: يعمة عظيمة، أو وفي عظيم العذاب الذي ابتلتم به من فرعون وملئه ابتلاء من الله عظيم لكم، لينظر هل تصبرون أم لا؟

وقال لهم حاثاً على شكر نعم الله: ﴿وإذ تأذن ربكم ﴾ أي: أعلم ووعد، ﴿لثن شكرتم لأزيدنكم ﴾ من نعمي ﴿ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ ومن ذلك أن يزيل عنهم النعمة التي أنعم بها عليهم. والشكر: هو اعتراف القلب بنعم الله، والشناء على الله بها، وصرفها في مرضاة الله تعالى. وكفر النعمة ضد ذلك.

﴿وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً ﴾ فلن تضروا الله شيئاً، ﴿فإن الله لغني حميه ﴾ فالطاعات لا تزيد في مسلكه، والمعاصسي لا تنقصه، وهو كامل الغنى، حميد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ليس له من الصفات إلا كل صفة حمد وكمال، ولا من الأسماء إلا كل اسم حسن، ولا من الأفعال إلا كل فعل جميل.

﴿٩ \_ ١٢ ﴾ ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلاً الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في

أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب \* قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين \* قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن تأتيكم بسلطان إلاَّ بإذن الله وعلى الله فليتوكلُ المؤمنون \* ومالنا ألاّ نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ يقول تعالى مخوفاً عباده ما أحله بالأمم المكذبة حين جاءتهم الرسل، فكذبوهم، فعاقبهم بالعقاب العاجل الذي رآه الناس وسمعوه فقال: ﴿ أَلَمْ يَأْتُكُمْ نَبَّأُ الَّذِينَّ من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود، وقد ذكر الله قصصهم في كتابه وبسطها، ﴿والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله ﴾ من كثرتهم، وكون أخبارهم اندرست.

فهؤلاء كلهم ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ أي: بالأدلة الدالة على صدق ما جاؤوا به، فلم يرسل الله رسولاً إلا آتاه من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، فحين أتتهم رسلهم بالبينات لم ينقادوا لها، بل استكبروا غنها، ﴿فردوا أيديهم في أفواههم﴾ أي: لم يؤمنوا بما جاؤوا به، ولم يتفوهوا بشيء مما يدل على الإيمان كقوله ﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت﴾

ولهذا ﴿قالت﴾ لهم ﴿رسلهم أفي الله شك﴾ أي: فإنه أظهر الأشياء وأجلاها، فمن شك في الله ﴿فاطر السماوات والأرض﴾ الذي وجود الأشياء مستند إلى وجوده، لم يكن عنده ثقة بشيء من المعلومات، حتى الأمور

CONTRACTOR IN STREET, INC. قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن عَنْ إِلَّا إِنْكُمْ مِنْكُ كُمْ وَلَٰكِنَ أَلَّهُ يْنُ عَلَامَ نَشَآهُ مِنْ عِسَادِيَّةً وَمَاكَانَ لَنَآأَنَ نَأْتِيكُم بِسُلْطَن إِلَّا إِذْ بِ اللَّهِ وَعَلَ أَهِّو فَلْمَ قَلْمَ تَوَكَّلَ لَلْوُمِنُونَ ۞ وَمَا لَنَآ ٱلۡانَتَوۡكَا عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدُدُنَّا مُسُلِّكًا وَلَتَصْدِرَكَ عَلَىٰماً ءَاذَيْتُ وَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيْنَوْكُلُ ٱلْمُؤْكُلُونَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَنَرُوا لِرُسُلِهِ مَرْلُخُورِ حَنَّكُم مِنْ أَرْضِكَ أَوْلَتَعُودُكَ فِي مِلْتِكَ فَأُوحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنْهُ إِكَنَّ الظَّلِلِينَ ۞ وَلَنْتُ كِنَكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِ فُرِذَ لِلْكَ لِمَنْ خَافَ مَعَسَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ۞ وَٱسْتَغْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّجَبَّا رِعَنِيدِ ۞ مِن وَرَاتِهِ جَهَذَّرُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّلَّو صَدِيدٍ ۞ يَتَجَرَّعُدُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَهَ أَيْهِ وَالْمُؤْتُ مِن كُلِّ مَكَانِ وَمَاهُو بِمَيَّتُّ وَمِن وَرَآبِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۞ مَّثَلُ ٱلَّذِيبَ كَفَرُوا بَتِهِمُّ أَعَلَهُمْ كَرَّمَادٍ ٱشْمَّلَتْ بِدِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمِ عَاصِفٌ ۗ لَا يَقْدِرُونَ ۚ مِمَا كَسَبُواعَلَ مَنْ وَتَلِكَ هُوَالضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۞ TO LOT DE TOY DE DE COM

المحسوسة، ولهذا خاطبتهم الرسل خطاب من لا يشك فيه ولا يصلح الريب فيه ﴿يدعوكم﴾ إلى منافعكم ومصالحكم ﴿ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى ﴾ أي: ليثيبكم على الاستجابة لدعوته بالثواب العاجل والآجل، فلم يدعكم لينتفع بعادتكم، بل النفع عائد إليكم.

فردوا على رسلهم رد السفهاء الجاهلين ﴿وقالوا﴾ لهم: ﴿إِن أنتم إلا بشر مثلنا﴾ أي: فكيف تفضلوننا بالنبوة والرسالة، ﴿تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا﴾ فكيف نترك رأي: الآباء وسيرتهم لرأيكم؟ وكيف نطيعكم وأنتم بشر مثلنا؟

﴿فائتونا بسلطان مبين﴾ أي: بحجة وبينة ظاهرة، ومرادهم بينة يقترحونها هم، وإلا فقد تقدم أن رسلهم جاءتهم بالبينات.

﴿قالت لهم رسلهم ﴾ بحيبين عن اقتراحهم واعتراضهم: ﴿إِن نحن إِلا بشر مثلكم ﴾ أي: صحيح وحقيقة، أنَّا بشر مثلكم، ﴿ولكن ﴾ ليس في ذلك ما يدفع ما جئنا به من الحق، فإن ﴿الله على الله علينا بوحيه ورسالته، فذلك فضله وإحسانه، وليس لأحد أن يحجر على الله فضله ويمنعه من تفضله.

فانظروا ما جئناكم به، فإن كان حقاً فاقبلوه، وإن كان غيىر ذلك فردوه

ٱلْمَتَرَأَكَ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱللَّهَ كَوْتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ أَن يَشَأَ يُذْهِبْ كُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقِ جَدِيدٍ ۞ وَمَا ذَلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَرِيزٍ ۞ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَيِمًا فَقَالَ الضَّعَظَةُ اللَّذِينَ اسْتَكْثَرُوّاً إِنَّاكُنَّا لَكُ مُ بَبِّعًا فَهَلْ أَنتُهِ مُّغُنُّونَ عَنَّا مِنْ عَذَاب ٱللَّهِ مِن شَيْءً قَالُواْ لَوْهَدَ لَنَا ٱللَّهُ لَمَدَيْنَكُمُ مَّ لَوَا عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَالْنَا مِن تَحِيصٍ ۞ وَقَالَ ٱلشَّطَانُ لَّأَقْضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهُ وَعَلَكُمْ وَعَدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدَ أَلَمُ فَأَخْلَفْنُكُمْ وَمَاكَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّنَ سُلْطَكَنَ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَأَسْنَجَبْتُ مُ لِّي فَلَا تَلُومُونَ وَلُومُوَا أَنفُسَكُمُّ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم يُصْرِغَيُّ إِنِّ كَفَرْتُ عِنَّا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّالِمِينَ لَمُعْرَعَذَاكُ أَلِيرٌ ۞ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَكِمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَعْنِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمَّ مِّيَّتُنَّاهُمْ فِهَاسَلَامُ ﴿ أَلْرُتُركِفُ ضَرَبَ أَلَّهُ مَثَلَاكِلِمُ لَمُتَالِّكُ كَتْجَرُة طِيِّبَة أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَيْعُهَا فِي السَّكَلِي TO TON YOU TO SEE

من الأمرشيء. 

هوما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا 
بإذن الله فهو الذي إن شاء جاءكم 
به، وإن شاء لم يأتكم به، وهو 
لا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته 
ورحمته، هوعلى الله لا على غيره 
هفليتوكل المؤمنون فيعتمدون عليه 
في جلب مصالحهم ودفع مضارهم، 
لعلمهم بتمام كفايته وكمال قدرته، 
وعميم إحسانه، ويثقون به في تسير 
ذلك، وبحسب ما معهم من الإيمان 
يكون توكلهم.

ولا تجعلوا حالنا حجة لكم على رد ما

جئناكم به، وقولكم: ﴿فَائْتُونَا بِسَلْطَانَ

مبين ﴿ فإن هذا ليس بأيدينا، وليس لنا

فعلم بهذا وجوب التوكل، وأنه من لوازم الإيمان، ومن العبادات الكبار التي يحبها الله ويرضاها، لتوقف سائر العبادات عليه، ﴿وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا﴾.

أي: أي: شيء يمنعنا من التوكل على الله، والحال أننا على الحق والهدى، ومن كان على الحق والهدى، فإن هداه يوجب له تمام التوكل، وكذلك ما يعلم من أن الله متكفل بمعونة المهتدي وكفايته، يدعو إلى ذلك، بخلاف من لم يكن على الحق والهدى، فإنه ليس ضامناً على الله، فإن حاله مناقضة لحال المتوكل.

وفي هذا كالإشارة من الرسل

عليهم الصلاة والسلام لقومهم، بآية عظيمة، وهو أن قومهم - في الغالب - لهم القهر والغلبة عليهم، فتحدتهم رسلهم بأنهم متوكلون على الله، في دفع كيدكم ومكركم، وقد وجازمون بكفايته إياهم، وقد إتلافهم وإطفاء ما معهم من الجق، فيكون هذا كقول نوح لقومه: ﴿ يا قوم بآيات الله، فعلى الله توكلت، فأجعوا أمركم وشركاءكم، ثم لا يكن أمركم وشركاءكم، ثم لا يكن أمركم ولا تنظرون الآيات.

تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون . و المنظرون . و النستمرن على ما آذيتمونا أي: ولنستمرن على دعوتكم ووعظكم وتذكيركم، ولا نبالي بما يأتينا منكم من الأذى، فإنا سنوطن أنفسنا على ما ينالنا منكم من الأذى، احتساباً للأجر، ونصحاً لكم، لعل الله أن يهديكم مع كثرة التذكير.

وقول هود عليه السلام قال: ﴿إِنِّي

أشهد الله واشهدوا أني بريء مما

﴿وَعَلَى اللهِ ﴾ وحده لا على غيره ﴿فليتوكل المتوكلون﴾ فإن التوكل عليه مفتاح لكل خير.

واعلم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام توكلهم في أعلى المطالب وأشرف المراتب، وهي التوكل على الله في إقامة دينه ونصره، وهداية عبيده، وإزالة الضلال عنهم، وهذا أكمل ما يكون من التوكل.

رسلهم المنخرجنكم من أرضنا لرسلهم المنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين \* ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد \* واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد \* من ورائه جهنم ويسقى من ماء ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ \$ لا ذكر دعوة الرسل لقومهم ودوامهم على

ذلك، وعدم مللهم، ذكر منتهى ما وصلت بهم الحال مع قومهم فقال: وقال الذين كفروا لرسلهم متوعدين لهم \_ ولنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا وهذا أبلغ ما يكون من الرد، وليس بعد هذا فيهم مطمع، لأنه ما كفاهم أن أعرضوا عن ديارهم ونسبوها إلى أنفسهم، وزعموا أن الرسل لا حقّ لهم فيها، وهذا من أعظم الظلم، فإن الله أخرج عباده إلى الأرض وأمرهم بعبادته، وسخر لهم الأرض وما عليها يستعينون بها على

فمن استعان بذلك على عبادة الله، حل له ذلك وخرج من التبعة، ومن استعان بذلك على الكفر وأنواع المعاصي، لم يكن ذلك خالصاً له، ولم يحل له، فعلم أن أعداء الرسل في الحقيقة ليس لهم شيء من الأرض التي توعدوا الرسل بإخراجهم منها. وإن رجعنا إلى مجرد العادة فإن الرسل من جلة أهل بلادهم، وأفراد منهم، فلأي: شيء يمنعونهم حقاً لهم صريحاً واضحاً؟! هل هذا إلا من عدم الدين

ولهذا لما انتهى مكرهم بالرسل إلى هذه الحال، ما بقى حينفذ إلا أن يمضي الله أمره، وينصر أولياءه، ﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين﴾ بأنواع العقوبات.

والمروءة بالكلية؟

﴿ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك ﴾ أي: العاقبة الحسنة التي جعلها الله للرسل ومن تبعهم جزاء ﴿لمن خاف مقامي ﴾ عليه في الدنيا، وراقب الله مراقبة من يعلم أنه يراه، ﴿وخاف وعيد ﴾ أي: ما توعدت به من عصاني، فأوجب له ذلك الانكفاف عما يكرهه الله، والمبادرة إلى ما يجبه الله.

﴿واستفتحوا﴾ أي: الكفار، أي: هم الذين طلبوا واستعجلوا فتح الله وفرقانه بين أوليائه وأعدائه، فجاءهم ما استفتحوا به، وإلا فالله حليم

﴿ ١٩﴾ \_ ٢١ ﴾ ﴿ أَلَمْ تَو أَنْ اللهُ خَلَقَ

السماوات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد \* وما ذلك على الله بعزيز \* وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص، ينبه تعالى عباده بأنه ﴿خلق السماوات والأرض بالحق) أي: ليعبده الخلق ويعرفوه، ويأمرهم وينهاهم، وليستدلوا بهما وما فيهما على ماله من صفات الكمال، وليعلموا أن الذي خلق السماوات والأرض \_ على عظمهما وسعتهما \_قادر على أن يعيدهم خلقاً جديداً، ليجازيهم بإحسانهم وإساءتهم، وأن قدرته ومشيئته لا تقصر عن ذلك، ولهذا قال: ﴿إِن يَشَأُ يَذُهُبُكُمُ وَيَأْتُ بِحُلْقَ

يحتمل أن المعنى: إن يشأ يذهبكم ويآت بقوم غيركم، يكونون أطوع لله منكم، ويحتمل أن المراد أنه: إن يشأ يفنيكم ثم يعيدهم بالبعث خلقاً جديداً، ويدل على هذا الاحتمال ما ذكره بعده من أحوال القيامة.

﴿وما ذلك على الله بعزيز ﴾ أي: بممتنع بل هو سهل عليه جداً، ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾.

﴿وبِرزوا﴾ أي: الخيلائيق ﴿لهُ جميعاً ﴿ حين ينفخ في الصور، فيخرجون من الأجداث إلى رجم، فيقفون في أرض مستوية قاع صفصف، لا ترى فيها عِوَجَاً ولا أمْتاً، ويبرزون له لا يخفى [عليه] منهم خافية، فإذا برزوا صاروا يتحاجون، وكل يدفع عن نفسه، ويدافع ما يقدر عليه، ولكن أني لهم

يسعون ويكدحون في ذلك، ومكرهم عائد عليهم، ولن يضروا الله ورسله وجنده وما معهم من الحق شيئاً.

النَّاسِ لَمَالَّهُمْ يَنَدَكَّرُونَ ﴿ وَمَثُلُكَ لِمَهَ خَيدَةٍ المُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِن مُوفِ الْأَرْضِ مَا لَمَا مِن قَرَاد مَايَشَاتُهُ • أَلْرَتَمَ إِلَى الَّذِيبَ بَدَلُوانِ مِنَ اللَّهِ كُفَرًا @ وَيَحَالُواْ لِلَّهِ أَنْمَاذًا لِيُصِلُّواْ عَن سَبِيلُّهِ عُلَّا مَّنَّعُواْ فَإِنَّ يَّقِيمُوا الصَّلَوةَ وَمُنفِقُوا مِنَارَزَقَنَهُمْ سِنَا وَعَلانِكَةً يِّن مَبْلِ أَن يَأْقِ كَوْمُ لَا بَيْمٌ فِيهِ وَلَاخِلَالُ ۞ اللَّهُ الَّذِي كَالَّ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِنْقَا لَّحُمَّ وَمَعَنَّرَلَحُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِي ا فِهَ الْبَعْدِ فِأَمْرِةً وَسَخَرَاكُمُ الْأَهْدَ ۞ وَسَخَرَاكُمُ ۗ الشَّمْسُ وَالْفَصَرَ وَآيَةِ يَنِّ وَسَفَرَاكُمُ الْفَهَارَ ۞ وَسَخَرَاكُمُ الْفِلَوَ النَّهَارَ ۞ DESTRUCTION OF THE PROPERTY OF

والمقلدون ﴿للَّذِينِ اسْتَكْبِرُوا﴾ وهم: المتبوعون الذين هم قادة في الضلال: ﴿إِنَا كِنَا لَكُمْ تَبِعاً ﴾ أي: في الدنيا، أمرتمونا بالضلال، وزينتموه لنا فأغويتمونا، ﴿فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء ﴾ أي: ولو مثقال ذرة، ﴿قُالُـوا﴾ أي: المتـــوعــون والرؤساء ﴿أغويناكم كما غوينا﴾ و ﴿لُو هَدَانَا اللهِ لَهَدَيْنَاكُم﴾ فلا يغنى أحد أحداً، ﴿سواء علينا أجزعنا﴾ من العذاب ﴿ أُم صبرنا ﴾ عليه ، ﴿ ما لنا من محيص الله أي: من ملجأ نلجأ إليه، ولا مهرب لنا من عذاب الله.

الله والمنظمة المناكلة على المنطقة المنتاك الم

۞ يُمَيِّتُ ٱللَّهُ الَّذِيرَ مَامَنُوا وَالْقَوْلِ النَّايِتِ فِ ٱلْحَيَّوٰةِ

ٱلدُّنْيَ وَفِ ٱلْآخِرَةِ وَيُضِلُ الدَّالظَالِي بَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ الظَّلِي بِ وَيَفْعَلُ اللَّهُ

وَأَحَلُواْ فَوْمَهُمْ دَارَالْبُوارِ ۞ جَهَدَّ يَصْلُونَهَّا وَيِسْ الْفَالُدُ

مَصِيرَكُمْ إِلَى اَلْتَادِ۞ قُلْ لِيبَادِيَ الَّذِينَ يَامَنُواْ

التسكؤن والأزض وأنكرا يرب التسكله مآة فأخرتهيد

﴿٢٢ \_ ٢٣﴾ ﴿وقال الشيطان لما قضى الأمرإن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وماكان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجيتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إنى كفرت بما أشركتمون من قبلً إنَّ الظالمين لهم عذاب أليم \* وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام) أي: ﴿وقال الشيطان الذي هو سبب لكل شريقع ووقع في العالم، مخاطباً لأهل النار ومتبرَّئاً منهم ﴿ لما قضى الأمر ﴾ ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. ﴿إِنْ اللهِ وعدكم وعد الحقُّ على ألسنة فيقول ﴿الضعفاء﴾ أي: التابعون رسله، فلم تطيعوه، فلو أطعتموه

لا يعاجل من عصاه بالعقوبة، ﴿وخاب كل جبار عنيد﴾ أي: خسر في الدنيا والآخرة من تجبر على الله وعلى الحق وعلى عباد الله، واستكبر في الأرض، وعاند الرسل وشاقهم.

﴿من ورائه جهنم ﴾ أي: جهنم لهذا الجبار العنيد بالمرصاد، فلا بدله من ورودها، فيذاق حينتذ العذاب الشديد، ﴿ويسقى من ماء صديد﴾ في لونه وطعمه وراتحته الخبيثة، وهو في غاية الحرارة.

﴿ يتجرعه ﴾ من العطش الشديد ﴿ولا يكاد يسيغه ﴾ فإنه إذا قرب إلى وجهه شواه، وإذا وصل إلى بطنه قطع ما أتى عليه من الأمعاء، ﴿وِيأْتِيهِ المُوتَ من كل مكان وما هو بميت، أي: يأتيه العذاب الشديد من كل نوع من أنواع العذاب، وكل نوع منه من شدته يبلغ إلى الموت، ولـكـن الله قــضــــى أنّ لا يموتواكما قال تعالى: ﴿لا يُقْضى عليهم فيموتوا ولا يُخفُّفُ عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور ، وهم يصطرخون فيهام.

﴿ومن ورائه ﴾ أي: الجبار العنيد لا يعلم وصفه وشدته إلا الله تعالى.

﴿١٨﴾ ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد، يخبر تعالى عن أعمال الكفار التي عملوها: إما أن المراد بها الأعمال التي عملوها لله، بأنها في ذهابها وبطلانها واضمحلالها كاضمحلال الرماد، الذي هو أدق الأشياء وأخفها، إذا اشتدت به الريح في يوم عاصف شديد الهبوب، فإنه لا يبقى منه شيئاً، ولا يقدر منه على شيء يذهب ويضمحل، فكذلك أعمال الكفار ﴿لا يقدرون مما كسبوا على شيء ﴾ ولا على مثقال ذرة منه، لأنه مبنى على الكفر والتكذيب.

﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ حيث بطل سعيهم، واضمحل عملهم، وإما أن المراد بذلك أعمال الكفار التي عملوها ليكيدوا بها الحق، فإنهم

وَءَاتَىٰكُم مِن كُلِّ مَاسَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعَدُّواْ فَعَيتَ اَهَوَ لَا يَحْفُهُوهَا أَنَّ ٱلْإِنسَانَ لَظَلُورٌكَفَالٌ ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِيمُ رَبِّ أَجْعَكُ هَلْذَا ٱلْبَكَدَءُ امِنُ اوَلَجُبُنِي وَيَيَّ أَن نَعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۞ رَبِ إِنَّهُنَّ أَضْلَانَ كَيْمُ إِيِّنَ ٱلنَّايِسُ فَمَن تَبَعَى فَإِنَّدُ مِنَّ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ عَنْ فُورً نَجِيدُ ۞ زَبَّنَا ٓإِنِّ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِنِي ذَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرِّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوْةَ فَأَجْعَلْ أَفْهِلَةً مِنَ النَّامِن تَهْوِيَ إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقُهُمْ مِينَ الثَّمَّرُاتِ لَعَلَّهُمَّ يَشْكُرُونَ ۞ رَبُّنَا إِنَّكَ تَعَلَّرُمَا نُحْفِي وَمَا مُثْلِنُّ وَمَا يَخْفَى عَلَى الله مِن مَنْ وِفِ ٱلْأَرْضِ وَلَافِ السَّمَاءِ ۞ ٱتُحَدُ يَقُو ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَنِعِيلَ وَإِسْحَقَ أِنَّ رَقِي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآ ِ ﴿ رَبِّ أَجْعَلُنِي مُقِيمُ الصَّلَوْةِ وَمِن ذُرِّيَّةٍ وَرَبِّنَا وَتَقَبَّلْ مُعَالَة ۞ رَبَّنَا أَغْفِرْ لِي وَلِوَلِدَى وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَعُومُ أَيْحِسَابُ ۞ وَلَا تَحْسَبَنَ أَلِلَهَ عَنْفِلًا عَآيِمًا أُ ٱلظَّالِمُونُ إِنَّا يُؤَخِّرُهُ رَلِيَومِ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَارُ TORREST TO LOS OF OF OF OF OF

لأدركتم الفوز العظيم، ﴿ووعدتكم﴾ الخير ﴿فأخلفتكم﴾ أي: لم يحصل ولن يحصل لكم ما منيتكم به من الأماني الباطلة.

﴿ وما كان لي عليكم من سلطان ﴾ أي: من حجة على تأييد قولي ، ﴿ إلا أن دعوتكم إلى مرادي ما عندي ، أن دعوتكم إلى مرادي وزينته لكم ، فاستجبتم لي أتباعاً لأهوائكم وشهواتكم ، فإذا كانت الحال بهذه الصورة ﴿ فلا تلوموني ولوهوا أنفسكم ﴾ فأنتم السبب ، ﴿ ما أنا بمصر خكم ﴾ أي: بمغيثكم من السدة التي أنتم بها ﴿ وما أنتم بمصر خي كل له قسط من العذاب .

﴿إِنَّ كَفُرت بِما أَسْرِكْتُمُونِ مِنْ قَبِلَ ﴾ أي: تبرأت من جعلكم لي شريكاً شه شريكاً شه ولا تجب طاعتي، ﴿إِن الظالمِن ﴾ لأنفسهم بطاعة الشيطان ﴿لهم عذاب الميه خالدين فيه أبداً.

وهذا من لطف الله بعباده، أن حذرهم من طاعة الشيطان، وأخبر بمداخله التي يدخل منها على الإنسان ومقاصده فيه، وأنه يقصد أن يدخله النيران، وهنا بين لنا أنه إذا دخل النار وحزبه(۱)، أنه يتبرأ منهم هذه البراءة،

ويكفر بشركهم ﴿ولا ينبئك مثل خير ﴾.

واعلم أن الله ذكر في هذه الآية أنه ليس له سلطان، وقال في آية أخرى فإنما سلطانه على الذين يتولونه، والذين هم به مشركون فالسلطان الحجة الذي نفاه عنه هو سلطان الحجة والدليل، فليس له حجة أصلاً على ما يدعو إليه، وإنما نهاية ذلك أن يقيم ليجرؤون على المعاصى.

وأما السلطان الذي أثبته، فهو التسلط بالإغراء على المعاصي لأولياته يؤزُهُمْ إلى المعاصي أزّاً، وهم الذين سلطوه على أنفسهم بموالاته والالتحاق بحزيه، ولهذا ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون.

ولما ذكر عقاب الظالمين ذكر ثواب الطائعين فقال: ﴿وَأَدْخُلُ الذَّينَ آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي: قاموا بالدين، قولاً، وعملاً، واعتقاداً، ﴿جنات تجري مِن تحتها الأنهار﴾ فيها من اللذات والشهوات، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ﴿خالدين فيها بإذن ربهم﴾ أي: يُحيِّي وقوته ﴿تحينهم فيها سلام﴾ أي: يُحيِّي بعضهم بعضاً بالسلام، والتحية، والكلام الطيب.

﴿ ٢٤ ـ ٢٤ ﴾ ﴿ ألم تسر كسيسف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء \* تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون \* ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من قعالى: ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة ﴾ وهي شهادة أن لا إله وهي النخلة ﴿ أصلها ثابت ﴾ في وهي النخلة ﴿ أصلها ثابت ﴾ في الأرض ﴿ وفرعها ﴾ منتشر ﴿ في السماء ﴾ وهي كثيرة النفع دائما ، السماء ﴾ وهي كثيرة النفع دائما ، السماء ﴾ وهي كثيرة النفع دائما ، فوتو أكلها ﴾ أي: ثمرتها ﴿ كل حين السماء ﴾ وهي كثيرة النفع دائما ،

بإذن ربها ﴿ فكذلك شجرة الإيمان، أصلها ثابت في قلب المؤمن، علماً واعتقاداً. وفرعها من الكلم الطيب، والعمل الصالح، والأخلاق المرضية، والآداب الحسنة، في السماء دائماً، يصعد إلى الله منه من الأعمال والأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان، ما ينتفع به المؤمن وينفع غيره، ﴿ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون، ما أمرهم به ونهاهم عنه، فإن في ضرب الأمثال تقريباً للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة، ويتبين المعنى الذي أراده الله غاية البيان، ويتضح غاية الوضوح، وهذا من رحمته وحسن تعليمه. فلله أتم الحمد وأكمله وأعمه، فهذه صفة كلمة التوحيد وثباتها، في قلب المؤمن.

ثم ذكر ضدها وهي كلمة الكفر وفروعها، فقال: ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيشة﴾ المأكل والمطعم، وهي: شجرة الحنظل ونحوها، ﴿اجتثت﴾ هذه الشجرة ﴿من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ أي: من ثبوت، فلا عروق تمسكها، ولا ثمرة ممرة، فهي ثمرة خبيثة، كذلك كلمة في القلب، ولا تشمر إلا كل قول في القلب، ولا تشمر إلا كل قول ضاحبه ولا ينتفع، يستضر به منه عمل ضالح، ولا ينفع نفسه ولا ينتفع به غيره.

و ٢٧﴾ ﴿يشبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء في يجبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا، عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض بالسهوات بالإرادة الجازمة، على تقديم ما يجبه الله على هوى النفس ومراداتها.

وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي، والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين، للجواب الصحيح، إذا قيل للميت «من ربك؟ ومن نبيك؟ هداهم للجواب الصحيح، بأن يقول المؤمن: «الله ربي، والإسلام ديني، وعدمد نبييً».

﴿وبسضل الله السظالمين﴾ عسن السعواب في الدنيا والآخرة، وما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم، وفي هذه الآية دلالة على فتنة القبر وعذابه، ونعيمه، كما تواترت بذلك النصوص عن النبي ﷺ في الفتنة وصفتها، ونعيم القبر وعذابه.

﴿٢٨ ـ ٣٠ ﴾ ﴿ ألم تسر إلى السنيسن بذلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار \* جهنم يصلونها وبئس القرار \* وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار المحذبين عمليناً حال المحذبين لرسوله من كفار قريش، وما آل إليه أمرهم: ﴿ ألم تسر إلى المذيسن بعلوا عممة الله يمي إرسال عمد ﷺ إليهم، يدعوهم إلى إدراك عمد المنيا والآخرة، وإلى المنيا والآخرة، وإلى المنيا والآخرة، والمعدوا هذه النعمة بردها، والكفر بها والصدّ عنها بأنفسهم.

﴿و﴾ صدهم غيرهم حتى ﴿أحلوا قومهم دار البوار﴾ وهي النار، حيث تسببوا لإضلالهم، فصاروا وبالاً على قومهم، من حيث يظن نفعهم، ومن ذلك أنهم زينوا لهم الخروج يوم «بدر» ليحاربوا الله ورسوله، فجرى عليهم ما جرى، وقتل كثير من كبرائهم وصناديدهم في تلك الوقعة.

﴿جهنم يصلونها﴾ أي: يحيط بهم حرها من جميع جوانبهم ﴿وبئس القرار﴾.

﴿وجعلوا لله أنداداً ﴾ أي: نظراء وشركاء ﴿ليضلوا عن سبيله ﴾ أي: ليضلوا العباد عن سبيل الله، بسبب ما جعلوا لله من الأنداد، ودعوهم إلى عبادتها، ﴿قبل ﴾ لهم متوعداً:

﴿ تمتعوا ﴾ بكفركم وضلالكم قليلاً ، فليس ذلك بنافعكم ﴿ فإن مصيركم إلى النار ﴾ أي : مآلكم ومقركم ومأواكم فيها وبئس المصير .

﴿٣١﴾ ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال﴾ أي: قل لعبادي المؤمنين ينتهزوا الفرصة، قبل أن لا يمكنهم ذلك: ﴿يقيموا الصلاة﴾ ظاهراً وباطنا ﴿وينفقوا مما رزقناهم﴾ أي: من النعم التي أنعمنا بها عليهم، قليلاً أو كثيراً ﴿سراً وعلانية﴾ وهذا يشمل النفقة الواجبة، كالزكاة ونفقة من تجب [عليه]

﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال ﴾ أي: لا ينفع فيه شيء، ولا سبيل إلى استدراك مما فات، لا بمعاوضة بيع وشراء، ولا بهبة خليل وصديق، فكل امرىء له شأن يغنيه، فليقدم العبد لنفسه، ولينظر ما قدمه لغد، وليتفقد أعماله ويحاسب نفسه، قبل الحساب الأكبر.

﴿٣٤ ٣٤ ﴿ اللهُ اللَّهُ خِلْقَ السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار \* وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار \* وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إنّ الإنسان لظلوم كفار ك يخبر تعالى: أنه وحده والذي خلق السماوات والأرض) على اتساعهما وعظمهما، ﴿وأنزل من السماء ماء﴾ وهو: المطر الذي ينزله الله من السحاب، ﴿فأخرج ﴾ بذلك الماء ﴿من الثمرات ﴾ المختلفة الأنواع ﴿رزقاً لكم﴾ ورزقاً لأنعامكم ﴿وسخر لكم الفلك﴾ أي: السفن والمراكب، ﴿لتجرى في البحر بأمره ﴾ فهو الذي يسّر لكم صنعتها، وأقدركم عليها، وحفظها على تيار الماء لتحملكم، وتحمل تجاراتكم وأمتعتكم

إلى بلد تقصدونه.

وسخر لكم الأنهار التسقي حروثكم وأشجاركم، وتشربوا منها. وسخر لكم الشمس والقمر دائين لا يفتران، ولا ينيان، يسعيان لمسالحكم، من حساب أزمنتكم ومصالح أبدانكم، وحيواناتكم، وزروعكم، وثماركم، ووسخر لكم الليل التسكنوا فيه والنهار مصراً، لتبغوا من فضله.

﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾ أي: أعطاكم من كل ما تعلقت به أمانيكم وحاجتكم، مما تسألونه إياه بلسان الحال، أو بلسان المقال، من أنعام، وآلات، وصناعات وغير ذلك، ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ فضلاً عن قيامكم بشكرها ﴿ إن الإنسان لظلوم كفار ﴾ أي: هذه طبيعة الإنسان من مقصر في حقوق ربه، كَفّار لنعم الله، لا يشكرها ولا يعترف بها، إلا من هداه الله فشكر نعمه، وعرف حق ربه وقام به.

ففي هذه الآيات من أصناف نعم الله على العباد شيء عظيم، مجمل ومفصل، يدعو الله به العباد إلى القيام بشكره وذكره، ويحثهم على ذلك، ويرغبهم في سؤاله ودعائه، آناء الليل والنهار، كما أن نعمه تتكرر عليهم في جميع الأوقات.

وص ورق قال إسراهسيم رب اجعل هذا البلد آمناً وأي: ﴿وَ اذْكَر البعل هذا البلد آمناً وأي: ﴿وَ اذْكَر إِرَاهُم الله الصلاة والسلام في هذه الحالة الجميلة ، إذ قال: ﴿رب اجعل هذا البلد و أمناً و الحرم ﴿آمناً و فاستجاب الله دعاءه شرعاً وقدراً ، فحرمه الله في الشرع، ويسر من أسباب حرمته قدراً ما هو معلوم، حتى إنه لم يُرِدْهُ ظالم بسوء إلا قصمه الله كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم.

ولما دعا له بالأمن، دعا له ولبنيه بالأمن فقال: ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ أي: اجعلني وإياهم، جانباً بعيداً عن عبادتها، والإلمام بها، ثم ذكر الموجب لخوفه عليه وعلى بنيه، بكثرة من افتتن وابتلي بعبادتها، فقال:

﴿٣٦﴾ ﴿ربِّ إنهن أضللن كثيراً من الناس) أي: ضلوا بسببها، ﴿فمن تبعني﴾ على ما جنت به من التوحيد والإخلاص لله رب العالمين ﴿ فَإِنَّهُ مني﴾ لتمام الموافقة، ومن أحب قوماً وتبعهم التحق بهم .

﴿ومن عصان فإنك غفور رحيم وهذا من شفقة الخليل عليه الصلاة والسلام حيث دعا للعاصين بالمغفرة والرحمة من الله، والله تبارك وتعالى أرحم منه بعباده، لا يعذب إلا من

تم د عليه .

﴿٣٧﴾ ﴿ربنا إن أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم﴾ وذلك أنه أتى بـ «هاجر» أم إسماعيل وبابنها إسماعيل عليه الصلاة والسلام، وهو في الرضاع، من الشام حتى وضعهما في مكة، وهي \_إذ ذاك ـ ليس فيها سكن، ولا داع ولا بجيب، فلما وضعهما دعا ربه بهذا الدعاء، فقال متضرعاً متوكلاً على ربه: ﴿ ربنا إن أسكنت من ذريتي ﴾ أي: لا كل ذريتي، لأن إسحاق في الشام، وباقى بنيه كذلك، وإنما أسكن في مكة إسماعيل وذريته، وقوله: ﴿بواد غير ذي زرع﴾ أي: لأن أرض مكة لا تصلح للزراعة.

﴿ربنا ليقيموا الصلاة ﴾ أي: اجعلهم موحدين مقيمين الصلاة، لأن إقيامية البصيلاة مين أخيص وأفيضيل العبادات الدينية، فمن أقامها كان مقيماً لدينه، ﴿فاجعل أفتدة من الناس تهوي إليهم ♦ أي: تحسبهم وتحب الموضع الذي هم ساكنون فيه.

فأجاب الله دعاءه، فأخرج من ذرية إسماعيل محمداً عِين، حتى دعا ذريته إلى الدين الإسلامي، وإلى ملة أبيهم إبراهيم، فاستجابواً له وصاروا مقيمي الصلاة.

وافترض الله حج هذا البيت الذي أسكن به ذرية إبراهيم، وجعل فيه سرأ عجيباً جاذباً للقلوب، فهي تحجه، ولا تقضى منه وطرأ على الدوام، بل كلما أكثر العبد التردد إليه ازداد شوقه، وعظم ولعه وتوقُّه، وهذا سر إضافته

تعالى إلى نفسه المقدسة.

﴿وارزقهم من الشمرات لعلهم يشكرون﴾ فأجاب الله دعاءه، فصار يجبى إليه ثمرات كل شيء، فإنك ترى مكة المشرفة كل وقت، والثمار فيها متوفرة، والأرزاق تتوالى إليها من كل جانب.

﴿٣٨﴾ ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن﴾ أي: أنت أعلم بنا منا، فنسألك من تدبيرك وتربيتك لنا أن تيسر لنا من الأمور التي نعلمها والتي لا نعلمها، ما هو مقتضى علمك ورحمتك، ﴿وما يخفى على الله من شي في الأرض ولا في السماء﴾ ومن ذلك هذا الدعاء الذي لم يقصد به الخليل إلا الخير، وكثرة الشكر لله رب العالمين.

♦٣٩٩ ﴿ الحمد شه الذي وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق﴾ فهبتهم من أكبر النعم، وكونهم على الكبر في حال الإياس من الأولاد نعمة أخرى، وكونهم أنبياء صالحين، أجلُّ وأفضل، ﴿إِنْ رَبِّي لسميع الدعاء ﴾ أي: لقريب الإجابة ممن دعاه، وقد دعوته، فلم يخيب رجائي، ثم دعا لنفسه ولذريته، فقال: ﴿رَبُّ اجْعُلْنَى مَقْيَمُ الْصَلَّاةُ وَمَنْ ذريتي ربنا وتقبل دعاء ﴿ ربنا اغفر لي ولواللدى وللمسؤمنين يبوم ينقبوم الحساب﴾ فاستجاب الله له في ذلك كله، إلا أن دعاءه لأبيه إنما كأن عن موعدة وعده إياه، فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه.

﴿٤٢ ــ ٤٢﴾ ثم قال تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار \* مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾ هذا وعيد شديد للظالمين، وتسلية للمظلومين، يقول تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ﴾ حيث أمهلهم وأذرَّ عليهم الأرزاق، وتركهم يتقلبون في البلاد آمنين مطمئنين، فليس في هذا ما يدل على حسن حالهم، فإن الله يُملى للظالم ويمهله ليزداد إثماً، حتى إذا أخذه لم يفلته ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذُ

القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ والظلم \_هاهنا \_يشمل الظلم فيما بين العبد وربه، وظلمه لعباد الله، ﴿إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ أي: لا تطرُفُ من شدة ما ترى من الأهوال وما أزعجها من القلاقل.

﴿مهطعين﴾ أي: مسرعين إلى إجابة الداعي حين يدعوهم إلى الحضور بين يدي ألله للحساب، لا امتناع لهم ولا محيص ولا ملجأ، ﴿مقنعي رَوْوسِهم﴾ أي: رافعيها قد غُلَتْ أيديهم إلى الأذقان، فارتفعت لذلك رؤوسهم، ﴿لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواءُ﴾ أي: أفئدتهم فارغة من قلوبهم، قد صعدت إلى الحناجر، لكنها مملوءة من كل هم وغم وحزن وقلق.

﴿ ٤٤ \_ ٤٤ ﴾ ﴿ وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال \* وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال ﴿ وقد مكروا مكرهم وعند ألله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب، أي: صِفْ لهم صفة تلك الحال، وحذَّرُهُمْ من الأعمال الموجبة للعذاب، الذي حين يأت في شدائده وقلاقله، ﴿فيقول الذين ظلموا ، بالكفر والتكذيب وأنواع المعاصي، نادمين على ما فعلوا، سائلين للرجعة في غير وقتها، ﴿ربنا أخرنا إلى أجل قريب ﴿ أَي: رُدُّنا إلى الدنيا، فإنا قد أبصرنا، ﴿نجب دعوتك والله يدعو إلى دار السلام ﴿ونتبع الرسل﴾ وهذا كله لأجل التخلص من العذاب، وإلا فهم كَذَّبةً في هذا الوعد ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه

ولهذا يوبخون ويقال لهم: ﴿أُولُم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال﴾ عن الدنيا وانتقال إلى الآخرة، فها قد تبين حِنْثكم في إقسامكم،

وكذبكم فيما تدعون، ﴿و﴾ ليس عليكم قاصرٌ في الدنيا من أجل الآيات البينات، بل ﴿سكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا أحل الله بهم العقوبات، حين كذبوا بالآيات البينات، وضربنا لكم الأمثال الواضحة التي لا تدع أدنى شك في القلب إلا أزالته، فلم تنفع فيكم تلك الآيات، بل أعرضتم ودمتم على باطلكم، حتى صار ما صار، ووصلتم باطلكم، حتى صار ما صار، ووصلتم من اعتذار بباطل.

﴿وقد مكروا﴾ أي: المكذبون للرسل ﴿مكرهم﴾ الذي وصلت إراداتهم، وقدر لهم عليه، ﴿وعند الله مكرهم﴾ أي: هو عبيط به علماً وقدرة، فإنه عاد مكرهم عليهم ﴿ولا عِينَ المكر السيِّيء إلا بأهله﴾.

﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ أي: ولقد كان مكر الكفار المكذبين للرسل بالحق، وبمن جاء به من عظمه \_ لتزول الجبال الراسيات بسببه عن أماكنها، أي: ﴿مكروا مكراً كُبَّاراً﴾ لا يقادر قدره ولكن الله رد كيدهم في نحورهم.

ويدخل في هذا كل مَنْ مكر من المخالفين للرسل، لينصر باطلاً، أو يبطل حقاً، والقصد أن مكرهم لم يغن عنهم شيئاً، ولم يضروا الله شيئاً، وإنما ضروا أنفسهم.

و٧٤ ـ ٢٥﴾ ﴿ فلا تحسب ق الله عزيز ذو خلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام \* يوم تبدل الأرض غير الأرض والسسماوات وبرزوا لله الواحد في الأصفاد \* سرابيلهم من قطران في الأصفاد \* سرابيلهم من قطران كل نفس ما كسبت إن الله سريع كل نفس ما كسبت إن الله سريع وليعلموا أتما هو إله واحد وليذكر أولو وليعلموا أتما هو إله واحد وليذكر أولو خلف وعده رسله ﴾ بنجاتهم، ونجاة أتباعهم وسعادتهم، وإهلاك أعدائهم وخذلانهم في الدنيا، وعقابهم في

الآخرة، فهذا لا بدمن وقوعه، لأنه وعد به الصادق قولاً، على ألسنة أصدق خلقه، وهم الرسل، وهذا أعلى ما يكون من الأخبار، خصوصاً وهو مطابق للحكمة الإلهية، والسنن الربانية، وللعقول الصحيحة، والله تعالى لا يعجزه شيء، فإنه ﴿عزيز دُو انتقام﴾.

أي: إذا أراد أن ينتقم من أحد، فإنه لا يفوته ولا يعجزه، وذلك في يوم القيامة، ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وهذا التبديل تبديل صفات، لا تبديل ذات، فإن الأرض ويلقى ما على ظهرها من جبل ومعلم، فتصير قاعاً صفصفاً، لا ترى فيه عوجاً ولا أمتاً، وتكون السماء كالمهل، من شدة أهوال ذلك اليوم، ثم يطويها الله شدة أهوال ذلك اليوم، ثم يطويها الله

﴿وبسرزوا﴾ أي: الخسلائي مسن قبورهم إلى يوم بعثهم، ونشورهم في على لا يخفى منهم غلى الله شيء، ﴿لله الواحد القهار﴾ أي: المتفرد بعظمته وأسمائه وصفاته وأفعاله العظيمة، وقهره لكل العوالم، فكلها تحت تصرفه وتدبيره، فلا يتحرك منها متحرك ولا يسكن ساكن إلا بإذنه.

تعالى بيمينه .

﴿ وتسرى المجرمين ﴾ أي: الذين وصفهم الإجرام، وكثرة الذنوب، في ذلك اليوم ﴿ مقرنين في الأصفاد ﴾ أي: يسلسل كمل أهمل عمل من المجرمين بسلاسل من نار، فيقادون إلى العذاب في أذل صورة وأشنعها.

وسرابيلهم أي: ثيابهم ومن قطران وذلك لشدة اشتعال النار فيهم وحرارتها، ونتن ريجها، ووتغشى وجوههم التي هي أشرف ما في أبدانهم والنار أي: تحيط بها، وتصلاها من كل جانب، وغير الوجوء من باب أولى وأحرى، وليس هذا ظلما من الله لهم، وإنما هو جزاء لما قدموا وكسبوا، وله خذا قال تعالى:

﴿ليجزى الله كل نفس ما كسبت﴾ من

مُفطِعِينَ مُقْنِي رُهُ وسِهِمْ لَايِزَتَ ذُالِيَهِوْ طَلْوَفُهُمَّ وَأَفْيَدَتُهُمُ مَوَوَاتُهُ ۞ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِ مُ ٱلْعَكَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبِّنَآ أَيْرَنَّا إِلَىٰٓ أَجَلِ قَرِيبٍ نُحِتْ دَعْوَتَكَ وَمَنَّبِعِ ٱلرُّمُ لِّ أَوْلَرْتَكُونُواْ أَفْسَعْمُ مِن قَتْلُ مَالَكُم مِن نَوَالِ ﴿ وَسَكَنتُم فِي مَسْكِين الله الله الله المنافقة المناف بهدُ وَضَرَفْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَ الَ ۞ وَقَدْمَكُوا مَكْرَهُرُ ] وَعِندَاقَةِ مَكْرُهُمُ وَإِن كَانَ مَكُوهُمُ إِلَا مِنهُ آيِجِ الْ ۞ فَلَا تَحْسَبَ َ اللَّهَ تُحْلِفَ وَعْدِيدِرُسُ لَهُ أَإِنَّ أَللَّهَ عَرِيرٌ اللهِ دُو ٱنفِقَ امِ ۞ يَوْمَ تُبَدِّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَا لَأَرْضِ وَالسَّمَوَتُ ۗ وَبَرَزُواْ يَتَوَالْوَجِدِالْقَهَارِ۞ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَهِنِ مُقَرَّنِينَ فِٱلْأَمْهُ فَادِ ۞ سَرَابِيلُهُ مِين قَطِلَانِ وَتَشْتَىٰ وُجُوهَهُ مُالنَّارُ ۞ لِيَجْزِيَ أَفَهُ كُلِّ نَفْسِ مَّا كَسَبُتْ ﴿ إِنَّ اللَّهُ سَرِيعُ أَيُحَسَابِ ۞ هَٰذَا بَلَكُمُّ لِإِنَّاسِ وَلِيُنَذُنُولِيهِ وليَعْلَوْ أَنْمَا هُوَ إِلَهُ وَعِدُ وَلِيدًا حَرَافُوا ٱلْأَلْبَ فِ DECEMBER 11 CONTRACTOR

خير وشر بالعدل والقسط، الذي لا جور فيه بوجه من الوجوه.

﴿إِن الله سريع الحساب ﴾ كقوله تعالى: ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ﴾ ويحتمل أن معناه: مريع المحاسبة، فيحاسب الخلق في ساعة واحدة، كما يرزقهم ويدبرهم بأنواع التدابير في لحظة واحدة، لا يشغله شأن عن شأن، وليس ذلك بعسير عليه.

فلما بين البيان المبين في هذا القرآن، قال في مدحه:

﴿ هذا بلاغ للناس ﴾ أي: يتبلغون به، ويتزودون إلى الوصول إلى أعلى المقامات وأفضل الكرامات، لما اشتمل عليه من الأصول والفروع، وجميع العلوم التي يحتاجها العباد.

وليندروا به لل فيه من الترهيب من أعمال الشر، وما أعد الله لأهلها من العقاب، ووليعلموا أنما هو إله واحد حيث صرف فيه من الأدلة والبراهين على ألوهيته ووحدانيته، ما صار ذلك حق اليقين، ووليذكر أولو الألباب أي: العقول الكاملة، ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه، وبذلك صاروا أولي الألباب والبصائر.

إذ بالقرآن ازدادت معارفهم وآراؤهم، وتنورت أفكارهم لما أخذوه غضاً طرياً، فإنه لا يدعو إلا إلى أعلى

و القالمة المنظمة الم

الأخلاق والأعمال وأفضلها، ولا يستدل على ذلك إلا بأقوى الأدلة وأبينها.

وهذه القاعدة إذا تدرب بها العبد الذكي، لم يزل في صعود ورقي على الدوام في كل خصلة حميدة. والحمد لله رب العالمين.

> تم تفسير سورة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام

## تفسير سورة الحجر وهي مكية

(۱ - 0) (بسسم الله السرحسن الرحيم الرته الرحيم الرتك آيات الكتاب وقرآن مبين \* ربما يوذ الذين كفروا لو كانوا مسلمين \* ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون \* وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم \* ما تسبق من أمة أجلها وما مادحاً له: (تلك آيات الكتاب) أي: مادحاً له: (تلك آيات الكتاب) أي: الآيات الدالة على أحسن المعاني، وأفضل المطالب، (وقرآن مبين) للحقائق بأحسن لفظ وأوضحه وأدله على المقصود، وهذا مما يوجب على المقصود، وهذا مما يوجب على وتلقيه بالقبول والفرح والسرور.

فأما من قابل هذه النعمة العظيمة بردها والكفر بها، فإنه من المكذبين الضالين، الذين سيأتي عليهم وقت

يتمنون أنهم مسلمون، أي: منقادون لأحكامه، وذلك حين ينكشف العطاء، وتظهر أوائل الآخرة، ومقدمات الموت، فإنهم في أحوال الآخرة كلها يتمنون أنهم مسلمون، وقد فات وقت الإمكان، ولكنهم في هذه الدنيا مغترون.

ف ﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا﴾ بلذاتهم ﴿ ويلههم الأمل ﴾ أي: يؤملون البقاء في الدنيا، فيلهيهم عن الآخرة، ﴿ فسوف يعلمون ﴾ أن ما هم عليه باطل، وأن أعمالهم ذهبت خسراناً عليهم، ولا يغتروا بإمهال الله تعالى، فإن هذه سنته في الأمم.

﴿وما أهلكنا من قرية > كانت مستحقة للعذاب ﴿إلا ولها كتاب معلوم > مقدر لإهلاكها.

﴿ ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ﴾ وإلا قالذنوب لا بد من وقوع أثرها، وإن تأخر.

و آ \_ 9 ﴿ وقالوا ينا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون \* لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين \* ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين \* إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾ أي: وقال المكذبون لمحمد الله استهزاء وسخرية: ﴿ يا أيها الذي نزل عليه الذكر ﴾ على زعمك ونترك ما وجدنا عليه آباءننا لمجرد وتلك.

ولو ما تأتينا بالملائكة بشهدون لك بصحة ما جئت به وإن كنت من الصادقين فلما لم تأت بالملائكة فلست بصادق، وهذا من أعظم الظلم والجهل.

أما الظلم فظاهر، فإن هذا تجرؤ على الله وتعنت بتعيين الآيات التي لم يخترها، وحصل القصود والبرهان بدونها من الآيات الكثيرة، الدالة على صحة ما جاء به، وأما الجهل، فإنهم جهلوا مصلحتهم من مضرتهم، فليس في إنزال الملائكة خير لهم، بل لا ينزل الله الملائكة إلا بالحق الذي لا إمهال على من لم يتبعه وينقد له.

﴿ وما كانوا إذا ﴾ أي: حين تنزل الملائكة، إن لم يؤمنوا، ولن يؤمنوا بر ﴿ منظرين ﴾ أي: بممهلين، فصار طلبهم لإنزال الملائكة تعجيلاً لأنفسهم بالهلاك والدمار، فإن الإيمان ليس في أيديهم، وإنما هو بيد الله، ﴿ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله، ولكن أكثرهم عبدون ﴾ ويكفيهم من الآيات إن كانوا صادقين، هذا القرآن العظيم ولهذا قال هنا:

﴿إِنَا نَحِنَ نَزَلْنَا الذَّكُرِ ﴾ أي: القرآن الذي فيه ذكري لكل شيء، من المسائل والدلائل الواضحة، وفيه يتذكر من أراد التذكر، ﴿وإنا له لحافظونِ أي: في حال إنزاله، وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه فيها ثم في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يحرف محرف معنى من معانيه، إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم، ولا يسلط عليهم عدواً يجتاحهم .

(۱۰ – ۱۳) (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين \* وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤون \* كذلك نسلكه في قلوب المجرمين \* لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين يقول تعالى لنبيه إذ كذبه المشركون: لم يزل هذا دأب الأمم الخالية والقرون الماضية: (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين) أي: فرقهم وجماعتهم، رسلاً.

﴿وما يأتيهم من رسول په يدعوهم الى الحق والسدى ﴿إلا كانوا به يستهزؤون ﴾ ﴿كذلك نسلكه ﴾ أي: ندخل التكذيب ﴿في قلوب المجرمين ﴾ أي: الذين وصفهم الظلم والبهت، عاقبناهم لما اشتبهت قلوبهم بالكفر والتكذيب، تشابهت معاملتهم

لأنبيائهم ورسلهم بالاستهزاء والسخرية وعدم الإيمان، ولهذا قال: ﴿لا يـؤمنون به وقد خلت سنة الأولين﴾ أي: عادة الله فيهم، بإهلاك من لم يؤمن بآيات الله .

باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون \* لقالوا إنّما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ أي: ولو جاءتهم كل آية عظيمة، لم يؤمنوا وكابروا ﴿ولُو فتحنا عليهم بأبأ من السماء ﴾ فصاروا بأنفسهم، لقالوا من ظلمهم وعنادهم، منكرين لهذه الآية: ﴿إِنَّمَا سَكُرَتُ أبصارنا ﴾ أي: أصابها سكر وغشاوة، مسحورون أي: ليس هذا بحقيقة، ولا رجاء، ثم ذكر الآيات الدالآت على ما جاءت به الرسل من الحق فقال:

محروساً ممنوعاً من الآفات.

﴿١٤ ــ ١٥﴾ ﴿ولو فتحنا عليهم يعرجون فيه، ويشاهدونه عياناً حتى رأينا ما لم نر، ﴿بل نحن قوم بل هذا سحر، وقوم وصلت بهم الحال إلى هذا الإنكار، فإنهم لا مطمع فيهم

﴿١٦ ـ ٢٠﴾ ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين \* وحفظناها من كل شيطان رجيم \* إلاّ من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين \* والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون \* وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ﴾ يقول تعالى \_مبيناً كمال اقتداره ورحمته بخلقه \_: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً ﴾ أي: نجوماً كالأبراج والأعلام العظام يهتدي بها في ظلمات البر والبحر، ﴿وزيناها للناظرين﴾ فإنه لولا النجوم لما كان للسماء هذا المنظر البهى والهيئة العجيبة، وهذا مما يدعو الناظرين إلى التأمل فيها، والنظر في معانيها والاستدلال بها على باريها.

﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ إذا استرق السمع، اتبعته الشهب الثواقب، فبقيت السماء، ظاهرها مجملاً بالنجوم النيرات، وباطنها

﴿ إِلَّا مِن استرق السمع ﴾ أي: في بعض الأوقات، قد يسترق بعض الشياطين السمع بخفية واختلاس، ﴿فأتبعه شهاب مبين﴾ أي: بين منير، يقتله أو يخبله.

فريما أدركه الشهاب قبل أن يوصلها الشيطان إلى وليه، فينقطع خبر السماء عن الأرض، وربما ألقاها إلى وليه قبل أن يدركه الشهاب، فيضمُّها ويكذب معها مئة كذبة، ويستدل بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.

﴿وَالْأَرْضُ مَدَّدُنَاهَا﴾ أي: وسعناها سعة يتمكن الآدميون والحيوانات كلها على الامتداد بأرجائها، والتناول من أرزاقها، والسكون في نواحيها.

﴿وَالْقَيْنَا فِيهَا رُواسِي﴾ أي: جِبالاً عظاماً، تحفظ الأرض بإذن الله أن تميد، وتثبتها أن تزول ﴿وأنبتنا فيها من كل شيء موزون اي: نافع متقوم يضطر إليه العباد والبلاد، ما بين نخيل وأعناب، وأصناف الأشجار، وأنواع

﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ من الحرث، ومن الماشية، ومن أنواع المكاسب والحرف. ﴿ومن لستم له برازقين﴾ أي: أنعمنا عليكم بعبيد وإماء وأنعام، لنفعكم ومصالحكم، وليس عليكم رزقها، بل خولكم الله إياها وتكفل بأرزاقها.

﴿ ٢١﴾ ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلاّ بقدر معلوم﴾ أي : جميع الأرزاق وأصناف الأقدار، لا يملكها أحد إلا الله، فخزائنها بيده، يعطى من يشاء ويمنع من يشاء، بحسب حكمته ورحمته الواسعة، ﴿وما ننزله ﴾ أي: المقدر من كل شيء، من مطر وغيره، ﴿إلا بقدر معلوم﴾ فلا يزيد على ما قدره الله، ولا ينقص منه.

﴿٢٢﴾ ﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين اي: وسخرنا

EXPLICATION IN 經過間 医食 مَ لَقَدْ حَمَلَنَا فِ ٱلسَّكَنَاءِ رُوْمِ الرَّيْنَ فَالِلْنَظِيدِي ﴿ ۞ وَحَفِظْنَهَا مِن كُلِّ شَيْطُلن تَجِيدٍ ۞ إِلَّا مِنَ أَسْتَرَقَ ٱلسَّنَعَ فَأَتَتِعَ مُنْهَا لِمُنْفِقًا فَمُنِينًا ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدَنَاهَا وَٱلْقَتِكَ الْمِهَارَوَا مِنَ وَأَنْبُتُكَ إِنْهِا مِن كُلُ مَنْ و مَوزُونِ ١ وَيَحَكُنَا لَكُرُّفِهَا مَكِيشَ وَمَن لَسُتُمْ لَهُ يُزَوْقِنَ ۞ وَلَمُونَ مَّى وِ إِلَّاعِندَنَا خَزَّانِنُهُ وَمَانَيْزَالُهُ إِلَّابِقَ لَومِ ١ وَأَرْسَلْنَا ٱلِيَنَعَ لَوْفِهَ فَأَنزَلْنَامِنَ ٱلْسَمَلَةِ مَلَّهُ فَأَسْقَيْنَكُوهُ وَمَا أَنتُ كَلَيْحَ لَيْهِ نَ ﴿ وَإِنَّا لَيَحَنُّ نَحْيٍ عَوْيُبِتُ وَيَحْزُ ٱلْوَلِيْوُنَ ﴿ وَلَقَدْ عَلِينَا ٱلْكُنَّ تَقْدِمِينَ مِنكُوْ وَلَقَدْ عَلِمَنَا ٱلْكُنَّ نَعْجِينَ ٥ وَإِنَّ رَبَّكِ هُوَيَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُ عَكِيمٌ عَلِيدٌ ۞ وَلَقَدْخَلْفَنَا ٱلْإِنسَانَ مِن مَسَلْصَلِ مِنْ مَكَمَ مِّسَنُونِ ۞ وَٱلْجَآنَ خَلَقَنَاهُ مِنْ قِبَلُ مِن نَادِ ٱلسَّنْمُومِ ۞ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْكَلِّهِ كَمْ إِلْيَحْلِقُ ۗ بَشَرُاعِن صَلْصَالِ مِنْ عَمَا مَسْنُونِ ۞ فَإِذَا سَوَيْتُهُ وَفَقَتْ مِنْهِ مِن رُّورِي فَقَعُوا لَهُ سَجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ الْلَآيِكَةُ كُلُّهُمُ أُ أَجْمُتُونَ مَعَ الشَّا إِبْلِيسَ أَنَّ أَن يَكُونَ مَعَ الشَّيْجِينَ ۞ ON TOP OF THE OWNER OWNER

الرياح، رياح الرحمة تلقح السحاب، كما يلقح الذكر الأنثى، فينشأ عن ذلك الماء بإذن الله، فيسقيه الله العباد ومواشيهم وأرضهم، ويبقى في الأرض مدخرا لحاجاتهم وضروراتهم ما هو مقتضى قدرته ورحمته، ﴿وما أنتم له بخازنين ﴾ أي: لا قدرة لكم على خزنه وادخاره، ولكن الله يخزنه لكم، ويسلكه ينابيع في الأرض، رحمة بكم وإحساناً إليكم.

﴿ ٢٣ \_ ٢٥ ﴾ ﴿ وإنا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون \* ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين \* وإنّ ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم اي: هو وحده لا شريك له، الذي يحيى الخلق من العدم، بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً ويميتهم لآجالهم التي قدرها ﴿ونحن الوارثون اكقوله: ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون، وليس ذلك بعزيز ولا ممتنع على الله، فإنه تعالى يعلم المستقدمين من الخلق والمستأخرين منهم، ويعلم ما تنقص الأرض منهم، وما تفرق من أجزائهم، وهو الذي قدرته لا يعجزها معجز، فيعيد عباده خلقأ جديدأ ويحشرهم

﴿إنه حكيم ﴾ يضع الأشياء

لونه وريحه من طول مكثه.

النافقائي والنافقة والمنافقة النافقائي والنافقائي المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة والمنافقة المنافقة والمنافقة و

مُوَالْمَدَابُ الْأَلِيدُ وَيَنْفَدَعَنَ مَنْفِيابَرُهِمَ وَ الْمَالِدُ وَيَنْفَدَعَنَ مَنْفِيابَرُهِمَ وَ الْم مواضعها، وينزلها منازلها، ويجازي كل عامل بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

﴿٢٦ \_ ٤٤﴾ ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حماً مسنون \* والجآن تأ خلقناه من قبل من نار السموم \* وإذا يت قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من لأ ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين \* فسجد الملائكة كلهم المحدين \* قال يا إبليس أبي أن يكون مع الساجدين \* قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين \* قال الإبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين \* قال المأكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حماً لأ مسنون \* قال فاخرج منها فإنك المستون \* قال الماليس ما الماليس ماليس ماليس ماليس الماليس ماليس ماليس ماليس الماليس ماليس ماليس ماليس ماليس ماليس ماليس ماليس الماليس ماليس الماليس ماليس الماليس ماليس ماليس ماليس الماليس ماليس الماليس ماليس ماليس الماليس ماليس ماليس الماليس ماليس الماليس ماليس الماليس ماليس الماليس ماليس الماليس ماليس الماليس المال

رجيم \* وإن عليك اللعنة إلى يوم بعنص الدين \* قال رب فانظرني إلى يوم يعنص يعمون \* قال فإنك من المنظرين \* إلى في الموقت المعلوم \* قال رب بما واست أغويتني لأزينن لهم في الأرض أي: ولأغوينهم أجمعين \* إلا عبادك منهم عليا المخلصين \* قال هذا صراط على والبه مستقيم \* إن عبادي ليس لك عليهم ففي سلطان إلا من اتبعك من الغاوين \* سيسا

سلطان إلا من اتبعك من الغاوين \* سيستمر على وإن جهنم لموعدهم أجمعين \* لها سبعة وقال رد أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم (إلى يوم يه يذكر تعالى نعمته وإحسانه على أبينا آدم المنظرين إلى

عليه السلام، وما جرى من عدوه

من شره وفتنته، فقال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ أي: آدم عليه السلام ﴿من صلصال من حماً مسنون﴾ أي: من طين قد يبس، بعدما خر، حتى صار له صلصلة وصوت، كصوت الفخار، والحماً المسنون: الطين المتغير

إبليس، وفي ضمن ذلك التحذير لنا

﴿والجان﴾ وهو: أبو الجن أي: إبليس ﴿خلقناه من قبل﴾ خلق آدم ﴿من نبار السموم﴾ أي: من النبار الشديدة الحرارة، فلما أراد الله خلق آدم قال للملائكة:

﴿إِن خالق بشراً من صلصال من حماً مسنون فإذا سويته ﴾ جسداً تاماً ﴿ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ فامتثلوا أمر ربهم.

﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ تأكيد بعد تأكيد، ليدل على أنه لم يتخلف منهم أحد، وذلك تعظيماً لأمر الله، وإكراماً لآدم حيث علم ما لم يعلموا.

﴿إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين وهذه أول عداوته لآدم و فريته، قال الله: ﴿يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين؟ قال لم أكن السجد لبشر خلقته من صلصال من هما المسنون فاستكبر على أمر الله، وأبدى السعداوة لآدم وذريته، وأعجب بعنصره، وقال: أنا خير من آدم.

﴿قَالَ﴾ الله معاقباً له على كفره واستكباره ﴿فاخرج منها فإنك رجيم﴾ أي: مطرود مبعد من كل خير، ﴿وإن عليك اللمنة﴾ أي: الذم والعيب، والبعد عن رحمة الله ﴿إلى يوم الدين﴾ ففيها وما أشبهها، دليل على أنه سيستمر على كفره وبعده من الخير.

﴿قال رب فأنظرني ﴿ أي: أمهلني ﴿ إِلَى يوم يبعثون . قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ وليس إجابة الله لدعائه كرامة في حقه ، وإنما

ذلك امتحان وابتلاء من الله له وللعباد، ليتبين الصادق الذي يطيع مولاه دون عدوه ممن ليس كذلك، ولذلك حذرنا منه غاية التحذير، وشرح لنا ما يريده منا.

﴿ قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ﴾ أي: أزين لهم الدنيا، وأدعوهم إلى إيشارها على الأخرى، حتى يكونوا منقادين لكل معصية.

﴿ولأغوينهم أجعين ﴾ أي: أصدهم كلهم عن الصراط المستقيم، ﴿إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ أي: الذين أخلصتهم واجتبيتهم،

لإخلاصهم، وإيمانهم، وتوكلهم. قال الله تعالى: ﴿هذا صراط عليً مستقيم﴾ أي: معتدل موصل إلي، وإلى دار كرامتي.

﴿إِنْ عبادي ليس لك عليهم سلطان عبايهم سلطان عمل أنواع المضلالات، بسبب عبوديتهم لرجم وانقيادهم الله وعصمهم من الشيطان.

﴿إِلا من اتبعك﴾ فرضي بولايتك وطاعتك، بدلاً من طاعة الرحمن، ﴿من الغاوين﴾ والغاوي: ضد الراشد، فهو الذي عرف الحق وتركه، والضال: الذي تركه من غير علم منه

﴿ وَإِنْ جَهِنَمُ لَمُوعَدُهُمْ أَجْعِينُ ﴾ آي: إبليس وجنوده، ﴿ لَهَا سَبِعَةُ أَبُوابِ ﴾ كل باب أسفل من الآخر، ﴿ لَكُلُ بَابِ مَنْهُم ﴾ أي: من أتباع إبليس ﴿ جَزْءُ مُقْسُومٍ ﴾ بحسب أعمالهم، قال الله تعالى: ﴿ وَخَرُكُبُوا فَيْهَا هُمْ وَالْغَاوُونُ، وَجَوْدُ إِبْلِيسَ أَجْعُونُ ﴾ .

ولًا ذكر تعالى ما أعد لأعدائه أتباع إبليس من النكال والعذاب الشديد، ذكر ما أعد لأوليائه من الفضل العظيم، والنجيم المقيم فقال:

﴿ ٤٥ ـ ، ٥ ﴾ ﴿إِنَّ المتقين في جنات وعيون \* ادخلوها بسلام آمنين \* ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين \* لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين \* نبىء عبادى أن أنا الغفور الرحيم \* وأنَّ

عذابي هو العذاب الأليم في يقول تعالى: إن المتقين الذين اتقواطاعة الشيطان، وما يدعوهم إليه من جميع الذنوب والعصيان (في جنات وعيون) قد احتوت على جميع الأشجار، وأينعت فيها جميع الثمار اللذيذة في جميع الأوقات.

ويقال لهم حال دخولها: ﴿ادخلوها بسلام آمنين﴾ من الموت، والنوم والنصب، واللغوب، وانقطاع شيء من النعيم، الذي هم فيه أو نقصانه، ومن المرض، والحزن، والهم، وسائر المكدرات، ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ فتبقى قلوبهم سالمة من كل دغل(١) وحسد، متصافية متحابة ﴿إخواناً على سرر متقابلين﴾.

دل ذلك على تزاورهم واجتماعهم وحسن أدبهم فيما بينهم، في كون كل منهم مقابلاً للآخر لا مستدبراً له، متكثين على تلك السرر المزينة بالفرش واللؤلؤ وأنواع الجواهر.

﴿لا يمسهم فيها نصب ﴾ لا ظاهر ولا باطن، وذلك لأن الله ينشئهم نشأة وحياة كاملة، لا تقبل شيئاً من الآفات، ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ على سائر الأوقات.

ولما ذكر ما يوجب الرغبة والرهبة من مفعولات الله من الجنة والنار، ذكر ما يوجب ذلك من أوصافه تعالى فقال: 
﴿ نبىء عبادي ﴾ أي: أخبرهم خبراً جازماً مؤيداً بالأدلة، ﴿ أَنِي أَنَا الغفور الرحبه الرحيم ﴾ فإنهم إذا عرفوا كمال رحمته ومغفرته، سعوا في الأسباب (٢) الموصلة لهم إلى رحمته، وأقلعوا عن المذنوب وتابوا منها، لينالوا مغفرته.

ومع هذا فلا ينبغي أن يتمادى بهم الرجاء إلى حال الأمن والإدلال، فنبئهم ﴿أَنْ عَذَانِ هُو الْعَذَبِ الأَلْيمِ ﴾ أي: لا عذاب في الحقيقة إلا عذاب الله، الذي لا يقادر قدره، ولا يبلغ كنهه، نعوذ به من عذابه، فإنهم إذا عرفوا أنه ﴿لا يعذب عذابه، أحد \* ولا يوثق وثاقه أحد \* حذروا، وأبعدوا

عن كل سبب يوجب لهم العقاب، فالعبد ينبغي أن يكون قلبه دائماً بين الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة، فإذا نظر إلى رحمة ربه ومغفرته وجوده وإحسانه، أحدث له ذلك الرجاء والرغبة، وإذا نظر إلى ذنوبه وتقصيره في حقوق ربه، أحدث له الخوف والرهبة والإقلاع عنها.

﴿٥١ - ٥٦) ﴿ونبِّنهم عن ضيف إبراهيم \* إذ دخلوا عليه فُقالوا سلاماً قال إنَّا منكم وجلون \* قالوا لا توجل إنّا نبشرك بغلام عليم \* قال أبشرتموني على أن مسنى الكبر فيم تبشرون \* قالوا بشرناك بالحق فلاتكن من القانطين \* قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ، يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ونبنهم عن ضيف إبراهيم اي: عن تلك القصة العجيبة، فإن في قصك عليهم أنباء الرسل وما جرى لهم، عما يوجب لهم العبرة والاقتداء بهم، خصوصاً إبراهيم الخليل، الذي أمرنا الله أن نتبع ملته، وضيفه هم الملائكة الكرام، أكرمه الله بأن جعلهم أضيافه .

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهُ فَقَالُوا سَلَاماً﴾
أي: سلموا عليه، فرد عليهم ﴿قَالَ:
إِنَّا مَنكُم وَجِلُونَ﴾ أي: خانفون، لأنه
لما دخلوا عليه وحسبهم ضيوفاً، ذهب
مسرعاً إلى بيته، فأحضر لهم
ضيافتهم، عجلاً حنيذاً فقدمه إليهم،
فلما رأى أيديهم لا تصل إليه، خاف
منهم أن يكونوا لصوصاً أو نحوهم.

ف ﴿قالُوا﴾ له: ﴿لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم﴾ وهو: إسحاق عليه الصلاة والسلام، تضمنت هذه البشارة، بأنه ذكر لا أنثى، عليم، أي: كثير العلم، وفي الآية الأخرى ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾.

فقال لهم متعجباً من هذه البشارة: ﴿أَبشرتمونِ ﴾ بالولد ﴿على أن مسني الكبر ﴾ وصار نوع إياس منه ﴿فبم تبشرون ﴾ أي: على أي: وجه تبشرون

إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْدٍ فَقَالُواْ سَلَمُا قَالَ إِنَّا مِنكُرُ وَجِلُونَ ۞ قَالُوا لَاتَوْجَلْ إِنَّا نُبَيِّرُكَ بِعُلَامِ عَلِيهِ ۞ قَالَ أَبْشَرْتُ مُونِي عَلَيْلُ مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُفِ مَتَّبَيْتُرُونَ ﴿ قَالُواْ بَشَرَيْكَ بِٱلْمَقَ ا فَلَا تَكُنُ مِّنَ ٱلْقَلْيَطِينَ ۞ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن زَّخْمَةِ رَبِّهِ: إِلَّا الصَّيَالُّونَ ۞ قَالَ فَمَاخَطْبُكُوا أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ @قَالُوَّا إِنَّا أَرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ تُجْرِمِينَ ﴿ إِلَاَّ الْلَّهِ لِ إِنَّا لَنَجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا مَرَأَتَهُ فَذَرْنَا إِنَّهَالَينَ ٱلْعَنِينِ ۞ فَلَمَّاجَآءَ وَالْ لُوطِ ٱلْمُرْسِكُونِ۞قَالَ إِنَّكُرْ قَوْمٌ مُّتُكِّرُونَ ۞ قَالُواْ بَلْ حِنْدَكَ بِمَاكَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿ وَأَتَيْنَكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَلَاقُونَ ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعِ مِّنَ ٱلْيِّلِ وَٱنَّيْعُ أَدْبُكُوهُرُ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنكُوْ أَحَدُ وَأَمْضُواْ حَيْثُ ثُوْمَتُهُونَ ۞ وَقَصَيْنَكَ ۚ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَأَنَّ دَابِرَهَا وَلَا مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ۞ وَيَعَامَ أَهْلُلُلُوبِنَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ قَالَ إِنَّ هَنْوُلْآهِ صَيْفِي فَلَانَفْضَ حُونٍ ۞ وَٱلْقُواْ مُ اللَّهَ وَلَا يُخْزُونِ ۞ قَالُوا أَوَلَرُنَنْهَكَ عَنِ الْعَالِمِينَ ۞ OLEGO TO REPORT وقد عدمت الأسباب؟

﴿قالوا بشرناك بالحق﴾ الذي لا شك فيه، لأن الله على كل شيء قدير، وأنتم بالخصوص \_يا أهل هذا البيت \_رحمة الله وبركاته عليكم، فلا يستغرب فضل الله وإحسانه إليكم.

﴿فلاتكن من القانطين﴾ الذين يستبعدون وجود الخير، بل لا تزل راجياً لفضل الله وإحسانه، وبره وامتنانه، فأجابهم إبراهيم بقوله:

﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ الذين لا علم لهم بربهم، وكمال اقتداره وأما من أنعم الله عليه بالهداية والعلم العظيم، فلا سبيل إلى القنوط إليه، لأنه يعرف من كثرة الأسباب والوسائل والطرق لرحمة الله شيئاً كثيراً، ثم لما بشروه بهذه البشارة، عرف أنهم مرسلون لأمر مُهم.

﴿٧٥ - ٧٧﴾ ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون \* قالوا إنّا أرسلنا إلى قوم محرمين \* إلاّ آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين \* إلاّ آمرأته قدرنا إنها لمن الغايريين \* فيلما جاء آل لوط المرسلون \* قال إنكم قوم منكرون \* قالوا بل جنناك بما كانوا فيه يمترون \* قاسر وأتيناك بالحق وإنّا لصادقون \* فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبّع أدبارهم بأهلك بقطع من الليل واتبّع أدبارهم

CALLERO CERTIFIE قَالَ عَنْوُلِآءٍ بَنَافِيَ إِن كُشُهُ وَفَعِلِينَ ۞ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَي سَكَّرَيْهُمْ يَعْمَهُونَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۞ فِحَمَلْنَاعَ لِلِيَهَا سَافِلُهَا وَأَمْطُنَا عَلَيْهِ مُرِجَارَةً مِن سِجِيلٌ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَكَيْلَتِ لِلْمُتَوْمِينِينَ ﴿ وَإِنَّهَا لِيَسِيدِ إِنَّفِيدٍ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِن كَانَ أَصْعَبُ ٱلْأَيْكُولَظُلِمِينَ ۞ فَانَفَمْنَامِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لِيَإِمَامِرُمِّينِ۞ وَلَقَدْ كُذَّبَ أَصْحَبُ ٱلْمِحْرِلَلْرُمْيِلِينَ ۞ وَءَاتَهُ هُمَّةً ءَايَنتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَامُعْ مِنْ يَنْ ۞ وَكَانُواْ يَنْجِوُونَ مِنَ آلِجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْعَةُ مُصِّيحِينَ ۞ فَٱلْغَنَّاعَنْهُمُ مَّاكَانُواْ يَكْمِيمُونَ ۞ وَمَاخَلِقَنَا ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَابِينَهُمَا إِلَّا إِلَّهِ إِنَّكِيٌّ وَإِنَّ ٱلسَّاحَةُ لَآيِيةٌ فَأَصْفَحَ الصَّفْعَ الْجَييلَ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَالْخَلُّقُ الْعَلِيمُ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَكَ سَبَّعَا مِنَ ٱلْشَافِ وَٱلْقُدْرَانَ ٱلْمَظِيمَ ﴿ لَا تَمُذُذُ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَعْنَىٰ إِمِيةَ أَزْوَجَا مِنْهُمْ وَلَا تَعْنَنَ الْ عَلَيْهِ مُوَاخْفِضْ جَنَامَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ وَقُلْ إِنِّهَ أَنَّا اللَّهُ النَّيْفِكُ الْمِينُ ﴿ كَمَّا أَنْكَ عَلَى لَلْقَتْسِدِينَ ﴾ TOURSE THE REPORT OF THE PROPERTY OF THE PROPE

ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون \* وقضينا إليه ذلك الأمر أنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين \* وجاء أهل المدينة يستبشرون \* قال إنّ هؤلاء ضيفي فلا تفضحون \* واتقوا الله ولا تخرون \* قبالوا أولم نستهاك عن العالمين \* قال هؤلاء بناي إن كنتم فاعلين # لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون \* فأخذتهم الصيحة مشرقين \* فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل \* إنَّ في ذلك لآيات للمتوسمين \* وإنها لبسبيل مقيم \* إنّ في ذلك لآيةً للمؤمنين ﴾ أي: ﴿قال ﴾ الخليل عليه السلام للملائكة: ﴿ فما خطبكم أيها المرسلون﴾ أي: ما شأنكم، ولأي: شيء أرسلتم؟

﴿ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين ﴾ أي: كثر فسادهم، وعظم شرهم، لنعذبهم ونعاقبهم، ﴿ إلا أَلَ لُوط ﴾ أي: إلا لوطاً، وأهله ﴿ إلا أمرأته قدرنا إلها لمن الغابرين ﴾ أي: الباقين بالعذاب، وأما لوط فسنخرجنه وأهله، وننجينهم منها، فجعل إبراهيم يجادل الرسل في إهلاكهم، ويراجعهم، فقيل له: ﴿ يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ﴾ فذهبوا

﴿فلما جاء آل لوط المرسلون قال﴾

لهم لوط ﴿إنكم قوم منكرون﴾ أي: لا أعرفكم ولا أدري من أنتم.

﴿قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ أي: جئناك بعذاجم الذي كانوا يشكون فيه، ويكذبونك حين تعدهم به، ﴿وأتيناك بالحق﴾ الذي ليس بالهزل ﴿وإنا لصادقون﴾ فيما قلنا لك.

﴿ فأسر بأهلك بقطع من الليل ﴾ أي: في أثنائه حين تنام العيون، ولا يدري أحد عن مسراك، ﴿ولا يلتفت منكم أحد ﴾ أي: بل بادروا وأسرعوا، ﴿وامضوا حيث تؤمرون ﴾ كأن معهم دليلاً يدلهم إلى أين يتوجهون ﴿وقضينا إليه ذلك ﴾ أي: أخبرناه خبراً لا مثنوية فيه ﴿أَنْ دَابِرُ هُؤُلاءُ مُقطوع مصبحين ﴾ أي: سيصبحهم العذاب الذي يجتاحهم ريستأصلهم، ﴿وجاء أهل المدينة﴾ أي: المدينة التي فيها لوط ﴿يستبشرون اي: يبشر بعضهم بعضاً، بأضياف لوط وصباحة وجوههم واقتدارهم عليهم، وذلك لقصدهم فعل الفاحشة فيهم، فجاؤوا حتى وصلوا إلى بيت لوط، فجعلوا يعالجون لوطأ على أضيافه، ولوط يستعيذ منهم ويقول:

﴿إِنْ هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون ﴾ أي: راقبوا الله أول ذلك، وإن كان ليس فيكم خوف من الله، فلا تفضحون في أضيافي، وتنتهكوا منهم الأمر الشنيع.

ف ﴿قالوا﴾ له جواباً عن قوله ولا تخزون فقط: ﴿أولم نسهك عن العالمين﴾ أن تضيفهم، فنحن قد أندرناك، ومن أندر فقد أعدر، ف ﴿قال﴾ لهم لوط من شدة الأمر الذي أصابه: ﴿هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين﴾ فلم يبالوا بقوله، ولهذا قال الله لرسوله عمد ﷺ ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ وهذه السكرة، هي سكرة عبة الفاحشة التي الون معها بعذل ولا لوم.

فلما بينت له الرسل حالهم، زال عن لوط ما كان يجده من الضيق

والكرب، فامتثل أمر ربه وسرى بأهله ليلاً فنجوا، وأما أهل القرية ﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين﴾ أي: وقت شروق الشمس، حين كانت العقوبة عليهم أشد، ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ أي: قلبنا عليهم مدينتهم، ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ تتبع فيها من شذ من البلد منهم.

(إن في ذلك لآية للمتوسمين) أي: المتأملين المتفكرين، الذين لهم فكر وروية وفراسة، يفهمون بها ما أريد بذلك، من أن من تجرأ على معاصي الله، خصوصاً هذه الفاحشة العظيمة، وأن الله سيعاقبهم بأشنع العقوبات، كما تجرؤوا على أشنع السيئات.

﴿وإنها﴾ أي: مدينة قوم لوط ﴿لبسبيل مقيم﴾ للسالكين، يعرفه كل من تردد في تلك الديار ﴿إِنْ في ذلك لاَية للمؤمنين﴾ وفي هذه القصة من العبر: عنايته تعالى بخليله إبراهيم، فإن به فكأنه تلميذ له، فحين أراد الله إهلاك قوم لوط حين استحقوا ذلك، أمر رسله أن يمروا على إبراهيم عليه السلام كي يبشروه بالولد ويخبروه بما بعثوا له، حتى إنه جادلهم عليه السلام في إهلاكهم، حتى أقنعوه، فطابت نفسه،

وكذلك لوط عليه السلام، لما كانوا أهل وطنه، فريما أخذته الرقة عليهم والرأفة بهم، قدّر الله من الأسباب ما به يشتد غيظه وحنقه عليهم، حتى استبطأ إهلاكهم لما قيل له: ﴿إِن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ومنها: أن الله تعالى إذا أراد أن يهلك قرية، [ازداد] شرهم وطغيانهم، فإذا انتهى، أوقع بهم من العقوبات ما يستحقونه.

﴿٧٧ ـ ٧٩﴾ ﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين \* فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين﴾ وهؤلاء هم قوم شعيب، نعتهم الله وأضافهم إلى الأيكة، وهو البستان كثير الأشجار، ليذكر نعمته عليهم، وأنهم ما قاموا بها، بل جاءهم

﴿٨٠ ـ ٨٤﴾ ﴿ولــقـــد كــــذب أصحاب الحجر المرسلين \* وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين \* وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين \* فأخذتهم الصيحة مصبحين \* فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴿ يُخبِر تعالى عن أهل الحجر، وهم قوم صالح الذين يسكنون الحجر المعروف في أرض الحجاز، أنهم كذبوا المرسلين، أي: كذبوا صالحاً، ومن كذب رسولاً فقد كذب سائر الرسل، لاتفاق دعوتهم، وليس تكذيب بعضهم لشخصه، بل لما جاء به من الحق الذي اشترك جميع الرسل بالإتيان به، ﴿وَآتَيْنَاهُم آيَاتُنَا﴾ الدالة على صحة ما جاءهم به صالح من الحق، التي من جملتها تلك الناقة، التي هي من آيات الله العظيمة.

الني هي من ايات الله العظيمة. وفكانوا عنها معرضين كبراً وتجبراً على الله، ووكانوا من كثرة إنعام الله عليهم وينحتون من الجبال بيوتاً آمنين من المخاوف، مطمئنين في ديارهم، فلو شكروا النعمة وصدقوا نبيهم صالحاً عليه السلام، لأذر الله عليهم الأرزاق، ولأكرمهم بأنواع من الثواب العاجل والآجل، وعتوا عن أمر ربهم، وقالوا: ويا صالح انتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين .

﴿فَأَخَذَتُهُمُ الصيحةُ مصبحين﴾ فتقطعت قلوبهم في أجوافهم، وأصبحوا في دارهم جاثمين هَلْكَي،

مع ما يتبع ذلك من الخزي واللعنة المستمرة ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ لأن أمر الله إذا جاء، لا يرده كثرة جنود، ولا قوة أنصار، ولا غزارة أموال.

﴿٨٥ ... ٨٦﴾ ﴿وما خــلـقـنـا السماوات والأرض وما بينهما إلآ بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل \* إنّ ربك هو الخلاق العليم ﴿ أي: ما خلقناهما عبثاً وباطلاً كما يظن ذلك أعداء الله، بل ما خلقناهما ﴿إلا بالحق﴾ الذي منه، أن يكونا بما فيهما دالتين على كمال خالقهما، واقتداره، وسعة رحمته وحكمته، وعلمه المحيط، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلاله، وحده لا شريك له، ﴿وإن الساعة لآتية﴾ لا ريب فيها ﴿لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس) ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ وهو الصفح الذي لا أذية فيه، بل يقابلُ إساءة المسيء بالإحسان، وذنبه بالغفران، لتنال من ربك جزيل الأجر والثواب، فإن كل ما هو آت فهو قريب، وقد ظهر لي معنى أحسن مما ذکر ت هنا .

وهو: أن المأمور به هو الصفح الجميل، أي: الحسن الذي قد سلم من الحقد والأذية القولية والفعلية، دون الصفح الذي ليس بجميل، وهو الصفح في غير محله، فلا يصفح حيث اقتضى المقام العقوبة، كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا يسفع فيهم إلا العقوبة، وهذا هو المعنى.

﴿إن ربك هو الخلاق﴾ لكل مخلوق ﴿العليم﴾ بكل شيء، فلا يعجزه أحد من جميع ما أحاط به علمه، وجرى عليه خلقه، وذلك سائر الموجودات.

﴿٨٧ ـ ٩٣ ﴾ ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم \* لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ولا تحرن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين \* وقل إني أنا النذير المبين \* كما أنزلنا على المقتسمين \* الذين جعلوا القرآن عضين \* فوربك

ٱلَّذِنَ جَعَلُواْ ٱلْقُدْمَةِ انْ عِضِينَ ۞ فَوَرَ مِكَ ٱلْسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ عَنَاكَانُواْمِتْ مَلُونَ ۞ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْضَ عَنِ ٱلشَّرِكِينَ ۞ إِنَّا كَمُيْنَاكَ ٱلسُّنَفِيْدِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَجْمَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَاخَرُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ مُعْلَمُ أَنَّكَ يَضِينُّ صَدَّرُكَ عِمَا يَقُولُونَ ﴿ فَسَيْمْ يَعَدُورَيُكَ وَكُن مِّنَ السَّنَجِينِ ﴿ وَأَعْبُدُ رَبِّكَ حَقَّىٰ يَأْنِيكَ الْيَقِينُ ۞ أَنَّ أَمُّ اللَّهِ فَلَا لَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحُنَهُ وَقَمَّا إِعْمَا أَيْسُرِكُونَ ا ۞ يُنْزِلُ ٱلْمُلَدِّكَةَ بِالرُّوعِ مِنْ أَمْرِهِ عِلَى مَن يَشَكَةُ مِنْ عِبَادِهِ الْأَنْذِرُوٓا أَنَّهُ لِآ إِلَهَ إِلَّا أَنَّا مَّاتَّقُونِ ۞ خَلَقَ السَّمَنَوْتِ وَٱلْأَرْضِ بِالْحَقِّ مَّكَلِيءَ مَّا أَيْشُرِكُونَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِن نُطَفَةِ فَإِذَا هُوَ خَصِيبٌ مُبِيثٍ ٥ إِ وَٱلْأَنْسَاءَ خَلَقَهَا لَكُرُ فِيهَا دِنْ \* وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ الله وَلَكُونِهَا مَالَ حِينَ يُعِكُونَ وَحِينَ تَسْرَعُونَ وَ O TO TO THE OTHER OF

لنسألتهم أجمعين «عما كانوا يعملون» يقول تعالى غُتنًا على رسوله: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني» وهن \_على «البقرة» و «آل عمران» و «النساء» و «المائدة» و «الأنعام» و «الأعراف» و «الأنفال» مع «التوبة». أو أنها فاتحة الكتاب لأنها سبع آيات، فيكون عطف «القرآن العظيم» على ذلك، من بابعطف العام على الخاص، لكثرة ما في المثاني من التوحيد، وعلوم الغيب، والأحكام الجليلة، وتثنيتها فيها.

وعلى القول بأن «الفاتحة» هي السبع المثاني، معناه: أنها سبع آيات، تثنى في كل ركعة، وإذا كنان الله قد أعطاه القرآن العظيم مع السبع المثاني، كان قد أعطاه أفضل ما يتنافس فيه المتنافسون، وأعظم ما فرح به المؤمنون، وقل بفضل الله وبرحمته فيذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ولذلك قال بعده:

ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم أي: لا تعجب إعجاباً يحملك على إشغال فكرك بشهوات الدنيا التي تمتع بها المترفون، واغتر بها الجاهلون، واستغن بما آتاك الله من المثاني والقرآن العظيم، وولا تحزن عليهم فإنهم لا خير فيهم يُرْجَى، ولا نفع يُرْتَقب.

فلك في المؤمنين عنهم أحسن

وَتَعْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَّا كِلَهِ لَّرْتَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلَّا بِيشِقَ ٱلْأَنْفُينُ إِذَّ رَبِّكُمْ لَرُهُ وَتُ رَحِيمٌ ۞ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْفَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِلْرَّكَ بُوهَا وَزِينَةٌ وَيَغْلُقُ مَا لَاتَمَّ أَنُونَ ۞ وَعَلَى اللَّهِ وَصَدُ السَّهِيلِ وَمِنْهَا جَآبُرُ وَلَوْ شَاءً لَمَذَكُمُ أَجْمَعِينَ ۞ هُوَالَّذِي أَسْزَلَ مِنْ ٱلسَّمَآ عِنَاءٌ لَّكَمْ مِنْهُ السَّا شَكَابٌ وَمِنْهُ شَجَرُ فِيهِ تَيْسِينُونَ ۞ يُنْبِتُ لُكُمْ بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلْزَيْثُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَبَ وَمِن كُأ ٱلثَّمَرَاتُ إِنَّ فِي ذَلِكَ ٱلْآيَةُ لِقَوْمِ يَتَفَكَّرُونَ ٥ وَسَخَّرَلَكُمُ أَيُّنَا وَالنَّهَارَ وَالنَّبَ مَن وَالْقَدَرَّ وَٱلنَّجُومُ مُسَخَّرَتُ إِلَّهُ مِنْ إِلَّهُ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ وَمَا ذَرَّأَ لَكُمْ فِ ٱلْأَرْضِ عُنْكِلِقًا أَلْوَنُهُ وَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِفَوْمِ يَذَكَّرُونَ ۞ وَهُوَ الْمَا الَّذِي سَخَ مَا لَبِحُمُ لِمَا أَكُولُوا مِنْهُ لَحْمَا طَيَّا وَتَسْتَخِيمُوا مِنْهُ حِلْيَةُ تَلْبَسُونَهَ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَفِيهِ رُمُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ ال TO SO TO STATE OF THE ORDER

البدل، وأفضل العوض، ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ أي: ألِنْ لهم جانبك، وحَسِّن لهم خلقك، عبة وإكراماً، وتوَدُّداً، ﴿وقل إِنِ أَنَا النذير المبين﴾ أي: قم بما عليك من النذارة، وأداء الرسالة، والتبليغ للقريب والبعيد، والعدو، والصديق، فإنك إذا فعلت ذلك، فليس عليك من حسابهم من شيء، وما من حسابك عليهم من

مير... وقوله: ﴿كسما أنزلنا العقوبة على المقتسمين﴾ أي: كما أنزلنا العقوبة على المقتسمين على بطلان ما جئت به، الساعين لصد الناس عن سبيل الله.

﴿اللّٰين جعلوا القرآن عضين ﴾ أي: أصنافاً وأعضاء وأجزاء، يصرفونه بحسب ما يهوونه، فمنهم من يقول: سحر، ومنهم من يقول: كهانة، ومنهم من يقول: كهانة، من أقوال الكفرة المكذبين به، الذين جعلوا قدحهم فيه ليصدوا الناس عن

﴿ فُورِبِكُ لِنسألِنَّهِم أَجْعِينَ ﴾ أي: جميع من قدح فيه وعابه، وحرَّفه وبدُله ﴿ عما كانوا يعملون ﴾ وفي هذا أعظم ترهيب وزجر لهم عن الإقامة على ما كانوا عليه (١٠).

ثم أمر الله رسوله أن لا يبالي بهم

ولا بغيرهم، وأن يصدع بما أمر الله، ويعلن بذلك لكل أحد ولا يُعَوِّقَنُهُ عن أمره عائق ولا تَصُدَّه أقوال المتهوكين، ﴿وَأَعَـرَضَ عَـن المشركين ﴾ أي: لا تبال بهم، واترك مشاتحتهم ومسابتهم، مقبلاً على شأنك، ﴿إنا كفيناك المستهزئين ﴾ بك وبما جنت به، وهذا وعد من الله لرسوله، أن لا يضره المستهزؤون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة.

وقد فعل تعالى، فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة.

ثم ذكر وصفهم وأنهم كما يؤذونك يا رسول الله، فإنهم أيضاً يؤذون الله ويجعلون معه ﴿إلها آخر﴾ وهو ربهم وخالقهم ومدبرهم ﴿فسوف يعلمون﴾ غِبَّ أفعالهم إذا وردوا القيامة، ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ لك من التكذيب والاستهزاء.

فنحن قادرون على استنصالهم بالعذاب، والتعجيل لهم بما يستحقون، ولكن الله يمهلهم ولا يهملهم.

فأنت يا محمد ﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين﴾ أي: أكثر من ذكر الله وتسبيحه وتحميده والصلاة، فإن ذلك يوسع الصدر ويشرحه، ويعينك على أمورك.

﴿٩٩﴾ ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ أي: الموت، أي: استمر في جميع الأوقيات على التقرب إلى الله بأنواع العبادات، فامتثل ﷺ أمر ربه، فلم يزل دائباً في العبادة، حتى أتاه اليقين من ربه ﷺ، تسليماً كثيراً.

تم تفسير سورة الحجر

## تفسير سورة النحل وهي مكية

﴿١ \_ ٢﴾ ﴿بـــم الله السرحمن الرحيم أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عمّا يشركون \* ينزّل

الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون في يقول تعالى مقرباً لما وعد به محققاً لوقوعه -: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه فإنه آت، وما هو آت فإنه قريب، ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون في من نسبة الشريك والولد نسبه إليه المشركون، مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله، ولما نزه نفسه بحيدا وصفه به أعداؤه، ذكر الوحي عما الذي ينزله على أنبيائه، مما يجب اتباعه في ذكر ما ينسب لله، من صفات الكمال فقال:

﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره ﴾ أي: بالوحي الذي به حياة الأرواح ﴿ على من يشاء من عباده ﴾ بمن يعلمه صالحاً، لتحمل رسالته.

وزبدة دعوة المرسلين كلهم ومدارها على قوله: ﴿أَنَ أَنْدُرُوا أَنْهُ لا إِلهُ إِلا أَنَا وَاتَمُونَ ﴾ أي: على معرفة الله تعالى وتوحده في صفات العظمة، التي هي صفات الألوهية، وعبادتبه وحده لا شريك له، فهي التي أنزل الله بها كتبه، وأرسل رسله، وجعل الشرائع كلها تدعو إليها، وتحث وتجاهد من حاربها وقام بضدها، ثم ذكر الأدلة والبراهين على ذلك. فقال:

﴿٣ - ٩﴾ ﴿خيلت السسماوات والأرض بالحق تعالى عما يشركون \* خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين \* والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون \* ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون \* والحم أثقالكم إلى بلله لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إنّ ربكم لرؤوف رحيم \* والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون \* وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾ هذه السورة النعم، فإن الله ذكر في

أولها أصول النعم وقواعدها، وفي آخرها متمماتها ومكملاتها، فأخبر أنه خلق السماوات والأرض بالحق، ليستدل بها العباد على عظمة خالقهما، وبعلموا أنه خلقهما مسكناً لعباده الذين يعبدونه، بما يأمرهم به من الشرائع التي أنزلها على ألسنة رسله، ولهذا نزه نفسه عن شرك المشركين به فقال: ﴿تعالى عما سرك هم، فإنه الإله حقاً، الذي يشركهم، فإنه الإله حقاً، الذي تعلى والذل إلا له تنبغي العبادة، والحب والذل إلا له تعلى، ولا ذكر خلق السماوات تعالى، ولا ذكر خلق السماوات

وبدأ بأشرف ذلك وهو الإنسان فقال: ﴿خلق الإنسان من نطفة ﴾ لم يزل يدبرها، ويرقيها وينميها، حتى صارت بشراً تاماً، كامل الأعضاء الظاهرة والباطنة، قد غمره بنعمه الغزيرة، حتى إذا استتم فخر بنفسه وأعجب بها ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ يحتمل أن المراد: فإذا هو خصيم لربه، يكفربه، ويجادل رسله، ويكذب بآياته. ونسى خلقه الأول، وما أنعم الله عليه به ، من النعم ، فاستعان بها على معاصيه، ويحتمل أن المعنى: أن الله أنشأ الآدمي من نطقة، ثم لم يزل ينقله من طور إلى طور، حتى صار عاقلاً متكلماً، ذا ذهن ورأي: يخاصم ويجادل، فليشكر العبدربه الذي أوصله إلى هذه الحال، التي ليس في إمكانه القدرة على شيء منها.

﴿والأنعام خلقها لكم ﴾أي: لأجلكم، ولأجل منافعكم ومصالحكم، من جملة منافعها العظيمة أن لكم ﴿فيها دف ﴾ كما تتخذون من أصوافها وأوبارها، وأشعارها، وجلودها، من الثياب، والفرش، والبيوت.

﴿وَ ﴾لكم فيها ﴿منافع ﴾غير ذلك ﴿ومنها تأكلون ﴾ ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ﴾أي: في

وقت راحتها وسكونها، ووقت حركتها وسرحها، وذلك أن جمالها لا يعود إليها منه شيء، فإنكم أنتم الذين تتجملون بثيابكم وأموالكم، وتعجبون بذلك، ﴿وقِحمل أثقالكم من الأحمال الثقيلة، بل وتحملكم أنتم ﴿إلى بلد لم تكونوا بالفيه إلا بشق الأنفس ولكن الله ذللها لكم.

فمنها ما تركبونه، ومنها ما تحملون عليه ما تشاؤون من الأثقال إلى البلدان البعيدة والأقطار الشاسعة، ﴿إِن ربكم لرؤوف رحيم﴾إذ سخر لكم ما تضطرون إليه وتحتاجونه، فله الحمد، كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، وسعة جوده وبره.

﴿وَالْخِيلُ وَالْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ ﴾ سخرناها لكم ﴿لتركبوها وزينة ﴾ أي: تارة تستعملونها للضرورة في الركوب، وتارة لأجل الجمال والزينة ، عرم أكلها، والخيل لا تستعمل في عرم أكلها، والخيل لا تستعمل في لأجل الأكل، بل ينهى عن ذبحها لأجل الأكل، خوفا من انقطاعها، وإلا فقد ثبت في الصحيحين، أن النبي ﷺ ذن في لحوم الخيل.

ويخلق ما لا تعلمون مما يكون بعد نزول القرآن من الأشياء، التي يركبها الخلق في البر والبحر والجو، ويستعملونها في منافعهم ومصالحهم، فإنه لم يذكرها بأعيانها، لأن الله تعالى لا يذكر في كتابه إلا ما يعرفه العباد، أو يعرفون نظيره، وأما ما ليس له يفهموا المزاد منه، فيذكر أصلاً جامعاً يدخل فيه ما يعلمون وما لا يعلمون، كما ذكر نعيم الجنة، وسمى منه ما نعلم ونشاهد نظيره، كالنخل نعلم والرمان، وأجمل ما والأعناب والرمان، وأجمل ما والأعناب والرمان، وأجمل ما كما ذكر ناكهة زوجان هي قوله: ﴿فيهما من كل فاكهة زوجان هي أله المنه والكالمنه والكاله في قوله المناكل من كل فاكهة زوجان هي المناكل فاكهة زوجان هي المنكل من كل فاكهة زوجان هي المناكل فاكه والمناكل في المناكل في ال

到 自己的说 所谓的思想 原创 التَّالَةَ فِي ٱلأَرْضِ رَوَابِيوكِ أَن تَلْهُ مِكْمُ وَأَنْهَا ذَا وَيُسْبُلُا الْ أَمَالَكُ مُ تَهَالُدُونَ ﴿ وَعَلَامُنَ وَبِالْغَيْرِ هُرَيَهُ مَدُونَ ﴿ أَفَنَ يَغَلُقُ كَ مَن لَّا يَغَلُقُ أَفَلَا تَنَكَّرُونَ ۞ الله وان تَعَدُّوا نِعْتُمَةُ اللهِ لَا يُحْتُمُوهَا أَنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَجِيمٌ ﴿ ﴾ وَٱللَّهُ مَعَلَهُ مَالْمُهُ وَنَ وَمَالْقُلُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ اً مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَعْلُقُونَ شَيْنًا وَهُمْ يُغَلِّقُونَ ۞ أَمُونَتُ غَيْرُ أَخِيَ أَوْ مَا يَشْهُمُ وَبَ أَيَّاذَ يُبْعَثُونَ ۞ إِلَّهُ كُوْ إِلَّهُ اللهِ عَلَيْنَ اللَّهِ مِن النَّوْمِنُونَ بِالْآخِهِ وَوَقُلُومِهُم مُّنكِرَةً اللَّهِ مَنْكِرَةً ا وَهُرَمُسْتَكُمُرُونَ ۞ لَاجَرَرَأَنَّ أَلَقَةَ يَصْلَرُمَالُمِيرُونَ ﴾ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُ ٱلْمُسْتَكِّمِينَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ المَّانَآأَنَلَ رَبُكُ مُ الْوَالْسَطِيرُ الْأَوْلِينَ ۞ لِيَحْمِلُوا ﴾ أَوْزَارَهُرْكَامِهُ يَوْمَ الْقِيكَمَةُ وَمِنْ أَوْزَارِالَّذِينَ يُضِلُّونَهُم ( الهَدِيلُو أَلَاسَآءَ مَا يَزِيُونَ ۞ قَدْ مَكَرَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَقَ ٱللَّهُ مُنْكِنَّهُ مِينَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّعَلَيْهِمُ مُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَنْسَهُمُ ٱلْعَدَابُ مِنْ حَيْثُ لَايَتْمُرُونَ ۞ avera misoneson

فكذلك هنا، ذكر ما نعرفه من المراكب، كالخيل، والبغال، والحمير، والإبل، والسفن، وأجمل الباقي في قوله: ﴿ويخلق ما لا تعلمون وأن الله قد جعل للعباد ما يقطعونه به من الإبل وغيرها، ذكر الطريق المعنوي الموصل إليه فقال:

﴿وعلى الله قصد السبيل﴾أي: الصراط المستقيم، الذي هو أقرب الطرق وأخصرها، موصل إلى الله.

وأما الطريق الجائر في عقائده وأعماله، وهو كل ما خالف الصراط المستقيم، فهو قاطع عن الله، موصل إلى دار الشقاء، فسلك المهتدون الصراط المستقيم بإذن ربهم، وضل الغاوون عنه، وسلكوا الطرق الجائرة، ولو شاء لهداكم أجمعين ولكنه هدى بعضاً كرماً وفضلاً، ولم يهد آخرين، حكمة منه وعدلاً.

﴿ ١٠ ـ ١١ ﴾ ﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ﴿ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الشمرات إنّ في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ بذلك على كمال قدرة الله ، الذي أنزل هذا الماء من السحاب الرقيق اللطيف ، ورحمته حيث جعل فيه ماء

ثُدَّ مَّوْمَ ٱلْقِيْكَمَةِ يُخْزِيهِ مِّ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآ إِيَّ ٱلَّذِينَ كُنتُهُ ثُشَتَقُوكَ فِيهِمُ قَالَ الَّذِيكَ أُوتُوا الْمِلْرَانَ ٱلْحِذِي ٱلْيَوْمَ وَٱللَّهِ ۚ عَلَى ٱلْكَانِينِ ۚ ۞ ٱلَّذِينَ نَتَوَفَّىٰ لِهُمُ ٱلْمُلَيِّكَةُ ظَالِيٓ أَنْفُهِهِ مِّ فَأَلْقَوْ ٱلْسَكَرَمَاكُنَا نَعْسَلُ مِن سُوِّعً بِلِّنَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُ إِمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ فَأَدْخُلُواْ أَثْوَابَ جَهَا مِنْ خَلِدِينَ فِيهَا فَلِينَ مِنْ وَكَالْنُكَ بِرِينَ ۞ \* وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوَّا مَاذَآ أَرْلَ رَبُّكُمٌّ قَالُواْ خَيْرٌ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِ هَاذِهِ ٱلدُّنْيَ احَسَنَةٌ ثَوَلَدَارُ ٱلْآخِرَوْخَيْرُ وَلَيْعُمَ دَارُٱلْمُنَقِيرَ ۞ جَنَّتُ عَدْنِ يَدْخُلُونَهَا تَجْدِي مِن تَحْيِهَا ٱلْأَنْهَ أَرْكُمُ مِنِهَا مَايِشَآ أُونَّ كَذَلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُنْقِيدَ ۞ ٱلَّذِينَ تَنَوَفَّنَّهُ مُالْلَكَتِكَةُ طَبِّينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ مُّ ٱدْخُلُواْ ٱبْحَنَّةَ عِمَا كُنتُرْتَعْمَلُونَ۞ هَلْ يَظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْلِيَهُمُ ٱلْمُلَيِّكَةُ أَوْيَأْتِيَ أَمْرُرَيِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِيثَ مِن مَسْلِهِمْ وَمَاظَلَتَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُ مُنظَامُونَ ﴿ فَأَسَابَهُمْ سَيِّنَاتُ مَاعَيمُلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّاكَانُواْ بِدِيسَتَهْزِءُونَ ۞ OND TO THE O

غزيراً منه يشربون، وتشرب مواشيهم، ويسقون منه حروثهم، فتخرج لهم الثمرات الكثيرة والنعم الغزيرة. \$11 كام الله الكه اللها والنهاد

والشمس والقمر والنجوم مسخرات والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون أي : سخر لكم هذه الأشياء لمنافعكم وأنواع مصالحكم، بحيث لا تستغنون وتنامون وتستريحون، وبالنهار تنتشرون في معايشكم ومنافع دينكم ودنياكم، وبالشمس والقمر، من الضياء، والنور، والإشراق، وإصلاح الأشجار والشمار، والنبات، وتجفيف والشروريات وإزالة البرودة الضارة للأرض وللأبدان، وغير ذلك من الضروريات والحاجيات، التابعة لوجود الشمس والقمر.

وفيهما وفي النجوم، من الزينة للسماء والهداية، في ظلمات البر والبحر، ومعرفة الأوقات، وحساب الأزمنة، ما تتنوع دلالاتها، وتتصرف آياتها، ولهذا جمعها في قوله ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون أي: لمن للهم عقول يستعملونها في التدبر والتفكر، فيما هي مهيأة له مستعدة، تعقل ما تراه وتسمعه، لا كنظر الغافلين الذين حظهم من النظر حظ البهائم التي لا عقل لها.

﴿٢٣﴾ ﴿وما ذرأ لكم في الأرض ختلفاً ألوانه إنّ في ذلك لآية لقوم يذكرون﴾ أي: فيما ذرأ الله ونشر للعباد، من كل ما على وجه الأرض، من حيوان، وأشجار، ونبات، وغير ذلك، مما تختلف ألوانه، وتختلف منافعه، آية على كمال قدرة الله، وعميم إحسانه، وسعة بره، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك لسة خرون أي: لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك لسة خرون أي: للمام النافع، ويتأملون ما دعاهم الله التأمل فيه، حتى يتذكروا بذلك ما هو دليل عليه.

﴿ ١٤﴾ ﴿ وهو الذي سخَّر البحر لتأكلوا منه لحمأ طريأ وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾أي: هو وحده لا شريك له ﴿الذي سخر البحر﴾ وهيأه لمنافعكم المتنوعة، ﴿لِتأكِلُوا مِنه لِحَمَّا طَرِيًّا﴾ وهو السمك والحوت الذي يصطادونه منه، ﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) فتزيدكم جمالاً وحسناً إلى حسنكم، ﴿وترى الفلك﴾ أي: السفن والمراكب ﴿مواخر فيه﴾ أي: تمخر البحر العجاج الهائل بمقدمها، حتى تسلك فيه من قطر إلى آخر، تحمل المسافرين وأرزاقهم وأمتعتهم وتجاراتهم التي يطلبون بها الأرزاق وفضل الله

ولعلكم تشكرون الذي يسر لكم هذه الأشياء وهيأها، وتشنون على الله الذي مَنْ بها، فلله تعالى الحمد والشكر والثناء، حيث أعطى العباد من مصالحهم ومنافعهم فوق ما يطلبون، وأعلى مما يتمنون، وآتاهم من كل ما سألوه، لا نحصي ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه.

﴿10 - 17 ﴾ ﴿وألقى في الأرضِ رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلاً لعلكم تهتدون \* وعلاماتٍ وبالنجم هم يهتدون ﴾أي: ﴿وألقى ﴾الله تعالى لأجل عباده ﴿في الأرض رواسي ﴾ وهي: الجبال العظام لئلا تميد بهم

وتضطرب بالخلق، فيتمكنون من حرث الأرض والبناء والسير عليها، ومن رحمته تعالى أن جعل فيها أنهاراً، يسوقها من أرض بعيدة إلى أرض مضطرة إليها لسقيهم وسقى مواشيهم وحروثهم، أنهاراً على وجه الأرض، وأنهاراً في بطنها يستخرجونها بحفرها، حتى يصلوا إليها فيستخرجونها بما سخر الله لهم من الدوالي والآلات ونحوها، ومن رحمته أن جعل في الأرض سبلاً، أي: طرقاً توصل إلى الديار المتنائية، ﴿لعلكم تهتدون﴾ السبيل إليها، حتى إنك تجد أرضاً مشتبكة بالجبال مسلسلة فيها، وقد جعل الله فيما بينها منافذ ومسالك للسالكين .

﴿١٧ \_ ٢٣﴾ ﴿أَفْمِن يَخْلُق كُمِنْ لا يخلق أفلا تذكرون \* وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إنَّ الله لغفور رحيم \* والله يعلم ما تسرون وما تعلنون \* والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون \* أموات غير أحياء وما يشعرون أيّان يبعثون \* إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخيرة قبلبوبهم مستكبرة وهمم مستكبرون \* لا جرم أنّ الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين لله لذكر تعالى ما خلقه من المخلوقات العظيمة، وما أنعم به من النعم العميمة، ذكر أنه لا يشبهه أحد ولا كُف له ولا ندله، فقال: ﴿ أَفُمِن يُحْلَقُ ﴾ جميع المخلوقات، وهو الفعال لما يريد ﴿كُمِّن لا يُخلق﴾ شيئاً، لا قليلاً ولا كثيراً، ﴿أَفَلَا تَذَكُّرُونَ﴾ فتعرفون أن المنفرد بالخلق أحق بالعبادة كلها، فكما أنه واحد في خلقه وتدبيره، فإنه واحد في إلهيته وتوحيده وعبادته .

وكما أنه ليس له مشارك إذ أنشأكم وأنشأ غيركم، فلا تجعلوا له أنداداً في عبادته، بل أخلصوا له الدين، ﴿وإن تعدوا نعمة الله عدداً عرداً عن الشكر ﴿لا تحصوها ﴿فضلاً عن كونكم تشكرونها، فإن نعمه الظاهرة والباطنة على العباد بعدد الأنفاس واللحظات،

من جميع أصناف النعم، مما يعرف العباد، ومما لا يعرفون، وما يدفع عنهم من النقم فأكثر من أن تحصى، ﴿إِنْ الله لغفور رحيم ﴾ يرضى منكم باليسير من الشكر مع إنعامه الكثير.

وكما أن رحمته واسعة، وجوده عميم، ومغفرته شاملة للعباد، فعلمه محيط بهم، ﴿يعلم ما تسرون وما تعلنون بخلاف من عُبد من دونه ، فإنهم ﴿لا يخلقون شيئاً﴾ قليلاً ولا كثيراً ﴿وهم يُحَلِّقُونَ ﴾ فكيف يخلقون شيئاً مع افتقارهم في إيجادهم إلى الله تعالى؟! آ

ومع هذا، ليس فيهم من أوصاف الكمال شيء، لا علم، ولا غيره، ﴿ أموات غير أحياء ﴾ فلا تسمع، ولا تبصر، ولا تعقل شيئاً، أفتتَّخذ هذه آلهة من دون رب العالمين، فتيّاً لعقول المشركين ما أضلها وأفسدها، حيث ضلت في أظهر الأشياء فساداً، وسووا بين الناقص من جميع الوجوه، فلا أوصاف كمال، ولا شيء من الأفعال، وبين الكامل من جميع ألوجوه الذي له كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فله العلم المحيط بكل الأشياء، والقدرة العامة، والرحمة الواسعة التي ملأت جميع العوالم، والحمد والمجد والكبرياء والعظمة، التي لا يقدر أحد من الخلق أن يحيط ببعض أوصافه، ولهذا قال:

﴿ إِلَّهُ كُم إِلَّهُ وَاحِدٌ ﴾ وهو الله الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

فأهل الإيمان والعقول، أجلته قلوبهم وعظمته، وأحبته حباً عظيماً، وصرفواله كل ما استطاعوا من القربات البدنية والمالية، وأعمال القلوب وأعمال الجوارح، وأثنوا عليه بأسمائه الحسني، وصفاته وأفعاله المقدسة، ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة ﴾ لهذا الأمر العظيم الذي لا ينكره إلا أعظم الخلق جهلاً وعناداً، وهو توحيد الله ﴿وهم مستكبرون﴾ عن عبادته.

﴿لا جرم﴾ أي: حقاً لا بد

﴿أَنَ اللهُ يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ من الأعمال القبيحة ﴿إنه لا يحب المستكبرين بل يبغضهم أشد البغض، وسيجازيهم من جنس عملهم ﴿إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ .

﴿ ٢٤ \_ ٢٩﴾ ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين \* ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون \* قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون \* ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم إنَّ الخزى اليوم والسوء على الكافرين \* الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ماكنا نعمل من سوء بلى إنّ الله عليم بما كنتم تعملون \* فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين﴾ يقول تعالى \_ غبراً عن شدة تكذيب المشركين بآيات الله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ماذا أنزل ربكم اي: إذا سئلوا عن القرآن والوحى الذي هو أكبر نعمة أنعم الله بها على العباد، فماذا قولكم به؟ وهل تشكرون هذه النعمة وتعترفون بها، أم تكفرون وتعاندون؟

فيكون جوابهم أقبيح جواب وأسمجه، فيقولون عنه: إنه ﴿أساطير الأولين ﴾ أي: كذب اختلقه محمد على الله، وما هو إلا قصص الأولين التي يتناقلها الناس جيلاً بعد جيل، منها الصدق ومنها الكذب، فقالوا هذه المقالة، ودعوا أتباعهم إليها، وحملوا وزرهم ووزر من انقاد لهم إلى يوم القيامة .

وقوليه: ﴿ومن أوزار البذين يضلونهم بغير علم﴾ أي: من أوزار المقلدين الذين لا علم عندهم إلا ما دعوهم إليه، فيحملون إثم ما دعوهم إليه، وأما الذين يعلمون، فَكُلُّ مستقِلٌ بجرمه، لأنه عرف ما عرفوا ﴿ألاساء ما يزرون اي: بنس ما حملوا من

BENER CONTROL الوقال الَّذِيكَ أَشْرَكُوا لَوْشَاءَ اللَّهُ مَاعَبَدْ نَامِن دُونِيمِن الله مَن عِنْ وُلَا مَا اللهُ وَلَا عَرَيْنَ كَانِ دُونِهِ مِن مَن و كَدَاك الْعَلَىٰ الَّذِيكِ مِن قَبِلِهِ مُّوفَعَلْ عَلَى ٱلْأَيْسُلِ إِلَّا ٱلْبِلَاثُمُ ٱلَّذِيثُ ا وَلَقَدَ بَتَثْنَا فِي كُلِ أَمْدَ زَسُولًا أَي اعْبُ دُواللَّهَ وَآجْتَنِبُوا الطَّلَعُوتُ فِينَهُ مِنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُ مَنْ حَتَّ عَلَيْهِ ٱلضَّلَلَةُ مُسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا حَيْفَ كَانَ عَيَّةُ ٱلْمُكَيِّينِ ۞ إِن تَعْرِضْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّالُلَّهُ لَايَهْدِى مَن يُشِيلُ وَمَا لَمُدِين نَظِيرِينَ ۞ وَأَفْسَعُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْنَهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَعُوثُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْدِ حَضًّا وَلَكِنَّ أَكَ ثُرَّ النَّاسِ لَابَعْ لَمُونَ ۞ لِبُنِّينَ لَمُدُ ﴾ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَنْرُوٓا أَنَّهُمُ كَانُواْ كَنْدِيدِتَ ۞ إِنَّمَا قُولُنَا لِتَنَّ وِإِذَّا أَرَدُنَكُ أَنْ ثُنَّعُولُ لُهُ كُنْ فَيَكُونُ ۞ وَالَّذِينَ هَاجِتُ رُواْ فِ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا طُلِمُوا لَنْبَرِيَّنَّهُمْ فِالدُّنْيَاحَسَنَةً وَلِأَجْرُا لَآيِخَرُو أَكُمَّرُلُوكُانُوا أُ يَعْلَمُونَ ۞ ٱلَّذِنَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّمُونَ ۞ TOURSE MY LOTTE LOT

الوزر المثقل لظهورهم، من وزرهم ووزر من أضلوه.

﴿قدمكر الذين من قبلهم برسلهم، واحتالوا بأنواع الحيل على رد ما جاؤوهم به، وبنوا من مكرهم، قصوراً هائلة، ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد اي: جاءها الأمر من أساسها وقاعدتها، ﴿فخرعليهم السقف من فوقهم﴾ فصار ما بنوه عذاباً عذبوا به، ﴿وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ وذلك أنهم ظنوا أن هذا البنيان سينفعهم ويقيهم العذاب، فصار عذابهم فيما بنوه وأصَّلوه .

وهذا من أحسن الأمشال في إبطال الله مكر أعدائه. فإنهم فكروا وقدروا فيسما جاءت به الرسل لما كذبوهم، وجعلوا لهم أصولاً وقواعد من الباطل يرجعون إليها، ويردون بها ما جاءت [به] الرسل، واحتالوا أيضاً على إيقاع المكروه والضرر بالرسل ومن تبعهم، قصار مكرهم وَبَالاً عليهم، فصار تدبيرهم فيه تدميرهم، وذلك لأن مكرهم سيِّيء ﴿ولا يحيق المكر السيِّيء إلا بأهله ﴾ هذا في الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى، ولهذا قال: ﴿ ثم يوم القيامة يخزيهم ﴾ أي: يفضحهم على رؤوس الخلائق، ويبين لهم كذبهم وافتراءهم على الله.

﴿ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم اي: تحاربون

وَمَّا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا فُرِجَ إِلَيْهِ فُوضَنَ كُوَا أَهْلَ الذِّكْرِ إن كُنتُد لَاتَعَ لَمُونَ ۞ بِالْبَيْنَةِ وَالزُّمُرُّ وَأَزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِحْرَ لِنُبَيِنَ لِلنَّاسِ مَانُزِلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَكَّهُمْ يَنَفَحَّرُونَ ﴿ أَفَا مِنَ الَّذِيبَ مَكُرُوا السَّيِّعَاتِ أَن يَغْسِفَ اللَّهُ مِمَّ الْرَضَ أَوْيَأْنِيَهُ مُٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۞ أَوْيَأُخُذُهُمْ فِي تَقَلِّمُهِمْ فَأَهُم بِمُعْجِزِينَ ۞ أَوْيَأْخُذُهُمْ عَلَى تَخَوُّفِ فَإِنَّ رَبِّكُمْ لَرَءُ وَفُّ رَبِّحِيكُم ۞ أَوَلَمْ يَرَوْأَ إِلَىٰ مَاخَلَقَٱلۡفَهُونَ شَيْءٍ يَتَفَيَّوُاظِلَلْهُ عِن ٱلْيَعِينِ وَٱلشَّكَآبِلِ سُجَّدُ الِّنَهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ۞ وَيَغْوِيَسُجُدُ مَا فِي السَّحَوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَةٍ ن وموسب و موسب و المستخرص عَمَّا فَرَنْ رَمَّهُمُ مِن فَقِعِمُ الْ وَيَفْعَلُونَ مَايُؤُمُّ وَنَ ﴿ • وَقَالَ أَفَهُ لَا تَشَخِذُوا إِلَّهَ يْنِ ٱشْتَيْنَ إِنَّاهُوَ إِلَهٌ وَكَوِدُّ فَإِيِّلَى فَارْهَبُونِ۞ وَلَهُمَافِ ٱلسَّنَوَتِ ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ النِّهُ وَلِعِبًّا أَفَعَرَ اللَّهِ أَتَقُوت ﴿ وَمَا يَكُونِ اللَّهِ اللَّهِ مَن اللَّهُ ال إِذَا كَشَفَ ٱلضَّرَعَنَكُو إِذَا فَيِقُ مِنكُو رِيِّهِ مُ يُشْرِكُونَ ۞ TO DESIGN THE BOY

وتعادون الله وحزبه لأجلهم،
وتزعمون أنهم شركاء لله، فإذا سألهم
هذا السؤال، لم يكن لهم جواب إلا
الإقرار بضلالهم، والاعتراف بعنادهم
فيقولون ﴿ضلوا عنا وشهدوا على
أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ ﴿قال
الذين أوتوا العلم﴾ أي: العلماء
الربانيون ﴿إن الخزي اليوم﴾ أي: يوم
القيامة ﴿والسوء﴾ أي: العذاب ﴿على
الكافرين﴾

الناطقون بالحق في هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وأن لقولهم اعتباراً عند الله وعند خلقه، ثم ذكر ما يفعل بهم عند الوفاة وفي القيامة فقال:

(الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي

وفي هذا فضيلة أهل العلم، وأنهم

﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ أي: تتوفاهم في هذه الحال التي كثر فيها ظلمهم وغيّهم، وقد علم ما يلقى الظلمة في ذلك المقام، من أنواع العذاب والخزي والإهانة.

﴿فَالقوا السلم﴾ أي: استسلموا، وأنكروا ما كانوا يعبدونهم من دون الله وقالوا: ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ فيقال لهم: ﴿بِلُ ﴾ كنتم تعملون السوء، ف ﴿إن الله عليم بما كنتم تعملون المغض مواقف القيامة، ينكرون ما كانوا عليه في الدنيا ظناً أنه ينفعهم، فإذا شهدت عليهم جوارحهم، وتبين ما كانوا عليه أقروا واعترفوا، ولهذا وللهذا

لا يدخلون النار حتى يعترفوا بذنوبهم.

﴿فادخلوا أبواب جهنم ﴾ كلُ أهل عمل يدخلون من الباب اللاثق بحالهم، ﴿فلبس مثوى المتكبرين ﴾ نار جهنم، فإنها مثوى الحسرة والندم، ومنزل الشقاء والألم، ومحل الهموم والغموم، وموضع السخط من الحي القيوم، لا يُفَتِّرُ عنهم من عذابها، ولا يرفع عنهم يوماً من أليم عقابها، قد أعرض عنهم الرب الرحيم، وأذاقهم العذاب العظيم.

﴿٣٠ \_ ٣٢﴾ ﴿وقيل للذين اتّقوا

ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين \* جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزي الله المتقين \* الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ لما ذكر الله قيل المكذبين بما أنزل الله، ذكر ما قاله المتقون، وأنهم اعترفوا وأقروا بأن ما أنزله الله نعمة عظيمة، وخير عظيم امتن الله به على العباد، فقبلوا تلك النعمة، وتلقوها بالقبول والانقياد، وشكروا الله عليها، فعلمؤها، وعملوا لها ﴿للَّذِينِ أَحسنُوا ﴾ في عبادة الله تعالى، وأحسنوا إلى عباد الله، فلهم ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ رزق واسع، وعيشة هنية، وطمأنينة قلب، وأمن

﴿ولدار الآخرة خير﴾ من هذه الدار، وما فيها من أنواع اللذات والمشتهيات، فإن هذه نعيمها قليل، عشو بالآفات منقطع، بخلاف نعيم الآخرة، ولهذا قال: ﴿ولنعم دار المتين﴾

وجنات عدن يدخلونها تجري من عنها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون أي: مهما تمنته أنفسهم، وتعلقت به إرادتهم، حصل لهم على أكمل الوجوه وأتمها، فلا يمكن أن يطلبوا نوعاً من أنواع النعيم الذي فيه لذة القلوب وسرور الأرواح، إلا وهـو حاضر

لديهم، ولهذا يعطي الله أهل الجنة كل ما تمنوه عليه، حتى إنه يُذَكِّرُهم أشياء من النعيم لم تخطر على قلوبهم.

فتبارك الذي لا نهاية لكرمه، ولا حد لجوده، الذي ليس كمثله شيء في صفات ذاته، وصفات أفعاله، وآثار تلك النعوت، وعظمة الملك والملكوت، وكذلهك يجزي الله المتقين للسخط الله وعذابه، بأداء ما أوجبه عليهم من الفروض والواجبات، المتعلقة بالقلب والبدن واللسان، من حقه وحق عباده، وترك ما نهاهم الله عنه.

﴿الذين تتوفاهم الملائكة ﴾ مستمرين على تقواهم ﴿طيبين ﴾ أي: طاهرين مطهرين من كل نقص ودنس يتطرق إليهم، ويخل في إيمانهم، فطابت قلوبهم بمعرفة الله وعبته، والسنتهم بذكره والثناء عليه، وجوارحهم بطاعته والإقبال عليه، ﴿يقولون سلام عليكم ﴾ أي: التحية الكاملة حاصلة عليكم ﴾ أي: التحية الكاملة حاصلة

وقد سلمتم من كل ما تكرهون ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴿ من الإيمان بالله والانقياد لأمره، فإن العمل هو السبب والمادة والأصل في دخول الجنة والنجاة من النار، وذلك العمل حصل لهم برحمة الله ومنته

لكم، والسلامة من كل آفة.

عليهم، لا بحولهم وقوتهم.

و ٣٣ - ٤٣ و هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون ويقول تعالى: هل ينتظر هؤلاء الذين جاءتهم الآيات فلم يؤمنوا، وَذُكِّرُوا فلم يتذكروا، وإلا أن تأتيهم الملائكة وللمنص أرواحهم وأو يأتي أمر ربك بالعذاب الذي سيحل بهم، فإنهم قد استحقوا لوقوعه فيهم، وكذلك فعل الذين من قبلهم كذبوا وكفروا، ثم لم يؤمنوا حتى نزل بهم العذاب.

﴿وما ظلمهم الله ﴾ إذ عذبهم، ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ فإنها

غلوقة لعبادة الله، ليكون مآلها إلى كرامة الله، فظلموها وتركوا ما خلقت له، وعرضوها للإهانة الدائمة والشقاء الملازم.

﴿فأصابهم سيئات ما عملوا ﴾ أي: عقوبات أعمالهم وآثارها، ﴿وحاق بِهِم ﴾ أي: نـزل ﴿ما كسانـوا بـه يستهزؤون ﴾ فإنهم كانوا إذا أخبرتهم رسلهم بالعذاب استهزؤوا به، وسخروا عن أخبر به، فحل بهم ذلك الأمر الذي سخروا منه.

﴿٣٥﴾ ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرّمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ أي: احتبج المشركبون عيلى شركهب بمشيئة الله، وأن الله لو شاء ما أشركوا، ولا حرموا شيئاً من [الأنعام] التي أحلها كالبحيرة والوصيلة والحام، ونحوها، من دونه، وهذه حجة باطلة، فإنها لو كانت حقاً ما عاقب الله الذين من قبلهم حيث أشركوا به، فعاقبهم أشد العقاب. فلو كان يحب ذلك منهم لما عذبهم، وليس قصدهم بذلك إلا رد الحق الذي جاءت به الرسل، وإلا فعندهم علم أنه لا حجة لهم على الله.

فإن الله أمرهم ونهاهم، ومكنهم من (١) القيام بما كلفهم، وجعل لهم قوة ومشيئة تصدر عنها أفعالهم، فاحتجاجهم بالفضاء والقدر من أبطل الباطل، هذا وكل أحد يعلم بالحس، غير أن ينازعه منازع، فجمعوا بين غير أن ينازعه منازع، فجمعوا بين الأمور العقلية والحسية، ﴿فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾ أي: البين الشاهر، الذي يصل إلى القلوب، ولا يبقى لأحد على الله حجة، فإذا بلغتهم الرسل أمر رجم ونهيه، بالعتبه ما الرسل أمر رجم ونهيه، واحتجوا عليهم بالقدر، فليس للرسل

من الأمر شيء، وإنما حسابهم على الله عز وجل.

﴿٣٦ ــ ٣٧﴾ ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين \* إن تحرص على هداهم فإنّ الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين﴾ يخبر تعالى أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولاً، وكلهم متفقون على دعوة واحدة ودين واحد، وهـو عــبـادة الله وحــده لا شريك له ﴿أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ فانقسمت الأمم بحسب استجابتها لدعوة الرسل وعدمها قسمين، ﴿فمنهم من هدى الله﴾ فاتبعوا المرسلين علماً وعملاً، ﴿ومنهم من حقت عليه الضلالة ﴾ فاتبع سبيل

﴿فسيروا في الأرض﴾ بأبدانكم وقلوبكم ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ فإنكم سترون من ذلك العجائب، فلا تجدون مكذباً إلا كان عاقبته الهلاك.

﴿إِنْ تَحْرَصَ عَلَى هَدَاهِم ﴾ وتبذل جهدك في ذلك ﴿فَإِنَ اللهُ لا يهدي من يضل ﴾ ولو فعل كلَّ سبب لم يهده إلا الله ، ﴿وما لهم من ناصرين ﴾ ينصرونهم من عذاب الله ويقونهم بأسه.

﴿٣٨ - ٤٤ ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهِدُ أَيْمَانِهُم لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقاً ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون \* ليبنّ لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كانبين \* إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ يخبر تعالى عن المسركين المكذبين لرسوله، أنهم المسركين المكذبين لرسوله، أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ أي:

لَكُفُرُواْ عَمَا ءَاتَّمِنَاهُمُ وَتُسَتَّعُوُّا فَسَوْقَ تَعْامُونَ ﴿ وَيَحْعَلُونَ لَّا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا يَمَّا رَزَقْنَهُمُّ تَأَلَّوَ لَتُسْعَلُنَّ عَمَّاكُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿ وَتَجْعَلُونَ لِقَوَالْمِنَاتِ سُبْحَنَهُ وَكُمُ مَالِيَشْتَهُونَ ا وَإِذَا أَيْنِرَ أَعَدُهُم بِٱلْأَتَىٰ ظُلَّ وَجَهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَكَظِيمٌ ﴿ يَنَوْزَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوَّةٍ مَا أَشِرَ بِدِيَّ أَيْسِكُهُ عَلَى هُونِ أَمْر يَدُسُهُ فِ ٱلذُّلَبُ أَلَاسَكَة مَا يَخَكُمُونَ ۞ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِمُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَيَقِهِ الْمُثَلُ ٱلْأَعْلَ وَهُوَ ٱلْعَرِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ وَلَوْيُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلِّيهِ مِمَّازَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَةٍ وَلَكِنْ يُوَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلِ مُسكِّى ۚ فَإِذَاجَآهَ أَجَلُهُمْ لَا يَشْنَعْخِرُونَ سَاعَةً وَلَايَسُتُقْدِمُونَ ۞ وَيَجْعَلُونَ لِنَّهِ مَا يَكُرَهُونَ وَتَصِفُ ٱلْمِسْنَتُهُ مُوْالَكَ نِبَ أَنَّ لَمَا الْمُسْنَى لَاجَوَالْنَ لَمُتُوَالنَارَ وَأَنْهَدُمُّفُ مَلُونَ ۞ تَاللَّهُ لَقَدُّ أَرْسَلْنَآ إِلَىٓ أَمَرِ مِن قِبَلِكَ فَرَيِّنَ لَمُدُالْثَ يُطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَهُوَوَلِيْهُمُ ٱلْسُوْمَ وَلَمُرْعَنَاكُ أَلِيدُ ۞ وَمَا أَرْلُنَا عَلَيْكَ ٱلْكِنْبَ إِلَّا لِنُبَيِّنَ الله المُدُالَّذِي الْحَتَلَقُولِيةِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمِ يُؤْمِنُونَ ۞ OZERDU W BONYBOY

حلفوا أيماناً مؤكدة مغلظة على تكذيب الله، وأن الله لا يبعث الأموات، ولا يقدر على إحيائهم بعد أن كانوا تراباً، قال تعالى مكذباً لهم: وبيل سيبعثهم ويجمعهم، ليوم لا ريب فيه ﴿وعداً عليه حقاً﴾ لا يغله ولا يغيره ﴿ولكن أكثر الناس لا يغلمون﴾ ومن جهلهم العظيم لا يعلمون﴾ ومن جهلهم العظيم الكمة في الجزاء والبعث، فقال: الحكمة في الجزاء والبعث، فقال: السائل الكبار والصغار، فيبين حقائقها ويوضحها.

وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين حين يرون أعمالهم حسرات عليهم، وما نفعتهم آلهتهم التي يدعون مع الله من شيء لما جماء أمر ربك، وحين يرون ما يعبدون حطباً لجهنم، وتكور الشمس والقمر، وتتناثر النجوم، ويتضح لمن يعبدها أنها عبيد مسخرات، وأنهن مفتقرات إلى الله في جميع الحالات، وليس ذلك على الله بصعب ولا شديد، فإنه إذا أراد شيئا ولا امتناع، بل يكون على طبق ما أراده وشاءه.

﴿٤١ ـ ٤٢﴾ ﴿واللَّذِينَ هَاجِرُوا

THE STATE OF THE S وَاللَّهُ أَزَلَ مِنَ ٱلسَّكَمَّاءِ مَلَّهُ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَأَ إِنَّ فِ ذَلِكَ لَآيَةَ لِٰقَوْمِ يَسْمَعُونَ ۞ وَإِنَّ لَكُونِ الْأَغْلِمِ لَمِيرَةً نُسْقِيكُ مِنْ أَنِ بُعُلُونِهِ مِنْ يَيْنِ فَرَثِي وَدَمِ لِّنَا حَالِمُ اسَآبِغًا لِلشِّرِينَ ۞ وَمِن ثَمَرَتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْتَبُ تَنَّخِدُونَ مِنْهُ سَكَرَا وَرِنْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِفَوْمِ يَعْقِلُونَ ﴿ وَأَوْمَى رَبُكَ إِلَى ٱلفَيْلِ أَنِ ٱتَّفِيذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُونَا وَمِنَ ٱلشَّبِرَوْعَ ٱيَمْرِشُونَ ﴿ ثُوَكُو مِن كُلِ ٱلْفَرَاتِ فَاسْلُوى سُبُلَ زَيْكِ ذُلُلَّ يَخُرُجُ مِنْ مُلُوبَا شَرَاثُ غُنِّلِفُ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَآةً لِلنَّاسِ إِنَّ فِ ذَٰلِكَ لَآكِةً لَفَوْمِ يَنْفَكَّرُونَ ۞ وَالْفَهُ خَلْقَكُمْ ثُمَّ يَتُوفَىكُمْ وَمِنكُمْ مَن يُرَدُّ إِلَّا أَوْدَكِ ٱلْمُتُمُرِلِكُنَ لَا يَعْلَرَ بَعْدَ عِلْمِ شَيْئًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيدٌ فَدِيرٌ ۞ وَٱللَّهُ فَضَهَلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضِ فِي ٱلرِّزْقَيْ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّـ لُواُ بِرَآدَى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْنَانُهُمْ فَهُمَّ فِيهِ سَوَآ أَفْيِعْمَةً | ﴿ اَللَّهِ يَجْمَدُونَ ۞ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم يِّنَّ أَنفُسِكُمْ أَزْوَجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَجِكُم بَيْنَ وَحَفَدَةً وَرَزْقَكُم مِّن ٱلطَّيِّبَتْ أَفِهُ ٱلْطَلِيلُ يُؤْمِنُونَ وَينِعْمَتِ ٱللَّهِ هُرْ يَكُفْدُونَ ۞ OLOGOU WILLIAM ED

في الله من بعد ما ظلموا لنبوئتهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون \* الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون كيبر تعالى بفضل المؤمنين الممتحنين ﴿اللَّهِن هاجروا ني اله ﴾ أي: في سبيله وابتغاء مرضاته ﴿من بعدُ ما ظلموا ﴾ بالأذية والمحنة من قومهم، الذين يفتنونهم ليردوهم إلى الكفر والشرك، فتركوا الأوطان والخلان، وانتقلوا عنها لأجل طاعة الرحمن، فذكر لهم ثوابين، ثواباً عاجلاً في الدنيا من الرزق الواسع والعيش الهنيء، الذي رأوه عياناً، بعدما هاجروا، وانتصرواعلى أعدائهم، وافتتحوا البلدان، وغنموا منها الغنائم العظيمة، فتمولوا، وآتاهم الله في الدنيا حسنة.

﴿ولأجــر الآخــرة ﴾ الــني وعدهم الله على لسان رسوله ﴿اكبر ﴾ من أجر الدنيا، كما قال تعالى: ﴿الذين الموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون \* يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم \* خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم ﴾ وقوله: ﴿لو كانوا يعلمون ﴾ أي: لو كان لهم علم ويقين يعلمون ﴾ أي: لو كان لهم علم ويقين

بما عند الله من الأجر والثواب لمن آمن به وهاجر في سبيله، لم يتخلف عن ذلك أحد.

ثم ذكر وصف أوليائه فقال: ﴿الذين صبروا﴾ على أوامر الله وعن نواهيه، وعلى أقدار الله المؤلمة، وعلى الأذية في هنو كلون﴾ أي: يعتمدون عليه في تنفيذ عابّه، لا على أنفسهم. وبذلك تنجح أمورهم، وتستقيم أحوالهم، فإن الصبر والتوكل ملاك الأمور كلها، فما فات أحداً شيء من الخير إلا لعدم صبره، وبذل جهده فيما أريد منه، أو لعدم توكله واعتماده على الله.

﴿ وَمِا أُرْسِلْنَا مِنْ قبلك إلأ رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلُّمون \* بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون، يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً أي: لست ببدع من الرسل، فلم نرسل قبلك ملآئكة، بل رجالاً كاملين لا نساء، ﴿نُوحِي إليهم﴾ من الشرائع والأحكام ما هو من فضله وإحسانه على العبيد، من غير أن يأتوا بشيء من قِبَلِ أَنفُسهِم، ﴿فَاسَأَلُوا أَهُلُ الذَّكُر﴾ أي: الكتب السابقة ﴿إِنْ كُنتُم لا تعلمون لبأ الأولين، وشككتم هل بعث الله رجالاً؟

فاسألوا أهل العلم بذلك، الذين نزلت عليهم الزبر والبينات، فعلموها وفهموها، فإنهم كلهم قد تقرر عندهم، أن الله ما بعث إلا رجالا يوحي إليهم من أهل القرى، وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل.

فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم، حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل

من التبعة، فدل على أن الله التمنهم على وجيه وتنزيله، وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم، والاتصاف بصفات الكمال.

وأفضل أهل الذكر أهل هذا القرآن العظيم، فإنهم أهل الذكر على الحقيقة، وأولى من غيرهم بهذا الاسم، ولهذا قال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر﴾ أي: القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه العباد والباطنة، ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ وهذا شامل لتبيين ألفاظه، وتبيين معانيه، ﴿ولعلهم يتفكرون﴾ فيه، فيستخرجون من كنوزه وعلومه بحسب استعدادهم، وإقبالهم عليه.

﴿ ٤٥ \_ ٤٧) ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكُرُوا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو ياتيهم العلااب من حيث لا يشعرون \* أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين \* أو يأخذهم على تخوف فإنّ ربكم لرؤوف رحيم) هذا تخويف من الله تعالى الأهل الكفر والتكذيب وأنواع المعاصي، من أن يأخذهم بالعذاب على غِرَّة وهم لا يشعرون، إما أن يأخذهم العذاب من فوقهم، أو من أسفل منهم بالخسف وغيره، وإما في حال تَقَلّبهم وشغلهم، وعدم خطور العذاب ببالهم، وإما في حال تخوُّفهم من العذاب، فليسوا بمعجزين لله، في حالة من هذه الأحوال، بل هم تحت قبضته ونواصيهم بيده.

ولكنه رؤوف رحيم، لا يعاجل العاصين بالعقوبة، بل يمهلهم ويعافيهم ويعافيهم وهم يؤذونه ويؤذون أولياء، ومع هذا يفتح لهم (١) أبواب التوبة، ويدعوهم إلى الإقلاع من السيئات التي تضرهم، ويعدهم بذلك أفضل الكرامات، ومغفرة ما صدر منهم من الذنوب، فَلَيْستَحِ المجرم من ربه أن تكون نعم الله عليه نازلة في جميع اللحظات (٢)، ومعاصيه نازلة في جميع اللحظات (٢)، ومعاصيه

DIFFE WE TRUED الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده.

إِنَّا اللَّهُ إِلَى اللَّهُ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَكُولُ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

ولكن كثيراً من الناس، يظلمون أنفسهم، ويجحدون نعمة الله عليهم إذا نجاهم من الشدة فصاروا في حالً الرخاء، أشركوا به بعض مخلوقاته الفقيرة، ولهذا قال:

﴿ليكفروا بما آتيناهم ﴾ أي: أعطيناهم، حيث نجيناهم من الشدة، وخلصناهم من المشقة، ﴿فتمتعوا﴾ في دنياكم قليلاً ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة كفركم.

﴿٥٦ ـ ٢٠﴾ ﴿ويجــعـــــــون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون ۞ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون \* وإذ بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم \* يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يندسته فني التسراب ألاسناء ما يحكمون \* للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم الخبر تعالى عن جهل المشركين وظلمهم وافترائهم على الله الكذب، وأنهم يجعلون لأصنامهم التي لا تعلم ولا تنفع ولا تضر \_نصيباً مما رزقهم الله وأنعم به عليهم، فاستعانوا برزقه على الشرك به، وتقربوا به إلى أصنام منحوتة، كما قال تعالى: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم

ما له من صفات الكمال، وهذا عام لكل مخلوق، من مؤمن وكافر، وبر وفاجر، وحيوان ناطق وغيره، وسجود اختيار يختص بأوليائه وعباده المؤمنين، من الملائكة وغيرهم [من المخلو قات].

﴿١٥ ــ ٥٥﴾ ﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون \* وله ما في السموات والأرض وله الدين واصبأ أفغير الله تتقون \* وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون \* ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون \*ليكفروابما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون، يأمر تعالى بعبادته وحده لا شريك له، ويستدل على ذلك بانفراده بالنعم والوحدانية فقال: و ﴿لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ أي: تجعلون له شريكاً في إلهيته، وهو ﴿إنما هو إله واحد) متوحد في الأوصاف العظيمة، متفرد بالأفعال

فكما أنه الواحد في ذاته، وأسمائه ونعوته وأفعاله، فَلْتُوخِّدوه في عبادته، ولهذا قال: ﴿فإياى فارهبون ﴾ أي: خافونى، وامتثلوا أمرى، واجتنبوا نهيى، من غير أن تشركوا بي شيئاً من المخلوقات، فإنها كلها لله تعالى مملوكة.

﴿ وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصباً أي: الدين، والعبادة، والذل في جميع الأوقات، لله وحده، على الخلق أن يُخلصوه لله، وينصبغوا بعبوديته.

﴿ أَفْغُيرُ اللهُ تَتَقُونَ ﴾ مِن أهل الأرض أو أهل السماوات، فإنهم لا يملكون لكم ضراً ولا نفعاً، والله المنفرد بالعطاء وألإحسان، ﴿وما بكم من نعمة﴾ ظاهرة وباطنة ﴿فمن الله﴾ لا أحد يشركه فيها، ﴿ثم إذا مسكم الضر، من فقر ومرض وشدة ﴿فإليه تجأرون ﴾ أي: تضجون بالدعاء والتضرع، لعلمكم أنه لا يدفع الضر والشدة إلا هو ، فالذي انفرد بإعطائكم ما تحبون، وصرف ما تكرهون، هو

صاعدة إلى ربه في كل الأوقات، وَلْيَعلَمْ أَن الله يمهلُ ولا يهمل، وأنه إذا أخذ العاصى أخذه أخذ عزيز مقتدر، فَلْيَتُبْ إلَّيه وَلْيَرْجِعْ في جميع أموره إليه، فإنه رؤوف رحيم.

فالبدار البدار إلى رحمته الواسعة ويره العميم، وسلوك الطرق الموصلة إلى فضل الرب الرحيم، ألا وهي تقواه والعمل بما يجبه ويرضاه .

﴿٤٨ ــ ٥٠﴾ ﴿أُولَمْ يَسْرُوا إِلَىٰ مُسَا خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون \* ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والمّلائكة وهم لا يستكبرون \* يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون، يقول تعالى: ﴿ أُولُم يروا ﴾ أي: الشاكون في توحيد ربهم وعظمته وكماله، ﴿إِلَّى مَّا خلق الله من شيء ﴾ أي: إلى جميع مخلوقاته، وكيف تتفيأ أظلتها، ﴿عن اليمين، وعن ﴿الشمائل سجداً للهُ ﴾ أي: كلها ساجدة لربها، خاضعة لعظمته وجلاله، ﴿وهم داخرون﴾ أي: ذليلون تحت التسخير والتدبير والقهر، ما منهم أحد إلا وناصيته بيد الله، وتدبيره عنده.

﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة ﴾ من الحيوانات الناطقة والصامتة، ﴿والملاتكة﴾ الكرام، خصهم بعد العموم لفضلهم وشرفهم وكثرة عبادتهم، ولهذا قال: أ ﴿وهم لا يستكبرون اي: عن عبادته، على كثرتهم، وعظمة أخلاقهم وقوتهم، كمما قال تعالى: ﴿لنَّ يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون.

﴿يُحَافُونَ رَبُّهُمْ مِنْ فُوقِهُمْ ﴾ لما مدحهم بكثرة الطاعة والخضوع لله، مدحهم بالخوف من الله الذي هو فوقهم بالذات والقهر، وكمال الأوصاف، فهم أذلاء تحت قهره.

﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ أي: مهمّا أمرهم الله تعالى امتثلوًا لأمره، طوعاً واختياراً، وسجود المخلوقات لله تعالى قسمان: سجود اضطرار، ودلالة على

BUILD I SEE THE وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِنْ بُوتِكُمْ سَكَنَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِن جُلُودِ ٱلْأَنْفَكِيهُ بُونَا لَنْتَ خِنْوْنَهَا يَوْمَ ظَلْفِيكُمْ وَيُوْمَ إِقَامَيْكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأُوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهِكَ أَثَنَا وَمَنَكَا إِلَى حِين ۞ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُ مِثْمَا خَلَقَ ظِلَالُا وَجَعَلَ لَكُم مِنَ أَعْمَالِ أَكْنَا وَجَعَلَ لَكُمْ مَرَاسِلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَائِلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَثَلِكَ يُتِمُّدُ نِسْسَتُهُ عَلَيْكُمْ لِمُسَلِّكُمْ تُسْلِمُونَ ۞ فَإِن تَوْلُوْاْ فَإِنَّا عَلَيْكَ ٱلْبَلَغُ ٱلْمُدِينُ ﴿ يَسْرِفُونَ يَعْمَتَ ٱللَّهِ ثُرَّيُّكُ وَنَهَا وَأَتَّ مُرْهُمُ مُالْكُيْرُونَ ﴿ وَيَوْعَ نَبْعَثُ مِن كُلِ أُمَّةُ شَهِينَا ثُمَّ لَا يُؤَذِّثُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُرَيْسٌ مَّنْ بُونَ @ وَإِذَا رَوَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْمَنَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَاهُمْمُ يُنظُرُونَ ﴿ وَلِمَا رَمَا ٱلَّذِينَ أَشَرَكُوا ثُمَّرُكَا مُمَّمَّ عَالُواْرَبُّنَا هَا وُلاَّةٍ شُرَكَآ وُمَا الَّذِيثَ كُنَا مَنْعُولِين دُونِكُّ فَأَلْفَوَا إِلَيْهِمُ الْفَوْلَ إِنَّكُوْ لَكَ ذِيونَ ﴿ وَأَلْفَوَا إِلَى اللَّهِ يَوْمَ إِذَالْتَ كُمُّ وَصَلَّمَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَمْ مَّرُونَ ۞ AND TO THE OWNER OF THE OWNER OWNER OWNER OF THE OWNER OWNER

وهذا لشركائنا، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله الآية، ﴿لتسألن عما كنتم تفترون ﴾ ويقال: ﴿آللهُ أذن لكم أم على الله تفترون » وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ﴾ فيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة.

﴿ويجعلون شه البنات ﴾ حيث قالوا عن الملائكة العباد المقربين: إنهم بنات الله، ﴿ولهم ما يشتهون ﴾ أي: لأنفسهم الذكور، حتى إنهم يكرهون البنات كراهة شديدة، فكان أحدهم من الغم الذي أصابه ﴿وهو كظيم ﴾ أي: كاظم على الحزن والأسف إذ بشر بأنشى، وحتى إنه يفتضح عند أبناء جنسه، ويتوارى منهم من سوء ما بشر به.

ثم يعمل فكره ورأيه الفاسد فيما يصنع بتلك البنت التي بشر بها فإيمسكه على هون أي: يتركها من غير قتل على إهانة وذل أم يدسه في التراب أي: يدفنها وهي حية، وهو الوأد الذي ذم الله به المشركين، ﴿الاساء ما يحكمون إذ وصفوا الله بما لا يليق بجلاله، من نسبة الولد إليه.

ثم لم يكفهم هذا، حتى نسبوا له أزداً القسمين، وهو الإناث، اللاتي يأنفون بأنفسهم عنها ويكرهونها، فكيف ينسبونها لله تعالى؟! فبنس الحكم حكمهم.

ولما كان هذا من أمثال السوء التي نسبها إليه أعداؤه المشركون، قال تعالى: ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾ أي: المثل الناقص والعيب التام، ﴿ولله المثل الأعلى﴾ وهو كل صفة كمال، وكل كمال في الوجود، فالله أحق به، من غير أن يستلزم ذلك نقصاً بوجه، وله المثل الأعلى في قلوب أوليائه، وهو المتعظيم والإجلال والمحبة والإنابة والمعرفة.

﴿وهو العزيز﴾ الذي قهر جميع الأشياء، وانقادت له المخلوقات بأسرها، ﴿الحكيم﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها، فلا يأمر ولا يفعل، إلا ما يحمد عليه ويُثنى على كماله فيه.

﴿١٦﴾ ﴿ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لا ذكر تعالى ما افتراه الظالمون عليه، ذكر كمال حلمه وصبره فقال: ﴿ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ﴾ من غير زيادة ولا نقص، بظلمهم أي: لأهلك بظلمهم من أنواع المباشرين للمعصية وغيرهم، من أنواع المعاصى يهلك به الحرث والنسل.

﴿ولكن يؤخرهم ﴾ عن تعجيل العقوبة عليهم إلى أجل مسمى، وهو يوم القيامة ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستقدمون ﴾ فليَحذروا ما داموا في وقت الإمهال، قبل أن يجيء الوقت الذي لا إمهال

﴿٢٣ ـ ٣٣ ﴾ ﴿ويج ـ على ون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الخسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون \* تالله لقد أرسلنا إلى أعم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم ﴾ يخبر تعالى أن المشركين ﴿يعلون لله ما يكرهون ﴾ من البنات، ومن الأوصاف القبيحة، وهو الشرك، بصرف شيء من العبادات إلى بعض المخلوقات التي هي عبيد لله، فكما أنهم يكرهون، ولا

يرضون أن يكون عبيدهم ـ وهم غلوقون من جنسهم ـ شركاء لهم فيما رزقهم الله، فكيف يجعلون له شركاء من عبيده؟!!

و هم مع هذه الإساءة العظيمة المسنى ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى أي: أن لهم الحالة الحسنة في الدنيا والآخرة، رد عليهم بقوله: ولا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون مقدمون إليها، ماكثون فيها، غير خارجين منها أبداً.

بين تعالى لرسوله على أنه ليس هو أول رسول كُذّب فقال [نعالى]: ﴿تَاللهُ لِعَدْ أَرسِلنا إلى أمم من قبلك ﴾ رسلاً يدعونهم إلى التوحيد، ﴿فزين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ فكذبوا الرسل، وزعموا أن ما هم عليه، هو الحق المنجي من كل مكروه، وأن ما دعت إليه الرسل فهو بخلاف ذلك، فلما زين لهم الشيطان أعمالهم، صار وليهم في الدنيا، فأطاعوه واتبعوه،

﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالين بدلا ﴾ وله عذاب أليم ﴾ في الآخرة، حيث تولوا عن ولاية الرحمن، ورضوا بولاية الشيطان، فاستحقوا لذلك عذاب الهوان.

﴿ ٣٥ ﴾ ﴿ والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون ﴾ عن الله مواعظه وتذكيره ، فيستدلون بذلك على أنه إلا له وحده المغبود ، الذي لا تنبغي العبادة وإنبات جميع أصناف النبات ، وعلى أنه المرض بعد موتها قادر على إحياء الأموات ، وأن الذي أحيا الأموات ، وأن الذي نشر هذا الإحسان لذو رحمة واسعة ، وجود عظيم .

﴿ ٦٦ - ٦٦ ﴾ ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصاً سائغاً للشاربين \* ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾

أي: ﴿إِن لَكُم فِي الأَنْعَامِ ﴾ التي سخرها الله لمنافعكم ﴿لعبرة ﴾ تستدلون بها على كمال قدرة الله وسعة إحسانه، حيث أسقاكم من بطونها المشتملة على الفرث والدم، فأخرج من بين ذلك لبناً خالصاً من الكدر سائغاً للشاربين، للذته، ولأنه يسقي ويغذي، فهل هذه إلا قدرة إلهية لا أمرر طبيعية.

فأي: شيء في الطبيعة يقلب العلف الذي تأكله البهيمة، والشراب الذي تشربه من الماء العذب والملح، لبناً خالصاً سائغاً للشاربين؟

وجعل تعالى لعباده من ثمرات النخيل والأعناب منافع للعباد ومصالح، من أنواع الرزق الحسن الذي يأكله العباد، طريّا ونضيجاً، وحاضراً ومدخراً، وطعاماً، وشراباً يتخذ من عصيرها ونبيذها، ومن السكر الذي كان حلالاً قبل ذلك، ثم إن الله نسخ حِلَّ المسكرات، وأعاض عنها بالطيبات من الأنبذة، وأنواع الأشربة اللذيذة المباحة.

﴿إِنْ فِي ذَلْكَ لاَية لقوم يعقلون﴾ عن الله كمال اقتداره، حيث أخرجها من أشجار شبيهة بالحطب، فصارت ثمرة لذيذة وفاكهة طيبة، وعلى شمول رحمته، حيث عم (۱) بها عباده ويسرها لهم، وأنه الإله المعبود وحده، حيث إنه المنفرد بذلك.

ي المستوربين المراحة وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر وعما يعرشون \* ثم كلي من كل الشمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب ختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون في خلق هذه النحلة الصغيرة، التي هداها الله هذه الهداية العجيبة، ويسر لها المراعي، ثم الرجوع إلى بيونها التي أصلحتها بتعليم الله لها وهدايته لها، ثم يخرج من بطونها هذا العسل اللذيذ، مختلف من بطونها هذا العسل اللذيذ، مختلف من بطونها هذا العسل اللذيذ، مختلف الألوان بحسب اختلاف أرضها

ومراعيها، فيه شفاء للناس من أمراض عديدة. فهذا دليل على كمال عناية الله تعالى، وتمام لطفه بعباده، وأنه الذي لا ينبغي أن يجب غيره ويدعى سواه.

﴿٧٠) ﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً إن الله عليم قدير﴾ يخبر تعالى أنه الذي خلق العباد ونقلهم في الخلقة، طوراً بعد طور، ثم بعد أن يستكملوا آجالهم، يتوفاهم، ومنهم من يعمره حتى ﴿يرد إلى أرذُل العمر ﴾ أي: أخسه الذي يبلغ به الإنسان إلى ضعف القوى الظاهرة والباطنة، حتى العقل الذي هو جوهر الإنسان، يزيد ضعفه حتى إنه ينسى ما كان يعلمه، ويصير عقله كعقل الصبي، ولهذا قال: ﴿لكيلا يعلم بعد علم شيئاً، إن الله عليم قدير ﴾ أي: قد أحاط علمه وقدرته بجميع الأشياء، ومن ذلك ما ينقل به الآدمي من أطوار الخلقة، خلقاً بعد خلق، كما قال تعالى: ﴿اللهِ الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير،

﴿١٧﴾ ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون وهذًا من أدلة توحيده، وقبح الشرك به، يقول تعالى: كما أنكم مشتركون بأنكم مخلوقون مرزوقون، إلا أنه تعالى ﴿ فَضَلَ بِعَضِكُم عَلَى بِعَضَ فَي الرزق ﴾ فجعل منكم أحراراً لهم مال وثروة، ومنكم أرقاء لهم، لا يملكون شيئاً من الدنيا، فكما أن سادتهم الذين فضلهم الله عليهم بالرزق ليسوا ﴿برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء﴾ ويرون هذا من الأمور المتنعة، فكذلك من أشركتم بها مع الله، فإنها عبيد ليس لها من الملك مَثْقَالَ ذَرة، فكيف تجعلونها شركاء لله

تعالى؟!

هل هذا إلا من أعظم الظلم، والجحود لنعم الله؟!! ولهذا قال: ﴿أَفْبِنَعِمةَ الله يجحدون﴾ فلو أقروا بالنعمة ونسبوها إلى من أولاها، لما أشركوا به أحداً.

﴿٧٧﴾ ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجاً وجعل لكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴾ يخبر تعلى عن مِنتِه العظيمة على عباده، حيث جعل لهم أزواجاً ليسكنوا إليها، وجعل لهم من أزواجهم أولاداً تقرُّ بهم أعينهم ويخدمونهم، ويقضون حوائجهم، ويقضون حوائجهم، ورزقهم من الطيبات، من جميع المآكل والمشارب، والمنعم الظاهرة التي والمقدر العباد أن يحصوها.

﴿أَفْبِالْبِاطُلِ يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴾ أي: أيؤمنون بالباطل الذي لم يكفرون ﴾ أي أوجده الله لم يكن شيئاً مذكوراً، ثم أوجده الله عنلق، ولا ترزق، ولا تدبر من الأمر شيئاً، وهذا عام لكل ما عبد من دون الله، فإنها باطلة، فكيف يتخذها المشركون من دون الله؟!!

﴿وبنعمة الله هم يكفرون﴾ يجمعدونها، ويستعينون بها على معاصي الله والكفربه، هل هذا إلا من أظلم الظلم، وأفجر الفجور، وأسفه السفه؟!!

(۷۳-۷۳) ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السسماوات والأرض شيسناً ولا يستطيعون \* فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون \* ضرب الله مثلاً عبداً عملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون \* وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه

لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم يخبر تعالى عن جهل الشركين وظلمهم، أنهم يعبدون من دونه آلهة اتخذوها شركاء لله، والحال أنهم لا يملكون لهم رزقاً من السماوات والأرض، فلا ينزلون مطراً ولا رزقاً، ولا ينبتون من نبات الأرض شيئاً، ولا يملكون مثقال ذرة في السماوات والأرض، ولا يستطيعون لو أرادوا، فإن غير المالك للشيء ربما كان له قوة واقتدار على ما ينفع من يتصل به، وهؤلاء لا يملكون ولا يقدرون.

فهذه صفة آلهتهم، كيف جعلوها مع الله، وشبهوها بمالك الأرض والسماوات، الذي له الملك كله، والحمد كله، والقوة كلها؟!!

ولهذا قال: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال التضمنة للتسوية بينه وبين خلق ﴿إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ فعلينا أن لا نقول عليه بلا علم، وأن نسمع ما ضربه العليم من الأمثال، فلهذا ضرب تعالى مثلين له ولمن يعبد من دونه، أحدهما عبد مملوك، أي: المال والدنيا شيئاً، والثاني حُرَّ غَنِيُّ قدرزقه الله منه رزقاً حسناً، من جميع رزقه الله منه رزقاً حسناً، من جميع للإحسان، فهو ينفق منه سراً وجهراً، هل يستويان مع أنه ما غلوقان، غير محال استواؤها.

فإذا كانا لا يستويان، فكيف يستوي المخلوق العبد الذي ليس له ملك ولا قدرة، ولا استطاعة، بل هو فقير من جميع الوجوه، بالرب الخالق المالك لجميع الممالك، القادر على كل شيء؟!!.

ولهذا حمد نفسه، واختص بالحمد بأنواعه، فقال: ﴿الحمد شُهُ فَكَأَنهُ قَيل: إذا كان الأمر كذلك قَلِمَ سوَّى المشركون آلهتهم بالله؟ قال: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ فلو علموا حقيقة

العلم لم يتجرؤوا على الشرك العظيم.
والمثل الثاني مثل ﴿ رجلين أحدهما
أبكم ﴾ لا يسمع ولا ينطق
و ﴿ لا يقدر على شيء ﴾ لا قليل ولا
كثير ﴿ وهو كلّ على مولاه ﴾ أي: يخدمه
مولاه، ولا يستطيع هو أن يخدم نفسه،
فهو ناقص من كل وجه، فهل يستوي
هذا ومن كان يأمر بالعدل وهو على
صراط مستقيم، فأقواله عدل، وأفعاله
مستقيمة، فكما أنهما لا يستويان، فلا
يستوى من عُبدً من دون الله وهو لا
يستوى من عُبدً من دون الله وهو لا

يقدر على شيء من مصالحه، فلولا قيام الله بها لم يستطع شيئاً منها، لا يكون كفواً ونداً لمن لا يقول إلا الحق، ولا يفعل إلا ما يحمد عليه.

﴿٧٧﴾ ﴿ولله غيب السماوات

والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير أي: هو تعالى المنفرد بغيب السماوات والأرض، فلا يعلم الخفايا والبواطن والأسرار إلا هو، ومن ذلك علم الساعة، فلا يدري أحد متى تأتي إلا الله، فإذا جاءت وتجلت، لم تكن ﴿إلا كلمح البصر أو هو أقرب من ذلك، فيقوم الناس من قبورهم إلى يوم بعثهم ونشورهم، وتفوت الفرص لمن يريد الإمهال، وتفوت الفرص لمن يريد الإمهال، يستغرب على قدرته الشاملة إحياؤه

للموتي.

﴿٧٨﴾ ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفشدة لعلكم تشكرون أي: هو المنفرد بهذه النعم حيث ﴿أخرجكم من بطون أمهاتكم شيء ثم إنه ﴿جعل لكم السمع والأبصار والأفشدة ﴾ خص هذه الأعضاء الثلاثة لشرفها وفضلها، للعبد علم إلا من أحد هذه الأبواب الظاهرة والباطنة، هو الذي أعطاهم الظاهرة والباطنة، هو الذي أعطاهم

إياها، وجعل ينميها فيهم شيئاً فشيئاً الله اللائقة الى أحد إلى الحالة اللائقة به، وذلك لأجل أن يشكروا الله، باستعمال ما أعطاهم من هذه الجوارح في طاعة الله، فمن استعملها في غير ذلك كانت حجة عليه، وقابل النعمة بأقبع المقابلة.

﴿ ٧٩﴾ ﴿ ألم يسروا إلى السطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا ألله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون أي: لأنهم المنتفعون بآيات الله، المتفكرون فيما جعلت آية عليه، وأما غيرهم فإن نظرهم نظر لهو وغفلة، ووجه الآية فيها أن الله تعالى خلقها بخلقة تضلح للطيران، ثم سخر لها هذا الهواء اللطيف ثم أودع فيها من قوة الحركة وما قدرت به على ذلك، وذلك دليل على كمال حكمته وعلمه وذلك دليل على كمال حكمته وعلمه الواسع وعنايته الربانية بجميع مخلوقاته وكمال اقتداره، تبارك الله رب العالمن.

﴿ ٨٠ \_ ٨٣﴾ ﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتأ تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين \* والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون الفإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين \* يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون، يُذكّر تعالى عباده نعمه، ويستدعى منهم شكرها والاعتراف بها فقال: ﴿واللهُ جعل لكم من بيوتكم سكناً ﴿ في الدور والقصور ونحوها، تُكِنُّكُمْ مَن الحر والبرد وتستركم، أنتم وأولادكم وأمتعتكم، وتتخذُّون فيها الغرف<sup>(١١</sup> والبيوت التي هي لأنواع منافعكم ومصالحكم، وفيها حفظ لأموالكم وحرمكم، وغير ذلك من الفوائد المشاهدة، ﴿وجعل لكم من جلود

DUE TOU WE DE SECON ﴿ وإذا رأى السذيسن أشسر كسوا شركاءهم) يوم القيامة وعلموا

بطلانها، ولم يمكنهم الإنكار.

﴿قَالُوا رَبُّنَا هَؤُلاء شَرِكَاؤُنَا الَّذِينَ كنا ندعو من دونك) ليس عندها نفع ولا شفع، فنوَّهِوا بأنفسهم ببطلانها، وكفروآ بها، وبدت البغضاء والعداوة بينهم وبينها، ﴿فألقوا إليهم القول﴾ أي: ردت عليهم شركاؤهم قولهم، فقالت لهم: ﴿إنكم لكاذبون﴾ حيث جعلتمونا شركاء لله، وعبدتمونا معه، فلم نأمركم بذلك، ولا زعمنا أن فينا استحقاقاً للألوهية ، فاللوم عليكم .

فحينئذ استسلموا لله، وخضعوا لحكمه، وعلموا أنهم مستحقون للعذاب.

﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون فدخلوا النار، وقد امتلأت قلوبهم من مقت أنفسهم، ومن حمد ربهم، وأنه لم يعاقبهم إلا بما كسبوا.

﴿٨٨﴾ ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون، حيث كفروا بأنفسهم، وكذبوا بآيات الله، وحاربوا رسله، وصدوا الناس عن سبيل الله، وصاروا دعاة إلى الضلال، فاستحقوا مضاعفة العذاب، كما تضاعف جرمهم، وكما أفسدوا في أرض الله .

﴿٨٩﴾ ﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك ولهذا قال الله عنهم: ﴿ فَإِن تُولُوا ﴾ عن الله وعن طاعته بعد ما ذُكِّروا بنعمه وآياته، ﴿فإنما عليك البلاغ المبين﴾ أي: ليس عليك من هدايتهم وتوفيقهم شيء بل أنت مطالب بالوعظ والتذكير والإنذار والتحذير، فإذا أديت ما عليك، فحسابهم على الله، فإنهم يرون الإحسان، ويعرفون نعمة الله، ولكنهم ينكرونها ويجحدونها، ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ لا خير فيهم، وما ينفعهم توالي الآيات، لفساد مشاعرهم وسوء قصودهم، وسيرون جزاء الله لكل جبار عنيد، كفور للنعم، متمرد على الله وعلى رسله.

﴿ ٨٤ ــ ٨٧﴾ ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون \* وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولاهم ينظرون \* وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون \* وألقوا إلى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون، يخبر تعالى عن حال الذين كفروا في يوم القيامة، وأنه لا يقبل لهم عذر، ولا يرفع عنهم العقاب، وأن شركاءهم تتبرأ منهم، ويقرون على أنفسهم بالكفر والافتراء على الله، فقال: ﴿ ويدوم نسعت من كل أمة شهيداً ﴾ يشهد عليها بأعمالهم، وماذا أجابوا به الداعي إلى الهدي، وذلك الشهيد الذي يبعثه الله أزكى الشهداء وأعبدلهم، وهم البرسل البذيين إذا شهدوا تم عليهم الحكم.

ف ﴿لا يؤذن للذين كفروا﴾ في الاعتذار، لأن اعتذارهم بعد ما علم يقيناً بطلان ما هم عليه، اعتذار كاذب لا يفيدهم شيئاً، وإن طلبوا أيضاً الرجوع إلى الدنيا، ليستدركوا لم يجابوا ولم يعتبوا، بل يبادرهم العذاب الشديد الذي لا يخفف عنهم من غير إنظار ولا إمهال من حين يرونه، لأنهم لا حساب عليهم لأنهم لا حسنات لهم، وإنما تعد أعمالهم وتحصى، ويوقفون عليها ويقررون بها ويفتضحون.

الأنعام﴾ إما من الجلد نفسه، أو بما نبت عليه، من صوف وشعر ووبر.

﴿بيوتاً تستخفونها ﴾ أي: خفيفة المحمل، تكون لكم في السفر والمنازل التي لا قصد لكم في استيطانها، فتقيكم من الحر والبرد والمطر، وتقى متاعكم من المطر، ﴿وَ﴾ جعل لكم ﴿من أصوافها ﴾ أي: الأنعام ﴿وأوبارها وأشعارها أثاثاً ﴾ وهذا شامل لكل ما يتخذ منها، من الآنية والأوعية والفرش والألبسة والأجلة، وغبر ذلك.

﴿ومتاعاً إلى حين﴾ أي: تتمتعون بذلك في هذه الدنيا، وتنتفعون بها، فهذا بمآسخر الله العباد لصنعته

﴿والله جعل لكم مما خلق﴾ أي: من مخلوقاته التي لا صنعة لكم فيها ﴿ظلالاً﴾ وذلك، كأظلة الأشجار والجبال، والآكام ونحوها، ﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً ﴾ أي: مغارات، تكنكم من الحر والبرد والأمطار و الأعداء .

﴿وجعل لكم سرابيل﴾ أي: ألبسة وثياباً ﴿تقيكم الحر﴾ ولم يذكر الله البرد، لأنه قد تقدم أن هذه السورة أولها في أصول النعم، وآخرها في مكملاتها ومتمماتها، ووقاية البرد من أصول النعم، فإنه من الضرورة، وقد ذكره في أولها في قوله ﴿لكم فيها دفء ومنافع).

﴿وتقيكم بأسكم ﴾ أي: وثياباً تقيكم وقت البأس والحرب، من السلاح، وذلك، كالدروع والزرد، ونحوها، كذلك يتم نعمته عليكم حيث أسبغ عليكم من نعمه ما لا يدخل عت الحصر ﴿لعلكم﴾ إذا ذكرتم نعمة الله، ورأيتموها غامرة لكم من كل وجه ﴿تسلمون﴾ لعظمته وتنقادون لأمره، وتصرفونها في طاعة موليها ومسديها، فكثرة النعم من الأسباب الجالبة من العباد مزيد الشكر، والثناء بها على الله تعالى، ولكن أبي الظالمون إلا تمرداً وعناداً. الخير والبر بحسب ثبوتها في القلب ٦٠

وَلَائَتَخِذُواْ أَيْمُنَكُمْ دَخَلاْ بَيْنَكُمْ فَنَزَلَ قَدَمُ لَمَا بُونِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوَءَ بِمَاصَدَدَتُ مُعَن سَبِيلُ اللَّهِ وَلَحَهُمْ عَذَابُ عَظِيرٌ ۞ وَلَا نَشْتَرُواْ مِعَدِ اللَّهِ ثَنَّا قَلَيلًا إِنَّا عِندَ اللَّهِ ٱللَّهِ هُوَخَيْرٌ لَكُرُ إِن كُنتُهُ تَعَالُونَ ۞ مَاعِندَكُمِّ يَفَدُّ وَمَاعِندَاللَّهِ مَاقِ وَلَنَجْ نِيَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ ٱجْرَهُو بأخس مَاكَانُواْيَعْ مَلُوبَ ۞ مَنْ عَمِلُ صَلِيحًا مِن ذَكَرِ أَوْأَنْنَى وَهُو مُؤْمِنُ فَلَنْحِينَنَهُ حَيْوَةً طَيْبَةً وَلَيْجِرَنَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَاكَ انُواْيَعْ مَلُونَ ۞ فَإِذَا قَرَاتَ ٱلْقُرُّءَانَ فَأَسْتَعِذْ بِأَهُومِنَ ٱلشَّيْطُنِ ٱلرَّحِيدِ ۞ إِنَّهُ لَيْسَلَهُ سُلْطَانُ عَلَى الَّذِيبَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّيهِ مْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ إِنَّمَا سُلْطُنُهُ عَلَى ٱلَّذِيرَ بَتَوَلَّوْنَهُ وَٱلَّذِيرَ هُم بِوء مُشْرِكُون ۞ وَإِذَابِدُّ لْكَ أَهَ لِيَةٌ مِّكَانَ ۗ الْيَةْ وَالْقَاأَعْ لَدُيِّا لِيَزَلُ قَالُواْ إِنَّكَا آلْتَ مُفْ يَزِّيكِ آكُ ثُرُهُرُ الْإِ لَايَعْ لَمُونَ ۞ قُلْ زَلَةُ رُوعُ ٱلْقُدُسِ مِن زَيِكَ بِٱلْمَيْ لِيُثَيِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَلَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِعِينَ ۞ TO SERVICE TYN LESS SERVICE

شهيداً على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب 
تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى 
للمسلمين لل أذكر فيما تقدم أنه يبعث 
ففي كل أمة شهيداً فلا ذكر ذلك أيضاً 
هنا، وخص منهم هذا الرسول الكريم 
فقال: ﴿وجئنا بك شهيداً على هؤلاء 
أي: على أمتك، تشهد عليهم بالخير 
والشر، وهذا من كمال عدل الله 
تعالى، أن كل رسول يشهد على أمته، 
لأنه أعظم اطلاعاً من غيره على أعمال 
أمته، وأعدل وأشفق من أن يشهد 
عليهم إلا بما يستحقون.

وهذا كقوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾.

وقال تعالى: ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً \* يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى جم الأرض ﴾ وقوله: ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾ في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين، وكل ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبيين، بألفاظ واضحة، ومعان الكبار، التي يحتاج القلب لمرورها عليه كل وقت، وإعادتها في كل ساعة، كل وقت، وإعادتها في كل ساعة، متنوعة، لتستقر في القلوب فتثمر من

وحتى إنه تعالى يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرة، يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس، واعتبر هذا بالآية التي بعد هذه الآية، وما فيها من أنواع الأوامر والنواهي التي لا تحصى، فلما كان هذا القرآن تبياناً لكل شيء، صار حجة الله على العباد كلهم. فانقطعت به حجة الظالمين، وانتفع به المسلمون، فصار هدى لهم يهتدون به إلى أمر دينهم ودنياهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة. فالهدى ما نالوه به من علم نافع، وعمل صالح، والرحمة ما ترتب على ذلك من ثواب الدنيا والآخرة، كصلاح القلب وبره وطمأنينته، وتمام العقل الذي لا يتم إلا بتربيته على معانيه، التي هي أجل المعاني وأعلاها، والأعمال الكريمة والأخلاق الفاضلة، والرزق الواسع، والنصر على الأعداء بالقول والفعل، ونيل رضا الله تعالى، وكرامته العظيمة التي لا يعلم ما فيها من النعيم المقيم إلا الرب الرحيم.

﴿ ﴿ ﴾ ﴿ إِن الله يامر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ فالعدل الذي أمر الله به ، يشمل العدل في حقه ، وفي حق عباده ، فالعدل في ذلك ، أداء الحقوق كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والمركبة منهما ، في حقه وحق عباده ، ويعامل الخلق بالعدل واليته ، سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى ، وولاية القضاء ، ونواب القاضى .

والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأمرهم بسلوكه، ومن العدل في المعاملات، أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاوضات، بإيفاء جميع ما عليك، فلا تبخس لهم حقاً، ولا تغشهم، ولا تخدعهم وتظلمهم.

مستحب، وذلك كنفع الناس بالمال والبدن والعلم، وغير ذلك من أنواع النفع، حتى إنه يدخل فيه الإحسان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره.

وخص الله إيتاء ذي القرسى \_ وإن كان داخلاً في العموم \_ لتأكد حقهم، وتعين صلتهم وبرهم، والحرص على ذلك.

ويدخل في ذلك جميع الأقارب، قريبهم وبعيدهم، لكن كل ما كان أقرب كان أحق بالبر.

وقوله: ﴿وينهى عن الفحشاء﴾ وهو كل ذنب عظيم استفحشته الشرائع والفطر، كالشرك بالله، والقتل بغير حق، والزنا، والسرقة، والعجب، والكبر، واحتقار الخلق، وغير ذلك من الفواحش.

ويدخل في المنكر كل ذنب ومعصية متعلق بحق الله تعالى .

وبالبغي كل عدوان على الخلق، في الدماء والأموال والأعراض.

فصارت هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات، لم يبق شيء إلا دخل فيها، فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة مشتملة على عدل أو إحسان أو إيتاء ذي القربي، فهي عما أمر الله به.

وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو منكر أو بغي، فهي مما نهى الله عنه. وبها يعلم حسن ما أمر الله به، وقبح ما نهى عنه، وبها يعتبر ما عند الناس من الأقوال، وترد إليها سائر الأحوال، فتبارك من جعل في كلامه، الهدى، والشفاء، والنور، والفرقان بين جميع الأشياء.

ولهذا قال: ﴿يعظكم ﴾ به أي: بما بينه لكم في كتابه، بأمركم بما فيه غاية صلاحكم، ونهيكم عما فيه مضرتكم. ﴿لعلكم تذكرون ﴾ ما يعظكم به، فتفهمونه وتعقلونه، فإنكم إذا تذكر تموه وعقلتموه، عملتم بمقتضاه، فسعدتم سعادة لا شقاوة معها.

فلما أمر بما هو واجب في أصل الشرع، أمر بوفاء ما أوجبه العبد على نفسه فقال:

أي: لا تنبغي هذه الحالة منكم، تعقدون الأيمان المؤكدة، وتنتظرون فيها الفرص، فإذا كان العاقد لها ضعيفاً غير قادر على الآخر، أتمها، لا لتعظيم العقد واليمين، بل لعجزه. وإن كان قوياً، يرى مصلحته الدنيوية فى نقضها، نقضها غير مبال بعهد الله

كل ذلك دوراناً مع أهوية النفوس، وتقديماً لها على مراد الله منكم، وعلى المروءة الإنسانية، والأخلاق المرضية، لأُجل أن تكون أمة أكثر عدداً وقوة من الأخرى.

وهذا ابتلاء من الله وامتحان يبتليكم الله به حيث قيض من أسباب المحن الذي يمتحن به الصادق الوفي من الفاجر الشقى .

﴿ وليبيننَّ لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون، فيجازي كلا بما عمل، ويخزي الغادر .

﴿٩٣﴾ ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعلمون﴾ أي: ﴿ لُو شاء الله ﴾ لجمع الناس على الهدى وجعلهم ﴿أُمَّةُ وَاحِدَةً﴾ وَلَكُنَّهُ تَعَالَى المنفرد بالهداية والإضلال، وهدايته وإضلاله من أفعاله التابعة لعلمه وحكمته، يعطى الهداية من يستحقها فضلاً، ويمنعها من لا يستحقها عدلاً. ﴿ولتسألن عما كنتم تعملون﴾ من خير وشر، فيجازيكم عليها أتم الجزاء

﴿٩٤﴾ ﴿وَلا تَتَخَذُوا أَيْمَانُكُمْ دَخُلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم﴾ أي: ﴿ولا تتخذوا أيمانكم﴾ وعهودكم ومواثيقكم تبعاً لأهوائكم، متى شئتم وفيتم بها، ومتى شئتم نقضتموها، فإنكم إذا فعلتم ذلك، تزل أقدامكم بعد ثبوتها على الصراط المستقيم. ﴿وتذوقوا السوء﴾ أي: العذاب الذي يسوءكم ويحزنكم ﴿ بِما صددتم عن سبيل الله عيث وقوله: ﴿تتخذون أيمانكم دخلا ضللتم وأضللتم غيركم ﴿ولكم عذاب

﴿٩١ ـ ٩٢﴾ ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون \* ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه

وهذا يشمل جميع ما عاهد العبد عليه ربه، من العبادات والنذور والأيمان التي عقدها، إذا كان الوفاء بها براً، ويشمّل أيضاً ما تعاقد عليه هو وغيره، كالعهود بين المتعاقدين، وكالوعد الذي يعده العبد لغيره، ويؤكده على نفسه، فعليه في جميع ذلك الوفاء وتتميمها مع القدرة، ولهذا نهى الله عن نقضها فقال: ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، بعقدها على اسم الله تعالى: ﴿وقد جعلتم الله عليكم ﴾ أيها المتعاقدان ﴿ كفيلا ﴾ فلا يحل لكم أن لا تحكموا ما جعلتم الله عليكم كفيلاً، فيكون ذلك ترك تعظيم لِلّه واستهانة به، وقد رضى الآخر منك باليمين، والتوكيد الذي جعلت الله فيه كفيلاً. فكما التمنك وأحسن ظنه فيك، فلتف له بما قلت و أكدته .

﴿إِن الله يعلم ما تفعلون ﴾ يجازي كل عامل بعمله، على حسب نيته ومقصده.

﴿ولا تكونوا﴾ في نقضكم للعهود بأسوأ الأمثال وأقبحها وأدلها على سفه متعاطيها، وذلك ﴿كالتي﴾ تغزل غزلا قوياً، فإذا استحكم وتم ما أريد منه نقضته فجعلته ﴿أنكاثاً ﴾ فتعبت على الغزل، ثم على النقض، ولم تستفد سوى الخيبة والعناء، وسفاهة العقل، ونقص الرأي، فكذلك من نقض ما عاهد عليه، فهو ظالم جاهل سفيه، ناقص الدين والمروءة .

بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة ﴾ عظيم ﴾ مضاعف.

وَلَقَدْ مَسْارُ أَنَّهُ مُرْبَعُولُوكِ إِنَّمَايُكُومُهُ مِثَمِّ لِلسَّانُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَعِيٌّ وَهَلَذَا لِسَانُ عَرَقًى ۗ ﴿ مُّبِيثُ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِعَابِكَتِ ٱللَّهِ لَايَهْ يِنِهِ مُأَلَّهُ وَلَمُ مُ عَنَابُ أَلِيدُ ۞ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَيْبَ ٱلَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِعَالِمَتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَيْكَ هُمُأَلْكَ لِنُونَ ۞ مَن كَفَرَ بِأَلْمَهِ مِنْ بَعْدٍ إِيمَانِهِ إِلَّامَنْ أُحْدِهَ وَقَلْبُ مُمُطْمَعِتُ بِأَلْإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَعَ بِٱلْكُفْرِصَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَضَبِّينِ ٱللَّهِ وَلَمُ تُوعَذَابُ عَظِيمُ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا ٱلْحَيَوْةَ ٱلدُّنْيَاعَلَ ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْفَوْرَ ٱلْكَفِرِينَ ۞ أُوْلَايِكَ ٱلَّذِينَ طَبَّعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُدُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْسَارِهِمَّ وَأُوْلَتَهِكَ هُوُ ٱلْعَنَافِلُونَ ۞ لَاجَرَرَ |النَّهُمْرِفِ ٱلْأَيْفِ رَوَهُ مُوَالْخَلِيمُ وَيَكَ ۞ ثُمَّ إِنَّ وَيَّبَكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِمَا فَيْنُوا ثُمَّرَجُ هَدُوا إِلَى وَصَهَرُوا إِنَ رَبِّكِ مِنْ بَعْدِهَا لَعَغُورٌ رُجِيعٌ ۞ DUDADU WEDEVED

۹۰ – ۹۰ فولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون \* ما عندكم ينفد وماً عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون \* من عمل صالحاً من ذكر أو أنشى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ يحذر تعالى عباده من نقض العهود والأيمان، لأجل متاع الدنيا وحطامها، فقال:

﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلا﴾ تنالونه بالنقض وعدم الوفاء ﴿إنما عند الله من الثواب العاجل والأجل لمن آثـر رضاه، وأوفى بـما عـاهـد عليه الله ﴿هو خير لكم ﴾ من حطام الدنيا الزائلة ﴿إن كنتم تعلُّمُون﴾.

فآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الذي عندكم ولو كثر جداً، لا بدأن ﴿ينفد﴾ ويفني، ﴿وما عند الله باق﴾ ببقائه، لا يفني ولا يزول، فليس بعاقل من آثر الفان الخسيس على الباقى النفيس، وهذا كقوله تعالى: ﴿بِلَّ تؤثرون الحياة الدنيا \* والأخرة خير وأبقى﴾ ﴿وما عند الله خير للأبرار﴾ وفي هذا الحث والترغيب على الزهد في الدنيا. خصوصاً الزهد المتعين، وهو الزهد فيما يكون ضرراً على العبد، ويوجب له الاشتغال عما أوجب الله عليه، وتقديمه على

SERVEN SERVEN \* يُوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسِ تُحَلِّد لُعَ: فَفْسِهَا وَتُوَّ أَكُ نَفْسِ مَاعَمِلَتْ وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ ﴿ وَضَرَبُ أَقَهُ مَثَلًا قَرْبَةً كَانَتْ ءَامِنَةُ مُطْمَهِنَّةً يَأْتِهَا رِزْقُهَا رَغَدَا فِنْكُلَّ مَكَانِ فَكَنَرَتْ بِأَنْهُ رِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَ اللَّهُ لِهَاسَ أَجْمُعُ وَأَغَوْفِ بِمَاكَانُواْ فِصَنْعُوتَ ۞ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَمُولُ مِّنْهُمْ وَنَكُنَّهُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُرْظَالِمُونَ اللَّهِ فَكُنُواْ مِمَّا رَزَقِكُمُ ٱللَّهُ مَلَالاَطْيَبَا وَٱشْكُرُ وَأَيْعَمَتَ الله إن كُنتُمْ إِيَّاهُ مَعْبُدُونَ ﴿ إِنَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمِيْنَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِيزِيرِ وَمَاۤ أَهِلَ لِخَيْرِ اللَّهِ بِيرُفْضَ وَ أَضْطُرَ غَيْرَبَاغِ وَلَاعَادِ فَإِنَ ٱللَّهَ عَفُورٌ تَجِبُ اللَّهِ وَلِانَتُولُوا لِمَانَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَذَا حَلَالُ وَهَذَا حَمَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَوْبُ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُعْلِحُونَ ۞ مَتَنعُ عَلِيلٌ وَلَمَدْ عَذَابُ أَلِيمُ ﴿ وَعَلَىٰ الَّذِينَ هَادُولُ حَرَّمْنَا مَا فَصَصَيْنَا عَلَيْكُ مِن قَبْلُ اللَّهِ وَمَاظَلَمْنَاهُمْ وَلَلِكِن كَاثُوا أَنفُسَهُمْ مِيظَامُون ۞ TOURS WEST OFF

حق الله، فإن هذا الزهد واجب.

ومن الدواعي للزهد أن يقابل العبد لذات الدنيا وشهواتها بخيرات الآخرة، فإنه يجد من الفرق والتفاوت ما يدعوه إلى إيثار أعلى الأمرين [وليس الزهد الممدوح هو الانقطاع للعبادات القاصرة كالصلاة والصيام والذكر، ونحوها، بل لا يكون العبد زاهدا زهداً صحيحاً حتى يقوم بما يقدر عليه من الأوامر الشرعية الظاهرة والباطنة، ومن الدعوة إلى الله وإلى دينه بالقول والفعل، فالزهد الحقيقي هو الزهد فيما لا ينفع في الدين والدنيا، والرغبة والسعي في كل ما ينفع](١).

ولنجزين الذين صبروا على طاعة الله، وعن معصيته، وفطموا نفوسهم عن الشهوات الدنيوية المضرة بدينهم وأجرهم بأحسن ما كانوا يعملون الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبع مئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ولهذا ذكر جزاء العاملين في الذنيا والآخرة، فقال:

ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى صحة الأعمال الصالحة وقبولها، بل لا تسمى أعمالاً صالحة، إلا بالإيمان، والإيمان مقتض لها، فإنه

التصديق الجازم المثمر لأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات، فمن جمع بين الإيمان والعمل الصالح ﴿ فلنحيينه حياة طيبة ﴾ وذلك بطمأنينة قلبه، وسكون نفسه، وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه، ويرزقه الله رزقاً حلالاً طيباً، من حيث لا يحتسب. ﴿ ولنجزينهم ﴾ في الآخرة ﴿ أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ من أصناف بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ من أصناف اللذات، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة.

فالطريق إلى السلامة من شره الالتجاء إلى الله، والاستعادة به من شره، فيقول القارىء: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» متدبراً لمعناها، معتمداً بقلبه على الله في صرفه عنه، مجتهداً في دفع وساوسه وأفكاره الرديئة، مجتهداً على السبب الأقوى في دفعه، وهو التّحليّ بحلية الإيمان والتوكل.

فإن الشيطان ﴿ليس له سلطان﴾ أي: تسلط ﴿على الذين آمنوا وعلى ربسم﴾ وحده لا شريك له ﴿يتوكلون﴾ فيدفع الله عن المؤمنين المتوكلين عليه شر الشيطان، ولا يبقى له عليهم سبيل.

و ﴿إنما سلطانه﴾ أي: تسلطه ﴿على الذين يتولونه﴾ أي: يجعلونه لهم ولياً، وذلك بتخلهم عن

ولاية الله، ودخولهم في طاعة الشيطان وانضمامهم لحزبه، فهم الذين جعلوا له ولاية على أنفسهم، فأزهم إلى المعاصى أزاً، وقادهم إلى النار قوداً.

﴿١٠١ \_ ١٠١﴾ ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون \* قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدي وبشرى للمسلمين يذكر تعالى أن المكذبين جذا القرآن، يتتبعون ما يرونه حجة لهم، وهو أن الله تعالى هو الحاكم الحكيم، الذي يشرع الأحكام، ويبدل حكماً مكان آخر، لحكمته ورحمته، فإذا رأوه كذلك، قدحوا في الرسول وبما جاء به، و ﴿قالوا إنما أنت مفتر ﴾ قال الله تعالى: ﴿ بِل أكثرهم لا يعلمون ﴾ فهم جهال لا علم لهم بربهم ولا بشرعه، ومن المعلوم أن قدح الجاهل بلا علم لا عبرة به، فإن القدح في الشيء فرع عن العلم به، وما يشتمل عليه مما يوجب المدح أو القدح.

ولهذا ذكر تعالى حكمته في ذلك فقال: ﴿قُلْ نزله روح القدس﴾ وهو جبريل الرسول المقدس المنزه عن كل عيب وخيانة وآفة.

﴿بِالْحَقِ ﴾ أي: نزوله بالحق، وهو مشتمل على الحق في أخباره، وأوامره ونواهيه، فلا سبيل لأحد أن يقدح فيه قدحاً صحيحاً، لأنه إذا علم أنه الحق، علم أن ما عارضه وناقضه باطل.

وليثبت الذين آمنوا عند نزول آياته وتواردها عليهم، وقتاً بعد وقت، فلا يزال الحق يصل إلى قلوبهم شيئاً فسيئاً، حتى يكون إيمانهم أثبت من الجبال الرواسي، وأيضاً فإنهم يعلمون أنه الحق، وإذا شرع حكماً [من الأحكام] ثم نسخه، علموا أنه أبدله بما هو مثله، أو خير منه لهم، وأن نسخه هو المناسب للحكمة الربانية، والمناسة العقلية.

﴿وهدى وبشرى للمسلمين﴾ أي: يهديهم إلى حقائق الأشياء، ويبين لهم

الحق من الباطل، والهدى من الضلال، ويبشرهم أن لهم أجراً حسناً، ماكثين فيه أبداً. وأيضاً فإنه كلما نزل شيئاً فشيئاً، كان أعظم هداية وبشارة لهم مما لو أتاهم جملة واحدة، وتفرق الفكر فيه، بل ينزل الله حكماً وعرفوا المراد منه، وترووا منه، أنزل نظيره وهكلاً. ولذلك بلغ الصحابة رضي الله عنهم به مبلغاً عظيماً، وتغيرت أخلاقهم وطبائعهم، وانتقلوا لل أخلاق وعوائد وأعمال، فاقوا بها الأولين والآخرين.

وكان أعلى وأولى لمن بعدهم، أن يتربوا بعلومه، ويتخلقوا بأخلاقه، ويستضيؤوا بنوره في ظلمات الغي والجهالات، ويجعلوه إمامهم في جميع الحالات، فبذلك تستقيم أمورهم الدينية والدنيوية.

﴿١٠٣ \_ ١٠٥﴾ ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين \* إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم \* إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون، يخبر تعالى عن قيل المشركين الكذبين لرسوله ﴿أَنَّهُم يقولُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ ۗ هَذَا الْكِتَابِ الذي جاء به ﴿بشر ﴾ وذلك البشر ، الذي يشيرون إليه أعجمي اللسان ﴿وهذا﴾ القرآن ﴿لسان عربي مبين﴾ هل هذا القول ممكن؟ أو له حظ من الاحتمال؟ ولكن الكاذب يكذب ولا يفكر فيما يؤول إليه كذبه، فيكون في قوله من التناقض والفساد ما يوجب رده بمجرد تصوره.

﴿إِن الذين لا يؤمنون بآيات الله الدالة دلالة صريحة على الحق المبين، في ردونها ولا يسقب لمونها. ﴿لا يهديهم الله حيث جاءهم اللهدى، فردوه، فعوقبوا بحرمانه، وخذلان الله لهم. ﴿ولهم في الآخرة ﴿عذاب أليم ﴾.

﴿إنما يفتري الكذب﴾ أي: إنما يصدر افتراء الكذب من ﴿الذين

لا يؤمنون بآيات الله كالمعاندين لرسوله من بعد ما جاءتهم البينات. ﴿ وَالْمِنْكُ هِم الْكَاذَبُونَ ﴾ أي: الكذب من حصر فيهم وعليهم أولى بأن يطلق من غيرهم. وأما محمد ﷺ المؤمن بآيات الله، الخاضع لربه، فمحال أن يكذب على الله، ويتقول عليه ما لم يقل، فأعداؤه رموه بالكذب الذي هو وصفهم، فأظهر الله خزيهم وبين فضائحهم، فله تعالى الحمد.

﴿١٠٦ ـ ١٠٩﴾ ﴿من كقر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرافعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم \* ذلك بأنهم استحبوا الحسياة المدنيا عملي الآخرة وأن الله لا يهدى القوم الكافرين \* أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون \* لا جسرم أنهم فسى الآخسرة همم الخاسرون، يخبر تعالى عن شناعة حال ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه ﴾ فعمى بعد ما أبصر، ورجع إلى الضلال بعد ما اهتدى، وشرح صدره بالكفر، راضياً به مطمئناً، أن لهم الغضب الشديد من الرب الرحيم، الذي إذا غضب لم يقم لغضبه شيء، وغضب عليهم كل شيء. ﴿ولُّهم عذاب عظيم﴾ أي: في غاية الشدة، مع أنه دائم أبداً.

﴿ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وحيث ارتدوا على أدبارهم، طمعاً في شيء من حطام الدنيا، ورغبة فيه، وزهداً في خير الآخرة، فلما اختاروا الكفر على الإيمان، منعهم الله الهداية، فلم على قلوبهم فلا يدخلها خير، وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فلا ينفذ منها ما ينفعهم، ويصل إلى قلوبهم. فشملتهم الخفلة، وأحاط بهم الخذلان، وحرموا رحمة الله التي وسعت كل شيء، وذلك أنها أتتهم فردوها، وعرضت عليهم فلم يقبلوها.

﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم

الخاسرون الذين خسروا أنفسهم وأموالهم وأهليهم يوم القيامة، وفاتهم النعيم المقيم، وحصلوا على العذاب الأليم..

وهذا بخلاف من أكره على الكفر وأجبر عليه، وقلبه مطمئن بالإيمان، راغب فيه، فإنه لا حرج عليه ولا إثم، ويجوز له النطق بكلمة الكفر عند الإكراه عليها.

ودل ذلك، على أن كلام المكره على الطلاق، أو البيع، أو البيع، أو الشراء، أو سائر العقود، أنه لا عبرة به، ولا يترتب عليه حكم شرعي، لأنه إذا لم يعاقب على كلمة الكفر إذا أكره عليها، فغيرها من باب أؤلى وأحرى.

طبها، عيرها من بب اوي واحرى .

للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم \* يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون أي: ثم بلطفه وإحسانه لغفور رحيم لمن هاجر في سبيله، وخلى دياره وأمواله، طلبا لمرضاة الله، وفيّنَ على دينه ليرجع إلى الكفر، فثبت على الإيمان، وتخلص ما ليدخلهم في دين الله، بلسانه ويده، وصبر على هذه العبادات الشاقة، على وصبر على هذه العبادات الشاقة، على أكثر الناس.

فهذه أكبر الأسباب التي تنال بها أعظم العطايا، وأفضل المواهب، وهي مغفرة الله للذنوب صغارها وكبارها، المتضمن ذلك زوال كل أمر مكروه، ورحمته العظيمة التي بها صلحت أحوالهم واستقامت أمور دينهم ودنياهم، فلهم الرحمة من الله في يوم القيامة حين (ثأتي كل نفس تجادل عن نفسها كل يقول نفسي نفسي لا يهمه سوى نفسه، ففي ذلك اليوم يفتقر العبد إلى حصول مثقال ذرة من الخير.

﴿وتوفى كل نفس ما عملت﴾ من خير وشر﴿وهم لا يظلمون﴾ فلا يزاد في سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم. ﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون

إلا ما كنتم تعملون﴾ .

﴿ ١١٣ ـ ١١٣﴾ ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴿ ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم التي كانت آمنة مطمئنة، لا يهاج فيها أحد، وتحترمها الجاهلية الجهلاء، حتى إن أحدهم يجد قاتل أبيه وأخيه، فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم والنعرة العربية، فحصل لها من الأمن التام ما للواسع.

كانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر، ولكن يسر الله لها الرزق يأتيها من كل مكان، فجاءهم رسول منهم يعرفون أمانته وصدقه، يدعوهم إلى أكمل الأمور، وينهاهم عن الأمور عليهم، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه، والبسهم لباس الجوع الذي هو ضد الرغد، والخوف الذي هو ضد الأمن، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم ﴿وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾.

﴿ ١١٤ ـ ١١٨﴾ ﴿ فَسَكَسَلُ وَا مُسَا رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون \* إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم \* ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الندين ينفسرون على الله المكند لا يفلحون \* متاع قليل ولهم عذاب أليم \* وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يأمر تعالى عباده بأكل ما رزقهم الله من الحيوانات والحبوب والثمار، وغيرها. ﴿حلالاً طساً ﴾ أي: حالة كونها متصفة

بهذين الوصفين، بحيث لا تكون مما حرم الله، أو أثراً عن غصب ونحوه. فتمتعوا بما خلق الله لكم من غير إسراف ولا تَعَدُ. ﴿واشكروا نعمة الله بالاعتراف بها بالقلب، والثناء على الله بها، وصرفها في طاعة الله. ﴿إن كنتم إياه تعبدون أي: إن كنتم مخلصين له العبادة، فلا تشكروا إلا إياه، ولا تنسوا المنعم.

﴿إنما حرَّم عليكم ﴾ الأشياء المضرة تنزيماً لكم، وذلك: كـ ﴿المِيتَةَ ﴾ ويدخل في ذلك كل ما كان موته على غير ذكاة مشروعة، ويستثنى من ذلك، مية الجراد والسمك.

﴿والدم﴾ المسفوح، وأما ما يبقى في العروق واللحم فلا يضر. ﴿ولحم الحنزير﴾ لقذارته وخبثه، وذلك شامل للحمه وشحمه وجميع أجزائه. ﴿وما أهل لنغير الله به ﴾ كالذي يذبح للأصنام والقبور وتحوها، لأنه مقصود به الشرك.

﴿ فسن اضطر ﴾ إلى شير من المحرمات بأن حملته الضرورة ، وخاف إن لم يأكل أن يهلك و فلا جناح عليه إذا لم يكن باغياً أو عادياً ، أي: إذا لم يرد أكل المحرم ، وهو غير مضطر ، ولا متعد الحلال إلى الحرام ، أو متجاوز لما زاد على قدر المضرورة ، فهذا الذي حرمه الله من الماحات .

﴿١١٦﴾ ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام أي: لا تحرموا وتحللوا من تلقاء أنفسكم، كذباً وافتراء على الله وتقولًا عليه.

﴿لتفتروا على الله الكذب، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لا في الدنيا، ولا في الآخرة، ولا بد أن يظهر الله خزيهم وإن تمتعوا في الدنيا، فإنه ﴿متاع قليل ﴾ ومصيرهم إلى النار ﴿ولهم عذاب أليم ﴾ .

فالله تعالى ما حرم علينا إلا

الخبيثات، تفضلاً منه، وصيانة عن كل مستقذر.

وأما الذين هادوا فحرم الله عليهم طيبات أحلت لهم بسبب ظلمهم عقوبة لهم، كما قصه في سورة الأنعام في قوله: ﴿وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم، ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾.

﴿ ١٩٩ ﴾ ﴿ شم إن ربك للذيب عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها على التوبة، ودعوة لهم إلى الإنابة، فأخبر أن من عمل سوءاً بجهالة، بعاقبة ما تجني عليه، ولو كان متعمداً للذب، فإنه لا بدأن ينقص ما في قلبه من العلم وقت مقارفة الذنب، فإذا تاب وأصلح، بأن ترك الذنب وندم عليه ( وأصلح أعماله، فإن الله يغفر له ويرجمه، ويتقبل توبته ويعيده إلى حالته الأولى، أو أعلى منها.

(١٢٠ – ١٢٠) ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتاً للله حنيفاً ولم يك من المشركين \* شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم \* وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين \* شم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ يخبر تعالى عما فضل به خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وخصه به من الفضائل العالية والمناقب الكاملة فقال:

﴿إِنَّ إِبراهيم كان أمة ﴾ أي: إماماً جامعاً لخصال الخير، هادياً مهتدياً. ﴿قانتاً شُهُ أَي: مديماً لطاعة ربه، خلصاً له الدين. ﴿حنيفاً ﴾: مقبلاً على الله بالمحبة، والإنابة، والعبودية، معرضاً عمن سواه. ﴿ولم يك من المشركين ﴾ في قوله وعمله، وجميع أحواله، لأنه إمام الموحدين الحنفاء.

﴿ شَاكِراً لأَنْعِمِهِ ﴾ أي: آناه الله في الدنيا حسنة، وأنعم عليه بنعم ظاهرة

وباطنة، فقام بشكرها، فكان نتيجة هذه الخصال الفاضلة أن (اجتباه) ربه، واختصه بخلته وجعله من صفوة خلقه، وخيار عباده القربين.

﴿وهداه إلى صراط مستقيم﴾ في علمه وعمله، فعلم بالحق وآثره على غيره.

﴿وآتيناه في الدنيا حسنة ﴾ رزقاً واسعاً، وزوجة حسناء، وذرية صالحين، وأخلاقاً مرضية ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ الذين لهم المنازل العالية، والقرب العظيم من الله تعالى.

ومن أعظم فضائله أن الله أوحى لسيد الخلق وأكملهم، أن يتبع ملة إبراهيم، ويقتدى به هو وأمته.

﴿ ١٢٤﴾ ﴿إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾.

يقول تعالى: ﴿إنما جعل السبت﴾ أي: فرضاً ﴿على الذين اختلفوا فيه﴾ حين ضلوا عن يوم الجمعة، وهم اليهود، فصار اختلافهم سبباً لأن يجب عليهم في السبت احترامه وتعظيمه، وإلا فالفضيلة الحقيقية ليوم الجمعة، الذي هدى الله هذه الأمة إليه.

﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ فيبين لهم المحق من المبطل، والمستحق للثواب عن استحق العقاب(١).

(١٢٥) ﴿ (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم، إلى سبيل ربك المستقيم، المشتمل على العلم النافع، والعمل الصالح (بالحكمة) أي: كل أحد على الصالح (بالحكمة)

حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده. ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو، الأمر والنهي القرون بالترغيب والترهيب.

إما بما تشتمل عليه الأوامر من المسالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله، وإهانة من لم يقم به.

وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الشواب العاجل والآجل، وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل، فإن كان [المدعو] يرى أن ما هو عليه حق. أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً.

ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حسول القصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى المغالبة ونحوها.

وقوله: ﴿إِنْ رَبِكُ هُو أَعَلَمُ بِمِنْ ضل عن سبيله﴾ علم السبب الذي أداه إلى الضلال، وعلم أعماله المترتبة على ضلالته، وسيجازيه عليها.

﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ علم أنهم يصلحون للهداية، فهداهم، ثم مَنَّ عليهم فاجتباهم.

فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين \* واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق تما يمكرون \* إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون في يقول تعالى مبيحاً للعدل، ونادباً للفضل والإحسان ﴿ وإن عاقبتم في من أساء اليكم بالقول والفعل فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به في من غير زيادة منكم، على

**建筑 电到底 电影图像** ثُمَّ إِنَّ رَبَّكِ لِلَّذِيكَ عَمِلُواْ ٱلسُّوءَ يَحَمَّلَهَ ثُمَّ مَّا تُواْ مِنْ بَعْبِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَكَ فُورٌ نَحِيمُ إِذَّ إِبْرُهِي مِرَّكَاتَ أَمَّةً فَانِتَ الِتَوَجَيفَا وَلَرْيَكُ مِنَ ٱلْمُتَّرِكِينَ ۞ شَاكِرًا لِآنْفُمِ وُلَجَّبَنَهُ وَهَدَنَهُ إِلَى مِرَطِ مُّسْتَقْيَم ٥ وَءَالْيَنْكُهُ فِي الدُّنْسَاحَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِنَّ ٱلصَّالِعِينَ۞ ثُوَّ أَوْحَيْنَاۤ إِلَيْكَ أَنِ آيَّةً مِلَّةَ إِبْرُهِ مِرَحَنِفًاۗ وَمَاكَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّمَا جُعِلَّ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْفِيهُ وَمَانَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْفِيَاحَةِ فِيمَاكَافُواْ فِيهِ يَغْتَلِفُونَ ۞ أَدْعُ إِلَىٰ سَكِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَيَحَدِهُمُ مِالِّتِي هِيَ أَحْسُنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَأَعْلَرُ مِن صَلَّ عَن مَكِيلِيِّهِ وَهُوَأَعْلَرُ بِٱللَّهُ تَدِيكَ ۞ وَإِنْ عَافَبْتُ مُوْكَاقِهُ أَيِثْلِ مَاعُوفِيْتُ رِبِيِّهِ وَلَيَن صَبَرْتُهُ لَهُوَخَيْرٌلِلْصَنِيمِينَ ۞ وَأَصْبِرُ وَمَاصَبُرُكَ إِلَّابِاللَّهِ أَلَّا وَلَا يَعْزَنَ عَلَيْهِمْ وَلَا الْكُ فِي صَيْقِ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿ إِذَا لَهُ مَعَ الَّذِينَ اتَّغَوَا وَالَّذِينَ مُرْتَحَيْثُونَ ﴿ DESTRUCTION CONTROL OF

ما أجراه معكم.

﴿ولئن صبرتم ﴾ عن المعاقبة ، وعفوتم عن جرمهم ، ﴿لهو خير للصابرين ﴾ من الاستيفاء ، وما عند الله خير لكم ، وأحسن عاقبة ، كما قال تعالى: ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ ثم أمر رسوله بالصبر على دعوة الخلق إلى الله ، والاستعانة بالله على ذلك ، وعدم الاتكال على النفس ، فقال:

﴿ وَاصبر وما صبرك إلا بالله \* هو الذي يعينك عليه ويثبتك. ﴿ ولا تحزن عليهم \* إذا دعوتهم، فلم تر منهم قبولا لدعوتك، فإن الحزن لا يجدي عليك شيئاً. ﴿ ولا تك في ضيق \* أي: شدة وحرج، ﴿ مَا يمكرون \* فإن مكرهم عائد إليهم، وأنت من المتقين المحسين.

والله مع المتقين المحسنين، بعونه، وتوفيقه وتسديده، وهم الذين اتقوا الكفر والمعاصي، وأحسنوا في عبادة الله، بأن عبدوا الله كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم، والإحسان إلى الجلق ببذل النفع لهم من كل وجه.

نسأل الله أن يجعلنا من المتقين المحسنين.

تم تفسير سورة النحل والحمد لله

المنتخذ الذي المنتخذ المنتخذ

## تفسير سورة بني إسرائيل وهي مكية

﴿١﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو المصميع البصير ﴾ ينزه تعالى نفسه المقدسة ويعظمها، لأن له الأفعال العظيمة والمنن الجسيمة، التي من جملتها أن ﴿أسرى بعبده ﴾ ورسوله عمد ﷺ، ﴿من المسجد الحرام ﴾ الذي هو أجل المساجد على الإطلاق ﴿إلى المسجد الأقصى ﴾ الذي هو من المساجد الماضلة، وهو محل الأنبياء.

فأسري به في ليلة واحدة إلى مسافة بعيدة جدا، ورجع في ليلته، وأراه الله من آياته، ما ازداد به هدى وبصيرة وثباتاً وفرقاناً، وهذا من اعتناثه تعالى به ولطفه، حيث يسره لليسرى في جميع أموره، وخوَّله نعماً فاق بها الأولين والآخرين، وظاهر الآية أن الإسراء كان في أول الليل، وأنه من نفس المسجد الحرام، لكن ثبت في الصحيح، أنه أسري به من بيت أم هانيء، فعلى هذا، تكون الفضيلة في المسجد الحرام لسائر الحرم، فكله المسجد الحرام لسائر الحرم، فكله تتضاعف فيه العبادة كتضاعفها في

نفس المسجد، وأن الإسراء بروحه وجسده معاً، وإلا لم يكن في ذلك آية كبرى، ومنقبة عظيمة.

وقد تكاثرت الأحاديث الثابتة عن النبي على في الإسراء، وذكر تفاصيل ما رأى، وأنه أسري به إلى بيت المقدس، ثم عرج به من هناك، إلى السماوات، حتى وصل إلى ما فوق الأنبياء على مراتبهم، وفرض الله عليه الصلوات خسين، ثم ما زال يراجع ربه بإشارة موسى الكليم، حتى صارت بإشارة موسى الكليم، حتى صارت والشواب، وحاز من المفاخر تلك الليلة، هو وأمته، مالا يعلم مقداره إلا الله عز وجل.

وذكره هنا وفي مقام الإنزال للقرآن، ومقام التحدي بصفة العبودية، لأنه نال هذه المقامات الكبار، بتكميله لعبودية ربه.

وقوله: ﴿الذي باركنا حوله﴾ أي: بكثرة الأشجار والأنهار، والخصب الدائم.

ومن بركته، تفضيله على غيره من

المساجد، سوى المسجد الحرام، ومسجد المدينة، وأنه يطلب شد الرحل إليه للعبادة والصلاة فيه، وأن الله اختصه محلاً لكثير من أنبيائه وأصفيائه. ﴿٢ \_ ٨) ﴿ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلاً \* ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً \* وقضينا إلى بنى إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً \* فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادأ لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً \* ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً \* إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه

أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً \*

عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً كثيراً ما يقرن الباري بين نبوة محمد على ونبوة موسى على وبين كتابيهما أفضل الكتب، وشريعتيهما أكمل الشرائع، أكثر المؤمنين، ولهذا قال هنا: ﴿واتينا موسى الكتاب؛ الذي هو التوراة ﴿وجعلناه هدى لبني إسرائيل؛ يهتدون به في ظلمات الجهل إلى العلم بالحق.

﴿ أَلا تتخذوا من دوني وكيلا ﴾ أي: وقلنا لهم ذلك، وأنزلنا إليهم الكتاب لذلك، ليعبدوا الله وحده، وينيبوا إليه، ويتّخذوه وحده وكيلاً ومدبراً لهم، في أمر دينهم ودنياهم، ولا يتعلقوا بغيره من المخلوقين الذين لا يملكون شيئاً، ولا ينفعونهم بشيء.

﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ أي: يا ذرية من مننا عليهم، وحملناهم مع نوح ، ﴿ إِنه كَانَ عَبِداً شَكُوراً ﴾ ففيه التنويه بالثناء على نوح عليه السلام، بقيامه بشكر الله، واتصافه بذلك، والحث لذريته أن يقتدوا به في شكره ويتابعوه عليه، وأن يتذكروا نعمة الله عليهم، إذ (١) أبقاهم واستخلفهم في الأرض، وأغرق غيرهم.

﴿وقضينا إلى بني إسرائيل ﴾ أي: تقدمنا وعهدنا إليهم، وأخبرناهم في كتابهم، أنهم لا بدأن يقع منهم إفساد في الأرض مرتين بعمل المعاصي، والبطر لنعم الله، والعلو في الأرض منهم، وأنه إذا وقع واحدة وانتقم منهم، وهذا تحذير لهم وإنذار، لعلهم يرجعون فيتذكرون.

﴿ أَإِذَا جاء وعد أولاهما ﴾ أي: أولى المرتين اللتين يفسدون فيهما. أي: إذا وقع منهم ذلك الفساد ﴿ بعثنا عليكم ﴾ بعثاً قدرياً، وسلطنا عليكم تسليطاً كونياً جزائياً ﴿ عباداً لنا أولى بأس شديد ﴾ أي: ذوي شجاعة وعدد وعدة

فنصرهم الله عليكم، فقتلوكم وسبوا أولادكم، ونهبوا أموالكم، وجاسوا خلال دياركم فهتكوا الدور، ودخلوا المسجد الحرام وأفسدوه. ﴿وكان وعداً مفعولا﴾ لا بدمن وقوعه، لوجود سببه منهم.

واختلف المفسرون في تعيين هؤلاء المسلطين، إلا أنهم اتفقوا على أنهم قوم كفار.

إما من أهل العراق، أو الجزيرة، أو غيرها، سلطهم الله على بني إسرائيل لما كثرت فيهم المعاصي، وتركوا كثيراً من شريعتهم، وطغوا في الأرض.

﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم ﴾ أي: على هؤلاء الذين سلطوا عليكم، فأجليتموهم من دياركم. ﴿وأمددناكم بأموال وبنين ﴾ أي: أكثرنا أرزاقكم، وكشرناكم ، وقويناكم عليهم، وذلك بسبب إحسانكم وخضوعكم شه.

﴿إِن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ﴾ لأن النفع عائد إليكم، حتى في الدنيا كما شاهدتم من انتصاركم على أعدائكم. ﴿وإِن أسأتم فلها ﴾ أي: فلأنفسكم يعود الضرر، كما أراكم الله من تسليط الأعداء.

﴿ فَإِذَا جِاء وعد الآخرة ﴾ أي: المرة الآخرة (١) التي تفسدون فيها في الآخرة (١) التي تفسدون فيها في الأرض، سلطنا أيضاً عليكم الأعداء.

﴿ليسوؤوا وجوهكم﴾ بانتصارهم عليكم وسبيكم وليدخلوا المسجد الحرام كما دخلوه أول مرة، والمراد بالمسجد، مسجد بيت المقدس.

﴿وليتبروا﴾ أي: يخربوا ويدمروا ﴿ما علوا﴾ عليه ﴿تتبيرا﴾ فيخربوا بيوتكم ومساجدكم وحروثكم.

﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ فيديل لكم الكرة عليهم، فرحمهم وجعل لهم الدولة.

وتوعدهم على المعاصي فقال: ﴿وإن عدتم ﴾ إلى الإفساد في الأرض ﴿عدنا ﴾ إلى عقوبتكم، فعادوا لذلك، فسلط الله عليهم رسوله محمداً ﷺ،

فانتقم الله به منهم، فهذا جزاء الدنيا، وما عند الله من النكال أعظم وأشنع، ولهذا قال: ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا﴾ يصلونها ويلازمونها، لا يخرجون منها أبداً. وفي هذه الآيات التحذير لهذه الأمة من العمل بالمعاصي لئلا يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل، فسنة الله واحدة لا تبدل ولا تغير.

ومن نظر إلى تسليط الكفرة على المسلمين والظلمة، عرف أن ذلك من أجل ذنوبهم، عقوبة لهم، وأنهم إذا أقاموا كتاب الله وسنة رسوله، مكن لهم في الأرض، ونصرهم على أعدائهم.

﴿٩ - ١٠ ﴾ ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين للتيم أجراً كبيراً \* وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً ﴾ يخبر تعالى عن شرف القرآن وجلالته ، وأنه ﴿يهدي للتي هي أقوم ﴾ أي: أعدل وأعلى ، من العقائد والأعمال والأخلاق ، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن ، كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره .

ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات من الواجبات والسنن، وأن لهم أجراً كبيراً أعده الله لهم في دار كرامته، لا يعلم وصفه إلا هه.

وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً فالقرآن مشتمل على البشارة والنذارة، وذكر الأسباب التي تنال بها البشارة، وهو الإيمان، والعمل الصالح، والتي تستحق بها النذارة وهو ضد ذلك.

﴿ ١١ ﴾ ﴿ ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا ﴾ وهذا من جهل الإنسان وعجلته، حيث يدعو على نفسه وأولاده وماله بالشر عند الغضب، ويبادر بذلك الدعاء، كما يبادر بالدعاء في الخير،

عَسَىٰ رَبُّكُو أَن يَرْحَكُمُ وَإِنْ عُدَثُّ مُعُدُّاً وَحَمُلْنَا جَمَّةً الكيفين حصيران إنَّ هَانَا ٱلْقُرَّانَ يَهْدِي الَّهِ هِيَ أَقَيُّ وَمُشَهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَتِ أَنَّ لَمَعْ أَجُرُا كَبَرُا ۞ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِيرَةِ أَعْتَدُمَّا لَمُتُمِّعَذَابًا ٱلْهِمَا۞ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَانُ بَالشَّرَدُعَآمَهُ ٱلْكَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَانُ عَجُولًا ۞ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنَّ فَمَحْوَآ ءَايَةَ ٱلَّيْل وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِمُنِصِرَةَ لِتَبْتَغُواْ فَضْلَا مِن زَّيْكُرُ وَلِتَعَلَّوُا عَدَدَ البِينِينَ وَأَنْحِسَابٌ وَكُلِّ شَيْءٍ فَصَلْنَهُ تَفْصِيلًا ۞ وَكُلَّ إِنسَانِ ٱلْزَمَنَاءُ طَلَيْرَةً، فِي عُنُقِرَةً - وَنُحْدِجُ لَهُ يُوْمَ ٱلْقِيلَعَةِ كِنَنَا يَلْقَدُهُ مَنشُورًا ۞ أَقُراْ كِنَبْكَ كَنَّ بِنَفْسِكَ أَلْوَمُ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿ مِّنِ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِيِّهِ وَمَن ضَكَّلَ فَإِنَّا يَضِلُ عَلَيْهَا وَلِاتَ زِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَأُخْرَى ۚ وَمَاكُنَا مُعَدِّينَ حَتَّىٰ بَنْمَتَ رَسُولَا۞ وَإِذَاۤ أَرْدَنَّاۤ أَنْ نُقُلِكَ فَيْدٌّ أَمْرُنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَعُوافِهَا غَنَّ عَلَيْهَا ٱلْعَوْلُ فَدَّمَّيْهَا مَّلْمِيرًا ۞ وَكُو أَهَلَكُنَّا الله مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ فُوجٌ وَكُوْرَتِكَ بِنُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۞ OF THE STREET

ولكن الله \_ بلطفه (٢) \_ يستجيب له في الخير، ولا يستجيب له بالشر. ﴿ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم ﴾.

ولا الله والنهار الله والنهار التين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً يقول تعالى: فصلناه تفصيلاً يقول آيتين أي: دالتين على كمال قدرة الله وسعة رحته، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له. ﴿فمحونا آية الليل اي: جعلناه مظلماً ، للسكون فيه والراحة ، مضيئة ، ﴿لتبتغوا فضلاً من ربكم في معايشكم وصنائعكم وتجاراتكم وأسفاركم .

﴿ولتعلموا﴾ بتوالي الليل والنهار واختلاف القمر ﴿عدد السنين والحساب﴾ فتبنون عليها ما تشاؤون من مصالحكم.

وكل شيء فصلناه تفصيلاً أي: بينا الآيات وصرفناه، لتتميز الأشياء، ويستبين الحق من الباطل، كما قال تعالى: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾.

مَّنَ كَانَ يُرِيدُ ٱلْمَاجِلَةَ عَجَلْنَالَهُ فِيهَا مَانَشَاءُ لِنَ زُّمِيدُ ثُمَّةً جَعَلْنَالَهُ جَهَا مِنْ يَصْلَلْهَا مَنْمُومًا مَّذَّحُوزًا ۞ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرةَ وَسَعَىٰ لِمَاسَعِيهَا وَهُوَمُوْمِنُ فَأُولَٰلَيْكَ كَانَ سَعْيَهُ مِنْشُكُورًا ۞ كُلَّانَٰعِدُ مَقَوْلآ وَهَلَوُلآ مِنْعَطَلَةِ رَيِكُ وَمَا كَانَ عَطَلَآهُ رَبِكَ مَحَظُورًا ۞ ٱنظُرُكَ يَفَ فَضَّلُنَا الْمُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضُ وَلَلْآخِ رَهُ أَكْبَرُ دُرَحَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۞ لَا يَغَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهَا مَا خَسَرَ فَتَفَعُ دَمَذْمُومًا غَنْدُولَا ۞ • وَقَضَىٰ رَبُّكِ أَلَّانَعَبُدُوۤ إِلَّا إِيَّاهُ وَبَٱلْوَلَايَنِ إِحْسَنَاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِعَبْرَأَحَدُهُمَّاۤ أَوْكِلَاهُمَافَلَا تَقُل لَمُنَا أَنِ وَلَا نَنْهَ فِمُا وَقُل لَمُنَا قَوْلا كَرِيمًا ۞ وَٱخْفِضْ لَمُسَاجَنَاحَ ٱلذُّلِّي مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل زَّتِ ٱرْحَمْهُ مَاكُماً رَبِّيَانِ صَغِيرًا ۞ زَنْكُو أَعَلَرُ بِمَافِ نُفُوسِكُو إِن تَكُونُواْ صَلِيحِينَ فَإِنَّهُ مَكَانَ لِلْأَقَلِينَ عَفُورًا ۞ وَمَاتِ ذَا ٱلْقُرَّانَ حَقَّهُ وَلِلْسَكِينَ وَلَنَ ٱلسَّيِيلِ وَلَا لُبُكِذِرْتِينَ ۞ إِنَالَتِهَ يَعِينَ ﴿ كَافُوا إِخْوَنَ ٱلشَّيَاطِينُ وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِرَيِّمِ كَعُولًا ۞

TO TOUTH THE OWNER ﴿ ١٣ \_ ١٤ ﴾ ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً \* أقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ وهذا إخبار عن كمال عدله، أن كل إنسان يلزمه طائره في عنقه، أي: ما عمل من خير وشر، يجعله الله ملازماً له، لا يتعداه إلى غيره، فلا يحاسب بعمل غيره، ولا يحاسب غيره بعمله.

﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ﴾ فيه ما عمله من الخير والشر حاضراً، صغيره وكبيره، ويقال له: ﴿اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك

وهذا من أعظم العدل والإنصاف، أن يقال للعبد: حاسب نفسك، ليعترف بما عليه من الحق الموجب للعقاب .

﴿١٥﴾ ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ أي: هداية كل أحد وضلاله لنفسه، لا يحمل أحد ذنب أحد، ولا يدفع عنه مثقال ذرة من الشر، والله تعالى أعدل العادلين، لا يعذب أحداً حتى تقوم عليه الحجة بالرسالة، ثم يعاند الحجة.

وأما من انقاد للحجة، أو لم تبلغه حجة الله تعالى، فإن الله تعالى لا يعذبه.

واستدل بهذه الآية على أن أهل الفترات، وأطفال المشركين، لا يعذبهم الله حتى يبعث إليهم رسولاً، لأنه منزه عن الظلم.

﴿١٦ \_ ١٧﴾ ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق

عليها القول فدمرناها تدميراً \* وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفي بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً ﴾ يخبر

تعالى أنه إذا أراد أن يهلك قرية من القرى الظالمة، ويستأصلها بالعذاب، أمر مترفيها أمراً قدرياً، ففسقوا فيها، واشتد طغيانهم، ﴿فحق عليها القول﴾ أي: كلمة العذاب التي لا مرد لها ﴿فدمرناها تدميراً ﴿

وهؤلاء أمم كثيرة أبادهم الله بالعذاب، من بعد قوم نوح، كعاد، وشمود، وقوم لبوط، وغيرهم ممن عاقبهم الله لما كثر بغيهم، واشتد كفرهم، أنزل [الله] بهم عقابه العظيم. ﴿ وَكُفِّي بِرِبِكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرٍ أَ

بصيراً ﴾ قلا يخافوا منه ظلماً، وأنه يعاقبهم على ما عملوه.

(۱۸ ـ ۲۱) ومن کان پسرید العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جملنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً \* ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً \* كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عبطياء ربيك ومياكيان عبطياء ربيك من التفاوت مالا يمكن أحداً عده. محظوراً \* انظر كيف فضلنا بعضهم

على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً عجبر تعالى أن ﴿من كان يريد الدنيا (العاجلة المنقضية الزائلة، فعمل لها وسعى، ونسى المبتدأ والمنتهى، أن الله يُعجل له من حطامها ومتاعها ما يشاؤه ويريده، مما كتب [الله] له في اللوح المحفوظ،

ثم يجعل له في الآخرة ﴿جهنم يصلاها الله أي: يباشر عذابها، ﴿مذموماً مدحوراً ﴾ أي: في حالة الخزي والفضيحة والذم من الله ومن

ولكنه متاع غير نافع ولا دائم له.

خلقه، والبعد عن رحمة الله، فيجمع له بين العذاب والفضيحة .

﴿ومن أراد الآخرة﴾ فرضيها وآثرها على الدنيا ﴿وسعى لها سعيها ﴾ الذي دعت إليه الكتب السماوية، والآثار النبوية، فعمل بذلك على قدر إمكانه ﴿وهو مؤمن ﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

﴿فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾ أي: مقبولاً مُنَمَّى، مدخراً لهم أجرهم وثوابهم عند ربهم.

ومع هذا، فلا يفوتهم نصيبهم من الدنيا، فكلا يمده الله منها، لأنه عطاؤه وإحسانه. ﴿وما كان عطاء ربك محظوراً ﴾ أي: ممنوعاً من أحد، بل جميع الخلق راتعون بفضله

﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض الدنيا، بسعة الأرزاق وقلتها، واليسر والعسر، والعلم والجهل، والعقل والسفه، وغير ذلك من الأمور التي فضل الله العباد

بعضهم على بعض بها . ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً فلا نسبة لنعيم الدنيا ولذاتها إلى الآخرة بوجه من الوجوه .

فكم بين من هو في الغرف العاليات، واللذات المتنوعات، والسرور والخيرات والأفراح، ممن هو يتقلب في الجحيم، ويعذب بالعذاب الأليم، وقد حل عليه سخط الرب الرحيم، وكل من الدارين بين أهلها

﴿٢٢﴾ ﴿لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموماً مخذولاً أي: لا تعتقد أن أحداً من المخلوقين يستحق شيئاً من العبادة، ولا تشرك بالله أحداً منهم، فإن ذلك داع للذم والخذلان، فالله وملائكته ورسله، قد نهوا عن الشرك، وذموا من عمله أشد الذم، ورتبوا عليه من الأسماء المذمومة، والأوصاف المقبوحة، ما كان به متعاطيه، أشنع الخلق وصفاً، وأقبحهم نعتاً.

وله من الخذلان في أمر دينه ودنياه، بحسب ما تركه من التعلق بربه، فمن تعلق بغيره فهو مخذول، قد وكل إلى من تعلق به، ولا أحد من الخلق ينفع

أحداً إلا بإذن الله، وكما أن من جعل مع الله إلها آخر له الذم والخذلان، فمن وحده، وأخلص دينه لله، وتعلق به دون غيره، فإنه محمود معان في جميع أحواله.

﴿ ٢٣ - ٢٤﴾ ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً \* واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾ لما نهى تعالى عن الشرك به، أمر بالتوحيد، فقال: ﴿ وقضى ربك ﴾ قضاء دينياً، وأمر أمراً شرعياً والسماوات الأحياء والأموات.

﴿إلا إيباه ﴾ لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي له كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أعظمها، على وجه لا يشبهه أحد من خلقه، وهو المنعم بالنعم الظاهرة والباطنة، الدافع لجميع النقم، الخالق، الرازق، المدبر لجميع الأمور، فهو المتفرد بذلك كلّه، وغيره ليس له من ذلك شيء.

ثم ذكر بعد حقه القيام بحق الموالدين، فقال: ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ أي: أحسنوا إليهما بجميع وجوه الإحسان، القولي والفعلي، لأنهما سبب وجود العبد، ولهما من المحبة للولد والإحسان إليه، والقرب، ما يقتضى تأكد الحق ووجوب البر.

﴿إِما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ﴾ أي: إذا وصلا إلى هذا السن، الذي تضعف فيه قواهما، ويحتاجان من اللطف والإحسان ما هو معروف. ﴿فلا تقل لهما أف ﴾ وهذا أدنى مراتب الأذى، نبه به على ما سواه، والمعنى لا تؤذهما أدنى أذية.

﴿ولا تنهرهما ﴾ أي: تزجرهما ، وتتكلم لهما كلاماً خشناً ، ﴿وقل لهما قولاً كريماً ﴾ بلفظ يجبانه ، وتأدب وتلطف بكلام لين حسن يلذ على قلوبهما ، وتطمئن به نفوسهما ، وذلك يختلف باختلاف الأحوال والعوائد والأزمان .

﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾ أي: تواضع لهما، ذلاً لهما ورحمة، واحتساباً للأجر، لا لأجل الخوف منهما، أو الرجاء لما لهما، ونحو ذلك من المقاصد التي لا يؤجر

عليها العبد. ﴿وقل رب ارحمهما ﴾ أي: ادع لهما بالرحمة أحياء وأمواتاً، جزاء على تربيتهما إياك صغيراً.

وفهم من هذا، أنه كلما ازدادت التربية ازداد الحق، وكذلك من تولى تربية الإنسان في دينه ودنياه، تربية صالحة غير الأبوين، فإن له على من رباه حق التربية.

(۲۰﴾ (ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً أي: ربكم تعالى مطلع على ما أكنته سرائركم من خير وشر، وهو لا ينظر إلى أعمالكم وأبدانكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وما فيها من الخير والشر.

﴿إِنْ تَكُونُوا صَالَحِينَ ﴾ بأن تكون إراداتكم ومقاصدكم دائرة على مرضاة الله، ورغبتكم فيما يقربكم إليه، وليس في قلوبكم إرادات مستقرة لغير الله.

وفات كان للأوابين أي: الرجاعين إليه في جميع الأوقات وغفوراً فمن اطلع الله على قلبه، وعلم أنه ليس فيه إلا الإنابة إليه وعبته وعبة ما يقرب إليه، فإنه، وإن جرى منه في بعض الأوقات ما هو مقتضى الطبائع البشرية، فإن الله يعفو عنه، ويغفر له الأمور العارضة غير المستقرة.

والمسكين وابن السبيل ولا تبذر والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً \* إن المبذريين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً \* وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً \* إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً > يقول تعالى:

والإكرام، الواجب والمسنون، وذلك الحق، يتفاوت بتفاوت الأحوال، والأقارب، والحاجة وعدمها، والأزمنة.

﴿والمسكين﴾ آته حقه من الزكاة ومن غيرها، لتزول مسكنته، ﴿وابن السبيل﴾ وهو الغريب المنقطع به عن بلده، فيعطى الجميع من المال، على وجه لا يضر المعطي، ولا يكون زائداً على المقدار اللائق، فإن ذلك تبذير، وقد نهى الله عنه وأخبر:

﴿إِن المسنديسن كسانسوا إخسوان الشياطين لا يدعو إلا الشياطين لا يدعو إلا إلى كل خصلة ذميمة، فيدعو الإنسان الم البخل والإمساك، فإذا عصاه، دعاه إلى الإسراف والتبذير. والله تعالى، إنما يأمر بأعدل الأمور وأقسطها ويمدح عليه، كما في قوله عن عباد الرحمن الأبرار ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾.

وقال هنا: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ﴾ كناية عن شدة الإمساك والبخل. ﴿ولا تبسطها كل البسط فتنفق فيما لا ينبغي، أو زيادة على ما ينبغي.

وفتقعد إن فعلت ذلك وملوماً الله على ما فعلت ومسوراً الله على ما فعلت ومسوراً الله أي: حاسر الله فارغها، فلا بقي ما في يدك من المال ولا خلفه مدح وثناء.

وهذا الألمر بإيتاء ذي القربى، مع القدرة والغنى، فأها مع العدم، أو تعسر النفقة الحاضرة، فأمر تعالى أن يُردُّوا ردَّا جميلاً فقال: ﴿وَإِمَا تَعْرَضُنَ عَنْهِمَ اللهِ تَرْجُوهَا ﴾ عنهم إلى وقتِ أي: تعرض عن إعطائهم إلى وقتِ آخر، ترجو فيه من الله تيسير الأمر.

﴿فقل لهم قولاً ميسوراً أي: لطيفاً برفق، ووعد بالجميل، عند سنوح الفرصة واعتذار بعدم الإمكان في الوقت الحاضر، لينقلبوا عنك مطمئنة خواطرهم، كما قال تعالى: ﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ﴾.

وهذا أيضاً من لطف الله تعالى

بالعباد، أمرهم بانتظار الرحمة والرزق منه، لأن انتظار ذلك عبادة، وكذلك وَعُدُهُمْ بالصدقة والمعروف عند التيسر، عبادة حاضرة، لأن الهم بفعل الحسنة حسنة، ولهذا ينبغي للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير، وينوي فعل ما لم يقدر عليه، ليثاب على ذلك، ولعل الله ييسره له [بسب رجائه](١).

ثم أخبر تعالى أنه يبسط الرزق لمن

يشاء من عباده، ويقدره ويضيقه على من يشاء حكمة منه، ﴿إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ﴾ فيجزيهم على ما يعلمه صالحاً لهم، ويدبرهم، بلطفه وكرمه. ﴿٣١﴾ ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً ﴾ وهذا من رحمته والديم، فنهى الوالدين أن يقتلوا أولادهم خوفاً من الفقر والإملاق، وتكفل برزق الجميع.

وأخبر أن قتلهم كان خِطأ كبيراً، أي: من أعظم كبائر الذنوب، لزوال الرحمة من القلب، والعقوق العظيم والتجرُّو على قتل الأطفال، الذين لم يجر منهم ذنب ولا معصية.

رسر (۳۲) فولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرد فعله، لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه، فإن: "من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه"، خصوصاً هذا الأمر، الذي في كثير من النفوس أقوى داع إليه.

وقوله: ﴿وساء سبيلا﴾ أي: بئس السبيل، سبيل من تجرأ على هذا الذنب العظيم.

﴿٣٣﴾ ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً ﴾ وهذا شامل لكل نفس ﴿حرَّم الله﴾ قتلها من صغير وكبير، وذكر وأنثى، وحر وعبد، ومسلم وكافر له عهد.

﴿ إِلاَ بِالْحَقِ ﴾ كالنفس بالنفس، والزاني المحصن، والتارك لدينه المفارق للجماعة، والباغي في حال بغيه إذا لم يندفع إلا بالقتل.

ومن قتل مظلوماً الله : بغير حق فقد جعلنا لوليه وهو أقرب عصباته وورثته إليه فسلطاناً أي : حجة ظاهرة على القصاص من القاتل ، وجعلنا له أيضاً تسلطاً قدرياً على ذلك ، وذلك حين تجتمع الشروط الموجبة للقصاص ، كالعمد العدوان ، والمكافأة .

﴿ فلا يسرف ﴾ الولي ﴿ في القتل إنه كان منصوراً ﴾ والإسراف مجاوزة الحد، إما أن يمثل بالقاتل، أو يقتله بغير ما قتل به، أو يقتل غير القاتل.

وفي هذه الآية دليل إلى أن الحق في القتل للوَلي، فلا يقتص إلا بإذنه، وإن عفا سقط القصاص.

وأن وَلَّى المقتول، يعينه الله على القاتل ومن أعانه حتى يتمكن من قتله . ﴿٣٤﴾ ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعُهد إن العهد كان مسؤولاً ﴿ وهذا من لطفه ورحمته تعالى باليتيم، الذي فقد والده وهو صغير، غير عارف بمصلحة نفسه، ولا قائم بها، أن أمر أولياءه بحفظه وحفظ ماله وإصلاحه، وأن لا يقربوه ﴿إلا بالتي هي أحسن﴾ من التجارة فيه، وعدم تعريضه للأخطار، والحرص على تنميته، وذلك متد إلى أن ﴿يبلغ ﴾ اليتيم ﴿أشده ﴾ أي: بلوغه، وعقله، ورشده، فإذا بلغ أشده، زالت عنه الولاية، وصار ولي نفسه، ودفع إليه ماله.

كما قال تعالى: ﴿ فإن آنستم منهم

رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ﴿ وأوفوا بالعهد ﴾ الذي عاهدتم الله عليه ، والذي عاهدتم الله عليه . ﴿ إِن العهد كان مسؤولا ﴾ أي: مسؤولين عن الوفاء به وعدمه ، فإن وفيتم ، فلكم الشواب الجزيل ، وإن لم تنفوا (٢) ، فعليكم الإثم العظيم .

و ٣٥٥) ﴿ وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً وهذا أمر بالعدل وإيفاء المكاييل والموازين بالقسط، من غير بخس ولا نقص، ويؤخذ من عموم المعنى، النهي عن كل غش في ثمن أو مثمن أو معقود عليه، والأمر بالنصح والصدق في المعاملة.

﴿ وَلَكَ خير ﴾ من عدمه ﴿ وأحسن تأويلاً ﴾ أي: أحسن عاقبة، به يسلم العبد من التبعات، وبه تنزل البركة.

«٣٦» ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ أي: ولا تتبع ما ليس لك به علم، بل تُئبت في كل ما تقوله وتفعله، فلا تظن ذلك يذهب لا لك ولا عليك، ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً وحقيق بالعبد الذي يعرف أنه مسؤول عما قاله وفعله، وعما لعبادته، أن يُعِدّ للسؤال جواباً، وذلك لا يكون إلا باستعمالها بعبودية الله، وإخلاص الدين له، وكفها عما يكرهه الله تعالى.

ولا تسسس في ولا تسسس في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض سيئه عند ربك مكروها \* ذلك كان أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً ولا يقول تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً ﴾ أي: كبراً وتبهاً وبطراً، متكبراً على الحق، ومتعاظماً على الخلق.

﴿إنك﴾ في فعلك ذلك ﴿لن تخرق

الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً في تكبرك بل تكون حقيراً عندَ الله ومحتقراً عندالخلق، مبغوضاً بمقوتاً، قد اكتسبت أشر الأخلاق، واكتسيت أرذلها، من غير إدراك لبعض ما تروم. ﴿ كُلُّ ذَلْكُ ﴾ المذكور الذي نهي ألله

عنه فيما تقدم من قوله: ﴿لا تجعل مع الله إلها آخر ﴾ والنهي عن عقوق الوالدين، وما عطف على ذلك، ﴿كان سيئه عند ربك مكروهاً الى: كل ذلك يسوء العاملين ويضرهم، والله تعالى يكرهه و بأياه.

﴿ذَلُكُ ﴾ الذي بيناه ووضحناه من هذه الأحكام الجليلة ، ﴿ مَا أُوحِي إليك ربك من الحكمة﴾ فإن الحكمة، الأمر بمحاسن الأعمال، ومكارم الأخلاق، والنهى عن أراذل الأخلاق، وأسوأ

وهذه الأعمال المذكورة في هذه الآيات، من الحكمة العالية، التي أوحاها رب العالمين لسيد المرسلين في أشرف الكتب، ليأمر بها أفضل الأمم، فهي من الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً.

ثم ختمها بالنهى عن عبادة غير الله، كما افتتحها بذلك فقال: ﴿وَلَا تَجْعُلُ مِعُ اللَّهُ إِلَهَا آخِرُ فَتَلْقَى فَي جهنم أي: خالداً مخلداً، فإنه من يشرك بالله، فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار .

﴿ملوماً مدحوراً﴾ أي: قد لحقتك اللائمة واللعنة والذم من الله وملائكته والناس أجمعين .

﴿٤٠﴾ ﴿أَفَأَصِفَاكُم رَبِكُم بِالْبِنِينَ واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً ﴾ وهذا إنكار شديد على من زعم أن الله اتخذ من خلقه بنات فقال: ﴿أَفَأَصِفَاكُم رَبِكُمْ بِالبَيْنِ﴾ أي: اختار لكم الصفوة والقسم(١) الكامل، واتخذ لنفسه من الملائكة إناثاً، حيث زعموا أن الملائكة بنات الله.

﴿إِنكم لتقولون قولاً عظيماً، فيه أعظم الجرأة على الله، حيث نسبتم له

الولد المتضمن لحاجته، واستغناء بعض المخلوقات عنه، وحكموا له بأردأ القسمين، وهنّ الإناث، وهو الذي خلقكم، واصطفاكم بالذكور، فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كسرأ.

و ١١ ـ ٤٤ ﴾ ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلاّ نفوراً \* قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً \* سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً \* تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلاّ يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾ يخبر تعالى أنه صرَّف لعباده في هذا القرآن، أي: نوَّع الأحكام ووضَّحها، وأكثر من الأدلة والبراهين على ما دعا إليه، ووعظ وذكّر، لأجل أنه يتذكّروا ما ينفعهم فيسلكوه، وما يضرهم فيدعوه .

ولكن أبي أكثر الناس إلا نفوراً عن أيات الله، لبغضهم للحق، ومحبتهم ما كانوا عليه من الباطل، حتى تعصبوا لباطلهم، ولم يعيروا آيات الله لهم سمعاً، ولا ألقوا لها بالاً.

ومن أعظم ما صرف فيه الآيات والأدلة، التوحيد الذي هو أصل الأصول، فأمر به، ونهى عن ضده، وأقام عليه من الحجج العقلية والنقلية شيئاً كثيراً، بحيث من أصغى إلى بعضها، لا تدع في قلبه شكاً ولا ريباً.

ومن الأدلة على ذلك هذا الدليل العقلى الذي ذكره هنا، فقال: ﴿قل﴾ للمشركين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر: ﴿ لُو كَانَ مِعِهُ آلِهِةٌ كُمَا يَقُولُونَ ﴾ أي: على موجب زعمهم وافترائهم، ﴿إِذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً ﴾ أى: لاتخذوا سبيلاً إلى الله بعبادته والإنابة إليه، والتقرب وابتغاء الوسيلة، فكيف يجعل العبد الفقير الذي يرى شدة افتقاره لعبودية ربه،

وَإِمَّا لَقُوْضَنَّ عَنْهُمُوا لِتَغَاَّءَ رَحْمَةِ مِن زَّبَكَ تَرْجُوهَا فَقُل إِلَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ وَلِا تَبْسُطُهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقَعُدُ مَلُومًا تَحْسُورًا ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّفَ لِنَ يَشَآهُ وَيَقْدِرُ أِلَّهُ كَانَ بِيهَادِهِ خَيرًا يَصِيرًا ۞ وَلَا تَقْتُلُواْ أَوَلَدَكُونَ خَشْيَةَ إِمْلَقَ غَنَّ زُزُوقُهُمْ وَإِيَّاكُمُّ إِنَّ قَنْلَهُمْ كَانَ خِطْنَاكَبِيرًا ۞ وَلَائَقُرَبُواْ ٱلزِّنَّ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةُ وَسَلَّهَ سَبِيلًا ۞ وَلَانَقْنُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقَّ وَمَن قُيْلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَ الْوَلِيِّي سُلْطَانَا فَلَا يُسْرِف فِي ٱلْفَتْلِّ إِنَّهُ كُنَّانَ مَنْصُورًا ﴿ وَلَا نَفْرَهُمْ مَالَ ٱلْيَتِيدِ إِلَّا بِأَلَّقِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأُوفُواْ بِالْعَهِيِّ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْتُولًا ۞ وَأَوْفُواْ ٱلْكِيْلَ إِذَا كِلْتُرْوَيْفُواْ بِٱلْقِسْطَالِ لَلْتُسْتَقِيمُ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۞ وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْوُأِنَّ السَمْعَ وَالْمَصْرَ وَالْفُؤَادَكُلُ أُولَيْكَ كَاتَ عَنْدُمَتُولَا ﴿ وَلَّا تَيْنُ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّمًا إِنَّكَ لَن تَغْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغُ آئِمِالَ مُولَا ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيْنَكُمُ عِندَرَيْكِ مَكُوهُا ﴿ AND THE TWO PERSONS

إلهاً مع الله؟! هل هذا إلا من أظلم الظلم وأسفه السفه؟!!.

فعلى هذا المعنى، تكون هذه الآية كقوله تعالى: ﴿أُولِئِكِ الذِّينِ يدعونِ يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب.

وكقوله تعالى: ﴿ويوم يُحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل \* قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء،

ويحتمل أن المعنى في قوله: ﴿قُلُ لُو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذى المعرش سبيلا) أي: لطلبوا السبيل، وسعوا في مغالبة الله تعالى، فإما أن يعلو عليه فيكون من علا وقهر هو الرب الإله، فأما وقد علموا أنهم يقرون أن آلهتهم التي يعبدون(٢) من دون الله مقهورة مغلوبة، ليس لها من الأمر شيء، فلم اتخذوها وهي بهذه الحال؟ فيكون هذا كقوله تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض).

﴿سبحانه وتعالى اى: تقدس وتنزه وعلت أوصافه ﴿عما يقولون﴾ من الشرك به، واتخاذ الأنداد معه ﴿علواً كبيراً ﴾ فَعَلا قدره وعظم، وجلّت كبرياؤه، التي لا تقادر أن

STATE OF THE PARTY ذَلِكَ عَلَا أَوْحَى الْبَكِ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكِمَةُ وَلَا تَحْعَلُ مَوَاللَّهِ الْعُا مَاخَرَ فَكُاقَ فِ جَهَفَرْمَتُومًا مَنْحُورًا ۞ أَفَأَصْفَكُ رَثُكُم اللَّهُ مَنْ وَأَغْنَدُونَ ٱلْكَتِكَةِ إِنْنَا إِنَّكُولَتَقُولُونَ قَوْلاعظِمًا ۞ وَلَقَدْ صَمِّ فَنَا فِي هَلِنَا ٱلْقُدِّوَانِ لِيَذَّكُرُواْ وَمَا مَا مُدُهُوٍّ الَّانْفُورَا ۞ قُلِ لَوْكَانَ مَعَكُمْ وَالِمَةُ كُلِيَقُولُونَ إِذَا لَآتِنَعُوا إِلَىٰ ذِي ٱلْعَثْ سَيلًا @سُبْحَنَهُ وَقَعَلاَ عَمَا يَقُولُونَ عُلُوّا كِمَرُ ۞ تُسَيِّمُ لَهُ ٱلسَّمَا آتُ ٱلسَّبُّهُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ قَان مِن شَيَّ وِ إِلَّا يُسَبِّعُ بِحَدْدِهِ ءَلِكِنَ لَانْفَقَهُونَ تَسْبِيحَهُمُ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا @ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرُوانَ جَعَلْنَا يَسْنَكُ وَمِّنَ ٱلَّذِينَ لَا وَمِنُونَ بِٱلْآئِفَ رَوْجِكَابًا مَّسْتُورًا ۞ وَجَعَلْنَاعَلَ تُلُوبِهِ رَأْكِنَةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِ مُ وَقُرُ وَلِمَا ذَكُرْتَ زَمَكَ فِي ٱلْقَرْءَانِ وَحْدَهُ وَلُوٓ أَعَلَىٓ أَدْبَرُهِمْ نْفُورُا۞ غِّنْ أَعْلَرُ بَمَا يَسْتَهِعُونَ بِيهِ إِذْ يَسْقِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْهُرٌ جُونَا إِذْ يَقُولُ ٱلظَّالِمُونَ إِن تَنْيَعُونَ إِلَّارَجُكُ مَسْتُحُرًّا ۞ ٱنظُرْ كَيْفَ صَمَرُهُوا لَكَ ٱلْمُثَالَ فَصَلُوا فَلَايِمَنَ عَلِيمُونَ سَبِيلًا ۞ وَقَالُواْ الله والمستناعظ ما ورُفِكا أونا أَتَعُوثُونَ عَلَقا عَدِيدًا ١ TO NOTE TAIL TO SEE THE

يكون معه آلهة، فقد ضل من قال ذلك ضلالاً مبيناً، وظلم ظلماً كبيراً.

لقد تضاءلت لعظمته المخلوقات العظيمة، وصغرت لدى كبريائه السماوات السبع ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه.

وافتقر إليه العالم العلوي والسفلي، فقراً ذاتياً، لا ينفك عن أحد منهم في وقت من الأوقات.

هذا الفقر بجميع وجوهه، فقر من جهة الخلق والرزق والتدبير، وفقر من جهة الاضطرار، إلى أن يكون معبودهم ومحبوبهم، الذي إليه يتقربون، وإليه في كل حال يفزعون، ولهذا قال:

والأرض ومن فيهن وإن من شي السبع والأرض ومن فيهن وإن من شي المحار حيوان ناطق وغير ناطق، ومن أشجار ونبات وجامد وحي وميت وإلا يسبع بحمده بلسان الحال، ولسان المقال. وليبح باقي المخلوقات التي على غير لغتكم بل يحيط بها علام الغيوب.

﴿إنه كان حليماً غفوراً ﴾ يعاجل بالعقوبة من قال فيه قولاً تكاد السماوات والأرض تتفطر منه وتخر له الجبال ولكنه أمهلهم، وأنعم عليهم،

وعافاهم، ورزقهم، ودعاهم إلى بابه ليتوبوا من هذا الذنب العظيم، ليعطيهم الثواب الجزيل، ويغفر لهم ذنبهم، فلولا حلمه ومغفرته، لسقطت السماوات على الأرض، ولما ترك على ظهرها من دابة.

﴿ وَإِذَا قرأت القرآن ﴾ الذي فيه الوعظ والتذكير، والهدى والإيمان، والخير والعلم الكثير.

﴿ جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾ يسترهم عن فهمه حقيقة، وعن التحقق بحقائقه والانقياد لما يدعو إليه من الخير.

وجعلنا على قلوبهم أكنة أي: أغطية وأغشية، لا يفقهون معها القرآن، بل يسمعونه سماعاً تقوم به عليهم الحجة، ﴿وفي آذانهم وقراً﴾ أي: صمما عن سماعه، ﴿وإذا ذكرت عن الشرك به. ﴿ولوا على أدبارهم نفوراً﴾ من شدة بغضهم له، ومجتهم لما هم عليه من الباطل، كما قال تعالى: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴾.

﴿ نحن أعلم بما يستمعون به ﴿ أَي : إنما منعناهم من الانتفاع عند سماع القرآن، لأننا نعلم أن مقاصدهم سيئة،

يريدون أن يعشروا على أقل شيء ليقدحوا به، وليس استماعهم لأجل الاسترشاد وقبول الحق، وإنما هم معتمدون على عدم اتباعه، ومن كان جلاه الحالة، لم يفده الاستماع شيئاً، هم نجوى أي: متناجين ﴿إذ يقول الظالمون في مناجاتهم: ﴿إن تتبعون اللارجلاً مسحوراً ﴾ فإذا كانت هذه مناجاتهم الظالمة فيما بينهم، وقد بنوها على أنه مسحور، فهم جازمون أنهم غير معتبرين لما قال، وأنه يهذي، لا يدرى ما يقول.

قال تعالى: ﴿انظر﴾ متعجباً ﴿كيف ضربوا لك الأمثال﴾ التي هي أضل الأمثال، وأبعدها عن الصواب ﴿فضلوا﴾ في ذلك، أو فصارت سبباً لضلالهم، لأنهم بنوا عليها أمرهم، والمبنى على فاسد أفسد منه.

﴿ فَلا يستطيعون سبيلا ( ) أي: لا يهتدون أيّ اهتداء، فنصيبهم الضلال المحض، والظلم الصّرف.

﴿ ٤٩ ـ ٢٥ ﴾ ﴿ وقالوا أإذا كنا عظاماً ورفاتاً أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً \* قبل كونوا حجارة أو حديداً \* أو خلقاً ما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قلّ. الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً \* يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً كيبر تعالى عن قول المنكرين للبعث، وتكذيبهم به، واستبعادهم بقولهم: ﴿ أَإِذَا كِنَا عَظَاماً وِرِفَاتاً ﴾ أي: أجساداً بالية، ﴿ أَإِنَا لَمِعُوثُونَ خَلَقاً جَدِيداً ﴾ أي: لا يكون ذلك، وهو محال بزعمهم، فجهلوا أشد الجهل، حيث كذبوا رَسَلِ الله، وجحدوا آيات الله، وقاسوا قدرة خالق السماوات والأرض بقدرتهم الضعيفة العاجزة، فلما رأوا أن هذا تمتنع عليهم لا يقدرون عليه، جعلوا قدرة الله كذلك.

فسبحان من جعل خلقاً من خلقه،

يزعمون أنهم أولو العقول والألباب، مثالاً في جهل أظهر الأشياء وأجلاها، وأوضحها براهين وأعلاها، ليرى عباده أنه ما تَمَّ إلا توفيقه وإعانته، أو الهلاك والضلال.

﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ .

ولهذا أمر رسوله ﷺ أن يقول لهؤلاء المنكرين للبعث استبعاداً:

﴿ قل كونوا حجارة أو حديداً \* أو خلقاً مما يكبر ﴾ أي: يعظم ﴿ في صدوركم ﴾ لتسلموا بذلك على زعمكم، من أن تنالكم قدرة الله، أو تنفذ فيكم مشيئته، فإنكم غير معجزي الله، في أي: حالة تكونون، وليس وعلى أي: وصف تتحولون، وليس لكم في أنفسكم تدبير في حالة الحياة وبعد الممات.

فدعوا التدبير والتصريف لمن هو على كل شيء قدير، وبكل شيء عيط. ﴿فسيقولون﴾ حين تقيم عليهم الحجة في البعث: ﴿من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة﴾ فكما فطركم، ولم تكونوا شيئاً مذكوراً، فإنه سيعيدكم خلقاً جديداً ﴿كما بدأنا أول خلق نعده﴾.

﴿ فسينغضون إليك رؤوسهم ﴾ أي: يهزونها، إنكاراً وتعجباً عما قلت، ﴿ ويقولون متى هو ﴾ أي: متى وقت البعث الذي تزعمه على قولك؟ لا إقراراً منهم لأصل البعث، بل ذلك سَفَة منهم، وتعجيز. ﴿ قل عسى أن يكون قريباً ﴾ فليس في تعيين وقته فائدة، وإنما الفائدة والمدار على تقريره وإلا قراب ، وإنباته، وإلا فكل ما هو اتن فإنه قريب.

﴿ يوم يدعوكم ﴾ للبعث والنشور، وينفخ في الصور، ﴿ فتستجيبون بحمده ﴾ أي: تنقادون الأمره، والا تستعصون عليه. وقوله: ﴿ بحمده ﴾ أي: هو المحمود تعالى على ما يفعله ويجزي به العباد، إذا جمعهم ليوم التناد.

﴿وتظنون إن لبثتم إلا قليلا﴾ من

سرعة وقوعه، وأن الذي مر عليكم من النعيم كأنه ما كان.

فهذا الذي يقول عنه المنكرون: همتى هو ؟ يندمون غاية الندم عند وروده، ويقال لهم: ﴿هذا الذي كنتم به تكذبون﴾.

(٣٥ - ٥٥) ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إنّ الشيطان ينزغ بينهم إنّ الشيطان ينزغ بينهم ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيبلاً \* وربك أعلم بمن في السماوات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً وهذا من لطفه بعباده، حيث أمرهم بأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال، الموجبة للسعادة في الدنيا والآخرة،

وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن وهذا أمر بكل كلام يقرب إلى الله، من قراءة، وذكر، وعلم، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وكلام حسن لطيف مع الخلق على اختلاف مراتبهم ومنازلهم، وأنه إذا دار الأمر بين أمرين حسنين، فإنه يؤمر بإيثار أحسنهما إن لم يمكن الجمع بنعما.

بيها. والقول الحسن داع لكل خلق جميل، وعمل صالح، فإن من ملك لسانه، ملك جميع أمره.

وقوله: ﴿إِن الشيطان ينزغ بينهم﴾ أي: يسعى بين العباد بما يفسد عليهم دينهم ودنياهم.

فدواء هذا، أن لا يطيعوه في الأقوال غير الحسنة التي يدعوهم إليها، وأن يلينوا فيما بينهم، لينقمع الشيطان الذي ينزغ بينهم، فإنه عدوهم الحقيقي الذي ينبغي لهم أن يحاربوه، فإنه يدعوهم (ليكونوا من أصحاب السعير).

وأما إخوانهم، فإنهم وإن نزغ الشيطان فيما بينهم، وسعى في العداوة، فإن الحزم كل الحزم، السعي في ضد عدوهم، وأن يقمعوا أنفسهم الأمارة بالسوء، التي يدخل الشيطان

من قِبَلِها، فبذلك يطيعون ربهم، ويستقيم أمرهم، ويهدون لرشدهم.

﴿ربكم أعلم بكم ﴾ من أنفسكم، فلذلك لا يريد لكم إلا ما هو الخير، ولا يأمركم إلا بما فيه مصلحة لكم، وقد تريدون شيئاً الخير في عكسه.

﴿إِن يسَا يرحمكم أو إِن يسَا يعذبكم في فيوفق من شاء الأسباب الرحمة، ويخذل من شاء، فيضل عنها، فيستحق العذاب.

﴿وما أرسلناك عليهم وكيلاً تدبر أمرهم، وتقوم بمجازاتهم، وإنما الله هو الوكيل، وأنت مبلغ هاد إلى صراط مستقيم.

﴿ وربك أعلم بمن في السماوات والأرض من جميع أصناف الخلائق، فيعطي كلا منهم ما يستحقه تقتضيه في جميع الخصال، الحسية والمعنوية، كما فضل بعض النبين المشتركين بوحيه على بعض بالفضائل والخصائص الراجعة إلى ما مَنْ به عليهم، من الأوصاف المدوحة، والأخلاق الأنباع، ونزول الكتب على بعضهم، المشتملة على الأحكام الشرعية والعقائد المرضية، كما أنزل على داود زبوراً، المرضية، كما أنزل على داود زبوراً، وهو الكتاب المعروف.

فإذا كان تعالى قد فضل بعضهم على بعض، وآتى بعضهم كتباً، فلم ينكر المكذبون لمحمد على ما أنزله الله عليه وما فضله به من النبوة والكتاب.

(07 - 07) ﴿قَالَ ادَعُوا اللّهُ يَسَنَ وَعَمَّم مِن دُونِه فَلا يَملكُون كَشَفُ الضَرِّ عَنْكُم ولا تحويلاً \* أُولئك اللّهُ يَدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً ﴾ يقول تعالى: ﴿قَلَ ﴾ للمشركين بالله اللّهِ اللّهِ نَا تَخْذُوا مِن دُونِه أَنْدَاداً يعبدونهم كما يعبدون الله، ويدعونهم كما يدعونه، ملزماً لهم بتصحيح ما زعموه واعتقدوه إن كانوا صادقين:

﴿ادعوا الذين زعمتم ﴾ آلهة من دون الله فانظروا هل ينفعونكم، أو

يدفعون عنكم الضر، فإنهم ﴿يملكون كشف الضرعنكم ﴾ من مرض، أو فقر، أو شدة، ونحو ذلك، فلا يدفعونه بالكلية، ﴿ولا ﴾ يملكون أيضاً تحويله من شخص إلى آخر، ومن شدة إلى ما دونها.

فإذا كانوا بهذه الصفة فلأي: شيء تدعونهم من دون الله؟ فإنهم لا كمال لهم، ولا فعال نافعة، فاتخاذهم نقص في الدين والعقل، وسفه في الرأي.

ومن العجب، أن السفه عند الاعتياد والممارسة، وتلقيه عن الآباء الضالين بالقبول، يراه صاحبه هو الرأي: السديد، والعقل المفيد.

ويرى إخلاص الدين لله الواحد الأحد، الكامل المنعم بجميع النعم الظاهرة والباطنة، هو السفه، والأمر المتعجب منه، كما قال المشركون: ﴿ أَجِعلُ الآلَهةَ إِلَها وَاحداً إِنْ هذا لشيء عجاب﴾.

ثم أخبر أيضاً، أن الذين يعبدونهم من دون الله، في شغل شاغل عنهم، باهتمامهم بالافتقار إلى الله، وابتغاء الوسيلة إليه، فقال:

﴿أُولْتُكُ الذين يدعون من الأنبياء والصالحين والملائكة ﴿يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب أي: يتنافسون في القرب من ربهم، ويبذلون ما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة المقربة إلى الله تعالى وإلى رحمته، ويخافون عذابه، فيجتنبون كل ما يوصل إلى العذاب.

﴿إِن عذاب ربك كان محذوراً﴾ أي : هو الذي ينبغي شدة الحذر منه والتوقي من أسبابه .

وهذه الأصور الشلاشة، الخوف والرجاء والمحبة، التي وصف الله بها هؤلاء المقربين عنده، هي الأصل والمادة في كل خير.

فمن تمت له، تمت له أموره، وإذا خلا القلب منها، ترحلت عنه الخيرات، وأحاطت به الشرور.

وعلامة المحبة ما ذكره الله، أن يجتهد العبد في كل عمل يقربه إلى الله وينافس في قربه بإخلاص الأعمال

كلها لله، والنصح فيها، وإيقاعها على أكمل الوجوه المقدور عليها، فمن زعم أنه يجب الله بغير ذلك، فهو كاذب.

﴿ ٥ - ٠٠ ﴾ ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً \* وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملمونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً ﴾ يذكر تعالى رحمته بعدم إنزاله الآيات التي يقترح بها للكذبون، وأنه ما منعه أن يرسلها إلا خوف من تكذيبهم لها، فإذا كذبوا بها، عاجلهم العقاب، وحل بهم من غير تأخير، كما فعل بالأولين الذين كذبوا

ومن أعظم الآيات، الآية التي ومن أعظم الآيات، الآية التي أرسلها الله إلى شمود، وهي الناقة العظيمة الباهرة، التي كانت تصدر كنبوا بها، فأصابهم ما قص الله علينا الكيات الكبار لم يؤمنوا، فإنه ما منعهم من الإيمان خفاء ما جاء به الرسول واشتباهه، هل هو حق أو باطل؟ فإنه صحة ما جاء به، الموجب لهداية من طلب الهداية، فغيرها مثلها، فلا بد أن طلب للهداية، فغيرها مثلها، فلا بد أن يسلكوا بها ما سلكوا بغيرها، فترك يسلكوا بها ما سلكوا بغيرها، فترك

وقوله: ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾ أي: لم يكن القصد بها أن تكون داعية وموجبة للإيمان، الذي

لا يحصل إلا بها، بل القصود منها التخويف والترهيب، ليرتدعوا عن ما هم عليه.

﴿ وإذ قلناك إن ربك أحاط بالناس الله علماً وقدرة، فليس لهم ملجاً يلجؤون إليه، ولا ملاذ يلوذون به عنه، وهذا كاف لمن له عقل في الانكفاف عما يكرهه الله الذي أحاط بالناس.

﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة﴾ أكثر المفسرين على أنها في ليلة الإسراء.

﴿والشجرة الملعونة﴾ التي ذكرت ﴿في القرآن﴾ وهي شجرة الزقوم، التي تنبت في أصل الجحيم.

والمعنى، إذا كان هذان الأمران، قد صارا فتنة للناس حتى استلج الكفار بكفرهم، وازداد شرهم، وبعض من كان إيمانه ضعيفاً، رجع عنه بسبب أن ما أخبرهم به من الأمور التي كانت ليلة الإسراء، ومن الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كان خارقاً للعادة.

والإخبار بوجود شجرة تنبت في أصل الجحيم أيضاً، من الخوارق، فهذا الذي أوجب لهم التكذيب، فكيف لو شاهدوا الآيات العظيمة والخوارق الجسيمة؟!!

أيس ذلك أولى أن يزداد بسببه شرهم؟! فلذلك رحهم الله وصرفها عنهم، ومن هنا تعلم أن عدم التصريح في الكتاب والسنة، بذكر الأمور العظيمة التي حدثت في الأزمنة التأخرة، أولى وأحسن، لأن الأمور التي لم يشاهد الناس لها نظيراً، ربما لا تقبلها عقولهم لو أخبروا بها قبل وقوعها، فيكون ذلك ريباً في قلوب بعض المؤمنين، ومانعاً يمنع من لم يدخل الإسلام، ومنفراً عنه. بل ذكر الله ألفاظاً عامة، تتناول جميع ما يكون.

﴿ونخوفهم ﴾ بالآيات ﴿فما يزيدهم ﴾ التخويف ﴿إلا طغياناً كبيراً ﴾ وهذا أبلغ ما يكون في التملي بالشر ومحبته ، وبغض الخير وعدم

الانقياد له.

﴿٦١ \_ ٦٥ ﴿ وَإِذْ قَلْنَا لِلْمُلاتَكَةَ اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً \* قال أرأيتك هذا الذي كرمت على لئن أخَّرتن إلى يوم القيامة لأحتنِكنَّ ذريته إلاَّ قليلاً \* قال اذهب فمن تبعك منهم فإنّ جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً \* واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم ألشيطان إلاّ غروراً \* إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفي بربك وكيلاكه ينبه تبارك وتعالى عباده على شدة عداوة الشيطان، وحرصه على إضلالهم، وأنه لما خلق الله آدم، استكبر عن السجود له، و﴿قال﴾ متكبراً: ﴿أأسجد لمن خلقت طيناً﴾ أي: من طين، وبزعمه أنه خير منه، لأنه خلق من نار . وقد تقدم فساد هذا القياس الباطل من عدة أوجه.

فلما تبين لإبليس تفضيل الله لآدم ﴿قَالَ ﴾ مُخاطباً لله : ﴿أَرَأُيتِكُ هذا الذي كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته ﴾ أي: لأستأصلنهم بالإضلال، ولأغوينهم ﴿إلا قليلا) عرف الخبيث، أنه لا بدأن يكون منهم من يعاديه ويعصيه.

فقال الله له: ﴿ اذهب فمن تبعك منهم، واختارك على ربه ووليه الحق، ﴿ فَإِنَّ جَهِنُم جِزَارُكُم جِزاء موفوراً ﴾ أي: مدخراً لكم، موفراً جزاء على أعمالكم.

ثم أمره الله أن يفعل كل ما يقدر عليه من إضلالهم، فقال: ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك، ويدخل في هذا كل داع إلى المعصية.

﴿وأجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾ ويدخل فيه كل راكب وماش في معصية الله، فهو من خيل الشيطان

والمقصودأن الله ابتلي العباد بهذا العدو المبين، الداعسي لهم إلى معصية الله، بأقواله وأفعاله.

﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ وذلك شامل لكل معصية تعلقت بأموالهم وأولادهم، من منع الزكاة والكفارات والحقوق الواجبة، وعدم تأديب الأولاد وتربيتهم على الخير وتبرك الشر، وأخذ الأموال بغير حقها، أو وضعها بغير حقها، أو استعمال المكاسب الردية.

بل ذكر كثير من المفسرين، أنه يدخل في مشاركة الشيطان في الأموال والأولاد، ترك التسمية عند الطعام والشراب والجماع، وأنه إذا لم يسم الله في ذلك، شارك فيه الشيطان، كما ورد فيه الحديث.

﴿وعدهم﴾ الوعود(١) المزخرفة التي لا حقيقة لها، ولهذا قال: ﴿ومَّا يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ أي: باطلاً مضمحلاً، كأن يزين لهم المعاصي والعقائد الفاسدة، ويعدهم عليها الأجر، لأنهم يظنون أنهم على الحق، وقال تعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً ﴾ .

ولما أخبر عما يريد الشيطان أن يفعل بالعباد، وذكر ما يعتصم به من فتنته، وهو عبودية الله، والقيام بالإيمان والتوكل، فقال:

﴿إِنْ عِـبِادِي لِيسِ لِـكَ عِـلِيهِـم سلطان﴾ أي: تسلط وإغواء، بل اللهُ يدفع عنهم \_ بقيامهم بعبوديته \_ كل شر، ويحفظهم من الشيطان الرجيم، ويقوم بكفايتهم. ﴿وكفي بربك وكيلاً﴾ لمن توكل عليه، وأدى ما أمر

﴿ ٦٦ \_ ٦٩﴾ ﴿ ربِّكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيماً \* وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً \* أفأمنتم أن يخسف

• قَارُونُوا حِمَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۞ أَوْ حَلْقًا ثَمَا يَكُرُ فِي صُدُورِكُمُ فَسَيَقُولُونَ مَن مُسدُنَّا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوْلَ مَنَّ وَفَسَيْنَفِضُونَ ا إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَنَّىٰ هُوَّ قُلْ عَسَىٰۤ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۞ وَمَ دَمْعُوكُمْ فَتَسْتَحِينُونَ يَحَمْدِهِ وَيَطْتُونَ إِن لَيْنُتُمْ الْأَظَيلَا ۞ وَقُل لِعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَرُ إِنَّ ٱلشَّيْطُ لَ يَزَّعُ مُّنَّاهُ إِنَّ الشَّيْطُنِّ كَانَ لِلْإِسْكَنِ عَنْقًا تُبِينًا ۞ زَيُّكُو أَعَلَمُ بِكُورً إِنَّ يَشَأْيَرُ مَ حُمُمُ أَوَا لِيَشَأْيُعَ ذِبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿ وَرَبُّكَ أَعَلَمُ مِن فِي السَّكَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدُّ قُلُ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زُعَمْتُ مِينَ دُونِهِ فَلَا يَبْلِكُونَ كَشْفَ الشُّرِّعَنَكُرُ وَلَا غَرْبِيلًا ۞ أُوْلَيْكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْنَعُونَ إِلَىٰ رَبِّهِ مُٱلْوَسِيلَةَ أَيَّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْتَهُ وَيَحْمَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْـنُورًا @ وَلَمَانِ مِنْ فَنْكِيَّةٍ إِلَّا خَنْ مُعْلِكُوهَا قِبَلَ يَوْمِ الْقِيلَمَةِ أَوْ مُعَلَيْهُمُ عَلَاهُمُ شَكِيدُا كَانَ ذَلِكَ فِي ٱلْكِنْبِ مَسْتُطُورًا ﴿ OLDER IN LONGER

THE PROPERTY OF THE PARTY OF TH

بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ثم لا تجدوا لكم وكيلاً \* أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً ﴾ يذكر تعالى نعمته على العباد، بما سخر لهم من الفلك، والسفن والمراكب، وألهمهم كيفية صنعتها، وسخر لها البحر اللتطم، يحملها على ظهره، لينتفع العبادبها في الركوب والحمل للأمتعة والتجارة. وهذا من رحمته بعباده، فإنه لم يزل بهم رحيماً رؤوفاً، يؤتيهم من كل ما تعلقت به إرادتهم ومنافعهم.

ومن رحمته الدالة على أنه وحده المعبود دون ما سواه، أنهم إذا مسهم الضرفي البحر فخافوا من الهلاك لتراكم الأمواج، ضل عنهم ما كانوا يدعون من دون الله في حال الرخاء من الأحياء والأموات، فكأنهم لم يكونوا يدعونهم في وقت من الأوقات لعلمهم أنهم ضعفاء عاجزون عن كشف الضر، وصرخوا بدعوة فاطر الأرض والسماوات الذي تستغيث به فى شدائدها جميع المخلوقات، وأخلصوا له الدعاء والتضرع في هذه

فلماكشف الله عنهم الضر،

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُسِلَ الْآنِكِ الْآنَ كَذَبَ بِمَا الْوَلُونُ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُسِلَ الْآنِكِ الْآنَ كَذَبَ بِمَا الْوَلُونُ وَمَا مَسَلَمَ الْمَاكِ الْآنَ كَذَبَ بِمَا الْوَلُونُ وَمَا مَسْلَمَ الْمَاكِ الْآنِ الْمَاكِلُولِ الْمَاكِ الْآنِ الْمَاكِ الْآنِ الْمَاكِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلِي اللَّهُ الْمُعْلِى الْمُعْلِيلُ اللَّهُ الْمُعْلِى اللَّهُ الْمُعْلِى الْمُعْلِيلُ اللَّهِ اللَّهُ الْمُعْلِى اللَّهُ الْمُعْلِى الْمُعْلِيلُ اللَّهُ الْمُعْلِى الْمُعْلِى اللَّهُ الْمُعْلِى اللَّهُ الْمُعْلِى الْمُعْلِيلُ اللَّهُ الْمُعْلِى الْمُعْلِى اللَّهُ الْمُعْلِى اللَّهُ الْمُعْلِى الْمُعْلِى اللَّهُ الْمُعْلِى الْمُعْلِى اللَّهُ الْمُعْلِى اللَّهُ الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى اللَّهِ الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى اللَّهُ الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى اللَّهُ الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى اللَّهُ الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى اللَّهُ الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِيلُولُولِ الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِيلُ الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْ

ونجاهم إلى البر، نسوا ما كانوا يدعون إليه من قبل وأشركوا به، من لا ينفع ولا يضر، ولا يعطي ولا يمنع، وأعرضوا عن الإخلاص لربيم وهذا من جهل الإنسان وكفره، فإن الإنسان كفور للنعم، إلا السليم، واهتدى إلى الصراط المستقيم، السليم، واهتدى إلى الصراط المستقيم، فإنه يعلم، أن الذي يكشف الشدائد، أن يفرد وتخلص له سائر الأعمال، في اليسر والعسر.

TOWN TONDER

وأما من خذل، ووكل إلى عقله الضعيف، فإنه لم يلحظ وقت الشدة إلا مصلحته الحاضرة، وإنجاءه في تلك الحال.

فلما حصلت له النجاة، وزالت عنه المشقة، ظن بجهله أنه قد أعجز الله، ولم يخطر بقلبه شيء من العواقب الدنوية، فضلاً عن أمور الآخرة.

ولهذا ذكرهم الله ذلك بقوله: ﴿ أَنَامَنتُم أَن يُحْسف بِكُم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ﴾ أي: فهو على كل شيء قدير، إن شاء أنزل عليكم عذاباً، من أسفل منكم بالخسف، أو من فوقكم بالحاصب، وهو العذاب الذي يحصبهم، فيصبحوا هالكين، فلا تظنوا أن الهلاك لا يكون إلا في

البحر. وإن ظننتم ذلك، فأنتم آمنون (١) من ﴿أن يعيدكم﴾ في البحر ﴿تارة أخرى فيرسل عليم قاصفاً من الريح﴾ أي: ريحاً شديدة جداً تقصف ما أتت عليه.

﴿ فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً ﴾ أي: تبعة ومطالبة، فإن الله لم يظلمكم مثقال ذرة.

﴿٧٠﴾ ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير بمن خلقنا تفضيلا وهذا من كرمه عليهم وإحسانه، الذي لا يقادر قدره، حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعلم والعقل، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة.

وحملناهم في البرك على الركاب، من الإبل، والبخال، والحمير، والمراكب البرية. ﴿وَ فِي ﴿البحر ﴾ في السفن والمراكب ﴿ورزقناهم من الملك والمشارب، والمناكح. فما من طيب تتعلق به حواتجهم، إلا وقد أكرمهم الله به، ويسره لهم غاية التسير.

﴿وفضلناهم على كثير بمن خلقنا تفضيلاً بما خصهم به من المناقب، وفضلهم به من الفضائل، التي ليست لغيرهم من أنواع المخلوقات.

أفلا يقومون بشكر من أولى النعم ودفع النقم، ولا تحجبهم النعم عن المنعم فيشتغلوا بها عن عبادة ربهم، بل ربما استعانوا بها على معاصيه.

﴿٧١ ـ ٧٧﴾ ﴿يبوم ندعوا كل أناس بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم ولا يظلمون

فتيلاً \* ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً يخبر تعالى عن حال الخلق يوم القيامة، وأنه يدعو كل أناس، معهم إمامهم وهاديمم إلى الرشد، وهم الرسل ونوابهم، فتعرض كل أمة، ويحضرها رسولهم الذي دعاهم، وتعرض أعمالهم على الكتاب الذي يدعو إليه الرسول، هل هي موافقة له أم لا؟ فينقسمون بهذا قسمين:

﴿ فَمَن أُوتِي كتابه بيمينه ﴾ لكونه اتبع إمامه ، الهادي إلى صراط مستقيم ، واهتدى بكتابه ، فكثرت حسناته ، وقلت سيئاته ﴿ فأولئك يقرأون كتابهم ﴾ قراءة سرور وبهجة ، على ما يرون فيها عما يفرحهم ويسرهم .

﴿ولا يظلمون فتيلاً﴾ مما عملوه من الحسنات.

﴿ومسن كسان في هسنه ﴾ السدنيا ﴿أعمى ﴾ عن الحق فلم يقبله، ولم ينقد له، بل اتبع الضلال. ﴿فهو في الآخرة أعمى ﴾ عن سلوك طريق الجنة كما لم يسلكه في الدنيا، ﴿وأضل سبيلا﴾ فإن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان.

وفي هذه الآية دليل على أن كل أمة تدعى إلى دينها وكتابها، وهل عملت به أم لا؟

وأنهم لا يؤخذون بشرع نبي لم يؤمروا باتباعه، وأن الله لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه ومخالفته لها.

وأن أهل الخير، يعطون كتبهم بأيمانهم، ويحصل لهم من الفرح والسرور شيء عظيم، وأن أهل الشر بعكس ذلك، وأنهم لا يقدرون على قراءة كتبهم، من شدة غمهم وحزنهم وثبورهم.

الجزء الخامس عشر 🔾

﴿٧٧ ـ ٧٧﴾ ﴿وإن كــــــادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري عـلينـا غـيـره وإذاً لاتخـذوك خـليلاً \* ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً \* إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجدلك علينا نصيراً \* وإن كادوا ليستفرونك من الأرض ليخرجوك منها وإذأ لا يلبثون خلافك إلا قليلاً \* سنّة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلاً﴾ يذكر تعالى منته على رسوله محمد على وحفظه له من أعدائه الحريصين على فتنته بكل طريق، فقال: ﴿ وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا﴾ أي: قـد كـادوا لـك أمراً لم يدركوه، وتحيلوا لك، على أن تفتري على الله غير الذي أنزلنا إليك، فتجيء بما يوافق أهواءهم، وتدع ما أنزل الله

﴿وإِذاً ﴾ لمو فعملت ما يهموون ﴿لاتخذوك خليلا﴾ أي: حبيباً صفياً، أعز عليهم من أحبابهم، لما جبلك الله عليه من مكارم الأخلاق، ومحاسن الأداب، المحببة للقريب والبعيد، والصديق والعدو.

ولكن لتعلم أنهم لم يعادوك وينابذوك العداوة، إلا للحق الذي جشت به، لا لذاتك، كما قال الله تعالى: ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾.

﴿و﴾ مع هذا فـ ﴿لُولًا أَن ثبتناك﴾ على الحق، وامتننا عليك بعدم الإجابة لداعيهم، ﴿لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾ من كثرة المعالجة، ومحبتك لهدايتهم .

﴿إِذَا ﴾ لو ركنت إليهم بما يهوون ﴿ لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ﴾ أي: لأصبناك بعذاب مضاعف، في الدنيا والآخرة، وذلك لكمال نعمة الله عليك، وكمال

معرفتك .

﴿ ثُم لا تجدلك علينا نصيراً ﴾ ينقذك مما يحل بك من العذاب، ولكن الله تعالى عصمك من أسباب الشر، ومن البشر، فثبتك وهداك الصراط المستقيم، ولم تركن إليهم بوجه من الوجوه، فله عليك أتم نعمة وأبلغ

﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها، أي: من بغضهم لمقامك بين أظهرهم، قدكادوا أن يخرجوك من الأرض، ويجلوك منها.

ولو فعلوا ذلك، لم يلبثوا بعدك فيها إلا قليلاً، حتى تحل بهم العقوبة، كما هي سنة الله التي لا تحول ولا تبدل في جميع الأمم، كل أمة كذبت رسولها وأخرجته، عاجلها الله بالعقوبة.

ولما مكر به الذين كفروا وأخرجوه، لم يلبثوا إلا قليلاً، حتى أوقع الله بهم ب «بدر» وقتل صنادیدهم، وفض بيضتهم، فله الحمد.

وفي هذه الآيات، دليل على شدة افتقار العبد إلى تثبيت الله إياه، وأنه ينبغى له أن لا يزال متملقاً لربه، أن يثبته على الإيمان، ساعياً في كل سبب موصل إلى ذلك، لأن النبي ﷺ وهو أكمل الخلق، قال الله له:

﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً فكيف بغيره؟!! وفيها تذكير الله لرسوله مِنَّته عليه، وعصمته من الشر، فدل ذلك على أن الله يحب من عباده أن يتفطنوا لإنعامه عليهم اعند وجود أسباب الشر \_بالعصمة منه، والثبات على الإيمان.

وفيها: أنه بحسب علو مرتبة العبد، وتواتر النعم عليه من الله يعظم إثمه، ويتضاعف جرمه، إذا فعل ما يلام عليه، لأن الله ذكر رسوله لو فعل ـ وحاشاه من ذلك ـ بقوله:

STATES WESTERN وَإِذَا سَتَكُو ٱلصُّرُ فِي ٱلْبَحْرِضَلَ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَٱبْخَيَّا إِلَى ٱلْبَرِ أَعْضَتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَانُ كَعُورًا ۞ أَفَأَمِنتُ مَأَن يخييف بكرجاب الترأؤرس لعليك محد عاصب المكر لَاغِدُواْلَكُرُوَكِيلًا ۞ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيوِتَارَةً أُخْرَىٰ فَيْرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقِكُمْ عَا كَفَرْتُذُنْدُ لَا يَحِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِعِينِيعًا ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ٱلْبَرُواَ لَبَحْرِوَ وَوَفَتْهُمُونَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمُ عَلَى كَثِيرِ عَنَ خَلَقْنَا ٱلقَّضِيلًا ۞ يَوْمَ نَدْعُواكُلُ أَنَاسٍ بإمَلِيهِمْ فَنَ أُوتِي كِنَبَهُ بِعِينِهِ فَأَوْلَكَ يَغْرَءُونَ كِتَبَعُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَيَلًا ۞ وَمَن كَانَ فِي هَلذِهِ وَأَعْرَافَهُوَ فِي ٱلْآخِرَ وَأَعْرَى وَأَصَلُّ سَبِيلًا ۞ وَإِذْ كَادُوا لَيَفْنِئُونِكَ عَنِ ٱلَّذِيَّ أَوْحَيْنَ إِلَيْكَ لِنَفْتَرِي عَلَيْتَ عَنْكُمْ وَلِذَا لَاَ تَحَدُّولَ خَلِيكُ ﴿ وَلَوْلَا أَن ثَبَنْنَكَ لَقَدْ كِنتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِ رَشَيْنَا قَلِيلًا ۞ إِذَا لَّأَذَ قُتُكَ مِنعَفَ ٱلْحَيَوْةِ وَضِعْفَ لَلْمَاتِ ثُوَّلَا يَحِدُلُكَ عَلَيْنَ انْصِيرًا ۞ OLD TOLOW DO DO DO

﴿إِذَا لأَذْقِنَاكُ ضِعِفُ الحِياةِ وضِعِف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً♦.

وفيها: أن الله إذا أراد إهلاك أمة، تضاعف جرمها، وعظم وكبر، فيحق عليها القول من الله، فيوقع بها العقاب، كما هي سنته في الأمم إذا أخرجوا رسولهم.

﴿٧٨ ـ ٨١) ﴿أَقِم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهوداً \* ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً \* وقل ربّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً \* وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾ يأمر تعالى نبيه محمداً ﷺ بإقامة الصلاة تامة، ظاهراً وباطناً، في أوقاتها، ﴿لللوك الشمس﴾ أي: ميلانها إلى الأفق الغربي بعد الزوال، فيدخل في ذلك صلاة الظهر وصلاة

﴿إِلَى غسق الليل ﴾ أي: ظلمته، فدخل في ذلك صلاة المغرب وصلاة العشاء. ﴿وقرآنِ الفجرِ ﴾ أي: صلاة الفجر، وسميت قرآناً، لمشروعية إطالة القراءة فيها أطول من غيرها، ولفضل القراءة حيث يشهدها الله، وملائكة

وَإِن كَادُواْ لِيَسْتَفِزُُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُحْرِجُوكَ مِنْهَ وَلِذَا لَا يَلْبَتُونَ خِلَفَكَ إِلَّاقِلِيلًا ۞ شُنَّةً مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَتَكَ مِن دُسُلِنَ أَوَلَا يَحِدُ لِسُنَيْنَا تَعَمِّيلًا ۞ أَمِرَالُسَاؤَةًا إِلَيْ لِدُلُولِكِ الشَّمَيْنِ إِلَى عَسَى الَّيْلِ وَقُرْوَاتِ الْفَحِدُّ إِنَّ قُرَّالَ ٱلْفَجْرِكَانَ مَشْهُودًا ﴿ وَمِنَ الْيُلْفَنَهَ جَدْ مِدِ اَفِلَةً لَكَ عَسَى أَن يَبْعَثُكَ رَبُّكِ مَقَامًا مُّحْمُودًا اللهِ وَقُل زَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقِ وَأَخْرِجْنِي مُخْزَعَ صِدْقِ وَلْجَعَل لِي مِن لَدُنكَ سُلْطُنَانَصِيرًا ۞ وَقُلْ حِكَاءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ۗ ٱلْنَطِلُ إِنَّ ٱلْنَطِلَكَ انَّ زَهُوقًا ﴿ وَتُنَزِّلُ مِنَ الْقُرَّانِ مَاهُوَشِفَلَةُ وَرَرْحَةً لِلْتُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّلِلِينَ إِلَّاخَسَارًا ﴿ وَإِذَا أَنْعَنْنَاعَلَ ٱلْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَعَا يَعَانِيقِ وَإِذَا مَسَهُ ٱلثَّرُكَانَ يَعُوسًا ﴿ قُلْكُلُ يَعْمَلُ عَلَى شَا كِلْنِهِ وَوَهُو أَعْلَرُ بِمَنْ هُوَأَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿ وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِدَ فِي وَمَّا أُوتِيتُ مِينَ ٱلْعِلْمِ الْافِلْيلاق وَلَين شِفْنَا لَنَدْهَبَنَّ بِالَّذِيَّ أَوْجَيَّنَّ إِلَيْكَ ثُولًا يَجِدُلُكَ بِعِدِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ۞ TOURSE WITH MEDICAL OF THE PROPERTY OF THE PRO

الليل وملائكة النهار .

ففي هذه الآية، ذكر الأوقات الخمسة، للصلوات المكتوبات، وأن الصلوات الموقعة فيها فرائض، لتخصيصها بالأمر.

وفيها: أن الوقت شرط لصحة الصلاة، وأنه سبب لوجوبها، لأن الله أمر بإقامتها لهذه الأوقات.

وأن النظهر والعصر يجمعان، والمغرب والعشاء كذلك، للعذر، لأن الله جمع وقتهما جمعاً.

وفيه: فضيلة صلاة الفجر، وفضيلة إطالة القراءة فيها، وأن القراءة فيها ركن، لأن العبادة إذا سميت ببعض أجزائها، دل على فرضية ذلك.

وقوله: ﴿ومن الليل فتهجد به﴾
أي: صل به في سائر أوقاته. ﴿فافلة لك﴾ أي: لتكون صلاة الليل زيادة لك في علو القدر، ورفع الدرجات، بخلاف غيرك، فإنها تكون كفارة

ويحتمل أن يكون المعنى: أن الصلوات الخمس فرض عليك وعلى المؤمنين، بخلاف صلاة الليل، فإنها فرض عليك بالخصوص، لكرامتك على الله، أن جعل وظيفتك أكثر من

غيرك، وليكثر ثوابك، وتنال بذلك المقام المحمود، وهو المقام الذي يحمده فيه الأولون والآخرون، مقام الشفاعة العظمى، حين يستشفع الخلائق بآدم، ثم بنوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، وكلهم يعتذر ويتأخر عنها، حتى يستشفعوا بسيد ولد آدم، ليريحهم الله من هم الموقف وكربه، فيشفع عند ربه فيشفعه، ويقيمه مقاماً يغبطه به الأولون والآخرون، وتكون له المنة على جميع الحلق.

وقوله: ﴿وقل رَبِ أَدَخَلَتْيَ مَدَخَلَ صَدَقَ وأَخْرِجِنِي مُخْرِجِ صَدَقَ﴾ أي: اجعل مداخلي ومخارجي كلها في طاعتك وعلى مرضاتك، وذلك لتضمنها الإخلاص وموافقة الأمر. ﴿واجعل لي من لدنك سلطاناً

روبيان على المادة المردة، وبرهاناً تصيراً ﴾ أي: حجة ظاهرة، وبرهاناً قاطعاً على جميع ما آتيه وأذره.

وهذا أعلى حالة ينزلها الله العبد، أن تكون أحواله كلها خيراً، ومقربة له إلى ربه، وأن يكون له على كل حالة من أحواله دليلاً ظاهراً، وذلك متضمن للعلم النافع، والعمل الصالح، للعلم بالمسائل والدلائل.

وقوله: ﴿وَقُلْ جَاء الْحَقُ وَرَهُقُ الْبِاطِلِ وَالْحَقِ هُو مِا أُوحاهُ الله إلى رسوله محمد ﷺ ، فأمره الله أن يقول ويعلن، قد جاء الحق الذي لا يقوم له شيء، وزهق الباطل أي: أضمحل متلاد

﴿إِنَّ الباطل كان زهوقاً ﴾ أي: هذا وصف الباطل، ولكنه قد يكون له صولة وروجان إذا لم يقابله الحق، فعند عجيء الحق يضمحل الباطل، فلا يبقى امداله

ولهذا لا يروج الباطل إلا في الأزمان والأمكنة الخالية من العلم بيات الله وبيناته.

﴿ ٨٢﴾ وقوله: ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ﴾ فالقرآن مشتمل على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل

أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به، المسلمة بن به، المسدقين بآياته، العالمين به، وأما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خساراً، إذ به تقوم عليهم الججة، فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب، من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيتىء، والقصود السنة (١).

فإنه مشتمل على العلم اليقيني، الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير، الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، ولشفاء الأبدان من الامها وأسقامها.

وأما الرحمة، فإن ما فيه من الأسباب والوسائل التي يحث عليها، متى فعلها العبد فاز بالرحمة والسعادة الأبدية، والثواب العاجل والآجل.

﴿ ﴿ ﴿ ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانَ أَعْرَضُ وَنَأَى بِجَانِيهِ وَإِذَا مِسْهُ الشركانُ يُووساً ﴾ هذه طبيعة الإنسان من حيث هو، إلا من هذاه الله، فإن الإنسان عند إنعام الله عليه \_يفرح بالنعم ويبطر بها، ويعرض وينأى بجانبه عن ربه، فلا يشكره ولا يذكره.

﴿وَإِذَا مِسهُ الشر﴾ كالمرض ونحوه ﴿كان يؤساً﴾ من الخير، قد قطع عن ربه رجاءه، وظن أن ما هو فيه دائم أبداً.

وأما من هداه الله، فإنه عند النعم يخضع لربه، ويشكر نعمته، وعند النضراء يتضرع، ويرجو من الله عافيته، وإزالة ما وقع فيه، وبذلك يخف عليه البلاء.

﴿ ٨٤﴾ ﴿ قُل كُلُّ يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا﴾ أي: ﴿ قُل كُل ﴾ من الناس ﴿ يعمل على شاكلته ﴾ أي: على ما يليل به من الأحوال، إن كان من الصفوة الأبرار، لم يشاكلهم إلا عملهم لرب العالمين. ومن كان من غيرهم من المخلولين، لم يناسبهم إلا العمل للمخلولين، ولم

\_\_\_\_\_

يوافقهم إلا ما وافق أغراضهم.

﴿فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا﴾ فيعلم من يصلح للهداية،

سبيلا في فيعلم من يصلح للهداية ، فيهديه ، ومن لا يصلح لها فيخذله ولا يهديه .

﴿ ٨٥﴾ ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ وهذا متضمن لردع من يسأل المسائل، التي لا يقصد بها إلا المعنت والتعجيز، ويدع السؤال عن المهم، فيسألون عن الروح التي هي من الأمور الخفية، التي لا يتقن وصفها وكيفيتها كل أحد، وهم قاصرون في العلم الذي يحتاج إليه العباد.

ولهذا أمر الله رسوله أن يجيب سوالهم بقوله: ﴿قُلُ الروح من أمر رب الله الله الله أمرها أن تكون فكانت، فليس في السؤال عنها كبير فائدة، مع عدم علمكم بغيرها.

وفي هذه الآية دليل على أن المسؤول إذا سئل عن أمر، الأولى بالسائل غيره أن يعرض عن جوابه، ويدله على ما يحتاج إليه، ويرشده إلى ما ينفعه.

﴿ ٨ - ٨٨ ﴿ ﴿ وَلَنْ شَنْنَا لَنَدْهَبِنَ بِاللَّذِي أُوحِينَا إليك ثم لا تجدلك به علينا وكيلاً \* إلا رحمةً من ربك إنّ فضله كان عليك كبيراً ﴾ يخبر تعالى أن القرارة والوحي الذي أوحاه إلى رسوله، رحمة منه عليه وعلى عباده، وهو أكبر النعم على الإطلاق على رسوله، فإن فضل الله عليه كبير، لا يقادر قدره.

فالذي تفضل به عليك، قادر على أن يذهب به، ثم لا تجد راداً يرده، ولا وكيلاً يتوجه عند الله فيه.

فَلْتَغْتبِطْ به، وتقرَّ به عينك، ولا يحزنك تكذيب المكذبين، واستهزاء الضالين، فإنهم عرضت عليهم أجلُ النعم، فردوها لهوانهم على الله وخذلانه لهم.

﴿٨٨﴾ ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴿ وهذا دليل قاطع، وبرهان ساطع، على صحة ما جاء به الرسول وصدقه، حيث تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله، وأخبر أنهم لا يأتون بمثله، ولو تعاونوا كلهم على ذلك لم يقدروا عليه.

ووقع كما أخبر الله، فإن دواعي أعدائه المكذبين به، متوفرة على رد ما جاء به بأي: وجه كان، وهم أهل اللسان والفصاحة، فلو كان عندهم أدنى تأهل وتمكن من ذلك لفعلوه.

فعلم بذلك، أنهم أذعنوا غاية الإذعان، طوعاً وكرهاً، وعجزوا عن معارضته.

وكيف يقدر المخلوق من تراب، الناقص من جميع الوجوه، الذي ليس له علم ولا قدرة ولا إرادة ولا مشيئة ولا كلام ولا كمال إلا من ربه، أن يسعسارض كسلام رب الأرض والسماوات، المطلع على سائر والحمد المطلق، والمجد العظيم، الذي لو أن البحر يمده من بعده سبعة أبحر مداداً، والأشجار كلها أقلام، لنفد المداد، وفنيت الأقلام، ولم تنفد كلمات الله.

فكما أنه ليس أحد من المخلوقين عمائلاً لله في أوصافه فكلامه من أوصافه، التي لا يماثله فيها أحد، فليس كمثله شيء، في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله تبارك وتعالى.

فتباً لمن اشتبه عليه كلام الخالق بكلام المخلوق، وزعم أن محمداً ﷺ افتراه على الله واختلقه من نفسه.

اً الَّادَمْةُ مِن زَمَكُ إِنَ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ۞ إِلَّا قُل لَّين ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَآنِينُ عَلَىٓ أَن يَأْتُواْ بِعْلِ هَٰذَا ٱلْقُرَانِ لَا يَأْتُونَ عِثْلِهِ وَلَوْكَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ ظَهِيرًا ۞ وَلَقَدْ صَرِّفَالِلْنَاسِ فِ هَلَا ٱلْفُرْءَانِ مِن كُلِّمَثَلِ فَأَيْرَأَ حِينَ ٱلنَّاسِ إِلَّاكُ عُورًا ۞ وَقَالُواْ لَن نَّوْمِنَ لَكَّ حَتَّى مَفْجُرٌ لَنَامِنَ ٱلْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۞ أَوْتَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِن نَخِيلِ وَعِنَبِ فَفُوَجَرَا لَأَنْهَا رَخِلَالُهَا نَفْجِيرًا ۞ أَوْتُسْفِطَ ٱلسَّمَّاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَاكِسَفًا أَوْتَأْتِي بَاللَّهِ وَٱلْلَّيْهِكَةِ فِيلًا ۞ أَوْبَكُونَ لَكَ يَمْتُ مِن ذُخْرُفِ أَوْتَرْقَ فِي الْمَسَمَّآءِ وَلَن نُؤُيرِ ﴾ ( قَيْكَ حَتَىٰ تُنَزَلَ عَلَيْكَ كَيْبَ الْفَرْؤُهُ وَلَا سُجْعَانَ رَبِّ هَلْكُنتُ إِلَّابْشَرَارَسُولًا ۞ وَمَامَّنعَ ٱلنَّاصَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَآءَ هُوُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُواْ أَبْعَثُ اللَّهُ بَشَرًا الرَّسُولَا ۞ قُللَّوَكَا نَ فِي ٱلأَرْضِ مَلَيَّكُمُّ يُمَشُونَ مُطْمَيِنِينَ النَّذَافَ عَلَيْهِ وَمِنَ السَّكَّاءِ مَلَكًا زَمُولًا ۞ قُلْكَ فَإِلَّهُ وَ إِنَّ شَهِيدُائِينِ وَيَنْكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِكَادِهِ خَيِرُابِصِيرًا ۞ 

﴿٨٩ \_ ٩٦ ﴾ ﴿ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبي أكثر النَّاسِ إلاَّ كفوراً \* وقالوا لن نؤمن لك حتّى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً \* أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً \* أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً \* أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً \* وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً \* قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً ۞ قل كفي بالله شهيداً بيني وبينكم إنّه كان بعباده خبيراً بصيراً ﴾ يقول تعالى: ﴿ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل > أى: نوعنا فيه المواعظ والأمثال، وثنينا فيه المعاني التي يضطر إليها العباد، لأجل أن يتذكّروا ويتقوا، فلم يتذكر إلا القليل منهم، الذين سبقت لهم من الله سابقة السعادة، وأعانهم الله بتوفيقه، وأما أكثر الناس فأبوا إلا كفوراً لهذه النعمة التي هي أكبر من

وَمَن بَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ لَلْهُ مَّدِّ وَمَن يُضِلِّلْ ظَن يَجِدَ لَكُمْ أَوْلِيآ ا مِن دُونِيِّ وَنَحْشُرُهُ مِي وَمَ ٱلْفِينَا عَلَى وُجُوهِ بِهِ مُحْسِبًا وَيُكَمَّا وَصُمَّأُ مَّا وَنَهُمْ جَهَا مُرَّكُمُ لَّا خَتْ زِدْ نَهُمْ سَعِيرًا ۞ ذَلِكَ جَزَّا وَهُم بِأَنَّهُ مُ كُفَّرُوا بِعَا يُنِينَا وَقَالُواْ أَهِ ذَاكْنَا عِظْلُمَا وَرُفَكًا أَءِنَّا لَبُعُوثُونَ خَلْقَاجِدِيدًا۞ • أَوَلَوْبَرُوۤا أَنَ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَوَيْتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرُعَكَ ٓ أَن يَعْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَمُنْدَأُجَلًا لَّإِرْبَ فِيهِ فَأَنِّي الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ۗ ۞ قُللَّوْأَنْتُهُ تَمَلِكُونَ خَلَّانِ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذَا لَأَمْسَكَتُهُ خَشِّيَةً ٱلْإِنفَ لِيُّ وَكَانَ ٱلْإِنكُنُ قَنُورًا ۞ وَلَقَدْ مَالَيْنَا مُوسَىٰ يَسْعَ ۗ النَّتِ بَيْنَكُ مِ فَسْتُلْ بَيْ إِسْرَةِ بِلَ إِذْ جَآهَ هُرْفَقَالَ لَهُ فِرْعَوْثُ إِنِّي لَأَغْلَنُكَ يَنْمُوسَىٰ مَسْحُوزًا ۞ قَالَ لَهَا ـُد عَلِمْتَ مَآ أَنْلُ هَنُولآ إِلَّارَبُ ٱلسَّمَوٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآ إِرَ وَانِّ لَأَظُنُّكَ يَكَفِرْعَوْنُ مَثَّبُورًا ۞ فَأَرْادَ أَن يَسْتَفِزُهُ رِبِّ ٱلْأَرْضِ فَأَغَرَّقْنَهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ۞ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِمِدِلِيَى إِسْرَةِ بِلَأَسْكُمُوا ٱلأَرْضَ فَإِذَا جَلَّة وَعُدُ ٱلْآخِزَةِ جِنَّا كُرُ لِفِيفًا ۞ TOLOGOU WEDDER

جميع النعم، وجعلوا يتعنتون عليه [باقتراح](١) آيات غير آياته، يخترعونها من تلقاء أنفسهم الظالمة الجاهلة.

فيقولون لرسول الله ﷺ الذي أتى بهذا القرآن المستمل على كل برهان وآية: ﴿لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ أي: أنهاراً جارية.

﴿أو تكون لك جنة من نخيل وعنب﴾ فتستغني بها عن المشي في الأسواق والذهاب والمجيء.

﴿أُو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ﴾ أي: قطعاً من العذاب، ﴿أُو تأتي بالله والملائكة قبيلاً ﴾ أي: جميعاً، أو مقابلة ومعاينة، يشهدون لك بما جئت به.

﴿ أُو يكون لك بيت من زخرف ﴾ أي: مزخرف بالذهب وغيره ﴿ أُو ترقى في السماء ﴾ رقياً حسياً، ﴿ و ﴾ مع هذا ف ﴿ لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه ﴾ .

ولما كانت هذه تعنتات وتعجيزات، وكلام أسفه الناس وأظلمهم، المتضمنة لرد الحق وسوء الأدب مع الله، وأن الرسول في هو الذي يأتي بالآيات، أمره الله أن ينزهه فقال: ﴿قل سبحان ربي عما تقولون علواً كبيراً، وسبحانه أن تكون أحكامه وآياته تابعة لأهوائهم الفاسدة، وآرائهم الضالة.

﴿هل كنت إلا بشراً رسولاً ﴾ ليس بيدي شيء من الأمر .

وهذا السبب الذي منع أكثر الناس من الإيمان، حيث كانت الرسل التي ترسل إليهم من جنسهم بشراً.

وهذا من رحمته بهم، أن أرسل إليهم بشراً منهم، فإنهم لا يطيقون التلقي من الملائكة.

فلو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين يثبتون على رؤية الملائكة والتلقي عنهم، ولنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً ليمكنهم التلقي عنه.

﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ﴾ فمن شهادته لرسوله ما أيده به من المعجزات، وما أنزله عليه من الآيات، ونصره على من عاداه وناوأه.

فلو تقوَّل عليه بعض الأقاويل، لأخذ منه باليمين، ثم لقطع منه الوتين، فإنه خبير بصير، لا تخفى عليه من أحوال العباد خافية.

﴿ ٩٧ \_ ١٠٠ ﴾ ﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميأ وبكمأ وصمأ مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً \* ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاماً ورُفاتاً أإنّا لمبعوثون خلقاً جديداً \* أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه فأبي الظالمون إلا كفوراً \* قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً﴾ يخبر تعالى أنه المنفرد بالهداية والإضلال، فمن يهده، فييسره لليسري ويجنبه العسري، فهو المهتدي على الحقيقة، ومن يضلله، فيخذله، ويكله إلى نفسه، فلا هادي له من دون الله، وليس له ولي ينصبره من عذاب الله، حين يحشرهم الله على وجوههم خزياً وإهانة، عمياً وبكماً،

لا يبصرون ولا ينطقون.

﴿مأواهم﴾ أي: مقرهم ودارهم ﴿جهنم﴾ التي جمعت كل هم وغم وعذاب.

﴿كلماخبت﴾ أي تهيأت للانطفاء ﴿زدناهم سعيراً﴾ أي: سعرناها بهم لا يُفتَّر عنهم العذاب، ولا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها، ولم يظلمهم الله تعالى، بل جازاهم بما كفروا بآياته وأنكروا البعث الذي أخبرت به الرسل ونطقت به الكتب وعجزوا ربهم وأنكروا تمام قدرته.

﴿وقالوا أإذا كنا عظاماً ورُفاتاً أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾ أي: لا يكون هذا لأنه في غاية البعد عند عقولهم الفاسدة.

﴿أُولَمْ يَسَرُوا أَنَّ اللهُ السَّذِي خَسَلَتُ السماوات والأرض﴾ وهي أكبر من خلق الناس . ﴿قادر على أَن يَخَلَقَ مثلهم﴾ بلى ، إنه على ذلك قدير .

﴿و﴾ لكنه قد ﴿جعل﴾ لذلك ﴿أجلاً لا ريب فيه﴾ ولا شك، وإلا فلو شاء لجاءهم به بغتة، ومع إقامته الحجج والأدلة على البعث.

﴿فأبي الظالمون إلا كفوراً ﴿ ظلماً منهم وافتراء.

﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي التي لا تنفد ولا تبيد. ﴿إِذَا لأمسكتم خشية الإنفاق ﴾ أي: خشية أن ينفد ما أنه من المحال أن تنفد خزائن الله، ولكن الإنسان مطبوع على الشع والبخل.

﴿ ١٠١ \_ ١٠١﴾ ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذا جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً \* قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك با فرعون مثبوراً \* فأراد أن يستفزهم

من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعاً « وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً ﴾ أي: لست أيها الرسول المؤيد بالآيات، أول رسول كذبه الناس، فلقد أرسلنا قبلك موسى بن عمران الكليم، إلى فرعون وقومه، وآتيناه خرتسع آيات بينات ﴾ كل واحدة منها تكفي لمن قصده اتباع الحق، كالحية، والعصا، والطوفان، والجراد، ولقمل، والضفادع، والدم، والرجز،

فإن شككت في شيء من ذلك ﴿فاسال بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون﴾ مع هذه الآيات ﴿إني لأظنك يا موسى مسحوراً﴾ .

فرقال له موسى (لقد علمت)
 يا فرعون (ما أنزل هؤلاء له الآيات
 إلا رب السموات والأرض بصائر له منه لعباده، فليس قولك هذا بالحقيقة، وإنما قلت ذلك ترويجاً على قومك، واستخفافاً لهم.

﴿ وَإِنِ لِأَظْنَكَ يَا فَرَعُونَ مُثْبُوراً ﴾ أي: محقوتاً، ملقى في العذاب، لك الويل والذم واللعنة.

﴿فأراد﴾ فرعون ﴿أن يستفزهم من الأرض﴾ أن: يجليهم ويخرجهم منها. ﴿فأغرقناه ومن معه جميعاً﴾ وأورثنا بني إسرائيل أرضهم وديارهم.

ولهذا قال: ﴿وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جثنا بكم لفيفاً﴾ أي: جميعاً، ليجازي كل عامل بعمله.

﴿ ١٠٥﴾ ﴿ وبالحق أنزلناه بالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً ﴾ أي: وبالحق أنزلنا هذا القرآن الكريم، لأمر العباد ونهيهم، وثوابهم وعقابهم، ﴿ وبالحق نزل ﴾ أي: بالصدق والعدل والحفظ من كل شيطان رجيم ﴿ وما أرسلناك إلا مبشراً ﴾ من أطاع الله

بالثواب العاجل والآجل ﴿ونذيراً﴾ عصى الله بالعقاب العاجل والآجل، ويلزم من ذلك بيان ما بشر به وأنذر.

﴿١٠٦ ـ ١٠٩﴾ ﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً \* قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا الملم من قبله إذا يتلى عليهم نجرون للأدقان سجداً \* فيقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لفعولاً \* ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً ﴾ أي: وأنزلنا هذا القرآن مفرقاً، فارقاً بين الهدى والضلال، والحق والباطل. ﴿لتقرأه على الناس على مكث ﴾ أي: على مهل، ليتدبروه ويتفكروا في معانيه، ويستخرجوا علومه.

﴿ونزلناه تنزيلاً﴾ أي: شيئاً فشيئاً، مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة.

﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً فإذ تبين أنه الحق، الذي لا شك فيه ولا ريب، بوجه من الوجوه فه:

﴿قـل﴾: لمن كمذب به وأعرض عنه: ﴿آمنوا به أو لا تومنوا ﴾ فليس شه حاجة فيكم، ولستم بضاريه شيئاً، وإنما ضرر ذلك عليكم، فإن شعباداً غيركم، وهم الذين أتاهم الله العلم النافع: ﴿إِذَا يَتِلَى عَلَيْهُم عَلَيْهُم عَلَيْهُم عَلَيْهُم النافع: ﴿إِذَا يَتِلَى عَلَيْهُم عَلَيْهُم النافع: ﴿إِذَا يَتِلَى عَلَيْهُم عَلَيْهُم عَلَيْهُم النَّاقُم : ﴿إِذَا يَتِلَى عَلَيْهُم عَلَيْهُم عَلَيْهُم النَّالُونُ وَ يَضْعُونُ لَه .

﴿ ويقولون سبحان ربنا ﴾ عما لا يبليق بجلاله، عما نسبه إليه المشركون. ﴿ إن كان وعد ربنا ﴾ بالبعث والجزاء بالأعمال ﴿ لمفعولا ﴾ لا خُلف فيه ولا شك.

﴿ويخــرُونُ لــلانقــانَ اي: عــلى وجوههم ﴿يبكون ويزيدهم القرآن ﴿خشوعاً ﴾ .

وهؤلاء كالذين مَنَّ الله عليهم من مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وغيره، بمن آمن (۱) في وقت النبي ﷺ، وبعد ذلك.

النظائفات المستخدم المستخدم المستخدم المستخدم المستخدم وتندير المستخدم وترافعة والمستخدم وترافعة وترافعة والمستخدم وترافعة وترافعة والمستخدم وترافعة وتراف

الله فيتما لِشُذِرَ بَأْسًا شَكِيمًا مِن لَدُنْهُ وَبَسِقُ رَالْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ

المُ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمُ أَجْرًا حَسَنًا ۞ مَلِكِينَ

عِيهِ أَبِنَا ۞ وَيُسَذِرُ الَّذِينَ عَالُوا الْخَنَدَ اللَّهُ وَلَـمَا ۞

TO LEAD WILLIAM SECTION ﴿ ١١٠ \_ ١١١﴾ ﴿ قَلْ ادعوا الله أو ادعوا الرَّحين أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسني ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك الملك ولم يكن له ولى من الدل وكبره تكبيراً ﴾ يقول تعالى لعباده: ﴿ ادعوا الله أو ادعوا الرحن اي أي: أيهما شئتم. ﴿ إِيَّا مَا تَدْعُوا فَلُهُ الْأُسْمَاءُ الحسني اي: ليس له اسم غير حسن، حتى ينهى عن دعائه به، بل أى: اسم دعوتموه به، حصل به القصود، والذي ينبغى أن يدعى في كل مطلوب، بما يناسب ذلك الاسم. ﴿ولا تجهر بصلاتك أي: قراءتك ﴿ولا تخافت بها﴾ فإن في كل من الأمرين محذوراً. أما الجهر، فإن المشركين المكذبين به إذا سمعوه سبُّوه،

وأما المخافقة، فإنه لا يحصل المقصود لمن أراد استماعه مع الإخفاء. 
﴿وابِسْغ بِين ذلك﴾ أي: بين الجهر والإخفات ﴿سبيلا﴾ أي: توسط فيما

وسبُّوا من جاء به .

﴿ وقل الحمد لله الذي ﴾ له الكمال والشناء والحمد والمجدمن جميع الوجوه، المنزه عن كل أفة ونقص.

مَّا لَمُدِيدِ مِنْ عِلْمِ وَلَا لِآبَ آبِهُ مْ كَبُرَتْ كَيْرَةُ مَا لَمَّةً تَخْدُمُ مِنْ أَفْوَهِهِمُّ إِن يَقُولُونَ إِلَّاكَذِبًا ۞ فَلَعَلَّكَ بَنْخِمُّ فَفَسكَ عَلَنَّ النَّزِهِمُ إِن لِّرَقُومِنُوا بِهَا ذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۞ إنَّا بحكنا ماعلى الأنض ذبكة لمكا لتشاكحه وأفع أفعر أخساء عَمَلًا ۞ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَاعَلَتُهَاصَعِيدًا جُرُولَ۞ أَمْرِ حَسِيْتَ أَنَّ أَصْحَلَ ٱلْكُفِفِ وَٱلَّقِيمِ كَاذُا مِنْ وَٱلنَّا عَبًّا ۞ إِذْ أَوَى ٱلْفِنْيَةُ إِلَّ ٱلْكُمْفِ فَقَالُواْرَيُّنَّا ءَايِّنَا مِن لَدُنكَ رَحْمَةً وَهَيَّ أَنْدَامِنْ أَمْرِيَا رَسْدَا ۞ فَضَرَّمْنَاعَلَ ٓ ءَاذَانِهِدْفِ ٱلْكُهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۞ ثُمَّ بَعَشْتُهُمُ لِنَعْلَمَ أَيُّ آنِي نِينِ أَحْصَىٰ لِمَا لِينُوا أَمَدًا ۞ غَنُ نَقُصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِأَلْحَقُّ إِنَّهُمُ فِينَةً عَامَنُواْ بَرِّيْهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدَى ﴿ وَرَبَّطْنَا عَلَ قُلُوبِهِمْ إِذْ فَسَامُواْ فَقَ الْوَارَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَنَ نَعْوَاٰ مِن دُونِهِ عِبَ إِلَهَا لَقَدْ قُلْتَ ٓ إِذَا شَطَطًا ۞ عَنُوٰ لَآ ۗ قَوْمُنَا ٱثَّخَـٰذُواْمِن دُونِيةٍ ، اللَّهِ أَنَّوْلَا إِلْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانِ بَيِّنَّ فَمَنْ أَظْلَرُمِ مِّن ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۞ TOWN THE WAR TO SEE THE SEE TH

﴿الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ، بل الملك كله ش المواحد القهار، فالعالم العلوي والسفلي، كلهم مملوكون ش، ليس لأحد من الملك شيء.

﴿ ولم يكن له ولي من الذل ﴾ أي: لا يتولى أحداً من خلقه ليتعزز به ويعاونه، فإنه الغني الحميد، الذي لا يحتاج إلى أحد من المخلوقات، في الأرض ولا في السماوات، ولكنه يتخذ أولياء إحساناً منه إليهم ورحة بهم

﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾.

﴿وكبره تكبيراً ﴾ أي: عظمه وأجله بالإخبار بأوصافه العظيمة، وبالثناء عليه، بأسمائه الحسنى، وبتمجيده بأفعاله المقدسة، وبتعظيمه وإجلاله بعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له.

تم تفسير سورة الإسراء ولله الحمد والمنة والثناء الحسن على يد جامعه عبد الرحن ابن ناصر بن عبد الله بن سعدي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين وصلى الله على محمد وسلم تسليماً وذلك في ٧ جمادي الأولى ١٣٤٤.

المجك الخامس من تيسير الكريم الرحمن من تفسير كلام المثنان لجامعه الشقير إلى الله عبد الرحمن بن ناصر المعدي(".

## تفسير سورة الكهف وهي مكيسة

﴿١ - ٢﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً \* قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجراً حسناً \* ماكثين فيه أبداً \* وينذر

الذين قالوا اتخذ الله ولداً \* ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا \* فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا مذا الحديث أسفاً ﴾ الحمد لله هو الثناء عليه بصفاته ، التي هي كلها صفات كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، وأجل نعمه على الإطلاق، إنزاله الكتاب العظيم على عبده ورسوله، محمد ﷺ فحمد نفسه، وفي ضمنه إرشاد العباد ليحمدوه على إرسال الرسول إليهم، وإنزال الكتاب عليهم، ثم وصف هذا الكتاب بوصفين مشتملين، على أنه الكامل من جميع الوجوه، وهما نفي العوج عنه، وإثبات أنه قيمٌ مستقيم، فنفي العوج يقتضي أنه ليس في أخباره كذب، ولا في أوامره ونواهيه ظلم ولا عبث، وإثبات الاستقامة يقتضى أنه لا يخبر ولا يأمر

إلا بأجل الإخبارات، وهي الأخبار،

التي تملأ القلوب معرفة وإيماناً وعقلاً،

كالإخبار بأسماء الله وصفاته وأفعاله،

ومنها الغيوب المتقدمة والمتأخرة، وأن

أوامره ونواهيه تنزكى النفوس،

(١) كان الشيخ - رحمه الله - قد طلب في ٢٩٠/ ١٣٧٤ من الشيخ محمد نصيف - رحمه الله - أن يختار من يتولى طباعة خمسة الآف نسخة من الممجلد المخامس من التفسير، وذكر محب الدين الخطيب والشيخ حامد الفقي - رحمهما الله - فبعث الشيخ محمد نصيف - رحمه الله - بالكتاب إلى الأستاذ: محب الدين الخطيب لطباعته، وطبع بالفعل عام ١٣٧٥ه، وقد جعل الشيخ - رحمه الله - لهذا الجزء مقدمة، واتبعه بخاتمة فيها أصول وكليات من أصول وكليات التفسير، وهذه هي مقدمة الشيخ لهذا الجزء، وأما الخاتمة فقد جعلتها في آخر التفسير، قال - رحمه الله -:

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، وأصلي وأسلم على محمد وآله وصحبه. أما بعد فلما كان علم التفسير للقرآن أشرف العلوم على الإطلاق وأهمها وأحقها بتحقيق معانيه وفهم مبانيه، لكونه تنزيلاً من حكيم حميد أنزله هدى ورحمة للمباد وتبياناً لكل شيء وتفصيلاً لكل ما يحتاجونه في دينهم ودنياهم وأخراهم، وكان من خاصة علم القرآن أن فهم بعضه وطائفة منه يعين على فهم جميعه، لأن القرآن من أوله إلى آخره يدور على تقرير الأصول النافعة والحقائق والشرائع الكبار والأحكام الحسنة والعقائد الصحيحة، ويوجه العباد إلى كل خير ويحذرهم من كل شر، ويعيد تقرير هذه الأمور ويبديها بأساليب متنوعة وتصاريف مناسبة في غاية اليسر والسهولة والإحكام والحسن الذي لا مزيد عليه. وقد تكرر علي السؤال من كثير من الأصحاب في نشر تفسيرنا هذا جميعه وألحوا لما يرونه من الفائدة الكبيرة، فاعتذرت بأن ذلك يصعب جداً لأنه مبسوط، وأيضاً في هذه الأوقات قلت رغبات الناس في الكتب المطولة، من سورة الكهف إلى آخر النمل، فما لا يحصل جميعه لا يترك جميعه. وأرجو الله وأسأله أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه، نافعاً لنا ولإخواننا، وأن يمدنا بعونه وعنايته وتوفيقه إنه جواد كريم رءوف رحيم. وأتبعته بكليات وأصول من كليات التفسير لاستدراك ما لعله يفوت القارىء في غير هذا الجزء، فإن الأصول والكليات تبنى عليها الفروع والجزئيات، ويحصل بها من النفع والفائدة على يقوت القارىء في غير هذا الجزء، فإن الأصول والكليات تبنى عليها الفروع والجزئيات، ويحصل بها من النفع والفائدة على اختصارها ما لا يحصل في الكلام الطويل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

\_\_\_\_

وتطهرها وتنميها وتكملها، لاشتمالها على كسمال السعدل والقسط، والإخلاص، والسعبودية شرب العالمين وحده لا شريك له. وحقيق بكتاب موصوف بما ذكر، أن يحمد الله نفسه على إنزاله، وأن يتمدح إلى عباده به.

وقوله: ﴿لينذر بأساً شديداً من لدنه﴾ أي: لينذر بهذا القرآن الكويم، عقابه الذي عنده، أي: قدره وقضاه، على من خالف أمره، وهذا يشمل عقاب الدنيا وعقاب الآخرة، وهذا أيضاً من نعمه، أن خوف عباده، وأنذرهم ما يضرهم ويهلكهم.

كما قال تعالى ـ لا ذكر في هذا القرآن وصف النار \_قال: ﴿ ذلك يُغوف الله به عباده يا عباد فاتقون ﴾ . فمن رحمته بعباده ، أن قيض العقوبات الغليظة على من خالف أمره ، وبينها لهم ، وبين لهم الأسباب الموصلة إليها .

ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ﴾ أي: وأنزل الله على عبده الكتاب، ليبشر المؤمنين به، وبرسله، وكتبه، الذين كمل إيمانهم، فأرجب لهم عمل الصالحات، وهي الأعمال الصالحة، من واجب ومستحب، التي جمعت الإخلاص والمتابعة، ﴿أَنْ لَهُم أَجِراً حسناً ﴾ وهو الثواب الذي رتبه الله على الإيمان والعمل الصالح، وأعظمه وأجله، الفوزبرضا الله ودخول الجنة، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وفي وصفه بالحسن، دلالة على أنه لا مكدر فيه ولا منغص بوجه من النوجوه، إذ لنو وجد فيه شيء من ذلك، لم يكن حسنه تاماً، ومع ذلك فهذا الأجر الحسن ﴿ماكثين فيه أبداً ﴾ لا يزول عنهم، ولا يزولون عنه، بل نعيمهم في كل وقت متزايد، وفي ذكر التبشير ما يقتضي ذكر الأعمال الموجبة

للمبشربه، وهو أن هذا القرآن قد اشتمل على كل عمل صالح، موصل لما تستبشر به النفوس، وتفرح به الأرواح.

﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ﴾ من اليهود والنصاري والمشركين، الذين قالوا هذه المقالة الشنيعة، فإنهم لم يقولوها عن علم و[لا] يقين، لا علم منهم، ولا علم من آبائهم الذين قلدوهم واتبعوهم، بل إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس، وكيرت كلمة تخرج من أفواههم اي: عظمت شناعتها واشتدت عقوبتها، وأي: شناعة أعظم من وصفه بالاتخاذ للولد(١) الذي يقتضى نقصه، ومشاركة غيره له في خصائص الربوبية والإلهية، والكذب عليه؟!! ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ، ولهذا قال هنا: ﴿إِن يقولُونَ إِلَّا كَذِياً ﴾ أي: كذباً عضاً ما فيه من الصدق شيء، وتأمل كيف أبطل هذا القول بالتدريج، والانتقال من شيء إلى أبطل منه، فأخبر أولاً: أنه ﴿ما لهم به من علم ولا لأبائهم ﴾ والقول على الله بلا علم، لا شك في منعه وبطلانه، ثم أخبر ثانياً، أنه قول قبيح شنيع فقال: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم) ثم ذكر ثالثاً مرتبته من القبح، وأهو الكذب المنافي للصدق.

القبح، وهو الكذب المنافي للصدق. ولما كان النبي وحريصاً على هداية الخلق، ساعياً في ذلك أعظم السعي، فكان ويأسف على المكذبين الضالين، شفقة منه ويخون ويأسف على المكذبين الضالين، شفقة منه ويخوا الشال المشعل المناسف على هؤلاء، الذين نفسه بالأسف على هؤلاء، الذين لا يؤمنون بهذا القرآن، كما قال في الآية الأخرى: ولعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين وقال: وهنا قال وفلملك باخع نفسك أي: أجرك قد وجب على الله، وهؤلاء لو

CALIFORN SERVING وَإِذَا أَعْتَزَلْتُهُوهُمْ وَمَا مَّدُونَ إِلَّا أَلَّهَ فَأُورًا إِلَى ٱلْكَهْفِ الله المُعْمِرُ لِكُورَ لِكُمْ مِن زَحْمَةِ مِدْ وَيُهَيِّي لَكُم مِنْ أَمْرِكُم إِيرَفَقَا۞ • وَرِّيَ الشَّمْسَ إِذَا طَلَّعَت تَّزَوَرُعَن كَفِيمِهُ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ ءَايَنِ اللَّهُ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْهُمَّةُ وَمَنْ يُضْلِلْ ا فَلَنْ يَجِدَلَهُ وَلِيَّا مُرْشِدُا ۞ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْفَاظَا وَهُرُدُودُ \* وَثُقَلِهُ مُذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّكَالِّ وَكَلَّهُ مُ بَاسِطً إ ذِرَاعَتِهِ إِلْوَصِيدُ لِوَاظَلَعْتَ عَلَيْهِ مُ لَوَلَيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِنْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ۞ وَكَذَلِكَ بِعَنْنَاهُمُ المُنتَ الْمُؤْمِنَّةُ مُّ قَالَ قَابِلُ مِنْهُ رَكَمْ إِنْ مُتَّالُوا لِمُنتَا وَوَمَّا أَوْبَعْضَ يَوْمُ وَالْوَارَبُكُمْ أَعَلَمُ مِمَا أَبْفُتُمْ فَأَبْعَثُواْ أَعَدَكُم بِمَرِقِكُمُ هَاذِهِ مَ إِلَى ٱلْدِينَ وَ فَلِنَظُرُ أَيُّهُا النكام المتامًا فأين أينكم برزف مِنهُ وَلَيْ لَظَفَ ولايشورك بكفراً حكا الانتفاء يظهروا عليكم يَجُنُوكُمْ أَوْيُعِيدُ وَكُرْفِ مِلْيَهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُواْ إِذَا أَبِدًا ۞ 

علم الله فيهم خيراً لهداهم، ولكنه علم أنهم لا يصلحون إلا للنار، فلذلك خذلهم فلم يهتدوا، فإشغالك نفسك غماً وأسفاً عليهم، ليس فيه فائدة لك. وفي هذه الآية ونحوها عبرة، فإن المأمورُ بدعاءِ الخلق إلى الله، عليه التبليغ والسعى بكل سبب يوصل إلى الهداية، وسد طرق البضلال والغواية بغاية ما يمكنه، مع التوكل على الله في ذلك، فإن اهتدوا فبها ونِعْمَتْ، وإلا فلا يحزن ولا يأسف، فإن ذلك مُضْعِفٌ للنفس، هادم للقوى، ليس له فيه فائدة، بل يمضى على فعله الذي كُلُفَ به وتوجه إليه، وما عدا ذلك، فهو خارج عن قدرته، وإذا كان النبى عَلَيْ يَعْمُول الله له: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ﴾ وموسى عليه السلام يقول: ﴿رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي﴾ الآية، فمن عداهم، من باب أولى وأحرى، قال تعالى: ﴿فَذَكِّر إِنْمَا أَنْتَ مَذْكُر \* لَسَتَ عَلَيْهُمْ بمسيطرا.

﴿٧-٨﴾ ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً \* وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً ﴾ يجبر تعالى: أنه جعل جميع ما على وجه الأرض، من مآكل لذيذة، ومشارب، ومساكن (٢) طيبة،

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ: الولد.

CONTROL A SECURIO إِلَى وَكَنَاكِ أَعَنُزُ اعْلَيْهِ رَايِمْ لَهُوا أَنْ وَعْدَاللَّهُ مَدُّ وَأَنَّ السَّاعَةُ لَازْبَ فِيهَا إِذْ يُتَنَّازَعُونَ بِمُنْتَهُمْ أَمْرَهُمُّ فَقَالُواْ أَبْوَاعَلَيْهِ مِبْنِكُأُ زَبْهُمُ أَعَلَمُهِمْ قَالَ الَّذِينَ عَلَيُواعِلَةَ أَمْ هِمْ لَنَتَنْخِذَكَ عَلَيْهِ مِ مَسْجِدًا ۞ سَكَقُولُونَ ثَلَاثَةً وَابِعُهُ ذَكَانُهُ مُ وَتَقُولُونَ خَسَةٌ سَادِسُهُ مُ كَلَّهُمُ رَجْمًا بِٱلْفَيْبُ وَيَقُولُونَ سَبِعَةً وَأَلِمِنُهُمْ كَلَهُمْ قُلْ نَةَ أَعَلَرُهِينَ يَعِدِ مَا يَعَلَمُهُمُ إِلَّا فَلِيلٌ فَلَائْ مَا رِفِيهِمُ إِلَّا مِنْ إِنَّهُ طَلِهِ زَا وَلَاتَتُ تَفْتِ فِيهِ مِنْهُمُ إَلَمَدًا ۞ وَلَاتَهُ لِنَ إِنْ أَيْدَا كُوهِ إِنِّ فَاعِلُّ ذَٰلِكَ غَدًا ۞ إِلَّا أَن يَشَآهُ اللَّهُ وَاذَكُر زَبِّكَ إِذَا لَسِيتٌ وَقُلْ عَسَنَى أَن يَهْدِينِ رَبِي لِأَقْرَبَ مِنْ هَلِذَارَشَكُ ا ٥ وَلَيْثُواْ فِي كَمْ فِيهِمْ ثَلَكَ مِأْتُوْسِيْنِ وَأَزْدَادُواْتِمْعًا ٥ قُولَاتَةَ أَعْدَمُ مَا لِيَ قُولَا لَهُ عَيْبُ السَّنَوْتِ وَالْأَرْضُ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَالَهُ مِينَ دُونِيهِ مِن وَلِيُ وَلَايُشْرِكُ فِي حُصَيهِ وَ أَحَدُا ۞ وَأَتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِمَاب رَيِكُ لَامْبُدِلَ لِكَلِيْدِ وَلَن يَعَدَمِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۞ PARTOR "LEBERED"

وأشجار، وأنهار، وزروع، وشمار، ومناظر بهيجة، ورياض أنيقة، وأصوات شجية، وصور مليحة، وذهب وفضة، وخيل وإبل ونحوها، الجميع جعله الله زينة لهذه الدار، فتنة واختباراً. ﴿لنبلوهم أيهم أحسن عُملاً﴾ أي: أخلصه وأصوبه، ومع ذلك سيجعل الله جميع هذه المذكورات، فانية مضمحلة، وزائلة منقضية، وستعود الأرض صعيداً جرزاً قد ذهبت لذاتها، وانقطعت أنهارها، واندرست آثارها، وزال نعيمها، هذه حِقيقة الدنيا، قد جلاها الله لنا كأنها رأيُ عين، وحذرنا من الاغترار سا، ورغبنا في داريدوم نعيمها، ويسعد مقيمها، كل ذلك رحمة بنا، فاغترً بزخرف الدنيا وزينتها، من نظر إلى ظاهر الدنيا، دون باطنها، فصحبوا الدنيا صحبة البهائم، وتمتعوا بها تَمتُع السوائم، لا ينظرون في حق ربهم، ولا يهتمون لمعرفته، بل همهم تناول الشهوات، من أي وجه حصلت، وعلى أي حالة اتفقت، فهؤلاء إذا حضر أحدهم الموت، قلق لخراب ذاته، وفوات لذاته، لا لما قدمت يداه

وأما من نظر إلى باطن الدنيا، وعلم المقصود منها ومنه، فإنه تناول منها، ما يستعين به على ما خلق له، وانتهز الفرصة في عمره الشريف، فجعل

من التفريط والسيئات.

الدنيا منزل عبور، لا محل حبور، ف وشُقَّة سفر، لا منزل إقامة، فبذل لا جهده في معرفة ربه، وتنفيذ أوامره، ا وإحسان العمل، فهذا بأحسن المنازل أ عند الله، وهو حقيق منه بكل كرامة و ونعيم، وسرور وتكريم، فنظر إلى و باطن الدنيا، حين نظر المغتر إلى م ظاهرها، وعمل لآخرته، حين عمل ف البطال لدنياه، فشتان ما بين الفريقين، أ وما أبعد الفرق بين الطائفتين!!

﴿٩ - ١٢ ﴾ ﴿أم حــــــت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً \* إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشداً \* فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً \* ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً ﴾ وهذا الاستفهام بمعنى النفي والنهي. أي: لا تنظن أن قيصة أصحاب الكهف، وما جرى لهم، غريبة على آيات الله، وبديعة في حكمته، وأنه لا نظير لها، ولا مجانس لها، بل لله تعالى من الآيات العجيبة الغريبة ما هو كثير، من جنس آياته في أصحاب الكهف وأعظم منها، فلم يزَّل الله يُري عباده من الآيات في الآفاق وفي انفسهم، ما يتبين به الحق من الباطل، والهدى من الضلال، وليس المراد بهذا النفي عن أن تكون قصة أصحاب الكهف من العجائب، بل هي من

أيات الله العجيبة، وإنما المراد، أن

جنسها كثير جداً، فالوقوف معها

وحدها، في مقام العبجب

والاستغراب، نقص في العلم

والعقل، بل وظيفة المؤمن التفكر

بجميع آيات الله، التي دعا الله العباد

إلى التفكر فيها، فإنها مفتاح الإيمان،

وطريق العلم والإيقان. وأضافهم إلى

الكهف، الذي هو الغار في الجبل،

والرقيم، أي: الكتاب الذي قد رقمت

فيه أسماؤهم وقصتهم، لملازمتهم له

دهراً طويلاً، ثم ذكر قصتهم مجملة،

وفصلها بعد ذلك فقال: ﴿إِذْ أُوى

الفتية ﴾ أي: الشباب، ﴿إلى الكهف﴾

يريدون بذلك التحصن والتحرز من

﴿ ١٤ ـ ١٤﴾ ﴿ نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى \* وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوأت والأرض لن ندعو من دونه إلْهاً لقد قلنا إذا شططاً ﴿ هذا شروع في تفصيل قصتهم، وأن الله يقصها على نبيه بالحق والصدق، الذي ما فيه شك ولا شبهة بوجه من الوجوه، ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم﴾ وهذا من جموع القلة، يدل ذلك على أنهم دون العشرة، ﴿آمنوا﴾ بالله وحده لا شريك لـه مـن دون قومهم، فشكر الله لهم إيمانهم، فزادهم هدى، أي: بسبب أصل اهتدائهم إلى الإيمان، زادهم الله من الهدى، الذي هو العلم النافع، والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾.

فتنة قومهم لهم، ﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة ﴿ أَي : تثبتنا بها وتحفظنا من الشر، وتوفقنا للخير ﴿وهييء لنا من أمرنا رشداً ﴾ أي: يسر لنا كل سبب موصل إلى الرشد، وأصلح لنا أمر ديننا ودنيانا، فجمعوا بين السعى والفرار من الفتنة، إلى محل يمكن الاستخفاء فيه، وبين تضرعهم وسؤالهم لله تيسير أمورهم، وعدم اتكالهم على أنفسهم وعلى الخلق، فلذلك استجاب الله دعاءهم، وقيض لهم ما لم يكن في حسابهم، قال: ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف اي: أنمناهم ﴿سنين علداً) وهي ثلاث مئة سنة وتسع سنين، وفي النوم المذكور حفظ لقلوبهم من الاضطراب والخوف، وحفظ لهم من قومهم، وليكون آية بينة، ﴿ثم

بعثناهم أي: من نومهم ﴿لنعلم الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً إي: الحزبين أحصى لمقدار مدتهم، كما قال تعالى: ﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم الآية، وفي العلم بمقدار لبثهم، ضبط للحساب، ومعرفة لكمال قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته، فلو استمروا على نومهم، لم يحصل الاطلاع على شيء من ذلك من قصتهم.

﴿وربطناعلى قلوبهم أي: صبرناهم وثبتناهم، وجعلنا قلوبهم مطمئنة في تلك الحالة الزعجة، وهذا من لطفه تعالى بهم وبره، أن وفقهم للإيمان والهدى، والصبر والثبات، والطمأننة.

﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا فَأُووا ربِنا رب السموات والأرض الى: الذي خلقنا ورزقنا، ودبرنا وربانا، هو خالق السموات والأرض، المنفرد بخلق هذه المخلوقات العظيمة، لا تلك الأوثان والأصنام، التي لا تخلق ولا ترزق، ولا تملك نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فاستدلوا بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية، ولهذا قالوا: ﴿ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهَا ﴾ أي: من سائر المخلوقات ﴿لقد قلنا إذاً ﴾ أي: إن دعونا معه آلهة، بعد ما علمنا أنه الرب الإله، الذي لا تجوز ولا تنبغي العبادة إلاله ﴿شططاً﴾ أي: ميلاً عظيماً عن الحق، وطريقاً بعيدة عن الصواب، فجمعوا بين الإقرار بتوحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، والتزام ذلك، وبيان أنه الحق وما سواه باطل، وهذا دليل على كمال معرفتهم بربهم، وزيادة الهدى من الله

و ١٥ ﴿ وهولاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم عمن افترى على الله كذباً ﴾ لما ذكروا ما من الله به عليهم من الإيمان والهدى، التفتوا (١١) إلى ما كان عليه قومهم، من اتخاذ الآلهة من دون الله، فمقتوهم، وبينوا أنهم ليسوا على يقين والضلال فقالوا: ﴿ لولا يأتون عليهم بسلطان بين ﴾ أي: بحجة وبرهان، ولا يستطيعون سبيلاً إلى ذلك، وإنما وهذا أعظم الظلم، ولهذا قال: ﴿ وَهَمَن وَهَمَن الْتَهْمَ عَلَي الله وَكَذَب عَلَيه، وهذا أعظم الظلم، ولهذا قال: ﴿ وَهَمَن أَطلم عَن افترى على الله وكذب عليه، وهذا أعظم الظلم، ولهذا قال: ﴿ وَهَمَن أَطلم عَن افترى على الله كذباً ﴾ .

﴿١٦﴾ ﴿وإذ اعتزلتموهم وما

يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقاً ﴾ أي: قال بعضهم لبعض، إذ حصل لكم اعتزال قومكم في أجسامكم وأديانكم، فلم يبق إلا النجاء من شرهم، والتسبب بالأسباب المفضية لذلك، لأنهم لا سبيل لهم إلى قتالهم، ولا بقائهم (٢) بين أظهرهم، وهم على غير دينهم، ﴿فأووا إلى الكهف ﴾ أي: انضموا إليه واختفوا فيه ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقاً﴾ وفيما تقدم، أخبر أنهم دعوه بقولهم: ﴿ رَبُّنَا آتَنَا مِنْ لدنك رحمة وهييء لنا من أمرنا رشداً ﴾ فجمعوا بين التبري من حولهم وقوتهم، والالتجاء إلى الله في صلاح أمرهم، ودعائه بذلك، وبين الثقة بالله أنه سيفعل ذلك، لا جرم أن الله نشر لهم من رحمته، وهيأ لهم من أمرهم مرفقاً، فحفظ أديانهم وأبدانهم، وجعلهم من آياته على خلقه، ونشر لهم من الثناء الحسن، ما هو من رحمته بهم، ويسر لهم كل سبب، حتى المحل الذي ناموا فيه، كان على غاية ما يمكن من الصبانة، ولهذا قال:

﴿١٧ ـ ١٨﴾ ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات ألشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً \* وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً ﴾ أي: حفظهم الله من الشمس فيسر لهم غاراً إذا طلعت الشمس تميل عنه يميناً، وعند غروبها تميل عنه شمالاً، فلا ينالهم حرها فتفسد أبدانهم بها، ﴿وهم في فجوة منه الكهف أي: من الكهف أي: مكان متسع، وذلك ليطرقهم الهواء والنسيم، ويزول عنهم الوخم والتأذي بالمكان الضيق، خصوصاً مع طول

الكث، وذلك من آيات الله الدالة على قدرته ورحمته بهم، وإجابة دعائهم وهدايتهم حتى في هذه الأمور، ولهذا قال: ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ أي: لا سبيل إلى نيل الهداية إلا من الله فهو الهادي المرشد لمصالح الدارين، ﴿ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾ في المخدم، ولا يرشده إلى الخير والفلاح، لأن الله قد حكم عله بالضلال، ولا راد لحكمه.

﴿ وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ﴾ أي: تحسيهم أيها الناظر إليهم [كأنهم](") أيسقياظ، والحيال أنهيم نسيام، قيال المفسرون: وذلك لأن أعينهم منفتحة، لئلا تفسد، فالناظر إليهم يحسبهم أيقاظاً، وهم رقود، ﴿ونقلبهم ذاتُ اليمين وذات الشمال، وهذا أيضاً من حفظه لأبدائهم، لأن الأرض من طبيعتها أكل الأجسام المتصلة بها، فكان من قدر الله، أَنْ قَلَّبَهم على جنوبهم يميناً وشمالاً، بقدر ما لا تفسد الأرض أجسامهم، والله تعالى قادر على حفظهم من الأرض، من غير تقليب، ولكنه تعالى حكيم، أراد أن تجري سنته في الكون، ويربط الأسباب بمسبياتها.

﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾ أي: الكلب الذي كان مع أصحاب الكهف، أصابه ما أصابهم من النوم وقت حراسته، فكان باسطاً ذراعيه بالوصيد، أي: الباب، أو فنائه، هذا حفظهم من الأرض. وأما حفظهم من الآدميين، فأخبر أنه حماهم بالرعب، الذي نشره الله عليهم، فلو اطلع عليهم أحد، لامتلا قليه رعباً، وولى منهم فراراً، وهذا الذي أوجب أن يبقوا كل هذه المدة الطويلة، وهم لم يعثر عليهم أحد، مع قربهم من المدينة جداً، والدليل على قربهم، أنهم لما استيقظوا، أرسلوا أحدهم يشتري لهم طعاماً من المدينة، وبقوا في انتظاره، فدل ذلك على شدة قربهم منها.

﴿ ١٩ - ٢٠ ﴿ وَكذَلْكُ بِعَثْنَاهُم لِيَسَاءُلُوا بِينِهُم قَالُ قَائِلُ مَنْهُم كَم لَبْتُم قَالُوا لَبِنَا يُوماً أَو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً \* إنهم إن يظهروا عليكم يرجوكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن يقلم ولن تفلم ولن تفلم ولن تفلم ولن تفلم ولن الطويل ﴿ لِيتساءُلُوا بِينَهُم ﴾ أي: من نومهم ليتباحثوا للوقوف على الحقيقة من مدة لبيهم .

﴿قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ وهذا مبني على ظن القائل، وكأنهم وقع عندهم أشتباه في طول مدتهم، فلهذاً ﴿قالوا ربكم أعلم بما لبثتم). فردوا العلم إلى المحيط علمه بكل شيء، جملة وتفصيلاً، ولعل الله تعالى \_ بعد ذلك \_ أطلعهم على مدة لبثهم، لأنه بعثهم ليتساءلوا بينهم، وأخبر أنهم تساءلوا، وتكلموا بمبلغ ما عندهم، وصار آخر أمرهم الاشتباه، فلا بدأن يكون قد أخبرهم يقيناً، علمنا ذلك من حكمته في بعثهم، وأنه لا يفعل ذلك عبثاً. ومن رحمته بمن طلب علم الحقيقة فيع الأمور المطلوب علمها، وسعى لذلك ما أمكنه، فإن الله يوضح له ذلك، وبما ذكر فيما بعده من قوله: ﴿وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها، فلولا أنه حصل العلم بحالهم، لم يكونوا دليلاً على ما ذكر، ثم إنهم لما تساءلوا بينهم، وجرى منهم ما أخبر الله به، أرسلوا أحدهم بورقهم، أي: بالدراهم، التي كانت معهم، ليشتري لهم طعاماً يأكلونه، من المدينة التي خرجوا منها، وأمروه أن يتخير من الطعام أزكاه، أي: أطيبه وألذه، وأن يتلطف في ذهابه وشرائه وإيابه، وأن يختفي في ذلك، ويخفي حال إخوانه، ولا يسعرن بهم أحداً. وذكروا المحذور من اطلاع غيرهم عليهم، وظهورهم عليهم، أنهم بين أمرين، إما

الرجم بالحجارة، فيقتلونهم أشنع قتلة، لحنقهم عليهم وعلى دينهم، وإما أن يفتنوهم عن دينهم، ويردوهم في ملتهم، وفي هذه الحال، لا يفلحون أبداً، بل يخسرون في دينهم ودنياهم وأخراهم، وقد دلت هاتان الآيتان على عدة فوائد:

منها: الحث على العلم، وعلى المباحثة فيه، لكون الله بعثهم لأجل ذلك.

ومنها: الأدب فيمن اشتبه عليه العلم، أن يرده إلى عالمه، وأن يقف عند حده.

ومنها: صحة الوكالة في البيع والشراء، وصحة الشركة في ذلك.

ومنها: جواز أكل الطيبات، والمطاعم اللذيذة، إذا لم تخرج إلى حد الإسراف المنهي عنه لقوله: ﴿فلينظر وخصوصاً إذا كان الإنسان لا يلائمه إلا ذلك ولعل هذا عمدة كثير من المفسرين، القائلين بأن هؤلاء أولاد ملوك، لكونهم أمروه بأزكى الأطعمة، التي جرت عادة الأغنياء الكبار بتناولها.

ومنها: الحث على التحرز، والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الديس، واستعمال الكتمان في ذلك على الإنسان وعلى إخوانه في الدين.

ومنها: شدة رغبة هؤلاء الفتية في الدين، وفرارهم من كل فتنة، في دينهم، وتركهم أوطانهم في الله.

ومنها: ذكر ما اشتمل عليه الشر من المضار والمفاسد، الداعية لبغضه، وتركه، وأن هذه الطريقة، هي طريقة المؤمنين المتقدمين والمتأخرين، لقولهم: ﴿
ولن تفلحوا إذا أبداً﴾

﴿٢١﴾ ﴿وكذلك أعشرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأنّ الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً﴾ يخبر الله تعالى، أنه

أطلع الناس على حال أهل الكهف، وذلكَ \_والله أعلم \_بعدما استيقظوا، وبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاماً، وأمروه بالاستخفاء والإخفاء، فأراد الله أمراً فيه صلاح للناس، وزيادة أجر لهم، وهو أنَّ الناس رأوا منهم آية من آيات الله، المشاهدة بالعيان، على أن وعد الله حق لا شك فيه ولا مرية ولا بُعْد، بعدما كانوا يتنازعون بينهم أمرهم، فمن مثبت للوعد والجزاء، ومن ناف لذلك، فجعل قصتهم زيادة بصيرة ويقين للمؤمنين، وحجة على الجاحدين، وصار لهم أجر هذه القضية، وشهر الله أمرهم، ورفع قدرهم حتى عظمهم الذين اطلعوا عليهم.

و ﴿قالوا ابنوا عليهم بنياناً﴾ الله أعلم بحالهم ومآلهم، وقال من غلب على أمرهم، وهم الذين لهم الأمر:

ولنتخذن عليهم مسجداً أي: نعبد الله تعالى فيه، ونتذكر به أحوالهم، وما جرى لهم، وهذه الحالة عظورة، نهى عنها النبي على وذم فاعليها، ولا يدل ذكرها هنا على عدم ذمها، فإن السياق في شأن تعظيم أهل الكهف والثناء عليهم، وأن هؤلاء وصلت بهم الحال إلى أن قالوا: ابنوا عليهم مسجداً، بعد خوف أهل الكهف الشديد من قومهم، وحذرهم من الاطلاع عليهم، فوصلت الحال إلى ما ترى.

وفي هذه القصة، دليل على أن من فرَّ بدينه من الفتن سلمه الله منها. وأن من حرص على العافية عافاه الله ومن أوى إلى الله، آواه الله، وجعله هداية لغيره، ومن تحمل الذل في سبيله وابتغاء مرضاته، كان آخر أمره وعاقبته العز العظيم من حيث لا يحتسب ﴿وما عند الله خير للأبرار﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدّتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً

ولا تستفت فيهم منهم أحداً في غبر تعالى عن اختلاف أهل الكتاب في عدة أصحاب الكهف، اختلافاً صادراً عن رجمهم بالغيب، وتَقوُّلهم بما لا يعلمون، وأنهم فيهم على ثلاثة أقدال:

منهم: من يقول: ثلاثة، رابعهم كلبهم، وملهم من يقول: خسة، سادسهم كلبهم. وهذان القولان، ذكر الله بعدهما، أن هذا رجم منهم بالغيب، فدل على بطلانهما.

ومنهم من يقول: سبعة، وثامنهم كلبهم، وهندا \_ والله أعلم \_ الصواب، لأن الله أبطل الأولين ولم يبطله، فدل على صحته، وهذا من الاختلاف الذي لا فائدة تحته، ولا يحصل بمعرفة عددهم مصلحة للناس، دينية ولا دنيوية، ولهذا قال تعالى:

﴿قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الاقليل وهم الذين أصابوا الصواب وعلموا إصابتهم. ﴿فلا تمار ﴾ أي: تجادل وتحاج ﴿فيهم إلا مراء ظاهراً ﴾ أي: مبنياً على العلم واليقين، ويكون أيضاً فيه فائدة، وأما المماراة المبنية على الجهل والرجم بالغيب، أو التي معانداً، أو تكن المسألة لا أهمية فيها، ولا تحصل فائدة دينية بمعرفتها، كعدد أصحاب الكهف ونحو ذلك، فإن في كشرة المناقشات فيها، والبحوث المتسلسلة، تضييعاً للزمان، وتأثيراً في مودة القلوب بغير فائدة.

﴿ولا تستفت فيهم ﴾ أي: في شأن أهل الكهف ﴿منهم ﴾ أي: من أهل الكتاب ﴿أحداً ﴾ وذلك لأن مبنى كلامهم فيهم على الرجم بالغيب والظن، الذي لا يغني من الحق شيئاً، ففيها دليل على المنع من استفتاء من لا يصلح للفتوى، إما لقصوره في الأمر المستفتى فيه، أو لكونه لا يبالى

بما تكلم به، وليس عنده ورع يحجزه، وإذا نهي عن استفتاء هذا الجنس، فنهيه هـو عـن الـفـتـوى، مـن بـاب أولى وأحرى.

وفي الآية أيضاً، دليل على أن الشخص، قد يكون منهياً عن استفتائه في شيء دون آخر. فيستفتى فيما هو أهل له، بخلاف غيره، لأن الله لم ينه عن استفتائهم في قصة أصحاب الكهف، وما أشبهها.

﴿ ٢٣ \_ ٢٤ ﴾ ﴿ ولا تقولنَّ لشيء إني فاعل ذلك غداً \* إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً ﴾ هذا النهى كغيره، وإن كان لسبب خاص وموجهاً للرسول ﷺ ، فإن الخطاب عام للمكلفين، فنهى الله أن يقول العبد في الأمور المستقبلة: "إن فاعل ذلك» من دون أن يقرنه بمشيئة الله، وذلك لما فيه من المحذور، وهو: الكلام على الغيب المستقبل، الذي لا يدري هل يفعله أم لا؟ وهل يكون أم لا؟ وفيه رد الفعل إلى مشيئة العبد استقلالاً، وذلك محذور محظور، لأن المشيئة كلها لله ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين، ولما في ذكر مشيئة الله، من تيسير الأمر وتسهيله، وحصول البركة فيه، والاستعانة من العبد لربه، ولما كان العبد بشراً، لا بد أن يسهو(١) فيترك ذكر المشيئة، أمره الله أن يستثنى بعد ذلك، إذا ذكر، ليحصل المطلوب، ويندفع المحذور، ويؤخذ من عموم قوله: ﴿واذكر ربك إذا نسيت ﴾ الأمر بذكر الله عند النسيان، فإنه يزيله، ويُذُكِّر العبد ما سها عنه، وكذلك يؤمر الساهي الناسي لذكر الله، أن يذكر ربه، ولا يكونن من الغافلين، ولما كان العبد مفتقراً إلى الله في توفيقه للإصابة، وعدم الخطأ في أقواله وأفعاله، أمره الله أن يقول: ﴿عسى أن يهدين ربي الأقرب من هذا رشداً ﴾

اللهِ وَاصْبِرْنَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبِّهُمْ بِالْغَدَوْةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَاتَعَدُ عَيْنَ الدَّعَنْهُ مُرَّبِدُ زِينَةَ ٱلْحِيَوْةِ ٱلدُّنْيَأُ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكِرِيَّا وَأَبَّعَ هَوَيْهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُهُا ۞ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن زَنِكُمْ فَنَ شَاءَ فَلْيُوْمِن وَمَن شَاآة فَلْيَكُ فُرُّ إِنَّا أَعْتَدُنَا لِلظَّلِلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُعَاقُواْ بِمَآءِ كَالْهُلَ يَشْوِي ٱلْوُجُوَّةُ بِسْ َالثَّرَابُ وَسَآةَ تَ مُرْتَفَقًا ۞ إِذَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعِيلُواْ ٱلصَّلِلِحَتِ إِنَّا لَانْضِيعُ أَجْرَمَنْ أَحْسَنَ عَلَا ۞ أُوْلَيَكَ لَمُتُمْ جَنَّتُ عَدْنِ تَجْرِي مِنْ تَحْيِهِمُ ٱلْأَنْهَارُ يُحَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِن سُندُسٍ وَاسْتَبْرُقِ مُتَكِينَ فِيهَاعَلَى الْأَزَّ بِكِ يَعْمُ النَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۞ وَأَضْرِبْ لَهُمُ مَّشَلَارَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّيْنِ مِنْ أَعْنَبِ وَحَفَفْنَا فَهَا يَخُلِ وَحَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۞ كِلْنَا ٱلْجَنَّذِينَ التَّهُ أَكُلُهَا وَلَرْ تَظْلِر مِنْهُ شَيْئاً وَجَرَنا خِلاَهُمَانَهُوا ﴿ وَكَانَالُهُ مُرْفِعَالَ الصَاحِيهِ وَهُوَيُكَاوِرُهُ وَأَنَّا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ بَفَكًا ۞ OZENOZIW KOREKOW

فأمره أن يدعو الله ويرجوه، ويثق به أن يهديه لأقرب الطرق الموصلة إلى الرشد. وحَرِيٌ بعبد تكون هذه حاله، ثم يبذل جهده، ويستفرغ وسعه في طلب الهدى والرشد، أن يوفق لذلك، وأن تأتيه المعونة من ربه، وأن يسدده في جميع أموره.

﴿٢٥ ـ ٢٦﴾ ﴿ولبنوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعاً \* قل الله أعلم بمالبثواله غيب السماوات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً ﴾ لما نهاه الله عن استفتاء أهل الكتاب، في شأن أهل الكهف، لعدم علمهم بذَّلك، وكان الله عالم الغيب والشهادة، العالم بكل شيء، أخبره بمدة لبثهم، وأن علم ذلك عنده وحده، فإنه من غيب السماوات والأرض، وغَيبها مختص به، فما أخبر به عنها على ألسنة رسله، فهو الحق اليقين، الذي لا يشك فيه، وما لا يطلع رسله عليه، فإن أحداً من الخلق لا يعلمه.

وقوله: ﴿أَبُصِرْ بِهِ وأَسَمِع ﴾ تعجب من كمال سمعه وبصره، وإحاطتهما بالمسموعات والمصرات، بعدما أخبر بإحاطة علمه بالمعلومات. ثم أخبر عن

TO STATE A SECURE ASSESSMENT OF THE PARTY OF وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَظَالِرُ لِتَفْسِيهِ عَالَ مَاۤ أَظُنُّ أَن بَبِيدَ هَاذِية أَبِدُا ۞ وَمَا أَطُنُ السَّاحَةَ قَايَمَةً وَلِين زُرِدِتُ إِلَى رَقِ لَأَجِدَذَ خَيْرُامِنْهَا مُنْفَلَبًا ۞ قَالَ لَهُ مِلِحِبُهُ وَهُوَيُعَاوِرُوهُ وَأَكْثَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُنَّمَ مِن نُطْفَةِ ثُمَّ سَوَّلِكَ رَجُلًا ۞ لَّكِنَا هُوَاللَّهُ رَبِي وَلَا أَشْرِكُ بِيَ أَحَدًا ۞ وَلَوْلاَ إِذْ مَنَلْتَ جَنَّكَ قُلْتَ مَاشَأَةَ اللَّهُ لَا فَوَةَ إِلَّا إِللَّهِ أَن تَرَنِ أَنَا أَقَلَ مِنكَ مَا لَا وَوَلَداً ۞ فَعَسَىٰ رَبِيَ أَن يُؤْتِينَ خَيْرًا مِن جَنَّيْكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنْ السَّكَآءِ فَصَّبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۞ أَوْيُصْبِحَ مَا وُهُمَا غَوْزَا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَمُطَلِّبًا ۞ وَأُحِيطًا بِشَمَرِهِ قَاضَبَتَ مُقَلِبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِي خَاوِيَةُ عَلَى الْأَ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلَيْتَنِي لَرَأْخُرِكَ بِرَقِ أَحَدًا ۞ وَلَزَنَّكُنَّ لَهُ فِعَةً يُنْصُرُونِهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۞ هُنَالِكَ ٱلْوَلْنَيَةُ ۗ ﴿ لِمَّوَاكْتِيَّ هُوَ حَيْرٌ قُواْ اِ وَخَيْرُ عُقْبًا ۞ وَأَضْرِبْ لَمُرْمَّثُلَ ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنْيَاكُمَاءِ أَرَلْنَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِدِينَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَيْسِيمُ انْذُرُوهُ ٱلْمِنَاحُ وَكَابَ اللَّهُ عَلَىكُ لِ شَيْءِ مُقْتَدِرًا ﴿ TO SET TIME OF THE OWNER.

انفراده بالولاية العامة والخاصة، فهو الولي الذي يتولى تدبير جميع الكون، الولي لعباده المؤمنين، يخرجهم من الظلمات إلى النور وييسرهم لليسري، ويجنبهم العسري، ولهذا قال: ﴿ما لهم من دونه من ولي﴾ . أي: هو الذي تولى أصحاب الكهف، بلطفه وكرمه، ولم يكلهم إلى أحد من الخلق.

﴿ولا يسرك في حكمه أحداً ﴾ وهذا يشمل الحكم الكوني القدري، والحكم الشرعي الديني، فإنه الحاكم فى خلَّقه، قَضَاء وقَّدراً، وخلقاً وتدبيراً، والحاكم فيهم بأمره ونهيه، وثوابه وعقابه. ولما أخبر أنه تعالى له غيب السماوات والأرض، فليس لمخلوق إليها طريق، إلا من الطريق التي يخبر بها عباده، وكان هذا القرآن، قد اشتمل على كثير من الغيوب، أمر تعالى بالإقبال عليه فقال:

﴿٢٧﴾ ﴿واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبذل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً التلاوة: هي الاتباع، أي: اتبع ما أوحى الله إليكُ بمعرفة معانيه وفهمها، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره ونواهيه، فإنه الكتاب الجليل، الذي لا مبدل لكلماته، أي: لا تغير ولا تبدل لصدقها وعدلها، وبلوغها من الحسن فوق كل غاية ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً فلتمامها، استحال عليها

التغير والتبديل، فلو كانت ناقصة، لعرض لها ذلك أو شيء منه، وفي هذا تعظيم للقرآن، في ضمنه الترغيب على الإقبال عليه.

﴿ولن تجدمن دونه ملتحداً ﴾ أي: لن تجد من دون ربك ملجأ تلجأ إليه، ولا معاذاً تعوذ به، فإذا تعين أنه وحده اللجأ في كل الأمور، تعين أن يكون هو المألوه المعبود المرغوب إليه، في السراء والضراء، المفتقر إليه في جميع الأحوال، المسؤول في جميع المطالب.

﴿٢٨﴾ ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطأَ﴾ يأمر تعالى نبيه عمداً ﷺ ، وغيره أسوته في الأوامر والنواهي \_أن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد المنيبين ﴿الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴿ أي: أول النهار وآخره يريدون بذلك وجه الله، فوصفهم بالعبادة والإخلاص فيها، ففيها الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يحصى.

﴿ولا تعدعيناك عنهم اي: لا تجاوزهم بصرك، وترفع عنهم نظرك.

﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾ فإن هذا ضار غير نافع، قاطع عن المصالح الدينية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب بالدنيا، فتصير الأفكار والهواجس فيها، وتزول من القلب الرغبة في الآخرة، فإن زينة الدنيا تروق للناظر، وتسحر العقل، فيغفل القلب عن ذكر الله، ويُـقْبِل عـلى الـلـذات والشهوات، فيضيع وقته، وينفرط أمَره، فيخسر الخسارة الأبدية، والندامة السرمدية، ولهذا قال: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ غفل عن الله، فعاقبه بأن أغفله عن

لهواه، حيث ما اشتهت نفسه فعله، وسعى في إدراكه، ولو كان فيه هلاكه وخسرانه، فهو قد اتخذ إلْهه هواه، كما قال تعالى: ﴿أَفْرَأَيْتُ مِنَ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هُواهُ وأضله الله على علم﴾ الآية.

﴿وكان أمره ﴾ أي: مصالح دينه ﴿ فرطاً ﴾ أي: ضائعة معطلة.

فهذا قدنهى الله عن طاعته، لأن طاعته تدعو إلى الاقتداء به، ولأنه لا يدعو إلا لما هو متصف به، ودلت الآية على أن الذي ينبغى أن يطاع، ويكون إماماً للناس، من امتلاً قلَّبه بمحبة الله، وفاض ذلك على لسانه، فلهج بذكر الله، واتبع مراضى ربه، فقدمها على هواه، فحفظ بذلك ما حفظ من وقته، وصلحت أحواله، واستقامت أفعاله، ودعا الناس إلى ما منَّ الله به عليه، فحقيق بذلك، أن يتبع ويجعل إماماً، والصبر المذكور في هذه الآية، هو الصبر على طاعة الله، الذي هو أعلى أنواع الصبر، وبتمامه تتم باقي الأقسام. وفي الآية، استحباب الذكر والدعاء والعبادة طَرَفي النهار، لأن الله مدحهم بفعله، وكل فعل مدح الله فاعله، دل ذلك على أن الله يحبه، وإذا كان يحبه فإنه يأمر به، ويرغب فيه.

﴿٢٩ ــ ٣١﴾ ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارأ أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الموجموه بمتس المسراب وساءت مرتفقاً \* إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً \* أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق متكئين فيهاعلي الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً ﴾ أي: قل للنَّاس يا محمد: هذا الحق من ربكم، أي: قد تبين الهدى من الضلال، والرشد من الغي، وصفات أهل السعادة، وصفات أهل الشقاوة، وذلك بما بينه الله على لسان رسوله، ﴿ واتبع هواه ﴾ أي: صار تبعاً فإذا بان واتضح، ولم يبق فيه شبهة

﴿ فَمِن شَاء فِلْيُؤْمِن ، ومِن شَاء فليكفر﴾ أي: لم يبق إلا سلوك أحد الطريقين، بحسب توفيق العبد، وعدم توفيقه، وقد أعطاه الله مشيئة بها يقدر على الإيمان والكفر، والخير والشر، فمن آمن فقد وفق للصواب، ومن كفر فقد قامت عليه الحجة، وليس بمكره على الإيمان، كما قال تعالى ﴿لا إكراه في الدين قد تبيُّ الرشد من الغي﴾ وليس في قوله: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) الإذن في كلا الأمرين، وإنما ذلك تهديد ووعيد لن اختار الكفر بعد البيان التام، كما ليس فيها ترك قتال الكافرين. ثم ذكر تعالى مآل الفريقين فقال: ﴿إِنَّا أَعتدنا للظالمين بالكفر والفسوق والعصيان ﴿ نَاراً أَحَاطُ بِهِم سَرادَقُهَا ﴾ أي: سورها المحيط بها، فليس لهم منفذ ولا طريق ولا مخلص منها، تصلاهم النار الحامية .

﴿ وَإِنْ يَسْتَغَيَّتُوا ﴾ أي: يطلبوا الشراب، ليطفىء ما نزل بهم من العطش الشديد.

﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ أي: كالرصاص المذاب، أو كعكر الزيت، من شدة حرارته.

﴿يشوي الوجوه ﴾ أي: فكيف بالأمعاء والبطون، كما قال تعالى ﴿يصهر به ما في بطونهم والجلود \* ولهم مقامع من حديد ﴾.

﴿بئس الشراب﴾ الذي يراد ليطفىء العطش، ويدفع بعض العذاب، فيكون زيادة في عذابهم، وشدة عقامه.

وهذا النار، أنها ساءت المحل، الذي يرتفق به، فإنها ليس فيها ارتفاق، يرتفق به، فإنها ليس فيها ارتفاق، وإنما فيها العذاب العظيم الشاق، الذي لا يُفتَر عنهم ساعة، وهم فيه مبلسون، قد أيسوا من كل خير، ونسيهم الرحيم في العذاب كما نسوه ثم ذكر الفريق الثاني فقال: ﴿إِنَّ المَنْ المَنُوا وعملوا الصالحات﴾ أي: جعوا بين الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والوم الآخر والقدر خير،

وشره، وعمل الصالحات من الواجبات والمستحبات ﴿إنّا لا نضيع أجر من أحسن عملاً وإحسان العمل: أن يريد العبد العمل لوجه الله، متبعاً في ذلك شرع الله، فلا أيضيعه الله، ولا شيئاً منه، بل يحفظه للعاملين، ويوفيهم من الأجر، بحسب عملهم وفضله وإحسانه، وذكر أجرهم بقوله:

﴿ أُولِنَكُ لِهِم جِنَاتِ عِدِن تَجِرِي مِن تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكثين فيها على الأرائك). أى: أولئك الموصوفون بالإيمان والعمل الصالح، لهم الجنات العاليات التي قد كثرت أشجارها، فأجَنَّت من فيهاً، وكثرت أنهارها، فصارت تجري من تحت تلك الأشجار الأنيقة، والمنازل الرفيعة، وحليتهم فيها الذهب، ولباسهم فيها الحرير الأخضر من السندس، وهو الغليظ من الديباج، والإستبرق، وهو ما رق منه. متكئين فيها على الأرائك، وهي السرر المزينة ، المجملة بالثياب الفاخرة ، فإنها لا تسمى أربكة حتى تكون كذلك، وفي اتكائهم على الأرائك، ما يدل على كـمال الـراحـة، وزوال الـنـصـب والتعب، وكون الخدم يسعون عليهم بما يشتهون، وتمام ذلك الخلود الدائم والإقامة الأبدية، فهذه الدار الجليلة ﴿نعم الثوابِ﴾ للعاملين ﴿وحسنت مرتفقاً﴾ يرتفقون بها، ويتمتعون بما فيها، مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، من الحبرة والسرور، والفرح الدائم، واللذات المتواترة، والنعم المتوافرة، وأي: مرتفق أحسن من دار، أدني أهلها يسير في ملكه ونعيمه وقصوره وبساتينه ألْفَي سنة، ولا يرى فوق ما هو فيه من النعيم، قد أعطى جميع أمانيه ومطالبه، وزيدمن المطالب، ما قبصرت عنه الأماني، ومع ذلك، فنعيمهم على الدوام متزايد في أوصافه وحسنه، فنسأل الله الكريم، أن لا يحرمنا خير ما عنده من الإحسان، بشَرٌّ ما عندنا من التقصير والعصيان.

ودلت الآية الكريمة وما أشبهها، على أن الحلية عامة للذكور والإناث، كما ورد في الأحاديث الصحيحة لأنه أطلقها في قوله ﴿يحلون﴾ وكذلك الحرير ونحوه.

﴿٣٢ \_ ٣٤﴾ ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً \* كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً \* وكان له ثمر ﴾ يقول تعالى لنبيه ﷺ: اضرب للناس مثل هذين الرجلين، الشاكر لنعمة الله، والكافر لها، وما صدر من كل منهما، من الأقوال والأفعال، وما حصل بسبب ذلك من العقاب العاجل والآجل، والثواب، ليعتبروا بحالهما، ويتعظوا بما حصل عليهما، وليس معرفة أعيان الرجلين، وفي أي: زمان أو مكان هما فيه فائدة أو نتيجة ، فالنتيجة تحصل من قصتهما فقط، والتعرض لما سوى ذلك من التكلف. فأحد هذين الرجلين الكافر لنعمة الله الجليلة، جعل الله له جنتين، أي: بستانين حسنين، من أعناب.

﴿وحففناهما بنخل﴾ أي: في هاتين الجنتين من كل الثمرات، وخصوصاً أشرف الأشجار، العنب والنخل، فالعنب في وسطها، والنخل قد حف بذلك، ودار به، فحصل فيه من حسن المنظر وبهائه، وبروز الشجر والنخل للشمس والرياح، التي تكمل بها الثمار، وتنضج وتتجوهر، ومع ذلك جعل بين تلك آلأشجار زرعاً، فلم يبق عليهما إلا أن يقال: كيف ثمار هاتين الجنتين؟ وهل لهما ماء يكفيهما؟ فأخبر تعالى أن كلا من الجنتين آتت أكلها، أي: ثمرها وزرعها ضعفين، أي: متضاعفاً ﴿و﴾ أنها ﴿لم تظلم منه شيئاً﴾ أي: لم تنقص من أكلها أدنى شيء، ومع ذلك، فالأنهار في جوانبهما سارحة، كثيرة غزيرة.

﴿وكان له﴾ أي: لذلك الرجل ﴿ثمر﴾ أي: عظيم كما يفيده التنكير، أي: قد استكملت جنتاه ثمارهما،

وازجَحننت أشجارهما، ولم تعرض لهما آفة أو نقص، فهذا غاية منتهى زينة الدنيا في الحرث، ولهذا اغتر هذا الرجل بهما، وتبجح وافتخر، ونسي آخرته.

\$ 47 \_ 71 \$ ﴿ فقال لصاحبه وهو يعاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً \* ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً \* وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً ﴾ أي: فقال صاحب الجنتين لصاحبه المؤمن، وهما يتحاوران، أي: يتراجعان بينهما في بعض الماجريات المعتادة، مفتخراً عليه:

﴿أَنَا أَكِثْرُ مِنْكُ مِالاً وأَعِزُ نَفْراً ﴾ فخر بكثرة ماله، وعزة أنصاره من عبيد، وخدم، وأقارب، وهذا جهل منه، وإلا فأي: افتخار بأمر خارجي ليس فيه فضيلة نفسية، ولا صفة معنوية، وإنما هو بمنزلة فخر الصبي بالأماني، التي لا حقائق تحتها، ثم لم يكفه هذا الافتخار على صاحبه، حتى حكم بجهله وظلمه، وظن لما دخل جنته، ف ﴿قال ما أظن أن تبيد ﴾ أي: تنقطع وتضمحل ﴿هذه أبداً ﴾ فاطمأن إلى هذه الدنيا، ورضى بها، وأنكر البعث، فقال: ﴿ وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى رب، على ضرب المثل ﴿لأجدن خيراً منها منقلباً ﴾ أي: ليعطيني خيراً من هاتين الجنتين، وهذا لا يخلو من أمرين: إما أن يكون عالماً بحقيقة الحال، فيكون كلامه هذا على وجه التهكم والاستهزاء فيكون زيادة كفر إلى كفره، وإما أن يكون هذا ظنه في الحقيقة، فيكون من أجهل الناس، وأبخسهم حظاً من العقل، فأي: تلازم بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة، حتى يظن بجهله أن من أعْطِيَ في الدنيا أعطى في الآخرة، بل الغالب أن الله تعالى يَرْوى الدنيا عن أوليائه وأصفياته، ويوسعها على أعدائه، الذين ليس لهم في الآخرة نصيب، والظاهر أنه يعلم حقيقة الحال، ولكنه

قال هذا الكلام على وجه التهكم والاستهزاء، بدليل قوله: ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه﴾ فإثبات أن وصفه الظلم، في حال دخوله، الذي جرى منه، من القول ما جرى، يدل على تمرده وعناده.

﴿٣٩ ـ ٣٩ ﴿ ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُو عَاوِره أَكَفُرت بِالذِي خَلَقَكُ مِن تِرابِ ثم مِن نطقة ثم سواك رجلاً \* لَكِنَا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحيداً \* ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴾ أي: قال له صاحبه المؤمن ، ناصحاً له ، ومذكراً له حاله الأولى ، التي أوجده الله فيها في الدنيا رجلاً ﴿ فهو الذي أنعم عليك بنعمة الإيجاد والإمداد، وواصل عليك النعم ، ونقلك من طور ال طور ، حت

النعم، ونقلك من طور إلى طور، حتى سواك رجلاً، كامل الأعضاء والجوارح المحسوسة والمعقولة، وبذلك يسر لك الأسباب، وهيأ لك ما هيأ من نعم الدنيا، فلم تحصل لك الدنيا بحولك وقوتك، بل بفضل الله تعالى عليك، فكيف يليق بك أن تكفر بالله الذي خلقك من تراب، ثم من نطفة ثم سواك رجلاً، وتجحد<sup>(۱)</sup> نعمته، وتزعم أنه لا يبعثك، وإن بعثك أنه يعطيك خيراً من جنتك؟! هذا مما لا ينبغى ولا يليق. ولهذا لما رأى صاحبه المؤمن حاله واستمراره على كفره وطغيانه، قال مخبراً عن نفسه، على وجه الشكر لربه، والإعلان بدينه، عند ورود المجادلات والشبه: ﴿لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً ﴾ فأقر بربوبيته لربه، وانفراده فيها، والتزم (٢) طاعته

﴿٣٩ ــ ٤٤ ﴾ ﴿إِن ترن أنا أقل منك مالاً وولداً \* فعسى ربّي أن يؤتين خيراً

وعبادته، وأنه لا يشرك به أحداً من

المخلوقين، ثم أخبره أن نعمة الله عليه

بالإيمان والإسلام، ولو مع قلة ماله

وولده، أنها هي النعمة الحقيقية، وأن

ما عداها مُعَرَّضٌ للزوال والعقوبة عليه

من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً \* أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً \* وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً \* ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً \* هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقباً \*.

أي: قال للكافر صاحبُه المؤمن: أنت \_ وإن فخرت علي بكثرة مالك وولدك، ورأيتني أقل منك مالاً وولداً \_ فإن ما عند الله، خير وأبقى، وما يرجى من خيره وإحسانه، أفضل من جميع الدنيا، التي يتنافس فيها المتنافسون.

﴿فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها أي: على جنتك والسماء أي: على جنتك والسماء أي: على جنتك غيره، ﴿فتصبح ﴾ بسبب ذلك أسجارها، وتلفت ثمارها، وغرق أشجارها، وتلفت ثمارها، وغرق ماؤها الذي مادتها منه ﴿فوراً ﴾ أي: قائراً في الأرض ﴿فلن تستطيع له علياً إلى بالمعاول ولا بغيرها، وإنما دعا على جنته المؤمنُ غضباً لربه، لكونها غرته وأطغته، واطمأن إليها، لعلم في ينيب، ويراجع رشده، ويبصر في ينيب، ويراجع رشده، ويبصر في

فاستجاب الله دعاء ﴿ وأحيط بشمره ﴾ أي: أصابه عذاب أحاط به، واستهلكه، فلم يبق منه شيء، والإحاطة بالشمر يستلزم تلف جميع أشجاره، وثمارها، وزرعه، فندم كل الندامة، واشتد لذلك أسفه، ﴿ فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها ﴾ أي: على كثرة نفقاته الدنيوية عليها، حيث اضمحلت وتلاشت، فلم يبق لها عوض، وندم أيضاً على شركه،

والنكال، فقال:

أشرك بري أحداً ﴾.

قال الله تعالى: ﴿ ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً ﴾ أي: لما نزل العذاب بجنته، ذهب عنه ما كان يفتخر به من قوله لصاحبه: ﴿أَنَا أَكِثُرُ مِنْكُ مِالاً وأَعَزُ نَفُراً﴾ فلم يدفعوا عنه من هذا العذاب شيئاً، أشد ماكان إليهم حاجة، وماكان بنفسه منتصراً، وكيف ينتصر، أي: يكون له أنصار على قضاء الله وقدره الذي إذا أمضاه وقدره، لو اجتمع أهل السماء والأرض على إزالة شيىء منه، لم

ولا يستبعد من رحمة الله ولطفه، أن صاحب هذه الجنة ، التي أحيط بها ، تحسنت حاله، ورزقه الله الإنابة إليه، وراجع رشده، وذهب تمرده وطغيانه، بدليل أنه أظهر الندم على شركه بربه، وأن الله أذهب عنه ما يطغيه، وعاقبه فى الدنيا، وإذا أراد الله بعبد خيراً عجُّل له العقوبة في الدنيا. وفضل الله لا تحيط به الأوهام والعقول، ولا ينكره إلا ظالم جهول.

﴿ هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقباً ﴾ أي: في تلك الحال التي أجرى الله فيها العقوبة على من طغى، وآثر الحياة الدنيا، والكرامة لمن آمين، وعمل صالحاً، وشكر الله، ودعا غيره لذلك، تبين وتوضح أن الولاية لله الحق، فمن كان مؤمناً به تقياً، كان له ولياً، فأكرمه بأنواع البكيراميات، ودفيع عينيه البشرور والمثلات، ومن لم يؤمن بربه ويتولاه، خسر دينه ودنياه، فثوابه الدنيوي والأخروى، خير(١) ثواب يرجى ويؤمل، ففي هذه القصة العظيمة، اعتبار بحال الذي أنعم الله عليه نعما دنيوية، فألهته عن آخرته وأطغته، وعصى الله فيها، أن مآلها الانقطاع والاضمحلال، وأنه وإن تمتع بها قليلاً، فإنه يحرمها طويلاً، وأن العبد

وشره، ولهذا قال: ﴿ويقول يا ليتني لم ينبغي له \_إذا أعجبه شيء من ماله أو ولده \_ أن يضيف النعمة إلى موليها ومسديها، وأن يقول: «ما شاء الله، لا قوة إلا بالله اليكون شاكراً لله متسبباً لبقاء نعمته عليه، لقوله:

﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴾ وفيها: الإرشاد إلى التسلى عن لذات الدنيا وشهواتها، بما عند الله من الخير

﴿إِن تُرِن أَنَا أَقُلِ مِنْكُ مَالاً وَوَلَداً \* فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك﴾ وفيها أن المال والولد لا ينفعان، إن لم يعينا على طاعة الله كما قال تعالى: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفي إلا من آمن وعماً, صالحاً ﴾ وفيه الدعاء بتلف مال من كان ماله سبب طغيانه وكفره وخسرانه، خصوصاً إن فضّل نفسه بسببه على المؤمنين، وفخر عليهم، وفيها أن ولاية الله وعدمها إنما تتضح نتيجتها إذا انجلي الغبار وحق الجزآء، ووجد العاملون أجرهم فر ﴿هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقباً ﴾ أي: عاقبة ومآلاً.

﴿ وَهِ ٤٦ ﴾ ﴿ وَاضْرِبِ لَهُمْ مِثْلُ الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كُلُّ شيء مقتدراً \* المآل والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عندربك ثواباً وخير أملاً يقول تعالى لنبيه ﷺ أصلاً، ولمن قام بوراثته بعده تبعاً: اضرب للناس مشل الحياة الدنيا ليتصوروها حق التصور، ويعرفوا ظاهرها وباطنها، فيقيسوا بينها وبين الدار الباقية، ويؤثروا أيهما أولى بالإيثار، وأن مثل هذه الحياة الدنيا، كمثل المطر، ينزل على الأرض، فيختلط نباتها، تنبت من كل زوج بهيج، فبينا زهرتها وزخرفها تسر الناظرين، وتفرح المتفرجين، وتأخذ

الْمَالُ وَالْسَنُورَ } : مَعُ ٱلْعُمَادُ وَالدُّنْمَا وَالْمُعَاثُ الْعَمَاتُ الصَّلَاحِينُ خَيْرُعِندَدَيْكَ ثَوَابًا وَخَيْرُأْمَلًا ۞ وَيَوْعَ مُسَيْرُأَكِيكَ الْوَثْرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرَنَهُ مُ فَلَرَنْعَ لِورْمِنْهُ مُ أَحَدًا ﴿ وَعُيهُ وَا عَلَى زَبِكَ صَفًا لَقَدْ جِعْتُمُونَاكُمَا خَلَقْنَكُمُ أَوَّلَ مَرَّةً بَلْ زَعْمَتُمْ أَلِّن خَعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿ وَقُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى ٱلْجَسْمِينَ مُشْفِقِينَ عَمَافِيهِ وَيَقُولُونَ يَنْوَلَتَنَا مَالِ هَلَا ٱلْكِتَب الأيفاد رُصَغِيرةً وَلا كَبِيرةً إِلَّا أَحْصَلْهَا وَقَجَدُ وَأَمَاعِمُ وَأُ عَاضِرًا وَلايَظْلِهُ رَبُّكَ أَحَدًا ۞ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَئِكَةِ أَسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَكَانَ مِنَ آلِمِينَ فَفَسَوْعَنْ أَمْرِيَايَةً أَفَنَتُغِذُ وَنَهُ وَذُرِيَّتُهُ وَأَوْلِيَّا مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُونًا بِنْسَ لِلظَّلِلِينَ بَدَلَاقِ • مَّا أَشْهَدَتُهُمُ حَلْقَ ٱلسَّكَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَاخَلْقَ أَنْفُيسِهِمْ وَمَاكُنُتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِينَ عَشُدًا @وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِيرَ زَعَتُ مُ فَلَعَوْمُرَ فَلْمَ يَسْتَجِيبُوا لَمُمْ وَيَحَمَلُنَا يَتَنْهُم مَّوْفِقًا ۞ وَرَوَ اللَّهُ مِرُونَ النَّا رَفَظَنُوا أَنْهُدُمُ وَاقِعُوهَا وَلَيْجِدُواْعَنْهَا مَصْرِفَا ۞ CONTRACTOR OF THE STATE OF THE

بعيون الغافلين، إذ أصبحت هشيماً تذروه الرياح، فذهب ذلك النبات الناضر، وآلزهر الزاهر، والمنظر البهى، فأصبحت الأرض غبراء تراباً، قد انحرف عنها النظر، وصدف عنها البصر، وأوحشت القلب، كذلك هذه الدنيا، بينما صاحبها قد أعجب بشبابه، وفاق فيها على أقرانه وأترابه، وحصل درهمها ودينارها، واقتطف من لذته أزهارها، وخاض في الشهوات في جميع أوقاته، وظن أنه لًا يزال فيها سائر أيامه، إذ أصابه الموت أو التلف لماله، فذهب عنه سروره، وزالت لذته، وحبوره، واستوحش قلبه من الآلام وفارق شبابه وقوته وماله، وانفرد بصالح أو سيىء أعماله، هنالك يعض الظالم على يديه، حين يعلم حقيقة ما هو عليه، ويتمنى العود إلى الدنيا، لا ليستكمل الشهوات، بل ليستدرك ما فرط منه من الغفلات، بالتوبة والأعمال الصالحات، فالعاقل الحازم الموفق، يعرض على نفسه هذه الحالة، ويقول لنفسه: قدري أنك قد مِتُ، ولا بدأن تموتى، فأي: الحالتين تختارين؟ الاغترار بزخرف هذه الدار، والتمتع بها كتمتع الأنعام السارحة، أم العمل لدار أكلها دائم وظلها، وفيها ما

في الجملة إشكال دفع إلى جعلها في بعض الطبعات (شر ثواب) وهي في النسختين (خير ثواب) وظاهر أن المقصود بذلك من كان مؤمناً تقياً، فهو الذي ثوابه خير ثواب.

وَلَقَدْ صَرَّفَ فِي هَذَا ٱلْقُرْءَ إِن لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلُ وَكَارَ الْمُعَالِّ ٱلإنكُنُ أَحَةُ مَنَى وجَدَلًا ۞ وَمَامَنَعُ ٱلنَّاسَ أَن وُوْمِهُ وَا إِذْ جَآءَهُمُ الْمُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْنِيَهُمْ سُنَّةً ٱلْأَوْلَيْبُ أَوْيَأْنِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿ وَمَا زُمِيلًا لِلْمُسَانَ إِلَّامُبَيْفِينَ وَمُنذِينِكُ وَيُجَادِلُ ٱلَّذِينَ كَعَمُولِ ٱلْبَطِلِ أ لِيُدْحِضُواْ بِهِ أَنْحَقُّ وَأَنَّفَ أُواَءً إِيْنِي وَمَا أَنْذِرُواْ هُـ زُوا ٥ وَمَنْ أَظْلَرُمِمَّن دُحِكَرِ عَلَيْتِ رَبِيهِ فَأَعْضَ عَنْهَا وَلَيْسَى مَاقَدَّمَتَ يَدَاهُ إِنَّاجَعَلْنَاعَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةُ أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي اَذَانِهِ مُ وَقِّلَ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْمُكدَىٰ فَلَن يَهْمَنُو أَلِذًا أَبِدًا ۞ وَرَبُّكَ ٱلْعَكُورُهُ وَالرَّخِيمَةُ لَوْيُولِخِيدُهُم بِمَا الْأَ حَسَبُوا لَعَجَلَ لَمُهُ الْعَلَابُ بَل لَمُهُ مَوْعِدُ لَن يَعِدُوا مِن دُونِيهِ مَوْلِلًا ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَيِّ أَهْلَكَ مَا مَالْطَلَمُوا مِن دَوْنِهِ مُوْلِا ﴿ وَمَلْكُ الْقَرْئِ الْفَلْكُ عَجْرَا الْمُؤْلِ وَمَعَلَنَا لِمُمْلِكِ هِمْ مَوْمِنَا ﴿ وَاذْ قَالَ مُوتِ لِفَنْدُ لَآ أَبَّيْنَ حَمَّا الْمُنْ مَجْمَعً الْمِدِّرِينَ أُوالَّمِنِي مُشَّلًا ﴾ فَلَمَا بَلْفُكُ الْمَا المُ مَعْمَعُ بِينِومَا لَيْسَاحُونَهُمَا فَأَغُذَ سَيِلَهُ فِي أَفْرِسَوَا ۞ TO SETTLE TO SET

تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين؟ فبهذا يعرف توفيق العبد من خذلانه، وربحه من خسرانه، ولهذا أخبر تعالى أن المال والبنين، زينة الحياة الدنيا، أي: ليس وراء ذلك شيء، وأن الذي يبقى للإنسان وينفعه ويسره، الباقيات الصالحات، وهذا يشمل جميع الطاعات الواجبة، والمستحبة من حَقُوق الله، وحقوق عباده، من صلاة، وزكاة، وصدقة، وحج، وعمرة، وتسبيح، وتحميد، وتهليل، وتكبير، وقراءة، وطلب علم نافع، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وصلة رحم، وبر والدين، وقيام بحق الزوجات، والمماليك، والبهائم، وجميع وجوه الإحسان إلى الخلق، كل هذا من الباقيات الصالحات، فهذه خير عند الله ثواباً وخير أملاً، فشوابها يبقى، ويتضاعف على الآباد، ويؤمل أجرها وبرها ونفعها عند الحاجة، فهذه التي ينبغي أن يتنافس بها المتنافسون، ويستبق إليها العاملون، ويجدُّ في تحصيلها المجتهدون، وتأمل كيف لمّا ضرب الله مشل المدنيا وحالها واضمحلالها، ذكر أن الذي فيها نوعان: نوع من زينتها، يتمتع به قليلاً، ثم يزول بلا فائدة تعود لصاحبه، بل ربما لحقته مضرته، وهو

المال والبنون ونوع يبقى وينفع صاحبه على الدوام، وهي الباقيات الصالحات. ﴿٤٧ ــ ٤٩ ﴾ ﴿ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً \* وعرضوا على ربك صفاً لقد جنتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً \* ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحداً ﴾ يخبر تعالى عن حال يوم القيامة، وما فيه من الأهوال المقلقة، والشدائد المزعجة فقال:

﴿ويوم نسير الجبال﴾ أي: يزيلها عن أماكنها، يجعلها كثيباً، ثم يجعلها كالعهن المنفوش، ثم تضمحل وتتلاشى، وتكون هباء منبثاً، وتبرز الأرض فتصير قاعاً صفصفاً، لا عوج فيه ولا أمناً، ويحشر الله جميع الخلق على تلك الأرض، فلا يغادر منهم أحداً، بل يجمع الأولين والآخرين من بطون الفلوآت، وقعور البحار، ويجمعهم بعدما تفرقوا، ويعيدهم بعدما تمزقوا، خلقاً جديداً، فيعرضون عليه صفأ ليستعرضهم وينظر في أعمالهم، ويحكم فيهم بحكمه العدل، الذي لا جور فيه ولا ظلم، ويقول لهم: ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ﴾ أي: بلا مال، ولا أهل، ولا عشيرة، ما معهم إلا الأعمال، التي عملوها، والكاسب في الخير والشر، التي كسبوها كما قال تعالى: ولقد جئتمونا فرادي كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ومانري معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ﴿ وقال هنا، مخاطباً للمنكرين للبعث، وقد شاهدوه عياناً: ﴿بِل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً ﴾ أي: أنكرتم الجزاء على الأعمال، ووعد الله ووعيده، فها قد رأيتموه وذقتموه، فحينئذ تحضر كُتُبُ الأعمال التي كتبتها الملائكة

الكرام(١١)، فتطير لها القلوب، وتعظم من وقعها الكروب، وتكاد لها الصم الصلاب تذوب، ويشفق منها المجرمون، فإذا رأوها مسطرة عليهم أعمالهم، مُحصى عليهم أقوالهم وأفعالهم، قالوا: ﴿ يَا وَيُلْتُنَا مَالُ هَذَا الكتاب لأيغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ أي: لا يترك خطيئة صغيرة ولا كبيرة، إلا وهي مكتوبة فيه، محفوظة لم ينس منها عمل سر ولا عملانسية، ولا ليل ولا نهمار، ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ﴾ لا يقدرون على إنكاره ﴿ولا يظلم ربك أحمداً﴾ فحينشذ يجازون سا، ويقررون بها، ويخزون، ويحق عليهم العذاب، ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد، بل هم غير خارجين عن عدله وفضله.

﴿ ٥٠ ﴿ وَإِذْ قَلْنَا لِلْمَلائِكَةُ اسْحِدُوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دون وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً يخبر تعالى، عن عداوة إبــليس لآدم وذريــتــه، وأن الله أمــر الملائكة بالسجود لآدم، إكراماً وتعظيماً، وامتثالاً لأمر الله، فامتثلوا ذلك ﴿ إلا إبليس كان من الجن، ففسق عن أصر ربه ﴾ وقال: ﴿أأسجد لمن خلقت طيناً ﴾ وقال: ﴿أَنَا خِيرِ مِنه ﴾ فتبين بهذا عداوته لله ولأبيكم ولكم، فكيف تتخذونه وذريته، أي: الشياطين ﴿أُولِياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً أي: بئس ما اختاروا لأنفسهم من ولاية الشيطان، الذي لا يأمرهم إلا بالفحشاء والمنكر عن ولاية الرحمن، الذي كل السعادة والفلاح والسرور في ولايته. وفي هذه الآية، الحث على اتخَّاذ الشيطان عُدواً، والإغراء بذلك، وذكر السبب الموجب لذلك، وأنه لا يفعل ذلك إلا ظالم، وأي: ظلم أعظم من ظلم من اتخذ عدوه الحقيقي ولياً، وترك الولى الحميد؟!!

قال تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾.

وقال تعالى: ﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله﴾ .

﴿١٥ \_ ٥١﴾ ﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولاخلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً \* ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم مويقاً ﴾ يقول تعالى: ما أشهدت الشيأطين [وهؤلاء المضلين]، ﴿خلق السماوات والأرض ولا خملق أنفسهم أي: ما أحضرتهم ذلك، ولا شاورتهم عليه، فكيف يكونون خالقين لشيء من ذلك؟! بل المنفرد بالخلق والتدبير، والحكمة والتقدير، هو الله، خالق الأشياء كلها، المتصرف فيها بحكمته، فكيف يجعل له شركاء من الشياطين، يوالون ويطاعون، كما يطاع الله، وهم لم يخلقوا ولم يشهدوا خلقاً، ولم يعاونوا الله تعالى؟! ولهذا قال: ﴿وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴾ أي: معاونين، مظاهرين لله على شأن من الشؤون، أي: ما ينبغي ولا يليق بالله، أن يجعل لهم قسطاً من التدبير، لأنهم ساعون في إضلال الخلق والعداوة لرجم، فاللاثق أن يقصيهم ولا يدنيهم.

ولما ذكر حال من أشرك به في الدنيا، وأبطل هذا الشرك غاية الإبطال، وحكم بجهل صاحبه وسفهه، أخبر عن حالهم مع شركائهم يوم القيامة، وأن الله يقول لهم: فاندوا شركائي بزعمكم أي: على موجب زعمكم الفاسد، وإلا فبالحقيقة ليس لله شريك في الأرض، ولا في السماء، أي: نادوهم، لينفعوكم، السماء، أي: نادوهم، لينفعوكم، فلم يستجيبوا لهم لا أحد يملك مثقال ذرة يومئذ لله، لا أحد يملك مثقال ذرة من النفع لنفسه ولا لغيره.

﴿وجعلنا بينهم﴾ أي: بين المشركين وشركائهم ﴿موبقاً﴾ أي: مهلكاً،

يفرق بينهم وبينهم، ويبعد بعضهم من بعض، ويتبين حينئذ عداوة الشركاء لشركائهم، وكفرهم بهم، وتبرّبهم منهم، كما قال تعالى: ﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾.

﴿٣٥﴾ ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾ أي: لما كان يوم القيامة وحصل من الحساب ما حصل، وتميز كل فريق من الخلق بأعمالهم، وحقت كلمة العذاب على المجرمين، فرأوا جهنم قبل دخولها، فانزعجوا واشتد قلقهم لظنهم أنهم مواقعوها، وهذا الظن قال المفسرون: إنه بمعنى اليقين، فأيقنوا أنهم داخلوها ﴿ولم يجدوا عنها ولا شافع لهم من دون إذنه، وفي هذا من التخويف والترهيب، ما ترعد له الأفئدة والقلوب.

﴿٤٥٤ ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً يخبر الله تعالى عن عظمة القرآن، وجلالته، وعمومه، وأنه صَرَّف فيه من كل مَثَل، أي: من كل طريق موصل إلى العلوم النافعة، والسعادة الأبدية، وكل طريق يعصم من الشر والهلاك، ففيه أمثال الحلال والحرام، وجزاء الأعمال، والترغيب والترهيب، والأخبار الصادقة النافعة للقلوب، اعتقاداً، وطمأنينة، ونوراً، وهذا مما يوجب التسليم لهذا القرآن وتلقيه بالانقياد والطاعة، وعدم المنازعة له في أمر من الأمور، ومع ذلك، كان كثير من الناس يجادلون في الحق بعد ما تبين، ويجادلون بالباطل ﴿ليدحضوا به الحق﴾ ولهذا قال: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً أي: مجادلة ومنازعة فيه، مع أن ذلك غير لائق بهم، ولا عدل منهم، والذي أوجب له ذلك وعدمَ الإيمان بالله، إنما هو الظلم والعناد، لا لقصور في بيانه وحجته وبرهانه، وإلا فلو جاءهم العذاب، وجاءهم ما جاء قبلهم، لم تكن هذه حالهم، ولهذا

قال:

﴿٥٥﴾ ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدي ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلاً ﴾ أي: ما منع الناس من الإيمان، والحال أن الهدى الذي يحصل به الفرق، بين الهدى والضلال، والحق والباطل، قد وصل إليهم، وقامت عليهم حجة الله، فلم يمنعهم عدم البيان، بل منعهم الظلم والعدوان عن الإيمان، فلم يبق إلا أنَّ تأتيهم سنة الله، وعادته في الأولين من أنهم إذا لم يؤمنوا عوجلوا بالعذاب، أو يرون العذاب قد أقبل عليهم، ورأوه مقابلة ومعاينة، أي: فَلْيَخَافُوا من ذلك، ولْيَتُوبوا من كفرهم، قبل أن يكون العذاب الذي لا مرد له.

﴿٥٦﴾ ﴿وما نبرسيل المرسيلين إلاَّ مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزواً ﴿ أي: لم نرسل الرسلُ عبثاً، ولا ليتخذهم الناس أرباباً، ولا ليدعوا إلى أنفسهم، بل أرسلناهم يدعون الناس إلى كل خير، وينهون عن كل شر، ويبشرونهم على امتثال ذلك بالثواب العاجل والآجل، وينذرونهم على معصية ذلك بالعقاب العاجل والآجل، فقامت بذلك حجة الله على العباد، ومع ذلك يأبى الظالمون الكافرون، إلا المجادلة بالباطل، ليدحضوا به الحق، فسعوا في نصر الباطل مهما أمكنهم، وفي دحض الحق وإبطاله، واستهزؤوا برسل الله وآياته، وفرحوا بما عندهم من العلم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، ويظهر الحق على الباطل ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، ومن حكمة الله ورحمته، أن تقييضه المبطلين المجادلين الحق بالباطل، من أعظم الأسباب إلى وضوح الحق وتبين شواهده وأدلته، وتبين الباطل وفساده، فبضدها تتبين الأشياء.

﴿٥٧ ــ ٩٩﴾ ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربّه فأعرض عنها ونسي ما

قدمت يداه إنّا جعلنا على قلوبهم أكِنّة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرأ وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا \* وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجّل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثلاً \* وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لهلكهم موعداً ﴾ يخبر تعالى أنه لا أعظم ظلماً، ولا أكبر جرماً، من عبد ذُكِّر بآيات الله وبُيِّن له الحق من الباطل، والهدى من الضلال، وخُوِّف ورُهِّب ورُغِّب، فأعرض عنها، فلم يتذكر بما ذُكِّر به، ولم يرجع عما كانً عليه، ونسمى ما قدمت يداه من الذنوب، ولم يراقب علام الغيوب، فهذا أعظم ظلماً من المعرض الذي لم تأته آیات الله ولم یذکر بها، وإن کان ظالمًا، فإنه أخف (١) ظلماً من هذا، لكون العاصى على بصيرة وعلم، أعظم ممن ليس كذلك، ولكن الله تعالى عاقبه بسبب إعراضه عن آياته، ونسيانه لذنوبه، ورضاه لنفسه، حالة الشر مع علمه بها، أن سد عليه أبواب الهداية بأن جعل على قلبه أكنة ، أي: أغطية محكمة تمنعه أن يفقه الآيات وإن سمعتها، فليس في إمكانها الفقه الذي يصل إلى القلب، ﴿ وَفِي آذَانِهِم وقرأَ ﴾ أي: صمماً يمنعهم من وصول الآيات، ومن سماعها على وجه الانتفاع وإذا كانوا بهذه الحالة، فليس لهدايتهم سبيل، ﴿وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبداً ﴾ لأن الذي يرجى أن يجيب الداعى للهدى من ليس عالماً، وأما هؤلاء اللَّذِينِ أبصروا ثم عموا، ورأوا طريق الحق حقاً فتركوه، وطريق الضلال ضلالاً فسلكوه، وعاقبهم الله بإقفال القلوب والطبع عليها، فليس في هدايتهم حيلة

ثم أخبر تعالى عن سعة مغفرته ورحمته، وأنه يغفر الذنوب، ويتوب الله على من يتوب، فيتغمده برحمته، ويشمله بإحسانه، وأنه لو آخذ (٢) العباد على ما قدمت أيديهم من الذنوب، لعجل لهم العذاب، ولكنه تعلى حليم لا يعجل بالعقوبة، بل يمهل ولا يهمل، والذنوب لا بد من وقوع آثارها، وإن تأخر عنها مدة طويلة، ولهذا قال:

ذلك .

﴿بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثلاً أي: لهم موعد، يجازون فيه بأعمالهم، لا بدلهم منه، ولا مندوحة لهم عنه، ولا ملجأ، ولا محيد عنه، وهذه سنته في الأولين والآخرين، أن لا يعاجلهم بالعقاب، بل يستدعيهم إلى التوبة والإنابة، فإن تابوا وأنابوا، غفر لهم ورحمهم، وأزال عنهم العقاب، وإلا، فإن استمروا على ظلمهم وعنادهم، وجاء الوقت الذي جعله موعداً لهم، أنزل بهم بأسه، ولهذا قال: ﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا اي: بظلمهم، لا بظلم منا ﴿وجعلنا لمهلكهم موعداً﴾ أي: وقتاً مقدراً، لا يتقدمون عنه ولا يتأخرون.

﴿ ٦٠ - ٢٨﴾ ﴿ وإذ وال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقباً \* فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً \* فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً \* قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً \* قصصاً \* فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه وصمة عن عندنا وعلمناه من لدنا علماً \* قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن معي صبراً \* قال إنك لن تستطيع معي صبراً \* وكيف تصبر على ما لم

تحط به خبراً \* قال ستجدن إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً \* قال فإن اتبعتني فلا تسألّني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً \* فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها، إلى قوله: ﴿ ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾ يخبر تعالى عن نبيه موسى عليه السلام، وشدة رغبته في الخير وطلب العلم، أنه قال لفتاه \_ أي: خادمه الذي يلازمه في حضره وسفره، وهو «يوشع بن نون» الذي نبأه الله بعد ذلك: ﴿ لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أي: لا أزال مسافراً وإن طالت على الشقة، ولحقتني المشقة، حتى أصل إلى مجمع البحرين، وهو المكان الذي أوحى إليه أنك ستجد فيه عبداً من عباد الله العالمين، عنده من العلم ما ليس عندك، ﴿أُو أمضى حقبا ﴾ أي: مسافة طويلة ، المعنى: أن الشوق والرغبة، حمل موسى أن قال لفتاه هذه المقالة، وهذا عزم منه جازم، فلذلك أمضاه.

﴿فلما بلغا﴾ أي: هو وفتاه ﴿مجمع بينهما نسيا حوتهما ﴾ وكان معهما حوت يتزودان منه ويأكلان، وقد وعد أنه متى فقد الحوت فَثَمَّ ذلك العبد الذي قصدته، فاتخذ ذلك الحوت سبيله، أي: طريقه في البحر سرباً وهذا من الآيات.

قال المفسرون: إن ذلك الحوت الذي كانا يتزودان منه، لما وصلا إلى ذلك المكان، أصابه بلل البحر، فانسرب بإذن الله في البحر، وصار مع حيواناته حياً.

فلما جاوز موسى وفتاه مجمع البحرين، قال موسى لفتاه: ﴿آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾ أي: لقد تعبنا من هذا السفر المجاوز فقط، وإلا فالسفر الطويل الذي وصلا به إلى مجمع البحرين لم يجدا مس التعب فيه، وهذا من الآيات والعلامات الدالة لموسى على وجود مطلبه، وأيضاً فإن

ولا طريق. وفي هذه الآية من

التخويف لمن ترك الحق بعد علمه، أن

يحال بينهم وبينه، ولا يتمكن منه بعد

ذلك، ما هو أعظم مرهب وزاجر عن

<sup>(</sup>١) في ب: فإنه أشد، والسياق يدل على ما أثبته.

<sup>(</sup>٢) في الأصل واخذ.

الشوق المتعلق بالوصول إلى ذلك المكان، سهل لهما الطريق، فلما تجاوزا عايتهما وجدا مس التعب، فلما قال موسى لفتاه هذه المقالة، قال له فتاه: ﴿ أَرْأَيْتَ إِذْ أُويِنَا إِلَى الصخرة فَإِنَي نَسِيتَ الحوتِ ﴾ أي: ألم تعلم حين آوانا الليل إلى تلك الصخرة المعروفة بينهما الليل إلى تلك الصخرة المعروفة بينهما الشيطان ﴾ لأنه السبب في ذلك ﴿ واتخذ سبيله في البحر عجبا ﴾ أي: لما انسرب في البحر ودخل فيه، كان ذلك من العجائب.

قال الفسرون: كان ذلك السلك للحوت سرباً، ولموسى وفتاه عجباً، فلما قال له الفتى هذا القول، وكان عند موسى وعد من الله أنه إذا فقد الحوت، وجد الخضر، فقال موسى: ﴿ وَلَكُ مَا كَنَا نَبِعُ ﴾ أي: نطلب ﴿ وَلَكُ مَا كَنَا نَبِعُ ﴾ أي: نطلب ﴿ وَلَكُ مَا كَنَا نَبِعُ ﴾ أي: نطلب قصصاً ﴾ أي: رجعا فصان أثرهما، إلى قصصاً ﴾ أي: رجعا يقصان أثرهما، إلى المكان الذي نبيا فيه الحوت فلما وصلا إليه، وجدا عبداً من عبادنا، وهو المضوى.

آتیناه [رحمه مسن عندنا أي: أعطاه الله رحمة خاصة بها زاد علمه وحسن عمله ﴿وعلمناه﴾](١)﴿من لدنا﴾ [أي: من عندنا] علماً، وكان قد أعطى من العلم ما لم يعط موسى، وإن كان موسى عليه السلام أعلم منه بأكثر الأشياء، وخمصوصاً في العلوم الإيمانية والأصولية، لأنَّه من أولى العزم من المرسلين، الذين فضلهم الله على سائر الخلق، بالعلم والعمل، وغير ذلك، فلما اجتمع به موسى قال له على وجه الأدب والمساورة، والإخبار عن مطلبه: ﴿ هِلْ أَتْبِعِكُ عَلَى أن تعلمن مما علمت رشداً ﴾ أي: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمك الله، ما به أسترشد وأهندي، وأعرف به الحق في تلك القضايا؟ وكان الخضر، قد أعطَّاه الله من الإلهام والكرامة، ما به يحصل له الاطلاع على بواطن كثير

من الأشياء التي خفيت، حتى على موسى عليه السلام، فقال الخضر لموسى: لا أمتنع من ذلك، ولكنك لا تقدر على اتباعي وملازمتي، لأنك ترى ما لا تقدر على الصبر على الصبر على المؤدر التي ظاهرها المنكر، وباطنها غير ذلك، ولهذا قال: ﴿وكيف تصبر على أمر، ما أحطت بباطنه وظاهره، وعلمت المقصود منه ومآله؟

فقال موسى: ﴿ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً ﴾ وهذا عزم منه، قبل أن يوجد الشيء المستحن به، والعزم شيء، ووجود الصبر شيء آخر، فلذلك ما صبر موسى عليه السلام حين وقع الأمر، فحينئذ قال له الخضر: ﴿فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً ﴾ أي: لا تبتدئني بسؤال منك وإنكار، حتى أكون أنا الذي أخبرك بحاله، في الوقت الذي ينبغي إخبارك به، فنهاه عن سؤاله، ووعده أن يوقفه على حقيقة الأمر.

﴿ فَانْطُلُقًا حتى إذا ركبًا في السفينة خرقها﴾ أي: اقتلع الخضر منها لوحاً، وكان له مقصود في ذلك سيبينه، فلم يصبر موسى عليه السلام، لأن ظاهره أنه منكر، لأنه عيب للسفينة، وسبب لغرق أهلها، ولهذا قال موسى: ﴿أَخِرِقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً ﴾ أي: عظيماً شنيعاً، وهذا من عدم صبره عليه السلام، فقال له الخضر: ﴿ أَلَّمُ أَقُلُ إِنْكُ لَنْ تَسْتَطِّيعُ مَعَى ا صبراً ﴾ أي: فوقع كما أخبرتك، وكأن هذا من موسى نسيباناً فقال: ﴿لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً ﴾ أي: لا تعسر على الأمر واسمح لي، فإن ذلك وقع على وجه النسيان، فلا تؤاخذن في أول مرة. فجمع بين الإقرار به والعذر منه، وأنه ما ينبغي لك أيها الخضر الشدة على صاحبك، فسمح عنه الخضر.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَلَهُ ءَاتِنَاغَدَّآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرَاهَانَا نَصَبًا ۞ قَالَ أَرَءَ يْنَ إِذْ أَوَيْنَ ٓ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِي نَسِيتُ ٱلْحُونَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرُهُ وَأَتَّخَذَ سَهِيلَهُ فِ ٱلْمَرْعَةِ عَبَ اللهِ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبَغُ فَازْتَ ذَاعَلَى ٓ عَالَ وَاللَّهِ مَا قَصَصَا ۞ فَوَجَدَاعَبْدَاعِنْ عِبَادِنَاءَاتَيْنَهُ رَحْمَةً مِنْعِندِنَا وَعَلَّنَهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۞ قَالَ لَهُ مُوسَكِ هَلْ أَيَّعُكَ عَلَيْ أَن تُعَالِمَن مِمَّا عُلِمْتَ رُشْدًا ۞ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَقِ صَبْرًا ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَرْتُحِظ بِعِيدُ خُبْرًا ﴿ قَالَ سَتَجِدُنَ إِن شَآءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلاَ أَعْمِي لَكَأْمُ لاَ قَالَ فَإِنِ ٱتَّغَتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَن شَيْءٍ حَقَّى أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكُرُا لَكُ ۞ فَأَنْطَلَقَا حَقَّ إِذَا رَكِبَا فِٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۚ قَالَ أَخَرَفْنَهَا لِنُعْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْجِنْتَ شَيْعًا إِمْرًا ۞ قَالَ أَلْرَأَقُلُ إِنَّكَ لَنَ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۞ قَالَ لَا ثُوَّا خِذْنِي مِمَّا نَسِيتُ وَلَا زُهِفَيْ مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۞ فَأَنطَلَقا حَقّ إِذَا لَقِياعُكُمُ افَقَتَكَهُ قَالَ إِنَّ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِعَيْرِ نَفْسِ لَّقَدْجِنْتَ شَيْعًا لْكُولُ اللَّهِ 

﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً ﴾ أي: صغيراً ﴿فقتله ﴾ الخضر، فاشتد بموسى الغضب، وأخذته الحمية الدينية، حين قتل غلاماً صغيراً لم يذنب ﴿قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً ﴾ وأي: نكر مثل قتل الصغير، الذي ليس عليه ذنب، ولم يقتل أحداً؟! وكانت الأولى من موسى نسياناً، وهذه غير نسيان، ولكن عدم صبر، فقال له الخضر معاتباً ومذكراً: ﴿أَلُم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبراً ﴾

ققال [له] موسى: ﴿إِن سألتك عن شيء ﴾ بعد هذه المرة ﴿فلا تصاحبني ﴾ أي: فأنت معذور بذلك، وبترك صحبتي ﴿قد بلغت من لدني عذراً ﴾ أي: أعذرت منى، ولم تقصر.

وفانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها أي: استضافاهم، فلم يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض أي: قد عاب واستهدم وفاقامه الخضر أي: بناه وأعاده جديداً. فقال له موسى: ولو شئت لانخذت عليه أجراً أي: أهل هذه القرية، لم يضيفونا مع وجوب ذلك عليهم، وأنت تبنيه من دون أجرة، وأنت تقدر عليها؟. فحينتذ لم يف موسى عليه السلام بما قال، واستعذر موسى عليه السلام بما قال، واستعذر موسى عليه السلام بما قال، واستعذر

• قَالَ أَلَوْ أَقُلِ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَيْرًا ۞ قَالَ إِن سَأَلَتُكَ عَن مَّني عِبْعُدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتِ مِن لَّدُنِ عُذُرًا ۞ فَأَنطَلُقا حَتَّ إِذَا أَتُيَّا أَهْلَ فَرْيَةِ أَسْتَطْتَمَ أَهْلَهَا فَأَيُّواْ أَن يُصَمِّعُوهُمَا فَوَجَدَا فِهَاجِدَارَا رُبِدُأَن نَقَضَ فَأَقَامَهُ. قَالَ لَوْشِئْتَ لَتَعَنَّذَتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۞ قَالَ هَاذَافِ رَاقُ بَيْنِي وَيَنِيكَ سَأُنَيْنُكَ بِمَأْوِيلِ مَالَرْتَسْتَطِعِ عَلَيْهِ صَبْرًا ۞ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِسُنِكِينَ عِسْمُلُونَ فِي ٱلْحِرْ فَأَرْدَتُ أَنْ أَعِيبُهَا وكان وَزَاءَ هُرِمَاكُ يَأْخُذُكُلُّ سَفِيكَةٍ غَصْبُ ا وَأَمَا ٱلْفُكَدُومُكَانَ أَبْوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَيْسِينَاۤ أَن يُرْهِفَهُمَا طُغْيَلُنَا وَكُفُولُ ۞ فَأَرَدُنَا أَن يُبْدِ لَمُمَارَثُهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكُوةً وَأَفْرَبَ رُحُمَا ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِكَارُ فَكَانَ لِغُلَنَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ غَتُهُ رُكَنَرُ فِلْمُمَا وَكَابَ أَبُوهُ مَاصَلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يتْلُغَنَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَغْرِيَاكَ نَرْهُمَارَعْكَةً يْنِ زَيْكُ وَمَافَعَلْتُهُ وَعَنْ أَمْنِي ذَيْكِ تَأْوِيلُ مَا لَرَّتَسْطِع عَلَيْهِ صَبْرًا ۞ وَيَسْتَلُونَكَ عَن نِي ٱلْقَرَّيْنِ قُلْ سَأَلْلُواْ عَلَيْكُمْ مِنْهُ وْكُولْ ۞

الخضر منه، فقال له:

﴿ هَذَا فراق بيني وبينك ﴾ فإنك شرطت ذلك على نفسك، فلم يبق الآن عذر، ولا موضع للصحبة، ﴿ سأنبثك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً ﴾ أي: سأخبرك بما أنكرت على، وأنبئك بما لي في ذلك من المآرب، وما يؤول إليه الأمر.

﴿أما السفينة ﴾ التي خرقتها ﴿فكانت لمساكين يعملون في البحر ﴾ يقتضي ذلك الرقة عليهم، والرأفة بهم . ﴿فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً ﴾ أي: كان سفينة صالحة تمر عليه ما فيها عيب غصبها وأخذها ظلماً، فأردت أن أخرقها ليكون فيها عيب، فتسلم من ذلك الظالم.

﴿وأما الغلام﴾ الذي قتلته ﴿فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً﴾ وكفراً﴾ وكان ذلك الغلام قد قدر عليه أنه لو بلغ لأرهق أبويه طغياناً وكفراً، أي: لحملهما على الطغيان والكفر، إما لأجل عبتهما إياه، أو للحاجة إليه أو يحدهما على ذلك، أي: فقتلته، لاطلاعي على ذلك، سلامة لدين أبويه المؤمنين، وأي: فائدة أعظم من هذه الفائدة الجليلة؟!! وهو وإن كان فيه

إساءة إليهما، وقطع لذريتهما، فإن الله تعالى سيعطيهما من الذرية ما هو خير منه، ولهذا قال: ﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً﴾ أي: ولداً صالحاً، زكياً، واصلاً نرحمه، فإن الغلام الذي قتل لو بلغ لعقهما أشد العقوق بحملهما على الكفر والطغيان.

﴿وأما الجدار﴾ الذي أقمته ﴿فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً﴾ أي: حالهما تقتضي الرأفة بهما ورحمتهما، لكونهما صغيرين عدما أباهما، وحفظهما الله أيضاً بصلاح والدهما.

﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما ﴾ أي: فلهذا هدمت الجدار، واستخرجت ما تحته من كنزهما، وأعدته مجاناً.

ورحمة من ربك أي: هذا الذي فعلته رحمة من الله، آتاها الله عبده الخضر (وما فعلته عن أمري أي:

أتيت (١) شيئاً من قبل نفسي، ومجرد إرادي، وإنسا ذلك من رحمة الله وأمره.

﴿ذلك﴾ الذي فسرته لك﴿تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾

وفي هذه القصة العجيبة الجليلة ، من الفوائد والأحكام والقواعد شيء كثير ، ننبه على بعضه بعون الله . فمنها فضيلة العلم ، والرحلة في طلبه ، وأنه أهم الأمور ، فإن موسى عليه السلام رحل مسافة طويلة ، ولقي النصب في طلبه ، وترك القعود عند بني إسرائيل ، لتعليمهم وإرشادهم ، واختار السفر لزيادة العلم على ذلك .

ومنها: البداءة بالأهم فالأهم، فإن زيادة العلم وعلم الإنسان أهم من ترك ذلك، والاشتغال بالتعليم من دون تزود من العلم، والجمع بين الأمرين أكمل.

ومنها: جواز أخذ الخادم في الحضر والسفر لكفاية المؤنة وطلب الراحة، كما فعل موسى.

ومنها: أن المسافر لطلب علم أو جهاد أو نحوه، إذا اقتضت المسلحة الإخبار بمطلبه، وأين يريده، فإنه أكمل من كتمه، فإن في إظهاره فوائد من الاستعداد له عدته، وإتيان الأمر على بصيرة، وإظهاراً لشرف هذه العبادة الجليلة، كما قال موسى: ﴿لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقباً﴾

وتحما أخبر النبي ﷺ أصحابه حين غزا تبوك بوجهه، مع أن عادته التورية، وذلك تبع للمصلحة.

ومنها: إضافة الشر وأسبابه إلى الشيطان، على وجه التسويل والتزيين، وإن كان الكل بقضاء الله وقدره، لقول فتى موسى: ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ﴾ .

ومنها: جواز إخبار الإنسان عما هو من مقتضى طبيعة النفس، من نصب أو جوع أو عطش، إذا لم يكن على وجه التسخط وكان صدقاً، لقول موسى: ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصاً﴾

ومنها: استحباب كون خادم الإنسان، ذكياً فطناً كيساً، ليتم له أمره الذي يريده.

ومنها: استحباب إطعام الإنسان خادمه من مأكله، وأكلهما جميعاً، لأن ظاهر قوله: ﴿آتنا غداءنا﴾ إضافة إلى الجميع، أنه أكل هو وهو جميعاً.

ومنها: أن المعونة تنزل على العبد على حسب قيامه بالمأمور به، وأن الموافق لأمر الله، يعان ما لا يعان غيره لقوله: ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ﴾ والإشارة إلى السفر المجاوز، لمجمع البحرين، وأما الأول، فلم يشتك منه التعب مع طوله، لأنه هو فالظاهر أنه بعض يوم، لأنهم فقدوا الحوت حين أووا إلى الصخرة، فالظاهر أنه ماروا من الغد، أنهم باتوا عندها، ثم ساروا من الغد، حتى إذا جاء وقت الغداء قال موسى لفتاه: ﴿آتنا غداءنا﴾ فحينئذ تذكر أنه

نسيه في الموضع الذي إليه منتهى. قصده.

ومنها: أن ذلك العبد الذي لقياه، ليس نبياً، بل عبداً صالحاً، لأنه وصفه بالعبودية، وذكر مِنَّة الله عليه بالرحمة والعلم، ولم يذكر رسالته ولا نبوته، ولو كان نبياً، لذكر ذلك كما ذكر غده.

وأما قوله في آخر القصة: ﴿وما فعلته عن أمري فإنه لا يدل على أنه نبي، وإنسما يدل على الإلهام والتحديث، كما يكون لغير الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ﴾ ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ﴾ .

ومنها: أن العلم الذي يُعَلِّمُه الله علمكُ الله تعالى. [لعباده](۱) نوعان: ومنها: أن الع

علم مكتسب يدركه العبد بجده واجتهاده. ونوع علم لدني، يهبه الله لمن يحمد عليه من عباده لقوله: 

﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾

ومنها: التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه ألطف خطاب، لقول موسى عليه السلام:

وهل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً في فأخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، وأنك هل تأذن لي يذلك أم لا، وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر، الذي لا يظهر للمعلم افتقاره إلى علم، بل يدعي أنه يتعاون هو وإياه، بل ربما ظن أنه يعلم معلمه، وهو جاهل جداً، فالذل للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه، من أنفع شيء للمتعلم.

ومنها: تواضع الفاضل للتعلم ممن دونه، فإن موسى -بلا شك -أفضل من الخضر.

ومنها: تعلم العالم الفاضل للعلم الذي لم يتمهر فيه، عن مهر فيه، وإن كان دونه في العلم بدرجات كثيرة.

فإن موسى عليه السلام من أولي العزم من المرسلين، الذين منحهم الله وأعطاهم من العلم ما لم يعط سواهم، ولكن في هذا العلم الخاص كان عند الخضر ما ليس عنده، فلهذا حرص على التعلم منه.

فعلى هذا، لا ينبغي للفقيه المحدث، إذا كان قاصراً في علم النحو، أو الصرف، أو نحوه من العلوم، أن لا يتعلمه ممن مهر فيه، وإن لم يكن محدثاً ولا فقيهاً.

ومنها: إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى، والإقرار بذلك، وشكر الله عليها لقوله:

﴿تعلمن مما علمت﴾ أي: مما لمك الله تعالى.

ومنها: أن العلم النافع، هو العلم المرشد إلى الخير، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطرق (٢٠) الخير، وتحذير عن طريق الشر، أو وسيلة لذلك، فإنه من العلم النافع، وما سوى ذلك، فإما أن يكون ضاراً، أو ليس فيه فائدة لقوله: ﴿أَنْ تعلمن مما علمت رشداً﴾

ومنها: أن من ليس له قوة الصبر على صحبة العالم والعلم، وحسن الثبات على ذلك، أنه يفوته بحسب عدم صبره كثير من العلم<sup>(٣)</sup>، فمن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن استعمل الصبر ولازمه، أدرك به كل أمر سعى فيه، لقول الخضر \_ يعتذر من موسى بذكر المانع لموسى من الأخذ عنه \_ إنه لا يصبر معه.

ومنها: أن السبب الكبير لحصول الصبر، إحاطة الإنسان علماً وخبرة بذلك الأمر الذي أمر بالصبر عليه، وإلا فالذي لا يدريه، أو لا يدري غايته ولا نتيجته، ولا فائدته وثمرته ليس عنده سبب الصبر لقوله: ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ﴾. فجعل الموجب لعدم صبره، عدم إحاطته خبراً بالأمر.

ومنها: الأمر بالتأني والتثبت، وعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء، حتى يعرف ما يراد منه، وما هو المقصود.

ومنها: تعليق الأمور المستقبلة التي من أفعال العباد بالمشيئة، وأن لا يقول الإنسان للشيء: إني فاعل ذلك في المستقبل، إلا أن يقول: "إن شاء الله، ومنها: أن العزم على فعل الشيء، ليس بمنزلة فعله، فإن موسى قال: ﴿ ستجدني إن شاء الله صابراً ﴾ فوطن نفسه على الصبر ولم يفعل.

ومنها: أن المعلم إذا رأى المصلحة في إيزاعه للمتعلم أن يترك الابتداء في السؤال عن بعض الأشياء، حتى يكون المعلم هو الذي يوقفه عليها، فإن المصلحة تتبع، كما إذا كان فهمه قاصراً، أو نهاه عن الدقيق في سؤال الأشياء التي غيرها أهم منها، أو لا يدركها ذهنه، أو يسأل سؤالًا، لا يتعلق في موضوع البحث.

ومنها: جواز ركوب البحر، في غير الحالة التي يخاف منها.

ومنها: أن الناسي غير مؤاخذ بنسيانه، لا في حق الله، ولا في حقوق العباد، لقوله: ﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾

ومنها: أنه ينبغي للإنسان أن يأخذ من أخلاق الناس ومعاملاتهم، العفو منها، وما سمحت به أنفسهم، ولا ينبغي له أن يكلفهم ما لا يطيقون، أو يشق عليهم ويرهقهم، فإن هذا مدعاة إلى النفور منه والسآمة، بل يأخذ المتيسر ليتيسر له الأمر.

بن يا مسير و المرافق و منها: أن الأمور تجري أحكامها على ظاهرها، وتعلق بها الأحكام الدنيوية في الأموال والدماء وغيرها، فإن موسى عليه السلام أنكر على الخضر خرقه السفينة، وقتل الغلام، وأن هذه الأمور ظاهرها أنها من المنكر، وموسى عليه السلام لا يسعه

<sup>(</sup>١) زيادة من هامش: ب.

<sup>(</sup>٢) في ب: لطريق.

ي . (٣) بدلاً من الجملة: (أنه يفوته... كثير من العلم) جاء في ب: (أنه ليس بأهل لتلقي العلم) وجاءت هذه الجملة في: أ مشطوبة.

السكوت عنها، في غير هذه الحال التي صحب عليها الخضر، فاستعجل عليه السلام وبادر إلى الحكم في حالتها العامة، ولم يلتفت إلى هذا العارض، الذي يوجب عليه الصبر، وعدم المبادرة إلى الإنكار.

ومنها: القاعدة الكبيرة الجليلة وهو أنه: «يدفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير» ويراعي أكبر المصلحتين بتفويت أدناهما، فإن قتل الغلام شر، ولكن بقاءه حتى يفتن أبويه عن دينهما قتل وعصمته، وإن كان يظن أنه خير، فالخير ببقاء دين أبويه وإيمانهما خير من ذلك، فلذلك قتله الخضر، وتحت هذه القاعدة من الفروع والفوائد ما لا يدخل تحت الحصر، فتزاحم المصالح والمفاسد كلها داخل في هذا.

ومنها: القاعدة الكبيرة أيضاً وهي أن: «عمل الإنسان في مال غيره، إذا كان على وجه المصلحة وإزالة المفسدة، أنه يجوز، ولو بلا إذن، حتى ولو ترتب على عمله إتلاف بعض مال الغير» كما خرق الخضر السفينة لتعيب، فتسلم من غصب الملك الظالم. فعلى هذا لو وقع حرق، أو غرق، أو نحوهما في دار إنسان أو ماله، وكان إتلاف بعض المال، أو هدم بعض الدار فيه سلامة لللا، أو هدم بعض الدار فيه سلامة ذلك، حفظاً لمال الغير، وكذلك لو للباقي جاز للإنسان، بل شرع له أراد ظالم أخذ مال الغير، ودفع إليه إنسان بعض المال افتداء للباقي جاز، ولو من غير إذن.

ومنها: أن العمل يجوز في البحر، كما يجوز في البر لقوله: ﴿يعملون في البحر﴾ ولم ينكر عليهم عملهم.

ومنها: أن المسكين قد يكون له مال لا يبلغ كفايته، ولا يخرج بذلك عن اسم المسكنة، لأن الله أخبر أن هؤلاء المساكين لهم سفينة.

ومنها: أن القتل من أكبر الذنوب لقوله في قتل الغلام: ﴿لقد جنت شيئاً نكراً﴾.

ومنها: أن القتل قصاصاً غير منكرٍ لقوله: ﴿بغير نفس﴾.

ومنها: أن العبد الصالح يحفظه الله في نفسه، وفي ذريته.

ومنها: أن خدمة الصالحين، أو من يتعلق بهم، أفضل من غيرها، لأنه علل استخراج كنزهما، وإقامة جدارهما، أنّ أباهما صالح.

ومنها: استعمال الأدب مع الله تعالى في الألفاظ، فإن الخضر أضاف عيب السفينة إلى نفسه، بقوله: ﴿ فَأُردت أَن أُعيبها ﴾. وأما الخير، فأضافه إلى الله تعالى، لقوله: ﴿ فَأُراد ربك أَن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ﴾ كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذَا مرضت فهو يشفين ﴾ وقالت الجن: ﴿ وَأَنّا لا ندري يشفين ﴾ وقالت الجن: ﴿ وَأَنّا لا ندري ربهم رشداً ﴾ مع أن الكل بقضاء الله وقدره.

ومنها: أنه ينبغي للصاحب أن لا يفارق صاحبه في حالة من الأحوال، ويترك صحبته حتى يعتبه، ويعذر منه، كما فعل الخضر مع موسى.

ومنها: أن موافقة الصاحب لصاحبه، في غير الأمور المحذورة، مدعاة وسبب لبقاء الصحبة وتأكدها، كما أن عدم الموافقة سبب لقطع المرافقة.

ومنها: أن هذه القضايا التي أجراها الخضر هي قدر محض أجراها الله وجعلها على يد هذا العبد الصالح، ليستدل العباد بذلك على ألطافه في أقضيته، وأنه يقدر على العبد أمورا يكرهها جداً، وهي صلاح دينه، كما في قضية الغلام، أو وهي صلاح دنياه كما في قضية السفينة، فأراهم نموذجاً من لطفه وكرمه، ليعرفوا ويرضوا غاية الرضا بأقداره المكروهة.

﴿ ٨٣ ـ ٨٨﴾ ﴿ ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً ﴾ إنّا مكّنا له في الأرض وأتيناه من كل شيء سبباً ﴾ حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمّة ووجد عندها قوماً قلنا يا ذا القرنين إمّا أن تُعذّب وإمّا أن تتخذ فيهم حسناً ﴾ قال أمّا من ظلم فسوف

نعذّبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً \* وأمّا من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً > كان أهل الكتاب أو المشركون، سألوا رسول الله على عن قصة ذي القرنين، فأمره الله أن يقول: ﴿سأتلو عليكم منه ذكراً > فيه نبأ مفيد، وخطاب عجيب.

أي: سأتلو عليكم من أحواله، ما يتذكر فيه، ويكون عبرة، وأما ما سوى ذلك من أحواله، فلم يتله عليهم. ﴿إنا مكناك ني الأرض ﴾ أي: ملكه الله تعالى، ومكّنه من النفوذ في أقطار الأرض، وانقيادهم له. ﴿وآتينَّاهُ من كل شيء سبباً \* فأتبع سبباً \* أي: أعطاه الله من الأسباب الموصلة له لما وصل إليه، ما به يستعين على قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران، وعمل بتلك الأسباب التي أعطاه الله إياها، أي: استعملها على وجهها، فليس كل من عنده شيء من الأسباب يسلكه، ولا كل أحد يكون قادراً على السبب، فإذا اجتمع القدرة على السبب الحقيقي والعمل به، حصل المقصود، وإن عدما أو أحدهما لم يحصل.

وهذه الأسباب التي أعطاه الله إياها، لم يخبرنا الله ولا رسوله بها، ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد العلم، فلهذا لا يسعنا غير السكوت عنها، وعدم الالتفات لما يذكره النقلة للإسرائيليات ونحوها، ولكننا نعلم بالجملة أنها أسباب قوية كثيرة، داخلية وخارجية، بها صار له جند عظيم، ذو عدَد وعُدَد ونظام، وبه تمكن من قهر الأعداء، ومن تسهيل الوصول إلى مشارق الأرض ومغاربها وأنحائها، فأعطاه الله ما بلغ به مغرب الشمس، حتى رأى الشمس في مرأى العين، كأنها تغرب في عين حملة، أي: سوداء، وهذا المعتاد لن كان بينه وبين أفق الشمس الغربي ماء، رآها تغرب فى نفس الماء وإن كانت فى غاية الارتفاع، ووجد عندها، أي: عند مغربها قوماً ﴿قلنا يا ذا القرنين إما أن

تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً ﴾ أي: إما أن تعذبهم بقتل، أو ضرب، أو أسر ونحوه، وإما أن تحسن إليهم، فخُيِّرَ بين الأمرين، لأن الظاهر أنهم إما كفار أو فساق، أو فيهم شيء من ذلك، لأنهم لو كانوا مؤمنين غير فساق، لم يُرخص له في تعذيبهم، فكان عند ذي القرنين من السياسة الشرعية ما استحق به المدح والثناء، لتوفيق الله له لذلك، فقال: سأجعلهم قسمين: ﴿أَمَا مِنْ ظلم ﴾ بالكفر ﴿ فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً الله أي: تخصل له العقوبتان، عقوبة الدنيا، وعقوبة الآخرة، ﴿وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسني أي: فله الجنة والحالة الحسنة عند الله جزاء يوم القيامة ، ﴿ وسنقول له من أمرنا يسراً ﴾ أى: وسنحسن إليه، ونلطف له بالقول، ونيسر له المعاملة، وهذا يدل على كونه من الملوك الصالحين والأولياء العادلين العالمين، حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد، بما يليق بحاله .

﴿٨٩ ـ ٩٨ ﴾ ﴿ثم أتبع سبباً \* حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً \* كذلك وقد أحطناً بما لديه خبراً \* ثم أتبع سبباً \* حتى إذا بلغ بين السدّين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً \* قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون ني الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً \* قال ما مكنى فيه ربّ خير فأعينون بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما \* آتوني زبر الحديد حتى إذا سأوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قِطراً \* فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً \* قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعدري جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً ﴾ أي: لما وصل إلى مغرب الشمس كَرَّ راجعاً، قاصداً مطلعها، متبعاً للأسباب التي أعطاه الله، فوصل إلى مطلع الشمس ف ﴿وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم

من دونها ستراً في : وجدها تطلع على أناس ليس لهم ستر من الشمس، إما لعدم استعدادهم في المساكن، وذلك لزيادة همجيتهم وتوحشهم، وعدم عندهم، لا تغرب عنهم غروباً يذكر، كما يوجد ذلك في شرقي أفريقيا الجنوبي، فوصل إلى موضع انقطع عنه علم أهل الأرض، فضلاً عن وصولهم علم أهل الأرض، فضلاً عن وصولهم بتقدير الله له، وعلمه به، ولهذا قال إلى المحلم الله في أحطنا بما لديه خبراً في أحطنا بما لديه خبراً والأسباب العظيمة وعِلْمُنا معه، حيثما وتجه وسار.

وثم أتبع سبباً حتى إذا بلغ بين السدين قال المفسرون: ذهب متوجها من المشرق، قاصداً للشمال، فوصل إلى ما بين السدين، وهما سدان، كانا سلاسل جبال معروفين في ذلك الزمان، سداً بين يأجوج ومأجوج وبين الناس، وجد من دون السدين قوماً لا يكادون يفقهون قولاً، لعجمة واستعجام أذهانهم وقلوبهم، واستعجام أذهانهم وقلوبهم، وقد أعطى الله ذا القرنين من الأسباب العلمية، ما فقه به ألسنة أولئك القوم وفقته هم، وراجعهم وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج، وهما: أمتان عظيمتان من بني آدم، فقالوا:

﴿إِن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض﴾ بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك.

﴿ فهل نجعل لك خرجاً ﴾ أي: وبنهم سباً ﴾ ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بنيان السد، وعرفوا اقتدار ذي القرنين عليه، فبذلوا له أجرة ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي، وهو: إفسادهم في الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع، ولا رغبة في الدنيا، ولا تاركاً لإصلاح أحوال الرعية، بل كان قصده الإصلاح، فلم يلكن فلمنية، بل كان قصده الإصلاح، فلم للخياء، ولم يأخذ منهم أجرة، وشكر الصلحة، ولم يأخذ منهم أجرة، وشكر

ا إِنَّا مَكَالَكُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَ النِّنْكُ مِن كُلِّي فَنَّى وسَبِّبًا ﴿ فَأَنْبَعَ سَبِّبًا ٥ حَقَّ إِذَا بِلَغَ مَغْرِبُ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَ الْغُرُهُ فِي عَيْنٍ مِّنْ فِوقَجَدَ ﴿ عِندَهَا قَوْمًا تَكْنَا كَنَا ٱلْقَرْنِي إِمَّا أَن تُعَذِبَ وَإِمَّا أَن لَتَخِذَ فِيعِمْ حُسنًا @ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَلَدْ بُمُثُمَّ مُنْ وَأَلِلَ رَيْهِ فَعُدَّدُ بُدُعَنَا كَانْكُونَ وَأَمَّا مَنْ عَامَنَ وَعَيلَ صَلِيحًا ظَلَهُ جَنَلَةً آلمَتني وَسَنَعُولُ لَدُين أَنِيَّا يُشْرُ فِي ثُولُتُمُ سَبِّنا ﴿ خَيْلَا بَلَغَ مَطَلِعَ ٱلشَّمُينِ وَجَدَهَانَظُلُعُ عَلَىٰ قَوْمِ لَّهِ بَعَسَلَ لَهُ مِيْن دُولِهَا سِنْزُ ۞ كَذَاكِ وَقَدْ لَحَظْنَا بِمَالَتَيْهِ خَبْرُ ۞ ثُمَّ أَنْبَعَ سَبَبًا۞ حَقَىٰ إِذَا بِلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدِّينِ وَجَدَينِ دُونِهِمَا فَوَمَا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۞ قَالُولَ كَذَا ٱلْقَنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَلْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ بَحْسَلُ لَكَ حَرِّمًا عَلَيْ أَن تَبْعَلَ يَسْنَنَا وَيِّنْهُمُ مُنَدَّا ١٤ قَالَ مَا مَكِّنِّي فِيورَقٍ خَيْرٌ فَأْعِنُونِ يَقُوَّةٍ أَجْعَلُ بَيْنَكُرُ وَيَنْنَهُمْ رَدْمًا ۞ ءَاتُونِ زُيَرًا ٓ كَدِيدٌ حَتَى ۚ إِنَاسَا وَكَ بَيْنَ الصَّدَوَيْنِ قَالَ الفُحُوا حَقِّ إِذَا جَعَكُمُ فَالَ قَالَ ءَاقُونِ أَفْرَغُ عَلَيْهِ إِلَّهُ وَمَا السَّطَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا أَسْتَطَلَعُواْ لَهُ نَقْبًا ۞ DECEMBER OF STREET

ربه على تمكينه واقتداره، فقال لهم: ﴿ما مكني فيه ربي خير ﴾ أي: مما تبذلون لي وتعطوني، وإنما أطلب منكم أن تعينوني بقوة منكم بأيديكم ﴿أجعل بينكم وبينهم ردما ﴾ أي: مانعاً من عبورهم عليكم.

﴿آتوني زبر الحديد﴾ أي: قطع الحديد. فأعطوه ذلك.

وحتى إذا ساوى بين الصدفين و البلين اللذين بني بينهما السد و اللذين بني بينهما السد الفاداً عظيماً، واستعملوا لها المنافيخ لتشتد، فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس، الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد وقال آتوني أفرغ عليه قطراً في: نحاساً مذاباً، فأفرغ عليه القطر، فاستحكم السد استحكاماً هائلاً، فاستحكاماً هائلاً،

﴿ فَما اسطاعوا أَن يظهروه وما استطاعوا له نقباً ﴾ أي: فما لهم استطاعة، ولا قدرة على الصعود عليه لارتفاعه، ولا على نقبه لإحكامه وقوته، فلما فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل، أضاف النعمة إلى موليها وقال: ﴿ هذا رحمة من ربي ﴾ أي: من فضله وإحسانه على، وهذه حال الخلفاء الصالحين، إذا مَنَّ الله عليهم بالنعم الجليلة، ازداد شكرهم وإقرارهم، واعترافهم بنعمة الله، كما

A ESSILVE IA قَالَ هَلْنَارَهُمَّةٌ مِن زَنِّي فَإِذَاجَاءَ وَعُدُرَتِي جَعَلَهُ دُكَّاءً وَكَانَ وَعْدُ رَبِي حَقَّا ﴿ وَرَّكُا بَعْضَاهُمْ وَمْرِدِ يُوجُ فِي بَعْضٌ وَنَفِحَ فِي ٱلصُّورِ فَيَعْنَا هُرْمَعْ مَا ۞ وَعَرَضِنَا جَعَنَٰ وَقُرِيدِ لَلْكُلُغِينَ عَضًا ۞ الَّذِينَ كَانَتْ أَغَيْنُهُمْ فِي غِطَلْهِ عَن ذَكْرِي وَكِانُواْ لَا يَسْتَطِعُونَ سَمَّعًا ۞ أَخْتِيبَ ٱلَّذِن كَفَرُوا أَن يَغَيذُ واعِبَادِي مِن دُونِ أَوْلِيَّةً إِنَّا أَغَتَدْنَاجَهَنَّهُ لِلْكُفِينَ ثُرُلًا ۞ قُلْهَلْ نُنْتَكُمُ بِٱلْأَخْسَ إِنَّ أَعْلَلًا ۞ الَّذِينَ صَلَّ سَعْيُعُمْ فِي ٱلْحَيَّوٰ وَالدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۞ أُولَيِّكَ ٱلَّذِنَّ كَفَرُوا بِعَايَت رَبْهِمْ وَلَقَالَٰهِ عَجَطَتْ أَعَلَمُهُمْ فَلَا يُقِيمُ لَمُدْرِقُ مَ أَلْقِيَكُمْ وَزُنَّا ۞ ذَلِكَ جَزَّ أَوْهُمْ جَمَنَهُ مِمَا كَفَرُواْ وَأَغَنَدُواْ وَاللَّهِ وَرُسُل هُ رُواْ ۞ إِنَّ الَّذِينَ وَاسْتُواْ وَعَيلُوا الصَّالِحَتِ كَانَتْ هَلَيْرَجَنَّكُ الْفِرْةِ وْسِ نُزَّلًّا ٥ خَلِينَ فِهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِولًا ۞ قُلُ أَوْكَانَ أَلِمَتُهِمَا وَالْكُولَاتِ رَبِي لَنَيْدَا أَلِمُ مِنْ إِنَّ لَنَفَدَكُ لِلنَّارَةِ وَلَوْحِنْنَا يِشْلِيهِ مَدَّدًا ۞ قُلْ الْ إِنَّا أَنَّا بَشَرُونَا كُونِ مُرَخَذِ إِنَّ أَنَّا إِلَهُ كُو إِلَهٌ وَمِيدٌّ فَنَ كَانَ يَرْجُوا الْأ إِلَيَّةُ رَبِيهِ مَلْيَعْمَلُ عَمَلُا صَلِحًا وَلَا يُشْرِكَ بِسِهَادَةِ رَبِهِ مِلْمَنَّا ۞ 

قال سليمان عليه السلام، لما حضر عنده عرش ملكة سبا مع البعد العظيم، قال: ﴿هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر﴾ بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو في الأرض فإن النعم الكبار تزيدهم أشراً وبطراً.

كما قال قارون ـ لما آتاه الله من الكنوز، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ـ قال: ﴿إنما أوتيته على علم عندى﴾.

وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءُ وَعَدَّ رَبِي ﴾ أي: لخروج يأجوج ومأجوج ﴿جَعَلُه ﴾ أي: ذلك السد المحكم المتقن ﴿دكاء ﴾ أي: دكه فيانهدم، واستسوى هيو والأرض ﴿وكان وعد ربي حقاً ﴾.

وبدرس ووقان وقد ربي على في المحموم يومئد يموج في بعض المحتمل أن الضمير، يعود إلى يأجوج ومأجوج، وأنهم إذا واستيعابهم للأرض كلها \_ يموج بعضهم ببعض، كما قال تعالى: وهم من كل حدب ينسلون المخلائق يوم ومموج وأنهم يجتمعون فيه فيكثرون ويموج بعضهم ببعض، من الأهوال والزلال العظام، بدليل قوله: ﴿ونفخ والمؤتلمة وأنهم يجتمعون فيه فيكثرون والزلازل العظام، بدليل قوله: ﴿ونفخ والمؤتلمة وأنهم بدليل قوله: ﴿ونفخ والمؤتلمة وأنهم بدليل قوله: ﴿ونفخ

في الصور فجمعناهم جمعاً وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعاً أي: إذا نفخ إسرافيل في الصور، أعاد الله وجمعهم لموقف القيامة، الأولين منهم والآخرين، والكافرين والمؤمنين، ليسألوا ويحاسبوا ويجزون بأعمالهم، فأما الكافرون على اختلافهم وأن

﴿ ١٠١﴾ ولهذا قال: ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً﴾ كما قال تعالى: ﴿وبِرُزت الجحيم للغاوير ﴾(١) أي: عرضت لهم لتكون مأواهم ومنزلهم، وليتمتعوا بأغلالها وسعيرها، وحميمها، وزمهريرها، وليذوقوا من العقاب، ما تبكم له القلوب، وتصم الآذان، وهذا آثار أعمالهم، وجزاء أفعالهم، فإنهم في الدنيا ﴿كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى الذكر معرضين عن الذكر الحكيم، والقرآن الكريم، وقالوا: ﴿قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه﴾ وفي أعينهم أغطّية تمنعهم من رؤية آيات الله النافعة، كما قال تعالى: ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة).

وكانوا لا يستطيعون سمعاً الله الله يقدرون على سمع آيات الله الموصلة إلى الإيمان، لبغضهم القرآن والرسول، فإن البغض لا يستطيع أن يلقي سمعه إلى كلام من أبغضه، فإذا انحجبت عنهم طرق العلم والخير، فليس لهم (٢) سمع ولا بصر، ولا عقل نافع، فقد كفروا بالله وجحدوا آياته، وكذبوا رسله، فاستحقوا جهنم، وساءت مصيراً.

﴿۱۰۲﴾ ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً وهذا برهان وبيان، لبطلان دعوى المشركين الكافرين، الذين اتخذوا بعض الأنبياء

والأولياء شركاء لله يعبدونهم، ويزعمون أنهم يكونون لهم أولياء، ينجونهم من عذاب الله، وينيلونهم ثوابه، وهم قد كفروا بالله وبرسله.

يقول الله لهم على وجه الاستفهام الإنكاري المتقرر بطلانه في العقول: ﴿ أَفْحَسَبُ اللّٰذِينَ كَفُرُوا أَنْ يَتَخَلُوا عَبِادِي مِن دُونِي أُولِياء ﴾ أي: لا يكون ذلك ولا يوالي ولي الله معادياً لله أبداً، فإن الأولياء موافقون لله في محبته ورضاه، وسخطه وبغضه، فيكون على هذا المعنى مشابهاً لقوله تعالى: ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون \* قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم ﴾ .

فمن زعم أنه يتخذولي الله ولياً له، وهو معاد لله، فهو كاذب، ويحتمل ــ وهو الظاهر \_أن المعنى: أفحسب الكفار بالله، المنابذون لرسله، أن يتخذوا من دون الله أولياء ينصرونهم، وينفعونهم من دون الله، ويدفعون عنهم الأذي؟ هذا حسبان باطل، وظن فاسد، فإن جميع المخلوقين، ليس بيدهم من النفع والضر، شيء، ويكون هذا كقوله تعالى: ﴿قُلُّ ادْعُوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً ﴿ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة ﴾ ونحو ذلك من الآيات التي يذكر الله فيها، أن المتخذ من دونه ولياً ينصره ويواليه، ضال خائب الرجاء، غير نائل لبعض مقصوده.

﴿إِنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا﴾ أي: ضيافة وقرى، فبئس النزل نزلهم، وبئست جهنم ضيافتهم.

﴿ ١٠٣ - ١٠٣﴾ ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً \* الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً \* أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً \* ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا

<sup>(</sup>١) في النسختين: (وإذا الجحيم برزت) وهو سبق قلم.

<sup>(</sup>٢) في النسختين: له.

محمد، للناس \_على وجه التحذير والإنذار \_: هل أخبركم بأخسر الناس أعمالاً على الإطلاق؟ ﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا♦ أي: بطل واضمحل كل ما عملوه من عمل، يحسبون أنهم محسنون في صنعه، فكيف بأعمالهم التي يعلمون أنها باطلة، وأنها محادة لله ورسله ومعاداة؟!! فمن هم هؤلاء الذين خسرت أعمالهم، فرخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة؟ ألا ذلك هو الخسران المبين،

﴿أُولِئِكُ الَّذِينَ كَفُرُوا بِآيَاتُ رَجِهُمُ ولقائه﴾ أي: جحدوا الآيات القرآنية والآيات العيانية، الدالة على وجوب الإيمان به وبملائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر .

﴿ فَحِيطَت ﴾ بسبب ذلك ﴿ أعمالهم فلانقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ لأنَّ الوزن فائدته، مقابلة الحسنات بالسيئات، والنظر في الراجح منها والمرجوح، وهؤلاء لا حسنات لهم لعدم شرطها، وهو الإيمان، كما قال تعالى: ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً﴾ لكن تعد أعمالهم وتحصى، ويقررون بها، ويخزون بها على رؤوس الأشهاد، ثم يعذبون عليها، ولهذا قال: ﴿ذلك جزاؤهم ﴾ أي: حبوط أعمالهم، وأنه لا يقام لهم يوم القيامة، ﴿وزناً﴾ لحقارتهم وخستهم، بكفرهم بآيات الله، واتخاذهم آياته ورسله، هزواً يستهزئون بها، ويسخرون<sup>(١)</sup> منها، مع أن الواجب في آيات الله ورسله، الإيمان التام بها، والتعظيم لها، والقيام بها أتم القيام، وهؤلاء عكسوا القضية، فانعكس أمرهم، وتعسوا، وانتكسوا في العذاب. ولما بين مآل الكافرين وأعمالهم، بيَّن أعمال المؤمنين ومآلهم فقال:

﴿١٠٧ ـ ١٠٨﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمِنُوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات

واتخذوا آياتي ورسلي هزواً﴾ أي: قل يا: المفردوس نـزلاً \* خـالـديـن فـيـهـا لا يبغون عنها حولاً أي: إن الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، وشمل هذا الوصف جميع الدين، عقائده، وأعماله، أصوله، وفروعه الظاهرة والباطنة، فهؤلاء \_ على اختلاف طبقاتهم من الإيمان والعمل الصالح، لهم جنات الفردوس.

يحتمل أن المراد بجنات الفردوس، أعلى الجنة، وأوسطها، وأفضلها، وأن هذا الثواب لمن كمّل الإيمان والعمل الصالح، وهم الأنبياء والمقربون.

ويحتمل أن يراد بها، جميع منازل الجنان، فيشمل هذا الثواب، جميع طبقات أهل الإيمان، من المقربين، والأبرار، والمقتصدين، كلّ بحسب حاله، وهذا أولى المعنيين لعمومه، ولذكر الجنة بلفظ الجمع المضاف إلى الفردوس، ولأن الفردوس يطلق على البستان، المحتوي على الكرم، أو الأشجار الملتفة، وهذا صادق على جميع الجنة، فجنة الفردوس نُزُلُ، وضيافة لأهل الإيمان والعمل الصالح، وأي: ضيافة أجل وأكبر، وأعظم من هذه الضيافة، المحتوية على كل نعيم، للقلوب، والأرواح، والأبدان، وفيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، من المنازل الأنيقة، والرياض الناضرة، والأشجار المثمرة، والطيور المغردة المشجية، والمآكل اللذيذة، والمشارب الشهية، والنساء الحسان، والخدم، والولدان، والأنهار السارحة، والمناظر الرائقة، والجمال الحسى والمعنوى، والنعمة الدائمة، وأعلى ذَّلك وأفضَّله وأجله، التنعم بالقرب من الرحمن ونيل رضاه، الذي هو أكبر نعيم الجنان، والتمتع برؤية وجهه الكريم، وسماع كلام الرؤوف الرحيم، فلله تلك الضيافة، ما أجلها وأجملها وأدومها وأكملها!!، وهي أعظم من أن يحيط ما وصف أحد من الخلائق، أو تخطر

TEENIN SO يَنْ لِمُنْ الْمُنْ الْمُنْفِي الْمُنْ الْمِنْ الْمِنْ الْمُنْفِي الْمُنْفِي الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ ا كَهِيْسَ ۞ ذِكْرُرُهْتِ رَيْكَ عَبْدَهُ رَكَرِيكَ آ إِذْنَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآهُ خَفِيًّا ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنَى وَاشْتَعَلَ الرَّأْمُ شَيْبًا وَلَرَّ أَكُنْ بِدُعَا بِكَ رَبّ شَيَقِيًا ۞ وَ لِنَ خِفْتُ ٱلْمُوْلِيَ مِن وَدَآءِى وَكَانَتِ آمَرَأَن عَافِ رَافَهَتْ لِي مِن أَدُنكَ وَلِيَّنا ۞ يَرْتُى وَرَثُ مِنْ ءَالِ يَعَ فُوبُ وَأَجْمَلُهُ رَبِ رَضِيتًا ۞ يَنزَكَرِيًا إِنَّا نُدَيِّدُ زُكَ يِعُلَادٍ ٱسْمُدُ يَعِينَ لَرْ جَعَكَ لَهُ مِن قَبَلُ سَيَيًّا ۞ قَالَ رَبِّ أَنَّا يَكُونُ لِي غُلَادٌ وَكَامَنِ ٱمْكِأَتِي عَافِدًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِ بَرِعِتِيًّا ۞ قَالَ لَذَ لِكَ الله عَالَ رَبُّكَ هُوَعَلَىٰ هَيْرِكُ وَقَدْخَلَقَنُكَ مِن مَّتِلُ وَلَرْتَكُ المَّنْ عَالَ مَنْ الْحَمَّلِ إِنْ مَالِيَّةً قَالَ مَالِئُكَ أَلَا تَكْفِرَ الْمُثَلِّمِ الْمُثَلِمِ الْمُثَلِمِ الْمُثَلِمِ الْمُثَلِمِ اللهِ اللهِ المُثَلِمِ اللهِ المُثَلِمِ المُثَلِمِ اللهِ اللهِ المُثَلِمِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ المُثَلِمِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ النَّاسَ ثَلَثَ لَيَالِ سَوِيًّا ۞ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِن وَاللَّهُ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مُنَّا لِللَّهِ مُنْ اللَّهِ مُنَّا اللَّهِ مُنَّا اللَّهِ مُنَّا اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنَّا اللَّهُ مُنَّا اللَّهُ مُنَّا اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنّالًا اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنَّا اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنَّا اللَّهُ مُنَّا اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّا لِمُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنَالِمُ مُنْ اللَّهُ مُنْ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ 

على القلوب، فلو علم العباد بعض ذلك النعيم علماً حقيقياً يصل إلى قلوبهم، لطارت إليها قلوبهم بالأشواق، ولتقطعت أرواحهم من ألم الفراق، ولساروا إليها زرافات ووحداناً، ولم يؤثروا عليها دنيا فانية، ولذات منغصة متلاشية، ولم يفوتوا أوقاتاً تذهب ضائعة خاسرة، يقابل كل لحظة منها من النعيم من الحقب آلاف مؤلفة، ولكن الغفلة شملت، والإيمان ضعف، والعلم قل، والإرادة نفذت(۲)، فكان ما كانْ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وقوله: ﴿خالدين فيها﴾ هذا هو تمام النعيم، إن فيها النعيم الكامل، ومن تمامه أنه لا ينقطع ﴿لا يُبغُونُ عَنْهَا حوَّلاً﴾ أي: تحولاً ولا انتقالاً، لأنهم لا يرون إلا ما يعجبهم ويبهجهم، ويسرهم ويفرحهم، ولا يرون نعيماً فوق ما هم فيه .

﴿ ١٠٩﴾ ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً ﴾ أي: قل لهم مخبراً عن عظمة الباري، وسعة صفاته، وأنها لا يحيط العباد بشيء منها: ﴿لُوكَانُ البِحَرِ ﴾ أي: هذه الأبحر الموجبودة في العالم ﴿مداداً

<sup>(</sup>١) في النسختين: ويستخرون.

يَلِيَحْيَ خُذِ ٱلْكِلْبَ بِقُوَّةً وَ ٱلنِّنَاكُ ٱلْحُكْمَ مَهِيًّا ۞ وَخَانَا مِن أَدُنَّا وَرُحَاوًّا وَكُالَ تَقِينًا ﴿ وَمُزَّا وَلَا يُعِولُمُ يَكُن جَبَارًا عَصِيّا ۞ وَسَلَامُ عَلَيْهِ يَوْمُ وُلِدَ وَيُومَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿ وَأَذْكُرُ فِي ٱلْكِنْكِ مَرْكِمَ إِذ ٱلسَّلَاتُ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرَقِيًّا ۞ فَأَغَّذَتْ مِن دُونِهِمْ جِهَابُا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلُ لَمَّا اِنْشَرَ سَويَ اللهِ وَالَّتْ إِنَّ أَعُودُ بِٱلزَّمْ أَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۞ قَالَ إِنَّمَا أَنَارُسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۞ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَدٌ وَلَرْ يَسَسَني بَشَرٌ وَلَرْ أَكُ بَعْيَا ۞ قَالَ كَذَالِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَعَلَىَّ هَيِّنَّ وَلِنَجْعَكَهُۥٓءَايَةُ لِلنَّامِسِ وَرَحْمَةُ مِنْكَأُ وَكَانَ أَمْرُإِ مَقْضِيًّا ۞ • فَمَلَتُهُ فَٱلنَّبَدَتْ بِهِ ـ مَكَانَا قَصِيتًا ۞ فَأَجَانَهَا ٱلْخَيَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَنلِيَّتْنِي مِثُ مِّتلَ هَلْذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ۞ فَنَادَنَهَا مِن تَمْنِيَآ أَلَا تَعْدَزِنِ مَدْجَعَلَ رَبُّكِ تَعْنَكِ سَرَّا ۞ وَهُنِّينَ إِلَيْكِ بِجِنْعِ ٱلْغَنْلَةِ تُسَكِيطًا عَلَيْكِ رُطَبًا جَيْنًا ۞ TORONOU TIEDROED

لكلمات ربي أي: وأشجار الدنيا من أولها إلى آخرها، من أشجار البلدان والبراري، والبحار أقلام، (لنفد البحر) وتكسرت الأقلام (قبل أن تنفد كلمات ربي وهذا شيء عظيم، لا يحيط به أحد.

وفي الآية الأخرى: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم. وهذا من باب تقريب المعنى إلى الأذهان، لأن هذه الأشياء مخلوقة، وجميع المخلوقات منقضية منتهية، وأما كلام الله فإنه من جملة صفاته، وصفاته غير مخلوقة، ولا لها حد ولا منتهي، فأئي سعة وعظمة تصورتها القلوب فالله فوق ذلك، وهكذا سائر صفات الله تعالى، كعلمه، وحكمته، وقدرته، ورحمته، فلوجمع علم الخلائق من الأولين والآخرين، أهل السماوات وأهل الأرض، لكان بالنسبة إلى علم العظيم، أقل من نسبة عصفور وقع على حافة البحر، فأخذ بمنقاره من البحر بالنسبة للبحر وعظمته، ذلك بأن له الصفات العظيمة الواسعة الكاملة، وأن إلى ربك المنتهى.

﴿١١٠﴾ ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ أي:

﴿قل﴾ يا محمد للكفار وغيرهم: ﴿إنما أنا بشر مثلكم﴾ أي: لست بإله، ولا ي شركة في الملك، ولا علم بالغيب، ولا عندي خزائن الله، و ﴿إنما أنا بشر مثلكم﴾ عبد من عبيد ربي، ﴿يوحي إلى أنما إلهكم إله واحد﴾ أي: فضلت عليكم بالوجي، الذي يوحيه الله إلى، الذي أجله الإخبار لكم: أنما إلهكم إله واحد، أي: لل شريك له، ولا أحد يستحق من العبادة مثقال ذرة غيره، وأدعوكم إلى العمل الذي يقربكم منه، وينيلكم ثوابه، ويدفع عنكم عقابه. ولهذا قال:

وفمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ﴾ وهو الموافق لشرع الله، من واجب ومستحب، وولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ أي: لا يرائي بعمله، بل يعمله خالصاً لوجه الله تعالى، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة، هو الذي ينال ما يرجو ويطلب، وأما من عدا ذلك، فإنه خاسر في دنياه وأخراه، وقد فاته القرب من مولاه ونيل رضاه.

آخر تفسير سورة الكهف، وله الحمد

## تفسیر سورة مریم وهی مدنیة

﴿١ - ٦﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص \* ذكر رحمة ربك عبده زكريا \* إذ نادى ربه نداء خفياً \* قال رب إني وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً \* وإن خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لى من لدنك ً وليا \* يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً ﴾ أي: هذا ﴿ ذكر رحمة ربك عبده زكريا السنقصه عليك، ونفصله تفصيلا يعرف به حالة نبيه زكريا، وآثاره الصالحة، ومناقبه الجميلة، فإن في قصها عبرة للمعتبرين، وأسوة للمقتدين، ولأن في تفصيل رحمته الأوليائه، وبأي: سبب حصلت لهم، مما يدعو إلى محبة الله تعالى، والإكثار من ذكره

ومعرفته، والسبب الموصل إليه. وذلك أن الله تعالى اجتبى واصطفى زكريا عليه السلام لرسالته، وخصه بوحيه، فقام بذلك قيام أمثاله من المرسلين، ودعا العباد إلى ربه، وعلمهم ما علمه الله، ونصح لهم في حياته وبعد مماته، كإخوانه من المرسلين ومن اتبعهم، فلما رأى من نفسه الضعف، وخاف أن يموت، ولم يكن أحد ينوب منابه في دعوة الخلق إلى ربهم والنصح لهم، شكا إلى ربه ضعفه الظاهر والباطن، وناداه نداء خفياً، ليكون أكمل وأفضل وأتم إخلاصاً، فقال: ﴿ رِبِ إِنِّي وَهِنِ العظم مني ﴾ أي: وَهَى وضعف، وإذا ضعف العظم، الذي هو عماد البدن، ضعف غيره، ﴿واشتعل الرأس شيباً ﴾ لأن الشيب دليل الضعف والكبر، ورسول الموت ورائده ونذيره، فتوسل إلى الله تعالى بضعفه وعجزه، وهذا من أحب الوسائل إلى الله، لأنه يدل على التّبرّي من الحول والقوة، وتعلق القلب بحول الله وقوته.

﴿ وَلِمُ أَكُنَ بِدَعَانُكُ رِبِ شَقِياً ﴾ أي: لم تكن يا رب تردني خائباً ولا محروماً من الإجابة، بيل لم تزل بي حفياً ولدعائي مجيباً، ولم تزل الطافك تتوالى علي، وإحسانك واصلاً إلي، وهذا توسل إلى الله بإنعامه عليه، وإجابة دعواته السابقة، فسأل الذي أحسن سابقاً، أن يتمم إحسانه لاحقاً.

﴿ وإني خفت الموالي من ورائي ﴾ أي: وإني خفت من يتولى على بني إسرائيل من بعد موتي، أن لا يقوموا بدينك حق القيام، ولا يدعوا عبادك إليك، وظاهر هذا، أنه لم ير فيهم أحداً فيه لياقة للإمامة في الدين، وهذا فيه طلبه للولد، ليس كطلب غيره، قصده عبرد المصلحة الدنيوية، وإنما قصده مصلحة الدين، والخوف من ضياعه، ورأى غيره غير صالح لذلك، وكان ومعدن الرسالة، ومظنة للخير، ومعدن الرسالة، ومظنة للخير، فدعا الله أن يرزقه ولداً، يقوم بالدين فدعا الله أن يرزقه ولداً، يقوم بالدين

من بعده، واشتكى أن امرأته عاقر، أي: ليست تلد أصلاً، وأنه قد بلغ من الكبر عتياً، أي: عمراً يندر معه وجود الشهوة والولد، ﴿فهب لي من لدنك وليأ ﴾ وهذه الولاية، ولاية الدين، وميراث النبوة والعلم والعمل، ولهذا قال: ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً ﴾ أي: عبداً صالحاً ترضاه وتحبيه إلى عبادك، والحاصل أنه سأل الله ولداً، ذكراً، صالحاً، يبقى بعدموته، ويكون ولياً من بعده، ويكون نبيأ مرضياً عند الله وعند خلقه، وهذا أفضل ما يكون من الأولاد، ومن رحمة الله بعبده أن يرزقه ولدأ صالحاً، جامعاً لمكارم الأخلاق ومحامد الشيم، فرحمه ربه، واستجاب دعوته، فقال:

﴿٧ ـ ١١﴾ ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيئ لم نجعل له من قبل سمياً \* قال ربِّ أنِّي يكون لي غلامٌ وكانت امرأى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً \* قال كذلك قال ربّك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً \* قال ربّ اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً \* فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبّحوا بكرة وعشياً ﴾ أي: بشره الله تعالى على يدالملائكة به «يحيي» وسماه الله له «يحيي»، وكان اسماً موافقاً لمسماه: يحيا حياة حسية، فتتم به المنة، ويحيا حياة معنوية، وهي حياة القلب والروح، بالوحى والعلم والدين، ﴿ لَمْ نَجِعُلُّ لَهُ مِنْ قَبِلُ سَمِياً ﴾ أي: لم يسم هذا الاسم قبله أحد، ويحتمل أن المعنى: لم نجعل له من قبل مثيلاً ومسامياً، فيكون ذلك بشارة بكماله، واتصافه بالصفات الحميدة، وأنه فاق من قبله، ولكن على هذا الاحتمال، هذا العموم لا بدأن يكون مخصوصاً بإبراهيم، وموسى، ونوح عليهم السلام، ونحوهم، ممن هو أفضل من يحيى قطعاً، فحينئذ لما جاءته البشارة بهذا المولود الذي طلبه، استغرب وتعجب وقال: ﴿ رب أني يكون لي غلام ﴾ والحال أن المانع من

وجود الولد، موجود بي وبزوجتي؟ وكأنه وقت دعائه، لم يستحضر هذا المانع لقوة الوارد في قلبه، وشدة الحرص العظيم على الولد، وفي هذه الحال، حين قبلت دعوته، تعجب من ذلك، فأجابه الله بقوله: ﴿كذلك قال ربك هنو على هنين ﴾ أي: الأمر مستغرب في العادة، وفي سنة الله في الخليقة، ولكن قدرة الله تعالى صالحة لإيجاد الأشياء بدون أسبابها فذلك هين عليه، ليس بأصعب من إيجاده قبل ولم يكن شيئاً.

﴿قَالُ رَبِ اجْعَلَ لِي آيَـة ﴾ أي: يطمئن بها قلبي، وليس هذا شكاً في خبر الله، وإنما هو، كما قال الخليل عليه السلام: ﴿ رب أرن كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلي ولكن ليطمئن قلبي فطلب زيادة العلم، والوصول إلى عين اليقين بعد علم اليقين، فأجابه الله إلى طلبته رحمة به، ف ﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً﴾ وفي الآية الأخرى ﴿أَلاَّ تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً ﴾ والمعنى واحد، لأنه تارة يعبر بالليالي، وتارة بالأيام ومؤداها واحد، وهذا من الآيات العجيبة، فإن منعه من الكلام مدة ثلاثة أيام، وعجزه عنه من غير خرس ولا آفة، بل كان سوياً، لا نقص فيه، من الأدلة على قدرة الله الخارقة للعوائد، ومع هذا، عنوع من الكلام الذي يتعلق بالأدميين وخطابهم، وأما التسبيح والتهليل، والذكر ونحوه، فغير ممنوع منه، ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿ واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والإبكار ﴾ فاطمأن قلبه، واستبشر بهذه البشارة العظيمة، وامتثل لأمر الله له بالشكر بعبادته وذكره، فعكف في محرابه، وخرج على قومه منه فأوحى إليهم، أي: بالإشارة والرمز ﴿أَنْ سَبِحُوا بِكُرةً وعشياً ﴾ لأن البشارة ب (يحيى) في حق الجميع، مصلحة

﴿ ١٧ ــ ١٥﴾ ﴿ إِنَّا يَحْسِنُ خَلْدُ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً \* وحئاناً من لدنا وزكاة وكان تَقْياً \* وبراً

الله فَكُل وَأَشْرَف وَقَرَى عَيْنَا فَإِمَّا زَيْنَ مِنَ ٱلْبَشَرِ لَحَدُافَعُولَ إِن نَذَرْتُ لِلرَّحُنُ صَوْمًا فَأَنْ أَكَلِمَ ٱلْيَوْمَ إِنِيبًا ۞ فَأَتَتُ الم بورقومَهَا تَحْمِلُهُ قَالُواْ يَكُمْرَيُمُ لَقَدْ جِنْتِ شَيْنَا فَرْبُ ا يَنَأُخْتَ هَنُرُونَ مَاكَانَ أَفُلِهِ أَمْرَأَ سَوْءِ وَمَاكَانَتْ فِ ٱلْمَّدِ صَبَيًّا ۞ قَالَ إِنِّ عَبْدُاللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِنْبُ وَجَعَلَىٰ فَيُّنَّا ۞ وَجَعَكَنِي مُبُدَادِكًا أَيْنَ مَاكُنتُ وَأَوْصَنِي الْصَلَوْةِ وَالْزِّكَوْةِ مَادُمْتُ حَيَّانَ وَيَرَّأُ مِوْلِةِ يِنَ وَلَرْيَعْ عَلَيْي جَبَّالًا شَقِيًّا ۞ وَٱلسَّالَمُ عَلَيَ يَوْمَ وُلِدتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أَبْعَثُ حَيًّا ۞ ذَالِكَ عِيسَى ٱنْ مُنْ يَرُّمُ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَعْتُرُونَ ا الله مَاكَانَ يَعْوَأَن يَتَغِذَ مِن وَلَدِّسُبُ حَنَّهُ وَإِذَا قَضَلَ أَمْرًا فَإِنَّا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿ وَإِنَّ اللَّهُ رَبِّ وَنَبُّكُمْ الله مَاعَبُدُوهُ هَانَا لِسَرَطَ مُسْتَقِيمٌ ﴿ فَأَخْتَلَفَ ٱلْأَخْزَابُونَ الْمُعْزَابُونَ وَأَشِيرُوْمَ يَأْتُونَنَّا لَإِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي صَلَالِ مُّبِينِ ۞ 

بوالديه ولم يكن جباراً عصياً \* وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّاً﴾ دل الكلام السابق على ولادة يحيى، وشبابه، وتربيته، فلما وصل إلى حالة يفهم فيها الخطاب أمره الله أن يأخذ الكتاب بقوة، أي: بجد واجتهاد، وذلك بالاجتهاد في حفظ ألفاظه، وفهم معانيه، والعمل بأوامره ونواهيه، هذا تمام أخذ الكتاب بقوة، فامتثل أمر ربه، وأقبل على الكتاب، فحفظه وفهمه، وجعل الله فيه من الذكاء والقطنة، ما لا يوجد في غيره، ولهذا قال: ﴿وآتيناه الحكم صبياً ﴾ أي: معرفة أحكام الله والحكم بها، وهو في حال صغره وصباه، ﴿و﴾ آتيناه أيضاً ﴿حناناً من لدنا﴾ أي: رحمة ورأفة، تيسرت بها أموره، وصلحت مها أحواله، واستقامت مها أفعاله.

﴿وَرْكَاةُ ﴾ أي: طهارة من الآفات والذنوب، فطهر قلبه وتزكى عقله، وذلك يستنضمن زوال الأوصاف المذمومة، والأخلاق الرديشة، وزيادة الأخلاق الحسنة، والأوصاف المحمودة، ولهذا قال: ﴿وكان تقيأُ﴾ أي: فاعلاً للمأمور، تاركاً للمحظور، ومن كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً، وكان من أهل الجنة التي أعدت للمتقين، وحصل له من الشواب الدنيوي والأخروي، ما رتبه الله على التقوى. ﴿وَ كَانَ أَيضاً ﴿ بِوَ أَبُو الدِّيهِ ﴾ أي:

وَأَيْذِرَهُمْ مَوْمَ أَنْحَسْرَ قِإِذْ قَضِي ٱلْأَفْرَ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا نُؤْمِنُونَ اللَّهُ إِنَّا غَنُّ بَرَكُ ٱلأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَّنَا يُرْجَعُونَ ۞ وَاذَّكُّرُ فِي ٱلْكِنْكِ إِنْرُهِيمُ إِنْهُ كَانَ صِدِيقًا نِّينًا ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِهِ يَنَأَبَّتِ لِرَقَبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُتِصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۞ يَتَأْبَتِ إِنْ قَدْجَأَةِ فِي مِنَ ٱلْمِيلُمِ مَا لَرَيَأُلِكَ فَأَبَّعَيْ أَهْدِكَ مِرَطًا سَعِيًا ۞ يَتَأْبَتِ لَاتَعْبُدِ ٱلشَّيْعَانَ إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ كَانَ الرَّغَنَ عَصِيًّا ۞ يَنَأَبِّ إِنَّ أَخَافُ أَن يَمْسَكَ عَنَابٌ مِ كَالْوَفَنَ مَّنَّكُونَ اللَّهَ يَطَانِ وَلِيًّا ۞ قَالَ أَرَاعِبُ أَسَتَ عَنْ مَالِلَهَ فِي يَكَإِرُهِيمٌ لِهِن لَرْتَنتَه لِأَرْهُمَنَكَ وَأَجْرُن مِلِيًا ۞ قَالَ سَلَدُ عَلَيْكً سَأَسْتَغُورُ لَكَ رَقِي ٓ إِنَّهُ كَاكِ وِ حَفِيتًا ۞ وَأَعَيْزِلُكُمْ وَمَامَدَّعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدَّعُوا رَقِي عَلَيْ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَكَ وَلِي شَقِيًّا ﴿ فَلَا أَعَرَ لَكُمْ وَمَا يَعَبُدُونَ ين دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ وَإِسْحَقَ وَيَعْ تُوبُّ وَكُلَّا جَعَلَنَا بَيْنًا ۞ وَوَهَبْنَا لَمُرَمِّن تَنْعَيْنَا وَمَحَمَّلُنا لَمُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيَّا ۞ وَاذْكُرُ فِي ٱلْكِتَبِ مُوسَقَّ إِنَّهُ رُكَانَ عُعْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا بِنْفِيا ۞ TOWERS TO LEAVE OF THE PARTY OF

لم يكن عاقاً، ولا مسيئاً إلى أبويه، بل كان محسناً إليهما بالقول والفعل.

﴿ولم يكن جباراً عصياً ﴾ أي: لم يكن متجبراً متكبراً عن عبادة الله، ولا مترفعاً على عباد الله، ولا على والديه، بل كان متواضعاً، متذللاً، مطيعاً، أواباً لله على الدوام، فجمع بين القيام بحق الله، وحق خُلقه، ولهذا حصلت له السلامة من الله، في جميع أحواله، مبادئها وعواقبها، فلهذا قال: ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً الله وذلك يقتضى سلامته من الشيطان، والشر، والعقاب في هذه الأحوال الثلاثة وما بينها، وأنه سالم من النار والأهوال، ومن أهل دار السلام، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى والده وعلى سائر المرسلين، وجعلنا الله من أتباعهم، إنه جواد كريم.

﴿١٦ - ٢١﴾ ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبلت من أهلها مكاناً شرقياً \* فاتخذت من أهلها مكاناً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً \* قالت إني أعوذ بالرّحن منك إن كنت تقياً \* قال إنما أنا رسول ربّك لأهب لك غلاماً زكياً \* قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً \* قال كذلك قال ربك هو على بين ولنجمله آية للناس ورحة منا وكان أمراً مقضياً ﴾ لما ذكر قصة زكريا ويجيى، وكانت من الآيات العجيبة،

انتقل منها إلى ما هو أعجب منها، تدريجاً من الأدني إلى الأعلى فقال: ﴿واذكر في الكتاب﴾ الكريم ﴿مريم﴾ عليها السلام، وهذا من أعظم فضائلها، أن تذكر في الكتاب العظيم، الذي يتلوه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، تذكر فيه بأحسن الذكر، وأفضل الثناء، جزاء لعملها الفاضل، وسعيها الكامل، أي: واذكر في الكتاب مريم، في حالها الحسنة، حين ﴿انتبذت﴾ أي: تباعدت عن أهلها ﴿مكاناً شرقياً ﴾ أي: مما يلي الشرق عنهم، ﴿فاتخذت من دونهم حجاباً أي: ستراً ومانعاً، وهذا التباعد منها، واتخاذ الحجاب، لتعتزل، وتنفرد بعبادة ربها، وتقنت له فى حالة الإخلاص والخضوع والذل لله تعالى، وذلك امتثال منها لقوله تعالى: ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين \* يا مريم اقنتى لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ وقوله: ﴿فأرسلنا إليها روحنا، وهو: جبريل عليه السلام ﴿فتمثل لها بشراً سوياً ﴾ أي: كاملاً من الرجال، في صورة جميلة، وهيئة حسنة، لا عيب فيه ولا نقص، لكونها

لا تحتمل رؤيته على ما هو عليه، فلما رأته في هذه الحال، وهي معتزلة عن أهلها، منفردة عن الناس، قد اتخذت الحجاب عن أعز الناس عليها وهم أهلها، خافت أن يكون رجلاً قد تعرض لها بسوء، وطمع فيها، فاعتصمت بربها، واستعاذت منه فقالت له:﴿إِنِّ أَعُودُ بِالرَّمِنِ مِنكَ﴾ أي: ألتجيء به وأعتصم برحمته، أن تنالني بسوء، ﴿إن كنت تقياً ﴾ أي: إن كنت تخاف الله، وتعمل بتقواه، فاترك التعرض لي، فجمعت بين الاعتصام بربها، وبين تخويفه ونرهيبه، وأمره بلزوم التقوى، وهي في تلك الحالة الخالية، والشباب، والبعد عن الناس، وهو في ذلك الجمال الباهر، والبشرية الكاملة السوية، ولم ينطق لها بسوء، أو يتعرض لها، وإنما ذلك خوف منها،

وهذا أبلغ ما يكون من العفة، والبعد عن الشر وأسبابه. وهذه العفة \_ خصوصاً مع اجتماع الدواعي، وعدم المانع \_من أفضل الأعمال.

ولذلك أثنى الله عليها فقال: ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا﴾ ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ فأعاضها الله بعفتها، ولدأ من آيات الله، ورسولاً من رسله، فلما رأى جبريل منها الروع والخيفة، قال: ﴿إنما أنا رسول ربك ﴾ أي: إنما وظيفتي وشغلي تنفيذ رسالة ربي فيك ﴿لأهب لك غلاماً زكياً ﴾ وهذه بشارة عظيمة بالولد وزكائه، فإن الزكاء يستلزم تطهيره من الخصال الذميمة، واتصافه بالخصال الحميدة، فتعجبت من وجود الولد من غير أب، فقالت: ﴿أَنِّي يَكُونَ لِي عَلامِ وَلَمْ يَمْسَسَنِي بِشُرّ ولم أك بغيام والولد لا يوجد إلا بذلك؟!!﴿قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس، تدل على كتمال قدرة الله تعالى، وعلى أن الأسباب جميعها، لا تستقل بالتأثير، وإنما تأثيرها بتقدير الله، فيري عباده خرق العوائد في بعض الأسباب العادية، لئلا يقفوا مع الأسباب، ويقطعوا النظر عن مقدرها ومسببها ﴿ورحمة منا﴾ أي: ولنجعله رحمة منا به، وبوالدته، وبالناس.

أما رحمة الله به، فلما خصه الله بوحيه ومنَّ عليه بما منَّ به على أولي العزم، وأما رحمته بوالدته، فلما حصل لها من الفخر، والثناء الحسن، والمنافع العظيمة. وأما رحمته بالناس، فإن أكبر يتمو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم ويطيعونه، وتحصل لهم سعادة الدنيا والحكمة، فيؤمنون به، والآخرة، ﴿وكان ﴾ أي: وجود عيسى والآخرة، ﴿وكان ﴾ أي: وجود عيسى مقضياً ﴾ قضاء سابقاً، فلا بد من نفوذ هذا التقدير والقضاء، فنفخ جبريل عليه السلام في جيبها.

﴿۲۲ \_ ۲۲﴾ ﴿ فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً \* فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً \* قناداها من تحتها ألاتحزن قدجعل ربك تحتك سرياً \* وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رُطباً جنياً \* فكلي واشرى وقرّى عيناً فإمّا ترينَ من البشرّ أحداً فقولي إنّ نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً ﴾ أي: لما حملت بعيسي عليه السلام، خافت من الفضيحة، فتباعدت عن الناس ﴿مكاناً قصياً ﴾ فلما قرب ولادها، ألجأها المخاض إلى جذع نخلة، فلما آلمها وجع الولادة، ووجع الانفراد عن الطعام والشراب، ووجع قلبها من قالةً الناس، وخافت عدم صبرها، تمنت أنها ماتت قبل هذا الحادث، وكانت نسياً منسياً فلا تذكر، وهذا التمني بناء على ذلك المزعج، وليس في هذه الأمنية خير لها ولا مصلحة، وإنما الخير والمصلحة بتقدير ما حصل، فحيننذ سكن الملك روعها وثبت جأشها وناداها من تحتها، لعله في مكان أنزل من مكانها، وقال لها: لا تحزن، أي: لا تجزعي ولا تهتمي، ف ﴿ قُدُ جَعلُ رَبِكُ تَحْتَكُ سُرِياً ﴾ أي: نهراً تشربين منه ، ﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ﴾ أي: طرياً لذيداً نافعاً ﴿فكلي﴾ من التمر،

وأما من جهة قالة الناس، فأمرها أنها إذا رأت أحداً من البشر، أن تقول على وجه الإشارة: ﴿إِنِ نَذُرت للرَّمْن صوماً﴾ أي: سكوتاً ﴿فَلْنَ أَكُلُم اليوم إنسياً﴾ أي: لا تخاطبيهم بكلام لتستريحي من قولهم وكلامهم. وكان معروفاً عندهم أن السكوت من العبادات المشروعة، وإنما لم تؤمر بخطابهم في نفى ذلك عن نفسها لأن

﴿واشربي﴾ من النهر ﴿وقري عيناً﴾

بعيسى، فهذا طمأنينتها من جهة

السلامة من ألم البولادة، وحبصول

المأكل والمشرب والهني.

الناس لا يصدقونها، ولا فيه فائدة، وليكون تبرئتها بكلام عيسى في المهد، أعظم شاهد على براءتها، فإن إتيان المرأة بولد من دون زوج، ودعواها أنه من غير أحد، من أكبر الدعاوى، التي لو أقيم عدة من الشهود، لم تصدق بذلك، فجعلت بينة هذا الخارق للعادة، أمراً من جنسه، وهو كلام عيسى في حال صغره جداً، ولهذا قال تعالى:

﴿۲۷ \_ ۳۳﴾ ﴿فأتت به قومها تحمله قالوايا مريم لقد جئت شيئأ فريّاً \* يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمَّك بغيًّا \* فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً \* قال إن عبد الله آتاني الكُّتاب وجعلني نبياً \* وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً \* وبراً بوالدي ولم يجعلني جبّاراً شقياً \* والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً ﴾ أي: فلما تعلت مريم من نفاسها، أتت بعيسي قومها تحمله، وذلك لعلمها ببراءة نفسها وطهارتها، فأتت غير مبالية ولا مكترثة، فقالوا: ﴿لقد جئت شيئاً فرياً ﴾ أي: عظيماً وخيماً، وأرادوا بذلك البغاء(١١)، حاشاها من ذلك، ﴿ يا أخت هارون ﴾ الظاهر، أنه أخ لها حقيقي، فنسبوها إليه، وكانوا يسمّون بأسماء الأنبياء، وليس هو هارون بن عمران أخا موسى، لأن بينهما قروناً كثيرة، ﴿مَا كَانَ أَبُوكُ امْرَأُ سوء وما كانت أمك بغياً ﴾ أي: لم يكن أبواك إلا صالحين سالمين من الشر، وخصوصاً هذا الشر، الذي يشيرون إليه، وقصدهم: فكيف كنت على غير وصفهما؟ وأتيت بما لم يأتيا به؟، وذلك أن الذرية \_ في الغالب \_ بعضها من بعض، في الصلاح وضده، فتعجبوا \_ بحسب ما قام بقلوبهم \_ كيف وقع منها، فأشارت لهم إليه، أي: كلموه، وإنما أشارت لذلك، لأنها أمرت عند مخاطبة الناس لها، أن

تقول: ﴿إِنِ نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً ﴾ فلما أشارت إليهم بتكليمه، تعجبوا من ذلك وقالوا: ﴿كيف نكلم من كان في المهد صبياً ﴾ لأن ذلك لم تجربه عادة، ولا حصل من أحد في ذلك السن، فحينئذ قال عيسى عليه السلام، وهو في المهد صبي: ﴿إِنِ عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً ﴾ فخاطبهم بوصفه بالعبودية، وأنه اليس فيه صفة يستحق بها أن يكون نبياً وابناً للإله، تعالى الله عن قول النصارى المخالفين لعيسى في قوله ﴿إِنْ عبد الله ﴾ ومدعون موافقته.

وآتاني الكتاب وجعلني نبياً ويوتيني الكتب وجعلني نبياً فأخبرهم بأنه عبد لله، وأن الله علمه الكتاب، وجعله من جملة أنبيائه، فهذا من كماله لنفسه، ثم ذكر تكميله لغيره فقال: وجعلني مباركا أينما كنت فقال: في أي: مكان، وأي: زمان، فالبركة جعلها الله في من تعليم الخير والدعوة إلىه، والنهي عن الشر، والدعوة إلى الله في أقواله وأفعاله، والدعوة إلى الله في أقواله وأفعاله، فكل من جالسه، أو اجتمع به، نالته بركته، وسعد به مصاحبه.

﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ﴾ أي: أوصاني بالقيام بحقوقه، التي من أعظمها الصلاة، وحقوق عباده، التي أجلُها الزكاة، مدة حياتي، أي: فأننا ممتثل لوصية ربي، عامل عليها، منفذ لها، ووصاني أيضاً، أن أبر والدتي فأحسن إليها غاية الإحسان، وأقوم بما ينبغي لها، لشرفها وفضلها، ولكونها والمدة لها حتى الولادة وتوابعها.

ولم يجعلني جباراً أي: متكبراً على الله، مترفعاً على عباده وشقياً في دنياي أو أخراي، فلم يجعلني كذلك بل جعلني مطيعاً له خاضعاً خاشعاً متذللاً، متواضعاً لعباد الله، سعيداً في الدنيا والآخرة، أنا ومن اتبعني، فلما تم له الكمال، ومحامد الخصال قال: ﴿والسلام على يوم

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ: البغي، وما في ب يبدو أنه معدل من البغي فصار (البغاء) هو الأقرب المتوافق مع القصة.

ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾ أى: من فضل ربي وكرمه، حصلت لي السلامة يوم ولادتي، ويوم موتي، ويوم بعثى، من الشر والشيطان والعقوبة، وذلك يقتضي سلامته من الأهوال، ودار النفسجيار، وأنبه منن أهيل دار السلام، فهذه معجزة عظيمة، وبرهان باهر، على أنه رسول الله، وعبد الله

﴿۲۱ ۲۱﴾ ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون \* ما كان لله أن يتخذ من ولد سيحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون \* وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ، أي: ذلك الموصوف بتلك الصفات، عيسى ابن مريم، من غير شك ولا مرية، بل قبول الحت وكلام الله، الذي لا أصدق منه قيلاً، ولا أحسن منه حديثاً، فهذا الخبر اليقيني عن عيسي عليه السلام، وما قيل فيه تما يخالف هذا، فإنه مقطوع ببطلانه، وغايته أن يكون شكاً من قائلُه لا علم له به، ولهذا قال: ﴿الذي فيه يسترون اي: يشكون فيمارون بشكهم، ويجادلون بخرصهم، فمن قائل عنه: إنه الله، أو ابين الله، أو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن إفكهم وتقوُّلهم علواً كبيراً، فـ ﴿مَا كَانَ للهُ أَنَّ يتخذمن ولد) أي: ما ينبغي ولا يليق، لأن ذلك من الأمور المستحيلة، لأنه الغنى الحميد، المالك لجميع المالك، فكيف يتخذ من عباده ومماليكه ولداً؟! ﴿سبحانه ﴾ أي: تنزه وتقدس عن الولد والنقص، ﴿إذا قضى أمراً ﴾ أي: من الأمور الصغار والكبار، لم يمتنع عليه ولم يستصعب ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنَّ فَيَكُونَ ﴾ فإذا كان قدره ومشيئته نافذاً في العالم العلوي والسفلي، فكيف يكون له ولد؟! وإذا كان إذا أراد شيسًا قال له: ﴿ كن فيكون ﴿ فكيف يستبعد إيجاده عيسي من غير أب؟! ولهذا أخبر عيسي أنه عبد مربوب كغيره، فقال: ﴿ وإن الله

ربى وربكم الذي خلقنا، وصورنا، ونفذ فينا تدبيره، وصرفنا تقديره.

﴿فاعبدوه أي: أخلصواله العبادة، واجتهدوا في الإنابة، وفي هذا الإقرار بتوحيد الربوبية، وتوحيد الإلهبة، والاستدلال بالأول على الشان، ولهذا قال: ﴿ هذا صراط مستقيم الى: طريق معتدل، موصل إلى الله، لكونه طبريق البرسل وأتباعهم، وما عدا هذا، فإنه من طرق الغي والضلال.

و ٣٧ ـ ٣٨) ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم \* أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ابن تعالى حال عيسى ابن مريم الذي لا يُشَكُّ فيها ولا يمتري، أخسير أن الأحسزاب، أي: فسرق النضلال، من اليهود والنصاري وغيرهم، على اختلاف طبقاتهم اختلفوا في عيسي عليه السلام، فمن غال فيه وجاف، فمنهم من قال: إنه الله، ومنهم من قال: إنه ابن الله ومنهم من قال: إنه ثالث ثلاثة ومنهم من لم يجعله رسولاً، بل رماه بأنه ولد بغيّ كاليهود. وكل هؤلاء أقوالهم باطلة، وآراؤهم فاسدة، مبنية على الشك والعناد، والأدلة الفاسدة، والسبه الكاسدة، وكل هؤلاء مستحقون للوعيد الشديد، ولهذا قال: ﴿فُويِلِ لِللَّذِينِ كَفُرُوا﴾ بِاللهِ ورسله وكتبه، ويدخل فيهم اليهود والنصاري، القائلون بعيسى قول الكفر ﴿من مشهديوم عظيم ﴾ أي: مشهد يوم القيامة، الذي يشهده الأولون والأخرون، أهل السماوات وأهل الأرض، الخالق والمخلوق، الممتلىء بالنزلازل والأهوال، المشتمل على الجزاء بالأعمال، فحينئذ يتبين ما كانوا يخفون ويبدون، وما كانوا يكتمون.

﴿أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا﴾ أي: ما أسمعهم وما أبصرهم في ذلك اليوم! فيقرون بكفرهم وشركهم

وأقوالهم، ويقولون: ﴿ رَبُّنَا أَبِصَرِنَا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحأإنا موقنون ففي القيامة، يستيقنون حقيقة ما هم عليه.

﴿لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين، وليس لهم عذر في هذا الضلال، لأنهم بين معاند ضال على بصيرة، عارف بالحق صادف عنه، وبين ضال عن طريق الحق، متمكن من معرفة الحق والصواب، ولكنه راض بضلاله وما هو عليه من سوء أعماله، غير ساع في معرفة الحق من الباطل، وتأمل كيف قال: ﴿فُويِلِ لِلذِّينِ كفروا) بعد قوله ﴿فاختلف الأحراب من بينهم) ولم يقل «فويل لهم» ليعود النصمير إلى الأحزاب، لأن من الأحزاب المختلفين، طائفة أصابت الصواب، ووافقت الحق، فقالت في عيسى: «إنه عبد الله ورسوله» فآمنوا به، واتبعوه، فهؤلاء مؤمنون، غير داخلين في هذا الوعيد، فلهذا خص الله بالوعيد الكافرين.

﴿٣٩ ـ ٤٠) ﴿وأنهذرههم يسوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون \* إنا نحن نرث الأرض ومن عليهاوإلينا يرجعون، الإنذار هو: الإعلام بالمخوف على وجه الترهيب، والإخبار بصفاته، وأحق ما ينذر به ويخوف به العباد، يوم الحسرة حين يقضى الأمر، فيجمع الأولون والآخرون في موقف واحد، ويسألون عن أعمالهم، فمن آمن بالله، واتبع رسله، سعد سعادة لا يشقى بعدها، ومن لم يؤمن بالله ويتبع رسله شَقِي شقاوة لا سعادة(١) بعدها، وخسر نفسه وأهله، فحينئذ يتحسر، ويندم ندامة تتقطع منها القلوب، وتنصدع منها الأفئدة، وأي: حسرة أعظم من فوات رضا الله وجنته، واستحقاق سخطه والنار، على وجه لا يتمكن من الرجوع ليستأنف العمل، ولا سبيل له إلى تغيير حاله بالعود إلى الدنيا؟! فهذا قدامهم، والحال أنهم في الدنيا في

المنافعة ال

مَا يَبْنَ لَيْرِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا يَنْ ذَلِكُ وَمَا كَانَ زُلِكَ نَسِينًا ۞

بِٱلْغَيْبُ إِنَّهُكَانَ وَعْدُمُ مَأْنِيًّا ۞ لَّايَسْمَعُونَ فِيهَالْغُوالِلْاسَالَكُمَّا

وَلَمُ مُ رِزْفَهُمْ فِيهَا بُحْرَةً وَعَشِيًّا ۞ يَلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي تُورِثُ

مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّا ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْنِ رَبِّكُ لَهُ

عندي، بل قد أعطاني الله من العلم ما يعطك، والمقصود من هذا قوله: ﴿ فَاتَبِعني أهدك صراطاً سوياً ﴾ أي: مستقيماً معتدلاً، وهو: عبادة الله وحده لا شريك له، وطاعته في جميع الأحوال، وفي هذا من لطف الخطاب ولينه ما لا يخفى، فإنه لم يقل: ﴿ يا أبت عندك من العلم شيء ﴾ وإنما أتى بصيغة تقتضي أن عندي وعندك علماً، وأن الذي وصل إلي لم يصل إليك ولم يأتك، فينبغي لك أن تتبع الحجة وتنقاد لما.

﴿ يا أبت لا تعبد الشيطان لأن من عبد غير الله فقد عبد الشيطان، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمُ أَعِهدُ إِلَيكُمْ يَا بِنِي آدم أَنْ لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مين ﴾.

﴿إِن الشيطان كان للرحمن عصياً ﴾ فمن اتبع خطواته، فقد اتخذه ولياً وكان عاصياً لله بمنزلة الشيطان. وفي ذكر إضافة العصيان إلى اسم الرحمن، إشارة رحمة الله، وتغلق عليه أبوابها، كما أن المعاعة أكبر الأسباب لنيل رحمته، ولهذا قال: ﴿يا أبت إِنِي أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن ﴾ أي: بسبب إصرارك على الكفر، وتماديك في الطغيان (فتكون للشيطان ولياً ﴾ أي: في الدنيا والآخرة، فتنزل بمنازله

ورفع قدرهم، وأعلى أمرهم، بسبب ما قاموا به، من عبادة الله ومحبته، والإنابة إليه، والقيام بحقوقه، وحقوق العباد، ودعوة الحلق إلى الله، والصبر على ذلك، والمقامات الفاخرة، والمنازل العالية، فذكر الله في هذه السورة جملة من الأنبياء، يأمر الله رسوله أن يذكرهم، لأن في ذكرهم إظهار الثناء على الله وعليهم، وبيان فضله وإحسانه إليهم، وفيه الحث على الإيمان بهم والاقتداء بهم، فقال: وحبتهم، والاقتداء بهم، فقال: خواذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً جمع الله له بين الصديقية والنبوة.

فالصديق: كثير الصدق، فهو الصادق في أقواله وأفعاله وأحواله، المصدق بكل ما أمر بالتصديق به، وذلك يستلزم العلم العظيم الواصل إلى القلب، المؤثر فيه، الموجب لليقين، والعمل الصالح الكامل، وإبراهيم عليه السلام، هو أفضل الأنبياء كلهم بعد محمد ﷺ ، وهو الأب الثالث للطوائف الفاضلة، وهو الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، وهو الذي دُعا الخلق إلى الله، وصبر على ما ناله من العذاب العظيم، فدعا القريب والبعيد، واجتهد في دعوة أبيه مهما أمكنه، وذكر الله مراجعته إياه، فقال: ﴿إِذْ قَالَ لأبيه ﴾ مهجناً له عبادة الأوثان: ﴿ يَا أَبِتَ لَمْ تَعْبِدُ مَا لَا يَسْمِعُ ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ﴾ أي: لم تعبد أصناماً، ناقصة في ذاتها، وفي أفعالها، فلا تسمع، ولا تبصر، ولا تملك لعابدها نفعاً ولا ضراً، بل لا تملك لأنفسها شيئاً من النفع، ولا تقدر على شيء من الدفع، فهذا برهان جلِّي دال علَّى أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلاً وشرعاً. ودل بتنبيهه وإشارته، أن الذي يجب ويحسن عبادة من له الكمال، الذي لا ينال العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم نقمة إلا هو ، وهو الله تعالى .

﴿يا أبت إني قدجاءني من العلم ما لم يسأتـك﴾ أي: يـا أبـت لا تحـقـرني وتقول: إني ابنك، وإن عندك ما ليس غفلة عن هذا الأمر العظيم لا يخطر بقلوبهم، ولو خطر فعلى سبيل الغفلة، قد عمتهم الغفلة، وشملتهم السكرة، فهم لا يؤمنون بالله، ولا يتبعون بينهم وبين الإيمان شهواتهم المنقضية الفانية، فالدنيا وما فيها، من أولها إلى آخرها، ستذهب عن أهلها، ويذهبون عنها، وسيرث الله الأرض ومن عليها، ويرجعهم إليه، فيجازيهم بما عملوا فيها، وما خسروا فيها أو رمن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا

﴿٤١ ـ ٥٠ ﴾ ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبيا \* إذ قال لأبيه يآ أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً \* يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً \* يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً \* يا أبت إن أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً \* قال أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهبجرن ملياً \* قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً \* وأعشر لكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً \* فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبياً \* ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً ﴾ أجل الكتب وأفضلها وأعلاها، هذا الكتاب المبين، والذكر الحكيم، فإن ذُكِرَ فيه الأخبيار، كيانيت أصدق الأخبيار وأحقها، وإن ذُكِرَ فيه الأمر والنهي، كانت أجل الأوامر والنواهي، وأعدَّلها وأقسطها، وإن ذكر فيه الجزاء والوعد والوعيد، كان أصدق الأنباء وأحقها وأدلها على الحكمة والعدل والفضل، وإن ذكر فيه الأنبياء والمرسلون، كان المذكور فيه أكمل من غيره وأفضل، ولهذا كثيراً ما يبدىء ويعيد في قصص الأنبياء، الذين فضلهم على غيرهم،

THE REPORT OF THE PARTY OF THE زَّتُ ٱلسَّيْدَةِ تِهِ ٱلْأَرْضِ وَمَامَنْهُمَا فَأَغْدُهُ وَأَصْطَارُ لِعِيارَ مُعْ هَلْ تَعَادُ لَهُ سَسَنًا ۞ وَيَقُولُ ٱلْانْكَ أُلُهُ فَامَا مِثُّ لَيَهُ فَ أُخْرَجُنَا ۞ أَوْلَا يَذْكُو ٱلْإِنْدَكُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَتْلُ وَلَوْ يَكُ شَيْعًا ۞ فَوَزَيْكِ لَنَحْشُرَنَهُمْ وَالشَّيْطِينَ ثُمَّ لَتُسْتَرَبُهُمْ عَوْلَجُهُمْ حِثْنَا ۞ ثُرُّلُنَهُ عَنِينَ كُلِّ شِعَةً لِيُهُمُّرُ أَسَدُعَ الْبَعْرِ عِنا ﴿ ثُولَتِعْ أَمْلًا مَالَّهِ مِنْ أَوْلَى بِعَاصِلِيًّا ۞ مَّان مِنكُمْ إِلَّا وَاردُهُ مَّا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًا ۞ ثُرَّنُيَجَى الَّذِينَ الَّقَوَا وَنَكَذُرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا حِيَّا۞ مَلِنَا تُتَلَى عَلَيْهِمْ ءَايَنُتُنَا بَيْنَتِ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواُ لِلَّذِيرَ مَامَثُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرً مُّقَدَّامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۞ وَكُرْ أَهَلَكُ مَا قِبَلَهُم مِن قَنْ نِهُمْ أَحْسَنُ أَتُنَا وَرِهْ يَا ۞ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلصَّلَاقِ قَلْيَمَنُذُنَّهُ ٱلزُّخَرُ مِ مَنَّا حَقَّيْهَا رَأَوْل مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ مُسَيِّعَلَّمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانَا وَأَضْ عَفْ جُندًا ۞ وَيَزِيدُ أَفَدُ ٱلَّذِيرَ أَهْتَ دَوَاهُدَيُّ وَٱلْمَتِينَ ٱلْمَلِلِحَتُ خَيْرِعِنَدَ رَبِكَ فَوَابَ اوَخَيْرُمْ رَدًا ۞ TONO TONO TORONO

الذميمة، وترتع في مراتعه الوخيمة، فتدرج الخليل عليه السلام بدعوة أبيه، بالأسهل فالأسهل، فأخبره بعلمه، وأن ذلك موجب لاتباعك إياى، وأنك إن أطعتني، اهتديت إلى صراط مستقيم، ثم نهاه عن عبادة الشيطان، وأخبره بما فيها من المضار، ثم حذره عقاب الله ونقمته إن أقام على حاله، وأنه يكون ولياً للشيطان، فلم ينجع هذا الدعاء بذلك الشقي، وأجاب بجواب جاهل وقال: ﴿أَراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم، فتبجح بالهته [التي هي](١) من الحجر والأصنام، ولام إبراهيم عن رغبته عنها، وهذا من الجهل المفرط، والكفر الوخيم، يتمدح بعبادة الأوثان، ويدعو إليها.

﴿لَسْنُ لَمْ تَنتُهُ أَي: عن شتم الَهتي، ودعوتي إلى عبادة الله ﴿لأرجنك ﴾ أي: قتلاً بالحجارة ﴿واهجري ملياً ﴾ أي: لا تكلمني زماناً طويلاً، فأجابه الخليل جواب عباد الرحمن عند خطاب الجاهلين، ولم يشتمه، بل صبر، ولم يقابل أباه بما يكره، وقال: ﴿سلام عليك ﴾ أي: ستسلم من خطابي إياك بالشتم والسب وبما تكره، ﴿سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً ﴾ أي: لا أزال

أدعو الله لك بالهداية والمغفرة، بأن يهديك للإسلام، الذي تحصل به المغفرة، في حفياً ﴾ أي: رحيماً رؤوفاً بحالي، معتنياً بي، فلم يزل يستغفر الله له رجاء أن يهديه الله، فلما تبين له أنه عدو الله، وأنه لا يفيد فيه شيئاً، ترك الاستغفار له، وتبرأ منه.

وقد أمرنا الله باتباع ملة إبراهيم، فمن اتباع ملته، سلوك طريقه في الدعوة إلى الله، بطريق العلم والحكمة واللين والسهولة، والانتقال من مرتبة إلى مرتبة (٢)، والصبر على ذلك، وعدم السآمة منه، والصبر على ما ينال الداعي من أذى الخلق بالقول والفعل، ومقابلة ذلك بالصفح والعفو، بل بالإحسان القولى والفعل.

فلما أيس من قومه وأبيه قال: ﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله أي: أنتم وأصنامكم ﴿وأدعو ربي﴾ وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة ﴿عسى أن لا أكون بدعاء رب شقياً ﴾ أي: عسى الله أن يسعدني بإجابة دعائي، وقبول أعمالي، وهذه وظيفة من أيس عن دعاهم، فاتبعوا أهواءهم، فلم تنجع فيهم المواعظ، فأصروا في طغيانهم يعمهون، أن يشتغل بإصلاح نفسه، ويرجو القبول من ربه، ويعتزَّل الشر وأهله، ولما كان مفارقة الإنسان لوطنه ومألفه وأهله وقومه، من أشق شيء على النفس، لأمور كثيرة معروفة، ومنها انفراده عمن يتعزز بهم ويتكثر، وكان من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، واعتزل إبراهيم قومه، قال الله في حقه: ﴿ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً من إسحق ويعقوب ﴿جعلنا نبياً ﴾ فحصل له هبة هؤلاء الصالحين (٢) المرسلين إلى الناس، الذين خصهم الله بوحيه، واختارهم لرسالته، واصطفاهم من العالمين.

﴿ ووهنا لهم ﴾ أي: لإبراهيم وابنيه ﴿من رحمتنا﴾ وهذا يشمل جميع ما وهب الله لهم من الرحمة، من العلوم النافعة، والأعمال الصالحة، والذرية الكثيرة المنتشرة، الذين قد كثر فيهم الأنبياء والصالحون، ﴿وجعلنا لهم لسان صدق علياً ﴾ وهذا أيضاً من الرحمة التي وهبها لهم، لأن الله وعد كل محسن، أن ينشر له ثناء صادقاً بحسب إحسانه، وهؤلاء من أثمة المحسنين، فنشر الله الثناء الحسن الصادق غير الكاذب، العالى غير الخفي، فذكرهم ملأ الخافقين، والثناء عليهم وعبتهم، امتلأت بها القلوب، وفاضت به الألسنة، فصاروا قدوة للمقتدين، وأئمة للمهتدين، ولا تزال أذكارهم في سائر العصور، متجددة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

﴿١٥ \_ ٥٣) ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً \* وتاديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً \* ووهينا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً ﴾ أي: واذكر في هذا القرآن العظيم موسى بن عمران، على وجه التبجيل له والتعظيم، والتعريف بمقامه الكريم، وأخلاقه الكاملة، ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً ﴾ قرىء بفتح اللام، عيلى معنى أن الله تعالى آختاره واستخلصه، واصطفاه على العالمين. وقرىء بكسرها، على معنى أنه مخلص شتعالى، في جميع أعماله، وأقواله، ونياته، فوصَّفه الإَّخلاص في جميع أحواله، والمعنيان متلازمان، فإن الله أخلصه لإخلاصه، وإخلاصه موجب لاستخلاصه، وأجل حالة يوصف بها العبد، الإخلاص منه، والاستخلاص من ربه، ﴿وكان رسولاً نبياً ﴾ أي: جمع الله له بين الرسالة والنبوة، فالرسالة تقتضى تبليغ كلام المرسل، وتبليغ جميع ما جاء به من

<sup>(</sup>۱) زیادة من هامش ب.

<sup>(</sup>٢) في ب: من رتبة إلى رتبة.

<sup>(</sup>٣) في ب: فحصل له ولهؤلاء الصالحين.

الشرع، دقه وجله. والنبوة تقتضي إيحاء الله إليه وتخصيصه بإنزال الوحي إليه، فالنبوة بينه وبين ربه، والرسالة بينه وبين الخلق، بل خصه الله من أنواع الوحي، بأجل أنواعه وأفضلها، وهو: تكليمه تعالى وتقريبه مناجياً لله تعالى، وبهذا اختص من بين الأنبياء، بأنه كليم الرحمن، ولهذا قال: ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾ أي: الأيمن من موسى في وقت مسيره، أو الأيمن: أي: الأبرك من الْيُمُن والبركة. ويدل على هذا المعنى قولهُ تعالى: ﴿أَنْ بُورِكُ مِنْ فِي النَّارِ ومن حولها﴾ ﴿وقربناه نجياً﴾ والفرق بين النداء والنجاء، أن النداء هو الصوت الرفيع، والنجاء ما دون ذلك، وفى هذه إثبات الكلام لله تعالى وأنواعه، من النداء، والنجاء، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافاً لمن أنكر ذلك، من الجهمية، والمعتزلة، ومن نحا نحوهم.

وقوله: ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً ﴿ هذا من أكبر فضائل موسى وإحسانه، ونصحه لأخيه هارون، أنه سأل ربه أن يشركه في أمره، وأن يجعله رسولاً مشله، فاستجاب الله له ذلك، ووهب له من رحمته أخاه هارون نبياً. فنبوة هارون نبياً. فنبوة هارون فساعده على أمره، وأعانه عليه.

﴿ 62 \_ 00 ﴾ ﴿ واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً \* وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً ﴾ أي: واذكر في القرآن الكريم، هذا النبي العظيم، الذي خرج منه الشعب العربي، أفضل الشعوب وأجلها، الذي منهم سيد ولد آدم.

﴿إِنَّهُ كَانَ صَادَقَ الْوَصَدَ ﴾ أي: لا يعد وعداً إلا وقى به، وهذا شامل

للوعد الذي يعقده مع الله أو مع العباد، ولهذا لما وعد من نفسه الصبر على ذبح أبيه [له] (١٠ وقال: ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ وفَّ بذلك ومكن أباه من الذبح، الذي هو أكبر مصيبة تصيب الإنسان، ثم وصفه بالرسالة والنبوة، التي [هي] أكبر منن الله على عبده، وأهلها (٢) من الطبقة العليا من الخلق.

﴿وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة ﴾ أي: كان مقيماً لأمر الله على أهله، فيأمرهم بالصلاة المتضمنة للإخلاص للمعبود، وبالزكاة المتضمنة للإحسان إلى العبيد، فكمل نفسه، وكمل غيره، وخصوصاً أخص الناس عنده وهم أهله، لأنهم أحق بدعوته من غيرهم.

﴿وكان عندربه مرضياً ﴾ وذلك بسبب امتثاله لمراضي ربه واجتهاده فيما يرضيه ، ارتضاه الله وجعُّله من خواص عباده وأوليائه المقربين ، فرضي الله عنه ، ورضي [هو] عن ربه .

﴿ ٥ - ٧٠﴾ ﴿ واذكر في الكتاب الدريس إنه كان صديقاً نبياً ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ أي: اذكر في الكتب (٢) على وجه التعظيم والإجلال، والوصف بصفات الكمال ﴿ إدريس إنه كان صديقاً نبياً ﴾ جع الله له بين الصديقية ، الجامعة للتصديق التام، والعمل الكامل ، واليقين الثابت، والعمل الصالح ، وبين اصطفائه لوحيه ، واختياره لرسالته ، ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ أي: رفع الله ذكره في العالمين ، ومنزلته بين المقربين ، فكان عالى المنزلة .

﴿٥٥﴾ ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وعمن هدينا واجتبينا إذا تتلي عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً لا ذكر هؤلاء الأنبياء المكرمين،

وخواص المرسلين، وذكر فضائلهم ومراتبهم قال: ﴿ أُولِئِكُ الذِّينِ أَنْعُمُ اللَّهُ عليهم من النبيين ﴾. أي: أنعم الله عليهم نعمة لا تلحق، ومِنَّة لا تسبق، من النبوة والرسالة، وهم الذين أمرنا أن ندعو الله أن يهدينا صراط الذين أنعمت عليهم، وأن من أطاع الله، كان ﴿مع الذين أنعم الله عليهم، من النبيين ﴾ الآية. وأن بعضهم ﴿من ذرية آدم وتمن حملنا مع نوح) أي: من ذريته ﴿ وَمن ذرية إبر آهيم وإسرائيل ﴾ فهذه خير بيوت العالم، اصطفاهم الله، واختارهم، واجتباهم، وكان حالهم عند تلاوة آيات الرحمن عليهم، المتضمنة للإخبار بالغيوب وصفات علام الغيوب، والإخبار باليوم الآخر، والوعد والوعيد.

﴿خروا سجداً وبكياً ﴾ أي: خضعوا لآيات الله، وخشعوا لها، وأثرت في قلوبهم من الإيمان والرغبة والرهبة، ما أوجب لهم البكاء والإنابة، والسجود لربهم، ولم يكونوا من الذين إذا سمعوا آيات الله خروا عليها صماً وعمياناً.

وفي إضافة الآيات إلى اسمه ﴿الرحن ﴾ دلالة على أن آياته، من رحمته بعباده وإحسانه إليهم، حيث هداهم بها إلى الحق، وبصرهم من العمى، وأنقذهم من الضلالة، وعلمهم من الجهالة.

﴿ ٥ - ٣٣ ﴾ ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً ﴿ إِلاَّ من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً ﴿ جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتياً ﴿ لا يسمعون فيها لغواً إلاً سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً ﴿ للكَ الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً ﴾ لا ذكر تعالى هؤلاء الأنبياء

<sup>(</sup>۱) زیادة من هامش ب.

<sup>(</sup>٢) في ب: وجعله.

<sup>(</sup>٣) في ب: في الكتاب.

المخلصون(١) المتبعون لمراضى ربهم، المنيبون إليه، ذكر من أتى بعدهم، وبدُّلوا ما أمرُوا به، وأنه خلف من بعدهم خلف، رجعوا إلى الخلف والوراء، فأضاعوا الصلاة التي أمروا بالمحافظة عليها وإقامتها، فتهاونوا بها وضيعوها، وإذا ضيعوا الصلاة التي هي عماد الدين، وميزان الإيمان والإخلاص لرب العالمين، التي هي آكد الأعمال، وأفضل الخصال، كانوا لما سواها من دينهم أضيع، وله أرفض، والسبب الداعي لذلك، أنهم اتبعوا شهوات أنفسهم وإراداتها فصارت هممهم منصرفة إليها، مقدمة لها على حقوق الله، فنشأ من ذلك التضييع لحقوقه، والإقبال على شهوات أنفسهم، مهما لاحت لهم حصلوها، وعلى أي: وجه اتفقت تناولوها.

﴿ فُسُوفُ يُلَقُونُ غَيّاً ﴾ أي: عذاباً مضاعفاً شديداً، ثم استثنى تعالى فقال: ﴿إلا من تاب ﴾ عن الشرك والبدع والمعاصي، فأقلع عنها وندم عليها، وعزم عزماً جازماً أنَّ لا يعاودها، ﴿وآمن﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ﴿وعمل صالحاً ﴾ وهو العمل الذي شرعه الله على ألسنة رسله، إذا قصد به وجهه، ﴿فأولئك ﴾ الذين جمعوا بين التوبة والإيسمان، والعسمل السالح، ﴿يدخلون الجنة ﴾ المشتملة على النعيم المقيم، والعيش السليم، وجوار الرب الكريم، ﴿ولا يظلمون شيئاً ﴾ من أعمالهم، بل يجدونها كاملة، موفرة أجورها، مضاعفاً عددها.

ثمم ذكر أن الجنة التي وعدهم بدخولها، ليست كسائر الجنات، وإنما هي جنات عدن، أي: جنات إقامة، لا ظعن فيها، ولا حِوَلَ ولا زوال، وذلك لسعتها، وكثرة ما فيها من الخيرات والسرور، والبهجة والحبور. ﴿التي وعد الرحن عباده بالغيب﴾ أي: التي وعدها الرحمن، أضافها إلى

اسمه ﴿الرحن ﴾ لأنها فيها من الرحمة والإحسان، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب [بشر]. وسماها تعالى رحمته، فقال: ﴿وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون). وأيضاً ففي إضافتها إلى رحمته، ما يدل على استمرار سرورها، وأنها باقية ببقاء رحمته، التي هي أثرها وموجبها، والعباد في هذه الآية، المراد: عباد إلهيته، الذين عبدوه، والتزموا شرائعه، فصارت العبودية وصفاً لهم كقوله: ﴿وعباد الرحمن ونحوه، بخلاف عباده الماليك فقط، الندين لم يعبدوه، فهؤلاء وإن كانوا عبيداً لربوبيته، لأنه خلقهم ورزقهم ودبرهم، فليسوا داخلين في عبيد إلهيته العبودية الاختيارية، التي يمدح صاحبها، وإنما عبوديتهم عبودية اضطرار، لا مدح لهم فيها .

وقوله: ﴿بالغيب﴾ يحتمل أن تكون متعلقة بـ ﴿وعد الرحن﴾ فيكون المعنى على هذا، أن الله وعدهم إياها وعداً غائباً، لم يشاهدوه ولم يروه، فآمنوا بها، وصدقوا غيبها، وسعوالها سعيها، مع أنهم لم يروها، فكيف لو رأوها، لكآنوا أشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة، وأكثر لها سعياً، ويكون في هذا، مدح لهم بإيمانهم بالغيب، الذي هو الإيمان النافع. ويحتمل أن تكون متعلقة بعباده، أي: الذين عبدوه في حال غيبهم وعدم رؤيتهم إياه، فهذه عبادتهم ولم يروه، فلو رأوه، لكانوا أشدله عبادة، وأعظم إنابة، وأكثر حباً، وأجل شوقاً، ويحتمل أيضاً، أن المعنى: هذه الجنات التي وعدها الرحن

عباده، من الأمور التي لا تدركها الأوصاف، ولا يعلمها أحد إلا الله، ففيه من التشويق لها، والوصف المجمل، ما يهيج النفوس، ويزعج الساكن إلى طلبها، فيكون هذا مثل

من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ والمعاني كلها صحيحة ثابتة، ولكن الاحتمال الأول أولى، بدليل قوله: ﴿إِنَّهُ كَانُ وَعَدُهُ مَأْتِيا ﴾ لا بدمن وقوعه، فإنه لا يخلف الميعاد، وهو أصدق القائلين.

﴿لا يسمعون فيها لغوابه أي: كلاماً لاغياً لا فائدة فيه، ولا ما يؤثم، فلا يسمعون فيها شتماً، ولا عيباً، ولا قولاً فيه معصية لله، أو قولاً مكدراً، ﴿إلا سلاماً ﴾ أي: إلاّ الأقوال السالمة من كل عيب، من ذكر الله، وتحية، وكلام سرور، وبشارة، ومطارحة الأحاديث الحسنة بين الإخوان، وسماع خطاب الرحمن، والأصوات السجية، من الحور والملائكة والولدان، والنغمات المطربة، والألفاظ الرخيمة، لأن الدار دار السلام، فليس فيها إلا السلام التام من جميع الوجوه، ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً ﴾ أي: أرزاقهم من المآكل والمشارب، وأنواع اللذات، مستمرة حيثما طلبوا، وفي أي: وقت رغبوا، ومن تمامها ولذتها وحسنها، أن تكون في أوقات معلومة .

﴿بكرة وعشياً ليعظم وقعها ويتم نفعها، فتلك الجنة التي وصفناها بما ذكر ﴿التي نورث من عبادنا من كان تقيأً ﴾ أي: نورثها المتقين، ونجعلها منزلهم الدائم، الذي لا يظعنون عنه، ولا يبغون عنه حِوَلاً، كما قال تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين♦.

﴿ ٢٤ \_ ٦٥ ﴾ ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً \* رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً ﴾ استبطأ النبى على السلام مرة في نزوله إليه فقال له: «لو تأتيناً أكثر مما تأتيناً "\_ تشوقاً إليه، وتوحشاً

قوله: ﴿ فلا تعلم نفسٌ ما أخفى لهم

جعل الشيخ هذه الكلمات بالرفع، وجعل فوق كلمة (المخلصون) بخط صغير كلمة (قطع) وفي هذا إشارة إلى أنه من باب القطع

فأنزل الله تعالى على لسان جبريل: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك ﴿ أي: ليس لنا من الأمر شيء، إن أمرنا، ابتدرنا أمره، ولم نعص له أمراً، كما قال عنهم: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون المنحن عبيد مأمورون، ﴿له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك اى: له الأمور الماضية والمستقبلة والحاضرة، في الزمان والمكان، فإذا تبين أن الأمر كله لله، وأننا عبيد مدبرون، فيبقى الأمر دائراً بين: «هل تقتضيه الحكمة الإلهية فينفذه؟ أم لا تقتضيه فيؤخرهه؟ ولهذا قال: ﴿وما كان ربك نسياً ﴾ أي: لم يكن الله لينساك ويهملك، كما قال تعالى: ﴿مَا وَدَعِكُ رَبُّكُ وَمَا قَلِّي ﴾ بل لم يزل معتنياً بأمورك، مجرياً لك على أحسن عوائده الجميلة، وتدابيره

أي: فإذا تأخر نزولنا عن الوقت المعتاد، فلا يحزنك ذلك ولا يهمك، واعلم أن الله هو الذي أراد ذلك، لما له من الحكمة فيه ، ثم علل إحاطة علمه، وعدم نسيانه، بأنه ﴿رب السماوات والأرض) فرسوبيته للسماوات والأرض، وكونهما على أحسن نظام وأكمله، ليس فيه غفلة ولا إهمال، ولا سُدى، ولا باطل، برهان قاطع على علمه الشامل، فلا تشغل نفسك بذلك، بل اشغلها بما ينفعك ويعود عليك طائله، وهو: عبادته وحده لا شريك له، ﴿واصطبر لعبادته أي: اصبر نفسك عليها وجاهدها، وقم عليها أتم القيام وأكملها بحسب قدرتك، وفي الاشتغال بعبادة الله تسلية للعابد عن جميع التعلقات والمشتهيات، كما قال تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ﴾ إلى أن قال: ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها، الآية. ﴿ هل تعلم له سمياً ﴾ أي: هل تعلم شه مسامياً ومشابهاً ومماثلاً من المخلوقين. وهذا استفهام بمعنى النَّفي، المعلوم

لفراقه، وليطمئن قلبه بنزوله \_ بالعقل. أي: لا تعلم له مسامياً ولا مشابهاً، لأنه الرب، وغيره مربوب، الخالق، وغيره مخلوق، الغني من جميع الوجوه، وغيره فقير بالذات من كل وجه، الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وغيره ناقص ليس فيه من الكمال إلا ما أعطاه الله تعالى، فهذا برهان قاطع على أن الله هو المستحق لإفراده بالعبودية، وأن عبادته حق، وعبادة ما سواه باطل، فلهذا أمر بعبادته وحده، والاصطبار لها، وعلل ذلك بكماله وانفراده بالعظمة والأسماء

﴿ ٦٦ \_ ٦٦ ﴾ ﴿ ويقول الإنسان أوذا مامت لسوف أخرج حياً \* أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾ المراد بالإنسان هاهنا، كل منكر للبعث، مستبعد لوقوعه، فيقول \_ مستفهما على وجه النفى والعناد والكفر \_ ﴿ أَإِذَا مَا مِنْ لِسُوفِ أَخْرِجِ حياً ﴾. أي: كيف يعيدني الله حياً بعد الموت، وبعدما كنت رميماً؟!! هذا لا يكون ولا يتصور، وهذا بحسب عقله الفاسد ومقصده السيء، وعناده لرسل الله وكتبه، فلو نظر أدنى نظر، وتأمل أدنى تأمل، لرأى استبعاده للبعث، في غاية السخافة، ولهذا ذكر تعالى برهاناً قاطعاً، ودليلاً واضحاً، يعرفه كل أحد على إمكان البعث فقال: ﴿أُولًا يَذُكُرُ الإِنسَانَ أَنَا خُلَقْنَاهُ مِنْ قَبِلِ ولم يكُ شيئاً ﴾ أي: أو لا يلفت نظره، ويستذكر حالته الأولى، وأن الله خلقه أول مرة، ولم يك شيئاً، فمن قدر على خلقه من العدم، ولم يكن شيئاً، مذكوراً، أليس بقادر على إنشائه بعد ما تمزق، وجمعه بعدما تفرق؟ وهذا كقوله: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾.

وفي قوله: ﴿أُولا يذكر الإنسان﴾ دعوة للنظر، بالدليل العقلي، بألطف خطاب، وأن إنكار من أنكر ذلك، مبنى على غفلة منه عن حاله الأولى، وإلاّ فلو تذكرها وأحضرها في ذهنه، لم ينكر ذلك.

والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً \* ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً \* ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً القسم الله أ تعالى وهو أصدق القائلين ـ بربوبيته، ليحشرن هؤلاء المنكرين للبعث، هم وشياطينهم فيجمعهم ليقات يوم معلوم، ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جِثْياً ﴾ أي: جائين على ركبهم من شدة الأهوال، وكثرة الزلزال، وفظاعة الأحوال، منتظرين لحكم الكبير المتعال، ولهذا ذكر حكمه فيهم فقال: ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً ﴾ أي: ثم لننزعن من كل طائفة وفرقة من الظالمين المشتركين في الظلم والكفر والعُتُوّ أشدهم عتواً، وأعظمهم ظلماً، وأكبرهم كفراً، فيقدمهم إلى العذاب، ثم هكذا يقدم إلى العذاب، الأغلظ إثماً، فالأغلظ، وهم في تلك الحال متلاعنون، يلعن بعضهم بعضاً، ويقول أخراهم لأولاهم: ﴿ رَبُّنَا هُؤُلاءً أَصْلُونًا فَأَتُّهُمْ عذاباً ضعفاً من النار قال لكلِّ ضعفٌ ولكن لا تعلمون اوقالت أولاهم لأخراهم فماكان لكم علينا من فضل ﴾ وكل هذا تابع لعدله وحكمته وعلمه الواسع، ولهذا قال: ﴿ثم لنحن أعلم بالذِّين هم أولي بها صلياً ﴾ أي: علمنا محيط بمن هو أولى صلياً بالنار، قد علمناهم، وعلمنا أعمالهم واستحقاقها وقسطها من العذاب.

﴿٧١ - ٧٧﴾ ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً \* ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً ﴾ وهذا خطاب لسائر الخلائق، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، أنه ما منهم من أحد، إلا سيرد النار، حكماً حتمه الله على نفسه، وأوعد به عباده، فلا بد من نفوذه، ولا محيد عن وقوعه.

واختلف في معنى الورود، فقيل: ورودها، حضورها للخلائق كلهم، حتى يحصل الانزعاج من كل أحد، ثم بَعْدُ، ينجى الله المتقين. وقيل: ﴿ ٢٨ \_ ٧٠﴾ ﴿فوربك لنحشرنهم ورودها، دخولها، فتكون على المؤمنين

برداً وسلاماً. وقيل: الورود، هو المرور على الصراط، الذي هو على متن جهنم، فيمر الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، وكالريح، وكأجاويد الخيل، وكأجاويد الركاب، ومنهم من يسعى، ومنهم من يمشي مشيأ، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف فيلقى في النار، كُلِّ بحسب تقواه، ولهذا قال: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ الله تعالى بفعل المأمور، واجتناب المحظور ﴿ونذر الظالمين﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي فيها جثياً وهذا بسبب ظلمهم وكفرهم، وجب لهم" الخلود، وحق عليهم العذاب، وتقطعت بهم الأسباب.

﴿٧٣ ـ ٧٤﴾ ﴿وإذا تـتلي عـليهـم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً \* وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورئياً ﴾ أي: وإذا تتلي على هؤلاء الكفار آياتنا بينات، أي: واضحات الدلالة على وحدانية الله وصدق رسله، توجب لن سمعها صدق الإيمان وشدة الإيقان، قابلوها بضد ما يجب لها، واستهزؤوا بها وبمن آمن بها، واستدلوا بحسن حالهم في الدنيا، على أنهم خير من المؤمنين، فقالوا معارضين للحق: ﴿أَي الفريقين، أي: نحن والمؤمنون ﴿خير مقاماً ﴾ أي: في الدنيا، من كشرة الأموال والأولاد، وتوفر الشهوات ﴿وأحسن ندياً ﴾ أي: مجلساً. أي: فاستنتجوا من هذه المقدمة الفاسدة، أنهم أكثر مالاً وأولاداً، وقد حصلت لهم أكثر مطالبهم من الدنيا، ومجالسهم وأنديتهم مزخرفة مزوقة .

والمؤمنون بخلاف هذه الحال، فهم خير من المؤمنين، وهذا دليل في غايةً الفساد، وهو من باب قلب الحقائق، وإلا فكثرة الأموال والأولاد، وحسن المنظر، كثيراً ما يكون سبباً لهلاك صاحبه، وشقائه، وشره، ولهذا قال

﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً﴾ أي: مناعاً، من أوان وفرش، وبيوت، وزخارف، وأحسن رئياً، أي: أحسن مرأى ومنظراً، من غضارة العيش، وسرور اللذات، وحسن الصور، فإذا كان هؤلاء المهلكون أحسن منهم أثاثاً ورثياً، ولم يمنعهم ذلك من حلول العقاب بهم، فكيف يكون هؤلاء، وهم أقل منهم وأذل، معتصمين من العذاب ﴿أَكْفَارِكُمْ خَيْرُ مِنْ أُولِئُكُمْ أَمْ لَكُمْ بِرَاءَةً في الزبر﴾؟ وعملم من هذا، أن الاستدلال على خير الآخرة بخير الدنيا من أفسد الأدلة، وأنه من طرق الكفار .

﴿٥٧﴾ ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً ﴾ لما ذكر دليلهم الباطل، الدال على شدة عنادهم، وقوة ضلالهم، أخبر هنا، أن من كان في الضلالة، بأن رضيها لنفسه وسعى فيها، فإن الله يمده منها، ويزيده فيها حباً، عقوبة له على اختيارها على الهدى، قال تعالى: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴿ حتى إذا رأوا ﴾ أي: القائلون: ﴿أَي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً ﴿ مِا يَوْعَدُونَ إِمَا العذاب ، بقتل أو غيره ﴿ وإما الساعة ﴾ التي هي باب الجزاء على الأعمال ﴿ فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً ﴾ أي: فحينئذ يتبين لهم بطلان دعواهم، وأنها دعوى مضمحلة، ويتيقنون أنهم أهل الشر، ﴿وأضعف جنداً ﴾ ولكن لا يفيدهم هذا العلم شيئاً، لأنه لا يمكنهم الرجوع إلى

الدنيا، فيعملون غير عملهم الأول. ﴿٧٦﴾ ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا

هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيرٌ مرداً ﴾ لما ذكر أنه يمد للظالمين في ضلالهم، ذكر أنه يزيد المهتدين هداية من فضله عليهم ورحمته، والهدى يشمل العلم النافع، والعمل الصالح، فكل من سلك طريقاً في العلم والإيمان والعمل الصالح، زاده الله منه، وسهله عليه ويسره له، ووهب له أموراً أخر، لا تدخل تحت كسبه، وفي هذا دليل على زيادة الإيمان ونقصه، كما قاله السلف الصالح، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿لِيزِداد اللَّذِينِ آمنوا إيماناً ﴾ ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾.

ويبدل عليه أينضاً الواقع، فإن الإيمان قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، والمؤمنون متفاوتون في هذه الأمور، أعظم تفاوت، ثم قال: ﴿والباقيات الصالحات ( أي: الأعمال الباقية ، التي لا تنقطع إذا انقطع غيرها، ولا تضمحل، هي الصالحات منها، من صلاة وزكاة، وصوم، وحج، وعمرة، وقراءة، وتسبيح، وتكبير، وتحسميد، وتهليل، وإحسان إلى المخلوقين، وأعمال قلبية وبدنية، فهذه الأعمال ﴿خير عند ربك ثواباً وخير مرداً ﴾ أي: خير عند الله، ثوابها وأجرها، وكثير للعاملين نفعها وردها، وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل في غير بابه، فإنه ما ثُمَّ غير الباقيات الصالحات، عمل ينفع، ولا يبقى لصاحبه ثوابه ولا ينجع، ومناسبة ذكر الباقيات الصالحات - والله أعلم - أنه لما ذكر أن الظالمين جعلوا أحوال الدنيا من المال والولد، وحسن المقام ونحو ذلك، علامة لحسن حال صاحبها، أخبر هنا أن الأمر ليس كما زعموا، بل العمل الذي هو عنوان السعادة ومنشور الفلاح، هو العمل بما يحبه الله ويرضاه.

﴿٧٧ \_ ٨٠) ﴿أَفِرأَيت الذي كَفَر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً \* أطلع

الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً \* كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا \* ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً أي: أفلا تتعجب من حالة هذا الكافر، الذي جمع بين كفره بآيات الله ودعواه الكبيرة، أنه سيؤتّى في الآخرة مالاً وولداً، أي: يكون من أهل الجنة، هذا من أعجب الأمور، فلو كان مؤمناً بالله وادعى هذه الدعوى، لسهل الأمر.

وهذه الآية \_ وإن كانت نازلة في كافر معين \_فإنها تشمل كل كافر، زعم أنه على الحق، وأنه من أهل الجنة، قال الله توبيخاً له وتكذيباً: ﴿ أَطلع الغيب♦ أي: أحاط علمه بالغيب، حتى علم ما يكون، وأن من جملة ما يكون، أنَّه يؤتي يوم القيامة مالاً وولداً؟ ﴿أَمُ اتَّخَذُ عَنْدُ الرَّحْنُ عَهِداً﴾ أنه نائل ما قاله، أي: لم يكن شيء من ذلك، فعلم أنه مُتَقوّلُ، قائل ما لا علم له به أوهذا التقسيم والترديد، في غاية ما يكون من الإلزام وإقامة الحجة؛ فإن الذي يزعم أنه حاصل له خير عند الله في الآخرة، لا يخلو: إما أن يكون قوله صادراً عن علم بالغيوب المستقبلة، وقد علم أن هذا لله وحده، فلا أحد يعلم شيئاً من المستقبلات الغيبية، إلا ما أطلعه الله إليه من رسله.

وإما أن يكون متخذاً عهداً عند الله، بالإيمان به، واتباع رسله، الذي عهد الله لأهله، وأوزع أنهم أهل الآخرة، الناجون الفائزون. فإذا انتفى هذان الأمران، علم بذلك بطلان الدعوى، ولهذا قال تعالى: ﴿كلا﴾ أي: ليس الأمر كما زعم، فليس للقائل اطلاع على الغيب، لأنه كافر، ليس عنده من علم الرسل شيء، ولا اتخذ عند الرحمن عهداً، لكفره وعدم إيمانه، ولكنه يستحق ضد ما تَقَوَّلُه، وأن قوله مكتوب محفوظ، ليجازى عليه ويعاقب، ولهذا قال: مداً﴾ أي: نزيده من أنواع العقوبات، مداً

كما ازداد من الغي والضلال، ﴿ونرثه ماليه وولده، ما يقول من الدنيا فرداً، بلا مال ولا أهل ولا أعوان ﴿ويأتينا فرداً ﴾ فيرى من وخيم العذاب وأليم العقاب، ما هو جزاء أمثاله من الظالمين.

﴿ ٨٤ .. ٨٨﴾ ﴿ أَلَمْ تَسَرَ أَنَا أُرْسَلِنَا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً \* فلا تعجل عليهم إنما نعدّ لهم عداً ﴾ وهذا من عقوبة الكافرين أنهم ـ لما لم يعتصموا بالله، ولم يتمسكوا بحبل الله، بل أشركوا به ووالوا أعداءه، من الشياطين -سلطهم عليهم، وقيضهم لهم، فجعلت الشياطين تؤزهم إلى المعاصى أزأ، وتزعجهم إلى الكفر إزعاجاً، فيوسوسون لهم، ويوحون إليهم، ويزينون لهم الباطل، ويقبحون لهم الحق، فيدخل حب الباطل في قلوبهم ويتشربها، فيسعى فيه سعى المحق في حقه، فينصره بجهده ويحارب عنه، ويجاهد أهل الحق في سبيل الباطل، وهذا كله، جزاء له على توليه من وليه وتوليه لعدوه، جعل له عليه سلطان، وإلا فلو آمن بالله، وتوكل عليه، لم يكن له عليه سلطان، كما قال تعالى: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون \* إنما سلطانه على النديس يتسولونه والنديس هم به مشركون﴾.

﴿ فلا تعجل عليهم ﴾ أي: على هؤلاء الكفار المستعجلين بالعذاب المنا نعد لهم عداً ﴾ أي: أن لهم أياماً معدودة لا يتقدمون عنهم ولا يتأخرون، نمهلهم ونحلم عنهم مدة ليراجعوا أمر الله، فإذا لم ينجع فهم ذلك أخذناهم أخذ عزيز مقتدر. هم حهم ودداً \* لا يملكون الشفاعة إلا جهنم ورداً \* لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً ﴾ يغبر تعالى عن تفاوت الفريقين المتقين،

CANADA INC. الْ أَمَّةِ مِنْ الَّذِي كَنْ مَنْ الْمُتَوَالَةِ مَا لَا لَهُ وَمِّنْ مَا لَا وَوَلَمُنَّا اللَّهِ أَطَلَةَ الْغَيْبَ أَمِ الْتَخَذَيْتِ دَالْآخَنَ عَهْدًا ۞ كَلَا سَتَكُنْبُ مَايَغُولُ وَنَكُدُّلُهُ مِنَ ٱلْعَكَابِ مَدًّا ﴿ وَزَرِثُهُ مَاكِعُولُ وَمَاْتِيكَ افْزُوا ﴿ وَاتَّحَادُ وَاعِن دُونِ اللَّهِ وَاللَّهَ لِلكُّونُوا لَمُدَّر عِزًا ۞ حَلّاً سَيَكُفُرُونَ بِيهَادَتِهِهْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِهْ ضِدًّا ﴿ أَلْرَشَرَأَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيْطِينَ عَلَى ٱلْكَعْمِينَ تَوُرُّهُمُ مَا زَا ﴿ فَلَا تَعْجَلُ عَلَيْهِمُ إِنَّا لَمُ مُ لَكُمْ عَدًا ﴿ يَوْمَ غَنْثُرُ الْنَقِيرَ إِلَى ٱلرَّخَلِ وَفْ مُنَا ۞ وَلَسُوقُ ٱلْمُحْرِمِينَ إِلَجَهَا مُرْوِدُا ﴿ لَا يَلِكُونَ ٱلشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ ٱلَّخَارَ عِندَالزَّخَنَ عَهْدًا ﴿ وَقَالُوا أَغَيْدُ الزَّخَنُ وَلِمَا ۞ أَمَّادُ حِنْتُ مِّشَيْنًا إِذَا ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَوَاتُ يَنَّفَظُنَ مِنْهُ وَتَنْفَقُ ٱلأَرْضُ وَتَحِدُوْ أَنْجِبَ الْحَدَدُ اللهِ أَن دَعَوا لِلرَّحَيْنِ وَلَدَاهِ وَمَايَنُبُغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَكَخِذَ وَلَدًا ۞ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوْتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَاقِ ٱلرَّخَلِيْعَبَدُا ﴿ لَعَدَ أَحْسَعُمُ رِّهُ وَعَدَّهُمْ عَذَا ۞ وَكُلُّهُمْ وَاليهِ يَوْمَ ٱلْقِيكَةِ فَدْرًا ۞ COLORD III EAR EAR

والمجرمين، وأن المتقين له \_باتقاء السرك والبدع والمعاصي \_ يحشرهم إلى معظمين، وأن مآلهم الرحمن، معظمين، وأن مآلهم الرحمن، وقصدهم المنان، وفودا إليه، والوافد لا بد أن يكون في قلبه من الرجاء، معلوم، فالمتقون يفدون إلى الرحمن، معلوم، فالمتقون يفدون إلى الرحمن، والفوز بعطاياه في دار رضوانه، وذلك بسبب ما قدموه من العمل بتقواه، واتباع مراضيه، وأن الله عهد إليهم بذلك الشواب على ألسمة رسله، فتوجهوا إلى رجم مطمئنين به، واثقين فضله.

وأما المجرمون، فإنهم يساقون إلى جهنم ورداً، أي: عطاشاً، وهذا أبشع ما يكون من الحالات، سوقهم على وجه الذل والصغار إلى أعظم سجن وأفظع عقوبة، وهو جهنم، في حال ظماهم ونصبهم يستغيشون فلا يغاثون، ويدعون فلا يشفع لهم، ويستشفعون فلا يشفع لهم، ولهذا قال: ﴿لا يملكون الشفاعة منها شيء، وإنما هي لله تعالى منها شيء، وإنما هي لله تعالى أي: ليست الشفاعة جيعاً ﴾. وقد أخبر وقد أخبر تنفعهم شفاعة الشافعين، لأنهم

لم يتخذوا عنده عهداً بالإيمان به وبرسله، وإلا فمن اتخذ عنده عهداً فامن به وبرسله واتبعهم، فإنه ممن ارتضاه الله، وتحصل له الشفاعة كما قال تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ وسمى الله الإيمان به واتباع رسله عهداً، لأنه عهد في كتبه وعلى ألسنة رسله، بالجزاء الجميل لمن اتبعهم.

ولداً \* لقد جنتم شيئاً إداً \* تكاد ولداً \* لقد جنتم شيئاً إداً \* تكاد وغر الجبال هداً \* أن دعوا للرحمن ولداً \* وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً \* وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً \* إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً \* لقد أحصاهم وعدهم عداً \* وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً \* وهذا تقبيح وتشنيع لقول المعاندين الجاحدين، الذين زعموا أن الرحمن اتخذ ولداً، كقول النصارى: المسيح ابن الله، والمهود: عزير ابن الله، والمشركين: الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم علواً

﴿لقد جنتم شيئاً إداً ﴾ أي: عظيماً وخيماً، من عظيماً مره أنه ﴿تكاد السماوات ﴾ على عظمتها وصلابتها ﴿ يَنَفَطُرُنَ منه ﴾ أي: من هذا القول

﴿وتنشق الأرض﴾ منه، أي: تتصدع وتنفطر ﴿وتخر الجبال هذا ﴾ أي: تندك الجبال، ﴿أَن دعوا للرحن ﴾ أي: من أجل هذه الدعوى القبيحة تكادهذه المخلوقات، أن يكون منها ما ذكر. والحال أنه: ﴿ما ينبغي﴾ أي: لا يليق ولا يكون ﴿للرحمن أن يتخذ ولداً﴾ وذلك لأن اتخاذه الولد، يدل على نقصه واحتياجه، وهو الغني الحميد. والولد أيضاً، من جنس والده، والله تعالى لا شبيه له ولا مثل ولا سَمِيّ. ﴿إِنّ كل من في السماوات والأرض ، إلا آتي الرحمن عبداً ﴾ أي: ذليلاً منقاداً، غير متعاص ولا عمتنع، الملاتكة، والإنس، والجن وغيرهم، الجميع ماليك، متصرف فيهم، ليس لهم من الملك شيء، ولا من التدبير شيء، فكيف يكون له ولد، وهذا شأنه وعظمة ملكه؟!!

﴿لقد أحصاهم وعدهم عداً ﴾ أي: لقد أحاط علمه بالخلائق كلهم، أهل السماوات والأرض، وأحصاهم وأحصى أعمالهم، فلا يضل ولا ينسى، ولا تخفى عليه خافية.

﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً ﴾
أي: لا أولاد، ولا مــــال،
ولا أنصار، ليس معه إلا عمله،
فيجازيه الله ويوفيه حسابه، إن خيراً
فخير، وإن شراً فشر، كما قال تعالى:
﴿ولقد جثتمونا فرادى كما خلقناكم
أول مرة ﴾.

﴿٩٦٩﴾ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾ هذا من نعمه على عباده، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، أن وعدهم أنه يجعل لهم وداً، أي: عبة ووداداً في قلوب أوليائه، وأهل السماء والأرض، وإذا كان لهم في القلوب ود تيسر لهم كثير من أمورهم وحصل لهم من الخيرات والدعوات والإرشاد والقبول والإمامة ما حصل، ولهذا ورد في الحديث الصحيح: ﴿إن الله إذا أحب عبداً، نادى جبريل: إن أحب

فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع لمه القبول في الأرض». وإنسا جعل الله لهم وداً، لأنهم (١) ودوه، فوددهم إلى أوليائه وأحبابه.

﴿٩٨ \_ ٩٨﴾ ﴿فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً \* وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحدِ أو تسمع لهم ركزاً ﴾ يخبر تعالى عن نعمته تعالى، وأن الله يسر هذا القرآن الكريم بلسان الرسول محمد يني ، يسر ألفاظه ومعانيه، ليحصل القصودمنه والانتفاع به، ﴿لتبشر به المتقين﴾ بالترغيب في المبشر به من الثواب العاجل والآجل، وذكر الأسباب الموجبة للبشارة، ﴿وتنذر به قوماً لداً ﴾ أي: شديدين في باطلهم، أقوياء في كفرهم، فتنذرهم، فتقوم عليهم الحجة، وتتبين لهم المحجة، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيَّ عن بينة. ثم توعدهم بإهلاك المكذبين قبلهم، فقال: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ من قبوم نبوح، وعباد، وليمبود، وفرعون، وغيرهم من المعاندين المكذبين، لما استمروا في طغيانهم، أهلكهم الله فليس لهم من باقية .

﴿ هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ﴾ والركز: الصوت الخفي، أي: لم يبق منهم عين ولا أثر، بل بقيت أخبارهم عبرة للمعتبرين، وأسمارهم عظة للمتعظين.

> تم تفسير سورة مريم، وله الحمد والشكر

## تفسیر سورة طه وهی مکیة

﴿١ - ٨﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم طه \*ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى \* إلا تذكرة لمن يخشى \* تنزيلاً بمن خلق الأرض والسماوات العلى \* الرحمن على العرش استوى \* له ما في

السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى \* وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى \* الله لا إله إلاَّ هو له الأسماء الحسني ﴿ طُه ﴾ من جملة الحروف المقطعة، المفتتح بها كثير من السور، وليست اسماً للنبي ﷺ، ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ أي: ليس المقصود بالوحى، وإنزال القرآن عليك، وشرع الشريعة، لتشقى بذلك، ويكون في الشريعة تكليف يشق على المكلفين، وتعجز عنه قوى العاملين. وإنما الوحي والقرآن والشرع، شرعه الرحيم الرحن، وجعله موصلاً للسعادة والفلاح والفوز، وسهله غاية التسهيل، ويسر كل طرقه وأبوابه، وجعله غذاء للقلوب والأرواح، وراحة للأبدان، فتلقته الفطر السليمة والعقول المستقيمة بالقبول والإذعان، لعلمها بما احتوى عليه من الخير في الدنيا والآخرة، ولهذا قال: ﴿إِلَّا تَذُّكُوهُ لِمَنْ يُخْشَى﴾ إلا ليتذكر به من يخشى الله تعالى، فيتذكر ما فيه من الترغيب إلى أجل المطالب، فيعمل بذلك، ومن الترهيب عن الشقاء والخسران، فيرهب منه، ويتذكر به الأحكام الحسنة الشرعية المصلة، التي كان مستقراً في عقله حسنها مجملاً ، فوافق التفصيل ما يجده في فطرته وعقله، ولهذا سماه الله ﴿تُلْذِكُونَ ﴾ والشذكورة ليسيء كيان موجوداً، إلا أن صاحبه غافل عنه، أو غير مستحضر لتفصيله، وخص بالتذكرة ﴿من يخشى ﴾ لأن غيره لا ينتفع به، وكيف ينتفع به من لم يؤمن بجنة ولا نار، ولا في قلبه من خشية الله مشقال ذرة؟ هذا ما لا يكون، ﴿سيذكرمن يخشى \* ويتجنبها الأشقى \* الذي يصلى النار الكبرى ﴾ ثم ذكر جلالة هذا القرآن العظيم، وأنه تنزيل خالق الأرض والسماوات، المدبر لجميع المخلوقات، أي: فاقبلوا تنزيله بغاية الإذعان والمحبة والتسليم، وعظموه نهاية التعظيم .

وكثيراً ما يقرن بين الخلق والأمر،

كما في هذه الآية، وكما في قوله: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ ﴾ وفي قوله: ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن﴾ وذلك أنه الخالق الآمر الناهي، فكما أنه لا خالق سواه، فليس على الخلق إلزام ولا أمر ولا نهى إلا من خالقهم، وأيضاً فإن خلقه للخلق فيه التدبير القدري الكوني، وأمره فيه التدبير الشرعى الديني، فكما أن الخلق لا يخرج عن الحكَّمة، فلم يخلق شيئاً عيثاً، فكذلك لا يأمر ولا ينهي إلا بما هو عدل وحكمة وإحسان. فلما بين أنه الخالق المدير، الآمر الناهي، أخبر عن عظمته وكبريائه، فقال: ﴿الرحمن على العرش﴾ الذي هو أرفع المخلوقات وأعظمها وأوسعها، ﴿استوى﴾ استواء يليق بجلاله، ويناسب عظمته وجماله، فاستوى على العرش، واحتوى على الملك، ﴿له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما ﴾ من مَلَكِ وإنسى وجنى، وحيوان، وجماد، ونبات، ﴿وما تحست الشرى ﴿ أي: الأرض، فالجميع ملك لله تعالى، عبيد مدبرون، مسخرون تحت قضائه وتدبيره، ليس لهم من الملك شيء، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

ووإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر الكلام الخفي ووأخفى من السر، الذي في القلب، ولم ينطق به. أو السر: ما خطر على القلب. ووأخفى ما لم يخطر على القلب. يخطر في وقته، وعلى صفته، المعنى: أن علمه تعالى عيط بجميع الأشياء، دقيقها، وجليلها، خفيها، وظاهرها، فسواء جهرت بقولك أو أسررته، فالكل سواء، بالنسبة لعلمه تعالى.

فلما قرر كماله المطلق، بعموم خلقه، وعموم أمره ونهيه، وعموم رحمته، وسعة عظمته، وعلوه على عرشه، وعموم ملكه، وعموم علمه، نتج من ذلك، أنه المستحق للعبادة، وأن عبادته هي الحق التي يوجبها الشرع والعقل والفطرة، وعبادة غيره

THE CHARLES SECTION AS A SECTIO وَأَنَا لَنَتَوَٰكَ فَأَسْتَمَعْلَا وُخَلَّ ۞ إِنَّىٰ أَنَا أَلَيْهُ لَآ إِلَّا إِلَّا إِلَّا أَلَّا فَأَعَبُدُنِي وَأَقِيمِ ٱلْعَبَكُوٰةَ لِذِحْرِيَّ ۞ إِنَّ ٱلسَّاحَةَ ءَاتِيَةً أَكَادُ أُخْفِيهَا لِلْتَرَى حُلُ تَفْيِن بَالْمَنعَلَ ۞ فَلَايِصُدُنَّكَ عَنْهَا مَنَ لَآيَةُ مِنْ بِهَا وَأَتَّبَعَ هَوَنهُ فَكَرْدَىٰ ۞ وَمَا يَلْكَ بِيِّمِينِكَ يَنْمُوسَىٰ۞ قَالَ هِيَّ عَصَاىَ أَتُوَكِّوُ أُعَلِّمَا وَأَهُشُ بِهَا عَلَىٰ عَنْدَى وَلِي فِهَا مَعَارِبُ أَخْرَىٰ ۞ قَالَ أَلْفِهَا يَلْمُوسَىٰ ۞ فَٱلْقَنْهَا فَإِذَاهِى حَيَّةُ تَنْعَىٰ ۞ فَالَّخُذُهَ اوَلَا تَخَفَّ سَنُعِيدُهَا سِيرَتُهَا ٱلْأُولَىٰ ۞ وَأَضْمُتُريدَكَ إِلَاجَنَاعِكَ تَخْرُجُ يَتَضَاكَةَ مِنْ غَيْرِسُوَمَ وَاسِتَةً أُخْرَىٰ ۞ لِزُمِيكَ مِنْ مَ النِينَا ٱلْكُبْرَى ۞ ٱذْهَبْ إِلَى فِرْجَوْنَ إِنَّهُ مِلْغَيْ۞ عَالَ رَبِ اَشْرَح لِي صَدْدِي ﴿ وَيَيْرَلِيٓ أَمْرِي ۞ وَلَعَلَّمُ عُلَّمُ يِّن لِسَانِ۞ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ۞ وَلَجْمَل لِي وَنِيزَا مِنْ أَهْلِي۞ هَرُونَ أَيِنِ ۞ أَشَدُ دُيهِ يَ أَرْدِي ۞ وَأَشَرِّهُ وَإِنْتِي ۞ فَيَ لَيْعَكَ الله كَدِيرُ ﴿ وَنَذَكُوا كَدِيرً ﴿ إِنَّكَ كُتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿ قَالَ قَدْ الربيت سُؤلك يَنمُوسَى ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةُ أَخْرَيَنَ CANADA III CARALA

باطلة، فقال: ﴿الله لا إله إلا هو﴾ أي: لا معبود بحق، ولا مألوه بالحب والذل، والخوف والرجاء، والمحبة والإنابة والدعاء، إلا هو.

وله الأسماء الحسنى أي: له الأسماء الكثيرة الكاملة الحسنى، من حسنها أنها كلها أسماء دالة على المدح والحمد، ومن حسنها أنها ليست أعلاما عضة، وإنما هي أسماء وأوصاف، عضة، وأن له من كل صفة أكملها وأعمها وأجلها، ومن حسنها أنه أمر الكاملة، وأن له من كل صفة أكملها وأعمها وأجلها، ومن حسنها أنه أمر العباد أن يدعوه بها، لأنها وسيلة مقربة إليه يجبها، ويجب من يبحث عن معانيها ويتعبد له بها، قال تعالى: ﴿ولله وستعبد له بها، قال تعالى: ﴿ولله والمستعرف عن معانيها الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾.

﴿٩ ـ ٢١﴾ ﴿وهل أتاك حديث موسى \* إذ رأى ناراً فقال لأهله المكثوا إني آنست ناراً فقال لأهله بقبس أو أجد على النار هدى \* فلما أتاها نودي يا موسى \* إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى وقول تعالى لنبيه محمد ﷺ على وجه الاستفهام التقريري والتعظيم لهذه القصة والتفخيم لها: ﴿هل أتاك حديث موسى ﴾ في حاله التي هي مبدأ سعادته، ومنشأ نبوته، أنه رأى ناراً من بعيد، وكان قد ضل الطريق، وأصابه بعيد، وكان قد ضل الطريق، وأصابه

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْ أَمِكَ مَا يُوحَى ﴿ أَنِ أَقَدْ فِيهِ فِي الْتَابُوتِ فَأَقَدْ فِيهِ فِ الْيَدِ فَلَيُلْقِهِ الْيَرِّ بِالسَّاصِلِ بَلْنُذْهُ عَدُوٌّ لِلْ وَعَدُوُّلُهُ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ تَحَبَةً مِّنِي وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَنِي آخُدُكَ فَتَعُولُ هَلْ أَدُلُكُمْ عَلَىٰ مَن يَكُفُلُهُ فَيَجَعَنُكَ إِلَىٰٓ أَيْكَ كَنَفَرَ غِينُهَا وَلَا غَنَهُ ۚ وَقَلْتَ نَفْسَا فَغَيْنَكَ مِنَ ٱلْفَيْرِ وَفَئَنَاكَ فَتُونَا مَلَيِثْتَ سِنِينَ فِ أَهْلِ مَدِّينَ ثُرِّجِثْتَ عَلَىٰ فَكَدِيدُهُوسَىٰ ۞ وَأَصْطَنَعْنُكَ لِنَفْسِي ۞ ٱذْخَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِنَايَتِي وَلَانِيْنَ فِ ذِكْرِي ۞ آذْهَبَآ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۞ فَـعُولِاللَّهُ قَوْلًا لِّنَا لَمَلَهُ يَنَدَكُرُ أَوْتِغْشَىٰ ۞ قَالَارَبَّنَا إِنَّنَا غَافُ أَن يَفْتُظَ عَلَيْنَا أَوَأَن يَطْفَى ۞ قَالَ لَا غَنَافًا إِنِّي مَعَكُمًا أَسْمَعُ وَأَرْىٰ۞ فَأَيْنَاهُ فَقُولًا إِنَّارَيسُولًا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِّي إِسْرَةَ مِلَ وَلَاتُعُدَدِّبُهُمُّ قَدْحِشْنِكَ مِعَايَةٍ مِّن زَيِكٌ وَٱلسَّلَوْعَلَىٰ مَنِ ٱلبُّعَ ٱلْمُدَىٰ ۞ إِنَّا مَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْمَدَابَ عَلَى مَن كَذَبَ وَتُوَلِّي ۞ قَالَ فَمَن زَّبُّكُمَا يَكُوسَى ۞ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيَّ أَعْمَلَى كُلُّ مَنَّى عِنْقَدُ مُزَّمَدَىٰ ۞ قَالَ فَا رَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلأَوْلَىٰ ۞ ACTORON TO PROPER

البرد، ولم يكن عنده ما يتدفأ به في سفره، ﴿فقال لأهله إني آنست﴾ أي: أبصرت ﴿فاراً ﴾ وكان ذلك في جانب الطور الأيمن، ﴿لعلي آتيكم منها بقبس﴾ تصطلون به ﴿أو أجد على النار هلدى﴾ أي: من يهديني الطريق. وكان فوجد ثمَّ النور الحسي والهداية الحسية، فوجد ثمَّ النور المعنوي، نور الوحي، والهداية الحسياد الذي تستنير به الأرواح والقلوب، والهداية الحساط الذي تستنير به الأرواح والقلوب، الموصلة إلى جنات النعيم، فحصل له أمر لم يكن في حسابه، ولا خطر بباله.

التي آنسها من بعيد، وكانت ـ في المني آنسها من بعيد، وكانت ـ في الحقيقة ـ نوراً، وهي نمار تحرق وتشرق، ويدل على ذلك قوله على ذلك قوله الله النور أو النمار، لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره، فلما وصل إليها نودي منها، أي: ناداه الله، كما قال: ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً﴾ أي أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد من يستعد ويتهيأ لمناجاته، ويستم لذلك، ويلقي نعليه، لأنه بالوادي للذلك، ويلقي نعليه، لأنه بالوادي تقديسه، إلا أن الله اختاره لمناجاته تقديسه، إلا أن الله اختاره لمناجاته

كليمه موسى لكفى، وقد قال كثير من المفسرين: «إن الله أمره أن يلقي نعليه، لأنهما من جلد حمار»، فالله أعلم بذلك.

﴿وأنا اخترتك اي: تخيرتك واصطفيتك من الناس، وهذه أكبر نعمة ومنة أنعم الله بها عليه، تقتضى من الشكر ما يليق بها، ولهذا قال: ﴿فاستمع لما يوحي﴾ أي: ألق سمعك للذي أوحى إليك، فإنه حقيق بذلك، لأنه أصل الدين ومبدأه، وعماد الدعوة الإسلامية، ثم بين الذي يوحيه إليه بقوله: ﴿إِنْنَى أَنَا الله لا إِلَّهُ إِلَّا أَنَّا﴾ أى: الله المستحق الألوهية المتصف بها، لأنه الكامل في أسمائه وصفاته، المنفرد بأفعاله، الذي لا شريك له ولا مثيل ولا كفو ولا سَمِيّ، ﴿فاعبدن ﴾ بجميع أنواع العبادة، ظاهرها وباطنها، أصولها وفروعها، ثم خص الصلاة بالذكر وإن كانت داخلة في العبادة، لفضلها وشرفها، وتضمنها عبودية القلب واللسان والجوارح.

وقوله: ﴿لذكري﴾ اللام للتعليل أي: أقم الصلاة لأجل ذكرك إياي، لأن ذكره تعالى أجل المقاصد، وهو عبودية القلب، وبه سعادته، فالقلب المعطل عن ذكر الله، معطل عن كل خير، وقد خرب كل الخراب، فشرع الله للعباد أنواع العبادات، التي المقصود منها إقامة ذكره، وخصوصاً الصلاة.

قال الله تعالى: ﴿ اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر أي: ما فيها من ذكر الله أكبر من نهيها عن الفحشاء والمنكر، وهذا النوع يقال له توحيد الألوهية، وتوحيد العبادة، فالألوهية وصفه تعالى، والعبودية وصف عبده.

﴿إِن الساعة آتية ﴾ أي: لا بد من وقوعها ﴿أكاد أخفيها ﴾ أي: عن نفسي كما في بعض القراءات، كقوله تعالى: ﴿يسالك الناس عن الساعة قل

إنما علمها عند الله وقال: ﴿وعنده علم الساعة ﴾ فعلمها قد أخفاه عن الخلائق كلهم، فلا يعلمها ملك مقرب، والخكمة في إتيان الساعة ﴿لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ من الخير والشر، فهي الباب لدار الجزاء ﴿ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ .

(17) ﴿فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى أي: فلا يصدك ويشغلك عن الإيمان بالساعة، والجزاء، والعمل لذلك، من كافراً بها، غير معتقد لوقوعها.

يسعى في الشك فيها والتشكيك، ويجادل فيها بالباطل، ويقيم من الشبه ما يقدر عليه، متبعاً في ذلك هواه، ليس قصده الوصول إلى الحق، وإنما قصاراه اتباع هواه، فإياك أن تصغى إلى من هذه حاله، أو تقبل شيئاً من أقواله وأعماله الصادة عن الإيمان بها والسعى لها سعيها، وإنما حذر الله تعالى عمن هذه حاله لأنه من أخوف ما يكون على المؤمن بوسوسته وتدجيله (١١)، وكون النفوس مجبولة على التشبه، والاقتداء بأبناء الجنس، وفي هذا تنبيه وإشارة إلى التحذير عن كلّ داع إلى باطل، يصد عن الإيمان الواجب، أو عن كماله، أو يوقع الشبهة في القلب، وعن النظر في الكُّتب المشتمَّلة على ذلك، وذكر في هذا الإيمان به، وعبادته، والإيمان باليوم الآخر، لأن هذه الأمور الثلاثة أصول الإيمان، وركن الدين، وإذا تحت تم أمر الدين، ونقصه أو فقده بنقصها، أو نقص شيء منها.

وهذه نظير قوله تعالى في الإخبار عن ميزان سعادة الفرق، الذين أوتوا الكتاب وشقاوتهم: ﴿إِنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابنون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يجزنون ﴾.

وقوله: ﴿فتردى﴾ أي: تهلك وتشقى، إن اتبعت طريق من يصد

(1)

عنها، وقوله تعالى:

﴿ ١٧ - ٢٣﴾ ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى \* قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى \* قال ألقها يا موسى \* قال فألقاها فإذا هي حية تسعى \* قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى \* واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى \* لنريك من آياتنا الكبرى ﴾ .

لما بيّن الله لموسى أصل الإيىمان، أراد أن يبين له ويريه من آياته ما يطمئن به قلبه، وتقر به عينه، ويقوى إيمانه، بتأييد الله له على عدوه فقال: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ هذا، مع علمه تعالى، ولكن لزيادة الاهتمام في هذا الموضع، أخرج الكلام بطريق الاستفهام، فقال موسى: ﴿هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي فكر فيها هاتين المنفعتين، منفعةً لجنس الآدمي، وهو أنه يعتمد عليها في قيامه ومشيه، فيحصل فيها معونة، ومنفعة للبهائم، وهو أنه كان يرعى الغنم، فإذا رعاها في شجر الخبط ونحوه، هش بها، أي: ضرب الشجر، ليتساقط ورقه، فيرعاه الغنم. هذا الخلق الحسن من موسى عليه

تقتضيه رحمة الله وحكمته. ﴿ولي فيها مآرب﴾ أي: مقاصد ﴿أخرى﴾ غير هذين الأمرين.

السلام، الذي من آثاره، حسن رعاية

الحيوان البهيم، والإحسان إليه دل على

عناية من الله له واصطفاء، وتخصيص

ومن أدب موسى عليه السلام، ومن أدب موسى عليه السلام، أن الله لما سأله عما في يمينه، وكان السؤال عن عينها، ومنفعتها أجابه بعينها، ومنفعتها فقال الله له: ﴿القها يا موسى \* فألقاها فإذا هي حية تسعى ﴾ انقلبت بإذن الله ثعبانا عظيماً، فولى موسى هارباً خانفاً، ولم يعقب، وفي وصفها بأنها تسعى، إزالة لوهم يمكن وجوده، وهو أن يظن أنها تخييل

لا حقيقة، فكونها تسعى يزيل هذا الوهم.

خف اي: ليس عليك منها باس. ﴿ سنعيدها سيرتها الأولى ﴾ أي: هيئتها وصفتها، إذ كانت عصا، فامتثل موسى أمر الله إيماناً به وتسليماً، فأخذها، فعادت عصاه التي كان يعرفها هذه \_آية، ثم ذكر الآية الأخرى، فقال: ﴿ واضمم يدك إلى جناحك ﴾ أي: أدخل يدك في جيبك، وضم عليك عضدك، الذي هو جناح وضم عليك عضدك، الذي هو جناح الإنسان ﴿ تحرج بيضاء من غير سوء ﴾ أي: بياضاً ساطعاً، من غير عيب ولا برص ﴿ آية أخرى ﴾ .

قال الله: ﴿فَذَانَكُ بِرَهَانَانُ مِن رَبِكَ إلى فرعون ومَلَئِه إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾.

ولنريك من آياتنا الكبرى أي: فعلنا ما ذكرنا، من انقلاب العصاحية تسعى، ومن خروج اليد بيضاء للناظرين، لأجل أن نريك من آياتنا الكبرى، الدالة على صحة رسالتك وحقيقة ما جئت به، فيطمئن قلبك ويزداد علمك، وتثق بوعد الله لك بالحفظ والنصرة، ولتكون حجة وبرهاناً لمن أرسلت إليهم.

﴿ ٢٤ \_ ٣٦ ﴾ ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طبغي \* قيال رب اشرح لي صدري الويسرلي أمري الواحلل عقدة من لسان \* يفقهوا قولي \* واجعل لي وزيراً من أهلي \* هارون أخى \* اشدد به أزرى \* وأشركه في أمري \* كى نسبحك كشيراً \* ونذكرك كثيراً \* إنك كنت بنا بصيراً \* قال قد أوتيت سؤلك يا موسم ﴾ لما أوحى الله إلى موسى، ونبأه، وأراه الآيات الباهرات، أرسله إلى فرعون، ملك مصر، فقال: ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغي، أي: تمرد وزاد على الحد في الكفر والفساد والعلو في الأرض، والقهر للضعفاء، حتى إنه ادعى الربوبية والألوهية \_

قبحه الله أي: وطغيانه سبب لهلاكه، ولكن من رحمة الله وحكمته وعدله، أنه لا يعذب أحداً، إلا بعد قيام الحجة بالرسل، فحيئنذ علم موسى عليه السلام أنه تحمل حملاً عظيماً، حيث أرسل إلى هذا الجبار العنيد، الذي ليس له منازع في مصر من الخلق، وموسى عليه السلام، وحده، وقد جرى منه ما جرى من القتل، فامتثل أمر ربه، وتلقاه بالانشراح والقبول، وسأله المعونة وتيسير الأسباب، التي [هي](١) من تمام الدعوة، فقال: ﴿ رَبِّ اشْرِح لِي صدري اي: وسعه وأفسحه، لأتحمل الأذي القولي والفعلي، ولا يتكدر قلبي بذلك، ولا يضيق صدرى، فإنّ الصدر إذا ضاق، لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم.

قال الله لنبيه محمد على: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ وعسى الخلق يقبلون الحق مع اللين وسعة الصدر وانشراحه عليهم.

ويسر لي أمري أي: سهل علي كل أمر أسلكه وكل طريق أقصده في سبيلك، وهوّن علي ما أمامي من الشدائد، ومن تيسير الأمر أن ييسر للداعي أن يأي جيع الأمور من أبوابها، ويخاطب كل أحد بما يناسب له، ويدعوه بأقرب الطرق الموصلة إلى قبول قوله.

﴿واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي وكان في لسانه ثقل لا يكاد يفهم عنه الكلام، كما قاله المفسرون، كما قال الله عنه أنه قال: ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فسأل الله أن يحل منه عقدة، يفقهوا ما يقول فيحصل المقصود التام من المخاطبة والمراجعة والبيان عن المعاني. ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي اي: معينا(٢) يعاونني، ويوازرني، ويساعدني على من أرسلت إليهم،

وسأل أن يكون من أهله، لأنه من باب

البر، وأحق ببر الإنسان قرابته، ثم عينه بسؤاله فقال: ﴿هارون أخي \* اشدد به أزري ﴾ أي: قوني به، وشد به ظهري، قال الله: ﴿سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً ﴾ ﴿وأشركه في أمري ﴾ أي: في النبوة، بأن تجعله نبياً رسولاً، كما جعلتني.

ثم ذكر الفائدة في ذلك فقال:

﴿ كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً ﴾
علم عليه الصلاة والسلام، أن مدار
العبادات كلها والدين، على ذكر الله،
فسأل الله أن يجعل أخاه معه،
يتساعدان ويتعاونان على البر والتقوى،
فيكثر منهما ذكر الله من التسبيح
والتهليل، وغيره من أنواع العبادات.

﴿إِنكَ كنت بنا بصيراً ﴿ تعلم حالنا وضعفنا وعجزنا وافتقارنا إليك في كل الأمور، وأنت أبصر بنا من أنفسنا وأرحم، فمن علينا بما سألناك، وأجب لنا فيما دعوناك.

فقال الله: ﴿قد أوتيت سُؤلك يا موسى﴾ أي: أعطيت جميع ما طلبت، فسنشرح صدرك، ونيسر أمرك، ونحل عقدة من لسانك، يفقهوا قولك، ونشد عضدك بأخيك هارون، ﴿ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إلكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾.

وهذا السؤال من موسى عليه السلام، يدل على كمال معرفته بالله، وكمال فطنته ومعرفته للأمور، وكمال نصحه، وذلك أن الداعي إلى الله، المرشد للخلق، خصوصاً إذا كان اللدعو من أهل العناد والتكبير والطغيان (۱)، يحتاج إلى سعة صدر، وحلم تام، على ما يصيبه من الأذى، عن ما يريده ويقصده، بل الفصاحة والبلاغة لصاحب هذا المقام، من ألزم ما يكون، لكشرة المراجعات والمراوضات، ولحاجته لتحسين الحق، وتزيينه بما يقدر عليه، ليحببه إلى النفوس، وإلى تقبيح الباطل وتهجينه،

لينفر عنه، ويحتاج مع ذلك أيضاً، أن يتيسر له أمره، فيأتي البيوت من أبوابها، ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي حاله، وقام ذلك، أن يكون لمن هذه صفته، أعوان ووزراء، يساعدونه على مطلوبه، لأن الأصوات إذا كثرت، لا بدأن تؤثر، فلذلك سأل عليه الصلاة والسلام هذه الأمور فأعطيها. وإذا نظرت إلى حالة الأنبياء المسلن إلى الخلق، رأيتهم بهذه الحال، وأفضلهم محمد أحوالهم خصوصاً، خاتهم العليا من كل صفة كمال، وله من العليا من كل صفة كمال، وله من المسلسة والعليا من كل صفة كمال، وله من المسلسة المسلسة العليا من كل صفة كمال، وله من المسلسة المسلسة المسلسة العليا، من الله المسلسة العليا من كل صفة كمال، وله من المسلسة المسلسة

بحسب أحوالهم خصوصاً، خاتمهم وأفضلهم محمد رقي فإنه في الذروة العليا من كل صفة كمال، وله من شرح الصدر، وتيسير الأمر، وفصاحة اللسان، وحسن التعبير والبيان، والأعوان على الحق من الصحابة، فمن بعدهم، ما ليس لغيره.

﴿٣٧ - ٤١ ﴾ ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى \* إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى \* أن اقدفيه في التابوت فاقدفيه في التابوت فاقدفيه في التابو فليلقه اليم بالساحل عبدة مني ولتصنع على عيني \* إذ تمشي عبدة مني ولتصنع على عيني \* إذ تمشي فرجعناك إلى أمك كي تقرّ عينها ولا وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتوناً فلبثت سنين في أهل مدين شم جئت على قدريا موسى \* واصطنعتك لنفسي ﴾ لما ذكر منته على عبده ورسوله، موسى بن عمران، في عبده ورسوله، موسى بن عمران، في سؤاله، ذكر نعمته عليه، وقت التربية، سؤاله، ذكر نعمته عليه، وقت التربية، المنت على المنت المناه وإجابة سؤاله، ذكر نعمته عليه، وقت التربية، المنت على المنت عليه، وقت التربية، المنت على المنت عليه، وقت التربية، المنت على المنت عليه، وقت التربية، المنت عليه، وقت التربية المنت عليه، وقت التربية المنت عليه المنت الم

عبده ورسوله، موسى بن عمران، في الدين، والوحي، والرسالة، وإجابة سؤاله، ذكر نعمته عليه، وقت التربية، مننا عليك مرة أخرى حيث ألهمنا أمك أن تقذفك في التابوت وقت الرضاع، خوفاً من فرعون، لأنه أمر بذبح أبناء بني إسرائيل، فأخفته أمه، وخافت عليه خوفاً شديداً فقذفته في التابوت، ثم قذفته في اليم، أي: شط نيل مصر، فأمر الله اليم، أن يلقيه في

الساحل، وقيض أن يأخذه، أعدى

الأعداء لله ولموسى، ويستربس فى أولاده، ويحكون قرة عين لمن رآه، ولهذا قال: ﴿وألقيت عليك محبة مني الله فكل من رآه أحبه الولتصنع على عيني﴾ ولتتربي على نظري وفي حفظي وكلاءي، وأي: نظر وكفالة، أجلُّ وأكمل، من ولاية البر الرحيم، القادر على إيصال مصالح عبده، ودفع المضار عنه؟! فلا ينتقل من حالة إلى حالة، إلا والله تعالى هو الذي دبر ذلك لمصلحة موسى، ومن حسن تدبيره، أن موسى لما وقع في يد عدوه، قلقت أمه قلقاً شديداً، وأصبح فؤادها فارغاً، وكادت تخبر به، لولاآن الله ثبتها وربط على قلبها، ففي هذه الحالة، حرم الله على موسى الراضع، فلا يقبل ثدي امرأة قط، ليكون مآله إلى أمه فترضعه، ويكون عندها، مطمئنة ساكنة، قريرة العين، فجعلوا يعرضون عليه المراضع، فلا يقبل ثدياً، فجاءت أخت موسى، فقالت لهم: ﴿ هِلْ أَدْلَكُمْ عَلَى ا أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون، 🕽 .

ولا تحزن وقتلت نفساً وهو القبطي، ولا تحزن وقتلت نفساً وهو القبطي، لا دخل المدينة وقت غفلة من أهلها، وجد رجلين يقتتلان، واحد من شيعة موسى، والآخر من عدوه قبطي وفاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه فدعا الله وسأله المغفرة، فغفر له، ثم فر هارباً لما سمع أن الملا طلبوه، يريدون قتله.

فنجاه الله من الغم من عقوبة الذنب، ومن القتل، ﴿وفتناكُ فتونا﴾ أي: اختبرناك، وبلوناك، فوجدناك أحوالك، وتعلما في أحوالك، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه، ﴿فلبثت سنين في أهل مدين حين فر هارباً من فرعون وملئه، حين أرادوا قتله، فتوجه إلى مدين، ووصل إليها، وتزوج هناك، ومكث عشر سنين، أو ثمان سنين،

﴿ثم جنت على قدريا موسى، أي: جئت مجيئاً قد مضى به القدر، وعلمه الله وأراده في هذا الوقت وهذا الزمان وهذا المكان، ليس مجيئك اتفاقاً من غير قصد ولا تدبير منا، وهذا يدل على كمال اعتناء الله بكليمه موسى عليه السلام، ولهذا قال: ﴿واصطنعتك لنفسى ﴿ أي: أجريت عليك صنائعي ونعمى، وحسن عوائدي، وتربيتي، لتكون لنفسي حبيباً تختصاً، وتبلغ في ذلك مبلغاً لا يناله أحد من الخلق، إلا النادر منهم، وإذا كان الحبيب إذا أراد اصطناع حبيبه من المخلوقين، وأراد أن يبلغ من الكمال المطلوب له ما يبلغ، يبذل غاية جهده، ويسعى نهاية ما يمكنه في إيصاله لذلك، فما ظنك بصنائع الرب القادر الكريم، وما تحسبه يفعل بمن أراده لنفسه، واصطفاه من

﴿٤٦ ـ ٤٦﴾ ﴿ اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكرى \* اذهبا إلى فرعون إنه طغي \* فقولًا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى \* قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغي \* قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى، لما امتن الله على موسى بما امتن به، من النعم الدينية والدنيوية قال له:

﴿ ادْهـب أنـت وأخـوك ﴾ هـارون ﴿بآياتِ﴾ أي: الآيات التي مني، الدالة على الحق وحسنه، وقبح الباطل، كاليد، والعصا ونحوها، في تسع آيات إلى فرعون ومَلَئِه، ﴿ولا تنيُّا في ذكري﴾ أي: لا تفترا، ولا تكسلا عن مداومة ذكري بل استمرا عليه، والزماه كما وعدتما بذلك ﴿كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً ﴾ فإن ذكر الله فيه معونة على جميع الأمور، يسهلها، ويخفف حملها.

﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغي﴾ أي: جاوز الحد، في كفره وطغيانه، وظلمه وعدوانه.

﴿فقولاله قولاً ليناً ﴾ أي: سهلاً لطيفاً، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في

المقال، أو فظاظة في الأفعال، ﴿لعله﴾ بسبب القول اللين ﴿يتذكر ﴾ ما ينفعه فيأتيه، ﴿أُو يُحْشَى﴾ ما يضره فيتركه، فإن القول اللين داع لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه، وقد فسر القول اللين في قوله: ﴿ فقل هل لك إلى أن تمزكمي \* وأهديك إلى ربك فتخشى الأفي هذا الكلام، من لطف القول وسهولته، وعدم بشاعته، ما لا يخفى على المتأمل، فإنه أتى به «هل» الدالة على العرض والمشاورة، التي لا يشمئز منها أحد، ودعاه إلى التزكي والتطهر من الأدناس، التي أصلها التطهر عن الشرك، الذي يقبله كل عقل سليم، ولم يقل «أزكيك» بل قال: «تزكى» أنت بنفسك، ثم دعاه إلى سبيل ربه، الذي رباه، وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة، التي ينبغي مقابلتها بشكرها، وذكرهاً فقال ً ﴿وأهديك إلى ربك فتحشى، فلما لم يقبل هذا الكلام اللين الذي يأخذ حسنه بالقلوب، علم أنه لا ينجع فيه تذكير، فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر .

﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا﴾ أي: يبادرنا بالعقوبة والإيقاع بنا، قبل أن تبلغه رسالاتك، ونقيم عليه الحبَّجة ﴿ أُو أَن يطغى ﴾ أي: يتمرد عن الحق، ويطغى بملكه وسلطانه وجنده وأعوانه، ﴿قال لا تخافا﴾ أن يفرط عليكما ﴿إنني معكما أسمع وأرى اي: أنتما بحفظي ورعايتي، أسمع أقوالكما، وأرى جميع أحوالكما، فلا تخافا منه، فزال الخوف عنهما، واطمأنت قلوبهما بوعد

﴿٤٧ ــ ٤٨) ﴿فأتساه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآيةٌ من ربك والسلام على من اتبع الهدى \* إنا قد أوحى إلينا أن العذآب على من كذب وتولى اي: فأتياه بهذين الأمرين، دعوته إلى الإسلام، وتخليص هذا الشعب الشريف بني إسرائيل \_ من قيده وتعبيده لهم، ليتحرروا ويملكوا أمرهم، ويقيم فيهم موسى شرع الله

CANADA CARACTER CARACTER CONTROL OF CONTROL اً ۚ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَرَقِ فِي كِتَابُّ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَسْسَ ۞ الله عَمَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهَدًا وَسَلَكَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا ا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَحْنَا بِهِ يَ أَزْوَجَامِن نَبَاتِ شَقَّا، كُلُواْ وَارْعَوْاْ أَمْلَمَكُمُّ أِنَّ فِي ذَلِكَ لَآئِكَ لِأَنْ لِي النَّهَلِ ٠ مِنْهَاخَلَقْنَكُمْ وَفِيهَافِيكُ كُوْوَمِنْهَانُحْتَرِجُكُو أَلَاةً أُخْرَىٰ۞ وَلَقَدْ أَرَيْكَهُ ءَايَلِتِنَاكُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَا۞ قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُغْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِيعْرِكَ يَلْعُومَني ۞ فَلَنَأْتِيَنَكَ ببخر مِثْلِهِ وَأَجْعَلْ مِنْنَا وَمِنْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُغُلِفُهُ خَنَّ وَلَا أَنَّ مَكَانَا سُوِّي ۞ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُعْمَرُ ٱلنَّاسُ مَنْهُ مَي ۞ فَتَوَلَّى فِيْعُونَ فَيْمَعُ كَيْدُهُ فَرَأَنَا ۞ قَالَ لَمُمُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَاتَفَتَرُوا عَلَى اللَّهِ حَدْبَا فَيُسْجِتَكُمُ بِعَذَابٌ وَقَدْخَابَ مَنِ ٱلْفَتَرَىٰ ۞ فَنَنَزَعُوۤ أَمْرَهُرَيِّنَهُمُ وَأَمَرُوُأُ ٱلنَّجْوَىٰ ۞ قَالُوٓأُ إِنَّ هَاذَٰنِ لَسَاحِرَٰنِيُرِيدَانِ أَن يُغْيِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَيْكُمُ ٱلْشُلَا ۞ المَجْعُواكَيْدَكُو ثُرَّانْنُواصَفًا وَقَدْ أَفْلَوَالْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ۞ CLEARING ENTREM

﴿قد جئناك بآية ﴾ تدل على صدقنا ﴿فَأَلْقِي مُوسِي عَصِاهِ فَإِذَا هِي تُعبِانَ مبين الله ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين ﴾ إلى آخر ما ذكر الله عنهما. ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ أي: من اتبع الصراط المستقيم، واهتدى بالشرع المبين، حصلت له السلامة في الدنيا والآخرة.

﴿إِنَا قَدَ أُوحِي إِلَيْنَا﴾ أي: خبرٌ من عند الله، لا من عند أنفسنا ﴿أن العذاب على من كذب وتولى اى: كذب بأخبار الله، وأخبار رسله، وتولى عن الانقياد لهم واتباعهم، وهذا فيه الترغيب لفرعون بالإيمان والتصديق واتباعهما، والترهيب من ضد ذلك، ولكن لم يفد فيه هذا الوعظ والتذكير، فأنكر ربه وكفر، وجادل في ذلك ظلماً وعناداً.

﴿٤٩ ـ ٥٥﴾ ﴿قال فمن ربكما يا موسى \* قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى \* قال فما بال القرون الأولى \* قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى \* الذي جعل لكم الأرض مهدأ وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى \* كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولى النهي \* منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)

Carried Carried قَالُواْ يَسُومَنَى إِمَّا أَنْ تُلْقِي وَإِمَّا أَنْ تُكُونَ أَوَّلُ مَنْ أَلَوْ ﴿ وَالَّهِ اللَّهِ بَلْ ٱلْقُولُ فَإِذَا حِمَالُكُمْ وَعِصِيتُهُمْ يُغَيِّلُ الَّذِهِ مِن مِنْ مِزَانَهُ الْمَتَىٰ ۞ فَأَوْجَسَ فِ نَفْسِ وِخِفَةً مُوسَىٰ ۞ مُّلْنَا لَا تَخَفَ إِنْكَأَتَ ٱلْأَعْلَىٰ ۞ وَأَلْقِ مَا فِي يَينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّا صَنَعُوا كَيْدُ سَيِحِ وَلَا يُعْلِحُ ٱلسَّا يَرُجَنْتُ أَنَّ ۞ فَٱلْقِي َ ٱلسَّحَرَةُ مُجَدًّا قَالْوَأَ أَمَنَا إِرَّبِ هَلُرُونَ وَمُوسَىٰ ۞ قَالَ ءَامَنتُ مُلُهُ قِبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمُّ إِنَّهُ لِكَيِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّكُمُ ٱلْيَعْ مَلَكُمُ ٱلْيَعْ مَلَكُولًا فَيَلْعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأُرْجُلَكُم مِنْ خِلَفِ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعَ الْغَلَ وَلَتَعَلَّنَ أَيُّنَا أَشَدُ عَذَا إِلَيْقِلِ فَالْوَالَن نُوْثِرَكَ عَلَى مَا يَاءَنَا مِنَ الْبِيِّنَتِ وَٱلَّذِى فَطَرَيّاً فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٌّ إِنَّمَا تَقْضِى هَاذِهِ ٱلْمَيْوَةُ الدُّنْيَآنِ إِنَّا مَامَنَا رَبِّنَا لِيغْفِرَلِنَا خَطَلِيْنَا وَمَا أَكُوهُمَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحرُّ وَالْمَهُ مَثِيرٌ وَأَنْقَىٰ ۞ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْهِرِمًا فَإِنَّالَهُ بُجَهَا مُّرَّلَا يَتُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۞ وَمَن يَأْنِهِ مُوْمِنَا مَّذْعِلَ ٱلمَنْلِحَاتِ مَأْوَلَتِكَ لَمُعُوالدِّرَحَتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿ جَنَّتُ عَلَان تَجْرِى مِن تَعِيْهَا ٱلْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيمَّا وَذَلِكَ جَنَّزَاهُ مَن تَذَكِّلُ ۞ ACTOROL (11) CONTO

أي: قال فرعون لموسى على وجه الإنكار: ﴿فمن ربكما يا موسى﴾ فأجاب موسى بجواب شاف كاف واضح، فقال: ﴿ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدي اي : ربنا الذي خلَّق جميع المخلوقات، وأعطى كل غلوق خلقه اللائق به، الدال على حسن صنعه من خلقه، من كبر الجسم وصغره وتوسطه، وجميع صفاته، ﴿ثُمُّ هدي) كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه الهداية العامة(١) المشاهدة في جميع المخلوقات فكل مخلوق، تجدُّه يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضار عنه، حتى إن الله تعالى أعطى الحيوان البهيم من العقل، ما يتمكن (٢) به على ذلك .

وهذا كقوله تعالى: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه ﴾ فالذي خلق المخلوقات، وأعطاها خلقها الحسن، الذي لا تقترح العقول فوق حسنه، وهداها لمصالحها، هو الرب على الحقيقة، فإنكاره إنكار لأعظم الأشياء وجوداً، وهو مكابرة ومجاهرة بالكذب، فلو قدر أن الإنسان، أنكر من الأمور المعلومة ما أنكر، كان ولهذا لما لم يمكن فرعون، أن يعاند هذا ولهذا لما لم يمكن فرعون، أن يعاند هذا

ومضمون ذلك، أنهم قدموا إلى ما قدموا، ولاقوا أعمالهم، وسيجازون عليها، فلا معنى لسؤالك واستفهامك يا فرعون عنهم، فتلك أمة قد خلت، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم، فإن كان الدليل الذي أوردناه عليك، والآيات التي أريناكها، قد تحققت صدقها ويقينها، وهو الواقع، فانقد إلى الحق، ودع عنك الكفر والظلم، وكثرة الجدال بالباطل، وإن كنت قد شككت فيها أو رأيتها غير مستقيمة، فالطريق مفتوح وباب البحث غير مغلق، فرد الدليل بالدليل، والبرهان بالبرهان، ولن تجد لذلك سبيلا، ما دام الملوان.

كيف وقد أخبر الله عنه، أنه جحدها مع استيقانها، كما قال تعالى: ﴿ وجعدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلواً ﴾ وقال موسى: ﴿ لقد علمت ما أنسزل هولاء إلا رب السسماوات والأرض بصائر ﴾ فعلم أنه ظالم في جداله، قصده العلو في الأرض.

ثم استطرد في هذا الدليل القاطع، بذكر كثير من نعمه وإحسانه الضروري، فقال: ﴿الذي جعل لكم الأرض مهدا﴾ أي: فراشاً بحالة والبناء، والغراس، وإثارتها للازدراع وغيره، وذللها لذلك، ولم يجعلها ممتنعة عن مصلحة من مصالحكم.

﴿وسلك لكم فيها سُبلا﴾ أي: نفذ لكم الطرق الموصلة، من أرض إلى أرض، ومن قطر إلى قطر، حتى كان الآدميون يتمكنون من الوصول إلى جميع الأرض بأسهل ما يكون، وينتفعون بأسفارهم، أكثر مما ينتفعون بإقامتهم.

﴿ وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى ﴾ أي: أنزل المطر ﴿ فَأَحِيا بِهِ الأَرْضِ بِعد موتها ﴾ وأنبت بذلك جميع أصناف النوابت على اختلاف أنواعها، وتشتت أشكالها، ويسره، رزقاً لنا ولأنعامنا، ولولا ذلك لهلك من عليها من آدمي وحيوان، ولهذا قال: ﴿ كلوا وارعوا أنعامكم ﴾ وسياقها على وجه الامتنان، ليدل ذلك على أن الأصل في جميع النوابت مضراً، كالسموم ونحوه.

﴿إِن في ذلك لآيات لأولي النهي ﴾
أي: لذوي العقول الرزينة، والأفكار
ورحمته، وسعة جوده، وتمام عنايته،
وعلى أنه الرب المعبود، المالك
المحمود، الذي لا يستحق العبادة
سواه، ولا الحمد والمدح والثناء، إلا
من امتن بهذه النعم، وعلى أنه على كل
شيء قدير، فكما أحيا الأرض بعد
موتها، إن ذلك لمحيى الموتى.

وخص الله أولي النهى بذلك، لأنهم المنتفعون بها، الناظرون إليها نظر اعتبار، وأما من عداهم، فإنهم بمنزلة البهائم السائمة، لا البهائم السائمة، لا بصائرهم إلى المقصود منها، بل حظهم حظ البهائم، يأكلون ويشربون، وقلوبهم لاهية، وأجسامهم معرضة. والأرض يمرون عليها وهم عنها والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون.

ولما ذكر كرم الأرض، وحسن

<sup>(</sup>١) في ب: الكاملة.

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: ما تتمكن.

(۵۰۸ البجزء السادس عشر )

شكرها لما ينزله الله عليها من المطر، وأنها بإذن ربها، تخرج النبات المختلف الأنواع، أخبر أنه خلقنا منها، وفيها يعيدنا إذا متنا فدفنا فيها، ومنها يخرجنا تارة أخرى، فكما أوجدنا منها من العدم، وقد علمنا ذلك وتحققناه، فسيعيدنا بالبعث منها بعد موتنا، ليجازينا بأعمالنا التي عملناها عليها.

وهذان دليلان على الإعادة عقليان واضحان: إخراج النبات من الأرض بعد موتها، وإخراج المكلفين منها في إيجادهم.

﴿٥٦ - ٦١﴾ ﴿ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبي \* قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى \* فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى \* قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى \* فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى \* قال لهم موسى ويلكم لا تفترواً على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افتری کی بخبر تعالی، أنه أرى فرعون من الآيات والعبر والقواطع، جميع أنواعها العيانية، والأفقية والنفسية، فما استقام ولا ارعوى، وإنما كذب وتولى، كذب الخبر، وتولى عن الأمر والنهي، وجعل الحق باطلاً، والباطل حقاً، وجادل بالباطل ليضل الناس، فقال: ﴿أَجِنْتُنَا لِتَخْرِجُنَا مِنْ أرضنا بسحرك ﴿ زعم أن هذه الآيات التي أراه إياها موسى، سحر وتمويه، المقصود منها إخراجهم من أرضهم، والاستيلاء عليها، ليكون كلامه مؤثراً في قلوب قومه، فإن الطباع تميل إلى أوطانها، ويصعب عليها الخروج منها ومفارقتها.

فأخبرهم أن موسى هذا قصده، ليبغضوه، ويسعوا في محاربته، فلنأتينك بسحر مثل سحرك فأمهلنا، واجعل لنا ﴿موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى﴾ أي: مستو علمنا وعلمك به، أو مكاناً مستوياً معتدلاً ليتمكن من رؤية ما فيه.

فقال موسى: ﴿موعدكم يوم

الزينة وهو عيدهم، الذي يتفرغون فيه ويقطعون شواغلهم، ﴿وَانَ عِشرِ الناس ضحى ﴾ أي: يجمعون كلهم في وقت الضحى، وإنما سأل موسى ذلك، لأن يوم الزينة ووقت الضحى ورؤية الأشياء على حقائقها، ما لا يحصل في غيره، ﴿فتولى فرعون فجمع كيده ﴾ أي: جميع ما يقدر عليه، عا يكيد به موسى، فأرسل في مدائنه من وكان السحرة الماهرين في سحرهم، علماً مرغوباً فيه، فجمع خلقاً كثيراً من السحرة، ثم أتى كل منهما للموعد، واجتمع الناس للموعد.

فكان الجمع حافلاً، حضره الرجال والنساء، والملأ، والأشراف، والعوام، والصغار، والكبار، وحضوا الناس على الاجتماع، وقالوا للناس: ﴿ هِلَ أَنتِم مجتمعون \* لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين ﴿ فحين اجتمعوا من جميع البلدان، وعظهم موسى عليه السلام، وأقام عليهم الحجة، وقال لهم: ﴿وَيَلَّكُمُ لَا تَفْتُرُواْ على الله كذباً فيسحتكم بعداب أي: لا تنصروا ما أنتم عليه من الباطل بسحركم وتغالبون الحق، وتفترون على الله الكذب، فيستأصلكم بعذاب من عنده، ويخيب سعيكم وافتراؤكم، فلا تدركون ما تطلبون من النصر والجاه عند فرعون ومَليَّه، ولا تسلمون من عذاب الله، وكلام الحق لا بدأن يؤثر في القلوب، لا جرم ارتفع الخصام والنزاع بين السحرة لما سمعوا كلام موسى، وارتبكوا، ولعل من جملة نزاعهم، الاشتباه في موسى، هل هو على الحق أم لا؟ ولكن هم إلى الآن، ما تم أمرهم، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً، ﴿لِيهِلكُ مِنْ هِلْكُ عِن بِينة ويحيا من حي عن بينة ﴾ فحيئنذ أسروا فيما بينهم النجوي، وأنهم يتفقون على مقالة واحدة، لينجحوا في مقالهم وفعالهم، وليتمسك الناس بدينهم، والنجوي التي أسروها فسرها بقوله: ﴿قَالُوا إِن هَذَان لساحران بريدان أَن

يخرجاكم من أرضكم بسحرهما) كمقالة فرعون السابقة، فإما أن يكون ذلك توافقاً من فرعون والسحرة على هذه المقالة من غير قصد، وإما أن يكون تلقيناً منه لهم مقالته، التي صمم عليها وأظهرها للناس، وزادوا على قول فرعون أن قالوا: ﴿ويلْهِبَا بطريقتكم المثلى أي: طريقة السحر حسدكم عليها، وأراد أن يظهر عليكم، ليكون له الفخر والصيت والشهرة، ويكون هو المقصود بهذا العلم، الذي أشغلتم زمانكم فيه، ويذهب عنكم ما كنتم تأكلون بسببه، وما يتبع ذلك من الرياسة، وهذا حض من بعضهم على بعض على الاجتهاد في مغالبته، ولهذا قالوا: ﴿فَأَجْعُوا كيدكم أي: أظهروه دفعة واحدة متظاهرين متساعدين فيه، متناصرين، متفقاً رأيكم وكلمتكم، ﴿ثم ائتوا صفاً ﴾ ليكون أمكن لعملكم، وأهيب لكم في القلوب، ولئلا يترك بعضكم بعض مقدوره من العمل، واعلموا أنَّ من أفلح اليوم ونجح وغلب غيره، فإنه المفلح الفائز، فهذا يوم له ما بعده من الأيام، فلله درُّهم ما أصلبهم في باطلهم، وأشدهم فيه، حيث أتوا بكل سبب ووسيلة وممكن، ومكيدة يكيدون بها الحق، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ويظهر الحق على الباطل، فلما تمت مكيدتهم، وانحصر مقصدهم، ولم يبق إلا العمل ﴿قالوا يَا مُوسَى إما أن تلقى﴾ عصاك ﴿وإما أن نكون أول من ألقي ﴾ خيروه، موهمين أنهم على جزم من ظهورهم عليه بأي: حالة كانت، فقال لهم موسى: ﴿بِلِ أَلْقُوا﴾ فأَلْقُوا حبالهم وعصيهم، ﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه ﴾ أي: إلى موسى ﴿من سحرهم البليغ ﴿أنها تسعى ﴾ أي: أنها حياتُ تسعى فلما خيل إلى موسى ذلك، ﴿أُوجِس في نفسه خيفة موسى، كما هو مقتضى الطبيعة البشرية، وإلا فهو جازم بوعد الله ونصره، ﴿قلنا﴾ له تثبيتاً وتطميناً: ﴿ لا تخف إنك أنت الأعلى \* عليهم ، أي: ستعلو عليهم وتقهرهم، ويذلوا

لك ويخضعوا.

﴿وألق ما في يمينك ﴾ أي: عصاك ﴿تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلع الساحر حيث أتى ﴾ أي: كيدهم ومكرهم، ليس بمثمر لهم ولا ناجع، فإنه من كيد السحرة، الذين يموهون على الناس، ويلبسون الباطل، ويخيلون أنهم على الحق، فألقى موسى عصاه، فتلقفت ما صنعوا كله وأكلته، والناس ينظرون لذلك الصنيع، فعلم السحرة علماً يقيناً أن هذا ليس بسحر، وأنه من الله، فبادروا للايمان.

فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسئ وهارون فوقع الحق وظهر وسطع، وبطل السحر والمكر والكيد، في ذلك المجمع العظيم.

فصارت بينة ورحمة للمؤمنين، وحجة على المعاندين فرعون وحجة على المعاندين فرقال فرعون للسحرة: ﴿ آمنتم له قبل أن آذن لكم ﴾ أي: كيف أقدمتم على الإيمان من دون مراجعة منى ولا إذن؟

استغرب ذلك منهم، لأدبهم معه، وذلهم، وانقيادهم له في كل أمر من أمورهم، وجعل هذا من ذاك.

ثم استلج فرعون في كفره وطغيانه بعد هذا البرهان، واستخف عقول قومه، وأظهر لهم أن هذه الغلبة من موسى للسحرة، ليس لأن الذي معه الحق، بل لأنه تمالاً هو والسحرة، ومكروا، ودبروا أن يخرجوا فرعون وقومه من بلادهم، فقبل قومه هذا المكر منه، وظنوه صدقاً ﴿فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين، مع أن هذه المقالة التي قالها، لاتدخل عقل من له أدنى مسكة من عقل ومعرفة بالواقع، فإن موسى أتى من مدين وحيداً، وحين أتى لم يجتمع بأحد من السحرة ولا غيرهم، بل بادر إلى دعوة فرعون وقومه، وأراهم الآيات، فأراد فرعون أن يعارض ما جاء به موسى فسعى ما أمكنه، وأرسل في مدائنه من يجمع له كل ساحر عليم.

فـجـازوا إليه، ووعـدهـم الأجـر

والمنزلة عند الغلبة، وهم حرصوا غاية الحرص، وكادوا أشد الكيد، على غلبتهم لموسى، وكان منهم ما كان، فهل يمكن أن يتصور مع هذا أن يكونوا دبروا هم وموسى واتفقوا على ما صدر؟ هذا من أمل المحال، ثم توعد فرعون السحرة فقال: ﴿ فَلَا قَطِّمِنَ أَيْدِيكُمْ وَأُرْجِلُكُمْ مِنْ خلاف کما يفعل بالحارب الساعي بالفساد، يقطع يده اليمني، ورجله اليسرى، ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل اي: الأجل أن تشتهروا وتختزوا، ﴿ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى ﴾ يعني بزعمه هو أو الله، وأنه أشد عذاباً من الله وأبقى، قلباً للحقائق، وترهيباً لمن لا عقل له.

ولهذا لما عرف السحرة الحق، ورزقهم الله من العقل ما يدركون به الحقائق، أجابوه بقولهم:

ولن نو شرك على ما جاءنا من البينات أي: لن نختارك وما وعدتنا به من الأجر والتقريب، على ما أرانا الله من الآيات البينات الدالات على أن الله هو الرب المعبود وحده، المعظم المبجل على الذي فطرنا وخلقنا، هذا لا يكون وفاقض ما أنت قاض مما أوعدتنا به من القطع، والصلب، والعذاب.

﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذَهُ الْحِياةُ الدُنيا﴾ أي: إنما توعدنا به غاية ما يكون في هذه الحياة الدنيا، ينقضي ويزول ولا يضرنا، بخلاف عذاب الله، لمن استمر على كفره، فإنه دائم عظيم.

وهذا كأنه جواب منهم، لقوله: ﴿ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى ﴾ وفي هذا الكلام، من السحرة، دليل على أنه ينبغي للعاقل، أن يوازن بين لذات الدنيا، ولذات الآخرة، وبين عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة.

﴿إِنَا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا﴾ أي: كفرنا ومعاصينا، فإن الإيمان مكفر للسيئات، والتوبة تُجبُّ ما قبلها، وقولهم، ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ الذي عارضنا به الحق، هذا دليل على أنهم غير مختارين في عملهم

المتقدم، وإنما أكرههم فرعون إكراهاً.

والظاهر \_والله أعلم \_أن موسى لما وعظهم كما تقدم في قوله: ﴿ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب﴾ أثّر معهم، ووقع منهم موقعاً كبيراً، ولهذا تنازعوا بعد هذا الكلام والموعظة، ثم إن فرعون ألزمهم ذلك، وأكرههم على المكر الذي أجروه، ولهذا تكلموا بكلامه السابق قبل إتبانهم، حيث قالوا: ﴿إِن هذان لساحران يريدان أن بخرجاكم من أرضكم بسحرهما، فجروا على ما سَنَّهُ لهم، وأكرههم عليه، ولعل هذه النكتة التي قامت بقلوبهم من كراهتهم لمعارضة الحق بالباطل وفعلهم، ما فعلوا على وجه الإغماض، هي التي أثرت معهم، ورحمهم الله بسببها، ووفقهم للإيمان والتوبة، ﴿والله خير﴾ ما وعدتنا من الأجر والمنزلة والجاه، وأبقى ثوابا وإحسانا لا مايقول فرعون: ﴿ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى الله يريد أنه أشد عذاباً وأبقى. وجميع ما أتى من قصص موسى مع فرعون، يذكر الله فيه إذا أتى على قصة السحرة، أن فرعون توعدهم بالقطع والصلب، ولم يذكر أنه فعل ذلك، ولم يأت في ذلك حديث صحيح، والجرم بوقوعة أو عدمه، يتوقف على الدليل، والله أعلم بذلك وغيره، ولكن توعده إياهم بذلك مع اقتداره، دليل على وقوعه، ولأنه لولم يقع لذكره الله، ولاتفاق الناقلين على ذلك.

(٧٤ - ٧٤) ﴿إنه من يأت ربه عرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا \* ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى \* جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكّى ﴾ يخبر تعالى أن من أتاه، وقدم عليه بحرماً \_ أي: وصفه الجرم من كل وجه، وذلك يستلزم الكفر \_ واستمر على ذلك حتى مات، فإن له نار جهنم، الشديد نكالها، العظيمة وقرها، التي فيها من العقاب ما يذيب

الأكباد والقلوب، ومن شدة ذلك أن المعذب فيها لا يموت ولا يحيا، لا يموت ولا يحياة لا يموت ولا يحيا حياة يتلذذ به، وإنما حياته محشوة بعذاب القلب والروح والبدن، الذي لا يقدر قدره، ولا يفتر عنه ساعة، يستغيث فلا يغاث، ويدعو فلا يستجاب له.

نعم، إذا استغاث، أغيث بماء كالمهل يشوي الوجوه، وإن دعا، أجيب بـ ﴿ آخسـووا فيها ولا تكلمون ﴾. ومن يأت ربه مؤمناً به مصدقاً لرسله، متبعاً لكتبه ﴿قد عمل ﴿ قاولتك لهم الدرجات العلى ﴾ أي: المنازل السعاليات، وفي الغرف المنزخرفات، واللذات المتواصلات، والأنهار السارحات، والخلود الدائم، والسرور العظيم، فيما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ودنك الشواب، وجزاء من تزكى أي: تطهر من الشرك والكفر والكفر والفسوق والعصيان، إما أن لا يفعلها بالكلية، أو يتوب عما فعله منها، وزكى أيضاً نفسه، ونماها بالإيمان والعمل الصالح، فإن للتزكية معنيين، التنقية، وإزالة الخبث، والزيادة بحصول الخير، وسميت الزكاة زكاة، لهذين الأمرين.

الامرين.

﴿ ٧٧ - ٧٧ ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشيهم من اليم ما غشيهم \* وأضل فرعون قومه وما هدى ﴾ لما ظهر موسى بالبراهين على فرعون وقومه، مكث في مصر يدعوهم إلى الإسلام، ويسعى في تخليص بني إسرائيل من فرعون وعذابه، وفرعون في عتو ونفور، وأمره شديد على بني إسرائيل ويريه الله وأمره شديد على بني إسرائيل ويريه الله علينا

في القرآن، وبنو إسرائيل لا يقدرون أن يظهروا إيمانهم ويعلنوه، قد اتخذوا بيوتهم مساجد، وصبروا على فرعون وأذاه، فأراد الله تعالى أن ينجيهم من عدوهم، ويمكن لهم في الأرض ليعبدوه جهراً، ويقيموا أمره، فأوحى إلى نبيه موسى(١)، أن سِر أو سيروا أول الليل، ليتمادوا(٢) في الأرض، وأخبره أن فرعون وقومه سيتبعونه، فخرجوا أول الليل، جميع بني إسرائيل هم ونساؤهم وذريتهم، فلما أصبح أهل مصر إذا ليس فيها منهم داع ولا مجيب، فحنق عليهم عدوهم فرعون، وأرسل في المدائن، من يجمع له الناس ويحضهم على الخروج في أثر بني إسرائيل ليوقع بهم وينفذ غيظه، والله غالب على أمره، فتكاملت جنود فرعون فسار بهم يتبع بني إسرائيل، فأتبعوهم مشرقين، ﴿فلما تراءَى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لدركون وقلقوا وخافوا، البحر أمامهم، وفرعون من ورائهم، قد امتلأ عليهم غيظاً وحنقاً، وموسى مطمئن القلب، ساكن البال، قد وثق بوعد ربه، فقال: ﴿كلا إن معى ربي سيهدين الله إليه أن يضرب البحر بعصاه، فضربه، فانفرق اثنى عشر طريقاً، وصار الماء كالجبال العالية، عن يمين الطرق ويسارها، وأيبس الله طرقهم التي انفرق عنها الماء، وأمرهم الله أن لا يخافوا من إدراك فرعون، ولا يخشوا من الغرق في البحر، فسلكوا في تلك الطرق، فجاء فرعون وجنوده، فسلكوا وراءهم، حتى إذا تكامل قوم موسى خارجين وقوم فرعون داخلين، أمر الله البحر فالتطم عليهم، وغشيهم

من اليم ما غشيهم، وغرقوا كلهم، ولم

ينجح منهم أحد، وبنو إسرائيل

ينظرون إلى عدوهم، قد أقر الله أعينهم

بهلاكه (۳). وهذا عاقبة الكفر

المُ وَلَقَدُ الْوَحِيْثَ إِلَى مُومَنَى أَنْ أَسْرِيبَ ادِى فَأَضْرِبُ لَمُ يُولِيقًا فِي المُخرِبَبِياً لَا تَعَلَقُ دَرَكُ اللَّهِ عَنْنَى اللَّهِ مُعْمَدُ فِيهَوْنُ المُجنُودِهِ وَمَنْشِيَهُ مِنَ ٱلْسَيِّمَاغَشِيَهُ مُنْ وَأَصَلَّ فِيرَعَوْنُ الله المُعَدِّمَ الْعَدَىٰ ﴿ يَبَنِّي إِنْكُوْ بِلَ قَدْ أَغِينَنَّكُمُ مِنْ عَدُّوكُمْ وَوَاعَدْ نَكُرُ جَانِ النُّورِ ٱلْأَيْسَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُرُ لُلْنَّ وَالسَّلُوكِ ۞ كُوُامِنَ مَلِيَبُتِ مَارَزَقَنَكُمْ وَلَانْطُغَوَافِيهِ فَيَلَ عَلَيْكُمْ عَنَبَيُّ وَمَن يَمْ لِلْ عَلَيْهِ عَضَمَى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿ وَإِنِّى لَغَنَازٌ لِمَنَ تَابَ وَمَامَنَ وَعَمِلَ مَذِيكُ الْحُرَّاهُ مَلَكُ اللَّهُ عَلَىكَ عَن مَّمِكَ بَنَعُوسَىٰ ﴿ قَالَهُمُ أُولَا إِعَلَىٰ أَثْرَى وَعَلِمُتُ إِلَيْكَ رَبِ لِتَرْخَىٰ ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَنَذَا قَوْمَكَ مِنْ بَسْدِكَ وَأَخَلَكُمُ السَّامِئُ ﴿ فَرَبَّعَ مُومَنَىٰ إِلَىٰ فَوْمِهِ عَصْبُنَ أَسِفُأْفَ الْ ولَيْ يَغَوْمِ ٱلْرَبِيرِنْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنَّا أَفَطَالَ عَلَيْكُرُ كُلُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرُدِقُدُ أَن يَعِلَ عَلَيْتُ مُعْضَبُ عَن زَيْحُوكًا خَلَفْتُر الله مَوْعِدِي ﴿ قَالُواْمَا لَنَافَنَا مَوْعِدُكَ مِلْكِا وَلَاكِنَا مُعْلَنَا الْوَلَالِين نِينَةِ الْقَوْمِ نَعْذَفْتُهَا وَكَذَالِكَ أَلْوَالْسَامِيعُ ۞ DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

والضلال، وعدم الاهتداء بهدي الله، وله فرعون ولهذا قال تعالى: ﴿واضل فرعون قومه بما زين لهم من الكفر، وتهجين ما أتى به موسى، واستخفافه إياهم، وما هداهم في وقت من الأوقات، فأوردهم موارد الغي والضلال، ثم أوردهم مورد العذاب والنكال.

﴿٨٠ ـ ٨٠﴾ ﴿يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب البطور الأيسمين وتبزلننا عبليكتم المن والسلوى \* كلوامن طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبي فقد هـوي \* وإني لمغمفار لمن تماب وآمسن وعمل صالحاً ثم اهتدي اللهُ يُذَكِّر تعالى بنى إسرائيل مِنْتَهُ العظيمة عليهم بإهلاك عدوهم، ومواعدته لموسى عليه السلام بجانب الطور الأيمن، لينزل عليه الكتاب، الذي فيه الأحكام الجليلة، والأخبار الجميلة، فتتم عليهم النعمة الدينية، بعد النعمة الدنيوية، ويذكر منته أيضاً عليهم في التيه، بإنزال المن والسلوى، والرزق الرغد الهني الذي يحصل لهم بلا مشقة، وأنه قال لهم: ﴿كلوا من طيبات ما رزقساكم أي: واشكروه على ما

<sup>(</sup>١) هنا زيادة في ب: أن يواعد بني إسرائيل ويبدو أنها مشطوبة في أ.

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: الكلمة غير واضحة.

<sup>(</sup>٣) كذا في ب، وفي أ: بهلاكهم.

THE CONTRACT OF THE PARTY OF TH فَأَخْرَجَ لَمُدْعِجْ لَاجَسَدُا لَمُخُوَارٌ فَقَ الْواْهَا ذَاۤ إِلَهُكُمُ وَلَهُ مُوسَىٰ فَنَيْنَ ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِمُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَلِكُ لَمُتُوضَرًّا وَلَانَفْعًا ۞ وَلَقَدْ قَالَ لَمُتُمْ هَلَرُونُ مِن قَبْلُ لَقَوْم إِمَّا فَتِنتُه بِيِّهِ وَإِنَّ رَبِّكُمُ ٱلرَّخَلُ فَانَّبِعُونِ وَأَطِيعُوٓا أَمْرِي ۞ قَالُواْ لَنَ نَهُمَّ عَلَيْهِ عَلَكِهِ بِي حَقَّارَتُهِمُ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۞قَالَ يَنهَدُونُ مَامَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمُ مُنكُوًّا ۞ أَلاَئتَيْمِنَّ أَضَصَيْتَ أَمْرِى ۞ قَالَ يَبْنَوُمُ لَا ذَلْفُ ذَيِاحِيَ وَلَا رَأْمِيٌّ إِنِّ خَشِيتُ أَن تَقُولُ فَرَقْتَ بَيْنَ يَنْ إِسْرَاْ عِلْ وَلَرَوْبُ قَوْلِي ۞ قَالَكَ فَمَا خَطْبُكَ يَسَكِيرِي ۞ قَالَ بَصُرْتُ عَالَةً يَبْصُرُوا بِهِ ـ فَقَبَضَتُ قَبْضَتُ فَيْ أَشُولِ فَنَهَا ثُمَّا وَكَذَٰلِكَ مَنَوَلَتْ لِي نَفْيِي ۞ قَالَ فَأَذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَكِيوةِ أَن تَعُولَ لَامِسَاسٌ وَإِنْ لَكَ مَوْعِ ذَا لَنْ تُخْلَفَ أُرْوَانُظُ رِلِي إِلَهِ الْكِ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِفَنَ مُثُرُّلَنَ نِي مَنْهُ فِي ٱلْيَدِ نَسَفًا ۞ إِنَّمَآ إِلَاهُكُو اللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَّهُ إِلَّا هُو وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۞ 

أسدى إليكم من النعم ﴿ ولا تطغوا فيه ﴾ أي: في رزقه، فتستعملونه في معاصيه، وتبطرون النعمة، فإنكم إن فعلتم ذلك، حل عليكم غضبي أي: غضبت عليكم، ﴿ ومن عليه غضبي فقد هوى ﴾ أي: ردى وهلك، وخاب وخسر، لأنه عليم الرضا والإحسان، وحل عليه الغضب والخسران.

ومع هذا، فالتوبة معروضة ، ولو عمل العبد ما عمل من المعاصي ، فلهذا قال : ﴿وَإِنِي لَغْفَار ﴾ أي : كثير المغفرة والرحمة ، لمن تاب من الكفر والبدعة والفسوق ، وآمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وعمل صالحاً من أعمال القلب والبدن ، وأقوال اللسان .

﴿ثم اهتدی﴾ أي: سلك الصراط الستقيم، وتابع الرسول الكريم، واقتدى بالدين القويم، فهذا يغفر الله أوزاره، ويعفو عما تقدم من ذنبه وإصراره، لأنه أتى بالسبب الأكبر، للمغفرة والرحمة، بل الأسباب كلها منحصرة في هذه الأشياء فإن التوبة ثُجُبُ ما قبلها، والإيمان والإسلام يهدم ما قبله، والعمل الصالح الذي هو الحسنات، يذهب السيئات، وسلوك طرق الهداية بجميع أنواعها، من تعلم علم، وتدبر آية أو حديث، حتى يتبين له معنى من المعاني يهتدي به، ودعوة

إلى دين الحق، ورد بدعة أو كفر أو ضلالة، وجهاد، وهجرة، وغير ذلك من جزئيات الهداية، كلها مكفرات للذنوب محصلات لغاية المطلوب.

﴿٨٣ ــ ٨٦﴾ ﴿وما أعجلك عن

قومك يا موسى \* قال هم أولاء على أثرى وعجلت إليك رب لترضى \* قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري \* فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدأ حسنأ أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي، كان الله تعالى، قد واعد موسى أن يأتيه لينزل عليه التوراة ثلاثين ليلة، فأتمها بعشر، فلما تم الميقات، بادر موسى عليه السلام إلى الحضور للموعد شوقاً لربه، وحرصاً على موعوده، فقال الله له: ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ أي: ما الذي قدمك عليهم؟ ولم لمّ تصبر حتى تقدم أنت وهم؟ قال: ﴿هُمُ أولاء على أثرى ﴿ أي: قريباً منى ، وسيصلون في أثري والذي عجلني إليك يا رب طلباً لقربك ومسارعة في رضاك، وشوقاً إليك، فقال الله له: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتِنَا قُومُكُ مِنْ بِعِدْكُ﴾ أي: بعبادتهم للعجل، ابتليناهم، واختبرناهم، فلم يصبروا، وحين وصلت إليهم المحنة، كفروا﴿وأضلهم السامري﴾

﴿فَأَحْرِج لهم عجلاً جسداً ﴾ وصاغه فصار ﴿له خوار فقالوا ﴾ لهم ﴿هذا إلهكم وإله موسى ﴾ فنسيه موسى ، فافتتن به بنو إسرائيل ، فعبدوه ، ونهاهم هارون فلم ينتهوا ، فلما رجع موسى إلى قومه وهو غضبان أي: عتلى عيظاً وحنقاً وغماً ، أسف ، أي: عتلى عيظاً وحنقاً وغماً ، قال لهم موبخاً ومقبحاً لفعلهم : ﴿يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً ﴾ وذلك بإنزال التوراة ، ﴿أفطال عليكم وهي مدة قصيرة ؟ هذا قول كثير من المعهد ، أي: المدة ، فتطاولتم غيبتي وهي مدة قصيرة ؟ هذا قول كثير من المعسرين ، ويحتمل أن معناه : أفطال عليكم عهد النبوة والرسالة ، فلم يكن لكم بالنبوة علم ولا أثر ، واندرست

آثارها، فلم تقفوا منها على خبر، فانمحت آثارها لبعد العهد بها، فعبدتم غير الله، لغلبة الجهل، وعدم العلم بآثار الرسالة؟ أي: ليس الأمر كذلك، بل النبوة بين أظهركم، والعلم قائم، والعذر غير مقبول؟ أم أردتم بفعلكم، أن يحل عليكم غضب من ربكم؟ أي: فتعرضتم لأسبابه واقتحمتم موجب عذابه، وهذا هو الواقع، فأخلفتم موعدي حين أمرتكم بالاستقامة، ووصيت بكم هارون، فلم ترقبوا غائباً، ولم تحترموا حاضراً.

﴿٨٧ ـ ٨٩﴾ ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري \* فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي \* أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً أي: قالوا له: ما فعلنا الذي فعلنا عن تعمد منا، وملك منا لأنفسنا، ولكن السبب الداعي لذلك، أننا تأثمنا من زينة القوم التي عندنا، وكانوا فيما يذكرون استعاروا حلياً كثيراً من يذكرون استعاروا حلياً كثيراً من وجعوه حين ذهب موسى ليراجعوه فيه إذا رجع.

وكان السامري قد بَصُرَ يوم الغرق بأثر الرسول، فسولت له نفسه أن يأخذ قبضة من أثره، وأنه إذا ألقاها على شيء حَيِي، فتنة وامتحاناً، فألقاها على ذلك العجل الذي صاغه بصورة عجل، فتحرك العجل، وصار له خوار وصوت، وقالوا: إن موسى ذهب يطلب ربه، وهو هاهنا فنسيه، وهذا من بلادتهم، وسخافة عقولهم، حيث رأوا هذا الغريب الذي صار له خوار، بعد أن كان جماداً، فظنوه إله الأرض والسماوات.

﴿أفلا يرون﴾ أن العجل ﴿لا يرجع اليهم قولاً﴾ أي: لا يتكلم ويراجعهم ويراجعونه، ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً، فالعادم للكمال والكلام والفعال لا يستحق أن يعبد وهو أنقص من عابديه، فإنهم يتكلمون ويقدرون

على بعض الأشياء، من النفع والدفع، بإقدار الله لهم.

﴿ ٩٠ \_ ٩٤ ﴾ ﴿ولقد قبال ليهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمرى \* قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى \* قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا \* ألا تتبعن أفعصيت أمرى \* قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إن خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي أي: إن اتخاذهم العجل، ليسوا معذورين فيه، فإنه وإن كانت عرضت لهم الشبهة في أصل عبادته، فإن هارون قد نهاهم عنه، وأخبرهم أنه فتنة، وأن ربهم الرحمن، الذي منه النعم الظاهرة والباطنة، الدافع للنقم وأنه أمرهم أن يتبعوه ويعتزلوا العجل، فأبوا وقالوا: ﴿لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى،

فأقبل موسى على أخيه لائماً له، وقال: ﴿يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن ﴾ فتخبرني لأبادر للرجوع إليهم؟ ﴿أفعصيت أمري ﴾ في قولي ﴿اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾ .

فأخذ موسى برأس هارون ولحيته، يجره من الغضب والعتب عليه، فقال هارون: ﴿يا ابن أم ﴾ ترقيق له، وإلا فهو شقيقه ﴿لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولى ﴾

بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي المرتني أن أخلفك فيهم، فلو تبعتك، لتركت ما أمرتني بلزومه وخشيت لائمتك، و ﴿أن تقول فرقت بين بني عندهم راع ولا خليفة، فإن هذا يفرقهم ويشتت شملهم، فلا تجعلني مع القوم الظالمين، ولا تشمت فينا الأعداء، فندم موسى على ما صنع بأخيه، وهو غير مستحق لذلك في رحمتك وأنت أرحم الراحمين ثم أقبل على السامرى.

﴿٩٥ \_ ٩٧ ﴾ ف ﴿قال فما خطبك

ولا يُخَافُ، ولا يُذعَى إلا هو، لأنه الكامل الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، المحيط علمه بجميع الأشياء، الذي ما من نعمة بالعباد إلا منه، ولا يدفع السوء إلا هو، فلا إله إلا هو، ولا معبود سواه.

عليك من أنباء ما قد سبق وقد أتيناك من لدنا ذكراً \* من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً \* خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً بمتن الله تعالى على نبيه على من قصه عليه من أنباء السابقين، وأخبار السالفين، كهذه القصة العظيمة، وما فيها من الأحكام وغيرها، التي لا ينكرها أحد من أهل الكتاب، فأنت لم تدرس أخبار الأولين، ولم تستحلم محن دراها، فإخبارك بالحق اليقين من أخبارهم، دليل على أنك رسول الله حقاً، وما جئت به صدق، ولهذا قال: ﴿وقد آتيناك من لدنا الله أي: عطية نفيسة، ومنحة جزيلة من عندنا. ﴿ذَكُواَ﴾ وهو هذا القرآن الكريم، ذكر للأخبار السابقة واللاحقة، وذكر يتذكر به ما لله تعالى من الأسماء والصفات الكاملة، ويتذكر به أحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء، وهذا مما يدل على أنَّ القرآن مشتمل على أحسن ما يكون من الأحكام، التي تشهد العقول والفطر بحسنها وكمالها، ويذكر هذا القرآن ما أودع الله فيها، وإذا كان القرآن ذكراً للرسول ولأمته، فيجب تلقيه بالقبول والتسليم والانقياد والتعظيم، وأن يهتدي بنوره إلى الصراط المستقيم، وأن يقبلوا عليه بالتعلم والتعليم.

وأما مقابلته بالإعراض، أو ما هو أعظم منه من الإنكار، فإنه كفر لهذه النعمة، ومن فعل ذلك، فهو مستحق للعقوبة، ولهذا قال: ﴿من أعرض عنه فلم يؤمن به، أو تهاون بأوامره ونواهيه، أو بتعلم معانيه الواجبة ﴿فإنه يحمل يوم القيامة وزراً وهو ذنبه، الذي بسببه أعرض عن القرآن، وأولاه الكفر والهجران، ﴿خالدين فيه أي:

يا سامري \* قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي \* قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً ﴾. أي: ما شأنك يا سامري، حيث فعلت ما فعلت؟، فقال: ﴿بصرت بمالم يبصروا به ﴾ وهو جبريل عليه السلام، على فيرس رآه وقبت خروجهم من البحر، وغرق فرعون وجنوده على ما قاله المفسرون، فقبضت قبضة من أثر حافر فرسه، فنبذتها على العجل، ﴿وكـذلـك سولـت لي نـفـسـي ان أقبضها، ثم أنبذها، فكان ما كان، فقال له موسى: ﴿فاذهب ﴾ أي: تباعد عنى واستأخر منى ﴿ فإن لك في الحياة أن تُقول لا مساس ﴾ أي: تعاقب في الحياة عقوبة، لا يدنو منك أحد، ولا يمسك أحد، حتى إن من أراد القرب منك، قلت له: لا تمسنى، ولا تقرب مني، عقوبة على ذلك، حيث مس ما لم يمسه غيره، وأجرى ما لم يُجرو أحد، ﴿وإن لَكَ موعداً لَنْ تُعلقه ﴾ فتجازي بعملك، من خير وشر، ﴿وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً ﴾ أي: العجل ﴿لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً ﴾ ففعل موسى ذلك، فلوكان إلهاً، لامتنع ممن يريده بأذي ويسعى له بالإتلاف، وكان قد أشربَ العجل في قلوب بني إسرائيل، فأراد موسى عليه السلام إتلافه وهم ينظرون، على وجه لا تمكن إعادته بالإحراق والسحق وذريه في اليم ونَسْفه، ليزول ما في قلوبهم من حبه، كما زال شخصه، وَلَأَنْ في إبقائه محنة، لأن في النفوس أقوى داع إلى الباطل، فلما تبين لهم بطلانه، أخبرهم بمن يستحق العبادة وحده لا شريك له،

﴿٩٨﴾ ﴿إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً ﴾ أي: لا معبود إلا وجهه الكريم، فلا يؤلم، ولا يُعبُ، ولا يُرجى

في وزرهم، لأن العذاب هو نفس الأعمال، تنقلب عذاباً على أصحابها، بحسب صغرها وكبرها.

﴿وساء لهم يوم القيامة حملاً أي: بئس الحمل الذي يحملونه، والعذاب الذي يعذبونه يوم القيامة، ثم استطرد، فذكر أحوال يوم القيامة وأهواله فقال:

﴿١٠٢ - ١٠٢﴾ ﴿يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومثذ زرقاً \* يتخافتون بينهم إن لبثتم إلاَّ عشراً \* نحن أعلم بما يفولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلاَّ يوماً﴾

أي: إذا نفخ في الصور وخرج الناس من قبورهم، كُلُّ على حسب حاله، فالمتقون يحشرون إلى الرحمن وفداً، والمجرمون يحشرون زُرْقاً ألوانهم من الخوف والقلق والعطش، يتناجون بينهم، ويتخافتون في قصر مدة الدنيا، وسرعة الآخرة، فيقول بعضهم: ما لبثتم إلا عشرة أيام، ويقول بعضهم غير ذلك، والله يعلم تخافتهم، ويسمع ما يقولون ﴿إذ يقول أمثلهم طريقة﴾ أي: أعدلهم وأقربهم إلى التقدير ﴿إن

والمقصود من هذا، الندم العظيم،

كيف ضيعوا الأوقات القصيرة،

وقطعوها ساهين لاهين، معرضين عما ينفعهم، مقبلين على ما يضرهم، فها قد حضر الجزاء، وحق الوعيد، فلم يبق إلا الندم، والدعاء بالويل والثبور. كما قال تعالى: ﴿قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين \* قالوا لبُّننا يومَّا أو بعض يوم فاسأل العادين \* قال إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون﴾. ﴿١٠٥ ـ ١١٢﴾ ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً \* فيذرها قاعاً صفصفاً \* لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً \* يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلاتسمع إِلاَّ همساً \* يومئذ لا تنفع الشفاعة ِ إِلاَّ من أذن له الرحمن ورضي له قولاً \* يعلم ما بين أيديهم ومأخلفهم ولا

يحيطون به علماً \* وعنت الوجوه

للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلماً \* ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا بخاف ظلماً ولا هضماً ﴾ يخبر تعالى عن أهوال القيامة، وما فيها من الزلازل والقلاقل، فقال: ﴿ويسألونك عن الجبال أي: ماذا يصنع بها يوم القيامة، وهل تبقى بحالها أم لا؟ ﴿ فقل ينسفها ربي نسفا ﴾ أي: يزيلها ويقلعها من أماكنها فتكون كالعهن وكالرمل، ثم يدكها فيجعلها هباء منبثاً، فتضمحل وتتلاشى، ويسويها بالأرض، ويجمعل الأرض قماعماً صفصفاً، مستوياً لا ترى فيه أيها الناظر عوجاً، هذا من تمام استوائها ﴿ولا أمساً ﴾ أي: أودية وأماكس منخفضة، أو مرتفعة فتبرز الأرض، وتتسع للخلائق، ويمدها الله مدّ الأديم، فيكونون في موقف واحد، يسمعهم الداعي، ويتقذهم البصر،

«يومئذ يتبعون الداعي وذلك حين يبعثون من قبورهم ويقومون منها، يدعوهم الداعي إلى الحضور والاجتماع للموقف، فيتبعونه مهطعين إليه، لا يلتفتون عنه، ولا يعرجون يمنة ولا يسرة، وقوله: ﴿لا عوج له عوج لدعوة الداعي، بل تكون دعوته حقاً وصدقاً، لجميع تكون دعوته حقاً وصدقاً، لجميع بهم أجعين، فيحضرون لموقف القيامة، خاشعة أصواتهم للرحن، ﴿فلا تسمع طالم حن، ﴿فلا تسمع المرحن، ﴿فلا تسمع المرحن المرحن ألم الم

و لهذا قال:

حاشعه اصواتهم للرحمن، وقالا سمع الإهمساً في إلا وطء الأقدام، أو المخافتة سراً بتحريك الشفتين فقط، يمملكهم الخشوع والسكون والإنصات، انتظاراً لحكم الرحمن فيهم، وتعنو وجوههم، أي: تذل وتخضع، فترى في ذلك الموقف العظيم، الأغنياء والفقراء، والرجال والنساء، والأحرار والأرقاء، والملوك والسوقة، ساكتين منصتين، خاشعة أبصارهم، خاضعة رقاهم، جاثين على

ركبهم، عانية وجوههم، لا يدرون

ماذا ينفصل كل منهم به، ولا ماذا

يفعل به، قد اشتغل كُلَّ بنفسه وشأنه، عن أبيه وأخيه، وصديقه وحبيبه ولكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه فحيثند يحكم فيهم الحاكم العدل الديان، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بالحرمان.

والأمل بالرب الكريم، الرحمن الرحيم، أن يري الخلائق منه، من الفضل والإحسان، والعفو والصفح والغفران، ما لا تعبر عنه الألسنة، ولا تتصوره الأفكار، ويتطلع لرحمته إذ ذاك جميع الخلق لما يشاهدونه [فيختص المؤمنون به ورسله بالرحمة](١)، فإن قيل: من أين لكم هذا الأمل؟ وإن شئت قلت: من أين لكم لكم هذا العلم بما ذكر؟

قلنا: لما تعلمه من غلبة رحمته لغضبه، ومن سعة جوده، الذي عم جميع البرايا، ومما نشاهده في أنفسنا وفي غيرنا، من النعم المتواترة في هذه الدار، وخصوصاً في فصل القيامة، فإن قوله: ﴿وخشعت الأصوات للرحمن ﴿إلا من أذن له الرحمن مع قوله ﴿الملك يومئذ الحق للرحمة، أنزل قعوله رحمة، بها يتراحمون ويتعاطفون، حتى إن البهيمة ترفع حافرها عن ولدها خشية أن تطأه - أي: - من الرحمة من المرحمة في قلبها، فإذا كان يوم القيامة، ضم هذه الرحمة إلى تسع وتسعين رحمة، فرحم بها العباد».

مع قوله ﷺ الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها، فقل ما شئت عن رحمته، فإنها فوق ما تقول، وتصور ما شئت، فإنها فوق ذلك، فسبحان من رحم في عدله وعقوبته، كما رحم في فضله وإحسانه ومثوبته، وتعالى من وسعت رحمته كل شيء، وعم كرمه كل حي، وجَلَّ من غَنِيٌ عن عباده، رحيم بهم، وهم مفتقرون إليه على الدوام، في جميع أحوالهم، فلا غنى لهم عنه طرفة عين.

وقوله: ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا

من أذن له الرحمن ورضي له قولاً﴾ أي: لا يشفع أحد عنده من الخلق، إلا إذا أذن في الشفاعة(١)، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله، أي: شفاعته، من الأنبياء والمرسلين، وعباده المقربين، فيمن ارتضى قوله وعمله، وهو المؤمن المخلص، فإذا اختل واحد من هذه الأمور، فلا سبيل لأحد إلى شفاعة من

وينقسم الناس في ذلك الموقف قسمين :

ظالمين بكفرهم وشرهم، فهؤلاء لا يسالهم إلا الخيبة والحرمان، والعذاب الأليم في جهنم، وسخط الديان.

والقسم الثاني: من آمن الإيمان المأمور به، وعمل صالحاً من واجب ومسنون ﴿فلا يَخاف ظلماً ﴾ أي: زيادة في سيئاته ﴿ولا هضماً ﴾ أي: نقصاً من حسناته، بل تغفر ذنوبه، وتطهر عيوبه، وتضاعف حسناته، ﴿وإِنْ تُكُ حَسِنَةً يَضَاعِفُهَا وَيُؤْتِ مِنْ لدنه أجراً عظيماً ﴾.

﴿ ١١٣﴾ ﴿ وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً ﴾ أي : وكذلك أنزلنا هذا الكتاب، باللسان الفاضل العرب، الذي تفهمونه وتفقهونه، ولا يخفى عليكم لفظه،

﴿وصرفنا فيه من الوعيد ﴾ أي: نَوَّعْناها أنواعاً كثيرة، تارة بذكر أسمائه الدالة على العدل والانتقام، وتارة بذكر المثلات التي أحلها بالأمم السابقة، وأمر أن تعتبر بها الأمم اللاحقة، وتارة بذكر آثار الذنوب، وما تكسبه من العيوب، وتارة بذكر أهوال القيامة، وما فيها من المزعجات والمقلقات، وتارة بذكر جهنم وما فيها من أنواع العقاب وأصناف العذاب، كل هذا رحمة بالعباد، لعلهم يتقون الله فيتركون من الشر والمعاصى ما يضرهم، ﴿أُو يحدث لهم ذكراً ﴾ فيعملون من

الطاعات والخير ما ينفعهم، فكونه عربياً، وكونه مصرفاً فيه [من] الوعيد، أكبر سبب، وأعظم داع للتقوي والعمل الصالح، فلو كان غير عربي، أو غير مصرف فيه، لم يكن له هذا

﴿١١٤﴾ ﴿فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدن علماً ﴾ لما ذكر تعالى حكمه الجزائي في عباده، وحكمه الأمرى الديني، الَّذِيُّ أَنزِله في كتابه، وكان هذا منَّ آثار ملكه قال: " ﴿ فَسَمَّالَى اللهِ ﴾ أي: جَلَّ وارتفع وتقدس عن كل نقص وآفة ، ﴿الملك﴾ الذي الملك وصفه، والخلق كلهم مماليك له، وأحكام الملك القدرية والشرعية، نافذة فيهم.

﴿ الحق أي: وجوده وملك وكماله حق، فصفات الكمال، لا تكون حقيقة إلا لذي الجلال، ومن ذلك: الملك، فإن غيره من الخلق، وإن كان له ملك في بعض الأوقات، على بعض الأشياء، فإنه ملك قاصر باطل يزول، وأما الرب، فلا يزال ولا يزول مَلِكاً حياً قَيْوماً جليلاً.

﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه ﴾ أي: لا تبادر بتلَقُّفِ القرآن حين يتلوه عليك جبريل، واصبر حتى يفرغ منه، فإذا فرغ منه فاقرأه، فإن الله قد ضمن لك جمعه في صدرك وقراءتك إياه، كما قال تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به \* إن علينا جمعه وقرآنه \* فإذا قرأناه فاتبع قرآنه \* ثم إن علينا بيانه﴾ ولما كانت عجلته ﷺ، على تَلقُف الوحي ومبادرته إليه، تدل(٢) على محبته التامة للعلم وحرصه عليه، أمره الله تعالى أن يسأله زيادة العلم، فإن العلم خير، وكثرة الخير مطلوبة، وهمي من الله، والطريق إليها الاجتهاد، والشوق للعلم، وسؤال الله، والاستعانة به، والافتقار إليه في كل وقت.

THE COURSE SERVICE كَذَٰلِكَ نَقُسُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْكَاءٍ مَاقَدْ سَبَقٌ وَقَدْ ءَاتَدْنَاكَ مِن لَّذَنَّا ذِحْرًا ۞ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْسِمِلُ فَمَ ٱلْقِيكَمَةِ وِذُرًّا ۞ خَلِدِينَ فِيدُّومَ سَأَةَ لَمُنْ يُؤْمَ ٱلْقِينَ مَدْحِمَا لُا ۞ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورُ وَخَشُرُ الْمُحْمِينَ يَوْمَدِ ذُرُّوقًا ﴿ يَخْلَفُونَ يَنْهُمْ إِن لِّنَتُمُ إِلَّاعَشُرًا ﴿ غَنَّ أَعَامُ مَا يَعُولُونَ إِذْ يَعُولُ أَمْثَلُهُمُ وَلِيفَةً إِن لِّبَيْتُ وَلَا يَوْمًا ۞ وَيَسْتَلُونَكَ عَن ٱلْجِمَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿ فَيَذَرُهَا قَسَاعًا صَفْصَهُا اللَّهِ لَأَرَّى فِهَا عِوَمَا وَلِآ أَمْتُ ا ۞ يَوْمَهِ ذِيَبَّعُونَ ٱلدَّاعِ لَاعِوَجَ لَدُّ وَخَشَعَتِ ٱلْأَضْوَاتُ لِلرَّحْنِنِ فَلَانَسْمَعُ إِلَّا هَنسَا ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَالَمُ عَلَيْهُ إِلَّا مَنْ أَذِبَ لَهُ ٱلرَّحَانُ وَرَسِي لَهُ ﴾ قَوْلًا ۞ يَعْلَدُ مَابَيْتَ أَيْدِيهِمْ وَمَلَخَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ۞ • وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْغَيِّ ٱلْفَيُّورُّ وَقَدْخَابَ مَنْحَمَلَ طُلْمًا ۞ وَمَن يَعْمَلُ مِنَ الصَّالِحَتِ وَهُوَمُوْمِنُّ فَلَا يَعَكُ طْلْمَا وَلَاهَضَهُمَا ۞ وَكَذَاكِ أَنزَأْنَهُ قُرُوَانًا عَرَبُّنا المُتَرَفَنافِهِينَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّمُ مُرَّتَّعُونَ ٱوْتُعْدِثُ كَمُتُوزَّوُ اللَّهِ 

ويؤخذ من هذه الآية الكريمة، الأدب في تلقى العلم، وأن المستمع للعلم ينبغي له أن يتأنَّى ويصبر حتى يفرغ الملي والمعلم من كلامه المتصل بعضه ببعض، فإذا فرغ منه سأل إن كان عنده سؤال، ولا يبادر بالسؤال وقطع كلام مُلْقِي العلم، فإنه سبب للحرمان، وكذلك المسؤول، ينبغي له أن يستملي سؤال السائل، ويعرف المقصود منه قبل الجواب، فإن ذلك سبب لإصابة الصواب.

﴿١١٥﴾ ﴿ وُلقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً ﴾، أي: ولقد وصَّينا آدم وأمرناه، وعهدنا إليه عهداً ليقوم به، فالتزمه، وأذعن له وانقاد، وعزم على القيام به، ومع ذلك نسى ما أمر به، وانتقضت عزيمته المحكمة، فجرى عليه ما جرى، فصار عبرة لذريته، وصارت طبائعهم مثل طبیعته، نسی آدم فنسیت ذریته، وخطىء فخطئوا، ولم يثبت على العزم المؤكد، وهم كذلك، وبادر بالتوبة من خطيئته، وأقرَّ بها واعترف، فغفرت له، ومن يشابه أباه فما ظلم.

ثم ذكر تفصيل ما أجمله فقال: ﴿ ١١٦ \_ ١٢٢﴾ ﴿ وإذ قسلسنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلأ إبليس أبى \* فقلنا يا آدم إن هذا عدو

في ب: إلا من أذن له في الشفاعة.

فَعَنَّ إِلَا اللَّهُ ٱلْكِكُ أَكُونًا وَلاَقَعَ حَلْ اللَّهُ رَوَان مِن فَهَ لَأَن يُقْضُونَ إِلَيْكَ وَحِيثُمُ وَقُل زَبَ دَدْنِ عِلْمَا ۞ وَلَقَدْعَهَذَا إِلَّكَ مَادَمَ مِن مَّسِلُ فَنَيَى وَلَرْنِجَدْ لَهُ بَعَنْمَا ۞ وَاذْ قُلْنَا اِلْمَلْكِكَةِ ٱسْجُـدُواْ لِأَدْمَ مُسَجَـدُوَا إِلَّا إِبْلِسَ إِنِّكِ ۞ فَقُلْنَا يُقَادَمُ إِنَّ هَانَاعَدُوُّلُكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَّامِنَ ٱلْجَنَّةِ مُتَشْغَنَ ١ إِنَّ لَكَ أَلَّا جَوْعَ فِيهَا وَلَالْعَنْدَيْ ١ وَأَنْكَ لَانْظُمُواْفِيهَا وَلَانَضْحَىٰ ﴿ فَوَسَّوْمَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطُلُ قَالَ يَنْعَادَمُ هَلْ أَدْلُكَ عَلَى شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكِ لَا يَتَلَلْ ﴿ فَأَكَلَا يِنْهَا فَكَتْ لَكُمَّا سَوْءَ ثُهُمَا وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَامِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةُ وَعَصَوْلَ ءَادَمُ رَبِّهُ فَغَوَيْ ۞ ثُرَّ ٱجْتَبَهُ رَبُّهُ مُفَنَّابَ عَلَيْهِ وَهَكَمَىٰ ۞ قَالَ أَهْبِطَامِنَهَا جَمِيعًا ۗ بَعْنُ كُمْ لِنَعْضِ عَكُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِينَكُمْ مِنِي هُدًى فَمَنَ ٱتَّبَّعَ هُدَاىَ فَلَايَضِ لُ وَلَايَشْ قَلْ ۞ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيثَةً ضَنَكًا وَغَشُّرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيكَةِ أَعْنَىٰ ۞ قَالَ رَبْ لِرَحَمَّرْتَنِيَ أَعْمَىٰ وَقَدْكُنتُ بَصِيرُكِ 

لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى \* إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى \* وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى \* فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى \* فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى \* ثم اجتاه ربه فتاب عليه وهدى

أي: لما أكسل خلق آدم بيده، وعلمه الأسماء، وفضله، وكرمه، أمر الملائكة بالسجود له، إكراماً وتعظيماً وإجلالاً، فبادروا بالسجود عتثلين، وكان بينهم إبليس، فاستكبر عن أمر ربه، وامتنع من السجود لآدم وقال: فأنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فتبينت حينئذ عداوته البليغة لآدم وزوجه، لما كان عدواً لله، وظهر من حسده، ما كان سبب العداوة، فحد رالله آدم وزوجه منه، وقال فحرجت منها، فإن لك فيها الرزق خرجت منها، فإن لك فيها الرزق الهني، والراحة التامة.

ولا تعرى، وأنك لا تجوع فيها ولا تعرى، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى أي: تصيبك الشمس بحرها، فضمن له استمرار الطعام والشراب، والكسوة، والماء، وعدم

التعب والنصب، ولكنه نهاه عن أكل شجرة معينة فقال: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين المعالم يزل الشيطان يسول لهما، ويزين أكل الشجرة، ويقول: ﴿ هِل أَدلك على شجرة الخلد الى: الشجرة التي من أكل منها خُلُد في الجنة. ﴿وَمُلِكُ لا يبلى ♦ أى: لا ينقطع إن أكلت منها، فأتاه بصورة ناصح، وتلطف له في الكلام، فاغتربه أدم، وأكلامن الشجرة فَسُقِطَ في أيديهما، وسقطت كسوتهما، واتضحت معصيتهما، ويدا لكل منهما سوأة الآخر، بعد أن كانا مستورين، وجعلا يخصفان على أنفسهما من ورق أشجار الجنة ليستترا بذلك، وأصابهما من الخجل ما الله به عليم .

﴿وعصى آدم ربه فغوى ﴿ فبادرا إلى التوبة والإنابة، وقالا: ﴿ رَبُّنَا ظُلَّمُنَا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرينَ﴾ فاجتباه ربه، واختاره، ويسر له التوبة ﴿فتاب عليه وهدى﴾ فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها، ورجع كيد العدو عليه، وبطل مكره، فتمتّ النعمة عليه وعلى ذريته، ووجب عليهم القيام بها والاعتراف، وأن يكونوا على حذر من هذا العدو المرابط الملازم لهم، ليلاً ونهاراً ﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾.

غبر تعالى، أنه أمر آدم وإبليس أن يهبطا إلى الأرض، وأن يستخفوا [آدم وبنوه] (١) الشيطان عدواً لهم، فيأخذوا الحذر منه، ويُجدُوا له عُدَّته ويحاربوه، وأنه سينزل عليهم كتباً، ويرسل إليهم رسلاً يبينون لهم الطريق المستقيم الموصلة إليه وإلى جنته، ويحذرونهم من جاءهم ذلك الهدى، الذي هو الكتب والرسل، فإن من اتبعه اتبع ما أمر به، واجتنب ما نهي عنه، فإنه لا يضل في واجتنب ما نهي عنه، فإنه لا يضل في واجتنب ما بل قد هديي إلى صراط في مستقيم، في الدنيا والآخرة، ولا يشقى مستقيم، في الدنيا والآخرة، ولا السعادة والأمن في الآخرة.

وقد نفى عنه الخوف والحزن في آية أخرى، لقوله: ﴿فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾. واتباع الهدى، بتصديق الخبر، وعدم معارضته بالشبه، وامتثال الأمر بأن لا يعارضه بشهوة.

﴿ ومن أعرض عن ذكري ﴾ أي: كتابي الذي يتذكر به جميع المطالب العالية، وأن يتركه على وجه الإعراض عنه، أو ما هو أعظم من ذلك، بأن يكون على وجه الإنكار له، والكفر به ﴿ وَإِنْ لَهُ مَعِيشَة صَنْكَ ﴾ أي: فإن جزاءه، أن نجعل معيشته ضيقة مشقة، ولا يكون ذلك إلا عذاباً.

وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، وأنه يضيق عليه قبره، ويحصر فيه ويعذب، جزاء لإعراضه عن ذكر ربه، وهذه إحدى الآيات الدالة على عذاب القبر. والشانية قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الملائكة باسطوا أيديهم ﴾ الآية. والثالثة قوله: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ﴾. والرابعة قوله عن آل فرعون: ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ﴾ الآية.

والذي أوجب لمن فسرها بعذاب القبر فقط من السلف، وقصرها على ذلك \_ والله أعلم \_آخر الآية،

وأن الله ذكر في آخرها عذاب يوم

وبعض المفسرين، يرى أن المعيشة الضنك، عامة في دار الدنيا، بما يصيب المعرض عن ذكر ربه، من الهموم والغموم والآلام، التي هي عذاب معجل، وفي دار البرزخ، وفي الدار الآخرة، لإطلاق المعيشة الضنك، وعدم تقييدها.

﴿ونحسره ﴿ أَي: هذا المعرض عن ذكر ربه ﴿يوم القيامة أعمى ﴾ البصر على الصحيح، كما قال تعالى: ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ﴿ .

قال على وجه الذل والمراجعة والتألم والضجر من هذه الحالة: ﴿رب لمُ حشرتني أعمى وقد كنت ، في دار الدنيا ﴿بُصِيراً﴾ فما الذي صيرني إلى هذه الحالة البشعة، ﴿قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ، بإعراضك عنها ﴿وكذلك اليوم تنسى ﴿ أَي : تترك في العذاب، فأجيب، بأن هذا هو عين عملك، والجزاء من جنس العمل، فكما عميت عن ذكر ربك، وعشيت عنه ونسيته ونسيت حظك منه، أعمى الله بصرك في الآخرة، فحشرت إلى النار أعمى، أصم، أبكم، وأعرض عنك، ونسيك في العذاب، ﴿وكذلك﴾ أي: هذا الجزآء ﴿نجزيه ﴾ ﴿من أسرف ﴾ بأن تعدى الحدود، وارتكب المحارم وجاوز ما أذن له ﴿ولم يؤمن بآيات ربه ﴾ الدالة على جميع مطالب الإيمان دلالة واضحة صريحة، فالله لم يظلمه ولم يضع العقوبة في غير محلها، وإنما السبب إسرافه وعدم إيمانه.

﴿ ولعذابِ الآخرة أشد ﴾ من عذاب الدنيا أضعافاً مضاعفة ﴿وأبقي﴾ لكونه لا ينقطع، بخلاف عذاب الدنيا فإنه منقطع، فالواجب الخوف والحذر من عذاب الآخرة.

﴿١٢٨﴾ ﴿ أَفَلَمْ يَهِدُ لَهُمْ كُمْ أَهَلَكُنَّا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآياتٍ لأولى النهي، أي: ` أفلم يهد هؤلاء المكذبين المعرضين،

ويدلهم على سلوك طريق الرشاد، وتجنب طريق الغيي والفساد، ما أحل الله بالمكذبين قبلهم، من القرون الخالية، والأمم المتتابعة، الذين يعرفون قصصهم، ويتناقلون أسمارهم، وينظرون بأعينهم مساكنهم من بعدهم، كقوم هود وصالح ولوط وغيرهم، وأنهم لما كذبوا رسلنا، وأعرضوا عن كتبنا، أصبناهم بالعذاب الأليم؟

فما الذي يُؤمِّن هؤلاء، أن يحل بهم، ما حل بأولئك؟ ﴿أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر \* أم يقولون نحن جميع منتصر ﴾ لا شيء من هذا كله، فليس هؤلاء الكفار، خيراً من أولئك، حتى يدفع عنهم العذاب بخيرهم، بل هم شر منهم، لأنهم كفروا بأشرف الرسل وخير الكتب، وليس لهم براءة مزبورة وعهد عند الله، وليسوا كما يقولون أن جمعهم ينفعهم ويدفع عنهم، بل هم أذل وأحقر من ذلك، فإهلاك القرون الماضية بذنوبهم، من أسباب الهداية، لكونها من الآيات الدالة على صحة رسالة الرسل الذين جاؤوهم، وبطلان ما هم عليه، ولكن ما كل أحد ينتفع بالآيات، إنما ينتفع بها أولو النهي، أى: العقول السليمة، والفطر الستقيمة، والألباب التي تزجر أصحابها عما لا ينبغي.

﴿١٣٩ \_ ١٣٠﴾ ﴿ولولا كيلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى \* فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى الهذا تسلية للرسول، وتصبير له عن المبادرة إلى إهلاك المكذبين المعرضين، وأن كفرهم وتكذيبهم سبب صائح لحلول العذاب بهم، ولزومه لهم، لأن الله جعل العقوبات سبباً وناشئاً عن الذنوب، ملازماً لها، وهؤلاء قد أتوا بالسبب، ولكن الذي أخره عنهم كلمة ربك، المتضمنة لإمهالهم وتأخيرهم، وضرب الأجل المسمى، فالأجل المسمى ونفوذ

١٠ سوي ظلما قَالَ كَذَٰ لِكَ أَنْتُكَ ءَايَكُنَا فَنَصِيتَهَا وَكَذَٰ لِكَ ٱلْيُوْمِ تُنسَىٰ ۞ وَكَذَاكِ خَرْى مَنْ أَسْرَفَ وَلَرَيْوْمِنْ مَالِيَتِ رَبِّيهِ وَلَعَذَابُ ٱلْاَخِرَةِ أَشَدُ وَأَبْقَلَ ۞ أَفَلَةِيمْدِ هَاءُكُواْ فَلَكَ نَاقَبَلَهُمِينَ ٱلْقُرُونِ يَشُونَ فِي مَسَاكِيهِمُ إِنَّ فِي ذَاكِ لَآئِكَ إِلَّهُ الْأَفْلِ الْتُعْلَ @ وَلَوْلَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِن زَيِكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلُّ مُسَمِّى ۞ فَأَصْبِرْعَلَ مَا يَقُولُونَ وَسَيِّعْ بِعَمْدِرَيْكَ قَبْلُطُلُوعَ الشَّمْسِ وَقِبَلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآبِ ٱلَّيْلِ فَسَيْحٌ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَمَلَكَ لَ تَرْضَىٰ ۞ وَلِا تَمُدَّنَّ عَيْنَتِكَ إِلَى مَامَتَّعْنَابِهِ ۚ أَزْوَجُامِنْهُمْ رَهْرَةَ ٱلْمَيْوَةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْينَهُمْ فِيدُ وَرِنْقُ رَبِّكَ خَيْرُ وَأَبْقَل ﴿ وَأَمْ أَهَلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَيرُ عَلَيْهَا ۖ لَانَسْتَلُكَ رِزْقًا خَرُبُ نَرْفُكُنَّ وَٱلْمَنْقِبَةُ لِلنَّفْوِيٰ ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِنَا يَعْقِن زَّيَبِيَّ أَوْلَزَأَهُم بَيْتَ مَافِ الصُّحْفِ الْأُولَىٰ ﴿ وَلَوَأَنَّا أَهَلَتَ نَعُم يَعَذَابٍ إِين قَتِلِهِ مِن اللَّهِ اللَّلَّا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الللَّهِ الللَّهِ الللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ ﴾ ين قَبَلِ أَن نَكِذَلُ وَخَنْزَيٰ ﴿ قُلْكُ أُمُنَدَيْقِ مُ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ مُعَالِقًا اللَّه مُستَقلَتُونَ مَنْ أَصْحُ الصِمَرَطِ السَّوِيِّ وَمَنِ الْمُتَدَّىٰ ﴿ DECEMBER TO SERVE

كلمة الله، هو الذي أخر عنهم العقوبة إلى إبان وقتها، ولعلهم يراجعون أمر الله، فيتوب عليهم، ويرفع عنهم العقوبة، إذا لم تحق عليهم الكلمة.

ولهذا أمر الله رسوله بالصبر على أذيتهم بالقول، وأمره أن يتعوض عن ذلك، ويستعين عليه بالتسبيح بحمد ربه، في هذه الأوقات الفاضلة، قبل طلوع الشمس وغروبها، وفي أطراف النهار، أوله وآخره، عموم بعد خصوص، وأوقات الليل وساعاته، لعلك إن فعلت ذلك، ترضى بما يعطيك ربك من الثواب العاجل والآجل، وليطمئن قلبك، وتقر عينك بعبادة ربك، وتتسلى بها عن أذيتهم، فيخف حينئذ عليك الصبر.

﴿١٣١﴾ ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خيرٌ وأبقى ﴾ أي: لا تمد عينيك معجباً، ولا تكرر النظر مستحسناً إلى أحوال الدنيا والممتعين بها، من المآكل والمشارب اللذيذة، والملابس الفاخرة، والبيوت المزخرفة، والنساء المجملة، فإن ذلك كله زهرة الحياة الدنيا، تبتهج بها نفوس المغترين، وتأخذ إعجاباً بأبصار المعرضين، ويتمتع بها \_بقطع النظر عن الآخرة \_القوم الظالمون، ثم تذهب سريعاً، وتمضى جميعاً، وتقتل

يَسْ وَالْالِيْكِانَا

يَسْ وَالْالْلِيكِانَا

يَسْ وَالْالْلِيكِانَا

الْمُرْتِكِ النَّايِنِ حِسَاءُهُمْ وَهُمْ فِي عَفْلَةً مُعْمِهُونِ هِمْ

الْمَاتِكِيهِ وَيَن وَخِيرِهِ مُعْمَنِهِ الْمَاتِسَمَةُ وَهُمْ اللَّهِ عَلَيْهِ مُعْمَنِهُ وَهُمْ اللَّيْتِ عَلَيْهِ مُعْمَنِهُ وَهُمُ اللَّيْتِ عَلَيْهِ مُعْمَنِهُ وَهُمُ اللَّيْتِ عَلَيْهِ مُعْمَنِهُ وَهُمُ اللَّهِ عَلَيْهِ مُعْمَنِهِ اللَّهِ عَلَيْهِ مُعْمَنِهُ وَهُمُ اللَّهِ عَلَيْهِ مُعْمَنِهُ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ الْمُعْلِقِيلُ وَالْتُعَلِيفِ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ الْمُعْلِقِيلِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهُ وَاللَّهُ الْمُعْلِقِيلِ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ الْمُعْلِقِيلِ عَلَيْهُ اللَّهُ الْمُعْلِقِيلِ عَلَيْهُ الْمُعْلِقِيلُ عَلَيْهُ الْمُعْلِقِيلُ عَلَيْهُ الْمُعْلِقِيلُ عَلَيْهُ الْمُعْلِقِيلُ عَلَيْهُ الْمُعْلِقِيلُ عَلَيْهُ الْمُعْلِقِيلُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى الْمُعْلِقِيلِ عَلَيْهِ اللَّهِ الْمُعْلِقِيلِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى الْمُعْلِقِيلِ عَلَى الْمُعْلِقِيلُ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى الْمُعْلِقِيلِ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى الْمُعْلِقِيلُ الْمُعْلِقِيلُ الْمُعْلِقِيلُ الْمُعْلِقِيلُ الْمُعْلِقِيلُ الْمُعْلِقِيلُ الْمُعْلِقِيلُ عَلَيْمِ اللْمُعِلِيلُ الْمُعْلِقِيلُ عَلَيْهِ الْمُعْلِقِيلُ الْمُعْلِقِيلُ الْمُعِلِيلُ الْمُعْلِقِيلُ الْمُعْلِقِيلُ الْمُعْلِقِيلُ الْمُعْلِقِيلُ الْمُعِلِيلُ الْمُعْلِقِيلُ الْمُعِلِيلُ الْمُعْلِقِيلُ الْمُعْلِقِيلُ الْمُعْلِقِيلُ الْمُعْلِقِيلُ الْمُعْلِقِيلُ الْمُعْلِقِيلُ الْمُعْلِقِيلُ الْمُعْلِقِيلُ الْمُعِلِيلُ الْمُعْلِقِيلُ الْمُعْلِقِيلُ الْمُعْلِقِيلُ الْمُعِ

عبيها وعشاقها، فيندمون حيث لا تنفع الندامة، ويعلمون ما هم عليه إذا قدموا في القيامة، وإنما جعلها الله فتنة واختباراً، ليعلم من يقف عندها ويغتر بها، ومن هو أحسن عملاً، كما قال تعالى: ﴿إِنَا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً \* وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً ﴾.

﴿ورزق ربك ﴾ العاجل من العلم والإيمان، وحقائق الأعمال الصالحة ، والأجل من النعيم المقيم، والعيش السليم في جوار الرب الرحيم ﴿خير ﴾ عامتعنا به أزواجاً ، في ذاته وصفاته ﴿وأبقى ﴾ لكونه لا ينقطع ، أكلها دائم وظلها ، كما قال تعالى : ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا \* والآخرة خير وأبقى ﴾ .

وفي هذه الآية، إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحاً إلى زينة الدنيا، وإقبالاً عليها، أن يذكرها ما أمامها من رزق ربه، وأن يوازن بين هذا وهذا.

﴿ ١٣٢﴾ ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾ أي: حث أهلك على الصلاة، وأزعجهم إليها من فرض ونفل. والأمر بالشيء، أمر بجميع ما لا يتم إلا به، فيكون أمراً

بتعليمهم، ما يصلح الصلاة ويفسدها ويكملها.

﴿واصطبر عليها ﴾ أي: على الصلاة بإقامتها، بحدودها وأركانها وآدابها وخشوعها، فإن ذلك مشق على النفس، ولكن ينبغي إكراهها وجهادها على ذلك، والصبر معها دائماً، فإن العبد إذا أقام صلاته على الوجه المأمور به، كان لما سواها من دينه أحفظ وأقوم، وإذا ضيعها كان لما سواها أضيع، ثم ضمن تعالى لرسوله الرزق، وأن لا يشغله الاهتمام به عن إقامة دنه، فقال:

﴿نحن نرزقك﴾ أي: رزقك علينا قد تكفلنا به، كما تكفلنا بأرزاق الخلائق كلهم، فكيف بمن قام بأمرنا، واستغل بذكرنا؟! ورزق الله عام للمتقي وغيره، فينبغي الاهتمام بما يجلب السعادة الأبدية، وهو: التقوى، والآخرة ﴿للتقوى﴾ التي هي فعل والآخرة ﴿للتقوى﴾ التي هي فعل للأمور وترك المنهي، فمن قام بها، كان له العاقبة، كما قال تعالى: ﴿والعاقبة للمتقن﴾.

(۱۳۳ – ۱۳۳) ﴿ وقالوا لوالوالوالية من ربه أولم تأتهم بينة ما في المسحف الأولى \* ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت ونخرى \* قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط المكذبون للرسول ﴿ الله الله الله الله الله الله عنون آيمات الاقتراح كقولهم: ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى من ربه ؟ يعنون آيمات الاقتراح تفجر لنا من الأرض ينبوعا \* أو تكون خلالها تفجراً \* أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة والكه والمه المناه الله والملائكة والكه والمه المناه الله والملائكة والكه والمه المناه المناه والملائكة والمه المناه المناه والملائكة والكه المناه المناه والملائكة والمناه المناه والملائكة المناه المناه والملائكة المناه والملائكة المناه المناه والملائكة والمناه المناه والملائكة المناه والملائكة المناه والملائكة المناه والملائكة والمناه والملائكة والمناه و

وهذا تعنت منهم وعناد وظلم،

فإنهم، هم والرسول، بشر عبيد لله، فلا يليق منهم الاقتراح بحسب أهوائهم، وإنما الذي ينزلها ويختار منها ما يختار بحسب حكمته، هو الله.

ولأن(١) قولهم: ﴿ لولا أنزل عليه آيات من ربه ﴾ يقتضي أنه لم يأتهم بآية على صدقه، ولا بينة على حقه، وهذا كذب وافتراء، فإنه أتى من المعجزات الباهرات، والآيات القاهرات، ما يحصل ببعضه المقصود، ولهذا قال: ﴿ وَلَمْ مَا أَهُم يَطْلُبُونَ الْحَقْ بِلَيْلُه، وَأَنْهُم يَطْلُبُونَ الْحَقْ بِلَيْلُه، وَأَنْهُم يَطْلُبُونَ الْحَقِّ بِلَيْلُه، وَالْمَا فَي الصحف الأولى ﴾ أي: هذا القرآن العظيم، المصدق الأولى ﴾ أي: هذا الأولى، من التوراة والإنجيل، والكتب السابقة المطابق لها، المخبر بما أخبرت ومبشر بالرسول بها، وهذا كقوله ومبشر بالرسول بها، وهذا كقوله تعالى:

﴿ أُولِم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون) فالآيات تنفع المؤمنين، ويزداد بها إيمانهم وإيقانهم، وأما المعرضون عنها المعارضون لها، فلا يؤمنون بها، ولا ينتفعون بها، ﴿إِنَ الَّذِينَ حَقَّتَ عَلَيْهِمَ كُلُّمَةً رَبُّكُ لا يؤمنون ﴿ ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب﴾ وإنما الفائدة في سوقها إليهم ومخاطبتهم بها، لتقوم عليهم حجة الله، ولئلا يقولوا حين ينزل بهم العذاب: ﴿لُولًا أُرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزي، بالعقوبة، فها قد جاءكم رسولي ومعه آیاتی وبراهینی، فإن کنتم کما تقولون، فصدقوه.

قل يا محمد نخاطباً للمكذبين لك النين يقولون تربصوا به ريب المنون ﴿قُلَ كُلُ مَرْبِصُوا بِي المُوت ، وأنا أتربص بكم العذاب ﴿قُلْ هُلُ تَرْبِصُونَ بِنَا إِلَا إحدى الحسنيين ﴾ أي: الظفر أو الشهادة ﴿ونصن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو

(1)

بأيدينا . ﴿ فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ﴾ أي: المستقيم، ﴿ ومن اهتدى ﴾ بسلوكه، أنا أم أنتم ؟ فإن صاحبه هو الفائز الراشد، الناجي المفلح، ومن حاد عنه خاسر خائب معذب، وقد علم أن الرسول هو الذي بهذه الحالة، وأعداؤه بخلافه، والله أعلم.

## تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام، وهي مكية

﴿١ ــ ٤﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون \* ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون \* لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون \* قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم﴾ هذا تعجب من حالة الناس، وأنه لا ينجع فيهم تذكير، ولا يرعوون إلى نذير، وأنهم قد قرب حسابهم، ومجازاتهم على أعمالهم الصالحة والطالحة، والحال أنهم في غفلة معرضون، أي: غفلة عما خلقوًا له، وإعراض عما زجروا به. كأنهم للدنيا خلقوا، وللتمتع بها ولدوا، وأن الله تعالى لا يزال يجدد لهم التذكير والوعظ، ولا يزالون في غفلتهم وإعراضهم، ولهذا قال: ﴿مَا يَأْتِيهُمُ من ذكر من ربهم محدث الله يذكرهم ما ينفعهم ويحثهم عليه وما يضرهم، ويرهبهم منه ﴿إلا استمعوه﴾ سماعاً، تقوم عليهم به الحجة، ﴿وهم يلعبون \* لاهية قلوبهم أي: قلوبهم غافلة معرضة لاهية بمطالبها الدنيوية، وأبدانهم لاعبة، قد اشتغلوا بتناول الشهوات والعمل بالباطل، والأقوال الردية، مع أن الذي ينبغي لهم أن يكونوا بغير هذه الصفة، تقبل قلوبهم على أمر الله ونهيه، وتستمعه استماعاً، تفقه المراد منه، وتسعى جوارحهم في عبادة ربهم، التي خلقوا لأجلها،

ويجعلون القيامة والحساب والجزاء منهم على بال، فبذلك يتم لهم أمرهم، وتستقيم أحوالهم، وتزكوا أعمالهم، وفي معنى قوله: ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ قولان: أحدهما أن هذه الأمة هي آخر الأمم، ورسولها آخر الرسل، وعلى أمته تقوم الساعة، فقد قرب الحساب منها بالنسبة لما قبلها من الأمم، لقوله ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين» وقرن بين إصبعيه، السبابة والتي تليها.

والقول الشاني: أن المراد بقرب الحساب الموت، وأن من مات، قامت قيامته، ودخل في دار الجزاء على الأعمال، وأن هذا تعجب من كل غافل معرض، لا يدري متى يفجؤه الموت، صباحاً أو مساء، فهذه حالة الناس كلهم، إلا من أدركته العناية الربانية، فاستعد للموت وما بعده.

ثم ذكر ما يتناجى به الكافرون الظالمون على وجه العناد، ومقابلة الحق بالباطل، وأنهم تناجوا، وتواطؤوا فيما بينهم، أن يقولوا في الرسول على إنه بشر مثلكم، فما الذي فضله عليكم، وخصه من بينكم، فلو ادعى أحد منكم مثل دعواه، لكان قوله من جنس قوله، ولكنه يريد أن يتفضل عليكم، ويرأس فيكم، فلا تطيعوه، ولا تصدقوه، وأنه ساحر، وما جاء به من القرآن سيحر، فانفروا عنه، ونفروا الناس، وقولوا: ﴿أَفْتَأْتُونَ السَّحْرِ وأنتم تبصرون ﴿ هذا وهم يعلمون أنه رسول الله حقاً بما شاهدوا(١) من الآيات الباهرة ما لم يشاهد غيرهم، ولكن حملهم على ذلك الشقاء والظلم والعناد، والله تعالى قد أحاط علماً بما تناجوا به، وسيجازيهم عليه، ولهذا قال: ﴿قال ربي يعلم القول﴾ أي: الخفى والجلي ﴿في السماء والأرض﴾ أي: في جميع ما احتوت عليه أقطارهما ﴿وهو السميع﴾ لسائر الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات ﴿العليم﴾ بما في الضمائر، وأكنته

وَهُ فَصَهَنَا مِن قَنِيةٍ كَانَتْ طَلِلَةً وَأَنشَأَنَا بَعْمَكَا فَوْمًا ءَاخَدِينَ ۞ فَكُنَّا أَحَمُّوا بَأْسَنَا إِذَاهُم مِنْهَا يَرَكُفُهُونَ ۞ لاتتكفنوا وأزجنوا لآيما أترفثه فيه ومسكيك كمر لعملكمة تُتَنَكُونَ۞ قَالُوايَوَتِكَنَّ إِنَّاكُنَّاطَالِيينَ۞ فَأَوَالْتَتِلْكَ دَعْوَيْهُ وْحَقَّ جَعَلْنَهُ وْحَصِيدًا خَلِيدِينَ ﴿ وَمَاخَلَقْنَا ٱلسَّكَأَةَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا يَنْتَهُمَّا لَعِينَ ۞ لَوَأَرَدُنَّا أَن تَنْجِدَ لَهُوَا لَاَتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَلِيلِينَ ۞ بَلْ نَفْذِفُ بِٱلْكِقِّ عَلَ ٱلْبَطِلِ قِيدُ مَغُمُ وَإِذَا هُوزَاهِ فَي وَلَحَهُ ٱلْوَيْلُ مَا تَصِعُونَ ﴿ وَلَهُ مُن فِي ٱلسَّنَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكُيرُونَ عَنْ عِبَالْاَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۞ يُسَيِّحُونَ ٱلْيَلَ وَالنَّهَارَ لَا يَعْتُرُونَ ۞ أَمِ ٱغَّنَا ثُواْ ءَالِهَةً مِنَ ٱلأَرْضِ هُرَيُنِهُ رُونَ ۞ لَوْكَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةً إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَنَّا فَسُبَّحَزَا لَقُورَيَّا لَعَنْ إِ عَمَّا يَصِغُونَ ۞ لَا يُمْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسَتَلُونَ ۞ أَمِر ٱتَّخَذُوا مِن دُونِيةِ ءَالِهَةٌ قُلْ هَاتُوا بُرُهَانَكُرُ هَاذَا ذِكُرُ مِن مَّين وَذَكْرُ مَن بَيْلًا يَلْ أَكْ مُرْفُرُلًا يَعْلَمُونَ ٱلْكُنَّ فَاهُر مُعْرِضُونَ ۞ a sala medical

﴿ ٥ - ٢ ﴾ ﴿ بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون \* ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون ﴾ يذكر تعالى ائتفاك المكذبين بمحمد على المفهوه (٢٠) ، وقالوا فيه الأقاويل الباطلة المختلفة ، فتارة يقولون : ﴿ أضغاث أحلام ﴾ بمنزلة كلام النائم الهاذي الذي لا يحس بما يقول، وتارة يقولون : ﴿ افتراه ﴾ واختلقه وتقوًله من عند نفسه ، وتارة يقولون : إنه شاعر

وما جاء به شعر .

وكل من له أدنى معرفة بالواقع، من حالة الرسول، ونظر في هذا الذي جاء به، جزم جزماً لا يقبل الشك، أنه أجل الكلام وأعلاه، وأنه من عند الله، وأن أحداً من البشر لا يقدر على الإتيان بمثل بعضه، كما تحدى الله أعداءه بذلك، ليعارضوا مع توفر يقدروا على شيء من معارضته، وهم يقدروا على شيء من معارضته، وهم وأقص مضاجعهم وبلبل يقوم له ألسنتهم إلا الحق الذي لا يقوم له شيء، وإنما يقولون هذه الأقوال فيه شيء، وإنما يقولون هذه الأقوال فيه شيء، وإنما يقولون هذه الأقوال فيه حيث لم يؤمنوا به \_ تنفيراً عنه لمن لم

٩ - ٩ ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا

أبداً .

رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون \* وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوأ خالدين \* ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين، هذا جواب لشبه المكذبين للرسول القائلين: هلا كان مَلَكاً، لا يحتاج إلى طعام وشراب، وتصرُّف في الأسواق، وهلاً كان خالداً؟ فإذا لم يكن كذلك، دل على أنه ليس برسول. أ وهذه الشبه ما زالت في قلوب المكذبين للرسل، تشابهوا في الكفر، فتشابهت أقوالهم، فأجاب تعالى عن هذه الشبه لهؤلاء المكذبين للرسول، المقرين بإثبات الرسل قبله \_ ولو لم يكن إلا إبراهيم عليه السلام، الذي قد أقر بنبوته جميع الطوائف، والمشركون يزعمون أنهم على دينه وملته \_بأن الرسل قبل محمد ﷺ ، كلهم من البشر، الذين يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، وتطرأ عليهم العوارض البشرية، من الموت وغيره، وأن الله أرسلهم إلى قومهم وأممهم، فصدقهم من صدقهم، وكذبهم من كذبهم، وأن الله صدقهم ما وعدهم به من النجاة والسعادة لهم ولأتباعهم، وأهلك المسرفين المكذبين لهم. فما بال محمد ﷺ ، تقام الشبه

الباطلة على إنكار رسالته، وهي موجودة في إخوانه المرسلين، الذين ليقرُ بهم المكذبون لمحمد؟ فهذا إلزام لهم في غاية الوضوح، وأنهم إن أقروا برسول من البشر، ولن يقروا برسول من غير البشر، إن شبههم باطلة، قد أبطلوها هم بإقرارهم بفسادها، وتناقضهم بها، فلو قدر انتقالهم من هذا إلى إنكار نبوة البشر رأسا، وأنه لا يأكل الطعام، فقد أجاب [الله] تعالى عن هذه الشبهة بقوله: ﴿وقالوا لولا عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضى

CONTROL NO CONTROL OF THE PROPERTY OF THE PROP وَمَّا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن زَسُولِ إِلَّا نُوحِيٓ إِلِّيُوأَنَّهُ لِآلِكَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۞ وَقَالُوا أَغْنَدُ الرَّفَنْ وَلَدَّاسُبُحَنَهُ بَلْعِبَادُّمُ كُونِكُ ۞ لَايتَ بِقُونَهُ وَالْقَوْلِ وَهُر بأمريدية مَلُونَ ۞ يَعْلَرُمُانِينَ أَيْدِيهِمْ وَمَاخَلْفَحُرُ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ أَرْتَضَىٰ وَهُ مِنَّ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ٠ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمُ إِذْ ٢ إِلَّهُ مِّن دُونِيهِ مَذَالِكَ بَحَة زِيهِ جَهَنَّةُ كَدَّالِكَ نَجْيَى الظَّلِيدِينَ ۞ أَوَلَزَيْرَ الَّذِينَ كَثَرُواً أَنَّ السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ كَانْتَارَتْهَا فَفَتَقْنَا لُمَّا وَجَعَلْنَامِنَ ٱلْمَاءَ كُلَّ مَنَى عَيِّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَيْنِ رَوَّسِيَ أَن يَّيدَبِهِ مُ وَجَعَكْنَافِيهَا فِجَسَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمُ يَهْ تَدُونَ ۞ وَجَعَلْنَا ٱلسَّيَّأَةُ سَقَفَا تَحْتَفُوظَا وَهُمْ عَنَّ ءَايَنِهَا مُعْمِثُونَ ۞ وَهُوَالَّذِي خَلَقَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَٱلْقَنْرِّكُ لَّ فِي فَلَكِي يَسْبَحُونَ ۞ وَمَاجَعَكُنَا لِيَشْكِرِينَ قَتِلِكَ ٱلْكُلَّدُ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ ٱلْخَلِدُونَ ۞ كُلُّ مَفْسِ ذَآبِقَةً الْمُوْتُ وَيَبْلُوكُم إِللَّهُ وَأَتْحَيْرِ فِينَاتُهُ وَالَّيْدَاتُرْجَعُونَ ۞

يعرفه، وهو أكبر الآيات المستمرة، الدالة على صحة ما جاء به الرسول على وصدقه، وهو كاف شاف، فمن طلب دليلاً غيره، أو اقترح آية من الآيات سواه، فهو جاهل ظالم مشبه لهؤلاء المعاندين الذين كذبوه وطلبوا من آيات الاقتراح ما هو أضر شيء عليهم، وليس لهم فيها مصلحة، لأنهم إن كان(١) قصدهم معرفة الحق إذا تبين دليله، فقد تبين دليله بدونها، وإن كان قصدهم التعجيز وإقامة العذر لأنفسهم، إن لم يأت بما طلبوا فإنهم بهذه الحالة \_على فرض إتيان ما طلبواً من الآيات ـ لا يؤمنون قطعاً، فلو جاءتهم كل آية، لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم.

TOREGOT THE REAL PROPERTY

ولهذا قال الله عنهم: ﴿ فليأتنا بآية كسما أرسل الأولون﴾ أي: كناقة صالح، وعصا موسى، ونحو ذلك، قال الله: ﴿ ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها﴾ أي: بهذه الآيات المقترحة، وإنما سنته تقتضي أن من طلبها، ثم حصلت له، فلم يؤمن أن يعاجله بالعقوبة. فالأولون ما آمنوا بها، أفيؤمن هؤلاء بها؟ ما الذي فنهم، يقتضي أولنك، وما الخير الذي فبهم، يقتضي الإيمان عند وجودها؟ وهذا الاستفهام بمعنى النفى، أي: لا يكون ذلك منهم بمعنى النفى، أي: لا يكون ذلك منهم بمعنى النفى، أي: لا يكون ذلك منهم

الأمر ثم لا ينظرون \* ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون .

وأن البشر لا طاقة لهم بتلقي الوحي من الملائكة ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً ﴾ فإن حصل معكم شك وعدم علم بحالة الرسل المتقدمين ﴿فاسألوا أهل الذكر ﴾ من الكتب السالفة ، كأهل التوراة والإنجيل ، يخبرونكم بما عندهم من العلم ، وأنهم كلهم بشر من جنس المسل إليهم .

وهذه الآية وإن كان سببها خاصاً بالسؤال عن حالة الرسل المتقدمين لأهل الذكر (٢٠)، وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها، أن يسأل من يعلمها، ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم، إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما

وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم، نهي عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهي له أن يتصدى لذلك، وفي هذه الآية دليل على أن النساء ليس منهن نبية، لا مريم ولا غيرها، لقوله ﴿إلا رجالا﴾.

السبيل، فلما لم تسلكوه، وسلكتم غيره من الطرق، التي فيها ضَعَتُكُم وخِشتُكُم في الدنيا والأخرة وشقاوتكم فيهما، علم أنه ليس لكم معقول صحيح، ولا رأي: رجيع.

وهذه الآية، مصداقها ما وقع، فإن المؤمنين بالرسول، الذين تذكروا بالقرآن، من الصحابة فمن بعدهم، والصيت العظيم، والشرف على الملوك، ما هو أمر معلوم لكل أحد، كما أنه معلوم ما حصل، لمن لم يرفع بهذا القرآن رأسا، ولم يهتد به ويتزك به، من المقت والضعة والتدسية، والشقاوة، فلا سبيل إلى سعادة الدنيا والآخرة إلا بالتذكر بهذا الكتاب.

﴿١١ \_ ١٥﴾ ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين \* فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون \* لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون \* قالوايا ويلنا إناكنا ظالمين \* فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين، يقول تعالى \_ عُذْراً لهؤلاء الظالمين، المكذبين للرسول، بما فعل بالأمم المكذبة لغيره من الرسل \_ ﴿وكم قصمنا ﴾ أي: أهلكنا بعذاب مستأصل ﴿من قرية﴾ تلفت عن آخرها ﴿وأنشأنا بعدها قوماً آخىريىن، وأن هىؤلاء المهلكين، لما أحسوا بعذاب الله وعقابه، وباشرهم نزوله، لم يمكن لهم الرجوع، ولا طريق لهم إلى النزوع، وإنما ضربوا الأرض بأرجلهم، ندّماً وقلقاً، وتحسراً على ما فعلوا وهروباً من وقوعه، فقيل لهم على وجه التهكم بهم: ﴿لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم به ومساكنكم لعلكم تسألون اي: لا يفيدكم الركض والندم، ولكن إن كان لكم اقتدار، فارجعوا إلى ما أترفتم فيه، من اللذات والمستهيات، ومساكنكم المزخرفات، ودنياكم التي غرتكم وألهتكم، حتى جاءكم أمر الله، فكونوا فيها متمكنين، وللذاتها جانين، وفي منازلكم مطمئنين

معظمين، لعلكم أن تكونوا مقصودين في أموركم كما كنتم سابقاً، مسؤولين من مطالب الدنيا كحالتكم الأولى، وهيهات، أين الوصول إلى هذا؟ وقد فات الوقت، وحل بهم العقاب والمقت، وذهب عنهم عزهم وشرفهم ودنياهم، وحضرهم ندمهم

ولهذا ﴿قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين \* فما زالت تلك دعواهم ﴾ أي: الدعاء بالويل والثبور والندم، والإقرار على أنفسهم بالظلم، وأن الله عادل فيما أحل بهم، ﴿حتى جعلناهم حصيداً خامدين ﴾ أي: بمنزلة النبات الذي قد حصد وأنيم، قد خمدت منهم الحركات، وسكنت منهم الأصوات، فاحذروا \_أيما المخاطبون \_أن تستمروا على تكذيب أشرف الرسل، فيحل بكم كما حل بأولئك.

(17 - 17) ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين \* لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين \* يجبر تعالى أنه ما خلق السماوات والأرض عبثاً ولا لعباً من غير فائدة، بل خلقها بالحق وللحق، ليستدل بها العباد على أنه الخالق العظيم، المدبر الحكيم، الرحن كله، والحمد الرحيم، الذي له الكمال كله، والحمد كله، والعزة كلها، الصادق في قيله، الصادقة رسله فيما تخبر عنه، وأن القادر على خلقهما مع سعتهما وعظمهما، قادر على إعادة الأجساد بعد مونها، ليجازي المحسن بإحسانه، والسيء بإساءته.

﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً ﴾ على الفرض والتقدير المحال ﴿لاتخذناه من لدنا ﴾ أي: من عندنا ﴿إن كنا فاعلين ﴾ ولم نظلعكم على ما فيه عبث ولهو، لأن ذلك نقص ومثل سوء، لا نحب أن نريه إياكم، فالسماوات والأرض اللذان بمرأى منكم على الدوام، لا يمكن أن يكون القصد منهما العبث واللهو، كل هذا تَنَزُلُ مع العقول الصغيرة وإقناعها بجميع الوجوه المقنعة، فسبحان الحليم الرحيم،

الحكيم في تنزيله الأشياء منازلها.

﴿١٨ ــ ٢٠﴾ ﴿بِل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تنصفون \* وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون \* يسبحون الليل والنهار لا يفترون المخبر تعالى، أنه تكفل بإحقاق الحق وإبطال الباطل، وإن كل باطل قيل وجودل به، فإن الله ينزل من الحق والعلم والبيان، ما يدمغه فيضمحل، ويتبين لكل أحد بطلانه ﴿ فَإِذَا هُو زَاهِ قُ ﴾ أي: مضمحل فانٍ ، وهذا عام في جميع المسائل الدينية، لا يورد مبطل شبهة عقلية ولا نقلية ، في إحقاق باطل، أو ردحق، إلا وفي أدلة الله، من القواطع العقلية والنقلية. ما يُذْهِبُ ذلك القولَ الباطل ويقمعه، فإذا هو متبين بطلانه لكل أحد.

وهذا يتبين باستقراء المسائل، مسألة ، فإنك تجدها كذلك ثم قال: 
ولكم أيها الواصفون الله، بما لا يليق به، من اتخاذ الولد والصاحبة، ومن الأنداد والشركاء، حظكم من ذلك، ونصيبكم الذي تدركون 
والويل والندامة والخسران.

ليس لكم مما قلتم فائدة، ولا يرجع عليكم بعائدة تؤملونها، وتعملون لأجلها، وتسعون في الوصول إليها، إلا عكس مقصودكم، وهو الخيبة والحرمان، ثم أخبر أنه له ملك السماوات والأرض وما بينهما، فالكل عبيده ومماليكه، فليس لأحد منهم ملك ولا قسط من الملك، ولا معاونة عليه، ولا يشفع إلا بإذن الله، فكيف يتخذ من هؤلاء آلهة، وكيف يجعل لله منها ولد؟! فتعالى وتقدس المالك العظيم، الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الصعاب، وخشعت له الملائكة المقربون، وأذعنوا له بالعبادة الدائمة المستمرة أجمعون، ولهذا قال: ﴿ ومن عنده ﴾ أي: من الملائكة ﴿ لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، أى: لا يملون ولا يسأمونها، لشدة رغبتهم، وكمال محبتهم، وقوة

أبدانهم. ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ أي: مستغرقين في العبادة والتسبيح في جميع أوقاتهم، فليس في أوقاتهم وقتُ فارغ منها ولا خال منها، وهم على كثرتهم بهذه الصفة، وفي هذا من بيان عظمته وجلالة سلطانه وكمال علمه وحكمته، ما يوجب أن لا يعبد إلا هو، ولا تُصرَف العبادة لغيره.

﴿٢١ ـ ٢٠﴾ ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون \* لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون \* لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون \* أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معمى وذكر من قبلي بل أكشرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون \* وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون لل بين تعالى كمال اقتداره وعظمته، وخضوع كل شيء له، أنكر على المشركين الذين اتخذوا من دون الله آلهة من الأرض، في غاية العجز وعدم القدرة ﴿هم ينشّرون﴾ استفهام بمعنى النفى ، أي : ُ لا يقدرون على نشرهم وحشرهم، يفسرها قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن دُونُهُ آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون¢ ﴿ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نـشـوراً) ﴿واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون \* لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون، فالمشرك يعبد المخلوق الذي لا ينفع ولا يضر، ويدع الإخلاص لله، الذي له الكمال كله وبيده الأمر والنفع والضر، وهذا من عدم توفيقه، وسوء حظه، وتوَفّر جهله، وشدة ظلمه، فإنه لا يصلح الوجود، إلا على إله واحد، كما أنه لم يوجد إلا برب واحد.

ولهذا قال: ﴿لو كان فيهما﴾ أي: في السماوات والأرض ﴿الَهَة إلا الله لفسدتا﴾ في ذاتهما، وفسد من فيهما، من المخلوقات.

وبيان ذلك: أن العالم العلوي

والسفلي، على ما يرى، في أكمل ما يكون من الصلاح والانتظام، الذي ما فيه خلل ولا عيب، ولا ممانعة ولا معارضة، فدل ذلك على أن مدبره واحد، وإلهه واحد، فلو كان له مدبران وربان أو أكثر من ذلك، لاختل نظامه، وتقوضت أركانه، فإنهما يتمانعان ويتعارضان، وإذا أراد أحدهما تدبير شيء، وأراد الآخر عدمه، فإنه محال وجود مراد أحدهما دون الآخر، يدل

أحدهما تدبير شيء، وأراد الآخر عدمه، فإنه محال وجود مرادهما معاً، ووجود مراد أحدهما دون الآخر، يدل على عجز الآخر وعدم اقتداره، واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور غير ممكن، فإذا يتعين أن القاهر الذي يوجد مراده وحده، من غير ممانع ولا مدافع، هو الله الواحد القهار، ولهذا ذكر الله دليل التمانع في قوله:

﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كَان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ﴾.

ومنه على أحد التأويلين قوله تعالى: ﴿قُلْ لُو كَانَ مِعِهُ ٱلْهُمَّ كُمَّا يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً \* سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ﴾ ولهذا قال هنا: ﴿فسبحان الله الله أي: تنزه وتقدس عن كل نقص لكماله وحده، ﴿رب العرش﴾ الذي هو سقف المخلوقات وأوسعها وأعظمها، فربوبية(١) ما دونه من باب أولى، ﴿عما يصفون﴾ أي: الجاحدون الكافرون، من اتخاذ الولد والصاحبة، وأن يكون له شريك بوجه من الوجوه. ﴿لا يسأل عما يفعل﴾ لعظمته وعزته، وكمال قدرته، لا يقدر أحد أن يمانعه أو يعارضه، لا بقول، ولا بفعل، ولكمال حكمته ووضعه الأشياء مواضعها وإتقانها، أحسن شيء يقدره العقل، فلا يتوجه إليه سؤال، لأن خلقه ليس فيه خلل ولا إخلال.

﴿وهم﴾ أي: المخلوقون كلهم ﴿يسألون﴾ عن أفعالهم وأقوالهم،

لعجزهم وفقرهم، ولكونهم عبيداً، قد استحقت أفعالهم وحركاتهم، فليس لهم من التصرف والتدبير في أنفسهم، ولا في غيرهم مثقال ذرة.

ثم رجع إلى تهجين حال المشركين، وأنهم اتخذوا من دونه آلهة فقل لهم موبخاً ومقرعاً: ﴿أُم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم ﴾ أي: حجتكم ودليلكم على صحة ما ذهبتم إليه، ولن يجدوا لذلك سبيلاً، بل قد قامت الأدلة ذكر من معي وذكر من قبلي ﴾ أي: قد انفقت الكتب والشرائع على صحة ما قلت لكم، من إبطال الشرك، فهذا كتاب الله الذي فيه ذكر كل شيء، بأدلته العقلية والنقلية، وهذه الكتب السابقة كلها، برهان وأدلة لما قلت.

ولما علم أنهم قامت عليهم الحجة والبرهان على بطلان ما ذهبوا إليه علم أنه لا برهان الهم، لأن البرهان القاطع، يجزم أنه لا معارض له، وإلا لم يكن قطعياً، وإن وجد معارضات، فإنها شبه لا تغنى من الحق شيئاً.

وقوله: ﴿بلّ أكثرهم لا يعلمون الحق﴾ أي: وإنما أقاموا على ما هم عليه، تقليداً لأسلافهم يجادلون بغير علم ولا هدى، وليس عدم علمهم الحق لخفائه وغموضه، وإنما ذلك لإعراضهم عنه، وإلا فلو التفتوا إليه أدنى التفات، تبين لهم الحق من الباطل تبيناً واضحاً جلياً، ولهذا قال: ﴿فهم معرضون﴾.

ولما حول تعالى على ذكر المتقدمين، وأمر بالرجوع إليها في بيان هذه المسألة، بينها أتم تبيين في قوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ فكل الرسل، الذين من قبلك مع كتبهم، زبدة رسالتهم وأصلها، الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنه الإله الحق المعبود، وأن عبادة ما سواه باطلة.

﴿٢٦ ــ ٢٩﴾ ﴿قالوا اتخذ الرحمن

ولداً سبحانه بل عباد مكرمون \* لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون \* يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون \* ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين، يخبر تعالى عن سفاهة المشركين المكذبين لسلسرسسول، وأنهسم زعسمسوا ــ قبحهم الله \_ أن الله اتخذُ ولداً فقالوا: الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم، وأخبر عن وصف الملائكة، بأنهم(١) عبيد مربوبون مدبرون، ليس لهم من الأمر شيء، وإنما هم مكرمون عند الله، قد أكرمهم الله، وصيرهم من عبيد كرامته ورحمته، وذلك لما خصهم به من الفضائل والتطهير عن الرذائل، وأنهم في غاية الأدب مع الله، والامتثال لأوامره.

ف ﴿ لا يسبقونه بالقول ﴾ أي: لا يقولون قولاً مما يتعلق بتدبير المملكة، حتى يقول الله، لكمال أدبهم، وعلمهم بكمال حكمته وعلمه.

﴿وهم بأمره يعملون اي: مهما أمرهم، امتثلوا لأمره، ومهما دبرهم عليه، فعلوه، فلا يعصونه طرفة عين، ولا يكون لهم عمل بأهواء أنفسهم من دون أمر الله، ومع هذا، فالله قد أحاط بهم علمه، فعلم ﴿ما بين أيديهم وما خلفهم أي: أمورهم الماضية والمستقبلة، فلا خروج لهم عن علمه، كما لا خروج لهم عن أمره وتدبيره .

ومن جزئيات وصفهم بأنهم لا يسبقونه بالقول، أنهم لا يشفعون لأحد بدون إذنه ورضاه، فإذا أذن لهم وارتضى من يشفعون فيه، شفعوا فيه، ْ ولكنه تعالى لا يرضى من القول والعمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، متبعاً فيه الرسول. وهذه الآية من أدلة إثبات الشفاعة، وأن الملائكة يشفعون.

﴿وهم من خشيته مشفقون، أي: خائفون وَجلُون، قد خضعوا لجلاله،

وعنت وجوههم لعزه وجماله، فلما بين أنه لا حق لهم في الألوهية، ولا يستحقون شيئاً من العبودية بما وصفهم به من الصقات المقتضية لذلك، ذكر أيضاً أنه لا حظ لهم، ولا بمجرد الدعوى، وأن من قال منهم: ﴿إنِّ إِلَّهُ من دون الله ﴾ على سبيل الفرض والتنزل ﴿فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ﴿ وأي: ظلم أعظم من ادعاء المخلوق الناقص، الفقير إلى الله من جميع الوجوه، مشاركة الله في خصائص الإلهية والربوية؟!

﴿٣٠﴾ ﴿أُولُم يَرِ اللَّذِينِ كَفُرُوا أَنْ

السماوات والأرض كانتا رتقأ ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ أي: أو لم ينظر هؤلاء الذين كفروا بربهم، وجحدوا الإخلاص له في العبودية، ما يدلهم دلالة مشاهدة، على أنه الرب المحمود، الكريم المعبود، فيشاهدون السماء والأرض، فيجدونهما رتقاً، هذه ليس فيها سحاب ولا مطر، وهذه هامدة ميتة لا نبات فيها، ففتقناهما: السماء بالمطر، والأرض بالنبات، أليس الذي أوجد في السماء السحاب، بعد أن كان الجو صافياً لا قزعة فيه، وأودع فيه الماء الغزير، ثم ساقه إلى بلد ميت؟ قد اغبرَّت أرجاؤه، وقحط عنه ماؤه، فأمطره فيها، فاهتزت وتحركت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج، مختلف الأنواع، متعدد المنافع، [أليس ذلك](٢) دليلاً على أنه الحق، وما سواه باطل، وأنه محيى الموتى، وأنه الرحمن الرحيم؟ ولهذا قال: ﴿أَفَلَا يَوْمُنُونَ﴾ أي: إيماناً صحيحاً، ما فيه شك ولا

ثم عدد تعالى الأدلة الأفقية فقال: ﴿٣٦ ـ ٣٦﴾ ﴿وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجأ سبلاً لعلهم يهتدون \* وجعلنا السماء سقفأ محفوظأ وهم عن آياتها معرضون \* وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلكِ

اللهِ وَإِذَا رَوَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَتُرُوٓا إِن يَتَخِذُونَكَ إِلَّاهُ زُوا آهَنَا اللَّذِي يَذْكُرُ مُالِمَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّهُلِ هُمْ كَيْفُرُونِ ﴿ خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلِ سَأُوْرِيكُمْ الله المُستَّمْ مِكْوِقِينَ ﴿ لَوْيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُونَ عَن وُجُوهِهِ مُالنَّادَ وَلَاعَن ظُهُورِهِمْ وَلَاهُمَّ يُنْصَرُونَ ۞ بَلْ تَكَأْتِيهِ مِبَغْتَ أَفَنَهُ مُعَرُفَكُو اً يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَاهُمْ يُظَرُونَ ۞ وَلَقَدَاسَتُهُونَ برُيسُل مِن قَبَلِكَ غَاَقَ بِٱلَّذِينُ سَخِدُوامِنْهُمُ مَّاكَانُواُ الله بديشَّة فيهُ وت ﴿ قُلْ مَن يَكَلُّوكُم مِالَّيْنِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّمَانُ بَلْ هُمْ عَن ذِكْ رِزِّهِ وَمُعْدِيضُونَ ۞ الْمَرْكَمُةُ ءَالِمَاتُهُ مَّنَاعُهُم مِنْ دُونِكُ لَابِسَتَطِيعُوكَ نَصَّرَ ﴾ أَنفُسِهِمْ وَلَاهُم بِنَايُصْحَبُونَ ۞ بَلْ مَتَّفَا هَلَوْلَاهِ وَءَاكَآءَ مُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِ مُ ٱلْمُمْرُ أَفَلَا يَرَوْكَ أَنَّا مَأْنِ الأرْضَ تَنْقُصُهَا مِنْ أَمْلَ إِنْهِمَا أَفَهُمُ ٱلْفَكِيرُونَ ۞ DECEMBENT TO LEGISLES

يسبحون،

أي: ومن الأدلة على قدرته وكماله ووحدانيته ورحمته، أنه لما كانت الأرض لا تستقر إلا بالجبال، أرساها ما وأوتدها، لئلا تميد بالعباد، أي: لئلا تضطرب، فلا يتمكن العباد من السكون فيها، ولاحرثها، ولا الاستقرار بها، فأرساها بالجبال، فحصل بسبب ذلك من المصالح والمنافع ما حصل، ولما كانت الجبال المتصل بعضها ببعض، قد تتصل اتصالاً كثيراً جداً، فلو بقيت بحالها جبالاً شامخات، وقُلُلاً باذخات، لتعطل الاتصال بين كثير من البلدان.

فمن حكمة الله ورحمته، أن جعل بين تلك الجبال فجاجاً سبلاً، أي: طرقاً سهلة لا حَزِنَةً ، لعلهم يهتدون إلى الوصول إلى مطالبهم من البلدان، ولعلهم يهتدون بالاستدلال بذلك على وحدانية المنان.

﴿وجعلنا السماء سقفاً ﴾ للأرض التي أنتم عليها ﴿محفوظاً﴾ من السقوط ﴿إِنَّ اللهُ يمسك السماوات والأرض أن تزولاً، محفوظاً أيضاً من استراق الشياطين للسمع.

﴿ وهم عن آياتها معرضون ﴾ أي: غافلون لاهون، وهذا عام في جميع آيات السماء، من علوها، وسعتها،

100mm / 100mm قُلْ إِنَّمَا أَنْذِرُكُم بِالْوَحِي وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَلَة إِذَامَا يُسْذَرُونَ ۞ وَأَمِن مَّسَلَمُهُ زَفَعْكُمُ أَمِنْ عَذَابٍ رَبِكَ لَيَقُولَ يَوَيَلُنَا إِنَّاكُنَّا ظَلِمِينَ ۞ وَنَضَعُ ٱلْوَرَيْنَ ٱلْقِسْطَ لِوَوِ ٱلْقِيلَمَةِ فَلَا نُظْلَرُهُمْ شَيْتًا وَإِن كَانَ مِثْقَ الْ حَبَيْةِ مِنْ خَرْدُلِ أَيْلَنَابِهَأُ وَكَفَلْ بِنَا حَسِبِنَ ﴿ وَلَقَدْ النَّيْنَامُومَىٰ وَهَلَرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيكَاءُ وَذِكْرًا لِلْمُنْقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُ رِبَّالْعَيْبِ وَهُرِينَ ٱلسَّلَعَةِ مُشْفِقُونَ ۞ وَهَاذَا وَحَدَّرُمُ اللَّهِ أَنْزَلْنَهُ أَقَالْتُرَالَةُ مُنكِرُونَ ۞ • وَلَقَدْ مَالَيَّانَ ٓ إِبْرَهِيكَرُرُهُ كَمُونِ قَبَلُ وَكُنَّا بِدِعَالِمِينَ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاهَاذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّيِّيَ أَنْتُرَهَا عَكِهُونَ ۞ قَالُواْ وَجَدْنَا ٓ عَابَاءَ نَالْمَا عَلَيدِينَ ۞ قَالَ لَقَذَكُتُ مُ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ فِي صَلَالٍ مُبِيرٍ ۞ قَالُواْ أَحِنْنَا بِٱلْمَقِ أَمْأَتَ مِنَ اللَّهِينَ ۞ قَالَ بَلْ زَفْكُمْ رَبُّ ٱلسَّكَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَاعَلَ ذَلِكُم مِنَّ الشَّهْدِينَ ۞ وَتَأْتُعُ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَكُمُ مِعْدَأَن تُولُوا مُدْبِينَ ۞ 

وعظمتها، ولونها الحسن، وإتقانها العجيب، وغير ذلك من المشاهد فيها، من الكواكب الثوابت والسيارات، وشمسها وقمرها النيرات، المتولد عنهما الليل والنهار، وكونهما دائماً في فلكهما سابحين، وكذلك النجوم، فتقوم بسبب ذلك منافع العباد من الحر والبرد، والفصول، ويعرفون حساب عباداتهم ومعاملاتهم، ويستريحون في ليلهم، ويهدؤون ويسكنون، وينتشرون في نهارهم، ويسعون في معايشهم، كلُّ هذه الأمور إذا تدبرها اللبيب، وأمعن فيها النظر، جزم جزماً لا شك فيه، أن الله جعلها مؤقتة في وقت معلوم، إلى أجل محتوم، يقضي العباد منها مارجم، وتقوم بها منافعهم، وليستمتعوا وينتفعوا، ثم بعد هذا، ستزول وتضمحل، ويفنيها الذي أوجدها، ويسكنها الذي حركُها، وينتقل المكلفون إلى دار غير هذه الدار، يجدون فيها جزاء أعمالهم، كاملاً موفراً، ويعلم أن القصود من هذه الدار أن تكون مزرعة لدار القرار، وأنها منزل سفر، لا محل إقامة.

﴿٣٤ ـ ٣٥﴾ ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون \* كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشرّ

والخير فتنة وإلينا ترجعون لل كان أعداء الرسول يقولون (١) تربصوا به ريب المنون. قال الله تعالى: هذا طريق مسلوك، ومعبد منهوك، فلم نجعل لبشر (من قبلك) يا محمد (الخلد) في الدنيا، فإذا مت، فسبيل أمثالك، من السرسل والأنبياء والأولياء،

﴿ أَفَإِنْ مِتِ فَهِمِ الْخَالِدُونِ ﴾ أي: فهل إذا مت خُلُدُوا بعدك، فلْيَهْنهمُ الخسلسود إذاً إن كسان، وليس الأمسر كذلك، بل كل من عليها فان، ولهذا قال: ﴿كُلُّ نَفْسُ ذَائِقَةُ المُوتُ ﴿ وَهَذَا يشمل سائر نفوس الخلائق، وإن هذا كأس لا بد من شربه وإن طال بالعبد المدى، وعمر سنين، ولكن الله تعالى أوجد عباده في الدنيا، وأمرهم ونهاهم، وابتلاهم بالخير والشر، بالغنى والفقر، والعز والذل، والحياة والموت، فتنة منه تعالى ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، ومن يفتتن عند مواقع الفتن ومن ينجو، ﴿وإلينا ترجعون﴾ فنجازيكم بأعمالكم، إن خيراً فخير، وإن شيراً فيشير ﴿ومنا دبيك بسطيلام للعبيد، وهذه الآية، تدل على بطلان قول من يقول ببقاء الخضر، وأنه مخلد في الدنيا، فهو قول لا دليل عليه، ومناقض للأدلة الشرعية.

﴿٣٦ - ٤٤ ﴿ ﴿ وَإِذَا رَآكُ السَّدِينَ كَفُرُوا إِن يَتَخَذُونَكُ إِلاَ هَرُوا أَهْذَا الذِي يَذَكُر المَّهِمَ هِم يَذَكُر المِرْحَن هِم كَافُرُون \* خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون \* صادقين \* لو يعلم الذين كفروا حين صادقين \* لو يعلم الذين كفروا حين ظهورهم ولا هم ينصرون \* بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون \* وهذا من شدة كانوا به يستهزؤون \* وهذا من شدة كيفره م ، فإن المشركين إذا رأوا

رسول الله على السنه زووابه، وقالوا: ﴿أُهِذَا الذي يذكر الهتكم﴾ أي: أهذا المحتقر بزعمهم، الذي يسب الهتكم ويذمها ويقع فيها، أي: فلا تبالوابه، ولا تحتفلوابه.

هذا استهزاؤهم واحتقارهم له، بما هو من كماله، فإنه الأكمل الأفضل، الذي من فضائله ومكارمه، إخلاص العبادة لله، وذم كل ما يعبد من دونه وتنقصه، وذكر محله ومكانته، ولكن محمل الازدراء والاستمهزاء همؤلاء الكفار، الذين جمعوا كل خلق ذميم، ولولم يكن إلا كفرهم بالرب وجحدهم لرسله، فصاروا بذلك من أخس الخلق وأرذلهم، ومع هذا، فذكرهم للرحمن، الذي هو أعلى حالاتهم، كافرون بها، لأنه لا يذكرونه، ولا يؤمنون به إلا وهم مشركون، فذكرهم كفر وشرك، فكيف بأحوالهم بعد ذلك؟ ولهذا قال: ﴿وهم بذكر الرحمن هم كافرون﴾ وفي ذكر اسمه ﴿الرحمن ﴾ هنا، بيان لقباحة حالهم، وأنهم كيف قابلوا الرحمن \_مسدي النعم كلها، ودافع النقم الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع السوء إلا إياه - بالكفر والشرك.

﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ أي: خلق عجولاً، يسادر الأشياء، ويستعجل بوقوعها، فالمؤمنون يستعجلون عقوبة الله للكافرين، ويتباطؤونها، والكافرون يتولون<sup>(٢)</sup> ويستعجلون بالعذاب، تكذيباً وعناداً، ويقولون: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين، والله تعالى يمهل ولا يهمل، ويحلم، ويجعل لهم أجلاً مؤقتاً ﴿إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ ولهذا قال: ﴿سأريكم آيات، أي: في انتقامي ممن كفر بي وعصاني ﴿فلا تستعجلون ﴾ ذلك، وكذلك الذين كفروا يقولون: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴿ قالوا هذا القول، اغتراراً، ولما يحق عليهم

<sup>(</sup>١) في النسختين: يقولون قل تربصوا.

<sup>(</sup>٢) في أ الكلمة أقرب إلى أن تكون يقولون وفي ب غير واضحة وكلمة (يتولون) أقرب مناسبة للسياق.

91

العقاب، وينزل بهم العذاب.

ف ﴿ لو يعلم الذين كفروا ﴾ حالهم الشنيعة حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم، إذ قد أحاط بهم من كل جانب، وغشيهم من كل مكان ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ أي: لا ينصرهم غيرهم، فلا نصروا ولا انتصروا، ﴿ بل تأتيهم ﴾ النار ﴿ بغتة فتبهتهم هن الانزعاج والذعر والخوف العظيم، ﴿ فلا يستطيعون ردها ﴾ إذ هم أذل وأضعف من ذلك.

ولا هم ينظرون أي: يمهلون، فيؤخر عنهم العذاب، فلو علموا هذه المحالة حق المعرفة، لما استعجلوا بالعذاب، ولخافوه أشد الخوف، ولكن لما ترحل عنهم هذا العلم، قالوا ما يقالوا، ولما ذكر استهزاءهم برسوله بقولهم: ﴿ أهذا الذي يذكر الهتكم سلاه بأن هذا دأب الامم السالفة مع برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا يستهزؤون أي: نزل بهم ﴿ ما كانوا به وتقطعت عنهم الأسباب، فليحذر هؤلاء، أن يصيبهم ما أصاب أولئك المكذبين.

﴿٤٤ ــ ٤٤﴾ ﴿قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون \* أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون \* بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون، يقول تعالى \_ ذاكراً عجز هؤلاء، الذين اتخذوا من دونه آلهة، وأنهم محتاجون مضطرون إلى ربهم الرحمن، الذي رحمته، شملت البرَّ والفاجر، في ليلهم ونهارهم فقال: ﴿قُلُّ مِنْ يكلؤكم أي: يحرسكم ويحفظكم ﴿بالليل﴾ إذ كنتم نائمين على فرشكم، وذهبت حواسكم ﴿وبالنهار ﴾ وقت انتشاركم وغفلتكم ﴿من الرحمن ﴾ أي: بدله غيره، أي: هل يحفظكم أحد غيره؟ لا حافظ إلا هو.

﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ فلهذا أشركوا به، وإلا فلو أقبلوا على ذكر ربهم، وتلقوا نصائحه، لهدوا لرشدهم، ووُفَقُوا في أمرهم.

﴿أَم لَهُم آلَهَة تَمْنَعَهُم مِن دُونَنا﴾ أي: إذا أردناهم بسوء، هل من آلهتهم من يقدر على منعهم من ذلك السوء، والشر النازل بهم؟؟

﴿لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون﴾ أي: لا يعانون على أمورهم من جهتنا، وإذا لم يعانوا من الله، فهم مخذولون في أمورهم، لا يستطيعون جلب منفعة، ولا دفع مضرة، والذي أوجب لهم استمرارهم على كفرهم، وشركهم قوله: ﴿بلَّ متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر ﴾ أي: أمددناهم بالأموال والبنين، وأطلنا أعمارهم، فاشتغلوا بالتمتع بها، ولهَوا بها عما له خلقوا، وطال عليهم الأمد، فقست قلوبهم، وعسا طغيانهم، وتغلظ كفرانهم، فلو ألفتوا أنظارهم إلى مَنْ عن يمينهم وعن يسسارهم من الأرض، لم يجدوا إلا هالكأ، ولم يسمعوا إلا صوت ناعية، ولم يحسوا إلا بقرون متتابعة على الهلاك، وقد نصب الموت في كل طريق لاقتناص النفوس الأشراك، ولهذا قال: ﴿ أَفَلَا يُرُونَ أَنَا نَأْتِي الأَرْضُ ننقصها من أطرافها، أي: بموت أهلها وفنائهم، شيئاً فشيئاً، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، فلو رأوا هذه الحالة لم يغتروا ويستمروا على ما هم عليه .

وأنهم الغالبون الذين بوسعهم الخروج عن قدر الله؟ وبطاقتهم الامتناع عن المرت؟ فهل هذا وصفهم حتى يغتروا بطول البقاء؟ أم إذا جاءهم رسول ربهم لقبض أرواحهم أذعنوا وذلوا، ولم يظهر منهم أدنى عمانعة؟

(53 - 53) ﴿قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصمّ الدعاء إذا ما يُنذرون \* ولئن مستهم نفحة من عذاب ربّك ليقولنّ يا ويلنا إنّا كنا ظلين أي: ﴿قل ﴾ يا محمد للناس كلهم: ﴿إنما أنذركم بالوحي ﴾ أي: إنما أنا رسول، لا أتيكم بشيء من عندي، ولا عندي خزائن الله، ولا

ِ فِعَلَهُ مُهَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لِمُتَعِلَّاتُهُمُ النِّهِ يَرْجِعُونَ ۞ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَـكَذَابِعَالِمُنِكَ آلِنَّهُ لِمَنَ الظَّالِيدِي ﴿ قَالُواْ سَمِعْنَافَقَ يَذْكُرُهُرُيْقَالُ لَهُ وَإِبْرَهِيرُ۞ قَالُواْفَأْتُواْ بِهِ عَلَىٓ أَعْيُنِ ٱلْكَ إِس لَعَلَّهُ مُرِيشَهَدُونَ ۞ قَالْوَأَءَ أَنَ فَعَلْتَ هَاذَابِ عَالِمُتِنَا يَكَإِبْرُهِ يِمُنْ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَيْمُ هَذَا فَتَنَالُوهُمْ إِن كَانُواْ يَطِعُونَ ۞ فَرَجَعُواْ إِلَّا أَهْشِيهِ مْ فَقَالُواْ إِنَّكُمْ أَنَّهُ ٱلظَّالِمُونَ ۞ ثُرَّنُكِسُواْ عَلَىٰرُهُ وسِيمِرُ لَقَدْ عَلِمْتَ مَاهَزُوُلَآءٌ يِنْطِعُونَ ۞ قَالَ أَفَكُعُ بُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَآيِنَفَعُ كُمْ شَيْعًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۞ أَفِ لَكُمْ وَلِمَاتَعَبُدُوكَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَغَقِلُونَ ۞ قَالُواْحَرَقُوهُ وَانصُرُوٓا ءَالِمُتَكَّرُ إِن كُنُتُمُ فَعِلِينَ ۞ قُلْنَا يُنَارُكُونِ بَرْدًا وَسَلَمًا عَلَى إِبْرُهِ يرَ ۞ وَأَرَادُوا بِدِ كَيْمَا فِعَلَنَاهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۞ وَنَجَيَّنَكَهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلِّتِي بَنَرَكْ نَافِيهَا لِلْعَلَمِينَ ۞ وَوَهَبْنَا مُّ لَهُ رَاسَحَقَ وَيَعَقُوبَ نَافِلَةً وَكُلَّا جَعَلْنَا صَلِيعِينَ ۞ ON THE REAL OF THE PROPERTY OF

أعلم الغيب، ولا أقول إني ملك، وإنما أنذركم بما أوحاه الله لي، فإن استجبتم، فقد استجبتم لله، وسيثيبكم على ذلك، وإن أعرضتم وعارضتم، فليس بيدي من الأمر شيء، وإنما الأمر لله، والتقدير كله لله.

﴿ولا يسمع الصم الدعاء﴾ أي: الأصم لا يسمع صوتاً، لأن سمعه قد فسد وتعطل، وشرط السماع مع الصوت، أن يوجد عل قابل لذلك، كذلك الوحي سبب لحياة القلوب والأرواح، وللفقه عن الله، ولكن إذا كان القلب غير قابل لسماع الهدى، كان بالنسبة لل للهدى والإيمان بمنزلة الأصم بالنسبة إلى الأصوات، فهؤلاء المشركون، صم عن الهدى، فلا يستغرب عدم اهتدائهم، خصوصاً في هذه الحالة التي لم يأتهم العذاب، ولا مشهم أله

فلو مسهم ﴿نفحة من عذاب ربك ﴾ أي: ولو جزء يسيراً ولا يسير من عذابه، ﴿ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين ﴾ أي: لم يكن قولهم إلا الدعاء بالويل والثبور والندم، والاعتراف بظلمهم وكفرهم واستحقاقهم للعذاب.

﴿٤٧﴾ ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ يخبر تعالى عن حكمه العدل، وقضائه القسط بين عباده إذا جعهم في يوم القيامة، وأنه يضع لهم الموازين العادلة، التي يبين فيها مثاقيل الـذر، الـذي تـوزن بهـا الحسنات

TENER DESCRIPTION وَحَعَلْنَاهُمْ أَمِمَةُ يَهْدُونَ بِأَمْنَا وَأَوْحَنَا الْقَمْ فَعَا ٱلْحَنَانَ وَإِقَامَ الصَّلَوْةِ وَاسْتَاءَ الرَّكَوْةُ وَكِانُوا لَنَاعَلَىدِنَ @وَلُوطًا مَالِّنَكُهُ حُكِمًا وَعِلْمًا وَغِلْنَا وَغِنْكَ مِنَ ٱلْقَرْبَةِ ٱلَّهَ كَانَت تَعْمَلُ ٱلْخَلِّيثُ إِنَّهُمْ كَانُواْ فَوْمَ سَوْمِ فَلِيقِينَ۞ وَأَنْخَلْنَهُ فِي رَخْيَتَنَأَّ إِنَّهُ مِنَ الصَّالِعِيرِ بَ @ وَنُوسًا إِذْ نَادَىٰ مِن قِتْلُ فَأَسْتَجَنَّا لَهُ فَيَحَتَنَاهُ وَأَهَادُ مِنَ ٱلْكَوْرِ ٱلْعَظِيرِ ۞ وَنَصَرَّنَاهُ مِنَ ٱلْقَوْرِ ٱلَّذِينَ كَنْبُواْ عَالِيْتِنَّ إِنَّهُمْ كَانُواْ فَوْمَ سَوْءٍ فَأَغَى قَنْهُو أَجْمَعِينَ ۞ وَدَاوُرة وَسُلِّنَكُنَّ إِذْ يُعَكُّمَانِ فِي أنحرث إذ نَفَشَتْ فِيهِ عَنَمُ ٱلْقَرْمِ وَكُنَّا لِمُكْمِهِمْ شَلْهِدِينَ ٥ فَفَهُمْنَهُ سُلِيَمَنَ وَكُلُّا وَاللَّهُ المُّنَا مُكُمَّا وَعِلْما وَمَغَنَّا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرُ وَكُنَّا فَلِعِلِيرِ ﴾ وَعَلَّنْكَهُ صَنْعَةً لَوُمِن لَكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُ مُسْكِحُهُنَّ ۞ وَلِسُكَيْمَنَ ٱلرِّيحَ عَاصِمَةً تَحْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَلْرَكَنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءِ عَلِيمِينَ ۞ TONOSON "IN EQUACO"

والسيئات، ﴿فلا تظلم نفس﴾ مسلمة أو كافرة ﴿شيئاً﴾ بأن تنقص من حسناتها، أو يزاد في سيئاتها.

﴿وإن كان مثقال حبة من خردل﴾ التي أصغر الأشياء وأحقرها، من خير أو شر ﴿أتينا بها﴾ وأحضرناها، ليجازى بها صاحبها، كقوله: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره \* ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾.

وقالوا ﴿يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾.

و كفى بنا حاسبين پعنى بذلك نفسه الكريمة، فكفى به حاسبا، أي: عالماً بأعمال العباد، حافظاً لها، مثبتاً لها في الكتاب، عالماً بمقاديرها ومقادير ثوابها وعقابها واستحقاقها، موصلاً للعمال جزاءها.

﴿ ٤٨ - ٥ ﴾ ﴿ ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين \* الذين يخشون ربّم بالغيب وهم من الساعة مشفقون \* وهذا ذكرٌ مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون ﴾ كثيراً ما يجمع تعالى بين هذين الكتابين الجليلين، اللذين لم يطرق العالم أفضل منهما، ولا أعظم ذكراً، ولا أبرك، ولا أعظم هدى وبياناً [وهما التوراة

والقرآن](١)، فأخبر أنه آتي موسى أصلاً، وهارون تبعاً ﴿اللهِ قان﴾ وهو التوراة الفارقة بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وأنها ﴿ضياء﴾ أي: نور بهتدي به المهتدون، ويأتم به السالكون، وتعرف به الأحكام، ويمنز به بين الحلال والحرام، وينير في ظلمة الجهل والبدع والغواية، ﴿وَذِكِ أ للمتقين ﴾ يتذكرون به ما ينفعهم وما يضرهم، ويتذكر به الخير والشر، وخص ﴿ المتقين ﴾ بالذكر، إلأنهم المنتفعون بذلك، علماً وعملاً، ثم فسر المتقين فقال: ﴿الذين يُحشون ربهم بالغيب، أي: يخشونه في حالًا غيبتهم، وعدم مشاهدة الناس لهم، فمع الشاهدة أولى، فيتورعون عما حرم، ويقومون بما ألزم، ﴿وهم من الساعة مشفقون اي: خائفون وجلون، لكمال معرفتهم بربهم، فجمعوا بين الإحسان والخوف، والعطف هنا من باب عطف الصفات المتغايرات، الواردة على شيء واحد وموصوف واحد.

﴿ وهذا ﴾ أي: القرآن ﴿ ذكر مبارك أنزلناه الله فوصفه بوصفين جليلين، كونه ذكراً يتذكر به جميع المطالب، من معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومسن صفات الرسل والأولياء وأحوالهم، ومن أحكام الشرع من العبادات والمعاملات وغيرها، ومن أحكام الجزاء والجنة والنار، فيتذكر به المسائل والدلائل العقلية والنقلية، وسماه ذكراً، لأنه يذكر ما ركزه الله في العقول والفطر، من التصديق بالأخبار الصادقة، والأمر بالحسن عقلاً، والنهي عن القبيح عقلاً، وكونه ﴿مباركاً ﴾ يقتضى كثرة خيراته (٢) ونمائها وزيادتها، ولا شيء أعظم بركة من هذا القرآن، فإن كل خير ونعمة، وزيادة دينية أو دنيوية أو أخروية، فإنها بسببه، وأثر عن العمل به، فإذا كان ذكراً مباركاً، وجب تلقيه بالقبول

والانقياد والتسليم، وشكر الله على هذه المنحة الجليلة، والقيام بها، واستخراج بركته، بتعلم ألفاظه ومعانيه، وأما مقابلته بضد هذه الحالة، من الإعراض عنه، والإضراب عنه صفحاً، وإنكاره، وعدم الإيمان به، فهذا من أعظم الكفر وأشد الجهل والظلم، ولهذا أنكر تعالى على من أنكره، فقال: ﴿أَفَانَتُم له منكرون﴾

﴿٥١ - ٧٣﴾ ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين، إلى آخر هذه القصة، وهو قوله: ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكأة وكانوا لنا عابدين ﴾ لما ذكر تعالى موسى ومحمداً صلى الله عليهما وسلم وكتابيهما، قال: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل ﴾ أي: من قبل إرسال موسى ومحمد ونزول كتابيهما، فأراه الله ملكوت السماوات والأرض، وأعطاه من الرشد، الذي كمل به نفسه، ودعا الناس إليه، ما لم يؤته أحداً من العالمين غير محمد، وأضاف الرشد إليه، لكونه رشداً بحسب حاله وعلو مرتبته، وإلا فكل مؤمن له من الرشد بحسب ما معه من الإيمان. ﴿وكنا به عالمن ﴾ أي: أعطيناه رشده، واختصصناه بالرسالة والخلة، واصبط فيناه في الدنيا والآخرة، لعلمنا أنه أهل لذلك، وكفء له، لزكائه وذكائه، ولهذا ذكر محاجته لقومه، ونهيهم عن الشرك، وتكسير الأصنام، والزامهم بالحجة، فقال: ﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقُومِهِ مَا هَذُهُ التماثيل، التي مثلتموها، نحتُموها بأيديكم، على صور بعض المخلوقات ﴿التي أنتم لها عاكفون﴾ مقيمون على عبادتها، ملازمون لذلك، فما هي؟ وأي: فضيلة ثبتت لها؟ وأين عقولكم التي ذهبت حتى أفنيتم أوقاتكم بعبادتها؟ والحال أنكم مثلتموها، ونحتموها بأيديكم، فهذا من أكبر العجائب، تعبدون ما تنحتون.

**(Y)** 

<sup>(</sup>۱) زیادة من هامش ب.

في النسختين خيره، وغيرتُ الكلمة لتتوافق مع الضمائر التي بعدها.

فأجابوا بغير حجة، جواب العاجز، الذي ليس بيده أدنى شبهة، فقالوا: ﴿وجدنا آباءنا ﴾ كذلك يفعلون، فسلكنا سبيلهم، وتبعناهم على عبادتها، ومن المعلوم أن فعل أحد من الخلق سوى الرسل ليس بحجة، ولا تجوز به القدوة، خصوصاً في أصل الدين، وتوحيد رب العالمين، ولهذا قال لهم إبراهيم مضللاً للجميع: ﴿لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ﴾ أي: ضلال بين واضح، وأي: ضلال أبلغ من ضلالهم في الشرك، وترك التوحيد؟!! أي: فليس ما قلتم، يصلح للتمسك به، وقد اشتركتم وإياهم في الضلال الواضح، البينُ لكل أحد، ﴿قالوا﴾ على وجه الاستغراب لقوله، والاستعظام لما قال، وكيف بادأهم بتسفيههم وتسفيه آبائهم: ﴿ أَجِئتنا بِالحِق أَم أنت من اللاعبين ﴾ أي: هذا القول الذي قلته، والذي جئتنا به، هل هو حق وجد؟ أم كلامك لنا، كلام لاعب مستهزىء، لا يدري ما يقول؟ وهذا الذي أرادوا، وإنما رددوا الكلام بين الأمرين، لأنهم نزلوه منزلة المتقرر المعلوم عندكل أحد، أن الكلام الذي جاء به إبراهيم كلام سفيه لا يعقل ما يقول، فرد عليهم إبراهيم رداً بين به وجه سفههم وقلة عقولهم فقال: ﴿بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين﴾ فجمع لهم بين الدليل العقلي والدليل السمعي.

أما الدليل العقلي، فإنه قد علم كل أحد حتى هولاء الذين جادلهم إبراهيم، أن الله وحده الخالق لجميع المخلوقات، من بني آدم، والملائكة، والجن، والبهائم، والسماوات، المدبر لهن بجميع أنواع التدبير، فيكون كل مخلوق مفطوراً ميع ما عبد من دون الله.

أفيليق عند من له أدنى مسكة من عقل وتمييز، أن يعبد مخلوقاً متصرفاً فيه، لا يملك نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ويدع

عبادة الخالق الرازق المدبر؟
وأما الدليل السمعي، فهو المنقول عن الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإن ما جاؤوا به معصوم، لا يغلط ولا يخبر بغير الحق، ومن أنواع هذا القسم، شهادة أحد من الرسل على ذلك، فلهذا قال إبراهيم: ﴿وأنا على خلام من الشاهدين﴾ وأي: أن الله وحده المعبود وأن عبادة ما سواه باطل ﴿من الشاهدين﴾ وأي: شهادة الرسل؟ خصوصاً أولي العزم منهم، خصوصاً خليل الرحمن.

ولما بين أن أصنامهم ليس لها من التدبير شيء أراد أن يريهم بالفعل عجزها وعدم انتصارها وليكيد كيدأ يحصل به إقرارهم بذلك فلهذا قال: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم أى: أكسرها على وجه الكيد ﴿بعد أن تولُّوا مدبرين اعنها إلى عيد من أعيادهم، فلما تولوا مدبرين، ذهب إليها بخفية ﴿ فَجِعِلْهُمْ جِذَاذًا ﴾ أي: كِسَراً وقِطَعاً، وكانت مجموعة في بيت واحد، فكسرها كلها، ﴿إلا كبيراً لهم ﴾ أي: إلا صنمهم الكبير، فإنه تركه لقصد سيبينه، وتأمل هذا الاحتراز العجيب، فإن كل محقوت عند الله، لا يطلق عليه ألفاظ التعظيم، إلا على وجه إضافته لأصحابه، كما كان النبي على إذا كتب إلى ملوك الأرض المشركين يقول: «إلى عظيم الفرس» «إلى عظيم الروم» ونحو ذلك، ولم يتقبل «إلى العظيم»، وهنا قال تعالى: ﴿إِلَّا كَبِيراً لهم﴾ ولم يقل: «كبيراً من أصنامهم». فهذا ينبغي التنبيه له، والاحتراز من تعظيم ما حقره الله، إلا إذا أضيف إلى من عظمه.

وقوله: ﴿لعلهم إليه يرجعون﴾ أي: ترك إبراهيم تكسير صنمهم هذا لأجل أن يرجعوا إليه، ويستملوا حجته، ويلتفتوا إليها، ولا يعرضوا عنها، ولهذا قال في آخرها: ﴿فرجعوا إلى أنفسهم﴾

فحين رأوا ما حل بأصنامهم من الإهانة والخزي ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لن الظالمن﴾ فرموا إبراهيم

بالظلم الذي هم أولى به حيث كسرها ولم يدروا أن تكسيره لها من أفضل مناقبه ومن عدله وتوحيده، وإنما الظالم من اتخذها آلهة، وقد رأى ما يفعل بها ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم ﴿ أي: يعيبهم ويذمهم، ومن هذا شأنه لا بد أن يكون هو الذي كسرها أو أن بعضهم سمعه يذكر أنه سيكيدها ﴿يقال له إبراهيم الله عققوا أنه إبراهيم ﴿قالوا فأتوا به ﴾ أي: بإبراهيم ﴿على أعين الناس﴾ أي: بمرأى منهم ومسمع ﴿لعلهم يشهدون﴾ أي: يحضرون ما يصنع بمن كسر آلهتهم، وهذا الذي أراد إبراهيم وقصد أن يكون بيان الحق بمشهد من الناس ليشاهدوا الحق وتقوم عليهم الحجة، كما قال موسى حين واعد فرعون: ﴿موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحي، فحين حضر الناس وأحضر إبراهيم قالوا له: ﴿أَنْتُ فَعَلْتُ هَذَا﴾ أى: التكسير ﴿بآلهتنا يا إبراهيم﴾ وهذا استفهام تقرير، أي: فما الَّذي جرأك، وما الذي أوجب لك الإقدام على هذا الأمر؟

فقال إبراهيم والناس شاهدون: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ أي: كسرها غضباً عليها، لما عبدت معه، وأراد أن تكون العبادة منكم لصنمكم الكبير وحده، وهذا الكلام من إبراهيم، القصد منه إلزام الخصم وإقامة الحجة عليه، ولهذا قال: ﴿فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ وأراد الأصنام الكسرة، اسألوها لم كسرت؟ والصنم الذي لم يكسر، اسألوه لأي: شيء كسرها، إن كان عندهم نطق، فسيجيبونكم إلى ذلك، وأنا وأنتم، وكل أحديدري أنها لا تنطق ولا تنصر نفسها عن يريدها بأذي.

﴿ فرجعوا إلى أنفسهم ﴾ أي: ثابت عليهم عقولهم ، ورجعت إليهم أحلامهم ، وعلموا أنهم ضالون في عبادتها ، وأقروا على أنفسهم بالظلم والشرك ، ﴿ فقالوا إنكم أنتم الظالمون ﴾ فحصل بذلك المقصود، ولزمتهم

الحجة بإقرارهم أن ما هم عليه باطل، وأن فعلهم كفر وظلم، ولكن لم يستمروا على هذه الحالة، ولكن لم فنكسوا على رؤوسهم أي: انقلب الأمر عليهم، وانتكست عقولهم، وضلت أحلامهم، فقالوا لإبراهيم: فلقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تهكم بنا وتستهزىء بنا وتأمرنا أن نسألها وأنت تعلم أنها لا تنطق؟

فقال إبراهيم - موبخاً لهم ومعلناً بشركهم على رؤوس الأشهاد، ومبيناً عدم استحقاق آلهتهم للعبادة -: ﴿ أَفْتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ﴾ فلا نفع ولا دفع، ﴿ أَفْ لَكُم ولا تعبدون من دون الله أي: ما أضلكم وأخسر صفقتكم، وما أخسكم، أنتم وما عبدتم من دون الله، إن كنتم تعقلون عرفتم هذه الحال، فلما عدمتم العقل، وارتكبتم الجهل والضلال على بصيرة، صارت البهائم أحسن حالاً منكم.

فحينئذ لما أفحمهم، ولم يبينوا حجة، استعملوا قوتهم في معاقبته، ف فالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين أي: اقتلوه أشنع القتلات، بالإحراق، غضباً لآلهتكم، ونصرة لها. فتعساً لهم تعساً، حيث عبدوا من أقروا أنه يحتاج إلى نصرهم، واتخذوه إلها، فانتصر الله لخليله لما ألقوه في النار وقال لها: فكوني برداً وسلاماً على إبراهيم فكانت عليه برداً وسلاماً، لم ينله فيها أذى، ولا أحس بمكروه.

﴿وأرادوا به كيداً ﴿ حيث عزموا على إحراقه، ﴿ فجعلناهم الأخسرين ﴾ أي: في الدنيا والآخرة، كما جعل الله خليله وأتباعه هم الرابحين المفلحين.

﴿ونجيناه ولوطاً﴾ وذلك أنه لم يؤمن به من قومه إلا لوط عليه السلام، قيل: إنه ابن أخيه، فنجاه الله، وهاجر ﴿إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ أي: الشام، فغادر قومه في «بابل» من أرض العراق، ﴿وقال إني مهاجرٌ إلى ربي إنه

هو العزيز الحكيم، ومن بركة الشام، أن كثيراً من الأنبياء كانوا فيها، وأن الله اختارها مهاجراً لخليله، وفيها أحد بيوته الثلاثة المقدسة، وهو بيت القدس. ﴿ ووهينا له ﴾ حين اعتزل قومه ﴿إسحاق ويعقوب﴾ ابن إسحق ﴿نافلة ﴾ بعدما كبر، وكانت زوجته عاقراً، فبشرته الملائكة بإسحاق، ﴿ومنن وراء إستحماق يمعمقموب﴾ ويعقوب هو إسرائيل، الذي كانت منه الأمة العظيمة، وإسماعيل بن إبراهيم، الذي كانت منه الأمة الفاضلة العربية، ومن ذريته سيد الأولين والأخرين. ﴿وكلا﴾ من إبراهيم وإسحق ويعقوب وجعلنا صالحين، أي: قائمين بحقوقه وحقوق عباده، ومن صلاحهم، أنه جعلهم أئمة يهدون بأمره، وهذا من أكبر نعم الله على عبده أن يكون إماماً يهتدي به المهتدون، ويمشى خلفه السالكون، وذلك لما صبروا، وكانوا بآيات الله يوقنون.

وقوله: ﴿ يهدون بامرنا ﴾ أي: يهدون المرنا ﴾ أي: يهدون الناس بدينا، لا يأمرون بأهواء أنفسهم، بل بأمر الله ودينه، واتباع مرضاته، ولا يكون العبد إماماً حتى يدعو إلى أمر الله.

﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ يفعلونها ويدعون الناس إليها، وهذا شامل لجميع الخيرات، من حقوق الله وحقوق العباد.

﴿ وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴾ هذا من باب عطف الخاص على العام، لشرف هاتين العبادتين وفضلهما، ولأن من كملهما كما أمر، كان قائماً بدينه، ومن ضيعهما، كان لما سواهما أضيع، ولأن الصلاة أفضل الأعمال، التي فيها حقه، والزكاة أفضل الأعمال، التي فيها الإحسان لخلقه.

﴿ وكانوالنا ﴾ أي: لا لغيرنا ﴿ عابدين ﴾ أي: مديمين على العبادات القلبية والقولية والبدنية في أكثر أوقاتهم، فاستحقوا أن تكون العبادة وصفهم، فاتصفوا بما أمر الله به الخلق، وخلقهم لأجله.

﴿٧٤ \_ ٧٥﴾ ﴿ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين \* وأدخلناه في رحمتنا إنّه من الصالحين، هذا ثناء من الله على رسوله (لوط) عليه السلام بالعلم الشرعي، والحكم بين الناس، بالصواب والسداد، وأن الله أرسله إلى قومه، يدعوهم إلى عبادة الله وينهاهم عما هم عليه من الفواحش، فلبث يدعوهم، فلم يستجيبوا له، فقلب الله عليهم ديارهم وعذبهم عن آخرهم، لأبهم ﴿قوم سوء فاسقين﴾ كذبوا الداعي، وتوعدُوه بالإخراج، ونجى الله لوطأ وأهله، فأمره أنَّ يسري بهم ليلاً، ليبعدوا عن القرية، فسروا ونجوا، من فضل الله عليهم ومِنَّته.

﴿وأدخلناه في رحمتنا ﴾ التي من دخلها، كان من الأمنين، من جميع المخاوف، النائلين كل خير وسعادة وبر وسسرور وثناء، وذلك لأنه من الصالحين، الذين صلحت أعمالهم، وأصلح الله فاسدهم والصلاح هو السبب لدخول العبد برحمة الله، كما أن الفساد سبب طرمانه الرحمة والخير، وأعظم الناس صلاحاً الأنبياء عليهم السلام، ولهذا يصفهم بالصلاح، وقال سليمان عليه السلام: ﴿وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾.

﴿٧٧ ـ ٧٧﴾ ﴿ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم \* ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم أجمين أي: واذكر عبدنا مادحاً، حين أرسله الله إلى قومه، فلبث فيهم ألف سنة إلا خسين عاماً، يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عن الشرك به، ويُبدِي فيهم ويعيدُ، ويدعوهم سراً وجهاراً، وليلاً ونهاراً، فلما راهم لا ينجع فيهم الوعظ، ولا يفيد لديهم الزجر، نادى ربه وقال: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً \* إنك إن تذرهم

يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً في المنافرة على المنافرة المنافرة

﴿٧٨ ــ ٨٢ ﴾ ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ا ففهمناها سليمان وكلأ آتينا حكمأ وعلماً وسخّرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين \* وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون \* ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيءِ عالمين ﴿ ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين، أي: واذكر هذين النبيين الكريمين «داود» و «سليمان» مثنياً مبجلاً، إذ آتاهما الله العلم الواسع، والحكم بين العباد، بدليل قوله: ﴿إِذْ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم أي: إذ تحاكم إليهما صاحب حرث، نفشت فيه غنم القوم الآخرين، أي: رعت ليلاً، فأكلت ما في أشجاره، ورعت زرعه، فقضي فيه دأود عليه السلام، بأن الغيم تكون لصاحب الحرث، نظراً إلى تفريط أصحابها، فعاقبهم بهذه العقوبة، وحكم فيها سليمان بحكم موافق للصواب، بأن أصحاب الغنم يدفعون غنمهم إلى صاحب الحرث فينتفع بدَرُّها وصوفها، ويقومون على بستان صاحب الحرث حتى يعود إلى حاله الأولى، فإذا عاد إلى حاله، ترادًا ورجع كل منهما بماله، وكان هذا من كمال فهمه وفطنته عليه السلام، ولهذا قال: ﴿فَفُهُمناها سليمان ﴾ أي: فهمناه هذه القضية، ولا يدل ذلك أن داود لم يفهمه الله في غيرها، ولهذا خصهاً بالذكر بدليل قوله: ﴿وكلا﴾ من داود وسليمان ﴿آتينا حكماً وعلماً ﴾ وهذا دليل على أن الحاكم قد يصيب الحق والصواب، وقد يخطىء ذلك، وليس

بملوم إذا أخطأ مع بذل اجتهاده .

ثم ذكر ما خص به كلاً منهما فقال: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ وذلك أنه كان من أعبد الناس وأكثرهم شه ذكراً وتسبيحاً وتمجيداً، وكان قد أعطاه [الله] من حسس الصوت ورقته ورخامته، ما لم يؤته أحداً من الخلق، فكان إذا سبح وأثنى على الله، جاوبته الجبال الصم والطيور البُهْم، وهذا فضل الله عليه وإحسانه، فلهذا قال: ﴿وكنا فاعلين﴾

﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم ﴾ أي: علم الله داود عليه السلام، صنعة الدروع، فهو أول من صنعها وعلمها، وسرت صناعت إلى من بعده، فألان الله له الحديد، وعلمه كيف يسردها، والفائدة فيها كبيرة، ﴿لتحصنكم من بأسكم ﴾ أي: هي وقاية لكم، وحفظ عند الحرب والشداد البأس.

﴿ وَهِلَ أَنتم شَاكرون ﴾ نعمة الله عليكم، حيث أجراها على يد عبده داود، كما قال تعالى: ﴿ وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ .

يحتمل أن تعليم الله لداود صنعة الدروع وإلانتها أمر خارق للعادة، وأن يكون \_ كما قاله المفسرون \_: إن الله ألانً له الحديد، حتى كان يعمله كالعجين والطين، من دون إذابة له على النار، ويحتمل أن تعليم الله له، على جاري العادة، وأن إلانة الحديد له، بما علمه الله من الأسباب المعروفة الآن لإذابتها، وهذا هو الظاهر، لأن الله امتن بذلك على العباد وأمرهم بشكرها، ولولا أن صنعته من الأمور التي جعلها الله مقدورة للعباد، لم يمتن علَّيهم بذلك، ويذكر فائدتها، لأن الدروع التي صنع داود عليه السلام، متعذر أن يكون الراد أعيانها، وإنما الِمَّةُ بِالْجِنسِ، والاحتمال الذي ذكره المفسرون، لا دليل عليه إلا قوله: ﴿وألنا له الحديد﴾ وليس فيه أن الإلانة

من دون سبب، والله أعلم بذلك.

ا المنظامة المنظامة

وَيَدْعُونَكَ ارْغَبُ اوْرُهِكُمُ الْوَكَ الْوَالْتَاخَلِيْمِينَ ۞

RESIDES IN LEGISLES

ولسليمان الريح اي: سخرناها وعاصفة أي: سخرناها وعاصفة أي: سريعة في مرورها، وتجري بأمره حيث دُبرت امتثلت أمره، غدوها شهر ورواحها شهر وإلى الأرض التي باركنا فيها وهي أرض الشام، حيث كان مقره، فيذهب على الريح شرقاً وغرباً، ويكون مأواها ورجوعها إلى الأرض المباركة، ووكنا بكل شيء عالمين قد أحاط علمنا بجميع الأشياء، وعلمنا من داود وسليمان ما أوصلناها به إلى ما ذكرنا.

ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وهذا أيضاً من خصائص سليمان عليه السلام، أن الله سخر له الشياطين والعفاريت، وسلطه على تسخيرهم في الأعمال، التي لا يقدر على كثير منها غيرهم، فكان منهم من يغوص له في البحر، فكان منهم من يعمل له ﴿عاريب وتماثيل ومنهم من يعمل له ﴿عاريب وتماثيل وسخر طائفة منهم لبناء بيت المقدس ومات، وهم على عمله، وبقوا بعده سنة، حتى علموا موته، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

﴿ وكنا لهم حافظين ﴾ أي: لا يقدرون على الامتناع منه وعصيانه، بل حفظهم الله له، بقوته وعزته، وسلطانه.

Cal applican betalish to وَالَّيْرَ أَحْسَلَتْ فَرْجَكُوا فَنَفَخْسَ إِفِهِكَ مِن زُوجِنَا وَجَعَلْنَهَا وَٱبْنَهَا مَالِيَةً لِلْعَلَمِينِ ﴿ الْكَهَادِيةِ أَمَّتُكُمُ أَمَّدُ وَحِدُهُ وَآنَارَيُّكُمْ وَأَنَارَيُّكُمْ وَأَعْبُدُونِ ۞ وَتَقَطَّعُوا أَمْرُهُم مَنْكُونِ كُلُّ النَّا زَحِعُونِ ٥ فكن تعمل مرك الصلحات وهُو مُوْمِنُ فَلاكُمْرانَ لِسَعْدِ، وَإِنَّالَهُ كَلِيُّونَ ۞ وَحَرَثُ عَلَى قَرْبَةٍ أَهْلَكَ عَنْهَا أَنَّهُ مُرْلَاتِ رَجِعُونَ ﴿ حَقَّا إِذَا فَتَحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم قِي كَلَّحَدُب يَنْسِلُونَ ۞ وَاقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَاهِي شَاخِصَةً أَبْصَهُ ٱلَّذِي كَفَرُوا يَوَهَلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةِ مِّنْ هَا ذَا بَلْكُنَّا طَلِمِينَ ﴿ إِنَّكُمْ وَمَاتَعَهُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَسَبُ جَهَا لَمُ أَنْتُمْ لَمَا وَرِدُونَ ۞ لَوْكَانَ هَنَوُلاَّهِ ءَالِهِكَةُ مَّاوَرَدُوهِكَأُوكَ لُهُ عَاخَلِدُونَ ۞ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُ مِينَا ٱلْحُسْنَ أَوْلَيْكَ عَنْهَا مُعِدُونِ ٥

TOUGHOUT WIND WAR TO WA ربه أن مسنى النضر وأنت أرحم الراحين \* فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرِّ وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ، أي: واذكر عبدنا ورسولنا أيوب مثنياً معظماً له، رافعاً لقدره \_حين ابتلاه ببلاء شديد، فوجده صابراً راضياً عنه، وذلك أن الشيطان سلط على جسده، ابتلاء من الله وامتحاناً، فنفخ في جسده، فتقرح قروحاً عظيمة، ومكث مدة طويلة، واشتد به اليلاء، ومات أهله، وذهب ماله، فنادى ربه: رب ﴿أَن مسنى النضر وأنت أرحم الراحمين المنوسل إلى الله بالإخبار عن الراحين حال نفسه، وأنه بلغ الضر منه كل مبلغ، وبرحمة ربه الواسعة العامة فاستجاب الله له، وقال له: ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فركض برجله، فخرجت من ركضته عين ماء باردة، فاغتسل منها وشرب، فأذهب الله ما به من الأذى، ﴿وآتيناه أهله﴾ أي: رددنا عليه أهله وماله.

﴿ومثلهم معهم﴾ بأن منحه الله مع العافية من الأهل والمال شيئاً كثيراً، ﴿رحمة من عندنا﴾ به، حيث صبر ورضى، فأثابه الله ثواباً عاجلاً قبل ثواب الآخرة.

عبرة للعابدين، الذين ينتفعون بالعبر، فإذا رأوا ما أصابه من البلاء، ثم ما أثابه الله بعد زواله، ونظروا السبب، وجدوه الصير، ولهذا أثنى الله عليه به في قوله: ﴿إِنَا وَجِدْنَاهُ صَابِراً نَعِمُ الْعَبِدُ إنه أو اب و فجعلوه أسوة وقدوة عندما يصيبهم الضر.

﴿٥٨ ـ ٨٦﴾ ﴿وإسـماعـيـل وإدريسس وذا الكفيل كيل مين الصابرين \* وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين ﴾ أي: واذكر عيادنا المصطفين وأنبياءنا المرسلين بأحسن الذكر، وأثن عليهم أبلغ الشناء، إسماعيل بن إبراهيم، وإدريس، وذا الكفل، نبيين من أنبياء بني إسرائيل ﴿كُلُّ مِن هُؤلاء المذكورين ﴿من الصابرين﴾ والصبر: هو حبس النفس ومنعها، مما تميل بطبعها إليه، وهذا يشمل أنواع الصبر الثلاثة: الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار الله المؤلمة، فلا يستحق العبد اسم الصبر التام، حتى يوفى هذه الثلاثة حقها. فهؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قد وصفهم الله بالصبر، فدل أنهم وفوها حقها، وقاموا بها كما ينبغي، ووصفهم أيضاً بالصلاح، وهو يشمل صلاح القلوب، بمعرفة الله ومحبته، والإنبابة إليه كل وقبت، وصلاح اللسان، بأن يكون رطباً من ذكر الله، وصلاح الجوارح، باشتغالها بطاعة الله وكَفُّها عن المعاصى. فبصبرهم وصلاحهم، أدخلهم الله برحمته، وجعلهم مع إخوانهم من المرسلين، وأثابهم الثواب العاجل والآجل. ولو لم يكن من ثوابهم، إلا أن الله تعالى نَوَّهَ بذكرهم في العالمين، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين، لكفي بذلك شرفاً وفضلاً.

﴿٨٧ ـ ٨٨﴾ ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادي في الظلمات أن لا إله إلاّ أنت سبحانك ﴿وذكرى للعابدين﴾ أي: جعلناه إنّ كنت من الظالمين \* فاستجبنا له

ونتجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴾ أي: واذكر عبدنا ورسولنا ذا النون، وهو: يونس، أي: صاحب النون، وهي الحوت، بالذكر الجميل، والثناء الحسن، فإن الله تعالى أرسله إلى قومه، فدعاهم، فلم يؤمنوا، فوعدهم بنزول العذاب بأمد سماه لهم.

[فجاءهم العذاب]، ورأوه عياناً، فعجُوا إلى الله، وضجوا وتابوا، فرفع الله عنهم العذاب، كما قال تعالى: ﴿ فلو لا كأنت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ﴾. وقال: ﴿ وأرسلناه إلى منة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين . وهذه الأمة العظيمة، الذين آمنوا بدعوة يونس، من أكبر فضائله، ولكنه عليه الصلاة والسلام ذهب مغاضباً، وأبق عن ربه لذنب من الذنوب التي لم يذكرها الله لنا في كتابه، ولا حاجةً لناً إلى تعيينها [لقوله: ﴿إِذَ أَبِقَ إِلَى الفلك . . . وهو مليم، أي : فاعلّ ما يلام عليه](١) والظاهر أن(١) عجلته ومغاضبته لقومه وخروجه من بين أظهرهم قبل أن يأمره الله بذلك، وظن أن الله لا يقدر عليه، أي: يضيق عليه في بسطن الحسوت، أو ظن أنسه سيفوت الله تعالى، ولا مانع من عروض هذا الظن للكمل من آلخلق على وجه لا يستقر ولا يستمر عليه، فركب في السفينة مع أناس، فاقترعوا، مَنْ يلقون منهم في البحر؟ لما خافوا الغرق إن بقوا كلهم، فأصابت القرعة يونس، فالتقمه الحوت، وذهب به إلى ظلمات البحار، فنادى في تلك الظلمات: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ﴾ فأقر لله تعالى بكمال الألوهية، ونزهه عن كل نقص وعيب وآفة، واعترف بظلم نفسه وجنايته، قال الله تعالى: ﴿ فَلُولًا أَنَّهُ كان من المسبحين، للبث في بطنه إلى يوم يبعثون الهذا قال هنا:

﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم﴾ أي: الشدة التي وقع فيها.

﴿وكذلك ننجي المؤمنين ﴾ وهذا وعد وبشارة لكل مؤمن وقع في شدة وغم، أن الله تعالى سينجيه منها، ويكشف عنه ويخفف، لإيمانه كما فعل ب «يونس» عليه السلام.

﴿٩٩ ـ ٩٩ ﴾ ﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تلذرني فرداً وأنت خير الوارثين \* فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾ أي: واذكر عبدنا ورسولنا زكريا، منوهاً بذكره، ناشراً لمناقبه وفضائله، التي من جملتها هذه المنقبة العظيمة المتضمنة لنصحه للخلق، ورحمة الله إياه، وأنه ﴿نادى ربه رب لا تذرني فردا ﴾ أي: ﴿قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ١ ولم أكن بدعائك رب شقياً \* وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنكُ ولياً \* يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً ﴾.

من هذه الآيات علمنا أن قوله ﴿ رب لا تذرني فرداً ﴾ أنه لما تقارب أجله، خاف أن لا يقوم أحد بعده مقامه في الدعوة إلى الله، والنصح لعباد الله، وأن يكون في وقته فرداً ، ولا يخلف من يشفعه ويعينه، على ما قام به، ﴿ وأنت خير الوارثين ﴾ أي: خير الباقين، وخير من خلفني بخير، وأنت أرحم بعبادك مني، ولكني أريد ما يطمئن به قلبي، وتسكن له نفسي، ويجري في موازيني ثوابه، ﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى ﴾ النبي الكريم، الذي لم يجعل الله له من قبل سمياً.

﴿وأصلحنا له زوجه ﴾ بعدما كانت عاقراً ، لا يصلح رحمها للولادة ، فأصلح الله رحمها للجمل لأجل نبيه زكريا ، وهذا من فوائد الجليس والقرين الصالح ، أنه مبارك على قرينه ، فصار يحيى مشتركاً بين الوالدين .

ولما ذكر هؤلاء الأنبياء والرسلين،

كُلاً على انفراده، أثنى عليهم عموماً فقال: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ﴾ أي: يبادرون إليها ويفعلونها في أوقاتها الفاضلة، ويكملونها على الوجه اللائق الذي ينبغي، ولا يتركون فضيلة يقدرون عليها إلا انتهزوا أي: يسألوننا الأمور المرغوب فيها، من مصالح الدنيا والآخرة، ويتعوذون بنا من الأمور المرهوب منها، من مضار بنا من الأمور المرهوب منها، من مضار لا غافلون، لاهون ولا مدلون، لا غافلون، لاهون ولا مدلون، وكانوا لنا خاشعين ﴾ أي: خاضعين متذلين متضرعين، وهذا لكمال معرفتهم بربهم.

﴿ ٩٤ - ٤٤ ﴾ ﴿ والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين \* إنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربّكم فاعبدون \* وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون \* فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنّا له كاتبون ﴾ أي: واذكر مريم عليها السلام مثنياً عليها مبيناً لقدرها، شاهراً لشرفها فقال: ﴿ والتي أحصنت فرجها ﴾ أي: حفظته من الحرام وقربانه، بل ومن الحلال، فلم تتزوج لاشتغالها بالعبادة، واستغراق وقتها بالخدمة لربها.

وحين جاءها جبريل في صورة بشر سَوِيِّ تامُ الخلق والحسن ﴿قالت إنِ أعوذ بالرحن منك إن كنت تقياً ﴾ فجازاها الله من جنس عملها، ورزقها ولداً من غير أب، بل نفخ فيها جبريل عليه السلام، فحملت بإذن الله.

وجعلناها وابنها آية للعالمين حيث حملت به، ووضعته من دون مسيس أحد، وحيث تكلم في المهد، وبر أها مما ظن بها المتهمون، وأخبر عن نفسه في تلك الحالة، وأجرى الله على يديه من الخوارق والمعجزات ما هو معلوم، فكانت وابنها آية للعالمين، يتحدث بها جيلاً بعد جيل، ويعتبر بها

المعتبرون.

ولما ذكر الأنبياء عليهم السلام، قال خاطباً للناس: و ﴿إِن هذه أمتكم أمة واحدة ﴿أِي: هـؤلاء السرسل المذكورون، هم أمتكم وأئمتكم الذين بهم تأتمون، وبهديهم تقتدون، كلهم على دين واحد، وصراط واحد، والرب أيضاً واحد.

ولهذا قال: ﴿وأنا ربكم﴾ الذي خلقتكم، وربيتكم بنعمتي، في الدين والدنيا، فإذا كان الرب واحداً، والنبي واحداً، والدين واحداً، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، بجميع أنواع العبادة كان وظيفتكم والواجب عليكم القيام بها، ولهذا قال: ﴿فاعبدون﴾ فرتب العبادة على ما سبق بالفاء ترتيب السبب على سببه.

وكان اللائق، الاجتماع على هذا الأمر وعدم التفرق فيه، ولكن البغي والاعتداء، أبيا إلا الافتراق والتقطع. ولهذا قال: ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ أي: تفرق الأحزاب المنتسبون لاتباع الأنبياء فِرقاً، وتشتتوا، كُلُّ يدَّعي أن الحق معه، والباطل مع الفريق الأخر و كل حزب بما لديهم فرحون﴾.

وقد علم أن المصيب منهم، من كان سالكاً للدين القويم والصراط المستقيم، مؤتماً بالأنبياء، وسيظهر هذا إذا انكشف الغطاء، وبرح الخفاء، وحشر الله الناس لفصل القضاء، فحينئذ يتبين الصادق من الكاذب، ولهذا قال: ﴿كل﴾ من الفرق المتفرقة وغيرهم ﴿إلينا راجعون﴾ أي: فنجازيم أتم الجزاء.

ثم فصل جزاءه فيهم، منطوقاً ومفهوماً، فقال: ﴿فمن يعمل من الصالحات﴾ أي: الأعمال التي شرعتها الرسل، وحثت عليها الكتب ﴿وهو مؤمن﴾ بالله وبرسله، وما جاؤوا به ﴿فلا كفران لسعيه﴾ أي: لا نضيع سعيه ولا نبطله، بل نضاعفه له أضعافاً كثيرة.

﴿ وإنا له كاتبون ﴾ أي: مثبتون له في اللوح المحفوظ، وفي الصحف

التي مع الحفظة. أي: ومن لم يعمل من الصالحات، أو عملها وهو ليس بمؤمن، فإنه محروم خاسر في دينه ودنياه.

(90% ﴿ وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ﴾ أي: يمتنع على القرى المهلكة المعذبة الرجوع إلى الدنيا ليستدركوا ما فرطوا فيه، فلا سبيل إلى الرجوع لمن أهلك وعذب، فليحذر المخاطبون، أن يستمروا على ما يوجب الإهلاك فيقع بهم، فلا يمكن رفعه، وليقلعوا وقت الإمكان والإدراك.

﴿٩٦ ـ ٩٧﴾ ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون \* واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين، هذا تحدُّير من الله للناس، أن يقيموا على الكفر والمعاصي، وأنه قد قرب انفتاح يأجوج ومأجوج، وهما قبيلتان عظيمتان من بني آدم، وقد سد عليهم ذو القرنين، لما شُكِي إليه إفسادهم في الأرض، وفي آخر الزمان ينفتح السد عنهم، فيخرجون إلى الناس في هذه الحالة والوصف، الذي ذكره الله، من كل مكان مرتفع، وهو الحدب، ينسلون أي: يسرعون. وفي هذا دلالة على كثرتهم الباهرة، وإسراعهم في الأرض، إما بـذواتهـم، وإما بـمـا خلق الله لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد، وتسهل عليهم الصعب، وأنهم يقهرون الناس، ويعلون عليهم فمي المدنميا، وأنه لا يمدان لأحمد بقتالهم.

﴿واقترب الوعد الحق﴾ أي: يوم القيامة الذي وعد الله بإتيانه، ووعده حق وصدق، ففي ذلك اليوم ترى أبصار الكفار شاخصة من شدة الأفزاع وما كانوا يعرفون من جناياتهم وانوبهم، وأنهم يدعون بالويل والثبور والندم والحسرة على ما فات، ويقولون لد ﴿قَدِكُنَا فَي عَفْلَة من هذا﴾ اليوم العظيم، فلم نزل فيها مستغرقين، وفي

لهو الدنيا متمتعين، حتى أتانا اليقين، ووردنا القيامة، فلو كان يموت أحد من الندم والحسرة، لماتوا. ﴿بل كنا ظالمين﴾ اعترفوا بظلمهم وعدل الله فيهم، فحينئذ يؤمر بهم إلى النار، هم وما كانوا يعبدون، ولهذا قال:

«١٠٣ - ٩٨» ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون \* ليو كان هولاء آلهة ما زفير وهم فيها لا يسمعون \* إنّ الذين رفير وهم فيها لا يسمعون \* إنّ الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها في ما اشتهت أنفسهم خالدون \* لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم توعدون \* أي: إنكم أيها العابدون مع الله آلهة غيره ﴿حصب جهنم واردون \* وأصنامكم .

والحكمة في دخول الأصنام النار، وهي جماد لا تعقل، وليس عليها ذنب، بيان كذب من اتخذها آلهة، وليزداد عذابهم، فلهذا قال: ﴿لو كان مؤلاء آلهة ما وردوها وهذا كقوله تعالى: ﴿ليين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين وكل من العابدين والمعبودين فيها خالدون، لا يخرجون منها، ولا ينتقلون عنها.

ولهم فيها زفير من شدة العذاب وهم فيها لا يسمعون صم بكم عمي، أو لا يسمعون من الأصوات غير صوتها، لشدة غليانها واشتداد زفيرها وتغيظها.

ودخول آلهة المشركين النار، إنما هو الأصنام، أو من عُبِد وهو راض بعبادته، وأما المسيح، وعزير، والملائكة ونحوهم، عمن عبد من الأولياء، فإنهم لا يعذبون فيها، ويدخلون في قوله: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴾ أي: سبقت لهم سابقة السعادة في علم الله، وفي اللوح المحفوظ وفي تيسيرهم في الدنيا للسرى والأعمال الصالحة.

﴿ أُولِئِكُ عِنها ﴾ أي: عن النار ﴿مبعدون﴾ فلا بدخلونها، ولا يكونون قريباً منها، بل يبعدون عنها غاية البعد، حتى لا يسمعوا حسيسها، ولا يروا شخصها، ﴿وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون، من المآكل، والمشارب، والمناكح والمناظر، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مستمر لهم ذلك، يزداد حسنه على الأحقاب، ﴿ لا يحزنهم الفرع الأكبر ﴾ أي: لا يقلقهم إذا فزع الناس أكبر فزع، وذلك يوم القيامة، حين تقرب النار، تتغيظ على الكافرين والعاصين فيفزع الناس لذلك الأمر وهؤلاء لا يحزنهم، لعلمهم بما يقدمون عليه، وأن الله قد أمنهم بما يخافون، ﴿وتتلقاهم الملائكة﴾ إذا بعشوا من قبورهم، وأتوا على النجائب وفداً لنشورهم، مهنئين لهم قائلين: ﴿ هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ فلْيَهْنِكُم ما وعدكُم الله، وليعظم استبشاركم بما أمامكم من الكرامة، وليكثر فرحكم وسروركم بما أمنكم الله من المخاوف والمكاره.

أرب السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا فول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين \* ولقد كتبنا في الزبور من بعد الماخون \* غير تعالى أنه يوم القيامة يبطوي السماوات على عظمها واتساعها - كما يطوي الكاتب للسجل أي: الورقة المكتوب فيها، فتنتشر وتزول عن أماكنها \* كما بدأنا أول خلق نعيده \* أي: إعادتنا للخلق، مثل ابتدائنا خلقهم ولم يكونوا شيئا، كذلك نعيدهم بعد موتهم.

﴿وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ ننفذ ما وعدنا، لكمال قدرته، وأنه لا تمتنع منه الأشياء.

﴿ولقد كتبنا في الزبور؛ وهو الكتاب المزبور، والمراد: الكتب المنزلة، كالتوراة ونحوها ﴿من بعد

الذكر ﴾ أي: كتبناه في الكتب المنزلة، بعد ما كتبنا في الكتاب السابق، الذي هو اللوح المحفوظ، وأم الكتاب الذي توافقه جميع التقادير المتأخرة عنه والمكتوب في ذلك: ﴿أَنِ الأَرْضِ﴾ أي: أرض الجنة ﴿ يرثها عبادى الصالحون، الذين قاموا بالمأمورات، واجتنبوا المنهيات، فهم الذين يورثهم الله الجنات، كقول أهل الجنة: ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ﴾.

ويحتمل أن المراد: الاستخلاف في الأرض، وأن الصالحين يمكن الله لهم في الأرض، ويوليهم عليها كقوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ . . . الآية .

لبلاغاً لقوم عابدين \* وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين \* قل إنَّما يوحي إلى أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون \* فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون \* إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون \* وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين \* قال رب احكم بالحقُّ وربناً الرحمن المستعان على ما تصفون﴾ يثنى الله تعالى على كتابه العزبز «القرآن» ويبين كفايته التامة عن كل شيء، وأنه لا يستغنى عنه فقال: ﴿إِن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين ﴿ أي: يتبلغُون به في الـوصـول إلى ربهـم، وإلى دار كرامته، فيوصلهم إلى أجل المطالب، وافضل الرغائب. وليس للعابدين، الذين هم أشرف الخلق، وراءه غاية، لأنه الكفيل بمعرفة ربهم، بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وبالإخبار بالغيوب الصادقة، وبالدعوة لحقائق الإيمان، وشواهد الإيقان، المبين للمأمورات كلها، والمنهيات جميعها، العرف بعيوب النفس والعمل، والطرق التي ينبغي سلوكها في دقيق الدين وجليله، والتحذير من طرق الشيطان وبيان مداخله على الإنسان، فمن لم يغنه

القرآن فلا أغناه الله، ومن لا يكفيه فلا كفاه الله.

ثم أثني على رسوله الذي جاء بالقرآن، فقال: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين فهو رحمته المهداة لعباده، فالمؤمنون به قبلوا هذه الرحمة وشكروها وقاموا بها، وغيرهم كفرها، وبدلوا نعمة الله كفراً، وأبوارحمة الله و نعمته .

﴿قُلُ اللَّهُ يَا مُحَمَّدُ ﴿إِنَّمَا يُوحِي إِلَّى أَنَّمَا إلهكم إله واحد الذي لا يستحق العبادة إلا هو، ولهذا قال: ﴿فهل أنتم مسلمون، أي: منقادون لعبوديته مستسلمون لألوهيته، فإن فعلوا فليحمدوا ربهم على ما منَّ عليهم بهذه النعمة التي فاقت المنن.

﴿ فَإِن تُولُوا ﴾ عن الانقياد لعبودية ربهم، فحذرهم حلول المثلات، ونزول العقوبة .

﴿ فَقُلِ آذَنْتُكُم ﴾ أي: أعلمتكم بالعقوبة ﴿على سواء ﴾ أي: علمي وعلمكم بذلك مستو، فلا تقولوا ــ إذا نزل بكم العذاب: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بشير ولا نذير بل الآن، استوى علمي وعلمكم لما أنذرتكم وحذرتكم، وأعلمتكم بمآل الكفر، ولم أكتم عنكم شيئاً.

﴿ وإن أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون، أي: من العذاب، لأن علمه عند الله، وهو بيده، ليس لي من الأمر

﴿ وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ﴿ أَي: لعل تأخير العذاب آلذي استعجلتموه شر لكم، وأن تتمتعوا في الدنيا إلى حين، ثم يكون أعظم لعقوبتكم.

﴿قال رب احكم بالحق﴾ أي: بيننا وبين القوم الكافرين، فاستجاب الله هذا الدعاء، وحكم بينهم في الدنيا قبل الآخرة، بما عاقب الله به الكافرين من وقعة «بدر» وغيرها.

﴿ وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ﴾ أي: نسأل ربنا الرحمن،

لَايَسَكُونَ حَسِيسَةً أَوَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَلِدُونَ ۞ لَا يَعَزَّمُهُمُ الْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَسَلَقَ الْهُرُ ٱلْمُلَيِّكَةُ هَانَايَّوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُرَنُّوعَدُونَ ﴿ يَوْمِ نَطْوِي السَّمَّاةُ كُلِّلَ الْسِيحِيلِ الْكُنْبُ كُمَّا بَدَأْنَا ۚ أَوْلَ خَلْق نَّهُ بِيدُهُ وَعَدَّاعَلَيْنَ ۚ إِنَّاكُنَا فَكِيلِينَ ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّيُورِ مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَاعِبَ لِدِيَ ٱلصَّلِيحُونَ ۞ إِنَّ فِي هَلَا الْبَلَغَا لِقَوْمٍ عَلَيِينَ ۞ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّارَحْسَةُ لِلْعَالَمِينَ ا فَالْ إِنْمَا يُوحَلَ إِنَّ أَنْمَا إِلَهُ كُمْ إِلَهُ وَكِيدٌ فَهَلَّ أَنتُ مِنْسَامُونَ ﴿ فَإِن تَوَلُّواْ فَقُلْ ءَاذَنكُ مُعَلَىٰ سَوَآءً وَانْ أَدْرِي أَوْرِبُ أَرْبَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ۞ إِنَّهُ يُمَّا لَرُالْجَهْ رَمِى ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكُنُّمُونَ ۞ وَإِنْ أَدْرِي لَمَ لَمُوْتَنَةً لَّكُمْ وَمَنَاكُمُ إِلَىٰ حِينِ ۞ قَلَ رَبِ أَحْكُم بِأَلْكُنَّ وَرَبُّنَا الرِّحْنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىمَاتَصِغُونَ ١ 

ونستعين به على ما تصفون، من قولكم سنظهر عليكم، وسيضمحل دينكم، فنحن في هذا، لا نعجب بأنفسنا، ولا نتكل على حولنا وقوتنا، وإنما نستعين بالرحمن، الذي ناصية كل مخلوق بيده، ونرجوه أن يتم ما استعناه به من رحمته، وقد فعل، ولله الحمد.

## تفسير سورة الحج قيل: مكية، وقيل: مدنية

﴿ ١ - ٢ ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النّاس اتقوا ربكم إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم # يوم ترونها تذهل كل مرضعة عمّا أرضعت وتضع كلّ ذات حمل حملها وترى النّاس سكّاري وما هم بسكاري ولكن عذاب الله شديد ﴾ يخاطب الله الناس كافة ، بأن يتقوا ربهم، الذي رباهم بالنعم الظاهرة والباطنة، فحقيق بهم أن يتقوه، بترك الشرك والفسوق والعصيان، ويمتثلوا أوامره مهما استطاعوا.

ثم ذكر ما يعينهم على التقوى، ويحذرهم من تركها، وهو الإخبار بأهوال القيامة، فقال:

﴿إِن زِلزِلة الساعة شيء عظيم﴾ لا يقدر قدره، ولا يبلغ كنهه، ذلك بأنها إذا وقعت الساعة، رجفت الأرض وارتجت، وزلزلت زلزالها، وهناك ﴿يعض الظالم على يديه، يفقدوا منها نقيراً ولا قطميراً.

فحقيق بالعاقل الذي يعرف أن كل هذا أمامه، أن يُعدُّ له عُدَّتَهُ، وأن لا يلهيه الأمل، فيترك العمل، وأن تكون

﴿٣ \_ ٤ ﴾ ﴿ومن الناس من يجادل

منهم يومئذ شأن يغنيه ﴿(١).

يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً \* يا ويلتي ليتني لمَّ أتخذ فلاناً خليلاً وتسود حيننذ وجوه وتبيض وجوه، وتنصب الموازين التي يوزن بها مثاقيل الذر، من الخير والشر، وتنشر صحائف الأعمال وما فيها من جميع الأعمال والأقوال والنيات، من صغير وكبير، وينصب الصراط على متن جهنم، وتزلف الجنة للمتقين، وبرزت الجحيم للغاوين. ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوالها تغيظاً وزفيراً \* وإذا ألقوا منها مكانأ ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً ﴾ ويقال لهم: ﴿لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعواً ثبوراً كثيراً﴾ وإذا نادوا ربهم ليخرجهم منها، قال: ﴿اخسؤوا فيها ولا تكلمون﴾. قد غضب عليهم الرب الرحيم، وحضرهم العذاب الأليم، وأيسوا من كل خير، ووجدوا أعمالهم كلها، لم

هذا، والمتقون في روضات الجنات يحبرون، وفي أنواع اللذات يتفكهون، وفيما اشتهت أنفسهم خالدون، تقوى الله شعاره، وخوفه دثاره، ومحبة الله وذكره، روح أعماله.

في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد \* كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير ﴾ أي: ومن الناس طائفة وفرقة، سلكوا طريق الضلال، وجعلوا يجادلون بالباطل الحق، يريدون إحقاق الباطل وإبطال الحق، والحال أنهم في غاية الجهل ما عندهم من العلم شيء، وغاية ما عندهم، تقليد أئمة الضلال، من كل شيطان مريد، متمرد على الله وعلى رسله، معاندلهم، قد شاق الله ورسوله، وصار من الأئمة الذين

\_مِلْقَهَالِ مَنْزَالِ عَيْمِ يَنَائِهُا النَّاسُ اَتَّعُوارَيَّكُمُّ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ مَوْسٍ } عَظِيرٌ ۞ يُوْمَتَرَوْنَهَاتَذْهَلُكُأُمُ ضِعَةِ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُكُلُ ذَاتِ مَمْلُ حَمْلُهَا وَتَدَرِي ٱلنَّكَاسَ مُعَكِّزِي وَمَاهُم بِسُكَنَّ فَ لَكِينَ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۞ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَلِدِلْ فِي اللَّهِ مِعَنِي عِلْمِ وَيَشَّبُعُ كُلَّ شَيْطَان مَهِيدِ ۞ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مُن قَوِّلًا ۗ فَأَنَّهُ مُضِلَّهُ وَيَعْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۞ يَنَانُهُا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَبِّ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَكَ مُعِن تُوَابِ ثُمَّ مِن نُطْفَةِ ثُدِّينٌ عَلَقَةٍ ثُدُّون مُصْعَدَةٍ نُحَلَّقُ وَعَيْرِ مُحَلَّقَةٍ لِبُيِّنَ لَكُمْ مُنْقِرُ فِي أَلْأَرْحَكَا مِ مَانَشَآءُ إِلْآلْجَالِمُ مَنَ ثُمَّ نُخِيُّكُرَ طِفْلَا ثُمَّ لِلْبَلْغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفُّ وَمنكُ مِنْ يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْدَلِ ٱلْمُمُرِلِكَ يُلَايَعْلَمَ

ال لِيْزِيرُو اللَّهِ اللَّهِ

وتصدعت الجبال واندكت، وكانت كثيباً مهيلاً، ثم كانت هباء منبثاً، ثم انقسم الناس ثلاثة أزواج.

مِنْ بَعْدِ عِلْمِ شَدِيْعًا وَتَرَى ٱلأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا

عَلَيْهَا ٱلْمَاآءَ ٱهْتَزَتْ وَرَبَتْ وَأَلْبَتَتْ مِن كُلِّ زَفِج بَعِيج ۞

TO TO THE ON THE ON THE OWNER.

فهناك تنفطر السماء، وتكور الشمس والقمر، وتنتثر النجوم، ويكون من القلاقل والبلابل ما تنصدع له القلوب، وتَجِلُ منه الأفئدة، وتشيب منه الولدان، وتذوب له الصم الصلاب، ولهذا قال: ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت، مع أنها مجبولة على شدة محبتها لولدها، خصوصاً في هذه الحيال، التي لا يعيش إلا بها.

﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ من شدة الفزع والهول، ﴿وترى الناس سكاري ومنا هم بسكاري، أي: تحسبهم \_ أيها الرأئي لهم \_ سكارى من الخمر، وليسوا سكاري.

﴿ولكن عـذاب الله شديد ﴾: فلذلك أذهب عقولهم، وفرغ قلوبهم، وملأها من الفزع، وبلغت القلوب الحناجر، وشخصت الأبصار، وفي ذلك اليوم، لا يجزي والدعن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً.

ويومئذ ﴿يفر المرء من أخيه ۞ وأمه وأبيه \* وصاحبته وبنيه \* لكل امرىء

يدعون إلى النار.

﴿ كُتِبَ عليه ﴾ أي: قدر على هذا الشيطان المريد ﴿أنه من تولاه ﴾ أي: اتبعه ﴿فأنه يضله ﴾ عن الحق، ويجنبه الصراط المستقيم ﴿ويهديه إلى عذاب السعير، وهذا نائب إبليس حقاً، فإن الله قال عنه: ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ فهذا الذي يجادل في الله، قد جمع بين ضلاله بنفسه، وتصديه إلى إضلال الناس، وهو متبع، ومقلد لكل شيطان مريد، ظلمات بعضها فوق بعض، ويدخل في هذا، جمهور أهل الكفر والبدع، فإن أكثرهم مقلدة، يجادلون بغير علم.

﴿ ٥ \_ ٧﴾ ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشذكم ومنكم من يتوفي ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدةً فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج \* ذلك بأنَّ الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير \* وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور، يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كَنْتُمْ فَي ريب من البعث﴾ أي: شك واشتباه، وعدم علم بوقوعه، مع أن الواجب عليكم أن تصدقوا ربكم، وتصدقوا رسله في ذلك، ولكن إذا أبيتم إلا الريب، فهاكم دليلين عقليين تشاهدونهما، كل واحد منهما، يدل دلالة قطعية على ما شككتم فيه، ويزيل عن قلوبكم

أحدهما: الاستدلال بابتداء خلق الإنسان، وأن الذي ابتدأه سيعيده، فقال فيه: ﴿فإنا خلقناكم من تراب﴾ وذلك بخلق أبي البشر آدم عليه السلام، ﴿ ثم من نطفة ﴾ أي: منى،

﴿لنبين لكم﴾ أصل نشأتكم، مع قدرته

تعالى على تكميل خلقه في لحظة

واحدة، ولكن ليبين لنا كمال حكمته،

وعظيم قدرته، وسعة رحمته.

﴿ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى أي: ونقر، أي: نبقي في الأرحام من الحمل، الذي لم تقذفه الأرحام، ما نشاء إبقاءه إلى أجل مسمى، وهو مدة الحمل. ﴿ثم نخرجكم ﴾ من بطون أمهاتكم ﴿طفلا ﴾ لا تعلمون شيئاً، وليس لكم قدرة، وسخرنا لكم الأمهات، وأجرينا لكم في ثديها الرزق، ثم تنتقلون طوراً بعد طور، حتى تبلغوا أشدكم، وهو كمال القوة والعقل.

﴿ومنكم من يتوفى﴾ من قبل أن يبلغ سن الأشد، ومنكم من يتجاوزه فيرد إلى أرذل العمر، أي: أخسه وأرذله، وهو سن الهرم والتخريف، الذي به يزول العقل ويضمحل، كما زالت باقي القوى، وضعفت.

﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾ أى: لأجل أن لا يعلم هذا المعمر شيئاً مما كان يعلمه قبل ذلك، وذلك لضعف عقله، فقوة الآدمي محفوفة بضعفين، ضعف الطفولية ونقصها، وضعف الهرم ونقصه، كما قال تعالى: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾ والدليل الثاني، إحياء الأرض بعدموتها، فقال الله فيه: ﴿وترى الأرض هامدة ﴾ أي: خاشعة مغبرة لا نبات فيها، ولا خضر، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عليها الماء اهترت الله أي: تحركت بالنبات ﴿وربت﴾ أي: ارتفعت بعد خشوعها وذلك لزيادة نباتها، ﴿وأنبتت

من كل زوج أي: صنف من أصناف النبات ﴿ بهيج أي: يبهج الناظرين، ويسسر المتأملين، فهذان الدليلان القاطعان، يدلان على هذه المطالب الخمسة، وهي هذه.

﴿ ذلك ﴾ الذي أنشأ الآدمي من ما وصف لكم، وأحيا الأرض بعد موتها، ﴿ أَنَّ الله هو الحق ﴾ أي: الرب المعبود، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وعبادته هي الحق، وعبادة غيره باطلة، ﴿ وأنه يحيي الموتى ﴾ كما أبتدأ الخلق، وكما أحيا الأرض بعد موتها، ﴿ وأنه على كل شيء قدير ﴾ كما أشهدكم من بديع قدرته وعظيم صنعته ما أشهدكم من

﴿وأن الساعة آتية لا ريب فيها ﴾ فلا وجه لاستبعادها، ﴿وأن الله يبعث من في القبور ﴾ فيجازيكم بأعمالكم حسنها وسينها.

﴿ ٨ \_ ٩ ﴾ ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير \* ثاني عطفه ليضلُّ عن سبيل الله له في الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عـذاب الحريق المجادلة المتقدمة للمقلد، وهذه المجادلة للشيطان المريد، الداعي إلى البدع، فأخبر أنه ﴿ يَجَادُلُ فَي اللهِ ﴾ أي: يجادل رسل الله وأتباعهم بالباطل ليدحض به الحق، ﴿بغير علم المحيح ﴿ولا هدى الله على الله الله على الله الله على الله الله على الله عل أي: غير متبع في جداله هذا من يهديه، لا عقل مرشد، ولا متبوع مهتد، ﴿ولا كتاب منير ﴾ أي: واضح بين، أي: فلا له حجة عقلية ولا نقلية، إن هي إلا شبهات، يوحيها إليه الشيطان ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أوليائهم ليجادلوكم﴾ ومع هذا ﴿ثاني عطفه﴾ أي: لأوي جانبه وعنقه، وهذا كناية عن كبره عن الحق، واحتقاره للخلق، فقد فرح بما معه من العلم غير النافع، واحتقر أهل الحق وما معهم من الحق، ﴿ليضل﴾ الناس، أي: ليكون من دعاة الضلال، ويدخل تحت هذا جميع أئمة الكفر والضلال، ثم ذكر عقوبتهم الدنيوية والأخروية فقال: ﴿له في الدنيا خزى﴾ أي: يفتضح هذا في الدنيا قبل الآخرة، وهذا من

` ذَلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُ مُنْ ٱلْمُوْقَ وَأَنَّهُ عَلَيْكُمْ مَنْ وَقَدِيرٌ ۞ وَأَنَّ السَّاعَةَ عَالِيَّةٌ لَّارَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ِ ٱلْقُبُورِ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمِ وَلَاهُدَى وَلَاكِنِّ مُنِيرٍ ۞ ثَانِيَ عَطْفِيدِ لِيُضِلِّ عَن سَكِيلِ ٱللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِرِّيٌّ وَنُدِيقُهُ رُبَوْمَ الْقِينَمَةِ عَذَابَ الْحَيْفِي ۞ ذَٰلِكَ عَاقَدَمَتَ يَدَاكَ وَأَنَ اللَّهَ لَيْسَ يِظَلُّو لِلْعَيِدِ ۞ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَا مُؤَيِّ فَإِنْ أَصَابَهُ مَعْيُرًا طُعَأَنَ بِدِّ وَإِنْ أَصَابَتُهُ مِنْتَةُ ٱنقَلَبَ عَلَى وَجْهِدٍ خَيدُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةُ ذَلِكَ هُوَآغَتُ رَانُ لَلْتِينِ ﴾ يَدْعُواْ مِن دُورِبِ ٱللَّهِ مَالَايَضُرُّمُهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَالضَّلَالُ ٱلْبَعِيدُ ۞ يَدْعُواْ لَنَ ضَرُّوهُ أَقْرَبُ مِن نَفْعِهِ مُ لِبَشِ ٱلْوَلِ وَلِبَنْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿ إِنَّ ٱللَّهُ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَكِمُلُواْ ٱلصَّالِحَتِ جَنَّاتِ تَجْرِي مِن تَعْيِبُهَا ٱلْأَنْهَارُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۞ مَن كَانَ يَظُنُّ أَنَ لَّن يَصُرَهُ ٱللَّهُ مِغَالَدُّنِّيا وَٱلْآخِرَةِ فَلْكَمْدُدْ بِسَبَبِ مُّ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ أَيْقَطَعَ فَلْيَنظُرُ هِلَ يُذْهِ بَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ۞ forest ... Language

آيات الله العجيبة، فإنك لا تجد داعياً من دعاة الكفر والضلال، إلا وله من المقت بين العالمين، واللعنة، والبغض، والذم، ما هو حقيق به، وكل بحسب حاله.

﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ أي: نذيقه حرَّها الشديد، وسعيرها البليغ، وذلك بما قدمت يداه، ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾

﴿ ١١ ـ ١٣ ﴾ ﴿ ومن الساس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين الدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد \* يدعو لمن ضرّه أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير، أي: ومن الناس من هو ضعيف الإيمان، لم يدخل الإيمان قلبه، ولم تخالطه بشاشته، بل دخل فيه، إما خوفاً، وإما عادة على وجه لا يثبت عند المحن، ﴿ فإن أصابه خير اطمأن به ﴾ أي: إن استمر رزقه رغداً، ولم يحصل له من المكاره شيء، اطمأن بذلك الخير، لا بإيمانه. فهذا، ربما أن الله يعافيه، ولا يقيض له من الفتن ما ينصرف به عن دينه، ﴿وإن أصابته فتنة ﴾ من حصول مكروه، أو زوال محبوب ﴿انقلب على وجهه ﴾ أي: ارتد عن دينه، ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ أما في

وكَ ذَالِكَ أَنْزَلْنَاهُ مَا يَمْتِ بَيْنَاتٍ وَأَنَّ أَللَّهُ يَهْدِي مَنْ رُمِدُ ۞ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِينَ وَالْصَّلَّرَي وَٱلْمَجُوسَ وَالَّذِنَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَنْنَهُ مْوَّةً ٱلْقِيَكُمَةُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰكُ لَ ثَنَّىٰ وَشَهِيدٌ ۞ ٱلْرَقَرَأَكَ ٱللَّهُ يَسَجُدُكُهُ مِن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالثَّمْدُ وَالْقَبْرُ وَالنَّجُومُ وَآنِجَالُ وَالشَّجِرُ وَالدَّوَّابُ وَكَثْرُ مِنَ النَّاسِ رِّكَ يْبِرُحَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن بُهِن ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مَا لَهُ مِن مُّكَوْمٌ إِنَّ أَلَهُ يَفْعَلُ مَا يَشَكَّا مُ ۞ ﴿ هَا نَانِ خَصْمَانِ أَخْتَصِمُواْ فِ رَبِعِمُّ فَالَّذِيرَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَمُعْرِيَّا السِّين كَارِ يُصَبُّ مِن فَوَقِ رُهُ وسِهِ مُرْاتِحَيَدُمُ ۞ يُصُّهَ رُبِهِ مِمَانِي بْطُونِهِ مْ وَأَجُلُودُ ۞ وَلَمْ مُقَلِيمُ مِنْ حَدِيدٍ ۞ كَلَّمَ مَّقَلِيمُ مِنْ حَدِيدٍ ۞ كُمَّا أَرَادُوٓا أَن يَخْرُجُوامِنْهَا مِنْ عَيَمَ أُعِيدُ وَالْفِيهَا وَذُوقُواْعَكَ ال ٱلْحَيْنِينَ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعِيلُواْ الصَّالِحَاتِ جَنَّكَ تَجْدِي مِن تَعَيُّهَا ٱلْأَفْدَارُ يُحَكِّزَكَ فِيهِكَامِنْ أَسَاوِرَين ذَهَبِ وَلَوْلُؤُ وَلِهَاسُهُمْ فِيهَا حَرَيرٌ ۞ TO STOLEN

الدنيا، فإنه لا يحصل له بالردة ما أمله الذي جعل الردة رأساً لماله، وعوضاً عما يظن إدراكه، فخاب سعيه، ولم يحصل له إلا ما قسم له، وأما الآخرة، فظاهر، حرم الجنة التي عرضها السماوات والأرض، واستحق النار، فذلك هو الخسران المبين، أي: الواضح البين.

﴿يدعو﴾ هذا الراجع على وجهه ﴿من دون الله منا لا ينضره ومنا لا ينفعه كل مدعو ومعبود من دون الله، فإنه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً، ﴿ ذَلَكُ هُو الضلال البعيد﴾ الذي قد بلغ في البعد إلى حد النهاية، حيث أعرض عن عبادة النافع الضار، الغني المغنى، وأقبل على عبادة مخلوق مثله أو دونه، ليس بيده من الأمر شيء، بل هو إلى حصول ضد مقصوده أقرب، ولهذا قال: ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه ﴾ فإن ضرره في العقل والبدن والدنيا والآخرة معلوم ﴿لبئس المولى﴾ أي: هذا المعبود ﴿ولبنس العشير ﴾ أي: القرين الملازم على صحبته، فإن المقصود من المولى والعشير، حصول النفع، ودفع الضرر، فإذا لم يحصل شيء من هذا، فإنه مذموم ملوم.

﴿ ١٤﴾ ﴿إِن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد ﴾ لما ذكر تعالى المجادل بالباطل، وأنه على قسمين، مقلد، وداع، ذكر أن المتسمى بالإيمان أيضاً على قسمين، قسم لم يدخل الإيمان قلبه كما تقدم، والقسم الثانى: المؤمن حقيقة، صدق ما معه من الإيمان بالأعمال الصالحة، فأخبر تعالى أنه (١) يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وسميت الجنة جنة، لاشتمالها على المنبازل والبقيصور والأشبجار والنوابت التي تَجِنُّ مَنْ فيها، ويستتر بها من كثرتها، ﴿ إِن الله يفعل ما يريد ﴾ فما أراده تعالى فعله من غير ممانع ولا معارض، ومن ذلك، إيصال أهل الجنة إليها، جعلنا الله منهم بمنه

(١٥) ﴿ من كان ينظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ﴾ أي: من كان يظن أن الله لا ينصر رسوله، وأن دينه سيضمحل، قإن النصر من الله ينزل من السماء ﴿ فليمدد ﴾ ذلك الظان وليرقى إليها ﴿ ثم ليقطع ﴾ النصر وليرقى إليها ﴿ ثم ليقطع ﴾ النصر النازل عليه من السماء (٢٠).

﴿ فلينظر هل يذهبن كيده ﴾ أي: ما يكيد به الرسول، ويعمله من محاربته، والحرص على إبطال دينه، ما يغيظه من ظهور دينه، وهذا استفهام بمعنى النفي [وأنه]، لا يقدر على شفاء غيظه بما يعمله من الأسباب.

ومعنى هذه الآية الكريمة: يا أيها المعادي للرسول محمد على الساعي في إطفاء دينه، الذي يظن بجهله، أن سعيه سيفيده شيئاً، اعلم أنك مهما فعلت من الأسباب، وسعيت في كيد الرسول، فإن ذلك لا يذهب غيظك، ولا يشفي كمدك، فليس لك قدرة في ذلك، ولكن سنشير عليك برأي

تتمكن به من شفاء غيظك، ومن قطع النصر عن الرسول - إن كان ممكناً - الت الأمر مع بابه، وارتق إليه بأسبابه، اعمد إلى حبل من ليف أو غيره، ثم علَّفة في السماء، ثم اصعد به حتى تصل إلى الأبواب التي ينزل منها النصر، فسدها وأغلقها واقطعها، فبهذه الحال تشفي غيظك، فهذا هو الحال فلا يخطر ببالك أنك تشفي بها الحال فلا يخطر ببالك أنك تشفي بها الحال، ولو ساعدًك من ساعدك من الحلق.

وهذه الآية الكريمة، فيها من الوعد والبشارة بنصر الله لدينه ولرسوله وعباده المؤمنين ما لا يخفى، ومن تأييس الكافرين، الذين يريدون أن يطفؤوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون، أي: وسعوا مهما أمكنهم.

(17) فوكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد أي: وكذلك لما فصلنا في هذا القرآن ما في حلناه آيات بينات واضحات، دالات على جميع المطالب والمسائل النافعة، ولكن الهداية بيد الله، فمن أراد الله هدايته، اهتدى واستضاء بنوره، ومن لم يرد الله هدايته، فلو جاءته كل آية ما آمن، ولم ينفعه القرآن شيئاً، بل يكون حجة عليه.

(14 - 37) ﴿إن الله المناو الله الله الله الله والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد \* ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والمقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء \* هذان خصمان اختصموا في ربهم إلى قوله:

<sup>(</sup>١) في النسختين: أنهم.

<sup>(</sup>٢) في هامش ب (﴿فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع﴾ النصر عن الرسول).

﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ يخبر تعالى عن طوائف أهل الأرض، من الذين أوتوا الكتاب، من المؤمنين واليهود والنصاري والصابئين، ومن المجوس، ومن المشركين أن الله سيجمعهم جميعهم ليوم القيامة، ويفصل بينهم بحكمه العدل، ويجازيهم بأعمالهم التي حفظها وكتبها وشهدها، ولهذا قال: ﴿إِن الله على كل شيء شهيد﴾ ثم فصل هذا الفصل بينهم بقوله: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ كلّ يدعى أنه المحق.

﴿فالذين كفروا﴾ يشمل كل كافر، من اليهود، والنصاري، والمجوس، والصابئين، والمشركين.

﴿قطعت لهم ثياب من نار﴾ أي: يجعل لهم ثياب من قطران، وتشعل فيها النار، ليعمهم العذاب من جميع جوانبهم.

﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ الماء الحار جداً، يصهر به ما في بطونهم من اللحم والشحم والأمعاء، من شدة حره، وعظيم أمره، ﴿ولهم مقامع من حديد اللائكة الغلاظ الشداد، تضربهم فيها وتقمعهم، ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها، فلا يُفَتِّرُ عنهم العدّاب، ولا هم ينظرون، ويقال لهم توبيخاً: ﴿ذُوقُواْ عذاب الحريق، أي: المحرق للقلوب والأبدان، ﴿إِنَّ اللهُ يَدْخُلُ الَّذِينُ آمِنُوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ ومعلوم أن هذا الوصف لا يصدق على غير السلمين، الذين أمنوا بجميع الكتب، وجميع الرسل، ﴿ يُحلُونُ فيها مِن أساور مِن ذهبِ ﴾ أي: يُسَوِّرون في أيديهم، رجالهم ونساؤهم أساور الذهب.

﴿ولباسهم فيها حرير﴾ فتم نعيمهم بمذكر أنواع المأكولات الملذيذات المشتمل عليها، لفظ الجنات، وذكر الأنهار السارحات، أنهار الماء واللين والعسل والخمر، وأنواع اللباس، والحلى الفاخر، وذلك بسبب أنهم

﴿ هدوا إلى الطيب من القول ﴾ الذي أفضله وأطيبه كلمة الإخلاص، ثم سائر الأقوال الطيبة التي فيها ذكر الله، أو إحسان إلى عباد الله، ﴿وهدوا إلى صراط الحميدة أي: الصراط المحمود، وذلك، لأن جميع الشرع كله محتوعلي الحكمة والحمد، وحسن المأمور به، وقبح المنهى عنه، وهو الدين الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح. أو: وهدوا إلى صراط الله الحميد، لأن الله كثيراً ما يضيف الصراط إليه، لأنه يوصل صاحبه إلى الله، وفي ذكر ﴿ الحميد ﴾ هنا، ليبين أنهم نالوا الهداية بحمد ربهم ومنته عليهم، ولهذا يقولون في الجنة: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله الوعترض تعالى بين هـذه الآيات بـذكـر سجود المخلوقات له، جميع من في السماوات والأرض، والـشـمـس، والـقـمـر، والنجوم، والجبال، والشجر، والدواب، الذي يشمل الحيوانات كلها، وكثير من الناس، وهم المؤمنون، ﴿وكثير حق عليه العذاب﴾ أي: وجب وكتب، لكفره وعدم إيمانه، فلم يوفقه الله للإيمان، لأن الله أهانه، ﴿ومن يهن الله فما له مــن مـــكـــرم﴾ ولا رادٌ لما أراد، ولا معارض لمشيئته، فإذا كانت المخلوقات كلها ساجدة لربها، خاضعة لعظمته، مستكينة لعزته، عانية لسلطانه، دل على أنه وحده، الرب المعبود، والملك المحمود، وأن من عدل عنه إلى عبادة سواه، فقد ضل ضلالاً بعيداً، وخسر

﴿٢٥﴾ ﴿إِنَّ الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم، يخبر تعالى عن شناعة ما عليه المشركون الكافرون بربهم، وأنهم جمعوا بين الكفر بالله ورسوله، وبين الصد

خسراناً مبيناً.

CHANGE II وَهُدُوا إِلَى ٱلطَّيْبِ مِنَ ٱلْقُوْلِ وَهُدُوا إِلَّى صِرَاطِ ٱلْحَيْدِ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِيكَ كَفَرُواْ وَيَصُّدُّونَ عَن سَكِيلَ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَدَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلْنَكُ لِلنَّسَاسِ سَوَّاءً ٱلْعَكِفُ فِيكِ وَٱلْبَادِ وَمَن يُرِدُ فِيهِ بِإِلْحَادِ بِظُلْمِ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ألِيهِ ۞ فَإِذْ بَوَأْتَ الإِبْرُهِ بِمَرْتَكَاتَ ٱلْبَيْتِ أَن لَا تُشْرِكُ بي شَيْنًا وَطَهِرْ يَبْتِيَ لِلطَّلَّا بِفِينَ وَٱلْقَابِمِينَ وَالرُّكَ عِ السُّجُودِ ۞ وَأَذِن فِي النَّاسِ بِالْحَجْ يَأْتُوكَ رِجَالُاوَعَلَىٰ كُلِ صَامِرِ يَأْتِينَ مِن كُلِ فَجَيقٍ ۞ لِيَشْهَدُواْ مَنْفِعَ لَمُنْرُو يَنْكُرُواْ اَسْمَالَيْهِ فِي أَيَامِ مَعْلُومَتٍ عَلَىمَارَزَقَهُ مِنْ بَهِ بَمَةِ ٱلْأَنْعَلِيرٌ فَكُ لُواٰمِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْبَابِسَ الْفَقِيرَ ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُواْ تَفَتَهُمُ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَقَلُوُّوا بِالْبِيْتِ الْعَيْتِيقِ ۞ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمُ حُرُمَتِ ٱللَّهِ فَهُوَ حَيْرٌ لِّهُ رِعِنَ مَنْ لِيِّي رِّو أَجِلَّتُ لَكُمُ ٱلأَفْكُ وَإِلَّامَا يُتَلَى عَلَيْكُ مُ مَّ فَكَاجُ تَنِبُوا الرِّخْسَ مِنَ ٱلْأَوْسُ نِ وَأَجْ يَنِهُوا فَوْلُ الزُّورِ ۞ 102000 110 000000

عن سبيل الله ومنع الناس من الإيمان، والصد أيضاً عن السجد الحرام، الذي ليس ملكاً لهم ولا لآبائهم، بل الناس فيه سواء، المقيم فيه، والطارىء إليه، بل صدوا عنه أفضل الخلق محمداً وأصحابه، والحال أن هذا المسجد الحرام، من حرمته واحترامه وعظمته، أن من يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم.

فمجرد إرادة الظلم والإلحاد في الحرم، موجب للعذاب، وإن كان غيره لا يعاقب العبد عليه إلا بعمل الظلم، فكيف بمن أتى فيه أعظم الظلم، من الكفر والشرك، والصدعن سبيله، ومنع من يريده بزيارة، فما ظنكم (١) أن يَفْعَل الله بهم؟!!

وفي هذه الآية الكريمة، وجوب احترام الحرم، وشدة تعظيمه، والتحلير من إرادة المعاصي فيه وفعلها.

﴿٢٦ ـ ٢٩﴾ ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع الستجود \* وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كلّ ضامِر يأتين من كل فجّ عميق \* ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا

TO THE PARTY NO. حُنفَآ أَهِ يَعْ عَيْرَ مُشْرِكِ بِنَ بِهُ وَمَن يُشْرِكِ بِأَلَّهِ فَكَأَمَّا حَرِّمِنَ ٱلسَّمَآ فِي فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّلَيْرُ أَوْتَهُوى بِهِ ٱلرَّبِحُ فِي مِّكَانِ سَعِيق ۞ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّرْ شَعَيْرَاًللَّهِ فَإِنَّهَ مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوب

۞ لَكُهُ فِيهَا مَنْفِعُ إِنَّ أَجَالِ مُسَتَّعَى أُرْبَعِ لُقَآ إِلَى ٱلْيَنْتِ

ٱلْعَيِيقِ ۞ وَلِكُلِ أَمْنَةِ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِيَذْكُرُوا

أَسْمَاللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَّقَهُ مِنْ بَهِيمَةِ ٱلْأَفْلَيْرُ فَإِلَّهُ كُمِّ اللَّهُ وَحِدُ فَلَهُ وَأَسْلِمُوا وَيَصْرِ الْخَبْدِينَ ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ

أللةُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُ مُ وَالصَّابِينَ عَلَىٰمَاۤ أَصَابَهُمْ وَٱلْقَيعِي

ٱلصَّلَوْةِ وَمِمَّارَزَقَتُهُمُّ سُفِقُونَ ﴿ وَٱلْكُذُنَجَعَلَتُهَالَكُمُّ

يِّن شَكَّيْرِاللَّهِ لَكُوْفِهَا خَيُّرٌ فَأَذْكُرُ وَأَانَهُ اللَّمَ عَلَيْهَا صَوَّافًّ

تشوش على المتعبديين، بالصلاة والبطواف، وقدم البطواف على الاعتكاف والصلاة، لاختصاصه مذا البيت، ثم الاعتكاف، لاختصاصه بجنس المسأجد،

﴿وأذن في الناس بالحبح أي: أعلمهم به، وادعهم إليه، وبَلُّغُ دانيهم وقاصيهم، فرضه وفضيلته، فإنك إذا دعوتهم، أتوك حجاجاً وعُمَّاراً، رجالاً، أي: مشاة على أرجلهم من الشوق، ﴿وعلى كل ضامر﴾ أي: ناقة ضامر، تقطع المهامه والمفاوز، وتواصل السير، حتى تأتي إلى أشرف الأماكن، ﴿من كل فج عميق﴾ أي: من كل بلد بعيد، وقد قعل الخليل عليه السلام، ثم من بعده ابنه محمد على فدعيا الناس إلى حج هذا البيت، وأبديا التي من عظِّمها وأجلِّها، أثابه الله ثواباً فى ذلك وأعاداً، وقد حصل ما وعُد الله به، أتاه الناس رجالاً وركباناً من مشارق الأرض ومغاربها، ثم ذكر فوائد زيارة بيت الله الحرام، مرغباً فيه

جزيلاً، وكانت خيراً له في دينه، ودنياه وأخراه عند ربه. وحرمات الله: كل ماله حرمة، وأمر باحترامه، بعبادة أو غيرها، فقال: ﴿ليشهدوا منافع لهم ﴾ أي: لينالوا ببيت الله منافع دينية، من كالمناسك كلها، وكالحرم والإحرام، وكالهدايا، وكالعبادات التي أمر الله العبادات الفاضلة، والعبادات التي لا العباد بالقيام بها، فتعظيمها إجلالها تكون إلا فيه، ومنافع دنيوية، من التكسب، وحصول الأرباح الدنيوية، بالقلب، وعبتها، وتكميل العبودية فيها، غير متهاون، ولا متكاسل، ولا وكل هذا أمر مشاهد كُلُّ يعرفه، ﴿وِيذُكروا اسم الله في أيام معلومات متثاقل، ثم ذكر منته وإحسانه بما أحله لعباده، من بهيمة الأنعام، من إبل وبقر على ما رزقهم من بهيمة الأنعام وهذا من المنافع الدينية والدنيوية، أي: وغنم، وشرعها من جملة المناسك، التي يتقرب بها إليه، فعظمت منته فيها ليذكروا اسم الله عند ذبح الهدايا، من الوجهين، ﴿إلا ما يتلي عليكم﴾ شكراً لله على ما رزقهم منها، ويسرها في القرآن تحريمه من قوله: ﴿حرمتُ لهم، فإذا ذبحتموها ﴿فكلوا منها عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) وأطعموا البائس الفقير ﴾ أي: شديد الآية، ولكن الذي من رحمته بعباده، أن الفقر، ﴿ ثم ليقضوا تفثهم ﴾ أي: حرمه عليهم، ومنعهم منه، تزكية يقضوا نسكهم، ويزيلوا الوسخ لهم، وتطهيراً من الشرك به وقول والأذي، الذي لحقهم في حال الزور، ولهذا قال: ﴿فاحتنبوا الإحرام، ﴿وليوفوا نذورهم التي الرجس ﴾ أي: الخبث القذر ﴿من أوجبوها على أنفسهم، من الحج، الأوثان) أي: الأنداد، التي جعلتموها والعمرة والهدايا، ﴿وليطوفوا بالبيت آلهة مع الله، فإنها أكبر أنواع الرجس، العتيق اي: القديم، أفضل المساجد والظاهر أن ﴿من﴾ هنا ليست لبيان على الإطلاق، المعتق: من تسلط الجنس، كما قاله كثير من المفسرين، الجبابرة عليه. وهذا أمر بالطواف، خصوصاً بعد الأمر بالمناسك عموماً، وإنما هي للتبعيض، وأن الرجس عام

فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْمِنْهَا وَأَطْمِمُوا ٱلْقَالِعَ وَٱلْمُعَرُّ لَكَالِكَ تَخْتِهَا لَكُمْ لَعَلَكُوْ تَشْكُرُونَ ۞ لَرَيَّنَالَ اللَّهُ لُمُومُهَا وَلَادِمَا وُهَا وَلَٰكِن يَنالُهُ النَّقُوىٰ مِنكُرُّكَ ذَٰلِكَ تَعَيَّهَا لَكُرُ لِنُكَيْرُوا اللَّهُ عَلَى مَاهَدَ لَكُرُ وَيَشْرِ الْخَيْسِينَ ﴿ • إِنَّاللَّهُ يُدَفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلِّخَوَّانِكَ فُودٍ ۞ TOWNSON MESSONS منها وأطعموا البائس الفقير \* ثم ليقضوا تنفشهم وليوفوا نذورهم وليطؤفوا بالبيت العتيق، يذكر تعالىٰ عظمة البيت الحرام وجلالته وعظمة بانيه، وهو خليل الرَّحن، فقال: ﴿وَإِذْ بوأنا لإبراهيم مكان البيت، أي: هيأناه له، وأنزلناه إياه، وجعل قسماً من ذريته من سكانه، وأمره الله ببنيانه، فبناه على تقوى الله، وأسسه على طاعية الله، ويناه هيو وابنه إسماعيل، وأمره أن لا يشرك به شيئاً،

بأن يخلص لله أعماله، ويبنيه على

اسم الله. ﴿وطهر بيتي الله أي: من الشرك والمعاصي، ومن الأنجاس والأدناس وأضافه الرحن إلى نفسه، لمشرفه، وفضله، ولتعظم محبته في القلوب، وتنصب إليه الأفتدة من كل جانب، وليكون أعظم لتطهيره وتعظيمه، لكونه بيت الرب للطائفين به والعاكفين عنده، المقيمين لعبادة من العبادات من ذكر، وقراءة، وتعلم علم وتعليمه، وغير ذلك من أنواع القرب، ﴿والركع السجود الي: المصلين، أي: طهره لهؤلاء الفضلاء، الذين همهم طاعة مولاهم وخدمته، والتقرب إليه عند بيته، فهؤلاء لهم الحق، ولهم الإكرام، ومن إكرامهم تطهير البيت لأجلهم، ويدخل في تطهيره، تطهيره من الأصوات اللاغية والمرتفعة التي لفضله، وشرفه، ولكونه المقصود، وما

قبله وسائل إليه.

ولعله \_والله أعلم أيضاً \_لفائدة أخرى، وهو: أن الطواف مشروع كل وقت، وسواء كان تابعاً لنسك، أم مستقلاً بنفسه.

﴿٣٠ ـ ٣١﴾ ﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عندريه وأحلت لكم الأنعام إلآما يتلي عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور \* حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنَّما خرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الربح في مكان سحيق﴾ ﴿ذلكُ ﴾ الذي ذَّكُرناً لكم من تلكم الأحكام، وما فيها من تعظيم حرمات الله وإجلالها وتكريمها، لأن تعظيم حرمات الله، من الأمور المحبوبة لله، المقربة إليه،

في جميع المنهيات المحرمات، فيكون

منهياً عنها عموماً، وعن الأوثان التي هي بعضها خصوصاً، ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ أي: جميع الأقوال المحرمات، فإنها من قول الزور الذي هو الكذب، ومن ذلك شهادة الزور فلمًا نهاهم عن الشرك والرجس وقول الزور.

أمرهم أن يكونوا ﴿حنفاء شُهُ أي: مقبلين عليه وعلى عبادته، معرضين عما سواه.

﴿غير مشركين به ومن يشرك بالله ﴾ أي: فمثله ﴿فكأنما خر من السماء ﴾ أي: سقط منها ﴿فتخطفه الطير ﴾ بسرعة ﴿أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ أي: بعيد، كذلك المشرك، فالإيمان بمنزلة السماء، محفوظة مرفوعة.

ومن ترك الإيمان، بمنزلة الساقط من السماء، عرضة للآفات والبليات، فإما أن تخطفه الطير فتقطعه أعضاء، كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان تخطفته الشياطين من كل جانب، ومزقوه، وأذهبوا عليه دينه ودنياه.

﴿٣٢ ـ ٣٣﴾ ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴿ لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ أي: ذلك الذي ذكرنا لكم من تعظيم حرماته وشعائره، والمراد بالسعائر: أعلام الدين الظاهرة، ومنها المناسك كلها، كما قال تسعمالي: ﴿إِنَّ السَّصَّفَ اللَّهِ وَالمَّرُوةُ مَّنَّ شعائر الله ومنها الهدايا والقربان للبيت، وتقدم أن معنى تعظيمها، إجلالها، والقيام بها، وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد، ومنها الهدايا، فتعظيمها باستحسانها واستسمانها، وأن تكون مكملة من كل وجه، فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، فالمعظم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمها تابع لتعظيم الله وإجلاله.

﴿لكم فيها﴾ أي: [في] في الهدايا ﴿منافع إلى أجل مسمى﴾ هذا في الهدايا المسوقة، من البدن ونحوها، ينتفع بها أربابها، بالركوب، والحلب ونحو ذلك، مما لا يضرها ﴿إلى أجل

مسمى مقدر، موقت وهو ذبحها إذا وصلت محلها وهو البيت العتيق، أي: الحرم كله «منى» وغيرها، فإذا ذبحت، أكلوا منها وأهدوا، وأطعموا البائس الفقير.

﴿٣٤ ـ ٣٥﴾ ﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فلهُ أسلموا وبشر المخبتين \* الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، أي: ولكل أمة من الأمم السالفة جعلنا منسكاً، أي: فاستبقوا إلى الخيرات وتسارعوا إليها، ولننظر أيكم أحسن عملاً، والحكمة في جعل الله لكل أمة منسكاً، لإقامة ذكره، والالتفات لشكره، ولهذا قال: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد، وإن اختلفت أجناس الشرائع، فكلها متفقة على هذا الأصل، وهو ألوهية الله، وإفراده بالعبودية، وترك الشرك به ولهذا قال: ﴿فله أسلموا﴾ أي: انقادوا واستسلموا له لا لغيره، فإن الإسلام له طريق إلى الوصول إلى دار السلام. ﴿وبشر المخبتين﴾ بخير الدنيا والآخرة، والمخبت: الخاضع لربه، المستسلم لأمره، المتواضع لعباده.

ثم ذكر صفات المخبتين فقال:
﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾
أي: خوفاً وتعظيماً، فتركوا لذلك وحده، ﴿والصابرين على ما أصابهم ﴾
من البأساء والضراء وأنواع الأذى، فلا يجري منهم التسخط لشيء من ذلك، بل صبروا ابتغاء وجه ربهم، محتسبين بل صبروا أبتغاء وجه ربهم، محتسبين الصلاة ﴾ أي: الذين جعلوها قائمة مستقيمة كاملة، بأن أدوا اللازم فيها والستحب، وعبوديتها الظاهرة والباطنة، ﴿وهما رزقناهم ينفقون ﴾ وهذا يشمل جميع النفقات الواجبة، كالزكاة، والكفارة، والنفقة على كالزكاة، والكفارة، والنفقة على

الزوجات والماليك، والأقارب،

والنفقات المستحبة، كالصدقات بجميع

وجوهها، وأتى به ﴿من﴾ المفيدة للتبعيض، ليعلم سهولة ما أمر الله به ورغب فيه، وأنه جزء يسير مما رزق الله، ليس للعبد في تحصيله قدرة، لولا تيسير الله له ورزقه إياه. فيا أيها المرزوق من فضل الله، أنفق مما رزقك الله ينفق الله عليك، ويزدك من فضله.

﴿٣٦ ـ ٣٧﴾ ﴿والبُدنَ جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون \* لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوي منكم كذلك سخّرها لكم لتكبّروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين، هذا دليل أن الشعائر عام في جميع أعلام الدين الظاهرة. وتقدم أن ألله أخبر أن من عظم شعائره، فإن ذلك من تقوى القلوب، وهنا أخبر أن من جملة شعائره، البُذْن، أي: الإبل، والبقر، على أحد القولين، فتعظم وتستسمن، وتستحسن، ﴿لكم فيها خير ﴾ أي: المهدي وغيره، من الأكل، والصدقة، والانتفاع، والشواب، والأجر، ﴿فَاذْكُرُوا اسم الله عليها﴾ أي: عند ذبحها قولوا (بسم الله) واذبحوها، ﴿صُوافُ﴾ أي: قائمات، بأن تقام على قوائمها الأربع، ثم تعقل يدها اليسرى، ثم تنحر.

﴿فإذا وجبت جنوبها ﴾ أي: سقطت في الأرض جنوبها ، حين تسلخ ، ثم يسقط الجزار جنوبها على الأرض ، فحيئذ قد استعدت لأن يؤكل منها ، ﴿فكلوا منها ﴾ وهذا خطاب للمهدي ، فيجوز له الأكل من هديه ، ﴿وأطعموا القانع والمعتر ﴾ أي: الفقير الذي لا يسأل ، تقنعا ، وتعففا ، والفقير الذي يسأل ، فكل منهما له حق فيهما .

﴿كذلك سخرناها لكم ﴾ أي: البدن ﴿لعلكم تشكرون ﴾ الله على تسخيرها، فإنه لولا تسخيره لها، لم يكن لكم بها طاقة، ولكنه ذللها لكم وسخرها، رحمة بكم وإحساناً إليكم،

فاحمدوه .

وقوله: ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ﴾ أي: ليس المقصود منها ذبحها فقط. ولا ينال الله من لحومها ولا دمائها شيء، لكونه الغني الحميد، وإنسما يناله الإخلاص في قال: ﴿ ولكن يناله التقوى منكم ﴾ ففي هذا حثّ وترغيب على الإخلاص في النحر، وأن يكون القصد وجه الله ممعة، ولا مجرد عادة، وهكذا سائر وسمعة، ولا مجرد عادة، وهكذا سائر وتقوى الله، كانت كالقشور الذي لا روح فيه، والجسد الذي لا روح فيه،

﴿كذلك سخرها لكم لتكبروا الله﴾ أي: تعظموه وتجلوه، ﴿على ما هداكم♦ أي: مقابلة لهدايته إياكم، فإنه يستحق أكمل الثناء وأجل الحمد، وأعلى التعظيم، ﴿وبشِّر المحسنين﴾ بعبادة الله بأن يعبدوا الله، كأنهم يرونه، فإن لم يصلوا إلى هذه الدرجة فليعبدوه، معتقدين وقت عبادتهم اطُلاعـه عـليهـم، ورؤيـتـه إيـاهـم، والمحسنين لعباد الله، بجميع وجوه الإحسان من نفع مال، أو علم، أو جاه، أو نصح، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو كلمة طيبة ونحو ذلك، فالمحسنون لهم البشارة من الله، بسعادة الدنيا والآخرة وسيحسن الله إليهم، كما أحسنوا في عبادته ولعباده ﴿ مل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ ﴿للذين أحسنوا الحسني وزيادة﴾.

وللدين الحسوا الحسى ورياده. وهم في الذين في الذين آمنوا إنّ الله لا يحب كل خوان كفور وهذا إخبار ووعد وبشارة من الله، للذين آمنوا، أن الله يدافع عنهم كل مرده، ويدفع عنهم كل شر بسبب إيمانهم ومن الكاره، ما لا يتحملون، ويخفف عنهم غاية التخفيف. كل مؤمن له من هذه المدافعة والفضيلة وموسب إيمانه، فمستقل ومستكثر.

﴿إِن الله لا يحب كل خوان ﴾ أي: خائن في أمانته التي حمله الله إياها، فيبخس حقوق الله عليه، ويخونها، ويخون الخلق.

ويرو ﴿كفور﴾ لنعم الله، يوالي عليه الإحسان، ويتوالى منه الكفر والعصيان، فهذا لا يحبه الله، بل يبغضه ويمقته، وسيجازيه على كفره وخيانته، ومفهوم الآية، أن الله يحب كل أمين قائم بأمانته، شكور لمولاه.

﴿٣٩ ـ ٤١ ﴾ ﴿أَذِن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير \* الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلاَّ أن يقولوا ربنا الله ولولاً دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها أسم آلله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إنَّ الله لقوى عزيز \* الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) كان المسلمون في أول الإسلام ممنوعين من قتال الكفار، ومأمورين بالصبر عليهم، لحكمة إلهية، فلما هاجروا إلى المدينة، وأوذوا، وحصل لهم منعة وقوة، أذن لهم بالقتال، قال تعالى: ﴿ أَذَنَ لَلَّذِينَ يقاتلون الله يفهم منه أنهم كانوا قبل ممنوعين، فأذن الله لهم بقتال الذين يُقاتِلُونَ، وإنما أذن لهم، لأنهم ظلموا، بمنعهم من دينهم، وأذيتهم عليه، وإخراجهم من ديارهم.

﴿وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ فليستنصروه، وليستعينوا به، ثم ذكر صفة ظلمهم فقال: ﴿اللّذِينَ أَخْرِجُوا مِن دِيارهم ﴾ أي: ألجؤوا إلى الخروج بالأذية والفتنة ﴿بغير حق إلا ﴾ أن دنبهم الذي نقم منهم أعداؤهم ﴿أن يقولوا ربنا الله ﴾ أي: إلا أنهم وحدوا الله، وعبدوه مخلصين له كقوله تعالى: ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾ وهذا يدل على حكمة الجهاد، وأن القصود منه إلى أمامة دين الله، وذَبُ الكفار المؤذين الممومنين، البادئين لهم بالاعتداء، عن الممومنين، البادئين لهم بالاعتداء، عن

ظلمهم واعتدائهم، والتمكن من عبادة الله، وإقامة الشرائع الظاهرة، ولهذا قال: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الله بالمجاهدين في سبيله ضرر الكافرين، ﴿لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد أى: لهدمت هذه المعابد الكبار، لطوائف أهل الكتاب، معابد اليهود والنصاري، والمساجد للمسلمين، ﴿يذكر فيها﴾ أي: في هذه المعابد ﴿ اسم الله كثيراً ﴾ تقام فيها الصلوات، وتتلى فيهاكتب الله، ويذكر فيها اسم الله بأنواع الذكر، فلولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، لاستولى الكفار على المسلمين، فخربوا معابدهم، وفتنوهم عن دينهم، فدل هذا، أن الجهاد مشروع، لأجل دفع الصائل والمؤذى، ومقصود لغيره، ودل ذلك على أن البلدان التي حصلت فيها الطمأنينة بعبادة الله، وعمرت مساجدها، وأقيمت فيها شعائر الدين كلها، من فضائل المجاهدين وببركتهم، دفع الله عنها الكافرين، قال الله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴿ .

فإن قلت: نرى الآن مساجد السلمين عامرة لم تخرب، مع أنها كثير منها إمارة صغيرة، وحكومة غير منظمة، مع أنهم لا يدان لهم بقتال من جاورهم من الإفرنج، بل نرى المساجد وأهلها آمنون مطمئنون، مع قدرة ولاتهم من الكفار على هدمها، والله أخبر أنه لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، لهدمت هذه المعابد، ونحن لا نشاهد دفعاً.

أجيب بأن هذا السوال والاستشكال، داخل في عموم هذه الآية وفرد من أفرادها، فإن من عرف أحوال الدول الآن ونظامها، وأنها تعتبر كل أمة وجنس تحت ولايتها، وداخل في حكمها، تعتبره عضواً من أعضاء المملكة، وجزء من أجزاء الحكومة، سواء كانت تلك الأمة

مقتدرة بعدرها أو عدرها، أو مالها، أو عملها، أو عملها، أو خدمتها، فتراعي الحكومات مصالح ذلك الشعب، الدينية والدنيوية، وتخشى إن لم تفعل ذلك أن يختل نظامها، وتفقد بعض أركانها، فيقوم من أمر الدين بهذا السبب ما يقوم، خصوصاً المساجد، فإنها - ولله الحمد - في غاية الانتظام، حتى في عواصم الدول الكبار.

وتراعي تلك الدول الحكومات المستقلة، نظراً لخواطر رعاياهم المسلمين، مع وجود التحاسد والتباغض بين دول النصارى، الذي أخبر الله أنه لا يزال إلى يوم القيامة، فتبقى الحكومة المسلمة، التي لا تقدر تدافع عن نفسها، سالة من [كثير] (١) ضررهم، لقيام الحسد عندهم، فلا يقدر أحدهم أن يمد يده عليها، خوفاً من احتمائها بالآخر، مع أن الله تعالى لا بد أن يُري عباده من نصر الإسلام والمسلمين، ما قد وعد به في كتابه.

وقد ظهرت ولله الحمد أسبابه

[بشعور المسلمين بضرورة رجوعهم إلى دينهم والشعور مبدأ العمل](٢)، فنحمده ونسأله أن يتم نعمته، ولهذا قال في وعده الصادق المطابق للواقع: ﴿ولينصرن الله من ينصره ﴾ أي: يقوم بنصر دينه، مخلصاً له في ذلك، يقاتل في سبيله، لتكون كلمة الله هي العليا. ﴿إِن الله لقوى عزيز ﴾ أي: كامل القوة، عزيز لا يرام، قد قهر الخلائق، وأخذ بنواصيهم، فأبشروا، يا معشر المسلمين، فإنكم وإن ضعف عَددُكُمْ وعُلدَدُكُم، وقلويَ عمدد علوكم وعدتهم<sup>(٢)</sup>، فإن ركنكم القوي العزيز، ومعتمدكم على من خلقكم وخلق ما تعملون، فاعملوا بالأسباب المأمور بها، ثم اطلبوا منه نصركم، فلا بد أن ينصر کم .

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ وقوموا،

أيها المسلمون، بحق الإيمان والعمل الصالح، فقد ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾.

ثم ذكر علامة من ينصره، وبها يعرف، أن من ادعى أنه ينصر الله وينصر دينه، ولم يتصف بهذا الوصف، فهو كاذب فقال: ﴿الذين إن مكناهم إياها، في الأرض﴾ أي: ملكناهم إياها، منازع ينازعهم، ولا معارض، ﴿أقاموا الصلاة﴾ في أوقاتها، وحدودها، وأركانها، وشروطها، في الجمعة والجماعات.

﴿ وَآتُوا الرِّكَاةِ ﴾ الـتي عليهم خصوصاً، وعلى رعيتهم عموماً، آتوها أهلها، الذين هم أهلها، ﴿وأمروا بالمعروف﴾ وهذا يشمل كل معروف حسنه شرعاً وعقلاً، من حقوق الله، وحقوق الآدميين، ﴿ونهوا عن المنكر﴾ كل منكر شرعاً وعقلاً، معروف قبحه، والأمر بالشيء والنهي عنه يدخل فيه ما لا يتم إلا به، فإذًا كان المعروف والمنكر يتوقف على تعلم وتعليم، أجبروا الناس على التعلم والتعليم، وإذا كان يتوقف على تأديب مقدر شرعاً، أو غير مقدر، كأنواع التعزير، قاموا بذلك، وإذا كان يتوقف على جعل أناس متصدين له، لزم ذلك، ونحو ذلك مما لا يتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا به.

﴿ولله عاقبة الأمور﴾ أي: جميع الأمور، ترجع إلى الله، وقد أخبر أن العاقبة للتقوى، فمن سلطه الله على العباد من الملوك، وقام بأمر الله، كانت له العاقبة الحميدة، والحالة الرشيدة، ومن تسلط عليهم بالجبروت، وأقام فيهم هوى نفسه،

CHARL REQUIRE اً الْإِنْ لِلَّذِينَ يُقَانِنُهُ وَكَ بِأَنَّهُمْ طُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ اللَّهُ لَقَكِيرُ ۞ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيكِيهِ بِغَيْرِحَقِ إِلَّا أَن يَقُولُوا ﴿ رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُ رِبَعْضِ لَكَيْمَتْ إِلَى صَوَيِمُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا أَسْدُالْتَهِ كَيْمِرُأُ وَلِيَنْصُرَكَ اللّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللّهَ لَقَوِيُّ عَزِيدُ ﴾ ۞ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَنَّنَاهُرُ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوْةَ وَءَاتُوُّا ٱلزَّكَوْةَ وَأَمْرُواْ بِٱلْعُرُوفِ وَنَهَوْاْعَنِ ٱلْنُكَرُّ وَلِيَّاعِيَّةُ ٱلْأَمُورِ ۞ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْكَذَبَتْ قَبْلَهُمْ فَوَمُرْنُوجٍ وَعَادُ وَنَهُودُ ۞ وَقَوْمُ إِبْرَهِي رَوَقَوْمُ لُوطٍ ۞ وَأَصْعَبُ مَدْيِّنَ ۚ وَكُذِبَ مُوسَىٰ فَأَمَّلَيْتَ لِلْكَيْمِ مِن ثُرَّا أَخَذْ تُعُمَّرً فَكَيْفَكَاكَ نَكِيرِ ۞ فَكَأَيْنِ مِنْ قَرْبَيَةٍ أَهْلَكَنَهَا ۫ۅؘۿؘڟؘٳڶڎٞۘڣؘۿۣؽڂٳۅؼڎؙٞۼڸٛڠۯۅۺۿٵۅۜڽۣڹٝڕؿ۫ۼڟۜڶۄٙۅٚڡٙۺ ﴾ مَشِيدِ، أَنَكَرَ يَسِيرُوا\_فِ ٱلْأَرْضِ فَنَكُونَ لَهُمُّ قُلُوبٌ يَعْقِلُون بِهَا أَوْءَاذَاتُ يَسْمَعُون بِهُا فَإِنَّهَا الاَتَعْمَى ٱلْأَبْصَدُ وَلَكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلِّي فِالصُّدُورِ ١ 

فإنه وإن حصل له ملك موقت، فإن عاقبته غير حميدة، فولايته مشؤومة، وعاقبته مذمومة.

﴿ ٤٦ \_ ٤٦﴾ ﴿ وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود \* وقوم إبراهيم وقوم لوط \* وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير \* فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد \* أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، يقول تعالى لنبيه محمد عَيْن: وإذ يكذبك هؤلاء المشركون فلست بأول رسول كذب، وليسوا بأول أمة كذبت رسولها ﴿فقد كذبت قبلهم قوم نوج وعاد وثمود \* وقوم إبراهيم وقوم لوط \* وأصحاب مدين﴾ أي: قوم شعيب.

وكسذب مسوسسى فأمسليت للكافرين الكذبين، فلم أعاجلهم بالعقوبة، بل أمهلتهم، حتى استمروا في طغيانهم يعمهون، وفي كفرهم

<sup>(</sup>۱) ریادة من هامش ب.

<sup>(</sup>٢) ريادة من هامش ب.

<sup>(</sup>٣) في أ: وعدتكم، وهو سبق قلم ـ والله أعلم ـ.

وشرهم يزدادون، ﴿ثم أَخَذَتُهُ ﴾ بالعذاب أخذ عزيز مقتدر ﴿فكيف كان نكير﴾ أي: إنكاري عليهم كفرهم، وتكذيبهم كيف حاله، كان أشد العقوبات، وأفظع المثلات، فمنهم من أغرقه، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أهْلِكَ بالريح العقيم، ومنهم من خسف به الأرض، ومنهم من أرسل عليه عذاب يوم الظلة، فليعتبر بهم هؤلاء المكذبون، أن يصيبهم ما أصابهم، فإنهم ليسوا خيراً منهم، ولا كتب لهم براءة في الكتب النزلة من الله، وكم من المعذبين المهلكين أمثال هؤلاء كشير، ولهذا قال: ﴿ فَكَأَيْنَ مِن قرية ﴾ أي: وكم من قرية ﴿أهلكناها ﴾ بالعذاب الشديد، والخــزى الــدنــيوي، ﴿وهــي ظــالمة﴾ بكفرها بالله وتكذيبها لرسله، لم يكن عقوبتنا لها ظلماً منا، ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ أي: فديارهم متهدمة، قصورها، وجدرانها، قدسقطت عروشها، فأصبحت خراباً بعدأن كانت عامرة، وموحشة بعد أن كانت آهلة بأهلها آنسة، ﴿وبئر معطلة وقصر مشيد الله أي: وكم من بئر، قد كان

يزدحم عليه الخلق، لشربهم وشرب مواشيهم، ففقد أهله، وعدم منه الوارد والصادر، وكم من قصر، تعب عليه أهله، فشيدوه، ورفعوه، وحصنوه، وزخرفوه، فحين جاءهم أمر الله، لم يغن عنهم شيئاً، وأصبح خالياً من أهله، قد صاروا عبرة لمن اعتبر، ومثالاً لمن فكر ونظر.

ولهذا دعا الله عباده إلى السير في الأرض، لينظروا، ويعتبروا فقال: ﴿أَفِلُم يسيروا في الأرض ﴾ بأبدانهم وقلوبهم ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ آیات الله ویتأملون بها مواقع عبره، ﴿أُو آذان يسمعون بها ﴾ أخبار الأمم الماضين، وأنباء القرون المعذبين، وإلا فمجرد نظر العين، وسماع الأذن، وسير البدن الخالي من التفكر والاعتبار، غير مفيد، ولا موصل إلى المطلوب، ولهذا قال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ أي: هذا العمى الضار في الدين، عمى القلب عن الحق، حتى لا يشاهده كما لا يشاهد الأعمى المرثيات، وأما عمى البصر، فغايته بلغة، ومنفعة دنيوية.

﴿٤٧ ـ ٤٨) ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإنَّ يوماً عند ربّك كألف سنة مما تعدون ١ وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلى المصير ﴾ أي: يستعجلك هؤلاء الكذبون بالعذاب، لجهلهم، وظلمهم، وعنادهم، وتعجيزاً لله، وتكذيباً لرسله، ولن يخلف الله وعده، فما وعدهم به من العذاب، لا بد من وقوعه، ولا يمنعهم منه مانع، وأما عجلته، والمبادرة فيه، فليس ذلك إليك يا محمد، ولا يستفزنك عجلتهم وتعجيزهم إيانا. فإن أمامهم يوم القيامة، الذي يجمع فيه أولهم وآخرهم، ويجازون بأعمالهم، ويقع بهم العذاب الدائم الأليم، ولهذا قال:

﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ من طوله، وشدته، وهوله، فسواء أصابهم عذاب في الدنيا، أم تأخر عنهم العذاب، فإن هذا اليوم، لا بد أن يدركهم.

ويحتمل أن المراد: أن الله حليم، ولو استعجلوا العذاب، فإن يوماً عنده كألف سنة مما تعدون، فالمدة، وإن تطاولتموها، واستبطأتم فيها نزول العذاب، فإن الله يمهل المدد الطويلة ولا يهمل، حتى إذا أخذ الظالمين بعذابه لم يفلتهم.

﴿وكأين من قرية أمليت لها ﴾ أي: أمهلتها مدة طويلة ﴿وهي ظالم ﴾ أي: مع ظلمهم، فلم يكن مبادرتهم بالظلم، موجباً لمبادرتنا بالعقوبة، ﴿ثم أخذتها ﴾ بالعذاب ﴿وإلى المصير ﴾ أي: مع عذابها في الدنيا، سترجع إلى الله فيعذبها بذنوبها، فليُحذر هؤلاء الظالمون من حلول عقاب الله ولا يغتروا بالإمهال.

﴿٤٩ ـ ٥١ ﴾ ﴿قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين \* فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم \* والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الححيم (١١) يأمر تعالى عبده ورسوله محمداً في أن يخاطب الناس جميعاً، بأنه رسول الله حقاً، مبشراً للمؤمنين بثواب الله، منذراً للكافرين والظالمين من عقابه، وقوله: ﴿مبين﴾ أي: بين الإنذار، وهو التخويف مع الإعلام بالمخوف، وذلك لأنه أقام البراهين الساطعة على صدق ما أنذرهم به، ثم ذكر تفصيل النذارة والبشارة فقال: ﴿فالذين آمنوا﴾ بقلوبهم إيماناً صحيحاً صادقاً ﴿وعملوا الصالحات ﴾ بجوارحهم ﴿ في جنات النعيم ﴾ أي: الجنات التي يتنعم بها بأنواع النعيم من المآكل والمشارب والمناكح والصور والأصوات والتنعم برؤية الرب الكريم وسماع

<sup>(</sup>١) سبق قلم الشيخ \_ رحمه الله \_ إلى الآية رقم (٥٦) من هذه السورة فجمع بينها وبين هذه الآية فكتب (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك أصحاب الجحيم) ثم فسرها بما يوافق الذي كتب، فعدلت الآية وصوبتها، وأبقيت النفسير كما هو.

كلامه ﴿والذين كفروا﴾ أي: جحدوا نعمة ربهم وكذبوا رسله وآياته فأولئك أصحاب الجحيم أي: الملازمون لها، المصاحبون لها في كل أوقاتهم، فلا يخفف عنهم من عذابها ولا يفتر عنهم لحظة من عقابها.

﴿٥٢ ـ ٧٥﴾ ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلاَّ إذا تمنّي ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم \*ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإنّ الظَّالَمِنْ لَفِّي شَقَّاقَ بعيد \* وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإنّ الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم \* ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أوياتيهم عذاب يوم عقيم \* الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم \* والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين ﴾ يخبر تعالى بحكمته البالغة، واختياره لعباده، وأن الله منا أرسيل قبيل محتميد ﴿مِنْ رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ﴾ أي: قرأ قراءته، التي يذَّكر بها الناس، ويأمرهم وينهاهم، ﴿ أَلْقِي الشَّيْطَانُ فِي أَمَّنِيتُهُ ﴾ أي: في قراءته، من طرقه ومكايده، ما هو مناقض لتلك القراءة، مع أن الله تعالى قد عصم الرسل بما يبلغون عن الله، وحفظ وحيه أن يشتبه، أو بختلط بغيره. ولكن هذا الإلقاء من الشيطان، غير مستقر ولا مستمر، وإنما هو عارض يعرض، ثم يزول، وللعوارض أحكام، ولهذا قال: ﴿ فينسخ الله ما يلقى الشيطان ﴾ أي: يزيله ويذهبه ويبطله، ويبين أنه ليس من آياته، و ﴿يحكم الله آياته﴾ أي: يتقنها، ويحررها، ويحفظها، فتبقى خالصة من مخالطة إلقاء الشيطان، ﴿والله عمزير ﴾ أي: كمامل القوة

والاقتدار، فبكمال قوته، يحفظ وحيه، ويزيل ما تلقيه الشياطين، وحكيم ويضع الأشياء مواضعها، فمن كمال حكمته، مكن الشياطين من الإلقاء المذكور، ليحصل ما ذكره بقوله: وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة وهم الذين وفي قلوبهم مرض أي: ضعف وعدم إيمان تام وتصديق صعف وعدم إيمان تام وتصديق تطرأ عليها، فإذا سمعوا ما ألقاه تطرأ عليها، فإذا سمعوا ما ألقاه فصار فتنة لهم.

﴿والقاسية قلوبهم﴾ أي: الغليظة، التي لا يؤثر فيها زجر ولا تذكير، ولا تفهم عن الله وعن رسوله لقسوتها، فإذا سمعوا ما ألقاه الشيطان، جعلوه حجة لهم على باطلهم، وجادلوا به وشاقوا الله ورسوله، ولهذا قال: ﴿وإن الظالمِن لفى شقاق بعيد ﴾ أي: مشاقة لله، ومعاندة للحق، ومخالفة له، بعيد من الصواب، فما يلقيه الشيطان، يكون فتنة لهؤلاء الطائفتين، فيظهر به ما في قلوبهم، من الخبث الكامن فيها، وأمّا الطائفة الثالثة، فإنه يكون رحمة في حقها، وهم المذكورون بقوله: ﴿ وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك لأن الله منحهم من العلم، ما به يعرفون الحق من الباطل، والرشد من الغي، فيميزون بين الأمرين، الحق المستقر، الذي يحكمه الله، والباطل العارض الذي ينسخه الله، بما على كل منهما من الشواهد، وليعلموا أن الله حكيم، يقيض بعض أنواع الابتلاء، ليظهر بذلك كمائن النفوس الخيرة والشريرة، ﴿فيؤمنوا به ﴾ بسبب ذلك، وينزداد إيمانهم عنددفع المعارض والشبه.

﴿ فتخبت له قلوبهم ﴾ أي: تخشع وتخضع، وتسلم لحكمته، وهذا من هدايته إياهم، ﴿ وإن الله لهادي الذين

ٱلْمُنْكُ وَمَهِ إِلَّهِ يَعْكُمُ مِّنْهُمْ فَالَّذِي ءَامْنُوا وَعَهِلُوا المَيْاحَتِ فِي حَنَّتِ النِّعِيدِ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وكَ نَبُواْ بِعَايَنِيْنَا فَأُوْلَيْهِا كَ لَهُمْ عَذَاتِ مُهِينً ٥ وَالَّذِي مَاجَرُوا فِي سَجِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مُنِّهُ أَوْمَا وَأ لَيْرُوْقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرًا لِزَوْقِينَ @ آيُدْخِلَنَـُ هُرِمُنْحُ كُرِيْرَضَوْنَ مُؤَاكَ أَلَهُ لَعَيلِـمُ حَلِيهُ ۞ • ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَاعُوقِبَ بِدِهِ ثُمَّ بُغِي عَلَيْهِ لِيَنصُرَكَ ٱللَّهُ إِن اللَّهَ لَكَ فُوُّ عَـُفُورٌ ۞ ذَالِكَ بِأَكَ ٱللَّهَ يُولِحُ ٱلَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِعُ النَّهَا وَفِ الَّيْلِ وَأَنَ اللَّهَ سَكِيعٌ بَصِيرٌ ﴿ ذَلِكَ إِلَى اللَّهُ هُوَ أَكْفُ وَأَنْ مَايَدْعُونَ مِن دُونِيهِ مُعَوَّالْمِنْ طِلُ وَأَنْ اللَّهَ هُوَالْكِلُ الْكَبِيرُ ۞ الزَّرَزَاتِ اللهَ أَنزَلَ مِن السَّكَآءِ مَا أَ فَصَيِبُ الْأَرْضُ الْعُمْسَرَةُ إِنَ ٱللَّهَ لَطِيفُ خِيرٌ ﴿ لَهُمَا فِي ٱلسَّكُمُونِ إلى وَمَاسِهُ ٱلأَرْضُ وَإِنَ ٱلْمَوْالْعَينُ ٱلْعَصِيدُ ۞ OVEROV WEREER

آمنوا بسبب إيمانهم ﴿إلى صراط مستقيم كالم بالحق، وعمل بمقتضاه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وهذا النوع من تثبيت الله لعده.

وهذه الآيات، فيها بيان أن للرسول هي أسوة بإخوانه المرسلين، للرسول هي أسوة بإخوانه المرسلين، لا وقد منه عند قراءته هي: والعزى \* ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان في قراءته: "تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن (١) لترتجى»، فحصل بذلك للرسول حزن وللناس فتنة، كما ذكر الله، فأنزل الله هذه الآيات.

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ: شفاعتهم.

<sup>(</sup>٢) في النسختين: وأنه.

**《秦文》《《李明》** 《《李明》 ٱلْرَّتَرَأَنَّ ٱللَّهُ سَخَرَلَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلُكَ تَحْرَى فِي الْمُ ٱلْمَرْيَأَمْهِ. وَتُمْسِكُ ٱلسَّكَأَةِ أَن تَقَمَّعَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْ يُعِدُّ ۗ إِنَ اللَّهَ بَالْنَايِنِ لَرَءُ وَقُ رَبِّهِ مِنْ وَهُوَ الَّذِي أَخَمَاكُمُ ثُمَّيْمُ ثُدُّتُمُ مُعَالِّمُ الْإِنْكَ لَكَ عُورُهُ لِكُلُ أُمْنَةِ جَعَلْنَا مَنْكُمَّا هُمْ نَايِيكُومٌ فَلَائْنَازِعُنَّكَ فِ ٱلْأَمْنِ وَآدَعُ إِلَى رَبِكُ إِنَّكَ لَعَلَى هُدَى مُسْتَقَدِي وَإِن جَنَدَلُوكَ فَقُلُ اللَّهُ أَغَلُّمُ مِمَا لَقَدُ مُلُوتَ ﴿ اللَّهُ يَخَكُرُ اللَّهُ بَيْنَكُرْيَوْمَ ٱلْقِيكَمَةِ فِيمَاكُنتُمْ فِيهِ تَغْتَلِفُوكِ ۞ [أَأَ ٱلْرَقْعَلَرَأَكَ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّكَمَا فِي ٱلْرَضِّ إِلَّ ذَلِكَ فِ كِنْبُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَ ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَرُيْزَلْ بِهِ مِسْلَطَانًا وَمَا لَيْسَ لَحُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَصِيرِ ۞ وَإِذَا تُتَا لَيَ عَلَيْهِمْ مَالِئَذَا بَيِنَتُ تَعْرِفُ فِي وُجُوراً لَذِي كَشَرُوا النُّكِرِّيكَ أَدُن يَسَطُونَ الْمُنْ النِّينَ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ النِينَّا فَي الْمَالِيَّةِ عَلَيْهِ النِينَّا فَيْ الْمَالِيَّةِ عَلَيْهِ النِينَّا فَيْ الْمَالِيَّةِ عَلَيْهِ النِينَّا فَيْ الْمَالِيَّةِ عَلَيْهِ النِينَّا فَيْ الْمَالِيَةِ عَلَيْهِ النِينَّةِ فِي اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللْهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللْهِ عَلَيْهِ اللْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللْهِ عَلَيْهِ الْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللْهِ عَلَيْهِ اللْهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللْهِ عَلَيْهِ عَل الله والمستركة النَّارُوعَدَهَا اللَّهُ الَّذِيكَ لَقَرُوا وَبَسُوا لَيْمِيرُ اللَّهِ اللَّا اللَّهِ الللَّهِ اللَّهِ الللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ AREAR III ERREER

الساعة بغتة أي: مفاجأة ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم ﴾ أي: لا خير فيه ، وهو يوم القيامة ، فإذا جاءتهم الساعة ، أو أتاهم ذلك اليوم ، علم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ، وندموا حيث لا ينفعهم الندم ، وأبلسوا وأيسوا من كل خير ، وودوا لو آمنوا بالرسول واتخذوا معه سبيلاً ، ففي هذا تحذيرهم من إقامتهم على مريتهم وفريتهم .

والملك يومئلُه أي: يوم القيامة وشه تعالى، لا لغيره، ويحكم بينهم بحكمه العدل، وقضائه الفصل، وقضائه ورسله، وما جاؤوا به وعملوا الصالحات ليصدقوا بذلك إيمانهم وفي جنات النعيم نعيم القلب والروح والبيدن، عما لا يصفه الواصفون، ولا تدركه العقول.

﴿واللّذيت كفروا بالله ورسله وكذبوا بآياته الهادية للحق والصواب فأعرضوا عنها، أو عاندوها، ﴿فَوَالِئُكُ لَهُم عذاب مهين ﴾ لهم، من شدته، وأله، وبلوغه للأفئدة كما استهانوا برسله وآياته، أهانهم الله بالغذاب.

﴿٥٨ ــ ٥٩﴾ ﴿والذين هاجروا في سبيل الله ثم قسلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإنّ الله لهو

خير الرازقين \* ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإنّ الله لعليم حليم \* هذه بشارة كبرى، لمن هاجر في سبيل الله، فخرج من داره ووطنه وأولاده وماله، ابتغاء وجه الله، ونصرة لدين الله، مات على فراشه، أو قتل مجاهداً في سبيل الله، ﴿ليرزقنَهُ هم الله رزقاً ولحسان، ونعيم القيامة بدخول الجنة الجامعة للروح والريحان، والحسان، ونعيم القلب والبدن، ويحتمل أن المعنى (۱۱): أن والبدن، ويحتمل أن المعنى (۱۱): أن المهاجر في سبيل الله، قد تكفل برزقه في الدنيا، رزقاً واسعاً حسناً، سواء على فراشه، أو يقتل شهيداً، فكلهم مضمون له يقتل شهيداً، فكلهم مضمون له الرزق، فلا يتوهم أنه إذا خرج من

يقتل شهيداً، فكلهم مضمون له الرزق، فلا يتوهم أنه إذا خرج من دياره وأمواله، سيفتقر ويحتاج، فإن رازقه هو خير الرازقين، وقد وقع كما أخبر، فإن المهاجرين السابقين، تركوا ديارهم وأبناءهم وأموالهم، نصرة لدين الله، فلم يلبثوا إلا يسيراً، حتى فتح الله عليهم البلاد، ومكنهم من العباد فاجتبوا من أموالها، ما كانوا به من أغنى الناس، ويكون على هذا القول، قوله: ﴿ليدخلنهم مدخلاً يرضونه أما ما يفتحه الله عليهم من البلدان، خصوصاً فتح مكة المشرفة، فبإنهم دخلوها في حالة الرضا والسرور، وإما المرادبه رزق الآخرة، وأن ذلك دخول الجنة، فتكون الآية جمعت بين الرزقين، رزق الدنيا،

لهم رزقه، ويسدي إليهم فضله. ﴿ ٢٠﴾ ﴿ ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور ﴾ ذلك بأن من جُنِيَ

ورزق الآخرة، واللفظ صالح لذلك

كله، والمعنى صحيح، فلا مانع من

إرادة الجميع ﴿وإن الله لعليم﴾

بالأمور، ظاهرها، وباطنها، متقدمها،

ومتأخرها، ﴿حليم﴾ يعصيه الخلائق،

ويبارزونه بالعظائم، وهو لا يعاجلهم

بالعقوبة مع كمال اقتداره، بل يواصل

عليه وظُلِمَ، فإنه يجوز له مقابلة الجاني بمثل جنايته، فإن فعل ذلك، فليس عليه سبيل، وليس بملوم، فإن بُغِيَ عليه بعد هذا، فإن الله ينصره، لأنه مظلوم، فلا يجوز أن يُبغَى عليه، بسبب أنه استوفى حقه، وإذا كان المجازي غيره، بإساءته إذا ظلم بعد ذلك، نصره ألله، فالذي بالأصل لم يعاقب أحداً إذا ظُلِمَ وجني عليه، فالنصر إليه أقرب.

﴿إِن الله لعفو غفور﴾ أي: يعفو عن المذنبين، فلا يعاجلهم بالعقوبة، ويغفر ذنوبهم فيزيلها، ويزيل آثارها عنهم، فالله هذا وصفه المستقر اللازم الذاتي، ومعاملته لعباده في جميع الأوقات بالعفو والمغفرة، فينبغي لكم أيها المظلومون المجني عليهم، أن تعفوا وتصفحوا وتغفروا ليعاملكم الله كما تعاملون عباده ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾.

﴿ ٦١ \_ ٦٢ ﴾ ﴿ ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأنّ الله سميع بصير \* ذلك بأنّ الله هو الحق وأنّ ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير ﴾ ذلك الذي شرع لكم تلك الأحكام الحسنة العادلة، هو حسن التصرف، في تقديره وتدبيره، الذي ﴿يُولَجُ اللَّيلُ فَيُّ النهار﴾ أي: يدخل هذا على هذا، وهنذا على هذا، فيأتى بالليل بعد النهار، وبالنهار بعد الليل، ويزيد في أحدهما ما ينقصه في الآخر، ثم بالعكس، فيترتب على ذلك، قيام الفصول، ومصالح الليل والنهار، والشمس والقمر، آلتي هي من أجل نعمه على العباد، وهي من الضروريات لهم. ﴿وأن الله سميع ﴾ يسمع ضجيج الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، ﴿بصير﴾ يرى دبيب النملة السوداء، تحت الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار€.

﴿ذلك﴾ صاحب الحكم والأحكام ﴿بأن الله هو الحق﴾ أي: الشابت، الذي لا يزال ولا يزول، الأول الذي ليس بعده شيء، الآخر الذي ليس بعده شيء، كامل الأسماء والصفات، صادق الوعد، الذي وعده حق ولقاؤه حق، ودينه حق، وعبادته هي الحق، النافعة الباقية على الدوام.

﴿وأن ما يلاعبون من دونه ﴾ من الأصنام والأنداد، من الحيوانات والجمادات، ﴿هو الباطل﴾ الذي، هو باطل في نفسه، وعبادته باطلة، لأنها متعلقة بمضمحل فاني، فتبطل تبعاً لغايتها ومقصودها، ﴿وأن الله هو العلى الكبير، العلى في ذاته، فهو عال على جميع المخلوقات وفي قدره، فهو كامل الصفات، وفي قهره لجميع المخلوقات، الكبير في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، الذّي من عظمتُه وكبريائه، أن الأرض قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه، ومن كبريائه، أن كرسيه وسع السماوات والأرض، ومن عظمته وكبريائه، أن نواصى العباد بيده، فلا يتصرفون إلا بمشيئته، ولا يتحركون ويسكنون إلا بإرادته.

وحقيقة الكبرياء التي لا يعلمها إلا هو، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، أنها كل صفة كمال وجلال وكبرياء وعظمة، فهي ثابتة له، وله من تلك الصفة أجلها وأكملها، ومن كبريائه، أن العبادات كلها، الصادرة من أهل السماوات والأرض، كلها المقصود منها، تكبيره وتعظيمه، وإجلاله وإكرامه، ولهذا كان التكبير شعاراً للعبادات الكبار، كالصلاة وغيرها.

﴿٦٤ \_ ٦٤ ﴾ ﴿أَلْمُ تَسِ أَنَ اللهُ أَنْسِرُكُ من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إِنَّ اللهُ لطيف خبير \* له ما في السماوات وما في الأرض وإِنَّ الله لهو المغني الحميد ﴾ هذا حث منه تعالى، وترغيب في النظر بآياته الدالات على

وحدانيته، وكماله فقال: ﴿أَلُمْ تَرَ﴾ أي: أَلُمْ تَشَاهد ببصرك وبصيرتك ﴿أَنَّ الله أَنْوَلُ مِن السماء ماء ﴾ وهو: المطر، فينزل على أرض خاشعة مجدبة، قد اغبرت أرجاؤها، ويبس ما فيها، من شجر ونبات، فتصبح مخضرة قد اكتست من كل زوج كريم، وصار لها بذلك منظر مهيج، إن الذي أحياها بعد موتها وهمودها لمحيي الموتى بعد أن كانوا رميماً.

وإن الله لطيف خبير اللطيف الذي يدرك بواطن الأشياء، وخفياتها، وسرائرها، الذي يسوق إلى عبده الخير، ويدفع عنه الشر(١١)، بطرق لطيفة تخفى على العباد، ومن لطفه، أنه يري عبده، عزته في انتقامه وكمال اقتداره، ثم يظهر لطفه بعد أن أشرف العبد على الهلاك، ومن لطفه، أنه يعلم مواقع القطر من الأرض، وبذور الأرض في باطنها، فيسوق ذلك الماء إلى ذلك البذر، الذي خفي على علم الخلائق فينبت منه أنواع النبات، الخير، وخفايا الأمور، وخبايا الصدور، وخفايا الأمور.

﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ خلقاً وعبيداً، يتصرف فيهم بملكه وحكمته وكمال اقتداره، ليس لأحد غيره من الأمر شيء.

وإن الله لهو الغني المات الذي له الغنى المطلق التام، من جميع الوجوه، ومن غناه، أنه لا يحتاج إلى أحد من ولا يتكثر بهم من قلة، ومن غناه، أنه ما اتخذ صاحبة ولا ولداً، ومن غناه، أنه من الخذ صحد، لا يأكل ولا يشرب، ولا يحتاج إلى ما يحتاج إليه الخلق بوجه من الوجوه، فهو يُطعِمُ ولا يُطعَمُ، من الوجوه، فهو يُطعِمُ ولا يُطعَمُ، ومن غناه، أن الخلق كلهم مفتقرون إليه، في إيجادهم، وإعدادهم ومناهم، ومن انه لو اجتمع من في السماوات ومن في الأرض، الأحياء منهم

والأموات، في صعيد واحد، فسأل كل منهم ما بلغت أمنيته، فأعطاهم فوق أمانيهم، ما نقص ذلك من ملكه شيء، ومن غناه، أنّ يده سحّاء بالخير والبركات، الليل والنهار، لم يزل إفضاله على الأنفاس، ومن غناه وكرمه، ما أودعه في دار كرامته، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

﴿ الحميد ﴾ أي: المحمود في ذاته، وفي أسمائه، لكونها حسني، وفي صفّاته، لكونها كلها صفات كمال، وفي أفعاله، لكونها دائرة بين العدل والإحسان والرحمة والحكمة، وفي شرعه، لكونه لا يأمر إلا بما فيه مصلحة خالصة أو راجحة، ولا ينهي إلا عما فيه مفسدة خالصة أو راجحة، الذي له الحمد، الذي يملأ ما في السماوات والأرض، وما بينهما، وما شاء بعدها، الذي لا يحصى العباد ثناء على حمده، بل هو كما أثني على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده، وهو المحمود على توفيق من يوفقه، وخذلان من يخذله، وهو الغني في حمده، الحميد في غناه.

﴿ ٦٥ \_ ٦٦ ﴾ ﴿ أَلَمْ تَوَ أَنَّ اللهُ سُخِّر لكم ما في الأرض والفلك تجرى في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه إنّ الله بالناس لرَّؤوف رحيم \* وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إنَّ الإنسان لكفور ﴾ أي: ألم تشاهد ببصرك وقلبك نعمة ربك السابغة، وأياديه الواسعة، و ﴿أَنَّ اللَّهُ سخر لكم ما في الأرض من حيوانات، ونبات، وجمادات، فجميع ما في الأرض، مسخر لبني آدم، حيواناتها، لركوبه، وحمله، وأعماله، وأكله، وأنواع انتفاعه، وأشجارها، وثمارها، يقتاتها، وقد سلط على غرسها واستغلالها، ومعادنها، يستخرجها، وينتفع بها، ﴿والفلك﴾ أي: وسخر لكم الفّلك، وهي السفن

<sup>(</sup>١) في ب: (عباده الخير ويدفع عنهم الشر).

أي: هو عالم بمقاصدكم ونياتكم،

فمجازيكم عليها في يوم القيامة الذي

يحكم الله بينكم فيماً كنتم فيه تختلفون،

فمن وافق الصراط المستقيم، فهو من

أهل النعيم، ومن زاغ عنه، فهو من

أهل الجحيم، ومن تمام حكمه، أن

يكون حكماً بعلم، فلذلك ذكر إحاطة

علمه، وإحاطة كتابه فقال: ﴿ أَلَّم تعلم

أن الله يعلم ما في السماء والأرض﴾

لا يخفى عليه منها خافية، من ظواهر

الأمور وبواطنها، خفيّها وجليها،

متقدمها ومتأخرها، أن ذلك العلم

المحيط بما في السماء والأرض قد

أثبته الله في كتاب، وهو اللوح

المحفوظ، حين خلق الله القلم، قال

له: «اكتب» قال: ما أكتب؟ قال:

«اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة».

﴿ تَجري في البحر بأمره ﴾ تحملكم ، وتحمل كم وتحمل كم من محل إلى محل، وتستخرجون من البحر حلية تلبسونها، ومن رحمته بكم أنه ﴿ يمسك السماء أن تقع على الأرض ﴾ فلولا الأرض، فتلف ما عليها، وهلك من فيها ﴿ إِن الله يمسك السماوات والأرض أن تـزولا ولــــن زالــــا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً ﴾ .

﴿إِن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾ أرحم بهم من والديهم، ومن أنفسهم، ولهذا يريد لهم الخير، ويريدون لها الشر والضر، ومن رحمته، أن سخر لهم ما سخر من هذه الأشياء.

وهو الذي أحياكم الوجدكم من العدم وثم يميتكم بعد أن أحياكم، وثم يحييكم بعد موتكم، ليجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، وإن الإنسان أي: جنسه، إلا من عصمه الله (لكفور) لنعم الله، كفور بالبعث وقدرة ربه.

﴿٧٧ ـ ٧٠﴾ ﴿لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربىك إنّىك لىعىلى هـدى مستقيم ﴿ وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون \* الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون \* ألم تعلم أنّ الله يعلم ما في السماء والأرض إنَّ ذلك في كتاب إنَّ ذلك على الله يسير ﴾ يخبر تعالى أنه جعل لكل أمة ﴿منسكاً ﴾ أي: معبداً وعبادة، قد تختلف في بعض الأمور، مع اتفاقها على العدلُ والحكمة، كما قال تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم) الآية، ﴿هم ناسكوه﴾ أي: عاملون عليه، بحسب أحوالهم، فلا اعتراض على شريعة من الشرائع، خصوصاً من الأميين أهل الشرك وآلجهل المبين، فإنه إذا ثبتت رسالة الرسول بأدلتها، وجب

أن يتلقى جميع ما جاء به بالقبول

والتسليم، وترك الاعتراض، ولهذا قال: ﴿فلا ينازعنك في الأمر ﴾ أي: لا ينازعك المكذبون لك، ويعترضون على بعض ما جئتهم به، بعقولهم الفاسدة، مثل منازعتهم في حل الميتة، بقياسهم الفاسد، يقولون: «تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل الله»، وكقولهم «إنما البيع مثل الربا» ونحو ذلك من اعتراضاتهم، التي لا يلزم الجواب عن أعيانها، وهم منكرون لأصل الرسالة، وليس فيها مجادلة ومحاجة بانفرادها، بل لكل مقام مقال، فصاحب هذا الاعتراض، المنكر لرسالة الرسول، إذا زعم أنه يجادل ليسترشد، يقال له: الكلام معك في إثبات الرسالة وعدمها، وإلا فالاقتصار على هذه، دليل أن مقصوده التعنت والتعجيز، ولهذا أمر الله رسوله أن

لك الصلابة والمضى لما أمرك به ربك،

ولست على أمر مشكوك فيه، أو

حديث مفترى، فتقف مع الناس ومع

أهوائهم، وآرائهم، ويوقفك

اعتراضهم، ونظير هذا قوله تعالى:

﴿ فتوكل على الله إنك على الحق

المبين). مع أن في قوله: ﴿إنك لعلى

هدى مستقيم ارشاد لأجوبة

المعترضين على جزئيات الشرع، بالعقل

الصحيح، فإن الهدى وصف لكل ما

جاء به الرسول، والهدى: ما تحصل به

الهداية، من مسائل الأصول والفروع،

وهى المسائل التي يعرف حسنها

وعدلها وحكمتها بالعقل والفطرة

السليمة، وهذا يعرف بتدبر تفاصيل

ولهذا أمره الله بالعدول عن

جدالهم في هذه الحالة، فقال: ﴿وإن

جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون،

المأمورات والمنهيات.

والتعجيز، ولهذا أمر الله رسوله أن يبدعو إلى ربه بالحكمة والموطة المسير على الله يسير في ان تصوره عندكم لا يحاط به، فالله تعالى الحسنة، ويمضي على ذلك، سواء الأشياء، وأن يكتب ذلك في كتاب المتبرض المعترضون أم لا، وأنه مطابق للواقع. الأثيك وعلى هدى مستقيم أي: معتدل موصل للمقصود، متضمن علم معتدل موصل للمقصود، متضمن علم دون الله ما لم ينزل به سلطاناً وما ليس الحق والعمل به، فأنت على ثقة من أمرك، ويقين من دينك، فيوجب ذلك

﴿٧١ ـ ٧٢﴾ ﴿ويسعسبدون مسن دون الله ما لم ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير \* وإذا تتلي عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أَفَأُنبِتُكُم بِشَرِّ مِن ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير، يذكر تعالى حالة المشركين به، العادلين به غيره، وأن حالمهم أقبيح الحالات، وأنه لا مستندلهم على ما فعلوه، فليس لهم به علم، وإنما هو تقليد تلقوه عن آبائهم الضالين، وقد يكون الإنسان لا علم عنده بما فعله، وهو ـ في نفس الأمر ـ له حجة ما علمها، فأخبر هنا، أن الله لم ينزل في ذلك سلطاناً، أي: حجة تدل عليه وتجوزه، بل قد أنزل البراهين القاطعة على فساده وبطلانه، ثم توعد الظالمين منهم المعاندين للحق فقال: ﴿وما للظالمينُ من نصير ﴾ ينصرهم من عذاب الله إذا نزل بهم وحل. وهل هؤلاء الذين لا علم لهم بما هم عليه قصد في اتباع

تَنَاتُهُا النَّاسُ شُرِبَ مَثَلٌ فَأَسْتَمِعُ الْهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَغْلُقُوا ذُبَ إِنَا وَلَوِ ٱجْمَعُوا لَمُولَا يَسْلُكُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْعًا لَآيِسَ تَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِكُ ٰ وَٱلْمَطْلُوبُ ۞ مَافَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ أَ إِنَ اللَّهَ لَقُويُّ عَيْدُهُ ۞ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ ٱلْمُلَيِّكَ وَرُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاينُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيِيعُ بَصِيرٌ ﴿ يَعْلَمُ مَا يَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَاخَلَفَهُمُّ وَإِلَى اللَّوَتُرْجَكُ كُمَّ الْأَمُورُ ۞ يَنَالُهُمَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ازْكَعُوا وَاسْجُدُواْ وَاعْبُدُواْ رَيَّكُمْ وَانْعَلُواْ ٱلْخَيْرَلَعَلِّكُمْ تُقْلِحُونَ۞ ﴿ وَجَهِدُواْفِ اللَّهِ حَقَّجِهَ ادِيَّهِ هُوَالْجَتَبَاكُمُّ وَمَاجَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱليِّن مِنْ حَكَرَةً مِلَة أَيد كُمْ إِبْرُهِ مِنْ هُوَسَمَّ مُكُمُ ٱلْسُلِينَ مِن مَبْلُ وَفِي هَا لَمَ إِلِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمُ وَيَّكُونُولُ الله الله المُهَاكِنَا عَلَى النَّايِنُ فَأَقِيمُوا الصَّلَوْةِ وَءَاتُوا الزَّكَوْةَ وَاعْتَصِمُوا باللَّهِ هُوَمَوْلَلكُونَ فِعَمَ لَلْوَلِى وَنِعْمَ الْفِيدُ ۞ STATE OF STA

صفوة الخلق على الإطلاق، والذي اختارهم واصطفاهم (۱<sup>)</sup>، ليس جاهلاً بحقائق الأشياء، أو يعلم شيئاً دون شيء، وإنما المُصطَّفي لهم، السميع، البصير، الذي قد أحاط علمه وسمعه وبصره بجميع الأشياء، فاختياره إياهم، عن علم منه، أنهم أهل لذلك، وأن الوحي يصلح فيهم كما قال تعالى: ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ .

are a milatera

﴿ وَإِلَى اللهِ تَرجع الأُمور ﴾ أي: هو يرسل الرسل، يدعون الناس إلى الله، فمنهم المجيب، ومنهم الراد لدعوتهم، ومنهم العامل، ومنهم الناكل، فهذا وظيفة الرسل، وأما الجزاء على تلك الأعمال، فمصيرها إلى الله، فلا تعدم منه فضلاً أو عدلاً.

﴿٧٧ ــ ٧٨﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون \* وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جُعل عليكم في الدين من حرج ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بنالله هو مولاكم فنعم المولي ونعم النصير ﴾ يأمر تعالى عباده المؤمنين بالصلاة، وخص منها الركوع

أولى، ﴿ولو اجتمعوا له﴾ بل أبلغ من ذلك لو ﴿يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه، وهذا غاية ما يصير من العجز. ﴿ضعف الطالب﴾ الذي هو المعبود من دون الله ﴿والمطلوب﴾ الذي هو الذباب، فكل منهما ضعيف، وأضعف منهما، من يتعلق بهذا الضعيف، وينزله منزلة رب العالمين.

فهذا ما قدر ﴿الله حق قدره ﴾ حيث سوى الفقير العاجز من جميع الوجوه، بالغنى القوي من جميع الوجوه، سوى من لا يملك لنفسه، ولا لغيره نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، بمن هو النافع الضار، المعطى المانع، مالك الملك، والمتصرف فيه بجميع أنواع التصريف.

﴿إِنْ الله لقوى عزيز ﴾ أي: كامل القوة، كامل العزة، من كمال قوته وعزته، أن نواصى الخلق بيديه، وأنه لا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن، إلا بإرادته ومشيئته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ومن كمال قوته، أنه يمسك السماوات والأرض أن تزولا، ومن كمال قوته، أنه يبعث الخلق كلهم، أولهم وآخرهم، بصيحة واحدة، ومن كمال قوته، أنه أهلك الجبابرة والأمم العاتية، بشيء يسير، وسوط من عذابه .

﴿٧٦ ــ ٧٦﴾ ﴿الله يتصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس إنَّ الله سميع بصير \* يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور، لما بين تعالى كماله وضعف الأصنام، وأنه المعبود حقاً، بين حالة الرسل، وتميزهم عن الخلق بما تميزوا به من الفضائل فقال: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾ أي: يختار ويجتبي من الملائكة رسلاً، ومن الناس رسلاً، يكونون أزكى ذلك النوع، وأجمعه لصفات المجد، وأحقه بالاصطفاء، فالرسل لا يكونون إلا

الأيات والهدى إذا جاءهم؟ أم هم راضون بما هم عليه من الباطل؟ ذكر ذلك بقوله: ﴿ وإذا تتلي عليهم آياتنا ﴾ التي هي آيات الله الجليلة، الستلزمة لبيان الحق من الباطل، لم يلتفتوا إليها، ولم يرفعوا بها رأساً، بل ﴿تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر، من بغضها وكراهتها، ترى وجوههم مُعَبَّسة، وأبشارهم مكفهرة، ﴿يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا، أي: يكادون يوقعون بهم القتل والضرب البليغ، من شدة بغضهم وبغض الحق وعداوته، فهذه الحالة من الكفار بئس الحالة، وشرها بئس الشر، ولكن ثُمَّ ما هو شرمنها، حالتهم التي يؤولون إليها، فلهذا قال: ﴿قُلْ أَفْأَنْبُنَّكُم بِشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير، فهذه شرها طويل عريض، ومكروهها وآلامها تزداد على الدوام.

﴿٧٤ - ٧٤﴾ ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إنّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب \* ما قدروا الله حق قدره إنَّ الله له فوي عربر الله هذا مشل ضربه الله لقبح عبادة الأوثان، وبيان نقصان عقول من عبدها، وضعف الجميع، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسِ ﴾ هذا خطاب للمؤمنين والكفار، المؤمنون يزدادون علماً وبصيرة، والكافرون تقوم عليهم الحجة، ﴿ضرب مثل فاستمعواله أي: ألقوا إليه أسماعكم، وتفهموا ما احتوى عليه، ولا يصادف منكم قلوباً لاهية، وأسماعاً معرضة، بل ألقوا إليه القلوب والأسماع، وهو هذا: ﴿إِنَّ اللَّهِينَ تدعون من دون الله شمل كل ما يُدْعَى من دون الله، ﴿ لن يُخلقوا ذباباً ﴾ الـذي هـو مـن أحـقـر المخـلـوقـات وأخسها، فليس في قدرتهم خلق هذا المخلوق الضعيف، فما فوقه من باب

## تم تفسير سورة الحج، والحمد لله رب العالمين

## تفسير سورة المؤمنون<sup>(۱)</sup> وهي مكية

﴿١١٠﴾ ﴿ بِسِم الله السرحسن الرحيم قد أفلح المؤمنون \* الذين هم في صلاتهم خاشعون \* والذين هم عن اللغو معرضون \* والذين هم للزكاة فاعلون \* والذين هم لفروجهم حافظون \* إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين \* فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون \* والذين هم الأماناتهم وعهدهم راعون \* والذين هم على صلواتهم يحافظون \* أولئك هم الوارثون \* الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون، هذا تنويه من الله، بذكر عباده المؤمنين، وذكر فلاحهم وسعادتهم، وبأي: شيء وصلوا إلى ذلك، وفي ضمن ذلك، الحث على الاتصاف بصفاتهم، والترغيب فيها. فَلْيَزِنِ العبد نفسه وغيره على هذه الآيات، يعرف بذلك ما معه وما مع غيره من الإيمان، زيادة ونقصاً، كثرة وقلة، فقوله: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ أي: قد فازوا وسعدوا ونجحوا، وأدركوا كل ما يرام. المؤمنون الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين الذين من صفاتهم الكاملة أنهم ﴿في صلاتهم خاشعون،

والخشوع في الصلاة: هو حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضراً لقربه، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، ويقل التفاته، متأدباً بين يدي ربه، مستحضراً جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، من أول صلاته إلى آخرها، فتنتفي بذلك الوساوس والأفكار الردية، وهذا روح الصلاة، والمقصود منها، وهو الذي يكتب للعبد، فالصلاة التي لا خشوع فيها ولا حضور قلب، وإن كانت عيرتة مثاباً عليها، فإن الثواب على

ربما توهم متوهم أن هذا من باب تكليف ما لا يطاق، أو تكليف ما يسق، احترز منه بقوله: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ أي: مشقة بعلية السهولة، فأولا ما أمر وألزم إلا بقودها، شم إذا عرض بعض ولا يتودها، شم إذا عرض بعض الأسباب الموجبة للتخفيف، خفف ما أمر به، إما بإسقاطه، أو إسقاط شرعية وهي أن «المشقة تجلب التيسير» و «الضرورات تبيح المحظورات»، فيدخل في ذلك من الأحكام الفرعية، شيء كثير معروف في كتب الأحكام.

﴿ملة أبيكم إبراهيم ﴾ أي: هذه الملة المذكورة، ملة أبيكم إبراهيم، التي ما زال عليها، فالزموها واستمسكوا بها.

﴿هو سماكم المسلمين من قبل أي: في الكتب السابقة، مذكورون ومشهورون، ﴿وفي هذا ﴾ أي: هذا الكتاب، وهذا الشّرع. أي: ما زال هذا الاسم لكم قديماً وحديثاً، ﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم بأعمالكم خيرها وشرها ﴿وتكونُوا شهداء على الناس الكونكم خير أمة أخرجت للناس، أمة وسطأ عدلاً خياراً، تشهدون للرسل أنهم بلغوا أعهم، وتشهدون على الأمم أن رسلهم بلغتهم بما أخبركم الله به في كتابه، ﴿فأقيموا الصلاة ﴾ بأركانها وشروطها وحدودها، وجميع لوازمها، ﴿وآتوا الزكاة﴾ المفروضة لمستحقيها شكراً لله على ما أولاكم، ﴿واعتصموا باللهِ ﴾ أي: امتنعوا به وتوكلوا عليه في ذلك، ولا تتكلوا على حولكم وقوتكم، ﴿ هو مولاكم ﴾ الذي يتولى أموركم، فيدبركم بحسن تدبيره، ويصرفكم على أحسن تقديره، ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾ أي: نعم المولى لمن تولاه، فحصل له مطلوبه ﴿ونعم النصير﴾ لمن استنصره فدفع عنه المكروه.

## بنائلان المنافرة الم

والسجود، لفضلهما وركنيتهما، وعبادته التي هي قرة العيون، وسلوة القلب المحزون، وأن ربوبيته وإحسانه على العباد، يقتضي منهم أن يخلصوا له العبادة، ويأمرهم بفعل الخير عموماً.

وعلق تعالى الفلاح على هذه الأمور فقال: ﴿لعلكم تفلحون﴾. أي: تفوزون بالمطلوب المرغوب، وتنجون من المكروه المرهوب، فلا طريق للفلاح سوى الإخلاص في عبادة الخالق، والسعي في نفع عبيده، فمن وفق لذلك، فله القدح المعلى، من السعادة والنجاح والفلاح.

﴿وجاهدوا في الله حق جهاده ﴾ والجهاد بذل الوسع في حصول الغرض المطلوب، فالجهاد في الله حق جهاده، هو القيام التام بأمر الله، ودعوة الخلق إلى سبيله بكل طريق موصل إلى ذلك، من نصيحة وتعليم وقتال وأدب وزجر ووعظ، وغير ذاك.

﴿هو اجتباكم ﴾ أي: اختاركم \_يا معشر المسلمين \_ من بين الناس، واختار لكم الدين، ورضيه لكم، واختار لكم أفضل الكتب وأفضل الرسل، فقابلوا هذه المنحة العظيمة، بالقيام بالجهاد فيه حق القيام، ولما كان قوله: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾

حسب ما يعقل القلب منها.

﴿واللَّذِينَ هِم عَنِ اللَّغُو﴾ وهـو الكلام الذي لا خير فيه ولا فائدة، ﴿معرضون﴾ رغبة عنه، وتنزيهاً لأنفسهم، وترفعاً عنه، وإذا مروا باللغو مروا كراماً، وإذا كانوا معرضين عن اللغو، فإعراضهم عن المحرم من باب أولى وأحرى، وإذا ملك العبد لسانه وخزنه \_إلا في الخير \_كان مالكاً لأمره، كما قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل حين وصاه بوصاياً قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسان نفسه وقال: «كُفُّ عليك هذا»، فالمؤمنون من صفاتهم الحميدة، كَفُّ ألسنتهم عن اللغو والمحرمات.

﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ أي: مؤدون لزكاة أموالهم، على اختلاف أجناس الأموال، مزكين لأنفسهم من أدناس الأخلاق ومساوىء الإعمال التي تزكو النفس بتركها وتَجِنُّبها، فأحسنوا في عبادة الخالق، في الخشوع في الصلاة، وأحسنوا إلى خلقه بأداء الزكاة

﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ عن الزنا، ومن تمام حفظها تَجنُّب ما يدعبو إلى ذلك، كالنظر واللمس ونحوهما. فحفظوا فروجهم من كل أحد ﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) من الإماء المملوكات ﴿فإنهم غير ملومين بقربهما، لأن الله تعالى أ

﴿فَمِن ابتغي وراء ذلك﴾ غير الزوجة والسرية ﴿فأولتك هم العادون﴾ الذين تعدوا ما أحل الله إلى أ ما حرمه، المتجرؤون على محارم الله. وعموم هذه الآية، يدل على تحريم نكاح المتعة، فإنها ليست زوجة حقيقة مقصوداً بقاؤها، ولا مملوكة، وتحريم نكاح المحلل لذلك.

ويدل قوله: ﴿أُوما ملكت أيمانهم انه يشترط في حل المملوكة،

أن تكون كلها في ملكه، فلو كان له بعضها لم تحل، لأنها(١) ليست مما ملكت يمينه، بل هي ملك له ولغيره، فكما أنه لا يجوز أنَّ يشترك في المرأة الحرة زوجان، فلا يجوز أن يشترك في الأمة المملوكة سيدان.

﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم

راعون﴾ أي: مراعون لها، ضابطون، حافظون، حريصون على القيام بها وتنفيذها، وهذا عام في جميع الأمانات التي هي حق لله، والتي هي حق للعباد، قال تعالى: ﴿إِنَا عَرَّضْنَا ٱلأَمَانَةِ على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾ فجميع ما أوجبه الله على عبده أمانة، على العبد حفظها بالقيام التام بها، وكذلك يدخل في ذلك أمانات الآدميين، كأمانات الأموال والأسرار ونحوهما، فعلى العبد مراعاة الأمريس، وأداء الأمانسين ﴿إِنَّ اللهُ يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) وكذلك العهد، يشمل العهد الذي بينهم وبين ربهم والذي بينهم وبين العباد، وهي الالتزامات والعقود التي يعقدها العبد، فعليه مراعاتها والوفاء بها، ويحرم عليه التفريط فيها وإهمالها، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَّواتُهُمْ يُحَافِظُونَ﴾ أي: يداومون عليها في أوقاتها وحمدودها وأشراطها وأركانها، فمدحهم بالخشوع بالصلاة، وبالمحافظة عليها، لأنه لا يتم أمرهم إلا بالأمرين، فمن يداوم على الصلاة من غير خشوع، أو على الخشوع من دون محافظة عليها، فإنه مذموم ناقص. ﴿ أُولِتُ كَ ﴾ الموصوفون بسلك

الصفات ﴿ هم الوارثون \* الذين يرثون الفردوس﴾ الذي هو أعلى الجنة ووسطها وأفضلها، لأنهم حلوا من صفات الخير أعلاها وذروتها، أو المراد بذلك جميع الجنة، ليدخل بذلك عموم المؤمنين، على درجاتهم و(٢) مراتبهم، كل بحسب حاله، ﴿مم فيها

CONTRACT CONTRACTOR | | وَأَنَوْلُنَا مِنَ السَّكَاْءِ مَآءَ بُقِكَدِهَا أَسَكَنَّهُ فِي ٱلْأَرْضُ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَاب بوء لَقَاكِدِرُونَ ۞ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ عَزَّلْتِ مِن نَجْدِ لَ ا وَأَعَنْكِ لَكُوفِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرٌ أُومِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ اللهِ وَشَعَرَةً تَغَرُمُ مِن طُورِسَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِٱلدُّهُن وَصِبْعِ لِلْأَكِلِينَ ۞ وَإِنَّ لَكُرُونِ ٱلْأَنْعَلِمِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُم مِّمَّانِ بُطُونِهَا وَلَكُوهُ فِهَا مَنْفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلُكِ تُعْلُونَ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلُنَا نُوحًا إِلَىٰ قَدِّمِه مِ فَقَالَ لَكَقَوْمِ أَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرَةُ وَأَفَلَا تَشَغُونَ ۞ فَقَالَ ٱلْمُؤَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَاهَلُذَا إِلَّا بَشَرُّ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَنْفَضَّلَ عَلَيْكُمُ وَلَوْشَاءَ اللَّهُ لَأَنْزُلُ مَلَيْكَةً مَّاسِّمِعْنَ إِيهَذَا فِي ءَالَّإِينَا ٱلْأَوَلِينَ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلُ إِهِ وِجَنَّةٌ فَتَرَقَصُوا لِهِ حَقَّاجِينِ رُّ أَنْ قَالَ رَبِّ اَنْصُرْ بِي بِمَا كَذَّبُونِ ۞ فَأَوْحَيْنَ ٓ إِلَيْهِ أَنَّ المَسْنَعِ ٱلْفُلُكَ بِأَعَيُنِنَا وَوَجِينَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَا لَنَّهُولُ فَأَسْلُكُ فِيهَا مِن حُمِلٌ زَوْجَيْنِ أَثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ إِلَّ الْقَوْلُ مِنْ فَمِّ وَلَا تَعَلِينِي فِ الَّذِينَ طَلَمَتُ أَإِنَّهُ مُغْدَرُقُونَ ۞ GARAGA TIT KANAKA

خالدون الايظعنون عنها، ولا يبغون عنها حِوَلاً، لاشتمالها على أكمل النعيم وأفضله وأتمه، من غير مكدر ولا منغص.

﴿١٦ \_ ١٦﴾ ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين \* ثم جعلناه نطفة في قرار مكين # ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين \* ثم إنكم بعد ذلك لميتون \* ثم إنكم يوم القيامة تبعثون € ذكر الله في هذه الآيات أطوار الآدمي وتنقلاته، من ابتداء خلقه إلى آخر ما يصير إليه، فذكر ابتداء خلق أبي النوع البشري آدم عليه السلام، وأنه ﴿من سلالة من طين﴾ أي: قد سلت، وأخذت من جميع الأرض، ولذلك جاء بنوه على قدر الأرض، منهم الطيب والخبيث، وبين ذلك، والسهل والحَزْنُ، وبين ذلك.

﴿ثم جعلناه﴾أي: جنس الآدميين **﴿نطفة﴾ تخ**رج من بين الصلب والترانب، فتستقر ﴿في قرار مكين﴾ وهو الرحم، محفوظة من الفساد والريح وغير ذلك.

﴿ ثُم خلقنا النطفة ﴾ التي قد استقرت قَبْلُ ﴿علقة ﴾أي: دما أحمر،

في أ: لأنه، وفي ب: لأن، ولعل الصواب ما أثبت. (1)

**<sup>(</sup>Y)** في ب: في مراتبهم.

CONTRACT CARRIED و الله المُعَنَّا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ﴿ وَقُل زَّتِ أَنزَلْنِي مُنزَلَامُّنَازَكُا وَأَنتَ خَيْرُٱلْمُزِلِينَ ۞ إِذَ فِي ذَلِكَ لَأَيْتِ وَإِن كُنَّا لَبُتَكِلِينَ اللهُ رَسُولَا مِّنْهُمُ أَنِ آعَـُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُرُمِّنَ إِلَّهِ عَيْرُةُ مِ الْلَائَتَ قُونَ أُ ﴿ وَقَالَ ٱلۡمُلَأُمِن فَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَسَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآ اِ ٱلْآخِرَةِ وَأَتْرُوْنَهُمْ فِي ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنْيَامَاهَنَاۤ إِلَّا بِشَرِّيَمُثُلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۞ وَلَينَ أَطَعَتْمُ بَشَرَامِثْلَكُو إِنَّكُرُ إِذَا لَخَسِرُونَ ۞ أَبِعِثُكُو أَنْكُو إِذَا مِشْدَ وَكُتُدُرُّزُابَا وَعِظَلمًا أَنْكُمْ تُغَرِّجُونَ ۞ • هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ۞ إِنَّ هِنَ إِلَّاحْيَالُنَا ٱلدُّنْيَا مَثُونُ وَغَيَا وَمَا غَقُ يِمَبْعُوثِينَ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلُّ أَفْتَرَىٰ عَلَى أَلْفَوكَذِبُ اوَمَا خَنْ لَهُ ا مِحْوِينِينَ ۞ قَالَ رَبِّ انصُرُنِي بِمَاكَنَّبُونِ۞ قَالَعَمَا قَلِيلِ لَيُصْبِحُنَّ نَكِيمِينَ ۞ فَأَخَذَنَّهُمُ ٱلصَّيْحَةُ إِلْفَيَّ جَعَلْتُهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا م القَوْمِ الطَّالِمِينَ ۞ ثُرُ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخْرِينَ ۞ ACTED THE OFFICE

بعد مضى أربعين يوماً من النطفة، ﴿ثُم خلقنا العلقة ﴾ بعد أربعين يوماً ﴿مضغة ﴾ أي: قطعة لحم صغيرة، بقدر ما يمضغ من صغرها، ﴿فخلقنا المضغة ﴾ اللينة ﴿عظاماً ﴾ صلبة ، قد تخللت اللحم، بحسب حاجة البدن إليها، ﴿فكسونا العظام لحماً ﴾ أي: جعلنا اللحم، كسوة للعظام، كما جعلنا العظام، عماداً للحم، وذلك في الأربعين الثالثة، ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ نفخ فيه الروح، فانتقل من كونه جاداً، إلى أن صار حيواناً، ﴿فَتَبَارُكُ اللَّهُ أَي: تَعَالَى وَتَعَاظُمُ وَكُثُرُ خيره ﴿أحسن الخالقين﴾ ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين الله من الإنسان من المين سلالة من ماء مهين ١ ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون فَخَلْقُهُ كله حَسَنٌ ، والإنسان من أحسن مخلوقاته، بل هو أحسنها على الإطلاق، كما قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ولهذا كان خواصه أفضل المخلوقات وأكملها.

﴿ثُم إنكم بعد ذلك﴾ الخلق، ونفخ الروح ﴿لميتون﴾ في أحد أطواركم وتنقلاتكم، ﴿ثم إنَّكم يوم القيامةُ تبعثون التجازون بأعمالكم، حسنها

وسيئها. قال تعالى: ﴿أَيُحسب الإنسان أن يترك سدى ﴿ أَلَمْ يِكُ نَطَفَةً مِنْ مِنْيِّ يمني ١ ثم كان علقة فخلق فسوى ١ فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى \* أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى♦. ﴿١٧ \_ ٢٠﴾ ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وماكناعن الخلق غافلين \* وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون \* فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون \* وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأتكلين للا ذكر تعالى خلق الآدمي، ذكر سكنه، وتَوَفِّر النعم عليه من كل وجه فقال:

﴿ولقد خلقنا فوقكم﴾ سقفاً للبلاد، ومصلحة للعباد ﴿سبع طرائق﴾ أي: سبع سماوات طباقاً، كل طبقة فوق الأخرى، قد زينت بالنجوم والشمس والقمر، وأودع فيها من مصالح الخلق ما أودع، ﴿وَمَا كُنَا عِنِ الْخَلَقِ غَافِلِينِ﴾ فكما أن خلقنا عام لكل مخلوق، فعلمنا أيضاً محيط بما خلقنا، فلا نغفل مخلوقاً ولا ننساه، ولا نخلق خلقاً فنضيعه، ولا نغفل عن السماء فتقع على الأرض، ولا ننسي ذرة في لجبج البحار وجوانب الفلوات، ولا دابة إلَّا سقنا إليها رزقها ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها ﴿ وكثيراً ما يقرنُ تعالى بين خلقه وعلمه كقوله: ﴿أَلَا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، ﴿بلي وهو الخلاق العليم﴾ لأن خلق المخلوقات، من أقوى الأدلة العقلية،

﴿وأنزلنا من السماء ماء ﴾ يكون رزقاً لكم ولأنعامكم بقدر ما يكفيكم، فلا ينقصه، بحيث لا يكفى الأرض والأشجار، فلا يحصل منه القصود، ولا يزيده زيادة لا تحتمل، بحيث يتلف المساكن، ولا تعيش معه النباتات والأشجار، بل أنزله وقت الحاجة لنزوله، ثم صرفه عند التضرر من

على علم خالقها وحكمته.

دوامه، ﴿فأسكناه في الأرض ﴾أي: أنزلناه عليها، فسكن واستقر، وأخرج بقدرة منزله، جميع الأزواج النباتية، وأسكنه أيضاً معداً في خزائن الأرض، بحيث لم يذهب نازلاً، حتى لا يوصل إليه، ولا يبلغ قعره، ﴿وإنا على ذهاب به لقادرون الما بأن لا ننزله، أو ننزله، فيذهب نازلاً لا يوصل إليه، أو لا يوجد منه المقصود منه، وهذا تنبيه منه لعباده أن يشكروه على نعمته، ويقدروا عدمها، ماذا يحصل به من الضرر، كقوله تعالى: ﴿قَلْ أَرَأَيتُمْ إِنَّ أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين 🧇 .

﴿فأنشأنا لكم به ﴾ أي: بذلك الماء ﴿جنات﴾ أي: بساتين ﴿من نخيل وأعناب﴾ خص تعالى هذين النوعين، مع أنه ينشىء منه غيرهما من الأشجار، لفضلهما ومنافعهما، التي فاقت بها الأشجار، ولهذا ذكر العام في قوله: ﴿لَكُمْ فِيها﴾ أي: في تلك الجنات ﴿ فُواكُهُ كُثِيرة ومنها تأكُّلُونَ ﴾ من تين، وأترج، ورمان، وتفاح وغيرها، ﴿وشبحرة تخرج من طور سيناء ﴾ وهي شجرة الزيتون، أي: جنسها، خصت بالذكر، لأن مكانها خاص في أرض الشام، ولمنافعها، التي ذكر بعضها في قوله: ﴿تنبت بالدهن وصبغ للأكلين﴾ أي: فيها الزيت، الذي هو دهن، يستعمل (١) استعماله من الاستصباح به، واصطباغ الآكلين، أي: يجعل إداماً للآكلين، وغير ذلك من المنافع.

﴿ ٢١ ـ ٢٢﴾ ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون \* وعليها وعلى الفلك تحملون اي : ومن نعمه عليكم، أن سخر لكم الأنعام، الإبل والبقر، والغنم، فيها عبرةٌ للمعتبرين، ومنافع للمنتفعين ﴿نسقيكم مما في بطونها، من لبن، يخرج من بين فرث ودم، خالص سائغ لدثمآربين، ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ من أصوافها، وأوبارها، وأشعارها، وجعل لكم من

جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ﴿ومنها تأكلون﴾ أفضل المآكل من لحم وشحم.

﴿ وعليها وعلى ألفلك تحملون ﴾ أي: جعلها سفناً لكم في البر، تحملون عليها أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، كما جعل لكم متاعكم، فليلا [كان] أو كثيراً، فالذي متاعكم، فأبدا النعم، وصنف أنواع الإحسان، وأدر علينا من خيره الشكر، وكمال الثناء، والاجتهاد في عبوديته، وأن لا يستعان بنعمه على

﴿٣٠ ــ ٣٠﴾ ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ إلى آخر القصة وهي قوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآياتِ وَإِن كِنَّا لمبتلين﴾ يذكر تعالى رسالة عبده ورسوله نوح عليه السلام، أول رسول أرسله لأهل الأرض، فأرسله إلى قومه، وهم يعبدون الأصنام، فأمرهم بعبادة الله وحده، فقال: ﴿ يا قوم اعبدوا الله أي: أخلصوا له العبادة، لأن العبادة لا تصح إلا بإخلاصها. ﴿مالكم من إله غيره ﴾ فيه إبطال ألوهية غير الله، وإثبات الإلهية لله تعالى، لأنه الخالق الرازق، الذي له الكمال كله، وغيره بخلاف ذلك. ﴿أَفْلَا تتقون ﴾ ما أنتم عليه من عبادة الأوثان والأصنام، التي صورت على صور قوم صالحين، فعبدوها مع الله، فاستمر على ذلك، يدعوهم سراً وجهاراً، وليلاً ونهاراً، ألف سنة إلا خمسين عــامــأ، وهــم لا يــزدادون إلا عــتــوأ ونفوراً.

﴿فقال الملا﴾ من قومه الأشراف والسادة المتبوعون \_على وجه المعارضة لنبيهم نوح، والتحذير من اتباعه \_:

﴿مَا هَذَا إِلاَ بِشِرِ مِثْلَكُم يَرِيدُ أَنْ يَتْفَضَلُ عَلَيْكُم﴾ أي: ما هذا إلا بشر مثلكم، قصده حين ادعى النبوة أن

يزيد عليكم فضيلة، ليكون متبوعاً، وإلا فما الذي يفضله عليكم، وهو من جنسكم؟ وهذه المعارضة ما زالت موجودة في مكذي الرسل، وقد أجاب الله عنها بجواب شاف، على ألسنة رسله كما في قوله: ﴿قالوا﴾ أي: لرسلهم ﴿إن إنتم إلا بشر مثلنا فأتونا بسلطان مبين \* قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مشلكم، ولكن الله يمن على من يشاء من رسلهم إن نحن إلا بشر مشلكم، عباده﴾ فأخبروا أن هذا فضل الله ومنته، فليس لكم أن تحجروا على الله، وتمنعوه من إيصال فضله علينا.

وقالوا هنا: ﴿ولو شاء الله لأنزل ملائكة﴾ وهذه أيضاً معارضة بالمشيئة باطلة، فإنه وإن كان لو شاء لأنزل ملائكة، فإنه حكيم رحيم، حكمته ورحمته تقتضي أن يكون الرسول من جنس الآدميين، لأن المَلَكَ لا قدرة لهم على مخاطبته، ولا يمكن أن يكون اللبس عليهم كما كان.

وقولهم: ﴿ما سمعنا بهذا﴾ أي: بإرسال رسول ﴿في آبائنا الأولين﴾ وأيُ حجة في عدم سماعهم إرسال رسول في آبائهم الأولين؟ الأنهم لم يحيطوا علماً بما تقدم، فلا يجعلوا جهلهم حجة لهم، وعلى تقدير أنه لم يرسل فيهم رسولاً، فإما أن يكونوا على الرسول إذ ذاك، وإما أن يكونوا على غيره، فليحمدوا ربهم ويشكروه أن غيره، فليحمدوا ربهم ويشكروه أن خصهم بنعمة لم تأت آباءهم، ولا شعروا بها، ولا يجعلوا عدم الإحسان على غيرهم سبباً لكفرهم للإحسان إليهم.

﴿إِن هـو إِلا رجـل بـه جـنـة ﴾ أي: بحنون ﴿فتربصوا به ﴾ أي: انتظروا به ﴿حتى حين ﴾ إلى أن يأتيه الموت.

وهذه الشُّبَهُ التي أوردوها (۱)، معارضة لنبوة نبيهم، دالة على شدة كفرهم وعنادهم، وعلى أنهم في غاية

الجهل والضلال، فإنها لا تصلح للمعارضة بوجه من الوجوه، كما ذكرنا، بل هي في نفسها متناقضة متعارضة. فقوله: ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم﴾ أثبتوا أن له عقلاً يكيدهم به، ليعلوهم ويحتاج مع هذا منه لثلا يغتر به، فكيف يلتئم مع قولهم: ﴿إِنْ هو إلا رجل به جنة﴾ وهل هذا إلا من مشبه ضال، منقلب عليه الأمر، قصده الدفع بأي: طريق اتفق له، غير عالم بسما يقول؟!! وعادى رسله.

فلما رأى نوح أنه لا يفيدهم دعاؤه إلا فراراً ﴿قال رب انسسرني بسما كذبون ﴿ فاستنصر ربه عليهم ، غضباً لله ، حيث ضيعوا أمره ، وكذبوا رسوله وقال : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً \* إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ﴾ قال تعالى : ﴿ ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ﴾ .

﴿ فأوحينا إليه ﴾ عند استجابتنا له ، سبباً ووسيلة للنجاة ، قبل وقوع أسبابه ، ﴿ أَن اصنع الفلك ﴾ أي : السفينة ﴿ بأعيننا ووحينا ﴾ أي : بأمرنا لك ومعونتنا ، وأنت في حفظنا وكلاءتنا بحيث نراك ونسمعك .

﴿ فَإِذَا جِاء أُمِرنا ﴾ بإرسال الطوفان الذي عذبوا به ﴿ وَفَارِ التَّنور ﴾ أي: فارت الأرض، وتفجرت عيونا، حتى على النار، الذي لم تجر العادة إلا ببعده عن الماء، ﴿ فَاسلك فيها من كل زوجين جنس من الحيوانات، ذكراً وأنثى، تبقى مادة النسل لسائر الحيوانات، التي تبقى مادة النسل لسائر الحيوانات، التي الأرض، ﴿ وَأَهلك ﴾ أي: أدخلهم الأرض، ﴿ وَأَهلك ﴾ أي: أدخلهم ﴿ وَلا تخاطبني في الذين ظلموا ﴾ كابنه، ﴿ والقدر، قد حتم أنهم مغرقون.

﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك ﴾ أي: علوتم عليها، واستقلت بكم في تيار الأمواج، ولجج اليم، فاحدوا الله على النجاة والسلامة. فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين، وهذا تعليم منه له ولمن معه، أن يقولوا هذا شكراً له وحمداً على نجاتهم، من القوم الظالمين في عملهم وعذا هم.

وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين أي: وبقيت عليكم نعمة أخرى، فادعوا الله فيها، وهي أن ييسر الله لكم منزلاً مباركاً، فاستجاب الله دعاءه، قبال الله: وقيل بعداً للقوم الظالمين إلى أن قال: وقيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات على أحدى ألمه عن معك الآية.

﴿إِنْ فِي ذَلْكُ ﴾ أي: في هذه القصة ﴿لآيات ﴾ تبدل على أن الله وحده المعبود، وعلى أن رسوله نوحاً صادق، وأن قومه كاذبون، وعلى رحمة الله بعباده، حيث حملهم في صلب أبيهم نوح، في الفلك لما غرق أهل الأرض.

والفلك أيضاً من آيات الله، قال تعالى: ﴿ولقد تركناها آية فهل من مدكر﴾ ولهذا جمعها هنا لأنها تدل على عدة آيات ومطالب. ﴿وإن كنا لمبتلين﴾

بعدهم قرنا آخرين \* فأرسلنا فيهم بعدهم قرنا آخرين \* فأرسلنا فيهم رسولاً منهم أن اعبدوا الله ما لكم من وقومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا علم مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مثلكم إذا لخاسرون \* أيعدكم أنكم إذا مناسم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون \* هيهات هيهات لما توعدون \* إن هي إلاً حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن

بمبعوثين \* إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين (١) \* قال رب انصري بما كذبون \* قال عما قليل ليصبحن نادمين \* فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين \* لما ذكر نوحاً وقومه، وكيف أهلكهم قال: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين \* الظاهر أنهم "ثمود» قوم صالح عليه السلام، لأن هذه القصة تشبه قصتهم.

﴿فأرسلنا فيهم رسولاً منهم ﴾ من جنسهم، يعرفون نسبه وحسبه وصدقه، ليكون ذلك أسرع لانقيادهم، إذا كان منهم، وأبعد عن السمئزازهم، فدعا إلى ما دعت إليه الرسل أعهم ﴿أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ فكلهم اتفقوا على هذه المعوة، وهي أول دعوة يدعون بها أعهم، الأمر بعبادة الله، والإخبار أنه سواه، والإخبار ببطلان ذلك وفساده، والإخبار ببطلان ذلك وفساده، ولهذا قال: ﴿أفلا تتقون ﴾ ربكم، فتجتنوا هذه الأوثان والأصنام.

﴿ وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة، وأترفناهم في الحياة الدنيا ﴾ أي: قال الرؤساء الذين جمعوا بين الكفر والمعاندة، وأطغاهم ترفهم في الحياة الدنيا، معارضة لنبيهم، وتكذيباً وتحذيراً منه: ﴿ما هذا إلابشر مثلكم) أي: من جنسكم ﴿ يِأْكُلُ مِمَا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وِيشُوبُ مِمَا تشربون الذي يفضله عليكم؟ فهلا كان ملكاً لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب، ﴿ولِينِ أَطَعِتُم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون، أي: ` إن تبعتموه وجعلتموه لكم رئيساً، وهو مثلكم إنكم لمسلوبو العقل، نادمون على ما فعلتم. وهذا من العجب، فإن الخسارة والندامة حقيقة لمن لم يتابعه ولم ينقدله. والجهل والسفه العظيم لمن تكبر عن الانقياد لبشر، خصه الله

بوحيه، وفضله برسالته، وابتلي بعبادة الشجر والحجر.

وهذا نظير قولهم: ﴿قالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذاً لفي ضلال وسعر \* أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشرك فلما أنكروا رسالته وردوها، أنكروا ما جاء به من البعث بعد الموت، والمجازاة على الأعمال فقالوا: ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابأ وعظاماً أنكم نخرجون \* هيهات هيهات لما توعدون، أي: بعيد بعيد ما يعدكم به، من البعث، بعد أن تمزقتم وكنتم ترابأ وعظاماً، فنظروا نظراً قاصراً، ورأوا هذا بالنسبة إلى قدرهم غير بمكن، فقاسوا قدرة الخالق بقدرهم، تعالى الله. فأنكروا قدرته على إحياء الوتى، وعجزوه غاية التعجيز، ونسوا خلقهم أول مرة، وأن الذي أنشأهم من العدم، فإعادته لهم بعد البلي أهون عليه، وكلاهما هين لديه، فلم لا ينكرون أول خلقهم، ويكابرون المحسوسات، ويقولون: إننا لم نزل موجودين، حتى يسلم لهم إنكارهم للبعث، وينتقلوا معهم إلى الاحتجاج على إثبات وجود الخالق العظيم؟.

وهنا دليل آخر، وهو: أن الذي أحيا الأرض بعد موتها، إن ذلك لمحيي الموتى، إنه على كل شيء قدير، وقم دليل آخر، وهو ما أجاب به المنكرين للبعث في قوله: ﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ﴿ أذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد﴾ فقال في جوابهم: ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾ أي: في البل، ﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾.

﴿إِنْ هِي إِلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا﴾ أي: يموت أناس، ويحيا أناس ﴿وما نحن بمبعوثين﴾

﴿إِنْ هُو إِلا رَجَلِ بِهُ جِنْهُ ﴾(٢) فلهذا أتى بِما أتى بِه، مِن تُوحِيد الله،

<sup>(</sup>١) كتب الشيخ هذه الآية فقال: (إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين) وهذا سبق قلم منه \_ رحمه الله \_، وسيفسرها فيما يلي على نحو مما أثبت وقد تركت تفسيره للآيات كما هو.

<sup>(</sup>٢) ينظر التعليق السابق.

CHARLES TO SELECT SERVICES المَّاتَسْدَةُ مِن أُمَّةِ أَجَلَهَا وَمَايَسْتَعْفِرُونَ ۞ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلْنَا الْ وَجَعَلْنَاهُمْ لَعَادِيثُ فَهُعُدًا لِقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ ثُرَّأُرْسَكُنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَذَرُونَ بِعَايَنتِنَا وَسُلْطَانِ مُّبِينِ ۞ إِلَىٰ فِنْعَوْنَ اً وَمَلَانِهِ ۦ فَٱسْتَكُمْرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ۞ فَقَانُواْ أَنْوُمِنُ لِتَسَرِينَ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَاعَبِدُونَ ۞ فَكُنَّبُوهُمَا فَكَاثُواْ مِنَ ٱللَّهُ لَكِينَ ۞ وَلَقَدْ ءَاتِّينَا مُوسَى ٱلْكِنَبَ لَعَلَّهُمَّ لِيَهْ تَدُونَ ۞ وَحَعَلْنَا آبْنَ مَرْيَحَ وَأَمَّهُ مِمَايَةً وَءَاوَيْنَاهُمَاۤ إِلَّى رَوْوَوْذَاتِ قَرَادٍ وَمَعِينِ ۞ يَنَأَيُّهَا ٱلرُّسُلُكُلُواٰمِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ ) وَاعْمَلُواْ صَلِيمًا إِنِّي مَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۞ وَانَّ هَلَاهِ اَ أَمُّنَّكُمُ أُمَّةً وَحِدَةً وَأَنَارُنُّكُمْ فَأَتَّقُونِ۞ فَقَطَّعُواْ أَمْهُم بَيِّنَهُمْ نُثَرَّا كُلُّحِرْبِ يَالَدَيْهِمْ وَرِحُونَ۞ فَذَرْهُمْ فِي غَرَيْهِمْ حَتَّى حِينٍ۞ أَيَعْسَبُونَ أَمَّا يُمْدُهُم بِهِ مِن مَالِ وَيَزِينَ ﴿ شَارِعُ لَمُمْ فِ أَخْتُرُتُ بَل لَّايَشْعُرُونَ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ مُ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُشْفِقُونَ۞ قَالَّذِينَ 

وثم بعثنا من بعده أي: من بعد نوح ورسلاً إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين \* ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الآيات والله أعلم.

فقوله: ﴿ثم أرسلنا موسى﴾ بن عمران، كليم الرحمن ﴿وأخاه هارون﴾ حين سأل ربه أن يشركه في أمره فأجاب سؤله.

﴿بآياتنا﴾ الدالة على صدقهما وصحة ما جاءا به ﴿وسلطان مبين﴾ أي: حجة بينة، من قوتها، أن تقهر القلوب، وتتسلط عليها لقوتها فتنقاد لها قلوب المؤمنين، وتقوم الحجة البينة على المعاندين، وهذا كقوله ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات، ولهذا رئيس المعاندين عرف الحق وعاند ﴿فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم الى: بتلك الآيات البينات ﴿فقال﴾ له ﴿فرعون إنى لأظنك يا موسى مسحوراً ﴾ ف ﴿قال﴾ موسى ﴿قال لقد علمت ما أنزل هولاء إلارب السماوات والأرض بصائر، وإنى لأظنك يا فرعون مشبوراً ﴾ وقال تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾ وقال هنا: ﴿ثم أرسلنا موسى

من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، بل مجرد دعوة الرسل وشرعهم، يدل على حقيه ما جاؤوا به، ﴿فأتبعنا بعضهم بعضاً﴾ بالهلاك، فلم يبق منهم باقية، وتعطلت مساكنهم من بعدهم من بعدهم، ويكونون عبرة للمتقين، وخرياً عليهم مقروناً بعذاهم.

﴿فبعداً لقوم لا يؤمنون ﴾ ما أخسر صفقتهم!!

﴿ ٤٥ \_ ٤٩ ﴾ ﴿ ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين \* إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين \* فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لناعابدون \* فكذبوهما فكانوا من المهلكين \* ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون، مر عَلَى منذ زمان طويل كالام لبعض العلماء لا يحضرني الآن اسمه، وهو أنه بعد بعث موسى ونزول التوراة، رفع الله العذاب عن الأمم، أي: عذاب الاستئصال، وشرع للمكذبين المعاندين الجهاد، ولم أدر من أين أخذه، فلما تدبرت هذه الآيات، مع الآيات التي في سورة القصص، تبين لي وجهه، أما هذه الآيات، فلأن الله ذكر الأمم المهلكة المتتابعة على الهلاك، ثم أخبر أنه أرسل موسى بعدهم، وأنزل عليه التوراة فيها الهداية للناس، ولا يرد على هذا، إهلاك فرعون، فإنه قبل نزول التوراة، وأما الآيات التي في سورة القصص، فهي صريحة جداً، فإنه لما ذكر هلاك فرعون قال: ﴿ولقد أتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدي ورحمة لعلهم يتذكرون، فهذا صريح أنه آتاه الكتاب بعد هلاك الأمم الباغية، وأخبر أنه أنزله بصائر للناس وهدي ورحمة، ولعل من هذا، ما ذكر الله في سورة «يونس» من قوله:

وإثبات المعاد ﴿فتربصوا به حتى حين﴾ أي: ارفعوا عنه العقوبة بالقتل وغيره، احتراماً له، ولأنه مجنون غير مؤاخذ بما يتكلم به، أي: فلم يبق بزعمهم الباطل مجادلة معه، لصحة ما جاء يه، فإنهم قد عرفوا<sup>(١)</sup> بطلانه، وإنما بقي الكلام، هل يوقعون به أم لا؟ ، فبزعمهم أن عقولهم الرزينة، اقتضت الإبقاء عليه، وترك الإيقاع به، مع قيام الموجب، فهل فوق هذا العناد والكفر غاية؟!! ولهذا لما اشتد كفرهم، ولم ينفع فيهم الإنذار، دعا عليهم نبيهم فقال: ﴿رب انصرني بما كذبون﴾ أي: بإهلاكهم، وخزيهم الدنيوي، قبل الأخرة. ﴿قَالَ﴾ الله بجيباً لدعوته: ﴿عما قليل ليصبحن نادمين \* فأخذتهم الصيحة بالحق الا بالظلم والجور، بل بالعدل وظلمهم، أخذتهم الصيحة، فأهلكتهم عن آخرهم.

﴿فجعلناهم غثاء ﴾ أي: هشيماً يبسأ بمنزلة غثاء السيل الملقى في جنبات الوادي، وقال في الآية الأخرى ﴿إِنَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهُمْ صَيْحَةً وَاحْدَةً فَكَانُوا كَهْشِمْ المُحتَظَرُ ﴾.

﴿ فبعداً للقوم الظالمين ﴾ أي: أتبعوا مع عذابهم، البعد واللعنة والذم من العالمين ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض وما كابوا منظرين ﴾ .

(23 - 33) (شم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين \* ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون \* ثم أرسلنا تتراكل ما جاء أمة رسولها كنبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحديث فبعداً لقوم لا يؤمنون أي: ثم أنشأنا من بعد هؤلاء المكذبين شم أنشأنا من بعد هؤلاء المكذبين وقت مسمى، وأجل محدود، لا تتقدم عنه ولا تتأخر، وأرسلنا إليهم رسلا متتابعة، لعلهم يؤمنون وينيبون، فلم يزل الكفر والتكذيب دأب الأمم العصاة، والكفرة البغاة، كلما جاء أمة رسولها كذبوه، مع أن كل رسول يأتي رسول يأتي

CHARLET CHARLET وَٱلَّذِينَ يُوْتُونَ مَا ٓءَاتُوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةً أَنَهُمْ إِلَّا رَبِّهِمْ رَجْعُونِ أُوْلَلِكَ يُسَكِرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَتِ وَهُرَاكَمَ اسْبِقُونَ ۞ وَلَاثُكَلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسُعَهَاْ وَلَدَيْنَا كِنَبُّ يَنِطِقُ بِالْخَيِّ وَهُرِّ لَايُظْلَمُونَ ا بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةِ مِنْ هَاذَا وَلَهُمُ أَعْسَلُ مِن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَمَا عَلِمِلُونَ۞حَتَّى إِذَآ أَخَذْنَا ثُمَّرَ فِيهِم وِالْعَذَابِ إِذَاهُمْ يَجَنَرُونَ ۞ لَاجَنَرُوا ٱلْيَوْرِّ إِنَّكُمُ مِنَا لَاثْصَرُونَ ۞ فَسَدُ كَاتَ ءَايْنِي تُتُلَاعَلَيْكُوفَكُنتُهُ عَلَا أَعْقَلِيكُوتَنكِصُور : ٢ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ـ سَنِمِرَاتَهْجُرُونَ ۞ أَفَلَةَ يَتَبَرُوا ٱلْقَوْلَ أَمْجَآهُمُ مَّالْرَيَانِ ءَابَآءَهُو ٱلأَوَانِ ۞ أَمْلَا يَعْمِفُواْ رَسُولِهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ بِدِيجِنَّةُ كُلِّ جَآءَ هُم إِلْحَقِّ وَأَلْكُوفُمْ لِلْحَقِّ كَيْرِهُونَ ۞ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهُوَآهُ هُمُ لَفَسُدَتِ ٱلسَّمَوَاتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمُ بِذِحْدِهِمْ فَهُمْ عَن ذِحْرِهِم مُعْ بِهُونَ ۞ أَمْ تَسْنَلُهُمْ خَرْبِكَا فَخَلَجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَّ خَيْرًا لِرَيْقِينَ ۞ وَإِنَّكَ لَتَنْعُوهُمْ إِلَّى صِرَطِمُ سَتَقِيمٍ ۞ الله وَانَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ إِلْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَطِ لَنَكِونَ عَنَ الصِّرَطِ لَنَكِونَ عَن

وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين \*
إلى فرعون ومَلْتِه > د «هامان» وغيره
من رؤسائهم، ﴿فاستكبروا ﴾ أي:
تكبروا عن الإيمان بالله، واستكبروا
على أنبيائه، ﴿وكانوا قوماً عالين ﴾
أي: وصفهم العلو، والقهر، والفساد
في الأرض، فلهذا صدر منهم
الاستكبار، ذلك غير مستكثر منهم.

TO VERTICAL TO LONG TO THE PARTY OF THE PART

﴿فقالوا﴾ كبراً وتيهاً، وتحذيراً لضعفاء العقول، وتمويهاً: ﴿أنوْمن لبشرين مثلنا﴾ كما قاله من قبلهم سواء بسواء، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم وأفعالهم، وجحدوا منة الله عليهما بالرسالة.

ووقومهما أي: بنو إسرائيل ولنا عابدون أي: معبدون بالأعمال والأشغال الشاقة، كما قال تعالى: وإذ نه عيناكم من آل فرعون وإذ نه عيناكم سوء العذاب يذبحون أبناء كم ويستحيون نساء كم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فكيف نكون تابعين بعد أن كنا متبوعين؟! وكيف يكون هؤلاء رؤساء علينا؟! ونظير قولهم، قول قوم نوح: وأنؤمن لك واتبعك الأرذلون وما نراك اتبعك واتبعك الأرذلون وما نراك اتبعك العلوم أن هذا لا يصلح لدفع الحق، العلوم أن هذا لا يصلح لدفع الحق، وأنه تكذيب ومعاندة.

ولهذا قال: ﴿فكذبوهما فكانوا من

المهلكين، في الغرق في البحر، وبنو إسرائيل ينظرون.

ولقد آتينا موسى بعدما أهلك الله فرعون، وخلص الشعب الإسرائيلي مع موسى، وتمكن حينئذ من إقامة أمر الله فيهم، وإظهار شعائره، وعده الله أن ينزل عليه التوراة أربعين ليلة، فذهب لميقات ربه، قال الله تعالى ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء في ولهذا قال هنا: ﴿لعلهم لكل شيء ﴾. ولهذا قال هنا: ﴿لعلهم والنهي، والثواب والعقاب، ويعرفون ربهم بأسمائه وصفاته.

﴿٥٠﴾ ﴿وجعلنا ابن مريم وأمَّه آيةً وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين، أي: وامْتنَنَّا على عيسى ابن مريم، وجعلناه وأمه من آيات الله العجيبة، حيث حملته وولدته من غير أب، وتكلم في المهد صبياً، وأجرى الله على يديه من الآيات ما أجرى، ﴿وآويناهما إلى ربوة ﴾ أي: مكان مرتفع، وهذا \_ والله أعلم \_وقت وضعها، ﴿ ذات قرار، أي: مستقر وراحة ﴿ومعين، أي: ماء جار، بدليل قوله: ﴿قد جعل ربك تحتك الي: تحت المكان الذي أنت فيه، لارتفاعه، ﴿سرياً ﴾ آي: نهراً وهو المعين ﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً \* فكلى واشربي وقري عيناً ﴾.

(10-00) (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم \* وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون \* فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون \* فذرهم في غمرتهم حتى \* أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين \* نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون \* هذا أمر منه تعالى لرسله بأكل الطيبات، التي هي الرزق الطيب بأكل الطيبات، التي هي الرزق الطيب الحلال، وشكر الله، بالعمل الصالح، والذي به يصلح القلب والبدن، والدنيا والآخرة. ويخبرهم أنه بما يعملون عليم، فكل عمل عملوه، وكل سعى

اكتسبوه، فإن الله يعلمه، وسيجازيهم عليه أتم الجزاء وأفضله، فدل هذا على أن الرسل كلهم، متفقون على إباحة الطيبات من المآكل، وتحريم الخبائث منها، وأنهم متفقون على كل عمل صالح وإن تنوعت بعض أجناس المأمورات، واختلفت بها الشرائع، فإنها كلها عمل صالح، ولكن تتفاوت بتفاوت الأزمنة.

ولهذا، الأعمال الصالحة، التي هي صلاح في جميع الأزمنة، قد اتفقت عليهاً الأنبياء والشرائع، كالأمر بتوحيد الله، وإخلاص الدين له، ومحبته، وخوفه، ورجائه، والبر، والصدق، والوفاء بالعهد، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والإحسان إلى الضعفاء والمساكين واليتامي، والحُنُوُّ والإحسان إلى الخلق، ونحو ذلك من الأعمال الصالحة، ولهذا كان أهل العلم، والكتب السابقة، والعقل، حين بعث الله محمداً ﷺ، يستدلون على نبوته بأجناس ما يأمر به، وينهى عنه، كما جرى لهرقل وغيره، فإنه إذا أمر بما أمر به الأنبياء، الذين من قبله، ونهى عما نهوا عنه، دل على أنه من جنسهم، بخلاف الكذاب، فلا بدأن

يأمر بالشر، وينهى عن الخير. ولهذا قال تعالى للرسل: ﴿وإن هذه أمتكم أمة﴾ أي: جماعتكم \_يا معشر الرسل \_جماعة ﴿واحدة﴾ متفقة على دين واحد، وربكم واحد.

﴿ فاتقون بامتثال أوامري ، والمتناب زواجري ، وقد أمر الله المؤمنين بما أمر به المرسلين ، لأنهم بهم في أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون فالواجب من كل المنتسبين إلى الأنبياء وغيرهم ، أن يمتثلوا هذا ، ويعملوا به ، ولكن أبى الظالمون المفترقون إلا عصيانا ، ولهذا قال : فقطع المنتسبون إلى اتباع الأنبياء فرامره أي : تقطع المنتسبون إلى اتباع الأنبياء فرامره أي : قطعا فركل حزب بما لديم أي :

أي: بما عندهم من العلم والدين فرحون يزعمون أنهم المحقون، وغيرهم على غير الحق، مع أن المحق منهم، من كان على طريق الرسل، من أكل الطيبات، والعمل الصالح، وما عداهم فإنهم مبطلون.

﴿فلرهم في غمرتهم ﴾ أي: في وسط جهلهم بالحق، ودعواهم أنهم هم (١) المحقون. ﴿حتى حين ﴾ أي: للى أن ينزل العذاب بهم، فإنهم لا ينفع فيهم وعظ، ولا يفيدهم زجر، وكيف يفيد من يزعم أنه على الحق، ويطمع في دعوة غيره إلى ما هو عليه؟

﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين \* نسارع لهم في الخيرات > أي: أيظنون أن زيادتنا إياهم بالأموال والأولاد، دليل على أنهم من أهل الخير والسعادة، وأن لهم خير الدنيا والآخرة ؟ وهذا مقدم لهم، ليس الأمر كذلك.

﴿بل لا يشعرون﴾ أنما نملي لهم ونمهلهم ونمدهم بالنعم، ليزدادوا إثماً، وليتوفر عقابهم في الآخرة، وليغتبطوا بما أوتوا ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة﴾.

﴿٥٧ \_ ٦٢ ﴾ ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون \* والذين هم بآيات ربهم يؤمنون \* والذين هم بربهم لا يشركون \* والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون \* أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون \* ولا نكلف نفسا إلا وسعها ولدينا كتابٌ ينطق بالحق وهم لا يظلمون﴾ لما ذكر تعالى الذين جمعوا بين الإساءة والأمن، الذين يزعمون أن عطاء الله إياهم في الدنيا دليل على خيرهم وفضلهم، ذكر الذين جمعوا بين الإحسان والخوف، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةً رَبُّهُمْ مشفقون﴾ أي: وجلون، مشفقة قلوبهم كل ذلك من خشية ربهم، خوفاً

أن يضع عليهم عدله، فلا يبقى لهم حسنة، وسوء ظن بأنفسهم، أن لا يكونوا قد قاموا بحق الله تعالى، وخوفاً على إيمانهم من الزوال، ومعرفة منهم بربهم، وما يستحقه من الإجلال والإكرام، وخوفهم وإشفاقهم يوجب لهم الكف عما يوجب الأمر المخوف من الذنوب، والتقصير في الواجبات.

﴿والذين هم بآيات ربهم يؤمنون﴾
أي: إذا تليت عليهم آياته زادتهم
إيماناً، ويتفكرون أيضاً في الآيات
القرآنية ويتدبرونها، فيبين لهم من
معاني القرآن وجلالته واتفاقه، وعدم
اختلافه وتناقضه، وما يدعو إليه من
معرفة الله وخوفه ورجائه، وأحوال
الجزاء، فيحدث لهم بذلك من تفاصيل
الإيمان، ما لا يعبر،عنه اللسان.

ويتفكرون أيضاً في الآيات الأفقية، كما في قوله: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾ إلى آخر الآيات.

﴿والذين هم بربهم لا يشركون أي: لا شركاً جلياً، كاتخاذ غير الله معبوداً، يدعوه ويرجوه ولا شركاً خفياً، كالريباء ونحوه، بل هم مخلصون لله، في أقوالهم وأعمالهم وسائر أحوالهم.

﴿والذين يوتون ما آتوا ﴿ أي: يعطون من أنفسهم مما أمروا به، ما آتوا من كل ما يقدرون عليه، من صلاة، وزكاة، وحج، وصدقة، وغير ذلك، ﴿و ﴾ مع هذا ﴿قلوبهم وجلة ﴾ أي: خائفة ﴿أنهم إلى ربهم راجعون ﴾ أي: خائفة عند عرض أعمالها عليه، والوقوف بين يديه، أن تكون أعمالهم بربهم، وما يستحقه من أصناف العادات.

﴿ أُولِئِكُ يسارعون في الخيرات ﴾ أي: في ميدان التسارع في أفعال

الخير، همهم ما يقربهم إلى الله، وإرادتهم مصروفة فيما ينجي من عذابه، فكل خير سمعوا به، أو سنحت لهم الفرصة إليه، انتهزوه وبادروه، قد نظروا إلى أولياء الله وأصفيائه، أمامهم، ويمنة، ويسرة، يسارعون في كل خير، وينافسون في الزلفي عند ربهم، فنافسوهم. ولما كان السابق لغيره المسارع قد يسبق لجده وتشميره، وقد لا يسبق لتقصيره، أخبر تعالى أن هؤلاء من القسم السابقين فقال:

﴿وهم لها﴾ أي: للخيرات ﴿سابقون﴾ قد بلغوا ذروتها، وتباروا هم والرعيل الأول، ومع هذا، قد سبقت لهم من الله سابقة السعادة، أنهم سابقون. ولما ذكر مسارعتهم إلى الخيرات وسبقهم إليها، ربما وهم واهم أن المطلوب منهم ومن غيرهم أمر غير مقدور أو متعسر، أخبر تعالى أنه لا يكلف ﴿نفساً إلا وسعها﴾ أي: بقدر ما تسعه، ويفضل من قوتها عنه، ليس مما يستوعب قوتها، رحمة منه وحكمة، لتيسير طريق الوصول إليه، ولتعمر جادة السالكين في كل وقت إليه . ﴿ولدينا كتاب ينطق بآلحق﴾ وهو الكتاب الأول، الذي فيه كل شيء، وهو يطابق كل واقع يكون، فلذلك كان حقاً، ﴿وهم لا يظلمون﴾ ينقص من إحسانهم، أو يزداد في عقوبتهم وعصيانهم.

( 77 - 77 ) ﴿ بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون \* حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون \* لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون \* قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون \* مستكبرين به سامراً تهجرون \* يجبر تعالى أن قلوب المكذبين في غمرة من هذا، أي: وسط غمرة من الجهل والظلم، والعفلة والإعراض، تمنعهم من الوصول إلى هذا القرآن، فلا يهتدون به، ولا يصل

إلى قلوبهم منه شيء. ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً \* وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي غمرة منه، عملوا بحسب هذا الحال، من الأعمال الكفرية، والمعاندة للشرع، ما هو موجب لعقابهم، ﴿و﴾ لكن هم لها عاملون﴾ أي: فلا يستغربوا عدم وقوع العذاب فيهم، فإن الله يملهم ليعملوا هذه الأعمال، التي عملوها واستوفوها، انتقلوا بشر حالة عملوها واستوفوها، انتقلوا بشر حالة إلى غضب الله وعقابه.

وحتى إذا أخذنا مترفيهم أي: متنعميهم، الذين ما اعتادوا إلا الترف والرفاهية والنعيم، ولم تحصل لهم المكاره، فإذا أخذناهم وبالعذاب ووجدوا مَسّه وإذا هم يجأرون يصرخون ويتوجعون، لأنه أصابهم أمر خالف ما هم عليه، ويستغيثون، فيقال لهم: ولا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون وإذا لم تأتهم النصرة من الله، وانقطع عنهم (١) الغوث من جانبه، لم يستطيعوا نصر أنفسهم، ولم ينصرهم أحد.

فكأنه قيل: ما السبب الذي أوصلهم إلى هذا الحال؟ قال: ﴿قد كانت آياتي تتلي عليكم التؤمنوا بها وتقبلوا عليها، فلم تفعلوا ذلك، بل ﴿كنتم على أعقابكم تنكصون﴾ أي : راجعين القهقرى إلى الخلف، وذلك لأن باتباعهم القرآن يتقدمون، وبالإعراض عنه يستأخرون وينزلون إلى أسفل سافلين. ﴿مستكبرين به سامراً تهجرون، قال المفسرون معناه: مستكبرين به، الضمير يعود إلى البيت، المعهود عند المخاطبين، أو الحرم، أي: متكبرين على الناس بسببه، تقولون: نحن أهل الحرم، فنحن أفضل من غيرنا وأعلى، ﴿سامراً ﴾أى: جماعة يتحدثون بالليل حول البيت

﴿ تهجرون ﴾ [أي: تقولون الكلام الهجر الذي هو القبيحُ في [(٢) هذا القرآن. فالمكذبون كانت طريقتهم في القرآن، الإعراض عنه، ويوصي بعضهم بعضاً بذلك ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ وقال الله عنهم: فيه لعلكم تغلبون ﴾ وقال الله عنهم: وتضحكون ولا تبكون ﴿ وأنتم سامدون ﴾ ﴿ أم يقولون تقوله ﴾ .

فلما كانوا جامعين لهذه الرذائل، لا جرم حقت عليهم العقوبة، ولما وقعوا فيها، لم يكن لهم ناصر ينصرهم، ولا مغيث ينقذهم، ويوبخون عند ذلك بهذه الأعمال الساقطة ﴿أفلم يدبروا القول﴾أي: أفلا يتفكرون في القرآن ويتأملونه أي: فإنهم لو تدبروه، لأوجب لهم الإيمان، ولمنعهم من الكفر، ولكن المصيبة التي أصابتهم بسبب إعراضهم عنه، ودل هذا على أن تدبر القرآن، يدعو إلى كل خير، ويعصم من كل شر، والذي منعهم من تدبره أن على قلوبهم أقفالها.

﴿أُم جاءهم ما لم يات آباءهم الأولين ﴾ أي: أو منعهم من الإيمان ، أنه جاءهم رسول وكتاب ، ما جاء آباءهم الأولين ، فرضوا بسلوك طريق آبائهم الضالين ، وعارضوا كل ما خالف ذلك ، ولهذا قالوا ، هم ومن أشبههم من الكفار ، ما أخبر الله عنهم : ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك مقدون ﴾ فأجابهم بقوله : ﴿قال أو لو وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ فأجابهم بقوله : ﴿قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ﴾ فأجابوا بحقيقة أمرهم ﴿قالوا إنا بما فالمون ﴾ .

وقوله: ﴿أَم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون﴾أي: أو منعهم من اتباع الحق، أن رسولهم محمداً ﷺ، غير معروف عندهم، فهم منكرون له؟

يقولون: لا نعرف، ولا نعرف صدقه، دعونا حتى ننظر حاله ونسأل عنه من له به خبرة، أي: لم يكن الأمر كذلك، فإنهم يعرفون الرسول على معرفة تامة، صغيرهم وكبيرهم يعرفون منه كل خلق جميل، ويعرفون صدقه وأمانته، حتى كانوا يسمونه قبل البعثة جاءهم بالحق العظيم، والصدق المبن؟.

﴿أُم يقولون به جنة ﴾ أي: جنون، فلهذا قال ما قال، والمجنون غير مسموع منه، ولا عبرة بكلامه، لأنه يهذي بالباطل والكلام السخيف.

قال الله في الرد عليهم في هذه المقالة: ﴿بلِّ جاءهم بالحق﴾ أي: بالأمر الشابت، الذي هو صدق وعدل، لا اختلاف فيه ولا تناقض، فكيف يكون من جاءبه، به جنة؟! وهلا يكون إلا في أعلى درج الكمال، من العلم والعقل ومكارم الأخلاق، وأيضاً فإنَّ في هذا الانتقالُ مما تقدم، أى: بل الحقيقة التي منعتهم من الإيمان أنه جاءهم بالحق ﴿وأكثرهم للحق كارهون، وأعظم الحق الذي جاءهم به إخلاص العبادة لله وحده، وترك ما يعبد من دون الله، وقد علم كراهتهم لهذا الأمر وتعجبهم منه، فكون الرسول أتى بالحق، وكونهم كارهين للحق بالأصل، هو الذي أوجب لهم التكذيب بالحق لا شكاً ولا تكذيباً للرسول، كما قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهُم لا يَكذَّبُونَكُ وَلَكُنَّ الظَّالَمِينَ بآيات الله يحجدون الله فإن قيل: لم لم يكن الحق موافقاً لأهوائهم لأجل أن يؤمنوا ويسرعوا الانقياد؟ أجاب تعالى بقوله: ﴿ولواتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ، ووجه ذلك أنّ أهواءهم متعلقة بالظلم والكفر والفساد من الأخلاق والأعمال، فلو تبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض، لفساد التصرف والتدبير المبنى على الطلم وعدم العدل،

فالسماوات والأرض ما استقامتا إلا بالحق والعدل ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ أي: بهذا القرآن المذكر لهم بكل خير، الذي به فخرهم وشرفهم، حين يقومون به، ويكونون به سادة الناس.

﴿فهم عن ذكرهم معرضون﴾ شقاوة منهم، وعدم توفيق ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ ﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ فالقرآن ومن جاء به، أعظم نعمة ساقها الله إليهم، فلم يقابلوها إلا بالرد والإعراض، فهل بعد هذا الحرمان حرمان؟ وهل يكون وراءه إلا نهاية الحسران؟.

﴿٧٢﴾ ﴿أم تسألهم خرجاً فخراج ربك خيرٌ وهو خيرُ الرازقين﴾ أي: أو منعهم من اتباعك يا محمد، أنك تسألهم على الإجابة أجراً ﴿فهم من مغرم متقلون ، يتكلفون من اتباعك ، بسبب ما تأخذ منهم من الأجر والخراج، ليس الأمر كذلك ﴿فخراج ربك خير وهو خير الرازقين، وهذا كما قال الأنبياء لأممهم: ﴿يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الله كاأي: ليسوا يدعون الخلق طمعاً فيما يصيبهم منهم من الأموال، وإنما يدعون نصحاً لهم، وتحصيلاً لمصالحهم، بل كان الرسل أنصح للخلق من أنفسهم، فجزاهم الله عن أممهم خير الجزاء، ورزقنا الاقتداء بهم في جميع الأحوال.

وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيسم \* وإن النيس صراط مستقيسم \* وإن النيس لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون \* ذكر الله تعالى في هذه الآيات الكريمات، كل سبب موجب للإيمان، وذكر الموانع، وبين فسادها، واحداً بعد واحد، فذكر من الموانع أن القول، وأنهم اقتدوا بآبائهم، وأنهم القول، وأنهم اقتدوا بآبائهم، وأنهم عليها، وذكر من الأمور الموجبة عليها، وذكر من الأمور الموجبة نعمة الله بالقبول، ومعرفة حال نعمة الله بالقبول، ومعرفة حال

الرسول محمد ﷺ، وكمال صدقه وأمانته، وأنه لا يسألهم عليه أجرأ، وإنما سعيه لنفعهم ومصلحتهم، وأن الذي يدعوهم إليه صراط مستقيم، سهل على العاملين لاستقامته، موصل إلى المقصود، من قرب حنيفية سمحة، حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل، فدعوتك إياهم إلى الصراط المستقيم، موجبٌ لمن يريد الحق أن يتبعك، لأنه مما تشهد العقول والفطر بحسنه، وموافقته للمصالح، فأين يذهبون إن لم يتابعوك؟ فإنهم ليس عندهم مايغنيهم ويكفيهم عن متابعتك، لأنهم ﴿عن الصراط لناكبون، متجنبون منحرفون، عن الـطــريــق الموصــل إلى الله، وإلى دار كرامته، ليس في أيديهم إلا ضلالات وجهالات.

وهكذا كل من خالف الحق، لا بد أن يكون منحرفاً في جميع أموره، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُ فَاعِلْمُ أَنْمَا يَتَبِعُونَ أَهُواءُهُمْ ومن أَصْلُ مَن الله ﴾ .

وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون \* ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون \* حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم فيه مُبلِسون هذا بيان لشدة تمردهم وعنادهم، وأنهم إذا أصابهم الضر، دعوا الله أن يكشف عنهم لحوا، أو ابتلاهم بذلك ليرجعوا إليه. إن الله إذا كشف الضر عنهم لحوا، أي: استمروا في طغيانهم يعمهون، أي: يجولون في كفرهم، حائرين مترددين.

كماذكر الله حاله معندركوب الفلك، وأنهم يدعونه مخلصين له الدين، وينسون مايشركون به، فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بالشرك وغيره.

﴿ولقد أخذناهم بالعذاب، قال المفسرون: المراد بذلك: الجوع الذي أصابهم سبع سنين، وأن الله ابتلاهم

TO SECURITY OF THE PARTY OF THE ا وَوَ رَحَمْنَ هُرُ وَكُشَفْنَا مَا بِهِ مِين ضُرِّ لَلَجُوا فِ مُلغَيْنَ فِي إِلَّا يَعْمَهُونَ ۞ وَلَقَدْ أَغَذْنَهُم إِلْمَكَاٰبِ فَمَا أَسْتَكَانُولُ ﴾ لِرَبُهِمْ وَمَا يَضَمَّرُعُونَ ۞ حَتَّىٰ إِذَا فَغَنَا عَلَيْهِمِ بَابَاذَا عَذَابِ ﴿ شَدِيدٍ إِذَاهُ مُرفِيهِ مُثْلِسُونَ ۞ وَهُوَالَّذِيَّ أَنْشَأَلَكُمُ السَّنعَ وَالْأَبْصِرَوَالْأَفِدَةُ قَلِيلًا مَاتَشْكُرُونَ ٥ وَهُوَٱلَّذِي ذَرَّاكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تَحْتَرُونَ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِي يُتِيءَ وَيُمِتُ وَلَهُ ٱخْتِلَفُ ٱلَّتِلِ وَٱلنَّهَ آرِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿ بَنْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوْلُونَ ﴿ قَالُوا لَهِ ذَا مِنْكَ وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِ نَا لَبَعُوثُونَ ۞ لَقَدْ وُعِدْنَا خَنْ وَءَابَ أَوْنَاهَ ذَامِن قَبْلُ إِنْ هَلَذَاۤ إِلَّاۤ أَسَطِيرُٱلْأَوَّالِينَ الله المُرْتِفُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُوتَ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُوتَ اللهُوتَ اللهِ سَيَقُولُونَ يِلَّهِ قُلُ أَفَلَا نَذَكَّرُونَ ۞ قُلْ مَن رَّبُ ٱلسَّمَوَتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ الْعَظِيرِ۞ سَيَقُولُونَ بِنَّهِ قُلُ أَفَلَا لَتَكَفُّونَ ۞ قُلْ مَنْ بِيدِهِ مَلَكُونُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُعَلَيْهِ وَ اللَّهُ اللَّهُ مُتَعَلَّمُونَ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهُ قُلُ فَأَنَّ لَشَحَرُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهُ قُلُ فَأَنَّ لَشَحَرُونَ ۞ DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

بذلك، ليرجىعوا إليه بالذل والاستسلام، فلم ينجع فيهم، ولا نجح منهم أحد، ﴿فَمَا استَكَانُوا لربهم) أي: خضعوا وذلوا ﴿وما يتضرعون﴾ إليه ويفتقرون، بل مَرَّ عليهم ذلك ثم زال، كأنه لم يصبهم، لم يزالوا في غيهم وكفرهم، ولكن وراءهم العذاب الذي لا يرد، وهو قوله: ﴿ حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد كالقتل يوم بدر وغيره، ﴿إذا هم فيه مبلسون﴾ آيسون من كل خير، قد حضرهم الشر وأسبابه، فَلْيَحْدُدُوا قبل نَزول عنذاب الله الشديد، الذي لا يرد، بخلاف مجرد العذاب؛ فإنه ربما أقلع عنهم، كالعقوبات الدنيوية، التي يؤدب الله بها عباده. قال تعالى فيها: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون).

﴿٨٧ ـ ٠٨﴾ ﴿وهو البذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون \* وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون \* وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون ﴾ يخبر تعالى بمننه على عباده الداعية (١٠) لهم إلى شكره، والقيام بحقه فقال: ﴿وهو الذي أنشأ لكم

CONTRACT BELLEVILLE نَا أَتَنْكُمُ مَا ثَخَةً وَالْمُنْ لَكِنْدُونِ ۞ مَا الْغَا ذَاتُونُ ﴿ وَلَدُ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ اللَّهُ إِذَا لَّذَهَ كُثُّ اللَّهُ مَا خَلَقَ وَلَعَكَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضُ سُبَحَنَ أَلَقَهِ عَمَّا يَصِغُونَ ٥ عَلِمُ ٱلْغَنْبُ وَٱلشَّهَادَةِ فَتَعَلَّاعَمَّا لُشَّهِكُونَ ۞ قُل زَّبَ إِمَّا تُرْيَكِنِّي مَا يُوعَدُونَ ۞ رَبِّ فَلَا تَجْعَكُمْ شِخُ الْقَوْمِ ٱلظَّالمينَ ۞ وَ إِنَّا عَلَيْ أَن زُّمَكِ مَانِعَدُهُو لَقَا دِرُونَ ٤ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيْنَةُ غَنْ أَعَلَمْ بَالْيَصِفُونَ ۞ وَقُل زَّبَ أَعُودُ بِكَ مِنْ هَكَزَتِ ٱلشَّيْطِين ﴿ وَأَعُودُ بِكَ رَبِّ أَن يَعَضُرُونِ ۞ حَتَّى إِذَاجَاءَ أَحَدَهُمُ ٱلْقِتُ قَالَ رَبُ أَرْجِعُونِ ۞ لَعَلَى أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا رَبِّحُتُ كُلُاّ إِنَّهَا كَلِمَةً هُوَقَآ إِلْهَا وَمِن وَزَآبِهِ مِبْرَزَحُ إِلَّا يَوْمِرْبُحَتُونَ ﴿ فَإِذَا غُيْمَ فِي ٱلصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَا فَي يَوْمَ فِوَ لَا يَتَسَآءَ لُونَ ﴿ فَمَنْ تَقُلَتْ مَوَزِينُهُ مِا أُولَكِكَ هُمُ ٱلْفُلِحُونَ ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ مَا أُوْلَتَهِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوۤا أَنفُسَهُمْ فِيجَهَـُمْ المَّارُون ﴿ مَا لَهُمْ وَجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُرْفِيهَا كَالْمُونَ ﴿

السمع في لتدركوا به السموعات، فتنتفعوا في دينكم ودنياكم، (والأبصار) لتدركوا بها البصرات، فتتفعوا بها(١) في مصالحكم.

﴿والأفشدة ﴾ أي: العقول التي تدركون بها الأشياء، وتتميزون بها عن البهائم، فلو عدمتم السمع، والأبصار، والعقول، بأن كنتم صماً عمياً بكماً ماذا تكون حالكم؟ وماذا تفقدون من ضرورياتكم وكمالكم؟ أفلا تشكرون الذي مَنْ عليكم بهذه النعم، فتقومون بتوحيده وطاعته؟. ولكنكم، مع توالي النعم عليكم.

﴿وهو﴾ تعالى ﴿الذي ذرأكم في الأرض﴾ أي: بشّكم في أقطارها، وجهاتها، وسلطكم على استخراج مصالحها وجعلها كافية غشرون﴾ بعد موتكم، فيجازيكم بما عملتم في الأرض، من خير وشر، وتحدث الأرض التي كنتم فيها بأخبارها، ﴿وهو﴾ تعالى وحده ﴿الذي يحيى ويميت﴾ أي: المتصرف في الحياة والموت، هو والنهار﴾ أي: تعاقبهما اختلاف الليل والنهار﴾ أي: تعاقبهما

وتناوبهما، فلو شاء أن يجعل النهار سرمداً، من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه؟ ولو شاء أن يجعل الليل سرمداً، مَنْ إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تبصرون؟. ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾.

ولهذا قال هنا: ﴿أفلا تعقلون﴾ فتعرفون أن الذي وهب لكم من النعم، السمع، والأبصار، والأفتدة، والذي نشركم في الأرض وحده، والذي يحيي ويميت وحده، والذي يتصرف بالليل والنهار وحده، أن ذلك موجب لكم، أن تخلصوا له العبادة من وحده لا شريك له، وتتركوا عبادة من لا ينفع ولا ينضر، ولا يتصرف بشيء، بل هو عاجز من كل وجه، فلو بكان لكم عقل لم تفعلوا ذلك.

﴿ ٨١ ـ ٨٣ ﴿ ﴿ لِل قالوا مثل ما قال الأولون \* قالوا أعِذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنّا لمبعوثون \* لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ أي: بـل سـلـك هـؤلاء المكذبين المكذبين مسلك الأولين من المكذبين بالبعث، واستبعدو، غاية الاستبعاد وقالوا: ﴿ أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون ﴾ أي: هذا لا يتصور، ولا يدخل العقل، بزعمهم.

﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل﴾ أي: ما زلنا نوعد بأن البعث كائن، نحن وآباؤنا، ولم نره، ولم يأت بعد، ﴿إِنْ هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي: قصصهم وأسمارهم، التي يتحدث بها وتُلهى، وإلا فليس لها حقيقة، وكذبوا - قبحهم الله - فإن الله أراهم، من آياته أكبر من البعث، ومثله، ﴿لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس﴾.

﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ الآيات ﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها

الماء اهتزت وربت ﴾ الآيات.

﴿٨٤ \_ ٨٩﴾ ﴿قيل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون \* سيقولون لله قبل أفيلا تذكرون \* قبل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم \* سيقولون لله قل أفلا تتقون \* قُل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون \* سيقولون لله قل فأتَى أ تسحرون اي: قل لهؤلاء المكذبين بالبعث، العادلين بالله غيره، محتجاً عليهم بما أثبتوه، وأقروا به من توحيد الربوبية، وانفراد الله بها، على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة، ويما أثبتوه من خلق ألمخلوقات العظيمة، على ما أنكروه من إعادة الموتى، الذي هو أسهل من ذلك.

﴿ لَمْ الأرض ومن فيها ﴾ أي: من هو الخالق للأرض ومن عليها، من حيوان، ونبات، وجماد، وبحار، وأنهار، وجبال، المالك لذلك، المدبر له؟ فإنك إذا سألتهم (٢) عن ذلك، لا بدأن يقولوا: لله وحده، فقل لهم إذا أقروا بذلك: ﴿أَفَلَا تَذَكُّرُونَ﴾ أي: أفلا ترجعون إلى ما ذكركم الله به، مما هو معلوم عندكم، مستقر في فطركم، قد يغيبه الإعراض في بعض الأوقات، والحقيقة أنكم إن رجعتم إلى ذاكرتكم، بمجرد التأمل، علمتم أن مالك ذلك، هو المعبود وحده، وأن إلهية من هو عملوك، أبطل الباطل، ثم انتقل إلى ما هو أعظم من ذلك، فقال: ﴿قل من رب السماوات السبع، وما فيها من النيرات، والكواكب السيارات، والثوابت ﴿وربِ العرش العظيم﴾ الذي هو أعلى المخلوقات وأوسعها وأعظمها، فمن الذي خلق ذلك ودبره، وصرفه بأنواع التدبير؟ ﴿سيقولون لله اي: سيقرون بأن الله رب ذلك كله.

قل لهم حين يقرون بذلك: ﴿أَفَلا تتقون﴾ عبادة المخلوقات العاجزة،

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ: لتدركوا به المبصرات، فتنتفعون به.

<sup>(</sup>٢) في أ: سألتم.

وتتقون الرب العظيم، كامل القدرة، عظيم السلطان؟ وفي هذا من لطف الخطاب، من قوله: ﴿أَفلا تَذْكرون﴾ ﴿أَفلا تَتْقرنُ وَالوعظ بأداة العرض الجاذبة للقلوب، ما لا يخفى. ثم انتقل إلى إقرارهم بما هو أعم من ذلك كله فقال: ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء﴾ أي: ملك كل شيء، من العالم العلوي، والعالم السفلي، ما نبصره، وما لا نبصره؟.

و «الملكوت»: صيغة مبالغة، بمعنى الملك. ﴿وهو يجير﴾ عباده من الشر، ويدفع عنهم المكاره، ويحفظهم عما يضرهم، ﴿ولا يجار عليه﴾ أي: لا يقدر أحد أن يجير على الله، ولا يدفع الشر الذي قدره الله. بل ولا يستفع أحد عنده إلا بإذنه، يشقولون لله أي: سيقرون أن الله المالك لكل شيء، المجير، الذي لا يجار عليه.

وقل الهم حين يقرون بذلك، ملزماً لهم، وفائني تسحرون أي: فاين تذهب عقولكم، حيث عبدتم من علمتم أنهم لا ملك لهم، ولا قسط من الملك، وأنهم عاجزون من جيع الوجوه، وتركتم الإخلاص للمالك فالعقول التي دلتكم على هذا، لا تكون فالعقول التي دلتكم على هذا، لا تكون سحرها الشيطان، بما زين لهم، وحسن لهم، وقلب الحقائق لهم، فسحر عقولهم، كما سحرت السحرة أعين الناس.

﴿ ٩٠ - ٩٠ ﴿ بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون \* ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون \* عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون > يقول تعالى: بل أتينا هؤلاء المكذبين بالحق، المتضمن للصدق في الأخبار، العدل في الأمر والنهي، فما بالهم لا يعترفون به، وهو أحق أن يتبع؟ وليس عندهم

ما يعوضهم عنه، إلا الكذب والظلم، ولهذا قال: ﴿وإنهم لكاذبون﴾.

﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ﴾ كذب يعرف بخبر الله، وخبر رسله، ويعرف بالعقل الصحيح، ولهذا نبه تعالى على الدليل العقلي، على امتناع إلهين فقال: ﴿إِذَا ﴾ أي: لو كان معه آلهة كما يقولون ﴿لذهب كل إله مما خلق، أي: لانفرد كل واحد من الإلهين بمخلوقاته واستقل بها، ولحرص على بمانعة الآخر ومغالبته، ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ فالغالب يكون هو الإله، وإلا فمع التمانع لا يمكن وجود العالم، ولا يتصور أنَّ ينتظم هذا الانتظام المدهش للعقول، واعتبر ذلك بالشمس والقمر، والكواكب الثابتة، والسيارة، فإنها منذ خلقت، وهي تجري على نظام واحد، وترتيب واحد، كلها مسخرة بالقدرة، مدبرة بالحكمة لمصالح الخلق كلهم، ليست مقصورة على مصلحة أحد دون أحد، ولن ترى فيها خللاً ولا تناقضاً، ولا معارضة في أدنى تصرف، فهل يتصور أن يكون ذلك، تقدير إلهين رَبِّيْن!!

﴿سبحان الله عما يصفون ﴿ قد نطقت بلسان حالها، وأفهمت ببديع أشكالها، أن المدبر لها إله واحد، كامل الأسماء والصفات، قد افتقرت إليه جميع المخلوقات، في ربوبيته لها، وفي إلْهَيَّتُهُ لَهَا ، فكما لا وجود لها ولا دوام إلا بربوبيته، كذلك، لا صلاح لها ولا قوام إلا بعبادته وإفراده بالطاعة، ولهذا نبه على عظمة صفاته بأنموذج من ذلك، وهو علمه المحيط، فقال: ﴿عالم الغيب ﴾ أي: الذي غاب عن أبصارنا وعلمنا، من الواجبات والمستحيلات والممكنات، ﴿ والشهادة ﴾ وهو ما نشاهد من ذلك ﴿فتعالى أي: ارتفع وعظم، ﴿عما يشركون، به، من لآعلم عنده، إلا ما علمه الله(١)

﴿۹۳ \_ ۹۰﴾ ﴿قل رب إما تريني

ما يوعدون \* رب فلا تجعلني في القوم الظالمين \* وإنّا على أن نريكُ ما نُعدهمُ لقادرون، لما أقام تعالى على المكذبين' أدلته العظيمة، فلم يلتفتوا لها، ولم يذعنوا لها، حق عليهم العذاب، ووعدوا بنزوله، وأرشد الله رسوله أن يقول: ﴿قبل رب إما تريني ما بوعدون أي: أي وقت أريتني عذابهم، وأحضرتني ذلك، ﴿رب فلا تجعلني في القوم الظالمين أي: اعصمني واحمني، مما ابتليتهم به من الذنوب الموجبة للنقم، واحمني أيضاً من العذاب الذي ينزل بهم، لأن العقوبة العامة تعم \_عند نزولها \_ العاصى وغيره، قال الله في تقريب عذابهم: ﴿وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون، ولكن إنَّ أخرناه فلحكمة، وإلا، فقدرتنا صالحة لإيقاعه فيهم.

﴿٩٦ ــ ٩٨﴾ ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون \* وقبل ربّ أعبوذ بك من همزات السسياطين \* وأعوذ بك رب أن يحضرون، هذا من مكارم الأخلاق، الَّتِي أَمْرُ الله رسوله بها فقال: ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة ﴾ أي: إذا أساء إليكُ أعداؤك، بالقول والفعل، فلا تقابلهم بالإساءة، مع أنه يجوز معاقبة المسيء بمثل إساءته، ولكن ادفع إساءتهم إليك بالإحسان منك إليهم، فإن ذلك فضل منك على المسيء، ومن مصالح ذلك، أنه تخف الإساءة عنك، في الحال، وفي المستقبل، وأنه أدعى لجلب المسيء إلى الحق، وأقرب إلى ندمه وأسفه، ورجوعه بالتوبة عما فعل، وليتصف العافي بصفة الإحسان، ويقهر بذلك عدوه الشيطان، وليستوجب الثواب من الرب، قال تعالى: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ وقال تعالى: ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم \* وما يلقاها ، أي: ما يوفق لهذا الخلق الجميل ﴿إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ

<sup>(</sup>١) في ب: شطب حرف الجر (من) وغيرت الجملة فصارت (ولا علم عندهم إلا ما علمه الله).

عظيم﴾.

وقوله: ﴿نحن أعلم بِما يصفون﴾ أى: بما يقولون من الأقوال المتضمنة للكفر والتكذيب بالجق، قد أحاط علمنا بذلك، وقد حلمنا عنهم، وأمهلناهم، وصبرنا عليهم، والحق لنا، وتكذيبهم لنا، فأنت \_يا محمد \_ ينبغي لك أن تصبر على ما يقولون، وتقابلهم بالإحسان، هذه(١) وظيفة العبد في مقابلة المسيء من البشر، وأما المسيء من الشياطين، فإنه لا يفيد فيه الإحسان، ولا يدعو حزبه إلا ليكونوا من أصحاب السعير ، فالوظيفة في مقابلته، أن يسترشد ما أرشد الله إليه رسوله فقال: ﴿وقل رب أعوذ بك﴾ أي: اعتصم بحولك وقوتك متبرئاً من حولي وقوق ﴿من همزات الشياطين \* وأعوذ بـك رب أن يحـضـرون﴾ أي: أعوذ بك من الشر الذي يصيبني بسبب مباشرتهم وهمزهم ومسّهم، ومن الشر الذي بسبب حضورهم ووسوستهم، وهذه (٢) استعاذة من مادة الشركله وأصله، ويدخل فيها، الاستعاذة من جميع نزغات الشيطان، ومن مسه ووسُوسته، فإذا أعاذ الله عبده من هذا الشر، وأجاب دعاءه، سلم من كل شر، ووفق لكل خير.

سر، وووق لعل حير.

﴿ ٩٩ \_ ، ١٠ ﴾ ﴿ حستى إذا جاء أحدهم الموت قال ربّ ارجعون \* لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة يبعثون ﴾ غير تعالى عن حال من حضره الموت، من المفرطين الظالمين، أنه يندم في تلك الحال، إذا رأى مآله، وشاهد قبح أعماله فيطلب الرجعة إلى الدنيا، لا للتمتع بلذاتها واقتطاف شهواتها وإنما ذلك يقول:

﴿لعلي أعمل صالحاً فيما تركت﴾ من العمل، وفرطت في جنب الله. ﴿كلا﴾ أي: لا رجعة له ولا إمهال، قد قضى الله أنهم إليها لا يرجعون،

﴿إنها﴾ أي: مقالته التي تمنى فيها الرجوع إلى الدنيا ﴿كلمة هو قائلها﴾ أي: مجرد قول باللسان، لا يفيد صاحبه إلا الحسرة والندم، وهو أيضاً غير صادق في ذلك، فإنه لو رُدَّ لعاد لما نُهى عنه.

﴿ومسن ورائهم بسرزخ إلى يسوم يبعثون﴾ أي: من أمامهم وبين أيديهم برزخ، وهو الحاجز بين الشيئين، فهو هنا: الحاجز بين الدنيا والآخرة، وفي هذا البرزخ، يتنعم المطيعون، ويعذب العاصون، من موتهم إلى يوم يبعثون، أي: فليُعدوا له عُدِّته، وليأخذوا له أهبته.

﴿١٠١﴾ ١١٤﴾ ﴿فَإِذَا نَفْخَ فَي الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولآ يتساءلون \* فبمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون \* ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ني جهنم خالدون \* تلفح وجوههم النَّار وهم فيها كالحون \* أَلَّم تكن آياتٍ ا تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون \* قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قومأ ضالين \* ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون \* قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون \* إنّه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين \* فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون \* إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون \* قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين \* قالوا لبثنا يوما أوبعض يوم فأسأل العادين \* قال إن لبثتم إلاّ قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون ﴿ يَجْبِر تعالى عن هول يوم القيامة، وما في ذلك اليوم، من المزعجات والمقلقات، وأنه إذا نفخ في الصور نفخة البعث، فحشر الناس أجمعون، لميقات يوم معلوم، أنه يصيبهم من الهول ما ينسيهم أنسابهم، التي هي أقوى الأسباب، فغير

الأنساب من باب أولى، وأنه لا يسأل أحد أحداً عن حاله، لاشتغاله بنفسه، فلا يدري هل ينجو نجاة لا شقاوة بعدها؟ أو يشقى شقاوة لا سعادة بعدها؟ قال تعالى: ﴿يوم يفر المرء من أخيه \* وأمه وأبيه \* وصاحبته وبنيه \* لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنهه (٣).

وفي القيامة مواضع، يشتد كربها، ويعظم وقعها، كالميزآن الذي يميز به أعمال العبد، وينظر فيه بالعدل ما له وما عليه، وتبين فيه مثاقيل الذر، من الخير والشر، ﴿فمن ثقلتُ موازينه﴾ بأن رجحت حسناته على سيئاته ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ لنجاتهم من النار، واستحقاقهم الجنة، وفوزهم بالثناء الجميل، ﴿ومن خفت موازينه﴾ بأن رجحت سيئاته على حسناته، وأحاطت بها خطيئاته ﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ كل خسارة، غير هذه الخسارة، فإنها \_ بالنسبة إليها \_ سهلة، ولكن هذه خسارة صعبة، لا يجبر مصابها، ولا يستدرك فائتها، خسارة أبدية، وشقاوة سرمدية، قد خسر نفسه الشريفة، التي يتمكن بها من السعادة الأبدية ففوَّتها هذا النعيم المقيم، في جوار الرب الكريم.

﴿ في جهنم خالدون ﴾ لا يخرجون منها أبد الآبدين، وهذا الوعيد، إنما هو كما ذكرنا، لمن أحاطت خطيئاته بحسناته، ولا يكون ذلك إلا كافراً، فعلى هذا، لا يحاسب محاسبة من توزن لهم، ولكن تُعَدُّ أعمالهم وتحصى، فيوقفون عليها، ويقررون بها، ويخزون فيوقفون عليها، ويقررون بها، ويخزون بها، وأما من معه أصل الإيمان، ولكن عظمت سيئاته، فرجحت على حسناته، فإنه وإن دخل النار، لا يخلد فيها، كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة.

ثم ذكر تعالى، سوء مصير الكافرين

<sup>(</sup>١) في الموضعين في النسختين: هذا.

<sup>(</sup>٢) في الموضعين في النسختين: هذا.

<sup>(</sup>٣) في النسختين وقع تداخل بين آيات سورة عبس وآيات سورة المعارج فكانت أقرب إلى آيات سورة عبس فأثبتها منها.

فقال: ﴿تلفح وجوههم النار﴾ أي: تغشاهم من جميع جوانبهم، حتى تصيب أعضاءهم الشريفة، ويتقطع لهبها عن وجوههم، ﴿وهم فيها كالحون، قدعبست وجوههم، وقلصت شفاههم، من شدة ما هم فيه، وعظيم ما يلقونه، فيقال لهم \_ توبيخاً ولوماً \_: ﴿أَلَمْ تَكُنَّ آيَاتِي تَتَّلَّى عليكم الدعون بها، لتؤمنوا، وتعرض عليكم لتنظروا، ﴿فكنتم بها تكذبون﴾ ظلماً منكم وعناداً، وهي آيات بينات، دالات على الحقّ والباطل، مبينات للمحق والبطل، فحينتذ أقروا بظلمهم، حيث لا ينفع الإقرار وقالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ أي: غلبت علينا الشقاوة الناشئة عن الظلم والإعراض عن الحق، والإقبال على ما يضر، وترك ما ينفع ﴿وكنا قوماً ضالين﴾ في عملهم، وإنَّ كانوا يدرون أنهم ظالمون، أي: فعلنا في الدنيا فعل التائه، الضال السفيه، كما قالوا في الآية الأخرى: ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير،

﴿ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ وهم كاذبون في وعدهم هذا، فإنهم كما قال تعالى: ﴿ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ﴾ ولم يُبْق الله لهم حجة، بل قطع أعذارهم، وعمَّرهم في الدنيا، ما يتذكر فيه [من] المتذكر، ويرتدع فيه المجرم، فقال الله جواباً لىسىۋالىھىم: ﴿اخىسىۋوا فىيىھا ولا تكلمون ﴾ وهذا القول \_نسأله تعالى العافية - أعظم قول على الإطلاق يسمعه المجرمون في التخييب، والتوبيخ، والذل، والخسار، والتأييس من كل خير، والبشرى بكل شر، وهنذا الكلام والغضب من الرب الرحيم، أشد عليهم وأبلغ في نكايتهم من عذاب الجحيم، ثم ذكر الحال التي أوصلتهم إلى العذاب، وقطعت عنهم الرحمة فقال: ﴿إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت

خير الراحمين فجمعوا بين الإيمان المقتضي لأعماله الصالحة، والدعاء لربهم بالمغفرة والرحمة، والتوسل إليه بربوبيته، ومنته عليهم بالإيمان، والإخبار بسعة رحمته، وعموم إحسانه، وفي ضمنه، ما يدل على خضوعهم وخشوعهم، وانكسارهم لربهم، وخوفهم ورجائهم.

فهؤلاء سادات الناس وفضلاؤهم، فاتخذتموهم أيها الكفرة الأنذال ناقصو العقول والأحلام فسخرياً تهزؤون بهم وتحتقرونهم، حتى اشتغلتم بذلك السفه.

﴿حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون﴾ وهذا الذي أوجب لهم نسيان الذكر، اشتغالهم بالاستهزاء بهم، كما أن نسيانهم للذكر، يحثهم على الاستهزاء، فكل من الأمرين يمد الآخر، فهل فوق هذه الجراءة جراءة؟!

﴿إِنِ جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ على طاعتي، وعلى أذاكم، حتى وصلوا إلى.

﴿أنهم هم الفائزون﴾ بالنعيم المقيم، والنجاة من الجحيم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾ الآيات.

﴿قال﴾ لهم على وجه اللوم، وأنهم سفهاء الأحلام، حيث اكتسبوا في هذه المدة اليسيرة كل شر أوصلهم إلى غضبه وعقوبته، ولم يكتسبوا ما اكتسبه المؤمنون [من] الخير، الذي يوصلهم إلى السعادة الدائمة ورضوان ربهم.

﴿ كم لبثتم في الأرض عدد سنين \* قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم > كلامهم هذا، مبنيً على استقصارهم جداً، لمدة مكثهم في الدنيا وأفاد ذلك، لكنه لا يفيد مقداره، ولا يعينه، فلهذا قالوا: لعدده، وأما هم، فضي شغل شغل شاغل (١)، وعذاب مذهل، عن معرفة عدده، فقال لهم: ﴿ إِن لبشتم إلا عدده، فقال لهم: ﴿ إِن لبشتم إلا

اللَّمْ تَكُنْ ءَايِنِي تُمَّنَّا لَاعَلَيْكُمْ فَكُمُّتُ مِبِهَا تُكَذِّبُونَ ۞ قَالُواْرَيِّنَاعَلَيْتَ عَلَيْنَا شِغُوتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا صَآلِينَ ۞ رَبِّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَلِيمُونَ ۞ قَالَ أَخْسَعُواْ إِنِهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۞ إِنَّهُ كَاكَ وَيَقُّ مِنْ عِلَادِى يَقُولُونَ رَبُّنَا ءَامَنَا فَأَغْ فِرَلْنَا وَأَرْحَنْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّحِدِينَ فَأَغَّنَا لَهُ هُوهُمْ مِعْزِيًّا حَتَّى أَسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُمْ فِهُمْ تَضْحَكُونَ ۞ إِنَّ جَزَّتُهُ وُٱلْيُومَ بِمَاصَبُرُوۤا أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآ إِذُونَ ۞ قَالَكَ مْ لِكَثْمُرْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ @ قَالُواْ لِبَثْنَايُومًا أَوْبَعْضَ تَوْمِ فَنَتَالُالْعَآذِينَ ۞ قَالَ إِن لِبَثْتُمُ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُو كُفَّتُم تَعَكُّونَ ۞ أَغَيب بَنْمُ أَنَّا خَلَفَنكُمْ عَبَثَ وَأَنْكُرُ إِلَيْنَ لَازُجْعَوُنَ ۞ فَعَنَلَ اللَّهُ ٱلْلَاكُ ٱلْحُا لَآإِلَة إِلَّاهُورَبُّ الْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ۞ وَمَن يَنْعُ مَعَ اللَّهِ لِلْمَا الخركابرُهانَ لَهُ بِيهِ فَإِنَّمَا رِحْسَابُهُ وَعِنْدَ رَبِّ فِي إِنَّهُ وَلَا يُقْلِحُ الكَيْرُونَ ﴿ وَقُل رَّبِ أَغْفِرُ وَأَرْجَرُ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّحِينَ ۞ 

قليلاً﴾ سواء عينتم عدده، أم لا ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾.

﴿١١٥ ـ ١١٩﴾ ﴿أفحسبتم أنَّما خلقناكم عبشأ وأنكم إلينا لا ترجعون \* فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو ربُّ العرش الكريم﴾ أي: ﴿ أَفْحَسِبْتُم ﴾ أيها الخلق ﴿ أَنْمَا خلقناكم عبثاً ﴿ أَي : سدى وباطلاً ، تأكلون وتشربون وتمرحون، وتتمتعون بلذات الدنيا، ونترككم لا نأمركم، و[لا] ننهاكم ولا نثيبكم، ونعاقبكم؟ ولهدذا قدال: ﴿وأنكه إلينا لا ترجعون ◊ لا يخطر هذا ببالكم، ﴿فتعالى الله أي: تعاظم وارتفع عن هذا الظن الباطل، الذي يرجع إلى القدح في حكمته. ﴿الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم، فكونه مَلِكاً للخلق كلهم حقاً، في صدقه، ووعده، ووعيده، مألوهاً معبوداً، لما له من الكمال ﴿ربِ العرش الكريم﴾ فما دونه من باب أولى، يمنع أن يخلقكم عبثاً.

﴿١١٧ - ١١٨﴾ ﴿ومسن يسدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلع الكافرون \* وقل ربّ اغفر وارحم وأنت خير الراحمن ﴾ أي: ومن دعا

حِلْفَوَالِّغَالِاَعِزَالِيَّغِيمِ سُورَةُ أَنزَلْتُهَا وَفَحَهُنَهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا ءَالِنَةِ بِيِّنَتِ لِمُتَكَّمُ مُنْكُمُ وَنَ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا كُلَّ وَمِعِدِمِنْهُمَامِأَنَّةَ جَلَدَةٍ وَلَا فَأَخُذَكُمُ بهِمَارَأْفَدُّ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيُوْمِ ٱلْأَخِرُّ وَلَيْشَهَدْ عَذَابَهُمَاطَآبِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ۞ ٱلزَّانِ لَايَنَكِحُ إِلَّازَانِيَةً أَوْمُشْرِكَةُ وَٱلزَّانِيَةُ لَاينَكِحُهُمَّ إِلَّازَانِ أَوْمُشْرِكُ وَحُرِمَ ذَلِكَ عَلَ ٱلْمُوْمِينَ ۞ وَالَّذِينَ يُرُونَ ٱلْخُصَنَاتِ ثُرَّ لَرَيَاتُوا بِأَرْبَعَ وَشُهَالَةَ فَأَجَلِدُوهُمْ ثَلَيْنِ مَجَلَدَةً وَلَانَقَبَلُوا لَمُمَّ شَهَدَةً أَبِكُأُ وَأُولَيْكَ هُمُ ٱلْفَسِيقُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ الْمَهَ غَفُونُ تَحِيمٌ۞ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَجَهُمْ وَلَرْيَكُنْ لَهُمُ شُهَدَّا يُإِلَّا أَنْفُ مُ هَمُّ هَلَدَةُ أَخَدِهِمُ أَرْبَعُ شَهَلَاتٍ بِأَلَقِهُ إِنَّهُ رَكِّنَ ٱلصَّادِقِينَ ۞ وَٱغۡخِيسَةُ أَنَّ لَقَنتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَذِينَ ۞ وَيَدْرَقُأُ عَنَّهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشَّهَدَ أَرْبَعَ شَهَاذَتِ إِلَّهِ إِنَّهُ إِنَّهُ لِكَنَّ ٱلْكَذِينَ ٥ وَٱلْخَلِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّلِوقِينَ ٥ وَلَوْلَا ضَمْلُ اللَّهِ عَلَيْكُو وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابُ حَكِيدُ ۞

مع الله آلهة غيره، بلا بينة من أمره ولا برهان يدل على ما ذهب إليه، وهذا قيد ملازم، فكل من دعا غير الله، فليس له برهان على ذلك، بل دلت البراهين على بطلان ما ذهب إليه، فأعرض عنها ظلماً وعناداً، فهذا سيقدم على ربه، فيجازيه بأعماله، ولا ينيله من الفلاح شيئاً، لأنه كافر، ﴿إنه لا يفلم الكافرون﴾ فكفرهم منعهم من

TO LONGED

﴿ وقل ﴾ داعياً لربك مخلصاً له الدين ﴿ رب اغفر ﴾ لنا حتى تنجينا من المكروه، وارحمنا، لتوصلنا برحمتك إلى كل خير.

﴿وأنت خير الراحمين﴾ فكل راحم للعبد، فالله خير له منه، أرحم بعبده من الوالدة بولدها، وأرحم به من نفسه.

> تم تفسير سورة المؤمنين، من فضل الله وإحسانــه

## تفسير سورة النور وهي مدنية

﴿ ١﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بيناتٍ لعلكم تذكرون ﴾ أي: هذه ﴿سورة ﴾ عظيمة القدر ﴿ أنزلناها ﴾

رحمة منا بالعباد، وحفظناها من كل شيطان ﴿وفرضناها﴾ أي: قدرنا فيها ما قدرنا، من الحدود والشهادات وغيرها، ﴿وأنزلنا فيها آيات بينات﴾ أي: أحكاماً جليلة، وأوامر وزواجر، وحكماً عظيمة ﴿لعلكم تذكرون﴾ حين نبين لكم، ونعلمكم ما لم تكونوا تعلمون.

ثم شرع في بيان تلك الأحكام المشار إليها، فقال:

٣ - ٣ (الزانية والزاني فاجلدوا
 كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم
 بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون
 بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما
 طائفة من المؤمنين

هذا الحكم في الزاني والزانية البكرين، أنهما يجلد كل منهما مئة جلدة، وأما الثّيب، فقد دلت السنة الصحيحة المشهورة، أن حده الرجم، ونهانا تعالى أن تأخذنا رأفة [بهما] في دين الله، تمنعنا من إقامة الحد عليهم، سواء رأفة طبيعية، أو لأجل قرابة أو صداقة أو غير ذلك، وأن الإيمان موجب لانتفاء هذه الرأفة المانعة من إقامة أمر الله، فرحمته حقيقة، بإقامة حدّ الله عليه، فنحن وإن رحمناه لجريان القدر عليه، فلا نرحه من هذا الجانب، وأمر تعالى أن يحضر عذاب الزانيين طائفة، أي: جماعة من المؤمنين، ليشتهر ويحصل بلكك الخزى والارتداع، وليشاهدوا الحد فعلاً، فإن مشاهدة أحكام الشرع بالفعل، مما يقوى بها العلم، ويستقر بها الفهم، ويكون أقرب لإصابة الصواب، فلا يزاد فيه ولا ينقص، والله أعلم.

﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحزم ذلك على المؤمنين ، هذا بيان لرذيلة الزنا، وأنه يدنس عرض

صاحبه، وعرض من قارنه ومازجه، ما لا يفعله بقية الذنوب، فأخبر أن الزاني لا يقدم على نكاحه من النساء، إلا أنثى زانية، تناسب حاله حالها، أو مشركة بالله، لا تؤمن ببعث ولا جزاء، ولا تلتزم أمر الله، والزانية كذلك، لا ينكحها إلا زان أو مشرك كذلك، لا ينكحها إلا زان أو مشرك عليهم أن يُنكحوا زانياً، أو ينكحوا زانياً، أو ينكحوا زانياً،

ومعنى الآية: أن من اتصف بالزنا، من رجل أو امرأة، ولم يتب من ذلك، أن المقدم على نكاحه، مع تحريم الله لذلك، لا يخلو إما أن لا يكون ملتزماً لحكم الله ورسوله، فذاك لا يكون إلا مشركاً، وإما أن يكون ملتزماً لحكم الله ورسوله، فأقدم على نكاحه مع علمه بزناه، فإن هذا النكاح زنا، والناكح زان مسافح، فلو كان مؤمناً بالله حقاً، لم يقدم على ذلك، وهذا دليل صريح على تحريم نكاح الزانية حتى تتوب، وكذلك إنكاح الزّان حتى يتوب، فإن مقارنة الزوج لزوجته، والزوجة لزوجها، أشد الاقترانات والازدواجات، وقد قال تعالى: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أى: قرناءهم، فحرم الله ذلك، لما فيه من الشر العظيم، وفيه من قلة الغيرة، وإلحاق الأولاد، الـذيـن ليسـوا مـن الزوج، وكون الزاني لا يعفها بسبب اشتغاله بغيرها، مما بعضه كاف للتحريم (1) وفي هذا دليل أن الزاني ليس مؤمناً، كما قال النبي عَيْق: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن " فهو وإن لم يكن مشركاً، فلا يطلق عليه اسم المدح، الذي هو الإيمان المطلق.

﴿٤ ـ ٥﴾ ﴿والسذيسن يسرمسون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدأ وأولئك هم الفاسقون \* إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإنَّ الله غفورٌ رحيم﴾ لما عظم تعالى أمر

الزان (١) بوجوب جلده، وكذا رجمه إن كان محصناً، وأنه لا تجوز مقارنته، ولا مخالطته على وجه لا يسلم فيه العبد من الشر، بين تعالى تعظيم الإقدام على الأعراض بالرمى بالزنا فقال: ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ أي: النساء الأحرار العفائف، وكذاك الرجال، لا فرق بين الأمرين، والمراد بالرَّمْي الرَّمْيُ بالزنا، بدليل السياق، ﴿ ثُم لَمْ يِأْتُوا ﴾ على ما رموا به ﴿ بأربعة شهداء ﴾ أي: رجال عدول، يشهدون بذلك صريحاً، ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ بسوط متوسط، يؤلم فيه، ولا يبالغ بذلك حتى يتلفه، لأن القصد التأديب لا الإتلاف، وفي هذا تقدير حد القذف، ولكن بشرط أن يكون المقذوف كما قال تعالى محصناً مؤمناً، وأما قذف غير المحصن، فإنه يوجب

﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ﴾ أي: لهم عقوبة أخرى، وهو أن شهادة القاذف غير مقبولة، ولو حُدَّ على القذف، حتى يتوب كما يأت، ﴿وأولىنك هم الفاسقون ﴾ أي: الخارجون عن طاعة الله، الذين قد كثر شرهم، وذلك لانتهاك ما حرم الله، وانتهاك عرض أخيه، وتسليط الناس على الكلام بما تكلم به، وإزَّالة الأخوة التي عقدها الله بين أهل الإيمان، ومحبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وهذا دليل على أن القذف من كبائر الذنوب.

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بِعِدُ ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم، فالتوبة في هذا الموضع، أن يُكَذَّب القاذف نفسه، ويقر أنَّه كاذب فيما قال، وهو واجب عليه، أن يكذب نفسه ولو تيقن وقوعه، حيث لم يأت بأربعة شهداء، فإذا تاب القاذف وأصلح عمله بدل إساءته إحساناً، زال عنه الفَّسق، وكذلك تقبل شهادته على الصحيح، فإن الله غفور رحيم يغفر

الذنوب جميعاً، لمن تاب وأناب، وإنما يجلد القاذف، إذا لم يأت بأربعة شهداء إذا لم يكن زوجاً، فإن كان زوجاً، فقد ذكر بقوله:

﴿٦ - ١٠ ﴾ ﴿واللَّذِينَ يَسرمُونَ أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنَّهُ لِن الصادقين \* والخامسة أنَّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين \* ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين \* والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين \* ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأنّ الله تواب حكيم،

وإنما كانت شهادات الزوج على زوجته، دارئة عنه الحد، لأن الغالب، أن الزوج لا يقدم على رَمي زوجته، التي يدنسه ما يدنسها إلا إذا كان صادَّقاً، ولأن له في ْذلك حقاً، وخوفاً من إلحاق أولاد ليسوا منه به، ولغير ذلك من الحكم المفقودة في غيره فقال: ﴿واللَّذِينِ يرمون أزواجهم ﴿ أي: الحرائر (٢) لا المملوكات.

﴿ ولم يكن لهم ﴾ على رميهم بذلك ﴿شهداء إلا أنفسهم ﴾ بأن لم يقيموا شهداء، على مارموهم به ﴿فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لن الصادقين السماها شهادة، لأنها نائبة مناب الشهود، بأن يقول: «أشهد بالله إن لمن الصادقين فيما رميتها به».

﴿ والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين﴾ أي: يزيد في الخامسة مع الشهادة المذكورة، مؤكداً تلك الشهادات، بأن يدعو على نفسه، باللعنة إن كان كاذباً، فإذا تم لعانه، سقط عنه حد القذف، ظاهر الآيات، ولو سمى الرجل الذي رماها به، فإنه يسقط حقه تبعاً لها. وهل يقام عليها الحد، بمجرد لعان الرجل ونكولها أم تحبس؟ فيه قولان للعلماء، الذي يدل عليه الدليل، أنه يقام عليها الحد، بدليل قوله: ﴿ويدرأ عنها العذاب أن

إِذَالَّذِينَ جَآءُو بِأَلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِن كُونًا تَحْسَدُهُ مَثَرًا لَكُونِيُّلُ هُوَخَيْرًا لِكُمُّ إِلْكُوا مُرِي مِنْهُم مَا أَكُلْسَبَ مِنَ الْإِنْدُ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِيْرَةُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيرٌ ۞ لَّوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَتُ بِٱنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَـٰذَاۤ إِفْكُ مُّ بِينُّ ۞ لَوْلَاجَآءُ وعَلَيْهِ بِأَرْبَكَةِ شُهَدَّا ۚ فَإِذْ لَرَيْأَوُّا إِللَّهُ بَدَّا فَأُوْلَيْكَ عِندَاللَّهِ هُمُ ٱلْكَذِبُونَ ۞ وَلَوْلَا ضَمْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْتُهُ فِي الدُّنْيَا وَٱلْآيَزَةِ لَسَّكُرُ فِي مَا آفَضُتُرْفِهِ عَذَابُ عَظِيرٌ ۞ إِذْ نَلَقَوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمُ وَتَقُولُونَ بِأَفْرَاهِكُمْ مَالَيْسَ لَكُم بِهِ عَ عِلْرُ وَتَخْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَعِندَ ٱللَّهِ عَظِيرٌ ۞ وَلَوْلَا إِذْ سَيْعَتُهُهُ مُّلْتُمُ مَّا يَكُونُ لَنَا أَن تَتَكَلِّبِهِ لَا اسْبَحَنكَ هَلَا ابْهُ تَنْ عَظِيرٌ ۞ يَعِظُكُرُ اللَّهُ أَن تَعُودُ وَالِيثْ لِهِ مَا إِن كُنتُ مُّ قَوْمِنِينَ ۞ وَيُتِينُ اللَّهُ لَكُمُ اللَّهُ كَانَتُ وَاللَّهُ عَلِيهُ مَعَكِيدُ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعُ الْفَكِيثَةُ فِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَمُرْعَذَاكُ أَلِيمٌ فَ الدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةُ وَاللهُ يُعْلَمُ وَأَسْتُمْ لاَتَعْلَمُونَ ۞ وَلَوْلا فَشْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ المَّهَ رَوْقُ رَّجِيمٌ ۞ TO TO TO TO TO THE OWNER OF THE OWNER OWNER OF THE OWNER OWNER

تشهد الى آخره، فلولا أن العذاب وهو الحدقد وجب بلعانه، لم يكن لعانها دراثاً له.

ويدرأ عنها، أي: يدفع عنها العذاب، إذ قابلت شهادات الزوج، بشهادات من جنسها.

﴿أَنْ تَشْهِدُ أُرْبِعِ شَهَادَاتِ بِاللهِ إِنَّهُ لَمْ الكاذبين﴾ وتزيد في الخامسة، مؤكدة لذلك، أن تدعو على نفسها بالغضب، فإذا تم اللعان بينهما، فرق بينهما إلى الأبد، وانتفى الولد الملاعن عليه، وظاهر الآيات يدل على اشتراط هذه الألفاظ عند اللعان، منه ومنها، واشتراط الترتيب فيها، وأن لا ينقص منها شيء، ولا يبدل شيء بشيء، وأن اللعان تختص بالزوج إذًا رمي امرأته، لا بالعكس، وأن الشبه في الولد مع اللعان لا عبرة به، كما لا يعتبر مع الفراش، وإنما يعتبر الشبه حيث لا مرجح إلا هو .

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم﴾ وجواب الشرط محذوف، يدل عليه سياق الكلام أي: لأَحَلُّ بأحد المتلاعنين الكاذب منهما، ما دعا به على نفسه، ومن رحمته وفضله، ثبوت هذا الحكم الخاص بالزوجين، لشدة الحاجة إليه، وأنَّ بين

في أ: الزنا، وفي ب: الكلمة مشطوبة. (1)

في النسختين: الأحرار ولعل الصواب ما أثبت. **(Y)** 

١٤ يُتولَق البَوْلَةِ • يَنَأَتُهَا الَّذِينَ عَامَنُهُ الْإِنْتَكِيهُ اخْطَةَ تِ ٱلشَّنْطَانُّ وَمَن مَثَّبَعُ خُطُونَ الشَّيْطِانِ فَاتَّهُمَا مُن الْفَحَدُما وَالْدُكُ وَوْلا فَضَارُ الله عَلَيْكُ: وَرَحْمَتُهُ مَازَكُ مِنكُمْ مِنْ أَحَدِ أَمَدًا وَلَكِنَّ ٱللَّهُ مُرَكِّي مَن مَشَاءُ وَاللَّهُ سَجِيعُ عَلِيمٌ ۞ وَلَا يَأْلَلُ أُولُوا الْفَضَّا مِنكُمَّ وَالسَّعَةِ أَن وَوَا أُولِي الشِّرَيِّ وَالْسَكِينَ وَالْمُهَجِينَ فِي سَسا اللَّهُ وَلَتِعِفُواْ وَلْصَفَحُواْ الْآغِنُونَ أَن يَغِمُ اللَّهُ لَكُوُّ وَالْقَلَاعَا فُورِّتُكِمِدُ ۞ إِنَّ الَّذِينَ لَوَهُونَ الْعُصِيَّةِ الْغَفِلَةِ ٱلمُوْمِنَاتِ أُمِنُوا فِي الدُّنْيَا وَأَلْآخِرَةِ وَلَكُمْ عَذَابُ عَظِيرٌ ۞ وَرِتَشْهَدُ عَلَيْهِ رَأَلْسِنَتُهُ مُ وَأَيْدِهِ مُواَرُجُلُهُ مِهَا كَافُواْ يَعْمَلُونَ ۞ يَوْمَهِ نِيُوفِهِمُ أَلَّهُ دِينَهُمُ أَكْفَقَ وَيَعْلَمُونَ أَنَاللَّهَ هُوَالْكُونُ ۞ أَلْخِيشَتُ لِلْحَجَيثِينَ وَٱلْخِيمُونَ لِلْخَيْشَاتُ وَالطَّيِّئِثُ لِلقَلِيِّينَ وَالظَّيْبُونِ لِلطَّيِّبُ أَوْلَيْكَ مُبِّرُهُ وِنَ عَمَا يَقُولُونَّ فَكُرُمَّ غُومَةً وَرِنْقُكِيمٌ ۞ يَتَأَيُّهُمَا ٱلَّذِي ، امْنُواْ لَانْدَخْلُواْ يُتُوتًّا غَيْرَ يُتُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْنَأَيْدُواْ وَلْسَالِمُواعِلَ أَهْلِهُ أَذَٰلِكُمْ يَنْزِلُكُمْ لَمَلَكُمُ تَذَكُّمُونَ ۞ TO TO TO TO TO TO

لكم شدة الزنا وفظاعته، وفظاعة القذف به، وأنْ شرع التوبة من هذه الكبائر وغيرها.

وحاصلها أن النبي بي المعنى في بعض وحاصلها أن النبي بي المحديقة الصديقة المنتج المسلام عقدها بنت الصديق في طلبه ورحلوا جملها المجيش راحلاً، وجاءت مكانهم، وعلمت أنهم إذا فقدوها، رجعوا إليها فاستمروا في مسيرهم، وكان فاستمروا في مسيرهم، وكان أفاضل الصحابة رضي الله عنه، قد عرس في أخريات القوم ونام، فرأى عائشة رضي الله عنها فعرفها، فأناخ راحلته، فركبتها من دون أن يكلمها أو تكلمه، ثم جاء يقود بها بعد ما نزل

الجيش في الظهيرة، فلما رأى بعض المنافقين الذين في صحبة النبي على في ذلك السفر مجيء صفوان بها في هذه الحال، أشاع ما أشاع، ووشى الحديث، وتلقفته الألسن، حتى اغتر بذلك بعض المؤمنين، وصاروا يتناقلون هذا الكلام، وانحبس الوحي مدة طويلة عن الرسول على

وبلغ الخبر عاتشة بعد ذلك بمدة، فحزنت حزناً شديداً، فأنزل الله تعالى براءتها في هذه الآيات، ووعَظ الله المؤمنين، وأعظم ذلك، ووصاهم بالوصايا النافعة. فقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّذِينَ جَاوُوا بِالإِفْكُ ﴾ أي: الكذب الشنيع، وهو رَمْي أم المؤمنين ﴿عصبة منكم ﴾ أي: جماعة منتسبون إليكم يا أمير المؤمنين، منهم المؤمن الصادق المنافقين] (١) ومنهم المنافق.

﴿ لا تحسبوه شرأ لكم بل هو خير لكم لل تضمن ذلك تبرعة أم المؤمنين ونزاهتها، والتنويه بذكرها، حتى تناول عموم المدح سائس زوجات النبي عَلَيْ ، ولما تضمن من بيان الآيات المضطر إليها العباد، التي ما زال العمل ما إلى يوم القيامة، فكل هذا خير عظيم، لولا مقالة أهل الإفك لم يحصل ذلك، وإذا أراد الله أمراً جعا, له سبباً، ولذلك جعل الخطاب عامناً مع المؤمنين كلهم، وأخبر أن قدح بعضهم ببعض كقدح في أنفسهم، فقيه أن المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، واجتماعهم على مصالحهم، كالجسد الواحد، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، فكما أنه يكره أن يقدح أحد في عرضه، فليكره من كل أحد، أن يقدح في أخيه المؤمن، الذي بمنزلة نفسه، ومالم يصل العبد إلى هذه الحالة، فإنه من نقص إيمانه وعدم

﴿لَكُلُ امرىء منهم ما اكتسب من الإثم﴾ وهذا وعيد للذين جاؤوا بالإفك، وأنهم سيعاقبون على ما قالوا

من ذلك، وقد حد النبي على منهم جماعة، ﴿والذي تولى كبره ﴾ أي: معظم الإفك، وهو المنافق الخبيث، عبيد الله بين أي بين سلول \_ لعنه الله \_ ﴿له عذاب عظيم ﴾ ألا وهو الخلود في الدرك الأسفل من النار.

ثم أرشد الله عباده عند سماع مثل هذا الكلام فقال: ﴿لُولا إذْ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً﴾ أي: ظن المؤمنون بعضهم ببعض حيراً، وهو السلامة عارموا به، وأن قبل فيهم من الإيمان المعلوم، يدفع ما يسبب ذلك الظن ﴿سبحانك﴾ أي: تنزيها لك عن كل سوء، وعن أن تبتلي مبين﴾ أي: كذب وبهت، من أعظم الواجب، حين سماع المؤمن عن أخيه المؤمن، مثل هذا الكلام، وأن يبرئه المسانه، ويكذب القائل لذلك.

ولولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء الى: هلا جاء الرامون على ما رموا به، بأربعة شهداء أي: عدول مرضيين. وفإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون في وإن كانوا في أنفسهم قد تيقنوا ذلك، فإنهم كاذبون في بذلك، من دون أربعة شهود، ولهذا قال: وفأولئك عند الله هم الكاذبون الم يقل: «فأولئك هم الكاذبون»، وهذا كله، من تعظيم حرمة عرض وهذا كله، من تعظيم حرمة عرض رميه، من دون نصاب الشهادة بالصدق.

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة بحيث شملكم إحسانه في أمر دينكم ودنياكم، ﴿لسكم فيما أفضتم ﴾ أي: خضتم ﴿فيه من شأن الإفك ﴿عذاب عظيم ﴾ لاستحقاقكم ذلك بما قلتم، ولكن من فضل الله عليكم ورحمته، أن

شرع لكم التوبة، وجعل العقوبة مطهرة للذنوب.

﴿إذ تلقونه بالسنتكم ﴾ أي: تلقفونه، ويلقيه بعضكم إلى بعض، وتستوشون حديثه، وهو قول باطل. ﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به بالباطل، والقول بلا علم، ﴿وتحسبونه هينا ﴾ فلذلك أقدم عليه من أقدم من المؤمنين الذين تابوا منه، وتطهروا بعد ذلك، ﴿وهو عند الله عظيم ﴾ وهذا للذنوب على وجه التهاون بها، فإن العبد لا يفيده حسبانه شيئاً، ولا يخفف الذنب، ويسهل عليه مواقعته مرة أخرى.

﴿ولولا إذ سمعتموه أي: وهلا إذ سمعتم \_أيها المؤمنون \_كلام أهل الإفك ﴿قلتم الله منكرين لذلك، معظمين لأمره: '﴿ما يكون لنا أن نتكلم جذاکه أي: ما ينبغي لنا، وما يليق بنا الكلام، جذا الإفك المبين، لأن المؤمن يمنعه إيمانه من ارتكاب القبائح ﴿هذا بهتان﴾ أي: كذب عظيم. ﴿ يعظكم الله أن تعودوا لمثله ﴾ أي: لنظيره، من رَمَّى المؤمنين بالفجور، فالله يعظكم وينصحكم عن ذلك، ونعم المواعظ والنصائح من ربنا فيجب علينا مقابلتها بالقبول والإذعان، والتسليم والشكر له، على ما بيَّن لنا «إن الله نعما يعظكم به». ﴿إِن كنتم مؤمنين ﴿ دُلُ ذُلُكُ عَلَى أَنَ الإيمانُ الصادق، يمنع صاحبه من الإقدام على المحرمات. ﴿ويبين الله لكم الآيات﴾ المشتملة على بيان الأحكام، والوعظ، والزجر، والترغيب، والترهيب، يوضحها لكم توضيحاً جلياً. ﴿والله عليم اي: كامل العلم عام الحكمة، فمن علمه وحكمته، أن علمكم من علمه، وإن كان ذلك راجعاً لمصالحُكم في كل وقت.

﴿إِن السنيس يحبون أن تسيع الفاحشة ﴾ أي: الأمور الشنيعة المستقبحة المستعظمة ، فيحبون أن تشتهر الفاحشة ﴿في الذين آمنوا لهم عذاب أليم ﴾ أي: موجع للقلب والبدن ، وذلك لغشه لإخوانه المسلمين ، وعبة الشرلهم ، وجراءته على أعراضهم ، قإذا كان هذا الوعيد ، لجرد عجبة أن تشيع الفاحشة ، واستحلاء ذلك بالقلب ، فكيف بما هو ونقله؟!! وسواء كانت الفاحشة ، ونقله؟!! وسواء كانت الفاحشة ، صادرة أو غير صادرة .

وكل هذا من رحمة الله بعباده المؤمنين، وصيانة أعراضهم، كما صان دماءهم وأموالهم، وأمرهم بما يقتضي المصافاة، وأن يجب أحدهم الأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه. هوالله يعلم وأنتم لا تعلمون فلذلك علمكم، وبين لكم ما تجهلونه.

﴿ولولا فضل الله عليكم ﴾ قد أحاط بكم من كل جانب ﴿ورحمه ﴾ عليكم ﴿وأن الله رؤوف رحيم ﴾ لما بين لكم هذه الأحكام والمواعظ، والحكم الجليلة، ولما أمهل من خالف أمره، ولكن فضله ورحمته، وأن ذلك وصفه اللازم أثر لكم من الخير الدنيوي والأخروي، ما لن تحصوه، أو تعدوه.

ولا حروي، ما لن خصوه، او لعدوه. ولا نهى عن هذا الذب بخصوصه، نهى عن الذنوب عموماً فقال: ﴿ يَا أَيّها اللّٰذِينَ آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان، يدخل فيها سائر المعاصي المتعلقة بالقلب، واللسان والبدن، ومن حكمته تعالى، أن بين الخيم، وهو: النّهي عن اتباع خطوات الشيطان. والحكمة وهو بيان ما في الشيعان. والحكمة وهو بيان ما في المنهي عنه، من الشر المقتضي، والداعي لتركه فقال: ﴿ ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه ﴾ أي: الشيطان خطوات الشيطان المنهن عنه من المنوف المنافعة في ا

العظيمة، مع ميل بعض النفوس إليه. ﴿والمنكر﴾ : هو ما تنكره العقول ولا تعرفه. فالمعاصي التي هي خطوات الشيطان، لا تخرج عن ذلك، فنهى الله عنها للعباد، نعمة منه عليهم أن يشكروه ويذكروه، لأن ذلك صيانة لهم عن التدنس بالرذائل والقبائح، فمن إحسانه عليهم، أن نهاهم عنها، كما نهاهم عن أكل السموم القاتلة ونحوها، ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبداً﴾ أي: ما تطهر من أتباع خطوات الشيطان، لأن الشيطان يسعى هو وجنده، في الدعوة إليها وتحسينها، والنفس ميالة إلى السوء أمارة به، والنقص مُسْتَوْل على العبد من جميع جهاته، والإيمان غير قوي، فلو خَلَي وهذه الدواعي، ما زكى أحد بالتطهر من الذنوب والسيئات والنماء بفعل الحسنات، فإن الزكاء يتضمن الطهارة والنماء، ولكن فضله ورحمته أوجبا أن يتزكى منكم من تزكى.

وكان من دعاء النبي على: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»، ولهذا قال: ﴿ولكن الله يزكي من يشاء﴾ من يعلم منه أن يزكى بالتزكية، ولهذا قال: ﴿والله سميع عليم﴾.

﴿ولا يأتل ﴾ أي: لا يحلف ﴿ أُولُو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أُولِي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ﴾ كان من جملة الخائضين في الإفك «مسطح بن أثاثة » وهو قريب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان مسطح فقيراً من المهاجرين في سبيل الله، فحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه، لقوله الذي

فنزلت هذه الآية، ينهاهم (١) عن هذا الحلف المتضمن لقطع النفقة عنه، ويحده على العفو والصفح، ويعده بمغفرة الله إن غفر له، فقال:

﴿ أَلا تحبون أَن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ إذا عاملتم عبيده، بالعفو والصفح، عاملكم بذلك، فقال أبو بكر لا سمع هذه الآية \_: بلى، والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع النفقة إلى مسطح، وفي هذه الآية دليل على النفقة على القريب، وأنه لا تترك النفقة والإحسان بمعصية الإنسان، والحث على العفو والصفح، ولو جرى على العلم والجرائم.

ثم ذكر الوعيد الشديد على رمي المحصنات فقال: ﴿إِنَّ النَّيْنِ يَرْمُونَ المحصنات﴾ أي: العفائف عن الفجور ﴿الغافلات﴾ التي لم يخطر ذلك بقلوبهن ﴿المؤمنات﴾ ﴿لعنتوا في الدنيا والآخرة﴾ واللعنة لا تكون إلا على ذنب كبير.

وأكد اللعنة بأنها متواصلة عليهم في الدارين ﴿ولهم عذاب عظيم ﴾ وهذا زيادة على اللعنة ، أبعدهم عن رحمته ، وأحل بهم شدة نقمته .

وذلك العذاب يوم القيامة ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فكل جارحة تشهد عليهم بما عملته، ينطقها الذي أنطق كل شيء، فلا يمكنه الإنكار، ولقد عدل في العباد، من جعل شهودهم من أنفسهم، ﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ أي: جزاءهم على أعمالهم، الجزاء الحق، الذي بالعدل والقسط، يجدون جزاءها موفراً، لم يفقدوا منها شيئاً، ﴿ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرأ ولا يظلم ربك أحداً ﴾ ويعلمون في ذلك الموقف العظيم، أن الله هو الحق المبين، فيعلمون انحصار الحق المبين في الله تعالى.

فأوصافه العظيمة حق، وأفعاله هي الحق، ويعادته هي الحق، ولقاؤه حق، ووعده ووعيده، وحكمه الديني والجزائي حق، ورسله حق، فلا تَمَّ حق، إلا في الله وما من الله.

﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون

للخبيثات أي: كل خبيث من الرجال والنساء، والكلمات والأفعال، مناسب للخبيث، وموافق له، وكل طبب من الرجال والنساء، والكلمات والأفعال، مناسب للطيب، وموافق له، ومقترن به، ومشاكل له، فهذه كلمة عامة وحصر، لا يخرج منه

والافعال، مناسب للطيب، وموافق له، ومقترن به، ومشاكل له، فهذه كلمة عامة وحصر، لا يخرج منه شيء، من أعظم مفرداته، أن الأنبياء حصوصاً أولي العزم منهم، خصوصاً سيدهم محمد على الإطلاق أفضل الطيبين من الخلق على الإطلاق لا يناسبهم إلا كل طيب من النساء،

لا يناسبهم إلا كل طيب من النساء، فالقدح في عائشة رضي الله عنها بهذا الأمر قدح في النبي على من قصد المقسود بهذا الإفك، من قصد

المنافقين، فمسجرد كونها زوجة للرسول ﷺ، يعلم أنها لا تكون إلا طيبة طاهرة من هذا الأمر القبيح.

فكيف وهي هي؟!! صِدِّيقةُ النساء وأفضلهن وأعلمهن وأطيبهن، حبيبة رسول رب العالمين، التي لم ينزل الوحى عليه وهو في لحاف زوجة من

زوجاته غيرها، ثم صرح بذلك، بحيث لا يبقى لبطل مقالاً، ولا لشك وشبهة مجالاً، فقال: ﴿أُولئك مبرؤون ما يبقولون﴾ والإشارة إلى عائشة رضي الله عنها أصلاً، وللمؤمنات المحصنات الغافلات تبعاً ﴿لهم

المحصنات الغافلات تبعاً ﴿لهم مغفرة﴾ تستغرق الذنوب ﴿ورزق كريم﴾ في الجنة صادر من الرب الكريم.

(۲۷ ـ ۲۹) (پا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلّموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون \* فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو لزكى لكم والله بما تعملون عليم \* ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون يرشد الباري عباده المؤمنين، أن لا يدخلوا بيوتاً غير عباده المؤمنين، أن لا يدخلوا بيوتاً غير عباده المؤمنين، أن لا يدخلوا بيوتاً غير عباده المؤمنين، أن لا يدخلوا بيوتاً غير

بيوتهم بغير استئذان، فإن في ذلك عدة

مفاسد: منها ما ذكره الرسول ﷺ،

حيث قال "إنما جعل الاستئذان من أجل البصر"، فبسبب الإخلال به، يقع البصر على العورات التي داخل البيوت، فإن البيت للإنسان في ستر عورة ما وراءه، بمنزلة الثوب في ستر عورة جسده.

ومنها: أن ذلك يوجب الريبة من الداخل، ويتهم بالشر سرقة أو غيرها، لأن الدخول خفية، يدل على الشر، ومنع الله المؤمنين من دخول غير بيوتهم حتى يستأنسوا أي: يستأذنوا. سمي الاستئناس، وبعدمه تحصل الوحشة، ﴿وتسلموا على أهلها ﴾ وصفة ذلك، ما جاء في الحديث: «السلام عليكم، أأدخل»؟

وذلكم أي: الاستئذان المذكور وخير لكم لعلكم تذكرون الاستماله على عدة مصالح، وهو من مكارم الأخلاق الواجبة، فإن أذن، دخل الستأذن.

﴿ فِإِن لَمْ تَجِدُوا فِيهِا أَحِداً فِلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا الله أي: فلا تمتنعوا من الرجوع، ولا تغضبوا منه، فإن صاحب المنزل، لم يمنعكم حقاً واجباً لكم، وإنما هو متبرع، فإن شاء أذن أو منع، فأنتم لا يأخذ أحدكم الكبر والآشمئزاز من هذه الحال، ﴿هُو أَزْكِي لكم أي: أشد لتطهيركم من السيئات، وتنميتكم بالحسنات. ﴿والله بما تعملون عليم، فيجازي كل عامل بعمله، من كشرة وقلة، وحسن وعدمه، هذا الحكم في البيوت المسكونة، سواء كان فيها متاع للإنسان أم لا، وفي البيوت غير المسكونة، التي لا متاع فيها للإنسان، وأما البيوت التي ليس فيها أهلها، وفيها متاع الإنسان المحتاج للدخول إليه، وليس فيها أحد يتمكن من استئذانه، وذلك كبيوت الكراء وغيرها، فقد ذكرها بقوله:

﴿ليس عليكم جناح﴾ أي: حرج وإثم، دل على أن الدخول من غير استئذان في البيوت السابقة، أنه محرم،

وفيه حرج ﴿أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم ﴾ وهذا من احترازات القرآن العجيبة، فإن قوله: ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم ﴾ لفظ عام في كل بيت ليس ملكاً للإنسان، أخرج منه تعالى البيوت التي ليست ملكه، وفيها متاعه، وليس فيها ساكن، فأسقط الحرج في الدخول اليها، ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴾ أحوالكم الظاهرة والخفية، وعلم مصالحكم، فلذلك شرع لكم ما تحتاجون إليه وتضطرون، من الأحكام الشرعية.

﴿٣٠﴾ ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إنَّ الله خبيرٌ بما يصنعون ﴾ أي: أرشِدِ المؤمنين، وقل لهم: الذين معهم بالإيمان، يمنعهم من وقوع ما يخل المنظر إلى المعورات وإلى النساء الأجنبيات، وإلى المردان، الذين يخاف بالنظر إليهم الفتنة، وإلى زينة الدنيا التي تفتن، وتوقع في المحذور.

﴿ويحفظوا فروجهم عن الوطء الحرام، في قُبُل أو دُبُر، أو ما دون ذلك، وعن التمكّين من مسها، والنظر إليها. ﴿ ذلك ﴾ الحفظ للأبصار والنفروج ﴿أَزْكِنِي لِنَهِمِهِ: أَطِيهِر وأطيب، وأنمى لأعمالهم، فإن من حفظ فرجه وبصره، طهر من الخبث الذي يتدنس به أهل الفواحش، وزكت أعماله، بسبب ترك المحرم، الذي(١) تطمع إليه النفس وتدعو إليه، فمن ترك شيئاً لله، عوضه الله خيراً منه، ومن غض بمصره عن المحرم، أنبار الله بصيرته، ولأن العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومقدماته، مع داعي الشهوة، كان حفظه لغيره أبلغ، ولهذا سماه الله حفظاً، فالشيء المحفوظ إن لم يجتهد حافظه في مراقبته وحفظه، وعمل الأسباب الموجبة لحفظه، لم ينحفظ، كذلك البصر والفرج، إن لم يجتهد العبد في حفظهما، أوقعاه في

بلايا وعن، وتأمل كيف أمر بحفظ الفرج مطلقاً، لأنه لا يباح في حالة من الأحوال، وأما البصر فقال: في بأداة هن الدالة على التبعيض، فإنه يجوز النظر في بعض الأحوال لحاجة، كنظر الشاهد والعامل والخاطب، ونحو ذلك. ثم ذكرهم بعلمه بأعمالهم، للجتهدوا في حفظ أنفسهم من المحرمات.

﴿٣١﴾ ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسأتهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولايضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أبها المؤمنون لعلكم تفلحون، لما أمر المؤمنين بغض الأبصار وحفظ الفروج، أمر المؤمنات بذلك، فقال: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن النظر إلى العورات والرجال، بشهوة ونحو ذلك من النظر المنوع، ﴿ويحفظن فروجهن ﴾ من التمكين من جماعها، أو مسها، أو النظر المحرم إليها. ﴿ولا يبدين زينتهن كالثياب الجميلة والحلي، وجميع البدن كله من الزينة، ولما كانت الثياب الظاهرة، لا بدلها منها، قال: ﴿إِلا ما ظهر منها﴾ أي: الثياب الظاهرة، التي جرت العادة بلبسها إذا لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الفتنة بها، ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ وهذا لكمال الاستتار، ويدل ذلك على أن الزينة التي يحرم إبداؤها، يدخل فيها جميع البدن، كما ذكرنا. ثم كرر النهى عن إبداء زينتهن، ليستثني منه قوله: ﴿إِلَّا لِبِعُولِتِهِنَ﴾ أي: أزواجهن ﴿أُو

إِ فَانِ لَرْتَعَهُ وَافِيهَآ أَحَدُا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى ثُوْذَنَ لَكُوَّ وَإِن قِيلَ لَكُمُ أَرْجِعُوا فَأَرْجِعُواً هُوَ أَزْكُ لَكُمْ وَاللَّهُ يَمَا تَعْمَلُونَ عَلِيدٌ ۞ لَيْسَ عَلَيْكُ مُجُنَاحُ أَن مَذْخُلُوا يُوتًا عَيْرَ مَسْكُونَةٍ إِنِيهَامَتَامُّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعَلَمُ مَاتَبُدُونَ وَمَاتَكُمُتُمُونَ ۞ قُل لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمُّ ذَاكِ أَنَّكُ لَهُمُّ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرً بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَقُل لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارُهِنَ وَيَحْفَظُنَ فُرُوجَهُنَ وَلَا يَبْدِينَ زيئتَهُ ﴿ إِلَّامَاظَهُ رَمِنْهَا وَلْيَطْرِينَ عَنْرُونَ عَلَيْجُوبِيُّنَّ وَلَايُتُدِينَ زِينَنَاهُنَ إِلَّا لِيُعُولَئِهِنَ أَوْءَابَ إِبِهِنَ أَوْ ءَابِكَاء بُعُولِيُهِيَ أَوْأَبْنَا بِهِيَ أَوْأَبْنَاء بُعُولِيْهِيَ أَوْ ۚ إِخَوْنِهِ٣َ أَوْمِنِيٓ إِخْوَنِهِ٣َ أَوْمِنِيٓ أَخَوْتِهِ٣َ أَوْبِسَاِّهِوْ اً وَمَامَلَكَتُ أَيْنَاهُنَّ أَوِالنَّبِعِينَ عَيْرِأُولِ ٱلْإِرْبَةِينَ ﴾ الرِّجَالِ أَوَالِطَفِّلِ الَّذِيبَ لَرَيْظُهُ رُواْ عَلَى عَوْرَتِ ٱلنِّسَكَةِ ۗ ا وَلَا يُصَرِّرُكَ بِأَلْتُجُلِهِنَّ لِلْعُكَرَمَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِتُ 

آبائهن أو آباء بعولتهن يشمل الأب بنفسه، والجد وإن علا، ﴿ أَو أَبِنائهن أَو أَبِناء بعولتهن ويدخل فيه الأبناء وأبناء البعولة مهما نزلوا ﴿ أَو إِخوانهن أَو بني إخوانهن أو نسائهن أي : يجوز للنساء أن ينظر بعضهن إلى بعض مطلقاً، ويحتمل أن الإضافة بعض مطلقاً، ويحتمل أن الإضافة المسلمات، اللاي من جنسكم، ففيه دليل لمن قال: إن المسلمة لا يجوز أن تنظر إليها الذمية.

﴿أُو ما ملكت أيمانهن﴾ فيجوز للملوك إذا كان كله للأنثى، أن ينظر لسيدته، ما دامت مالكة له كله، فإن زال الملك أو بعضه، لم يجز النظر.

﴿أَو التابعين غير أُولِي الإربة من الرجال ﴾ أي: أو الذين يتبعونكم، ويتعلقون بكم، من الرجال الذين لا إربة لهم في هذه الشهوة، كالمعتوه الذي لا يدري ما هنالك، وكالعنين الذي لم يبق له شهوة، لا في فرجه، ولا في قلبه، فإن هذا لا محذور من نظره.

﴿أُو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ أي: الأطفال الذين دون التمييز، فإنه يجوز نظرهم للنساء

وَأَنكِحُوا ٱلْأَيْلَمَىٰ مِنكُرُ وَالصَّلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَّ آيِكُمْ إِن يَكُونُواْ فَقَدَراتَ يُغَيْهِمُ اللَّهُ مِن فَضْيِلَةٍ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيدٌ ۞ وَلْسَتَعْفِفِ ٱلَّذِيكَ لَا يُجِدُونَ نِكَاحًا حَنَّى يُغْنِيهُمُ اللَّهُ مِن فَشْبِلاً وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِنْكِ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمُنُكُو فَكَانِوُهُرَ إِنْ عَلِمْتُدُوفِهِ مُرْخَيْراً وَءَاتُوهُ مِينِ مَالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي ٓ ءَالَـٰكُمُّ وَلَاثُكُرِهُوا فَيَنَاتِكُوعَلَى ٱلْبَعَلَهِ إِنْ أَرَدُنَ تَعَصَّنَا لِتَبْتَغُوا عَهَنَ ٱلْمَيَوْةِ ٱلدُّنْيَا وَمَن يُكَرِهِ فَي أَفِيلَ ٱللَّهُ مِنْ بَعْدِ إِكْرَهِ فِي عَفُورٌ نَجِيدُ ۞ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَتِ مُبَيِّنَتِ وَمَثَلًا مِنَ ٱلَّذِينَ خَلُوَامِن قَبَلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُنَّقِينَ ۞ • ٱللَّهُ وُرُ ٱلسَّمَوَيْ وَٱلْأَرْضُ مَثَلُ فُرِهِ عَمْشَكُوْدِ فِيهَا مِصْبَاحُ ٱلْمُصَبَاحُ فِ زُجَاجَةً الزُّحَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْجَابُ دُرِّيٌّ يُوفِدُ مِن تَعَمَّ وَمُسَارَكَةٍ زَيْتُونَةِ لَّاشَرْقِيَةٍ وَلَاغَرِيَّةِ يَكَادُزَيْتُهَا يُفِيقَءُ وَلَوْلَرْ مَّسَسْهُ نَازُنُّورُ عَلَى فُورِّيَةٍ دِي اللهُ لِنُورِهِ مِن يَشَكَأَءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسُّ وَالْقَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ فِي يُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُسْرَفَعَ وَيُدْكَ مَنِهَا أَسْمُنُهُ يُسَيِّحُ لَمُغِهَا إِلَيْدُو وَالْأَصَالِ ۞ TO LEGISTON

الأجانب، وعلل تعالى ذلك، بأنهم لم يظهروا على عورات النساء، أي: ليس لهم علم بذلك، ولا وجدت فيهم الشهوة بعد ودل هذا، أن الميز تستتر منه المرأة، لأنه يظهر على عورات النساء.

﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ أي: لا يضربن الأرض بأرجلهن، ليُصوِّت ما عليهن من حُلي، كخلاخل وغيرها، فتعلم زينتها بسببه، فيكون وسيلة إلى الفتنة.

ويؤخذ من هذا ونحوه، قاعدة سد الوسائل، وأن الأمر إذا كان مباحاً، ولكنه يفضي إلى محرم، أو يخاف من وقوعه، فإنه يمنع منه، فالضرب بالرجل في الأرض، الأصل أنه مباح، ولكن لما كان وسيلة لعلم الزينة، منع

ولما أمر تعالى بهذه الأوامر الحسنة، ووصى بالوصايا المستحسنة، وكان لا بد من وقوع تقصير من المؤمن بذلك، أمر الله تعالى بالتوبة، فقال:

﴿وتوبوا إلى الله جمسيعاً أيها المؤمنون﴾ لأن المؤمن يدعوه إيمانه إلى التوبة ثم علق على ذلك الفلاح، فقال: ﴿لعلكم تفلحونُ فلا سبيل إلى

الفلاح إلا بالتوبة، وهي الرجوع مما يكرهه الله، ظاهراً وباطناً، إلى: ما يحبه ظاهراً وباطناً، ودل هذا، أن كل مؤمن محتاج إلى التوبة، لأن الله خاطب المؤمنين جميعاً، وفيه الحث على الإخلاص بالتوبة في قوله: ﴿وتوبوا إلى الله أي: لا لمقصد غير وجهه، من سلامة من آفات الدنيا، أو رياء وسمعة، أو نحو ذلك من المقاصد الفاسدة.

﴿٣٢ ـ ٣٣﴾ ﴿وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم \* وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب ممأ ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله المذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفورٌ رحيم المرتعالى الأولياء والأسياد، بإنكاح من تحت ولايتهم من الأيامي وهم: من لا أزواج لهم، من رجال، ونساء ثيب، وأبكار، فيجب على القريب وولى اليتيم، أن يزوج من يحتاج للزواج، ممن تجب نفقته عليه، وإذا كانوا مأمورين بإنكاح من تحت أيديهم، كان أمرهم بالنكاح بأنفسهم من باب أولى .

والصالحين من عبادكم وإمائكم » يحتمل أن المراد بالصسالحين، صلاح الدين، وأن الصالح من العبيد والإماء وهو الذي لا يكون فاجرأ زانياً مأمور سيده بإنكاحه، جزاء له على صلاحه، وترغيباً له فيه، ولأن الفاسد بالزنا، منهيًّ عن تزوجه، فيكون مؤيداً للمذكور في أول السورة، أن نكاح الزاني والزانية محرم حتى يتوب، ويكون التخصيص بالصلاح في العبيد والإماء دون الأحرار، لكثرة وجود ذلك في العبيد العبيد والإماء دون

عادة، ويحتمل أن المراد بالصالحين الصالحون للتزوج المحتاجون إليه (۱۱) من العبيد والإماء، يؤيد هذا المعنى، أن السيد غير مأمور بتزويج مملوكه، قبل حاجته إلى الزواج. ولا يبعد إرادة المعنين كليهما، والله أعلم.

وقوله: ﴿إِن يكونوا فقراء﴾ أي: الأزواج والمتزوجين ﴿يغنهم الله من فضله ﴾ فلا يمنعكم ما تتوهمون، من أنه إذا تزوج، افتقر بسبب كثرة العائلة ونحوه، وفيه حث على التزوج، ووعد للمتزوج بالغنى بعد الفقر.

﴿والله واسع ﴾ كثير الخير عظيم الفضل ﴿عليم بمن يستحق فضله الديني والدنيوي أو أحدهما، ممن لا يستحق، فيعطي كُلاً ما علمه واقتضاه حكمه.

وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله هذا حكم العاجز عن النكاح، أمره الله أن يستعفف، أن يكف عن المحرم، ويفعل الأسباب التي تكفه عنه، من صرف دواعي قلبه بالأفكار التي تخطر بإيقاعه فيه، ويفعل أيضاً، كما قال النبي على الماءة فليتزوج، ومن لم استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

وقوله: ﴿الذين لا يجدون نكاحاً﴾ أي: لا يقدرون نكاحاً، إما لفقرهم أو فقر أوليائهم وأسيادهم، أو امتناعهم من تزويجهم [وليس لهم](٢)، من قدرة على إجبارهم على ذلك، وهذا التقدير، أحسن من تقدير من قدر ﴿لا يجدون مهر نكاح»، وجعلوا المضاف إليه نائباً مـناب المضاف، فإن في ذلك عدورين: أحدها: الحذف في الكلام، والأصل عدم الحذف.

والثاني: كون المعنى قاصراً على من له حالان، حالة غنى بماله، وحالة عدم، فيخرج العبيد والإماء ومن إنكاحه على وليه، كما ذكرنا.

﴿ حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ وعد

<sup>(</sup>١) في النسختين: الصالحين للتزوج المحتاجين إليه.

<sup>(</sup>٢) زيادة من ب بخط مغاير، وقد حذف بعدها حرف (من).

للمستعفف أن الله سيغنيه وييسر له أمره، وأمرٌ له بانتظار الفرج، لئلا يشق عليه ما هو فيه.

وقوله ﴿والذين يبتغون الكتاب بما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً ﴾ أي: من ابتغي وطلب منكم الكتابة، وأن يشتري نفسه، من عبيد وإماء، فأجيبوه إلى ما طلب، وكاتبوه، ﴿إن علمتم فيهم ﴾ أي: في الطالبين للكتابة ﴿خيراً﴾ أي: قدرة على التكسب، وصلاحاً في دينه، لأن في الكتابة تحصيل المصلحتين، مصلحة العتق والحرية، ومصلحة العوض الذي يبذله في فداء نفسه. وربما جد واجتهد، وأدرك لسيده في مدة الكتابة من المال ما لا يحسل في رقه، فلا يكون ضرر على السيد في كتابته، مع حصول عظيم المنفعة للعبد، فلذلك أمر الله بالكتابة على هذا الوجه أمر إيجاب، كما هو الظاهر، أو أمر استحباب على القول الآخر، وأمر بمعاونتهم على كتابتهم، لكونهم محتاجين لذلك، بسبب أنهم لا مال لهم، فقال: ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم الله يدخل في ذلك أمر سيده الذي كاتبه، أن يعطيه من كتابته أو يسقط عنه منها، وأمر الناس بمعونتهم.

ولهذا جعل الله للمكاتبين قسطاً من الزكاة، ورغب في إعطائه بقوله: ﴿من مال الله الذي أتاكم ﴾ أي: فكما أن المال الله، وإنما الذي بأيديكم عطية من الله لكم ومحض منة، فأحسنوا لعباد الله، كما أحسن الله الكم.

ومفهوم الآية الكريمة، أن العبد إذا لم يطلب الكتابة، لا يؤمر سيده أن يبتدى بكتابته، وأنه إذا لم يعلم منه خيراً، بأن علم منه عكسه، إما أنه يعلم أنه لا كسب له، فيكون بسبب ذلك كلاً على الناس، ضائعاً، وإما أن يخاف إذا عتق، وصار في حرية نفسه، أن يتمكن من الفساد، فهذا لا يؤمر

بكتابته، بل ينهى عن ذلك لما فيه من المحذور المذكور.

ثم قال تعالى: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾ أي: إماءكم ﴿على البغاء﴾ أي: أن تكون زانية ﴿إن أردن تحصناً﴾ لأنه لا يتصور إكراهها إلا بهذه الحال، وأما إذا لم ترد تحصناً فإنها تكون بغياً، هذا نهي لما كانوا يستعملونه في هذا نهي لما كانوا يستعملونه في الجاهلية، من كون السيد يجبر أمته على البغاء، ليأخذ منها أجرة ذلك، ولهذا قال: ﴿لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ فلا يليق بكم أن تكون إماؤكم خيراً منكم، وأعف عن الزنا، وأنتم تفعلون بهن ذلك، لأجل عرض الحياة، متاع عرض الحياة، متاع قلل يعرض ثم يزول.

فكسبكم النزاهة، والنظافة، والمروءة \_ بقطع النظر عن ثواب الآخرة وعقابها \_ أفضل من كسبكم الرذالة العرض القليل، الذي يكسبكم الرذالة والخسة.

ثم دعا من جرى منه الإكراه إلى التوبة، فقال: ﴿ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم ﴾ فَلْيَتُبُ إلى الله، ولْيقْلِغ عما صدر منه مما يخضبه، فإذا فعل ذلك، غفر الله ذنوبه، ورحمه كما رحم نفسه بفكاكها من العذاب، وكما رحم أمته بعدم إكراهها على ما يضرها.

و ٣٤٩ ﴿ ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين ﴿ هذا تعظيم وتفخيم لهذه الآيات، التي تلاها على عباده، ويقوموا بحقها فقال: ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات أي: واضحات الدلالة، على كل أمر بحيث لا يبقى فيها إشكال ولا شبهة، بحيث لا يبقى فيها إشكال ولا شبهة، وفي أنزلنا إليكم أيضاً ﴿ مثلاً من الأولين، الصالح منهم والطالح، وصفة أعمالهم، وما جرى لهم وجرى عليهم تعتبرونه مثالاً ومعتبراً، لمن فعل عليهم تعتبرونه مثالاً ومعتبراً، لمن فعل

مثل أفعالهم أن يجازى مثل ما جوزوا. ﴿وموعظة للمتقين﴾ أي: وأنزلنا إليكم موعظة للمتقين، من الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، يتعظ بها المتقون، فينكفون عما يكره الله إلى ما يجبه الله.

﴿٣٥﴾ ﴿الله نبور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولولم تمسسه نار نور على نور يهدي آلله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمشال للناس والله بكل شيء عليم الله نور السماوات والأرض الله عليم الحسى والمعنوي، وذلك نه تعالى بذاته نور، وحجابه - الذي لولا لطفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه \_نورٌ، وبه استنار العرش، والكرسى، والشمس، والقمر، والنور، وبه استنارت الجنة. وكذلك النور المعنوى يرجع إلى الله، فكتابه نور، وشرعه نور، والإيمان والمعرفة في قلوب رسله وعباده المؤمنين نور. فلولا نوره تعالى، لتراكمت الظلمات، ولهذا، كل محل يفقد نوره فَثَمَّ الظلمة والحصر، ﴿مثل نوره ﴾ الذي يهدي إليه، وهو نور الإيمان والمقرآن في قلوب المؤمنين، ﴿ كمشكاة ﴾ أي: كوة ﴿ فيها مصباح ﴾ لأن الكوة تجمع نور المصباح بحيث لا يتفرق ذلك ﴿الصباح في زجاجة الزجاجة، من صفائها وبمائها ﴿كأنها كوكب درى اي: مضيء إضاءة الدر. ﴿ يوقد ﴾ ذلك المصباح، الذي في تلك الزجاجة الدرية ﴿من شجرة مباركة زيتونة الله أي: يوقد من زيت الزيتون الذي ناره من أنور ما يكون، ﴿لا شرقية﴾ فقط، فلا تصيبها الشمس آخر النهار، ﴿ولا غربية﴾ فقط، فلا تصيبها الشمس [أول](١) النهار، وإذا انتفى عنها الأمران، كانت متوسطة من الأرض، كزيتون الشام،

تصيبها الشمس أول النهار وآخره، فتحسن وتطيب، ويكون أصفى لزيتها، ولهذا قال: ﴿يكاد زيتها﴾ من صفائه ﴿يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ فإذا' مسته النار، أضاء إضاءة بليغة ﴿نور على نور﴾ أي: نور النار، ونور الزيت.

ووجه هذا المثل الذي ضربه الله، وتطبيقه على حالة المؤمن، ونور الله في قلبه، أن فطرته التي فطر عليها، بمنزلة الزيت الصافي، ففطرته صافية، مستعدة للتعاليم الإلهية، والعمل المسروع، فإذا وصل إليه العلم والإيمان، اشتعل ذلك النور في قلبه، بمنزلة اشتعال النار في فتيلة ذلك المصباح، وهو صافي القلب من سوء الفهم عن الله، إذا وصل إليه الإيمان، أضاء إضاءة وصل إليه الإيمان، أضاء إضاءة وظليمة، لصفائه من الكدورات، وذلك بمنزلة صفاء الزجاجة الدرية، ونور العلم، وصفاء المعرفة، نور على ونور.

ولما كان هذا من نور الله تعالى، وليس كل أحد يصلح له ذلك، قال: ﴿ يهدى الله لنوره من يشاء ﴾ ممن يعلم زكاءه وطهارته، وأنه يزكى معه ويسمو . ﴿ ويسضرب الله الأمشال للناس﴾ ليعقلوا عنه ويفهموا، لطفأ منه بهم، وإحساناً إليهم، وليتضح الحق من الباطل، فإن الأمثال تقرب المعاني المعقولة من المحسوسة، فيعلمها العباد علماً واضحاً، ﴿والله بكل شيء عليم الأشياء، فَلْتَعْلَمُوا أَنْ ضَرْبِهِ الأمثالِ، ضرَّبُ من يعلم حقائق الأشياء وتفاصيلها، وأنها مصلحة للعباد، فَلْيَكُن اشتغالكم بتدَبُّرها وتعقُّلها، لا بالاعتراض عليهاً، ولا بمعارضتها، فإنه يعلم وأنتم لا تعلمون.

ولما كان نور الإيمان والقرآن أكثر وقوع أسبابه في المساجد، ذكرها منوهاً بها فقال:

﴿٣٦ ـ ٣٨﴾ ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها

بالغدو والآصال \*رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار \* ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب .

أي: يتعبد لله ﴿ في بيوت ﴾ عظيمة فاضلة ، هي أحب البقاع إليه ، وهي المساجد . ﴿ أَذَنَ الله ﴾ أي: أمر ووصى ﴿ أَنْ ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ هذان بجموع أحكام المساجد ، فيدخل في رفعها ، بناؤها ، وكنسها ، وتنظيفها من النجاسة والأذى ، وصونها عن المجانين والصبيان الذين لا يتحرزون عن النجاسة ، وعن الكافر ، وأن تصان عن اللغو فيها ، ورفع الأصوات بغير ذكر الله .

﴿ ويذكر فيها اسمه ﴾ يدخل في ذلك الصلاة كلها، فرضها، ونفلها، وقراءة القرآن، والتسبيح، والتهليل، وغيره من أنواع الذكر، وتعَلُّم العلم وتعليمه، والمذاكرة فيها، والاعتكاف، وغير ذلك من العبادات التي تفعل في الساجد، ولهذا كانت عمارة الساجد على قسمين: عمارة بنيان، وصيانة لها، وعمارة بذكر اسم الله، من المصلاة وغيرها، وهذا أشرف القسمين، ولهذا شرعت الصلوات الخمس والجمعة في المساجد، وجوباً عند أكثر العلماء، أو استحباباً عند آخرين. ثم مدح تعالى عُمَّارَهَا بالعبادة فقال: ﴿ يسبح له ﴾ إخلاصاً ﴿ بالغدو ﴾ أول النهار ﴿والآصال﴾ آخره ﴿رجال ﴾. خص هذين الوقتين لشرفهما ولتيسر السير فيهما إلى الله وسهولته. ويدخل في ذلك، التسبيح في الصلاة وغيرها، ولهذا شرعت أذكار الصباح والمساء وأورادهما عند الصباح والمساء. أي: يسبح فيها لله، رجال، وأي: رجال، ليسوا ممن يؤثر على ربه دنيا، ذات لذات، ولا تجارة ومكاسب، مشغلة عنه، ﴿لا تلهيهم تجارة﴾ وهذا يشمل كل تكسُّب يقصد

به العوض، فيكون قوله: ﴿ولا بيع﴾

من باب عطف الخاص على العام،

لكثرة الاستغال بالبيع على غيره، فهؤلاء الرجال، وإن اتجروا، وباعوا، واستروا، فإن ذلك، لا محذور فيه. لكنه لا تلهيهم تلك، بأن يقدموها ويؤثروها على ﴿ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴾ بل جعلوا طاعة الله وعبادته غاية مرادهم، ونهاية مقصدهم، فما حال بينهم وبينها رفضوه.

ولما كان ترك الدنيا شديداً على أكثر النفوس، وحب المكاسب بأنواع التجارات محبوباً لها، ويشق عليها تركه في الغالب، وتتكلف من تقديم حق الله على ذلك، ذكر ما يدعوها إلى ذلك \_ ترغيباً وترهيباً \_ فقال: ﴿ يُحافِون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ من شدة هوله وإزعاجه للقلوب والأبدان، فلذلك خافوا ذلك اليوم، فسهل عليهم العمل، وترك ما يشغل عنه، ﴿ليجزيهم الله أحسن ما عملوا﴾ والمراد بأحسن ما عملوا: أعمالهم الحسنة الصالحة ، لأنها أحسن ما عملوا، لأنهم يعملون الماحات وغيرها، فالثواب لا يكون إلا على العمل الحسن، كقوله تعالى: ﴿لِيكِفُرِ اللهِ عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون، ﴿ويزيدهم من فضله ﴾ زيادة كثيرة عن الجزاء القابل لأعمالهم، ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ بل يعطيه من الأجر ما لا يبلغه عمله، بل ولا تبلغه أمنيته، ويعطيه من الأجر بلا عَدُولا كيل، وهذا كناية عن كثرته جداً.

﴿٣٩ ـ ٠٤﴾ ﴿والـذيـن كـفـروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يحده شيئاً ووجد الله عنده فوقًاه حسابه والله سريع الحساب \* أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله نوراً فما له من نور﴾ هذان مثلان، ضربهما الله الإعمال الكفار في بطلانها وذهابها سدى وتحسر عامليها منها

فقال: ﴿والذين كفروا﴾ بربهم وكذبوا رسله ﴿أعمالهم كسراب بقيعة﴾ أي: بقاع، لا شجر فيه ولا نبت.

﴿ بحسبه الظمآن ماء ﴾ شديد العطش، الذي يتوهم ما لا يتوهم غيره، بسبب ما معه من العطش، وهذا حسبان باطل، فيقصده ليزيل ظمأه، ﴿حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾ فندم ندماً شديداً، وإزداد ما به من الظمأ، بسب انقطاع رجائه، كذلك أعمال الكفار، بمنزلة السراب، تُرَى ويظنها الجاهل الذي لا يدري الأمور، أعمالاً نافعة، فيغره صورتها، ويخلبه خيالها، ويحسبها هو أيضاً أعمالاً نافعة لهواه، وهو أيضاً محتاج إليها بل مضطرٌ إليها، كاحتياج الظمآن للماء، حتى إذا قدم على أعماله يوم الجزاء، وجدها ضائعة، ولم يجدها شيئاً، والحال إنه لم يـذهـب، لا لـه ولا عـله، بـل ﴿وجد الله عنده فوفاه حسابه ﴾. لم يَخُفَ عليه من عمله نقير ولا قطمير، ولن يعدم منه قليلاً ولا كثيراً، ﴿والله سريع الحساب فلا يستبطىء الجاهلُون ذلك الوعد، فإنه لا بدمن إتيانه، ومَثِّلها الله بالسراب الذي بقيعة، أي: لا شجر فيه ولا نبات، وهذا مثال لقلوبهم، لا خير فيها ولا بر، فتزكو فيها الأعمال وذلك للسبب المانع، وهو الكفر.

والمثل الثاني، لبطلان أعمال الكفار وكظلمات في بحر لجي بعيد قعره، طويل مداه ويغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض خلمة البحر اللجي، ثم فوقه ظلمة الأمواج المتراكمة، ثم فوق ذلك، ظلمة السحب المدلهمة، ثم فوق ذلك ظلمة الليل البهيم، فاشتدت الظلمة جداً، بحيث إن الكائن في تلك الحال وإذا أخرج يده لم يكد يراها مع قربها إليه، فكيف بغيرها، كذلك الكفار، تراكمت على قلوجهم الظلمات، ظلمة الطبيعة، التي لا خير

فيها، وفوقها ظلمة الكفر، وفوق ذلك، ظلمة الجهل، وفوق ذلك، ظلمة الأعمال الصادرة عما ذكر، فبقوا في الظلمة متحيرين، وفي غمرتهم يعمهون، وعن الصراط الستقيم مدبرين، وفي طرق الغي والضلال يترددون، وهذَّا لأن الله تعالى خذلهم، فلم يعطهم من نوره، ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور، لأن نفسه ظالمة جاهلة، فليس فيها من الخير والنور، إلا ما أعطاها مولاها، ومنحها ربها. يحتمل أن هذين المثالين، لأعمال جميع الكفار، كل منهما، منطبق علّيها، وعَدَّدَهُما لتعدد الأوصاف، ويحتمل أن كل مثال، لطائفة وفرقة. فالأول، للمتبوعين، والثاني، للتابعين، والله أعلم.

﴿ ٤١ ــ ٤٢ ﴾ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَ اللهُ يَسَبِّح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون \* ولله ملك السماوات والأرض وإلى الله المصير ﴾ ينبه تعالى عباده على عظمته، وكمال سلطانه، وافتقار جميع المخلوقات له في ربوبيتها، وعبادتها فقال: ﴿ أَلَمْ تُو أن الله يسبح له من في السماوات والأرض، من حيوان وجماد ﴿والطير صافات الله أي: صافات أجنحتها، في جو السماء، تسبح ربها. ﴿كلُّ من هذه المخلوقات ﴿قدعلم صلاته وتسبيحه اي: كل له صلاة وعبادة بحسب حاله اللائقة به، وقد ألهمه الله تلك الصلاة والتسبيح، إما بواسطة الرسل، كالجن والإنس والملائكة، وإما بإلهام منه تعالى، كساثر المخلوقات غير ذلك، وهذا الاحتمال أرجح، بدليل قوله: ﴿والله عليم بِما يفعلون﴾ أي: عِلْم جميع أفعالها، فلم يخف عليه منها(۱) شيء، وسيجازيهم بذلك، فیکون علی هذا، قد جمع بین علمه<sup>(۲)</sup> بأعمالها، وذلك بتعليمه، وبين علمه بأعمالهم المتضمن للجزاء.

البَيَالُ لَانْلُهِ هُرِيِّحَكَرَةً وَلَابَيْتُمْ عَن ذِكْرَاللَّهِ وَاقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِسَّالَ الرَّكَوْةِ يَعَافُونَ وَمَالَنَقَلُّ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَضْرُ لِعَزِيهُ مُاللَّهُ أَحْسَنَ مَاعِيلُواْ وَيَزِيدُهُم مِن فَضَيلُةً مِوَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِعَيْرِحِسَابٍ ۞ وَٱلَّذِنَّ كُفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بقيعة يحسبه الظّمقان مآء حتى إذا جآمه لريحده منينا ووجد ٱللَّهَ عِندَهُ وَوَفَّنَهُ حِسَابَةُ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ اللَّهُ أَرْكُمُ أَمُّنتِ فِي بَحْرِلُ بِيَّ يَعْشَلُهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِدِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِدِه سَحَالًا طَلُكُتُ بِعَضُهَا فَوَقَ بَغْضِ إِنَّا أَخْرَجَ يَتَمُّهُ لَيْكَ فَيْ يَكُوْ أَوْمَنَ لَّهُ يَجْعَلِ اللَّهُ أَمْثُورًا فَالْمُونُ فُورِ ۞ أَلْزِسَرَأَنَّ اللَّهَ يُسَيِّحُ لَهُ مَن فِ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ مَنَقَلَتِّ كُلُّ قَدَّ عَلِرَ مَلَاتَهُ وَيَسْبِيحَمُّواَلِقَدُعَلِيمُ عَايِفَعَلُونَ ۞ وَيِلْوَمُلُكُ ٱلسَّحَوَّتِ وَٱلْأَرْضُ وَإِلَى اللَّهِ ٱلْمُصِيرُ فِلْ أَلْرَنَدَأَتِ اللَّهَ يُرْفِي سَحَابًا ثُرَّ يُؤَلِّفُ بِيَّنِهُ ثُرُيَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْفَ يَغْرُجُ مِنْ خِلْلِامِهِ وَيُنَزِلُ مِنَ السَّمَآءِ مِن جِبَالِ فِيهَا مِنْ بَرَعِ فَيْصِيبُ بِهِء مَن يَشَآهُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَكَّا أُمِّيكَادُ سَنَا بَرْقِيدِ يَذْهَبُ إِلَّا بَصَلَدِ ۞ TO SO SO SO

ويحتمل أن الضمير في قوله: ﴿قد علم صلاته وتسبيحه ﴾ يعود إلى الله، وأن الله تعلى قد علم عباداتهم، وإن لم تعلموا - أيها العباد - منها، إلا ما أطلعكم الله عليه. وهذه الآية كقوله تعلى: ﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾.

فلما بين عبوديتهم وافتقارهم إليه من جهة العبادة والتوحيد - بين افتقارهم، من جهة الملك والتربية والتدبير فقال:

وله ملك السماوات والأرض خالقهما (٣) ورازقهما، والمتصرف فيسهما، في حكمه الشرعي [والقدري] (٤)، في هذه الدار، وفي حكمه الجزائي، بدار القرار، بدليل قوله: ﴿وإلى الله المصير ﴾ أي: مرجع الخلق ومآلهم، ليجازيهم بأعمالهم.

﴿ ٢٤ - ٤٤ ﴾ ﴿ أَلَمْ تَرُ أَنَّ اللهُ يَرْجِي سَحَاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار \* يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لاولي

<sup>(</sup>١) في النسختين (منه).

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: علمها.

٢) في النسختين: خالقها، ولعل (٤) زيادة من هامش: ب.

الصواب ما أثبته.

10年間 15月1日日 يُقِلُهُ اللَّهُ الَّذِلَ وَالنَّهَارُ إِذَ فِي ذَلِكَ لَمِيزَةً لِأُولِ الْأَبْصَرِ فِي وَاللَّهُ خَلَقَكُلُّ دَآبَةٍ مِن مَّلْوً فِينَهُ مِنْ يَنْشِي عَلَىٰ بَطْنِور وَمِنْهُم مَّن يَيْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُ رَمِّن يَكِيْشِي عَلَىٰٓ أَذِيَوْ يَعْلَقُواْلَكُ مَا يَشَآ أَوْ إِنَّالَةَ عَلَىكُ إِنَّهُ وَقِيدِرُّ ۞ أَقَدَ أَنْزُلْنَا ٓ الَّهِ مُبَدِّنَاتًا وَأَنْتُهُ يَهْدِى مَن يَشَكَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيدٍ ۞ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيِالْرَسُولِ وَأَطَعْنَا ثُعَّ يَنُونَّى فَيِقُّ مِنْهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَكِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَلِمَادُعُو ٓ إِلَّاللَّهُ وَرَسُولِهِ لِيَعَكُّرِيَيْنَعُمُ إِذَا فَهِي فَيْ قَنْهُم فَعَيْمُونَ ۞ وَإِن كِنْ لَمُمُ أَكُونًا كُونُ يَاتُوا لِلَّهِ مُنْعِنِينَ ۞ أَنِي قُلُوبِهِ مِرْرَضٌ أَمِ أَرْتَابُوا أَمْ يَعَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ مِنْ أُوْلَيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ إِمَّا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُتْوْمِيْنِ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمُ بِيَنْهُمْ أَن يَقُولُوا سِيمَنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَلَيِكَ هُمُ الْقَلِحُونَ ۞ وَمَن يُطِع الله وَرَسُولَهُ وَيَغْمَرُ اللَّهُ وَيَتَّقَعُ فَأُولَكُمْ هُمُ ٱلْفَا آيِرُونَ • وَأَمْسَكُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْكَ إِمْرَ لَيْنَ أَمْرَتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَانْقُسِمُواْطَاعَةٌ مَّعُرُوكَةُ إِنَّ اللَّهَ خَيرًا بِمَاقَتَ مَلُونَ ۞

الأبصار أي: ألم تشاهد ببصرك الأبصار أي: ألم تشاهد ببصرك عظيم قدرة الله، وكيف (يزجي) أي: يسوق (سحاباً) قطعاً متفرقة (ثم يؤلف) بين تلك القطع، فيجعله سحاباً متراكماً، مثل الجبال.

﴿ فستسرى السودق ﴾ أي: السوابسل والمطر، يخرج من خلال السحاب، نقطاً متفرقة، ليحصل بها الانتفاع من دون ضرر، فتمتلىء بذلك الغدران، وتتدفق الخلجان، وتسيل الأودية، وتنبت الأرض من كل زوج كريم، وتارة ينزل الله من ذلك السحاب بَرداً في يُتلِفُ ما يصيبه.

﴿فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء ﴾ بحسب ما اقتضاه حكمه القدري، وحكمته التي يحمد عليها، ﴿يكاد سنا برقه ﴾ أي: يكاد ضوء برق ذلك السحاب، من شدته ﴿يذهب بالأبصار ﴾ أليس الذي أنشأها وساقها لعباده المفتقرين، وأنزلها على وجه يصل به النفع وينتفي به الضرر، كامل القدرة، نافذ المشيئة، واسع الرحمة ؟ .

﴿يقلب الله الليل والنهار ﴾ من حر إلى برد، ومن برد إلى حر، من ليل إلى نهار، ونهار إلى ليل، ويُدِيلُ الأيام بين عباده، ﴿إن في ذلك لمبرة لأولى الأبصار ﴾ أي: لذوي البصائر، والعقول النافذة للأمور المطلوبة منها، كما تنفذ الأبصار إلى الأمور المشاهدة الحسية. فالبصير ينظر إلى هذه

المخلوقات نظر اعتبار وتفكر وتَدبُّر لما أريد بها ومنها، والمعرض الجاهل نظره إليها نظر غفلة، بمنزلة نظر البهائم.

﴿ ٤٥﴾ ﴿ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾ ينبه عباده على ما يشاهدونه، أنه خلق جميع الدواب التي على وجه الأرض، ﴿ من ماء ﴾ أي: مادتها كلها الماء، كما قال تعانى: ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ .

فالحيوانات التي تتوالد، مادتها ماء

النطفة، حين يلقح الذكر الأنشى. والحيوانات التي تتولد من الأرض، لا تتولد إلا من الرطوبات المائية، كالحشرات لا يوجد منها شيء، يتولد من غير ماء أبداً، فالمادة واحدة، ولكن الخلقة مختلفة من وجوه كثيرة، ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ كالحية ونحوها، ﴿ومِنهم من يمشي على رجلين كالآدميين، وكثير من الطيور، ﴿ومنهم من يمشى على أربع > كبهيمة الأنعام ونحوها. فاختلافها ممع أن الأصل واحد \_ يدل على نفوذ مشيئة الله، وعموم قدرته، ولهذا قال: ﴿ يَخْلَقُ اللهُ ما يشاء ﴾ أي: من المخلوقات، على ما يشاؤه من الصفات، ﴿إِن الله على كل شيء قبديس كيميا أنبزل المطير على الأرض، وهو لقاح واحد، والأم واحسدة، وهسى الأرض، والأولاد مختلفو الأصناف والأوصاف ﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ .

﴿٢٦﴾ ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يسساء إلى صراط مستقيم ﴾ أي: لقد رحمنا عبادنا، وأنزلنا إليهم آيات بينات، أي: واضحات الدلالة، على جميع المقاصد المسرعية، والآداب المحمودة، والمعارف الرشيدة، فاتضحت بذلك السبل، وتبين الرشد من الغي،

والهدى من الضلال، فلم يبق أدنى شبهة لمبطل يتعلق بها، ولا أدنى إشكال لمريد الصواب، لأنها تنزيل مَنْ كَمُلَ علمه، وكملت رحمته، وكمل بيانه، فليس بعد بيانه بيان ﴿ليهلك﴾ بعد ذلك ﴿من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة ﴾ ، ﴿والله يهدي من يشاء ﴾ ممن سبقت لهم سابقة الحسني، وقدم الصدق، ﴿إلى صراط مستقيم﴾ أي: طريق واضح مختصر، موصل إليه، وإلى دار كرامته، متضمن العلم بالحق وإيثاره والعمل به. عمم البيان التام لجميع الخلق، وخصص بالهداية من يشاء، فهذا فضله وإحسانه، وما فضل الكريم بممنون وذاك عدله، وقطع الحجة للمحتج، والله أعلم حيث يجعل مواقع إحسانه.

﴿٤٧ \_ ٥٠ ﴾ ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين \* وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون \* وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين \* أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون﴾ يخبر تعالى عن حالة الظالمين، عمن في قلبه مرض وضعف إيمان، أو نفاق وريب وضعف علم، أنهم يقولون بألسنتهم، ويلتزمون الإيمان بالله والطاعة، ثم لا يقومون بما قالوا، ويتولى فريق منهم عن الطاعة تَوَلَياً عظيماً، بدليل قوله: ﴿وهم معرضون﴾ فإن المتولى، قد يكون له نيةً عود ورجوع إلى ما تولّى عنه، وهذا المتولي معرض، لا التفات له، ولا نظر لما تولى عنه، وتجد هذه الحالة مطابقة لحال كثير ممن يدُّعِي الإيمان والطاعة لله وهو ضعيف الإيمان، تجده لا يقوم بكثير من العبادات، خصوصاً: العبادات التي تشق على كثير من النفوس، كالزكوات، والنفقات الواجبة والمستحبة، والجهاد في سبيل الله، ونحو ذلك.

﴿ وَإِذَا دَعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولُهُ لِيحِكُمُ بِينَهُم ﴾ أي: إذا صار بينهم وبين أحد

حكومة، ودعوا إلى حكم الله ورسوله ﴿إِذَا فَرِيقَ مِنْهُمُ مِعْرِضُونَ ﴾ يريدون أحكام الجاهلية، ويفضلون أحكام القوانين غير الشرعية على الأحكام الشرعية، لعلمهم أن الحق عليهم، وأن الشرع لا يحكم إلا بما يطابق الواقع، ﴿ وَإِنْ يَكُنُّ لَهُمُ الْحُقِّ يَأْتُوا إليه ﴾ أي: إلى حكم الشرع ﴿مذعنين ﴾ وليس ذلك لأجل أنه حكم شرعي، وإنما ذلك لأجل موافقة أهواتهم، فليسوا ممدوحين في هذه الحال، ولو أتوا إليه مذعنين، لأن العبد حقيقة، من يتبع الحق فيما يحب ويكره، وفيما يسره ويحزنه، وأما الذي يتبع الشرع عند موافقة هواه، وينبذه عند مخالفته، ويقدم الهوى على الشرع، فليس بعبد على الحقيقة، قال الله في لومهم على الإعراض عن الحكم الشّرعي: ﴿ أَفِي قلوبهم مرض﴾ أي: علة، أخرجتُ القلب عن صحته وأزالت حاسته، فصار بمنزلة المريض، الذي يعرض عما ينفعه، ويقبل على ما يضره، ﴿أُمّ ارتابوا ﴾ أي: شكوا، وقلقت قلوبهم من حكم الله ورسوله، واتهموه أنه لا يحكم بالحق، ﴿أُم يَحَافُونَ أَنْ يحيف الله عليهم ورسوله ﴾ أي: يحكم عليهم حكماً ظالماً جائراً، وإنما هذا وصفهم ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾

وأما حكم الله ورسوله، ففي غاية العدالة والقسط، وموافقة الحكمة. فومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون في. وفي هذه الآيات، دليل على أن الإيمان، ليس هو مجرد القول حتى يقترن به العمل، ولهذا نفى الإيمان عمن تبولى عن البطاعة، ووجوب الانقياد لحكم الله ورسوله في كل حال، وأن من ينقذ له دل على مرض في قلبه، وريب في إيمانه، وأنه مجرم إساءة الظن بأحكام الشريعة، وأن يظن باخلاف العدل والحكمة.

ولما ذكر حالة المعرضين عن الحكم الشرعي، ذكر حالة المؤمنين المدوحين، فقال:

﴿ ٥١ - ٥١ ﴾ ﴿إنها كان قول المؤسنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون \* ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ .

أي: ﴿إنما كان قول المؤمنين﴾ حقيقة، الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم حين يدعون إلى الله ورسوله ليحكم بينهم، سواء وافق أهواءهم أو خالفها، ﴿أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾ أي: سمعنا حكم الله ورسوله، وأجبنا من دعانا إليه، وأطعنا طاعة تامة، سالمة من الحرج.

﴿وأولئك هم المفلحون ﴾ حصر الفلاح: الفوز بالمطلوب، والنجاة من المكروه، ولا يفلح إلا من حكم الله ورسوله، وأطاع الله ورسوله.

ولما ذكر فضل الطاعة في الحكم خصوصاً، ذكر فضلها عموماً، في جميع الأحوال، فقال: ﴿وَمِنْ يَطُّعُ اللَّهُ ورسوله الله فيصدق خبرهما ويمتثل أمرهما، ﴿ويخش الله ﴾ أي: يخاف خوفاً مقروناً بمعرفة، فيترك ما نهي عنه، ويكف نفسه عما تهوى، ولهذا قال: ﴿ويتقه ﴾ بترك المحظور، لأن التقوى \_عند الإطلاق \_يدخل فيها، فعل المأمور، وترك المنهى عنه، وعند اقترانها بالبر أو الطاعة -كما في هذا الموضع ـ تفسر بتوقّي عذاب الله، بترك معاصيه، ﴿فأولئك﴾ الذين جمعوا بين طاعة الله وطاعة رسوله، وخشية الله وتقواه، ﴿هم الفائزون﴾ بنجاتهم من العذاب، لتركهم أسبابه، ووصولهم إلى الثواب، لفعلهم أسبابه، فالفوز محصور فيهم، وأما من لم يتصف بوصفهم، فإنه يفوته من الفوز بحسب ما قبصر عنه من هذه الأوصاف الحميدة، واشتملت هذه الآية، على الحق المشترك بين الله وبين رسوله، وهو الطاعة المستلزمة للإيمان، والحق

المختص بالله، وهو الخشية والتقوى،

وبقي الحق الثالث المختص بالرسول، وهو التعزير والتوقير، كما جمع بين الحقوق الثلاثة في سورة الفتح في قوله: ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً﴾.

﴿٥٣ \_ ٤٥﴾ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون \* قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين﴾ يخبر تعالى عن حالة المتخلفين عن الرسول ﷺ في الجهاد من المنافقين، ومن في قلوبهم مرض وضعف إيمان أنهم يقسمون بالله ، ﴿ لئن أمرتهم ﴾ فيما يستقبل، أو لئن نصصت عليهم حين خرجت ﴿ليخرجن ﴾ والمعنى الأول أولى. قال الله \_راداً عليهم \_: ﴿قُلْ لا تقسموا الله أي: لا نحتاج إلى إقسامكم ولا إلى أعذاركم، فإن الله قد نبأنا من أخباركم، وطاعتكم معروفة، لا تخفى علينا، قد كنا نعرف منكم التثاقل والكسل من غير عذر، فلا وجه لعذركم وقسمكم، إنما يحتاج إلى ذلك، من كان أمره محتملاً، وحاله مشتبهة، فهذا ربما يفيده العذر براءة، وأما أنتم فكلا ولما، وإنما ينتظر بكم ويخاف عليكم حلول بأس الله ونقمته، ولهذا توعدهم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهُ خبير بما تعملون، فيجازيكم عليها أتم الجزاء، هذه حالهم في نفس الأمر، وأما الرسول عليه الصلاة والسلام، فوظيفته أن يأمركم وينهاكم، ولهذا

وقل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن استشارا، كان حظكم وسعادتكم (۱)، وإن وتولوا فإنما عليه ما حمل من الرسالة، وقد أداها. وعليكم ما حملتم من الطاعة، وقد بانت حالكم وظهرت، فبان ضلالكم وغيكم واستحقاقكم العذاب. ووإن تطيعوه تهتدوا إلى الصراط المستقيم،

قولاً وعملاً، فلا سبيل لكم إلى الهداية إلا بطاعته، وبدون ذلك، لا يمكن، بل هو محال.

﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ أي: تبليغكم البين الذي لا يُبقي لأحد شكاً ولا شبهة، وقد فعل ﷺ، بلغ البلاغ المبين، وإنما الذي يحاسبكم ويجازيكم هو الله تعالى، فالرسول ليس له من الأمر شيء، وقد قام بوظيفته.

﴿٥٥﴾ ﴿وَعد الله الله ين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبآهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضي لهم وليبدلنهم من بعد خوقهم أمنأ يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلكٌ فأولتك هم الفاسقون﴾ هذا من أو عاده (١) الصادقة، التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وَعَدُّ من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض، يكونون هم الخلفاء فيها، المتصرفين في تدبيرها، وأنه يُمكِّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام، الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة، لفضلها وشرفها ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم، لكون غيرهم من أهل الأديانُ وسائر الكفار مغلوبين ذليلين، وأنه يبدلهم من بعد خوفهم الذي كان الواحد منهم لا يتمكن من إظهار دينه، وما هو عليه إلا بأذي كثير من الكفار، وكون جماعة المسلمين قليلين جداً بالنسبة إلى غيرهم، وقد رماهم أهل الأرض عن قوس واحدة، وبغواً لهم الغوائل.

فوعدهم الله هذه الأمور وقت نسزول الآية ، وهي لم تسساهد الاستخلاف في الأرض والتمكين فيها ، والتمكين من إقامة الدين الإسلامي ، والأمن التام ، بحيث يعبدون الله ولا يشركون به شيئاً ، ولا يخافون أحداً إلا الله ، فقام صدر هذه

الأمة، من الإيمان والعمل الصالح بما يفوقون على غيرهم، فمكنهم من البلاد والعباد، وفتحت مشارق الأرض ومغاربها، وحصل الأمن التام والتمكين التام، فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح، فيلا بدأن يوجد ما الكفار والمنافقين، ويُديلهم في بعض الأحيان، بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح.

﴿ ومن كفر بعد ذلك ﴾ التمكين والسلطنة التامة لكم، يا معشر المسلمين، ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ النين خرجوا عن طاعة الله، وفسدوا، فلم يصلحوا لصالح، ولم يكن فيهم أهلية للخير، لأن الذي يترك الإيمان في حال عزه وقهره، وعدم وجود الأسياب المانعة منه، يدل على فسادنيته، وخبث طويته، لأنه لا داعى له لترك الدين إلا ذلك. ودلت هذه الآية، أن الله قد مكن من قبلنا، واستخلفهم في الأرض، كما قال موسى لقومه: ﴿ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون، وقالً تعالى: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين \* ونمكن لهم في

﴿٥٥ - ٥٥﴾ ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴿ لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير﴾ يأمر تعالى بإقامة الصلاة، بأركانها وشروطها وآدابها، ظاهراً وباطناً، وبإيتاء الزكاة من الأموال التي استخلف الله عليها العباد، وأعطاهم إياها، بأن يؤتوها الفقراء وغيرهم، ممن ذكرهم الله لصرف الزكاة، فهذان أكبر الطاعات وأجلهما، جامعتان لحقه وحق خلقه، وللإحسان إلى للجلاص للمعبود، وللإحسان إلى

العبيد، ثم عطف عليهما الأمر العام، فقال: ﴿وَاطْيِعُوا الرسول﴾ وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ﴿من يبطع السوسول فقد أطباع الله ﴿لعلكم ﴾ حين تقومون بذلك ﴿ترحون ﴾ فمن أراد الرحمة، فهذا طريقها، ومن رجاها من دون إقامة السول، فهو مُتمنً كاذب، وقد منته الأمان الكاذبة.

الا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض فلا يغررك ما مُتعوا به في الحياة الدنيا، فإن الله، وإن أمهلهم فإنه لا يهملهم فينمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ .

ولهذا قال هنا: ﴿ومأواهم النار ولبنس المصير﴾ أي: بنس المآل، مآل الكافرين، مآل الشر والحسرة والعقوبة الأبدية.

﴿٥٨﴾ ﴿يا أيها اللذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولاعليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم الموالمؤمنين أن يستأذنهم ماليكهم، والذين لم يبلغوا الحلم منهم. قد ذكر الله حكمته وأنه ثلاث عورات للمستأذن عليهم، وقت نومهم بالليل بعد العشاء، وعند انتباههم قبل صلاة الفجر، فهذا \_ في الغالب \_ أن النائم يستعمل للنوم في الليل ثوباً غير ثوبه المعتاد، وأما نوم النهار، فلمَّا كان في الغالب قليلاً، قد ينام فيه العبد بثيابه المعتادة، قيده بقوله: ﴿وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ﴿ أَي : للقائلة، وسط النهار.

ففي ثلاثة هذه الأحوال، يكون المماليك والأولاد الصغار كغيرهم، لا يُمكنون من الدخول إلا بإذن، وأما

ما عدا هذه الأحوال الثلاثة فقال: ﴿ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن﴾ أي: ليسوا كغيرهم، فإنهم يحتاج إليهم دائماً، فيشق الاستئذان منهم في كل وقت، ولهذا قال: ﴿طوافون عليكم بعضكم على بعض﴾ أي: يترددون عليكم في قضاء أشغالكم وحوائجكم.

﴿كذلك يبين الله لكم الآيات ﴾ بياناً مقروناً بحكمته ، ليتأكد ويتقوى ويعرف به رحمة شارعه وحكمته ، لولهذا قال: ﴿والله عليم حكيم ﴾ له العلم المحيط بالواجبات والمستحيلات شيء موضعه ، فأعطى كل نخلوق خلقه اللائق به ، وأعطى كل حكم شرعي حكمه اللائق به ، ومنه هذه الأحكام التي بيّنها وبيّن مآخذها وحسنها .

و و و الله الأطفال منكم الخلم وهو إنزال الني يقظة أو مناماً، فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم أي: في سائر الأوقات، والذين من قبلهم، هم الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية.

﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ ويوضحها، ويفصل أحكامها ﴿والله عليم حكيم﴾.

وفي هاتين الآيتين فوائد، منها: أن السيد وولي الصغير، خاطبان بتعليم عبيدهم ومن تحت ولايتهم من الأولاد، العلم والآداب الشرعية، لأن الله وجه الخطاب إليهم بقوله: فيا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم الآية، ولا يمكن ذلك، إلا بالتعليم والتأديب، ولقوله: فليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن .

ومنها: الأمر بحفظ العورات، والاحتياط لذلك من كل وجه، وأن

المحل والمكان، الذي مظنة لرؤية عورة الإنسان فيه، أنه منهيًّ عن الاغتسال فيه والاستنجاء، ونحو ذلك.

ومنها: جواز كشف العورة لحاجة، كالحاجة عند النوم، وعند البول والغائط، ونحو ذلك.

ومنها: أن المسلمين كانوا معتادين للقيلولة وسط النهار، كما اعتادوا نوم الليل، لأن الله خاطبهم ببيان حالهم الموجودة.

ومنها: أن الصغير الذي دون البلوغ، لا يجوز أن يُمكن من رؤية العورة، ولا يجوز أن تُرى عورته، لأن الله لم يأمر باستئذانهم، إلا عن أمر ما يحوز.

ومنها: أن المملوك أيضاً، لا يجوز أن يرى عورة سيده، كما أن سيده لا يجوز أن يرى عورته، كما ذكرنا في الصغير.

ومنها: أنه ينبغي للواعظ والمعلم ونحوهم، عمن يتكلم في مسائل العلم الشرعي، أن يقرن بالحكم، بيان مأخذه ووجهه، ولا يلقيه مجرداً عن الدليل والتعليل، لأن الله \_ لما بين الحكم المذكور \_ علله بقوله: ﴿ ثلاث عورات لكم ﴾ .

ومنها: أن الصغير والعبد، غاطبان، كما أن وليهما نخاطب لقوله: وليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن .

ومنها: أن ريق الصبي طاهر، ولو كان بعد نجاسة، كالقيء، لقوله تعالى: ﴿طوافون عليكم﴾ مع قول النبي على حين سئل عن الهرة: ﴿إنها ليست بنجس، إنها من الطوافين عليكم والطوافات».

ومنها: جواز استخدام الإنسان مَنْ تحت يده، من الأطفال على وجه

CALLERY CHART ا قُلْ أَطْهُ اللَّهُ وَأَمِلْ عُوا الرَّسُولُّ فَإِن تُولُّوا فَإِنَّا عَلَيْهِ مَا حُمِّلًا وَعَلَيْكُم مَّا خُلْتُ وَإِن تُطْمِعُهُ تَهْمَدُواْ وَمَا عَلَا لِمُول إِلَّا ٱلْبَلَعُ ٱللَّهِيثُ ۞ وَعَدَ اللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوامِنكُمْ وعمله االصّالحت لَيَستَهُ غِلْفَتُهُمْ فِي ٱلأَرْضِ كَمَا ٱسْغَفْلَفَ ٱلْذِي مِن قَبْلِهِ رُوَلِيْمُكِ مَنْ لَمُتُمْ دِينَهُ مُوَالَّذِي ٱلْصَحَالَةُ مِ وَلَيْرَةِ لَنَهُم مِنْ إِمَّا يَخْرَفُهم أَمْنَا يَمُّدُ وَنِنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيَّتًا وَمَن كَفَرَيَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَلَهِكَ هُمُ الْفَلْسِ فُونَ ۞ وَأَقِيمُوا الصَّلَوةَ وَءَاتُوا الزَّكُوةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمُ زُحَوْنَ ۞ لَا تَعْسَبَنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِيزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَعُهُمُ ٱلنَّارُّ وَلِينْسَ الْمُصِيرُ ۞ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ مَامَنُواْ لِيسَسَعَوْنَكُوُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتُ أَيْنَكُمُ وَالَّذِينَ لَرْبَسُلُمُوا ٱكْخُتُرِمِنكُوثَكَ مَّاتُّومِن قَبْلِ صَلَوْقِ ٱلْفَجْرِ وَبِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمُ مِّنَ ٱلظَّهِيرَ قَوْمِنَ بَعْدِ صَلَوْةِ ٱلْعِشَاءُ ثَلَثُ عَوْرَتِ لَّكُمُّ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَاعَلَيْهِ مُجْنَاعُ بُعْدَهُ نَّطْوَقُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُو عَلَيْعُضِ الله يَهِينُ اللهُ المَكُمُ الْآيَاتُ وَاللَّهُ عَلِيهُ عَكِيدٌ ۞ ON TON YOUR OF ON

معتاد، لا يشق على الطفل لقوله: 
﴿ طوافون عليكم ﴾ .

ومنها: أن الحكم المذكور الفصل، إنما هو لما دون البلوغ، فأما ما بعد البلوغ، فليس إلا الاستئذان.

ومنها: أن البلوغ يحصل بالإنزال، فكل حكم شرعي رتب على البلوغ، حصل بالإنزال، وهذا مجمع عليه، وإنما الخلاف، هل يحصل البلوغ بالسن، أو الإنبات للعانة، والله أعلم.

﴿ ٢٠ ﴿ والقواعد من النساء اللات لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ﴾ والقواعد من النساء أي: اللات قعدن عن الاستمتاع والشهوة ﴿ اللات لا يرجون نكاحاً ﴾ أي: لا يطمعن في النكاح، ولا يُطمع فيهن، وذلك لكونها عجوزاً لا تُشتهى، أو دميمة الحلقة لا تَشْتَهي ولا تُشْتَهي أي: حرج الحلقة لا تَشْتَهي ولا تُشْتَهي أي: حرج وأن يضعن ثيابهن أي: الثياب الظاهرة، كالخمار ونحوه، الذي الظاهرة، كالخمار ونحوه، الذي قال الله فيه للنساء: ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ . فهؤلاء، بخمرهن على جيوبهن ﴾ . فهؤلاء،

**建筑 深层。 医细胞** وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَالُ مِنكُمُ ٱلْخُلُمُ فَلْمَسْ نَنْذِفُوا كُمَّا أُسْنَفَذَنَّ ٱلَّذِيكِ مِن تَجْلِهِ مُركَدُ لِلكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَ لِيَدَيُّهِ وَاللَّهُ اللَّهِ عَلِيهُ حَكِيمٌ ۞ وَالْقَوْعِ مُعِنَ النِّسَاءَ الَّتِي لَايْزَجُونَ يْكَامُا فَلِتَنَ عَلَيْهِ ﴾ جُنَاحُ أَن يَضَعَى ثِيَابَهُ أَنْ عَنْهِ مُتَكِيرِ حَلْتِ بِزِيكُةٌ وَأَن يَسْتَعْفِفْ خَيْرُكُمُ أُنَا ۖ وَاللَّهُ سَعِيعُ عَلِيمُ ۞ لَيْسَ عَلَالْغَمَا حَدَثُ وَلَاعَكَ الْغَرَج حَنَيٌّ وَلَاعَكَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَاعَكَنَّ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنْ يُوتِكُمْ أَوْيُونِ ءَابَآيِكُمْ أَوْيُونِ أُمَّهُ لَيْكُمْ أَوْيُونِ إِخْوَانِكُمْ أَوْيُونِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْبُونِ أَعْمَلِمِكُمْ أَوْبُونِ عَمَلَتِكُمْ أَوْبُونِ أخُوَالِكُمْ أَوْيُونِ خَلَانِكُمْ أَوْمَامَلَكُمْ مَّوَاعِكُمْ أَوْصَدِيقِكُمْ لِنَسْ عَلَيْكُمْ جُنَاعُ أَنْ سَأَكُمُ لُواْ جَيعًا أَوْأَشَنَأَتَّأَفَإِذَا دَحَلَتُهُ بِيُوتَ الْسَلِمُواعَلَ الْأَ أَنفُسِكُمْ غَيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَكِّرُكُهُ طَيِّبَةً كَذَٰ إِكَ يُبِينُ اللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَلَتِ لَمَكَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ ADDEDON FOR DED

يجوز لهن أن يكشفن وجوههن لأمن المحذور منها وعليها، ولما كان نَفْيُ الحرج عنهن في وضع الثياب، ربما توهم منه جواز استعمالها لكل شيء، دفع هذا الاحتراز بقوله: ﴿غير متبرجات بزينة ﴾ أي: غير مظهرات للناس زينة، من تجمل بثياب ظاهرة، وتستر وجهها، ومن ضرب الأرض برجلها، ليعلم ما تخفي من زينتها، لأن بحرد الزينة على الأنشى، ولومع تسترها، ولوكانت لا تشتهي يفتن فيها، ويوقع الناظر إليها في الحرج ﴿وأن يستعففن خير لهن ﴿ . والاستعفاف: طلب العفة، بفعل الأسباب المقتضية لذلك، من تزوج وتَرْكِ لما يُحْشى منه الفتنة، ﴿واللهُ سميع الأصوات (عليم) بالنيات والمقاصد، فلْيَحْذَرْنَ من كُل قول وقصد فاسد، ويعلمن أن الله يجازى على ذلك.

﴿ ٦١﴾ ﴿ ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت

أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو بيوت صديقكم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جيعاً أو أشتاتاً فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون يخبر تعالى عن مِنْتِهِ على عباده، وأنه لم يجعل عليهم في الدين من حرج بل يسره غاية التيسير، فقال:

﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) أي: ليس على هؤلاء جناح، في ترك الأمور الواجبة، التي تتوقف على واحد منها، وذلك كالجهاد ونحوه، مما يتوقف على بصر للأعمى، أو سلامة للأعرج، أو صحة للمريض، ولهذا المعنى العام الذي ذكرناه، أطلق الكلام فى ذلك، ولم يقيد، كما قيد قوله: ﴿ولا على أنفسكم ﴾ أي: حرج ﴿أن تأكلوا من بيوتكم اي: بيوت أولادكم، وهذا موافق للحديث الشابت: «أنت ومالك الأبيك»، والحديث الآخر: «إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم، وليس المراد من قوله: ﴿من بيوتكم له بيت الإنسان نفسه، فإن هذا من باب تحصيل الحاصل، الذي ينزه عنه كلام الله، ولأنه نفي الحرج عما يظن أو يتوهم فيه الإثم من هؤلاء المذكورين، وأما بيت الإنسان نفسه فليس فيه أدنى توهم .

﴿أو بسيوت آبائكم أو بسيوت أمهاتكم ، أو ببيوت إخوانكم ، أو ببيوت أخوانكم ، أو ببيوت أخوانكم ، أو ببيوت عماتكم ، أو ببيوت عماتكم ، أو ببيوت أخوالكم ، أو ببيوت خالاتكم ﴾ وهؤلاء معروفون ، أو أو ما ملكتم مفاتحه ﴾ أي: البيوت التي أنتم متصرفون فيها بوكالة ، أو ولاية ونحو ذلك ، وأما تفسيرها

بالمملوك، فليس بوجيه، لوجهين:

أحدهما: أن المملوك لا يقال فيه «ملكت مفاتحه» بل يقال: «ما ملكتموه» أو «ما ملكت أيمانكم» لأنهم مالكون له جملة، لا لمفاتحه فقط.

والثاني: أن بيوت المماليك، غير خارجة عن بيت الإنسان نفسه، لأن المملوك وما ملكه لسيده، فلا وجه لنفي الحرج عنه.

﴿أو صديقكم ﴾ وهذا الحرج المنفي عن الأكل (١)، من هذه البيوت كل ذلك، إذا كان بدون إذن، والحكمة فيه معلومة من السياق، فإن هؤلاء السمين (٢)، قد جرت العادة والعرف، بالساعة في الأكل منها، لأجل القرابة القريبة، أو التصرف التام، أو الصداقة، فلو قُدر في أحد من هؤلاء عدم المساعة والشمع في الأكل المذكور، لم يجز الأكل، ولم يرتفع الحرج، نظراً للحكمة والمعنى.

وقوله: ﴿لِيس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً ﴾ فكل ذلك جائز، أكل أهل البيت الواحد جميعاً، أو أكل كل واحد منهم وحده، وهذا نفي للحرج، لا نَفي للفضيلة وإلا فالأفضل الاجتماع على الطعام.

﴿فإذا دخلتم بيوتا﴾ نكرة في سياق الشرط، يشمل بيت الإنسان وبيت غيره، سواء كان في البيت ساكن أم لا، فإذا دخلها الإنسان ﴿فسلموا على أنفسكم﴾ أي: فليُسلِّم بعضكم على بعض، لأن المسلمين كأنهم شخص واحد، من تواددهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، فالسلام مشروع لدخول سائر البيوت، من غير فرق بين بيت ويت، والاستئذان تقدم أن فيه تفصيلاً في أحكامه، ثم مدح هذا السلام فقال: ﴿تَحَية من عند الله مباركة

<sup>(</sup>١) في ب: من.

 <sup>(</sup>٢) مراد الشيخ \_ رحمه الله \_ فإن بيوت هؤلاء المسمين، كما يبدو \_ والله أعلم \_.

طيبة أي: سلامكم بقولكم: 
«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أو 
«السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اذ تدخلون البيوت، ﴿ تحية من 
عند الله أي: قد شرعها لكم، وجعلها تحيتكم، ﴿ مباركة ﴾ لاشتمالها على السلامة من النقص، وحصول الرحمة والمبركة والنماء والزيادة ، 
﴿ طيبة ﴾ لأنها من الكلم الطيب المحبوب عند الله ، الذي فيه طيب نفس للمحيا ، ومحبة وجلب مودة .

لا بين لنا هذه الأحكام الجليلة قال:

﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات ﴾
الدالات على أحكامه الشرعية
وحكمها، ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ عنه
فتفهمونها، وتعقلونها بقلوبكم،
ولتكونوا من أهل العقول والألباب
الرزينة، فإن معرفة أحكامه الشرعية
على وجهها، يزيد به العقل، وينمو به
اللب، لكون معانيها أجل المعاني،
وآدابها أجل الآداب، ولأن الجزاء من
لعقل عن ربه، وللتفكر في آياته التي
دعاه إليها، زاده من ذلك.

وفي هذه الآيات دليل على قاعدة عامة كلية وهي: «أن العرف والعادة خصص للألفاظ، كتخصيص اللفظ». فإن الأصل، أن الإنسان عنوع من تناول طعام غيره، مع أن الله أباح الأكل من بيوت هولاء، للعرف والعادة، فكل مسألة تتوقف على الإذن من مالك الشيء، إذا علم إذنه بالقول أو العرف، جاز الإقدام عليه.

وفيها دليل على أن الأب يجوز له أن يأخذ ويتملك من مال ولده ما لا يضره، لأن الله سمى بيته بيتاً للإنسان.

وفيها دليل على أن المتصرف في بيت الإنسان، كزوجته، وأخته ونحوهما، يجوز لهما الأكل عادة، وإطعام السائل المتاد

وفيها دليل، على جواز المشاركة في الطعام، سواء أكلوا مجتمعين، أو

متفرقين، ولو أفضى ذلك إلى أن يأكل بعضهم أكثر من بعض.

﴿ ٦٢ \_ ٦٤ ﴾ ﴿إنما المؤمنون الذين

آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إنّ الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إنّ الله غفور رحيم \* لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قديعلم الله الذين يتسللون منكم لواذأ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم \* ألا إنَّ لله ما في السماوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بمأ عملوا والله بكل شيء عليم الهذا إرشاد من الله لعباده المؤمنين، أنهم إذا كانوا مع الرسول ﷺ على أمر جامع، أي: من ضرورته أو من مصلحته، أن يكونوا فيه جميعاً، كالجهاد، والمشاورة، ونحو ذلك من الأمور التي يشترك فيها المؤمنون، فإن المصلحة تقتضى اجتماعهم عليه وعدم تفرقهم، فالمؤمن بالله ورسوله حقاً، لا يذهب لأمر من الأمور، لا يرجع لأهله، ولايذهب لبعض الحوائج التي يشذ بها عنهم، إلا بإذن من الرسول أو نائبه من بعده، فجعل موجب الإيمان، عدم الذهاب إلا بإذن، ومدحهم على فعلهم هذا وأدبهم مع رسوله وولي الأمر منهم، فقال: ﴿ إِنَّ الذِّينِ يَسْتَأَذُنُونَكُ أُولُنَّكُ الذين يؤمنون بالله ورسوله ﴾ ولكن هل يأذن لهم أم لا؟ ذكر لإذنه لهم

أحـدهمـا: أن يـكـون لـشـأن مـن شؤونهم، وشغل من أشغالهم، فأما من يستأذن من غير عذر، فلا يؤذن له.

والثاني: أن يشاء الإذن له فتقتضيه المسلحة، من دون مضرة بالآذن، قال:

﴿فَإِذَا استأذنوك لِبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ﴾ فإذا كان له عذر واستأذن، فإن كان في قعوده وعدم

الِمَّا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلِمَاكَانُواْ اللهِ مَعَهُ عَلَىٰٓ أَمْرِ جَامِعِ لَرَيَدُهُ حَبُوا حَتَّى يَسَتَعْدِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِيبَ السَّتَغَذِيْوَنَكَ أُوَلِّيَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهُ عَلِانًا ٱسْتَنَذَذُوكَ لِتَعْضِ شَأْنِهِ مَا أَذَن لِمَن شِنْتَ مِنْهُمُ وَأَسْتَغَفِرُ المَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ عَنُورٌ تَجِيبٌ ۞ لَا يَخْتَلُوا مُثَلِّ الرَّسُولِ بِنْتَ أُرْكُ دُعَآ يَعْضِكُم بَعْضَأَ قَدْ يَعْلَرُ اللَّهُ ٱلَّذِينَ يَشَكَّلُونَ مِنْ إِوَاذاً فَلْيَحْدَرِ الَّذِيبَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِوهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِنْتُ أَوْيُصِيبَهُ مُرْعَدَابُ أَلِيمُ ۞ أَلَا إِنَ يَقِمَافِ ٱلسَّنَوَاتِ وَٱلْأَرْضُ قَدْ يَعِلَمُ مَا أَشَدْ عَلَيْهِ وَيُوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْ يَنْ مُرْسِمًا عَكِمْ أُواْ وَٱللَّهُ يُكِلِّلْ شَيْءٍ عَلِيمٌ ا سَّ رَالِهُ ٱلَّذِي تَزَلَ ٱلْفُرُوَّانَ عَلَى عَبْدِهِ مِلِيكُونَ لِلْعَالَمِينَ كَذِيرًا ٥ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَا وَالْأَرْضِ وَلَرَبَّ خِذُولَ كَا وَلَرْ مُ اللَّهُ اللَّهُ مَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَكُ لَّ مَّنْ وِفَقَدَّ رَمُ تَفْدِيرًا ۞ CONTRACTOR OF THE PROPERTY OF

ذهابه مصلحة برأيه، أو شجاعته، ونحو ذلك، لم يأذن له، ومع هذا إذا استأذن، وأذن له بشرطيه، أمر الله رسوله أن يستغفر له، لما عسى أن يكون مقصراً في الاستئذان، ولهذا قال: ﴿ واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم ﴾ يغفر لهم الذنوب ويرحمهم، بأن جوز لهم الاستئذان مع العذر.

﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾ أي: لا تجعلوا دعاء الرسول إياكم ودعائكم للرسول كدعاء بعضكم بعضاً، فإذا دعاكم فأجيبوه وجوباً، حتى إنه تجب إجابة الرسول ﷺ في حال الصلاة، وليس أحد إذا قال قولاً يجب على الأمة قبول قبوليه والبعيميل بيه، إلا البرسبول، لعصمته، وكوننا مخاطبين باتباعه، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجْبِبُوا للهُ وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم وكذلك لا تجعلوا دعاءكم للرسول كدعاء بعضكم بعضاً، فلا تقولوا: "يا محمد» عند ندائكم، أو «يا محمد بن عبد الله ، كما يقول ذلك بعضكم لبعض، بل من شرفه وفضله وتميزه على عن غيره، أن يقال: يا رسول الله، يا نبى الله.

﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً ﴾ لما مدح المؤمنين بالله ورسوله، الذين إذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه، توعد من لم

وَأَتَّخِيذُواْ مِن دُو نِهِ يَهِ مَا لَهَةً لَّا يَخْلُقُونِ كَ شَيْعًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَعْلَاكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلا تَلكُونَ مَوْتًا وَلاحَيْوَةُ وَلانْشُورًا ۞ وَقَالُ ٱلَّذِيكَ كَفَرُوا إِنَّ هَا فَاللَّا إِنْكُ أَفْتَرَيْكُ وَأَعَالُهُ عَلَيْهِ قَوْمُ ءَاحَدُونَ فَقَدْ كَأَوْظُلُما وَدُودًا ۞ وَقَالُواْ أَسْطِمُ ٱلْأُوَّلِينِ ۗ أَحْتَنَيَّهَا فَهِي تُمْإِرَ عَلَيْهِ بُحْثَرَةً وَأَصِيلًا ۞ قُلَّ أَنزَلُهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلمِّيدَ فِ ٱلسَّمَا وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا رَّجِيمًا ن وَقَالُواْ مَالِ هَلَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَتْشِي فِي ٱلْأَمْتُوافُ لَوْ لَا أَمْدُلَ إِلَيْهِ مَلَكُ فَيَكُونَ مَعَكُمْ يَذِيرًا ۞ أَوْيُكُونَا إِلَيْهِ كَنْزُأُوْتِكُونُ لَدُجَنَةً يُأْكُولُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّلِامُونِ إِن تَتَيِّعُونِ إِلَّارَجُ لَا مَسْحُورًا ۞ انظن كيف ضمَعُ الكَ الْأَمْنَالَ فَضَالُواْ فَلَا تَسْتَطَلُّهُونَ سَبِيلًا ۞ تَبَارَكُ ٱلَّذِي إِن شَاآة جَعَلَ لَكَ خَزُاتِن ذَاكَ جَنَّتِ تَحْدِي مِن تَحْنِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ۞ بَلْ أُمْ كَذَبُواْ بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَالِنَ كَنْبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۞ TO NOTE TO LOS TO LOS

يفعل ذلك وذهب من غير استئذان، فهو وإن خفي عليكم بذهابه على وجه خفي، وهو المراد بقوله: ﴿يتسللون منكم لواذاً﴾ أي: يلوذون وقت تسللهم وانطلاقهم بشيء يحجبهم عن العيون، فالله يعلمهم، وسيجازيهم على ذلك أتم الجزاء، ولهذا توعدهم بقوله: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمر الله ورسوله، فكيف بمن لم يذهب إلى شأن من شؤونه؟!! وإنما يذهب إلى شأن من شؤونه؟!! وإنما ترك أمر الله من دون شغل له.

﴿ أَنْ تصيبهم فَتَنَّة ﴾ أي: شرك وشر ﴿ أو يصيبهم عذاب اليم ﴾ .

والا إن له مأ في السماوات والأرض ملكاً وعبداً، يتصرف فيهم بحكمه القدري، وحكمه الشرعي. وقد ما أنتم عليه أي: قد أحاط علمه بما أنتم عليه ، من خير وشر، وعلم جميع أعمالكم، أحصاها علمه، وجرى بها قلمه، وكتبتها عليكم الحفظة الكرام الكاتبون.

﴿ويـوم يـرجعون إليه ﴾ في يـوم القيامة ﴿فينبتهم بما عملوا ﴾ يجبرهم بجميع أعمالهم، دقيقها وجليلها، إخباراً مطابقاً لما وقع منهم، ويستشهد عليهم أعضاءهم، فلا يعدمون منه فضلاً أو عدلاً.

ولما قيد علمه بأعمالهم، ذكر العموم بعد الخصوص، فقال: ﴿والله بكل شيء عليم﴾

## تفسير سورة الفرقان وهي مكية عند الجمهور

﴿١ - ٢﴾ ﴿ ـ - م الله الرحمين الرحيم تبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً \* الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدأ ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدّره تقديراً ﴾ هذا بيان لعظمته الكَّامِلة، وتفرده [بالوحدانية](١) من كل وجه، وكثرة خيراته وإحسانه، فقال: ﴿تبارك أي: تعاظم، وكملت أوصافه، وكثرت خيراته، الذي من أعظم خيراته ونعمه، أن نزل هذا القرآن الفارق بين الحلال والحرام، والهدى والضلال، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، ﴿على عبده ﴾ محمد ﷺ الذي كمل مراتب العبودية ، وفاق جميع المرسلين، ﴿ليكون﴾ ذلك الإنزال للفرقان على عبده ﴿للعالمِن نَدْيِراً﴾ ينذرهم بأس الله ونقمه، ويبين لهم مواقع رضا الله من سخطه، حتى إن من قبل نذارته وعمل بها، كان من الناجين في الدنيا والآخرة، الذين حصلت لهم السعادة الأبدية، والملك السرمدي، فهل فوق هذه النعمة وهذا الفضل والإحسان شيء؟ فتبارك الذي هذا من بعض إحسانه وبركاته.

﴿الذي له ملك السماوات والأرض﴾ أي: له التصرف فيها وحده، وجميع من فيها عاليك وعبيد له، مذعنون لعظمته، خاضعون لبربوبيته، فقراء إلى رحمته، الذي ﴿لم يكن له شريك في الملك﴾ وكيف يكون له ولد أو شريك، وهو المالك، وغيره مملوك، وهو القاهر، وغيره مقهور، وهو والمخلوقون مفتقون إليه، فقراً ذاتياً

من جميع الوجوه؟!!

وكيف يكون له شريك في الملك، ونواصى العباد كلهم بيديه، فلا بتحركون أو يسكنون، ولا يتصرفون إلا بإذنه، فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فلم يقدره حق قدره من قال فيه ذلك، ولهذا قال: ﴿وخلق كل شيء﴾ شمل العالم العلوي، والعالم السفلي، من حيواناته، ونباتاته، وجاداته، ﴿ فقدره تقديراً ﴾ أي: أعطى كل مخلوق منها ما يليق به، ويناسبه من الخلق، وما تقتضه حكمته من ذلك، بحيث صاركل مخلوق لا يتصور العقل الصحيح أن يكون بخلاف شكله وصورته الشاهدة، بل كل جزء وعضو من المخلوق الواحد، لا يناسبه غير عله الذي هو فيه. قال تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى ﴿ والذي قدر فهدي ﴿ وقال تعالى: ﴿ ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدي الله ولما بين كماله وعظمته، وكثرة إحسانه، كان ذلك مقتضياً لأن يكون وحده المحبوب المألوه المعظم، المفسرد بالإخلاص وحده، لا شريك له ناسب أن يذكر

بطلان عبادة ما سواه، فقال:
﴿٣﴾ ﴿واتخذوا من دونه آلهة
لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا
يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا
يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً﴾.

أي: من أعجب العجائب، وأدل الدليل على سفههم، ونقص عقولهم، بل أدل على ظلمهم وجراءتهم على ربهم، أن اتخذوا آلهة بهذه الصفة، في كمال العجز، أنها لا تقدر على خلق شيء، بل هم مخلوقون، بل بعضهم مما عملته أيديهم. ﴿ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ﴾ أي: لا قليلاً ولا كثيراً، لأنه نكرة في سياق النفي.

ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ﴾ أي: بعثاً بعد الموت، فأعظم أحكام العقل بطلان إلهيتها، وفسادها وفساد عقل من اتخذها آلهة وشركاء

٥٥ يُولِوَ الْمُؤْمِّنَاتِ } إِذَا رَأَتُهُ مِنَ مَّكَانِ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَمَا تَغَيُّظًا وَزَفِيزًا ۞ وَإِذَآ ٱلۡقُواۡمِنَهَامَكَانَاضَيَقَامُقَرَّنِينَ دَعَوَاٰهُنَاكِ ثُبُولًا ﴿ لَانَتَعُوا الَّهُ مَ بُنُورًا وَحِما وَادْعُوا أَبُورًا كَثِيرًا ۞ قُرُّ أَذَٰلِكَ خَـٰرُأَمْ جَنَـُهُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُنْقُوبُ كَانَتْ هَمُهُ حِنَزَةً وَمَصِيرًا ۞ لَمُمُ فِيهَا مَا يَشَكَآءُ ونَ خَلِلِينَّ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدَامَّتْ فُولًا ۞ وَيَوْمَ يَحَشُّرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونِ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَعُولُ وَآلَتُمُ أَضْلَلْتُمُ عِبَادِي مَنْوَلاَهِ أَمْهُمُ مُسَلُّوا ٱلسَّكِيلَ ۞ قَالُوا شُبْحَلَنَكَ مَا كَاتَ يَنْبَغِى لَنَآأَنْ نَتَخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَكِن مَتَّعَتَّاهُمُ وَءَالِيآءَ هُرْحَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرُوكِكَانُواْ فَوَمَّا بُورًا ۞ فَقَدُكَذَبُوكُم بِمَا تَتَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرَفَنَا وَلَانَصَرُا وَمَن يَظْلِر مِنكُمْ نُدُقُّهُ عَذَابُ اكَيِرًا @ وَمَا أَرْسَلْنَا فَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسِكِلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَارَ وَيَتَشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقُ وَجَعَلْنَا إِنَّمْ بَعْضَكُمْ لِبَعْضِ فِنْتَةً أَتَصْبِرُوتُ وَكَابَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۞

وهي الرجوع عن معاصيه والتوبة منها. ﴿رحيماً ﴾ بهم، حيث لم يعاجلهم بالعقوبة، وقد فعلوا مقتضاها، وحيث قبل توبتهم بعد المعاصى، وحيث محاما سلف من سيناتهم، وحيث قبل حسناتهم، وحيث أعاد الراجع إليه بعد شروده، والمقبل عليه بعد إعراضه، إلى حالة المطيعين المنيبين إليه.

ON THE STATE OF

﴿٧ \_ ١٤﴾ ﴿وقالوا ما لِهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً \* أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً \* انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً \* تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً \* بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيراً \* إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً \* وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرّنين دعوا هنالك ثبوراً \* لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً \* هذا من مقالة المكذبين للرسول، التي قدحوا بها في رسالته، وهو أنهم اعترضوا بأنه: هلا كان مَلَكاً أو مَلِكاً، أو يساعده مَلَك، فقالوا: ﴿ما لهذا الرسول ﴾ أي: ما لهذا الذي ادعى الرسالة؟ تهكماً منهم ومنها: إخبارهم عن هذا القرآن ـ الذي هو أصدق الكلام وأعظمه وأجله \_بأنه كذب وافتراء.

ومنها: أن في ضمن ذلك، أنهم قادرون أن يأتوا بمثله، وأن يضاهي المخلوق الناقص من كل وجه، للخالق الكامل من كل وجه، بصفة من صفاته، وهي الكلام.

ومنها: أن الرسول قد علمت حالته، وهم أشد الناس علماً بها، أنه لا يكتب، ولا يجتمع بمن يكتب له، وهم قد زعموا ذلك.

فلذلك رد عليهم ذلك بقوله: ﴿قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض﴾ أي: أنزله من أحاط علمه بما في السماوات وما في الأرض، من الغيب والشهادة، والجهر والسر، كقوله: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين \* نزل به الروح الأمين \*على قلبك لتكون من المنذرين، .

ووجه إقامة الحجة عليهم، أن الذي أنزله، هو المحيط علمه بكل شيء، فيستحيل ويمتنع أن يقول مخلوق ويتقول عليه هذا القرآن، ويقول: هو من عند الله، وما هو من عنده، ويستحل دماء من خالفه وأموالهم، ويزعم أن الله قال له ذلك، والله يعلم كل شيء، ومع ذلك فهو يؤيده وينصره على أعدائه، ويمكنه من رقابهم وبلادهم، فلا يمكن أحداً أن ينكر هذا القرآن، إلا بعد إنكار علم الله، وهذا لا تقول به طائفة من بني آدم، سوى الفلاسفة الدهرية.

وأيضاً ، فإن ذكر علمه تعالى العام ، ينبههم ويحضهم على تدبر القرآن، وأنهم لو تدبروا، لرأوا فيه من علمه وأحكامه، ما يدل دلالة قاطعة على أنه لا يكون إلا من عالم الغيب والشهادة، ومع إنكارهم للتوحيد والرسالة من لطفُّ الله بهم، أنه لم يَدَعْهُم وظلمهم، بل دعاهم إلى التوبة والإنابة إليه، ووعدهم بالمغفرة والرحمة، إن هم تابوا ورجعوا، فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً﴾ أي: وصفه المغفرة، لأهل الجرائم والذنوب، إذا فعلوا أسباب المغفرة،

للخالق لسائر المخلوقات، من غير مشارك له في ذلك، الذي بيديه النفع والضر، والعطاء والمنع، الذي يحيي ويميت، ويبعث من في القبور، ويجمعهم ليوم النشور، وقد جعل لهم دارين، دار الشقاء والخزي والنكال، لمن اتخذ معه آلهة أخرى، ودار الفوز والسعادة والنعيم المقيم، لمن اتخذه وحده معبوداً.

ولما قرر بالدليل القاطع الواضح صحة التوحيد وبطلان ضده، قرر صحة الرسالة، وبطلان قول من عارضها واعترضها، فقال:

﴿٤ \_ ٦ ﴾ ﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤوا ظلماً وزوراً \* وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرة وأصيلاً \* قل أنزله آلذي يعلم السرّ في السماوات والأرض إنّه كان غفوراً رحيماً ﴾.

أي: وقال الكافرون بالله، الذي أوجب لهم كفرهم، أن قالوا في القرآن والرسول: إن هذا القرآن كذب، كذبه محمد، وإفك افتراه على الله، وأعانه على ذلك قوم آخرون.

فرد الله عليهم ذلك، بأن هذا مكابرة منهم، وأقدام على الظلم والزور، الذي لا يمكن أن يدخل عقل أحد، وهم أشد الناس معرفة بحالة الرسول ﷺ، وكمال صدقه، وأمانته، وبره التام، وأنه لا يمكنه، لا همو ولا سبائس الخلق أن يبأتموا بهذا القرآن، الذي هو أجل الكلام وأعلاه، وأنه لم يجتمع بأحد يعينه على ذُلك، فقد جاؤوا بهذا القول ظلماً وزوراً.

ومن جملة أقاويلهم فيه، أن قالوا: هذا الذي جاء به محمد ﴿أساطير الأولين اكتتبها ﴾ أي: هذا قصص الأولين وأساطيرهم، التي تتلقاها الأفواه، وينقلها كل أحد، استنسخها محمد ﴿فهي تملي عليه بكرة وأصيلاً﴾ وهذا القول منهم فيه عدة عظائم:

منها: رميهم الرسول الذي هو أبر الناس وأصدقهم بالكذب، والجرأة العظيمة .

مسحوراً.

٥٥ كنوالفيان المنظان المنظان

﴿فضلوا فلا يستطيعون سبيلا﴾ قالوا أقوالاً متناقضة، كلها جهل وضلال وسفه، ليس في شيء منها هداية، بل ولا في شيء منها أدني شبهة تقدح في الرسالة، فبمجرد النظر إليها وتصورها، يجزم العاقل ببطلانها، ويكفيه عن ردها، ولهذا أمر تعالى بالنظر إليها وتدبرها، والنظر: هل توجب التوقف عن الجزم للرسول بالرسالة والصدق؟ ولهذا أخبر أنه قادر على أن يعطيك خيراً كثيراً في الدنا فقال: ﴿ تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾ أي: خيراً عما قالوا، ثم فسره بقوله: ﴿جِناتِ تجري مِن تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً ﴾ مرتفعة مزخرفة، فقدرته ومشبئته، لا تقصر عن ذلك، ولكنه تعالى ـ لما كانت الدنيا عنده في غاية البعد والحقارة \_ أعطى منها أولياءه ورسله، ما اقتضته حكمته منها، واقتراح أعدائهم بأنهم، هلا رزقوا منها رزقاً كثيراً جداً، ظلم و جراءة .

> الأسواق﴾. ﴿ لولا أنزل إليه ملك﴾ أي: هلا معلومة الفساد، أخب أنزل معه ملك يساعده ويعاونه، تصدر منهم لطلب الح ﴿ فيكون معه نذيراً ﴾ وبزعمهم أنه غير البرهان، وإنما صدر كاف للرسالة، ولا بطوقه وقدرته القيام وظلماً، وتكذيباً بالح بها.

﴿أو يسلقى إليه كننز﴾ أي: مال محموع من غير تعب، ﴿أو تكون له جنة يأكل منها﴾ فيستغني بذلك عن مشيه في الأسواق لطلب الرزق.

• وَ مَا لَا أَذِهِ لَا حُدِرِ لِمَا يَعَالُولُوا أَذِلَ عَلَى ٱلْلَكِكُةُ

أَوْنَدَىٰ رَبَّنا لَقَدِ اَسْتَكُمْرُولِ فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْعُتُوا كَبِيرًا

﴿ يَنْ مَيْرُونَ ٱلْمُلَتِكُهُ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَهِ ذِلْكُمْ مِينَ وَيَقُولُونَ

جِمْزَاتِحْجُورًا ۞ وَقَدِمْنَآ إِلَى مَاعَكِلُوا مِنْ عَمَل فَعَمَلْنَهُ

هَيَآهُ مَّنْهُولًا ۞ أَصَّابُ الْجُنَّةِ يَوْمَهِ ذِحَنِيرٌ مُسْتَقَدَّلُ

وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۞ وَيَوْعَ لَشَكَّقُ ٱلسَّمَآ عُ إِلْغَمَلِمِ وَنُزِّلَ

ٱلْكَتِيكُةُ نَهْزِيلًا ۞ ٱلْكُلُّ يَوْمَهِ ذِٱلْحَوُّ لِلرَّحَنَّ وَكَالَ يَوْمًا

عَلَى ٱلْكَفِينَ عَيِيرًا ۞ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِرُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ

كَلَّتَهُ ، اتَّخَذْتُ مَمَ الرَّسُولِ سَيِيلًا ۞ يَوَيْلَيَّ إِلَّهُ إِنَّا أَغِّذْ

فُلاَنَا خَلِيلًا ۞ لَقَدُ أَضَلِّنِ عَنِ ٱلذِّكْرِيَعَ لَهِ أَذَكَ أَنَّ فَي

وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولًا ۞ وَقَالَ ٱلرَّمُولِيَرَيِّ

إِنَّ فَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَلَذَا ٱلْقُرْوَاتِ مَهْجُورًا ۞ وَكَذَلِكَ

جَعَلْنَا لِكُلِّنِي عَدُوَّا مِنَ الْجُرِمِيثُ وَكَفَرَرَتِكَ هَادِيًا

وَيَصِيرًا ۞ وَقَالَ ٱلَّذِيكَ كَثَرُواْ لَوْلَا أَزَلَ عَلَيْهِ الْحُرَّةِ الْمُعْمَلَةُ

وَحِدَّةً كَذَالِكَ لِنُنَيِّتَ بِهِ مُؤَادَكِ وَرَثَكُنَهُ رَبْعِ لَا ﴿

TO SOUTH PROPERTY

واستهزاء. ﴿ يأكل الطعام ﴾ وهدا من

خصائص البشر، فهلا كان مَلَكاً

لا يأكل الطعام، ولا يحتاج إلى ما يحتاج

إليه البشر، ﴿ ويمشي نَّي الأسواقَ ﴾

للبيع والشراء، وهذا "\_بزعمهم \_لا

يليق بمن يكون رسولاً، مع أن الله

قال: ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين

إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في

مسيه في الاستواق لطعب الروق.

وقال الظالون حملهم على
القول، ظلمهم لا اشتباه منهم، وإن
علموا كمال عقله، وحسن حديثه،
وسلامته من جميع المطاعن. ولما كانت
هذه الأقوال منهم، عجيبة جداً، قال
تعالى: وانظر كيف ضربوا لك
الأمثال وهي: أنه هلا كان مَلكاً،
وزالت عنه خصائص البشر؟ أو معه
ملك، لأنه غير قادر على ما قال، أو
أزل عليه كنز، أو جعلت له جنة تغنيه
عن المشى في الأسواق، أو أنه كان

ولما كانت تلك الأقوال التي قالوها معلومة الفساد، أخبر تعالى أنها لم تصدر منهم لطلب الحق، ولا لاتباع البرهان، وإنما صدرت منهم تعنتاً وظلماً، وتكذيباً بالحق، فقالوا ما بقلوبهم من ذلك، ولهذا قال: ﴿بل كذبوا بالساعة ﴾ والمكذب المتعنت، الذي ليس له قصد في اتباع الحق، لا سبيل إلى هدايته، ولا حيلة في مجادلته، وإنما له حيلة واحدة، وهي نرول العداب به، فعلمدا قال: ﴿وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً ﴾ أي: ناراً عظيمة، قد اشتد سعيرها، وتغيظت على أهلها، واشتد زفيرها. ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد ﴾ أي: قبل وصولهم ووصولها إليهم، ﴿سمعوا لها تغيظاً﴾ عليهم ﴿وزفيراً﴾ تقلق منه الأفئدة، وتتصدع القلوب، ويكاد الواحد منهم يموت خوفاً منها وذعراً، قد غضبت عليهم لغضب خالقها، وقد

دا عسبت عبيهم بعصب حامها ، وند زاد لهبها لزيادة كفرهم وشرهم . ﴿ وَإِذَا أَلْقُوا مِنْهَا مِكَانًا صِيقًا

مقرنين أي: عذابهم، وهم في وسطها، جمع في مكان بين ضيق المكان، وتزاحم السكان، وتقرينهم بالسلاسل والأغلال، فإذا وصلوا لذلك المكان النحس، وحبسوا في أشر حبس (دعوا هنالك ثبوراً) دعوا على أنفسهم بالثبور والخزي والفضيحة، وعلموا أنهم ظالمون معتدون، قد عدل فيهم الخالق، حيث أنزلهم بأعمالهم هذا المنزل، وليس ذلك الدعاء والاستغاثة بنافعة لهم، ولا مغنية من عذاب الله، بل يقال لهم: ﴿لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً وي الوادم والخم والخرا.

لما بين جنزاء الظالمين، ناسب أن يذكر جزاء المتقين فقال:

﴿ ١٥ \_ ١٦ ﴾ ﴿ قبل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيراً \* لهم فيها ما يشاؤون خال دين كان على ربك وعداً مسؤولاً ﴾ .

أي: قل لهم \_ مبيناً لسفاهة رأيهم، واختيارهم الضار على النافع \_: ﴿ أَذَلَكُ ﴾ الذي وصفت لكم من العذاب ﴿ خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون ﴾ التي زادها تقوى الله، فمن قام بالتقوى، فالله قد وعده إياها، ﴿ كَانْتُ لَهُمْ جَزَاء ﴾ على تقواهم ﴿ ووصصيراً ﴾ موثلاً يرجعون إليها، ويخلدون دائماً أبداً.

ولهم فيها ما يشاؤون أي: يطلبون، وتتعلق بهم أمانيهم ومشيئتهم، من المطاعم، والمشارب اللذيدة، والملابس الفاخرة، والنساء الجميلات، والحدائق المرجحنة، والفواكه التي تسر ناظريها وآكليها، من والأنهار التي تجري في رياض الجنة وبساتينها، حيث شاؤوا يصرفونها، ويفجرونها أنهاراً من لبن لم يتغير طعمه، وأنهاراً من خر لذة للشاربين، وأنهاراً من مصفى، وروائح طيبة، ومساكن عسل مصفى، وروائح طيبة، ومساكن

مزخرفة، وأصوات شجية، تأخذ من حسنها بالقلوب، ومزاورة الإخوان، والتمتع بلقاء الأحباب، وأعلى من ذلك كله، التمتع بالنظر إلى وجه الرب الرحيم، وسماع كلامه، والحظوة بقربه، والسعادة برضاه، والأمن من سخطه، واستمرار هذا النعيم ودوامه، وزيادته على ممر الأوقات، وتعاقب الآنات ﴿كَانَ﴾ دخولها والوصول إليها ﴿على ربك وعداً مسؤولاً بسأله إياها، عباده المتقون بلسان حالهم، ولسان مقالهم، فأي: الدارين المذكورتين خير وأولى بالإيثار؟ وأي: العاملين، عمال دار الشقاء، أو عمال دار السعادة، أولى بالفضل والعقل والفخر، يا أولى الألباب؟

لقد وضح الحق، واستنار السبيل، فلم يبق للمفرط عذر في تركه الدليل، فنرجوك يا من قضيت على أقوام بالشعادة، أن تجعلنا من كتبت لهم الحسنى وزيادة، ونستغيث بك اللهم من حالة الأشقياء، ونسألك المعافاة منها.

﴿١٧ ــ ٢٠﴾ ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلواً السبيل \* قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكنُّ متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً \* فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفأ ولانصرأ ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً \* وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً ﴾ يخبر تعالى عن حالة المشركين وشركائهم يوم القيامة، وتبريهم منهم، وبطلان سعيهم، فقال: ﴿ ويوم يحشرهم ﴾ أي: المكذبين المشركين ﴿ وما يعبدون من دون الله فيقول﴾ الله مخاطباً للمعبودين على وجه التقريع لمن عبدهم: ﴿أَأَنْتُمُ أضللتم عبآدي هؤلاء أم هم ضلواً

السبيل ، هل أمرتموهم بعبادتكم ، وزينتم لهم ذلك ، أم ذلك من تلقاء أنفسهم ؟

﴿قالوا سبحانك ﴿ نزهوا الله عن شرك المشركين به، وبرؤوا أنفسهم من ذلك، ﴿ماكان ينبغى لنا﴾ أي: لا يليق بنا، ولا يحسن منا، أن نتخذ من دونيك من أولياء نستولاهم، ونعبدهم وندعوهم، فإذا كنا محتاجين ومفتقرين إلى عبادتك، متبرئين من عبادة غيرك، فكيف نأمر أحداً بعبادتنا؟ هذا لا يكون. أو، سبحانك عن ﴿أَن نتخذ من دونك من أولياء﴾ وهذا كقول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عَيْسَى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأميى إليهين من دون الله، قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب \* ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾ الآية .

وقال تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون \* قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ ﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين، فلما نزهوا أنفسهم، أن يدعوا لعبادة غير الله، أو يكونوا أضلوهم، ذكروا السبب الموجب لإضلال المشركين فقالوا: ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ في لذات الدنيا وشهواتها، ومطالبها النفسية، ﴿حتى نسوا الذكر﴾ اشتغالاً في لذات الدنيا، واكباباً على شهواتها، فحافظوا على دنياهم، وضيعوا دينهم ﴿ وكانوا قوماً بوراً ﴾ أي: باثرين لا خير فيهم، ولا يصلحون لصالح، لا يصلحون إلا للهلاك والبوآر، فذكروا المانع من اتباعهم الهدي، وهو التمتع في الدنيا، الذي صرفهم عن الهدى، وعدم المقتضى للهدى، وهو:

أنهم لا خير فيهم، فإذا عدم المقتضي، ووجد المانع، فيلا تبشاء من شر وهلاك، إلا وجدته فيهم، فلما تبرؤوا منهم، قال الله توبيخاً وتقريعاً للعابدين (۱): ﴿فقد كذبوكم بما تقولون إنهم أمروكم بعبادتهم، ورضوا فعلكم، وأنهم شفعاء لكم عند وصاروا من أكبر أعدائكم، فحق عليكم العذاب، ﴿فما تستطيعون عليكم العذاب، ﴿فما تستطيعون عبداء، أو غير ذلك، ﴿ولا نصراً لعجزكم، وعدم ناصركم. هذا حكم الضالين المقلدين الجاهلين، كما البيا، أسوأ حكم، وأشر مصير.

وأما المعاند منهم، الذي عرف الحق وصدف عنه، فقال في حقه: ﴿ومن يظلم منكم﴾ بترك الحق ظلماً وعناداً ﴿نَلْقَهُ عَذَاباً كَبِيراً﴾ لا يقادر قدره، ولا يبلغ أمره.

ثم قال تعالى جواباً لقول المكذبين: ﴿مَا لَهَذَا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق، ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) فما جعلناهم جسداً لا يَمأكلون الطعام، وما جعلناهم ملائكة، فلك فيهم أسوة. وأما الغني والفقر، فهو فتنة، وحكمة من الله تعالى، كما قال: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة الرسول فتنة للمرسل إليهم، واختبار للمطيعين من العاصين(٢)، والرسل فتناهم بدعوة الخلق، والغنى فتنة للفقير، والفقير فتنة للغني، وهكذا سائر أصناف الخلق في هذه الدار، دار الفتن والابتلاء والاختبار.

والقصد من تبلك الفتنة وأتصبرون فتقومون بما هو وظيفتكم اللازمة الراتبة، فيثيبكم مولاكم (٣)، أم لا تصبرون فتستحقون المعاقدة ؟

﴿وكان ربك بصيراً ﴾ يعلم أحوالكم، ويصطفي من يعلمه يصلح

<sup>(</sup>١) في ب: للمعاندين.

لرسالته، ويختصه بتفضيله، ويعلم أعمالكم فيجازيكم عليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

(17 - 77) ﴿ وقال الديسن لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا للاتكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعنوا عنواً كبيراً \* يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً \* وقدمنا إلى منثوراً ﴾ أي: قال المكذبون للرسول، المكذبون بوعد الله ووعيده، الذين ليس في قلوبهم خوف الوعيد، ولا رجاء لقاء الخالق.

﴿لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ﴿ أَنَ اللَّهُ أَي : هلا نزلت الملائكة ، تشهد لك بالرسالة ، وتؤيدك عليها ، أو تنزل رسلاً مستقلين ، أو نرى ربنا فيكلمنا ، ويقول : هذا رسولي فاتبعوه ؟ وهذا معارضة للرسول بما ليس بمعارض ، بل بالتكبر والعلو والعتو .

﴿لقد استكبروا في أنفسهم ﴿ حيث اقترحوا هذا الاقتراح، وتجرؤوا هذه الجرأة، فصن أنتم يا فقراء، ويما مساكين، حتى تطلبوا رؤية الله، وتزعموا أن الرسالة متوقف ثبوتها على ذلك؟ وأي: كبر أعظم من هذا؟.

وعتوا عتواً كبيراً أي: قسوا وصلبوا عن الحق قساوة عظيمة، فقلوبهم أشد من الأحجار، وأصلب من الحديد، لا تلين للحق، ولا تصغي للناصحين، فلذلك لم ينجع فيهم وعظ ولا تذكير، ولا اتبعوا الحق حين جاءهم النذير، بل قابلوا أصدق الخلق وأنصحهم، وآيات الله البينات، فأي: عتو أكبر من هذا العتو؟!! ولذلك، بطلت أعمالهم واضمحلت، وخسروا أشد الخسران، وحرموا غاية الحرمان.

﴿يوم يرون الملائكة ﴾ التي اقترحوا نزولها ﴿لا بشرى يومئذ للمجرمين ﴾ وذلك أنهم لا يرونها، مع استمرارهم على جرمهم وعنادهم، إلا لعقوبتهم، وحلول البأس بهم، فأول ذلك عند

الموت، إذا تنزلت عليهم الملائكة، قال الله تعالى: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون

أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون على الله عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون . في القبر، حين يأتيهم منكر ونكير، فيسألهم عن ربهم ونبيهم ودينهم، فلا يجيبون جواباً ينجيهم، فيحلون بهم النقمة، وتزول عنهم بهم الرحمة، ثم يوم القيامة، حين تسوقهم الملائكة إلى النار، شم يسلمونهم لخزنة جهنم، اللذين يتولون عذابهم، ويباشرون الذي طلبوه، إن استمروا على إجرامهم لا بد أن يروه ويلقوه، وحينئذ يتعوذون من الملائكة، ويفرون، ولكن لا مفر لهم.

﴿ ويقولون حجراً محجوراً ﴾ ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ .

﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل ﴾
أي: أعمالهم التي رجوا أن تكون خيراً
وتعبوا فيها، ﴿فجعلناه هباء منثوراً ﴾
أي: باطلاً مضمحلاً، قد خسروه
وحرموا أجره، وعوقبوا عليه، وذلك
لفقده الإيمان، وصدوره عن
مكذب لله ورسله، فالعمل الذي
يقبله الله، ما صدر عن المؤمن
المخلص، المصدق للرسل، المتبع لهم

و ٢٤﴾ ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً ﴾ أي: في ذلك اليوم الهائل، كثير البلابل ﴿ أصحاب الجنة ﴾ الذين آمنوا بالله، وعملوا صالحاً، واتقوا ربهم ﴿ خير مستقراً ﴾ أي: مستقرهم في الجنة، وراحتهم التي هي القيلولة، هو المستقر النافع، والراحة التامة، لا يشوبه كدر، بخلاف أصحاب النار، فإن جهنم ساءت مستقراً ومقيلاً وهذا من بناب استعمال أفعل

التفضيل، فيما ليس في الطرف الآخر

منه شيء، لأنه لا خير في مقيل أهل النار ومستقرهم، كقوله: ﴿الله خير أما يشركون﴾.

﴿ ٢٥ \_ ٢٩﴾ ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام ونزّل الملائكة تنزيلاً \* الملك يومئذ الحق للرحن وكان يومأعلى الكافرين عسيراً \* ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً \* يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً \* لقد أضلّني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً پخبر تعالى عن عظمة يوم القيامة، وما فيه من الشدة والكروب، ومزعجات القلوب فقال: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام، وذلك الغمام الذي ينزل الله فيه، ينزل من فوق السماوات، فتنفطر له السماوات وتشقق، وتنزل الملائكة كل سماء فيقفون صفاً صفاً، إما صفاً واحداً محيطاً بالخلائق، وإما كل سماء، يكونون صفاً، ثم السماء التي تليها صفاً، وهكذا.

القصد أن الملائكة \_ على كثرتهم وقوتهم \_ ينزلون محيطين بالخلق، مذعنين لأمر ربهم، لا يتكلم منهم أحد إلا بإذن من الله، فما ظنك بالآدمي الضعيف، خصوصاً الذي بارز مالكه بالعظائم، وأقدم على مساخطه، ثم قدم عليه بذنوب وخطايا لم يتب منها، فيحكم فيه الملك الحق بالحكم الذي لا يجور، ولا يظلم مثقال ذرة، ولهذا قال: ﴿وكان يوماً على الكافرين عسيراً لصعوبته الشديدة، وتعسر أموره عليه، بخلاف المؤمن، فإنه يسير عليه، خفيف الحمل.

﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً \* ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴾.

وقوله: ﴿الملك يومئذ﴾ أي: يوم القيامة ﴿الحق للرحمن﴾ لا يبقى لأحد من المخلوقين، مُلكٌ ولا صورة مُلكِ، كما كانوا في الدنيا، بل قد تساوت الملوك ورعاياهم، والأحرار والعبيد، والأشراف وغيرهم، ومما يرتاح له القلب، وتطمئن به النفس، وينشرح له

البصدر، أن أضاف الملك في يوم القيامة لاسمه ﴿الرحن﴾ الذي وسعت رحمته كل شيء، وعمت كل حي، وملأت الكائنات، وعمرت بها الدّنيا والآخرة، وتم بها كل ناقص، وزال بها كل نقص، وغلبت الأسماء الدالة عليه الأسماء الدالة على الغضب، وسبقت رحمته غضبه وغلبته، فلها السبق والغلبة، وخلق هذا الآدمي الضعيف وشرَّفه وكرَّمه، ليتم عليه نعمته، وليتغمده برحمته، وقد حضروا في موقف الذل والخضوع والاستكانة بين يديه، ينتظرون ما يحكم فيهم، وما يجري عليهم، وهو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم، فما ظنك بما يعاملهم به، ولا يهلك على الله إلا هالك، ولا يخرج من رحمته إلا من غلبت عليه الشقاوة، وحقت عليه كلمة العذاب.

﴿ويوم يعض الظالم بشركه وكفره، وتكذيبه للرسل ﴿على يديه﴾ تأسفاً، وتحسراً، وحزناً، وأسفاً. ﴿ يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً أي: طريقاً بالإيمان به، وتصديقه واتباعه.

﴿يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً﴾ وهو الشيطان الإنسي أو الجني، ﴿خليلا﴾ أى: حبيباً مصافياً، عاديت أنصح الناس لي، وأبرهم بي، وأرفقهم بي، وواليت أعدى عدو لي، الذي لم تفدني ولايته، إلا الشقاء والخسار والخزي والبوار . ﴿لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءن، حيث زين له ما هو عليه من الضلّال، بخدعه وتسويله. ﴿وكان الشيطان للإنسان خذولاً پزين له الباطل، ويقبح له الحق، ويعده الأماني، ثم يتخلى عنه، ويتبرأ منه، كما قال لجميع أتباعه، حين قضى الأمر، وفرغ الله من حساب الخلق، ﴿وقال الشيطان لَما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كأن لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما

أشركتمون من قبل الآية. فلينظر العبد لنفسه وقت الإمكان، ولْيَتدارك الممكن قبل أن لا يمكن، ولْيُوالِ مَن ولايته فيها سعادته، ويعادي من تنفعه عداوته، وتضره صداقته. والله الموفق.

﴿ ٣١ ـ ٣١﴾ ﴿وقسال السرسسول يا رب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً \*\* وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفي بربّك هادياً ونصيراً ﴿ وقال الرسول ﴾ منادياً لربه، وشاكياً عليه إعراض قومه عما جاء به، ومتأسفاً على ذلك منهم: ﴿يا رب إن قبومي، الذين أرسلتني لهدايتهم وتبليغهم، ﴿ اتخذوا هذا القرآن مهجوراً أي: قد أعرضوا عنه، وهجروه، وتركوه، مع أن الواجب عليهم الانقياد لحكمه، والإقبال على أحكامه، والمشي خلفه، قال الله مسلياً لرسوله، وعُبراً، أن هؤلاء الخلق لهم سلف صنعوا كصنيعهم، فقال: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً من المجرمين﴾ أي: من الذين لا يصلحون للخير، ولا يزكون عليه، يعارضونهم ويردون عليهم، ويجادلونهم بالباطل.

من بعض فوائد ذلك، أن يعلو الحق على الباطل، وأن يتبين الحق، ويتضح اتضاحاً عظيماً، لأن معارضة الباطل للحق، مما تزيده وضوحاً وبياناً وكمال استدلال، وأن يتبين ما يفعل الله بأهل الحق من الكرامة، وبأهل الباطل من العقوبة، فلا تحزن عليهم، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات، ﴿وكفي بربك هادياً ﴾ يهديك، فيحصل لك المطلوب، ومصالح دينك ودنياك. ﴿ونصيراً ﴾ ينصرك على أعدائك، ويدفع عنك كل مكروه، في أمر الدين والدنيًّا، فاكْتَفِ به، وتوكل عليه.

﴿٣٢ \_ ٣٣﴾ ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً \* ولايأتونك بمثل إلاجئناك بالحق وأحسن تفسيرأكه هذا من جملة مقترحات الكفار، الذي توحيه إليهم

STATES OF THE ST الله وَلا يَأْفُونَكَ بَمْنَل إِلَّا حِشْنَكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۞ ٱلَّذِنَ يُعْمَدُ وَكَ عَلَى وُجُوهِ مِن اللَّهِ جَهُمُ أُولَتِكَ مَنَّ اللَّكَانَا وَأَمْسَلُ سَهِيلًا ۞ وَلَقَدْ مَا تَدْيَنَا مُوسَى ٱلْكِتَبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ وَلَغَاهُ هَلَرُونَ وَذِيرًا ۞ فَقُلْنَا أَذْهَبَآ إِلَ ٱلْقَوْدِ ٱلَّذِينَ كُذَّبُوا مِنَالِيِّنَا فَدَنَّوْنَاكُمْ تَدْمِيرًا ۞ وَقَسَوْمَ نُوجٍ لِمَّاكَذَّبُوا ٱلزُّسُلَ أَغْفَنَاهُمْ وَجَعَلَنَاهُمَ لِلنَّاسِ اَلِيَةً وَأَعْتَدُنَا لِلظَّلِلِمِينَ عَذَابًا أَلِيكُمَّا ۞ وَعَسَادَا وَتُعُومًا وَأَصْحَابَ الرِّين وَقُدُونَا بَيْنَ ذَلِكَ كَيْبِرَا ۞ وَكُلَّا صَرَيْنَ الْهُ ٱلْأَمْنَ لِرَّوْتُ لَكُوْتَ لَرْنَا لَشِيرًا ۞ وَلَقَدُ أَتَوْاً عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيَّ أَمْطِيَّةً مَطَرَ ٱلسَّوَّءِ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا أَ يَلْكَ الْوَالْكِيْرْجُونَ أَشُولًا ۞ وَإِذَا رَأُولُكَ إِن يَتَّفِذُونَكَ إِلَّاهُ زُوا أَهَالَنَا ٱلَّذِي بَعَثَ أَقَةَ رَسُولًا ۞ إن كَادَ لِيُضِلُّنَاعَنْ وَالِهَيِّنَا لَوْلَا أَنْ صَبَّرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْ لَمُونَجِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سِبِيلًا ۞ أَرْمَيْتَ مِن اتَّخَذَ إِلَاهَهُ مَوَلِهُ أَفَأَنت تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۞ TO LEGICA TO LEGICAL TO

أنفسهم، فقالوا: ﴿لولانزِّل عليه القرآن جملة واحدة ﴾ أي: كما أنزلت الكتب قبله، وأي: محذور من نزوله على هذا الوجه؟ بل نزوله على هذا الوجه أكمل وأحسن، ولهذا قال: ﴿كذلك﴾ أنزلناه متفرقاً ﴿لنثبت به فؤادك لأنه كلما نزل عليه شيء من القرآن، ازداد طمأنينة وثباتاً، وخصوصاً عند ورود أسباب القلق، فإن نزول القرآن عند حدوثه، يكون له موقع عظيم، وتثبيت كثير، أبلغ مما لو كان نازلاً قبل ذلك، ثم تذكره عند حلول سببه.

﴿ ورتلناه ترتيلاً ﴾ أي: مهلناه، ودرجناك فيه تدريجاً. وهذا كله يدل على اعتناء الله بكتابه القرآن، وبرسوله محمد ﷺ، حيث جعل إنزال كتابه جارياً على أحوال الرسول ومصالحه الدينية، ولهذا قال: ﴿ولا يأتونك ىمثل، يعارضون به الحق، ويدفعون به رسالتك، ﴿إلا جِئناكُ بالحق وأحسن تفسيراً﴾ أي: أنزلنا عليك قرآناً جامعاً للحق في معانيه، والوضوح والبيان التام في ألفاظه، فمعانيه كلها حق وصدق، لا يشوبها باطل ولا شبهة بوجه من الوجوه، وألفاظه وحدوده للأشياء أوضح ألفاظاً، وأحسن تفسيراً، مبين للمعانى بياناً كاملاً.

وفي هذه الآية، دليل على أنه ينبغي للمتكلم في العلم، من محدث،

SINGUISE TO SERECTE SELECTION الزَّغْسَ أَنَّ أَكْثَرُهُمْ مِنْ مَعُونَ أَوْيَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ أُ الَّاكَ الْأَمْدُ مَا أَضَلُّ سَبِيلًا ۞ أَلْوَتَ وَإِلَّا رَبِّكَ ۗ كَيْفَ مَدَّ الظِّلِّ وَلَوْشَآءَ لَجَعْلَهُ سَاكِنَا ثُرَّجَعَلْنَا الشِّمْسَ عَلَنهِ دَلِلًا ۞ ثُرَّ قِتَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَتَضُ الْسِيرَا ۞ وَهُوَالَّذِي جَعَلَ لَحَكُمُ الَّيْنَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَانًا وَجَعَلَ النَّهَ رَفْتُورًا ا وَهُوَ الَّذِي أَرْسِلَ الرِّيكَ بُشْرًا يَيْنَ يَدَى رُحْمَتُهُ وَأَرْلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَآهُ طَهُورًا ﴿ أَيُحْتِي بِهِ مِلْدَةً مَّيْتُ ا وَنُسْقِيهُ مِمَّا خَلَقَنَآ أَنْعَكُمُا وَأَنَّاسِيَّ كَيْرُونُ ۞ وَلَقَدْ صَرَّفَنَّهُ يَنْتُهُمْ لِنَدِّكَرُوا فَأَنِيَ أَكَثَرُ النَّاسِ إِلَّاكُ عُوْرًا ۞ وَلَوْشِنْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِ قَرْيَةِ نَذِيرًا ۞ فَلَا تُعْلِمِ ٱلْكَفْرِينَ وَجَهِدْهُم بِدِ.جِهَادَاكَيِبِرَا ۞ • وَهُوَالَّذِي مَرَّجَ ٱلْغَرِّينِ هَلَنَاعَذْبُ فُرَاتُ وَهَاذَا مِلْحُ أَجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُ مَا بَرْزَخَا وَجِنْرُا عَّجُورًا ۞ وَهُوَالَّذِي خَلَقَ مِنَ لَلَاء بَشَرٌ فِجُعَلَهُ مِنْسَبًا وَصِهُ لِمَّ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيدًا ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَالَايَنفَعُهُمْ وَلَايضُرُّهُمُّ وَكَالَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ عَلِيهِ إِنْ TO TO THE TANK OF THE PARTY OF

ومعلم، وواعظ، أن يقتدي بربه في تدبيره حال رسوله، كذلك العالم، يدبر أمر الخلق فكلما حدث موجب، أو حصل موسم، أتى بما يناسب ذلك من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والمواعظ الموافقة لذلك.

وفيه رد على المتكلفين، من الجهمية ونحوهم، عمن يرى أن كثيراً من نصوص القرآن محمولة على غير ظاهرها، ولها معان غير ما يفهم منها، فإذاً -على قولهم - لا يكون القرآن أحسن تفسيراً من غيره، وإنما التفسير الأحسن \_على زعمهم \_تفسيرهم الذي حرفوا له المعاني تحريفاً.

﴿٣٤﴾ ﴿السذيسن يحسسرون عملي وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانأ وأضل سبيلاً عن حال المشركين الذين كذبوا رسوله، وسوء مآلهم، وأنهم ﴿ يُحسِّرون على وجوههم﴾ أشنع مرأى، وأفظع منظر، تسحبهم ملاثكة العذاب ويجرونهم ﴿إلى جهنم الجامعة لكل عذاب وعقوبة . ﴿أُولِئك ﴾ الذين بهذه الحالة ﴿ شر مكاناً ﴾ بمن آمن بالله وصدق حسن مكانهم ومستقرهم، واهتدوا في أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم

الدنيا إلى الصراط المستقيم، وفي الآخرة إلى الوصول إلى جنات النعيم. ﴿٣٥ ـ ٤٠) ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً \* فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً \* وقوم نوح لما كتذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آبة وأعتدنا للظالين عذاباً أليما \* وعاداً وثمود وأصحاب الرَّس وقروناً بين ذلك كثيراً \* وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا \* ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشوراً أشار تعالى إلى هذه القصص، وقد بسطها في آيات أخر، لِيُحذُر المخاطبين من استمرارهم على تكذيب رسولهم، فيصيبهم ما أصاب هؤلاء الأمم الذين قريباً منهم،

ومنهم من يرون آثارهم عياناً، كِقُوم صالح في الحِجْر، وكالقرية التي أمطِرتُ مطر السُّوءَ، بحجارة من سجيل، يمرون عليهم مصبحين، وبالليل في أسفارهم، فإن أولئك الأمم ليسوآ شراً منهم، ورسلهم ليسوا خيراً من رسول هؤلاء ﴿أَكْفَارِكُمْ خَيْرٍ من أولئكم أم لكم براءة في الزبر) ولكن الذي منع هؤلاء من الإيمان \_ مع ما شاهدوا من الآيات \_ أنهم كانوا لاً يرجون بعثاً ولا نشوراً، فلا يرجون لقاء ربهم، ولا يخشون نكاله، فلذلك استمروا على عنادهم، وإلا فقد جاءهم من الآيات، ما لا يبقى معه شك ولا شبهة، ولا إشكال، ولا ارتياب.

ويعرفون قصصهم بما استفاض

واشتهر عنهم.

﴿ ٤١ ــ ٤٤ ﴾ ﴿ وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولاً \* إن كاد ليضلنا عن ألهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين رسله، ﴿وأَصْلُ سَبِيلاً ﴾ وهذا من باب يرون العذاب من أَصْلُ سَبِيلاً \* أَرأيت استعمال أفعل التفضيل، فيما ليس في من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه الطرف الآخر منه شيء، فإن المؤمنين وكيلاً \* أم تحسب أن أكثرهم يسمعون

أضل سبيلاً ﴿ أَي : وإذا رآك يا محمد، هـؤلاء المكـذبون لـك، المعاندون لآيات [الله](١)، المستكبرون في الأرض، استهزؤوا بك واحتقروك، وقالوا على وجه الاحتقار والاستصغار ..: ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً أي: غير مناسب ولا لائق، أن يبعث الله هذا الرجل، وهذا من شدة ظلمهم وعنادهم، وقلبهم الحقائق، فإن كلامهم هذا يفهم أن الرسول \_حاشاه \_في غاية الخسة والحقارة، وأنه لو كانت الرسالة لغيره، لكان أنسب.

﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، فهذا الكلام، لا يصدر إلا من أجهل الناس وأضلهم، أو من أعظمهم عناداً، وهو متجاهل، قصده ترويج ما معه من الباطل بالقدح بالحق وبمن جاء به، وإلا فمن تدبر أحوال محمد بن عبد الله ﷺ ، وجده رجل العالم وهمامهم، ومقدمهم في العقل، والعلم، واللب، والرزانة، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، والعفة، والشجاعة، والكرم، وكل خُلُق فاضل، وأن المحتقر له، والشانيء له، قد جمَّع من السفه والجهل، والضلال، والتناقض، والظلم، والعدوان، ما لا يجمعه غيره، وحسبه جهلاً وضلالاً، أن يمقدح بهذا الرسول العظيم، والهمام الكريم.

والقصد من قدحهم فيه واستهزائهم به، تصلَّبهُم على باطُّلهم، وغروراً لضعفاء العقول (٢)، ولهذا قالوا: ﴿إِن كاد﴾ هذا الرجل ﴿ليضلنا عن آلهتنا﴾ بأن يجعل الآلهة إلها واحداً ﴿ لولا أن صبرناعليها الأضلنا، زعموا ـ قبحهم الله \_ أن الضلال هو التوحيد، وأن الهدي ما هم عليه من الشرك، فلهذا تواصوا بالصبر عليه. ﴿وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم﴾.

وهنا قالوا: ﴿ لُولا أن صبرنا

عليها والصبر يحمد في المواضع كلها، إلا في هذا الموضع، فإنه صبر على أسباب الغضب، وعلى الاستكثار من حطب جهنم. وأما المؤمنون، فهم كما قال الله عنهم: ﴿وتواصوا بالحما منهم، بأنهم المهتدون والرسول ضال، وقد تقرر أنهم لا حيلة فيهم، توعدهم بالعذاب، وأخبر أنهم في ذلك الوقت بلعذاب، وأخبر أنهم في ذلك الوقت حقيقياً ﴿من وو أضل سبيلا وويم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا الآمات.

وهل فوق ضلال من جعل إلهه معبوده [هواه](۱)، فما هويه فعله، فلهذا قال: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ ألا تعجب من حاله، وتنظر ما هو فيه من الضلال؟ وهو يحكم لنفسه بالمنازل الرفعة؟

﴿أَفَأَنْتَ تَكُونَ عَلَيْهُ وَكِيلاً﴾ أي: لست عليه بمسيطر مسلط، بل إنما أنت منذر، وقد قمت بوظيفتك، وحسابه على الله.

ثم سجل تعالى على ضلالهم البليغ ، بأن سلبهم العقول والأسماع ، وشبههم في ضلالهم بالأنعام السائمة ، التي لا تسمع إلا دعاء ونداء ، صم بكم عمي فهم لا يعقلون ، بل هم أضل من الأنعام ، لأن الأنعام يهديها فتهتدي ، وتعرف طريق هلاكها فتجتنبه ، وهي أيضا أسلم عاقبة من هؤلاء ، فتبين بهذا ، أن الرامي للرسول بالضلال أحق بهذا الوصف ، وأن كل حيوان بهيم فهو أهدى منه .

وه ك ـ ٢٤ و ألم تـ ر إلى ربـك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً \* ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً وأي: ألم تشاهد ببصرك وبصيرتك، كمال قدرة ربك، وسعة رحمته، أنه مدَّ على العباد الظل، وذلك قبل طلوع الشمس (ثم جعلنا الشلسمس عليه) أي: على الطل

﴿ دليلا﴾ فلولا وجود الشمس، لما عرف الظل، فإن الضد يعرف بضده. ﴿ ثُمْ قَبضناه إلينا قبضاً يسيراً ﴾ فكلما ارتفعت الشمس، تقلص الظل شيئاً ، حتى يذهب بالكلية، فتوالي الظل والشمس على الخلق، الذي يشاهدونه عياناً ، وما يترتب على ذلك من اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما ، وحصول المصالح وعنايته بعباده، وأنه وحده المعبود وعنايته بعباده، وأنه وحده المعبود المحمود، المحبوب المعظم، ذو الجلال والإكرام.

﴿ ٤٧﴾ ﴿ وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً ﴾ أي: من رحمته بكم ولطفه، أن جعل الليل لكم بمنزلة اللباس الذي يغشاكم، حتى تستقروا فيه، وتهدؤوا بالنوم، وتسبت حركاتكم، أي: تقطع عند النوم، فلولا الليل، لم سكن العباد، ولا استمروا في تصرفهم، فضرهم ذلك غاية الضرر، ولو استمر أيضاً الظلام، لتعطلت عليهم معايشهم ومصالحهم، ولكنه جعل النهار نشوراً ينتشرون فيه، لتجاراتهم وأسفارهم وأعمالهم، فيقوم بذلك ما يقوم من المصالح.

﴿٤٨ ع • ٥﴾ ﴿وهمو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهوراً \* لنحيي به بلدة كثيراً \* ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفوراً ﴾ أي : هو وحده الذي رحم عباده، وأدرَّ عليهم رزقه، بأن أرسل الرياح مبشرات بين يدي رحمته، وهو : المطر، فشار بها والقحته، وأدرته بإذن آمرها والمتصرف فيها، ليقع استبشار العباد بالمطر قبل نزوله، وليستعدوا له قبل أن يفاجئهم دفعة واحدة.

﴿وأنزلنا من السماء ماء طهوراً ﴾

وَمَا أَرْسَلْنَكَ الْأَمْمَةُ وَمَدْسِرًا ۞ قُلْ مَا أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرِ إِلَّا مَن شَكَّاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ عَسَبِيلًا ﴿ وَقَوْتَكُلُّ عَلَى ٱلْمَى ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَيَسَبّح بِحَدِيدٌ وَكَفَّى بِهِ و بِذُنُوبِ عَادِه، خَيدًا ۞ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّكَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا يَنْهُمَا فِي سِنَّةِ أَيَّا مِرْثُرَ أَسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسَكُلَّ بدِ خِيرًا ۞ وَإِذَاقِيلَ لَمُنْدُ أَسْجُدُواْ لِلرَّحْيَنِ قَالُواْ وَمَا الرَّحَيْنُ أَنْشَجُهُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمَ نَفُولَا ۞ ﴿ نَبَارَكَ ٱلَّذِي جَمَلَ فِالنَّكَاِّهِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِهَا سِرَجًا وَكَمَرًا مُنِيرًا ۞ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَ ثُمِّ لِمَنْ أَزَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۞ وَعِهَادُ ٱلرَّحْنَنِ ٱلَّذِينَ يَتَشُوبَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنَا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَاهِلُونَ قَالُواْسَلَمَا ۞ وَٱلَّذِنَ يَبِتُوكِ إِرَّبِهِ مِعْجَدًا وَقِلْمًا ۞ وَٱلَّذِنَ يَقُولُونَ رَّبِّنَا أَصْرَفْ عَنَا عَذَابَ جَهَنَّمَرَّ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ عَنَوَامًا ۞ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَعَرًّا وَمُقَامًا ۞ وَٱلَّذِنَ إِنَّا أَهَعُواُ لَرَيْسَ فَوْا وَلَرْمَقْ ثُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۞ TO LOT OF THE PARTY OF THE PART

يطهر من الحدث والخبث، ويطهر من الغش والأدناس، وفيه بركة من بركته، أنه أنزله ليحيي به بلدة ميتاً، فتختلف أصناف النوابت والأشجار فيها، مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً أي: نسقيكموه، أنتم وأنعامكم، أليس الذي أرسل الرياح المبشرات، وجعلها متنوعات، وأنزل من السماء طهوراً مباركاً، فيه رزق العباد ورزق بهائمهم، هو الذي يستحق أن يعبد وحده، ولا يشرك معه غيره؟

ولما ذكر تعالى هذه الآيات العيانية المشاهدة، وصرفها للعباد ليعرفوه ويشكروه ويذكروه، مع ذلك أبى أكثر الخلق إلا كفوراً، لفساد أخلاقهم وطبائعهم.

﴿ ١٥ \_ ٢٠ ﴾ ﴿ ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً \* فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً > غير تعالى عن نفوذ مشيئته ، وأنه لو شاء لبعث في كل قرية نذيراً ، أي : رسولاً ينذرهم ويحذرهم ، فمشيئته غير قاصرة عن ذلك ، ولكن اقتضت حكمته ورحمته بك وبالعباد \_ يا محمد \_ أن أرسلك إلى جميعهم ، أحمرهم وأسودهم ، عربيهم وعجميهم ، إنسهم وجهنم ، ﴿ فلا تطع ولكافرين ﴾ في ترك شيء مما أرسلت الكافرين ﴾ في ترك شيء مما أرسلت

وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ أَلَّهِ إِلَهًا مَا خَرَوَ لَا يَفْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِيحَـرَّمَ اللَّهُ إِلَّا إِلْكُتِّقَ وَلَا يَرْنُونَ وَمَن يَفْعَلُ ذَالِكَ يَنْقَ أَثَامًا ۞ يُضَعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمِ ٱلْقِيكَمَةِ وَيَخَلُدُ فِيهِ عَمُهَاتًا ۞ إِلَّامَنَ تَابَ وَمَامَزَ وَجَمَلَ عَمَلًا صَلِحًا فَأُوْلَلَهِكَ يُبِدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٌ وَكَابَ ٱللَّهُ عَنَهُولَانَجِهِمًا ﴿ وَمَن تَابَ وَعَسَمِلَ صَلِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَنَابًا ۞ وَالَّذِي لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغُومَرُواْكِرَامًا ۞ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِعَايَتِ رَبِّهِمْ لَرَّيْخِ رُواْعَلِيَّهَا صُمَّا وَعُيْكَانًا ﴿ وَٱلَّذِيكَ يَقُولُونَ رَبَّنَاهَبْ لَنَامِنْ أَزْوَجِنَا وَذُرِّيَّكِيْنَا قُرَّةً أَعْيُرِ وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۞ أُوَلَيْكَ يُجَمَّوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَجِيَّةً وَسَلَمًا ۞ خَلِدِي فِيهَأَ حَسُنَتَ مُسْتَقِتًا وَمُقَامًا ۞ قُلْ مَايَعْبَوُأُبِكُمْ رَقِ لَوْلَا دُعَآ وَكُمْ مَفَقَدُكُذَ بَسُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۞ في المنطقة الم

A DE MODE III LA RELEGIO به، بل ابذل جهدك في تبليغ ما أرسلت به. ﴿وجاهدهم ﴿ بالقّرآن ﴿جهاداً كبيراً ﴾ أي: لا تبق من مجهودك في نصر الحق وقمع الباطل، إلا بذلته، ولو رأيت منهم من التكذيب والجراءة ما رأيت، فابذل جهدك، واستفرغ وسعك، ولاتيأس من هدايتهم، ولاتترك إبلاغهم لأهوائهم.

﴿٥٣﴾ ﴿وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخأ وحجرأ محجوراب أي: وهو وحده الذي مرج البحرين يلتقيان، البحر العذب، وهي الأنهار السارحة على وجه الأرض، والبحر الملح، وجعل منفعة كل واحد منهما مصلحة للعباد، ﴿ وجعل بينهما برزخاً ﴾ أي: حاجزاً يحجز من اختلاط أحدهما بنالآخر، فتذهب المنفعة المقصودة منهما ﴿وحجراً محجوراً ﴾ أي: حاجزاً حصيناً.

﴿٤٥﴾ ﴿وهو الذي خلق من الماء بشرأ فجعله نسبأ وصهرأ وكان ربك قديراً﴾ أي: وهو الله وحده لا شريك له، الذي خلق الآدمي، من ماء مهين، ثم نشر منه ذرية كثيرة، وجعلهم أنساباً وأصهاراً، متفرقين ومجتمعين، والمادة كلها من ذلك الماء المهين، فهذا يدل على كمال اقتداره، لقوله: ﴿وكان ربك قديراً ﴾ ويدل على أن عبادته هي

الحق، وعبادة غيره باطلة، لقوله: ﴿٥٥﴾ ﴿ويعبدون من دون الله

ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً أي: يعبدون أصناماً وأمواتاً، لا تضر ولا تنفع، ويجعلونها أندادأ لمالك النفع والضر والعطاء والمنع، مع أن الواجب عليهم، أن يكونوا مقتدين بإرشادات ربهم، ذابين عن دينه، ولكنهم عكسوا القضية.

﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً ﴾ فالباطل الذي هو الأوثان والأنداد، أعداء لله، فالكافر عاونها وظاهرها على ربها، وصار عدواً لربه، مبارزاً له في العداوة والحرب، هذا، وهو الذي خلقه ورزقه، وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة، وليس يخرج عن ملكه وسلطانه وقبضته، والله لم يقطع عنه إحسانه وبره، وهو \_بجهله \_ مستمر على هذه المعاداة والمبارزة .

﴿٥٦ ـ ٢٠﴾ ﴿وما أرسلناك إلاّ مبشراً ونذيراً \* قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه للمخلوقات، واطلاعه على ظاهرهم سبيلاً \* وتوكيل على الحي الذي وباطنهم، وعلوه فوق العرش، لا يموت وسبح بحمده وكفى به ومباينته إياهم . بذنوب عباده خبيراً \* الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً \* وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحن أنسجد لما تأمرنا وزادهنم نفوراً ﴾ يخبر مسيطراً على الخلق، ولا جعله ملكاً، ولا عنده خزائن الأشياء، وإنما أرسله ﴿مبشراً ﴾ يبشر من أطاع الله، بالثواب العاجل والأجل ﴿ونذيراً ﴾ ينذر من عصى الله، بالعقاب العاجل والآجل، وذلك مستلزم لتبيين ما به البشارة، وما تحصل به النذارة، من الأوامر والسواهي، وإنك يا محمد ي لا تسألهم على إبلاغهم القرآن والهدي أجراً، حتى يمنعهم ذلك من اتباعك، ويتكلفون من الغرامة. ﴿إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً أي: إلا من شاء، أن ينفق نفقة في مرضاة ربه

أجبركم عليه، وليس أيضاً أجراً لي عليكم، وإنما هو راجع لمصلحتكم، وسلوككم للسبيل الموصلة إلى ربكم، ثم أمره أن يتوكل عليه ويستعين به، فقال: ﴿وتوكل على الحي﴾ الذي له الحياة الكاملة المطلقة ﴿الذِّي لا يموت وسبح بحمده ﴾ أي: اعبده وتوكل عليه في الأمور المتعلقة بك والمتعلقة بالخلق. ﴿وكفى به بذنوب عباده خبيراً ﴾ يعلمها، ويجازي عليها، فأنت ليس عليك من هداهم شيء، وليس عليك حفظ أعمالهم، وإنما ذلك كله، بيد الله ﴿الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى، بعد ذلك ﴿على العرش﴾ الذي هو سقف المخلوقات، وأعلاها، وأوسعها، وأجملها. ﴿الرحن﴾ استوى على عرشه، اللذي وسع السماوات والأرض باسمه الرحمن، الذي وسعت رحمته كل شيء فاستوى على أوسع المخلوقات، بأوسع الصفات. فأثبت بهذه الآية، خلقه

﴿فاسأل به خبيراً ﴾ يعني بذلك نفسه الكريمة، فهو الذي يعلم أوصافه وعظمته وجلاله، وقد أخبركم بذلك، وأبان لكم من عظمته، ما تسعدون به من معرفته، فعرفه المعارفون، وخضعوا لجلاله، واستكبر عن عبادته الكافرون، واستنكفوا عن ذلك، ولهذا قال: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن اي: وحده، الذي أنعم عليكم بسائر النعم، ودفع عنكم جميع النقم. ﴿قالوا﴾ جحداً وكفراً: ﴿وما الرحمن بزعمهم الفاسد، أنهم لا يعرفون الرحمن، وجعلوا من جملة قوادحهم في الرسول، أن قالوا: ينهانا عن اتخاذ آلهة معَ الله، وهو يدعو معه إلْها أخر، يقول: «يارحمن» ونحو ذلك، كما قال تعالى: ﴿قُلِّ ادْعُوا اللهُ أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسني الأسماؤه تعالى وسبيله، فهذا وإن رغبتكم فيه، فلست كثيرة، لكثرة أوصافه، وتعدد كماله،

فكل واحد منها، دل على صفة كمال. ﴿أنسجد لما تأمرنا ﴾ أي: لمجرد أمرك إيانا. وهذا مبني منهم على التكذيب بالرسول، واستكبارهم عن طاعته، ﴿وزادهم ﴿ دعوتهم إلى السجود للرحن ﴿ نفوراً ﴾ هرباً من الحق إلى الباطل، وزيادة كفر وشقاء.

﴿ ٦٦ \_ ٦٢ ﴾ ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقُمراً منيراً \* وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً﴾ كرر تعالى في هذه السورة الكريمة قوله: ﴿تبارك﴾ ثلاث مرات، لأن معناها كما تقدم، أنها تدل على عظمة الباري، وكثرة أوصافه، وكثرة خيراته وإحسانه. وهذه السورة، فيها من الاستدلال على عظمته، وسعة سلطانه، ونفوذ مشيئته، وعموم علمه وقدرته، وإحاطة ملكه في الأحكام الأمرية والأحكام الجزائية وكمال حكمته. وفيها، مايدل على سعة رحمته، وواسع جوده، وكثرة خيراته، الدينية والدنيوية، ما هو مقتض لتكرار هذا الوصف الحسن، فقال: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً ﴾ وهي: النجوم عمومها، أو منازل الشمس والقمر التي تنزلها منزلة منزلة، وهي بمنزلة البروج والقلاع للمدن في حفظها، كذلك النجوم بمنزلة البروج المجعولة للحراسة، فإنها رجوم للشياطين.

﴿وجعل فيه سراجاً فيه النور والحرارة، وهو: الشمس. ﴿وقمراً منيراً فيه النور، لا الحرارة، وهذا من أدلة عظمته، وكثرة إحسانه، فإن ما فيها من الخلق الباهر، والتدبير المنتظم، والجمال العظيم، دال على عظمة خالقها في أوصافه كلها، وما فيها من المصالح للخلق والمنافع، دليل على كثرة خيراته.

﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خِلفةً﴾ أي: يذهب أحدهما، فيخلفه الآخر، هكذا أبداً، لا يجتمعان، ولا يرتفعان، ﴿لن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً﴾ أي: لمن أراد أن يتذكر بهما

ويعتبر، ويستدل سماعلي كثير من المطالب الإلهية، ويشكر الله على ذلك، ولمن أراد أن يذكر الله ويشكره، وله وردٌ من الليل أو النهار، فمن فاته ورْدُه من أحدهما، أدركه في الآخر، وأيضاً فإن القلوب تتقلب وتنتقل في ساعات الليل والنهار، فيحدث لهاً النشاط والكسل، والذكر والغفلة، والقبض والبسط، والإقبال والإعراض، فجعل الله الليل والنهار، يتوالي على العباد ويتكرران، ليحدث لهم الذكر والنشاط، والشكر لله في وقت آخر، ولأن أوراد العبادات، تتكرر بتكرر الليل والنهار، فكلما تكررت الأوقات، أحدث للعبد همة غير همته التي كسلت في الوقت المتقدم، فزاد في تذكرها وشكرها، فوظائف الطاعات بمنزلة سقى الإيمان الذي يمده، فلولا ذلك لذوى غرس الإيمان ويبس. فلله أتم حمد وأكمله

ثم ذكر من جملة كثرة خيره، منته على عباده الصالحين، وتوفيقهم للأعمال الصالحات، التي أكسبتهم المنازل العاليات، في غرف الجنات فقال:

على ذلك .

(77 - ٧٧) ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً \* والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً \* والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إنّ عذابها كان غراماً \* إنها ساءت مستقراً ومقاماً ﴾ إلى آخر السورة الكريمة.

العبودية لله نوعان: عبودية لربوبيته، فهذه يشترك فيها سائر الخلق، مسلمهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، فكلهم عبيد الله مربوبون مدبرون ﴿إِنْ كُلّ مِنْ فِي السماوات والأرض إلا آي الرحن عبداً ﴾ وعبودية لألوهيته، وعبادته، ورحمته، وهي عبودية أنبيائه، وأوليائه، وهي المراد هنا، ولهذا أضافها إلى اسمه «الرحن» إشارة إلى أنهم إنما وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته، فذكر أن صفاتهم أكمل الصفات، ونعوتهم أفضل

النعوت، فوصفهم بأنهم هيمشون على الأرض هـونا الأرض هـونا أي: ساكـنين متواضعين لله وللخلق، فهذا وصف لهم بالوقار، والسكينة، والتواضع لله ولعباده. هوإذا خاطبهم الجاهلون أي: خطاب جهل، بدليل إضافة الفعل، وإسناده لهذا الوصف، هقالوا سلاماً أي: خاطبوهم خطاباً يسلمون فيه من الإثم، ويسلمون من مقابلة المحلم الكثير، وهذا مدح لهم، بالحلم الكثير، ومقابلة المسيء بالإحسان، والعفو عن الجاهل، ووزانة العقل الذي أوصلهم إلى هذه والخال.

﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ أي: يكثرون من صلاة الليل، خلصين فيها لربهم، متذللين له، كما قال تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون \* فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾.

﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم أي: ادفعه عنا، بالعصمة من أسبابه، ومغفرة ما وقع منا، مما هو مقتض للعذاب. ﴿إِنَّ عَذَابِهَا كَانَ عَرَاماً ﴾ أي: ملازماً لأهلها، بمنزلة ملازمة الغريم لغريمه. ﴿إِنَّهَا سَاءت مستقراً ومقاماً ﴾ وهذا منهم، على وجه التضرع لربهم، وبيان شدة حاجتهم إليه، وأنهم ليس في طاقتهم احتمال هنذا العذاب، وليتذكروا مِنَّة الله عليهم، فإن صرف

الشدة، بحسب شدتها وفظاعتها،

يعظم وقعُها ويشتد الفرح بصرفها. 
والذين إذا أنفقوا النفقات الواجبة والمستحبة فل يسرفوا بأن يزيدوا على الحد، فيدخلوا في قسم التبذير، وإهمال الحقوق الواجبة، فولم يقتروا في فيدخلوا في باب البخل والشح وكان إنفاقهم فيين ذلك بين الإسراف والتقتير فقواما يبذلون في الواجبات من الركوات، والنفقات الواجبة، وفيما ينبغى، على الوجه الذي ينبغى، من

غير ضرر ولا ضرار، وهذا من عدلهم واقتصادهم.

﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ﴾ بل يعبدونه وحده، مخلصين له الدين، حنفاء، مقبلين عليه، معرضين عما سواه.

﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله وهي نفس المسلم، والكافر المعاهد، ﴿ إلا بالحق كقتل النفس بالنفس، وقتل الزاني المحصن، والكافر الذي يحل قتله. ﴿ ولا يزنون ﴾ بل يحفظون فروجهم ﴿ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ﴾ .

﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ أي: الشرك بالله، أو قتل النفس التي حرم الله بغير حق، أو الزنا، فسوف ﴿ يلق أثاماً ﴾ ثم فسره بقوله: ﴿ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه ﴾ أي: في العذاب كلها، ثابت لا شك فيه، وكذا لمن أشرك بالله، وكذلك الوعيد بالعذاب الشديد، على كل واحد من هذه الكاثة، لكونها إما شرك، وإما من أكبر الكناثر.

وأما خلود القاتل والزاني في العذاب، فإنه لا يتناوله الخلود، لأنه قد دلت النصوص القرآنية والسنة النبوية، أن جميع المؤمنين سيخرجون من النار، ولا يخلد فيها مؤمن، ولو فعل من المعاصي ما فعل، ونص تعالى على هذه الثلاثة، لأنها أكبر الكبائر: فالشرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان، والزنا فيه فساد الأبراض.

﴿ إِلا من تاب ﴾ عن هذه المعاصي وغيرها، بأن أقلع عنها في الحال، وندم على ما مضى له من فعلها، وعزم عزماً جازماً أن لا يعود، ﴿ وآمن ﴾ بالله إيماناً صحيحاً، يقتضي ترك المعاصي وفعل الطاعات، ﴿ وعمل عملاً صالحاً ﴾ مما أمر به الشارع، إذا قصد به وجه الله.

﴿ فِيأُولِ مِنْ لِيهِ اللهِ سيسًاتهم

حسنات أي: تتبدل أفعالهم وأقوالهم، التي كانت مستعدة لعمل السيئات، تتبدل حسنات، فيتبدل شركهم إيماناً، ومعصيتهم طاعة، وتتبدل نفس السيئات التي عملوها، ثم أحدثوا عن كل ذنب منها توبة وإنابة وطاعة تبدل حسنات، كما هو ظاهر الآية.

وورد في ذلك حديث الرجل الذي حاسبه الله ببعض ذنوبه، فعَدَّدها عليه، ثم أبدل مكان كل سيئة حسنة فقال: "يا رب، إن لي سيئات لا أراها هاهنا، والله أعلم.

﴿وكان الله غفوراً لله تاب، يغفر الذنوب العظيمة ﴿رحيماً ﴾ بعباده حيث دعاهم إلى التوبة بعد مبارزته بالعظائم، ثم وفقهم لها، ثم قبلها

وومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً » أي: فليَعلم أن توبته في غاية الكمال، لأنها رجوع إلى الطريق الموصل إلى الله، الذي هو عين سعادة العبد وفلاحه، فليُخلِص فيها، وليُحَلَّصها من شوائب الأغراض الفاسدة، فالمقصود من هذا، الحث على تكميل التوبة، وايقاعها على أفضل الوجوه وأجلها، ليقدم على من تاب إليه فيوفيه (1) أجره، بحسب كمالها.

﴿ والذين لا يشهدون الزور ﴾ أي: السقول لا يحسفرون السزور، أي: السقول والفعل المحرم، فيجتنبون جميع المحسرمة، أو الأفسعال المحسرمة، أو الأفسعال المحسرمة، أو الأفسعال المحسرمة، والجدال الباطل، والغيبة، والنميمة، والسب، والمقذف، والاستهزاء، والغناء المحسرم، وشسرب الخسمر، وفسرش الحرير، والصور، ونحو ذلك، وإذا المحسرم، أن لا يقولوه ويفعلوه. وشهادة الزور داخلة في قول الزور، تدخل في هذه الآية بالأولوية،

﴿وإذا مروا باللغو﴾ وهو الكلام الذي

لا خير فيه، ولا فيه فائدة دينية ولا دنيوية، ككلام السفهاء ونحوهم فرموا كراماً أي: نزهوا أنفسهم وأكرموها عن الخوض فيه، ورأوا الخوض فيه، وزأوا فإنه سفه ونقص للإنسانية والمروءة، فربؤوا بأنفسهم عنه.

وفي قوله: ﴿وإذا مروا باللغو﴾ إشارة إلى أنهم لا يقصدون حضوره ولا سماعه، ولكن عند المصادفة التي من غير قصد، يكرمون أنفسهم عنه.

﴿والذين إذا ذكروا بآيات رسم التي أمرهم باستماعها والاهتداء سأء ﴿ لَمْ يَخِرُوا عَلِيهِا صِماً وعمياناً ﴾ أي: لم يقابلوها بالإعراض عنها، والصمم عن سماعها، وصرف النظم والقلوب عنها، كما يفعله من لم يؤمن بها ولم يصدق، وإنما حالهم فيها وعند سماعها، كما قال تعالى: ﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسيبحبوا بتحتميد ربهتم وهيم لا يستكبرون القابلونها بالقبول والافتقار إليها، والانقياد والتسليم لها، وتجد عندهم آذاناً سامعة، وقلوباً واعية، فيزداد بها إيمانهم، ويتم بها إيقابهم، وتحدث لهم نشاطأ، ويفرحون بها سروراً واغتباطاً.

﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا﴾ أي: قرنائنا من أصحاب وأقران وزوجات، ﴿وذرياتنا قرة أعين﴾ أي: تقرُّ بهم أعيننا.

وإذا استقرأنا حالهم وصفاتهم، عرفنا من هممهم وعلو مرتبتهم، أنهم لا تقر أعينهم حتى يروهم مطيعين لربهم، عالمين عاملين، وهذا كما أنه دعاء لأزواجهم وذرياتهم في صلاحهم، فإنه دعاء لأنفسهم، لأن نفعه يعود عليهم، ولهذا جعلوا ذلك هبة لهم، فقالوا: ﴿هب لنا﴾ بل دعاؤهم يعود إلى نفع عموم المسلمين، لأن بصلاح من ذكر، يكون سبباً لصلاح كثير ممن يتعلق بهم، وينتفع لصلاح كثير ممن يتعلق بهم، وينتفع

﴿واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ أي: أوصلنا يا ربنا إلى هذه الدرجة العالية ، درجة الصديقين والكمل من عباد الله الصالحين ، وهي درجة الإمامة في الدين ، وأن يكونوا قدوة للمتقين في أقوالهم وأفعالهم ، يقتدى بأفعالهم ، ويسير أهل الخير خلفهم ، فيهدون ويهتدون .

ومن المعلوم، أن الدعاء ببلوغ شيء، دعاء بما لا يتم إلا به، وهذه الدرجة \_ درجة الإمامة في الدين \_ لا تتم إلا بالصبر واليقين، كما قال تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾. فهذا الدعاء، يستلزم من الأعمال، والصبر على طاعة الله وعن معصيته وأقداره المؤلمة، ومن العلم التام، الذي يوصل صاحبه إلى درجة اليقين، خيراً كثيراً، وعطاء جزيلاً، وأن يكونوا في أعلى ما يمكن من درجات الخلق بعد الرسل. ولهذا، لما كانت هممهم ومطالبهم عالية، كان الجزاء من جنس العمل، فجازاهم بالمنازل العاليات فقال: ﴿أُولِئِكَ يُجِرُونِ الغرفة بِما صبروا﴾ أي: المنازل الرفيعة، والمساكن الأنيقة الجامعة لكل ما يشتهي وتلذه الأعين، وذلك بسبب صبرهم، نالوا ما نالوا، كما قال تعالى: ﴿واللائكة يدخلون عليهم من كل باب الله سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار، ولهذا قال هنا: ﴿ويلقون فيها تحية وسلاماً ﴿ من ربهم، ومن ملائكته الكوام، ومن بعض على بعض، ويسلمون من جميع المنغصات والمكدرات.

والحاصل: أن الله وصفهم بالوقار والسكينة، والتواضع له ولعباده، وحسس الأدب، والحلم، وسعة الخلق، والعفوعن الجاهلين، والإعراض عنهم، ومقابلة إساءتهم بالإحسان، وقيام الليل، والإخلاص فيه، والخوف من النار، والتضرع لربهم أن ينجيهم منها، وإخراج الواجب والمستحب في النفقات، والاقتصاد في ذلك \_ وإذا كانوا مقتصدين في الإنفاق، الذي جرت

العادة بالتفريط فيه أو الإفراط، فاقتصادهم وتوسطهم في غيره من باب أولى \_ والسلامة من كبائر الذنوب والاتصاف بالإخلاص لله في عبادته، والعفة عن الدماء والأعراض، والتوبة عند صدور شيء من ذلك، وأنهم لا يحضرون مجالس المنكر والفسوق القولية والفعلية، ولا يفعلونها بأنفسهم، وأنهم يتنزهون من اللغو والأفعال الردية التي لا خير فيها، وذلك يستلزم مروءتهم وإنسانيتهم وكمالهم، ورفعة أنفسهم عن كلُّ خسيس، قولي وفعلي، وأنهم يقابلون آيات الله بالقبول لها، والتفهم لمعانيها، والعمل بها، والاجتهاد في تنفيذ أحكامها، وأنهم يدعون الله تعالى بأكمل الدعاء، في الدعاء الذي ينتفعون به، وينثفع به من يتعلق بهم، وينتفع به المسلمون، من صلاح أزواجهم وذريتهم، ومن لوازم ذلك، سعيهم في تعليمهم ووعظهم ونصحهم، لأن من حرص على شيء ودعا الله فيه، لا بدأن يكون متسبّباً فيه، وأنهم دعوا الله ببلوغ أعلى الدرجات المكنة لهم، وهي درجة

فلله، ما أعلى هذه الصفات، وأرفع هذه المطالب، هذه الهمم، وأجل هذه المطالب، وأزكى تلك النفوس، وأطهر تيك القلوب، وأصفى هؤلاء الصفوة، وأتقى هؤلاء السادة!!

الإمامة والصديقية.

ولله، فضل الله عليهم ونعمته، ورحمته التي جللتهم، ولطفه الذي أوصلهم إلى هذه المنازل.

ولله، منة الله على عباده، أن بين لهم أوصافهم، ونعت لهم هيئاتهم، وبين لهم هممهم، وأوضح لهم أجورهم، ليشتاقوا إلى الاتصاف بأوصافهم، ويبذلوا جهدهم في ذلك، ويسألوا الذي من عليهم وأكرمهم، الذي فضله في كل زمان ومكان، وفي كل وقت وأوان، أن يهديهم كما هداهم، ويتولاهم بتربيته الخاصة كما تولاهم.

فاللهم لك الحمد، وإليك

١٦ يُنْوَا وَالْفِيْجُولُو حِلْقَهَا لَزَقَرَا لَرَجَهِ طَسَدَ ۞ نِلْكَ ءَايَتُ ٱلْكِنْبِ ٱلْدِين ۞ لَعَلُّكَ بَاخِعٌ مُّفْسَكَ فَظَلَّتُ أَغَنَّهُ مُهُمَّ لِمَا خَضِعِينَ ۞ وَمَايَأْنِهِ مِينِ ذِكْرِيِّنَ ٱلرَّحَنَ مُعْدَثِ إِلَّا كَانُواْعَنْهُ مُعْرِضِينَ ۞ فَقَدْ كَذَبُواْ فَسَكَأْلِيهِمْ أَبُّتُواْ مَاكَافُوا بِهِ يَسَتَهْءُونَ ۞ أَوَلَرْيَرُواْ إِلَى ٱلْأَرْضِكُمْ ٱنْبُنْنَا فِيهَامِنُكُلْ زَوْجٍ كَرْبِرِ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ٱلْآيَةُ وَمَاكَانَٱلْكُوهُمُ مُؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبُّكَ لَهُوَالْعَرِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وإِذْ نَادَىٰ رُبُّكَ مُوتَىٰ أَنِ ٱتْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ۞ قَوْمَ فِرْجَوْنُكُ ٱلْاِيَّتَقُونَ۞قَالَ رَبِّ ﴾ إِنَّ آخَافُ أَن يُكَذِبُونِ ﴿ وَيَضِيقُ صَدِّرِى وَلَا يَتَطَلِقُ لِسَانِي فَأْرْسِلْ إِلَىٰ هَذُونَ ﴿ وَلَمَّةً عَلَىٰ ذَنْتُ فَأَخَافُ أَن يَقْنُلُونِ ۞ الله عَلَى الله عَمَا مِن الله عَلَيْنَ أَإِنَّا مَعَكُم أُسُتَمِعُونَ ﴿ فَأَيْبَ ﴾ وَعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّارَتُولُ رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ ۞ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيَ اسْرَهُ مِلَ اللَّهُ مَالَ أَلْرَثُرَيِّكَ فِنَا وَلِيدًا وَلِيثَتَ فِنَامِنْ عُمُ كَي مِينِينَ 🔏 ﴿ وَفَعَلْتَ فَعَلَنَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ ٱلْحَسَّافِينَ ۞ CARACA TIVE OF MEDICAL

المشتكى، وأنت المستعان، وبك المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا بك، لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً، ولا نقدر على مثقال ذرة من الخير إن لم تيسر ذلك لنا، فإنا ضعفاء عاجزون من كل

نشهد أنك إن وكلتنا إلى أنفسنا طرفة عين، وكلتنا إلى ضعف وعجز وخطيئة، فلا نثق يا ربنا إلا برحمتك التي بها خلقتنا ورزقتنا، وأنعمت علينا بما أنعمت من النعم الظاهرة والباطنة، وصرفت عنا من النقم، فارحمنا رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك، فلا خاب من سألك ورجاك.

ولما كمان الله تعمالى، قد أضاف هؤلاء العباد إلى رحمته، واختصهم بعبوديته لشرفهم وفضلهم، ربما توهم متوهم، أنه وأيضاً غيرهم، فلم لا يدخل في العبودية؟

فأخبر تعالى، أنه لا يبالي ولا يعبأ بغير هؤلاء، وأنه لولا دعاؤكم إياه دعاء العبادة ودعاء المسألة، ما عبأ بكم ولا أحبكم فقال: ﴿قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً ﴾ أي: عذاباً يلزمكم، لزوم الغريم لغريمه، وسوف يحكم الله بينكم وبين عباده المؤمنين.

تم تفسير سورة الفرقان، فلله الحمد والثناء والشكر أبداً

قَالَ فَعَلْنُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّا آلِينَ ۞ فَقَرْتُ مِنكُمْ لَمَا خِفْتُكُمْ فَوَهَا لِي رَبِّ حُكُمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْزُسِكِينَ ۞ وَتِلْكَ نِعْمَةً ﴿ مُّنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَدَتَ بَنِي إِسْرَةٍ بِلَ ۞ قَالَ فِيْعَوْثُ وَمَارَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ۞ قَالَ رَبُّ ٱلسَّهَاوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَاسَنُهُمَّ أَإِن كُنْهُ مُّوقِنِينَ۞ قَالَ لِنُ حَوْلِهُ إِلَّا لَسَنَّتَ مَعُونَ۞ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَاجَا بِكُمُ ٱلْأَوْلِينَ ۞ قَالَ إِنَّ رَسُولُكُمُ ٱلَّذِيَّ أَرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَجْنُونٌ ۞ قَالَ رَبُّ ٱلْشَرِقِ وَٱلْغَيْبِ وَمَايِنَهُمَّ ۚ إِن كُثُمُ تَعْقِلُونَ ۞ قَالَ لِمِن ٱتَّخَذْتُ إِلَاهَا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَتَجُونِينَ ۞ قَالَ أَوَلُوجِنْنُكَ بِثَنَّى وَمُّبِينِ۞ قَالَ قَالَ وَلَتِهِ إنكُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ فَأَلْقَ عَصَاهُ فَإِذَاهِيَ تُعْبَانًا مُّبِينٌ ﴿ وَنَزَعَ يَدَمُهُ فَإِنَاهِمَ بَيْضَاءُ لِلنَّفِظِينِ ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ وَإِنَّ هَلَذَا لَسَلِحِرُ عَلِيدٌ ۞ يُرِيدُ أَن يُغْرِجَكُم يِّنْ أَرْضِكُ مِيبِ حْرِوهِ فَأَذَا تَأْمُرُونَ ۞ قَالُوٓ أَرُّجِهُ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمُلَآيِنِ كَيْسِينَ۞ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَعَادِ عَلِيهِ ۞ فَجُمِعَ ٱلتَّحَرَةُ لِيقَاتِ يَوْمِ مِّعَلُومِ ۞ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلَ أَنْمُ مُّجَقِّعُونَ۞ TOURTOUT LONGED

تفسير سورة الشعراء وهي مكية عند الجمهور

﴿١ - ٩﴾ ﴿بسم الله السرحسن الرحيم طسم \* تلك آيات الكتاب المبين \* لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين \* إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين \* وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلاّ كانوا عنه معرضين \* فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون \* أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم \* إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين \* وإن ربك لهو العزيز الرحيم) يشير البارى تعالى إشارة تدل على التعظيم لأيات الكتاب المبين البين الواضح، الدال على جميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية، بحيث لا يبقى عند الناظر فيه شك ولا شبهة فيما أخبر به أو حكم به، لوضوحه ودلالته على أشرف المعان، وارتباط الأحكام بحكمها، وتعليقها بمناسبها، فكانُ رسول الله ﷺ ينذر به الناس، ويهدي به الصراط المستقيم، فيهتدى بذلك عباد الله المتقون، ويعرض عنه من كتب عليه الشقاء، فكان يجزن حزناً شديداً على عدم إيمانهم، حرصاً منه على الخير، ونصحاً لهم.

فلهذا قال تعالى عنه : ﴿لعلك باخع نفسك﴾ أي: مهلكها وشاق عليها،

﴿ أَلا يكونوا مؤمنين ﴾ أي: فلا تفعل، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات، فإن الهداية بيد الله، وقد أديت ما عليك من التبليغ، وليس فوق هذا القرآن المبين آية حتى ننزلها ليؤمنوا [بها]، فإنه كاف شاف، لمن يريد الهداية، ولهذا قال: ﴿إِن نَشَأُ نَنْزُلُ عليهم من السماء آية ﴾ أي: من آيات الاقتراح، ﴿فظلت أعناقهم ﴾ أي: أعناق الكذبين ﴿لها خاضعين﴾ ولكن لا حاجة إلى ذلك، ولا مصلحة فيه، فإنه إذ ذاك الوقت، يكون الإيمان غير نافع، وإنما الإيمان النافع، الإيمان بالغيب، كما قال تعالى: ﴿ هُلَّ يَنظُرُونَ إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأق ربك أو يأتى بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها﴾ الآية.

﴿ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث، يأمرهم وينهاهم، ويذكرهم ما ينفعهم ويضرهم. ﴿إلا كانواعنه معرضين بقلوبهم وأبدانهم، هذا إعراضهم عن الذكر المحدث، الذي جرت العادة، أنه يكون موقعه أبلغ من غيره، فكيف بإعراضهم عن غيره، وهذا، لأنهم لا خير فيهم، ولا تنجع فيهم المواعظ، ولهذا قال: ﴿فقد كذبوا ﴾ أي: بالحق، وصار التكذيب لهم سجية، لا تتغير ولا تتبدل، ﴿ فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون أي: سيقع بهم العذاب، ويحل بهم ما كذبوا به، فإنهم قد حقت عليهم كلمة العذاب. قال الله منبهاً على التفكر الذي ينفع صاحبه: ﴿أُو لَمْ يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كبريسم من جميع أصناف النباتات، حسنة المنظر، كريمة في نفعها، ﴿إِن فِي ذَلَكَ لَآيِة ﴾ على إحياء الله الموتى بعد موتهم، كما أحيا الأرض بعد موتها ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ كما قال تعالى: ﴿وما أكثرُ الناس ولو حرصت بمؤمنين).

﴿وإن ربك لهو العزيز الذي قد قهر كل مخلوق، ودان له العالم العلوي والسفلي، ﴿الرحيم الذي وسعت رحمه كل شيء، ووصل جوده إلى كل

حي، العزيز الذي أهلك الأشقياء بأنواع العقوبات، الرحيم بالسعداء، حيث أنجاهم من كل شر وبلاء.

﴿١٠ - ٢٦﴾ ﴿وإذ نسادى ربك موسى أن اثت القوم الظالمين ﴾ إلى آخر القصة قوله: ﴿إِنَّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴿ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ أعاد الباري تعالى قصة موسى وثناها في القرآن ما لم يشن غيرها، لكونها مشتملة على حكم عظيمة وعبر، وفيها نبأه مع الظالمين والمؤمنين، وهو صاحب الشريعة الكبرى، وصاحب التوراة أفضل الكتب بعد القرآن، فقال: واذكر حالة موسى الفاضلة، وقت نداء الله إياه، حين كلمه ونبأه وأرسله، فقال:

﴿أَنُ الْمُتَ الْقُومُ الْطَّالَمِنِ الْدَيْنُ الْدَيْنُ تَكْبُرُوا فِي الأَرْضُ، وعلوا على أهلها، وادعى كبيرهم الربوبية، ﴿قُومُ فُرعُونُ اللَّا يَتَقُونُ ﴾ أي: قل لهم، بلين قول، ولطف عبارة ﴿أَلَا تَتَقُونُ ﴾ الله الذي خلقكم ورزقكم، فتتركون ما أنتم عليه من الكفر.

فقال موسى عليه السلام، معتذراً من ربه، ومبيناً لعذره، وسائلاً له المعونة على هذا الحمل الثقيل: ﴿قال رب إني أخاف أن يكذبون \* ويضيق صدري ولا ينطلق لساني ﴾.

فقال: ﴿ رب اشرح لي صدري ﴾ ويسر لي أمري ﴾ واحملل عقدة من لساني ﴾ يفقهوا قولي ﴿ واجعل لي وزيراً من أهلي ﴾ هارون أخي ﴾ ﴿ فأرسل إلى هارون ﴾ فأجاب الله طلبته، ونبأ أخاه هارون كما نبأه ﴿ فأرسله معي ردءاً ﴾ أي: معاوناً لي على أمري أن يصدقوني.

﴿ولهم على ذنب﴾ أي: في قتل القبطي ﴿فأخاف أن يقتلون﴾.

﴿ قال كلا ﴾ أي: لا يتمكنون من قتلك، فإنا سنجعل لكما سلطاناً، فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون. ولهذا لم يتمكن فرعون من قتل موسى، مع منابذته له غاية المنابذة، وتسفيه رأيه، وتضليله وقومه، ﴿ فاذهبا بآياتنا ﴾ الدالة على

صدقكما، وصحة ما جئتما به، ﴿إِنَّا معكم مستمعون أحفظكما وأكلؤكما، ﴿فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين اي: أرسلنا إليك، لتؤمن به وبنا، وتنقاد لعبادته، وتذعن لتوحيده، ﴿أَنْ أَرْسُلُ مَعْنَا بِنِي إسرائيل، فكف عنهم عذابك، وارفع عنهم يدك ليعبدوا ربهم ويقيموا أمر دينهم.

فلما جاءا فرعون وقالاله ما قال الله لهما، لم يؤمن فرعون ولم يلن، وجعل يعارض موسى، ف ﴿قَالَ أَلَّمُ نربك فينا وليدا ﴿ أَي : أَلَّمْ نَنْعُمْ عَلَيْكُ ، ونقُم بتربيتك، منذ كنت وليدا في مهدك، ولم تزل كذلك.

﴿ولبشت فينا من عمرك سنين \* وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ وهي قتل موسى للقبطي، حين استغاثه الذي من شيعته على آلذي من عدوه ﴿فُوكِرُهُ موسى فقضى عليه ﴾ الآية .

﴿وأنت من الكافرين ﴾ أي: وأنت إذ ذاك طريقك طريقنا، وسبيلك سبيلنا، في الكفر، فأقر على نفسه بالكفر من حيث لا يدري.

فقال موسى: ﴿فعلتها إِذاً وأنا من الضالين الله أي: عن غير كفر، وإنما كان عن ضلال وسفه، فاستغفرت ربي فغفر لي، ﴿ففررت منكم لما خفتكم﴾ حين تراجعتم بقتلي، فهربت إلى مدين، ومكثت سنين، ثم جئتكم. ﴿فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين﴾.

فالحاصل أن اعتراض فرعون على موسى، اعتراض جاهل أو متجاهل، فإنه جعل المانع من كونه رسولاً، أن جرى منه القتل، فبين له موسى، أن قتله على وجه الضلال والخطأ، الذي لم يقصد نفس القتل، وأن فضل الله تعالى غير ممنوع منه أحد، فلم منعتم ما منحنى الله، من الحكم والرسالة؟ بقى عليك يا فرعون إدلاؤك بقولك: ﴿ أَلَمُ نربك فينا وليداً ﴿ وعند التحقيق، يتبين أن لا منة لك فيها، ولهذا قال موسى: ﴿وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل اي: تدلي على بهذه المنة

لأنك سخرت بني إسرائيل، وجعلتهم لك بمنزلة العبيد، وأنا قد أسلمتني من تعبيدك وتسخيرك، وجعلتها على نعمة، فعند التصور، يتبين أن الحقيقة، أنك ظلمت هذا الشعب الفاضل، وعذبتهم، وسخرتهم بأعمالك، وأنا قد سلمني الله من أذاك، مع وصول أذاك لقومي، فما منه المنة التي تبت بها وتدلي بها؟ .

﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ وهذا إنكار منه لربه، ظلماً وعلواً، مع تيقن صحة ما دعاه إليه موسى، قال: ﴿رَبِ السماوات والأرض وما بينهما﴾ أي: الذي خلق العالم العلوي والسفلي، ودبره بأنواع التدبير، ورباه بأنواع التربية. ومن جملة ذلك، أنتم أيها المخاطبون، فكيف تنكرون خالق المخملوقات، وفاطمر الأرض والسماوات، ﴿إِنْ كُنتُم مُوقَّنِينَ﴾ فقال فرعون متجرهماً، ومعجباً لقومه: ﴿أَلَا تستمعون﴾ ما يقول هذا الرجل، فقال موسىي

﴿ربِكم وربِ آبِمائكم الأولين﴾ تعجبتم أم لا، استكبرتم أم أذعنتم. فقال فرعون معانداً للحق، قادحاً بمن جاء به: ﴿إِنْ رَسُولُكُمُ اللَّذِي أَرْسُلُ إليكم لمجنون محيث قال خلاف ما نحن عليه، وخالفنا فيما ذهبنا إليه، فالعقل عنده وأهل العقل، من زعموا أنهم لم يخلفوا، أو أن السماوات والأرض ما زالتا موجودتين من غير موجد، وأنهم بأنفسهم خلقوا من غير خالق، والعقل عنده، أن يعبد المخلوق الناقص من جميع الوجوه، والجنون عنده، أن يثبت الرب الخالق للعالم العلوي والسفلي، والمنعم بالنعم الظاهرة والباطنة، ويدعو إلى عبادته، وزين لقومه هذا القول، وكانوا سفهاء الأحلام، خفيفي العقول ﴿فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ فقال موسى عليه السلام، مجيباً لإنكار فرعون وتعطيله لرب العالمين: ﴿رب المشرق والمغرب وما بينهما﴾ من سائر المخلوقات ﴿إِنْ كَنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ فقد

أديت لكم من البيان والتبيين، ما يفهمه

لَقَلَنَانَيْمُ السَّخُرَةِ إِن كَانُواْ مُمُ الْفَلِينَ ۞ فَلَا جَلَّهُ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْغُونَ أَيْنَ لَنَا لَأَجْزَا لِن كُنَّا غَمْ ٱلْفِلِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُونِهَا لِّينَ لَلْقُرِّينَ ۞ قَالَ لَمَهُمُّوسَيَّ أَلْقُواْمَا أَنتُم مُّلْقُوبَ ۞ فَٱلْقُوَّا حِبَالْمُكُمِّ وَعِصِيَّاهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِي عَوْبَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْفَالِدُونَ ۞ فَأَلْقَ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ @ فَأَنْنِ ٱلسَّحَرَةُ سَيْجِينَ ۞ فَالْوَأْمَاسَنَا بِرَبِ ٱلْعَالَمِينَ۞ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَلَرُونَ ﴿ قَالَ ءَامَنَ تُرَكُمُ قَبَلَ أَنْ مَاذَنَ لَكُرُ إِنَّهُ ٱلْكِيرُكُو ٱلَّذِي عَلَّتَكُوالسِّيمُ وَلَسَوْفَ تَعَلَّمُونَ لَأَفَطَعَنَ أَيْدِيكُو وَأَتَجُلَكُم مِنْ خِلَقِ وَلَأُمْتِلِتَنَكُّرُ أَحْمَعِينَ ۞ فَالُواْ لَاضَيَّمُ لَأَ اللهُ وَيَنَامُ عَلِيُونَ ۞ إِنَا مَلْمَتُمُ أَن يَغْفِرَ لَتَارَبُنَا خَطَلِيْنَا أَن كُنَّا ا أَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ • وَأَوْجَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰۤ أَنْ أَسْرِيعِبَادِيٓ إِنَّكُمْ مُنَّبَعُونَ ۞ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَنَّآيِنِ كَشِيرِينَ ۞ إِنَّ هَٰوُلَّاءً الله المُتَوْرَمَةُ فَلِيلُونَ ﴿ وَالْمُهُمُ لَنَا لَهُ آيِطُونَ ﴿ وَالَّالِمُ لِمُ عَلِدُونَ ا ﴿ فَأَخْرَمْنَهُ مِنْ جَنَّتِ وَعُيُونِ ﴿ وَكُنُوزِ وَمَقَامِكَ رِيْمٍ ﴿ عُ كَدَالِكَ وَأَوْرُفُنْهَا بَنِي إِسْرَهَ بِلَ ۞ فَأَنْبَعُومُ مُشْرِقِينَ ۞ puedou medice of

كل من له أدنى مسكة من عقل، فما بالكم تتجاهلون فيما أخاطبكم به؟ وفيه إيماء وتنبيه إلى أن الذي رميتم به موسى من الجنون، أنه داؤكم فرميتم أزكى الخلق عقلاً، وأكملهم علماً، بالجنون، والحال أنكم أنتم المجانين، حيث ذهبت عقولكم لإنكار أظهر الموجـــودات، خـــالــــق الأرض والسماوات وما بينهما، فإذا جحدتموه، فأي: شيء تثبتون؟ وإذا جهلتموه، فأي: شيء تعلمون؟ وإذا لم تؤمنوا به وبآیاته، فبأی: شیء \_ بعد الله وآياته \_تؤمنون؟ تالله، إن المجانين الذين بمنزلة البهائم، أعقل منكم، وإن الأنعام السارحة، أهدى منکم .

فلما خنقت فرعون الحجة، وعجزت قدرته وبيانه عن المعارضة ﴿قَالَ﴾ متوعداً لموسى بسلطانه ﴿لَّنْ اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ زعم \_قبحه الله \_أنه قد طمع في إضلال موسى، وأن لا يتخذ إلها غيره، وإلا فقد تقرر أنه هو ومن معه، على بصيرة من أمرهم.

فقال له موسى: ﴿أُولُو جِئْتُكُ بشيء مبين الله أي: آية ظاهرة جلية، على صحة ما جئت به، من خوارق العادات.

﴿ قسال فسأت به إن كسنست مسن الصادقين \* فألقى عصاه فإذا هي

النفالين المنفقة المن

اَلْمُتَّالَفَلُوَ مُّكَانِكُوْنِ كَالْطَوْرِالْمَطِيرِ ۞ وَأَزْلَفَنَا ثَرَّ الْفَنَا ثَرَّ الْفَنَا ثَرَّ الْفَنَا ثَمْ الْفَضِينَ ۞ وَأَنْفَنَا ثَرَّ اللَّهُ وَمِنْ مَعْمُ الْمَعِينَ ۞ وَأَنْفَنَا ثَرَ اللَّهُ مُعْمَدُ وَمِنْ مَعْمُ الْمَعِينَ ۞ اللَّهُ مُعْمُ مُؤْمِنِينَ ۞ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُعْمَدُ اللَّهُ مُعْمَدُ اللَّهُ مُعْمَدًا اللَّهُ مُعْمَدًا اللَّهُ مُعْمَدًا المُعْمِدُ اللَّهُ مُعْمَدًا المُعْمِدُ اللَّهِ مُعْمَدًا اللَّهُ مُعْمَدًا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُعْمَدًا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُعْمَدًا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُعْمَدًا اللَّهُ مُعْمَدًا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُعْمَدًا اللَّهُ مُعْمَدًا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُعْمَدًا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُعْمَدًا اللَّهُ مِنْ اللْعُمْمُ اللْعُلِمُ اللَّهُ مُعْمَدًا اللَّهُ مِنْ اللْعُمْمُ مُعْمَدًا اللَّهُ مِنْ اللْعُمْمُ اللْعُمْمُ اللَّهُ مِنْ اللْعُمْمُ اللَّهُ مُعْمَالِهُ مُعْمَالِهُ مِنْ اللْعُمُ مُعْمَالِهُ مُعْمَلًا اللَّهُ مُعْمَالِهُ مُعْمَدًا اللَّهُ مُعْمَالِهُ مُعْمَدًا اللَّهُ مُعْمِلًا مُعْمَالًا اللَّهُ مُعْمَالِهُ مُعْمَالِهُ مُعْمِلًا اللْعُمْمُ اللَّهُ مُعْمِلًا اللْعُمْمُ اللَّهُ مُعْمِلًا اللْعُمْمِ اللْعُمُ مُعْمِلًا اللْعُمْمُ اللْعُمْمُ وَالْعُمُ مُعْمِلًا اللْعُمْمُ اللْعُمْمُ اللْعُمْمُ مُعْمِلًا اللْعُمْمُ اللْعُمْمُ اللْعُمْمُ اللْعُمْمُ مُعْمِمُ مِنْ الْعُمْمُ مُعْمِمُ مُعْمُمُ مُعْمِمُ مُعْمُمُ مُعْمُومُ مُعْمُمُ مُعِمِمُ مُعْمُمُ مُعْمُومُ مُعْمِ

٥ إذ قال المِنْيه وقوموم القبدُه ون \$ قالوا تَعْدُدُ اَسْتَامًا فَطَلُ لَمَا عَكِمِينَ \$ قَالَ هَلْ مِسْتَمُونَكُو إِذَ نَدُّونَ \$ فَيْضَعُونَكُ الْوَيْفَرُونِ \$ قالُ الْمِنْ الْمِنْيَا اللهِ اللهُ اللهُولِي اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُولِي اللهُ اللهُو

ا يُحِينِ ۞ وَالَّذِى أَطْلَعُهُ أَن يَعْ فِرَ لِمَصْلِتَيْنَ يَوْمَ الِيْنِ ﴿ ۞ نَوْهَمْ لِي حُصْمًا وَالْمِثْنِي وَالْسَلِحِيرَ ۞ ﴿ وَمِنْ هِمْ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاللَّهِ عَلَيْهِ وَالْمَالِمِيرَ ۞

۞ٱلَّذِى ظَلَقَنِي فَهُوَيِّهُ دِينِ ۞ وَٱلَّذِي هُوَيُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ

ثعبان أي: ذكر الحيات، ﴿مبين ﴾ ظاهر لكل أحد، لا خيال ولا تشبيه. ﴿ونزع يده ﴾ من جيمه ﴿فإذا هي

بيضاء للناظرين أي: لها نور عظيم، لا نقص فيه لمن نظر إليها. ﴿قال له فرعون ﴿للملا حوله ﴾ معارضاً للحق ومن جاء به: ﴿إِنَّ هذا لساحر عليم \* يريد أن يخرجكم من أرضكم ﴾ موة عليهم، لعلمه بضعف عقولهم، أن هذا من جنس ما يأتي به السحرة، لأنه من المتقرر عندهم، أن السحرة يأتون من العجائب بما لا يقدر عليه الناس، وخوقهم أن قصده بهذا السحر، التوصل إلى إخراجهم من وطنهم، ليجدوا ويجتهدوا في معاداة من يريد

﴿ نماذا تأمرون ﴾ أن نفعل به؟ ﴿ قالوا أرجه وأخاه ﴾ أي: أخرهما ﴿ وابعث في المدائن حاشرين ﴾ جامعين للناس ﴿ يأتوك ﴾ أولئك الحاشرون ﴿ بكل سحار عليم ﴾ أي: ابعث في جميع مدنك، التي هي مقر العلم ومعدن السحر، من يجمع لك كل ساحر ماهر، عليم في سحره، فإن الساحر يُقابلُ بسحرٍ من جنس سحره.

إجلاءهم عن أولادهم وديارهم،

وهذا من لطف الله أن يري العباد بطلان ما موه به فرعون الجاهل الضال المضل، أن ما جاء به موسى سحر، قيضهم أن جمعوا أهل المهارة بالسحر، لينعقد المجلس عن حضرة الخلق

العظيم، فيظهر الحق على الباطل، ويقر أهل العلم وأهل الصناعة بصحة ما جاء به موسى، وأنه ليس بسحر، فعمل فرعون برأيهم، فأرسل في المدائن من يجمع السحرة، واجتهد في ذلك وجد.

﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ قد واعدهم إياه موسى، وهو يوم الزينة، الذي يتفرغون فيه من أشغالهم.

﴿وقيل للناس هل أنتم مجتمعون﴾
أي: نودي بعموم الناس بالاجتماع في ذلك اليوم الموعود ﴿لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين﴾ أي: قالوا للناس: اجتمعوا لتنظروا غلبة السحرة لموسى، وأنهم ماهرون في صناعتهم، فنتبعهم ونعظمهم، ونعرف فضيلة علم السحر، فلو وفقوا للحق، لقالوا: لعلنا نتبع المحق منهم، ولنعرف الصواب، فلذلك ما أفاد فيهم ذلك، إلا قيام الحجة عليهم.

وفلما جاء السحرة ووصلوا لفرعون قالوا له: ﴿ أَإِنْ لِنَا لأَجْراً إِنْ كَنَا لَفُرَا إِنْ كَنَا لَنَا لأَجْراً إِنْ كَنَا لَنَحْنُ الْعَالَمِينَ ﴾ لموسى؟ ﴿ وَقَالَ نَعْمَ ﴾ لكم أجر وشواب ﴿ وَإِنْكُم إِذَا لَمْنَ المقربين ﴾ عندي، وعدهم الأجر والقربة منه، ليزداد نشاطهم، ويأتوا بكل مقدورهم في معارضة ما جاء به موسى.

فلما اجتمعوا للموعد، هم وموسى، وأهل مصر، وعظهم موسى وذكرهم، وقال: ﴿ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا وتخاصموا، ثم شجعهم فرعون، وشجع بعضهم بعضاً.

بعضا. فرقال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون أي: ألقوا كل ما في خواطركم إلقاؤه، ولم يقيده بشيء دون شيء، لجزمه ببطلان ما جاؤوا به من معارضة الحق.

﴿فَالْقُوا حِبَالُهُمْ وَعَصِيهُمُ ۗ فَإِذَا هِي حَيَاتَ تَسْعَى، وسحروا بذلك أُعَيْنُ الناس، ﴿وقالُوا بعزة فرعون إنا لنحن المَالِبُونِ﴾ فاستعانوا بعزة عبدِ

ضعيف، عاجز من كل وجه، إلا أنه قد تجبر، وحصل له صورة ملك وجنود، فغرتهم تلك الأبهة، ولم تنفذ بصائرهم إلى حقيقة الأمر، أو أن هذا قسم منهم بعزة فرعون، والمقسم عليه أنهم غالبون.

﴿ فَالْقَى موسى عصاه فإذا هي تلقف ﴾ تبتلع وتأخذ ﴿ ما يأفكون ﴾ فالتّفت جميع ما ألقوا من الحبال والعصي، لأنها إفك وكذب وزور، وذلك كله باطل، لا يقوم للحق

فلما رأى السحرة هذه الآية العظيمة، تيقنوا \_ لعلمهم \_ أن هذا ليس بسحر، وإنما هو آية من آيات الله، ومعجزة تنبىء بصدق موسى، وصحة ما جاء به.

ولا يقاومه.

﴿ فألقى السحرة ساجدين ﴾ لربهم. ﴿قالوا آمنا برب العالمين \* رب موسى وهارون، وانقمع الباطل في ذلك المجمع، وأقر رؤساؤه ببطلانه، ووضح الحق وظهر، حتى رأى ذلك الناظرون بأبصارهم، ولكن أبي فرعون إلا عتواً وضلالاً، وتمادياً في غيه وعناداً، فقال للسحرة: ﴿آمنتم لهُ قبل أن آذن لكم المتعجب، ويعجب قومه من جراءتهم عليه، وإقدامهم على الإيمان من غير إذنه ومؤامراته. ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر، هذا، وهو الذي جمع السحرة وملاه، الذين أشاروا عليه بجمعهم من مدائنهم، وقد علموا أنهم ما اجتمعوا بموسى ولا رأوه قبل ذلك، وأنهم جاؤوا من السحر بما يحير الناظرين ويهيلهم، ومع ذلك، فراج عليهم هذا القول، الذي هم بأنفسهم وقفوا على بطلانه،

حقيقته، صدقوه. ثم توعد السحرة فقال: ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ أي: اليد اليمنى والرجل اليسرى، كما يفعل بالفسد في الأرض،

فلا يستنكر على أهل هذه العقول، أن

لا يؤمنوا بالحق الواضح والآيات

الباهرة، لأنهم لو قال لهم فرعون عن

أي: شسىء كان، إنه على خلاف

﴿ولأصلبنكم أجمعين التختزوا، وتذلوا. فقال السحرة ـ حين وجدوا حلاوة الإيمان وذاقوا لمذته : ﴿لا ضير﴾ أي: لا نبالي بما توعدتنا به ﴿إِنَا إِلَى رَبُّنَا مِنْقُلُبُونَ \* إِنَّا نَظُمُعُ أَنْ يغفر لنا ربنا خطايانا﴾ من الكَفر والسحر وغيرهما ﴿أَنْ كُنَّا أُولُ المؤمنين بموسى، من هؤلاء الجنود، فثبتهم الله وصبَّرهم.

فيحتمل أن فرعون فعل بهم ما توعدهم به، لسلطانه واقتداره إذ ذاك، ويحتمل أن الله منعه منهم، ثم لم يزل فرعون وقومه مستمرين على كفرهم، يأتيهم موسى بالآيات البيناث، وكلما جاءتهم آية، وبلغت منهم كل مبلغ، وعمدوا موسى وعاهدوه، لئن كشف الله عنهم، ليؤمنن به، وليرسلن معه بني إسرائيل، فيكشفه الله، ثم ينكثون، فلما يئس موسى من إيمانهم، وحقت عليهم كلمة العذاب، وآن لبني إسرائيل أن ينجيهم من أسرهم، ويمكن لهم في الأرض، أوحى الله إلى موسى: ﴿ أَنَّ أُسر بعبادي ﴾ أي: اخرج ببنى إسرائيل أول الليل، ليتمادوا ويتمهلوا في ذهابهم. ﴿إنكم متبعون اي: سيتبعكم فرعون

ووقع كما أخبر، فإنهم لما أصبحوا، وإذا بنو إسرائيل قد سروا كلهم مع

﴿ فِسَأُر مِسِلُ فِسَرِ عَسُونَ فِسِي المُدائِسِنَ حاشرين، يجمعون الناس، ليوقع ببني إسرائيل، ويقول مشجعاً لقومه: ﴿إِنَّ هؤلاء ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿لشرذمة قليلون \* وإنهم لنا لغائظون) ونريد أن ننفذ غيظنا في هؤلاء العبيد، الذين أبقُوا منا .

﴿وإنا لجميع حاذرون﴾ أي: الحذر على الجميع منهم، وهم أعداء للجميع، والمصلحة مشتركة، فخرج فرعون وجنوده في جيش عظيم، ونفير عام، لم يتخلف منهم سوى أهل الأعذار، الذين منعهم العجز.

قال الله تعالى: ﴿فَأَخْرِجِنَاهُم مِنْ جنات وعيون﴾ أي: بساتين مصر

وجنانها الفائقة، وعيونها المتدفقة، وزروع قد ملأت أراضيهم، وعمرت بها حاضرتهم وبواديهم.

﴿ومقام كريم﴾ يعجب الناظرين، ويلهى المتأملين، تمتعوا به دهراً طويلاً، وقضوا بلذاته وشهواته عمراً مديداً، على الكفر والعناد، والتكبر على العباد والتيه العظيم.

البساتين والعيون، والزروع، والمقام الكريم، ﴿بني إسرائيلَ ﴾ الذين جعلوهم من قبل عبيدهم، وسخروا في أعمالهم الشاقة، فسبحان من يؤتي الملك من يشاء، وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء بطاعته، ويذل من يشاء بمعصيته.

﴿ فأتبعوهم مشرقين ﴾ أي: اتبع قوم فرعون قوم موسى، وقت شروق الشمس، وساقوا خلفهم محثين، على غيظ وحنق قادرين.

﴿ فلما تراءى الجمعان ﴾ أي: رأى كل منهما صاحبه، ﴿قال أصحاب موسى﴾ شاكين لموسى وحزنين: ﴿إِنَّا لمدركون، فـ ﴿قال﴾ موسى مثبتاً لهم، ونخبراً لهم بوعد ربه الصادق: ﴿كلا﴾ أي: ليس الأمر كما ذكرتم، أنكم مدركون، ﴿إن معى ربي سيهدين﴾ لما فيه نجاتي ونجاتكم، ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فضربه ﴿فانفلق﴾ اثنى عشر طريقاً ﴿ فكان كل فرق كالطود ﴾ أي: الجبل ﴿العظيم﴾ فدخله موسى وقومه .

﴿ وأَزْلَفْنَا ثُم ﴾ في ذلك المكان ﴿الآخرينِ أي: فرعون وقومه، قربناهم، وأدخلناهم في ذلك الطريق، الذي سلك منه موسى وقومه.

﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾ استكملوا خارجين، لم يتخلف منهم أحد.

﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ لم يتخلف منهم عن الغرق أحد، ﴿إِنْ فِي ذَلْكُ لآية ﴾ عظيمة على صدق ما جاء به موسى عليه السلام، وبطلان ما عليه فرعون وقومه، ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين المع هذه الآيات المقتضية

وَإِجْعَلِ لِي لِيسَانَ صِدْقِ فِي ٱلْآخِرِينَ ۞ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةَ وَ جَنَّةِ ٱلنَّعِيدِ ۞ وَٱغْفِرْ لِأَيِّ ٓ إِنَّهُكَانَ مِنَ ٱلضَّالَيْنَ ۞ وَلَا تُعْنِفِ يَوْمَيُبَعَثُونَ ۞ يَوْمَ لَايْنَفَعُمَالُّ وَلَابَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَنَّ ٱللَّهَ بقَلْب سَلِيمِ ۞ وَأَزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ الْمُنْقِينَ ۞ وَيُوَنَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْعَالِينَ ۞ وَقِيلَ لَمُتَ أَيْنَ مَا كُتُتُمْ تَعَبُدُونَ ۞ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمُّ أَوْيِنَنْصِرُونَ ۞ فَكُبْكِبُواْفِهَاهُمْ وَٱلْغَاوُدَنَ۞ وَجُنُودُ إِلَيْهِ رَأَجْمَعُونَ ۞قَالُواْ وَهُرْفِيهَ اِيَخْفَصِمُونَ ۞ ثَالَقِه إِن كُنَّا لَقِ صَلَالِ مُبِينِ ﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَتِ ٱلْعَلَمِينَ ۞ وَمَمَّا أَصَلُنَآ إِلَّا ٱلْجَيْهُونَ۞ فَمَالَنَامِن شَيْعِينَ۞ وَلَاصَدِيقٍ جَيمِ۞ فَلَوْ النَّانَاكَرَةَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُغْمِينَ ۞ إِنَّ فِ ذَاكِ آلَا يَعْ وَمَأَكَاتَ الْتَ تَرُهُمُ مُتَوْمِنِينَ ۞ وَانْ رَبِّكَ لَمْوَ ٱلْعَرِيرُ ٱلرَّجِيمُ۞ كَذَّبْتُ قَوْمُ نُحِ ٱلْمُرْسِلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَمُمَّ أَخُوهُمْ نُوحُ أَلَائَتَ قُونَ ۞ إِنِّ ٱلْكُرْرَسُولُ أَمِينٌ ۞ فَاتَّغُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْتَلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرِيِّ إِنْ أَجْرِيَّ إِلَّا عَلَى رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۞ فَأَتَّ تُحُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٠٠ \* قَالُوا أَنْوَمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْدَ لُونَ ١٠ A STATE WILLIAM STATE OF

للإيمان، لفساد قلوبكم، ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم، بعزته أهلك الكافرين المكذبين، وبرحمته نجي موسى ومن معه أجمعين.

﴿ ٦٩ \_ ١٠٤ ﴾ ﴿ واتبل عليهم نبأ إبراهيم \* إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ﴾ إلى آخر هذه القصة ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم، أي: واتل يا عمد على الناس، نبأ إبراهيم الخليل، وخبره الجليل، في هذه الحالة بخصوصها، وإلا فله أنباء كثيرة، ولكن من أعجب أنبائه وأفضلها، هذا النبأ المتضمن لرسالته ودعوته قومه، ومحاجته إياهم، وإبطاله ما هم عليه، ولذلك قيده بالظرف، فقال: ﴿إِذْ قَالَ لأبيه وقومه ما تعبدون \* قالوا♦ متبجحين بعبادتهم: ﴿نعبد أصناماً﴾ ننحتها ونعملها بأيدينا. ﴿فنظل لها عاكفين اي: مقيمين على عبادتها في كثير من أوقاتنا، فقال لهم إبراهيم، مبيناً لعدم استحقاقها للعبادة: ﴿ هِلْ يسمعونكم إذ تدعون الستجيبون دعاءكم، ويفرجون كربكم، ويزيلون عنكم كُل مكروه؟

﴿ أُو ينفعونكم أو يضرون ﴾ فأقروا أن ذلك كله غير موجود فيها، فلا تسمع دعاء، ولا تنفع، ولا تضر، ولهذًا لما كسرها وقالَ: ﴿بِل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون الواله: ﴿لقد علمت ما

قَالَ وَمَاعِلِي بَاكَافُوا يَعْمَلُونَ ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ لِلَّا كَالِ رَقُّ لُو تَشْمُونَ ۞ وَمَا أَنَابِطَارِهِ لَلْوَمِينَ ۞ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ ثُمِّينٌ ا قَالُوالِينَ لِّرِتَنتَهِ يَننُوحُ لَتَكُونَزَ مِنَ الْمُرْجُومِينَ فَ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمَى كَذَّبُونِ ۞ فَأَفْحَ بَيْنِي وَكِينَكُمْ فَضَا وَنَجِينِي وَمَن مِّينَ مِنَ ٱلْكُوْمِنِينَ ۞ فَأَنِيَنْنَهُ وَمَن مَّعَدُ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمُشْحُونِ ۞ ثُمَّ أَغُهَّنَا مِعَدُ ٱلْبَاقِينَ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآتِيةٌ وَمَاكَانَ أَكْتُرُهُم

مُوْمِنِينَ ۞ قَاذَرَبِّكَ لَمُؤَالْعَرِيزُ الرَّحِيمُ۞ كَنَّبَتْ عَادُّ ٱلتُرْسَلِينَ ۞ إِذْقَالَ لَمُتُمَّ أَخُوهُمُوهُودُ ٱلْاَنَتَّغُونَ ۞ إِنِّ لَكُوُ رَسُولُ آمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَاۤ أَسْتَلَكُوعَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ أَنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ أَبْتَثُونَ كُلِّ رِيعٍ ءَايَةَ تَعَبَتُورَ ٥٥ وَتَتَغِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمُ تَغَلَّدُونَ ۞ وَإِذَا بَطَاشَ مُرْبَطَشَ مُرْجَبًا وِينَ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهُ وَأَطِيعُونِ۞ وَاتَّـعُوا ٱلَّذِيَ آمَدَّكُمُ عِمَا تَعَلَمُونَ ۞ آمَذَكُمُ بِأَضْكِمِ وَبَنِينَ ۞ وَجَنَّتِ وَعُيُونِ ۞ إِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يُومِ عَظِيرِ ﴿ وَالَّوْاسَوَآءُ عَلَيْنَا آوَعَظْتَ أَرْلَرْ تَكُن مِّنَ الْوَعِظِيرَ ۞

هؤلاء ينطقون♦ أي: هذا أمر متقرر من حالها، لا يقبل الإشكال والشك، فلجؤوا إلى تقليد آبائهم الضالين، فقالوا: ﴿بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾ فتبعناهم على ذلك، وسلكنا سبيلهم، وحافظناً على عاداتهم، فقال

لهم إبراهيم: أنتم وآباؤكم، كلكم

خصوم في هذا الأمر، والكلام مع

الجميع واحد. ﴿ أَفْرأيتم ما كنتم تعبدون \* أنتم وآباؤكم الأقدمون \* فإنهم عدو لي﴾ فليضروني بأدنى شيء من الضرر، وليكيدوني فلا يقدرون.

﴿ إِلا رب العالمين \* الذي خلقني فهو يهدين، هو المنفرد بنعمة الحلق ونعمة الهداية، للمصالح الدينية والدنيوية، ثم خصص منها بعض النضروريات فقال: ﴿والذي هو يطعمني ويسقين \* وإذا مرضت فهو يشفين \* والذي يميتني ثم يحيين \* والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم

فهذا هو وحده المنفرد بذلك، فيجب أن يفرد بالعبادة والطاعة، وتترك هذه الأصنام، التي لا تخلق، ولا تهدي، ولا تمرض، ولا تشفى، ولا تطعم، ولا تسقي، ولا تميت، ولا تحيى، ولا تنفع عابديها بكشف الكروب، ولا مغفرة الذنوب.

فهذا دليل قاطع، وحجة باهرة،

لا تقدرون أنسته وآباؤكم على معارضتها، فدل على اشتراككم في الضلال، وترككم طريق الهدى والرشد. قال الله تعالى: ﴿وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدانٍ﴾

ثم دعا عليه السلام ربه فقال: ﴿رب هب لى حكماً ﴾ أي: علماً كثيراً، أعرف به الأحكام، والحلال والحرام، وأحكم به بين الأنام، ﴿وألحقني بالصالحين﴾ من إخوانه الأنبياء والمرسلين.

﴿واجعل لي لـسان صدق في الآخرين﴾ اي: اجعل لي ثناء صدق، مستمر إلى آخر الدهر. فاستجاب الله دعاءه، فوهب له من العلم والحكم، ما كان به من أفضل المرسلين، وألحقه بإخوانه المرسلين، وجعله محبوباً مقبولاً، معظماً مثنيّ عليه، في جميع الملل، في كل الأوقات.

الآخرين ١ سلام على إبراهيم ١ إنا كذلك نجزى المحسنين اأنه من عبادنا المؤمنين ﴿ . ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم

قال تعالى: ﴿وتركنا عليه في

أي: من أهل الجنة، التي يورثهم الله إياها، فأجاب الله دعاءه، فرفع منزلته في جنات النعيم.

﴿واغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾

ومقلد لهم على شركهم. وهذا الدعاء، بسبب الوعد الذي قال لأبيه: ﴿سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا﴾ قال تعالى: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواة حليم، ﴿ولا تخزني يوم يبعثون ﴾ أي: بالتوبيخ على بعض الذنوب، والعقوبة عليها والفضيحة، بل أسعدني في ذلك اليوم الذي ﴿لا ينفع﴾ فيه ﴿مَالُ ولا بنون \* إلا من أتى الله بقلب سليم الله فهذا الذي ينفعه عندك، وهذا الذي ينجو به من

> والقلب السليم، معناه الذي سلم من الشرك والشك ومحبة الشر والإصرار على البدعة والذنوب، ويلزم

العقاب، ويستحق جزيل الثواب.

من الإخلاص والعلم واليقين ومحبة الخير وتزيينه في قلبه، وأن تكون إرادته ومحبته تابعة لمُحبة الله، وهواه تبعاً لما جاء عن الله، ثم ذكر من صفات ذلك اليوم العظيم، وما فيه من الثواب والعُقابِ فقالُ: ﴿وَأَرْلَفُتُ الْجِنَّةِ ﴾ أي: قربت ﴿للمتقين﴾ ربهم، الذين امتثلوا

أوامره، واجتنبوا زواجره، واتقوا

سخطه وعقابه.

من سلامته مما ذكر، اتصافه بأضدادها،

﴿وبرزت الجحيم﴾ أي: برزت واستعدت بجميع ما فيها من العذاب، ﴿للغاوين ﴾ آلذين أوضعوا في معاصى الله، وتجرؤوا على محارمه، وكذبوا رسله، وردوا ما جاؤوهم به من الحق ﴿وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون \* من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون ﴿ بأنفسهم أي: فلم يكن من ذلك من شيء، وظهر كذبهم. وخنزيهم، ولاحت خسارتهم وفضيحتهم، وبان ندمهم، وضل سعيهم. ﴿فَكَبِكِبُوا فِيها﴾ أي: ألقوا في النار ﴿هُم﴾ أي: ما كانوا يعبدون، ﴿وَالْغَاوُونِ﴾ العابدون لها، ﴿وجنود إبليس أجمعون، من الإنس والحن، الذين أزَّهم إلى المعاصي أزَّأ، وتسلط عليهم بشركهم وعدم إيمانهم، فصاروا من دعاته، والساعين في مرضاته،

﴿قَالُسُوا﴾ أي: جنسود إبليس الغاوون، لأصنامهم وأوثانهم التي عبدوها: ﴿تَاللُّهُ إِنْ كُنَا لَفِي ضَلَالُ مبين \* إذ نسويكم برب العالمين ، في العبادة والمحبة، والخوف والرجاء، وندعوكم كما ندعوه، فتبين لهم حينئذ: ضلالهم، وأقروا بعدل الله في عقوبتهم، وأنها في محلها، وهم لم يسووهم برب العالمين، إلا في العبادة، لا في الخلق، بدليل قولهم: ﴿برب العالمين ﴾ إنهم مقرون أن الله رب العالمين كلهم، الذين من جملتهم

وهم ما بين داع لطاعته، ومجيب لهم،

﴿ وما أَصْلُنا ﴾ عن طريق الهدي والرشد، ودعانا إلى طريق الغي

أصنامهم وأوثانهم .

والفسق، ﴿إلا المجرمون﴾ وهم الأثمة الذين يدعون إلى النار، ﴿فَمَا لِنَا﴾ حينئذ ﴿من شافعين﴾ يشفعون لنا، لينقذونا(١) من عذابه، ﴿ولا صديق حميم أي: قريب مصاف، ينفعنا بأدنى نفع، كما جرت العادة بذلك في الدنيا، فأيسوا من كل خير، وأبلسوا بما كسبوا، وتمنوا العودة إلى الدنيا ليعملوا صالحاً.

﴿ فلو أن لنا كرة ﴾ أي: رجعة إلى الدنيا، وإعادة إليها ﴿فنكون من المؤمنين، لنسلم من العقاب، ونستحق الثواب، هيهات هيهات، قدحيل بينهم وبين ما يشتهون، وقد غلقت منهم الرهون.

﴿إِنْ فِي ذَلِكُ﴾ الَّذِي ذَكَرِنَا لَكُم ووصفنا ﴿لآية ﴾ لكم ﴿وما كانَ

أكثرهم مؤمنين﴾ مع نزول الآيات. ﴿٥١١ ـ ١٠١﴾ ﴿كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ إلى آخر القصة. يذكر تعالى، تكذيب قوم نوح لرسولهم نوح، وما رد عليهم وردوا عليه، وعاقبة الجميع، فقال: ﴿كذبت قوم نوح المرسلين، جميعهم، وجعل تكذيب نوح كتكذيب حميع المرسلين، لأنهم كلهم اتفقوا على دعوة واحدة، وأخبار واحدة، فتكذيب أحدهم، تكذيب بجميع ما جاؤوا به من الحق، كذبوه ﴿إِذْ قَالَ لُهُمْ أَحُوهُم ﴾ في النسب ﴿نوح﴾ وإنما ابتعث الله الرسل من نسب من أرسل إليهم، لثلا يشمئزوا من الانقيادله، ولأنهم يعرفون حقيقته، فلا يحتاجون أن يبحثوا عنه، فقال لهم مخاطباً بألطف خطاب - كما هي طريقة الرسل، صلوات الله وسلامه عليهم ـ ﴿ أَلا تتقون الله تعالى، فتتركون ما أنتم مقيمون عليه من عبادة الأوثان، وتخلصون العبادة لله وحده، ﴿إنَّ لَكُمُّ رسول أمين ﴿ فكونه رسولاً إليهم بالخصوص، يوجب لهم تلقي ما أرسل به إليهم، والإيمان به، وأن يشكروا الله تعالى على أن خصهم بهذا

الرسول الكريم، وكونه أميناً، يقتضي أنه لا يتقول على الله، ولا يزيد في وحيه ولا ينقص، وهذا يوجب لهم التصديق بخبره والطاعة لأمره.

﴿فَاتَقُوا اللهُ وأَطْيَعُونَ﴾ فيما آمركم به وأنهاكم عنه، فإن هذا هو الذي يترتب على كونه رسولاً إليهم، أميناً، فلذلك رتبه بالفاء الدالة على السبب، فذكر السبب الموجب، ثم ذكر انتفاء المانع، فقال: ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ فتتكلفون من المغرم الثقيل، ﴿إِنَّ أجسري إلا على رب المعالمين، أرجـو بذلك القرب منه، والثواب الجزيل، وأما أنتم فمنيتي، ومنتهى إرادتي منكم، النصح لكم وسلوككم الصراط المستقيم.

﴿فاتقوا الله وأطيعون ﴾ كرر ذلك عليه السلام لتكريره دعوة قومه، وطول مكثه في ذلك، كما قال تعالى: ﴿ فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ﴾ وقال: ﴿ رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً \* فلم يزدهم دعائي إلّا فراراً ﴾ الآيات. فقالوا رداً لدعوته، ومعارضة لـه بـما ليس يـصـلـح للمعارضة: ﴿أَنؤمن لِكُ واتبعكَ الأرذلون﴾ أي: كيف نتبعك ونحن لا نرى أتباعك إلا أسافل الناس وأراذلهم وسقطهم. بهذا يعرف تكبرهم عن الحق، وجهلهم بالحقائق، فإنهم لو كان قصدهم الحق، لقالوا \_ إن كان عندهم إشكال وشك في دعوته \_بيِّنْ لنا صحة ما جئت به بالطرق الموصلة إلى ذلك، ولو تأملوا حق التأمل، لعلموا أن أتباعه، هم الأعلون، خيار الخلق، أهل العقول الرزينة، والأخلاق الفاضلة، وأن الأرذل، من سلب خاصية عقله، فاستحسن عبادة الأحجار، ورضي أن يسجد لها ويدعوها، وأبي الانقياد لدعوة الرسل الكمل. وبمجردما يتكلم أحد الخصمين في الكلام الباطل، يعرف فساد ما عنده، بقطع

النَّ هَلِنَا الْاَخْلُقُ ٱلْأَوْلِينَ ﴿ وَمَا غَنُّ مُعَدَّبِينَ ﴿ فَكَنَّبُوهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكَثُرُهُمْ مُوْمِنِينَ و وَإِنَّ رَبَّكِ لَمُواَلَعَ بِدُالرَّحِيمُ ﴿ كَذَّبْتُ مُؤُولُلُوْسَ لِلهَ ﴿ إِذْقَالَ لَمُدَّأَخُوهُمْ صَلِيمُ أَلَائتَقُونَ ﴿ إِنِّ لَكُرُّ رَمُولُ أَمِينً ﴿ ا فَاتَّقُوا اللَّهُ وَأَطِيمُونَ ﴿ وَمَا أَمْنَاكُ كُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْسِّ لَانْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۞ أَتُتَّرَّكُونَ فِي مَا هَلِهُنَّآءَ إِمِنِينَ @ فِي جَنَّتِ وَعُيُونِ ۞ وَزُدُوعٍ وَنَعْلِ طَلْعُهَا هَضِيدٌ ۞ وَتَنْحِثُونَ مِنَ أَيْجِهَالِ بُيُونًا فَلرِهِينَ ۞ فَاتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿ وَلَا تُقِلِيعُوا أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَايُصْلِحُونَ ۞ قَالُوا إِنَّا أَنْ مِن ٱلْسُكَمِّينَ ۞ مَّاأَتَ إِلَّا بَشَرِّ مَقَلَّنَا فَأْتِ بِعَايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّادِ قِيرَ ۞ قَالَ هَنذِهِ مَا فَقَدُّ لَمَّا شِرْبٌ وَلِكُرُّ شِرْبُ يَوْمِ تَعْلُومٍ ۞ وَلاَ تَسَتُوهَا بِسُوَّةٍ فَيَأْخُذُكُمْ عَذَابُ يُومِ عَظِيرٍ ۞ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَدِمِينَ ۞ مَأْخَذَ مُرُالْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآتِيةٌ وَمَاكَانَ أَحْثَرُهُم أُوْمِنِينَ ﴿ وَلِأَ رَبِّكَ لِمُوَّالْمَ يِرُ ٱلرَّحِيدُ ﴿ DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

النظر عن صحة دعوى خصمه، فقوم نوح لما سمعنا عنهم، أنهم قالوا في ردهم دعوة نوح: ﴿أَنْوُمنَ لَكُ وَاتَّبِعَكُ الأرذلون ﴾ فينواعلى هذا الأصل، الذي كل أحد يعرف فساده رد دعوته \_ عرفنا أنهم ضالون مخطؤون، ولو لم نشاهد من آيات نوح ودعوته العظيمة، أ ما يفيد الجزم واليقين بصدقه وصحة ما جاء به .

فقال نوح عليه السلام: ﴿وما علمي بما كانوا يعملون \* إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون﴾ أي: أعمالهم وحسابهم على الله، إنما عَلَيْ التبليغ، وأنتم دعوهم عنكم، إن كان ما جئتكم به الحق، فانقادوا له، وكُلُّ له عمله.

﴿ وما أنا بطارد المؤمنين ﴾ كأنهم \_ قبحهم الله \_طلبوا منه أن يطردهم عنه، تكبراً وتجبراً، ليؤمنوا، فقال: ﴿وما أنا بطارد المؤمنين ﴾ فإنهم لا يستحقون الطرد والإهانة، وإنما يستحقون الإكرام القولي والفعلي، كما قال تعالى: ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴿.

﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرِ مِنِينَ ﴾ أي: ما أنا إلا منذر ومبلغ عن الله، ومجتهد في نصح العباد، وليس لي من الأمر شيء، إن الأمر إلا لله.

كَذَّبَتْ فَقُ لُولِ ٱلْتُرْبِيلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَمَنْ آخُوْ مُرَلُولًا ٱلاَئْتَقُونَ ﴿ إِنَّ لَكُوْرَمُولُ أَمِينٌ ﴿ فَانَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿ وَمَاۤ أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرِكُ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَلَمِينَ ۞ أَتَأْوُنَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ۞ وَتَذَرُونَ مَاخَلَقَ لَكُوَّرَدُّكُم مِنْ أَزْوَيِهِكُمْ ثِمَّ أَسَّمُ تَوَةً عَلَا وُرَكَ ۞ قَالُوا أَمِن أَرْتَنَتَو يَكُومُكُ لَتَكُونَ مِنَ الْخُرَوِي ﴿ قَالَ إِنِّ لِمَمَلِكُمْ مِنَ الْعَالِينَ ۞ رَبِ يَجِنِي وَأَهْلِي مَا يَعْمَلُونَ ۞ فَبَيَّنَاهُ وَأَهْلَهُ وَأَجْمَعِينَ۞ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْعَبْدِينَ ۞ ثُرَّدَتْمَةِ ٱلْكَاحَدِينَ ۞ وَأَمْعَلُمُ عَلَيْهِم مَّطَرَّ أَمْسَأَةُ مَعَلَىٰ ٱلْمُنذَدِينَ ۞ إِنَّ فِ ذَٰ إِكَ ٱلْآيَةُ وَمَاكَانَ ٱلْكُرُمُرُ مُّوْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمُوَ ٱلْعَيْرِيزُ الرَّحِيدُ ۞ كُذُبَ أَمْسَبُ لْتَكَةُ لَكُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَمُتُرْشُعَيْبُ أَلَائِتُقُونَ ۞ إِنَّ ٱكْرُرَسُولُ آمِينٌ ﴿ فَأَنَّقُوا اللَّهَ وَأَلِمِينُونِ ﴿ وَمَا أَسْتَلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَخِيًّانَ أَخِرِيَ إِلَّاعَلَىٰ رَبِّ الْعَلَمِينَ ۞ • أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْخَيْرِينَ ﴿ وَنِفُوا بِالْقِسْطَاسِ الْسُتَقِيمِ ﴿ وَلِا تَبْغَنْهُوا النَّاسَ أَشْيَلَهُ مُرْوَلِانَعُوَّا فِي الْأَرْضِ مُغْسِدِينَ ۞

MOVED WILD BEED

فاستمر نوح عليه الصلاة والسلام على دعوتهم ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، فلم يزدادوا إلا نفوراً، و ﴿قالوا لئن لم تنته يا نوح، من دعوتك إيانا، إلى الله وحده ﴿لتكونن من المرجومين﴾ أي: لنقتلك شر قتلة، بالرمى بالحجارة، كما يقتل الكلب. فتباً لهم، ما أقبح هذه المقابلة، يقابلون الناصح الأمين الذي هو أشفق عليهم من أنفسهم، بشر مقابلة. لا جرم لما انتهى ظلمهم، واشتد كفرهم، دعا عليهم نبيهم بدعوة أحاطت بهم، فقال: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴾ الآيات. وهنا ﴿قال رب إن قومي كذبون \* فافتح بيني وبينهم فتحاً ﴾ أي: أهلك الباغي منا، وهو يعلم أنهم البغاة الظلمة، ولهذا قال: ﴿ونجني ومن معى من المؤمنين ﴿ فَأَنْجِينَاهُ وَمِنْ معه في الفلك ﴾ أي: السفينة ﴿المشحون﴾ من الخلق والحيوانات، ﴿ ثُم أَغْرِقْنَا بِعِد ﴾ أي: بعد نوح، ومن معه من المؤمنين ﴿الباقين﴾ أي: جميع

﴿إِن في ذلك﴾ أي: نجاة نوح وأتباعه، وإهلاك من كذبه ﴿لآية﴾ دالة على صدق رسلنا، وصحة ما جاؤوا به، وبطلان ما عليه أعداؤهم المكذبون بهم.

﴿ وَإِنْ رَبُّكُ لَهُو الْعَزِيزِ ﴾ الذي قهر

بعزه أعداءه، فأغرقهم بالطوفان ﴿الرحيم﴾ بأوليائه، حيث نجى نوحاً ومن معه، من أهل الإيمان.

(1۲۳ ـ ۱٤٠) (كذبت عادً المرسلين) إلى آخر القصة. أي: كذبت القبيلة المسماة عاداً، رسولهم هوداً، وتكذيبهم له تكذيب لغيره، لاتفاق الدعوة.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ ﴾ في النسب ﴿هُودِ﴾ بلطف وحسن خطاب: ﴿أَلا تتقون الله، فتتركون الشرك وعبادة غيره، ﴿إِنِّ لَكُمْ رَسُولُ أُمِينَ ﴾ أي: أرسلني الله إليكم، رحمة بكم، واعتناء بكم، وأنا أمين، تعرفون ذلك مني، رتب على ذلك قوله: ﴿فَاتَقُوا اللهُ وأطيعون أي: أدوا حق الله تعالى، وهو التقوى، وأدوا حقى، بطاعتي فيما آمركم به وأنهاكم عنه، فهذا موجب لأن تتبعوني وتطيعوني، وليس ثمَّ مانع يمنعكم من الإيمان، فلست أسألكم على تبليغي إياكم ونصحي لكم أجراً، حتى تستثقلوا ذلك المغرم. ﴿إنّ أجري إلا على رب العالمين الذي رباهم بنعمه، وأدرَّ عليهم فضله وكرمه، خصوصاً ما ربّى به أولياءه

﴿ أَتبنون بكل ربع ﴾ أي: مدخل بين الجبال ﴿ آية ﴾ أي: علامة ﴿ تعبثون ﴾ أي: تفعلون ذلك عبثاً لغير فائدة تعود بمصالح دينكم ودنياكم.

﴿وتتخذون مصانع ﴾ أي: بركاً وبجابي للمياه ﴿لعلكم تخلدون ﴾ والحال أنه لا سبيل إلى الخلود لأحد.

﴿وإذا بطشتم ﴾ بالخلق ﴿بطشتم جبارين ﴾ قتلاً وضرباً، وأخذ أموال. وكان الله تعالى قد أعطاهم قوة عظيمة ، وكان الواجب عليهم أن يستعينوا بقوتهم على طاعة الله، ولكنهم فخروا واستكبروا، وقالوا: ﴿من أشد منا قوة ﴾ واستعملوا قوتهم في معاصي الله، وفي العبث والسفه، فلذلك نهاهم نيهم عن ذلك.

﴿ فَاتَقُوا الله ﴾ واتركوا شرككم وبطركم ﴿ وأطيعون ﴾ حيث علمتم أني رسول الله إليكم، أمين ناصح،

﴿واتقوا الذي أمدكم ﴾ أي: أعطاكم ﴿بما تعلمون ﴾ أي: أمدكم بما لا يجهل ولا ينكر من الإنعام ، ﴿أمدكم بأنعام ﴾ من إبل وبقر وغنم ﴿وبنين ﴾ أي: وكثرة نسل ، كثر أموالكم ، وكثر أولادكم ، خصوصاً الذكور ، أفضل القسمين .

هذا تذكيرهم بالنعم، ثم ذكرهم حلول عذاب الله، فقال: ﴿إِنِ أَحَافَ عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ أي: إني -من شفقتي عليكم وبري بكم - أخاف أن ينزل بكم عذاب عظيم، إذا نزل لا يرد، إن استمريتم على كفركم وبغيكم.

فقالوا معاندين للحق مكذبين لنبيهم: ﴿سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين، أي: الجميع على حد سواء، وهذا غاية العتو، فإن قوماً بلغت بهم الحال إلى أن صارت مواعظ الله، التي تذيب الجبال الصم الصلاب، وتتصدع لها أفئدة أولي الألباب، وجودها وعدمها \_عندهم \_ على حد سواء، لقوم انتهى ظلمهم، واشتد شقاؤهم، وانقطع الرجاء من هدايتهم، ولهذا قالوا: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خملق الأولين) أي: هذه الأحوال والنعم، ونحو ذلك، عادة الأولين، تارة يستغنون، وتارة يفتقرون، وهذه أحوال الدهر، لا أن هذه محن ومنح من الله تعالى، وابتلاء لعباده ﴿وما نحن بمعذبين﴾ وهذا إنكار منهم للبعث، أو تنزل مع نبيهم وتهكم به، إننا على فرض أننا نبعث، فإننا كما أدرَّت علينا النعم في الدنيا، كذلك لا تزال مستمرة علينا إذا بعثنا.

﴿فكذبوه ﴾ أي: صار التكذيب سجية لهم وخلقاً، لا يردعهم عنه رادع. ﴿فأهلكناهم ﴾ ﴿بريح صرصر عاتية \* سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ﴾.

﴿إِن في ذلك لآية ﴾ على صدق نبينا هود عليه السلام، وصحة ما جاء به، وبطلان ما عليه قومه، من الشرك والجبروت، ﴿وما كان أكشرهم

مؤمنين، مع وجود الآيات المقتضية للإيمان.

﴿وإن ربك لهو العزيز ﴾ الذي أهلك بقوته قوم هود، على قوتهم وبطشهم. ﴿الرحيم﴾ بنبيه هود، حيث نجاه ومن معه من المؤمنين.

(۱٤۱ ـ ۱۵۹) ﴿ كَذَبِت تُمُودُ المرسلين﴾ إلى آخر القصة ﴿كذبت ثمود﴾ القبيلة المعروفة في مداتن الحجر ﴿المرسلين﴾ كذبوا صالحاً عليه السلام، الذي جاء بالتوحيد، الذي دعت إليه المرسلون، فكان تكذيبهم له تكذيباً للجميع.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٍ ﴾ في النسب، برفق ولين: ﴿ أَلَّا تَتَّقُونَ ﴾ الله تعالى، وتدعون الشرك والمعاصي ﴿إنِ لكم رسول﴾ من الله ربكم، أرسلني إليكم، لطفأ بكم ورحمة، فتلقوا رحمته بالقبول، وقابلوها بالإذعان، ﴿أُمِينُ﴾ تعرفون ذلك مني، وذلك يوجب عليكم أن تؤمنوا بي وبما جئت به .

﴿ وما أسألكم عليه من أجر ﴾ فتقولون: يمنعنا من اتباعك، أنك تريد أخذ أموالنا، ﴿إِن أَجِرِي إِلَّا عَلَى رب العالمين﴾ أي: لا أطلب الثواب

﴿أُتُتُرَكُونَ فَي مَا هَاهَنَا آمَنِينَ \* فَي جنات وعيون \* وزروع ونخل طلعها هضيم﴾ أي: نضيد كثير. أي: أتحسبون أنكم تتركون في هذه الخيرات والنعم سُدي، تتنعمون وتمتعون كما تتمتع الأنعام وتتركون سدى، لا تؤمرون، ولا تنهون، وتستعينون بهذه السنعيم على متعياضي الله، ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾ أي: بلغت بكم الفراهة والحذق إلى أن اتخذتم بيوتاً من الجبال الصم الصلاب. ﴿ فَاتَـقُوا اللهُ وأَطْيَعُونَ \* ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين

تجاوزوا الحد، ﴿اللَّذِينِ يفسدون في

الأرض ولا يصلحون اي: الذين

وصفهم ودأبهم الإفساد في الأرض،

بعمل المعاصي، والدعوة إليها، إفساداً

لا إصلاح فيه، وهذا أضر ما يكون، لأنه شر محض، وكأن أناساً عندهم مستعدون لمعارضة نبيهم، موضعون في الدعوة لسبيل الغي، فنهاهم صالح عن الاغترار بهم، ولعلهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَكَانَ فِي الْمُدْيِنَةِ تُسْعَةً رهسط يسفسسدون فسي الأرض ولا يصلحون﴾ فلم يفد فيهم هذا النهى والوعظ شيئاً، فقالوا لصالح: ﴿إِنَّمَا أَنْتُ مِنِ المُسحِرِينِ ﴾ أي: قد سحرت، فأنت تهذى بما لا معنى له. ﴿ما أنت إلا بشر مثلنا ﴾ فأي:

فضيلة فقتنا بها، حتى تدعونا إلى اتباعك؟ ﴿فأت باآية إن كنت من الصادقين﴾ هذا، مع أن مجرد اعتبار حالته وحالة ما دعاً إليه، من أكبر الآيات البينات على صحة ما جاء به وصدقه، ولكنهم (١) من قسوتهم، سألوا آيات الاقتراح، التي في الغالب لا يفلح من طلبهاً، لكون طّلبه مبنياً على التعنت لا على الاسترشاد.

فقال صالح: ﴿هذه ناقة﴾ تخرج من صخرة صماء ملساء ترونها وتشاهدونها بأجمعكم، ﴿لها شرب ولكم شرب يوم معلوم، أي: تشرب ماء البئر يوماً، وأنتم تشربون لبنها، ثم تصدر عنكم اليوم الآخر، وتشربون أنتم ماء البئر. ﴿ولا تمسوها بسوء﴾ بعقر أو غيره

﴿فيأخذكم عذاب يوم عظيم فخرجت واستمرت عندهم بتلك الحال، فلم يؤمنوا، واستمروا على طغيانهم ﴿فعقروها فأصبحوا نادمين \* فأخذهم العذاب، وهي صيحة نزلت عليهم، فدمرتهم أجمعين، ﴿إن في ذلك لآية ﴾ على صدق ما جاءت به رسلنا، وبطلان قول معارضيهم، ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين \* وإن ربك لهو العزيز الرحيم،

﴿١٦٠ ــ ١٧٥﴾ ﴿كذبت قوم لوط المرسلين، إلى آخر القصة قال لهم وقالوا كما قال من قبلهم، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم، وكانوا ــمع شركهم ــيأتون فاحشة لم

وَاتَّغُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَّةَ ٱلْأَوْلِينَ ﴿ وَالْوَالِمَّا أَنَّ الْتَ مِنَ ٱلْمُسَخِّدِة ﴿ وَمَا أَنْ إِلَّا بِشَرَّة مُثْلُنًا وَإِن نَظَنُكُ لِنَ ٱلْكَنِيِينَ ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَ كَيْمَفَا مِنَ ٱلسَّمَآ عِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّدِقِينَ۞ قَالَ رَبَّ أَعَلَّرُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ فَكَ نَبُوهُ فَأَخَذَهُرْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ رُكَانَ عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ ۞ إِنَّ فِ ذَاكِ لَآتِيَةً وَمَا كَانَ أَحْتَرُهُم مُؤْمِنِينَ ۞ وَلِذَ رَبُّكِ لَمُو ٱلْمَرْيُزُالْرَحِيمُ ۞ وَإِنَّمُلَتَنِيلُ رَبِّ الْعَلَمِينَ ۞ تَرْكَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۞ عَلَى تَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنْذِينَ ۞ بِلِيكَ إِن عَنَيْنِ شِينِ ﴿ وَمِانَهُ لِنِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ أُولَمْ يَكُن لَهُمْ عَايَةً أَن يَعْ أَمْتُهُ عُلَمْتُوا بَنِي إِسْرَاءَ مِلَ ۞ وَلَوْزَلْنَهُ عَلَى بَعْضِ ٱلْأَعْجَيِينَ @ فَقَرَأَهُ مَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِدِء مُؤْمِنِينَ ۞ كَذَّ لِكَ سَلَحَنْهُ فِى قُلُوبِ ٱلْجُيْمِينَ ۞ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَسَرُقُ ٱلْعَذَابَ ٱلأَلِيدَ ۞ فَتَأْتِهُمُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ فَيَغُولُواْ عَلَ نَحْنُ مُنظَرُونَ ۞ أَفِيعَذَابِنَايَتُ تَعْجِلُونَ ۞ أَفَرَةَ يْتَ إِن أً مُّتَّعْنَاهُمْ سِينِينَ ۞ ثُرِّبَآءَهُم مَّاكَافُوا يُوعَدُونَ ۞ DESTRUCTIVO LA DESTRUCTIVO

يسبقهم إليها أحد من العالمين، يختارون نكاح الذكران، المستقذر الخبيث، ويرغبون عما خلق لهم من أزواجهم، لإسرافهم وعدوانهم، فلم يزل ينهاهم حتى ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿لئن لَمْ تنته يا لوطُّ لتكونن من المخرجين، أي: من البلد، فلما رأى استمرارهم عليه ﴿قال إني لعملكم من القالين﴾ أي: المبغضين له الناهين عنه، المحذرين.

﴿رب نجني وأهلي مما يعملون﴾ من فعله وعقوبته، فأستجاب الله له، ﴿فنجيناه وأهله أجمعين \* إلا عجوزاً في الغابرين ﴿ أي: الباقين في العذاب، وهي امرأته.

﴿ ثُم دمرنا الآخرين \* وأمطرنا عليهم مطرأ الى: حجارة من سجيل ﴿ فسأء مطر المنذرين ﴾ أهلكهم عن اخرهم.

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيِةً وَمَا كَانَ أَكْثُرُهُم مؤمنين \* وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾

﴿ ١٧٦ \_ ١٩١ ﴾ ﴿ كذب أصحاب الأيكة المرسلين ﴾ أصحاب الأيكة: أى: البساتين الملتفة أشجارها(٢)، وهم أصحاب مدين، فكذبوا نبيهم شعيباً، الذي جاء بما جاء به المرسلون، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شَعِيبِ أَلا تتقون، الله تعالى، فتتركون ما يسخطه

تا أَغْنَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُنْ ۞ وَمَا أَهْلَكَ عَانِ وَقَيْهُ الْأَهْلُونُ ۞ وَمَا أَهْلُكُ عَانُ وَقَيْهُ الْأَهْلِينَ ۞ وَمَا تُرْتَاعِهِ أَلَا اللّهِ مِنْ وَمَا تُرْتَاعِهِ وَمَا كَنَا طَلِينِ فَى وَمَا تُرْتَاعِهِ مَعَ اللّهِ وَمَا يَسْتَعِلِهُ وَسَ ﴾ وَمَا يَسْتَعِلَهُ وَسَ ﴾ وَمَا يَسْتَعِلُهُ وَسَ وَالْمَوْمِ وَمَا يَسْتَعِلُهُ وَمَنْ الْمَوْمِينَ ۞ فَإِنْ مَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمِنْ أَلَّا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمِنْ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمَا اللّهُ وَمِنْ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمُعَلّمُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا مَنْ مَنْ اللّهُ وَاللّهُ وَمَا اللّهُ وَمِنْ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمِنْ وَمَا اللّهُ وَمِنْ وَمَا اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمُنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمُنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمُنْ اللّهُ وَمُلْمُوا اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمُنْ اللّهُ وَمُنْ ال

TO TO THE WAR THE REAL PROPERTY OF THE PARTY OF THE PARTY

ويغضبه، من الكفر والمعاصى، ﴿إِنَّ لكم رسول أمين﴾ يترتب على ذلك، أن تتقوا الله وتطيعون، وكانوا ...مع شركهم \_ يبخسون المكاييل والموازين، فلذلك قال لهم: ﴿ أُوفُوا الْكِيلِ ﴾ أي: أتموه وأكملوه ﴿ولا تكونوا من المخسرين، الذين ينقصون الناس أموالهم ويسلبونها ببخس المكيال والميزان، ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم الى: بالميزان العادل، الذي لا يميل، ﴿واتقوا الذي خلقكم والجسبكة الأولين) أي: الخسليقة الأولين، فكما انفرد بخلقكم، وخلق من قبلكم من غير مشارك له في ذلك، فأفردوه بالعبادة والتوحيد، وكما أنعم عليكم بالإيجاد والإمداد بالنعم، فقابلوه بشكره.

قالوا له، مكذبين له، رادِّين لقوله: ﴿إنما أنت من المسحرين﴾ فأنت تهذي وتتكلم كلام المسحور، الذي غايته أن لا يؤاخذ به.

﴿وما أنت إلا بشر مثلنا ﴾ فليس فيك فضيلة اختصصت بها علينا، حتى تدعونا إلى اتباعك، وهذا مثل قول من قبلهم ومن بعدهم، ممن عارضوا الرسل بهذه الشبهة، التي لم يزالوا يدلون بها ويصولون، ويتفقون عليها، لاتفاقهم على الكفر، وتشابه قلوبهم.

وقد أجابت عنها الرسل بقولهم: ﴿إِن نحن إلا بشر ممثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ﴾.

﴿وإن نظنك لمن الكاذبين﴾ وهذا جراءة منهم وظلم وقول زور، قد الطووا على خلافه، فإنه ما من رسول من الرسل، واجه قومه ودعاهم، وجادلهم وجادلوه، إلا وقد أظهر الله على يديه من الآيات، ما به يتيقنون صدقه وأمانته، خصوصاً شعيباً عليه السلام، الذي يسمى خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته قومه، ومجادلتهم بالتي هي أحسن، فإن قومه قد تيقنوا صدقه، وأن ما جاء به حق، ولكن إخبارهم عن ظن كذبه كذب منهم.

﴿فَاسْقط علينا كسفاً من السماء﴾
أي: قطع عذاب تستأصلنا. ﴿إِن كنت
من الصادقين﴾ كقول إخوانهم ﴿وإِذ
قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من
عندك فأمطر علينا حجارة من السماء
أو ائتنا بعذاب أليم﴾ أو أنهم طلبوا
بعض آيات الاقتراح، التي لا يلزم
تتميم مطلوب من سألها.

﴿قال﴾ شعيب عليه السلام: ﴿ربي أعلم بما تعملون﴾ أي: نزول العذاب، ووقوع آيات الاقتراح، لست أنا الذي آتي بها وأنزلها بكم، وليس على إلا تبليغكم ونصحكم وقد فعلت، وإنما الذي يأتي بها ربي، العالم بأعمالكم وأحوالكم، الذي يجازيكم وياسبكم.

﴿ تَكْذَبُوه ﴾ أي: صار التكذيب لهم وصفاً، والكفر لهم ديدناً، بحيث لا تفيدهم الآيات، وليس جم حيلة إلا نزول العذاب.

وُفَاحُدُهُم عذاب يوم الظلة الطلقة الطلقة مستلذين، لظلها غير الظليل، فأحرقتهم بالعذاب، فظلوا تحتها خامدين، ولديارهم مفارقين، ولدار الشقاء والعذاب نازلين.

﴿إِنه كان عذاب يوم عظيم > الا كرة لهم إلى الدنيا، فيستأنفوا

العمل، ولا يُفَتَّر عنهم العذاب ساعة، ولا هم ينظرون.

﴿إِنْ فِي ذلك لآية﴾ دالة على صدق شعيب، وصحة ما دعا إليه، وبطلان رد قومه عليه، ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ مع رؤيتهم الآيات، لأنهم لا زكاء فيهم، ولا خير لديهم ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾.

﴿ وإن ربك لهو العزيز ﴾ الذي امتنع بقوته عن إدراك أحد، وقَهَرَ كل خلوق. ﴿ الرحيم ﴾ الذي الرحة وصفه، ومن آثارها، جميع الخيرات في الدنيا والآخرة، من حين أوجد الله العالم إلى ما تهاية له. ومن عزته، أن أهلك أعداءه حين كذبوا رسله، ومن رحته، أن نجّى أولياءه ومن اتبعهم من المؤمنين.

(۱۹۲ - ۲۰۳) ﴿ ﴿ وَإِنه لَتَزِيلُ رَبُ الْعَالَمِينَ \* عَلَى الْعَالَمِينَ \* عَلَى قَلْبِكُ لَتَكُونَ مِن المُنْدُرِينَ \* بلسان عربيّ مبين \* وإنه لفي زبر الأولين \* أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل \* ولو نزلناه على بعض الأعجمين \* فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين \* كذلك سلكناه في قلوب المجرمين \* لا يؤمنون به حتى بروا المعذاب الأليم \* فيأتيهم بغتة وهم العذاب الأليم \* فيأتيهم بغتة وهم منظرون \* لما ذكر قصص الأنبياء مع منظرون \* لما ذكر قصص الأنبياء مع ردوا عليهم ، وكيف دعوهم ، و [ما] (٢) أعداءهم ، وصارت لهم العاقبة .

ذكر هذا الرسول الكريم، والنبي المصطفى العظيم، وما جاء به من الكتاب، الذي فيه هداية لأولي الألباب، فقال: ﴿وَإِنه لتنزيل رب العالمين﴾ فالذي أنزله، فاطر الأرض والسماوات، المربيّ جميع العالم، العلوي والسفلي، وكما أنه رباهم بهدايتهم لمصالح دنياهم وأبدانهم، فإنه وأخراهم، ومن أعظم ما رباهم به، إنزال هذا الكتاب الكريم، الذي

اشتمل على الخير الكثير، والبر الغزير، وفيه من الهداية لمصالح الدارين، والأخلاق الفاضلة، ما ليس في غيره، وفي قوله: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾ من تعظيمه وشدة الاهتمام فيه، من كونه نزل من الله، لا من غيره، مقصوداً فيه نفعكم وهدايتكم، ﴿نزل به الروح الأمين﴾ وهو جبريل عليه السلام، الذي هو أفضل الملائكة وأقواهم، ﴿الأمين﴾ الذي قد أمن أن يزيد فيه أو ينقص.

﴿على قلبك﴾ يا محمد ﴿لتكون من المنذرين﴾ تهدي به إلى طريق الرشاد، وتنذر به عن طريق الغي.

﴿بلسان عربي ﴿ وهو أفضل الألسنة ، بلغة من بُعثَ إليهم ، وباشر دعوتهم أصلاً ، اللسان البينُ الواضح . وتأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم ، فإنه أفضل الكتب ، نزل به أفضل الملائكة ، على أفضل بضعة فيه وهي قلبه ، على أفضل أمة أخرجت للناس ، بأفضل الألسنة وأفصحها وأوسعها ، وهو اللسان العربي المين .

﴿ وَإِنهُ لَفِي زَبِرِ الأُولِينَ ﴾ أي: قد بشرت به كتب الأولين وصدقته، وهو لما نزل طِبْقَ ما أخبرت به، صدقها، بل جاء بالحق وصدق المرسلين.

﴿أُولُمْ يَكُنُ لَهُمْ آيَةً﴾ على صحته، وأنه من الله ﴿أَنْ يَعلَمُهُ علَمَاءُ بِنِي إِسَائِيلُ﴾ الذي قد انتهى إليهم العلم، وصاروا أعلم الناس، وهم أهل الصنف، فإن كل شيء يحصل به اشتباه، يرجع فيه إلى أهل الخبرة والدراية، فيكون قولهم حجة على عبرهم، كما عرف السحرة الذين مهروا في علم السحر، صدق معجزة موسى، وأنه ليس بسحر، فقول الجاهلين بعد هذا لا يؤبه به.

﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين﴾
الذين لا يفقهون لسانهم، ولا يقدرون
على التعبير لهم كما ينبغي ﴿فقرأه
عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾ يقولون: ما
نفقه ما يقول، ولا ندري ما يدعو إليه،
فليحمدوا ربهم، أن جاءهم على لسان

أفصح الخلق، وأقدرهم على التعبير عن القاصد، بالعبارات الواضحة وأنصحهم، وليبادروا إلى التصديق به، وتلقيه بالتسليم والقبول، ولكن تكذيبهم له عن غير شبهة، إن هو إلا محض الكفر والعناد، وأمر قد توارتثه الأمم المكذبة، فلهذا قال: ﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين اي: أدخلنا التكذّيب، وأنظمناه في قلوب أهل الإجرام، كما يدخل السلك في الإبرة، فتشربته، وصار وصفاً لها، وذلك بسبب ظلمهم وجرمهم، فلذلك ولا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم الأليم على تكذيبهم، ﴿فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ أي: يأتيهم على حين غفلة ، وعدم إحساس منهم، ولا استشعار بنزوله، ليكون

﴿ فَيقولوا ﴾ إذ ذاك: ﴿ هل نحن منظرون ﴾ أي: يطلبون أن يُنظروا ويمهلوا، والحال إنه قد فات الوقت، وحل يهم العذاب الذي لا يرفع عنهم، ولا يفتر ساعة.

أبلغ في عقوبتهم والنكال بهم.

﴿ ٢٠٧ - ٢٠٤﴾ ﴿ أَفْرِ الْعَبِ عَلَا الْبِ الْمَ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ متعناهم سنين \* شم جاءهم ما كانوا يوعدون \* ما أغنى عنهم ما كانوا الذي هو العذاب الأليم العظيم، الذي لا يستمان به ولا يحتقر، ﴿ يستعجلون ﴾ فما الذي غرهم؟ هل فيهم قوة وطاقة للصبر عليه؟ أم عندهم قوة يقدرون على دفعه أو رفعه إذا نزل؟ أم يُعْجزوننا ويظنون أننا لا نقدر على ذلك؟

﴿أفرأيت إن متعناهم سنين ﴾ أي: أفرأيت إذا لم نستعجل عليهم بإنزال العذاب، وأمهلناهم عدة سنين يتمتعون في الدنيا ﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ﴾ من العذاب.

ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون من اللذات والشهوات، أي: أي: شيء تغني عنهم وتفيدهم، وقد مضت، وبطلت، وأعقبت تبعاتها، وضوعف لهم العذاب عند

طول المدة. المقصد أن الحذر، من وقوع العذاب، واستحقاقهم له. وأما تعجيله أو تأخيره، فلا أهمية تحته، ولا جدوى عنده.

وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون \* ذكرى وما كنا قرية إلا لها منذرون \* ذكرى وما كنا ظالمين \* وما تنزلت به الشياطين \* وما ينبغي لهم وما يستطيعون \* إنهم عن السمع لمعزولون > يغبر تعالى عن كمال عدله في إهلاك المكذبين، وأنه ما أوقع بقرية هلاكاً وعذاباً، إلا بعد أن يعذر منهم، ويبعث فيهم النُذر بالآيات البينات، ويدعونهم إلى الهدى، وينهونهم عن الردى، ويذكرونهم بايات الله، وينبهونهم على أيامه في نعمه ونقمه.

﴿ذكرى ﴾ ليهم وإقيامة حجة عليهم. ﴿وما كنا ظالمين ﴾ فنهلك القرى قبل أن ننذرهم، ونأخذهم وهم غافلون عن النذر، كما قال تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ ﴿وسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾.

ولما بين تعالى كسال القرآن وجلالته، نزهه عن كل صفة نقص، وحماه وقت نزوله، وبعد نزوله من شياطين الجن والإنس، فقال: ﴿وما تنزلت به الشياطين ﴿ وما ينبغي لهم ﴾ ﴿ وما يستطيعون ﴾ ذلك. ﴿ إنهم عن السمع لمعزولون ﴾ قد أبعدوا عنه، وأعدت لهم الرجوم لحفظه، ونزل به شيطان أن يقربه، أو يحوم حول شيطان أن يقربه، أو يحوم حول ساحته، وهذا كقوله: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

﴿ ٢١٣ ـ ٢١٣﴾ ﴿ فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين \* وأنذر عشيرتك الأقربين \* واخفض جناحك لن اتبعك من المؤمنين \* فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون ﴾ ينهى تعالى رسوله أصلا، وأمته أسوة له في ذلك، عن دعاء غير الله، من جميع المخلوقين، وأن ذلك موجب للعذاب السرمدي، لكونه المحلونة ا

شركاً، ﴿ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وممأواه النار، والنهي عن الشيء أمرٌ بضده، فالنهى عن الشرك، أمر بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، محبة، وخوفاً، ورجاء، وذلاً، وإنابة إليه في جميع الأوقات. ولما أمره بما فيه كمال نفسه، أمره بتكميل غيره، فقال: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين الذين هم أقرب الناس إليك، وأحقهم بإحسانك الديني والدنيوي، وهذا لا ينافي أمره بإنذار جميع الناس، كما إذا أمر الإنسان بعموم الإحسان، ثم قيل له «أحسن إلى قرابتكُ»، فيكون هذا خصوصاً(١) دالاً على التأكيد وزيادة الحق، فامتثل ﷺ هذا الأمر الإلهي، فدعى سائر بطون قريش، فعمم وخصص، وذكرهم ورعظهم، ولم يُبنق على من مقدوره شيئاً، من نصحهم وهدايتهم إلا فعله، فاهتدى من اهتدى، وأعرض من أعرض، ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ بلين جانبك، ولطف خطابك لهم، وتوددك وتحببك إليهم، وحسن خلقك والإحسان التام بهم، وقد فعل ﷺ ذلك، قال تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾ فهذه أخلاقه ﷺ، أكمل الأخلاق، التي يحصل بها من المصالح العظيمة ودفع المضار ما هو مشاهد. فهل يليق بمؤمّن بالله ورسوله، ويدّعي اتباعه والاقتداء به، أن يكون كلاً على المسلمين، شرسَ الأخلاق، شديد الشكيمة عليهم، غليظ القلب، فظ القول، فظيعه؟ [و] إن رأى منهم معصية أو سوء أدب، هجرهم ومقتهم وأبغضهم، لا لين عنده، ولا أدب لديه، ولا توفيق، قد حصل من هذه المعاملة من المفاسد، وتعطيل المصالح ما حصل، ومع ذلك تجده محتقراً لمن اتصف بصفات الرسول الكريم، قد رماه بالنفاق والمداهنة، وقد كمّل نفسه

ورفعها، وأعجب بعمله، فهل هذا إلا من جهله، وتزيين الشيطان وخدعه لمه، ولهذا قال الله لرسوله: ﴿فَإِنَّ مَعُولُ ﴾ في أمر من الأمور، فلا تتبرأ من منهم، ولا تترك معاملتهم، بخفض عليه وانصحهم، الجناح، ولين الجانب، بل تبرأ من وابذل قدرتك في ردهم عنه وتوبتهم منه، وهذا لدفع، احتراز وهم من يتوهم، أن قوله: ﴿وَاخْفُضُ جِنَاحِكُ ﴾ للمؤمنين، يقتضي الرضاء بجميع ما يصدر منهم، ما داموا مؤمنين، فدفع هذا بهذا، والله أعلم.

﴿۲۱۷ ـ ۲۱۷﴾ ﴿وتـوكـل عـلى العزيز الرحيم \* الذي يراك حين تقوم \* وتقلبك في الساجدين \* إنه هو السميع العليم، أعظم مساعد للعبد على القيام بما أمر به، الاعتماد على ربه، والاستعانة بمولاه على توفيقه للقيام بالمأمور، فلذلك أمر الله تعالى بالتوكل عليه، فقال: ﴿وتوكل على العزيز الرحيم) والتوكل هو اعتماد القلب على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار، مع ثقته به، وحسن ظنه بحصول مطلوبه، فإنه عزيز رحيم، بعزته يقدر على إيصال الخير ودفع الشر عن عبده، وبرحمته به يفعل ذلك. ثم نبهه على الاستعانة باستحضار قرب الله، والنزول في منزل الإحسان فقال: ﴿ اللَّذِي يراكُ حين تقوم \* وتقلبك في الساجدين ﴿ أي: يراك في هذه العبَّادة العظيمة ، التي هي الصلاة، وقت قيامك وتقلبك راكعاً وساجداً خصها بالذكر، لفضلها وشرفها، ولأن من استحضر فيها قرب ربه، خشع وذل، وأكملها، وبتكميلها يكمل سآئر عمله، ويستعين بها على جميع أموره.

﴿إنه هو السميع السائر الأصوات، على اختلافها وتشتتها وتنوعها، ﴿العليم》 الذي أحاط بالظواهر والبواطن، والغيب

والشهادة. فاستحضار العبد رؤية الله له في جميع أحواله، وسمعه لكل ما ينطق به، وعلمه بما ينطوي عليه قلبه، من الهم والعزم والنيات، مما يعينه على منزلة الإحسان.

﴿۲۲۱ ۲۲۱﴾ ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين \* تنزل على كل أفَّاكِ أثيم \* يلقون السمع وأكثرهم كاذبون \* والشعراء يتبعهم الغاوون \* ألم تر أنهم في كل واد يهيمون \* وأنهم يقولون ما لا يفعلون \* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، هذا جواب لمن قال من مكذبي الرسول: إن محمداً ينزل عليه شيطان. وقول من قال: إنه شاعر، فقال: ﴿ هِلْ أَنبِتُكُم ﴾ أى: أخبركم الخبر الحقيقي الذي لا شك فيه ولا شبهة، على من تنزل الشياطين، أي: بصفة الأشخاص، الذين تنزل عليهم الشياطين. ﴿تنزل على كل أفاك أي: كذاب، كثير القول للزور، والإفك بالباطل، ﴿أثيم﴾ في فعله، كثير المعاصي، هذا الذي تنزل عليه الشياطين، وتناسب حاله حالهم؟

﴿ يلقون ﴾ عليه ﴿ السمع ﴾ الذي يسترقونه من السماء ، ﴿ وأكثرهم كاذبون ﴾ أي: أكثر ما يلقون إليه كذب (٢) ، فيصدق واحدة ، ويكذب معها مثة ، فيختلط الحق بالباطل ، ويضمحل الحق بسبب قلته ، وعدم علمه . فهذه (٣) صفة الأشخاص الذين تنزل عليهم الشياطين ، وهذه صفة وحيهم له .

وأما محمد ﷺ، فحاله مباينة لهذه الأحوال أعظم مباينة، لأنه الصادق الأمين، البار الراشد، الذي جمع بين برً القلب وصدق اللهجة ونزاهة الأفعال

من المحرم.

والوحي الذي ينزل عليه من عند الله، ينزل محروساً محفوظاً، مستملاً على الصدق العظيم، الذي لا شك فيه ولا ريب، فهل يستوي يا أهل العقول عفا وأولئك؟ وهل يشتبهان إلا على مجنون لا يميز ولا يغرق بين الأشياء؟

فلما نزهه عن نزول الشياطين عليه، برأه أيضاً من الشمعر فقال: والشعراء أي: هل أنبتكم أيضاً عن حالة الشعراء، ووصفهم الثابت، فإنهم فيتبعهم الغاوون عن طريق الهدى، المقبلون على طريق الغي والردى، فهم في أنفسهم غاوون، وتجد أتباعهم كل غاو ضال فاسد.

﴿ أَلُمْ تَرَ ﴾ غوايتهم وشدة ضلالهم ﴿ أَنْهُم فِي كُلُ واد ﴾ من أودية الشعر، ﴿ يَهْمِمُون ﴾ فتارة في مدح، وتارة في قدح، وتارة في كذب، وتارة في كذب، وتارة يتغزلون، وأخرى يسخرون، ومرة يمرحون، وآونة يحزنون، فلا يستقر لهم قرار، ولا يشتون على حال من الأحوال.

﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون ﴾
أي: هذا وصف الشعراء، أنهم تخالف أقوالهم أفعالهم، فإذا سمعت الشاعر يتغزل بالغزل الرقيق، قلت: هذا أشد الناس غراماً، وقلبه فارغ من ذاك، صدق، وهو كذب، وتبارة يتمدح بأفعال لم يفعلها، وتروك لم يتركها، وكرم لم يحم حول ساحته، وشجاعة يعلو بها على الفرسان، وتراه أجبن من يعلو بها على الفرسان، وتراه أجبن من كل جبان، هذا وصفهم.

فانظر، هل يطابق حالة الرسول محمد على الراشد البار، الذي يتبعه كل راشد ومهتد، الذي قد استقام على الهدى، وجانب الردى، ولم تتناقض أفعاله، ولم تخالف أقواله أفعاله؟ الذي لا يأمر إلا بالخير، ولا ينهى إلا عن الشر، ولا أخبر بشيء إلا صدق، ولا أمر بشيء إلا كان أول الفاعلن له،

ولا نهى عن شيء إلا كان أول التاركين له.

فهل تناسب حاله حالة الشعراء، أو يقاربهم؟ أم هو خالف لهم من جميع الوجوه؟ فصلوات الله وسلامه على هذا الرسول الأكمل، والهمام الأفضل، أبد الآبدين، ودهر الداهرين، الذي ليس بشاعر، ولا ساحر، ولا مجنون، ولا يليق به إلا كمال.

ولما وصف الشعراء بما وصفهم به، استثنى منهم من آمن بالله ورسوله، وعمل صالحاً، وأكثر من ذكر الله، وانتصر من أعدائه المشركين من بعد ما ظلموهم.

فصار شعرهم من أعمالهم الصالحة وآثار إيمانهم، لاشتماله على مدح أهل الإيمان، والانتصار من أهل الشرك والكفر، والذّب عن دين الله، وتبيين العلوم النافعة، والحث على الأخلاق الفاضلة، فقال:

﴿ إِلاَ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ ينقلبون ﴾ ينقلبون إلى موقف وحساب، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ولاحقاً إلا استوفاه. والحمد لله رب العالمين.

## تفسير سورة النمل وهي مكية

﴿١- ٢﴾ ﴿بسم الله السرحمن الله السرحمن الرحيم طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين \* هدى وبشرى للمؤمنين \* الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون \* إنّ الذين لهم أعمالهم فهم يعمهون \* أولئك الذين لهم سوء فهم يعمداب وهم في الآخرة هم الأخسرون \* وإنك لتلقى القرآن من النحكيم عليم﴾ ينبّه تعلى عباده على لنن حكيم عليم﴾ ينبّه تعلى عباده على على التعظيم، فقال: ﴿تلك آيات على القرآن وكتاب مبين﴾ أي: هي أعلى القرآن وأقوى البينات، وأوضح الريات، وأقوى البينات، وأوضح

र्धे हो हिंदि हैं \_ وأهَوَ الرَّغَزُ الرَّحِيْمِ طَسَّ يَلْكَ ءَ إِنْتُ ٱلْقُرْرَةِ إِن وَكِمَابِ مَّهِين ۞ هُدَى وَيُشْرِي لِلْمُؤْمِنِينَ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُر بِٱلْآخِرَةِ مُتَرِيُوقِتُونَ ۞ إِذَّا لَٰذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَنَّنَا لَمُمُرَّ أَعْلَلُهُمْ فَهُمْ رَعَّمَهُونَ ۞ أُولَتِكَ ٱلَّذِنَ لَمَّيْشُوءُ ٱلْعَلَالِ وَهُرِ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۞ وَإِنَّكَ لَتَكَةً ٱلْقُرْءَ إِنَّ مِن لَّذَنَّ حَكِيهِ عَلِيهِ ۞ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِورَ إِنَّ ءَانَسَتُ نَازَاسَعَاتِكُمُ مِنْهَا يِعْبَرِ أَوْءَاتِهِ كُمْ بِينْهَابِ قَبْسِ لِْعَلَّكُونَ فَصَطَلُونَ ۞ فَلَمَّا جَآهَ هَا نُودِيَ أَنْ بُولِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلِمَا وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبّ ٱلْعَلَيْيِنَ ۞ يَعُونَنَيْ إِنَّهُۥ أَنَا اللَّهُ ٱلْعَيْزُ ٱلْتَكِيدُ۞ وَٱلِّي عَصَالُهُ فَلْأَرْءَاهَاتَهَنَّزُكُأَنَّهَاجَأَنُّ وَلَّى مُدْيِرًا وَلَرْ يُعَقِّبُّ يَدُوسَىٰ لِانْخَفْ إِنِّ لَا يَحَافُ لَدَى ٱلْمُرْسِلُونَ ۞ إِلَّا مَن ظَلَرَ ثُرَّبَدِّلَ حُسَنَّا لِعَدَ سُوِّقِ ۗ فَإِنَّ عَفُورٌ رُبِّحِيمٌ ۞ وَأَدْخِلُ يَدَكَ فِ جَيْبِكَ تَخْرُجُ يَصْلَأُ مِنْ غَيْرِسُوَّةً فِي شِعْ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَلِيقِينَ ﴿ فَلْمَا جَنَّهُ تَهُمْ اللَّهُ مَا مُنْكِامُ مُعْمِرَةً قَالْواْهَ لَذَا سِحْرَ مُنْسِينٌ ﴿ 

الدلالات، وأبينها على أجل المطالب، وأفضل المقاصد، وخير الأعمال، وأزكم الأخلاق، آيات تبدل على الأخبار الصادقة، والأوامر الحسنة، والنهى عن كل عمل وخيم، وخلق ذميم، آيات بلغت في وضوحها وبيانها للبصائر النيرة، مبلغ الشمس للأبصار، آيات دلت على الإيمان، ودعت للوصول إلى الإيقان، وأخبرت عن الغيوب الماضية والمستقبلة، على طِبْق ما كان ويكون. آيات دعت إلى معرفة الرب العظيم، بأسمائه الحسني وصفاته العليا وأفعاله الكاملة، آيات عرفتنا برسله وأوليائه، ووصفتهم حتى كأننا ننظر إليهم بأبصارنا، ولكن مع هذا لم ينتفع بها كثير من العالمين، ولم يهتد بها جميع المعاندين، صوناً لها عن من لا خير فيه ولا صلاح، ولا زكاء فى قلبه، وإنما اهتدى بها، من خصهم الله بالإيمان، واستنارت بذلك قلوبهم، وصفت سرائرهم.

فلهذا قبال: ﴿هدى وبشرى للمؤمنين﴾ أي: تهديم إلى سلوك الصراط المستقيم، وتبين لهم ما ينبغي أن يسلكوه أو يتركؤه، وتبشرهم بثواب الله المرتب على الهداية لهذا الطريق.

ربما قيل: لعله يكثر مدعو الإيمان، فهل يقبل من كل أحد ادّعي

وَيَحَدُوابِهَا وَلَسْتَقْنَامًا أَفْسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوا فَانْظُرَكُفَ كَانَ عَقِبَةُ لَلْفُسِدِينَ ۞ وَلَقَدْءَ الَّيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْنَ عِلْمَأْوَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهُ الَّذِي فَضَلَنَا عَلَى كَثِيرِ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَوَرِثَ سُلَمْنَ مُ دَاوُرٌ وَقَالَ بِكَأْتُهَا أَلْنَاسُ عُلَّمَنَا مَنِطَةَ ٱلطَّلَر وَأُوتِينَا مِن كُلِّ مِنْ إِنَّ هَاذَا لَمُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْذِينُ ۞ وَجُمِثَرَ لِسُلَيْنَ جُوُدُهُ مِنَ أَيْمِينَ وَأَلْإِنِينَ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ٥ حَقِّزَإِنَّا أَتَوَا عَلَى وَادِ النَّمَلِ قَالَت مَّلَةٌ يِّنَا أَيُّهَا النَّمَلُ ادْخُلُواْ مسكيتكم لايقطمتكم سكيتك وجثوبه وهز لايشعون ٥ فَتَبَسَدَ ضَاحِكَامِن فَوَلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِغِنَ أَنَّ أَشْكُرَ يعْمَتَكَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَ وَعَلَى وَلِدَى وَأَنْ أَعْمَلُ صَلِيحًا تَرْضَكُ وَأَدْخِلِنِي رِحْمَتِكَ فِي عِبَ إِدِكَ ٱلصَّلِيعِينَ ۞ وَتَفَقَّدُ الطَّيْرَفَقَ الْ مَالِي لَآ أَرَى الْهُذُهُ دَأَمْكَاتَ وَتَقَفَّةُ الطَّيْرُ فَقُ الْ مَالِ الآأَى الْفُنْهُ مُدَّادُكِانَ مِنْ الْمَنْآيِينِ ۞ لَأَقَذِبَنَّهُ مَعْلَانِ الْمَيْمِ الْوَلَالِيَّقَةُ وَ الْآلِيَائِينِي الْمُنْ الْمِلْنِ شِيمِ ۞ مَنْكَتَ عَرْسِيدِ فَقَالَ أَحَمَلَتُ مِمَا لَمَ يَحِيطُ بِعِي وَحِثْ كُن مِن سَبَالِينَا يَقِينِ ۞ 

أنه مؤمن ذلك؟ أم لا بدلذلك من دليل؟ وهو الحق، فلذلك بين تعالى صفة المؤمنين، فقال: ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ فرضها ونفلها، فيأتون بأفعالها الظاهرة، من أركانها، وشروطها، وواجباتها، بل ومستحباتها، وأفعالها الباطنة، وهو الخشوع الذي روحها ولبها، باستحضار قرب الله، وتدبر ما يقول المصلى ويفعله.

﴿ويسؤتون البركاة﴾ المفروضة لمستحقيها. ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ أي: قد بلغ معهم الإيمان إلى أن وصل إلى درجة اليقين، وهو العلم التام، الواصل إلى القلب، الداعي إلى العمل. ويقينهم بالآخرة، يقتضي كمال سعيهم لها، وحذرهم من أسباب العذاب وموجبات العقاب، وهذا أصل كل خير.

﴿إِن الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ ويكذبون بها، ويكذبون من جاء بإثباتها، ﴿زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون ﴾ حائرين مترددين، مؤثرين سخط الله على رضاه، قد انقلبت عليهم الحقائق، فرأوا الباطل حقاً، والحق باطلاً.

﴿أُولِئُكُ الذين لهم سوء العذاب﴾ أي: أشده وأسوأه وأعظمه، ﴿وهم في الآخرة هم الأخسرون ﴾ حصر الخسار فيهم، لكونهم خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وخسروا الإيمان الذي دعتهم إليه الرسل.

﴿ وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ﴾ أي: وإن هذا القرآن الذي ينزل عليك وتتلقفه وتتلقنه، ينزل من عند ﴿ حكيم ﴾ يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها. ﴿ عليم ﴾ بأسرار الأمور (١) وبواطنها، كظواهرها. وإذا كان من عند ﴿ حكيم عليم ﴾ (١) علم أنه كله حكمة ومصالح للعباد، من الذي [هو] أعلم بمصالحهم منهم ؟

﴿إذ قال موسى لأهله إني آنست ناراً إلى آخر قصته، يعني: اذكر هذه الحالة الفاضلة الشريفة من أحوال موسى بن عمران، ابتداء الوحي إليه، واصطفائه برسالته، وتكليم الله إياه، سنين، وسار بأهله من مدين متوجها إلى مصر، فلما كان في أثناء الطريق ضل، وكان في ليلة مظلمة باردة، فقال لهم: ﴿إني آنست ناراً ﴾ أي: بخبر ﴾ عن الطريق، ﴿أو آتيكم منها بشهاب قبس لعلكم تصطلون ﴾ أي: بشهاب قبس لعلكم تصطلون أي: مستدفؤون، وهذا دليل على أنه تائه، ومشتد برده، هو وأهله.

﴿ فَلُمَا جَاءَهَا نُودِي أَنْ بُورِكُ مِنْ فَي النَّارِ وَمِنْ حُولِهَا ﴾ أي: ناداه الله تعالى وأخبره، أن هذا محل مقدس مبارك، ومن بركته، أن جعله الله موضعاً لتكليم الله لموسى وندائه وإرساله.

﴿ وُسبحان الله رب العالمين ﴾ عن أن يُظن به نقص أو سوء، بل هو الكامل في وصفه وفعله.

﴿ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللهُ الْعَزِيرَ اللهُ الْعَزِيرَ اللهُ أَنَّهُ اللهُ الْعَزيرَ اللهُ أَنَّهُ الله الله الله تحده لا شريك له، كما في الآية الأخرى ﴿ إِنْنَى أَنَا اللهُ لا

إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴿ والعزيز ﴾ الذي قهر جيع الأشياء، وأذعنت له كل المخلوقات، ﴿ الحكيم ﴾ في أمره وخلقه. ومن عمران، الذي علم الله منه أنه أهل لرسالته ووحيه وتكليمه. ومن عزته، انفرادك وكثرة أعدائك وجبروتهم، فإن نواصيهم بيد الله، وحركاتهم وسكونهم بتديره.

﴿والله عصاك ﴾ فألقاها ﴿فلما رآها مهتز كأنها جان ﴾ وهو ذكر الحيات ، سريع الحركة ، ﴿ولى مدبراً ولم يعقب ﴾ ذعراً من الحية التي رأى ، على مقتضى الطبائع البشرية ، فقال الله له : ﴿يا موسى لا تخف وقال في الآية الأحرى : ﴿أقبل ولا تخف إنك من الأمني ﴾ ﴿إني لا يخاف لدي المسلون ﴾ لأن جميع المخاوف مندرجة في قضائه وقدره وتصريفه وأمره ، فالذين اختصهم الله بسرسالته ، واصطفاهم لوحيه ، لا ينبغي لهم أن يخافوا غير الله ، خصوصاً عند زيادة القرب منه ، والحظوة بتكليمه .

وإلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء أي: فهذا الذي هو محل الخوف والوحشة بسبب ما أسدى من الظلم، وما تقدم له من الجرم، وأما المرسلون، فما لهم وللوحشة والخوف؟ ومع هذا، من ظلم نفسه بمعاصي الله، ثم تاب وأناب، فبدل سيئاته حسنات، ومعاصيه طاعات، فإن الله غفور رحيم، فلا ييأس أحد من رحمته ومغفرته، فإنه يغفر الذنوب جميعاً، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها.

ووادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء لا برص ولا نقص، بل بياض يبهر الناظرين شعاعه. ﴿ في تسع آيات إلى فرعون وقومه ﴾ أي: هاتان الآيتان، انقلاب العصاحية تسعى، وإخراج اليد من

<sup>(</sup>١) في ب: الأحوال.

<sup>(</sup>٢) سبق قلم الشيخ ـ رحمه الله ـ فكتب: (حكيم خبير) فصححتها، وأبقيت التفسير كما هو.

शिक्षाकृत्य (४ إِنَّى وَجَدَتُّ أَمْرَأَةً كَتَلِكُ هُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَمُاعَرْشُ عَظِيرٌ ۞ وَجَدَثُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْ مِن دُونِ الله وَزَيِّ لَهُ وُالشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّيلِ فَهُمْ لَا يَهَ مَدُونَ ۞ أَلَّا يَسْجُدُ وَأَيِّوالَّذِي يُعْجُ أَكْفَتِهُ فِ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعَلِّمُونَ ۞ ٱللَّهُ لِآلِكَ إِلَّاهُ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿ • قَالْ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْرُكُتَ مِنَ ٱلْكَذِبِينَ ۞ ٱذْهَبَ يَكِنِي هَذَا فَأَلْقِهُ إِلَيْهِ رَثَّرَتُولًا عَنْهُمْ فَأَنظَرُ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۞ قَالَتْ يَتَأَيُّهُا ٱلْكُؤُا ٱلرَّحِيدِ۞ أَلَّا تَعَلُّوا عَلَى وَأَتُونِ مُسْلِمِينَ ۞ قَالَتْ يَتَأَيُّهَا ٱلْمَلُواُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمَّرًا حَتَىٰ تَشْهَدُونِ ۞ فَالُوا نَعَنُ أُولُوا قُوْنَوَ وَأُولُوا بَأْسِ شَكِيدِ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَاضْلِي عُكُمُ مَاذَا تَأْمُرِينَ ۞ قَالَتْ إِنَّ لَلْكُوكَ إِذَا دَحَلُواْ قَيْمَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِنَّهُ أَهْلِهَا أَذِلَّهُ وَكَذَاكِ يَفْعَلُونَ ۞ مَانِي المُنْهِلَةُ إِلَيْهِمِيهَدِيَّةُ فَنَاظِرَةً لِيمَرِّجِهِ كُلِّرْسُكُونَ ۞

أحداً من الآدميين، ولهذا دعا ربه فقال: ﴿وهب (٢٧) فقال: ﴿وهب (٢٧) في ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ فسخر الله له الشياطين، يعملون له كل ما شاء، من الأعمال التي يعجز عنها غيرهم، وسخر له الربح، غدوها شهر ورواحها شهر.

﴿إِن هذا ﴾ الذي أعطانا الله وفضلنا واختصنا به ﴿لهو الفضل المبين ﴾ الواضح الجلي ، فاعترف أكمل اعتراف بنعمة الله تعالى .

ورحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون أي: جمع له جنوده الكثيرة الهائلة المتنوعة، من بني آدم، ومن الجن والشياطين، ومن الطيور فهم يوزعون، يدبرون، ويرد أولهم على آخرهم، وينظمون غاية التنظيم في سيرهم ونزولهم، وحلهم وترحالهم قد استعد لذلك، وأعد له عدته، وكل هذه الجنود مؤتمرة تتمرد عنه، قال تعالى: ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك أي: أعط بغير حساب، فسار بهذه الجنود الضخمة في بعض أسفاره".

﴿حتى إذا أتواعلى وادي النمل

وكلا آتينا حكماً وعلماً ﴾ الآية .

﴿وقالا﴾ شاكرين لربهما منته الكبرى بتعليمهما: ﴿الحمد شالذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ، فحمدا الله على جعلهما من المؤمنين ، أهل السعادة ، وأنهم كانوا من خواصهم .

ولا شك أن المؤمنين أربع درجات:

الصالحون، ثم فوقهم الشهداء، ثم فوقهم الصديقون، ثم فوقهم الأنبياء، وداود وسليمان، من خواص الرسل، وإن كانوا دون درجة أولي العزم [الخمسة]، لكنهم من جملة الرسل الفضلاء الكرام، الذين نوه الله بذكرهم، ومدحهم في كتابه مدحاً عظيماً، فحمدوا الله على بلوغ هذه المنزلة، وهذا عنوان سعادة العبد، أن يكون شاكراً لله على نعمه الدينية والدنيوية، وأن يرى جميع النعم من ربه، فلا يفخر بها ولا يعجب بها، بل يرى أنها تستحق عليه شكراً كثيراً، فلما مدحهما مشتركين، خص سليمان بما خصه به، لكون الله أعطاه ملكاً عظيماً، وصار له من الماجريات ما لم يكن لأبيه، صلى الله عليهما وسلم، فقال: ﴿ وورث سليمان داود ﴾ أي: ورث علمه ونبوته، فانضم علم أبيه إلى علمه، فلعله تعلم من أبيه ما عنده من العلم، مع ما كان عليه من العلم وقت أبيه، كما تقدم من قوله ففهمناها سليمان، وقال شكراً لله، وتبجحاً بإحسانه، وتحدثاً بنعمته: ﴿ يِا أَيُّهَا الناس علمنا منطق الطير ﴾ فكان عليه الصلاة [والسلام] يفقه ما تقول وتتكلم به، كما راجع الهدهد وراجعه، وكما فهم قول النملة للنمل كما يأتي، وهذا لم يكن لأحد غير سليمان عليه الصلاة والسلام.

﴿ وأُوتسينا من كل شيء ﴾ أي: أعطانا الله من النعم، ومن أسباب الملك، ومن السلطنة والقهر، ما لم يؤتهِ

الجيب، فتخرج بيضاء في جملة تسع آيات، تذهب بها وتدعو فرعون وقومه، ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ فسقوا بشركهم وعتوهم وعلوهم على عباد الله، واستكبارهم في الأرض بغير الحق.

فذهب موسى عليه السلام إلى فرعون وملثه، ودعاهم إلى الله تعالى، وأراهم إلايات. ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة مضيئة، تدل على الحق، ويبصر بها كما تبصر الأبصار بالشمس. ﴿قالوا هذا سحر مبين ﴾ لم يكفهم مجرد القول بأنه سحر، بل قالوا: ﴿مبين ﴾ ظاهر لكل أحد. وهذا من أعجب العجائب، الآيات المبصرات، والأنوار الساطعات، تجعل من أبين الخزعبلات وأظهر السحر! هل هذا إلا من أعظم المكابرة، وأوقح السفسطة.

﴿وجحدوا بها ﴾ أي: كفروا بسآيسات الله، جاحديسن لها، ﴿واستيقنتها أنفسهم ﴾ أي: ليس جحدهم مستنداً إلى الشك والريب، وإنما جحدهم مع علمهم ويقينهم (١٠) بصحتها ﴿ظلماً ﴾ منهم لحق ربهم ولأنفسهم، ﴿وعلواً ﴾ على الحق وعلى العباد، وعلى الانقياد للرسل، ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ أسوأ عاقبة ، دمرهم الله وغرقهم في البحر، وأحزاهم، وأورث مساكنهم المستضعفين من عباده.

(1 - 23) (ولقد آسينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين \* وورث سليمان داود) إلى آخر القصة . يذكر في هذا القرآن ، وينوه بمنته على داود وسليمان ابنه ، بالعلم الواسع الكثير ، بدليل التنكير ، كما قال تعالى : ﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين \* ففهمناها سليمان

<sup>(</sup>١) في ب: تيقنهم.

<sup>(</sup>٢) في النسختين: فقال: (رب هب) وهو خطأ.

<sup>(</sup>٣) قي أ: في بعض في.

المنتاجة سُلَيْنَ قَالَ الْمُنْدُونَ بِمَالِ فَا مَالَنِهِ مَعْتَ الْمَنْمُ الْمُنْمُ وَلَا مَالِهُمُ الْمَنْمُ الْمُنْمِ الْمُنْمِ وَلَيْمَ الْمُنْمُ الْمُنْمُ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

قالت نملة منبهة لرفقتها وبني جنسها: ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فنصحت هذه النملة، وأسمعت النمل، إما بنفسها، خارقة للعادة، لأن التنبيه للنمل، الذي قد ملأ الوادي بصوت نملة واحدة، من أعجب العجائب. وإما بأنها أخبرت مَن حولها من النمل، ثم سرى الجميع، وأمرتهن بالحذر، والطريق في الجميع، وأمرتهن بالحذر، والطريق في ذلك، وهو دخول مساكنهن.

وعرفت حالة سليمان وجنوده، وعظمة سلطانه، واعتذرت عنهم، أنهم إن حطموكم، فليس عن قصد منهم ولا شعور، فسمع سليمان عليه الصلاة والسلام قولها وفهمه، ﴿فتبسم بفصاحتها() ونصحها، وحسن بفصاحتها() ونصحها، وحسن الصلاة والسلام، الأدب الكامل، والتعجب في موضعه، وأن لا يبلغ بهم الضحك إلا إلى التبسم، كما كان المسول ﷺ جُل ضحكه التبسم، فإن القهقهة تدل على خفة العقل وسوء الأدب. وعدم التبسم والعجب عالأدب.

والجبروت. والرسل منزهون عن ذلك.

وقال شاكراً لله الذي أوصله إلى هـذه الحال: ﴿رب أوزعـنـي﴾ أي: ألهمني ووفقني ﴿أن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدى) فإن النعمة على الوالدين نعمة على الولد. فسأل ربه التوفيق للقيام بشكر نعمته، الدينية والدنيوية، عليه وعلى والديه، ﴿وأن أعمل صالحاً ترضاه ﴾ أي: ووفقني أن أعمل صالحاً ترضاه، لكونه موافقاً لأمرك، مخلصاً فيه، سالماً من المفسدات والمنقصات، ﴿وادخلني برحمتك﴾ التي منها الجنة ﴿في ﴿ جملة ﴿عبادكُ الصالحين ﴾ فإن الرحمة مجعولة للصالحين على اختلاف درجاتهم ومنازلهم. فهذا نموذج ذكره الله من حالة سليمان عند سماع خطاب النملة ونداءها.

ثم ذكر نموذجاً آخر من مخاطبته للطير، فقال: ﴿وتفقد الطير ﴾ دل هذا على كمال عزمه وحزمه، وحسن تنظيمه لجنوده، وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار، حتى إنه لم يهمل هذا الأمر، وهو تفقد الطيور، والنظر: هل هي موجودة كلها، أم مفقود منها شيء؟ وهذا هو المعنى للآية. ولم يصنع شيئاً من قال: إنه تفقد الطير، لينظر أين الهدهد منها<sup>(٢)</sup>، ليدله على بعد الماء وقربه، كما زعموا عن الهدهد، أنه يبصر الماء تحت الأرض الكثيفة، فإن هذا القول لا يدل عليه دليل، بل الدليل العقلي واللفظي دال على بطلانه، أما العقلى، فإنه قدعرف بالعادة والتجارب والمشاهدات، أن هذه الحيوانات كلها، ليس منها شيء يبصر هذا البصر الخارق للعادة، ينظر الماء تحت الأرض الكثيفة، ولو كان كذلك، لذكره الله، لأنه من أكبر الآيات.

وأما الدليل اللفظي، فلو أريد هذا المعنى، لقال: «وطلب الهدهد لينظر له الماء، فلما فقده قال ما قال» أو «فتش عن الهدهد»، أو: «بحث عنه» ونحو

ذلك من العبارات، وإنما تفقد الطير، لينظر الحاضر منها والغائب، ولزومها للمراكز والمواضع التي عينها لها. وأيضاً فإن سليمان عليه السلام، لا يحتاج ولا يضطر إلى الماء، بحيث يحتاج لهندسة الهدهد، فإن عنده من الشياطين والعفاريت، ما يحفرون له الماء، ولو بلغ في العمق ما بلغ. وسخر الله له الريح غدوها شهر ورواحها شهر، فكيف مع ذلك \_ يحتاج إلى الهدهد؟!!

وهذه التفاسير التي توجد، وتشتهر بها أقوال، لا يعرف غيرها، تنقل هذه الأقوال عن بني إسرائيل مجردة، ويغفل الناقل عن مناقضتها للمعاني الصحيحة، وتطبيقها على الأقوال، ثم لا تزال تتناقل، وينقلها المتأخر مسلماً للمتقدم، حتى يظن أنها الحق، فيقع من الأقوال الردية في التفاسير ما يقع، واللبيب الفطن، يعرف أن هذا القرآن الكريم، العربي المبين، الذي خاطب الله به الخلق كلهم، عالهم وجاهلهم، وأمرهم بالتفكر في معانيه، وتطبيقها على ألفاظه العربية المعروفة المعاني، التي لا تجهلها العرب العرباء، وإذا وجد أقوالاً منقولة عن غير رسول الله على ، ردها إلى هذا الأصل، فإن وافقته قبلها، لكون اللفظ دالاً عليها، وإن خالفته لفظاً ومعنى، أو لفظاً أو معنى، ردها وجزم ببطلانها، لأن عنده أصلاً معلوماً مناقضاً لها، وهو ما يعرفه من معنى الكلام ودلالته.

والشاهد، أن تفقد سليمان عليه السلام للطير، وفقده الهدهد، يدل على كمال حزمه وتدبيره الملك بنفسه، وكمال فطنته، حتى فقد هذا الطائر كان من الغائيين أي: هل عدم رؤيتي إياه، لقلة فطنتي به، لكونه خفياً بين هذه الأمم الكثيرة؟ أم على بابها، بأن كان غائباً من غير إذن ولا أمرى؟

فحينثذ تغيظ عليه وتوعده، فقال:

﴿ لأعذبنه عذاباً شديداً ﴾ دون القتل، ﴿ أُو لأذبحنه أُو ليأتيني بسلطان مبين ﴾ أي: حجة واضحة على تخلفه، وهذا من كمال ورعه وإنصافه، أنه لم يقسم على مجرد عقوبته بالعذاب أو القتل، لأن ذلك لا يكون إلا من ذنب، وغيبته قد تحتمل أنها لعذر واضح، فلذلك استثناه، لورعه وفطنته.

﴿ فمكث غير بعيد ﴾ ثم جاء، وهذا يدل على هيبة (١) جنوده منه، وشدة التمارهم لأمره، حتى إن هذا الهدهد، الذي خلفه العذر الواضع، لم يقدر على التخلف زمناً كثيراً، ﴿ فقال ﴾ لسليمان: ﴿ أحطت بما لم تحط به أي: عندي من العلم علم ما أحطت به، على علمك الواسع، وعلو درجتك فيه، ﴿ وجئتك من سبأ ﴾ القبيلة المعروفة في اليمن ﴿ بنباً يقين ﴾ أي: خبر متيقن.

أم فسر هذا النبأ فقال: ﴿إِنَّ وَجَدَتَ امِرَأَةً مَلَكُهُم ﴾ أي: تملك قبيلة سبأ، وهي امرأة، ﴿وأوتيت من كل شيء ﴾ يؤتاه الملوك، من الأموال، والحسود، والحصون، والقلاع، ونحو ذلك. ﴿ولها عرش عظيم ﴾ أي: كرسي ملكها الذي تجلس عليه، عرش هائل، وعظم العروش تدل على عظمة المملكة وقوة السلطان وكثرة رجال الشورى.

وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله أي: هم مشركون يعبدون الشمس. ووزين لهم الشيطان أعمالهم فرأوا ما هم عليه هو الحق، وفهم لا يهتدون لأن الذي يرى أن الذي عليه حق، لا مطمع في هدايته حتى تتغير عقيدته.

نسم قسال: ﴿اللهُ أي: هسلا ﴿يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ﴾ أي: يعلم الخفي الخبيء، في أقطار السماوات، وأنحاء الأرض، من صغار المخلوقات، وبذور النباتات، وخفايا الصدور، ويخرج خبء الأرض والسماء، بإنزال

المطر، وإنبات النبات، ويخرج خبء الأرض عند النفخ في الصور وإخراج الأموات من الأرض، ليجازيهم بأعمالهم ﴿ويعلم ما تخفون وما تعلنهن﴾.

والله لا إله إلا هو أي: لا تنبغي العبادة، والإنابة، والذل، والحب، إلا له، لأنه المألوه، لما له من الصفات الكاملة، والنعم الموجبة لذلك. ورب العرش العظيم الذي هو سقف المخسلوقات، ووسع الأرض والسماوات، فهذا الملك عظيم السلطان، كبير الشأن، هو الذي يذل له ويخضع، ويسجد له ويركع، فسلم الهدهد حين ألقى إليه هذا النبأ العظيم، وتعجب سليمان كيف خفي عليه

وقال متثبتاً لكمال عقله ورزانته: ﴿سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين \* اذهب بكتابي هذا ﴿ وسيأتي نصه ﴿ فألقه إليهم ثم تول عنهم ﴾ أي: استأخر غير بعيد ﴿ فانظر ماذا يرجعون ﴾ إليك وما يتراجعون به.

فذهب به فألقاه عليها، فقالت لقومها: ﴿إِنِّ ٱلقي إِلَي كتاب كريم ﴾ أي: جليل المقدار، من أكبر ملوك الأرض.

ثم بينت مضمونه فقالت: ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله السرحمن السرحمن السرحميم \* ألا تعملوا علي وأتوني مسلمين أي: لا تكونوا فوقي، بل اخضعوا تحت سلطاني، وانقادوا لأوامري، وأقبلوا إلى مسلمين.

وهذا في غاية الوجازة مع البيان التام، فإنه تضمن نهيهم عن العلو عليه، والبقاء على حالهم التي هم عليها، والانقياد لأمره، والدخول تحت طاعته، ومجيئهم إليه، ودعوتهم إلى الإسلام، وفيه استحباب ابتداء الكتب بالبسملة كاملة، وتقديم الاسم في أول عنوان الكتاب، فمن حزمها وعقلها، أن جمعت كبار دولتها ورجال علكتها، وقالت: ﴿ وَا أَيّا الملا أفتون علكتها، وقالت: ﴿ وَا أَيّا الملا أفتون

GANGERY CONTRACTOR وَلَقَدْ أَيْسِلْنَا ٓ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَلِحًا أَنِ أَعْبُدُواْ اللَّهَ فَإِذَا هُـُه فَرِيقَ إِن يَخْنَصِهُونَ ۞ قَالَ يَكَفُّوهِ لَرَتَسْ تَعْجِلُونَ إِلْسَيْعَةِ قَبْلَ أَنْحَسَنَةً لَوْلَاتَسْ تَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَكُونَ ۞ قَالُواْ أَظَيَرَنَا بِكَ وَعَن مَّعَكَّ قَالَ طَلْيَرِكُمْ عِندَاللَّهِ بَلْ أَنتُمُ قَوْمٌ ثُقْدَ نَنُونَ ۞ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَةُ رَهِّ عِلْ يُفْسِدُ وَرَى فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۞ قَالُواْتَفَاكُواْ بَاللَّهِ لَنُبَيِّنَتَهُ وَأَهْلَهُ ثُمِّلْنَقُولَتَ لِوَلِيهِ مَاشَهِدْنَامَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُوبَ ۞ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكُونًا مَكْرًا وَهُمْ لَايَشْفُرُونَ ۞ فَٱنْظُرَ كَيْفَكَانَ عَلِقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّـ زِنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ الْجَيَعِينَ ۞ فَيَنْكَ بُيُونُكُ فُرْخَاوِبَ أَبِمَاظَلَمُواً إِنَ فِي ذَلِكَ لَآئِكَةً لِقَوْمِ يَعْلَمُونَ ۞ وَأَجْيَنَا ٱلَّذِينَ اللهِ عَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَا تَقُونَ ۞ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِية التَأْوُبُ الْفَاحِثُ وَأَنْتُرْبُعِيرُوبَ ۞ أَبِنَكُولَنَا أُوْدَ إِلَيْجَالَ شَهْوَةً مِن دُونِ ٱلنِّسَاءَ بَلْ أَنتُهُ فَوْمٌ مِّجَهَلُونَ ﴿ TAN DE TAN DE DE LA PROPERTIE DE LA PROPERTIE

في أمري أي: أخبروني، ماذا نجيبه به وهل ندخل تحت طاعته وننقاد؟ أم ماذا نفعل؟ ﴿ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون أي: ما كنت مستبدة بأمر دون رأيكم ومشورتكم.

ف ﴿ قَالُوا نحن أُولُو قوة وأُولُو بأس شديد ﴾ أي: إن رددتِ عليه قوله ، ولم تدخلي في طاعته ، فإنا أقوياء على القتال ، فكأنهم مالوا إلى هذا الرأي ، الذي لو تم لكان فيه دمارهم ، ولكنهم أيضاً لم يستقروا عليه ، بل قالوا: ﴿ الأمر إليك ﴾ أي: الرأي: ما رأيت ، لعلمهم بعقلها وحزمها ، ونصحها لهم ﴿ فانظري ﴾ نظر فكر وتدبر ﴿ ماذا تأمرين ﴾ .

فقالت لهم - مقنعة لهم عن رأيهم، ومبينة سوء مغبة القتال - ﴿إِن الملوك إِذَا دَخَلُوا قَرِية أَفْسَدُوها وَ قَدَلاً، وأسراً، ونهباً لأموالها، وتخريباً لديارها، ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة ﴾ أي: جعلوا الرؤساء السادة أشراف الناس من الأذلين، أي: فهذا رأي: غير سديد، وأيضاً، فلست بمطيعة له قبل الاختبار وإرسال من يكشف عن أحواله ويتدبرها، وحينئذ نكون على أحواله ويتدبرها، وحينئذ نكون على مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون منه. هل يستمر على رأيه المرسلون منه. هل يستمر على رأيه المرسلون منه. هل يستمر على رأيه

• فَمَاكَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ٓ إِلَّا أَنْ قَالُوَّا أَخْرِهُوٓ أَوَالُوْط مِنْ فَرْيَتِكُمْ أَنَّاسٌ تَطَلَقُهُونَ ۞ فَأَبْعَيْنَهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتُهُ فَذَرْنَهَا مِنَ ٱلْخَارِينَ ۞ وَأَمْطَانَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَكَ آءَ مَطَرُ ٱلْمُنذِينَ ۞ قُلِ ٱلْحَعْدُلِلَّهِ وَسَلَامُ عَلَيْعِبَ ادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيَّ ءَاللَّهُ خَيْرُأُمَّا يُشْرِكُونَ ا أَمَنْ خَلَقَ ٱلسَّكَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُ مِينَ ٱلسَّكَاتِي مَآءُ فَأَنِٰتُنَا بِهِ حَدَآيِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّاكَابَ لَكُمْ أَن تُنْبَتُوا شَجَرَهَا أَءَكَهُ مَعَ اللَّهُ مِلْهُمْ قَوْرُيَعُدِلُوكَ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَلُهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَمَا رَوَيِسِ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَسَاجِزًّا أَءَ لَنَهُ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَحْتَرُهُمْ لَايَعْ لَمُون ﴿ أَمَّن يُحِيبُ ٱلْمُضْطَرَّاوَا دَعَاهُ وَيَكُمُّنِفُ ٱلسُّوَّةِ وَيَغَعُلُكُمْ خُلَفَاءَ ٱلْأَرْضِ اللَّهِ أُولَةُ مَّعَ اللَّهُ قِلِيلًا مَّالَذَكِّرُونَ ۞ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلْمُلَتِ ٱلْبَرِّوَٱلْبَحْرِوَمَن رُسِيلُ ٱلرِّيْكَ مِنْمُ كَابَيْنَ يَدَى رَحْمَتِهِ وَيَأْءَ لَنَّهُ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَكَلَى ٱللَّهُ عَكَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ COLUMN TO SECONO

وقوله؟ أم تخدعه الهدية، وتبدل فكرته، وكيف أحواله وجنوده؟

فأرسلت له هدية مع رسل من عقلاء قومها، وذوي الرأي: منهم، فلما جاء سليمان أي: جاءه الرسل بالهدية فقال منكراً عليهم ومتغيظاً على عدم إجابتهم: فأقدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم فليست تقع عندي موقعاً، ولا أفرح بها، قد أغناني الله عنها، وأكثر على النعم، أغناني الله عنها، وأكثر على النعم، للدنيا، وقلة ما بأيديكم بالنسبة لما أعطاني الله.

ثم أوصى الرسول من غير كتاب، لما أوصى الرسول من غير كتاب، لما رأى من عقله، وأنه سينقل كلامه على وجهه، فقال: ﴿ارجع إليهم اليه أي: بهديتك ﴿فلنأتينهم بجنود لا قبل للهم أي: لا طاقة لهم صاغرون ولنخرجنهم، وأبلغهم ما قال سليمان، وعلم سليمان أنهم لا بد أن يسيروا إليه، فقال لمن حضره من الجن والإنس: فقال لمن حضره من الجن والإنس: مسلمين أي: لأجل أن نتصرف فيه قبل أن يسلموا، فتكون أموالهم عترمة، ﴿قال عفريت من الجن والعفريت: هو القوى النشيط جداً:

﴿أَنَا آتيك بِه قبل أَن تقوم من مقامك وإن عليه لقوى أمين، والظاهر أن سليمان إذ ذاك في الشام، فيكون بينه وبين سبأ نحو مسيرة أربعة أشهر، شهران ذهاباً، وشهران إياباً، ومع ذلك، يقول هذا العفريت: أنا ألتزم بالمجيء به، على كِبَره وثقله وبُعْده، قبل أن تقوم من مجلسك الذي أنت فيه. والمعتاد من المجالس الطويلة، أن تكون معظم الضحى، نحو ثلث يوم، هذا نهاية المعتاد، وقد يكون دون ذلك، أو أكثر، وهذا الملك العظيم، الذي عند آحاد رعيته هذه القوة والقدرة، وأبلغ من ذلك أن ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب، قال المفسرون: هو رجل عالم صالح، عند سليمان يقال له: «آصف بن برخيا» كان يعرف اسم الله الأعظم، الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى.

وأنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك هبأن يدعو الله بذلك الاسم، فيحضر حالاً، وأنه دعا الله فحضر. فالله أعلم [هل هذا المراد أم أن عنده علماً من الكتاب يقتدر به على جلب البعيد وتحصيل الشديد](١).

﴿فلما رآه ﴾ سليمان ﴿مستقراً عنده الله تعالى على إقداره وملكه، وتيسير الأمور له، و ﴿قال هذا من فضل رى ليبلون أأشكر أم أكفر، أي: ليختبرني بذلك. فلم يغتر عليه السلام بملكه وسلطانه وقدرته، كما هو دأب الملوك الجاهلين، بل علم أن ذلك اختبار من ربه، فخاف أن لا يقوم بشكر هذه النعمة، ثم بيَّن أن الشكر لا ينتفع الله به، وإنما يرجع نفعه إلى صاحبه، فقال: ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم، غني عن أعماله، كريم، كثير الخير ، يعم به الشاكر والكافر ، إلا أن شكر نعمه داع للمزيد منها، وكفرها داع لزوالها، ثم قال لمن عنده: ﴿نكروا لها عرشها ﴾ أي: غيروه بزيادة ونقص، ونحو ذلك ﴿ننظر ﴾ مختبرين

لعقلها ﴿أَمْتِدِي﴾للصواب، ويكون عندها ذكاء وفطنة تليق بملكها ﴿أَم تكون من الذين لا يهتدون﴾.

﴿فلما جاءت ﴿قادمة على سليمان، عرض عليها عرشها، وكان عهدها به، قد خلفته في بلدها، و ﴿قيل لها أهكذا عرشك اي: أنه استقر عندنا أن لك عرشاً عظيماً، فهل هو كهذا العرش الذي أحضرناه لك؟ ﴿قالت كأنه هم كوهذا من ذكائها وفطنتها، لم تقل «هو» لوجود التغيير فيه والتنكير ، ولم تنف أنه هو، لأنها عرفته، فأتت بلفظ محتمل للأمرين، صادق على الحالين، فقال سليمان متعجباً من هدايتها وعقلها، وشاكراً لله أن أعطاه أعظم منها: ﴿وأوتينا العلم من قبلها﴾ أي: الهداية، والعقل، والحزم، من قبل هذه الملكة، ﴿وكنا مسلمين﴾ وهي الهداية النافعة الأصلية.

ويحتمل أن هذا من قول ملكة سبأ: «وأوتينا العلم عن ملك سليمان وسلطانه، وزيادة اقتداره، من قبل هذه الحالة التي رأينا فيها قدرته على إحضار العرش من المسافة البعيدة، فأذعنا له، وجئنا مسلمين له، خاضعين لسلطانه».

قال الله تعالى: ﴿وصدَها ما كانت تعبد من دون الله أي: عن الإسلام، وإلا ، فلها من الذكاء والفطنة ما به تعرف الحق من الباطل، ولكن العقائد الباطلة تذهب بصيرة القلب ﴿إنها كانت من قوم كافرين ﴾ فاستمرت على كانت من قوم كافرين ﴾ فاستمرت على الدين ، والعادة المستمرة بأمر يراه بعقله من ضلالهم وخطئهم ، من أندر ما يكون ، فلهذا لا يستغرب بقاؤها على سلطانه ما يبهر العقول ، فأمرها أن الكفر ، ثم إن سليمان أراد أن ترى من سلطانه ما يبهر العقول ، فأمرها أن تدخل الصرح ، وهي المجلس المرتفع تتدخل الصرح ، وهي المجلس المرتفع المنها .

فرقيل لها ادخلي الصرح فلما رأته
 حسته لجة ماء ، لأن القوارير شفافة ،

الناسكة الناسكة المناسكة المناسكة والأون التساحة والأون التريت فالمنطقة وتعييد المناسكة والأون التريت فالمناسكة والأون التريت فالمناسكة والأون التريت التريت إلا الله و و التناسكة والتري و التناسكة و و التناس

﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم﴾ هل حصل مقصودهم؟ وأدركوا بذلك المكر مطلوبهم، أم انتقض عليهم الأمر، ولهذا قال: ﴿أنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾ أهلكناهم، واستأصلنا شأفتهم، فجاءتهم صيحة عذاب، فأهلكوا عن آخرهم.

ADDEDON THE DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF THE

﴿ فتلك بيوتهم خاوية ﴾ قد تهدمت جدرانها على سقوفها، وأوحشت من ساكنيها، وعطلت من نازليها، ﴿ بما ظلموا ﴾ أي: هذا عاقبة ظلمهم وشركهم بالله، وبغيهم في الأرض. ﴿ إِن في ذلك لآية لقوم يعلمون ﴾ الحقائق، ويتدبرون وقائع الله، في أوليائه وأعدائه، فيعتبرون بذلك، ويعلمون أن عاقبة الظلم الدمار والهلاك، وأن عاقبة الإيمان والعدل النجاة والفوز.

ولهذا قال: ﴿وَأَنْجِينَا الذِّينَ آمنُوا وكانوا يتقون﴾ أي: أنجينا المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وكانوا يتقون الشرك بالله والمعاصي، ويعملون بطاعته وطاعة رسله.

﴿ ٥٤ - ٥٨ ﴾ ﴿ ولوطاً إِذْ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون ﴾ إلى آخر القصة. أي: واذكر عبدنا ورسولنا لوطاً، ونبأه الفاضل، حين قال لسفىعسل السسيستات؟. ﴿لولا تستغفرون الله ﴾ بأن تتوبوا من شرككم وعصيانكم، وتدعوه أن يغفر لكم، ﴿لملكم تُرحون ﴾ فإن رحمة الله تعالى قريب من المحسنين، والتائب من المنوب، هو من المحسنين.

﴿قالوا﴾ لنبيهم صالح، مكذبين ومعارضين: ﴿اطيرنا بك وبمن معك﴾ زعموا \_ قبحهم الله \_ أنهم لم يروا على وجه صالح خيراً، وأنه هو ومن معه من المؤمنين، صاروا سبباً لمنع بعض مطالبهم الدنيوية، فقال لهم صالح: ﴿طائركم عند الله﴾ أي: ما أصابكم إلا بذنوبكم، ﴿بل أنتم قوم والشر، لينظر هل تقلعون وتتوبون، أم والخير فيها دأهم في تكذيب نبيهم وما قاطء هه.

﴿وكان في المدينة ﴾ التي فيها صالح، الجامعة لمعظم قومه ﴿تسعة رهسط يسفسسدون فسي الأرض ولا يصلحون أي: وصفهم الإفساد في الأرض، ولا لهم قصد ولا فعل بالإصلاح، قد استعدوا لمعاداة صالح والطعن في دينه، ودعوة قومهم إلى ذلك، كما قال تعالى: ﴿فاتقوا الله وأطيعون \* ولا تطيعوا أمر المسرفين \* الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾.

فلم يزالوا بهذه الحال الشنيعة، حتى إنهم من عداوتهم ﴿تقاسموا﴾ فيما بينهم، كل واحد أقسم للآخر: ﴿ثنييتنه وأهله﴾ أي: نأتيه (١) ليلاً، هو وأهله، فلنقتلنهم، ﴿ثم لنقولن لوليه﴾ ننكر ذلك، وننفيه ونحلف ﴿إنا لصادقون﴾ فتواطؤوا على ذلك، صالح وأهله، على وجه الخفية، حتى ﴿ومكروا مكراً﴾ دبروا أمرهم على قتل [من] قومهم، خوفاً من أوليائه، ﴿ومكرنا مكراً﴾ بنصر نبينا صالح عليه السلام، وتيسير أمره، وإهلاك قومه الكذبين ﴿وهم لا يشعرون﴾

يرى الماء الذي تحتها، كأنه بذاته يجري، ليس دونه شيء، ﴿وكشفت عن ساقيها﴾ للخياضة، وهذا أيضاً من عقلها وأدبها، فإنها لم تمتنع من الدخول للمحل الذي أمرت بدخوله، لعلمها أنها لم تستدع إلا للإكرام، وأن ملك سليمان وتنظيمه، قد بناه على الحكمة، ولم يكن في قلبها أدنى شك من حالة السوء، بعد ما رأت ما رأت.

فلما استعدت للخوض قيل لها: ﴿إنه صرح بمرد﴾ أي: بملس ﴿من قوارير﴾ فلا حاجة منك لكشف الساقين. فحينتذ لما وصلت إلى سليمان، وشاهدت ما شاهدت، وعلمت نبوته ورسالته، تابت ورجعت عن كفرها، و ﴿قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾

فهذا ما قصه الله علينا من قصة ملكة سبأ، وما جرى لها مع سليمان، وما عدا ذلك من الفروع المولدة، والقصص الإسرائيلية، فإنه لا يتعلق بالتفسير لكلام الله، وهو من الأمور التي يقف الجزم بها، على الدليل المعلوم المعصوم، والمنقولات في هذا الباب كلها، أو أكثرها، ليس كذلك، فالحزم كلها، أو أكثرها، ليس كذلك، فالحزم كل الحزم، الإعراض عنها، وعدم إدخالها في التفاسير، والله أعلم.

﴿ 20 \_ ٣٠ ﴾ ﴿ ولقد أرسلنا إلى شمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون ﴾ إلى آخر القصة. يخبر تعالى أنه أرسل إلى ثمود القبيلة المعروفة، أخاهم في النسب صالحاً، وأنه أمرهم أن يعبدوا الله وحده، ويتركوا الأنداد والأوثان، ﴿ فإذا هم فريقان يختصمون ﴾ منهم المؤمن، ومنهم الكافر، وهم معظمهم.

وقال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة أي: لم تبادرون فعل السيئات وتحرصون عليها، قبل فعل الحسنات، التي بها تحسن أحوالكم وتصلح أموركم الدينية والدنيوية؟ والحال أنه لا موجب لكم إلى الذهاب

STATES IN STATES وَانَّهُ لَمُدِّي وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۞ إِنَّ زَلَكَ تَقْضِر بَلْمُؤْمِ عِكْمِوهُ وَهُوَ الْعَرِيزُ الْعَلِيدُ فَ فَوَكَّلَ عَلَى اللهِ لَنْكَ عَلَ ٱلْحَقَّ ٱلْمُهِنِ ۞ إِنَّكَ لَاتُّسْفِعُ ٱلْوَقَا وَلَا لَسُمعُ الْفُمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُنْفِينَ ۞ وَمَّا أَنَّ بِهَادِى ٱلْعُنْمِ عَنْ صَلَالَتُهُمَّ إِن تُشْمِعُ إِلَّا مَن يُوْمِنُ بِعَائِيْتِنَا فَهُم مُسْيِلُهُ نَ۞ • وَإِذَا وَقِعَ الْفَوَلُ عَلِيْهِ وَأَخْرَجُنَا لَمُنْ وَآبَةً مِنَ الْأَرْضِ بُكِلَيْحُو أَنَّ النَّاسَ كَافُواْ خِلَيْنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿ وَيُومَ خَشُرُ مِن كُلِ أُمَّةِ وَفَهَا مِّنَ يُكَذِبُ عَايِلَتِنَا فَهُمُ وُزَعُونَ ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كِمَّا وُو قَالَ أَكَذَّمُهُ يِعَايَنِيِّ وَلَرْبُحُيطُوا بِهَاعِلْنَا أَمَّاذَاكُ نُتَرِّتَ مَلُورَ ۞ وَوَقَمَّ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَاظَلُمُوا فَهُمُّرُلا يَعْطِقُونَ ۞ ٱلْتَرِيَّوْالْمُلَجَعَلْنَا ٱلْتِلَ لِيسَّكُنُولِفِهِ وَٱلنَّهَ ارْمُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِفَوْمِ يُؤْمِنُونَ ۞ وَيُؤْمَنِنُفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَرْعَ مَن فِي ٱلمَّكَوَّاتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّامَن شَكَّة ٱللَّهُ وَكُلُّ أَوَّهُ ذَيْخِيدِت ۞ وَتَرَى ٱلْجِسَ الْتَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِي آمُوُّمَ وَالْسَحَارِ مُنْعَ اللهِ الَّذِي َ أَتَقَنَّ كُلُّ شَيْعًا إِنَّهُ خَيِرًا عِمَا تَقَفْ عَلُونَ ﴿ TO SOUTH THE OF THE OF

لقومه داعياً لهم إلى الله وناصحاً ..: ﴿ أَتَاتُونَ الْفَاحِشَةِ ﴾ أي: الفعلة الشنعاء، التي تستفحشها العقول والفطر، وتستقبحها الشرائع ﴿ وأنتم تبصرون ﴾ ذلك، وتعلمون قبحه، فعاندتم، وارتكبتم ذلك، ظلماً منكم وجرأة على الله.

ثم فسر تلك الفاحشة، فقال: 
﴿ أَإِنكُم لِتَأْتُونَ الرجال شهوة من دون النساء ﴾ أي: كيف توصلتم إلى هذه الحال، صارت شهوتكم للرجال، وأدبارهم محل الغائط والنّجو والخبث، وتركتم ما خلق الله لكم من النساء، من المحال الطيبة، التي جبلت النفوس إلى الميل إليها وأنتم انقلب عليكم الأمر، فاستحسنتم القبيح، واستقبحتم الحسن، ﴿ بِل أنتم قوم تجهلون ﴾ الحسن، ﴿ بِل أنتم قوم تجهلون على متجرؤون على عارمه.

﴿فما كان جواب قومه ﴾ قبول ولا انزجار، ولا تذكر وادكار، إنما كان جوابهم المعارضة والمناقضة، والتوعد لنبيهم الناصح ورسولهم الأمين، بالإجلاء عن وطنه، والتشريد عن بلده. فما كان جواب قومه ﴿إلا أن قسالوا أخسرجوا آل لسوط مسن قريتكم ﴾

فكأنه قيل: ما نقمتم منهم، وما ذنبهم الذي أوجب لهم الإخراج، فقالوا: ﴿إنهم أناس يتطهرون﴾ أي: يتنزهون عن اللواط وأدبار الذكور. فقبحهم الله، جعلوا أفضل الحسنات بمنزلة أقبح السيئات، ولم يكتفوا بمعصيتهم لنبيهم فيما وعظهم به، حتى وصلوا إلى إخراجه، والبلاء موكل بالمنطق، فيهم قالوا: ﴿

إلا امرأته قدرناها من الغابرين، وذلك

لا جاءته الملائكة في صورة أضياف، وسمع بهم قومه، فجاؤوا إليه يريدونهم بالشر، وأغلق الباب دونهم، واشتد المائكة عن جلية الحال، وأنهم جاؤوا لاستنقاذه وإخراجه من بين أظهرهم، وأنه موعدهم الصبح، وأمروه أن يسري بأهله ليلاً، فخرج بأهله ليلاً، فنجوا، وصبعهم العذاب، فقلب الله عليهم ديارهم، وجعل أعلاها أسفلها، وأمطر عليهم عند ربك.

ولهذا قال هنا: ﴿وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين﴾ أي: بئس المطر مطرهم، وبئس العذاب عذابهم، لأنهم أنذروا وخوفوا، فلم ينزجروا ولم يرتدعوا، فأحل الله بهم عقابه الشديد.

﴿ ٥٩ ﴿ قل الحمد لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى آلله خيرٌ أم ما يشركون ﴾ أي: قل «الحمد لله» الذي يستحق كمال الحمد والمداح والثناء، لكمال أوصافه، وجميل معروفه،

وهباته وعدله، وحكمته في عقوبته المكذبين وتعذيب الظالمين، وسلم أيضاً على عباده، الذين تخيرهم واصطفاهم على العالمين، من الأنبياء والمرسلين، وصفوة الله من العالمين، وذلك لرفع ذكرهم، وتنويها بقدرهم، وسلامتهم من الشر والأدناس، وسلامة ما قالوه في ربهم من النقائص والعيوب.

﴿ أَلَهُ خير أما يشركون ﴾ وهذا استفهام قد تقرر وعرف، أي: آلله الرب العظيم، كامل الأوصاف، عظيم الألطاف، خير أم الأصنام والأوثان التي عبدوها معه، وهي ناقصة من كل وجه، لا تنفع ولا تضر، ولا تملك لأنفسها ولا لعابديها مثقال ذرة من الخير، فالله خير عما يشركون.

ثم ذكر تفاصيل ما به يعرف ويتعين أنه الإله المعبود، وأن عبادته هي الحق، وعبادة [ما] سواه هي الباطل، فقال:

﴿٣٠﴾ ﴿أمَّن خَلَق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون﴾.

أي: من خلق السماوات وما فيها، من الشمس والقمر والنجوم والملائكة، والأرض وما فيها، من جبال وبحار وأنهار وأشجار وغير ذلك؟

﴿ وَأَنْزِلُ لَكُم ﴾ أي: لأجلكم ﴿ مَنْ السماء ماء فأنبتنا به حدائق ﴾ أي: بساتين ﴿ ذَات بهجة ﴾ أي: حسن منظر، من كثرة أشجارها وتنوعها، وحسن ثمارها، ﴿ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ﴾ لولا مِنَّة الله عليكم بإنزال المطر. ﴿ أَلِله مع الله ﴾ فعل هذه الأفعال، حتى يعبد معه ويشرك به؟ ، ويسوون به سواه، مع علمهم أنه وحده خالق العالم العلوي والسفلي ، ومنزل الرزق.

﴿٦١﴾ ﴿أَمْن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي

 <sup>(</sup>١) سبق قلم الشيخ ـ رحمه الله ـ فذهب إلى آية الأعراف فكتب: ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ وفسرها على هذا، فصححت الآية،
 وأبقيتُ التفسير كما هو.

وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أي: هل الأصنام والأوثان، الناقصة من كل وجه، التي لا فعل منها ولا رزق ولا نفع، خير؟ أم الله الذي وجعل الأرض قراراً بستقر عليها العباد ويتمكنون من السكني، والحرث، والبياب، والإياب. وجعل خلالها أنهاراً في: جعل في خلال الأرض، أنهاراً ينتفع بها العباد، في زروعهم وأشجارهم، وشربهم وشرب مواشيهم.

﴿وجعل لها رواسي﴾ أي: جبالاً ترسيها وتثبتها، لئلا تميد، وتكون أوتاداً لها، لئلا تضطرب. ﴿وجعل بين البحرين﴾ البحر المالح والبحر المحدب ﴿حاجزاً يمنع من العندب ﴿حاجزاً يمنع من كل منهما، بل جعل بينهما حاجزاً من كل منهما، بل جعل بينهما حاجزاً الأرض، جعل بحرى الأنهار في من الأرض مبعدة عن البحار، فيحصل منها مقاصدها ومصالحها، ﴿أَإِلهُ مَنها مقاصدها ومصالحها، ﴿أَإِلهُ ويسرك به معه. ﴿بِل أكشرهم ويسرك به معه. ﴿بِل أكشرهم لرؤسائهم، وإلا فلو علمواحق العلم، لم يشركوا به شيئاً.

﴿ ٢٢﴾ ﴿ أَمِّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون ﴾ أي: هل يجيب المضطر، الذي أقلقته الكروب، وتعسر عليه المطلوب، واضطر للخلاص مما هو فيه، إلا الله وحده؟ . ومن يكشف السوء، أي : البلاء والشر والنقمة، إلا الله وحده؟ ومن يجعلكم خلفاء الأرض، يمكنكم منها، ويمدلكم بالرزق، ويوصل إليكم نعمه، وتكونون خلفاء من قبلكم، كما أنه سيميتكم، ويأتي بقوم بعدكم، أإله مع الله يفعل هذه الأفعال؟ لا أحد يفعل مع الله شيئاً من ذلك، حتى بإقراركم أيَّها المشركون، ولهذا كانوا إذا مسهم الضر، دعوا الله مخلصين له الدين، لعلمهم أنه وحده المقتدر على دفعه وإزالته، ﴿قليلاً ما

تذكرون أي: قليل تذكركم وتدبركم للأمور، التي إذا تذكرتموها ادكرتم ورجعتم إلى الهدى، ولكن الغفلة والإعراض شامل لكم، فلذلك ما أرعويتم ولا اهتديتم.

﴿ ٦٣﴾ ﴿ أُمِّن يهديكم في ظلمات البرّ والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عمّا يشركون اي: من هو الذي يهديكم حين تكونون في ظلمات البر والبحر، حيث لا دليل، ولا معلم يرى، ولا وسيلة إلى النجاة إلا هدايته لكم، وتيسيره الطريق، وجعل ما جعل لكم من الأسباب التي تهتدون بها، ﴿ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ﴾ أي: بين يدي المطر، فيرسلها، فتثير السحاب، ثم تؤلفه، ثم تجمعه، ثم تلقحه، ثم تدره، فيستبشر بذلك العباد، قبل نزول المطر. ﴿ أَإِلَّهُ مع الله ﴾ فعل ذلك؟ أم هو وحده، الذِّي انفرد به؟ فلم أشركتم معه غيره، وعبدتم سواه؟ ﴿تعالى الله عما يشركون، تعاظم وتنزه وتقدس عن شركهم وتسويتهم به غيره.

﴿ ٢٤﴾ ﴿ أَمِّن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن مرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ أي: من هو الذي يبدأ الخلق، وينشىء المخلوقات، ويبتدىء خلقها، ثم يعيد الخلق يوم البعث والنشور؟ ومن يرزقكم من السماء والأرض، بالمطر والنبات؟ ﴿ أَإِلَّهُ مع الله الله يفعل ذلك، ويقدر عليه؟ ﴿قُل هاتوابرهانكم ﴾ أي: حجتكم ودليلكم على ما قلتم ﴿إِن كنتم صادقين﴾ وإلا، فبتقدير أنكم تقولون: إن الأصنام لها مشاركة له، في شيء من ذلك، فذلك مجرد دعوى، صدِّقوها بالبرهان، وإلا، فاعرفوا أنكم مبطلون، لا حجة لكم، فارجعوا إلى الأدلة اليقينية والبراهين القطعية الدالة على أن الله هو المتفرد بجميع التصرفات، وأنه المستحق أن تصرف له جميع أنواع العبادات.

﴿٦٥ ـ ٦٨﴾ ﴿قل لا يعلم من في

السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيّان يبعثون \* بل ادّارك علمهم في الآخرة بل هم في شكِّ منها بل هم منها عمون ﴿ وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أإذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون \* لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلاَّ أساطير الأولين﴾ يخبر تعالى أنه المنقرد بعلم غيب السماوات والأرض، كقوله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولاحبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، وكقوله: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام﴾ إلى آخر السورة.

فهذه الغيوب ونحوها، اختص الله بعلمها، فلم يعلمها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وإذا كان هو المنفرد بعلم ذلك، المحيط علمه بالسرائر والبواطن والخفايا، فهو الذي لا تنبغي العبادة إلا له، شم أخبر تعالى عن ضعف علم المكذبين بالآخرة، منتقلاً من شيء إلى ما هو أبلغ منه، فقال:

﴿وما يسسعرون ﴾ أي: وما يدرون ﴿أيان يبعثون ﴾ أي: متى البعث والنشور، والقيام من القبور، أي: فلذلك لم يستعدوا، ﴿بل ادَّارِكُ علمهم في الآخرة﴾ أي: بل ضعف، وقُلُّ ولم يكن يقيناً، ولا علماً واصلاً إلى القلب، وهذا أقل وأدنى درجة للعلم، ضعفه ووهاؤه، بل ليس عندهم علم، ولا ضعيف، وإنما ﴿هم في شك منها، أي: من الآخرة، والشك زال به العلم، لأن العلم بجميع مراتبه، لا يجامع الشك، ﴿بل هم منها ﴾ أي: من الآخرة ﴿عمون﴾ قد عميت عنها بصائرهم، ولم يكن في قلوبهم من وقوعها ولا احتمال، بل أنكروها واستبعدوها، ولهذا قال: ﴿وقال الذين كفروا أإذا كنا تراباً وآباؤنا أإنا لمخرجون، أي: هذا بعيد غير ممكن، قاسوا قدرة كامل القدرة بقدرهم الضعيفة، ﴿لقد وعدنا هذا﴾ أي: البعث ﴿نحن وآباؤنا من قبل ﴾ أي:

فلم يجئنا، ولا رأينا منه شيئاً. ﴿إِن هَلَمَ اللهُ اللهُ أَلِينَ ﴿ إِن هَلَا اللهُ اللهُ أَي : قصصهم وأخبارهم، التي تقطع بها الأوقات، وليس لها أصل، ولا صدق فيها.

فانتقل في الإخبار عن أحوال هؤلاء المكذبين بالإخبار أنهم لا يدرون متى وقت الآخرة، ثم الإخبار بضعف علمهم فيها، ثم الإخبار بأنه شك، ثم الإخبار بأنه شك، ثم بإنكارهم لذلك واستبعادهم وقوعه. أي: وبسبب هذه الأحوال ترخل خوف الآخرة من قلوبهم، فأقدموا على معاصي الله، وسهل عليهم تكذيب الحق، والتصديق بالباطل، واستحلوا المشهوات على القيام بالعبادات، فخسروا دنياهم وأخراهم.

﴿ ٢٩ ﴾ ثم نبه هم على صدق ما أخبرت به الرسل، فقال: ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان حاقبة المجرمين ﴾ فلا تجدون بجرماً قد استمر على إجرامه، إلا وعاقبته شرٌ عاقبة ، وقد أحل الله به من الشر والعقوبة ما يليق بحاله .

﴿٧٠ ـ ٧٢﴾ ﴿ولا تحـزن عـليهـم ولا تكن في ضيق مما يمكرون \* ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين \* قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون♦ أي: لا تحزن يا محمد على هؤلاء المكذبين، وعدم إيمانهم، فإنك لو علمت ما فيهم من الشر، وأنهم لا يصلحون للخير، لم تأس ولم تحزن، ولا يضق صدرك، ولا تقلق نفسك بمكرهم، فإن مكرهم سيعود عاقبته عليهم، ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ ويقول المكذبون بالمعاد، وبالحق الذي جاء به الرسول، مستعجلين للعذَّاب: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ وهذا من سفاهة رأيهم وجهلهم، فإن وقوعه ووقته، قد أجله الله بأجله، وقدره بقدر، فلا يدل عدم استعجاله على بعض مطلوبهم.

ولكن -مع هذا -قال تعالى محذراً المقبلين على تدبره، المتفكرين في

لهم وقوع ما استعجلوه: ﴿قل عسى أن يكون ردف لمكم ﴾ أي: قرب منكم، وأوشك أن يقع بكم ﴿بعض الذي تستعجلون ﴾ من العذاب.

(٧٣ - ٥٧) ﴿ وإن ربك لذو فضل على السناس ولسكن أكشرهم المناس ولسكن أكشرهم ما تكن صدورهم وما يعلنون \* وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين ﴾ ينبه عباده، على سعة جوده، وكثرة أفضاله، ويحثهم على شكرها، ومع هذا، فأكثر الناس قد أعرضوا عن الشكر، واشتغلوا بالنعم عن المنعم.

الشكر، واشتغلوا بالنعم عن المنعم. ﴿وإن ربك ليعلم ما تكن ﴾ أي: تنطوي عليه ﴿صدورهم وما يعلنون ﴾ فليحذروا من عالم السرائر والظواهر، وليراقبوه.

﴿ وما من غائبة في السماء والأرض أي: خفية ، وسر من أسرار العالم العلوي والسفلي ، ﴿ إلا في كتاب مبين ﴾ قد أحاط ذلك الكتاب بجميع ما كان ويكون إلى أن تقوم الساعة ، فكل حادث يحدث جَلّي أو خفيٌ ، إلا وهو مطابق لما كتب في اللوح المحفوظ .

﴿٧٧ \_ ٧٧﴾ ﴿إِن مَاذَا اللَّهِ \_ آن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون \* وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين المهداخبرعن هيمنة القرآن، على الكتب السابقة، وتفصيله وتوضيحه، لما كان فيها قد وقع فيه اشتباه واختلاف عند بني إسرائيل، فقيصًه حذا القرآن قيصاً زال به الإشكال، وبين الصواب من المسائل المختلف فيها. وإذا كان بهذه المثابة، من الجلالة والوضوح، وإزالة كل خلاف، وفصل كل مشكل، كان أعظم نعم الله على العباد، ولكن ما كل أحد يقابل النعمة بالشكر. ولهذا بيّن أن نفعه ونوره وهداه، مختص بالمؤمنين، فقال: ﴿وإنه لهدى ﴾ من الضلالة والغيّ والشُّبه ﴿ورحمة﴾ تنثلج له صدورهم، وتستقيم به أمورهم الدينية والدنيوية ﴿للمؤمنين ﴾ به، المصدقين له، المتلقين له بالقبول،

معانيه، فهؤلاء تحصل لهم به الهداية إلى الصراط المستقيم، والرحمة المتضمنة للسعادة والفوز والفلاح.

﴿٧٨﴾ ﴿إنَّ ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم﴾ أي: إن الله تعالى سيفصل بين المختصمين، وسيحكم بين المختلفين، بحكمه العدل، وقضائه القسط، فالأمور وإن المختلفين، لخفاء الدليل، أو لبعض المقاصد، فإنه سيبين فيها الحق المطابق للواقع، حين يحكم الله فيها، ﴿وهو العزيز﴾ الذي قهر الخلائق فأذعنوا له، ﴿العليم﴾ بجميع الأشياء ﴿العليم﴾ بأقوال المختلفين، وعن ماذا صدرت، وعن غاياتها ومقاصدها، وسيجازي كلاً بما علمه فيه.

﴿٧٩ ــ ٨١ ﴾ ﴿فتوكيل عيلى الله إنَّك على الحق المبين \* إنَّك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصمّ الدعاء إذا ولُوا مدبرين \* وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾ أي: اعتمد على ربك في جلب المصالح ودفع المضار، وفي تبليغ الرسالة، وإقامة الدين، وجهاد الأعداء. ﴿إنك على الحق المبين﴾ الواضح، والذي على الحق، يدعو إليه، ويقوم بنصرته، أحق من غيره بالتوكل، فإنه يسعى في أمر مجزوم به، معلوم صدقه، لا شك فيه ولا مرية. وأيضاً، فهو حق في غاية البيان، لا خفاء به ولا اشتباه، وإذا قمت بما حملت، وتوكلت على الله في ذلك، فلا يضرك ضلال من ضل، وليس عليك مداهم، فلهذا قال: ﴿إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء ﴾ أي: حين تدعوهم وتناديهم، وخصوصاً ﴿إذا ولوا مدبرين ﴾ فإنه يكون أبلغ في عدم إسماعهم.

﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم كما قال تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾. ﴿إن تسمع إلا من يؤمن بلّياتنا فهم مسلمون ﴾ أي: هؤلاء الذين يؤمنون لك، الذين يؤمنون

بآیات الله، وینقادون لها بأعمالهم واستسلامهم، كما قال تعالى: ﴿إِنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون ﴾.

﴿ ٨٢﴾ ﴿ وإذا وقع القول عليهم أن أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ أي: إذا وقع على الناس القول الذي حتّمه الله خارجة ﴿ من الأرض ﴾ أو دابة من خارجة ﴿ من الأرض ﴾ أو دابة من وهذه الدابة ﴿ تكلمهم ﴾ أي: تكلم العباد أن الناس كانوا بآياتنا فعف علمهم ويقينهم بآيات الله فأظهر الله هذه الدابة ، من آيات الله فأظهر الله هذه الدابة ، من آيات الله عده ون .

وهذه الدابة، هي الدابة المشهورة، التي تخرج في آخر الزمان، وتكون من أشراط الساعة، كما تكاثرت بذلك الأحياديث، [ولم يأت دليلٌ يدلُ على كيفيتها، ولا من أي: نوع هي، وإنما دلت الآية الكريمة على أنّ الله يخرجها للناس، وأن هذا التكليم منها خارقٌ للعوائد المألوفة، وأنه من الأدلة على صدق ما أخبر الله به في كتابه، والله أعلم] (١).

وحضروا، قال لهم موبخاً ومقروا، قال لهم موبخاً ومقرعاً: واكذبتم بآياتي ولم عيد عليكم التوقف حتى ينكشف لكم الحق، وأن لا تتكلموا إلا بعلم، فكيف كذبتم بأمر لم تحيطوا به علما؟ وأم ماذا كنتم تعملون أي: يسألهم عن علمهم، وعن عملهم، فيجد علمهم تكذيباً بالحق، وعملهم لغير الله، أو على غير سنة رسولهم.

﴿ ووقع القول عليهم بما ظلموا ﴾ أي: حقت عليهم كلمة العذاب بسبب ظلمهم الذي استمروا عليه، وتوجهت عليهم الحجة، ﴿ فهم لا ينطقون ﴾ لأنه لا حجة لهم.

﴿ ٨٦﴾ ﴿ ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً إنّ في ذلك لايات لقوم يؤمنون ﴾ أي: ألم يشاهدوا هذه الآية العظيمة ، والنعمة الجسيمة ، هذا بظلمته ، ليسكنوا فيه ويستريحوا من التعب، ويستعدوا للعمل، وهذا بضيائه ، لينتشروا فيه في معاشهم وتصرفاتهم . ﴿ إن في ذلك لايات لقوم يومنون ﴾ على كمال وحدانية الله وسبوغ نعمته .

AT ELECTIVE IA المنطقة بالمستقفلة مُنْ يُثِقَتها وَهُرِمِن فَرَع يَوْمَدِن عَالَمَ المُوك وَمَنْ عِنْهُ مَالسَّتُوهُ فَكُنَّتُ وَجُهُمُ مُوالنَّارِهِ لَا يَحْزَقُ إِلَّا ﴿ مَا كُنتُمْ مِنْ مَا مُناكِمُ مِنْ مَا أَمَّا أَمِينُ أَنْ أَعْبُدُ رَبِّ هَاذِهِ ٱلْبَلْدُوۤ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُكُلُّ مَنَيَّ وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْشَهِمِينَ ﴿ وَأَنْ أَتَكُوا ٱلْفُرُوا أَنَّ فَنَ الْمُسَدِّى فَإِمَّا يَهْمَدِي لِنَفْسِدِّهُ وَمَن ضَلَّ فَقُلُ إِنَّمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُنْفِيدَ ۞ وَقُلِ ٱلْحَمَدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُرُ ءَايَنتِهِ مَنَعَ فُونَهَا وَمَارَثُكَ بِعَلِفِل عَمَّا نَعْمَلُونَ ۞ والمراجع المراجع المرا حاققالة تزالتخنع طَسَمٌ ۞ يَلْكَ مَالِتُ ٱلْكِنْبِ ٱلْذِينِ ۞ نَتَكُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَا مُوسَوْل وَفِرْعَوْرَكَ بِٱلْكِيَّ لِفَوْمِ يُؤْمِسُونَ ۞ إِنَّا فنتقوب علاف الأرض وكحكل أهلها شيكا يستقليف طَآلِفَةً يَنْهُمُ وَلَذَيْحُ أَبْنَآهُ مُرْ وَيَسْتَنَى ويُسَاءَ مُمُّ إِلَّهُ كَانَ ينَ الْمُفْسِدِينَ ۞ وَنُرِيدُ أَن ثَمَنَ عَلَى الَّذِينَ آسْتُصَّعِفُوا الأرض وَجَعَلَهُمُ أَيِمَةً وَجَعَكُمُ الْوَرِيْنِ ۞ TO SOUTH TANK THE TO SOUTH THE

في السماوات ومن في الأرض أي:
انزعجوا وارتاعوا، وماج بعضهم
ببعض، خوفاً بما هو مقدمة له. ﴿إِلا
من شاء الله بمن أكرمه الله وثبته،
وحفظه من الفزع، ﴿وكل به من الخلق
عند النفخ في الصور ﴿أتوه داخرين به صاغرين ذليلين، كما قال تعالى: ﴿إِن
كل من في السماوات والأرض إلا آي
الرحمن عبداً له. ففي ذلك اليوم،
يتساوى الرؤساء والمرؤوسون، في
يتساوى الرؤساء والمرؤوسون، في

ومن هَوْلِه أنك ﴿ ترى الجبال تحسبها جامدة ﴾ لا تفقد [شيئا] منها، وتظنها باقية على الحال المعهودة، وهي قد بلغت منها الشدائد والأهوال كل مبلغ، وقد تفتت، ثم تضمحل، وتكون هباء منبئاً. ولهذا قال: ﴿ وهي من خفتها، وشدة ذلك الخوف وذلك ﴿ صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون ﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

ثم بين كيفية جزائه فقال: ﴿من جاء بالحسنة﴾ اسم جنس يشمل كل حسنةٍ، قولية أو فعلية أو قلبية ﴿فله خير منها﴾ هذا أقل التفضيل (٢٠).

<sup>(</sup>١) ما بين القوسين المركنين زيادة من هامش أ بخط الشيخ \_ رحمه الله \_ وفي ب زيادة أخرى، يبدو أنها بخطه \_ رحمه الله \_ هي: (لم يذكر الله ورسوله كيفية هذه الدابة، وإنما ذكر أثرها، والمقصود منها، وأنها من آيات الله تكلم الناس كلاماً خارقاً للعادة حين يقع القول على الناس، وحين يمترون بآيات الله فتكون حجة وبرهاناً للمؤمين وحجة على المعاندين).

 <sup>(</sup>٢) سبق قلم الشيخ إلى آية الأنعام ﴿فله عشر أمثالها﴾ وعليه فسرها.

CONTRACTOR OF THE PARTY OF THE وَمُتَحِكِنَ لَمُكُرِّفِ ٱلْأَرْضِ وَأَرْبَ رِاعَوْتِ وَهَلَكَنَ وَجُوُدَهُمَا مِنهُ مَا كَافُوا عَنْدُونَ ۞ وَأُوْحَيْثَ إِلَا أَيْرُوسِكَ أذأت ضمية فإذا خفت عَلَيْهِ فَأَلْقِمهِ فِي الْمِيدَ وَلَا عُنكِافِ وَلَا تَعْسَزُنَّ إِنَّا رَأَدُوهُ الَّذِي وَجَاعِلُوهُ مِنَ كُلُّزُمِيلِونَ ۞ قَالْنَقَطَهُ: وَالْهُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لِمَنْ عَلَمُ عَدُقًا وَحَدَيًّا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَلَكُنَّ وَجُنُودَهُ مَاكَانُواْ خَلِطُينَ ۞ وَقَالَتِ أَمْ لِكُنُونِ عَوْنَ قُرَّتُ عَيْنِ لِي وَلَكَّ لَا تَقْتُ لُوهُ عَسَيَّ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡتَنَّغِنٰهُوَلَهُ اوَهُمْ لِايَشْعُرُونِ ۞ وَأَصْبَرَ فُوَّادُ أَيْرُمُومُولَ فَرِغًا إِن كَادَتْ لَنْهُ بِي بِمِلْوَ لِآ أَن تَعْلَنَا عَلَىٰ تَلْبِهَا لِنَكُونَ مِنَ ٱلْمُغْمِينِ نَ وَقَالَتَ لِأُمْنِيْهِ فَيُسِدُّ فَهُمُ رَبُّ إِدِهِ عَن جُنُهِ وَهُ مُر لَا يَشْعُهُونَ ۞ وَحَرِّمَنَاعَلَيْهِ الْمَرَاضِمَةِ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلُ أَدَلُكُمْ عَلَىٰ أَعْلِيَتْ يَكُفُلُونَهُ لِكُمْ وَعُمْ مُلَدُنَّا مِنْ الْمُنْظِيمُ وَنَكُ فَالْمُنْظِيمُ وَك فَرَةُ ذَنَّهُ إِلَّهُ أَيْدِهِ كُنَّ تَصَرَّعَيْنُهُ اللَّهِ مَنْ وَلِنَعَلِّمَ أَنَّ وَعْدَاللَّهِ حَقَّ وَلَاكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَايَعْلَمُونَ ۞ 

﴿ وهم من فزع يومئذ آمنون ﴾ أي: من الأمر الذي فزع الخلق لأجله آمنون، وإن كانوا يفزعون معهم.

﴿ومن جاء بالسيئة ﴾ اسم جنس، يشمل كل سيئة ﴿فكبت وجوههم في النار﴾ أي: ألقوا في النارعلى وجوههم، ويقال لهم: ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾

﴿ ٩١ - ٩٣ ﴾ ﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين \* وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما ستدى لنفسه ومن ضل فقل إنّما أنامن المنذرين \* وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عمأ تعملون ﴾ أي: قل لهم يا محمد ﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة ﴾ أي: مكة المكرمة التي حرمها وأنعم على أهلها، فيجب أن يقابلوا ذلك بالشكر والقبول. ﴿وله كيل شيء﴾ من العلويات والسفليات، أتى به لئلا يتوهم اختصاص ربوبيته بالبيت وحده. ﴿وأمسرت أن أكسون مسن المسلمين (١٠) أي: أيادر إلى الإسلام، وقد فعل على فإنه أول هذه الأمة إسلاماً، وأعظمها استسلاماً، ﴿و﴾ أمرت أيضاً ﴿أَنْ أَتِلُو﴾ عليكم ﴿القرآن﴾ لتهتدوا به وتقتدوا وتعلموا

ألفاظه ومعانيه، فهذا الذي على وقد أديته، ﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه فقعه يعود عليه، وثمرته عائدة إليه ﴿ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين وليس بيدي من الهداية شيء.

﴿ وقل الحمد ش الذي له الحمد في الأولى والآخرة، ومن جميع الخلق، خصوصاً أهل الاختصاص والصفوة من عباده، فإن الذي ينبغي أن يقع منهم من الحمد والثناء على ربهم، أعظم مما يقع من غيرهم لرفعة درجاتهم، وكمال قربهم منه، وكثرة خيراته عليهم.

﴿سيريكم آياته فتعرفونها ﴾ معرفة تدلكم على الحق والباطل، فلا بد أن يريكم من آياته ما تستنيرون به في الظلمات. ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويميا من حيً عن بينة ﴾.

﴿ وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ بل قد علم ما أنتم عليه من الأعمال والأحوال، وعلم مقدار جزاء تلك الأعمال، وسيحكم بينكم حكماً تحمدونه عليه، ولا يكون لكم حجة بوجه من الوجوه عليه.

## تم تفسير سورة النمل بفضل الله وإعانته وتيسيره

ونسأله تعالى أن لا تزال ألطافه ومعونته مستمرة علينا، وواصلة منه إلينا، فهو أكرم الأكرمين، وخيب الراحمين، وموصل المنقطعين، وجيب السائلين، ميسر الأمور العسيرة، وفاتح أبواب بركاته، وجزل في جميع الأوقات هباته، ميسر القرآن للمتذكرين، ومسهل طرقه وأبوابه للمتفكرين، والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله وصحبه

على يد جامعه وممليه عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله

السعدي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، وذلك في ٢٢ رمضان سنة ١٣٤٣.

المجلد السادس من تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، من منن الله على الفقير إلى المعيد المبدي: عبده وابن عبده وابن أمته: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي غفر الله له أمين.

## تفسير سورة القصص وهي مكية

(١-١٥) ﴿ بسم الله السرحمن الرحيم طسم \* تلك آيات الكتاب المبين \* نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ﴾ إلى آخر القصة. ﴿ تلك ﴾ الآيات المستحقة للتعظيم والتفخيم ﴿ آيات الكتاب المبين ﴾ لكل أمر يحتاج إليه العباد، من أوليائه وأعدائه، ومعرفة حقوقه، ومعرفة وقائعه أوليائه وأعدائه، ومعرفة ثواب الأعمال، وجزاء العمال، فهذا القرآن قد بينها غاية التبيين، وجلاها للعباد ووضحها.

من جملة ما أبان، قصة موسى وفرعون، فإنه أبداها، وأعادها في عدة مواضع، وبسطها في هذا الموضع فقال: ﴿نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق﴾. فإن نبأهما غريب، وخيرهما عجيب.

ولقوم يؤمنون فإليهم يساق الخطاب، ويوجه الكلام، حيث إن معهم من الإيمان ما يقبلون به على تدبر ذلك، وتلقيه بالقبول والاهتداء بمواقع العبر، ويزدادون إيماناً ويقيناً، وخيراً فلا يستفيدون منه إلا إقامة الحجة فلا يستفيدون منه إلا إقامة الحجة عليهم، وصانه الله عنهم، وجعل بينهم وبينه حجاباً أن يفقهوه، فأول بينهم وبينه حجاباً أن يفقهوه، فأول الأرض في ملكه وسلطانه وجنوده وجبروته، فصار من أهل العلو فيها،

PARTIE TO SERVICE

CAN ENGINEERY اللُّهُ وَلَمَّا لِلَهُ أَشُدُهُ وَأَسْتَوَى ٓ وَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكُذَالِكَ نَحَذِي اللُّحْسِينِينَ ۞ وَدَخَلَ لَلْدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفَلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا وَبَعَدَ فِيهَا رَجُلَيْن يَقْنَتِ لَانِ هَلْنَا مِن شِيعَتِهِ وَهَلَا امِنْ عَدُومً فَأَسْتَغَثْثُهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَحَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰعَلَيْهِ قَالَ هَلَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِّ إِنَّا مُعَكُدًّا مُّضِرُّ تُبِينٌ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَتْتُ مَفْسِي فَأَغْفِرَلِي فَغَفَرَ أَدُّو إِنَّهُ هُوَ الْفَغُورُ الرَّحِيدُ ۞ قَالَ رَبِّ بِمَّا أَنْعَمْتَ عَلَّ فَازَأَ كُونَ خَهِيرًا لِلْتُجْمِعِينَ ۞ فَأَصْبَعَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآمِهَا يَتَرَقُّ مُ فَإِذَا ٱلَّذِي أَسْتَنصَرُهُ إِلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُمُ قَالَ لَهُمُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّينً ٤ فَلَتَا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَعَدُوٌّ فَكُمَا قَالَ يَنْمُونَنَى ٱرُيدُأَن تَفْتُكُنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ إِن رُبِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَنَازًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ لَلْصُلِحِينَ ا ﴿ وَبَدَّ رَجُلٌ مِنْ أَصَّا لَلْدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَعُونَهَا إِنَّا لَلْكُوَّأَيِّرُونَ إِنَّ لِقُنْكُولَة مَّا حُرُجُ إِنَّ الْكَ وَثَالَتُهِ مِدِينَ ۞ فَخَرَجَ مِنْهَا يُّمُ خَلَوْمَا يَنْزَقَّ قَالَ رَبِ يَغِين مِنَ الْمَوْرِ الظَّل مِينَ ۞

من سنته الجارية، أن جعل الأمور تمشى على التدريج شيئاً فشيئاً، ولا تأتى دفعة واحدة.

DESTRUCTIVE DESCRIPTION

وقبوليه: ﴿إِن فسرعبون وهباميان وجنودهما كانوا خاطئين ﴾ أي: فأردنا أن نعاقبهم على خطئهم (١) ونكيدهم جزاءً على مكرهم وكيدهم.

فلما التقطه آل فرعون، حنَّن الله عليه امرأة فرعون الفاضلة الجليلة المؤمنة «آسية» بنت مزاحم ﴿وقالت﴾ هــذا الـولـد ﴿قسرة عـين لي ولـك لا تقتلوه أى: أبقه لنا، ليقربه أعيثنا، ونستر به في حياتنا.

﴿عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً ﴾ أى: لا يخلو، إما أن يكون بمنزلة الخدم، الذين يسعون في نفعنا وخدمتنا، أو نرقيه منزلة أعلى من ذلك، نجعله ولداً لنا، ونكرمه، ونجله.

فقدّر الله تعالى، أنه نفع امرأة فرعون، التي قالت تلك المقالة، فإنه لما صار قرة عين لها، وأحبته حباً شديداً، فلم يزل لها بمنزلة الولد الشفيق حتى كبر ونبأه الله وأرسله، فبادرت إلى الإسلام والإيمان به، رضى الله عنها

قال الله تعالى عن هذه المراجعات

موسى، الذي جعل استنقاذ هذا الشعب الإسرائيلي على يديه وبسببه، وكان في وقت تلك المخافة العظيمة، التي يذبحون بها الأبناء، أوحي إلى أمه أن ترضعه، ويمكث عندها.

﴿فَإِذَا خَفْتَ عَلَيه ﴾ بأن أحسست أحداً تخافين عليه منه أن يوصله إليهم، ﴿ فألقيه في اليم ﴾ أي: نيل مصر، في وسط تابوت مغلق، ﴿ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين بنشرها بأنه سيرده عليها، وأنه سيكبر ويسلم من كيدهم، ويجعله الله رسولا.

وهذا من أعظم البشائر الجليلة، وتقديم هذه البشائر لأم موسى، ليطمئن قلبها، ويسكن روعها، فإنها خافت عليه، وفعلت ما أمرت به، ألقته في اليم، فساقه الله تعالى حتى ﴿التقطه آلُ فرعون ﴾ فصار من لقطهم، وهم الذين باشروا وجدانه، ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً ﴾ أي: لتكون العاقبة والمآل من هذا الالتقاط، أن يكون عدواً لهم وحزناً يحزنهم، بسبب أن الحذر لا ينفع من القدر، وأن الذي خافوا منه من بني إسرائيل، قينض الله أن يكون زعيمهم، يتربى تحبت أيديهم، وعلى نيظرهم، وبكفالتهم.

وعند التدبر والتأمل، تجد في طي ذلك من المصالح لبني إسرائيل، ودفع كثير من الأمور الفادحة بهم، ومنع كثير من التعديات قبل رسالته، بحيث إنه صار من كبار الملكة.

وبالطبع، إنه لا بدأنه يحصل منه مدافعة عن حقوق شعبه هذا، وهو هو ذو الهمة العالية والغيرة المتوقدة، ولهذا وصيلت الحيال ببذليك السعب المستضعف -الذي بلغ بهم الذل والإهانة إلى ما قص الله علَّينا بعضه ــ أن صار بعض أفراده، ينازع ذلك الشعب القاهر العالي في الأرض، كما سيأتي بيانه .

وهذا مقدمة للظهور، فإن الله تعالى

شيعاً﴾ أي: طوائف متفرقة، يتصرف فيهم بشهوته، وينفذ فيهم ما أراد من قهره وسطوته.

﴿يستضعف طائفة منهم ﴾ وتلك الطائفة، هم بنو إسرائيل، الذين فضلهم الله على العالمين، الذين له أن يكرمهم ويجلهم، ولكنه استضعفهم، بحيث إنه رأى أنهم لا منعة لهم تمنعهم عما أراده فيهم، فصار لا يبالي بهم، ولا يهتم بشأنهم، وبلغت به الحال إلى أنه ﴿ يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم ﴾ خوفاً من أن يكثروا، فيعمروه في بلاده، ويصير لهم الملك.

﴿إنه كان من المفسدين ﴾ الذين لا قصدلهم في إصلاح الدين، ولا إصلاح الدنيا، وهذا من إفساده في الأرض.

﴿ونريد أن نسمسن عملي السذيسن استضعفوا في الأرض ﴾ بأن نزيل عنهم مواد الاستنضعاف، ونهلك من قاومىها، ونىخىذل مَىنْ ناوأهم. ﴿ونجعلهم أئمة ﴾ في الدين، وذلك لا يحصل مع الاستضعاف، بل لا بد من تمكين في الأرض، وقدرة تامة، ﴿ونجعلهم الوارثين ﴾ للأرض، الذين لهم العاقبة في الدنيا قبل الآخرة. ﴿وتعكن لهم في الأرض فهذه الأمور كلها، قد تعلَّقت بها إرادة الله، وجرت بها مشيئته، ﴿و﴾ كذلك نريد أن ﴿ ترى فرعون وهامان ﴾ وزيره ﴿وجنودهما﴾ التي بها صالوا وجالوا، وعلوا وبغوا ﴿منَّهم ﴾ أي: من هذه الطائفة المستضعفة. ﴿ما كانوا يحذرون، من إخراجهم من ديارهم، ولذلك كانوا يسعون في قمعهم، وكسر شوكتهم، وتقتيل أبنائهم، الذين هم محل ذلك، فكل هذا قد أراده الله، وإذا أراد أمراً سهل أسبابه، ونهج طرقه، وهذا الأمر كذلك، فإنه قدر وأجرى من الأسباب -التي لم يشعر بها لا أولياؤه ولا أعداؤه \_ما هو سبب موصل إلى هذا القصود، فأول ذلك، لما أوجد الله رسوله

TO THE WALL OF THE PARTY OF THE الم وَلَمَّا فَوَجَكُمْ يَلْقَأَةُ مَدْيَكَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّ أَن يَهْدِينِ سَوَلَةً السَّبِيل ۞ وَلَمَّا وَبُوَ مَآةِ مَذْيَنَ وَجَدَعَكِيهِ أَمْكَةً مِنْ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَلَمِن دُونِهِمُ ٱمَّ أَيِّنْ تَكَذُودَأَنَّ قَالَ مَاخَطْبُكُمُّ أَقَالَتَ الْاسْتِقِي حَقَى يُصِيدِ وَالرَّيِّ أُو أَوْنَا شَيْعٌ كَيِرٌ ۞ فَسَقَىٰ هُمُاثُمَّ وَلَيْ إِلَى الظِلَ فَعَالَ رَبِ إِنْ لِمَا أَزَلْتَ إِلَى مِنْ خَيْرِفَقِيدُ ۞ خَكَةَ تُهُ إِحْدَنَهُمَا تَنْهِى عَلَى ٱسْتِحْيَا وَ قَالَتْ إِنَّ إِن يَدْعُوكَ لِيَجْزِيكَ أَجْرَمَا سَقَيْتَ لَتَأَ فَلَمَّا حِكَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَغَفُّ بَحُوْتَ مِنَ ٱلْقَوْرِ ٱلظَّالِمِينَ ۞ قَالَتْ إِمَّدَانُهُمَا يَكَأَبُكِ ٱلسَّعَيْرَةُ إِنَّ خَيْرَمَنِ ٱلسَّعَجَرَتَ ٱلْقَوِيُ ٱلْأَمِينُ ۞ قَالَ إِنَّ أُرِيدُ أَنْ أُنكِ حَكَى إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَلَيْنِ عَلَىٓ أَن تَأْجُ وَفِي ثَمَنِيَ حِيَجٌ فَإِنْ أَمَّتُمْتَ عَشْرًا فَحِنْ عِندِكٌّ وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَشُقَ عَلَيْكُ سَتَجِدُ فِي إِن شَاءَ اللهُ مِن السَلِيدِينَ ۞ قَالَ ذَلِكَ بَنِي وَيَيْنَكُ أَيِّمَا ٱلأَجَلَيْنِ الله عَنْ مَنْ مُعَدَّوْنَ عَلَيْ قُواللَّهُ عَلَى مَانَ عُولُ وَكِيلٌ ۞ OLUMBUR WERE OF O

[والمقاولات] في شأن موسى: ﴿وهم لا يشعرون﴾ ما جرى به القلم، ومضى به القدر، من وصوله إلى ما وصل إليه، وهذا من لطفه تعالى، فإنهم لو شعروا، لكان لهم وله شأن آخر.

ولما فقدت موسى أمه، حزنت حزناً شديداً، وأصبح فؤادها فارغاً من القلق الذي أزعجها، على مقتضى الحالة البشرية، مع أن الله تعالى نهاها عن الحزن والخوف، ووعدها برده.

﴿إِن كادت لتبدي به ﴾ أي: بما في قلبها ﴿لولا أن ربطنا على قلبها ﴾ فثبتناها ، فصبرت ، ولم تبد به . ﴿لتكون ﴾ بذلك الصبر والثبات ﴿من المؤمنين ﴾ فإن العبد إذا أصابته مصيبة فصبر وثبت ، ازداد بذلك إيمانه ، ودل ذلك على أن استمرار الجزع مع العبد ، دلل على ضعف إيمانه .

﴿وقالت﴾ أم موسى ﴿لأخته قصيه﴾ أي: اذهبي [فقصي الأثر عن أخيك وابحثي عنه من غير أن يحس بك أحدً أو يشعروا بمقصودك فذهبت تقصه] ﴿فبصرت به عن جنبٍ وهم لا يشعرون﴾ أي: أبصرته على وجه، كأنها مارة لا قصد لها فيه.

وهذا من تمام الحزم والحذر، فإنها لو أبصرته، وجاءت إليهم قاصدة، لظنوا بها أنها هي التي ألقته، فربما عزموا على ذبحه، عقوبة لأهله.

ومن لطف الله بموسى وأمه، أن

منعه من قبول ثدي امرأة، فأخرجوه إلى السوق رحمة به، ولعل أحداً يطلبه، فجاءت أخته، وهو بتلك الحال ﴿فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون﴾

وهذا جُلُ غرضهم، فإنهم أحبوه حباً شديداً، وقد منعه الله من المراضع فخافوا أن يموت، فلما قالت لهم أخته تلك المقالة، المشتملة على الترغيب في أهل هذا البيت، بتمام حفظه وكفالته والنصح له، بادروا إلى إجابتها، فأعلمتهم ودلتهم على أهل هذا البيت.

بذلك ﴿كي تقرعينها ولا تحزن﴾ بحيث إنه تربى عندها على وجه تكون فيه آمنة مطمئنة، تفرح به، وتأخذ الأجرة الكثيرة على ذلك، ﴿ ولتعلم أن وعد الله حق) فأريناها بعض ما وعدناها به عياناً، ليطمئن بذلك قلبها، ويزداد إيمانها، ولتعلم أنه سيحصل وعد الله في حفظه ورسالته، ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون الإذا رأوا السبب متشوشاً، شوش ذلك إيمانهم، لعدم علمهم الكامل، أن الله تعالى يجعل المحن الشاقة والعقبات الشاقة، بين يدي الأمور العالية والمطالب الفاضلة، فاستمر موسى عليه الصلاة والسلام عند آل فرعون، يتربى في سلطانهم، ويركب مراكبهم، ويلبس ملابسهم، وأمه بذلك مطمئنة، قد استقر أنها أمه من الرضاع، ولم يستنكر ملازمته إياها وحنوها عليه.

وتأمل هذا اللطف، وصيانة نبيه موسى من الكذب في منطقه، وتيسير الأمر، الذي صاربه التعلق بينه وبينها، الذي بان للناس أنه هو الرضاع، الذي بسببه يسميها أُمّاً، فكان الكلام الكثير منه ومن غيره في ذلك كله صدقاً وحقاً.

﴿ ولما بلغ أشده ﴾ من القوة والعقل واللب، وذلك نحو أربعين سنة في الخالب، ﴿ واستوى ﴾ كملت فيه تلك الأمور، ﴿ آتيناه حكماً وعلماً ﴾ أي: حكماً يعرف به الأحكام الشرعية، ويحكم به بين الناس، وعلماً كثيراً.

﴿وكذلك نجزي المحسنين ﴾ في عبادة الله ، المحسنين خلق الله ، المحسنين خلق الله ، نعطيهم علماً وحكماً بحسب إحسانهم ، ودل هذا على كمال إحسان موسى عليه السلام .

﴿ودخُل المدينة على حين غفلة من أهلها ﴾ إما وقت القائلة ، أو غير ذلك من الأوقات التي بها يغفلون عن الانتشار . ﴿فوجه فيها رجلين يقتتلان ﴾ أي : يتخاصمان ويتضاربان إهرائيل ﴿وهذا من شيعته ﴾ أي : من بني إسرائيل ﴿وهذا من عدوه ﴾ القبط .

﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ﴾ لأنه قد اشتهر، وعلم الناس أنه من بني إسرائيل، واستغاثته لموسى، دليل على أنه بلغ موسى عليه السلام مبلغاً يخاف منه، ويرجى من بيت الملكة والسلطان.

﴿ فُوكِرُه مُوسَى ﴾ أي: وكز الذي من عدوه، استجابة لاستخائة الإسرائيلي، ﴿ فقضى عليه ﴾ أي: أماته من تلك الوكزة، لشدتها وقوة موسى.

فندم موسى عليه السلام على ما جرى منه، و ﴿قال هذا من عمل الشيطان﴾ أي: من تزيينه ووسوسته، ﴿إنه عدو مضل مبين﴾ فلذلك أجريت ما أجريت بسبب عداوته البينة، وحرصه على الإضلال.

ثم استغفر ربه ف ﴿قال ربّ إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾ خصوصاً للمخبتين، المادرين للإنابة والتوبة، كما جرى من موسى عليه السلام.

فرقال موسى ﴿ ربّ بما أنعمت علي ﴾ بالتوبة والمغفرة والنعم الكثيرة ، ﴿ فَلَمْ نَهُ أَي : معيناً ومساعداً ﴿ للمجرمين ﴾ أي : لا أعين أحداً على معصية ، وهذا وعد من موسى عليه السلام ، بسبب منة الله عليه ، أن لا يعين مجرماً ، كما فعل في قتل القبطي . وهذا يفيد أن النعم تقتضي من العبد فعل الخير وترك الشد .

﴿فَ﴾ لما جرى منه قتل الذي هو من عـدوه ﴿أصبِع في المدينة خائفاً

يترقب﴾ هل يشعر به آل فرعون أم لا؟ وإنما خاف، لأنه قد علم، أنه لا يتجرأ أحد على مثل هذه الحال سوى موسى من بنى إسرائيل.

فبينما هو على تلك الحال ﴿فإذا الذي استنصره بالأمس > على عدوه ﴿يستصرخه على قبطى آخر . ﴿قال له موسى) موبخاً له على حاله ﴿إنك لغوي مبين العواية ، ظاهر الجراءة، ﴿فلمَّا أَنْ أَرَادُ أَنْ يَبِطُشُ﴾ موسى ﴿بالذي هو عدو لهما﴾ أي: له وللمخاصم المستصرخ، أي: لم يزل اللجاج بين القبطي والإسرائيلي، وهو يستغيث بموسى، فأخذته الحمية، حتى هم أن يبطش بالقبطى، ﴿قال﴾ له القبطي زاجراً له عن قتله: ﴿أُتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض) لأن من أعظم آثار الجبار في الأرض، قتل النفس بغير حق.

﴿وما تريد أن تكون من المصلحين﴾ وإلا، فلو أردت الإصلاح لحلت بيني وبينه من غير قتل أحد، فأنكف موسى عن قتله، وارعوى لوعظه وزجره، وشاع الخبر بما جري من موسى في هاتين القضيتين، حتى تراود ملاً فرعون وفرعون على قتله، وتشاوروا على ذلك، وقيض الله ذلك الرجل الناصح، وبادرهم إلى الإخبار لموسى بما اجتمع عليه رأي مليِّهم، فقال: ﴿وجاء رَجُّلُ مِنْ أَقْصِي المَّدينَةُ يَسْعَى﴾ أي: ركضاً على قدميه من نصحه لموسى، وخوفه أن يوقعوا به قبل أن يشعر، ف ﴿قال بِا موسى إن الملأ يأتمرون أي: يتشاورون فيك ﴿ليقتلوك فأخرج﴾ عن المدينة ﴿إني لك من الناصحين المتثل نصحه، ﴿فخرج منها خائفاً يترقب ﴿ أَنْ يُوقَعُ به القتل، ودعا الله، و ﴿قَالُ رَبُّ نجني من القوم الظالمين﴾ فإنه قد تاب من ذنبه وفعله غضباً من غير قصد منه للقتل، فتوعُّدُهم له ظلم منهم وجراءة .

﴿ ولما توجه تلقاء مدين﴾ أي: قاصداً بوجهه مدين، وهو جنوبي

فلسطين، حيث لا ملك لفرعون، ﴿قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ أي: وسط الطريق المختصر، الموصل إليها بسهولة ورفق، فهداه الله سواء السبيل، فوصل إلى مدين.

﴿ ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون مواشيهم ، وكانوا أهل ماشية كثيرة ﴿ ووجد من دونهم ﴾ أي: من دون تلك الأمة ﴿ امرأتين تذودان ﴾ غنمهما عن حياض الناس ، لعجزهما عن مزاحة الرجال ويخلهم ، وعدم مروءتهم عن السقى لهما .

وقال الهما موسى وما خطبكما الي: ما شأنكما بهذه الحالة، وقالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء أي: قد جرت العادة أنه لا يحصل لنا سقي حتى يصدر الرعاء مواشيهم، فإذا خلا أي: لا قوة له على السقي، فليس فينا أي: لا قوة له على السقي، فليس فينا الرعاء. فرق لهما موسى عليه السلام ورحهما وفسقى لهما معني عليه السلام وجه الله تعالى، فلما سقى لهما، وكان منهما، ولا له قصد غير وجه الله تعالى، فلما سقى لهما، وكان ذلك وقت شدة حر، وسط النهار، بدليل قوله: وشم تولى إلى الظل مستريماً لذلك الظلال بعد التعب.

وفقال في تلك الحالة، مسترزقاً ربه وربّ إني لما أنزلت إليّ من خير فقير أي: إني مفتقر للخير الذي تسوقه إليّ وتيسره لي. وهذا سؤال منه بحاله، والسؤال بالحال أبلغ من السؤال بلسان المقال، فلم يزل في هذه الحالة داعاً ربه متملقاً.

وأما المرأتان، فذهبتا إلى أبيهما، وأخبرتاه بما جرى، فأرسل أبوهما إحداهما إلى موسى، فجاءته همشي على استحياء وهذا يدل على كرم عنصرها، وخلقها الحسن، فإن الحياء من الأخلاق الفاضلة، وخصوصاً في النساء.

ويدل على أن موسى عليه السلام، لم يكن فيما فعله من السقي لهما بمنزلة الأجير والخادم الذي لا يستحى منه عادة، وإنما هو عزيز النفس، رأت من

CENTRALY CONTRAL فَأَلْتَ اللَّهَ مُوسَى ٱلْأَجْلَ وَسَارَ بِأَهْ لِهِ مَا لَسَرَى مِن جَانِبٱلطُّورِنَازَّا قَالَ لِأَمْهِ إِدَامْكُثُوّا إِنِّ ءَانَسْتُ نَازَ لَمَنَ يَايِكُ مِنْهَا عَبَرَأَنْكِ ذَوَقِنَ النَّارِلُمَلَّكُو تَصْطَلُونَ ۞ فَلَمَا أَلْنَهَا نُودِكِ مِن شَلِطِي الْوَادِ الْأَيْمَنَ فِ ٱلْمُقْعَةِ ٱلْمُنْزَكَةِ مِنَ الشَّجَرَوَأَن يَعُومَنَ إِنِّ أَنَّا اللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ۞ وَأَنْ أَلَقِ عَصَالُّكُ فَلَمَّ ارَءَاهَ أَتَاتَمَا كَأَنَّهَا جَآنٌ وَلَى مُدْبِرًا وَلَرْ مُعَيِّتْ يَدُوسَيَّ أَقِيلٌ وَلَا تُحُفُّ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِينِينَ ۞ ٱسْلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَدُرُجُ بَيْضَآ مِنْ غَيْرِمُوٓ وَوَاصِّمُ إِلَيْكَ جَنَامَكَ مِنَ الرَّهْبُّ فَنَنَيْكَ بُرُهَا نَانِ مِن زَيِكَ إِلَىٰ فِرْعَوْبَ وَمَلَا يُؤْمِ إِنَّهُمُ كَانُواْ فَوْمَا فَنْسِقِينِ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي فَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَلَنَافُ أَن يَقَتُكُونِ ۞ وَأَينِ هَلَرُونِ مُوَأَفْصَحُ مِنْ لِسَالَا فَأْرْسِلْهُ مَعِي رِدْءً الصَّلَيْفِي أَيْ أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ا ٥ قَالَ سَنَشُدُ عَصَٰدَكَ بِأَنِيكَ وَجَعَلُ لَكُمَا سُلْطُنَا الله مَلايَعِيلُونَ إِلَيْكُمُنا بِعَالِينَآ أَسْمَا وَمِن أَتَبَعَكُمَا ٱلْعَلِيمُونَ ۞ ON THE PROPERTY OF THE PROPERT

حسن خلقه ومكارم أخلاقه، ما أوجب لها الحياء منه، ف ﴿قالت﴾ له: ﴿إِن أَبِي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ أي: لا ليمنّ عليك، بل أنت الذي ابتدأتنا بالإحسان، وإنما قصده أن يكافئك على إحسانك، فأجابها موسى.

﴿فلما جاءه وقصَّ عليه القصص﴾ من ابتداء السب الموجب لهربه، إلى أن وصل إليه ﴿قال﴾ له مسكناً روعه، جابراً قلبه: ﴿لا تخف نجوت من القوم السظالمين﴾ أي: ليذهب خوفك وروعك، فإن الله نجاك منهم، حيث وصلت إلى هذا المحل، الذي ليس لهم عليه سلطان.

وقالت إحداهما أي: إحدى ابنتيه وياأبت استأجره أي: اجعله أجيراً عندك، يرعى الغنم ويسقيها، وإن خير من استأجرت القوي الأمين أي: القوة والأمانة، وخير أجير استؤجر، من جمعهما، أي: القوة والقدرة على ما التيوجر عليه، والأمانة فيه بعدم الخيانة، وهذان الوصفان، ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان عملا، بإجارة أو غيرها.

فإن الخلل لا يكون إلا بفقدها أو فقد إحداهما، وأما اجتماعهما، فإن العمل يتم ويكمل، وإنما قالت ذلك، لأنها شاهدت من قوة موسى عند

THE PROPERTY IN THE PROPERTY I الْ فَلْتَاجَآءَهُم مُوسَىٰ بِعَالِيِّنَا يَتِنَتِ قَالُواْ مَا هَذَاۤ إِلَّا مِيخَرَّمُفْتَرَى الله وَمَاسَمِعْنَابِهِكَذَافِي ٓ البَيْنِا ٱلْأَوْلِينِ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰ نَيْ أَعْلَمُ بِمَنْ جَلَّهُ بِأَفْلُ مَكَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَلْقِكَةُ ٱلدَّارِّ إِنَّهُ لِاَيْفُ لِمُ الظَّلِمُونِ ۞ وَقَالَ فِرْعَوْثُ يَثَاثِهُمَا ٱلْمَلَأُ مَاعَلِتُ لَكُم مِنْ إِلَاهِ عَيْرِكَ فَأَوْقِدْ لَى يَلْهَا مَنْ عَكَ ٱلطِّينِ فَأَخْعَلَ لِي صَرْحَا لَعَلِيَّ أَظَلِمُ إِلَّ إِلَّهِ مُومَى وَالْيِ لَأَظُنُّهُ مِنَ ٱلْكَالِيدِ ٥ وَأَسْتَكْبَرُ هُوَوَجُهُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِعَنْدِ الْحَقِّ وَظَنْوا أَنَهُمُ إِلَيْنَا لَا يُخْتُونَ ۞ فَأَخَذُنَّهُ وَجُنُونَهُ مَنْهَا لَهُمُ إِنَّ مُنْهَا لَهُمُ إِنْ ٱلْمِيرِّةُ فَانْظُرْكَيْفَ كَانَ عَلِقِيَةُ ٱلظَّلِمِينِ ۞ وَجَعَلْنَاهُمُ ٓ أَيِمَّةُ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّكَأِّدُ وَيَوْمَ ٱلْفِيكَ مَةِ لَايْنَصَرُونَ ۞ وَأَنْبَعْنَاهُمْ فِي هَانِهُ مِنْ الدُّنْيَ الْعَنِيَّةُ وَيُوْمِ ٱلْقِيكَ مَةِ مُرِينَ ٱلْمَقْبُوعِينَ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَ مُوسِكَ لَلْكِنْكِ مِنْ بَعْدِمَا أَهْلَكَ نَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَا بصَ آبِرَالنَّاسِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ ACTION WESTER

السقى لهما ونشاطه، ما عرفت به قوته، وشاهدت من أمانته وديانته، وأنه رحمهما في حالة لا يرجى نفعهما، وإنما قصده [بذلك] وجه الله تعالى، ﴿قال﴾ صاحب مدين لموسى: ﴿إِنِ أُرِيدُ أَنْ أَنْكُمِكُ إِحْدَى ابْنُتِي هاتين على أن تأجرن اي: تصير أجيراً عندى ﴿ ثماني حجج ﴾ أي: ثماني سنين. ﴿ فَإِن أَتَّمْت عَشَراً فَمَن عندك تبرع منك، لا شيء واجب عبليك. ﴿ وما أريد أن أشق عليك ﴾ فأحتم عشر السنين، أو ما أريد أن أستأجرك لأكلفك أعمالاً شاقة، وإنما أستأجرك لعمل سهل يسير لا مشقة فيه ﴿ستبجدني إن شباء الله مين الصالحين ، فرغبه في سهولة العمل، وفي حسن المعاملة، وهذا يدل على أن الرجل الصالح، ينبغي له أن يحسن خلقه مهما أمكنه، وأنّ الذي يطلب منه، أبلغ من غيره.

فرقال موسى عليه السلام - عيباً له فيما طلب منه -: ﴿ ذَلْكُ بِينِي وَبِينَكُ ﴾ أي: هذا الشرط، الذي أنت ذكرت، رضيت به، وقد تم فيما بيني وبينك. ﴿ إيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي ﴾ سواء قضيت الشماني الواجبة، أم تبرعت بالزائد عليها ﴿ والله الواجبة ، أم تبرعت بالزائد عليها ﴿ والله المواجبة ، أم تبرعت بالزائد عليها ﴿ والمواجبة ، أم تبرعت بالزائد بالمواجبة ، أم تبرعت با

على ما نقول وكيل﴾ حافظ يراقبنا، ويعلم ما تعاقدنا عليه.

وهذا الرجل، أبو المرأتين، صاحب مدين، ليس بشعيب النبي المعروف، كما اشتهر عند كثير من الناس، فإن هذا قول لم يدل عليه دليل، وغاية ما يكون، أن شعيباً عليه السلام، قد كانت بلده مدين، وهذه القضية جرت في مدين، فأين الملازمة بين الأمرين.

وأيضاً، فإنه غير معلوم أن موسى أدرك زمان شعيب، فكيف بشخصه؟!! ولوكان ذلك الرجل شعيباً، لذكره الله تعالى، ولسمته المرأتان، وأيضاً فإن شعيباً عليه الصلاة والسلام، قد أهلك الله قومه بتكذيبهم إياه، ولم يبق إلا مَنْ آمن به، وقد أعاذ الله المؤمنين أن يرضوا لبنتى نبيهم، بمنعهما عن الماء، وصد ماشيتهما، حتى يأتيهما رجل غريب، فيحسن إليهما، ويسقى ماشيتهما، وما كان شعيب ليرضى أن يرعى موسى عنده ويكون خادماً له، وهو أفضل منه وأعملي درجمة، والله أعمله [، إلا أن يقال: هذا قبل نبوة موسى فلا منافاة وعلى كل حال لا يعتمد على أنه شعيب 

بين فلما قضى موسى الأجل كيتمل أنه قضى الأجل الواجب، أو الزائد عليه، كما هو الظن بموسى ووفائه، اشتاق إلى الوصول إلى أهله ووالدته وعشيرته ووطنه، وعلم من طول المدة، أنهم قد تناسوا ما صدر منه. فرسار بأهله قاصداً مصر، وأنس أي: أبصر فمن جانب الطور ناراً، قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي اتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون وكان قد أصابهم البرد، وتاهوا الطريق.

﴿٣٠﴾ فلما أتاها نودي ﴿يا موسى إني أنــا الله رب الــعــالمين﴾ فــأخـــره بألوهيته وربوبيته، ويلزم من ذلك، أن

يأمره بعبادته وتألهه، كما صرح به في الآية الأخرى ﴿فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾. ﴿وأن ألق عصاك وألقاها ﴿فلما رآها تهتز ﴾ تسعى سعياً شديداً ، ولها صورة مُهيلة ﴿كأنها جان ﴾ ذَكرُ الحيات العظيم ، ﴿ولَى مدبراً ولم يعقب ﴾ أي: يرجع لاستيلاء الروع على قلبه، فقال الله له: ﴿يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين وعدم الخوف.

فإن قوله: ﴿أَقْبِلِ﴾ يقتضي الأمر بإقباله، ويجب عليه الامتثال، ولكن قد يكون إقباله، وهو لم ينزل الأمر المخوف، فقال: ﴿ولا تخف﴾ أمر له بشيئين، إقباله، وأن لا يكون في قلبه خوف، ولكن يبقى احتمال، وهو أنه قديقبل وهو غير خائف، ولكن لا تحصل له الوقاية والأمن من المكروه، فقال: ﴿إنك من الآمنين﴾ فحينتذ اندفع المحذور من جميع الوجوه، فأقبل موسى عليه السلام غير خائف ولا مرعوب، بل مطمئناً، واثقاً بخبر ربه، قد ازداد إيمانه، وتم يقينه، فهذه آية أراه الله إياها قبل ذهابه إلى فرعون، ليكون على يقين تام، فیکون (۲) أجرأ له وأقوى وأصلب، ثم أراه الآية الأخرى فقال: ﴿اسلكُ يدك) أي: أدخلها ﴿في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ فسلكها وأخرجها، كما ذكره الله تعالى.

﴿واضحم إليك جناحك من الرهب أي: ضم جناحك وهو عضدك إلى جنبك يزول عنك الرهب والخوف. ﴿فَذَانك﴾ انقلاب العصاحية، وخروج اليد بيضاء من غير سوء ﴿برهانان من ربك﴾ أي: حجتان قاطعتان من ألله، ﴿إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ فلا يكفيهم عرد الإنذار وأمر الرسول إياهم، بل لا بد من الآيات الباهرة، إن نفعت.

ف ﴿قال﴾ موسى عليه السلام،

<sup>(</sup>۱) زیادة من هامش: ب.

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: ليكون.

معتذراً من ربه، وسائلاً له المعونة على ما حمله، وذاكراً له الموانع التي فيه، ليزيل ربه ما يحذره منها. ﴿وَرِبُ إِنِي قَلْتَ منهما وَأَخِي هارون هو أفصح مني يقتلون \* وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً ﴾ أي: معاوناً ومساعداً ﴿يصدقني ﴾ فإنه مع تضافر الأخبار يقوى الحق فأجابه الله إلى سؤاله، فقال: ﴿سنشد عضدك مؤيك ،

ثم أزال عنه محذور القتل، فقال: ﴿ وَنَجِعَلَ لَكُمَا سَلَطَانًا ﴾ أي: تسلطاً، وَمَكُناً من الدعوة بالحجة، والهيبة الإلهية من عدوهما لهما، ﴿ فَلَا يَصَلُونَ إِلَيْكُما ﴾ وذلك بسبب آياتنا، وما دلت عليه من الحق، وما أزعجت به مَنْ باشرها ونظر إليها، فهي التي بها حصل لكما السلطان، واندفع بها عنكم كيد عدوكم (١)، وصارت لكم عنكم كيد عدوكم (١)، وصارت لكم أبلغ من الجنود، أولي العَددِ والعُدَدِ.

وانتما ومن اتبعكما الغالبون وهذا وعد لموسى في ذلك الوقت، وهد وجد إلى بلده، وهد ما كان شريداً، فلم تزل الأحوال تتطور، والأمور تنتقل، حتى أنجز الله له موعوده، ومكنه من العباد والبلاد، وصار له ولاتباعه الغلبة والظهور.

وصار له ولا باعه العلبة والطهور. 

فذهب موسى برسالة ربه ﴿فلما واضحات الدلالة على ما قاله لهم، 
ليس فيها قصور ولا خفاء. ﴿قالوا﴾ 
على وجه الظلم والعلو والعناد: ﴿ما 
في تلك الحالة التي ظهر فيها الحق، 
واستعلى على الباطل، واضمحل 
واستعلى على الباطل، واضمحل 
الباطل، وخضع له الرؤساء العارفون 
حقائق الأمور. ﴿إنه لكبيركم الذي 
علمكم السحر﴾ هذا، وهو الذكي غير 
والكيدما قصه الله علينا، وقد علم 
والكيدما قصه الله علينا، وقد علم 
والأرض﴾ ولكن الشقاء غالب.

﴿ وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ﴾ وقد كذبوا في ذلك، فإن الله أرسل يوسف عليه السلام قبل موسى، كما قال تعالى: ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً كذلك يضل الله من هو مسرف كذاب ﴾ .

وقال موسى حين زعموا أن الذي جاءهم به سحر وضلال، وأن ما هم عليه هو الهدى: وربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار أي: إذا لم تفد المقابلة معكم، وتبين الآيات البينات، وأبيتم إلا التمادي في غيكم واللجاج على كفركم، فالله تعالى العالم بالمهتدي فعني تكون له عاقبة الدار، وغيره، ومَنْ تكون له عاقبة الدار، نحن أم أنتم وإنه لا يفلح الظالمون فصار عاقبة الدار لموسى وأتباعه، والفلاح والفوز، وصار لأولئك،

﴿وقال فرعون﴾ متجرناً على ربه، ويموهاً على قومه السفهاء، أخفاء العقول: ﴿وَيا أَيّها اللاَّ ما علمت لكم من إله غيري أيّ: أنا وحدي إلهكم ومعبودكم، ولو كان ثمَّ إله غيري لعلمته، فانظر إلى هذا الورع التام من أله غيري، بل تورع وقال: «ما علمت لكم من إله غيري»، وهذا، لأنه عندهم العالم الفاضل، الذي مهما قال فهو الحق، ومهما أمر أطاعوه.

فلما قال هذه المقالة، التي قد تحتمل أن ثَمَّ إلٰهاً غيره، أراد أن يحقق النفي، الذي جعل فيه ذلك الاحتمال، فقال لد «هامان»: ﴿فأوقد لي يا هامان على الطين﴾ ليجعل له لبناً من فخار، ﴿فاجعل لي صرحاً﴾ أي: بناء ﴿لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين﴾ ولكن سنحقق هذا الظن، ونريكم كذب موسى. فانظر هذه الجراءة العظيمة على الله، التي ما بلغها

TO RESIDE IN CONTROL وَمَا كُنتَ بَهَانِ ٱلْمُرَدِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى ٱلْأَصْرَوَكَاكُتُ مِنَ الشَّهِدِينَ ﴿ وَلَكِنَّا أَنْ أَنَا فَا فَرُوا فَعَلَالَ عَلَيْهِمُ ﴿ ٱلْمُدُرُّوْمَاكُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَثَ تَتَلُواْعَلَيْهِمْ الْكِيْنَا ا وَلَكِنَّاكُنَّامُرْمِيلِينَ ﴿ وَمَاكُنتَ بِحَالِبِ الطوراذ ماديت ولكون وخمة من زَيك لِنسُدر وَقَوْمًا اللهُ مَنْ أَنْتُهُ مِن نَكِيْرِ مِن مَبِلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ وَلُوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُصِيبَ أَيمَا فَدَّمَتَ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْرَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْكَ ارْسُولًا فَتَنَّكِمَ وَالْلِيْكَ وَنَكُوبَ مِنَ ٱلْمُوْمِنِينَ ۞ مَلْمَاجَاتَهُ هُوَالْحَقُّ مِنْ عِندِنَاقَ الْوَالْوَلَا أُونَى مِثْلَ مَا أُونِ مُومَى أَوْلَرْيَكُ مُرُوا مِا أُونِي مُوسَى مِن قَبْلُ قَالُوا مِيخَرَانِ تَظَلَمَزًا وَقَالُوا إِنَّا يُكُلِّ كَفِرُونَ @ قُلْ فَأَقُواْ بِكِنْكِ مِنْ عِندِ اللَّهِ هُوَأَهْدَ كُ مِنْهُمَّا أَتَّيِّمْهُ الين كُنتُ مَهُوفِينَ ۞ فَإِن لَّرَيْسَتَجِيبُوا لَكَ فَأَعَلَمُ المُنْ يَتَبَعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَصَلُ مِنْ النَّهَ مَوَنهُ بِعَيْرِ المُدَى مِنَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقُوْرَ الظَّالِينِ ۞ QUESTI III ESTRETA

آدمي، كذّب موسى، وادّعى أنه إله، ونفى أن يكون له علم بالإله الحق، وفعل الأسباب، ليتوصل إلى إله موسى، وكل هذا ترويج، ولكن العجب من هؤلاء الملأ، الذين يزعمون أنهم كبار المملكة، المدبرون لشؤونها، كيف لعب هذا الرجل بعقولهم، واستخف أحلامهم، وهذا لفسقهم الذي صار صفة راسخة فيهم.

فسد دينهم، ثم تبع ذلك فساد عقولهم، فنسألك اللهم الثبات على الإيمان، وأن لا تزيغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وتهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

قال تعالى: ﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق﴾ استكبروا على عباد الله، وساموهم سوء العذاب، واستكبروا على رسل الله، وما جاؤوهم به من الآيات، فكذبوها، وزعموا أن ما هم عليه أعلى منها وأفضل.

﴿وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾ فلذلك (٢) تجرَّؤوا، وإلا فلو علموا، أو ظنوا أنهم يرجعون إلى الله، لما كان منهم ما كان.

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجِنُودُه﴾ عندما استمر عنادهم وبغيهم ﴿فنبذناهم في اليمّ

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ: عنكم كيد عدوهم.

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: فكذلك.

فانظر كيف كان عاقبة الظالمين كانت أشر العواقب وأخسرها عاقبة أعقبتها العقوبة الدنيوية المستمرة، المتصلة بالعقوبة الأخروية.

ءَايَتِنَّا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرِيِّي إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُهِ نَ ۞

﴿وجعلناهم أثمة يدعون إلى النار﴾ أي : جعلنا فرعون وملأه من الأثمة الذين يقتدى بهم ويمشى خلفهم إلى دار الخزي والشقاء. ﴿ويوم القيامة لا ينصرون﴾ من عذاب الله، فهم أضعف شيء، عن دفعه عن أنفسهم، وليس لهم من دون الله من ولي ولا تصير.

[ ﴿ وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ﴾ أي: ] وأتبعناهم زيادة في عقوبتهم وخزيهم، في الدنيا لعنة يلعنون، ولهم عند الخلق الثناء القبيح والمقت والذم، وهذا أمر مشاهد، فهم أثمة الملعونين في الدنيا ومقدمتهم، ﴿ ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾ المبعدين، المستقذرة أفعالهم، الذين اجتمع عليهم مقت الله، ومقت خلقه، ومقت أنسهم.

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ وهو التوراة ﴿من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ﴾ الذين كان خاتمتهم في الإهلاك العام، فرعون وجنوده. وهذا دليل على أنه بعد نزول التوراة، انقطع الهلاك العام، وشرع جهاد الكفار بالسيف.

﴿بصائر للناس﴾ أي: كتاب الله،

الذي أنزله على موسى، فيه بصائر للناس، أي: أمور يبصرون بها ما ينفعهم وما يضرهم، فتقوم الحجة على العاصي، وينتفع بها المؤمن، فتكون رحمة في حقه، وهداية له إلى الصراط المستقيم، ولهذا قال: ﴿وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون﴾. ولما قص الله على رسوله ما قص،

من هذه الأخبار الغيبية، نبّه العباد على أن هذا خبر إلهي محض، ليس للرسول طريق إلى علمه إلا من جهة الوحى، ولهذا قال: ﴿وما كنت بحانب الغرب أي: بجانب الطور الغربي وقت قضائنا لموسى الأمر، ﴿ وما كنتُ من الشاهدين﴾ على ذلك، حتى يقال: إنه وصل إليك من هذا الطريق، ﴿ولكنا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر ﴾ فاندرس العلم ونسيت آياته، ا فبعثناك في وقت اشتدت الحاجة إليك وإلى ما علَّمناك وأوحينا إليك. ﴿وما كنت ثاوياً ﴾ أي: مقيماً ﴿في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا الله أي: تعلمهم وتتعلم منهم، حتى أخبرت بما أخبرت من شأن موسى في مدين، ﴿ولكنا كنا مرسلين﴾ أي: ولكن ذلك الخبر الذي جئت به عن موسى، أثر

لك إلى علمه بدون إرسالنا. ﴿ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ﴾ موسى، وأمرناه أن يأتي القوم الظالمين، ويبلغهم من آياتنا وعجب البينا ما قصصنا عليك. والمقصود: أن الماجريات التي جرت لموسى عليه الصلاة والسلام في هذه الأماكن، فقصصتها كما هي، من غير زيادة ولا نقص، لا يخلو من أحد أمرين:

من آثار إرسالنا إياك، ووَحْيٌ لا سبيل

إما أن تكون حضرتها وشاهدتها، أو ذهبت إلى محالها فتعلمتها من أهلها، فحينت قد لا يدل ذلك على أنك رسول الله، إذ الأمور التي يخبر بها عن شهادة ودراسة، من الأمور المشتركة غير المختصة بالأنبياء، ولكن هذا قد عُلِمَ وتيقّن أنه ما كان وما صار، فأولياؤك وأعداؤك يعلمون عدم ذلك.

جاءك من قِبلِ الله ووحيه وإرساله، فثبت بالدليل القطعي صحة رسالتك، ورحمة الله بك للعباد، ولهذا قال: ﴿ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ أي: العرب وقريش، فإن الرسالة [عندهم] لا تعرف وقت إرسال الرسول وقبله بأزمان متطاولة، ﴿لعلهم يتذكرون﴾ تفصيل الخير فيفعلونه، والشر فيتركونه، المنزلة، كان الراحب علهم، المبادرة إلى الإيمان الواجب علهم، المبادرة إلى الإيمان

فتعين الأمر الثاني، وهو: أن هذا

وإنذاره للعرب لا ينفي أن يكون مرسلاً لغيرهم، فإنه عربي، والقرآن الذي أنزل عليه عربي، وأول مَنْ باشر بدعوته العرب، فكانت رسالته إليهم أصلاً، ولغيرهم تبعاً، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا لِلنَّاسِ عَجِباً أَنْ أُوحِينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس ﴿ وَلَى يا أَيها الناس إنى رسول الله إليكم جيعاً ﴾.

بك، وشكر هذه النعمة، التي لا يقادر

قدرها، ولا يدرك شكرها.

﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم أن الكفر والمعاصي ﴿فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين أي: فأرسلناك يا محمد، لدفع حجتهم، وقطم مقالتهم.

﴿ فلما جاءهم الحق ﴾ الذي لا شك فيه ﴿ من عندنا ﴾ وهو القرآن، الذي أوحيناه إليك ﴿ قالوا ﴾ مكذبين له، أوي معترض به: ﴿ لولا أوي موسى ﴾ أي: أنزل عليه كتاب من السماء جملة واحدة. أي: فأما ما دام ينزل متفرقاً، فإنه ليس من عند الله. وأي: دليل في هذا؟ وأي: شبهة أنه ليس من عند الله حين نزل مفرقاً؟

بل من كسمال هذا القرآن، واعتناء الله بمن أنزل عليه، أن نزل متفرقاً، ليثبت الله به فؤاد رسوله، ويحصل زيادة الإيمان للمؤمنين ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾. وأيضاً، فإن قياسهم على كتاب موسى، قياس قد نقضوه،

فكيف يقيسونه على كتاب كفروا به ولم يؤمنوا؟ ولهذا قال: ﴿أُولَم يكفروا بما أُولِي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا﴾ أي: القرآن والتوراة، تعاونا في سحرهما وإضلال الناس ﴿وقالوا إنا يمكل كافرون﴾ فثبت بهذا أن القوم يينقضونه بما لا ينقض، ويقولون وينقضونه بما لا ينقض، وهذا شأن كل كافر. ولهذا صرّح أنهم كفروا بالكتابين والرسولين، ولكن هل كفرهم بهما طلباً للحق، واتباعاً لأمر عندهم خير منهما، أم مجرد هوى؟

قالَ تعالى ملزماً لهم بذلك: ﴿فَأَتُوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما ﴾ أى: من التوراة والقرآن ﴿ أتبعه إن كنتم صادقين، ولا سبيل لهم ولا لغيرهم أن يأتوا بمثلهما، فإنه ما طرق العالم منذ خلقه الله، مثل هذين الكتابين، علماً، وهدى، وبياناً، ورحمة للخلق، وهذا من كمال الإنصاف من الداعي أن قال: أنبا مقصودي الحق والهديّ والرشد، وقد جئتكم بهذا الكتاب المشتمل على ذلك، الموافق لكتاب موسى، فيجب علينا جميعاً الإذعان لهما واتباعهما، من حيث كونهما هدى وحقاً، فإن جئتمونى بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعته، وإلا فلا أترك هدي وحقاً قد علمته لغیر هدی وحق<sup>(۱)</sup>.

وفإن لم يستجيبوا لك فلم يأتوا بكتاب أهدى منهما وفاعلم أنما يتبعون أهواءهم أي: فاعلم أن تركهم اتباعك، ليسوا ذاهبين إلى حق يعرفونه، ولا إلى هدى، وإنما ذلك مجرد اتباع لأهوائهم. ﴿وَمِنَ أَصْلَ مُن أَصْلَ مُن أَصْلُ الناس، حيث عرض عليه الهدى والصراط المستقيم، الموصل إلى الله والى دار كرامته، فلم يلتفت إليه ولم يقبل عليه، ودعاه هواه إلى سلوك يقبل عليه، ودعاه هواه إلى سلوك الطرق الموصلة إلى الهلاك والشقاء (٢) فاتبعه وترك الهدى، فهل أحد أصل فاتبعه وترك الهدى، فهل أحد أصل

من هذا وصفه؟!! ولكن ظلمه وعدوانه، وعدم محبته للحق، هو الذي أوجب له: أن يبقى على ضلاله ولا يهديه الله، فلهذا قال: ﴿إِنَّ الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ أي: الذين صار الظلم لهم وصفاً والعناد لهم نعتاً، جاءهم الهدى فرفضوه، وعرض لهم الهوى فتبعوه، سدوا على أنفسهم أبواب الهداية وطرقها، وفتحوا عليهم أبواب الغواية وسبلها، فهم في غيهم وظلمهم يعمهون، وفي شقائهم وهلاكهم يترددون.

وفي قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فاعلم أنما يتبعون أهواءهم﴾ دليل على أن كل مَنْ لم يستجب للرسول، وذهب إلى قول مخالف لقول الرسول، فإنه لم ينذهب إلى هدى، وإنما ذهب إلى

﴿ولقد وصَّلْنا لهم القول﴾ أي: تابعناه وواصلناه، وأنزلناه شيئاً فشيئاً، رحمة بهم ولطفاً ﴿لعلهم يتذكرون﴾ حين تتكرر عليهم آياته، وتنزل عليهم بيئاته وقت الحاجة إليها. فصار نزوله متفرقاً رحمة بهم، فلم اعترضوا بما هو من مصالحهم؟

## فصل في ذكر بعض الفوائد ] روالعِبَر في هذه القصة العجيبة

فمنها أن آيات الله تعالى وعبره، وأيامه في الأمم السابقة، إنما يستفيد بها ويستنير المؤمنون، فعلى حسب إيمان العبد تكون عبرته، وإن الله تعالى إنما يسوق القصص لأجلهم، وأما غيرهم، فلا يعبأ الله بهم، وليس لهم منها نور وهدى.

ومنها: أن الله تعالى إذا أراد أمراً هيّا أسبابه، وأتى بها شيئاً فشيئاً بالتدريج، لا دفعة واحدة.

ومنها: أن الأمة المستضعفة، ولو بلغت في الضعف ما بلغت، لا ينبغي لها أن يستولي عليها الكسل عن طلب حقها، ولا الإياس من ارتقائها إلى أعلى

الأمور، خصوصاً إذا كانوا مظلومين، كما استنقذ الله أمة بني إسرائيل، الأمة الضعيفة، من أسر فرعون وملئه، ومكنهم في الأرض، وملكهم بلادهم.

ومنها: أن الأُمة ما دامت ذليلة مقهورة لا تأخذ حقها ولا تتكلم به، لا يقوم لها أمر دينها، [ولا دنياها] (٣) ولا يكون لها إمامة فيه.

ومنها: لطف الله بأم موسى، وتهوينه عليها المصيبة بالبشارة، بأن الله سيرد إليها ابنها، ويجعله من المرسلين.

ومنها: أن الله يقدِّر على عبده بعض المشاق، لينيله سروراً أعظم من ذلك، أو يدفع عنه شراً أكثر منه، كما قدَّر على أم موسى ذلك الحزن الشديد، والهم البليغ، الذي هو وسيلة إلى أن يصل إليها ابنها، على وجه تطمئن به نفسها، وتقر به عينها، وتزداد به غبطة وسروراً.

ومنها: أن الخوف الطبيعي من الخلق، لا ينافي الإيمان ولا يزيله، كما جرى لأم موسى ولموسى من تلك المخاوف.

ومنها: أن الإيمان يزيد وينقص، وأن من أعظم ما يزيد به الإيمان، ويتم به اليقين، الصبر عند المزعجات، والتثبيت من الله عند المقلقات، كما قال تعالى: ﴿لُولًا أَن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين﴾ أي: ليزداد إيمانها بذلك ويطمئن قلبها.

ومنها: أن من أعظم نِعَم الله على عبده، و [أعظم] معونة للعبد على أموره، تثبيت الله إياه، وربط جأشه وقلبه عند المخاوف، وعند الأمور المذهلة، فإنه بذلك يتمكن من القول الصواب، والفعل الصواب، بخلاف من استمر قلقه وروعه وانزعاجه، فإنه يضيع فكره، ويذهل عقله، فلا ينتفع بنفسه في تلك الحال.

ومنها: أن العبد\_ ولو عرف أن القضاء والقدر ووعد الله نافذ لا بد منه \_فإنه لا يهمل فعل الأسباب التي

(٢)

أمر بها، ولا يكون ذلك منافياً لإيمانه بخبر الله، فإن الله قد وعد أم موسى أن يرده عليها، ومع ذلك، اجتهدت على رده، وأرسلت أخته لتقصه وتطلبه.

ومنها: جواز خروج المرأة في حوائجها، وتكليمها للرجال من غير مخدور، كما جرى لأخت موسى وابنتي صاحب مدين.

ومنها: جواز أخذ الأجرة على الكفالة والرضاع، والدلالة على مَنْ يفعل ذلك.

ومنها: أن الله من رحمته بعبده الضعيف الذي يريد إكرامه، أن يريه من آياته، ويشهده من بيناته، ما يزيد به إيمانه، كما رد الله موسى على أمه، لتعلم أن وعد الله حق.

ومنها: أن قتل الكافر الذي له عهد بعقد أو عُرف لا يجوز، فإن موسى عليه السلام عدَّ قتله القبطي الكافر ذنباً، واستغفر الله منه.

ومنها: أن الذي يقتل النفوس بغير حق يُعد من الجبارين الذين يفسدون في الأرض.

ومنها: أن مَنْ قتل النفوس بغير حق، وزعم أنه يريد الإصلاح في الأرض، وتهييب أهل المعاصي، فإنه كاذب في ذلك، وهو مفسد كما حكى الله قول القبطي: ﴿إِن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين على وجه التقرر له، لا الإنكار.

ومنها: أن إخبار الرجل غيره بما قيل فيه، على وجه التحذير له من شر يقع فيه، لا يكون ذلك نميمة بل قد يكون واجباً - كما أخبر ذلك الرجل لموسى، ناصحاً له ومحذراً.

ومنها: أنه إذا خاف القتل والتلف في الإقامة، لا يلقي بيده إلى التهلكة، ولا يستسلم لذلك، بل يذهب عنه، كما فعل موسى.

ومنها: أنه عند تزاحم المفسدتين، إذا كان لا بد من ارتكاب إحداهما، أنه

ترتكب الأخف منهما والأسلم، كما أن موسى، لما دار الأمر بين بقائه في مصر ولكنه يقتل، أو يذهب (۱) إلى بعض البلدان البعيدة التي لا يعرف الطريق إليها، وليس معه دليل [يد] له غير ربه، ولكن هذه الحالة أقرب للسلامة من الأولى، فتبعها موسى.

ومنها: أن الناظر في العلم عند الحاجة إلى التكلم فيه، إذا لم يترجح عنده أحد القولين، فإنه يستهدي ربه، ويسأله أن يهديه الصواب من القولين، بعد أن يقصد بقلبه الحق ويبحث عنه، فإن الله لا يخيب مَنْ هذه حاله. كما خرج موسى تلقاء مدين فقال: ﴿عسى رب أن يهديني سواء السبيل﴾.

ومنها: أن الرحمة بالخلق، والإحسان على مَنْ يعرف ومَنْ لا يعرف، من أخلاق الأنبياء، وأن من الإحسان سقي الماشية الماء، وإعانة العاجز.

ومنها: استحباب الدعاء بتبيين الحال وشرحها، ولو كان الله عالماً بها، لأنه تعالى، يحب تضرع عبده وإظهار ذله ومسكنته، كما قال موسى: ﴿رَبُ لِنَا لَا أَنْزِلْتَ إِلَيْ مَنْ خَيْرٍ فَقَيْرٍ ﴾.

ومنها: أنَّ الحياء \_ خصوصاً من الكرام \_ من الأخلاق الممدوحة. ومنها: المكافأة على الإحسان لم يزل

دأب الأمم السابقين. ومنها: أن العبد إذا فعل العمل لله تعالى، ثم حصل له مكافأة عليه من غير قصد بالقصد الأول، أنه لا يلام على ذلك، كما قبل موسى مجازاة صاحب مدين عن معروفه الذي لم يبتغ له، ولم يستشرف بقلبه على عوض.

. ومنها: مشروعية الإجارة، وأنها تجوز على رعاية الغنم ونحوها، مما لا يقدر العمل، وإنما مرده العُرف.

ومنها: أنه تجوز الإجارة بالمنفعة، ولو كانت المنفعة بضعاً.

ومنها: أن خطبة الرجل لابنته الرجل الذي يتخيره لا يلام عليه. ومنها: أن خير أجير وعامل

[يعمل] للإنسان، أن يكون قوياً أميناً. ومنها: أن من مكارم الأخلاق، أن يُحسِّن خلقه لأجيره وخادمه، ولا يشق عليه بالعمل، لقوله: ﴿وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾.

ومنها: جواز عقد الإجارة وغيرها من العقود من دون إشهاد، لقوله: ﴿والله على ما نقول وكيل﴾.

ومنها: ما أجرى الله على يد موسى من الآيات البينات، والمعجزات الظاهرة، من الحية، وانقلاب يده بيضاء من غير سوء، ومن عصمة الله لموسى وهارون، من فرعون، ومن المغرق.

ومنها: أن من أعظم العقوبات أن يكون الإنسان إماماً في الشر، وذلك بحسب معارضته لآيات الله وبيناته، كما أن من أعظم نعمة أنعم الله بها على عبده، أن يجعله إماماً في الخير هادياً مهدياً.

ومنها: ما فيها من الدلالة على رسالة عمد ﷺ، حيث أخبر بذلك تفصيلاً مطابقاً، وتأصيلاً موافقاً، قصه قصاً، صدِّق به المرسلين، وأيّد به الحق المبين، من غير حضور شيء من تلك الوقائع، ولا تماهدة لموضع واحد من تلك المواضع، ولا تلاوة درس فيها شيئاً من هذه الأمور، ولا مجالسة أحد من أهل العلم، إن هو إلا رسالة الرحيم الرحمن، ووحي أنزله عليه الكريم المنان، لينذر به قوماً جاهلين، وعن النذر والرسل غافلين.

فصلوات الله وسلامه، على مَنْ مجرد خبره ينبىء أنه رسول الله، ومجرد أمره ونهيه ينبه العقول النيرة، أنه من عند الله، كيف وقد تطابق على صحة با جماء به وصدقه خبر الأولين والآخرين، والشرع الذي جاء به من رب العالمين، وما جُبِلُ عليه من الأخلاق الفاضلة التي لا تناسب ولا تصلح إلا لأعلى الخلق درجة، والنصر المبين لدينه وأمته، حتى بلغ دينه مبلغ

الليل والنهار، وفتحت أمته معظم بلدان الأمصار، بالسيف والسنان، وقلوبهم بالعلم والإيمان.

ولم تزل الأمم المعاندة، والملوك الكفرة المتعاضدة، ترميه بقوس واحدة، وتكيد له المكايد، وتمكر لإطفائه وإخفائه، وإخاده من الأرض، وهو قد بهرها وعلاها، لا يزداد إلا نموا، ولا آياته وبراهينه إلا ظهوراً، وكل وقت من الأوقات، يظهر من آياته ما هو عبرة للمالين، وهداية لِلْعَالِين، ونور وبصيرة للمتوسمين. والحمد لله وحده.

﴿٥٢ - ٥٥﴾ ﴿اللذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون \* وإذا يتلى عليهم قالوا آمناً به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين \* أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون \* وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين، يذكر تعالى عظمة القرآن وصدقه وحقه، وأن أهل العلم بالحقيقة يعرفونه ويؤمنون به ويقرون بأنه الحق، فقال: ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله ﴾ وهم أهل التوراة، والإنجيل، الذين لم يغيروا ولم يبدلوا﴿هم به﴾ أي: بهذا القرآن ومَنْ جاء به ﴿يؤمنون﴾ .

﴿وَإِذَا يَتِلَى عَلَيْهِم ﴾ استمعوا له وأذعنوا و ﴿قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا ﴾ لموافقته ما جاءت به الرسل ، ومطابقته لما ذكر في الكتب، واشتماله على الأخبار الصادقة ، والأوامر والنواهي الموافقة لغاية الحكمة .

وهؤلاء الذين تفيد شهادتهم، وينفع قولهم، لأنهم لا يقولون ما يقولون إلا عن علم عن علم ويصيرة، لأنهم أهل الصنف<sup>(۱)</sup>، وأهل الكتب، وغيرهم لا يدل ردهم ومعارضتهم للحق على شبهة، فضلاً عن الحجة، لأنهم ما بين جاهل فيه أو متجاهل معاند للحق.

قال تعالى: ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً﴾ الآبات.

وقوله: ﴿إِنَا كِنَا مِنْ قَبِلَهُ مَسَلَمِينَ﴾ فلذلك ثبتنا على ما مَنْ الله به علينا من الإيمان، فصدقنا بهذا القرآن، آمنا بالكتاب الأول والكتاب الآخر، وغيرنا ينقض تكذيبه بهذا الكتاب، إيمانه بالكتاب الأول.

﴿أُولِئُكُ﴾ الذين آمنوا بالكتابين ﴿يؤتون أجرهم مرتين﴾ أجراً على الإيمان الأول، وأجراً على الإيمان، الثاني، ﴿بما صبروا﴾ على الإيمان، وثبتوا على العمل، فلم تزعزعهم (٢) عن ذلك شبهة، ولا ثناهم عن الإيمان رياسة ولا شهوة.

وو من خصالهم الفاضلة ، التي من آثار إيمانهم الصحيح ، أنهم ويدرؤون بالحسنة السيئة أي : دأبهم وطريقتهم الإحسان لكل أحد، حتى للمسيء إليهم بالقول والفعل ، يقابلونه بالقول الحميد والفعل الجميل ، لعلمهم بفضيلة هذا الخلق العظيم ، وأنه لا يوفق له إلا ذو حظ عظيم .

﴿ وإذا سمعوا اللغو﴾ من جاهل خاطبهم به، ﴿ قالوا﴾ مقالة عباد الرحمن أولي الألباب: ﴿ لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾ أي: كُلِّ سيُجازى بعمله الذي عمله وحده، ليس عليه من وزر غيره شيء. ولزم من ذلك، أنهم يتبرؤون عما عليه الجاهلون، من اللغو والباطل، والكلام الذي لا فائدة فه.

﴿سلام عليكم﴾ أي: لا تسمعون منا إلا الخير، ولا نخاطبكم بمقتضى جهلكم، فإنكم وإن رضيتم لأنفسكم هذا المرتع اللتيم، فإنا ننزه أنفسنا عنه، ونصونها عن الخوض فيه، ﴿لا نبتغي الجاهلين﴾ من كل وجه.

﴿٥٦﴾ ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم

وَمَآ أُوتِيتُه مِن مَنَى ءِ فَتَتَامُ ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنْيَ اوَزِينَنُهُ أَوْمَاعِندَ اللَّهِ خَرُّ وَأَتْ قَنْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ أَفَنَ وَعَدْتَهُ وَعْدًا حَسَلَنَا فَهُوَلَاقِيهِ كُنَ مَّتَمَنَاهُ مَتَامَ أَنْحَيَوْةِ ٱلدُّنْيَا أَرُّهُويَوْرَ ٱلْقِيكَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ۞ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَالِي ٱلَّذِينَ كُنتُرِّزَعُمُهُونَ ۞ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْفَوَّلُ رَتَنَا هَنُوُلَا ۚ ٱلَّذِنَ أَغُونِنَآ أَغُونِنَا مُعْرَكَمَا عَوَيْناً ثَمَرُأَنآ إِلَيْكٌ مَا كَانُواْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ۞ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآ اَدُّهُ فَنَعَوْهُمْ فَلَرْيَسْتَجِيبُوا لَمَنْهُ وَرَأُوْا ٱلْعَدَابُ لُوْأَنَّهُمْ كَانُواْ يَهَّنَدُونَ ۞ وَيَوْمَ يُنَادِيهِ مْ فَقُولُ مَاذَّا أَجَتَمُ ٱلْوُسَلِينَ الله المُعْمَدَةُ عَلَيْهِمُ الْأَنْاكَ أَوْمَهِ إِفَهُمْ لَايَتَسَامَةُ لُونَ اللهِ الْمُعْمَدُ لَا يَتَسَامَةُ لُونَ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَ وَعَمِلَ صَلِحًا فَعَمَى أَن يَكُوبَ مِنَ ٱلْفُلِحِينَ ۞ وَرَبُّكَ يَعْلُقُ مَايَشَآ وُيَغْتَارُّمَاكَانَ لَمَهُمُ ٱلْخِيْرَةُ شَبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَلَىٰعَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنَّ صُدُّورُهُمْ وَمَالِعُدِلُونَ ۞ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَّهَ إِلَّا هُولَا الْمَتَدُفِ ٱلْأُولَ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْمُكْمُ وَالْتِورُجُونَ ۞ ON TON TON TON

٨١ كِوْلُوْ الْمُحْطِئْنَا } الْمِيْدُ

بالمهتدين في يخبر تعالى أنك يا محمد وغيرك من باب أولى ـ لا تقدر على هداية أحد، ولو كان من أحب الناس إليك، فإن هذا أمر غير مقدور للخلق هداية التوفيق، وخلق الإيمان في القلب، وإنما ذلك بيد الله سبحانه تعالى، يهدي مَنْ يشاء، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه، عن لا يصلح لها فيقيه على ضلاله.

وأما إثبات الهداية للرسول في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْكُ لَتُهَدِي إِلَى صَرَاطُ مَسْتَقِيمٍ ﴾ فتلك هداية البيان والإرشاد، فالرسول يبين الصراط المستقيم، ويرغب فيه، ويبذل جهده في سلوك الخلق له، وأما كونه يخلق في قلوبهم الإيمان، ويوفقهم بالفعل، فحاشا وكلا.

ولهذا، لو كان قادراً عليها، لهدى مَنْ وصل إليه إحسانه، ونصره ومنعه من قومه، عمه أبا طالب، ولكنه أوصل إليه من الإحسان بالدعوة للدين والنصح التام، ما هو أعظم مما فعله معه عمه، ولكن الهداية بيد الله تعالى.

﴿٥٧ ـ ٩٠﴾ ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون \* وكم أهلكنا من قرية

قُلْ أَرْءَ يَثُمُ إِن جَعَلَ أَمَّهُ عَلَيْكُمُ الَّيْلَ سَرْيَنًا إِلَى وَمِ الْقِيلَمَةِ مَنْ إِلَاهُ غَيْرًا لِلَّهِ وَأَنْ كُم يِضِينَا أَهِ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۞ قُلْ أَرْءَ يَشْدُ إِن جَعَلَ أَلَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَ ارْسَرْمِنَا إِلَى تَوْمِ ألِقِيكُمَةِ مَنْ إِلَا مُغَيِّرُا لَقِهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلِ مَنْكُنُونَ مِيةً أَفَلَا تَبْعِيرُونَ ۞ وَمِن رَّحْمَيْدِ حِعَلَ لَكُو ٱلَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِسَنَّكُ نُوافِهِ وَلِنَبْتَغُوامِن فَضْيلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَبُوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَتَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءَى ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۞ وَزَعَنَا مِن كُلِ أَمَّة مِنْهَ بِمَا لَكُلْنَا هَا أَوْ بُرُهُ لَنَكُوْ فَعَالِمُوا أَنَ ٱلْحَقَّ لِلْهِ وَضَلَّ عَنْهُمُ مَّا كَاتُّوا يُفَرُّونَ الله والله والله والمراكب المن المراد المراكب مِنَ الْكُنُورِ مَا إِنَ مَفَاعَ لُهُ لَنُوا بِالْمُصَدِّةُ أَوْلِ الْقُوَةِ إِذْ قَالَ لَهُ فَوَمُهُ لَانَفَى عَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرْجِينَ ٥ وَآتِنَعُ فِيكَآءَ النَاكِ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةُ وَلَاتَدَن نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَأُ وَأَحْسِن كَمَّا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكُ ۗ وَلَا تَبْغُ ٱلْفَسَادَ فِ ٱلْأَرْضِيُّ إِنَّ اللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفُسِيدِينَ ۞ TOWNS THE OR SED

بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلاً قليلاً وكنا نحن الوارثين \* وما كان ربك مهلك القرى المتان وملى المان والمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها قلون في غبر تعالى أن المكذبين من قسريش وأهل مكة، يقولون للرسول في (فنتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا بالقتل والأسر ونهب الأموال، فإن الناس قد عادوك وخالفوك، فلو تابعناك لتعرضنا لمعاداة وخالفوك، فلو تابعناك لتعرضنا لمعاداة .

وهذا الكلام منهم، يدل على سوء الظن بالله تعالى، وأنه لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته، بل يمكن الناس من أهل دينه، فيسومونهم سوء العذاب، وظنوا أن الباطل سيعلو على الحق.

قال الله مبيناً لهم حالة هم بها دون الناس وأن الله اختصهم بها، فقال: ﴿ أَوْ لَمْ نَمَكُنَ لَهُمْ حَرِماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ﴾ أي: أولم نجعلهم متمكنين [مكنين] في حرم يكثره المنتابون، ويقصده الزائرون، قد احترمه البعيد والقريب، فلا يهاج أهله، ولا ينتقصونه بقليل [ولا

والحال أن كل ما حولهم من

الأماكن، قد حف بها الخوف من كل جانب، وأهلها غيس آمنين ولا مطمئنين، فَلَيْحُمْدُوا ربهم على هذا الأمن التام، الذي ليس فيه غيرهم، وعلى الرزق الكثير، الذي يجيء إليهم من كل مكان، من الثمرات والأطعمة والبضائع، ما به يرتزقون ويتوسعون.

ولَيْتَبِعُوا هذا الرسول الكريم، ليتم لهم الأمن والرغد، وإياهم وتكذيبه، والبطر بنعمة الله، فيبدلوا من بعد أمنهم خوفاً، وبعد عزهم ذلاً، وبعد غناهم فقراً، ولهذا توعدهم بما فعل بالأمم قبلهم، فقال:

﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها أي: فخرت بها وألهتها، واشتغلت بها عن الإيمان بالرسل، فأهلكهم الله، وأزال عنهم النعمة، وأحل بهم النقمة. ﴿فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا لتوالي الهلاك والتلف عليهم، وإيحاشها من بعدهم.

﴿وكنا نحن الوارثين للعباد، نميتهم، ثم ترجع إلينا جميع ما متعناهم به من النِعَمَ، ثم نعيدهم (١٠) إلينا فنجازيهم بأعمالهم.

ومن حكمته ورحمته أن لا يعذب الأمم بمجرد كفرهم قبل إقامة الحجة عليهم، بإرسال الرسل إليهم، ولهذا قال: ﴿وما كان ربك مُهْلِكَ القرى﴾ أي: بكفرهم وظلمهم ﴿حتى يبعث في أمها﴾ أي: في القرية والمدينة التي إليها يرجعون، ونحوها يترددون، وكل ما حولها ينتجعها، ولا تخفى عليه أخبارها.

ورسولاً يتلو عليهم آياتنا الدالة على صحة ما جماء به، وصدق ما دعاهم إليه، فيبلغ قوله قاصيهم ودانيهم، بخلاف بعث الرسل في القرى البعيدة، والأطراف النائية، فإن ذلك مظنة الخفاء والجفاء، والمدن الأمهات مظنة الظهور والانتشار، وفي الغالب أنهم أقل جفاء من غيرهم.

﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون بالكفر والمعاصي، مستحقون للعقوبة. والحاصل: أن الله لا يعذب أحداً إلا بظلمه، وإقامة الحجة عليه.

﴿٦١ \_ ٦١﴾ ﴿وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون \* أفمن وعدناه وعدأ حسنأ فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴿ هذَا حض من الله لعباده على الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها، وعلى الرغبة في الأخرى، وجعلها مقصود العبد ومطلوبه، ويخبرهم أن جميع ما أوتيه الخلق، من الذهب، والفضة، والحيوانات، والأمتعة، والنساء، والبنين، والمآكل، والمسارب، واللذات، كلها متاع الحياة [الدنيا] وزينتها، أي: يتمتع به وقتاً قصيراً، متاعاً قاصراً، محشواً بالمنغصات، ممزوجاً بالغصص.

ويزين به زماناً يسيراً، للفخر والرياء، ثم يزول ذلك سريعاً، وينقضي جميعاً، ولم يستفد صاحبه منه إلا الحسرة والندم، والخيبة والحرمان.

﴿وما عند الله من النعيم المقيم، والعيش السليم ﴿خير وأبقى ﴾أي: أفضل في وصفه وكميته، وهو دائم أبداً، مستمر سرمداً.

﴿ أَفِلا تَعَقّلُونَ ﴾ أي: أفلا يكون لكم عقول، بها تزنون أي: الأمور (٢) أولى بالإيشار، وأي: الداريين أحق للعمل لها، فدل ذلك أنه بحسب عقل العبد، يؤثر الأخرى على الدنيا، وأنه ما آثر أحد الدنيا إلا لنقص في عقله، ولهذا نبه العقول على الموازنة بين عاقبة مؤثر الدنيا ومؤثر الآخرة، فقال: أي: هل يستوي مؤمن ساع للآخرة أي: هل يستوي مؤمن ساع للآخرة بالثواب الحسن، الذي هو الجنة، وما فيها من النعيم العظيم، فهو لاقيه من فيها من النعيم العظيم، فهو لاقيه من

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ: ثم تفيدهم إلينا فنجا فنجازيهم، وهو خطأ ظاهر من الناسخ.

<sup>(</sup>٢) في ب: الأمرين.

غير شك ولا ارتياب، لأنه وعد من كريم صادق الوعد، لا يخلف الميعاد، لعبد قام بمرضاته وجانب سخطه، فهو كمن متعناه متاع الحياة الدنيا فهو يأخذ فيها ويعطي، ويأكل ويشرب، ويتمتع كما تتمتع البهائم، قد اشتغل بدنياه عن آخرته، ولم يرفع بهدى الله رأساً، ولم ينقد للمرسلين، فهو لا يزال كذلك، لا يتزود من دنياه إلا الخسار والهلاك.

﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ للحساب، وقد علم أنه لم يقدم خيراً لنفسه، وإنما قدّم جميع ما يضره، وانتقل إلى دار الجزاء بالأعمال، فما ظنكم إلى ما يصير إليه؟ وما تحسبون ما يصنع به؟ فليختر العاقل لنفسه، ما هو أولى بالاختيار، وأحق الأمرين

﴿٦٢ ـ ٦٦﴾ ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون \* قال الذين حتى عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون \* وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لمهمم ورأوا العداب لو أنهم كانوا يهتدون \* ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم الرسلين \* فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لايتساءلون، هذا إخبار من الله تعالى، عمّا يسأل عنه إلخلائق يوم القيامة، وأنه يسألهم عن أصول الأشياء، وعن عبادة الله وإجابة رسله، فقال: ﴿ويوم يناديهم﴾ أي: ينادي مَنْ أشركوا به شركاء يعبدونهم، ويرجون نفعهم، ودفع الضرر عنهم، فيناديهم، ليبين لهم عجزها وضلالهم، ﴿فيقول أين شركائي الله لله شريك، ولكن ذلك بحسب زعمهم وافتراثهم، ولهذا قال: ﴿الذين كنتم تزعمون الله فأين هم، بذواتهم، وأين نفعهم وأين دفعهم؟

ومن المعلوم أنه (١) يتبين لهم في تلك الحال، أن الذي عبدوه ورجوه باطل، مضمحل في ذاته، وما رجوا

منه، فيقررون على أنفسهم بالضلالة والخواية، ولهذا ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ الرؤساء والقادة، في الكفر والشر، مقرين بغوايتهم وإغوائهم: ﴿وربنا هؤلاء﴾ التابعون ﴿الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا﴾ أي: كلنا قد اشترك في الغواية، وحق عليه كلمة العذاب.

﴿تبرأنا إليك﴾ من عبادتهم، أي: نحن برآء منهم ومن عملهم. ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾ وإنما كانوا يعبدون الشياطين.

﴿وقعيل الهم : ﴿ادعوا شركاءكم كعلى ما أملتم فيهم من النفع فأمروا بدعائهم في ذلك الوقت الحرج، الذي يضطر فيه العابد إلى مَنْ

﴿فدعوهم﴾ لينفعوهم، أو يدفعوا عنهم من عذاب الله من شيء. ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ فعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين مستحقين للعقوبة، ﴿ورأوا العذاب﴾ الذي سيحل بهم عياناً، بأبصارهم بعدما كانوا مكذبين به منكرين له.

﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾ أي: لما حصل عليهم ما حصل، ولهدوا إلى صراط الجنة، كما اهتدوا في الدنيا، ولكن لم يهتدوا.

ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين همل صدقت موهم، [واتبعت موهم] أم كذبت موهم وخالفتموهم؟

﴿فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون اي: لم يحيروا عن هذا السسؤال جواباً، ولم يهتدوا إلى الصواب.

ومن المعلوم أنه لا ينجي في هذا الموضع إلا التصريح بالجواب الصحيح، المطابق لأحوالهم، من أننا أجبناهم بالإيمان والانقياد، ولكن لما علموا تكذيبهم لهم وعنادهم لأمرهم، لم ينطقوا بشيء، ولا يسمكن أن يتساءلوا ويتراجعوا بينهم في ماذا

يجيبون به، ولو كان كذباً.

﴿٧٧﴾ ﴿فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين للا ذكر تعالى سؤال الخلق عن معبودهم وعن رسلهم، ذكر الطريق الذي ينجو به العبد من عقاب الله تعالى، وأنه لا نجاة إلا لمن اتصف بالتوبة من الشرك والمعاصي، وآمن بالله فعبده، وآمن برسله فصدقهم، وعمل صالحاً متبعاً فيه للرسل، ﴿فعسى أن يكون من من جمع هذه الخصال ﴿من المفلحين من الناجين من المروب، فلا سبيل إلى الفلاح بدون هذه الأمور.

﴿ ٦٨ \_ ٧٠ ﴾ ﴿ وربيك يخيلق ميا يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون \* وربّك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون \* وهو الله لا إله إلا هوله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجُّعون﴾ هذه الآيات، فيها عموم خلقه لسائر المخلوقات، ونفوذ مشيئته بجميع البريات، وانفراده باختيار مَنْ يختاره ويختصه، من الأشخاص، والأواسر، [والأزمان] والأماكن، وأن أحداً (٢) ليس له من الأمر والاختيار شيء، وأنه تعالى منزه عن كل ما يشركونه به، من الشريك، والطهير، والعويس، والولد، والصاحبة، ونحو ذلك، مما أشرك به المشركون، وأنه العالم بما أكنته الصدور وما أعلنوه، وأنه وحده المعبود المحمود في الدنيا والآخرة، على ما له من صفات الجلال والجمال، وعلى ما أسداه إلى خلقه من الإحسان والإفضال.

وأنه هو الحاكم في الدارين، في الدنيا، بالحكم القدري، الذي أثره جميع ما خلق وذرأ، والحكم الديني، الذي أثره جميع الشرائع، والأوامر والنواهي.

وفي الآخرة يحكم بحكمه القدري والجيزائسي، وليهذا قيال: ﴿وَإِلِيهُ

ترجعون﴾ فيجازي كلاً منكم بعمله، من خير وشر.

﴿٧١ ـ ٧٧﴾ ﴿قـل أرأيـــم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون \* قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون \* ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون، هذا امتنان من الله على عباده، يدعوهم به إلى شكره، والقيام بعبوديته وحقه، أنه جعل لهم من رحمته النهار ليبتغوا من فضل الله، وينتشروا لطلب أرزاقهم ومعايشهم في ضيائه، والليل ليهدؤوا فيه ويسكنوا، وتستريح أبدانهم وأنفسهم من تعب التصرف في النهار، فهذا من فضله ورحمته بعباده.

فهل أحد يقدر على شيء من ذلك؟ فلو جعل ﴿عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون﴾ مواعظ الله وآياته ضماع فهم وقبول وانقياد، ولو جعل ﴿عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون﴾ مواقع العبر، ومواضع الآيات، فتستنير بصائركم، وتسلكون الطريق المستقيم.

وسلحون الطريق السليم. وقال في الليل: ﴿أَفَلا تسمعون﴾ لأن وفي الليل: ﴿أَفَلا تبصرون﴾ لأن سلطان البصر، وعكسه النهار. وفي سلطان البصر، وعكسه النهار. وفي أن يتدبر نِعَم الله عليه، ويتبصر فيها، ويقيسها بحال عدمها، فإنه إذا وازن بين حالة وجودها، وبين حالة عدمها، تنبه عقله لموضع المنة، بخلاف مَن تبه عقله لموضع المنة، بخلاف مَن يزل مستمراً، ولا يزال. وعمي قلبُه عن الثناء على الله، بنعمه، ورؤية افتقاره إليها في كل وقت، فإن هذا العد يحدث له فكرة شكراً ولا ذكراً.

﴿٧٤ ــ ٥٧﴾ ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون \* ونزعنا من كُل أمّة شهيداً فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون اي: ويوم ينادي الله المشركين به، العادلين به غيره، الذين يزعمون أن له شركاء، يستحقون أن يعبدوا، وينفعون وينضرون، فإذا كان يوم القيامة، أراد الله أن يظهر جراءتهم وكذبهم في زعمهم وتكذيبهم (١١ لأنفسهم ف ﴿ يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون أي: بزعمهم، لا بنفس الأمر، كما قال: ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إنّ يستبعون إلا السظن وإن هم إلا يخرصون♦.

فإذا حضروا وإياهم، نزع ﴿من كل أُمة﴾ من الأمم المكذبة ﴿شهيداً﴾ يشهد على ما جرى في الدنيا، من شركهم واعتقادهم، وهؤلاء بمنزلة المتخين.

أي: انتخبنا من رؤساء المكذبين مَنْ يتصدى للخصومة عنهم، والمجادلة عن إخوانهم، ومن هم وإياهم على طريق واحد، فإذا برزوا للمحاكمة ﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾ حجتكم ودليلكم على صحة شرككم، هل أمرناكم بذلك؟ هل أمرتكم رسلي؟ هل وجدتم ذلك في شيء من كتبي؟ هل فيهم أحد يستحق شيئاً من الإلهية؟ هل ينفعونكم أو يدفعون عنكم من عذاب الله أو يغنون عنكم؟ فليفعلوا إذاً [إن] كان فيهم أهلية (٢)، وليروكم إن كان لهم قدرة، ﴿فعلموا ﴾ حينتذ بطلان قبولهم وفساده، و ﴿أَنَّ الحق شه تعالى، قد توجهت عليهم الخصومة، وانقطعت حجتهم، وأفلجت حجة الله، ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون من الكذب والإفك، اضمحل وتلاشى وعدم، وعلموا أن الله قد عدل فيهم، حيث لم يضع العقوبة إلا بمَن استحقها واستأهلها.

﴿٧٦ ـ ٨٧ ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قوم موسى فبغي عليهم) إلى آخر القصة. يخبر تعالى عن حالة قارون وما [فعل] وفُعِلَ به ونُصِحَ ووُعِظَ، فقال: ﴿إِن قارون كان من قُوم موسى ﴾ أي : من بني إسرائيل، الذين فُضَّلوا على العالمين، وفاقوهم في زمانهم، وامتنَّ الله عليهم بما امتنَّ به، فكانت حالهم مناسبة للاستقامة، ولكن قارون هذا، بغي على قومه وطغي، بما أوتيه من الأموال العظيمة المطغية. ﴿وآتيناه من الكنوز﴾ أي: كنوز الأموال شيئاً كثيراً، ﴿ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة [أولى القوة) والعصبة] من العشرة إلى التسعة إلى السبعة، ونحو ذلك. أي: حتى إن مفاتح خزائن أمواله لتثقل الجماعة القوية عن حملها، هذه المفاتيح، فما ظنك بالخزائن؟ ﴿إِذْ قَالَ له قومه الصحين له محذرين له عن الطغيان: ﴿لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين اي: لا تفرح بهذه الدنيا العظيمة، وتفتخر بها، وتلهيك عن الآخرة، فإن الله لا يحب الفرحين بها، المكبين على محبتها.

﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾ أي: قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال، فابتغ بها ماعند الله، وتصدق ولا تقتصر على مجرد نيل الشهوات، وتحصيل اللذات، ﴿ولا تنسَ نصيبك من الدنيا﴾ أي: لا نأمرك أن تتصدق بجميع مالك وتبقى ضائعاً، بل أنفق لآخرتك، واستمتع بدنياك استمتاعاً لا يثلم دينك، ولا يضر بآخرتك، ﴿وأحسن ﴾ إلى عباد الله ﴿كما أحسن الله عليك بهذه الأموال، ﴿ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ بالتكبر والعمل بمعاصى الله والاشتغال بالنِعَم عن المنعم، ﴿إِن الله لا يحب الفسدين﴾ بل يعاقبهم على ذلك أشد العقوبة .

ف\_ ﴿قَالَ ﴾ قارون راداً لنصيحتهم، كافراً لنعمة ربه : ﴿إِنَما

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ: وتكذيب.

أوتيته على علم عندي أي: إنما أدركت هذه الأموال بكسبي ومعرفتي بوجوه المكاسب، وحذقي، أو على علم من الله بحالي، يعلم أني أهل لذلك، فلم تنصحوني على ما أعطاني الله تعالى؟ قال تعالى مبيناً أن عطاءه ليس دليلاً على حسن حالة المعطي: ﴿أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً في فما المانع من إهلاك وأكثر جمعاً في فما المانع من إهلاك من هو مثله وأعظم، إذ فعل ما يوجب الهلاك؟

﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ بل يعاقبهم الله، ويعذبهم على ما يعلمه منهم، فهم، وإن أثبتوا لأنفسهم حالة حسنة، وشهدوا لها بالنجاة، فليس قولهم مقبولاً، وليس ذلك دافعاً عنهم من العذاب شيئاً، لأن ذنوبهم غير خفية، فإنكارهم لا محل له، فلم يزل قارون مستمراً على عناده وبغيه، وعدم قبول نصيحة قومه، فرحاً بطراً قد أعجبته نفسه، وغره ما أوتيه من الأموال، ﴿فخرج﴾ ذات يـوم ﴿في زينته اي: بحالة أرفع ما يكون من أحوال دنياه، قد كان له من الأموال ما كان، وقد استعد وتجمّل بأعظم ما يمكنه، وتلك الزينة في العادة من مثله تكون هائلة، جمعت زينة الدنيا وزهرتها وبهجتها وغضارتها وفخرها، فرمقته في تلك الحالة العيون، وملأت بزَّتُهُ القُلوب، واختلبت زينته النفوس، فانقسم فيه الناظرون قسمين، كل تكلُّم بحسب ما عنده من الهمة والرغبة.

ف ﴿ قال الذين يريدون الحياة الدنيا ﴾
أي: الذين تعلقت إرادتهم فيها،
وصارت منتهى رغبتهم، ليس لهم
إرادة في سواها، ﴿ يا ليت لنا مثل ما
أوتي قارون ﴾ من الدنيا ومتاعها
وزهرتها ﴿ إنه لذو حظ عظيم ، لو كان
وصدقوا إنه لذو حظ عظيم ، لو كان
الأمر منتهياً إلى رغباتهم ، وأنه ليس

وراء الدنيا، دار أخرى، فإنه قد أُعطي منها ما به غاية التنعم (() بنعيم الدنيا، واقتدر بذلك على جميع مطالبه، فصار هذا الحظ العظيم، بحسب همتهم، وإن همة جعلت هذا غاية مرادها ومنتهى مطلبها، لَن أدنى الهمم وأسفلها وأدناها، وليس لها أدنى صعود إلى المرادات العالية والمطالب الغالية.

﴿ وقال الذين أوتوا العلم ﴾ الذين عرفوا حقائق الأشياء، ونظروا إلى باطن الدنيا، حين نظر (٢) أولئك إلى ظاهرها: ﴿ويلكم﴾ متوجعين بما تمنوا لأنفسهم، راثين لحالهم، منكرين لمقالهم: ﴿ثُوابِ اللهِ العاجل، من لذة العبادة ومحبته، والإنابة إليه، والإقبال عليه. والآجل من الجنة وما فيها، مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴿حَير﴾ من هذا الذي تمنيتم ورغبتم فيه، فهذا حقيقة الأمر، ولكن ما كل مَنْ يعلم ذلك يؤثر الأعلى على الأدنى، فما يُلَقَّى ذلك ويوفق له ﴿إلا الصابرون، الذين حبسوا أنفسهم على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى أقداره المؤلمة، وصبروا على جواذب الدنيا وشهواتها، أن تشغلهم عن ربهم، وأن تحول بينهم وبين ما خلقوا له، فهؤلاء الذين يؤثرون ثواب الله على الدنيا الفانية .

فلما انتهت بقارون حالة البغي والفخر، وأزيَّنت الدنيا عنده، وكثر بها إعجابه، بغته العذاب ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ جزاء من جنس عمله، فكما رفع نفسه على عباد الله، أنزله الله أسفل سافلين، هو وما اغتر به، من داره وأثاثه ومتاعه.

﴿فما كان له من فئة ﴾ أي: جماعة، وعصبة، وخدم، وجنود ﴿ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ﴾ أي: جاءه السعنداب، فسما نصر

CONTRACTOR OF THE PROPERTY OF ا قَالَ إِنَّمَا أُوسَتُ مُعَا يَعِذْ عِنْدِيٌّ أَوَلَمْ مَسْلَمُ أَنْ كَالْمَةَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبِيلِهِ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَأَمْتُ دُينَهُ قُوَّةً وَأَحْتُرُ مُعَالًا وَلَايُسْتَلُعَن دُنُوبِهِمُ الْمُتَغِرِمُون ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ وَفِي زِينَتِهُ ۚ قَالَ الَّذِيبَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ الدُّنْبَ ايَلَيْتَ لَنَامِثُلَ مَآ أُونِهَ قَارُونُ إِنَّمُلَدُوحَظِ عَظِيرٍ ۞ وَقَالَ ٱلَِّينَ أُوثُواُ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنَّ ءَامَرَ وَعَهِمَ إَصَالِحاً وَلَا يُلَقَّىٰ لِهَا إِلَّا ٱلصَّابِرُونَ ۞ فَنَسَفْنَ ابِهِ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَأَكَانَ لَهُ مِن فِئَةِ يَنْصُرُ فِنَهُ مِن دُونِ أَلَيْهِ وَمَاكَاتُ مِنَ ٱلْنَنْصِرِينَ ۞ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَـ ثُمِيًّا لأَمْسِ يَتْقُولُونَ وَتِيكَأَنَّ أَلْمَا يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِنَ يَشَكَّاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِدُّ لَوْلَا أَنْ مِّكِ أَقَدُ عَلَيْنَا لَحْسَفَ بِثَّا وَيُكَأَفَّلُا يُقْلِحُ و الْكَافِرُونَ ﴿ وَالْمَا الْمَارُ الْآخِرَةُ تَعَمُّ لَهَا لِلَّذِينَ } للاً لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَٱلْعَقِبَةُ لِلسِّقِينَ ﴿ ۞ مَن جَاءً بِٱلْحَسَدَةِ فَلَهُ خَيْرَةٍ مُثَا أَوْمَن جَاءً بِالسَّيِنَةِ فَلَاجُتِهَ اللِّيرِي عَمِيلُوا السَّيِّعَاتِ إِلَّامَاكَ اثْوَا يَعْمَلُونَ ﴿ ON TON THE PROPERTY OF THE PARTY OF THE PART

ولا انتصر

﴿ وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس الذين يريدون الحياة الدنيا، الذين قالوا: ﴿ يَا لَيْتُ لَنَا مِثْلُ ما أوتي قارون﴾ ﴿يقولون﴾ متوجعين ومعتبرين، وخائفين من وقوع العذاب بهم: ﴿ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اي يضيق الرزق على مَنْ يشاء، فعلمنا حينئذ أن بسطه لقارون، ليس دليلاً على خير فيه، وأننا غالطون في قولنا: ﴿إنَّهُ لَذُو حظ عظيم ﴾ و ﴿لولا أن منَّ الله علينا﴾ فلم يعاقبنا على ما قلنا، فلولا فضله ومنته ﴿لحسف بنا﴾ فصار هلاك قارون عقوبة له، وعبرة وموعظة لغيره، حتى إن الذين غبطوه، سمعت كيف ندموا، وتغير فكرهم الأول. ﴿ويكأنه لا يفلح الكافرون ﴿ أي: لا في الدنيا ولا في الآخرة.

مراكب وتلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين له لما ذكر تعالى قارون وما أوتيه من الدنيا، وما صارت إليه عاقبة أمره، وأن أهل العلم قالوا: صالحاً له رغب تعالى في الدار الآخرة، وأخبر بالسبب الموصل إليها فقال: وتلك الدار الآخرة التي أخبر الله بها

انَّالَّذِي فَرَضَ عَلَتْكَ ٱلْقُرْءَاتِ لُرَّادُُكَ إِلَىٰ مَعَادُقُورَ لِنَ أَعْلَمُ مَن جَاءً بِالْمُدَىٰ وَمَنْ هُوَسِهِ ضَلَا مُبِينَ ﴿ وَمَاكُنُتُ تَنِحُوا أَن يُلْقَ إِلَيْكَ ٱلْكِنْكِ إِلَّارَخُ مَدَّ مِن زَيْكٌ فَلَا تَكُونَ الْهِيرَا لِلْكَاهِينَ ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَن اللَّتِ ٱللَّهِ بَعْدَإِذْ أُنزِلَتَ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَّارَتِكِ ۖ وَلَا تَكُونَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ۞ وَلَاتَذَعُ مَمُ اللَّهِ إِلَهًا ءَاحُرُ لاَ إِلَّهَ إِلَّهُ أَلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ أَلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ أَلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ أَلَّهُ إِلَّهُ أَلَّهُ إِلَّهُ أَلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ أَلَّهُ أَلَّهُ إِلَّهُ أَلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ أَلَّهُ أَلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ أَلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ أَلَّهُ أَلَّهُ أَلَّهُ إِلَّهُ إِلّٰ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ أَلَّهُ أَلَّهُ إِلّٰ إِلّٰ إِلّٰ إِلَّهُ إِلّٰ إِلّا إِلّٰ إِلَّا إِلّٰ إِلّٰ إِلّٰ إِلّٰ إِلّٰ إِلْعِلْكُا إِلّٰ إِلّٰ إِلْمِ أَلّٰ إِلّٰ إِلّٰ إِلّٰ إِلّٰ إِلّٰ إِلّٰ إِلّٰ إِلَّلْمِ إِلّٰ كُلُّ شَيْءِ هَالِكُ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ أَكْتُ مُ وَالْتُهُ وَيَجْعُونَ ١ الد ٢ أحيب النَّاسُ أن يُترَكِعُوا أن يَكُولُوا المَّناوَهُ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَنْنَا ٱلَّذِينَ مِن قَبِلِهِ مَّ فَلَكُمْ لَكُمْ لَكُمْ أَتَهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْ لَمَنَّ الْكَلْدِينَ ۞ أَمْحَيتَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيْعَاتِ أَن يَسْبِغُونًا سَأَةِ مَا يَحَكُّمُونَ ۞ مَنْكَانَ يرَّجُوا لِقَاءَ اللهِ فَإِنَ أَجَلَ اللهِ لَآتَةُ وَهُوَ السِّيمُ الْعَلِيمُ وَمَن جَهَدَ فَإِنَّا يُعَلِّهُ لِنَقْسِوْمَ إِنَّ اللَّهَ لَغَيُّ عَن الْمَالِمِينَ 

في كتبه وأخبرت [بها] رسله، التي [قد] جمعت كل نعيم، واندفع عنها كلُّ مكدر ومنغص، ﴿نجعلها ﴾ داراً وقراراً ﴿للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ﴾ أي: ليس لهم إرادة، فكيف العمل للعلو في الأرض على عباد الله، والتكبر عليهم وعلى الحق، ﴿ولا فساداً ﴾ وهذا شامل لجميع المعاصى، فإذا كانوا لا إرادة لهم في العلو في الأرض والإفساد، لزم من ذلك أن تكون إرادتهم مصروفة إلى الله، وقبصدهم البدار الأخبرة، وحالهم التواضع لعباد الله، والانقياد للحق والعمل الصالح.

وهؤلاء هم المتقون الذين لهم العاقبة، ولهذا قال: ﴿والعاقبة ﴾ أي: حالة الفلاح والنجاح، التي تستقر وتستمر، لن اتقى الله تعالى، وغيرهم دوإن حصل لهم بعض الظهور والراحة \_فإنه لا يطول وقته، ويزول عن قريب. وعلم من هذا الحصر في الآية الكريمة، أن الذين يريدون العلو في الأرض، أو الفساد، ليس لهم في الدار الآخرة نصيب، ولا لهم منها نصيب(١١).

﴿٨٤﴾ ﴿من جاء بالحسنة فله خيرٌ منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السّيئات إلاّ ما كانوا يعملون﴾

يخبر تعالى عن مضاعفة فضله، وتمام عدله، فقال: ﴿مَنْ جِاء مالحسنة﴾ شرط فيها أن يأتي بها العامل، لأنه قد يعملها، ولكن يقترن مها ما لا تقبل منه أو يبطلها، فهذا لم يجيء بالحسنة، والحسنة: اسم جنس يشمل جميع ما أمر الله به ورسوله، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله تعالى وحق (٢) عباده، ﴿فله خير منها ﴾ [أي: أعظم وأجل، وفي الآية الأخرى ﴿ فله عشر أمثالها ﴾] (٣).

هذا التضعيف للحسنة ، لا يد منه ، وقد بقترن تذلك من الأسباب ما تزيد به المضاعفة، كما قال تعالى: ﴿والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم بحسب حال العامل وعمله، ونفعه ومحله ومكانه، ﴿ومَن جاء بالسيئة﴾ وهي كل ما نهي الشارع عنه نهي تحريم. ﴿ فِلا يُجِزِي الذِّينِ عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون كقوله تعالى: ﴿مَنْ جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومَنْ جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون.

﴿٨٥ ـ ٨٨﴾ ﴿إِنَّ السِّذِي فَسرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين \* وما كنت ترجو أن يلقي إليك الكتاب إلاّ رحمة من ربك فلا تكونن ظهيراً للكافرين \* ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين \* ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون على تعالى: ﴿إِنَّ وَلَا تَبُّعُ أَهُواءُهُمْ. الذي فرض عليك القرآن﴾ أي: أنزله، وفرض فيه الأحكام، وبين فيه الحلال والحرام، وأمرك بتبليغه للعالمين، والدعوة لأحكام جميع المكلفين، لا يليق بحكمته أن تكون الحياة هي الحياة الدنيا فقط، من غير أن يثاب العباد ويعاقبوا، بل لا بدأن يردك إلى معاد، يجازي فيه المحسنون بإحسانهم، والمسيؤون بمعصيتهم.

وقد بيّنت لهم الهدي، وأوضحت لهم المنهج، فإن تبعوك، فذلك حظهم وسعادتهم، وإن أبوا إلا عصيانك والقدح بما جئت به من الهدى، وتفضيل ما معهم من الباطل على الحق، فلم يبق للمجادلة محل، ولم يبق إلا المجازاة على الأعمال من العالم بالغيب والشهادة، والمحق والبطل. ولهذا قال: ﴿قل ربي أعلم مَنْ جاء بالهدى ومَنْ هو ني ضلال مبين، وقد علم أن رسوله هو المهتدى الهادى، وأن أعداءه هم الضالون المضلون.

﴿ وما كنت ترجو أن يلقي إليك الكتاب أي: لم تكن متحرياً لنزول هذا الكتاب عليك، ولا مستعداً له، ولا متصدياً. ﴿ إلا رحمة من ربك ﴾ بك وبالعباد، فأرسلك بهذا الكتاب، الذي رحم به العالمين، وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، وزكاهم وعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، فإذا علمت أنه أنزله إليك رحمة منه، [علمت] أن جميع ما أمر به ونهى عنه، فإنه رحمة وفضل من الله، فلا یکن فی صدرك حرج من شیء منه، وتظن أنَّ مخالفه أصلح وأنفع.

﴿فلا تكونن ظهيراً للكافرين﴾ أي: معيناً لهم على ما هو من شعب كفرهم، ومن جملة مظاهرتهم، أن يقال في شيء منه، إنه خلاف الحكمة والمصلحة والمنفعة.

﴿ ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك بل أبلغها وأنفذها، ولا تبال بمكرهم ولا يخدعنك عنها،

﴿وادع إلى ربك ﴾ أي: اجـعـل الدعوة إلى ربك منتهى قصدك وغاية عملك، فكل ما خالف ذلك فارفضه، من رياء، أو سمعة، أو موافقة أغراض أهل الباطل، فإن ذلك داع إلى الكون معهم، ومساعدتهم على أمرهم، ولهذا قال: ﴿ولا تكونين من المشركين﴾ لا في شركهم، ولا في فروعه وشعبه، التي هي جميع المعاصي.

﴿ولا تدع مع الله إلها آخر ﴾ بل أخلص لله عبادتك، فإنه ﴿لا إله إلا هو﴾ فلا أحديستحق أن يؤله ويحب ويعبد، إلا الله الكامل الباقي الذي ﴿كل شيء هالك إلاّ وجهه﴾ وإذا كان كل شيء هالكاً مضمحلاً، سواه فعبادة الهالك الباطل باطلة ببطلان غايتها، وفساد نهايتها. ﴿له الحكم، في الدنيا والآخرة ﴿وإليه﴾ لا إلى غيره ﴿ترجعون﴾ فإذا كان ما سوى الله بباطلاً هبالكيًّا، والله هبو الباقي، الذي لا إله إلا هو، وله الحكم في الدنيا والآخرة، وإليه مرجع الخلائق كلهم، يجازيهم بأعمالهم، تعينُ على مَنْ له عقل، أن يعبد الله وحده لا شريك له، ويعمل لما يقربه ويدنيه، ويحذر من سخطه وعقابه، وأن يقدم على ربه غير تائب، و لا مقلع عن خطئه وذنوبه.

## تفسير سورة العنكبوت وهي مكية

﴿ ١ - ٣﴾ ﴿ بسب الله السرحسن الرحيم الم \* أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا أمنا وهم لا يفتنون \* ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين كا يخبر تعالى عن [تمام] حكمته، وأن حكمته لا تقتضى أن كل مَنْ قال «إنه مؤمن» وادعى لنفسه الإيمان، أن يبقوا في حالة يسلمون فيها من الفتن والمحن، ولا يعرض لهم ما يشوش عليهم إيمانهم وفروعه، فإنهم لوكان الأمر كذلك، لم يتميز الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل، ولكن سنته وعادته في الأولين وفي هذه الأمة، أن يبتليهم بالسراء والضراء، والعسر واليسر، والمنشط والمكره، والغنى والفقر، وإدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان، ومجاهدة الأعداء بالقول

والعمل ونحو ذلك من الفتن، التي ترجع كلها إلى فتنة الشبهات المعارضة للجوادة، والشهوات المعارضة للإرادة، فمن كان عند ورود الشبهات يثبت إيمانه ولا يتزلزل، ويدفعها(١) بما معه من الحق وعند ورود الشهوات الموجبة والداعية إلى المعاصي والذنوب، أو الصارفة عن ما أمر الله به ورسوله، يعمل بمقتضى الإيمان، ويجاهد شهوته، دل ذلك على صدق إيمانه وصحته.

ومَنْ كان عند ورود الشبهات تؤثر في قلبه شكاً وريباً، وعند اعتراض الشهوات تصرفه إلى المعاصي أو تصدفه عن الواجبات، دل ذلك على عدم صحة إيمانه وصدقه.

والناس في هذا المقام درجات لا يحصيها إلا الله، فمستقل ومستكثر، فنسأل الله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يثبت قلوبنا على دينه، فالابتلاء والامتحان للنفوس بمنزلة الكير، يخرج خبثها وطيبها.

﴿٤﴾ ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون﴾ أي: أحسب الذين همهم فعل السيئات وارتكاب الجنايات، أن أعمالهم ستهمل، وأن الله سيغفل عنهم، أو يفوتونه، فلذلك أقدموا عليها، وسهل عليهم عملها؟

﴿ساء ما يحكمون﴾ أي: ساء حكمهم، فإنه حكم جائر، لتضمنه إنكار قدرة الله وحكمته، وأن لليهم قدرة يمتنعون بها من عقاب الله، وهم أضعف شيء وأعجزه.

﴿ ٥ ـ ٣ ﴾ ﴿ من كان يرجو لقاء الله في أجل الله لآت وهو السميع العليم \* ومن جاهد فإنّما يجاهد لنفسه إنّ الله لغني عن العالمين ﴾ يعني: يا أيها المحب لربه، المشتاق لقربه ولقائه، المسارع في مرضاته، أبشر بقرب لقاء الحبيب، فإنه آت، وكل آت إنما هو قريب، فتزود للقائه، وسر نحوه، قريب، فتزود للقائه، وسر نحوه،

وَالَّذِينَ ۚ امْنُوا وَعَيِدُواْ الصَّالِحَاتِ لَنُكَوْزَنَّ عَنْهُرْمَيْنَاتِهِمْ وَلَقَرْبَتَهُمُ أَخْسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعْسَلُونَ ۞ وَقَصَّيْنَا ٱلْإِنسَانَ وَلِدَيْهِ حُسَنًا وَإِن جَهَاكَ لِنُشْرِكَ فِي مَالَيْسَ لَكَ بِدِيمَارٌ ا فَلَاتُولِعَهُمَا أَلِيَّ مُرْجِعُكُمْ فَأَنْبَتَكُمُ مِا كُنْتُرْتَعَمَلُونَ ۞ وَالَّذِينَ امَّنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِكُ عَنِ لَنُدِّخِلْنَا فَرْفِي الصَّلِعِينَ ا ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعُولُ ءَامَّنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَّا أُوذِي فِي اللَّهِ مَعَلَ فِنْنَةَ ٱلنَّايِنِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَيِن جَأَةَ نَصْرُقِن زَّيْكَ لَيَتُّولُنَّ إِنَّاكُنَّا مَعَكُمُ أُولَيْنَ إِلَّهُ بِأَعْلَمْ بَمَا فِي صُدُودِ ٱلْعَلَمِينَ ٥ وَلَيْعُ لَمَنَّ اللَّهُ الَّذِيرَ وَامَنُواْ وَلَيْعُلَمِّ إِلَّهُ الْمُؤْفِقِينَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِيكَ كَفَتَرُواْ لِلَّذِيكَ وَامْتُواْ أَنَّهِ هُواسِيلَنَا وَلْنَعْلَ خَطَيَاكُ مُومَاهُ مِحْلِيلِينَ مِنْ خَطَلَيَهُ مِين شَيْءُ إِنَّهُمْ لكذؤت ( وَلَيْحُمِلُ أَفْعَالَهُمْ وَأَفْعَالَامَّعَ الْقَدَالِمِينَّةُ وَلَيْسَعَانَ يَوْمَ الْقِيكَمَةِ عَمَا كَانُواْ يَفَكُرُونَ ا وَلَقَدُ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ فَيْمِهِ مَلَيْكَ فِيهِمُ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَمْدِ وَكُمْ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلتُّلُوفَ انْ وَهُرَظَلِمُونَ ١ ON THE WAR OF THE OWNER O

مستصحباً الرجاء، مؤملاً الوصول إليه، ولكن، ما كل مَنْ يَدَّعِي يُغطَى بدعواه، ولا كل مَنْ تمنى يعطى ما تمناه، فإن الله سميع للأصوات، عليم بالنيات، فَمَنْ كان صادقاً في ذلك أناله ما يرجو، ومَنْ كان كاذباً لم تنفعه دعواه، وهو العليم بمن يصلح لحبه ومَنْ لا يصلح.

﴿ وَمَنْ جَاهِدَ انفسه وشيطانه ، وعدوه الكافر ، ﴿ فإنما يجاهد لنفسه ﴾ لأن نفعه راجع إليه ، وثمرته عائدة إليه ، و الله غنني عن العالمين ، لم يأمرهم بما أمرهم به لينتفع به ، ولا نهاهم عنه بخلا عليه ، .

وقد علم أن الأوامر والنواهي محتاج المكلف فيها إلى جهاد، لأن نفسه تتثاقل بطبعها عن الخير، وشيطانه ينهاه عنه، وعدوه الكافر يمنعه من إقامة دينه، كما ينبغي، وكل هذا معارضات تحتاج إلى مجاهدات وسعى شديد.

﴿٧﴾ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون عني أن الذين من الله عليهم بالإيمان والعمل الصالح، سيكفر الله عنهم سيئاتهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات، ﴿ولنجزينهم أحسن الذي

فأبنينك وأضك الشفشة ويحكننا آءاب للعللين ۞ وَإِبْرَهِ مِنْ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُ دُواْ ٱللَّهَ وَأَتَّـَ قُوهٌ ۖ ذَٰ لِحِكُمْ خَيْرُ لِكُمْ إِن كُنتُ مِنْتُ مُونَ ﴿ إِمَّا لَعَبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْقَنَا لَوَغَنْلُتُوكِ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُرُوزَقًا فَأَبْتَغُواْ عِنْدَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَاَعْبُدُوهُ وَالشَّكْرُوا لَهُمَّ إِلَيْهِ رُبِّحَمُونَ ۞ وَلِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْكُذَّبَ أَمَنَّمُ مِن قَبِلِكُمُّ وَمَاعَلَ الرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَكْعُ ٱلْكِينُ ﴿ أَوْلَرُ بِرَوَا كَيْفَ يُبْدِئُ أَلَهُ الْخَلْقَ ثُرُيْفِ بِدُهُ أَبِاتَ ذَلِكَ عَلَ ٱللَّهِ يَسِيرُ۞ قُلْ سِيرُولُفِ ٱلْأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقُ لِمُ كَاللَّهُ يُعِينِي ٱلنَّشَأَةَ ٱلْآخِرَةُ إِنَّ اللَّهُ عَلَى حُلِ شَفِ وَقَدِيدٌ ﴿ يُعَاذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْتُمُ مَن يَتَالَةً وَالَّيْهِ تُقَلِّمُونَ ۞ وَمَا أَنتُم يُعْجِينِكَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَافِ ٱلسَّكَاَّةِ وَمَالَكُم مِن دُوبِ اللَّهِ مِن وَلِيَّ وَلَانْصِيرِ ۞ وَالَّذِبَ كَفَتْرُوا بِتَايَتِ اللَّهِ وَلِقِ مَا آبِوةٍ إِنَّ أَوْلَكِ لَكَ يَهِسُوا مِن زَّمْنَ وَأُولَكِ لَهُ لَمُنْ مَذَابُ إلِيدٌ ﴿ TONESON TWEST OF

كانوا يعملون وهي أعمال الخير، من واجبات ومستحبات، فهي أحسن ما يعمل العبد، لأنه يعمل المباحات أيضاً، وغيرها.

(٨) ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علمٌ فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ أي: وأمرنا الإنسان، ووصيناه بوالديه حسناً، أي: ببرهما والإحسان إليهما، بالقول والعمل، وأن يحافظ على ذلك، ولا يعقهما ويسيء إليهما في قوله وعمله.

﴿وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم و وليس لأحد علم بصحة الشرك بالله، وهذا تعظيم لأمر الشرك، ﴿ فلا تطعهما إليَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ فأجازيكم بأعمالكم، فبروا والديكم وقدموا طاعتهما، إلا على طاعة الله ورسوله، فإنها مقدمة على كل شيء.

﴿٩﴾ ﴿والـذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين الصالحات لندخلنهم في الصالحا، فإن الله وعمل صالحا، فإن الله وعده أن يدخله الجنة في جملة عباده الصالحين، من النبين والصديقين والشهداء والصالحين، كل على حسب درجته ومرتبته عند الله، فالإيمان

الصحيح والعمل الصالح عنوان على سعادة صاحبه، وأنه من أهل الرحمن، والصالحين من عباد الله تعالى.

﴿١١ ـ ١١﴾ ﴿ومن السناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر ا من ربك ليقولين إنا كينا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين \* وليعلمنَ الله الذّين آمنوا وليعلمنَّ المنافقين﴾ لما ذكر تعالى أنه لا بدأن يمتحن من ادّعى الإيمان، ليظهر الصادق من الكاذب، بيِّن تعالى أن من الناس فريقاً لا صبر لهم على المحن، ولا ثبات لهم على بعض الزلازل، فقال: ﴿ومن الناس مَنْ يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله بضرب، أو أخذ مال، أو تعيير، ليرتد عن دينه، وليراجع الباطل، ﴿جعل فتنة الناس كعذاب الله ♦ أي: يجعلها صادَّة له عن الإيمان والثبات عليه، كما أن العذاب صادٌّ عمّا هو سببه.

﴿ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم ﴾ لأنه موافق للهوى، فهذا الصنف من الناس من الذين قال الله فيهم: ﴿ومن الناس مَنْ يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المين ﴾.

﴿ أُوليسَ الله بأعلم بما في صدور العالمين حيث خبركم بهذا الفريق، الذي حاله كما وصف لكم، فتعرفون بذلك كمال علمه وسعة حكمته.

وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين أي: فلذلك قدر تجنا وابتلاء، ليظهر علمه فيهم، فيجازيهم بما ظهر منهم، لا بما يعلمه بمجرده، لأنهم قد يحتجون على الله، أنهم لو ابتلوا لكَبَتُوا.

. ( ۱۲ ـ ۱۳ ) ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون \*

وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون كينبر تعالى عن افتراء الكفار ودعوتهم للمؤمنين إلى دينهم، وفي ضمن ذلك، تحذير المؤمنين من الاغترار بهم والوقوع في مكرهم، فقال: ﴿وقالَ الذينَ كَفُرُوا لَلَّذِينَ آمَنُوا اتبعوا سبيلنا، فاتركوا دينكم أو بعضه واتبعونا في ديننا، فإننا نضمن لكم الأمر﴿ولنحمل خطاياكم﴾ .وهذا الأمر ليس بأيديهم، فلهذا قال: ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء ﴾ لا قليل ولا كثير. فهذا التحمل، ولو رضى به صاحبه، فإنه لا يفيد شيئاً، فإن آلحق لله، والله تعالى لم يمكن العبد من التصرف في حقه إلا بأمره وحكمه، وحكمة «أن لا تزر وازرة وزر أخرى».

ولما كان قوله: ﴿ وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء ﴾ قد يتوهم منه أيضاً، أن الكفار الداعين إلى كفرهم -ونحوهم ممن دعا إلى باطله ليس عليهم إلا ذنبهم الذي ارتكبوه، دون الذنب الذي فعله غيرهم، ولو كانوا متسببين فيه، قال: [مخبراً عن هذا الوهم](١) ﴿وليحملن أثقالهم﴾أي∶. أثقال ذنوبهم التي عملوها ﴿وَأَثْقَالاً مِعَ أثقالهم الفري الذنوب التي بسببهم ومن جرائهم، فالذنب الذي فعله التابع [لكل من التَّابع]، والمتبوع حصته منه، هذا لأنه فعله وباشره، والمتبوع [لأنه] تسبب في فعله ودعا إليه، كما أن الحسنة إذا فعلها التابع له أجرها بالمباشرة، وللداعي أجره بالتسبب. ﴿ وليسألن يوم القيامة عمّا كانوا يفسترون من النشر وتزيينه، [وقولهم](٢) ﴿ولنحمل خطاياكم﴾.

﴿ الله الله ﴿ وَلَقَدَ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قُومَ فَلِبُ فَيِهِمَ أَلْفُ سَنَةً إِلاَ خَسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُم الطوفان وهم ظالمون \* فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين يخبر تعالى عن حكمه وحكمته في عقوبة (٣) الأمم المكذبة،

<sup>(</sup>۲) کذا فی ب، وفی أ: وقوله.(۳) ف

شيء قدير \* يعذب من يشاء ويرحم وأن الله أرسل عبده ورسوله نوحاً عليه الصلاة السلام إلى قومه، يدعوهم إلى التوحيد وإفراد الله بالعبادة، والنهى عن الأنداد والأصنام، ﴿فلبِث فيهم﴾ نبياً داعياً ﴿ أَلْفُ سَنَّةُ إِلَّا خُسِينَ عَاماً ﴾ وهو لا يُنِي بدعوتهم، ولا يفتر في نصحهم، يدعوهم ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً، فلم يرشدوا ولم يهتدوا، بل استمروا على كفرهم وطغيانهم، حتى دعا عليهم نبيهم نوح عليه الصلاة والسلام، مع شدة صبره وحلمه واحتمالُه، فقال: ﴿رَبُّ لَا تَذْرُ عَلَى الأرض من الكافرين دياراً ﴿ فَأَحْذُهُم الطوفان الله الذي نزل من السماء بكثرة، ونبع من الأرض بشدة ﴿ فَأَنجِينَاهُ وأصحابِ السفينة ﴾ الذين ركبوا معه، أهله ومَنْ آمن به. ﴿وجعلناها ﴾ أي: السفينة، أو قصة نوح ﴿آية للعالمين﴾ يعتبرون بها، على أن مَنْ كذَّب السرسيل، آخير أميره الهلاك، وأن المؤمنين سيجعل الله لهم من كل هَمَّ فرجاً، ومن كل ضيقً وجعل الله أيضاً السفينة، أي: جنسها آية للعالمين، يعتبرون بها رحمة ربهم، الذي قيض لهم أسبابها، ويسر لهم أمرها، وجعلها تحملهم وتحمل متاعهم من محل إلى محل ومن قُطر إلى

﴿١٦ ـ ٢٢﴾ ﴿وإبراهيه إذْ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون \* إنَّما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً إنّ الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون \* وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين \* أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إنّ ذلك على الله يسير \* قل سيروا في حاثاً لهم على من يستحق العبادة ـ الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله

﴿وهم ظالمون مستحقون للعذاب.

من يشاء وإليه تقلبون \* وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء ومالكمم من دون الله من ولي ولا نصير﴾ يذكر تعالى أنه أرسل خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى قومه، يدعوهم إلى الله، فقال [لهم]: ﴿اعسبدوا الله ﴾ أي: وحدوه، وأخلصوا له العبادة، وامتثلوا ما أمركم به، ﴿واتقوه﴾ أن يغضب عليكم، فيعذبكم، وذلك بترك ما يغضبه من المعاصى، ﴿ ذلكم ﴾ أي: عبادة الله وتقواه وخير لكم من ترك ذلك، وهذا من باب إطلاق اأفعل التفضيا,» بما ليس في الطرف الآخر منه شيء، فإن ترك عبادة الله، وترك تقواه، لا خير فيه بوجه، وإنماكانت عبادة الله وتقواه خيراً للناس، لأنه لا سبيل إلى نيل كرامته في الدنيا والآخرة إلا بذلك، وكل خير يوجد في الدنيا والآخرة، فإنه من آثار عبَّادة الله وتقواه. ﴿إِنْ كَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فاعلموا الأمور وانظروا ما هو أولى بالإيثار، فلما أمرهم بعبادة الله وتقواه، نهاهم عن عبادة الأصنام، وبين لهم نقصها وعدم استحقاقها للعبودية، فقال: ﴿إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً كتنحتونها وتخلقونها بأيديكم، وتخلقون لها أسماء الآلهة، وتختلقون الكذب بالأمر بعبادتها والتمسك بذلك، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تدعون من دون الله الله في نقصه، وأنه ليس فيه ما يدعبو إلى عبسادته، ﴿لا يملكون لكم رزقاً ﴾ فكأنه قيل: قد بان لنا أن هذه الأوثان مخلوقة ناقصة، لا تملك نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، وأن من هذا وصفه، لا يستحق أدني أدني أدنى مثقال مثقال مثقال ذرة من العبادة والتأله، والقلوب لا بدأن تطلب

معبوداً تألهه وتسأله حوائجها، فقال \_

ينشيء النشأة الآخرة إنّ الله على كل ﴿فابتغوا عند الله الرزق﴾فإنه هو

SETTING SETTING الْ فَعَا كَانَ يَجَابَ قَرْمِهِ وَالْآنَ قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ ٱوْحَدَقُوهُ فَأَجْمَهُ اللَّهُ مِن النَّارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتِ لِقَوْمِ يُفْصِنُونَ ۞ وَقَالَ النَّمَا أَغَّذُنُّرُمَن دُوبِ أَلْوَ أَوْلَنَا مَوَّةً مَكِينِكُمْ فِي المُحَيِّوْةِ ٱلدُّيْتُ أَثَرَةً مِّ ٱلْقِيْسَةِ يَحَفُرُيَّغْضُكُم يَغْضُ لَمُ وَيَلْكِنُ يَعْضُكُ مِ يَعْضًا وَمَأْوَلِكُمُ ٱلنَّارُ وَمَالَكُمُ أَعْنِينَ ۞ • فَنَاسَ لَدُلُوطٌ وَقَالَ إِنْ مُعَاجِرًا لَا رَبِّ أَنَّهُ مُوَالْمُ يَرُالْمُكِيرُ ۞ وَوَهَبْ الْهُ وَإِسْحَقَ ال وَيَعْتَ قُوبَ وَيَحَمَلْنَا فِي ذُرُيَّتِهِ ٱلنُّهُوَّةَ وَٱلْكِنْبَ وَمَالَيْنَهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْ أَقَالَهُ فِي الْآخِرة لِي الصَّلِيدِ ٥ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ } إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَاحِثَةَ مَاسَبَقُكُم بِهَامِنْ أَحَدِيْنِ ٱلْمُلَدِينَ ۞ المَيِّكُ مُ لَتَأْتُونَ الرَّحَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّيِيلَ وَتَأْتُونَ الله في مَادِيكُمُ اللَّهُ كُرُّ فَأَكَانَ جَوَابَ قَوْمُومَ إِلَّا أَن قَ الْوَا ٱلَّذِي إِلَى كَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ الله المستنبي المستنبي عَلَى الْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ a de la companya de l

الميسر له، المقدر، المجيب لدعوة مَنْ دعاه في أمر دينه ودنياه (١)، ﴿واعبدوه ﴾ وحده لا شريك له، لكونه الكامل النافع الضار، المتفرد بالتدبير، ﴿واشكروا له ﴾ وحده، لكون جميع ما وصل ويصل إلى الخلق من النِعَم فَمنه، وجميع ما اندفع ويندفع من النقم عنهم فهو الدافع لها

﴿ إِلَيْهُ تُرجِعُونَ ﴾ يجآزيكم على ما عملتم، وينبئكم بما أسررتم وأعلنتم، فاحذروا القدوم عليه وأنتم على شرككم، وارغبوا فيما يقربكم إليه، ويثيبكم \_عند القدوم \_عليه.

﴿أُولُم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيبه القيامة ﴿إن ذلك على الله يسير﴾

كما قال تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه،

﴿قُلُ ﴾لهم، إن حصل معهم ريب وشك في الابتداء: ﴿سيروا في الأرض﴾ بأبدانكم وقلوبكم ﴿فانظروا كيف بدأ الخلق فإنكم ستجدون أمماً من الآدميين والحيوانات، لا تزال توجد شيئاً فشيئاً، وتجدون النبات والأشجار، كيف تحدث وقتاً بعد وقت، وتجدون السحاب والرياح ونحوها، مستمرة في تجددها، بل الخلق دائماً في بدء وإعادة، فانظر

وَلِمَا حِكَامَ اللَّهُ مِنْ لُمِّنَا إِزْهِي مِنْ الْمُشْرَىٰ قَالُولُ إِنَّا مُهْ لِكُولًا أَهْلُ هَلَا ذِوَالْقُرِّيَّةُ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْظُلِمِينَ ۞ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطَافَ الْوَاغَنُ أَعَكُرُ بِمَن فِيمَّا لَنُنَجِّينَ عُوَأَهَلَهُ وَ إِلَّا اُمِّرَأَ لَهُ كَانَتْ مِنَ الْعَكِيدِينَ ۞ وَكَا أَنْ جَلَةَتْ رُسُلُنَا لُوطَايِحَ ، بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفَ وَلَا تَحْدَزُنَّ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهَلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَلَكَ كَانَتْ مِنَ الْعَلَيْمِينَ ۞ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَلَوْ الْقَرَّيَّةِ رِجْزَاتِنَ ٱلسَّكَأَةِ بِمَاكَافُوْا يَفْسُقُونَ ۞ وَلَقَدَ رَّكَنَامِنْهِ ﴾ آءَابَةً بَيُّنَةً لِقَوْمِ يَسْقِلُونَ ۞ وَالَّكَ مَدْيَنَ أَخَاهُمُ مُشَعَيْبًا فَقَالَ يَنْقَوْمِ أَعْبُمُ وَأَلَقَهُ وَأَنْبُواْ الْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَلَا مَنْتَ ثَوْلَ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ @ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتُهُمُ الرَّحْفَ فَأَصْبَحُوا فِ دَارِهِيمُ جَنشِين ﴿ وَعَاذَا وَكَمُودًا وَقَدَ بُّتَيْنَ لَكُم ين مّسكونها وزير لهم الشيطار أعمالهم قَسَدَّةُ مُرْعَى ٱلسَّيِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْعِينَ ۞ TORESON WEST SERVICED TO

وقد هجم عليهم الليل بظلامه، فسكنت منهم الحركات، وانقطعت منهم الأصوات، وصاروا في فرشهم ومأواهم كالميتين، ثم إنهم لم يزالوا على ذلك طول ليلهم، حتى انفلق الإصباح، فانتبهوا من رقدتهم، وبعثوا من موتتهم، قائلين: «الحمد لله الذي أحياناً بعدما أماتنا وإليه النشور». ولهذا قال: ﴿ أُمُّ الله كِ بعد الإعادة ﴿يُنشيءُ النشأة الأخرة﴾ وهي النشأة التي لا تقبل موتاً ولا نوماً، وإنما هو الخلود والدوام في إحدى الدارين. ﴿إِن الله على كُلُّ شَيء قدير ﴾ فقدرته تعالى لا يعجزها شيء، وكما قدر بها على ابتداء الخلق، فقدرته على الإعادة من باب أولى وأحرى.

إليهم وقت موتتهم الصغري ـ النوم ـ

﴿يعذب مَنْ يشاء ويرحم مَنْ يشاء ﴾ أي: هو المنفرد ببالحكم الجزائي، وهو إثابة الطائعين ورحتهم، وتعذيب العاصين والتنكيل بهم. ﴿وَإِلَيه تقلبون ﴾ أي: ترجعون إلى الدار، التي بها تجري عليكم أحكام عذابه ورحته، فاكتسبوا في هذه الدار، ما هو من أسباب رحته من الطاعات، وابتعدوا من أسباب عذابه، وهي المعاصي.

﴿وَمَا أَنتُم بِمعجزين في الأرض ولا في السماء﴾ أي: يا هـؤلاء المكذبون، المتجرؤن على المعاصي،

لا تحسبوا أنه مغفول عنكم، أو معجزون شفي الأرض ولا في السماء، فلا تغرنكم قدرتكم وما زينت لكم أنفسكم وخدعتكم، من النجاة من عذاب الله، فلستم بمعجزين الله في جميع أقطار العالم.

﴿وما لكم من دون الله من ولي ﴾ يتولاكم، فيحصل لكم مصالح دينكم ودنياكم، ﴿ولا نصير ﴾ ينصركم، فيدفع عنكم المكاره.

سيدفع عدم المداره . ﴿ ٣٣﴾ ﴿ والذين كفروا بآيات الله

ولقائه أولئك يشبوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم يخبر تعالى من هم الذين زال عنهم الخير، وحصل لهم الشر، وأنهم الذين كفروا به وبرسله، وبما جاؤوهم به، وكذبوا بلقاء الله، فليس عندهم إلا الدنيا، فلذلك قدموا على ما أقدموا عليه من الشرك يخوفهم من عاقبة ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿أُولئك يتسوا من رحمتي كيصلون به الرحمة، وإلا لو طمعوا في يحصلون به الرحمة، وإلا لو طمعوا في رحمته، لعملوا لذلك أعمالاً، والإياس من رحمة الله من أعظم المحاذير، وهو من رحمة الله من أعظم المحاذير، وهو

إياس الكفار منها، وتركهم جميع عنهم عقابه. 

سبب يقربهم منها، وإياس العصاة، 
إني مهاجر 
بسبب كثرة جناياتهم أوحشتهم، 
فملكت قلوبهم، فأحدث لها الإياس، الحكيم \* و 

﴿وأولئك لهم عذاب أليم ﴾ أي: مؤلم وجعلنا في فا 
موجع. وكأن هذه الآيات معترضات أجره في ال 
بين كلام إبراهيم عليه السلام لقومه، الصالحين 
وردهم عليه، والله أعلم بذلك.

نوعان:

﴿٢٤ \_ ٢٥﴾ ﴿ فسما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون \* وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾ أي: فما كان بجاوبة قوم إبراهيم إبراهيم حين دعاهم إلى ربه قبول دعوته، والاهتداء بنصحه، ورؤية نعمة الله عليهم

بإرساله إليهم، وإنما كان مجاوبتهم له شر مجاوبة.

﴿قالوا اقتلوه أو حَرِّقوهُ الشنع القتلات، وهم أناس مقتدرون، لهم السلطان، فألقوه في النار ﴿فَانِجاه اللهِ منها

﴿إِن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ فيعلمون صحة ما جاءت به الرسل، وبرَّهُمْ ونصحهم، وبطلان قول من خالفهم وناقضهم، وأن المعارضين للرسل كأنهم تواصوا وحث بعضهم بعضاً على التكذيب.

وقال الهم إبراهيم في جملة ما قاله من نصحه: ﴿إنما انخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة اللدنيا في: غاية ذلك، مودة في الدنيا ستنقطع وتضمحل، ﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن القيامة يكفر بعضكم أي: يتبرأ كل من العابدين والمعبودين من الآخر ﴿وإذا بعبادتهم كافرين فكيف تتعلقون بمن يعلم أنه يتبرأ من عابديه ويلعنهم؟ يعلم أنه يتبرأ من عابديه ويلعنهم؟ والمعبودين ﴿المناز والس أحد والعابدين والمعبودين ﴿المناز والس أحد والعابدين والمعبودين ﴿النار والس أحد والمعبودين ﴿النار والس أحد والمعبودين ﴿النار والس أحد والمعبودين ﴿المناز والما أَلَهُ والس أحد والمعبودين ﴿المناز والما أَلهُ والس أحد والمعبودين ﴿المناز والما أَلهُ والمناز والس أحد والمعبودين ﴿المناز والما أَلهُ والمناز والما أَلهُ والما أَلهُ والمناز والما أَلهُ والما

﴿٢٧ ـ ٢٧﴾ ﴿نآمن له لوط وقال إني مسهاجر إلى ربي إنه هو المعزيز المحكيم \* ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ أي: لم يزل إبراهيم عليه الصلاة والسلام يدعو قومه، وهم مستمرون على عنادهم، إلا أنه آمن له بدعوته لوط، الذي نبأه الله، وأرسله إلى قومه كما سيأتي ذكره.

ينصرهم من عذاب الله، ولا يدفع

﴿وقال﴾ إبراهيم حين رأى أن دعوة قومه لا تفيدهم شيئاً: ﴿إِنِي مهاجر إلى ربي﴾ أي: هاجر إلى ومهاجر إلى الأرض الباركة، وهي الشام، ﴿إنه هو العزيز﴾ أي: الذي له القوة، وهو يقدر على هدايتكم، ولكنه حكيم ما اقتضت حكمته ذلك، ولما اعتزلهم وفارقهم، وهم بحالهم، لم

يذكر الله عنهم أنه أهلكهم بعذاب، بل ذكر اعتزاله إياهم، وهجرته من بين أظهرهم.

فأما ما يذكر في الإسرائيليات، أن الله تعالى فتح على قومه باب البعوض، فشرب دماءهم، وأكل لحومهم، وأتلفهم عن آخرهم، فهذا يتوقف الجزم به على الدليل الشرعي، بالعذاب لذكره كما ذكر إهلاك الأمم الكذبة، ولكن لعل من أسرار ذلك، أن الخليل عليه السلام من أرحم الخلق وأفضلهم [وأحلمهم] وأجلهم، فلم يدع على قومه كما دعا غيره، ولم يكن الله ليجري بسببه عذاباً عاماً.

ا وممايدل على ذلك، أنه راجع الملائكة في إهلاك قوم لوط، وجادلهم، ودافع عنهم، وهم ليسوا قومه، والله أعلم بالحال.

﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب أي: بعدما هاجر إلى الشام ﴿ وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فلم يأت بعده نبي إلا من ذريته، ولا نزل كتاب إلا على ذريته، حتى ختموا بالنبي (١) عمد ﷺ وعليهم أجمين.

وهذا [من] أعظم المناقب والمفاخر، أن تكون مواد الهداية والرحمة والسعادة والفلاح في ذريته، وعلى أيديهم اهتدى المهتدون، وآمن المؤمنون، وصلح الصالحون. ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾ من الزوجة الجميلة فائقة الجمال، والرزق الواسع، والأولاد، الذين بهم قرت عينه، ومعرفة الله ومحبته، والإنابة إليه.

﴿ وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ بل هو ومحمد صلى الله عليهما وسلم أفضل الصالحين على الإطلاق، وأعلاهم منزلة، فجمع الله له بين سعادة الدنيا والآخرة.

﴿٢٨ ـ ٣٥ ﴾ ﴿ولوطاً إذ قال لقومه مضوا حتى أتوا لوطاً، فساءه بجيئهم، الكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من وضاق بهم ذرعاً، بحيث إنه لم أحد من العالمين \* أثنكم لتأتون يعرفهم، وظن أنهم من جملة أبناء الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في السبيل الضيوف، فخاف عليهم من

ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اثتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين \* قال رب انصرني على القوم المسدين إلى آخر القصة. تقدم أن لوطاً عليه السلام آمن لإبراهيم، وصار من المهتدين به، وقد ذكروا أنه ليس من ذرية إبراهيم، وإنما هو ابن أخي اداهيم.

فقوله تعالى: ﴿وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴿وإن كان عاماً، فلا يناقض كون لوط نبياً رسولاً وهو ليس من ذريته، لأن الآية جيء بها لسياق المدح والثناء على الخليل، وقد أخبر أن لوطاً اهتدى على يديه، ومن اهتدى على يديه وأكمل ممن اهتدى من ذريته بالنسبة إلى فضيلة الهادي، والله

فأرسل الله لوظاً إلى قومه، وكانوا مع شركهم، قد جمعوا بين فعل الفاحشة في الذكور، وتقطيع السبيل، ونشو المنكرات في مجالسهم، فنصحهم لوط عن هذه الأمور، وبين لهم قبائحها في نفسها، وما تؤول إليه من المعقوبة البليغة، فلم يرعووا ولم يذكروا. ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾

فأيس منهم نبيهم، وعلم استحقاقهم العذاب، وجزع من شدة تكذيبهم له، فدعا عليهم و ﴿قال ربّ انصري على القوم المفسدين واستجاب الله دعاءه، فأرسل الملائكة وبشروه بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، ثم سألهم إبراهيم أين يريدون؟ فأخبروه أنهم يريدون إهلاك قوم لوط، فجعل يراجعهم ويقول: وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين ثم مضوا حتى أتوا لوطأ، فساءه مجيئهم، وضاق بهم ذرعاً، بحيث إنه لم يعرفهم، وظن أنهم من جملة أبناء يعرفهم، وظن أنهم من جملة أبناء السبيل الضيوف، فخاف عليهم من

قومه، فيقالواله: ﴿لا تخيف ولا تحزن﴾ وأخبروه أنهم رسل الله. ﴿إِنَا مِنجُوكُ وأَهْلُكُ إِلَّا امْرَأَتُكُ كَانْتُ من الغابرين \* إنّا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً ﴿أَي: عذاباً ﴿من السماء بما كانوا يفسقون المروه أن يسرى بأهله ليلاً، فلما أصبحوا، قلب الله عليهم ديارهم، فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل متتابعة حتى أبادتهم وأهلكتهم، فصاروا سَمَرَاً من الأسمار، وعبرة من العِبر، ﴿ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون اأي: تركنا من ديار قوم لوط، آثاراً بينة لقوم يعقلون العِبر بقلوبهم، [فينتفعون بها]، كما قال تعالى: ﴿وإنَّكُم لِتَمْرُونَ عَلَيْهُمْ مصبحين \* وبالليل أفلاً تعقلون﴾ .

﴿٣٦ ـ ٣٧﴾ ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً فقال يا قوم اعبدوا الله وارجو اليوم الآخر ولا تعشوا في الأرض مفسدين \* فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين القبيلة المعروفة المشهورة ﴿شعيباً هُفَامرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بالبعث ورجاته، والعمل له، ببخس المكاييل والموازين، والسعي بقطع الطرق، فكذبوه فأخذهم عذاب الله ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾

وعاداً وشمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين \* وقارون وفرعون فاستكبروا في الأرض وما كانوا فاستكبروا في الأرض وما كانوا أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته المنهن المسيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي : وكذلك ما فعلنا بعاد وثمود، وقد وعلمتم قصصهم، وتبين لكم بشيء

تشاهدونه بأبصاركم من مساكنهم رسلهم بالأيات البينات، المفيدة للبصيرة، فكذبوهم وجادلوهم.

﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم حتى ظنوا أنها أفضل مما جاءتهم به الرسل، وكذلك قارون، وفرعون، وهـامـان، حـين بـعـث الله إليهــم موسى بن عمران، بالآيات البينات، والبراهين الساطعات، فلم ينقادوا، واستكبروا في الأرض، [على عباد الله فأذلوهم، وعلى الحق فردوه فلم يقدروا على النجاء حين نزلت بهم العقوبة] ﴿وَمَا كَانُوا سَابِقَينَ﴾ الله، ولا فائتين، بل سلّموا واستسلموا.

﴿فكلاً من هؤلاء الأمم المكذبة ﴿ أَخِذْنَا بِذُنِّيهِ ﴾ على قدره، وبعقوبة مناسبة له ، ﴿فمنهم مَنْ أرسلنا عليه حاصباً ﴾ أي: عذاباً يحصبهم، كقوم عاد، حين أرسل الله عليهم الريح العقيم، و ﴿سخرها عليهم سبع ليالُ وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾.

﴿ ومنهم مَنْ أَخذته الصَّيحة ﴾ كقوم صالح، ﴿ومنهم مَنْ خسفنا به الأرضَ ﴾ كـقارون، ﴿ومنهم مَنْ أغرقنا﴾ كفرعون وهامان وجنودهما.

﴿وماكان الله ﴾ أي: ما ينبغي ولا يليق به تعالى أن يظلمهم لكمالً عدله، وغناه التام عن جميع الخلق. ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون منعوها حقها التي هي بصدده، فإنها خلوقة لعبادة الله وحده، فهؤلاء وضعوها في غير موضعها، وأشغلوها بالشهوات والمعاصى، فضروها غاية الضرر، من حيث ظنوا أنهم ينفعونها.

﴿ ١٤ ـ ٤٣ ﴾ ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتأ وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون \* إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم \* وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون، هذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره، يقصد به التعزز والتَّقَوِّي والنفع، وأن

الأمر بخلاف مقصوده، فإن مثله كمثل وآثارهم التي بانوا عنها، وقد جاءتهم والعنكبوت، اتخذت بيتاً يقيها من الحر والسبسرد والآفسات، ﴿وإن أوهسن البيوت، أضعفها وأوهاها ﴿لبيت العنكبوت ، فالعنكبوت من الحيوانات الضعيفة، وبيتها من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفاً، كذلك هؤلاء الذين يتخذون من دونه أولياء، فقراء عاجزون من جميع الوجوه، وحين اتخذوا الأولياء من دونه يتعززون بهم ويستنصرونهم، ازدادوا ضعفاً إلى ضعفهم، ووهناً إلى وهنهم.

فإنهم اتكلوا عليهم في كثير من مصالحهم، وألقوها عليهم، وتخلوا هم عنها، على أن أولئك سيقومون بها، فخذلوهم، فلم يحصلوا منهم على طائل، ولا أنالوهم من معونتهم أقل

فلو كانوا يعلمون حقيقة العلم، حالهم وحال مَن اتخذوهم، لم يتخذوهم، ولتبرؤوا منهم، ولتولوا الرب القادر الرحيم، الذي إذا تولاه عبده وتوكل عليه، كفاه مؤونة دينه ودنياه، وازداد قوة إلى قوته، في قلبه وفي بدنه وحاله وأعماله .

ولما بيَّن نهاية ضعف آلهة المشركين، ارتقى من هذا إلى ما هو أبلغ منه، وأنها ليست بشيء، بل هي تجرد أسماء سموها، وظنون اعتقدوها، وعند التحقيق، يتبين للعاقل بطلانها وعدمها، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهُ يَعْلُمُ مَا يدعون من دونه من شيء ﴾ أي: إنه تعالى يعلم ـ وهو عالم الغيب والشهادة ـ أنهم ما يدعون من دون الله شيئاً موجوداً، ولا إلهاً له حقيقة، كقوله تعالى: ﴿إنَّ هِي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾ وقوله: ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون♦.

﴿وهو العزيز الحكيم، الذي له القوة جميعاً، التي قهر بها جميع المخلوقات، ﴿الحكيمِ الذي يضع الأشياء مواضعها، الذي أحسن كل

شيء خلقه، وأتقن ما أمره. ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس﴾ أي: لأجلهم ولانتفاعهم وتعليمهم، لكونها من الطرق الموضحة للعلوم، ولأنها تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة، فيتضح المعنى المطلوب بسببها، فهي مصلحة لعموم الناس.

وه لكن (ما يعقلها) بفهمها وتدبرها، وتطبيقها على ما ضربت له، وعقلها في القلب ﴿ إِلاَّ العالمون ﴾ أي: أهل العلم الحقيقي، الذين وصل العلم إلى قلوبهم .

وهذا مدح للأمثال التي يضربها، وحثُّ على تدَّبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن مَنْ لم يعقلها ليس من العالمين.

والسبب في ذلك، أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن، إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها، لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيبذلون جهدهم في معرفتها.

وأما مَنْ لم يعقلها، مع أهميتها، فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم، لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة، فعدم معرفته غيرها من باب أولي وأحرى. ولهذا، أكثر ما يضرب الله الأمثال في أصول الدين ونحوها.

﴿ ٤٤﴾ ﴿ خلق الله السماوات والأرض بالحق إنّ في ذلك لآية للمؤمنين ﴾ أي: هو تعالى المنفرد بخلق السماوات، على علوها وارتفاعها وسعتها وحسنها وما فيها من الشمس والقمر والكواكب والملائكة، والأرض وما فيها من الجبال والبحار والبراري والقفار والأشجار ونحوها، وكل ذلك خلقه بالحق، أي: لم يخلقها عبثاً ولا سدى، ولا لغير فائدة، وإنما خلقها، ليقوم أمره وشرعه، ولتتم نعمته على عباده، وليروا من حكمته وقهره وتدبيره، ما يدلهم على أنه وحده معبودهم ومحبوبهم وإلههم. ﴿إِنْ فَي ذلك لآية للمؤمنين ﴿ على كثير من

المطالب الإيمانية، إذا تدبرها المؤمن رأى ذلك فيها عياناً.

﴿ ٤٥ ﴾ ﴿ اتبل منا أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾ يأمر تعالى بتلاوة وحيه وتنزيله، وهو هذا الكتاب العظيم، ومعنى تلاوته اتباعه، بامتثال ما يأمر به، واجتناب ما ينهي عنه، والاهتداء بهداه، وتصديق أخباره، وتدبر معانيه، وتلاوة ألفاظه، فصار تلاوة لفظه جزء المعنى وبعضه، وإذا كان هذا معنى تلاوة الكتاب، علم أن إقامة الدين كله، داخلة في تلاوة الكتاب. فيكون قوله: ﴿وأقم الصلاة ﴾ من باب عطف الخاص على العام، لفضل الصلاة وشرفها، وآثارها الجميلة، وهي ﴿إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكّر ﴾.

والفحشاء: كل ما استعظم واستفحش من المعاصي التي تشتهيها النفوس.

والمنكر: كل معصية تنكرها العقول والفطر .

ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أن العبد المقيم لها، التمم لأركانها وشروطها وخشوعها، يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تعدم رغبته في الشر، فبالضرورة، مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه، تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا من أعظم مقاصدها وثمراتها. وثَّمُّ في الصلاة مقصود أعظم من هذا وأكبر، وهو ما اشتملت عليه من ذكر الله، بالقلب واللسان والبدن. فإن الله تعالى، إنما خلق الخلق(١) لعبادته، وأفضل عبادة تقع منهم الصلاة، وفيها من عبوديات الجوارح كلها، ما ليس في غيرها، ولهذا قال: ﴿ولذكر الله أكبر﴾.

ويحتمل أنه لما أمر بالصلاة ومدحها، أخبر أن ذكره تعالى خارج

الصلاة أكبر من الصلاة، كما هو قول جمهور المفسرين، لكن الأول أولى، لأن الصلاة أفضل من الذكر خارجها، ولأنها \_كما تقدم \_بنفسها من أكبر

﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ من خير وشر، فيجازيكم على ذلك أكمل الجزاء و أو فاه .

﴿٤٦﴾ ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاَّ بالتي أحسن إلاّ الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون عنهي تعالى عن مجادلة أهل الكتاب، إذا كانت من غير بصيرة من المجادل، أو بغير قاعدة مرضية، وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق وتحسينه، وردعن الساطل وتهجينه، بأقرب طريق موصل لذلك، وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق، إلا من ظلم من أهل الكتاب، بأن ظهر من قصده وحاله، أنه لا إرادة له في الحق، وإنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة، فهذا لا فائدة في جداله، لأن المقصود منها

﴿ وقولوا آمنًا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد، أي: ولتكن مجادلتكم لأهل الكتاب مبنية على الإيمان بما أنزل إليكم وأنزل إليهم، وعلى الإيمان برسولكم ورسولهم، وعلى أن الإلمه واحد، ولا تكن مناظرتكم إياهم [على وجه] يحصل به (٢) القدح في شيء من الكتب الإلهية، أو بأحد من الرسل، كما يفعله الجاهل عند مناظرة الخصوم، يقدح بجميع ما معهم، من حق وباطل، فهذا ظلم وخروج عن الواجب وآداب النظر، فإن الواجب، أن يرد ما مع الخصم من الباطل، ويقبل ما معه من آلحق، ولا يرد الحق لأجل قوله، ولو كان كافراً. وأيضاً، فإن بناء

وَقَدُونَ وَفَدْعَوْنَ وَهَلِكُنَّ وَلَقَدْ جَآءَ هُرَقُوسَهُ مِٱلْسَنَنَةِ مَّاسَتَكُمِّرُواْفِ الْأَرْضِ وَمَاكَانُواْسَلِيقِينَ ۞ فَكُلَّا لَغَذْنَا مِذَنِّيمً مِنْ أَمْرَمْنَ أَرْسَكُنَا عَلَيْهِ حَاصِيًا وَمِنْهُمُ مِنْ أَخِكَةُ مُالصَّبَحَةُ وَمِنْهُمُ مَنْ خَسَفْتَ البِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُمُ مِنَّ أَغْمَ قَنَّا وَمَاكَاتَ اللَّهُ لِيَظَالِمَهُمَّ وَلَيْكِيْ كَافَأَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ مَثَلُ ٱلَّذِينَ أَخَّكُ وَأَمِن دُونِ أَمَّوا أَوْلِيآ أَكَمَثُ لِٱلْمَنْكِ بُوتِ ٱتََّفَ ذَنَ يَيْتُ أَمَالَا أَوْهَنَ أَلِيُونِ لِبَيْتُ ٱلْمَنْكِ بُونِيَّ لَوْكَ الْوَالِينْ لَمُونَ ۞ إِنْ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِيهِ مِن ثَمَّى وَهُوَ ٱلْكَنِيرُ ٱلْكَسِيرُ ۞ وَمَلَّكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضِيفُ الِلنَّايِّنَ وَمَايَعْ قِلْهُ ۖ إِلَّا ٱلْعَالِمُونَ @خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضِ إِلْحَيُّ إِنَّ فِي ذَلِكَ الله الآية التروينين ﴿ آتُلُمَّا أُوحِمَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتْبِ وَأَقِيهِ الصَّكَاوَةُ إِنَّ الصَّلَوْةَ لَنْعَلِ عَنِ ٱلْفَحْشَكَةِ اللُّهُ وَلَلْنُكُرُّ وَلَذِكُو اللَّهِ أَكْبُرُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ وَ اللَّهُ مُنافَعُونَ ﴿ 

مناظرة أهل الكتاب، على هذا الطريق، فيه إلزام لهم بالإقرار بالقرآن، وبالرسول الذي جاء به، فإنه إذا تكلُّم في الأصول الدينية التي اتفقت عليها الأنبياء والكتب، وتقررت عند المتناظرين، وثبتت حقائقها عندهما، وكانت الكتب السابقة والمرسلون مع القرآن ومحمد على، قد بينتها ودلت عليها وأخبرت بها، فإنه يلزم التصديق بالكتب كلها، والرسل كلهم، وهذا من خصائص الإسلام.

فأما أن يقال: نؤمن بما دلٌ عليه الكتاب الفلاني، دون الكتاب الفلاني وهو الحق الذي صدق ما قبله، فهذا ظلم وجور، وهو يىرجىع إلى قولـه بالتكذيب، لأنه إذا كذب القرآن الدال عليها، المصدق لما بين يديه من التوراة، فإنه مكذب لما زعم أنه به مؤمن.

وأيضاً، فإن كل طريق تثبت به<sup>(٣)</sup> نبوة أي: نبي كان، فإن مثلها وأعظم منها، دالة على نبوة محمد ﷺ، وكلُّ شبهة يقدح بها في نبوة محمد ﷺ، فإن مثلها أو أعظم منها، يمكن توجيهها إلى نبوة غيره، فإذا ثبت بطلانها في غيره، فثبوت بطلانها في حقه ﷺ أظهر وأظهر .

وقوله: ﴿ونحن له مسلمون ﴾ أي: منقادون مستسلمون لأمره. ومَنْ آمن

\* وَلَا يَحِيدُ لُوا أَهْلَ ٱلْكِنَالُ كِنْكِ إِلَّا إِلَّهُ مِنْ أَحْدُ أَلَّا ٱلَّذِينَ طَلَعُوامِنهُ مُ وَقُولُوا مَاكَا بِالَّذِيّ أُنزلَ إِنِّكَ وَأُنزلَ إِنَّكُمْ وَ الْهُنَا وَ اللَّهُ عَمْ وَحِدُّ وَتَعَنَّ لَهُمُسَامُونَ ۞ وَكَذَلِكَ أَنْكَ آلِيكَ ٱلْكِتَابُ اللَّهِيكَ اللَّهِيكَ اللَّهِيكَ اللَّهُ الْكِتَابُ يُوْمِنُونَ بِقِهُ وَمِنْ هَلَوْلَاءِ مَن قُوْمِنُ بِقُدُ وَمَا يَعْصَدُ بِعَالِيْلِنَآ إلَّا ٱلْكَافِرُونَ ﴿ وَمَاكُنتَ تَشَلُّوا مِن قَبْ إِدِينِ كِنْ وَلا تَغُلُّهُ يَسَنِكُ إِذَا لَآتِنَابَ ٱلنَّطِلُونَ @ بَلْ هُوءَ النَّا بَيِّنَاتُ فِي صُدُورِ ٱلَّذِيكَ أُوتُوا ٱلْمِلْرُ وَمَا يَعْحَدُ بِعَايَتِنَاۤ إِلَّا الظَّالِمُونَ ۞ وَقَالُواْ لُوْلَآ أَمْزِلَ عَلَيْهِ مَالِئَتُ مِن نَيِيِّهِ قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَكَ عِن مَالَّوَ وَإِنَّمَا أَنْ أَنَا لَنَا يُرْمُيِّ بِي ۞ٲۊؘڵۯؽڂۼۼۼۯٲؽٚٲڗڵؾٵۼڵؽڬٲڵڮڐڹؽۺٞٳ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْ مَهُ وَذِكْ رَعَا لِلْسَوْمِ يُؤْمِنُونَ ۞ قُلْكَفَلْ بِاللَّوْبَيْنِي وَيَيْنَكُمْ شَهِيدًاّ يَمْلَهُ مَا فِ السَّنُونِ وَالْأَرْضِ وَ اللَّهِ عَالَيْنِ مَا أَسَنُواْ إِ إِلْمُنْظِلِ وَكَفَرُواْ بِاللَّهِ أُوْلَلْمِكَ مُرْالْخَسِرُونَ ٥ ADDING IN EGREE

به، واتخذه إلها، وآمن بجميع كتبه ورسله، وانقاد لله واتبع رسله، فهو السعيد، ومَنْ انحرف عن هذا الطريق، فهو الشقى.

﴿٧٤ \_ ٤٨ ﴾ ﴿وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون \* وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتباب المبطلون ﴾ أي: ﴿وكذلك أزلنا إليك ﴾ يا عمد، هذا ﴿الكتاب إلى كل خلق فاضل، وأمر كامل، المصدق للكتب السابقة، المخبر به الأنبياء الأقدمون.

فالذين آتيناهم الكتاب فعرفوه حق معرفته، ولم يداخلهم حسد وهوى. ﴿ يؤمنون به ﴾ لأنهم تيقنوا صدقه، بما لديهم من الموافقات، ويما عندهم من البشارات، ويما تميزوا به من معرفة الحسن والقبيح، والصدق والكذب.

﴿ومن هؤلاء﴾ الموجودين ﴿مَنْ يؤمن به﴾ إيماناً على بصيرة، لا عن رغبته ولا رهبته. ﴿وما يجحد بآياتنا إلا المحافرون﴾ الذين دأبهم الجحود للحق والعناد له. وهذا حصر لمن كفر به، أنه لا يكون من أحد قصده متابعة الحق،

وإلا ، فكل مَن له قصد صحيح ، فإنه لا بدأن يؤمن به ، لما اشتمل عليه من البينات ، لكل مَنْ له عقل ، أو ألقى السمع وهو شهيد .

وتمايدل على صحته، أنه جاء به هذا النبي الأمين، الذي عرف قومه صدقه وأمانته ومدخله ومخرجه وسائر أحواله، وهو لا يكتب بيده خطأ، ولا يقرأ خطأ مكتوباً، فإتيانه به في هذه الحال، من أظهر البينات القاطعة، التى لا تقبل الارتياب، أنه من عند الله العزيز الحميد، ولهذا قال: ﴿وما كنت تتلو﴾ أي: تقرأ ﴿من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً له لو كنت هذه الحال ﴿لارتاب المبطلون﴾ فقالوا: تعلمه من الكتب السابقة، أو استنسخه منها، فأما وقدنزل على قلبك، كتاباً جليلاً، تحديث به الفصحاء والبلغاء، الأعداء الألداء، أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله، فعجزوا غاية العجز، بل ولا حدثتهم أنفسهم بالمعارضة، لعلمهم ببلاغته وفصاحته، وأن كلام أحد من البشر، لا يبلغ أن يكون بجارياً له أو على منواله، ولهذا قال:

﴿٤٩٤ ﴿ وَبِلْ هُو آيات بِينَات فَي صَدُور الذِّينَ أُوتُوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون ﴾.

أي: ﴿بل﴾ هذا القرآن ﴿آيات بينات ﴾ لا خفيات، ﴿في صدور الذين أوتوا العلم ﴾ وهم سادة الخلق، وعقلاؤهم، وأولو الألباب منهم، والكمل منهم.

فإذا كان آيات بينات في صدور أمثال هؤلاء، كانوا حجة على غيرهم، وإنكار غيرهم لا يضر، ولا يكون ذلك إلا ظلما، ولهذا قال: ﴿وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون لا يجدها إلا جاهل تكلم بغير علم، ولم يقتد بأهل العلم، وهو متمكن من عرف أنه حق فعانده، وعرف صدقه فخالفه.

﴿ ٥ - ٢٥ ﴾ ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين \* أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون \* قلُّ كفي بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والأرضُ والذين آمنواً بالباطل وكفروا بالله أولشك هم الخاسرون، أي: واعترض هؤلاء الظالمون المكذبون للرسول ولما جاء به، واقترحوا عليه نزول آيات عينوها، كقولهم: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ﴾ الآيات. فتعيين الآيات ليس عندهم، ولا عند الرسول على الله على ذلك تدبيراً مع الله، وأنبه لبوكيان كبذليك، وينبغي (١) أن يكون كذلك، وليس لأحد من الأمر شيء. ولهذا قال: ﴿قُلُ إِنْمَا الْآيَاتُ عَنْدُ اللَّهُ إِنْ شَاءً أنزلها أو منعها ﴿وإنما أنا نذير مبين﴾ وليس لي مرتبة فوق هذه المرتبة.

وإذا كان القصد بيان الحق من الباطل، فإذا حصل المقصود - بأي: طريق - كان اقتراح الآيات المعينات على ذلك ظلماً وجوراً، وتكبراً على الله وعلى الحق.

بل لو قدر أن تنزل تلك الآيات، ويكون في قلوبهم أنهم لا يؤمنون بالحق إلا بها، كان ذلك ليس بإيمان، وإنما ذلك شيء وافق أهواءهم، فآمنوا، لا لأنه حق، بل لتلك الآيات.

فأي: فائدة حصلت في إنزالها على التقدير الفرضي؟

ولما كان المقصود بيان الحق، ذكر تعالى طريقه، فقال: ﴿ أُولُم يَكْفِهُم ﴾ في علمهم بصدقك وصدق ما جئت به ﴿ أَنَّا أَنْزِلْنَا عليك الكتاب يتلى عليهم ﴾ وهذا كلام مختصر جامع، فيه من الآيات السبينات، والسدلالات الباهرات، شيء كثير، فإنه كما تقدم إتيان الرسول به بمجرده وهو أمي، من أكبر الآيات على صدقه.

ثم عجزهم عن معارضته، وتحديه إياهم (١٦)، آية أخرى، ثم ظهوره، وبروزه جهراً علانية، يتلى عليهم، ويقال: هو من عند الله، قد أظهره الرسول، وهو في وقت قل فيه أنصاره، وكثر مخالفُوه وأعداؤه، فلم يخفه، ولم يثن ذلك عزمه، بل صرح به على رؤوس الأشهاد، ونادى به بين الحاضر والباد، بأن هذا كلام ربي، فهل أحد يقدر على معارضته، أو ينطق بمباراته أو يستطيع مجاراته؟ .

ثم إخباره عن قصص الأولين، وأنباء السابقين(٢)، والغيوب المتقدمة والمتأخرة، مع مطابقته للواقع.

ثم هيمنته على الكتب المتقدمة، وتصحيحه للصحيح، ونَفْيُ ما أدخل فيها من التحريف والتبديل، ثم هدايته لسواء السبيل، في أمره ونهيه، فما أمر بشيء فقال العقل «ليته لم يأمر به»، ولا نهى عن شيء فقال العقل: «ليته لم ينه عنه، بل هو مطابق للعدل والميزان، والحكمة المعقولة لذوي البصائر والعقول [ثم مسايرة إرشاداته وهدايته وأحكامه لكل حال وكل زمان بحيث لا تصلح الأمور إلا به] (٣).

فجميع ذلك يكفى من أراد تصديق الحق، وعمل على طلب الحق، فلا كفي الله مين لم يكف القرآن، ولا شفى الله مَنْ لم يشفه الفرقان، ومَنْ اهتدي به واكتفى، فإنه خير له (٤)، فلذلك قال: ﴿إِنْ فِي ذَلْكُ لرحمة وذكري لقوم يؤمنون ﴾ وذلك لما يحصلون فيه من العلم الكثير، والخير الغزير، وتزكية القلوب والأرواح، وتطهير العقائد، وتكميل الأخلاق، والفتوحات الإلهية، والأسرار الربانية .

﴿قُلْ كُفِي بِاللهِ بِينِي وبِينِكِم شهيداً فأنا قد استشهدته، فإن كنت كاذباً، أَحَلُّ بي ما به تعتبرون، وإن كان إنما يؤيدني وينصرني وييسر لي الأمور،

فلتكفِكم هذه الشهادة الجليلة من الله، فإن وقع في قلوبكم أن شهادته \_ وأنتم لم تسمعوه ولم تروه ـ لا تكفي دليلاً، فإنه ﴿يعلم ما في السماوات والأرض، ومن جملة معلوماته حالي وحالكِم، ومقالي لكم (٥) فلو كنتُ متقولاً عليه، مع علمه بذلك، وقدرته على عقوبتي، لكان [قدحاً في علمه وقدرته وحكمته] كما قال تعالى: ﴿ولو تقوَّل علينا بعض الأقاويل \* لأخذنا منه باليمين \* ثم لقطعنا منه الوتين﴾.

﴿ وَالَّذِينَ آمِنُوا بِالْبِاطِلِ وَكُفِّرُوا بِاللَّهِ أولىئك هم الخاسرون، حيث هم خسروا الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وحيث فاتهم النعيم المقيم، وحيث حصل لهم في مقابلة الحق الصحيح كل باطل قبيح، وفي مقابلة النعيم كل عذاب أليه، فخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة .

﴿٥٣ \_ ٥٥﴾ ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العلااب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون \* يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين \* يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم وينقول ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ يخبر تعالى عن جهل المكذبين للرسول وما جاء به، وأنهم يقولون ــ استعجالاً للعذاب، وزيادة تكذيب \_ ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾؟

يقول تعالى: ﴿ولولا أجل مسمى﴾ مضروب لنزوله، ولم يأت بعد، ﴿ لِحَاَّءَهُمُ العذابُ ﴾ بسبب تعجيزهم لنا وتكذيبهم الحق، فلو آخذناهم بجهلهم، لكان كلامهم أسرع لبلائهم وعقوبتهم، ولكن ـمع ذلك ـ فلا يستبطئون<sup>(١)</sup> نزوله، فإنه سيأتيهم ﴿بغتة وهم لا يشعرون﴾ . فوقع كما أخبر الله تعالى، لما قدمواك «بدر» بطرين مفاخرين، ظانين أنهم قادرون

على مقصودهم، فأهانهم (٧) الله، وقتل كبارهم، واستوعب جملة أشرارهم، ولم يبق فيهم بيت إلا أصابته تلك المصيبة، فأتاهم العذاب من حيث لم يحتسبوا، ونزل بهم وهم لا يشعرون. هذا، وإن لم ينزل عليهم العذاب الدنيوي، فإن أمامهم العذاب الأخروي، الذي لا يخلص منهم أحد منه، سواء عوجل بعذاب الدنيا أو

﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ ليس لهم عنها معدل ولا متصرف، قد أحاطت بهم من كل جانب، كما أحاطت بهم ذنوبهم وسيشاتهم وكفرهم، وذلك العذاب، هو العذاب الشديد .

﴿ يُوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ فإن أعمالكم انقلبت عليكم عذاباً، وشملكم العذاب كما شملكم الكفر والذنوب.

﴿٥٦ - ٥٩﴾ ﴿يا عبادي اللذيسن آسنوا إن أرضى واسعة فإيساى فاعبدون \* كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون \* والذين آمنوا وعملواً الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين \* الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) يقول تعالى: ﴿يا عبادي الذين آمنوا﴾ بي وصدقوا رسولي ﴿إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون ﴿ فإذا تعذرت عليكم عبادة ربكم في أرض، فارتحلوا منها إلى أرض أخرى، حيث كانت العبادة لله وحده، فأماكن العبادة ومواضعها، واسعة، والمعبود واحد، والموت لا بدأن ينزل بكم ثم ترجعون إلى ربكم، فيجازي مَنْ أحسن عبادته وجمع بين الإيمان والعمل الصالح بإنزآله الغرف العالية، والمنازل الأنيقّة الجامعة لما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وأنتم فيها خالدون.

في النسختين: فأحانهم، ولعلها كا

أثبت والله أعلم.

**(Y)** 

في ب: فإنه رحمة له وخير. (٤)

كذا في ب، وفي أ: ومقالكم. (0)

كذا في ب، وفي أ: يستعجلون.

في ب: وتحديهم إياه. (1) في ب: السالفين.

زیادة من هامش: ب. (٣)

<sup>(7)</sup> 

ف ﴿نعم﴾ تلك المنازل، في جنات النعيم ﴿أجر العاملين﴾ لله، ﴿الذين صبروا﴾ على عبادة الله ﴿وعلى ربهم على عبادة الله، يقتضي بذل الجهد والطاقة في ذلك، والمحاربة العظيمة للشيطان، الذي يدعوهم إلى الإخلال بشيء من ذلك.

وتوكلهم، يقتضي شدة اعتمادهم على الله، وحسن ظنهم به، أن يحقق ما عزموا عليه من الأعمال ويكملها، ونص على التوكل، وإن كان داخلاً في الصبر، لأنه يحتاج إليه في كل فعل وترك مأمور به، ولا يتم إلا به.

﴿٦٠﴾ ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾ أي: الباري تبارك وتعالى، قد وعاجزهم، فكم ﴿من دابة﴾ في الأرض، ضعيفة القوى، ضعيفة السعة لل رزقها ولا تدخره، بل لم تزل، لا شيء معها الرزق، في كل وقت بوقته.

﴿الله يرزقها وإياكم﴾ فكلكم عيال الله القائم برزقكم ، كما قام بخلقكم وتدبيركم ، ﴿وهو السميع العليم﴾ فلا يخفى عليه خافية ، ولا تهلك دابة من عدم الرزق بسبب أنها خافية عليه .

كما قال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مين ﴾.

﴿ ٦١ ـ ٦٣ ﴾ ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون \* الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم \* ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد

موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون المقدا استدلال على المسركين المكذبين بتوحيد الإلهية توحيد الربوبية، فأنت لو سألتهم مَن تحلق السماوات والأرض، ومَن نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، ومَنْ بيده تدبير جميع الأشياء؟ بعجز الأوثان ومن عبدوه مع الله على بعجز الأوثان ومن عبدوه مع الله على شيء من ذلك.

فاعجب لإفكهم وكذبهم، وعدولهم إلى مَنْ أقروا بعجزه، وأنه لا يستحق أن يدبر شيئاً، وسَجُلْ عليهم بعدم العقل، وأنهم السفهاء، ضعفاء الأحلام، فهل تجد أضعف عقلاً، وأقل بصيرة، ممن أتى إلى حجر، أو قبر ونحوه، وهو يدري أنه لا يسنفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يسزق، ثم صرف له خالص الإخلاص، وصافي العبودية، وأشركه مع الرب، الخالق الرازق، النافع الضار.

وقل: الحمد لله الذي بين الهدى من الضلال، وأوضح بطلان ما عليه المشركون، ليحذره الموفقون.

وقل: الحمد لله، الذي خلق العالم العلوي والسفلي، وقام بتدبيرهم ورزقهم، وبسط الرزق على مَنْ يشاء، وضيقه على من يشاء، حكمة منه، ولعلمه بما يصلح عباده وما ينبغي

' ( ٢٤ - ٢٩ ﴿ وما هـذه الحياة اللنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون \* فإذا ركبوا في الفلك دعوا لله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يسركون \* ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون \* أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون \* ومن أظلم ممن افترى على

الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين \* والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين عنر تعالى عن حالة الدنيا والآخرة، وفي ضمن ذلك، التزهيد في الدنيا والتشويق للأخرى، فقال: ﴿وَما هذه الحياة الدنيا﴾ في الحقيقة ﴿إِلاَّ لِهُو وَلِعِبِ لَهُ تِلْهُو بِهِا ٱلقَلُوبِ، وتلعب بها الأبدان، بسبب ما جعل الله فيها من الزينة واللذات، والشهوات الخالبة للقلوب المعرضة، الباهجة للعيون الغافلة، المفرحة للنفوس المبطلة الباطلة، ثم تزول سريعاً، وتنقضى جميعاً، ولم يحصل منها محبها إلاعلى الندم وألحسرة والحسران.

وأما الدار الآخرة، فإنها دار والحيوان أي: الحياة الكاملة، التي من لوازمها، أن تكون أبدان أهلها في غاية القوة، وقواهم في غاية الشدة، لأنها أبدان وقوى خلقت للحياة، وأن يكون موجوداً فيها كل ما تكمل به الحياة، وتتم به اللذات، من مفرحات المقلوب، وشهوات الأبدان، من المآكل، والمشارب، والمناكح، وغير ذلك، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خط على قلب بشر.

﴿لُو كانوا يعلمون﴾ لما آثروا الدنيا على الآخرة، ولو كانوا يعقلون لما رغبوا عن دار الحيوان، ورغبوا في دار اللهو واللعب، فدل ذلك على أن الذين يعلمون، لا بدأن يؤثروا الآخرة على الدنيا، لما يعلمونه من حالة الدارين.

ئسم ألسزم تسعسالى المسسركسين بإخلاصهم لله تعالى، في حالة (١) الشدة، عند ركوب البحر وتلاطم أمواجه وخوفهم الهلاك، يتركون إذا أندادهم، ويخلصون الدعاء لله وحده ونجى (١) مَنْ أخلصوا له الدعاء إلى البر، أشركوا به من لا نجاهم من شدة، ولا أزال (٢) عنهم مشقة.

فهلا أخلصوا لله الدعاء في حال

<sup>(</sup>٣) كذا في ب، وفي أ: زال.

٢) كذا في ب، وفي أ: نجاهم.

وَيَسْتَعْمِلُونَكَ بِٱلْحَدَابِ وَلَوْلَا أَجَلُّ مُّسَحَى لَجَاتَهُمُ ٱلْحَدَابُ وَلَيَ أَيْنَا هُرِهَ نُمَّاةً وَهُرَلَا يَشْعُرُونَ ۞ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَلَابِ وَإِنَّ جَهَنَّرَ لِحُيْطَةً إِلَّا كُفِرِينَ ۞ يَوْمَ يَغْشَىٰ لَهُمُ ٱلْعَلَاكِ مِن فَوْقِهِ مْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَاكُنتُرْتَعَمَلُونَ يَعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ الْمَثُوا إِنَّ أَرْضِي وَلِيعَةٌ فَإِنَّلَى قَاعَبُدُونِ كُلُّ مَفْسٍ ذَا بِقَةُ ٱلْمُؤَتِّ ثُمُّ إِلَيْنَا أَتُحَعُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَيلُوا الصَّالِحَتِ لَنُبَوْمَنَةَهُ مِينَ ٱلْجُنَّةِ عُمَا أَجْرِي مِن غَيِّهِ كَا الْأَنْهُ رُخَلِدِينَ فِيمَأْفِقَدَ أَجُ وُلَأَعْلِمِينَ ۞ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِ مُ يَتُوكَ لُونَ ۞ وَكُلِّين مِن دَاَّجُةِ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمُّ وَهُوَ ٱلسَّيْمِيعُ ٱلْعَلِيمُ۞ وَلَمِن سَأَلَتُهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّكَوٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَيَسَخَّرَا لَشَّعْسَ وَالْفَسَرَ لَعُولُنَّ اللَّهُ قَالَنَا يُؤْفِكُونَ ۞ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُمنَ الله عِبَادِهِ وَيَقَدُّرُلَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِ آنَى، عَلِيدُ ﴿ وَلَهِ سَأَلْتُهُمُ مِّن تَزَلَينِ ٱلسَّكَةِ مَآءَ فَأَحْيَا بِوَٱلْأَرْضَ مِنْ تَعْدِ مَوْقِهَا إِلَّا لِتَعُولُ اللَّهُ عُلِي الْعَنْدُولَةُ بَلْ أَكْثَرُ ثُولًا يَتْعَلَّونَ ۞

ON STATE OF STATE OF فظهر الفرس على الروم، فغلبوهم غلباً لم يحط بملكهم، بل بأدنى أرضهم، ففرح بذلك مشركو مكة، وحزن المسلمون، فأخبرهم الله ووعدهم (١) أن الروم ستغلب الفرس.

﴿ فِي بضع سنين ﴾ تسع، أو ثمان، ﴿١ - ٧﴾ ﴿بــــم الله السرحمين ونحو ذلك، تما لا يزيد على العشر، ولا ينقص عن الثلاث، وأن غلبة الفرس للروم، ثم غلبة الروم للفرس، كل ذلك بمشيئته وقدره، ولهذا قال: ﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد ﴿ فليس الغلبة والنصر لمجرد وجود الأسباب، وإنما هي لا بدأن يقترن بها القضاء والقدر .

﴿ويومئذ﴾أي: يوم يغلب الروم الفرس ويقهرونهم ويفرح المؤمنون بنصر الله ينصر مَنْ يشاء ﴾أي: يفرحون بانتصارهم على الفرس، وإن كان الجميع كفاراً، ولكن بعض الشر أهون من بعض، ويحزن يومئذ المشركون.

﴿وهو العزيزِ الذي له العزة التي قهر بها الخلائق أجمعين، يؤتي الملك مَنْ يشاء، وينزع الملك تمِّن يشاء ويعز مَنْ يشاء ويذل مَنْ يشاء. ﴿الرحيم﴾ بعباده المؤمنين، حيث قيض لهم من الأسباب التي تسعدهم وتنصرهم، ما والنصر والهداية. دل هذا، على أن أحرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد، وعلى أن من أحسن فيما أمر به أعانه الله ويسرله أسباب الهداية، وعلى أن مَنْ جد واجتهد في طلب العلم الشرعي، فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية، خارجة عن مدرك اجتهاده، وتيسر له أمر العلم، فإن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نَوْعَي الجهاد، الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق، وهو الجهاد بالقول واللسان، للكفار والمنافقين، والجهاد على تعليم أمور الدين، وعلى رد نزاع المخالفين للحق، ولو كانوا من المسلمين.

> تم تفسير سورة العنكبوت بحمدالله وعونه

## تفسير سورة الروم وهي مكية

الرحيم الم \* غلبت الروم \* في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون \* في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون \* بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم \* وعدالله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون \* يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون كانت الفرس والروم في ذلك الوقت من أقوى دول الأرض، وكنان يكون بينهما من الحروب والقتال، ما يكون بين الدول المتوازنة.

وكانت الفرس مشركين يعبدون النار، وكانت الروم أهل كتاب ينتسبون إلى التوراة والإنجيل، وهم أقرب إلى المسلمين من الفرس، فكان المؤمنون يحبون غلبتهم وظهورهم على الفرس، وكان المشركون - الاشتراكهم والفرس في الشرك \_ يحبون ظهور

الرخاء والشدة، واليسر والعسر، ليكونوا مؤمنين به حقاً، مستحقين ثوابه، مندفعاً عنهم عقابه.

ولكن شركهم هذا بعد نعمتنا عليهم، بالنجاة من البحر، ليكون عاقبته كفر ما آتيناهم، ومقابلة النعمة بالإساءة، وليكملوا تُمتعهم في الدنيا، الذي هو كتمتع الأنعام، ليس لهم همَّ إلا بطونهم وفروجهم.

﴿ فسوف يعلمون ﴾ حين ينتقلون من الدنيا إلى الآخرة، شدة الأسف وأليم العقوبة .

ثم امتنَّ عليهم بحرمه الآمن، وأنهم أهله في أمن وسعة ورزق، والناس من حولهم يتخطفون ويخافون، أفلا يعبدون الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.

﴿أَفْبَالْبَاطُلُ يَوْمُنُونَ﴾وهو ما هم عليه من الشرك، والأقوال، والأفعال الباطلة. ﴿وبنعمة اللهُهم ﴿يكفرون ﴿فأين ذهبت عقولهم، وانسلخت أحلامهم حيث آثروا الضلال على الهدى، والباطل على الحق، والشقاء على السعادة، وحيث كانوا أظلم الخلق.

﴿وَمَنْ أَطْلُمُ مِمْنُ افْتُرَى عَلَى اللهُ كذباً ﴿ فنسب ما هو عليه من الضلال والباطل إلى الله، ﴿ أُو كذب بالحق لما جاءه ♦على يد رسوله محمد ﷺ

ولكن هذا الظالم العنيد، أمامه جهنم ﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين ، يؤخذ بها منهم الحق، ويخزون بها، وتكون منزلهم الدائم، الذين لا يخرجون منه.

﴿والذين جاهدوا فينا﴾وهم الذين هاجروا في سبيل الله، وجاهدوا أعداءهم، وبذلوا مجهودهم في اتباع مرضاته، ﴿لنهدينهم سبلنا ﴾أي: الطرق الموصلة إلينا، وذلك لأنهم

﴿وإن الله لَمَ المُحسنين﴾ بالعون الفرس على الروم.

وَمَاهَاذِهِ ٱلْمُيَّوَةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَمَوْ وَلَهِ ثُو قَالَ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَعِي ٱلْمُنْيُوَّانُ أَوْكَافُواْيَعْ أَمُونَ ۞ فَإِذَا رَكِبُواْسِهْ ٱلْفُلُّكِ دَعَوْاُ اللَّهِ تُعْلِمِينِ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَضَافُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِنَاهُمْ يُشْرِكُونَ ۞ لِيَتَّهُذُواْ بِمَا ٓ الْيَنْفَهُمْ وَلِيَتَمَنَّقُواْ مَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ أَوَلَرْيَرُواْ أَنَاجَعَ لَنَاحَ رَمَّاءَ لِمِنَا وَيُنْخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ ثُمَّ أَفِياً لِبُطِلٍ فِيْمِنُونَ وَبِيْعَمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ۞ وَمَنْ أَظَلَمُ مِمَّنِ ٱفْلَرَى عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًّا أَوْكَذَبّ بِٱلْمِيِّ لَمُأْجَلَةُ وُوْ ٱلْيَسَ فِجَهَمَّرْمَنُوكَ لِلْكُفِيدَ ۞ وَالَّذِينَ جَهَدُواْفِكَ لَنَهُدِينَا مُرَسُبُكُنَا وَاذَالَةَ لَعَ ٱلْخُسِينِينَ ۞ مأغفالغنالتخار التره غُلِسَتِ الزُّومُ ۞ فِتأَدُّكَ ٱلأَرْضِ وَعُمْدِ مِنْ بَعَّدِ غَلِيهِ مُرسَكِعَلِوُرَ ۞ فِي مِشْعِ مِسِيْدِ ﴿ مِنْ الْأَمْرُ مِن قِبْلُ وَمِنْ اِبَعْدُ وَيَوْمَهِمْ فِيَقْدَى عَالَمُوْمِ وَمِنْ الْمُؤْمِنُونَ ۞ بِتَصْرِ الله يُنصُرُون يَشَاءُ وَهُوَ الْعَسَنِيرُ ٱلرَّحِيثُ ۞ AND AND THE PROPERTY OF THE PARTY OF THE PAR

﴿وعـد الله لا يخـلـف الله وعـده﴾ فتيقنوا ذلك، واجزموا به، واعلموا أنه لا بد من وقوعه.

لا يدخل في الحساب.

فلما نزلت هذه الآيات، التي فيها هذا الوعد، صدق بها المسلمون، وكفر بها المسلمون، وكفر بها المسلمين بعض المسلمين على مدة سنين عينوها، فلما جاء الأجل، الذي ضربه الله، انتصر الروم على الفرس، وأجلوهم من بلادهم التي أخذوها منهم، وتحقق وعد الله.

وهذا من الأمور الغيبية التي أخبر بها الله قبل وقوعها، ووجدت في زمان من أخبرهم الله بها، من المسلمين لا يعلمون أن ما وعد الله به حق، فلذلك يوجد فريق منهم يكذبون بوعد الله، ويكذبون آياته، وهؤلاء الذين لا يعلمون، أي: لا يعلمون بواطن الأشياء وعواقبها، وإنما فينظرون إلى الأسباب، ويجزمون في رأيهم انعقدت بوقوع الأمر الذي في رأيهم انعقدت

أسباب وجوده، ويتيقنون عدم الأمر الذي لم يشاهدوا له من الأسباب المقتضية لوجوده شيئاً، فهم واقفون مع الأسباب، غير ناظرين إلى مسببها، المتصرف فيها.

﴿وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ قد توجهت قلوبهم وأهواؤهم وإراداتهم إلى الدنيا وشهواتها وحطامها، فعملت لها وسعت، وأقبلت بها وأدبرت، وغفلت عن الآخرة، فلا الجنة تشتاق إليها، ولا النار تخافها وتخشاها، ولا المقام بين يدي الله ولقائه يروعها ويزعجها، وهذا علامة الشقاء، وعنوان الغفلة عن الآخرة.

ومن العجب أن هذا القسم من الناس، قد بلغت بكثير منهم الفطنة والذكاء في ظاهر الدنيا، إلى أمر يحير العقول ويدهش الألباب.

وأظهروا من العجائب الذرية (١) والكهربائية، والمراكب البرية والبحرية والمهوائية، ما فاقوا به وبرزوا، وأعجبوا بعقولهم، ورأوا غيرهم عاجزاً عمّا أقدرهم الله عليه، فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء، وهم مع ذلك، أبلد الناس في أمر دينهم، وأشدهم غفلة عن آخرتهم، وأقلهم معرفة بالعواقب، قد رآهم أهل البصائر النافذة، في جهلهم يتخبطون، وفي ضلالهم يعمهون، وفي باطلهم يتسرددون (١). نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أولئك هم الفاسقون.

ثم (٣) نظروا إلى ما أعطاهم الله وأقدرهم عليه، من الأفكار الدقيقة في الدنيا وظاهرها، و[ما] حرموا من العقل العالى، فعرفوا (٤٠) أن الأمر لله، والحكم له في عباده، وإن هو إلا توفيقه وخذ لانه، فخافوا (٥) ربهم وسألوه أن يتم لهم ما وهبهم، من نور العقول والإيمان، حتى يصلوا إليه،

ويحلوا بساحته [وهذه الأمور لو قارنها الإيمان وبنيت عليه لأثمرت الرقي العالي، والحياة الطيبة، ولكنّها لما بني كثير، منها على الإلحاد لم تثمر إلا هبوط الأخلاق وأسباب الفناء والتدمير](1).

﴿٨ ــ ١٠﴾ ﴿أولم يستفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون \* أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشدمنهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثرتما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون \* ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون﴾ أي: أفلم يتفكر هؤلاء المكذبون لرسل الله ولقائه ﴿ في أنفسهم فإن في أنفسهم آيات يعرفون (٧) بها، أن الذي أوجدهم من العدم، سيعيدهم بعد ذلك، وأن الذي نقلهم أطواراً من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى آدمي، قد نفخ فيه الروح، إلى طفل، إلى شباب، إلى شيخ، إلى هرم، غير لائق أن يتركهم سدى مهملين، لا ينهون ولا يؤمرون، ولا يثابون ولا يعاقبون.

﴿ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق [أي] ليبلوكم أيكم أحسن عملاً. ﴿وأجل مسمى ﴾ أي: مؤقت بقاؤهما إلى أجل تنقضي به الدنيا، وتجيء به القيامة، وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات.

﴿وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون وفلذلك لم يستعدوا للقائه، ولم يصدقوا رسله التي أخبرت به، وهذا الكفر عن غير دليل، بل الأدلة القاطعة، قد دلت على البعث والجزاء،

- (٤) في ب: عدلت إلى: لعرفوا.
  - (٥) في ب: عدلت إلى ولخافوا.
  - (٦) زيادة من هامش ب، لم يتضح أولها وقد نقلته من طبعة السلفية.

(٧) كذا في ب، وفي أ: يعرف.

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ: النارية.

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: يتردون.

<sup>(</sup>٣) هكذا في النسختين، وقد شطبت الكلمة في ب، وجعل بدلها (ولو).

ويردون القيامة عياناً، يومئذ ﴿يبلس المجرمون﴾ أي: ييأسون من كل خير. وذلك أنهم ما قدموا لذلك اليوم إلا إجرام، وهي الذنوب، من كفر وشرك ومعاصي، فلما قدموا أسباب العقاب، ولم يخلطوها بشيء من أسباب الشواب، أيسوا وأبلسوا وأفلسوا، فرضل عنهم ما كانوا يفترونه، من نفع شركاتهم، وأنهم يشفعون لهم، ولهذا قال: ﴿ولم يكن لهم من شركائهم﴾ بشركائهم كافرين﴾ تبرأ المشركون عن بشركائهم ما الله، وتبرأ المعبودون، وقالوا: ﴿تبرأنا إليك ما كانوا إيانا وقالوا؛ ﴿والتعنوا وابتعدوا، وفي ذلك يعبدون﴾ والتعنوا وابتعدوا، وفي ذلك

﴿ فاما الذين آمنوا وعملوا المسالحات آمنوا بقلوبهم، وصدقوا ذلك بالأعمال الصالحة ﴿ فهم في روضة في نيها سائر أنواع النبات وأصناف المشتهيات، ﴿ يمبرون أي: يسرون، وينعمون بالمآكل اللذيذة، والحور الحسان، والخدم، والروائح المشجي، والمناظر العجيبة، والمروائح الطيبات، والمرور، عا لا يقدر أحد أن

اليوم يفترق أهل الخير والشر، كما

افترقت أعمالهم في الدنيا.

(17) ﴿ وأما الله من كفروا﴾ وجحدوا نعمه، وقابلوها بالكفر وححدوا نعمه، وقابلوها بالكفر رسلنا ﴿ وَكَلْبُوا بِآياتنا ﴾ التي جاءتهم بها فيه، قد أحاطت بهم جهنم من جميع جهاتهم، واطّلع العذاب الأليم على أفتدتهم، وشوى الحميم وجوههم وقطع أمعاءهم، فأين الفرق بين المنعمين والمعذبين؟!!

﴿١٧ \_ ١٩﴾ ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون \* وله الحمد

وَعْدَاللَّهُ لَا يُغْلِفُ اللَّهُ وَعْدَمُولَكِكَ ٓ أَكُثَرَالنَّاسِ لَامْعَلَهُ نَ ۞ يَعْلَمُونَ ظَلِهِ رَامِنَ ٱلْحَيَّوَةِ ٱلدُّنْيَ الْحَفْرَعَنِ ٱلْآخِسَرَةِ هُمُدُ غَلِفِلُونَ ۞ أَوَلَهُ يَنَفَكَّرُواْ فِيَأَنفُسِهُمِّ مَاخَلَقَ اللَّهُ ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَالِينَنَهُ مَا إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلِ مُسَمِّقٌ وَإِنَّ حَيْيُرًا مِّنَ النَّايِرِيلِقِيَّا يَ رَبِيْهِ مُلْكَفِّرُونَ ۞ أَوَلَرْ يَسِيرُولُفِ ٱلْأَرْضِ فَنَظُرُوا كَيْفَكَانَ عَلِقِهَ ٱلَّذِينَ مِن قَبِلِهِ مُرَّا ثُوَّا أَثُلَّةً مِنْهُدْ قُوَّةً وَأَنْارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَرُوهَا أَحْثَرُوهَا وَجَآةَتُهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبِيَنَاتُ فَأَكَانَ ٱللَّهُ لِظَلِيَعُمْ وَلَكِنَ كَافُواْ أَنفُسَكُمْ يَظْلِينُونَ ۞ ثُرَّكَانَ عَلَقِيمَةَ ٱلَّذِينَ أَسَنَعُواْ ٱلسُّواٰيَّيَ أَنْ كَنَّهُ إِنَّايْتِ اللَّهِ وَكَانُواْبِهَا يَسْتَهْنِهُ وَنَ ۞ اللَّهُ يَبْدَوُا ٱغْلُقَ ثُرِيفِيدُ مُثَرِّا لِيَونَّ يَحُون ۞ وَيَوْمَ نَعُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِدُ أَلْجُرُمُونَ ۞ وَلَرْيَكُن لَمْرُمِّن مُرَكَآيِهِمْ شُفَعَّتُوْاً وَكَافُا بِشُرَكَآبِهِ مُركَعِيْنِ ۞ وَيَعْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَهِ ذِيَّتَغَرَّقُونَ ۞ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ، اسْوُا الله وعَيمُوا الصَّالِحَتِ فَهُمْ فِي رَفْضَ وَيُعْتَرُونَ ۞ DEEDE ... EDREED

ني السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون \* يخرج الحي من الميت ويخرج المي من الميت ويخرج الميت من الحيث من الحيث من الحيث عن الخرجون \* هذا إخبار عن تنزهه عن السوء والنقص، وتقدسه عن أن يماثله أحد من الحلق، وأمر للعباد أن يستحوه حين يمسون وحين يصبحون، ووقت الظهيرة.

فهذه الأوقات الخمسة، أوقات الصلوات الخمس، أمر الله عباده بالتسبيح فيها والحمد، ويدخل في ذلك، الواجب منه، كالمشتملة عليه الصلوات الخمس، والمستحب، كأذكار الصباح والمساء وأدبار الصلوات، وما يقترن بها من النوافل، لأن هذه الأوقات التي اختارها الله [لأوقات المفروضات هي] أفضل من غيرها [فالتسبيح والتحميد فيها والعبادة فيها أفضل من غيرها](١) بل العبادة، وإن لم تشتمل على قول «سبحان الله» فإن الإخلاص فيها تنزيه لله بالفعل، أن يكون له شريك في العبادة، أو أن يستحق أحد من الخلق ما يستحقه من الإخلاص والإنابة.

﴿يُحْرِجِ الحي من الميت﴾ كما يخرج

ولهذا نبههم على السير في الأرض، والنظر في عاقبة الذين كذبوا رسلهم وخالفوا أمرهم، عمن هم أشد من هؤلاء قوة، وأكثر آثاراً في الأرض، من بناء قصور ومصانع، ومن غرس أشجار، ومن زرع وإجراء أنهار، فلم تغن عنهم قوتهم، ولا نفعتهم آثارهم، بالبينات الدالات على الحق، وصحة ما جاؤرهم به، فإنهم حين ينظرون في بالبينات الدالات على الحق، وصحة ما آثار أولئك، لم يجدوا إلا أعماً بائدة، وخلقاً مهلكين، ومنازل بعدهم وحشة، وذم من الخلق عليهم متتابع. وهذا جزاء معجل، نموذج للجزاء ومبتداً له.

وكل هنده الأمنم المهلكة، لم يظلمهم الله بذلك الإهلاك، وإنما ظلموا أنفسهم، وتسببوا في هلاكها.

﴿ ثُمْ كَانَ عَاقَبَةَ النَّيْسَ أَسَاؤُوا السوأى ﴾ أي: الحالة السيئة الشنيعة، وصار ذلك داعياً لهم لأن ﴿ كَذْبُوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون ﴾ فهذا عقوبة لسوئهم وذنوبهم.

ثم ذلك الاستهزاء والتكذيب، يكون سبباً لأعظم العقوبات وأعضل المثلات.

﴿ ١١ - ١٦ ﴾ ﴿ الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون \* ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون \* ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين \* ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون \* فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يجبرون \* وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب بحضرون بخبر تعالى أنه المتفرد بإبداء المخلوقات، ثم يعيدهم، ثم إليه يرجعون بعد إعادتهم، ليجازيهم بأعمالهم، ولهذا ذكر جزاء أهل الشر، شم جزاء أهل الخير، فقال: ﴿ ويوم تقوم الساعة ﴾ الخير، فقال: ﴿ ويوم تقوم الساعة ﴾ أي : يقوم الساعة ﴾

では、 وَأَمَّا الَّذِيرَ كَفَرُوا وَكَ ذَبُوا بِنَايَتِنَا وَلِقَابَهَا ٱلْآخِزَ وَفَأُولَا إِنَّا فِ ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُون ﴿ فَمُنْبَحَنَّ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصَيِحُونَ ۞ وَلَهُ ٱلْحَكَدُ فِي ٱلسَّكَوْتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَيْشِيًّا وَحِينَ تُطْهِرُونَ ﴿ يُخْرِجُ ٱلْخِنَّ مِنَ الْمُنِّ وَيُخْرِجُ الْمُنَّتَ مِنَ الْمَيِّ وَيُحِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَالِكَ تَخْرَجُوكَ ۞ وَمِنْ مَالِيهِ مِنْ مَلَالِمِ ثُمَّالِ ثُمَّالِمَا أَلَمْ بَشَرُتَمَشِرُونَ ﴿ وَمِنْ مَالِيهِ مِنْ الْمُشْرِكِ مُؤْلِنَا اللهِ مِنْ الْمُشْرِكِمُ وَالْوَيْمَا اللهِ مَا أَنْ مَلَّالِ اللهِ مِنْ الْمُشْرِكِمُ وَأَنْفِهَا اللهِ مَا اللهِ مَاللهِ مَا اللهِ مَا اللهُ مَا اللهِ مَا اللهُ مَا اللهُ مَا اللهِ مَا اللهِ مَا اللهِ مَا اللهُواللهِ مَا اللهُ مَا اللهُ مَا اللهِ مَا اللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ مِنْ اللهِ مَا اللهُ مَا اللهُ مَا اللهِ مَا اللهُ مَا اللّهُ مَا ا لِتَسْتُ مُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مُودَةً وَرَهُمَةً إِنَّ فِي اللَّهِ ذَلِكَ لَآيَنَتِ لِفَوْمِ يَنْفَكَ رُورِتَ ﴿ وَمِنْ مَالِيُومِنَانُ ﴿ اللَّهِ مَالَا لَهِ مَا لَا لِمُعَلَّمُ اللَّهِ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّالْمُواللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِلْمُ اللَّهُ مِنْ مِنْ اللَّهُ مِلْمُواللَّمُ مِلْمُعُلِّ فِ ذَالِكَ لَآيَنَتِ لِلْمَكِلِينَ ۞ وَمِنْ ءَايَنِيْمِتَنَا مُكُرِبِاً لَيْنِلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْبَعْنَآ فُكُم مِّن فَضْلِلْهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ٱلْآيَلَتِ لِّقَوْمِرِيَسْمَعُونَ ۞ وَمِنْ ءَايَنْدِهِ رُبِيكُمُ ٱلْمَرْفَ خَوْفًا وَطَلَمُهُا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَآءِ مَآءَ فَيَحْيِ مِيواً لأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا أَلِكَ فِي ذَلِكَ لَآلِكَ لَآلِكَ لِلْكَ وَلَيْتِ لِقَوْمِ يَعْمَقِلُونَ ۞ ADDOOR IN ECTIVED

النبات من الأرض الميتة، والسنبلة من الحبة، والشجرة من النواة، والفرخ من البيضة، والمؤمن من الكافر، ونحو ذلك.

﴿ويخرج الميت من الحي﴾ بعكس المذكور ﴿ويحيي الأرض بعد موتها﴾ فينزل عليها المطر وهي ميتة هامدة، فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ﴿وكذلك تخرجون﴾ من قبوركم.

فهذا دليل قاطع، وبرهان ساطع، أن الذي أحيا الأرض بعد موتها، فإنه يحيي الأموات، فلا فرق في نظر العقل بين الأمرين، ولا موجب لاستبعاد أحدهما مع مشاهدة الآخر.

﴿٢٠ ـ ٢٠﴾ ﴿ومسن آيسات، أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون \* ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون \* هذا شروع في تعداد آياته الدالة على انفراده بالإلهية ، وكمال

عظمته، ونفوذ مشيئته، وقوة اقتداره، وجيل صنعه، وسعة رحمته وإحسانه، فقال: ﴿وَمِن آياته أن خلقكم من تراب﴾ وذلك بخلق أصل النسل، آدم عليه السلام، ﴿ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ [أي: الذي خلقكم من أصل واحد ومادة واحدة](١) وبثكم في أقطار الأرض [وأرجائها ففي ذلك آيات على أن الذي أنشأكم من هذا الأصل وبثكم في أقطار الأرض](١) هو الرب المعبود، الملك المحمود، والرحيم الودود، الذي سيعيدكم بالبعث بعد الموت.

﴿ ومن آیاته ﴾ الدالة على رحمته وعنایته بعباده، وحكمته العظیمة، وعلمه المحیط، ﴿ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِن أَنْ فَسَكُم أَزُواجاً ﴾ تساسبكم وتناسبونهن، وتشاكلكم وتشاكلونهن، ﴿ لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ بما رتب على الزواج من الأسباب الجالبة للمودة والرحمة.

فحصل بالزوجة الاستمتاع واللذة، والمنفعة بوجود الأولاد وتربيتهم، والسكون إليها، فلا تجد بين أحد في الغالب، مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة، ﴿إِن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ يُعمِلون أفكارهم، ويتدبرون آيات الله، وينتقلون من شيء إلى شيء.

﴿٢٢﴾ ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين والقالمون: هم أهل العلم، الذين يفهمون العبر، ويتدبرون الآيات. والآيات في ذلك كثيرة: فمن آياتٍ خلق السماوات والأرض وما فيهما، أنَّ ذلك دال على عظمة سلطان الله وكمال اقتداره، الذي أوجد هذه المخلوقات العظيمة،

وكمال حكمته، لما فيها من الإتقان، وسعة علمه، لأن الخالق لا بد أن يعلم ما خلقه ﴿ ألا يعلم مَن خلق﴾ وعموم رحمته وفضله، لما في ذلك من المنافع الجليلة، وأنه المريد، الذي يختار ما والمزايا، وأنه وحده، الذي يستحق أن يعبد ويوحد، لأنه المنفرد بالخلق، فيجب أن يفرد بالعبادة، فكل هذه أدلة عقلية، نبه الله العقول إليها، وأمرها بالتفكر واستخراج العبرة منها.

﴿و﴾ كذلك في ﴿اختلاف ألستكم وألوائكم ﴾ على كثرتكم وتباينكم مع أن الأصل واحد، وخارج الحروف واحدة، ومع ذلك لا تجد صوتين متفقين من كل وجه، ولا لونين متشابهين من كل وجه، إلا وتجد من الفرق بين ذلك ما به يحصل التمييز.

وهذا دال على كمال قدرته، ونفوذ مشيئته.

و[من]<sup>(۳)</sup> عنايته بعباده ورحمته بهم، أن قدر ذلك الاختلاف، لثلا يقع التشابه فيحصل الاضطراب، ويفوت كثير من المقاصد والمطالب.

﴿٣٣﴾ ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لايات لقوم يسمعون أي: سماع تدبر وتعقل للمعاني والآيات في ذلك. إن ذلك دليل على رحمة الله تعالى،

إن ذلك دليل على رحمة الله تعالى، كما قال: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ وعلى تمام حكمته، إذ حكمته اقتضت سكون الخلق في وقت، ليستريحوا به (١٠٠٠) ويستجموا (١٠٠٠) والدنيوية، ولا يتم ذلك إلا بتعاقب الليل والنهار عليهم، والمنفرد بذلك، هو المستحق للعبادة.

﴿ ٢٤﴾ ﴿ ومن آياته يريكم البرق

<sup>(</sup>١) زيادة بخط المؤلف من هامش أ.

<sup>(</sup>٢) زيادة من ب.

<sup>(</sup>٣) زيادة يقتضيها السياق.

<sup>(</sup>٤) زيادة من أ.

<sup>(</sup>٥) الكلمة غير واضحة في النسختين وكأنها (ويجموا) وقد زيد عليها في نسخة ب حرفان فصارت يستجموا.

خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ أي: ومن أياته، أن ينزل عليكم المطر، الذي تحيابه البلاد والعباد، ويريكم قبل نزوله مقدماته، من الرعد والبرق، الذي يَخاف ويُطمع فيه.

﴿إِن فِي ذَلِكَ لآبِاتِ ﴾ [دالة] على عموم إحسانه، وسعة علمه، وكمال إتقانه، وعظيم حكمته، وأنه يحيى الموتى، كما أحياً الأرض بعد موتها.

﴿ لقوم يعقلون ﴾ أي: لهم عقول، تعقل بها ما تسمعه، وتراه وتحفظه، وتستدل به على ما جعل دليلاً عليه.

﴿٢٥ ـ ٢٧﴾ ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تُخرجون \* وله من في السماوات والأرض كل له قانتون \* وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم أي: ومن آياته العظيمة، أن قامت السماوات والأرض واستقرتا، وثبتتا بأمره فلم تتزلزلا، ولم تسقط السماء على الأرض، فقدرته العظيمة، التي بها أمسك السماوات والأرض أن تزولا، يقدر بها أنه إذا دعا الخلق دعوة من الأرض، إذا هم يخرجون ﴿ لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق

﴿وله مَنْ في السماوات والأرض﴾ الكل خلقه وعماليكه، المتصرف فيهم مسن غييس مستسازع ولا مسعساون ولأ معارض، وكلهم قانتون لجلاله، خاضعون لكماله.

﴿ وهُو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو﴾ أي: الإعادة للخلق بعد موتهم ﴿أهون عليه ﴾ من ابتداء خلقهم، وهذا بالنسبة إلى الأذهان والعقول، فإذا كان قادراً على الابتداء الذي تقرون به، كانت (١) قدرته على الإعادة التي أهون أولى وأولى .

يعتبر المعتبرون، ويتذكر المؤمنون ويتبصر المهتدون، ذكر الأمر العظيم والمطلب الكبير، فقال: ﴿وله المثل الأعلى في السماوات والأرض) وهو كل صفة كمال، والكمال من تلك الصفة، والمحية، والإنابة التامة الكاملة في قلوب عباده المخلصين، والذكر الجُّليل، والعبادة منهم. فالمثل الأعلى، هو وصفه الأعلى، وما ترتب عليه.

ولهذا كان أهل العلم يستعملون في حق الباري قياس الأولى، فيقولون: كل صفة كمال في المخلوقات، فخالقها أحق بالاتصاف بها، على وجه لا يشاركه فيها أحد، وكل نقص في المخلوق ينزه عنه، فتنزيه الخالق عنه من

باب أولى وأحرى. ﴿وهو العزيز الحكيم اي: له العزة الكاملة، والحكمة الواسعة، فعزته، أوجد بها المخلوقات وأظهر المأمورات، وحكمته، أتقن سها ما

صنعه وأحسن فيها ما شرعه. (۲۸ ـ ۲۹) وضرب لکم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون \* بل اتّبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم قمن يهدي من أَصْلُ اللهُ وما لهم منَّ ناصرين ﴿ هذا مثل ضربه الله تعالى، لقبح الشرك وتهجينه، مثلاً من أنفسكم، لا يحتاج إلى حل وترحال، وإعمال الجمال.

﴿ هِلَ لَكُم ثما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم أي: هل أحد من عبيدكم وإمائكم الأرقاء يشارككم في رزقكم، وترون أنكم وهم فيه على حدّ سواء .

﴿تخافونهم كخيفتكم أنفسكم أي: كالأحرار الشركاء في الحقيقة، الذين يخاف من قسمه، واختصاص كل شيء بحاله؟

ليس الأمر كذلك، فإنه ليس أحد ولما ذكر من الآيات العظيمة ما به عما ملكت أيمانكم شريكاً لكم فيما

رزقكم الله تعالى.

هذًا، ولستم الذين خلقتموهم ورزقتموهم، وهم أيضاً مماليك مثلكم، فكيف ترضون أن تجعلوا لله شريكاً من خلقه، وتجعلونه بمنزلته، وعديلاً له في العبادة، وأنتم لا ترضون مساوآة مماليككم لكم؟

هذا من أعجب الأشياء، ومن أدل شيء على [سفه](٢) من اتخذ شريكاً مع الله، وأن ما اتخذه باطل مضمحل، ليس مساوياً لله، ولا له من العبادة

﴿كذلك نفصًل الآيات﴾ بتوضيحها بأمثلتها ﴿لقوم يعقلون ﴾ الحقائق ويعرفون، وأما مَنْ لا يعقل، فلو فُصِّلتْ له الآيات، وبيّنت له البينات، لم يكن له عقل يبصر به ما تبين، ولا لُّتُّ يعقل به ما توضح، فأهل العقول والألباب، هم الذين يساق إليهم الكلام، ويوجه الخطاب.

وإذا علم من هذا المثال، أن مَن اتخذ من دون الله شريكاً يعبده ويتوكل عليه في أموره، فإنه ليس معه من الحق شيء، فما الذي أوجب له الإقدام على أمر باطل، توضح له بطلانه وظهر برهانه؟ [لقد](٣) أوجب لهم ذلك اتباع الهوى، فلهذا قال: ﴿بِلِ أَتْبِعِ الذِّينَ ظلموا أهواءهم بغير علم) هويت أنفسهم الناقصة، التي ظهر من نقصانها ما تعلُّق به هواها، أمراً يجزم العقل بفساده، والفطر برده، بغير علم دلهم عليه، ولا برهان قادهم إليه.

﴿ فَمَنْ يَهِدِي مَنْ أَصْلُ اللهِ أَي: لا تعجبوا من عدم هدايتهم، فإن الله تعالى أضلهم بظلمهم، ولا طريق لهداية مَنْ أضل الله، لأنه ليس أحد معارضاً لله، أو منازعاً له في ملكه.

﴿وما لهم من ناصرين﴾ ينصرونهم حين تحق عليهم كلمة العذاب، وتنقطع بهم الوصل والأسباب.

﴿٣٠ \_ ٣٢﴾ ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم

ولكن أكثر الناس لا يعلمون \* منيين إليه واتقوه وأقينموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين \* من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون﴾ يأمر تعالى بالإخلاص له في جميع الأحوال، وإقامة دينه، فقال: ﴿ فَأَقُّم وجهك ﴾ أي: انصبه ووجهه إلى الدين الذي هو الإسلام، والإيمان، والإحسان، بأن تتوجه بقلبك، وقصدك، وبدنك إلى(١٦) إقامة شرائع الدين الظاهرة، كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج ونحوها. وشرائعه الباطنة، كالمحبة، والخوف، والرجاء، والإنابة، والإحسان في الشرائع الظاهرة والباطنة، بأنّ تعبد الله فيها كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك.

وخص الله إقامة الوجه، لأن إقبال الوجه، لأن إقبال الوجه تبع لإقبال القلب، ويترتب على الأمرين سَعْيُ البدن، ولهذا قال: ﴿حنيفاً﴾ أي: مقبلاً على الله في ذلك، معرضاً عمّا سواه.

وهذا الأمر الذي أمرناك به، هو فطرة الله التي فطر الناس عليها في ووضع في عقولهم حسنها، واستقباح غيرها، فإن جميع أحكام الشرع، الظاهرة والباطنة، قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم، الميل إليها، فوضع في قلوبهم عبة الحق، وإيثار الحق، وهذا حقيقة الفطرة.

ومَن خرج عن هذا الأصل، فلعارض عرض لفطرته أفسدها، كما قال النبي على الأكل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

﴿لا تبديل لخلق الله أي: لا أحد يبدل خلق الله ، فيجعل المخلوق على غير الوضع الذي وضعه الله . ﴿ ذَلك ﴾ الذي أمرنا به ﴿الدين القيّم ﴾ أي: الطريق المستقيم الموصل إلى الله ، وإلى كرامته ، فإن مَنْ أقام وجهه للدين حنيفاً ، فإنه سالك الصراط المستقيم ، في جميع شرائعه وطرقه ، ﴿ولكن أكثر في جميع شرائعه وطرقه ، ﴿ولكن أكثر

الناس لا يعلمون﴾ فلا يتعرفون الدين القيّم، وإن عرفوه لم يسلكوه.

﴿منيبين إليه واتقوه ﴾ وهذا تفسير لإقامة الوجه للدين، فإن الإنابة إنابة القلب وانجذاب دواعيه لمراضي الله تعالى.

ويلزم من ذلك، حمل (٢) البدن بمقتضى ما في القلب، فشمل ذلك العبادات الظاهرة والباطنة، ولا يتم ذلك إلا بترك الماصي الظاهرة والباطنة، فلذلك قال: ﴿واتقوه﴾ فهذا يشمل فعل المأمورات وترك المنهيات.

وخص منن المأمورات الصلاة، لكونها تدعو إلى الإنابة والتقوى، لقوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ فهذا إعانتها على التقوى.

ثم قال: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ فهذا حثها على الإنابة.

وخص من المنهيات أصلها، والذي لا يقبل معه عمل، وهو الشرك، فقال: ﴿ولا تكونوا من المشركين﴾ لكون الشرك مضاداً للإنابة، التي روحها الإخلاص من كل وجه.

ثم ذكر حالة المشركين مهجناً لها ومقبحاً، فقال: ﴿من اللّهِن فرقوا دينهم ﴾ مع أن اللّهين واحد، وهو إخلاص العبادة لله وحده، وهؤلاء المشركون فرقوه، منهم مَنْ يعبد الأوثان والأصنام، ومنهم مَنْ يعبد الأولياء والصالحين، ومنهم مَنْ يعبد الأولياء والصالحين، ومنهم مَنْ يعبد ومنهم مَنْ يعبد

ولهذا قال: ﴿وكانوا شيعاً﴾ أي: كل فرقة من فرق الشرك تألفت وتعصبت، على نصر ما معها من الباطل، ومنابذة غيرهم ومحاربتهم.

وباطل، فيكونون مشابهين بذلك للمشركين في التفرق، بل الدين واحد، والرسول واحد، والإله واحد.

وأكثر الأمور الدينية، وقع فيها الإجماع بين العلماء والأنمة، والأخوة الإيمانية، قد عقدها الله وربطها أتم ربط، فما بال ذلك كله يُلغى، ويُبنى التفرق والشقاق بين المسلمين على مسائل خفية، أو فروع خلافية، يضلل بها بعضهم بعضاً، ويتميز بها بعضهم عن بعض؟

فهل هذا إلا من أكبر نزغات الشيطان وأعظم مقاصده، التي كادبها للمسلمين؟

وهل السعي في جمع كلمتهم، وإزالة ما بينهم من الشقاق، المبني على ذلك الأصل الباطل، إلا من أفضل الجهاد في سبيل الله، وأفضل الأعمال المقربة إلى الله؟

ولما أمر تعالى بالإنابة إليه ـ وكان المأمور بها، هي الإنابة الاختيارية، التي تكون في حالي العسر واليسر، والسعة والضيق ـ ذكر الإنابة الاضطرارية، التي لا تكون مع الإنسان إلا عند ضيقه وكربه، فإذا زال عنه الضيق، نبذها وراء ظهره، وهذه غير نافعة، فقال:

﴿٣٣ \_ ٣٧﴾ ﴿وإذا مسَّ الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون \* ليكفروا بما أتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون \* أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون﴾ .

وُواْذا مسَّ الناس ضرى مرض، أو خوف من هلاك، ونحوه. ﴿دعوا ربهم منيبين إليه﴾ ونسوا ما كانوا به يشركون في تلك الحال، لعلمهم أنه لا يكشف الضر إلا الله.

﴿ثم إذا أذاقهم منه رحمة ﴾ شفاهم من مرضهم، وآمنهم من خوفهم، ﴿إذا فريق منهم ﴾ ينقضون تلك الإنابة أو إصلاح بين الناس . مفهومها، أن هذه المثبتات خير لنفعها المتعدي، ولكن مَنْ يفعل ذلك ابتخاء مرضاة الله، فسوف نوتيه أجراً عظماً.

وَلَاتَكُونُوا مِنَ ٱلتَّمْرِكِينَ ۞ مِنَ ٱلَّذِينَ فَمَرَقُوا

المَّا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعَاً كُلُحِرْنِ بِالْدَيْهِمْ فَرِجُونَ ﴿

وقوله: ﴿وَأُولَئكُ ﴾ الذين عملوا هذه الأعمال وغيرها لوجه الله ﴿هم المفلحون ﴾ الفائزون بشواب الله، الناجون من عقابه.

ولما ذكر العمل الذي يقصدبه

وجهه، [من النفقات] ذكر العمل الذي

يقصد به مقصد دنيوي، فقال: ﴿وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس♦ أي: ' ما أعطيتم من أموَّالكم الزائدة عن حوائجكم، وقصدكم بذلك أن يربو، أي: يزيد في أموالكم، بأن تعطوها لمن تطمعون أن يعاوضكم عنها بأكثر منها، فهذا العمل لا يربو أجره عند الله، لكونه معدوم الشرط، الذي هو الإخلاص. ومثل ذلك العمل الذي يراد به الزيادة في الجاه، والرياء عند الناس، فهذا كله لا يربو عند الله. ﴿ وما آتيتم من زكاة ﴾ أي: مال يطهركم من الأخلاق الرذيلة، ويطهر أموالكم من البخل بها، ويزيد في دفع حاجة المُغطَى، ﴿تريدون﴾ بذلك ﴿وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾ أي: المضاعف لهم الأجر، الذين تربو نفقاتهم عند الله، ويربيها الله لهم، حتى تكون شيئاً كثيراً.

وضيقه من تقديره، ضائع ليس له محل. فلا تنظر أيها العاقل لمجرد الأسباب، بل اجعل نظرك لمسببها، ولهذا قال: ﴿إِنْ فِي ذَلْكُ لَآيَاتُ لقوم يؤمنونَ فِهُمُ الذّين يعتبرون بسط الله لمن يشاء وقبضه، ويعرفون بذلك، حكمة الله ورحمته وجوده، وجذب القلوب لسؤاله في جميع مطالب الرزق.

﴿٣٩ \_ ٣٩﴾ ﴿فاآت ذا القربي حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يسريسدون وجسه الله وأولسنسك هسم المفلحون \* وما آتيتم من رباً ليربو في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾ أي: فأعط القريب منك \_ على حسب قربه وحاجته \_حقه الذي أوجبه الشارع، أو حض عليه، من النفقة الواجبة، والصدقة، والهدية، والبر، والسلام، والإكرام، والعفو عن زلته، والمسامحة عن هفوته. وكذلك [آت] المسكين، الذي أسكنه الفقر والحاجة، ما تزيل به حاجته، وتدفع به ضرورته، من إطعامه وسقيه وكسوته.

﴿وابن السبيل﴾ الغريب المنقطع به في غير بلده، الذي في مظنة شدة الحاجة، لأنه لا مال معه، ولا كسب قد دبّر نفسه به [في] سفره، بخلاف الذي في بلده، فإنه وإن لم يكن له مال، ولكن لا بد\_ في الغالب \_أن يكون في حرفة، أو صناعة ونحوها تسدّ حاجته، ولهذا جعل الله في الزكاة حصة للمسكين وابن السبيل.

﴿ ذلك ﴾ أي: إيتاء ذي القربى والمسكين وابن السبيل ﴿ خير للذين يريدون ﴾ بذلك العمل ﴿ وجه الله أي: خير غزير، وثواب كثير، لأنه من أفضل الأعمال الصالحة، والنفع المتعدي، الذي وافق عله المقرون به الإخلاص.

فإن لم يرد به وجه الله، لم يكن خيراً لِلْمُغطِي، وإن كان خيراً ونفعاً لِلْمُغطَى كما قال تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا مَن أمر بصدقة أو معروف التي صدرت منهم، ويشركون به مَنْ لا دفع عنهم ولا أغنى، ولا أفقر ولا أغنى، وكل هذا كفر بما آتاهم الله ومَنْ به عليهم، حيث أنجاهم، وأنقذهم من الشدة، وأزال عنهم المشقة، فهلا قابلوا هذه النعمة الجليلة، بالشكر والدوام على الإخلاص له في جميع الأحوال؟

﴿أُمْ أَنْزِلْنَا عَلَيْهِمْ سَلَطَانَا ﴾ أي: حجة ظاهرة ﴿فَهُو ﴾ أي: ذلك السلطان، ﴿يتكلم بِما كانوا به يشركون ﴾ ويقول لهم: اثبتوا على شرككم، واستمروا على شككم، فإن ما أنتم عليه هو الحق، وما دعتكم الرسل إليه باطل.

فهل ذلك السلطان موجود عندهم، حتى يوجب لهم شدة التمسك بالشرك؟ أم البراهين العقلية والسمعية، والكتب السماوية، والرسل الكرام، وسادات الأنام، قد نهوا أشد النهي عن ذلك، وحذروا من سلوك طرقه الموصلة إليه، وحكموا بفساد عقل ودين من ارتكبه؟

فشرك هؤلاء بغير حجة ولا برهان، وإنما هو أهواء النفوس، ونزغات الشيطان.

﴿ ٣٦ ـ ٣٧﴾ ﴿ وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ۞ أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ يخبر تعالى عن طبيعة أكثر الناس، في حالي الرخاء والشدة، أنهم إذا أذاقهم الله منه رحمة، من صحة، وغنى، ونصر ونحو ذلك، فرحوا بذلك فرح بطر، لا فرح شكر وتبجح بنعمة الله.

﴿ وإن تصبهم سيئة ﴾ أي: حال تسوؤهم، وذلك ﴿ بما قدمت أيديم ﴾ من المعاصي. ﴿ إذا هم يقنطون ﴾ ييأسون من زوال ذلك الفقر والمرض، ونحوه. وهذا جهل منهم وعدم معرفة.

﴿أُولُمْ يَرُوا أَنَّ اللهُ يَبِسُطُ الرَّزَقَ لَمَنَّ يَشَاءُ ويقدر﴾ فالقنوط بعدما علم أَنَّ الحير والرزق، سعته

وَلِنَا مَنِيَ النَّاسَ ضُرٌّ يَعَوْا زَقِهُ مِنْسِيدِ كَ إِلَّيُومُزُولًا أَذَا فَهُم مِنْهُ رَحْمَةُ إِنَا فَرِينٌ مِنْهُم رَبِهِ مِنْشَرِكُونَ ۞ لِكَفْرُواْ عَاءَاتَنَا كُونُونَتِكُوا فَيَهِ فَ مَعَالَمُونِ ۞ أَوْ أَذَالُنَا عَلَيْهِمْ سُلطَنَا فَعُوَيَنَكَ لَمُ عَا كَاهُ المِهِ نُشَرُكُونَ ۞ وَإِذَا أَذَقُنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرَحُوابِهَا وَإِن تُصِيْهُمْ سَيْعَةً بِمَاقَتَمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَاهُمْ يَقْنَطُونَ ۞ أَوَلَّرْيَكُواْ أَنَّا اللَّهُ يَيْسُطُ ٱلرَّفَ لِلْهُ يَشَآهُ وَيَقْدِرُ أَنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتِ لِقَوْمِ يُوْمِنُونَ ﴿ فَكَاتِ ذَا ٱلْمُثَنِّيٰ حَقَّهُ وَٱلْمِسْكِينَ وَأَيْنَ ٱلسَّكِيلُ ذَلِكَ خَتْرٌ لِلَّذِينَ رُبِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُولَلْبَكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٥ وَمَآءَاتَيْتُدُمِّنِ رِبَالِيَرْبُواْ فِي أَمْوَالِ النَّالِينِ فَلاَ يَرْبُواْ عِندَاللَّهُ وَمَآءَاتَيْتُدُمِين رَحَكُوْوَ رُبِيدُونَ وَجُهَاللَّهِ فَأُولَيْكَ مُمَّلَفُهُ عِفُونَ ۞ آفَدُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مُزُّرَزَقَكُو ثُرِّيُ يَكُو ثُرُّكُمْ ثُرُّكُمْ يَكُو ثُرُّكُمْ يحكمُ هَلْيِن شُرِكَا إِذُ مِنْ يَقْعَلُون ذَلِكُم بِين مَنْ وَسُبِكُنَهُ وَتَعَالَهُ مَا يُشْرُكُونَ ۞ طَهَ زَلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرْوَالِحْ، عَاكْسَبَتْ إِنَّ اللَّهِ النَّاسِ لِيُدِيقَهُ مِيِّضَ الَّذِي عَلَوْ الْعَلَّهُ مُرْجِعُونَ ۞ ACTION IN LONGED

ودل قوله: ﴿وما اتيتم من زكاة﴾ أن الصدقة مع اضطرار من يتعلق بالمنفق، أو مع دَيْن عليه لم يقضه، ويقدم عليه الصدقة، أن ذلك ليس بزكاة يؤجر عليه العبد، ويرد تصرفه شرعاً، كما قال تعالى في الذي يمدح: ﴿الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ فليس مجرد إيتاء المال خيراً، حتى يكون بهذه الصفة، وهو: أن يكون على وجه يتزكى به المؤتي.

ر في الله الذي خلقكم شم رزقكم شم يميتكم شم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون يخبر تعالى أنه وحده المنفرد بخلقكم ورزقكم، وإماتتكم وإحيائكم، وأنه ليس أحد من الشركاء التي يدعوهم المشركون، مَنْ يشارك الله في شيء من هذه الأشاء.

فكيف يشركون بمن انفرد بهذه الأمور، مَنْ ليس له تصرف فيها بوجه من الوجوه؟!

فسبحانه وتعالى، وتقدس وتنزه، وعلا عن شركهم، فلا يضره ذلك، وإنما وبالهم (١١) عليهم.

﴿ ٤١﴾ ﴿ طُهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾

أي: استعلن الفساد في البر والبحر، أي: فساد معايشهم ونقصها، وحلول الآفات بها، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء، وغير ذلك، وذلك بسبب ما قدمت أيديهم من الأعمال الفاسدة، المفسدة بطبعها.

هذه المذكورة ﴿ليذيقهم بعض الذي عملوا﴾ أي: ليعلموا أنه المجازي على الأعمال، فعجل لهم نموذجاً من جزاء أعمالهم في الدنيا ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن أعمالهم، التي أثرت لهم من الفساد ما أثرت، فتصلح أحوالهم، ويستقيم أمرهم.

فسبحان مَنْ أنعم ببلائه، وتفضل بعقوبته، وإلا فلو أذاقهم جميع ما كسبوا، ما ترك على ظهرها من دابة.

﴿٤٢﴾ ﴿قبل سيبروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين﴾ والأمر بالسير في الأرض، يبدخيل فيه السيبر بالأبدان (٢٠)، والسير في القلوب، للنظر والتأمل بعواقب المتقدمين.

و كان أكثرهم مشركين به تجدون عاقبتهم شر العواقب، ومآلهم شر مآل، عذاب استأصلهم، وذم ولعن من خلق الله يتبعهم، وخزي متواصل، فاحذروا أن تفعلوا فعالهم، يُحذَى بكم حذوهم، فإن عدل الله وحكمته في كل زمان ومكان.

﴿ ٤٣ ـ ٤٤ ﴾ ﴿ فاقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون \* من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون \* ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين ﴾ أي: أقبل بقلبك، وتوجه بوجهك، واسع ببدنك، لإقامة الدين القيم المستقيم، فنفذ أوامره ونواهيه بجد واجتهاد، وقم بوظائفه الظاهرة والباطنة، وبادر زمانك وحياتك وشبابك، ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله وهو يوم القيامة، الذي إذا لعملون لم مرد جاء لا يمكن رده، ولا يرجأ العاملون

أن يستأنفوا<sup>(٢)</sup> العمل، بل فرغ من الأعمال، لم يبق إلا جزاء العمال. ﴿يومئذ يصدعون﴾ أي: يتفرقون عن ذلك اليوم، ويسسدرون أشتاتاً متفاوتين، ليُرُوا أعمالهم.

﴿٤٤﴾ ﴿مَنْ كَفَرِ﴾ منهم ﴿فعليه كفره ﴿ ويعاقب هو بنفسه ، لا تزر وازرة وزر أخرى، ﴿ومَنْ عسمل صالحاً﴾ من الحقوق التي لله، أو التي للعباد، الواجبة والمستحبة، ﴿فلأنفسهم لا لغيرهم ﴿يمهدون﴾ أى: يهيئون، ولأنفسهم يعمرون آخرتهم، ويستعدون للفوز بمنازلها وغرفاتها، ومع ذلك، جزاؤهم ليس مقصوراً على أعمالهم، بل يجزيهم الله من فضله المدود، وكرمه غير المحدود، ما لا تبلغه أعمالهم. وذلك لأنه أحبهم، وإذا أحب الله عبداً صب عليه الإحسان صباً، وأجزل له العطايا الفاخرة، وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة.

وهذا بخلاف الكافرين، فإن الله لما أبخضهم ومقتهم، عاقبهم وعذبهم، ولم يزدهم كما زاد من قبلهم، فلهذا قال: ﴿إِنه لا يجب الكافرين﴾.

﴿٤٦﴾ ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ أي: ومن الأدلة المدالة على رحمته وبعثه الموتى، وأنه الإله المعبود، وأن يرسل الرياح ﴾ أمام المطر ﴿مبشرات ﴾ بإثارتها للسحاب ثم جمعها، فتبشر بذلك النفوس قبل نزوله.

﴿وليذيقكم من رحمته ﴾ فينزل عليكم من رحمته ﴾ فينزل عليكم من رحمته مطراً، تحيا به البلاد والعباد، وتذوقون من رحمته ما تعرفون أن رحمته هي المنقذة للعباد والجالبة لأرزاقهم، فتشتاقون إلى الإكثار من الأعمال الصالحة، الفاتحة لخزائن

﴿ولتجرى الفلك﴾ في البحر

﴿بأمره ﴾ القدري ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ بالتصرف في معايشكم ومصالحكم.

﴿ولعلكُم تشكرون﴾ من سخر لكم الأسباب، وسير لكم الأمور. فهذا المقصود من النِعم، أن تقابل بشكر الله تعالى، ليزيدكم الله منها، ويبقيها عليكم.

وأما مقابلة النعم بالكفر والمعاصى، فهذه حال مَنْ بِدُّلْ نَعِمة الله كَفَراً، ونعمته محنة، وهو معرض لها للزوال، والانتقال منه إلى غيره.

﴿٤٧﴾ ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ أي: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك ﴾ في الأمم السابقين ﴿رسلا إلى قومهم ﴿ حين جحدوا توحيد الله، وكذَّبوا بالحق، فجاءتهم رسلهم يدعونهم إلى التوحيد والإخلاص، والتصديق بالحق، وببطلان ما هم عليه من الكفر والضلال، وجاؤوهم بالبينات والأدلة على ذلك، فلم يؤمنوا، ولم يزولوا عن غيهم. ﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ ونصرنا المؤمنين أتباع الرسل. ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ أي: أوجبنا ذلك على أنفسنا، وجعلناه من جملة الحقوق المتعينة ووعدناهم به، فلا بد من وقوعه.

فأنتم أيها المكذبون لمحمد ﷺ، إن بقيتم على تكذيبكم، حلت بكم العقوبة، ونصرناه عليكم.

﴿٤٨ ــ ٥٠ ﴾ ﴿الله السذي يسرسسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفأ فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون \* وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين \* فانظر إلى آثار رحمة الله كيف بحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شيء قدير﴾ يخبر تعالى عن كمال قدرته، وتمام نعمته،

أنه ﴿يرسل الرياح فتثير سحاباً﴾ من الأرض، ﴿فيبسطه في السماء ﴾ أي: يمده ويوسعه ﴿كيف يُشاء﴾ أي: على أي: حالة أرادها من ذلك، ثم ﴿يجعله﴾ أي: ذلك السحاب الواسع ﴿كسفاً﴾ أي: سحاباً تخيناً، قد طبق بعضه فوق بعض.

﴿ فُتُرِي الودق بخرج من خلاله ﴾ أي: السحاب، نقطاً صغاراً متفرقة، لا تنزل جميعاً، فتفسد ما أتت عليه.

﴿ فَإِذَا أَصَابِ بِهِ ﴾ بذلك المطر ﴿ مَنْ يشاء من عباده إذا هم يستبشرون) يبشر بعضهم بعضاً بنزوله، وذلك لشدة حاجتهم وضرورتهم إليه، فلهذا قال: ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبِلُ أَنْ يِسْزِلُ عليهم من قبله لمبلسين ﴾ أي: آيسين قانطين لتأخر وقت مجيئه، أي: فلما نزل في تلك إلحال، صارله موقع عظيم [عندهم](١)، وفرح واستبشار . ﴿ فَانظر إِلَىٰ آثار رحمة الله كيف يحيى

الأرض بعد موتها ﴾ فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج كريم.

﴿إِنْ ذَلْكُ ﴾ الذِّي أحيا الأرض بعد موتها ﴿لحيي الموتي وهو على كل شيء قدير﴾ فقدرته تعالى، لا يتعاصى عليها شيء، وإن تعاصى على قدر خلقه، ودقّ عن أفهامهم، وحارت فيه عقولهم .

﴿ ١٥ ـ ٥٣ ﴾ ﴿ ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلوا من بعده يكفرون # فإتك لا تسمع الموتي ولاتسمع الصم الدعاء إذا ولوآ مدبرين \* وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ﴿ يَخْبُر تَعَالَى عن حالة الخلق، وأنهم مع هذه النَّعم عليهم بإحياء الأرض بعد مونتها، ونشر رحمة الله تعالى، لو أرسلنا على هذا النبات الناشيء عن المطر، وعلى زروعهم، ريحاً مضرة متلفة أو منقصة، ﴿ فرأوه مصفراً ﴾ قد تداعي إلى التلف ﴿لظلوا من بعده يكفرون﴾ فينسون النعَم الماضية، ويبادرون إلى الكفر.

وهؤلاء، لا ينفع فيهم وعظ ولا

100mm | 100mm التَّلْ سِيرُولْفِ ٱلْأَرْضِ فَانْظُرُ وَلَكِفَ كَانَ عَلَقِبَ ٱللَّذِيكِ مِن قَبْلُ الله المُعَمَّرُهُمُ مُنْفَرِينَ ﴿ فَأَقِدْ وَجَهَكَ اللَّهِ مِنَ الْقَيْسِدِينَ لا قِبْل أَن يَأْنِي يَوْمُ لَامْرَةً لَمُرِنَ اللَّهِ يُوْمَدٍ لِيَسَلَّمُونَ ۞ مَنْكُرَّ فَعَلَيْهِ كُفُرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَلِيحًا فَلِأَفْسِهِمْ يَهَدُونَ ۞ لِجَنِيَ ا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَكِمُ لُواْ الصَّالِحَتِ مِن فَضَياتِهَ إِنَّهُ كُلِّيمُ أَلْكُفِينَ ﴿ وَمِنْ ءَالِينِيرَ أَن يُرْسِلَ الرِياحَ مُبَشِّرَتِ وَلِيُنِيعَكُم يِّن زَّحْيَتِهِ، وَلِحَيِّيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِ، وَإِنَّبْتَخُواْمِن فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمُّ تَنْكُرُونَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَإِلَىٰ وَمُ بِٱلْبِيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرُمُواْ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْكُوْمِنِينَ ۞ المَّمَالَّذِي رُسُولُ الْيَكَحَ فَنُدِيرُسَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِ ٱلسَّمَّلَةِ كَيْفَ يَشَأَهُ وَيَجْمَلُهُ كِسَمَّا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ المَّنْ عِنْكِيْدُ وَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِن يَشَكَأُهُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمُ يَسْتَبْشُرُونَ © مَانَظُرُ الْآيَةَ الْزَرَحْتِ اللَّهِ اللَّهِ الْأَرْضَ بَعْدَ الله مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَهُ مِ لَلْوَلِّكَ وَهُوَعَلَ كُلْ مَنْ وَقِيرٌ ۞ MODERAL III CORPERN

زجر ﴿ فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع النصم الدعاء ﴾ وبالأولى ﴿إذا ولوا مدبرين ﴾ فإن الموانع قد توفرت فيهم عن الانقياد والسماع النافع، كتوفر هذه الموانع المذكورة عن سماع الصوت

الحسي. ﴿ وَمِنا أَنْسَتُ بِهِنَادِ السُّعُسَمِي عَسَنَ ضلالتهم﴾ لأنهم لا يقبلون الإبصار بسبب عماهم فليس منهم (٢) قابلية له. ﴿إِن تسمع إلا مَنْ يؤمن بآياتنا فهم مسلمون، فهؤلاء الذين ينفع فيهم إسماع الهدى، المؤمنون بآياتناً بقلوبهم، المنقادون لأوامرنا، المسلمون لنا، لأن معهم الداعي القوي لقبول النصائح والمواعظ، وهو استعدادهم للإيمان بكل آية من آيات الله، واستعدادهم لتنفيذ ما يقدرون عليه من أوامر الله ونواهيه.

﴿٤٥﴾ ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير، يخبر تعالى عن سعة علمه، وعظيم اقتداره، وكمال حكمته، ابتدأ خلق الآدميين من ضعف، وهو الأطوار الأولَ من خلقه، من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى أن صار حيواناً في الأرحام، إلى أن وُلد، وهو في سن الطفولية، وهو إذ

وَلَيْنَ أَرْسَلْنَارِيحَا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًا لَّظَلُواْ مِنْ مَعْدِهِ. يَكُفُرُونَ ۞ فَإِنَّكَ لَاتُسْتِيعُ ٱلْحُزَّنَ وَلَانْسُنِيعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَى ٓ آءِ إِذَا وَلَّوْأَ مُدِّبِينَ ﴿ وَمَا أَنتَ بِهَادِ ٱلْمُتَّمِينَ ضَلَالَتِهِمُّ إِن تُتَمِيعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ مَا لِيَتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ۞ • ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ كُمْ مِن ضَعْفِ ثُرَّجَعَلَ مِنْ بَعْدِضَعْفِ قُوَّةً ثُرُّجَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ صَعْفَا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَايَشَكَاءٌ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيدُ ۞ وَيَوْمَ نَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْخُيْرُمُونِ مَالِّبَ ثُواْعَ يْرَسَاعَ فَ كَنَاكِ كَانُوا مُؤْفِكُونَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُونُواْ ٱلْمِيلَةِ وَٱلْإِينَ لَقَدْ لِمُثْتُرُ فِي كِتَبِ ٱللَّهِ إِلَى يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَكَذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَئْكِ نَكُوْكُتُ مُرَلَاتَعَا لَمُونَ ۞ فَيُوْمِ إِذَّا يَنَفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْمَعْ ذِرَتُهُمْ وَلَاهُمْ يُسْتَعْتَبُونَ۞ وَلَقَدُّ ضَرَّتُنَا لِلنَّاسِ فِهَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَ إِن مِن كُلِّ مَثَلُّ وَلَهِن حِثْتَ هُمُ بِعَايَمَ لِّنَعُولَنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓ إِنْ أَسْتُمْ إِلَّا ثَبِطِلُونَ ۞ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ فَأَصْبِرَ إِنَّ الله وعَدَا لَقَو حَقُّ قُلَا يَسْتَخِفْنَكَ الَّذِينَ لَا يُوفِينُونَ ٥

ذاك في غاية الضعف، وعدم القوة والقدرة. ثم ما زال الله يزيد في قوته شيئاً، حتى بلغ سنّ الشباب واستوت قوته، وكملت قواه الظاهرة والباطنة، ثم انتقل من هذا الطور، ورجع إلى الضعف والشيبة والهرم.

﴿يَعْلَقُ ما يشاء﴾ بحسب حكمته. ومن حكمته، أن يري العبد ضعفه، وأن قوته محفوفة بضعفين، وأنه ليس له من نفسه إلا النقص، ولولا تقوية الله له، لما وصل إلى قوة وقدرة، ولو استمرت قوته في الزيادة، لطغى وبغى

وليعلم العباد كمال قدرة الله التي لا تزال مستمرة، يخلق بها الأشياء، ويدبر بها الأمور ولا يلحقها إعياء ولا ضعف ولا نقص بوجه من الوجوه.

﴿ ٥٥ - ٧٥﴾ ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون \* فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون ﴾ يغبر تعالى عن يوم القيامة ، وسرعة بحيثه ، وأنه إذا قامت الساعة ليشسم المجرمون ﴾ بالله أنهم ﴿ ما لبثوا ﴾ في الدنيا إلا ﴿ ساعة ﴾ وذلك لبثوا ﴾ في الدنيا إلا ﴿ ساعة ﴾ وذلك

اعتذار منهم لعله ينفعهم العذر، واستقصار لمدة الدنيا.

ولما كان قولهم كذباً لا حقيقة له، قال تعالى: ﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾ أي: ما زالوا \_وهم في الدنيا \_ يؤفكون عن الحقائق، ويأتفكون الكذب، ففي الدنيا، كذبوا الحق الذي جاءتهم به المرسلون، وفي الآخرة، أنكروا الأمر المحسوس، وهو اللبث الطويل في الدنيا، فهذا خلقهم القبيح، والعبد يبعث على ما مات عله.

﴿ وقال اللين أوتوا العلم والإيمان ﴾ أي: مَنَ الله عليهم بهما، وصارا وصفاً لهم، العلم بالحق، والإيمان المستلزم إيثار الحق، وإذا كانوا عالمين بالحق، مؤثرين له، لزم أن يكون قولهم مطابقاً للواقع، مناسباً لأحوالهم.

فلهذا قالوا الحق: ﴿لقد لبثتم في كتاب الله أي: في قضائه وقدره، الله كليكم، وفي حكمه ﴿إلى يوم البعث أي: عمرتم عُمْراً يتذكر فيه المتذكر، ويتدبر فيه المتدبر، حتى صار البعث ووصلتم إلى هذه الحال.

﴿فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ فلذلك أنكرتموه في الدنيا، وأنكرتم إقامتكم في الدنيا وقتاً تتمكنون فيه من الإنابة والتوبة، فلم يزل الجهل شعاركم، وآساره من التكذيب والحسار دثاركم.

﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم﴾ فإن كذبوا وزعموا أنهم ما قامت عليهم الحجة، أو ما تمكنوا من الإيمان، ظهر كذبهم، بشهادة أهل العلم والإيمان، وشهادة جلودهم وأرجلهم، وإن طلبوا الإعذار وأنهم يردون ولا يعودون لما نهوا عنه،

لم يُمكّنوا، فإنه فات وقت الإعذار، فلا تقبل صعفرتهم، ﴿ولا هم يستعتبون﴾أي: يزال عتبهم والعتاب عنهم.

﴿٨٥ - ٢٠ ﴿ ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بأية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون \* كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون \* فاصبر إن وعد الله حتى ولا يستخفنك الذين لا يوقنون أي: ﴿ولقد ضربنا ﴾ لأجل عنايتنا في هذا القرآن من كل مثل ﴾ تتضح به في هذا القرآن من كل مثل ﴾ تتضح به الحقائق، وتعرف به الأمور، وتنقطع به الحجة. وهذا عام في الأمثال، التي يضربها الله إفي تقريب الأمور المعقولة بلحسوسة. وفي الإخبار بما سيكون، وجلاء حقيقته، [حتى] (١١ كأنة وقع.

ومنه في هذا الموضع، ذكر الله تعالى، ما يكون يوم القيامة وحالة المجرمين فيه، وشدة أسفهم، وأنه لا يقبل منهم عذر ولا عتاب.

ولكن أبى الظالمون الكافرون، إلا معاندة الحق الواضح، ولهذا قال: فولئن جئتهم بآية أي: أي: آية، تدل على صحة ما جئت به ﴿ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون ﴾ أي: كفرهم وجراءتهم، وطبع الله على قلوبهم، وجهلهم المفرط، ولهذا قال: قلوبهم، وجهلهم المفرط، ولهذا قال: لا يعلمون ﴾ فلا يدخلها خير، ولا يعلمون أو الباطل حقاً.

﴿فَاصِبر﴾ على ما أمرت به، وعلى دعوتهم إلى الله، ولو رأيت منهم إعراضاً، فلا يُصدنك ذلك.

وإن وحد الله حق أي: لا شك فيه، وهذا مما يعين على الصبر، فإن العبد إذا علم أن عمله غير ضائع، بل سيجده كاملاً، هان عليه ما يلقاه من

المكاره، ويسرعليه كل عسير، واستقل من عمله كل كثير.

> ﴿ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾ أى: قد ضعف إيمانهم، وقلّ يقينهم، فخفت لذلك أحلامهم، وقبل صبرهم، فإيّاك أن يستخفك هؤلاء، فإنك إنْ لم تجعلهم (١) منك على بال وتحذر منهم، وإلاّ استخفوك وحملوك على عدم الشبات على الأوامر والنواهي، والنفس تساعدهم على هذا، وتطلب التشبه والموافقة (٢)، وهذا بما يدل على أن كل مؤمن موقن رزين العقل، يسهل عليه الصبر، وكل ضعيف اليقين ضعيف [العقل]<sup>(\*</sup>

> فالأول بمنزلة اللب، والآخر بمُنزلة القشور. فالله المستعان.

## تفسير سورة لقمان وهي مكية

﴿١ \_ ٥ ﴾ ﴿ بسم الله السرخسن الرحيم الم \* تلك أيات الكتاب الحكيم \* هذي ورحمة للمحسنين \* الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون \* أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون، يشير تعالى إشارة دالة على التعظيم إلى ﴿ آيات الكتاب الحكيم ﴾ أي: آياته محكمة، صدرت من حكيم خبير.

من إحكامها، أنها جاءت بأجلُّ الألفاظ وأفصحها وأبينها، الدالة على أجل المعاني وأحسنها.

ومن إحكامها، أنها محفوظة من التغيير والتبديل، والزيادة والنقص والتحريف.

ومن إحكامها: أن جميع ما فيها من الأخبار (٤) السابقة واللاحقة، والأمور الغيبية كلها، مطابقة للواقع، مطابق لها الواقع، لم يخالفها كتاب من الكتب الإلهية، ولم يخبر بخلافها نبي من الأنبياء [ولم يأتِ ولن يأتي علمٌ محسوسٌ ولا معقول صحيح يناقض ما دلت

غله](٥).

ومن إحكامها: أنها ما أمرت بشيء، إلاَّ وهو خالص المصلحة أو راجحها، ولا نهت عن شي، إلاَّ وهو خالص المفسدة أو راجحهاً، وكثيراً ما يجمع بين الأمر بالشيء مع ذكر [حكمته](٦) فائدته، والنهي عن الشيء مع ذكر مضرته.

ومن إحكامها: أنها جمعت بين الترغيب والترهيب، والوعظ البليغ، الذي تعتدل به النفوس الخيرة وتحتكم، فتعمل بالحزم.

ومن إحكامها: أنك تجد آباته المتكررة، كالقصص، والأحكام، ونحوها، قد اتفقت كلها وتواطأت، فليس فيها تناقض ولا اختلاف. فكلما ازداد ما البصير تدبراً، وأعمل فيها العقل تفكراً، انبهر عقله، وذهل لبه، من التوافق والتواطؤ، وجزم جزماً لا يمترى فيه، أنه تنزيل من حكيم حميد.

ولكن \_مع أنه حكيم \_يدعو إلى كل خلق كريم، وينهى عن كل خلق لئيم، أكثر الناس محرومون الاهتداء به، معرضون عن الإيمان والعمل به، إلا مَنْ وفقه الله تعالى وعصمه، وهم المحسنون في عبادة ربهم والمحسنون إلى

فإنه ﴿هدى لهم، يهديهم إلى الصراط المستقيم، ويحذرهم من طرق الحميم، ﴿ورحمة ﴾ لهم، تحصل لهم به السعادة في الدنيا والآخرة، والخير الكثير، والثواب الجزيل، والفرح والسرور، ويندفع عنهم الضلال والشقاء.

ثم وصف المحسنين بالعلم التام، وهو اليقين الموجب للعمل والخوف من عقاب الله، فيتركون معاصيه، ووصفهم بالعمل، وخصّ من العمل عملين فأضلين: الصلاة المشتملة على الإخلاص ومناجاة الله تعالى، والتعبد العام للقلب واللسان والجوارح المعينة

الَّمَ ۞ يَلْكَ ءَايَتُ ٱلْكِتَبِ ٱلْحَيْكِيرِ ۞ هُدُى وَرَحْمَةً أِلْمُحْسِنِينَ ۞ ٱلَّذِينُ عِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَفُوَّتُونَ ٱلزَّكُوةَ وَهُـــ بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِ نُونَ ۞ أُوْلَيْكَ عَلَ هُدَى مِن زَيْهِمُّ وَأُولَيْكَ هُ ٱلْقُلِحُونَ ۞ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَمُوَالْخَدِيثِ لِيُضِلِّ عَنسَيِيلِ اللَّهِ مِعَنْدِ عِلْمِ وَيَتَعَفِدُهَا هُدُواً أُولَلَمِكَ لَهُمَّ عَذَابٌ مُّهِينًا ۞ وَاذَا تُتَلَى عَلَيْهِ وَ الْكُنَا وَلَّى مُسْتَكِيرًا كَأْبِ لَّرْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنِّيَهِ وَقُرًّا فَهَيْسِرُهُ بِعَذَابِ أَلِيدٍ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَكِمُواْ الصَّالِحَتِ لَمَتْرَجَّنَّكُ النَّعِيمِ فَعَلِينَ فِيهَأْ وَعَدَاللَّهِ حَقَّا وَهُوَالْعَرِيرُ ٱلْحَكِيرُ ۞ خَلَقَ ٱلسَّمَوَتِ بِغَيْرِعَمَدِ ثَرَوْنِهَا وَأَقْيَ فِ ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن يَّيدَ بِكُمْ وَيَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ مَآتِةٌ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَآءَ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنكُلِّ زَوْجَ كَرِيمٍ ۞ هَلْذَاخَلُقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا الله عَلَقَ الَّذِيرَ مِن مُونِدُ عِلَى الظَّلِمُورَ فِي صَلَالِ مُّرِيدٍ ٥ O CONTROL OF THE PROPERTY OF T

> على سائر الأعمال، والزكاة التي تزكي صاحبها من الصفات الرذيلة، وتنفع أخاه المسلم، وتسد حاجته، ويبين بها أن العبد يؤثر محبة الله على محبته للمال، فيخرجه مجبوبه من المال لما هو أحب إليه، وهو طلب مرضاة الله.

> ف ﴿ أُولَــُك ﴾ هم المحسنون، الجامعون بين العلم التام والعمل ﴿على هدى اي: عظيم، كما يفيده التنكير، وذلك الهدى حاصل لهم، وواصل إليهم ﴿من ربهم﴾ الذي لم يزل يربيهم بالنعَم، ويدفع عنهم النقم.

> وهذا الهدى الذي أوصله إليهم، من تربيته الخاصة بأوليائه، وهو أفضل أنواع التربية. ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ النين أدركوا رضا ربهم، وثوابه الدنيوي والأخروي، وسلموا من سخطه وعقابه. وذلك لسلوكهم طريق الفلاح، الذي لا طريق له غيرها.

ولما ذكر تعالى المهتدين بالقرآن، المقبلين عليه، ذكر من أعرض عنه، ولم يرفع به رأساً، وأنه عوقب على ذلك، بأن تعوض عنه كل باطل من القول، فترك أعلى الأقوال، وأحسن الحديث، واستبدل به أسفل قول وأقبحه، فلذلك

﴿٦ \_ ٩﴾ ﴿ومن الناس من يشتري

كذا في ب وفي أ: تجعل. كذا في ب وفي أ: والمرافقة. **(Y)** 

(1)

زيادة من: ب. (٦) زيادة من: ب.

زيادة من: ب. (٣)

في أ: الأحكام والتصويب من: ب.

Charles a Charles and the Char وَلَقَدْ مَالِيَنَا لُقَمُنَ آلِحِكُمَةَ أَنِ آشُكُرِيلًوْ وَمَن سَشْكُمْ فَاتَّمَا لَيَشْكُمُ لِنَفْسِيِّهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَيْنُ حِيَدٌ ۞ وَإِذْ قَالَ لُقَمَنُ لِإَنِيهِ وَهُوَيِعِظُهُ يَلْبُنَ لَانْشَرِكَ بَاتَيَّ إِنَّا الشِّرِكَ لَظُلْمُ عَظِيرٌ ۞ وَوَضَّيْنَ الْإِنسَانَ بِوَلدَيْهِ حَمَلَتْهُ أَمُّهُ وَهُنَّا عَلَى وَهْنِ وَفِصَلْمُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلُوَّالِهِ يُلْكَ إِلَّ ٱلْمَصِيرُ ۞ وَإِن جَهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ فِي مَا لَيْسَ لَكَ بدِينْ لِرُهُ لَا تُطِعَهُ مَأْ وَسَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْكَ امَعْدُوفَا أَوَاتَكِمْ سيبلتن أنآب إِنَّ ثُمَّ إِلَى مَنْ عِنْكُمْ وَأَيْتُكُمْ وَأَيْتُكُمْ وَأَيْتُكُمْ مِنَا كُنتُرَقَّ عَلُوك @ يَنْفَقَ إِنَّهَ إِن لَكُ مِثْقَالَ حَبَيَةِ مِنْ خَرْدُلِ فَتَكُن فِي صَخْرَةِ أَوْفِ ٱلسَّكَوْتِ أَوْفِ ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفُ حَيِيرٌ ۞ يَابُنَيَّ أَقِيمِ الصَّلَاةِ وَأَمْرُ المُتُعُهِفِ وَأَنْهَ عَنِ ٱلنَّكَرِ وَأَصْبِرَعَلَى مَّا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَنْهِ ٱلْأُمُّودِ۞ وَلَاتُصَعِّرْغَذَكَ لِلنَّاسِ وَلَاتَيْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَمًا إِنَّ اللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلُّ مُعْنَالٍ فَوْرُو ۞ وَأَقْصِدُ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْلِكُ إِنَّ أَنكُوا لأَضْوَتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ۞ 

لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين \* وإذا تسلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم \* إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم \* خالدين فيها وعد الله حقاً وهو العزيز الحكيم

أي: ﴿ومن النّاس مَن﴾ هو عروم غذول ﴿يشتري﴾ أي: يختار ويرغب رغبة من يبذل الثمن في الشيء. ﴿لهو الحديث الملهية للقلوب، الصادّة لها عن أجلً مطلوب. فدخل في هذا، كل كلام عرم، وكل لغو وباطل، وهذيان من الأقوال المرغبة في الكفر والفسوق والعصيان، ومن أقوال الرادين على الحق، ومن غيبة، ونميمة، وكذب، الحق، ومن غيبة، ونميمة، وكذب، وشيمان، ومن الماجريات الملهية، التي شيطان، ومن الماجريات الملهية، التي شيطان، ومن الماجريات الملهية، التي

فهذا الصنف من الناس، يشتري لهو الحديث عن هدي الحديث في الناس ﴿بغير علم﴾ أي: بعدما ضل بفعله، أضل غيره، لأن الإضلال ناشىء عن الضلال.

وإضلاله في هذا الحديث، صده

عن الحديث النافع، والعمل النافع، والحق المبين، والصراط المستقيم.

ولا يتم له هذا، حتى يقدح في الهدى والحق، ويتخذ آيات الله هزواً ويسخر بها وبمن جاء بها، فإذا جمع بين مدح الباطل والترغيب فيه، والقدح في الحق والاستهزاء به وبأهله، أضل من لا علم عنده، وخدعه بما يوحيه إليه من القول الذي لا يميزه ذلك الضال ولا يعرف حقيقته.

﴿أُولِئُكُ لَهِم عَذَابِ مَهِينَ ﴾ بما ضلوا وأضلوا، واستهزؤوا آبايات الله [۱۰] كذبوا الحق الواضح، ولهذا قال: ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ﴾ ليؤمن بها وينقاد لها، ﴿ولى مستكبراً ﴾ أي: أدبر إدبار مستكبر عنها، راد لها، ولم تدخل قلبه ولا أثرت فيه، بل أدبر عنها ﴿كأن لم يسمعها ﴾ بل ﴿كأن في عنها ﴿كأن لم يسمعها ﴾ بل ﴿كأن في الأصوات، فهذا لا حيلة في هدايته.

﴿فَبشره﴾ بشارة تؤثر في قلبه الحزن والغم، وفي بشرته السوء والظلمة والغبرة. ﴿بعداب أليم﴾ مؤلم لقلبه ولبدنه، لا يقادر قدره، ولا يدرى بعظيم أمره، وهذه بشارة أهل الشر، فلا نِعْمَتِ البشارة.

وأما بشارة أهل الخير فقال: ﴿إِنَّ اللّٰينِ آمنوا وعملوا الصالحات ﴿ جعوا بين عبادة الباطن بالإيمان، والظاهر بالإسلام، والعمل الصالح.

﴿ لهم جنات النعيم ﴾ بشارة لهم بما قدموه، وقرى لهم بما أسلفوه. ﴿ خالدين فيها ﴾ أي: في جنات النعيم، نعيم القلب والروح والبدن.

وعد الله حقاً ﴾ لا يمكن أن يخلف ولا يغير ولا يتبدل. ﴿وهو العزيز الحكيم ﴾ كامل العزة ، كامل الحكمة ، من عزته وحكمته ، وفق مَنْ وفق، وخذل مَنْ خذل، بحسب ما اقتضاه علمه فيهم وحكمته .

﴿ ١٠ ـ ١١﴾ ﴿ خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقىٰ في الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل

دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم \* هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين \* يتلو تعالى على عباده آثاراً من آثار قدرته، وبدائع من بدائع حكمته، ونعماً من آثار رحمته، فقال: ﴿خلق السماوات \* وكثافتها، وارتفاعها الهائل. ﴿بغير السبع، على عظمها، وسعتها، عمد ترونها \* أي: ليس لها عمد، ولو كان لها عمد لرؤيت، وإنما استقرت واستمسكت، بقدرة الله تعالى.

والقى في الأرض رواسي اي: جبالاً عظيمة، ركزها في أرجائها وأنحاثها، لئلا ﴿ تميد بكم الجبال الراسيات لمادت الأرض، ولما استقرت بساكنها.

﴿ وبث فيها من كل دابة ﴾ أي: نشر في الأرض الواسعة من جميع أصناف الدواب، التي هي مسخرة لبني آدم، ولمصالحهم ومنافعهم. ولما بشها في الأرض، علم تعالى أنه لا بدلها من رق تعيش به، فأنزل من السماء ماء مباركاً، ﴿ فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ المنظر، نافع مبارك، فرتعت فيه الدواب المنبشة، وسكن إليه كل

﴿هذا﴾ أي: خلق العالم العلوي والسفلي، من جماد، وحيوان، وسَوْقِ أرزاق الخلق إليهم. ﴿خلق الله﴾ وحده لا شريك له، كل مقر بذلك حتى أنتم يا معشر المشركين.

﴿فَأُرُونِي مَاذَا خَلَقَ الذَّيْنَ مِن دُونِهِ﴾
أي: الذين جعلتموهم له شركاء،
تدعونهم وتعبدونهم، يلزم على هذا،
أن يكون لهم خلق كخلقه، ورزق
كرزقه، فإن كان لهم شيء من ذلك
فأرونيه، ليصح ما ادعيتم فيهم من
استحقاق العبادة.

ومن المعلوم أنهم لا يقدرون أن يروه شيئاً من الخلق لها، لأن جميع المذكورات، قد أقروا أنها خلق الله وحده، ولا ثَمَّ شيء يعلم غيرها،

تستحق به أن تعبد.

ولكن عبادتهم إياها عن غير علم وبصيرة، بل عن جهل وضلال، ولهذا قال: ﴿بِلِ الظالمون في ضلال مبين﴾ أى: جَلى واضح حيث عبدوا من لأ يملك نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، وتركوا الإخلاص للخالق الرازق المالك لكل الأمور.

﴿١٩ \_ ١٩﴾ ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غنى حميد \* وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم الى آخر القصة. يخبر تعالى عن امتنانه على عبده الفاضل لقمان، بالحكمة، وهي العلم [بالحق](١) على وجهه وحكمته، فهي العلم بالأحكام، ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام، فقديكون الإنسان عالماً ولا يكون حكىماً.

وأما الحكمة، فهي مستلزمة للعلم، بل وللعمل، ولهذا فسرت الحكمة بالعلم النافع والعمل الصالح.

ولما أعطاه الله هذه المنة العظيمة، أمره أن يشكره على ما أعطاه، ليبارك له فيه، وليزيده من فضله، وأخبره أن شكر الشاكرين، يعود نفعه عليهم، وأن مَنْ كفر فلم يشكر الله، عاد وبأل ذلك عليه. والله غنى [عنه](٢) حميد فيما يقدره ويقضيه على مَنْ خالف أمره، فغناه تعالى، من لوازم ذاته، وكونه حيداً في صفات كماله، حيداً في جميل صنعه، من لوازم ذاته، وكل واحدمن الوصفين صفة كمال، واجتماع أحدهما إلى الآخر زيادة كمال إلى كمال .

واختلف المفسرون، هل كان لقمان نبياً، أو عبداً صالحاً؟ والله تعالى لم يذكر عنه إلا أنه آتاه الحكمة، وذكر بعض ما يدل على حكمته في وعظه لابنه، فذكر

فثبت عجزهم عن إثبات شيء لها أصول الحكمة وقواعدها الكبار، فقال: ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يَعظُهُ

أو قال له قولاً به يعظه بالأمر والنهى، المقرون بالترغيب والترهيب، فأمره بالإخلاص، ونهاه عن الشرك، وبيَّن له السبب في ذلك فقال: ﴿إِنَّ الشرك لظلم عظيم ، ووجه كونه عظيماً، أنه لا أفظم وأبشع عمن سَوّى المخلوق من تراب بمالك الرقاب، وسوَّى الذي لا يملك من الأمر شيئاً بمن له الأمر كله، وسوَّى الناقص الفقير من جميع الوجوه بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوَّى مَنْ لم يُنعم بمثقال ذرة [من النعم](٣) بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم ودنياهم وأخراهم وقلوبهم وأبدانهم إلأمنه، ولا يصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟!!

وهل أعظم ظلماً ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة، [فجعلها في أخس المراتب](1) جعلها عابدة لمن لأ يسوى شيئاً، فظلم نفسه ظلماً كبيراً.

ولما أمر بالقيام بحقه، بترك الشرك الذي من لوازمه القيام بالتوحيد، أمر بالقيام بحق الوالدين، فقال: ﴿ووصينا الإنسان﴾ أي: عهدنا إليه، وجعلناه وصية عنده، سنسأله عن القيام بها، وهل حفظها أم لا؟ فوصيناه ﴿بُوالَّدِيهِ﴾ وقلنا له: ﴿السَّكُر لِي﴾ بالقيام بعبوديتي وأداء حقوقي، وأن لا تستعين بنعمى على معصيتى، ﴿ولوالديك ﴾ بالإحسان إليهما بالقول اللين، والكلام اللطيف، والفعل الجميل، والتواضع لهما [وإكرامهما](٥) وإجلالهما، والقيام بمؤونتهما، واجتناب الإساءة إليهما من كل وجه، بالقول والفعل.

فوصيناه بهذه الوصية، وأخبرناه أن ﴿إِلِّي المصيرِ ﴾ أي: سترجع أيها الإنسان إلى مَنْ وصاك وكلفك بهذه

الحقوق، فيسألك: هل قمت بها، فيثيبك الثواب الجزيل؟ أم ضيعتها، فيعاقبك العقاب الوبيل؟

ثم ذكر السبب الموجب لبر الوالدين في الأم، فقال: ﴿ حملته أمه وهناً على وهن اي: مشقة على مشقة، فلا تزال تلاقى المشاق، من حين يكون نطفة، من الوحم، والمرض، والضعف، والثقل، وتغير الحال، ثم وجع الولادة، ذلك الوجع الشديد.

ثم ﴿ فصاله في عامين ﴾ وهو ملازم لحضانة أمه وكفالتها ورضاعها، أفما يحسن بمن تحمل على ولده هذه الشدائد مع شدة الحب، أن يؤكد على ولده، ويوصى إليه بتمام الإحسان إليه؟

﴿ وَإِن جِاهِدَاكُ ﴾ أي: اجتهد والداك ﴿على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴾ ولا تظِن أن هذا داخل في الإحسان إليهما، لأن حق الله مقدم على حق كل أحد، و الاطاعة لمخلوق في معصية الخالق،

ولم يقل: «وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فعقهما"، بل قال: ﴿فلا تطعهما ﴾ أي: بالشرك، وأما برهما، فاستمر عليه، ولهذا قال: ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفاً أي: صحبة إحسان إليهما بالمعروف، وأما اتباعهما وهما بحالة الكفر والمعاصى، فلا تتبعهما.

﴿ واتبع سبيل مَنْ أَنَابِ إِنِّ ﴾ وهم المؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله، المستسلمون لربهم، المنيبون إليه.

واتباع سبيلهم، أن يسلك مسلكهم في الإنابة إلى الله، التي هي انجذاب دواعي القلب وإراداته إلى الله، ثم يتبعها سعى البدن، فيما يرضى الله ويقرب منه .

﴿ ثُم إِنَّ مرجعكم ﴾ الطائع والعاصى والنيب، وغيره ﴿فَأَنْبِنُكُمْ بماكنتم تعملون﴾ فلا يخفي على الله من أعمالهم خافية.

(٥) زيادة من: ب.

**(Y)** 

زيادة من: ب.

زيادة من: ب. (1)

زيادة من: ب. (٣)

زيادة من: ب. (٤)

﴿ يا بُنَيَّ إنها إن تك مثقال حبة من خردل ﴾ التي هي أصغر الأشياء وأحقرها، ﴿ فتكن في صخرة ﴾ أي: في وسطها ﴿ أو في السماوات أو في الأرض ﴾ في أي: جهة من جهاتهما ﴿ يأت بها الله ﴾ لسعة علمه، وتمام خبرته، ولهذا قال: ﴿ إن الله لطيف خبير ﴾ أي: لطف في علمه وخبرته، حتى اطلع على البواطن والأسرار، وخفايا القفار والبحار.

والمقصود من هذا، الحث على مراقبة الله والعمل بطاعته مهما أمكن، والترهيب من عمل القبيح، قَلَّ أو كُثُرُ.

﴿يا بُنَيُ أقم الصلاة ﴾ حثه عليها ، وخصها لأنها أكبر العبادات البدنية ، ﴿وأَمُرْ بِالمعروف وانه عن المنكر ﴾ وذلك يستلزم العلم بالمعروف ليأمر به ، والعلم بالمنكر لينهى عنه .

والأمر بما لا يتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا به، من الرفق، والصبر، وقد صرّح به في قوله: ﴿وَاصِبر على ما أصابك﴾ ومن كونه فاعلاً لما يأمر به، كافأ لما ينهى عنه، فتضمن هذا، تكميل نفسه بفعل الخير وترك الشر، وتكميل غيره بذلك، بأمره ونهه.

ولما علم أنه لا بدأن يبتلى إذا أمر ونهى، وأن في الأمر والنهي مشقة على النفوس، أمره بالصبر على ذلك، فقال: ﴿واصبر على ما أصابك إنَّ ذلك﴾ الذي وعظ به لقمان ابنه ﴿من عزم الأمور التي يعزم عليها ويهتم بها، ولا يوفق لها إلا أمل العزائم.

﴿ ولا تُصَعِّر خدك للناس ﴿ أي: لا تُمِلهُ وتعبس بوجهك للناس، تكبُّراً عليهم وتعاظماً.

﴿ولا تمش في الأرض مرحاً ﴾أي: بِطِراً، فخراً بالنعَم، ناسياً المنعم، معجباً بنفسك. ﴿إن الله لا يحب كل محتال﴾(١) في نفسه وهيئته وتعاظمه

﴿فخور﴾ بقوله.

﴿واقصد في مشيك﴾ أي: امش متواضعاً مستكيناً، لا مَشْيَ البطر والتكبر، ولا مشى التماوت.

﴿وَاغْضَضَ مَنْ صَوِتَكُ الْدِبَا مَعُ السِّاسِ وَمِعُ اللهُ ، ﴿إِنْ الْسَكَسِرِ اللهُ عَلَى الْأَصُواتِ ﴾ أي: أفظعها وأبشعها ﴿لمُصوت الحمير ﴾ فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة ، لما اختص بذلك الحمار ، الذي قد علمت خسته وبلادته .

وهذه الوصايا التي وصى بها لقمان لابنه، تجمع أمهات الحكم، وتستلزم ما لم يذكر منها، وكل وصية يقرن بها ما يدعو إلى فعلها إن كانت أمراً، وإلى تركها إن كانت نياً.

وهذا يدل على ما ذكرنا في تفسير الحكمة، أنها العلم بالأحكام وحكمِها ومناسباتها، فأمره بأصل الدين، وهو التوحيد، ونهاه عن الشرك، وبين له الموجب لتركه، وأمره ببر الوالدين، وبين له السبب الموجب لبرهما، وأمره بمكره وشكرهما، ثم احترز بأن محل برهما وامتثال أوامرهما ما لم يأمرا بمعصية، ومع ذلك فلا يعقهما، بل يحسن إليهما، وإن كان لا يطيعهما إذا جماها أنه، وخوّفه القدوم عليه، وأنه بمراقبة الله، وخوّفه القدوم عليه، وأنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير

ونهاه عن التكبر، وأمره بالتواضع، ونهاه عن البطر والأشر والمرح، وأمره بالسكون في الحركات والأصوات، ونهاه عن ضد ذلك.

والشر إلا أتى بها.

وأمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المذكر، وإقامة الصلاة، وبالصبر اللذين يسهل بهما كل أمر، كما قال تعالى: فحقيق بمن أوصى بهذه الوصايا، أن يكون مخصوصاً بالحكمة، مشهوراً بها. ولهذا من منّة الله عليه وعلى سائر عباده، أن قص عليهم من حكمة، ما يكون لهم به أسوة حسنة.

﴿٢٠ ـ ٢١﴾ ﴿ ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير \* وإذا قيل لهم ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ﴾ يمتن تعالى عباده بنعمه، ويدعوهم إلى شكرها ورؤيتها، وعدم الغفلة عنها فقال: ﴿ ألم تسووا ﴾ أي: تشاهدوا وتبصروا بأبصاركم وقلوبكم، ﴿ أن الله سخر والقمر والنجوم، كلها مسخرات لنفع والعباد.

﴿وما في الأرض﴾ من الحيوانات والأشجار والزروع، والأنهار والمعادن ونحوها، كما قال تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾.

﴿وأسبغ عليكم ﴾ أي: عمّكم وغمركم نعمه الظاهرة والباطنة التي نعلم بها، والتي تخفى علينا، نعم الدنيا، ونعم الدين، حصول المنافع، ودفع المضار، فوظيفتكم أن تقوموا بشكر هذه النعم، بمحبة المنعم والخضوع له، وصرفها في الاستعانة على طاعته، وأن لا يستعان بشيء منها على معصيته.

وه لكن مع توالي هذه النِعَم، ومن الناس مَن لهم لي يشكرها، بل كفرها وكفر بمَن أنعم بها، وجحد الحق الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله، فجعل ﴿ يادل في الله أي: يادل عن الباطل ليدحض به الحق، ويدفع به ما جاء به الرسول من الأمر بعبادة الله وحده، وهذا المجادل على فير بصيرة، فليس جداله عن علم، فير بصيرة، فليس جداله عن علم، فيترك وشأنه، ويسمح له في الكلام في الكلام ولا هدى في يقتدي به بالمهتدين فلا معقول ولا منقول ولا اقتداء فلا معقول ولا منقول ولا اقتداء بالمهتدين أنها منين اللحق فلا معقول ولا منقول ولا اقتداء بالمهتدين الله مني اللهتدين الله مني اللهتدين الله مني اللهتدين الله مني اللهتدين اللهتدين اللهتدين اللهتدين اللهتدين اللهتدين اللهم اللهتدين اله

<sup>(</sup>١) كذا في: ب، وزاد في: أ قوله تعالى: فخور.

<sup>(</sup>٢) زيادة من: ب.

على تقليد آباء غير مهتدين، بل ضالين مضلين.

ولهذا قال: ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنـزل الله على أيـدي رسـله، فإنـه الحق، وبينت لهـم أدلته الظاهرة ﴿قالوا﴾ معارضين ذلك: ﴿بِل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ﴾ فلا نترك ما وجدنا عليه آباءنا لقول أحد، كائناً مَنْ كان.

قال تعالى في الردعليهم وعلى آبائهم: ﴿ أُولُو كَانَ الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ﴾ فاستجاب له آباؤهم، ومشوا خلفه، وصاروا من تلاميذ الشيطان، واستولت عليهم الحرة.

فهل هذا موجب لاتباعهم لهم ومشيهم على طريقتهم، أم ذلك يرهبهم من سلوك سبيلهم، وينادي على ضلالهم وضلال مَنْ اتبعهم.

وليس دعوة الشيطان لأبائهم ولهم، عبة لهم ومودة، وإنما ذلك عداوة لهم ومكر بهم، وبالحقيقة أتباعه من أعدائه، الذين تمكن منهم وظفر بهم، وقرت عينه باستحقاقهم عذاب السعير بقبول دعوته.

﴿ ٢٢ ـ ٤٢ ﴾ ﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور \* ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور \* نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾ ﴿ ومن يسلم وجهه الشرائع مخلصاً له دينه . ﴿ وهو محسن الشرائع مخلصاً له دينه . ﴿ وهو محسن في ذلك الإسلام بأن كان عمله مشروعاً ، قد اتبع فيه الرسول ﷺ

أو: ومن يسلم وجهه إلى الله، بفعل جميع العبادات، وهو محسن فيها، بأن يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه.

أو ومن يسلم وجهه إلى الله، بالقيام بحقوقه، وهو محسن إلى عباد الله، قائم بحقوقهم.

والمعاني متلازمة، لا فرق بينها إلاّ

من جهة [اختلاف] (۱) مورد اللفظتين، وإلا فكلها متفقة على القيام بجميع شرائع الدين، على وجه تقبل به وتكمل، فمن فعل ذلك فقد أسلم و (استمسك بالعروة الوثقى أي: بالعروة التي مَنْ تمسك بها، توثق ونجا، وسلم من الهلاك، وفاز بكل

ومَنْ لم يسلم وجهه شه أو لم يحسن لم يستمسك بالعروة الوثقى، وإذا لم يستمسك بالعروة الوثقى، لم يكن تَمَّ الا الهلاك والبوار. ﴿ وإلى الله عاقبة الأمور﴾ أي: رجوعها وموثلها ومنتهاها، فيحكم في عباده، ويجازيهم بما آلت إليه أعمالهم، ووصلت إليه عواقبهم، فليستعدوا لذلك الأمر.

﴿ومَنْ كفر فلا يحزنك كفره ﴾ لأنك أديت ما عليك، من الدعوة والبلاغ، فإذا لم يهتد، فقد وجب أجرك على الله، ولم يبق للحزن موضع على عدم اهتدائه، لأنه لو كان فيه خير لهداه الله.

ولا تحزن أيضاً، على كونهم تجرؤوا عليك بالعداوة ونبابذوك المحاربة، واستمروا على غيهم وكفرهم، ولا تتحرق عليهم بسبب أنهم ما بودروا بالعذاب.

فإن ﴿إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا﴾ من كفرهم وعداوتهم، وسعيهم في إطفاء نور الله وأذى رسله.

﴿إِن الله عليم بذات الصدور ﴾ التي ما نطق بها الناطقون، فكيف بما ظهر، وكان شهادة؟!!

﴿نمتعهم قليلاً في الدنيا، ليزداد إسمهم، ويتوفر عذابهم، ﴿ثم نضطرهم أي: [نلجئهم] (٢) ﴿ إِلَى عَذَابِ غَلَيْظ ﴾ أي: انتهى في عظمه وكبره وفظاعته وأله وشدته.

CO CHARGE IN COMMENT TO SEE ألَاتَةَ وْأَ أَنَّ ٱللَّهُ سَاخَّةً كَحُدمًا فِٱلسَّكَةَ نَ وَهَافِ ٱلْأَرْضِ وَأَسْكِفَ عَلَيْكُمْ يَعَمَّهُ فَلَهُمَ ۚ وَكَاطِلَتَهُ ۚ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن تَجَلِدِلُ فِ ٱللَّهِ بِعَيْرِ عِلْمِ وَلَاهُ دَى وَلَا كِنْكِ مُنِيرٍ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَمُدُاتَيِعُواْمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَشِّيعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ وَالبَّكَةَ أَأَ أَوَلَوْكَانَ ٱلشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَّى عَذَابِٱلسَّعِيرِ ۞ \* وَمَن يُسْلِرُ وَجَهَهُ وَإِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْمِينٌ فَقَدِ السِّمَ عَسَكَ بِٱلْمُرْوَةِ ٱلْوَثْقَدُّ وَإِلَى اللَّهِ عَلِقِبَةُ ٱلْأَمُودِ ۞ وَمَن كَفَرَفَلَا يَخَمُنكَ كُفُرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّتُهُمْ بِمَاعِيلُوا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۞ تُمَّيْعُهُمْ قَلِيلَا ثُمَّانَضَطَرُهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَينظِ ۞ وَلَين سَأَلْتُهُ مُنَّ خَلَقَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ ٱلْحُمَّدُ يَنَّوْ بَلْ أَكْتَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ يَلَّهِ مَانِ ٱلسَّنَوْتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ أَنْدَهُ هُوٓ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَيْدِ لُهُ ۞ وَلُوَّأَمُّنَّا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةِ أَقَلَا وَٱلْحَرِيمَ مُعْمِينَ بَعْدِهِ مَسْتَعَةُ أَبْحَي ا مَّانَفِدَتْ كَلِئْتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزُ كَكِيدُ ۞ مَّا خَلْقُكُرْ إِلَّ وَلَابَعْثُكُرُ إِلَّاكَنَفْسِ وَلِيدَةً إِنَّ أَلَةَ سَيَعِ بَصِيعٌ بَصِيعٌ وَلِيدً ﴿ OF THE SECTION OF THE

هو الغني الحميد \* ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم \* ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير أي: ولئن سألت هؤلاء المشركين المكذبين بالحق ﴿من خلق السماوات﴾ لعلموا أن أصنامهم ما خلقت شيئاً من ذلك، ولبادروا بقولهم الله الذي خلقهما وحده.

ف ﴿قل﴾ لهم ملزماً لهم، ومحتجاً عليهم بما أقروا به، على ما أنكروا: ﴿الحمد شَهُ الذي بين النور، وأظهر الاستدلال عليكم من أنفسكم، فلو كانوا يعلمون، لجزموا أن المنفرد بالخلق والتدبير، هو الذي يفرد بالعبادة والتوحيد.

ولكن ﴿أكثرهم لا يعلمون﴾ فلذلك أشركوا به غيره، ورضوا بنناقض ما ذهبوا إليه، على وجه الحيرة والشك، لا على وجه البصيرة، ثم ذكر في هاتين الايتين نموذجاً من سعة أوصافه، ليدعو عباده إلى معرفته ومحبته وإخلاص الدين له.

فذكر عموم ملكه، وأن جميع ما في السماوات والأرض \_ وهذا شامل لجميع العالم العلوي والسفلي \_ أنه ملكه، يتصرف فيهم بأحكام الملك

التَّنَسَ وَالشَّهُ عَلِمُ النَّهِ وَالْهَا وَفُهُ النَّهُ وَالْهَا اللَّهُ مَنَ اللَّهُ مَنْ وَالْهَا لِمَعْنَى وَالْهَا لِمَا عَنْ وَالْهَا لِمَعْنَى وَالْهَا لِمَعْنَى وَالْهَا لِمَعْنَى وَالْهَا لِمَعْنَى وَالْهَا لِمَعْنَى وَالْهَا لِمَعْنَى وَالْهَا لَهُ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الْمُلْعِلَمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَ

BELLEY CHARLES

القدرية، وأحكامه الأمرية، وأحكامه الجزائية، فكلهم عبيد عاليك، مدبرون مسخرون، ليس لهم من الملك شيء، وأنه واسع الغني، فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه أحد من الخلق. ﴿ مَا أَرِيد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾.

وأن أعمال النبيين والصديقين والشهداء والصالحين لا تنفع الله شيئاً وإنما تنفع عامليها، والله غني عنهم وعن أعمالهم، ومن غناه، أن أغناهم وأقناهم في دنياهم وأخراهم.

ثم أخبر تعالى عن سعة حمده، وأن حمده من لوازم ذاته، فلا يكون إلا حميداً من جميع الوجوه، فهو حميد في صفاته، فكل صفة من صفاته، يستحق عليها أكمل حمد وأقه، لكونها صفات عظمة وكمال، وجميع ما فعله وخلقه يحمد عليه، وجميع ما أمر به ونهى عنه يحمد عليه، وجميع ما حكم به في العباد وبين علمه عالم عليه، العباد، في الدنيا والآخرة، يحمد عليه،

ثم أخبر عن سعة كلامه وعظمة قوله، بشرح يبلغ من القلوب كل مبلغ، وتنبهر له العقول، وتحير فيه الأفئدة، وتسيح في معرفته أولو الأباب والبصائر، فقال: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ﴾ يكتب بها

﴿والبحر يمده من بعده سبعة أبحر﴾ مداداً يستمد بها، لتكسرت تلك الأقلام، ولفني ذلك المداد، ولم تنفد ﴿كلمات الله ﴿ تعالى، وهذا ليس مبالغة لا حقيقة له، بل لما علم تبارك وتعالى أن العقول تتقاصر عن الإحاطة ببعض صفاته، وعلم تعالى أن معرفته لعباده أفضل نعمة أنعم بها عليهم، وأجلُّ منقبة حصلوها، وهي لا تمكن على وجهها، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، فنبههم تعالى تنبيها تستنير به قلوبهم، وتنشرح له صدورهم، ويستدلون بما وصلوا إليه إلى ما لم يصلوا إليه، ويقولون كما قال أفضلهم وأعلمهم بربه: «لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك،، وإلاّ، فالأمر أجلّ من ذلك

وهذا التمثيل، من باب تقريب المعنى، الذي لا يطاق الوصول إليه إلى الأفهام والأذهان، وإلا فالأشجار، وإن تضاعفت على ما ذكر أضعافا كثيرة، والبحور لو امتدت<sup>(۱)</sup> بأضعاف مضاعفة، فإنه يتصور نفادها وانقضاؤها، لكونها نخلوقة.

وأعظم.

وأما كلام الله تعالى، فلا يتصور نفاده، بل دلنا الدليل الشرعي والعقلي، على أنه لا نفاد له ولا منتهى، وكل شيء ينتهي إلا الباري وصفاته ﴿وأن إلى ربك المتهى﴾.

وإذا تصور العقل حقيقة أوليته تعالى وآخريته، وأنه كل ما فرضه الذهن من الأزمان السابقة، مهما تسلسل الفرض والتقدير، فهو تعالى قبل ذلك إلى غير من الأزمان المتأخرة، وتسلسل الفرض والتقدير، وساعد على ذلك من ساعد بقلبه ولسانه، فالله تعالى بعد ذلك إلى غير غاية ولا نهاية.

والله في جميع الأوقات يحكم، ويتكلم، ويقول، ويفعل كيف أراد، وإذا أراد لا مانع له من شيء من أقواله

وأفعاله، فإذا تصور العقل ذلك، عرف أن المشل الذي ضربه الله لكلامه، ليدرك العباد شيئاً منه، وإلا، فالأمر أعظم وأجل.

ثم ذكر جلالة عزته وكمال حكمته فقال: ﴿إِن الله عزيز حكيم ﴾ أي: له العزة جميعاً، الذي ما في العالم العلوي والسفلي من القوة إلا منه، أعطاها للخلق، فلا حول ولا قوة إلا به، وبعزته قهر الخلق كلهم وتصرف فيهم وببحكمته خلق الخلق، وابتدأه بالحكمة، وجعل غايته والتهي وجد بالحكمة، وكذلك الأمر والنهي وجد بالحكمة، وكانت غايته المقصودة الحكمة، وكانت غايته المقصودة الحكمة، فهو الحكيم في خلقه وأمره.

ثم ذكر عظمة قدرته وكمالها، وأنه لا يمكن أن يتصورها العقل، فقال: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴾ وهذا شيء يحير العقول، إن خلق جميع الخلق على كثرتهم وبعثهم بعد موتهم، بعد تفرقهم في لمحة واحدة - كخلقه نفساً واحدة، فلا وجه لاستبعاد البعث والنشور والجزاء على الأعمال، إلا الجهل بعظمة الله وقوة قدرته.

ثم ذكر عموم سمعه لجميع المسموعات، وبصره لجميع المصرات، فقال: ﴿إِنَّ اللهُ سميع بصير﴾

﴿٢٩ ـ ٣٠﴾ ﴿ آلَم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير \* ذلك بأن الله هو الحق وأن الله هو المعلى الكبير ﴾ وهذا فيه أيضاً ، انفراده بالتصرف والتدبير ، وسعة تصرفه بإيلاج الليل في النهار ، وإيلاج النهار في الليل ، أي: إدخال أحدهما على الأخر ، فإذا دخل أحدهما على الآخر .

وتسخيره للشمس والقمر، يجريان بتدبير ونظام، لم يختل منذ خلقهما، الجزء الحادي والعشرون

ليقيم بذلك من مصالح العباد ومنافعهم، في دينهم ودنياهم، ما به يعتبرون وينتفعون.

و ﴿كل﴾ منهما﴿يجري إلى أجل مسمّى﴾ إذا جاء ذلك الأجل، انقطّ جريانهما، وتعطِّل سلطانهما، وذلكَ في يوم القيامة ، حين تكور الشمس، ويخسف القمر، وتنتهى دار الدنيا، وتبتدىء الدار الآخرة.

﴿وأن الله بما تعملون ﴾ من خير وشر ﴿خبير﴾ لا يخفي عليه شيء من ذلك، وسيجازيكم على تلك الأعمال، بالثواب للمطيعين، والعقاب للعاصين.

و ﴿ ذلك ﴾ الذي بين لكم من عظمته وصفاته، ما بيَّن﴿بِأَنِ اللهِ هـو الحق﴾ في ذاته وفي صفاته، ودينه حق، ورسله حق، ووعده حق، ووعيده حق، وعبادته هي الحق.

﴿وأن ما يدعون من دونه الباطل﴾ في ذاته وصفاته، فلولا إيجاد الله له لما وجد، ولولا إمداده لَما بَقِيَ، فإذا كان باطلاً، كانت عبادته أبطل وأبطل.

﴿وأن الله هو العلى ﴾ بذاته، فوق جميع مخلوقاته، الذي علت صفاته، أن يقاس بها صفات أحدٍ من الخلق، وعلا على الخلق فقهرهم، ﴿الكبير﴾ الذي له الكبرياء في ذاته وصفاته، وله الكبرياء في قلوب أهل السماء والأرض.

﴿٣١ ـ ٣٢﴾ ﴿ألم تسر أن المقالمك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور \* وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلاّ كل ختار كفور﴾ أي: ألم تر من آثار قدرته ورحمته وعنايته بعباده، أن سخّر البحر، تجري فيه الفلك بأمره القدري

[ولطفه وإحسانه، ﴿ليريكم من آياته﴾ ففيها الانتفاع والاعتبار](١).

﴿إِن فِي ذَلِكَ لأَبِاتِ لِكُلِّ صِبَّار شكور﴾ فهم المنتفعون بالآيات، صبّار على الضراء، شكور على السرّاء، صبّار على طاعة الله وعن معصيته وعلى أقداره، شكور لله على نعمه الدينية

وذكر تعالى حال الناس عند ركوبهم البحر وغشيان الأمواج كالظل فوقهم، أنهم يخلصون الدّعاء [لله](٣) والعبادة: ﴿فلما نجاهم إلى البر﴾ انقسموا فريقين:

فرقة مقتصدة، أي: لم تقم بشكر الله على وجه الكمال، بل هم مذنبون ظالمون لأنفسهم.

وفرقة كافرةً بنعمة الله، جاحدة لها، ولهذا قال: ﴿وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار ﴾ (٤) أي: غدار، ومن غدره أنه عاهد ربه، لئن أنجيتنا من البحر وشدته، لنكونن من الشاكرين، فغدر، ولم يف بذلك، ﴿كفور﴾ بنَعَمْ الله. فهل يليق بمن نجاهم الله من هذه الشدة، إلا القيام التام بشكر نِعَم الله؟

﴿٣٣﴾ ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والدعن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرَّنكم بالله الغرور) يأمر تعالى الناس بتقواه، التي هي امتثال أوامره وترك زواجره، ويستلفتهم لخشية يوم القيامة، اليوم الشديد، الذي فيه كل أحد لا يهمه إلا نفسه، ف ﴿ لا يجزى والدعن ولده ولا مولود هو جازعن والده شيئاً ﴾ لا يزيد في حسناته ولا ينقص من سيئاته، قد تم على كل عبد عمله، وتحقق عليه جزاؤه.

が 対対 対対 ア الَّدُّ تَنزِيلُ ٱلْكِتُبِ لَارْتِبَ فِيهِ مِن زَّبِ ٱلْمَالِمِينَ ٥ آهْرَيْقُولُونَ أَفْتَرَمْهُ بَلْ هُوَالْحَقُّ مِن زَّيْكَ لِنُنذِرَ فَوْمَا مَّا أَنْسَهُم . مِّن نَّـذِيرِ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْمَنَدُونَ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي حَلَقَ ٱلسَّنَوْتِ وَٱلْأَصْ وَمَابَيْنَهُ مَا فِي سِتَّةِ أَيَّا مِرْثُرُ أسْتَوَىٰعَلَالْكَرْشِ مَالَكُم مِن دُونِهِ مِن وَلِي وَلَا شَهْبِهُ أفكونتك كروت ٥ يُدَيِّزاً لأَمْرَ مِنَ السَّعَلَةِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّيِّةً وُمُ إِلَيْهِ فِي يُوْمِكَانَ مِقْدَانُهُ ۖ أَلْفَ سَنَةِ ثِمَّا تَعَدُّونَ ۞ ذَاكِ عَلِيرُ الْعَيْبِ وَالشَّهَارَةِ ٱلْعَيْدِ الْحَيْدُ الْحَيْدُ الْحَيْدُ الْحَيْدُ الْحَيْدُ ٱلَّذِيَّ أَحْسَنَ كُلُّ ثَنَّي وِخَلَقَكُ وَبَكَأَخَلُقَ ٱلْإِنسَانِ مِن طِينِ۞ ثُرُّجَعَكَ نَسْلَهُ مِن سُلَلَةٍ مِن مُّآءِ مِّهِ رِبِ۞ ثُمُّ سَوَّلهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن زُّوجِهِ. وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْإَحْرَرَ وَٱلْأَفْوِدَةُ عَيْدُمَا تَشْكُرُونَ ۞ وَمَالَوْا أَوْدَا حَدَالْنَافِ ٱلْأَتِينِ أَوْنَا لَيْ خَلْقِ جَدِيدُ بِلَ هُرِيلِقَكَ وَيَعِهِ ذَكْفِرُونَ ۞ • قُلْ

يَّوَفِّنَكُمْ مَلَكُ ٱلْوِّتِ ٱلَّذِي وَكَلَ يَكُونُونَ إِلَى رَيِّكُو تُوْكَوُن ٥

OVERDA ... PORCEO

فلفت النظر في هذا لهذا اليوم المهيل، مما يقوى العبد ويسهل عليه تقوى الله، وهذا من رحمة الله بالعباد، يأمرهم بتقواه التي فيها سعادتهم، ويعدهم عليها الثواب، ويحذرهم من العقاب، ويزعجهم إليه بالمواعظ والمخوفات، فلك الحمديمارب العالمين.

﴿إِنْ وَعَدْ اللهِ حَقَّ ﴾ فلا تمتروا فيه، ولا تعملوا عمل غير المصدق، فلهذا قال: ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ بزينتها وزخارفها وما فيها من الفتن

﴿ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ الذي هو الشيطان، الذي ما زال يخدع الإنسان ولا يغفل عنه في جميع الأوقات، فإن لله على عباده حقاً، وقد وعدهم موعداً يجازيهم فيه بأعمالهم، وهل وفوا حقه أم قصروا فيه.

وهذا أمر يجب الاهتمام به، وأن يجعله العبد نصب عينيه، ورأس مال تجارته التي يسعى إليه.

ومن أعظم العوائق عنه والقواطع دونه، الدنيا الفتانة، والشيطان

زيادة من: ب. (1)

في ب: كالظلل. **(Y)** 

زيادة من: ب. (٣)

كذا في ب، وزاد في أ: قوله تعالى: ﴿كفور﴾. (٤)

الم يُؤلِو المِينَانِ المُؤلِّدُ الْمُؤلِّدُ المُؤلِّدُ المُؤلِّذِ المُؤلِّدُ المُؤلِّدُ المُؤلِّدُ المُؤلِّدُ المُؤلِّدُ المُولِي المُؤلِّدُ المُؤلِّدُ المُؤلِّدُ المُؤلِّدُ المُؤلِّذُ المُولِي المُؤلِّدُ المُؤلِّدُ المُؤلِّدُ المُؤلِّذِ المُؤلِّذِ المُولِي المُؤلِّذِ المُؤلِّذِ المُؤلِّذِ المُؤلِّذِ المُؤلِّذِ المِي وَلَوْتَرَكَا إِذِ لَلْهُ وَمُونَ أَكِسُواْرُهُ وسِهِمْ عِندَ رَبِّهِ مِرْتِناً أَبْصَرُنَا وَسَمِعْنَا فَأَرْجِعْنَا فَعْمَلْ صَلِيحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۞ وَلَوْشِنْنَا لَآنَيْنَاكُلُّ فَقْيلِ هُدَنْهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْفَوْلُ مِنَّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَكَٰمَ مِنَ ٱلْجَنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۞ فَذُوقُواْ عَانَسِيتُمُ لِقَاءً وَمِكْمُ هَاذَآ إِنَّانَسِينَكُمُّ وَذُوقُواْعَكَابَ ٱلْحُلُومَ الْحُنْتُرْتَعَ مَلُوبَ ١ إِنَّا يُؤْمِثُ وَالِيْتِنَا ٱلَّذِينَ إذا ذُحِيِّرُوا بِهَا خَرُوا مُعِنَدًا وَسَبَحُوا بِحَدِد رَبِّهِ مُوقَعُ لَايِسَتَكُيرُونَ ۞ ﴿ تَعَالَلَجُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمُسَالِحِ يَنْعُونَ رَبُّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعُ اوْمُأَارَزُقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۞ فَلَا تَعَالُمُ نَفْسٌ مَّا أَخْفِي لَمُمُ مِن قُرِّعِ أَعْيُن جَرَّاءً كِمَاكَانُواْ يَعْسَلُونَ ۞ أَفَنَكَانَ مُؤْمِنَا كُنْ كَانَ فَاسِفَا لَابَسْتَوُونَ ﴿ أَمَّا الَّذِينَ مَامَنُوا وَعَيمُلُوا الصَّالِحَتِ فَلَهُمْ جَنَّتُ الْمَأْوَى نُزُلَامِمَاكَانُواْيَعْمَلُونَ ۞ وَلَمَا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَأُونِهُمُ ٱلنَّانِّ كُنَّا أَرُادُوا أَن يَغْرُجُ إِمِنْهَا أَيْبُ وَافِهَا وَقِلَ لَمُعُرَّ دُوقُواْعَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُر بِدِهِ تَحَكَذَبُونَ ۞ ACTION IN ECUTED!

الموسوس المُسَوِّل، فنهى تعالى عباده أن تغرهم الدنيا أو يغرهم بالله الغرور ﴿ يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ﴾ .

﴿٣٤﴾ ﴿إِن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي: أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ قد تقرر أن الله تعالى أحاط علمه بالغيب والشهادة، والظواهر والبواطن، وقد يطلع الله عباده على كشير من الأمور الغيبية، وهذه [الأمور](١) الخمسة، من الأمور التي طوى علمها عن جميع المخلوقات، فلا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب، فضلاً عن غيرهما، فقال: ﴿إِن الله عنده علم الساعة ﴾ أي: يعلم متى مرساها، كما قال تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة أيّان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلاَّ بغَّتة ﴾ الآية.

﴿وينزل الغيث﴾ أي: هو المنفرد بإنزاله، وعلم وقت نزوله.

﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ فهو الذي أنشأ ما فيها، وعلم ما هو، هل هو ذكر أم أنثى، ولهذا يسأل الملك الموكل

بالأرحام ربه: هل هو ذكر أم أنشى؟ فيقضى الله ما يشاء.

﴿وَما تدري نفس ماذا تكسب غداً ﴾ من كسب دينها ودنياها، ﴿وما تدري نفسٌ بأي: أرض تموت ﴾ بل الله تعالى هو المختص بعلم ذلك جميعه.

ولما خصص هذه الأشياء، عمم علمه بجميع الأشياء فقال: ﴿إِنَ اللهُ عليم خبير﴾ عيط بالظواهر والبواطن، والخفايا والخبايا والسرائر، ومن حكمته التامة، أن أخفى علم هذه الخمسة عن العباد، لأن في ذلك من المصالح ما لا يخفى على مَنْ تدبير ذلك.

تم تفسير سورة لقمان بفضل الله وعونه، والحمد لله

## تفسير سورة السجدة وهي مكية

(١ - ٣) (بسسم الله السرحسن الرحيم الم \* تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين \* أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يجتدون كيبر تعالى أن هذا الكتاب الكريم، أنه تنزيل نزل من رب العالمين، الذي رباهم بنعمته.

ومن أعظم ما رباهم به، هذا الكتاب، الذي فيه كل ما يصلح أحوالهم، ويتمم أخلاقهم، وأنه لا ريب فيه ولا شك ولا امتراء، ومع ذلك قال المكذبون للرسول الظالمون في ذلك: افتراه محمد، واختلقه من عند نفسه، وهذا من أكبر الجراءة على إنكار كلام الله، ورمي عمد على كلام مثل كلام الخالق.

وكل واحد من هذه من الأمور العظائم، قال الله \_رادًا على مَنْ قال: افتراه: \_﴿بل هـو الحـق﴾ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. ﴿من

وهذه الأشياء التي ذكرها الله، كلها مناقضة لتكذيبهم له، وإنها تقتضي منهم الإيمان والتصديق التام به، وهو كونه (من رب العالمين) وأنه (الحق) والحق مقبول على كل حال، وأنه فليس فيه ما يوجب الريبة، لا بخبر لا يطابق للواقع (٢٠)، ولا بخفاء واشتباه معانيه، وأنهم في ضرورة وحاجة إلى الرسالة، وأن فيه الهداية لكل خير وإحسان.

﴿٤ \_ ٩ ﴾ ﴿الله السدى خسلسق السماوات والأرض وما بينهما في ستة آيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون \* يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة ٰ عا تعدون \* ذلكُ عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم \* الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين \* ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين \* ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاما تشكرون الخبر تعالى عن كمال قدرته بخلق ﴿السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ أوَّلها يوم الأحد وآخرها الجمعة، مع قدرته على خلقها بلحظة، ولكنه تعالى رفيق

وَّثُمُ استوى على العرش الذي هو سقف المخلوقات، استواء يليق بجلاله. ﴿ ما لكم من دونه من ولي ﴾ يتولاكم في أموركم فينفعكم ﴿ ولاشفيع ﴾ يشفع لكم إن توجه عليكم العقاب.

﴿أَفِلا تَتَذَكِّرُونَ ﴿ فَتَعَلَّمُونَ أَنْ

خالق الأرض والسماوات، المستوي على العرش العظيم، الذي انفرد بتدبيركم وتوليكم، وله الشفاعة كلها، هو المستحق لجميع أنواع العبادة.

﴿يدبر الأمر ﴾ القدري والأمر الشرعي، الجميع هو المنفرد بتدبيره، نازلة تلك التدابير من عند المليك القدير ﴿ مِن السماء إلى الأرض ﴾ فَيُسْعِدُ بها ويُشْقِي، ويُغْنِي ويُفْقِرُ، ويُعِزُّ ويُذِلُّ، ويُكرمُ ويهُينُ، ويرفع أقواماً ويضع آخرين، ويُنزِّل الأرزاق.

﴿ ثم يعرج إليه ﴾ أي: الأمر ينزل من عنده ويعرج إليه ﴿ في يوم كان مقداره ألف سنة تما تعدون ﴿ وهو يعرج إليه ويصله في لحظة.

﴿ ذلك ﴾ اللذي خلق تسلك المخلوقات العظيمة ، الذي استوى على العرش العظيم، وانفرد بالتدابير في المملكة، ﴿عالمُ الغيبِ والشهادة العزيز الرحيم فبسعة علمه، وكمال عزته، وعموم رحمته، أوجدها، وأودع فيها من المنافع ما أودع، ولم يعسر عليه تدبير ها .

﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ أي: كل مخلوق خلقه الله، فإن الله أحسن خلقه، وخلقه خلقاً يليق به ويوافقه، فهذا عام.

ثم خص الآدمي لشرفه وفضله فقال: ﴿وبِدأ خلق الإنسان من طين﴾ وذلك بخلق آدم عليه السلام، أبي

﴿ثم جعل نسله﴾أي: ذرية آدم ناشئة ﴿من ماء مهين﴾وهو النطفة المستقذرة الضعيفة.

وثم سواه بلحمه وأعضائه وأعصابه وعروقه، وأحسن خلقته، ووضع كل عضو منه بالمحل الذي لا يليق به غيره، ﴿ونفخ فيه من روحه ﴾ بأن أرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، فيعود بإذن الله حيواناً بعد إذ

كان حماداً.

﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمِعِ وَالْأَبْصَارِ ﴾ أي: ما زال يعطيكم من النافع شيئا فشيئا، حتى أعطاكم السمع والأيصار ﴿ وَالْأَفْلَةُ قَلْيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ الذي خلقكم وصوركم.

﴿١١ ــ ١١﴾ ﴿وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد بل هم بلقّاء ربهم كافرون \* قل يتوفاكم ملكُ الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) أي: قال الكذبون بالبعث على وجه الاستبعاد: ﴿ أَإِذَا صَلَّلُنَا فِي الأرض﴾ أي: بلينًا وتمزقنا، وتفرقناً في المواضع التي لا تُعْلَمُ.

﴿ أَإِنا لَفَي خِلْقَ جِدِيد ﴾ أي: لمبعوثون بعثاً جديداً. بزعمهم أن هذا من أبعد الأشياء، وذلك لقياسهم قدرة الخالق بقدرهم.

وكلامهم هذا، ليس لطلب الحقيقة، وإنما هو ظلم وعناد، وكفر بلقاء ربهم وجحد، ولهذا قال: ﴿بل هم بلقاء ربهم كافرون و فكلامهم عُلمَ (١) مصدره وغايته، وإلاّ، فلوكان قصدهم بيان الحق، لَبَيِّن لهم من الأدلة القاطعة على ذلك، ما يجعله مشاهداً للبصيرة بمنزلة الشمس للبصر.

ويكفيهم أنهم معهم علم أنهم قد ابْتُدِثُوا من العدم، فالإعادة أسهل من الابتداء، وكذلك الأرض الميتة، ينزل الله عليها المطر، فتحيا بعد

موتها، وينبت به متفرق بذورها.

﴿ قُل يَتُوفَاكُم مَلَكُ الْمُوتُ الَّذِي وُكُل بِكُم أَي: جَعله الله وكيلاً على قبض الأرواح، وله أعوان. ﴿ ثُم إلى ربكم ترجعون البيجازيكم بأعمالكم، وقد أنكرتم البعث، فأنظروا مأذا يفعل الله بكم.

﴿١٤ ــ ١٢﴾ ﴿ولـــو تـــري إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون \* ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس

TO WHITE I WELLING TO وَلَنُذِيقَنَكُمْ مِنَ ٱلْعَنَابِ ٱلْأَدْنَا دُونَ ٱلْعَنَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ رَبِّحِمُونَ ۞ وَمَنْ أَظْلَرُمَنَ ذُكِّرَ اَيْنِ رَبِّهِ مِثْرًا الْقَيْنَ مَنْهَا أَنَّا مِنَ الْفُرْمِينَ مُسَتَقِمُونَ ۞ وَلَقَدْ مَا لَيْنَ ا مُوسَى ٱلْكِنْبَ فَلَاتَكُن فِي مِنْ فِي قِن لِْقَا إِدٍّ وَجَعَلْنَهُ هُدُى لِينَ إِنْهُ وَيَهَ فَ وَجَعَلْنَا مِنْهُمُ أَمِينَةً يَهْدُونَ بِأَمْنِهَا لَمُنَاصَبَرُواً وَكَانُواْ مِنَالِيَنَا يُوقِنُونَ ۞ إِذَّارَاكَ هُوَ يَفْصِلُ بِيَنَكُمْرَ تُومَ ٱلْقِيكَةِ فِيمَاكَانُواْفِيهِ يَغْتَلِفُوكَ ۞ أَوْلَرُيّهُ دِلْهُمْ كُمّ أَهْلَكَ نَامِن قَبْلِهِ مِنْ ٱلْقُرُونِ يَتَشُونَ فِ مَسَاكِينِهِ مَرَٰإِنَّ فِي ذَاكِ آلَابَتُ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ۞ أَوْلَةً يَرْوَأَ أَنَا مَنُوقُ ٱلْمَاتَةِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُدُرُ وَفَعُورَجُ بِهِ وَزَعَا تَأْكُلُمِنْهُ أَنْفَلُهُ مُعْرَوَأَنفُ مُعْرَأَكُلا يُبْعِمُون ۞ وَيَقُولُونَ مَقَاهَا ذَا ٱلْمَتْمُ إِن كُنتُرْصَادِقِينَ @ أَقُلْ يَقِمَ الْفَتْمِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْنَاهُمْ وَلَا هُمُ يُظَرُونَ @ فَأَعْرِضَ عَنْهُمْ وَأَنْظِرُ إِنَّا مُرْشَعَظِ رُونَ ؟ المناقبان والمناقبات DYLADY IVEGRACO

أجمعين \* فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون كلا ذكر تعالى رجوعهم إليه يوم القيامة، ذكر حالهم في مقامهم [بين يديه]<sup>(٢)</sup>، فقال: ﴿ولو ترى إذْ المجرمون﴾ الذين أصروا على الذنوب العظيمة، ﴿ناكسوا رؤوسهم عند ربهم اخاشعين خاضعين أذلاء، مقرين بجرمهم، سائلين الرجعة قائلين: ﴿ رَبُّنَا أَبِصُرْنَا وسمعنا أي: بان لنا الأمر، ورأيناه عياناً، فصار عين يقين.

﴿فَارِجِعِنَا نَعِمِلُ صِالْحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أى: صار عندنا الآن يقين بما [كنا] (٣) نكذب به، أي: لرأيت أمراً فظيعاً، وحالاً مزعجة، وأقواماً خاسرين، وسؤلاً غير مجاب، لأنه قد مضى وقت الإمهال.

وكل هذا بقضاء الله وقدره، حيث خلى بينهم وبين الكفر والمعاصي، فلهذا قال: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾أي: لهدينا الناس كلهم، وجمعناهم على الهدى، فمشيئتنا صالحة لذلك، ولكن الحكمة تأبي أن يكونوا كلهم على الهدى، ولهذا قال: ﴿ولكن حق القول مني اي: وجب، وثبت

كذا في: ب، وفي أ: ظلم، ولعل الصوأب ما أثبته. (1)

<sup>(</sup>٢) زيادة من: ب.

<sup>(</sup>٣) زيادة من: ب.

THE CONTRACT OF THE PARTY OF TH حاقة الغذالتجاء يَتَأَيُّهُا النِّيمُ اللَّهِ وَلَا تُعْلِعِ الْكَافِينَ وَالْنَافِقِ لَ أَلَيْ اللَّهِ اللَّهِ الْك كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ وَأَتَّبِغُ مَا تُوحَيِّ إِلَيْكَ مِن زَمْكُ إِنَّ ٱللَّهَ كَالَ بِمَاتَعْمَلُونَ خَيْرًا ۞ وَقَوَكَمْ عَلَى ٱللَّهُ وَكَعَالَ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۞ مَّاجَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلُ مِن قَلْبَكِينَ فِي جَوْفِيهِ أَه وَمَاجَعَلَ أَزْوَجَكُمُ ٱلْكِنِي نُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَا تَكُمُّ وَمَاجَعَلَ أَدْعِيآ اَكُوْ أَيْنآ اَكُوْ ذَٰلِكُمْ فَوَلَكُمْ بِأَفْوَاهِكُمٌّ وَأَهَّدُ يَقُولُ أَنْتُقَّ وَهُويَهُ دِى أَلْسَكِيلَ ۞ أَدْعُوهُمْ لِأَبَأَبِهِمْ هُوَأَفَّكُ عِندَاللَّهُ فَإِن لَّرَتَعُ لَمُوٓا ءَابَآءَ هُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي ٱلِين وَمَوَّالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُمَامٌ فِيمَا ٱلْخَطَالُمُ بِدِهِ وَلَكِن مَّانَعَكَدَّتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَكُولًا رِّحِيمًا ۞ ٱلنَّيِّ أَوْلَا بِٱلْمُؤْمِنِينِ مِنْ أَنفُسِهِمُّ وَأَزْوَجُهُو أُمَّهَا لُهُمُّ وَأُولُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَكِ بِبَعْضِ فِ كِتَنِ اللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلَلْمُهُ بِحِينَ إِلَّا أَن قَفْ عَلْوَ إِلَّا أَوْلِياً بِكُم مَّعُونُ أَكَارَ ذَلِكَ فِي ٱلْكِينَ مَسْطُورًا ۞ TO THE STATE OF TH

ثبوتاً لا تغير فيه.

﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمين ﴾ فهذا الوعد لا بدمنه، ولا محيد عنه، فلا بدمن تقدير أسبابه من الكفر والمعاصى.

﴿فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا أي: يقال للمجرمين الذين ملكهم الذل، وسألوا الرجعة إلى الدنيا، ليستدركوا ما فاتهم، قد فات وقت الرجوع ولم يبق إلا العذاب، فذوقوا العذاب الأليم بما نسيتم لقاء يومكم هذا، وهذا النسيان نسيان ترك، أي: بما أعرضتم عنه وتركتم العمل له، وكأنكم غير قادمين عليه ولا ملاقيه.

﴿إنا نسيناكم﴾ أي: تركناكم بالعذاب، جزاء من جنس عملكم، فكما نسيتُم نُسِيتُم، ﴿ووْدُوقُوا عذاب الخلد﴾ أي: العذاب غير المنقطع، فإن العذاب إذا كان له أجل وغاية، كان فيه بعض التنفيس والتخفيف، وأما عذاب جهنم -أعاذنا الله منه -فليس فيه روح راحة، ولا انقطاع لعذابهم فيها. ﴿لِما كنتم تعملون﴾ من الكفر والفسوق والمعاصى.

﴿١٥ - ١٧﴾ ﴿إنما يؤمن بآياتنا النيس إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بسحمد ربهم وهم

لا يستكبرون \* تنجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفأ وطمعأ ومما رزقناهم ينفقون \* فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴿ لَمَا ذَكُر تعالى الكافرين بآياته ، وما أعد لهم من العذاب، ذكر المؤمنين بها، ووصفه، وما أعدلهم من الثواب، فقال: ﴿إنما يؤمن بآياتنا﴾ [أي: ](١) إيماناً حقيقياً، من يوجد منه شواهد الإيمان، وهم: ﴿اللَّهِينِ إِذَا ذكروا بآيات ربهم فتليت عليهم آيات القرآن، وأتتهم النصائح على أيدي رسل الله، وَدُعُوا إلى التذكر، سمعوها فقبلوها، وانقادوا، و ﴿خروا سُجّداً ﴾ أي: خاضعين لها، خضوع ذكر لله، وفرح بمعرفته.

وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون لا بقلوبهم، ولا بأبدانهم، فيمتنعون من الانقياد لها، بل متواضعون لها، قد تلقوها بالقبول، والتسليم وقابلوها بالانشراح والتسليم، وتوصلوا بها إلى مرضاة الرب الرحيم، واهتدوا بها إلى الصراط المستقيم.

﴿تَتَجَافَ جَنُوبِهُمْ عَنَ المَضَاجِعِ﴾ أي: ترتفع جنوبهم، وتنزعج عن مضاجعها اللذيذة، إلى ما هو ألذ عندهم منه وأحب إليهم، وهو الصلاة في الليل، ومناجاة الله تعالى.

ولهذا قال: ﴿يدعون ربهم﴾ أي: في جلب مصالحهم الدينية والدنيوية، ودفع مضارهما. ﴿خوفاً وطمعاً﴾ أي: جامعين بين الوصفين، خوفاً أن ترد أعمالهم، وطمعاً في قبولها، خوفاً من عذاب الله، وطمعاً في ثوابه.

ومما رزقناهم ممن الرزق، قليلاً كان أو كثيراً فينفقون ولم يذكر قيد النفقة، ولا المنفق عليه، ليدل على العموم، فإنه يدخل فيه، النفقة الواجبة، كالزكوات، والكفارات، ونفقة الزوجات والأقارب، والنفقة الستحبة في وجوه الخير، والنفقة والإحسان المالى خير مطلقاً، سواء

وافق غنياً أو فقيراً، قريباً أو بعيداً، ولكن الأجر يتفاوت بتفاوت النفع، فهذا عملهم.

وأما جزاؤهم، فقال: ﴿فلا تعلم نفس﴾ يدخل فيه جميع نفوس الخلق، لكونها نكرة في سياق النفي. أي: فلا يعلم أحد ﴿ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ من الخير الكثير، والنعيم الغزير، والفرح والسرور، واللذة والحبور، كما قال تعالى على لسان رسوله: «أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

فكما صلوا في الليل ودعوا، وأخفوا العمل، جازاهم من جنس عملهم، فأخفى أجرهم، ولهذا قال: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾

وجراء بعد عنوا يستدون المؤمناً كمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون \* أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون \* أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون به ينبه تعالى العقول على ما تقرر فيها، من عدم تساوي المتفاوتين المتباينين، وأن حكمته تقتضي عدم تساويهما، فقال: ﴿أفمن كان مؤمناً له تعارحه لشرائعه، واقتضى إيمانه آثاره وموجباته، من ترك مساخط الله، وموجباته، من ترك مساخط الله، التي أنه وجودها بالإيمان.

وكمن كان فاسقاً في قد خرب قلبه وتعطل من الإيمان، فلم يكن فيه وازع ديني، فأسرعت جوارحه بموجبات الجهل والظلم، من كل إثم ومعصية، وخرج بفسقه عن طاعة الله.

أفيستوي هذان الشخصان؟ ﴿لا يستوون﴾ عقلاً وشرعاً، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلمة، وكذلك لا يستوي ثوابهما في الآخرة.

﴿أَمَا اللَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا

الصالحات من فروض ونوافل ﴿فلهم جنات المأوى ﴾ أي: الجنات التي هي مأوى اللذات، ومعدن الخيرات، ومحدن الخيرات، والنفوس والأرواح، ومحل الخلود، وجوار الملك المعبود، والتمتع بقربه، والنظر إلى وجهه، وسماع خطابه.

﴿نزلا﴾ لهم، أي: ضيافة وقرى ﴿بما كانوا يعملون﴾ فأعمالهم التي تفضل الله بها عليهم، هي التي أوصلتهم لتلك المنازل الغالية العالية، التي لا يمكن التوصل إليها ببذل الأموال، ولا بالجنود والخدم، ولا بالولاد، بل ولا بالنفوس والأرواح، ولا يتقرب إليها بشيء أصلاً، سوى الإيمان والعمل الصالح.

﴿ وَأَمَا الذين فسقوا فمأواهم النار ﴾ أي: مقرهم ومحل خلودهم، النار التي جمعت كل عذاب وشقاء، ولا يُفَتَّرُ عنهم العقاب ساعة.

﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾ فكلما حدثتهم إرادتهم بالخروج لبلوغ العذاب منهم كل مبلغ، ردوا إليها، فذهب عنهم روح ذلك الفرج، واشتد عليهم الكرب.

وقيل لهم ذوقوا عداب النار الذي كنتم به تكذبون فهذا عداب النار، الذي يكون فيه مقرهم ومأواهم، وأما العذاب الذي قبل ذلك، ومقدمة له وهو عذاب البرزخ، فقد ذكر بقوله:

﴿٢١﴾ ﴿ولتذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾

أي: ولنذيقن الفاسقين المكذبين نموذجاً من العذاب الأدنى، وهو عذاب البرزخ، فنذيقهم طرفاً منه قبل أن يموتوا، إما بعذاب بالقتل ونحوه، كما جرى لأهل بدر من المشركين، وإما عند الموت، كما في قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون ثم ثم

يكمل لهم العذاب الأدنى في برزخهم.

وهذه الآية من الأدلة على إثبات عذاب القبر، ودلالتها ظاهرة، فإنه قال: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى﴾ أي: بعض وجزء منه، فدل على أن ثمَّ عذاباً أدنى قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب النار.

ولما كانت الإذاقة من العذاب الأدنى في الدنيا، قد لا يتصل بها الموت، فأخبر تعالى أنه يذيقهم ذلك لعلهم يرجعون إليه ويتوبون من ذنوبهم كما قال تعالى: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات

ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون أي: لا أحد أظلم وأزيد تعدياً، عمن ذكر بايات ربه، التي أوصلها إليه ربه، الذي يريد تربيته، وتكميل نعمته عليه على يد رسله، تأمره وتذكره مصالحه الدينية والدنيوية، وتنهاه عن مضاره الدينية والدنيوية، التي تقتضي أن يقابلها فقابلها هذا الظالم بضد ما ينبغي، فلم يؤمن بها ولا اتبعها، بل أعرض عنها وتركها وراء ظهره، فهذا من أكبر وتركها وراء ظهره، فهذا من أكبر النقمة، ولهذا قال: ﴿إِنّا من المجرمين، الذين يستحقون شديد النقمة، ولهذا قال: ﴿إِنّا من المجرمين

﴿ ٢٣ - ٢٥ ﴾ ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلنا وجعلناه هدى لبني إسرائيل \* وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون \* إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ لما ذكر تعالى آياته التي ذكر بها عباده، وهو القرآن، الذي أنزله على عباده، ولا من جاء به بغريب من الكتب، ولا من جاء به بغريب من الرسل، فقد آتى الله موسى الكتاب الذي هو التوراة المصدقة للقرآن، التي

قد صدقها القرآن، فتطابق حقهما، وثبت برهانهما، ﴿فلا تكن في مرية من لقائه﴾ لأنه قد تواردت أدلة الحق وبيناته، فلم يبق للشك والمرية عل.

وبينانه، فلم يبق للشك والمرية عل. ﴿وجعلناه﴾ أي: الكتاب الذي آتينا موسى ﴿هدى لبني إسرائيل﴾ يهتدون به.في أصول دينهم وفروعه (۱۱) وشرائعه موافقة لذلك الزمان في بني إسرائيل.

وأما هذا القرآن الكريم، فجعله الله هداية هداية للناس كلهم، لأنه هداية للخلق، في أمر دينهم ودنياهم إلى يوم القيامة، وذلك لكماله وعلوه ﴿وإنّهُ في أم الكتاب لدينا لَعَلَى حكيم﴾.

وجعلنا منهم أى: من بني إسرائيل ﴿أَثِمة يهدون بأمرنا ﴾ أي: علماء بالشرع وطرق الهداية ، مهتدين في أنفسهم ، يهدون غيرهم بذلك الهدى ، فالكتاب الذي أنزل إليهم هدى ، والمؤمنون به منهم على قسمين: أثمة يهدون بأمر الله ، وأتباع مهتدون مهم.

والقسم الأول أرفع الدرجات بعد درجة النبوة والرسالة، وهي درجة الصديقين، وإنما نالوا هذه الدرجة العالية بالصبر على التعلم والتعليم، والدعوة إلى الله، والأذى في سبيله، وكفوا أنفسهم عن جاحها في المعاصي واسترسالها في الشهوات.

﴿وكانوا بآياتنا يوقنون أي: وصلوا في الإيمان بآيات الله إلى درجة اليقين، وهيو العلم التام الموجب للعمل، وإنما وصلوا إلى درجة اليقين، لأنهم تعلموا تعلماً صحيحاً، وأخذوا المسائل عن أدلتها المفيدة لليقين.

فما زالوا يتعلمون السائل، ويستدلون عليها بكثرة الدلائل، حتى وصلوا لذاك، فبالصبر واليقين تُنَالُ الإمامة في الدين.

ونَمَ مُسائل اختلف فيها بنو إسرائيل، منهم مَنْ أصاب فيها الحق، ومنهم مَنْ أخطأه خطأ أو عمداً، والله تعالى ﴿يفصل بينهم يوم القيامة فيما

كانوا فيه يختلفون وهذا القرآن يقص على بني إسرائيل بعض الذي يختلفون فيه، فكل خلاف وقع بينهم، ووجد في القرآن تصديق لأحد القولين، فهو الحق، وما عداه عما خالفه باطل.

﴿ ٢٦ ـ ٢٧﴾ ﴿ أَوَلَمْ يَهِدُ لَهُمْ كُمُ الْعَلَامِنَ قَبِلُهُمْ مِن القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لأيات أفلا يسمعون \* أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ليعني: أولم يتبين لهؤلاء المكذبين للرسول، ويهدهم إلى الصواب. ﴿ كم الملكنا من قبلهم من القرون ﴾ الذين مساكنهم ﴾ فيشاهدونها عياناً ، كقوم مساكنهم ﴾ فيشاهدونها عياناً ، كقوم هود وصالح ، وقوم لوط .

﴿إِن فَي ذَلك لآيات﴾ يستدل بها على صدق الرسل التي جاءتهم، وبطلان ما هم عليه من الشرك والشر، وعلى أن مَنْ فعل مثل فعلهم، فُعِلَ بهم كما فُعِلَ بأشياعه من قبل.

وعلى أن الله تعالى مجازي العباد، وباعثهم للحشر والتناد. وأقلا يسمعون آيات الله فيعونها فينتفعون بها، فلو كان لهم سمع صحيح وعقل رجيح، لم يقيموا على حالة (١٦) يجزم بها بالهلاك.

﴿أَوْلُمْ يَرُوا﴾ بأبصارهم نعمتنا وكمال حكمتنا ﴿أَنَا نسوق الماء إلى الأرض الجرز﴾ التي لا نبات فيها، فيسوق الله المطر الذي لم يكن قبل موجوداً فيها، فيفرغه فيها من السحاب أو من الأنهار. ﴿فَنخرج به زرعاً﴾ أي: نباتاً مختلف الأنواع ﴿تأكل منه أنعامهم﴾ وهو فعام الآدمين.

﴿أَفَلا يُبصّرون له تلك المنة ، التي أحيا الله بها البلاد والعباد ، فيستبصرون فيهتدون بذلك البصر وتلك البصيرة ، إلى الصراط المستقيم ، واستولت عليهم العمى ، واستولت عليهم الغفلة ، فلم يبصروا في ذلك

بصر الرجال، وإنما نظروا إلى ذلك نظر الغفلة، ومجرد العادة، فلم يوفقوا للخير.

﴿٢٨ \_ ٣٠ ﴾ ﴿ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين \* قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم يُنظرون \* فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون \* أي: يستعجل المجرمون بالعنداب الذي وعدوا به على التكذيب، جهلاً منهم ومعاندة.

﴿ويقولون متى هذا الفتح الذي يفتح بيننا وبينكم، بتعذيبنا على زعمكم ﴿إِنْ كَنتُم ﴾ أيها الرسل ﴿صادقين ﴾ في دعواكم.

﴿قُلْ يوم الفتح﴾ الذي يحصل به عقابكم، لا تستفيدون به شيئاً، فلو كان إذا حصل، حصل إمهالكم، لتستدركوا ما فاتكم، حين صار الأمر عندكم يقيناً، لكان لذلك وجه، ولكن إذا جاء يوم الفتح، انقضى الأمر، ولم يبق للمحنة محل فرلا ينقع الذين كفروا إسمانهم لأنه صار إيمان ضرورة، ﴿ولا هم ينظرون﴾ أي: يمهلون، فيؤخر عنهم العذاب، فيستدركون أمرهم.

﴿ فَأَعْرَضَ عَنْهُم ﴾ لما وصل خطابهم إلى حالة الجهل واستعجال العذاب. ﴿ وَانتظر ﴾ الأمر الذي يحل بهم، فإنه لا بدمنه، ولكن له أجل، إذا جاء لا يستقدم ولا يستأخر. ﴿ إنهم منتظرون ﴾ بك ريب المنون، ومتربصون بكم دوائر السوء، والعاقبة للتقوى.

تم تفسير سورة السجدة بحول الله ومته فله تعالى كمال الحمد والثناء والمجد

## تفسير سورة الأحزاب وهي مدنية

﴿١ \_ ٣﴾ ﴿بــم الله السرحمن الرحيم يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيماً \* واتبع ما يوحى إليك من

ربك إن الله كان بما تعملون خبيراً \* وتوكّل على الله وكفى بالله وكيلاً أي: يا أيها الذي من الله عليه بالنبوة، واختصه بوحيه، وفضله على سائر الخلق، اشكر نعمة ربك عليك باستعمال تقواه، التي أنت أولى بها من غيرك، والذي يجب عليك منها أعظم من سواك، فامتثل أوامره ونواهيه، وبلغ رسالاته، وأد إلى عباده وحيه، وابذل النصيحة للخلق.

ولا يصدنك عن هذا القصود صاد، ولا يردك عنه راد، فلا تطع كل كافر قد أظهر العداوة لله ورسوله، ولا منافق قد استبطن التكذيب والكفر، وأظهر ضده.

فهؤلاء هم الأعداء على الحقيقة، فلا تطعهم في بعض الأمور، التي تنقض التقوى وتناقضها، ولا تتبع أهواءهم، يضلوك عن الصواب.

ولى لكن واتبع ما يوحى إليك من ربك فإنه هو الهدى والرحمة، وَارْجُ بِذَلْكُ ثُوابِ ربك، فإنه بما تعملون خبير، يجازيكم بحسب ما يعلمه منكم من الخير والشر.

فإن وقع في قلبك، أنك إن لم تطعهم في أهوائهم المضلة، حصل عليك منهم ضرر، أو حصل نقص في هداية الخلق، فادفع ذلك عن نفسك، واستعمل ما يقاومه ويقاوم غيره، وهو التوكل على الله، بأن تعتمد على ربك اعتماد مَنْ لا يملك لنفسه ضرأ ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، في سلامتك من شرهم، وفي إقامة الدين الذي أمرت به، وثق بالله في حصول ذلك الأمر على أي:

وكفى بالله وكيلا توكل إليه الأمور، فيقوم بها وبما هو أصلح للعبد، وذلك لعلمه بمصالح عبده، من حيث لا يقدر عليها إليه، من حيث لا يقدر عليها العبد، وأنه أرحم بعبده من نفسه، ومن والديه، وأرأف به من كل أحد،

خصوصاً خواص عبيده، الذين لم يزل

يربيهم ببره، ويُدرُ عليهم بركاته

الظاهرة والباطنة، خصوصاً وقد أمره

بإلقاء أموره إليه ووعده، فهناك

لا تسأل عن كل أمر يتيسر، وصعب

يسهل، وخطوب تهون، وكروب

تزول، وأحوال وحوائج تقضى،

وبركات تنزل، ونقم تدفع، وشرور

وهناك ترى العبد الضعيف، الذي

فوض أمره لسيده، قد قام بأمور

لا يقوم بها أمة من الناس، وقد

سهل الله [عليه](١) ما كان يصعب على

﴿ ٤ ـ ٥ ﴾ ﴿ ما جعل الله لرجل من

قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم

اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم ومأ

جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم

بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى

السبيل \* أدعوهم لآبائهم هو أقسط

عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم

في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح

فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً »

يعاتب تعالى [عباده](٢) عن التكلم بما

ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن

لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين

ومواليكم وليس عليكم جناح فيما

أخطأتم به ولكن ما تعمّدت قلوبكم

وكان الله غفوراً رحيماً لا حقيقة له

من الأقوال، ولم يجعله الله تعالى كما

قالوا، فإن ذلك القول منكم كذب

وزور، يشرتب عليه منكرات من

الشرع. وهذه قاعدة عامة في التكلم

في كل شيء، والإخبار بوقوع ووجود

ولكن خص هذه الأشياء المذكورة

لوقوعها، وشدة الحاجة إلى بيانها،

فقال: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين

في جوفه﴾ هذا لا يوجد، فإياكم أن

تقولوا عن أحد: إن له قلبين في

جوفه، فتكونوا كاذبين على الخلقة

فحول الرجال، وبالله المستعان.

الإلهية.

﴿وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن ﴾ بأن يقول أحدكم لزوجته: «أنتِ عَلَيْ كظهر أُمي أو كأمي هو كأمي فما جعلهن الله ﴿أمهاتكم ﴾ أمك من ولدتك، وصارت أعظم الناس عليك حرمة وتحريماً، وزوجتك أحل النساء لك، فكيف تشبه أحد المتناقضين بالآخر ؟

هذا أمر لا يجوز، كما قال تعالى: (الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً .

﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ والأدعياء، الولد الذي كان الرجل يدعيه وهو ليس له، أو يُدْعَى إليه بسبب تبنيه إياه، كما كان الأمر بالجاهلية وأول الإسلام.

فأراد الله تعالى أن يبطله ويزيله، فقدم بين يدي ذلك بيان قبحه، وأنه باطل وكذب، وكل باطل وكذب، لا يوجد في شرع الله، ولا يتصف به عباد الله.

يقول تعالى: فالله لم يجعل الأدعياء الذين تدعونهم، أو يدعون إليكم، أبناءكم، فإن أبناءكم في الحقيقة، من ولدتموهم وكانوا منكم، وأما هؤلاء الأدعياء من غيركم، فلا جعل الله هذا كهذا.

﴿ذلكم﴾ القول الذي تقولون في الدعي: إنه ابن فلان الذي ادعاه، أو والده فلان ﴿قولكم بأفواهكم﴾ أي: قول لا حقيقة له ولا معنى له.

﴿والله يقول الحق﴾ أي: اليقين والصدق، فلذلكم أمركم باتباعه على قوله وشرعه، فقوله حق، وشرعه حتى، والأقوال والأفعال الباطلة لا تنسب إليه بوجه من الوجوه، وليست من هدايته، لأنه لا يهدي إلا السبيل المستقيمة، والطرق الصادقة.

المذافذة التركانيين يستفادويك وين في والزهدة وموسية المنطقة ا

يَثْرِبَ لَامُقَامَ لَكُوْ فَأَرْجِعُوا وَيَسْتَغَذِنُ فَكِيفٌ مِنْ مِنْ مَنْ النَّبِيّ

يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةً وَمَا فِي يَعَوْرَةً إِن يُرِيدُونَ إِلَّا وَإِزَا

ا وَلَوْدُ يَلَتْ عَلَيْهِ مِينَ أَفْطَى إِهَا أَرْسُدِ أُوا الْفِئْدَةَ لَآوَهَا

وَمَا تَلَبُنُوا بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ۞ وَلَقَدْكَ الْوَاعَالَهُ وَاللَّهُ

مِن فَتِلُ لَا يُولُوكَ ٱلْأَدْبُرُوكَ الْأَدْبُرُوكَ الْأَعَدُاللَّهِ مَسْتُولًا ۞

وإن كان ذلك واقعاً بمشيئته، فمشيئته عامة، لكل ما وجد من خير وشر.

ثم صرّح لهم بترك الحالة الأولى، المتضمنة للقول الباطل، فقال: 

«ادعوهم» أي: الأدعياء ﴿لآبائهم ﴾ الذين ولدوهم ﴿هو أقسط عند الله ﴾ أي: أعدل وأقوم وأهدى.

﴿ فَإِن لَم تعلموا آباءهم ﴾ الحقيقيين. ﴿ فَإِخُوانَكُم فِي الدين ومواليكم ﴾ أي: إخوتكم في دين الله ومواليكم في ذلك، فادعوهم بالأخوة الإيمانية الصادقة، والموالاة على ذلك، فترك الدعوة إلى مَنْ تبناهم حتم لا يجوز فعالما

وأما دعاؤهم لآبائهم، فإن علموا، دعوا إليهم، وإن لم يعلموا، اقتصر على ما يعلم منهم، وهو أخوة [الدين] (٢) والموالاة، فلا تظنوا أن حالة عدم علمكم بآبائهم عذر في دعوتهم إلى مَنْ تبناهم، لأن المحذور لا يزول بذلك.

﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به بأن سبق على لسان أحدكم دعوته إلى مَنْ تبناه، فهذا غير مؤاخذ به، أو علم أبوه ظاهراً، [فدعوتموه إليه] (١) وهو في الباطن غير أبيه، فليس (٥) عليكم في ذلك حرج إذا كان خطأ،

(٥) في (أ) وقعت هنا زيادة حرف (في)

ولا محل له.

(۱) زیادة من: ب.(۲) زیادة من: ب.

ما لم يجعله الله تعالى.

<sup>(</sup>٣) زيادة من: ب.

<sup>(</sup>٤) زيادة من: ب.

الفيلان المنتخص المنتض المنتض المنتخص المنتض المنتخص المنتض المنتخص المنتخص المنتخص المنتخص المنتخص ا

ولكن في واخدكم بما فتعمدت فلوبكم من الكلام بما لا يجوز. فوكان الله غفوراً رحيماً في غفر لكم ورحكم، حيث لم يعاقبكم بما سلف، وسمح لكم بما أخطأتم به، ورحمكم حيث بين لكم أحكامه التي تصلح دينكم ودنياكم، فله الحمد تعالى.

﴿٦﴾ ﴿النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلَّا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً كان ذلك فى الكتاب مسطوراً كغير تعالى المؤمنين خبراً يعرفون به حالة الرسول على ومرتبته، فيعاملونه بمقتضى تلك الحالة، فقال: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ أقرب ما للإنسان، وأولى ما له نفسه، فالرسول أولى به من نفسه، لأنه عليه الصلاة والسلام، بذل لهم من النصح والشفقة والرأفة، ما كان به أرحم الخلق وأرأفهم، فرسول الله أعظم الخلق مِنَّةً عليهم من كل أحد، فإنه لم يصل إليهم مثقال ذرة من الخير، ولا أندفع عنهم مثقال ذرة من الشر، إلا على يديه

فلذلك، وجب عليه أنه إذا تعارض مراد النفس، أو مراد أحد من الناس،

مع مراد الرسول، أن يقدم مراد الرسول، وأن لا يعارض قول الرسول بقول أحد، كائناً مَنْ كان، وأن يفدوه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، ويقدموا محبته على محبة الخلق كلهم، وألا يقولوا حتى يقول، ولا يتقدموا بين يديه.

وهو على أب للمؤمنين، كما في قراءة بعض الصحابة، يربيهم كما يربي الوالد أولاده.

فترتب على هذه الأبوة، أن كان نساؤه أمهاتهم، أي: في الحرمة والاحترام والإكرام، لا في الخلوة والمحرمية، وكأن هذا مقدمة لما سيأتي في قصة زيد بن حارثة، الذي كان قبل في عمد؛ «زيد بن عمد» حتى أنزل الله فما كان عمد أبا أحد من رجالكم فقطع نسبه وانتسابه منه، فأخبر في هذه الآية، أن المؤمنين كلهم أولاد هذه الآية، أن المؤمنين كلهم أولاد فإن النسب الإيماني لم ينقطع عن أحدهم انتساب الدعوة، فإن النسب الإيماني لم ينقطع عنه، فلا يحزن ولا يأسف.

وترتب على أن زوجات الرسول أمهات المؤمنين، أنهن لا يحللن لأحد من بعده، كما الله صرّح (١١) بذلك: ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾.

﴿ وأولوا الأرحام ﴾ أي: الأقارب، قربوا أو بعدوا ﴿ بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ [أي:](٢) في حكمه، فيرث بعضهم بعضاً، ويبر بعضهم بعضاً، فهم أولى من الحلف والنصرة.

والأدعياء الذين كانوا من قبل يرثون بهذه الأسباب، دون ذوي الأرحام، فقطع تعالى التوارث بذلك وجعله للأقارب، لطفاً منه وحكمة، فإن الأمر لو استمر على العادة السابقة، لحصل من الفساد والشر والتحيل لحرمان الأقارب من الميراث شيء كثير.

﴿من المؤمنين والمهاجرين ﴿أي: سواء كان الأقارب مؤمنين مهاجرين وغير مهاجرين، فإن ذوي الأرحام مقدمون في ذلك، وهذه الآية حجة

على ولاية ذوي الأرحام في جميع الولايات، كولايات النكاح والمال، وغير ذلك.

﴿إِلاَ أَن تَفَعِلُوا إِلَى أُولِيالُكُم معروفاً ﴾ أي: ليس لهم حق مفروض، وإنما هو بإرادتكم، إن شئتم أن تتبرعوا لهم تبرعاً وتعطوهم معروفاً منكم، ﴿كَانَ ﴾ ذلك الحكم المذكور ﴿في الكتاب مسطوراً ﴾ أي: قد سطر وكتب وقدره الله، فلا بد من نفوذه.

﴿٧-٨﴾ ﴿وإذ أخذنا من النبيين وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً \* ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً ﴾ غير تعالى أنه أخذ من النبيين عموماً، ومن أولي العزم - وهم هؤلاء الخمسة المذكورون - خصوصاً، ميثاقهم الغليظ وعهدهم الثقيل المؤكد، على الغين قد مشى الأنبياء المتقدمون، هذا سبيل قد مشى الأنبياء المتقدمون، حتى ختموا بسيدهم وأفضلهم، حتى ختموا بسيدهم وأفضلهم،

وسيسأل الله الأنبياء وأتباعهم عن هذا العهد الغليظ، هل وفوا فيه وصدقوا؟ فيثيبهم جنات النعيم؟ أم كفروا، فيعذبهم العذاب الأليم؟ قال تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾.

﴿٩ ـ ١١﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم تبود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً \* إذ واغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا \* هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾ يذكر تعلى عباده المؤمنين نعمته عليهم، ويحثهم على شكرها، حين جاءتهم جنود أهل مكة والحجاز من فوقهم، وتعاقدوا

وتعاهدوا على استئصال الرسول والصحابة، وذلك في وقعة الخندق.

ومالأتهم [طواتف](١) اليهود الذين حوالي المدينة، فجاؤوا بجنود عظيمة وأمم كثيرة.

وخنسدة وسول الله على على الله على المدينة، واشتد الأمر، وبلغت القلوب الحناجر، حتى بلغ الظن من كثير من الناس كل مبلغ، لما رأوا من الأسباب المستحكمة، والشدائد الشديدة، فلم يزل الحصار على المدينة مدة طويلة، والأمر كما وسف الله: ﴿وإذ زاغت الأسسار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله وبلغت القلوب الخناجر وتظنون بالله الظنونا﴾ أي: الظنون السيئة، أن الله ينصر دينه ولا يتم كلمته.

﴿ هنالك ابنلي المؤمنون ﴾ بهذه الفتنة العظيمة ﴿ وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾ بالخوف والقلق والجوع ، ليتبين إيمانهم ، ويزيد إيقانهم ، فظهر \_ ولله الحمد \_ من إيمانهم وشدة يقينهم ، ما فاقوا فيه الأولين والآخرين .

وعندما اشتد الكرب، وتفاقمت الشدائد، صار إيمانهم عين اليقين، ﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيسماناً وسلماً ﴾ .

وهنالك تبين نفاق المنافقين، وظهر ما كانوا يضمرون، قال تعالى:

﴿ ١٢﴾ ﴿ وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلاً غروراً﴾.

وهذه عادة المنافق عند الشدة والمحنة، لا يثبت إيمانه، وينظر بعقله القاصر، إلى الحالة القاصرة<sup>(٢)</sup>، ويصدق ظنه.

﴿ وَإِذْ قَالَتَ طَائَفَةَ ﴾ من المنافقين، بعدما جزعوا وقلَّ صبرهم، صاروا أيضاً من المُخَذُلين، فلا صبروا بأنفسهم، ولا تركوا الناس من

شرهم، فقالت هذه الطائفة: ﴿يا أهل يشرب﴾ يريدون: ﴿يا أهل المدينة »، فنادوهم باسم الوطن المنبيء [عن التسمية] (\*\*)، فيه إشارة إلى أن الدين والأخوة الإيمانية، ليس له في قلوبهم قدر، وأن الذي حملهم على ذلك، مجرد الطبيعي.

﴿يا أهل يثرب لا مقام لكم ﴾ أي: في موضعكم الذي خرجتم إليه خارج المُدينة، وكانوا عسكروا دون الخندق وخارج المدينة، ﴿فارجعوا﴾ إلى المدينة، فهذه الطائفة تخذل عن الجهاد، وتبين أنهم لا قوة لهم بقتال عدوهم، ويأمرونهم بترك القتال، فهذه الطائفة أشرّ الطوائف وأضرها، وطائفة أخرى دونهم، أصابهم الجبن والجزع، وأحبوا أن ينخزلوا عن الصفوف، فجعلوا يعتذرون بالأعذار الباطلة، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ ويستأذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة ﴿ أي: عليها الخطر، ونخاف عليها أن يهجم عِليها الأعداء، ونحن غُيَّبٌ عنها، فَأَذُنْ لَنَا نُرجِعِ إِلَيْهَا، فَنَحْرُسُهَا، وهُم كذبة في ذلك .

﴿ومّا هي بعورة إن يريدون أي: ما قصدهم ﴿إلا فراراً ﴾ ولكن جعلوا هذا الكلام وسيلة وعذراً. [لهم](٤) فهؤلاء قل إيمانهم، وليس له ثبوت عند اشتداد المحن.

﴿ ولو دخلت عليهم ﴾ المدينة ﴿ من أقطارها ﴾ أي: لو دخل الكفار إليها من نواحيها ، واستولوا عليها \_ لا كان ذلك \_ ﴿ الفتنة ﴾ أي: الانقلاب عن دينهم ، والرجوع إلى دين المستولين المتغلبين ﴿ لا توها ﴾ أي: لأعطوها مبادرين .

وما تلبثوا بها إلا يسيراً أي: ليس لهم منعة ولا تَصلُب على الدين، بل بمجرد ما تكون الدولة للأعداء، يعطونهم ما طلبوا، ويوافقونهم على كفرهم، هذه حالهم.

والحال أنهم قد ﴿عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤولا﴾ سيسألهم عن ذلك العهد، فيجدهم قد نقضوه، فما ظنهم إذاً برجم؟

﴿١٦﴾ ﴿قل﴾ لهم، لا تماً على فرارهم، وغبراً أنهم لا يفيدهم ذلك شيئاً ﴿لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل﴾ فلو كنتم في بيوتكم، لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم.

والأسباب تنفع، إذا لم يعارضها القضاء والقدر، فإذا جاء القضاء والقدر، تلاشى كل سبب، وبطلت (٥٠) كل وسيلة ظنها الإنسان تنجيه.

﴿ وَإِذَا ﴾ حين فررتم لتسلموا من الموت والقتل، ولتنعموا في الدنيا فإنكم ﴿لا تمتعون إلا قليلا ﴾ متاعاً لا يسوى فراركم، وترككم أمر الله، وتفويتكم على أنفسكم التمتع الأبدي، في النعيم السرمدي.

ثم بين أن الأسباب كلها لا تغني عن العبد شيئاً إذا أراده الله بسوء، فقال: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الذي يعصمكم ﴾ أي: يمنعكم ﴿من الله إن أراد بكم سوءاً ﴾ أي: شراً، ﴿أَو أراد بكم رحة ﴾ فإنه هو المعطي المانع، الضار النافع، الذي لا يأتي بالخير إلا هو، ولا يدفع السوء إلا هو.

ولا يجدون لسهسم مسن دون الله ولياً ولياً ولياً ولياً ولياً ولياً ولياً ولياً ولا نصيراً ولا نصيراً ولا نصيراً ولي النصر المناور النصار النصار

فَلْيَمْتَشِلُوا طاعة المنفرد بالأمور كلها، الذي نفذت مشيئته، ومضى قدره، ولم ينفع مع ترك ولايته ونصرته وَلَى ولا ناصر.

أُ ثم توعَّد تعالى المخذلين المعوقين، وتهددهم فقال: ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم﴾ عن الخروج لمن [لم](٧) يخرجوا ﴿والقائلين لإخوانهم﴾ الذين خرجوا:

<sup>(</sup>٤) زيادة من: ب.

<sup>(</sup>٥) كذا في ب، وفي أ: بطل.

<sup>(</sup>۱) زیادة من: ب.

<sup>(</sup>٢) في ب: الحاضرة.

<sup>(</sup>٣) زيادة من: ب.

<sup>(</sup>٦) في ب: المنافع.

<sup>(</sup>٧) زيادة من: ب.

﴿ هَلُمَّ إِلَينًا ﴾ أي: ارجعوا، كما تقدم من قولهم: ﴿يا أهل يثرب لا مقامُ لكم فارجعوا) .

وهم مع تعويقهم وتخذيلهم ﴿لا يَاتُونَ الْبِأْسِ﴾ القَّتال والجِهاد بأنفسهم ﴿ إِلاَّ قليلاً ﴾ فهم أشد الناس حرصاً على التخلف، لعدم الداعي لذلك من الإيمان والصبر، ووجود المقتضى للجبن، من النفاق وعدم الإيمان.

﴿أَشْحَةُ عَلَيْكُم ﴾ بأبدانهم عن القتال، وأموالهم عند النفقة فيه، فلا يجاهدون بأموالهم وأنفسهم. ﴿ فَإِذَا جِاء الحُوف رأيتهم ينظرون إليك انظر المغشى عليه (من الموت) من شدة الجبن الذي خلع قلوبهم، والقلق الذي أذهلهم، وخوفاً من إجبارهم على ما يكرهون من القتال.

﴿فَإِذَا ذَهِبِ الْخُوفِ﴾ وصاروا في حال الأمن والطمأنينة، ﴿سلقوكم بألسنة ﴾ أي: خاطبوكم وتكلموا معكم بكلام حديد، ودعاوى غير

وحين تسمعهم، تظنهم أهل الشجاعة والإقدام، ﴿أُسْحَةُ على الخير، الذي يراد منهم، وهذا شر ما في الإنسان، أن يكون شُحيحاً بما أمر به ، شحيحاً بماله أن ينفقه في وجهه ، شحيحاً في بدنه أن يجاهد أعداء الله، أويدعو إلى سبيل الله، شحيحاً بجاهه، شحيحاً بعلمه ونصيحته

﴿أُولِمُكُ ﴾ الذين بتلك الحالة ﴿لم يؤمنوا مسبب عدم إيمانهم أحبط الله أعمالهم، ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾.

وأما المؤمنون، فقد وقاهم الله شح أنفسهم، ووفقهم لبذل ما أمروا به، من بذل لأبدانهم في القتال في سبيله، وإعلاء كلمته، وأموالهم للنفقة في طرق الخير، وجاههم وعلمهم.

﴿ يحسبون الأحزاب لم يذهبوا ﴾ أي:

يظنون أن هؤلاء الأحزاب، الذين تحـزبـوا عـلى حـرب رسـول الله ﷺ وأصحابه لم يذهبوا حتى يستأصلوهم، فخاب ظنهم، وبطل حسبانهم.

﴿وإن يأت الأحزاب﴾ مرة أخرى ﴿يـودوا لـو أنهـم بـادون فـى الأعراب يسألون عن أنبائكم ﴾ أي: لو أتى الأحزاب مرة ثانية مثل هذه المرة، ودَّ هؤلاء المنافقون، أنهم ليسوا في المدينة ولا في القرب منها، وأنهم مع الأعراب في البادية، يستخبرون عن أخباركم، ويسألون عن أنبائكم، ماذا حصل عليكم؟

فتباً لهم، وبعداً فليسوا بمن يبالي(١) بحضورهم ﴿ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً فلا تبالوهم، ولا تأسوا

﴿ لَقد كَانَ لَكُم في رسول الله أسوة حسنة الهيجاء بنفسه الكريمة، وباشر موقف الحرب، وهو الشريف الكامل، البطل الباسل، فكيف تشحون بأنفسكم عن أمر جاد رسولِ الله ﷺ بنفسه فيه؟!!

فَتَأْسُوا بِهِ فِي هذا الأمر وغيره. واستدل الأصوليون في هذه الآية ، على الاحتجاج بأفعال الرسول ﷺ، وأن الأصل، أن أمته أسوته في الأحكام، إلا ما دلُّ الدليل الشرعي على الاختصاص به.

فالأسوة نوعان: أسوة حسنة، وأسوة سيئة .

فالأسوة الحسنة في الرسول ﷺ، فإن المتأسّى به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة ألله، وهو الصراط المستقيم. وأما الأسوة بغيره إذا خالفه، فهو الأسوة السيئة، كقول الكفار(٢) حين دعتهم الرسل للتأسّي [بهم] (٣): ﴿إِنَّا وجدنا آباءنا على أمة وإنّا على آثارهم

وهذه الأسوة الحسنة، إنما يسلكها ويوفق لها، مَنْ كان يرجو الله واليوم الآخر، فإن ما معه (٤) من الإيمان،

وخوف الله، ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، يحثه على التأسى بالرسول ﷺ. لما ذكر حالة المنافقين عند الخوف، ذكر حال المؤمنين، فقال: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب الذين تحزبوا، ونزلوا منازلهم، وانتهى الخوف، ﴿قَالُوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ﴾ في قوله: ﴿ أُم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولَّمَا يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾.

﴿وصدق الله ورسوله ﴾ فإنا رأينا ما أخبرنا يه ﴿وما زادهم ﴾ ذلك الأمر ﴿ إِلاَّ إِيمَانًا ﴾ في قلوبهم ﴿ وتسليماً ﴾ في جوارحهم، وانقياداً لأمر الله.

ولما ذكر أن المنافقين عاهدوا الله، لا يولون الأدبار، ونقضوا ذلك العهد، ذكر وفاء المؤمنين به، فقال: ﴿من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ أي: وفوابه، وأتموه، وأكملوه، فبذلوا مهجهم في مرضاته، وسبِّلوا أنفسهم في طاعته.

﴿فمنهم مَنْ قضى نحبه ﴾ أي: إرادته ومطلوبه وما عليه من الحق، فقُتل في سبيل الله، أو مات مؤدياً لحقه لم ينقصه شيئاً.

﴿ومنهم مَنْ ينتظر ﴾ تكميل ما عليه، فهو شارع في قضاء ما عليه، ووفاء نحبه ولما يكمله، وهو في رجاء تكميله، ساع في ذلك مجد.

﴿وما بِذُلُوا تبديلاً ﴾ كما بدُّل غيرهم، بل لم يزالوا على العهد، لا يلوون ولا يتغيرون، فهؤلاء الرجال على الحقيقة، ومن(٥) عداهم فصورهم صور رجال، وأما الصفات فقد قصرت عن صفات الرجال.

﴿ليجزى الله الصادقين بصدقهم﴾ أي: بسبب صدقهم، في أقوالهم وأحوالهم، ومعاملتهم مع الله، واستواء ظاهرهم وباطنهم، قال الله تعالى: ﴿ هذا يوم ينفع الصادقين

زيادة من: ب.

في ب: فإن ذلك ما معه.

في أ: وما عداهم، ولعل الصواب

ما أثبته.

في ب: يغالى. (1) في ب: المشركين. (٢)

صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدأ ﴾ الآية.

أى: قدرنا ما قدرنا من هذه الفتن والمحن والزلازل، ليتبين الصادق من الكاذب، فيجزى الصادقين بصدقهم ﴿ويعذب المنافقين﴾ الذين تغيرت قلوبهم وأعمالهم عند حلول الفتن، ولم يفوا بما عاهدوا الله عليه.

﴿إِن شَاء ﴾ تعذيبهم، بأن لم يشأ هدايتهم، بل علم أنهم لا خير فيهم فلم يوفقهم.

﴿أُو يتوب عليهم ﴾ بأن يوفقهم للتوبة والإنابة، وهذا هو الغالب على كرم الكريم، ولهذا ختم الآية باسمين دالين على المغفرة والفضل والإحسان فقال: ﴿إِن الله كان غفوراً رحيماً ﴾ غفوراً لذنوب المسرفين على أنفسهم، ولو أكشروا من العبصيان إذا أتبوا بالمتاب. ﴿رحيماً ﴾ بهم، حيث وفقهم للتوبة، ثم قبلها منهم وستر عليهم ما اجترحوه .

﴿ وَرَدَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ﴾ أي: ردهم خانبين، لم يحصل لهم الأمر الذي كانوا حنقين عليه، مغتاظين قادرين [عليه](١) جازمين، بأن لهم الدائرة، قد غرتهم جموعهم، وأعجبوا بتحزبهم، وفرحوا بِعَدُدِهُمْ وعُدَدِهِمْ.

فأرسل الله عليهم ريحاً عظيمة، وهي (٢) ريم الصبأ، فزعزعزت مراكزهم، وقوّضت خيامهم، وكفأت قدورهم وأزعجتهم، وضربهم الله بالرعب، فانصرفوا بغيظهم، وهذا من نصر الله لعباده المؤمنين.

﴿وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ بما صنع لهم من الأسباب العادية والقدرية، ﴿وكان الله قوياً عزيزاً ﴾ لا يغالبه أحد إلا غُلِبَ، ولا يستنصره أحد إلا غَلَبَ، ولا يعجزه أمر أراده، ولا ينفع أهل القوة والعزة قوتهم وعزتهم، إن لم يعنهم بقوته وعزته.

﴿وأنزل الذين ظاهروهم ﴾ أي: عاونوهم ﴿من أهل الكتابِ﴾ أي: اليهود ﴿من صَيَاصِيهم﴾ أي: أنزلهم من حصونهم، نزولاً مظفوراً بهم، مجعولين تحت حكم الإسلام.

﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ فلم يقووا على القتال، بل استسلموا وخضعوا وذلوا. ﴿فريقاً تقتلون﴾ وهم الرجال المقاتلون ﴿وتأسرون فريقاً ﴾ مَنْ عداهم من النساء والصبيان.

﴿وأورثكم﴾أي: غنّمك ﴿ أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها ﴾ أي: أرضاً كانت من قبل، من شرفها وعزتها عند أهلها، لا تتمكنون من وطئها، فمكّنكم الله وخذلهم، وغنمتم أموالهم، وقتلتموهم وأسرتموهم .

﴿وكان الله على كل شيء قديراً ﴾ لا يعجزه شيء، ومن قدرته قدر لكم ما قدّر .

وكانت هذه الطائفة من أهل الكتاب، هم بنو قريظة من اليهود، في قرية خارج المدينة غير بعيد، وكان النبى ﷺ [حين] (٢) هاجر إلى المدينة ووادعهم وهادنهم، فلم يقاتلهم ولم يقاتلوه، وهم باقون على دينهم، لم يغير عليهم شيئاً.

فلما رأوا يوم الخندق الأحزاب الذين تحزبوا على رسول الله وكثرتهم، وقملة المسلمين، وظنوا أنهم سيستأصلون الرسول والمؤمنين، وساعد على ذلك [تدجيل](٤) بعض رؤسائهم عليهم، فنقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ ومالؤوا المشركين على قتاله.

فلما خذل الله المشركين، تفرغ رسول الله ﷺ لقتالهم، فحاصرهم فى حصنهم، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه، فحكم فيهم، أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى

CA CHANGE LL CONTRACTOR التِنَّالْمُؤْمِنِينَ بِجَالُّ مَهَدَقُواْمَاعَنَهُدُواْالَّهَ عَلَيْهُ فَيَنْهُمُ مَن قَضَىٰ غَبَتُهُ وَمِنْهُ مِنْ يَسَتَظِرُّوْمَاكِ لَوَاتِبْدِيلًا ۞ لِيَجْزِيَ أتَهُ ٱلصَّائِيقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَافِقِينَ إِن شَآهَ أَوْيَتُونِ عَلَيْهِ مُلْأَاللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ وَرَدَّاللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِ رُلَّرَيْنَ الْوَاحْكِيْرُاْ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْمِتَالُ وَكَانَ ٱللَّهُ فَوَيًّا عَزِيزًا ۞ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظُهَرُوهُم يِّنْ أَهْلُ ٱلْكِئْبِ مِن مَنِيَاجِهِ وَرُوَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلنَّعْبُ فَرِيقًا لَقَتْ لُلُوتَ وَتَأْمِرُونَ فَرِيقًا ۞ وَأَوْرَثَكُوۤ أَرْضَهُمُ وَدِينَوَهُمْ وَأَمْوَلَكُمْ وَأَرْضَا لَّهِ تَطَنُّوهَاْ وَكَابَ ٱللَّهُ عَلَى كَيْ شَىْءِ قَدِيزًا ۞ يَثَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُلُ لِإِنْ وَجِلْكَ إِن كُنْ ثُنَّ ثُرِدْتَ الْحَيَوْةَ الدُّنْيَ اوْزِيدَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَيَّةُ عَكُنَّ وَأُسْتِعِكُنَّ سَرَلِمَا جَيِيلًا ۞ وَإِن كُنْ ثَنَّ ثُرِّدُنَ ٱللَّهَ وَرَسُولُمُوَالِيَّارَ ﴿ الْآيِزَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِأَمْخِيسَنَاتِ مِنكُنَ أَجْرًا عَظِيمًا وَ يَنِسَاءَ ٱلنَّتِي مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةِ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفُ مُّ اللَّهُ لَمُنَا اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۞ 

ذراريهم، وتغنم أموالهم.

فأتم الله لرسوله والمؤمنين المنة، وأسبغ عليهم النعمة، وأقَرَّ أعينهم بخذلان مَنْ انخذل من أعدائهم، وقتل مَنْ قتلوا، وأسر مَنْ أسروا، ولم يزل لطف الله بعباده المؤمنين مستمراً.

﴿٢٩ \_ ٢٩﴾ ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً \* وإن كنتن تردن الله ورسـولــه والــدار الآخــرة فــإن الله أعــدً للمحسنات منكن أجرأ عظيماً للالم اجتمع نساء رسول الله على عليه في الغيرة، وطلبن منه النفقة والكسوة، طلبن منه أمراً لا يقدر عليه في كل وقت، ولم يزلن في طلبهن متفقات، في مرادهن متعنتات، فشَقَّ ذلك على الرسول، حتى وصلت به الحال إلى أنه آلي منهن شهراً.

فأراد الله أن يسهل الأمر على رسوله، وأن يرفع درجة زوجاته، ويُذْهِبَ عنهن كل أمر ينقص أجرهن، فأمر رسوله أن يخيرهن (٥) فقال: ﴿ إِيا أيها النبي قل لأزواجِك إن كنتن تردن الحياة الدنيا الله أي: ليس لكن في غيرها مطلب، وصرتن ترضين لوجودها،

(٥) في أ: يخبرهن.

زيادة من: ب.

زيادة من: ب.

زيادة من: ب. في أ: وهو، ولعل الصواب ما **(Y)** 

\* وَمَن يَقْنُتُ مِنكُرَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَا صَلِحًا لَهُ تِعَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدُنَا لَمُتَارِزُقًا كَرِيمًا ۞ يَنِسَلَّهُ ٱلنِّي لَسْتُنَّ كَأَحَدِ مِّنَ النِّسَلَّهِ إِن اتَّقَتُ ثُنَّ فَلَا غَصَيْعَزَ بِٱلْفَعَلَ لِ فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْمِهِ مِرَضٌّ وَقُلْرِى فَوَلَا مَعْدُ وَفَالَ وَهَـُونَ فِي بِيُوسِكُنَّ وَلَا تَكْرَخِي تَكِيمُ ۖ ٱلْجَعَلِي ٓ وَٱلْأُولَيُّ وَأَقِمْنَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ الزِّيكُوٰةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولُهُۥ ۖ لَا إِنَّكَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ ٱلرَّضَ أَهْلَ ٱلْكِيْتِ وَيُطَهِمَ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاللَّهِ مُنْ اللَّهِ مُنْ وَاللَّهِ مُنْ اللَّهِ مُنْ وَاللَّهِ مُنْ اللَّهِ مُنْ وَاللَّهُ مُنْ اللَّهِ مُنْ وَاللَّهُ مُنْ اللَّهِ مُنْ وَاللَّهُ مُنْ اللَّهِ مُنْ وَاللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللّمُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللّلِهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّا مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّا لِمُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّا مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اَيْتِ اللَّهِ وَالْحِكُمَةُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَيْرًا ﴿ إِنَّ ٱلْشَرِلِينِ وَٱلْشَرِامَةِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْوَمِنَاتِ وَٱلْقَلِينِينَ وَٱلْقَلِنَاتِ وَالصَّالِقِينَ وَالصَّلِاقَتِي وَٱلصَّلِينَ وَالصَّايِرَاتِ وَالْمَنْفِيدِينَ وَالْمُنْفِينَ وَالْمُتَّصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَاتِ وَٱلصَّلْبِيدِينَ وَٱلصَّلْبِينَ وَٱلْحَلْفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَلْفَظَاتِ وَٱلْنَّكِينِ ٱللَّهَ كَيْرًا وَالذَّكِ زَبِ أَعَدُ اللَّهُ لَمُهُمِّ مَّغْ فِرَةً وَأَجْرًا عَظَمًا ۞ 

وتغضبن لفقدها، فليس لي فيكن أرب وحاجة، وأنتن بهذه الحال.

﴿فتعالین أمتعکن﴾ شیئاً بما عندی من الدنیا ﴿وأسرحکن﴾ أي: أفارقکن ﴿سراحاً جمیلا﴾ من دون مغاضبة ولا مشاتمة، بل بسعة صدر، وانشراح بال، قبل أن تبلغ الحال إلى ما لا ينبغي.

﴿وإن كستن تردن الله ورسوله والمدار الآخرة﴾ أي: همذه الأشمياء مرادكن، وغاية مقصودكن، وإذا حصل لَكُنَّ الله ورسوله والجنة، لم تبالين بسعة الدنيا وضيقها، ويسرها وعسرها، وقنعتن من رسول الله بما تيسر، ولم تطلبن منه ما يشق عليه، ﴿ فَإِنَّ اللَّهِ أَعِدُ لِلْمُحَسِّنَاتُ مِنْكُنِ أَجِراً عظيماً ﴾ رتب الأجر على وصفهن بالإحسان، لأنه السبب الموجب لذلك، لا لكونهن زوجات للرسول، فإن مجرد ذلك لا يكفى، بل لا يفيد شيئاً مع عدم الإحسان، فخيرهن رسول الله ﷺ في ذلك، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة كلهن، ولم يتخلف منهن واحدة، رضي الله

وفي هذا التخيير فوائد عديدة:

منها: الاعتناء برسوله وغيرته عليه، أن يكون بحالة يشق عليه كثرة مطالب زوجاته الدنبوية.

ومنها: سلامته ﷺ بهذا التخيير من تبعة حقوق الزوجات، وأنه يبقى في حرية نفسه، إن شاء أعطى، وإن شاء منع ﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له﴾.

ومنها: تنزيهه عن لو كان فيهن من تؤثر الدنيا على الله ورسوله والدار الآخرة عنها، وعن مقارنتها.

ومنها: سلامة زوجاته رضي الله عنهن عن الإثم والتعرض لسخط الله ورسوله.

فحسم الله بهذا التخيير عنهن التسخط على الرسول، الموجب لسخطه، المسخط لربه، الموجب لعقابه.

ومنها: إظهار رفعتهن وعلو درجتهن، وبيان علو همهن، أن كسان الله ورسوله والدار الآخرة مرادهن ومقصودهن، دون الدنيا وحطامها.

ومنها: استعدادهن بهذا الاختيار، للأمر الخيار، للوصول إلى خيار درجات الجنة، وأن يكُنَّ زوجاته في الدنيا والآخرة.

ومنها: ظهور المناسبة بينه وبينهن، فإنه أكمل الخلق، وأراد الله أن تكون نساؤه (۱۲ كاملات مكملات، طيبات مطيبات (الطيبون والطيبون للطيبات في الطيبون .

ومنها: أن هذا التخيير داع، وموجب للقناعة التي يطمئن لها القلب، وينشرح لها الصدر، ويزول عنهن جشع الحرص، وعدم الرضا الموجب لقلق القلب واضطرابه، وهمه

ومنها: أن يكون اختيارهن هذا، سبباً لزيادة أجرهن ومضاعفته، وأن يَكُنَّ بمرتبة ليس فيها أحد من النساء، ولهذا قال:

﴿٣١ \_ ٣١) ﴿ يَا نَسَاءَ النَّبِي مَنَ

يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً \* ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريماً \*

لما اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، ذكر مضاعفة أجرهن، ومضاعفة وزرهن وإثمهن لو جرى منهن، ليزداد حذرهن، وشكرهن الله تعالى، فجعل من أتى منهن بفاحشة ظاهرة لها العذاب ضعفين.

﴿ومن يقنت منكن﴾ أي: تطيع ﴿له ورسوله وتعمل صالحاً ﴾ قليلاً أو كثيراً، ﴿نوتها أجرها مرتين﴾ أي: مثل ما نعطي غيرها مرتين، ﴿وأعتدنا لها رزقاً كريماً ﴾ وهي الجنة، فقنتن لله ورسوله، وعملن صالحاً، فعلم بذلك أجرهن.

﴿٣٢ \_ ٣٤ ﴿ وَيا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً \* وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأوكى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً \* واذكرن ما يتلي في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كأن لطيفاً خبيراً ﴾ يقول تعالى: ﴿ يَا نَسَاءُ النَّبِي ﴾ خطاب لهن كلهن ﴿لستن كأحد من النساء إن اتقيتن الله، فإنكن بذلك تفقن النساء، ولا يلحقكن أحد من النساء، فكملن التقوى بجميع وسائلها ومقاصدها.

فلهذا أرشدهن إلى قطع وسائل المحرم، فقال: ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ أي: في مخاطبة الرجال، أو بحيث يسمعون فتَلِنَّ في ذلك، وتتكلمن بكلام رقيق يدعو ويطمع ﴿الذي في قلبه مرض﴾ أي: مرض شهوة الزنا، فإنه مستعد، ينظر أدنى محرك يحركه، لأن قلبه غير صحيح، [فإن القلب

الصحيح](١)، ليس فيه شهوة لما حرم الله، فإن ذلك لا تكاد تميله ولا تحركه الأسباب، لصحة قلبه وسلامته من المرض.

بخلاف مريض القلب، الذي لا يتحمل ما يتحمل الصحيح، ولا يصبر على ما يصبر عليه، فأدنى سبب يوجد، يدعوه إلى الحرام، يجيب دعوته، ولا يتعاصى عليه، فهذا دليل على أن الوسائل لها أحكام المقاصد. فإن الخضوع بالقول واللين فيه، في الأصل مباح، ولكن لما كان وسيلة إلى المحرم، منع منه، ولهذا ينبغي للمرأة في مخاطبة الرجال، أن لا تلين لهم

ولما نهاهن عن الخضوع في القول، فربما توهم أنهن مأمورات بإغلاظ القول، دفع هذا بقوله: ﴿وقلن قولاً معروفاً ﴾ أي: غير غليظ ولا جاف، كما أنه ليس بليّن خاضع.

وتأمل كيف قال: ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ ولم يقل: «فلا تلِنَّ بالقول» وذلك لأن المنهى عنه القول اللين، الذي فيه خضوع المرأة للرجل، وانكسارها عنده، والخاضع هو الذي يطمع فيه، بخلاف من تكلُّم كلاماً ليناً ليس فيه خضوع، بل ربما صار فيه ترفع وقهر للخصم، فإن هذا لا يطمع فيه خصمه، ولهذا مدح الله رسوله باللين، فقال: ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم) وقال لموسى وهارون: ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغي \* فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشي،

ودلَّ قوله: ﴿ فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ مع أمره بحفظ الفرج وتناثه على الحافظين لفروجهم والحافظات، ونهيه عن قربان الزنا، أنه ينبغي للعبد

إذا رأى من نفسه هذه الحالة، وأنه يهش(٢) لفعل المحرم عندما يري أو يسمع كلام مَنْ يهواه، ويجد دواعي طمعه قد انصرفت إلى الحرام، فلْيَعْرفَ أن ذلك مرض.

فَلْيَجْتَهِد في إضعاف هذا المرض وحسم الخواطر الردية، ومجاهدة نفسه على سلامتها من هذا المرض الخطر، وسؤال الله العصمة والتوفيق، وأن ذلك من حفظ الفرج المأمور به.

﴿وقرن في بيوتكن ﴾ أي: اقررن فيها، لأنه أسلم وأحفظ لكُنَّ، ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى أي: لا تكشرن الخروج متجملات أو متطيبات، كعادة أهل الجاهلية الأولى، الذين لا علم عندهم ولا دين، فكل هذا دفع للشر وأسبابه.

ولما أمرهن بالتقوي عموماً، وبجزئيات من التقوى، نص عليها [لحاجة](٢) النساء إليها، كذلك أمرهن بالطاعة، خصوصاً الصلاة والزكاة، اللتان يجتاجهما ويضطر إليهماكل أحد، وهما أكبر العبادات، وأجلُّ الطاعات، وفي الصلاة الإخلاص للمعبود، وفي الزكاة الإحسان إلى العبيد.

ثم أمرهن بالطاعة عموماً، فقال: ﴿وأطعن الله ورسوله ﴾ يدخل في طاعة الله ورسوله، كل أمر أمرا به أمر إيجاب أو استحباب.

﴿إِنْمَا يُرِيدُ اللهِ ﴿ بِأُمْرِكُنِّ بِمَا أُمَّرَكُنَّ ا به، ونهيكن بما(٤) نهاكُنَّ عنه، ﴿ليذهب عنكم الرجس﴾ أي: الأذي والشر والخبث، يا ﴿أَهِلَ البيت ويطهركم تطهيرأ كحتى تكونوا طاهرين مطهرين .

أي: فاحمدوا ربكم واشكروه على هذه الأوامر والنواهي، التي أحبركم بمصلحتها وأنها محض مصلحتكم، لم يرد الله أن يجعل عليكم بذلك حرجاً ولا مشقة، بل لتتزكى نفوسكم، ولتتطهر أخلاقكم، وتحسن أعمالكم، ويعظم بذلك أجركم.

ولما أمرهن بالعمل الذي هو فعل وترك، أمرهن بالعلم، وبيَّن لهن طريقه، فقال: ﴿واذكرن ما يتلي في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ والمراد بآيات الله، القرآن. والحكمة، أسراره. أو سُنّة رسوله. وأمرهن بذكره، يشمل ذكر لفظه، بتلاوته، وذكر معناه، بتدبره والتفكر فيه، واستخراج أحكامه وحكمه، وذكر العمل به وتأويله. ﴿إنَّ الله كان لطيفاً خبيراً ﴾ يدرك أسرار (٥) الأمور، وخفايا الصدور، وخبايا السماوات والأرض، والأعمال التي تبين وتسر.

فلطفه وخبرته، يقتضى حثهن على الإخسلاص وإسرار الأعسمال، ومجازاة الله على تلك الأعمال.

ومن معاني «اللطيف» الذي يسوق عبده إلى الخير، ويعصمه من الشر، بطرق خفية لا يشعر بها، ويسوق إليه من الرزق ما لا يدريه، ويريه من الأسباب التي تكرهها النفوس ما يكون ذلك طريقاً [له](٢) إلى أعلى الدرجات وأرفع المنازل .

﴿٣٥﴾ ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كشيرأ والذاكرات أعداله لهم مغفرة وأجرآ

(0)

زيادة من: ب، لا يستقيم الكلام بدونها. (1)

كذا في: ب، وفي أ: يشتهي، والأقرب ما أثبته. **(Y)** 

<sup>(</sup>٣) زيادة من: ب.

<sup>(1)</sup> في ب: عمّا.

في ب: سرائر. زيادة من: ب. (٦)

عظيماً ﴾ لما ذكر تعالى ثواب زوجات الرسول على وعقابهن [لوقدر عدم الامتثال](١) وأنه ليس مثلهن أحد من النساء، ذكر بقية النساء غيرهن.

ولما كان حكمهن والرجال واحداً، جعل الحكم مشتركاً، فقال: ﴿إِن المسلمين والمسلمات، وهذا في الشرائع الظاهرة، إذا كانوا قائمين بها. ﴿والمؤمَّنين والمؤمنات ﴾ وهذا في الأمور الباطنة، من عقائد القلب

﴿والقانتين﴾ أي: المطيعين لله ولرسوله ﴿والقانتات والصادقين ﴾ في مقالهم وفعالهم ﴿والصادقات﴾ ﴿والصابرين ﴾ على الشدائد والمائب ﴿والصابرات والخاشعين﴾ في جميع أحوالهم، خصوصاً في عباداتهم، خصوصاً في صلواتهم ﴿وَالْخَاشِعَاتِ﴾ ﴿والمتسمسدِّقين﴾ فسرضاً ونسفسلاً ﴿والمتسهدقات والسمائه مين والصائمات المسمل ذلك الفرض والنفل. ﴿والحافظين فروجهم ﴾ عن الرنا ومقدماته ﴿والحافظات﴾ ﴿وَالْذَاكِرِينَ اللَّهِ [كثيراً﴾ أي: ](٢) في أكثر الأوقيات، خصوصاً أوقيات الأوراد المقيدة، كالصباح والمساء، وأدبار المسلوات المكتوبات ﴿والذَّاكِرِ اتْ﴾.

﴿أُعد الله لهم ﴾ أي: لهولاء الموصوفين بتلك الصفات الجميلة، والمناقب الجليلة، التي هي ما بين اعتقادات، وأعمال قلوب، وأعمال جوارح، وأقوال لسان، ونفع متعد وقاصر، وما بين أفعال الخير، وترك الشر، الذي من قام بهن، فقد قام بالدين كله، ظاهره وباطنه، بالإسلام والإيمان والإحسان.

لذنوبهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات. (وأجرأ عظيماً) لا يقدر قدره، إلا الذي أعطاه، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ، نسأل الله أن يجعلنا منهم .

﴿٣٦﴾ ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ أي: لا ينبغى ولايليق عمن اتصف بالإيمان، إلا الإسراع في مرضاة الله ورسوله، والهرب من سخط الله ورسوله، وأمتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، فلا يليق بمؤمن ولا مؤمنة ﴿إِذَا قَمْنَى اللهُ ورسوله أمراً ﴾ من الأمور، وحتما به وألزما به أن يكون لهم الخيرة من أمرهم الحيار، هل يفعلونه أم لا؟ بل يعلم المؤمن والمؤمنة، أن الرسول أولى به من نفسه، فلا يجعل بعض أهواء نفسه حجاباً بينه وبين أمر الله ورسوله.

﴿ ومَنْ يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ أي: بيِّناً، لأنه ترك الصراط المستقيم الموصلة إلى كرامة الله، إلى غيرها من الطرق الموصلة للعذاب الأليم، فذكر أولاً السبب الموجب لعدم معارضته أمر الله ورسوله، وهو الإيمان، ثم ذكر المانع من ذلك، وهو التخويف بالضلال، الدال على العقوبة والنكال.

﴿٣٧﴾ ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلماقضى زيدمنها وطرأ زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج نى أزواج أدعيائهم إذا قضوا فجازاهم على عملهم بالمغفرة منهن وطرأ وكان أمر الله مفعولاً ﴾

وكان سبب نزول هذه الآيات، أن الله تبعبالي أراد أن يسشرع شبرعياً عبامياً للمؤمنين، أن الأدعياء ليسوا في حكم الأبناء حقيقة، من جميع الوجوه وأن أزواجهم لا جناح على مَنْ تبناهم نكاحهن.

وكان هذا من الأمور المعتادة، التي لا تكاد تزول إلا بحادث كبير، فأراد أن يكون هذا الشرع قولاً من رسوله وفعلاً، وإذا أراد آلله أمراً جعل له سبباً، وكان زيد بن حارثة يدعى «زيد بن محمد) قد تبناه النبي عَلِين ، فصار يدعي إليه حتى نزل: ﴿ ادعوهم لآبائهم﴾ فقيل له: «زيد بن حارثة».

وكانت تحته زينب بنت جحش، ابنة عمة رسول الله على ، وقد كان قد وقع في قلب الرسول، لو طلقها زيد، لتزوّجها، فقدر الله أن يكون بينها وبين زيد ما اقتضى أن جاء زيد بن حارثة يستأذن النبي ﷺ في فراقها.

قال الله: ﴿ وَإِذْ تَسَقَّلُولُ لَسُلَّكُ يَ أنعم الله عليه الله عليه الله المام ﴿وأنعمت عليه ﴾ بالعتق (٣)، حين جاءك مشاوراً في فراقها: فقلت له ناصحاً وغبراً بمصلحته (١)، مع وقوعها في قلبك: ﴿أمسك عليك زوجك﴾ أي: لا تفارقها، واصبر على ما جاءك منها، ﴿واتق اللهِ تعالى في أمورك عامة، وفي أمر زوجك خاصة، فإن التقوى تحث على الصبر وتأمر به.

﴿ وتخفى في نفسك ما الله مبديه ﴾ والذي أخفاه، أنه لوطلقها زيد لتزوجها ﷺ.

﴿وتخشى الناس﴾ في عدم إبداء ما في نفسك ﴿والله أحق أن تخشاه ﴾ (٥) وأن لا تباليهم شيئاً، ﴿فلما قضى زيد منها وطرأ ﴾ أي: طابت نفسه، ورغب عنها، وفارقها. ﴿زُوجِناكِها﴾ وإنما

زيادة من: ب. (1)

زيادة من: ب. (٢)

<sup>(</sup>٣) في هامش ب: والإرشاد والتعليم.

نى هامش ب: مقدماً لها على رغبتك. (1)

في هامش ب: فإن خشيته جالبة لكل خير، [مانعة] من كل شر (مع أن كلمة مانعة غير واضحة في الأصل). (0)

قبل ينتسب إليك.

فعلنا ذلك لفائدة عظيمة، وهي: ﴿لكيلا يكون على المؤمنين حرج في يـ أزواج أدعيائهم﴾ حيث رأوك تزوجت تع زوج زيد بن حارثة، الذي كان من

ولما كان قوله: ﴿ لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم ﴾ عاماً في جميع الأحوال وكمان من الأحوال، ما لا يجوز ذلك، وهي قبل انقضاء وطره منها، قيد ذلك بقوله: ﴿ إِذَا قَضُوا مِنهِن وطراً وكان أمر الله مفعولاً ﴾ أي: لا بد من فعله، ولا عائق له ولا مانع.

وفي هذه الآيات المشتملات على هذه القصة فوائد، منها: الثناء على زيد بن حارثة، وذلك من وجهين:

أحدهما: أن الله سماه في القرآن، ولم يسم من الصحابة باسمه غيره.

والثاني: أن الله أخبر أنه أنعم عليه، أي: بنعمة الإسلام والإيمان. وهذه شهادة من الله له أنه مسلم مؤمن، ظاهراً وباطنا، وإلا فلا وجه لتخصيصه بالنعمة، لولا أن المراد بها النعمة الخاصة.

ومنها: أن المُغتق في نعمة المُغتِق.

ومنها: جواز تزوج زوجة الدَّعِي، كما صرّح به .

ومنها: أن التعليم الفعلي أبلغ من القولي، خصوصاً إذا اقترن بالقول، فإن ذلك نور على نور.

ومنها: أن المحبة التي في قلب العبد، لغير زوجته ومملوكته وعارمه، إذا لم يقترن بها محذور، لا يأثم عليها العبد، ولو اقترن بذلك أمنيته، أن لو طلقها زوجها لتزوجها من غير أن يسعى في فرقة بينهما، أو يتسبب بأي: سبب كان، لأن الله أخبر أن الرسول ﷺ أخفى ذلك في نفسه.

ومنها: أن الرسول عشقد بلغ البلاغ المبين، فلم يدع شيئاً مما أوحي إليه إلا وبلغه، حتى هذا الأمر، الذي فيه عتابه.

وهذا يدل على أنه رسول الله، ولا يـقــول إلا مــا أوحــي إليه، ولا يــريــد تعظيم نفسه.

ومنها: أن الستشار مؤتمن، يجب عليه \_ إذا استشير في أمر من الأمور \_ أن يسسير بحا يعلمه أصلح للمستشير (1)، ولو كان له حظ نفس، فتقدم مصلحة المستشير على هوى نفسه وغرضه.

ومنها: أن من الرأي: الحسن لمن استشار في فراق زوجته أن يؤمر بإمساكها مهما أمكن صلاح الحال، فهو أحسن من الفرقة.

ومنها: [أنه يتعين] (٢) أن يقدم العبد خشية الله على خشية الناس، وأنها أحق منها وأولى.

ومنها: فضيلة زينب رضي الله عنها أم المؤمنين، حيث تولى الله تزويجها من رسوله على من دون خطبة ولا شهود، ولهذا كانت تفتخر بذلك على أزواج رسول الله على وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات.

ومنها: أن المرأة إذا كانت ذات زوج، لا يجوز نكاحها، ولا السعي فيه وفي أسبابه، حتى يقضي زوجها وطره منها، ولا يقضي وطره، حتى تنقضي عدتها، لأنها قبل انقضاء عدتها، وهي في عصمته، أو في حقه الذي له وطر إليها، ولو من بعض الوجوه.

و ۳۸ ـ ۳۹ ﴿ وَما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً \* الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً ﴾ هذا دفع لطعن من طعن في الرسول ﷺ في كثرة أزواجه، وأنه طعن بما لا مطعن فيه، فقال: ﴿ ما كان على النبي من حرج ﴾ أي: إثم وذنب. ﴿ فيما فرض الله له ﴾ أي: قدر له من الزوجات، فإن هذا قدر أباحه الله للأنبياء قبله، ولهذا قال:

وَمَاكَانَ لِمُؤْمِنِ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا فَضَى أَلَهُ وَرَسُولُهُ وَأَمْرًا أَن يَكُونَ لَمُدُا يُغِيرَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولُهُ فَقَدْ صَلَّ صَلَامُ لِللَّهُ مُهِينًا ۞ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَفْجَكَ وَأُتِّقَ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا أَلَقَهُ مُبْدِيدِ وَتَغْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَنْ غَنْشَاةً فَلْمَا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَلَرُا زَقَجْنَكُمُ الِكَثَلَا يَكُونَ عَلَى الْوُمِنِينَ حَرَجٌ فِيَ أَزْفَجِ أَدْعِيكَ إِبِهِمْ إِذَا فَضَوَّا مِنْهُنَّ وَطَلَوا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿ مَّاكَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرِّجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلُوا مِن قَبَلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ٥ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَلَاتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنِهُ وَلِلْ يَخْشَوْنَ أَسَالِلًا اللهُ وَكُفُل إِللَّهِ حَسِيبًا ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَّ ٱلْحَدِينِ يَجَالِكُمُ وَلَكِنَ زَّسُولَ ٱللَّهِ وَحَمَالَمَ ٱلنَّبِيِّ فَي وَكَابَ ٱللَّهُ مِكُلُ شَيْءٍ عَلِيمًا ٢ اللَّهُ اللَّذِينَ اللَّهُ الْدَعْدُوا النَّصَالُوا اللَّهَ ذِكْرَاكَتِيرًا ۞ وَسَيْخُوهُ الْبُكْرَةُ وَأَصِيلًا ۞ هُوَالَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَكَمْ كُنُّهُ المُعْرِجِكُمْ مِنَ الظَّالْمُتِ إِلَى التَّوْرُ وَكَانَ بِٱلْمُوْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿ OLUGOU MEGRILO

وسنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً هاي: لا بد من وقوعه. ثم ذكر من هم الذين من قبل قد خلوا، وهذه سنتهم وعادتهم، وأنهم والذين يبلغون رسالات الله فيتلون على العباد آيات الله وحججه وبراهينه، ويدعونهم إلى الله وويخشونه وحده لا شريك له وولا الله.

فإذا كان هذا سُنّة في الأنبياء المعصومين، الذين وظيفتهم قد أدوها وقاموا بها أتم القيام، وهو دعوة الخلق إلى الله، والخشية منه وحده، التي تقتضي فعل كل مأمور، وترك كل مخطور، دل ذلك على أنه لا نقص فيه بوجه.

﴿وكفى بالله حسيباً ﴾ محاسباً عباده ، مراقباً أعمالهم . وعلم من هذا، أن النكاح من سنن المرسلين .

﴿ ٤٠﴾ ﴿ ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبين وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ أي: لم يكن الرسول ﴿ عمد ﴾ ﷺ ﴿ أبا أحدٍ من رجالكم ﴾ أبها الأمة فقطع انتساب زيد بن حارثة منه ، من هذا الباب .

ولما كان هذا النفي عاماً في جميع الأحوال، إن حمل ظاهر اللفظ على

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ: للمستشار، ولعل الصواب ما أثبت \_ والله أعلم \_.

<sup>(</sup>٢) زيادة من: ب.

يَّيِنُهُ وَيَهُ يَلْقُوْنَ مُسَلَدُّ وَأَعَدَّلُهُ أَخِرًا كَرِمًا ﴿ يَأْتُهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَكَ شَلْهِ دُاوَمُبَثِّ كُاوَلَىٰذِيرًا ﴿ وَدَاعِبًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْ نِهِ وَمِسِ كِلِمَا مُّنِيرًا ۞ وَيَشِرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَمَيْر يِّرَكَ اللَّهِ فَضَلَّا كَيْمِيرًا ۞ وَلَا تُعْلِمُ ٱلْكَفِينَ وَٱلنَّا يُعْمِينَ وَدَعْ أَذَنَاهُمْ وَقُوَحَكُلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَلَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۞ يَنَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُ مُ الْمُؤْمِنَتِ ثُمَّ مَلْلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَنْشُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِ ﴾ مِنْ عِـ ذَةِ تَعْتَدُونَهَأُ فَيَعُوهُنَّ وَسَرَحُوهُنَ سَرَاعَاجَيلُا۞ يَنَأَنَّهَا ٱلنَّيْزُانًا أَخَلَنَ الَّكَ أَزْوَلَهَكَ ٱلَّذِيَّةِ ٱلنَّيْتَ أُجُورَهُ ۚ وَمَامَلُكُ يَمِيثُكَ مِمَّآ أَفَآءَ اللهُ عَلَيْكَ وَبِنَاتِ عَيِمْكَ وَبَنَاتِ عَيَيْكَ وَيَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَلَيْكَ ٱلَّذِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَآمَرَأَهُ مُوْفِيكَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَذَيكَ حَهَا خَالِصَ لَهُ أَكَ مِن دُورِنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَافَرَضْنَاعَلَيْهِمْ فِأَنْوَجِهِمْ وَمَامَلَكَتْ أَيْنَهُمْ لِكِيلًا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَةً وَكَانَ أَلَهُ عَنْ فُولًا زَحِيمًا ۞

ظاهره، أي: لا أبوة نسب، ولا أبوة ادعاء، وقد كان تقرر فيما تقدم أن الرسول الله أب للمؤمنين كلهم، وأزواجه أمهاتهم، فاحترز أن يدخل في هذا النوع بعموم النهي المذكور، فقال: ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبين﴾ أي: هذه مرتبته مرتبة المطاع المتبوع، المهتدى به، المؤمن له، الذي يجب تقديم عجبته على عجبة كل أحد، الناصح الذي لهم، أي: للمؤمنين، من بره [ونصحه] (١)، كأنه أب لهم.

و كان الله بكل شيء عليماً أي: قد أحاط علمه بجميع الأشياء، ويعلم حيث يجعل رسالاته، ومَنْ يصلح لفضله ومَنْ لا يصلح.

سطحاله ومن لا يطلعه .

(18 - 18 ) إنها الذين آمنوا الله ذكراً كثيراً \* وسبحوه بكرة وأصيلاً \* هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً \* تحيتهم كريماً > يأمر تعالى المؤمنين بذكره ذكراً كثيراً، من تهليل وتحميد وتسبيح كثيراً، من تهليل وتحميد وتسبيح وتكبير وغير ذلك، من كل قول فيه قربة إلى الله، وأقل ذلك، أن يلازم الإنسان أوراد الصباح والمساء، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب.

وينبغي مداومة ذلك في جميع الأوقات، على جميع الأحوال، فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل وهو مستريح، وداع إلى محبة الله ومعرفته، وعون على الخير، وكف اللسان عن الكلام القبيح.

﴿وسبحوه بكرة وأصيلاً أي: أول النهار وآخره، لفضلها وشرفها، وسهولة العمل فيها.

﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً ﴾ أي: من رحمته بالمؤمنين ولطفه بهم، أن جعل من صلاته عليهم وثنائه، وصلاة ملائكته ودعائهم، ما يخرجهم من ظلمات الذنوب والجهل، إلى نور الإيمان والتوفيق والعلم والعمل، فهذه أعظم نعمة أنعم بها على العباد الطائعين، تستدعى منهم شكرها، والإكثار من ذكر الله، الذي لطف بهم ورحمهم، وجعل حملة عرشه أفضل الملائكة، ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا فيقولون: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم \* ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم \* وقهم السيئات ومن تَقِ السيئات يومئذٍ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم،

فهذه رحمته ونعمته عليهم في الدنيا.

وأما رحمته بهم في الآخرة، فأجل رحمة، وأفضل ثواب، وهو الفوز برضا ربهم وتحيته، واستماع كلامه الجليل، ورؤية وجهه الجميل، وحصول الأجر الكبير، الذي لا يدري ولا يعرف كنهه، إلا مَنْ أعطاهم إياه، ولهذا قال: ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريما﴾.

﴿ ٤٥ \_ ٤٨ ﴿ وَمِا أَيِّهَا النَّبِي إِنَّا أَرْسَلْنَاكُ شَاهَداً ومُبِشْراً وَنَذْيِراً \*

وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً \* وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً \* ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً هذه الأشياء التي وصف الله رسالته وزبدتها وأصولها التي اختص بها، وهي خسة أشياء: أحدها: كونه عملوه من خير وشر، كما قال تعالى: هلتكونوا شهداء على الناس ويكون عملوه من خير وشر، كما قال تعالى: الرسول عليكم شهيداً في فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً فهو على شاهد عدل مقبول.

الثاني، والثالث: كونه ﴿مبشراً ونذيراً﴾ وهذا يستلزم ذكر البشر والمنذر، وما يبشر به وينذر، والأعمال الموجبة لذلك.

فالمبشر هم: المؤمنون المتقون، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، وترك المعاصي، لهم البشرى في الحياة الدنيا، بكل ثواب دنيوي وديني، رتب على الإيمان والتقوى، وفي الأخرى بالنعيم المقيم.

وذلك كله يستلزم ذكر تفصيل المذكور، من تفاصيل الأعمال، وخِصال التقوى، وأنواع الثواب.

والمنذر، هم: المجرمون الظالمون، أهل الظلم والجهل، لهم النذارة في الدنيا، من العقوبات الدنيوية والدينية المرتبة على الجهل والظلم، وفي الأخرى، بالعقاب الوبيل، والعذاب الطويل.

وهذه الجملة تفصيلها، ما جاء به ﷺ من الكتاب والسُنّة، المشتمل على ذلك.

الرابع: كونه (داعياً إلى الله أي: أرسله الله يدعو الخلق إلى رجم، ويسوقهم (٢) لكرامته، ويأمرهم بعبادته التي خلقوا لها، وذلك يستلزم استقامته على ما يدعو إليه، وذكر تفاصيل ما يدعو إليه، بتعريفهم لرجم

بصفاته القدسة، وتنزيهه عمّا لا يليق بجلاله، وذكر أنواع العبودية، والمعوة إلى الله بأقرب طريق موصل إليه، وإعطاء كل ذي حق حقه، وإخلاص الدعوة إلى الله، لا إلى نفسه وتعظيمها، كما قد يعرض ذلك لكثير من النفوس في هذا المقام، وذلك كله بإذن الله تعالى له في الدعوة وأمره وإرادته وقدره.

الخامس: كونه ﴿سراجاً منيراً﴾ وذلك يقتضي أن الخلق في ظلمة عظيمة، لا نور يهتدى به في ظلماتها، ولا علم يستدل به في جهالاتها(١١)، حتى جاء الله بهذا النبي الكريم، فأضاء الله به تلك الظلمات، وعلم به من الجهالات، وهدى به ضُلالاً إلى الصراط المستقيم.

فأصبح أهل الاستقامة قد وضح لهم الطريق، فمشوا خلف هذا الإمام وعرفوا به الخير والشر، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، واستناروا به لمعرفة معبودهم، وعرفوه بأوصافه الحميدة، وأفعاله السديدة، وأحكامه الرشيدة.

وقوله: ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ﴾ ذكر في هذه الجملة المبشر، وهم المؤمنون، وعند ذكر الإيمان بمفرده، تدخل فيه الأعمال الصالحة.

وذكر المبشريه، وهو الفضل الكبير، أي: العظيم الجليل، الذي لا يقادر قدره، من النصر في الدنيا، وهداية القلوب، وغفران الذنوب، وكشرة الأرزاق الدارّة، وحصول النِعَم السارة، والفوز برضا ربهم وثوابه، والنجاة من سخطه وعقابه.

وهذا مما ينشط العاملين، أن يذكر لهم من ثواب الله على أعمالهم، ما به

يستعينون على سلوك الصراط المستقيم، وهذا من جملة حكم الشرع، كما أن من حكمه، أن يذكر في مقام الترهيب، العقوبات المرتبة على ما يرهب منه، ليكون عوناً على الكف عمّا حرّم الله.

ولما كان تَمَّ طائفة من الناس، مستعدة للقيام بصد الداعين إلى الله من الرسل وأتباعهم، وهم المنافقون،

الذين أظهروا الموافقة في الإيمان، وهم كفرة فجرة في الباطن، والكفار ظاهراً وباطناً، نهى الله رسوله عن طاعتهم، وحذره ذلك، فقال: ﴿ولا

تطع الكافرين والمنافقين أي: في كل أمر يصدعن سبيل الله، ولكن لا يقتضي هذا أذاهم، [بل لا تطعهم ﴿وودع أذاهم ﴾](٢) فإن ذلك جالب لهم، وداع إلى قبول الإسلام، وإلى كف كثير من أذيتهم له ولأهله، ﴿وودكل على الله ﴿ في إتمام أمرك،

وخذلان عدوك، ﴿وكفَّى بالله وكيلا﴾ تُوكل إليه الأمور المهمة، فيقوم بها ويسهلها على عبده.

﴿٤٩﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تمتدونها فمتموهن وسرحوهن سراحاً جميلاً يخبر تعالى المؤمنين، أنهم إذا

نكحوا المؤمنات، ثم طلقوهن من قبل أن يمسوهن، فليس عليهن في ذلك عدة يعتدها<sup>(٣)</sup> أزواجهن عليهن، وأمرهم بتمتيعهن (٤) بهذه الحالة، بشيء من متاع الدنيا، الذي يكون فيه

بشيء من متاع الدنيا، الذي يكون فيه جبر لخواطرهن، لأجل فراقهن، وأن يفارقوهن فراقاً جيلاً، من غير مخاصمة ولا مشاتمة ولا مطالبة، ولا غير ذلك.

ويستدل بهذه الآية، على أن الطلاق لا يكون إلا بعد النكاح. فلو طلقها قبل أن ينكحها، أو علق طلاقها على يكاحها، لم يقع، لقوله: ﴿إِذَا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن فجعل

الطلاق بعد النكاح، فدل على أنه قبل ذلك لا محل له.

وإذا كان الطلاق الذي هو فرقة تامة وتحريم تام، لا يقع قبل النكاح، فالتحريم الناقص، لظهار أو إيلاء ونحرى، أن لا يقع قبل النكاح، كما هو أصح قولي العلماء.

ويدل على جواز الطلاق، لأن الله أخبر به عن المؤمنين، على وجه لم يلمهم عليه ولم يؤنبهم، مع تصدير الآية بخطاب المؤمنين.

وعلى جوازه قبل السيس، كما قال في الآية الأخرى: ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن وعلى أن المطلقة قبل الدخول لا عدة عليها، بل بمجرد طلاقها يجوز لها التزوج، حيث لا مانع، وعلى أن عليها العدة بعد الدخول.

وهل المراد بالدخول والمسيس الوطء، كما هو مُجمّع عليه؟ أو وكذلك الخلوة، ولو لم يحصل معها وطء، كما أفتى بذلك الخلفاء الراشدون، وهو الصحيح. فمن دخل عليها، وطثها أملا، إذا خلابها، وجب عليها العدة.

وعلى أن المطلقة قبل المسيس تمتع على الموسع قدره، وعلى المقتر قدره، ولكن هذا إذا لم يفرض لها مهر، فإن كان لها مهر مفروض، فإنه إذا طلق قبل الدخول تنصف المهر، وكفى عن المتعة، وعلى أنه ينبغي لمن فارق زوجته قبل الدخول أو بعده، أن يكون الفراق جيلاً، يحمد فيه كل منهما الآخر.

ولا يكون غير جميل، فإن في ذلك من الشر المرتب عليه، من قدح كل منهما بالآخر شيء كثير.

وعلى أن العدة حق للزوج، لقوله: ﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِ نَ مِنْ عَدَةً ﴾ دل مفهومه، أنه لو طلقها بعد المسيس، كان له عليها عدة [وعلى أن المفارقة

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ: جهاتها.

<sup>(</sup>٢) زيادة من: ب.

<sup>(</sup>٣) كذا في النسختين ولعل الصواب تعتدها.

<sup>(</sup>٤) كذا في ب، وفي أ: بتمتعهن.

بالوفاة تعتد مطلقاً لقوله: ﴿ثم طلقتموهن﴾ الآية](١).

وعلى أن من عدا غير المدخول بها، من المفارقات من الزوجات، بموت أو حياة، عليهن العدة.

﴿ ٥٠ ﴿ وِما أَيُّهَا النَّبِي إِنَا أَحِلْلُنَا لَكُ أزواجك اللاق آتيت أجورهن وما ملكت يمينك تما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاق هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يتحون عليك حرج وكنان الله غفوراً رحيماً ﴾ يقول تعالى، ممتناً على رسوله بإحلاله له ما أحل مما يشترك هو والمؤمنون، وما ينفرد به ويختص: ﴿يَا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن اعطيتهن مهورهن، من الزوجات، وهذا من الأمور المشتركة بينه وبين المؤمنين [فإن المؤمنين](۲)، كذلك يباح لهم ما<sup>(۳)</sup> آتوهن أجورهن من الأزواج.

﴿ وَ ﴾ كذلك أحللنا لك ﴿ وما ملكت يسمينك ﴾ أي: الإماء التي ملكت ﴿ عَلَمَا أَفَاء الله عليك ﴾ من غنيمة الكفار من عبيدهم، والأحرار من لهن زوج لهن، وهذا أيضاً مشترك.

وكنذلك من المسترك، قوله: ﴿وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك﴾ شمل العم والعمة، والخال والخالة، القريبين والبعدين، وهذا حصر المحللات.

يؤخذ من مفهومه أن ما عداهن من الأقارب غير محلل، كما تقدم في سورة

النساء، فإنه لا يباح من الأقارب من النساء، غير هؤلاء الأربع، وما عداهن من الفروع مطلقاً، والأصول مطلقاً، وفسروع الأب والأم، وإن نسزلوا، وفروع مَنْ فوقهم لصلبه، فإنه لا يباح.

وقوله: ﴿اللاتي هاجرن معك﴾ قيد لحل هؤلاء للرسول، كما هو الصواب من القولين في تفسير هذه الآية، وأما غيره عليه الصلاة والسلام، فقد علم أن هذا قيد لغير الصحة.

﴿و﴾ أحللنا لك ﴿امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي﴾ بمجرد هبتها نفسها.

﴿إِن أراد النبي أن يستنكحها ﴾ أي : هذا تحت الإرادة والرغبة ، ﴿خالصة لك من دون المؤمنين ﴾ يعني : إباحة المُوهِبَةِ (٤) . وأما المؤمنون ، فلا يحل لهم أن يتزوجوا امرأة بمجرد هبتها نفسها لهم .

وقد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم أي: قد علمنا ما على المؤمنين، وما يحل لهم، وما لا يحل من الزوجات وملك اليمين. وقد علمناهم بذلك، وبينا فرائضه.

وما في هذه الآية، عما يخالف ذلك، فإنه خاص لك، لكون الله جعله خطاباً للرسول وحده بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِي إِنَا أَحِلْنَا لِكَ ﴾ إلى آخر الآية.

وقوله: ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ وأبحنا لك يا أيها النبي ما لم نبح لهم، ووسعنا لك ما لم نوسع على غيرك، ﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾ وهنذا من زيادة اعتناء الله تعالى برسوله

وركان الله غفوراً رحيماً ﴾أي: لم

يزل متصفاً بالمغفرة والرحمة، وينزل على عبده من مغفرته ورحمته وجوده وإحسانه، ما اقتضته حكمته، ووجدت منهم أسبابه.

﴿ ١٥﴾ ﴿ ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت عمن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم توسعة الله عليماً وهذا أيضاً من أباح له ترك القسم بين زوجاته على وجه الوجوب، وأنه إن فعل ذلك فهو تبرع منه، ومع ذلك، فقد كان ﷺ تبرع منه، ومع ذلك، فقد كان ﷺ يجتهد في القسم بينهن في كل شيء، ويقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك،

فقال هنا: ﴿ترجي من تشاء منهن﴾ [أي: تؤخر من أردت من زوجاتك فلا تؤويها إليك، ولا تبيت عندها] (٥٠) ﴿وَتُوْوِي إليك مَنْ تشاء﴾ أي: تضمها وتبيت عندها.

﴿و﴾ مع ذلك لا يتعين هذا الأمر ﴿من ابتغيت﴾ أي: تؤويها ﴿فلا جناح عليك﴾ والممنى أن الخيرة بيدك في ذلك كله [وقال كثير من الفسرين إن هذا خاصٌ بالواهبات له أن يرجي من يشاء ويؤوي من يشاء، أي: إن شاء قبل من وهبت نفسها له وإن شاء لم يقبلها والله أعلم](١)

ثم بين الحكمة في ذلك فقال: ﴿ذلك﴾ أي: التوسعة عليك، وكون الأمر راجعاً إليك وبيدك، وكون ما جاء منك إليهن تبرعاً منك ﴿أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن لعلمهن أنك لم تترك

واجبا، ولم تفرط في حق لازم.

<sup>(</sup>١) زيادة من: ب.

<sup>(</sup>٢) زيادة من: ب.

<sup>(</sup>٣) كذا في أ، وفي ب: من.

<sup>(</sup>٤) في ب: الموهوبة.

<sup>(</sup>٥) زيادة من ب.

<sup>(</sup>٦) زيادة من هامش (ب) وفي بعض الكلمات عدم وضوح وتم تصويبها من طبعة السلفية.

﴿وَاللهُ يَعْلُمُ مَا فَي قُلُوبِكُم ﴾ أي: ما يعرض لها عند أداء الحقوق الواجبة والمستحبة، وعند المزاحمة في الحقوق، فلذلك شرع لك التوسعة يا رسول الله، لتطَّمَّن قلوب زوجاتك.

﴿وكان الله عليماً حليماً ﴾ أي: واسع العلم، كثير الحلم. ومن علمه، أن شرع لكم ما هو أصلح لأموركم، وأكثر لأجوركم. ومن حلمه، أن لم يعاقبكم بما صدر منكم، وما أصرت عليه قلوبكم من الشر.

﴿٥٢﴾ ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً ﴾ وهذا شكر من الله، الذِّي لم يزل شكوراً لزوجات رسوله، رضى الله عنهن، حيث اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، أن رحمهن، وقصر رسوله عليهن، فقال: ﴿لا يحل ليك السنساء من بعد ﴿ زوجاتك الموجودات ﴿ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾ أي: ولا تطلق بعضهن، فتأخذ بدلها .

فحصل بهذا أمنهن من الضرائر، ومن الطلاق، لأن الله قبضي أنهن زوجاته في الدنيا والآخرة، لا يكون بينه وبينهن فرقة .

﴿ولو أعجبك حسنهن أي: حسن غيرهن، فلا يحللن لك ﴿ إلا ما ملكت يمينك أي: السراري، فذلك جائز لك، لأن الملوكات في كراهة الزوجات، لسن بمنزلة الزوجات في الإضرار للزوجات. ﴿وكان الله على كل شيء رقيباً ﴾ أي: مراقباً للأمور، وعالماً بَما إليه تؤول، وقائماً بتدبيرها على أكمل نظام وأحسن إحكام.

﴿٥٣ - ٤٥ ﴿ وَمِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي

النبى فيستحيي منكم والله لا يستحيى من الحق وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وماكان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عندالله عظيماً \* إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليماً ﴾ يأمر تعالى عباده المؤمنين بالتأدب مع رسول الله ﷺ في دخول بيوته، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِّينَ آمِنُوا لَا تَدْخُلُوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام أي: لا تدخلوها بغير إذن للدخول فيها لأجل الطعام. وأيضاً لا تكونوا ﴿ناظرين إناه ﴾ أي: منتظرين ومتأنين لانتظار نضجه، أو سعة صدر بعد الفراغ منه. والمعنى: أنكم لا تدخلوا بيوت النبي إلا بشرطين:

الإذن لكم بالدخول، وأن يكون جلوسكم بمقدار الحاجة، ولهذا قال: ﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث، أي: قبل الطعام وبعده.

ثم بيِّن حكمة النهي وفائدته فقال: ﴿إِنْ ذَلَكُم ﴾ أي: انتظاركم الزائد على الحاجة، ﴿كان يوذي النبي﴾ أي: يتكلف منه ويشق عليه حبسكم إياه عن شؤون بيته، واشتغاله فيه ﴿فيستحيى منكم أن يقول لكم: (اخرجوا) كما هـو جـاري الـعـادة، أن الـنـاس ـ وخصوصاً أهل الكرم منهم \_ يستحيون أن يخرجوا الناس من مساكنهم، ﴿وَ لَكِينَ ﴿اللهُ لا يستحيى من الحق،

فالأمر الشرعي، ولو كان يتوهم أن في تركه أدباً وحياءً، فإن الحزم كل الحزم، اتباع الأمر الشرعي، وأن يجزم أن ما خالفه ليس من الأدب في شيء. والله تعالى لا يستحيى أن يأمركم بما فيه الخير لكم، والرفق لرسوله كائناً ما

فهذا أدبهم في الدخول في بيوته،

﴿ وَرُجِي مَن تَشَكَّاهُ مِنْهُنَّ وَتُعِينَ إِلَيْكَ مَن تَشَكَّةٌ وَمَن آيَنَكُمُ مِن عَنْ عَزَلْتَ مَلَاجُكَاحَ عَلَيْكُ ذَلِكَ أَذَكُ أَنْ تَقَدَّ أَعْيُسُنُهُ كَ وَلَا يَحْنَزُنَّ وَرُحَمَرُ إِنَّ كُمَّا الْمَيْنَهُ فَنَّ كُلُّهُ فَأَ وَأَلَّهُ يُصْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ أَلَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ۞ لَا يَعِلُ لَكَ ٱلنِّسَلَةُ مِنْ بَعْدُ وَلِآ أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَجِ وَلَوْ أَعْبَكَ حُسْنُعُنَ إِلَّامَا مَلَكَ نُي يُنُكُّ وَكَانَ اللَّهُ عَلَكُ إِنَّى مَنْ وَزَقِيبًا ۞ يَّنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَامَّتَخُلُواْ يُتُوتَ ٱلنِّنِي إِلَّا أَن يُؤْذَكَ لَكُمْ الْيَ مَلْعَامِ غَيْرَتَظِيرِ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَادُعِيمُ فَادَّخُلُوا فَإِذَا طَهِمْتُمْ فَأَنتَشِرُوا وَلَامْسَتَغَيْسِينَ لِحَدِيثُ إِنَّ ذَلِكُمُ كَاتَ يُؤْذِي ٱلنَّيْنَ فَيَسَنَّ قِيهِ مِنكُمٌّ وَلَقَةُ لَايِنَتَّ فِيه مِنَ ٱلْمَتَةً وَإِذَا سَأَلُتُ مُوهُنَّ مَنَاعًا فَسَنَالُوهُنَّ مِن وَرَآءِ جِمَابٍ ذَالِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَاكَاتَ الْمُواْن تُؤْذُواْ رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن لَنكِحُواْ أَزْوَجَكُمُ مِنْ بَعْدِهِ، أَبَدَّأُ إِنَ ذَالِكُمْ كَانَ عِندَا لَقَوْعَظِيمًا ۞ إِن نُبْدُواْ الله عَنْ الْمُخْفُوهُ فَإِنَ اللَّهُ كَانَ بِكُلِّ مَنْ وَعَلِيمًا ٥ TO TO TO THE TO

وأما أدبهم معه في خطاب زوجاته، فإنه إما أن يحتاج إلى ذلك، أم لا يحتاج إليه، فإن لم يحتج إليه فلا حاجة إليه، والأدب تركه، وإن احتيج إليه، كأن يُسألن متاعاً، أو غيره من أواني البيت أو نحوها، فإنهن يُسألن ﴿من وراء حجاب، أي: يكون بينكم وبينهن ستريسترعن النظر، لعدم الحاجة

فصار النظر إليهن ممنوعاً بكل حال، وكلامهن فيه التفصيل الذي ذكره الله، ثم ذكر حكمة ذلك بقوله: ﴿ذَلَكُمُ أَطُهُرُ لَقُلُوبِكُمُ وَقُلُوبِهِنَ﴾ لأنه أبعد عن الريبة، وكلما بعد الإنسان عن الأسباب الداعية إلى الشر، فإنه أسلم له، وأطهر لقلبه.

فلهذا، من الأمور الشرعية التي بيِّن الله كثيراً من تفاصيلها، أن جميع وسائل الشر وأسبابه ومقدماته ممنوعة، وأنه مشروع البعد عنها بكل طريق.

ثم قال كلمة جامعة وقاعدة عامة: ﴿وما كان لكم الله معشر المؤمنين، أي: غير لائق ولا مستحسن منكم، بىل ھو أقبىح شىيء ﴿أَن توذوا رسول الله أي أذية قولية أو فعلية، بجميع ما يتعلق به، ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدأً ﴿ هذا من جملة ما يؤذيه، فإنه على له مقام التعظيم والرفعة والإكرام، وتزوج زوجاته

﴾ ﴾ لَاجْنَاعَ عَلَيْهِنَّ فِي مَاكِيَهِنَ وَلِاَ أَبْكَيْهِنَ وَلاَ أَبْكَابِهِنَ وَلاَ إِخْوَانِهِنَ وَلَّا أَيْكَاهِ إِخْوَيْهِمْ وَلَّا أَيْنَاهِ أَخَوْتِهِنَ وَلَا يَنْكَاهِمَا وَلَامَا مَلَكَتْ أَيْمُنُهُمُّ وَالتَّقِينَ ٱللَّهُ إِنَّ اللَّهُ كَانَ عَلَكُ لَ مَّىٰهِ شَهِيدًا ۞ إِنَّ أَلَهَ وَمَلَّمِكَ مَهُدُهُمُ أُونَ عَلَى ٱلنَّيُّ يِّنَايُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ مَّنْدِيسًا ۞ إِنَّ ٱلَّذِيبَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُ مُ ٱللَّهُ فِٱلدُّنِيا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَـٰذَ لَمُتَوْعَذَابُ اثَّمِهِ يَنَا۞ وَٱلَّذِيرَ يُؤَذُّونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ بِعَيْرِمَا أَكْتَسَبُواْ فَقَد أَحْتَمُلُوا بُهْتَكُ اوَاثْمًا مُبِينًا ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّيُّ قُلُ لِأَزْوَجِكَ وَيَنَافِكَ وَيَسَالُو ٱلْمُؤْمِنِينِ كِنْدِينَ عَلَيْهِنِّ مِن جَلِّيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَمْثَ أَنْ يُعْرَفِّنَ فَلا يُؤْذَيْتُ وَكَانَ اللَّهُ عَنْ فُولًا نَتِيسَا ۞ • لَمِن لَّرَيْنَكَ هِ ٱلمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِ فُونَ فِي ٱلْدِينَةِ لَنُوْرِيَنَكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فَيْهَا إِلَّا ظَيلَانِ مَّلْعُونِينَ أَيْنَكَا ثَقِفُوا أَخِدُوا وَقُيَّلُوا نَقْيَي لَا ۞ سُنَّهَ اللَّهِ فِي الَّذِيرَ خَلُوا مِن قَبَلُ وَلَن يَجِدَ لِسُنَةِ اللَّهِ بَيْدِيلاتِ MOSEARS IN BRASER

[بعده](١) مخل بهذا المقام.

وأيضاً، فإنهن زوجاته في الدنيا والآخرة، والزوجية باقية بعد موته، فلذلك لا يحل نكاح زوجاته بعده لأحد من أمته. ﴿إِن ذلكه كان عند الله عظيماً ﴾ وقد امتثلت هذه الأمة هذا الأمر، واجتنبت ما نهى الله عنه منه، ولله الحمد والشكر.

ثم قال تعالى: ﴿إِن تبدوا شيئاً﴾ أي: تَظهروه ﴿أُو تَحْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهُ كَانَ بكُل شيء عليماً ﴾ يعلم ما في قلوبكم وما أظهرتموه، فيجازيكم عليه.

(٥٥) ﴿لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن وآلا إخوانهن ولآ أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولاما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيداً ﴾ لما ذكر أنهن لا يسألن متاعاً إلاً من وراء حجاب، وكان اللفظ عاماً [لكل أحد](٢)، احتيج أن يستثنى منه هؤلاء المذكورون من المحمارم، وأنسه ﴿لا جناح عليهن الله عدم الاحتجاب عنهم .

ولم يذكر فيها الأعمام والأخوال، لأنهن إذا لم يحتجبن عمن هن عماته ولا(٣) خالاته، من أبناء الإخوة والأخوات، مع رفعتهن عليهم، فعدم

احتجابهن عن عمهن وخالهن من باب أولى، ولأن منطوق الآية الأخرى، المصرحة بذكر العم والخال مقدمة، على ما يفهم من هذه الآية .

وقوله: ﴿ولانسائهن﴾أي: لا جناح عليهن ألا يحتجبن عن نسائهن، أي: اللاق من جنسهن في الدين، فيكون ذلك مخرجاً لنسآء الكفار، ويحتمل أن المراد جنس النساء، فإن المرأة لا تحتجب عن المرأة. ﴿ولا ما ملكت أيمانهن﴾ ما دام العبد في ملكها جميعه.

ولما رفع الجناح عن هؤلاء، شرط فيه وفي غيره لزوم تقوى الله، وأن لا يكون في محذور شرعى، فقال: ﴿وَاتَّقِينَ اللَّهُ أَيِّ : استعملُن تقواه في جميع الأحوال ﴿إن الله كان على كل شيء شهيدا العباد، ظاهرها وباطنها، ويسمع أقوالهم، ويرى حركاتهم، ثم يجازيهم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه.

على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلمواً تسليماً ﴾ وهذا فيه تنبيه على كمال رسول الله ﷺ، ورفعة درجته، وعلو منزلته عند الله وعند خلقه، ورفع ذكره. و ﴿إن اللهِ تعمالي ﴿وملَّاتُكته بصلُون ﴾ عليه، أي: يثنى الله عليه بين الملائكة، وفي الملأ الأعلى، لمحبته تعالى له، وتثنى عليه الملائكة المقربون، ويدعمون له ويتضرعون.

﴿٥٦﴾ ﴿إِن الله وملائكته يصدون

﴿ يِا أَيِّهَا الَّذِينَ آمِنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسلموا تسليماك اقتداء بالله وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه عليكم، وتكميلاً لإيمانكم، وتعظيماً له ﷺ، ومحبة وإكراماً، وزيادة في حسناتكم، وتكفيراً من سيئاتكم وأفضل هيئات الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام، ما علم به أصحابه: «اللهم صلُّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنّك حميد

مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد» وهذا الأمر بالصلاة والسلام عليه مشروع في جميع الأوقات، وأوجبه كثير من العلماء في الصلاة.

﴿٧٥ \_ ٨٥﴾ ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً \* والذي يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا متاناً وإثماً مبيناً ﴾ لما أمر تعالى بتعظيم رسوله ﷺ، والصلاة والسلام عليه، نهى عن أذيته، وتوعد عليها فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَؤْذُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ وهذا يشمل كل أذية، قولية أو فعلية، من سب وشتم، أو تنقص له أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذى. ﴿لعنهم الله في الدنيا أي: أبعدهم وطردهم، ومن لعنهم [في الدنيا](،)، أنه يحتم (٥) قتل من شتم الرسول ﷺ وآذاه .

﴿والآخرة وأعدُّ لهم عذاباً أليماً ﴾ جزاء له على أذاه، أن يؤذى بالعذاب الأليم، فأذية الرسول ليست كأذية غيره، لأنه \_ ﷺ - لا يؤمن العبد بالله، حتى يؤمن برسوله ﷺ. وله من التعظيم الذي هو من لوازم الإيمان، ما يقتضى ذلك أن لا يكون مثل غيره.

وإن كانت أذية المؤمنين عظيمة، وإثمها عظيماً، ولهذا قال فيها: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا أي: بغير جناية منهم موجبة للأذي ﴿فقد احتملوا ﴾ على ظهورهم ﴿مِتاناً﴾ حيث آذوهم بغير سبب ﴿وإثما مبيناً ﴾ حيث تعدوا عليهم، وانتهكوا حرمة أمر الله باحترامها.

ولهذا كان سبُّ آحاد المؤمنين موجباً للتعزير، بحسب حالته وعلو مرتبته، فتعزير مَنْ سبِّ الصحابة أبلغ، وتعزير مَنْ سبُّ العلماء وأهل الدين أعظم من

﴿٥٩ ـ ٦٢﴾ ﴿يا أيها النبي قل

(1)

زيادة من: ب.

في ب: بدون (لا) وهو الأقرب.

زيادة من: ب. (1)

<sup>(</sup>٥) في ب: يتحتم.

زياة من: ب.

لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين المسلمين: عليهن من جلابيبهن ذلك أدني أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيماً \* لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً \* ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً \* سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴿ هذه الآية التي تسمى آية الحجاب، فأمر الله نبيه أن يأمر النساء عموماً، ويبدأ بزوجاته وبناته، لأنهن آكدمن غيرهن، ولأن الآمر [لغيره](١) ينبغي أن يبدأ بأهله قبل غيرهم، كما قالً تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسُكُمْ وأهليكم ناراً ﴾.

> أن ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ وهن اللاتي يكن فوق الثياب من ملحفة وخمار ورداء ونحوه، أي: يغطين بها وجوههن وصدورهن.

ثم ذكر حكمة ذلك، فقال: ﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ﴿ دلَ على وجود أذية إن لم يحتجبن، وذلك لأنهن إذا لم يحتجبن، ربما ظن أنهن غير عفيفات، فيتعرض لهن مَنْ في قلبه مرض فيؤذيهن، وربما استهين بهن، وظن أنهن إماء، فتهاون بهن مَنْ يريد الشر. فالاحتجاب حاسم لمطامع الطامعين فيهن.

﴿وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ حيث غفر لكم ما سلف ورحمكم، بأن بيّن لكم الأحكام، وأوضع الحلال والحرام، فهذا سد للباب من جهتهنّ.

وأما من جهة أهل الشر فقد توعدهم بقوله: ﴿لَنْنَ لَمْ يَنْتُهُ الْمُنَافِقُونَ والذين في قلوبهم مرض﴾ أي: موض شك أو شهوة ﴿والمرجفون في المدينة﴾ أي: المخوفنون المرهبيون الأعبداء، المُحَدُّثُونَ<sup>(٢)</sup> بكثرتهم وقوتهم، وضعف

ولم يذكر المعمول الذي ينتهون عنه، ليعم ذلك كل ما توحى به أنفسهم إليهم وتوسوس به وتدعو إليه من الشر، من التعريض بسبِّ الإسلام وأهله، والإرجاف بالمسلمين، وتوهين قواهم، والتعرض للمؤمنات بالسوء والفاحشة، وغير ذلك من المعاصي الصادرة من أمثال هؤلاء.

﴿لنغرينًك بهم ﴾ أي: نأمرك بعقوبتهم وقتالهم، ونسلطك عليهم، ثم إذا فعلنا ذلك، لا طاقة لهم بك، وليس لهم قوة ولا امتناع، ولهذا قال: ﴿ثُمُّ لَا يَجَاوِرُونَكُ فَيِهَا إِلَّا قليلاً أي: لا يجاورونك في المدينة إلاّ قليلاً، بأن تقتلهم أو تنفيهم.

وهذا فيه دليل لنفي أهل الشر، الذين يتضرر بإقامتهم بين أظهر المسلمين، فإن ذلك أحسم للشر وأبعد مِنه، ويكونون ﴿ملعونين أينما ثقفوا أَخذُوا وقُتُلُوا تقتيلاً ﴾ أي: مبعدين أين (٣) وُجدوا، لا يحصل لهم أمن، ولا يقر(1) لهم قرار، يخشون أن يُقتلوا، أو يُحبسوا، أو يعاقبوا.

﴿سُنَّة الله في الذين خلوا من قبل﴾ أنَّ مَنْ تمادي في العصيان، وتجرأ على الأذي، ولم ينته منه، فإنه يعاقب عقوبة بليغة. ﴿وَلَنْ تَجِدُ لَسُنَّةُ اللهُ تبديلا﴾ أي: تغييراً، بل سنة الله تعالى وعادته جارية مع الأسباب المقشضية لأسبابها<sup>(ه)</sup>.

﴿ ٢٦ ـ ٦٨ ﴾ ﴿ يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً \* إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً \* خالدين فيها أبدأ لا يجدون وليأ ولا نصيراً \* يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا \* وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا

يَسْتَلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّسَاعَةُ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَاعِنِدَ ٱلْعَوْمَ ايْدُيكِ لَعَلَّ السَّاعَةُ تَكُونُ قَرِيبًا ۞ إِنَّ الْقَةَ لَعَنَ الْكَغِرِيبَ وَأَعَدُ لَمُدُسَعِيرًا ﴿ خَلِلِينَ فِيهَا أَبَدُ ٱلَّابِحِهُ وَنَ وَلِيًّا وَلَانَصِيرًا ۞ يَوْمَ تُعَلَّبُ وُجُوهُهُ مُرْفِ ٱلنَّارِيَقُولُونَ يَلَيْمَنَّا أَطَفَنَا أَلَةَ وَأَمَّلُفُ الرَّسُولَا ﴿ وَقَالُواْ رَبِّنَا إِنَّ أَطَلَفَنَا سَادَتُنَا وَكُبَرَّةَ مَا مَأْصَلُونَا السَّبِيلا ﴿ رَبُّنَّ انْهِمْ ضِعَفَيْنِ مِنَ ٱلْمَكَابِ وَٱلْعَنَّهُمْ لَعَنَاكَيِيزًا ۞ يَكَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ المَنوُ الانكُونُو كَالَّذِينَ مَاذَوَا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ المَدْعَ عَالَوا وَكَاتَ عِندَاللَّهِ وَجِيمًا ۞ يَتَأَنُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَرْلًا سَدِينًا ۞ يُعْمِلِمُ لَكُو أَعْمَلُكُو وَيَغْفِرُ لَكُو نُوْبَكُو وَمَن يُعِلِع ٱللَّهَ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوَزَّا عَظِيمًا ۞ إِنَّا عَرَضْتَ ٱلْأَمَاتَ مَكَّ السَكَوَاتِ وَٱلاَرْضِ وَالْجِهَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَلَمَا ٱلْإِنْكُنَّ إِنَّفُكَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿ لِيُعَذِّبُ اللَّهُ

ٱلْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَتِ وَلَلْشَرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ

مُّ عَلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ وَكَاتَ ٱللَّهُ عَنْ مُورَاتَجِتُنا ۞

COMPANY IN CORPED وكبراءنا فأضلونا السبيلا \* ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيراً ﴾ أي: يستخبرك الناس عن الساعة استعجالاً لها، وبعضهم تكذيباً لوقوعها، وتعجيزاً للذي أخبر بها. ﴿قل﴾ لهم: ﴿إنما علمها عند الله﴾ أي: لا يعلمها إلا الله، فلس لي ولا لغيري بها علم، ومع هذا، فلا<sup>(</sup> تستبطؤوها.

﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً﴾ ومجرد مجيء الساعة، قرباً وبعداً، ليس تحته نتيجة ولا فائدة، وإنما النتيجة والخسار والربح، والشقا(٧) والسعادة، هل يستحق العبد العذاب، أو يستحق الثواب؟ فهذه سأخبركم بها، وأصف لكم مستحقها.

فوصف مستحق العذاب، ووصف العذاب، لأن الوصف المذكور منطبق على هؤلاء المكذبين بالساعة، فقال: ﴿إِنْ اللهُ لَعِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [أي:](^) الذين صار الكفر دأبهم وطريقتهم الكفر بالله وبرسله، وبما جاؤوا به من عند الله، فأبعدهم في الدنيا والآخرة من رحمته، وكفي بذُّلكَ عقاباً، ﴿وأعد لهم سعيراً اي: ناراً موقدة، تسعر

في ب: والشقاوة.

- كذا في ب، وفي أ: قد. (7) كذا في ب، وفي أ: ولا يقرر.
  - كذا في النسختين ولعله والله أعلم
  - المقتضية لمسبباتها. زيادة من: ب. (A)

**(V)** 

زيادة من هامش: ب. (1)

في ب: المتحدثون.

في ب: حيث. (٣)

**(Y)** 

THE PROPERTY OF THE PROPERTY O A TETRICE CONTRACTOR \_إِفَوَالِكُوْرُالِكِيْرِ ٱلْحَمَّدُ يَنْهِ ٱلَّذِي لَهُمَا فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمَّدُ فِ ٱلْآخِرَةُ وَهُوَٱلْحَكِيمُ ٱلْخَيْدُ ۞ يَمْلُهُ مَالِيكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّكَلَّةِ وَمَا يَتَّرُجُ فِيهَا وَهُوَّ ٱلتَحِيدُ ٱلْعَنْفُودُ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْمِينَا ٱلسَّاغَةُ قُلْ بَالَ وَرَبِ لَسَالِيَنَكُمْ عَلِمِ ٱلْعَيَبِ لَا يَعَدُّرُهُ عَنْهُ مِثْقَ الْ ذَرَّةِ مِنْ السَّمَوْتِ وَلَا مِنْ ٱلْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَحْتُرُ لِلَّا فِي كِتَكِ مُّبِينِ ۞ لِمَسْزِيَ الَّذِينَ ، امْنُوا وَعَيمُواْ الصَّالِحَتْ أَوْلَيْكَ لَهُم مَّغْفِيوْرَةً وَرِزْقُ كَيمُ ۞ وَالَّذِينَ سَعَوْفِ وَالْيَتِنَامُعُجِينَ أُوْلَيْكَ لَمُتُمْ عَذَا جُيْنِ رِجْ زِأَلِيهُ ۞ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمُ الْفَقَ أُولِهُ إِلَيْكَ مِن ذَبِكَ هُوَ أَمْعَ وَيَعْدِ مَا إِلَى مِرَاطِ الْعِلْمُ الْفَقَ أُولِهُ إِلَيْكَ مِن ذَبِكَ هُوَ أَمْعَ وَيَعْدِ مَا إِلَى مِرَاطِ الْعَنِدُ الْحَدِيدِ مِن مِنَا اللّهِ ٱلْمَنْ يِزِٱلْمُحِيَّدِ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ تَدُّلُكُوْ عَلَىٰ رَجُلِ يُنَتِثُكُمُ إِذَا مُنِ قَتُمُ كُلُّ مُنَزَّقٍ إِنَّكُمُ لَيْ خَلْقِ جَدِيدٍ ۞ ADDEDED IN MOROMO.

في أجسامهم، ويبلغ العذاب إلى أفندتهم، ويخلدون في ذلك العذاب الشديد، فلا يخرجون منه، ولا يُفَتَّر عنهم ساعة.

ولا يجدون لهم ولياً فيعطيهم ما طلبوه ﴿ولا نصيراً ﴾ يدفع عنهم العذاب، بل قد تخلى عنهم الولي والنصير، وأحاط بهم عذاب السعير، وبلغ منهم مبلغاً عظيماً، ولهذا قال: ﴿يوم تقلب وجوههم في النار ﴾ فيذوقون حرها، ويشتد عليهم أمرها، ويتحسرون على ما أسلفوا.

﴿يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾ فسلمنا من هذا العذاب، واستحققنا كالمطيعين جزيل الثواب. ولكن أمنية فات وقتها، فلم تفدهم إلا حسرة وندماً، وهماً، وغماً، وألماً.

﴿وقالوا ربنا إنَّا أطعنا سادتنا وكبراءنا﴾ وقلدناهم على ضلالهم، ﴿فَأَصْلُونَا السبيلا﴾

كقوله تعالى: ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا \* يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً \* لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني لا الآية.

ولما علموا أنهم هم وكبراءهم

مستحقون للعقاب، أرادوا أن يشتفوا عمن أضلوهم، فقالوا: ﴿ ربنا آبهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيراً ﴾ فيقول الله لكل ضعف، فكلكم اشتركتم في الكفر والمعاصي، فتشتركون في العقاب، وإن تفاوت عذاب بعضكم على بعض بحسب تفاوت الجرم.

﴿ ٦٩﴾ ﴿ بِما أيها اللَّذِينَ آمسُوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً ﴾ يحذر تعالى عباده المؤمنين عن أذية رسولهم محمد ﷺ، النبي الكريم، الرؤوف الرحيم، فيقابلوه بضد ما يجب له من الإكرام والاحترام، وأن لا يتشبهوا بحال الذين آذوا موسى بن عمران، كليم الرحمن، فبرأه الله مما قالوا من الأذية، أي: أظهر الله لهم براءته. والحال أنه عليه الصلاة والسلام، ليس محل التهمة والأذية، فإنه كان وجيهاً عند الله، مقرباً لديه، من خواص المرسلين، ومن عباده المخلصين، فلم يزجرهم ما له من الفضائل عن أذيته والتعرض له بما يكره، فاحذروا أيها المؤمنون، أن تتشبهوا بهم في ذلك، والأذية المشار إليها هي قول بني إسرائيل لموسى (١) لما رأواً شدة حياته وتستره عنهم: «إنه ما يمنعه من ذلك إلا أنه آدره أي: كبير الخصيتين، واشتهر ذلك عندهم، فأراد الله أن يبرئه منهم، فاغتسل يوماً، ووضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فأهوى موسى عليه السلام في طلبه، فمرّ به على مجالس بني إسرائيل، فرأوه أحسن خلق الله، فزآل عنه ما رموه به.

﴿٧١ ـ ٧٧﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً \* يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً كيامر تعالى المؤمنين بتقواه، في جميع أحوالهم، في السر والعلانية، ويخص منها، ويندب للقول السديد، وهو

القول الموافق للصواب، أو المقارب له عند تعذر اليقين، من قراءة، وذكر، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتعليمه، والحرص على إصابة الصواب، في المسائل العلمية، وسلوك كل طريق موصل لذلك، وكل وسيلة تعين عليه.

ومن القول السديد، لين الكلام ولطفه في خاطبة الأنام، والقول المتضمن للنصح والإشارة بما هو الأصلح.

ثم ذكر ما يترتب على تقواه، وقول القول السديد فقال: ﴿يصلح لكم أعمالكم﴾ أي: يكون ذلك سبباً لصلاحها وطريقاً لقبولها، لأن استعمال التقوى، تتقبل به الأعمال كما قال تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقن﴾.

ويوفق فيه الإنسان للعمل الصالح، ويصلح الله الأعمال [أيضاً] بحفظها عمدًا يفسدها، وحفظ ثروابها ومضاعفته، كما أن الإخلال بالتقوى والقول السديد، سبب لفساد الأعمال وعدم قبولها، وعدم تَرتُب آثارها علها.

﴿ويغفر الكم﴾ أيضاً ﴿ذنوبكم﴾ التي هي السبب في هلاككم، فالتقوى تستقيم بها الأمور، ويندفع بها كل محذور ولهذا قال: ﴿ومَنْ يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾

﴿٧٧ ـ ٧٧﴾ ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً \* ليعذب الله المسافقين والمسافقيات والمسركين والمؤمنين والمؤمنات وكان الله عفوراً رحيماً والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً يعظم تعالى شأن الأمانة التي ائتمن الله عليها المكلفين، السي هي امتشال الأوامر، واجتناب المحارم، في حال السر والخفية، كحال العلانية، وأنه

تعالى عرضها على المخلوقات العظيمة، السماوات والأرض والجبال، عرض تخيير لا تحتيم، وأنك إن قُمْتِ بها وأديتيها على وجهها فلك الثواب، وإن لم تقومي بها [ولم تؤديها] فعليك

﴿ فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ﴾ أي: خوفاً أن لا يقمن بما مُملدً، لا عصياناً لربهن، ولا زهداً في ثوابه، وعرضها الله على الإنسان على ذلك الشرط المذكور، فقبلها، وحملها مع ظلمه وجهله، وحمل هذا الحمل الثقيل، فانقسم الناس - بحسب قيامهم بها وعدمه \_إلى ثلاثة أقسام:

منافقون أظهروا أنهم قاموا بها ظاهرآ لا باطناً، ومشركون تركوها ظاهراً وباطناً، ومؤمنون قائمون بها ظاهراً

فذكر الله تعالى أعمال هذه الأقسام الثلاثة، وما لهم من الثواب والعقاب، فقال: ﴿ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما ك. فله الحمد تعالى، حيث ختم هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين، الدالين على تمام مغفرة الله، وسعة رحمته، وعموم جوده، مع أن المحكوم عليهم، كثير منهم لم يستحق المغفرة والرحمة، لنفاقه وشركه.

> تم تفسير سورة الأحزاب بحمد الله وعوثه

## تفسير سورة سبأ وهي مكية

﴿١ - ٢﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السماوات وما ني الأرض وله الحمد نّي الآخرة وهو الحكيم الخبير \* يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور) الحمد: الثناء بالصفات الحميدة والأفعال الحسنة، فلله تعالى الحمد، لأن جميع صفاته يحمد عليها، لكونها صفات كمال، وأفعاله يحمد عليها، لأنها دائرة بين الفضل الذي

يحمد عليه ويشكر، والعدل الذي يحمد عليه ويعترف بحكمته فيه.

وحمد نفسه هنا، على أن ﴿ له ما في السماوات وما في الأرض) ملكاً وعبيداً، يتصرف فيهم بحمده. ﴿وله الحمد في الآخرة ﴾ لأن في الآخرة يظهر من حمده والثناء عليه، ما لا يكون في الدنيا، فإذا قضى الله تعالى بين الخلائق كلهم ورأى الناس والخلق كلهم، ما حكم به، وكمال عدله وقسطه وحكمته فيه، حمدوه كلهم على ذلك، حتى أهل العقاب ما دخلوا النار، إلا وقلوبهم ممتلئة من حمده، وأن هذا من جراء أعمالهم، وأنه عادل في حكمه بعقابهم.

وأما ظهور حمده في دار النعيم والثواب، فذلك شيء قد تواردت به الأخبار، وتوافق عليه الدليل السمعي والعقلي، فإنهم في الجنة، يرون من توالي نِعَم الله، وإدرار خيره، وكثرة بركاته، وسعة عطاياه، التي لم يبق في قلوب أهل الجنة أمنية ولا إرادة، إلاّ وقد أعطى، فوق ما تمنى وأراد، بل يعطون من الخير ما لم تتعلق به أمانيهم، ولم يخطر بقلوبهم.

فما ظنك بحمدهم لربهم في هذه الحال، مع أن في الجنة تضمحل العوارض والقواطع، التي تقطع عن معرفة الله ومحبته وآلثناء عليه، ويكون ذلك أحب إلى أهلها من كل نعيم، وألذ عليهم من كل لذة، ولهذا إذا رأوا الله تعالى، وسمعوا كلامه عند خطابه لهم، أذهلهم ذلك عن كل نعيم، ويكون الذكر لهم في الجنة كالنَّفَس، متواصلاً في جميع الأوقات، هذا إذا أضفت ذلك إلى أنه يظهر الهل الجنة في الجنة كل وقت، من عظمة ربهم وجلاله وجماله وسعة كماله، ما يوجب لهم كمال الحمد والثناء عليه.

﴿ وهو الحكيم ﴾ في ملكه وتدبيره، الحكيم في أمره ونهيه. ﴿ الخبير ﴾ المطلع على سرائر الأمور وخفاياها ولهذا فصل علمه بقوله: ﴿يعلم ما يلج في الأرض ﴾ أي: من مطر، وبذر ، وحيوان ﴿وما يخرج منها ﴾ من

ON TOTAL SEMENTIAL SECTION أَفَةَ كَا عَلَى أَلِلَّهُ كَذَا أَهِ مِهِ حَنَّةُ ثُلَ الَّذِينَ لَا نَةٌ مِنُورَ كَا لَكَحْدَ ة فِي ٱلْعَذَابِ وَالضَّلَالِ ٱلْبَعِيدِ ۞ ٱفَاذِيرُواْ إِلَّى مَابَيْنَ ٱلْدِيهِمْ وَمَا خَلَفَهُم مِنَ ٱلمَّتَكَأَءَ وَٱلْأَرْضِ إِن نَشَأَ خَيْف بِهِمُ ٱلأَرْضَ أَوْلَتُسْقِطَ عَلَيْهِ مُؤكِسَفًا قِنَ ٱلسَّمَاءَ أِنَّ فِي ذَلِكَ لَّآيَةَ لِكُلِّ عَبْدِمُّنِيبٍ ۞ • وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَا فَضَلَّا يَهِجَالُ أَقِيهِ مَعَكُوا لَظَايَرُّ وَالْنَالَهُ الْحَدِب ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَبِعَنْتِ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرِّدِّ وَٱعْمَلُواْ صَلِحاً إِنِّي مَا مَّتَمَلُونَ بَصِيرُ ۞ وَلِمُنَاكِّئِنَ ٱلزِيْحَ غُدُوُهُ كَاشَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَالُهُ عَيْنَ ٱلْقِطَارُّ وَمِنَ ٱلْجِنْ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ بِكَدْيُو بِإِذْنِ رَبِيًّ وَمَن يَنِغٌ مِنْهُ مُعَنَّ أَمْرِ فَانُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّحِيرِ ٤ يَعْمَلُونَ لَمُمَا يَشَأَهُ مِن تَعَارِبَ وَتَمْاشِل وَحِهَانِ كَالْجَوَابِ وَقُدُودِ زَاسِيَنَ أَعْمَلُواْءَالَ دَاوُدَ شُكُرا وَقِلِلَّ مِنْ عِبَادِيَ الشَكُورُ ﴿ فَلَمَّا فَضَيْنَاعَلَيْهِ لَلْوَتَ مَادَلَمْ عَلَى مَوْتِية إِلَّادَاتَةَ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَلَةٌ فَلْمَا خَرَّتَيْتَتِ ٱلْحِنَّ إِلَّهُمْ أَن لَّوَكَانُواْ يَعْلَمُونَ الْفَيْبَ مَا لِّيشُوا فِي ٱلْمَاذَابِ ٱلْيُهِينِ ١ DESCRIPTION OF STREET

أنواع النباتات وأصناف الحيوانات، ﴿ وَمَا يِنْزُلُ مِنِ السِّمَاءِ ﴾ مِنِ الأملاك والأرزاق والأقدار، ﴿وما يعرج فيها﴾ من الملائكة والأرواح وغير ذلك.

ولما ذكر مخلوقاته وحكمته فيها، وعلمه بأحوالها، ذكر مغفرته ورحمته لها، فقال: ﴿وهو الرحيم الغفور﴾ أي: الذي الرحمة والمغفرة وصفه، ولم تزل آثارهما تنزل على عباده كل وقت، بحسب ما قاموا به من مقتضياتهما.

وس ٥٠ ﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلي وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين \* ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئكُ لهم مغفرة ورزق كريم \* والذين سموا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم الله بين تعالى عظمته بما وصف به نفسه، وكان هذا موجباً لتعظيمه وتقديسه والإيمان به، ذكر أن من أصناف الناس طائفة لم تقدر ربها حق قدره، ولم تعظمه حق عظمته، بل كفروا به، وأنكروا قدرته على إعادة الأموات وقيام الساعة، وعارضوا بذلك رسله، فقال: ﴿وقال الذين كفروا ﴾ أي: بالله وبرسله، وبما جاؤوا به، فقالوا بسبب كفرهم: ﴿لا تأتينا الساعة ﴾ أي: ما هي إلا هذه الحياة الدنيا نموت ونحيا.

فأمر الله رسوله أن يرد قولهم ويبطله، ويقسم على البعث، وأنه سيأتيهم، واستدل على ذلك بدليل من أقرّبه، لزمه أن يصدق بالبعث ضرورة، وهو علمه تعالى الواسع العام، فقال: ﴿عالم الغيب﴾ أي: الأمور الغائبة عن أبصارنا وعن علمنا، فكيف بالشهادة؟!

NOVEMBUL IN LONG CO.

ثم أكّد علمه فقال: ﴿لا يَغُرُبُ﴾ أي: لا يغيب عن علمه ﴿مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض﴾ أي: جميع الأشياء بذواتها وأجزائها، حتى أصغر ما يكون من الأجزاء، وهو المثاقيل منها.

ثم ذكر القصود من البعث، فقال: ﴿ليجزي الذين آمنوا ﴿ بقلوجم، صدقوا الله، وصدقوا رسله تصديقاً جازماً، ﴿وعملوا الصالحات ﴿ تصديقاً

لإيمانهم. ﴿أُولَتُكُ لَهُمْ مَعْفَرَةُ﴾ لذنوبهم، بسبب إيمانهم وعملهم، يندفع بها كل شر وعقاب. ﴿وَوَرَقَ كريم﴾ بإحسانهم، يحصل لهم به كل مطلوب ومرغوب وأمنية.

﴿وَاللَّهِ وَ سَعُوا فِي آياتنا معاجزين ﴾ أي: سعوا فيها كفراً بها، وتعجيزاً لمن جاء بها، وتعجيزاً لمن أنزلها، كما عبجزوه في الإعادة بعد الموت. ﴿ أُولُلُكُ لَهُمُ عَذَا لِهُ مِنْ رَجِزُ ٱلْيُمِ ﴾ أي: مؤلم لأبدانهم وقلوبهم.

(١) ﴿ وُويرى الذّين أوتوا الملم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد لله ذكر تعالى إنكار مَنْ أنكر البعث، وأنهم يرون ما أنزل على رسوله ليس بحق، ذكر حالة الموفقين من العباد، وهم أهل العلم، وأنهم يرون ما أنزل الله على رسوله من الكتاب، وما اشتمل عليه من الأخبار هو الحق، أي: الحق منحصر فيه، وما خالفه وناقضه فإنه باطل، لأنهم وصلوا من العلم إلى

درجة اليقين.

ويرون أيضاً أنه في أوامره ونواهيه إيدي إلى صراط العزيز الحميد وذلك أنهم جزموا بصدق ما أخبر به من وجوه كثيرة: من جهة علمهم بصدق من أخبر به، ومن جهة موافقته للأمور الواقعة، والكتب السابقة، ومن جهة ما يشاهدون من أخبارها، التي تقع عياناً، ومن جهة ما يشاهدون من الآيات العظيمة الدالة عليها في لا ذلت عليه أسماؤه تعالى وأوصافه.

ويرون في الأوامر والنواهي، أنها تهدي إلى الصراط المستقيم، المتضمن للأمر بكل صفة تزكي النفس، وتنمي الأجر، وتفيد العامل وغيره، كالسحدة، والإخلاص، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى عموم الخلق، ونحو ذلك. وتنهى عن كل صفة قبيحة، تدنس النفس، وتجب الإثم والوزر،

من الشرك، والزنا، والربا، والظلم في الدماء والأموال والأعراض.

وهذه منقبة لأهل العلم وفضيلة ، وأنه كلما كان العبد وعلامة لهم ، وأنه كلما كان العبد أعظم علماً وتصديقاً بأخبار ما جاء به ونواهيه ، كان من أهل العلم الذين جعلهم الله حجة على ما جاء به الرسول ، احتج الله بهم على المكذبين الماندين ، كما في هذه الآية وغيرها .

﴿٧- ٩﴾ ﴿ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل محزق إنكم لفي خلق جديد \* أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يومنون بالآخرة في العداب والضلال البعيد \* أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء إن في ذلك كل عبد منيب أي: ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ على وجه التكذيب والاستهاء والاستبعاد، وذكر وجه الاستعاد.

أي: قال بعضهم لبعض: ﴿هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل عرق إنكم لفي خلق جديد﴾ يعنون بذلك الرجل، رسول الله ﷺ، وأنه صار \_بزعمهم \_فرجة يتفرجون صاد \_بزعمهم \_فرجة يتفرجون عليه، وأعجوبة يستخرون منه، وأنه كيف يقول: ﴿إِنكم مبعوثون بعدما واضمحلت أعضاؤكم؟!

فهذا الرجل الذي يأتي بذلك، هل ﴿ أَفْترى على الله كذباً ﴾ فتجرأ عليه وقال ما قال، ﴿ أَمْ بِهُ جَسَّهُ ﴾ وقال ما قال، ﴿ أَمْ بِهُ جَسَّهُ ﴾ وكل هذا منهم، على وجه العناد وكل هذا منهم، على وجه العناد خلق الله وأعقلهم، ومن علمهم، أنهم أبدو وأعادوا في معاداتهم، وبذلوا في معاداتهم، وبذلوا فلو كان كاذباً مجنوناً لم ينبغ لكم فلو كان كاذباً مجنوناً لم ينبغ لكم

\_ يا أهل العقول غير الزاكية \_أن تصغوا لما قال، ولا أن تحتفلوا بدعوته، فإن المجنون، لا ينبغي للعاقل أن يلفت إليه نظره، أو يبلغ قوله منه كل مبلغ.

ولولا عنادكم وظلمكم، لبادرتم لإجابته، ولبيتم دعوته، ولكن «ما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون» ولهذا قال تعالى: ﴿ بل الذين قالوا تلك المقالة، ﴿ في العذاب والضلال البعيد﴾ أي: في الشقاء العظيم، والضلال البعيد، الذي ليس بقريب من الصواب، وأي: شقاء بقريب من الصواب، وأي: شقاء على البعث، وتكذيبهم لرسوله الذي على البعث، واستهزائهم به، وجزمهم بأن ما جياؤوا به هيو الحق، فرأوا الحق، ما جياؤوا به هيو الحق، فرأوا الحق، باطلاً، والباطل والضلال حقا وهدى.

ثم نبههم على الدليل العقلي، الدال على عدم استبعاد البعث، الذي استبعدوه، وأنهم لو نظروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض فرأوا من قدرة الله فيهما ما يبهر الفعول، ومن عظمته ما يذهل العلماء الفحول، وأن خلقهما وعظمتهما وما فيهما من المخلوقات أعظم من إعادة الناس بعد موتهم من قبورهم، فما التصديق بما هو أكبر منه؟ نعم، ذاك خبر غيبي إلى الآن، ما شاهدوه، فلذلك كذبوا به.

قال الله: ﴿إِن نَشَأَ نَحْسَفَ بِهُمُ الأَرْضُ أُو نَسَقَطُ عَلَيْهُمْ كَسَفَا مِن السَمَاءُ﴾ أي: من العناب، لأن الأرض والسماء تحت تدبيرنا، فإن أمرناهما لم يستعصيا، فاحذروا إصراركم على تكذيبكم، فنعاقبكم أشد العقوبة. ﴿إِن في ذلك﴾ أي: خلق السماوات والأرض وما فيهما من المخلوقات ﴿لاَية لكل عِبْرِ منيب﴾.

فكلما كان العبد أعظم إنابة إلى الله، كان انتفاعه بالآيات أعظم،

لأن المنيب مقبل إلى ربه، قد توجهت إراداته وهماته لربه، ورجع إليه في كل أمر من أموره، فصار قريباً من ربه، ليس له هم إلا الاشتغال بمرضاته، فيكون نظره للمخلوقات نظر فكرة

وعبرة، لا نظر غفلة غير نافعة.

﴿١١ ... ١١﴾ ﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وألنّا له الحديد \* أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً إنى بما تعملون بصير ﴾ أي: ولقد مننا على عبدنا ورسولنا داود عليه الصلاة والسلام، وآتيناه فضلاً من العلم النافع، والعمل الصالح، والنِّعَم الدينية والدنيوية، ومن نِعَمه عليه، ما خصه به من أمره تعالى الجمادات، كالجبال والحيوانات، من الطيور، أن تُؤوِّب معه، وتُرَجِّع التسبيح بحمد ربها مجاوبة له، وفي هذا من النّعمة عليه، أن كان ذلكَ من خصائصه التي لم تكن لأحد قبله ولا بعده، وأن ذلك يكون منهضاً له ولغيره على التسبيح إذا رأوا هذه الجمادات والحيوانات تتجاوب بتسبيح ربها وتمجيده وتكبيره وتحميده، كان ذلك مما يهيج على ذكر الله تعالى.

ومنها: آن ذلك ـ كما قال كثير من العلماء أنه طرب لصوت داود، فإن الله تعالى قد أعطاه من حسن الصوت ما فاق به غيره، وكان إذا رجع التسبيح والتهليل والتحميد بذلك الصوت الرخيم الشجيّ المطرب، طرب كل مَنْ سمعه، من الإنس والجبال، حتى الطيور والجبال، وسبحت بحمد ربها.

ومنها: أنه لعله ليحصل له أجر تسبيحها، لأنه سبب ذلك، وتسبح تبعاً له.

ومن فضله عليه، أن ألان له الحديد، ليعمل الدروع السابغات، وعلّمه تعالى كيفية صنعته، بأن يقدره في السرد، أي: يقدره حلقاً، ويصنعه كذلك، ثم يدخل بعضها ببعض.

قال تعالى: ﴿وعلمناه صنعة لبوس

لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون).

ولما ذكر ما امتنَّ به عليه وعلى آله، أمره بشكره، وأن يعملوا صالحاً، ويراقبوا الله تعالى فيه، بإصلاحه وحفظه من المفسدات، فإنه بصير بأعمالهم، مطلع عليهم، لا يخفى عليه منها شيء.

﴿١٢ ـ ١٤﴾ ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير \* يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كبالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شبكراً وقبليل من عبادي الشكور \* فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، لما ذكر فضله على داود عليه السلام، ذكر فضله على ابنه سليمان عليه الصلاة والسلام، وأن الله سخر له الريح تجري بأمره وتحمله، وتحمل جميع مآ معه، وتقطع المسافة البعيدة جداً في مدة يسيرة، فتسير في اليوم مسيرة شهرين. ﴿غدوها شهر﴾ أي: أوّل النهار إلى الزوالِ ﴿ورواحها شهر﴾ من الزوال، إلى آخر النهار ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ أي: سخرنا له عين النحاس، وسهلنا له الأسباب في استخراج ما يستخرج منها من الأواني

وسخر الله له أيضاً الشياطين والجن، لا يقدرون أن يستعصوا عن أمره، ﴿وَمَنْ يَرَغُ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير﴾ وأعمالهم (١)، كل ما شاء سليمان عملوه، ﴿من عاريب﴾ وهو كل بناء يعقد وتحكم به الأبنية، فهذا فيه ذكر الأبنية الفخمة، ﴿وَمَالُيلُ أَي: صور الحيوانات والجمادات، من إتقان صنعتهم،

وغيرها.

وقدرتهم على ذلك وعملهم لسليمان، ﴿وجفان كالجواب﴾ أي: كالبرك الكبار، يعملونها لسليمان للطعام، لأنه يحتاج إلى ما لا يحتاج إليه غيره، ﴿و﴾ يعملون له قدوراً راسيات لا تزول عن أماكنها، من عظمها.

فلما ذكر منته عليهم، أمرهم بشكرها، فقال: ﴿اعملوا آل داود﴾ وهم داود وأولاده وأهله، لأن النَّة على الجميع، وكثير من هذه المصالح عائد لكلهم. ﴿شكراً﴾ لله على ما أعطاهم، ومقابلة لما أولاهم. ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ فأكثرهم لم يشكروا الله تعالى على ما أولاهم من نعمه، ودفع عنهم من النقم.

والشكر: اعتراف القلب بمنة الله تعالى، وتلقيها افتقاراً إليها، وصوفها في طاعة الله تعالى، وصونها عن صرفها في المعصية.

فلم يزل الشياطين يعملون لسليمان عليه الصلاة والسلام كل بناء، وكانوا قد موهوا على الإنس، وأخبروهم أنهم يعلمون الغيب ويطلعون على المكنونات، فأراد الله تعالى أن يُرِيَ العباد كذبهم في هذه الدعوى، فمكثوا لعباد كذبهم في هذه الدعوى، فمكثوا يعملون على عملهم، وقضى الله الموت على سليمان عليه السلام، واتّكأ على عصاه وهي المنسأة، فصاروا إذا مروا به وهو متكىء عليها، ظنوه حياً،

فغدوا على عملهم كذلك سنة كاملة على ما قيل، حتى سلطت دابة الأرض على عصاه، فلم تزل ترعاها، حتى باد وسقط، فسقط سليمان عليه السلام وتفرقت الشياطين وتبينت الإنس أن الحر (لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين وهو العمل الشاق عليهم، فلو علموا الغيب، لعلموا موت سليمان، الذي هم أحرص شيء عليه، ليسلموا عمل هم فيه.

﴿١٥ ـ ٢١﴾ ﴿لقد كان لسباً في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور \* فأعرضوا فأرسلنا

عليهم سيل العرم وبذلناهم بجنتيهم جنتين دوال أكل خط وأثل وشيء من سدر قليل \* ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور \* وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين \* فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور \* ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين \* وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ﴾ "سبأ قبيلة معروفة في أداني اليمن، ومسكنهم بلدة يقال لها «مأرب»، ومن نِعَم الله ولطفه بالناس عموماً، وبالعرب خصوصاً، أنه قص

في القرآن أخبار المهلكين والمعاقبين، عمن كان يجاور العرب ويشاهد آثاره ويتناقل الناس أخباره، ليكون ذلك أدعى إلى التصديق، وأقرب للموعظة فقال: ﴿ لقد كان لسيا في مسكنهم ﴾ أي: محلهم الذي يسكنون فيه ﴿ آيةُ ﴾ والآية هنا: ما أدر الله عليهم من النُّعَم، وصرف عنهم من النقَم، الذي يقتضى ذلك منهم، أن يعبدوا الله ويشكروه. ثم فسر الآية بقوله: ﴿جنتان عن يمين وشمال﴾ وكان لهم واد عظیم، تأتیه سیول کثیرة، وکانوا بنوا سداً محكماً، يكون مجمعاً للماء، فكانت السيول تأتيه، فيجتمع هناك ماء عظيم، فيفرقونه على بساتينهم، التي عن يمين ذلك الوادي وشماله. وتُغِلُّ لهم تلك الجنتان العظيمتان، من الثمار ما يكفيهم، ويحصل لهم به الغبطة والسرور، فأمرهم الله بشكر نعمه التي أدرُّها عليهم من وجوه كثيرة، منها: هاتان الجنتان اللتان غالب أقواتهم

ومنها: أن الله جعل بلدهم بلدة طيبة، لحسن هوائها، وقلة وخمها، وحصول الرزق الرغد فيها.

ومنها: أن الله تعالى وعدهم \_إن شكروه \_أن يغفر لهم وَيرحمهم،

ولهذا قال: ﴿بلدة طيبة ورب غفور﴾
ومنها: أن الله لما علم احتياجهم في
تجاراتهم ومكاسبهم إلى الأرض المباركة
الظاهر أنها: [قرى صنعاء قاله غير
واحد من السلف، وقيل إنها] الشام مهيأ لهم من الأسباب ما به يتيسر
وصولهم إليها بغاية السهولة، من
الأمن، وعدم الخوف، وتواصل القرى
بينهم وبينها، بحيث لا يكون عليهم
مشقة بحمل الزاد والمزاد.

ولهذا قال: ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير﴾ أي: [سيراً] مقدراً يعرفونه ويحكمون عليه، بحيث لا يتيهون عنه ﴿ليالي وأياماً آمنين﴾ أي: مطمئنين في السير، في تلك الليالي والأيام، غير خائفين. وهذا من عام نعمة الله عليهم، أن أمنهم من الخوف.

فأعرضوا عن المنعم، وعن عبادته، وبطروا النعمة وملوها، حتى إنهم طلبوا وتمنوا، أن تتباعد أسفارهم بين تلك القرى التي كان السير فيها متسراً.

وظلموا أنفسهم بكفرهم بالله وبنعمته، فعاقبهم الله تعالى بهذه النعمة التي أطغتهم، فأبادها عليهم، فأرسل عليها سيل العرم، أي: السيل المتوعر، الذي خرب سدهم، وأتلف جناتهم، وخرَّب بساتينهم، فتبدلت تلك الجنات ذات الحدائق المعجبة، والأشجار المشمرة، وصار بدلها أشجار لا نفع فيها، ولهذا قال: ﴿وبدلناهم بجنتين ذواتي أكل ﴾ أي: شيء قليل من وأثل وشيء من سدر قليل ﴾ وهذا كله شجر معروف، وهذا من جنس

فكما بدلوا الشكر الحسن بالكفر القبيح، بدلوا تلك لنعمة بما ذكر، ولهذا قال: ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور﴾ أي: وهل نجازي جزاء العقوبة \_بدليل السياق \_ وإلا مَنْ كفر بالله وبطر النعمة؟

فلما أصابهم ما أصابهم تفرقوا

وتمزقوا، بعدما كانوا مجتمعين، وجعلهم الله أحاديث يتحدث بهم، وأسماراً للناس، وكان يضرب بهم المثل، فيقال: «تفرقوا أيدى سبأ» فكل أحد يتحدث بما جرى لهم، ولكن لا ينتفع بالعبرة فيهم إلاّ مَنْ قال الله: ﴿إِن فَيَى ذَلِبِكِ لآبِياتِ لِيكِيلِ صَبِّيارِ شكور﴾ صبّار على المكاره والشدائد، يتحملها لوجه الله ولا يتسخطها بل يصبر عليها. شكور لنعمة الله تعالى يُقِرُّ بها ويعترف، ويثنى على مَنْ أولاها، ويصرفها في طاعته. فهذا إذا سمع بقصتهم، وماجري منهم وعليهم، عرف بذلك أن تلك العقوبة جزاء لكفرهم نعمة الله، وأن مَنْ فعل مثلهم فُعِلَ به كما فعل بهم، وأن شكر الله تعالى حافظ للنعمة ، دافع للنقمة، وأن رسل الله صادقون فيما أخبروا به، وأن الجزاء حق، كما رأى أنموذجه في دار الدنيا.

ثم ذكر أن قوم سبأ من الذين صدِّق عليهم إبليس ظنه، حيث قال لربه: ﴿ فبعزتك الأغوينهم أجمعين \* إلاّ عبادك منهم المخلصين. وهذا ظن من إبليس، لا يقين، لأنه لا يعلم الغيب، ولم يأته خبر من الله أنه سيغويهم أجمعين، إلا مَن استثنى، فهؤلاء وأمثالهم، ممن صدق عليه إبليس ظنه، ودعاهم وأغواهم، ﴿فَاتِبِعُوهُ إِلا فريقاً مِن المؤمنين ﴾ ممن لم يكفر بنعمة الله، فإنه لم يدخل تحت ظن إبليس.

ويحتمل أن قصة سبأ انتهت عند قوله: ﴿إِن في ذلك لآيات لكل صبّار شکور 🏘

ئم ابتدأ فقال: ﴿ولقد صدق عليهم أي: على جنس الناس، فتكون الآية عامة في كل من اتبعه.

ثم قال تعالى: ﴿وما كان له﴾ أي: لإبليس ﴿عليهم من سلطان﴾أي: تسلط وقهر، وقسر على ما يريده منهم، ولكن حكمة الله تعالى اقتضت

تسليطه وتسويله لبني أدم.

﴿لنعلم مَنْ يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك اي: ليقوم سوق الامتحان، ويعلم به الصادق من الكاذب، ويعرف مَنْ كان إيمانه صحيحاً يثبت عند الامتحان والاختبار وإلقاء الشبه الشيطانية، بمن إيمانه غير ثابت، يتزلزل بأدنى شبهة، ويزول بأقل داع يدعوه إلى ضده، فالله تعالى جعله آمتحاناً، يمتحن به عباده، ويظهر الخبيث من الطيب.

﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ يحفظ العباد، ويحفظ عليهم أعمالهم، ويحفظ تعالى جزاءها، فيوفيهم إياها كاملة موفرة .

﴿٢٢ \_ ٢٣﴾ ﴿قبل ادعوا المذيبن زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السيماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وماً له منهم من ظهير \* ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ﴾ أي: ﴿قل ﴾ يا أيها الرسول، للمشركين بالله غيره من المخلوقات، التي لا تنفع ولا تضر، ملزماً لهم بعجزها، ومبيناً لهم بطلان عبادتها: ﴿ادعوا الذين زعمتم من دون الله أي: زعمتموهم شركاء لله، إن كان دعاؤكم ينفع، فإنهم قد توفرت فيهم أسباب العجز وعدم إجابة الدعاء من كل وجه، فإنهم ليس لهم أدني ملك ف ﴿ لا يسملكون مشقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، على وجه الاستقلال، ولا على وجه الاشتراك، ولهذا قال: ﴿وما لهم ﴾ أي: لتلك الآلهة الذين زعمتم ﴿فيهما﴾ أي: في السماوات والأرض، ﴿من شُركُ أى: لا شرك قليل ولا كثير، فليس لهم ملك، ولا شركة ملك.

بقى أن يقال: ومع ذلك، فقد يكونون أعواناً للمالك ووزراء له، فدعاؤهم يكون نافعاً، لأنهم \_بسبب حاجة الملك إليهم \_يقضون حوائج

وَلَانَتَفَعُ ٱلشَّفَاعَةُ عِندَهُ ﴿ لَا لِمَنْ أَذِنَ لَذُحِّقٌ إِذَا فَرْعَ عَن قُلُوبِهِ مِنَالُواْ مَاذَاقَالَ رَبُّكُمٌّ قَالُواْ ٱلْحَقٌّ وَهُوَالْعَلُّ الْكَبِيرُ ۞ • قُلْ مَن يَدْزُقُكُم مِنَ السَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ فُلِ ٱللَّهُ وَانَّا أَوْإِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدَّى أَوْفِي ضَلَال مُّيِينِ ۞ قُل لَانشَتَلُوبَ عَمَّا أَجْرَهَنَا وَلَانْتَتَلُعَمَا تَعْمَلُونَ ﴿ قُلْ يَجْمَعُ يَيْنَ نَارَبُنَا ثُمَّ رَفَتَتُ مُ يَيْنَ نَا إِلَّهُ وَهُوَ لَفَتَاحُ ٱلْعَلِيمُ ۞ قُلُ أَرُونِ ٱلَّذِينَ ٱلْحَقْتُ رِبِوِء شُرَكَٱٓ ۚ كَلَاَّ بَلْ هُوَاللَّهُ ٱلْعَسَنِيرُ ٱلْحَسِيمُ ۞ وَمَاۤ أَرْسَلْنَكَ إِلَّاكَافَةُ لِلْنَاسِ بَشِيرًا وَلَـٰذِيرًا وَلَلِكِنَّ أَحَـٰثَرُ ٱلنَّاسِ لَايَعْلَمُونَ ﴿ وَيَعُولُونِ مَتَّىٰ هَا ذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنُّتُمْ صَادِقِينَ قُل لَّكُرُيْ يِعَادُ يَوْمِ لَّا تَسْتَعَرُونَ عَنْهُ سَاعَةُ وَلَا تَسْتَعْلِمُونَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِيرَ كَفَتُرُواْ لَن نُوْمِ بِهِكَذَا ٱلْقُتُوَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيْنَ بَكَدَيَّةً وَلَوْشَرَكَ إِذِ ٱلظَّلِيلُونَ مَوْقُوفُوبَ عِندَرَيْهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ ٱلْقَوْلَ لِيَعَمُ اللَّهِ مِنْ أَشْتُضِّعِفُواْ الله ين اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَسْتُمْ لَكُنَّا مُوْمِنِينَ ۞ OVERDY IN CONSERVE

TO ELECTION OF THE PARTY OF THE

من تعلق بهم، فنفي تعالى هذه المرتبة فقال: ﴿وما لُهُ ﴾ أي: لله تعالى الواحد القهار ﴿منهم ﴾ أي: من هؤلاء المعبودين ﴿من ظهير﴾ أي: معاون ووزير يساعده على الملك والتدبير .

فلم يبق إلاّ الشفاعة، فنفاها بقوله: ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له الله النواع التعلقات، التي يتعلق بها المشركون بأندادهم وأوثانهم، من البشر والشجر وغيرهم، قطعها الله وبيَّن بطلانها تبييناً حاسماً لمواد الشرك، قاطعاً لأصوله، لأن المشرك إنما يدعو ويعبد غير الله، لما يرجو منه من النفع، فهذا الرجاء، هو الذي أوجب له الـشـرك، فإذا كان مَنْ يدعوه [غير الله]، لا مالكاً للنفع والضر، ولا شريكاً للمالك، ولا عَوْناً وظهيراً للمالك، ولا يقدر أن يشفع بدون إذن المالك، كان هذا الدعاء وهذه العبادة، ضلالاً في العقل، باطلة في الشرع.

بل ينعكس على المشرك مطلوبه ومقصوده، فإنه يريد منها النفع، فِبيُّ الله بطلانه وعدمه، وبيَّن في آيات أُخر ضرره على عابديه (١)، وأنه يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضاً، ومأواهم النار ﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين، .

قَالَ الَّذِينَ ٱسْتَكُمْرُوا لِلَّانَ ٱسْتُضْعِفُواْ أَغَذُ مُسَدَّدُ نَكُمُ عَن ٱلْمُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَ كُم تَلْكُتُ مُ تَجْرِمِينَ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أستُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ أَسْتَكَ بَرُواْ بَلْ مَكُواْ أَيْلُ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَنْ نَكَ غُرُ إِللَّهِ وَتَخْعَلَ لَهُ إِنْ ذَاذًا وَأَسَدُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَكَارَأُواْٱلْعَرَدَابَ وَجَعَلْنَاٱلْأَغَلَلَ فَأَعْنَاقِ ٱلَّذِنَ كَفَرُواْهَلُ يُحْزَوْنَ إِلَّامَاكَ انْوَايَعْ مَلُونَ ۞ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِ قَرْيَةِ مِّن نَّذِيهِ الْأَفَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَابَآ أَزْسِلْتُهُ مِدِيكُفِرُونَ ٥ وَقَالُواْغَنُ أَحُ ثَرُأُمُولَاوَأُولَادًا وَمَاغَنُ مُعَدِّينَ٥ قُلْ إِذَّ رَقِي يَسْمُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَكَّا ۗ وَيَقْدِرُ وَلِكِنَ ٱلْحُرَّالِنَّانِ لَايَعْلَمُونَ ۞ وَمَا أَمْوَلُكُو وَلاَ أَوَلَدُكُمْ إِلَيْ فُقَرَقِكُمْ عِندَنا زُنْنَ إِلَّامَنْ ءَامَنَ وَعَكِملَ صَلِحًا فَأُولَيْكَ لَأَرْجَزَا ٱلضِّعْفِ يِمَاعَكُمُواْ وَهُمْمِ فِي ٱلْفُرُوْنَ ِ مَالِيَوْنَ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَمْتَعُونَ في مَالِنتِنَامُعَاجِزِينَ أُولَلَهِكَ فِي ٱلْعَدَابِ مُعَضَرُونَ ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَكَّآهُ مِنْ عِسَادِ مِعَ يَقْدِرُ لَكُرُومَآ أَنفَقْتُ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَيْ تُغْلِفُ مُرَّوَهُو حَيْرُ ٱلزَوْقِينَ ۞

والعجب، أن المشرك استكبر عن الانقياد للرسل بزعمه (۱۱) أنهم بشر، ورضي أن يعبد ويدعو الشجر والحجر، استكبر عن الإخلاص للملك الرحمن الديان، ورضي بعبادة من ضره أقرب من نفعه، طاعة لأعدى عدو له وهو الشيطان.

وقوله: ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير، يحتمل أن الضمير في هذا الموضع يعود إلى المشركين، لأنهم مذكورون في اللفظ، والقاعدة في الضمائر، أن تعود إلى أقرب مذكور، ويكون المعنى: إذا كان يوم القيامة، وفزع عن قلوب المشركين، أي: زال الفزّع، وسئلوا حين رجعت إليهم عقولهم، عن حالمهم في الدنيا، وتكذيبهم للحق الذي جاءت به الرسل، أنهم يقرون أن ما هم عليه من الكفر والشرك باطل، وأن ما قال الله وأخبرت به عنه رسله، هو الحق فيدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وعلموا أن الحق لله، واعترفوا بذنوبهم.

﴿وهو العلي﴾ بذاته، فوق جميع غلوقاته وقهره لهم وعلو قدره، بما له من الصفات العظيمة، جليلة القدار ﴿الكبير﴾ في ذاته وصفاته.

ومن علوه، أن حكمه تعالى يعلو، وتذعن له النفوس، حتى نفوس المتكبرين والمشركين.

وهذا المعنى أظهر، وهو الذي يدل عليه السياق، ويحتمل أن الضمير يعود إلى الملائكة، وذلك أن الله تعالى إذا تكلم بالوحي سمعته الملائكة، فصعقوا وخروا لله سجداً، فيكون أوّل مَنْ يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، وإذا زال الصعق عن قلوب الملائكة، وزال الفزع، فيسأل بعضهم بعضاً عن ذلك الكلام الذي سعقوا منه: ماذا قال ربكم؟ فيقول بعضهم لبعض: قال الحق، إما إجالاً، لعلمهم أنه لا يقول إلا حقاً، وإما أن يقولوا: قال كذا وكذا، للكلام الذي يقولوا: قال كذا وكذا، للكلام الذي سمعوه منه، وذلك من الحق.

فيكون المعنى على هذا: أن المشركين الذين عبدوا مع الله تلك الآلهة، التي وصفنا لكم عجزها ونقصها، وعدم نفعها بوجه من الوجوه، كيف صدفوا وصرفوا عن إخلاص العبادة للرب العظيم، العلي الكبير، الذي من عظمته وجلاله من الملائكة الكرام والمقربين من الخلق، يبلغ بهم الخضوع والصعق عند سماع كلامه هذا المبلغ، ويقرون كلهم لله، أنه لا يقول إلا الحق.

فما بال هؤلاء المشركين، استكبروا عن عبادة مَنْ هذا شأنه، وعظمة ملكه وسلطانه. فتعالى العلي الكبير عن شرك المشركين وإفكهم وكذبهم.

﴿ ٢٤ - ٢٧﴾ ﴿ قَلْ مَن يرزقكم من السماوات والأرض قبل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين \* قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون \* قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم \* قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم ﴾ يأمر تعالى نبيه عمداً ﷺ أن يقول لمن أشرك بالله ويسأله عن حجة شركه: ﴿ مَن يرزقكم

من السماوات والأرض فإنهم لا بد أن يقروا أنه الله، ولئن لم يقروا في الله فإنك لا تجد من يدفع هذا القول، فإذا تبينً أن الله وحده والأرض، وينزل [لكم] المطر، وينبت لكم النبات، ويفجر لكم الأنهار، وجعل لكم الحيوانات جميعها، لنفعكم ورزقكم، فلم تعبدون معه مَن لا يرزقكم شيئًا، ولا يفيدكم نفعاً؟

وقوله: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمُ لَعَلَى هُدَى أَوْ فَسِي صَلالِ مَبِينَ ﴾ أَي: إحدى الطائفتين منا ومنكم، على الهدى، مستعلية عليه، أو في ضلال مبين، منغمرة فيه، وهذا الكلام يقوله مَنْ تبينٌ له الحق واتضح له الصواب، وجزم بالحق الذي هو عليه وبطلان ما عليه خصمه.

أي: قد شرحنا من الأدلة الواضحة عندنا وعندكم، ما به يعلم علماً يقيناً لا شك فيه، من المحق منّا ومَن المبطل، ومن المهتدى ومن الضال؟ حتى إنه يصير التعيين بعد ذلك لا فائدة فيه، فإنك(٢) إذا وازنت بين مَنْ يدعو إلى عبادة الخالق لسائر المخلوقات، المتصرف فيها بجميع أنواع التصرفات، المسدي جميع النِعَمْ، الذي رزقهم وأوصل إليهم كلّ نعمة، ودفع عنهم كل نقمة، الذي له الحمد كله والملك كله، وكل أحد من الملائكة فما دونهم خاضعون لهيبته، متذللون لعظمته، وكل الشفعاء تخافه، لا يشفع أحدُ منهم عنده إلا بإذنه العلى الكبير، في ذاته وأوصافه وأفعاله، الذِّي له كل كمال، وكل جلال، وكل جمال، وكل حمد وثناء ومجد، يدعو إلى التقرب لمن هذا شأنه، وإخلاص العمل له، وينهى عن عبادة مَنْ سواه، وبين مَنْ يتقرب إلى أوثان وأصنام وقبود، لا تخليق ولا ترزق، ولا عَلَكُ لأنفسها ولا لِمَنْ عَبَدها، نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً

<sup>(</sup>١) في النسختين: بزعمهم، ولعل الأقرب ـ والله أعلم ـ ما أثبت.

<sup>(</sup>٢) ورد في الهامش هنا: فعل الشرط.

ولا حياة ولا نشوراً، بل هي جمادات لا تعقل ولا تسمع دعاء عابديها، ولو سمعته ما استجابت لهم، ويوم القيامة ويتلاعنون بينهم، ليس لهم قسط من الملك، ولا شركة فيه، ولا إعانة فيه، ولا لهم شفاعة يستقلون بها دون الله، فهو يدعو مَنْ هذا وصفه، ويتقرب إليه مهما أمكنه، ويعادي مَنْ أخلص الدين لله ويحاربه، ويكذب رسل الله تبين (۱) لك أي: الفريقين، المهتدي من الضال، والشقي من السعيد؟ ولم يحتج الحال أوضح من لسان المقال.

﴿ قَلَ ﴾ لهم [﴿ لا تسألون عمّا أجرمنا، ولا نسأل عا تعملون ﴾ أي: كل منا ومنكم له عمله أنتم] ﴿ لا تسألون ﴾ عن إجرامنا وذنوبنا لو أذنبنا، ونحن لا نسأل عن أعمالكم، فليكن المقصود منا ومنكم طلب الحقائق، وسلوك طريق الإنصاف، ودعوا ما كنا نعمل، ولا يكن مانعاً لكم من اتباع الحق، فإن أحكام الدنيا ويجتنب الباطل، وأما الأعمال، فلها ويجتنب الباطل، وأما الأعمال، فلها الحاكمين، ويفصل بين المختصمين، أعدل العادلين.

ولهذا قال: ﴿قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا﴾ أي: يحكم بيننا حكماً، يتبين به الصادق من الكاذب، والمستحق للشواب من الستحق للعقاب، وهو خير الفاتحين.

﴿قُلَ لَهُم يَا أَيّها الرّسول، ومَن ناب منابك: ﴿أَرُونِي الذّين أَخْقَتُم به شركاء ﴾ أي: أين هم؟ وأين السبيل إلى معرفتهم؟ وهل هم في الأرض، أم في السماء؟ فإن عالم الغيب والشهادة قد أخبرنا أنه ليس في الوجود له شد لك.

﴿ ويسعسبدون مسن دون الله مسا

لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم الآية ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾.

وكذلك خواص خلقه من الأنبياء والمرسلين، لا يعلمون له شريكاً، فيا أيها المشركون أروني الذين ألحقتم بزعمكم الباطل بالله ﴿شركاء﴾.

وهذا السؤال لا يمكنهم الإجابة عنه، ولهذاقال: ﴿كلُّهُ أَي: لس لله شريك، ولا ند، ولا ضد. ﴿بِلِ هُو اللهِ الذي لا يستحق التأله والتعبد إلا هو ﴿العزيزِ ﴾ الذي قهر كل شيء، فكل ما سواه فهو مقهور مسخر مدير. ﴿ الحَكيم ﴾ الذي أتقن ما خلقه، وأحسن ما شرعه، ولو لم يكن في حكمته في شرعه إلا أنه أمر بتوحيده وإخلاص الدين له، وأحب ذلك، وجعله طريقاً للنجاة، ونهى عن الشرك به واتخاذ الأنداد من دونه، وجعل ذلك طريقاً للشقاء والهلاك، لكفي (٢) بذلك برهاناً على كمال حكمته، فكيف، وجميع ما أمر به ونهى عنه مشتمل على الحكمة؟!!

﴿٢٨ \_ ٣٠) ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون \* ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين \* قل لكم ميعاديوم لا تستأخرون عنه ساعة ولأ تستقدمون المخير تعالى أنه ما أرسل رسوله ﷺ ، إلاّ يبشر جميع الناس بثواب الله، ويخبرهم بالأعمال الموجبة لذلك، وينذرهم عقاب الله، ويخبرهم بالأعمال الموجبة له، فليس لك من الأمر شيء، وكل ما اقترح عليك أهل التكذيب والعناد، فليس من وظيفتك، إنما ذلك بيد الله تعالى، ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون، أي: ليس لهم علم صحيح، بل إما جهال، أو معاندون لم يعملوا بعلمهم، فكأنهم لا علم لهم. ومن عدم علمهم، جعلهم عدم

الإجابة لما اقترحوه على الرسول، موجباً لرد دعوته.

فمما اقترحوه، استعجالهم العذاب الذي أنذرهم به، فقال: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ وهذا ظلم منهم. فأي: ملازمة بين صدقه وبين الإخبار بوقت وقوعه؟ وهل هذا النذير [في أمر] في أحوال الدنيا، لو حاء قوماً يعلمون صدقه ونصحه، ولهم عدو ينتهز الفرصة منهم ويُعِدُ سار، يريد اجتياحكم واستئصالكم. فلو قال بعضهم: إن كنت صادقاً، فلو قال بعضهم: إن كنت صادقاً، مكانه الآن؟ فهل يعد هذا القائل مكانه الآن؟ فهل يعد هذا القائل عاقلاً، أم يحكم بسفهه وجنونه؟

هذا، والمخبر يمكن صدقه وكذبه، والعدو قد يبدو له غيرهم، وقد تنحل عزيمته، وهم قد يكون بهم منعة يدافعون بها عن أنفسهم، فكيف بمن كذّب أصدق الخلق، المعصوم في خبره، الذي لا ينطق عن الهوى، بالعذاب اليقين، الذي لا مدفع له ولا ناصر منه؟! أليس رد خبره بحجة عدم

بيانه وقت وقوعه من أسفه السفه؟!! ﴿قُلُ لَهُم \_ خبراً بوقت وقوعه الذي لا شك فيه \_: ﴿لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ﴿ فاحذروا ذلك اليوم ، وأعدوا له عدته .

﴿٣٦ ـ ٣٣﴾ ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استضعفوا أنتم لكنا مؤمنين \* قال الذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين \* وقال الذين استضعفوا للذين استضعفوا إذ تأمروننا أن نكفر بالله والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له

<sup>(</sup>١) ورد في الهامش هنا: جواب الشرط.

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: يكفى، ولعل الصواب ما أثبته.

أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كأنوا يعملون﴾ لما ذكر تعالى أن ميعاد المستعجلين بالعذاب لا بدمن وقوعه عند حلول أجله، ذكر هنا حالهم في ذلك اليوم، وأنك لو رأيت حالهم إذًا وقفوا عند ربهم، واجتمع الرؤساء والأتباع في الكفر والضلال، لرأيت أمراً عظيماً وهولاً جسيماً، ورأيت كيف يتراجع، ويرجع بعضهم إلى بعض القول، و ﴿ يقولَ الذين استضعفوا ﴾ وهم الأتباع ﴿للذين استكبروا ﴾ وهم القادة: ﴿لُولا أَنْتُم لَكُنَّا مؤمنين ﴾ ولكنكم حُلْتُم بيننا وبين الإيمان، وزينتم لنا الكفر[ان]، فتبعناكم على ذلك، ومقصودهم بذلك أن يكون العذاب

﴿قال الذين استكبروا للذين استُضعِفُوا﴾ مستفهمين لهم وغبرين أن الجميع مشتركون في الجرم: ﴿أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم﴾ أي: بقوتنا وقهرنا لكم. ﴿بل كنتم عجرمين﴾ أي: غتارين للإجرام، لستم مقهورين عليه، وإن كنا قد زينا لكم، فما كان لنا عليكم من سلطان.

على الرؤساء دونهم.

﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً اي : بل الذي دهانا منكم، ووصل إلينا من إضلالكم، ما دبرتموه من المكر، في الليل والنهار، إذ تُحسنون لنا الكفر وتدعوننا إليه، وتقولون: إنه الحق، وتقدحون في الحق وتهجنونه وتزعمون أنه الباطل، فما زال مكركم بنا وكيدكم إيانا، حتى أغويتمونا.

فلم تفد تلك المراجعة بينهم شيئاً إلا تبري بعضهم من بعض، والندامة العظيمة، ولهذا قال: ﴿وأسرُّوا الندامة لما رأوا العذاب﴾ أي: زال عنهم ذلك الاحتجاج الذي احتج به بعضهم على بعض لينجو من العذاب، وعلم أنه بعلم مستحق له، فندم كل منهم غاية الندم، وتمنى أن لو كان على الحق،

[وأنه] ترك الباطل الذي أوصله إلى هذا العذاب، سراً في أنفسهم، لخوفهم من الفضيحة في إقرارهم على أنفسهم. وعند وفي بعض مواقف القيامة، وعند دخولهم النار، يظهرون ذلك الندم جهراً.

﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً \* يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً الآيات.

﴿وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنا

في أصحاب السعير ﴿ فاعترفوا بذنبهم

فسحقاً لأصحاب السعير ﴾ ﴿ وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا ﴾ يغلون كما يغل المسجون الذي سيهان في سجنه كما قال تعالى: ﴿ إِذَ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون \* في الحميم ثم في النار يسجرون ﴾ الآيات. ﴿ همل يجرون ﴾ في هذا العذاب

﴿ مُلَ يَجُرُونَ ﴾ في هذا العذاب والنكال، وتلك الأغلال الثقال ﴿ إِلاَ مَا كَانُوا يَعْمِلُونَ ﴾ من الكفر والفسوق والعصيان.

﴿٣٤ ـ ٣٩﴾ ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون \* وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين \* قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون \* وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفي إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون \* والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون \* قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين، يخبر تعالى عن حالة الأمم الماضية المكذبة للرسل، أنها كحال هؤلاء الحاضرين المكذبين لرسولهم محمد ﷺ، وأن الله إذا أرسل رسولاً في قرية من القرى كفر به مترفوها،

وأبطرتهم نعمتهم وفخروا بها. ﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً﴾ أي: ممسن اتبع الحيق ﴿وما نـحسن بمعذبين﴾ أي: أولاً، لسنا بمبعوثين،

فإن بُعِثْنا، فالذي أعطانا الأموال والأولاد في الدنيا، سيعطينا أكثر من ذلك في الأخرة ولا يعذبنا.

فأجابهم الله تعالى، بأن بسط الرزق وتضييقه، ليس دليلاً على ما زعمتم، فإن الرزق تحت مشيئة الله، إن شاء بسطه لعبده، وإن شاء ضيّقه.

وليست الأموال والأولاد بالتي تقرب إلى الله زلفى وتدني إليه، وإنما الذي يقرب منه زلفى، الإيمان بما الذي هو من لوازم الإيمان، فأولئك لهم الجزاء عند الله تعالى مضاعفاً، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة وضعف إلى أضعاف كثيرة، لا يعلمها إلا الله، ﴿وهم في الغرفات آمنون أي: في المنازل العاليات المرتفعات جداً، ساكنين فيها مطمئين، آمنون من المكدرات والمنغصات، لما هم فيه من الخروج منها والحزن فيها.

وأما الذين سعوا في آياتنا على وجه التعجيز لنا ولرسلنا، والتكذيب، فراولتك في العذاب محضرون .

(٣٩) ثم أعاد تعالى أنه ﴿يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدِرُ له﴾ ليرتب عليه قوله: ﴿وما أنفقتم من شيء﴾ نفقة واجبة أو مستحبة، على قريب، أو جار، أو مسكين، أو يتيم، وغير ذلك، ﴿فهو﴾ تعالى ﴿يخلفه﴾ فلا تتوهموا أن الإنفاق عما ينقص الرزق، بل وعد بالخلف للمنفق، الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر منه، واسعوا في الأسباب التي أمركم بها.

﴿ ٤ - ٤٤ ﴾ ﴿ ويسوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون \* قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون \* قاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضراً ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً ﴾ آي: العابدين لغير الله جميعاً ﴾ آي: العابدين لغير الله

والمعبودين من دونه، من الملائكة. ﴿ثم يقول﴾ الله ﴿للملائكة﴾ على وجه التوبيخ لمن عبدهم: ﴿أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ فتبرأوا من عبادتهم.

و ﴿ قالوا سبحانك ﴾ أي: تنزيها لك وتقديساً ، أن يكون لك شريك أو ند ﴿ أنت ولينا من دونهم ﴾ فنحن مفتقرون إلى ولايتك ، مضطرون إليها ، فكيف ندعو غيرنا إلى عبادتنا؟ أم كيف نصلح لأن نتخذ من دونك أوليا ، وشركاء؟!!

ولكن هؤلاء المشركون ﴿كانوا يعبدون الجِنّ﴾ أي: المشياطين، يأمرون (١) بعبادتنا أو عبادة غيرنا، فيطيعونهم بذلك، وطاعتهم هي عبادتهم، لأن العبادة الطاعة، كما قال تعالى نخاطباً لكل من اتخذ معه آلهة ﴿أَلَمُ أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين \* وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾.

﴿ أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ أي:

مصدقون للجنّ، منقادون لهم، لأن الإيمان هو التصديق الموجب للانقياد. فلما تبرأوا منهم، قال تعالى فلما تبرأوا منهم، قال تعالى بعضكم لبعض نفعاً ولا ضراً وتقطعت بعضكم الأسباب، وانقطع بعضكم من بعض. ﴿ونقول للذين ظلموا﴾ بالكفر والمعاصي بعدما ندخلهم النار والمعاصي بعدما ندخلهم النار تكذّبون فاليوم عاينتم بها ودخلتموها، جزاء لتكذيبكم، وعقوبة للورب من أسبابها.

﴿ ٤٣ ـ ٤٥ ﴾ ﴿ وإذا تتلى عليه م آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين \* وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير \* وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلى فكيف

كان نكير﴾ يخبر تعالى عن حالة المشركين، عندما تتلى عليهم آيات الله البينات، وحججه الظاهرات، وبراهينه القاطعات، الدالة على كل خير، الناهية عن كل شر، التي هي أعظم نعمة جاءتهم، ومِنةٍ وصلت إليهم، الموجبة لمقابلتها بالإيمان والتصديق والانقياد والتسليم، أنهم يقابلونها بضد ما ينبغي، ويكذبون مَنْ جاءهم بها ويقولون: ﴿مَا هَذَا إِلاَّ رَجُّلُ يريد أن يصدكم عمّا كان يعبد آباؤكم اي: هذا قصده حين يأمركم بالإخلاص لله، لتتركوا عوائد آبائكم الذين تعظمون وتمشون خلفهم، فردوا الحق بقول الضالين، ولم يوردوا(٢) برهاناً ولا شبهة.

فأي: شبهة إذا أمرت الرسل بعض النصالين باتباع الحق، فادّعوا أن إخوانهم الذين على طريقتهم لم يزالوا عليه؟ وهذه السفاهة، ورد الحق بأقوال الضالين، إذا تأملت كل حق رد، فإذا هذا مآله، لا يرد إلا بأقوال الضالين من المشركين، والدهريين، والفلاسفة، والصابئين، واللحدين في دين الله المارقين، فهم أسوة كل مَن رد الحق إلى يوم القيامة.

ولما احتجوا بفعل آبائهم، وجعلوها دافعة لما جاءت به الرسل، طعنوا بعد هذا بالحق، ﴿وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى﴾ أي: كذب افتراه هذا الرجل الذي جاء به. ﴿وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مين﴾ أي: سحر ظاهر بين لكل أحد، تكذيباً بالحق، وترويجاً على السفهاء.

ولما بين ما ردوا به الحق، وأنها أقوال دون مرتبة الشبهة، فضلاً أن تكون حجة، ذكر أنهم وإن أراد أحد أن يحتج لهم، فإنهم لا مستند لهم، ولا لهم شيء يعتمدون عليه أصلاً، فقال: ﴿وما أتيناهم من كتبٍ يدرسونها وحتى تكون عمدة لهم ﴿وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير ﴿ حتى يكون عندهم من أقواله وأحواله ما يدفعون به

وَوَهُ يَخْشُرُهُمْ مِنْ مِن الْأَيْقُولُ لِلْمَلَدِكَةِ أَهَالُولَا إِيَّاكُمْ كَانُواْيِعْ بُدُونَ ۞ قَالُوا سُبْحَنْكَ أَنتَ وَلِيُنَّامِن دُوخِمْ بَلْ كَانُواْيَعْ بُدُونَ آيُجِنُّ أَحْتَرُهُ ربِهِ مِثْوْمِنُونَ ۞ فَٱلْتُوْمَ لَا يَلِكُ بَعْضُكُمْ لِيَعْضِ نَفْعًا وَلاَضَرَّا وَنَعُولُ لِلَّذِينَ طَلَحُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ النَّادِ ٱلَّتِي كُنتُ مِيَّا تُكَذِّبُونَ ۞ وَلَا الثُّلْ عَلَيْهِمْ ءَلِنتُنَايِّنَتِ قَالُواْ مَا هَندَا ٓ إِلَّارَجُلُ رُبِيدُ أَن يَصُدُّكُمْ عَمَا كَانَ يَعْبُدُءَ ابَآؤَكُرُ وَقَالُواْ مَا هَنْزَآ إِلَّآ إِفْكُ مُفْتَحٌ وَقَالَ ـــ الَّذِينَ كَفَدُوا لِلْحَقِ لَنَاجَآءَ هُزِ إِنْ هَدَا ٱلْأَسِحْرُ مُعِينٌ ۞ وَمَاءَ الْيَنَاهُ مِن كُتُ مِنْ وَسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَ آ إِلَيْهِمْ قَتِلَكَ مِن نَّذِيرِ ۞ وَكُذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَالِلَغُواْمِعْشَارَ مَآءَ اَيَنَنَا فُرُ وَكُمْنَوَا رُسُلِّي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ ۞ • قُلْ إِنْمَآ أَعِظُكُم بِوَبِيدَةً أَن تَقُومُوا يَلُومَنْنَ وَفُرَدَىٰ ثُرُنَلَفَكُرُوّاً مَابِصَاحِيكُمْ مِن حِنَةُ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ يَنْ يَدَىٰ عَلَابٍ شَدِيدٍ ۞ قُلْ مَاسَأَ لَتُكُمِّ مِنْ أَجْرِ فَهُوَ لَكُو إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى أَمَّو وَهُوَ عَلَى كُلِّ مَنى و شَهِيدُ ۞ قُلْ إِنَّ رَبِي يَقْدِكُ بِأَكْتِقَ عَلَّمُ ٱلْفُيُوبِ۞ ON FRONT IN PLONGED

ما جئتهم به، فليس عندهم علم، ولا أثارة من علم.

ثم خوفهم ما فعل بالأمم المكذبين وتبلهم] فقال: ﴿وكذَب الذين من قبلهم وما بلغُوا﴾ أي: ما بلغ هؤلاء المخاطبون ﴿معشار ما آتيناهم﴾ وكذبوا﴾ أي: الأمم الذين من قبلهم ﴿رسلي فكيف كان نكير﴾ أي: إنكاري عليهم، وعقوبتي إياهم. قد أعلمنا ما فعل بهم من النكال، وأن منهم من أغرقه، ومنهم مَن أهلكه بالربح العقيم، وبالصيحة، وبالرجفة، وبالحسب من السماء، فاحذروا يا الحاصب من السماء، فاحذروا يا هؤلاء المكذبون، أن تدوموا على التكذيب، فيأخذكم كما أخذ من قبلكم، ويصيبكم ما أصابهم.

﴿ ٤٦ . • • • ﴿ قَلَ إِنْمَا أَعَظَكُم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تنفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلاَّ نذير لكم بين يدي عذاب شديد \* قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد \* قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب \* قل جاء الحق وما يبدىء أضل على نفسي وإن اهتديت فإنما يوحي إلى ربي إنه سميع قريب ﴾ أي:

قُلْ جَاءَ اَنْمُوْ وَمَا يُبِدِي اَلْبَيلُ وَمَا يُعِيدُ ۞ قُلَ ان صَلَاتُ اَ اَلَهُ اَلَهُ الْمَالُونِ اَلَى مَنْ اَلَهُ الْمُونِ اَلَى مَنْ اَلَهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللْمُنْ اللْمُنْ اللْمُنْ الْمُنْ اللْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللْمُنْ الْمُنْ ا

S SIEDE TO SEE SIEDE SEE

القائدة المستخدسة المستخد

﴿قل﴾ يما أيها الرسول، لهولاء المكذبين المعاندين، المتصدين لرد الحق وتكذيبه، والقدح بمن جاء به: ﴿إنما أعظكم بواحدة﴾ أي: بخصلة في سلوكها، وهي طريق نصف، لست أدعوكم بها إلى اتباع قولي، ولا إلى ترك قولكم من دون موجب لذلك، أي: تنهضوا بهمة ونشاط، وقصد لاتباع الصواب، وإخلاص شه، بحتمعين، ومتباحثين في ذلك، ومتناظرين، وفرادى، كل واحد يخطب نفسه بذلك.

فإذا قسمتم لله مشنى وفرادى، استعملتم فكركم وأجلتموه، وتدبرتم أحوال رسولكم، هل هو مجنون، فيه صفات المجانين من كلامه، وهيئته، وصفته؟ أم هو نبي صادق، منذر لكم ما يضركم، مما أمامكم من العذاب الشديد؟

فلوقبلوا هذه الموعظة واستعملوها، لتبين لهم أكثر من غيرهم، أن رسول الله على ليس بمجنون، لأن هيئاته (۱۱) ليست كهيئات المجانين، في خنقهم، واختلاجهم، ونظرهم، بل هيئته أحسن الهيئات، وحركاته أجلً الحركات، وهو أكمل

الخلق، أدباً، وسكينة، وتواضعاً، ووقاراً، لا يكون [إلا] لأرزن الرجال عقلاً

ثم [إذا] تأملوا كلامه الفصيح، ولفظه المليح، وكلماته التي تملأ القلوب أمناً وإيماناً، وتزكي النفوس، وتطهر القلوب، وتبعث على مكارم الأخلاق، وتحث على محاسن الشيم، وترهب (٢٦ عن مساوىء الأخلاق ورذائلها، إذا تكلم رمقته العيون، هيبة وإجلالاً وتعظيماً.

فهل هذا يشبه هذيان المجانين وعربدتهم، وكلامهم الذي يشبه أحوالهم؟!!

فكل مَن تدبر أحواله، ومقصده استعلام هل هو رسول الله أم لا؟ سواء تفكر وحده أو مع غيره، جزم بأنه رسول الله حقاً، ونبيه صدقاً، خصوصاً المخاطبين، الذي هو صاحبهم يعرفون أول أمره وآخره.

وثم مانع للنفوس آخر من اتباع الداعي إلى الحق، وهو أنه يأخذ أموال من يستجيب له، ويأخذ أجرة على دعوته. فبين الله تعالى نزاهة وقل ما سألتكم من أجر أي: على اتباعكم للحق (فهو لكم) أي: على التقدير أنه لكم، ﴿إِن أَجِرِيَ إِلاَ فَاللّهُ وهو على كل شيء شهيد أي: على على الله وهو على كل شيء شهيد أي: عبط علمه بما أدعو إليه، فلو كنت كاذباً، لأخذني بعقوبته، وشهيد أيضاً على أعمالكم، سيحفظها عليكم، ثم يجازيكم بها.

ولما بين البراهين الدالة على صحة الحق وبطلان الباطل، أخبر تعالى أن هذه سنته وعادته أن ﴿يقذف بالحق﴾ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، لأنه بين من الحق في هذا الموضع، ورد به أقوال المكذبين، ما كان عبرة للمعتبرين، وآية للمتأملين.

فإنك كما ترى، كيف اضمحلت أقوال المكذبين، وتبين كذبهم

وعنادهم، وظهر الحق وسطع، وبطل الباطل وانقمع، وذلك بسبب بيان **﴿علام الغيوب** الذي يعلم ما تنطوي عليه القلوب من الوساوس والشبه، ويعلم ما يقابل ذلك ويدفعه من الحجج.

فيعلم بها عباده، وبينها لهم، ولهذا قال: ﴿قَلْ جَاء الحَقْ ﴾ أي: ظهر وبان، وصار بمنزلة الشمس، وظهر سلطانه. ﴿وما يبدىء الباطل وما يعيد ﴾ أي: اضمحل وبطل أمره، وذهب سلطانه، فلا يبدىء ولا يعيد.

ولما تبين الحق بما دعا إليه الرسول، وكان المكذبون له يرمونه بالضلال، أخبرهم بالحق ووضحه لهم، وبين لهم عجزهم عن مقاومته، وأخبرهم أن رميهم له بالضلال ليس بضائر الحق شيئاً، ولا دافع ما جاء به.

وأنه إن ضل \_ وحاشاه من ذلك، لكن على سبيل التنزل في المجادلة \_ فإنما يضل على نفسه، أي: ضلاله قاصر على نفسه، غير متعدٍ إلى غيره.

﴿ وَإِنَ اهتديت ﴾ فليس ذلك من نفسي وحولي وقوتي، وإنما هدايتي بما ﴿ يوحي إلى ربي ﴾ فهو مادة هدايتي، كما هو مادة هداية غيري. إن ربي ﴿ سميع ﴾ للأقوال والأصوات كلها ﴿ قريب ﴾ من دعاه وسأله وعبده.

﴿ ١٥ - ٤٥ ﴾ ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب \* وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد \* وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد \* وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب ﴾ يقول تعالى: ﴿ ولو ترى ﴾ أيها الرسول، ومَنْ قام مقامك، حال هؤلاء المكذبين، ﴿ إذ فزعوا ﴾ حين أوا العذاب، وما أخبرتهم به الرسل ومنظراً مفظعاً، وحالة منكرة، وشدة ومنظراً مفظعاً، وحالة منكرة، وشدة العذاب.

فليس لهم عنه مهرب ولا فوت، ﴿وَاخَذُوا مِنْ مُكَانَ قَرِيبُ ﴾ أي: ليس بعيداً عن محل العذاب، بل يؤخذون ثم يقذفون في النار.

﴿وقالوا﴾ في تلك الحال: ﴿آمنا﴾ بالله وصدقنا ما به كذبنا ﴿و﴾ لكن ﴿ أَنِّي لَهُم التناوش ﴾ أي: تناول الإيمان ﴿من مكان بعيد﴾ قد حيا. بينهم وبينه، وصار من الأمور المحالة في هذه الحالة، فلو أنهم آمنوا وقت الأمكان، لكان إيمانهم مقبولاً، ولكنهم ﴿كفروا به من قبل ويقذفون﴾ أي: يرمون ﴿بالغيب من مكان بعيد﴾ بقذفهم الباطل، ليدحضوا به الحق، ولكن لأ سبيل إلى ذلك، كما لا سبيل للرامى من مكان بعيد إلى إصابة الغرض، فكذلك الباطل، من المحال أن يغلب الحق أو يدفعه، وإنما يكون له صولة ، وقت غفلة الحق عنه ، فإذا برز الحق وقاوم الباطل قمعه.

﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾
من الشهوات واللذات، والأولاد،
والأموال، والخدم، والجنود، قد
انفردوا بأعمالهم، وجاؤوا فرادى كما
ظهورهم، ﴿كما فعل بأشياعهم﴾ من
الأمم السابقين حين جاءهم الهلاك،
حيل بينهم وبين ما يشتهون. ﴿إنهم
الريبة وقلق القلب، فلذلك لم يؤمنوا،
ولم يعتبوا حين استعتبوا.

تم تفسير سورة سبأ ـ ولله الحمد والمِنة والفضل، ومنه العون، وعليه التوكل، وبــه الثقــة

## تفسیر سورة فاطر وهی مکیة

﴿١ - ٢﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير \*ما يفتح الله للناس من رحمة فلا بمسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾ يمدح الله تعالى نفسه العزيز الحكيم﴾ يمدح الله تعالى نفسه

الكريمة المقدسة، على خلقه السماوات والأرض، وما اشتملتا عليه من المخلوقات، لأن ذلك دليل على كمال قدرته، وسعة ملكه، وعموم رحمته، وبديع حكمته، وإحاطة علمه.

ولما ذكر الخلق، ذكر بعده ما يتضمن الأمر، وهو: أنه ﴿جاعل الملائكة رسلا﴾ في تدبير أوامره القدرية، ووسائط بينه وبين خلقه، في تبليغ أوامره الدينية.

وفي ذكره أنه جعل الملائكة رسلاً، ولم يستثن منهم أحداً، دليل على كمال طاعتهم لربهم وانقيادهم لأمره، كما قال تعالى: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون﴾.

ولما كانت الملائسكة مدبرات بإذن الله، ما جعلهم الله موكلين فيه، ذكر قوتهم على ذلك وسرعة سيرهم، بأن جعلهم ﴿أُولِي أَجنحة ﴾ تطير بها، فتسرع تنفيذ ما أمرت به. ﴿مثنى وثلاثة وأربعة، بحسب ما اقتضته حكمته. ﴿يزيد في الخلق ما يعض، في صفة خلقها، وفي القوة، وفي الحسن، وفي زيادة الأعضاء المعهودة، وفي حسن الأصوات، ولذة النغمات.

﴿إِن الله عملى كمل شيء قمدير ﴾ فقدرته تعالى تأتي على ما يشاؤه، ولا يستعصي عليها شيء، ومن ذلك زيادة مخلوقاته بعضها على بعض.

ثم ذكر انفراده تعالى بالتدبير والعطاء والمنع، فقال: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا تمسك لها وما يُمسِك ﴾ من رحمته عنهم ﴿فلا مرسل له من بعده ﴾ فهذا يوجب التعلق بالله تعالى، والافتقار إليه من جميع الوجوه، وأن لا يدعى إلا هو. ﴿وهو العزيز ﴾ الذي ويرجى إلا هو. ﴿وهو العزيز ﴾ الذي يضع الأشياء كلها ﴿الحكيم ﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها.

﴿٣ ـ ٤ ﴾ ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله

٥٥ يُؤلُونَظِلُ اللَّهِ I WHENTER TO SEE وَإِن يُكِذَقُوكَ فَقَذَكُذِبَتْ رُسُلُ مِن فَيْلِكُ وَإِلَى اللَّهِ وَتُجَعُ ٱلْأُمُورُ ۞ يَتَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعُدَاللَّهِ حَقٌّ فَلَاتَفَتُزَّكُمُ ٱلْحَيَوْةُ ٱلدُّنْتِ ۗ اللَّهُ وَلَا يُعُزِّكُمُ إِلَّهُ وَالْفَرُورُ ۞ إِنَّ الشَّيْطِانَ لَكُوْ عَدُوًّ فَأَخِّذُونُ ۗ الْإِ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْتُهُ لِيكُونُوا مِنْ أَحْمَلُ السَّعِيرِ ۞ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَمُتُوعَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَيِمُواْ الْصَلِيحَاتِ لَمُومَغُفِرَةٌ وَأَخِرُكَ بِيرُ۞ أَفَنَ زُنِينَ لَهُ مُوَهُ عَلِمِهِ وَوَاهُ حَسَنّاً فَإِنَّ أَلَةَ يُضِلُّ مَن يَشَكَهُ وَتَهْدِى مَنْ يَشَكُّهُ فَلَائَذُهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِ مْرَحَسَرَاتُ إِنَّ أَلَقَهُ عَلِيمُ بَمَايَصْنَعُونَ ۞ وَأَلَقَهُ ٱلَّذِيَّ أَرْسَلَ ٱلْمِيكَ مَنْتُدِيرُ سَكَابًا فَسُقْنَهُ إِلَى بَلَدِمِّيتِ فَأَحْيَدُنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْنِهَٰ أَكَذَٰ لِكَ ٱلنَّشُورُ۞ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحِدَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْحِزَّةُ جَيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلظِّينِهِ وَٱلْمَسَلُ ٱلصَّالِمُ يَرْفَعُهُمُّ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّنَاتِ لَمَتْمَ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَتَّكُرُ أُولَيْكَ هُوَيَبُورُ ۞ وَاللَّهُ حَلَقَاكُم مِن تُراَبٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةِ ثُمَّ جَعَلَكُمْ الْ وَوَجَا وَمَا تَحْدِلُ مِنْ أَنَىٰ وَلَانَضَعُ إِلَّا بِعِلْهِ وَمَا يُعَمِّرِينَ مُعَمِّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمْرِهِ وَإِلَّا فِي كِنَابُّ إِنَّ ذَاكِ عَلَى اللَّهِ بَسِيدٌ ٥ DEADE IT ENDED

يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون \* وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور \* يأمر تعالى جميع الناس أن يذكروا نعمته عليهم، وهذا شامل لذكرها بالقلب اعترافاً، وباللسان ثناء، وبالجوارح انقياداً، فإن ذكر نعمه تعالى داع لشكره، ثم نبههم على أصول النعم، وهي الخلق والرزق، فقال: ﴿هِل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ﴾.

ولما كان من المعلوم أنه ليس أحد يخلق ويرزق إلا الله، نتج من ذلك، أن كان ذلك دليلاً على ألوهيت وعبوديته، ولهذا قال: ﴿لا إله إلا هو فاتّى تؤفكون﴾ أي: تصرفون من عبادة الخالق الرازق لعبادة المخلوق المرزوق.

﴿وإن يكذّبوك يا أيها الرسول، فلك أسوة بمن قبلك من المرسلين، ﴿فقد كُذّبت رُسُل مِن قبلك فاهلك المكذبون، ونجي الله الرسل وأتباعهم. ﴿وَإِلَى الله ترجع الأمور﴾

﴿ ٥ ـ ٧﴾ ﴿ يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور \* إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير \* الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير ﴾ يقول تعالى: ﴿ يا أيها الناس إن

CA HELETO CHANGE وَمَايَسْتَوى ٱلْبَحْرَانِ هَلذَاعَذْبُ فَرَاتُ سَلَيْغُ ثُرَابُهُوهَلَا مِلْحُ أَجَاجٌ وَمِن كُلِ تَأْكُلُونَ لَحْمُ اطْرِيًا وَتَسْتَخْرِجُونَ جليتة تلبشونها وتزى الفلك فيد مواجد لتنتغا مِن فَضَلِهِ وَلَعَلَكُمْ تَشَكُّرُونَ ١٠ وُلِمُ أَلْيَلَ فِي ٱلنَّهَا وَيُولِمُ ٱلنَّهَادَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَدَرَالشَّعْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلُّجَرِي لِأَجَلِ مُسَعِّنُ ذَلِكُمُ أَلَةُ زَوْكُمْ لَا لَكُلُكُ وَٱلْذِيرَ تَنْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَلِكُونَ مِن قِطْمِير ۞ إِن تَدْعُوهُمُ لَا يَسْمَعُوا دُعَكَةً كُرُ وَلَوْسَيَعُوا مَا أَسْتَجَابُوا لَكُمُّ وَيُومُ ٱلْقِيلَةِ يَكُفُدُونَ بِشِرْكِكُو ۚ وَلَا يُثَيِّنُ ثُلُكُ مِثْلُ حَيِيرِ ۞ • يَنَأَيْهَا النَّاسُ أَسَدُ الْفَقَ رَآءُ إِلَى النَّهِ وَالْفَدُهُو ٱلْعَيَّقُ ٱلْحَيْدُ ۞ إِن يَشَأَيُّذُ هِبْكُمْ وَيَأْتِ عِمَّلِي جَلِيدٍ ۞ وَمَا ذَاكِ عَلَىٰ اللَّهِ بِعَيْرِ ۞ وَلَاتَـزَرُ وَازِرَةٌ وِرُرَأُخْرَىٰ قادنَدْعُ مُثْقَلَةُ إِلَا حِلِمَكَ الْايْحَمَلِ مِنْهُ ثَقَةً وَلَوْكَانَ ذَاقُتُرُنَّ إِثِمَّا لَنُهُ ذِرُ ٱلَّذِيبَ يَغْفَقُونَ رَبَّهُم بِٱلْعَسَيْبِ وَأَمَّامُواْ الصَّلَوةُ وَمَن تَنَكُ فَإِنَّمَا يَتَزَكُّ إِنَّفْسِيدُ وَلِلَا لَعَلِيمُ فَالْتَمِيرُ ۞ ACTUACION ESTRES

وعد الله بالبعث والجزاء على الأعمال، ﴿حقّ ﴾ أي: لا شك فيه، ولا مرية، ولا تردد، قد دلت على ذلك الأدلة السمعية والبراهين العقلية، فإذا كان وعده حقاً، فتهيؤوا له، وبادروا أوقاتكم الشريفة بالأعمال الصالحة، ولا يقطعكم عن ذلك قاطع، ﴿فلا تعزنكم الحياة الدنيا ﴾ بلذاتها وشهواتها ومطالبها النفسية، فتلهيكم عمّا خلقتم هو ﴿الشيطان ﴾ الذي هو عدوكم في هو ألتيقة ﴿فاتخذوه عدواً ﴾ أي: لتكن منكم عداوته على بال، ولا تهملوا عاربته كل وقت، فإنه يراكم وأنتم عاربة، وهو دائماً لكم بالمرصاد.

﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ هذا غايته ومقصوده فمن تبعه، أن يهان غاية الإهانة بالعذاب الشديد.

ثم ذكر أن الناس انقسموا بحسب طاعة الشيطان وعدمها إلى قسمين، وذكر جزاء كل منهما، فقال: ﴿الذين كفروا﴾ أي: جحدوا ما جاءت به الرسل، ودلت عليه الكتب ﴿لهم عذاب شديد﴾ في نار جهنم، شديد في ذاته ووصفه، وأنهم خالدون فيها أيداً.

﴿والذين آمنوا﴾ بقلوبهم، بما دعا الله إلى الإيمان به ﴿وعملوا﴾ بمقتضى ذلك الإيمان، بجوارحهم،

الأعمال ﴿الصالحات لهم مغفرة﴾ لذنوبهم، يزول بها عنهم الشر والمكروه ﴿أجرٌ كبير﴾ يحصل به المطلوب.

﴿ ﴿ ﴾ ﴿ أَفَمَن زَينَ لَهُ سُوءَ عَمَلُهُ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَ اللهُ يَضِلُ مِن يَشَاءُ وَلِهُ يَضِلُ مِن يَشَاءُ وَلِهُ تَفْهِبُ نَفِسكُ عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون ﴾ يقول تعالى: ﴿ أَفْمِن زُيِّنَ لَهُ كِمِلَهُ السّيّّءِ القبيح، زينه له السيّان، وحسنه في عينه. ﴿ وَرَآهُ لَمُ حسناً ﴾ أي: كمن هذاه الله إلى الصراط المستقيم والدين القويم، فهل يستوي هذا وهذا؟

فالأول: عمل السيِّء، ورأى الحق باطلاً، والباطل حقاً.

والثاني: عمل الحسن، ورأى الحق حقاً، والباطل باطلاً، ولكن الهداية والإضلال بيد الله تعالى، ﴿فَإِنَ الله يَضِلُ مَنْ يَشَاءُ فَلا يَضِلُ مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذَهَبِ نَفْسَكُ عليهم ﴾ أي: على الضالين الذين زين لهم سوء أعمالهم، وصدهم الشيطان عن الحق وسرات ﴾ فليس عليك إلاّ البلاغ، وليس عليك من هداهم شيء، والله [هو] الذي يجازيهم بأعمالهم ﴿إن الله عليم بما يصنعون ﴾

﴿٩﴾ ﴿والله الدي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور ﴾ يجبر تعالى عن كمال اقتداره، وسعة جوده، وأنه ﴿أرسل الرياح فتشير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت﴾ فأنزله الله عليها ﴿فأحيينا به الأرض بعد موتها﴾. فحييت البلاد والعباد، وارتزقت

فحييت البلاد والعباد، وارتزقت الحيوانات، ورتعت في تلك الخيرات، ورتعت في تلك الخيرات، موتها، ينشر الله الأموات من قبورهم، بعدما مزقهم البلى، فيسوق إليهم مطراً، كما ساقه إلى الأرض الميتة، فينزله عليهم فتحيا الأجساد والأرواح من القبور، ويأتون للقيام بين يدي الله ليحكم بينهم، ويفصل بحكمه العدل.

ا ﴿ ١٠﴾ ﴿ من كان يريد العزة فلله ♦ العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب ، والممل الصالح يرفعه والذين يمكرون

السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور أي: يا مَنْ يريد العزة، اطلبها ممن هي بيده، فإن العزة بيد الله، ولا تنال إلا بطاعته، وقد ذكرها بقوله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب من قراءة وتسبيح وتحميد وتهليل، وكل كلام حسن طيب، في سرفع إلى الله ويعرض عليه، ويثني الله على صاحبه بين الملا الأعلى، وأعمال المواح في وأعمال القلوب وأعمال الجوارح في وفعه الله تعالى الله أيضاً، كالكلم الطيب.

وقيل: والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب، فيكون رفع الكلم الطيب بحسب أعمال العبد الصالحة، فهي التي ترفع كلمه الطيب، فإذا لم يكن له عمل صالح، لم يرفع له قول إلى الله تعالى، فهذه الأعمال التي تُرفع إلى الله تعالى، ويرفع الله صاحبها ويعزه.

وأما السيئات فإنها بالعكس، يريد صاحبها الرفعة بها، ويمكر ويكيد ويعود ذلك عليه، ولا يزداد إلا إهانة ونزولاً، ولهذا قال: ﴿والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد﴾ يهانون فيه غاية الإهانة. ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾ أي: يهلك ويضمحل، ولا يفيدهم شيئاً، لأنه مكر بالباطل، لأجل الباطل.

﴿١١﴾ ﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطقة ثم جعلكم أزواجاً وما تحمل من أنثي ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا يُنقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾ يذكر تعالى خلقه الآدمي، وتنقله في هذه الأطوار، من تراب إلى نطفة وما

وثم جعلكم أزواجاً أي: لم يزل ينقلكم، طوراً بعد طور، حتى أوصلكم إلى أن كنتم أزواجاً، ذكراً يتزوج أنثى، ويراد بالزواج، الذرية والأولاد، فهو وإن كان النكاح من الأسباب فيه، فإنه مقترن بقضاء الله وقدره وعلمه، ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ وكذلك أطوار الآدمى، كلها بعلمه وقضائه.

﴿وما يُعَمِّرُ من مُعَمِّرٍ ولا ينقص من عُمُرٍ ولا ينقص من عُمُره ﴾ أي: عمر الذي كان معمراً وما ينقص من عمر الإنسان الذي هو وما ينقص من عمر الإنسان الذي هو بصدد أن يصل إليه، لولا ما سلكه من أسباب قصر العمر، كالزنا، وعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، ونحو ذلك بما ذكر أنها من أسباب قصر العمر.

والمعنى: أن طول العمر وقصره، بسبب وبغير سبب، كله بعلمه تعالى، وقد أثبت ذلك ﴿في كتاب﴾ حوى ما يجري على العبد، في جميع أوقاته وأيام حياته.

﴿إِن ذلك على الله يسير﴾ أي: إحاطة علمه بتلك المعلومات الكثيرة، وإحاطة كتابه فيها، فهذه ثلاثة أدلة من أدلة البعث والنشور، كلها عقلية، نبه الله عليها في هذه الآيات: إحياء الأرض بعد موتها، وأن الذي أحياها سيحيي الموتى، وتنقل الآدمي في تلك الأطوار.

فالذي أوجده ونقله، طبقاً بعد طبق، وحالاً بعد حال، حتى بلغ ما قدر له، فهو على إعادته وإنشائه النشأة الأخرى أقدر، وهو أهون عليه، وإحاطة علمه بجميع أجزاء العالم، الذي في القلوب، والأجنة التي في البطون، وزيادة الأعمال ونقصها، وإثبات ذلك كله في كتاب. فالذي كان هذا [نعته] (اليسرأ عليه، فإعادته للأموات أيسر وأيسر. فتبارك من كثر خيره، ونبه عباده على ما فيه صلاحهم، في معاشهم ومعادهم.

(١٢ - ١٤) ﴿ وَمَا يَسَتَوَيُ البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون \* يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر

الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربُّكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير \* إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا مأ استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولأينبئك مثل خبير﴾ هذا إخبار عن قدرته وحكمته ورحمته، أنه جعل البحرين لمصالح العالم الأرضى كلهم، وأنه لم يسوِّ بينهما، لأن الصلحة تقتضي أن تكون الأنهار عذبة فراتاً، سائغاً شرابها، لينتفع بها الشاربون والغارسون والزارعون، وأن يكون البحر ملحاً أجاجاً، لئلا يفسد الهواء المحيط بالأرض بروائح ما يموت في البحر من الحيوانات، ولأنه ساكن لا يجري، فملوحته تمنعه من التغير، ولتكون حيواناته أحسن وألذ، ولهذا قال: ﴿ومن كُل﴾ من البحر الملح والعذب ﴿تَأْكِلُونَ لَحْمَا طِرِياً﴾ وهو السمك المتيسر صيده في البحر، ﴿وتستخرجون حلية تلبسونها﴾ من لؤلؤ ومرجان وغيرهما، مما يوجد في البحر، فهذه مصالح عظيمة للعباد.

ومن المصالح أيضاً والمنافع في البحر، أن سخره الله تعالى يحمل الفلك من السفن والمراكب، فتراها يمخر البحر وتشقه، فتسلك من إقليم إلى إقليم آخر، ومن محل إلى محل، فتحمل السائرين وأثقالهم وتجاراتهم، فيحصل بذلك من فضل الله وإحسانه شيء كثير، ولهذا قال: ﴿ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾

ومن ذلك أيضاً، إيلاجه تعالى الليل بالنهار والنهار بالليل، يدخل هذا على هذا، وهذا على هذا، وهذا على ذهب الآخر، ويزيد أحدهما وينقص الآخر، ويتساويان، فيقوم بذلك ما يقوم من مصالح العباد في أبدانهم وحيواناتهم وأشجارهم وزروعهم.

وكذلك ما جعل الله في تسخير الشمس والقمر، الضياء والنور،

وَمَانَسَةًوى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۞ وَلَا ٱلظُّلُمُنتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۞ وَلَا الظِّلُّ وَلَا ٱلْحَـرُودُ ۞ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَـــَاتُهُ وَلَا ٱلْأَمُواتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسُعِمُ مَن يَشَكَّأُ وَمَاۤ أَنَّ بِمُسْمِعِمْ مَن فِ ٱلْقُبُورِ ۞ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۞ إِنَّا أَرْسَلَنَكَ بِٱلْحَوْرَ بَيْدِكِ وَنَذِيراً وَلَا مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّاخَكَ فِيهَا نَذِيرٌ ۞ وَلَا يُكَذِّ فُولَهُ فَقَدْ كَذَبَ الَّذِينَ مِن قَبِلِهِ مَرِجَاءَتُهُمْ رُمُسُلُهُ مِهَالْبَيْنَتِ وَبِالزُّيُرُ وَ إِلْكِنَا النَّهِ فِي ثُرَّا خَذْتُ الَّذِي كَنَامُوا فَكَيْفَ كَانَ مَكِيرِ ۞ أَلْرُتَرَاكَ أَمَّةَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّكَلَّهِ مَّآءُ فَأَخْرَجُنَا بِهِهِ ثَمَرُتِ تُخَلِّفًا ٱلْوَانْهَأَ وَمِنَ ٱلْجِبَالِجُدَّدُ بيضٌ وَحُتْرُ تُغْنَلِفُ أَلْوَنْهَا وَغَلِيبُ سُودٌ ۞ وَمِزَالْنَاسِ وَٱلدَّوَآتِ وَٱلْأَفْسُ مِغْنَلِفُ ٱلْوَنْمُكَ خَلِكٌ إِثَمَا يَغْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْمُلَنَّوُأُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزُغَ فُورُ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ المَّا يَسَّلُونَ كِتَبَ اللَّهِ وَأَقَ مُوا الصَّلَاةَ وَالْفَقُوا مِمَا رَزَقَتَهُمُ السَّالَاةِ وَأَنفَقُوا مِمَا رَزَقَتَهُمُ سِنَا وَعَلَائِكَ يَهُونَ يَعْلَوْ أَنْ تَبُورَ ۞ لِيُوَفِيكُمْ الْجُوزَهُمْ وَيَزِيدَهُم يِن فَضْ لِلْيُمْ إِنَّهُ بُعَ فُورٌ شَكُورٌ ٥ ACTERON TO SECURE

والحركة والسكون، وانتشار العباد في طلب فضله، وما فيهما من تنضيج الثمار وتجفيف ما يجفف<sup>(۲)</sup>، وغير ذلك مما هو من الضروريات، التي لو فقدت لَلَحِق الناس الضرر.

وقوله: ﴿ كُلِّ يجري لأجل مسمى ﴾ أي: كل من الشمس والقمر، يسيران في فلكهما ما شاء الله أن يسيرا، فإذا جاء الأجل، وقرب انقضاء الدنيا، انقطع سيرهما، وتعطل سلطانهما، وخسف القمر، وكورت الشمس، وانتثرت النجوم.

فلما بين تعالى ما بين من هذه المخلوقات العظيمة، وما فيها من العِبر الدالة على كماله وإحسانه، قال: ﴿ وَلَكُم اللهُ رِبْكُم لَه الْمُلْكُ ﴾ أي: الذي انسفرد بخلق هذه المذكورات وتسخيرها، هو الرب المألوه المعبود، الذي له الملك كله.

والذين تدعون من دونه من من دونه من الأوثان والأصنام ﴿ما يملكون من قطمير ﴾ أي: لا يملكون شيئاً، لا قليلاً ولا كثيراً، حتى ولا القطمير اللذي هو أحقر الأشياء، وهذا من تنصيص النفي وعمومه، فكيف يُذْعَوْن، وهم غير مالكين لشيء من ملك السماوات والأرض؟

<sup>(</sup>١) هنا جاءت كلمة (نعته) في الهامش ولم يتضح لي محلها بدقة والأقرب أنه هنا.

<sup>(</sup>٢) كذا في: ب، وفي أ: وتخفيف ما يخفف.

٥٥ يُولُونِطُلُ اللهِ ٢٥ **高温图制剂** وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَ ٓ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتِّبِ هُو ٱلْحَيِّ مُصَدِّمًا لَآتُ يَدَيْهُ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِسَادِهِ - لَخِيرٌ لِيَصِيرٌ ۞ ثُمَّ أَوْرَثْ ٱلْكِئْلَ ٱلَّذِيكَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِيًّا فَمْنَهُمْ ظَالًا لِيِّنْفُسِهِ وَمِنْهُم مُقْنَصِدٌ وَمِنْهُمُ سَابِقُ مُاكَفِيزَتِ بِإِذْ بِ لِللَّهُ ذَلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۞ جَنَّتُ عَدْن يَدْخُلُونَهَا يُحَافُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبَ وَلُوْلُؤَا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَدِيرٌ ۞وَقَالُواْ الْحَنْمُ لِلَّهِ الَّذِيَّ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَرَزُّ إِنَّ رَبِّنَا لَعَهُورٌ مُسَكُورٌ ۞ الَّذِي أَحَلَّنَ ا وَاللَّهُ الدِّلْقُامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمْشُ غَافِيهَا نَصَبُ وَلَا يَمَشُ غَافِيهَا لُغُوبُ ۞ وَالَّذِينَ هَنَـُرُواْ لَمَنْهُ وَأَرْجَهَـ لَمْ لَا يُقْضَى عَلَيْهِ هِرْفَيَهُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُ مِينْ عَذَابِهَأْ حَذَالِكَ بَحْنِي كُلَّ كَفُورِ ۞ وَهُرْ يَصْطَيِخُونَ فِيهَا رَبِّنَآ أَخْرِخْنَا نَعْمَلُ صَلِحًا غَمَّ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أُوْلَوْهُكِيْرُكُمْ مَّالِتَذَكَّرُفِيهِ مَن تَذَكَّرُ وَجَالَةً كُرُهُ ٱلنَّذِيرُ فَكَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّلِلِمِينَ مِن نَصِيرِ۞ إِنَّ ٱللَّهَ عَكِلِمُ غَيْبِ السَّكُونِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ إِنَّاتِ الصُّدُورِ ﴿ OLONOU IN EDROSO

ومسع هــذا ﴿إن تسدعــوهــم﴾ لا يسمعوكم لأنهم ما بين جماد وأموات وملائكة مشغولين بطاعة ربهم. ﴿ولو سمعوا ملى وجه الفرض والتقدير ﴿ما استجابوا لكم﴾ لأنهم لا يملكون شيئاً، ولا يرضى أكثرهم بعبادة من عبده، ولهذا قال: ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم ﴾ أي: يتبرؤون منكم، ويقولون: ﴿سبحانك أنت ولينا من دونهم .

﴿ولا ينبئك مِثْلُ خَبير﴾ أي: لا أحد ينبئك، أصدق من الله العليم الخبير ، فاجزم بأن هذا الأمر ، الذي نبأ به كأنه رأي عين، فلا تشك فيه ولا عتر. فتضمنت هذه الآيات، الأدلة والبراهين الساطعة، الدالة على أنه تعالى المألوه المعبود، الذي لا يستحق شيئاً من العبادة سواه، وأن عبادة ما سواه باطلة متعلقة بباطل، لا تفيد عابده

الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد \* إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد \* وما ذلك على الله بعزيز \* ولا تزر بولدها. وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكي فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير ﴾ يخاطب تعالى جميع الناس، ويخبرهم بحالهم

ووصفهم، وأنهم فقراء إلى الله من جميع الوجوه:

فقراء في إيجادهم، فلولا إيجاده إياهم، لم يوجدوا.

فقراء في إعدادهم بالقوى والأعضاء والجوارح، التي لولا إعداده إياهم [بها]، لما استعدواً لأي: عمل كان.

فقراء في إمدادهم بالأقوات والأرزاق والنعم الظاهرة والباطنة، فلولا فضله وإحسانه وتيسيره الأمور، لما حصل [لهم] من الرزق والنّعم شيء.

فقراء في صرف النقم عنهم، ودفع المكاره، وإزالة الكروب والشدائد. فلولا دفعه عنهم، وتفريجه لكرباتهم، وإزالته لعسرهم، لاستمرت عليهم المكاره والشدائد.

فقراء إليه في تربيتهم بأنواع التربية وأجناس التدبير .

فقراء إليه، في تألههم له، وحبهم له، وتعبدهم، وإخلاص العبادة له تعالى، فلولم يوفقهم لذلك لهلكوا، وفسدت أرواحهم وقلوبهم وأحوالهم.

فقراء إليه، في تعليمهم ما لا يعلمون، وعملهم بما يصلحهم، فلولا تعليمه لم يتعلموا، ولولا توفيقه لم يصلحوا.

فهم فقراء بالذات إليه، بكل معنى، وبكل اعتبار، سواء شعروا ببعض أنواع الفقر أم لم يشعروا، ولكن الموفق منهم، الذي لا يزال يشاهد فقره في كل حال من أمور دينه ودنياه، ويتضرع له، ويسأله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، وأن يعينه على جميع أموره، ﴿١٥ ـ ١٨﴾ ﴿ بِما أبها الناس أنتم ويستصحب هذا المعنى في كُل وقت، فهذا أحرى بالإعانة التامة من ربه وإلْهه، الذي هو أرحم به من الوالدة

﴿والله هو الغنى الحميد ﴾ أي: الذي له الغني التام من جميع الوجوه، فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه خلقه، ولا يفتقر إلى شيء مما يفتقر إليه الخلق، وذلك لكمال صفاته، وكونها كلها صفات كمال، ونعوت وجلال.

ومن غِناه تعالى، أن أغنى الخلق في الدنيا والآخرة، الحميد في ذاته، وأسمائه لأنها حسني، وأوصافه لكونها عُلبا، وأفعاله لأنها فضل وإحسان وعدل وحكمة ورحمة، وفي أوامره ونواهيه، فهو الحميد على ما فيه، وعلى ما منه، وهو الحميد في غناه [الغني في

﴿إِن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جليد ان الراد: إن يشا يذهبكم أيها الناس ويأت بغيركم من الناس، أطوع لله منكم، ويكون في هذا تهديد لهم بالهلاك والإبادة، وأن مشيئته غير قاصرة عن ذلك.

ويحتمل أن المراد بذلك، إثبات البعث والنشور، وأن مشيئة الله تعالى نافذة في كل شيء، وفي إعادتكم بعد موتكم خلقاً جديداً، ولكن لذلك الوقت أجل قدّره الله، لا يتقدم عنه ولا يتأخر .

﴿وما ذلك على الله بعزيز ﴾ أي: بممتنع، ولا معجز له.

ويدل على المعنى الأخير، ما ذكره بعده في قوله: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أي: في يوم القيامة كل أحد يجازى بعمله، ولا يحمل أحد ذنب أحد. ﴿وإن تدع مثقلة ﴾ أي: نفس مثقلة بالخطايا والذنوب، تستغيث بمن يحمل عنها بعض أوزارها ﴿لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربي ♦ فإنه لا يحمل عن قريب، فليست حال الآخرة بمنزلة حال الدنيا، يساعد الحميم حميمه، والصديق صديقه، بل يوم القيامة، يتمنى العبد أن يكون له حق على أحد، ولو على والديه وأقاربه.

﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة الهاي: هؤلاء الذين يقبلون النذارة وينتفعون بهاء أهل الخشية لله بالغيب، أي: الذين يخشونه في حال السر والعلانية، والمشهد والمغيب، وأهل إقامة الصلاة، بحدودها وشروطها وأركانها وواجباتها وخشوعها، لأن الخشية لله تستدعى من العبد العمل بما يخشى من تضييعه العقاب، والهرب مما يخشى من ارتكابه

العذاب، والصلاة تدعو إلى الخير، وتنهى عن الفحشاء والمنكر.

﴿ وَمَنْ تَرْكَى فَإِنَّما يَتَرَكَّى لَنفسه ﴾ أي: ومَنْ زكى نفسه بالتنقّي من العيوب، كالرياء والكبر، والكذب والغش، والمكر والخداع والنفاق، وتحلّ ونحو ذلك من الأخلاق الرذيلة، وتحلّ بالأخلاق الجميلة، من الصدق، والإخلاص، والستواضع، ولين الجانب، والنصح للعباد، وسلامة الصدر من الحقد والحسد وغيرهما من المقد والحسد وغيرهما من مساوىء الأخلاق، فإن تزكيته يعود نفعها إليه، ويصل مقصودها إليه، ليس يضيع من عمله شيء.

﴿وإلى الله المصير ﴾ في بجازي الخلائق على ما أسلفوه، ويحاسبهم على ما قدموه وعملوه، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

﴿١٩ ـ ٢٤﴾ ﴿وما يستوي الأعمى والبصير \* ولا الظلمات ولا النور \* ولا الظل ولا الحرور \* وما يستوى الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور \* إن أنت إلا نذير \* إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ يخبر تعالى أنه لا يتساوى الأضداد في حكمة الله، وفيما أودعه في فطر عباده، ﴿وما يستوى الأعمى ﴾ فاقد البصر ﴿والبصير \* ولا الظلمات ولا النور \* ولا الظل ولا الحرور \* وما يستوى الأحياء ولا الأموات) فكما أنه من المتقرر عندكم، الذي لا يقبل الشك، أن هذه المذكورات لا تتساوى، فكذلك فلتعلموا أن عدم تساوى المتضادات المعنوية أولى وأولى.

فلا يستوي المؤمن والكافر، ولا المهتدي والضال، ولا العالم والجاهل، ولا أصحاب النار، ولا أصحاب النار، ولا أحياء القلوب وأمواتها، فبين هذه الأشياء من التفاوت والفرق ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فإذا علمت المراتب، وميزت الأشياء، وبان الذي ينبغي أن يتنافس في تحصيله من ضده، فليختر الحازم لنفسه ما هو أولى به وأحقها بالإيثار.

﴿إِن الله يسمع مَن يشاء ﴾ سماع فهم وقبول، لأنه تعالى هو الهادي الموفق ﴿وما أنت بمسمع مَن في القبور ﴾ أي: أموات القلوب، أو كما أن دعاءك لا يفيد سكان القبور شيئاً، كذلك لا يفيد المعرض المعاند شيئاً، ولكن وظيفتك النذارة، وإبلاغ ما أرسلت به، قبل منك أم لا.

ولهذا قال: ﴿إِنْ أَنت إِلاَ نَذْير \* إِنَا أُرسِلناكُ بِالحَقِ اَي: مجرد إرسالنا إياكُ بِالحَق، لأنَّ الله تعالى بعثك على حين فترة من الرسل، وطموس من السبل، واندراس من العلم، وضرورة عظيمة إلى بعثتك، فبعثك الله رحمة للعالمين.

وكذلك ما بعثناك به من الدين القويم، والصراط المستقيم، حق لا باطل، وكذلك ما أرسلناك به، من هذا القرآن العظيم، وما اشتمل عليه من المذكر الحكيم، حق وصدق. فريشيراً له لمن أطاعك، بشواب الله العاجل والآجل، فونذيسراً له لن عصاك، بعقاب الله العاجل والآجل، ولست بدع من الرسل.

فما ﴿ مِن أُمدِّ ﴾ من الأمم الماضية والقرون الخالية ﴿ إِلاّ خلافيها نذير ﴾ يقيم عليهم حجة الله ﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويجيا من حي عن بينة ﴾ .

﴿٢٥ ـ ٢٦﴾ ﴿وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير \* ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ﴾ أى: وإن يكذبك أيها الرسول، هؤلاء المشركون، فلست أوّل رسول كُذّب، ﴿ فقد كذَّب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) الدالات على الحق، وعلى صدقهم فيما أخبروهم به، ﴿وبِالزُّبُر﴾ أي: الكتب المكتوبة، المجموع فيها كثير من الأحكام، ﴿والكتاب المنير ﴾ أي: المضيء في أخباره الصادقة، وأحكامه العادلة، فلم يكن تكذيبهم إياهم ناشئاً عن اشتباه، أو قصور بما جاءتهم به الرسل، بل بسبب ظلمهم وعنادهم.

﴿٢٦﴾ ﴿ثم أخذت الذين كفروا﴾

بأنواع العقوبات ﴿فكيف كان نكير﴾ عليهم؟ كان أشد النكير وأعظم التنكيل، فإياكم وتكذيب هذا الرسول الكريم، فيصيبكم كما أصاب أولئك، من العذاب الأليم والخزي الوخيم.

﴿٢٧ ـ ٢٧﴾ ﴿ألم تـر أن الله أنـرن من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات ختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحر مختلف ألوانها وغرابيب سود \* ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ﴾ يذكر تعالى خلقه للأشياء المتضادات، التي أصلها التفاوت والفرق ما هو مشاهد معروف، ليدل العباد على كمال قدرته وبديع حكمته.

فمن ذلك: أن الله تعالى أنزل من السماء ماء، فأخرج به من الثمرات المختلفات، والنباتات المتنوعات، ما هو مشاهد للناظرين، والماء واحد، والأرض واحدة.

ومن ذلك: الجبال التي جعلها الله أوتاداً للأرض، تجدها جبالاً مشتبكة، بل جبلاً واحداً، وفيها ألوان متعددة، فيها جدد بيض، أي: طرائق بيض، وفيها طرائق صفر وحر، وفيها غرابيب سود، أي: شديدة السواد جداً.

ومن ذلك: السناس والدواب والأنعام، فيها من اختلاف الألوان والأوصاف والأصوات والهيئات، ما هو مرثي بالأبصار، مشهود للنظار، والكل من أصل واحد ومادة واحدة.

فتفاوتها دليل عقلي على مشيئة الله تعالى، التي خصصت ما خصصت منها، بلونه، ووصفه، وقدرة الله تعالى حيث أوجدها كذلك، وحكمته ورحمته، حيث كان ذلك الاختلاف وذلك المتفاوت، فيه من المصالح والمنافع، ومعرفة الطرق، ومعرفة الناس بعضهم بعضاً، ما هو معلوم.

وذلك أيضاً، دليل على سعة علم الله تعالى، وأنه يبعث من في القبور، ولكن الغافل ينظر في هذه الأشياء وغيرها نظر غفلة لا تحدث له

التذكر، وإنما ينتفع بها مَنْ يخشى الله تعالى، ويعلم بفكره الصائب وجه الحكمة فيها.

ولهذا قال: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية ، وأوجبت له خشية الله ، الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء مَنْ يخشاه ، وهذا دليل على فضيلة العلم ، فإنه داع إلى خشية الله ، وأهل خشيته هم أهل كرامته ، كما قال تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ﴾ .

﴿إِن الله عزيز﴾ كامل العزة، ومن عزته خلق هذه المخلوقات المتضادات. ﴿غفور﴾ لذنوب التائين.

رد ۲۹ - ۲۹ ﴿ إِن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور \* ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور ﴾ ﴿ إِن الذين يتبعونه في يتلون كتاب الله ﴾ أي: يتبعونه في فوامره فيمتثلونها، وفي نواهيه فيتركونها، وفي أخباره فيصدقونها ويعتقدونها، ولا يقدمون عليه ما خالفه من الأقوال، ويتلون أيضاً ألفاظه، بدراسته، ومعانيه، بتتبعها واستخراجها.

ثم خص من التلاوة بعدما عم، الصلاة التي هي عماد الدين، ونور المسلمين، وميزان الإيمان، وعلامة صدق الإسلام، والنفقة على الأقارب والمساكين واليتامي وغيرهم، من الزكاة والكفارات والنفور والصدقات. 
﴿سرا وعلانية ﴾ في جميع الأوقات.

(مرحون البدلك) (تجارة لن تبدور البدلك) (تجارة لن تبدور البدلك) (تجارة لن تبدل وأعلاها وأفضلها، ألا وهي رضا ربهم، والفوز ببدزيل ثوابه، والنجاة من سخطه وعقابه، وهذا فيه أنهم يخلصون (١) بأعمالهم، وأنهم لا يرجون بها من المقاصد السيئة والنيات الفاسدة شيئاً.

وذكر أنهم حصل لهم ما رجوه فقال: ﴿ليوفيهم أجورهم﴾ أي: أجور أعمالهم، على حسب قلتها وكثرتها، وحسنها وعدمه، ﴿ويزيدهم من فضله﴾ زيادة عن أجورهم. ﴿إنه غفور شكور﴾ غفر لهم السيئات، وقبل منهم القليل من الحسنات.

﴿٣١ ـ ٣٥﴾ ﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير \* ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير \* جنات عدن يدخلونها يحلون فيسها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولياسهم فيها حرير \* وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور \* الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب للكور تعالى أن الكتاب الذي أوحاه إلى رسوله ﴿هو الحق﴾ من كثرة ما اشتمل عليه من الحق، كأن الحق منحصر فيه، فلا يكن في قلوبكم حرج منه، ولا تتبرموا منه، ولا تستهينوا به، فإذا كان هو الحق، لزم أن كل ما دل عليه من المسائل الإلهية والغيبية وغيرها، مطابق لما في الواقع، فلا يجوز أن يراد به ما يخالف ظاهره وما دل عليه.

﴿مُصَدُّقاً لما بين يديه ﴾ من الكتب والرسل، لأنها أخبرت به، فلما وجد وظهر، ظهر به صدقها، فهي بشرت به وأخبرت، وهو صَدَّقها، ولهذا لا يمكن أحد أن يؤمن بالكتب السابقة، وهو كافر بالقرآن أبداً، لأن كفره به ينقض إيمانه بها، لأن من جملة أخبارها الخبر عن القرآن. ولأن أخبارها مطابقة لأخبار القرآن.

﴿إِن الله بعبادهِ لخبيرٌ بصيرٌ فيعطي كل أمة وكل شخص، ما هو اللاثق بحاله. ومن ذلك، أن الشرائع السابقة لا تليق إلا بوقتها وزمانها،

ولهذا، ما زال الله يرسل الرسل رسول بعد رسول، حتى ختمهم بمحمد ﷺ، فجاء بهذا الشرع، الذي يصلح لمصالح الخلق إلى يوم القيامة، ويتكفل بما هو الخير في كل وقت.

ولهذا، لما كانت هذه الأمة أكمل الأمم عقولاً، وأحسنهم أفكاراً، وأرقهم أنفساً، اصطفاهم الله تعالى، واصطفى لهم دين الإسلام، وأورثهم الكتاب المهيمن على سائر الكتب، ولهذا قال: ﴿ثم عبادنا﴾ وهم هذه الأمة. ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ بالمعاصي، [التي] هي دون ما يجب عليه، تارك للمحرم. ﴿ومنهم سابق بالخيرات﴾ أي: سارع فيها واجتهد، فسبق غيره، وهو المؤدي والمحرم والمكروه.

فكلهم اصطفاه الله تعالى، لوراثة هذا الكتاب، وإن تفاوتت مراتبهم، وتميزت أحوالهم، فلكل منهم قسط من وراثته، حتى الظالم لنفسه، فإن ما الإيمان، وعلوم الإيمان، من وراثة الكتاب، لأن المراد بوراثة الكتاب، وراثة علمه وعمله، ودراسة ألفاظه، واستخراج معانيه.

وقوله: ﴿بإذن الله راجع إلى السابق بالخيرات، لئلا يغتر بعمله، بل ما سبق إلى الخيرات إلا بتوفيق الله تعالى ومعونته، فينبغي له أن يشتغل بشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه.

﴿ ذلك هو الفضل الكبير ﴾ أي: وراثة الكتاب الجليل لمن اصطفى تعالى من عباده و هو الفضل الكبير ، الذي جميع النّعَمَ بالنسبة إليه ، كالعدم ، فأجل النِعَم على الإطلاق ، وأكبر الفضل ، وراثة هذا الكتاب .

ثم ذكر جزاء الذين أورثهم كتابه فقال: ﴿جِنات عدنِ يدخلونها﴾ أي:

جنات مشتملات على الأشجار، والظل، والظليل، والحدائق الحسنة، والأنهار المتدفقة، والقصور العالية، والمنازل المزخرفة، في أبد لا يزول، وعيش لا ينفد.

والعدن «الإقامة» فجنات عدن أي: جنات إقامة، أضافها للإقامة، لأن الإقامة والخلود وصفها ووصف

﴿ يُحُلُونَ فيها من أساور من ذهب ﴾ وهو الحلي الذي يجعل في اليدين، على ما يجبون، ويرون أنه أحسن من غيره، الرجال والنساء في الحلية في الجنة سواء. ﴿ وَ لَا يَحُلُونُ فَيها ﴿ لُولُولُوا ﴾ ينظم في ثيابهم وأجسادهم. ﴿ ولباسهم فيها حرير﴾ من سندس،

ومن إستبرق أخضر.

﴿و﴾ لما تم نعيمهم، وكملت لذتهم ﴿قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وهذا يسمل كل حزن، فلا حزن يعرض لهم بسبب نقص في جمالهم، ولا في طعامهم وشرابهم، ولا في أجسادهم، ولا في دوام لبثهم، فهم في نعيم ما

يرون عليه مزيداً، وهو في تزايد أبد

﴿إِن رَبِنَا لَغَفُورَ ﴾ حيث غفر لنا الرلات ﴿ شَكُورُ ﴾ حيث قبل منا الحسنات وضاعفها، وأعطانا من فضله ما لم تبلغه أعمالنا ولا أمانينا، فبمغفرته نجوا من كل مكروه ومرهوب، وبشكره وفضله حصل لهم كل مرغوب عبوب.

﴿الَّذِي أُحلّنا ﴾ أي: أنزلنا نزول معبر حلول واستقرار ، لا نزول معبر واعتبار . ﴿دار المقامة ﴾ أي: الدار التي يرغب ندوم فيها الإقامة ، والدار التي يرغب في المقام فيها ، لكثرة خيراتها ، وتوالي مسراتها ، وزوال كدوراتها ، وذلك الإحلال ﴿من فضله ﴾ علينا وكرمه ، لا بأعمالنا ، فلولا فضله ، لما وصلنا إليه ، وصلنا إليه .

﴿لا يمسنا فيها نَصَبٌ ولا يمسنا

فيها لغوب﴾ أي: لا تعب في الأبدان ولا في القلب والقوى، ولا في كثرة التمتع، وهذا يدل على أن الله تعالى يجعل أبدانهم في نشأة كاملة، ويهيّى، لهم من أسباب الراحة على الدوام، ما يكونون بهذه الصفة، بحيث لا يمسهم نصب ولا لخوب، ولا هَم

ويدل على أنهم لا ينامون في الجنة، لأن النوم فائدته زوال التعب، وحصول الراحة به، وأهل الجنة بخلاف ذلك، ولأنه موت أصغر، وأهل الجنة لا يموتون، جعلنا الله منهم، بمنه وكرمه.

﴿٣٧ – ٣٧﴾ ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور \* وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فلوقوا فما للظالمين من نصير﴾ لا ذكر تعالى حال للظالمين من نصير﴾ لا ذكر تعالى حال أهل الجنة ونعيمهم، ذكر حال أهل النار وعذابهم فقال: ﴿والذين كفروا﴾ أي: جحدوا ما جاءتهم به رسلهم من الآيات، وأنكروا لقاء ربهم.

﴿لهم نار جَهنم ﴾ يعذبون فيها أشد العذاب، وأبلغ العقاب. ﴿لا يقضى عمليهم ﴾ بالموت ﴿فيموتوا ﴾ فيستريحوا، ﴿ولا يخفف عنهم من عذابها ﴾ فشدة العذاب وعظمه، مستمر عليهم في جميع الآنات واللحظات.

﴿كذلك نجزي كل كفور \* وهم يصطرخون فيها ﴾ أي: يصرخون ويتصايحون ويستغيثون ويقولون: ﴿ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل ﴾ فاعترفوا بذنبهم، وعرفوا أن الله عدل فيهم، ولكن سألوا الرجعة في غير وقتها، فيقال لهم: ﴿أُولُم نعمر كُم ما ﴾ أي: دهراً وعمراً ﴿يتمكن فيه مَنْ تذكّر ﴾ أي: يتمكن فيه مَنْ أراد التذكر من العمل، متعناكم في

الدنيا، وأدررنا عليكم الأرزاق، وقيضنا لكم أسباب الراحة، ومددنا(`` لكم في العمر، وتابعنا عليكم الآيات، وأوصلنا إليكم النذر، وابتليناكم بالسراء والضراء، لتنيبوا إلينا وترجعوا إلينا، فلم ينجع فيكم إنذار، ولم تفد فيكم موعظة، وأخرنا عنكم العقوبة، حتى إذا انقضت آجالكم وتمت أعماركم، ورحلتم عن دار الإمكان بأشر الحالات، ووصلتم إلى هذه الدار دار الجزاء على الأعمال، سألتم الرجعة؟ هيهات هيهات، فات وقت الإمكان، وغضب عليكم الرحيم الرحمن، واشتد عليكم عذاب النار، ونسيكم أهل الجنة، فامكثوا فيها خالدين مخلدين، وفي العذاب مهانين، ولهذا قال: ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلْظَالِمِينِ مِنْ نصير﴾ ينصرهم فيخرجهم منها، أو يخفف عنهم من عذابها.

﴿٣٨﴾ ﴿إن الله عالم غييب السماوات والأرض إنه عليم بذات الصدور﴾ لما ذكر تعالى جزاء أهل الدارين، وذكر أعمال الفريقين، أخبر تعالى عن سعة علمه تعالى، واطلاعه على غيب السماوات والأرض، التي غابت عن أبصار الخلق وعن علمهم، وأنه عالم بالسرائر، وما تنطوي عليه الصدور من الخير والشر والزكاء وغيره، فيعطي كلا ما يستحقه، وينزل كل أحد منزلته.

(٣٩) ﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً غبر تعالى عن كمال حكمته ورحمته بعباده، أنه قدر بقضائه السابق، أن يجعل بعضهم يخلف بعضاً في الأرض، يجعل بعضهم يخلف من الأمم النذر، فينظر كيف يعملون، فمَن كفر بالله وبما جاءت به رسله، فإن كفره عليه، وعليه إثمه وعقوبته، ولا يحمل عنه أحد، ولا يزداد الكافر بكفره إلا مقت ربه له وبغضه إياه، وأي: عقوبة أعظم ربه له وبغضه إياه، وأي: عقوبة أعظم

من مقت الرب الكريم؟!

﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً﴾ أي: يخسرون أنفسهم وأهليهم وأعمالهم ومنازلهم في الجنة، فالكافر لا يزال في زيادة من الشقاء والخسران، والخزي عند الله وعند خلقه والحرمان.

﴿٤٠﴾ ﴿قبل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا عروراً ويقول تعالى مُعجِّزاً لآلهة المشركين، ومبيناً نقصها، وبطلان شركهم من جميع الوجوه.

﴿ قَلَ ﴾ يا أيها الرسول لهم: ﴿ أَرَايِتُم ﴾ أي: أخبروني عن شركائكم ﴿ اللّهِن تلاحون من دون الله ﴾ هل هم مستحقون لللاعاء والعبادة، ف ﴿ أُروني ماذا خلقوا [من الأرض ﴾ هل خلقوا بجالا أو خلقوا جبالا أو خلقوا جاداً؟ هو الله تعالى، أم لشركائكم شركة هو الله تعالى، أم لشركائكم شركة في السماوات ﴾ في خلقها وتدبيرها؟ سيقولون: ليس لهم شركة.

فإذا لم يخلقوا شيئاً، ولم يشاركوا الخالق في خلقه، فلِمَ عبدتموهم ودعوتموهم مع إقراركم بعجزهم؟ فانتفى الدليل العقلي على صحة عبادتهم، ودلَّ على بطلانها.

ثم ذكر الدليل السمعي، وأنه أيضاً منتف، فلهذا قال: ﴿أَم اتيناهم كتاباً﴾ يتكلم بما كانوا به يشركون، يأمرهم بالشرك وعبادة الأوثان. ﴿فهم﴾ في شركهم ﴿على بينةٍ﴾ من ذلك الكتاب الذي نزل عليهم في صحة الشرك؟

ليس الأمر كذلك؟ فإنهم ما نزل عليهم كانزل عليهم كتاب قبل القرآن، ولا جاءهم نذير قبل رسول الله محمد رسول قدر نزول كتاب إليهم، وإرسال رسول إليهم، وزعموا أنه أمرهم بشركهم، فإنا نجزم بكذبهم، لأن الله قال: ﴿ وَمَا أُرسُولَ مِنْ رَسُولُ إِلاَ

نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون فالرسل والكتب، كلها متفقة على الأمر بإخلاص الدين لله تعالى، ﴿وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين لـه الـديـن حنفاء ﴾.

فإن قيل: إذا كان الدليل العقلي والنقلي قد دلاً على بطلان الشرك، فما الذي حمل المشركين على الشرك، وفيهم ذور العقول والذكاء والفطنة؟

أجاب تعالى بقوله: ﴿بِلِ إِن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً﴾ أي: ذلك الذي مشوا عليه، ليس لهم فيه حجة، فإنما ذلك توصية بعضهم لبعض به، وتزيين بعضهم لبعض، مناها الشيطان، وزين لهم [سوء] أعمالهم، فنشأت في قلوبهم، وصارت صفة من صفاتها، فعسر زوالها، وتعسر انفصالها، فحصل من الإقامة على الكفر والشرك الباطل المضمحل.

﴿٤١﴾ ﴿إِن الله يمسك السماوات والأرض أن ترولا ولئن زالت إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً ﴾ يخبر تعالى عن كمال قدرته، وتمام رحمته، وسعة حلمه والأرض عن الزوال، فإنهما لو زالتا ما أحسكهما أحد من الخلق، ولعجزت قدرهم وقواهم عنهما.

ولكنه تعالى، قضى أن يكونا كما وجدا، ليحصل للخلق القرار، والنفع والاعتبار، وليعلموا من عظيم سلطانه وقوة قدرته، ما به تمتلىء قلوبهم له إجلالاً وتعظيماً، ومحبة وتكريماً، وليعلموا كمال حلمه ومغفرته، بإمهال المذنين، وعدم معاجلته للعاصين، مع أنه لو أمر السماء لحصبتهم، ولو أذن للأرض لابتلعتهم، ولكن وسعتهم مغفرته، وحلمه، وكرمه ﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾

﴿٤٢ ــ ٤٣﴾ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما

زادهم إلا نفوراً \* استكباراً في الأرض ومكر السيى، ولا يحيق المكر السيى، إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً أي: وأقسم هؤلاء، الذين كذبوك يا رسول الله، قسماً اجتهدوا فيه بالأيمان الغليظة: ﴿لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم أي: أهدى من اليهود والنصارى [أهل الكتب]، فلم يفوا بتلك الإقسامات والعهود.

﴿فلما جاءهم نذير﴾ لم يهتدوا، ولم يصيروا أهدى من إحدى الأمم، بل لم يدوموا على ضلالهم الذي كان، بل ﴿ما زادهم﴾ ذلك ﴿إِلاَ نَفُوراً﴾ زيادة ضلال وبغي وعناد.

وليس إقسامهم المذكور، لقصد حسن، وطلب للحق، وإلا لوفقوا له، ولكنه صادر عن استكبار في الأرض على الخلق وعلى الحق، وبهرجة في كلامهم هذا، يريدون به المكر والخداع، وأنهم أهل الحق، الحريصون على طلبه، فيغتر به المغترون، ويمشي خلفهم المقتدون.

ولا يحيق المكر السيّى، الذي مقصوده مقصود سيّى، ومآله وما يرمي إليه سيّى، باطل ﴿إلاّ بأهله ﴾ فمكرهم إنما يعود عليهم، وقد أبان الله لعباده في هذه المقالات وتلك الإقسامات، أنهم كذبة في ذلك مزورون، فاستبان خزيهم، وظهرت فضيحتهم، وتبين قصدهم السيى، فعاد مكرهم في نحورهم، ورد الله كيدهم في صدورهم.

فلم يبق لهم إلا انتظار ما يحل بهم من العذاب، الذي هو سُنة الله في الأولين، التي لا تبدل ولا تغير، أن كل مَنْ سار في الظلم والعناد والاستكبار على العباد، أن يحل به نقمته، وتسلب عنه نعمته، فَلَيْتَرَقَّبْ هؤلاء، ما فعل بأولئك.

﴿ ٤٤ \_ ٥٤ ﴾ ﴿أولم يسسيسروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا

LA LANGE TO LANGE MENT OF THE PARTY OF THE P هُوَالَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَتِفَ فِي ٱلْأَرْضِ فَنَكَ عَرَفَعَلَيْهِ كُفُّرُ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكُلْفِينَ كُفُرُهُمْ عِندَرَتِهِمْ إِلَّامَقْنَأُ وَلَا يَنِيدُ ٱلْكَفِينَ كُفُرُهُمْ إِلَّاحْسَازًا ۞ قُلْ أَرَة يَتُمْر شُرَكَآ الْمُوالَّذِينَ مَّدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا حَكَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَمُنْ شِرْكُ فِ ٱلسَّكَوَاتِ أَمْءَ النَّيْنَاهُمُ كِنَابًا فَهُمْ عَلَى بَيْنَتِ مِنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّاعُمُ وَرَاكِ \* إِنَّ ٱللَّهَ يُحْسِكُ ٱلسَّكَوْتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَنزُولَا وَلَين زَالْتَاۤ إِنْ أَمْسَكُهُ عَامِنْ أَحَدِمِنْ بَعْدِهِ أَلِهُ كَانَ حَلِيمًا عَفُورًا ۞ وَأَقْمَعُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْنَيْهِمُ لَيِنجَآءَهُمُ نَذِيرٌ لِيَكُونَنَّ أَهُدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمْمَ فَلَمَّا جَآءَ هُرْنَذِرُ مَّازَادَهُمُ إِلَّانَفُورًا۞ ٱسْيَكْبَارًافِٱلْأَرْضِوَمَّكُرُ ٱلسَّيِّيُّ وَلَا يَحِقُ ٱلْكُرُّ ٱلسِّيئُ إِلَّا بِأَهْلِيدِ فَهَلْ يَظُرُونَ إِلَّاسُنَّتَ ٱلْأَوْلِينَ فَلَن يَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبَّدِ يلَا ۖ وَلَن يَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَعْوِيلًا

الله عن شَيْء في السَّمَوَتِ وَلَافِي ٱلْأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ عَلِيمًا قَدِيرًا ٥ OZEROZ III ERREDI

أَوْلَمْ يَسِيرُواْ فِ ٱلأَرْضِ فَنَظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَلِقِهُ ٱلَّذِينَ

مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةٌ وَمَاكَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَمُ

الصراط المستقيم، مشتمل على أعمال، وهي الأعمال الصالحة، المصلحة للقلب والبدن، والدنيا والآخرة، والأخلاق الفاضلة، المزكية للنفس، المطهرة للقلب، المنمية للأجر، فهذا الصراط المستقيم، الذي هو وصف الرسول ﷺ، ووصف دينه الذي جاء به، فتأمل جلالة هذا القرآن الكريم، كيف جمع بين القسم بأشرف الأقسام، على أجلُّ مقسم عليهُ، وخبر الله وحده كاف، ولكنه تعالى أقام من الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة في هذا الموضع على صحة ما أقسم عليه، من رسالة رسوله ما نبهنا عليه ، وأشرنا إشارة لطيفة لسلوك طريقه، وهذا الصراط المستقيم وتنزيل العزيز الرحيم الذي أنزل به كتابه، وأنزله طريقاً لعباده، موصلاً لهم إليه، فحماه بعزته عن التغيير والتبديل، ورحم به عباده رحمة اتصلت بهم، حتى أوصلتهم إلى دار رحمته، ولهذا ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين: العزيز الرحيم.

فلما أقسم تعالى على رسالته وأقام الأدلة عليها، ذكر شدة الحاجة إليها واقتضاء الضرورة لها فقال: ﴿لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون، وهم العرب الأميون، الذين لم يزالوا خالين بين أيديهم سدأ ومن خلفهم سدأ فأغشيناهم فهم لا يبصرون \* وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تخذرهم لا يؤمنون \* إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم \* إنا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين الله هذا قسم من الله تعالى بالقرآن الحكيم، الذي وصفه الحكمة، وهي وضع كُل شيء موضعه، وضع الأمر والنهي في الموضع(٢) اللائق بهما، ووضع الجزاء بالخير والشرفي محلهما اللائق بهما، فأحكامه الشرعية والجزائية كلها مشتملة على غاية الحكمة.

ومن حكمة هذا القرآن، أنه يجمع بين ذكر الحكم وحكمته، فينبه العقول على المناسبات والأوصاف المقتضية ثم ذكر تعالى كمال حلمه، وشدة لترتيب الحكم عليها:

﴿إنك لمن المرسلين ﴾ هذا المقسم عليه، وهو رسالة محمد ﷺ، وإنك من جملة المرسلين، فلست ببدع من الرسل، وأيضاً فجئت بما جاء به الرسل من الأصول الدينية، وأيضاً فمن تأمل أحوال(٢) المرسلين وأوصافهم، وعرف الفرق بينهم وبين غيرهم، عرف أنك من خيار المرسلين، بما فيك من الصفات الكاملة، والأخلاق الفاضلة.

ولا يخفى ما بين المقسم به، وهو القرآن الحكيم، وبين المقسم عليه، [وهو] رسالة الرسول محمد ﷺ، من الاتصال، وأنه لولم يكن لرسالته دليل ولا شاهد إلا هذا القرآن الحكيم، لكفي به دليلاً وشاهداً على رسالة محمد ﷺ، بل القرآن العظيم أقوى الأدلة المتصلة المستمرة على رسالة الرسول، فأدلة القرآن كلها أدلة لرسالة

ثم أخبر بأعظم أوصاف الرسول ﷺ، الدالة على رسالته، وهو أنه ﴿على صراط مستقيم ﴾ معتدل، موصل إلى الله وإلى دار كرامته، وذلك في الأرض إنه كان عليماً قديراً \* ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً ﴾ يحض تعالى على السير في الأرض، في القلوب والأبدان، للاعتبار، لا لمجرد النظر والغفلة، وأن ينظروا إلى عاقبة الذين من قبلهم ممن كذبوا الرسل، وكانوا أكثر منهم أموالاً وأولاداً وأشد قوة، وعمرواً الأرض(١١) أكثر مما عمرها هؤلاء، فلما جاءهم العذاب، لم تنفعهم قوتهم، ولم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً، ونفذت فيهم قدرة الله

﴿وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض لكمال علمه وقدرته ﴿إنه كَانَ عليماً قديراً ﴾

إمساليه وإنبظاره أربياب الجرائب والذنوب، فقال: ﴿ولويؤاخذ اللهُ الناس بما كسبوا له من الذنوب ﴿ما ترك على ظهرها من دابة > أي: لاستوعبت العقوبة ، حتى الحيوانات غير المكلفة.

﴿ولكن المهلهم تعالى ولا يهملهم و ﴿يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كانَ بعباده بصيراً ﴾ فيجازيهم بحسب ما علمه منهم، من خير وشر.

> تم تفسير سورة فاطر، والحمد لله رب العالمين

### تفسير سورة يس وهي مكية

﴿١٢١﴾ ﴿ بسم الله السرحسن الرحيم يس \* والقرآن الحكيم \* إنك لمن المرسلين \* على صراط مستقيم \* تنزيل العزيز الرحيم \* لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون \* لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون \* إنا جعلنا في أعناتهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون \* وجعلنا من

كذا في ب، وفي أ: وعمروها.

وَلَوْيُوا حِنْ الْمَالِكَ اللهِ عَالَيْهِ عَلَيْهُ الْمَالِكَ اللهِ عَلَيْهُ اللهِ عَلَيْهُ اللهِ عَلَيْهُ اللهِ عَلَيْهُ اللهِ عَلَيْهُ اللهِ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَ

TONOTON " PORTEON

CA CAREN CANDILLA RE

من الكتب، عادمين الرسل، قد عمتهم الجهالة، وغمرتهم الضلالة، وأضحكوا عليهم وعلى سفههم عقول العالمين، فأرسل الله إليهم رسولاً من أنفسهم، يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، فينذر العرب الأميين، ومَنْ لحق بهم من كل أمى، ويذكُّر أهل الكتب بما عندهم من الكتب، فنعمة الله به على العرب خصوصاً، وعلى غيرهم عموماً. ولكن هؤلاء الذين بعثت فيهم لإنذارهم بعدما أنذرتهم، انقسموا قسمين: قسم رد لما جئت به، ولم يقبل النذارة، وهم الذين قال الله فيهم ﴿لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ﴿ أَي: نَفَدُ فيهم القضاء والمشيئة، أنهم لا يزالون في كفرهم وشركهم، وإنما حق عليهم القول بعدأن عُرض عليهم الحق فرفضوه، فحينتذ عوقبوا بالطبع على

رؤوسهم إلى فوق، ﴿فهم مقمحُون﴾ أي: رافعو رؤوسهم من شدة الغِل الذي في أعناقهم، فلا يستطيعون أن يخفضوها.

﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً ﴾ أي: حاجزا يحجزهم عن الإيمان، ﴿فهم لا يبصرون ﴾ قد غمرهم الجهل والشقاء من جميع جوانبهم، فلم تفد فيهم النذارة. ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم قلب، ورأى الحق باطلاً والباطل حقاً؟! والقسم الثاني: الذين قبلوا النذارة، وقد ذكرهم بقوله: ﴿إنما تنذر ﴾ أي:

وقد دورهم بقوله. وإنما تندره اي. انما تنفع نذارتك، ويتعظ بنصحك ومن اتبع الذكر [أي:] مَنْ قصده اتباع الحق وما ذكر به، ووخشي الرحمن بالغيب أي: مَنْ اتصف بهذين الأمرين، القصد الحسن في طلب الحق، وخشية الله تعالى، فهم الذين ينتفعون برسالتك، ويزكون بتعليمك، وهذا الذي وفق لهذين الأمرين وفيشره بمغفرة لذنوبه، وأجر كريم لاعماله الصالحة، وينته الحسنة.

﴿إِنَّا نَحِن نَحِينِي المُوتِي﴾ أي: نبعثهم بعد موتهم لنجازيهم على الأعمال، ﴿ونكتب ما قدموا ﴾ من الخير والشر، وهو أعمالهم التي عملوها وباشروها في حال حياتهم، ﴿وآثارهم وهي آثار الخير وآثار الشر، التي كانوا هم السبب في إيجادها في حال حياتهم وبعد وفاتهم، وتلك الأعمال التي نشأت من أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، فكل خير عمل به أحد من الناس، بسبب علم العبد وتعليمه ونصحه، أو أمره بالمعروف، أو نهيه عن المنكر، أو علم أودعه عند المتعلمين، أو في كتب ينتفع بها في حياته وبعد موته، أو عمل خيراً، من صلاة أو زكاة أو صدقة أو إحسان، فاقتدى به غيره، أو عمل مسجداً، أو محلاً من المحال التي يرتفق بها الناس،

وما أشبه ذلك، فإنها من آثاره التي تكتب له، وكذلك عمل الشر.

ولهذا: «مَنْ سنَّ سُنة حسنة فله أجرها وأجرُ مَنْ عمل بها إلى يوم القيامة، ومَنْ سنَّ سُنة سيئة فعليه وزرها ووزر مَنْ عمل بها إلى يوم القامة».

وهذا الموضع، يبين لك علو مرتبة الدعوة إلى الله والهداية إلى سبيله بكل وسيلة وطريق موصل إلى ذلك، ونزول درجة الداعي إلى الشر الإمام فيه، وأنه أسفل الخليقة، وأشدهم جرماً، وأعظمهم إثماً.

وكل شيء من الأعمال والنيات وغيرها وأحصيناه في إمام مبين أي: كتاب هو أم الكتب وإليه مرجع الكتب، التي تكون بأيدي الملائكة، وهو اللوح المحفوظ.

(۱۳ - ۳۰ ﴿ واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ﴾ إلى آخر القصة. أي: واضرب لهؤلاء المكذبين برسالتك، الرادين لدعوتك، مثلاً يعتبرون به، ويكون لهم موعظة إن وفقوا للخير، وذلك المثل: أصحاب القرية، وما جرى منهم من التكذيب لرسل الله، وما جرى عليهم من عقوبته ونكاله.

وتعيين تلك القرية، لو كان فيه فائدة، لعينها الله، فالتعرض لذلك وما أشبهه من باب التكلف والتكلم بلا علم، ولهذا إذا تكلم أحد في مثل هذا تجد عنده من الخبط والخلط والاختلاف الذي لا يستقر له قرار، ما الوقوف مع الحقائق، وترك التعرض لما لا فائدة فيه، وبذلك تزكو النفس، لا فائدة بذكر الأقوال التي لا دليل زيادته بذكر الأقوال التي لا دليل عليها، ولا حجة عليها ولا يحصل منها من الفائدة إلا تشويش الذهن واعتياد الأمور المشكوك فيها.

والشاهد أن هذه القرية جعلها الله مشلاً للمخاطبين. ﴿إِذْ جِاءُهَا

(1)

وَاسْرِن هَدُم مَنْلا أَصْحَب الْقَرْنِية إِنْهَا مَه مَا الْرُسَاوُن ﴿ وَاسْرِن هَدُم مَنْلا أَصْحَب الْقَرْنِية إِنْهَا مَا الْمُرْسَاوُن ﴿ وَمَا أَوْلَ الْوَجْنُ مِن مَنْ وَإِنْ أَسْمُ اللَّه كَذِيونَ ﴿ وَمَا عَلَىٰ الْمِنْلِيةِ مِنْ الْمُونَ ﴾ وَمَا عَلَىٰ الْمِنْلِيةِ مِنْ الْمُونِ ﴾ وَمَا عَلَىٰ الْمَالِيةِ اللَّه اللَّهُ اللَّهُ اللَّه اللَّه اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّه اللَّهُ ا

يستحق أن يُعبد، ويثنى عليه ويمجد، دون مَنْ لا يملك نفعاً ولا ضراً، ولا عطاءً ولا حمياةً ولا عطاءً ولا منعاً، ولا حياةً ولا موتاً ولا نشوراً، ولهذا قال: ﴿ أَأْتَخَذُ مِن لِلْحِن بِضِرُ مِن دونه آلهة إِن يُرِدْنِ الرحمن بضرً لا تخزِ عني شفاعتهم ﴾ لأنه لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه، فلا تغني يشفاعتهم عني شيئاً، ولا هم ينقذون من الضر الذي أراده الله بي.

إِ يِرَيْكُمْ فَأَسْمَعُونِ ۞ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجُنَّةُ قَالَ يَكَيْتَ فَوْمِي

OZUMBY III KANDEON

يَمْ لَمُونَ ۞ يَمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُصَّرَّمِينَ۞

فرقيل له في الحال: (ادخل فرقيل) له في الحال: (ادخل الجنة) فقال مجبراً بما وصل إليه من الكرامة على توحيده وإخلاصه، وناصحاً لقومه بعد وفاته، كما نصح لهم في حياته: (يا ليت قومي يعلمون \* بما غفر لي ربي أي: بأي: شيء غفر لي، فأزال عني أنواع العقوبات، (وجعلني من المكرمين)

لنرجمنكم أي: نقتلنكم رجماً بالحجارة أشنع القتلات ﴿وليمسنكم منّا عذاب أليم ﴾

فقالت لهم رسلهم: ﴿طائركم معكم﴾ وهو ما معهم من الشرك والشر، المقتضي لوقوع المكروه والنقمة، وارتفاع المحبوب والنعمة. ﴿أَإِن ذَكرتم﴾ أي: بسبب أنّا ذكرناكم ما فيه صلاحكم وحظكم، قلتم لنا ما قلتم. ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ متجاوزون للحد، متجرهمون في قولكم، فلم يزدهم [دعاؤهم] إلا نفوراً واستكباراً.

وجاء من أقصى المدينة رجلٌ يسعى حرصاً على نصح قومه حين سمع ما دعت إليه الرسل وآمن به، وعلم مارد به قومه عليهم، فقال [لهم]: ويا قوم اتبعوا المرسلين فأمرهم باتباعهم ونصحهم على ذلك، وشهد لهم بالرسالة، ثم ذكر تأييداً لما شهد به ودعا إليه، فقال: واتبعوا مَن نصحكم نصحاً يعود إليكم بالخير، نصحكم نصحاً يعود إليكم بالخير، وليس [يريد منكم أموالكم ولا أجراً على نصحه لكم وإرشاده إياكم، فهذا موجب لاتباع من هذا وصفه.

بقي] أن يقال: فلعله يدعو ولا يأخذ أجرة، ولكنه ليس على الحق، فدفع هذا الاحتراز بقوله: ﴿وهم مهتدون﴾ لأنهم لا يدعون إلا لما يشهد العقل الصحيح بحسنه، ولا ينهون إلا بما يشهد العقل الصحيح بقبحه.

فكأن قومه لم يقبلوا نصحه، بل عادوا لائمين له على اتباع الرسل، وإخلاص الدين لله وحده، فقال: ﴿ ومالى لا أعبد الذي فطرني وإليه مَن هو المستحق للعبادة، لأنه الذي فطرني، وخلقني ورزقني، وإليه مآل جميع الخلق، فيجازيهم بأعمالهم، فالذي بيده الخلق والرزق، والحكم بين العباد، في الدنيا والآخرة، هو الذي الديا

المرسلون من الله تعالى يأمرونهم بعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، وينهونهم عن الشرك والمعاصى.

﴿إِذَ أَرسلنا إليهم اثنين فَكلبوهما فعززنا بثالث أي: قويناهما بثالث فصاروا ثلاثة رسل ، اعتناء من الله بهم ، وإقامة للحجة بتوالي الرسل إليهم ، ﴿فقالوا ﴾ لهم : ﴿إِنّا إليكم مرسلون ﴾ فأجابوهم بالجواب الذي ما في ﴿قالوا ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا ﴾ أي: فما الذي فضلكم علينا وخصكم من دوننا؟ قالت الرسل لأعهم : ﴿إِن نحن دوننا؟ قالت الرسل لأعهم : ﴿إِن نحن الله يمنُ على مَن يباده ﴾ .

﴿وما أنزل الرحمن من شيء﴾ أي: أنكروا عموم الرسالة، ثم أنكروا أيضاً المخاطبين لهم، فقالوا: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تكذبون﴾

فقالت هؤلاء الرسل الثلاثة: ﴿رَبِنَا يعلم إِنَّا إليكم لمرسلون﴾ فلوكنا كاذبين، لأظهر الله(١) خزينا، ولبادرنا بالعقوبة.

وُوما علينا إلا البلاغ المبين أي: البلاغ المبين أي: البلاغ المبين الذي يحصل به توضيح آيات الاقتراح، ومن سرعة العذاب، فليس إلينا، وإنما وظيفتنا - التي هي البلاغ المبين - قمنا بها، وبيناها لكم، فإن اهتديتم، فهو حظكم وتوفيقكم، وإن ضللتم، فليس لنا من الأمر شيء. فقال أصحاب القرية لرسلهم: ﴿إِنَّا فَقَالَ أَصِحابِ القرية لرسلهم: ﴿إِنَّا فَيَالُونَ الْمُعْلَى الْعَبْ الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْعَلَى الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَى الْعَلَيْمِ الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَيْمِ الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَيْمِ الْعَلَى الْعَلَيْمِ الْعَلَى الْعَلَيْمِ الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَى الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمُ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَى الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَى الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعِلْمِ الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَيْمِ الْعَلَى الْعَلَى الْعِلْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَى الْعِلَى الْعَلَى الْعَلَيْمِ الْعَلَى الْعِلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَ

تطيرنا بكم أي: لم نر على قدومكم علينا واتصالكم بنا إلا الشر، وهذا من أعجب العجائب، أن يجعل من قدم عليهم بأجل نعمة يُنعم الله بها على العباد، وأجل كرامة يكرمهم بها، وضرورتهم إليها فوق كل ضرورة، قد قدم بحالة شر، زادت على الشر الذي هم عليه، واستشأموا بها، ولكن الخذلان وعدم التوفيق، يصنع بصاحبه أعظم عما(٢) يصنع به عبوه.

ثم توعدوهم فقالوا: ﴿ لَئِن لَم تُنتهوا

كذا في ب، وفي أ: لظهر خزينا. (٢) كذا في ب، وفي أ: ما.

LA LANGER وَمَاۤ أَنْزَلْنَاعَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندِمِنَ ٱلسَّكَلَةِ وَمَاكُنَّامُنِيلِينَ۞ إِنكَانَتْ إِلَّاصَيْحَةً وَبِيدَةً فَإِنَاهُرُ خَيِهُ وَنَ ۞ يَلْحَسْرَةً عَلَى ٱلْمِسَادُ مَا يَأْنِيهِ مِقِن زَسُولِ إِلَّا كَانُواْبِهِ يَسْتَهَيْءُونَ ۞ ٱلْرَيْرَوْاُكُرُ أَهْلَكَ نَاجَلَهُ مِنَ ٱلْقُرُونِ أَنَهُمُ إِلَيْهِمُ لِاَيْزَحِمُونَ ۞ وَإِن كُلُّ أَلَّاجِيمٌ لْدَيْنَا تَحْصَرُونَ ۞ وَءَائِهُ لَمُمُ ٱلأَرْضُ ٱلْيَنَةُ أَخِينَنَهَا وَأَخْرَجْنَامِنْهَا حَبَّا فِينَهُ يَأْكُلُونَ ۞ وَجَعَلْنَافِيهَا جَنَّتِ مِن يَخِيلٍ وَأَعْنَبُ وَخَتَرَافِهَامِ الْمُيُونِ الْمُأْكُونِ لِلْكُلُوا مِن مُمَرِهِ وَمَا عَمِلَتُهُ أَيْدِيهِمُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَجَ كُلِّهَا مِمَّا تُنْكِيتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُرِهِمْ وَمِمَّا لَايَعًا لَمُونَ ۞ وَمَانِيَةً لِمُّكِّرًا لِيُّلِّ لَنَسْلَمُ مِنْهُ ٱلنِّهَارُ فَإِذَاهُم مُثَطَّلِمُونِ ۞ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسَّيَّقَ رِلَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَرَيزِ ٱلْعَكِيمِ ۞ وَٱلْفَتَمْرَ فَذَرْنَاهُ مَنَازِلَحَقَّ عَادَكَ ٱلْمُرْجُونِ ٱلْفَكِيرِ ۞ لَا ٱلشَّمْدُرِينَاتِي لَمَكَ ٱلْنَ وَيُمْ اللَّهُ الْمُتَمَّرُولَا الَّيْلُ سَايِقُ النَّهَارُّ وَكُلُّ فِي فَلَكِ يَسْبَحُونَ ٢ ACTOMORINE CONTROL OF

بأنواع المثوبات والمسرّات، أي: لو وصل علم ذلك إلى قلوبهم، لم يقيموا على شركهم.

قال الله في عقوبة قومه: ﴿ وما أنزلنا على قومة] من بعده من جند من السماء﴾ أي: ما احتجنا أن نتكلف في عقوبتهم، فننزل جنداً من السماء لإتلافهم، ﴿وما كُنَّا مُنزلين﴾ لعدم الحاجة إلى ذلك، وعظمة اقتدار الله تعالى، وشدة ضعف بنى آدم، وأنهم أدنى شيء يصيبهم من عذاب الله يكفيهم. ﴿إِنْ كَانَتُ﴾ أي: كانت عقوبتهم ﴿ إِلاَّ صيحة واحدة ﴾ أي: صوتاً واحداً، تكلم به بعض ملائكة الله، ﴿فإذا هم خامدون﴾ قد تقطعت قلومهم في أجوافهم، وانزعجوا لتلك الصيحة، فأصبحوا خامدين، لا صوت ولا حركة، ولا حياة بعد ذلك العتو والاستكبار، ومقابلة أشرف الخلق بذلك الكلام القبيح، وتجبرهم عليهم.

قال الله متوجعاً للعباد: ﴿ يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يست في زوون ﴾ أي: ما أعظم شقاءهم، وأطول عناءهم، وأشد جهلهم، حيث كانوا بهذه الصفة القبيحة، التي هي سبب لكل شقاء وعذاب ونكال!!

﴿١٣ ـ ٣٦﴾ ﴿ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون \* وإن كل لما جميع لدينا كضرون في يقول تعالى: ألم ير هؤلاء ويعتبروا بمن قبلهم من القرون المكذبة، التي أهلكها الله تعالى وأوقع بها عقابها، وأن جميعهم قد باد وهلك، فلم يرجع إلى الدنيا، ولن يرجع إليها، وسيعيد الله الجميع خلقاً جديداً، ويبعثهم بعد موتهم، ويحضرون بين ويبعثهم بعد موتهم، ويحضرون بين يديه تعالى، ليحكم بينهم بحكمه العدل لذي لا يظلم مثقال ذرة، ﴿وإن تكُ حسنة يضاعفها، ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ﴾.

﴿٣٦ \_ ٣٦﴾ ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبأ فمنه يأكلون \* وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيهامن العيون \* ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون \* سبحان الذي خلق الأزواج كلها عما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون، أي: ﴿ وآية لهم البعث والنشور، والقيام بين يدي الله تعالى للجزاء على الأعهال، هذه ﴿الأرض المستة ﴾ أنزل الله عليها المطر، فأحياها(١) بعد موتها، ﴿وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون، من جميع أصناف الزروع، ومن جميع أصناف النبات، التي تأكُّله أنعامهم، ﴿وجعلنا فيها﴾ أي: في تلك الأرض الميتة ﴿جناتِ أي: بساتين، فيها أشجار كثيرة، وخصوصاً النخيل والأعناب، اللذان هما أشرف الأشجار، ﴿وفجّرنا فيها ﴾ أي: في الأرض ﴿من العيون﴾

جعلنا في الأرض تلك الأشجار، والنخيل والأعناب، ﴿ليأكلوا من ثمره﴾ قوتاً وفاكهة، وأذماً ولذة، ﴿و﴾ الحال أن تلك الثمار ﴿ما عملته أيديهم﴾ [وليس لهم فيه صنع، ولا عمل، إن هو إلا صنعة أحكم الحاكمين، وخير الرازقين، وأيضاً فلم تعمله أيديهم] بطبخ ولا غيره، بل

أوجد الله هذه الشمار، غير محتاجة لطبخ ولا شيّ، تؤخذ من أشجارها، فتؤكل في الحال. ﴿أفلا يشكرون﴾ من ساق لهم هذه النّعَم، وأسبغ عليهم من جوده وإحسانه، ما به تصلح أمور دينهم ودنياهم، أليس الذي أحيا الأرض بعد موتها، فأنبت فيها الزروع والأشجار، وأودع فيها لذيذ الثمار، وأظهر ذلك الجنى من تلك الغصون، وفجّر الأرض اليابسة الميتة بالعيون، بقادر على أن يحيي الموتى؟ بل، إنه على كل شيء قدير.

﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها﴾ أي: الأصناف كلها، ﴿كا تنبت الأرض﴾ فنوع فيها من الأصناف ما فنوعهم إلى ذكر وأنشى، وفاوت بين خلقهم وخُلقهم، وأوصافهم الظاهرة والباطنة. ﴿وها لا يعلمون﴾ من المخلوقات التي قد خلقت وغابت عن علمنا، والتي لم تخلق بعد، فسبحانه وتعالى أن يكون له شريك، أو ظهير، أو صاحبة، أو ولد، أو سَمِي، أو شبيه، أو مثيل في عجزه شيء يريده.

﴿٣٧ ـ ٤٠ ﴾ ﴿وآية لهم المليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون \* والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم \* والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم \* لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون، أي: ﴿وآية لهم﴾ على نفوذ مشيئة الله، وكمال قدرتُه، وإحيائه الموتى بعد موتهم. ﴿الليل نسلخ منه النهار ﴾ أي: نزيل الضياء العظيم الذي طبق الأرض، فنبدله بالظلمة، ونحلها محله ﴿ فَإِذَا هُم مَظْلُمُونَ ﴾ وكذلك نزيل هذه الظلمة، التي عمتهم وشملتهم، فتطلع الشمس، فتضىء الأقطار، وينتشر الخلق لمعاشهم ومصالحهم، ولهذا قال: ﴿والشمس تجري لمستقر

وَءَالِيَةٌ لَمُنَ أَنَا حَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلُكِ لَلْشَعُونِ ۞ وَخَلَقْنَا لَمْتُمِينَ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ۞ وَلِهٰ نَشَأَنُغُ وَقُهُمْ فَلَاصَرِيخَ لَمُنْمُ وَلَاهُمْ يُنْفَدُونَ ۞ إِلَّارَحْمَةُ مِنْنَا وَمَنَعُا إِلَّاحِيبِ۞ وَإِذَا قِيلَ لَكُمُ النَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُوْ وَمَا خَلْفَكُوْ لَعَلَّكُو تُرْحَمُونَ ۞ وَمَا تَأْنِيهُ مِينَ ءَايَةِ مِنْ ءَايَتِ رَبِهِ مَر إِلَّا كَانُواْعَتُهَا مُعْرِضِينَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَمُتُمِّ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَنْطُعِمُ مَن لَّوْيَشَكَاءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُ وإِنْ أَنتُمُ ا إِلَّا فِي ضَلَالُ مُّهِينِ ۞ وَيَقُّولُونَ مَنَّىٰ هَلَاا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمُّ صَلِيقِينَ ٢٠ مَايَنُظُرُونَ إِلَّاصَيْحَةَ وَحِدَةً نَأْخُدُهُمْ وَهُمْ اليَخِيمُ مُونَ ۞ فَلَايِنَهُ تَطِيعُونَ قَوْصِيَةً وَلَاۤ إِلۡۤ أَهۡلِهِمْ يَحْمُونَ ا ﴿ وَنُفِخَ فِ ٱلصُّورِ فَإِذَاهُم مِّنَ ٱلْأَجْمَاتِ إِلَّا رَبِّهمْ يَنْسِلُونَ و قَ الْوَايَوْمُلْتَ اللَّهُ المَعْنَا عِنْ مَرْقِدِتَأُ هَلَنَا مَا وَعَدَ ﴾ ٱلزَّخَرُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۞ إِن كَانَتْ إِلَّا مَنْيَحَةً { وَحِدَةً فَإِذَاهُمْ جَمِيعٌ لِلَّذِيْنَ الْمُعْضَرُونَ ۞ فَٱلْيَوْمَ لَانْظَارُ 

الضمير عائد إلى الذرية، والله أعلم بحقيقة الحال.

OZDADY III KAROKA

فلما وصلت في الكتابة إلى هذا الموضع، ظهر لي معنى ليس ببعيد من مراد الله تعالى، وذلك أن مَنْ عرف جلالة كتاب الله وبيانه التام من كل وجه، للأمور الحاضرة والماضية والمستقبلة، وأنه يذكر من كل معنى أعلاه وأكمل ما يكون من أحواله، وكانت الفلك من آياته تعالى ونِعَمِهِ على عباده، من حين أنعم عليهم بتعلمها إلى يوم القيامة، ولم تزل موجودة في كل زمان، إلى زمان المواجهين بالقرآن.

فلما خاطبهم الله تعالى بالقرآن، وذكر حالة الفلك، وعلم تعالى أنه سيكون أعظم آيات الفلك في غير وقتهم، وفي غير زمانهم، حين يعلمهم [صنعة] الفلك [البحرية] الشراعية منها والنارية، والجوية السابحة في الجو، كالطيور ونحوها، [والمراكب البرية] مما كانت الآية العظمي فيه لم توجد إلا في الذرية، نبَّه في الكتاب على أعلى نوع من أنواع آياتها فقال: ﴿وآية لهم أنَّا حَمَلنا ذريتهم في الفلك المسحون ﴿ أي: المملوء ركباناً وأمتعة .

فحملهم الله تعالى، ونجاهم بالأسباب التي علمهم الله بها، من

أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين \* ويبقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين \* ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون \* فلا يستطيعون توصية ولاإلى أهلهم يرجعون) أي: ودليل لهم وبرهان، على أن الله وحده المعبود، لأنه المنعم بالنعم، الصارف للنقم، الذي من جملةً نِعَمِهِ ﴿ أَنَّا حَمَلُنَا ذُرِيتُهُم ﴾ قال كثيرٌ من المفسرين: المراد بذلك: آباؤهم. ﴿وخلقنا لهم اي: للموجودين من(١١) بعدهم ﴿من مثلهِ ﴾ أي: من مثل ذلك الفلك، أي: جنسه ﴿ما يركبون به، فذكر نعمته على الآباء بحملهم في السفن، لأن النعمة عليهم، نعمة على الذرية. وهذا الموضع من أشكل المواضع على في التفسير، فإن ما ذكره كثيرٌ من المفسرين، من أن المراد بالذرية الآباء، عما لا يعهد في القرآن إطلاق الذرية على الآباء، بل فيها من الإيهام، وإخراج الكلام عن موضوعه، ما يأباه كلام رب العالمين، وإرادته البيان والتوضيح لعباده.

وثُمَّ احتمال أحسن من هذا، وهو أن المراد بالذرية الجنس، وأنهم هم بأنفسهم، لأنهم هم من ذرية [بني] آدم، ولكن ينقض هذا المعنى قوله: ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ إن أريد: وخلقنًا من مثل ذلك الفلك، أي: لهؤلاء المخاطبين، ما يركبون من أنواع الفلك، فيكون ذلك تكريراً

فإن أريد بقوله: ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون الإبل، التي هي سفن البر، استقام المعنى واتضح، إلا أنه يبقى أيضاً ، أن يكون الكلام فيه تشويش، فإنه لو أريد هذا المعنى، لقال: وآية لهم أنّا حملناهم في الفلك الشحون، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون، فأما أن يقول في الأول: وحملنا ذريتهم، وفي الثاني: حملناهم، فإنه لا يظهر المعنى، إلا أن يقال: لها﴾ [أي: دائماً تجرى لستقر لها] قدَّره الله لها، لا تتعداه، ولا تُقصر عنه، وليس لها تصرف في نفسها، ولا استعصاء على قدرة الله تعالى. ﴿ذلك تقدير العزيز﴾ الذي بعزته دبّر هذه المخلوقات العظيمة، بأكمل تدبير، وأحسن نظام. ﴿العليم﴾ الذي بعلمه، جعلها مصالح لعباده، ومنافع في دينهم ودنياهم .

﴿والقمر قدرناه منازل ﴾ ينزل سا، كل ليلة ينزل منها واحدة، ﴿حتى﴾ يصغر جداً، فيعود ﴿كالعرجون القديم أي: عرجون النخلة، الذي من قدمه نش وصغر حجمه وانحني، ثم بعد ذلك، ما زال يزيد شيئاً فشيئاً، حتَّى يتم [نوره] ويتسق ضياؤه.

﴿ وَكُلُّ ﴾ من الشمس والقمر، والليل والنهار، قدره [الله] تقديراً لا يتعداه، وكلِّ له سلطان ووقت، إذا وجمد عمدم الآخر، ولمهمذا قمال: ﴿لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر﴾ أي: في سلطانه الذي هو الليل، فلا يمكن أن توجد الشمس في الليل، ﴿ولا الليل سابق النهار ﴾ فيدخل عليه قبل انقضاء سلطانه، ﴿وكلُّ من الشمس والقمر والنجوم ﴿فَي فَلَكِ يُسْبِحُونَ﴾ أي: يترددونُ على الدوام، فكل هذا دليل ظاهر، وبرهان باهر، على عظمة الخالق وعظمة أوصافه، خصوصاً وصف القدرة والحكمة والعلم في هذا الموضع.

﴿ ٤١ ـ • ٥٠ ﴿ وآبة لهم أنا حملنا للمعنى، تأباه فصاحة القرآن. دريتهم في الفلك المسحون \* وخلقنا لهم من مثله ما يركبون \* وإن نشأ نغرقهم فلاصريخ لهم ولاهم ينقدون \* إلا رحمة منا ومتاعاً إلى حين \* وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون \* وما تأتيهم من آيةً من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين \* وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لويشاء الله

TO THE PARTY NO. إِنَّ أَصْحَلَ ٱلْجُنَّةِ ٱلْمُوْمَ فِي شُعُلُ فَلَكِهُونَ ﴿ هُمُ وَأَزْوَنَجُهُمْ فِي ظِلَاعَلَى ٱلْأَزْآمِكِ مُتَكِوْنَ ﴿ لَمُتَهْفِيهَا فَلَكُهَةً وَلَكُم مَّايِدَاً عُونَ ۞ سَلَكُمْ قَوْلَا مِن زَبْ زَجِيهِ ﴿ وَاسْتَدُواْ ٱلْيَعْ آلِيُهَا الْجَيْوَتِ ﴿ • ٱلْرَاعْهَ وَإِلَيْكُمْ يَبَنَ عَادَمَ أَنْ لَاتَعْمُدُوا الشَّيْعَانِّ التَّمْلَكُمْ عَدُوَّتُسِينُ ٥ وَأَن أَعْدُونَ هَا ذَا مِيرَاطُ مُسْتَقَدُّ ٥ وَلَقَدُ أَضَلَ يِنَهُ حِلَاكِتِهُ أَلْمَاتَكُونُواْ مَعْقِلُونَ ۞ هَذِهِ جَهَذُ الِّي كُنتُونُونَاكُ ﴿ أَصْلَوْهَا ٱلْوُمْ مَا أَنْتُهُ تَكُفُرُونَ ﴿ ٱلَّذِي غَفِيتُ عَلَىٰٓ أَفَوْهِ هِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَاكَافُوا يَكِيبُونَ ۞ وَلَوْنَشَكَهُ لَعَلَمَتُنَا عَلَنَا أَعَينُهُ وَمُ فَاسْتَبَقُوا ٱلصِّهَ طَ فَأَنَّى يُعِيمُ ونَ ۞ وَتُولَشَكَهُ لمستخنع على مكانيه مفاكستط فواعينا والإجعون @ وَمَن نُعُكِيرُهُ لُنَكِئِسْمُ فِي ٱلْخَالِّقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ۞ وَمَاعَلَّتَكَ ٱلشِّعْرَوَمَايَنَّتِنِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرُوَوْمَ الْمُثِينُ ﴿ لِنُذِرَ مَن كَانَ حَبًّا وَيَحَقُّ الْعَوْلُ عَلَى ٱلْكَافِينَاتُ 

الغرق، و [لهذا] نبههم على نعمته عليهم حيث (أنجاهم مع قدرته على ذلك، فقال: ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم﴾ أي: لا أحد يصرخ لهم فيعاونهم على الشدة، ولا يزيل عنهم المشقة، ﴿ولا هم يُنقَدُون﴾ مما هم فيه، ﴿إلاّ رحمة منّا ومتاعاً إلى حين﴾ حيث لم نغرقهم، لطفاً بهم، وتمنيعاً لهم إلى حين، لعلهم يرجعون، أو يستدركون ما فرط منهم.

﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم ﴾ أي: من أحوال البرزخ والقيامة، وما في الدنيا من العقوبات ولعلكم ترحمون ﴾ أعرضوا عن ذلك، فلم يرفعوا به رأساً، ولو جاءتهم كل من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ﴾ . وفي إضافة الآيات إلى ربهم، دليل على كمالها ووضوحها، لأنه ما أبين من آية من آيات الله، ولا أعظم بياناً .

وإن من جملة تربية الله لعباده، أن أوصل إليهم الآيات التي يستدلون بها على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

﴿وَإِذَا قَـيْـلُ لَـهِـمُ أَنَـفَـقُـوا عَمَـا رزقكم الله ﴾ أي: من الرزق الذي من به الله عليكم، ولو شاء لسلبكم إياه، ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا﴾

معارضين للحق، محتجين بالمشيئة: ﴿أَنْطِهِمُ مَنْ لويشاء الله أطعمه إن أنتم﴾ أيها المؤمنون ﴿إلاّ في ضلال مين﴾ حيث تأم وننا بذلك.

وهذا مما يدل على جهلهم العظيم، أو تجاهلهم الوخيم، فإن المشيئة ليست حجة لعاص أبداً، فإنه وإن كان ما شاء الله كانً، وما لم يشأ لم يكن، فإنه تعالى مكن العباد، وأعطاهم من القوة ما يقدرون على فعل الأمر واجتناب النهي، فإذا تركوا ما أمروا به، كان ذلك اختياراً منهم، لا جبراً لهم وقهراً.

﴿ويقولون﴾ على وجه التكذيب والاستعجال: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ قال الله تعالى: ﴿ مستعدوا ذلك، فإنه [عن] قريب ﴿ما ينظرون إلاّ صيحة واحدة﴾ وهي نفخة الصور ﴿ وَأَخَذَهُم ﴾ أي: تصيبهم ﴿وهم يخصمون ﴾ أي: وهم لاهون عنها، لم تخطر على قلوبهم في حال خصومتهم، وتشاجرهم بينهم، الذي خصومتهم، وتشاجرهم بينهم، الذي وجد في الغالب إلا وقت الغفلة، وإذا أخذتهم وقت غفلتهم، فإنهم ﴿ فلا يستطيعون توصية ﴾ أي: لا قليلة ولا كثيرة ﴿ ولا إلى أهلهم يرجعون ﴾

﴿١٥ \_ ٤٥﴾ ﴿ونفخ في الصور في المسور في إذا هم من الأجداث إلى ربّه مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون \* إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون \* فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما نفخة الفزع والموت، وهذه نفخة البعث من الأجداث والقبور، ينسلون إلى ربهم، أي: يسرعون للحضور بين ربهم، أي: يسرعون للحضور بين يديه، لا يتمكنون من التأني والتأخر، ويظهرون الحسرة والندم، ويقولون:

﴿ يا ويلنا مَنْ بعثنا من مرقدنا ﴾ أي: من رقدنا ﴾ في القبور، لأنه ورد في بعض الأحاديث، أن لأهل القبور رقدة قبيل النفخ في الصور، فيجابون، فيقال [لهم:] ﴿ هذا ما وعد الرحمن وعدكم الله به، ووعدتكم به الرسل، فظهر صدقهم رَأْيَ عين.

ولا تحسب أن ذكر الرحمن في هذا الموضع، لمجرد الخبر عن وعده، وإنما ذلك للإخبار بأنه في ذلك اليوم العظيم، سيرون من رحمته ما لا يخطر على الظنون، ولا حسب به الحاسبون، كقوله: ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن ﴾ ونحو ذلك، مما يذكر اسمه الرحمن في هذا.

وإن كانت البعثة من القبور وإلا صيحة واحدة البعثة من القبور وإلا صيحة واحدة البعثة من القبور وألا الصور، فتحيا الأجساد، وفإذا هم جميع لدينا خضرون الإولون والإنس والجن، ليحاسبوا على أعمالهم.

وفاليوم لا تظلم نفس شيئاً لا ينقص من حسناتها، ولا يزاد في سيئاتها، وولا تجزون إلا ما كنتم تعملون من خير أو شر، فمَنْ وجد خيراً فليحمد الله على ذلك، ومَنْ وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

وه م م م في أن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون \* هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون \* لهم فيها فاكهة ولهم ما يدّعون \* سلام قولاً من رب رحيم الا ذكر تعالى] أن كل أحد لا يجازى إلا ما عمله، ذكر جزاء الفريقين، فبدأ اليوم في شغل فاكهون أي في ذلك شغل مفكه للنفس، مُلِدُ لها، من كل ما تهواه النفوس، وتلذه العيون،

ومن ذلك افتضاض العذارى الجسم الحدارى الجسم الحسم الحسم المار وأزواجهم من الحور العين، اللاتي قد

كانوا يكسبون أي: تشهد عليهم

أعضاؤهم بما عملوه، وينطقها الذي

بأن نُذْهِبَ أبصارهم، كما طمسنا على

نطقهم. ﴿ فاستبقوا الصراط ﴾ أي:

فبادروا إليه، لأنه الطريق إلى الوصول

إلى الجنة، ﴿ فأني يبصرون ﴾ وقد

﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم

أنطق كل شيء.

طمست أبصارهم.

جمعن حُسن الوجوه والأبدان وحُسن الأخلاق. ﴿ فَي ظَلَالُ عَلَى الأَرَاتُكُ ﴾ أي: على السرر المزينة باللباس المزخرف الحسن. ﴿متَّكِئُونَ ﴿ عليها، اتكاء على كمال الراحة والطمأنينة واللذة .

﴿لهم فيها فاكهة﴾ كثيرة، من جميع أنواع الثمار اللذيذة، من عنب وتين ورمآن، وغيرها، ﴿ولهم ما يدعون﴾ أي: يطلبون، فمهما طلبوه وتمنوه أدركوه.

ولهم أيضاً ﴿سلام﴾ حاصل لهم ﴿من رب رحيم﴾ ففي هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة وسلامه عليهم، وأكده بقوله: ﴿قُولاً﴾ وإذا سلَّم عليهم الهرب الرحيم، حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلهاً، فما ظنك بتحية ملك الملوك، الرب العظيم، الرؤوف الرحيم، لأهل دار كرامته، الذي أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبداً، فلولا أن الله تعالى قدّر أن لا يموتوا، أو تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور، لحصل

فنرجو ربناأن لا يحرمنا ذلك النعيم، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم.

﴿٥٩ ـ ٧٧﴾ ﴿وامشازوا اليوم أيها المجرمون \* ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين \* وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم \* ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون \* هذه جهنم التي كنتم توعدون \* اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون \* اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون \* ولو نشاء لطمسناعلي أعينهم فاستبقوا الصراط فأنّي يبصرون \* ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضياً ولأ يرجعون﴾ لما ذكر تعالى جزاء المتقين، ذكر جزاء المجرمين ﴿وَ﴾ أنهم يقال لهم يوم القيامة ﴿استازوا اليوم أيها

المجرمون﴾ أي: تميزوا عن المؤمنين، وكونوا على حدة، ليوبخهم ويقرعهم على رؤوس الأشهاد قبل أن يدخلهم النار، فيقول لهم: ﴿أَلَّمُ أَعَهَدُ إِلَيْكُمْ﴾ أي: آمركم وأوصيكم، على ألسنة رسلي، [وأقول لكم:] ﴿ يَا بِنِي آدِم أَن لا تعبدوا الشيطان ﴾ أي: لا تطيعوه؟ وهذا التوبيخ، يدخل فيه التوبيخ عن جميع أنواع الكفر والمعاصي، لأنهآ كلها طاعة للشيطان وعبادة له، ﴿إنه لكم عدوٌ مبين﴾ فحذرتكم منه غاية التحذير، وأنذرتكم عن طاعته،

وأعماله ترجع إلى هذين الأمرين، أي:

فلم تحفظوا عهدي، ولم تعملوا

بوصيتي، فواليتم عدوكم، ف ﴿أَصْلَ

منكم جبلاً كثيراً ﴾ أي: خلقاً كثيراً.

﴿ أَفَلُم تَكُونُوا تَعَقَّلُونَ ﴾ أي: فلا كان

لكم عقل يأمركم بموالاة ربكم

ووليكم الحق، ويزجركم عن اتخاذً

﴿ ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم أي: لأذهبنا حركتهم ﴿فما استطاعوا مضياً ﴾ إلى الأمام وأخبرتكم بما يدعوكم إليه، ﴿و﴾ ﴿ولا يرجعون ﴾ إلى ورائهم ليبعدوا أمرتكم ﴿أَن اعبدوني﴾ بامتثال أوامري عن النار. والمعنى: أن هؤلاء الكفار، وترك زواجري، ﴿هذا﴾ أي: عبادق حقت عليهم كلمة العذاب، ولم يكن وطاعتي، ومعصية الشيطان ﴿صراط بُدّ من عقابهم. مستقيم العلوم الصراط المستقيم

وفي ذلك الموطن، ما ثُمَّ إلاَّ النار قد برزت، وليس لأحد نجاة إلا بالعبور على الصراط، وهذا لا يستطيعه إلاّ أهل الإيمان، الذين يمشون في نورهم، وأما هؤلاء، فليس لهم عند الله عهد في النجاة من النار؛ فإن شاء طمس أعينهم وأبقى حركتهم، فلم يهتدوا إلى الصراط لو استبقوا إليه وبادروه، وإن شاء أذهب حراكهم فلم يستطيعوا التقدم ولا التأخر. المقصود: أنهم لا يعبرونه، فلا تحصل لهم النجاة .

﴿٦٨﴾ ﴿ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون العقول تعالى: ﴿وَمَنْ نَعْمُوهُ﴾ من بني آدم ﴿ننكسه في الخلق﴾ أي: يعود إلى الحالة التي ابتدأ حالة الضعف، ضعف العقل، وضعف القوة. ﴿أفلا يعقلون﴾ أن الأدمى ناقص من كل وجه، فيتداركوا قوتهم وعقولهم، فيستعملونها في طاعة ربهم.

﴿٦٩ \_ ٧٠﴾ ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين \* لينذر من كان حياً ويحقّ القول على الكافرين، ينزه تعالى نبيه محمداً ﷺ عمّا رماه به المشركون، من أنه شاعر، وأن الذي جاء به شعر فقال: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ أن يكون شاعراً، أي: هذا من أعدى الأعداء لكم ولياً، فلو كان لكم عقل صحيح لما فعلتم ذلك، فإذ أطعتم الشيطان، وعاديتم الرحمن، وكذبتم بلقائه، ووردتم القيامة دار الجزاء، وحق عليكم القول بالعذاب فـ ﴿هذه جهنم التي كنتم توعدون، وتكذبون بها، فأنظروا إليها عياناً، فهناك تنزعج منهم القلوب، وتنزوغ الأبصار، ويحصل الفزع الأكبر . ثم يكمل ذلك، بأن يؤمر بهم إلى النار، ويقال لهم: ﴿اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون﴾ أي: ادخلوها على وجه تصلاكم، ويحيط بكم حرها، ويبلغ منكم كل مبلغ، بسبب كفركم

بآیات الله، وتکذیبکم لرسل الله. قال الله تعالى في بيان وصفهم

الفظيع في دار الشقاء: ﴿اليوم نختم على أفواههم) بأن نجعلهم خرساً فلا يتكلمون، فلا يقدرون على إنكار ما عملوه من الكفر والتكذيب. ﴿وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما

جنس المحال أن يكون شاعراً، لأنه رشيد مهتد، والشعراء غاوون، يتبعهم الخاوون، يتبعهم الشبه التي يتعلق بها الضالون على رسوله، فحسم أن يكون يكتب أو يقراً، وأخبر أنه ما علمه الشعر وما ينبغي له، ﴿إِنْ هُو إِلاَّ ذَكْر وقران مبين﴾ أي: ما هذا الذي جاء به إلا ذكر يتذكر به أولو الألباب، جميع المطالب الدينية، فهو مشتمل عليها أتم اركز الله في فطرها من الأمر بكل حسن، والنهي عن كل قبيح.

حسن، والبهي عن لن ببيع. 

﴿وقرآن مبين﴾ أي: مبين لما يطلب 
بيانه. ولهذا حذف المعمول، ليدلً على 
أنه مبين لجميع الحق، بأدلته التفصيلية 
والإجمالية، والباطل وأدلة بطلانه، 
أنزله الله كذلك على رسوله.

القلب واعيه، فهو الذي يزكو على هذا القلب واعيه، فهو الذي يزكو على هذا القرآن، وهو الذي يزدو من العلم منه والعمل، ويكون القرآن لقلبه بمنزلة المطر للأرض الطيبة الزاكية. ﴿ويحق القول على الكافرين﴾ لأنهم قامت عليهم به خجة الله، وانقطع احتجاجهم، فلم يبق لهم أدنى عذر وشبهة يُذُلُونَ بها.

يشكرون الله تعالى الذي أنعم بهذه النعم، ويخلصون له العبادة ولا يتمتعون بها تمتعاً خالياً من العبرة والفكرة.

وهم لهم جند عضرُونَ ﴾ أي: عضرون هم وهم في العذاب، ومتبرىء بعضهم من بعض، أفلا تبرأوا في الدنيا من عبادة هؤلاء، وأخلصوا العبادة للذي بيده الملك والنفع والضر، والعطاء والمنع، وهو الولى النصير؟

ولا عزنك تولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون أي: ما يسرون وما يعلنون أي: فلا يحزنك يا أيها الرسول، قول المكذبين، والمراد بالقول: ما دل عليه السياق، كل قول يقدحون فيه في الرسول، أو فيما جاء به.

أي: فلا تشغل قلبك بالحزن عليهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون فنجازيهم على حسب علمنا بهم، وإلا فقولهم لا يضرك شيئاً.

﴿ ٧٧ \_ ٨٣﴾ ﴿ أُولَم ير الإنسان أَنَا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين \* وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم \* قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم \* الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون \*

أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلي وهو الخلاق العليم \* إنَّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون \* فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون الآيات الكريمات، فيها [ذكر] شبهة منكرى البعث، والجواب عنها بأتم جواب وأحسنه وأوضحه، فقال تعالى: ﴿أُولُم يُرَّ الإنسان المنكر للبعث والشاك فيه، أمراً يفيده اليقين التام بوقوعه، وهو ابتداء خلقه ﴿من نطفة ﴾ ثم تنقله في الأطوار شيئاً فشيئاً، حتى كبر وشب، وتم عقله واستتب، ﴿فإذا هو خصيم مبين ﴾ بعد أن كان ابتداء خلقه من نطفة، فلينظر التفاوت بين هاتين الحالتين، وليعلم أن الذي أنشأه من العدم، قادر على أن يعيده بعدما تفرق وتمزق، من باب أولى.

﴿وضرب لنا مثلاً ﴾ لا ينبغي لأحد أن يضربه، وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق، وأن الأمر المستبعد على قدرة المخلوق مستبعد على قدرة الخالق.

فسر هذا المثل [بقوله]: ﴿قال﴾ ذلك الإنسان ﴿مَنْ يحيي العظام وهي رميم﴾ أي: هل أحد يحييها؟ استفهام إنكار، أي: لا أحد يحييها بعدما بليت وتلاشت.

هذا وجه الشبهة والمثل، وهو أن هذا أمر في غاية البعد على ما يعهد من قدرة البشر، وهذا القول الذي صدر من هذا الإنسان غفلة منه، ونسيان لابتداء خلقه، فلو فطن لخلقه بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً فوجد عياناً، لم يضرب هذا المثل.

فأجاب تعالى عن هذا الاستبعاد بجواب شاف كاف، فقال: ﴿قلْ يُحييها الذي أنشأها أوّل مرة﴾ وهذا بمجرد تصوره، يعلم به علماً يقيناً لا شبهة فيه، أن الذي أنشأها أوّل مرة

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ: الذي.

<sup>)</sup> زيادة من هامش ب، ويبدو \_ والله أعلم \_ أن الشرطين هما: الاستطاعة والإرادة، وبقية كلام السَّيخ ـ رحمه الله \_ يدل على ذلك.

قادر على الإعادة ثاني مرة، وهو أهون على القدرة إذا تصوره المتصور، ﴿وهو بكل خلق عليم،

هذا أيضاً دليل ثان من صفات الله تعالى، وهو أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة، فإذا أقر العبد بهذا العلم العظيم، علم أنه أعظم وأجل من إحياء الله الموتى من قبورهم.

ثم ذكر دليلاً ثالثاً ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون ﴿ فإذا أخرج [النار] اليابسة من الشجر الأخضر، الذي هو في غاية الرطوبة، مع تضادهما وشدة تخالّفهما، فإخراجه الموتى من قبورهم مثل ذلك.

ثم ذكر دليلاً رابعاً فقال: ﴿ أُوليس الذي خلق السماوات والأرض، على سعتهما وعظمهما ﴿ بِقادر على أن يخلق مثلهم ﴾ أي: [أن] يعيدهم [بأعيانهم]. ﴿بِلِّ قَادر على ذلك، فإن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس. ﴿وهو الخلاق العليم﴾ وهذا دليل خامس، فإنه تعالى الخلاق، الذي جميع المخلوقات، متقدمها ومتأخرها، صغيرها وكبيرها، كلها أثر من آثار خلقه وقدرته، وأنه لا يستعصي عليه مخلوق أراد خلقه.

فإعادته للأموات، فرد من أفراد [آثار] خلقه، ولهذا قال: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً ﴾ نكرة في سياق الشرط، فتعم كل شيء. ﴿أَنْ يَقُولُ لَهُ كُنَّ فيكونَ ﴾ أي: في الحال من غير تمانع.

﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾ وهذا دليل سادس، فإنه تعالى هو الملك المالك لكل شيء، الذي جميع ما سكن في العالم العلوي والسفلي ملك له، وعبيد مسخرون ومدبرون، يتصرف فيهم بأقداره الحكمية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية.

فيهم حكم الجزاء، من تمام ملكه، ولهذا قال: ﴿وإليه ترجعون﴾ من غير امتراء ولا شك، لتواتر البراهين القاطعة والأدلة الساطعة على ذلك. فتبارك الذي جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور.

تم تفسير سورة يس، فلله [تعالى] الحمد كما ينبغي لجلاله، وله الثناء كما يليق بكماله، وله المجد كما تستدعيه عظمته وكبرياؤه، وصلى الله على محمد وآله وسلم

### تفسير سورة الصافات، وهي مكيسة

﴿١١ ـ ١١﴾ ﴿بسم الله البرحين الرحيم والصافات صفاً \* فالزاجرات زجراً \* فالتاليات ذكراً \* إنّ إلهكم لواحد \* رت السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق \* إنّا زيّنا السماء الدنيا بزينة الكواكب \* وحفظاً من كل شيطان مارد \* لا يسمّعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب \* دحوراً ولهم عذاب واصب \* إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب \* فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا إنّا خلقناهم من طين لازب ﴾ هذا قسم منه تعالى بالملائكة الكرام، في حال عبادتها وتدبيرها ما تدبره بإذن ربها، على ألوهيته تعالى وربوبيته، فقال: ﴿والصافات﴾ صفاً أي: صفوفاً في خدمية ربهم، وهم الملائكية، ﴿فَالْرَاجِرَاتُ زَجْراً﴾ وهم الملائكة، يزجرون السحاب وغيره بأمر الله، ﴿ فَالْتَالِياتِ ذِكْرَاً ﴾ وهم الملائكة الذين يتلون كلام الله تعالى.

فلما كانوا متألهين لربهم، ومتعبدين في خدمته، ولا يعصونه طرفة عين، أقسم بهم على ألوهيته فقال: ﴿إِنَّ إلهكم لواحد السلام شريك في الإلهية، فأخلصوا له الحب والحوف والرجاء، وسائر أنواع العبادة.

﴿رب السماوات والأرض وما فإعادته إياهم بعد موتهم، لينفذ بينهما ورب المشارق اي: هو الخالق

أَوْلَدُينَوْا أَنَاخَلَفْنَ الْمُدْمَعَا عِيلَتْ أَنْدِينَ ٱلْعَبْدَافَهُمْ لَمَا اللَّهُ مَلِكُونَ ۞ وَذَلَلْنَهَا لَمَتْمُ فِينْهَا رَكُونُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُونَ ۞ وَلَمُ مُونِهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشَكُرُونَ ۞ وَأَغَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِمَةَ لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ ۞ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصَرَهُمْ وَهُمْ لَمُنْ جُندُتُ تَخْضَرُونَ ۞ فَلَا يَحَمُ الْكَ فَوَلَمُكُو إِنَّا مَّا لَهُ مَا أَيْسِرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۞ أَوْلَمْ يَرَأَ لَانْسَانُ أَنَاخَلَقَنَاهُ مِن نُطْفَتِهِ فَإِذَا هُوَخَصِيرٌ مُّيينٌ ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَنْكُ وَلَيْنَ خَلْقَ كُمُّ قَالَ مَن يُعْيِ ٱلْعِظْلَةَ وَهِيَ رَمِيةً ۞ قُلْ يُحِيبِهَا ٱلَّذِي ٓ أَنشَأَهَا أَوْلَ مَرَّةً وَهُوَبِكُ لِحَلَّى خَلْقِ عَلِيمُ ۞ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَازًا فَإِذَا أَنتُم مِّنَّهُ تُوفِدُونَ ﴿ أَوَلَٰ مِنَا أَذِي خَلَقَ السَّمَوَتِ وَالأَرْضَ بِمَنْ إِنَّا أَنْ يَعْلُقَ مِشْلَهُمْ بَالَ وَهُوَ أَعْدَالُمُ الْعَلِيمُ ﴿ إِنَّا أَمْرُهُ وَإِذَا أَرَادَ مَسَيْعًا أَن يَعُولَ لَمُكُن فَيْكُونُ ٥ فَسُنْ حَنَّ ٱلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَالَّذِهِ تُرْجَعُونَ ٥ ي يولا التاقال والم

ENLINES LEGISLE

لهذه المخلوقات، والرازق لها، المدبر لها، فكما أنه لا شريك له في ربوبيته إياها، فكذلك لا شريك له في ألوهيته، وكثيراً ما يقرر تعالى توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية، لأنه دال عليه. وقد أقرّبه أيضاً المشركون في العبادة، فيلزمهم بما<sup>(١)</sup> أقروا به على مّا أنكروه.

وخص الله المسارق بالذكر، لدلالتها على المغارب، أو لأنها مشارق النجوم التي سيذكرها، فلهذا قال: ﴿إِنَّا زُيناً السماء الدنيا برينة الكواكب \* وحفظاً من كل شيطان مارد \* لا يسمّعون إلى الملأ الأعلى > ذكر الله في الكواكب هاتين الفائدتين العظيمتين:

إحداهما: كونها زينة للسماء، إذ لولاها، لكانت السماء جرماً مظلماً لا ضوء فيها، ولكن زينها فيها لتستنير أرجاؤها، وتحسن صورتها، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ويحصل فيها من المصالح ما يحصل.

والثانية: حراسة السماء عن كل شيطان مارد، يصل بتمرده إلى استماع الملأ الأعلى، وهم الملائكة، فإذا استمعت قذفتها بالشهب الثواقب اشراف كل جانب﴾ طرداً لهم، وإبعاداً عن استماع ما يقول الملأ الأعلى. صلصالٍ من حمّاً مسنون ﴾ .

﴿۲۱ \_ ۲۱﴾ ﴿بِل عــجــبـتَ ويـــــخـــرون \* وإذا ذكــــروا لا يــــذكــــرون \* وإذا رأوا آيــــة يستسخرون \* وقالوا إن هذا إلا سحر مبين \* أُءِذَا متنا وكنا تراباً وعظاما أإنا لمبعوثون \* أو آباؤنا الأولون \* قل نعم وأنتم داخرون \* فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون \* وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين \* هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذّبون ﴿ بل عجبتَ ﴾ يا أيها الرسول وأيها الإنسان، مِن تكذيب مَنْ كذَّب بالبعث، بعد أن أريتهم من الآيات العظيمة والأدلة المستقيمة، وهو حقيقة محل عجب واستغراب، لأنه مما لا يقبل الإنكار، ﴿و﴾ أعجب من إنكارهم وأبلغ منه، أنهم ﴿يسخرون﴾ ممن جاء بالخبر عن البعث، فلم يكفهم مجرد الإنكار، حتى زادوا السخرية بالقول الحق.

وه من العجب أيضاً أنهم ﴿إِذَا وَكُرُوا﴾ ما يعرفون في فطرهم وعقولهم، وفطنوا له، وألفت نظرهم إليه ﴿لا يذكُرُونَ﴾ ذلك، فإن كان جهلاً، فهو من أدلُ الدلائل على شدة بلادتهم العظيمة، حيث ذكروا ما هو مستقر في الفطر، معلوم بالعقل، لا يقبل الإشكال، وإن كان تجاهلاً وعناداً، فهو أعجب وأغرب.

ومن العجب [أيضاً] أنهم إذا أقيمت عليهم الأدلة، وذكروا الآيات التي يخضع لها فحول الرجال وألباب الألباء، يسخرون منها ويعجبون.

ومن العجب أيضاً، قولهم للحق لما جاءهم: ﴿إِنْ هَلَا إِلاَ سَحِرٌ مِبِينَ﴾ فجعلوا أعلى الأشياء وأجلها، وهو الحق، في رتبة أخس الأشياء وأحقرها.

ومن العجب أيضاً، قياسهم قدرة رب الأرض والسماوات، على قدرة الأدمي الناقص من جميع الوجوه، فقالوا استبعاداً وإنكاراً: ﴿ إِذَا مِننا وكنا تراباً وعظاماً إإنا لمبعوثون \* أو آباؤنا

الأولون)

ولما كان هذا منتهى ما عندهم، وغاية ما لديهم، أمر الله رسوله أن يجيبهم بجواب مشتمل على ترهيبهم (۱)، فقال: ﴿قل نعم﴾ ستبعثون، أنتم وآباؤكم الأولون ﴿وأنتم داخرون﴾ ذليلون صاغرون، لا تمتنعون، ولا تستعصون على قدرة الله.

﴿فَإِنْما هِي زَجْرَةٌ واحدة ﴾ ينفخ إسرافيل فيها في الصور ﴿فَإِذَا هُم ﴾ مبعوثون من قبورهم ﴿ينظرون ﴾ كما ابتدىء خلقهم، بعثوا بجميع أجزائهم، حفاة عراة غرلاً، وفي تلك الحال، ينظهرون الندم والخزي والخسار، ويدعون بالويل والثبور.

﴿وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين﴾ فقد أقروا بما كانوا في الدنيا به يستهزؤون.

فيقال لهم: ﴿هذا يوم الفصل ﴾ بين العباد فيما بينهم وبين ربهم من الحقوق، وفيما بينهم وبين غيرهم من الخلق.

﴿ ٢٢ - ٢٢ ﴾ ﴿ احشروا الله الله فلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون \* من دون الله فاهدوهم إنهم مسؤولون \* الجحيم \* وقفوهم إنهم مسؤولون \* ما لكم لا تناصرون \* بل هم اليوم مستسلمون ﴾ أي: إذا أحضروا يوم ما به يكذبون، ورأوا ما به يعذبون، ورأوا التي بها كانوا يكذبون، فيقال: التي بها كانوا يكذبون، فيقال: بالكفر والشرك والمعاصي، ﴿ وأزواجهم ﴾ الذين من جنس عملهم، كل يُضم إلى مَنْ يجانسه في عملهم، كل يُضم إلى مَنْ يجانسه في العمل.

﴿وما كانسوا يسعبَدُون \*من دون اللّهِ من الأصنام والأنداد التي زعموها، فاجمعوهم جميعاً ﴿فاهدوهم لِل صراط الجحيم﴾ أي: سوقوهم سوقاً عنيفاً إلى جهنم، وبعد ما يتعين أمرهم إلى النار، ويعرفون أنهم من أهل

وَالمُّنِقَاتِ مَنْفًا ۞ فَالْيَّحَرِتِ نَعْزَل فَالْكِلِنَتِ ذِكْرًا ۞ إِنَّ

الَّهَاكُمُ لَوَيدٌ ۞ زَبُّ ٱلشَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَالِيدَ نَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمُشَارِقِ

٥ إِنَازَيْنَا ٱلسَّمَآةَ ٱلدُّنْيَا بِرِنَةِ ٱلْكُولِكِ ۞ وَحِفظُ الِمِن كُلِ

شَيَطَانِ مَّادِدِ ۞ لَايَسَّمَنُهُونَ إِلَى ٱلْمُلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقَدَّفُونَ مِن كُلِّ

جَانِبَ ۞ دُحُوزًا وَلَمَا مَعَذَاتِ وَاصِبُ ۞ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْحَطْفَ }

فَأَنْبَعَكُمِيثُهَا ۗ ثَاقِبٌ ۞ فَأَسْنَفْنِهِمْ أَهُمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِّنْ خَلَقًا

إِنَّاخَلَقْنَاهُ مِن طِينِ لَازِينِ۞ بَلْ عَِبْتَ وَيَسْتَحُونِ ۖ ۞ وَلَا

ذَكِرُوا لَايَذَكُرُونَ ۞ وَلِمَا رَأُواْ مَا يَتَهَ يَسَتَسْخِرُونَ ۞ وَقَالُواْلَةَ

هَنَا إِلَّامِ عَرْثُينِ فَ أَهِ ذَامِنْنَا وَكُنَّا ثَرَّا بُوَعَظْمًا لَهِ نَالَتِعُونُونَ

۞ أَوْ مَا اَبَالْهُا ٱلْأَوْلُونَ۞ قُلْ نَعَمُ وَأَنْتُمُ دَيْرُونَ۞ فَإِغَاهِمَ

نَعْرَةُ وَلِيلَةً فَإِذَا حُرَيْنَظُرُونَ ﴿ وَقَالُواْ يَوْيَلْنَاهَلْنَا يَوْمُ ٱلَّذِينِ ۞

هَنَايَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ أَنْكِيْفُونَ ﴿ • ٱحَشَّرُوا الَّذِينَ

ظَلَنُوا وَأَزْوَنَجَهُمْ وَمَاكَانُواْيَعْبُدُونَ ۞ مِن دُونِالْقَو

ولولا أنه [تعالى] استثنى، لكان ذلك دليلاً على أنهم لا يستمعون شيئاً أصلاً، ولكن قال: ﴿ إِلاَ مَنْ تَلقَف من الشياطين المردة، الكلمة الواحدة على وجه الخفية والسرقة، ﴿ فَأَتبعه شهابٌ الله عنه عنه أوليائه، فينقطع خبر السماء، وتارة يخبر بها قبل أن يدركه الشهاب، فيكذبون معها مئة كذبة يروجونها بسبب الكلمة التي سمعت من السماء.

ولما بين هذه المخلوقات العظيمة قال: ﴿فاستفتهم ﴾ أي: اسأل منكري خلقهم بعد موتهم، ﴿أهم أشد خلقاً ﴾ أي: إيجادهم بعد موتهم، أشد خلقاً وأشق؟ ﴿أم من خلقنا ﴾ من [هذه] المخلوقات؟ فلا بدأن يقروا أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس.

فيلزمهم إذا الإقرار بالبعث، بل لو رجعوا إلى أنفسهم وفكروا فيها، لعلموا أن ابتداء خلقهم من طين لازب، أصعب عند الفكر من إنشائهم بعد موتهم، ولهذا قال: ﴿إِنَّا خلقناهم من طين لازب﴾ أي: قوي شديد كقوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من مَالَكُةُ لِانْنَاصَهُونَ۞ بَلْ هُوَ ٱلْيَةَ مُسْتَسْلُهُ نَ ۞ وَأَقِيَّا يَسْشُعُهُ عَنْ بَعْضِ بَتَكَةَ لُونَ۞ قَالُوا إِنَّكُوكُتُ مُ تَأْوُنَنَا عَنِ ٱلْكِينِ ۞ قَالُوانِلَ لَوْتَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا كَانَ لَنَاعَلَيْكُمْ مِن سُلْطَانًا ا لِلْمُتُمْ وَمِمَا طَلِغِينَ ۞ فَقَى عَلَيْنَا قَوْلُ رَيِّنَّا إِنَّا لَذَا يَقُونَ۞ فَأَغْوَيْنَكُو إِنَّا كُنَّاعَوِينَ ﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَهِ ذِفِي ٱلْعَنَابِ مُشْتِرَكُونَ ﴿ إِنَّا كُذَلِكَ مَنْعَلُوا فَجْمِينَ ۞ إِنَّهُمْ كَافُوا إِنَا قِلَ لَمْتُمْ لَآ إِلَّهُ إِلَّا لَا اللَّهُ يَسْ تَكْبُرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ أَيِّنَا لَتَارِكُواْ مَلِلَيْنَا لِللَّهَ اعِيجُمُونِ اللهُ عَلَيْهِ مَا يُحَقِّ وَصَلَّقَ ٱلْتُرْسِلِينَ۞ إِنَّكُو لَذَا يَقُوا ٱلْعَذَابِ ٱلأَلِيهِ ۞ وَمَا تَجُونَ إِلْمَا كُنُتُرَقِّكُ لُونَ ﴾ إِلَاجِكَادَ اللهُ الْخُلْصِينَ ۞ أُولَلَمِكَ لَمْمُ رِنْقُ مَعْلُومٌ ۞ فَرَكِمُ وَمُ مُكُرِّمُونَ۞ فِي جَنَّتِ ٱلتَّعِيمِ۞ عَلَى سُرُرِ مُنَقَبِ إِينَ ۞ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْيِرِينَ مِّعِينِ۞ بَيْضَلَّةَ لَذُوْلِلشَّلِينِينَ۞ الَانِيَاغُولُ وَلَا مُرَعَنَهَا يُنَزُّونَ ۞ وَعِندَهُ فَصِرَتُ الطَّرْدِوِينَّ 👸 ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكَنُونٌ ۞ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُ مُوعَلَى بَعْضِ رِينَ اللَّهُ اللّ

ولينصرنه، وأخذوا ذلك على أمهم، فلما جاء ظهر صدق الرسل الذين قبله، وتبين كذب مَنْ خالفهم، فلو قدر عدم مجيئه، وهم قد أخبروا به، لكان ذلك قادحاً في صدقهم.

وصدَّق أيضاً المُرسلين، بأن جاء بما جاؤوا به، ودعا إلى ما دعوا إليه، وآمن بهم، وأخبر بصحة رسالتهم ونبوتهم

ولما كان قولهم السابق: ﴿إِنَّا لذائقون﴾ قولاً صادراً منهم، يحتمل أن يكون صدقاً أو غيره، أخبر تعالى بالقول الفصل الذي لا يحتمل غير الصدق واليقين، وهو الخبر الصادر منه تعالى، فقال: ﴿إِنكم لذائقوا العذاب الأليم﴾ أي: المؤلم الموجع، ﴿ووسا تجزون﴾ في إذاقة العذاب الأليم ﴿إِلاَ ما كنتم تعملون﴾ فلم نظلمكم، وإنما عدلنا فيكم؟

ولما كان هذا الخطاب لفظه عاماً، والمرادبه المشركون، استثنى تعالى المؤمنين فقال:

﴿و﴾ الحال أنه ﴿ما كان لنا عليكم من سلطان﴾ أي: قهر لكم على اختيار الكفر ﴿بل كنتم قوماً طاغين﴾ متجاوزين للحد(١).

﴿ فحقّ علينا ﴾ نحن وإياكم ﴿ إنا لذائقون ﴾ العذاب، أي: حق علينا قدر ربنا وقضاؤه، أنا وإياكم سنذوق العذاب، ونشترك في العقاب ﴿ فَ ﴾ لذلك ﴿ أغويناكم إنّا كنّا غاوين ﴾ أي: دعوناكم إلى طريقتنا التي نحن عليها، وهي الخواية، فاستجبتم لنا، فلا تلومونا ولوموا أنفسكم.

قال تعالى: ﴿ فَإِنْهُم يُومَنَدُ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ فِي العذاب مشتركون ﴾ وإن تفاوتت مقادير عذابهم بحسب جرمهم ، كما اشتركوا في الآخرة بجزائه ، ولهذا قال: ﴿ إِنّا كذلك نفعل بالمجرمين ﴾ ثم ذكر أن إجرامهم قد بلغ المغاية وجاوز النهاية ، فقال: ﴿ إِنْهُم كنانُوا إِذَا قيل لهم لا إله إلا الله فدعوا إليها، وأمروا بترك إلهية ما سواه فيستكبرون ﴾ عنها وعلى مَنْ جاء بها .

ويقولون معارضة لها: وأإنا وشرعهم. لتاركوا آلهتنا التي لم نزل نعبدها نحن ولما كاه وآباؤنا وله قول وشاعر مجنون لذا تقون المنعنون محمداً ولا عراض عنه، بالقول النه و الا مجرد تكذيبه، حتى حكموا عليه الصدق والا بنظلم الأحكام، وجعلوه شاعراً تعالى، فقا بنونا، وهم يعلمون أنه لا يعرف الأليم أي المشعر والشعراء، ولا وصفه تجزون في وصفهم وأنه أعقل خلق الله، ما كنتم تع واعظمهم رأياً.

ولهذا قال تعالى، ناقضاً لقولهم: ﴿ يل جاء ﴾ محمد ﴿ بالحق ﴾ أي: بحيثه حقّ، وما جاء به من الشرع والكتاب حق. ﴿ وصدِق المرسلين ﴾ [أي: وبحيثه صدق المرسلين] فلولا مجيته وإرساله لم يكن الرسل صادقين، فهو آية ومعجزة لكل رسول قبله، لأنهم أخبروا به وبشروا، وأخذ الله عليهم العهد والميثاق، لئن جاءهم ليؤمنن به

دار البوار، يقال: ﴿وقفوهم ﴾ قبل أن توصلوهم إلى جهنم ﴿إنهم مسؤولون ﴾ عمّا كانوا يفترونه في الدنيا، ليظهر على رؤوس الأشهاد كذبهم وفضيحتهم.

فيقال لهم: ﴿مالكم لا تناصرون﴾ أي: ما الذي جرى عليكم اليوم؟ وما الذي طرقكم لا ينصر بعضكم بعضاً، بعدما كنتم تزعمون في الدنيا، أن آلهتكم ستدفع عنكم العذاب وتغيثكم وتشفع لكم عند الله، فكأنهم لا يجيبون هذا السؤال، لأنهم قد علاهم الذل والصغار، واستسلموا لعذاب النار، وخضعوا وأبلسوا، فلم ينطقوا.

ولــهـــذا قـــال: ﴿بــل هـــم اليوم مستسلمون﴾.

﴿٧٧ \_ ٣٩﴾ ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون \* قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين \* قالوا بل لم تكونوا مؤمنين \* وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً طاغين \* فُحقَ علينا قول ربنا إنّا لذائقون \* فأغويناكم إنا كنا غاوين \* فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون \* إنّا كذلك نفعل بالمجرمين \* إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون \* ويقولون أءنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون \* بل جاء بالحق وصدّق المرسلين \* إنّكم لذائقوا العذاب الأليم \* وما تجزون إلاّ ما كنتم تعملون لل جمعوا هم وأزواجهم وآلهتهم، وهدوا إلى صراط الجحيم، ووقفوا، فسئلوا، فلم يجيبوا، أقبلوا فيما بينهم، يلوم بعضهم بعضاً على إضلالهم وضلالهم، فقال الأتباع للمتبوعين الرؤساء: ﴿إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين، أي: بالقوة والغلبة، فتضلونا، ولولا أنتم لكنا

﴿قالوا﴾لهم: ﴿بللم تكونوا مؤمنين﴾أي: مازلتم مشركين، كما نحن مشركون، فأي: شيء فضلكم علينا؟ وأي: شيء يوجب لومنا؟

SEEDING TO SENDING SEEDING يَقُولُ أَهِ نَكَولَنَ لَلْصَدِيقِينَ ۞ أَهِ ذَا مِثْنَا وَكُنَا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَالَدِينُونَ ۞ قَالَ هَلْ أَشَمُمَّظَلِعُونَ ۞ فَأَطَلَعَ فَرَوَاهُ فِي سَوَآءِ أَنْجَدِيهِ ۞ فَالَ تَالَيْهِ إِن كِدَتَ لَثُرُدِينِ ۞ وَلَوْلَا نِعْسَمَةُ رَبْ لَكُتُ مِنَ الْخُصَرِينَ ۞ أَخَا غَنُ يَيْسِينِ ۞ إِلَّا مَوْتَكَ ا ٱلْأُولَىٰ وَمَاخَنُ بِمُعَذِّبِينَ ۞ إِنَّ هَاذَا لَمُوۤ ٱلْفَوۡزُٱلۡعَظِيمُ۞ لِيْشِلِ هَلَذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَلِيمُلُونَ ۞ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ ثُرَّكَّ أَمَّ شَجَّةُ أَلْزَقُومِ ۞ إِنَّا جَعَلْنَهَا فِئْنَةً لِلظَّالِمِينَ ۞ إِنَّهَا شَجَرَةً تَخْرُمُ فِي أَصْلِ ٱلْجَيْدِ، ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّكُونَهُ وَسُ الشَّيْطِينِ ۞ فَإِنْ عُمَّرَ لَآكِ لُونَ مِنْهَا فَالِنُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۞ ثُرَّ إِنَّ لَمُمْرِّعَلَيْهَا لَشَوْيَا نِنْ جَيهِ ﴿ ثُرَّ إِنَّا مَنْ جِعَهُ رُلِّ لَى ٱلْجَجِيهِ ۞ إِنَّهُمْ أَلْفَوْأُ ءَابَآءَهُمْ صَاَلِينَ ۞ فَهُمْ عَلَنَّ ءَاثَارِهِمْ يُمْ يَعُونَ ۞ وَلَقَدْ صَلَّ فِعَلَمُهُ أَكُ ثُرُالْأَوْلِينَ ۞ وَلَقَدُ أَرْسَكُنَا فِيهِم مُّنذِينِ ٢٠٠٥ فَأَنظُرْكَيْفَكَانَ عَلِقِبَةُ ٱلْمُنذَيِنَ ۞ إِلَّاعِبَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِنَ ۞ وَلَقَدْ نَادَ نِنَا فُحُّ فَلَيْعً مَا ٱلْجِيبُونَ ۞ وَنَجَيَّنَاهُ وَأَمْلَهُ مِنَ ٱلْكَرْبِٱلْمَظِيمِ ۞ A DESCRIPTION OF THE STATE OF T

ينزفون \* وعندهم قاصرات الطرف عين \* كأنهن بيض مكنون﴾ .

يقول تعالى: ﴿ إِلاَّ عباد الله المخلصين فإنهم غير ذائقي العذاب الأليم، لأنهم أخلصوا لله الأعمال، فأخلصهم، واختصهم برحمته، وجاد عليهم بلطفه، ﴿أولئك لهم رزق معلوم) أي: غير مجهول، وإنما هو رزق عظيم جليل، لا يجهل أمره، ولا يبلغ كنهه، فسره بقوله: ﴿فُواكِهِ مِن جميع أَنُواعِ الفُواكِهِ التي تتفكه بها النفسّ، للّذتها في لونها وطعمها. ﴿وهم مكرمون﴾ لا مهانون محتقرون، بل معظمون مجلون موقرون، قد أكرم بعضهم بعضاً، وأكرمتهم الملائكة الكرام، وصاروا يدخلون عليهم من كل باب، ويهنُّئونهم ببلوغ أهنأ الثواب، وأكرمهم أكرم الأكرمين، وجاد عليهم بأنواع الكرامات، من نعيم القلوب والأرواح والأبدان، ﴿في جنات النعيم﴾ أي: الجنات التي النعيم وصفها، والسرور نعتها، وذَّلِك لما جمعته، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وسلمت من كل مخل بنعيمها، من جميع المكدرات والمنغصات.

ومن كرامتهم عند ربهم، وإكرام بعضهم بعضاً، أنهم على ﴿سرر﴾ وهي المجالس المرتفعة، المزينة بأنواع الأكسية

الفاخرة، المزخرفة المجملة، فهم متكشون عليها على وجه الراحة والطمأنينة والفرح. ﴿متقابلين﴾ فيما بينهم، قد صفت قلوبهم ومجبتهم فيما بينهم، ونعموا باجتماع بعضهم مع بعض، فإن مقابلة وجوههم، تدل على تقابل قلوبهم، وتأدب بعضهم مع بعض، فلم يستدبره أو يجعله إلى جانبه، بل من كمال السرور والأدب ما دل عليه ذلك التقابل.

﴿يطاف عليهم بكأس من معين﴾ أي: يتردد الولدان المستعدون لخدمتهم بالأشربة اللذيذة، بالكاسات الجميلة المنظر، المترعة من الرحيق المختوم بالمسك، وهي كاسات الخمر.

وتلك الخمر، تخالف خر الدنيا من كل وجه، فإنها في لونها ﴿بيضاء﴾ من أحسن الألوان، وفي طعمها ﴿لذَة للشاربين﴾ يتلذذ شاربها بها وقت شربها وبعده، وأنها سالمة من غول العقل وذهابه ونزفه ونزف مال صاحبها، وليس فيها صداع ولا كدر، فلما ذكر طعامهم وشرابهم ومجالسهم، وعموم النعيم وتفاصيله داخلة في قوله: ﴿جنات النعيم﴾.

لكن فصل هذه الأشياء لتعلم فتشتاق النفوس إليها، ذكر أزواجهم فقال: ﴿وعندهم قاصرات الطرف عين الله أي: وعند أهل دار النعيم، في محلاتهم القريبة، حور حسان، كاملات الأوصاف، قاصرات الطرف، إما أنها قصرت طرفها على زوجها، لعفتها وعدم مجاوزته لغيره، ولجمال زوجها وكماله، بحيث لا تطلب في الجنة سواه، ولا ترغب إلاَّ به، وإمَّا لأنها قصرت طرف زوجها عليها، وذلك يدل على كمالها وجمالها الفائق، الذي أوجب لزوجها أن يقصر طرفه عليها، وقصر الطرف أيضاً، يدل على قصر النفس والمحبة عليها، وكلا المعنيين محتمل، وكلاهما صحيح، و [كل] هذا يدل على جمال الرجال والنساء في الجنة، وعبة بعضهم بعضاً، محبة لا يطمح إلى غيره، وشدة عفتهم كلهم، وأنه لا حسد فيها ولا تباغض

ولا تشاحن، وذلك لانتفاء أسبابه.

﴿ عين ﴾ أي: حسسان الأعين جيلاتها، ملاح الحدق، ﴿ كأنهن ﴾ أي: الحور ﴿ بيض مكنون ﴾ أي: مستور، وذلك من حسنهن وصفاتهن وكون ألوانهن أحسن الألوان وأبهاها، ليس فيه كذر ولا شين.

﴿٥٠ \_ ٦١ ﴾ ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون \* قال قائل منهم إني كان لى قرين \* يقول أإنك لن المصدقين \* أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمدينون \* قال هل أنتم مطلعون \* فاطلع فرآه في سواء الجحيم \* قال تالله إنَّ كدت لتردين \* ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين \* أفما نحن بميّتين \* إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذّبين \* إنّ هذا لهو الفوز العظيم \* لمثل هذا فليعمل العاملون > لما ذكر تعالى نعيمهم وتمام سرورهم، بالمآكل والمشارب، والأزواج الحسان، والمجالس الحسنة، ذكر تذاكرهم فيما بينهم، ومطارحتهم للأحاديث عن الأمور الماضية، وأنهم ما زالوا في المحادثة والتساؤل، حتى أفضى ذلك بهم، إلى أن قال قائل منهم: ﴿إِنِّ كَانَ لي قرينٌ ﴾ في الدنيا ينكر البعث، ويلومني على تصديقي به، و ﴿يقول﴾ لى ﴿ أَإِنَّكَ لَمْنَ الْمُصَدَّقِينَ ۞ أَإِذَا مَتِنَا وَكُنَا ۗ تراباً وعظاماً أإنا لمدينون﴾ أي: مجازون بأعمالنا؟ أي: كيف تصدق بهذا الأمر البعيد، الذي في غاية الاستغراب، وهو أننا إذا تمزقنا فصرنا ترابأ وعظاماً، أننا نُبعث ونُعاد، ثم نُحاسب ونُجازي أعمالنا؟!!

أي: يقول صاحب الجنة لإخوانه: هذه قصتي، وهذا خبري، أنا وقريني، ما زلت أنا مؤمناً مصدقاً، وهو ما زال مكذباً منكراً للبعث، حتى متنا، ثم بعثنا، فوصلتُ أنا إلى ما ترون من النعيم الذي أخبرتنا به الرسل، وهو لا شك أنه قد وصل إلى العذاب. فرها أنتم مطلعون لا ننظر إليه، فنزداد غبطة وسروراً بما نحن فيه، ويكون ذلك رَأْيَ عين؟ والظاهر من حيال أهل الجنة، وسرور بعضهم

ببعض، وموافقة بعضهم بعضاً، أنهم أجابوه لما قبال، وذهبوا تبعاً له، للاطلاع على قرينه، ﴿فاطلع ﴾ فرأى قرينه ﴿ في سواء الجحيم ﴾ أي: في وسط العداب وغمراته، والعداب قد أحاط به .

فر (قال) له لائماً على حاله، وشاكراً لله على نعمته أن نجاه من كيده: ﴿تالله إن كدت لتردين ﴾ أي: تهلكني بسبب ما أدخلت على من الشُّبه بزعمك، ﴿ولولا نعمة ربُّ على أن ثبتني على الإسلام ﴿لكنت من المحضرين في العذاب معك ﴿أَفِما نحن بميتين \* إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين ﴾ [أي: يقوله المؤمن مبتهجاً بنعمة الله على أهل الجنة بالخلود الدائم فيها والسلامة من العذاب استفهام بمعنى الإثبات والتقرير] أي: يقول لقرينه العذب: أفتزعم أننا لسنا نموت سوي الموتة الأولى، ولا بسعست بسعسدها ولا

وقوله: ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وحذف المعمول، والمقام مقام لذة وسرور، فدلٌ ذلك على أنهم يتساءلون بكل ما يلتذون بالتحدث به، ' والمسائل التي وقمع فيها الشزاع والإشكال.

ومن المعلوم أن لذة أهل العلم بالتساؤل عن العلم والبحث عنه، فوق اللذات الجارية في أحاديث الدنيا، فلهم من هذا النوع النصيب الوافر، ويحصل لهم من أنكشاف الحقائق العلمية في الجنة ما لا يمكن التعبير

فلما ذكر تعالى نعيم الجنة، ووصفه بهذه الأوصاف الجميلة، مدحه، وشؤق العاملين، وحثِّهم على العمل، فقال: ﴿إِنَّ هذا لهو الفور العظيم ﴾ الذي حصل لهم به كل خير، وكلُّ ما تهوى النفوس وتشتهى، واندفع عنهم به كل محذور ومكروه، فهل فوز يطلب

فوقه؟ أم هو غاية الغايات، ونهاية النهايات، حيث حل عليهم رضا رب الأرض والسماوات، وفرحوا بقربه، وتنعموا بمعرفته، واستروا برؤيته، وطربوا لكلامه؟

﴿ لمُّل هذا فليعمل العاملون ﴾ فهو أحق ما أنفقت فيه نفائس الأنفاس وأولى ما شمر إليه العارفون الأكياس، والحسرة كل الحسرة، أن يمضي على الحازم وقت من أوقاته وهو غير مشتغل بالعمل الذي يقرب لهذه الدار، فكيف إذا كان يسير بخطاياه إلى دار البوار؟!! ﴿٢٢ \_ ٤٧﴾ ﴿أَذَلَكُ خِيرِ نَزِلاً أَم شجرة الزقوم \* إنّا جعلناها فتنة للظالمين \* إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم \*طلعهاكأنه رؤوس الشياطين \* فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون \* ثم إنَّ لهم عليها لشوباً من حميم \* ثم إنّ مرجعهم لإلى الجحيم \* إنهم ألفوا آباءهم ضالين \* فهم على آثارهم بهرعون \* ولقد ضلَّ قبلهم أكثر الأولين \* ولقد أرسلنا فيهم منذرين \* فانظر كيف كان عاقبة المنذّرين \* إلاّ عباد الله المخلصين > ﴿أَذُلُكُ خِيرٌ ﴾ أي: ذلك النعيم الذي وصفناه لأهل الجنة خير، أم العذاب الذي مكون في الححيم من جميع أصناف العذاب؟ فأى: الطعامين أولى؟ الذي وصف في الجنة ﴿ أم ﴾ طعام أهل النار؟ وهو ﴿ شبحرة الرقوم \* إنّا جعلناها فتنة له أي: عذاباً ونكالاً ﴿للظالمين﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي. ﴿إنها شبجرة تخرج في أصل الجحيم) أي: وسطه، فهذا تخرجها، ومعدنها أشر المعادن وأسؤؤها، وشر المغرس يدل على شر الغراس وخسته، ولهذا نبهنا الله على شرها بما ذكر أين تنبت به، وبما ذكر من صفة ثمرتها.

وأنها كـ ﴿ رؤوس السياطين ﴾ فلا تسأل بعد هذا عن طعمها، وما تفعل في أجوافهم وبطونهم، وليس لهم عنها مندوحة ولا معدل(٢٠).

٢٧ يُؤَوِّ الصَّاقَاتِ الْمُ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۞ وَتَرَكَّا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِينَ ۞ سَلَمُ عَلَىٰ وَج فِي ٱلْعَلَمِينَ ﴿ إِنَّا كَذَٰ لِكَ تَعْزِي ٱلْمُتَسِنِينَ ﴿ إِنَّا كَذَٰ لِكَ تَعْزِي ٱلْمُتَسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ ثُمَّ أَعْتُهَا ٱلْآلِحَوِينَ ۞ • قاتَ مِن شِيعَتِهِ - لَإِنْزَهِيمَ ۞ إِذْ جَآةَ رَبَّهُ مِقَلْبِ سَلِيبِ هِ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ء مَأْذَا لَتَعَبُدُونَ ۞ أَبِقُكًا ءَ الِحَةَ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ۞ فَمَاطَئُكُمُ بِرَبِ ٱلْعَلِمِينَ۞ فَعَلَى ظَرَةَ فِي ٱلنَّجُومِ ءَالِهَيْهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ۞ مَالَكُمْ لَانْتَطِقُونَ۞ فَرَاغَ عَلَيْهِ مُضَمَّا بِٱلْيَمِينِ ۞ فَأَقِتُلُوا إِلَيْهِ رَفُونَ ۞ قَالَ أَتَعَبُدُونَ مَاتَفِيْتُوذَ ۞ وَلَقَهُ خَلَقَكُمُ وَمَاتَعْتَلُوذَ ۞ قَالُواْ اَبْتُوالْكُهُمُيُّكُنَّا فَأَلْقُوهُ فِي أَنْجِيرِ ۞ فَأَرَادُواْ بِيكِيدًا جَعَلْتُهُمُ ۖ ٱلْأَسْفِلِينَ ﴿ وَقَالَ إِنَّ ذَاهِبُ إِلَّا رَبِّي سَكِيمُدِينِ ﴿ رَبِّ حَبِّ لَي مِنَ ٱلْصَلِيعِينَ ۞ فَبَشِّرْنَكُ بِعُلَىمٍ حَلِيمٍ ۞ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَبُنَّ إِنْ أَرَى فِي ٱلْمُتَامِ أَنْ أَذْبَكُ فَ فَانظُرُ مَاذَاتَ رَفَّى قَالَ عَنَابَتِ اَفْعَلَمَا تُوْمَرُ مُستَجِدُن إِن شَاءً اللهُ مِنَ الصَّلِيدِينَ ۞ OZZADZI W KORZKO

ولهذا قال: ﴿فإنهم لأكلون منها فمالتون منها البطون، فهذا طعام أهل النار، فبئس الطعام طعامهم، ثم ذكر شرابهم فقال: ﴿ثم إن لهم عليها﴾ أي: على أثر هذا الطعام ﴿ للسوبا من حَمِيم ﴾ أي: ماء حاراً، قد انتهى، كما قال ٰتعالى: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً ﴾ وكما قال تعالى: ﴿ورسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم ٠٠٠

﴿ ثُم إِن مرجعهم ﴾ أي: مآلهم ومقرهم [ومأواهم] ﴿ لإلى الجحيم) ليذوقنوا من عنذابه الشديد وحره العظيم، ما ليس عليه مزيد من الشقاء.

وكأنه قيل: ما الذي أوصلهم إلى هذه الدار؟ فقال: ﴿إنهم ألفوا ﴾ أي: وجدوا ﴿آباءهم ضالين \* فهم على آثارهم بهرعون أي: يسرعون في الضلال، فلم يلتفتوا إلى ما دعتهم إليه الرسل، ولا إلى ما حذرتهم عنه الكتب، ولا إلى أقوال الناصحين، بل عارضوهم بأن قالوا: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنَّا على آثارهم مقتدون﴾.

﴿ولقد ضل قبلهم ﴾ أي: قبل هـؤلاء المخاطبين ﴿ أَكُنُو الأولين ﴾ وقليل منهم آمن واهتدي.

﴿ولقد أرسلنا فيهم منذرين

ما بين الحاصرتين زيادة من: ب، وما بعد الحاصرة الثانية شطب عليه فيها، ورأيت إبقاءه لعدم شطبه في: أ. (1)

كذا في: ب، وفي أ: معدن. **(Y)** 

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَمُ لِلْجَيِينِ ﴿ وَنَلَدْيَنَهُ أَن يَنَا تِرَاهِمُ ﴿ فَدَّ صَدَّقَتَ الرُّهُ سِنَّا إِنَّا كُلَّاكَ تَجَدَى ٱلْخُسِينَ ۞ انَّ هَذَا لَهُ ٱلْبِلَوُّا ٱلْدِينُ ۞ وَفَدَيْنَهُ بِذِيْعِ عَظِيمٍ ۞ وَرَّحَتْنَاعَلَيْهِ فِ ٱلْآخِينَ ۞ سَلَامُ عَلَى إِنْكِيمِيمَ ۞ كَذَلِكَ غَرَى ٱلْخُسنِينَ ۞إنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَيَشْرَبُنُهُ بِإِسْحُقَ بَيْتَ امِّنَ الصَّلِيعِينَ ۞ وَبُرَكِنَاعَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحُقُّ وَمِن دُرَّتُتِهِمَا تحيدةٌ وَظَالِرُ لِنَفْسِهِ عَبِينٌ ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَا عَلَى مُوسَى وَهَلُونَ ۞ وَيَغَيَّنَهُمَا وَقُومَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْمَظِيرِ @ وَنَصَرْتَهُمْ فَكَانُواْهُمُ الْعَلِيدِينَ ۞ وَمَالَيْنَهُمَ الْكِتَبُ ٱلْمُسْتَذِينَ ﴿ وَهَدَيْنَهُمَا الْجَرَطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ وَتَرَكَنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْآخِذِينَ ۞ سَكُلُمُ عَلَى مُوسَى وَهَلرُونَ ۞ إِنَّا كَنَاكِ خَيْنِي ٱلْمُحْسِينِينَ ۞ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿ وَمَانَ إِلْكَاسَ لِمَنَ لَلْرُسَالِينَ ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ مَا أَلَاتَتَقُونَ ۞ أَلَمَتْعُونَ بَعَلَا وَيَذَرُونَ أَحْسَنَ آنخلِقِينَ ۞ أَشَدَرَيْكُمْ وَرَبَّ وَابَّ كُمُّ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ TOURS " FOR SEASON

ينذرونهم عن غيهم وضلالهم، فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كانت عاقبتهم الهلاك والخزي والفضيحة، فليحذر هؤلاء أن يستمروا على ضلالهم، فيصيبهم مثل ما أصابهم.

ولما كان المنفرون ليسوا(١) كلهم ضالين، بل منهم من آمن وأخلص ضالين لله، استثناه الله من الهلاك فقال: ﴿ إِلاَ عباد الله المخلصين ﴾ أي: الذين أخلصهم الله، وخصهم برحمته لإخلاصهم، فإن عواقبهم صارت حدة.

ثم ذكر أنموذجاً من عواقب الأمم المكذبين، فقال:

المحلبين، فعال:

(00 - 17) (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون \* ونجيناه وأهله من الكرب العظيم \* وجعلنا ذريته هم الباقين \* وتركنا عليه في الآخرين \* الباقين \* وتركنا عليه في الآخرين \* نجزي المحسنين \* إنه من عبادنا المؤمنين \* ثم أغرقنا الآخرين في يجبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام أول الرسل، أنه لما دعا قومه إلى الله تلك المدة الطويلة، فلم يزدهم دعاؤه إلا قراراً، أنه نادى ربه فقال: (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) الآية.

وقال: ﴿رَبُّ انصرنِ على القوم الفسدين﴾ فاستجاب الله له، ومدح تعالى نفسه فقال: ﴿ فَلَنِعُمَ المجيبون﴾ لدعاء الداعين، وسماع تبتلهم سأل، نجّاه وأهله من الكرب العظيم، وأغرق جميع الكافرين، وأبقى نسله وذريته متسلسلين، فجميع الناس من ذرية نوح عليه السلام، وجعل له ثناء حسناً مستمراً إلى وقت الآخرين، وذلك لأنه محسن في عبادة الخالق، عسن إلى الخلق، وهذه سُنّته تعالى في المحسنين، أن ينشر لهم من الثناء على حسب إحسانهم.

ودلٌ قوله: ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ أن الإيمان أرفع منازل العباد، وأنه مشتمل على جميع شرائع الدين وأصوله وفروعه، لأن الله مدح به خواص خلقه.

﴿٨٣ ـ ١١٣) ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيِعِتُهُ لإبراهيم ◄ إلى آخر القصة، أي: وإن من شيعة نوح عليه السلام، ومَنْ هو على طريقته في النبوة والرسالة، ودعوة الخلق إلى الله، وإجابة الدعاء، إبراهيم الخليل عليه السلام. ﴿ إِذْ جَاء ربهُ بقلب سليم من الشرك والشبه، والشهوات المانعة من تصور الحق والعمل به، وإذا كان قلب العبد سليماً، سلم من كل شر، وحصل له كل خير، ومن سلامته، أنه سليم من غش الخُلْقَ وحسدهم، وغير ذلك من مساوىء الأخلاق، ولهذا نصح الخلق في الله، وبدأ بأبيه وقومه، فقال: ﴿إِذْ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون مذا استفهام بمعنى (٢) الإنكار، وإلزام لهم بالحجة.

و أونكا آلهة دون الله تريدون أي: أتعيدون [من دونه] آلهة كذباً، ليست بآلهة، ولا تصلح للعبادة، فما ظنكم برب العالمين أن يفعل بكم وقد عبدتم معه غيره؟ وهذا ترهيب لهم بالجزاء بالعقاب على الإقامة على شركهم.

وما الذي ظننتم برب العالمين، من

النقص حتى جعلتم له أنداداً وشركاء.

فأراد عليه السلام أن يكسر أصنامهم ويتمكن من ذلك، فانتهز الفرصة في حين غفلة منهم لما ذهبوا إلى عيد من أعيادهم، فخرج معهم ﴿فنظر نظرة في النجوم \* فقال إن سلقيم . في الحديث الصحيح: «لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات: قوله: ﴿ إِنِّ سَقِيمٍ ﴾ وقوله: ﴿ بِلِّ فَعَلَّهُ كبيرهم هذا﴾ وقوله عن زوجته «إنها أختى»، والقصد أنه تخلف عنهم، ليتم له الكيد بآلهتهم ﴿ فَ ﴾ لهذا ﴿ تُولُوا عَنْهُ ا مدبرين الله فلما وجد الفرصة، ﴿فراغ إلى الهتهم أي: أسرع إليها على وجه الخفية والمراوغة، ﴿ فَقَالَ ﴾ متهكماً سا ﴿ الْا تَأْكِلُونَ \* مَا لَكُمَ لَا تَنْطَقُونَ ﴾ أي: فكيف يليق أن تُعبد، وهي أنقص من الحيوانات التي تأكل أو تكلم؟ فهذه جماد لا تأكل ولا تكلُّم. ﴿ فراغ عليهم ضرباً باليمين﴾أي: جعل يضربها بقوته ونشاطه، حتى جعلها جذاذاً، إلا كبيراً لهم، لعلهم إليه يرجعون، ﴿ فَأَقْبِلُوا إِلَيْهِ يَرْفُونَ ﴾ أي: يسرعون ويهرعون، أي: يريدون أن يوقعوا به، بعدما بحثواً وقالوا: ﴿مَنْ فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين .

وقيل لهم: ﴿سمعنا فتي يذكرهم يقال له إبراهيم القول: ﴿تالله لأكيدنُ أصنامكم بعدأن تولوا مدبرين فوبخوه ولاموه، فقال: ﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون \* فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون \* ثم نكسوا على رؤوسهم لقدعلمت ما هؤلاء ينطقون \* قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم الآية. و ﴿قَالَ ﴾ هنا: ﴿أَتَعبدُونَ مَا تنحتون اي: تنحتونه بأيديكم وتصنعونه؟ فكيف تعبدونهم، وأنتم الذين صنعتموهم، وتتركون الإخلاص ش؟ الذي ﴿ خلقكم وما تعملون \* قالوا ابنوا له بنياناً أي: عالياً مرتفعاً، وأوقدوا فيها النار

﴿ فَالْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ جزاء على ما فعل من تكسير الهتهم .

﴿فأرادوا بِه كيداً ﴾ ليقتلوه أشنع قتلة ﴿فجعلناهم الأسفلين ﴾ رد الله كيدهم في نحورهم، وجعل النار على إبراهيم برداً وسلاماً.

﴿وَ﴾ لما فعلوا فيه هذا الفعل، وأقام عليهم الحجة، وأعذر منهم، ﴿قال إِنِ ذَاهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ الأرض المباركة أرض الشام. ﴿سيهدين﴾ يدلني إلى ما فيه الخير لي، من أمر ديني ودنياي، وقال في الآية الأخرى: ﴿وَأَعْتَرْلُكُم وَمَا تَدْعُونُ مَنْ وَنَا لا أَكُونُ لا أَكُونُ اللهِ وَاحْوَرُ مِنْ عَسَى أَنْ لا أَكُونُ اللهِ عاء ربي شقياً﴾.

﴿رَبُّ هَبُ لِي﴾ ولداً يكون ﴿من الصالحين﴾ وذلك عندما أيس من قومه ولم يرَّ فيهم خيراً، دعا الله أن يهب له علاماً صالحاً ينفع الله به في حياته وبعد عماته، فاستجاب الله له وقال: ﴿فَبَسُرناه بغلام حليم﴾ وهذا إسماعيل عليه السلام بلا شك، فإنه ذكر بعده في بشراه بإسحاق؛ ولأن الله تعالى قال في بشراه بإسحاق ﴿فبشرناها] بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ في أن إسحاق غير الذبيع، فدل على أن إسحاق غير الذبيع، ووصف الله إسماعيل عليه السلام بالحلم، وهو ينضمن الصبر، وحسن الخلق، وسعة الصدر، والعفو عمن

بيني.

﴿ فلما بلغ ﴾ الغلام ﴿ معه السعي ﴾

أي: أدرك أن يسعى معه، وبلغ سنا يكون في الغالب أحب ما يكون لوالديه، قد ذهبت مشقته، وأقبلت منفعته، فقال له إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنّ أَرى في المنام أني أذبحك ﴾ أي: قد رأيت في المنوم والرؤيا، أن الله يأمرني بذبحك، ورؤيا(١) الأنبياء وحي، ﴿ فانظر ماذا ترى ﴾ فإن أمر الله تعلى لا بد من تنفيذه، ﴿ قال له وباراً بوالده: ﴿ فيا أبتِ افعل ما تؤمر ﴾ أي: [امض] لما أمرك الله ﴿ ستجدن إن

شاء الله من الصابرين أخبر أباه أنه موطن نفسه على الصبر، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى، لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله تعالى.

﴿فلما أسلما ﴾ أي: إبراهيم وابنه إسماعيل، جازماً بقتل ابنه وثمرة فؤاده، امتثالاً لأمر ربه، وخوفاً من عقابه، والابن قد وطن نفسه على الصبر، وهانت عليه في طاعة ربه، ورضا والده، ﴿وتله للجبين﴾ أي: تلُّ إبراهيم إسماعيل على جبينه، ليضجعه فيذبحه، وقد انكب لوجهه لئلا ينظر وقت الذبح إلى وجهه.

رضاناً على شهوات أنفسهم.

﴿إِن هذا﴾ الذي امتحنا به إبراهيم عليه السلام ﴿لهو البلاء المبين﴾ أي: الواضح، الذي تبين به صفاء إبراهيم، وكمال عبته لربه وخلته، فإن إسماعيل عليه السلام لما وهبه الله لإبراهيم، أحبه حبأ شديداً، وهو خليل الرحن، والخلة أعلى أنواع المحبة، وهو منصب لا يقبل المشاركة ويقتضى أن تكون جميع أجزاء القلب متعلقة بالمحبوب، فلما تعلقت شعبة من شعب قلبه بابنه إسماعيل، أراد تعالى أن يصفى وُدُّه ويختبر خلته، فأمره أن يذبح مَنْ زَاحم حبّه حبّ ربه، فلما قدّم حب الله، وآثره على هواه، وعزم على ذبحه، وزال ما في القلب من المزاحم، بقى الذبح لا فائدة فيه، فلهذا قال: ﴿إِن هذا لهو البلاء المين \* وفديناه بذبح عظيم﴾ أي: صار بدله ذبح من الغنم عظيم، ذبحه إبراهيم، فكان عظيماً من جهة أنه كان فداء لإسماعيل، ومن جهة أنه من جملة العبادات الجليلة، ومن جهة أنه كان قرباناً وسُنّة إلى يوم

القيامة .

﴿ وتركنا عليه في الآخرين \* سلامٌ على إبراهيم \* أي: وأبقينا عليه ثناء صادقاً في الآخرين، كما كان في الأولين، فكل وقت بعد إبراهيم عليه السلام، فإنه [فيه] محبوب معظم مثنى عليه.

﴿سلام على إبراهيم ﴾ أي: تحيته عليه كقوله: ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾.

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحسنِينَ ﴾ في عبادة الله، ومعاملة خلقه، أن نفرج عنهم الشدائد، ونجعل لهم العاقبة والثناء الحسن.

﴿إِنه من عبادنا المؤمنين ﴾ بما أمر الله بالإيمان به، الذين بلغ بهم الإيمان إلى درجة اليقين، كما قال تعالى: ﴿وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقين ﴾.

﴿ ١١٢﴾ ﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴾ هذه البشارة الثانية بإسحاق، الذي من وراثه يعقوب، فبشر بوجوده وبقائه، ووجود ذريته، وكونه نبياً من الصالحين، فهي بشارات متعددة.

﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾ أي: أنزلنا عليهما البركة، التي هي النمو والزيادة في علمهما وعملهما وذريتهما، فنشر الله من ذريتهما ثلاث أمم عظيمة: أمة العرب من ذرية إسماعيل، وأمة بني إسرائيل، وأمة الروم من ذريمة إستحماق. ﴿ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين، أي: منهم الصالح والطالح، والعادل والظالم الذي تبين ظلمه بكفره وشركه، ولعل هذا من باب دفع الإيهام، فإنه لما قال: ﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾ اقتضى ذلك البركة في ذريتهما، وأن من تمام البركة، أن تكون الذرية كلهم محسنين، فأخبر الله تعالى أن منهم محسناً وظالماً، والله أعلم.

﴿١١٤ \_ ١٢٢) ﴿ ولقد مننا على

موسى وهارون الله آخر القصة يذكر تعالى مئته على عبديه ورسوليه موسى وهارون ابني عمران، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله تعالى، ونجاتهما وقومهما من عدوهما أغرقه الله وهم ينظرون، وإنزال الله عليهما الكتاب المستبن، وهو التوراة التي فيها الأحكام والمواعظ وتفصيل كل شيء، وأن الله هداهما الصراط المستقيم، بأن شرع لهما ديناً ذا أحكام وشرائع مستقيمة موصلة إلى الله، ومَنْ عليهما بسلوكه.

﴿ وتركنا عليهما في الآخرين \*
سلامٌ على موسى وهارون الآخرين ،
عليهما ثناء حسناً، وتحية في الآخرين،
ومن باب أولى وأحرى في الأولين ﴿ إِنّا كذلك نجزي المحسنين \* إنهما من عبادنا المؤمنن ﴾ .

﴿١٢٣ ــ ١٣٣﴾ ﴿وإن إلياس لمن المرسلين \* إذ قال لقومه ألا تتقون \* أتسدعسون بسعسلا وتسذرون أحسسن الخالقين \* الله ربكم ورب آبائكم الأولين \* فكذبوه فإنهم لمحضرون \* إلا عباد الله المخلصين \* وتركنا عليه في الآخرين \* سلام على إلَّ ياسين \* إنا كذلك نجزي المحسنين \* إنه من عبادنا المؤمنين ﴾ يمدح تعالى عبده ورسوله إلياس عليه الصلاة والسلام، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله، وأنه أمر قومه بالتقوى وعبادة الله وحده، ونهاهم عن عبادتهم صنماً لهم يقال له «بعل»، وتركهم عبادة الله، الذي خلق الخلق، وأحسن خلقهم، ورباهم فأحسن تربيتهم، وأدرَّ عليهم النِّعَم الظاهرة والباطنة، وأنكم كيف تركتم عبادة الله مَنْ هذا شأنه، إلى عبادة صنم لا يضر ولا ينفع، ولا يخلق ولا برزق، بل لا يأكُّل ولا يتكلم؟!! وهل هذا إلاً من أعظم الضلال والسفه والغي؟!!

﴿فكذبوه ﴾ فيما دعاهم إليه، فلم ينقادوا له، قال الله متوعداً لهم: ﴿فإنهم لمحضرون ﴾ أي: يوم القيامة

في العذاب، ولم يذكر لهم عقوبة دنيوية. ﴿إِلاَ عباد الله المخلصين﴾ أي: الذين أخلصهم الله ومنَ عليهم باتباع نبيهم، فإنهم غير محضرين في المعذاب، وإنما لهم من الله جزيل الشواب. ﴿وتركنا عليه﴾ أي: على إلياس ﴿في الآخرين﴾ ثناء حسناً، ﴿وسلام على إلْ ياسين﴾ أي: تحية من الله ومن عباده عليه.

﴿إِنَّا كَذَلَكَ نَجَزَي المُحسنين \* إنه من عبادنا المؤمنين﴾ فأثنى الله عليه كما أثنى على إخوانه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿ ١٣٨ – ١٣٨ ﴾ ﴿ وإن لبوطاً لمن المرسلين \* إذ نجيناه وأهله أجمعين \* إلا عجوزاً في الغابرين \* ثم دمرنا الآخرين \* وإنكم لتمرون عليهم مصبحين \* وبالليل أفلا تعقلون ﴾ وهذا ثناء منه تعالى على عبده ورسوله لوط، بالنبوة والرسالة، ودعوته إلى الله قومه، ونهيهم عن الشرك وفعل الفاحشة، فلما لم ينتهوا، نجاه الله وأهله أجمعين، فسروا ليلاً فنجوا.

﴿ إِلاَّ عجوزاً في الغابرين ﴾ أي: الباقين المعذبين، وهي زوجة لوط لم تكن على دينه. ﴿ وُثم دمرنا الآخرين ﴾ بأن قلبنا عليهم ديارهم ﴿ فجعلنا عاليها سافلها، وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ﴾ حتى همدوا وخدوا.

﴿وإنكم لتمرون عليهم ﴾ أي: على ديار قوم لوط ﴿مصبحين \* وبالليل ﴾ أي: في هذه الأوقات يكثر ترددكم إليها ومروركم بها، فلم تقبل الشك والمرية. ﴿أَفُلا تَعْقَلُونَ ﴾ الآيات والعبر، وتنزجرون عمّا يوجب الهلاك؟

(۱۳۹ – ۱۶۸) ﴿ وَإِن يَونَسَ لَمْ الْرَسِلِينَ ﴾ إلى آخر القصة. وهذا ثناء منه تعالى على عبده ورسوله يونس بن متى، كما أثنى على إخوانه المرسلين، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله، وذكر تعالى عنه، أنه عاقبه عقوبة دنيوية، أنجاه منها بسبب إيمانه وأعماله الصالحة، فقال: ﴿ إِذَ أَبِقَ ﴾

أي: من ربه مغاضباً له، ظاناً أنه لا يقدر عليه، ويحبسه في بطن الحوت، ولم يذكر الله ما غاضب عليه، ولا ذنبه الذي ارتكبه، لعدم فائدتنا بنكره، وإنما فائدتنا بما ذُكُرنا عنه أنه أذنب، وعاقبه الله مع كونه من الرسل الكرام، وأنه نجاه بعد ذلك، وأزال عنه اللام، وقيض له ما هو سبب صلاحه.

فلما أبق لجأ ﴿إلى الفلك المسحون﴾ بالركاب والأمتعة، فلما ركب مع غيره، والفلك شاحن، ثقلت السفينة، فاحتاجوا إلى إلقاء بعض الركبان، وكأنهم لم يجدوا لأحد مزية في ذلك، فاقترعوا على أن مَنْ قرع وغلب، ألقي في البحر عدلاً من أهل السفينة، وإذا أراد الله أمراً هيا أسبابه.

فلما [اقترعوا] أصابت القرعة يونس ﴿فكان من المدحضين﴾ أي: المغلوبين، فألقي في البحر ﴿فالتقمه الحوت وهو﴾ وقت التقامه ﴿مليم﴾ أي: فاعل ما يلام عليه، وهو مغاضبته لربه.

﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ أي: في وقته السابق بكثرة عبادته لربه وتسبيحه وتحميده، وفي بطن الحوت حيث قال: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنتُ من الظالمين﴾.

﴿لَلَبُ في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ أي: لكانت مقبرته، ولكن بسبب تسبيحه وعبادته لله، نجّاه الله تعالى، وكذلك ينجي الله المؤمنين عند وقوعهم في الشدائد. ﴿فنبذنه بالعراء ﴾ وهي الأرض الخالية العارية من كل أحد، بل ربما كانت عارية من الأشجار والظلال. ﴿وهو سقيم أي: قد سقم ومرض ، بسبب حبسه في بطن الحوت، حتى صار مثل الفرخ المعوط من البيضة.

﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ﴾ تظله بظلها الظليل، لأنها بادرة باردة الظلال، ولا يسقط عليها ذباب، وهذا من لطفه به وبره.

ثم لطف به لطفاً آخر، وامْتَنَّ عليه مِثَةً عظمى، وهو أنه أرسله ﴿إلى مئة الف﴾ من الناس ﴿أو يزيدون﴾ عنها، والمعنى أنهم إن ما زادوا لم ينقصوا، فدعاهم إلى الله تعالى.

﴿فاَمنوا﴾ فصاروا في موازينه، لأنه الداعي لهم، ﴿فمتعناهم إلى حين﴾ بأن صرف الله عنهم العذاب بعدما انعقدت أسبابه، قال تعالى: ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾.

﴿۱٤٩ ـ ۱۵۷﴾ ﴿فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون \* أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون \* ألا إنهم من إفكهم ليقولون \* ولد الله وإنهم لكاذبون \* أصطفى البنات على البنين \* ما لكم كيف تحكمون \* أفلا تذكرون \* أم لكم سلطانً مبين \* فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين الله يقول تعالى لنبيه على: ﴿ فاستفتهم ﴾ أي: اسأل المشركين بالله غيره، الذين عبدوا الملائكة، وزعموا أنها بنات الله، فجمعوا بين الشرك بالله ووصفه بما لا يليق بجلاله، ﴿أَلْرَبُكُ البنات ولهم البنون ﴾ أي: هذه قسمة ضيزي، وقول جائر، من جهة جعلهم الولد لله تعالى، ومن جهة جعلهم أردأ القسمين وأخسهما له وهو البنات التي لا يرضونهن لأنفسهم، كما قال في الآية الأخرى ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون، ومن جهة جعلهم الملائكة بنات الله، وحكمهم ىذلك .

قال تعالى في بيان كذبهم: ﴿أَم خَلَقْنَا المُلائكة إناثاً وهم شاهدون﴾ خلقهم؟ أي: ليس الأمر كذلك، فإنهم ما شهدوا خلقهم، فدل على أنهم قالوا هذا القول بلا علم، بل افتراء على الله، ولهذا قال: ﴿أَلا إِنهم من إِفَكَ هَمَا الوَاضَحَمَ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى الله عَلَى

﴿ليقــولــون \* ولــد الله وإنهــم لكاذبون﴾

﴿أصطفى﴾ أي: اختار ﴿البنات على البنين \* ما لكم كيف تحكمون﴾ هذا الحكم الجائر ﴿أفلا تذكرون﴾ وتميزون هذا القول الباطل الجائر، فإنكم لو تذكرتم لم تقولوا هذا القول. ﴿أم لكم سلطان مبين﴾ أي: حجة ظاهرة على قولكم، من كتاب أو

وكل هذا غير واقع، ولهذا قال: ﴿فأتوا بكتابكم إن كنتم صادتين﴾ فإن مَنْ يقول قولاً لا يقيم عليه حجة شرعية، فإنه كاذب متعمد، أو قائل على الله بلا علم.

﴿١٦٠ \_ ١٥٨﴾ ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون \* سبحان الله عما يصفون \* إلا عباد الله المخلصين ﴾ بين الله وبين الجنة نسباً، حيث زعموا أن الملائكة بنات الله، وأن أمهاتهم سروات الجن، والحال أن الجنة قد علمت أنهم محضرون بين يدي الله، ولينه نسب لم يكونوا(١) كذلك.

وسبحان الله الملك العظيم، الكامل الحليم، عمّا يصفه به المشركون من كل وصف أوجب كفرهم وشركهم.

﴿ إِلاَ عباد الله المخلصين ﴾ فإنه لم ينزه نفسه عمّا وصفوه به ، لأنهم لم يصفوه إلا بما يليق بجلاله ، وبذلك كانوا مخلصين .

(171 - 171) ﴿ فانتكم وما تعبدون \* ما أنتم عليه بفاتنين \* إلا من هو صال الجحيم أي: إنكم أيها المسركون ومَنْ عبدتموه مع الله ، لا تقدرون أن تفتنوا وتضلوا أحداً ، إلا من قضى الله أنه من أهل الجحيم ، فينفذ فيه القضاء الإلهى ، والمقصود من

اللَّذَّيْوُهُ وَانَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۞ إِلَّاءِبَادَاللَّهِ ٱلْخُلَصِينَ ۞ وَتَرَكَنَاعَلَيْهِ فِي ٱلْآخِينَ ۞ سَلَدُعَلَ إِلْ بَاسِينَ ۞ إِنَّا كَذَلِكَ نَحْذِي ٱلْمُحْسِينِينَ ۞ إِنَّهُ مِنْ عِسَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ لُوطًا لِّمِنَ الْتُرْسَلِينَ ۞ إِذْ نَجَيَّنَـٰكُهُ وَأَهْلَهُۥوَأَجْمَعِينَ ﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْمَايِينَ ﴿ ثُرَّدَتَمَا ٱلْآَفِينَ ۞ وَالَّكُرُ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُصْبِعِينَ ۞ وَيِٱلْيُلِ أَفَلَا تَعْقِلُوكَ۞ وَإِنَّ يُونُسَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ أَبْقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمُنْحُونِ۞ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْدُحَيَٰئِينَ ۞ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوْتُ وَهُوَمُلِيتُمُ ﴿ فَلُوَلَّا أَنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَيِّحِينَ ﴿ لَيْتَ فِي بَطْنِهِ مَ إِلَّ يَوْمِ يُبَعَثُونَ ﴿ \* فَنَبَذْنَهُ بِالْمُسَنَّ وَهُوَسَقِيمُ ۞ وَأَبْلَنَا عَلَيْهِ مُنْجَزَةً مِن يَقْطِينِ وَأَرْسَلْنَهُ إِلَّهِ الْهِ أَنْهِ أَوْرَبِيلُونَ 🏻 ۞ فَنَامَتُواْ فَتَغَنَاهُمُ إِلَىٰ حِينِ ۞ فَأَسْتَفْتِهِمُ ٱلرَّبِكَ الْبَنَاتُ وَلَمَهُ وَالْبَنُونَ ﴿ أَمْرَخَلَقْنَا ٱلْلَيْبِكَةَ إِنْفَا وَهُمْ السُّهُ دُونَ ﴿ أَلَّا إِنَّهُ مُعَنَّ إِفَّكِهِمْ لَيَعُولُونَ ﴿ وَلَدَّاللَّهُ أُ وَإِنَّهُ مُرْلَكَ لِمُونَ ۞ أَصْطَلَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَيْنِ ۞ ON TON WE TO VERY

هذا، بيان عجزهم وعجز آلهتهم عن إضلال أحد، وبيان كمال قدرة الله تعالى، أي: فلا تطمعوا بإضلال عباد الله المخلصين وحزبه المفلحين.

﴿ ١٦٦ - ١٦١﴾ ﴿ وما منا إلا له مقام معلوم \* وإنا لنحن الصافون \* وإنا لنحن الصافون \* براءة الملائكة عليهم السلام عمّا قاله فيهم المشركون، وأنهم عباد الله، لا يعصونه طرفة عين، فما منهم من أحد إلا له مقام وتدبير قد أمره الله به، لا يتعداه ولا يتجاوزه، وليس لهم من الأمر شيء.

﴿ وَإِنَّا لَنحن الصَّافُون ﴾ في طاعة الله وخدمته ﴿ وَإِنَّا لَنحن المسبُحون ﴾ له عما لا يليق به . فكيف \_ مع هذا \_ يصلحون أن يكونوا شركاء شع! تعالى الله .

﴿ ١٦٧ - ١٦٧ ﴾ ﴿ وإن كانوا ليقولون \* لو أن عندنا ذكراً من الأولين \* لكنا عباد الله المخلصين \* فكفروا به فسوف يعلمون \* ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين \* إنهم لهم المنصورون \* وإن جندنا لهم الغالبون \* فتول عنهم حتى حين ﴾ إلى آخر السورة. يخبر تعالى أن هؤلاء المشركين يظهرون التمني، ويقولون: لو جانا من الذكر والكتب ما جاء

مَالِكُوكِيْتَ تَحَكُّمُونَ ۞ أَفَلَانَذَكُّرُونَ ۞ أَمْلُكُمْ مِنْهَالَهُ مُبِينٌ ۞ فَأَوَّا بِكِنَابِكُو إِن كُمْ تُرْصَادِ قِينَ ۞ وَحَمَلُواْ يِنْدُ وَيَن ٱلْحِنَّةِ نَسَبَأُ وَلَقَدْ عِلْمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَكُحْفَرُونَ سُبْحَنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِعُونَ ۞ إِلَّاعِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْخُلُصِينَ ۞ فَإِنَّكُمُ وَمَاتَقَبُدُونَ ۞ مَآ أَشَرُعَلَيْهِ بِفَلِيِّينَ ۞ إِلَّامَنْ هُوَمَا الْأَجْيَمِ ﴿ وَمَامِنَّا إِلَّا لَهُمَعَامُ مَعَلُومٌ ۞ قَانَا لَتَحَنَّ الصَّافَوْنَ ۞ وَإِنَّا لَغَتُو ٱلْمُسَيِّحُونَ ۞ وَإِنْ كَانُواْ لِيَعُولُونَ ۞ لَوَأَنَّ عِندَنَا ذِكْرُا يِّنَٱلْأَوَّايِنَ۞ ٱكْثَاعِبَادَامَّهِ الْظُلِّصِينَ۞ فَكَفَّرُواْبِيِّرِفَسَوْفَ يَعْلَوُنَ @وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِثُنَا لِعِبَادِمَا الْمُرْسَلِينَ ﴿ إِنَّهُمْ لَمُمُ الْنُصُورُونَ ۞ وَإِنَّ جُندَنَا لَمُتُمُ ٱلْفَلِبُونَ ۞ فَقُلْ عَنْهُمْ حَتَّى حِير د وَأَبْعِيرُهُرُ فَسَوْفَ يُبْعِيرُونَ ۞ أَفِيعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ۞ فَإِذَا نَزْلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَلَّهَ مَسَبَاحُ لَلْنُدُوعِنَ ﴿ وَقَلَّا عَنْهُمْ حَقَّارِعِينِ ﴿ وَأَيْصِدْ فَمَتُوْفَ يُبْعِيرُونَ ۞ سُبْحَنَ زَيِكَ رَبِ ٱلْحِنَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ @ وَسَلَامُ عَلَى ٱلْمُرْسِلِينَ ۞ وَالْحَسَّادُ بِلَهِ رَبِّ ٱلْعَسَلَمِينَ ۞ THE PROPERTY OF THE PARTY OF TH TO DE TOUR LOT LE CONTROL LO CONT

الأولين، لأخلصنا لله العبادة، بل لكنا المخلصين على الحقيقة.

وهم كَذَبة في ذلك، فقد جاءهم أفضل الكتب فكفروا به، فعلم أنهم متمردون على الحق، وفسوف يعلمون العذاب حين يقع بهم، ولا يحسبوا أيضاً أنهم في الدنيا كالبون، بل قد سبقت كلمة الله التي لا مرد لها ولا مخالف لها لعباده المسلين وجنده المفلحين، أنهم المغالبون لغيرهم، المنصورون من ربهم المغالبون فيه من إقامة دينهم، وهذه بشارة عظيمة لمن اتصف بأنه من جند الله، بأن كانت أحواله مستقيمة، وقاتل من أمر بقتالهم، أنه غالب منصور.

ثم أمر رسوله بالإعراض عمن عاندوا ولم يقبلوا الحق، وأنه ما بقي إلا انتظار ما يحل بهم من العذاب، ولهذا قال: ﴿وأبصرهم فسوف يبصرون﴾ من يحل به النكال، فإنه سيحل بهم. ﴿فَإِذَا نَوْلُ بِسَاحِتُهُمْ ﴾ أي: نزل عليهم، وقريباً منهم ﴿فَسَاء صباح المنذرين﴾ لأنه صباح الشر والعقوبة والاستنصال. ثم كرر الأمر بالتولي عنهم، وتهديدهم بوقوع العذاب.

ولما ذكر في هذه السورة كثيراً من

أقوالهم الشنيعة التي وصفوه بها، نزه نفسه عنها فقال: ﴿سبحان ربك﴾ أي: آي: آي: آي: آلي: آلية وتعلى ﴿ربِّ العِرَّةِ﴾ [أي: آكل سوء يصفونه به، ﴿وسلامً على المُرْسَلِينَ﴾ لسلامتهم من المذنوب والآفات، وسلامة ما وصفوا به فاطر الأرض والسماوات.

واللام للاستغراق، فجميع أنواع الحمد واللام للاستغراق، فجميع أنواع الحمد من الصفات الكاملة العظيمة، والأفعال التي ربى بها العالمين، وأدرً عليهم فيها النعم، وصرف عنهم بها النقم، ودبرهم تعالى في حركاتهم وسكونهم، وفي جميع أحوالهم، كلها لله تعالى، فهو المقدس عن النقص، المحمود بكل كمال، المحبوب النقص، المحمود بكل كمال، المحبوب ومن اتبعهم في ذلك له السلامة في الدنيا والآخرة. [وأعداؤه لهم الهلاك والعطب في الدنيا والآخرة](۱).

تسم تفسير سورة الصافات

في ٦ شوال سنة ١٣٤٣ هـ على يد جامعه وكاتبه: عبد الرحن بن ناصر السعدي وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليماً والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

المجك السابع من تيسيّر الكريم المنان في تفسير آيات القرآن لجامعه: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي غفر الله له ولوائنيه وجميع المسلمين

### تفسیر سورة ص وهي مکية

﴿ ١٠١﴾ ﴿ بسم الله السرحمن الله السرحمن المرحيم ص والقرآن ذي الذكر \* بل الذين كفروا في عزة وشقاق \* كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص \* وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب \* أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب \* وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا

لشيء يراد \* ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق \* أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عداب \* أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب \* أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب \* جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ﴾ هذا بيان من الله تعالى لحال القرآن، وحال المكذبين به معه ومع مَنْ جاءبه، فقال: ﴿ص والقرآن ذِي الذُّكُر﴾ أي: ذي القدر العظيم والشرف، الْمُذَكِّر للعباد كل ما يحتاجون إليه من العلم، بأسماء الله وصفاته وأفعاله، ومن العلم بأحكام الله الشرعية، ومن العلم بأحكام المعاد والجزاء، فهو مذكر لهم في أصول دينهم وفروعه.

وهنا لا يحتاج إلى ذكر المقسم عليه، فإن حقيقة الأمر، أن المقسم به وعليه شيء واحد، وهبو هنذا البقبرآن، الموصوف بهذا الوصف الجليل، فإذا كان القرآن بهذا الوصف، علم ضرورة العباد إليه فوق كل ضرورة، وكان البواجب عليهم تَلقيه بالإيمان والتصديق، والإقبال على استخراج ما يتذكر به منه.

فهدى الله من هدى لهذا، وأبى الكافرون به وبمن أنزله، وصار معهم الكافرون به وبمن أنزله، وصار معهم الإعراق وشقاق له، أي: مشاقة ومخاصمة في رده وإبطاله، وفي القدح بمن جاء به.

فتوعدهم بإهلاك القرون الماضية المكذبة بالرسل، وأنهم حين جاءهم الهلاك، نادوا واستغاثوا في صرف العذاب عنهم ولكن ﴿لات حين مناص﴾ أي: وليس الوقت وقت خلاص مما وقعوا فبه، ولا فرج لما أصابهم، فَلْيَحْذَرُ هؤلاء أن يدوموا على عزتهم وشقاقهم، فيصيبهم ما أصابهم.

﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم أي: عجب هؤلاء الكذبون في أمر ليس محل عجب، أن جاءهم منذر منهم، ليتمكنوا من التلقي عنه، وليعرفوه حق المعرفة، ولأنبه من قومهم، فلا تأخذهم النخوة القومية عن اتباعه، فهذا مما يوجب الشكر عليهم، وتمام الانقياد له.

ولكنهم عكسوا القضية، فتعجبوا

تعجب إنكار وقالوا من كفرهم وظلمهم: ﴿هذا ساحِر كَذَابٌ ﴾ وذنبه \_عندهم \_أنه ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إلهاً واحداً أي: كيف ينهى عن اتخاذ الشركاء والأنداد، ويأمر بإخلاص العبادة لله وحده. ﴿إِن هَذَا ﴾ الذي جاء به ﴿لشيء عُجَابٌ ﴾ أي: يقضى منه العجب لبطلانه وفساده. ﴿وانطلق الملا منهم المقبول قولهم، محرضين قومهم على التمسك بما هم عليه من الشرك. ﴿أن امشوا واصبروا على <u>الستكم</u>♦ أي: استمروا عليها، وجاهدوا نفوسكم في الصبر عليها وعلى عبادتها، ولا يردكم عنها راد، ولا يصدنكم عن عبادتها صاد. ﴿إن هذا ﴾ الذي جاء به محمد، من النهى عن عبادتها ﴿لشيء يُسرَادُ ﴾ أي: يقصد، أي: له قصد ونية غير صالحة في ذلك، وهذه شبهة لا تروج إلاّ على السفهاء، فإن مَنْ دعا إلى قول حق أو غير حق، لا يرد قوله بالقدح في نيته، فنيته وعمله له، وإنما يرد بمقابلته بما يبطله ويفسده، من الحجج والبراهين، وهم قصدهم، أن محمداً، ما دعاكم إلى ما دعاكم، إلا ليرأس فيكم، ويكون مُعَظِّمَاً عندكم، متبوعاً ﴿ما سمعنا بهذا ﴾ القول الذي قاله، والدين الذي دعا إليه ﴿في الملة الآخرة﴾ أي: في الوقت الأخير، فلا أدركنا عليه آباءنا، ولا آباؤنا أدركوا آباءهم عليه، فامضوا على الذي مضى عليه آباؤكم، فإنه الحق، وما هذا الذي دعا إليه محمد إلا اختلاق اختلقه، وكذب افتراه، وهذه أيضاً شبهة من جنس شبهتهم الأولى، حيث ردوا الحق بما ليس بحجة لرد أدنى قول، وهو أنه قول مخالف لما عليه

آباؤهم الضالون، فأين في هذا ما يدل على بطلانه؟

﴿ أَأْنُولَ عَلَيهِ الذُّكُرُ مِن بِينَنا ﴾ أي: ما الذي فضّله علينا، حتى ينزَّل الذُّكُر عليه من دوننا، ويخصه الله به؟ وهذه أيضاً شبهة، أين البرهان فيها على رد ما قاله؟ وهيل جميع الرسيل إلا بهذا الوصف، يَمُنُّ الله عليهم برسالته، ويأمرهم بدعوة الخلق إلى الله، ولهذا، لما كانت هذه الأقوال الصادرة منهم لا يصلح شيء منها لردما جاء به الرسول، أخبر تعالى من أين صدرت، وأنهم ﴿في شك من ذِكري﴾ ليس عندهم علم ولا بينة.

فلما وقعوا في الشك وارتضوا به، وجياءهم الحيق البواضح، وكيانبوا جازمين بإقامتهم على شكهم، قالوا ما قالوا من تلك الأقوال لدفع الحق، لا عن بينة من أمرهم، وإنما ذلك من باب الائتفاك منهم.

ومن المعلوم، أن مَنْ هو بهذه الصفة يتكلم عن شك وعناد، إن قوله غير مقبول، ولا قادح أدنى قدح في الحق، وأنه يتوجه عليه الذم واللوم بمجرد كلامه، ولهذا توعدهم بالعذاب، فقال: ﴿بل لما يذوقوا عذاب أي: قالوا هذه الأقوال، وتجرؤوا عليها، حيث كانوا ممتعين في الدنيا، لم يصبهم من عذاب الله شيء، فلو ذاقوا عذابه لم يتجرؤوا.

﴿ أَم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب، فيعطون منها مَنْ شاؤوا، ويمنعون منها مَنْ شاؤوا، حيث قالوا: ﴿ أَأْنُولُ عَلَيهُ الذُّكُرِ مِنْ بِينِنا ﴾ أي: هذا فضله تعالى ورحمته، وليس ذلك بأيديهم حتى يتحجروا على الله.

﴿ أُم لِهِم مَلَكَ السماوات والأرض وما بينهما﴾ بحيث يكونون قادرين على ما يريدون. ﴿فليرتقوا في الأسباب﴾ الموصلة لهم إلى السماء، فيقطعوا الرحمة عن رسول الله، فكيف يتكلمون، وهم أعجز خلق الله وأضعفهم بما تكلموا به؟! أم قصدهم

٢٨ يُولُوطِنَا حافقا انتزالتف مَنْ وَٱلْقُرْوَانِ ذِي ٱلذِّكْرِ ﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ أَهَدُوا فِي عِزْ وَمِثْقَاقِ ۞ كُوأَهْلَكُمَا مِن قَيْلِهِ مِنْ قَرْدِ فَنَادُواْ قَلَاتَ حِينَ مَنَاسٍ ۞ وَعَجِبُواْ أَن جَآيَهُ مُ مُنذِرُ مِنْ فَمُرَّا وَقَالَ ٱلْكَفِرُونَ هَذَاسَ حِرْسَكَ ذَابُ أَجْعَلَ ٱلْآلِمَةَ إِلَهَا وَعِيًّا إِنَّ هَلَا لَثَىُّ مُعُمَّاتٌ ۞ وَالطَّلَقَ ٱلْكُذَّ مِنْهُمْ أَنِ أَنشُواْ وَأَصْبِرُواْ عَلَى ٓ الْهَيَكُمْ ۗ لِنَّا مَنا لَنَيْ يَمُوادُن مَاسَيِعْنَابِهَذَافِ لِلْلَةَ ٱلْآيِزَةِ إِنْ هَلْذَآ إِلَّا أَخْتِكُمُّ ۞ أَمُزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُمُنُ بَيْنِنَا ۚ بَلْ حُرْفِي شَكِي مِن ذِكْرِيٌّ بَلِ لَكَايَدُ وَقُواٰ عَذَابٍ ۞ أَرْعِندَهُ وَخَنَ إِنْ رَحْمَةِ رَيِّكَ ٱلْعَرِينِ ٱلْوَهَابِ۞ أَمْ لَمُرْمَّكُ ٱلسَّنَوَكِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا يَنْتَهُمُّنَا فَلِيَّتِ زَيْعُوا فِي ٱلْأَسْبَلِ ۞ جُندٌ مَا هُنَالِكَ مَهْ زُومٌ مِنَ ٱلْأَحْدَابِ۞ كَذَبَتْ مَبِعَهُمُ قَوْمُ نُحَ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ۞ وَتَكُودُ وَقَوْمُ لُوطِ وَأَصْحَابُ لَتَنِكُو أُولَتِهِكَ ٱلْأَحْزَابُ ۞ إِن كُلُّ إِلَّا لَأَنَّبَ ٱلرُّمُولَ فَقَيْعِقَابِ ۞ وَمَايَنُظُ مُعَوَّلَآ إِلَّاصَيْحَةٌ وَهِدَةً مَّا لَمَا مِن فَوَاقٍ ۞ وَقَالُواْرَبَّنَا غِلْ لَنَا فِطَنَا فَبَلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ۞ DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

التحزب والتجند، والتعاون على نصر الباطل وخذلان الحق؟ وهو الواقع فإن هذا المقصود لا يتم لهم، بل سعيهم خائب، وجندهم مهزوم، ولهذا قال: ﴿ جِسندٌ مِا هُسُنالِكُ مِسهرُوم مِسن الأحزاب)

﴿ ١٧ \_ ١٥ ﴾ ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد \* وثمود وقوم لوط وأصحاب الأنكة أولئك الأحزاب \* إن كلّ إلا كذب الرسل فحق عقاب \* وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لمها من فواق، يحذرهم تعالى أن يفعل بهم ما فعل بالأمم من قبلهم، الذين كانوا أعظم قوة منهم وتحزباً على الباطل، ﴿قوم نوح وعباد) قبوم هبود ﴿وفيرعبون ذو الأوتاد﴾أي: الجنود العظيمة، والقوة الهائلة، ﴿وثمود﴾ قوم صالح، ﴿وقوم لوط وأصحاب الأيكة ﴾ أي: الأشجار والبساتين الملتفة، وهم قوم شعيب، ﴿أُولِمُكُ الأَحْرَابِ﴾ الذين اجتمعوا بقوتهم وعَدَدِهمْ وعُدَدِهمْ على رد الحق، فلم تغن عنهم شيئاً.

﴿إِنْ كُلُّ مِنْ هَوْلاء ﴿إِلَّا كُذُّبِ الرسل فحق عليهم ﴿عقاب الله، وهؤلاء ما الذي يطهرهم ويزكيهم، أن لا يصيبهم ما أصاب أولئك.

فلينتظروا ﴿صيحة واحدة ما لها من فواق﴾أي: من رجوع ورد، تهلكهم

Halling Variety Variety ٱصْبِرْعَلَ مَايَقُولُونَ وَلَذَكُرْعَبُدَنَا دَاوُدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥ أَوَابُ ۞ إِنَّا سَخَزَا آفِجِهَالَ مَعَكُدُسُهِ خَنَ الْعَيْنَ وَٱلْإِشْرَاقِ ۞ وَٱلطَّامَرُ مَعْشُورَةً يَّكُلُّهُ وَأَوَّاتِ ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَمُونَ الْيَنْدُ الْفِكُمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۞ • وَهَلَ أَتَلَكَ نَبُؤُا ٱلْحَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْحَرَابَ ۞ إِذْ دَخَلُواْ عَلَى دَاوُدَ فَفَرْعَ مِنْهُمَّ قَالُواْ لَا تَخَفَّا خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَاعَلَ بَعْضِ فَأَحْكُم يَيْنَكَ إِلَّكَوَّ وَلَا تُتُطِظُ وَلَهْ يِنَا إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْعِبَرَطِ ۞ إِنَّ هَٰذَآ أَيْنِ لَهُ يَنعُمُّ وَيَسْعُونَ نَعْجَةُ وَلِيَ نَعْجَةٌ وَعِدَةٌ فَقَالَ أَحْفِلْيِهَا وَعَنَّ نِي فِي آلْخِطَابِ ۞ قَالَ لَقَدُ ظُلَمَكَ بِسُوَالِ نَعْمَيْكَ إِلَى يَعَاجِيدُ وَإِنَّ كَيْرًا مِنَ ٱلْخُلُطَ آيَهِ لَيْمِين بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ إِلَّا أَلَيْنَ عَامَوُا وَعَيدُوا ٱلصَّالِحَاتَ وَقِلِلْ مَاهُمُّ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَأَسْتَغْفَرَزَّ بَهُ وَخَرَّزَاكِمًا وَأَنَاكِ ۞ ﴿ فَفَتَرَا لَهُ زَاكُ وَلَكَ وَلَكَ لَهُ عِندَنَا لَزَلْفَ وَحُسْرَ مَنَابٍ۞ يَكَالُودُ إِنَّا جَعَلْنَكَ خَلِفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَأَحَكُم يَنْ ٱلنَّاسِ بِٱنْحَقَّ وَلَاتَنَّ عِلَمُوَىٰ فَيُضِلِّكَ عَن سَيِيلِٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَمْرْعَذَابُ شَكِيدًا إِكَانَسُوايَوْمَ ٱلْمُسَابِ ARTERNIO DE LA COMPETA

وتستأصلهم إن أقاموا على ما هم عليه .

﴿ 17 - 17 ﴾ ﴿ وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب \* اصبر على ما من جهلهم ومعاندتهم الحق، مستعجلين للعذاب: ﴿ ربّنا عَجّل لنا وَطّنا ﴾ أي: قسطنا وما قسم لنا من المهذاب عاجلاً ﴿ قبل يوم الحساب ﴾ وجُوا في هذا القول، وزعموا أنك يا صدقك أن تأتينا بالعذاب، فقال صبر مَنْ قبلك من الرسل، فإن قولهم صبر مَنْ قبلك من الرسل، فإن قولهم لا يضر الحق شيئاً، ولا يضرونك في شيء، وإنما يضوون أنفسهم.

﴿١٧ - ٢٠ ﴿ وَاذْكَرَ عَبِدْنَا دَاوِد ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿ إِنَا سَخْرِنَا الْجِبَالِ مَعْهُ يَسِبَحِنْ بِالْعِشْيِ وَالْإِشْرَاقَ ﴿ وَالطَيْرِ عَشْوَرَةً كُلُ لَهُ أَوَّابٍ ﴿ وَشَدَدْنَا مَلَكُهُ أَمْرِ الله رسوله بالصبر على قومه، أمره أمر الله رسوله بالصبر على قومه، أمره وحده، ويتذكر حال العابدين، كما وحده، ويتذكر حال العابدين، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ فَاصِبْرِ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسِبِّح بِحَمْدُ رَبِكُ قَبِلُ طَلُوعِ الشَّمْسِ وقبل غروبها ﴾ .

ومن أعظم العابدين، نبي الله داود عليه الصلاة والسلام ﴿ذَا الأيد﴾(١) أي: القوة العظيمة على عبادة الله تعلى، في بدنه وقلبه. ﴿إِنه أَوَّابِ﴾ أي: رجَّاع إلى الله في جميع الأمور بالإنابة إليه، بالحب والتأله، والخوف والرجاء، وكثرة التضرع والدعاء، رجَّاع إليه عندما يقع منه بعض الخلل، بالإقلاع والتوبة النصوح.

ومن شدة إنابته لربه وعبادته، أن سخر الله الجبال معه، تسبّح معه بحمد ربها ﴿بالعشي والإشراق﴾أول النهار وآخره.

﴿وَهُسخِر ﴿الطير عشورة ﴾ معه عجموعة ﴿كُلُ ﴾ من الجبال والطير ، لله تعالى ﴿أَوَابِ ﴾ امتالاً لقوله تعالى : ﴿يا جبال أوبي معه والطير ﴾ فهذه مِنَّةُ الله عليه بالعبادة ، ثم ذكر منته عليه بالملك العظيم فقال : ﴿وشددنا ملكه ﴾ أي : العَدَد والعُدَد التي بها قوَّى الله ملكه ، ثم ذكر منته عليه بالعلم ، فقال : ﴿وَاتَّيناه الحكمة ﴾ أي : النبوة والعلم العظيم ، ﴿وَقَصْل الخِطَابِ ﴾ أي : الخصومات بين الناس .

﴿ ٢١ ـ ٢٦﴾ ﴿ وهـل أتـاك نـبـأ الخصم إذ تسوروا المحراب \* إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغي بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء المسراط \* إن همذا أخمى لمه تمسع وتسمون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب \* قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب \* فغفرنا له ذلك وإنّ له عندنا لزلفي وحسن مآب \* يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن

سبيل الله إن الذين ينضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب لا ذكر تعالى أنه آتي نبيه داود الفصل في الخطاب بين الناس، وكان معروفاً بذلك مقصوداً، ذكر تعالى نبأ خصمين اختصما عنده في قضية جعلهما الله فتنة لداود، وموعظة لخلل ارتكبه، فتاب الله عليه وغفر له، وقيض له هذه القضية، فقال لنبيه عمد على: ﴿وهِل أَتَاكُ نِياً الخصم﴾ فإنه نبأ عجيب ﴿إذْ تسوَّرُوا ﴾ على داود ﴿المحرابِ﴾ أي: محل عبادته من غير إذن ولا استئذان، ولم يدخلوا عليه مع باب، فلذلك لما دخلوا عليه بهذه الصورة، فزع منهم وخاف، فقالوا له: نحن ﴿خصمان﴾فلا تخف ﴿بغي بعضنا على بعض > بالظلم ﴿فاحكم بيننا بالحق﴾أي: بالعدل، ولا تمل مع أحدنا هولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط)

والمقصود من هذا، أن الخصمين قد عرف أن قصدهما الحق الواضح الصرف، وإذا كان ذلك، فسيقصان الله عليه نبأهما بالحق، فلم يشمئز نبي الله داود من وعظهما له، ولم يؤنبهما.

فقال أحدهما: ﴿إِن هذا أَخي ﴾ نص على الأخوة في الدين أو النسب أو الصداقة، لاقتضائها عدم البغي، وأن بغيه الصادر منه أعظم من غيره، ﴿له تسع وتسمون نَغجَة ﴾ أي: زوجة، وذلك خير كثير، يوجب عليه القناعة بما آتاه الله. ﴿ولِي نعجة واحدة ﴾ فطمع فيها ﴿فقال أَكفِلْنِيهَا ﴾ أي: دعها لي، وخلها في كفالتي. ﴿وعزني في الخطاب ﴾ أي: غلبني في القول، فلم يزل بي حتى أدركها أو كاد.

فقال داود ـ لما سمع كلامه ـ ومن المعلوم من السياق السابق من كلامهما، أن هذا هو الواقع، فلهذا لم يحتج أن يتكلم الآخر؛ فلا وجه للاعتراض بقول القائل: "لم حكم داود قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر»؟

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي الأصل: ذو الأيد.

<sup>(</sup>٢) في النسختين: فسيقصون.

ولقد ظلمك بسؤال نعجتِك إلى نعاجِه والقرناء الكثير منهم، فقال: ﴿وَإِنَ كثيراً مِن الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض لأن الظلم من صفة النفوس. ﴿إِلاَ الذين من الإيمان والعمل الصالح، يمنعهم من الظلم. ﴿وقليل ما هم كما قال تعالى: ﴿وقليل ما هم كما قال وظن داود حين حكم بينهما ﴿أَنَما لَقَضِية ليتنبه ﴿ وَاستغفر ربه ﴾ لما صدر منه، ﴿وَخَرْ راكعاً ﴾ أي: ساجداً القضية ليتنبه ﴿ واستغفر ربه ﴾ لما صدر ﴿ وأناب ﴾ لله تعالى بالتوبة النصوح ﴿ الله المالة والمالة والما

﴿فغفرنا له ذلك﴾ الذي صدر منه، وأكرمه الله بأنواع الكرامات، فقال: ﴿وإن له عندنا لزلفى﴾ أي: منزلة عالية، وقربة منا، ﴿وحُسْنَ مَآبِ﴾ أي: مرجع.

وهذا الذنب الذي صدر من داود عليه السلام، لم يذكره الله لعدم الحاجة إلى ذكره، فالتعرض له من باب التكلف، وإنما الفائدة ما قصه الله علينا من لطفه به وتوبته وإنابته، وأنه ارتفع محله، فكان بعد التوبة أحسن منه قلها.

ويا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض تنفذ فيها القضايا الدينية والدنيوية، وفاحكم بين الناس بالحق أي: العدل، وهذا لا يتمكن بالواقع، وقدرة على تنفيذ الحق، بالواقع، وقدرة على تنفيذ الحق، لقرابة أو صداقة أو عبة، أو بغض للآخر وفيضلك الهوى وعن سبيل الله ويخرجك عن الصراط سبيل الله خصوصاً المتعمدين منهم، المستقيم، وإن الذين يضلون عن المساب فلو ذكروه ووقع خوفه في قلوبهم، لم يميلوا مع الهوى الفاتن.

﴿٢٧ ــ ٢٩﴾ ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من

النار \* أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار \* كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب في غبر تعالى عن تمام حكمته في خلقه السماوات والأرض، وأنه لم غلقهما باطلاً، أي: عبثاً ولعباً من غير فائدة ولا مصلحة. ﴿ وَذَلك ظن الذين كفروا من بجلاله. ﴿ فويل للذين كفروا من النار ﴾ فإنها التي تأخذ الحق منهم، وببلغ منهم كل مبلغ.

وإنما خلق الله السماوات والأرض بالحق وللحق، فخلقهما ليعلم العباد كمال علمه وقدرته وسعة سلطانه، وأنه تعالى وحده المعبود، دون من لم يخلق مشقال ذرة من السماوات والأرض، وأن البعث حت، وسيفصل الله بين أهل الخير والشر.

ولا يظن الجاهل بحكمة الله أن يسوي الله بينهما في حكمه، ولهذا قال: ﴿أُم نجمل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾ هذا غير لائق بحكمتنا وحكمنا.

﴿ كتابُ أنزلناهُ إليك مبارك ﴾ فيه خير كثير، وعلم غزير، فيه كل هدى من ضلالة، وشفاء من داء، ونور يستضاء به في الظلمات، وكل حكم يحتاج إليه المكلفون، وفيه من الأدلة القطعية على كل مطلوب، ما كان به أجل كتاب طرق العالم منذ أنشأه الله.

وليدبروا آياته أي: هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها لعانيه، وإعادة الفكر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي على لبا هذا المقصود.

﴿ ولِتِذَكَرُ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ أي: أولُو العقول الصحيحة، يتذكرون بتدبرهم لها كل علم ومطلوب، فدلٌ هذا على

أنه بحسب لب الإنسان وعقله بحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب.

﴿٣٠ ـ ٤٠) ﴿ ووهـــِــنــا لـــداود سليمان نعم العبد إنه أواب \* إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد \* فقال إن أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب \* ردوها على فطفق مسحاً بالسوق والأعناق \* ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب \* قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب \* فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب \* والشياطين كل بناء وغواص \* وآخرين مقرنين في الأصفاد \* هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب \* وإن له عندنا لزلفي وحسن مآب، لما أثنى تعالى على داود، وذكر ما جرى له ومنه، أثني على ابنه سليمان عليهما السلام فقال: ﴿ووهبنا لداود سليمان اي: أنعمنا به عليه، وأقررنا به عينه .

﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ ﴾ سليمان عليه السلام، فإنه اتصف بما يوجب المدح، وهو ﴿ إِنهُ أُوّابٌ ﴾ أي: رجًاع إلى الله فبي جميع أحواله، بالتأله والإنابة، والمحبة والذكر والدعاء والتضرع، والاجتهاد في مرضاة الله، وتقديمها على كل

ولهذا، لما عرضت عليه الخيل الجياد السبق الصافنات، أي: التي من وصفها الصفون، وهو رفع إحدى قوائمها عند الوقوف، وكان لها منظرً رائق، وجمال معجب، خصوصاً للمحتاج إليها كالملوك، فما زالت تُعرض عليه حتى غابت الشمس في الحجاب، فألهته عن صلاة المساء وذكره، فقال ندماً على ما مضى منه، وتقرباً إلى الله بما ألهاه عن ذكره، وتقديماً لحب الله على حب غيره: ﴿إِن أحببت حب الخير﴾ وضمن «أحببت» معنى «آثرت» أي: آثرت حب الخير، الذي هو المال عموماً، وفي هذا الموضع المراد الخيل. ﴿عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب،

﴿رُدُوها عَلَيَ ﴾ فردوها ﴿فطفق﴾ فيها ﴿مسحاً بالسوق والأعناق ﴾ أي: جعل يعقرها بسيفه، في سوقها وأعناقها.

﴿ولقد فتنا سليمان﴾ أي: ابتليناه واختبرناه بذهاب ملكه وانفصاله عنه بسبب خلل اقتضته الطبيعة البشرية، ﴿والقينا على كرسيه جسداً﴾ أي: شيطاناً قضى الله وقدر أن يجلس على كرسي ملكه، ويتصرف في الملك في مدة فتنة سليمان، ﴿ثم أَنَابُ﴾ سليمان، إلى الله تعالى وتاب.

ف ﴿قال ربُ اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهّابُ﴾ فاستجاب الله له وغفر له، ورد عليه ملكه، وزاده ملكاً لم يحصل لأحد من بعده، وهو تسخير الشياطين له، يبنون ما يريد، ويغوصون له في البحر، يستخرجون الدر والحلي، ومَن عصاه منهم قرنه في الأصفاد وأوثقه.

وقلنا له: ﴿هذا عطاؤنا﴾ فَقَرَّ به عيناً ﴿فامَنُن﴾ على مَنْ شنت، ﴿أَوَ السك﴾ مَنْ شنت ﴿بغير حساب﴾ أي: لا حرج عليك في ذلك ولا حساب، لعلمه تعالى بحمال عدله، وحسن أحكامه، ولا تحسين هذا لسليمان في الدنيا دون الآخرة، بل له في الآخرة خير عظيم، ولهذا قال: ﴿وَإِنْ لَهُ عَنْدُنَا لَوْلُقِي وَحُسنَ مَالِهُ أَي: هو من المقربين عند الله المكرمين بأنواع الكرامات لله.

# فصل فيما تبين لنا من الفوائد والحكم في قصة داود وسليمان عليهما السلام

فمنها: أن الله تعالى يقص على نبيه عمد على نبيه عمد على أخبار مَنْ قبله، ليثبت فؤاده وتطمئن نفسه، ويذكر له من عباداتهم منافستهم، والتقرب إلى الله الذي تقربواله، والصبر على أذى قومه، والهذا في هذا الموضع لل ذكر الله ما ذكر من أذية قومه وكلامهم فيه وفيما جاء به، أمره بالصبر، وأن يذكر عبده داود فيتسلى به.

ومنها: أن الله تعالى يمدح ويجب القوة في طاعته، قوة القلب والبدن، فإنه يحصل منها من آثار الطاعة وحسنها وكثرتها، ما لا يحصل مع الوهن وعدم القوة، وأن العبد ينبغي له تعاطي أسبابها، وعدم الركون إلى الكسل والبطالة المخلة بالقوى المضعفة للنفس.

ومنها: أن الرجوع إلى الله في جميع الأمور، من أوصاف أنبياء الله وخواص خلقه، كما أثنى الله على داود وسليمان بذلك، فليقتد بهما المقتدون، وليهتد بهداهم السالكون، فأولئك الذين هدى الله فبهداهم التاريك

ومنها: ما أكرم الله به نبيه داود عليه السلام، من حُسن الصوت العظيم، الذي جعل الله بسببه الجبال الصم، والطيور البهم، يجاوبنه إذا رجع صوته بالتسبيح، ويسبحن معه بالعشى والإشراق.

ومنها: أن من أكبر نِعَم الله على عبده، أن يرزقه العلم النافع، ويعرف الحكم والفصل بين الناس، كما امتن الله به على عبده داود عليه السلام.

ومنها: اعتناء الله تعالى بأنبيائه وأصفيائه عندما يقع منهم بعض الخلل بفتنته إياهم وابتلائهم بما به يزول عنهم المحذور، ويعودون إلى أكمل من حالتهم الأولى، كما جرى لداود وسليمان عليهما السلام.

ومنها: أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الخطأ فيما يبلغون عن الله تعالى، لأن مقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك، وأنه قد يجري منهم بعض مقتضيات اللطبيعة من المعاصي، ولكن الله يتداركهم ويبادرهم بلطفه.

ومنها: أن داود عليه السلام [كان] في أغلب أحواله لازماً عرابه لخدمة ربه، ولهذا تسور الخصمان عليه المحراب، لأنه كان إذا خلا في عرابه لا يأتيه أحد، فلم يجعل كل وقته للناس، مع كثرة ما يرد عليه من الأحكام، بل جعل له وقتاً يخلو فيه

بربه، وتقر عينه بعبادته، وتعينه على الإخلاص في جميع أموره.

ومنها: أنه ينبغي استعمال الأدب في الدخول على الحكام وغيرهم، فإن الخصمين لما دخلا على داود في حالة غير معتادة ومن غير الباب المعهود، فزع منهم، واشتد عليه ذلك، ورآه غير لائق بالحال.

ومنها: أنه لا يمنع الحاكم من الحكم بالحق سوء أدب الخصم وفعله ما لا ينبغي.

ومنها: كمال حلم داود عليه السلام، فإنه ما غضب عليهما حين جاءاه بغير استئذان، وهو الملك، ولا انتهرهما ولا وبخهما.

ومنها: جواز قول المظلوم لمن ظلمه «أنتَ ظلمتني» أو «يا ظالم» ونحو ذلك أو «باغ عليً » لقولهما: ﴿خصمان بغي بعض) .

ومنها: أن الموعوظ والمنصوح، ولو كان كبير القدر، جليل العلم، إذا نصحه أحد أو وعظه، لا يغضب ولا يشمشز، بل يبادره بالقبول والشكر، فإن الخصمين نصحا داود فلم يشمئز ولم يغضب، ولم يثنه ذلك عن الجق الصرف.

ومنها: أن المخالطة بين الأقارب والأصحاب، وكثرة التعلقات الدنيوية المالية، موجبة للتعادي بينهم، وبغي بعضهم على بعض، وأنه لا يردعن ذلك إلا استعمال تقوى الله، والصبر على الأمور، بالإيمان والعممل الصالح، وأن هذا من أقل شيء في الناس.

ومنها: أن الاستغفار والعبادة، خصوصاً الصلاة، من مكفرات الذنوب، فإن الله رتب مغفرة ذنب داود على استغفاره وسجوده.

ومنها: إكرام الله لعبده داود وسليمان، بالقرب منه، وحسن الثواب، وأن لا يظن أن ما جرى لهما منقص لدرجتهما عند الله تعالى، وهذا من تمام لطفه بعباده المخلصين، أنه إذا غفر لهم وأزال أثر ذنوبهم، أزال الآثار المترتبة عليه كلها، حتى ما يقع في

قلوب الخلق، فإنهم إذا علموا ببعض ذنوبهم، وقع في قلوبهم نزولهم عن درجتهم الأولى، فأزال الله تعالى هذه الآثار، وما ذاك بعزيز على الكريم

ومنها: أن الحكم بين الناس مرتبة دينية، تولاها رسل الله وخواص خلقه، وأن وظيفة القائم بها الحكم بالحق ومجانبة الهوى، فالحكم بالحق يقتضي العلم بالأمور الشرعية، والعلم بصورة القضية المحكوم بها، وكيفية إدخالها في الحكم الشرعي، فالجاهل بأحد الأمرين لا يصلح للحكم، ولا يحل له الإقدام عليه.

، ومنها: أنه ينبغي للحاكم أن يحذر الهوى، ويجعله منه على بال، فإن النفوس لا تخلو منه، بل يجاهد نفسه بأن يكون الحق مقصوده، وأن يلقى عنه وقت الحكم كل محبة أو بغض لأحد الخصمين.

ومنها: أن سليمان عليه السلام من فضائل داود، ومن منن الله عليه حيث وهبه له، وأن من أكبر نِعَم الله على عبده، أن يهب له ولداً صالحاً، فإن كان عالمًا، كان نوراً على نور.

ومنها: ثناء الله تعالى على سليمان ومدحه في قوله: ﴿ نِعْمَ الْعَبِدُ إِنَّهُ أوّاب 🥱 .

ومنها: كثرة خير الله وبره بعبيده، أن يمنَّ عليهم بصالح الأعمال ومكارم الأخلاق، ثم يثني عليهم بها، وهو المتفضل الوهَّاب.

ومنها: تقديم سليمان محبة الله تعالى على محبة كل شيء.

ومنها: أن كل ما أشغل العبد عن الله، فإنه مشؤوم مذموم، فَلْيُفَارقه وَلَيُقْبِلُ عَلَى مَا هُوَ أَنْفُعُ لَهُ .

ومنها: القاعدة الشهورة «مَنْ ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ا فسليمان عليه السلام عقر الجياد الصافنات المحبوبة للنفوس، تقديماً لمحبة الله، فعوضه الله خيراً من ذلك، بأن سخَّر له الريح الرخاء اللينة، التي تجري بأمره إلى حيث أراد وقصد، غدوها شهر

ورواحها شهر، وسخّر له الشياطين، أهل الاقتدار على الأعمال التي لا يقدر عليها الآدميون.

ومنها: أن تسخير الشياطين لا يكون لأحدِ بعد سليمان عليه السلام.

ومنها: أن سليمان عليه السلام، كان ملكاً نبياً، يفعل ما أراد، ولكنه لا يريد إلا العدل، بخلاف النبي العبد، فإنه تكون إرادته تابعة لأمر الله، فلا يفعل ولا يترك إلاّ بالأمر، كحال نبينا محمد ﷺ، وهذه الحال أكمل.

﴿ ٤١ ــ ٤٤ ﴾ ﴿ واذكر عبدنا أيوب إذا نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب \* اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب \* ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكري لأولى الألباب ﴿ وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾ أي: ﴿وَاذْكُر ﴾ في هذا الكتاب ذي الذِّكر ﴿عبدنا أيوبِّ بأحسن الذكر، وأثن عليه بأحسن الثناء، حين أصابه الضر، فصبر على ضره، فلم يشتك لغير ربه، ولا لجأ إلاّ إليه.

فر (نادي ربه) داعياً، وإليه لا إلى غيره شاكياً، فقال: ربِّ ﴿ أَنِّي مسَّنى الشيطان بنُصب وعذاب ﴿ أَي: بِأُمْر مشق متعب معذب، وكان سلط على جسده فنفخ فيه حتى تقرح، ثم تقيح بعد ذلك واشتدبه الأمر، وكذلك هلك أهله وماله.

فقيل له: ﴿اركضْ برجلِكَ ﴾ أي: اضرب الأرض بها، لينبع لك منها عين تغتسل منها وتشرب، فيذهب عنك الضر والأذي، ففعل ذلك، فذهب

عنه الضر، وشفاه الله تعالى.

﴿ ووهبنا له أهله ﴾ قيل: إن الله تعالى أحياهم له ﴿ومثلهم معهم﴾ في الدنيا، وأغناه الله، وأعطاه مالاً عظيماً ﴿رحمة منَّا﴾ بعبدنا أيوب، حيث صبر فأثبناه من رحمتنا ثواباً عاجلاً وآجلاً. ﴿وذكرى لأولي الألبساب ﴾ أي: وليتذكر أولو العقول بحالة أيوب ويعتبروا، فيعلموا أن مَنْ صبر على الضر، أن الله تعالى يثيبه ثواباً عاجلاً

LEGISTA PRINCIPAL TO A STATE OF THE PARTY OF وَمَاخَلَقْنَا ٱلنَّسَكَةَ وَالْأَرْضَ وَمَامَنَتُمُ مَالِطَلُّاذَاكَ ظَرُٱلَّذِ ۚ كَذَهُ وَأَ فَيْلُ لِلَّذِينَ كَمْتُوامِنَ النَّارِ۞ أَمْ يَحْسَلُ الَّذِنَ مَامَنُوا وَعِسَمُوا المتلاحي كللقيدين في الأرض أم بَعْمَلُ للنَّقِينَ كَالْهُمُار @كِنْدُ أَنْ لِنَهُ إِلَيْكَ مُبَدَّ فِي لِيَنْبُرُوا عَلِيتِهِ وَلِنَنْ كَرَا وَلُوا ٱلْأَلْبَبِ ۞ وَوَهَنَا لِنَاوُدَ سُلَيْعَنَ فِينَهُ ٱلْعَنِيدُ لِنَهُ الَّالِهُ ۞ إِذْعُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَيْدَةِ ٱلصَّافِئَكُ ٱلْجَيَادُ۞ فَعَالَ إِنَّ أَعَيْثُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن وْحُدِيرَ بِي حَقَّا تُوَارَتْ بِٱلْحِبَابِ ۞ رُدُّوهَا عَلَّ فَعَلَهَ فَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَٱلْأَعْدَاقِ ﴿ وَلَقَدُ فَنَنَا سُلَّتِكُنَّ وَأَلْقِيَنَا عَلَىٰ كُرْسِينِهِ عِسَكَاثُمُ لِأَلَابَ ۞ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَحَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِ لِأَحَدِينَ أَمَّدِينَ أَنْكَ أَنْتَ ٱلْوَقَسَابُ ۞ مَسَخَزَاً لَهُ ٱلِرْيَحَ تَعِيى بِأَمْرِهِ وُرُخَلَةٌ حَيْثُ أَصَابَ۞ وَالشَّيِلِينَ كُلِّ بَنَّآءِ وَغَوَّاسٍ ۞ وَمَا حَرِينَ مُقَرَّفِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ۞ هَلَذَا عَطَاقَوْا فَأَمْنُ أَوْأَمْسِكْ بِغَيْرِحِسَابِ۞ وَاذَّلَمُعِنْدُنَا لَزُلْفَلَ المُ وَحُسْنَ مَنَادِ ۞ وَلَذَكُرْ عَبَدُنَا أَقُوبُ إِذَادَ عَارَتُهُ إِلَيْمَ مِنَا لَشَيْطَانُهُ إِنْصَبِ وَعَذَابِ ۞ أَرَكُمْ بِيمِيكٌ هَذَا مُغْتَسَلُ بَارِدُومَ مَرَكِ ۞ 

وآجلاً، ويستجيب دعاءه إذا دعاه . ﴿وخذ بيدك ضغثاً ﴾ أي: حزمة

شماريخ ﴿فَاضِرِبِ بِهُ وَلا تَحْنَفُ﴾. قال المفسرون: وكان في مرضه وضره قد غضب على زوجته في بعض الأمور، فحلف: لئن شفاه الله ليضربنها مائة جلدة، فلما شفاه الله، وكانت امرأته صالحة محسنة إليه، رحمها الله ورحمه، فأفتاه أن يضربها بضغث فيه مائة شمراخ ضربة واحدة، فيبر في يمينه.

﴿إِنَّا وجِدناه ﴾ أي: أيوب ﴿صابراً ﴾ أي: ابتليناه بالضر العظيم، فصبر لوجه الله تعالى. ﴿نَعْمُ الْعَبِدِ﴾ الذي كمل مراتب العبودية، في حال السراء والضراء، والشدة والرخاء. ﴿إِنَّهُ أُوَّابٌ ﴾ أي: كشير الرجوع إلى الله، في مطالبه الدينية والدنيوية، كثير الذكر لربه والدعاء، والحبة و التأله .

﴿ ٤٥ ـ ٤٧ ﴾ ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار \* إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار \* وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار، يقول تعالى: ﴿واذكر عبادنا﴾ الذين أخلصوا لنا العبادة ذكراً حسناً، ﴿إبراهيم ﴾ الخليل ﴿و﴾ ابنه ﴿إسحق و﴾ ابن ابنه ﴿يعقوب أولي الأيدي﴾ أي: القوة على عبادة الله تعالى ﴿والأبصار ﴾ أي:

﴿ هذا ما توعدون ﴾ أيها المتقون

﴿إِنَّ هَذَا لُرِزُقْنًا﴾ الذي أوردناه على

الزكية، وما نشر لهم من الثناء بين

أهل الخير، ومن أنواع الذكر، ذكر جزاء أهل الخير وأهل الشر، ولهذا

﴿ ٤٩ ــ ٤٩ ﴿ وَإِنْ لِلْمُتَقِينَ لِحُسنَ مآب \* جنات عدن مفتحة لهم الأبواب \* متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب \* وعندهم قياصرات البطرف أتراب \* هـذا مـأ توعدون ليوم الحساب \* إن هذا لرزقنا ما له من نفاد اي: ﴿وإن للمتقين ﴾ ربهم، بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، من كل مؤمن ومؤمنة، ﴿ لَسِنْ مِآبِ ﴾ أي: لمآباً حسناً، لشر مآب \* جهنم يصلونها فبئس

> ثم فسره وفصله، فقال: ﴿جنات عدن﴾ أي: جنات إقامة، لا يبغي صاحبها بدلاً منها، من كمالها وتمام تعيمها، وليسوا بخارجين منها ولا بمخرجين.

ومرجعاً مستحسناً.

﴿مفتحة لهم الأبوابِ اي مفتحة لأجلهم أبواب منازلها ومساكنها، لا يحتاجون أن يفتحوها هم، بل هم مخدومون، وهذا دليل أيضاً على الأمان التام، وأنه ليس في جنات عدن، ما يوجب أن تغلق لأجَّله أبوابها . ومتكئين فيهائه على الأرائك

المزيسات، والمجالس المزخرفات. ﴿ يسامرون فينها ﴾ أي: يسامرون خدامهم، أن يأتوا ﴿بفاكهة كثيرة وشراب﴾ من كل ما تشتهيه نفوسهم، وتلذه أعينهم، وهذا يدل على كمأل النعيم، وكمال الراحة والطمأنينة،

وتمام اللذة.

﴿وعندهم الحور العين ﴿قياصرات﴾ طرفهن على أزواجهن، وطرف أزواجهن عليهن، لجمالهم كلهم، ومحبة كل منهما للآخر، وعدم طموحه لغيره، وأنه لا يبغى بصاحبه بدلا، ولاعنه عبوضاً. ﴿أَتِهِ اللَّهِ أَي: على سن

﴿ وآخر من شكله ﴾ أي: من نوعه ﴿أَزُواجِ ﴾ أي: عدة أصناف من

الشراب، من قيح وصديد، مر المذاق،

﴿ليوم الحسابِ جزاء على أعمالكم الصالحة. فهذا نوع من أنواع الذكر، وهو ذكر أهل دار النعيم ﴿ماله من نفادٍ﴾ أي:

انقطاع، بل هو دائم مستقر في جميع الأوقات، متزايد في جميع الآنات. وليس هذا بعظيم على الرب الكريم، الرؤوف الرحيم، البر الجواد، الواسع الغني، الحميد اللطيف الرحن، الملك الديان، الجليل الجميل المنان، ذي الفضل الباهر، والكرم المتواتر، الذي لا تحصى نعمه، ولا يحاط ببعض بره. ﴿٥٥ \_ ٢٤﴾ ﴿هذا وإن للطاغين

وآخر من شكله أزواج \* هذا فوج مقتحم معكم لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار \* قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار \* قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار \* وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كناً نعدهم من الأشرار \* اتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار \* إن ذلك لحق تخاصم أهل النارك ﴿هذا﴾ الجزاء للمتقين ما وصفناه ﴿وإن للطاغين﴾ أي: المتجاوزين للحد في الكفر والمعاصي ﴿لشرَّ مآبِ﴾ أي: لشر

مرجع ومنقلب، ثم فصله فقال:

﴿جهنم﴾ التي جمع فيها كل عذاب،

واشتبد حرها، وانتهمي قبرهما

﴿يصلونها﴾ أي: يعذبون فيها عذاباً

يحيط بهم من كل وجه، لهم من فوقهم

المهاد \* هذا فليذوقوه حميم وغساق \*

ظلل من النار ومن تحتهم ظلل. ﴿ فَبِئُسِ المهادِ ﴾ المعد لهم مسكناً ومستقرأ ﴿هذا﴾المهاد، هذا العذاب الشديد، والخزي والفضيحة والنكال. ﴿ فليذوقوه حميم ﴾ ماء حار، قد اشتد حره، يشربونه فَيُقَطّع أمعاءهم. ﴿وغسًاق ﴾ وهو أكره ما يكون من

> كريه الرائحة. واحد، أعدل سن الشباب وأحسنه وألذه.

MOTOR OF THE PARTY OF THE البصيرة في دين الله. فوصفهم بالعلم النافع، والعمل الصالح الكثير.

EDITOR NATIONAL DESIGNATION OF THE PARTY OF

وَوَجَنِنَالَهُ وَأَخْلُدُومِنْلَهُ وَمَعَهُ وَرَحْمَةً مِثَاوَذِ حُرَىٰ لِأَوْلِ

ٱلأَلْبَبِ۞ وَخُذْبِيَدِكَ مِنْفَاكَالْمْرِبِبِهِ، وَلَا تَحْنَتَ فَأَلَ

وَجَدْنَهُ صَائِرُأَفِهُ مَالْمَنْهُ أَلِقَهُ أَقَابٌ ۞ وَاذَكُرْعِيدَانَا إِنْزِهِيمَ

وَاسْحَقَ وَيَعْ غُوبَ أُولِي ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَرُو۞ إِنَّا أَخَلَصْنَاهُم

يِعَالِصَةِ وَكُرَى ٱلدَّادِ ۞ وَانْهُمُ عِندَا لِنَ ٱلْمُتَعَلَقَيْنَ ٱلْأَحْيَادِ

۞ وَاذَكُوْ اسْمَنِعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفَيْلِ وَكُلُّ مِنَ ٱلْأَخْيَادِ ۞

هَنذَاذِكُونُولَانَ الْمُنْقِينَ لَحُسُنَ مَعَابٍ ۞ جَنَّتِ عَدْدٍ مُفَتَّحَةً

لْمُمُّا لَأَثُولِ ٥ مُتَكِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا إِمْكِهُمَ وَكَيْرُوَ وَشَرَابٍ ۞ • وَعِندَ هُرُقَفِيرَتُ ٱلطَّنْفِ أَثَرَابُ ۞ هَلنَا

مَا قُوعَهُ وَنَ لِيُوْمِ أَنْحِسَابِ ﴿ إِنَّ هَاذَا لَرِزْقُنَا مَالَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿

هَنَا قَالَ الطَّلِعِينَ لَشَرَعَتُ إِن جَهَمَّ مُرَّيِّمُ الْإِنْهَا فِي فَسَ ٱلْمِهَادُ

٥ هَلْنَا فَلْيَدُ وَقُوهُ مِحْدِيمٌ وَغَنَاقٌ ۞ وَءَلَ خُرُمِن مَنْكَلِومَ أَزَوْجُ

@ هَلَا فَرْجُ مُفْتَدِيمٌ مَّعَكُرُ لِامْتَجَالِيهِ مُلْنَهُ مُسَالُواْ النَّادِ ۞

وَالْوَابِلُ أَنْدُ لَامْزَجَا إِكُمْ أَنْمُ مَّذَمْتُمُوهُ لَنَّا فِيلَسُ ٱلْفَكَارُ ۞

قَالُواْرَبُّ مَا مَن مَّنَّمُ لَنَاهُ لَمَا فَيذَهُ عَنَدَاكِم ضِعْفَا فِي النَّادِ ۞

﴿إِنَا أَخِلْصِنَاهِم بِخَالِصِة ﴾ عظيمة ، وخصيصة جسيمة، وهي ﴿ذكري الدار﴾ جعلنا ذكري الدار الآخرة في قلوبهم، والعمل لها صفوة وقتهم، والإخلاص والمراقبة لله وصفهم الدائم، وجعلناهم ذكري الدار يتذكر بأحوالهم المتذكر، ويعتبر بهم المعتبر، ويذكرون بأحسن الذكر.

﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين ﴾ الذين اصطفاهم الله من صفوة خلقه، ﴿الأخيار﴾ الذين لهم كل خلق كريم، وعمل مستقيم. ﴿٤٨ ـ ٤٩) ﴿واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار \*

هذا ذكر أي: واذكر هؤلاء الأنبياء بأحسن الذكر، وأثن عليهم أحسن الثناء، فإن كلاً منهم من الأخيار الذين اختارهم الله من الخلق، واختار لهم أكمل الأحوال، من الأعمال والأخلاق، والصفات الحميدة، والخصال السديدة.

﴿ هذا ﴾ أي: ذكر هؤلاء الأنبياء الصفوة وذكر أوصافهم، ﴿ذكر ﴾ في هذا القرآن ذي الذكر، يتذكر بأحوالهم المتذكرون، ويستاق إلى الاقتداء بأوصافهم الحميدة المقتدون، ويعرف ما من الله عليهم به من الأوصاف

أصناف العذاب، يعذبون بها ويخزون بها.

وعند تواردهم على النار يشتم بعضهم بعضاً، ويقول بعضهم لبعض: ﴿هذا فوج مقتحم معكم﴾ النار ﴿لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار ﴾.

﴿قالوا﴾ أي: الفوج المقبل المقتحم: ﴿بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه﴾ أي: العذاب ﴿لنا﴾ بدعوتكم لنا، وفتنتكم وإضلالكم وتسببكم. ﴿فبئس القرار﴾ قرار السوء والشر.

ثمّ دعوا على المغوين لهم فـ ﴿قالوا ربنا مَنْ قدَّم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار﴾ . وقال في الآية الأخرى: ﴿قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون﴾ .

﴿وقالوا﴾ وهم في النار: ﴿مالنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار﴾ أي: كنّا نزعم أنهم من الأشرار، المستحقين لعذاب النار، وهم المؤمنون، تفقدهم أهل النار. قبعهم الله هل يرونهم في النار؟

به والمرابع المرابع المرابع على المرابع على المرابع عنهم المرابع المر

إما أننا غالطون في عدنا إياهم من الأشرار، بل هم من الأخيار، وإنما كلامنا لهم من باب السخرية والاستهزاء بهم، وهذا هو الواقع، كما قال تعالى لأهل النار: ﴿إِنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين \* فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون .

والأمر الثاني: أنهم لعلهم زاغت أبصارنا عن رؤيتهم معنا في العذاب، وإلا فهم معنا معذبون ولكن تجاوزتهم أبصارنا، فيحتمل أن هذا الذي في قلوبهم، فتكون العقائد التي اعتقدوها في الدنيا، وكثرة ما حكموا لأهل الإيمان بالنار، تمكنت من قلوبهم، وصارت صبغة لها، فدخلوا النار وهم بهذه الحالة، فقالوا ما قالوا.

ويحتمل أن كلامهم هذا كلام تمويه، كما موهوا في الدنيا، موهوا حتى في النار، ولهذا يقول أهل الأعراف لأهل المنار: ﴿أهولاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾.

قال تعالى مؤكداً ما أخبر به، وهو أصدق القائلين: ﴿إِن ذلك﴾ الذي ذكرت لكم ﴿لحق﴾ ما فيه شك ولا مرية ﴿تخاصم أهل النار﴾.

﴿ ٦٥ ـ ٨٨﴾ ﴿قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار \* رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار \* قل هو نبأ عظيم \* أنتم عنه معرضون \* ما كان لي من علم بالملاً الأعلى إذ يختصمون \* إن يوحي إلى إلا أنما أنا نذير مبين \* إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين \* فإذا سويته ونفخت نيه من روحي فقعوا له ساجدين \* فسجد الملائكة كلهم أجمعون \* إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين \* قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت من العالِين \* قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين \* قال فاخرج منها فإنك رجيم \* وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين \* قال رب فأنظرني إلى يسوم يسعشون \* قبال فبإنبك من المنظرين \* إلى يوم الوقت المعلوم \* قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين \* إلا عبادك منهم المخلصين \* قال فالحق والحق أقول \* لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين \* قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين \* إن هو إلا ذكر للعالمين \* ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ ﴿قل﴾ يا أيها الرسول لهؤلاء المكذبين، إن طلبوا منك ما ليس لك ولا بيدك: ﴿إنما أنا منذر﴾ هذا نهاية ما عندى، وأما الأمر فلله تعالى، ولكني آمركم وأنهاكم، وأحثكم على الخير وأزجركم عن الشر فمَن اهتدى فلنفسه ومَنْ ضلُّ فعليها. ﴿وَمَا مِنْ إِلَّهِ

إلا الله الله الله الله أي: ما أحد يؤله ويعبد بحق إلاَّ الله ﴿الواحد القهار﴾ . هذا تقرير لألوهيته، بهذا البرهان القاطع، وهو وحدته تعالى، وقهره لكل شيء، فإن القهر ملازم للوحدة، فلا يكون قهارين متساويين في قهرهما أبدأ، فالذي يقهر جميع الأشياء هو الواحد الذي لا نظير له، وهو الذي يستحق أن يُعبد وحده، كما كان قاهراً وحده، وقرر ذلك أيضاً بتوحيد الربوبية فقال: ﴿رَبُّ السماوات والأرض وما بينهما﴾ أي: خالقهما، ومربيهما، ومدبرها(١) بجميع أنواع التدابير . ﴿العزيز ﴾ الذي له القوة، آلتي بها خلق المخلوقات العظيمة. ﴿الغَّفَارِ﴾ لجميع الذنوب، صغيرها وكبيرها، لمن تاب إليه وأقلع

فهذا الذي يحب ويستحق أن يعبد، دون من لا يخلق ولا يرزق، ولا يضر ولا ينفع، ولا يملك من الأمر شيئاً، وليس له قوة الاقتدار، ولا بيده مغفرة الذنوب والأوزار.

﴿ قُلُّ لَهُم ، مُحوفاً ومحذراً ، ومنهضاً لهم ومنذراً: ﴿ هُو نَبُّا عَظِيمٍ ﴾ أي: ما أنبأتكم به من البعث والنشور وألجزاء على الأعمال، خبر عظيم ينبغى الاهتمام الشديد بشأنه، ولا ينبغي إغفاله، ولكن ﴿أنتم عنه معرضون كأنه ليس أمامكم حساب ولا عقاب ولا ثواب، فإن شككتم في قولي، وامتريتم في خبري، فإني أخسركم بأخسار لاعلم لي بها ولا درستها في كتاب، فإخباري بها على وجهها، من غير زيادة ولا نقص، أكبر شاهد لصدقي، وأدلُّ دليل على حق ما جئتكم به، ولهذا قال: ﴿ما كان لى من علم بالملأ الأعلى ﴿ أَي : الملائكة ﴿إِذْ يُحْسَمُ وَنَ ﴾ لـولا تعليم الله إياي، وإيجاؤه إلى، ولهذا قال: ﴿إِن يُوحِي إِنِّي إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٍ مبين ﴾ أي: ظاهر النذارة، جليها، فلا نذير أبلغ من نذارته ﷺ.

ثم ذكر اختصام الملأ الأعلى فقال: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكُ لِلْمُلَائِكَةُ ﴾ على وجه الإخبار ﴿إِن حَالِق بِشُراً مِن طين﴾ أي: مادته من طين ﴿فَإِذَا سُويِتُهُ أَي: سويت جسمه وتم، ﴿ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، فوطن الملائكة الكرام أنفسهم على ذلك، حين يتم خلقه ونفخ الروح فيه، امتثالاً لربهم، وإكراماً لآدم عليه السلام، فلما تم خلقه في بدنه وروحه، وامتحن الله آدم والملائكة في العلم، وظهر فضله عليهم، أمرهم الله بالسجود. فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس لم يسجد ﴿استكبر﴾ عن أمر ربه، واست کبر علی آدم ﴿وكان مسن

ف ﴿قال﴾ الله موبخاً ومعاتباً: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ♦ أي: شرفته وكرمته واختصصته بهذه الخصيصة، التي اختص بها عن سائر الخلق، وذلك يقتضي عدم التكبر

الكافرين في علم الله تعالى.

﴿أستكبرت﴾ ني امتناعك ﴿أم كنت من العالين♦.

﴿قال﴾ إبليس معارضاً لربه ومناقضاً: ﴿أَنَا خَيْرٌ مَنْهُ خُلَقْتُنَّى مِنْ نَارِ وخلقته من طين، ويزعمه أن عنصر النار خير من عنصر الطين، وهذا من القياس الفاسد، فإن عنصر النار مادة الشر والفساد، والعلو والطيش والخفة وعنصر الطين مادة الرزانة والتواضع، وإخراج أنواع الأشجار والنباتات، وهو يغلب النار ويطفئها، والنار تحتاج إلى مادة تقوم بها، والطين قائم بنفسه، فهذا قياس شيخ القوم، الذي عارض به الأمر الشفاهي من الله، قد تبين غاية بطلانه وفساده، فما بالك بأقيسة التلاميذ الذين عارضوا الحق بأقيستهم؟ فإنها كلها أعظم بطلاناً وفساداً من هذا

ف ﴿قال﴾ الله له: ﴿فاخرج منها﴾ أي: من السماء والمحل الكريم. ﴿فَإِنْكُ رَجِيمِ﴾ أي: مبعد مدحور. ﴿وإن عليك لعنتي أي: طردي

وإبعادي ﴿إلى يوم الدين﴾ أي: دائماً

﴿قال ربِّ فأنظرني إلى يوم يبعثون﴾ لشدة عداوته لآدم وذريته، ليتمكن من إغواء من قدر الله أن يغويه.

فر ﴿قَالَ ﴾ الله مجنباً لدعوته، حيث اقتضت حكمته ذلك: ﴿فإنك من المنظَرينَ \* إلى يوم الوقت المعلوم) حين تستكمل الذرية، يتم الامتحان. فلما علم أنه مُنْظَر، بادى ربه، من خبثه، بشدة العداوة لربه ولآدم وذريته

فقال: ﴿فبعزتك الأغوينهم أجمين﴾ يحتمل أن الباء للقسم، وأنه أقسم بعزة الله ليغوينهم كلهم أجمعين. ﴿ إِلاَّ عبادك منهم المخلصين ﴾ علم أن الله سيحفظهم من كيده.

ويحتمل أن الباء للاستعانة، وأنه لما علم أنه عاجز من كل وجه، وأنه لا يضل أحداً إلا بمشيئة الله تعالى، فاستعان بعزة الله على إغواء ذرية آدم هذا، وهو عدو الله حقاً.

ونحن يا ربنا العاجزون المقصرون، المقرون لك بكل نعمة، ذرية من شرفته وكرمته، فنستعين بعزتك العظيمة وقدرتك، ورحمتك الواسعة لكل مخلوق، ورحمتك التي أوصلت إلينا بها

ما أوصلت من النعم الدينية والدنيوية، وصرفت بها عنا ما صرفت من النقم، أن تعيننا على محاربته وعداوته، والسلامة من شره وشركه، وتحسن الظن بك أن تجيب دعاءنا، ونؤمن بوعدك الذي قلت لنا: ﴿وقال ربكم

ادعوني أستجب لكم) فقد دعوناك

كما أمرتنا، فاستجب لنا كما وعدتنا.

﴿إنك لا تخلف الميعاد﴾. ﴿قَالَ ﴾ الله تعالى ﴿فَالْحُقُّ وَالْحُقَّ أقول﴾ أي: الحق وصفى، والحق قولي ﴿ لأملأن جهنَّمَ منك وعَّن تبعك منهم أجمعين المابين الرسول للناس الدليل ووضح لهم السبيل قال الله له: ﴿قل ما أسألكم عليه ﴾ أي: على

دعائي إياكم ﴿من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ أدعى أمراً ليس لي، وأقفو ماليس لي به علم، لا أتبع إلا ما يوحي إلى .

﴿إِنْ هُو﴾ أي: هذا الوحي والقرآن ﴿ إِلاَّ ذَكُرُ لِلْعَالَمِينَ ﴾ يتذكرون به كل ما ينفعهم من مصالح دينهم ودنياهم، فيكون شرفاً ورفعة للعاملين به، وإقامة حجة على المعاندين.

فهذه السورة العظيمة، مشتملة على الذكر الحكيم، والنبأ العظيم، وإقامة الحجج والبراهين، على مَنْ كذّب بالقرآن وعارضه، وكذّب مَنْ جاء به، والإخبار عن عباد الله المخلصين، وجزاء المتقين والطاغين. فلهذا أقسم في أولها بأنه ذو الِذكر، ووصفه في آخرها بأنه ذكر للعالمين.

وأكثر التذكير بها فيما بين ذلك، كقوله: ﴿واذكر عبدنا﴾ \_﴿واذكر عبادنا) \_ ﴿ رحمة من عندنا وذكرى ﴿ ﴿ هِذَا ذَكُو ﴾ .

اللهم علمنا منه ما جهلنا، وذكرنا منه ما نسينا، نسيان غفلة ونسيان ترك. ﴿ولتعلمن نبأه أي: خبره ﴿بعد حين الله وذلك حين يقع عليهم العذاب وتتقطع عنهم الأسباب.

تم تفسير سورة ص بمنه تعالى

# تفسير سورة الزمر وهي مكية

﴿١ ٢٠﴾ ﴿بسم الله السرحسن الرحيم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم \* إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين \* ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفي إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذبٌ كفار ﴾ يخبر تعالى عن عظمة القرآن، وجلالة مَنْ تكلُّم به ونزل منه، وأنه نزل من الله العزيز الحكيم، أي: الذي وصفه الألوهية للخلق، وذلك لعظمته وكماله، والعزة التي قهر بها كل مخلوق، وذل له كل شيء، والحكمة في خلقه وأمره.

فالقرآن نازل ممن هذا وصفه، والكلام وصف للمتكلم، والوصف يتبع الموصوف، فكما أن الله تعالى

الكامل من كل وجه، الذي لا مثيل له، فكذلك كلامه كامل من كل وجه لا مثيل له، فهذا وحده كافٍ في وصف القرآن، دال على مرتبته.

ولكنه \_مع هذا \_زاد بياناً لكماله بمن نزل عليه، وهو محمد ﷺ، الذي هو أشرف الخلق فعلم أنه أشرف الكتب، وبما نزل به، وهو الحق، فنزل بالحق الذي لا مرية فيه، لإخراج الخلق من الظلمات إلى النور، ونزلُّ مشتملاً على الحق في أخباره الصادقة، وأحكامه العادلة، فكل ما دلُّ عليه فهو أعظم أنواع الحق، من جميع المطالب العلمية، وما بعد الحق إلاّ الضَّلال.

ولما كان نازلاً من الحق، مشتملاً على الحق لهداية الخلق، على أشرف الخلق، عظمت فيه النعمة وجلَّت، ووجب القيام بشكرها، وذلك بإخلاص الدين لله، فلهذا قال: ﴿ فاعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ أي: أخلص لله تعالى جميع دينك، من الشرائع الظاهرة والشرائع الباطنة: الإسلام والإيمان والإحسان ، بأن تفرد الله وحده بها، وتقصد به وجهه لا غير ذلك من المقاصد.

﴿ أَلَا لِلَّهُ الدينِ الْحَالِصِ ﴾ هذا تقرير للأمر بالإخلاص، وبيان أنه تعالى كما أنه له الكمال كله، وله التفضل على عباده من جميع الوجوه، فكذلك له الدين الخالص الصافي من جميع الشوائب، فهو الدين الذي ارتضاه لنفسه، وارتضاه لصفوة خلقه وأمرهم به، لأنه متضمن للتأله لله في حبه وخوفه ورجائه، وللإنابة إلَّيه في عبوديته، والإنابة إليه في تحصيل مطالب عباده .

وذلك الذي يصلح القلوب ويزكيها ويطهرها، دون الشرك به في شيء من العبادة، فإن الله بريء منه، وليس لله فيه شيء، فهو أغنى الشركاء عن الشرك، وهو مفسد للقلوب والأرواح والدنيا والآخرة، مُشْق للنفوس غاية

الشقاء، فلذلك لما أمر بالتوحيد والإخلاص، نهى عن الشرك به، وأخبر بذم مَنْ أشرك به فقال: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ﴾ أي: يسولونهم بعبادتهم ودعائهم، [معتذرين](١) عن أنفسهم وقائلين: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفي ﴾ أي: لترفع حوائجنا لله، وتشفع لنا عُنده، وإلاً، فنحن نعلم أنها، لا تخلق، ولا ترزق، ولا تملك من الأمر شيئاً.

أي: فهؤلاء قد تركوا ما أمر الله به من الإخلاص، وتجرؤوا على أعظم المحرمات، وهو الشرك، وقاسوا الذي ليس كمثله شيء، الملك العظيم، بالملوك، وزعموا بعقولهم الفاسدة ورأيهم السقيم، أن الملوك كما أنه لا يوصل إليهم إلا بوجهاء وشفعاء ووزراء يسرف عسون إليهسم حسوائسج رعاياهم، ويستعطفونهم عليهم، ويمهدون لهم الأمر في ذلك، أن الله تعالى كذلك.

وهذا القياس من أفسد الأقيسة، وهو يتضمن التسوية بين الخالق والمخلوق، مع ثبوت الفرق العظيم، عقلاً ونقلاً وفطرة، فإن الملوك، إنما احتاجوا للوساطة بينهم وبين رعاياهم، لأنهم لا يعلمون أحوالهم. فيحتاج مَنْ يعلمهم بأحوالهم، وربما لا يكون في قلوبهم رحمة لصاحب الحاجة، فيحتاج مَنْ يعطفهم عليه [ويسترحمه لهم](٢)، ويحتاجون إلى الشفعاء والوزراء، ويخافون منهم، فيقضونَ حوائج مَنْ توسطوا لهم، مراعاة لهم، ومداراة لخواطرهم، وهم أيضاً فقراء، قد يمنعون لما يخشون من

وأما الرب تعالى، فهو الذي أخاط علمه بظواهر الأمور وبواطنها، الذي لا يحتاج مَنْ يخبره بأحوال رعيته وعباده، وهو تعالى أرحم الراحمين، وأجود الأجودين، لا يحتاج إلى أحد

ا وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَى رِيَا لَا كُنَّا مَنْ تُحُرِينَ الْأَشْرَو ﴿ الْمُعَذَّنَّهُمْ مِيغَرِيًّا أَرْزَاغَتْ عَنْهُ مُؤَالْإَصْدُ ۞ إِنَّ ذَكِكَ كُونٌ مَعْامُهُ أَعْلَى ٱلنَّارِي قُلْ إِنَّا أَنَا مُنذِذُ فُومَا مِنْ إِلَهِ إِلَّالْقَدُ ٱلْوَحِدُ ٱلْعَلَىٰ لَا ۞ رَبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا يَنْهُمَا ٱلْمَيْرُ ٱلْفَظَرُ۞ قُلْهُوَ تَتَوُّاعَظِيمُ ۞ أَتُعُرْعَنَهُ مُعْيِهُونَ ۞ مَاكَانَ لِيَعِنْ عِلْمِ وَالْلَا ٱلْأَغْلَاذَ يَعْتَصِمُونَ ۞ إِن يُوخَيَالُ إِلَّالْقَالَالَةِيرُفُيدِكُ ۞ إِذْ قَالَ رَبُّكَ اِلْمُلَلِّ كَمْ إِنْ خَلِقًا تِشَرَامِن طِيرٍ ۞ فَإِذَا سَوَّتُ مُوَلَفَخْتُرِفِهِ مِن زُوسِي فَقَعُواْ لَمُرسَجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ ٱلْتَلَتِكُهُ كُلُّهُمُ أَجْمَعُونَ ۞ إِلَّا إِلْهِسَ أَسْتَكَفِرَقَكَانَ مِنَ ٱلْكَهْرِينَ الْ يَهْ إِنِيسُ مَامَنَعَكَ أَن تَسْجُدُ لِلَا خَلَقْتُ بِيدَيُّ أَسْتَكُمْرُتَ أَمْ كُتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرُ مِنْ أَخَلَقْتَ غِينِ نَادٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينِ۞ قَالَ فَأَخْرُجُ مِنْهَا فَإِنَّكَ تَوِيدُ۞ وَاذْعَلَيْكَ لَهُتَيَ إِلَى يَوْمِ الِيِّنِ ۞ قَالَ رَبِّ فَأَنظِمْ إِنَّ إِلَى يَوْمِ يُبَعَثُونَ ۞ قَالَ فَإِنَّكَ يَنَ ٱلْنَظَيِينَ ۞ إِلَى يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَسْلُومِ ۞ قَالَ فِيعِيِّنِكَ المُعْوِينَهُمُ أَجْمِينَ ۞ إلْاعِكَ لَا فِينْهُمُ الْخُلُصِينَ ۞ CLOSEL WEST OF OF

من خلقه يجعله راحماً لعباده، بل هو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم، وهو الذي يحثهم ويدعوهم إلى الأسباب التي ينالون بها رحمته، وهو يريد من مصالحهم ما لا يريدونه لأنفسهم، وهو الغني، الذي له الغني التام المطلق، الذي لو اجتمع الخلق من أولهم وآخرهم في صعيد واحد فسألوه، فأعطى كلاً منهم ما سأل وتمنى، لم ينقصوا غناه شيئاً، ولم ينقصوا بما عنده، إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط.

وجميع الشفعاء يخافونه، فلا يشفع منهم أحد إلا بإذنه، وله الشفاعة كلها.

فبهذه الفروق يعلم جهل المشركين به، وسفههم العظيم، وشدة جراءتهم

ويعلم أيضاً الحكمة في كون الشرك لا يغفره الله تعالى، لأنه يتضمن القدح في الله تعالى، ولهذا قال \_ حاكماً بين الفريقين المخلصين والمشركين، وفي ضمنه التهديد للمشركين ﴿إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون،

وقدعلم أن حكمه أن المؤمنين المخلصين في جنات النعيم، ومَنْ

<sup>(1)</sup> في أ: متعذرين.

كذا في النسختين ولعل الصواب (ويسترحمهم له). **(Y)** 

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ الْفُلُ ۞ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمِينَكَ وَحُنَّ يَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمِهِينَ ﴿ قُلْمَا أَسْتَلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرُ فِكَا أَنَامِنَ الْتُتَكِّلِفِينَ ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرُ الْمُعَالِمِينَ ﴿ وَلَتَعَلَّمُ نَا مُهَا مُرَعَدُ عِينِ ﴿ CEIVE CEIVE تَنْفِلُ ٱلْكِنْبِ مِنَ الْمُؤَالْكَ نِيْزَالْحَكِيدِ ۞ إِنَّ ٱلزَّلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَبَ إِلْحَقِ فَأَعْبُ إِلَقَ مُعْلِمِكًا أَهُ ٱلدِّينَ ۞ ٱلَايِقَوَالِدَيْثِ ٱلْحَالِصُّ وَٱلَّذِينِ ٱلْحََٰثُ وَأَمِن دُونِيهِ ٓ ٱوَلِيَآءَ مَانَعْبُدُ مُن إِلَّا لِيُ تَرِيُونَا إِلَى أَلْقِهِ زُلْفَنَ إِنَّ أَلَّهُ يَعَكُرُ بَيْنَهُمْ فِي مَاهُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ أَلَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَكَاذِبٌ كَفَّارُ ۞ لَوَ أَزَادَ أَلَهُ أَن يَتَخِهُ وَلِمَا لَآصَطَعُ لَ مِمَّا يَغْ لُونُ مَا يَشَكَ أَهُ مُن مِحَكِنَكُمُ هُوَ اللَّهُ الْوَحِدُ الْقَلْمَارُ ۞ حَكَةَ السَّنَوَةِ وَالْأَرْضِ إِلْمُقَيُّ يُصِّوْرًا لَيْلَ عَلَى النَّهَادِ وَيُحْتِوْالنَّهَادَعَكَا أَيْنِ وَسَخَرَالشَّعْسَ وَالْعَسَرَّ كُلُّ يَعْدِي لِأَحَالِ مُّكَثِّ ٱلْاهْوَ الْعَانِيرُ الْفَلْدُنِ

يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار. ﴿إِنَّ اللَّهُ لَا يَهْدَى﴾ أي: لا يوفق للهداية إلى الصراط المستقيم ﴿مَنْ هُو كَاذَبٌ كَفَّارٍ ﴾ أي: وصفه الكذب أو الكفر، بحيث تأتيه المواعظ والآيات، ولا يزول عنه ما اتصف به، ويريه الله الآيات، فيجحدها ويكفر بها ويكذب، فهذا أنَّى له الهدى وقد سد على نفسه الباب، وعوقب بأن طبع الله على قلبه، فهو لا يؤمن؟!!

TO PROPERTY OF THE PARTY OF THE

﴿ ٤﴾ ﴿ لُو أَراد الله أَن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار الي الله الواحد القهار الله الواحد الماسو أراد الله أن يتخذ ولداً > كما زعم ذلك مَنْ زعمه، من سفهاء الخلق. ﴿لاصطفى مَّا يَخلق ما يشاء﴾أي: لاصطفى بعض مخلوقاته التي يشاء اصطفاءه، واختصه لنفسه، وجعله بمنزلة الولد، ولم يكن حاجة إلى اتخاذ الصاحبة. ﴿سبحانه ﴿عماظنه به الكافرون، أو نسبه إليه الملحدون. ﴿ هُو الله الواحد القهَّار ﴾ أي: الواحد في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، وفي أفعاله، فلا شبيه له في شيء من ذلك، ولا مماثل، فلوكان له ولد، لاقتضى أن يكون شبيهاً له في وحدته، لأنه بعضه، وجزء منه.

القهار لجميع العالم العلوي والسفلي، فلوكآن له ولد لم يكن

مقهوراً، ولكان له إدلال على أبيه رأى من آياته العظيمة، ثم تاب

ووحدته تعالى وقهره متلازمان، فالواحد لا يكون إلا قهاراً، والقهَّار لا يكون إلا واحداً، وذلك ينفى الشركة له من كل وجه.

﴿٥ \_٧ ﴾ ﴿خلق السماوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار \* خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها روجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون \* إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور الخبر تعالى أنه ﴿خلْق السماوات والأرض﴾ أي: بالحكمة والمصلحة، وليأمر العباد وينهاهم، ويثيبهم ويعاقبهم.

﴿ يَكُورُ اللَّهِ عَلَى النَّهَارُ وَيَكُورُ النهار على الليل الى يدخل كلاً منهما على الآخر، ويحله محله، فلا يجتمع هذا وهذا، بل إذا أتى أحدهما انعزل الآخر عن سلطانه.

﴿وسخّر الشمس والقمر﴾ بتسخير منظم، وسير مقنن. ﴿كلُّهُمنَ الشمس والقمر ﴿ يجري ﴾ متأثراً عن تسخيره تعالى ﴿لأجل مسمّى﴾ وهو انقضاء هذه الدار وخرابها، فيخرب الله آلاتها وشمسها وقمرها، وينشىء الخلق نشأة جديدة ليستقروا في دار القرار، الجنة أو النار.

﴿ أَلَا هُو الْعَزِيزِ ﴾ الذي لا يغالب، القاهر لكل شيء، الذي لا يستعصى عليه شيء، الذي من عزته أوجد هذه المخلوقات العظيمة، وسخرها تجري بأمره. ﴿الغَفَّارِ﴾لذنوب عباده التوابين المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وإني لَغَفَّارِ لمن تباب وآمين وعيميل صبالحياً ثيم اهتدى . الغفار لمن أشرك به بعدماً

ومن عزته أن ﴿خلقكم من نفسٍ واحدة ﴾ على كثرتكم وانتشاركم، في أنحاء الأرض، ﴿ثُم جعل منها زوجها﴾ وذلك ليسكن إليها وتسكن إليه، وتتم بذلك النعمة. ﴿ وأنزل لكم من الأنعام ﴾ أي: خلقها بقدر نازل منه، رحمة بكم. ﴿ثمانية أزواج﴾ وهي التي ذكرها في سورة الأنعام ﴿ ثمانية أزواج من النضان اثنين ومن المعز اثنينَ ﴿ ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين∳.

وخصها بالذكر، مع أنه أنزل لمصالح عباده من البهائم غيرها، لكثرة نفعهاً، وعموم مصالحها، ولشرفها، ولاختصاصها بأشياء لا يصلح غيرها، كالأضحية والهدى والعقيقة، ووجوب الزكاة فيها، واختصاصها

ولما ذكر خلق أبينا وأمنا، ذكر ابتداء خلقنا، فقال: ﴿ يُخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق اي: طوراً بعد طور، وأنتم في حال لا يد غلوق تمسكم، ولا عين تنظر إليكم، وهو قد رباكم في ذلك المكان الضيق ﴿ في ظلمات تُلات ﴾ ظلمة البطن، ثم ظلمة الرحم، ثم ظلمة المسيمة، ﴿ ذَلِكُم ﴾ الذي خلق السماوات والأرض، وسخّر الشمس والقمر، وخلقكم وخلق لكم الأنعام والنعم ﴿الله ربكم ﴿أَى: المألوه المعبود، الذي رباكم ودبركم، فكما أنه الواحد في خلقه وتربيته لا شريك له في ذلك، فهو الواحد في ألوهيته لا يشريك له، ولهذا قال: ﴿ لا إله إلا هو فأنى تصرفون ابعد هذا البيان ببيان استحقاقه تعالى للإخلاص وحده إلى عبادة الأوثان، التي لا تدبر شيئاً، وليس لها من الأمر شيء.

﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِن اللهِ غَنِي عَنْكُم ﴾ لا يضره كفركم، كما لا ينتفع بطاعتكم، ولكن أمره ونهيه لكم محض فضله وإحسانه عليكم . ﴿ولا يرضى لعباده الكفر الكمال إحسانه بهم،

الجزء الثالث والعشرون كم

وعلمه أن الكفر يشقيهم شقاوة لا يسعدون بعدها، ولأنه خلقهم لعبادته، فهي الغاية التي خلق لها الخلق، فلا يرضى أن يدعوا ما خلقهم

﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا﴾ لله تعالى بتوحيده، وإخلاص الدين له ﴿يرضه لكم﴾ لرحمته بكم، ومحبته للإحسان عليكم، ولفعلكم ما خلقكم لأجله.

وكما أنه لا يتضرر بشرككم، ولا ينتفع بأعمالكم وتوحيدكم، كذلك كل أحد منكم له عمله، من خسيسر وشسر ﴿ولا تسزر وازرة وزر أخرى) ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مُرْجِعِكُم﴾ في يوم القيامة ﴿فينبنكم بماكنتم تعملون اخباراً أحاط به علمه، وجرى عليه قلمه، وكتبته عليكم الحفظة الكرام، وشهدت به عليكم الجوارح، فيجازي كلا منكم ما

﴿إنه عليم بذات الصدور ﴾ أي: بنفس الصدور، وما فيها من وصف برًّ أو فجور، والمقصود من هذا، الإخبار بالجزاء بالعدل التام.

﴿٨﴾ ﴿وَإِذَا مِسَّ الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النارك يخبر تعالى عن كرمه بعبده وإحسانه وبره، وقلة شكر عبده، وأنه حين يمسه الضر، من مرض أو فقر، أو وقوع في كربة بَحْر أو غيره، أنه يعِلم أنه لا ينجيه في هذا الحال إلا الله، فيدعوه متضرعاً منيباً، ويستغيث به في كشف ما نزل به ويلح في ذلك.

﴿ثم إذا خوله ﴾ الله ﴿نعمة منه ﴾ بأن كشف ما به من الضر والكربة، ﴿نسى ما كان يدعو إليه من قبل ﴾ أي: نسي ذلك الضر الذي دعا الله لأجله، ومركأنه ما أصابه ضر، واستمرعلي

﴿وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله﴾أي: ليضل بنفسه، ويضل غيره، لأن الإضلال فرع عن الضلال،

فأتى بالملزوم ليدل على اللازم.

﴿قُلِ ﴾ لهذا العاتي، الذي بدّل نعمة الله كفراً: ﴿تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النارك فلا يغنيك ما تتمتع به إذا كان المآل النار.

﴿أَفْرَأَيت إِنْ متعناهم سنين \* ثم جاءهم ما كانوا يوعدون \* ما أغني عنهم ما كانوا يمتعون ﴾ .

﴿٩﴾ ﴿أَمِّن هُو قَالَتُ آنَاءُ اللَّيلُ ساجدأ وقائمأ يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب مذه مقابلة بين العامل بطاعة الله وغيره، وبين العالم والجاهل، وأن هذا من الأمور التيُّ تقرر في العقول تبيانها، وعلم علماً يقيناً تفاوتها، فليس المعرض عن طاعة ربه، التبع لهواه، كمن هو قانت، أي: مطيع لله بأفضل العبادات وهي الصلاة، وأفضل الأوقات وهو أوقات الليل، فوصفه بكثرة العمل وأفضله، ثم وصفه بالخوف والرجاء، وذكر أن متعلق الخوف عذاب الآخرة، على ما سلف من الذنبوب، وأن متعلق الرجاء، رحمة الله، فوصفه بالعمل الظاهر والباطن.

﴿قل هل يستوى الذين يعلمون ربهم ويعلمون دينه الشرعي ودينه الجزائي، وما له في ذلك من الأسرار والحكم ﴿والذينُ لا يعلمون﴾ شيئاً مين ذليك؟ لا يستوى هيؤلاء ولا هؤلاء، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلام، والماء والنار.

﴿إنما يتذكر ﴾ إذا ذكروا ﴿أولو الألباب أي: أهل العقول الزكية الذكية، فهم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى، فيؤثرون العلم على الجهل، وطاعة الله على مخالفته، لأن لهم عقولاً ترشدهم للنظر في العواقب، بخلاف مَنْ لا لَبُّ له ولا عقل، فإنه يتخذ إلهه هواه.

﴿١٠﴾ ﴿قل يا عباد الذي آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى

خَلَقَكُمِينَ نَفْس وَحِدَة ثُرَّجَعَلَ مِنْهَا زَفْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمُ يِنَ ٱلأَفْدَرِ ثَلِينَةَ أَزْوَاحٍ يَعْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمُّهَا يَكُمُ خَلَقًا مِنْ بَعَدِ خَلْقِ فِي ظُلْمُتِ ثَلَاثُ ذَالِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآإِلَةَ إِلَّاهُ وَأَنَّا لَتُعَرِّفُونَ ۞ إِن تَكُفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَيْقُ عَنَكُوْ قُلايَرْضَا لِعِبَادِهِ أَلْكُ فُرِّقَان تَشْكُرُ وَايْرَضَكُ لَكُ مُّ وَلَا تَنْزُدُ وَانِدَةً وِزُدَا أُخْرَةً ثُمُّ الْأَرْبُكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنْزَعُكُمْ مَا كُنْتُوتَعْمَلُونَ إِنَّهُ مَلِيمُ اللَّهُ لُونِ الصَّاعُونِ ﴿ • وَإِذَا مَسَى الْإِنسُكَ مُثَرُّهُ عَارَيْهُ مُنينيا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَلَهُ فِعْمَةً مِّنْهُ نَيْنَ مَا كَانَ يَدْعُوْ إِلَيْهِ مِن قِبَلُ وَجَعَلَ بِثِهِ أَنَدَاذَا لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ عَلْ مَنتَعَ يَكُفُوكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْبَ السَّادِ ٥ أَمَّنُ هُوَقِلْنِتُ ءَانَكَاءً أَيُّل سَاجِهُ اوْقَالَهُمَا يَعَدُوا لَآلُاخِكُو وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَيْدٍ عُلْ هَلْ مِنْ عَنِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعَمَ لَمُونَّ إِنَّمَا يَتَذَكَّ مُؤُولُوا ٱلْأَلْبُ ۞ قُلْ يَكِيمَا وِٱلَّذِينَ المَوْا اَتَقُوارَيَّكُمُ لِلَّذِينَ آحْسَنُوا فِي هَلَا وَالدُّنْيَاحَسَنَةً أً وَأَرْضُ اللَّهِ وَمِيعَةُ إِنَّا أَيُوفَى الصَّايِرُونَ أَجْرَهُم بِعَيْرِ حِسَابٍ ٢ 

الصابرون أجرهم بغير حساب، أي: قل منادياً لأشرف الخلق، وهم المؤمنون، آمراً لهم بأفضل الأوامر، وهى التقوى، ذاكراً لهم السبب الموجب للتقوى، وهو ربوبية الله لهم وإنعامه عليهم، المقتضى ذلك منهم أنْ يتقوه، ومن ذلك ما مَنَّ الله عليهم به من الإيمان فإنه موجب للتقوى، كما تقول: أيها الكريم تصدَّق، وأيها الشجاع قاتل.

وذكر لهم الثواب المنشط في الدنيا فقال: ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا﴾ بعبادة ربهم لهم ﴿حسنة ﴾ ورزق واسع، ونفس مطمئنة، وقلب منشرح، كما قال تعالى: ﴿ مَنْ عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ٠٠٠٠

﴿وأرض الله واسعة ﴾ إذا منعتم من عبادته في أرض، فهاجروا إلى غيرها، تعبدون فيها ربكم، وتتمكنون من إقامة دينكم .

ولما قال: ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ﴾ كان لبعض النفوس عجال في هذا الموضع، وهو أن النص عام، أنه كل مَنْ أحسن فله في الدنيا حسنة، فما بال مَنْ آمن في أرض يضطهد فيها ويمتهن، لا يحصّل له ذلك، دفع هذا الظن بقوله: ﴿وأرض الله واسعة ﴾ وهنا بشارة نص عليها النبى علي بقوله: «لا تزال طائفة من أمتي على

قُلْ إِنَّ أَمِنْ تُلَا أَعْبُدُ ٱللَّهَ تَعْلِصُا لَهُ ٱلذِينَ ۞ وَأَمِنْ لِأَنْ ٱلَّوْبَ أَوْلَ لَلْسُلِينَ ۞ قُلِلْ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ مَنْ عَذَابَ وَم عَظِيرِ۞ قُلِ اللّهَ لَعَبُ مُعْلِصَا لَكُوبِينِ۞ فَأَعَبُدُواْ مَا شِيتْتُهُ مِن دُونِةً عُقُل إِنَّ أَنْخَلِيرِينَ ٱلَّذِينَ خَيرُوٓا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِ مَيَّوْمَ ٱلْفِيكَةُ ۚ أَلَاذَٰ إِلَى هُوَ أَنْحُتُمَ إِنَّ ٱلْجُينُ۞ لَمُ مِّن فَوَقِهِ مُرْخُلُلُ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَمْتِيهِ مِلْكُلُّ ذَاكِ يُعَنِّونُ اللَّهُ بِدِيجِكَ دَمُّرِيكِ إِل فَالْقُونِ ۞ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ الطَّلْخُوتَ أَن يَمْبُدُوهَ وَالْآفِرَالِلَ ٱللَّهِ لَمُدُا لَلِمُ رَبُّ فَيَشْرَعِهَا و اللَّهِ اللَّهِ لَيْنَ يَسْتَهِعُونَ الْمَوْلَ فَيَنْعُونَ أخسنة والكيك الَّذِينَ هدَنهُ مُ اللَّهُ وَأَوْلَتِكَ هُرُ أَوْلُوا الْآلِبَ ﴿ أَفَنُ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ ثُنِيدُ مَن فِي ٱلشَّادِ ﴿ لَكِنَ الَّذِيرَ اتَّفَوَارَتَهُ مُ لَمُتُمُّ عَنَ فَيْفِهَا عُسَرَقُ مَبْنِيَّةً تَجْرِي مِن تَحْيَهَ الْأَنْهَا رُوَعْدَاللَّهِ لَا يُعْلِفُ اللَّهُ لِلْمِعَادَ ۞ ألرَّضَرَ أَنَّ اللهُ أَرْلِينَ السَّسَلَةِ مَا مُسْلَكَ مُرْتَابِيمَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْنِجُ بِهِ دَزَوْعَا تُحْتَلِفا ٱلْوَنْهُ ثُمَّ يَعِيبِجُ فَثَرَيْهُ مُصْفَدَّ الْعُرَ يَجَعَلُهُ حُتَلِمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَدِحْرَىٰ يَأْوَلِ ٱلْأَلِينِ ٥ TOUGHOU TO ECRUSO

الحق ظاهرين لا يضرهم مَنْ خذلهم ولا مَنْ خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك؛ تشير إليه هذه الآية، وترمي إليه من قريب، وهو أنه تعالى أخبر أن أرضه واسعة، فمهما مُنعتم من عبادته في موضع فهاجروا إلى غيرها، وهذا عام في كل زمان ومكان، فلا بدأن يكون لكل مهاجر، ملجاً من المسلمين يلجأ إليه، وموضع يتمكن من إقامة دينه فيه.

﴿إنما يوق الصابرون أجرهم بغير حساب وهذا عام في جميع أنواع الصبر، الصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، والصبر عن معاصيه فلا يرتكبها، والصبر على طاعته حتى يؤديها، فوعد الله الصابرين أجرهم بغير حدّ ولا عدّ ولا مقدار، وما ذاك إلا لفضيلة الصبر ومحله عند الله، وأنه معين على كل الأمور.

(11-17) ﴿قـل إِنِي أمـرت أَن أَعبد الله خلصاً له اللدين \* وأمرت لأن أَعبد الله خلصاً له اللدين \* وأمرت لأن أَكون أول المسلمين \* قل إِني أَخاف إِن عصيت ربي عذاب يوم عظيم \* قل الله أعبد خلصاً له ديني \* فاعبدوا ما شنتم من دونه قل إِن الخاسرين الذين خسروا أنفهسم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين \* لهم من ذلك هو الخسران المبين \* لهم من

فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباد فاتقون أي: ﴿قل ﴾ يا أيها الرسول للناس: ﴿إِنِّ أَمْرِتُ أَنْ أُعْبِدُ الله مخلصاً له الدين ﴾ في قوله في أول السورة: ﴿فَاعْبِدُ الله مخلصاً له الدين ﴾

﴿ وأمرت لأن أكون أوّل المسلمين ﴾ لأني الداعي الهادي للخلق إلى ربهم ، فيقتضي أني أوّل مَنْ التمر بما آمر به ، وأوّل مَنْ أسلم ، وهذا الأمر لا بد من إيقاعه من محمد على من أتباعه ، فلا بد من الإسلام في الأعمال الظاهرة ، والإخلاص لله في الأعمال الظاهرة ، والإخلاص لله في الأعمال الظاهرة ، والإخلاص لله في

﴿قل إن أخاف إن عصيت ربي﴾ في ما أمرن به من الإخلاص والإسلام. ﴿عذابَ يوم عظيم﴾ يخلد فيه مَنْ أشرك، ويعاقب قيه مَنْ عصى. ﴿قل الله أعبد مخلصاً له ديني \* فاعبدوا ما شئتم من دونه ﴾ كما قال لا أعبد ما تعبدون \* ولا أنتم عابدون ما أعبد \* ولا أنا عابد ما تعبدون ما أعبد \* ولا أنا عابد ما لكم دينكم ولى دين ﴾ .

وقل إن الخاسرين حقيقة هم والذين خسروا أنفسهم حيث حرموها الثواب، واستحقت بسببهم وخيم العقاب ﴿وأهليهم يوم القيامة ﴾ أي : فرق بينهم وبينهم، واشتد عليهم الحزن، وعظم الخسران. ﴿الا ذلك هو الخسران المبين الذي ليس مشله خسران، وهو خسران مستمر، لا ربح بعده، بل ولا سلامة.

ثم ذكر شدة ما يحصل لهم من الشقاء فقال: ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار﴾ أي: قطع عذاب كالسحاب العظيم ﴿ومن تحتهم ظلل﴾

وَذَلْكُ الوصفُ الذي وصفنا به عذاب أهل النار، سوط يسوق الله به عباده، عباده إلى رحمته، ويخوف الله به عباده، يا عبادِ فاتقون أي: جعل ما أعده لأهل الشقاء من العذاب داء يدعو

عباده إلى التقوى، وزاجر عمّا يوجب العذاب. فسبحان مَنْ رحم عباده في كل شيء، وسهل لهم الطرق الموصلة إليه، وحثهم على سلوكها، ورغّبهم بكل مرغب تشتاق له النفوس وتطمئن له القلوب، وحذّرهم من العمل لغيره (١) غاية التحذير، وذكر لهم الأسباب الزاجرة عن تركه.

﴿١٧ ـ ١٧﴾ ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد \* الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك اللذين هداهم الله وأولئك هم أولو حال المجرمين ذكر حال المجرمين ذكر حال المجرمين ذكر حال المجرمين ذكر اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها ﴾ والمراد بالطاغوت في هذا الموضع ، عبادة عير الله ، فاجتنبوها في عبادتها . وهذا لأن المدح إنما يتناول المجتنب لها في عبادتها .

﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهُ بِعَبَادَتُهُ وَإِخْلَاصُ الدين له، فانصرفت دواعيهم من عبادة الأصنام إلى عبادة الملك العلام، ومن السرك والمعاصى إلى التوحيد والطاعات، ﴿لهم البشري﴾ التي لا يقادر قدرها، ولا يعلم وصفها، إلا مَنْ أكرمهم بها، وهذا شامل للبشرى في الحياة الدنيا بالثناء الحسن، والرؤيا الصالحة، والعناية الربانية من الله، التي يرون في خلالها، أنه مريد لإكرامهم في الدنيا والآخرة، ولهم البشري في الآخرة عند الموت، وفي القبر، وفي القيامة، وخاتمة البشري ما يبشرهم به الرب الكريم، من دوام رضوانه وبره وإحسانه وحلول أمانه في الجنة.

ولما أخبر أن لهم البشرى، أمره الله ببشارتهم، وذكر الوصف الذي استحقوا به البشارة فقال: ﴿فَبِشُر عِبَادِ \* الذين يستمعون القول﴾ وهذا جنس يشمل كل قول، فهم يستمعون جنس القول ليميزوا بين ما ينبغي إيثاره

الجزء الثالث والعشرون ك

مما ينبغي اجتنابه، فلهذا من حزمهم وعقلهم أنهم يتبعون أحسنه، وأحسنه على الإطلاق كلام الله وكلام رسوله، كما قال في هذه السورة: ﴿ الله نزِّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً ﴾ الآية .

وفي هذه الآية نكتة، وهي: أنه لما أخبر عن هؤلاء المدوحين أنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه، كأنه قيل: هل من طريق إلى معرفة أحسنه حتى نتصف بصفات أولى الألباب، وحتى نعرف أن من آثره علمنا أنه من أولى الألباب؟

قيل: نعم، أحسنه ما نص الله عليه ﴿الله نُول أحسن الحديث كتباباً متشابهاً ﴾ الآية .

والذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله لأحسن الأخلاق والأعمال ووأولتك هم أولو الألباب أي: العقول الزاكية .

ومن لبهم وحزمهم، أنهم عرفوا الحسن من غيره، وآثروا ما ينبغي إيثاره على ما سواه، وهذا علامة العقل، بل لا علامة للعقل سوى ذلك، فإن الذي لا يميزبين الأقوال، حسنها وقبيحها، ليس من أهل العقول الصحيحة، أو الذي يميز، لكن غلبت شهوته عقله، فبقى عقله تابعاً لشهوته فلم يؤثر الأحسن، كان ناقص العقل.

﴿١٩ ـ ٢٠ ﴾ ﴿أفسن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار \* لكن الذين اتقوا رجم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد) أي: أفمن وجبت عليه كلمة العذاب باستمراره على غيه وعناده وكفره، فإنه لا حيلة لك في هدايته، هو المستحق للعبادة. ولا تقدر تنقذ مَنْ في النار لا محالة، لكن الغنى كل الغنى، والفوز كل الفوز، للمتقين الذين أعد لهم من الكرامة وأنواع النعيم ما لا يقادر

﴿لهم غُرَفٌ ﴾ أي: منازل عالية

مزخرفة، من حسنها وبهائها وصفائها، أنه يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، ومن علوها وارتفاعها، [أنها](١) تري كما يري الكوكب الغابر في الأفق الشرقي أو الغربي، ولهذا قال: ﴿من فوقها غرف اي: بعضها فوق بعض ﴿مبنيَّةٌ ﴾ بذهب وفضة، وملاطها المسك الأذفر.

﴿ تَجِرى من تحتها الأنهار ﴾ المتدفقة ، المسقية للبساتين الزاهرة والأشجار الطاهرة، فتغل بأنواع الثمار اللذيذة، والفاكهة النضيجة.

﴿وعد الله لا يخلف الله الميعاد﴾ وقد وعد المتقين هذا الثواب، فلا بد من الوفاء به، فليوفوا بخصال التقوي، ليوفيهم أجورهم .

﴿٢١﴾ ﴿أَلُم تسر أَن الله أنسزل مسن السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوآنه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجمله حطاماً إنّ في ذلك لذكرى الأولى الألباب) يذكر تعالى أولي الألباب، ما أنزله من السماء من الماء، وأنه سلكه ينابيع في الأرض، أي: أودعه فيها ينبوعاً يستخرج بسهولة ويسر، ﴿ثم يخرج به زرعاً مختلفاً الوانه كل من بر وذرة، وشعير وأرز، وغير ذلك. ﴿ يميع المحدد استكماله، أو عند حدوث آفة فيه ﴿ فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً ﴾ متكسراً ﴿إِن فِي ذَٰلِكُ لِذَكري لأولى الألباب﴾ يذكرون به عناية ربهم ورحمته بعباده، حيث يسر لهم هذا الماء، وخزنه بخزائن الأرض تبعاً لمصالحهم.

ويذكرون به كمال قدرته، وأنه يحيى الموتى، كما أحيا الأرض بعد موتها، ويذكرون به أن الفاعل لذلك

اللهم اجعلنا من أولى الألباب، الذين نوهت بذكرهم، وهديتهم بما أعطيتهم من العقول، وأريتهم من أسرار كتابك وبديع آياتك ما لم يصل إليه غيرهم، إنك أنت الوهاب.

﴿٢٢﴾ ﴿أَفْسِن شرح الله صدره

أَفَكَنْ شَكَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ الْإِسْلَامِ فَهُوعَانَ فُورِ مِنْ زَيْدٍ عَفَيْلً لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُ مِنْ ذِكِرِلَاتًا أُولَيْكَ فِي ضَلَالَ تُبِينِ ۞ ألَّهُ تُنَزِّلُ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَيّعِهَا مَّسَانِي فَتَشْعِرُهِ فَهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَعْشَوْنَ رَبَّعُمْ ثُمَّ يَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُومُهُمْ إِلَّا نِكْرَاللَّهُ ذَلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِ عَمَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلَل ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادِ ۞ أَفَ مَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِ عُمْوَةَ ٱلْعَذَاب يَوْمَ ٱلْقِيكَ مَدُّ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ دُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكُمِبُونَ ۞ كَنَّبَ الَّذِينَ مِن قِيلِهِ مَ فَأَتَنَاهُمُ ٱلْمَا ذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُمُ إِنَّ ٥ فَأَذَا فَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْحِنْرَى فِي ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنْيَ أُولَعَدَ الْهُ ٱلْكَخِيرَةِ أَحْتُرُكُوْكَا وُأَيْعَ لَهُونَ ۞ وَلَقَدْ ضَرَيْنَا لِلنَّايِن فِي هَلْذَا ٱلْفُرْةَ إِن مِن كُلِّ مَثَلِ لَمَا لَمُنَا لَمُنَا مُنْ يَنَذَكَّرُونَ ۞ قُوَانًا عَمَيًّا غَيْمَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَهُمْ يَتَكَفُّوبَ ۞ صَرَّبَ ٱلْقَدُمَثَلَا يَبْعُلَا يْدِهُ شُرَكَا أُمُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلُاسَكَا أَرْجُلِ عَلْ يَسْتَوِيانِ مَنَلَا ٱلْحَمَدُدُيْفُوبَلُ أَكْ تَرُفُولَ لِيَعْلَمُونَ ۞ إِنَّكَ يَبِتْ وَالْتَهُم اللهِ اللهُ DESCRIPTION OF THE PROPERTY

للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين ﴾ أي: أفيستوي مَنْ شرح الله صدره للإسلام، فاتسع لتلقى أحكام الله والعمل بها، منشرحاً قرير العين، على بصيرة من أمره، وهو الراد بقوله: ﴿فهو على نور من ربه﴾ كمن ليس كذلك، بدليل قوله: ﴿فويل للقاسية قلوجم من ذكر الله ﴾ أي: لا تلين لكتابه، ولا تتذكر آياته، ولا تطمئن بذكره، بل هي معرضة عن ربها، ملتفتة إلى غيره، فهؤلاء لهم الويل الشديد، والشر الكبير.

﴿أُولَٰئِكُ فِي ضَلالِ مبينَ ﴾ وأي: ضلال أعظم من ضلال من أعرض عن وليه؟ ومن كل السعادة في الإقبال عليه، وقسا قلبه عن ذكره، وأقبل على كل ما يضره؟!!

﴿٢٣﴾ ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابأ متشاجأ مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هادك يخبر تعالى عن كتابه الذي نزله أنه ﴿أحسن الحديث ﴾ على الإطلاق، فأحسن الحديث كلام الله، وأحسن الكتب المنزلة من كلام الله هذا القرآن، وإذا كان هو الأحسن، علم أن ألفاظه

CA CHEN PRIMA RE • فَيْزَاظْ لَرُمِتَن كَنَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَلَّةَ ثُبُّ أَلِيْسَ فِي جَهَنَّ مَثْوَى لِلْكَنِعِينَ ۞ وَٱلَّذِي جَاتَة بِالْفِيدُةِ وَصَدَّقَ بِلِيَّةُ أُولَدِكَ هُمُ الْمُتَقُونَ ۞ لَهُمْ مَّالِنَثَ أَوْنَ عِندَرَتِهِمُّ ذَلِكَ جَنَلَهُ ٱلْمُحْسِنِينَ إِنْكَ قِرَالَةُ عَنْهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي عَيدُواْ وَيَجْزِيهُ وَلَجْرَهُمْ بِأَحْسَنَ الَّذِي كَافُواْ يَشْمَلُونَ ۞ أَلْتَسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُحَوِّقُونَاكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِ وَعَن يُصَّلِل اللَّهُ فَسَالَهُ مِنْ هَسَادِ ۞ وَمَن يَهُ وِاللَّهُ فَسَالَهُ مِن مُعِسَلٌّ أَلْيَسَ أَمَّةُ مِعَ يَنِينِ فِي أَنِيقَ الرَّ صَالَمَ اللَّهُ مُ مَّنْ خَلَقَ التكوّن وَالأرْضَ لَيْعُولَ اللَّهُ قُلْ أَوْمَ بِنُمُ مَّا لَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَزَادَ فِ اللَّهُ مِعْمَرِهِ لَهُ فَنَ كَنْ شَعَتُ خُرِّعةِ أَوْ أَرَادَنِي رَحْمَةُ هَمُلْهُ بَ مُمْسِكُنُ رَحْمَيْدُ وَلُكَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْده يَتُوكَ لَ الْمُتَوَكِ لُوبَ ۞ قُلْ يَسْقَوْمِ أغمكوا عَلَى مَكَانَيْكُمْ إِنَّ عَلَيْلٌ مُتَوْقَ مَعْ أَمُونَ ۞ مَن يَأْتِيهِ وَعَذَابٌ يُغْزِيهِ وَيَعِلْ عَلَيْهِ عَذَابٌ ثَفِيدُ ۞ NOVERDE IN EDREED

أفصح الألفاظ وأوضحها، وأن معانيه، أجلُ المعاني، لأنه أحسن الحديث في لفظه ومعناه، متشابهاً في الحسن والاثتلاف وعدم الاختلاف بوجه من الوجوه، حتى إنه كلما تدبره المتدبر، وتفكر فيه المتفكر، رأى من اتفاقه، حتى في معانيه الغامضة، ما يبهر الناظرين، ويجزم بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم، هذا المراد بالتشابه في هذا الموضع.

وأما في قوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فالمراد بها، التي تشتبه على فهوم كثير من الناس، ولا يزول هذا الاشتباه إلا بردها إلى المحكم، ولهذا قال: ﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات في فجعل التشابه لبعضه، وهنا جعله كله متشابها، أي: في وهو سور وآيات، والجميع يشبه بعضه بعضا كما ذكرنا.

﴿مثاني﴾ أي: تثنى فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الشر، وتثنى فيه أسماء الله وصفاته، وهذا من جلالته وحسنه، فإنه تعالى لما علم احتياج الخلق إلى معانيه المزكية للقلوب، المكملة للأخلاق، وأن تلك المعاني للقلوب، بمنزلة الماء لسقي

الأشجار، فكما أن الأشجار كلما بَعُد عهدها بسقى الماء نقصت، بل ربما تلفت، وكلما تكرر سقيها حسنت وأثمرت أنواع الثمار النافعة، فكذلك القلب يحتآج دائماً إلى تكرر معانى كلام الله تعالى عليه، وأنه لو تكرر عليه المعنى مرة واحدة في جميع القرآن، لم يقع منه موقعاً، ولم تحصل النتيجة منه ، ولهذا سلكت في هذا التفسير هذا المسلك الكريم، اقتداء بما هو تفسير له، فلا تجد فيه الحوالة على موضع من المواضع، بل كل موضع تجد تفسيره كامل المعنى، غير مراع لما مضى مما يشبهه، وإن كان بعض المواضع يكون أبسط من بعض وأكثر فائدة، وهكذا ينبغى للقارىء للقرآن، المتدبر لمعانيه، أن لا يدع التدبر في جميع المواضع منه، فإنه يحصل له بسبب ذلك خير كثير ونفع غزير.

ولما كان القرآن العظيم بهذه الجلالة والعظمة، الرَّ في قلوب أولي الألباب المهتدين، فلهذا قال تعالى: ﴿تقشعر منه جلود اللّين يخشون ربهم﴾ لما فيه من التخويف والترهيب المزعج، ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أي: عند ذكر الرجاء والترغيب، فهو تارة يرغبهم لعمل الخير، وتارة يرهبهم من عمل الشر.

﴿ ذلك ﴾ الذي ذكره الله من تأثير القرآن فيهم ﴿ مُدَى الله ﴾ أي: هداية منه لعباده، وهو من جملة فضله وإحسانه عليهم، ﴿ يهدي بِدِ ﴾ أي: بسبب ذلك ﴿ مَنْ يشاء ﴾ من عباده. ويحتمل أن المراد بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أي: القرآن الذي وصفناه لكم.

﴿هـدى الله الله إلى لا طريق يوصل إلى الله إلا منه ﴿هدي به مَنْ يشاء من عباده ﴾ من حسن قصده، كما قال تعالى: ﴿يهدي به الله مَن اتبع رضوانه سبل السلام ﴾.

﴿ومَنْ يُضْلِلِ الله فما له من هادٍ﴾ لأنه لا طريق يوصل إليه إلا توفيقه والتوفيق للإقبال على كتابه، فإذا لم يحصل هذا، فلا سبيل إلى الهدى، وما هو إلا الضلال المين والشقاء.

﴿٢٤ ـ ٢٦﴾ ﴿أَفَمَنْ يَتَقَى بُوجِهِهُ سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون \* كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون \* فأذاقهم الله الخزى في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون اي: أفيستوي هذا الذي هداه الله، ووفقه لسلوك الطريق الموصلة لدار كرامته، كمن كان في الضلال واستمر على عناده حتى قدم القيامة ، فجاءه العذاب العظيم فجعل يتقى بوجهه الذي هو أشرف الأعضاء، وأدنى شيء من العذاب يؤثر فيه، فهو يتقى فيه سوء العذاب لأنه قد غُلّت بداه ورجلاه، ﴿وقيل للظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصى، توبيخاً وتقريعاً: ﴿ وَوقوا ما كنتم تكسبون،

﴿كَذُبِ الذينَ من قبلهم ﴾ من الأمم كما كذّب هؤلاء ، ﴿فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ جاءهم في غفلة أول نهار ، أو هم قائداب ﴿الحزي في الحياة المدنيا ﴾ فافتضحوا عند الله وعند خلقه ﴿ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ فليحذر هؤلاء من المقام على التكذيب ، فيصيبهم ما أصاب أولئك من التعذيب .

﴿٧٧ ـ ٣١﴾ ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مشل لعلهم يتذكرون \* قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون \* ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلمنا لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون \* إنك ميت وإنهم ميتون \* ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ غبر تعالى أنه ضرب في القرآن من جميع الأمثال، أمثال أهل التوحيد والشرك، وكل مثل يقرّب التوحيد والشرك، وكل مثل يقرّب حقائق الأشياء، والحكمة في ذلك حقائق الأشياء، والحكمة في ذلك الحق فيعلمون ويعملون.

﴿ قرآناً عربياً غير ذي عوج ﴾ أي : جعلناه قرآناً عربياً، واضع الألفاظ،

سهل المعانى، خصوصاً على العرب. ﴿ فير ذي عوج ﴾ أي: ليس فيه خلل ولا نقص بوجه من الوجوه، لا في ألفاظه ولا في معانيه، وهذا يستلزم كمال اعتداله واستقامته كما قال تعالى: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً \* قيماً ﴾.

﴿لَمُلَّهُم يَتَقُونَ ﴾ الله تعالى، حيث سهلنا عليهم طرق التقوى العلمية والعملية، بهذا القرآن العربي المستقيم، الذي ضرب الله فيه من كل مثل.

ثم ضرب مثلاً للشرك والتوحيد فقال: ﴿ صُرب الله مثلاً رجلاً ﴾ أي: عبداً ﴿فيه شركاء متشاكسون﴾ فهم كثيرون، وليسوا متفقين على أمر من الأمور وحالة من الحالات حتى تمكن راحته، بل هم متشاكسون متنازعون فيه، كلِّ له مطلب يريد تنفيذه ويريد الآخر غيره، فما تظن حال هذا الرجل مع هؤلاء الشركاء المتشاكسين؟

﴿ورجلاً سلماً لرجل﴾ أي: خالصاً له، قد عرف مقصود سيده، وحصلت له الراحة التامة . ﴿ هِلْ يُستويانَ ﴾ أي : هذان الرجلان ﴿مثلا﴾؟ لا يستويان.

كذلك المشرك، فيه شركاء متشاكسون، يدعو هذا، ثم يدعو هذا، فتراه لا يستقرله قرار، ولا يطمئن قلبه في موضع، والموجّد مخلص لربه، قد خلصه الله من الشركة لغيره، فهو في أتم راحة وأكمل طمأنينة، ف ﴿ هُل يُستويان مثلا الحمد لله على تبيين الحق من الباطل، وإرشاد الجهال. ﴿ بِل أَكْشُرهُم وفيما فعله من خصال الصدق. لا يعلمون

> ﴿إِنْكُ مِيْتُ وإنهم مِيْتُونَ ﴾ أي: كلكم لا بدأن يموت ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدُون﴾ .

> ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون الله فيما تنازعتم فيه، فيفصل بينكم بحكمه العادل، ويجازى كُلاً ما عمله ﴿أحصاه الله ونسوه ﴾ .

﴿٣٧ ـ ٣٥﴾ ﴿نمن أظلم بمن

كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين \* والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون \* لهم ما يشاؤون عند رجم ذلك جزاء الحسنين \* ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا بعملون پيقول تعالى، محذراً وغبراً: أنه لا أظلم وأشد ظلماً ﴿ عِن كَذَّبَ عَلَى اللَّهِ ﴾ إما بنسبته إلى ما لا يليق بجلاله، أو بادعاء النبوة، أو الإخبار بأن الله تعالى قال كذا، أو أخبر بكذا، أو حكم بكذا وهو كاذب، فهذا داخل في قوله تعالى: ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ إن كان جاهلاً، وإلاَّ فهو أشنع وأشنع،

[﴿وكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جِاءَهُ﴾](١) أي: ما أظلم عمن جاءه الحق المؤيد بالبينات فكذبه، فتكذيبه ظلم عظيم منه، لأنه رد الحق بعدما تبين له، فإن كان جامعاً بين الكذب على الله والتكذيب بالحق، كان ظلماً على ظلم. ﴿اليس في جهنم مثوى للكافرين﴾ يحصل بها الاشتفاء منهم، وأخذ حق الله من كل ظالم وكافر. ﴿إِنَّ الشرك لظلم عظيم ٠٠٠٠

ولما ذكر الكاذب الكذب وجنايته وعقوبته، ذكر الصادق المصدق وثسوابه، فسقسال: ﴿والسدِّي جساء بالصدق﴾ في قوله وعمله، فدخل في ذلك الأنبياء ومن قام مقامهم، عمن صدق فيما قاله عن خبر الله وأحكامه،

﴿ وصدِّق به ﴾ أي: بالصدق لأنه قد يجيء الإنسان بالصدق، ولكن قد لا يُصِدُق به، بسبب استكباره، أو احتقاره لمن قاله وأتى به، فلا بد في المدح من الصدق والتصديق، فصدقه يدل على علمه وعدله، وتصديقه يدل على تواضعه وعدم استكباره.

﴿ أُولِنْكُ ﴾ أي: الذين وفقوا للجمع بين الأمرين ﴿هم المتقون﴾ فإن جميع خصال التقوى ترجع إلى الصدق بالحق

إِنَّا أَرْلُنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابِ لِلنَّاسِ ٱلْحَقُّ فَنَ ٱهْتَدَىٰ وَلِنَفْسِيرٌ اللهِ وَمَن صَلَّ فَإِنَّمَا يَعِيدُ كُا عَلَيْهِمَ أَوْمَا أَنتَ عَكَيْهِم إِوَكِيلِ ۞ أَقَدُي مُوَفِّ الأَفْسُرِيدِ وَمَوْقَهَا وَالَّي لَرَقَتُ فِ مَنْ الْمُعَّا فَيْمُسِكُ أَلِّي فَضَى مَلَيْهَا لَلْوَتَ وَيُرْمِلُ ٱلْخُرُكَا إِلَّهُ أَجِلُ مُّكَمِّينًا إِنَّا عِنْ ذَلِكَ لَآئِكَ لِفَوْمِ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ أَمِ أَغُّنَا دُوا مِن دُونِ اللَّهِ شَفَعَ اللَّهُ قُلْ أَوْلُوكَ الْوَا لَا يَمْلِكُونَ شَيْنَا وَلَا يَشْمِهُ لُونَ ۞ قُل يَتْمُ ٱلشَّفَاعَةُ جَيعًا أَلَهُ مُلكُ المستكوَّتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ اليَّهِ زُجَعُونَ @ وَإِذَا ذُكِرَالِلَهُ وَحْدَهُ أَشْكَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِيكَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةُ وَلَا دُكِرَالِّنِينَ مِن دُونِ فِي إِذَاهُمْ يَسْتَنْفِرُونَ ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّكَوَتِ وَالْأَرْضِ عَلِمَ ٱلْعَيْبِ وَالشَّهَلَةِ أَتَ عَمَكُمْ بَيْنَ عِبَادِكَ فِ مَاكَانُواْفِيهِ يَغْتَلِفُونَ ۞ وَلَوْأَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي ٱلْأَرْضِ يَقِيعُ ا وَعِشْلَهُ مَعَ ثُرُلَا فُلَدٌ وَأَيْدِينِ شَوْهَ ٱلْعَلَابِ وَمَ ٱلْفِينَ مَذْ وَبَهُ الْمُدُونَ ٱلْفُومَالَةِ بِكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ۞ TOWNS IN LONG OF

والتصديق به .

﴿لهم ما يشاؤون عند ربهم ﴾ من الشواب، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فكل ما تعلقت به إرادتهم ومشيئتهم، من أصناف اللذات والمشتهيات، فإنه حاصل لهم، معدمهياً، ﴿ ذلك جزاء المحسنين الذين يعبدون الله كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم ﴿المحسنين﴾ إلى عباد الله.

﴿لِيُكَفِّرَ اللهِ عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون عمل الإنسان له ثلاث حالات:

إما أسوأ، أو أحسن، أو لا أسوأ ولا أحسن.

والقسم الأخير قسم المباحات وما لا يتعلق به ثواب ولا عقاب، والأسوأ، المعاصى كلها، والأحسن، الطاعات كلها، فبهذا التفصيل يتبين معنى الآية، وأن قوله: ﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ﴾ أي: ذنوبهم الصغار، بسبب إحسانهم وتقواهم، ﴿ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون أي: بحسناتهم كلها. ﴿إِن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرأ عظيما ﴾.

مَيْدَا لَمُنْ سَيِعَانُ مُا كَسَنِهُ الْمَالِيَّةِ الْمِنْ الْمَالِيَّةِ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ الْمَالِيَّةِ الْمِنْ الْمَالُولِيَّةِ الْمِنْ الْمُنْ الْمُؤْلِدَةِ الْمَالُولِيَّةِ الْمِنْ الْمُنْ الْمُؤْلِدَةِ الْمُنْ الْمُؤْلِدَةُ الْمَالُولِيَّةُ الْمُنْ اللَّهِ الْمُنْ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الْمُنْ الْمُنْ

اً عَلَى مَا فَرَطِتُ فِي جَنُّبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لِنَ ٱلسَّخِيرَةَ ۞

TOTOTON IN LONGED

﴿٣٧\_٣٧﴾ ﴿أليس الله بكافِ عبدهُ ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد \* ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بكاف بعزيز ذي انتقام﴾ ﴿أليس الله بكاف وعنايته بعبده، الذي قام بعبوديته، وامتثل أمره واجتنب نهيه، خصوصاً أكمل الخلق عبودية لربه، وهو أكمد الخلق عبودية لربه، وهو أمر دينه ودنياه، ويدفع عنه من ناواه بسوء.

﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ من الأصنام والأنداد أن تنالك بسوء، وهذا من غيهم وضلالهم.

﴿ وَمَنْ يُضَلِّ الله فما له من مَادِ \* وَمَنْ يَهْدِ اللّهُ فما له من مَادِ \* وَمَنْ يَهْدِ اللّهُ فما له من مضِلُ ﴾ لأنه وممن يقبل الذي بيده الهداية والإضلال، وهو الذي ما شاء كنان وما لم يشأ لم يكن. ﴿ اليس الله بعزيز ﴾ له العزة الكاملة التي قهر بها كل شيء، وبعزته يكفي عبده ويدفع عنه مكرهم. ﴿ ذِي انتقام ﴾ عن عصاه، فاحذروا موجبات نقيم.

﴿٣٨﴾ ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن مسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾

أي: ولئن سألت هؤلاء الضلال الذين يخوفونك بالذين من دونه، وأقمت عليهم دليلاً من أنفسهم، فقلت: ﴿مَنْ خَلْقَ السِماوات والأرضِ ﴾ لم يشتوا

﴿هل هُنَّ كاشفات صُرُو﴾ بإزالته بالكلية، أو بتخفيفه من حال إلى حال؟ ﴿أو أو ادني برحمة﴾ يوصل إلى بها منفعة في ديني أو دنياي. ﴿هل هنَّ ممسكات رحمته﴾ ومانعاتها عني؟ سيقولون: لا يكشفون الضر ولا يمسكون الرحمة.

قل لهم بعدما تبين الدليل القاطع على أنه وحده المعبود، وأنه الخالق للمخلوقات، النافع الضار وحده، وأن غيره عاجز من كل وجه عن الخلق والنفع والضر، مستجلباً كفايته، مستدفعاً مكرهم وكيدهم: ﴿قُل حسبي الله عليه يتوكُّلُ المتوكلون﴾ أي: عليه يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم ودفع مضارهم، فالذي بيده \_ وحده \_ الكفاية هو حسبي، سيكفيني كل ما أهني ومالا أهتم به.

﴿٩٩ ـ ٠٤﴾ ﴿قُل يا قوم اعملوا على مكانتكم إنّ عامل فسوف على مكانتكم إنّ عامل فسوف عليه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾ أي: ﴿قل﴾ لهم يا أيها الرسول: ﴿يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ أي: على حالتكم التي رضيتموها لأنفسكم، من عبادة مَن لا يستحق من العبادة شيئاً ولا له من العبادة شيئاً ولا له من العرب المن سوء.

الامرشيء.

﴿إِنِ عاملُ ﴾ على ما دعوتكم إليه،

من إخلاص الدين لله تعالى وحده.

﴿فسوف تعلمون ﴾ لن العاقبة و ﴿مَنَ

يأتيه عذاب يخزيه ﴾ في الدنيا، ﴿ويحل

عليه ﴾ في الأخرى ﴿عذاب مقيم ﴾

لا يحول عنه ولا يزول، وهذا تهديد
عظيم لهم، وهم يعلمون أنهم

المستحقون للعذاب المقيم، ولكن

الظلم والعناد حال بينهم وبين الإيمان.

﴿٤١﴾ ﴿إِنَا أَنزِلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل﴾ يخبر تعالى أنه أنزل على رسوله الكتاب المشتمل على الحق، في أخباره وأوامره ونواهيه، الـذي هـو مـادة الـهـدايـة، وبـلاغ لمن أراد الـوصـول إلى الله وإلى دار كرامته، وأنه قامت به الحجة على العالمين.

﴿ نَمَن اهتدى ﴾ بنوره واتبع أوامره ﴿ وَمَنْ فَلَكَ يَعُودُ إِلَى نَفْسَهُ ﴿ وَمَنْ ضَلّ ﴾ بعدما تبين له الهدى ﴿ فَإِنْمَا يَضِلُ عليها ﴾ لا يضر الله شيئاً. ﴿ وَمَا أَنْتَ عليهم بوكيل ﴾ تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها، وتجبرهم على ما تشاء، وإنما أنت مبلغ تؤدي إليهم ما أمرت به.

﴿٤٢﴾ ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إنّ في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون﴾ يخبر تعالى أنه المتفرد بالتصرف بالعباد، في حال يقظتهم ونومهم، وفي حال حياتهم وموتهم، فقال: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ وهذه الوفاة الكبرى، وفاة الموت.

وإخباره أنه يتوفى الأنفس وإضافة الفعل إلى نفسه، لا ينافي أنه قد وكّل بذلك ملك الموت وأعوانه، كما قال تعالى: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكّل بكم﴾ ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾ لأنه تعالى يضيف الأشياء إلى نفسه، باعتبار أنه الخالق المدبر، ويضيفها إلى أسبابها، باعتبار أن من سننه تعالى وحكمته أن جعل لكل أمر من الأمور

وقوله: ﴿والتي لم تمت في منامها﴾ وهذه الموتة الصغرى، أي: ويمسك النفس التي لم تمت في منامها، ﴿فيمسك﴾ من هاتين النفسين النفس ﴿التي قضى عليها الموت﴾ وهي نفس

مَنْ كان مات، أو قضى أن يموت في منامه.

﴿ويرْسل﴾ النفس ﴿الأخرى إلى المجل مسمى﴾ أي: إلى استكمال رزقها وأجلها. ﴿إِن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون﴾ على كمال اقتداره، وإحيائه المرتى بعد موتهم.

وفي هذه الآية دليل على أن الروح والنفس جسم قائم بنفسه، مخالف جوهره جوهر البدن، وأنها مخلوقة مدبرة، يتصرف الله فيها في الوفاة والإمسال، وأن أرواح الأحياء والأموات تتلاقى في البرزخ، فتجتمع فتتحادث، فيرسل الله أرواح الأحياء، ويمسك أرواح الأموات.

دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون \* قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون كه ينكر تعالى على مَن اتخذْ من دونه شفعاء يتعلق بهم ويسألهم ويعبدهم. ﴿قُلِ لَهُم ـ مبيناً جهلهم، وأنها لا تستحق شيئاً من العبادة \_: ﴿ أُولُو كَانُوا ﴾ أي: مَنْ اتخذتم من الشفعاء ﴿لا يملكون شيئاً ﴾ أي: لا مشقال ذرة في السسماوات ولا فسى الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، بال وليس لهم عقل يستحقون أن يمدحوا به، لأنها جمادات من أحجار وأشجار وصور وأموات، فهل يقال: إن لمن اتخذها عقلاً؟ أم هو من أضل الناس وأجهلهم وأعظمهم ظلمأ؟

﴿قل﴾ لهم: ﴿لله الشفاعة جميعاً﴾ لأن الأمر كله لله وكل شفيع فهو يخافه، ولا يقدر أن يشفع عنده أحد الآبإذنه، فإذا أراد رحمة عبده، أذن للشفيع الكريم عنده أن يشفع، رحمة بالاثنين. ثم قرر أن الشفاعة كلها له يقوله: ﴿له ملك السماوات والأرض﴾ أي: جميع ما فيهما من الذوات والأفعال والصفات. فالواجب أن تطلب الشفاعة بمن يملكها، وتخلص له العبادة. ﴿ثم إليه ترجعون﴾ فيجازي المخلص له بالشواب الجزيل، ومَن المخلص له بالشواب الجزيل، ومَن

أشرك به بالعذاب الوبيل.

﴿ 6 ك - 7 ٤ ﴾ ﴿ وَإِذَا ذَكَرِ اللهُ وحده السمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون \* قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون ﴾ يذكر تعالى حالة المشركين، وما الذي اقتضاه شركهم أنهم ﴿ إِذَا ذَكُرِ الله وَ تَرِكُ ما يعبد من دونه، أنهم الدين له، وترك ما يعبد من دونه، أنهم يشمئزون وينفرون، ويكرهون ذلك أشد الكراهة.

﴿وإذا ذكر الذين من دونه ﴾ من الأصنام والأنداد، ودعا الداعي إلى عبدادتها ومدحها، ﴿إذا هم معبوداتهم، ولكون الشرك موافقاً لأهوائهم، وهذه الحال أشر الحالات وأشنعها، ولكن موعدهم يوم الجزاء. فهناك يؤخذ الحق منهم، وينظر: هل تنفعهم آلهتهم التي كانوا يدعون من دون الله شيئاً؟

ولهذا قال: ﴿قل اللهم فاطر السماوات والأرض﴾ أي: خالقهما ومدبرهما، ﴿عالم الغيب﴾ الذي غاب عن أبصارنا وعلمنا، ﴿والشهادة﴾ الذي نشاهده.

﴿ أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه غتلفون ﴾ وإن من أعظم الاختلاف اختلاف الموحدين المخلصين القائلين: إن ما هم عليه هو الحق، وإن لهم الحسنى في الآخرة دون غيرهم، والمشركين الذين اتخذوا من دونك الأنداد والأوثان، وسووا فيك مَن لا يسوى شيئا، وتنقصوك غاية التنقص، واستبشروا عند ذكرك، وزعموا مع هذا أنهم على الحق وغيرهم على الباطل، وأن لهم الحسنى.

قال تعالى: ﴿إِن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد﴾.

وقد أخبرنا بالفصل بينهم بعدها

بقوله: ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نبار يصب من فوق رؤوسهم الحميم \* يصهر به ما في بطونهم والجلود \* ولهم مقامع من حديد ﴾ إلى أن قال: ﴿ إِن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير ﴾ .

وقال تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ ﴿إنه مَنْ يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾ ففي هذه الآية، بيان عموم خلقه تعالى عباده، فقدرته التي نشأت عنها المخلوقات، وعلمه المحيط بكل شيء، دال على حكمه بين عباده وبعثهم، دال على حكمه بين عباده وبعثهم، وعلمه بأعمالهم، خيرها وشرها، وبمقادير جزائها، وخلقه دال على علمه ﴿ألا يعلم مَنْ خلق﴾.

﴿٤٧ ـ ٤٨﴾ ﴿ولو أنَّ للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لسهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون \* وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون للا ذكر تعالى أنه الحاكم بين عباده، وذكر مقالة المشركين وشناعتها، كأن النفوس تشوقت إلى ما يفعل الله بهم يوم القيامة، فأخبر أن لهم وسوء العذاب أي: أشده وأفظعه، كما قالوا أشد الكفر وأشنعه، وأنهم على ــ الفرض والتقدير ـ لو كان لهم ما في الأرض جميعاً، من ذهبها وفضتها ولؤلؤها وحيواناتها وأشجارها وزروعها وجميع أوانيها وأثاثها ومثله معه، ثم بذلوه يوم القيامة ليفتدوا به من العذاب وينجوا منه، ما قُبل منهم، ولا أغنى عنهم من عذاب الله شيئاً، ﴿يُومُ لَا يَنْفُعُ مَالُ وَلَا بِنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أتى الله بقلب سليم .

﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾أي: يظنون من السخط العظيم، والمقت الكبير، وقد كانوا

يحكمون لأنفسهم بغير ذلك. ﴿ وبدا لهم سيئات ما كسبوا﴾ أي: الأمور التي تسوؤهم، بسبب صنيعهم وكسبهم. ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون﴾ من الوعيد والعذاب الذي نزل بهم، وما حل عليهم العقاب.

﴿٤٩ ـ ٢٥﴾ ﴿فإذا مس الإنسان ضرّ دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون \* قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون \* فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين ۴ أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لن يشاء ويقدر إنّ في ذلك لآياتٍ لقوم يؤمنون ﴾ يخبر تعالى عن حالة الإنسان وطبيعته، أنه حين يمسه ضر، من مرض أو شدة أو كرب، ﴿دعانا﴾ ملحاً في تفريج ما نزل به ﴿ثم إذا خولناه نعمة منّا ﴿ فكشفنا ضره وأزلنا مشقته، عاد بربه كافراً، ولمعروفه منكراً، و ﴿قال إنما أوتيته على علم﴾ أي: علم من الله، أني له أهل، وأني مستحق له، لأني كريم عليه، أو على علم منى بطرق تحصيله.

قال تعالى: ﴿بل هي فتنة ﴾ يبتلي الله به عباده، لينظر مَنْ يشكره عمن يكفره. ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ فلذلك يعدون الفتنة منحة، ويشتبه عليهم الخير المحض، بما قد يكون سبباً للخير أو للشر.

قال تعالى: ﴿قد قالها الذين من قبلهم﴾ أي: قولهم ﴿إنما أوتيته على علم﴾ فما زالت متوارثة عند المكذبين، لا يقرون بنعمة ربهم، ولا يرون له حقا، فلم يزل دأبهم حتى أهلكوا، ولم يغن ﴿عنهم ما كانوا يكسبون﴾ حين جاءهم العذاب.

﴿فأصابهم سيئات ما كسبوا﴾ والسيئات ما كسبوا﴾ والسيئات في هذا الموضع: العقوبات، لأنها تسوء الإنسان وتحزنه. ﴿واللين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا﴾ فليسوا خيراً من أولئك، ولم يكتب لهم براءة في الزبر.

ولما ذكر أنهم اغتروا بالمال، وزعموا \_ بجهلهم \_ أنه يدل على حسن حال صاحبه، أخبرهم تعالى، أن رزقه لا يدل على ذلك، وأنه ﴿يبسط الرزق لمن يشاء﴾ من عباده، سواء كان صالحاً أو طالحاً **﴿ويسقىدر﴾** البرزق، أي: يضيقه على مَنْ يشاء، صالحاً أو طالحاً، فرزقه مشترك بين البرية، والإيمان والعمل الصالح يخص به خير البرية. ﴿إِن فِي ذَلِك ، آلاً بات لقوم يؤمنون ﴾ أي: بسط الرزق وقبضه، لعلمهم أن مرجع ذلك، عائد إلى الحكمة والرحمة، وأنه أعلم بحال عبيده، فقد يضيق عليهم الرزق لطفاً بهم، لأنه لو بسطه لبغوا في الأرض، فيكون تعالى مراعياً في ذلك صلاح دينهم الذي هو مادة سعادتهم وفلاحهم، والله أعلم.

﴿٥٣ ـ ٥٩ ﴿قل يا عبادي الذين

أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم \* وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون \* واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربّكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون \* أنَّ تقول نفس یا حسرتی علی ما فرطت فى جىنىب الله وإن كسنىت لمن الساخرين \* أو تقول لو أنَّ الله هداني لكنت من المتقين \* أو تقول حين ترى المعلذاب لو أنّ لي كرة فأكون من المحسنين \* بلى قد جاءتك آيات فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين مخبر تعالى عباده المسرفين بسعة كرمه، ويحثهم على الإنابة قبل أن لا يمكنهم ذلك فقال: ﴿قُل﴾ يا أيها الرسول ومَن قام مقامه من الدعاة لدين الله، مخبراً للعباد عن ربهم: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم باتباع ما تدعوهم إليه أنفسهم من الذنوب، والسعي في مساخط علام

﴿لا تقنطوا من رحمة الله أي: لا تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وتقولوا قد كثرت ذنوبنا وتراكمت عيوبنا، فليس لها طريق

يزيلها ولا سبيل يصرفها، فتبقون بسبب ذلك مصرين على العصيان، متزودين ما يغضب عليكم الرحمن، ولكن اعرفوا ربكم بأسمائه الدالة على كرمه وجوده، واعلموا أنه يغفر الذنوب جميعاً، من الشرك، والقتل، والزنا، والربا، والظلم، وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار. ﴿إِنَّهُ هُو الغفور الرحيم أي: وصفه المغفرة والرحمة، وضفان لازمان ذاتيان، لا تنفك ذاته عنهما، ولم تزل آثارهما سارية في الوجود، مالئة للموجود، تسح يداه من الخيرات آناء الليل والنهار، ويوالي النعم على العباد والفواضل في السر والجهار، والعطاء أحب إليه من المنع، والرحمة سبقت الغضب وغلبته، ولكن لمغفرته ورحمته ونيلهما أسباب إن لم يأت بها العبد، فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة، أعظمها وأجلها، بل لا سبب لها غيره، الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح، والدعاء والتضرع والتأله والتعبد، فهلم إلى هذا السبب الأجلُّ، والطريق الأعظم، ولهذا أمر تعالى بالإنابة إليه، والمبادرة إليها فقال: ﴿وأنيبوا إلى ربكم ﴾ بقلوبكم ﴿وأسلمواله ﴾ بجوارحكم، إذا أفردت الإنابة، دخلت فيها أعمال الجوارح، وإذا جمع بينهما، كما في هذا الموضع، كان المعنى ما ذكرنا.

وفي قوله: ﴿إلى ربكم وأسلموا له لل على الإخلاص، وأنه من دون إخلاص، لا تفييد الأعمال الظاهرة والباطنة شيئاً. ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب لا يدفع ﴿ثم لا تنصرون ﴿ . فكأنه قيل: ما هي الإنابة والإسلام ؟ وما جنزئياتها وأعمالها ؟

فأجاب تعالى بقوله: ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾ بما أمركم من الأعمال الباطنة، كمحبة الله، وخشيته، وخوفه، ورجائه، والنصح لعباده، وعبة الخير لهم، وترك ما يضاد ذلك.

ومن الأعمال الظاهرة، كالصلاة،

والزكاة والصيام، والحج، والصدقة، وأنواع الإحسان، ونحو ذلك، مما أمر الله به، وهو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا، فالمتبع لأوامر ربه في هذه الأمور ونحوها هو المنيب السلم، ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون﴾ وكل هذا حتُّ على المبادرة وانتهاز الفرصة.

ثم حذرهم ﴿أَنَّ لا يستمروا على غفلتهم، حتى يأتيهم يوم يندمون فيه، ولا تنفع الندامة، و ﴿ تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جَنب اللهِ ﴾ أى: في جانب حقه، ﴿وإن كُنتُ﴾ في الدنيا ﴿ لمن الساخرين ﴾ في إتيان الجزاء، حتى رأيته عياناً.

﴿أُو تَقُولُ لُو أَن الله هدائي لكنت من المتقين ﴾ و «لو» في هذا الموضع للتمنى، أي: ليت أن الله هداني فأكون متقياً له، فأسلم من العقاب وأستحق الثواب، وليست «لو» هنا شرطية، لأنها لو كانت شرطية، لكانوا محتجين بالقضاء والقدر على ضلالهم، وهو حجة باطلة، ويوم القيامة تضمحل كل حجة باطلة.

﴿أُو تَـقُـولُ حَينَ تَـرى الْمُعَـذَابِ﴾ وتجزم بموروده ﴿لُو أَنْ لِي كُرَّةٌ﴾ أي: رجعة إلى الدنيا لكنت أحمن المحسنين﴾ . قال تعالى: إن ذلك غير محكن ولا مفيد، وإن هذه أماني باطلة لا حقيقة لها، إذ لا يتجدد للعبد لو رُدْ، بيان بعد البيان الأول.

﴿بلي قد جاءتك آياتِ﴾ الدالة دلالة لا يمتري فيها على الحق ﴿ فكذبت بها واستكبرت > عن اتباعها ﴿وكنت من الكافرين أفسؤال الرد إلى الدنيا، نوع عبث، ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون).

﴿٦٠ ـ ٦١﴾ ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين \* وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهّم السوء ولا هم يحزنون♦ يخبرُ تعالى عن خزى الذين كذبوا عليه، وأن وجوههم يوم القيامة مسودة كأنها الليل البهيم، يعرفهم بذلك أهل الموقف،

فالحق أبلج واضح كأنه الصبح، فكما سوَّدوا وجه الحق بالكذب، سود الله وجوههم، جزاء من جنس عملهم.

فلهم سواد الوجوه، ولهم العذاب الشديد في جهنم، ولهذا قال: ﴿ أَلْيُسَ في جهنم مثوى للمتكبرين ﴿ عن الحق، وعن عبادة ربهم، المفترين عليه؟ بلي والله، إن فيها لعقوبة وخزياً وسخطاً، يبلغ من المتكبرين كل مبلغ، ويؤخذ الحق منهم بها.

والكذب على الله يشمل الكذب عليه باتخاذ الشريك والولد والصاحبة، والإخبار عنه بما لا يليق بجلاله، أو ادعاء النبوة، أو القول في شرعه بما لم يقله، والإخبار بأنه قاله وشرعه.

ولما ذكر حالة المتكبرين، ذكر حالة المتقين، فقال: ﴿وينجى الله الذين اتقوا بمفارتهم اي: بنجاتهم، وذلك لأن معهم آلة النجاة، وهي تقوى الله تعالى، التي هي العدة عند كل هول وشدة. ﴿ لا يمسهم السوء ﴾ أي: العذاب الذي يسوؤهم ﴿ولا هم يحزنون﴾ فنفي عنهم مباشرة العذاب وخوفه، وهذا غاية الأمان.

فلهم الأمن التام، يصحبهم حتى يوصلهم إلى دار السلام، فحينتذ يأمنون من كل سوء ومكروه، وتجري عليهم نضرة النعيم، ويقولون: ﴿ الحمد لله الذي أذهب عنَّا الحزن إن ربنا لغفور شكور ﴾.

﴿٦٢ ـ ٦٣﴾ ﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل \* له مقاليد السماوات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) يخبر تعالى عن عظمته وكماله، الموجب لخسران مَنْ كفر به فقال: ﴿الله خالق كل شيء ﴾ هذه العبارة وما أشبهها، مما هو كثير في القرآن، تدل على أن جميع الأشياء - غير الله - مخلوقة، ففيها رد على كـل مَـن قـال بـقـدم بـعـض المخلوقات، كالفلاسفة القائلين بقدم الأرض والسماوات، وكالقائلين بقدم الأرواح، ونحو ذلك من أقوال أهل الباطل، المتضمنة تعطيل الخالق عن

خلقه .

أَوْتَ عُولَ لَوْأَنَ اللَّهُ هَدَائِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِّمِ فَ ا أَوْتَكُولَ حِينَ تَدَى الْمُكَذَابَ لَوْأَنَ لِي كَرَّةً وَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ بَلَىٰ قَدْجَآءَ لْكَ ءَائِنِي فَكَذَبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرُتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِينَ ۞ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَذَةً أَالْيَسَ فِجَهَلَمَ مَنْوَى لِلْمُتَكَيِّنِ ۞ وَبُنَحِي اللَّهُ ٱلَّذِي النَّقَالَ بِمَفَازِتِهِمْ لَا يَشُعُمُ الشُّوءُ وَلَاهُمْ يَعْزَوُنَ ۞ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ مِنَيَّةٍ وَهُوَعَلَ كُلِّ مِنْ وَكِيلُ ﴿ لَهُمَ عَالِيهُ السَّنَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الْوَلْمَاكِ اللَّهِ الْوَلْمَاكِ هُمُ ٱغْنَيرُونَ ۞ قُلُ أَفَعَدُ ذَا لَنُوتَأَمُّدُونَ أَعْبُدُ أَيْهَا ٱنجَهِلُونَ ۞ وَلَقَدُ أُونِيَ إِلَيْكَ وَالْمَ ٱلَّذِينَ مِن قَالِكَ لَهِنْ أَشْرَكْتَ لِتَحْمَلُنَ عَمَكُ وَلَتَكُونَ مِنَ ٱلْحَلِيرِهِنَ ۞ بَوْ اللَّهُ فَأَعْبُدُ وَكُنْ فِينَ الشَّلَكِينَ ۞ وَمَاقَدُوُا الْقَهَ حَقَّ مَّدْدِهِ وَٱلْأَرْضُ حَمِيعَ الْمَصَدُّمُ تَوْمَ ٱلْفِيكِمَةِ وَٱلسَّمَوَاتُ الله مَعْلِمِ تَنْ إِيكِينِ فِي سُنْبَحَنَنَهُ وَتَعَكِنَا عَمَّا لِمُثْرِكُونَ ۞ 

وليس كلام الله من الأشهاء المخلوقة، لأن الكلام صفة المتكلم، والله تعالى بأسمائه وصفاته أول ليس قبله شيء، فَأَخْذُ أهل الاعتزال من هذه الآية ونحوها أنه مخلوق، من أعظم الجهل، فإنه تعالى لم يزل بأسمائه وصفاته، ولم يحدث له صفة من صفاته، ولم يكن معطلاً عنها بوقت من الأوقات، والشاهد من هذا، أن الله تعالى أخبر عن نفسه الكريمة أنه خالق لجميع العالم العلوي والسفلي، وأنه على كل شيء وكيل، والوكالة التامة لا بد فيها من علم الوكيل بما كان وكيلاً عليه، وإحاطته بتفاصيله، ومن قدرة تامة على ما هو وكيل عليه، ليتمكن من التصرف فيه، ومن حفظ لما هو وكيل عليه، ومن حكمة، ومعرفة بوجوه التصرفات، ليصرفها ويدبرها على ما هو الأليق، فلا تتم الوكالة إلا بذلك كله، فما نقص من ذلك فهو نقص

ومن المعلوم المتقرر، أن الله تعالى منزه عن كيل نقص في صفة من صفاته، فإخباره بأنه على كل شيء وكيل، يدل على إحاطة علمه بجميع الأشياء، وكمال قدرته على تدبيرها، وكمال تدبيره، وكمال حكمته التي يضع بها الأشياء مواضعها.

﴿ ٦٣ ﴾ ﴿له مقاليد السماوات والأرض﴾ أي: مفاتيحها، علماً

المنظائية الشهود فليوقات المنظائية المنظائية

وَقَالُواْ الْحَسْمَدُ يُلِّوالَّذِي صَدَّقَتَ اوَعْدَهُ وَأَوْزِيْتَ ٱلْأَرْضَ

أُ تَتَوَالْمِنَ ٱلْجُنَّةِ حَيْثُ نَشَكَّةً فَيْعَدَ أَجْزُ الْمُكِيلِينَ ۞

وتدبيراً، فـ ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده، وهو العزيز الحكيم). فلما بيِّن من عظمته ما يقتضي أن تمتليء القلوب له إجلالاً وإكراماً، ذكر حال من عكس القضية فلم يقدره حق قدره، فقال: ﴿والذين كفُروا بآيات الله الدالة على الحق اليقين والصراط المستقيم، ﴿ أُولِتُكُ هُم الخاسرون) خسروا ما به تصلح القلوب من التأله والإخلاص لله، وما به تصلح الألسن من إشغالها بذكر الله، وما تصلح به الجوارح من طاعة الله، وتعوضوا عن ذلك كل مفسد للقلوب والأبدان، وخسروا جنات النعيم، وتعوضوا عنها بالعذاب الأليم.

قامروني أعبد أيها الجاهلون \* ولقد تأمروني أعبد أيها الجاهلون \* ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين \* بل الله فاعبدوكن من الشاكرين ﴿ قَلَ ﴾ يا أيها الرسول لهؤلاء الجاهلين، الذين دعوك إلى عبادة غير الله: ﴿ أَفْغِير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ﴾ أي: هذا الأمر عمد أيها الجاهلون ﴾ أي: هذا الأمر علم بأن الله تعالى الكامل من جميع علم بأن الله تعالى الكامل من جميع النعم، هو المستحق للعبادة، دون من كان ناقصاً المستحق للعبادة، دون من كان ناقصاً

من كل وجه، لا ينفع ولا يضر، لم تأمروني بذلك، وذلك لأن الشرك بالله عبط للأعمال، مفسد للأحوال، ولهذا قال: ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك﴾ من جميع الأنبياء فلمن أشركت ليحبطن عملك﴾ هذا مفرد مضاف، يعم كل عمل، ففي نبوة جميع الأنبياء، أن الشرك عبط لجميع الأنبياء، أن الشرك عبط لجميع الأنباء، كما قال تعالى في سورة الأعمال، كما قال تعالى في سورة قال عنهم: ﴿ذلك هدى الله يهدي به قال عنهم: ﴿ذلك هدى الله يهدي به

عنهم ما كانوا يعملون ﴿ . ﴿ ولتكونن من الخاسرين ﴿ دينك وآخرتك، فبالشرك تحبط الأعمال، ويستحق العقاب والنكال .

مَنْ يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط

ثم قال: ﴿بِلِ اللهِ فَاعِيدِ﴾ لما أخبر أن الجاهلين يأمرونه بالشرك، وأخبر عن شناعته، أمره بالإخلاص فقال: ﴿بل الله فاعبد ﴾ أي: أخلص له العبادة وحده لا شريك له، ﴿وكن من الشاكرين﴾ لله على توفيق الله تعالى، فكما أنه تعالى يشكر على النعم الدنيوية، كصحة الجسم وعافيته، وحصول الرزق وغير ذلك، كذلك يُشكر ويُثنى عليه بالنعَم الدينية، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى، بل نِعَم الدين، هي النُّعَم على الحقيقة، وفي تدبر أنها من الله تعالى والشكر لله عليها، سلامة من آفة العجب التي تعرض لكثير من العاملين، بسبب جهلهم، وإلاً، فلو عرف العبد حقيقة الحال، لم يعجب بنعمة تستحق عليه زيادة الشكر.

رياد الله الله حق قلره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عمّا يشركون ويقول تعالى: وما ولا عظموه حق تعظيمه، بل فعلوا ما يناقض ذلك، من إشراكهم به مَنْ هو ناقص في أوصافه وأفعاله، فأوصافه ناقصة من كل وجه، وأفعاله ليس عنده فقع ولا ضر، ولا عطاء ولا منع، ولا يملك من الأمر شيئاً.

فسووا هذا المخلوق الناقص بالخالق الرب العظيم، الذي من عظمته الباهرة، وقدرته القاهرة، أن جميع الأرض يوم القيامة قبضة للرحن، وأن السماوات على سعتها وعظمها مطويات بيمينه، فلا عظمة حق عظمته من سوى به غيره، ولا أظلم منه.

﴿سبحانه وتعالى عمّا يشركون﴾ أي: تنزه وتعاظم عن شركهم به.

﴿٦٨ ــ ٧٠﴾ ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون \* وأشرقت الأرض بشور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقَضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون \* ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون لل خوفهم تعالى من عظمته، خوفهم بأحوال يوم القيامة، ورغّبهم ورهّبهم فقال: ﴿ونفخ في الصور﴾ وهو قرن عظيم، لا يعلم عظمته إلاّ خالقه، ومن أطلعه الله على علمه من خلقه، فينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، أحد الملائكة المقربين، وأحد حملة عرش الرحمن.

وفصعت أي: غشي أو مات، على اختلاف القولين: ومن في السماوات ومن في الأرض أي: كلهم، لما سمعوا نفخة الصور أزعجتهم من شدتها وعظمها، وما يعلمون أنها مقدمة له. وإلا من شاء الله عن ثبته الله عند النفخة، فلم يصعق، كالشهداء أو بعضهم، وهذه النفخة الأولى، نفخة الصعق ونفخة الفزع.

﴿ثُمْ نَفْحُ فَيه﴾ النفخة الثانية نفخة البعث ﴿فَإِذَا هِم قيام ينظرون﴾ أي : قد قاموا من قبورهم لبعثهم وحسابهم، قد تمت منهم الخلقة الجسدية والأرواح، وشخصت أبصارهم ﴿ ينظرون﴾ ماذا يفعل الله بهم .

﴿وأشرقت الأرض بنور ربها ﴾ علم من هذا، أن الأنوار الموجودة تذهب يوم القيامة وتضمحل، وهو كذلك، فإن الله أخبر أن الشمس تكور،

والقمر يُخسف، والنجوم تندثر، ويكون الناس في ظلمة، فتشرق عند ذلك الأرض بنور رجا، عندما يتجلّى وينزل للفصل بينهم، وذلك اليوم يجعل الله للخلق قوة، وينشئهم نشأة يَقْوَوْنَ على أن لا يحرقهم نوره، ويتمكنون أيضاً من رؤيته، وإلاً، فنوره تعالى عظيم، لو كشفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

﴿ ووضع الكتاب ﴾ أي: كتاب الأعمال وديوانه، وضع ونشر، ليقرأ ما فيه من الحسنات والسيئات، كما قال تعمالى: ﴿ ووضع الكتاب فترى وللتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾. ويقال للعامل من تمام العدل والإنصاف: ﴿ إقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾.

﴿وجىء بالنبين اليسألوا عن التبليغ، وعن أممهم، ويشهدوا عليهم. ﴿والشهداء﴾ من الملائكة، والأعضاء والأرض. ﴿وقَضِيَ بينهم بالحق﴾ أي: العدل التام والقسط العظيم، لأنه حساب صادر عن لا يظلم مثقال ذرة، ومَنْ هو محيط بكل شيء، وكتابه الذي هو اللوح المحفوظ، محيط بكل ما عملوه، والحفظة الكرام، والذين لا يعصون ربهم، قد كتبت عليهم ما عملوه، وأعدل الشهداء قد شهدوا على ذلك الحكم، فحكم بذلك مَنْ يعلم مقادير الأعمال ومقادير استحقاقها للثواب والعقاب، فيحصل حكم يقر به الخلق، ويعترفون لله بالحمد والعدل، ويعرفون به من عظمته وعلمه وحكمته ورحمته مالم يخطر بقلوبهم، ولا تعبر عنه ألسنتهم، ولهذا قال: ﴿ ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون).

﴿٧١ ـ ٧٥﴾ ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم

وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين \* قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين \* وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين \* وقالوا الحمد لله فادخلوها خالدين \* وقالوا الحمد لله

الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين \* وترى الملائكة حافين من وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين لما ذكر تعالى حكمه بين عباده، الذين جمعهم في خلقه ورزقه وتدبيره، واجتماعهم في الدنيا، واجتماعهم في الدنيا، تعالى عند جزائهم، كما افترقوا في تعالى عند جزائهم، كما افترقوا في الدنيا بالإيمان والكفر، والتقوى والفجور، فقال: ﴿وسيق الذين كفروا

إلى جهنم اي: سوقاً عنيفاً، يُضربون

بالسياط الموجعة، من الزبانية الغلاظ

الشداد، إلى شر محبس وأفظع موضع،

وهي جهنم التي قد جمعت كل عذاب،

وحضرها كل شقاء، وزال عنها كل

سرور، كما قال تعالى: ﴿يوم يُدُّعُونَ

إلى نار جهنم دعًا ﴾ أي: يدفعون إليها

دفعاً، وذلك لامتناعهم من دخولها.

ويساقون إليها ﴿ زمراً ﴾ أي: فرقاً متفرقة، كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عملها، وتشاكل سعيها، يلعن بعضهم من بعضه، ﴿ حتى إذا جاؤوها ﴾ أي: وصلوا إلى ساحتها ﴿ فُتِحَتُ ﴾ لهم أي: لأجلهم ﴿ أبوابها ﴾ لقدومهم وقرى لنزولهم.

﴿وقال لهم خزنتها ﴾ مهنئين لهم بالشقاء الأبدي، والعذاب السرمدي، وموبخين لهم على الأعمال التي أوصلتهم إلى هذا المحل الفظيع: ﴿المُ يَاتَكُم رَسِلُ مِنكُم ﴾ أي: من جنسكم تعرفون صدقهم، وتعرفون صدقهم، وتتمكنون من التلقي عنهم؟ ﴿يتلون عليكم آيات ربكم ﴾ التي أرسلهم الله عليكم آيات ربكم ﴾ التي أرسلهم الله

بها، الدالة على الحق اليقين بأوضح البراهين.

﴿وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ أي: وهذا يوجب عليكم اتباعهم والحندر من عنداب هندا اليوم، باستعمال تقواه، وقد كانت حالكم بخلاف هذه الحال؟

﴿قالوا﴾ مقرين بذنبهم، وأن حجة الله قامت عليهم: ﴿بلى﴾ قد جاءتنا رسل ربنا بآياته وبيناته، وبينوا لنا غاية التبيين، وحذرونا من هذا اليوم. ﴿ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ أي: بسبب كفرهم وجبت عليهم كلمة العذاب، التي هي لكل مَنْ كفر بآيات الله، وجحد ما جاءت به المرسلون، فاعترفوا بذنبهم وقيام الحجة عليهم.

ف ﴿قيل﴾ لهم على وجه الإهانة والإذلال: ﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ كل طائفة تدخل من الباب الذي يناسبها ويوافق عملها. ﴿خالدين فيها﴾ أبداً، لا يظعنون عنها، ولا يفتر عنهم العذاب ساعة ولا ينظرون. ﴿فبئس مقوى المتكبرين﴾ أي: بئس المقر، النار مقرهم، وذلك لأنهم تكبروا على عملهم، بالإهانة والذل والخزى.

ثم قال عن أهل الجنة: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم التوحيده والعمل بطاعته، سوق إكرام وإعزاز، يحشرون وفدأ على النجائب. ﴿ إلى الجنة زمراً ﴾ فرحين مستبشرين، كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عملها وتشاكله. ﴿حتى إذا جاؤوها ﴾ أي: وصلوا لتلك الرحاب الرحيبة والمنازل الأنيقة، وهبُّ عليهم ريحها ونسيمها، وأن خلودها ونعيمها. ﴿وفتحت﴾لهم ﴿أبوابها ﴾ فتح إكرام، لكرام الخلق، ليكرموا فيها. ﴿وقال لهم خزنتها﴾ تهنئة لهم وترحيباً: ﴿سلام عليكم﴾ ي: سلام من كيل آفية وشر حيال عليكم. ﴿طبتم﴾أي: طابت قلوبكم بمعرفة الله ومحبته وخشيته، وألسنتكم بذكره، وجوارحكم بطاعته. ﴿فَ﴾ بسبب طيبكم ﴿ادخلوها خالدين﴾

لأنها الدار الطيبة، ولا يليق بها إلاً الطيبون.

وقال في النار: ﴿فتحت أبوابها﴾ وفي الجنة: ﴿وفتحت﴾ بالواو، إشارة إلى أن أهل النار، بمجرد وصولهم إليها، فتحت لهم أبوابها من غير إنظار ولا إمهال، وليكون فتحها في وجوههم، وعلى وصولهم، أعظم لحرها، وأشد لعذابها.

وأما الجنة، فإنها الدار العالية الغالية، التي لا يوصل إليها ولا ينالها كل أحد، إلا مَنْ أتى بالوسائل الموصلة إليها، ومع ذلك، فيحتاجون لدخولها لشفاعة أكرم الشفعاء عليه، فلم تفتح لهم بمجرد ما وصلوا إليها، بل يستشفعون إلى الله بمحمد على حتى يشفع، فيشفعه الله تعالى.

وني الآيات دليل على أن السار والجنة لهما أبواب تفتح وتغلق، وأن لكل منهما خزنة، وهما الداران الخالصتان اللتان لا يدخل فيهما إلا من استحقهما، بخلاف سائر الأمكنة والدور.

وقالوا عند دخولهم فيها واستقرارهم على ما واستقرارهم على ما والاهم ومن عليهم وهداهم: والحمد لله الذي صدقنا وعده أي: وعدنا الجنة على السنة رسله، إن آمنًا لنا ما منّانا. ﴿وأورثنا الأرض﴾ أي: الشاء أي: نمكان أرض الجنة حيث أمن الجنة حيث نشاء أي: ننزل منها أي: مكان شئنا، ونتناول منها أي: نعيم أردنا، أجر العاملين الذين اجتهدوا بطاعة ربهم، في زمن قليل منقطع، فنالوا بذلك خيراً عظيماً باقياً مستمراً.

وهذه الدار التي تستحق المدح على الحقيقة، التي يكرم الله فيها خواص خلق، ورضيها الجواد الكريم لهم نزلاً، وبنى أعلاها وأحسنها، وغرسها بيده، وحشاها من رحمته وكرامته ما ببعضه يفرح الحزين، ويزول الكدر ويتم الصفاء.

وترى الملائكة ﴾ أيها الرائى ذلك

اليوم العظيم ﴿حافين من حول العرش﴾ أي: قد قاموا في خدمة ربهم، واجتمعوا حول عرشه، خاضعين لجلاله، معترفين بكماله، مستغرقين بجماله. ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ أي: ينزهونه عن كل ما لا يليق بجلاله، نما نسب إليه المشركون وما لم ينسبوا.

﴿وقضي بينهم﴾ أي: بين الأولين والآخرين من الخلق ﴿بالحق﴾ الذي لا اشتباه فيه ولا إنكار، ممن عليه الحق. ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ لم يذكر القائل مَنْ هو، ليدل ذلك على أن جميع الخلق نطقوا بحمد رجم وحكمته على ما قضى به على أهل الجنة وأهل النار، حمد فضل وإحسان، وحمد عدل وحكمة.

تم تفسير سورة الزمر بحمد الله وعونه

## تفسير سورة المؤمن مكيسة

( - ٣) ﴿ بسم الله السرحمن الله الرحيم حم \* تنزيل الكتاب من الله المعزيز العليم \* غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ﴾ غبر تعالى عن كتابه العظيم، بأنه صادر ومنزل من الله المعزيز ﴾ الذي قهر بعزته كل غلوق، ﴿ العليم ﴾ بكل شيء، ﴿ غافر الذنب ﴾ (العليم ﴾ بكل شيء، ﴿ غافر الذنب ﴾ للمذنين ﴿ وقابل الوب ﴾ من التاثبين، ﴿ شديد العقاب ﴾ على مَنْ تجرأ على الذنوب ولم يتب منها، ﴿ فِي الطول ﴾

فلما قرر ما قرر من كماله، وكان ذلك موجباً لأن يكون وحده المألوه الذي تخلص له الأعمال، قال: ﴿لا إله إلا هو إليه المصير﴾.

ووجه المناسبة بذكر نزول القرآن من الله، الموصوف بهذه الأوصاف، أن هذه الأوصاف مستلزمة لجميع ما يشتمل عليه القرآن من المعاني.

ف إن السقر آن: إما إخسار عن أسماء الله وصفاته وأفعاله، وهذه أسماء وأوصاف وأفعال.

وإما إخبار عن الغيوب الماضية والمستقبلة، فهي من تعليم العليم لعباده.

وإما إخبار عن نِعَمِهِ العظيمة، وآلائه الجسيمة، وما يوصل إلى ذلك من الأوامر، فذلك يدل عليه قوله: ﴿ وَى الطُّولِ ﴾ .

وإما إخبار عن نِقَمِهِ الشديدة، وعمّا يوجبها ويقتضيها من المعاصي، فذلك يدل عليه قوله: ﴿شديد المقاب﴾.

وإما دعوة للمذنبين إلى التوبة والإنابة، والاستغفار، فذلك يدل عليه قوله: ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب﴾.

وإما إخبار بأنه وحده المألوه المعبود، وإقامة الأدلة العقلية والنقلية على ذلك، والحث عليه، والنهي عن عبادة ما سوى الله، وإقامة الأدلة العقلية والنقلية على فسادها، والترهيب منها، فذلك يدل عليه قوله تعالى: ﴿لا إله إلا هو﴾.

وإما إخبار عن حكمه الجزائي العدل، وثواب المحسنين، وعقاب العاصين، فهذا يدل عليه قوله: ﴿إليه المصير﴾.

فهذا جميع ما يشتمل عليه القرآن من المطالب العاليات .

﴿ ٤ ـ ٦ ﴾ وأما يجادل في آيات الله إلاّ الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد \* كذبت قبلهم قوم نوح والأحراب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب \* وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار﴾ يخبر تبارك وتعالى أنه ما يجادل في آياته إلا الذين كفروا والمراد بالمجادلة هنا، المجادلة لرد آيات الله ومقابلتها بالباطل، فهذا من صنيع الكفار، وأما المؤمنون، فيخضعون لله تعالى الذي يلقى الحق ليدحض به الباطل، ولا ينبغي للإنسان أن يغتر بحالة الإنسان الدُّنيوية، ويظن أن إعطاء الله إياه في الدنيا، دليل على محبته له وأنه على الحق، ولهذا قال: ﴿فلا يغررك

تقلبهم في البلاد أي: ترددهم فيها بأنواع التجارات والمكاسب، بل الواجب على العبد، أن يعتبر الناس بالحق، وينظر إلى الحقائق الشرعية ويزن بها الناس، ولا يزن الحق بالناس، كما عليه مَن لا علم ولا عقل له.

ئے اللہ من جادل بایات اللہ ليبطلها، كما فعل مَنْ قبله من الأمم من قبوم نبوح وعباد والأحيزاب مين بعدهم، الذين تحزبوا وتجمعوا على الحق ليبطلوه، وعلى الباطل لينصروه، ﴿وَ أَنَّهُ بِلَغْتُ بِهِم الحال، وآل بهم التحزب إلى أنه ﴿ همتُ كل أمة ﴾ من الأمم ﴿برسولهم ليأخذوه أي: يقتلوه. وهذا أبلغ ما يكون الرسل الذين هم قادة أهل الخير، الذين معهم الحق الصرف الذي لا شك فيه ولا اشتباه، هموا بقتلهم، فهل بعد هذا البغى والضلال والشقاء إلا العذاب العظيم الذي لا يخرجون منه؟ ولهذا قال في عقوبتهم الدنيوية والأخروية: ﴿فَأَخَذَهُم ﴾ أي: بسبب تكذيبهم وتحزبهم ﴿فكيف كان عقاب كان أشد العقاب وأفظعه، ما هو إلا صيحة، أو حاصب ينزل عليهم، أو يأمر الأرض أن تأخذهم، أو البحر أن يغرقهم، فإذا هم خامدون.

وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أي: كما حقت على أولئك، حقت عليهم كلمة الضلال التي نشأت عنها كلمة العذاب، ولهذا قال: ﴿ أَنِّم أصحاب النار﴾

﴿ ٧- ٩﴾ ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب المحيم \* ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز المحينات يومئذ فقد رحمته وذلك هو السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم﴾ يخبر تعالى عن كمال المفوز العظيم﴾ يخبر تعالى عن كمال

لطفه تعالى بعباده المؤمنين، وما قيض لأسباب سعادتهم من الأسباب الخارجة عن قدرهم، من استغفار الملائكة القربين لهم، ودعائهم لهم بما فيه صلاح دينهم وآخرتهم، وفي ضمن ذلك، الإخبار عن شرف حملة العرش ومن حوله، وقربهم من ربهم، وكثرة عبادتهم، ونصحهم لعباد الله، لعلمهم أن الله يحب ذلك منهم فقال: ﴿الذين يحملون العرش♦أى: عرش الرحمن، الذي هو سقف المخلوقات وأعظمها وأوسعها وأحسنها، وأقربها من الله تعالى، الذي وسع الأرض والسماوات والكرسى، وهولاء الملائكة، قد وكلهم الله تعالى بحمل عرشه العظيم، فلا شك أنهم من أكبر الملائكة وأعظمهم وأقواهم، واختيار الله لهم لحمل عرشه، وتقديمهم في الذكر، وقربهم منه، يدل على أنهم أفضل أجناس الملائكة عليهم السلام، قال تعالى: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ .

ومن حوله من الملائكة المقربين في المنزلة والفضيلة ويسبحون بحمد ربهم هذا مدح لهم بكثرة عبادتهم شه تعالى، وخصوصاً التسبيح والتحميد، وسائر العبادات تدخل في تسبيح الله وتحميده، لأنها تنزيه له عن كون العبد يصرفها لغيره، وحمد له تعالى، بل الحمد هو العبادة لله تعالى، وأما قول العبد: «سبحان الله وبحمده» فهو العبادة لله وبحمده» فهو العبادة.

﴿ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ وهذا من جملة فوائد الإيمان وفضائله الكثيرة جداً، أن الملائكة الذين لا ذنوب عليهم يستغفرون لأهل الإيمان، فالمؤمن بإيمانه تسبب لهذا الفضل العظيم.

ثم ولما كانت المغفرة لها لوازم لا تتم إلا بها \_غير ما يتبادر إلى كثير من الأذهان، أن سؤالها وطلبها غايته عجرد مغفرة الذنوب \_ذكر تعالى صفة دعائهم لهم بالمغفرة، بذكر ما لا تتم إلا به، فقال: ﴿ربنا وسعت كل شيء

TO THE WALLETT BOTTOM ا وَتَرَى الْمَلَيْكَةَ مَا فِينَ مِنْ حَوْلِ الْمَدَقِ يُمَيِّبُهُ وَنَ بِحَمَّدِ رَبِّهِمٌّ وَقُعِنَ يَيْنَهُ مِ يَاتُحِينَ وَقِيلَ أَعْمَدُ لِقَورَتِ الْعَلَمِينَ ۞ المنافقة والمنافقة والمنافقة حمَّمْ ۞ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَرِيزِ ٱلْقِلِيمِ ۞ غَافِر الذَّنْ وَقَايِلَ التَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْمِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَهَ إِلَّهُ وَأَلَّهُ إِلَّهُ إِلَّا أَلَّهُ إِلَّا أَلَّا إِلَّهُ إِلَّ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إ إِنَّهِ لَلْمَهِ مِنْ ۞ مَا يُجَادِلُ فِي ءَايَنِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ الْ فَلَا يَغُدُّرُكَ تَقَلُّكُمُ فِي الْبِلَا ۞ كَذَّبَتْ قَلَمُهُمْ قَوْمُ نُوجٍ وَٱلْأَخَذَرَابُ مِنْ بَعْدِهِرُ وَهَنَّتْ حَكُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِتَأْخُذُونَا وَجَلَدُلُواْ بِالْبُلِطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ ٱلْحَقِّ فَأَخَذْتُهُمُّ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۞ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتْ رَبِكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَغُرُوٓا أَنْهُمُ أَصْحَبُ النَّادِ ۞ الَّذِينَ يَخْصِلُونَ ٱلْغَرْضَ كُونَ وَمَنْ حَوْلَهُ رِئْسَيِّحُونَ بِحَسِّدِ رَبِيهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِدِء وَيَسْتَغَفِرُهُ نَ اللَّذِينَ اللَّهُ وَارْبُنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءِ زَّمْمَةً وَعِلْمَا فَأَغْفِرُ رُ اللَّهِ عِنْ الْوَا وَاتَّنْهُ عُوالسِّيلَةَ وَقِهِ مُرَعَذَابَ الْجَرَحِيهِ ۞ ACTION OF THE PORT OF

رحة وعلماً و فعلمك قد أحاط بكل شيء، لا يخفى عليك خافية، ولا يعزب عن علمك مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ورحمتك وسعت كل شيء، فالكون علويه وسفليه قد امتلاً برحمة الله تعالى ووسعتهم، ووصل إلى ما وصل إليه خلقه. والمعاصي ﴿واتبعوا سبيلك ﴾ باتباع والمعاصي ﴿واتبعوا سبيلك ﴾ باتباع رسلك، بتوحيدك وطاعتك. ﴿وقهم عذاب الجحيم ﴾ أي: قهم العذاب فضه، وقهم آسباب العذاب.

وربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم على ألسنة رسلك ﴿ومَنْ صلح﴾أي: صلح بالإيمان والعمل الصالح ﴿من آباتهم وأزواجهم﴾ زوجياتهم وأزواجهن وأصحابهم ورفقائهم ﴿وذرياتهم ﴿ إنك أنت العزيز القاهر لكل شيء، فبعزتك تغفر ذنوبهم، وتكشف عنهم المحذور، وتوصلهم به إلى كل خير ﴿الحكيم﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها، فلا نسألك يا ربنا أمراً تقتضي حكمتك خلافه، بل من حكمتك التي أخبرت بهاعلى ألسنة رسلك، واقتضاها فضلك، المغفرة للمؤمنين. ﴿وقِهمُ السيئات﴾أي: الأعمال السيئة وجزاءها، لأنها تسوء صاحبها. ﴿ومن تَق السيئات يومئذ ﴾ أي: يوم القيامة واجتهدوا اجتهاد المحبين، ومن العمال الذين هم المؤمنون، الذين يحبهم الله

( ٤٠ ــ تفسير سورة المؤمن

تعالى من بين خلقه، فسائر الخلق المكلفين يبغضهم الله إلا المؤمنين منهم، فمن محبة الملائكة لهم دعوا الله، واجتهدوا في صلاح أحوالهم، لأن الدعاء للشخص من

أدلُ الدلائل على محبته، لأنه لا يدعو إلاّ لمن يحبه. وتضمن ما شرحه الله وفصله من

دعائهم بعد قوله: ﴿ يستغفرون للذين آمنوا ﴾ التنبيه اللطيف على كيفية تدبر كتابه، وأن لا يكون المتدبر مقتصراً على مجرد معنى اللفظ بمفرده، بل ينبغي له أن يتدبر معنى اللفظ، فإذا فهمه فهماً صحيحاً على وجهه، نظر بعقله إلى ذلك الأمر والطرق الموصلة إليه وما لا يتم إلا به وما يتوقف عليه، وجزم بأن الله أراده، كما يجزم أنه أراد المعنى الخاص، الدال عليه اللفظُ.

والذي يوجب له الجزم بأن الله أراده أمران:

أحدهما: معرفته وجزمه بأنه من توابع المعنى والمتوقف عليه.

الثانى: علمه بأن الله بكل شيء عليم، وأن الله أمر عباده بالتدبر والتفكر في كتابه.

وقد علم تعالى ما يلزم من تلك المعانى. وهو المخبر بأن كتابه هدى ونور وتبيان لكل شيء، وأنه أفصح الكلام وأجله إيضاحاً، فبذلك يحصل للعبد من العلم العظيم والخير الكثير، بحسب ما وفقه الله له وقد كان في تفسيرنا هذا، كثيرٌ من هذا مَنَّ به الله

وقد يخفى في بعض الآيات مأخذه على غير المتأمل صحيح الفكرة، ونسأله تعالى أن يفتح علينا من خزائن رحمته ما يكون سببآ لصلاح أحوالنا وأحوال المسلمين، فليس لنا إلا التعلق بكرمه، والتوسل بإحسانه، الذي لا نزال نتقلب فيه في كل الآنات، وفي جميع اللحظات، ونسأله من فضله، أن يقينًا شر أنفسنا المانع والمعوق لنوصول أمتنا اثنتين﴾ يريدون الموتة الأولى وما

رحمته، إنك الكريم الوهاب، الذي

تفضل بالأسباب ومسبباتها.

وتضمن ذلك، أن المقارن من زوج وولد وصاحب، يسعد بقرينه، ويكون اتصاله به سبباً لخير يحصل له، خارج عن عمله وسبب عمله كما كانت الملائكة تدعو للمؤمنين ولمن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، وقد يقال: إنه لا بدّ من وجود صلاحهم لقوله: ﴿ومَن صلح﴾ فحينئذ يكون

ذلك من نتيجة عملهم، والله أعلم. ﴿ ١٠\_ ١٢﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَـفُرُوا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون \* قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل \* ذلكم بأنه إذا دُعى آلله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير) يخبر تعالى عن الفضيحة والخزى الذي يصيب الكافرين، وسؤالهم الرجعة، والخروج من النار، وامتناع ذلك عليهم وتوبيخهم، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كُفُّووا﴾ أطلقه ليشمل أنواع الكفر كلها، من الكفر بالله، أو بكتبه، أو برسله، أو باليوم الآخر، حين يدخلون النار، ويقرون أنهم مستحقونها، لما فعلوه من الذنوب والأوزار، فيمقتون أنفسهم لذلك أشد المقت، ويغضبون عليها غاية الغضب، فينادون عند ذلك، ويقال لهم: ﴿ لَقْتُ اللَّهُ ﴾ أي: إياكم ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِسمانِ فَتَكَفِّرُونَ ﴾ أي: حين دعتكم الرسل وأتباعهم إلى الإيمان، وأقاموا لكم من البينات ما تبين به الحق، فكفرتم وزهدتم في الإيمان الذي خلقكم الله له، وخرجتم من رحمته الواسعة، فمقتكم وأبغضكم، فهذا ﴿أكبر من مقتكم أنفسكم أي: فلم يزل هذا المقت مستمرأ عليكم، والسخط من الكريم

حَالاً بكم، حتى آلت بكم الحال إلى ما

آلت، فاليوم حلّ عليكم غضب الله

وعقابه، حين نال المؤمنون رضوان الله

وثوابه، فتمنوا الرجوع، و ﴿قالوا ربنا

بين النفختين على ما قيل، أو العدم

رَثْنَا وَأَدْيِغِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَكَذِنِ ٱلَّتِي وَعَكِدَتَّهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ

ءَاكِ آبِهِ مْ وَأَنْوَجِهِ مْ وَفُرْيَكَ بِهِ فُلْكَ أَتَ ٱلْعَرِيرُ ٱلْحَكِيمُ ۞ وَقِهِمُ ٱلسَّيَنَاتُ وَمَن لِّقِ ٱلسَّيِّنَاتِ يَوْمَهِ ذِ فَقَدْ رَحِمْنَهُ وَذَلِكَ هُوَالْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ إِنَ الَّذِينَ كَنَاوُا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقَيْكُمْ أَنفُكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَانِ فَتَكَعْرُونَ ۞ قَالُواْرَبِّنَا أَمَّ نَا اَثَّنَا أَثُّنَتَا يُو وَأَحْيَكُمُ تَمَا اللَّهُ لَمَ يُنِ فَأَعْرَفُنَا بِذُفُوبَ افْهَلُ إِلَّ خُنُوجِ مِن سَجِيلِ ۞ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ وَإِذَا دُعِ ۖ ٱللَّهُ وَحْدَهُ مُصْكَفَرْتُهُ وَأَن يُشْرَلِفُ بِهِ عَنْ إِصْنُواْ فَٱلْمُحْسَمُ مِنْهِ ٱلْعَمَانِيَ ٱلْكَيْدِينَ هُوَالَّذِي يُرِيكُمْ وَالَّذِي وَيُزَلُّ لَكُمِ فِنَ ٱلسَّكَنَّةِ رِزْقًا وَمَا يَنَدَحَكُرُ إِلَّا مَن يُبِيثُ ۞ فَاذْعُواْ اللَّهُ مُعْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْكَ وَالْكَلِفِرُونَ ۞ رَفِيعُ ٱلدَّرَيَحُنِ دُو ٱلْعَرَّيْ يُنِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَسَنَآهُ مِنْ عِبَادِهِ لِمُنذِرَقِعُ مَا لَنَكَاقِ ۞ يَوْمَ هُرِبَارِ زُورَتُ لَا يَعْنَى عَلَى الْفَومِنْهُ مُرْمَى مُ لِينَ الْمُلْكُ أَلِينَ مِنْ الْمَالِكُ الْمِرْمَةُ لِلْمَ الْفَهَادِ ۞

TORONO WEDDONO ﴿فقدرحمته ﴾ لأن رحمتك لم تزل مستمرة على العباد، لا يمنعها إلا ذنوب العباد وسيئاتهم، فمن وقيته السيئات وفقته للحسنات وجزائها الحسن. ﴿وَذَلُكُ﴾ أي: زوال المحذور بوقاية السيئات، وحصول المحبوب بحصول الرحمة، ﴿ هو الفوز العظيم ﴾ الذي لا فوز مثله، ولا يتنافس المتنافسون بأحسن منه .

وقد تضمن هذا الدعاء من الملائكة كمال معرفتهم برجهم، والتوسل إلى الله بأسمائه الحسني، التي يحب من عباده التوسل بها إليه، والدعاء بما يناسب ما دعوا الله فيه، فلماكان دعاؤهم بحصول الرحمة، وإزالة أثر ما اقتضته النفوس البشرية التي علم الله نقصها واقتضاءها لما اقتضته من المعاصي، ونحو ذلك من المباديء والأسباب التي قدأحاط الله بها علماً، توسلوا بالرحيم العليم.

وتضمن كمال أدبهم مع الله تعالى بإقرارهم بربوبيته لهم الربوبية العامة والخاصة، وأنه ليس لهم من الأمر شيء، وإنما دعاؤهم لربهم صدر من فقير بالذات من جميع الوجوه، لا يُدُلي على ربه بحالة من الأحوال، إن هو إلا فضل الله وكرمه وإحسانه.

وتضمن موافقتهم لربهم تمام الموافقة، بمحبة ما يحبه من الأعمال التي هي العبادات التي قاموا بها، WESTER! **《公司》** النُّونَ تُحْدَرُنُ كُلُّ عَنْيِرِيهَا كَسَيَّتْ لَاظْفُرُ الْيُومُ لَكَ أَفَّة سريعُ أنيستاب ﴿ وَأَنذِنهُ مَ وَمُ الْآيِفَةِ إِذَالْتُ لُوبُ لدى أتحت البرك فليميز ماللفًا المين من جَمِيهِ وَلا شَفِيع يُطَاعُ ۞ يَعْلَرُنَآ إَنَّ ٱلْأَعْيَنِ وَمَا تُخْفِي ٱلْعَبُدُورُ ۞ وَاللَّهُ يَفْضِي بَالْحَقُّ وَٱلَّذِيكَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ـ لَا يَقْضُونَ يَتَىٰ اً إِذَالَةَ هُوَالسَّدِيعُ الْبَصِيدُ ۞ • أَوَكُرْتِيدِيُ وَافِي ٱلأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَكُانَ عَلِقِبَهُ ٱلَّذِينَ كَانُولُونِ قَبْلِهِمُّ كَانُواْ هُمُ أَشَدَةً مِنْهُ مُرْفَقَةً وَءَالْكَ أَرْسِيفًا لَأَرْضَ فَأَخَذَهُمُ أَلَمَهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَاكَانَ لَمُصَمِّلَ اللَّهِمِنِ وَاقِ ۞ ذَٰ لِكَ بِأَنْهُمُّ كَانَتَ تَأْنِهِ مُرْدُشُلُهُ مِنْ الْبِينَاتِ فَكَلَّتُرُوا فَأَخَذَ مُمُ اللّهُ إِنَّهُ فَعِيٌّ شَدِيدُ ٱلْمِقَابِ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَكُنَا مُوسَى عَالِيْنَا وَسُلْطَانِ مُبِينٍ ۞ إِلَىٰ فِيْهَوْنِ وَهَلَمُانَ وَقَلَوُونَ فَعَالُواْسَاحِرُكَلَابٌ ۞ فَلَفَاجَآةِ هُمَالِكُوْ بِنَ عندينا قنالوا افتالوا أبنئة الذيب ماستوامع فرواستخوا رُّمُ إِنَّ مُمْزُومًا كَيْدُالْكَوْمِينَ إِلَّامِهُ مَثَلَلِ ۞ a sala mentera

القصد لله تعالى في جميع العبادات الواجبة والمستحبة، حقوق الله وحقوق عباده. أي: أخلصوا لله تعالى في كل ما تدينونه به وتتقربون به إليه.

﴿ولو كره الكافرون﴾ لذلك، فلا تبالوا بهم، ولا يثنكم ذلك عن دينكم، ولا تأخذكم بالله لومة لائم، فإن الكافرين يكرهون الإخلاص الله وحده غاية الكراهة، كما قال تعالى: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴿ .

ثم ذكر من جلاله وكماله ما يقتضي إخلاص العبادة له، فقال: ﴿ رفيع المدرجات ذو العرش، أي: العلى الأعلى، الذي استوى على العرش واختص به، وارتفعت درجاته ارتفاعاً باین به مخلوقاته، وارتفع به قدره، وجلَّت أوصافه، وتعالَّت ذاته، أن يتقرب إليه إلأ بالعمل الزكي الطاهر المطهر، وهو الإخلاص، الذي يرفع درجات أصحابه ويقربهم إليه، ويجعلهم فوق خلقه، ثم ذكر نعمته على عباده بالرسالة والوحى، فقال: ﴿يلقى الروح﴾ أي: الوحي الذي للأرواح والقلوب بمنزلة الأرواح للأجساد، فكما أن الجسد بدون الروح لا يحيا ولا يعيش، فالروح والقلب بدون روح الوحي لا يصلح ولا يفلح، فهو تعالى ﴿ يلقي الروح مَنْ أَمْرُهُ ﴾ الَّذِي فيه

عباده، بتبيين الحق من الباطل، بما يُرى عباده من آياته النفسية والآفاقية والقرآنية، الدالة على كل مطلوب مقصود، الموضحة للهدى من الضلال، بحيث لا يبقى عند الناظر فيها والمتأمل لها أدنى شك في معرفة الحقائق، وهذا من أكبر نعمه على عباده، حيث لم يُبْق الحق مشتبهاً، ولا الصواب ملتبساً، بل نوع الدلالات ووضح الآيات، ليهلك مَنْ هلك عن بيّنة، ويحيا مَنْ حي عن بيّنة وكلُّما كانت المسائل أجلُّ وأكبر، كانت الدلائل عليها أكثر وأيسر، فانظر إلى التوحيد لما كانت مسألته من أكبر المسائل، بل أكبرها، كثرت الأدلة عليها العقلية والنقلية وتنوعت، وضرب الله لها الأمثال وأكثر لها من الاستدلال، ولهذا ذكرها في هذا الموضع، ونبه على جملة من أدلتها فقال: ﴿فادعوا الله مخلصين له

ولما ذكر أنه يُري عباده آياته، نبه على آية عظيمة فقال: ﴿وينزل لكم من السماء رزقاً أي: مطراً، به ترتزقون وتعيشون أنتم وبهائمكم، وذلك يدل على أن النعَم كلها منه، فمنه نِعَم الدين، وهي المسائل الدينية والأدلة عليها، وما يتبع ذلك من العمل بها. والنعم الدنيوية كلها، كالنعم الناشئة عن الغيث، الذي تحيابه البلاد والعباد. وهذا يدل دلالة قاطعة أنه وحده هو المعبود، الذي يتعين إخلاص الدين له، كما أنه \_وحده \_المنعم.

﴿وما يتذكر ﴾ بالآيات حين يذكر بها ﴿ إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ ﴾ إلى الله تعالى، بالإقبال على محبته وخشيته وطاعته والتضرع إليه، فهذا الذي ينتفع بالآيات، وتصير رحمة في حقه، ويزداد بها بصيرة.

ولما كانت الآيات تثمر التذكر، والتذكر يوجب الإخلاص لله، رتب الأمر على ذلك بالفاء الدالة على السببية فقال: ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾ وهنذا شامل لدعناء العبادة ودعاء المسألة، والإخلاص معناه: تخليص

المحض قبل إيجادهم، ثم أماتهم بعدما أوجدهم، ﴿وأحييتنا اثنتين ﴾ الحياة الدنيا والحياة الاخرى، ﴿فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل﴾ أي: تحسروا وقالوا ذلك، فلم يفدولم ينجع، ووبخوا على عدم فعل أسباب النجاة، فقيل لهم: ﴿ ذَلَكُم بِأَنَّهُ إِذَا دعسى الله وحسده الله وحسي لتوحيده، وإخلاص العمل له، ونهي عن الشرك به ﴿كفرتم﴾ به واشمأزت لذلك قلوبكم ونفرتم غاية النفور. ﴿وإن يشرك به تؤمنوا ﴾ أي: هذا الذي أنزلكم هذا المنزل، وبوأكم هذا القيل والمحل، أنكم تكفرون بالإيمان، وتؤمنون بالكفر، ترضون بما هو شر وفساد في الدنيا والآخرة، وتكرهون ما هو خيرً وصلاح في الدنيا والآخرة. تؤثرون سبب الشقاوة والذل

والغضب، وتزهدون بما هو سبب الفوز والفلاح والظفر ﴿وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً♦. ﴿ فَالْحُكُم للهِ الْعَلَى الْكَبِيرِ ﴾ العلى:

الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه، علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر ومن علو قدره، كمال عدله تعالى، وأنيه ينضع الأشيباء مواضعها، ولا يساوي بين المتقين والفجار .

﴿الكبير﴾ الذي له الكبرياء والعظمة والمجد، في أسمائه وصفاته وأفعاله المتنزه عن كل آفة وعيب ونقص، فإذا كان الحكم له تعالى، وقد حكم عليكم بالخلود الدائم، وحكمه لا يغير ولا يبدل.

﴿ ١٣-١٧﴾ ﴿ هو الذي يريكم أياته وينزل لكم من السماء رزقاً وما يتذكر إلا من ينيب \* فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون \* رفيع الدرجات ذو العرش يُلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق \* يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار \* اليوم تجزي كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب للذكر تعالى نعمه العظيمة على

(1) (日本的) 1 (日本的) 1 (日本の) 1 وَقَالَ وَعَوَنُ ذَرُونِتَ أَقَالُ مُومَىٰ وَلَينَ عُرَبَهُ مُرَالِيَ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْأَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِي عُذْتُ بِرَبِي وَرَبِّكُم مِن كُلِّ مُتَكَبِرِلَّا وُمِّنَ بِيُّومِ ٱلْحِسَابِ ۞ وَقَالَ رَجُـ لُ ثُمُؤْمِنُ مِنْ مَالِ فِرْعَوْبَ يَحُتُمُ إِيمَانَهُ وَأَنَقَتُلُونَ رَجُلًا أَن يَغُولَ رَبِ اللَّهُ وَقَدْ جَآءَ كُم بِٱلْبَيْنَاتِ مِن زَبِكُمٌّ وَإِن يَكُ كَاذِ بَاكُ كَاذِ بَا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَلَن يَكُ صَادِقًا يُصِبُكُمْ بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِيدُكُمْ إِنَّ أَفَةَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَمُسْرِقٌ كَذَّابٌ ۞ يَقَوْمِ لَكُمُّ لَلْكُكُ ٱلْيُوعَ طَلِهِينَ فِ ٱلْأَرْضِ فَنَ يَنْصُرُبَ لِعِنْ بَالْمِي ٱللَّهِ إِنْ جَآءَنَأُ قَالَ فِرْعَوْثَ مَا أَرِيكُمْ إِلَّامَا أَنَّىٰ وَمَا أَهْدِيكُرْ إِلْاسَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِيّ مَامَنَ يَقَوْمِ إِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُ مِنْ أَيَوْمِ ٱلْأَخْزَابِ ۞ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ فُرْجٍ وَعَادٍ وَمْهُودَ وَالَّذِيرَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُمَّا لِلْعِسَادِ ۞ وَيَنْفَوْمِ انْ أَخَافُ عَلَيْكُرُ بَوْمُ النَّسَادِ ۞ يَوْمَ تُولُونَ مُنْفِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهُ مِنْ عَاصِمَةً وَمَن يُصِّيلِ اللَّهُ فَاللَّهُ مِنْ هَادِ ۞ TONO TONO WILLIAM SECTION

نفع العباد ومصلحتهم. ﴿على مَنْ يشاء من عباده﴾ وهم السرسل اللهين فيضلههم الله

واختصهم الله لوحيه ودعوة عباده. والفائدة في إرسال الرسل، هو عصيل سعادة العباد في دينهم ودنياهم وآخرتهم، وإزالة الشقاوة عنهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم، ولهذا قال: ولينذر من ألقى الله إليه الوحي ويوم الشلاق أي: يخوف العباد بذلك، ويحشهم على الاستعداد له

بالأسباب المنجية تما يكون فيه. وسماه «يوم التلاق»، لأنه يلتقي فيه الخالق والمخلوق، والمخلوقون بعضهم مع بعض، والعاملون وأعمالهم وجزاؤهم.

ويوم هم بارزون اي: ظاهرون على الأرض، قد اجتمعوا في صعيد واحد، لا عوج ولا أست فيه، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر.

﴿لا يَعْفَى عَلَى الله منهم شيء﴾ لا من ذواتهم ولا من أعمالهم، ولا من جزاء تلك الأعمال.

﴿ لَمْنَ الْمُلْكُ اليوم ﴾ أي: مَنْ هـو المالكُ لذلك اليوم العظيم، الجامع للأولين والآخرين، أهل السماوات وأهل الأرض، الذي انقطعت فيه الشركة في الملك، وتقطعت الأسباب،

ولم يبق إلا الأعمال الضالحة أو السيئة؟ الملك ﴿ فه الواحد القهار ﴾ أي:

اللك وله الواحد القهار به اي:
المنفرد في ذاته وأسمائه وصفاته
وأفعاله، فلا شريك له في شيء منها
بوجه من الوجوه. والقهار بلجميع
المخلوقات، الذي دانت له المخلوقات
وذلت وخضعت، خصوصاً في ذلك
اليوم الذي عنت فيه الوجوه للحي
القيوم، يومئذ لا تَكَلَّمُ نفس إلا بإذنه،
في الدنيا، من خير وشر، قليل وكثير.
ولا ظلم اليوم على أحد، بزيادة في
سيئاته، أو نقص من حساته. وإن الله
سريع الحساب أي: لا تستبطئوا
وهو أيضاً سريع المحاسبة لعباده يوم
وهو أيضاً سريع المحاسبة لعباده يوم
القيامة، لإحاطة علمه وكمال قدرته.

﴿ ۱۸ ـ ۲۰ ﴾ ﴿وأنــذرهــم يــوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع \* يعلم خآئنة الأعين وما تخفي الصدور \* والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء إن الله هو السميع البصير) يقول تعالى لنبيه عمد على: ﴿وأنذرهم يوم الآزفة ﴾ أي: يوم القيامة التي قد أزفت وقربت، وآن النوصول إلى أهوالها وقلاقلها وزلازلها، ﴿إذ القلوب لدى الحناجر، أي: قدارتفعت وبقيت أفئدتهم هواء، ووصلت القلوب من الروع والكرب إلى الحناجر، شاخصة أبصارهم. ﴿كاظمين ﴾ لا يتكلمون إلاَّ مَنْ أَذَن لِه الرحمن وقال صواباً، وكاظمين على ما في قلوبهم من الروع الشديد والمزعجات الهائلة.

وما للظالمين من حميم اي: قريب ولا صاحب، وولا شفيع يطاع ولا صاحب، ولا شفيع يطاع ولان الشفعاء لا يشفعون في الظالم نفسه بالشرك، ولو قدرت شفاعتهم، فالله تعالى لا يرضى شفاعتهم، فلا يقبلها. وليعلم خائنة الأعين وهو النظر المدى يخفيه العبد من جليسه ومقارنه، وهو نظر المسارقة، وهوما تخفي

الصدور ﴾ مما لم يبينه العبد لغيره، فالله تعالى يعلم ذلك الخفي، فغيره من الأمور الظاهرة من باب أولى وأحرى.

الأمور الظاهرة من باب أولى وأحرى. ﴿والله يقضي بالحق ﴾ لأن قوله حق، وحكمه الشرعي حق، وحكمه الجزائي حق وهو المحيط علماً وكتابة وحفظاً بجميع الأشياء، وهو المنزه عن الظلم والنقص وسائر العيوب، وهو الذي يقضي قضاءه القدري، الذي إذا شاء شيئاً كان وما لم يشأ لم يكن، وهو والكافرين في الدنيا، ويفصل بين عباده المؤمنين والكافرين في الدنيا، ويفصل بينهم بقتح ينصر به أولياءه وأحبابه.

والذين يدعون من دونه وهذا شامل لكل ما عبد من دون الله ولا يقضون بشيء لعجزهم وعدم إرادتهم للخير واستطاعتهم لفعله. وإن الله هو السميع للمخات، على الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. والبصير في الا نبصر، وما يكون، وما نبصر وما لا يعلمون.

قال في أول هاتين الآيتين ﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾ ثم وصفها بهذه الأوصاف المقتضية للاستعداد لذلك اليوم العظيم، لاشتمالها على الترغيب والترهيب.

﴿ ٢١ ــ ٢٢﴾ ﴿أُولُم يسيبروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشدُّ منهم قوةً وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق \* ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم ألله إنه قوي شديد العقاب له يقول تعالى: ﴿ أُولَمُ يسيروا في الأرض) أي: بقلوبهم وأبدائهم، سير نظر واعتبار، وتفكر في الآثار، ﴿ فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم من المكذبين، فسيجدونها شر العواقب، عاقبة الهلاك والدمار والخزى والفضيحة، وقد كانوا أشد قوةً من هؤلاء في العَدَد والعُدَد وكبر الأجسام. ﴿وَ أَسْدَ ﴿ آَتُاراً فَيَ ا يُنظِلُوعَ فِلْ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ الللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الل وَلَقَدُ جَآءَ كُمْ مُوسُفُ مِن قَعْلُ الْبَيْنَاتِ فَا ذِلْتُمْ فِي شَاتِي مِمَّا جَآءً كُم بِقُدْ حَقَّ إِذَاهِ كَلْكَ قُلْتُ مِنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ، رَسُولُا حَكَذَاكَ يُصِلُ أَمَّةً مَنْ هُوَمُسْرِقٌ مُّرْتَابُ ۞ ٱلَّذِينَ يُحَادِلُونَ فِي ءَايَنتِ ٱللَّهِ بِعَدِّيمُ لَطَانَ أَمَا هُمَّةً كَبْرَمَقْتًا عِندَاللَّهِ وَعِندَالَّذِينَ وَامَثُواْكَ أَلِكَ يَطْبَمُ أَلَّهُ عَلَاكُ لِي قَلْ مُتَكَيِّرِ جَبَادٍ ۞ وَقَ الَ فِرْعَوْثُ يَنْهَكُنُ أَيْنِ لِي صَرْحًا لَعَلَىٰ أَلِلُمُ ٱلْأَمْسُبُ ۞ أَسْبَبُ التَّكَوْنِ مَلْظَيْمَ إِلَّ إِلَّاهِ مُوسَىٰ وَإِنَّ لَأَظُنُهُ كَلِيبًا وكذَاك نُقِبَ لِفِرْعَوْبَ سُوَّهُ عَلِهِ ، وَصُدَّعَوْ السِّيلُ وَمَاكَيْدُ فِي رُغُونَ إِلَّا فِي شَهَابِ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي مَا اسْنَ يَعَوَمُ أَنَّهِ مُولِ أَهُدِكُمْ سَيِيلَ ٱلرَّسَادِ ۞ يَكَفَوْم إِنَّمَا هَلَاهِ ٱلْحَيَوةُ ٱلدُّنْبَ امْتَنَّعٌ وَلِكَ ٱلْآخِرَةَ هِي كَازُالْمَ رَادِ ۞ مَنْ عَسَمِلَ سَيِنَةً فَلَا يُجَدِّزَفَ إِلَّامِنْ لَهَ أُوْمَنْ عَيلَ صَلِيمًا مِن ذَكِرِ أَوْأُنثَىٰ وَهُومُوْمِثَ فَأُولَيْكَ مَّ اللهُ ال

MEDICAL MEDICAL

ومن جملة الأسباب، هذا الرجل المؤمن، الذي من آل فرعون، من بيت المملكة، لا بدأن يكون له كلمة مسموعة، وخصوصاً إذا كان يظهر موافقتهم ويكتم إيمانه، فإنهم يراعونه في الغالب ما لا يراعونه لو خالفهم عمداً على بعمه أبي طالب من قريش، حيث كأن أبو طالب كبيراً عندهم، موافقاً لهم على دينهم، ولو كان مسلماً في صل منه ذلك المنع.

فقال ذلك الرجل المؤمن الموفق العاقل الحازم، مقبحاً فعل قومه، وشناعة ما عزموا عليه: ﴿اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله أي: كيف تستحلون قتله، وهذا ذنبه وجرمه، أنه يقول ربي الله، ولم يكن أيضاً قولاً عبرداً عن البينات، ولهذا قال: ﴿وقد جاءكم بالبينات من ربكم ﴾ لأن بينته المتهرت عندهم اشتهاراً علم به الصغير والكبير، أي: فهذا لا يوجب قتله.

فهلا أبطلتم قبل ذلك ما جاء به من الحق، وقابلتم البرهان ببرهان يرده، ثم بعد ذلك نظرتم: هل يحل قتله إذا ظهرتم عليه بالحجة أم لا؟ فأما وقد ظهرت حجته، واستعلى برهانه،

قصدوا، أهلكهم الله وأبادهم عن آخرهم.

(۱) وتدبر هذه النكتة التي يكثر مرورها بكتاب الله تعالى: إذا كان السياق في قصة معينة أو على شيء معين، وأراد الله أن يحكم على ذلك المعين بحكم، لا يختص به ذكر الحكم، وعلقه على الوصف العام ليكون أعم، وتندرج فيه الصورة التي سيق الكلام لأجلها، وليندفع الإيهام باختصاص الحكم بذلك المعين.

فلهذا لم يقل «وما كيدهم إلا في ضلال» بل قال: ﴿وما كيد الكافرين إلا في ضلال﴾

و ﴿قال فرعون﴾ متكبراً متجبراً مغرراً لقومه السفهاء: ﴿ ذرون أقتل مسوسسي وليدع ربسه أي: زعسم \_ قبحه الله \_ أنه لولا مراعاة خواطر قومه لقتله، وأنه لا يمنعه من دعاء ربه، ثم ذكر الحامل له على إرادة قتله، وأنه نصح لقومه، وإزالة للشرفي الأرض فقال: ﴿إِن أَحَاف أَن يبدلُ دينكم الذي أنتم عليه ﴿أُو أَن يظهر في الأرض الفسادك . وهذا من أعجب ما يكون، أن يكون شر الخلق ينصح الناس عن اتباع خير الخلق هذا من التمويه والترويج، الذي لا يدخل إلاّ عقل مَنْ قال الله فيهم: ﴿فاستخف قبومه فبأطباعبوه إنهبم كبانبوا قبوميأ فاسقين﴾.

روقال موسى حين قال فرعون تلك المقالة الشنيعة التي أوجبها له طغيانه، واستعان فيها بقوته واقتداره، مستعيناً بربه: ﴿إِنِّ عُدْتُ بربي وربكم ﴾ أي: امتنعت بربوبيته التي دبر بها جميع الأمور ﴿من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ﴾ أي: يحمله تكبره وعدم إيمانه بيوم الحساب على الشر والفساد، يدخل فيه فرعون وغيره، كما تقدم قريباً في القاعدة، فمنعه الله تعالى بلطفه من كل متكبر فيمن بيوم الحساب، وقيض له من الأسباب ما اندفع به عنه شر فرعون المساب عا الأسباب ما اندفع به عنه شر فرعون

الأرض من البناء والغرس، وقوة الآثار تدل على قوة المؤثر فيها وعلى تمنعه بها. ﴿فأخذهم الله بعقوبته بذنوبهم حين أصروا واستمروا عليها، ﴿إنه قوي شديد العقاب ﴾ فلم تغن قوتهم عند قوة الله شيئاً، بل من أعظم الأمم قوة، قوم عاد الذين قالوا: ﴿مَنْ أَسُد مِنَا قوة ﴾ أرسل الله إليهم ريحاً أضعفت قواهم، ودمرتهم كل تدمير.

ثم ذكر نموذجاً من أحوال المكذبين بالرسل، وهو فرعون وجنوده فقال:

﴿ ٢٣-٤٦﴾ ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين﴾ إلى آخر القصة.

﴿٢٣﴾ أي: ﴿ولقد أرسلنا﴾ إلى جنس هؤلاء المكذبين ﴿موسى﴾ ابن عمران، ﴿بآياتنا﴾ العظيمة، الدالة وبطلان ما عليه من أرسل إليهم من الشرك وما يتبعه. ﴿وسلطان مبين﴾ أي: حجة بيّنة، تتسلط على القلوب فتذعن لها، كالحية والعصا ونحوهما من الآيات البينات، التي أيّد الله بها موسى، ومكّنه عا دعا إليه من الحق.

والمبعوث إليهم وفرعون وهامان وزيره ﴿وقارون ﴾ الذي كان من قوم موسى، فبغى عليهم بماله، وكلهم ردوا عليه أشد الرد ﴿فقالوا ساحر كذَّابِ ﴿ فِلْمَا جِاءُهُمْ بِالْحِقِّ مِنْ عندنا﴾ وأيده الله بالمعجزات الباهرة، الموجبة لتمام الإذعان، لم يقابلوها والإعسراض، بـل ولا إنـكـارهـا ومعارضتها بباطلهم، بل وصلت بهم الحال الشنيعة إلى أن ﴿قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين ﴾ حيث كادوا هذه المكيندة، وزعموا أنهم إذا قتلوا أبناءهم، لم يقووا، وبقوا في رقهم وتحت عبوديتهم.

فما كيدهم إلا في ضلال، حيث لم يتم لهم ما قصدوا، بل أصابهم ضد ما

CA LENGE COMMENT ROOM • وَكَقَوْمِ مَالَىٰ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَاةِ وَتَهْعُونَيْ الْأَلْتَادِ ٠ تَنْعُونَ فِي لِأَكْفُرُ مِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ ، عِلْمُ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْمَسَرَحُ الْفَكَدِ لَاجَرُمُ أَثَمًا تَنْعُونَوْ النَّهِ لِنُورَ لَهُ مُعَوِّدً فِي الدُّنْسَاوَلَا فِي الْآيْرَةِ وَأَنَّ مَرَدًّنَّا ٓ إِلَىٰ اللَّهِ وَأَتَ ٱلْمُعْرِفِينَ هُمَّ أَصْحَابُ النَّارِ @ فَسَتَنْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوَضُ أَمْرَى إِلَى اللَّهِ لَاَ الْقَدَبَهِمِيرُ يَالْمِسَادِ ۞ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ مُستِئَاتِ مَا مَكَرُّولًا وَحَافَ بِعَالِ فِرْعَوْبَ مُنْوَءُ ٱلْمَسَدَابِ ﴿ ٱلنَّارُهُ رَبُّونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَيْدِيًّا وَيَوْعَ لَسَعُومُ السَّسَاعَةُ أَدْخِسِ كُواْءَاكِ فِنْعَوْبَ أَشَدَ الْعَدَابِ ۞ وَلَذْ يَتَكَلَّمُونَ فِي النَّارِ فَيَعُولُ الشُّعَقَاقُ إِلَّذِينَ اسْتَكَرِّوا إِنَّاكُمْ تَبَعَافَهَلُ أَنتُهُمُّفُنُونَ عَنَانَهِمِينَامِنَ النَّادِي فَالَ الَّذِيرَ السَّنَاحَ بَرُواْ إِنَّاكُ أَنْ فِيهَا إِنَّ الْقَدَقَةُ حَكَمَ بِّينَ الْمِسَادِ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِ النَّارِ لِخَرْنَكَةِ أُ جَهَا مِنَ ٱلْعُوارَبِهَ عُمُ يُغَيِّفُ عَنَا يَوْمَا مِنَ ٱلْمَالَدِ اللهِ CARREN IN ROBERO

فبينكم وبين حل قتله مفاوز تنقطع بها أعناق المطي. ثم قال لهم مقالة عقلية تقنع كل عاقل، بأي: حالة قدرت، فقال:

تم قال لهم مقالة عقلية تقنع كل عاقل، بأي: حالة قدرت، فقال: ﴿ وَإِنْ يَكُ كَاذَباً فَعَلَيْهُ كَذَبِهُ وَإِنْ يَكُ صَادَقاً يَصِبكم بعض الذي يعدكم ﴾ وأي موسى بين أمرين، إما كاذب في دعواه أو صادق فيها، فإن كان كاذبا عليه، وضرره مختص به، وليس عليكم في ذلك ضرر حيث امتنعتم من الجابته وتصديقه، وإن كان صادقاً وقد جاءكم بالبينات، وأخبركم أنكم إن لم جاءكم بالبينات، وأخبركم أنكم إن لم تجيبوه عذبكم الله عذاباً في الدنيا وعذاباً في الدنيا يصيبكم بعض الذي يعدكم، وهو يصيبكم بعض الذي يعدكم، وهو عذاباً الدنيا.

وهذا من حسن عقله، ولطف دفعه عن موسى، حيث أتى بهذا الجواب الذي لا تشويش فيه عليهم، وجعل الأمر دائراً بين تلك الحالتين، وعلى كل تقدير فقتله سفه وجهلٌ منكم.

ثم انتقل رضي الله عنه وأرضاه وغفر له ورحمه \_ إلى أمر أعلى من ذلك، وبيان قرب موسى من الحق فقال: ﴿إِنَّ اللهُ لا يهدي مَنْ هو مُسْرِفٌ﴾ أي: متجاوز الحد بترك الحق والإقبال على الباطل. ﴿كذَابٌ ﴾ بنسبته ما أسرف فيه إلى الله، فههذا لا يهديه الله إلى طريق الصواب، لا في مدلوله ولا في دليله،

ولا يوفق للصراط المستقيم، أي: وقد رأيتم ما دعا موسى إليه من الحق، وما هداه الله إلى بيانه من البراهين العقلية والخوارق السماوية، فالذي اهتدى هذا الهدى لا يمكن أن يكون مسرفاً ولا كاذباً، وهذا دليل على كمال علمه وعقله ومعرفته بربه.

ثم حدَّر قومه ونصحهم، وخوفهم عذاب الآخرة، ونهاهم عن الاغترار الملك الظاهر، فقال: ﴿ يا قوم لكم الملك اليوم ﴾ أي: في الدنيا ﴿ ظاهرين في الأرض ﴾ على رعيتكم، تنفذون فيهم ما شئتم من التدبير، فهبكم فيهم ما شئتم من التدبير، فهبكم ﴿ فَمَن ينصرنا من بأس الله ﴾ أي: وهذا من حسن عذابه ﴿إن جاءنا﴾؟ وهذا من حسن دعوته، حيث جعل الأمر مشتركاً بينه وبينهم بقوله: ﴿ وَمَنْ ينصرنا ﴾ وقوله: ﴿ وَانْ جَاءنا ﴾ ليفهمهم أنه ينصح لهم ﴿ وَانْ جَاءنا ﴾ إلى الله و الله الله ﴾ أنه ينصح لهم ﴿ وَانْ جَاءنا ﴾ إله و الله و الل

يرضى لنفسه.

ف ﴿قال فرعون﴾ معارضاً له في ذلك، ومغرراً لقومه أن يتبعوا موسى:

﴿ما أريكم إلاّ ما أرى وما أهديكم إلاّ سبيل الرشاد﴾ وصدق في قوله: ﴿ما أريكم إلا ما أرى﴾ ولكن ما الذي

كما ينصح لنفسه، ويرضى لهم ما

رأى أن يستخف قومه فيتابعوه، ليقيم بهم رياسته، ولم ير الحق معه، بل رأى الحق مع موسى، وجحد به مستيقناً له.

وكذب في قوله: ﴿ وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴾ فإن هذا قلب للحق، فلو أمرهم باتباعه اتباعاً مجرداً على كفره وضلاله، لكان الشر أهون، ولكنه أمرهم باتباعه، وزعم أن في اتباعه اتباع الحق وفي اتباع الحق، اتباع الصلال.

﴿وقال الذي آمن ﴾ مكرراً دعوة قومه، غير آيس من هدايتهم، كما هي حالة الدعاة إلى الله تعالى، لا يزالون يدعون إلى ربهم، ولا يردهم عن ذلك راد، ولا يثنيهم عتو من دعوه عن تكرار الدعوة، فقال لهم: ﴿يا قوم إنّ أخافُ عليكم مثل يوم الأحزاب ﴾ يعني

الأمم المكذبين، الذين تحزبوا على أنبيائهم، واجتمعوا على معارضتهم، وم بينهم فقال: ﴿مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم﴾أي: مثل عادتهم في الكفر والتكذيب، وعادة الله فيهم بالعقوبة العاجلة في الكنيا قبل الآخرة، ﴿وما الله يريد ظلماً للعباد﴾ فيعذبهم بغير ذنب أذنبوه، ولا جرم أسلفوه.

ولما خوفهم العقوبات الدنيوية، خوفهم العقوبات الأخروية، فقال:

إيا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد أي: يوم القيامة، حين ينادي أهل الجنة أهل النار: ﴿أَنْ قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً إلى آخر الآيات.

﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾.

وحين ينادي أهل النار مالكاً ﴿لِيقِضِ عَلَينا رَبِكُ﴾ فيقول: ﴿إِنكُم ماكثون﴾. وحين ينادون ربهم: ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فيجيبهم: ﴿اخسؤوا فيها ولا تكلمون♦. وحين يقال للمشركين: ﴿ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم♦. فخوفهم رضي الله عنه هذا اليوم المهول، وتوجع لهم أن أقاموا على شركهم بذلك، ولهذا قال: ﴿يوم تولون مدبرين أي: قد ذهب بكم إلى النار ﴿مالكم من الله من عاصم﴾ لا من أنفسكم قوة تدفعون بها عذاب الله، ولا ينصركم من دونه من أحد ﴿يوم تبلي السرائر \* فما له من قوة ولا ناصر♦.

﴿ وَمَنْ يَضِلُلُ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ لأن الهدى بيد الله تعالى، فإذا منع عبده الهدى لعلمه أنه غير لائق به، خبثه، فلا سبيل إلى هدايته.

﴿ولقد جاءكم يوسف﴾ بن يعقوب عليهما السلام من قبل إتيان موسى، بالبينات الدالة على صدقه، وأمركم بعبادة ربكم وحده لا شريك له، ﴿فها

زلتم في شك عما جاءكم به في حياته أحتى إذا هلك ازداد شككم وشرككم، و القلتم لن يبعث الله من الله من وحسبانكم الذي لا يليق بالله تعالى، فإنه تعالى لا يترك خلقه سدى، فإنه تعالى لا يترك خلقه سدى، رسله، وظن أن الله لا يرسل رسولا ظن ضلال، ولهذا قال: المخلك يضل الله من هو مسرف مرتاب وهذا يفسل الله من هو وصفهم الحقيقي الذي وصفوا به موسى ظلماً وعلوا، فهم المسرفون موسى ظلماً وعلوا، فهم المسرفون بتجاوزهم الحق وعدولهم عنه إلى الله، وكذبوا رسوله.

فالذي وصفه السرف والكذب، لأ ينفك عنهما، لا يهديه الله، ولا يوفقه للخير، لأنه رد الحق بعد أن وصل إليه وعرفه، فحرزاؤه أن يعاقبه الله، بأن يمنعه الهدى، كما قال تعالى: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ وونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ ﴿والله لا يهدي القوم الظالين﴾.

(٣٥) ثم ذكر وصف المسرف الكذاب فقال: ﴿الذين يجادلون في آيات الله ♦ التي بينت الحق من الباطل، وصارت من ظهورها م بمنزلة الشمس للبصر، فهم يجادلون فيهاعلى وضوحها، ليدفعوها ويبطلوها ﴿بغير سلطان أتاهم ﴾ أي: بغير حجة وبرهان، وهذا وصف لازم لكل مَنْ جادل في آيات الله، فإنه من المحال أن يجادل بسلطان، لأن الحق لا يعارضه معارض، فلا يمكن أن يعارض بدليل شرعي أو عقلي أصلاً، ﴿كبر﴾ ذلك القول المتضمن لرد الحق بالباطل ﴿مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا ﴾ فالله أشد بغضاً لصاحبه، لأنه تضمن التكذيب بالحق والتصديق بالباطل ونسبته إليه، وهذه أمور يشتد بغض الله لها ولمن اتصف بها، وكذلك عباده المؤمنون يمقتون على ذلك أشد المقت موافقة لربهم، وهؤلاء خواص

خلق الله تعالى، فمقتهم دليل على شناعة من مقتوه، ﴿كذلك﴾ أي: كما طبع على قلوب آل فرعون ﴿يطبع الله على كل قلب متكبر جبّارٍ ﴾ متكبر في نفسه على الحق برده وعلى الخلق باحتقارهم، جبار بكثرة ظلمه وعدوانه.

﴿وقال فرعون ﴾ معارضاً لموسى ومكذباً له في دعوته إلى الإقرار برب العالمين، الذي على العرش استوى، وعلى الخلق اعتلى: ﴿يا هامان ابن لي صرحاً ﴾ أي: بناء عظيماً مرتفعاً، والقصد منه لعلى أطلع ﴿إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا ﴾ في دعواه أن لنا رباً، وأنه فوق السماوات.

ولكنه يريد أن يحتاط فرعون، ويختبر الأمر بنفسه، قال الله تعالى في بيان الذي حمله على هذا القول: ﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله وزين له العمل السيّىء، فلم يزل الشيطان يزينه، وهو يدعو إليه وناظر مناظرة المحقين، وهو من أعظم بسبب الباطل الذي زين له. ﴿وما كيد فرعون ﴾ الذي أراد أن يكيد به الحق، ويوهم به الناس أنه عقى، وأن موسى مبطل ﴿إلاّ في تباب ﴾ أي: خسار وبوار، لا يفيده إلاّ الشقاء في اللنيا والآخرة.

﴿٣٨﴾ ﴿وقال الذي آمن﴾ معيداً نصيحته لقومه: ﴿يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد﴾ لا كما يقول لكم والفساد. ﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا مناع﴾ يتمتع بها ويتنعم قليلاً، ثم وتخدعنكم عما خلقتم له ﴿وإن الآخرة ومنزل السكون والاستقرار، فينبغي يعدل أن تؤثروها، وتعملوا لها عملاً يسعدكم فيها.

﴿مَنْ عمل سيئة﴾ من شرك أو فسوق أو عصيان ﴿فلا يجزى إلا

THE WEST OF THE PARTY OF عَالْوَا أَوْلَا نَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم مِا لَيُنِنَتُ قَالُوا بَيِّنَ قَالُواْ فَادْعُواْ وَمَادْعَنَوُا الْكَلْفِي ﴿ إِلَّا فِي صَلَالِ ﴿ إِنَّا لَنَهُمُ رُمُّ لَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي أَكْمِنَوْ وَالدُّنْبَ وَيَوْمَ يَتَقُومُ ٱلْأَمْشَهَا لُهُ ۞ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ ٱلظَّالِينَ مَعْدِرَهُمُّ أَ وَلَمْ مُؤَاللَّفَ أَنَّ وَلَمْ مُرْسُونَ الدَّارِ فَ وَلَقَدْ مَالَيْتَ الْمُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَابَىٰ إِنْ الْسِيرَاءِ بِلَ ٱلْكِنْبَ ٢٠ هُدَى وَنِكَرَوْ لِأُولِ ٱلْأَلْبُ ۞ فَأَصْبِرُ الْ وَعْدَ أَلْقِو حَقُّ وَٱسْتَغْفِرُ لِذَنِّيكَ وَسَيِّحْ يِحَمْدِ رَيِّكَ بِٱلْعَيْقِ وَٱلْإِنْكُنِّهِ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَادِلُونَ وَوَ الَّتِ ٱللَّهِ بِعَنْ يُرِسُلُطُنِ أَنْكَ هُمُّ إِن فِي صُدُودِهِمْ إِلَّا كِبْرُ مَّنَاهُ مِ بِلِغِيدُ فَأَسْ نَعِذُ بِٱللَّهِ إِنَّا لَهُ هُوَ ٱلسَّمِيمُ ٱلْمَيْدِ ٥ لَحَاقُ السَّكَوْتِ وَالْأَرْضِ أَحْبَرُمُنَّ الخناية النّايرة لكي نَ أَحْدُ ثَرَّ النّاير لايعً لَمُونَ ٥ المُ وَمَا يَسْتَهِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِيبَ ءَامَـنُواْ وَعَيِلُوا الفَهْ إِلَا مَا الْمُهَاتِ وَلَا ٱلْمُهِينَ أَهُ قِلِ لَا مَّاتَ لَا صَحَّرُونَ ٥ ON THE WAY TO SO TO WOOM

مثلها﴾ أي: لا يجازى إلا بما يسوؤه ويحزنه لأن جزاء السيئة السوء.

﴿ وَمَنْ عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى ﴾ من أعمال القلوب والجوارح، وأقوال اللسان ﴿ فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ أي: يعطون أجرهم بلا حد ولا عد، بل يعطيهم الله ما لا تبلغه أعمالهم.

﴿ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة ﴾ بما قلت لكم ﴿وتدعونني إلى النار ﴾ بترك اتباع نبي الله موسى عليه السلام. ثم فسر ذلك فقال:

وتدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم أنه يستحق أن يُعبد من دون الله، والقول على الله بلا علم من أكبر الذنوب وأقبحها، ﴿وأنا كلها، وغيره ليس بيده من الأمر شيء. ﴿الغفار﴾ الذي يسرف العباد ثم إذا تابوا وأنابوا إليه، كفر عنهم السيئات والذنوب، ودفع موجباتها من العقوبات الدنيوية والأخروية.

﴿لا جرم﴾ أي: حقاً يقيناً ﴿أَنَّمَا تَدَعُونَنِي إِلَيْهِ لِيسَ لَهُ دَعُوةً فِي الدّنيا ولا في الآخرة﴾ أي: لا يستحق من الدعوة إليه، والحث على اللجأ إليه، لا في الدنيا ولا في الآخرة، لعجزه ونقصه، وأنه لا يملك نفعاً

THE REPORT OF THE PARTY OF THE إِذَّ السَّاعَة لَآلِبَةٌ لَارْبَ فِيهَا وَلَكِنَ أَخُرُ النَّاسِ لَايُوْمِنُونَ ۞ وَقَالَ رَبُّكُوْ ٱدْعُونَ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِذَّالَّذِينَ يَسْتَكُيْرُونَ عَنْءِبَ ادَقِ سَيَدْخُلُونَ جَهَ فَرَدَاخِينَ ۞ أَمَدُ الَّذِي جَمَلَ لَكُمُ الَّيْلَ لِتَسْتُ وُافِيهِ وَالنَّهَ ارْمُنْصِدًا إِنَّ اللَّهَ لَذُوفَضْل عَلَ ٱلنَّاسِ وَلَلِكِنَّ أَحُمَّرَّ ٱلنَّاسِ لَا يَشْحُرُونَ ۞ نَالِحُهُ ٱللَّهُ رَبُّكُو خَلِقُ كُلِ شَيْءِ لَّا إِلَّهَ إِلَّا هُوَّمَا أَنَّ تُوْفَكُونَ ۞ كَذَٰ لِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِعَايَتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَسَلَا وَالسَّعَلَة بِسَاءً وَصَوَرَكُمْ فَأَحْسُنَ مُورَكُمُ وَرَنَقَكُمْ مِنَ ٱلطَّيْبَاتِ ذَالِكُواللَّهُ رَبُّكُمُ مُنْسَارَكَ ٱللَّهُ زَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ۞ هُوَالْحَقُ لَآ إِلَّهَ إِلَّاهُوَفَأَدَّعُوهُ مُعْلِصِينَ لَهُ الدِّيثُ ٱلْحَمَّادُيَّةِ وَيَبِ الْعَالَمِينَ ۞ • قُلْ إِنِّي نَهِيتُ أَنَّ أَعْبُدَ ٱلَّذِيرَ لَدْعُوبَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَلَّجَلَّةِ فِي الْبِيَنَتُ مِن زَنِي وَأُمِرُتُ أَنْ أُسْلِرُ لِنِ الْمَالِمِينَ ۞ TORONOU IVI BONGEO

ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة، ولا نشوراً.

﴿ وأن مردنا إلى الله تعالى فسيجازي كل عامل بعمله. ﴿ وأن السرفين هم اصحاب النار ﴾ وهم الذين أسرفوا على أنفسهم بالتجرُّو(١) على ربهم، بمعاصيه والكفر به، دون غيرهم.

فلما نصحهم وحذرهم وأندرهم، ولم يطيعوه ولا وافقوه، قال لهم: فستذكرون ما أقول لكم كه من هذه النصيحة، وسترون مغبة عدم قبولها حين يحل بكم العقاب، وتحرمون جزيل الثواب.

برين برياب بريال الله أي: ألجأ إليه وأعتصم، وألقي أموري كلها لديه، وأتوكل عليه في مصالحي ودفع الضرر الذي يصيبني منكم أو من غيركم. ﴿إن الله بصير بالعباد﴾ يعلم أحوالهم وما يستحقون، يعلم حالي وضعفي فيمنعني منكم ويكفيني شركم، ويعلم أحوالكم فلا تتصرفون إلا بإرادته ومشيئته، فإن سلطكم علي، فبحكمة منه تعالى، وعن إرادته ومشيئته صدر ذلك.

﴿ فوقاه الله سينات ما مكروا﴾ أي: وقى الله القوتي الرحيم، ذلك الرجل المؤمن الموفق، عقوبات ما مكر فرعون

وآله له، من إرادة إهلاكه وإتلافه، لأنه بادأهم بما يكرهون، وأظهر لهم المواققة التامة لموسى عليه السلام، ودعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى، وهذا أمر لا يحتملونه، وهم الذين لهم حنقهم عليه، فأرادوا به كيداً، فحمفظه الله من كيدهم ومكرهم وانقلب كيدهم ومكرهم وانقلب كيدهم ومكرهم، على المذاب أغرقهم الله تعالى في صبيحة العذاب أخرهم المذاب أغرقهم الله تعالى في صبيحة واحدة عن آخرهم.

وفي البرزخ ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشينا ويوم تقوم الساعة أذخِلُوا الله فرعون أشد المعداب ﴾ فهده المعقوبات الشنيعة ، التي تحل بالمكذبين لرسل الله ، المعاندين لأمره .

﴿ ٤٧ ـ ٥٠﴾ ﴿وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار \* قال الذين استكبروا إنا كلّ فيها إن الله قد حكم بين المباد \* وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب \* قالوا أولم ا تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلي قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ يخبر تعالى عن تخاصم أهل النار، وعتاب بعضهم بعضاً، واستغاثتهم بخزنة النار، وعدم الفائدة في ذلك فقال: ﴿وإذ يتحاجون ني النارم يحتج التابعون بإغواء المتبوعين، ويتبرأ المتبوعونُ من التابعين، ﴿فيقول الضعفاء ﴾ أي: الأتباع للقادة ﴿للذين استكبروا﴾ على الحق، ودعوهم إلى ما استكبروا لأجله. ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبِعاً﴾ أنتم أغويتمونا وأضللتمونا وزينتم لنا الشرك والشر، ﴿فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار ﴿ أَي : ولو قليلاً .

﴿قال الذين استكبروا ، مبينين لعجزهم ونفوذ الحكم الإلهي في الجميع: ﴿إِنَّا كُلُّ فِيهَا إِنْ اللَّهُ قَدْ حَكُم بِينَ الْعَبَاد ﴾ وجعل لكل قسطه من العذاب، فلا يزاد في ذلك ولا ينقص

منه، ولا يغير ما حكم به الحكيم.

﴿ وقال الذين في النار من المستكبرين والضعفاء ﴿ لخزنة جهتم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب ﴾ لعله تحصل بعض الراحة، ف ﴿ قالوا ﴾ لهم موبخين ومبينين أن شفاعتهم لا تنفعهم، ودعاءهم لا يفيدهم شيئاً: ﴿ أولم تك تأتيكم والصراط المستقيم، وما يقرب من الله وما يبعد منه؟

﴿قالوا بلى ﴾ قد جاؤونا بالبينات، وقامت علينا حجة الله البالغة، فظلمنا وعاندنا الحق بعدمًا تبين. ﴿قالوا ﴾ أي: الخزنة، لأهل النار، متبرئين من الدعاء لهم والشفاعة: ﴿فادعوا ﴾ أنتم ولكن هذا الدعاء، هل يغني شيئاً أم

قال تعالى: ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ أي: باطل لاغ، لأن الكفر محبط لجميع الأعمال، صاد لإجابة الدعاء.

والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد \* يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار لل ذكر عقوبة آل فرعون في الدنيا، والبرزخ، ويوم القيامة، وذكر حالة أهل النار الفظيعة، الذين نابذوا رسله وحاربوهم، قال: ﴿إِنَّا لَنْنَصْر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ﴾ أي: بالحجة والبرهان والنصر، وفي الآخرة بالحكم لهم، ولأتباعهم بالثواب، ولمن حاربهم بشدة العقاب.

﴿ يوم لا يتفع الظالمين معذرتهم ﴾ حين يعتذرون ﴿ ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ أي: الدار السيئة التي تسوء نازلها.

﴿ ٥٣\_٥٥﴾ ﴿ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب \* هدى وذكرى لأولي الألباب \* فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار ﴾ لا ذكر

ما جرى لموسى وفرعون، وما آل إليه أمر فرعون وجنوده، ثم ذكر الحكم العام الشامل له ولأهل النار، ذكر أنه أعطى موسى ﴿الهدى﴾ أي: الآيات، والعلم الذي يهتدي به المهتدون. ﴿وأورثنا بني إسرائيل الكتاب﴾ أي: جعلناه متوارثاً بينهم، من قرن إلى آخر، وهو التوراة، وذلك الكتاب مشتمل على الهدى الذي هو العلم بالأحكام الشرعية وغيرها، وعلى التذكر للخير بالترغيب فيه، وعن الشر بالترهيب عنه، وليس ذلك لكل أحد، وإنما هو ﴿لأولى الألبابِ﴾ .

﴿فاصبر﴾ يا أيها الرسول كما صبر من قبلك من أولى العزم المرسلين. ﴿إِنَّ وعد الله حق﴾ أي: ليس مشكوكاً فيه، أو فيه ريب أو كذب، حتى يعسر عليك الصبر، وإنما هو الحق المحض، والهدى الصرف، الذي يصبر عليه الصابرون، ويجتهد في التمسك به أهل البصائر .

فقوله: ﴿إِن وعد الله حق﴾ من الأسباب التي تحث على الصبر على طاعة الله وعنّ ما يكره الله.

﴿واستغفر لذنبك المانع لك من تحصيل فوزك وسعادتك، فأمره بالصبر الذي فيه يحصل المحبوب، وبالاستغفار الذي فيه دفع المحذور، وبالتسبيح بحمد الله تعالى خصوصاً ﴿بالعشى والإبكار﴾ اللذين هما أفضل الأوقات، وفيهما من الأوراد والوظائف الواجبة والمستحبة ما فيهما، لأن في ذلك عوناً على جميع الأمور .

﴿٥٦﴾ ﴿إِن اللَّذِينَ يُجَادِلُونَ فَي آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذُّ بالله إنه هو السميع البصير ﴾ يخبر تعالى أن مَنْ جادل في آياته ليبطلها بالباطل، بغير بينة من أمره ولا حجة، إن هذا صادر من كبر في صدورهم على الحق وعلى مَنْ جاء به، يريدون الاستعلاء عليه بما معهم من الباطل، فهذا قصدهم ومرادهم.

ولكن هذا لا يتم لهم، وليسوا ببالغيه، فهذا نص صريح، وبشارة، بأن كل مَنْ جادل الحق أنه مغلوب، وكل مَنْ تكبّر عليه فهو في نهايته ذليل. ﴿فاستعذ﴾ أي: اعتصم والجأ ﴿بالله للله ولم يذكر ما يستعيذ، إرادة للعموم. أي: استعذبالله من الكِبُر الذي يوجب التكبُّر على الحق، واستعذ بالله من شياطين الإنس والجن، واستعذبالله من جميع الشرور .

﴿إنه هو السميعَ ﴾ لجميع الأصوات على اختلافها، ﴿البصيرِ ﴾ بجميع المرتيات، بأي: محل وموضع وزمان

﴿ ٥٧\_٥٩ ﴿ لَلَّمُ السَّمَاواتِ والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون \* وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا المسالحات ولاالمسيء قبليلاً ما تتذكرون \* إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ يخبر تعالى بما تقرر في العقول، أن خلق السماوات والأرض -على عظمهما وسعتهما \_أعظم وأكبر من خلق الناس، فإن الناس بالنسبة إلى خلق السماوات والأرض من أصغر ما يكون فالذي خلق الأجرام العظيمة وأتقنها، قادر على إعادة الناس بعد موتهم من باب أولى وأحرى. وهذا أحد الأدلة العقلية الدالة على البعث دلالة قاطعة بمجرد نظر العاقل إليها يستدل بها استدلالاً لا يقبل الشك والشبهة بوقوع ما أخبرت به الرسل من البعث. وليس كل أحد يجعل فكره لذلك

ويقبل بتدبره، ولهذا قال: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ولذلك لا يعتبرون بذلك، ولا يجعلونه منهم على بال، ثم قال تعالى:

وما يستوى الأعمى والبصير والبذيس آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء﴾ أي: كما لا يستوى الأعمى والبصير، كذلك لا يستوي مَنْ آمن بالله وعمل الصالحات، ومَنْ

هُ وَالَّذِي خَلَقَكُ مِنْ ثُرَّابِ ثُدِّين نُطْفَةِ فُرَّينْ عَلَقَكَةٍ ثُمَّغُ خُمُ ولِفَلَاثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُهَّكُمُ فَرُ لِتَكُوفُا ا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُوَفِّ مِن قَبِلُ وَلَتَ لُغُوًّا لَجَلًا مُّسَتَّى وَلَعَلَّكُمُ مَّعَقِلُونَ ۞ هُوَّٱلَّذِي يَحْيِء وَيُتُ فَإِذَا فَضَىٰ أَمْرُ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَكُونُ ۞ أَلْتِرْزَ إِلَى الَّذِينَ يُجِدَادِ لُونَ فِي تَالِنتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ ۞ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِنْبِ وَمِمَا أَرْسَلْنَابِهِ ورُسُلَنَّا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ إِذِ ٱلْأَغْلَالُ فِتَ أَعْنَقِهِ وَالسَّلَيلُ إِنْسُحُونَ ۞ فِٱلْحَيْدِ وِثُغَرِّ فِٱلْنَارِيُسُّ جَدُرُونَ ۞ ثُمُّ فَلَلْكُمُ أَنَّ مَاكُنتُهُ وَتُشْرِكُونَ ۞ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُواْضَالُواْ عَنَابَلِ لَرْنَكُنْ نَدْعُوا مِن قَبَلُ شَيْثًا كَذَٰ لِكَ يُضِأَلَقَهُ ٱلكَّفِينَ ۞ ذَائِكُ مِ يَمَاكُتُ مُ فَفَرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِعَيْرِالْحَقِّ وَيَمَاكُمُ أَمُّ تَتَرَجُونَ ۞ ٱدْعُلُواْ أَيْوَبَجَهَنَّهُ خَلِادِينَ فِيمًّا فِيلُسَ مَثْوَى ٱلْمُنَكِيِّينَ ۞ فَأَصْيِرُانَ وَعَدَالْقَوَحَقُّ فَإِمَّا لُرِينَكَ إِنَّهُم بَعْضَ ٱلَّذِي نَمِيدُهُمُ مَّ أَوْتَتَوَفِّيتَكَ فَإِلَّنَكَ أِرْبَحَوُنَ ۞ ON TOP IVO MODERA

كان مستكبراً على عبادة ربه، مقدماً على معاصيه، ساعياً في مساخطه، ﴿قليلا ما تتذكرون أي: تذكركم قليل(١١)، وإلاً، فلو تذكرتم مراتب الأمور، ومنازل الخير والشر، والفرق بين الأبرار والفجار، وكانت لكم همة عليّة، لآثرتم النافع على الضار، والهدى على الضلال، والسعادة الدائمة على الدنيا الفانية.

﴿٥٩﴾ ﴿إن الساعة لآتية لا ريب فيها﴾ قد أخبرت بها الرسل الذين هم أصدق الخلق ونطقت بها الكتب السماوية، التي جميع أخبارها أعلى مراتب الصدق، وقامت عليها الشواهد المرئية والآيات الأفقية. ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون كم مع هذه الأمور، التي توجب كمال التصديق والإذعان. و ٦٠٠ ﴿ وقسال ربسكسم ادعسوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين، هذا من لطفه بعباده ونعمته العظيمة، حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه دعاء العبادة ودعاء المسألة، ووعدهم أن يستجيب لهم، وتوعد من استكبر عنها فقال: ﴿إِنَّ اللَّهِينِ يستكبرون عن عبادت سيدخلون جهنم داخرين، أي: ذليلين حقيرين، يجتمع عليهم العذاب

DE LEGIE CHEMINE REC وَلَقَدُ أَرْسَلُنَارُسُ لَا قِن فَيْلِكَ مِنْهُدِمْن قَصَصْنَا عَلَيْك وَمِنْهُمْ مِنْ لَوْ فَقَصُ مَ كَلِمَكُ فَيَاكَ ثُومَاكَ اذْ لِرَسُولِ أَنْ يَأْلِنَ يِثَانِهِ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ فَإِذَا جَاءً أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْكُنَّ وَخَيسَ هُذَاكِ ٱلْبُعْلِلُونَ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَسَكُمُ ٱلْأَفَاكَة لِتَرْكَبُواْمِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَلَكُمْ فِيهَا متنفغ ولتتلغوا عليها حاحكة في صدويكم وعَليْها وَعَلَ ٱلْفُلُكِ تُحْمَلُونَ ۞ وَيُرِيكُمْ ۚ النِّيمِ فَأَىَّ الِنِّ اللَّهُ شُكِرُونَ ۞ أَلَمَّ يَسِيرُواْسِهِ ٱلْأَرْضِ فِيَظُرُواْكِيْنَ كَانَ عَلَقِبَهُ ٱلَّذِيرَ مِن قَبْلِهِ مُرَاقُوا أَكْ ثَرَهِ مُنْهُمْ وَإِنْ لَيْ قُوَّةً وَمَاكَلًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمِ مَا كَافُواْ يَكْمِـبُونَ ۞ فَكُنَّاجَآءَتُهُ مُرْدُسُلُهُ مِ إِلْبَيْنَاتِ فَرِجُواْبِ عَاعِن كَافُر

TO TO TO THE TOTAL THE TOTAL TO THE TOTAL TOTAL TO THE TH والإهانة، جزاء على استكبارهم.

يْنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَافُواْ بِدِينَــَتَهْ يَوْونَ ۞ فَلَنَّا

رَأُوْا بَأْسَنَا قَالُواْ ءَامَنَكَا بِاللَّهِ وَحَدَمُ وَكُفَرْنَا بِمَا كَتَابِهِ مُشْرِكِينَ

@ فَلَرْيَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَنْهُمْ لَمَا رَأُواْ بَأَسَنَأْ مُسُنَّتَ اللَّهِ

الْقِي قَدْخَلَتْ فِي عِبَ الدُّوء وَخَسِرَ هُمَالِكَ الْكَهْرُونَ ٥

﴿ ٦١ ـ ٦٥﴾ ﴿الله السذي جسعسل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا

إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر

الناس لا يشكرون \* ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأني تؤفكون \* كذلك يؤفك الذين كانوا

بآيات الله يجحدون \* الله الذي جعل لكم الأرض قبرارأ والسماء بسناء

وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين \* هو الحي لا إله إلا هو

فادعوه مخلصين له الدينَ الحمد لله رب العالمين ♦ تدبر هذه الآيات الكريمات، الدالة على سعة رحمة الله تعالى وجزيل

فضله، ووجوب شكره، وكمال قدرته، وعظيم سلطانه، وسعة ملكه، وعموم خلقه لجميع الأشياء، وكمال

حياته، واتصافه بالحمدعلي كل ما اتصف به من الصفات الكاملة، وما فعله من الأفعال الحسنة، وتمام ربوبيته وانفراده فيها، وأن جميع التدبير في

العالم العلوي والسفلي في ماضي الأوقأت وحاضرها ومستقبلها بيد الله تعالى، ليس لأحد من الأمر شيء، ولا من القدرة شيء، فينتج من ذلك، أنه تعالى المألوه المعبود وحده، الذي لا يستحق أحد من العبودية شيئاً، كما

لم يستحق من الربوبيه شيئاً، وينتج من

ذلك، امتلاء القلوب بمعرفة الله تعالى

ومحبشه وخوفه ورجائه، وهذان الأمران ـوهما معرفته وعبادته \_هما اللذان خلق الله الخلق لأجلهما، وهما الغاية المقصودة منه تعالى لعباده، وهما الموصلان إلى كل خير وفلاح وصلاح،

وسعادة دنيوية وأخروية، وهما اللذان هما أشرف عطايا الكريم لعباده، وهما أشرف اللذات على الإطلاق، وهما اللذان إن فاتا فات كل خير وحضر كل فنسأله تعالى أن يملأ قلوبنا بمعرفته

ومحبته، وأن يجعل حركاتنا الباطنة والظاهرة خالصة لوجهه، تابعة لأمره، إنه لا يتعاظمه سؤال، ولا يحفيه فقوله تعالى: ﴿ الله الذي جعل لكم الليل﴾ أي: لأجلكم جعل الله الليل يراكم من أحدثم انصرفوا صرف الله مظلماً، ﴿لتسكنوافيه ﴾ من قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾.

حركاتكم، التي لو استمرت لضرت، فتأوون إلى فرشكم، ويُلقى الله عليكم النوم الذي يستريح به القلب والبدن، وهو من ضروريات الآدمي لا يعيش بدونه، ويسكن أيضاً، كلّ حبيب إلى حبيبه، ويجتمع الفكر، وتقل الشواغل.

﴿وَ حِعلِ تَعالَى ﴿النَّهَارِ مِبْصِراً ﴾ منيراً بالشمس المستمرة في الفلك، فتقومون من فرشكم إلى أشغالكم الدينية والدنيوية، هذا لذكره وقراءته، وهذا لصلاته، وهذا لطلبه العلم ودراسته، وهذا لبيعه وشرائه، وهذا لبنائه أو حدادته، أو نحوها من الصناعات، وهذا لسفره برأ وبحرأ، وهذا لفلاحته، وهذا لتصليح حيواناته.

﴿إِنَّ الله لذو فضل ﴾ أي: عظيم، كما يدل عليه التنكير ﴿على الناس﴾. حيث أنعم عليهم بهذه النُّعَم وغيرها، وصرف عنهم النقم، وهذا يوجب عليهم تمام شكره وذكره، ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ بسبب جهلهم وظلمهم. ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ الذين يقرون بنعمة رجم، ويخضعون لله ويحبونه، ويصرفونها في

طاعة مولاهم ورضاه.

﴿ ذَلَكُم ﴾ الذي فعل ما فعل ﴿ الله ربكم اي: المنفرد بالإلهية، والمنفرد بالربوبية، لأن انفراده بهذه النَّعَم من ربوبيته، وإيجاما للشكر من ألوهيته، ﴿لا إله إلا هو﴾ تقرير أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، ﴿خالق كل شيء ♦ تقرير لربوبيته.

ثم صرَّح بالأمر بعبادته فقال: ﴿ فَأَنَّى بَوْفَكُونَ ﴾ أي: كيف تصرفون عن عبادته وحده لا شريك له، بعدما أبان لكم الدليل وأنار لكم السبيل؟!!

 كانوا
 كانوا بآيات الله يجحدون اي: عقوبة على جحدهم لآيات الله، وتعديهم على رسله، صرفوا عن التوحيد والإخلاص، كما قال تعالى: ﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل

﴿ الله اللذي جعل لكم الأرض قراراً ﴾ أي: قارة ساكنة، مهيأة لكل مصالحكم، تتمكنون من حرثها وغرسها والبناء عليها، والسفر والإقامة فيها.

﴿والسماء بناء﴾ سقفاً للأرض التي أنتم فيها، قد جعل الله فيها ما تنتفعون به من الأنوار والعلامات التي يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ﴿وصوركم فأحسن صوركم فليس في جنس الحيوانات أحسن صورة من بنَّي آدم، كما قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم).

وإذا أردت أن تعرف حسن الآدمي وكمال حكمة الله تعالى فيه، فانظر إليه عضواً عضواً، هل تجد عضواً من أعضائه يليق به ويصلح أن يكون في غير محله؟ وانظر أيضاً ، إلى الميل الذي في القلوب بعضهم لبعض، هل تجد ذلك في غير الآدميين؟ وانظر إلى ما خصه الله به من العقل والإيمان، والمحبة والمعرفة، التي هي أحسن الأخلاق المناسبة لأجمل الصور .

﴿ورزقكم من الطيبات﴾ وهذا شامل لكل طيب، من مأكل،

ومشرب، ومنكح، وملبس، ومنظر، ومسمع، وغير ذلك من الطيبات التي يسرها الله لعباده، ويسر لهم أسبابها، وتنضر أبدانهم وقلوبهم وأديانهم، وذلكم الذي دبر الأصور وأنعم عليكم بهذه النعم ﴿الله ربكم ﴾ وفتبارك الله رب العالمين أي: تعاظم وكثر خيره وإحسانه، المربي جميع العالمين بنعمه.

﴿هو الحي﴾ الذي له الحياة الكاملة التامة، المستلزمة لما تستلزمه من صفاته المذاتية، التي لا تتم حياته إلا بها، كالسمع، والبصر، والقدرة، والعلم، والكلام، وغير ذلك من صفات كماله ونعوت جلاله.

﴿لا إله إلا هو﴾ أي: لا معبود بحق إلا وجهه الكريم. ﴿فادعوه﴾ وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة ﴿خلصين له الدين﴾ أي: اقصدوا بكل عبادة ودعاء وعمل وجه الله تعالى، فإن الإخلاص هو المأمور به، كما قال تعالى: ﴿وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله خلصين له الدين حنفاء﴾.

﴿ الحسمد لله رب السمالمين ﴾ أي: جميع المحامد والمدائح والثناء، بالقول كنطق الحلق بذكره، والفعل، كعبادتهم له، كل ذلك ' لله تعالى وحده لا شريك له، لكماله في أوصافه وأفعاله، وتمام

فاعبد الندين تدعون من دون الله لما النين تدعون من دون الله لما جاءي البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين \* هو الذي خلقكم من يحرب ثم من نطفة ثم من علقة ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من تعقلون \* هو الذي يحيي ويميت فإذا تعملون \* هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون له وحده، وذكر الأدلة على ذلك والبينات، صرح وذكر الأدلة على ذلك والبينات، صرح بالنهي عن عبادة ما سواه فقال: ﴿قل النبي ﴿إني نهيت أن أعبد الذين

تدعون من دون الله من الأوثان والأصنام، وكل ما عُبد من دون الله.

ولست على شك من أمري، بل على يقين وبصيرة، ولهذا قال: ﴿ لما جاءنِ البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين بقلبي ولساني وجوارحي، بحيث تكون منقادة لطاعته، مستسلمة لأمره، وهذا أعظم مأمور به على الإطلاق، كما أن النهى عن عبادة ما سواه أعظم مَنْهيِّ عنه على الإطلاق، ثم قرر هذا التوحيد بأنه الخالق لكم، والمطور لخلقتكم، فكما خلقكم وحده فاعبدوه وحده، فقال: ﴿هو الذي خلقكم من تراب﴾ وذلك بخلقه أصلكم وأبيكم آدم عليه السلام. ﴿ثُم من نطفة ﴾ وهذا ابتداء خلق سائر النوع الإنساني ما دام في بطن أمه، فنبه بالابتداء على بقية الأطوار، من العلقة، فالمضغة، فالعظام، فنفخ الروح، ﴿ثُمُّ يخرجكم طفلاً ﴾ ثم هكذا تنتقلون في الخلقة الإلهية حتى تبلغوا أشدّكم من قوة العقل والبدن، وجميع قواه الظاهرة والباطنة . ﴿ثم لتكونوا تَشيوخاً ومنكم مَن يتوفي من قبل، بلوغ الأشد ﴿ولتبلغوا﴾ بهذه الأطوار المقدرة إلى أجل مسمى تنتهى عنده أعماركم. ﴿ولعلكم تعقلون احبوالكم، فتعلمون أن المطور لكم في هذه الأطوار كامل الاقتدار، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلاّ له، وأنكم ناقصونّ من كل وجه.

﴿هو الذي يحيي ويميت ﴾ أي: هو المنفرد بالإحياء والإماتة، فلا تحوت نفس بسبب أو بغير سبب، إلا بإذنه. ﴿وما يعمّر من معمّر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسر ﴾.

﴿فَإِذَا قَضَى أَمراً﴾ جليلاً أو حقيراً ﴿فَإِنَما يَقُولُ له كن فيكون﴾ لا رد في ذلك، ولا مُتنوية، ولا تمنع.

﴿٦٩ ــ ٧٦﴾ ﴿أَلَمْ تَسَرُ إِلَى السَّذِينِ عَادَلُونَ فِي آياتَ اللهُ أَنَى يصرفون \* الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون \* إذ الأغلال في

أعناقهم والسلاسل يسحبون \* في الحميم ثم في النار يسجرون \* ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون \* من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً كذلك يضل ألله الكافرين \* ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون \* ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبنس مثوي المتكبرين، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِّينَ يَجَادُلُونَ في آيات الله﴾ الواضحة البينة متعجباً من حالهم الشنيعة . ﴿ أَنِّي يُصْرَفُونَ ﴾ أي: كيف ينعدلون عنها؟ وإلى أي: شيء يذهبون بعد البيان التام؟ هل يجدون آيات بيّنات تعارض آيات الله؟ لا والله. أم يجدون شبهاً توافق أهبواءهم، وينصولون بها لأجل باطلهم؟ فبئس ما استبدلوا واختاروا لأنفسهم بتكذيبهم بالكتاب الذي جاءهم من الله، وبما أرسل الله به رسله، الذين هم خير الخلق وأصدقهم، وأعظمهم عقولاً، فهؤلاء لا جزاء لهم سوى النار الحامية، ولهذا توعدهم الله بعذابها فقال: ﴿فسوف يعلمون \* إذ الأغلال في أعناقهم > التي لا يستطيعون معها حركة. ﴿والسلاسل﴾ التي يقرنون بها هم وشياطينهم ﴿يسحبون \* في الحميم ﴾ أي: الماء الذي اشتد غليانه وحره. ﴿ثم في النار يسجرون﴾ يوقد عليهم اللهب العظيم فيصلون بها، ثم يوبخون على شركهم وكذبهم.

ويقال ﴿لهم أين ما كنتم تشركون \* من دون الله هل نفعوكم أو دفعوا عنكم بعض العذاب؟ ﴿قالوا ضلوا عنا اي: غابوا ولم يحضروا، ولو حضروا لم ينفعوا، ثم إنهم أنكروا فقالوا: ﴿بل لم نكن ندعو من قبل شيئا ﴾ يحتمل أن مرادهم بذلك الإنكار، وظنوا أنه ينفعهم ويفيدهم، ويحتمل وهو الأظهر أن مرادهم بذلك الإقرار على بطلان إلهية ما كانوا يعبدون، وأنه ليس لله شريك في بعبادة معدوم الإلهية، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿كذلك ينضل الله قشرك الله الله الله الله الله

الكافرين أي: كذلك الضلال الذي كانوا عليه في الدنيا، الضلال الواضح لكل أحد، حتى إنهم بأنفسهم يقرون ببطلانه يوم القيامة، ويتبين لهم معنى قوله تعالى: ﴿وما يتبع الذين يدعون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم ﴿ومَنْ أَصْل محن يدعو من دون الله مَنْ أَصْل محن يدعو من دون الله مَنْ الآيات. "

ويقال لأهل النار ﴿ ذلكم ﴾ العذاب الذي نوع عليكم ﴿ بِما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون أي: تفرحون بالباطل الذي انتم عليه، وبالعلوم التي خالفتم بها علوم الرسل وتمرحون على عباد الله، بغياً وعدواناً وظلماً وعصياناً، كما قال تعالى في آخر هذه السورة: ﴿ فلما عندهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ﴾.

وكسما قسال قسوم قسارون لسه: ﴿لا تفرح إن الله لا يجب الفرحين﴾.

وهذا هو الفرح المذموم الموجب للعقاب، بخلاف الفرح المدوح الذي قال الله فيه: ﴿قُلْ بَفْضُلُ اللهُ وبرحته فبذلك فليفرحوا﴾ وهو الفرح بالعلم النافع والعمل الصالح.

﴿ادخلوا أبواب جهنم > كل بطبقة من طبقاتها على قدر عمله. ﴿خالدين فيها > لا يخرجون منها أبداً ﴿فبئس مثوى يخزون فيه ويهانون ويحبسون ويعذبون ويترددون بين حرها وزمهريرها.

(٧٧) ﴿ فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون أي : ﴿ فاصبر ﴾ يا أيها الرسول على دعوة قومك وما ينالك منهم من أذى ، واستعن على صبرك بإيمانك ﴿ إن وعد الله حق ﴾ سينصر دينه ، ويُعلي والآخرة ، واستعن على ذلك أيضاً ، بتوقع العقوبة بأعدائك في الدنيا بتوقع العقوبة بأعدائك في الدنيا

والآخرة، ولهذا قال: ﴿ فَإِما نرينك بعض الذي تعدهم ﴾ في الدنيا فذاك ﴿ أو نتوفينك ﴾ قبل عقوبتهم ﴿ فَإِلَينا يرجعون ﴾ فنجازيم بأعمالهم، ﴿ فلا تحسبن الله غافلاً عمّا يعمل الظالمون ﴾ . ثم سلاً، وصبَّر، بذكر إخوانه المرسلين فقال:

﴿٧٨﴾ ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن ياتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك البطلون﴾ أى: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً﴾ كثيرين إلى قومهم، يدعونهم ويصبرون على أذاهم. ﴿منهم مَنْ قصصنا عليك﴾ خبرهم ﴿ومنهم من لم نقصص عليك﴾. وكل الرسل مدبرون، ليس بيدهم شيء من الأمر.

وما كان لأحدِ منهم ﴿أَنْ يَأْتُ بِآيَةٍ﴾ من الآيات السمعية والعقلية ﴿إِلاَّ بإذن الله أي: بمشيئته وأمره، فاقتراح المقترح على الرسل الإتيان بالأيات، ظلم منهم وتعنت وتكذيب، بعد أن أيدهم الله بالآيات الدالة على صدقهم وصحة ما جاؤوا به. ﴿فإذا جاء أمر الله بالفصل بين الرسل وأعدائهم، والفتح. ﴿قُضِي﴾ بينهم ﴿بالحق﴾ الذي يقع الموقع، ويوافق الصواب بإنجاء الرسل وأتباعهم، وإهلاك المكذبين، ولهذا قال: ﴿وخسر هنالك﴾ أي: وقت القضاء المذكور ﴿المبطلون﴾ الذين وصفهم الباطل، وما جاؤوا به من العلم والعمل باطل، وغايتهم المقصودة لهم باطلة، فَلْيَحْذُر هؤلاء المخاطبون أن يستمروا على باطلهم فيخسروا كما خسر أولئك، فإن هؤلاء لا خير منهم، ولا لهم براءة في الكتب بالنجاة .

﴿٧٩ ـ ٧٩﴾ ﴿الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون \* ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون \* ويريكم آياته فأي: آيات الله

تنكرون كيمتن تعالى على عباده بما جعل لهم من الأنعام التي بها جملة من الإنعام:

منها: منافع الركوب عليها والحمل.

ومنها: منافع الأكل من لحومها والشرب من ألبانها.

ومنها: منافع الدفء، واتخاذ الآلات والأمتعة من أصوافها وأوبارها وأشعارها، إلى غير ذلك من المنافع.

﴿ ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم ﴾ من الوصول إلى الأوطان البعيدة، وحصول السرور بها، والفرح عند أهلها. ﴿ وعليها وعلى الفُلْكِ تُحَمَّلُونَ ﴾ أي: على الرواحل البرية والفلك البحرية يحملكم الله الذي سخرها وهيا لها ما هيا من الأسباب التي لا تتم إلا بها.

﴿ ويريكم آياته ﴾ الدالة على وحدانيته و أسمائه وصفاته، وهذا من أكبر يُعَمِهِ، حيث أشهد عباده آياته النفسية، ويَعَمَهِ الباهرة، وعددها عليهم، ليعرفوه ويذكروه.

﴿فَأَيُّ آيات الله تنكرون اي: أي قمن آياته لا تعترفون بها؟ فإنكم قد تقرر عندكم ، أن جميع الآيات والنمَمْ منه تعالى، فلم يبق للإنكار على ، ولا للإعراض عنها موضع ، بل أوجبت لذوي الألباب بذل الجهد، واستفراغ الوسع ، للاجتهاد في طاعته والتبتل في خدمته والانقطاع إله .

(۸۷ – ۸۸) ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون \* فلما جاءتهم رسلهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون \* فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين \* فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا في عباده وخسر هنالك

الكافرون ﴾ يحث تعالى المكذبين لرسولهم على السير في الأرض بأبدانهم وقلوبهم وسؤال العالمين. ﴿فينظروا ﴾ نظر فكر واستدلال، لا نظر غفلة وإهمال.

﴿ كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ من الأمم السالفة، كعاد وثمود وغيرهم، بمن كانوا أعظم منهم قوةً وأكثر أموالاً وأشد آثاراً في الأرض من الأبنية الحصينة، والغراس الأنيقة، والزروع الكثيرة ﴿فما أغني عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ حين جاءهم أمر الله، فلم تغن عنهم قوتهم، ولا افتدوا بأموالهم، ولا تحصنوا بحصونهم.

ثم ذكر جرمهم الكبير فقال: ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات، من الكتب الإلهية، والخوارق العظيمة، والعلم النافع المبين، للهدى من الضلال، والحق من الباطل ﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾ المناقض لدين الرسل.

ومن المعلوم، أن فرحهم به يدل على شدة رضاهم به وتمسكهم، ومعاداة الحق الذي جاءت به الرسل، وجعل باطلهم حقاً، وهذا عام لجميع العلوم التي نوقض بها ما جاءت به الرسل، ومن أحقها بالدخول في هذا، علوم الفلسفة، والمنطق اليوناني، الذي رُدَّتُ به كثير من آيات القرآن، ونقصت قدره في القلوب، وجعلت أدلته اليقينية القّاطعة أدلة لفظية لا تفيد شيئاً من اليقين، ويقدم عليها عقول أهل السفه والباطل، وهذا من أعظم الإلحاد في آيات الله والمعارضة لها والمناقضة فالله

﴿وحاق بهم﴾ أي: نزل﴿ما كانوا به يستهزؤون من العذاب. ﴿فلما رأوا بأسنا ﴾ أي: عذابنا، أقروا حيث لا ينفعهم الإقرار ﴿قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين، من الأصنام والأوثان، وتبرأنا من كل ما خالف الرسل من علم أو عمل.

﴿ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا

بأسنا﴾ أي: في تلك الحال، وهذه ﴿سُنَّةُ اللهِ وعاَّدتُه ﴿التَّي خَلْتُ فَي عباده ﴾ أن المكذبين حين ينزل بهم بأس الله وعقابه إذا آمنوا، كان إيمانهم غير صحيح، ولا منجياً لهم من العذاب، وذلك لأنه إيمان ضرورة قد اضطروا إليه، وإيمان مشاهدة، وإنما الإيمان النافع الذي ينجى صاحبه، هو الإيمان الاختياري، الذي يكون إيماناً بالغيب، وذلك قبل وجود قرائن العذاب.

﴿وخسر هنالك ﴾ أي: وقت الإهلاك وإذاقة البأس ﴿الْكَافِرُونِ﴾ دينهم ودنياهم وأخراهم، ولا يكفي مجرد الخسارة في تلك الدار، بل لا بد من خسران يشقى في العذاب الشديد، والخلود فيه، دائمًا أبداً.

تم تفسير سورة المؤمن بحمد الله ولطفه ومعونته، لا بحولنا وقوتنا، فله الشكر والثناء

## تفسیر سورة فصلت<sup>(۱)</sup> مكبسة

﴿ ١ ـ ٨ ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم حَم \* تنزيل من الرحمن الرحيم \* كتأب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون \* بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون \* وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون \* قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلى أنما إلهكم إله واحد \* فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين \* الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون \* إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجرغير ممنون ﴾ يخبر تعالى عباده أن هذا الكتاب الجليل والقرآن الجميل ﴿تنزيل﴾ صادر ﴿من الرحمن الرحيم﴾ الذي وسعت رحمته كل شيء، الذي من أعظم رحمته وأجلها إنزال هذا الكتاب، الذي حصل به من العلم والهدى والنور والشفاء والرحمة والخير الكثير، ما هو

يُؤلُونُ فَصِلْكِ اللَّهِ الْمُعَالِمُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ حاقفال تغزال تختم حَمَّ ۞ تَنْزِيدُ مِنَ الْرَحْوَالِيَهِيدِ ۞ كِنَاتُ فَيْهَاتْ ءَايَنْتُهُ وَيُهَانَّا عَرَيْنًا لِفَوْمِ يَعْلَمُونَ ۞ بَشِيرًا وَلَذِيدًا فَأَعْرَضَ الَّا اَحْتَرُهُمْ فَهُدُ لِابْسَمَعُونَ ۞ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَحِنَةُ مِمَّا تَدَعُونَا ۚ إِلَيْهِ وَفِي ٓ الَّالِينَ اوَقُرُ وَمِنْ بَيْنِينَا وَيَقِيكَ جَحَابُ فَأَعْمَلُ إِنَّنَاعَلِمُونَ ۞ قُلْ إِنَّمَا آَنَا بَشَرِّ مِنْلَكُومُ مُ كَالِكَ أَنَّا إِلَهُ كُرُ إِلَهُ وَكِيدٌ فَأَسْتَقِيمُواْ إِلَيْهِ وَأَسْتَغَفِرُوهُ وَوَالْ لِلْمُشْرِكِينَ ۞ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكُوَّةَ وَهُمْ إِلَّا خِرَةِ هُمُ كَنْفِرُونَ ۞ إِنَّالَٰذِينَ المَثُواوَعَيْلُواْ الصَّلِكَتِ لَمُمَّ أَجُرُعَيْرُ مَنُونِ ۞ • قُلَ أَيِنَكُو لَتَكَفَّرُونَ بِالَّذِي َ لَكُولُونَ اللَّهِ عَلَوٓا لَأَرْضُ فِيَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ رَأَندَاداً ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ۞ وَيَحَعَلَ فِهَا دَوَيَى مِن فَوْقِهَا وَنَرَاهُ فِيهَا وَقَدْرُ فِيهَا أَقْوَاتُهَا فِي أَرْجَدَةِ أَيَّا مِسَوَّاتَهُ لِلسَّآلِلِينَ ۞ ثُمَّ أَصْتَوَكَىٰ إِلَى ٱلسَّسَلَاء وَهِنَ دُخَانُّ مَنَالَ لَمَا وَالْأَرْضِ ٱتِّيكَ طَوْعًا أَوْكَرُهَا قَالْتَأَلَّيْنَا طَآلِهِونَ ۞ ON THE WAR THE THE

من أجلُّ نِعَمِهِ على العباد، وهو الطريق للسعادة في الدارين.

ثم أثنى على الكتاب بتمام البيان فقال: ﴿ فُصِّلتُ آياته ﴾ أي: فصل كل شيء من أنواعه على حدته، وهذا يستلزم البيان التام، والتفريق بين كل شيء، وتمييز الحقائق. ﴿قرآنا عربياً ﴾ أيّ: باللغة الفصحى أكمل اللغات، فُصِّلت آياته وجُعل عربياً. ﴿ لقوم يعلمون ال أجل أن يتبين لهم معناه كما تبين لفظه، ويتضح لهم البهدى من البضلال، والغَيُّ من الرشاد .

وأما الجاهلون الذين لا يزيدهم الهدى إلا ضلالاً، ولا البيان إلا عَمى فهولاء لم يُسَق الكلام لأجلهم، ﴿ وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يۇمنون♦.

﴿بشيراً ونليراً ﴾ أي: بشيراً بالثواب العاجل والآجل، ونذيراً بالعقاب العاجل والآجل، وذكر تفصيلهما، وذكر الأسباب والأوصاف التي تحصل بها البشارة والنذارة، وهذه الأوصاف للكتاب، مما يوجب أن يُتَلقِّي بالقبول والإذعان والإيمان والعمل به، ولكن أعرض أكثر الخلق عنه إعراض المستكبرين، ﴿فهم

CHARA CHARA فَعَضَدُهُنَّ سَبْعَ مَسَمَلَوْتِ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِ كُلِ سَمَّآ الْمَهَأَ مَلَتِكُهُ فَإِنَّايِمَآ أَرْسِلْتُم بِعِيكُوْرُونَ ۞ فَأَمَّاعَادُ فَأَسْتَكُمُولُا ﴿ فَأَرْسَكُنَا عَلَيْهِ مُرِيعًا صَرْصَرًا فِي أَيْلِمِ غِيسَاتٍ لِنَذِيفَهُمْ وَهُمْ لَا يُصَرُّونَ ۞ وَأَمَا مَوْدُ فَهَدَ يُنْهُمُ فَأَسْتَمَوُّا الْعَمَلِ عَلَى الْمُدُدَىٰ فَأَخَذَتَهُمْ صَحِقَةُ ٱلْعَيَدَابِ الْمُونِ بَاكَانُواْ يَكْمِهُونَ ۞ وَنَعَيَّنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَافُواْ يَتَغُونَ ۞ وَيَوْمَ

> عليهم به الحجة الشرعية. **﴿وقالوا﴾** أي: هؤلاء المعرضون عنه، مبينين عدم انتفاعهم به، بسد الأبواب الموصلة إليه: ﴿ قُلُوبِنا فِي أكِنَّةٍ ﴾ أي: أغطية مغشاة ﴿ مما تدعوناً إليه وفي آذانسنا وقر ﴾ أي: صمم فلا نسمع لك ﴿ومن بيننا وبينك حجاب فلا نراك.

وَزَيْنَا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَعْكِيحَ وَحِفْظَا ذَٰلِكَ مَشْدِيرُ ٱلْعَيْدِينِ

ٱلْعَلِيهِ ۞ فَإِنْ أَعْمَهُوا فَقُلْ أَنذَتُكُمْ صَلِعَقَةً مِثْلَ

صَعِقَةِ عَادُوَمُهُودَ ۞ إِذْ عِلَّاءَتُهُ مُ ٱلْمُسُلِّمِنَ بِينْ أَيْدِيهِمْ

وَمِنْ خَلِفِهِ مَ أَلَانَقَ بُدُوٓ إِلَّا اللَّهُ قَالُواْ لَوْسَكَ أَوَيُنَا لَأَثِلَ

فِ ٱلْأَيْنِ بِعَدْدِ ٱلْمِنْ وَقَالُواْمَنْ أَمْنَذُ مِنَّا فَيْزَّ أَوَلَهُ ثَوَا أَزَّالُكُ

ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَذُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَافُواْ بِعَالِئِوْنَا يَضِحَا وُوَتَ

عَذَابَ ٱلْحِدْزِي فِي الْحَيَوْةِ ٱلدُّنْيَ أَوَلَعَ نَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْرَكَ ۖ

يُعْشُرُ أَعْدَادُ أَلَةِ إِلَى النَّارِ فَهُمَّ وُزَعُونَ ﴿ حَمَّ أَإِذَا مَاجَاءُوهَا

شَهِدَ عَلَيْهِمْ مَعْمُهُمْ وَأَصِرُهُمْ وَجُلُودُهُم عِكَاكَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞

MODERON IN EDROPO

لا يسمعون له سماع قبول وإجابة،

وإن كانوا قد سمعوه سماعاً تقوم

القصدمن ذلك، أنهم أظهروا الإعراض عنه من كل وجه، وأظهروا بغضه والرضا بما هم عليه، ولهذا قالوا: ﴿فاعمل إننا عاملون﴾ أي: كما رضيت بالعمل بدينك، فإننا راضون كل الرضا بالعمل في ديننا، وهذا من أعظم الخذلان، حيث رضوا بالضلال عن ألهدى، واستبدلوا الكفر بالإيمان، وباعوا الآخرة بالدنيا.

﴿قل﴾ لهم يا أيها النبي: ﴿إنما أنا بشر مثلكم يُوحى إلى ﴾ أي: هذه صفتى ووظيفتى، أنى بشرٌ مثلكم، ليس بيدي من الأمر شيء، ولا عندى ما تستعجلون به، وإنَّما فضلني الله عليكم وميّزني وخصّني بالوحي الذي أوحاه إلى وأمرني باتباعه ودعوتكم

﴿فاستقيموا إليه ﴾ أي: اسلكوا المصراط الموصل إلى الله تعالى،

بتصديق الخبر الذي أخبر به، واتباع الأمر واجتناب النهى، هذه حقيقة الاستقامة، ثم الدوام على ذلك، وفي قوله: ﴿ إِلَيه ﴾ تنبيه على الإخلاص، وأن العامل ينبغي له أن يجعل مقصوده وغايته التي يعمل لأجلها، الوصول إلى الله، وإلى دار كرامته، فبذلك يكون عمله خالصاً صالحاً نافعاً، ويفواته يكون عمله باطلاً.

ولما كان العبد\_ ولو حرص على الاستقامة ـ لا بدأن يحصل منه خلل بتقصير بمأمور، أو ارتكاب منهي، أمره بدواء ذلك بالاستغفار التضمن للتوبة فقال: ﴿واستغفروه﴾ ثم توعّد مَنْ ترك الاستقامة فقال: ﴿ وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) أي: اللذين عبدوا من دونه مَنْ لا يملك نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ودنسوا أنفسهم، فلم يزكوها بتوحيد رجم والإخلاص له، ولم يصلوا ولا زكوا، فلا إخلاص للخالق بالتوحيد والصلاة، ولا نفع للخلق بالزكاة وغيرها. ﴿وهم بِالآخرة هم كافرون﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث ولا بالجنة والنار، فلذلك لما زال الخوف من قلوبهم، أقدموا على ما أقدموا عليه مما يضرهم في الآخرة.

ولما ذكر الكافرين ذكر المؤمنين، ووصفهم وجزاءهم، فقال: ﴿إنّ الذين آمنوا مهذا الكتاب، وما اشتمل عليه مما دعا إليه من الإيمان، وصدقوا إيمانهم بالأعمال الصالحة الجامعة للإخلاص، والمتابعة. ﴿لهم أجرٌ﴾ أى: عظيم ﴿غير منون﴾ أي: غير مقطوع ولا نافد، بل هو مستمر مدى الأوقات، متزايد على الساعات، مشتمل على جميع اللذات والمشتهيات.

﴿٩ \_ ١٢ ﴾ ﴿قل أثنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين \* وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين \* ثم استوى إلى السماء وهي

دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين \* فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ ينكر تعالى ويعجُب من كفر الكافرين به، الذين جعلوا معه أنداداً يشركونهم معه، ويبذلون لهم ما يشاؤون من عباداتهم، ويسوونهم بالرب العظيم، الملك الكريم، الذي خلق الأرض الكثيفة العظيمة في يومين، ثم دحاها في يومين، بأن جعل فيها رواسي من فوقها، ترسيها عن الزوال والتزلزل وعدم الاستقرار، فكمل خلقها، ودحاها، وإخراج أقواتها، وتوابع ذلك ﴿في أربعة أيآم سواء للسائلين عن ذلك، فلا ينبئك مثل خبير، فهذا الخبر الصادق الذي لا زيادة فيه ولا نقص.

﴿ الله الأرض الأرض ﴿استوى﴾ أي: قصد ﴿إلى ﴿خلق ﴿السماء وهي دخان﴾ قد ثار على وجه الماء، ﴿ فَعَالَ لَهَا ﴾ ولما كان هذا التخصيص يوهم الاختصاص، عطف عليه بقوله: ﴿وللأرضِ انتيا طوعاً أو كرهاً ﴾ أي: انقادا لأمري طائعتين أو مكرهتين، فلا بدمن نفوذه. ﴿قالتا أتينا طائعين لنا إرادة تخالف إرادتك. ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾ فَتَمَّ خلق السماوات والأرض في ستة أيام أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة، مع أن قدرة الله ومشيئته صالحة لخلق الجميع في لحظة واحدة، ولكن مع أنه قدير، فهو حكيم رفيق، فمن حكّمته ورفقه، أن جعل خلقها في هذه المدة المقدرة.

واعلم أن ظاهر هذه الآية، مع قوله تعالى في النازعات، لما ذكر خلق السماوات قال: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ يظهر منها التعارض، مع أن كتاب الله لا تعارض فيه ولا اختلاف.

والجواب عن ذلك ما قاله كثير من السلف، أن خلق الأرض وصورتها الجزء الرابع والعشرون كم

متقدم على خلق السماوات كما هنا، ودحي الأرض بأن ﴿أَخْرِجِ مِنْهَا مَاءُهَا ومرعاها \* والجبال أرساها) متأخر عن خلق السماوات كما في سورة النازعات، ولهذا قال فيها: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها \* أخرج منها﴾ إلى آخره ولم يقل: «والأرض بعد ذلك خلقها».

وقوله: ﴿وأوحى نبي كيل سماءِ أمرها، أي: الأمر والتدبير اللائق بها، التي اقتضته حكمة أحكم الحاكمين. ﴿وَزَيِّنَّا السماء الدنيا بمصابيح﴾ هي النجوم يستنار بها ويُهتدى، وتكون زينة وجمالاً للسماء ظاهراً، وجمالاً لها باطناً، بجعلها رجوماً للشياطين، لئلا يسترق السمع فيها . ﴿ ذلك ﴾ المذكور ، من الأرض وما فيها، والسماء وما فيها ﴿تقدير العزيز العليم﴾ الذي عزته قهز بها الأشياء ودبرها، وخلق بها المخلوقات. ﴿العليم﴾ الذي أحاط علمه بالمخلوقات والغائب والشاهد.

فَتَرْكُ المشركين الإخلاص لهذا الرب العظيم الواحد القهار، الذي انقادت المخلوقات لأمره ونفذ فيها قدره من أعجب الأشياء، واتخاذهم له أنداداً يسوونهم به، وهم ناقصون في أوصافهم وأفعالهم أعجب وأعجب، ولا دواء لهؤلاء إن استمر إعراضهم، إلاَّ العقوبات الدنيوية والأخروية، فلهذا خوفهم بقوله:

﴿١٣ سـ ١٤ ﴾ ﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود \* إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون،

أي: فإن أعرض هؤلاء المكذبون بعدما بين لهم من أوصاف القرآن الحميدة، ومن صفات الإله العظيم ﴿فقل أنذرتكم صاعقة﴾ أي: عذاباً يستأصلكم ويجتاحكم، ﴿مثل صاعقة

عاد وثمود القبيلتين المعروفتين. حيث اجتاحهم العذاب، وحلَّ عليهم وبيل العقاب، وذلك بطلمهم وكفرهم.

حيث ﴿جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ﴿ أي: يتبع بعضهم بعضاً متوالين، ودعوتهم جميعاً واحدة. ﴿ أَلَا تَعْبِدُوا إِلاَّ اللهِ أَي: يأمرون بالإخلاص لله، وينهونهم عن الشرك، فردوا رسالتهم وكذبوهم، و ﴿قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ﴾ أي: وأما أنتم فبشرٌ مثلنا ﴿فإنَّا بِما أرسلتم به كافرون، وهذه الشبهة لم تزل متوارثة بين المكذبين [من الأمم](١)، وهي من أوهى الشُّبُهِ، فإنه ليس من شرط الإرسال أن يكون المرسل مَلَكاً، وإنما شرط الرسالة، أن يأتي الرسول بما يدل على صدقه، فَلْيَقْدَحُوا إِن استطاعوا بصدقهم بقادح عقلي أو شرعي، ولن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا.

﴿١٦ ــ ١٦﴾ ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منّا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتناً يجحدون \* فأرسلنا عليهم ريحاً صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ﴿ هذا تفصيل لقصة هاتين الأمتين، عاد وثمود. ﴿فأما عاد﴾ فكانوا ممع كفرهم بالله، وجحدهم بآيات الله، وكفرهم برسله مستكبرين في الأرض، قاهرين لمن حولهم من العباد، ظالمين لهم، قد أعجبتهم

قوتهم. ﴿وقالوا مَنْ أَشَدُّ مِنَا قُوةٍ﴾ تعالى رداً عليهم بما يعرفه كل أحد: ﴿أُولُمْ يَرُوا أَنَّ اللَّهِ الذِّي خَلَقَهُمْ هُو أَشَدُّ منهم قوة ﴾ فلولا خلقه إياهم، لم يوجدوا فلو نظروا إلى هذه الحال نظراً صحيحاً، لم يغتروا بقوتهم، فعاقبهم الله عقوبة تناسب قوتهم التي اغتروا بها.

وَقَالُوا لَحُلُودِهِ لِمُ شَعِدتُهُ عَلَيْثَ قَالُواْ أَنْطَقْنَ الْقُوالَّذِي أَنْطَقَ كُلِّ مَنْ وَوَهُوَ خَلَقَكُمُ أَوْلَ مَنْ وَوَالَيْدِرُ جَعُوك ۞ وَمَاكُنتُونَ مِنْ مَنْ مَنْ مَنْ مُنْ مَنْ مَنْ مَنْ مُنْ مُنْ مُؤْمِنَ الْمُنْ الْمُنْ مُزُكِّرُ وَلَا يُتُودُكُمُ وَلِكِن ظَنَنتُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَدِيرًا مِمَّا الَّعْسَلُونَ ۞ وَذَا لِكُوطَ ثُكُرُ الَّذِي طَلَنَتْ ثُم يِرَيْكُمْ أَرْدَىٰكُو فَأَصْبَحْتُم يِنَ ٱلْخَلِيدِينَ ﴿ فَإِن يَصْبِرُواْ فَالنَّادُمَ فُوى لَمَّةً وَانْ يَسْتَغِبُوافَمَاهُمِ مِنَ ٱلْمُعْنِينَ ۞ • وَقِيَّضَنَا لَمُدُوثُونَكَة فَنَيَّنُواْ لَمُدُمَّا يَنَ أَيْدِيهِ مُرْوَمَا خَلْفَهُمْ وَيَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْفَوْلُ فِت أَمَدِقَدْ خَلَتْ مِن قَبِلِهِ مِينَ أَيْحِنْ وَٱلْإِيْنَ إِنَّهُمْ كَافُواْ خَلِيرِينَ ﴿ وَوَالَ الَّذِينَ كَتَرُوا لَا تَسْتَعُوا لِلهَنَا ٱلْفُرُوانِ وَالْغَوْافِيو لَمَتَلَّكُمْ مَثَذِيتُونَ ۞ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَمَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْهِنَةُ مُرَّالَةً وَكَافُواْ يَعْسَلُونَ ۞ ذَاكِ جَسَرَاهُ أَعْدَاهِ أتقوالنَازُ لَمُنْ فِهَادَازُا تَحْلُدُ حِزَلَهُ كَانُوا بِعَلِيْنَا يَجْحَدُونَ ﴿ وَقَالَ الَّذِيكَ كَمْتُوا رَبُّنا آلِينَ اللَّذِي أَخِلَا عِينَ أَجِينَ أُ وَٱلْإِنِي بَعْمَلُهُمَا غَتَ أَقْدَامِنَ الْمِكُومَانِ ٱلْأَسْفَلِينَ ۞ QUESTION WEST CON

﴿فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً ﴾ أي: ريحاً عظيمة، من قوتها وشدتها، لها صوت مزعج، كالرعد القاصف. فسخرها الله عليهم ﴿سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعبجاز نبخيل خاوية ﴿نحسات ﴾ فدمرتهم وأهلكتهم، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم. وقال هنا: ﴿لنذيقهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا﴾ الذي اختزوا به وافتضحوا بين الخليقة. ﴿ ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون أي: لا يمنعون من عذاب الله، ولا يمنعون أنفسهم.

﴿١٧ ــ ١٨﴾ ﴿وأمسا تسمسود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون، وأما ثمود وهم القبيلة المعروفة الذين سكنوا الحجر وحواليه، الذين أرسل الله إليهم صالحاً عليه السلام، يدعوهم إلى توحيد ربهم، وينهاهم عن الشرك وآتاهم الله الناقة آية عظيمة، لها شرب ولهم شرب يوم معلوم، يشربون لبنها يوما، ويشربون من الماء يوماً، وليسوا ينفقون عليها، بل تأكل من أرض الله، ولهذا قال هنا: ﴿وأما تمود فهديناهم﴾ أي:

CHARL CHARLE الله الله الله المالة المستنقاء المستنقان المستناف المستنادة المُلَتِكَةُ أَلَاقَ افْلُولَا غَنَوْا وَأَنْ رُوا بِالْحَنَةِ ٱلِّي كُنتُرُ تُوْعَدُونَ ۞ خَنْ أَوْلِيكَ أَوْكُمْ إِنَّا كُيِّوْوْ ٱلدُّنْيَ اوَفِ ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَالَشْنَقِيَّ أَنْسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَانَدَّعُوتَ ۞ نُكُانِنَ عَفُورِتَجِيدِ ۞ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلَامِتَن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَهُ لَهَ الْحَاوَقَالَ إِنِّهِ مِنْ ٱلْشَيْلِينِ ۞ وَلَاتَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا النَّيْسَةُ ادُفَعْ بِالْقِيدِ الْحَسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي يَنْكَ وَيَنْتَدُعَدُ وَأَوَّ كُأَنَّكُ وَلِنَّ يَجِيدُ ١ وَمَا يُلَقُّ مِنَا إِلَّا أَلِينَ مَسَبَرُواْ وَمَا يُلَقِّلُهِنَّا إِلَاذُوَحَظِيَظِيمِ ۞ وَلَمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْعَلِن لَـُنْعُ فَأَسْتَعِدْ بِأَنَّةِ إِنَّكُمُ هُوَ السَّكِيعُ الْعَسَلِيمُ ۞ وَمِنْ مَالِنِهِ ٱلْمِثَلُ وَٱلنَّهَادُ وَٱلفَّسَعْسُ وَٱلْعَسَرُ لِامْتَتَجُدُواْ لِلشَّنْسِ وَلَا لِلْقَكَمَرِ وَأَسْجُدُ وَلَيُّو ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ لِمَاهُ مَعْبُدُونَ ۞ فَإِن أَسْتَكَتِرُوا قَالَٰذِي عِندَرَةٍكَ المُسَيِّمُونَ لَمُهِالْمُعِلِ وَالنَّهَارِ وَعُمْرَ لَا يَسْتَمُونَ ﴿ • ADDED IN FOREST هداية بيان، وإنما نص عليهم، وإن كان جميع الأمم المهلكة، قد قامت عليهم الحجة وحصل لهم البيان، لأن

والهدى.
ولكنهم - من ظلمهم وشرهم استحبوا العمى - الذي هو الكفر
والضلال - على الهدى - الذي هو
العلم والإيمان - فأخذهم العذاب بما
كانوا يكسبون لا ظلماً من الله لهم.
ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون
أي: نجى الله صالحاً عليه السلام ومَن
اتبعه من المؤمنين المتقين للشرك

آية ثمود آية باهرة، قدراها صغيرهم

وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم، وكانت

آية مبصرة، فلهذا خصهم بزيادة البيان

(۱۹ - ۲۶) (ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون \* حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون \* وقالوا لجلودهم لم شهدتهم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون \* وما كنتم تستترون أن يشهد ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين \* فإن يصبروا فالمون لهم وإن يستعتبوا فما هم

من المعتبين في يخبر تعالى عن أعدائه، الذين بارزوه بالكفر به وبآياته، وتكذيب رسله ومعاداتهم ومحاربتهم، وحالهم الشنيعة حين يحشرون، أي: يجمعون. ﴿إلى النار فهم يوزعون أخرهم أولهم، ويساقون إليها سوقا آخرهم أولهم، ويستطيعون امتناعا، عنيفا، لا يستطيعون امتناعا، ولا ينصرون أنفسهم ولا هم ينصرون، ﴿حتى إذا ما جاؤوها ﴾ أي: حتى إذا وردوا على النار، وأرادوا الإنكار، أو أنكروا ما عملوه من المعاصي، ﴿شهد عليهم سمعهم العاصي، ﴿شهد عليهم سمعهم خصوص. [ ﴿بما كانوا يعملون ﴾]

تقع بها أو بسببها .

فإذا شهدت عليهم عاتبوها ،

﴿وقالوا لجلودهم ﴾ هذا دليل على أن

الشهادة تقع من كل عضو كما ذكرنا :

﴿لم شهدتم علينا ﴾ ونحن ندافع
عنكن؟ ﴿قالوا أنطقنا الله الذي أنطق
كل شيء ﴾ فليس في إمكاننا الامتناع
عن الشهادة حين أنطقنا الذي

أي: شهدعلهم كل عضومن

أعضائهم، فكل عضو يقول: أنا فعلت

كذا وكذا يوم كذا وكذا. وخص هذه

الأعضاء الثلاثة، لأن أكثر الذنوب إنما

﴿ وهو خلقكم أوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ فكما

الاول، كما هو طريقه الفرال.

﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم تحقون عن شهادة أعضائكم عليكم، ولا تحاذرون من ذلك. ﴿ ولكن ظننتم ﴾ بإقدامكم على المعاصي فلنك صدر منكم ماصدر، وهذا الظن، صار سبب هلاكهم وشقائهم ولهذا قال: ﴿ وذلكم ظنّكُمُ الذي ظننتم

بربكم الظن السيّى، حيث ظننتم به ما لا يليق بجلاله. ﴿ أرداكم ﴾ أي: أهلككم، ﴿ فأصبحتم من الخاسرين ﴾ لأنفسهم وأهليهم وأديانهم بسبب الأعمال التي أوجبها لكم ظنكم القبيح بربكم، فحقت عليكم كلمة العقاب والشقاء، ووجب عليكم الخلود الدائم في العذاب، الذي لا يفتر عنهم

فلا جَلَدُ عليها ولا صبر، وكل حالة قُدُّر إمكان الصبر عليها، فالنار لا يمكن الصبر عليها، وكيف الصبر على نار قد اشتد حرها، وزادت على نار الدنيا بسبعين ضعفاً، وعظم غليان عيمها، وزاد نتن صديدها، وتضاعف برد زمهريرها وعظمت سلاسلها وأغلالها، وكبرت مقامعها، وغلظ وأغرانها، وزال ما في قلوبهم من رحتهم، وختام ذلك سخط الجبار،

﴿فَإِنْ يَصِبِرُوا فَالْنَارِ مِثْوَى لَهُمَ﴾

﴿ وإن يستعتبوا ﴾ أي: يطلبوا أن يزال عنهم العتب ويرجعوا إلى الدنيا ليستأنفوا العمل . ﴿ قما هم من المعتبين ﴾ لأنه ذهب وقته ، وعمروا ما يعمر فيه من تذكر وجاءهم النذير وانقطعت حجتهم مع أن استعتابهم كذب منهم ﴿ ولو ردوا لعادوا لما نهوا

وقوله لهم حين يدعونه ويستغيثون:

﴿احْسُووا فيها ولا تكلمون﴾.

عليهم وأنسوهم ذكرها، وربما أوقعوا عليهم الشُبه بعدم وقوعها، فترحُل خوفها من قلوبهم، فقادوهم إلى الكفر والبدع والمعاصى.

وهذا التسليط والتقييض من الله للمكذبين الشياطين، بسبب إعراضهم عن ذكر الله وآياته، وجحودهم الحق كما قال تعلل: ﴿وَمَن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين \* وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون .

﴿وحق عليهم القول﴾ أي: وجب عليهم، ونزل القضاء والقدر بعذابهم ﴿فَي ﴾ جملة ﴿أمم قد خلت من قبلهم من الجنّ والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴾ لأديانهم وآخرتهم، ومَنْ خسر، فلا بدأن يذل ويشقى ويُعذب.

﴿٢٦ ـ ٢٩﴾ ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون \* فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون \* ذلك جزاء أعداء ألله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون \* وقال الذين كفروا ربنا أرنا البلذيين أضلانيا من الجين والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾ يخبر تعالى عن إعراض الكفار عن القرآن وتواصيهم بذلك، فقال: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن الى أي: أعرضوا عنه بأسماعكم، وإياكم أن تلتفتوا، أو تصغوا إليه ولا إلى مَنْ جاء به، فإن اتفق أنكم سمعتموه، أو سمعتم الدعوة إلى أحكامه، ف والغوا فيه أي: تكلموا بالكلام الذي لا فائدة فيه، بل فيه المضرة، ولا تمكنوا \_مع قدرتكم \_أحداً يملك عليكم الكلام به وتلاوة ألفاظه ومعانيه، هذا لسان حالهم ولسان مقالهم في الإعراض عن هذا القرآن، ﴿لعلكم ﴾ إن فعلتم ذلك ﴿تغلبون﴾ [وهذه](١) شهادة من الأعداء، وأوضح الحق ما شهدت به الأعداء، فإنهم لم يحكموا بغلبتهم لمن

جاء بالحق إلا في حال الإعراض عنه والتواصي بذلك، ومفهوم كلامهم، أنهم إن لم يلغوا فيه، بل استمعوا إليه، وألقوا أذهانهم، أنهم لا يغلبون، فإن الحق غالب غير مغلوب، يعرف هذا أصحاب الحق وأعداؤه.

ولما كان هذا ظلماً منهم وعناداً، لم يبق فيهم مطمع للهداية، فلم يبق إلا عذابهم ونكالهم، ولهذا قال: ﴿فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ الذي كان يعملون﴾ وهو الكفر والمعاصي، فإنها أسوأ ما كانوا يعملون، لكونهم يعملون المعاصي وغيرها، فالجزاء بالعقوبة، إنما هو على عمل الشر(")،

﴿ ذلك جزاء أعداء الله الذين حاربوه وحاربوا أولياءه بالكفر والتكذيب والمجادلة والمجالدة. ﴿ النار لهم فيها دار الخلد أي: الخلود الدائم، الذي لا يفتر عنهم العذاب ساعة ولا هم ينصرون، وذلك ﴿ جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ﴾ فإنها آيات واضحة، وأدلة قاطعة مفيدة للقين، فأعظم الظلم وأكبر العناد جحدها والكفر مها.

﴿وقال الذين كفروا﴾ أي: الأتباع منهم، بدليل ما بعده، على وجه الحنق على مَنْ أصلهم: ﴿وربنا أرنا اللذين أصلانا أصلانا الصنفين اللذين قادانا إلى الضلال المنافين اللذين قادانا إلى الضلال والعذاب، من شياطين الجنّ وشياطين الإنس، الدعاة إلى جهنم. ﴿نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾ أي: الأذلين المهانين كسما أضلونا وفتنونا، وصاروا سبباً لنزولنا. ففي وتبرّي بعضهم من بعض،

﴿ ٣٠ ـ ٣٢ ﴾ ﴿إِن اللَّهُ لِين قَالُوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون \* نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة

وَمِنْ ءَ إِيَٰذِهِ وَ أَنَّكُ ثَرَى ٱلْأَرْضَ خَلِيْعَةً فَإِذَآ أَزَلْتَ عَلَيْهَا ٱلْمَاتَة ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِي ٓ أَحْيَاهَا أَيْمِي ٱلْمُؤَقِّ إِنَّهُ عِلَى كُلِّ مَّى وَقَدِيرُ ۞ إِنَّا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ٓ الْيَتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَاۗ أَفَهَن يُلْقَ فِي النَّا رِغَيْرُامَ مَّن يَأْقَ المِنالِقَمَ الْقِيدَمَةُ أَعْمَلُوا مَاشِئْتُمُّ أِنَّهُ مِمَاتَعْمَلُونَ بَصِيرُ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالدِّحْر لَنَاجَاءَ فَرُّ وَالْتَدُلِكِكَ بُعَرِيدٌ ۞ لَآيَانِيهِ ٱلْبَلِيلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيُووَلَامِنْ خَلْفِوْءَ مَنْ يِلُّ مِنْ حَكِيمِ عِيدٍ ۞ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا فَذَ قِبَلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبَلِكَ إِنَّ رَبِّكَ لَذُومَ غَفِرَةٍ وَدُوعِقَابٍ أَلِيدٍ ۞ وَلَوْمِتَعَلَىٰهُ وُوَانَا أَعْجِيتِ الْمَعَالُوا لَوْلَا فَصِلَتْ مَايَنَكُهُ وَمَا غِمَيَ فَوَعَرَبَقُ فَلْ هُوَ لِلَّذِيبَ مَامْتُواْهُدَى وَشِفَلْةً وَالَّذِيثَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَفَرُّ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَّنَّ أَوْلَكِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِ بَعِيدِ ﴿ وَلَقَدْ ءَالَيْفَ امُوسَى الْكِنْبَ فَأَخْتُلِفَ وَبَدُّ وَلَوْلَاكِيلَةُ سَبَقَتْ مِن زَيْكَ لَقُينَ يَنْنَهُمُّ وَانْهُمْ لَى شَكِي مِنْهُ مُرِيرٍ ۞ مَّنْ عَيِلَهَا فَلِنَفْسِدُّهُ وَمَنْ أَسَلَةً فَعَكَيْهَا أَوْمَارَثُكَ بِظَلَّهِ لِلْعَبِيدِ ۞ ON TON WILLIAM TO THE TANK OF THE TANK OF

ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون \* نزلا من غفور رحيم > غبر تعالى عن أوليائه، وفي ضمن ذلك تنشيطهم والحث على الاقتداء بهم فقال: ﴿إِن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا > أي: اعترفوا ونطقوا ورضوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علماً وعملاً، فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

﴿تتنزل عليهم الملائكة ﴾ الكرام، أي: يتكرر نزولهم عليهم، مبشرين لهم عند الاحتضار. ﴿ أَلَّا تَخَافُوا ﴾ على ما يستقبل من أمركم، ﴿ولا تحزنوا﴾ على ما مضى، فنفوا عنهم المكروه الماضي والمستقبل، ﴿وأيشروا بالجنة التي كنتم توعدون، فإنها قد وجبت لكم وثبتت، وكان وعد الله مفعولاً، ويقولون لهم أيضاً مثبتين لهم ومبشرين: ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ يحثونهم في الدنيا على الخير، ويزينونه لهم، ويرهبونهم عن الشر، ويقبحونه في قلوبهم، ويدعون الله لهم، ويثبتونهم عند المصائب والمخاوف، وخصوصاً عند الموت وشدته، والقبر وظلمته، وفي القيامة وأهوالها، وعلى الصراط، وفي الجنة يهنئونهم بكرامة ربهم، ويدخلون

CONTRACTOR OF STREET إِلَيْهِ يُرَدُّ عِنْدُ السَّاعَةُ وَمَا عَنْدُمُ مِن ثَمَرُتِ مِنْ أَحْمَامِهَا وَمَاتَعْمِلُهِنْ أَثَنَا وَلَاتَهُمُ إِلَّا بِعِلْمِدًا وَيَوْمَ يُسَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاآءى قَالُواْ مَاذَنَّكَ مَامِنَا مِن شَهِيدٍ ﴿ وَمَسَلَّ عَنَّمُ مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبَلَّ وَظَلْمُواْ مَا لَحُمُونِ يَجِيصِ ۞ لَّا يَسْتَمُ ٱلإنسَانُ مِن دُعَكَ إِنْ كَنْيرِ وَ إِن مَسَدُ ٱلشَّرُ مَتَوَيِّ وَنُوطُ ۞ وَلَمِنْ أَذَفْنَهُ زَحْمَةً مِنْنَامِنْ مِعْدِضَرَّآةِ مَسَتَنْهُ لِيَعُولَنَّ حَكَالِي وَمَا أَظُنُّ ٱلسَّاحَةَ قَابِمَةً وَلَهِن نُجِعْتُ إِلَّا بَيْقَ إِلَى لِمِينَدُهُ لِلْحُسُّمَّ فَأَفْتَيَةً فَأَلَيْنَ كَالِّينَ كَثَمُّ فَأَعَاعَمُواْ وَلَنُذِيقَنَّكُمُ مِّنْ عَنَابٍ عَلِيظٍ ۞ وَإِنَّا أَنْعَـَمْنَاعَلَى ٱلْإِنسَكِنِ أَعْرَضَ وَنَعَاجِكَ إِنهِ وَء وَإِذَا مَسَسَهُ ٱلشُّرُونَ ذُو مُعَكَمْ عَيْضِ ۞ قُلْأَرْهَ بْتُعْلَاكَانْ مِنْ عِندِاللَّهِ ثُرَّ كَفَرْتُمرِهِ ء مَنْ أَصَلُّ مِعَنْ هُوَفِي شِقَاقِ بَعِيدٍ ۞ سَأُرِيهِمْ ءَالِنَيْنَا فِ ٱلْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِ هِرْحَقَّ يَنَبَّيِّنَ لَهُمْ أَنْدُ ٱلْتُحَقُّ أَوْلَرْ يَكْفِ رِرَيْكَ أَنْدُرَعَلِكُ لِ مَنْ وَشَهِيدُ ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ الدين يَوْمِن لِقَدَاهِ رَبِهِمُ أَلْآ إِنَّهُوكُ لِ مَنْ وَنِحُهِ مِلَّا ﴿ TO TO THE LAND LOS OF THE PARTY OF THE PARTY

عليهم من كل باب ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنِعْمَ عقبي الدار، ويقولون لهم أيضاً: ﴿ولكم فيها ﴾ أي: في الجنة ﴿ما تشتهى أنفسكم ﴾ قد أعد وُهيِّيء. ﴿ولكم نَّيها ما تدعون﴾ أي: تطلبون من كل ما تتعلق به إرادتكم وتبطيلبونه من أنبواع البلذات والمشبتهات، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ﴿نزلاً من غفور رحيم ﴾ أي: هذا الثواب الجزيل، والنعيم المقيم، نُزُلُ وضيافة ﴿من غفور﴾ غفر لكم السيئات، ﴿رحيم > حيث وفقكم لفعل الحسنات ثم قبلها منكم. فبمغفرته أزال عنكم المحذور، وبرحمته أنالكم المطلوب.

و٣٣﴾ وومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين هذا استفهام بمعني النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولاً. أي: كلاماً وطريقة، وحالة وممن دعا إلى الله بتعليم الجاهلين، ووعظ المغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصاً من هذه، الدعوة إلى أصل دين الإسلام

وتحسينه، ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عمّا يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن الدعوة إلى الله، تحبيبه إلى عباده بذكر تفاصيل نعمه، وسعة جوده، وكمال رحمته، وذكر أوصاف كماله، ونعوت جلاله.

ومن الدعوة إلى الله، الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك بكل طريق موصل إليه، ومن ذلك، الحث على مكارم الأخلاق، والإحسان إلى عسموم الخلق، ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام، وبر الوالدين.

ومن ذلك، الوعظ لعموم الناس، في أوقات المواسم والعوارض والمصائب، بما يناسب ذلك الحال، إلى غير ذلك عما لا تنحصر أفراده، عما يشمله الدعوة إلى الخير كله، والترهيب من جمع الشر.

ثم قال تعالى: ﴿وعمل صالحاً﴾
أي: مع دعوته الخلق إلى الله، بادر هو
بنفسه، إلى امتثال أمر الله، بالعمل
الصالح، الذي يُرْضِي ربه. ﴿وقال
إنني من المسلمين﴾ أي: المنقادين
الأمره، السالكين في طريقه، وهذه
المرتبة، تمامها للصديقين، الذين عملوا
على تكميل أنفسهم وتكميل غيرهم،
وحصلت لهم الوراثة التامة من
الرسل، كما أن من أشرً الناس قولاً،
الرسل، كما أن من أشرً الناس قولاً،

وبين هاتين المرتبين المتباينتين، التي ارتفعت إحداهما إلى أعلى عليين، ونزلت الأخرى إلى أسفل سافلين، مراتب لا يعلمها إلا الله، وكلها معمورة بالخلق ﴿ولكلُ درجات عما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون﴾.

﴿٣٩ ـ ٣٥﴾ ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي

هيم \* وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم > يقول تعالى: ﴿ وَلا تستوي الحسنة ولا السيئة > أي: لا يستوي فعل الحسنات والطاعات لأجل رضا الله تعالى، ولا فعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ولا ترضيه، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، ولا في وصفها، ولا في جزائها ﴿ وَلا في وصفها، ولا في الإحسان إلا الإحسان ﴾.

ثم أمر بإحسان خاص، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى مَن أساء إليك، فقال ﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ أي: فإذا أساء إليك مسيء من الحَلْق، خصوصاً مَنْ له حتَّ كبير عليك، كالأقارب والأصحاب ونحوهم، إلاحسان إليه، فإن قطعك فَصِلهُ، بالإحسان إليه، فإن قطعك فَصِلهُ، وإن ظلمك فاعف عنه، وإن تكلم فيك غائباً أو حاضراً فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين. وإن هجرك عنه، وعامله بالقول اللين. وإن هجرك وترك خطابك فَطيّبُ له الكلام، وابذل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة.

﴿ فَإِذَا الَّذِي بِينَكَ وبِينَه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ أي: كأنه قريب شفيق :

﴿وما يُلَقُاها﴾ أي: وما يوفق لهذه الخصلة الحميدة ﴿إلا الذين صبروا﴾ نفوسهم على ما تكره، وأجبروها على ما يحبه الله، فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته وعدم العفو عنه، فكيف بالإحسان؟!!

فإذا صبر الإنسان نفسه، وامتثل أمر ربه، وعرف جزيل الثواب، وعلم أن مقابلته للمسيء بجنس عمله لا يفيده شيئاً، ولا يزيد العداوة إلا شدة، وأن إحسانه إليه ليس بواضع قدره، بل من تواضع لله رفعه، هان عليه الأمر، وفعل ذلك متلذذا مستحلياً له.

﴿وما يُلَقَّاها إلا ذو حظَّ عظيم

لكونها من خصال خواص الخلق، التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق.

﴿٣٩ ـ ٣٩﴾ ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العلّيم \* ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون \* فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون \* ومن آباته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شيء قدير﴾ لما ذكر تعالى ما يقابل به العدُّو من الإنس، وهنو مقابلة إساءته بالإحسان، ذكر ما يدفع به العدو الجنِّي، وهو الاستعاذة بالله والاحتماء من شره، فقال: ﴿وإمَّا ينزغنك من الشيطان نزغ ائي: أيّ وقت من الأوقات، أحسست بشيء من نزغات الشيطان، أي: من وساوسه وتزيينه للشر، وتكسيله عن الخير، وإصابة ببعض الذنوب، وإطاعة له ببعض ما يأمر به ﴿فاستعذ بالله ﴾ أي: اسأله، مفتقراً إليه، أن يعيذك ويعصمك منه، ﴿إنه هو السميع العليم ﴿ فإنه يسمع قولك وتضرعك، ويعلم حالك واضطرارك إلى عصمته وحمايته.

ثم ذكر تعالى أن ﴿من آياته ﴾ الدالة على كمال قدرته، ونفوذ منشيئته، وسعة سلطانه، ورحمته بعباده، وأنه الله وحده لا شريك له ﴿الليل والنهار ﴾: هذا بمنفعة ضيائه وتصرف العباد فيه، وهذا بمنفعة ظُلِمَه، وسكون الخلق فيه. ﴿والشمس والقمر ﴾ اللذان لا تستقيم معايش العباد ولا أبدانه وبهما من المصالح ما لا يحصى عدده.

القمر الشمس ولا للقمر القمر القمر القمر القمر القمام القما

اعبدوه وحده لأنه الخالق العظيم، ودعوا عبادة ما سواه من المخلوقات، وإن كبر جرمه وكثرت مصالحه، فإن ذلك ليس منه، وإنما هو من خالقه تبارك وتعالى. ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ فخصوه بالعبادة وإخلاص الدين له.

﴿ فَإِن استكبروا ﴾ عن عبادة الله تعالى، ولم ينقادوا لها، فإنهم لن يضروا الله شيئاً، والله غني عنهم، وله عباد مكرمون، لا يعصون الله ما قال: ﴿ فَالذَّينَ عند ربك ﴾ يعني: الملائكة المقربين ﴿ يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون ﴾ أي: لا يملون من عبادته، لقوتهم وشدة الداعي القوي منهم إلى ذلك.

وومن آياته الدالة على كمال قدرته، وانفراده بىالملك والتدبير والوحدانية، وأنك ترى الأرض خاشعة أي: لا نبات فيها وفإذا أنبزلنا عليها الماء أي: المطر والمتزت أي: تحركت بالنبات وربت أنبتت من كل زوج بهيج، فيحيي به العباد والبلاد.

﴿إِن الذي أحياها ﴾ بعد موتها وهمودها، ﴿لمحيى الموتى ﴾ من قبورهم إلى يوم بعثهم، ونشورهم ﴿إِنه على كل شيء قدير ﴾ فكما لم تعجز قدرته على إحياء الأرض بعد موتها، لا تعجز عن إحياء الموتى.

و ٤٠٤ - ٤٤ و إنّ الذين بلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير \* إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز \* لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد و الإلحاد في آيات الله: الميل بها عن الصواب بأي: وجه كان: إما بإنكارها وجحودها، وتكذيب مَنْ جاء بها، وإما بتحريفها وتصريفها عن معناها الحقيقي، وإثبات معان لها ما أرادها الله منها.

فتوعَّد تعالى مَنْ ألحد فيها بأنه لا يخفى عليه، بل هو مطلع على

ظاهره وباطنه، وسيجازيه على إلحاده بما كان يعمل، ولهذا قال: ﴿ أَفَمَن يُلْقَى فِي النار﴾ مثل الملحد بآيات الله خيرٌ أم مَن يأتي آمناً يوم القيامة ﴾ من عذاب الله مستحقا لثوابه ؟ من المعلوم أن هذا خير.

لًا تبين الحق من الباطل، والطريق المنجي من عذابه من الطريق المهلك قال: ﴿اعملوا ما شئتم ﴾ إن شئتم فاسلكوا طريق الرشد الموصلة إلى رضا ربكم وجنته، وإن شئتم فاسلكوا طريق الغيّ المسخطة لربكم، الموصلة إلى دار الشقاء.

﴿إنه بما تعملون بصير ﴾ يجازيكم بحسب أحوالكم وأعمالكم، كقوله تعالى: ﴿وقل الحق من ربكم فمَنْ شاء فليؤمن ومَنْ شاء فليكفر ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿إِن الذين كفروا بالذكر ﴾ أي: يجحدون القرآن الكريم المذكر للعباد جميع مصالحهم الدينية والدنيوية والأخروية، المُعلى لقدر مَن اتبعه، ﴿ لما جاءهم ﴾ نعمة من ربهم على يد أفضل الخلق وأكملهم. ﴿وَ﴾ الحال ﴿إِنَّهُ لِكِتَابِ ﴾ جامع لأوصاف الكمال ﴿ عزيز ﴾ أي: منيع من كل مَنْ أراده بتحريف أو سوء، ولهذا قال: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اي: لا يقربه شيطان من شياطين الإنس والجنّ، لا بسرقة، ولا بإدخال ما ليس منه به، ولا بزيادة ولا نقص، فهو محفوظ في تنزيله، محفوظة ألفاظه ومعانيه، قد تكفل مَنْ أنزله بحفظه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون﴾.

﴿تنزيل من حكيم ﴾ في خلقه وأمره، يضع كل شيء موضعه، وينزلها منازلها. ﴿حيد ﴾ على ما له من صفات الكمال، ونعوت الجلال، وعلى ما له من العدل والإفضال، فلهذا كان كتابه مشتملاً على تمام الحكمة، وعلى تحصيل المصالح والمنافع، ودفع الفاسد والمضار، التي يجمد عليها.

﴿٤٣﴾ ﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة

وذو عقاب أليم ﴾ أي: ﴿ما يقال لك ﴾ أيها الرسول من الأقوال الصادرة بمن كذبك وعائدك ﴿إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ﴾ أي: من جنسها، بل ربما إنهم تكلموا بكلام واحد، كتعجب جيع الأمم المكذبة للرسل، من دعوتهم إلى الإخلاص لله وعبادته وحده لا شريك له، وردهم هذا بكل طريق يقدرون عليه، وقولهم: ﴿ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا ﴾.

واقتراحهم على رسلهم الآيات، التي لا يلزمهم الإتيان بها، ونحو ذلك من أقوال أهل التكذيب، لما تشابهت قلوبهم، قلوبهم في الكفر تشابهت أقوالهم، وصبر الرسل عليهم السلام على أذاهم وتكذيبهم، فاصبر كما صبر مَنْ قلك.

ثم دعاهم إلى التوبة والإتيان بأسباب المغفرة، وحذرهم من الاستمرار على الغيّ فقال: ﴿إِنْ رَبِكُ لذو مغفرة﴾ أي: عظيمة، يمحوبها كل ذنب لمن أقلع وتاب ﴿وَدُو عقابِ أليم﴾ لمن أصر واستكبر.

﴿٤٤﴾ ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذي لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) يخبر تعالى عن فضله وكرمه، حيث أنزل كتابه عربياً، على الرسول العربي، بلسان قومه، ليبين لهم، وهذا مما يوجب لهم زيادة الاعتناء به، والتلقي له والتسليم، وأنه لو جعله قرآناً أعجمياً بلغة غير العرب، لاعترض المكذبون وقالوا: ﴿لُولَا فَصَّلَتَ آيَاتُهُ ۗ أي: هلا بينت آياته، ووضحت وفسرت. ﴿أَأُعِجِمِي وَعَرِي ﴾ أي: كيف يكون محمد عربياً، والكتاب أعجمي؟ هذا لا يكون فنفي الله تعالى كل أمر يكون فيه شبهة لأهل الباطل عن كتابه، ووصفه بكل وصف يوجب لهم الانقياد، ولكن المؤمنون الموفقون انتفعوا به، وارتفعوا، وغيرهم بالعكس من أحوالهم .

ولهذا قال: ﴿قُلْ هُو للذين آمنوا

هدى وشفاء ﴾ أي: يهديهم لطريق الرشد والصراط المستقيم، ويعلمهم من العلوم النافعة ما به تحصل الهداية التامة وشفاء لهم من الأسقام البدنية والأسقام القلبية، لأنه يزجر عن مساوىء الأخلاق وأقبح الأعمال، ويحث على التوبة النصوح التي تغسل الذوب وتشفى القلب.

﴿والذين لا يؤمنون﴾ بالقرآن﴿في آذانهم وقر﴾ أي: صمم عن استماعه وإعراض، ﴿وهو عليهم عمي﴾ أي: لا يبصرون به رشداً، ولا يهتدون به، ولا يزيدهم إلا ضلالاً فإنهم إذا ردوا الحق، ازدادوا عمى إلى عماهم، وغياً إلى غيهم.

﴿أُولِئُكُ يِنادُونَ مِن مَكَانَ بِعِيدَ﴾
أي: ينادُونَ إلى الإيمانُ ويدعونَ إليه
فلا يستجيبون، بمنزلة الذي ينادي
وهو في مكان بعيد، لا يسمع داعياً
ولا يجيب منادياً. والمقصود: أن الذين
لا يؤمنون بالقرآن، لا يتتفعون بهداه،
ولا يبصرون بنوره، ولا يستفيدون
منه خيراً، لأنهم سدوا على أنفسهم
أبواب الهدى، بإعراضهم وكفرهم.

﴿ وَهِ ٤٦ ﴾ ﴿ وَلَقَدَ آتِينًا مُوسَى الكناب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وإنهم لفي شك منه مريب \* من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ، يقول تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب ﴿ كما آتيناك الكتاب، فصنع به الناس ما صنعوا معك، اختلفوا فیه: فمنهم مَنْ آمن به واهتدی وانتفع، ومنهم مَنْ كذبه ولم ينتفع به، وإن آلله تعالى، لولا حلمه وكلمته السابقة بتأخير العذاب إلى أجل مسمى لا يتقدم عليه ولا يتأخر (لقضي بينهم المجرد ما يتميز المؤمنون من الكافرين، بإهلاك الكافرين في الحال، لأن سبب الهلاك قد وجب وحق. ﴿وإنهم لفي شك منه مريب﴾ أي: قد بلغ بهم إلى الريب الذي يقلقهم، فلذَّلُكُ كَذُبُوهُ وَجَحَدُوهُ .

﴿مَنْ عمل صالحاً ﴾ وهو العمل الذي أمر الله به ورسوله ﴿فلنفسه ﴾

نفعه وثوابه في الدنيا والآخرة، ﴿ومَنَ الدنيا والآخرة، ﴿ومَنَ الساء فعليها ﴾ ضرره وعقابه في الدنيا والآخرة، وفي هذا حتَّ على فعل الخير وترك الشر، وانتفاع العاملين بأعمالهم الحسنة، وضررهم بأعمالهم السيئة، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى. ﴿وما ربك بظلام للعبيد ﴾ فَيُحمِّل أحداً فوق سيئاتهم.

﴿ ٤٧ ـ ٤٧﴾ ﴿ إليه يسرد عسلسم الساعة وما تخرج من شمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص﴾ هذا إخبار عن سعة علمه تعالى واختصاصه بالعلم الذي علم الساعة ﴾ أي: جميع الخلق ترد علمها إلى الله تعالى، ويقرون بالعجز عنه، الرسل، والملائكة، وغيرهم.

﴿وما تخرج من شمرات من أكمامها ﴾ أي: وعائها الذي تخرج منه، وهذا شامل لشمرات جميع الأشجار التي في البلدان والبراري، فلا تخرج ثمرة شجرة من الأشجار، إلا وهو يعلمها علماً تفصيلياً.

﴿وما تحمل من أنشى من بني آدم وغيرهم، من أنواع الحيوانات، إلا بعلمه ﴿ولا تضع ﴾ أنثى حملها ﴿إلا بعلمه ﴾ . فكيف سوًى المشركون به تعالى مَنْ لا علم عنده ولا سمع ولا بصر؟

﴿وربوم يناديهم ﴾ أي: المشركين به يوم القيامة توبيخا وإظهاراً لكذبهم ، فيقول لهم: ﴿أين شركائي ﴾ الذين وحمتم أنهم شركائي ، فعبد تموهم وجادلتم على ذلك ، وعاديتم الرسل المهيتهم وشركتهم مع الله: ﴿أَذَنَاكُ مَا مِنَا مِن شهيدِ ﴾ أي: أعلمناك يا ربنا ، واشهد علينا أنه ما منّا أحد يشهد وسركتهم ، فكلنا الآن بصحة إلهيتهم وشركتهم ، فكلنا الآن منها ، ولهذا قال: ﴿وصل عنهم ما كانوا يدعون ﴾ من دون الله ، أي:

ذهبت عقائدهم وأعمالهم، التي أفنوا فيها أعمارهم على عبادة غير الله، وظنوا أنها تفيدهم وتدفع عنهم العذاب وتشفع لهم عند الله، فخاب سعيهم، وانتقض ظنهم، ولم تغن عنهم شركاؤهم شيئاً ﴿وظنوا﴾ أي: أيقنوا في تلك الحال ﴿ما لهم من محيص﴾ أي: منقذ ينقذهم، ولا مغيث ولا ملجأ، فهذه عاقبة مَنْ أشرك بالله غيره، يبينها الله لعباده ليحذروا الشرك به.

﴿٤٩ ـ ١ ٥ ﴾ ﴿لا يسأم الانسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤوس قنوط \* ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رُجعت إلى ربي إن لي عنده للحسني فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ \* وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض مذا إخبار عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وعدم صبره وجلده، لا على الخير ولا على الشر، إلا مَنْ نقله الله من هذه الحال إلى حال الكمال، فقال: ﴿لا يسأم الإنسان من دعاء الخير الى: لا يمل دائماً من دعاء الله، في الغني والمال والولد، وغير ذلك من مطالب الدنيا، ولا يزال يعمل على ذلك، ولا يقتنع بقليل ولا كثير منها، فلو حصل له من الدنيا ما حصل، لم يزل طالباً للزيادة.

﴿ وَإِنْ مُسِهُ الشَّرِ ﴾ أي: المُكروه، كالمرض والفقر وأنواع البلايا ﴿ فَيَنُوسٌ قَنوط ﴾ أي: ييأس من رحمة الله تعالى، ويظن أن هذا البلاء هو القاضي عليه بالهلاك، ويتشوش من إتيان الأسباب على غير ما يجب ويطلب.

إلا النين صبيروا وعملوا الصالحات، فإنهم إذا أصابهم الخير والنعمة والمحاب، شكروا الله تعالى، وخافوا أن تكون نغم الله عليهم استدراجاً وإمهالاً، وإن أصابتهم مصيبة في أنفسهم وأموالهم وأولادهم صبروا، ورجوا فضل ربهم، فلم

ثم قال تعالى: ﴿ولئن أَدْقناه ﴾ أي: الإنسان الذي لا يسأم من دعاء الخير، وإن مسه الشر فيؤوس قنوط ﴿رحمة منّا﴾ أي: بعد ذلك الشر الذي أصابه، بأن عافاه الله من مرضه، أو أغناه من فقره، فإنه لا يشكر الله تعالى، بل يبغى ويطغى، ويقول: ﴿هذا لي﴾ أي: أتاني لأني له أهلِّ وأنا مستحقُّ له ﴿وَمِا أَظُنُّ السَّاعَةِ قَائَمَةٍ ﴾ وهذا إنكار منه للبعث، وكفرٌ للنعمة والرحمة التي أذاقها الله له. ﴿ولتن رجعت إلى ربِّي إن لي عنده للحسني ﴾ أي: على تقدير إتيان الساعة، وأني سأرجع إلى ربي، إن لى عنده للحسني، فكما حصلت لي النعمة في الدنيا، فإنها ستحصل [لي] في الآخرة وهذا من أعظم الحراءة والقول على الله بلا علم، فلهذا توعده الله بقوله: ﴿ فَلَنْنَبُّنَّ الَّذِينَ كَفُرُوا بِمَا عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظٍ ﴾ أى: شديد جداً.

﴿وإذا أنعمنا على الإنسان ﴾ بصحة أو رزق أو غيرهما ﴿أعرض ﴾ عن ربه وعن شكره ﴿وناى ﴾ آي: ترقع ﴿بجانبه ﴾ عجباً وتكبراً. وإن ﴿مسه غيرهما ﴿فَلُو دُعاءِ عريض ﴾ أي: كثير جداً، لعدم صبره، فكلا صبر في الضراء، ولا شكر في الرخاء، إلا مَنْ هداه الله ومنَّ عليه.

﴿ ٢٥ - ٤٥﴾ ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد \* سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد \* ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء تحيط ﴾ أي: ﴿قل ﴾ لهؤلاء المكذبين بالقرآن المسارعين إلى الكفران ﴿أرأيتم إن كان﴾ هذا القرآن ﴿من عند الله ﴾ من غيسر شك ولا ارتياب، ﴿ثم كفرتم به مَنْ أَصْلُ ممن هو فيي شقاق بعيد، أي: معاندة لله ولرسوله، لأنه تبين لكم الحق والصواب، ثم عدلتم عنه، لا إلى حق، بل إلى باطل وجهل، فإذاً تكونون أضل الناس وأظلمهم.

فإن قلتم، أو شككتم بصحته وحقيقته، فسيقيم الله لكم ويريكم من آياته في الآفاق، كالآيات التي في السماء وفي الأرض، وما يحدثه الله تعالى من الحوادث العظيمة الدالة للمستبصر على الحق.

﴿وفي أنفسهم ﴾ بما اشتملت عليه أبدانهم من بديع آيات الله وعجائب صنعته، وباهر قدرته، وفي حلول العقوبات والمشلات في المكذبين، ونصر المؤمنين. ﴿حتى يتبين لهم ﴾ من تلك الآيات، بياناً لا يقبل الشك ﴿أنه الحق وما اشتمل عليه حق.

وقد فعل تعالى، فإنه أرى عباده من الآيات ما به تبين لهم أنه الحق، ولكن الله هو الموفق للإيمان مَنْ شاء، والخاذل لمن يشاء.

﴿ أَوْلَمْ يَكُفِ بِرِبُكَ أَنه على كل شيءِ شهيد ﴾ أي: أولم يكفهم على أن القرآن حق، ومَنْ جاء به صادق، بشهادة الله تعلى، فإنه قد شهد له بالتصديق، وهو أصدق الشاهدين، وأيده ونصره نصراً متضمناً لشهادته القولية عند مَنْ شك فيها.

﴿ الا إنَّم في مرية من لقاء ربهم ﴾ أي: في شك من البعث والقيامة، وليس عندهم دار سوى الدار الدنيا، فلذلك لم يعملوا للآخرة، ولم يلتفتوا لها. ﴿ الا إِنَّهُ بِكُلِّ شيءٍ محيط ﴾ علماً وقدرة وعزة.

تم تفسير سورة السجدة ــ بمنّه تعالى ــ

## تفسير سورة الشُورى مكيــة

﴿ ١ . ٩ ﴾ ﴿ بسم الله الرحن الرحيم حَم \* عسق \* كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم \* له ما في السماوات وما في الأرض وهو العلي العظيم \* تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد رجم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هـو الغفور الرحيم \* والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم

بوكيل \* وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير \* ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير \* أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى وهو يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير﴾ يخبر تعالى أنه أوحى هذا القرآن العظيم إلى النبي الكريم، كما أوحى إلى مَنْ قبله من الأنبياء والمرسلين، ففيه بيان فضله، بإنزال الكتب، وإرسال الرسل، سابقاً ولاحقاً، وأن محمداً ﷺ ليس بيدع من الرسل، وأن طريقته طريقة مَنْ قبله، وأحواله تناسب أحوال مَنْ قبله من المرسلين. وما جاء به يشابه ما جاؤوا به، لأن الجميع حق وصدق، وهو تنزيل مَن اتصف بالألوهية والعِزة العظيمة والحكمة البالغة، وأن جميع العالم العلوي والسفلي ملكه وتحت تدبيره القدري والشرعي.

وأنه ﴿العطي» بذاته، وقدره، وقهره. ﴿العظيم» الذي من عظمته ﴿تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن ﴾ على عظمها وكونها جاداً، ﴿والملاتكة ﴾ الكرام القربون خاضعون لعظمته، مستكينون لعزته، مذعنون بربوبيته. كل نقص، ويصفونه بكل كمال، ﴿ويستغفرون لمن في الأرض عما كوكبريائه، مع أنه تعالى هو ﴿الغفور لحاجل، الخلق بالعقوبة الستأصلة.

وفي وصفه تعالى بهذه الأوصاف، بعد أن ذكر أنه أوحى إلى الرسل كلهم عموماً، وإلى محمد - صلى الله عليهم أجعين - خصوصاً، إشارة إلى أن هذا السقرآن الكريم، فيه من الأدلة والبراهين، والآيات الدالة على كمال الباري تعالى، ووصفه بهذه الأسماء العظيمة الموجبة لامتلاء القلوب من

معرفته ومحبته وتعظيمه وإجلاله وإكرامه، وصرف جميع أنواع العبودية الظاهرة والباطنة له تعالى، وأن من أكبر الظلم وأفحش القول، اتخاذ أنداد لله من دونه، ليس بيدهم نفع ولا ضرر، بل هم مخلوقون مفتقرون إلى الله في جميع أحوالهم، ولهذا عقبه بقوله: ﴿ وَالَّـٰذِينِ اتَّخَـٰذُوا مِن دُونِهِ أُولِياء ﴾ يتولونهم بالعبادة والطاعة، كما يعبدون الله ويطيعونه، فإنما اتخذوا الباطل، وليسوا بأولياء على الحقيقة. ﴿الله حفيظ عليهم ﴾ يحفظ عليهم أعمالهم، فيجازيهم بخيرها وشرها. ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ فتسأل عن أعمالهم، وإنما أنت مبلغ أديت و ظيفتك .

شم ذكر منته على رسوله وعلى الناس، حيث أنزل الله ﴿قرآناً عربياً﴾ بين الألفاظ والمعاني ﴿لتنذر أم القرى﴾ وهي مكة الكرمة ﴿ومَنْ حولها﴾ من سائر الخلق. ﴿وتنذر﴾ الناس ﴿يوم المَخْرِين، وتخبرهم أنه ﴿لا ريب ولا منه وأن الخلق ينقسمون فيه فريقين ﴿فريق في الجنة ﴾ وهم الذين آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين، ﴿وفريق في المحنير ﴾ وهم الكذبين أصنوا المكذبين .

﴿ ٨﴾ ﴿ و ﴾ مع هذا ﴿ لو شاء الله ﴾ جعل الناس ، أي : جعل الناس ﴿ أُمة واحدة ﴾ على الهدى ، لأنه القادر الذي لا يمتنع عليه شيء ، ولكنه أراد أن يدخل في رحمته مَنْ شاء من خواص خلقه .

وأما الظالمون الذين لا يصلحون لصالح، فإنهم محرومون من الرحمة، في ﴿ما لهم ﴾ من دون الله ﴿من ولي ﴾ يتولاهم، فيحصل لهم المحبوب ﴿ولا نصير ﴾ يدفع عنهم المكروه.

والذين ﴿اتخذوا من دونه أولياء﴾ يتولونهم بعبادتهم إياهم، فقد غلطوا أقبح غلط، فالله هو الولي الذي يتولاه عبده بعبادته وطاعته، والتقرب إليه بما

أمكن من أنواع التقربات، ويتولى عباده عموماً بتدبيره ونفوذ القدر فيهم، ويتولى عباده المؤمنين خصوصاً، بإخراجهم من الظلمات إلى النور، وتربيتهم بلطفه، وإعانتهم في جميع أمورهم.

﴿وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قديس أي: هو المتصرف بالإحياء والإماتة، ونفوذ المشيشة والقدرة، فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له.

﴿ ١٠ \_ ١٢﴾ ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله رس عبليه تبوكيلت وإليه أنيب \* فياطير السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجأ ومن الأنعام أزواجأ يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير \* له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم > يقول تعالى: ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء ﴾ من أصول دينكم وفروعه، مما لم تتفقوا عليه ﴿فحكمه إلى الله ﴾ يرد إلى كتابه، وإلى سُنّة رسوله، فما حكما به فهو الحق، وما خالف ذلك فياطل. ﴿ ذلكم الله ربي ﴾ أي: فكما أنه تعالى الرب الخالق الرازق المدبر، فهو تعالى الحاكم بين عباده بشرعه في جميع أمورهم.

ومفهوم الآية الكريمة، أن اتفاق الأمة حجة قاطعة، لأن الله تعالى لم يأمرنا أن نرد إليه إلا ما اختلفنا فيه، فما اتفقنا عليه، يكفي اتفاق الأمة عليه، لأنها معصومة عن الخطأ، ولا بد أن يكون اتفاقها موافقاً لما في كتاب الله وسئة رسوله.

وقوله: ﴿عليه توكلت﴾ أي: اعتمدت بقلبي عليه في جلب المنافع ودفع المضار، واثقاً به تعالى في الإسعاف بذلك. ﴿وإليه أنيبُ﴾ أي: أتوجه بقلبي وبدني إليه، وإلى طاعته وعبادته.

وهـذان الأصلان، كشيراً ما يذكرهما الله في كتابه، لأنهما يحصل بمجموعهما كمال العبد، ويفوته

الكمال بفوتهما أو فوت أحدهما، كقوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ وقوله: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾.

﴿فاطر السماوات والأرض﴾ أي: خالقهما بقدرته ومشيئته وحكمته. ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾ لتسكنوا إليها، وتنتشر منكم الذرية، ويحصل لكم من النفع ما يحصل.

ومن الأنعام أزواجاً إي: ومن جميع أصنافها نوعين، ذكراً وأنثى، لتبقى وتنمو لمنافعكم الكثيرة، ولهذا عداها باللام الدالة على التعليل، أي: جعل ذلك لأجلكم، ولأجل النعمة عليكم، ولهذا قال: ﴿ يَذُرُو كُم فَيه ﴾ أي: يبثكم ويكثر مواشيكم، بسبب أن جعل لكم من أنفسكم، وجعل لكم من أنفسكم،

﴿ لِّس كُمُثله شيء ﴾ أي: ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لأن أسماءه كلها حسني، وصفاته صفة(١) كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء، لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه. ﴿وهو السميع لجميم الأصوات، باختلاف البلغات، على تفنن الحاجات. ﴿البصير﴾ يرى دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء، ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جداً، وسريان الماء في الأغصان الدقيقة.

وهذه الآية ونحوها، دليل لذهب أهل السنة والجماعة، من إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات. ونها رد على المشبهة في قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ وعلى المعطلة في قوله: ﴿وهو السميع البصير﴾.

وقوله: ﴿ لَهُ مَقَالِدُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ أي: له ملك السماوات والأرض، وبيده مفاتيح الرحمة

والأرزاق، والنعم الظاهرة والباطنة. فكل الخلق مفتقرون إلى الله، في جلب مصالحهم، ودفع المضار عنهم، في كل الأحوال، ليس بيد أحد من الأمر شده.

والله تعالى هو المعطي المانع، الضار النافع، الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع الشر إلا هو، و أما يفتح الله للناس من رحمة فلا عمسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده.

ولهذا قال هنا: ﴿يبسط الرزق لمن يشاء ﴾ أي: يوسعه ويعطيه من أصناف الرزق ما شاء، ﴿ويقدرُ ﴾ أي: يضيق على مَنْ يشاء، حتى يكون بقدر حاجته، لا يزيد عنها، وكل هذا تابع لعلمه وحكمته، فلهذا قال: ﴿إنه بكل شيء عليم ﴾ فيعلم أحوال عباده، فيعطي كلاً ما يليق بحكمته وتقتضيه

﴿١٣﴾ ﴿شرع لكم من الدين ما وصَّى به نوحاً والَّذي أوْحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبرعلي المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾ هذه أكبر منة أنعم الله بها على عباده، أن شرع لهم من الدين خير الأديان وأفضلها، وأزكاها وأطهرها، دين الإسلام، الذي شرعه الله للمصطفين المختارين من عباده، بل شرعه الله لخيار الخيار، وصفوة الصفوة، وهم أولو العزم من المرسلين المذكورون في هذه الآية، أعلى الخلق درجة، وأكملهم من كل وجه، فالدين الذي شرعه الله لهم، لا بدأن يكون مناسباً لأحوالهم، موافقاً لكمالهم، بل إنما كملهم الله واصطفاهم، بسبب قيامهم به، فلولا الدين الإسلامي، ما ارتفع أحد من الخلق، فهو روح السعادة، وقطب رحى الكمال، وهو ما تضمنه هذا الكتاب الكريم، ودعا إليه من

التوحيد والأعمال والأخلاق

والآداب.

التنافيون التنا

ولهذا قال: ﴿أَنْ أَقْيِمُوا اللَّيْنَ ﴾
أي: أمركم أن تقيموا جميع شرائع
اللَّذِن أصوله وفروعه، تقيمونه
بأنفسكم، وتجتهدون في إقامته على
غيركم، وتعاونون على البر والتقوى
﴿ولا تتفرقوا فيه ﴾ أي: ليحصل منكم
الاتفاق على أصول اللين وفروعه،
واحرصوا على أن لا تفرقكم المسائل
وتحزبكم أحزاباً، وتكونون شيعاً
يعادي بعضكم بعضاً مع اتفاقكم على
أصل دينكم.

ومن أنواع الاجتماع على الدين وعدم التفرق فيه، ما أمر به الشارع من الاجتماعات العامة، كاجتماع الحج والأعياد، والجُمَع والصلوات الخمس والجهاد، وغير ذلك من العبادات التي لا تتم ولا تكمل إلا بالاجتماع لها وعدم التفرق.

وكبُر على المسركين ما تدعوهم المه أي: شق عليهم غاية المشقة، حيث دعوتهم إلى الإخلاص لله وحده، كما قال عنهم: ﴿وإذا ذكر الله وحده السمأزت قلوبه النيس لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون وقولهم: ﴿أَجِعَلُ الْآلِهَ إِلَهُ وَاحِداً إِنْ هَذَا لَمُنَ مَنْ اللّهَ عَجَاب ﴾.

A CONTROL OF THE PARTY NO. المُ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِنْ أَنفُ سِكُمْ أَرْوَهَا اللَّهِ وَمِنَ ٱلْأَمْدَ مِلْ أَوْكِمُ أَيْذَرُفُهِكُمْ فِيهُ لِيُسَكِينُهُ وِيَتَى اللَّهِ عَنْ اللَّهِ عَن وَمُوَالنَّدِيمُ ٱلْمَصِيرُ ۞ لَهُ مَقَالِيدُ ٱلنَّسَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ يَيْمُطُ ٱلرِّزُقَ لِن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنْمُهِكُلِ فَيْ وَعِلْدُ ۞ شَرَعَ لَحَثُم مِنَ الدِينِ مَا وَصَىٰ بِهِ ـ نُوحًا وَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَاوَضَيْنَا بِهِ مَ إِبْرُهِ بِمَ وَمُوسَفِ فَعِيسَتُمَّ أَنْ أَقِيمُ وَاللِّينَ وَلاَ تَتَغَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَعَلَ لَلْشَرِكِينَ مَالَدَعُومُ إِلَيَّهُ اللَّهُ يَجْتَهِمَ إِلَيْهِ مَن يَشَكَهُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ۞ وَمَأْتَفَ زَقُواْ الاين بقد ماحكة هُوُ المعانية عُمَّا ابْنَاتُ مُو وَلَوْ لَا كَلِيمَةً سَبَقَتْ مِن زَيِكَ إِنَّ أَجَلِ مُسَكَّى لَقُضِى بَيْنَ عُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا ٱلْكِنْبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَنِي شَلْقِيمِنْهُ مُرِيبٍ ۞ فَلِنَاكِ فادع وأستقفزكما أيزت ولاتشيغ أهوآه هم وفل المنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِنْكُ وَأُمِنْ لِأَعْدِلَ يَنْكُمُ المَهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَا أَعْدَلُ وَلَكُو أَعْلَكُمْ مُعْلَكُمْ الْمُحْدَة

ACTION IN LONGER ﴿الله يجتبى إليه مَنْ يشاء ﴾ أي. يختار من خليقته مَنْ يعلم أنه يصلح للاجتباء لرسالته وولايته ومنه أن اجتبى هذه الأمة وفضّلها على سائر الأمم، واختار لها أفضل الأديان وخيرها.

يَنْ مَنَا وَبَيْنَكُمُ أَمَّا يَعْمَعُ يَنْسَنَّا وَالْيَوالْفِيدُ ۞

﴿ويهدي إليه مَن يُسْيب ﴾ هذا السبب الذي من العبد، يتوصل به إلى هداية الله تعالى، وهو إنابته لربه، وانجذاب دواعي قلبه إليه، وكونه قاصداً وجهه، فحسن مقصد العبد مع اجتهاده في طلب الهداية، من أسباب التيسير لها، كما قال تعالى: ﴿ يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام﴾. وفي هذه الآية، أن الله ﴿ يهدى إليه مَنْ يُنيبِ﴾ مع قوله: ﴿وَاتَّبِعُ سَبِيلٌ مَنْ أناب إلى ﴾ مع العلم بأحوال الصحابة رضى الله عنهم، وشدة إنابتهم، دليل على أنْ قولهم حجة، خصوصاً الخلفاء

﴿١٤ ـ ١٥﴾ ﴿وما تفرقوا إلامن بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب \* فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا

الراشدين، رضى الله عنهم أجمعين.

واليه المصير ﴾ لما أمر تعالى باجتماع السلمين على دينهم، ونهاهم عن التفرق، أخبرهم أنكم لا تغتروا بما أنزل الله عليكم من الكتاب، فإن أهل الكتاب لم يتفرقوا حتى أنزل الله عليهم الكتاب الموجب للاجتماع، ففعلوا ضد ما يأمر به كتابهم، وذلك كله بغياً وعدواناً منهم، فإنهم تباغضوا وتحاسدوا، وحصلت بينهم المشاحنة والعداوة، فوقع الاختلاف، فاحذروا أيها المسلمون أنّ تكونوا مثلهم.

﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ أي: بتأخير العذاب القاضي ﴿ إِلَّي أَجِلَ مسمّى لقضى بينهم﴾ ولكن حكمته وحلمه، اقتضى تأخير ذلك عنهم. ﴿ وإن الله ين أورشوا المكتباب من بعدهم) أي: الذين ورثوهم وصاروا خلفاً لهم ممن ينتسب إلى العلم منهم ﴿لَفِي شُكُّ مِنْهُ مِرِيبٍ﴾ أي: لفي اشتباه كثير يوقع في الاختلاف، حيث اختلف سلفهم بغياً وعناداً، فإن خلفهم اختلفوا شكاً وارتياباً، والجميع مشتركون في الاختلاف المذموم.

﴿ فَلَذَٰلُكُ فَادَعُ ﴾ أي: فَلَلَّذِينَ القويم والصراط المستقيم، الذي أنزل الله به كتبه وأرسل رسله، فادع إليه أمتك وحضهم عليه، وجاهد عليه مَنْ لَمْ يَقْبِلُهُ، ﴿وَاسْتَقْمَ﴾ بِنفسك ﴿كُمَّا أسرت استقامة موافقة لأمر الله، لا تفريط ولا إفراط، بل امتثالاً لأوامر الله واجتناباً لنواهيه، على وجه الاستمرار على ذلك، فأمره بتكميل نفسه بلزوم الاستقامة، وبتكميل غيره بالدعوة إلى ذلك.

ومن المعلوم أن أمر الرسول ﷺ أمر

لأمته إذا لم يرد تخصيص له. ﴿ ولا تتبع أهواءهم ﴾ أي: أهواء المنحرفين عن الدين، من الكفرة والمنافقين إما باتباعهم على بعض دينهم، أو بترك الدعوة إلى الله، أو بترك الاستقامة، فإنك إن اتبعت أهواءهم من بعدما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين، ولم يقل: ﴿ولاَّ تتبع دينهم الأن حقيقة دينهم الذي شرعه الله لهم، هو دين الرسل كلهم،

ولكنهم لم يتبعوه، بل اتبعوا أهواءهم، واتخذوا دينهم لهواً ولعباً.

ووقيل لهم عند جدالهم ومناظرتهم: ﴿ آمنت بِما أنزل الله من كتاب أي: لتكن مناظرتك لهم مبنية على هذا الأصل العظيم، الدال على شرف الإسلام وجلالته وهيمنته على سائر الأديان، وأن الدين الذي يزعم أهل الكتاب أنهم عليهم جزء من الإسلام، وفي هذا إرشاد إلى أن أهل الكتاب إن ناظروا مناظرة مبنية على الإيمان ببعض الكتب، أو ببعض الرسل دون غيره، فلا يسلم لهم ذلك، لأن الكتاب الذي يدعون إليه، والرسول الذي ينتسبون إليه، من شرطه أن يكون مصدقاً بهذا القرآن وبمن جاء به، فكتابنا ورسولنا لم يأمرنا إلآ بالإيمان بموسى وعيسى والتوراة

وأما مجرد التوراة والإنجيل، وموسى وعيسى، الذين لم يوصفوا لنا، ولم يوافقوا لكتابنا، فلم يأمرنا بالإيمان

والإنجيل، التي أخبر بها وصدق بها،

وأخبر أنها مصدقة له ومقرة بصحته.

وقوله: ﴿وأمرت الأعدل بينكم أي: في الحكم فيما اختلفتم فيه، فلا تمنعني عداوتكم وبغضكم، يا أهل الكتاب من العدل بينكم، ومن العدل في الحكم، بين أهل الأقوال المختلفة، من أهل الكتاب وغيرهم، أن يقبل ما معهم من الحق، ويرد ما معهم من الباطل، ﴿الله ربنا وربكم ﴾ أي: هو رب الجميع، لستم بأحق به منا. ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم، من خير وشر ﴿لا حُجَّة بِيننا وبينكُم﴾ أي: بُعدما تبينت الحقائق، واتضح الحق من الباطل، والهدى من الضلال، لم يبق للجدال والمنازعة محل، لأن القصود من الجدال، إنما هو بيان الحق من الباطل، ليهتدي الراشد، ولتقوم الحجة على الغاوي، وليس المراد بهذا أن أهل الكتاب لا يجادلون، كيف والله يقول: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاَّ

بالتي هي أحسن ﴾ وإنما المرادما

ذکرنا .

﴿الله يجمع بيننا وإليه المصير ﴾ يوم القيامة، فيجزي كلا بعمله، ويتبين حينئذ الصادق من الكاذب.

﴿١٦﴾ ﴿والذين يحاجُّون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد المولد وهذا تقرير لقوله: لا حجة بيننا وبينكم، فأخبر هنا أن ﴿الذين يحاجون في الله بالحجج الباطلة، والشبه المتناقضة ﴿من بعد ما استجيب له ﴾ أي: من بعد ما استجاب لله أولو الألباب والعقول، لما بين لهم من الآيات القاطعة، والبراهين الساطعة، فهؤلاء المجادلون للحق من بعد ما تبين ﴿حجتهم داحضة ﴾ أي: باطلة مدفوعة ﴿عند ربهم﴾ لأنها مشتملة على رد الحق وكل ما خالف الحق، فهو

﴿وعليهم غضب العصيابهم وإعراضهم عن حجج الله وبيناته وتكذيبها. ﴿ولهم عذابٌ شديد﴾ هو أثر غضب الله عليهم، فهذه عقوبة كل مجادل للحق بالباطل.

﴿١٧ ـ ١٨﴾ ﴿الله السذي أنسزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب \* يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد ﴾ لما ذكر تعالى أن حججه واضحة بيّنة، بحيث استجاب لها كل مَنْ فيه خير، ذكر أصلها وقاعدتها، بل جميع الحجج التي أوصلها إلى العباد، فقال: ﴿الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان فالكتاب هو هذا القرآن العظيم، نزل بالحق، واشتمل على الحق والصدق واليقين، وكله آيات بينات، وأدلة واضحات، على جميع المطالب الإلهية والعقائد الدينية، فجاء بأحسن المسائل وأوضح الدلائل.

وأما الميزان، فهو العدل والاعتبار بالقياس الصحيح والعقل الرجيح، فكل الدلائل العقلية، من الآيات الأفاقية والنفسية، والاعتبارات الشرعية، والمناسبات والعلل،

والأحكام والحكم، داخلة في الميزان الذي أنزله الله تعالى ووضعه بين عباده، ليزنوا به ما أشتبه من الأمور، ويعرفوا به صدق ما أخبر به وأخبرت رسله، فما خرج عن هذين الأمرين عن الكتاب والميزآن مما قيل إنه حجة أو بسرهان أو دليل أو نسحو ذلك من العبارات، فإنه باطل متناقض، قد فسدت أصوله، وانهدمت مبانيه وفروعه، يعرف ذلك من خبر المسائل ومآخذها، وعرف التمييز بين راجخ الأدلة من مرجوحها، والفرق بين الحجج والشبه، وأما من اغتر بالعبارات المزخرفة، والألفاظ المموهة، ولم تنفذ بصيرته إلى المعنى المراد، فإنه ليس من أهل هذا الشأن، ولا من فرسان هذا الميدان، فوفاقه وخلافه سيان.

ثم قال تعالى نحوفاً للمستعجلين لقيام الساعة المنكرين لها، فقال: ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب اي: ليس بمعلوم بعدها، ولا متى تقوم، فهي ني كل وقت متوقع وقوعها، مخوف وجبتها. ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ﴿ عناداً وتكذيباً ، وتعجيزاً لربهم. ﴿واللَّذِينِ آمنوا مشفقون منهاً ﴾ أي: خاتفون، لإيمانهم بها، وعلمهم بما تشتمل عليه من الجزاء بالأعمال، وخوفهم، لمعرفتهم بربهم، أن لا تكون أعمالهم منجية لُهم ولا مسعدة، ولهذا قال: ﴿ويعلمون أنها الحق﴾ الذي لا مرية فيه، ولا شك يعتريه ﴿ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يمارون في الساعة ﴾ أي: بعدما امتروا فيها، ماروا الرسل وأتباعهم بإثباتها فهم في شقاق بعيد، أي: معاندة ومخاصمة غير قريبة من الصواب، بل في غاية البُعد عن الحق، وأيُّ بعد أبعد ممن كذَّب بالدار التي هي الدار على الحقيقة، وهي الدار التي خلقت للبقاء الدائم والخلود السرمد، وهي دار الجزاء التي يظهر الله فيها عدله وفضله وإنما هذه الدار بالنسبة إليها، كراكب

قال في ظل شجرة ثم راح وتركها،

وهي دار عبور وممر، لا محل استقرار.

O CONTRACT STREET, SO وَالَّذِينَ يُمَّاجُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتُحِيبَ لَهُ مُجَمَّعُهُمْ دَاحِضَةُ عِندَرَتِهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَمَدْعَذَابٌ شَدِيدُ ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي أَنزَلَ ٱلْكِتَكِ إِلْحَقِ وَٱلْمِيزَاتُ وَمَا لِدُرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ۞ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِيكَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَأَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنْهَا ٱلْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِيبَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لِي صَلَا بَعِيدٍ ١ اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ عَرَفُقُ مَن يَشَاءٌ وَهُوَ الْقَوِيُ الْعَزِيرُ ١ مَن كَاتَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ زَدْ لَمُفِحَرْثُهُ وَمَن ۚ كَانَ يُرِيدُ حَمَّرْتَ ٱلدُّنْسَا أُوْتِهِ مِنْهَا وَمَالَدُ فِ ٱلْآخِرَةِ مِنْ نَّصِيبِ۞ أَمْ لَمُنْ رُسُكُ وَالسَّرَعُوا لَمُنْ مِنْ الدِّينِ مَا لَرْيَاذُنَّ بِهِ آلَقَهُ وَلَوْلَاكِيْمَةُ ٱلْفَصْيِلِ لَقَضِيَ بَيْنَكُمْزُّ وَانَّ الظَّلِينِ لَمُتَعْمَدُامُ أَلِيدُ وَ تَرَى الظَّلِينِ المُشْفِقِينَ مِمَّاكِسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمُ وَالَّذِينَ المَامَنُوا وَعَيَدُوا الصَّالِحَتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَفَاتُ لَهُم أُ مَايَشَاءُونَ عِندَرَيْهِمُّ ذَالِكَ هُوَّالْفَصِّلُ ٱلْكَبِيرُ۞ 

فصدقوا بالدار المضمحلة الفانية، حيث رأوها وشاهدوها، وكذبوا بالدار الآخرة، التي تواترت بالإخبار عنها الكتب الإلهية، والرسل الكرام وأتباعهم، الذين هم أكمل الخلق عقولاً، وأغزرهم علماً، وأعظمهم فطنةً وفهماً.

﴿١٩ ـ ٢٠ ﴾ ﴿الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز \* من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب، يخبر تعالى بلطفة بعباده ليعرفوه ويحبوه، ويتعرضوا للطفه وكرمه، واللطف من أوصافه تعالى معناه: الذي يدرك الضمائر والسرائر، الذي يوصل عباده \_ وخصوصاً المؤمنين \_ إلى ما فيه الخير لهم من حيث لا يعلمون ولا يحتسبون.

فمن لطفه بعبده المؤمن، أن هداه إلى الخير هداية لا تخطر بباله، بما يسر له من الأسباب الداعية إلى ذلك، من فطرته على محبة الحق والانقياد له وإيزاعه تعالى لملائكته الكرام، أن يثبتوا عباده المؤمنين، ويحثوهم على الخير، ويلقوا في قلوبهم من تزيين الحق ما يكون داعياً لاتباعه .

ومن لطفه أن أمر المؤمنين بالعبادات الاجتماعية، التي بها تقوى عزائمهم وتنبعث هممهم، ويحصل منهم التنافس

は 100mm 1 | 10 ذَلِكَ الَّذِي يُبَثِّ وُ الْقُمُعِ ادَّهُ الَّذِيكَ ءَ امْنُوا وَعِمْ لُوا الصَّالِحَاتُّ قُلُ لَآ أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا لَلْوَدَّةَ فِي ٱلْقُرُبُّ وَمَن يَقْتَرَفْ حَسَنَةً نَزِذَ لَمُرْفِهَا أَحْسَنًا إِنَّ اللَّهُ عَفُورٌ شَكُورٌ ۞ أَمْتُهُ أَنَّ فَا اَفَتَرَىٰ عَلَ اللَّهِ كَذِبًّا فَإِن يَسَكِ اللَّهُ يُعَيِّيهُ عَلَى قَلْبِكَ فَي مَعْ اللَّهُ ٱلْبَطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْتَيَّ بِكُولَئِوْدَ إِنَّهُ يَلِيعُ بِذَابِ ٱلصَّهُ دُورِ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ء وَيَعْ فُواْعَنِ ٱلسَّيِّعَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَشْعَلُونَ ۞ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ النَّهُ اوَعَمِلُهُ ا ٱلصَّالِحَاتِ وَيَهِيْدِينُهُمْ مِنْ فَضَيلُهُ وَالْكَلْفِرُونَ خَيْرَ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَلَوْ بَسَطَ ٱللهُ أَلِرُفَ لِعِبَادِهِ لَبَغُواْ فِي الْأَرْضِ وَلَكِنَ يُنَزِّلُ بِفَدَرِ مَّايِشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خِيرُنَصِيرٌ ﴿ وَمُوَالَّذِي يُنَزِلُ ٱلْفَيْتَ مِنْ بَعْدِ مَا فَسَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْنَاهُ وَهُوَ ٱلْوَلَيُ ٱلْجَدُدُ ﴿ وَمِنْ مَالِينِهِ مَعَلَقُ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَاتَ فِيهِ مَامِن دَآبَةً وَهُوَعَلَ جَمْعِهِ مُ إِذَا يَشَالُهُ قَدِيرٌ ۞ وَمَٱلْصَلِبُكُومِن مُصِيبَة فِيَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُرُ وَيَعْفُواْ عَن كَيْدِرِ۞ وَمَآلَمُهُ مُعْدِينَ فِي ٱلأَرْضُ وَمَالكُمْ مِن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِي وَلانصَيرِ ۞ ACTION IN MOREOUS

على الخير والرغبة فيه، واقتداء بعضهم ببعض.

ومن لطفه، أن قيض لعبده كل سبب يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي، حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا والمال والرياسة ونحوها عما يتنافس فيه أهل تمله على الغفلة عنه، أو على معصية على الغفلة عنه، أو على معصية قال هنا: ﴿يرزق مَنْ يشاء﴾ بحسب العزيز﴾ الذي له القوة كلها، فلا حول ولا قوة لأحد من المخلوقين إلا به، الذي دانت له جميع الأشياء.

ثم قال تعالى: ﴿مَنْ كان يريد حرث الآخرة﴾ أي: أجرها وثوابها، فآمن بها وصدق، وسعى لها سعيها ﴿نزد له في حرثه﴾ بأن نضاعف عمله وجزاءه أضعافاً كثيرة، كما قال تعالى: ﴿ومَنْ أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾ ومع ذلك، فنصيبه من الدنيا لا بد أن

﴿ومَنْ كان يريد حرث الدنيا﴾ بأن: كانت الدنيا هي مقصوده وغاية مطلوبه، فلم يقدم لآخرته، ولا رجا ثوابها، ولم يخش عقابها. ﴿وَوَلَهُ مِنْهَا﴾ نصيبه الذي قسم له، ﴿وما له في الآخرة من نصيب﴾ قد حرم الجنة ونعيمها، واستحق النار وجحيمها.

وهذه الآية، شبيهة بقوله تعالى: ﴿ مَن كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ﴾. إلى آخر الآيات.

﴿۲۱ ـ ۲۳﴾ ﴿أُم لَـهـم شـركـاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم \* ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير \* ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربي ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إنَّ الله غفورٌ شكورٍ مخبر تعالى أن المشركين اتخذوا شركاء يوالونهم ويشتركون هم وإياهم في الكفر وأعماله، من شياطين الإنس، الدعاة إلى الكفر ﴿شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله من الشرك والبدع، وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرّم الله ونحو ذلك مما اقتضته آهواؤهم.

مع أن المدين لا يكون إلا ما شرعه الله تعالى، ليدين به العباد ويتقربوا به إليه، فالأصل الحجر على كل أحد أن يشرع شيئاً ما جاء عن الله وعن رسوله، فكيف بهؤلاء الفسقة المشتركين هم وأباؤهم على الكفر.

وُولُولا كَلَّمة الفصل لقضي بينهم وأي: لولا الأجل المسمى المذي ضربه الله فناصلاً بين البطوائف المختلفة، وأنه سيؤخرهم إليه المقضي بينهم في الوقت الحاضر بسعادة المحق وإهلاك المبطل، لأن المقتضي للإهلاك موجود، ولكن أمامهم العذاب الأليم في الآخرة، هؤلاء وكل ظالم.

وفي ذلك اليوم ﴿ترى الظالمين﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿مشفقين﴾ أي: خاتفين وجلين ﴿ما كسبوا﴾ أن يعاقبوا عليه.

ولما كان الخائف قديقع به ما أشفق منه وخافه، وقد لا يقع، أخبر أنه ﴿واقع بهم﴾ العقاب الذي خافوه،

لأنهم أتوا بالسبب التام الموجب للعقاب، من غير معارض، من توبة ولا غيرها، ووصلوا موضعاً فات فيه الإنظار والإمهال.

﴿ والذين آمنوا ﴾ بقلوبهم بالله وبكتبه ورسله وما جاؤوا به، ﴿وعملوا الصالحات الشمل كل عمل صالح من أعمال القلوب، وأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات، فهؤلاء ﴿في روضات الحنات) أي: الروضات المضافة إلى الجنات، والمضاف يكون بحسب المضاف إليه، فلا تسأل عن بهجة تلك الرياض المونقة، وما فيها من الأنهار المتدفقة، والفياض المعشبة، والمناظر الحسنة، والأشجار المثمرة، والطيور المغردة، والأصوات الشجية المطربة، والاجتماع بكل حبيب، والأخذمن المعاشرة والمنادمة بأكمل نصيب، رياض لا تزداد على طول المدى إلاّ حسناً وبهاء، ولا يزداد أهلها إلا اشتياقاً إلى لذاتها ووداداً، ﴿لهم ما يشاؤون) فيها، أي: في الجنات، فمهما أرادوا فهو حاصل، ومهما طلبوا حصل، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ﴿ذَلُكُ هُو الفَصْلِ الْكَبِيرِ ﴾ وهل فوز أكبر من الفوز برضا الله تعالى، والتنعم

بقربه في دار كرامته؟

﴿ذلك الذي يبشر الله عباده الذين

آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي: هذه
البشارة العظيمة، التي هي أكبر البشائر
على الإطلاق، بشر بها الرحيم الرحن،
على يد أفضل خلقه لأهل الإيمان
والعمل الصالح، فهي أجل الغايات،
والوسيلة الموصلة إليها أفضل
الوسائل.

﴿قل لا أسألكم عليه ﴾ أي: على تبليغي إياكم هذا القرآن ودعوتكم إلى أحكامه. ﴿أَجِراً ﴾ فلست أريد أخذ أموالكم، ولا التولي عليكم والترأس، ولا غير ذلك من الأغراض ﴿إلا المودة في القربي ﴾ .

يحتمل أن المراد: لا أسألكم عليه أجراً إلا أجراً واحداً هو لكم، وعائد نفعه إليكم، وهو أن تودوني وتحبوني

ني القرابة، أي: لأجل القرابة. ويكون على هذا المودة الزائدة على مودة الإيمان بالرسول، وتقديم محبته على جميع المحاب بعد عبدة الله، فرض على كل مسلم، وهؤلاء طلب منهم زيادة على ذلك أن يجبوه لأجل القرابة، لأنه على ختى باشر بدعوته أقرب الناس إليه، حتى أحد، إلا ولرسول الله على في بطون قريش أحد، إلا ولرسول الله على فيه.

ويحتمل أن المراد إلا مودة الله تعالى الصادقة، وهي التي يصحبها التقرب للى الله، والتوسل بطاعته الدالة على صحتها وصدقها، ولهذا قال: ﴿إلاَ الله، وعلى كلا القولين، فهذا الاستثناء دليل على أنه لا يسألهم عليه أجراً بالكلية، إلا أن يكون شيئاً يعود نفعه إليهم، فهذا ليس من الأجر في شيء، بل هو من الأجر منه لهم عليه كقوله تعالى: ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ وقولهم: يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ وقولهم: ولك،

﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفَ حَسَنَةً ﴾ من صلاة ، أو إحسان إلى الخلق ﴿ نزد له فيها حسناً ﴾ بأن يشرح الله صدره ، وييسر أمره ، وتكون سبباً للتوفيق لعمل آخر ، ويزداد بها عمل المؤمن ، ويرتفع عند الله وعند خلقه ، ويحصل له الثواب العاجل والآجل .

﴿إِن الله غفور شكور ﴾ يغفر الذنوب العظيمة ولو بلغت ما بلغت عند التوبة منها، ويشكر على العمل القليل بالأجر الكثير، فبمغفرته يغفر الذنوب ويستر العيوب، وبشكره يتقبل الحسنات ويضاعفها أضعافاً كثيرة.

﴿٢٤﴾ ﴿أم يقولون افترى على الله كذباً فإن يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور ﴾ يعني أم يقول المكذبون للرسول ﷺ جرأة منهم وكذباً: ﴿افترى على الله كذباً ﴾ فرموك بأشنع الأمور وأقبحها، وهو الافتراء

على الله بادعاء النبوة والنسبة إلى الله ما هو بريء منه، وهم يعلمون صدقك وأمانتك، فكيف يتجرؤون على هذا الكذب الصراح؟

بل تجرؤوا بذلك على الله تعالى، فإنه قدح في الله، حيث مكنك من هذه الدعوة العظيمة، المتضمنة على موجب زعمهم أكبر الفساد في الأرض، حيث مكنه الله من التصريح بالمعجزات الطاهرات، والأدلة بالمعجزات الطاهرات، والاستيلاء على مَنْ خالفه، وهو تعالى قادر على حسم هذه الدعوة من أصلها ومادتها، وهو أن يختم على قلب الرسول وهو أن يختم على قلب الرسول وإذا يعيي شيئاً ولا يدخل إليه خير، وإذا يعي شيئاً ولا يدخل إليه خير، وإذا وانقطع.

فهذا دليل قاطع على صحة ما جاء به الرسول، وأقوى شهادة من الله له على ما قال، ولا يوجد شهادة أعظم منها ولا أكبر، ولهذا من حكمته ورحمته، وسُنته الجارية، أنه يمحو الباطل ويزيله، وإن كان له صولة في بعض الأوقات، فإن عاقبته الاضمحلال.

ويعق الحق بكلماته الكونية، التي لا تغير ولا تبدل، ووعده الصادق، وكلماته الدينية التي تحقق ما شرعه من الحق، وتثبته في القلوب، وتبصر أولي الألباب، حتى إن من جملة إحقاقه تعالى الحق، أن يُقيِّض له الباطل ليقاومه، فإذا قاومه، صال عليه الحق ببراهينه وبيناته، فظهر من نوره وهذاه ما به يضمحل الباطل وينقمع، ويتبين بطلانه لكل أحد، ويظهر الحق كل الظهور لكل أحد.

﴿إِنه عليم بذات الصدور﴾ أي: بما فيها، وما اتصفت به من خير وشر، وما أكنته ولم تبده.

﴿ ٢٥ ـ ٢٨﴾ ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون \* ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد \* ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في

الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبيرٌ بصير \* وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد﴾ هذا بيان لكمال كرم الله تعالى وسعة جوده وتمام لطفه، بقبول التوبة الصادرة من عباده حين يقلعون عن ذنوبهم ويندمون عليها، ويعزمون على أن لا يعاودوها إذا قصدوا بذلك وجه ربهم، فإن الله يقبلها بعدما انعقدت سبباً للهلاك، ووقوع العقوبات الدنيوية والدينية.

﴿ويعفو عن السيئات ﴾ ويمحوها، ويمحو أثرها من العيوب، وما اقتضته من العقوبات، ويعود التائب عنده كريماً، كأنه ما عمل سوءاً قط، ويحبه ويوفقه لما يقرّبه إليه.

ولما كانت التوبة من الأعمال العظيمة ، التي قد تكون كاملة بسبب تمام الإخلاص والصدق فيها، وقد تكون ناقصة عند نقصهما، وقد تكون فاسدة إذا كان القصد منها بلوغ غرض من الأغراض الدنيوية، وكان محل ذلك القلب الذي لا يعلمه إلا الله، ختم هذه الآية بقوله: ﴿ويعلم ما تفعلون﴾ فالله تعالى دعا جميع العباد إلى الإنابة إليه والتوبة من التقصير، فانقسموا \_ بحسب الاستجابة له \_ إلى قسمين: مستجيبين وصفهم بقوله: ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أي: يستجيبون لربهم لما دعاهم إليه وينقادون له ويلبون دعوته، لأن ما معهم من الإيمان والعمل الصالح يحملهم على ذلك، فإذا استجابوا له، شكر الله لهم، وهو الغفور الشكور.

وزادهم من فضله توفيقاً ونشاطاً على العمل، وزادهم مضاعفة في الأجر زيادة عن ما تستحقه أعمالهم من الثواب والفوز العظيم.

وأما غير المستجيبين لله وهم المعاندون الذين كفروا به وبرسله، في المدنيا ولهم عذاب شديد في المدنيا والآخرة، ثم ذكر أن من لطفه بعباده، أنه لا يوسع عليهم الدنيا سعة، تضر بأديانهم فقال: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾ أي: لغفلوا

عن طاعة الله، وأقبلوا على التمتع بشهوات الدنيا، فأوجبت لهم الإكباب على ما تشتهيه نفوسهم، ولوكان معصية وظلماً.

﴿ولكن يسنول بقدر ما يساء ﴾ بحسب ما اقتضاه لطفه وحكمته ﴿إنه بعجاده خبير بصير ﴾ كما في بعض الآثار أن الله تعالى يقول: ﴿إن من عبادي مَنْ لا يصلح إيمانه إلاّ الغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي مَنْ لا يصلح إيمانه إلا الفقر، عبادي مَنْ لا يصلح إيمانه إلا السحة، ولو أمرضته لأفسده ذلك، وإن من عبادي مَنْ لا يصلح إيمانه إلاّ المرض ولو عافيته لأفسده ذلك، إن المرض ولو عافيته لأفسده ذلك، إن أمر عبادي بعلمي بما في قلوبهم، إن خبر بصير. •

وهو الذي ينزل الغيث أي:
المطر الغزير الذي به يغيث البلاد
والعباد، (من بعد ما قنطوا) وانقطع
عنهم مدة ظنوا أنه لا يأتيهم، وأيسوا
فينزل الله الغيث (وينشر) به
ورحمته من إخراج الأقوات للآدمين
وبهائمهم، فيقع عندهم موقعاً عظيماً،
الوي الذي يتولى عباده بأنواع
ويستبشرون بذلك ويفرحون. (وهو
التدبير، ويتولى القيام بمصالح دينهم
وتدبياهم، (الحميد على ما له من الكمال،
وما أوصله إلى خلقه من أنواع
وما أوصله إلى خلقه من أنواع

﴿ ٢٩﴾ ﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بَثَ فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾ أي: ومن أدلة قدرته العظيمة، وأنه سيحيي ﴿ السماوات والأرض﴾ على عظمهما وسعتهما، الدال على قدرته وسعة والإحكام دال على حكمته وما فيهما من المنافع والمصالح دال على رحمته، وذلك يدل على أنه المستحق لأنواع العبادة كلها، وأن إلهية ما سواه باطلة.

وما بث فيهما أي: نشر في السماوات والأرض من أصناف السماوات والأرض من أصناف لدواب التي جعلها الله مصالح ومنافع لعباده. ﴿وهو على جمعهم ﴾ أي: جمع الخلق بعد موتهم لموقف القيامة ﴿إذا يشاء قدير ﴾ فقدرته ومشيئته صالحان لذلك، ويتوقف وقوعه على وجود الخبر الصادق، وقد علم أنه قد تواترت أخبار المرسلين وكتبهم بوقوعه.

﴿٣٠ ـ ٣١﴾ ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير \* وما أنتم بمعجزين في الأرض وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا نصير﴾ يخبر تعالى، أنه ما أصاب أوالادهم وفيما يحبون ويكون عزيزا العباد من مصيبة في أبدانهم وأموالهم عليهم، إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات، وأن ما يعفو الله عنه أكثر، السيئات، وأن ما يعفو الله عنه أكثر، يظلمون ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾ ولي عجزاً.

﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض﴾ أي: معجزين قي الأرض﴾ أي: معجزين قدرة الله عليكم، بل أنتم عاجزون في الأرض، ليس عندكم امتناع عمّا ينفذه الله فيكم. ﴿وما لكم من دون الله من ولي يتولاكم، فيحصل لكم المنافع ﴿ولا نصير﴾ يدفع عنكم المضار.

﴿٣٧ ـ ٣٥ ﴿ ﴿ وَمِن آياته الجوار في البحر كالأعلام \* إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير \* ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص ﴾ أي: ومن أدلة رحمته وعنايته بعباده ﴿ الجوار في البحر ﴾ من السفن، والمراكب النارية والشراعية ، الجبال الكبار، التي سخر لها البحر العجاج ، وحفظها من التطام الأمواج ، وجعلها تحملكم وتحمل أمتعتكم الكثيرة ، إلى البلدان والأقطار البعيدة ، وسخر لها من الأسباب ما كان معونة السخر الما عاكان معونة المحتر لها من الأسباب ما كان معونة وسخر لها من الأسباب ما كان معونة وضيط المسلم المس

على ذلك .

ثم نبه على هذه الأسباب بقوله:

﴿إِنْ يَسْناً يَسْكَنَ الرَّبِحِ التِي جعلها الله سبباً لمشيها، ﴿فَيظللنَ ﴾ أي: الجوارِ ﴿رواكـد ﴾ على ظهر البحر، لا تتقدم ولا تتأخر، ولا ينتقض هذا بالمراكب النارية، فإن من شرط مشيها وجود الريح.

وإن شاء الله تعالى أوبق الجوار بما كسب أهلها، أي: أغرقها في البحر وأتلفها، ولكنه يحلم ويعفو عن كثير. ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيِاتَ لَكُلِّ صَبَّارٍ شُكُورٍ ﴾ أي: كثير الصبر على ما تكرهه نفسه ويشق عليها، فيكرهها عليه، من مشقة طاعة، أو ردع داع إلى معصية، أو ردع نفسه عند المصائب عن التسخط، ﴿شكور﴾ في الرخاء وعند النعم، يعترف بنعمة ربه ويخضع له، ويصرفها في مرضاته، فهذا الذي ينتفع بآيات الله.

وأما الذي لا صبر عنده، ولا شكر له على نِعَم الله، فإنه مُعْرض أو معاند لا ينتفع بالآيات.

ثم قال تعالى: ﴿ويعلم الذين عالم الذين عادلون في آياتنا ﴾ ليبطلوها بباطلهم . ﴿ما لهم من محيص ﴾ أي: لا ينقذهم منقذ عا حل بهم من العقوبة .

﴿٣٦ \_ ٣٦﴾ ﴿فسما أوتسيتم مسن شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون \* والذي يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون \* والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون \* والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون مذا تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة، وذكر الأعمال الموصلة إليها فقال: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِن شيءٌ مِن ملك ورياسة، وأموال وبنين، وصحة وعافية بدنية . ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾ لذة منغصة منقطعة . ﴿وما عند اللهِ﴾ من الثواب الجزيل، والأجر الجليل، والنعيم المقيم ﴿خيرٌ ﴾ من لذات الدنيا، خيرية لا نسبة بينهما ﴿وأبقى﴾ الجزء الحامس والعشروا

لأنه نعيم لا منغص فيه ولا كدر، ولا انتقال.

﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش﴾ والفرق بين الكبائر والفواحش مع أن جميعهما كبائر وأن الفواحش هي الذنوب الكبار التي في النفوس داع إليها، كالزنا ونحوه، والكبائر ما ليس كذلك، هذا عند الاقتران، وأما مع إفراد كل منهما عن الآخر يدخل فيه.

﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ أي: قد تخلقوا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعة حتى إذا أغضبهم أحد بمقاله أو فعاله، كظموا ذلك الغضب فلم ينفذوه، بل غفروه، ولم يقابلوا المسيء إلا بالإحسان والعفو والصفح.

فترتب على هذا العفو والصفح، من المصالح ودفع الماسد في أنفسهم وغيرهم شيء كثير، كما قال تعالى: 

إذا الذي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم \* وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ

﴿والذين استجابوا لربهم﴾ أي: انقادوا لطاعته، ولبوا دعوته، وصار قصدهم رضوانه، وغايتهم الفوز بقربه.

ومن الاستجابة لله، إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فلذلك عطفهما على ذلك، من باب عطف العام على الخاص، الدال على شرفه وفضله فقال: ﴿وأقاموا الصلاة﴾ أي: ظاهرها وباطنها، فرضها ونفلها. ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ من النفقات رزقناهم ينفقون﴾ من النفقات

الواجبة، كالزكاة والنفقة على الأقارب ونحوهم، والمستحبة، كالصدقات على عموم الخلق.

﴿وأمرهم الديني والدنيوي ﴿ شُورِي بِينهم ﴾ أي: لا يستبد أحدُ منهم برأيه في أمر من الأمور المشتركة بينهم، وهذا لا يكون إلاً فرعاً عن اجتماعهم وتوالفهم وتواددهم وتحاببهم وكمال عقولهم، أنهم إذا أرادوا أمراً من الأمور التي تحتاج إلى إعمال الفكر والرأي: فيها، اجتمعوا لها وتشاوروا وبحثوا فيها، حتى إذا تبينت لهم المصلحة، انتهزوها وبادروها، وذلك كالرأي: في الغزو والجهاد، وتولية الموظفين لإُمارة أو قضاء، أو غيره، وكالبحث في المسائل الدينية عموماً، فإنها من الأمور المشتركة، والبحث فيها لبيان الصواب مما يحبه الله، وهو داخل في هذه الآية.

﴿ والذين إذا أصابهم البغي ﴾ أي: وصل إليهم من أعدائهم ﴿ هم ينتصرون ﴾ لقوتهم وعزتهم، ولم يكونوا أذلاء عاجزين عن الانتصار.

فوصفهم بالإيمان، والتوكل على الله، واجتناب الكبائر والفواحش الذي تكفر به الصغائر، والانقياد التام، والاستجابة لربهم، وإقامة السحلة، والإنفاق في وجوه الإحسان، والمشاورة في أمورهم، والقوة والانتصار على أعدائهم، فهذه خصال الكمال قد جمعوها، ويلزم من قيامها فيهم، فعل ما هو دونها، وانتفاء ضدها.

﴿ ٤ ـ ٣٤ ﴾ ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين \* ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل \* وبنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم \* ولمن صبر وغفر إن ذكر الله في هذه الأية، مراتب العقوبات، وأنها على ثلاث مراتب: عدل وفضل وظلم.

فمرتبة العدل، جزاء السيئة بسيئة مثلها، لا زيادة ولا نقص، فالنفس

TO RECEIPED IN SECTION OF THE PARTY OF THE P وَمِنْ مَايَنتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِيَّ ٱلْأَعْلَىٰدِ ۞ إِن يَشَا أَيْسَكِنَ الْإِيجَ فَيَظْلَلْنَ دَوَالِدَعَلَ ظَهْرِوْمَ إِنَّ فِي ذَلِكَ ٱلْآيِنَتِ لِكُلِّي صَبْبَ لِمِشْكُورٍ الله الله المُعَامَّة مَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَيْدٍ ﴿ وَيَعْلَمُ النَّايِنَ اللَّهِ عِنْ اللَّهِ عَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ عَلَيْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّهُ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّا عَلَّمُ عَلَّا عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّا عَلَا عَلَّا عَالْمُعَالِمُ عَلَّا عَلَّا عَلَا عَلَّا عَلَا عَلَّا عَلَا عَلَّ عَلَّا عَلَّا عَلَا عَلَّا عَلَمْ عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَ يُجَادِلُونَ فِي مَالِيَيْنَا مَا لَحَمُونَ تَجِيصٍ۞ فَمَاۤ أُويَيْتُ مِيْنِ مَنْيُهِ فَتَنَعُ ٱلْحَيَوٰوَ ٱلدُّنِّيا ۗ وَمَاعِندَ ٱللَّهِ حَيْرٌ وَأَبْقَ لِلَّذِي عَامَنُوا وَعَلَى تَنِهِ مُرْتُوَكِّلُونَ ۞ وَالْمِنْ يَجْتِنِيُونَ كَلِنْمُوا لَافْرُ وَالْتُوَحِشَ وَلَوْا مَا غَضِبُوا هُمْ يَعْفِرُونَ ۞ وَالَّذِيكَ أَسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوْةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ يَيْنَهُمْ وَعَالَاَفَيْهُمْ يُنِفِقُونَ @ وَالَّذِينَ إِذَا آمْسَانِهُمُ الْمُعْيُمُ يَنْصِرُونَ ۞ وَحَرَّ وَأَمْسَ يَتَوَ سَيِّنَةُ يُصْلُمَّا فَنُ عَضَاوَأَصْلَمَ فَأَجْرُهُ عَلَاللَّهُ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۞ وَلَيْ انضَرَبَعْدَظُلْمُومَ أُولَٰكِكَ مَاعَلَيْهِم مِنْ سَيِيلِ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّيِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَقْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَعُونَ وَٱلأَرْضِ إِيَّهَ يُرَاتِحَقُّ أُوْلَكِكَ لَمَتُمَّ عَذَابُ أَلِيهُ ۞ وَلَمُن صَبْرَوَعَمُ إِلَّ ذَلِكَ إ لَنْ عَزْمِ ٱلْأَمُورِ ۞ وَمَن يُصْلِلُ اللَّهُ فَالْلَهُون وَلَيْ مِنْ بَعْدِدُّ وَرَدَى ٱلظَّلِينَ أَنَا رَأُوا ٱلْمَدَابَ يَقُولُونَ هَلَ إِلَّا مَرَوْمِن سَيِيلِ ٤ NO DE TOP IN EGREEO'S

بالنفس، وكل جارحة بالجارحة المماثلة لها، والمال يضمن بمثله.

ومرتبة الفضل: العفو والإصلاح عن المسيء، ولهذا قال: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَاصِلْحَ فَاجُرهُ عَلَى الله يجزيه أجراً عظيما، وثواباً كثيراً، وشرط الله في العفو الإصلاح فيه، ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته، فإنه في هذه الحال لا يكون مأموراً به.

وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الحلق بما يحب أن يعامله الله به، فكما يحب أن يعفو الله عنه، فَلَيَعْفُ عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله، فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل.

وأما مرتبة الظلم فقد ذكرها بقوله: ﴿إِنّه لا يحب الظالمين﴾ الذين يجنون على غيرهم ابتداء، أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته، فالزيادة ظلم.

﴿ولن انتصر بعد ظلمه أي: انتصر بمن ظلمه بعد وقوع الظلم عليه ﴿فأولتك ما عليهم من سبيل أي: لا حرج عليهم في ذلك .

ودلَّ قوله: ﴿ والذين إذا أصابهم البغي ﴾ وقوله: ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه ﴾ أنه لا بد من إصابة البغي والظلم ووقوعه.

وأما إرادة البغى على الغير، وإرادة

CO CONTROL STREET FOR وَتَرَكُهُمْ مُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَلِيْمِونَ مِنَ ٱلذُّلِّي مَظُمُ وَكِينِ طَرُفِ خَفِيًّ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ ٱلْحَيْرِينَ ٱلَّذِينَ خيدرُوٓأ أَفْسَكُمُ وَأَهْلِيهِ مَرُوْمَ ٱلْقِيكَمَةُ ٱلْآلِنَ ٱلظَّالِيدِينَ فِي عَذَابِ مُقِيدٍ ۞ وَمَا كَانَ لَهُمُرِينَ أَوْلِيَاتَهَ يَنْمُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن يُعَبِيل اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَيِيل ۞ أَسْتَجِيبُواْ لِرَيْكُم مِن قَبْل أَن يَأْفَ يَوْمُ لَا مُرَدٍّ لَهُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم مِن مَلْحَهُمْ وَمَالَكُم مِن نَكِيرٍ ۞ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَأَ أَرْسَلُنَكَ عَلَيْهِ حَنِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا أَلِكُلُّمْ وَانَّاإِذَا أَذَهَٰنَاٱلْإِنسَكِنَ مِنَاارَحَةَ فَرِجَ بِعَأْوَ لِمِن يُصِبِّ فَرْسَيْنَةٌ كِمَا مَدَّمَتُ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنْسَانَ كَعُورٌ ۞ يَقُومُلْكُ السَّنَوَاتِ وَٱلْأَرْضُ يَعْلَقُ مَايَشَآ أُبِيَّةٍ لِنَنَ يَشَآ ۗ إِنَّنَا وَيَهَتُ لِسَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ۞ أَوْبُرَوْجُهُمْ أَكْرَانَا وَانْنَأَ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاآهُ عَقِيمًا إِنَّهُ مَعِلِيمٌ قَلِيدٌ ﴿ • وَمَاكَات لِنَشَرِ أَن يُحَكِمْتُهُ أَلَقُهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْمِن وَرَآي جَابِ أَوْرُسِلَ رَسُولًا فَيُوجِى إِذْ يَو مِمَالِشَاءُ إِنَّهُ مِعْلَى حَجَمَةً ٥ TO NOTION IN LONG OF O

ظلمه من غير أن يقع منه شيء، فهذا لا يجازى بمثله، وإنما يؤدب تأديباً يردعه عن قولٍ أو فعل صدر منه.

﴿إنما السبيل﴾ أي: إنما تتوجه الحجة بالعقوبة الشرعية ﴿على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق وهذا شامل للظلم والبغي على الناس، في دمائهم وأموالهم وأعراضهم. ﴿أولئك لهم عذاب اليم﴾ أي: موجع للقلوب والأبدان، بحسب ظلمهم وبغيهم.

ولن صبر ♦على ما يناله من أذى الخلق ﴿وغفر ﴾ لهم، بأن سمح لهم عمّا يصدرُ منهم، ﴿إِن ذلك لمن عزم الأمور التي حث الله عليها وأكدها، وأخبر أنه لا يلقاها إلا أهل الصبر والحظوظ العظيمة، ومن الأمور التي لا يوفق لها إلا أولو العزائم والهمم، وذوو الألباب والصائر.

فإن ترك الانتصار للنفس بالقول أو الفعل، من أشق شيء عليها، والصبر على الأذى، والصفح عنه، ومغفرته، ومقابلته بالإحسان، أشق وأشق، ولكنه يسير على من يسره الله عليه، وجاهد نفسه على الاتصاف به، واستعان الله على ذلك، ثم إذا ذاق العبد حلاوته، ووجد آثاره، تلقاه برحب الصدر، وسعة الخلق، والتلذذ

﴿٤٤ ـ ٢٤﴾ ﴿ومن يضلل الله فعا له من ولي من بعده وترى الظالمين لما وأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل \* وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم \* وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل ﴾ يخبر تعالى أنه المنفرد بالهداية والإضلال، وأنه ﴿من يضلل الله بسبب ظلمه ﴿فما له من بعده ﴾ يتولى أمره ويهديه.

﴿وترى الظالمين لما رأوا العذاب﴾ مرأى ومنظراً فظيعاً، صعباً شنيعاً، عظهرون الندم العظيم، والحزن على ما سلف منهم، و ﴿يقولون هل إلى مرد من سبيل﴾أي: هل لنا طريق أو حيلة إلى رجوعنا إلى الدنيا، لنعمل غير الذي كنا نعمل، وهذا طلب للأمر المحال الذي لا يمكن.

ورتراهم يعرضون عليها اي: على النار ﴿خاشعين من الذلّ اي: ترى أجسامهم خاشعة للذل الذي في قلوبهم، ﴿ينظرون من طرف خفي ﴾ أي: ينظرون إلى النار مسارقة وشزرا، من هيبتها وخوفها.

وقال الذين آمنوا حين ظهرت عواقب الخلق، وتبين أهل الصدق من غيرهم: ﴿إِن الخاسرين على الحقيقة ﴿الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم الثواب، وحصلوا على أليم العقاب الثواب، وحصلوا على أليم العقاب بم، آخر ما عليهم. ﴿الا إِنَّ الظَالَمِنُ مَقْمِهُمُ وَاللَّمُ وَاللْمُ اللَّمُ وَاللَّمُ وَاللَّمِ وَاللَّمُ وَالْمُوالِمُ وَلِمُ وَاللَّمُ وَاللَّمُ

﴿وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله كما كانوا في الدنيا يمنون بذلك أنفسهم، ففي القيامة يتبين لهم ولغيرهم أن أسبابهم التي أملوها تقطعت، وأنه حين جاءهم

عذاب الله لم يدفع عنهم. ﴿ومَنْ يَضِلُ الله فما له من سبيل﴾ تحصل به هدايته، فهؤلاء ضلوا حيت زعموا في شركاتهم النفع ودفع الضر، فتبين حينئذ ضلالهم.

﴿٧٧ ـ ٤٨﴾ ﴿استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مردله من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من عليم \* فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور﴾ يأمر تعلى عباده واجتناب ما نهى عنه، وبالمبادرة بذلك واحتم التسويف، من قبل أن يأتي يوم واستدراك الفائت، وليس للعبد في واستدراك الفائت، وليس للعبد في ديم ويهرب منه.

بل قد أحاطت الملائكة بالخليقة من خلفهم، ونودوا ﴿يا معشر الجِنَّ والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان وليس للعبد في ذلك اليوم نكير لما اقترفه وأجرمه، بل لو أنكر لشهدت عليه جوارحه.

وهذه الآية ونحوها، فيها ذم الأمل، والأمر بانتهاز الفرصة في كل عمل يعرض للعبد، فإن للتأخير آفات.

﴿ فإن أعرضوا ﴾ عمّا جنتهم به بعد البيان التام ﴿ فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ تعفظ أعمالهم وتسأل عنها ، ﴿ إِن عليك إلا البلاغ ﴾ فإذا أديت ما عليك ، فقد وجب أجرك على الله ، سواء استجابوا أم أعرضوا ، وحسابهم على الله الذي يحفظ عليهم صغير أعمالهم وكبيرها ، وظاهرها وباطنها .

ثم ذكر تعالى حالة الإنسان، وأنه إذا أذاقه الله رحمة، من صحة بدن، ورزق رغد، وجاه ونحوه ﴿فرح بها﴾أي: فرح فرحاً مقصوراً عليها، لا يتعداها، ويلزم من ذلك طمأنينته بها، وإعراضه عن المنعم.

﴿وإن تصبهم سيئة ﴾أي: مرض أو فقر، أو نحوهما ﴿بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفُورٌ ﴾ أي: طبيعته كفران النعمة السابقة، والتسخط لما أصابه من السيئة.

﴿ ٤٩ - • • ﴾ ﴿ لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور \* أو عقيماً إنه عليم قدير ﴾ هذه الآية فيها الإخبار عن سعة ملكه تعالى، ونفوذ تصرفه في الملك في الخلق لما يشاء، والتدبير لجميع الأمور، حتى إن تدبيره عن الأسباب التي يباشرها العباد، فإن النكاح من الأسباب لولادة الأولاد، فالله تعالى هو الذي يعطيهم من الأولاد ما شاء.

فمن الخلق مَنْ يهب له إناثاً، ومنهم مَنْ يهب له ذكوراً، ومنهم مَنْ يزوجه، أي: يجمع له ذكوراً وإناثاً، ومنهم مَنْ يجعله عقيماً لا يُولد له.

﴿إِنه عليم ﴾ بكل شيء ﴿قدير ﴾ على كل شيء، فيتصرف بعلمه وإتقانه الأشياء، وبقدرته في مخلوقاته.

﴿١٥ \_ ٥٣ ﴾ ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم \* وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم \* صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى ألله تسسيس الأمور ﴾ لما قال المكذبون لرسل الله، الكافرون بالله: ﴿لُولًا يَكُلُّمُنَا اللهُ أُو تأتينا آية﴾ من كبرهم وتجبرهم، رد الله عليهم بهذه الآية الكريمة، وأن تكليمه تعالى لا يكون إلا لخواص خلقه، للأنبياء والمرسلين، وصفوته من العالمين، وأنه يكون على أحد هذه الأوجه.

إما ﴿أَن يَكُلُمُهُ اللهِ وحياً ﴾ بأن يلقي الوحي في قلب الرسول، من غير

إرسال ملك، ولا نخاطبة منه شفاهاً. ﴿أُوكِ يكلمه منه شفاهاً، لكن ﴿من وراء حجاب ﴾ كما حصل لموسى بن عمران، كليم الرحن.

ية. ﴿أَوْ ﴾ يكلمه الله بواسطة الرسول ﴿٩٠ ـ • ٥ ﴾ ﴿له ملك السماوات الملكي، فـ ﴿يرسل رسولاً ﴾ كجبريل أرض بخلق ما يشاء يهب لمن يشاء أو غيره من الملائكة.

وفيوحي بإذنه أي: بإذن ربه، لا بمجرد هواه، وإنه تعالى علي الذات، على الأوصاف، عظيمها، على الأفعال، قد قهر كل شيء، ودانت له المخلوقات. حكيم في وضعه كل شيء في موضعه، من المخلوقات والشرائع. وكذلك حين أوحينا إلى الرسل قبلك وأوحينا إليك روحاً من أمرنا وهو هذا القرآن الكريم، سماه روحاً، لأن الروح يحيا به الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصالح الدنيا والدين، لما فيه من الخير الكثير والعلم الغزير.

وهو محض منة الله على رسوله وعباده المؤمنين، من غير سبب منهم، ولهذا قال: ﴿ ما كنت تدري﴾ أي: قبل نزوله عليك ﴿ ما الكتاب ولا الإيمان﴾ أي: ليس عندك علم بأخبار الكتب السابقة، ولا إيمان وعمل بالشرائع الإلهية، بل كنت أمياً لا تخط ولا تقرأ، فجاءك هذا الكتاب الذي وبدملناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾ يستضيئون به في ظلمات عبادنا ﴾ يستضيئون به في ظلمات الكفر والبدع، والأهواء المردية، ويعرفون به إلى

الصراط المستقيم.

﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾
أي: تبينه لهم وتوضحه، وتنيره وترغبهم فيه، وتنهاهم عن ضده، وترهبهم منه، ثم فسر الصراط المستقيم فقال:

﴿صراط الله السذي له ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي: الصراط الذي نصبه الله لعباده، وأخبرهم أنه موصل إليه وإلى دار كرامته، ﴿الا إلى الله تصير الأمور﴾ أي: ترجع جميع أمور الخير والشر، فيجازى كلاً بحسب عمله، إن خيراً

فخير، وإن شراً فشر. تم تفسير سورة الـشــورى، والحـمــد لله أولاً وآخـراً، وظاهراً وباطناً، على تيسيره وتسهيله.

#### تفسير سورة الزخرف مكيــة

﴿١ - ٥﴾ ﴿بسم الله الرحن الرحيم حَم \* والكتاب المبين \* إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون \* وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم \* أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين ﴿ هذا قسم بالقرآن على القرآن ، فأقسم بالكتاب المبين وأطلق ، ولم يذكر المتعلق ، ليدل على أنه مبين لكل ما يحتاج إليه العباد من أمور الدنيا والدين والأخرة .

﴿إِنّا جعلناه قرآناً عربياً ﴾ هذا المقسم عليه، أنه جُعِل بأفصح اللغات وأوضحها وأبينها، وهذا من بيانه. وذكر الحكمة في ذلك فقال: ﴿لعلكم تعقلون ﴾ ألفاظه ومعانيه لتيسرها وقربها من الأذهان.

﴿ وَإِنهُ أَي : هذا الكتاب ﴿ لدينا ﴾ في الملأ الأعلى في أعلى الرتب وأفضلها ﴿ لعلي حكيم أي : لعلي في قدره وسرفه ومحله ، حكيم فيما يشتمل غليه من الأوامر والنواهي والأخبار ، فليس فيه حكم نخالف للحكمة والعدل واليزان .

ثم أخبر تعالى أن حكمته وفضله يقتضي أن لا يشرك عباده هملاً، لا يرسل إليهم رسولاً، ولا ينزل عليهم كتاباً، ولو كانوا مسرفين ظالمين فقال:

﴿أفنضرب عنكم الذّكر صفحاً ﴾
أي: أفنعرض عنكم، ونترك إنزال الذكر إليكم، ونضرب عنكم صفحاً، لأجل إعراضكم، وعدم انقيادكم له؟ بل ننزل عليكم الكتاب، ونوضح لكم فيه كل شيء، فإن آمنتم به واهتديتم، فهو من توفيقكم، وإلا قامت عليكم الحجة، وكتم على بيّنة من أمركم.

﴿٦ - ٨﴾ ﴿وكم أرسلنا من نبي إلا
 في الأولين \* وما يأتيهم من نبي إلا

كانوا به يستهزؤون \* فأهلكنا أشد منهم بطشاً ومضى مثل الأولين في يقول تعالى: إن هذه سنتنا في الخلق، أن لا نتركهم هملاً، فكم ﴿أرسلنا من نبيً في الأولين ﴾ يأمرونهم بعبادة الله وحده لا شريك له، ولم يزل التكذيب موجوداً في الأمم.

﴿وما يأتيهم من نبي إلاّ كانوا به يستهزؤون﴾ جحداً لما جاء به، وتكبراً على الحق.

﴿فأهلكنا أشد ﴾ من هؤلاء ﴿بطشاً ﴾ أي: قوة وأفعالاً وآثاراً في الأرض، ﴿ومضى مثل الأولين ﴾ أي: مضت أمثالهم وأخبارهم، وبينا لكم منها ما فيه عبرة ومزدجر عن التكذيب والإنكار.

﴿٩ \_ ٩٤ ﴾ ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم \* الذي جعل لكم الأرض مهدأ وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون \* والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون \* والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون \* لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين \* وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ يخبر تعالى عن المشركين، أنك لو ﴿سألتهم مَنْ خلق السماوات والأرض ليقولنَّ♦ الله وحده لا شريك له، البعيزييز البذي دانبت ليعيزتيه جمييع المخلوقات، العليم بظواهر الأمور وبواطنها، وأوائلها وأواخرها، فإذا كانوا مقرين بذلك، فكيف يجعلون له الولد والصاحبة والشريك؟! وكيف يشركون به مَنْ لا يخلق ولا يرزق، ولا يُميت ولا يُحيى؟!

ثم ذكر أيضاً من الأدلة الدالة على كمال نعمته واقتداره، بما خلقه لعباده من الأرض التي مهدها وجعلها قراراً للعباد، يتمكنون فيها من كل ما يريدون.

﴿ وجعل لكم فيها سبلاً ﴾ أي:

جعل منافذ بين سلاسل الجبال المتصلة، تنفذون منها إلى ما وراءها من الأقطار. ﴿لمُّلكم تهتدون﴾ في السير في الطرق ولا تضيعون، ولعلكم تهتدون أيضاً في الاعتبار بذلك والادكار فيه.

﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر﴾ لا يزيد ولا ينقص، ويكون أيضاً بمقدار الحاجة، لا ينقص بحيث لا يكون فيه نفع، ولا يزيد بحيث يضر العباد، وأنقذ به البلاد من الشدة، ولهذا قال: ﴿فَأَنْشُرْنَا بِه بلدة ميتاً﴾ أي: أحييناها بعد موتها، ﴿كَذَلْكُ تُوْرِجُونُ﴾ أي: فكما أحيا الأرض الميتة الهامدة بالماء، كذلك يحييكم بعدما تستكملون في البرزخ، ليجازيكم بأعمالكم.

﴿والذي خلق الأزواج كلها ﴾ أي: الأصناف جميعها، مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون، من ليل ونهار، وحر وبرد، وذكر وأنثى، وغير ذلك. ﴿وجعل لكم من الفلك﴾ أي: السفن البحرية، الشراعية والنارية، ما تركبون ﴿و﴾ من ﴿الأنعام ما تركبون \* لتستووا على ظهوره ﴾ وهذا شامل لظهور الفلك ولظهور الأنعام، أى: لتستقروا عليها، ﴿ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه بالاعتراف بالنعمة لمن سخرها، والثناء عليه تعالى بلكك، ولهذا قال: ﴿ وتقولوا سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين ﴾ أي: لولا تسخيره لنا ما سخّر من الفلك، والأنعام، ما كنا مطيقين لذلك وقادرين عليه، ولكن من لطفه وكرمه تعالى، سخرها وذللها ويسر أسبابها.

والمقصود من هذا، بيان أن الرب الموصوف بما ذكره، من إفاضة النعم على العباد، هو الذي يستحق أن يعبد، ويصلي له ويسجد.

(10 \_ 70) ﴿ وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين \* أم اتخذ بما يخلق بناتٍ وأصفاكم

بالبنين \* وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم \* أوَمن يُنشّأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين \* وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون \* وقالوا أو شاء الرحن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون \* أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون \* بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون \* وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون \* قال أولو جئتكم بأهدى نما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون \* فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ﴿ يَخْبِر تعالى عن شناعة قول المشركين، الذين جعلوا لله تعالى ولداً، وهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له كفواً أحد، وإن ذلك باطل من عدة أوجه:

منها: أن الخلق كلهم عباده، والعبودية تنافى الولادة.

ومنها: أن الولد جزء من والده، والله تعالى بائن من خلقه، مباين لهم في صفاته ونعوت جلاله، والولد جزء من الوالد، فمحال أن يكون لله تعالى ولد.

ومنها: أنهم يزعمون أن الملائكة بنات الله، ومن المعلوم أن البنات أدون الصنفين، فكيف يكون لله البنات، ويصطفيهم بالبنين، ويفضلهم بها؟! فإذاً يكونون أفضل من الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومنها: أن الصنف الذي نسبوه لله، وهو البنات، أدون الصنفين، وأكرههما لهم، حتى إنهم من كراهتهم لذلك ﴿إِذَا يُشُر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً من كراهته وشدة بغضه، فكيف يجعلون لله ما يكرهون؟

ومنها: أن الأنثى ناقصة في

الجزء الخامس والعشرون كم

وصفها، وفي منطقها وبيانها، ولهذا قال تعالى: ﴿ أُومَن يُنشَّأُ فِي الحلية ﴾ أي: يجمل فيها، لنقص جماله، فيجمل بأمر خارج عنه؟ ﴿وهو في الخِصام﴾ أي: عند الخصام الموجب لإظهار ما عند الشخص من الكلام، ﴿غير مبين﴾ أي: غير مبين لحجته، ولا مفصح عمّا احتوى عليه ضميره، فكيف ينسبونهن لله تعالى؟

ومنها: أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الله إناثاً، فتجرؤوا على الملائكة، العباد القربين، ورقوهم عن مرتبة العبادة والذل، إلى مرتبة المشاركة لله، في شيء من خواصه، ثم نزلوا بهم عن مرتبة الذكورية إلى مرتبة الأنوثية، فسبحان مَنْ أظهر تناقض مَنْ كذب عليه وعاند رسله.

ومنها: أن الله رد عليهم بأنهم لم يشهدوا خلق الله لملائكته، فكيف يتكلمون بأمر من المعلوم عند كل أحد، أنه ليس لهم به علم؟! ولكن لا بدأن يسألوا عن هذه الشهادة، وستكتب عليهم، ويعاقبون عليها.

وقوله تعالى: ﴿وقالوالوشاء الرحمن ما عبدناهم العنجوا على عبادتهم الملائكة بالمشيئة، وهي حجة لم يزل المشركون يطرقونها، وهي حجة باطلة في نفسها، عقلاً وشرعاً. فكل عاقل لا يقبل الاحتجاج بالقدر، ولو سلكه في حالة من أحواله لم يثبت عليها

وأما شرعاً، فإن الله تعالى أبطل الاحتجاج به، ولم يذكره عن غير المشركين به المكذبين لرسله، فإن الله تعالى قد أقام الحجة على العباد، فلم يبق لأحدعليه حجة أصلا، ولهذا قال هنا: ﴿ مَا لَهُم بِذَلِكُ مِن عَلَم إِنْ هُم إِلَّا بخرصون) أي: يتخرصون تخرصاً لا دليل عليه، ويتخبطون خبط

ثم قال: ﴿ أُم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون ، غبرهم بصحة أفعالهم، وصدق أقوالهم؟ ليس الأمر كذلك، فإن الله أرسل محمداً نذيراً إليهم، وهم لم يأتهم نذير غيره، أي:

فلا عقل ولا نقل، وإذا انتفى الأمران، فلا ثُمَّ إلا الباطل.

نعم، لهم شبهة من أوهى الشُّبِّه، وهي تقليد آبائهم الضالين، الذين ما زال الكفرة يردون بتقليدهم دعوة الرسل، ولهذا قال هنا: ﴿ بِل قُالُوا إِنَّا وجدنا آباءنا على أمة ﴾ أي: على دين وملة ﴿وإنا على آثارهم مهتدون﴾ أي: فلا نتبع ما جاء به محمد ﷺ.

﴿ وَكَذَلِكَ مَا أُرسَلْنَا مِن قَبِلُكُ فِي قرية من نذير إلا قال مترفوها ﴾ أي : منعموها، وملؤها الذين أطغتهم الدنيا، وغرتهم الأموال، واستكبروا على الحق. ﴿إِنَّا وجدنا آباءنا على أُمَّةٍ وإنّا على آثارهم مقتدون ﴿ أَي: فهؤلاء ليسوا ببدع منهم، وليسوا بأول مَنْ قال هذه المقالة.

وهذا الاحتجاج من هؤلاء المشركين الضالين، بتقليدهم لأبائهم الضالين، ليس المقصود به اتباع الحق والهدي، وإنما هو تعصب محض، يراد به نصرة ما معهم من الباطل.

ولهذا كل رسول يقول لن عارضه بهذه الشبهة الباطلة: ﴿أُولُو جِنْتُكُم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم﴾ أي : ' فهل تتبعوني لأجل الهدى؟ ﴿قَالُواْ إِنَّا بما أرسلتم به كافرون ﴾ فعلم بهذا، أنهم ما أرادوا اتباع الحق والهدي، وإنما قصدهم اتباع الباطل والهوي.

﴿فانتقمنا منهم > بتكذيبهم الحق، وردهم إياه بهذه الشبهة الباطلة. ﴿فَانْظُر كَيفُ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ فليحذر هؤلاء أن يستمرواعلى تكذيبهم، فيصيبهم ما أصابهم.

﴿٢٦ ـ ٢٦﴾ ﴿وإذ قبال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون \* إلأ الذي فطرني فإنه سيهدين \* وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون \* بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين \* ولما جاءهم الحقُّ قالوا هذا سحر وإنا به كافرون \* وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم \* أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق

CONTRACT CONTRACTOR وَكَذَاكِ أَوْحَيْنَ ٓ إِلَيْكَ رُوحَا مِنْ أَمْرِنَّا مَا كُذِنَ تَدْرِي مَا ٱلْكِئَابُ وَلَا ٱلْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَهُ ثُولَانَهُ دُولَانَهُ دِيهِ عَن نَشَآهُ مِنْ عِبَادِنَأُ وَلِمَنَّكَ لَنَهْدِيَ إِلَىٰ صِرَاطِ مُّسْتَقِيدِ ۞ صِرَاطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُ مَافِ ٱلسَّمَوْتِ وَمَافِ ٱلْأَرْضُ أَلَا إِلَى ٱللَّوْتِي رُأَلْمُورُ لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ وَلِنَّمُ فِي أَيْرَالُكِ تَلِ لَدَيْنَا لَمَا أَحْكُمُ مُن أَفْتُمْرُ عَنكُمُ النّصَر صَفْحًا أَن كُنتُرْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ۞ وَكَمْ أَرْسَكْنَامِن بِّينَ فِ ٱلْأَقْلِينَ ۞ وَمَا يَأْتِيهِمِ مِن نَبِيٍّ إِلَّاكَانُواْ بِمِهِ يَسْتَهْزِهُونَ ۞ فَأَهْلَكَ نَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْتُ اوَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ٥ وَلَين سَأَلْتُهُم مِّنْ حَلَقَ ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَعُولُكَ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَسَنِيزُ ٱلْعَيْلِيمُ ۞ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْذَا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا شُبُلًا لَقَلَّكُمْ تَهْمَدُونَ ٥ A SERVICE IN EQUEER

بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴿ يخبر تعالى عن ملة إبراهيم الخليل عليه السلام، الذي ينتسب إليه أهل الكتاب والمشركون، وكلهم يزعم أنه على طريقته، فأخبر عن دينه الذي ورثه في ذريته فقال: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه ﴾ الذين اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونهم ويتقربون إليهم:

﴿إنسنى براء مما تعبدون ﴾ أي: مبغضٌ له، مجتنبٌ معادِ لأهله، ﴿ إِلاَّ الذي قطرني ﴿ فإن أتولاه، وأرجو أن يهديني للعلم بالحق والعمل به، فكما فطرني ودبرني بما يصلح بدني ودنياي، ف ﴿سيهدين الله لله يصلح ديني

﴿وجعلها ﴾ أي: هذه الخصلة الحسيدة، التي هي أم الخصال وأساسها، وهي إخلاص العبادة لله وحده، والتبرّي من عبادة ما سواه.

﴿ كلمة باقية في عقبه ﴾ أي: ذريته ﴿لعلهم﴾ إليها ﴿يرجعون﴾ لشهرتها عنه، وتوصيته لذريته، وتوصية بعض بنيه - كإسحاق ويعقوب - لبعض، كما قال تعالى: ﴿ومَنْ يرغب عن ملة إبراهيم إلاّ مَنْ سفه نفسه ﴾ إلى آخر

فلم تزل هذه الكلمة موجودة في ذريته عليه السلام حتى دخلهم الترف والطغيان .

CON CHICAL STRUCTURE وَٱلَّذِي نَزَّلَهِ مِنَ ٱلسَّمَآءَ مَآءً بِفَكَدِ فَأَنْكُرُنَا بِهِ عَبَلَادَةً مَّيْتُمَّا كَذَاكِ تُغْرَجُونَ ۞ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُومِنَ الْفُلُكِ وَالْأَقْدِمِ مَا تَرْكُونَ ١٠ التَّنَتُوْرَاعَلَى ظُهُورِيهِ ثُرِّدَنَكُرُ وَأَيْعَمَةَ رَبِّحُ إِذَا ٱسْتَوَبْشُرْعَلَيْهِ وَيَسَعُّولُواْ مُنْحُدَرُ ٱلَّذِي سَخَرَلْنَاهَا ذَا وَمَاكُنَّا لَهُمُقْرِنِينَ ٣ مَلْنَا إِلَى رَبِّنَا لَنُقِلِهُونَ ۞ وَجَعَلُواللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ مِحْزَةً إِنَّ ٱلإنسَانَ لَكُنُورُ ثُينِ أَن إِم أَغَنازَمِمَا يَقَالُونُ بَنَاتِ وَأَصْفَاكُمُ بَالْمَذِينَ ۞ وَإِذَا لِيُشْرَأُ حَدُمُ مِمَا صَرَبَ لِلرَّحْمَانِ مَشَكَلُ ظُلَّ وَحْهُمُمُنُوذًا وَهُوَكَظِيرُ ۞ أَوَمَن يُتَشَوُّا فِ أَلِمِلْيَة وَهُوَ فِي أَيْحَهُ الْمُحْمَدُمُ مِن ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَيْكَ مَ الَّذِينَ مُرْعِنَدُ الرَّحْزَنِ إِنَّكَا أَلْتَهِ مُواخَلَقَهُمُ مُسَتَّكُنَّهُ شَهَا مَثُهُمُ وَيُسْتَلُونَ ۞ وَقَالُوا لَوْشَلَةَ الرَّحْنُ مَاعَيْنَكُهُمُّ مَّالْمُتُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمِ لَنْ هُمْمُ إِلَّا يَخْرُمِهُونَ ۞ أَمَّ ءَاتَيْنَاهُمْ ۗ ﴿ كِتَبُايِّن قَبْلُهِ وَفَهُم بِهِ و مُسْتَتَسِكُونَ ۞ بَلْ قَالْوَالِْنَا ۗ الم وَجَدُنَا وَالسَّلَةُ مَا عَلَ أَمَّدُو وَإِنَّا عَلَى وَالْدِهِمِ مُهُمَّتُدُونَ ٥ TORONO IN LONGED

فقال تعالى: ﴿بل متعت هؤلاء وآباءهم﴾ بأنواع الشهوات، حتى صارت هي غايتهم ونهاية مقصودهم، فلم تزل يتربى حبها في قلوبهم، حتى صارت صفات راسخة، وعقائد متأصلة. ﴿حتى جاءهم الحقُ﴾ الذي لا شك فيه ولا مرية ولا اشتباه. ﴿ورسول مبين﴾ أي: بين الرسالة، قامت أدلة رسالته قياماً باهراً، بأخلاقه ومعجزاته، وبنفس دعوته ﷺ.

ولما جاءهم الحق الذي يوجب على مَنْ له أدنى دين ومعقول أن يقبله وينقاد له. ﴿قالوا هذا سحر وإنّا به كافرون ﴿ وهذا من أعظم المعاندة والمساقة، فإنهم لم يكتفوا بمجرد الإعراض عنه، بل ولا جحده، فلم يرضوا حتى قدحوا به قدحاً شنيعاً، يرضوا منزلة السحر الباطل، الذي وجعلوه بمنزلة السحر الباطل، الذي الحقواء، والذي حملهم على ذلك، الفتراء، والذي حملهم على ذلك،

﴿وقالوا﴾ مقترحين على الله بعقولهم الفاسدة: ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ أي: معظم عندهم، مبجّل من أهل مكة، أو أهل الطائف، كالوليد بن المغيرة ونحوه، عمن هو عندهم عظيم.

قال الله رداً لاقتراحهم: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ أي: أهم الخزان

لرحمة الله، وبيدهم تدبيرها، فيعطون النبوة والرسالة مَنْ يشاؤون، ويمنعونها عن يشاؤون؟

﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات أي: في الحياة الدنيا، ﴿و﴾ الحال أن رحمة ربك خير مما يجمعون من الدنيا.

فإذا كانت معايش العباد وأرزاقهم الدنيوية بيد الله تعلل، هو الذي يقسمها بين عباده، فيبسط الرزق على مَنْ يشاء، مَنْ يشاء، بحسب حكمته، فرحته الدينية، التي أعلاها النبوة والرسالة، أولى وأحرى أن تكون بيد الله تعالى، فالله أعلم حيث يجعل رسالته.

فعلم أن اقتراحهم ساقط لاغ، وأن التدبير للأمور كلها، دينيها ودنيويها، بيد الله وحده. هذا إقناع لهم، من جهة غلطهم في الاقتراح، الذي ليس في أيديهم منه شيء، إن هو إلا ظلم منهم ورد للحق. وقولهم: ﴿ لُولُا نَزُلُ هذا القرآن على

رجل من القريتين عظيم أو لو عرفوا رجل من القريتين عظيم أو عرفوا الميوف علو قدر الرجل، وعظم منزلته عند الله وعند خلقه، لعلموا أن عبد المطلب أو أعظم الرجال عبد المطلب أو أعظم الرجال عقلاً، وأغزرهم علماً، وأجلهم رأياً وعزماً وحزماً، وأكملهم وعزماً وحزماً، وأكملهم خلقاً، وأوسعهم رحمة، وأشدهم شفقة، وأهداهم وأتقاهم.

وهو قطب دائرة الكمال، وإليه المنتهى في أوصاف الرجال، ألا وهو رجل العالم على الإطلاق، يعرف ذلك أولياؤه وأعداؤه، فكيف يفضل عليه المسركون من لم يشم مثقال ذرة من كماله؟!، ومن جرمه ومنتهى همقه، أن جعل إلهه الذي يعبده ويدعوه ويتقرب لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، وهو كل على مولاه، يحتاج لن يقوم بمصالحه، فهل هذا إلا من فعل

السفهاء والمجانين؟ فكيف يجعل مثل هذا عظيماً؟ أم كيف يفضل على خاتم الرسل وسيد ولد آدم على الذين كفروا لا

يعقلون.

وفي هذه الآية تنبيه على حكمة الله تعالى في تفضيل الله بعض العباد على بعض في الدنيا ﴿ليتخذ بعضهم بعضاً ، سخرياً ﴾ أي: ليسخر بعضهم بعضاً ، في الأعمال والحِرَف والصنائع .

فلو تساوى الناس في الغنى، ولم يحتج بعضهم إلى بعض، لتعطلت كثير من مصالحهم ومنافعهم.

وفيها دليل على أن نعمته الدينية خيرٌ من النعمة الدنيوية كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ مما يجمعون﴾.

(٣٣ - ٣٥) ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة الجعلنا لمن يكفر بالرحن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج وسرراً عليها يتكون \* ولبيوتهم أبواباً كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ﴾ يجر تعالى بأن الدنيا لا تسوى عنده شيئاً ، وأنه لولا لطفه ورحمته بعباده ، التي لا يقدم عليها شيئاً ، لوسعاً عظيماً ، ولجعل ﴿لبيوتهم سقفاً توسيعاً عظيماً ، ولجعل ﴿لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج ﴾ أي: درجاً من فضة حمليها يظهرون ﴾ على سطوحهم .

والبيوتهم أبواباً وسرراً عليها والبيوتهم أبواباً وسرراً عليها وزخرفاً في: لزخرف لهم دنياهم بأنواع الرخارف، وأعطاهم ما يشتهون، ولكن منعه من ذلك رحمته بعباده خوفاً عليهم من التسارع في الكفر وكثرة المعاصي بسبب حب العباد بعض أمور الدنيا منعاً عاماً أو الدنيا منعاً عاماً أو عند الله جناح بعوضة، وأن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، وأن كل هذه المذكورات متاع الحياة الدنيا، منغصة، مكدرة، فانية، وأن الآخرة عند الله عبر للمتقين لربهم بامتثال أوامره تعالى خير للمتقين لربهم بامتثال أوامره

تعالى ﴿حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين، كما في قوله تعالى: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ﴿ يَا وَيُلْتَى لَيْتَنِّي لَمُ أَتَّخَذَ فلاناً خليلاً \* لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءن وكان الشيطان للإنسان

خذولاً .

وقوله تعالى: ﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون، أي: ولا ينفعكم يوم القيامة اشتراككم فسي العنذاب، أنستم وقسرناؤكم وأخلاؤكم، وذلك لأنكم اشتركتم في الظلم، فاشتركتم في عقابه وعذابه.

ولن ينفعكم أيضاً، روح التسلي في المسيبة، فإن المسيبة إذا وقعت في الدنيا، واشترك فيها المعاقبون، هانّ عليهم بعض الهون، وتسلَّى بعضهم ببعض، وأما مصيبة الآخرة، فإنها جمعت كل عقاب، ما فيه أدنى راحة، حتى ولا هذه الراحة. نسألك يا ربنا العافية، وأن تريحنا برحمتك.

﴿ ٤٠ \_ ٤٠) ﴿ أَفَأَنْتُ تَسْمِعُ الْصِيا أو تهدي العمى ومن كان في ضلال مبين \* فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون \* أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون \* فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم \* وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون \* واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون المقول تعالى لرسوله رضي مسلياً له عن امتناع المكذبين عن الاستجابة له، وأنهم لا خير فيهم، ولا فيهم زكاء يدعوهم إلى الهدى: ﴿أَفَأَنْتُ تُسْمِعُ الصُّمِّ﴾ أي: الذين لا يسمعون ﴿أُو تهدى العُمْيَ﴾ الذين لا يبصرون، أو تهدي ﴿مَنْ كَانَ فِي ضَلَالُ مَبِينَ ﴾ أي: بيِّن واضح، لعلمه بضلاله، ورضاه به.

فكما أن الأصم لا يسمع الأصوات، والأعمى لا يبصر، والنصال ضلالاً مبيناً لا يهتدي، فهؤلاء قد فسدت فطرهم وعقولهم، بإعراضهم عن الذكر، واستحدثوا

واجتناب نواهيه، لأن نعيمها تام كامل من كل وجه، وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون، فما أشد الفرق بين

﴿٣٦ ــ ٣٩﴾ ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهوله قرين \* وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون \* حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بُعد المشرقين فبئس القرين \* ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون مخبر تعالى عن عقوبته البليغة، لمن أعرض عن ذكره، فقال: ﴿وَمَنْ يَعْشُ ﴾ أي: يعرض ويصد ﴿عن ذكر الرحن الذي هو القرآن العظيم، الذي هو أعظم رحمة رحم بها الرحمن عباده، فمَنْ قبلها، فقد قبل خير المواهب، وفاز بأعظم المطالب والرغائب، ومَنْ أعرض عنها وردها، فقد خاب وخسر خسارة لا يسعد بعدها أبداً، وقيَّض له الرحمن شيطاناً مريداً، يقارنه ويصاحبه، ويعده ويمنيه، ويؤزه إلى المعاصي أزآ، ﴿ وَإِنَّهُم لِيصِدُونِهُم عِنِ السِّيلِ ﴾ أي: الصراط المستقيم، والدين القويم. ﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾ بسبب تزيين الشيطان للباطل وتحسينه له، وإعراضهم عن الحق، فاجتمع هذا

فإن قيل: فهل لهذا من عذر، من حيث إنه ظن أنه مهتد، وليس كذلك؟ قيل: لا عذر لهذا وأمثاله، الذين مصدر جهلهم الإعراض عن ذكر الله، مع تمكنهم على الاهتداء، فزهدوا في الهدى مع القدرة عليه، ورغبوا في الباطل، فالذنب ذنبهم، والجرم جرمهم.

فهذه حالة هذا المُعْرض عن ذكر الله في الدنيا، مع قرينه، وهو الضلال والغيّ، وانقلاّب الحقائق.

وأما حاله، إذا جاء ربه في الآخرة، فهو شر الأحوال، وهو: إظَّهار الندم والتحسر، والحزن الذي لا يجبر مصابه، والتبري من قرينه، ولهذا قال

OF CHERT STRUCT وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلُنَا مِن قَبَلِكَ فِي قَهْدَوْمَن نَدِيرٍ إِلَّا قَالُ مُلَوُّهُمّا إِنَّا وَجَدْنَا عَلِهَ أَمْنَا عَلَىٰ أَمْنَةً وَلِمَنَّا عَلَىٰ مَالَىٰ إِحْرَمُ فَتَدُونَ ﴿ • قَلَ أُولُوحِنْ تَكُرُ بِأَهْدَىٰ عَمَّا وَجَدَثُمْ عَلَيْهِ مَالِهَ آمَرُ قَالُولُ النَّايِمَا أَرْسِلْمُ بِوِيكُفِرُونَ ۞ فَأَنْفَقَمْنَا مِنْهُمُّ فَأَنْظُرْكَيْفَ كَانَ عَلِيَهُ ٱلْكُكَوْبِينَ ۞ وَلِذُ قَالَ إِيْرُهِ بِدُلِأَ بِيهِ وَقَوْمِ وَإِنَّي بَدَلَةُ ثِمَاتَتُهُدُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِي تَعَلَّمَونِ فَإِنَّهُ مُسَيِّهُ دِينٍ ۞ وَجَعَلَهَا كُلِمَةُ بَاقِيَّةً فِي عَقِيهِ مِلْعَلَّهُمُ يَرْجِعُونَ ۞ بَلْمَنْفَتُ هَنَوُلاَ ، وَمَالِئَةَ هُمُزِحَقَّ جَلَة هُرُائِحَقُّ وَرَسُولُ مِنْ إِنْ وَلَكَا جَآءَهُرُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَلِنَا سِخْرُ وَلِنَّا بِدِ. كَيْرُونَ ۞ وَقَالُواْ لَوْلَانُزِلَ هَكَذَا ٱلْقُرْوَانُ عَلَى رَجُلِ فِنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۞ المُحْرَيَةُ يدعُونَ رَحْمَتَ رَيْكُ تَحْنُ قَسَمْنَا بَيَّنَهُمْ مَعِيدَ مَنْكُمْمْ فِي ٱنْحَيَوْةِ ٱلدُّنْيَّا وَرَفَعَنَابِعُضَاهُرَ فَوَقَ بَعْضِ مَرَكِتِ لِيَنَّخِذَ بَعْضُهُمُ ﴾ بَعْضَا سُخْرِيَاً وَرَحْتُ رَيْكَ خَيْرُغَتَا يَجَمَعُونَ ۞ وَلَوْلَآ أَلَ إِيكُونَ ٱلنَّاسُ أَمَّةَ وَحِدَةً لَجَعَلَنَالِنَ يَصَعُمُ بِأَلَّمْ مَن المُدُونِهِ مُ شُقُفًا مِن فِضَةً وَمَعَادِعَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۞ OLEGO III LONGEON

عقائد فاسدة، وصفات خبيثة، تمنعهم وتحول بينهم وبين الهدي، وتوجب لهم الازدياد من الردي، فهؤلاء لم يبق إلاَّ عذابهم ونكالهم، إما في الدنياً، أو في الآخرة، ولهذا قال تعالى: ﴿فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون ﴿ أي: فإن ذهبنا بك قبل أن نريك ما نعدهم من العذاب، فاعلم بخبرنا الصادق أنَّا منهم منتقمون.

﴿أُو نرينك الذي وعدناهم من العذاب ﴿ فَإِنَّا عليهم مقتدرون ﴾ ولكن ذلك متوقف على اقتضاء الحكمة لتعجيله أو تأخيره، فهذه حالك وحال هؤلاء المكذبين.

وأما أنت ﴿فاستمسك بالذي أوحى إليك﴾ فعلاً واتصافاً، بما يأمر بالاتصاف به ودعوة إليه، وحرصاً على تنفيذه في نفسك وفي غيرك. ﴿إنك على صراط مستقيم﴾ موصل إلى الله وإلى دار كرامته، وهذا مما يوجب عليك زيادة التمسك به والاهتداء إذا علمت أنه حق وعدل وصدق، تكون بانياً على أصل أصيل، إذا بني غيرك على الشكوك والأوهام، والظلم والجور.

﴿ وَإِنَّهُ أَي: هذا القرآن الكريم ﴿لَٰذِكُرٌ لُكُ وَلَقُومُكُ﴾ أي: فخر لكم، ومنقبة جليلة، ونعمة لا يقادر قدرها، ولا يعرف وصفها، ويذكركم أيضاً ما فيه الخير الدنيوي والأخروي، ويحثكم وإلى فرعون ومَليّهِ فقال إني رسول رب العالمين فدعاهم إلى الإقرار بربهم، ونهاهم عن عبادة ما سواه، وفلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون أي: ردوها وأنكروها، واستهزؤوا بها، ظلماً وعلواً، فلم يكن لقصور بالآيات، وعدم وضوح فيها، ولهذا قال: ووما نريهم من آية إلاّ هي أكبر من أختها أي: الآية المتأخرة أعظم من السابقة، ووأخذناهم أعظم من السابقة، ووأخذناهم والضفادع، والدم، آيات مفصلات. وليعنون له، ليزول شركهم وشرهم.

﴿ وقالوا ﴾ عندما نزل عليهم العذاب: ﴿ يَا أَيُّا السَّاحِرِ ﴾ يعنونُ موسى عليه السلام، وهذا، إما من باب التهكم به، وإما أن يكون هذا الخطاب عندهم مدحاً، فتضرعوا إليه بأن خاطبوه بما يخاطبون به مَنْ يزعمون أنهم علماؤهم، وهم السحرة، فقالوا: ﴿ يِا أَيُّهَا السَّاحِرِ ادْعُ لِنَا رَبِكُ بِمَا عَهِدُ عندك أي: بما خصك الله به، وفضَّلك به، من الفضائل والمناقب، أن يكشف عنّا العذاب ﴿إنا لمهتدون ﴾ إن كشف الله عنا ذلك، ﴿فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون﴾ أي: لم يفوا بما قالوا، بل غدروا، واستمروا على كفرهم. وهذا كقوله تعالى: وفأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والنضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قومأ مجرمين \* ولما وقع عليهم الرجز قالوا

يا موسى ادعُ لنا ربك بما عهد عندك

لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك

ولنرسلن معك بني إسرائيل \* فلما

كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه

TO COMPANY STREET وَلِيُونِهِ مَا أَوْزَيَا وَسُرُزًا عَلَيْهَا يَشَكِهُونَ ۞ وَزُخُوا وَانْكُلُ ذَلِكَ لَمَا مَنَامُ الْحَيْرُو ٱلدُّنْيَأُ وَٱلْآخِرَةُ عِندَرَتِكَ لِلْمُثَّقِينَ ٥ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكِرا لرَّحْنَن فَقيضٌ لَدُشَ يَطَلنا فَهُوَلَهُ فَيِينٌ ۞ وَمَانَهُ مُ لَيَصُدُّونَهُ مَ عَنِ ٱلسَّكِيلِ وَيَعْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهُ تَدُونَ ﴿ حَمَّ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَيُعْنَكَ بُمُّ دَالْمُشْرِقَيْنِ فِيكُسَ الْفَهِرِينُ ۞ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيُوْمَ إِذَ ظَلَمَتُ مُ أَنَّكُونِ الْعَنَابِ مُشْتَرِكُونَ ۞ أَفَأَتَ أُسُمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْتَهْدِي ٱلْمُمِّنِي وَمَن كَانَ فِي صَلَالِ مُّسِينٍ ۞ فَإِمَّا نَذُهَ بَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُنتَقِمُونَ ۞ أُوثِرُيِّنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدْنَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّفَّتَدِرُونَ ۞ فَأَسْتَنبِكَ إِلَّذِي أُونِي إِلَيْكَ ۚ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطِ مُسْتَقِيرِ۞ وَلِمَنْكُ أَذُكُو لَلْعَوْمِكُّ وَسَوْفَ تُشْفَلُونَ ﴿ وَسُعَلْمَنْ أَرْسَلْنَامِن فَيَاكَ مِن زُسُلِنَا أَجَعَلْنَامِن دُونِ ٱلزَّحْنَ وَالِهَةَ يُعْبَدُونَ ﴿ وَلَقَدُ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَيَعَالِينَنَا إِلَا فِرْعَوْرَت وَمَلَا بِنُوء فَقَالَ إِنْ رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ ۞ فَلَمَّاجَآءَهُم بِعَلَيْتِنَا إِذَاهُم يَنْهَا يَضْعَكُونَ۞ COLUMN ECRUEO.

عليه، ويذكركم الشر ويرهبكم عنه، ﴿وسوف تسألون﴾ عنه، هل قمتم به فارتفعتم وانتفعتم، أم لم تقوموا به فيكون حجة عليكم، وكفراً منكم بهذه النعمة؟

﴿ واسأل مَنْ أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة بعبدون احتى يكون للمشركين نوع حجة ، يتبعون فيها أحداً من الرسل ، فإنك لو سألتهم واستخبرتهم عن أحوالهم، لم تجد أحداً منهم يدعو إلى اتخاذ إليه آخر مع الله مع أن كيل الرسل، من أولهم إلى آخرهم، يدعون إلى عبادة الله، وحده لا شريك له. قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، وكل رسول بعثه الله، يقول لقومه: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، فدل هذا، أن المشركين ليس لهم مستند في شركهم، لا من عقل صحيح، ولا نقل عن الرسل.

﴿٤٦ ـ ٥٦ ﴾ ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه ﴾ إلى آخر القصة . لما قال تعالى : ﴿واسأل مَنْ أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ بين تعالى حال موسى ودعوته ، التي هى أشهر ما يكون من دعوات الرسل ،

ولأن الله تعالى أكثر من ذكرها في كتابه، فذكر حاله مع فرعون، فقال: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ التي دلت دلالة قاطعة على صحة ما جاء به، كالعصا، والحية، وإرسال ألجراد، والقمل، إلى آخر الآيات.

ماله وجنوده: ﴿يا قوم أليس لي مُلُكُ مِضْرَ﴾ أي: ألست المالك لذلك، المتصرف فيه، ﴿وهذه الأنهار تجري من تحتي ﴾ أي: الأنهار المنسحبة من النيل، في وسط القصور والبساتين. ﴿أفلا تبصرون هذا الملك الطويل العريض، وهذا من جهله البليغ، حيث افتخر وهذا من جهله البليغ، حيث افتخر بأصر خارج عن ذاته، ولم يضخر بأوصاف حميدة، ولا أفعال سديدة. ﴿ وَمَ يَصْمُ هَذَا اللَّهِي هِمُو مَهِينٌ ﴾ يعني \_ قبحه الله \_بالمهين، مهينٌ ﴾ يعني \_ قبحه الله \_بالمهين،

﴿ونادي فرعون في قومه قال﴾

مستعلياً بباطله، قد غره ملكه، وأطغاه

إذا هم ينكثون ﴿ .

وام انا خير من هذا الذي هو مهين عني يعني - قبحه الله - بالمهين موسى بن عمران، كليم الرحمن الوجيه عند الله، أي: أنا العزيز، وهو الذليل المهان المحتقر، فأيّنا خير؟ ﴿وَ وَ مَعَمَدُ وَ لَكُلُمُ اللّهُ لَيْنَ عَمَا في ضميره بالكلام، لأنه ليس بفصيح اللسان، وهذا ليس من العيوب في شيء، إذا كان يبين ما في قلبه، ولو شيء، إذا كان يبين ما في قلبه، ولو كان ثقيلاً عليه الكلام.

ثم قال فرعون: ﴿فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب ﴾ أي: فه الآكان موسى بهذه الحالة، أن يكون مزيناً عملاً بالحلي والأساور؟ ﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ يعاونونه على دعوته، ويؤيدونه على قوله.

﴿فاستخف قومه فأطاعوه ﴾ أي: استخف عقولهم بما أبدى لهم من هذه الشبه، التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولا حقيقة تحتها، وليست دليلاً على حق ولا على باطل، ولا تروج إلا على ضعفاء العقول.

فأي: دليل يـدل عـلى أن فـرعــون محـق، لكـون مُـلك مصــر لـه، وأنهاره تجري من تحته؟

وأي: دليل يدل على بطلان ما جاء به موسى، لقلة أتباعه، وثقل لسانه، وعدم تحلية الله له، ولكنه لقي ملأ لا معقول عندهم، فمهما قال اتبعوه، من حق وباطل. ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ فبسبب فسقهم، قيض لهم ON CONSTRUCTION OF ولم قُلْتَ: ﴿إِنكُم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾. وهذا لفظ بزعمهم، يعم الأصنام، وعيسى، فهل هذا إلاّ تناقض؟ وتناقض الحجة دليل على بطلانها، هذا أنهى ما يقررون به هذه

> وهي \_ولله الحمد \_من أضعف الشبه وأبطلها، فإن تسوية الله بين النهي عن عبادة المسيح، وبين النهي عن عبادة الأصنام، لأن العبادة حق لله تعالى، لا يستحقها أحد من الخلق، لا الملائكة المقربون، ولا الأنبياء المرسلون، ولا مَنْ سواهم من الخلق، فأي: شبهة في تسوية النهي عن عبادة عيسى وغيره؟

الشبهة [الذي](١) فرحوابها

واستبشروا، وجعلوا يصدون

ويتباشرون.

وليس تفضيل عيسى عليه السلام، وكونه مقرباً عند ربه ما يدل على الفرق بينه وبينها في هذا الموضع، وإنما هو كما قال تعالى: ﴿إِن هُو إِلَّا عَبِدُ أَنْعَمِنَا عليه > بالنبوة والحكمة والعلم والعمل، ﴿وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل > يعرفون به قدرة الله تعالى على إيجاده من دون أب.

وأما قبوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ فالجواب عنها من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن قوله: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله أن «ما» اسم لما لا يعقل، لا يدخل فيه المسيح وانحوه. الثان: أن الخطاب للمشركين،

الذين بمكة وما حولها، وهم إنما يعبدون أصناما وأوثانا ولا يعبدون المسيح .

الثالث: أن الله قال بعد هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينِ سَبِقَتَ لَهُمَ مِنَّا الْحُسْنِي أولئك عنها مبعدون﴾ فلا شك أن

ا وَمَانُهِهِ مِنْ وَالِيَةِ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُونَ أُخْتِهَا وَأَخَنْتُهُمُ إِلْمَذَار لَمَالَهُ مُ يَرْجِعُونَ ۞ وَقَالُواْيَدَالَيْهُ ٱلسَّاحِرُ أَدْعُ كَنَارَبُكَ بِمَا عَهِدَعِندَكَ إِنَّالَهُ مَدُونَ ۞ فَلَمَّاكَ شَفْنَاعَنْ هُرُ ٱلْعَــَذَابَ إِذَا هُرْيَنَكُتُونَ ۞ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِ فَوْمِهِ ء قَالَ يَنَقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَوَهَا ذِوا ٱلْأَنْهَا رُتَجْرِي مِن تَحْيَقً أَفَلَا تُبْيِرُونَ ۞ أَمْ أَنَا خَيْرُ قِنْ هَاذَا ٱلَّذِي هُوَمَهِينُ وَلَا يَكَادُيُهِ يُنْ ۞ فَلَوْ لَا أَلْقِ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِن دَهَبِ أَوْجَآهَ مَعَةُ ٱلْكَلِّبَكَةُ مُقْتَرِيْدِتَ ۞ فَأَسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَا فَلِيقِينَ ۞ فَلَمَّا ٓهَ اسَعُونَا اَنتَقَمْنَامِنْهُمْ وَأَغْرَقِنَاهُمُ أَحْمَدِينَ ۞ فَعَمَلْنَاهُمُ سَلَفَا وَمَثَلًا لِلْآخِيدَ ٥٠ وَلَقَامُمِيا آنُ عَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُلُكَ مِنْهُ يَصِيدُونَ ۞ وَفَالْوَا مَأَالِهَ تُشَاحَيْرُ أَدْهُوْمَا صَرَيُهُ الْكَ إِلَّاجَدَ لَأَبْلُهُمْ مَعْ مَعْ خَصِمُونَ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّاعَبُدُ أَنْمَنْنَاعَلَيْهِ وَتَعَمَّلُنَهُ مَثَلًا لِبُنِيَ إِمْرَةٍ إِلَّهِ

عيسى وغيره من الأنبياء والأولياء، داخلون في هذه الآية .

الله وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا لَكُم مَلَّتِهِ كُمَّ فِي اللَّهُ مِن يَعْلَقُونَ ٥

CANDA III ROBORO

ثم قال تعالى: ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون ﴿ أي : لجعلنا بدلكم ملائكة يخلفونكم في الأرض، ويكونون في الأرض حتى نرسل إليهم ملائكة من جنسهم، وأما أنتم يا معشر البشر، فلا تطيقون أن ترسل إليكم الملائكة، فمن رحمة الله بكم، أن أرسل إليكم رسلاً من جنسكم، تتمكنون من الأخذ عنهم.

﴿ وإنه لعلم للساعة ﴾ أي: وإن عيسى عليه السلام، للدليل على الساعة، وأن القادر على إيجاده من أم بلا أب، قادر على بعث الموتى من قبورهم، أو وإن عيسى عليه السلام، سينزل في آخر الزمان، ويكون نزوله علامة من علامات الساعة ﴿فلا تمترنُّ بها﴾ أي: لا تشكنٌ في قيام الساعة، فإن الشك فيها كفر . ﴿واتبعون﴾ بامتثال ما أمرتكم، واجتناب ما نهيتكم، ﴿هذا صراط مستقيم مـوصــل إلى الله عــز وجــل، ﴿وَلا يصدنكم الشيطان﴾ عمّا أمركم الله به، فإن الشيطان ﴿لكم عدوٌّ حريص على إغوائكم، باذل جهده في ذلك، ﴿ولما جاء عيسي بالبينات﴾ الدالة

على صدق نبوته وصحة ما جاءهم به،

في النسختين (الذي) ولعل الصواب (التي).

فرعون، يزين لهم الشرك والشر.

﴿ فلما آسفونا ﴾ أي: أغضبونا بأفعالهم ﴿انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين \* فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ليعتبر بهم المعتبرون، ويتعظ بأحوالهم المتعظون.

﴿٥٧ ـ ٦٥﴾ ﴿ولما ضسرب ابسن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون \* وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون \* إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل \* ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون \* وإنه لعلمُ للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم \* ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين \* ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون \* إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم \* فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم﴾ يقول تعالى: ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلاً أي: نُهي عن عبادته، وجعلتُ عبادته بمنزلة عبادة الأصنام والأنداد. ﴿إِذَا قُومِكُ ﴾ المكذبون لك ﴿منه ﴾ أي: من أجل هذا المثل المضروب، ﴿يمسدون﴾ أي: يستلجون في خصومتهم لك، ويصيحون، ويزعمون أنهم قد غلبوا في حجتهم، وأفلجوا.

﴿وقالُوا أَالَهُتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُو﴾ يعني: عيسى، حيث نهى عن عبادة الجميع، وشورك بينهم بالوعيد على مَنْ عبدهم، ونزل أيضاً قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون، .

ووجه حجتهم الظالمة، أنهم قالوا: قد تقرر عندنا وعندك يا محمد، أن عيسى من عباد الله المقربين، الذين لهم

العاقبة الحسنة، فَلِمَ سويت بينه وبينها في النهي عن عبادة الجميع؟ فلولا أن حجتك باطلة لم تتناقض.

CA CHARLE A STRAIGH P. C. وَلِنَّهُ لِمِنْ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَعْتَرُكَ بِهَا وَأَنِّيعُونُ هَا ذَاصِ كُلُّ مُسْتَقِيمٌ ۞ وَلَا يَصُدُ لَكُوالشَّيْطِانُّ إِنَّهُ لِكُمْ عَدُقٌّ مُّبِينُ ۞ وَلِمَاجَآءَ عِيسَىٰ إِلْبَيِّنَتِ قَالَ فَدْحِثْنُكُم إِلْحِكْمَةِ وَلِأَبْيِنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَغْتَلِفُونَ فِيهٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ إِنَّ أَلْقَهُ هُوَرَتِي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَاذَا صِرَطْ مُسْتَقِيدٌ ۞ فَأَخْتَلَفَ ٱلْأَخْزَابُ مِنْ يَنْفِرُهُ وَوَيْلُ لِلَّذِينَ ظُلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمِ أَلِيهِ ۞ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَعْتَةً وَهُمْ لَايَشْعُهُنَ ۞ ٱلْأَضَّلَآ يُوْمَ إِنْ يَعْشُهُمُ لِعَصِ عَدُو إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۞ يَعِمَادِ لَاخَوْفُ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَشَدُ تَغَزَّوُنَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْمِعَايُلِنَا وَكَافُواْ مُسْلِيدِك ۞ اتَخُلُوا ٱلْجَنَّةَ أَسَارُ وَأَزْوَجُكُمْ تُعَبَّرُونَ ۞ يُطَافُ عَلَيْهِ رِبِيهِ حَافِيْنِ ذَهَبٍ وَأَحْدُوابٍ وَفِيهَا مَاتَشْتَهِ مِوالْأَنْفُسُ وَتَكَذُّ ٱلْأَعْيُثُ وَأَنتُ فِهَاخَيْدُ وَن ٥ وَمَالُكَ أَجْتَهُ ٱلَّتِي أُورِثُنَّتُوهَا مِمَا كُنَّتُهُ مَعْمَلُونَ المُ المُحْمِينَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ ACCORDANIE OF SECTION

من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، ونحو ذلك من الآيات. ﴿قَالُ لِبني إسرائيل: ﴿قَدْ جَنْتُكُمْ بالحكمة﴾ النبوة والعلم، بما ينبغي على الوجه الذي ينبغي. ﴿ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه اي: أبين لكم صوابه وجوابه، فيزول عنكم بذلك اللبس، فجاء عليه السلام مكملأ ومتممأ لشريعة موسي عليه السلام، ولأحكام التوراة. وأتى ببعض التسهيلات الموجبة للانقياد له، وقبول ما جاءهم به. ﴿فَاتَّقُوا اللهُ وأطيعون أي: اعبدوا الله وحده لا شريك له، وامتثلوا أمره، واجتنبوا نهيه، وآمنوا بي وصدقوني وأطيعون.

﴿إِن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم الفيه الإقرار بتوحيد الربوبية، بأن الله هو المربي جميع خلقه بأنواع النعم الظاهرة والباطنة، والإقرار بتوحيد العبودية، بالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وإخبار عيسي عليه السلام أنه عبد من عباد الله، ليس كما قال فيه النصارى: «إنه ابن الله، أو ثبالث ثبلاثه»، والإخبار بأن هذا المذكور صراط مستقيم، موصل إلى الله وإلى جنته.

فلما جاءهم عيسي عليه السلام بهذا ﴿ اختلف الأحزاب المتحزبون على التكذيب ﴿من بينهم ﴾ كلِّ قال بعيسى

عليه السلام مقالة باطلة، ورد ما جاء به، إلا مَنْ هدى الله من المؤمنين، الذين شهدوا له بالرسالة، وصدقوا بكل ما جاء به، وقالوا: إنه عبد الله

﴿ فُويِلٌ للذين ظلموا من عذاب يوم أليم﴾ أي: ما أشد حزن الظالمين وما أعظم خسارهم في ذلك اليوم!! ﴿٦٦ - ٧٣) ﴿ هِلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا

لا يشعرون \* الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين \* يا عباد لا خـوف عـليكـم اليوم ولا أنـتـم تحزنون \* الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين \* ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون \* يطاف عليهم بصحافٍ من ذهب وأكواب وفيها مأ تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون \* وتلك الجنة التي أورثتُموها بما كنتم تعملون \* لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ، يقول تعالى: ما ينتظر المكذبون، وهل يتوقعون ﴿إلاَّ السناعة أن تبأتيهم بنغشة وهم لا يشعرون أي: فإذا جاءت، فلا تسأل عن أحوال مَنْ كذَّب بها، واستهزأ بمن جاء بها، وإن الأخلاء يومئذ، أي: يوم القيامة، المتخالِّين على الكفر والتكذيب ومعصية الله، ﴿بعضهم لبعض عدو﴾ لأن خلتهم ومحبتهم في الدنيا لغير الله، فانقلبت يوم القيامة عداوة. ﴿ إِلَّا المُّقَينَ ﴾ للشرك والمعاصى، فإن محبتهم تدوم وتتصل، بدوام مَنْ كانت المحبة لأجله، ثم ذكر ثواب المتقين، وأن الله تعالى يناديهم يوم القيامة بما يسر قلوبهم، ويذهب عنهم كل آفة وشر، فيقول: ﴿ياعباد لا خوفَ عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ أي: لا خوف يلحقكم فيما تستقبلونه من الأمور، ولاحزن يصيبكم فيما مضي منها،

وإذا انتفى المكروه من كل وجه، ثبت المحبوب المطلوب. ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾ أي: وصفهم الإيمان

بآيات الله، وذلك ليشمل التصديق

بها، وبما لا يتم التصديق إلاَّ به، من العلم بمعناها والعمل بمقتضاها. ﴿وكانوا مسلمين﴾ لله منقادين له في جميع أحوالهم، فجمعوا بين الاتصاف بعمل الظاهر والباطن.

﴿ادخلوا الجنة﴾ التي هي دار القرار ﴿أَنْتُم وَأَزُواجِكُم﴾ أيُّ: مَنْ كَانَ عَلَى مثل عملكم، من كل مقارن لكم، من زوجة، وولد، وصاحب، وغيرهم. ﴿تحبرون﴾ أي: تنعمون وتكرمون، الساعة أن تأتيهم بختة وهم ويأتيكم من فضل ربكم من الخيرات والسرور والأفراح واللذات، ما لا تعبُّر الألسن عن وصفه.

﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب أي: تدور عليهم خدامهم، من الولدان المخلدين بطعامهم، بأحسن الأواني وأفخرها، وهي صحاف الذهب وشرابهم، بألطف الأواني، وهي الأكواب التي لا عرى لها، وهي من أصفى الأواني، من فضة أعظم من صفاء القوارير.

﴿ وفيها ﴾ أي: الجنة ﴿ ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين) وهذا لفظ جامع، يأتي على كل نعيم وفرح، وقرة عين، وسرور قلب، فكل ما اشتهته النقوس، من مطاعم، ومشارب، وملابس، ومناكح، ولذته العيون، من مناظر حسنة، وأشجار محدقة، ويُعَم مونقة، ومبان مزخرفة، فإنه حاصل فيها، معد لأهلها، على أكمل الوجوه وأفضلها، كما قال تعالى: ﴿لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون﴾ ﴿وأنتم فيها خالدون، وهذا هو تمام نعيم أهل الجنة، وهو الخلد الدائم فيها، الذي يتضمن دوام نعيمها وزيادته، وعدم انقطاعه .

﴿ وتلك الجنة ﴾ الموصوفة بأكمل الصفات، هي ﴿التِي أورثتموها بِمَا كنتم تعملون ﴿ أَي : أُورِثُكُم الله إياها بأعمالكم، وجعلها من فضله جزاء لها، وأودع فيها من رحمته ما أودع.

[﴿لكم فيها فاكهة كثيرة ﴾ كما في الآية الأخرى: ﴿فيهما من كل فاكهة زوجان﴾. ﴿منها تأكلون﴾ أي: مما تتخيرون من تلك الفواكه الشهية،

والثمار اللذيذة تأكلون]<sup>(١)</sup>.

ولما ذكر نعيم الجنة، عقبه بذكر عذاب جهنم، فقال:

﴿٤٧ ـ ٨٧﴾ ﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون \* لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون \* وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين \* ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون \* لقد جثناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون﴾.

وإن المجرسين الذين أجرسوا بكفرهم وتكذيبهم وفي عذاب جهنم أي: منغمرون فيه، عيط بهم العذاب من كل جانب، وخالدون فيه، لا يخرجون منه أبداً، و ولا يفتر عنهم العذاب ساعة، بإزالته، ولا يتهون عذابه، وهم فيه مبلسون أي: آيسون من كل خير، مبلسون أي: آيسون من كل خير، غير راجين للفرج، وذلك أنهم ينادون عدنا فإنا ظالمون \* قال اخسؤوا فيها عدنا فإنا ظالمون \* قال اخسؤوا فيها بما قدمت أيديهم، وبما ظلموا به أنفسهم، والله لم يظلمهم ولم يعاقبهم بلا ذنب ولا جرم.

﴿ونادوا﴾ وهم في النار، لعلهم يحصل لهم استراحة، ﴿ يَا مَالُكُ لِيَقْضُ علينا ربك ﴾ أي: ليمتنا فنستريح، فإنَّنا فى غمم شديد، وعنداب عليظ، لا صير لنا عليه ولا جَلَد. فـ ﴿قال﴾ لهم مالك خازن النار \_حين طلبوا منه أن يدعو الله لهم أن يقضى عليهم -: ﴿إِنكُم مَاكِثُونَ ﴾ أي: مقيمون فيها، لا تخرجون عنها أبدأ، فلم يحصل لهم ما قصدوه، بل أجابهم بنقيض قصدهم، وزادهم غماً إلى غمهم، ثم وبخهم بما فعلوا، فقال: ﴿لقد جئناكم بالحق﴾ الذي يوجب عليكم أن تتبعوه فلو تبعثموه، لفزتم وسعدتم، ﴿ولكن أكثركم للحق كارهون﴾ فلذلك شقيتم شقارة لا سعادة بعدها. ﴿٧٩ ــ ٨٠) ﴿أُمَّ أَبِرِمُوا أَمِراً فَإِنَّا مبرمون \* أم يحسبون أنا لا نسمع

سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديم يكتبون في يقول تعالى: أم أبرم المكذبون بالحق المعاندون له ﴿أمرا في أي : كادوا كيداً، ومكروا للحق ولمن جاء بالحق، ليدحضوه، بما موهوا من الباطل المزخرف المزوق، ﴿فإنّا مبرمون في أي : عكمون أمراً، ومدبرون تدبيراً يعلو تدبيرهم، وينقضه ويبطله، وهو ما قيضه الله من الأسباب والأدلة لإحقاق الحق وإبطال الباطل، كما قال تعالى : فيدمغه في الساطل

﴿أَمْ يُحسبونَ بجهلهم وظلمهم وظلمهم ﴿أَنَّا لا نسمع سرَّهُم الذي لم يتكلموا به ، بل هـو سـر فـي قـلـوبهم الخفي ونجواهم ﴾ أي: كلامهم الخفي الذي يتناجون به ، أي: فلذلك أقدموا على المعاصي ، وظنوا أنها لا تبعة لها ولا بجازاة على ما خفي منها .

فرد الله عليهم بقوله: ﴿بل ﴾ أي: إنّا نعلم سرهم ونجواهم، ﴿ورسلنا ﴾ الملائكة الكرام، ﴿لديهم يكتبون ﴾ كل ما عملوه، وسيحفظ ذلك عليهم، حتى يردوا القيامة، فيجدوا ما عملوا حاضراً، ولا يظلم ربك أحداً.

﴿ ٨ ـ ٣٨﴾ ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أوّل العابدين \* سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون \* فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ﴾ أيها الرسول الكريم، للذين جعلوا لله ولداً، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له كفواً أحد.

وقل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين لذلك الولد، لأنه جزء من والده، وأنا أول الخلق انقياداً للأمور المحبوبة شه، ولكني أول المنكرين لذلك، وأشدهم له نفياً، فعلم بذلك عطيم عند من عرف أحوال الرسل، وأنه إذا علم أنهم أكمل الخلق، وأن كل خير فهم أول الناس سبقاً إليه وتكميلاً له، وكل شر

فهم أوّل الناس تركاً له وإنكاراً له وبُعداً منه، فلو كان على هذا للرحمن ولد وهو الحق، لكان محمد بن عبد الله، أفضل الرسل أوّل مَنْ عبده، ولم يسبقه إليه المشركون.

ويحتمل أن معنى الآية: لوكان للرحمن ولد، فأنا أوّل العابدين ش، ومن عبادتي لله، إثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه، فهذا من العبادة القولية الاعتقادية، ويلزم من هذا، لو كان حقاً، لكنت أوّل مثبت له، فعلم بذلك بطلان دعوى المشركين وفسادها، عقلاً ونقلاً. ﴿سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عمّا يصفون) من الشريك والظهير، والعوين والولد، وغير ذلك، مما نسبه إليه المشركون. ﴿فَذَرِهُمْ يَخُوضُوا ويلعبوا﴾ أى: يخوضوا بالباطل، ويلعبوا بالمحال، فعلومهم ضارة غير نافعة، وهي الخوض والبحث بالعلوم التي يعارضون بها الحق وما جاءت بيه الرسل، وأعمالهم لعب وسفاهة، لا تزكي النفوس، ولا تثمر المعارف. ولهذا توعدهم بما أمامهم من يوم

ولهذا توعدهم بما أمامهم من يوم القيامة فقال: ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ فسيعلمون فيه ماذا حصلوا، وما حصلوا عليه من الشقاء الدائم، والعذاب المستمر.

السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم السماوات والأرض وما بينهما وعنده السماوات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون \* ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون \* وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون \* فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون \* يغبر وقل سلام فسوف يعلمون \* يغبر تعالى، أنه وحده المألوه المعبود في السماوات والأرض فأهل السماوات والأرض فأهل السماوات ويعظمون ، ويخضعون كيعبدونه، ويغضعون

لجلاله، ويفتقرون لكماله.

﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومَنْ فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ ﴿ولله يسجد مَنْ في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً﴾.

فهو تعالى المألوه المعبود، الذي يألهه الخلائق كلهم، طائعين مختارين، وكارهين. وهذه كقوله تعالى: ﴿وهـو الله فسي الــــمـاوات وفسي الأرض﴾ أي: ألوهيته ومحبته فيهماً. وأما هو فهو فوق عرشه، بائن من خلقه، متوحد بجلاله، متمجد بكماله، ﴿وهو الحكيم﴾ الذي أحكم ما خلقه، وأتقن ما شرعه، فما خلق شيئاً إلا لحكمة، ولا شرع شيئاً إلا لحكمة، وحكمه القدري والشرعي والجزائي مشتمل على الحكمة. ﴿العليم ﴾ بكل شيء، يعلم السر وأخفى، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في العالم العلوي والسفلي، ولا أصغر منها ولا أكبر.

﴿وَتِبَارِكُ الَّذِي لَهُ مَلَكُ السَّمَاوَاتُ والأرض وما بينهما الله تبارك بمعنى تعالى وتعاظم، وكثر خيره، واتسعت صفاته، وعظم ملكه. ولهذا ذكر سعة ملكه للسموات والأرض وما بينهما، وسعة علمه، وأنه بكل شيء عليم، حتى إنه تعالى، انفرد بعلم كثير من الغيوب، التي لم يطلع عليها أحدّ من الخلق، لا نبى مرسل، ولا ملك مقرّب، ولهذا قال: ﴿وعنده علم الساعة ﴾ قدم الظرف، ليفيد الحصر، أي: لا يعلم متى تجيء الساعة إلاّ هو، ومن تمام ملكه وسعته، أنه مالك الدنيا والآخرة، ولهذا قال: ﴿وإليه ترجعون ﴾ أي: في الآخرة فيحكم بينكم بحكمه العدل، ومن تمام ملكه، أنه لا يملك أحد من خلقه من الأمر شيئاً، ولا يقدم على الشفاعة عنده أحد إلاّ بإذنه .

﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة﴾ أي: كل مَنْ دُعي من دون الله، من الأنبياء والملائكة

وغيرهم، لا يملكون الشفاعة، ولا يـــشـــفــعـــون إلا بـــإذن الله، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، ولهذا قال: ﴿ إِلاَّ مَنْ شهد بِالْحِقِ ﴾ أي: نطق بلسانه، مقراً بقلبه، عالماً بما شهد به، ويشترط أن تكون شهادته بالحق، وهو الشهادة لله تعالى بالوحدانية، ولرسله بالنبوة والرسالة، وصحة ما جاؤوا به، من أصول الدين وفروعه، وحقائقه وشرائعه، فهؤلاء الذين تنفع فيهم شفاعة الشافعين، وهؤلاء الناجون من عذاب الله، الحائزون لثوابه. ثم قال تعالى: ﴿ولئن سألتهم مَنْ خلقهم ليقولن الله أي: ولئن سألت المشركين عن توحيد الربوبية، ومن هو الخالــق، لأقــروا أنــه الله وحـــده لا شريك له.

﴿فأنى يؤفكون﴾ أي: فكيف يصرفون عن عبادة الله والإخلاص له وحده؟! فإقرارهم بتوحيد الربوبية، يلزمهم به الإقرار بتوحيد الألوهية، وهو من أكبر الأدلة على بطلان الشرك.

﴿وقِيلِهِ يا رَبُ إِنَّ هَوْلاء قُوم لا يؤمنون ﴾ هذا معطوف على قوله: ﴿وعنده علم الساعة ﴾ أي: وعنده علم قيله، أي: الرسول ﷺ ، شاكياً لربه تكذيب قومه، متحزناً على ذلك، متحسراً على عدم إيمانهم، فالله تعالى عالم بهذه الحال، قادر على معاجلتهم بالعقوبة، ولكنه تعالى حليم، يمهل العباد ويستأني بهم، لعلهم يتوبون ويرجعون، ولهذا قال:

﴿ فاصفح عنهم وقُلْ سَلامٌ ﴾ أي: اصفح عنهم ما يأتيك من أذيتهم القولية والفعلية، واعف عنهم، ولا يبدر منك لهم إلا السلام الذي يُقَابِلُ به أولو الألباب والبصائر الحاهلين، كما قال تعالى عن عباده الصالحين: ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون ﴾ أي: خطاباً بمقتضى جهلهم ﴿ قالوا سلاماً ﴾ فامتثل على لأمر ربه، وتلقى ما يصدر إليه من قومه وغيرهم من الأذى، بالعفو والصفح، ولم يقابلهم عليه إلا بالإحسان إليهم والخطاب عليه إلا بالإحسان إليهم والخطاب

الجميل.

فصلوات لله وسلامه على مَنْ خصه الله بالخلق العظيم، الذي فَضَلَ به أهل الأرض والسماء، وارتفع به أعلى من كواكب الجوزاء.

وقوله: ﴿ فسوف يعلمون ﴾ أي: غِبُّ ذنوبهم، وعاقبة جرمهم.

تم تفسير سورة الزخرف

## تفسير سورة الدخان مكيـــة

﴿ ١٦٠١﴾ ﴿ بسبم الله السرحسن الرحيم حم \* والكتاب المبين \* إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين \* فيها يفرق كل أمر حكيم \* أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين \* رحمة من ربك إنه هو السميع العليم \* رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين \* لا إله إلا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين \* بل هم فى شك يلعبون \* فارتقب يوم تأي السماء بدخان مبين \* يغشى الناس هذا عذاب أليم \* ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون \* أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين \* ثم تولوا عنه وقالوا معلمٌ مجنون \* إنا كاشفوا المذاب قليلاً إنكم عائدون \* يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون هذا قسم بالقرآن على القرآن، فأقسم بالكتاب المبين لكل ما يحتاج إلى بيانه، أنه أنزله ﴿ في ليلة مباركة ﴾ آي: كثيرة الخير والبركة، وهي ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، فأنزل أفضل الكلام بأفضل الليالي والأيام، على أفضل الأنام، بلغة العرب الكرام، لينذر به قوماً عمتهم الجهالة، وغلبت عليهم الشقاوة، فيستضيؤوا بنوره، ويقتبسوا من هداه، ويسيروا وراءه، فيحصل لهم الخير الدنيوي، والخير الأخروي، ولهذا قال: ﴿إنا كنا منذرين \* فيها أي: في تلك الليلة الفاضلة التي نزل فيها القرآن ﴿يفرق كل أمر حكيم اي: يفصل ويميز، ويكتب كل أمر قدري وشرعى حكم الله به، وهذه الكتابة والفرقان،

الذي يكون في ليلة القدر، أحد(١١ الكتابات التي تكتب وتميز، فتطابق الكتاب الأول، الذي كتب الله به مقادير الخلائق وآجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وأحوالهم، ثم إن الله تعالى قد وكل ملائكة تكتب ما سيجري على العبد وهو في بطن أمه، ثم وكلهم بعد وجبوده إلى البدنيا، وكُملُ بِـه كـرامـاً كاتبين، يكتبون ويحفظون عليه أعماله، ثم إنه تعالى يقدر في ليلة القدر ما يكون في السنة، وكل هذا من تمام علمه، وكمال حكمته، وإتقان حفظه، واعتنائه تعالى بخلقه ﴿أَمْراً مِنْ عَنْدُنّا﴾ أي: هذا الأمر الحكيم، أمر صادر من عندنا، ﴿إِنَّا كُنَّا مُرسَلِينَ ﴾ للرسل، ومنزلين للكتب، والرسل تبلغ أوامر المرسل، وتخبر بأقداره، ﴿رَحْمَةُ مِنْ ربك﴾ أي: إن إرسال الرسل وإنزال الكتب، التي أفضلها القرآن، رحمة من رب العباد بالعباد، فما رحم الله عباده برحمة أجل من هدايتهم بالكتب والرسل، وكل خير ينالونه في الدنيا والآخرة، فإنه من أجل ذلك وسببه، ﴿إنه هو السميع العليم ﴾ أي: يسمع جميع الأصوات، ويعلم جميع الأمور الظاهرة والباطنة، وقد علم تعالى ضرورة العباد إلى رسله وكتبه، فرحمهم بذلك، ومنَّ عليهم، فله تعالى الحمد والمنة والإحسان.

﴿ربِ السسماوات والأرض وما بينهما الى: خالق ذلك ومدبره، والمتصرف فيه بما يشاء.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقَّنْيِنَ﴾ أي: عالمين بذلك علماً مفيداً للبقين، فاعلموا أن الرب للمخلوقات هو إلهها الحق، ولهذا قال: ﴿لَا إِلَّهُ إِلَّا هُو﴾ أي: لا معبود إلا وجهه، ﴿ يحيي ويميت ﴾ أي: هو المتصرف وحده بالإحياء والإماتة، وسيجمعكم بعد موتكم فيجزيكم بعملكم، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر، ﴿ رَبُّكُم ورب آبائكُم الأولين أي: رب الأولين

والآخرين، مربيهم بالنعم، الدافع عنهم النقم.

فلما قرر تعالى ربوبيته وألوهيته، بما يوجب العلم التام ويدفع الشك، أخبر أن الكافِرين مع هذا البيان ﴿في شك يلعبون، أي: منغمرون في الشكوك والشبهات، غافلون عما خلَّقوا له، قد اشتغلوا باللعب الباطل، الذي لا يجدى عليهم إلا الضرر، ﴿فارتقب أي: انتظر فيهم العذاب، فإنه قد قرب وآن أوانه، ﴿ يُوم تُأْتِي السماء بدخان مبين \* يغشى الناس؟ أي: يعمهم ذلك الدخان، ويقال لهم: ﴿هذا عدَّابِ أليم﴾

واختلف المفسرون في المراد بهذا الدخان، فقيل: إنه الدّخان الذي يغشى الناس ويعمهم حين تقرب النار من المجرمين في يوم القيامة، وأن الله توعدهم بعذاب يوم القيامة، وأمر نبيه أن ينتظر بهم ذلك اليوم.

ويؤيد هذا المعنى، أن هذه الطريقة هي طريقة القرآن في توعد الكفار والتأنُّي جم، وترهيبهم بذلك اليوم وعذابه، وتسلية الرسول والمؤمنين بالانتظار بمن آذاهم، ويؤيده أيضاً، أنه قال في هذه الآية: ﴿أَنِّي لَهُمْ الذكري وقد جاءهم رسول مبين، وهذا يقال يوم القيامة للكفار، حين يطلبون الرجوع إلى الدنيا، فيقال: قد ذهب وقت الرجوع.

وقيل: إن المراد بذلك، ما أصاب كفار قريش حين امتنعوا من الإيمان، واستكبروا على الحق، فدعا عليهم النبي على ، فقال: «اللهم أعنى عليهم بسنین کسنی یوسف»، فأرسل الله عليهم الجوع العظيم، حتى أكلوا الميتات والعظام، وصاروا يرون الذي بين السماء والأرض كهيئة الدخان، وليس به، وذلك من شدة الجوع.

فيكون \_على هذا \_قوله: ﴿يوم تأتي السماء بدخان ان ذلك بالنسبة

DA CONG " QUALLY RO إِذَا لَيْجُهِ مِنَ فِي عَذَابِ جَهَا تَرْخَالِتُونَ ۞ لَا يُغَتَّرُ عَنْهُمُ وَالْمَنْفِ مُيلِسُونَ ﴿ وَمَاظَلَمْنَاهُ وَلَكِن كَافُوا هُوَ الظَّالِينَ ﴾ وَنَادَوَا يَمَنَاكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَيُّكُّ قَالَ إِنَّكُمْ مَّلِكُونَ ۞ لَعَدَّ حِنْنَكُمْ ٱلْحَقِّ وَلِلْكِنَّ أَكُ ثَرَكُرُ لِلْحَقِّ كَلِيهُونَ ۞ أَمَّ أَسْرُمُواَ أَمْرًا فإِنَّا مُتَوِعُونَ ۞ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَافَسَمَعُ بِسَرَّهُمُ وَبَجُوفِهُمُّ بَلَ وَرُمُسُكُنَا لَدَيْهِ مَنِحُنُمُونَ ۞ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْنِ وَلَهُ قَأَمَا أَوْلُ ٱلْعَلِيدِينَ ۞ سُبْحَنَ رَبِّ ٱلمُسْعَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرَيْس عَنَايَقِيفُونَ ۞ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَقَّىٰ يُلَكَعُواْ وَمُهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۞ وَجُوَالَّذِى فِي ٱلسَّسَلَهِ إِلَهُ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَّهُ وَهُوَآئَحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ۞ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُمُلَكُ التشكؤت والأدني ومايته كمنا وعند معاثر التساعة وبالخيو تُرْجَعَوُنَ ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَمْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَاعَةَ إِلَّامَن شَهِدَ إِنْفَيْقَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ وَلَمِن سَأَلْتُهُمْ مَّنْ خَلَقَحُ لَيْعُولُنَ أَنَدُ مَا فَنُ يُؤْدَكُونَ ۞ وَقِيلِهِ يَنَزَبِ إِنَّ هَلَوُلآ مَوْرُ الْمُ يُؤْمِنُونَ ﴿ فَأَصْفَعْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿ OLONOU ... CONCEON

إلى أبصارهم وما يشاهدون، وليس بدخان حقيقة.

ولم يزالوا بهذه الحالة حتى استرحموا رسول الله ﷺ، وسألوه أن يدعو الله لهم، أن يكشفه الله عنهم، فدعا ربه، فكشفه الله عنهم، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿إِنَّا كَاشْفُوا الْعَذَابِ قَلْيُلاَّ إِنَّكُمْ عائدون﴾ إخبار بأن الله سيصرفه عنكم وتوعُّدٌ لهم أن يعودوا إلى الاستكبار والتكذيب، وإخبار بوقوعه فوقع، وأن الله سيعاقبهم بالبطشة الكبرى، قالوا: وهي وقعة «بدر» وفي هذا القول نظر ظاهو .

وقيل: إن المراد بذلك، أن ذلك من أشراط الساعة، وأنه يكون في آخر الزمان دخان يأخذ بأنفاس الناس، ويصيب المؤمنين منهم كهيئة الدخان، والقول هو الأول، وفي الآية احتمال أن المراد بقوله: ﴿ فَارْتُقْبِ يُومُ تُأْتِي السماء بدخان مبين \* يغشى الناس هذا عذاب أليم \* ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون \* أني لهم الذكري وقد جاءهم رسول مبين \* ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾ أن هذا كله يكون يوم القيامة، وأن قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشُفُوا الْعَذَابِ قَلْيُلا إِنَّكُم عائدون \* يوم نبطش البطشة الكبرى

إنا منتقمون أن هذا ما وقع لقريش كما تقدم.

وإذا نزلت هذه الآيات على هذين المعنيين، لم تجد في اللفظ ما يمنع من ذلك.

بل تجدها مطابقة لهما أتم المطابقة، وهذا الذي يظهر عندي ويترجح، والله أعلم.

﴿١٧ ـ ٣٣﴾ ﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون﴾ إلى آخر القصة(١) لما ذكر تعالى تكذيب من كذب الرسول المكذبين، فذكر قصتهم مع موسى، ومنا أحمل الله بهم، ليرتمدع همؤلاء المكذبون عن ما هم عليه، فقال: ﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون﴾ أي: ابتليناهم واختبرناهم بإرسال رسولنا موسى بن عمران إليهم، الرسول الكريم، الذي فيه من الكرم ومكارم الأخلاق ما ليس في غيره، ﴿ أَن أَدُوا إلى حباد الله أي: قال لفرعون وملته: أدوا إنّي عباد الله، يعني بهم: بني إسرائيل، أي: أرسلوهم، وأطلقوهم من عذابكم وسومكم إياهم سوء العذاب، فإنهم عشيري، وأفضل العالمين في زمانهم.

وأنتم قدظ لمتموهم،

واستعبد تموهم بغير حق، فأرسلوهم ليعبدوا ربهم، ﴿إِنِي لكم رسول أمين﴾ أي: رسول من رب العالمين، أمين على ما أرسلني به، لا أكتمكم منه شيئاً، ولا أزيد فيه ولا أنقص، وهذا يوجب تمام الانقياد له.

﴿وأن لا تسعل واعسلى الله بالاستكبار عن عبادته، والعلو على عباد الله، ﴿إِنِي آتيكم بسلطان مبين ﴾ أي: بحجة بينة ظاهرة، وهو ما أتى به من المعجزات الباهرات، والأدلة القاهرات، فكذبوه وهموا بقتله، فلجأ بالله من شرهم، فقال: ﴿وإِنِي عذت بربي وربكم أن ترجمون ﴾ أي: تقتلوني أشر القتلات، بالرجم بالحجارة.

﴿ وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون ﴾ أي: لكم ثلاث مراتب: الإيمان بي، وهو مقصودي منكم، فإن لم تحصل منكم هذه المرتبة، فاعتزلوني، لا علي منهم المرتبة الأولى ولا الثانية، بل لم يزالوا متمردين عاتين على الله، عاربين لنيه موسى عليه السلام، غير مكنين له من قومه بني إسرائيل، ﴿ فدعا ربه أن مؤلاء قوم مجرمون ﴾ أي: قد أجرموا جرماً، يوجب تعجيل العقوبة.

فأخبر عليه السلام بحالهم، وهذا دعاء بالحال، التي هي أبلغ من المقال، كما قال عن نفسه عليه السلام ﴿رب إِني لما أنزلت إليّ من خير فقير ﴾ فأحره الله أن يسسري بعباده ليلا، وأخبره أن فرعون وقومه سيتبعونه، وذلك أنه لما سرى موسى ببني إسرائيل وذلك أنه لما سرى موسى ببني إسرائيل كما أمره الله، ثم تبعهم فرعون، فأمر الله موسى أن يضرب البحر، فضار التي عشر طريقاً، وصار الماء من بين تلك الطرق كالجبال العظيمة، فسلكه موسى وقومه.

فلما خرجوا منه، أمره الله أن يتركه رهواً، أي: بحاله، ليسلكه فرعون وجنوده ﴿إنهم جند مفرقون﴾ فلما تكامل قوم موسى خارجين منه، وقوم

فرعون داخلين فيه، أمره الله تعالى أن يلتطم عليهم، فغرقوا عن آخرهم، وتركوا ما متعوا به من الحياة الدنيا، وأورثه الله بني إسرائيل، الذين كانوا مستعبدين لهم، ولهذا قال: ﴿كم تركوا من جنات وعيون \* وزروع ومقام كريم \* ونعمة كانوا فيها فاكهين \* كذلك وأورثناها أي: هذه النعمة المذكورة ﴿قوماً آخرين ﴾ وفي الآية الأخرى: ﴿كذلك وأورثناها بني إسرائيل ﴾ .

﴿ فسما بكت عليهم السسماء والأرض﴾ أي: لما أتسلسفهم الله وأهلكهم، لم تبك عليهم السماء والأرض، أي: لم يُحزن عليهم، ولم يُؤسّ على فراقهم، بل كل استبشر بهلاكهم وتلفهم، حتى السماء والأرض، لأنهم ما خلفوا من آثارهم إلا ما يسود وجوههم، ويوجب عليهم اللعنة والمقت من العالمين.

﴿ وما كانوا منظرين ﴾ أي: عمهلين عن العقوبة ، بل اصطلمتهم في الحال. ثم امتنَّ تعالى على بني إسرائيل من فقال: ﴿ ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين ﴾ الذي كانوا فيه ﴿ من فرعون ﴾ إذ يذبِّح أبناءهم، ويستحيي نساءهم.

﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِياً﴾ أي: مستكبراً في الأرض بغير الحق، ﴿من المسرفين﴾ المتجاوزين لحدود الله، المتجرئين على محارمه.

ولقد اخترناهم أي: اصطفيناهم وانتقيناهم وعلى علم منا بهم، وباستحقاقهم لذلك الفضل وعلى العالمين أي: عالمي زمانهم ومن قبلهم وبعدهم حتى أتى الله بأمة عمد الله في أفقضلوا العالمين كلهم، وجعلهم الله خير أمة أخرجت للناس، وامتن عليهم بما لم يمتن به على غدهم.

﴿وَآتيناهم﴾ أي: بني إسرائيل ﴿من الآيات﴾ الباهرة، والمعجزات الظاهرة، ﴿ما فيه بلاء مبين﴾ أي:

إحسان كثير، ظاهر منا عليهم، وحجة عليهم، على صحة ما جاءهم به نبيهم موسى عليه السلام.

﴿ ٣٤ \_ ٣٧﴾ ﴿إن هـ ـ ـ ـ وُلاء ليقولون \* إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين \* فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين \* أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا محرمين مخبر تعالى ﴿إِن هُـؤلاء ﴾ المكذبين يقولون مستبعدين للبعث والنشور: ﴿إِنَّ هِي إِلَّا مُوتَّتِّنَا الْأُولِي وَمَا نحن بمنشرين ﴾ أي: ما هي إلا الحياة الدنيا، فلا بعث ولا نشور، ولا جنة ولا نار، ثم قالوا متجرئين على ربهم، معجزين له \_: ﴿ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِنَّ كنتم صادقين ، وهذا من اقتراح الجهلة المعاندين في مكان سحيق، فأي: ملازمة بين صدق الرسول ﷺ، وأنه متوقف على الإتيان بآباتهم؟ فإن الآيات قد قامت على صدق ما جاءهم به، وتواترت تواتراً عظيماً من كل

قال تعالى: ﴿أهم خير﴾ أي: هؤلاء المخاطبون ﴿ أَمْ قُومٌ تُبُّعُ وَالَّذِينَ من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين﴾ فإنهم ليسوا خيراً منهم، وقد اشتركوا في الإجرام، فليتوقعوا من الهلاك ما أصاب إخوانهم المجرمين.

و ۳۸ ـ ۲۲ و و و سا خسلسقسنسا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين \* ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون \* إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين \* يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون \* إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم، يخبر تعالى، عن كمال قدرته، وتمام حكمته، وأنه ما خلق السماوات والأرض لعباً ولا لهواً أو سدى من غير فائدة، وأنه ما خلقهما إلا بالحق، أي: نفس خلقهما بالحق، وخلقهما مشتملٌ على الحق، وأنه أوجدهما ليعبدوه وحده لا شريك له، وليأمر العباد وينهاهم ويثيبهم ويعاقبهم، ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ فلذلك لم يتفكروا في خلق السماوات والأرض.

﴿إِن يُومِ الفصلِ ﴿ وَهُو يُومُ القيامة الذي ينفسسل الله بع بين الأولين والآخرين، وبين كل مختلفين ﴿ميقاتهم﴾ أي: الخلائق ﴿أجمعين﴾

كلهم سيجمعهم الله فيه، ويحضرهم ويحضر أعمالهم، ويكون الجزاء عليها ولا ينفع مولى عن مولى شيئاً لا قريب عن قريبه، ولا صديق عن صديقه، ﴿ولا هم ينصرون﴾ أى: يسمنعون من عداب الله عز وجل، لأن أحداً من الخلق لا يملك من الأمر شيئاً.

﴿ إِلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم، فإنه هو الذي ينتفع ويرتفع برحمة الله تعالى، التي تسبب إليها، وسعى لها سعيها في الدنيا. ثم قال تعالى:

﴿٢٤ \_ ٠ ٥ ﴿إِن شَـَحِصَرَةَ

الزقوم \* طمام الأثيم \* كالمهل يغلى في البطون \* كغلى الحميم \* خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم \* ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم \* ذق إنك أنت العزيز الكريم \* إن هذا ما كنتم به تمترون لله لذكر يوم القيامة ، وأنه يفصل بين عباده فيه، ذكر افتراقهم إلى فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير، وهم: الآثمون بعمل الكفر والمعاصى، وأن طعامهم ﴿ شبحرة المزقوم ﴾ شر الأسجار وأفظعها، وأن طعامها ﴿كَالْهُلُ ﴾ أي: كالصديد المنتن، خبيث الريح والطعم، شديد الحرارة، يغلى في بطونهم ﴿كغلِي الحميم ﴿ ويقالُ للمعذَّب : ﴿ فَق ﴾ هذا العذاب الأليم ، والعقاب الوخيم، ﴿إنك أنت العزيز الكريم أي: بزعمك أنك عزيز، ستمتنع من عذاب الله، وأنك كريم على الله لا يصيبك بعذاب، فاليوم تبين لك أنك أنت الذليل المهان الخسيس، ﴿إن هذا ﴾ العذاب العظيم ﴿مَا كُنتُم بِهُ تَمْتُرُونَ﴾ أي: تشكون، فالآن صار عندكم حق اليقين.

﴿١٥ \_ ٥٩ ﴾ ﴿إن المتقين في مقام

CANTER STRATER وَأَنْ لَاتَنْ لُوا عَلَى اللَّهِ إِنْ تَاتِيكُم بِمُلْطَانَ ثُبِينِ ۞ وَانِّي عُنْتُ يَرَقِ وَرَتِيكُو أَن تَرْجُعُونِ ۞ وَ لِمَا لَوْ أَوْمِنُوالِ مَلْعَلَزُلُونِ ﴿ فَدَعَا رَبُّهُ وَأَنْ هَلَوُلآ وَقُومٌ تُجْدِيمُونَ ۞ فَأَسْرِهِ مِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُمْ مُّنَّدَبَعُونَ ۞ وَاتَّرُكِ الْبَحْرَزَهُوًّا إِنَّهُمْ جُنَّدُمُّ عُرَقُونَ ﴿ وَمُوزَكُواْ مِن جَنَّاتٍ وَعُمُونِهِ ۞ وَذُرُعَعَ وَمَقَامِ كَيهِ ۞ وَتَعْمَدُو كَانُولِيهَا فَيَكُهِ بِنَ ۞ كَذَٰ لِلَثِّ وَأَوْرَثُنَهَا فَوْمًا يَلْخَيِنَ ۞ فَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّكَلَّهُ وَالأَرْضُ وَمَاكَلُواْ مُنظَيِرَت ۞ وَلَقَدُ فَهَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَاهِ مِلْ مِنَ ٱلْعَمَالِ لَلْهِينِ ۞ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ ٱلْمُشْرِفِينَ ۞ وَلَمْنَكِ ٱخْتَرْنَهُمْ عَلَى عِلْمِ عَلَى ٱلْعَلَمِينَ ۞ وَءَاتَيْنَكُمْ مِنَ ٱلْآيَاتِ مَافِيهِ بَتُوَانِينَ ۞ إِذَ مَنُولِاً لِتُولِنَ ۞ إِذْ مِنَ الْإِنْوَتُكَا ٱلْأَلِكُ وَمَا نَحْنُ مِمُنشَرِينَ ۞ فَأَقُواْ بِعَابَآبِنَآ إِن كُنتُرْصَلِيةِ بِنَ ۞ أَحْرَ خَيْرُأَمْ فَوَمُ بُنَتِع وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمُّ أَهْلَكُنَا هُمَّ إِنَّهُمُ كَانُوا المجريد ٥ وَمَاخَلَقْنَا ٱلسَّمَلُونِ وَٱلْأَرْضَ وَمَايَنَهُمُمَا لَيعِينَ ٥ مَا خَلَفْتَهُمُ مَا إِلَّا إِنَّا تُعِقِّ وَلَكِنَّ أَحْتُرَهُمْ لِلْيَعْ لَمُونَ ۞ TO STORY WAS THE OF

أمين \* في جنات وعيون \* يلبسون من سندس واستبرق متقابلين \* كذلك وزوجناهم بحور عين \* يدعون فيها بكل فاكهة آمنين \* لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم \* فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم \* فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون \* فارتقب إنهم مرتقبون مذا جزاء المتقين لله الذين اتقوا سخطه وعذابه، بتركهم المعاصي، وفعلهم الطاعات، فلما انتفى السخط عنهم والعذاب، ثبت لهم الرضا من الله، والثواب العظيم، في ظلال ظليل، من كثرة الأشجار والفواكه، وعيون سارحةٍ، تجري من تحتهم الأنهار، يفجرونها تفجيراً في جنات النعيم.

فأضاف الجنات إلى النعيم، لأن كل ما اشتملت عليه كله نعيم وسرور، كامل من كل وجه، ما فيه منغص ولا مكدر بوجه من الوجوه.

ولباسهم من الحرير الأخضر من السندس والإستبرق، أي: غليظ الحرير ورقيقه، مما تشتهيه أنفسهم، ﴿متقابلين﴾ في قلوبهم ووجوههم في كمال الراحة، والطمأنينة، والمحبة، والعشرة الحسنة، والآداب المستحسنة. ﴿كَذَلِكُ ﴾ النعيم التام والسرور الكامل ﴿ورُوجِناهم بحورِ عَينَ ﴾ أي: نساء جميلات، من جمالهن وحسنهن أنه

**原创新。 《新斯斯斯》 》** إِنَ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَانُهُ مُرَأَهُمِينَ ۞ يَوْمَ لَا يُغْفِي مَوْلًى عَن مَوْلَى شَيْعًا وَلَاهُمْ يُنصِرُونَ ۞ إِلَّا مَن رَجِيمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَالْمَسَنِيزُ الرَّحِيدُ ۞ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّفُّومِ ۞ مَلَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۞ كَالْهُلْ يَعْلَى فِالْطُوبِ ۞ كَفَلُ الْحَيْدِيدِ ۞ خُذُوهُ فَأَعْتِلُوهُ إِلَّا سَوَّلَهِ ٱلْجَدِيدِ ۞ ثُعَرَصُبُواْ فَوْقَ زَأْسِهِ عِينَ عَذَابِ ٱلْحَيْسِيرِ ۞ ذُقُ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْمَنْ يُزُالُكَ رِيمُ ۞ إِنَّ هَلَامًا كُنتُم بِهِ عَتَمْ وَن ٥ إِذَا أَكْنَةِ وَكُ مُفَامِرًا مِينِ ۞ فِ جَنَّاتٍ وَعُيُونِ ۞ يَلْتَسُوكَ مِن سُندُسِ وَاسْتَبْرَقِ مُنْفَئِدِلِينَ۞ كَذَالِكَ وَزَوَّجْنَهُم بِحُورِعِينِ۞ يَدْعُونَ فِيهَابِكُلِ فَلِكَهَةٍ ءَلمِنِينَ ۞ لَايَدُوفُونَ فِيهَاٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَ ٱلأُولَٰنَّ وَوَقَىٰ عُمُزِعَذَابَ ٱلْجَرِجِيدِ۞ فَضَلَا فِن ذَيْكَ ۖ ذَلِكَ هُوَالْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ فَإِنْكَمَا يَشَرَيْنَهُ بِلِسَالِكَ لَعَلَّهُمْ يَنَكَ كَرُونَ ۞ فَأَرْتَقِبْ إِنْهُم مُّرْزَقِبُونَ۞ क्षितारक दिल्लारक

الطرف في حسنهن، وينبهر العقل بجمالهن، وينخلب اللب لكمالهن، وعنخلب اللب لكمالهن، وعين كل أعين حسانها.

﴿يدعون فيها ﴾ أي: الجنة ﴿بكل فاكهة ﴾ مما له اسم في الدنيا، ومما لا يوجد له اسم، ولا نَظير في الدنيا، فمهما طلبوه من أنواع الفاكهة وأجناسها، أحضر لهم في الحال، من غير تعب ولا كلفة ، ﴿أمنين ﴾ من انقطاع ذلك، وآمنين من مضرته، وآمنين من كل مكدر، وآمنين من الخروج منها والموت، ولهذا قال: ﴿ لا يَلُوقُونَ فَيُهَا المُوتِ إِلَّا المُوتَةُ الأولى﴾ أي: ليس فيها موت بالكلية، ولو كان فيها موت يستثنى، لم يستثن الموتة الأولى، التي هي الموتة في الدنيا، فتم لهم كل محبوب مطلوب، ﴿ ووقاهم عذاب الجحيم \* فضلاً من ربك اي: حصول النعيم واندفاع العذاب عنهم، من فضل الله عليهم وكرمه، فإنه تعالى هو الذي وفقهم للأعمال الصالحة، التي بها نالوا خيرً الآخرة، وأعطاهم أيضًا ما لم تبلغه أعمالهم، ﴿ذلك هُو الفوز العظيم﴾ وأي: فوز أعظم من نيل رضوان الله وجنته، والسلامة من عذابه وسخطه؟

﴿فإنما يسرناه ﴾ أي: القرآن ﴿بلسانك ﴾ أي: سهلناه بلسانك الذي هو أفصح الألسنة على الإطلاق وأجلها، فتيسر به لفظه، وتيسر معناه.

﴿لعلهم يتذكرون﴾ ما فيه نفعهم فيفعلونه، وما فيه ضررهم فيتركونه.

﴿فارتقب﴾ أي: انتظر ما وعدك ربك من الخير والنصر، ﴿إنهم مرتقبون﴾ ما يحل بهم من العذاب، وفرق بين الارتقابين: رسول الله وأتباعه يرتقبون الخير في الدنيا والآخرة، وضدهم يرتقبون الشر في الدنيا والآخرة.

تم تفسير سورة الدخان، وله الحمد والمنة

# تفسير سورة الجاثية مكيـــة

﴿١١ - ١١﴾ ﴿ بسبم الله السرحين الرحيم حمّ \* تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم \* إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين \* وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون \* واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون \* تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي: حديث بعد الله وآياته يؤمنون \* ويل لكل أفاكِ أثيم \* يسمع آيات الله تتلي عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم \* وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين \* من وراثهم جهنم ولاً يغنى عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم \* هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم المخبر تعالى خبراً يتضمن الأمر بتعظيم القرآن والاعتناء به، أنه ﴿تنزيل﴾ ﴿من الله المألوه المعبود، لما اتصف به من صفات الكمال، وانفرد به من النعم، الذي له العزة الكاملة والحكمة التامة، ثم أيد ذلك بما ذكره من الآيات الأفقية والنفسية، من خلق السماوات والأرض، وما بث فيهما من الدواب، وما أودع فيهما من المنافع، وما أنزل الله من الماء، الـذي يحيى به الله البلاد والعباد.

فهذه كلها آيات بينات، وأدلة

واضحات، على صدق هذا القرآن العظيم، وصحة ما اشتمل عليه من الحكم والأحكام، ودالات أيضاً على ما لله تعالى من الكمال، وعلى البعث والنشور.

ثم قسم تعالى الناس، بالنسبة إلى الانتفاع بآياته وعدمه، إلى قسمين:

قسم يستدلون بها، ويتفكرون بها، ويتفكرون بها، وينتفعون فيرتفعون، وهم المؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، إيماناً تاماً، وصل بهم إلى درجة اليقين، فنزكى منهم العقول، وازدادت به معارفهم وألبابهم وعلومهم.

وقسم يسمع آيات الله سماعاً تقوم به الحجة عليهم، ثم يعرض عنها ويستكبر، كأنه ما سمعها، لأنها لم تزك قلبه، ولا طهرته، بل بسبب استكباره عنها ازداد طغيانه.

وأنه إذا علم من آيات الله شيئاً اتخذها هزواً، فتوعده الله تعالى بالويل فقال:

﴿ويل لكل أفاك أثيم ﴾ أي : كذاب في مقاله ، أثيم في فعاله .

وأخبر أن له عداباً اليما، وأن ﴿من ورائهم جهنم﴾ تكفي في عقوبتهم البليغة.

وأنه ﴿لا يغني عنهم ما كسبوا﴾ من الأموال ﴿ولا ما اتخدوا من دون الله أولياء﴾ يستنصرون بهم فخذلوهم، أحوج ما كانوا إليهم لو نفعوا.

فلما بين آياته القرآنية والعيانية، وأن القرآن الناس فيها على قسمين، أخبر أن القرآن المستمل على هذه المطالب العالية، أنه هدى، فقال: ﴿هذا هدى ﴾ وهذا إلى معرفة الله تعالى، بصفاته المقدسة، وأفعاله الحميدة، ويهدي إلى معرفة وأوليائسه، وأعدائسه، وأوصافهم، ويهدي إلى الأعمال الصالحة ويدعو إليها، ويبين الأعمال السيئة وينهى عنها، ويبين الأعمال الجزاء على الأعمال، ويبين الجزاء الدنيوي والأخروي، فالمهتدون اهتدوا به، فأفلحوا وسعدوا، ﴿والذين كفروا

بآيات ربهم، الواضحة القاطعة، التي لا يكفر بها إلا من اشتد ظلمه، وتضاعف طغيانه، ﴿لهم عذاب من رجز أليم)

﴿١٢ ـ ١٣﴾ ﴿ الله الذي سخَّر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوأ من فضله ولعلكم تشكرون \* وسخر لكم ما في السمأوات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ يخبر تعالى بفضله على عباده وإحسانه إليهم، بتسخير البحر لسير المراكب والسفن بأمره وتيسيره، ﴿لتبتغوا من فضله ﴾ بأنواع التجارات والمكاسب، ﴿ولعلكم تشكرون﴾ الله تعالى، فإنكم إذا شكرتموه، زادكم من نعمه وأثابكم على شكركم أجرأ

﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه ﴾ أي: من فضله وأحسانه، وهذا شامل لأجرام الـــــمــاوات والأرض، ولما أودع الله فيهما، من الشمس والقمر، والكواكب، والثوابت، والسيارات، وأنواع الحيوانات، وأصناف الأشجار والثمرات، وأجناس المعادن، وغير ذلك عما هو معدُّ لمصالح بني آدم، ومصالح ما هو من ضروراته، فهذا يوجب عليهم أن يبذلوا غاية جهدهم في شكر نعمته، وأن تتغلغل أفكارهم في تدبر آياته وحكمه، ولهذا قال: ﴿إِنَّ فِي ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ وجملة ذلك أنَّ خلقها وتدبيرها وتسخيرها، دال على نفوذ مشيئة الله، وكمال قدرته، وما فيها من الإحكام والإتقان، وبديع الصنعة، وحسن الخلقة، دالُ على كمال حكمته وعلمه، وما فيها من السعة والعظمة والكثرة، دال على سعة ملكه وسلطانه، وما فيها من التخصيصات والأشياء المتضادات، دليل على أنه الفعَّال لما يريد، وما فيها من المنافع، والمصالح الدينية والدنيوية، دليل على سعة رحمته، وشمول فضله وإحسانه، وبديع لطفه

وبره، وكل ذلك دال على أنه وحده المألوه المعبود، الذي لا تنبغي العبادة والنذل والمحبة إلا له، وأن رسله صادقون فيما جاؤوا به، فهذه أدلة عقلية واضحة، لا تقبل ريباً ولا شكاً.

﴿ ١٤ \_ ١٥) ﴿ قُلَ لَلَّذِينَ آمِنُوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون \* من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون، يأمر تعالى عباده المؤمنين بحسن الخلق، والصبر على أذية المشركين به، الذين لا يرجون أيام الله، أي: لا يرجون ثوابه، ولا يخافون وقائعه في العاصين، فإنه تعالى سيجزي كل قوم بما كانوا يكسبون. فأنتم يا معشر المؤمنين، يجزيكم على إيمانكم، وصفحكم وصبركم، ثواباً جزيلاً، وهم إن استمروا على تكذيبهم فلا نِجِلَ بكم ما حل بهم من العذاب الشديد والخزي، ولهذا قال: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون) .

﴿ ١٦ \_ ١٧ ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين \* وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أي: ولقد أنعمنا على بني إسرائيل نعماً لم تحصل لغيرهم من الناس، وآتيناهم ﴿الكتابِ﴾ أي: التوراة والإنجيل، و ﴿ الحكم ﴾ بين الناس، و ﴿النبوة﴾ التي امتازوا بها، وصارت النبوة في ذرية إبراهيم عليه السلام، أكثرهم من بني إسرائيل، ﴿ورزقناهم من الطيبات، من المآكل والمشارب والملابس، وإنزال المن والسلوى عليهم، ﴿وفضلناهم على العالمين ﴾ أي: على الخلق بهذه النُّعَم، ويخرج من هذا العموم اللفظي، هذه

COLUMN STRAIGH SO بناتق التقاليق حَدَّ ۞ نَبْرِيلُ الْكِنْسِ مِنَ الْعَيْ الْعَيْدِيلِ الْعَيْدِيلِ إِنَّ فِي السَّمَوْتِ وَالْأَرْضِ لَآيَنتِ لِلْمُؤْمِنِينَ۞ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُ مِن دَآبُهُ عَلَيْتُ لِقَوْمِيُوفِوُنَ ۞ وَٱخْذِلَفِ ٱلَّيلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَذَلَ الْقَدُمِنَ السَّسَلَه مِن زِزْقِ فَأَحْيَابِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَمَوْتِهَا وَتَصَّرِيفِ ٱلرِّيَاحِ ءَايَتُ لِفَوْمِ يَعْقِلُونَ ۞ يِلْكَ مَايَتُ ٱللَّهَ نَنْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَهِ أَي حَدِيثِ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَ النِّنِهِ مِنْوَمِنُونَ ۞ وَيُلِّ لَكِنِّ أَفَالِهِ أَيْدٍ ۞ يَسْمَعُ مَا لِنْتِ ٱللَّهِ نُتْلَ عَلَيْهِ وَثُرَيْصِ رَّمُسْتَكْيِرا كَأَن لَّرْيَسَمَعَمَّا فَهَيْرَهُ بِعَدَابٍ أَلِيهِ ﴿ وَإِذَا عَلِيْهِ مِنْ مَ ايْلِنَا الْمَيْنَا أَغَنَدُهَا هُزُوًّا أُولَلَمِكَ لَمُّ مُعَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ يْن وَرَآيِهِمْ جَهَنَّرْوَلَايْغُنِي عَنْهُرَمَّا كَسَبُواْشَيْكَا وَلَا مَا ٱغَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَّآءً وَلَمْ مُرْعَذَا ثُ عَظِيرُ ﴿ هَٰذَا هُدَّتَّ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَايَتِ رَبِّهِمٌ لَمُرْعَذَابٌ مِّن رِجْرٍ أَلِيمُ • اللّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَالُكُمُ ٱلْبَعْرَ لِلسَّمِينَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِيهِ وَلِتَبْنَعُولُ مِن فَصْلِهِ وَلَمَنَاكُمُ نَشَكُرُونَ ۞ وَمَعَنَّ الْكُمِّنَافِ ٱلْسَمَوَتِ وَمَافِي ٱلْأَرْضِ مُ جَيعًا مِنْهُ إِنَّ فِ ذَلِكَ لَآئِكَتِ لِفَوْمِ يَنْفَحَكُرُونَ ۞ DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

الأمة، فإنهم خير أمة أخرجت للناس.

والسياق يدل على أن المراد غير هذه الأمة، فإن الله يقص علينا ما امتن به على بنى إسرائيل، وميزهم عن غيرهم، وأيضاً فإن الفضائل التي فاق بها بنو إسرائيل من الكتاب والحكم والنبوة، وغيرها من النعوت، قد حصلت كلها لهذه الأمة، وزادت عليهم هذه الأمة فضائل كثيرة، فهذه الشريعة شريعة بني إسرائيل جزء منها، فإن هذا الكتاب مهيمن على سائر الكتب السابقة، ومحمد على مصدق لجميع المرسلين.

﴿ وَآتِينَاهِم ﴾ أي: آتينا بني إسرائيل ﴿بينات﴾ أي: دلالات تبين الحق من الباطل ﴿من الأمر﴾ القدري الذي أوصله الله إليهم.

وتلك الآيات هي المعجزات التي رأوها على يد موسى عليه السلام، فهذه النعم التي أنعم الله بها على بنى إسرائيل، تقتضى الحال أن يقوموا بها على أكمل الوجوه، وأن يجتمعوا على الحق الذي بينه الله لهم، ولكن انعكس الأمر، فعاملوها بعكس ما يجب.

وافترقوا فيما أمروا بالاجتماع به، ولهذا قال: ﴿ فِمَا اخْتَلْفُوا إِلَّا مَنْ بِعِدْ ما جاءهم العلم العلم أي: الموجب لعدم

قُل لِلَّذِينَ عَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يُرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِي قَوْمًا يَمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۞ مَنْ عَيملَ صَلِيحًا فَلِنَفْسِيَّةِ ، وَمَنْ أَسَاةَ فَعَلَيْمًا ثُورً إِلَى رَبِيكُمْ تُرْجَعُونَ ۞ وَلَقَدْ ءَالَيْنَا يَيْ إِسْرَةِ الْ ٱلْكِنْبَ وَٱلْحُكُمُ وَٱلشُّبُوَّةَ وَدَوْقَنَاهُمُ مِنَ ٱلطَّيْبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُ عَلَى ٱلْعَلَمِينَ ۞ وَءَاتَيْنَهُم يَيْنَتِ مِنَ ٱلْأَثِيُّ فَمَا ٱخْتَكَلُقُوٓا إِلَّامِنْ بَعْدِ مَاجَآءَ هُرُ ٱلْعِلْرُبُغْيَا يَتْنَهُمُّ إِنَّ رَبِّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمُ ٱلْقِيَكَمَةِ فِيمَاكَ انْوَافِيهِ يَغْتَلِفُونَ ۞ ثُغَجَعَلْنَكَ عَلَى شَرِيعِت قِنَ ٱلأَمْرِفَاتَ عَهَاوَلَانَتَ إِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِيكَ لَايَعً لَمُوكَ ﴿ إِنَّهُ مِّ لَنَ يُعْنُواْ عَنْكُ مِنَّ ٱللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ ٱلظَّلِالِينِ بَعْضُهُمُ أَوْلِيكَاءُ بُعْضُ وَاللَّهُ وَإِنَّ ٱلْمُثَقِينَ ۞ هَنَذَابَصَلَهُرُ لِلنَّاسِ وَهُدُى وَيَحْدَمُ لِلْقَامِرِ يُوقِنُونَ ۞ أَمْرِحَيبَ الَّذِينَ آجْتَرَجُوا ٱلتَّيْعَاتِ أَنْجَعَلَامُ كَالَّذِينَ ٱمَنُوا وَعَيَلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَوَّاةً تَغَيَّا هُمُ وَمَمَاتُهُمُّ أُ سَلَة مَا يَعْكُمُونَ ۞ وَخَلَقَ أَلَهُ السَّنَوَتِ وَالْأَوْنَ بِٱلْحَقَّ أُ وَلِنُجْزَتِي كُلُّ مَفْيِنِ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمُ لَا يُطُلِّدُونَ ۞

الاختلاف، وإنسا حملهم على الاختلاف البغي من بعضهم على بعض، والظلم.

TOURSE ... PROPER

﴿إِن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فيما كانوا ألم من المبطل، والذي حمله على الاختلاف، الهوى أو غيره.

﴿١٨ ـ ٩٩ ﴾ ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون \* إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ﴾ أي: ثم ضرعنا لك شريعة كاملة تدعو إلى كل خير، وتنهى عن كل شر، من أمرنا الشرعي ﴿فاتبعها ﴾ فإن في اتباعها ﴿ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ أي: الذين تكون أهويتهم غير تابعة للعلم، ولا ماشية خلقه، وهم كل من فرادته، فإنه من أهواء الذين في المدون والدة شريعة الرسول ﷺ هواه وإدادته، فإنه من أهواء الذين لا يعلمون .

﴿إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً ﴾
أي: لا ينفعونك عند الله، فَيُحَصِّلُوا
لك الخير، ويدفعوا عنك الشر، إن
اتبعتهم على أهوائهم، ولا تصلح أن
توافقهم وتواليهم، فإنك وإياهم
متباينون، وبعضهم ولي لبعض ﴿والله ولي المتقين﴾ يخرجهم من الظلمات إلى
النور، بسبب تقواهم وعملهم بطاعته.

﴿٢٠﴾ ﴿هذا بصائر للنّاس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ﴾ أي: ﴿هذا ﴾ القرآن الكريم والذكر الحكيم ﴿بصائر للناس ﴾ أي: يحصل به التبصرة في جميع الأمور للناس، فيحصل به الانتفاع للمؤمنين، والهدى والرحمة.

ولقوم يوقنون فيهتدون به إلى الصراط المستقيم، في أصول الدين وفروعه، ويحصل به الخير والسرور، والسعادة في الدنيا والآخرة، وهي الرحة، فتزكو به نفوسهم، وتزداد به عقولهم، ويزيد به إيمانهم ويقينهم، وتقوم به الحجة على من أصر وعاند.

(٢١٥ (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء عياهم وعاتهم ساء ما يحكمون أي: أم حسب المسيؤون، المكثرون من الذنوب، المقصرون في حقوق ربم.

﴿أَنْ نَجِعُلُهُمْ كَالَّذِينَ آمِنُوا وعَمَلُوا الصالحات مأن قاموا بحقوق ربهم، واجتنبوا مساخطه، ولم يزالوا مؤثرين رضاه على هوى أنفسهم؟ أي: أحسبوا أن يمكونوا ﴿سواء﴾ في الدنيا والآخرة؟ ساء ما ظنوا وحسبوا، وساء ما حكموا به، فإنه حكم يخالف حكمة أحكم الحاكمين، وخير العادلين، ويناقض العقول السليمة، والفطر المستقيمة، ويضادما نزلت به الكتب، وأخبرت به الرسل، بل الحكم الواقع القبطعي، أن المؤمنين العباملين الصالحات، لهم النصر والفلاح والسعادة والثواب، في العاجل والآجل، كل على قدر إحسانه، وأن المسيئين لهم الغضب والإهانة، والعذاب والشقاء، في الدنيا والآخرة.

والعداب والشقاء، في الذنيا والاخرة.

﴿ ٢٢﴾ ﴿ وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما خسلت وهم لا يظلمون ﴾ أي: خسلت الله السسماوات والأرض بالحكمة، وليعبد وحده لا شريك له، ثم يجازي بعد ذلك من أمرهم بعبادته، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة، هل شكروا الله تعالى، وقاموا بالمأمور؟ أم كفروا، فاستحقوا جزاء الكفور؟

﴿ ٢٦ \_ ٢٦﴾ ﴿ أَفِر أَيِت مِن اتخِذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون \* وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون \* وإذا تتلى عليهم آياتنا بيناتِ ما كان حجتهم إلا أن قالوا انتوا بآبائنا إن كنتم صادقين \* قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم بجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكشر الناس لا يعلمون ، يقول تعالى: ﴿أَفْرَأَيت ﴾ الرجل الضال الذي ﴿ اتَّخذ إله هواه ﴾ فما هويه سلكه، سواء كان يرضى الله أو يسخطه. ﴿وأضله الله على علم﴾ من الله تعالى، أنه لا تليق به الهداية، ولا يزكو عليها. ﴿وختم على سمعه﴾ فلا يسمع ماينفعه، ﴿وقلبه﴾ فلا يعى الخير، ﴿وجعل على بصره غشارة ﴾ تمنعه من نظر الحق، ﴿فمن يهديه من بعد اله ♦ أي: لا أحد يهديه، وقد سد الله عليه أبواب الهداية، وفتح له أبواب الغواية، وما ظلمه الله، ولكن هو ظلم نفسه، وتسبب لمنع رحمة الله عمليه ﴿أَفَّلَا تذكرون ما ينفعكم فتسلكونه، وما يضركم فتجتنبونه.

﴿وقالوا﴾ أي: منكرو البعث ﴿ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾ أي: إن هي إلا عادات، وجَرْيٌ على رسوم الليل والنهار، يموت أناس، ويحيا أناس، وما مات فليس براجع إلى الله، ولا مجازيه بعمله.

وقولهم هذا صادر عن غير علم إن هم إلا يظنون فأنكروا المعاد وكذبوا الرسل الصادقين، من غير دليل دلهم على ذلك ولا برهان.

إن هي إلا ظنون، واستبعادات خالية عن الحقيقة، ولهذا قال تعالى: 
﴿ وَإِذَا تَتَلَى عَلَيْهِم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين ﴾ وهذا جراءة منهم على الله،

حيث اقترحوا هذا الاقتراح، وزعموا أن صدق رسل الله متوقف على الإتيان بآبائهم، وأنهم لو جاؤوهم بكل آية لم يؤمنوا، إلا إن تبعتهم الرسل على ما قالوا وهم كذبة فيما قالوا، وإنما قصدهم دفع دعوة الرسل، لا بيان الحق، قال تعالى: ﴿قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ وإلا فلو وصل العلم باليوم الآخر إلى قلوبهم، لعملوا له أعمالاً وتهبؤوا له.

﴿٧٧ \_ ٧٧﴾ ﴿ولله مسلسك

السماوات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون \* وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون \* هذا كتابناً ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون \* فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبينُ \* وأماً الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلي عليكم فاستكبرتم وكنتم قوماً مجرمين \* وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين \* وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون \* وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين \* ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوأ وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون \* فللهِ الحمد رب السماوات ورب الأرض رب السعسالين \* ولسه الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم) يخبر تعالى عن سعة ملكه، وانفراده بالتصرف والتدبير في جميع الأوقيات، وأنه ﴿يَوْمُ تَـقُومُ الساعة ﴾ ويجمع الخلائق لموقف القيامة، يحصل الخسار على المطلين، الذين أتوا بالباطل ليدحضوا به الحق، وكانت أعمالهم باطلة، لأنها متعلقة بالباطل، فبطلت في يوم القيامة، اليوم الذي تستبين به الحقائق، واضمحلت عنهم، وفاتهم الثواب، وحصلوا على

أليم العقاب .

ثم وصف تعالى شدة يوم القيامة وهوله ليحذره العِبَاد، ويستعدله العُبّاد، فقال: ﴿وترى ﴾ أيها الراثي لذلك اليوم ﴿كُلُّ أُمَّةُ جَانِّيةَ ﴾ على ركبها خوفاً وذعراً، وانتظاراً لحكم الملك الرحمن.

﴿ كُلُّ أُمَّةً تَدَّعَى إِلَى كُتَابِهَا ﴾ أي: إلى شريعة نبيهم الذي جاءهم من عند الله، وهل قاموا بها فيحصل لهم الثواب والنجاة؟ أم ضيعوها فيحصل لهم الخسران؟ فأمة موسى يدعون إلى شريعة موسى، وأمة عيسى كذلك، وأمة محمد كذلك، وهكذا غيرهم، كل أمة تدعى إلى شرعها الذي كلفت به، هذا أحد الاحتمالات في الآية، وهو معنى صحيح في نفسه ، عير مشكوك فيه، ويحتمل أن المراد بقوله: ﴿كُلُّ أُمَّةً تدعى إلى كتابها ﴾ أي: إلى كتاب أعمالها، وما سطر عليها من خير وشر، وأن كل أحد يجازي بما عمله بنفسه، كقوله تعالى: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها،

ويحتمل أن المعنيين كليهما مراد من الآية، ويدل على هذا قوله: ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق أي: هذا كتابنا الذي أنزلنا عليكم، يفصل بينكم بالحق الذي هو العدل، ﴿إِنَّا كُنَّا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ فهذا كتاب الأعمال، ولهذا فصل ما يفعل الله بالفريقين فقال: ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات، إيماناً صحيحاً، وصدقوا إيمانهم بالأعمال الصالحة، من واجبات ومستحبات، ﴿فيدخلهم ربهم في رحمته ﴾ التي محلها الجنة، وما فيها من النعيم المقيم، والعيش السليم، ﴿ ذَلَكُ هُو الْفُورُ الْمِينَ ﴾ أي: المُعَارُ والنجاة والربح، والفلاح الواضح البين، الذي إذا حصل للعبد، حصل له كل خير، واندفع عنه كل شر.

﴿ وَأَمَا الَّذِينَ كَفُرُوا ﴾ بالله ، فيقال لهم توبيخاً وتقريعاً: ﴿ أَفَلَمُ تَكُنُّ آيَاتِي تتلي عليكم) وقد دلتكم على ما فيه صلاحكم، ونهتكم عما فيه ضرركم، وهي أكبر نعمة وصلت إليكم، لو

وفقتم لها، ولكن استكبرتم عنها، وأعرضتم، وكفرتم بها، فجنيتم أكبر جناية، وأجرمتم أشد الجرم، فاليوم تجزون ما كنتم تعملون، ويوبخون أيضاً بقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنْ وَعَدُ اللهُ حق والساعة لا ريب فيها قلتم) منكرين لذلك: ﴿ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين ﴿ .

فهذه حالهم في الدنيا، وحال البعث الإنكار له، ورد قول من جاء به. قال تعالى: ﴿وبدا لهم سيئات ما عملوا﴾ أي: وظهر لهم يوم القيامة عقوبات أعمالهم، ﴿وحاق بهم﴾ أي: نزل ﴿ما كانوا به يستهزؤون ﴾ أي: نزل بهم العذاب، الذي كانوا في الدنيا يستهزؤون به وبوقوعه وبمن جاء به. ﴿وقيل اليوم ننساكم ﴾ أي: نترككم في العذاب ﴿كما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ فإن الجزاء من جنس العمل، ﴿ومأواكم النار﴾ أي: هي مقركم ومصيركم، ﴿وما لكم من نَّاصرين﴾ ينصرونكم من عذاب الله، ويدفعون عنكم عقابه.

﴿ ذَلَكُم ﴾ الذي حصل لكم من العذاب ﴿ ب ب سبب ﴿ أَنكم اتخذتم آيات الله هزواً ﴾ مع أنها موجبة للجد والاجتهاد، وتلقيها بالسرور والاستبشار والفرح.

﴿وغرتكم الحياة الدنيا﴾ بزخارفها ولذاتها وشهواتها، فاطمأننتم إليها، وعملتم لها، وتركتم العمل للدار

﴿فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون أي: ولا يمهلون، ولا يردون إلى الدنيا ليعملوا صالحاً.

﴿فلله الحمد﴾ كما ينبغي لجلاله وعظيم سلطانه ﴿رب السماوات ورب الأرض رب العالمين أي: له الحمد على ربوبيته لسائر الخلائق، حيث خلقهم ورباهم، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة، ﴿وله الكبرياء في السماوات والأرض ﴾ أي: له الجلال والعظمة والمجد.

فالحمد فيه الثناء على الله بصفات الكمال، ومحبته تعالى وإكرامه،

والكبرياء فيها عظمته وجلاله، والعبادة مبنية على ركنين، عبة الله، والذل له، وهما ناشتان عن العلم بمحامد الله وجلاله وكبريائه.

﴿وهو العزيز ﴾ القاهر لكل شيء، ﴿ الحكيم ﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها، فلا يشرع مآيشرعه إلا لحكمة ومصلحة، ولا يخلق ما يخلقه إلا لفائدة ومنفعة .

# تم تفسير سورة الجاثية، ولله الحمد والنعمة والفضل

### تفسير سورة الأحقاف مكيسة

﴿١ ٣- ﴿ وَبِـسِمُ اللَّهُ السَّرِحِينَ الرحيم حَم \* تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم \* ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾ هذا ثناء منه تعالى على كتابه العزيز وتعظيم له، وفي ضمن ذلك إرشاد العباد إلى الاهتداء بنوره، والإقبال على تدبر آياته، واستخراج كنوزه.

ولما بين إنزال كتابه المتضمن للأمر والنهى، ذكر خلقه السماوات والأرض، فجمع بين الخلق والأمر، ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلَقِ وَالْأَمْرِ ﴾ كما قال تعالى: ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن وكما قال تعالى: ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتَّقون ﴿ خلق السماوات والأرض بالحق، فالله تعالى هو الذي خلق المكلفين، وخلق مساكنهم، وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض، ثم أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وأمرهم ونهاهم، وأخبرهم أن هذه الدار دار أعمال وعمر للعمال، لا دار إقامة لا يرحل عنها أهلها، وأنهم سينتقلون منها إلى دار الإقامة والقرار، ومسوطن الخلود والدوام، وإنسا أعمالهم التي عملوها في هذه الدار،

موفراً.

وأقام تعالى الأدلة الدالة على تلك الدار، وأذاق العباد نموذجاً من الثواب والعقاب العاجل، ليكون أدعى لهم إلى طلب المحبوب، والمهرب من المرهوب، ولهذا قال هنا: ﴿مَا خَلَقْنَا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق) أي: لا عبثاً ولا سدى، بل ليعرف العباد عظمة خالقهما، ويستدلوا على كماله، ويعلموا أن الذي خلقهما على عظمهما، قادر على أن يعيد العباد بعد موتهم للجزاء، وأن خلقهما وبقاءهما مقدر إلى ﴿أجل مسم*ی*¢.

فلما أخبر بذلك \_وهو أصدق القاتلين وأقام الدليل، وأنار السبيل أخبر \_مع ذلك \_أن طائفة من الخلق قد أبوا إلاَّ إعراضاً عن الحق، وصدوفاً عن دعوة الرسل، فقال: ﴿وَالَّذِينَ كفروا عما أنذروا معرضون أوأما الذين آمنوا، فلما علموا حقيقة الحال قبلوا وصايا ربهم، وتلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالانقياد والتعظيم، ففازوا بكل خير، واندفع عنهم کل شر.

﴿ ٤ ــ ٦ ﴾ ﴿ قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرون مناذ اختلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين \* ومن أضل بمن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون \* وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين أي: ﴿قُلِ ﴾ لهؤلاء الذين أشركوا بالله، أوثبانياً وأنبداداً، لا تملك نبضعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، قل لهم ـمبيناً عجز أوثانهم، وأنها لا تستحق شيئاً من العبادة \_: ﴿ أرون ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات). هل خلقوا من أجرام السماوات والأرض شيئاً؟ هل خلقوا جبالاً؟ هل أجروا أنهاراً؟ هل نشروا حيواناً؟ هل

سيجدون ثوابها في تلك الدار كاملاً أنبتوا أشجاراً؟ هل كان منهم معاونة على خلق شيء من ذلك؟

لا شيء من ذلك، بإقرارهم بأنفسهم، فضلاً عن غيرهم، فهذا دليل عقلي قاطع على أن كل من سوى الله، فعبادته باطلة.

ثم ذكر انتفاء الدليل النقلي، فقال: ﴿انتون بكتاب من قبل هذا ﴾ الكتاب يدعو إلى الشرك، ﴿أُو أَثَارَةُ مِنْ عِلْمِ﴾ موروث عن الرسل يأمر بذلك. من المعلوم أنهم عاجزون أن يأتوا عن أحد من الرسل بدليل يدل على ذلك، بل نجزم ونتيقن أن جميع الرسل دعوا إلى توحيد ربهم، ونهوا عن الشرك به، وهي أعظم ما يؤثر عنهم من العلم، قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ وكل رسول قال لقومه: ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ فعلم أن جدال المشركين في شركهم، غير مستندين فيه على برهان ولا دليل، وإنما اعتمدوا على ظُنون كاذبة، وآراء كاسدة، وعقول فاسدة.

يدلُك على فسادها استقراء أحوالهم، وتتبع علومهم وأعمالهم، والنظر في حال من أفنوا أعمارهم بعبادته، هُلُ أفادهم شيئاً في الدنيا أو في الآخرة؟ ولهذا قال تعالى: ﴿ومن أضل عسن يسدعسو مسن دون الله مسن لا يستجيب له إلى يوم القيامة ﴾ أي: مدة مقامه في الدنيا، لا ينتفع به بمثقال ذرة، ﴿وهم عن دعاتُهم غافلون لا يسمعون منهم دعاء، ولا يجيبون لهم نداء، هذا حالهم في الدنيا، ويوم القيامة يكفرون بشركهم. ﴿وَإِذَا حَشَّرِ النَّاسِ كَانُوا لَهُمْ أَعَدَاءُ ﴾ يلعن بعضهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من بعض ﴿وكانوا بِعبادتهم كافرين﴾.

﴿٧ \_ ١٠ ﴾ ﴿وإذا تتلي عليهم آباتنا بيناتٍ قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحرٌ مبين \* أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً هو أعلم بما تفيضون فيه كفي به شهيداً بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم \* قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما

CHUEN STRIFF أَفَرَة يْتَ مَنْ أَغَٰذَ إِلَهُ مُهُوَلُهُ وَأَضَلَهُ ٱللَّهُ عَلَى عِلْمِ وَخَلَمَ عَلَى سَمُعِهِ: وَقَلْهِ ٤ وَبَحَكَ عَلَى بَصَرِهِ عِشْلُوةً فَن بَهْدِيهِ مِن بُعْدِ اللَّهُ أَفَلا لَذَكُّونَ ٥ وَوَالُواْ مَاهِمَ إِلَّاحِيَا لَنَا ٱلدُّنْيَا ثَمُوتُ وَغَيَا وَمَا يُمْلِكُنَّا إِلَّا ٱلدَّهْرُّومَ الْمَهُم بِذَالِكَ مِنْ عِلْمِ إِنْهُمْ إِلَّا يَظُنُونَ ۞ وَإِذَا تُتَلَّى عَلَيْهِمْ ءَائِنُنَا يَتِنَابُ مَّأَكَانَ جُنَهُمُ إِلَّا أَنَ قَالُواْ أَتَنُواْ عَابَآيِنَ آإِن كُنتُرْصَادِقِينَ ۞ قُلِ اللَّهُ يُعْيِيكُونُ زُرِّينُ تُكُونُزُ يَخْمَعُكُولِكَ يَوْمِ ٱلْقِيَاحَةِ لَارْتِبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْمَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَيَقومُلْكُ ٱلمستكوات وَالْأَرْضُ وَتَوْعَ تَعُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَهِ فِيعَتُمُ ٱلْيُعِلُّونَ ۞ وَتَرَىٰ كُلِّ أَمْثِهِ عَائِيةٌ كُلُّ أَمْنِهِ أَدْعَنَ إِلَى كِنْبِهَا ٱلْيُوْمَ تُحْزَقَ مَاكُنْهُ تَعْمَلُونَ ۞ هَلَا كِتَابُنَا يَطِقُ عَلَيْكُمْ بِٱلْحُقُّ إِنَّاكُنَّا نَسْنَسِحُ مَاكُنُةُ تَعَمَّلُونَ۞ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَيلُواْ ٱلصَّلِحَتِ فِيُدُخِلُهُمُ رَبُّهُمْ فِ رَحْمَتِهُ ؞ ذَاكِ هُوَالْفَوْزُالْشِينُ ۞ وَلَمَّا ٱلَّذِينَ كَشَرُوٓا ۗ أَفَارَتَكُنْ اَلِيَى تُتَلَاعَلَيْكُوفَاسْتَكْرَبَةُ وَكُنُونَوَالْخِرِينَ ۞ وَإِذَا فِيلَ إِنَّ وَعُدَاللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَتُ لَارَبْ فِيهِ الْكُلُّمُ مَّانَدْيِي مَا ٱلمَسَاعَةُ إِن نَظُنُ إِلَّاظَنَا وَمَاغَنُ يُسْتَيَقِينِينَ ۞

بمنزلة من لم يقدر على الشيء، ثم طفق يلدمه، ولهذا قال: ﴿وَإِذَ لَمْ يَهْتَدُوا بِهُ فَسِيقُولُونُ هَذَا إِفْكُ قَدِيمٍ ﴾ أي: هذا السبب الذي دعاهم إليه، أنهم لما لم يهتدوا بهذا القرآن، وفاتهم أعظم المواهب، وأجل الرغائب، قدحوا فيه بأنه كذب، وهو الحق الذي لا شك فيه، ولا امتراء يعتريه، الذي قد وافق الكتب السماوية خصوصاً، أكملها الكتب السماوية خصوصاً، أكملها أنزلها الله على موسى ﴿إماماً ورحمة ﴿ وَاللَّمْ اللَّهُ عَلَى موسى ﴿ إماماً ورحمة ﴾ أي: يقتدي بها بنو إسرائيل، ويهتدون بها، فيحصل لهم خير الدنيا والآخرة.

﴿وهذا﴾ القرآن ﴿كتاب مصدق﴾ للكتب السابقة، شهد بصدقها، وصدَّقها، بموافقته لها، وجعله الله ﴿لساناً عربياً﴾ ليسهل تناوله، ويتيسر تذكّره، ﴿ليندر الذين ظلموا﴾ أنفسهم بالكفر والفسوق والعصيان، إن استمروا على ظلمهم بالعذاب الوبيل، في ويبشر المحسنين في عبادة الخالق، وفي نفع المخلوقين، بالثواب الجزيل، في ينذر عنها، والأعمال التي يبشر بها.

﴿ ١٤ - ١٤ ﴾ ﴿إِن الله بِين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون \* أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ﴾ أي: إن الذين أقروا بربهم، وشهدوا له بالوحدانية، والتزموا طاعته ﴿قل ما كنت بدعاً من الرسل أي: لست بأول رسول جاءكم، حتى تستغربوا رسالتي وتستنكروا دعوتي، فقد تقدم من الرسل والأنبياء من وافقت دعوتي دعوتهم، فلأي: شيء تنكر رسالتي؟ ﴿وما أدري ما يفعل بي بيدي من الأمر شيء، والله تعلى هو عليكم، ولست الآي بالشيء من المسلم والمست الآي بالشيء من علي قبلتم رسالتي، وأجبتم دعوتي، فهو قبلتم رسالتي، وأجبتم دعوتي، فهو وإن رددتم ذلك علي فحسابكم على الله، وقد أنذرتكم، ومن أنذر فقد على الله، وقد أنذرتكم، ومن أنذر فقد

وقل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم أي: أخبروني، لو كان هذا القرآن من عند الله، وشهد على صحته الموفقون من أهل الكتاب، الذين عندهم من أهل الكتاب، الذين عندهم من والمتدوا، فتطابقت أنباء الأنبياء وأتباعهم النبلاء، واستكبرتم أيها المخلياء، فهل هذا إلا أعظم الظلم وأشد الكفر؟ وإن الله لا يهدي القوم الظالمين ومن الظلم الاستكبار عن الحق بعد التمكن منه.

﴿١١ ــ ١٢﴾ ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه وإذلم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم \* ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمةً وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينفذر الفين ظلموا وبسرى للمحسنين أي: قال الكفار بالحق معاندين له، ورادّين لدعوته: ﴿ لُو كَانَ خيراً ما سبقونا إليه أي: ما سبقنا إليه المؤمنون، أي: لكنا أول مبادر به، وسابق إليه، وهذا من البهرجة في مكان، فأيُّ دليل بدل على أن علامةً الحق سبق المكذبين به للمؤمنين؟ هل هم أزكى نفوساً؟ أم أكمل عقولاً؟ أم الهدى بأيديهم؟ ولكن هذا الكلام الذي صدر منهم، يُعَزُّون به أنفسهم

يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلى وما أنا إلا نذير مبين \* قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدى القوم الظالمين أي: وإذا تتلى على المكذبين ﴿آباتنا بينات﴾ بحيث تكون على وجه لا يمتري بها، ولا يشك في وقوعها وحقهال لم تفدهم خيراً، بل قامت عليهم بذلك الحجة، ويقولون من إفكهم وافتراثهم ﴿للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أي: ظاهر لا شك فيه، وهذا من باب قلب الحقائق، الذي لا يروج إلا على ضعفاء العقول، وإلا فبين الحق الذي جاء به الرسول على وبين السحر من المنافاة والمخالفة، أعظم مما بين السماء والأرض، وكيف يقاس الحق\_ الذي علا وارتفع ارتفاعاً على الأفلاك، وفاق بضوئه ونوره نور الشمس، وقامت الأدلة الأفقية والنفسية عليه، وأقرت به وأذعنت أولو البصائر والعقول الرزينة ـ بالباطل الذي هو السحر، الذي لا يصدر إلا من ضال ظالم خبيث النفس، خبيث العمل؟! فهو مناسب له وموافق لحاله، وهل هذا إلا من البهرجة؟

﴿أُم يقولون افتراه ﴾ أي: افترى عمد هذا القرآن من عند نفسه، فليس هو من عند الله.

﴿قَلَ ﴾ لهم: ﴿إِن افتريته ﴾ فالله علَّي قادر وبما تفيضون فيه عالم، فكيف لم يعاقبني على افتراثي الذي زعمتم؟

فهل ﴿ تَلكُون لِي من الله شيئا﴾ إن أرادني الله بسضر، أو أرادني بسرحمة ﴿ كفى به شهيداً بيني وبينكم ﴾ فلو كنت متقولاً عليه، لأخذ مني باليمين، ولعافيني عقاباً يراه كل أحد، لأن هذا أعظم أنواع الافتراء لو كنت متقولاً، ثم دساهم إلى التوبة مع ما صدر منهم من معاندة الحق ومخاصمته، فقال: ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾ أي: فتوبوا إليه، وأقلعوا عما أنتم فيه، يغفر لكم ذنوبكم، ويرحكم، فيوفقكم للخير، ويشيكم جزيل الأجر.

وَكِذَا لِمُتَّسِيَّنَاتُ مَا عَلَوْا رَمَاقَ بِمِم كَا كَاوْلُهِ مِنْتَهَ يُونَ۞

وَقِلَ الْمُتَّمِنِّةُ مِنْسَكُوكُمَا لَيَسَةُ لِقَاقَةً يَهُمُ كَمَنَا وَمَا أَوَكُوا الْوَقَالُمُ 
مِنْ فَيْرِينَ۞ وَلَكُو إِلَّكُمُ الْفَقَدُ وَمَنْكِ اللّهِ هُونُوا وَعَنَّى اللّهُ 
الْمُقِينَ الدُّنِيا قَالِيْمَ الْمُتَعَلِّينَ ۞ وَلَهُ 
الْمُقِينَةُ فِي السِّمَوْنِ وَالْمُرْقِينَ وَهُوا أَمْنِينَ الْمُقِينَ ۞ وَلَهُ 
الْمُؤْمِنَةُ فِي السِّمَوْنِ وَالْمُرْقِينَ وَهُوا أَمْنِينَ الْمُتَعِينَ ۞ وَلَهُ 
الْمُؤْمِنَةُ فِي السِّمَوْنِ وَالْمُرْقِينَ وَهُوا أَمْنِينَ الْمُتَعِينَ ۞ وَلَهُ 
الْمُؤْمِنَةُ فِي السِّمَوْنِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَهُوا أَمْنِينَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَلَهُ 
الْمُؤْمِنَةُ فِي السِّمَوْنِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَهُوا أَمْنِينَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَلَهُ 
الْمُؤْمِنَةُ فِي السِّمَانِ وَلَوْمِنَ وَهُوا أَمْنِينَ الْمُؤْمِنَةُ وَلِينَا الْمُعْلِقَالِهُ اللّهُ السَّمِينَ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الل

BENEFIT STREET

المستنوب والمؤفن وقالينه من القيال المستنوب والمتنفية المستنوب والمؤفن وقالين المستنوب والمستنوب والمؤفن وقالين المستنوب والمؤفن وقالين المستنوب والمؤفن والمؤفن المؤفن المؤفن المؤفن المؤفن المؤفن المؤفن المؤفن المؤفن والمؤفن والم

وداموا على ذلك، و ﴿استقاموا﴾ مدة حياتهم ﴿فلا خوف عليهم﴾ من كل شر أمامهم، ﴿ولا هم يجزنون﴾ على ما خلّفوا وراءهم، ﴿أولئك أصحاب الجنة﴾ أي: أهلها الملازمون لها، النين لا يبغون عنها حولاً، ولا يريدون بها بدلاً، ﴿خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون﴾ من الإيمان بالله، المقتضي للأعمال الصالحة التي استقاموا عليها.

﴿١٥ ـ ١٦﴾ ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرهأ وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتي إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إن تبت إليك وإن من السلمين \* أولَّتك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون، هذا من لطفه تعالى بعباده وشكره للوالدين، أن وصَّى الأولاد وعهد إليهم أن يحسنوا إلى والديهم بالقول اللطيف، والكلام اللين، وبذَّل المال والنفقة، وغير ذلكُ من وجوه الإحسان.

ثم نبّه على ذكر السبب الموجب لذلك، فذكر ما تحملته الأم من ولدها

وما قاسته من المكاره وقت حملها، ثم مشقة ولادتها المشقة الكبيرة، ثم مشقة الرضاع وخدمة الحضانة، وليست المذكورات مدة يسيرة، ساعة أو ساعتين، وإنما ذلك مدة طويلة قدرها فإثلاثون شهراً ( المحمل تسعة أشهر ونحوها، والباقي للرضاع، هذا الغالب.

ويستدل بهذه الآية مع قوله: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾ أن أقبل مدة الحمل ستة أشهر، لأن مدة الرضاع \_وهي سنتان \_ إذا سقطت منها السنتان، بقى ستة أشهر، مدة للحمل، ﴿حتى إِذَا بلغ أشده ﴾ أي: نهاية قوته وشبابه، وكمال عقله، ﴿وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني الي الهمني ووفقني ﴿أَن أَشْكُر نَعْمَتُكُ الْتِي أَنْعُمَتُ عَلَى وعلى والديُّ ﴾ أي: نعم الدين، ونعم الدنيا، وشكره بصرف النعم في طاعة مسديها وموليها، ومقابلته مِنَّتُهُ، بالاعتراف والعجز عن الشكر، والاجتهاد في الفناء بها على الله، والنعم على الوالدين، نعم على أولادهم وذريتهم، لأنهم لا بدأن ينالهم منها ومن أسبابها وآثارها، خصوصاً نِعَم الدين، فإن صلاح الوالدين بالعلم والعمل، من أعظم الأسباب لصلاح أولادهم.

﴿ وَأَن أَعمل صَالِحاً تَرضَاه ﴾ بأن يكون جامعاً لما يصلحه، سالماً عما يفسده، فهذا العمل الذي يرضاه الله ويقبله، ويثيب عليه. ﴿ وأصلح لي في ذريتي ﴾ لما دعا لنفسه بالصلاح، دعا لنريته أن يصلح الله أحوالهم، وذكر أن صلاحهم يعود نفعه على والديهم، لقوله: ﴿ وأصلح لي ﴾ .

﴿إِنِ تَبِتَ إِلَيْكُ ﴾ من الـ ذنـوب والمعاصي، ورجعت إلى طاعتك ﴿وإِنِ من المسلمين ﴾ .

﴿أُولِئكُ﴾ الذين ذكرت أوصافهم ﴿الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا﴾ وهو الطاعات، لأنهم يعملون أيضاً

غيرها. ﴿ونتجاوز عن سيئاتهم﴾ في جملة ﴿أصحاب الجنة﴾ فحصل لهم الخير والمحبوب، وزال عنهم الشر والمكروه.

﴿وعد السدق الذي كانوا يوعدون أي: هذا الوعد الذي وعدناهم هو وعد صادقٌ من أصدق القاتلين، الذي لا يخلف الميعاد.

﴿٧١ – ١٩﴾ ﴿والذي قال لوالديه أفّ لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين \* أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين \* ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ﴾ ذكر حال العاق، وأنها شر الحالات، فقال: ﴿والذي قال لوالديه ﴾ إذ دعواه الجزاء.

وهذا أعظم إحسان يصدر من الوالدين لولدهما، أن يدعواه إلى ما فيه سعادته الأبدية، وفلاحه السرمدي، فقال: ﴿أَفَ لَكُما﴾ أي: تباً لكما ولما جئتما به.

ثم ذكر وجه استبعاده وإنكاره لذلك فقال: ﴿ أَتعدانني أَنْ أَخْرِجٍ ﴾ مِنْ قبري إلى يوم القيامة ﴿وقد خلت القرون من قبلي على التكذيب، وسلفوا على الكفر، وهم الأثمة المقتدى بهم لكل كفور وجهول ومعاند؟ ﴿وهما﴾ أي: والداه ﴿يستخيشان الله ﴿ عليه ، ويقولان له: ﴿ويلك آمن ﴾ أي: يبذلان غاية جهدهما، ويسعيان في هدايته أشد السعى، حتى إنهما ـ من حرصهما عليه \_أنهما يستغيثان الله له، استغاثة الغريق، ويسألانه سؤال الشريق، ويعذلان ولدهما، ويتوجعان له، ويبينان له الحق، فيقولان: ﴿إِنَّ وعد الله حق﴾ ثم يقيمان عليه من الأدلة ما أمكنهما، وولدهما لا يزداد

العذاب الشديد، الذي يهينكم ويفضحكم بما كنتم تقولون على الله غير الحق، أي: تنسبون الطريق الضالة التي أنتم عليها إلى الله، وإلى حكمه، وأنتم كذبة في ذلك، ﴿وبما كنتم تفسقون﴾ أي: تتكبرون عن طاعته، فجمعوا بين قول الباطل، والعمل بالباطل، والكذب على الله بسنبته إلى رضاه، والقدح في الحق، والاستكبار عنه، فعوقبوا أشد العقوبة.

﴿٢٦ ـ ٢٦﴾ ﴿واذكر أخما عماد إذ أنذر قومه بالأحقاف) إلى آخر القصة(١) أي: ﴿واذكر﴾ بالثناء الجميل ﴿ أَخَا عَادِ ﴾ وهو هود عليه السلام، حيث كان من الرسل الكرام، الذين نضلهم الله تعالى بالدعوة إلى دينه، وإرشاد الخلق إليه .

﴿إِذْ أَنْكُر قُلُومُلُهُ ۗ وَهُلُمُ عَلَادُ ﴿بالأحقاف﴾ أي: في منازلهم المعروفة بالأحقاف، وهي: الرمال الكثيرة في أرض اليمن.

﴿ وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه﴾ فلم يكن بدعاً منهم ولا مخالفاً لهم، قائلًا لهم: ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهُ إن أخاف عليكم عذاب يوم عظيم،

فأمرهم بعبادة الله، الجامعة لكل قول سديد وعمل حميد، ونهاهم عن الشرك والتنديد، وخوَّفهم -إن لم يطيعوه - العذاب الشديد، فلم تفد فيهم تلك الدعوة. ﴿قالوا أَجِنْتُنَا لتأفكنا عن آلهتنا﴾ أي: ليس لك من القصد، ولا معك من الحق، إلا أنك حسدتنا على آلهتنا، فأردت أن تصرفنا

﴿ فَأَتِنَا بِمَا تَعَدِّنَا إِنْ كُنْتُ مِنْ الصادقين﴾ وهذا غاية الجهل والعناد. ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعُلَّمُ عَنْدُ اللَّهُ ۖ فَهُو الَّذِي بيده أزمة الأمور ومقاليدها، وهو الذي يأتيكم بالعذاب إن شاء. ﴿وأبلغكم ما أرسلت به ﴿ أي: ليس على إلا البلاغ المبين، ﴿ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾ فلذلك صدر منكم ما صدر من هذه الجرأة الشديدة، فأرسل الله عليهم

وَلِذَا حُيْرَالْنَاسُ كَافُوا لَمُرَّأَعْدَاءُ وَكَافُوا بِمِادَتِهِمْ كَنْفِيتَ ۞ وَإِذَا أَتُنْلَ عَلَيْهِمْ ءَالِنَفُنَا بَيْنَتِ قَالَ ٱلَّذِينَ كَمُولِلْمُعَ لِلْكُولِلَا لَهُمَ هَننَاسِ مَرْمُهِينً ۞ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّيْهُ قُلُ إِن ٱفْرَيْتُهُ فَلا تَلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَأَعَلَرُ بِمَا تَفْيِضُونَ فِيوً كَفَلَ بِيهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَيَيْنَكُمُّ وَهُوَالْفَغُورُ الرَّحِيمُ ۞ قُلْ مَاكُنتُ بِنْعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ فِي وَلَابِكُمُّ إِنَّ أَيْمُ إِلَّا مَا يُوْفَى ا إِنَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّهِينٌ ۞ قُلْ أَرَهَ يُشَرُّ إِن كَانَ مِنْ عِندِاللَّهِ وَكَفَرْتُهُ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدُ مِنْ بَنِيَ إِسْرَاهِ بِلَ عَلَى مِشْلِهِ وَعَامَنَ وَٱسْتَكْبَرَيْتُمَّ إِنَّالَةَ لَايَعْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِينَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَوَكَانَ خَيْرًا مَّاسَبَغُونَاۤ إِلَيْهُ وَإِذْ لَرْيَعْتَ لُمُواْ بِدِ مَسَيَقُولُونَ هَلَاَ إِفْكُ قَدِيرٌ ۞ وَمِن قَبَلِهِ حَيَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةُ وَهَذَاكِنَبُ مُصَدِّقُ لِسَانًا عَرَبِيّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَتُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ۞ إِذَا أَلْنِيرَ ۖ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمُّ ٱسْتَقَلْمُوا فَلَاخُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَعْزَنُونَ ۞ أُولَئِكَ

العذاب العظيم، وهي الريح التي دمرتهم وأهلكتهم، ولهذا قال: ﴿فلما رأوه أي: العذاب ﴿عارضاً مستقبل أوديتهم﴾ أي: معترضاً كالسحاب، قد أقبل على أوديتهم التي تسيل، فتسقى نوابتهم، ويشربون من آبارها وغُذرانها .

المُمكَ الْمُعَدِّدُ خَلِدِينَ فِيهَا جَنَّدَا مُاكَانُولُهُ مَلُونَهُ

ON THE TOTAL OF THE PROPERTY O

CA CINCA STREET

﴿قَالُوا﴾ مستبشرين: ﴿هذا عارض ممطرنا﴾ أي: هذا السحاب سيمطرنا.

قال تعالى: ﴿ بِل هو ما استعجلتم به ﴾ أي: هذا الذي جنيتم به على أنفسكم، حيث قلتم: ﴿ فَأَتِنَا بِمَا تَعَدِّنَا إن كنت من الصادقين ﴿ ريح فيها عذاب أليم، ﴿تدمر كل شيءَ عر عليه من شدتها ونحسها.

فسلطها الله عليهم ﴿سبع ليالِ وثمانية أيام حسوماً ، فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ﴾ [﴿بأمررها﴾ أي: بإذنه ومشيئته]. ﴿فأصبحوالا يرى إلامساكنهم له قد تلفت مواشيهم وأموالهم وأنفسهم. ﴿كذلك نجزي القوم المجرمين ﴾ بسبب جرمهم وظلمهم، هذامع أن الله تعالى قد أدرُّ عليهم النعم العظيمة ، فلم يشكروه، ولا ذكروه، ولهذاقال: ﴿ولقدمكناهم فيما إن مكناكم فيه أي: مكناهم في الأرض، يتناولون طيباتها، ويتمتعون بشهواتها،

إلا عتواً ونفوراً، واستكباراً عن الحق وقدحاً فيه، ﴿فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي: إلا منقول من كتب المتقدمين، ليس من عند الله، ولا أوحاه الله إلى رسبوله، وكل أحد يعلم أن محمداً على أمنى لا يكتب ولا يقرأ، ولا تعلم من أحد، فمن أين يتعلُّمه؟ وأنَّى للخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً؟ ﴿أُولِتُكُ الذينِ ﴾ مِذه الحالة الذميمة ﴿حقّ عليهم القول﴾ أي: حقت عليهم كلمة العذاب ﴿في ﴾ جلة ﴿أمم قد خلَّت من قبلهم من الجن والإنس﴾ على الكفر والتكذيب، فسيدخل هؤلاء

﴿إنهم كانوا خاسرين ﴾ والحسران فوات رأس مال الإنسان، وإذا فقد رأس ماله، فالأرباح من باب أولى وأحرى، فهم قد فاتهم الإيمان، ولم يحصلوا على شيء من النعيم، ولا سلموامن عذاب الجحيم ﴿ولكل﴾ من أهل الخير وأهل الشر ﴿درجات مما عملوا ﴾ أي: كلُّ على حسب مرتبته من الخير والشر، ومنازلهم في الدار الآخرة على قدر أعمالهم، ولهذا قال: ﴿وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون، بأن لا يزاد فى سيشأتهم، ولا ينقص من

في غمارهم، وسيغرقون في تيارهم.

﴿٢٠﴾ ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبماكنتم تفسقون يذكر تعالى حال الكفار عند عرضهم على النارحين يوبخون ويقرعون، فيقال لهم: ﴿أَذْهَبِتُمْ طَيْبَاتُكُمْ فَي حياتكم الدنيا ، حيث اطمأننتم إلى الدنيا، واغتررتم بلذاتها، ورضيتم بشهواتها، وألهتكم طيباتها عن السعي لأخرتكم، وتمتعتم تمتع الأنعام السارحة فهي حظكم من أخرتكم، ﴿فَالْيُومُ تَجْزُونَ عَذَابِ الْهُونِ ﴾ أي:

CONTRACTOR OF THE PROPERTY OF وَوَضَيْنَا ٱلْإِنسَانَ عِلْمَيْهِ إِحْسَنَا حَمَلَتُهُ أُمُّهُ كُمُ هَا وَوَضَعَتْهُ كُرَهَأَ وَحَلْدُونِهِ صَلْدُ ثَلَاثُونَ شَهْرُّا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِغِنَ أَذْ أَشْكُرُ فِعْمَتَكَ ٱلْيَ أَفْمَتُ عَلَى وَكُلُ وَالدَى وَأَنْ أَعْسَلُ صَلِحًا زَضِينَهُ وَأَصْلِمُ لِي فِي نُرَيِّيَةً إِنْ تَنْتُ إِلَّهِ فَانْ مِنَ الْشَرِادِينَ ۞ أُوْلَبَكَ ٱلَّذِينَ نَفَتِلُ عَنْهُمُ أَحْسَنَ مَاعِمُلُواْ وَنَتَجَاوَزُعَن سَيْعَالِهِمْ فِي أَصْلَ ٱلْجَنَّةُ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَافُوا يُوعَدُونَ ۞ وَٱلَّذِي ۚ قَالَ لِوَلِلْدَيْهِ أَنِي لَكُمَّا أَتَعِدَانِيَ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيَدَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعُدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَحُولُ مَاهَٰذَا إِلَّا أَسَطِيرًا لأَوَّلِنَ ۞ أُوْلَئِكَ أَلْيِنَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْعَوْلُ فِ أَمَي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ مِينَ أَنْهِنَ وَٱلْإِنِينَ إِنَّهُمْ كَافُوا حَيْدِينَ ۞ وَلِكُلِّ دَنَحَتُ عَمَاعَيلُواْ وَإِوْفِهُمُ أَعْمَلُهُمْ وَهُرَلَا يُظَامُونَ ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَتَرُوا عَلَ النَّارِ أَذَهَت تُرَطِّيبَاتِ كُرُونِ حَيَاتِكُوالدُّيْنَاوَاسْتَمْتَعَدُّرِيعَا فَٱلْحُوْمَجُّوَوْنَ عَذَابَ ٱلْمُوْنِ إِيَّا كُنْتُرْ نَسْتَكْفِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وِمَنْدِرَا تَحْقِ وَيِمَا كُنْتُونَفَسُتُونَ ۞ Observation of the state of the

وعمرناهم عمراً، يتذكر فيه من تذكر، ويعظ فيه المهتدي، أي: ولقدمكناعاداً كمامكناكم يا هؤلاء المخاطبون، أي: فلا تحسبواأن ما مكناكم فيه مختص بكم، وأنه سيدفع عنكم من عذاب الله شيئاً، بل غيركم أعظم منكم تمكيناً، فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم ولا جنودهم من الله شيئاً.

﴿وجعلنالهم سمعاو أبصاراً وأندة ﴾ أي: لا قصور في أسماعهم ولا أنهانهم، حتى يقال إنهم تركوا الحق جهلاً منهم، وعدم تمكن من العلم به، ولا خلل في عقولهم، ولكن التوفيق بيد الله. ﴿فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من أبيم ﴿يَحدون بايات الله الدالة على توحيده وإفراده بالعبادة.

﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: نزل بهم العذاب الذي يكذبون بوقوعه، ويستهزؤون بالرسل الذين حذروهم منه.

﴿٧٧ \_ ٢٨﴾ ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون \* فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون على مشركي العرب وغيرهم، بإهلاك الأمم المكذبين، الذين هم حول ديارهم، بل كثير منهم في جزيرة

﴿بل ضلوا عنهم ﴾ فلم يجيبوهم ، ولا دفعوا عنهم ، ﴿وذلك إفكهم وما كانوا يفترون ﴾ من الكذب ، الذي يمنون به أنفسهم ، حيث يزعمون أنهم على الحق ، وأن أعمالهم ستنفعهم ، فضلت وبطلت .

﴿ ٢٩ \_ ٣٧ ﴾ ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجنّ يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولّوا إلى قومهم منذرين \* قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما ين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم \* يا قومنا أجيبوا داعي الله من عـذاب أليم \* ومسن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولشك في ضلال مبين ﴾ كان الله تعالى قد أرسل وجنهم، وكان لا بد من إبلاغ الجميع رسوله عمداً ﷺ إلى الخلق، إنسهم وبعنهم، وكان لا بد من إبلاغ الجميع للدعوة النبوة والرسالة.

فالإنس، يمكنه عليه الصلاة والسلام دعوتهم وإنذارهم، وأما الجن، فصرفهم الله إليه بقدرته، وأرسل إليه فنفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا أي: وصى بعضهم بعضاً بذلك، فيهم فولوا إلى قومهم منذرين فصحاً منهم لهم، وإقامة لحجة الله عليهم، وقيضهم الله معونة لرسوله عليهم، نشر دعوته في الجن.

﴿قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى﴾ لأن كتاب موسى

أصل للإنجيل، وعمدة لبني إسرائيل في أحكام الشرع، وإنما الإنجيل متمم ومكمل ومغير لبعض الأحكام.

﴿مصدقاً لما بين يديه يهدي ﴿ هذا الكتاب الذي سمعناه ﴿ إِلَى الحق ﴾ وهو الصواب في كل مطلوب وخبر، ﴿ وإلى طريق مستقيم ﴾ موصل إلى الله، وإلى جنته، من العلم بالله، وبأحكامه الدينية، وأحكام الجزاء.

فلما مدحوا القرآن وبينوا محله ومرتبته، دعوهم إلى الإيمان به، فقالوا: ﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله أي: السذي لا يسدعو إلا إلى ربه، لا يدعوكم إلى غرض من أغراضه ولا هرى، وإنما يدعوكم إلى ربكم، ليثيبكم، ويزيل عنكم كل شر ومكروه، ولهذا قالوا: ﴿يغفر لكم من دنوبكم ويجركم من عذاب اليم وإذا أجارهم من العذاب الأليم، فما ثمّ بعد ذلك إلا النعيم، فهذا جزاء من أجاب داعى الله.

﴿ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض﴾ فإن الله على كل شيء قدير، فلا يضوته هارب، ولا يغالبه مغالب. ﴿وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين﴾ وأي ضلال أبلغ من ضلال من نادته الرسل، ووصلت إليه النذر بالآيات البينات، والحجج المتواترات، فأعرض واستكبر؟!!

﴿٣٣﴾ ﴿أولم يسروا أن الله السذي خلق السسماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى منه تعلى على الإعادة بعد الموت، بما هو أبلغ منها، وهو أنه الذي خلق السماوات والأرض، على عِظمِهما وسعتهما وإتقان خلقهما، من دون أن يكترث بذلك، ولم يَعْيَ بخلقهن فكيف تعجزه إعادتكم بعد موتكم، وهو على كل شيء قدير؟!!

﴿٣٤ ــ ٣٥﴾ ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون \* فاصبر كما صبر أولو العزم الجزء السادس والعشرون كم

من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ببلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون، يخبر تعالى عن حال الكفار الفظيعة عند عرضهم على النار التي كانوا يكذبون بها، وأنهم يوبخون، ويقال لهم: ﴿ أَلْيِسَ هَذَا بِالْحَقِّ فَقَد حضرتموه ومشاهدتموه عياناً؟ ﴿قالوا بلي وربنا﴾ فاعترفوا بذنبهم، وتبين كذبهم ﴿قال فلذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ أي: عذاباً لازماً دائماً، كما كان كفركم صفة لازمة:

ثم أمر تعالى رسوله أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له، وأن لا يزال داعياً لهم إلى الله، وأن يقتدي بصبر أولي العرزم من المرسلين، سادات الخلق، أولي العزائم والهمم العالية، الذين عظم صبرهم، وتم يقينهم، فهم أحق الخلق بالأسوة بهم، والقفو لأثارهم، والاهتداء بمنارهم.

فامتثل ﷺ لأمرربه، فصبر صبراً لم يصبره نبى قبله، حتى رماه المعادون له عن قوس واحدة، وقاموا جميعاً بصده عن الدعوة إلى الله، وفعلواما يمكنهم من المعاداة والمحاربة، وهو ﷺ لم يؤلُّ صادعاً بأمر الله، مقيماً على جهاد أعداء الله، صابراً على مايناله من الأذى، حتى مكن الله له في الأرض، وأظهر دينه على سائر الأديان، وأمته على الأمم، فصلى الله عليه وسلم تسليماً.

وقوله: ﴿ولا تستعجل لهم﴾ أي: لهؤلاء المكذبين المستعجلين للعذاب، فإن هذا من جهلهم وحقهم، فلا يَسْتَخِفُنُّك بِجِهِلهِم، ولا يحملك ما ترى من استعجالهم على أن تدعو الله عليهم بذلك، فإن كل ما هو آت قریب، و ﴿كَأَنَّهُم يُوم يُرُونُ مَا يوعدون لم يليثوا ﴿ فِي الدنيا ﴿ إلا ساعة من نهار، فلا يحزنك تمتعهم القليل وهم صائرون إلى العذاب الوبيل.

﴿بلاغ﴾ أي: هذه الدنيا، متاعها وشهواتها ولذاتها بلغة منغصة، ودفع وقت حاضر قليل.

أوهذا القرآن العظيم، الذي بَيُّنا لكم فيه البيان التام، بلاغ لكم، وزاد

إلى الدار الآخرة، ونعم الزاد والبلغة، زاد يوصل إلى دار النعيم، ويعصم من العذاب الأليم، فهو أفضل زاد يتزوده الخلائق، وأجل نعمة أنعم الله بها

﴿ فَهِلْ يَهِلُكُ ﴾ بالعقوبات ﴿ إِلاَّ القوم الفاسقون﴾ أي: الذين لا خير فيهم، وقد خرجوا عن طاعة ربهم، ولم يقبلوا الحق الذي جاءتهم به الرسل.

وأعذر الله لهم وأنذرهم، فبعد ذلك إذ يستمرون على تكذيبهم وكفرهم، نسأل الله العصمة.

> آخر تفسير سورة الأحقاف، والحمد لله رب العالمين

# تفسير سورة القتال، وهي

﴿ ١ - ٣﴾ ﴿ بسم الله السرحسن الرحيم الذين كفروا وصدواعن سبيل الله أضل أعمالهم \* والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم \* ذلك بأنَّ الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين أمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم الهدا الآيات مشتملات على ذكر ثواب المؤمنين وعقاب العاصين، والسبب في ذلك، ودعوة الخلق إلى الاعتبار بذلك، فقال: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ﴿ وهؤلاء رؤساء الكفر، وأئمة الضلال، الذين جمعوا بين الكفر بالله وآياته، والصد لأنفسهم وغيرهم عن سبيل الله، التي هي الإيمان بما دعت إليه الرسل واتباعه.

فه؛ لاء ﴿أَصْلَ ﴾ الله ﴿أعمالهم ﴾ أي: أبطلها وأشقاهم بسببها، وهذا يشمل أعمالهم التي عملوها ليكيدوا بها الحق وأولياء الله، أن الله جعل كيدهم في نحورهم، فلم يدركوا مما قصدوا شيئاً، وأعمالهم التي يرجون أن يشابوا عليها، أن الله سيحبطها عليهم، والسبب في ذلك أنهم اتبعوا الباطل، وهو كل غاية لا يراديها وجه الله من عبادة الأصنام والأوثان،

DA MENERO SERVICE DE • وَاذْكُرْ أَغَاعَادِ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ مِا لَأَحْفَافِ وَقَدْ خَلْتِ الْنُلْاُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَ ٱلْانْقَبُدُوۤ الْالْمَةُ إِنْ لَمَا لَكُوْ عَلَيْكُمْ عَنَابَ وَمِ عَظِيرٍ ۞ قَالُوٓ أَجِعْنَا لِتَأْفِكَنَا عَنَ الْهَيْنَا اللَّيْنَا عَاتَمِدُنَّا إِن كُنتَ مِنَ الصَّدِقِينَ ۞ قَالَ إِثَّمَا الْمِلْمُ عِندَاللَّهِ وَأَبْلِفُكُمْ مَّا أَرْمِيلُتُ بِهِ ، وَلَا كِنَّ أَرِيكُمْ فَوَمَا تَعْمَلُونَ المُ فَأَمَّا رَأَقُوهُ عَارِضَا مُسْتَقِيلَ أَوْدِينِهِ مْرَقَا لُواْهَا فَاعَارِضُ مُّنطِرُوا بَلْ هُوَمَا أَسْتَعَبَلْتُم بِقِيدِ عَنهَا عَذَابُ أَلِيمٌ ۞ لْدَرْنُ كُلُّ شَيْعٍ بِأَمْرِيتِهَا فَأَصْبِحُواْ لَا يُرَيَّ إِلَّامْسَكِمُ فَهُمَّ كَلَلِكَ غَيْنِي ٱلْقُوْمَ ٱلْتُجْرِونَ ۞ وَلَقَدْ مَكَّنَا فَمُوفِيمَ إِن مَّكَّنَّكُوفِيهِ وتبعكنا لأنرسنعا وأبصرا وأفودة فمآ أغناعتهم سمعهم وَلاَ أَتِمَارُهُمْ وَلَا أَفْيِنَتُهُمُ مِن ثَيْءٍ إِذْ كَانُواْ يَعْحُدُونَ بِعَلِيْتِ ٱللَّهِ وَيَمَّاقَ بِهِم مَّاكَ اثْوَا بِهِم يُسْتَنَافِرِ يُونَ ۞ وَلَقَدْ أَهْ لَحَتَ مَا حَوْلُكُمْ مِنَ ٱلْقُرَىٰ وَمَثَّرَفَنَا ٱلْآيَاتِ لَمَلَّهُمْ رُحْمِتُونِ ﴿ فَلَوْلَا شَهْرَهُمُ الَّذِينَ أَتَحْتُهُ وأَمِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا وَالْهَاتُّ / بَلْ مَنَكُواْ عَنْهُمُ وَذَالِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَهْ مَرُونَ ۞ 

والأعمال التي في نصر الباطل لما كانت باطلة، كانت الأعمال لأجلها باطلة.

وأما ﴿والَّذِينَ آمنوا﴾ بما أنزل الله على رسله عموماً، وعلى محمد ﷺ خصوصاً، ﴿وعملوا الصالحات ﴾ بأن قاموا بما عليهم من حقوق الله، وحقوق العباد الواجبة والمستحبة.

﴿ كَفُر ﴾ الله ﴿ عنهم سيئاتهم ﴾ صغارها وكبارها، وإذا كُفُرت سيئاتهم، نجوا من عذاب الدنيا والآخرة. ﴿وأصلح بالهم ﴿ أي: أصلح دينهم ودنياهم، وقلوبهم وأعمالهم، وأصلح ثوابهم، بتنميته وتزكيته، وأصلح جميع أحوالهم، والسبب في ذلك أنهم: ﴿اتبعوا الحق﴾ الذي هو الصدق واليقين، وما اشتمل عليه هذا القرآن العظيم، الصادر ﴿من ربهم الذي رباهم بنعمته، ودبرهم بلطفه فرباهم تعالى بالحق فاتبعوه، فصلحت أمورهم، فلما كانت الغاية المقصودة لهم، متعلقة بالحق المنسوب إلى الله الباقى الحق المبين، كانت الوسيلة صالحة باقية، باقياً ثوابها.

﴿ كَذَلَكُ يُسْمُرُبُ اللَّهُ لَلْمُنَاسِ أمثالهم المحيث بيّن لهم تعالى أهل الخير وأهل الشر، وذكر لكل منهم صفة يعرفون بها ويتميزون ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيَّ عن بينة﴾.

كان قتال وحرب.

فإذا كان في بعض الأوقات، لا حرب فيه لسبب من الأسباب، فلا قتل ولا أسر.

﴿ذَلَك﴾ الحكم المذكور في ابتلاء المؤمنين بالكافرين، ومداولة الأيام بينهم، وانتصار بعضهم على بعض ﴿ولو يشاء الله لانتصر منهم﴾ فإنه تعالى على كل شيء قدير، وقادر على أن لا ينتصر الكفار في موضع واحد أبداً، حتى يبيد المسلمون خضراءهم.

﴿ولكن ليبلو بعضكم ببعض ﴾ ليقوم سوق الجهاد، ويتبين بذلك أحوال العباد، الصادق من الكاذب، وليؤمن من آمن إيماناً صحيحاً عن بصيرة، لا إيماناً مبنياً على متابعة أهل الغلبة، فإنه إيمان ضعيف جداً، لا يكاد يستمر لصاحبه عند المحن والبلايا.

﴿ والذين قتلوا في سبيل الله لهم ثواب جزيل، وأجر جميل، وهم الذين قاتلوا من أمروا بقتالهم، لتكون كلمة الله هي العليا.

فهؤلاء لن يضل الله أعمالهم، أي: لن يحبطها ويبطلها، بل يتقبلها وينميها لهم، ويظهر من أعمالهم نتائجها، في الدنيا والآخرة.

﴿سيهديهم﴾ إلى سلوك الطريق الموصلة إلى الجنة، ﴿ويصلح بالهم الي الجنة، ﴿ويصلح بالهم يكون أي: حالهم وأمورهم، وثوابهم يكون صالحاً كاملاً لا نكد فيه ولا تنغيص بوجه من الوجوه.

﴿ ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾ أي: عرفها أولاً، بأن شوقهم إليها، ونعتها لهم، وذكر لهم الأعمال الموصلة إليها، التي من جلتها القتل في سبيله، ووفقهم للقيام بما أمرهم به ورغبهم فيه، شم إذا دخلوا الجنة، عرفهم منازلهم، وما احتوت عليه من النعيم المقيم، والعيش السليم.

﴿٧-٩﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويشبت أقدامكم \* والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم \* ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم > هذا أمر منه

تعلى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره.

وأما الذين كفروا بربهم، ونصروا الباطل، فإنهم في تعس، أي: انتكاس من أمرهم وخذلان.

﴿واضلَ أعمالهم﴾ أي: أبطل أعمالهم التي يكيدون بها الحق، فرجع كيدهم في نحورهم، وبطلت أعمالهم المتي يزعمون أنهم يريدون بها وجه الله.

ذلك الإضلال والتعس للذين كفروا، يسبب أنهم وكرهوا ما أنزل الله من القرآن الذي أنزله الله صلاحاً للعباد، وفلاحاً لهم، فلم يقبلوه، بل أبغضوه وكرهوه، وفأحبط أعمالهم

﴿١١ ــ ١١﴾ ﴿أفله يسيروا في الأرض فينظروا كيف كأن عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها \* ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأنَّ الكافرين لا مولى لهم﴾ أي: أفلا يسير هؤلاء المكذبون بالرسول ﷺ، ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ فإنهم لا يجدون عاقبتهم إلا شر العواقب، فإنهم لا يلتفتون يمنة ولا يسرة إلا وجدوا ما حولهم، قد بادوا وهلكوا، واستأصلهم التكذيب والكفر، فخمدوا، ودمّر الله عليهم أموالهم وديارهم، بل دمر أعمالهم ومكرهم، وللكافرين في كل زمان ومكان، أمثال هذه العواقبّ الوخيمة، والعقوبات الذميمة.

وأما المؤمنون، فإن الله تعالى ينجيهم من العذاب، ويجزل لهم كثير الثواب.

د . ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا﴾

بِمَا كُمُتُمْ تَكُفُرُونِ ﴿ فَاصْدِرَكُمَا صَبَرَ أُولُواْ الْعَدَرْمِينَ ٱلرُسُلِ وَلَانَسَتَعَيِيل لَمُنْزَكَأَنَهُمُ يَوْءَ يَرُوْنَ مَا يُوعَدُونَ أَرْيَلُتُ ثُوّاً إِلَّاسَاعَةُ مِن نَّهَارُ يَلَكُ فَهَلْ يُهُلِّكُ إِلَّا ٱلْفَوْمُ ٱلْفَلِي قُونَ۞ भू भूग के प्राप्त के स्व TORONO ... EGENEO. ﴿٤ ـ ٦﴾ ﴿ فَإِذَا لَقَيْتُمُ الَّذِينَ كَفُرُوا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشذوا الوثاق فإما منا بعدُ وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم \* سيهديهم ويصلح بالهم \* ويدخلهم الجنّة عرّفها لهم﴾ يقول تعالى \_موشدأ عباده إلى ما فيه صلاحهم، ونصرهم على أعدائهم \_: ﴿فإذا لَقيتم الذين كفروا من الحرب والقسال، فاصدقوهم القتال، واضربوا منهم الأعناق، حتى تثخنوهم وتكسروا شوكتهم وتبطلوا شرتهم، فإذا فعلتم ذلك، ورأيتم الأسر أولى وأصلح، ﴿فَشَدُوا الوثاقَ﴾ أي: الرباط، وهذا احتياط لأسرهم لئلا يهربوا، فإذا شد منهم الوثاق اطمأن المسلمون من هربهم ومن شرهم، فإذا كانوا تحت أسركم، فأنتم بالخيار بين المنّ عليهم،

DE BESTELLE OF SHEETENERS OF SHEETENERS

وَاذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَشَرُا مِنَ أَنِحِنَ يَسْتَهِعُونَ ٱلْعُرُوانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ

قَالُواْ أَنْصِتُواْ فَلَمَا قُضِيَ وَلَوْا إِلَى قَوْمِهِ مِمُّنْ إِرِينَ ۞ قَالُواْ

يَعَوْمَنَ إِنَّا سَمِعْنَا كِنَا أَنِوْلُ مِنْ بَعْدِمُوسَىٰ مُصَدِّفًا

لِمَا يَنْ يَدَيْهِ يَعْدِى إِلَى أَكْتِي وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيدٍ ۞

يَنقَوْمَنَآ أَجِيبُوا دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ، يَغْفِرْ لِكُرُ مِن دُنُوبِكُو

وَيُحِزَكُمُ مِنْ عَنَابِ أَلِيهِ ۞ وَمَن لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ

بِمُعْجِزِفِٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ ۚ أَوْلِيآ أَهُ أُولَٰٓ إِلَى اللَّهِ اللَّهِ الْ

فِ صَلَالٍ مُّدِينٍ ۞ أَوَلَرْيَ سَرَوْا أَنَّ اللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَوَتِ

وَٱلْأَرْضَ وَلَرْيَعَى عَلْقِهِنَّ بِعَلَدِرِعَلَ أَن يُحْتِي ٱلْوَٰتَّ بِكَرَانَهُ.

عَلَىكُلِ مَنَى وَقَدِيرُ ۞ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْعَلَ

ٱلتَارِ ٱلْيَسَ هَلَا إِلْكِيَّ قَالُواْ بِكَي وَرَبِّناً قَالَ فَذُوفُوا ٱلْعَذَابَ

وهذا الأمر مستمر ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ أي: حتى لا يبقى حرب، وتبقون في المسالة والمهادنة، فإن لكل مقام مقالاً، ولكل حال حكماً، فالحال المتقدمة، إنما هي إذا

وإطلاقهم بلا مال ولا فداء، وإما أن

تفدوهم بأن لا تطلقوهم حتى يشتروا

أنفسهم، أو يشتريهم أصحابهم بمال،

أو بأسير مسلم عندهم.

فتولاهم برحمته، فأخرجهم من الظلمات إلى النور، وتولى جزاءهم ونصرهم، ﴿وأن الكافرين ﴾ بالله تعالى، حيث قطعوا عنهم ولاية الله، وسدوا على أنفسهم رحمته ﴿لا مولى لهم م يهديهم إلى سبل السلام، ولا ينجيهم من عذاب الله وعقابه، بل أولياؤهم الطاغوت، يخرجونهم من النور إلى الظلمات، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.

﴿١٢﴾ ﴿إِنَّ الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناتٍ تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم لل ذكر تعالى أنه ولى المؤمنين، ذكر ما يفعل جم في الآخرة، من دخول الجنات، التي تجري من تحتها الأنهار، التي تسقي تلك البساتين الزاهرة، والأشجار الناظرة المثمرة، لكل زوج بهيج، وكل فاكهة لذيذة.

ولما ذكر أن الكافرين لا مولى لهم، ذكر أنهم وُكِلُوا إلى أنفسهم، فلم يتصفوا بصفات المروءة، ولا الصفات الإنسانية، بل نزلوا عنها دركات، وصاروا كالأنعام، التي لا عقل لها ولا فضل، بل جُلُ همهم ومقصدهم التمتع بلذات الدنيا وشهواتها، فترى حركاتهم الظاهرة والباطنة دائرة حولها، غير متعدية لها إلى ما فيه الخير والسعادة، ولهذا كانت النار مثوى لهم، أي: منزلاً معداً، لا يخرجون منهاً، ولا يفتر عنهم من عذابها.

﴿ ١٣﴾ ﴿ وكأين من قريةٍ هي أشد قوةً من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم﴾ أي: وكم من قرية من قرى الكذبين، هي أشد قوة من قريستسك، فسي الأمسوال والأولاد والأعوان، والأبنية والآلات.

﴿أهلكناهم ﴿ حين كذبوا رسلنا، ولم تفد فيهم المواعظ، فلم نجد لهم<sup>(١)</sup> ناصراً، ولم تغن عنهم قوتهم من عذاب الله شيئاً.

فكيف حال هؤلاء الضعفاء، أهل قريتك، إذ أخرجوك عن وطنك وكنبوك، وعادوك وأنت أفضل المرسلين، وخير الأولين والآخرين؟!

أليسوا بأحق من غيرهم بالإهلاك والعقوبة، لولا أن الله تعالى بعث رسوله بالرحمة والتأني بكل كافر و جاحد؟

[﴿١٤﴾ ﴿أَفْمِن كَانَ عَلَى بِينَةٍ مِن ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم﴾ أي: لا يستوي من هو على بصيرة من أمر دينه، علماً وعملاً، قد علم الحق واتبعه، ورجا ما وعده الله لأهل الحق، كمن هو أعمى القلب، قد رفض الحق وأضله، واتبع هواه بغير هدى من الله، ومع ذلك، يرى أن ما هو عليه من الحق، فما أبعد الفرق بين الفريقين! وما أعظم التفاوت بين الطائفتين، أهل الحق وأهل الغيّ!(٢)

﴿١٥﴾ ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهازٌ من لبن لم يتغير طعمه وأنهارٌ من خر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصَفّى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرةً من ربهم كمن هو خالدٌ في النار وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم ﴿ أي: مثل الجنة التي أعدها الله لعباده، الذين اتقوا سخطه، واتبعوا رضوانه، أي: نعتها وصفتها الجميلة.

﴿فيها أنهار من ماء غير آسن﴾ أي: غير متغير، لا بوخم ولا بريح منتنة، ولا بمرارة، ولا بكدورة، بل هو أعذب المياه وأصفاها، وأطيبها ريحاً، وألذها شرباً.

﴿وأنهار من لبن لم يتغير طعمه﴾ بحموضة ولا غيرها، ﴿وأنهار من خمر لذة للشاربين ﴿ أَي: يلتذ به شاربه لذَّة عظيمة، لا كخمر الدنيا الذي يكره مذاقه ويصدع الرأس، ويغول العقل. ﴿وأنهار من عسل مصفى ، من شمعه وسائر أوساخه.

﴿ ولهم فيها من كل الثمرات ﴾ من

THE STATE OF THE S حاقبال تخالتينه الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَنْ مَبِيلِ أَمَّوا أَضَلَّ أَعْمَاهُمْ ۞ وَالَّذِنَّ مَامَوُّا وَيَمِلُواْ الصَّلِحَتِ وَمَامَنُواْ مَا أَزَلَ عَلَا يُحَمَّدِ وَهُوَالْحَقَّ مِن زَبَهِمُ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِنَانِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالْحَدُ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَقَرُوا ٱلْبَسُوا الْبَطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا النَّبَعُوا الْتَيَّ مِن زَّيَّهُمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ الْعَهُ النَّاسِ أَمْنَالَهُمُ وَ وَإِذَا لَقِيمُ الَّذِينَ لَقَرُواْ فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَقَّمَانًا أَشْخَنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعَدُ وَإِمَّا فِلَاَّةَ حَتَّى تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْيَشَكَةُ أَلَّهُ لَآنَضَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِيَالُوَابِتُعْبَكُم يَغْيَرُ وَٱلَّذِينَ قَيلُواْفِ سَيِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ ۞ سَيَّهُ وَعِمْ وَيُصْلِحُ بَلَكُمْ ۞ وَيُدِّعِلُهُمُ ٱلْجُنَّةُ عَرَّفِهَا لَمُنْ ۞ يَتَأَيَّهَا ٱلَّذِينَ المَثَوَّا إِن نَصُرُواْ اللَّهَ يَنصُرُكُمْ وَيُثَيِّتُ أَقَدَامَكُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ فَغَسًا لَّهُ وَأَمَيَلُ أَغَنَلَهُ مْ ۞ ذَاكِ بِأَنْهُ مُرَكِيهُواْ مَا أَنزَلِ اللهُ فَأَخْبَطُ المَنلَهُمْ ۞ • أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فِنَظُرُوا كَيْنَ كَانَ و عَقِيتُهُ ٱلَّذِينَ مِن مَّتِلِهِ مُّرَدُمِّ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُّ وَلِلْكَفِينَ أَمْنَالُهَا ۞ و الله بالذاهة مول المين ما منوا والذالك في المثل المد ٥ OND TO SECTION OF THE PARTY OF

نخيل، وعنب، وتفاح، ورمان، وأترج، وتين، وغير ذلك مما لا نظير له في الدنيا، فهذا المحبوب المطلوب قد حصل لهم.

ثم قال: ﴿ومغفرة من ربهم﴾ يزول بها عنهم المرهوب، فأي: هؤلاء خير أم من هو خالد في النار التي اشتد حرها، وتضاعف عذابها، ﴿وسقوا﴾ ﴿ماء حميماً ﴾ أي: حاراً جداً، ﴿فقطع أمعاءهم ﴾ .

فسبحان من فاوت بين الدارين والجزاءين، والعاملين والعملين.

﴿١٦ ــ ١٧﴾ ﴿ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم \* والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم الله يقول تعالى: ومن المنافقين ﴿من يستمع إليك ﴾ ما تقول استماعاً، لا عن قبول وانقياد، بل معرضة قلوبهم عنه، ولهذا قال: ﴿حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم المستفهمين عما قلت، وما سمعوا، عما لم يكن لهم فيه رغبة ﴿ماذا قال آنفا﴾ أي: قريباً، وهذا في غاية الذم لهم، فإنهم لو كانوا حريصين على الخيس الألقوا إليه

**في ب فلا تجد لهم ناصراً.** (1)

زيادة من هامش ب بخط المؤلف \_ رحمه الله \_. **(Y)** 

CO CLASSIC COMPANIES

أسماعهم، ووعته قلوبهم، وانقادت له جوارحهم، ولكنهم بعكس هذه الحال، ولهذا قال: ﴿ أُولْتُكُ الذِّينَ طبع الله على قلوبهم ﴾ أي: ختم عليها، وسد أبواب الخير التي تصل إليها بسبب اتباعهم أهواءهم، التي لا يهوون فيها إلا الباطل.

شم بين حال المهتدين، فقال: ﴿والذين اهتدوا﴾ بالإيمان والانقياد، واتباع ما يرضي الله ﴿زادهم هدى﴾ شكراً منه تعالى لهم على ذلك، ﴿وآتاهم تقواهم﴾ أي: وفقهم للخير، وحفظهم من الشر، فذكر للمهتدين جزاءين: العلم النافع، والعمل الصالح.

﴿١٨﴾ ﴿فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأتى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾ أي: فهل ينظر هؤلاء المكذبون أو ينتظرون ﴿إلا الساعة أن تأتيهم بغتة ﴾ أي: فجأة، وهم لا يشعرون ﴿فقد جاء أشراطها ﴾ أي: علاماتها الدالة على قربها.

﴿فَاتَى لَهُم إِذَا جَاءَتُهُم ذَكُرَاهُم ﴾
أي: من أين لهم، إذَا جَاءَتُهُم الساعة والقطعت آجالهم أن يتذكروا ويستعتبوا؟ قد فات ذلك، وذهب وقت التذكر، فقد عمروا ما يتذكر فيه من تذكر، وجاءهم النذير.

ففي هذا الحث على الاستعداد قبل مفاجأة الموت، فإن موت الإنسان قيام ساعته.

﴿١٩﴾ ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنان والمؤمنات والله متقلبكم ومثواكم العلم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته، بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه.

وهذا العلم الذي أمر الله به \_وهو العلم بتوحيد الله \_ فرض عين علي كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائناً من كان، بل كل مضطر إلى ذلك. والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا هو أمور: أحدها بل أعظمها: تدبر أسمائه وصفاته، وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلالته (١)، فإنها توجب بذل الحامل الذي له كل حمد ومجد وجلال.

الشاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب به وعبته، والتأله له وحده لا شريك له.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإن هذا داع إلى العلم،

بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.
الخامس: معرفة أوصاف الأوثان
والأنداد التي عبدت مع الله، واتخذت
الهة، وأنها ناقصة من جميع الوجوه،
فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا
لعابديها نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا
حياة ولا نشوراً، ولا ينصرون من
عبدهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة، من
جلب خير أو دفع شر، فإن العلم
بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا هو
وبطلان إلهية ما سواه.

السادس: اتفاق كتب الله على

ذلك، وتواطؤها عليه.

السابع: أن خواص الخلق، الذين هم أكمل الخليقة أخلاقاً وعقولاً، ورأياً وصواباً، وعلماً وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون \_قد شهدوا لله بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة، وتنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته، وبديع حكمته، وغرائب خلقه.

فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا الله، وأبداها في كتابه وأعادها عند تأمل العبد في بعضها، لا بد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك، فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت، وقامت أدلة التوحيد من كل جانب، فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد، بحيث يكون كالجبال الرواسي، لا تزلزله الشبه والخيالات، ولا يزداد \_على تكرر الباطل والشبه \_إلا نموا وكمالاً.

هـذا، وإن نـظرت إلى الـدليل العظيم، والأمر الكبير - وهو تدبر هذا القرآن العظيم، والتأمل في آياته - فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصل في غيره.

وقوله: ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ أي: اطلب من الله المغفرة لذنبك ، بأن تفعل أسباب المغفرة من التوبة والدعاء بالمغفرة، والحسنات الماحية، وترك الذنوب والعفو عن الجرائم.

و المومنين والمومنين المؤمنين والمؤمنات المواجه - بسبب إيمانهم - كان لهم حق على كل مسلم ومسلمة.

ومن جملة حقوقهم أن يدعو لهم ويستغفر لذنوبهم، وإذا كان مأموراً بالاستغفار لهم المتضمن لإزالة الذنوب وعقوباتها عنهم، فإن من لوازم ذلك النصح لهم، وأن يحب لهم من الخير ما

يحب لنفسه، ويكره لهم من الشر ما يكره لنفسه، ويأمرهم بمأ فيه الخير لهم، وينهاهم عما فيه ضررهم، ويعفو عن مساويهم ومعايبهم، ويحرص على اجتماعهم اجتماعاً تتألف به قلوبهم، ويزول ما بينهم من الأحقاد المفضية للمعاداة والشقاق، الذي به تكثر ذنوبهم ومعاصيهم.

﴿والله يعلم متقلبكم ﴾ أي: تصرفاتكم وحركاتكم، وذهابكم ومجيئكم، ﴿ومثواكم الذي به تستقرون، فهو يَعْلمكم في الحركات والسكنات، فيجازيكم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه .

﴿ ٢٠ ــ ٢٣ ﴾ ﴿ ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم \*طاعة وقولَ معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم \* فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم \* أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم يقول تعالى: ﴿ويقول الذين آمنوا﴾ استعجالاً ومبادرة للأوامر الشاقة: ﴿لُولًا نُزلت سورة ﴾ أي: فيها الأمر

﴿فإذا أنزلت سورة محكمة ﴾ أي: ملزم العمل بها، ﴿وذكر فيها القتال﴾ الذي هو أشق شيء على النفوس، لم يثبت ضعفاء الإيمان على امتثال هذه الأوامر، ولهذا قال: ﴿رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت، من كراهتهم لذلك، وشدته عليهم .

وهذا كقوله تعالى: ﴿أَلَّمْ تُرُّ إِلَّى الَّذِينَ قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية﴾.

ثم ندبهم تعالى إلى ما هو الأليق بحالهم، فقال: ﴿فأولى لهم \*طاعة

وقول معروف اي: فأولى لهم أن يمتثلوا الأمر الحاضر المحتم عليهم، ويجمعوا عليه هممهم، ولا يطلبوا أن يشرع لهم ما هو شاق عليهم، وليفرحوا بعافية الله تعالى وعفوه.

﴿ فَإِذَا عَرْمُ الْأَمْرِ ﴾ أي: جاءهم الأمر جد، وأمر محتم، ففي هذه الحال لو صدقوا الله بالاستعانة به، وبذل الجهد في امتثاله ﴿لكان خيراً لهم﴾ من حالهم الأولى، وذلك من وجوه:

منها: أن العبد ناقص من كل وجه، لا قدرة له إلا إن أعانه الله، فلا يطلب زيادة على ما هو قائم بصدده.

ومنها: أنه إذا تعلقت نفسه بالمستقبل، ضعف عن العمل، بوظيفة وقته، وبوظيفة المستقبل، أما الحال، فلأن الهمة انتقلت عنه إلى غيره، والعمل تبع للهمة، وأما المستقبل، فإنه لا يجيء حتى تفتر الهمة عن نشاطها فلا يعان عليه.

ومنها: أن العبد المؤمل للآمال المستقبلة، مع كسله عن عمل الوقت الحاضر، شبيه بالمتألِّي الذي يجزم بقدرته، على ما يستقبل من أموره، فأحرى به أن يخذل ولا يقوم بما هَمَّ به ووطن نفسه (١) عليه، فالذي ينبغي أن يجمع العبدهمه وفكرته ونشاطه على وقته الحاضر، ويؤدى وظيفته بحسب قدرته، ثم كلما جاء وقت استقبله بنشاط وهمة عالية مجتمعة غير متفرقة، مستعيناً بربه في ذلك، فهذا حريٌّ بالتوفيق والتسديد في جميع أموره .

ثم ذكر تعالى حال المتولى عن طاعة ربه، وأنه لا يتولى إلى خير، بل إلى شر، فقال: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تنفسدوا في الأرض وتنقبط علوا أرحامكم أي: فهما أمران، إما التزام لطاعة الله، وامتثال لأوامره، فثَمَّ الخير والرشد والفلاح، وإما إعراضٌ عن ذلك، وتولي عن طاعة الله، فما ثمَّ إلا الفساد في الأرض بالعمل بالمعاصي وقطيعة الأرحام.

﴿أُولِمُنكُ اللَّذِينَ ﴾ أفسدوا في

TO DESIGN SERVICE NO. وَيَقُولُ الَّذِي عَامَنُوا لَوْ لَا نُزَلِّتْ سُورَةً فَإِذَا أَزِلْتْ سُورَةً للمُعْكَمَةُ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِيبَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ يَظُرُونِ إِلَيْكَ نَظَرَ لِلْغَيْنِ عَلَيْهِ مِنَ لَكُونَ فَأَوْلَىٰ لَمُنْهِ مَناعَةً وَقُلِ مَعْدُوفٌ فَإِذَاعَنَ مَا لَأَمْرُ فَاوْصَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَ انْ خَيْرًا لَمُّنْهُ ۞ فَهَلْ عَسَيْتُمُ انْ تَوْلَيْمُ إِلَّا تُعْلِيدُواْ فِ ٱلأَرْضِ وَتُعَلِّمُوا أَرْحَامَكُمُ ﴿ أُوْلَلَهِ كَالَّذِينَ لَعَنَاهُمُ آللةً فَأَصَيَتَهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصِكُوهُمْ ۞ أَفَلَايِتَكَبَرُوبَ ٱلْقُرْمَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبِ أَضَا لَٰكُمّا ۚ ۞ إِنَّا ٱلَّذِيبَ ٱرْبَيْدُواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِهِم مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيِّبَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ ٱلشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمُرُ وَأَصْلَىٰ لَهُمْ ﴿ وَالِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَيرِهُوا مَانَذَلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُرُ فِ بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِمْرَادَهُمْ ۞ فَكَيْفَ إِذَا تُوَفَّتْ فُرُ الْمَلَةِكَ كُمَّ يَصْدِيقُونَ وُجُومَهُ مُدُواَّدُ بَكَرَهُمْ ۞ دَالِكَ بِأَلْهُمُ ٱلْبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ وَأَحْبَطُ أَعْمَالُهُمْ ۞ أَمْ حَسِبَ و الذي فِي قُلُوبِهِ مِرْضُ أَن لَن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْفَ نَامُمْ ﴿ 

الأرض، وقطعوا أرحامهم ﴿لعنهم الله بأن أبعدهم عن رحمته، وقربوا من سخط الله.

﴿فَأَصِمِهِم وَأَعْمَى أَبِصَارِهِم ﴾ أي: جعلهم لا يسمعون ما ينفعهم ولا يبصرونه، فلهم آذان، ولكن لا تسمع سماع إذعان وقبول، وإنما تسمع سماعاً تقوم به حجة الله عليها، ولهم أعين، ولكن لا يبصرون بها العبر والآيات، ولا يلتفتون بها إلى البراهين

﴿ ٢٤﴾ ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ أي: فهلا يتدبر هـؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تىدبىروه، لىدلىهم على كىل خيىر، ولَحَذُّرهُم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفشدتهم من الإيقان، والأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبين لهم الطريق الموصلة إلى الله، وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب، وبأي: شيء تحذر، ولعرَّفهم بربهم، وأسماته وصفاته وإحسانه، ولشوِّقهم إلى الثواب الجزيل، ورهِّبهم من العقاب الوبيل.

﴿ أُم على قلوب أقفالها ﴾ أي: قد أغلق على ما فيها من الشر وأقفلت،

THE DESIGN OF THE PROPERTY OF وَلْوَلْشَاءُ لَأَرْبُ كُهُمْ فَلْعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمُّ وَلِنَعْرِفَهُمْ فِي لَمْن ٱلْفَوْلُ وَاللَّهُ يُعَالُمُ أَعْمَالُكُونَ وَلَيْبَلُونَكُو حَنَّى نَعَلَمُ الْمُجْهِدِينَ مِنكُو وَالصَّابِينَ وَنَبَلُوا أَخْبَارَكُونَ ﴿ إِنَّا الَّذِينَ كَثَرُوا وَصَدُّواْعَن سَبِيل اللَّهِ وَشَاَقُواْ ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَيِّنَ لَمُدُرُ لَمُدَىٰ لَن يَعْمُرُوا اللّهَ شَيْعًا وَسَيْحْبِطُ أَعْلَلُهُمْ ﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓ ٱلْطِيعُوالَةَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّمُولَ وَلَانْتُطِلُوۤ الْعَمَلَكُمُ اللَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيل اللَّهِ ثُرِّمَ الْوَاوَهُمَّر كُفَّارُ فَلَن يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُمْ ۞ فَلَاتَهِنُوا وَتَدْعُوا لِلْ السَّلِم وَأَنتُهُ الْأَعْلَوْتَ وَاللَّهُ مَعَكُو وَلَن يَتِرَكُمُ أَعْمَلُكُو هِ إِنْمَا ٱلْخَيْوَةُ ٱلدُّنْيَ الْحِثُ وَلِمَوْ قَالِ لُوْمِنُوا وَتَشَقُّوا يُوْمِحُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْعَلَكُوا أَمْوَالَكُمْ مَ إِن يَسْتَلَكُمُوا فَيُحْفِكُونَ تَعْفُوا وَيُحْرِجُ أَضْعَانَكُمْ ۞ هَنَانَتُوهَا وَإِلَّهُ مُنْ عَوْنَ لِنُنفِقُوا في سَكِيلِ اللَّهِ فِينكُم مَن يَبْخَلُّ وَمَن يَبْخَلُّ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَفْسِ وْءُوَالْتُهُ الْمُدَيِّةُ وَأَنتُهُ الْفُحَدَاةُ وَإِن نَتَوَلُوْا يَسْتَبُولُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ أَوْ لَا يَكُونُواْ أَمْثَلَكُم ۞

فلا يدخلها خير أبداً؟ هذا هو الواقع. ﴿٢٥ ـ ٢٨﴾ ﴿إِنَّ السَّدِيسَ ارتسَدُوا

على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملي لهم \* ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا مأنزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم \* فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم \* ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم، يخبر تعالى عن حالة المرتدين عن الهدى والإيمان على أعقابهم إلى الضلال والكفران، ذلك لا عن دليل دلهم ولا برهان، وإنما هو تسويل من عدوهم الشيطان وتنزيين لهم، وإملاء منه لهم: ﴿يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ﴾.

وذلك أنهم قد تبين لهم الهدى، فزهدوا فيه ورفضوه، و ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ كرهوا ما نزل الله من المبارزين العداوة لله ولرسوله ﴿سنطيعكم في بعض الأمر ﴾ أي: الذي يوافق أهواءهم، فلذلك عاقبهم الله بالضلال، والإقامة على ما يوصلهم إلى الشقاء الأبدي، والعذاب السرمدي.

﴿والله يعلم إسرارهم ﴾ فلذلك فضحهم، وبينها لعباده المؤمنين، لئلا يغتروا بها.

﴿فكيف﴾ ترى حالهم الشنيعة، ورؤيتهم الفظيعة ﴿إِذَا توفتهم

الملائكة ﴾ الموكلون بقبض أرواحهم، ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم بالمقامع الشديدة؟!

﴿ذلك﴾ العذاب الذي استحقوه ونالوه ﴿ إِنَّ سبب ﴿ أَنَّهُم السِّمُوا ما أسخط الله من كل كفر وفسوق

وعصيان. ﴿وكرهوا رضوانه﴾ فلم يكن لهم رغبة فيما يقربهم إليه، ولا يدنيهم منه، ﴿ فَأَحْبُطُ أَعْمَالُهُم ﴾ أي: أبطلها وأذهبها، وهذا بخلاف من اتبع ما يرضى الله وكره سخطه، فإنه سيكفر عنه سيئاته، ويضاعف أجره وثوابه.

﴿٢٩ \_ ٣١﴾ ﴿أم حسب الذين في قسلوبهم مسرض أنالسن يخسرج الله أضغانهم \* ولو شاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم \* ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم \* ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم لليقول تعالى: ﴿ أُم حسب الذين في قلوبهم

مرض﴾ من شبهة أو شهوة، بحيث تخرج القلب عن حال صحته واعتداله، لا تقبل لعدم وجود شرطها. أن الله لا يخرج ما في قلوبهم من الأضغان والعداوة للإسلام وأهله؟ هذا ظن لا يليق بحكمة الله، فإنه لا بدأن يميز الصادق من الكاذب، وذلك بالابتلاء بالمحن، التي من ثبت عليها، ودام إيمانه فيها، فهو المؤمن حقيقة، ومن ردته على عقبيه فلم يصبر عليها، وحين أتاه الامتحان، جزع وضعف إيمانه، وخرج ما في قلبه من الضغن، وتبين نفاقه، هذا مقتضى

> كالوسم في وجوههم. ﴿ ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ أي: لا بدأن يظهر ما في قلوبهم، ويتبين بفلتات ألسنتهم، فإن الألسن مغارف القلوب، يظهر منها ما في القلوب من الخير والشر ﴿والله يعلم أعمالكم﴾ فيجازيكم عليها.

الحكمة الإلهية، مع أنه تعالى قال:

﴿ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم

بسيماهم♦ أي: بعلاماتهم التي هي

ثم ذكر أعظم امتحان يمتحن به عباده، وهو الجهاد في سبيل الله،

فقال: ﴿ولنبلونكم﴾ أي: نختبر إيمانكم وصبركم، ﴿حتى نعلم الجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم المنثل أمر الله وجاهد في سبيل الله لنصر دينه وإعلاء كلمته فهو المؤمن حقاً، ومن تكاسل عن ذلك، كان ذلك نقصاً في إيمانه. ﴿٣٢﴾ ﴿إِنَّ الدِّينَ كَفُرُوا وَصِدُوا

عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبينٌ لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم الهذا وعيد شديد لن جمع أنواع الشركلها، من الكفر بالله، وصد الخلق عن سبيل الله الذي نصبه موصلاً إليه.

﴿ وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدي♦ أي: عاندوه وخالفوه عن عمد وعناد، لا عن جهل وغيي وضلال، فإنهم ﴿لن يضروا الله شيئاً﴾ فلا ينقص به ملكه.

﴿ وسيحبط أعمالهم ﴾ أي: مساعيهم التي بذلوها في نصر الباطل، بأن لا تثمر لهم إلا الخيبة والخسران، وأعمالهم التي يرجون بها الثواب،

﴿٣٣﴾ ﴿يا أيها اللذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴾ يأمر تعالى المؤمنين بأمر به تتم أمورهم، وتحصل سعادتهم الدينية والدنيوية، وهو طاعته وطاعة رسوله ني أصول الدين وفروعه، والطاعة هي امتثال الأمر، واجتناب النهي على الوجه المأمور به بالإخلاص وتمام

وقوله: ﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ يشمل النهى عن إبطالها بعد عملها، بما يفسدها، من مَنْ بها وإعجاب، وفخر وسمعة، ومن عمل بالمعاصي التي تضمحل معها الأعمال، ويحبط أجرها، ويشمل النهي عن إفسادها حال وقوعها بقطعها، أو الإتيان بمفسد من مفسداتها.

فمبطلات الصلاة والصيام والحج ونحوها، كلها داخلة في هذا، ومنهيٌّ عنها، ويستدل الفقهاء بهذه الآية على تحريم قطع الفرض، وكراهة قطع

النفل، من غير موجب لذلك، وإذا كان الله قد نهى عن إبطال الأعمال، فهو أمر بإصلاحها، وإكمالها وإتمامها، والإتيان بها، على الوجه الذي تصلح به علماً وعملاً.

﴿٣٤ ـ ٣٥﴾ ﴿إن الدّين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفارٌ فلن يغفر الله لهم \* فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم ﴾ هذه الآية والتي في البقرة قوله: ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) مقيدتان، لكل نص مطلق، فيه إحباط العمل بالكفر، فإنه مقيد بالموت عليه، فقال هنا: ﴿إِن الذِّينِ كَفُرُوا﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر ﴿وصدوا﴾ الخلق ﴿عن سبيل الله بتزهيدهم إياهم بالحق، ودعوتهم إلى الباطل، وتزيينه، ﴿ثم ماتوا وهم كفار﴾ لم يتوبوا منه، ﴿فَلَنْ يَغْفُرُ اللَّهُ لهم﴾ لا بشفاعة ولا بغيرها، لأنه قد تحتم عليهم العقاب، وفاتهم الثواب، ووجب عليهم الخلود في النار، وسدت عليهم رحمة الرحيم الغفار.

ومفهوم الآية الكريمة أنهم إن تابوا من ذلك قبل موتهم، فإن الله يغفر لهم ويرحهم، ويدخلهم الجنة، ولو كانوا مفنين أعمارهم في الكفر به والصد عن سبيله، والإقدام على معاصيه، فسبحان من فتح لعباده أبواب الرحة، ولم يغلقها عن أحد، ما دام حياً متمكناً

وسبحان الحليم، الذي لا يعاجل المعاصين بالعقوبة، بل يعافيهم، ويرزقهم، كأنهم ما عصوه مع قدرته عليهم.

ثم قال تعالى: ﴿فلا تهنوا﴾ أي: لا تضعفوا عن قتال عدوكم، ويستولي عليكم الخوف، بل اصبروا واثبتوا، ووطنوا أنفسكم على القتال والجلاد، طلباً لمرضاة ربكم، ونصحاً للإسلام، وإغضاباً للشيطان.

ولا تدعوا إلى المسالة والمتاركة بينكم وبين أعدائكم، طلباً للراحة، ﴿و﴾

الحال أنكم ﴿أنتم الأعلون والله معكم ولن يستركم ﴾ أي: يستقسكم ﴿أعمالكم ﴾ .

فهذه الأمور الثلاثة، كل منها مقتض للصبر وعدم الوهن كونهم الأعلين، أي: قد توفرت لهم أسباب النصر، ووعدوا من الله بالوعد الصادق، فإن الإنسان لا يهن إلا إذا كنان أذل من غيره وأضعف عدداً وعُدداً، وقوة داخلية وخارجية.

الشاني: أن الله معهم، فإنهم مؤمنون، والله مع المؤمنين، بالعون والنصر والتأييد، وذلك موجب لقوة قلوبهم، وإقدامهم على عدوهم.

الثالث: أن الله لا ينقصهم من أعمالهم شيئاً، بل سيوفيهم أجورهم، ويزيدهم من فضله، خصوصاً عبادة الجهاد، فإن النفقة تضاعف فيه، إلى سبع مئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وقال تعالى:

﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يخصيع أجر المحسنين \* ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾.

فإذا عرف الإنسان أن الله تعالى لا يضيع عمله وجهاده، أوجب له ذلك النشاط، وبذل الجهد فيما يترتب عليه الأجر والثواب، فكيف إذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة فإن ذلك يوجب الله النشاط التام، فهذا من ترغيب الله لعباده، وتنشيطهم وتقوية أنفسهم على ما فيه صلاحهم وفلاحهم.

لعب طارحهم ووارحهم. و حداة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم \* إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم \* ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل عن نفسه والله لغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل

قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ هذا تزهيد منه لعباده في الحياة الدنيا بإخبارهم عن حقيقة أمرها، بأنها لعب ولهو، لعب في الأبدان ولهو في القلوب، فلا يزال العبد لاهيأ في ماله، وأولاده، وزينته، ولذاته من النساء، والمآكل والمشارب، والمساكن والمجالس، والمناظر والرياسات، لاعبأ في كل عمل لا فائدة فيه، بل هو دائر بين البطالة والغفلة والمعاصى، حتى تستكمل دنياه، ويحضره أجله، فإذا هذه الأمور قد ولّت وفارقت، ولم يحصل العبد منها على طائل، بل قد تبين له خسرانه وحرمانه، وحضر عذابه، فهذا موجب للعاقل الزهد فيها، وعدم الرغبة فيها، والاهتمام بشأنها، وإنما الذي ينبغي أن يهتم به ما ذكره بقوله: ﴿وإن تؤمنوا وتتقوا﴾ بأن تؤمنوا بالله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتقوموا بتقواه التي هي من لوازم الإيمان ومقتضياته، وهي العمل بمرضاته على الدوام، مع ترك معاصيه، فهذا الذي ينفع العبد، وهو الذي ينبغي أن يتنافس فيه، وتبذل الهمم والأعمال في طلبه، وهو مقصود الله من عباده رحمة بهم ولطفأ، ليثيبهم الثواب الجزيل، ولهذا قال: ﴿ وَإِن تَوْمِنُوا وَتَتَقُوا يَوْتُكُم أَجُورُكُم ولا يسألكم أموالكم) أي: لا يريد تعالى أن يكلفكم ما يشق عليكم، ويعنتكم من أخذ أموالكم، وبقائكم بلا مال، أو ينقصكم نقصاً يضركم، ولهذا قال: ﴿إِنْ يِسَأَلُكُمُوهَا فَيَحَفُّكُمُ

والدليل على أن الله لو طلب منكم أموالكم وأحفاكم بسؤالها، أنكم تمتنعون لتنفقوا في سبيل الله على هذا الوجه، الذي فيه مصلحتكم الدينية والدنيوية.

تبخلوا ويخرج أضغانكم، أي: ما في

قلوبكم من الضغن، إذا طلب منكم

ما تكرهون بذله.

﴿فمنكم من يبخل﴾ أي: فكيف لو سألكم، وطلب منكم أموالكم في غير أمر ترونه مصلحة عاجلة؟ أليس من باب أولى وأحرى امتناعكم من ذلك.

ثم قال: ﴿ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه الأنه حرم نفسه ثواب الله تعالى، وفاته خير كثير، ولن يضر الله بترك الإنفاق شيئاً.

فإن الله هو ﴿الغني وأنتم الفقراء﴾ تحتاجون إليه في جميع أوقاتكم، لجميع أموركم.

﴿وإن تتولوا عن الإيمان بالله، وامتثال ما يأمركم به ﴿يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم له ني التولى، بل يطيعون الله ورسوله، ويحبُّون الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه 🎙 .

> تم تفسير سورة القتال، والحمديلة رب العالمين

#### تفسير سورة الفتح وهي مدنية

﴿١ ٢٠٠ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً \* ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويشم نعمته عليك ويهديك صراطأ مستقيماً \* وينصرك الله نصراً عزيزاً ﴾ هذا الفتح المذكور هو صلح الحديبية، حين صد المشركون رسول الله على لما جاء معتمراً في قصة طويلة، صار آخر أمرها أن صالحهم رسول الله ﷺ على وضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين، وعلى أن يعتمر من العام المقبل، وعلى أن من أراد أن يدخل في عهد قريش وحلفهم دخل، ومن أحب أن يدخل في عهد رسول الله ﷺ وعقده فعل.

وبسبب ذلك لَّا أمن الناس بعضهم بعضاً، اتسعت دائرة الدعوة لدين الله عز وجل، وصار كل مؤمن بأى: محل كان من تلك الأقطار، يتمكن من ذلك، وأمكن الحريص على الوقوف على حقيقة الإسلام، فدخل الناس في تلك المدة في دين الله أفواجاً، فلذلك سماه الله فتحاً، ووصفه بأنه فتح مبين أي: ظاهر جلي، وذلك لأن المقصود

في فتح بلدان المشركين إعزاز دين الله، وانتصار المسلمين، وهذا حصل بذلك(١) الفتح، ورتب الله على هذا الفتح عدة أمور، فقال: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ وذلك \_والله أعلم \_بسبب ما حصل بسببه من الطاعات الكثيرة، والدخول في الدين بكثرة، وبما تحمَّل ﷺ من تلُّك الشروط التي لا يصبر عليها إلا أولو العزم من المرسلين، وهذا من أعظم مناقبه وكراماته على أن غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. دينك، ونصرك على أعدائك، واتساع

﴿ويتم نعمته عليك ﴾ بإعزاز كلمتك، ﴿ويهديك صراطاً مستقيماً ﴾ تنال به السعادة الأبدية، والفلاح السرمدي.

﴿ وينصرك الله نصراً عزيزاً ﴾ أي: قوياً لا يتضعضع فيه الإسلام، بل يحصل الانتصار التام، وقمع الكافرين، وذلهم ونقصهم، مع توفر قوى المسلمين ونموهم، ونمو أموالهم.

ثم ذكر آثار هذا الفتح على المؤمنين،

﴿ ٤ ـ ٦ ﴾ ﴿ هو الذي أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيساناً مع إيمانهم ولله جنود السماوات والأرض وكان ألله عليماً حكيماً \*ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيشاتهم وكبان ذلك عشد الله فوزأ عظيماً \* ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً ﴾.

يخبر تعالى عن مِنْتِهِ على المؤمنين بإنزال السكينة في قلوبهم، وهي السكون والطمأنينة، والثبأت عند نزول المحن المقلقة، والأمور الصعبة، التى تشوش القلوب، وتزعج الألباب، وتضعف النفوس، فمن

نعمة الله على عبده في هذه الحال أن يثبته ويربط على قلبه، وينزل عليه السكينة، ليتلقى هذه المشقات بقلب ثابت ونفس مطمئنة، فيستعد بذلك لإقامة أمر الله في هذه الحال، فيزداد بذلك إيمانه، ويتم إيقانه، فالصحابة رضى الله عنهم لما جرى ما جرى بين رسول الله على والمشركين، من تلك الشروط التي ظاهرها أنها غضاضة عليهم، وحطَّ من أقدارهم، وتلك لا تكاد تصبر عليها النفوس، فلما صبروا عليها ووطَّنوا أنفسهم لها، ازدادوا بذلك إيماناً مع إيمانهم. وقوله: ﴿وللهُ جنود السماوات والأرض > أي: جميعها في ملكه، وتحت تدبيره وقهره، فلا يظن المشركون أن الله لا ينصر دينه ونبيه، ولكنه تعالى عليم حكيم، فتقتضى حكمته المداولة بين الناس في الأيام، وتأخير نصر المؤمنين إلى وقت آخر . ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم الهذا أعظم ما يحصل للمؤمنين، أن يحصل لهم المرغوب المطلوب بدخول الجنات، ويزيل عنهم المحذور بتكفير السيئات. ﴿ وكان ذلك ﴾ الجزاء المذكور للمؤمنين ﴿عند الله فوزاً عظيماً ﴾ فهذا ما يفعل بالمؤمنين في ذلك الفتح المبين.

وأما المنافقون والمنافقات، والمشركبون والمشركبات، فإن الله يعذبهم بذلك، ويريهم ما يسوؤهم؛ حيث كان مقصودهم خذلان المؤمنين، وظنوا بالله الظنّ السوء، أنه لا ينصر دينه، ولا يُعلى كلمته، وأن أهل الباطل، ستكون لهم الدائرة على أهل الحق، فأدار الله عليهم ظنهم، وكانت دائرة السوء عليهم في الدنيا، ﴿وغضب الله عليهم ﴾ بما اقترفوه من المحادَّة لله ولرسوله،﴿ولعنهم﴾ أي: أبعدهم وأقصاهم عن رحمته ﴿وأعدُ لهم جهنم وساءت مصيراً ﴾ .

﴿٧﴾ ﴿ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ كرر ما نخذانه المنظمة الم

بالذنب، وأنهم تخلفوا تخلفاً يحتاج إلى توبة واستغفار، فلو كان هذا الذي في قلوبهم، لكان استغفار الرسول نافعاً لهم، لأنهم قد تابوا وأنابوا، ولكن الذي في قلوبهم، أنهم إنما تخلفوا لأنهم ظنوا بالله ظن السوء.

فظنوا ﴿أَنْ لَنْ يَنْقَلَّبِ الرَّسُولُ وَالمُوْمُنُونُ إِلَى أَهْلِيهُمْ أَبِداً ﴾ أي: إنهم سيقتلون ولم يزل هذا الظن يزين في قلوبهم، ويطمئنون إليه، حتى استحكم، وسببُ ذلك أمران:

أحدها: أنهم كانوا ﴿قوماً بوراً﴾ أي: هلكى، لا خير فيهم، فلو كان فيهم خير لم يكن هذا في قلوبهم.

الثاني: ضعف إيمانهم ويقينهم بوعد الله، ونصر ديشه، وإعلاء كلمته، ولهذا قال: ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله﴾ أي: فإنه كافر مستحق للعقاب، ﴿فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً﴾.

﴿١٤﴾ ﴿ولله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ أي: هو تعالى المنفرد بملك السماوات والأرض، يتصرف فيهما بما يشاء من الأحكام القدرية، والأحكام الشرعية، والمخام المرتب على الأحكام الشرعية، الخزاء المرتب على الأحكام الشرعية، فقال: ﴿يغفر لمن يشاء﴾ وهو من قام

بماعاهدعليه الله فسيؤتيه أجرآ عظيماً ﴾ هذه المبايعة التي أشار الله إليها هي (بيعة الرضوان) التي بايع الصحابة رضى الله عنهم فيها رسول الله على أن لا ينفروا عنه، فهي عقد خاص، من لوازمه أن لا يفرواً، ولو لم يبق منهم إلا القليل، ولو كانوا في حال يجوز الفرار فيها، فأخبر تعالى: أن الذين بايعوك حقيقة الأمر أنهم ﴿يبايعون الله ويعقدون العقد معه ، حتى إنه من شدة تأكده أنه قال: ﴿يد الله فوق أيديهم ﴾ أي: كأنهم بايعوا الله وصافحوه بتلك المايعة، وكل هذا لزيادة التأكيد والتقوية، وحملهم على الوفاء بها، ولهذا قال: ﴿فَمَنْ نَكُتُ﴾ فلم يف بما عاهد الله عليه ﴿فإنما ينكِث على نفسه ﴾ أي: لأن وبال ذلك راجع إليه، وعقوبته واصلة له، ﴿ومن أوفي بما عاهدعليه الله الله أي: أتى به كاملاً موفراً، ﴿فسيؤتيه أجراً عظيماً ﴾ لا يعلم عظمه وقدره إلا الذي آتاه

﴿١١ \_ ١٢﴾ ﴿ سيسقسول لسك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إنَّ أراد بكم ضراً أو أرادً بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً \* بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدأ وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً \* ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا اعتدنا للكافرين سعيرأى يذم تعالى المتخلفين عن رسوله، في الجهاد في سبيله، من الأعراب الذين ضعف إيمانهم، وكان في قلوبهم مرض، وسوء ظن بالله تعالى، وأنهم سيعتذرون بأن أموالهم وأهليهم شغلتهم عن الخروج في الجهاد، وأنهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يستغفر لهم، قال الله تعالى: ﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم الا طلبهم الاستغفار من رسول الله على يدل على ندمهم وإقرارهم على أنفسهم الإخبار بأن له ملك السماوات والأرض وما فيهما من الجنود، ليعلم العباد أنه تعالى هو المعز المذل، وأنه سينصر جنوده المنسوبة إليه، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَندنا لَهُمُ الْعَالَبُونُ﴾ وكان الله عزيزاً﴾ أي: قوياً غالباً، قاهراً لكل شيء، ومع عزته وقوته فهو حكيم في خلقه وتدبيره، يجري على ما تقتضيه حكمته وإتقانه.

﴿٨ .. ٩ ﴾ ﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً \* لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً أي: ﴿إِنَّا أُرسَلْنَاكُ أَيُّهَا الرسول الكريم ﴿شاهداً﴾ لأمتك بما فعلوه من خير وشر، وشاهداً على المقالات والمسائل، حقها وباطلها، وشاهدأ لله تعالى بالوحدانية والانفراد بالكمال من كل وجه، ﴿ومبشراً ﴾ من أطاعك وأطاع الله بالثواب الدنيوي والديني والآخروي، ومنذراً من عصى الله بالعقاب العاجل والآجل، ومن تمام البشارة والنذارة، بيان الأعمال والأخلاق التي يبشربها وينذر، فهو المبين للخير والشر، والسعادة والشقاوة، والحق من الباطل، ولهذا رتب على ذلك قوله: ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله ﴾ أي: بسبب دعوة الرسول لكم، وتعليمه لكم ما ينفعكم، أرسلناه لتقوموا بالإيمان بالله ورسوله، الستلزم ذلك لطاعتهما في جميع الأمور.

وتعزروه وتوقروه أي: تعزروا الرسول الشهور وتوقروه أي: تعظموه وتجلوه، وتقوموا بحقوقه، كما كانت له المئة العظيمة برقابكم، ﴿وتسبحوه أي: تسبحوا ش ﴿بكرة وأصيلاً أول النهار وآخره، فذكر الله في هذه الآية وهو المشترك بين الله وبين رسوله، وهو التعزير والتوقير، والمختص بالله، وهو التسبيح له والتقديس بصلاة أو غيرها.

﴿١٠﴾ ﴿إِن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يدُ الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى

THE PRINCIPAL OF THE PRINCIPAL PRINC إِنَّا ٱلَّذِرِ - ثِنَامُهُ ذَكَ إِنَّمَا لِنَابِعُهِ رَبِياً فَهَ مَدُّالِقَهُ فَهُ فَيَ أَسْدِيهُمْ فَرَ لَكُنَ فَاغَمَا يَنكُنُ عَلَى فَفْسِدٌ مُومَنْ أَوْفَى مِمَا عَلَهَ دَعَلَيْهُ الله مَسَيُهُ فِيهِ أَخِرًا عَظِمًا ۞ سَيَقُولُ لِكَ ٱلْمُحَلِّفُهُ وَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَنَا أَمُوالُنَا وَأَهْلُونَا فَأَسْتَغَيْرَ لَنَا مُعُولُونَ بِٱلْسِينِهِ مِمَّالَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَرَنِيمَ لِكُ لَكُم مِنَ لَاتُو شَيْعًا إِنْ أَرَادَ بِكُرْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ مَفْعًا بَلْكَ أَنَّالُهُ عِاتَعَتَ كُونَ حَيِيرًا ۞ بَلْ ظَلَنَتُمُ أَن لَى يَعَلَى ٱلْتَعُولُ وَٱلْمَعْمُ ذَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيۡنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَطَلَنَتُمْ طَلَّ ٱلسَّوْهِ وَكُنتُمْ فَوَمَّا بُورًا ۞ وَمَن لَّمْ يُوْمِنُ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَنِينَ سَعِيرًا ۞ وَيَعُومُلُكُ ٱلمُسْتَعُونِ وَالأَرْضُ يَشْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَاذِّبُ مَن يَشَاأُهُ وَكَاسَأَتُهُ عَفُورًا رَّحِيمًا ۞ سَيْقُولُ ٱلْمُخَلِّقُونَ إِذَا أَنطَلَقَتُمُ إِلَى مَعَالِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَلِغَتُ مِيرِيدُونَ أَن يُبْتُولُوا كُلُمَ

اللَّهُ قُل لِّن تَنَّبُعُوناً كَذَالِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبَلُّ مُسَيَّقُولُونَ

بَلْ تَعْدُ وُنَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَشْفَهُونَ إِلَّا عَلَيلًا @

CONTRACT TO LOCAL OF بما أمره الله به ﴿ ويعذب من يشاء ﴾ يمن تهاون بأمر الله، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رحيماً ﴾ أي: وصفه اللازم الذي لا ينفك عنه المغفرة والرحمة، فلا يزال في جميع الأوقات يغفر للمذنبين، ويتجاوز عن الخطائين، ويتقبل توبة التائبين، وينزل خيره المدرار، آناء الليل

﴿١٥﴾ ﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً لا ذكر تعالى المخلفين وذمهم، ذكر أن من عقوبتهم الدنيوية، أن رسول الله ﷺ وأصحابه إذا انطلقوا إلى غنائم لا قتال فيها ليأخذوها، طلبوا منهم الصحبة والمشاركة، ويقولون: ﴿ ذَرُونَا نَتَبِعُكُمُ يُريدون﴾ بذلك﴿أن يبدلوا كلام الله﴾ حيث حكم بعقوبتهم، واختصاص الصحابة المؤمنين بتلك الغنائم، شرعاً وقدراً. ﴿قُلُّ لَهُم ﴿لَن تُتَّبِّعُونَا كذلكم قال الله من قبل ﴿ إنكم محرومون منها بما جنيتم على أنفسكم، وبما تركتم القتال أول مرة.

﴿فسيقولون﴾ عيبين لهذا الكلام، الذي منعوا به عن الخروج: ﴿ بِلَّ تحسدوننا﴾ على الغنائم، هذاً منتهى علمهم في هذا الموضع، ولو فهموا

رشدهم، لعلموا أن حرمانهم بسبب عصيانهم، وأن المعاصي لها عقوبات دنيوية ودينية، ولهذا قال: ﴿بل كانوا لايفقهون إلا قليلاً .

﴿١٦ ـ ١٧﴾ ﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً اليما \* ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حسرج ولاعبلي المريبض حسرتج ومسن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ومن يتولُّ يعذبه عذاباً أليماً ﴾ لما ذكر تعالى أن المخلفين من الأعراب يتخلفون عن الجهاد في سبيله، ويعتذرون بغير عذر، وأنهم يطلبون الخروج معهم إذا لم يكن شوكة ولا قتال، بل لمجرد الغنيمة، قال تعالى متحناً لهم: ﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد اي: سيدعوكم الرسول ومن نياب منيابيه من الخلفاء الراشديين والأثمة، وهؤلاء القوم فارس والروم ومن نحا نحوهم وأشبههم. ﴿تقاتلونهم أو يسلمون ﴾ أي: إما هذا وإما هذا، وهذا هو الأمر الواقع، فإنهم في حال قتالهم ومقاتلتهم لأولئك الأقوام، إذ كانت شدتهم وبأسهم معهم، فإنهم في تلك الحال لا يقبلون أن يبذلوا الجزية، بل إما أن يدخلوا في الإسلام، وإما أن يقاتلوا على ما هم عليه، فلما أثخنهم المسلمون، وضعفوا وذلُّوا، ذهب بأسهم، فصاروا إما أن يسلموا، وإما أن يبذُّلوا الجزية، ﴿ فَإِن تَطيعوا ﴾ الداعي لكم إلى قتال هؤلاء ﴿يؤتكم الله أجراً حسناً﴾ وهو الأجر الذي رتبه الله ورسوله على الجهاد في سبيل الله ، ﴿وإن تتولوا كما توليتم من قبل ﴾ عن قتال من دعاكم الرسول إلى

ثم ذكر الأعذار التي يعذر بها العبد عن الحروج إلى الجهاد، فقال: ﴿ليس على الأعمى حرج ولاعلى الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ أي: في التخلف عن الجهاد لعذرهم المانع.

﴿ومن ينظم الله ورسوله ﴾ في امتثال أمرهما، واجتناب نهيهما ﴿يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، ﴿ومن يتول﴾ عن طاعة الله ورسوله ﴿يعذبه عذاباً أليماً ﴾ فالسعادة كلها في طاعة الله، والشقاوة في معصيته و مخالفته .

﴿١٨ ـ ٢١﴾ ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً \* ومغانم كثيرة بأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً \* وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجّل لكم هذه وكفّ أيدى النّاس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً \* وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا) يخبر تعالى بفضله ورحمته، برضاه عن المؤمنين إذ يبايعون الرسول على تلك المبايعة التي بيضت وجوههم، واكتسبوا بها سعادة الدنيا والآخرة، وكان سبب هذه البيعة \_ التي يقال لها «بيعة الرضوان» لرضا الله عن المؤمنين فيها، ويقال لها «بيعة أها, الشجرة - أن رسول الله ﷺ كما دار الكلام بينه وبين المشركين يوم الحديبية في شأن مجيئه، وأنه لم يجيء لقتال أحد، وإنما جاء زائراً هذا البيت، معظماً له، فبعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان لمكة في ذلك، فجاء خبر غير صادق، أن عثمان قتله المشركون، فجمع رسول الله ﷺ من معه من المؤمنين، وكانوا نحواً من ألف وخمس مئة، فبايعوه تحت شجرة على قتال المشركين، وأن لا يفروا حتى قتاله، ﴿يعذبكم عذاباً أليماً ﴾ ودلت يموتوا، فأخبر تعالى أنه رضي عن هذه الآية على فضيلة الخلفاء المؤمنين في تلك الحال، التي هي من الراشدين، الداعين لجهاد أهل البأس أكبر الطاعات وأجلّ القربات، ﴿فُعلم من الناس، وأنه تجب طاعتهم في ما في قلوبهم لله من الإيمان، ﴿فأنزلُ

قُل لِلْمُخَلِّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَسَتُدَّعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمِ أَوْلِي بَأْمِي شَدِيدٍ تُعَيَّنُونَهُمْ أَوْسُنِهُ وَنَّ فَإِن تَعِلِيمُ إِيُّوْتِكُمُ أَمَّةُ أَجْدًا حَسَنَا فَإِن تَنَوَلُواْ كَمَا وَلِتُنْدُ مِن فَبِلْ يُعَدِّبُكُمُ عَذَابًا إليمًا ۞ لَيْسَ عَلَى ٱلْخَصْمَىٰ حَرَجٌ وَلَاعَلَى ٱلْأَعْدَىٰ حَرَجٌ وَلَاعَلَى ٱلْمِينِ حَرَجٌ وَمَن يُطِع أَلَهُ وَرَسُولُهُ يُدْخِلُهُ جَنَّتِ تَحْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَا رُوَمَن يَتُولُ يُعَلَيْهُ عَلَابًا أَلِيمًا ۞ • لَقَدْ وَضَالَتُهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَيَارَ مَافِي قُلُوبِهِمْ فَأَرْلَ ٱلمَنْكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَلَبَهُمْ فَتَحَاقِيبًا ۞ وَمَعَاتِمَ كَيْمِرَةُ يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزُ لِعَكِيمًا ۞ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِرَكَيْهِمَ ٱللَّهُ وَنَهَا فَعَجَّلَ لَكُوهَانِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتكُونَ ءَالِيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيكُمْ مِرَمِلًا مُسْتَقِيبِمًا ۞ وَأُخْرَىٰ لَوَنَقِيدُواْ عَلَيْهَا فَدَ أَعَامَلَانَهُ مِنَّا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَاكُ لِي تَنَّى وَقَدِيدًا ۞ وَلُوْفَلَنْلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَتْتُوا لَوْلُوا ٱلأَدْبَلَوْلُمُ لَا يَجِدُونَ وَلِنَا وَلَانْضِيرَا ۞ سُنَةَ مُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَلْتَ مِن مَن أَوْلَن يَعِد لِلسِّنَةُ اللَّهِ تَبْدِيلان

وليسوا متميزين بمحلة أو مكان يمكن أن لا يتالهم أذى، فلولا هؤلاء الرجال المؤمنون، والنساء المؤمنات، الذين لا يعلمهم المسلمون أن تطؤوهم وفتصيبكم منهم معرة بغير علم والمعرة: ما يدخل تحت قتالهم، من نيلهم بالأذى والمكروه، وفائدة أخروية، وهو: أنه ليدخل في رحمته من يشاء فيَمُنُ عليهم بالإيمان بعد الكفر، وبالهدى بعد الضلال، فيمنعكم من قتالهم لهذا

OPENDE OUT CONCEDE

﴿لو تزيلوا﴾ أي: لو زالوا من بين أظهرهم ﴿لعذينا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً ﴾ بأن نبيح لكم قتالهم، ونأذن فيه، وننصركم عليهم.

و ٢٦﴾ ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها يقول تعالى: ﴿إذ جعل الذين كفروا في يقول تعالى: ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ﴾ حيث أنفوا من كتابة "بسم الله الرحمن السول الله على والمؤمنين إليهم في السول الله على والمؤمنين إليهم في مكة قاهرين لقريش»، وهذه الأمور ونحوها من أمور الجاهلية ، لم تزل في قلوبهم حتى أوجبت لهم ما أوجبت لهم ما أوجبت

بشارة من الله لعباده المؤمنين، بنصرهم على أعدائهم الكافرين، وأنهم لو قابلوهم ولولوا الأدبار، ثم لا يجدون ولياً لا يتولى أمرهم، وولا نصيراً لا ينصرهم ويعينهم على قتالكم، بل هم مخذولون مغلوبون وهذه سنة الله في الأمم السابقة، أن جند الله هم الغالبون، ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾.

﴿۲٤ ـ ۲۵) ﴿وهـ و السذى كـف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفر كم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً \* هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيّلواً لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً ﴾ يقول تعالى ممتناً على عباده بالعافية، من شر الكفار ومن قتالهم، فقال: ﴿وهو الذي كف أيديهم ﴾ أي: أهل مكة وعنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفر كم عليهم ﴾ أي: من بعد ما قدرتم عليهم، وصاروا تحت ولايتكم بلا عقد ولا عهد، وهم نحو ثمانين رجلاً، انحدروا على السلمين ليصيبوا منهم غرة، فوجدوا المسلمين منتبهين فأمسكوهم، فتركوهم ولم يقتلوهم، رحمة من الله بالمؤمنين إذ لم يقتلوهم، ﴿وكان الله بما تعملونُ بصيراً ﴾ فيجازي كل عامل بعمله، ويدبركم أيها المؤمنون بتدبيره الحسن.

ثم ذكر تعالى الأمور المهيجة على قتال المشركين، وهي كفرهم بالله ورسوله، وصدهم رسول الله ومن معه من المؤمنين، أن يأتوا للبيت الحرام وهم الذين أيضاً صدوا ﴿ الهدي معكوفاً ﴾ أي: عبوساً ﴿ أن يبلغ محله وهو عل ذبحه وهو مكة، فمنعوه من الوصول إليه ظلماً وعدواناً، وكل هذه أمور موجبة وداعية إلى قتالهم، ولكن أمور موجبة وداعية إلى قتالهم، ولكن أهل الإيمان بين أظهر المشركين،

السكينة عليهم شكراً لهم على ما في قلوبهم، زادهم هدى، وعلم ما في قلوبهم من الجزع من تلك الشروط التي شرطها المشركون على رسوله، فأنزل عليهم السكينة تثبتهم، وتطمئن بها قلوبهم، ﴿وَالنّابِم فَتَحاً قريباً﴾ وهو فتتح خيبر، لم يحضره سوى أهل الحديبية، فاختصوا بخيبر وغنائمها، جزاءاً لهم، وشكراً على ما فعلوه من طاعة الله تعالى والقيام بمرضاته.

﴿ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ أي: له العزة والقدرة، التي قهر بها الأشياء، فلو شاء لانتصر من الكفار في كل وقعة تكون بينهم وبين المؤمنين، ولكنه حكيم، يبتلي بعضهم ببعض، ويمتحن المؤمن بالكافر.

﴿وعدكم الله مغانم كشيرة تأخذونها ﴾ وهذا يشمل كل غنيمة غنمها المسلمين إلى يوم القيامة ، ﴿فعجُل لكم هذه ﴾ أي: غنيمة خيبر أي: فلا تحسبوها وحدها، بل ثَمَّ شيء كثير من الغنائم سيتبعها، ﴿و ﴾ المحدوا الله إذ ﴿ كفَّ أيدي الناس ﴾ وعنكم ﴾ فهي نعمة ، وتخفيف عنكم .

﴿ولتكون﴾ هذه الغنيمة ﴿آية للمؤمنين﴾ يستدلون بها على خبر الله الصادق، ووعده الحسق، وشوابه للمؤمنين، وأن الذي قدرها سيقدر غيرها، ﴿ويهديكم﴾ بما يقيض لكم من الأسباب ﴿صراطاً مستقيماً﴾ من العلم والإيمان والعمل.

﴿وأخرى ﴿ أي: وعدكم أيضاً غنيمة أخرى ﴿ لم تقدروا عليها ﴾ وقت هذا الخطاب ، ﴿قد أحاط الله بها ﴾ أي: هو قادر عليها ، وتحت تدبيره وملكه ، وقد وعدكموها ، فلا بد من وقوع ما وعد به ، لكمال اقتدار الله تعالى ، ولهذا قال : ﴿ وكان الله على كل شيء قديراً ﴾ .

﴿ ٢٧ ـ ٣٣﴾ ﴿ ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً \* سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ هذه

TO SHEET STREET وَهُوَ الَّذِي كُفَّ أَيْدِتَهُمْ عَنكُ وَأَيْدِيكُوْ عَنْهُم بَكُن مَكَّةً مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ أَلَّهُ بَمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۞ هُدُالِّنِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكَمْ عَنِ ٱلْمَنْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ عِمَلَهُ وَلَوْلَا يَجَالُ مُؤْمِنُونَ وَبِسَآةً مُّوْمِنَكُ لِّرِّنَعَلَمُوهُرَأَن تَطَعُوهُمْ فَيُمِيبَكُم مِنْهُمُ مَّعَرَةً ا بِغَيْرِعِلْمَ لِيُنْضِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مِن يَشَكَّهُ لَوْسَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَنَهُ وَامِنْهُ مُعَذَابًا ٱلِيمَّا۞ إِذْجَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِ مُرَاتِحِينَةَ جَينَةَ ٱلْجَهِلِينَةِ فَأَرْلِكِ اللّهُ سَكِ نَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزُمَهُمْ حَكِلِمَةً ٱلتَّقُوَىٰ وَكَانُوٓا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءِ عَلِيمًا ۞ لَّقَدُّ صَـَدَقَ ٱللَّهُ زَسُولَهُ ٱلرُّهُ سِيَا بِٱلْحُقَّ اللَّهِ مِيا بِٱلْحُقَّ لَتَدْخُلُونَ لَلْشَجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءً أَلَّهُ ءَامِنِينِ مُعَلِقِينِ رُهُ وسَكُرٌ وَمُقَيِّرِينَ لَا غَنَافُونَ فَعَلِمُ مَا لَرَتَعَلَّمُوا فَعَمَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَعَمَّا قِيمِيًّا ﴿ هُوَالَّذِيَّ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْمُلْدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ مَلَ ٱلدِّينِ كُلِّوْهُ وَكُنَّ إِللَّهِ شَهِيدًا ۞ من كثير من المعاصى، ﴿ فَأَنْزُلُ اللهُ سكّينته على رسوله وعلّي المؤمنين﴾ فلم يحملهم الغضب على مقابلة المشركين بما قابلوهم به، بل صبروا لحكم الله،

يبالوابقول القائلين، ولا لوم ﴿وَالرَّمِهُم كُلُّمَةُ التَّقُويُ﴾ وهي «لا إله إلا الله» وحقوقها، ألزمهم القيام بها، فالتزموها وقاموا بها، ﴿وكَانُوا أَحِقَ بِهَا﴾ مِن غيرهم ﴿و﴾ كانوا ﴿أهلها﴾ الذين استأهلوها لما يعلم الله عندهم وفي قلوبهم من الخير، ولهذا قال: ﴿وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شيء عليماً

والتزموا الشروط التي فيها تعظيم

حرمات الله ولو كانت ما كانت، ولم

﴿٢٧ ـ ٢٧﴾ ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً \* هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفي بالله شهيداً ﴾ يقول تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ وذلك أن رسول الله على رأى في المدينة رؤيا أخبر بها أصحابه، أنهم سيدخلون مكة ويطوفون بالبيت، فلما جرى يوم الحديبية ما جري، ورجعوا من غير

دخول لمكة ، كثر في ذلك الكلام

منهم، حتى إنهم قالوا ذلك لرسول الله ﷺ: ألم تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ فقال: «أخبرتكم أنه العام؟ قالوا: لا، قال: "فإنكسم ستأتونه وتطوفون به،، قال الله هنا: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ أي: لا بدمن وقوعها وصدقها، ولا يقدح في ذلك تأخر تأويلها، ﴿لتدخلن السجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين أي: في هذه الحال المقتضية لتعظيم هذا البيت الحرام، وأداتكم للنسك، وتكميله بالحلق والتقصير، وعدم الخوف، ﴿فعلم﴾ من المصلحة والمنافعُ ﴿ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك﴾ والسجود. الدخول بتلك الصفة ﴿فتحا قريباً ﴾ ولما كانت هذه الواقعة عما تشوشت

> ومنفعتها، وهكذا سائر أحكامه الشرعية، فإنها كلها هدى ورحمة. أخبر بحكم عام، فقال: ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدي، الذي هو العلم النافع، الذي يهدي من الضلالة، ويبين طرق الخير والشر.

بها قلوب بعض المؤمنين، وخفيت

عليهم حكمتها، فبين تعالى حكمتها

﴿ وديسن الحسق ﴾ أي: السديسن الموصوف بالحق، وهو العدل والإحسان والرحمة.

وهدو كدل عدمدل صدالدح مُسزَكُ للقلوب، مطهّر للنفوس، مُربّ

للأخلاق، مُعْل للأقدار.

﴿لِيظهره﴾ بما بعثه الله به ﴿على الدين كله بالحجة والبرهان، ويكون فراخه في الشباب والاستواء. داعياً لإخضاعهم بالسيف والسنان.

﴿٢٩﴾ ﴿مدرسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فني التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه بعجب الزرَّاع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة

وأجراً عظيماً ﴾ يخبر تعالى عن

رسوله ﷺ وأصحابه من المهاجرين

والأنصار، أنهم بأكمل الصفات، وأجل الأحوال، وأنهم ﴿أَشْدَاءُ عَلَى الكفار ﴾ أي: جادون ومجتهدون في عداوتهم، وساعون في ذلك بغاية جهدهم، فلم يروا منهم إلا الغلظة والشدة، فلذلك ذل أعداؤهم لهم، وانكسروا، وقهرهم السلمون، ﴿رحماء بينهم أي: متحابون متراحمون متعاطفون، كالجسد الواحد، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، هذه معاملتهم مع الخلق، وأما معاملتهم مع الخالق فإنك ﴿تراهم ركعاً سجداً ﴾ أي: وصفهم كثرة الصلاة، التي أجل أركانها الركوع

﴿يبتغون﴾ بتلك العبادة ﴿فضلاً من الله ورضواناً ﴾ أي: هذا مقصودهم بلوغ رضا ربهم، والوصول إلى ثوابه .

﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود أي: قد أثرت العبادة - من كثرتها وحسنها ــ في وجوههم، حتى استنارت، لما استنارت بالصلاة بواطنهم، استنارت [بالحلال] ظواهرهم.

﴿ذُلِكُ ﴾ المذكور ﴿مثلهم في التوراة ﴾ أي: هذا وصفهم الذي وصفهم الله به، مذكور بالتوراة هكذا.

وأما مثلهم في الإنجيل، فإنهم موصوفون بوصف آخر، وأنهم في كمالهم وتعاونهم ﴿كزرع أخرج شطأه فآزره ﴾ أي: أخرج فرآخه، فوازرته

﴿ فاستغلظ ﴾ ذلك الزرع أي: قوي وغلظ ﴿فاستوى﴾ ﴿على سوقه﴾ جمع ساق، ﴿يعجب الزراع﴾ من كماله واستوائه، وحسنه واعتداله، كذلك الصحابة رضي الله عنه، هم كالزرع فى نفعهم للخلق واحتياج الناس إليهم، فقوة إيمانهم وأعمالهم بمنزلة قوة عروق الزرع وسوقه، وكون الصغير والمتأخر إسلامه، قدلحق الكبير السابق ووازره وعاونه على ما هو عليه، من إقامة دين الله والدعوة إليه،

كالزرع الذي أخرج شطأه، فآزره فاستغلّظ، ولهذا قال: ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾ حين يرون اجتماعهم وشدتهم على دينهم، وحين يتصادمون هم وهم في معارك النزال، ومعامع القتال.

﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ فالصحابة رضى الله عنهم، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، قد جمع الله لهم بين المغفرة، التي من لوآزمها وقاية شرور الدنيا والآخرة، والأجر العظيم في الدنيا والآخرة.

ولنسق قصة الحديبية بطولها، كما ساقها الإمام شمس الدين ابن القيم في «الهدي النبوي»، فإن فيها إعانة على فهم هذه السورة، وتكلم على معانيها وأسرارها، قال\_رحمه الله تعالى

# فصل في قصة الحديبية

قال نافع: كانت سنة ست في ذي القعدة، وهذا هو الصحيح، وهو قول الزهري، وقتادة، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق وغيرهم.

وقال هشام بن عروة، عن أبيه: خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية في رمضان، وكانت في شوال، وهذا وهم، وإنما كانت غَزاة الفتح في رمضان. قال أبو الأسود عن عروة: إنها كانت في ذي القعدة على

وفى الصحيحين عن أنس، أن النبي ﷺ اعتمر أربع عمر، كلهن في ذي القعدة، فذكر منهن عمرة الحديبية، وكان معه ألف وخمس مئة، هكذا في الصحيحين عن جابر، وعنه فيهما: كانوا ألفاً وأربع مئة، وفيهما، عن عبد الله بن أبي أوفى: كنا ألفاً وثلاث مشة، قال قتادة: قلت لسعيد بن المسيب: كم كان الجماعة الذين شهدوا بيعة الرضوان؟ قال: خمس عشرة مئة، قال: قلت: فإن جابر بن عبد الله قال: كانوا أربع

عشرة مئة، قال: يرحمه الله وهِمَ، وهو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مئة، قلت: وقد صح عن جابر القولان، وصح عنه أنهم نحروا عام الحديبية سبعين بدنة، البدنة عن سبعة، فقيل له: كم كنتم؟ قال: ألفاً وأربع مئة، بخيلنا ورجلنا، يعنى: فأرسهم وراجلهم.

البراء بن عازب، ومعقل بن يسار، وسلمة بن الأكوع، في أصح الروايتين، وقول المسيب بن حزن، قال شعبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه: كنا مع رسول الله ﷺ تحت الشجرة ألفاً وأربع مئة، وغلط غلطاً بيِّناً من قال: كانوا سبع مئة، وعذره (١١) أنهم نحروا يومئذ سبعين بدنة، والبدنة قدجاء إجزاؤها عن سبعة أو عشرة، وهذا لا يدل على ما قاله هذا القائل، فإنه قد صرح بأن البدنة كانت في هذه الغزوة عن سبعة، فلو كانت السبعون عن جميعهم، لكانوا أربع مئة وتسعين رجلاً، وقد قال بتمام الحديث بعينه، أنهم كانوا ألفاً وأربع مئة.

فلما كانوا بذي الحليفة، قلد رسول الله ﷺ السهدي وأشعره، وأحرم بالعمرة، وبعث عيناً له بين يديه من خزاعة، يخبره عن قريش، حتى إذا كانوا قريباً من عُسْفان، أتاه عينه، فقال: إن قد تركت كعب بن لؤى، قد جمعوا لك الأحابيش، وجمعوا لك جموعاً، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن

واستشار النبي ﷺ أصحابه: أترون أن نميل إلى ذرارى هولاء الذين أعانوهم فنصيبهم، فإن قعدوا قعدوا موتورين محزونين، وإن نجوا تكن عنقاً قطعها الله، أم ترون أن نؤم البيت؟ فمن صدنا عنه قاتلناه؟ قال أبو بكر: الله ورسوله أعلم، إنما جئنا معتمرين،

ولم نجيء لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه، فقال النبي ﷺ: "فروحوا إذاً"، فراحوا، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النبى عَن الوليد النابي المنابع الوليد بالغميم في خيل لقريش، فخذوا ذات اليمين»، فوالله ما شعر سم خالد، حتى إذا هو بغبرة الجيش، فانطلق والقلب إلى هذا أمْيَل، وهو قول يركض نذيراً لقريش.

وسار النبي عيد، حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها، بركت راحلته، فقال الناس: حل حل، فألحت، فقالوا: خلات القصواء، فقال النبي عَلَيْ: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»، ثم قال: «والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهموها»، تم زجرها، فوثبت به، فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية، على ثمد قليل الماء، إنما يتبرضه الناس تبرضاً، فلم يلبث السناس أن نرحوه، فيشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش.

فانتزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوها فيه، قال: فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنها، وفزعت قريش لنزوله عليهم، فأحب رسول الله ﷺ أن يبعث إليهم رجلاً من أصحابه، فدعا عمر بن الخطاب ليبعثه إليهم، فقال: يا رسول الله، ليس بمكة أحد من بني كعب يغضب لى، إن أوذيت، فأرسل عشمان بن عفان، فإن عشيرته بها، وإنه مبلغ ما

فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان، فأرسله إلى قريش، وقال: «أخبرهم أنا لم نأت لقتال، إنما جئنا عُمَّاراً، وأدعهم إلى الإسلام».

وأمره أن يأتي رجالاً بمكة مؤمنين، ونساء مؤمنات، فيدخل عليهم ويبشرهم بالفتح، ويخبرهم أن الله عز وجل مظهر دينه بمكة، حتى لا يستخفى فيها بالإيمان، فانطلق

عثمان، فمرعلى قريش ببلدح، فقالوا: أين تريد؟ فقال: بعثني رسول الله على أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، ونخبركم أنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عُمَّاراً، قالوا: قد سمعنا ما تقول، فانفذ لحاجتك.

وقام إليه أبان بن سعيد بن العاص، فرحب به، وأسرج فرسه، فحمل عثمان على الفرس، فأجاره، وأردفه أبان حتى جاء مكة، وقال المسلمون قبل أن يرجع عثمان: خلص عثمان قبلنا إلى البيت وطاف به، فقال رسول الله ﷺ: «ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون»، فقالوا: وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص؟ قال: «ذاك ظنى به، أن لا يطوف بالكعبة حتى نطوف معه»، واختلط المسلمون بالمشركين في أمر الصلح، فرمي رجلٌ من أحد الفريقين رجلاً من الفريق الآخر، وكانت معركة، وتراموا بالنبل والحجارة، وصاح الفريقان كلاهما، وارتهن كل واحد من الفريقين بمن فيهم، وبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قتل ، فدعا إلى البيعة.

فثار المسلمون إلى رسول الله على أن وهو تحت الشجرة، فبايعوه على أن لا يفروا، فأخذ رسول الله على بيد نفسه، وقال: «هذه عن عثمان»، ولما تحت البيعة، رجع عثمان، فقال له المسلمون: اشتفيت يا أبا عبد الله من الطواف بالبيت، فقال: بشسما ظننتم سنة، ورسول الله على مقيم بالحديبية، ما طفت بها حتى يطوف بها رسول الله على ولقد دعتني قريش إلى الطواف بالبيت فأبيت، فقال المسلمون: رسول الله على كان المسلمون: رسول الله على كان المسلمون: رسول الله على المسلمون: رسول الله على المسلمون: رسول الله على كان المسلمون: رسول الله على كان المسلمون: رسول الله على المسلمون: رسول الله المسلمون: رسول الله الله المسلمون: رسول الله المس

وكان عمر أخذ بيد رسول الله ﷺ للبيعة تحت الشجرة، فبايعه المسلمون كلهم إلا الجد بن قيس، وكان معقل بن يسار، أخذ بغصنها يرفعه

عن رسول الله ﷺ، وكان أول من بايعه، أبو سنان الأسدي، وبايعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات، في أول الناس، وأوسطهم، وآخرهم.

فبينما هم كذلك، إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي، في نفر من خزاعة، وكانوا عيبة نصح لرسول الله على من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي، نزلوا أعداد مياه الحديبية، معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت.

قال رسول الله على: "إنا لم نجىء لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم، فإن شاؤوا أماددهم ويخلوا بيني وبين الناس، وإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا، وإن أبوا إلا القتال، فوالذي نفسي بيده، لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، أو لينفذن الله أمره، قال بديل: سأبلغهم ما تقول.

فانطلق حتى أتى قريشاً، فقال: إنى قد جئتكم من عند هذا الرجل، وسمعته يقول قولاً، فإن شئتم عرضته عليكم، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تحدثنا عنه بشيء، وقال ذوو الرآي: منهم: هات ما سمعته، قال: سمعته يقول كذا وكذا، فقال عروة بن مسعود الثقفى: إن هذا قد عرض عليكم خطة رشد، فاقبلوها، ودعوني آته، فقالوا: ائته، فأتاه، فجعل يكلمه، فقال له النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل، فقال له عروة عند ذلك: أي: محمد، أرأيت لو استأصلت قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فوالله إني لأرى وجوهاً، وأرى أوباشاً من الناس، خليقاً أن يفروا ويدعوك، فقال له أبو بكر: امصص بظر اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟ قال: من ذا؟ قال: أبو بكر، قال: أما والذي نفسى بيده، لولا يد كانت لك عندى لم أجزك بها،

وجعل يكلم النبي ﷺ، وكلما

كلمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة على رأس النبي على ومعه السيف، وعليه المغفر فكلما أهوى عروة إلى لحية النبي على ، ضرب يده بنعل السيف، وقال: أخر يسدك عن لحسبة رسول الله على ، فرفع عروة رأسه، وقال: من ذا؟ قال: المغيرة بن شعبة، فقال: أي: غُدر، أولست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة صحب قوما في غدرتك؟ وكان المغيرة صحب قوما في خدرتك؟ وأما المغيرة صحب قوما في الجاهلية، فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي على: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء».

ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب رسول الله على، فوالله ما تنخم النبي على نخامة، إلا وقعت في كف رجل منهم، فلك بها جلده ووجهه.

وإذا أمرهم ابتدروا إلى أمره، وإذا توضأ، كادوا يقتتلون على وَضُوئِه، وإذا تكلم، خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدُون إليه النظر، تعظيماً له.

فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أي: قدوم، والله لقد وفدت على الملوك، على كسرى، وقيصر، والنجاشي، والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه، ما يعظم أصحاب عمد عمداً، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تركلم، خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدُون إليه النظر تعظيماً له، وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها.

فقال رجل من بني كنانة: دعوني آته، فقالوا: اثته.

فلما أشرف على النبي ﷺ، قال رسول الله ﷺ: "هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له"، فبعثوها فاستقبله القوم يلبون، فلما رأى ذلك، قبال: سبحنان الله، لا ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت. فرجم إلى أصحابه، فقال: رأيت

ورجع إلى اصحابه، فقال: رايت البدن قد قلدت وأشعرت، وما أرى أن يصدوا عن البيت فقام مكرز بن المنظالية المنظالية المنظالية المنظارة والمنظارة والمنظارة والمنظارة والمنظارة والمنظارة المنظارة الم

يَّانْوَلَكُ مِنْ وَلَا الْمُحْرَبِ أَكْمُوْمُ لَمِتْ وَلَوْكَ ۞ الْمُعْلَقِ لَمِنْ وَلَا الْمُحْرَبِ أَنْ الله في الشرك، فتروج إحداهما معاوية، والأخرى صفوان بن أمية، ثم رجع إلى المدينة.

وفي مرجعه أنزل الله عليه: ﴿إِنَا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ إلى آخرها، فقال عمر: أفتح هو يا رسول الله؟ فقال: "نعم"، فقال الصحابة: هنيئاً لك يا رسول الله، فما لنا؟

فأنزل الله عز وجل: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾ الآية. انتهى.

وهذا آخر تفسير سورة الفتح ولله الحمد والمنة

آوصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه. نقلته من خط المفسر رحمه الله وعفا عنه، وكان الفراغ من كتابته في ١٣٤ ذي الحجة ١٣٤٥ وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين آمين. بقلم الفقير إلى ربه سليمان بن حمد العبد الله البسام. غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين. وصلى الله على محمد السلمين آمين. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله الذي عنعمته تتم الصالحات](١).

المجلد الثامن من تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان منّ به الله على عبده وابن عبده وابن أمته: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي. النبي ﷺ: "فأجزه لي"، فقال: ما أنا بمجيزه، فقال: "بلى فافعل"، قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: قد أجزناه.

فقال أبو جندل: يا معشر المسلمين، أُرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً، ألا ترون ما لقيت؟ وكان قد عذب في الله عذاباً شديداً.

قال عمر بن الخطاب: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ، فأتيت النبي على في فقلت: يا رسول الله ألست نبي الله? قال: "بلى". قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: "بلى" فقلت: علام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبرجع ولما يحكم الله بيننا وبرجع ولما يحكم الله بيننا وبين أعدائنا؟ فقال: "إني رسول الله، وهو ناصري، ولست أعصيه"، قلت: وهو ناصري، ولست أعصيه"، قلت: ونطوف به؟ قال: "بلى، أفأخبرتك ونطوف به؟ قال: "بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه ومطوف به".

قال: فأتيت أبا بكر، فقلت له كما قلت لرسول الله هي ورد عليه أبو بكر كما رد عليه رسول الله هي سواء، وزاد: فاستمسك بغرزه حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق، قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً.

فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ: اقوموا وانحروا، ثم احلقوا،، فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقى من الناس، فقالت: يا رسول الله أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحداً كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلق لك، فقام فخرج، فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً، ثم جاءت نسوة مؤمنات، فأنزل الله عز وجل: ﴿إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ﴿ حتى بلغ ﴿بعصم الكوافر﴾ فطلَّق عمر حفص، وقال: دعوني آته، فقالوا: النبي ﷺ: «هذا مكرز بن حفص، النبي ﷺ: «هذا مكرز بن حفص، وهو رجل فاجر»، فجعل يكلم، إذ رسول الله ﷺ، فبينا هو يكلمه، إذ جاء سهيل بن عمرو، فقال النبي ﷺ: «قد سهل لكم من أمركم»، فقال: هات، اكتب بيننا «اكتب: بسم الله الرحن الرحيم»، فقال نفري ما هو، ولكن اكتب: «باسمك ندري ما هو، ولكن اكتب: «باسمك اللهم» كما كنت تكتب، فقال السلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، الرحيم، السلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، الرحيم، الرحيم، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال النبي ﷺ: «اكتب باسمك اللهم».

ثم قال: "اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله"، فقال سهيل: فوالله لو نعلم أنك رسول الله، ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال المنبعي على اكتب: محمد بن كذبت موني، اكتب: محمد بن عبد الله"، فقال النبي على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به"، فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن لك من العام المقبل، فكتب.

فقال سهيل: على أن لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك، إلا رددته علينا.

فقال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟

فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل يرسف في قيوده، قد خرج من أسفل مكة، حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما قاضيتك عليه، أن ترده، فقال النبي عليه فقال: فوالله إذا لا أصالحك على شيء أبداً، فقال لا أصالحك على شيء أبداً، فقال

CA CHARGE II SECRETARION OF COMMENTS وَلَوْ أَنْهُمْ صَبَرُواْ حَتَّى تَغَرْمُ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَذَاكِلَّ وَٱلْقَدْعَةُ وَالْ تَحِيدُ ۞ يَكَأَنُّهُا الَّذِينَ مَامَنُوا إِن سَلَةُ فُو فَاسِقُ بِنَهُ وَمُسَاعِتُهُ وَأَنَّ الَّ تُصِيبُواْ قَوْمًا بِحَهَلَقِ فَضْيِحُواعَلَى مَافَعَكُتُمْ نَادِمِينَ ۞ وَٱعْلَمُوٓا الْدَفِيكُرُ رَسُولَ اللَّهُ لَوْيُطِيعُكُمْ فِيكِيْدِينَ ٱلأَمْرَ لَعَينَةُ وَلَكِنَ الْقَهَ حَبِّبَ إِلَيْكُمِ ٱلْإِيمَانَ وَزَيِّنَهُ فِي قُلُوبُهُ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرُ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانُ أُوْلَيْكَ هُرُ الْزَسِْدُونَ ۞ فَضَلَامِنَ اللَّهِ وَيُعْمَةُ وَاللَّهُ عَلِيهُ عَكِيدٌ ۞ وَإِن طَآيِفَنَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱفْتَنَالُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَّا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَنهُمَا عَلَى ٱلْأَخْرَىٰ فَقَائِلُوا ٱلَّتِي تَبْغِي حَلَّىٰ تَعِيَّ إِلَّيْ أَشْرِ اللَّهُ فَإِنْ فَآءَتْ فأضلحوا يتنهكما بالفذل وأفسطوا إذا الله يجب المفسطين ۞ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةً كَأْصُيلِحُواْبَيْنَ ٱلْخَوَيْكُرُ وَٱلْقُوااللَّهَ لَعَلَّكُونُونَ عَسُونَ ۞ يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَايَسْخَرَقَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَانِسَآ أَمِّن لِيَسَآ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا يَنْهُنَّ وَلَا لَلِهُ زَوَا أَنفُسَكُمْ وَلَا نَسَارُواْ بِٱلْأَلْفَكِ بِنْسَ ٱلِاسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبُ قَافَلَتِكَ هُوُ الظَّالِيُونَ ۞ ON TON ON BOTH OF THE OWNER.

تفسير سورة الحجرات وهي مدنية

﴿ ١ - ٣﴾ ﴿ بسم الله الرحن الرحيم يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إنَّ الله سميع عليم " با أيها الذين أمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون \* إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن ألله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم اهذا متضمن للأدب مع الله تعالى، ومع رسول الله ﷺ، والتعظيم له، واحترامه، وإكرامه، فأمر [الله] عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالله وبرسوله، من امتشال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وأن يكونوا ماشين خلف أوامر الله، متبعين لسنة رسول الله على جميع أمورهم، و[أن] لا يتقدموابين يدى الله ورسوله، ولا يقولوا حتى يقول، ولا يأمروا حتى يأمر، فإن هذا حقيقة الأدب الواجب مع الله ورسوله، وهو عنوان سعادة العيد

وفلاحه، ويفواته تفوته السعادة الأبدية والنعيم السرمدي، وفي هذا، النهي [الشديد] عن تقديم قول غير الرسول على قوله، فإنه متى استبانت سنة رسول الله على أوجب اتباعها، وتقديمها على غيرها، كائناً ما كان".

ثم أمر الله بتقواه عموماً، وهي كما قال طلق بن حبيب: أن تعمل بطاعة الله على نورٍ من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخشى عقاب الله.

وقوله: ﴿إِن الله سميع ﴾ أي: لجميع الأصوات في جميع الأوقات، في خفي المواضع والجهات، ﴿عليم ﴾ بالظواهر والبواطن، والسوابق واللواحق، والواجبات والمستحيلات والمكنات(٢).

وفي ذكر الاسمين الكريمين \_ بعد النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله والأمر بتقواه \_ حث على امتثال تلك الأوامر الحسنة، والآداب المستحسنة، وترهيب عن عدم الامتثال<sup>(٣)</sup>.

ثم قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول ﴿ وهذا أدب مع لا يرفع المخاطب له صوته معه فوق صوته، ولا يجهر له بالقول، بل يغض الصوت، ويخاطبه بادب ولين، وتعظيم وتكريم، وإجلال وإعظام، ولا يكون الرسول كأحدهم، بل يميزوه في خطابهم، كما تميز عن غيره في وجوب حقه على الأمة، ووجوب لا يمان به، وإلحب الذي لا يتم الإيمان إلا به، فإن في عدم القيام بذلك عذوراً، وخشية أن يجبط عمل بذلك عذوراً، وخشية أن يجبط عمل

العبد وهو لا يشعر، كما أن الأدب معه من أسباب [حصول الثواب و] قبول الأعمال.

ثم مدح من غض صوته عند رسول الله الله الله المتحن قلوبهم للتقوى أي: ابتلاها واختبرها، فظهرت نتيجة ذلك، بأن صلحت قلوبهم للتقوى، ثم وعدهم المغفرة لذنوبهم المتضمنة لزوال الشر والمكروه، والأجر العظيم، الذي لا يعلم وصفه إلا الله تعالى، وفي الأجر العظيم وجود المحبوب (أ)، وفي هذا دليل على والمحن، فمن لازم أمر الله، واتبع والمحن، فمن لازم أمر الله، واتبع والمحن، قصارع إلى ذلك، وقدمه على هواه، تمحض وتمحص للتقوى، وصارع الما يمن كذلك، علم أنه لا يصلح للتقوى.

﴿٤ \_ • ﴾ ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون \* ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفورٌ رحيم ﴾ نزلت هذه الأيات الكريسمات في أناس من بالجفاء، وأنهم أجدر أن لا يعلموا وافدين على رسول الله على رسوله، قدموا وينادبوا حتى يخرج، بل نادوه: يا محمد [أي: أخرج إلينا]، فذمهم الله بعدم العقل، حيث لم يعقلوا عن الله بعدم العقل، حيث لم يعقلوا عن الله الأدب مع رسوله واحترامه، كما أن من العقل وعلامته استعمال الأدب.

فأدب العبد، عنوان عقله، وأن الله مريد به الخير، ولهذا قال: ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم ﴾ أي: غفور لما صدر عن عباده من الذنوب والإخلال بالآداب، رحيم بهم، حيث لم يعاجلهم بذنوبم بالعقوبات والمثلات.

<sup>(</sup>۱) في ب: من كان.

<sup>(</sup>٢) في ب: والجائزات.

<sup>(</sup>٣) في ب: عن ضده.

<sup>(</sup>٤) في ب: وفيه حصول كل محبوب.

﴿٦﴾ ﴿يا أيها الـذيسن آمسوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين، وهذا أيضاً من الآداب التي على أولى الألباب التأدب بها واستعمالها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجرداً، فإن في ذلك خطراً كبيراً، ووقوعاً في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال بغير حق بسبب ذلك الخبر ما يكون سبباً للندامة، بل الواجب عند خبر الفاسق، التثبت والتبين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه، عمل به وصدق، وإن دلت على كذبه، كُذُب ولم يعمل به، ففيه دليل على أن خبر الصادق مقبول، وخبر الكاذب مردود، وخبر الفاسق متوقف فيه كما ذكرنا، ولهذا كان السلف يقبلون روايات كثير [من] الخوارج، المعروفين بالصدق، ولو كانوا فساقاً.

﴿٧ ـ ٨﴾ ﴿وأعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكرَّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون \* فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم أي: ليكن لديكم معلوماً أن رسول الله على بين أظهركم، وهو الرسول الكريم، البار، الراشد، الذي يريد بكم الخير وينصح لكم، وتريدون لأنفسكم من الشر والمضرة ما لا يوافقكم الرسول عليه، ولو يطيعكم في كثير من الأمر لشق عليكم وأعنتكم، ولكن الرسول يرشدكم، والله تعالى يحبب إليكم الإيمان ويزينه في قلوبكم، بما أودع الله في قلوبكم من محبة الحق وإيثاره، وبما ينصب على الحق من الشواهد والأدلة الدالة على صحته،

وقبول القلوب والفطر له، وبما يفعله تعالى بكم من توفيقه للإنابة إليه، ويكرّه إليكم الكفر والفسوق أي: الذنوب الكبار، والعصيان: هي ما دون ذلك من الذنوب (١١)، بما أودع في قلوبكم من كراهة الشر، وعدم إرادة فعله، وبما نصبه من الأدلة والشواهد على فساده وعدم قبول الفطر له، وبما يعلمه الله من الكراهة في القلوب له (٢)

﴿أُولَــُك﴾ أي: النيس زيس الله الإيمان في قلوبهم، وحببه إليهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان هم الراشدون﴾ أي: الذين صلحت علومهم وأعمالهم، واستقاموا على الدين القويم، والصراط المستقيم.

وضدهم الغاوون، الذين حبب إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وكره إليهم الإيمان، والذنب ذنبهم، فإنهم لما فسقوا طبع الله على قلوبهم، ولما فراغوا أزاغ الله قلوبهم ولما لم يؤمنوا بالحق لما جاءهم أول مرة، قلب الله أفئدتهم.

وقوله: ﴿فضلاً من الله ونعمة﴾ أي: ذلك الخير الذي حصل لهم، هو بفضل الله عليهم وإحسانه، لا بحولهم وقوتهم.

﴿واللهُ عليم حكيم﴾ أي: عليم بمن يشكر النعمة فيوفقه لها، عن لا يشكرها، ولا تليق به، فيضع فضله حيث تقتضيه حكمته.

إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين، فإن على غيرهم من المؤمنين أن يتلافوا هذا الشر الكبير، بالإصلاح بينهم، والتوسط بذلك على أكمل وجه يقع به الصلح، ويسلكوا الطريق الموصلة إلى ذلك، فإن صلحتا فبها ونعمت، وإن ﴿بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ﴾ أي: ترجّع إلى ما حد الله ورسوله، من فعل الخير وترك الشر، الذي من أعظمه الاقتسال، [وقبوله] ﴿ فبإن فياءت فأصلحوا بينهما بالعدل) هذا أمر بالصلح، وبالعدل في الصلح، فإن الصلح قديوجد، ولكن لا يكون بالعدل، بل بالظلم والحيف على أحد الخصمين، فهذا ليس هو الصلح المأمور به، فيجب أن لا يراعي أحدهما لقرابة، أو وطن، أو غير ذلك من المقاصد والأغراض، التي توجب العدول عن العدل، ﴿إِنَّ الله يحب المقسطين أي: العادلين في حكمهم بين الناس وفي جميع الولايات التي تولوها، حتى إنه قد يدخل في ذلك عدل الرجل في أهله وعياله في أداثه حقوقهم، وفي الحديث الصحيح: «المقسطون عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا».

وإنما المؤمنون إخوة هذا عقد عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي: شخص كان في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسلمه واليوم الآخير، فإنه أخ المؤمنين، أخوة توجب أن يجب له المؤمنون ما يجون لأنفسهم، ولهذا قال النبي المشامراً بحقوق الأخوة الإيسمانية: (لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا يبغ أحدكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المؤمن أخو المؤمن،

<sup>(</sup>١) في ب: أي: الذنوب الصغار.

<sup>(</sup>٢) في ب: وبما يجعل الله في القلوب من الكراهة له.

<sup>(</sup>٣) في ب: ويقتل.

لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره)(١).

وقال ﷺ (٢٠): «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشيك ﷺ بين أصابعه.

ولقد أمر الله ورسوله بالقيام بحقوق المؤمنين بعضهم لبعض، وبما به يحصل التآلف والتوادد والتواصل بينهم، كل هذا تأييد لحقوق بعضهم على بعض، فمن ذلك، إذا وقع الاقتتال بينهم، الموجب لتفرق القلوب وتباغضها [وتدابرها]، فليصلح المؤمنون بين إخوانهم، وليسعوا فيما به يزول شنانهم.

ثم أمر بالتقوى عموماً، ورتب على القيام بحقوق المؤمنين وبتقوى الله، الرحمة [فقال: ﴿لعلكم ترحمون﴾]، وإذا حصلت الرحمة حصل خير الدنيا والآخرة، ودل ذلك على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين من أعظم حواجب الرحمة.

وفي هاتين الآيتين من الفوائد، غير ما تقدم: أن الاقتتال بين المؤمنين مناف للأخوة الإيمانية، ولهذا كان من أكبر الكبائر، وأن الإيمان والأخوة الإيمانية للنوب الكبار التي دون الشرك، وعلى ذلك مذهب أهل السنة والجماعة، وعلى وجوب الإصلاح بين المؤمنين بالعدل، وعلى وجوب قتال البغاة حتى يرجعوا إلى أمر الله، وعلى أنهم لو يجوز الإقرار عليه والتزامه، أنه وجه لا يجوز الإقرار عليه والتزامه، أنه وجه لا يجوز ذلك، وأن أموالهم معصومة، لأن الله أباح دماءهم وقت استمرارهم على بغيهم خاصة، دون أموالهم.

﴿١١﴾ ﴿ إِنَّا أَنِّهَا الَّذِينَ آمِنُوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء مَن نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون، وهذا أيضاً من حقوق المؤمنين بعضهم على بعض، أن ﴿لا يسخر قوم من قوم﴾ بكل كلام، وقول، وفعل دال على تحقير الأخ المسلم، فإن ذلك حرام لا يجوز، وهو دال على إعجاب الساخر بنفسه، وعسى أن يكون المسخور به خيراً من الساخر، كما هو (٣) الغالب والواقع، فإن السخرية لا تقع إلا من قلب عملى، من مساوىء الأخلاق، مُتَحَلِّ بكل خلق ذميم، ولهذا قال النبي يَلِيُّهُ: ابحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم».

ثم قال: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ أي: لا يعب بعضكم على بعض، واللمز بالقول، والهمز بالفعل، وكلاهما منهيّ عنه حرام، متوعد عليه بالنار.

كما قال تعالى: ﴿ ويلّ لكل همزة لزة ﴾ الآية، وسمى الأخ المؤمن<sup>(1)</sup> نفساً لأخيه، لأن المؤمنين ينبغي أن يكون هكذا حالهم كالجسد الواحد، ولأنه إذا همز غيره، أوجب للغير أن يهمزه، فيكون هو المتسبب لذلك.

﴿ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ أي: لا يعير أحدكم أخاه، ويلقبه بلقب ذم يكره أن يطلق عليه (٥)، وهذا هو التنابز، وأما الألقاب غير الذمومة، فلا تدخل في هذا.

﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ أي: بئسما تبدلتم عن الإيمان والعمل بشرائعه، وما تقتضيه بالإعراض عن أوامره ونواهيه، باسم الفسوق والعصيان، الذي هو التنابز بالألقاب.

ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون فهذا [هو] الواجب على العبد، أن يتوب إلى الله تعالى، ويخرج من حق أخيه المسلم، باستحلاله والاستغفار، والمدح له مقابلة [على] ذمه.

﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ فالناس قسمان: ظالم لنفسه غير تائب، وتائب مفلح، ولا ثَمَّ قسم ثالث غيرهما.

﴿١٢﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضأ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم) نهى تعالى عن كثير من الظن السوء (٦) بالمؤمنين، في ﴿إِنْ بعض الظن إثم﴾ وذلك كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وكظن السوء، الذي يقترن به كشير من الأقوال، والأفعال المحرمة، فإن بقاء ظن السوء بالقلب، لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به، حتى يقول ما لا ينبغي، ويفعل ما لا ينبغي، وفي ذلك أيضاً إساءة الظن بالمسلم، وبغضه وعداوته المأمور بخلاف ذلك منه.

ولا تجسسوا أي: لا تفتشوا عن عورات المسلمين، ولا تتبعوها، واتركسوا (٧) المسلسم على حاله، واستعملوا التغافل عن أحواله (٨)، التي إذا فتشت ظهر منها ما لا ينبغي.

 <sup>(</sup>١) في ب: أورد الشيخ الحديث كما يلي: (لا تحاسدوا ولا تناحشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو
المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يكذبه) متفق عليه.

<sup>(</sup>٢) في ب: وفيهما عن النبي ﷺ.

<sup>(</sup>٣) في ب: وهو الغالب.

<sup>(</sup>٤) في ب: المسلم.

<sup>(</sup>٥) في ب: بلقب يكره أن يقال فيه.

<sup>(</sup>٦) في ب: السيء.

<sup>(</sup>٧) في ب: ودعوا.

<sup>(</sup>٨) في ب: عن زلاته.

﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ والغيبة كما قال النبي على «ذكرك أخاك بما يكره ولو كان فيه».

ثم ذكر مثلاً منفراً عن الغيبة، فقال: ﴿أَيُعِب أَحدكم أَن يأكل لحم أَخيه ميناً فكرهتموه ﴾ شبه أكل لحمه ميناً الكروه للنفوس [غاية الكراهة] باغتيابه، فكما أنكم تكرهون أكل لحمه، وخصوصاً إذا كان ميناً، فاقد الروح، فكذلك [فلتكرهوا] غيبته وأكل لحمه حيّاً.

﴿واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ والتواب الذي يأذن بتوبة عبده فيوفقه لها، ثم يتوب عليه بقبول توبته، رحيم بعباده، حيث دعاهم إلى ما ينفعهم، وقبل منهم التوبة، وفي هذه الآية دليل على التحذير الشديد من الغيبة، وأن الغيبة من الكبائر، لأن الله شبهها بأكل لحم الميت، وذلك من الكبائر.

﴿١٣﴾ ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنَّ الله عليم خبير ﴾ يخبر تعالى أنه خلق بني آدم من أصل واحد، وجنس واحد، وكلمهم من ذكر وأنشى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله [تعالى] بث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، وفرقهم، وجعلهم شعوباً وقبائل أي: قبائل صغاراً وكباراً، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوباً وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها ممايتوقف على التعارف، ولحوق الأنساب، ولكن الكرم بالتقوى، فأكرمهم عند الله أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة وانكفافاً عن المعاصى، لا أكثرهم قرابة وقوماً، ولا أشرفهم نسباً، ولكن الله تعالى عليم خبير، يعلم من يقوم منهم بتقوى الله ظاهراً وباطناً، ممن يقوم بذلك ظاهراً لا باطناً، فيجازي كلاً

بما يستحق.

وفي هذه الآية دليل على أن معرفة الأنساب مطلوبة مشروعة، لأن الله جعلهم شعوباً وقبائل لأجل ذلك.

﴿ ١٤ - ١٨ ﴾ ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمانُ في قلوبكم \* وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إنَّ الله غفورٌ رحيم \* إنَّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتبابوا وجاهدوا بنأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون \* قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم \* يمنون عليك أن أسلموا قبل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين \* إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون، يخبر تعالى عن مقالة الأعراب الذين دخلوا في الإسلام في عهد رسول الله على دخولاً من غير بصيرة، ولا قيام بما يجب ويقتضيه الإيمان، أنهم ادعوا مع هذا وقالوا: آمنا أي: إيماناً كاملاً، مستوفياً لجميع أموره هذا موجب هذا الكلام، فأمر الله رسوله أن يرد عليهم، فقال: ﴿قَلَ لَمْ تَسُومُ مِنْ وَالْهُ أَي: لا تَسَدُّعُوا لأنفسكم مقام الإيمان، ظاهراً وباطناً،

﴿ولكن قولوا أسلمنا﴾ أي: دخلنا في الإسلام، واقتصروا على ذلك.

وه السبب في ذلك، أنه ﴿ لا يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ وإنما آمنتم خوفا أو رجاء أو نحو ذلك، مما هو السبب في إيمانكم، فلذلك لم تدخل بشاشة الإيمان في قلوبكم ، وفي قلوبكم ﴾ أي: وقت هذا الكلام الذي صدر منكم ، فكان فيه إشارة إلى أحوالهم بعد ذلك ، فإن كثيراً منهم ، وأب تطيعوا الله ورسوله ﴾ بفعل خير ، أو تطيعوا الله ورسوله ﴾ بفعل خير ، أو ترك شر ﴿ لا يلتكم من أعمالكم ترك شيئا ﴾ أي: لا ينقصكم منها مثقال شيئا ﴾ أي: لا ينقصكم منها مثقال

ذرة، بل يوفيكم إياها أكمل ما تكون لا تفقدون منها صغيراً ولا كبيراً، ﴿إن الله غفور رحيم ﴾ أي: غفور لمن تاب إليه وأناب، رحيم به، حيث قبل توبته.

﴿إِللَهُ المؤمنون﴾ أي: على الحقيقة ﴿اللّٰهِ اللهُ أي: من جعوا بين الإيمان والجهاد في سبيله، فإن من جاهد الكفار، دل ذلك على الإيمان التام في المقلب، لأن من جاهد غيره على الإسلام، والقيام بشرائعه، فجهاده لنفسه على ذلك، من باب أولى وأحرى؛ ولأن من لم يقو على الجهاد، فإن ذلك دليل على ضعف إيمانه فإن ذلك دليل على ضعف إيمانه، وهو الشك، لأن الإيمان النافع هو وهو الشك، لأن الإيمان النافع هو الجزم اليقني بما أمر الله بالإيمان به، الوجوه، الوجوه.

وقوله: ﴿أولئك هم الصادقون﴾ أي: الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم الجميلة، فإن الصدق دعوى كبيرة في كل شيء يدعى يحتاج صاحبه إلى حجة الذي هو مدار السعادة، والفون الأبدي، والفلاح السرمدي، فمن ادعاه وقام بواجباته ولوازمه، فهو الصادق المؤمن حقاً، ومن لم يكن الصادة، وليس بصادق في كذلك، علم أنه ليس بصادق في الإيمان في القلب لا يطلع عليه إلا الله تعالى.

فإثباته ونفيه من باب تعليم الله بما في القلب، وهذا سوء أدب، وظن بالله، ولهذا قال: ﴿قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض \* والله بكل شيء عليم وهذا شامل للأشياء كلها، التي من جملتها ما في القلوب من الإيمان والكفران، والبر والفجور، فإنه تعالى يعلم ذلك كله ويجازي عليه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

هذه حالة من أحوال من ادّعي لنفسه الإيمان وليس به، فإنه إما أن

يكون ذلك تعليماً لله، وقد علم أنه عالم بكل شيء، وإما أن يكون قصدهم بهذا الكلام المُّنَّة على رسوله، وأنهم قد بذلواله [وتبرعوا] بماليس من مصالحهم، بل هو من حظوظه الدنيوية، وهذا تجمُّل بما لا يجمل، وفخربما لاينبغي لهم أن يفتخروا على رسوله به (١)، قإن المنة لله تعالى عليهم، فكما أنه تعالى يمن (٢) عليهم بالخلق والرزق، والنعم الظاهرة والباطنة، فمنته عليهم بهدايتهم إلى الإسلام، ومنته عليهم بالإيمان، أعظم (٢) من كل شيء، ولهذا قال تعالى: ﴿ يمنون عليكَ أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم

﴿إِنَّ الله يعلم غيب السماوات والأرض الله أي: الأمور الخفية فيهما، التي تخفى على الخلق، كالذي في لجم البحار، ومهامه القفار، وما جنّه الليل أو واراه النهار، يعلم قطرات الأمطار، وحبّات الرمال، ومكنونات الصدور، وخبايا الأمور.

﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلممات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مين﴾.

﴿والله بصير بما تعملون﴾ يحصي عليكم أعمالكم، ويوفيكم إياها، ويجازيكم عليها بما تقتضيه رحمته الواسعة وحكمته البالغة.

تم تفسير سورة الحجرات، بعون الله ومنه وجوده وكرمه، فلك اللهم من الحمد أكمله وأتمه، ومن الجود أفضله وأعمه <sup>(٤)</sup>

# تفسیر سورة ق وهی مکینة

﴿١ -٤﴾ ﴿ سِم الله السرحسن الرحيم ق والقرآن المجيد \* بل عجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ﴿ أَإِذَا مَتَنَا وَكُنَا تَرَابَأُ ذلك رجع بعيد \* قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظه يقسم تعالى بالقرآن المجيد أي: وسيع المعاني عظيمها، كثير الوجوه كثير البركات، جزيل المبرات. والمجد: سعة الأوصاف وعظمتها، وأحق كلام يوصف بهذا، هذا القرآن، الذي قد احتوى على علوم الأولين والآخرين، الذي حوى من الفصاحة أكملها، ومن الألفاظ أجزلها، ومن المعاني أعمها وأحسنها، وهذا موجب لكمال اتباعه و[سرعة] الانقياد له، وشكر الله على

ولكن أكثر الناس لا يقدر نعم الله قدرها، ولهذا قال تعالى: ﴿بل عجبوا﴾ أي: المكذبون للرسول ﷺ، ﴿أَن جاءهم منذر منهم﴾ أي: ينذرهم ما يضرهم، ويأمرهم بما ينفعهم، وهو من جنسهم، يمكنهم التلقي عنه، ومعرفة أحواله وصدقه.

فتعجبوا من أمر لا ينبغي لهم التعجب منه، بل يتعجب من عقل من تعجب منه.

﴿فقال الكافرون﴾ الذين حملهم كفرهم وتكذيبهم، لا نقص بذكائهم وأرائهم (٥٠).

﴿هـذا شيء عـجميسب﴾ أي: مستغرب، وهم في هذا الاستغراب بين أمرين:

إما صادقون في [استغرابهم و] تعجبهم، فهذا يدل على غاية جهلهم،

وضعف عقولهم، بمنزلة المجنون الذي يستغرب كلام العاقل، وبمنزلة الجبان الذي يتعجب من لقاء الفارس للفرسان، وبمنزلة البخيل الذي يستغرب سخاء أهل السخاء، فأي: ضرر يلحق من تعجب من هذه حاله؟ وهل تعجبه إلا دليل على زيادة ظلمه وجهله؟ وإما أن يكونوا متعجبين، على وجه يعلمون خطأهم فيه، فهذا من أعظم الظلم وأشنعه.

ثم ذكر وجه تعجبهم، فقال: ﴿أَإِذَا وَكَا تُرَاباً ذَلْكُ رَجِع بِعِيد﴾ فقاسوا قدرة من هو على كل شيء قدير، الكامل من كل وجه، بقدرة العبد الفقير العاجز من جميع الوجوه، وقاسوا الجاهل الذي لا علم له، بمن تنقص الأرض من أجسادهم مدة مقامهم في برزخهم، وقد أحصى في كتابه الذي هو عنده محفوظ عن التغيير والتبديل، كل ما يجري عليهم في والتبديل، كل ما يجري عليهم في علمه، وسعته التي لا يحيط بها إلا علمه، وسعته التي لا يحيط بها إلا علمه، وسعته التي لا يحيط بها إلا علمه، وهذا المؤتى.

﴿وَ وَبِلَ كَذَبُوا بِالْحَقِ لَمَا جَاءَهُمُ فَي أَمْرِ مُرْبِحِ أَي: ﴿ بِلَ ﴾ كلامهم الذي صدر منهم، إنما هو عناد وتكذيب للحق الذي هو أعلى أنواع الصدق ﴿ لما جاءهم فهم في أمر مريج ﴾ أي: غتلط مشتبه، لا يشتون على شيء، ولا يستقر لهم قرار، فتارة يقولون عنك إنك ساحر، وتارة بجنون، وتارة شاعر، وكذلك جعلوا القرآن عضين، كل قال فيه ما اقتضاه القرآن عضين، كل قال فيه ما اقتضاه رأيه الفاسد، وهكذا كل من كذب بالحق، فإنه في أمر غتلط، لا يدرى له وجهة (٢) ولا قرار، [فترى أموره متناقضة مؤتفكة] كما أن من اتبع الحق متناقضة مؤتفكة] كما أن من اتبع الحق

<sup>(</sup>۱) في ب: لا ينبغي لهم الفخر به على رسوله.

<sup>(</sup>٢) في ب: هو المانّ.

<sup>(</sup>٣) في ب: أفضل.

<sup>(</sup>٤) في ب: يعد قوله وكرمه: والحمد لله.

<sup>(</sup>٥) كذا في ب، وفي أ: لا نقص بقلوبهم وعقولهم.

<sup>(</sup>٦) في ب: وجه.

وصدق به، قد استقام أمره، واعتدل سبيله، وصدق فعله قيله.

﴿٦ \_ ١١﴾ ﴿أَفَـلُم يَسْظُرُوا إِلَى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج \* والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهیج \* تبصرة وذكرى لكل عبد منيب \* ونزلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جناتٍ وحب الحصيد \* والنخل باسقاتِ لها طلع نضيد \* رزقاً للعباد وأحيينا به بلدّة ميتاً كذلك الخروج ﴾ لما ذكر تعالى حالة المكذبين وما ذمهم به، دعاهم إلى النظر في آیاته (۱) الأفقیة، کی یعتبروا، ویستدلوا ساعلى ما جعلت أدلة عليه، فقال: ﴿ أَفِلُم يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءُ فُوقِهُم ﴾ أي: لا يحتاج ذلك النظر إلى كلفة وشد رلحل، بل هو في غاية السهولة، فينظرون ﴿كيف بّنيناها﴾ قبة مستوية الأرجاء، ثابتة البناء، مزينة بالنجوم الخنس، والجوار الكنس، التي ضربت من الأفق إلى الأفق في غاية الحسن والملاحة، لا ترى فيها عيباً، ولا فروجاً، ولا خلالاً، ولا إخلالاً.

قد جعلها الله سقفاً لأهل الأرض، وأودع فيها من مصالحهم الضرورية ما

أودع. ﴿وَ ﴾ إِلَى ﴿الأَرْضَ كَيْفُ مَدَّدِنَاهَا﴾ \* مَنْ مَنْ اللهِ اللهِ ووسعناها، حتى أمكن كل حيوان السكون فيها والاستقرار(٢)، والاستعداد لجميع مصالحه، وأرساها بالجبال، لتستقر من التزلزل والتموج، ﴿وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ﴾ أي: من كل صنف من أصناف النبات التي تسر ناظرها، وتعجب مبصرها، وتقر عين رامقها، لأكل بني آدم، وأكل بهائمهم ومنافعهم، وخص من تلك المنافع بالذكر، الجنات المشتملة على

الفواكه اللذيذة، من العنب والرمان والأترج والتفاح، وغير ذلك من

أصناف الفواكه، ومن النخيل الباسقات أي: الطوال، التي يطول<sup>(</sup> نفعها وترتفع إلى السماء حتى تبلغ مبلغاً لا يبلغه كثير من الأشجار، فتخرج من الطلع النضيد، في قنوانها ما هو رزق للعباد قوتاً وأدماً وفاكهة، يأكلون منه ويدخرون، هم ومواشيهم وكذلك ما يخرج الله بالمطر، وما هو أثره من الأنهار الَّتي على وجه الأرض، والتي تحتها من حبّ الحصيد، أي: من الزرع المحصود، من بُرِّ وشعير، وذرةً، وأرز، ودخن وغيره.

فإن في النظر في هذه الأشياء ﴿ تِبصرة ﴾ يتبصر بها من عمى الجهل، ﴿وذكرى ﴿ يتذكر بها ما ينفع في الدين والدنيا، ويتذكر بها ما أخبر الله به، وأخبرت به رسله، وليس ذلك لكل أحد، بل ﴿لكل عبد منيب﴾ إلى الله أي: مقبل عليه بالحب والخوف والرجاء، وإجابة داعيه، وأما المكذب أو المعرض، فما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون.

وحاصل هذا، أن ما فيها من الخلق الباهر، والشدة والقوة، دليل على كمال قدرة الله تعالى، وما فيها من الحسن والإتقان، وبديع الصنعة، وبديع الخلقة(١)، دليل على أن الله أحكم الحاكمين، وأنه بكل شيء عليم، وما فيها من النافع والصالح للعباد، دليل على رحمة الله آلتي وسعت كل شيء، وجوده الذي عم كل حي، وما فيها من عظم الخلقة وبديم النظام، دليل على أن الله تعالى هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، ولم يكن له كفواً

أحد، وأنه الذي لا تنبغي العبادة والذل [والحب] إلا له تعالى.

وما فيها من إحياء الأرض بعد موتها، دليل على إحياء الله الموتى، ليجازيهم بأعمالهم، ولهذا قال: ﴿وأحيينا به بلدة سيتا كذلك الخروج).

ولما ذكرهم بهذه الآيات السماوية والأرضية، خوَّفهم أخذات الأمم، وألا يستمروا على ما هم عليه من التكذيب، فيصيبهم ما أصاب إخوانهم من المكذبين، فقال:

﴿١٢ \_ ١٩﴾ ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرّس وثمود \* وعاد وفرعون وإخوان لوط \* وأصحاب الأيكة وقومُ تبع كل كذَّب الرسل فحقَّ وعيد \* أفعييناً بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد الى: كذب الذين من قبلهم من الأمم رسلهم الكرام وأنبياءهم العظام، كـ «نوح» كذبه قومه [وثمود كذبوا صالحاً](المحمَّا، وعاد كذبوا «هوداً»، وإخوان لوط كذبوا «لوطاً»، وأصحاب الأيكة كذبوا «شعيباً»، وقوم تبع، وتبع كل ملكِ ملك اليمن في الزمان السابق قبل الإسلام (١) فقوم تبع كذبوا الرسول الذي أرسله الله إليهم، ولم يخبرنا الله من هو ذلك الرسول، وأي: تُبُّع من التبابعة، لأنه - والله أعلم - كان مشهوراً عند العرب لكونهم من العرب العرباء، الذين لا تخفى ماجرياتهم على العرب خصوصاً مثل هذه الحادثة

فهؤلاء كلهم كذبوا الرسل، الذين أرسلهم الله إليهم، فحق عليهم وعيد الله وعقوبته، ولستم أيها المكذبون لمحمد ﷺ خيراً منهم، ولا

كذا في ب، وفي أ: آيات الله. (1)

كذا في ب، وفي أ: القرار. **(Y)** 

كذا في ب، وفي أ: التي يستمر نفعها، ويطول حتى تبلغ مبلغاً لا يبلغ إليه. (٣)

كذا في ب، وفي أ: وعجيب الخلقة. (1)

زيادة من هامش ب. (0)

كذا في ب، وفي أ: وقوم تبع وهو كل ملك ملك اليمن في الزمان السابق يقال له تبع. (1)

رسلهم أكرم على الله من رسولكم، فاحذروا جرمهم، لئلا يصيبكم ما أصابهم.

ثم استدل تعالى بالخلق الأول \_ وهـو المنـشـأ الأول(١) \_عـلى الخـلـق الآخر، وهو النشأة الآخرة.

فكما<sup>(٢)</sup> أنه الذي أوجدهم بعد العدم، كذلك يعيدهم بعد موتهم وصيرورتهم إلى [الرفات و] الرمم، فقال: ﴿ أَفَعَينِنا ﴾ أي: أفعجزنا وضعفت قدرتنا ﴿ بِالخلق الأول ﴾ يس الأمر كذلك، فلم نعجز ونَعْيَ عن ذلك، وليسوا في شك من ذلك، وإنما هم في لبس من خلق جديد هذا الذي شكوا فيه، والتبس عليهم أمره، مع أنه لا محل للبس فيه، لأن الإعادة أهون من الابتداء، كما قال تعالى: ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ .

ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الموريد \* إذ يتلقى المشلقيان عن اليمين وعن الشمال عيد \* ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد في يغبر تعالى أنه المتفرد بخلق (٢) وأنه يعلم أحواله وما يسره، ويوسوس في صدره (١٤) وأنه أقرب إليه من حبل في صدره الذي هو أقرب إليه من حبل الإنسان، وهو العرق (١٥) المكتنف لثغرة المنحر، وهذا عما يدعو الإنسان إلى مراقبة خالقه، المطلع على ضميره وباطنه، القريب منه (١٦) في جميع

أحواله، فيستحيى منه أن يراه حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره، وكذلك ينبغى له أن يجعل الملائكة الكرام الكاتبين منه على بال، فيجلهم ويوقرهم، ويجذر أن يفعل أو يقول ما يكتب عنه، مما لا يرضى رب العالمين، ولهذا قال: ﴿إِذْ يِتِلْقِي الْتِلْقِيانِ ﴾ أي: يتلقيان عن العبد أعماله كلها، واحد وعن اليمين كيكتب الحسنات، وو الآخر ﴿عن الشمال﴾ يكتب السيئات، وكل منهما ﴿قعيد﴾ بذلك متهيىء لعمله الذي أعدله، ملازم له(٧) ﴿ما يلفظ من قول > خير أو شر ﴿ إلا لديه رقيب عتيد ﴾ أي: مراقب له، حاضر لحاله، كما قال تعالى: ﴿وإن عليكم لحافظين \$ كراماً كاتبين \$ يعلمون ما تفعلون 🤄 .

(۱۹۹ ـ ۲۲) خوجاءت سکيرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد \* ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد \* وجاءت كيل نفس معها سائيق وشهيد \* لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) أي: ﴿وجاءت ﴿ هذا الغافل المكذب يايات الله ﴿سكرة الموت بالحق الذي لا مردله ولا مناص، ﴿ ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ أي: تتأخر وتنكص(^) عنه، ﴿ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد) أي: اليوم الذي يلحق الظالمين ما أوعدهم الله به من العقاب، والمؤمنين ما وعدهم به من الشواب، ﴿وجاءت كل نفس معها سائق﴾ يسوقها إلى موقف القيامة، فلا

يمكنها أن تتأخر عنه، ﴿وشهيد﴾ يشهد عليها بأعمالها، خيرها وشرها، وهذا يدل على اعتناء الله بالعباد، وحفظه لأعمالهم، ومجازاته لهم بالعدل، فهذا الأمر، بما يجب أن يجعله غافلون، ولهذا قال: ﴿لقد كنت في غلقلة من هذا﴾ أي: يقال للمعرض غفلة من هذا﴾ أي: يقال للمعرض المكذب يوم القيامة هذا الكلام تربيخا، ولوماً وتعنيفاً أي: لقد كنت مكذباً بهذا، تاركاً للعمل له فالآن ﴿كشفنا عنك غطاءك﴾ الذي غطى قلبك، عنش نومك، واستمر (٩) إعراضك، ﴿فَحْشِرُ نُومِكُ، واستمر (٩) إعراضك، ويروعه من أنواع العذاب والنكال.

أو هذا خطاب من الله للعبد فإنه في الدنيا في غفلة (١٠٠) عما خلق له، ولكنه يوم القيامة ينتبه ويزول عنه وسنه، ولكنه في وقت لا يمكنه أن يتدارك الفارط، ولا يستدرك الفائت، وهذا كله تخويف من الله للعباد، وترهيب بذكر ما يكون على المكذبين في ذلك اليوم العظيم.

﴿٣٧ ـ ٢٧﴾ ﴿وقال قرينه هذا ما لديّ عتيد \* ألقيا في جهنم كل كفّار عنيد \* مناع للخبر معتدِ مريب \* الذي جعل مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد \* قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد \* قال لا تختصموا لديّ وقد قدمت إليكم بالوعيد \* ما يبدل القول لديّ وما أنا بظلام للعبيد﴾ يقول تعالى: ﴿وقال بين قرين هذا المكذب قرين هذا المكذب

<sup>(</sup>١) في ب: النشأة الأولى.

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: وأنه كما أنه.

<sup>(</sup>٣) كذا في ب، وفي أ: أنه الذي خلق.

<sup>(</sup>٤) في ب: وتوسوس به نفسه.

<sup>(</sup>٥) في ب: العظم،

<sup>(</sup>٦) في ب: إليه.

<sup>(</sup>٧) في ب: لذلك.

 <sup>(</sup>A) كذا في ب، وفي أ: تحيد.
 (9) كذا في ب، وفي أ: ودام.

 <sup>(</sup>٩) كذا في ب، وفي أ: ودام.
 (١٠) كذا في ب، وفي أ: أنه في غفلة في الدنيا.

المعرض، من الملائكة، الذين وكلهم الله على حفظه وحفظ أعماله، فيحضره يوم القيامة ويحضر أعماله ويقول: ﴿هذا ما لدى عتيد﴾ أي: قد أحضرت ما جعلت عليه، من حفظه وحفظ عمله، فيجازي بعمله.

ويقال لمن استحق النار: ﴿ أَلَقِيا فِي جهنم كل كفار عنيد ﴾ أي: كثير الكفر والعناد لآيات الله، المكثر من المعاصى، المجترىء على المحارم

﴿مناع للخير ﴾ أي: يمنع الخير الذي عنده(١)، الذي أعظمه الإيمان بالله [وملائكته](٢) وكتبه ورسله مناع، لنفع ماله وبدنه، ﴿معتد ﴾ على عباد الله، وعلى حدوده (٣)، ﴿مريب﴾ أي: شاك في وعد الله ووعيده، فلا إيمان ولا إحسان ولكن وصفه الكفر والعدوان، والشك والريب والشح، واتخاذ الآلهة من دون الرحمن، ولهذا قال: ﴿الذي جعل مع الله إلها آخر﴾ أي: عبد معه غيره، ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، ﴿فَالقياهِ ﴾ أيها الملكان القرينان ﴿ في العذاب الشديد ﴾ الذي هو معظمها وأشدها وأشنعها.

﴿قال قرينه ﴾ الشيطان، متبرئاً منه، حاملاً عليه إثمه: ﴿ ربنا ما أطغيته ﴾ لأني لم يكن لي عليه سلطان ولا حجة ولا برهان، ولكن كان في الضلال البعيد، فهو الذي ضل وأبعد عن الحق باختياره، كما قال في الآية الأخرى:

﴿وقال الشيطان لما قبضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وماكان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا

تلوموني ولوموا أنفسكم . . . ﴾

قال الله تعالى مجيباً لاختصامهم: ﴿ لا تختصموا لدى ﴾ أي: لا فائدة فى اختصامكم (٥) عندي، ﴿و﴾ الحال أني ﴿قد قدمت إليكم بالوعيد﴾ أي: جاءتكم رسلى بألآيات البينات، والحجج الواضحات، والبراهين الساطعات، فقامت عليكم حجتى، وانقطعت حجتكم، وقدمتم على بما أسلفتم من الأعمال التي وجب جزاؤها.

﴿ما ببدل القول لدى اي لا يمكن أن يخلف ما قاله الله وأخبر به، لأنه لا أصدق من الله قيلاً، ولا أصدق حديثاً.

﴿ وما أنا بظلام للعبيد﴾ بل أجزيهم بما عملوا من خير وشر، فلا يزاد<sup>ر</sup> في سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم. ﴿٣٠ \_ ٣٠) ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد \* وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد \* هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ \* من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلُّوها بسلام ذلك يوم الخلود \* لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد > يقول تعالى مخوفاً لعباده: ﴿ يُوم نقول لجهنم هل امتلات ، وذلك من كثرة ما ألقى فيها، ﴿وتقول هل من مزيد ﴾ أي: لا تزال تطلب الزيادة من المجرمين العاصين، غضباً لربها، وغيظاً على الكافرين.

وقدوعدها الله ملأها، كما قال تعالى: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين العرة على يضع رب العزة عليها قدمه الكريمة المنزهة عن التشبيه،

CHATER IN CONTRACTOR يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ اَجْتَنِبُواْ كَيْبِيرَا مِنَ ٱلظَّلَ إِنَّ بَعْضَ الظَّلِّ إِنْدَّ وَلَا تَجْسَسُوا وَلَا يَغْسَ بَعَضُكُم يَعْضًا لَيُحِبُ أَعَدُكُوا لَن يَأْكُلَ لَحْمَ لَخِيهِ مَيْمًا فَكُرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُواْ الْتَمَانَ اللَّهَ قَوَاتُ تَحِيدُ ۞ يَنَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّاخَلَقْنَكُمْ فِن ذَكْرَوَأُفَى وَجَعَلْنَكُمُ شُعُوبًا وَقَرَآبِلَ لِنَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَبَكُمُ عِندَاللَّهِ أَلْقَلُكُمُ إِذَاللَّهَ عَلِيمُ خَبِرٌ ۞ \* قَالَتِ ٱلأَغْرَابُ عَامَنَّا قُل لَوْ تُؤْمِنُواْ وَلَاكِن قُولُواْ السَّلَمْنَ وَلَمَا يَدُخُلِ الْإِيمَنُ فِي قُلُوبِكُو ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ, لَا يَلِنْكُم مِنْ أَعْمَلِكُمْ شَيَّنَّا إِنَّ ٱللَّهَ عَسَفُورٌ نَجِيمُ ۞ إِنَّا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلَّهِ وَزَسُولِهِ عَثُمَ لَمُ يَرْتَابُواْ وَجَهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُ هِرْ فِي سَيِيلِ آلَيُّ أُوْلَيْكَ هُرُ ٱلصَّدَفُونَ ۞ قُلُ أَتَعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَأَلَّهُ يَعْلَمُمَا فِي ٱلسَّكَوَاتِ وَمَانِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ يُكُلِّ مَنَى ؛ عَلِيمٌ ۞ يَمَنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَاتَمُنُّوا عَلَى إِسْلَمَكُمْ مِلَ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُرْ لِلْإِيمَنِ إِن كُنتُمْ صَيِقِينَ۞ إِنَّ م الله يَعْلَمُ عَبْبَ السَّمَوْتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ إِمَانَعَمَلُونَ ﴿ DEPOS ON LONGED

فينزوي بعضها على بعض، وتقول. قط قط، قد اكتفيت وامتلأت، ﴿ وأزلفت الجنة ﴾ أي: قربت بحيث تشاهد وينظر ما فيها، من النعيم المقيم، والحبرة والسرور، وإنما أزلفت وقربت، لأجل المتقين لربهم، التاركين للشرك، صغيره وكبيره، المتثلين لأوامر ربهم، المنقادين له، ويقال لهم على وجه التهنئة: ﴿ هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ) أي: هذه الجنة وما فيها مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، هي التي وعد الله كل أواب أي: رجَّاع إلى الله في جميع الأوقات، بذكره وحبه، والاستعانة به، ودعائه وخوفه ورجائه.

﴿حفيظ﴾ أي: يحافظ على ما أمر الله به، بامتثاله على وجه الإخلاص والإكمال له، على أكمل(٧) الوجوه، حفيظ لحدوده، ﴿من خشى الرحن﴾ أي: خافه على وجه المعرفة بربه، والرجاء لرحمته، ولازم على

نى ب: قِبَلَهُ. (1)

زيادة من هامش ب. (٢)

في أ زيادة هنا هي (أثيم) أي كثير الإثم) ويبدو أن الشيخ سبق قلمه لآيات سورة القلم. وقد شطبت الزيادة من ب. (٣)

في ب وقف عند قوله: (فأخلفتكم). (1)

كذا في ب، وفي أ: خصامكم. (0)

كذا في ب، وفي أ: يزيد. (1) في ب: أتم.

و المنتخفظ المنتخفظ

خشية الله في حال غيبه أي: مغيبه عن أعين الناس، وهذه هي الخشية الحقيقية، وأما خشيته في حال نظر الناس وحضورهم، فقد تكون رياء واسمعة، فلا تدل على الخشية، وإنما والشهادة ويحتمل أن المراد بخشية الله بالغيب وأن بالغيب كالمراد بالإيمان بالغيب وأن هذا مقابل للشهادة حيث يكون الإيمان والخشية ضرورياً لا اختيارياً حيث يعاين العذاب وتأتي آيات الله وهذا هو الظاهر (۱).

﴿وجاء بقلب منيب﴾ أي: وصفه الإنابة إلى مولاه، وانجذاب نواعيه إلى مراضيه، ويقال لهؤلاء الأتقياء الأبرار: ﴿ادخلوها بسلام﴾ أي: دخولاً مقروناً بالسلامة من الآفات والشرور، مأموناً فيه جميع مكاره ولا تنغيص، ﴿ذلك يوم الخلود﴾ الذي لا زوال له ولا موت، ولا شيء من المكدرات، ﴿لهم ما يشاؤون فيها﴾ أي: كل ما تعلقت به مشيئتهم فهو حاصل فيها ولهم فوق ذلك ﴿مزيد﴾

أي: ثواب يمدهم به الرحمن الرحيم، عما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وأعظم ذلك وأجله وأفضله، النظر إلى وجه الله الكريم، والتمتع بسماع كلامه، والتنعم بقربه، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم.

﴿٣٦ ـ ٣٧﴾ ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً فنقبوا في البلاد هل من محيص \* إنَّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ يقول تعالى ـ غوفاً للمشركين المكذبين للرسول ـ : ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ أي : أعا كثيرة هم أشد من هؤلاء بطشاً أي : قوة وآثاراً في الأرض.

ولهذا قال: ﴿فنقبوا في البلاد﴾ أى: بنوا الحصون النبعة والمنازل الرفيعة، وغرسوا الأشجار، وأجروا الأنهار، وزرعوا، وعمروا، ودمروا، فلما كذبوا رسل الله، وجحدوا آيات الله، أخذهم الله بالعقاب الأليم، والعذاب الشديد، فـ ﴿ هل من عيس اى: لامفرلهم من عذاب الله حين نزل بهم ولا منقذ، فلم تغن عنهم قوتهم، ولا أموالهم، ولا أولادهم، ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لِذَكُورِي لن كان له قلب ) أي: قلب عظيم حيًّ ذَكِيٌّ زَكِيٌّ، فهذا إذا ورد عليه شيء من آيات الله، تـذكر بها، وانـتفع فارتفع (٢)، وكذلك من ألقى سمعه إلى آيات الله، واستمعها استماعاً يسترشد به، وقلبه ﴿شهيد﴾ أي: حاضر، فهذا له أيضاً ذكري وموعظة، وشفاء وهدي.

وأما المعرض، الذي لم يلق<sup>(٣)</sup> سمعه إلى الآيات، فهذا لا تفيده شيئاً، لأنه لا قبول عنده، ولا تقتضي حكمة الله هداية من هذا وصفه ونعته.

﴿٣٨ ـ ٤٠ ﴾ ﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب \* فاصبر على ما يُقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب \* ومن الليل فسبحه وأدبار السجود، وهذا إخبار منه تعالى عن قدرته العظيمة، ومشيئته النافذة، التي أوجد بها أعظم المخلوقات ﴿السَّماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام اللها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة، من غير تعب ولا نصب، ولا لغوب، ولا إعياء، فالذي أوجدها \_على كبرها وعظمتها \_قادر على إحياء الموتى، من باب أولى وأحرى، ﴿فَاصِبرُ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ مِن الذم لك والتكذيب بما جئت به، واشتغل عنهم واله بطاعة ربك وتسبيحه، أول النهار وآخره، وفي أوقات الليل، وأدبار الصلوات. فإنَّ ذكر الله تعالى مُسلِّ للنفس، مؤنس لها، مُهوِّنَ للصبر.

﴿١٤ ـ ٥٤﴾ ﴿واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب \* يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج \* إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير \* يوم علينا يسير \* نحن أعلم بما يقولون علينا يسير \* نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بعبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ أي: ﴿واستمع﴾ بقلبك نداء المنادي وهو إسرافيل عليه السلام، نداء المنادي وهو إسرافيل عليه السلام، قريب﴾ من الحلق أي كل الخلائق يسمعون قريب﴾ من الحلق أي: كل الخلائق يسمعون تلك الصيحة أي: كل الخلائق يسمعون تلك الصيحة المؤعجة المهولة ﴿بالحق﴾ الذي لا شك فيه ولا امتراء.

﴿ذلك يوم الخروج﴾ من القبور، الذي انفرد به القادر على كل شيء، ولهذا قال: ﴿إِنَا نَحِن نَحِيي وَنَمِيت وإلينا المصير \* يوم تشقق الأرض

<sup>(</sup>١) من قوله: ويحتمل إلى: هذا هو الظاهر ليس في ب.

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: وارتفع.

<sup>(</sup>٣) في ب: لم يصغ.

<sup>(</sup>٤) في ب: من الأرض.

عنهم أي: عن الأموات(١).

﴿سراعاً ﴾ أي: يسرعون لإجابة الداعي لهم إلى موقف القيامة، ﴿ذلك حشر علينا يسير ﴾ أي: هين (٢) على الله، يسير لا تعب فيه ولا كلفة، ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ لك مما يحزنك من الأذي، وإذا كنا أعلم بذلك، فقد علمت كيف اعتناؤنا بك، وتيسيرنا لأمورك، ونصرنا لك على أعدائك، فليفرح قلبك، ولتطمئن نفسك، ولتعلم أننا أرحم بك وأرأف من نفسك، فلم يبق لك إلا انتظار وعد الله، والتأسِّي بأولي العزم من رسل الله، ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ أي: مسلط عليهم ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) ولهذا قال: ﴿فَذَكُرُ بالقرآن من بخاف وعيد ﴾ والتذكير [هو] تذكير ما تقرر في العقول والفطر، من محبة الخير وإيثاره وفعله، ومن بغض الشر ومجانبته، وإنما يتذكر بالتذكير من يخاف وعيد الله، وأما من لم يخف الوعيد ولم يؤمن به، فهذا فائدة تذكيره إقامة الحجة عليه، لئلا يقول: ﴿مَا جَاءَنَا مِن بِشَيْرِ وَلَا نَذَيْرٍ ﴾ .

آخر تفسير سورة ق، والحمدله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً

# تفسير سورة الذاريات مكيـــة

(١-١٠ ﴿ بسم الله السرحمين الرحميم والذاريات ذرواً \* فالحاملات ووراً \* فالحسمات ووراً \* فالمحسمات أمراً \* إنما توعدون لصادق \* وإنَّ المدين لواقع \* هذا قسم من الله الصادق في قيله ، بهذه المخلوقات العظيمة التي جعل الله فيها من المصالح والمنافع ما جعل على أن وعده صدق ، والمحاسبة على الأعمال ، لواقع لا والمحاسبة على الأعمال ، لواقع لا الصادق العظيم وأقسم عليه ، وأقام الأدلة واله اهمن عله ، فلم مكذب به الأدلة واله اهمن عله ، فلم مكذب به

الكذبون، ويعرض عن العمل له العاملون.

والمراد بالذاريات: هي الرياح التي تذروا في هبوبها (فروا) بلينها، ولطفها، وقوبها، وإزعاجها، (والحاملات وقراً) السحاب، تحمل والعباد، و(الجاريات يسراً): النجوم والعباد، و(الجاريات يسراً): النجوم التي تجري على وجه اليسر والسهولة، فتتزين بها السماوات، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وينتفع بالاعتبار بها، (والمقسمات أمراً): الملائكة التي تقسم الأمر وتدبره بإذن الله، فكل منهم قد جعله الله على تدبير أمر من أمور الدنيا وأمور الآخرة، لا يتعدى ما قدّر له وما حُدّ ورسم، ولا ينقص

﴿٧ \_ ٩ ﴾ ﴿والـــــاء ذات الحبك \* إنكم لفي قول مختلف \* يؤفك عنه من أفك اي: والسماء ذات الطرائق الحسنة، التي تشبه حبك الرمال، ومياه الغدران، حين يحركها النسيم، ﴿إِنكِم ﴾ أيها المكذبون الحمد ﷺ ، ﴿لَفِي قُول مُختلف ﴾ منكم من يقول ساحر، ومنكم من يقول كاهن، ومنكم من يقول مجنون، إلى غير ذلك من الأقوال المختلفة، الدالة على حيرتهم وشكهم، وأن ما هم عليه باطل، ﴿يؤنك عنه من أفك ﴾ أي: يصرف عنه من صرف عن الإيمان، وانصرف قلبه عن أدلة الله اليقينية وبراهينه، واختلاف قولهم دليل على فساده وبطلانه، كما أن الحق الذي جاء به محمد عَيْنَةُ ، متفق [يصدق بعضه بعضاً] لا تناقض فيه ولا اختلاف، وذلك دليل على صحته، وأنه من عند الله ﴿ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ .

وأن الله بين الله ي هو يوم الجزاء ﴿١٠ ــ ١٤ ﴾ ﴿ قتل الخراصون \* والمحاسبة على الأعمال، لواقع لا الذين هم في غمرة ساهون \* يسألون عالة، ما له من دافع، فإذا أخبر به أيّان يوم الله ين \* يوم هم على النّار الصادق العظيم وأقسم عليه، وأقام يفتنون \* ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم الأدلة والبراهين عليه، فلم يكذب به به تستعجلون ﴾ يقول تعالى: ﴿ قتل

وَلَقَدَ عَلَقَ الْإِسْنَ وَتَعَلَّمُ الْوَسُوسُ بِدِيهُ مَشْمُ وَحَعْنَ أَوْنَ إِلَيْهِ مِنْ عَلَيْ الْمِيدِ فَ الْمُعْنَ وَمَا الْمِيدِ فَي الْمُعْنِ وَمَا الْعَلَيْلَ اللّهِ الْمِيدِ فَي الْمُعْنِ الْمُعِلَّمُ الْمُعْنِ الْمُعْنِ الْمُعْنِ الْمُعْنِ الْمُعْنِ الْمُعْنِ الْمُعْنَ وَمَا الْمَعْنَ الْمَعْنَ اللّهُ وَمَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَمَا اللّهُ اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ اللّهُ وَمَا اللّهُ اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا الل

DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF الخراصون، أي: قاتل الله الذين كذبوا على الله، وجحدوا آياته، وخاضوا بالباطل، ليدحضوا به الحق، الذين يقولون على الله ما لا يعلمون، ﴿الذين هم في غمرة ﴾ أي: في لجة من الكفر والجهل والضلال، ﴿ساهون﴾ ﴿يسألون﴾ على وجه الشك والتكذيب أيّان يبعثون أي: متى يبعثون، مستبعدين لذلك، فلا تسأل عن حالهم وسوء مآلهم ﴿يوم هم على النار يفتنون أي: يعذبون بسبب ما انطووا عليه من حبث الباطن والظاهر، ويقال [لهم]: ﴿ ذُوقُوا فَتَنْتُكُم ﴾ أي: العذاب والنَّار، الذي هو أثر ما افتتنوا به، من الابتلاء الذي صيرهم إلى الكفر والضلال، ﴿هذا ﴾ العذاب، الذي وصلتم إليه، [هو] ﴿الذي كنتم به تستعجلون فالآن تمتعوا بأنواع العقاب والنكال، والسلاسل والأغلال، والسخط والوبال.

﴿ ١٥ - ١٩ ﴾ ﴿ إِن المتقين في جتاتٍ وعيون \* آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل لا كانوا قليلا من الليل ما يهجعون \* وبالأسحار هم يستغفرون \* وفي أموالهم حقّ للسائل والمحروم ﴾ يقول تعالى في ذكر ثواب المتقين وأعمالهم ، التي أوصلتهم (٣) إلى

ADDITION | STATE OF THE PARTY O وَكُرْ أَهْلَكُ مُنَاقِبَلَهُ مِن قَرْنِ هُرُأَشَدُ مِنْهُم بَطْشَا فَنَقَبُوا فِي ٱلْمِلَادِ هَلْ مِن تَحِيصٍ ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَيْكُرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ لَقُكِ أَوْ أَلَقَى السَّمْعَ وَهُوَشَهِيدٌ ﴿ وَلَمَّذَ خَلَقْنَا السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا يَبْنَهُمَّا فِي سِتَّةِ أَيَّامِ وَمَامَسَنَا مِن لُغُوبِ ﴿ فَأَصْبِرْعَلَ مَا يَقُولُونَ وَسَيْعْ بِحَمَّدِ رَبِّكَ قَبْلَ مُلْلُوع ٱلشَّنين وَقِبَلَ ٱلْغُرُوبِ ۞ وَمِنَ ٱلَّذِيلِ فَسَيَحْهُ وَأَدْبَرَ ٱلشُّجُودِ ۞ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مُّكَانٍ فَرَيبٍ ۞ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْمُعَيِّّ ذَاكَ يَوْمُ ٱلْخُدُوجِ ﴿ إِنَّا غَنُ غُيء وَغُيتُ وَإِلَيْنَ ٱلْمَصِيرُ۞ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَالِكَ حَشْرُ عَلَيْنَ المَي بِرُ۞ خَنْ أَعْلَرُ مِمَا يَعُولُونَّ وَمَآ أَنَّ عَلَيْهِم بِجَنَّارٍ فَنَكِّرْ بِٱلْقُرِّةِ الْإِمْنَ يَعَافُ وَعِيدِ ۞ يسلم التراكز ا وَالذَّرْرِيَتِ ذَرْقًا ۞ مَّأَكْمُولَتِ وِقُرا ۞ مَّأَجُورِيَتِ يُتَكِّرُ ۞ الْمُكَتِدَ مَنْ أَمَّا ۞ إِنَّا أَوْعَدُونَ لَسَهٰدِ قُ۞ وَالْأَلْيَنَ لَوَقِعٌ ۞

TOURSE OF MEDICAL

ذلك الجزاء: ﴿إِنَّ المُّتَّقِينَ ﴾ أي: الذين كانت التقوى شعارهم، وطاعة الله دثارهم، ﴿في جنات﴾ مشتملات على جميع [أصناف] الأشجار والفواكه التي يوجد لها نظير في الدنيا، والتي لا يوجد لها نظير، ثما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على قلوب العباد(١١)، ﴿وعيون﴾ سارحة، تشرب منها البساتين، ويشرب بها عباد الله، يفجرونها تفجيراً، ﴿آخذين ما آتاهم ربهم﴾ يحتمل أن المعنى أن أهل الجنة قد أعطاهم مولاهم جميع مناهم، من جميع أصناف النعيم، فأخذوا ذلك، راضين به، قد قرت به أعينهم، وفرحت به نفوسهم، ولم يطلبوا منه بدلاً، ولا يبغون عنه حولاً، وكل قد ناله من النعيم ما لا يطلب عليه الزيد، ويحتمل أن هذا وصف المتقين في الدنيا، وأنهم آخذون ما آتاهم الله، من الأوامر والنواهي أي: قد تلقوها بالرحب وانشراح الصدر، منقادين لما أمر الله به، بالامتثال على أكمل

الوجوه، ولما نهى عنه، بالانزجار عنه لله، على أكمل وجه، فإن الذي أعطاهم الله من الأوامر والنواهي هو أفضل العطايا، التي حقها أن تتلقى بالشكر [لله] عليها والانقياد.

والمعنى الأول ألصق بسياق الكلام، لأنه ذكر وصفهم في الدنيا، وأعمالهم بقوله: ﴿إنهم كانوا قبل ذلك الوقت الذي وصلوا به إلى النعيم ﴿عسنين بأن يعبدوه كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه، فإن لم يكونوا عباد الله ببذل النفع والإحسان إلى مال، أو علم، أو جاه، أو نصيحة، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو طرق الخيرات.

حتى إنه يدخل في ذلك، الإحسان بالقول، والكلام اللين، والإحسان إلى الماليك، والبهائم المملوكة وغير المملوكة (٣)، ومن أفضل أنواع الإحسان في عبادة الخالق، صلاة الليل، الدالة على الإخلاص، وتواطؤ القلب واللسان، ولهذا قال: ﴿كَانُوا﴾ أي: المحسنون ﴿قليلاً من الليل ما يهجعون اي: كان هجوعهم أي: نومهم بالليل قليلاً، وأما أكثر الليل، فإنهم قانتون لربهم، ما بين صلاة، وقراءة، وذكر، ودعاء، وتضرع، ﴿وبِالأسحارِ التي هي قبيل الفجر ﴿هم يستغفرون﴾ الله تعالى، فمدوا صلاتهم إلى السحر، ثم جلسوا في خاتمة قيامهم بالليل، يستغفرون الله تعالى، استغفار المذنب لذنبه، وللاستغفار بالأسحار فضيلة وخصيصة ليست لغيره، كما قال تعالى في وصف أهل الإيمان والطاعة: ﴿وَالْسَتَغَفِّرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ ﴿وَفَي

أموالهم حق واجب ومستحب (السائل والمحروم أي: للمحتاجين الذين يطلبون من الناس، والذين لا يطلبون منهم (1).

﴿ ٢٠ ــ ٢٣﴾ ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين \* وفي أنَّفسكم أفلا تبصرون \* وفي السماء رزقكم وما توعدون \* فورب السماء والأرض إنه لحقّ مثل ما أنكم تنطقون♦ يقول تعالى \_ داعياً عباده إلى التفكر والاعتبار \_: ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين وذلك شامل لنفس الأرض، وما فيها من جبال وبحار وأنهار وأشجار ونبات، تدل المتفكر فيها، المتأمل لمعانيها، على عظمة خالقها، وسعة سلطانه، وعميم إحسانه، وإحاطة علمه بالظواهر والبواطن. وكذلك في نفس العبد من العبر والحكمة والرحمة ما يدل على أن الله وحده الأحد(٥) الفرد الصمد، وأنه لم يخلق الخلق سدى.

وقوله: ﴿وفي السماء رزقكم﴾
أي: مادة رزقكم من الأمطار،
وصنوف الأقدار، الرزق الديني
والدنيوي، ﴿وما توعدون﴾ من الجزاء
في الدنيا والآخرة، فإنه ينزل من
عند الله كسائر الأقدار، فلما بين
الآيات ونبه عليها تنبيها ينتبه به الذكي
وجزاءه حق، وشبه ذلك بأظهر الأشياء
[لنا] وهو النطق، فقال: ﴿فورب
السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم
تنطقون﴾ فكما لا تشكون في
نطقكم، فكذلك لا ينبغي الشك في
البعث بعد الموت(٢).

﴿٢٤ ــ ٣٧﴾ ﴿ هـل أتـاك حـديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه

<sup>(</sup>١) في ب: قلب بشر.

<sup>(</sup>٢) في ب: من وجوه البر.

<sup>(</sup>٣) كذا في ب، وفي أ: التي تملك والتي لا تملك.

<sup>(</sup>٤) في ب: والذين لا يسألونهم.

 <sup>(</sup>٥) في ب: أن الله واحد أحد.

<sup>(</sup>٦) في ب: فكذلك ينبغي أن لا يعتريكم الشك في البعث والجزاء.

فقالوا سلاماً قال سلام قومٌ منكرون \* فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين \* فقربه إليهم قال ألا تأكلون \* فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم \* فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوزٌ عقيم \* قالوا كذلك قال ربك إنّه هو الحكيم العليم \* [قال فما خطبكم أيهاً المرسلون \* قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين \* لنرس عليهم حجارة من طين \* مسوقة عند ربك للمسرفين \* فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين \* فما وجدنا فيها غير بيت من السملمين \* وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم]﴾ يقول تعالى: ﴿ هِلَ أَتَاكُ ﴾ أي: أما جاءك ﴿ حديث ضيف إبراهيم المكرمين ونبأهم الغريب العجيب، وهم الملائكة الذين أرسلهم الله لإهلاك قوم لوط، وأمرهم بالمرور على إبراهيم، فجاؤوه في صورة أضياف.

﴿إِذْ دَخُلُوا عَلَيْهُ فَقَالُوا سَلَّاماً قَالَ ﴾ مجيباً لهم ﴿سلام ﴾ أي: عليكم ﴿قوم منكرون، أن أنتم قوم منكرون، فأحب أن تعرفوني بأنفسكم، ولم يعرفهم إلا بعد ذلك.

ولهذا راغ إلى أهله أي: ذهب سريعاً في خفية ، ليحضر لهم قراهم ، ﴿ فَجاء بِعجل سمين \* فقرَّبه إليهم ﴾ وعرض عليهم الأكبل، فـ ﴿قَالَ أَلَا تأكلون \* فأوجس منهم خيفة > حين رأى أيديهم لا تنصل إليه، ﴿قالوا لا تخف وأخبروه بما جاؤواله ﴿وبشروه بغلام عليم﴾ وهو إسحاق عليه السلام، فلما سمعت المرأة البشارة ﴿ أَقبِلَت ﴾ فرحة مستبشرة ﴿ في صرة ﴾ أي: صيحة ﴿فصكت وجهها﴾ وهذا من جنس ما يجري من النساء عند السرور [ونحوه] من الأقوال والأفعال المخالفة للطبيعة والعادة، ﴿وقالت عجوز عقيم الله أي: أنَّى لي الولد، وأنا عجوز، قد بلغت من السن، ما لا تلد

معه النساء، ومع ذلك، فأنا عقيم، غير صالح رحمي للولادة أصلاً، فَثَمَّ مانعان، كُلُّ منهمًا مانع من الولد، وقد ذكرت المانع الثالث في سورة هود بقولها: ﴿وهذا بعلى شيخاً إن هذا لشيء عجيب،

﴿قَالُوا كَذَلَكِ قَالَ رَبُّكُ أَي: اللهُ الذي قدر ذلك وأمضاه، فلا عجب في قدرة الله تعالى ﴿إنه هو الحكيم العليم﴾ أي: الذي يضع الأشياء مواضعها، وقد وسع كل شيء علماً فسلموا لحكمه، واشكروه على نعمته.

قال لهم إبراهيم عليه السلام: ﴿ فما خطبكم أيها المرسلون الآيات، أي: ما شأنكم وما تريدون؟ لأنه استشعر (۱) أنهم رسل، أرسلهم الله لبعض الشؤون المهمة.

﴿٣٢﴾ ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ وهم قوم لوط، قد أجرموا، أشركوا بالله، وكذبوا رسولهم، وأتوا الفاحشة الشنعاء التي ما سبقهم إليها أحد من العالمين.

﴿لنرسل عليهم حجارة من طين \* مسوَّمة عند ربك للمسرفين ﴾ أي: معلمة، على كل حجر منها سمة صاحبه (٢)، لأنهم أسرفوا وتجاوزوا الحد، فجعل إبراهيم يجادلهم في قوم لوط، لعل الله يدفع عنهم العذاب، فقال الله: ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرَضُ عَنَّ هَذَا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود🗲.

﴿ فَأَخْرِجِنَا مِنْ كَانَ فَيِهَا مِنْ المؤمنين \* فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ، وهم بيت لوط عليه السلام، إلا امرأته، فإنها من المهلكين.

﴿وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم﴾ يعتبرون بها ويعلمون أن الله شديد العقاب، وأن رسله صادقون مصدوقون.

# فصل في بعض ما تضمنته هذه القصة من الحكم والأحكام

منها: أن من الحكمة، قص الله على عباده نبأ الأخيار والفجار، ليعتبروا بحالهم (٣)، وأين وصلت بهم الأحوال.

ومنها: فضل إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، حيث ابتدأ الله قصته بما يدل على الأهتمام بشأنها، والاعتناء

ومنها: مشروعية الضيافة، وأنها من سنن إبراهيم الخليل، الذي أمر الله هذا النبي (٤) وأمته، أن يتبعوا ملته، وساقها الله في هذا الموضع، على وجه المدح له والثناء.

ومنها: أن الضيف يكرم بأنواع الإكرام، بالقول والفعل، لأن الله وصف أضياف إبراهيم بأنهم مكرمون أي: أكرمهم إبراهيم، ووصف الله ما صنع بهم من الضيافة قولاً وفعلاً، ومكرمون أيضاً عند الله تعالى.

ومنها: أن إبراهيم عليه السلام، قد كان بيته مأوى للطارقين والأضياف، لأنهم دخلوا عليه من غير إستئذان، وإنما سلكوا طريق الأدب في الابتداء بالسلام<sup>(ه)</sup>، فرد عليهم إبراهيم سلاماً أكمل من سلامهم وأتم، لأنه أتي به جملة اسمية دالة على الثبوت والاستقرار.

ومنها: مشروعية تعرف من جاء إلى الإنسان، أو صار له فيه نوع اتصال، لأن في ذلك فوائد كثيرة.

ومنها: أدب إبراهيم ولطفه في الكلام، حيث قال: ﴿قوم منكرون﴾ ولم يقل: «أنكرتكم» [وبين اللفظين من الفرق ما لا يخفى].

ومنها: المبادرة إلى الضيافة والإسراع بها، لأن خير البر عاجله [ولهذا بادر إبراهيم بإحضار قِرَى

ومنها: أن الذبيحة الحاضرة، التي

(1)

في ب ليعتبروا بهم.

أمر الله محمداً وأمته. (٤)

كذا في ب، وفي أ: علم. في ب على كل حجر اسم صاحبه. **(Y)** 

<sup>(</sup>٥) في ب: في ابتداء السلام.

قد أعدت لغير الضيف الحاضر (١)، إذا جعلت له، ليس فيها أقل إهانة، بل ذلك من الإكرام، كما فعل إبراهيم عليه السلام، وأخبر الله أن ضيفه مكرمون.

ومنها: ما من الله به على خليله إبراهيم، من الكرم الكثير، وكون ذلك حاضراً عنده (٢)، وفي بيته معداً، لا يحتاج إلى أن يأتي به (٢) من السوق أو الجيران، ولا غير ذلك.

ومنها: أن إبراهيم، هو الذي خدم أضيافه، وهو خليل الرحمن، وكبير (٤) من ضيَّف الضيفان.

ومنها: أنه قرّبه إليهم في المكان الذي هم فيه، ولم يجعله في موضع، ويقول لهم: «تفضلوا، أو انتوا إليه» لأن هذا أيسر عليهم وأحسن.

ومنها: حسن ملاطفة الضيف في الكلام اللين، خصوصاً عند تقديم الطعام إليه، فإن إبراهيم عرض عليهم عرضاً لطيفاً، وقال: ﴿الا تأكلون﴾ ولم يقل: ﴿الا تأكلون﴾ التي غيرها أولى منها، بل أتى بأداة العرض، فقال: ﴿الا تأكلون﴾ فينبغي للمقتدي به أن يستعمل من الألفاظ الحسنة، ما هو المناسب واللائق بالحال، كقوله لأضيافه: «ألا تأكلون» أو: «ألا تتفضلون علينا وتشرفوننا وتعسنون إلينا»، ونحوه.

ومنها: أن من خاف من الإنسان (٥) لسبب من الأسباب، فإن عليه أن يزيل عنه الخوف، ويذكر له ما يؤمن روعه، ويسكن جأشه، كما قالت الملائكة لإبراهيم [لما خافهم]: ﴿لا تخف﴾ وأخبروه بتلك البشارة السارة بعد الخوف منهم.

ومنها: شدة فرح سارة امرأة إبراهيم، حتى جرى منها ما جرى، من صك وجهها، وصرّتها غير

المعهودة .

ومنها: ما أكرم الله به إبراهيم وزوجته سارة، من البشارة بغلام على

﴿٣٨ ـ ٤٠) وقوله تعالى: ﴿وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين \* فتولى بركنه وقال ساحرٌ أو بجنون \* فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم﴾ أي: ﴿وفي موسى﴾ وما أرسله الله به إلى فرعون ومكيّه بالآيات البينات، والمعجزات الظاهرات، آية للذين يخافون العذاب الأليم، فلما أتى موسى (٦) بذلك السلطان المبين، فتولى فرعون ﴿بركنه﴾ أي: أعرض بجانبه عن الحق ولم يلتفت إليه، وقدح فيه أعظم القدح، فقالوا: ﴿ساحر أو مجنون﴾ أي: إن موسى، لا يخلو إما إن يكون ساحراً وما أتىٰ به شعبذة (٧) ليس من الحق في شيء، وإما أن يكون مجنوناً لا يؤاخذ بما صدر منه لعدم عقله.

هذا، وقد علموا، خصوصاً فرعون، أن موسى صادق، كما قال تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم [ظلماً وعُلُواً]﴾ وقال موسى لفرعون: ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء الآرض [بصائر﴾ الآية]، ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في الله وهو مليم﴾ أي: مذنب طاغ، عات على الله، فأخذه الله أخذ عزيز مقتد.

كالرميم أي: كالرمم البالية، فالذي أهلكهم على قوتهم وبطشهم، دليل على [كـمال] قوته واقتداره، اللذي لا يعجزه شيء، المنتقم ممن عصاه.

(٣٤ ـ ٤٥) ﴿ وَفَي نُمُود إِذَ قَيلُ لَهِم مَتَعُوا حَتَى حَينَ \* فَعَتُوا عَنَ أَمْرُ رَبِهِم فَأَخَلَبُم الصَاعَة وهم ينظرون \* فَمَا استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين ﴾ أي: ﴿ وَفِي تُمُود ﴾ [آية عظيمة]، حين أرسل الله إليهم صالحاً عليه السلام، فكذبوه وعاندوه، وبعث الله له الناقة آية مبصرة، فلم يزدهم ذلك إلا عتواً ونفوراً.

فقيل ﴿لهم تمتعوا حتى حين \*
فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة ﴾
أي: الصيحة العظيمة المهلكة ﴿وهم
ينظرون ﴾ إلى عقوبتهم بأعينهم،
﴿فما استطاعوا من قيام ﴾ ينجون به من
العذاب، ﴿وما كانوا منتصرين ﴾
لأنفسهم.

﴿ ٢٤ ﴾ ﴿ وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾ أي: وكذلك ما فعل الله بقوم نوح، حين كذبوا نوحاً عليه السلام وفسقوا عن أمر الله، فأرسل الله عليهم السماء والأرض بالماء المنهمر، فأغرقهم الله تعالى [عن آخرهم]، ولم يبق من الكافرين دياراً، وهذه عادة الله وسنته فيمن عصاه.

﴿٧٤ ـ ١٥﴾ ﴿والسماء بنيناها بمأييد وإنا لموسعون \* والأرض فرسناها فنعم الماهدون \* ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون \* ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين \* نذير مبين ﴾ يقول تعالى مبيناً لقدرته العظيمة: ﴿والسماء بنيناها ﴾ أي: خلقناها وأتقناها، وجعلناها سقفاً للأرض وما عليها.

﴿بأبيدِ﴾ أي: قوة وقدرة عظيمة

(٨) في ب: تقديم وتأخير في هذا

الكلام.

<sup>(</sup>٦) كذا في ب، مصححة في الهامش،وفي أ: فلما أتى فرعون.

<sup>(</sup>٧) في ب: إما أن يكون ما أتى به سحراً وشعبذة.

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ: الخاص.

<sup>(</sup>٢) في ب: لديه.

<sup>(</sup>٣) كذا في ب، وفي أ: أن يستلحقه.

<sup>(</sup>٤) في ب: وسيد.

<sup>(</sup>٥) في ب: من أحد.

﴿وإنا لموسعون﴾ لأرجائها وأنحائها، وإنا لموسعون [أيضاً] على عبادنا بالرزق الذي ما ترك الله دابة في مهامه القفار، ولجح البحار، وأقطار العالم العلوي والسفلي، إلا وأوصل إليها من الرزق، ما يكفيها، وساق إليها من الإحسان ما يغنيها.

فسبحان من عم بجوده جميع المخلوقات، وتبارك الذي وسعت رحمته جميع البريبات، ﴿والأرض فرشناها ﴾ أي: جعلناها فراشاً للخلق، يتمكنون فيها من كل ما تتعلق به مصالحهم، من مساكن وغراس وزرع وحرث وجلوس، وسلوك للطرق الموصلة إلى مقاصدهم ومآربهم، ولما كان الفراش قد يكون صالحاً للانتفاع من كل وجه، وقد يكون من وجه دون وجه، أخبر تعالى أنه مهدها أحسن مهاد، على أكمل الوجوه وأحسنها، وأثنى على نفسه بذلك، فقال: ﴿فنعم الماهدون، الذي مهد لعباده ما اقتضته الماهدون، [حكمته و] رحمته وإحسانه، ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴿ [أي: صنَّفين] أن ذكر وأنثى، من كل نوع من أنواع الحيوانات، ﴿لعلكم تذكرون﴾ [لنعم الله التي أنعم بها عليكم](١) في تقدير ذلك، وحكمته حيث جعل ما هو السبب لبقاء نوع الحيوانات كلها، لتقوموا بتنميتها وخدمتها وتربيتها، فيحصل من ذلك ما يحصل من المنافع.

فلما دعا العباد إلى النظر لآياته الموجبة لخشيته والإنابة إليه، أمر بما هو المقصود من ذلك، وهو الفرار إليه أي : الفرار مما يكرهه الله ظاهراً وباطناً إلى ما يجبه، ظاهراً وباطناً، فرار من المجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الغفلة إلى ذكر الله، فمن استكمل هذه الأمور، فقد استكمل الدين كله وقد زال عنه المرهوب، وحصل له نهاية

المراد<sup>(٢)</sup> والمطلوب.

وسمى الله الرجوع إليه فراراً، لأن فى الرجوع لغيره أنواع المخاوف والمكاره، وفيي الرجوع إليه أنواع المحاب والأمن [والسرور] والسعادة والفوز، فيفرّ العبد من قضائه وقدره إلى قضائه وقدره، وكل من خفت منه فررت منه إلا الله تعالى، فإنه بحسب الخوف منه يكون الفرار إليه، ﴿إن لكم منه نذير مبين اي: منذر لكم من عذاب الله، ومخوف بين النذارة، ﴿ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر﴾ هذا من الفرار إلى الله، بل هذا أصل الفرار إليه أن يفر العبد من اتخاذ آلهة غير الله من الأوثان والأنداد والقبور، وغيرها، مما عبد من دون الله، ويخلص العبد لربه العبادة والخوف والرجاء والدعاء والإنابة.

﴿٥٣ ـ ٣٥﴾ ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون \* أتواصوا به بل هم قومٌ طاغون﴾ يقول الله مسلياً لرسوله ﷺ عن تكذيب المشركين بالله، الكذبين له، القاتلين فيه من الأقوال الشنيعة ما هو منزه عنه، وأن هذه الأقوال ما زالت دأباً وعادة للمجرمين المكذبين للرسل، فما أرسل الله من رسول إلا رماه قومه بالسحر أو الجنون.

يقول الله تعالى: هذه الأقوال التي صدرت منهم الأولين والآخرين ـ هل هي أقوال تواصوا بها، ولقن بعضهم بعضاً بها؟

فلا يستغرب \_بسبب ذلك \_ اتفاقهم عليها: ﴿أم هم قوم طاغون﴾ تشابهت قلوبهم وأعمالهم بالكفر والطغيان، فتشابهت أقوالهم الناشئة عن طغيانهم؟ وهذا هو الواقع، كما قال تعالى: ﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال

الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم وكذلك المؤمنون، لما تشابهت قلوبهم بالإذعان للحق وطلبه والسعي فيه، بادروا إلى الإيمان برسلهم وتعظيمهم وتوقيرهم وخطابهم بالخطاب اللائق بهم.

﴿ ٥٤ \_ ٥٥ ﴾ ﴿ فتول عنهم فما أنت بملوم \* وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ يقول تعالى آمراً رسوله بالإعراض عن المعرضين المكذبين: ﴿ فتول عنهم ﴾ أي: لا تبال بهم ولا تؤاخذهم، وأقبل على شأنك.

فليس عليك لوم في ذنبهم، وإنما عليك البلاغ، وقد أديت ما حملت، وبلغت ما أرسلت به.

﴿وَذَكُر فَإِنَ الذَكرى تنفع المؤمنين﴾ والتذكير نوعان: تذكير بما لم يعرف تفصيله، مما عرف مجمله بالفطر والعقول على عبة الخير وإيشاره، وكراهة الشر والزهد فيه، وشرعه موافق لذلك، فكل ما أمر به ونهى من الشرع، فإنه من التذكير، أن يذكر ما في المأمور به، من الخير والحسن في المضالح، وما في المنهي عنه من المضار.

والنوع الثاني من التذكير: تذكير بما هو (1) معلوم للمؤمنين، ولكن انسحبت عليه الغفلة والذهول، فيُذكِّرون لذلك، ويكرر عليهم ليرسخ في أذهانهم، وينتبهوا ويعملوا بما تذكروه من ذلك، وليحدث لهم نشاطأ وهمة، توجب لهم الانتفاع والارتفاع.

وحمه، نوجب لهم الانفاع والارتفاع.
وأخبر الله أن اللذكبرى تخفع
المؤمنين، لأن ما معهم من الإيمان
والخشية والإنابة واتباع رضوان الله،
يوجب لهم أن تنفع فيهم الذكرى،
وتقع منهم الموعظة موقعها، كما قال
تعالى: ﴿فَذَكُر إِنْ نَفْعَتُ الذّكرى \*
سيذُكر من يُحْشى \* ويتجنبها

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ: نعمة الله عليكم.

<sup>(</sup>٢) في ب: غاية المراد.

<sup>(</sup>٣) كذا في ب، وفي أ: مما عرف بالفطر والعقول مجمله.

<sup>(</sup>٤) كذا في ب، وفي أ: ما..

الأشقى ﴾ وأما من ليس له معه إيمان ولا استعداد لقبول التذكير، فهذا لا ينفع تذكيره، بمنزلة الأرض السبخة التي لا يفيدها المطر شيئاً، وهؤلاء الصنف، لو جاءتهم كل آية لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم.

﴿ ٥٦ ـ ٥٦ ﴾ ﴿ وما خلقت الحن والإنس إلا ليعبدون ﴿ ما أريد منهم من رزق وما أربد أن يبطعمون ﴿ إِنَّ الله هو الرزاق ذو القوة المين ﴾ هذه المغاية التي خلق الله الجن والإنس لها عبادته المتضمنة لمعرفته وعبته ، والإغراض عمن اليه والإقبال عليه ، والإعراض عمن سواه ، وذلك يتضمن (١) معرفته تعالى ، فإن تمام العبادة ، متوقف على المعرفة لربه ، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه ، كانت عبادته أكمل ، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله ، فما خلقهم خلجة منه إليهم .

فما يريد منهم من رزق وما يريد أن يطعموه، تعالى الله الغنى المغنى عن الحاجة إلى أحد بوجه من الوجوه، وإنما جميع الخلق فقراء إليه، في جميع حوائجهم ومطالبهم، الضرورية وغيرها، ولهذا قال: ﴿إِنَّ الله هو الرزاق﴾ أي: كثير الرزق، الذي ما من دابة في الأرض ولا في السماء إلا على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها، ﴿ ذو القوة المتين ﴾ أي: الذي له القوة والقدرة كلها، الذي أوجد بها الأجرام العظيمة ، السفلية والعلوية، وبها تصرف في الظواهر والبواطن، ونفذت مشيئته في جميع البريات، فما شاء الله كان، وماً لم يشأً لم يكن، ولا يعجزه هارب، ولا يخرج عن سلطانه أحد، ومن قوته أنه أوصلَ رزقه إلى جميع العالم، ومن قدرته وقوته أنه يبعث الأموات بعدما مزقهم البلي، وعصفت بترابهم (٢) الرياح، وابتلعتهم الطيور والسباع، وتفرقوا وتمزقوا في مهامه القفار، ولجج البحار، فلا يفوته

منهم أحد، ويعلم ما تنقص الأرض منهم، فسبحان القوى المتين.

﴿ ٥٩ - ٦٠ ﴾ ﴿ فإن للذين ظلموا ذنوباً مشل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون \* فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون ﴾ أي: وإن للذين ظلموا وكذبوا (٣) محمداً ﷺ من

للذين ظلموا وكذبوا(٢) محمداً عَمَداً الله من العذاب والنكال ﴿ ذنوباً ﴾ أي: نصيباً وقسطاً، مثل ما فعل بأصحابهم من أهل الظلم والتكذيب.

وفلا يستعجلون بالعذاب، فإن سنة الله في الأمم واحدة، فكل مكذب يدوم على تكذيبه من غير توبة وإنابة، فإنه لا بعد أن يقع عليه العذاب، ولو تأخر عنه مدة، ولهذا وعدهم الله بيوم القيامة، فقال: وعدون وهو يوم القيامة، الذي قد وعدوا فيه بأنواع العذاب والنكال والسلاسل والأغلال، فلا مغيث لهم، ولا منقذ من عذاب الله تعالى [نعوذ بالله منه].

### تفسير سورة الطور، مكيسة

﴿١٦١﴾ ﴿بسم الله السرحسن الرحيم والطور \* وكتاب مسطور \* في رق منشور \* والبيت المعمور \* والسقف المرفوع \* والبحر المسجور \* إنّ عبذاب ربك لواقع \* ماليه من دافع \* يوم تمور السماء موراً \* وتسير الجيبال سيراً \* فويلٌ يومئذ للمكذبين \* الذين هم في خوض يلعبون \* يوم يدعّون إلى نار جهنّم دعما \* هـذه الـتّار الـتـى كـنـتـم بهـأ تكذبون \* أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون \* اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواءً عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون، يقسم تعالى بهذه الأمور العظيمة ، المشتملة على الحكم الجليلة ، على البعث والجزاء للمتقين والمكذبين، فأقسم بالطور الذي هو الجبل الذي

كلم الله عليه نبيه موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام، وأوحى إليه ما أوحى من الأحكام، وفي ذلك من المنة عليه وعلى أمته، ما هو من آيات الله العظيمة، ونعمه التي لا يقدر العباد لها على عَدُ ولا ثمن.

﴿وكتاب مسطور﴾ يحتمل أن المراد به اللوح المحفوظ، الذي كتب الله به كل شيء، ويحتمل أن المراد به القرآن الكريم، الذي هو أفضل كتاب<sup>(3)</sup>، أنزله الله محتوياً على نبأ الأولين والآخرين، وعلوم السابقين واللاحقين.

وقوله: ﴿في رقُ﴾ أي: ورقُ ﴿منشور﴾ أي: مكتوب مسطر، ظاهر غير خفي، لا تخفى حاله على كل عاقل بصير.

والبيت المعمور وهو البيت الذي فوق السماء السابعة، المعمور مدى الأوقات بالملائكة الكرام، الذي يدخله كل يوم سبعون ألف ملك [يتعبدون فيه لربهم ثم]، لا يعودون الله إلى يوم القيامة وقيل: إن البيت المعمور هو بيت الله الحرام، المعمور بالطائفين والمصلين والذاكرين كل وقت، وبالوفود إليه بالحج والعمرة.

كما أقسم الله به في قوله: ﴿وهذا البلد الأمين﴾ وحقيق ببيت أفضل بيوت الأرض، الذي قصده بالحج والعمرة، أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام، التي لا يتم إلا بها، وهو وجعله الله مثابة للناس وأمناً، أن يقسم الله به، ويبين من عظمته ما هو اللائق به ويحرمته.

﴿والسقف المرفوع﴾ أي: السماء، التي جعلها الله سقفاً للمخلوقات، وبناء للأرض، تستمد منها أنوارها، وينزل الله منها المطر والرحمة وأنواع الرزق.

﴿والبحر المسجور﴾ أي: المملوء

<sup>(</sup>۱) في ب: وذلك متوقف. (٣) في ب: بتكذيبهم.

٢) في ب: عصفت بهم. (٤) في ب: الكتب.

ماء، قد سجره الله، ومنعه من أن يفيض على وجه الأرض، مع أن مقتضى الطبيعة، أن يغمر وجه الأرض، ولكن حكمته اقتضت أن يمنعه عن الجريان والفيضان، ليعيش من على وجه الأرض، من أنواع الحيوان وقيل: إن المراد بالمسجور، الموقد الذي يوقد [نارأ] يوم القيامة، فيصير ناراً تلظى، ممتلئاً على عظمته وسعته من أصناف العذاب.

هذه الأشياء التي أقسم الله بها، مما يدل على أنها من آيات الله وأدلة توحيده، وبراهين قندرته، وبعثه الأموات، ولهذا قال: ﴿إِنْ عِذَابِ ربك لواقع) أي: لا بدأن يقع، ولا يخلف آلله وعَده وقيله .

﴿مَا لَهُ مِن دَافِعِ﴾ يدفعه، ولا مانع يمنعه، لأن قدرة الله تعالى لا يغالبها مغالب، ولا يفوتها هارب، ثم ذكر وصف ذلك اليوم، الذي يقع فيه (١) العذاب، فقال: ﴿ يوم تمور السماء موراً ﴾ أي: تدور السماء وتضطرب، وتدوم حركتها بانزعاج وعدم سكون، ﴿وتسير الجبال سيراً ﴾ أي: تزول عن أماكنها، وتسير كسير السحاب، وتتلون كالعهن المنفوش، وتبث بعد ذلك [حتى تصير] مثل الهباء، وذلك كله لعظم هول يوم القيامة، وفظاعة ما فيه من الأمور المزعجة، والزلازل المقلقة، التي أزعجت هذه الأجرام العظيمة، فكيف بالآدمي الضعيف؟ أ المبرهنة الواضحة الجليَّة. ﴿ فُويِلْ يُومِنُذُ لِلْمَكَذِّبِينَ ﴾ والويل: كلمة جامعة لكل عقوبة وحزن وعذاب وخوف، ثم ذكر وصف المكذبين الذين استحقوا به الويل، فقال: ﴿الذين هم في خوض يلعبون♦أي: خوض في البأطل ولعب به. فعلومهم وبحوثهم بالعلوم الضارة المتضمنة للتكذيب

بالحق، والتصديق بالباطل، وأعمالهم وأن حجة الله قامت عليهم (٢٠). أعمال أهل الجهل والسفه واللعب، بخلاف ما عليه أهل التصديق والإيمان من العلوم النافعة، والأعمال الصالحة.

> ﴿ يُوم يَدُّ عُونَ إِلَّى نَارَ جَهِنُم دَعًا ﴾ أي: يوم يدفعون إليها دفعاً، ويساقون إليها سوقاً عنيفاً، ويجرون على وجوههم، ويقال لهم توبيخاً ولوماً: ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون فاليوم ذوقوا عذآب الخلد الذي لا يبلغ قدره، ولا يوصف أمره.

> ﴿أَفْسُحُرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمُ لَا تَبْصُرُونَ﴾ يحتمل أن الإشارة إلى النار والعذاب، كما يدل عليه سياق الآية أي: لما رأوا النار والعذاب قيل لهم من باب التقريع: «أهذا سحر لا حقيقة له، فقد رأيتموه، أم أنتم في الدنيا لا تبصرون أي: لا بصيرة لكم ولا علم عندكم، بل كنتم جاهلين بهذا الأمر، لم تقم عليكم الحجة؟ والجواب انتفاء الأمرين:

أما كونه سحراً، فقد ظهر لهم أنه أحت الحق، وأصدق الصدق، المخالف(٢) للسحر من جميع الوجوه، وأما كونهم لا يبصرون، فإن الأمر بخلاف ذلك، بل حجة الله قد قامت عليهم، ودعتهم الرسل إلى الإيمان بذلك، وأقامت من الأدلة والبراهين على ذلك، ما يجعله من أعظم الأمور

ويحتمل أن الإشارة [بقوله: (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون) إلى ما جاء به الرسول ﷺ من الحق المبين، والصراط المستقيم أي: هذا الذي جاء به محمد على المسحر أم عدم بصيرة بكم، حتى اشتبه عليكم الأمر، وحقيقة الأمر أنه أوضح من كلُّ شيء وأحق الحق،

﴿اصلوها﴾ أي: ادخلوا النار على وجه تحيط بكم، وتستوعب جميع أبدانكم(١)، وتطلع على أفئدتكم.

﴿ فَاصِبِرُوا أَو لا تصبِرُوا سُواء عليكم أي: لا يفيدكم الصبر على النار شيئاً، ولا يتأسى بعضكم ببعض، ولا يخفف عنكم العذاب، وليست<sup>(ه)</sup> من الأمور التي إذا صبر العبدعليها هانت مشقتها وزالت

وإنما فعل بهم ذلك، بسبب أعمالهم الخبيثة وكسبهم، [ولهذا قال] ﴿إِنَّمَا تَجْزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمُلُونَ﴾ ﴿

﴿٢٠ \_ ٢٠﴾ ﴿إن المتقين في جنّات ونعيم \* فاكهين بما أتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم \* كلواً واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون \* متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحود عين للاذكر تعالى عقوبة المكذبين، ذكر نعيم المتقين، ليجمع بين الترغيب والترهيب، فتكون القلوب بين الخوف والرجاء، فقال: ﴿إِنَّ المتقين الربهم، الذين اتقوا سخطه وعذابه، بفعل أسبابه من امتثال الأوامر واجتناب النواهي .

﴿ في جنات ﴾ أي: بساتين، قد اكتست رياضها من الأشجار الملتفة، والأنهار المتدفقة، والقصور المحدقة، والمنازل المزخرفة، ﴿ونعيم﴾ [وهذا] شامل لنعيم القلب والروح والبدن، ﴿فَاكُمْهُ بِنُ بِمَا أَتَاهُمْ رَبِّمْ ﴿ أَي : معجبين به، متمتعين على وجه الفرح والسرور بما أعطاهم الله من النعيم الذي لا يمكن وصفه، ولا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين، ووقاهم عذاب الجحيم، فرزقهم المحبوب،

كذا في ب، وفي أ: يقع به. (1)

<sup>(</sup>٢) في ب: المنافي.

بعد قوله والصراط المستقيم جاءت العبارة في ب مختلفة عمّا في أ، وهذا نصُّ ما في: ب: (أي: أفيتصور من له عقل أن يقول (٣) عنه: إنه سحرً، وهو أعظم الحق وأجله، ولكن لعدم بصيرتهم قالوا فيه ما قالوا).

<sup>(1)</sup> في ب: (وتشمل أبدانكم).

كذا في ب، وفي أ: وليس. (0)

ونجاهم من المرهوب، لما فعلوا ما أحبه الله، وجانبوا ما يسخطه ويأباه.

﴿كلوا واشربوا﴾ أي: عما تشتهيه أنفسكم، من [أصناف] المآكل والمشارب اللذيذة، ﴿هنيئاً﴾ أي: متهنئين بتلك المآكل والمشارب(١) على وجه الفرح والسرور والبهجة والحبور.

﴿بما كنتم تعملون﴾ أي: نلتم ما نلتم بسبب أعمالكم الحسنة، وأقوالكم المستحسنة، ﴿متكثين على سرر مصفوفة﴾ الاتكاء: هو الجلوس على وجه التمكن والراحة والاستقرار، والسرر: هي الأرائك المزينة بأنواع الزينة من اللباس الفاخر والفرش الزاهية.

ووصف الله السور بأنها مصفوفة، ليدل ذلك على كشرتها، وحسن تنظيمها، واجتماع أهلها وسرورهم، بحسن معاشرتهم، ولطف كلأم بعضهم لبعض (٢)، فلما اجتمع لهم من نعيم القلب والروح والبدن ما لا يخطر بالبال، ولا يدور في الخيال، من المآكل والمشارب [السليديدة]، والمجالس الحسنة الأنيقة، لم يبق إلا التمتع بالنساء اللاق لا يتم سرور بدونهن (٣)، فذكر الله أن ليهم من الأزواج أكمل النساء أوصافاً وخلقاً وأخلاقاً، ولهذا قال: ﴿وزوجناهم بمحور عين﴾ وهن النساء اللواق قد جمعن من جمال الصورة الظاهرة وبهائها، ومن الأخلاق الفاضلة، ما يوجب أن يحيرن بحسنهن الناظرين، ويسلبن عقول العالمين، وتكاد الأفئدة أَنْ تَطَيِّشُ ( عُ) شُوقاً إليهن ، ورغبة في وصالهن، والعِين: حسان الأعين مليحاتها، التي صفا بياضها وسوادها.

﴿ ٢١ ـ ٢١﴾ ﴿ والذيب آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بمما كسب رهين \* وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون \* يتنازعون فيها كأساً لا لغوّ فيها

ولا تأثيم \* ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون \* وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون \* قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين \* فمنَّ الله علينا ووقانا عذاب السموم \* إنّا كنا من قبل ندعوه إنّه هو البر الرحيم وهذا من تمام نعيم أهل الجنة، أن ألحق الله [بهم] ذريتهم الذين

اتبعوهم بإيمان أي: الذين لحقوهم بإيمان الصادر من آبائهم، فصارت بالإيمان، ومن باب الذرية تبعاً لهم بالإيمان، ومن باب أولى إذا تبعتهم ذريتهم بإيمانهم الصادر منهم أنفسهم، فهؤلاء المذكورون، يلحقهم الله بمنازل آبائهم، وزيادة وإن لم يبلغوها، جزاءً لآبائهم، وزيادة نوابهم، ومع ذلك، لا ينقص الله توهم متوهم أن أهل النار كذلك، يلحق الله بهم أبناءهم وذريتهم، أخبر يلحق الله بهم أبناءهم وذريتهم، أخبر الدارين حكماً واحداً،

فإن النار دار العدل، ومن عدله تعالى أن لا يعذب أحداً إلا بذنب، ولهذا قال: ﴿كل امرى، بما كسب رهين﴾ أي: مرتهن بعمله، فلا تزر وازرة وزر

اي: مرتهن بعمله، فلا تزر وازرة وزر أخرى، ولا يحمل على أحد ذنب أحد. هذا اعتراض من فوائده إزالة الوهم المذكور.

وقوله: ﴿وأمددناهم﴾ أي: أمددنا أهل الجنة من فضلنا الواسع ورزقنا العميم، ﴿بِفاكهة﴾ من العنب والرمان والتفاح، وأصناف الفواكه اللذيذة الزائدة على ما به يتقوتون، ﴿ولحم مما يشتهون﴾ من كل ما طلبوه واشتهته أنفسهم، من لحم الطير وغيرها.

﴿يتنازعون فيها كأساً ﴾ أي: تدور كاسات الرحيق والخمر عليهم ويتعاطونها فيما بينهم ، وتطوف عليهم الولدان المخلدون بأكواب وأباريق وكأس ﴿لا لغو فيها ولا تأثيم ﴾ أي: ليس في الجنة كلام لغو، وهو الذي فيه لا فائدة فيه ولا تأثيم، وهو الذي فيه إثم ومعصية، وإذا انتفى الأمران، ثبت

الأمر الثالث، وهو أن كلامهم فيها سلام طيب طاهر، مسر للنفوس، مفرح للقلوب، يتعاشرون أحسن عشرة، ويتنادمون أطيب المنادمة، ولا يسمعون من رجم، إلا ما يقر أعينهم، ويدل على رضاه عنهم [وعبته لهم].

﴿ ويطوف عليهم غلمان لهم ﴾ أي: خدم شباب ﴿ كأنهم لؤلؤ مكنون ﴾ من حسنهم وبهائهم ، يدورون عليهم بالخدمة وقضاء ما يحتاجون إليه (٥٠) وهذا يدل على كثرة نعيمهم وسعته، وكمال راحتهم.

﴿واقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ عن أمور الدنيا وأحوالها . ﴿قَالُوا ﴾ في [ذكر] بيان الذي أوصلهم إلى ما هم فيه من الحبرة والسرور: ﴿إِنَا كِنَا قِبْلَ ﴾ أي: في دار الدنيا ﴿في أهلنا مشفقين ﴾ أي: خانفين وجلين ، فتركنا من خوف الذنوب، وأصلحنا لذلك العدود .

﴿ فَمِنُ اللهُ عِلْمِنَا ﴾ بالهداية والتوفيق، ﴿ ووقانا عذاب السموم ﴾ أي: العذاب الحار الشديد حره.

إنا كنا من قبل ندعوه أن يقينا عذاب السموم، ويوصلنا إلى النعيم، وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة أي: لم نزل نستقسرب إليه بأنواع القربات (٦)، وندعوه في سائر الأوقات، ﴿إنه هو البَرُّ الرحيم فمن برَّه بنا ورحمته إيانا، أنالنا رضاه والجنة، ووقانا سخطه والنار.

(٢٩ ـ ٢٩) ﴿ فَذَكَر فَمَا أَنت بَعْمة ربك بكاهن ولا مجنون \* أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون \* قل تربصوا فإني معكم من المتربصين \* أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون \* أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون \* فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين \* أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون \* أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون \*

(1)

في ب: متهنئين بذلك على وجه.

(٣)

في ب: إلا بهنّ. (٥) في ب: وقضاء أشغالهم.

هم بعضاً. (٤) في ب: تطير. (٦) في ب: العبادات.

<sup>(</sup>۲) فى ب: وملاطفه بعضهم بعضاً.

أم عسندهم خرزائن ربك أم هم المصيطرون \* أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين \* أم له البناتُ ولكم البنون \* أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون \* أم عندهم الغيب فهم يكتبون \* أم يريدون كيدأ فالذين كفروا هم المكيدون \* أم لهم إلى غير الله سبحان الله عمّا يشركون المرتعالى رسوله ﷺ أن يذكر الناس، مسلمهم وكافرهم، لتقوم حجة الله على الظالمين، ويهتدي بتذكيره الموفقون، وأنه لا يبالي بقول المشركين المكذبين وأذيتهم وأقوالهم التي يصدون بها الناس عن اتباعه، مع علمهم أنه أبعد الناس عنها، ولهذا نَفَى عنه كُل نقص رموه به، فقال: ﴿فما أنت بنعمة ربك اي: مَنَّه ولطفه، ﴿بِكَاهِنِ ﴾ أي: له رَئِيٌّ من الجن، يأتيه بأخبار بعض الغيوب، التي يضم إليها مئة كذبة، ﴿ولا مجنون﴾ فاقد للعقل، بل أنت أكمل الناس عقلاً، وأبعدهم عن الشياطين، وأعظمهم صدقاً، وأجلهم وأكملهم، وتارة ﴿يقولون﴾ فيه: إنه ﴿شاعر﴾ يقول الشعر، والذي جاء به شعر، والله يقول: ﴿وما علَّمنَاه الشعر وما ينبغى له﴾ .

﴿نتربيص به ريب المنون﴾ أي: ننتظر به الموت<sup>(۱)</sup>، فسيبطل أمره، [ونستريح منه]، ﴿قل﴾ لهم جواباً لهذا الكلام السخيف: ﴿تربصوا﴾ أي: انتظروا بي الموت، ﴿فَإِنَّ مُعَكَّمُ من المتربصين التربص بكم، أن يصيبكم الله بعذاب من عنده، أو بأيدينا، ﴿أَم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون أي: أهذا التكذيب لك، والأقوال التي قالبوها؟ هل صدرت عن عقولهم وأحلامهم؟ فبئس العقول والأحلام، التي أثرت ما

أثرت، وصدر منها ما صدر(٢).

فإن عقولاً جعلت أكمل الخلق عقلاً مجنوناً، وأصدق الصدق (٣) وأحق الحق كذبأ وباطلاً، لَهيَ العقول التي ينزه المجانين عنها، أم الذي حملهم على ذلك ظلمهم وطغيانهم؟ وهو الواقع، فالطغيان ليس له حد (١) يقف عليه، فلا يستغرب من الطاغي المتجاوز الحد كل قول وفعل صدر منه .

﴿ أُم يقولون تقوله ﴾ أي: تقول محمد القرآن، وقاله من تلقاء نفسه؟ ﴿بل لا يؤمنون﴾ فلو آمنوا، لم يقولوا ما قالوا.

﴿ ٣٤﴾ ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ أنه تقوله، فإنكم العرب الفصحاء، والفحول البلغاء، وقد تحداكم أن تأتوا بمثله، فتصدق معارضتكم أو تقروا بصدقه، وأنكم لو اجتمعتم، أنتم والإنس والجن، لم تقدروا على معارضته والإتيان بمثله، فحينتذ أنتم بين أمرين: إما مؤمنون به، مهتدون بهدیه، وإما معاندون متبعون لما علمتم من الباطل.

﴿ أُم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾ وهذا استدلال عليهم، بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق، أو الخروج عن موجب العقل والدين، وبسيان ذلسك: أنهسم مسنسكسرون لتوحيد الله، مكذبون لرسوله، وذلك مستلزم لإنكار أن الله خلقهم.

وقد تقرر في العقل مع الشرع، أن الأمور لا يخلو من أحد ثلاثة أمور:

إما أنهم خلقوا من غير شيء أي: لا خالق خلقهم، بل وجدوا من غير إيجاد ولا موجد، وهذا عين المحال.

أم هم الخالقون لأنفسهم، وهذا أيضاً محال، فإنه لا يتصور أن يوجِدوا أنفسهم (٥)

فإذا بطل [هذان] الأمران، وبان ولا نشور.

**《新聞歌》。《新聞歌》** ا وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۞ إِنَّكُولَىٰ قَوْلِ تُخْسَلِفِ ۞ يُوْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَيْكَ ۞ قُلِلَ ٱلْحُرَّرَ سُونَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَ فِسَاهُونَ۞ يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الَّذِينِ ۞ يَوْمَ هُرَّعَلَ النَّارِيفَتَنُونَ ۞ دُوقُواْ فِنْتَكُرُّ هَانَا الَّذِيكُنُمُ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿ إِنَّ الْمُقَيِّنَ فِ جَنَّتِ وَعُمُونِ ﴿ النيفيذين مَأْءَالنَهُمُ رَبُّهُمُ إِنَّهُمْ كَانُواْ فَبَلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿ كَانُواْ الْ قِلِيلَاقِنَ اللَّهِ مَايَةِ جَعُونَ ﴿ وَيَالْاَتْهَارِهُمْ يَسَتَغَفِرُونَ ﴿ وَفِي أَمُوَا لِمِهُ مَحَقُّ لِلسَّآبِلِ وَالْخُرُومِ ۞ وَفِي ٱلْأَرْضِ مَ لِنَتَّ لِلْمُوفِينَ ۞ وَفِيَ أَنفُسِكُمُ أَفَلَا نُتَعِدُونَ۞ وَفِ ٱلشَّمَآءِ رِزْفَكُمُ وَمَا فُوعَدُونَ ۞ فَرَتِ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ إِنَّمْلِكَ فَأَمْثِلَمَا أَنَّكُمْ نَطِقُونَ ۞ هَلُأَنَكَ حَدِيثُ صَيْفِ إِبْرُهِيمَ ٱلْكُمْرَمِينَ ۞ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْسَلَمَا قَالَ سَلَمْ قَوْمٌ مُنكُرُونَ۞ فَلِغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِ مَجْمَاة بِعِجْلِسَيِينِ۞ فَقَرَّبَهُ وَإِلْيَهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ۞ ا فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ حِنْفَةً قَالُواْ لَا تَغَفُّ وَبَشَّرُوهُ بِفُلَامِ عَلِيهِ ا فَأَقِلَتِ ٱمْرَأَنُهُ فِي صَرَّعِ فَصَكَّتُ وَجْهَهَا وَقَالَتُ عَجُوزُ عَقِيدُ الله المُذَاكِدُ اللهِ عَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَالْحَكِيمُ الْمَلِيمُ ۞ CLEADS ON LONGED

استحالتهما، تعين [القسم الثالث] أن الله الذي خلقهم، وإذا تعين ذلك، علم أن الله تعالى هو المعبود وحده، الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح إلا له تعالى .

وقوله: ﴿أُم خلقوا السماوات والأرض، وهذا استفهام يدل على تقرير النفي أي: ما خلقوا السماوات والأرض، فيكونوا شركاء لله، وهذا أمر واضح جداً.

ولكن المكذبين ﴿لا يوقنون﴾ أي: ليس عندهم علم تام، ويقين يوجب لهم الانتفاع بالأدلة الشرعية والعقلية.

﴿أُم عندهم خرائن ربك أم هم المصيطرون، أي: أعند هؤلاء المكذبين خزائن رحمة ربك، فيعطون من يشاؤون ويمنعون من يريدون؟ أي: فلذلك حجروا على الله أن يعطى النبوة عبده ورسوله محمداً عَيْهُ، وكأنهم الوكلاء المفوضون على خزائن رحمة الله، وهم أحقر وأذل من ذلك، فليس في أيديهم لأنفسهم نفع ولا ضر، ولا موت ولا حيساة

(1)

كذا في ب، وفي أ: نتربص به الموت، وننتظره فيه. (1)

في ب: التي هذه نتاتجها، وهذه ثمراتها. (٢)

في ب: وجعلت أصدق الصدق. (٣)

كذا في ب، وفي أ: لا حدّ له. **في ب: أن يوجد أحدٌ نفسه.** (0)

• قَالَ فَمَا خَطْبُكُو أَيُّهَا ٱلْمُرْسِكُونَ ۞ قَالُوا إِنَّا أَرْسِيلْنَا إِلَّى فَوْمِ تُجْرِمِينَ ۞ لِتُرْمِيلَ عَلَيْهِ مُعِجَازَةً مِن طِين ۞ مُسَوَّمَةً عِندَرَيِكَ الْمُسْرِفِينَ ۞ فَأَخْرَجْنَامَن كَانَ فِيهَامِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ۞ فَمَا وَحَدْ مَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ ٱلْمُشْلِمِينَ ۞ وَتَرَكَّمَنَا فِيهَا ٓ ءَايَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلأَلِيمَ ۞ وَفِيمُومَنَى إِذْ أَرْسَلُنَهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَلَنِ مُّبِينِ۞ فَكُلِّ بِرُكْنِهِ ، وَقَالَ سَلِيحُ أَوْجَعْنُوتٌ قَاخَذْتَهُ وَجُودُهُ مُغَبَدُنَاهُمُ فِٱلْمِيرَةُ وَمُلِيمٌ ۞ وَفِي عَادِ إِذْ أَرْسَلْنَاعَلَيْهِمُ ٱلرِيحَ ٱلْعَقِيمَ۞ مَالْذَرُمِن شَيْءٍ أَنْتُ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَنْهُ كَالرَّمِيم ﴿ وَفِي تَمُودُ إِذْ قِيلَ لَمُّتُمَّ نَّفَعُوا حَتَّى حِينِ ۞ فَعَنَوْاعَنْ أَمْرِرَجِمْ فَأَخَذَتْهُ وُالصَّيْعَةَ وَكُرِينُظُرُونَ ﴿ فَكَمَا ٱسْتَطَاعُواٰمِن قِيَامِ وَمَا كَانُواْمُنْصِرِينَ ۞ وَقَوْمَ نُوجٍ مِّن قَتَلُّ إِنَّهُمْ كَافُواْ فَوْمَا فَسِفِينَ ۞ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَهَا بِأَيْهُ وَالَّا لَمُوسِعُونَ ۞ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَهَا فَيَعْمَ ٱلْمُهِدُونَ۞ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَفْنَا زَفْهَيْنِ لَمَلَكُونَدُونَ ٥ فَعِزُوٓ اللَّهِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ إِلَّهِ الْكُونِينُهُ تَذِيرٌ مُّهِينٌ ۞ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ أَلَقِهِ إِلَهًا ءَاخَرُّ إِنِّ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّسِينً ﴿ TOUR ON EAR SEA

﴿اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾.

﴿أَم هم المصيطرون ﴾ أي: المتسلطون على خلق الله وملكه، بالقهر والغلبة ؟ ليس الأمر كذلك، بل هم العاجزون الفقراء، ﴿أَم لهم سلم يستمعون فيه ﴾ أي: ألهم اطلاع على الغيب، واستماع له بين الملأ الأعلى، فيخبرون عن أمور لا يعلمها غيرهم ؟

﴿فليأت مستمعهم﴾ المدعي لذلك ﴿بسلطان مبين﴾ وأنَّى له ذلك؟

والله تعالى عالم الغيب والشهادة، فلا يظهر على غيبه [أحداً](١) إلا من ارتضى من رسول يخبره بما أراد من عامه

وإذا كان محمد الله أفضل الرسل وأعلمهم وإمامهم، وهو المخبر بما أخبر به، من توحيد الله، ووعده، وعيده، وغير ذلك من أخباره الصادقة، والمكذبون هم أهل الجهل والضلال والغي والعناد، فأي المخبرين أحس بقبول خبره؟ خصوصاً

والرسول شخف أقام من الأدلة والبراهين على ما أخبر به، ما يوجب أن يكون خبره (٢٠ عين اليقين وأكمل الصدق، وهم لم يقيموا على ما ادعوه شبهة، فضلاً عن إقامة حجة.

وقوله: ﴿أَمْ لَهُ البناتِ﴾ كما زعمتم ﴿ولكم البنونِ﴾ فتجمعون بين المحذورين؟ جعلكم له الولد، واختياركم له أنقص الصنفين؟ فهل بعد هذا التنقص لرب العالمين غاية أو دونه نهاية؟

﴿أُم تسألهم ﴾ يا أيها الرسول ﴿أَجِراً ﴾ على تبليغ الرسالة ، ﴿فهم من مغرم مثقلون ﴾ ليس الأمر كذلك ، بل أنت الحريص على تعليمهم ، تبرعاً من غير شيء ، بل تبذل لهم الأموال الجنيلة ، على قبول رسالتك ، والاستجابة [لأمرك و] دعوتك ، وتعطي المؤلفة قلوبهم [ليتمكن العلم والإيمان من قلوبهم].

﴿أُم عندهم الغيب فهم يكتبون﴾ ما كانوا يعلمونه من الغيوب، فيكونون قد اطلعوا على ما لم يطلع عليه رسول الله، فعارضوه وعاندوه بما عندهم من علم الغيب؟ وقد علم أنهم الأمة الأمية، الجهال الضالون، ورسول الله ﷺ هو الذي عنده من العلم أعظم من غيره، وأنبأه الله من علم الغيب على ما لم يُطْلِغ عليه أحداً من الخلق، وهذا كله إلزام لهم بالطرق العقلية والنقلية على فساد قولهم، وتصوير بطلانه بأحسن الطرق وأوضحها وأسلمها من الاعتراض، وقوله: ﴿أَم يريدُونِ ﴾ بقدحهم فيك وفيما جئتهم به ﴿كيداً﴾ يبطلون به دينك، ويفسدون به أمرك؟

﴿فَالذِّينَ كَفُرُوا هِمَ الْمُكِيدُونَ﴾ أي: كيدهم في نحورهم، ومضرته عائدة

إليهم، وقد فعل الله ذلك ولله الخمد فل الخمد فلم يُبْق الكفار من مقدورهم من المكر شيئا إلا فعلوه، فنصر الله نبيه ودينه عليهم (٣)، وخذلهم وانتصر منهم.

﴿ أُم لَهُمَ إِلَّهُ عَيْرِ اللَّهِ ﴾ أي: ألهم إله يدعى ويرجى نفعه، ويخاف من ضره، غير الله تعالى؟ ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ فليس له شريك في الملك، ولا شريك في الوحدانية والعبادة، وهذا هو المقصود من الكلام الذي سيق لأجله، وهو بطلان عبادة ما سوى الله وبيان فسادها بتلك الأدلة القاطعة، وأن ما عليه المشركون هو الباطل، وأن الذي ينبغي أن يعبد ويُصلي له ويسجد ويخلص له دعاء العبادة ودعاء المسألة، هو الله المألوه المعبود، كامل الأسماء والصفات، كثير النعوت الحسنة، والأفعال الجميلة، ذو الجلال والإكرام، والعرز الذي لا يرام، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الكبير الحميد المجيد.

﴿ ٤٤ ــ ٤٦ ﴾ ﴿ وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحابٌ مركوم \* فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون \* يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون﴾ يقول تعالى في [ذكر] بيان أن المشركين المكذبين بالحق الواضح، قد عنوا [عن الحق] وعسوا على الباطل، وأنه لو قام على الحق كل دليل لما اتبعوه، ولخالفوه وعاندوه، ﴿وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً ﴾ أي: لو سقط عليهم من السماء من الآيات الباهرة كسف أي: قطعٌ كبارٌ من العذاب ﴿يقولوا سحاب مركوم﴾ أي: هذا سحاب متراكم على العادة أي: فلا يبالون بما رأوا من الايات ولا يعتبرون بها، وهؤلاء لا دواء لهم إلا العنداب والنكال، ولهذا قال: ﴿فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه

<sup>(</sup>۱) زیادة من هامش ب.

<sup>(</sup>٢) في ب: ما يوجب أن يكون ذلك عين اليقين.

٣١) في ب: فنصر الله نبيه عليهم، وأظهر دينه، وخذلهم.

تفسير سورة النجم [وهي] مكيــة

﴿١ - ١٨﴾ ﴿ بسم الله السرحمين الرحيم والنجم إذا هوى \* ما ضل صاحبكم وما غوى \* وما ينطق عن الهوي \* إن هو إلا وحي يوحي \* عملمه شديد القوى \* ذو مرة فاستوى \* وهو بالأفق الأعلى \* ثم دنا نتلل \* فكان قاب قوسين أو أدنى \* فأوحى إلى عبده ما أوحى \* ما كذب الفؤاد ما رأى \* أفتمارونه على ما يرى \* ولقد رآه نزلة أخرى \* عند سدرة المنتهى \* عندها جنّة المأوى \* إذ يغشى السدرة ما يغشى \* ما زاغ البصر وما طغى \* لقد رأى من آيات ربه الكبري لله يقسم تعالى بالنجم عند هُويِّه أي: سقوطه في الأفق في آخر اللِّيل عند إدبار الليل وإقبال النَّهار، لأن في ذلك من آيات الله العظيمة، ما أوجب أن أقسم به، والصحيح أن النجم، اسم جنس شامل للنجوم كلها، وأقسم بالنجوم على صحة ما جاء به الرسول على من الوحي الإلهى، لأن في ذلك مناسبة عجيبة، فإن الله تعالى جعل النجوم زينة للسماء، فكذلك الوحى وآثاره زينة للأرض، فلولا العلم الموروث عن الأنبياء، لكان الناس في ظلمة أشد من الليل البهيم.

والمقسم عليه، تنزيه الرسول عن الضلال في علمه، والغيّ في قصده، ويلزم من ذلك أن يكون مهتدياً في علمه، هادياً، نحسن القصد، ناصحاً للأمة (٢)، بعكس ما عليه أهل الضلال من فساد العلم، وفساد القصد (٣)، وقال ﴿صاحبكم﴾ لينبههم على ما يعرفونه منه، من الصدق والهداية، وأنه لا يخفى عليهم أمره، نطقه صادراً عن الهوى﴾ أي: ليس نطقه صادراً عن هوى نفسه، ﴿إن هو نفسه أَلَّمُ المُنْ المُنْ الْمُنْ ال

يصعقون﴾ وهو يوم القيامة الذي يصيبهم [فيه] من العذاب والنكال، ما لا يقادر قدره، ولا يوصف أمره.

> ﴿يوم لا يغني عنهم كيدهم شيناً﴾ أي: لا قليلاً ولا كثيراً، وإن كان في الدنيا قد يوجد منهم كيد يعيشون به زمناً قليلاً، فيوم القيامة يضمحل كيدهم، وتبطل مساعيهم، ولا ينتصرون من عذاب الله ﴿ولا هم ينصرون﴾

> ﴿ ٤٧ - ٤٩ ﴾ ﴿ وإنّ للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكشرهم لا يعلمون \* واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حَين تقوم \* لأعيننا وسبح بحمد ربك حَين تقوم \* لذكر [الله] عذاب الظالمين في القيامة، أخبر أن لهم عذاباً دون عذاب يوم القيامة (۱) ، وذلك شامل لعذاب الدنيا، بالقتل والسبي والإخراج من الديار، ولعذاب البرزخ والقبر، ﴿ ولكن العذاب البرزخ والقبر، ﴿ ولكن أقاموا على ما يوجب العذاب، وشدة العقاب.

ولما بين تعالى الحجج والبراهين على بطلان أقوال المكذبين، أمر رسوله به أن لا يعبأ بهم شيئاً، وأن يصبر لحكم ربه القدري والشرعي بلزومه والاستقامة عليه، ووعده الله بالكفاية بقوله: ﴿فَإِنْكُ بِأَعِينَنا﴾ أي: بمرأى منا وحفظ، واعتناء بأمرك، وأمره أن يستعين على الصبر بالذكر والعبادة، فقال: ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ أي: من الليل.

ففيه الأمر بقيام الليل، أو حين تقوم إلى الصلوات الخمس، بدليل قوله: 
ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم أي: آخر الليل، ويدخل فيه صلاة الفجر، والله أعلم.

تم تفسير سورة والطور والحمد لله

القائدة المنافرة الم

إلا وحي يوحى أي: لا يتبع إلا ما أوحى الله إليه من الهدى والتقوى، في نفسه وفي غيره.

أُ جَهَنَّرَتُنَّا ۞ هَذِهِ النَّارُّأُلِّي كُنتُرِيًّا تُكَوِّبُنَ ۞

OND ON ON EGROEON

ودل هذا على أن السنة وحي من الله لرسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة﴾ وأنه معصوم فيما يخبر به عن الله تعالى وعن شرعه، لأن كلامه لا يصدر عن هوي، وإنما يصدر عن وحي يوحي، ثم ذكر المعلم للرسول ﷺ، وهو جبريل [عليه السلام]، أفضل الملائكة [الكرام] وأقواهم وأكملهم، فقال: ﴿علْمه [شديد القوى] ﴿ أي: نزل بالوحى على الرسول عليه جبريل عليه السلام، ﴿شديد القوى ﴿ أَي: شديد القوة الظاهرة والباطنة، قوي على تنفيذ ما أمره الله بتنفيذه، قوى على إيصال الوحي إلى الرسول ١١١٠ ومنعه من اختلاس الشياطين له، أو إدخالهم فيه ما ليس منه، وهذا من حفظ الله لوحيه، أن أرسله مع هذا الرسول القوى الأمين.

﴿ دُو مِسرَّة ﴾ أي: قـوة، وخـــلــق حسن، وجمال ظاهر وباطن.

**وفاستوى** جبريل عليه السلام

<sup>(</sup>١) في ب: في الآخرة أخبر أن لهم عذاباً قبل عذاب. . .

<sup>(</sup>٢) في ب: للخلق.

<sup>(</sup>٣) في ب: وسوء.

A COMPANY OF THE PARTY OF THE P أَفَي خُرُهُ لِذَا أَمْ أَمَّتُهُ لَانْتِهِمُ وِنَّ ۞ أَصْفَةُ هَا فَأَصْدُوۤا أَوْلَاتَهُمُوا الْأ سَوَّآءُ عَلَيْكُمُّ إِنَّمَا يُحْزَوْكَ مَاكُنةُ تَعْمَلُونَ ۞ إِذَا لَمُنَقِينَ فِي جَنَّلتِ وَيَعِيدٍ ۞ فَلَكِمِينَ يَمَآءَ النَّهُمْ رَتُّهُمْ وَوَقَلْهُ مِنَهُ مُعَذَابَ ٱلْجَحِيرِ ﴿ كُلُواْ وَأَشَّرَ مُواْ هَسَتَا عَا كُتُدُوْقَعَمُلُونَ ۞ مُتَّكِينَ عَلَى سُرُرِمَّضِفُونَةً وَزَوَجَنَاهُم بحُرِينِينِ۞ وَٱلَّذِينَ مَامَنُوا وَٱلَّبَعَنْهُمُ ذُرِّيَّنَهُم وإيمَن ٱلْمُفْنَا يهِ مْ ذُرِّيِّنَكَهُمْ وَمَآ أَلْنَنْهُم مِنْ عَلِهِم مِن مَنْ ءُكُلُ مْرِي عِلَكَتَبَ رَهِينُ ۞ وَأَمْدَدُنَّهُ مِظْلِكِمَ وَوَلَمْ مِثَالِشَتَا فُوك ۞ يَتَنتَزَعُودَ فِيهَا كَأْمًا لَا لَغُوفِهَا وَلَا تَأْثِيرُ • وَعَلَّوْنُ عَلَيْهِمْ عِلْمَانَ أَلْمُوكُمَّ أَفَهُمُ لُؤلُومَكُونَ ۞ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ يَنْسَلَتُ لُونَ ۞ قَالُوا إِنَّا كُنَّا جَلُ فِي أَعْلِنَا مُشْفِقِينَ ۞ فَنَ اللهُ عَلَيْنَ اوْوَقِنْنَا عَنَابَ السَّمُومِ ۞ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ تَنْعُونُ إِنَّمُهُ وَٱلْذِّالِ وَهِيدُ ۞ فَنَكِرْفَاۤ أَنَّ بِيعْسَتِ رَيِكَ بِكَاهِنِ وَلَاجَنُونِ ۞ أَمْرِيَتُولُونَ شَاعِرٌ بُمُرَقِّلُ بِدِيرَبُ ٱلْمَنُونِ ۞ قُلْتَرَيْمُوا فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَيْمِينَ۞ ACTION OF THE PROPERTY OF THE

﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ أي: أفق السماء الذي هو أعلى من (١١) الأرض، فهو من الأرواح العلوية، التي لا تنالها الشياطين ولا يتمكنون من الوصول إليها .

﴿ ثم دنا ﴾ جبريل من النبي على ، لإيصال الوحي إليه .

﴿ فتدلى ﴾ عليه من الأفق الأعلى ﴿فَكَانَ﴾ في قربه منه ﴿قَابِ قوسينَ﴾ أي: قدر قوسين، والقوس معروف، ﴿أُو أَدنى ﴾ أي: أقرب من القوسين، وهنذا يندل على كنمال المباشرة(٢) للرسول ﷺ بالرسالة، وأنه لا واسطة بينه وبين جبريل عليه السلام.

﴿فأوحى﴾ الله بواسطة جيريل عليه السلام ﴿إلى عبده ﴾ محمد على ﴿ما أوحي الدي أوحياه إليه من الشرع العظيم، والنبأ المستقيم.

﴿ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ أي: اتفق فؤاد الرسول ﷺ ورؤيته على الوحى الذي أوحاه الله إليه، وتواطأ عليه سمعه وقلبه وبصره، وهذا دليل على كمال الوحى الذي أوحاه الله إليه، وأنه تلقاه منه تلقياً لا شك فيه ولا شبهة ولاريب، فلم يكذب فؤاده ما رأى بصره، ولم يشك بذلك. ويحتمل أن المراد بذلك ما رأى ﷺ ليلة

في ب: مباشرته.

(1)

(٢)

أسري به، من آيات الله العظيمة، وأنه تيقنه حقاً بقلبه ورؤيته، هذا [هو] الصحيح في تأويل الآية الكريمة، وقيل: إن المراد بذلك رؤية الرسول على لربه ليلة الإسراء، وتكليمه إياه، وهذا اختيار كثير من العلماء رحمهم الله، فأثبتوا بهذا رؤية الرسول ﷺ لربه في الدنيا، ولكن الصحيح القول الأول، وأن المرادبه جبريل عليه السلام، كما يدل عليه السياق، وأن محمداً على رأى جبريل في صورته الأصلية [التي هو عليها] مرتين، مرة في الأفق الأعلى، تحت السماء الدنيا كما تقدم، والمرة الثانية فوق السماء السابعة ليلة أسري برسول الله على، ولهذا قال: ﴿ولقد رآه نسزلة أخسري ﴾ أي: رأى محسد جبريل مرة أخرى، نازلاً إليه.

﴿عند سدرة المنتهي﴾ وهي شجرة عظيمة جداً، فوق السماء السابعة، سميت سدرة المنتهى، لأنه ينتهى إليها ما يعرج من الأرض، وينزل إليها ما ينزل من الله، من الوحى وغيره، أو لانتهاء علم الخلق(٣) إليها أي: لكونها فوق السماوات والأرض، فهي المنتهى في علوها(١)، أو لغيّر ذلك، والله

فرأى محمد ﷺ جبريل في ذلك المكان، الذي هو محل الأرواح العلوية الزاكية الجميلة، التي لا يقربها شيطان ولا غيره من الأرواح الخبيثة .

عند تلك الشجرة ﴿جنة المأوى﴾ أي: الجنة الجامعة لكل نعيم، بحيث كانت محلاً تنشهي إليه (٥) الأمان، وترغب فيه الإرادات، وتأوي إليها الرغبات، وهذا دليل على أن الجنة في أعلى الأماكن، وفوق السماء السابعة. ً

﴿إِذْ يَغْشَى السَّدَرَةُ مَا يَغْشَى ﴾ أي: يغشاها من أمر الله، شيء عظيم لا يعلم وصفه إلا الله عز وجل.

﴿ما زاغ البصر وما طغي ﴿ أَي: ما زاغ يمنة ولا يسرة عن مقصوده ﴿وما

طغي الله أي: وما تجاوز البصر، وهذا كمال الأدب منه صلوات الله وسلامه عليه، أن قام مقاماً أقامه الله فيه، ولم يقصر عنه ولا تجاوزه ولا حاد عنه، وهذا أكمل ما يكون من الأدب العظيم، الذي فاق فيه الأولين والآخرين، فإن الإخلال يكون بأحد هذه الأمور: إما أن لا يقوم العبد بما أمر به، أو يقوم به على وجه التفريط، أو على وجه الإفراط، أو على وجه الحيدة يميناً وشمالاً، وهذه الأمور

﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ من الجنة والنار، وغير ذلك من الأمور التي رآها ﷺ ليلة أسري به.

كلها منتفية عنه ﷺ .

﴿١٩ \_ ٢٥﴾ ﴿أنبرأيتم اللات والعزى \* ومناة الثالثة الأخرى \* ألكم الذكر وله الأنثى \* تلك إذا قسمة ضيزى \* إن هي إلا أسماء سمَّيتموها أنتم وآباءكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى \* أم للإنسان ما تمنى \* فلله الآخرة والأولى) لما زكَّى تعالى ما جاء به عمد على من الهدى ودين الحق، والأمر بعبادة الله وتوحيده، ذكر بطلان ما عليه المشركون من عيادة من ليس له من أوصاف الكمال شيء، ولا تنفع ولا تضر، وإنما هي أسماء فارغة عن المعنى، سماها المشركون هم وآباؤهم الجهال الضلال، ابتدعوا لها من الأسماء الباطلة التي لا تستحقها، فخدعوا بها أنفسهم وغيرهم من الضلال، فالآلهة التي بهذه الحال، لا تستحق مثقال ذرة من العبادة، وهذه الأنبداد البتبي سيموها بهذه الأسماء، زعموا أنها مشتقة من أوصاف هي متصفة بها، فسموا «اللات» من «الإله» المستحق للعبادة، و «العزى» من «العزيز»، و «مناة» من «المنان»، إلحاداً في أسماء الله وتجرياً على الشرك به، وهذه أسماء متجردة

في ب: علم المخلوقات.

كذا في ب، وفي أ: علومها. (1)

كذا في ب، وفي أ: الأعلى على. (٣)

<sup>(</sup>٥) كذا في ب، وفي أ: إليها.

عن المعانى، فكل من له أدنى مسكة من عقل، يعلم بطلان هذه الأوصاف

﴿ أَلَّكُم الدَّكر وله الأنشى ﴾ أي: أتجعلون لله البنات بزعمكم، ولكم

﴿تلك إذا قسمة ضيزى ﴿ أَي: ظالمة

جائرة، [وأيُّ ظلم أعظم من قسمة] تقتضى تفضيل العبد المخلوق على الخالق؟ [تعالى عن قولهم علواً كبيراً]. وقبوليه: ﴿إِن هِي إِلَّا أُسِمِناء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ﴿ أَي : من حجة وبرهان على صحة مذهبكم، وكل أمر ما أنزل الله به من سلطان، فهو باطل فاسد، لا يتخذديناً، وهم \_في أنفسهم اليسوا بمتبعين لبرهان، يتيقنون به ما ذهبوا إليه، وإنما دلهم على قولهم، الظن الفاسد، والجهل الكاسد، وما تهواه أنفسهم من الشرك والبدع الموافقة لأهويتهم، والحال أنه لا موجب لهم يقتضى اتباعهم الظن، من فقد العلم والهدى، ولهذا قال تعالى: ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى الذي يرشدهم في باب التوحيد والنبوة، وجميع المطالب التي يحتاج إليها العباد، فكلَّها قد بينها الله أكمل بيان وأوضحه، وأدله على المقسود، وأقام عليه من الأدلة والبراهين، ما يوجب لهم ولغيرهم اتباعه، فلم يبق لأحد عذر ولا حجة من بعد البيان والبرهان، وإذا كان ما هم عليه، غايته اتباع الظن، ونهايته الشقاء الأبدى والعذاب السرمدي، فالبقاء على هذه الحال، من أسفه السفه، وأظلم الظلم، ومع ذلك يتمنون الأماني، ويغترون بأنفسهم.

ولهذا أنكر تعالى على من زعم أنه يحصل له ما تمني وهو كاذب في ذلك، فقال: ﴿أُم للإنسان ما تمنى \* فلله الآخرة والأولى المنطي منهما من يشاء، ويمنع من يشاء، فليس الأمر تابعاً لأمانيهم، ولا موافقاً لأهوائهم.

﴿۲٦﴾ ﴿وكـم مـن مــلـك فــى السماوات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلّا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى يقول تعالى منكراً على من عبد غيره من الملائكة وغيرهم، وزعم أنها تنفعه وتشفع له عند الله يوم القيامة: ﴿وكم من ملَّك في السماوات﴾ من الملائكة المقربين، وكرام الملائكة، ﴿لا تغنى شفاعتهم شيئاً ﴾ أي: لا تفيد من دعاها وتعلق بها ورجاها، ﴿إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى أي: لا بد من اجتماع الشرطين: إذنه تعالى في الشفاعة، ورضاه عن المشفوع له. ومن المعلوم المتقرر، أنه لا يقبل من العمل إلَّا ما كنان خالصناً لوجه الله، موافقاً فيه صاحبه الشريعة، فالمشركون إذاً لا نصيب لهم من شفاعة الشافعين، وقد سدوا على أنفسهم رحمة أرحم الراحمين.

﴿٢٧ ـ ٣٠ ﴿إِن السَّذِيسِينَ لا يؤمنون بالآخرة ليسمُّون الملائكة تسمية الأنثى \* وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً \* فأعرض عن من تولي عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا \* ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى، يعنى ان المشركين بالله المُكذبين لرسله، الذين لا يؤمنون بالآخرة، وبسبب عدم إيمانهم بالأخرة تجرؤوا على ما تجرؤوا عليه، من الأقوال، والأفعال المحادة لله ولرسوله، من قولهم: «الملائكة بنات الله»، فلم ينزهوا ربهم عن النولادة، ولم ينكبرموا الملائنكية ويجلوهم عن تسميتهم إياهم إناثاً، والحال أنه ليس لهم بذلك علم، لا عنن الله، ولا عنن رسوله، ولا دلت على ذلك الفطر والعقول، بل العلم كله دال على نقيض قولهم، وأن الله منزه عن الأولاد والصاحبة، لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحمد، وأن الملائكة كرام مقربون

كذا في ب، وفي أ: إلا.

是 Balland of THE PROPERTY OF أَمْ نَأْمُرُهُمُ أَخَلَمُهُم بِهَانَأَ أَمْ هُرَقَقٌ طَاعُونَ۞ أَمْ يَقُولُونَ فَقُوَّلُهُ. بَلَ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ فَلْيَأْقُواْ بِحَدِيثِ مِنْدِودِ إِن كَافُواْ صَادِقِينَ ۞ أَمْ خُلِقُواْمِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُرُ أَكْفَلِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضُ بَل لَا يُوقِهُ نُونَ ۞ أَمْ عِندَهُ رِخَلَيْنُ رَبِّكَ أَمْهُمُ ٱلْمُصَيِّطِ مُونَ ۞ أَمْ لَمُنْ سُلَّةُ يَسْتَحِمُونَ فِيَّهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُ مِسْلُطُن مُعِينِ ۞ أَمْلَهُ ٱلْنَتَ وَلِكُوالْبَنُونَ ۞ أَمْ مَنْنَالُهُمُ أَجْرُا فَهُدِمِ مَنْ مَغْرَمِ مُثَقَلُونَ ۞ أَمْعِندَهُمُ ٱلْمَنَيْبُ فَهُمْ يَكُثُبُونَ ۞ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْنَا فَالَّذِينَ كَثَرُوا هُمُ الْكِيدُونَ۞ أَمْ لَمَنْمُ إِلَّهُ غَيْرُاللَّهُ شُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ وَإِن يَرْفَأَ كِينَفًا مِنَ السَّمَاءِ سَافِطاً يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّن كُومٌ ۞ فَذَرْهُمْ حَنَّى يُلْقُولُ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصُعَقُونَ ۞ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْنُدُهُمْ شَيْعًا وَلَاهُمْ يُنْصَرُونَ ۞ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْعَذَابَادُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَ أَكْدَرُهُ لِلهَ لَمُونَ ۞ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ المُّعَيِّنَ أَوْسَيِّعُ إِيمَادِ رَيِكَ حِينَ تَعْوُمُ ۞ وَمِنَ الَّيْلِ مَسَيِّعْهُ وَلِدْبَرَ النَّجُومِ ۞ TOLETTE ("PLANELON

إلى الله، قائمون بخدمته ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون الشركون (١) إنما يتبعون في ذلك القول القبيح، وهو(٢) الظن الذِّي لا يُغنى من الحقُّ شيئاً، فإن الحقّ لا بد فيه من اليقين المستفاد من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة.

ولما كان هذا دأب هؤلاء المذكورين أنهم (٣) لا غرض لهم في اتباع الحق، وإنما غرضهم ومقصودهم، ما تهواه نفوسهم، أمر الله رسوله بالإعراض عمن تولى عن ذكره، الذي هو الذكر الحكيم، والقرآن العظيم، والنبأ الكريم، فأعرض عن العلوم النافعة، ولم يرد إلا الحياة الدنيا، فهذا منتهى إرادته، ومن المعلوم أن العبد لا يعمل إلا للشيء الذي يريده، فسعيهم مقصور على الدنيا ولذاتها وشهواتها، كيف حصلت حصّلوها، وبأي: طريق سنحت ابتدروها، ﴿ ذلك مبلغهم من العلم أي: هذا منتهى علمهم وغايته، وأما المؤمنون بالآخرة، المصدقون بها، أولو الألباب والعقول، فهمتهم وإرادتهم للدار الأخرة، وعلومهم أفضل العلوم وأجلها، وهو العلم المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والله تعالى أعلم بمن يستحق الهداية فيهديه، ممن لا يستحق

كذا في ب، وفي أ: وهم.

٥٢ سوية العِينَ السياقة حاققا ارتخزا ارتجيم وَالنَّجْمِ إِنَا هَوَىٰ ۞ مَاضَلُّ صَالِحِكُمْ وَمَاغَوَىٰ ۞ وَمَاسَطَةً، عَن الْهُوكَ إِنْ هُو إِلَّا وَخَيْ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوكَان دُومِزَةِ فِأَسْتَوَىٰ ۞ وَهُوَ بِالْأَفْقِ ٱلْأَغْلَىٰ ۞ ثُرُّدُنَافَنَدَ لَّ ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْأَدَنَّ ۞ فَأُوْسَى إِلَّى عَبْدِهِ عِمْ أَوْسَىٰ ۞ مَاكَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَازَأَىٰٓ ۞ أَفَنْمَنُرُونَهُ عَلَى مَايِرَىٰ۞ وَلَقَدْ رَوَاهُ نَزَلَةُ أُخْرَىٰ ۞ عِندَسِدُرَوَ ٱلْمُنْفَعَىٰ ۞ عِندَهَاجَنَّةُ ٱللَّهُوَيَّ۞ إِذْ يَغْشَى ٱلبِنَدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۞ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُو يَمَاظَعُ ۞ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ، النِّتِ رَبِهِ ٱلْكُمْرَيِّ ۞ أَفَرَة يَهُمُ ٱللَّتَ وَٱلْمُسَرَّىٰ ۞ وَمَنوَةَ النَّالِقَةَ ٱلْأَخْرَقَ ۞ ٱلكُوالذَّكُرُولَةُ ٱلْأَخْفَى إِلَهَ إِذَا فِتَمَةً ضِيزَةَ ۞ إِنْ هِمَ إِلَّا أَسْمَآةٌ سَتَيْتُتُمُوهَٱ أَنْتُرُوءَ الْبَاؤُكُمُ مَّا أَرْلَ ٱللَّهُ يُهَامِن سُلْطَنَّ إِن يَتِّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّرَ وَمَاتَهُوي ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَ هُرِينَ زَيْهِ مُرَكُفُدُ كَيْ ۞ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا مَّنَّي و مسل وصد به المرس ويصور المرس المر 

﴿٣١ ـ ٣١﴾ ﴿ولله مــا فـــى السماوات وما في الأرض ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسني \* الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلاتزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾ يخبر تعالى أنه مالك الملك، المتفرد بملك الدنيا والآخرة، وأن جميع من في السماوات والأرض ملك لله، يتصرف فيهم تصرف الملك العظيم، في عبيده ومماليكه، ينفذ فيهم قدره، ويجري عليهم شرعه، ويأمرهم وينهاهم، ويجزيهم على ما أمرهم به ونهاهم [عنه]، فيثيب المطيع، ويعاقب

ذلك فيكله إلى نفسه، ويخذله، فيضل

عن سبيل الله، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ

ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو

أعلم بمن اهتدی افیضم فضله حیث

يعلم المحل اللائق به.

من أعمال الشر بالعقوبة البليغة (۱). ﴿ وَجِرْيِ اللَّهِينِ أَحِسْسُوا ﴾ في عبادة الله تبعالى، وأحسنوا إلى خلق الله، بأنواع المنافع ﴿ بالحسنى ﴾ أي: بالحالة الحسنة في الدنيا والآخرة، وأكبر ذلك وأجلة رضا ربهم، والفوز بنعيم الجنة (۲).

ثم ذكر وصفهم فقال: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، أي: يفعلون ما أمرهم الله به من الواجبات، التي يكون تركها من كبائر الذنوب، ويتركون المحرمات الكبار، كالزنا، وشرب الخمر، وأكل الربا، والقتل، ونحو ذلك من الذنوب العظيمة، ﴿إلا اللمم﴾ وهي الذنوب الصغار، التي لا يصر صاحبها عليها، أو التي يلم بها العبد، المرة بعد المرة، على وجه الندرة والقلة، فهذه ليس بجرد الإقدام عليها مخرجاً للعبد من أن يكون من المحسنين، فإن هذه مع الإتيان بالواجبات وترك المحرمات، تدخل تحت مغفرة الله التي وسعت كل شيء، ولهذا قال: ﴿إِنَّ رَبُّكُ واسع المغفرة ﴾ فلولا مغفرته لهلكت البلاد والعباد، ولولا عفوه وحلمه لسقطت السماء على الأرض، ولما ترك على ظهرها من دابة. ولهذا قال النبي ﷺ: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رصضان، مكفرات لما بينهن، ما اجتنبت الكبائر»، [وقوله:]﴿هو أعلم بكم إذَّ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم الى: هو تعالى أعلم بأحوالكم كلها، وما جبلكم عليه، من الضعف والخور، عن كشير مما أمركم الله به، ومن كثرة الدواعي إلى بعض (٣) المحرمات، وكثرة الجواذب إليها، وعدم الموانع القوية، والضعف

أنشاكم (٤) الله من الأرض، وإذ كنتم في بطون أمهاتكم، ولم يزل موجوداً فيكم، وإن كان الله تعالى قد أوجد فيكم قوة على ما أمركم به، ولكن الضعف لم يزل، فلعلمه تعالى بأحوالكم هذه، ناسبت الحكمة الإلهية والجود الربان، أن يتغمدكم برحمته ومغفرته وعفوه، ويغمركم بإحسانه، ويزيل عنكم الجرائم والمآثم، خصوصاً إذا كان العيد مقصوده مرضاة ربه في جميع الأوقات، وسعيه فيما يقرب إليه في أكثر الآنات، وفراره من الذنوب التي يتمقت بها عند مولاه، ثم تقع منه الفلَّتة بعد الفلتة، فإن الله تعالى أكرم الأكرمين وأرحم الراحين (٥)، أرحم بعباده من الوالدة بولدها، فلا بد لثل هذا أن يكون من مغفرة ربه قريباً وأن يكون الله له في جميع أحواله مجيباً،

موجود مشاهد منكم حين

﴿هو أعلم بسمن اتقى﴾ [فإن التقوى، محلها القلب، والله هو المطلع عليه، المجازي على ما فيه من بر وتقوى، وأما الناس، فلا يغنون عنكم من الله شيئاً].

ولهذا قال تعالى: ﴿فلا تركوا

انقسكم أي: تخبرون الناس بطهارتها

على وجه التمدح(٢).

و ٣٣ - ٣٦ و أفرايست السذي تولى \* وأعطى قليلاً وأكدى \* أعنده علم الغيب فهو يرى \* أم لم ينبأ بما في صحف موسى \* وإبراهيم الذي وق \* ألا تزر وازرة وزر أخرى \* وأن سعيه ليس للإنسان إلا ما سعى \* وأن سعيه سوف يرى \* ثم يجزاه الجزاء الأوق \* أن لل ربك المنتهى \* وأنه هو أضحك وأبكى \* وأنه هو أمات وأحيا \* وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى \* من نطفة إذا تمنى \* وأن

العاصي، ليجزي الذين أساؤوا العمل السيئات من الكفر فما دونه بما عملوا

<sup>(</sup>١) في ب: الفظيعة.

<sup>(</sup>٢) في ب: والفوز بالجنة وما فيها من النعيم.

<sup>(</sup>٣) في ب: إلى فعل.

<sup>(</sup>٤) في ب: حين أخرجكم.

<sup>(</sup>٥) في ب: وأجود الأجودين.

<sup>(</sup>٦) كذا في ب، وفي أ: تطهرونها، وتخبرون النَّاس بذلك على وجه التمدح.

عليه النشأة الأخرى ﴾ إلى آخر السورة يقول تعالى: ﴿ أَفُر أَيْتَ ﴾ قبح حالة من أمر بعبادة ربه وتوحيده، فتولى عن ذلك وأعرض عنه؟

فإن سمحت نفسه ببعض الشيء، القليل، فإنه لا يستمر عليه، بل يبخل ويكدي ويمنع.

فإن المعبروف ليس سجية له وطبيعة(١)، بل طبعه التولُّ عن الطاعة، وعدم الشبوت على فعل المعروف، ومع هذا، فهو يزكَّى نفسه، وينزلها غير منزلتها التي أنزلها الله بها. ﴿أعنده علم الغيب فهويري﴾ الغيب ويخبر به، أم هو متقول على الله، متجرىء على الجمع بين الإساءة والتزكية (٢)، كما هو الواقع، لأنه قد علم أنه ليس عنده علم من الغيب، وأنه لو قُدر أنه ادعى ذلك فالإخبارات القاطعة عن علم الغيب التي على يد النبي المعصوم، تدل على نقيضٌ قوله، وذلك دليل على بطلانه.

﴿أُم لَم ينبأُ﴾ هذا المدعى ﴿بِما في صحف موسى \* وإبراهيم الذي وفي أي: قام بجميع ما ابتلاه الله به، وأمره به من الشرائع وأصول الدين وفروعه، وفي تلك الصحف أحكام كثيرة من أهمها ما ذكره الله بقوله: ﴿ أَلَا تَوْرُ وازرة وزر أخرى \* وأن ليس للإنسان إلا ما سعى اى: كل عامل له عمله الحسن والسيِّيء، فليس له من عمل غيره وسعيهم شيء، ولا يتحمل أحد عن أحد ذنباً ، وأن سعيه سوف يرى ﴿ فِي الآخرة فيميز حسنه من سيئه، ﴿ثم يجزاه الجزاء الأوفى أي: المستكمل لجميع العمل الحسن الخالص بالحسني، والسيىء الخالص بالسُّوأي، والمشوب بحسبه، جزاءً تقرّ بعدله

وإحسانه الخليقة كلها، وتحمد الله عليه، حتى إن أهل النار ليدخلون النار، وإن قلوبهم مملوءة من حمد ربهم، والإقرار له بكمال الحكمة ومقت أنفسهم، وأنهم الذين أوصلوا أنفسهم وأوردوها شر الموارد، وقد استىدل بقولى تىعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى المن يرى أن القُرَبَ لا يفيد<sup>(٣)</sup> إهداؤها للأحياء ولا للأموات قالوا لأن الله قال: ﴿وأن ليس للإنسان ما سعي﴾ فوصول سعي غيره إليه مناف لذلك، وفي هذّا الاستدلال نظر، فإن الآية إنما تدل على أنه ليس للإنسان إلا ما سعى بنفسه، وهذا حق لا خلاف فيه، وليس فيها ما يدل على أنه لا ينتفع بسعى غيره، إذا أهداه ذلك الغير له، كما أنّه ليس للإنسان من المال إلا ما هو في ملكه وتحت يده، ولا يلزم من ذلك، أن لا يملك ما وهبه له الغير من ماله الذي يملكه.

وقوله: ﴿وأن إلى ربك المنتهي﴾ أي: إليه تنتهي الأمور، وإليه تصير الأشياء والخلائق بالبعث والنشور، وإلى الله المنتهى في كل حال، فإليه ينتهى العلم والحكم، والرحمة وسائر الكمالات، ﴿وأنه هو أضحك وأبكي اي: هو الذي أوجد أسباب الضحك والبكاء، وهو الخير والشر، والفرح والسرور والهم [والحزن]، وهو سبحانه له الحكمة البالغة في ذلك، ﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾ أي: هو المنفرد بالإيجاد والإعدام، والذي أوجد الخلق وأمرهم ونهاهم، سيعيدهم بعد موتهم، ويجازيهم بتلك الأعمال التي عملوها في دار الدنيا،

﴿وأنسه خسلسق السزوجسين ﴾ فسسر الزوجين(١) بقوله: ﴿الذكر والأنشى﴾ وهذا اسم جنس شامل لجميع الحيوانات، ناطقها وميمها، فهو المنفرد بخلقها، ﴿من نطفة إذا تمني﴾ وهذا من أعظم الأدلة على كمال قدرته وانفراده بالعزة العظيمة، حيث أوجد تلك الحيوانات، صغيرها كبيرها من نطفةٍ ضعيفة (٥) من ماء مهين، ثم نماها وكملها، حتى بلغت ما بلغت، ثم صار الآدمي منها إما إلى أرفع المقامات في أعلى عليين، وإما إلى أدني الحالات في أسفل سافلين، ولهذا استدل بالبداءة على الإعادة، فقال: ﴿وأن عليه النشأة الأخرى العباد من الأجداث، ويجمعهم ليوم الميقات، ويجازيهم على الحسنات والسيئات، ﴿وانه هو اغنى واقنى اى: اغنى العباد بتيسير أمر معاشهم من التجارات وأنواع المكاسب، من الحرف وغيرها، وأقنى أي: أفاد عباده من الأموال بجميع أنواعها، ما يصيرون به مقتنين لها، ومالكين لكثير من الأعيان، وهذا من نعمه على عباده أن جميع النعم منه تعالى(٦)، وهذا يوجب للعباد أن يشكروه، ويعبدوه وحده لا شريك له، ﴿وأنه هو رب الشعري﴾ وهي النجم المعروف بالشعرى العبور، المسماة بالمرزم، وخصها الله بالذكر، وإن كسان رب كسل شسىء، لأن هسذا النجم مما عُبد في الجاهلية، فأخبر تعالى أن جنس ما يعبده المشركون مربوب مدبر مخلوق، فكيف تتخذ إلهاً مع الله(٧)، ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى ﴾ وهم قوم هود عليه السلام، حين كذبوا

في ب: فإن الإحسان ليس سجية له وطبعاً. (1)

فتجرىء عليه جامعٌ بين المحذورين الإساءة والتزكية. **(Y)** 

<sup>(</sup>٣) فى ب: لا يجوز.

في ب: قسرهما. (1)

كذا في ب، وفي أ: قليلةٍ. (0) (1)

في ب: وهذا من نعمه تعالى أن أخبرهم أن جميع النعم منه.

في ب: فكيف تتخذ مع الله آلهة. **(V)** 

هوداً، فأهلكهم الله بريح صرصر عاتية، ﴿وثمود﴾ قوم صالح عليه السلام، أرسله الله إلى ثمود فكذبوه، فبعث الله إليهم (١) الناقة آية، فعقروها وكذبوه، فأهلكهم الله تعالى، ﴿فما أبقى ﴾ منهم أحداً ، بل أهلكهم الله عن آخرهم (٢)، ﴿وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطعى له من هؤلاء الأمم، فأهلكهم الله وأغرقهم في اليم، ﴿وَالْمُؤْتِفَكَةُ﴾ وهم قوم لوط عليه السلام ﴿أهوى اي: أصابهم الله بعذاب ما عذب به أحداً من العالمين، قلب أسفل ديارهم أعلاها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل، ولهذا قال: ﴿فغشاها ما غشي الله أي: غشيها من العذاب الأليم الوخيم ما غشي أي: شيء عظيم لا يمكن وصفه، ﴿ فَبِأَي : آلاء ربك تتماري اي: فبأي: نعم الله وفضله تشك أيها الإنسان؟ فإن نعم الله ظاهرة لا تقبل الشك بوجه من الوجوه، فما بالعباد من نعمة إلا منه تعالى، ولا يدفع النقم إلا هو .

﴿ هذا نذير من النذر الأولى ١٠ أي: هذا الرسول القرشي الهاشمي محمد بن عبد الله، ليس ببدع من الرسل، بل قد تقدمه من الرسل السابقين، ودعوا إلى ما دعا إليه، فلأي: شيء تنكر رسالته؟ وبأي: حجة تبطل دعوته؟

أليست أخلاقه [أعلا] أخلاق الرسل الكرام، أليست دعوته إلى كل خير والنهي عن كل شر؟<sup>(٣)</sup>

ألم يأت بالقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد؟ ألم يهلك الله من كذب من قبله من الرسل الكرام؟ فما الذي يمنع العذاب عن المكذبين لمحمد سيد الرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغرّ المحجّلين؟

﴿أَرْفَتِ الأَرْفَةِ ﴾ أي: قربت القيامة، ودنا وقتها، وبانت علاماتها، ﴿ليس لها من دون الله كاشفة ﴾ أي: إذا أتت القيامة وجاءهم العذاب الموعوديه.

ثم توعد المنكرين لرسالة الرسول محمد ﷺ، الكذبين لما جاء به من القرآن الكريم، فقال: ﴿ أَفَمِن هِذَا الحديث تعجبون ١٤٠ أي: أفمن هذا الحديث الذي هو خير الكلام وأفضله وأشرفه تتعجبون منه، وتجعلونه من الأمور المخالفة للعادة الخارقة للأمور [والحقائق] المعروفة؟ هذا من جهلهم وضلالهم وعنادهم، وإلا فهو الحديث الذي إذا حدث صدق، وإذا قال قولاً فهو القول الفصل الذي ليس بالهزل، وهو القرآن(٤) العظيم، الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله، الذي يزيد ذوى الأحلام رأياً وعقلاً، وتسديداً وثباتاً، وإيماناً ويقيناً والذي<sup>(ه)</sup> ينبغي العجب من عقل من تعجّب منه، وسفهه وضلاله.

﴿وتضحكون ولا تبكون أي: تستعملون الضحك والاستهزاء به، مع أن الذي ينبغي أن تتأثر منه النفوس، وتلين له القلوب، وتبكى له العيون، سماعاً لأمره ونهيه، وإصغاء لوعده ووعيده، والتفاتاً لأخباره الحسنة الصادقة، ﴿وأنتم سامدون ﴾ أي:

غافلون عنه، لاهون عن تدبره، وهذا من قلة عقولكم وأديانكم، فلو عبدتم الله وطلبتم رضاه في جميع الأحوال لما كنتم بهذه المثابة التي يأنف منها أولو الألباب، ولهذا قال تعالى: ﴿فَاسْجِهُوا للهُ وَاعْسِهُوا﴾ الأمر بالسجود لله خصوصاً، ليدل ذلك على فضله<sup>(٦)</sup>، وأنه سر العبادة ولبها، فإن لبها الخشوع اله(٧) والخضوع له، والسجود هو أعظم حالة يخضع بها العبد(٨)، فإنه يخضع قلبه وبدنه، ويجعل أشرف أعضائه على الأرض المهينة موضع وطء الأقدام.

ثم أمر بالعبادة عموماً، الشاملة لجميع ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة .

تم تفسير سورة النجم، والحمد لله الذِّي لا نحصى ثناءً عليهُ، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عنباده، وصلى الله على محمد وسلم تسليماً كثيراً.

### تفسير سورة اقتربت مكيسة

﴿١ - ٥﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر \* وإنّ يبروا آينة ينعبرضوا وينقبولنوا منجبر مستمر \* وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر \* ولقد جاءهم من الأنياء ما فيه مزدجر \* حكمة بالغة فما تغنى الندرك يخبر تعالى أن الساعة وهي القيامة اقتربت وآن أوانها، وحان وقت مجيئها، ومع ذلك، فهؤلاء المكذبون لم يزالوا مكذّبين ما، غير مستعدين لنزولها، ويريهم الله من الآيات العظيمة الدالة على وقوعها ما يؤمن على

في ب: لهم. (1)

في ب: بل أبادهم عن آخرهم. **(Y)** 

في ب: أليس يدعو إلى كل خير، وينهي عن كل شر. (٣)

<sup>(</sup>٤) في ب: القرآن.

في ب: بل الذي. (0)

<sup>(</sup>٦) في ب: يدل على فضله. ني ب: فإن روحها الخشوع لله. **(V)** 

<sup>(</sup>A)

في أ: القلب، وفي ب: الكلمة غير واضحة، وقد جعلتها العبد لمناسبة الكلمة للسياق لقوله فيما بعد: (قلبه وبدنه).

مثله البشر، فمن أعظم الآيات الدالة على صحة ما جاء به محمد بن عبد الله على أنه لما طلب منه المكذبون أن يريهم من خوارق العادات ما يدل على [صحة ما جاء به و] صدقه، أشار ﷺ إلى القمر بإذن الله تعالى، فانشق فلقتين، فلقة على جبل أي قبيس، وفلقة على جبل قعيقعان، والمشركون وغيرهم يشاهدون هذه الآية الكبرى(١) الكائنة في العالم العلوي، التي لا يقدر الخلق على التمويه بها والتخييل، فشاهدوا أمراً ما رأوا مثله، بل ولم يسمعوا أنه جري لأحد من المرسلين قبله نظيره، فانبهروا لذلك، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم، ولم يرد الله بهم خيراً، ففزعوا إلى بهتهم وطغيانهم، وقالوا: سحرنا محمد، ولكن علامة ذلك أنكم تسألون من قدم<sup>(۲)</sup> إليكم من السفر، فإنه وإن قدر على سحركم، لا(٣) يقدر أن يسحر من ليس مشاهداً مثلكم، فسألوا كل من قدم، فأخبرهم بوقوع ذلك، فقالوا: ﴿سحر مستمر﴾ سحرنا محمد وسحر غيرنا، وهذا من البهت الذي لا يروج إلا على أسفه الخلق وأضلهم عن الهدى والعقل، وهذا ليس إنكاراً منهم لهذه الآية وحدها، بل كل آية تأتيهم، فإنهم مستعدون لقابلتها بالباطل (٤) والردلها، ولهذا قال: ﴿وإن يسروا آيـة يسعسرضـوا﴾ ولم يسعد الضمير على انشقاق القمر فلم يقل: وإن يروها بل قال: ﴿وإن يروا آية يعرضوا) وليس قصدهم اتباع الحق والهدى، وإنما قصدهم اتباع الهوى، ولهذا قبال: ﴿وكنذبوا واتبعوا أهواءهم كقوله تعالى: ﴿فإن لم

يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) فإنه لو كان قصدهم اتباع الهدى، لآمنوا قطعاً، واتبعوا محمداً ﷺ، لأنه أراهم الله على يديه (٥) من البينات والبراهين والحجج القواطع، ما دل على جميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية، ﴿وكل أمر مستقر﴾ أي: إلى الآن، لم يبلغ الأمر غايته ومنتهاه، وسيصير الأمر إلى آخره، فالمصدق يتقلب في جنات النعيم، ومغفرة الله ورضوانه، والمكذب يتقلب في سخط الله وعذابه، خالداً مخلداً أبداً.

وقال تعالى \_مبيناً أنهم ليس لهم قصد صحيح، ولا اتباع للهدى \_: ﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ﴾ أي: الأخبار السابقة واللاحقة والمعجزات الظاهرة ﴿ما فيه مزدجر﴾ أي: زاجر يزجرهم عن غيهم وضلالهم، وذلك ﴿حكمةُ ﴾ منه تعالى ﴿بالغة ﴾ أي: لتقوم حجته على المخالفين(١٦)، ولا يبقى لأحد على الله حجة بعد الرسل، ﴿فَمَا تَغُنُّ النَّذُرُ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ولو جاءتهم كل آية لا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم .

﴿٦ ـ ٨﴾ ﴿فتول عنهم يوم يدعو الداع إلى شيء نكر \* خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كانهم جراد منتشر \* مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يومُ عسر﴾ يقول تعالى لرسوله ﷺ: قد بان أن المكذبين لا حيلة في هداهم، فلم يبق إلا الإعراض عنهم والتولي عنهم، [فقال:] ﴿فتول عنهم ﴾ وانتظر بهم يوماً عظيماً وهَوْلاً جسيماً، وذلك حين

Calibra Calibratian إِذَا لِّذِنَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْكُلِّيكُهُ تَسْمِيَّةَ ٱلْأُنْفُ ﴿ وَمَا لَمُتُم بِهِ مِنْ عِلْمِ أَن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْنًا ۞ فَأَعْرِضَ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِحْرِنَا وَلَمْ يُدِدُ إِلَّا ٱنْحَيَوْةَ ٱلدُّنْيَا۞ ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَأَعْلَمُ بَنَ ضَرّاً عَنْ سَيِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمْ بَنَ أَهْتَدَىٰ ۞ وَلِلَّهِ مَافِي ٱلسَّمَوَتِ وَمَافِ ٱلْأَرْضِ لِيَهِرِيَّ ٱلَّذِينَ أَسَتُواْ بَمَا عَيِلُواْ وَيَحْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ إِلْحُسَّنَى ۞ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَّتَهِرَ ٱلْإِنْمِر وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا ٱللَّمَتَمَّ إِنَّ رَبِّكَ وَاسِعُ ٱلْمَغْفِرَةَ هُوَأَعَلَرُكُمُ إِذْ أَنشَأَكُمُ مِنَ ٱلأَرْضِ وَإِذَ أَنتُمْ أَيِّنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَا كُ فَلَاتُزَكُّواْ أَنْفُكَ كُرُّهُوَ أَعْلَرُ بَنِ أَقَٰقَ ۞ أَوْرَيْتَ ٱلَّذِي تَولُّكُ ٥ وَأَعْلَىٰ فَلِيلاوَا لَمُنَا ۞ أَعِندَهُ عِلْمُ الْعَنِبِ فَهُورَيْنَ ۞ أَمْ ﴿ لَرُّيْنَتَأْ يِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۞ وَابْرَاهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّى ۞ ٱلْانَزِرُ الله وَازَدَةٌ وِزُوَأُخُرَىٰ ﴿ وَأَن لِلْسَ لِلإِسْنَ إِلَّامَاسَعَىٰ ﴿ وَأَنْ سَعْيَهُمْ سَوْفَ رُزِي ۞ ثَرَيُجُزَينُهُ ٱلْجُزَلَةِ ٱلْأَوْفَا۞ وَأَنَّ إِلَى رَفِكَ ٱلنَّنكَ فَل الله وَأَنْدُهُ وَأَخْتُكَ وَأَجْكُلْ وَأَنْدُهُ وَأَنْدُهُ وَأَنْدُهُ وَأَمَاتَ وَأَخْياك TO POOL OTY LOT OF ON

﴿يدعو الداع﴾ إسرافيل عليه السلام ﴿ إِلَّى شَيَّ نَكُر ﴾ أي: إلى أمر فظيع تنكره الخليقة، فلم تر منظراً أفظع ولا أوجع منه، فينفخ إسرافيل نفخة، يخرج بها الأموات من قبورهم لموقف القيامة، ﴿خشعاً أبصارهم﴾ أي: من الهول والفزع الذي وصل إلى قلوبهم، فخضعت وذلت، وخشعت لذلك أبصارهم.

﴿ يُخرِجُونَ مِن الأَجِدَاثِ ﴾ وهي القبور، ﴿كأنهم ﴾ من كثرتهم، وروجان بعضهم ببعض هجراد منتشر الله أي: مبشوث في الأرض، متكاثر جداً، ﴿مهطعين إلى الداع﴾ أي: مسرعين لإجابة النداء الداعي(٧)، وهذا يدل على أن الداعي يدعوهم ويأمرهم بالحضور لموقف القيامة، فيلبون دعوته، ويسرعون إلى إجابته، ﴿يقول الكافرون﴾ الذين قد حضر عذابهم: ﴿هذا يوم عسر﴾ كما قال تعالى ﴿على الكافرين غير يسير﴾

في ب: العظيمة. (1)

في ب: من ورد. **(Y)** 

<sup>(</sup>٣) في ب: لم.

<sup>(1)</sup> في ب: بالتكذيب.

كذا في النسختين والمراد ظاهر وهو أن الله أراهم على يديه. (0)

في ب: العالمين. (1)

**<sup>(</sup>V)** كذا في ب، وفي أ: مسرعين لنداء الداعي.

**医型型型 电影图型 原数** وَأَنَّهُ خَلَقَ ٱلزَّوْعَيَنَ ٱلذَّكَرَوَٱلْأُنْتَىٰ ۞ مِن نُطْفَةِ إِذَا تُمْتَىٰ ۞ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشَأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۞ وَأَنَّهُ مُوٓ أَغَنَّى وَأَقْنَىٰ ۞ وَأَنَّهُ هُوَرَبُ الشِّعْرَيٰ ۞ وَأَنَّهُ ﴿ أَهَلَكَ عَادًا ٱلْأُولَا ۞ وَثَمُونَا فَمَا النَّى ٥ وَقَوْمَ نُوحِ مِن قَبَلِّ إِنَّهُمْ كَانُواْهُ أَظْلَمَ وَأَطْفَى ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَهُ أَهُوَىٰ ﴿ فَعَشَّهَا مَاغَشِّيٰ ﴿ فَهِأَي ءَالَادِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ۞ هَذَا نَفِيرُ مَنَ النُّدُرِ ٱلْأُولَٰٓ ۞ أَرْفَتِ ٱلْأَرْفَةُ ۞ لَيْسَ لَمَاعِن دُونِ اللَّهِ كَايِشْفَةٌ ۞ أَفَعِنْ هَلَذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۞ وَتَضْحَكُونَ وَلَانَبْكُونَ ۞ وَأَسْتُمْ سَكِيدُوكَ ۞ فَأَسْجُدُواْ لِيَّهِ وَأَعْبُدُواْ ۞ ٱقْتَرَبِّ ٱلسَّاعَةُ وَأَنفَقَ ٱلْقَدُّ ۞ وَلِن يَرَوْأَ الدُّيْمُ فِهُواوَيَقُولُوا يغْرُمُنا يَرُ ﴿ وَكَذَبُوا وَالنَّبَعُوا أَهُوآءَ هُمْ وَكُلَّ أَمْ مُسْتَقِرُّ ۞ وَلَقَدْ جَآءَهُمِ مِنَ ٱلْأَبْنَاءَ مَا فِيهِ مُزْرَجَرٌ ۞ حِكُمَةُ لِلِغَةَ فَالْتُفْرِ ٱلنَّذُرُ ۞ فَوَلَ عَنْهُمْ يُوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءِ نُكُرٍ ۞ OTA DO OTA DO OTA

[مفهوم ذلك أنه يسيرٌ سهل على المؤمنين](١)

﴿٩ - ١٧ ﴾ ﴿كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر \* فـدعـا ربـه أن مـغـلـوب فانتصر \* ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر \* وفجرنا الأرض عيوناً فالتقي الماء على أمر قد قدر \* وحملناه على ذات ألواح وكسر \* تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر \* ولقد تركناها آية فهل من مدكر \* فكيف كان عذابي ونذر \* ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكرك لما ذكر تبارك وتعالى حال المكذبين لرسوله، وأن الآيات لا تنفع فيهم، ولا تجدي عليهم شيئاً، أنذرهم وخؤفهم بعقوبات الأمم الماضية المكذبة للرسل، وكيف أهلكهم الله وأحلُّ بهم

فذكر قدوم ندوح، أول رسول بعثه الله إلى قوم يعبدون الأصنام، فدعاهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فامتنعوا من ترك الشرك وقالوا: ﴿لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودأ ولا سواعاً \* ولا يغوث ويعوق

ونهاراً، وسراً وجهاراً، فلم يزدهم ذلك إلا عناداً وطغياناً، وقدحاً في نبيهم، ولهذا قال هنا: ﴿ فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون الزعمهم أن ما هم عليه وآباؤهم من الشرك والضلال هو الذي يدل عليه العقل، وأن ما جاء به نوح عليه الصلاة والسلام جهل وضلال، لا يصدر إلا من المجانين، وكذبوا في ذلك، وقلبوا الحقائق الثابتة شرعاً وعقلاً، فإن ما جاء به هو الحق الثابت، الذي يرشد العقول النيرة المستقيمة، إلى الهدى والنور والرشد، وما هم عليه جهل وضلال مبين، [وقوله:] ﴿وازدجر ﴾ أي: زجره قومه وعنفوه عندما دعاهم إلى الله تعالى، فلم يكفهم -قبحهم الله -عدم الإيمان به، ولا تكذيبهم إياه، حتى أوصلوا إليه من أذيتهم ما قدروا عليه، وهكذا جميع أعداء الرسل، هذه حالهم مع أنبيائهم، فعند ذلك دعا نوح ربه [فقال:] ﴿ أَن مغلوب ﴾ لا قدرة لي على الانتصار منهم، لأنه لم يؤمن من قومه إلا القليل النادر، ولا قدرة لهم على مقاومة قومهم، ﴿فانتصر ﴾ اللهم لي منهم، وقال في الآية الأخرى: ﴿رَبّ لا تذرعلى الأرض من الكافرين دياراً ﴾ الآيات، فأجاب الله سؤاله، وانتصر له من قومه، قال تعالى: ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ﴾ أي: كثير جداً متتابع، ﴿وفجرنا الأرض عيوناك فجعلت السماء ينزل منها من الماء شيء خارق للعادة، وتفجرت الأرض كلها، حتى التنور الذي لم تجر العادة بوجود الماء فيه، فضلاً عن كونه منبعاً للماء، لأنه موضع النار .

﴿ فَالسَّقِي المَاء ﴾ أي: ماء السماء والأرض ﴿عـلِي أمـر﴾ مـن الله لــه بذلك، ﴿قد قُدر ﴾ أي: قد كتبه الله في الأزل وقضاه، عقوبة لهؤلاء ولم يزل نوح يدعوهم إلى الله ليلا الظَّالمين الطاغين، ﴿ وحملناه على ذات

الواح ودسر﴾ أي: ونجينا عبدنا نوحاً على السفينة ذات الألواح والدسر أي: المسامير [التي] قد سمرت [بها] ألواحها وشدبها أسرها(٢)، وتجرى مأعيننا) أي: تجري بنوح ومن آمن معه، ومن حمله من أصناف المخلوقات برعاية من الله، وحفظ [منه] لها عن الغرق [ونظر]، وكلائه منه تعالى، وهو نعم الحافظ الوكيل، ﴿ حِزاء لَمْ كَانَ كف كه أي: فعلنا بنوح ما فعلنا من النجاة من الغرق العام، جزاء له حيث كذبه قومه وكفروا به فصبر على دعوتهم، واستمر على أمر الله، فلم يرده عنه راد، ولا صدّه عنه (۳) صاد، كما قال [تعالى] عنه في الآية الأخرى: ﴿قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك﴾ الآية.

ويحتمل أن المراد: أنا أهلكنا قوم نوح، وفعلنا بهم ما فعلنا من العذاب والخنزي، جزاء لهم على كفرهم وعنادهم، وهذا متوجه على قراءة من قرأها بفتح الكاف، ﴿ولقد تركناها آبة فهل من مدكر، أي: ولقد تركنا قصة نوح مع قومه آية يتذكر بها المتذكرون، على أنّ من عصى الرسل وعاندهم أهلكه الله بعقاب عام شديد، أو أن الضمير يعود إلى السفينة وجنسها، وأن أصل صنعتها تعليم من الله لعبده(١) نوح عليه السلام، ثم أبقى الله تعالى صنعتها وجنسها بين الناس ليدل ذلك على رحمته بخلقه وعنايته، وكمال قدرته، وبديع صنعته، ﴿فهل من مدكر ﴾؟ أي: فهل متذكر (٥) للأيات، مُلق ذهنه وفكرته لما يأتيه منها، فإنها في عاية البيان واليسر؟ ﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾ أي: فكيف رأيت أيها المخاطب عذاب الله الأليم وإنذاره الذي لا يُبقى لأحد عليه حجة.

﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ أي: ولقد يسرنا وسهلنا هذا

في ب: ولا صده عن ذلك صاد. (٣)

في ب: لرسوله، (1)

في ب: فهل من متذكر. (0)

زيادة من هامش: ب.

كذا في ب، وفي أ: وشدت (٢)

القرآن الكريم، ألفاظه للحفظ والأداء، ومعانيه للفهم والعلم، لأنه أحسن الكلام لفظاً، وأصدقه معنى، وأبينه تفسيراً، فكل من أقبل عليه يسر الله عليه مطلوبه غاية التيسير، وسهله عليه، والذكر شامل لكل ما يتذكر به العالمون من الحلال والحرام، وأحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء والمواعظ والعبر، والعقائد النافعة والأخبار الصادقة، ولهذا كان علم القرآن حفظاً وتفسيراً، أسهل العلوم، وأجلُّها على الإطلاق، وهو العلم النافع الذي إذا طلبه العيد أعين عليه، قال بعض السلف عند هذه الآية: هل من طالب علم فيُعان [عليه]؟ ولهذا يدعو الله عباده إلى الإقبال عليه والتذكر بقوله: ﴿ فهل من مدكر ﴾ .

﴿١٨ - ٢٢﴾ ﴿كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر \* إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر \* تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر \* فكيف كان عذابي ونذر \* ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ «وعاد» هي القبيلة المعروفة باليمن، أرسل الله إليهم هوداً عليه السلام يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، فكذبوه، فأرسل الله عليهم ﴿ رَجَّا صرصراً ﴾ أى: شديدة جداً، ﴿في يوم نحس﴾ أي: شديد العذاب والشقاء عليهم، ﴿مستمر﴾ عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً، ﴿تنزع الناس ﴾ من شدتها، فترفعهم إلى جو السماء، ثم تدفعهم بالأرض فتهلكهم، فيصبحون ﴿كَأْنِهُمْ أعجاز نخل منقعر الله أي: كأن جثثهم بعد هلاكهم مثل جذوع النخل الخاوي الذي أصابته (أ) الريح فسقط على الأرض، فما أهون الخلق على الله إذا عصوا أمره، ﴿ فَكَيف كَانَ عَذَانِي وندر كان [والله] العداب الأليم، والنذارة التي ما أبقت لأحد عليه حجة ، ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كور تعالى ذلك رحمة بعباده

وعناية بهم، حيث دعاهم إلى ما يصلح دنياهم وأخراهم.

﴿۲۳ \_ ۲۳﴾ ﴿كسذبست شعبود بالنذر \* فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذاً لفي ضلال وسعر \* أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر \* سيعلمون غداً من الكذاب الأشر \* إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر \* ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر \* فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر \* فكيف كان عذابي ونذر \* إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر \* ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ أي: كذبت ثمود وهم القبيلة المعروفة الشهورة في أرض الحجر، نبيهم صالحاً عليه السلام، حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأنذرهم العقاب إن هم خالفوه، فكذبوه واستكبروا عليه، وقالوا \_كِبْراً وتيها ..: ﴿ أَبِشُرا مِنَّا وَاحِدا نَتِيعِهُ ﴾ أي: كيف نتبع بشراً، لا ملكاً منا، لا من غيرنا، عن هو أكبر عند الناس منا، ومع ذلك فهو شخص واحد ﴿إِنَّا إِذَا ﴾ أي: إن اتبعناه وهو سذه الحال ﴿ لَقِي صَلَالُ وَسَعِرِ ﴾ أي: إنا لضالون أشقياء، وهذا الكلام من ضلالهم وشقائهم، فإنهم أنفوا أن يتبعوا رسولاً من البشر، ولم يأنفوا أن يكونوا عابدين للشجر والحجر والصور ﴿أَأَلَقَي الذَّكُو عليه من بيننا ﴿ أَي: كيف يخصه الله من بيننا وينزل عليه الذكر؟ فأي: مزية خصه من بيننا؟ وهذا اعتراض من المكذبين على الله، لم يزالوا يدلون به، ويصولون ويجولون ويردون به دعوة الرسل، وقد أجاب الله عن هذه الشبهة بقول الرسل لأمهم: ﴿قالت رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده الرسل مَنَّ الله عليهم بصفات وأخلاق وكمالات، بها صلحوا لرسالات ربهم والاختصاص بوحيه،

CANTE OF SAME AND A STATE OF THE SAME AND A STATE OF T خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَغَرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاتِ كَأَنَّهُمْ جَزَادٌ مُنْتَدُمُ مُعْطِعِينَ إِلَى الدِّلرَّعَ يَقُولُ الْكَلِيمُ وَذَهَذَا وَمُّعَيِيمٌ ۞ • كَذَيْتُ رَبَّهُ وَأَنَّى مَغَلُوبٌ فَأَنتَصِرُ فَفَنَحْنَا أَبُولَ التَّمَاءِ مِمَّاءِ مُنَّهَير @وَفَرَاا لَأَرْضَ عُواا فَالْتَقَ الْلَهُ عَلَى أَمْرِ فَدُ قُورَ ۞ وَحَمَلَنَهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاجٍ وَدُسُرِ فَهِ مَعْنِي بِأَعْيُنِنَا جُزَاءَ لِنَكَانَ كُفِرَ ١ وَلَقَدَ تُرَكُّنُهَا مَا يَهُ فَهَلُ مِن مُذَكِرٍ ۞ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُدُرٍ ۞ وَلَقَدْ يَنَتَزَا ٱلْفُرُوانَ لِلذِّكِيرِ فَهَلْ مِن مُذَّكِر ۞ كَذَبَتْ عَادُفَكَيْفَكَانَ عَنَابِي وَنُفُرِ ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ مُرِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِنْعُين مُسْتَمِرٌ ۞ تَيزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنْهُمُ أَعْمَارُ مُغَلِّ مُّنعَيرٍ ۞ فَكَيْفَكَانَ عَنَابِي وَنُدُرِ ۞ وَلَقَدُ يَتَرَا ٱلْمُوَانَ لِلذِّكْرِفَهُ لِمِن مُذَكِرِ كُذَّبَتْ ثَعُودُ إِلنَّذُرِ ۞ فَقَالُواْ أَبْسَكُ مِنَّا وَحِدًا نَنْيَعُهُ وَإِنَّا إِذَا لَيْ صَلَل وَسُعُى ۞ أَعُلِقَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ يَشِينَابَلْ هُوَكَذَابُ أَشِرُ۞ سَيَعَلَمُونَ غَدَامَنِ ٱلْكَنَابُ ٱلأَثِيرُ ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّافَ وَفِنْ مَا لَّمُ فَالْتَقِيمُ مُو وَاصْطَارُ ﴿ DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

ومن رحمته وحكمته أن كانوا من البشر، فلو كانوا من الملائكة لم يمكن البشر أن يتلقوا عنهم، ولو جعلهم من الملائكة لعاجل الله المكذبين لهم بالعقاب العاجل.

والمقصود بهذا الكلام الصادر من ثمود لنبيهم صالح، تكذيبه، ولهذا حكموا عليه بهذا الحكم الجائر، فقالوا: ﴿بِل هِو كِذَابِ أَشِر ﴾ أي: كثير الكذب والشر، فقبحهم الله ما أسفه أحلامهم وأظلمهم، وأشدهم مقابلة للصادقين الناصحين بالخطاب الشنيع، لا جرم عاقبهم الله حين اشتد طغيانهم، فأرسل الله الناقة التي هي من أكبر النعم عليهم، آية من آيات الله، ونعمة يحتلبون من ضرعها(٢) ما يكفيهم أجمعين، ﴿فتنةُ لهم، أي: اختباراً منه لهم وامتحاناً ﴿ فَأُرْتَقْبِهِم واصطبر ﴾ أي: اصبر على دعوتك إياهم، وارتقب ما يحل بهم، أو ارتقب هل يؤمنون أو يكفرون؟ ﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم ﴾ أي: أخبرهم أن الماء أي: موردهم الذي يستعذبونه، قسمة بينهم وبين الناقة، لها شرب يوم ولهم شرب يوم آخر معلوم، ﴿كل شرب محتضر﴾ أي: يحضره من كان قسمته، ويحظر على من

Called or Carried of وَيَقِعُهُمْ أَنَا لَكَآءَ فِسْمَةٌ بِيَنَهُمُ مُكُلُّ شِرْبِ تُحْتَمَرُ ۞ فَلَدُوَا صَاحِبُهُ فَتَعَاطَىٰ فَعَغَرَ ۞ فَكَيْفَكَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَحِدَةً فَكَانُواْ كَمَشِيرِ الْتُخَطِّى ۞ وَلَقَدْ يَتَزَوَا الْقُرْيَانَ لِلْأَرِفَهَا مِن مُذَكِرِ ۞ كَذَّبِتْ قَوْمُ لُوطٍ وَالنُّذُونِ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ رَحَاصِنَا إِلَّاءَ الْلُوطِّ فَجَنَّتُهُ مِيسَعَرِ ۞ يَعْمَةُ فِنْ عِدِنَّا كَذَٰ لِكَ نَجْزِي مَن شَكَرُ ۞ وَلَقَدُ أَنذَرَهُم يَهُلْمَ تَنَا فَنَارُواْ بِالْذُرُرِ ۞ وَلَقَدُ زَوَدُوهُ عَن صَيْفِهِ ۽ فَطَمَسْنَاۤ أَعُينُهُمْ فَذُوقُوْاْ عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ وَلَقَدْصَبَّحَهُم يُكُرَّةً عَذَابٌ مُسْنَقِرٌ ۞ فَكُوفُواْ عَذَابِ وَنُدُدِ ۞ وَلَقَدُ يَتَرَا الْقُرْءَانَ لِلزِّكْرِ فَهَلُ مِن مُذَّكِد ۞ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنِ ٱلنَّذُرُ ۞ كَذَبُواْ بِعَالِيْنَا كَيْلَهَا فَأَخَذُنَّهُمُ أَخْذَ عَزِيزِمُّقُنِّدِ ۞ أَكُفَّارُكُو حَيْرِيمَنْ أُولَتِهِكُو أَمْ لَكُوْبَرَاءَةً وَالزَّبُرِ ۞ أَمْ يَغُولُونَ غَنْ بَعِيعٌ مُّنْفِيرٌ ۞ سَيُهْرَهُ ٱجْمَتُمُ وَيُولُونَ ٱلدُّرُقِ مِلَ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمْنُ ۞ إِنَّا أَخْرِمِينَ فِي مَنَكُلِ وَسُعُرٍ ۞ يَوْمَ يُسْتَحُونَ فِي النَّادِ عَلَى وُجُوهِهِمْ دُوتُواْ مَسَ سَقَرَ ۞ إِنَّا كُلُّ شَيْءِ ظَلْفَنَّهُ مِقْدَرِ ۞ action of language

﴿فنادوا صاحبهم﴾ الذي باشر عقرها، الذي هو أشقى القبيلة ﴿فتعاطى﴾ أي: انقاد لما أمروه به من عقرها ﴿فعقر﴾ ﴿فكيف كان عذابٍ ونذر﴾ كان أشد عذاب، أرسل الله عليهم صيحة ورجفة أهلكتهم عن آخرهم، ونجى الله صالحاً ومن آمن معه، ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر﴾.

ليس بقسمة له .

﴿٣٣-٤٤ ﴿كذبت قدم لوط بالنذر \* إنا أرسلنا عليهم حاصباً إلا أل لوط نجيناهم بسحر \* نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر \* ولقد أندرهم بطشتنا فتماروا بالنذر \* ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فلوقوا عذابي ونذر \* ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر \* فذوقوا عذابي ونذر \* ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ أي: ﴿كذبت قوم لوط عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم إلى

عن الشرك والفاحشة التي ما سبقهم بها أحد من العالمين، فكذبوه واستمروا على شركهم وقبائحهم، حتى إن الملائكة الذين جاؤوه بصورة أضياف حين سمع بهم قوم لوط، جاؤوهم (۱) مسرعين، يريدون إيقاع الفاحشة فيهم، لعنهم الله وقبحهم، وراودوه عنهم، فأمر الله جبريل عليه السلام، فطمس أعينهم بجناحه، وأنذرهم نبيهم بطشة الله وعقوبته ﴿فتماروا بالنذر ﴾ ﴿ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر﴾ قلب الله عليهم ديارهم، وجعل أسفلها أعلاها، وتتبعهم بحجارة من سجيل منضود، مسومةً عند ربك للمسرفين، ونجى الله لوطأ وأهله من الكرب العظيم، جزاء لهم على شكرهم لربهم، وعبادته وحده لا شريك له.

﴿ ٤١ ـ ٥٥ ﴾ ﴿ ولـقـد جـاء آل فرعون النذر \* كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر \* أكفاركم خير من أوليُكم أم لكم براءة في الزبر \* أم يقولون نحن جميع منتصر \* سيهزم الجمع ويولون الدبر \* بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر \* إن المجرمين في ضلال وسعر \* يوم يسحبون في النّار على وجوههم ذوقواً مس سقر \* إنا كل شيء خلقناه بقدر \* وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر \* ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر \* وكل شيء فعلوه في الزبر \* وكل صغير وكبير مستطر \* إن المتقين في جنات ونهر \* في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴿ أَي: ﴿ وَلَقَد جاء آل فرعون، أي: فرعون وقومه ﴿النذر﴾ فأرسل الله إليهم موسى الكليم، وأيده بالآيات الباهرات، والمعجزات القاهرات<sup>(٢)</sup>، وأشهدهم

من العبر ما لم يشهد عليه أحداً غيرهم (٢٦)، فكذبوا بآيات الله كلها، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر، فأغرقهم في اليم هو وجنوده (٤).

والمراد من ذكر هذه القصص تحذير [الناس و] المكذبين لمحمد ﷺ، ولهذا قال: ﴿ أَكِفَارِكُمْ خِيرِ مِنْ أُولِنُكُمْ ﴾ أى: هـؤلاء الـذيـن كـذبـوا أفـضـل الرسل، خير من أولئك المكذبين، الذين ذكر الله هلاكهم وما جرى عليهم؟ فإن كانوا خيراً منهم، أمكن أن ينجوا من العذاب، ولم يصبهم ما أصاب أولئك الأشرار، وليس الأمر كذلك، فإنهم إن لم يكونوا شراً منهم، فليسوا بخير منهم، ﴿أُم لَكُم براءة في الربر ﴾ أي: أم أعطاكم الله عهداً وميثاقاً في الكتب التي أنزلها على الأنبياء، فتعتقدون حينئذ أنكم الناجون بإخبار الله ووعده؟ وهذا غير واقع، بل غير ممكن عقلاً وشرعاً، أن تكتب براءتهم في الكتب الإلهية المتضمنة للعدل والحكمة، فليس من الحكمة نجاة أمثال هؤلاء المعاندين المكذبين، لأفضل الرسل وأكرمهم على الله، فلم يبق إلا أن يكون بهم قوة ينتصرون بها، فأخبر تعالى أنهم يقولون: ﴿نحن جميع منتصر ﴾ قال تعالى مبيناً لضعفهم، وأنهم مهزومون: ﴿سينهزم الجمع ويُولُون الدبر﴾ فوقع كما أخبر، هزم الله جمعهم الأكبريوم بدر، وقتل من<sup>(۵)</sup> صناديدهم وكبراثهم ما ذلوا به (٦)، ونصر الله دينه ونبيه وحزبه المؤمنين. ومع ذلك، فلهم موعد يجمع به أولهم وآخرهم، ومن أصيب في الدنيا منهم، ومن متع بلذاته، ولهذا قال: ﴿بِلَ الساعة موعدهم الذي يجازون به، ويؤخذ منهم الحق بالقسط، ﴿والساعة أدهى وأمر﴾ أي:

<sup>(</sup>١) في ب: جاءوا.

<sup>(</sup>٢) في ب: بالآيات البينات، والمعجزات الباهرات.

<sup>(</sup>٣) في ب: ما لم يشهد غيرهم.

<sup>(</sup>٤) في ب: فأغرقه وجنوده في اليم.

 <sup>(</sup>۵) في ب: وقتلت.
 (٦) في ب: فأذلوا.

أعظم وأشق، وأكبر من كل ما يتوهم، أو يدور بالبال(١).

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: الذين أكثروا من فعل الجرائم، وهي الذنوب العظيمة من الشرك وغيره، من المعاصى ﴿في ضلال وسعر﴾ أي: هم ضالونٌ في الدنيا، ضُلاَّلُ عن العلم، وضلال عن العمل، الذي ينجيهم من العذاب، ويوم القيامة في العذاب الأليم، والنبار التي تتسعر بهم، وتشتعل في أجسامهم، حتى تبلغ أفتدتهم، ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم) التي هي أشرف ما بهم من الأعضاء، وألمها أشدمن ألم غيرها، فيهانون بذلك ويخزون، ويقال لهم: ﴿ ذُوقُوا مِس سقر ﴾ أي : ذوقوا ألم النار وأسفها وغيظها ولهبها.

﴿إِنَا كُلُّ شَيء خَلَقْنَاه بِقَدْرِ ﴾ وهذا شامل للمخلوقات والعوالم العلوية والسفلية، أن الله تعالى وحده خلقها لا خالق لها سواه، ولا مشارك له في خلقها<sup>(۲)</sup>، وخلقها بقضاء سبق به علمه، وجرى به قلمه، بوقتها ومقدارها، وجميع ما اشتملت عليه من الأوصاف، وذلَّك على الله يسير، فلهذا قال: ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ، فإذا أراد شيئاً قال له كن فيكون كما أراد، كلمح البصر، من غير ممانعة ولا صعوبة.

﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ من الأمم السابقين الذين عملوا كما عملتم، وكذبوا كما كذبتم ﴿فهل من مدكر﴾ أي: متذكر يعلم أن سنة الله في الأولين والآخرين واحدة، وأن حكمته كما اقتضت إهلاك أولئك الأشرار، فإن هؤلاء مشلهم، ولا فرق بين الفريقين. ﴿وكل شيء فعلوه في الزبر﴾ أي: كل ما فعلوه من خير وشر مكتوب عليهم في الكتب القدرية ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾ أي: مسطر مكتوب، وهذا حقيقة القضاء

والقدر، أن جميع الأشياء كلها، قد علمها الله تعالى، وسطرها عنده في اللوح المحفوظ، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن

﴿إِن المتقين ﴾ لله ، بفعل أوامره وترك نواهيه، الذين اتقوا الشرك والكبائر والصغائر.

﴿ فِي جِناتِ وَنَهِر ﴾ أي: في جنات النعيم، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من الأشجار اليانعة، والأنهار الجارية، والقصور الرفيعة، والمنازل الأنبقة، والمآكل والمشارب اللذيذة، والحور الحسان، والروضات البهية في الجنان، ورضوان الملك الديان، والفوز بقربه، ولهذا قال: ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر ك فلا تسأل بعد هذا عما يعطيهم ربهم من كرامته وجوده، ويمدهم به من إحسانه ومنته، جعلنا الله منهم، ولا حرمنا خير ما عنده بشرّ ما عندنا.

#### تم تفسير سورة اقتربت، ولله الحمد والشكر

## تفسير سورة الرحمن [وهي] مكية

﴿١ - ١٣) ﴾ ﴿ بسبم الله السرحسن الرحيم \* الرحمن \* علم القرآن \* خلق الإنسان \*علمه البيان \* الشمس والقمر بحسبان \* والنجم والشجر يسجدان \* والسماء رفعها ووضع الميزان \* ألا تبط غوا في الميزان \* وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان \* والأرض وضعها للأنام \* فيها فاكهة والنخل ذات الأكسمام \* والحب ذو العصف والريحان \* فبأي: آلاء ربكما تكذبان مذه السورة الكريمة الجليلة، افتتحها باسمه «الرحمن» الدال على سعة

وَمَآ أَمُرُاۤ إِلَّا وَاحِدَةُ كُلَمْجِ بِٱلْبَصَدِ ۚ وَلَقَدْ أَهْلَكُنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلِ مِن مُّذَكِرِ ۞ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّيُرِ ۞ وَكُلُّ صَغِيرِ وَكَبِيرِمُسْتَطَرُ ۞ إِذَا ٱلْتَقِينَ فِجَنَّتِ وَنَهَرٍ ۞ فِمَقْعَدِصِدْقِ عِندَمَلِكِ مُقْنَدِرٍ۞ حِاللَّهَ الرَّخَرَ الرَّجَيْمِ ٱلرَّخَنُ ۞ عَلِّمَ الْفُرَةِ ان ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۞ عَلَمَهُ ٱلْبَيانَ ۞ٱلشَّعْشُ وَٱلْقَمَّرُ مُحْسَبَانِ۞ وَٱلنَّجَهُ وَٱلشَّجَرُ مَسْجُ مَانِ ۞ وَٱلسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَصَعَ ٱلْمِيرَانَ ۞ أَلَا تَطْغَوْا فِي ٱلْمِيرَان المُ وَأَقِيمُوا الْوَزْتَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُحْيِسْرُوا الْمِيزَانَ ۞ الأَوْلَارُضَ وَضَعَهَا لِلْأَسَامِ ۞ فِيهَا فَلَكِهَةً وَٱلنَّحْلُ ذَاتُ ٱلْأَحْتُ مَامِ ۞ وَٱلْحَبُ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلْزَيْحَ الْ الآهِ رَبِّ أَيْ مَا لَآهِ رَبِّكُمَا ثُكَدُّ إِن ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنْكُنَّ وَ مَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الْجَالَةُ الْجَالَةُ الْجَالَةُ مِن و مَارِج مِن نَارِ ﴿ فِيأَيَّ الْآهِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبُانِ ۞ DEPOSIT OF BOTH OF

رحمته، وعموم إحسانه، وجزيل بره، وواسع فضله، ثم ذكر ما يدل على رحمته وأثرها الذي أوصله الله إلى عباده من النعم الدينية والدنيوية [والآخروية وبعد كل جنس ونوع من نعمه، ينبه الثقلين لشكره، ويقول: ﴿ فَبِأَي: آلاء ربكما تكذبان ﴾ .

فذكر أنه ﴿علم القرآن﴾ أي: علم عباده ألفاظه ومعانيه، ويسرها على عباده، وهذا أعظم منة ورحمة رحم بها عباده، حيث أنزل عليهم قرآناً عربياً بأحسن ألفاظ، وأحسن تفسير، مشتمل على كل خير، زاجر عن كل

﴿ خلق الإنسان ﴾ في أحسن تقويم، كامل الأعضاء، مستوفى الأجزاء، محكم البناء، قد أتقن البديم تعالى (٣) خلقه أي اتقان، وميزه على سائر الحيوانات، بأن ﴿علمه البيان﴾ أي: التبيين عما في ضميره، وهذا شامل للتعليم النطقي والتعليم الخطي، فالبيان الذي ميز الله به الأدمى على غيره من أجلّ نعمه، وأكبرها عليه، ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ أي: خلق الله الشمس والقمر، وسخرهما يجريان بحساب مقنن، وتقدير مقدر،

في ب: في الخيال. (1)

في ب: خلقه. (٢)

في ب: قد أتقن الباري تعالى البديع خلقه. (٣)

رَبُّ ٱلْمَشْرِ قَنْ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِينْ ۞ فَإِلَّى ءَالَّإِ رَبُّكُما تُكَذِّكَانَ مَرَجَ ٱلْبَعْرَيْنِ يَلْفِقِيَانِ۞ بَيْنَهُمَا مَرْزَةٌ لَا يَبْعِيَانِ۞ فِلِّي الْآهِ رَيَكُمَا تَكَذِبَانِ۞ يَغُرُمُ مِنْهُمَا ٱللَّوْلُوُ وَٱلْمَرْمَادُ۞ فَبَأَيْ ءَالَآهِ رَيْكُمَا تُكَذِبَاذِ ۞ وَلَهُ الْجُوَارِ ٱلْمُشَعَاتُ فِي ٱلْجَرَاكُ الْخَلَادِ ۞ فَإِنَّ ءَالَآ تَرَكُمُ اَتُكَذِبَاذِ ۞ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَاذِ۞ وَيَنَقَ وَحَهُ رَبْكَ دُوٱلْجُلَالِ وَٱلْإِحْرَامِ ۞ مِّأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَوِّيَانِ ٤ يَسْتَلُهُ مِن فِي ٱلسَّكَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ كُلِّ وَهُوَ فِي شَأْن ﴿ فِيأَيْ ءَالْآ ِ رَبُّكُما تُكَذِّبَانِ ۞ سَنَفُرُغُ لَكُو أَيُّهُ ٱلْفَلَلَانِ ۞ فِأَيْ مَالَآ مَرَيُكُمَا ثُكَيْبَانِ ۞ يَسَعُضَ رَالْحِينَ وَٱلْإِنِينِ إِن ٱسْتَطَعْتُرُ أَن نَنفُذُوا مِنْ أَقْطَا رِٱلسَّكَوْتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوًّا لَانَعُدُونَ إِلَّامِ مُلْطِّن ﴿ فِيأَيِّ وَالَّهِ رَيِّكُمَا تُكَيِّرُان ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظُ مِنْ نَارِ وَخُاسٌ فَلَا تَنْصَرَانِ ۞ فِي أَيْ ءَالَآهِ رَبِّكُمَا تَكَذِبَانِ ۞ فَإِذَا ٱنشَقَتِ ٱلسَّمَآةُ فَكَانَتْ وَزُوَّةً كَالدِّهَانِ ۞ فَإِلَيْءَ الآدِ رَبِّكُمَا تَكَذِّبَانِ ۞ فَوْمَهِ لِلْإِنْتَ لُعَن ذَبُوة إِنْنُ وَلَاجَأَنَّ ۞ فِمَأْيَ وَالْآهِ رَبِّكُمَاثُكُذِكِانِ۞ CANADA ... ROBORO

رحمة بالعباد، وعناية بهم، وليقوم بذلك من مصالحهم ما يقوم، وليعرف العباد عدد السنين والحساب، ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ أي: نجوم السماء، وأشجار الأرض، تعرف ربها وتسجدله، وتطيع وتخشع (١١)، وتنقاد لما سخرها له من مصالح عباده ومنافعهم، ﴿والسماء رفعها ﴿ سقفها للمخلوقات الأرضية ، ووضع الله الميزان أي: العدل بين العباد، في الأقوال والأفعال، وليس المراد به الميزان المعروف وحده، بل هو كما ذكرنا، يدخل فيه الميزان المعروف، والمكسال النذي تكال به الأشساء والمقادير، والمساحات التي تضبط بها المجهولات، والحقائق التي يفصل بها بين المخلوقات، ويقيام بها العدل بينهم، ولهذا قال: ﴿ أَلَّا تَطَعُوا فِي الميزان أي: أنزل الله الميزان، لئلا تتجاوزوا الحد في الميزان، فإن الأمر لو كان يرجع إلى عقولكم وآرائكم، لحصل من الخلل ما الله به عليم، ولفسدت السماوات والأرض.

وأقيموا الوزن بالقسط أي: اجعلوه قائماً بالعدل، الذي تصل إليه مقدرتكم وإمكانكم، وولا تخسروا الميزان أي: لا تنقصوه وتعملوا بضده، وهو الجور والظلم والطغيان، والأرض وضعها الله على ما كانت عليه من الكثافة والاستقرار واختلاف [أوصافها و] أحوالها وللأنام أي: للخلق، لكي يستقروا عليها، وتكون للخلق، لكي يستقروا عليها، وتكون ويغرسون ويحفرون ويسلكون سبلها فجاحاً، وينتفعون بمعادنها وجميع ما فجاجاً، وينتفعون بمعادنها وجميع ما فيها، مما تدعو إليه حاجتهم، بل

ضرورتهم.

ثم ذكر ما فيها من الأقوات الضرورية، فقال: ﴿فيها فَاكُهُةُ﴾ وُهي جميع الأشجار التي تثمر الثمرات التي يتفكه بها العباد، من العنب والتين والرمان والتفاح، وغير ذلك، ﴿ وَالَّـنِحُلِ ذَاتِ الأَكْمِامِ ﴾ أي: ذات الوعاء الذي ينفلق عن القنوان التي تخرج شيئاً فشيئاً حتى تتم، فتكون قوتاً يؤكل ويدخر، يتزود منه المقيم والمسافر، وفاكهة لذيذة من أحسن الفواكه، ﴿والحب ذو العصف أي: ذو الساق الذي يداس، فينتفع بتبنه للأنعام وغيرها، ويدخل في ذلك حب البر والشعيس والذرة [والأرز] والدخن، وغير ذلك، ﴿والريحان﴾ يحتمل أن المراد بذلك جميع الأرزاق التي يأكلها الآدميون، فيكون هذا من باب عطف العام على الخاص، ويكون الله قد امتنَّ على عباده بالقوت والرزق، عموماً وخصوصاً، ويحتمل أن المراد بالريحان، الريحان المعروف، وأن الله امتنَّ على عباده بما يسره في الأرض من أنبواع الروائح الطيبة، والمشام الفاخرة، التي تسر الأرواح،

وتنشرح لها النفوس.

ولما ذكر جملة كثيرة من نعمه التي تشاهد بالأبصار والبصائر، وكان الخطاب للثقلين، الإنس والجن، قررهم تعالى بنعمه، فقال: ﴿فَبِأَي: الله ربكما تكذبان﴾ أي: فبأي: نعم الله الدينية والدنيوية تكذبان؟

وما أحسن جواب الجن حين تلا عليهم النبي على هذه السورة، فما مر بقوله: ﴿فَبَأِي: آلاء ربكما تكذبان﴾ إلا قالوا(٢): ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد، فهذا الذي ينبغي (٣) للعبد إذا تلبت عليه نعم الله وآلاؤه، أن يقرّ بها ويشكر، ويحمد الله عليا

﴿ ١٤ - ١٦ ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار \* وخلق الجان من مارج من نار \* فبأي: آلاء ربكما تكذيان ﴾ .

وهذا من نعمه تعالى على عباده، حيث أراهم [من] آثار قدرته وبديع صنعته، أن ﴿خلق﴾ أبا الإنس وهو آدم عليه إلىسلام ﴿من صلىصال كالفخار﴾ أي: من طين مبلول، قد أحكم بله وأتقن، حتى جف، فصار له صلصلة وصوت يشبه صوت الفخار الذي طبخ على النار(١)، ﴿وخلق الجان أي: أبا الجن، وهو إبليس اللعين(٥) ﴿من مارج من نار﴾ أي: من لهب النار الصافي، أو الذي قد خالطه الدخان، وهذا يدل على شرف عنصر الأدمى المخلوق من الطين والتراب، الذي هو محل الرزانة والثقل والمنافع، بخلاف عنصر الجان وهو النار، التي هي محل الخفة والطيش والشر

ولما بين خلق الشقلين ومادة ذلك(٢)، وكان ذلك منةً منه [تعالى]

<sup>(</sup>١) في ب: وتخضع.

 <sup>(</sup>٢) في ب: فكلما مر بقوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ قالوا.

<sup>(</sup>٣) في ب: فهكذا ينبغي.

<sup>(</sup>٤) في ب: وهو الطين المشوي.

<sup>(</sup>٥) في ب: لعنه الله.

 <sup>(</sup>٦) كذا في ب، وفي أ: مادة الثقلين.

على عباده (۱)، قال: ﴿فَبِأَي: آلاء ربكما تكذبان﴾ .

(۱۷ – ۱۸) (رب المشرقين ورب المغربين \* فبأي: آلاء ربكما تكذبان) أي: هو تعالى رب كل ما أشرقت عليه الشمس والقمر، والكواكب النيرة، وكل ما غربت عليه، [وكل ما كانا فيه] فهي تحت (۲) تدبيره وربوبيته، وثناهما هنا لإرادة العموم مشرقي الشمس شتاة وصيفاً، ومغربها كذلك (۲).

﴿ ١٩ - ٢١﴾ ﴿ مسرج البحريس يلتقيان \* بينهما برزخ لا يبغيان \* بالبحرين: البحر العذب، والبحر المالح، فهما يلتقيان كلاهما، فيصب الملاح، فهما يلتقيان كلاهما، فيصب العذب في البحر المالح، ويختلطان بينهما برزخاً من الأرض، حتى لا يبغي أحدهما على الآخر، ويحصل لا يبغي أحدهما على الآخر، ويحصل النفع بكل منهما، فالعذب منه يشربون به يطيب الهواء ويتولد الحوت والسمك، واللولؤ والمرجان، ويكون مستقراً مسخراً للسفن والمراكب، ولهذا قال:

﴿ ٢٤﴾ ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام \* فبأي: آلاء ربكما تكذبان ﴾.

أي: وسخر تعالى لعباده السفن الجواري، التي تمخر البحر وتشقه بإذن الله، التي ينشئها الآدميون، فتكون من كبرها وعظمها كالأعلام، وهي الجبال العظيمة، فيركبها الناس، ويحملون عليها أمتعتهم وأنواع عاراتهم، وغير ذلك مما تدعو إليه حافظ السماوات والأرض، وهذه من نعم الله الجليلة، فلذلك قال: ﴿فَبْأَي: الله عما تكذبان﴾.

و ٢٦ - ٢٦ و وحد ربك ذو الجلال فان \* ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام \* فببأي: آلاء ربكما تكذبان أي: كل من على الأرض، من إنس وجن، ودواب، وسائر المخلوقات، يفنى ويموت ويبيد ويبقى الحي الذي لا يموت (فو الجلال والإكرام) أي: ذو العظمة والكبرياء والمجد، الذي يعظم ويبجل ويجل والجده، والإكرام الذي هو سعة الفضل والجود، والداعي لأن يكرم أولياء وخواص خلقه بأنواع الإكرام، الذي يكرمه أولياؤه ويجلونه، [ويعظمونه] يكرمه أولياؤه ويجلونه، [ويعظمونه] وفيأي: آلاء ربكما تكذبان ألله ويعبدونه،

﴿۲۹ ـ ۲۹﴾ ﴿يسأله من في السماوات والأرض كل ينوم هو في شأن \* فبأى: آلاء ربكما تكذبان﴾ أي: هو الغني بذاته عن جميع مخلوقاته، وهو واسع الجود والكرم، فكل الخلق مفتقرون إليه، يسألونه جميع حوائجهم، بحالهم ومقالهم، ولا يستغنون عنه طرفة عين ولا أقل من ذلك، وهو تعالى ﴿كُلُّ يُومُ هُو فَيُ شأن الله يغنى فقيراً، ويجبر كسيراً، ويعطي قوماً، ويمنع آخرين، ويميت ويحيى، ويرفع ويخفض، لا يشغله شأن عن شأن، ولا تغلطه المسائل، ولا يبرمه إلحاح الملحين، ولا طول مسألة السائلين، فسبحان الكريم الوهاب، الذي عمت مواهبه أهل الأرض والسماوات، وعمّ لطفه جميع الخلق في كل الآنات واللحظات، وتعالى الذي لا يمنعه من الإعطاء معصية العاصين، ولا استغناء الفقراء الجاهلين به وبكرمه، وهذه الشؤون التي أخبر أنه تعالى كل يوم هو في شأن، هي تقاديره وتدابيره التي قدرها

في الأزل وقضاها، لا يزال تعالى يمضيها وينفذها في أوقاتها التي اقتضته حكمته، وهي أحكامه الدينية التي هي الأمر والنهي، والقدرية التي يجريها على عباده مدة مقامهم في هذه الدار، حتى إذا عمل [هذه] الخليقة وأفناهم الله تعالى (ئ)، وأراد تعالى أن ينفذ فيهم أحكام الجزاء، ويريهم من عدله وفضله وكثرة إحسانه، ما به يعرفونه ويوحدونه، نقل المكلفين من دار الجيوان.

وفرغ حينئذ لتنفيذ هذه الأحكام، التي جاء وقتها، وهو المراد بقوله: (٣١ ـ ٣٦) ﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان \* فبأي: آلاء ربكما تكذبان ﴾ أي: سنفرغ لحسابكم ومجازاتكم بأعمالكم التي عملتموها في دار الدنيا.

﴿٣٣﴾ ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تسفدون إلا بسلطان ان إذا جمعهم الله في موقف القيامة، أخبرهم بعجزهم وضعفهم، وكمال سلطانه، ونفود مشيئته وقدرته، فقال معجزاً لهم: ﴿يَا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض ، أى: تجدون منفذاً مسلكاً تخرجون به عن ملك الله وسلطانه، ﴿فَانْفُذُوا لا تستفدون إلا بسسلطان ♦ أي: لا تخرجون عنه إلا بقوة وتسلط منكم، وكمال قدرة، وأنَّى لهم ذلك، وهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرآ، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً؟! ففى ذلك الموقف لا يتكلم أحد إلا بإذنه، ولا تسمع إلا همساً، وفي ذلك الموقف يستوى الملوك والماليك، والرؤساء والمرؤوسون، والأغنياء والفقراء.

<sup>(</sup>١) في ب: عليهم.

<sup>(</sup>٢) فالجميع تحت..

<sup>(</sup>٣) في ب: وثناهما هنا باعتبار مشارقها شتاء وصيفاً والله أعلم.

<sup>(</sup>٤) كذا في ب، وفي أ: وأفنى الله الخلق.

(٣٦\_٣٥) ثم ذكر ما أعد لهم في ذلك الموقف العظيم (١) ، فقال : ويرسل عليكما شواظ من نار [ونحاس فلا تنظران فبأي : آلاء ربكما تكذبان أي : يرسل عليكما] لهب صاف من النار .

﴿ونحاس﴾ وهو اللهب، الذي قد خالطه الدخان، والمعنى أن هذين الأمرين الفظيعين يرسلان عليكما يا معشر الجن والإنس، ويحيطان بكما فلا تنتصران، لا بناصر من أنفسكم، ولا بأحد ينصركم من دون الله.

ولما كان تخويفه لعباده نعمة منه عليهم، وسوطاً يسوقهم به إلى أعلى المطالب وأشرف المواهب، استن عليهم (۲)، فقال: ﴿ فِبْأِي: آلاء ربكما تكذبان﴾.

﴿٣٧﴾ ﴿فإذا انشقت السماء﴾ [أي] يوم القيامة من شدة الأهوال، وكثرة البلبال، وترادف الأوجال، فانخسفت شمسها وقمرها، وانتثرت نجومها، ﴿فكانت﴾ من شدة الخوف كانت كالمهل والرصاص المذاب ونحوه وبنأي: آلاء ربكما تكذبان \* فيومثذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ أي: الغيب والشهادة والماضي والمستقبل، الغيب والشهادة والماضي والمستقبل، ويريد أن يجازي العباد بما علمه من أحوالهم، وقد جعل لأهل الخير والشر يوم القيامة علامات يعرفون بها، كما قال تعالى: ﴿يوم تبيضٌ وجوه وتسودٌ وجوه .

﴿٤١﴾ وقسال هسنسا: ﴿يسعسرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ أي: فيسؤخذ بنواصي المجرمين وأقدامهم، فيلقون في النار ويسحبون فيها، وإنما يسألهم تعالى سؤال توبيخ وتقرير بما وقع منهم، وهو أعلم به منهم، ولكنه تعالى يريد

أن تظهر للخلق حجته البالغة، وحكمته الجليلة.

﴿٢٤ ـ ٤٤ ﴾ ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون \* يطوفون بينها وبين حميم آن \* فبأي: الآء ربكما تكذبان ﴾ أي: يقال للمكذبين بالوعد والوعيد حين تسعر الجحيم: ﴿هذه فليهنهم تكذيبهم بها، وليذوقوا من عذابها ونكالها وسعيرها وأغلالها، ما هو جزاء لتكذيبهم (٢) ، ﴿يطوفون بينها ﴾ أي: بين أطباق الجحيم ولهبها وقره، ﴿فبأي: آلاء ربكما تكذبان ﴾ وقا ذكر ما يفعل بالمجرمين، ذكر والمتقين الخائفين، فقال:

﴿ 3 \_ 30 ﴾ ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان \* فبأي: الآء ربكما تكذبان﴾ إلى آخر السورة.

أي: وللذي خاف ربه وقيامه عليه، فترك ما نهى عنه، وفعل ما أمره به، له جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وبنيانهما وما فيهما، إحدى الجنتين جزاء على ترك النهيات، والأخرى على فعل الطاعات، ومن أوصاف تلك فيهما من ألوان النعيم المتنوعة نعيم الجنتين أنهما فرواتا أفنان [أي: ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر] (على أن سمعت، ولا خطر على قلب بشر] (على أن شمعت، ولا خطر على قلب بشر] (على أن أن فيهما الأشجار الكثيرة الزاهرة ذوات الغصون الناعمة، التي فيها الثمار اليانعة الكثيرة اللذيدة، أو فيها الثعيم وأنواعه جع فن، أي: صنف.

وفي تلك الجنتين ﴿عينان تجريان﴾ يفجرونها على ما يريدون ويشتهون، ﴿فيهما من كل فاكهة﴾ من جميع أصناف الفواكه ﴿زوجيان﴾ أي: صنفان، كل صنف له لذة ولون، ليس للنوع الآخر، ﴿متكثين على فرش بطائنها من إستبرق﴾ هذه صفة فرش

أهل الجنة وجلوسهم عليها، وأنهم متكثون عليها، [أي:] جلوس تمكن واستقرار [وراحة]، كجلوس من الملوك على الأسرة، وتلك الفرش، لا يعلم وصفها وحسنها إلا الله عز وجل، حتى إن بطائنها التي تلي الأرض منها، من إستبرق، وهو أحسن الحرير وأفخره، فكيف بظواهرها التي تلي بشرتهم؟!(1)

﴿وجنى الجنتين دان ﴾ الجنى هو الثمر المستوي أي: وثمر هاتين الجنتين قريب التناول، يناله القائم والقاعد والمضطجم.

﴿ فيهن قاصرات الطرف ﴾ أي: قد قصرن طرفهن على أزواجهن، من حسنهم وجمالهم، وكمال محبتهن لهم، وقصرنَ أيضاً طرف أزواجهن عليهن، من حسنهن وجمالهن ولذة وصالهن، ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ أي: لم ينلهن قبلهم أحد من الإنس والجن، بل هن أبكار عرب، متحببات إلى أزواجهن، بحسن التبعل والتغنج والملاحمة والمدلال، ولمهمذا قمال: ﴿كَأَنِّهِ لَا لَيَاقِبُوتَ وَالْمُرْجِانَ﴾ وَذَلْكُ لصفائهن وجمال منظرهن وبهائهن، ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ أي: هل جزاء من أحسن في عبادة الخالق ونفع عبيده، إلا أن يحسن إليه بالثواب الجزيل، والفوز الكبير، والنعيم المقيم، والعيش السليم، فهاتان الجنتان العاليتان للمقربين، ﴿ومن دونهما جنتان﴾ من فضة بنيانهما وآنيتهما وحليتهما وما فيهما لأصحاب اليمين، وتلك الجنتان ﴿مدهامتان﴾ أى: سوداوان من شدة الخضرة التي هي أثر الري.

﴿ ٦٦﴾ ﴿ فيهما عينان نضاختان ﴾ أي: فوارتان، ﴿ فيهما فاكهة ﴾ من جيع أصناف الفواكه، وأخصها النخل والرمان، اللذان فيهما من المنافع ما فيهما، ﴿ فيهن ﴾ أي: في الجنات كلها ﴿ خيرات حسان ﴾ أي: خيرات

في ب: جزاء لهم على تكذيبهم. (٥) كذا في ب، وفي أ: أي.

<sup>(</sup>٤) زيادة من هامش: ب. (٦) في ب: التي يباشرون.

<sup>(</sup>١) في ب: في ذلك اليوم.

<sup>(</sup>٢) في ب: ذكر منته بذلك.

الأخلاق حسان الأوجه، فجمعن بين جمال الظاهر والباطن، وحسن الخَلْق والخلُّق، ﴿ حورٌ مقصورات في الخيام ﴾ أي: مُحبوسات في خيام اللوَّلو، قُد تهيأن وأعددن أنفسهن لأزواجهن، ولا ينفي ذلك خروجهن في البساتين ورياض ألجنة، كما جرت العادة لبنات الملوك ونحوهن [المخدرات] الخفرات، ﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان \* فأى: آلاء ربكما تكذبان \* متكئين على رفرف خضر ﴾ أي: أصحاب هاتين الجنتين، متكأهم على الرفرف الأخضر، وهي الفرش التي فوق المجالس العالية، التي قد زادت على بجالسهم، فصار لها رفرفة من وراء مجالسهم، لزيادة البهاء وحسن النظر، ﴿وعبقرى حسان ﴾ العبقري: نسبة لكل منسوج نسجاً حسناً فاخراً، ولهذا وصفها بالحسن الشامل، لحسن الصنعة وحسن المنظر، ونعومة الملمس، وهاتان الجنتان دون الجنتين الأوليين، كما نص الله على ذلك بقوله: ﴿ ومن دونهما جنتان الكلا وصف الأوليين بعدة أوصاف لم يصف بها الأخريين، فقال في الأوليين: ﴿فيهما عينان تجريان ﴿ وفي الأخربين: ﴿عينان نضاختان ، ومن المعلوم الفرق بين

وقال في الأوليين: ﴿ دُواتِنَا أَفْنَانَ ﴾ ولم يقل ذلك في الأخريين.

الجارية والنضاخة.

وقال في الأوليين: ﴿فيهما من كل فاكهة زوجان، وفي الأخريين: ﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴾ وقد علم ما بين الوصفين من التفاوت.

وقال في الأولين: ﴿متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان﴾ ولم يقل ذلك في الأخيرتين، بل قال: ﴿متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان،

وقسال في الأوليين، في وصف نسائهم وأزواجهم: ﴿فيهن قاصرات

الطرف لم يطمئهن إنس قبلهم ولا جان﴾ وقال في الأخريين: ﴿حورٌ مقصورات في الخيام، وقد علم التفاوت بين ذلك.

وقال في الأولين (٢): ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ فدل ذلك أن الأوليين جزاء المحسنين، ولم يقل ذلك في الأخيرتين.

ومجسرد تسقديسم الأوليين عسلي الأخريين، يدل على فضلهما.

فبهذه الأوجه يعرف فضل الأوليين على الأخريين، وأنهما معدّتان للمقربين من الأنبياء، والصديقين، وخواص عباد الله الصالحين، وأن الأخريين معدتان لعموم المؤمنين، وفي كل من الجنات [المذكورات] ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وفيهن ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وأهلها في غاية الراحة والرضا والطمأنينة وحسن المأوى، حتى إن كلالام) منهم لا يرى أحداً أحسن حالاً منه، ولا أعلى من نعيمه [الذي هو فيه]. ولما ذكر سعة فضله وإحسانه، قال: ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام) أي: تعاظم وكثر خيره، الذي له الجلال الباهر، والمجد الكامل، والإكرام لأوليائه.

> تم تفسير سورة الرحمن، ولله الحمد والشكر والثناء الحسن

#### تفسير سورة الواقعة [وهي] مكية

﴿١ - ١٢﴾ ﴿ بِسم الله السرحسن الرحيم إذا وقعت الواقعة \* ليس لوقعتها كاذبة \*خافضة رافعة \* إذا رجت الأرض رجاً \* وبست الجبال بسأ \* فكانت هباء منبثاً \* وكنتم أزواجاً ثلاثة \* فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة \* وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة \* والسابقون

يُعْرَفُ ٱلْخِرِيُونَ بِيسِمَنُهُمْ فَيُوْخَذُ بِالنَّوْمِي وَٱلْأَقْدَادِ ﴿ فَإِلَى مَالْاَدِرَيُكُمَاثُكَذِبَانِ هَالْدِهِ جَهَمَّوُالِّي يُكُوْبُهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۞يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبِّينَ مَيسِمِ ءَانِ۞ فِيَأْيُ ءَالَآءِ رَبِّكُمَّا تُكَيِّبَانِ ۞ وَلِمُنْ خَافَ مَقَامَ رَيِّهِ بِجَنْدَانِ ۞ فَهَأَيْ مَالَا ۚ رَزُكُمُ فَكَذَبَان ۞ نَوَاتَآ أَفْادِ ۞ فِأَيْءَ الْآرَيِّكُمْ أَتُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۞ فَإِلَيْءَ الْآذِرَيُكُا تُكَذِّبَانِ۞ فِيمَا مِنْكُلُ فَلِكُهُ وَمُعْجَانِ ۞ فَيَأْيَ مَالَآ وَيُكُمَا ثُكِّذَبَانِ ۞ مُتَكِينَ عَلَىٰ فُرُشِ بَطَأَ إِنْهَا مِنْ إِسْتَبَرَقْ وَجَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانِ ۞ فَإِلَيْ ءَالْإَ رَيْكُمَا تُكَدِّبَانِ ۞ فِينَ قَلْصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ لَرْيَظِيمْ هُرَّتَ إِنْ فَلَهُمْ وَلَاحَ أَذُّ ۞ فَإِنْ الْإَرْدَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ۞ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَلَلْرَجَادُ ۞ فِيأَيْ ءَالْإِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَاذِ۞ مَلْجَزَّاءُٱلْإِخْسَانِ إِلَّا ٱلْإِخْسَانُ۞ فَيِـأَيْ اللهِ عَالَا مَن يَكُمُا ثُكُدُ بَانِ ۞ وَمِن دُونِهِ مَا جَنَّنَانِ۞ فَإِلَى عَالَا يَ تَوَكَمُ الْكُوْبَانِ ﴿ مُدْمَا مُنَانِ ﴿ فَهِ أَيْ مَا لَهُ رَبُّكُمُ الْكُوْبَانِ ﴿ الله من عَمْنَانِ نَضَا خَتَانِ ﴿ فِيأَى ءَالْا مَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ OLONO OT CONTROL

السابقون \* أولئك المقربون \* في جنات النعيم﴾ يخبر تعالى بحال الواقعة التي لا بد من وقوعها، وهي القيامة التي ﴿ليس لوقعتها كاذبة ﴾ أي: لا شك فيها، لأنها قد تظاهرت عليها الأدلة العقلية والسمعية، ودلت عليها حكمته تعالى، ﴿خافضة رافعة ﴾ أي: خافضة لأناس في أسفل سافلين، رافعة لأناس في أعلى علين، أو خفضت بصوتها فأسمعت القريب، ورفعت فأسمعت البعيد. ﴿إذا رجت الأرض رجا ﴾ أي: حسركست واضطربت، ﴿وبُسَّت الجبال بسا﴾ أى: فتتت، ﴿فكانت هباء منبثا﴾ فأصبحت الأرض ليس عليها جبل ولا معلم، قاعاً صفصفاً، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، ﴿وكنتم الها الخلق ﴿أَزُواجاً ثَلاثة ﴾ أي: انقسمتم ثلاث فرق بحسب أعمالكم الحسنة والسيئة، ثم فصل أحوال الأزواج الثلاثة، فقال: ﴿فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ﴾ تعظيم لشأنهم، وتفخيم لأحوالهم، ﴿وأصحاب الشامة ﴾ أي: الشمال، ﴿ما أصحاب المشأمة ﴾ تهويل لحالهم.

﴿ والسابقون السابقون \* أولئك

ني ب: تحت.

<sup>(</sup>٣) في ب: كل واحد منهم.

كذا في ب، وفي أ: الأخيرتين ويبدو أنه سبق قلم.

فِيمَا فَكِيكَةً وَغَلُّ وَرُمَّانٌ ﴿ فَإِلَى ءَالْإِرَبُّكُمَّ فَكُذِبَ إِن ﴿ فِهِنَّ خَيْرَتُ حِكَانٌ ۞ فِلْنِي وَالْآوِرَيْكُمَّا تُكُونَهُ إِن هُورٌ مَّقْصُورَاتُ فِي ٱلْخِيَامِ ۞ فَيَأَيّ ءَالَآءَ رَيِّكُمَا ثُكَيْبَانِ۞ لَرْيَظْمِتْهُنَّ إِنسٌ قِنَلَهُمْ وَلَاجَانَّ ۞ فِيأَيِّ ءَالْإَرْرَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ اللهُ مُثَلِكِينَ عَلَى رَفَرَفِ خُفْرِ وَعَبَقَرِي حِسَانِ ﴿ فِيأَى الْإِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَاذِ ۞ تَبْدَكَ ٱسْمُرَيِّكَ ذِى ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَاءِ۞ حافقال تغزال تجتم إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۞ لَيْسَ لِوَقْعَنِهَا كَاذِبَةً ۞ خَافِضَةٌ زَافِعَتُهُ ۞ إِنَّا رُجَنِ ٱلْأَيْنُ رَجِّنَا ۞ وَيُسَتِّدِ ٱلْحَيَالُ مَنَّنَا ۞ فَكَانَتْ هَبَاءَ مُنْبَقًا ۞ وَكُنُعْ أَزْوَنِهَا ثَلَاثَةً ۞ فَأَضَاتُ ٱلْمِيْتَةِ مَا أَضَابُ الْمِيْمَةِ ۞ وَأَصْلُ ٱلْمُثْنِمَةُ مَا أَصْحَابُ ٱلْمُثَعَمَةِ ۞ وَالسَّيِعُودَ السَّيغُونَ ۞ أُولَتِكَ ٱلْمُقَرِّعُونَ ۞ فيجَنَّتِ ٱلنَّعِيمِ ثُلَّةً مِنَ ٱلأَوْلِينَ ۞ وَظِيلُ مِنَ ٱلْآخِدِينَ ۞ عَلَّا سُرُر فِوْصُنُونَةِ ۞ مُتَكِينِ عَلَيْهَا مُنْفَئِيلِينَ۞ TO SO TO STATE OF THE OWNER.

المقربون أي: السابقون في الدنيا إلى الخيرات، هم السابقون في الآخرة لدخول الجنات.

أولئك الذين هذا وصفهم، المقربون عند الله، في جنات النعيم، في أعلى عليين، في المنازل العاليات، التي لا منزلة فوقها، وهؤلاء المذكورون (ثلة من الأولين) أي: جماعة كثيرون من المتقدمين من هذه الأمة وغيرهم.

وهذا يدل على فضل صدر هذه الأمة وهذا يدل على فضل صدر هذه الأمة في الجملة على متأخريها، لكون المقربين من الأولين أكثر من المتأخرين، والمقربون هم خواص الخلق، وعلى سرر موضونة أي: مرمولة بالذهب والفضة، واللؤلؤ والجوهر، وغير ذلك من [الحلي] الزينة، التي لا يعلمها إلا الله تعالى، ومتكثين عليها أي: على تلك السرر، جلوس تمكن وطمأنينة وراحة واستقرار. ومتقابلين وجه كل منهم إلى وجه صاحبه، من صفاء قلوبهم، وحسن أدبهم، وتقابل قلوبهم.

﴿١٧﴾ ﴿يطوفُ عليهم ولدان

خلدون أي: يدور على أهل الجنة للخدمة وقضاء حوائجهم، ولدان صغار الأسنان، في غاية الحسن والبهاء، ﴿كأنهم لؤلؤ مكنون ﴾ أي: مستور، لا يناله ما يغيره، غلوقون للمستقاء والخلد، لا يهرمون ولا يتغيره، ويدورون عليهم بآنية شرابهم ﴿وأكواب ﴾ وهي التي لا عرى لها، ﴿وأباريق ﴾ : الأواني التي لها عرى، ﴿وكأس من معين ﴾ أي: من خر لذيذ ﴿وكأس من معين ﴾ أي: من خر لذيذ عنها ﴾ أي: لا تصدعون عنها أي: لا تصدع مرة وسهم كما تصدع خرة الدنيا رأس شاربها.

ولاهم عنهاينزفون، أي: لا تنزف عقولهم، ولا تذهب أحلامهم منها، كما يكون لخمر الدنيا.

والحاصل: أن جميع (١) ما في الجنة من أنواع النعيم الموجود جنسه في الدنيا، لا يوجد في الجنة فيه آفة، كما قال تعالى: ﴿فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من عسل خر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ﴿ وذكر هنا خر الجنة، ونفى عنها كل آفة توجد في الدنيا.

وفاكهة مما يتخيرون أي: مهما تخيروا، وراق في أعينهم، واشتهته نفوسهم، من أنواع الفواكه الشهية، والجنى اللذيذ، حصل لهم على أكمل وجه وأحسنه، وولم م طينر مما يشتهون أي: من كل صنف من الطيور يشتهونه، ومن أي: جنس من لحمه أرادوا، وإن شاؤوا مشويا، أو طيخا، أو غير ذلك.

﴿وحور عين \* كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ أي: ولهم حور عين، والحوراء: التي في عينها كحل وملاحة، وحسن وبهاء، والعين: حسان الأعين وضخامها(٢)، وحسن

العين في الأنثى، من أعظم الأدلة على حسنها وجمالها.

﴿كأمثال اللؤلؤ الكنون﴾ أي:
كأنهن اللؤلؤ الأبيض الرطب الصافي
البهي، المستورعن الأعين والريح
والشمس، الذي يكون لونه من أحسن
الألوان، الذي لا عيب فيه بوجه من
الوجوه، فكذلك الحور العين،
لا عيب فيهن [بوجه]، بل هن
كاملات الأوصاف، جميلات النعوت.
فكل ما تأملته منها لم تجد فيه إلا ما
يسر الخاطر (٣) ويروق الناظر، وذلك
يعملون﴾ فكما حسنت منهم
الأغمال، أحسن الله لهم الجزاء،

ولا تأثيماً في الا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً في الا يسمعون في جنات النعيم كلاماً يلغي، ولا يكون فيه فائدة، ولا كلاماً يؤثم صاحبه، ولا قيلاً سلاماً سلاماً في إلا قيلاً سلاماً سلاماً في الإما طيباً، وذلك لأنها دار الطيبين، ولا يكون فيها إلا كل طيب، وهذا دليل على حسن أدب أهل الجنة في خطابهم فيما بينهم، وأنه أطيب كلام، وأسره للنفوس (أ)، وأسلمه من كل وأمر، نسأل الله من فضله.

ووفر لهم الفوز والنعيم.

(۲۷) ثم ذكر تعيم أصحاب اليمين أها فقال: (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) أي: شأبم عظيم، وحالهم جسيم، (في سدر عضود) أي: مقطوع ما فيه من الشوك والأغصان [الرديثة] المضرة، بجعول مكان ذلك الثمر الطيب، وللسدر من الخواص، الظل الظليل، وراحة الجسم عبروف، وهو شجر [كبار] يكون بالبادية، تنضد أغصانه من الثمر اللذيذ الشهي، (وماء مسكوب) أي: كثير

<sup>(</sup>١) في ب: كل.

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: ضخام الأعين.

<sup>(</sup>٣) في ب: القلب.

<sup>(</sup>٤) في ب: للقلوب.

<sup>(</sup>٥) في ب: ثم ذكر ما أعد لأصحاب اليمين.

والأتراب اللاتي على سن واحدة، ثلاث وثلاثين سنة، التي هي غاية ما يتمنى ونهاية سن الشباب، فنساؤهم عرب أتراب، متفقات مؤتلفات، ولا يُحزِنَّ، بل هن أفراح النفوس، وقرة العيون، وجلاء الأبصار، ولأصحاب اليمين أي: معدات لهم مهيئات، وثلة من الأولين \* وثلة من الأولين \* وثلة من الأولين من الأولين، منا أصحاب اليمين عدد كثير من الأولين،

إن تكلمت سبت العقول، وود السامع

أن كلامها لا ينقضى، خصوصاً عند

غنائهن بتلك الأصوات الرخيمة

والنغمات المطربة، وإن نظر إلى أدبها

وسمتها ودلها ملأت قلب بعلها فرحأ

وسيروراً، وإن بيرزت (١٠) من محيل إلى

آخر، امتلأ ذلك الموضع منها ريحاً طيباً

ونوراً، ويدخل في ذلك الغنجة عند

وعدد كثير من الآخرين.

﴿ 13 \_ 23 ﴾ ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال \* في سموم وحميم \* وظل من يحموم \* لا بارد ولا كريم \* إنهم كانوا قبل ذلك مترفين \* وكانوا يصرون على الحنث العظيم \* وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أثنا لمبعوثون \* أو آباؤنا الأولون ﴾ .

المراد بأصحاب الشمال [هم:] أصحاب النار، والأعمال المشؤومة، فذكر [الله] لهم من العقاب، ما هم حقيقون به، فأخبر أنهم ﴿في سموم﴾ أى: ريح حارة من حر نار جهنم، يأخذ بأنفاسهم، وتقلقهم أشد القلق، ﴿وحميم أي: ماء حاريقطع أمعاءهم، ﴿وظل من يحموم﴾ أي: لهب نار يختلط بدخان، ﴿لا بارد ولا كريم، أي: لا بردفيه ولا كرم، والمقصود أن هناك الهم والغم، والحزن والشر، الذي لا خير فيه، لأن نفي الضد إثبات لضده. ثم ذكر أعمالهم التي أوصلتهم إلى هذا الجزاء، فقال: ' ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلُ ذَلْكُ مِتْرُفِينَ ﴾ أي: قد ألهتهم دنياهم، وعملوا لها، وتنعموا وتمتعوا بها، فألهاهم الأمل عن إحسان العمل، فهذا الترف الذي ذمهم الله عليه، ﴿وكانوا يصرون على الحنث العظيم﴾ أي: وكانوا يفعلون الذنوب الكبار ولا يتوبون منها، ولا يندمون عليها، بل يصرون على ما يسخط مولاهم، فقدموا عليه بأوزار كثيرة [غير مغفورة].

وكانوا ينكرون البعث، فيقولون استبعاداً لوقوعه: ﴿ إِذَا مِننا وكنا تراباً وعظاماً إِنا للبعوثون \* أو آباؤنا الأولون ﴾ أي: كيف نبعث بعد موتنا وقد بلينا، فكنا تراباً وعظاماً ؟ [هذا من المحال] ﴿ أَنْسَا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون ﴾ قال تعلى جواباً لهم ورداً عليهم (٢٠): ﴿ قل إِن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقاتٍ يوم معلوم ﴾ ، لمجموعون إلى ميقاتٍ يوم معلوم ﴾ ، أي: قل إن متقدم الخلق ومتأخرهم ،

CA CARRED O SECURIOR DE CO اً لِيَوُونُ عَلَيْهِ مُولَدَنُّ ثُخَلَدُونَ ۞ بأَخْوَابِ وَأَبَادِينَ وَكَأْسِ مِن مَعِينِ ۞ لَايِصَدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِقُونَ ۞ وَقَلِكُهُ وَمُثَالِقَتْمُونَ ۞ وَلَيْوِ طَنِيءٌ مَا يَشْنَعُونَ ۞ وَحُرُّعِينً ۞ كَأَمْشَلِ ٱللَّوْلُو ٱلْكُذُون جَزَّةً بَمَا كَافُولَ مِعْمَلُونَ ۞ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغُولًا وَلَا تَأْنِيمًا ۞ إِلَّا قِيلَا سَلَمًا سَلَمًا ۞ وَأَصْرُ أَلِيمِينَ مَا أَصْمَتُ ٱلْيَمِينِ۞ فِيدُرِ تَخْشُودِ۞ وَطَلْحٍ مَنضُودٍ۞ وَظِلَ مَكُودِ ۞ وَمَآهِ مَّنكُوب۞ وَقَائِهَةٍ كَلِيرَةً۞ لَامَقُطُوعَةٍ وَلَامَتُوعَة ﴿ وَفُرُشِ مَرْفُوعَةِ ۞ إِنَّا أَنْتَأْتُهُنَّ إِنْشَآةَ ۞ جَعَلْتُهُزَّ أَبْكَارًا ۞عُرُهُ الْزَبِّ ۞ لِأَضْحَبِ ٱلْجِيزِ۞ ثُلَةٌ مُنَ ٱلْأَوَّلِيرَ ۞ وَثُلَةٌ مِنَ ٱلْآخِذِينَ ۞ وَأَصْحَبُ ٱلشِّمَالِ مَاۤ أَصْحَبُ ٱلشِّمَالِ ٠ في سَمُورِ وَجَيهِ ٥ وَظِلْ مِن يَحْدُونِ لَا بَارِدِ وَلَاكِيمِ ﴿ إِنَّهُ مُكَافُوا مَّتَلَ ذَلِكَ مُتَرَفِينَ ۞ وَكَافُواْ يُصِرُّونَ عَلَ ٱلْحِنْثِ ٱلْعَظِيمِ ۞ وَكَافُواْ يَغُولُونَ أَبِذَا مِثْنَا وَكُنَا ثُرَابًا وَعِظَامًا أَمِنَّا لَمَنِهُ فُونَ ﴿ أَوَءَاكِنَا فَالْأَوْلُونَ ۞ قُلْ إِنَّا لَأَوْلُونَ ۞ قُلْ إِنَّا لَأَوْلِنَ الله وَالْآخِدِينَ ١ لَتَجْمُوعُونَ إِلَّ مِيقَتِ يَوْمِ مَعْ لُومِ ٥ ON TON OTO KAROKA

الجميع سيبعثهم الله ويجمعهم لميقات يوم معلوم، قدره الله لعباده، حين تنقضي الخليقة، ويريد الله تعالى جزاءهم على أعمالهم التي عملوها في دار التكليف.

وثم إنكم أيها الضالون عن طريق الهدى، التابعون لطريق الردى، والمكذبون بالرسول على وما جاء به من الحق والوعيد، والأكلون من شجر من زقوم وهو أقبح وأبشعها منظراً، وفمالئون منها البطون والذي أوجب لهم أكلها مع ما هي عليه من الشناعة - الجوع المفرط، الذي يلتهب في أكبادهم وتكاد تنقطع منه أفئدتهم.

هذا الطعام الذي يدفعون به الجوع، وهو الذي لا يسمن ولا يغني من حهء.

وأما شرابهم، فهو بئس الشراب، وهو أنهم يشربون على هذا الطعام من الماء الحميم الذي يغلي في البطون شرب الإبل الهيم أي: العطاش، التي قد اشتد عطشها، أو [أن الهيم] داء يصيب الإبل، لا تروى معه من شراب الماء.

﴿هذا﴾ الطعام والشراب ﴿نزلهم﴾ أي: ضيافتهم ﴿يوم الدين﴾ وهي

<sup>(</sup>١) في ب: وإن انتقلت.

ثُمَّا الْخُوَالَيْمَا ٱلْفَآ ٱلْوَالْكَلِيْفِنُ ۞ لَآكِلُونَ مِن خَعَرِين زَقُومِ ﴿ فَالْحُنَامِنَهَا ٱلْمُلُونَ ۞ فَشَارِقُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَيْدِيدِ ۞ مَسَارِعُونَ شُرْبَ ٱلْمِيدِ فَ مَذَا أَرُقُلُمُ عَمَ اليِّنِ فَ عَنْ خَلَقْ لَكُو فَلُوۡلَافُهُمۡدِقُونَ ۞ أَفَرَيۡنِهُمَا تُتُودَ ۞ ءَانَهُ تَعَلَٰمُونَهُۥ أَمْعَنُ ٱلْخَلِقُونَ۞ خَنْ مَنْدَنَا بَيْنَكُمُ الْمُؤْتَ وَمَا خَنْ بِمَسْبُوفِينَ ۞ عَلَىٰ أَنْبُدُلَ أَمْثَلَكُمُ وَنُنْشِنَكُمُ فِي مَا لَاتَعَلَمُونَ ۞ وَلَقَدُ عَيْشُمُ النَّشَأَةَ ٱلْأُولَىٰ مَلْوَلَانَدَكُرُونَ ۞ ٱفْزَءَيْتُمُ مَا تَحْرُقُونَ ﴿ اَلْمُزْتَزُوتُ وَنَهُ وَأَمْ خَنُ الرَّوعُونَ ۞ لَوْنَشَآةً لَجَعَلْنَهُ مُعَلِّمًا فَظَلْتُمَ مِّكُمُّهُونَ ۞ إِنَّالَكُمْ رَثُونَ ۞ بَلْ خَنْ تَحْرُومُونَ ۞ أَفِرَةَ يَنْهُ ٱلْكَآءَ ٱلَّذِي تَشْرَقُونَ ۞ ءَأَنَتُمُ أَزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزَّنِ أَمْ نَعْنُ ٱلَّهُ يِلُونَ ۞ لَوَنَسَآءُ جَسَلْنَهُ أَبِنَاجًا فَلُولَا يَشَكُرُونَ ۞ أَفَرَة بَيْرُ النَّارَالَي فُرِيُونَ ۞ وَأَنتُرُ أَنشَأْتُمُ شَجَرَتُهَا أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنْفِقُونَ ۞ خَنُجَعَلَنْهَا لَنْحِكَرَةً وَمَنْعًا لِلْمُقْوِينَ ۞ مُسَنِعَ إِسْدِرَتِكِ ٱلْمَوْلِدِهِ ۞ • فَكَلَّ أَمْلِيمُ بِمُوَاحِ النُّجُورِ ۞ وَالْتُهُ لَفَسَمُ أَوْتَعَا لَمُونَ عَظِيمٌ ۞ TO CONTRACTO

الضيافة التي قدموها لأنفسهم، وآثروها على ضيافة الله لأوليائه.

قال تعالى: ﴿إِن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا \* خالدين فيها لا يبغون عنها حولا﴾.

ثم ذكر الدليل العقلي على البعث، فقال: ﴿نحن خلقناكم فلولا تصدقون﴾ أي: نحن الذين أوجدناكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكوراً، من غير عجز ولا تعب، أفليس القادر على ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟ بلى إنه على كل شيء قدير، ولهذا وبتخهم على عدم تصديقهم بالبعث، وهم يشاهدون ما هو أعظم منه وأبلغ.

﴿ ٥٨ - ٢٦ ﴾ ﴿ أَفُر أَيْتُم مَا تَمَنُون \* أَاتُتُم غَلَقُون \* نحن الخالقون \* نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين \* على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون \* ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون أي: أفر أيتم ابتداء خلقتكم من المني المذي تمنون، فهل أنتم خالقون ذلك المني وما ينشأ منه؟ أم الله تعالى الخالق الذي خلق فيكم من الشهوة وآلتها من الذي والأنثى، وهدى كلاً منهما لما الذكر والأنثى، وهدى كلاً منهما لما هنالك، وحبب بين الزوجين، وجعل بينهما من المودة والرحمة ما هو سبب

للتناسل، ولهذا أحالهم الله تعالى على الاستدلال(١) بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، فقال: ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون﴾ أن القادر على ابتداء خلقكم، قادر على إعادتكم.

تحرثون \* أأنتم تزرعونه أم نحن

الزارعون \* لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون \* إنا لمغرمون \* بل نحن تحرومون، وهذا امتنان منه على عباده، يدعوهم به إلى توحيده وعبادته والإنابة إليه، حيث أنعم عليهم بما يسره لهم من الحرث للزروع والثمار، فتخرج من ذلك من الأقوات والأرزاق والفواكه، ما هو من ضروراتهم وحاجاتهم ومصالحهم، التي لا يقدرون أن يحصوها، فضلاً عن شكرها وأداء حقها، فقررهم بمنته، فقال: ﴿ أَأَنْتُم تُزْرَعُونُهُ أَم نُحِنَّ الزارعون﴾ أي: أأنتم أخرجتموه نباتاً من الأرض؟ أم أنتم الله ين نميتموه؟ أم أنتم الذين أخرجتم سنبله وثمره حتى صار حباً حصيداً وثمراً نضيجاً؟ أم الله الذي انفرد بذلك وحده، وأنعم به عليكم؟ وأنتم غاية ما تفعلون أن تحرثوا الأرض وتشقوها وتلقوا فيها البذر، ثم بعد ذلك لا علم عندكم بما يكون بعد ذلك، ولا قدرة لكم على أكثر من ذلك ومع ذلك، فنبههم على أن ذلك الحرث معرض للأخطار لولا حفظ الله وإبقاؤه لكم بلغة ومتاعاً إلى حين، فقال ﴿لُونَشَاء الجعلناه﴾ أي: الزرع المحروث وما فيه من الثمار ﴿حطاماً﴾ أي: فتاتاً متحطماً، لا نفع فيه ولا رزق، ﴿فظلتم ﴾أي: فصرتم بسبب جعله حطاماً، بعد أن تعبتم فيه وأنفقتم النفقات الكثيرة ﴿تفكهون﴾ أي: تندمون وتحسرون على ما أصابكم، وينزول بذلك فرحكم وسروركم وتفكهكم، فتقولون: ﴿إِنَّا لمغرمون أي: إنا قد نقصنا وأصابتنا مصيبة اجتاحتنا.

ثم تعرفون بعد ذلك من أين أتيتم،

وبأي: سبب دهيتم، فتقولون: ﴿بل نحن محرومون﴾ فاحمدوا الله تعالى حيث زرعه الله لكم، ثم أبقاه وكمله لكم، ولم يرسل عليه من الأفاتِ ما به تحرمون نفعه وخيره.

﴿ ٦٨ - ٧٠) ﴿ أَفْرَأَيْتُمُ المَّاءُ الَّذِي تشربون \* أأنتم أنزلتموه من المزن أم نْحنْ المُنزلون \* لُو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون للاذكر تعالى نعمته على عباده بالطعام، ذكر نعمته عليهم بالشراب العذب الذي منه يشربون، وأنهم لولا أن الله يسره وسهله، لما كان لكم سبيل إليه، وأنه الذي أنزله من المزن، وهو السحاب والمطر، ينزله الله تعالى فيكون منه الأنهار الجارية على وجه الأرض وفي بطنها، ويكون منه الغدران المتدفقة ، ومن نعمته أن جعله عذباً فراتاً تسيغه النفوس، ولو شاء لجعله ملحاً أجاجاً مكروهاً للنفوس. لا ينتفع به ﴿فلولا تشكرون﴾ الله تعالى على ما أنعم به عليكم.

﴿١٧ ـ ٤٧﴾ ﴿أفرأيتم النار التي تورون \* أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤون \* نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين \* فسبح باسم ربك العظيم ﴾ وهذه نعمة تدخل في الضروريات التي لا غنى للخلق عنها، فإن الناس محتاجون إليها في كثير من أمورهم وحوائجهم، فقررهم تعالى بالنار التي أوجدها في الأشجار، وأن بالنار التي أوجدها في الأشجار، وأن وإنما الله تعالى الذي أنشأها من الشجر الخضر، فإذا هي نار توقد بقدر حاجة العباد، فإذا فرغوا من حاجتهم، أطفؤوها وأخدوها.

﴿نحن جعلناها تذكرة للعباد بنعمة ربهم، وتذكرة بنار جهنم التي أعدها الله للعاصين، وجعلها سوطاً يسوق به عباده إلى دار النعيم، ﴿ومناعاً للمقوين ﴾ أي: [المنتفعين أو] المسافرين وخص الله المسافرين لأن نفع المسافر بذلك أعظم من غيره، ولعل

السبب في ذلك، لأن الدنيا كلها دار سفر، والعبد من حين ولد فهو مسافر إلى ربه، فهذه النار، جعلها الله متاعاً للمسافرين في هذه الدار، وتذكرة لهم بدار القرار، فلما بين من نعمه ما يوجب الثناء عليه من عباده وشكره وعبادته، أمر بتسبيحه وتحميده(١)، فقال: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أي: نزه ربك العظيم، كامل الأسماء والصفات، كثير الإحسان والخيرات، واحمده بقليك ولسانك وجوارحك، لأنه أهل لذلك، وهو المستحق لأن يُشكر فلا يُكفر، ويُذكر فلا يُنسى، ويُطاع فلا يُعصى.

﴿٥٧ \_ ٨٧) ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم \* وإنه لقسم لو تعلمون عظيم \* إنه لقرآن كريم \* في كتاب مكنون \* لا يمسه إلا المطهرون \* تسزيل من رب العالمين \* أفبهذا الحديث أنتم مدهنون \* وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون \* فلولا إذا بلغت الحلقوم \* وأنتم حينتذ تنظرون \* ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون \* فلولا إن كنتم غير مدينين \* ترجعونها إن كنتم صادقين ﴾ أقسم تعالى بالنجوم ومواقعها أي: مساقطها في مغاربها، وما يحدث الله في تلك الأوقات، من الحوادث الدالة على عظمته وكبرياته وتوحيده، ثم عظم هذا المقسم به، فقال: ﴿ وَإِنَّهُ لَقُسُمُ لُو تَعَلَّمُونَ عَظَّيْمٍ ﴾ وإنما كان القسم عظيماً، لأن في النجوم وجريانها، وسقوطها عند مغاربها، آيات وعبراً لا يمكن حصرها، وأما المقسم عليه، فهو إثبات القرآن، وأنه حق لا ريب فيه، ولا شك يعتريه، وأنه كريم أي: كثير الخير، غزير العلم، فكل خير وعلم، فإنما يستفاد من كتاب الله ويستنبط منه، ﴿فَي كتابِ مكنونَ﴾ أي: مستور عن أعين الخلق، وهذا الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ أي: إن هذا القرآن

مكتوب في اللوح المحفوظ، معظم عند الله وعند ملائكته في الملأ الأعلى.

ويحتمل أن المراد بالكتاب المكنون، هو الكتاب الذي بأيدى الملائكة الذين ينزلهم الله بوحيه وتنزيله (٢)، وأن المراد بذلك أنه مستور عن الشياطين، لا قدرة لهم (٣) على تغييره، ولا الزيادة والنقص منه واستراقه، ﴿لا يسمسه إلا المطهرون﴾ أي: لا يمس القرآن إلا الملائكة الكرام، الذين طهرهم الله تعالى من الآفات والذنوب والعيوب، وإذا كان لا يمسه إلا المطهرون، وأن أهل الخبث والشياطين، لا استطاعة لهم، ولا يدان إلى مسم، دلت الآية بتنبيهها (٤)، على أنه لا يجوز أن يمس القرآن إلا طاهر، كما وردبذلك الحديث، ولهذا قيل أن الآية خبرً بمعنى النهى أي: لا يمس القرآن إلا طاهرٌ.

﴿تنزيل من رب العالمين﴾ أي: إن هذا القرآن الموصوف بتلك الصفات الجليلة هو تنزيل رب العالمين، الذي يربى عباده بنعمه الدينية والدنيوية، ومن أجل تربية ربي بها عباده، إنزاله هذا القرآن، الذي قد اشتمل على مصالح الدارين، ورحم الله به العباد رحة لا يقدرون لها شكوراً، ومما يجب عليهم أن يقوموا به(٥) ويعلنوه ويدعوا إليه ويصدعوا به، ولهذا قال: ﴿أَفْبُهُذَا الحديث أنتم مدهنون اي: أفبهذا الكتاب العظيم والذكر الحكيم أنتم تدهنون أي: تختفون وتدلسون خوفاً من الخلق وعارهم وألسنتهم؟ هذا لا ينبغى ولا يليق، إنما يليق أن يداهن بالحديث الذي لا يثق صاحبه

وأما القرآن الكريم، فهو الحق الذي لا يغالب به مغالب إلا غلب، ولا يصول به صائل إلاكان العالي على غيره، وهمو اللذي لا يلداهن بله

ولا يختفي، بل يصدع به ويعلن.

وقوله: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ أي: تجعلون مقابلة منة الله عليكم بالرزق التكذيب والكفر لنعمة الله، فتقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وتضيفون النعمة لغير مسديها وموليها، فهلا شكرتم الله تعالى على إحسانه، إذ أنزله الله إليكم ليزيدكم من فضله، فإن التكذيب والكفر داع لرفع النعم وحلول النقم.

﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم \* وأنتم حيننذ تنظرون \* ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ﴿ أي: فهلا إذا بلغت الروح الحلقوم، وأنتم تنظرون المحتضر في هذه الحالة، والحال أنا نحن أقرب إليه منكم، بعلمنا وملائكتنا، ولكن لا تبصرون، ﴿ فلولا إن كنتم غير مدينين ﴾ أي: فهلا إذا كنتم تزعمون، أنكم غير مبعوثين ولا محاسبين ومجازين، ترجعون الروح إلى بدنها ﴿إِن كنتم صادقين﴾ وأنتم تقرون أنكم عاجزون عن ردها إلى موضعها، فحينئذ إما أن تقروا بالحق الذي جاءكم به محمد ﷺ، وإما أن تعاندوا وتعلم حالكم وسوء مالكم.

﴿٨٨ ـ ٩٦ ﴾ ﴿فأما إن كبان من المقربين \* فروح وريحان وجنّة نعيم \* وأما إن كان من أصحاب اليمين \* فسلام لك من أصحاب اليمين \* وأما إن كان من المكذبين الضالين \* فنزل من حميم \* وتصلية جحيم \* إن هذا لهو حقّ اليقين \* فسبح باسم ربك العظيم الله تعالى أحوال الطوائف الثلاث: المقربين، وأصحاب اليمين، والمكذبين الضالين، في أول السورة في دار القرار.

ثم ذكر أحوالهم في آخرها عند الاحتضار والموت، فقال: ﴿ فأما إن كان الميت ﴿من المقربين ﴿ وهم الدين أدوا الواجبات والمستحبات، وتركوا

(1)

كذا في ب، وفي أ: لها.

في ب: تنبيهاً.

كذا في ب، وفي أ: عليهم به أن

يقوموا به.

في ب: وتعظيمه. **في ب: لوحيه ورسالته. (Y)** 

( ٥٧ ــ تفسير سورة الحديد

المحرمات والمكروهات (۱) وفضول المباحات، ﴿فَ الله المباحات، ﴿فَ الله المباحات، ﴿وَ الله الله والموح الله والموح القلب والروح، ﴿وريحان المواسم جامع لكل لذة بدنية، من أنواع المآكل والمسارب وغيرهما، وقيل: الريحان هو الطيب المعروف، فيكون تعبيراً بنوع الشيء عن جنسه العام (۲).

﴿وجنة نعيم ﴾ جامعة للأمرين كليهما، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فيبشر المقربون عند الاحتضار بهذه البشارة، التي تكاد تطير منها الأرواح من الفرح والسرور.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون \* نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون \* نزلاً من غفور رحم \*.

وقد أول قوله (٣) تبارك تعالى: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ أن هذه البشارة المذكورة، هي البشرى في الحياة الدنيا.

اوقسولسه: ] ﴿ وأما إن كسان مسن المسحاب اليمين ﴾ وهم الذين أدوا الواجبات وتركوا المحرمات، و [إن] حصل منهم التقصير في بعض الحقوق التي لا تخل بتوحيدهم وإيمانهم، ﴿ فَ ﴾ يقال لأحدهم: ﴿ سلام لك من أحوانك أصحاب اليمين ﴾ أي: سلام حاصل لك من إخوانك أصحاب اليمين أي: سلام ولقائهم له، أو يقال له: سلام لك من الآفات والبليات والعذاب، للك من أصحاب اليمين، الذين لأنك من أصحاب اليمين، الذين

سلموا من الذنوب الموبقات.

﴿وأما إن كان من المكذبين الضالين أي: الذين كذبوا بالحق وضلوا عن الهدى، ﴿فنزل من حميم \* وتصلية جمعيم أي: ضيافتهم يوم قدومهم على ربهم تصلية المحيم التي تحيط بهم، وتصل إلى أفشدتهم، وإذا استغاثوا من شدة العطش والظمأ ﴿يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ﴾.

وإن هذا الذي ذكره الله تعالى، من جزاء العباد بأعمالهم، خيرها وشرها، وتفاصيل ذلك ولهو حق البقين أي: الذي لا شك فيه ولا مرية، بل هو الحق الثابت الذي لا بد من وقوعه، وقد أشهد الله عباده الأدلة القواطع على ذلك، حتى صار عند أولي الألباب كأنهم ذائقون له مشاهدون له (أ)، فحمدوا الله تعالى على ما خصهم به من هذه النعمة الحسيمة.

ولهذا قال تعالى: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ فسبحان ربنا العظيم، وتعالى وتسزه عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

والحمد لله رب العالمين حداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

#### [تم تفسير سورة الواقعة]

#### تفسير سورة الحديد [وهي] مدنية

﴿١-١﴾ ﴿بسم الله السرحين الرحيم سبح لله ما في السماوات والأرض يحيي ويميت وهو السماوات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير \* هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم \* هو الذي خلق

السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بماً تعملون بصير \* له ملك ألسماوات والأرض وإلى الله ترجع الأمور \* يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور، يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وسعة سلطانه، أن جميع ما في السماوات والأرض من الحيوانات الناطقة والصامتة وغيرها، [والجوامد] تسبّح بحمد ربها، وتنزهه عما لا يليق بجلاله، وأنها قانتة لربها، منقادة لعزته، قد ظهرت فيها آثار حكمته، ولهذا قال: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ فهذا فيه بيان عموم افتقار المخلوقات العلوية والسفلية لربها، في جميع أحوالها، وعموم عزته وقهره للأشيآء كلها، وعموم حكمته في خلقه وأمره، ثم أخبر عن عموم ملكه، فقال: ﴿له ملك السماوات والأرض يحييي ويميت الله أي: هو الخالق لذلك، الرازق المدبر لها بقدرته ﴿وهو على كل شيء قدير،

﴿هو الأول﴾ الذي ليس قبيله شيء، ﴿والآخر﴾ الذي ليس بعده شيء ﴿والظاهر﴾ الذي ليس فوقه شيء، ﴿والباطن﴾ الذي ليس دونه

وهو بكل شيء عليم قد أحاط علمه بالظواهر والبواطن والسرائر والخفايا، والأمور المتقدمة والمتأخرة.

وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام الله أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة وثم استوى على العرش استواء يليق بجلاله، فوق جميع خلقه، ويعلم ما يلج في الأرض من حب وحيوان ومطر،

<sup>(</sup>١) في ب: ﴿فأما إن كان من المقربين﴾ أي: إن كان الميت من المقربين إلى الله المتقربين إليه بأداء الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات.

<sup>(</sup>٢) في ب: فيكون من باب التعبير بنوع الشيء عن جنسه.

<sup>(</sup>٣) في ب: فسر.

<sup>(</sup>٤) في ب؛ مشاهدون لنحقيقته.

وغير ذلك.

﴿وما يخرج منها ﴾ من نباتٍ وشجر وحيوان وغير ذلك ، ﴿وما ينزل من السماء ﴾ من الملائكة والأقدار والأرزاق .

﴿وما يعرج فيها﴾ من الملائكة والأرواح، والأدعية والأعمال، وغير ذلك.

﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ كقوله: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا﴾.

وهذه المعية، معية العلم والاطلاع، ولهذا توعد وعد على المجازاة بالأعمال بقوله: ﴿والله بما تعملون بصير بما يصدر منكم من الأعمال، وما صدرت عنه تملك الأعمال، من بر وفجور، فمجازيكم عليها، وحافظها عليكم، فمجازيكم عليها، وحافظها عليكم، وخلقاً وعبيداً، يتصرف فيهم بما شاءه من أوامره القدرية والشرعية، الجارية على الحكمة الربانية، ﴿وإلى الله ترجع على الحكمة الربانية، ﴿وإلى الله ترجع على الخمور كمن الأعمال والعمال، فيعرض عليه العباد، فيميز الخبيث من الطيب، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسىء بإساءته.

ويولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل على النهار في الليل أي: يدخل الليل على النهار، فيغشيهم الليل بظلامه، فيسكنون ويهدؤون، ثم يدخل النهار الظلام، ويضيء الكون، فيتحرك العباد، ويقومون إلى مصالحهم ومعايشهم، ولا يزال الله يكور الليل على النهار، والنهار على الليل، ويداول بينهما، في الزيادة والنقص، والطول وتستقيم الأزمنة، ويحصل من المصالح وتستقيم الأزمنة، ويحصل من المصالح ما يحصل بذلك، فتبارك الله رب العالمين، وتعالى الكريم الجواد، الذي

أنعم على عباده بالنعم الظاهرة والباطنة، ﴿وهو عليم بذات الصدور﴾ أي: بما يكون في صدور العالمين، فيوفق من يعلم أنه أهل لذلك، ويخذل من يعلم أنه لا يصلح لهدايته(١).

﴿٧ ـ ١١﴾ ﴿آمنوا بِالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير \* ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين \* هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرؤوف رحيم \* وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاوعد الله الحسنى والله بما تعلمون خبيس \* من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم) يأمر تعالى عباده بالإيمان به وبرسوله وبما جاء به، وبالنفقة في سبيله، من الأموال التي جعلها الله في أيديهم واستخلفهم عليها، لينظر كيف يعملون، ثم لما أمرهم بذلك، رغبهم وحقّهم عليه بذكر ما رتب عليه من الثواب، فقال: ﴿فالذين آمنوا منكم وأنفقواكه أي: جمعوا بين الإيمان بالله ورسوله، والنفقة في سبيله، لهم أجر كبير، أعظمه [وأجله] رضا ربهم، والفوز بدار كرامته، وما فيها من النعيم المقيم، الذي أعده الله للمؤمنين والمجاهدين، ثم ذكر [السبب] الداعي لهم إلى الإيمان، وعدم المانع منه، فقال: ﴿ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين أي: وما الذي يمنعكم من الإيمان، والحال أن الرسول محمنداً عِيلِجُ أفضل الرسل وأكرم داع دعا إلى الله يدعوكم، فهذا

مما يوجب المبادرة إلى إجابة دعوته،

٧٥ نَيْزَا قِالْمُالِدُ اللَّهِ إِنَّهُ أَمُّونَ الْكَايِدُ ۞ فِي كِنْبَ مَّكُونِ ۞ لَا يَمْتُهُ وَإِلَّا ٱلْتُلْفَةَ رُونَ ۞ تَمْزِيلٌ مِن زَبِ ٱلْعَلَمِينَ۞ أَفَيَاذَا ٱلْحَدِيثِ أَنْهُ مُّدُهِنُونَ ۞ وَيَجْعَلُونَ رِزُقَكُمُ أَنَّكُمُ ثَكَيْبُونَ۞ فَلُولَا إِنَابِلَغَتِ ٱنْحُلْقُومَ ۞ وَأَنتُرْجِينَهِ إِنْظُرُونَ ۞ وَنَحْنُ أَقَرُ إِلَيْهِ مِنكُو وَلَكِنَ لَانْتُصِرُونَ۞ فَلَوَلَآ إِن كُنتُهُ غَيْرُمَدِينِينَ۞ تَحِعُونَآ آ إِذَكُنْتُمْ صَلِيقِينَ ۞ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ ٱلْفَرَّيِينَ ۞ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانُ وَجَنَّتُ يَعِيدٍ ۞ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصَّبَ ٱلْمِينِ ۞ فَسَلَمُ أَكَ مِنْ أَصْحَبِ ٱلْبَعِينِ ۞ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَدِّيِينَ ٱلصَّلَالِينَ ۞ فَتُزَلِّينَ مِيدٍ۞ وَتَصْلِينُهُ عِيدٍ ۞ إِنَّ هَاذَا لَهُوَحَقُّ ٱلْيَقِينِ۞ فَسَيْحٌ بِأَسْمِ رَتِلِكِ ٱلْمَيْلِي۞ 
 المالة سَبَّعَ بِنَّهِ مَافِ ٱلسَّمَاوَتِ وَٱلْأَرْضِّ وَهُوَالْمَنِيزُ ٱلْحَرِيدُ ٥ لَهُ المُلكُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يُعِيءُويُتِ وَهُوعَالَ كُلِّ شَيْءٍ وَلِيرُ ۞ المُوَالْ وَالْوَرُوا لَقِيرُوا لَظَّهُمْ وَالْسَاعِلَ وَهُو يَكُلُ مِنْ عَيْدُونَ DUBARU OTV BORDEON

والتلبية والإجابة للحق الذي جاء به، وقد أخذ عليكم العهد والميثاق بالإيمان وعنايته بكم، أنه لم يكتف بمجرد دعوة الرسول الذي هو أشرف العالم، بل أيده بالمعجزات، ودلّكم على صدق ما جاء به بالآيات البينات، فلهذا قال: بينزل على عبده آيات بينات أي أي: ظاهرات تدل أهل العقول على صدق كل ما جاء به (٢) بيارسال الرسول إليكم، وما أنزله الله بإرسال الرسول إليكم، وما أنزله الله على يده من الكتاب والحكمة.

﴿مِن الظلمات إلى النور﴾ أي: من ظلمات الجهل والكفر، إلى نور العلم والإيمان، وهذا من رحمته بكم ورأفته، حيث كان أرحم بعباده من الوالدة بولدها ﴿وإن الله بكم لرؤوف رحيم﴾

﴿١٠﴾ ﴿وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض﴾ أي: وما الذي يمنعكم من النفقة في سبيل الله، وهو طرق الخير كلها، ويوجب لكم أن تبخلوا، ﴿و﴾ الحال أنه ليس لكم شيء، بل ﴿لله ميراث السماوات والأرض﴾ فجميع الأموال ستنتقل من أيديكم أو تنقلون

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ ونخذل من يعلمه لا يصلح.

<sup>(</sup>٢) في ب: على صحة جميع ما جاء به.

O STATE OF THE PARTY OF THE PAR **多型原间锅** هُوَالَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِنَّةِ ٱيَّامِرُمُ ٱسْتَوَيْ عَلَ ٱلْعَرُشُ يَعْلَمُ مَا يَلِحُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ ٱلسَّمَلَةِ وَمَا يَعْرُجُ فِيرًا وَهُوَمَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُشُدُ وَلَقَهُ بِحَاتَقَ حَلُونَ بَصِيرٌ ۞ لَّهُمُلْكُ ٱلسَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَالْ اللَّهِ رُبِّحُ ٱلْمُورُ۞ يُولِجُ الَّيْلَ فِالنَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ وَهُوَعَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۞ ءَامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا عَمَّا جَعَلَكُمْ مُسُتَخَلِفِينَ فِيدٌّ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوامِنَكُووَالْفَقُوالْمَنَالَةَرُكَ بِيرٌ ۞ وَمَا لَكُمْ لَانْوَمِنُونَ بِالْقَوِوَالرَّسُولُ يَدْعُوكُرُ لِنُوْمِنُوا رَبَّكُرُ وَقَدْ لَخَذَ مِثَنَقَكُمْ إِن كُمْتُمُ مُّوْمِنِينَ ۞ هُوَالَّذِي يُغَرِّلُ عَلَى عَبْدِهِ مَ اَلِكَتِ يَمَنَّت ِ لِيُخْرِجَكُم مِنَ الظُّلُمَتِ إِلَى النُّورُ وَإِنَّ اللَّهُ يِكُولُوا وَقُرْتَعِيدٌ ۞ وَمَالَحُمُ أَلَانُنفِقُواْ فِي سَكِيلِ اللَّهِ وَيَقْوِمِيزَتُ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضُ لَايَسَتَوِى مِنكُم مِّنَ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْمِ وَقِلْلَلَّ أُوْلِلَهِكَ أَعْظَمُ دَرَجَهُ مِنَ ٱلَّذِيرَ أَنفَعُواْمِنُ بِمَّدُ وَقَلْنَكُواْ وَكُلَّا وَعَدَافَةُ أَكْمُسُونَ وَاللَّهُ مِمَا لَعَمَلُونَ خَبِيرُ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنَا فَيُضَلِّوهَ مُلَّهُ وَلَهُ وَأَجْرُكُ رِيُّ

TO SERVICE OF A PORT OF THE PROPERTY OF THE PR

عنها، ثم يعود المُلْك إلى مالكه تبارك وتعالى، فاغتنموا الإنفاق ما دامت الأمنوال فني أينديكم، وانتهزوا الفرصة، ثم ذكر تعالى تفاضل الأعمال بحسب الأحوال والحكمة الإلهية، فقال: ﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾ المراد بالفتح هنا هو فتح الحديبية، حين جرى من الصلح بين الرسول وبين قريش مما هو أعظم الفتوحات التي حصل بها نشر الإسلام، واختلاط المسلمين بالكافرين، والدعوة إلى الدين من غير معارض، فدخل الناس من ذلك الوقت في دين الله أفواجاً، واعتز الإسلام عزاً عظيماً، وكان المسلمون قبل هذا الفتح لا يقدرون على الدعوة إلى الدين في غير البقعة التي أسلم أهلها، كالمدينة وتوابعها، وكان من أسلم من أهل مكة وغيرها من ديار المشركين يؤذي ويخاف، فلذلك كان من أسلم قبل الفتح وأنفق وقاتل، أعظم درجة وأجرأ وثوابأ بمن لم يسلم ويقاتل وينفق إلا بعد ذلك، كما هو مقتضى الحكمة، ولذلك كان السابقون وفضلاء الصحابة، غالبهم أسلم قبل الفتح، ولما كان التفضيل بين الأمور قد

يتوهم منه نقص وقدح في المفضول، احترز تعالى من هذا بقوله: ﴿وكلاُّ وعد الله الحسني اأي: الذين أسلموا وقاتلوا وأنفقوا من قبل الفتح وبعده، كلهم وعده الله الجنة، وهذا يدل على فضل الصحابة [كلهم]، رضى الله عنهم، حيث شهد الله لهم بالإيمان، ووعدهم الجنة، ﴿والله بما تعملون خبير﴾ فيجازي كُلاً منكم على ما يعلمه من عمله، ثم حث على النفقة في سبيله، لأن الجهاد متوقف على النفقة فيه، وبذل الأموال في التجهز له، فقال: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴾ وهي النفقة [الطيبة] التي تكون خالصة لوجه الله، موافقة لمرضأة الله، من مال حلال طيب، طيبة به نفسه، وهذا من كرم الله تعالى [حيث] سماه قرضاً، والمال ماله، والعبد عبده، ووعد بالمضاعفة عليه أضعافاً كثيرة، وهو الكريم الوهاب، وتلك المضاعفة محلها وموضعها يوم القيامة، يوم كل يتبين فقره، ويحتاج إلى أقل شيء من الجزاء الحسن، ولذلك قال:

﴿١٢ ـ ١٥﴾ ﴿يوم تىرى المؤمنين والمؤمنات يسمى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم \* يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نبوركم قبيل ارجمعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب \* ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلي ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور \* فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النارهي مولاكم وبئس المصير﴾ يقول تعالى \_مبيناً لفضل الإيمان واغتباط أهله به يوم القيامة \_: ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ أي: إذا

كان يوم القيامة، وكورت الشمس، وخسف القمر، وصار الناس في الظلمة، ونصب الصراط على متن جهنم، فحينتذ ترى المؤمنين والمؤمنات، يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، فيمشون بأيمانهم ونورهم في ذلك الموقف الهائل الصعب، كل على قدر إيمانه، ويبشرون عند ذلك بأعظم بشارة، فيقال: ﴿بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو القوز العظيم﴾ فلله ما أحلى هذه البشارة بقلوبهم، وألذها لنفوسهم، حيث حصل لهم كل مطلوب [محبوب]، ونجوا من كل شر ومرهوب، فإذا رأى المنافقون نور المؤمنين يمشون به (۱۱)، وهم قد طفيء نورهم وبقوا في الظلمات حاثرين، قالوا للمؤمنين: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ أي: أمهلونا لننال من نوركم ما تمشى به، لننجو من العذاب، ف ﴿قيلُ ﴾ لهم: ﴿ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ﴾ أي: إن كان ذلك بمكناً، والحال أن ذلك غير بمكن، بل هو من المحالات، ﴿فضرب بين المؤمنين والمنافقين ﴿بسور﴾ أي: حائط منيع، وحصن حصين، ﴿له بابِ باطنه فيه الرحمة ﴾ وهو الذي يلي المؤمنين، ﴿وظاهره من قبله العذاب﴾ وهو الذي يلي المنافقين، فينادي المنافقون المؤمنين، فيقولون لهم تضرعاً وترحماً: ﴿ أَلَّمُ نَكُنَّ معكم) في الدنيا نقول: «لا إله إلا الله»، ونصلي ونصوم ونجاهد، ونعمل مثل عملكم؟

﴿ قالوا بلى ﴾ كنتم معنا في الدنيا، وعملتم [في الظاهر] مثل عملنا، ولكن أعمالكم أعمال المنافقين، من غير إيمان ولا نية [صادقة] صالحة، بل ﴿ فنتتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم ﴾ أي: شككتم في خبر الله الذي لا يقبل شكاً، ﴿ وغرتكم الأماني ﴾ الباطلة، حيث (٢) تمنيتم أن تنالوا منال المؤمنين، وأنتم غير موقنين، ﴿ حتى المؤمنين، وأنتم غير موقنين، ﴿ حتى

<sup>(</sup>۱) في ب: يمشون بنورهم.

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: التي.

جاء أمر الله﴾ أي: حتى جاءكم الموت وأنتم بتلك الحال الذميمة .

﴿وغـركــم بِـالله السغـرور﴾ وهـو الشيطان، الذي زين لكم الكفر والريب، فاطمأننتم به، ووثقتم بوعده، وصدقتم خبره، ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا) فلو افتديّتم بمثل الأرض ذهباً ومثله معه، لما تقبل منكم، ﴿مأواكم النارك أي: مستقركم، ﴿هي مولاكم) التي تتولاكم وتضمكم إليها، ﴿ وبئس المصير ﴾ النار.

[قال تعالى:] ﴿ وأما من خفت موازينه \* فأمه هاوية \* وما أدراك ما هيه # نار حامية ٠٠٠٠

﴿١٦ ـ ١٧) ﴿ أَلَمْ يَأْنَ لَلَّذِينَ آمِنُوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولآ يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون \* اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون للا ذكر حال المؤمنين والمؤمنات، والمنافقين والمنافقات في الدار الآخرة، كان ذلك ما يدعو القلوب إلى الخشوع لربها، والاستكانة لعظمته، فعاتب الله المؤمنين [على عدم ذلك]، فقال: ﴿ أَلَّمُ يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾

أى: ألم يجيء (١) الوقت الذي تلين به قلوبهم (۲) وتخشع لذكر الله، الذي هو القرآن، وتنقاد لأوامره وزواجره، وما نزل من الحق الذي جاء به عمد على وهذافيه الحث على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى، ولما أنزله من الكتآب والحكمة، وأن يتذكر المؤمنون المواعظ الإلهية والأحكام الشرعية كل وقت،

يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد﴾ أي: ولا يكونوا كالذين أنزل اله عليهم الكتاب الموجب لخشوع القلب والانقياد التام، ثم لم يدوموا عليه، ولا ثبتوا، بل طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم وزال إيقانهم، ﴿نقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾ فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تذكر بما أنزله الله، وتناطق بالحكمة، ولا ينبغي الغفلة عن ذلك، فإن ذُلك (<sup>(r)</sup> سبب لقسوة القلب وجمود العن.

﴿ اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قدبينا لكم الآيات لعلكم تعقلون، فإن الآيات تدل العقول على العلم بالمطالب الإلهية، والذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على أن يحيى الأموات بعد موتهم، فيجازيهم بأعمالهم، والذي أحيا الأرض بعد موتها بماء الطر قادر على أن يحيى القلوب الميتة بما أنزله من الحق على رسوله، وهذه الآية تدل على أنه لا عقل لمن لم يهتد بآيات الله و[لم] ينقد لشرائع الله.

﴿١٨ \_ ١٩) ﴿إِن المسدقسين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم \* والذين آمنوا بأله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوأ بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) ﴿إن الصَّدِّقين والصَّدِّقات ﴾ بالتشديد أي: الذين أكثروا من الصدقات الشرعية، والنفقات المرضية، ﴿ وأقرضوا الله قرضاً حسناً ﴾ بأن قدموا من أموالهم في طرق الخيرات ما يكون مدخراً لهم (٤) عندريم، ﴿يضاعف لهم﴾ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مئة ويحاسبوا أنفسهم على ذلك، ﴿ ولا ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ﴿ ولهم

Je Hilliam ov Spielle Sign وَّهَ رَّيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ فُورُهُم يُنَ أَيْدِيهِ مُ وَ بِأَيْمَنِيهِم بُشْرَيْكُوا لِيَوْمَ جَنَّتُ تَجَعَى مِن تَحْيَهَا ٱلْأَنْعَرُ خَلِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُالْتَظِيدُ ۞ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمَنْفِقُونَ وَٱلْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِنَ مَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَيْسُ مِن فَرِكُرُ قِيلَ أَنْجِعُوا وَزَآة كُو فَالْتَحَسُوا نُورًا فَضُرِبَ يَيْنَهُ دِبُورِلَّهُ بَابُ بَاطِئُهُ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَلِهِ مُونِ فَيَالِهِ ٱلْعَدَابُ ۞ بُنَادُونَهُمْ أَلْرَبَكُنْ مَعَكُمْ قَالُواْ بَلَنَ وَلَكِنَكُمْ فَنَنتُ إِنفُ كُووَتَرَبَقِهُ فُرُوَالِنَهُ مُعْ وَالْفَيْمُ وَغَنَّهُ كُوا لِأَمَّانِ حَقَّا حِكَة أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم إِللَّهِ الْفَكُرُودُ ۞ فَالْيُوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ يِنْ يَدُّ وَلَامِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَنَكُمُ الْنَازُّمِي مَوْلِكُمُّ وَمِثْسَ ٱلْمَصِيرُ ۞ • ٱلْرَيَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن تَعَشَمَ مُلُوبُهُمُ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَانَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْكَ ٱلَّذِينَ أُوثُواْ ٱلْكِئْبَ مِن قَتْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَّدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمٌّ وَكَثِيرٌ مِّيْنَهُمُ فَلْسِقُونَ ۞ٱعْلَمُوۤاأَنَّالَةَ يُمُّيَٱلْأَرْضَ بَقَدَمَوْتِهَأَفَدُ بَيْنَا لَكُو ٱلْآيِكِ لَعَلَكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ إِنَّ ٱلْمُثَارِقِينَ وَٱلْمُثَادِقَتِ وَأَقْرَضُواْ الله وَنَسَاحَكُ المُفَاعَفُ لَمُدُولِكُمُ أَجْرُكُ رِيدً ١ OUT OF OTO SOLO

أجر كريم) وهو ما أعده الله لهم في الجنة، مما لا تعلمه النفوس.

﴿واللَّذِينَ آمنوا بِاللهِ ورسله والإيمان عند أهل السنة: هو ما دل عليه الكتاب والسنة، هو قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، فيشمل ذلك جميع شرائع الدين الظاهرة والباطنة، فالذين جمعوا بين هذه الأمور هم الصدّيقون أي: الذين مرتبتهم فوق مرتبة عموم المؤمنين، ودون مرتبة الأنبياء.

[وقوله:] ﴿والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم)كما ورد في الحديث الصحيح: (إن في الجنة مئة درجة، ما بين الدرجتين (8) كما بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله»، وهذا يقتضي شدة علوهم ورفعتهم، وقربهم إلى الله تعالى.

ووالذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم افهذه الآيات جعت أصناف الخلق، المتصدقين، والصديقين، والشهداء، وأصحاب الجحيم، فالمتصدقون الذين كان جُلّ عملهم الإحسان إلى الخلق، وبذل النفع إليهم بغاية ما يمكنهم، خصوصا

في ب: ذخراً. (٤)

في ب: ما بين كل درجتين. (0)

في ب: ألم يأت. (1)

في ب: الذي به تلين قلوبكم. **(Y)** 

في ب: فإنه. (٣)

TOTAL OF THE PROPERTY OF THE P وَٱلَّذِينَ ۚ وَامْنُواْ بَالَّهِ وَرُسُلِهِ مَا أُوْلَيْكَ هُوُ ٱلصِّدَعَةُ أَمَّاكُ مَا آرُ عِندَرَتِهِ مُ هُمُ أَجُرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ هُمْ وَالَّذِينَ اللَّهِ عِندَرَتِهِ مُ هُوا وَكُذَّهُ أَعَانَتَكَ أُوْلَتِكَ أَسْحَكُ أَنْجَمِهِ ۞ أَعْلَمُ النَّمَا الْحَمَاةُ أَاتُّمَا الْحَمَاةُ ٱلتُّمَا لَهِ ۗ وَلَهُو ۗ وَرَيْكَ أُو وَقَاحُ إِينَكُمْ وَتَكَارُ عِينَا الْمُعْوَلِ وَٱلْأَوْلِيُّ لِكُنَّ كُنْسُ غَيْثِ أَغِيَ ٱلْكُفَّادَيْنَا ثُمُّتُونَ مَهِيمُ فَفَرَّتُهُ مُصْفَرَّا ثُمِّيكُونُ حُطَلِماً وَفِ ٱلْآخِيرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْ فِرَةً مِنَ اللَّهِ وَرِضُوانٌّ وَمَا الْحَيَوْةِ ٱلدُّنْكَ ۚ إِلَّا مَنْكُمُ ٱلدُّمُونِ صَابِقُواْ إِلَامَغُورَ قِمْن زَيْكُمْ وَبَحَنَهُ عَرْضُهَا كَعَرِّضَ ٱلسِّمَا ، وَٱلْأَمْن أَعِدَتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِوْءَ ذَيْكَ فَصَنَّالُ اللَّهِ يُؤْمِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ دُو الْفَصْلِ الْعَظِيدِ ۞ مَا أَصَالَ مِن مُصِيبَةِ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُيكُمْ إِلَّا فِي كِتَابِينَ قَتِلِ أَن نَبَرُ أَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿ يُكَيْلًا أَلْمَوْا عَلَى مَافَانِكُمْ وَلَانَفْ رَحُواْ بِمَا ٓةَ اتَدْكُمُ وَلِلْقَالَا يُحِثُ كُلِّ عُتَالِ فَخُورِ ۞ ٱلَّذِينَ يَبْحَكُونُ وَيَأْمُهُنَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُحْدُلُ وَمَن بِتَوَلِّ وَإِنَ اللَّهُ هُوَالْغَوْ يُ ٱلْحَمِيدُ ١ TO NOTE OF LEGICALE

بالنفع بالمال في سبيل الله .

والصديقون هم الذين كملوا مراتب الإيمان والعمل الصالح، والعلم النافع، واليقين الصادق، والشهداء هم الذين قاتلوا في سبيل الله [لإعلاء كلمة الله، وبذلوا أنفسهم وأموالهم] فقتلوا، وأصحاب الجحيم هم الكفار الذين كذبوا بآيات الله.

وبقي قسم ذكرهم الله في سورة فاطر، وهم المقتصدون الذين أدوا الواجبات وتركوا المحرمات، إلا أنهم حصل منهم تقصير ببعض حقوق الله وحقوق عباده، فهؤلاء مالهم الجنة، وإن حصل لهم عقوبة ببعض ما فعل.

وإن حصل لهم عفوبه ببعض ما فعل. ﴿ ٢ - ٢ ﴾ ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل العظيم ﴾ يغبر تعالى عن حقيقة الدنيا وما هي عليه، وبين غايتها وغاية ا

أهلها، بأنها لعب ولهو، تلعب بها الأبدان، وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات أعمارهم بلهو القلوب، والغفلة عن ذكر الله(١)، وعما أمامهم من الوعد والوعيد، وتراهم قد اتخذوا دينهم لعبا ولهوا، بخلاف أهل اليقظة وعُمّال الآخرة، فإن قلوبهم معمورة بذكر الله، ومعرفته ومحبته، وقد أشغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله، من النفع القاصر والمتعدي.

[وقوله:] ﴿ وَزِينة ﴾ أي: تزيّنٌ في اللباس والطعام والشراب، والمراكب والمراحب والمراحب ﴿ والمعام والخاه. [وغير ذلك] أهلها يريد مفاخرة الآخر، وأن يكون هو الغالب في أمورها، والذي له الشهرة في أحوالها، ﴿ وتكاثر في يكون هو الكاثر لغيره في المال والولد، ويكون هو الكاثر لغيره في المال والولد، والمطمئين إليها.

بخلاف من عرف الدنيا وحقيقتها، فجعلها معبراً ولم يجعلها مستقراً، فنافس فيما يقربه إلى الله، واتخذ الوسائل التي توصله إلى الله(٢٦)، وإذا رأى من يكاثره وينافسه بالأموال والأولاد، نافسه بالأعمال الصالحة.

ثم ضرب للدنيا مثلاً بغيث نزل على الأرض، فاختلط به نبات الأرض عالي يأكل الناس والأنعام، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، وأعجب نباته الكفار، الذين قصروا همهم ونظرهم إلى الدنيا<sup>(٣)</sup> جاءها من أمر الله [ما أتلفها] فهاجت ويبست، فعادت على حالها الأولى، كأنه لم ينبت فيها خضراء، ولا رُؤي لها مرأى أنيق، كذلك الدنيا، بينما هي زاهية لصاحبها زاهرة، مهما أراد من مطالبها حصل، ومهما توجه لأمر من أمورها وجد أبوابه مفتحة، إذ أصابها القدر بما

أذهبها (٤) من يده، وأزال تسلطه عليها، أو ذُهِب به عنها، فرحل منها صفر اليدين، لم يتزود منها سوى الكفن، فتباً لمن أضحت هي غاية أمنيته ولها عمله وسعيه.

وأما العمل للآخرة فهو الذي ينفع، ويدخر لصاحبه، ويصحب العبد على الأبد، ولهذا قال تعالى: ﴿وَفِي الآخرة مِن الله علله ومغيضرة من الله ورضوان﴾ أي: حال الآخرة، ما يخلو من هذين الأمرين: إما العذاب الشديد في نار جهنم، وأغلالها وسلاسلها وأهوالها لمن كانت الدنيا هي غايته ومنتهى مطلبه، فتجرأ على معاصي الله، وكذب بآيات الله، وكفر بأنعم الله.

وإما مغفرة من الله للسيئات، وإزالة للعقوبات، ورضوان من الله، يحل من أحله (٥) به دار الرضوان لمن عرف الدنيا، وسعى للآخرة سعيها.

فهذا كله مما يدعو إلى الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، ولهذا قال: ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ أي: إلا متاع يتمتع به وينتفع به، ويستدفع به الحاجات، لا يغتر به ويطمئن إليه إلا أهل العقول الضعيفة الذين يغرهم بالله الغرور.

ثم أمر بالمسابقة إلى مغفرة الله ورضوانه وجنته، وذلك يكون بالسعي بأسباب المغفرة، من التوبة النصوح، والاستغفار النافع، والبعد عن الذنوب بالعمل الصالح، والحرص على ما يرضي الله على الدوام، من الإحسان بي عبادة الخالق، والإحسان إلى الخلق بجميع وجوه النفع، ولهذا ذكر الله عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله والإيمان بالله ورسله والإيمان بالله ورسله أعدت للذين وفروعها، وذلك فيه أصول الندين وفروعها، إذلك قصل الله يؤتيه من يشاء أي: هذا

(1)

في ب: بلهو قلوبهم وغفلتهم.

<sup>(</sup>٣) في ب: همهم ونظرهم.

<sup>(</sup>٤) في ب: فأذهبها.

<sup>(</sup>٥) في ب: من أحله عليه.

<sup>(</sup>٦) كذا في ب، وفي أ: ورسوله.

<sup>(</sup>٢) في ب: إلى ذلك.

الذي بيناه لكم، وذكرنا لكم فيه الطرق الموصلة إلى الجنة، والطرق الموصلة إلى النار، وأن فضل الله بالثواب الجزيل والأجر العظيم (١)، من أعظم منته على عباده وفضله. ﴿والله ذو الفضل العظيم ﴾ الذي لا يُحصى ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسة، وفوق ما يثني عليه عباده (١)

﴿۲۲ ــ ۲۲﴾ ﴿سا أصــاب مــن مصيبة في الأرض ولاً في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير \* لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل محتال فحور \* الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد ﴾ يقول تعالى غبراً عن عموم قضائه وقدره: ﴿مَا أَصَابِ مَنْ مَصَيِبَةً فَي الأَرْضُ وَلَا في أنفسكم وهذا شأمل لعموم المصائب التي تصيب الخلق، من خير وشر، فكلُّها قد كتبت في اللوح المحفوظ، صغيرها وكبيرها، وهذا أمر عظيم لا تحيط به العقول، بل تذهل عنده أفشدة أولي الألباب، ولكنه على الله يسير، وأخبر الله عباده بذلك لأجل أن تتقرر هذه القاعدة عندهم، ويبنوا عليها ما أصابهم من الخير والشر، فلا يأسوا ويحزنوا على ما فاتهم، مما طمحت له أنفسهم وتشوفوا إليه، لعلمهم أن يكون ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، لا بدمن نفوذه ووقوعه، فلا سبيل إلى دفعه، ولا يفرحوا بما آتاهم الله فرح بطر وأشر، لعلمهم أنهم ما أدركوه بحولهم وقوتهم، وإنما أدركوه بفضل الله ومَنَّه، فيشتغلوا بشكر من أولى النعم ودفع النقم، ولهذا قبال: ﴿واللهُ لا عُجَبَ كُلُ غُتال قَحْورَ ﴾ أي: متكبر فظ غليظ، معجب بنفسه، فخور بنعم الله، ينسبها إلى نفسه، وتطغيه وتلهيه، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ثم

إذا خوَّلناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم علم علم علم علم المع فتنة .

والذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ أي: يجمعون بين الأمرين الذميمين، اللذين كل منهما كاف في الشر البخل: وهو منع الحقوق الواجبة، ويأمرون الناس بذَّلك، فلم يكفهم بخلهم، حتى أمروا الناس بذلك، وحثُّوهم على هذا الخلق الذميم بقولهم وفعلهم، وهذا من إعراضهم عن طاعة ربهم وتوليهم عنها، ﴿ومنَ يتولُ عن طاعة الله فلا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئاً، ﴿فَإِنَّ اللهُ هو الغني الحميد الذي غناه من لوازم ذاته، الندى له ملك السماوات والأرض، وهو الذي أغنى عباده وأقناهم، الحميد الذي له كل اسم حسن، ووصف كامل، وفعل جميل، يستحق أن يحمد عليه ويثني ويعظم.

(۲۰ ـ ۲۷) ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز \* ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون \* ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسي ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله قما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم قاسقون) يقول تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) وهي الأدلة والشواهد والعلامات الدالة على صدق ما جاؤوا به وحقيته.

﴿ وَأَنْزَلْنَا مَعْهُمُ الْكِتَابِ ﴾ وهو اسم جنس يشمل سائر الكتب التي أنزلها الله لهداية الخلق وإرشادهم، ما ينفعهم في دينهم ودنياهم،

﴿ والميزان ﴾ وهو العدل في الأقوال والأفعال، والدين الذي جاءت به الرسل، كله عدل وقسط في الأوامر والنواهي وفي معاملات الخلق، وفي الجنايات والسقصاص والحدود (والمواريث وغير ذلك]، وذلك بدين الله، وتحصيلاً لمصالحهم التي لا يمكن حصرها وعدها، وهذا دليل على أن الرسل متفقون في قاعدة الشرع، وهو القيام بالقسط، وإن الختلفت أنواع العدل، بحسب الأزمنة والأحوال، ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس طلدوع وغير ذلك.

﴿وَمَنَافِع لَلْنَاسِ﴾ وهو ما يشاهد من نفعه في أنواع الصناعات والحرف، والأواني وألات الحرث، حتى إنه قَلُ أن يسوجد شيء إلا وهسو يحتاج إلى الحديد.

﴿وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب﴾ أي: ليقيم تعالى سوق الامتحان بما أنزله من الكتاب والحديد، فيتبين من ينصره وينصر رسله في حال الغيب، التي ينفع فيها الإيمان قبل الشهادة، التي لا فائدة بوجود الإيمان فيها، لأنه حينئذ يكون ضرورياً.

﴿إِن الله قسوي عسريسز﴾ أي: لا يعجزه شيء، ولا يفوته هارب، ومن قوته وعزته أن أنزل الحديد الذي منه الآلات القوية، ومن قوته وعزته أنه قادر على الانتصار من أعدائه، ولكنه يبتلي أولياءه بأعدائه، ليعلم من ينصره بالغيب، وقرن تعالى في هذا<sup>(۲)</sup> الموضع بين الكتاب والحديد، لأن بهذين الأمرين ينصر الله دينه، ويعلي والبرهان والسيف الناصر بإذن الله، وكلاهما قيامه بالعدل والقسط، الذي يستدل به على حكمة البارى وكماله،

<sup>(</sup>١) في ب: وأن ثواب الله بالأجر الجزيل، والثواب الجميل.

<sup>(</sup>٢) في ب: أحدٌ من خلقه.

<sup>(</sup>٣) في ب: بهذا.

وكمال شريعته التي شرعها على ألسنة

ولما ذكر نبوة الأنبياء عموماً، ذكر من خواصهم النبيين الكريمين نوحاً وإبراهيم اللذين جعل الله النبوة والكتاب في ذريتهما، فقال: ﴿ولقد أرسلنا نوحأ وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب ﴿ أي: الأنبياء المتقدمين والمتأخرين كلهم من ذرية نوح وإبراهيم عليهما السلام، وكذلك الكتب كلها نزلت على ذرية هذين النبيين الكريمين، ﴿فمنهم ﴾ أي: ممن أرسلنا إليهم الرسيل ﴿مهتد﴾ بدعوتهم، منقاد لأمرهم، مسترشد

﴿وكثير منهم فاسقون أي: خارجون عن [طاعة الله و] طاعة الرسل والأنبياء(١)، كما قال تعالى: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين،

﴿ مُم قَفِينًا ﴾ أي: أتبعنا ﴿على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسي ابن مريم) خصُّ الله عيسى عليه السلام؛ لأن السياق مع النصاري، الذين يزعمون اتباع عيسى عليه السلام، ﴿وآتيناه الإنجيل الذي هو من كتب الله الفاضلة، ﴿ وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ﴾ كما قال تعالى: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصاري ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون﴾ الآيات.

ولهذا كان النصاري ألين من غيرهم قلوباً، حين كانوا على شريعة عيسى عليه السلام .

﴿ورهبانية ابتدعوها ﴿ والرهبانية : العبادة، فهم ابتدعوا من عند أنفسهم عبادة، ووظفوها على أنفسهم، والتزموا لوازم ماكتبها الله عليهم ولا فرضها، بل هم الذين التزموا بها من تلقاء أنفسهم، قصدهم بذلك رضا الله

تعالى، ومع ذلك ﴿فما رعوها حق رعايتها﴾ أي: ما قاموا بها ولا أدوا حقوقها، فقصروا من وجهين: من جهة ابتداعهم، ومن جهة عدم قيامهم بما فرضوه على أنفسهم.

فهذه الحال هي الغالب من

ومنهم من هو مستقيم على أمر الله، ولهذا قال: ﴿فَآتِينَا الذِّينِ آمِنُوا مِنْهُمُ أجسرههم أي: النديس أمسنو بمحمد ﷺ، مع إيمانهم بعيسى، كلُّ أعطاه الله على حسب إيمانه ﴿وكثير منهم فاسقون، ﴿ ٢٨ \_ ٢٩ ﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا

اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم \* لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ وهذا الخطاب، يحتمل أنه [خطاب] لأهل الكتاب الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام، يأمرهم أن يعملوا بمقتضى إيمانهم، بأن يتقوا الله فيتركوا معاصيه، ويؤمنوا برسوله محمد ﷺ، وأنهم إن فعلوا ذلك أعطاهم الله کفلین من رحمته أى: نصیبین من الأجر نصيب على إيمانهم بالأنبياء الأقدمين، ونصيب على إيسانهم بمحمد علية

ويحتمل أن يكون الأمر عاماً يدخل فيه أهل الكتاب وغيرهم، وهذا الظاهر، وأن الله أمرهم بالإيمان والتقوى الذي يدخل فيه جميع الدين، ظاهره وباطنه، أصوله وفروعه، وأنهم إن امتشلوا هذا الأمر العظيم، أعطاهم الله ﴿ كَفَلِّينَ مِنْ رَحْمَتُهُ ﴾ لا يعلم وصفهما وقدرهما إلا الله تعالى أجر على الإيمان، وأجر على التقوي، أو أجرٌ على امتثال الأوامر، وأجر على اجتناب النواهي، أو أن التثنية المرادبها تكرار الإيتاء مرة بعد أخرى.

﴿ويجعل لكم نوراً تمشون به ﴾ أي: يعطيكم علماً وهدي ونوراً تمشون به في ظلمات الجهل، ويغفر لكم السىئات.

﴿والله ذو الفضل العظيم ﴾ فلا يستكثر (٢) هذا الثواب على فضل ذي الفضل العظيم، الذي عم فضله أهل السماوات والأرض، فلا يخلو مخلوق من فضله طرفة عين ولا أقل من ذلك. [وقوله] ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله أي: بينا لكم فضلناً وإحساننا لمن أمن إيماناً عاماً، واتقى الله، وآمن برسوله، لأجل أن أهل الكتاب يكون لديهم علم (٣) بأنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله أي: لا يحجرون على الله بحسب أهوائهم وعقولهم الفاسدة، فيقولون: ﴿لَنْ يُدخَلُ الْجُنَّةُ إلا من كان هوداً أو نصاري، ويتمنون على الله الأمان الفاسدة، فأخبر الله تعالى أنَّ المؤمنين برسوله محمد علي، المتقين لله، لهم كفلان من رحمته، ونورٌ، ومغفرة، رغماً على أنوف أهل الكتاب، وليعلموا ﴿أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ﴾ عن اقتضت حكمته تعالى أن يؤتيه من فضله، ﴿والله ذو الفضل العظيم الذي لا يقادر قدره].

> تم تفسير سورة الحديد، ولله الحمد والمنة، والحمد لله

## تفسير سورة قد سمع الله وهي مدنية

﴿١ - ٤ ﴾ ﴿ بسبم الله السرحسن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير \* الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً وإن ألله لعفو غفور \* الذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير

(1)

في ب: لأجل أن يكون عند أهل

في ب: طاعة رسله. في ب: فلا يستغرب كثرة. **(Y)** 

الكتاب علم.

رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير \* فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم من الأنصار اشتكته زوجته [إلى الله من الأنصار اشتكته زوجته [إلى الله حرمها على نفسه، بعد الصحبة حرمها على نفسه، بعد الصحبة ميخاً كبيراً، فشكت حالها وحاله إلى الله وإلى رسول الله يله وأبدت فيه وأعادت.

فقال تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما ﴾ أي: تخاطبكما فيما بينكما، ﴿إن الله سميع ﴾ لجميع الأوقات، على تفنن الحاجات.

﴿بصير﴾ يبصر دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وهذا إخبار عن كمالً سمعه وبصره، وإحاطتهما بالأمور الدقيقة والجليلة، وفي ضمن ذلك الإشارة سأن الله [تعالى] سيزيل شكواها، ويرفع بلواها، ولهذا ذكر حكمها، وحكم غيرها<sup>(٢)</sup> على وجه العموم، فقال: ﴿الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم ، المظاهرة من الزوجة: أن يقول الرجل لزوجته: «أنت على كظهر أمي»، أو غيرها من محارمه، أو: «أنت عَلَيْ حرام»، وكانُ المعتاد عندهم في هذاً لفظ «الظهر» ولهذا سماه الله «ظهاراً» فقال:

﴿الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم ﴾ أي: كيف يتكلمون بهذا الكلام الذي يعلم (٣) أنه لا حقيقة له، فيشبهون أزواجهم بأمهاتهم اللاتي ولدنهم؟ ولهذا عظم الله أمره وقبحه، فقال: ﴿وَإِنّهم ليقولون منكراً من القول وزوراً﴾ أي: قولاً شنيعاً، ﴿وزوراً﴾

﴿وإن الله لعفو غفور﴾ عمن صدر منه بعض المخالفات، فتداركها بالتوبة النصوح.

والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا المختلف العلماء في معنى العود، فقيل: معناه العزم على جماع من ظاهر منها، وأنه بمجرد عزمه حبب عليه الكفارة المذكورة، ويدل على هذا أن الله تعالى ذكر في الكفارة أنها(أ) تكون قبل المسيس، وذلك إنما يكون بمجرد العزم، وقيل: معناه حقيقة الوطء، ويدل على ذلك أن الله قال: والمواء، ويدل على ذلك أن الله قال: إنما هو الوطء.

وعلى كل من القولين ﴿فَ إِذَا وجد العود، صار كفارة هذا التحريم ﴿تحرير رقبة ﴾ مؤمنة كما قيدت في آية أخرى (٥)، ذكر أو أنشى، بشرط أن تكون سالمة من العيوب المضرة (١) بالعمل.

﴿من قبل أن يشماسا ﴾ أي: يلزم الزوج أن يترك وطء زوجته التي ظاهر منها حتى يكفر برقبة.

﴿ ذلكم ﴾ الحكم الذي ذكرناه لكم، ﴿ توعظون به ﴾ أي: يبين لكم حكمه مع الترهيب المقرون به، لأن معنى الوعظ ذكر الحكم مع الترغيب والترهيب، فالذي يريد أن يظاهر، إذا

A THE STATE OF THE لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبِيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَلَ وَالْمِيزَاتِ لِيَعُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِّ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ سِأَسُّ شَدِيدُ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعَامَ اللَّهُ مَن يَصْرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبُ إِنَ اللَّهَ فَوَئَّ عَزِيزٌ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرُهِ مِمْ وجَعَلْنَا فِي دُرِيَّتِهِ مَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابُّ فِينْهُم مُّهُمَّدٍّ وَكَيْدِيْ مِنْ مُنْ فَلِي قُونَ ۞ ثُرَّ قَفَيْنَا عَلَى ٓ الْفَرِهِ بِرُسُلِنَا وَقَفَيْنَ إِبِعِيسَى أَبْنِ مَرْبِهَ وَءَاتَيْنَهُ ٱلْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِيرِ ٱلَّهَامُوهُ رَأْفَةُ وَرَحْمَةً وَرَحْمَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَاكَ تَبْنَعُاعَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْيَعَآ أَيْصَافِ اللَّهِ فَمَارَعُوْهِا حَقَّ رِعَايَتِما فَنَالَيْنَ الَّذِينَ الْمُولِينَهُمُ أَخِرَهُمْ وَكَيْرُ يَنْهُمُ فَنَسِقُونَ ۞ يَنَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُوا اللَّهَ وَمَامِنُوا برَسُولِهِ ، يُؤْتِ كُرْكِ فُلَيْنِ مِن زَخْتِهِ ، وَيَجْعَل لَكُمْ فُولًا غَشُونَ بِدِ، وَيَغْفِرُ أَكُمُ وَالْقُدْعَ فُورٌ أَحِيمٌ ﴿ لِتُلَّا يَغُمَّرُ المُلُالْكِتَ الْإِيْمُدِرُونَ عَلَى مَنْ وَمِنْ فَضَيْلِ اللَّهِ وَأَنْ الْمَصْلَ بِيدَاللَّهِ وَرَّبِيهِ مَن يَسَلَّهُ وَاللَّهُ دُو الْفَصْلِ الْمَعْلِيرِ ۞ a long on Laboration

> ذكر أنه يجب عليه عتق رقبة كف نفسه عنه، ﴿والله بما تعملون خبير﴾ فيجازي كل عامل بعمله.

> وفمن لم يجد و رقبة يعتقها، بأن لم يجدها أو [لم] يجد ثمنها وفي عليه وصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا و فمن لم يستطع الصيام وفياطعام ستين مسكينا و إما بأن يطعمهم من قوت بلده ما يكفيهم، كما هو قول كثير من المفسرين، وإما بأن يطعم كل مسكين مُذ بُرِّ أو نصف صاع من غيره مما يجزي في الفطرة، كما هو قول طائفة أخرى.

ذلك الجكم الذي بيناه لكم، ووضحناه لكم (لتؤمنوا بالله ورسوله) وذلك بالتزام هذا الحكم وغيره من الأحكام والعمل به، فإن التزام أحكام الله والعمل بها من الإيمان، أبل هي المقصودة] ومما يزيد به الإيمان (٧) ويكمل وينمو.

﴿ وتلك حدود الله ﴾ التي تمنع من

<sup>(</sup>۱) زیادة من هامش: ب.

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: ذكر حكم هذا الحكم وحكم غيره.

<sup>(</sup>٣) في ب: يعلمون.

<sup>(</sup>٤) كذا في ب، وفي أ: أن.

<sup>(</sup>٥) في ب: آية القتال.

<sup>(</sup>٦) في ب: الضارة.

<sup>(</sup>٧) في ب: ويزداد به الإيمان.

الوقوع فيها، فيجب أن لا تتعدى ولا يقصر عنها.

﴿ وللكافرين عذاب أليم ﴾ .

وفي هذه الآيات عدة أحكام:

منها: لطف الله بعباده واعتناؤه بهم، حيث ذكر شكوى هذه المرأة المصابة، وأزالها ورفع عنها البلوى، بل رفع البلوى بحكمه العام لكل من ابتلى بمثل هذه القضية.

ومنها: أن الظهار مختص بتحريم الزوجة، لأن الله قال: ﴿من نسائهم ﴾ فلو حرم أمته، لم يكن [ذلك] ظهاراً، بل هو من جنس تحريم الطعام والشراب، تجب فيه كفارة اليمين فقط.

ومنها: أنه لا يصح الظهار من امرأة قبل أن يتزوجها، لأنها لا تدخل في نسائه وقت الظهار، كما لا يصح طلاقها، سواء نجز ذلك أو علقه.

ومنها: أن الظهار محرم، لأن الله سماه منكراً [من القول] وزوراً.

ومنها: تنبيه الله على وجه الحكم وحكمته، لأن الله تعالى قال: ﴿ما هن أمهاتهم﴾.

ومنها: أنه يكره للرجل أن ينادي زوجته ويسميها(١) باسم محارمه،

كقوله: (يا أمي)، (يا أختي) ونحوه، لأن ذلك يشبه المحرم.

ومنها: أن الكفارة إنما تجب بالعود لما قال المظاهر، على اختلاف القولين السابقين، لا بمجرد الظهار.

ومنها: أنه يجزىء في كفارة الرقبة، الصغير والكبير، والذكر والأنثى، لإطلاق الآية في ذلك.

ومنها: أنه يجب إخراجها إن (٢) كانت عتقاً أو صياماً قبل المسيس، كما قيده الله، بخلاف كفارة الإطعام، فإنه يجوز المسيس والوطء في أثنائها.

ومنها: أنه لعل الحكمة في وجوب الكفارة قبل المسيس، أن ذلك أدعى لإخراجها، فإنه إذا اشتاق إلى الجماع، وعلم أنه لا يمكن من ذلك إلا بعد الكفارة، بادر لإخراجها.

ومنها: أنه لا بد من إطعام ستين مسكيناً، فلو جع طعام ستين مسكيناً، ودفعها لواحد أو أكثر من ذلك، دون الستين لم يجز ذلك، لأن الله قال: ﴿ فإطعام ستين مسكيناً ﴾.

ورسوله كبتواكما كبت الذين من ورسوله كبتواكما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين عادة الله ورسوله: خالفتهما ومعصيتهما خصوصاً في الأمور الفظيعة، كمحادة الله ورسوله بالكفر، ومعاداة أولياء الله.

وقوله: ﴿ كَبِتُوا كَمَا كَبِتَ اللَّيْنِ مِنْ قبلهم ﴾ أي: أذلوا وأهينوا كما فعل بمن قبلهم، جزاء وفاقاً.

وليس لهم حجة على الله، فإن الله قد قامت حجة البالغة على الخلق، وقد أنزل من الآيات البينات والبراهين ما يبين الحقائق ويوضح المقاصد، فمن المهتدين الفائزين، ﴿وللكافرين﴾ بها ﴿عذاب مهين﴾ أي: يهينهم ويذلهم، كما تكبروا عن آيات الله، أهانهم وأذلهم.

فينبئهم بما علموا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد \* ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكشر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم♦ يقول الله تعالى: يوم يبعث الله الخلْق ﴿جِيعاً﴾ فيقومون من أجداثهم سريعاً فيجازيهم بأعمالهم ففينبئهم بما عملوا﴾ من خير وشر ، لأنه علم ذلك وكتبه في اللوح المحفوظ، وأمر الملائكة الكرام الحفظة بكتابته، هذا ورك العاملون قد نسوا ما عملوه، والله أحصى ذلك.

والله على كل شيء شهيد بالظواهر (٢) والسرائر، والخبايا والخفايا، ولهذا أخبر عن سعة علمه وإحاطته بما في السماوات والأرض من دقيق وجليل.

وأنه ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خسة إلا هو سادسهم ولا أخش إلا هو معهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ﴾ والمراد بهذه المعية معية العلم والإحاطة بما تناجوا به وأسروه فيما بينهم ، ولهذا قال: ﴿إِن الله بكل شيء عليم ﴾ ثم قال تعالى:

و ٨ \_ ٩ ﴾ ﴿ ألم تر إلى الـذيـن نهـوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والمدوان ومعصية الرسول وإذ جاؤوك حيوك بما لم يحيك لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير \* يا أيها الذين والمعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالإثم بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه عشرون النجوى هي التناجي بين اثنين فأكثر، وقد تكون في الخير، وتكون في الشر.

فأمر تعالى المؤمنين أن يتناجوا بالبر، وهو اسم جامع لكل خير وطاعة، الجزء الثامن والعشرون

وقيام بحق لله ولعباده (۱) والتقوى، وهي [هنا]: اسم جامع لترك جميع المحارم والمآثم، فالمؤمن يمتثل هذا الأمر الإلهي، فلا تجده مناجياً ومتحدثاً لا بما يقربه من الله، ويباعده من سخطه، والفاجر يتهاون بأمر الله، ويناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، كالمنافقين الذين هذا دأبهم وحالهم ملم الرسول ﷺ.

قال تعالى: ﴿وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله أي: يسيئون الأدب معك في تحيتهم لك، ﴿ويقولون في أنفسهم أي: يسرون في أنفسهم (٢٠) ما ذكره عالم الغيب والشهادة عنهم، وهو قولهم: ﴿لُولا يَعَذَّبُنَا اللَّهُ بِمَا نقول﴾ ومعنى ذلك أنهم يتهاونون بذلك، ويستدلون بعدم تعجيل العقوبة عليهم، أن ما يقولون غير محذور، قال تعالى في بيان أنه يمهل ولا يهمل: وحسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾ أي: تكفيهم جهنم التي جمعت كل شقاء وعذاب [عليهم]، تحيط بهم، ويعذبون بها ﴿ فبنس المصير، وهؤلاء المذكورون إما أناس من المنافقين يظهرون الإيمان، ويخاطبون الرسول ﷺ بهذا الخطاب الذي يوهمون أنهم أرادوا به خيراً (٣)، وهم كذبة في ذلك، وإما أناس من أهل الكتاب، الذين إذا سلموا على النبى ﷺ، قالوا: «السام عليك يا محمد، يعنون بذلك الموت.

﴿ ١٠﴾ ﴿إنما النجوى من الشيطان ليحزُن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً إلا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون يقول تعالى: ﴿إنصا

النجوى أي: تناجي أعداء المؤمنين بالمؤمنين، بالمكر والخديعة، وطلب السوء من الشيطان، الذي كيده ضعيف ومكره غير مفيد.

وليحزن الذين آمنوا فلا غاية هذا الكر ومقصوده، وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله فإن الله تعالى وعد المؤمنين بالكفاية والنصر على الأعداء، وقال تعالى: (ولا يحيق المكر السيىء الاباهله فاعداء الله ورسوله والمؤمنين، مهما تناجوا ومكروا، فإن ضرر ذلك (٤) عائد إلى أنفسهم، ولا يسضر المؤمنين إلا شيء قدره الله وقضاه، ووعلى الله فليسوكل المؤمنون أي: ليعتمدوا (٥) عليه ويثقوا بوعده، فإن من توكل على الله كفاه، وتولى أمر دينه ودنياه (١)

﴿١١﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾ هذا تأديب (٧) من الله لعباده المؤمنين، إذا اجتمعوا في مجلس من مجالس محتمعاتهم، واحتاج بعضهم أو بعض القادمين عليهم للتفسح له في المجلس، فإن من الأدب أن يفسحوا له تحصيلاً للقصود.

وليس ذلك بضار للجالس (^) شيئاً، فيحصل مقصود أخيه من غير ضرر يلحقه هو، والجزاء من جنس العمل، فإن من فسح فسح الله له، ومن وسع لأخيه وسع الله عليه.

﴿ وَإِذَا قَيِلِ انشَرُوا ﴾ أي: ارتفعوا وتنحوا عن مجالسكم لحاجة تعرض،

أَلْوَنَرَأَنَ آلَةَ يَعْلَرُمَا فِي ٱلسَّكَوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضُ مَا لَكُونُ مِن يُّخَوَىٰ ثَلَنَتُهِ إِلَّاهُورَالِعُهُمْ وَلِاخْتَسَةِ الْحُوسَادِ مُمُمَّةٍ وَلَا أَتَانَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَحُثُرُ إِلَّهُ وَمَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانَّوْ أَثْمُ بُنَيْتُهُمْ مَا عَيلُواْ عَمَ ٱلْقِينَمَةُ إِنَّ اللَّهَ يَكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ ٱلْوَتَرُ إِلَّ ٱلَّذِينَ نُهُواْعَنِ ٱلنَّحْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِلمَانَهُواْعَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِٱلْإِنْيِر وَٱلْمُدُونِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُ وَلِدَحَيَّوْكَ عَالَمْ يُحْيَلُ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَاكَعُولُ حَسَّبُهُمْ جَهَنَّهُ يَصَلَوْنَهَ ۚ فِي مِنْسَ ٱلْمُصِيرُ ۞ يَنَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا شَنَجَيْتُرُفَلَا تَنْنَجَوَا بِٱلْإِثْرِوَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَتِ ٱلْصُولِ وَتُنْبَحَرّا الْمَالِمَ وَالنَّقُونَ وَانْتَقُوا اللَّهَ الَّذِيَّ إِلَيْهِ تُحْتَشُرُونَ ۞ إِنَّمَا النَّجَوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِيبَ مَامَنُواْ وَلَيْسَ بِصَارَةِ هِرْشَيْنًا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلِيِّتَوَكِّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ المَنْوَا إِذَاقِيلَ لَكُمْ مَنْسَحُوا فِي الْجَرَائِينَ أَفْكُواْ يَعْسَمِ الله لَكُمُّ وَاذَا قِيلَ الشُّرُوا فَانشُرُوا رَفَع اللَّهُ الَّذِينَ عَامَنُوا مِنكُونَالْيْنَ أُوتُوا العِلْدَ دَرَكُتُ وَاللَّهُ مِمَّالْمَا مُنافِّدَةً مِمَّاللَّهُ مُمَّاللَّهُ مُ TOWN OF THE PROPERTY

﴿فانشزوا﴾ أي: فبادروا للقيام لتحصيل تلك المصلحة، فإن القيام بمثل هذه الأمور من العلم والإيمان، والله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات، بحسب ما خصهم الله به، من العلم والإيمان.

﴿والله بما تعملون خبير﴾ فيجازي كل عامل بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

وفي هذه الآية فضيلة العلم، وأن زينته وثمرته التأدب بآدابه والعمل مقتضاه.

﴿١٢ - ١٣﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم \* أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقاتٍ فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيم الله وآتوا الركاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما

<sup>(</sup>٢) في ب: يسرون فيها.

<sup>(</sup>٣) كذا في ب، وفي أ: والخطاب للرسول ﷺ الذي يوهمون به أنهم أرادوا خيراً.

<sup>(</sup>٤) كذا في ب، وفي أ: فإن ضررهم.

<sup>(</sup>٥) كذا في ب، وفي أ: يعتمدوا.

<sup>(</sup>٦) في ب: وكفاه أمر دينه ودنياه.

<sup>(</sup>٧) في ب: هذا أدب.

<sup>(</sup>A) في ب: للفاسح.

ال يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ مَامَنُوٓا إِذَا نَجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى جَوْلِكُو صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرَكُمُ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَرْتَجِمُ وَأَفِإِذَ اللَّهَ عَفُورٌ رَجِيمُ ۞؞ٙٱشْفَقْتُواْن ثُقَدِمُواْبَيْنَ يَدَىْ جَوْلَكُوْصَدَقَاتُ فَإِذْ لَرَفَفَعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوةَ وَءَاتُوا الزَّكُوةَ وَأَطِيمُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيرٌ عَاتَعَمُلُونَ ٥ • أَلْرَنَزِ إِلَى الَّذِينَ تُولُّوا فَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ مِ مَاهُرِ مِن كُرُ وَلَا مِنْهُ رُوَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُزِيَعْ لَمُونَ ۞ أَعَدَّ اللَّهُ لَمَامٌ عَذَابَا شَدِيدًا ۚ إِنَّهُمُ سَآةَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ ٱتَّخَذُوٓ أَيَّانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواعَن سَبِيلَ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابُ مُّهِينٌ ۞ لَّن تُغَنِّي عَنْهُمُ أَمْوَا لَحُمُو لَآ أَوْلَادُهُم مِنَ اللَّهِ مَنْيَتًا أُوْلَلِيكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِّهُ وَفِيهَا خَلِدُونَ ۞ يَوْمَ يَبَّعَثُهُمُ أَمَّهُ جَيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَعْلِفُونَ لَكُرُ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ٱلْآ إِنَّهُمُ وَهُوُ ٱلْكَاذِبُونَ ۞ ٱسْتَحْوَذَعَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَانُ فَأَسْكَهُمْ وَكُرَّامَّةُ أُولَيْهِكَ حِرْبُ الشَّيْطَانُ أَلاّ إِنَّ حِرَّبَ الشَّيْطَانِ حُرُآ تَحْشِرُونَ۞ إِنَّ الَّذِينَ يُحَاَّدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ الْوَلَيْقِكَ فِي ٱلْأَوْلَيْنَ ۞كَبَالْقَةُ لَأَغْلِبَتَ أَنَا وَرُسُلِّ إِنَّ اللَّهَ فَوِيكُ عَزِيدٌ ۞

تعملون الأمر تعالى المؤمنين بالصدقة، أمام مناجاة رسوله محمد ﷺ تأديباً لهم وتعليماً، وتعظيماً للرسول ﷺ، فإن هذا التعظيم خير للمؤمنين وأطهر أي: بذلك يكثر خيركم وأجركم، وتحصل لكم الطهارة من الأدناس، التي من جملتها ترك احترام الرسول ﷺ والأدب معه بكثرة المناجاة التي لا ثمرة تحتها، فإنه إذا أمر بالصدقة بين يدي مناجاته صار هذا ميزاناً لمن كان حريصاً على الخير والعلم، فلا يبالي بالصدقة، ومن لم يكن له حرص ولا رغبة في الخير، وإنما مقصوده مجرد كثرة الكلام، فينكف بذلك عن الذي يشق عملي الرسول، هذا في الواجد للصدقة، وأما الذي لا يجد الصدقة، فإن الله لم يضيق عليه الأمر، بل عفا عنه وسامحه، وأباح له المناجاة بدون تقديم صدقة لا يقدر عليها.

ثم لما رأى تبارك وتعالى شفقة المؤمنين ومشقة الصدقات عليهم عند كل مناجاة، سهل الأمر عليهم، ولم يؤاخذهم بترك الصدقة بين يدي المناجاة، وبقي التعظيم للرسول والاحترام بحاله لم ينسخ، لأن هذا الحكم من باب المشروع لغيره، ليس مقصوداً لنفسه، وإنما المقصود هو

الأدب مع الرسول والإكرام له، وأمرهم تعالى أن يقوموا بالمأمورات الكبار المقصودة بنفسها، فقال: ﴿فَإِذَ لَمُ عَلَيْكُمْ تَقَدِيمُ الصَّدَقَة، ولا يكفي هذا، فإنه ليس من شرط الأمر أن يكون هيناً على العبد، ولهذا قيده بقوله: ﴿وتاب الله عليكم﴾ أي: عفا لكم عن ذلك، ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةِ ﴾ بأركانها وشروطها، وجميع حدودها ولوازمها، ﴿وآتوا الرّكاة ﴾ المفروضة [في أموالكم] إلى مستحقها.

وهاتان العبادتان هما أم العبادات البدنية والمالية، فمن قام بهما على الوجه الشرعي، فقد قام بحقوق الله وحقوق عباده، [ولهذا قال بعده:] ﴿ وَالْمِيمُوا اللهُ ورسوله ﴾ وهذا أشمل ما يكون من الأوامر.

ويدخل في ذلك طباعة الله [وطاعة] رسوله بامتثال أوامرهما واجتناب نواهيهما، وتصديق ما أخبرا به، والوقوف عند حدود الله(١).

والعبرة في ذلك على الإخلاص والإحسان، ولهذا قال: ﴿والله خبير بما تعملون﴾ فيعلم تعالى أعمالهم، وعلى أي: وجه صدرت، فيجازيهم على حسب علمه بما في صدورهم.

﴿ ١٤ - ١٩ ﴾ ﴿ ألم تسر إلى السنيسن تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون \* أعد الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون \* اتخذوا أيسانهم جُنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين \* لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون \* يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون \*

استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون مجنب تعالى عن شناعة حال المنافقين الذين يتولون الكافرين، من اليهود والنصارى وغيرهم ممن غضب الله عليهم، ونالوا من لعنة الله أوفى نصيب، وأنهم ليسوا من المؤمنين ولا من الكافرين، ﴿مذبذبين بين ذلك من الكافرين، ﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴿

فليسوا مؤمنين ظاهرأ وباطنأ لأن باطنهم مع الكفار، ولا مع الكفار ظاهراً وباطناً، لأن ظاهرهم مع المؤمنين، وهذا وصفهم الذي نعتهم الله به، والحال أنهم يحلفون على ضده الذي هو الكذب، فيحلفون أنهم مؤمنون، وهم يعلمون(٢) أنهم ليسوأ مؤمنين، فجزاء هؤلاء الخونة الفجرة الكذبة، أن الله أعد لهم عذاباً شديداً، لا يقادر قدره، ولا يعلم وصفه، إنهم ساء ما كانوا يعملون، حيث عملوا بما يسخط الله (٣)، ويوجب عليهم العقوبة واللعنة، ﴿ اتَّخذُوا أيمانهم جنةُ ﴾ أي: ترسأ ووقاية، يتقون بها من لوم الله ورسوله والمؤمنين، فبسبب ذلك صدوا أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله، وهي الصراط الذي من سلكه أفضى به إلى جنات النعيم، ومن صدُّ عنه فليس إلا الصراط الموصل إلى الجحيم، ﴿فلهم عداب مهين للحيث استكبروا عن الإيمان بالله والانقياد لآياته، أهانهم بالعذاب السرمدي، الذي لا يُفتّر عنهم ساعة ولا هُم يُنظرون، ﴿لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً من الله شيئاً من العذاب، ولا تحصل لهم قسطاً من الثواب، ﴿أُولِئِكُ أَصِحَابِ النَّارِ﴾ الملازمون لها، الذين لا يخرجون عنها، و ﴿هم فيها خالدون﴾ ومن عاش على شيء مات عليه، فكما أن المنافقين في الدنيا يموهون على

<sup>(</sup>٣) كذا في ب، وفي أ: يَسْخَطُه.

<sup>(</sup>٤) في ب: أي لا تدفع.

<sup>(</sup>١) في ب: حدود الشرع.

<sup>(</sup>٢) في ب: والحال.

المؤمنين، ويحلفون لهم أنهم مؤمنون، فإذا كان يوم القيامة وبعثهم الله جميعاً، حلفوا لله كما حلفوا للمؤمنين، ويحسبون في حلفهم هذا أنهم على شيء، لأن كفرهم ونفاقهم وعقائدهم الباطلة، لم تزل ترسخ في أذهانهم شيئاً فشيئاً، حتى غرتهم وظنوا أنهم على شيء يعتدبه، ويعلق عليه الثواب، وهُم كاذبون في ذلك، ومن المعلوم أن الكذب لايروج على عالم الغيب والشهادة، وهذا الذي جرى عليهم من استحواذ الشيطان الذي استولى عليهم، وزين لهم أعمالهم، وأنساهم ذكر الله، وهو العدو البين، الذي لا يريد بهم إلا الشر، ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾.

﴿أُولِئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ الذين خسروا دينهم ودنياهم وأنفسهم وأهلهم.

﴿ ٢٠ ـ ٢٠﴾ ﴿إن السنديسن عادون الله ورسوله أولئك في الأذلين \* كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾ هذا وعد ووعيد، وعيد لمن حادً الله ورسوله بالكفر والمعاصي، أنه مخيدة، ولا راية له منصورة.

ووعد لمن آمن به وبرسله، واتبع ما جاء به المرسلون، فصار من حزب الله المفلحين، أن لهم الفتح والنصر والغلبة في المدنيا والاخرة، وهذا وعد لا يُخلف ولا يُغيَّر، فإنه من الصادق القوي العزيز الذي لا يعجزه شيء يريده.

﴿٢٢﴾ ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يسوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إناءهم في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا

عنه أولئك حزب الله ألا إنَّ حزب الله مم المفلحون في يقول تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله أي: لا يجتمع هذا وهذا، فلا يكون العبد مؤمناً بالله واليوم الآخر حقيقة، إلا كان عاملاً على مقتضى الإيمان (١) ولوازمه، من عجة من قام بالإيمان وموالاته، وبغض من لم يقم به ومعاداته، ولو كان أقرب الناس إليه.

وهذا هو الإيمان على الحقيقة، الذي وجدت ثمرته والمقصود منه، وأهل هذا الوصف هم الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان أي: رسمه وثبّته وغرسه غرساً، لا يتزلزل ولا تؤثر فيه الشبه والشكوك.

وهم الذين قواهم الله بروح منه أي: بوحيه ومعونته، ومدده الإلهي وإحسانه الرباني.

وهم الذين لهم الحياة الطيبة في هذه الدار، ولهم جنات النعيم في دار القرار، التي فيها من كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وتختار، ولهم أكبر النعيم وأفضله، وهو أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً، ويرضون عن ربهم بما يعطيهم من أنواع الكرامات، ووافر المثوبات، ورفيع الدرجات بحيث لا يرون فوق ما أعطاهم مولاهم غاية، ولا فوقه نهاية (٢).

وأمّا من يزعم أنه يؤمن بالله واليوم الآخر، وهر مسع ذلك مُسوّاةً لأعداء الله، محب لمن ترك الإيمان (٣) لا حقيقة له، فإن كل أمر لا بدله من برهان يصدقه، فمحرد الدعوى لا تفيد شيئاً ولا يصدق صاحبها.

تم تفسير قد سمع الله، بحمد الله وعونه وتسديده، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وسلم تسليماً

**原理的图像。 《新聞歌』 《 》** لَا يَهِدُ قَوْمًا يُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِيرِيُوٓ ٓ أَنُونَ مَنْ حَآةً اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْكَ الْوَا ءَاسِنَةَ هُرُ أَوْأَنِينَاتَهُ هُرُ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْعَشِيرَتَهُمْ أُوْلَتِكَ كَتَبَ فِي شُكُوبِهِ مُالْإِيمَنَ وَأَيِّدَهُم بِرُوجٍ مِّنْـةٌ وَيُدْجِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَحْرَى مِن عَيْبَهَا ٱلأَنْهَارُ خَلِايِن فِهَأَ رَضِ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواعَنُهُ أُوْلَيْكَ حِرْبُ اللَّهُ أَلَّا إِنَّ حِنْبَ اللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ हिन्ताहरू 😝 \_ وأَفَوَالْزُفُرُالِحَذِي سَتَحَ يَقُومَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِّ وَهُوَ الْمَرْبِرُ الْحَرِيمُ ٥ هُوَالَّذِيَّ أَخْرَجَ الَّذِينَ كَنَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِنْكِ مِن دِينَرِهِمْ لِأُوْلُوالْمُتَرِّمَا ظَنَنتُمُ أَن يَغْمُكُو أَوْظَنُوا أَنْهُمُ مَالِعَتُهُمْ حُصُوبُهُم مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَرَيْحَنِّي بُواْ وَقَدْفَ فِي قُـكُوبِهِمُرُ ٱلرُّعُتُ يُخْيِوُك بُيُوتَهُم إِلَّذِيهِ مِّوَأَيَّدِى ٱلْمُؤْمِنِين فَاعْتَهِرُوايْتَأْقُلِ ٱلْأَبْصَلِينِ وَلَوْلَا أَنْ كَنْبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْمُلَاءَ لَمَا لَبَهُمْ فِ الدُّنْدِ أَوْلَمْ فِي ٱلْآخِدَ وَعَذَابُ النَّارِي ON FROM (10 ERRED

## تفسير سورة الحشر [وهي] مدنية

﴿ 1 - ٧﴾ ﴿ بسسم الله السرحسن الرحيم سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم \* هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتبسوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ إلى آخر القصة .

هذه السورة تسمى اسورة بني النفير" وهم طائفة كبيرة من اليهود في جانب المدينة، وقت بعثة النبي الله ولما بعث النبي الله وهاجر إلى المدينة، كفروا به في جملة من كفر من اليهود، فلما هاجر النبي الله المدينة مادن سائر طوائف اليهود الذين هم جيرانه في المدينة، فلما كان بعد وقعة] بدر بستة أشهر أو نحوها، وقعة] بدر بستة أشهر أو نحوها، يعينوه في دية الكلابين الذين قتلهم عمرو بن أمية الضمري، فقالوا: نفعل عمرو بن أمية الضمري، فقالوا: نفعل حاجتك، فخلا بعضهم ببعض،

ذَيْكَ بِأَنْهُمْ شَاَفُواْ ٱللّهَ وَوَسُولَةٌ وَمَن يُشَاقِق اللّهَ فَإِنَّا اللّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۞ مَاقَطَعَتُم مِن لِينَةٍ أَوْتَرَكُّتُمُوهِ مَاقَابِهَةً عَلَنَ أُصُولِهَا فِيإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَلْسِقِينَ ۞ وَمَاۤ أَفَــَآءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمُ فَنَآ أَوْجَفْتُرْعَلَيْهِ مِنْ خَيْلِ وَلَارِكَابِ وَلَلِكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلُهُ عَلَى مَن يَشَآ أَءُوَٱللَّهُ عَلَى كُلِّ مَنْي وَقَدِيرٌ ۞ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ... وَلِذِى ٱلْقُرْقَ وَٱلْمِنْكَىٰ وَالْمُسَاكِينِ وَآيَنِ ٱلسَّبِيلِ كَنَ لَايَكُونَ دُولَةُ ثَيِّنَ ٱلْأَغْنِيكَةِ مِنكُو وَمَا ءَائِلَكُو الرَّسُولُ فَخُدُوهُ وَمَانَهَلُكُمُ عَنْهُ فَأَنْهُواْ وَأَتَّقُوا الْقَرَّإِكَ الْقَدَشَدِيدُ ٱلْحِقَابِ ۞ لِلْفُقَلَ ۗ ٱلْهَنجِينَ ٱلَّذِيكَ أُخْرِجُوا مِن دِينَ رِهِمْ وَأَمْوَا لِهِمْ يَبْنَغُونَ ضَبْلا مِنْ ٱللَّهِ وَرِضُونَا وَيَصُرُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ مُؤْلَلَيْكَ هُرُ ٱلصَّديقُوك ۞ وَٱلَّذِيكَ تَبَوَّهُ وَٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَانَ مِن قَبَلِهِمْ يُجُون مَنْ مَاجَرَ إِلَيْهِ مُولَا يَجِدُونَ فِي صُدُودِ هِرْ صَاجِدً مِّمَّا أُوقُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنشُوهِ وَلَوْكَ انْ يَهِمْ خَصَاصَةً وَمَن يُوفَ شُعَّ مَفْسِهِ مَأْوَلَتِها كَ هُوُ ٱلْمُفْلِحُون ﴾ TOTOTOL ... PERSED

وسؤل لهم الشيطان الشقاء الذي كتب عليهم، فتآمروا بقتله ﷺ، وقالوا: أيكم يأخذ هذه الرحى فيصعد فيلقيها على رأسه يشدخه بها؟ فقال أشقاهم عمرو بن جحاش: أنا، فقال لهم سلام بن مشكم: لا تفعلوا، فوالله ليُحبَرَنْ بما هممتم به، وإنه لنقض العهد الذي بيننا وبينه، وجاء الوحي على الفور إليه من ربه بما هموا به، فنهض مسرعاً، فتوجه إلى المدينة، ولحقه أصحابه، فقالوا: نهضت ولم نشعر بك، فأخبرهم بما همت يهود به. وبعث إليهم رسول الله علي: «أن

ذلك بها ضربت عنقه». فأقاموا أياماً يتجهزون، وأرسل إليهم المنافق عبد الله بن أبي [بن سلولي]: (أن لا تخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم، فيموتون دونكم، وتنصركم قريظة وحلفاؤكم من غطفان).

اخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها،

وقد أجلتكم عشراً، فمن وجدت بعد

وطمع رئيسهم حُيى بن أخطب فيما قال له، وبعث إلى رسول الله علية يقول: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك.

فكبِّر رسول الله ﷺ وأصحابه،

في ب: لعظمته.

(1)

ونهضوا إليهم، وعلى بن أبي طالب يحمل اللواء. فأقاموا على حصونهم يرمون بالنبل

والحجارة، واعتزلتهم قريظة، وخاتهم ابن أبي وحلفاؤهم من غطفان، فحاصرهم رسول الله ﷺ، وقطع نخلهم وحرَّق، فأرسلوا إليه: نحن نخرج من المدينة، فأنزلهم على أن يخرجوا منها بنفوسهم وذراريهم، وأن لهم ما حملت إبلهم إلا السلاح، وقبض رسول الله على الأموال والسلاح.

وكانت بنو النضير خالصة لرسول الله على لنوائبه ومصالح المسلمين، ولم يخمسها، لأن الله أفاءها عليه، ولم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب، وأجلاهم إلى خيبر وفيهم حُيئٌ بن أخطب كبيرهم، واستولى على أرضهم وديارهم، وقبض السلاح، فوجد من السلاح خمسين درعاً، وخمسين بيضة، وثلثمائة وأربعين سيفاً، هذا حاصل قصتهم كما ذكرها أهل السير .

فافتتح تعالى هذه السورة بالإخبار أن جميع من في السماوات والأرض تسبح بحمد ربها، وتنزهه عما لا يليق بجلاله، وتعبده وتخضع لجلاله(١١)، لأنه العزيز الذي قد قهر كل شيء، فلا يمتنع عليه شيء، ولا يستعصّي عليه مستعصي<sup>(٢)</sup>، الحكيم في خلقه وأمره، فلا يخلِّق شيئاً عبثاً، ولا يشرع ما لا مصلحة فيه، ولا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته، ومن ذلك نصر الله لرسوله ﷺ على الذين كفروا من أهل الكتاب من بني النضير حين غدروا برسوله، فأخرجهم من ديارهم وأوطانهم التي ألفوها وأحبوها .

وكان إخراجهم منها أول حشر وجلاء كتبه الله عليهم على يدرسوله محمد على فجلوا إلى خيبر، ودلت الآية الكريمة أن لهم حشراً وجلاء غير هذا، فقد وقع حين أجلاهم النبي ﷺ

من خيبر، ثم عمر رضى الله عنه، [أخرج بقيتهم منها].

﴿مَا ظَنْنُتُم ﴾ أيها المسلمون ﴿أَنْ يخرجوا) من ديارهم، لحصانتها ومنعتها وعزهم فيها.

﴿وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأعجبوا بها وغرتهم، وحسبوا أنهم لا يُنالُون بها، ولا يقدر عليها أحد، وقدر الله تعالى وراء ذلك كله، لا تغنى عنه الحصون والقلاع، ولا تُجدي فيهم القوة والدفاع.

ولهذا قال: ﴿فَأَتَّاهُمُ اللَّهُ مِن حيث لم يحتسبوا ﴿ أَي : من الأمر والباب، الذي لم(٣) يخطر ببالهم أن يؤتوا منه، وهو أنه تعالى ﴿قذف في قلوبهم الرعب الخوف الشديد، الذي هو جند الله الأكبر، الذي لا ينفع معه عَدَدُولًا عُدَّة، ولا قوة ولا شدة، فالأمر الذي يحتسبونه ويظنون أن الخلل يدخل عليهم منه إن دخل هو الحصون التي تحصنوا بها، واطمأنت نفوسهم إليها، ومن وثق بغير الله فهو مخذول، ومن ركن إلى غير الله فهو عليه وبالُ(٤)، فأتاهم أمر سماوي نزل على قلوبهم، التي هي محل الثبات والصبر، أو الخور والضعف، فأزال الله قوتها وشدتها، وأورثمها ضعفاً وخوراً وجبناً، لا حيلة لهم ولا منعة معه<sup>(ه)</sup>، فصار ذلك عوناً عليهم، ولهذا قال: ويخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمسنين وذلك أنهم صالحوا النبي ﷺ على أن لهم ما حملت الإبل. فنقضوا لذلك كثيراً من سقوفهم

التي استحسنوها، وسلطوا المؤمنين بسبب بغيهم على إخراب ديارهم وهدم حصونهم، فهم الذين جنواعلي أنفسهم، وصاروا من أكبر عون عليها، ﴿فاعتبروا يا أُولِي الأبصار﴾ أي: البصائر النافذة، والعقول الكاملة، فإن في هذا معتبراً يعرف به صنع الله تعالى في المعاندين للحق، المتبعين لأهوائهم، الذين لم تنفعهم

كذا في ب، وفي أ: لا.

في ب: كان وبالاً عليه.

<sup>(</sup>٣)

<sup>(</sup>٢) (1) في ب: عسير.

<sup>(</sup>٥) في ب: لا حيلة لهم في دفعه

عزتهم، ولا منعتهم قوتهم، ولا حصنتهم حصونهم، حين جاءهم أمر الله، ووصل إليهم السكال بذنوبهم، والعبرة بعموم اللفظ(١) لا بخصوص السبب، فإن هذه الآية تدل على الأمر بالاعتبار، وهو اعتبار النظير بنظيره، وقياس الشيء على مثله، والتفكر فيما تضمنته الأحكام من المعاني والحكم التي هي محل العقل والفكرة، وبذلك يزداد<sup>(٢)</sup> العقل، وتتنور البصيرة ويزداد الإيمان، ويحصل الفهم الحقيقي، ثم أخبر تعالى أن هؤلاء اليهودلم يصبهم جميع ما يستحقون من العقوبة، وأن الله خفف عنهم، فلولا أنه كتب عليهم الجلاء الذي أصابهم وقضاه عليهم وقدره بقدره الذي لا يبدل ولا يغير، لكان لهم شأن آخر من عذاب الدنيا ونكالها، ولكنهم \_وإن فاتهم العذاب الشديد الدنيوي \_ فإن لهم في الآخرة عذاب النار، الذي لا يمكن أن يعلم شدته إلا الله تعالى، فلا يخطر ببالهم أن عقوبتهم قد انقضت وفرغت ولم يبق لهم منها بقية ، فما أعد الله لهم من العنداب في الآخرة أعظم وأطم، وذلك لأنهم شاقوا الله ورسوله وعادوهما وحاربوهما وسعوافي معصيتهما، وهذه عادته وسنته فيمن شاقه ﴿ ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب 🎙 .

ولما لام بنو النضير رسول الله ﷺ والمسلمين في قطع النخيل والأشجار، وزعموا أن ذلك من الفساد، وتوصلوا بذلك <sup>(٣)</sup> إلى الطعن بالمسلمين، أخبر تعالى أن قطع النخيل إن قطعوه أو إبقاءهم إياه إن أبقوه، إنه بإذنه تعالى، وأمره ﴿وليخزى الفاسقين ﴾ حيث

سلطكم على قطع نخلهم وتحريقها، ليكون ذلك نكالاً لهم، وخزياً في الدنيا، وذلاً يعرف به عجزهم التام، الذي ما قدروا على استنقاذ نخلهم الذي هو مادة قوتهم. واللينة: اسم يشمل سائر النخيل على أصح الاحتمالات وأولاها، فهذه حال بني النضير، وكيف عاقبهم الله في الدنيا، ثم ذكر من انتقلت إليه أموالهم وأمتعتهم، فقال: ﴿وما أَفَاءَ اللهُ على رسوله منهم اي: من أهل هذه القرية، وهم بنو النضير .

﴿ فَ ﴾ إنكم يا معشر المسلمين ﴿ ما أوجفتم اي: أجلبتم وأسرعتم وحشدتم، ﴿عليه من حيل ولا ركاب﴾ أي: لم تتعبوا بتحصيلها، لا بأنفسكم ولا بمواشيكم، بل قذف الله في قلوبهم الرعب، فأتتكم صَفُواً عَفُواً، ولهذا قال: ﴿ ولكن اللهُ يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير، من تمام قدرته أنه لا يمتنع منه(١) ممتنع، ولا يتعزز من دونه قَويٌّ. وتعريف الفيء في اصطلاح الفَقهاء: هو ما أخذُ من مال الكفار بحق، من غير قتال، كهذا المال الذي فَرُوا وتركوه خوفاً من المسلمين، وسمى فيئاً، لأنه رجع من الكفار الذين هم غير مستحقين له، إلى المسلمين الذي لهم الحق الأوفر فيه، وحكمه العام، كما ذكره الله في قوله: وما أنباء الله على رسبوله من أهل القرى﴾ عموماً، سواء أفاء الله في وقت رسوله أو بعده، لمن يتولى من بعده أمته <sup>(ه)</sup>.

﴿ فلله وللرسول ولذي القربى واليتامي والمساكين وابن السبيل، وهذه الآية نظير الآية التي في سورة الأنفال،

THE CONTRACTOR OF THE PARTY OF وَٱلَّذِينَ جَآءُومِنُ بَعْدِهِ مِيَعُولُونَ رَبِّنَا ٱغْفِرْلَنَا وَلِإِخْوَافِنَا ٱلَّذِيكَ سَبَقُوكَ مِٱلْإِيمَنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوسَاعِلَّا لِلَّذِينَ ءَامَنُواْرَبُّنَا إِذَكَ رَهُوفُ رَجِيعُ ۞ • أَلُوْتُرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كُفَرُوا مِنْ أَهْلِ أَلْكِنَابٍ لَيْنَ أَنْوَجْتُمْ لِتَخْرُجُنَ مَعَكُمْ وَلَانْطِيمُ فِيكُمْ أَحَدًا البَدَا وَإِن فُونِلْتُوكَ نَصْرَبُكُو وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكُذِيوُكَ ۞ لَينَ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَينَ فُولِلُوا لَا يَصْرُونَهُمْ وَلِين فَسَرُوهُ مُدَلِوَلُ ۖ ٱلأَبْسَرَتُهُمَّ لَا يُصَرُّونَ ۞ لَأَشُرُ أَشَدُرَهْبَةً فِصُدُودِهِم مِنَ اللَّهُ ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَايَفْقَهُونَ ۞ لَايُقَائِلُونَكُوْجَيعِتَّا إِلَّا فِي قُرَّى تُحَسَّنَهُ ا أوْمِن وَزَاءَ جُدُرِ بَأْسُهُ رَبَيْنَهُ وَشَدِيَّدٌ تَحْسَبُهُ وْجَدِيكَا وَقُلُونِهُ مُرْشَقًا أَذَاكَ بِأَنَّهُمْ وَقَرُمٌ لَا يَعْقِلُونَ ۞ كَمْشَكِ كُلُ الَّذِيرَ مِن قَبْلِهِ رَقِيبٌ ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَمُ مُ عَلَامُ أَلِيةً ۞ كَمْشَلِ الشَّيْعَانِ إِذْ قَالَ الْإِنسَانِ أَكُفُّرُفَاتَ لَهُ كَفَرَوَالَ إِنْ سَرِيَّ أُمِّنكَ إِنَّ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ ٱلْكَلِّمِينَ ۞ QUEDU ON EDRUED

(<sup>(٦)</sup> قوله: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) 🦫 .

فهذا الفيء يقسم خسة أقسام:

خيسٌ لله ولرسوله ينصرف في مصالح المسلمين [العامة]، وخمس لذوى القربي، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، حيث كانوا يُسوَى [فيه] بين ذكورهم وإناثهم، وإنما دخل بنو المطلب في خمس الخمس مع بني هاشم، ولم يدخل بقية بني عبد مناف، لأنهم شاركوا بني هاشم في دخولهم الشعب، حين تعاقدت قريش على هجرهم وعداوتهم (۷)، فنصروا رسول الله ﷺ بخلاف غيرهم، ولهذا قال النبي على في بني عبد المطلب: «إنهم لم يمفارقون في جاهملية ولا إسلام».

وخُس لفقراء اليتامي، وهم من لا أب له ولم يبلغ، وخَمس للمساكين، وسهم لأبناء السبيل، وهم الغرباء

في ب: العبرة بعموم المعنى. (١)

في ب: يكمل العقل. **(Y)** 

كذا في ب، وفي أ: به. (٣)

في ب: عليه. (1)

في ب: سواء كان في وقت الرسول أو بعده على من تولى من بعده من أمته. (0)

<sup>(</sup>r) في ب: وهي.

كذا في ب، وفي أ: حين تعاقد على هجرهم قريش وعداوتهم. (V)

CHES WESTERN CONTRACTOR فكاذعفيستهما أنفها في الدَّل خَلِدَيْن فِيهَ أُوذَالِك حِسَرٌ وَأُ ٱلظَّالِمِينَ ۞ يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّـُعُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُّرْ نَفْسٌ مَاقَدَ مَتْ لِعَكُمْ وَأَتَّ فُواْ اللَّهُ إِلَى اللَّهُ حَيْدِينُ بِمَاتَقَعْمُلُوبَ ۞ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ نَسُوااللَّهَ فَانْسَنِهُمْ أَفْسَهُمْ أَوْلَيْكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ۞ لَايَسْتَوِيٓ أَصْحَبُ ٱلنَّادِ وَأَصْحَبُ ٱلْجُنَّةُ أَصْحَبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْمُنَا إِزُونَ ۞ لَوَأَنْزَلْنَا هَاذَا ٱلْقُدُّةِ الْ عَلَى جَبِلِ لِّرَالِيَّةُ وَخُذِيهُ عَامُتُصَدِّعَا مِنْ خَشْكِةِ أَلْقَةً وَتِيلُكَ ٱلْأَمْنَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُ مُ يَنْفَكَّرُونَ ۞ هُوَاللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَهُ إِلَّاهُوَّ عَلِمُ ٱلْعَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ هُوَ ٱلرَّمْتُوْالْتَحِيمُ۞ هُوَاتَقَهُ ٱلَّذِي لَاۤ إِلَنَهَ إِلَّاهُوَٱلْمَالِثُ ٱلْقُدُّوسُ السَّلَاءُ الْمُؤْمِثُ ٱلْمُهَيِّمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّالُ ٱلْمُنَكَ يَرُسُبُحُنَ ٱللَّهِ عَكَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْحَلِيقُ ٱلْبَادِئُ ٱلْمُصَوِّدُ لَهُ ٱلْأَسْسَاءُ ٱلْحُسْنَةُ يُستِيْحُ لَهُ مَا فِ ٱلسَّكَوْتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَرْبِيزُ أَعْكِيمُ ERREID EELINE CHEEK

المنقطع بهم في غير أوطانهم .

TORONO ON MONORO

وإنما قدر الله هذا التقدير، وحصر الفيء في هؤلاء المعينين لـ ﴿كي لا يسكسون دولة اي: مدوالة واختصاصاً ﴿بينِ الأغنياء منكم﴾ فإنه لولم يقدره، لتداولته الأغنياء الأقوياء، ولما حصل لغيرهم من العاجزين منه شيء، وفي ذلك من الفساد ما لا يعلمه إلا الله، كما أن في اتباع أمر الله وشرعه من المصالح مالاً يدخل تحت الحصر، ولذلك أمر الله بالقاعدة الكلية والأصل العام، فقال: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا مهذا شامل لأصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذيه واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له فى تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله، ثم أمر بتقواه التي بها عمارة القلوب والأرواح [والدنيا والآخرة] ، وبها السعادة الدائمة والفوز العظيم، وبإضاعتها الشقاء الأبدي والعذاب السرمدى، فقال: ﴿واتقوا الله إن الله شديد العقاب ، على من ترك التقوى، وآثر اتباع الهوي.

﴿٨﴾ ثم ذكر تعالى الحكمة والسبب ولا غيرهم، ولأنهم جمعواً بين النصرة

الموجب لجعله تعالى الأموال أموال الفيء لمن قدرها له، وأنهم حقيقون بالإعانة، مستحقون لأن تجعل لهم، وأنهم ما بين مهاجرين قد هجروا المحبوبات والمألوفات، من الديار والأوطان والأحبساب والخلان والأموال، رغبة في الله ونصرة لدين الله، ومحبة لرسوُّل الله، فهؤلاء هم الصادقون الذين عملوا بمقتضى إيمانهم، وصدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة والعبادات الشاقة، بخلاف من ادعى الإيمان وهو لم يصدقه بالجهاد والهجرة وغيرهما من العبادات، وبين أنصار وهم الأوس والخزرج اللذين آمنوا بالله ورسوله طوعيا وعجبة واختيباراً، وآووا رسول الله على، ومنعوه من الأحمر والأسود، وتبوؤوا دار الهجرة والإيمان حتى صارت موثلاً ومرجعاً يرجع إليه المؤمنون، ويلجأ إليه المهاجرون، ويسكن بحماه المسلمون إذ كانت البلدان كلها بلدان حرب وشرك وشر، فلم يزل أنصار الدين تأوي إلى الأنصار، حتى انتشر الإسلام وقوى، وجعل يزيد شيثاً فشيئاً، وينمو قليلاً قليلاً، حتى فتحوا

الذين من جملة أوصافهم الجميلة أنهم ﴿ يجبون من هاجر إليهم ﴾ وهذا لمحبتهم لله ولرسوله، أحبوا أحبابه، وأحبوا من نصر دينه.

القلوب بالعلم والإيمان والقرآن،

والبلدان بالسيف والسنان.

﴿وُلا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا﴾ أي: لا يحسدون المهاجرين على ما آتاهم الله من فضله وخصهم به من الفضائل والمناقب التي هم أهلها، وهذا يدل على سلامة صدورهم، وانتفاء الغل والحقد والحسد عنها.

ويدل ذلك على أن المهاجرين أفضل من الأنصار، لأن الله قدمهم بالذكر، وأخبر أن الأنصار لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، فدل على أن الله تعالى آتاهم ما لم يؤت الأنصار ولا غيرهم، ولأنه حدول المنازم ق

والهجرة.

وقوله: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ أي: ومن أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم، وتميزوا بها على من سواهم، الإيثار، وهو أكمل أنواع الجود، وهو الإيشار بمحاب النفس من الأموال وغيرها، وبذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخصاصة، وهذا لا يكون إلا من خلق زكى، ومحبة لله تعالى مقدمة على محبة شهوات النفس ولذاتها، ومن ذلك قصة الأنصاري الذي نزلت الآية بسببه، حين آثر ضيفه بطعامه وطعام أهله وأولاده وباتوا جياعاً، والإيثار عكس الأثرة، فالإيثار محمود، والأثرة مذمومة، لأنها من خصال البخل والشح، ومن رُزق الإيثار فقد وُقِي شح نفسه ﴿ومن يُوقِ شح نفسه فأولئك هم المفلحون) ووقاية شح النفس، يشمل وقايتها الشح في جميع ما أمر به، فإنه إذا وُقِيَ العبدشع نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعاً منقاداً، منشرحاً بها صدره، وسمحت نفسه بتركه ما نهى الله عنه، وإن كان محبوباً للنفس، تدعو إليه وتطلع إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز، بخلاف من لم يوق شح نفسه، بل ابتلي بالشيح بالخير، الذي هو أصل الشر ومادته، فهذان (١٦) الصنفان الفاضلان الزكيان هم الصحابة الكرام والأثمة الأعلام، الذين حازوا من السوابق والفضائل والمناقب ما سبقوا به من بعدهم، وأدركوا به من قبلهم، فصاروا أعيان المؤمنين، وسادات المسلمين، وقادات المتقن (٢).

وحسب من بعدهم من الفضل أن يسير خلفهم، ويأتم بهداهم، ولهذا ذكر الله من اللاحقين من هو مؤتم بهم وسائر خلفهم فقال: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾ أي: من بعد المهاجرين

١) كذا في ب، وفي أ: فهؤلاء.

والأنصار ﴿يقولون﴾ على وجه النصح لأنفسهم ولسائر المؤمنين ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سيقونا بالإيمان﴾

وهذا دعاء شامل لجميع المؤمنين، السابقين من الصحابة، ومن قبلهم ومن بعدهم، وهذا من فضائل الإيمان المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض، ويدعو بعضهم لبعض، بسبب المشاركة في الإيمان المقتضي لعقد الأخوة بين المؤمنين<sup>(۱)</sup>، التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض، وأن يحب بعضهم بعضاً.

ولهذا ذكر الله في الدعاء نَفْيَ الغل عن القلب، الشامل لقليل الغل وكثيره (٢٦)، الذي إذا انتفى ثبت ضده، وهـ و المحبة بين المؤمنين والموالاة والنصح، ونحو ذلك عاهو من حقوق المؤمنين.

فوصف الله من بعد الصحابة بالإيمان، لأن قولهم: ﴿سبقونا بالإسمان الله دليل على المشاركة في الإيمان(٣)، وأنهم تابعون للصحابة في عقائد الإيمان وأصوله، وهم أهل السنة والجماعة، الذين لا يصدق هذا الوصف التام إلا عليهم، ووصفهم بالإقرار بالذنوب والاستغفار منهاء واستغفار بعضهم لبعض، واجتهادهم في إزالة الغل والحقد عن قلوبهم لإُخوانهم المؤمنين، لأن دعاءهم بذلك مستلزم لما ذكرنا، ومتضمن لحبة بعضهم بعضاً، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، وأن ينصح له حاضراً وغائباً، حياً وميتاً، ودلت آلآية الكريمة [على] أن هذا من جملة حقوق المؤمنين بعضهم لبعض، ثم ختموا

كمال رحمة الله وشدة رأفته وإحسانه بهم، الذي من جملته، بل من أجله، توفيقهم للقيام بحقوق الله وحقوق عباده.

فهؤلاء الأصناف الثلاثة هم أصناف هذه الأمة، وهم الستحقون للفيء الذي مصرفه راجع إلى مصالح الإسلام.

وهـولاء أهـله الـذيـن هـم أهـله، جعلنا الله منهم، بمنه وكرمه.

ثم تعجب تعالى من حال المنافقين الذين طَمَّعوا إخوانهم من أهل الكتاب، في نصرتهم وموالاتهم على المؤمنين، وأنهم يقولون لهم: ﴿ لَتُن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ﴾ أي: لا نطيع في عدم نصرتكم أحداً يعذلنا أو يخوفنا، ﴿وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون، في هذا الوعد الذي غروا به إخوانهم، ولا يستكثر هذا عليهم، فإن الكذب وصفهم، والغرور والخداع مقارنهم، والنفاق والجبن يصحبهم، ولهذا كذبهم[ الله] بقوله، الذي وجد مخبره كما أخبر الله به، ووقع طبق ما قال، فقال: ﴿لَنْن أَحْرِجُوا﴾ من ديارهم جلاء ونفيأ ﴿لا يخرجون معهم للحبتهم للأوطان، وعدم صبرهم على القتال، وعدم وفائهم بوعدهم'

﴿ولْنُن قوتلوا لا ينصرونهم ﴾ بل يستولي عليهم الجبن، ويملكهم الفشل، ويخذلون إخوانهم، أحوج ما كانوا إليهم.

﴿ولئن نصروهم ﴾ على الفرض والتقدير (٥) ﴿ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ أي: ليحصل منهم

الإدبار عن القتال والنصرة، ولا يحصل لهم نصر من الله.

والسبب الذي أوجب لهم ذلك (٢) ، أنكم \_ أيها المؤمنون \_ ﴿أَشد رهبة في صدورهم من الله ﴿ فخافوا منكم أعظم عا يخافون الله ، وقدموا نخافة المخلوق الذي لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً ، على نخافة الخالق ، الذي بيده الضر والنفع ، والعطاء والمنع .

﴿ ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ مراتب الأمور، ولا يعرفون حقائق الأشياء، ولا يتصورون العواقب، وإنما الفقه كل الفقه، أن يكون خوف الخالق ورجاؤه ومحبته مقدمة على غيرها، وغيرها تبعاً لها.

﴿١٤﴾ ﴿لا يقاتلونكم جميعاً﴾ أي: في حال الاجتماع ﴿إلا في قرى عصفة أو مسن وراء جسدر﴾ أي: لا يثبتون لقتالكم (٧) ولا يعزمون عليه، إلا إذا كانوا متحصنين في القرى، أو من وراء الجدر والأسوار.

فإنهم إذ ذاك ربما يحصل منهم امتناع، اعتماداً [على] حصونهم وجدرهم، لا شجاعة بأنفسهم، وهذا من أعظم الذم، ﴿بأسهم بينهم شديد، لا آفة في أبدانهم ولا في قوتهم، وإنما الآفة في ضعف إيمانهم وعدم اجتماع كلمتهم، ولهذا قال: ومتظاهرين.

﴿و﴾ لكن ﴿قلوبهم شتى﴾ أي: متباغضة متفرقة متشتة.

﴿ذلك﴾ الذي أوجب لهم اتصافهم بما ذكر ﴿بأنهم قوم لا يعقلون﴾ أي: لا عقل عندهم، ولا لب، فإنهم لو

دعاءهم باسمين كريمين، دالين على

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ: للمؤمنين.

<sup>(</sup>٢) في ب: لقليله وكثيره.

<sup>(</sup>٣) في ب: المشاركة فيه.

<sup>(</sup>٤) في ب: بالوعد.

<sup>(</sup>٥) كذا في ب، وفي أ: على ضرب المثل.

<sup>(</sup>٦) في ب: حملهم على ذلك.

<sup>(</sup>٧) في ب: على قتالكم.

كانت لهم عقول، لآثروا الفاضل على المفضول، ولما رضوا لأنفسهم بأبخس الخطتين، ولكانت كلمتهم مجتمعة، وقلوبهم مؤتلفة، فبذلك يتناصرون ويتعاونون على مصالحهم ومنافعهم الدينية والدنيوية.

مشل هولاء المخذولين من أهل الكتاب، الذين انتصر الله لرسوله منهم، وأذاقهم الخزي في الحياة الدنيا، وعدم بىلماونة في كمثل الذين من قبلهم قريباً وهم كفار قريش الذين زين لهم الشيطان أعمالهم، وقال: ﴿لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه [وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون]

فغرتهم أنفسهم، وغرهم من غرهم، الذين لم ينفعوهم ولم يدفعوا عنهم العذاب، حتى أتوا «بَدْراً» بفخرهم وخيلائهم، ظانين أنهم مدركون برسول الله والمؤمنين أمانيهم.

فنصر الله رسوله والمؤمنين عليهم، فقتلوا كبارهم وصناديدهم، وأسروا من أسروا منهم، وفرّ من فر، وذاقوا بذلك وبال أمرهم وعاقبة شركهم وبغيهم، هذا في الدنيا، ﴿ولهم﴾ في الآخرة عذاب النار، ومثل هؤلاء المنافقين الذين غروا إخوانهم من أهل الكتاب ﴿ كمثل الشيطأن إذ قال للإنسان اكفر﴾ أي: زين له الكفر وحسنه ودعاه إليه، فلما اغتر به وكفر، وحصل له الشقاء، لم ينفعه الشيطان الذي تولاه ودعاه إلى ما دعاه إليه، بل تبرأ منه و ﴿قال إن برىء منك إن أخاف الله رب العالمين ﴾ أي: ليس لي قدرة على دفع العذاب عنك، ولست بمغن عنك مثقال ذرة من الخير، ﴿ فكان عاقبتهما ﴾ أي: الداعي الذي هو الشيطان، والمدعو الذي هو الإنسان حين أطاعه ﴿أنهما في النار

خالدين فيها كلا كما قال تعالى: ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴿وَذَلْكُ جزاء الظالمِن وَإِن النّذِين اشتركوا في الظلم والكفر، وإن اختلفوا في شدة العذاب وقوته، وهذا دأب الشيطان مع كل أوليائه، فإنه يدعوهم ويدليهم إلى ما يضرهم بغرور، حتى إذا وقعوا في الشباك، وحاقت بهم أسباب الهلاك، تبرأ منهم وتخلى عنهم.

واللوم كل اللوم على من أطاعه، فإن الله قد حذر منه وأنذر، وأخبر بمقاصده وغايته ونهايته، فالقدم على طاعته عاص على بصيرة لا عذر له.

﴿ ١٨ \_ ٢١) ﴿ إِنَّا أَيُّهَا الَّذِينَ آمِنُوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون \* ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون \* لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون \* لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشماً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون، يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يوجبه الإيمان ويىقىتىضىيە مىن لىزوم تىقىواد، سىرأ وعلانية، في جميع الأحوال، وأن يراعوا ما أمرهم آلله به من أوامره وشرائعه وحدوده، وينظروا ما لهم وما عليهم، وماذا حصلوا عليه من الأعمال التي تنفعهم أو تضرهم في يوم القيامة، فإنهم إذا جعلوا الآخرة نصب أعينهم وقبلة قلوبهم، واهتموا بالقام بها، اجتهدوا في كثرة الأعمال الموصلة إليها، وتصفيتها من القواطع والعوائق التي توقفهم عن السير أو تعوقهم أو تصرفهم، وإذا علموا أيضاً أن الله خبير بما يعملون، لا تخفى عليه أعمالهم، ولا تضيع لديه ولا يهملها، أوجب لهم الجد والاجتهاد.

وهذه الآية الكريمة أصل في محاسبة

العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدها، فإن رأى زللاً تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصراً في أمر من أوامر الله، بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه، وإتقانه، ويقايس بين منن الله عليه وإحسانه وبين تقصيره، فإن ذلك يوجب له الحياء بلا محالة.

والحرمان كل الحرمان، أن يغفل العبدعن هذا الأمر، ويشابه قوماً نسوا الله وغفلوا عن ذكره والقيام بحقه، وأقبلوا على حظوظ أنفسهم وشهواتها، فلم ينجحوا، ولم يحصلوا على طائل، بل أنساهم الله مصالح أنفسهم، وأغفلهم عن منافعها وفوائدها، فصار أمرهم فرطاً، فرجعوا بخسارة الدارين، وغبنوا غبناً لا يمكنهم تداركه، ولا يجبر كسره، لأنهم هم الفاسقون، الذين خرجوا عن طاعة ربهم وأوضعوا في معاصيه، فهل يستوي من حافظ على تقوى الله ونظر لما قدم لغده، فاستحق جنات النعيم، والعيش السليم \_مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين \_ومن غفل عن ذكر الله، ونسى حقوقه، فشقى في الدنيا، واستحق العذاب في الآخرة، فالأولون هم الفائزون، والآخرون هم الخاسرون.

ولما بين تعالى لعباده ما بين، وأمرهم (1) ونهاهم في كتابه العزيز، كان هذا موجباً لأن يبادروا إلى ما دعاهم إليه وحثهم عليه، ولو كانوا في القسوة وصلابة القلوب كالجبال الرواسي، فإن هذا القرآن لو أنزله على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله أي: لكمال تأثيره في القلوب، فإن مواعظ القرآن أعظم المواعظ على الإطلاق، وأوامره ونواهيه عتوية على الحكم والمصالح المقرونة جمل، وهي من أسهل شيء على

النفوس، وأيسرها على الأبدان، خالية من التكلف (۱) لا تناقض فيها ولا اختلاف، ولا صعوبة فيها ولا اعتساف، تصلح لكل زمان ومكان، وتليق لكل أحد.

ثم أخبر تعالى أنه يضرب للناس الأمثال، ويوضح لعباده في كتابه الحلال والحرام، لأجل أن يتفكروا في آياته ويتدبروها، فإن التفكر فيها يفتح للعبد خزائن العلم، ويبين له طرق الخير والشر، ويحته على مكارم الأخلاق، وعاسن الشيم، ويزجره عن مساوى الأخلاق، فلا أنفع للعبد من التفكر في القرآن والتدبر لمعانيه.

﴿٢٢ ـ ٢٤ ﴾ ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم \* هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون \* هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسني يسبح له ما فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم للله الآيات الكريمات قد اشتملت على كثير من أسماء الله الحسنى وأوصافه العلى، عظيمة الشأن، وبديعة البرهان، فأخبر أنه الله المألوه المعبود، الذي لا إله إلا هو، وذلك لكماله العظيم، وإحسانه الشامل، وتدبيره العام، وكل إله سواه(٢) فإنه باطل لا يستحق من العبادة مثقال ذرة، لأنه فقير عاجز ناقص، لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً، ثم وصف نفسه بعموم العلم الشامل، لما غاب عن الخلق وما يشاهدونه، وبعموم رحمته التي وسعت كل شيء ووصلت إلى كل حي، ثم كرر [ذكر] عموم إلهيته وانفراده بها، وأنه المالك لجميع الممالك، فالعالم العلوي والسفلِّي وأهله، الجميع مماليك لله، فقراء مدبرون.

﴿ القدوس السلام ﴾ أي: المقدس

السالم من كل عيب وآفة ونقص، المعظم الممجد، لأن القدوس يدل على التنزيه عن كل نقص، والتعظيم لله في أوصافه وجلاله.

﴿المؤمن﴾ أي: المصدق لرسله وأنبياته بما جاؤوا به، بالآيات البينات، والبراهين القاطعات، والحجج الواضحات.

﴿العزير﴾ الذي لا يغالب ولا يمانع، بل قد قهر كل شيء، ولا يمانع، لدي الخيار﴾ الذي قهر جميع العباد، وأذعن له سائر الخلق، الذي يجبر الكسير، ويغني الفقير، ﴿المتكبر﴾ الذي له الكبرياء والعظمة، المتنزه عن جميع العيوب والظلم والجور.

﴿سبحان الله عما يشركون ﴾ وهذا تنزيه عام عن كل ما وصفه به من أشرك به وعانده ، ﴿هو الله الخالق ﴾ لجميع المخلوقات ﴿البارى ﴾ للمبروءات ﴿المسورات ، وهذه الأسماء متعلقة بالخلق والتدبير والتقدير ، وأن ذلك كله قد انفرد الله به ، لم يشاركه فيه مشارك .

﴿له الأسماء الحسنى ﴾ أي: له الأسماء الكثيرة جداً، التي لا يحصيها ولا يعلمها أحد إلا الله هو، ومع ذلك، فكلها حسنى أي: صفات كمال، بل تدل على أكمل الصفات وأعظمها، لا نقص في شيء منها بوجه من الوجوه، ومن حسنها أن الله يجبها، ويحب من يحبها، ويحب من عباده أن يدعوه ويسألوه بها.

ومن كماله، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العليا، أن جميع من في السماوات والأرض مفتقرون إليه على الدوام، يسبحون بحمده، ويسألونه حوائجهم، فيعطيهم من فضله وكرمه ما تقتضيه رحمته وحكمته، ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ الذي لا يريد شيئاً إلا ويكون،

TEACH CENTRAL حافقالة فألخذ يِّنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا عَدُوَى وَعَدُوَّكُمْ ٱوْلِيَآهُ ثُلْقُورَ إِلَيْهِ دِالْمُوذَةِ وَقَدَكَمُ رُواْ عَاجَاتَهُ كُمِينَ ٱلْحَقِّ يُعْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُم آن تُوْمِنُواْ بِاللَّهِ دَيْكُمْ إِن كُنتُهُ حَرَجْتُمْ حِهَدَا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِيفَآ مَرْضَانٌ تَيْرُونَ إِلَيْهِ مِيَالْمُودَّةِ وَأَنَّا أَعَلَرُ عِمَّا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمُ وَمَن يَفْعَلُهُ مِنكُوْفَقَدْضَلْ سَوَّاءَ ٱلسَّبِيلِ ۞ إِن يُثْقَفُوكُمُ يَكُونُوا لَكُو أَعَدَاءَ وَمَنْسُطُواْ إِلِنَكُو أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمِ الثَّوْوِوَوَدُواْ لَوْتَكُفُرُونَ ۞ لَنَنفَعَكُمُ أَرْعَامُكُووَلَا أَوْلَاكُمُ فَعُمَّا أَفِيدَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُو ۚ وَالْقَهُ يَمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ فَدَّكَاتَ لَكُو أَسْوَةً حَسَنَةٌ فِيَ إِبْزِهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ ﴿ إِذْ فَالْوَا لِمَوْمِهِمُ إِنَّا اُمُرَ ۗ ۖ وَأَلْ مِنكُرُ وَيَمَّانَعُتُبُدُونَ مِن دُونِ ٱلْقَوْكَمَّزَنَا بِهُوَكِبَايَيْنَنَا وَيَبْنَكُرُ ٱلْمَدَوَةُ وَٱلْبَغْضَٱءُ أَبِدًا حَتَّى تُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَإِلَّا فَوْلَ إِرَّحِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْ تَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ المَّهِ مِن شَيٌّ وَرَّبَّ اعَلِيكُ وَحَمَّنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۞ رَبَّنَا لَا تَجْعَلُنَا وْنْنَةَ لِلَّذِينَ كَفَتُرُواْ وَأَغْفِرْ لِنَارِيُّنَّا إِنَّكَ أَنْ ٱلْعَزِيرُ ٱلْحَيْكِيدُ 

ولا يكون شيئاً إلا لحكمة ومصلحة .

تم تفسير سورة الحشر، فلله الحمد على ذلك، والمنّــةُ والإحسان

# تفسير سورة الممتحنة [وهي] مدنية

﴿١ - ٩﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من ألحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادأ في سبيلي وابتغاء مرضاق تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل \* إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون \* لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير \* قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدأ حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله

<sup>(</sup>۱) كذا في ب وفي أ: وأقلها تكلفاً.

لَقَدْكَانَ لَكُوْفِهِ مُأْسُوَّةً حَسَنَةً لِمَنَّانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ \* وَمَنِيُّولَ فَإِنَّ اللَّهُ هُوَالْغَنِيُّ الْحَيِيدُ ۞ • عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُوْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِنْهُمْ فَوَدَّةٌ وَٱللَّهُ فَلِيرٌ وَٱللَّهُ عَفُورٌ يَحِيمٌ ۞ لَايَتْهَكُوُالَةُ عَنَ الَّذِينَ لَرُفَتَانِلُوكُولِ "بَيْنِ وَلَوْ يُخْرِجُوكُم مِن دِيَكُورُ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَهِمُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُ الْمُقْسِطِينَ ۞ٳغَّايَتَهَنكُوالتَهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَنَنَلُوكُمْ فِ ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِن دِينِيكُمْ وَظَلْهَمُ وَاعَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن قَوْلُوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّمُهُ فَأُولَيْكَ مُمُوالظَّلِمُونَ ۞ يَالَيْهَا الَّذِينَ مَامَنُوا إِذَاجَاءَ كُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتُ مُهُجِرَتِ فَأَمْنَحِنُوهُنَّ أَلَقَهُ أَغَلَرُ بِإِيمَنِينَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتِ فَلا تَزِيعُوهُنَّ إِلَى ٱلكُفَّارِ لَاهُنَّ جِلَّ لَمُّهُ وَلَاهُمْ يَحِيلُونَ لَمُنَّ وَءَانُوهُمُ مَا أَنفَقُواْ وَلاجُنَاعَ عَلَيْكُوْ أَنْ تَيْكُوهُ فَا إِذَا الْيَتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنِّ وَلَا تُنسِكُوا بِعِصَهِ الكَوافِ وَسْتَلُوا مَا أَنفَقُمُ وَلَيْنَتُوا اللَّهِ مَّالْمَتَوْلُوْلِكُوْ مُتَكُولَةً مِّتَكُرِيْتَكُوُّ وَالَّهُ عِلَيْمَ عِيْمٌ ثِلَيْقٍ الْمُفَاتَّكُمُ الْمُؤ تَنْ يُمِّ وَالْوَيْمِ وَلِمَ الْمِسْطَانِ الْمِسْطِقِينَ الْمُفَاتِّدُ اللَّينِينَ وَمَبْتُ أَزُونِجُهُم مِنْكُمَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهِ الذِّينَ أَنفُرِيهِ مُؤْمِنُونَ ۞ OZOTOZ ... LONGLO!

من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير \* ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم \* لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد \* عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم \* لا ينهاكم الله عن الذيس لم يسقات لموكسم في الديس ولم يخرجوكم من ديباركم أن تبروهم وتــقــــطــوا إليهــم إن الله يحــب المقسطين \* إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون فكر كثير من المفسرين، [رحمهم الله]، أن سبب نزول هذه الآيات الكريمات في قصة حاطب بن أبي بلتعة، حين غزا النبي ﷺ غزوة الفتح، فكتب حاطب إلى قريش(١) يخبرهم بمسير رسول الله على إليهم، ليتخذ بذلك يدأ عندهم لا [شكأ و] نفاقاً، وأرسله مع امرأة، فأخبر

النبي ﷺ بشأنه، فأرسل إلى المرأة قبل وصولها وأخذ منها الكتاب.

وعاتب حاطباً، فاعتذر رضي الله عنه بعذر قبله النبي رهي وهذه الآيات فيها النبهي الشديد عن موالاة الكفار من المشركين وغيرهم، وإلقاء المودة إليهم، وأن ذلك مناف للإيمان، وغالف لملة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ومناقض للعقل الذي يوجب الحذر كل الحذر من العدو، الذي لا يبقي من مجهوده في العداوة شيئاً، وينتهز الفرصة في إيصال الضرر إلى عدو، فقال تعالى: ﴿يا أبها الذين من عموا، مقتضى إيمانكم، من ولاية من قام بالإيمان، ومعاداة من عاداه، فإنه عدو لله وعدو للمؤمنين.

فلا تتخذوا عدو الله ﴿وعدوكم أولياء تسلقون إليهم بالمودة﴾ أي: تسارعون في مودتهم وفي السعي بأسبابها، فإن المودة إذا حصلت، تبعتها النصرة والموالاة، فخرج العبد من الإيمان، وصار من جملة أهل الكفران، وانفصل عن أهل الإيمان.

وهذا المتخذ للكافر ولياً، عادم المروءة أيضاً، فإنه كيف يوالي أعدى أعدائه الذي لا يريد له إلا الشر، ويخالف ربه ووليه الذي يريد به الخير، ويأمره به، ويحثه عليه؟! ومما يدعو المؤمن أيضاً إلى معاداة الكفار، أنهم قد كفروا بما جاء المؤمنين من الحق، ولا أعظم من هذه المخالفة والمشاقة، فإنهم قد كفروا بأصل دينكم، وزعموا أنكم ضُلاً على غير هدى.

والحال أنهم كفروا بالحق الذي لا شك فيه ولا مرية، ومن رد الحق فمحال أن يوجد له دليل أو حجة تدل على صحة قوله، بل مجرد العلم بالحق (۲)، يدل على بطلان قول من رده وساده.

ومن عداوتهم البليغة أنهم

﴿ يُحْرجون الرسول وإياكم ﴾ أيها المؤمنون من دياركم، ويشردونكم من أوطانكم، ولا ذنب لكم في ذلك عندهم، إلا أنكم تؤمنون بالله ربكم الذي يتعين على الخلق كلهم القيام بعبوديته، لأنه رباهم، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة، وهو الله تعالى.

فلما أعرضوا عن هذا الأمر، الذي هو أوجب الواجبات، وقمتم به، عادوكم، وأخرجوكم ممن أجله من دياركم، فأيُّ دين، وأيُّ مروءة وعقل، يبقى مع العبد إذا والى الكفار الذين هذا وصفهم في كل زمان أو مكان؟!! ولا يمنعهم منه إلا خوف، أو مانم قوى.

﴿إِنْ كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابست خاء مرضات ﴾ أي: إن كان خروجكم مقصودكم به الجهاد في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، وابتغاء مرضاة الله (٣)، فاعملوا بمقتضى هذا، من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه، فإن هذا هو الجهاد في سبيله (٤)، وهو من أعظم ما يتقرب به المتقربون إلى ربهم ويبتغون به رضاه.

وتسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم أي: كيف تسرون المودة للكافرين وتخفونها، مع علمكم أن الله عالم بما تخفون وما تعلنون؟!، فهو وإن خفي على المؤمنين، فلا يخفى على الله تعالى، وسيجازي العباد بما يعلمه منهم من الخير والشر، ﴿ومن يعلمه منكم ﴾ أي: موالاة الكافرين بعدما حذركم الله منها ﴿فقد ضل سواء السبيل ﴾ لأنه سلك مسلكاً نخالفاً للشرع وللعقل والمروءة الإنسانية.

ثم بين تعالى شدة عداوتهم، تهييجاً للمومنين على عداوتهم، ﴿إِن يثقفوكم﴾ أي: يجدوكم، وتسنح لهم الفرصة في أذاكم، ﴿يكونوا لكم

<sup>(</sup>١) في ب: إلى المشركين من أهل مكة.

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: مجرد رد الحق.

<sup>(</sup>٣) في ب: وابتغاء رضاه.

<sup>(</sup>٤) في ب: هذا من أعظم الجهاد في سبيله.

أعداء ﴾ ظاهرين ﴿ويبسطوا إليكم أبديهم ﴾ بالقتل والضرب، ونحو ذلك.

﴿وألسنتهم بالسوء﴾ أي: بالقول الذي يسوء، من شتم وغيره، ﴿وودوا لو تكفرون﴾ فإن هذا غاية ما يريدون منكم.

فإن احتججتم وقلتم: نوالي الكفار لأجل القرابة والأموال، فلن تغني عنكم أموالكم ولا أولادكم من الله شيئاً. ﴿والله بما تعملون بصير﴾ فلذلك حذركم من موالاة الكافرين الذين تضركم موالاتهم، قد كان لكم يا معشر المؤمنين ﴿أسوة حسنة﴾ أي: قدوة صالحة وائتمام ينفعكم، ﴿في إبراهيم والذين معه ﴾ من المؤمنين، لأنكم قد أمرتم أن تتبعوا ملة إبراهيم وعما تعبدون من دون الله أي: إذ تبرأ إبراهيم عليه السلام ومن معه من المؤمنين، من قومهم المشركين وعما يعبدون من دون الله أي.

ثم صرحوا بعداوتهم غاية التصريح، فقالوا: ﴿كفرنا بكم وبدا﴾ أي: ظهر وبان ﴿بيننا وبينكم العداوة والبغضاء البغض بالقلوب، وزوال مودتها، والعداوة بالأبدان، وليس لتلك العداوة والبغضاء وقت ولا حدّ، بل ذلك ﴿أَبِداً﴾ ما دمتم مستمرين على كفركم ﴿حتى تؤمنوا باللهُ وحده الله أي: فإذا آمنتم بالله وحده، زالت العداوة والبغضاء، وانقلبت مودة وولاية، فلكم أيها المؤمنون أسوة [حسنة] في إبراهيم ومن معه في القيام بالإيمان والتوحيد، والقيام بلوازم ذلك ومقتضياته، وفي كل شيء تعبدوا به لله وحده، ﴿إلا﴾ في خصلة واحدة وهمى ﴿قُلُولُ إِسْرَاهُمْ لِأَبْسِهُ ﴾ آزر المشرك، الكافر المعاند، حين دعاه إلى الإيمان والتوحيد، فامتنع، فقال إبراهيم: ﴿لأستغفرن لك و﴾ الحال أني لا ﴿ أُمُلِكُ لِكُ مِنْ اللهُ مِنْ شَيء ﴾ لكنى أدعو ربي عسى أن لا أكون

بدعاء ربي شقياً، فليس لكم أن تقتدوا بإبراهيم في هذه الحالة التي دعا بها للمشرك، فليس لكم أن تدعوا للمشركين، وتقولوا: إنا في ذلك متبعون لملة إبراهيم، فإن الله ذكر عذر إبراهيم في ذلك بقوله: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم﴾.

ولكم أسوة حسنة في إبراهيم ومن معه، حين دعوا الله وتوكلوا عليه وأنابوا إليه، واعترفوا بالعجز والتقصير، فقالوا: ﴿ ربنا عليك توكلنا ﴾ أي: اعتمدنا عليك في جلب ما ينفعنا ودفع ما يضرنا، ووثقنا بك يا ربنا في ذلك.

**﴿وإليك أنبنا﴾** أي: رجعنا إلى طاعتك ومرضاتك وجميع ما يقرب إليك، فنحن في ذلك ساعون، وبفعل الخيرات مجتهدون، ونعلم أنا إليك نصير، فسنستعد للقدوم عليك، ونعمل ما يقربنا الزلفي إليك(١)، ﴿ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ﴾ أي: لا تسلطهم علينا بذنوبنا، فيفتنونا ويمنعونا عايقدرون عليه من أمور الإيمان، ويفتنون أيضاً بأنفسهم، فإنهم إذا رأوا لهم الغلبة، ظنوا أنهم على الحق وأنا على الباطل، فازدادوا كفراً وطغياناً، ﴿واغفر لنا﴾ ما اقترفنا من الذنوب والسيئات، وما قصرنا به من المأمورات، ﴿ ربنا إنك أنت العزيز ﴾ القاهر لكل شيء، ﴿ الحكيم ﴾ اللذي ينضع الأشياء مواضعها، فبعزتك (٢٢ وحكمتك انصرنا على أعدائنا، واغفر لنا ذنوبنا، وأصلح

ثم كرر الحث [لهم] على الاقتداء بهم، فقال: ﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة﴾ وليس كل أحد تسهل عليه هذه الأسوة، وإنما تسهل على من ﴿كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ فإن الإيمان واحتساب الأجر والثواب، يسهل على العبد كل عسير، ويقلل لديه يسهل على العبد كل عسير، ويقلل لديه

كل كثير، ويوجب له الاكثار من الاقتداء بعباد الله الصالحين، والأنبياء والمرسلين، فإنه يرى نفسه مفتقراً ومضطراً إلى ذلك غاية الاضطرار.

ومن يستول عن طاعة الله والتأسي برسل الله، فلن يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً، وفإن الله هو الغني التام هو الغني الذي له الغنى التام المطلق] من جميع الوجوه، فلا يحتاج إلى أحد من خلقه [بوجه]، والحميد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فإنه محمود على ذلك كله.

ثم أخبر تعالى أن هذه العداوة التي أمر ألله بها المؤمنين للمشركين، ووصفهم بالقيام بها أنهم ما داموا على شركهم وكفرهم، وأنهم إن انتقلوا إلى الإيمان، فإن الحكم يدور مع علته، فيإن المودة (٣) الإيسمانية تسرجع، فلا تيأسوا أيها المؤمنون من رجوعهم إلى الإيمان، ف ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ﴾ سببها رجوعهم إلى الإيمان، ﴿والله قدير﴾ على كل شيء، ومن ذلك هداية القلوب وتقليبها من حال إلى حال، ﴿والله غفور رحيم لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، ولا يكبر عليه عيب أن يستره، ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جيعاً إنه هو الغفور الرحيم، وفي هذه الآية إشارة وبشارة إلى إسلام بعض المشركين، الذين كانوا إذ ذاك أعداء للمؤمنين، وقد وقع ذلك، ولله الحمد والمنة.

ولما نزلت هذه الآيات الكريمات، المهيجة على عداوة الكافرين، وقعت من المؤمنين كل موقع، وقاموا بها أتم الشيام، وتأثموا من صلة بعض أقاربهم الشركين، وظنوا أن ذلك داخل فيما لا يدخل في المحسرم، فقال: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب

المقسطين ﴾ أي: لا ينهاكم الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين، من أقاربكم وغيرهم، حيث كانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تصلوهم، فإن صلتهم في هذه الحالة، لا محذور فيها ولا مفسدة (١١) ، كما قال تعالى عن الأبوين المشركين إذا كان ولدهما مسلماً: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً ﴾ .

[وقوله:] ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين﴾ أي: لأجل دينكم، عداوة لدين الله ولمن قام به، ﴿وَاحْرِجُوكُم مِن دِيارِكُم وَظَاهِرُوا﴾ أى: عاونوا غيرهم ﴿على إخراجكم﴾ نهاكم الله ﴿أَنْ تُـُولُـوهُـمِ﴾ بِـالمُودة والنصرة، بالقول والفعل، وأما بركم وإحسانكم، الذي ليس بتّولّ للمشركين، فلم ينهكم الله عنه، بل ذلك داخل في عموم الأمر بالإحسان إلى الأقارب وغيرهم من الآدميين، وغيرهم.

﴿ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون وذلك الظلم يكون بحسب التوليُّ، فإن كان تولِّياً تاماً، صار<sup>(٢)</sup> ذلك كفراً مخرجاً عن دائرة الإسلام، وتحت ذلك من المراتب ما هو غليظ، وما هو دون ذلك.

﴿١١ \_ ١١﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلأ ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوههن إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم ألله يحكم بينكم والله عليم

حكيم \* وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مشل ما أنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ﴾ لما كان صلح الحديبية، صالح النبي على المشركين، على أن من جاء منهم إلى المسلمين مسلماً، أنه يرد إلى المشركين، وكان هذا لفظاً عاماً، [مطلقاً] يدخل في عمومه النساء والرجال، فأما الرجال، فإن الله لم ينه رسوله عن ردهم إلى المشركين وفياء ببالبشرط وتتميماً للصلح الذي هو من أكبر المصالح، وأما النساء، فلما كان ردهن فيه مفاسد كثيرة، أمر الله المؤمنين إذا جاءهم المؤمنات مهاجرات، وشكوا في صدق إيمانهن، أن يمتحنوهن ويختبروهن، بما يظهر به صدقهن، من أيمان مغلظة وغيرها، فإنه يحتمل أن يكون إيمانها غير صادق بل رغبة في زوج أو بلد أو غير ذلك من المقاصد الدنيوية .

فإن كن بهذا الوصف، تعين ردهن وفياء بالشرط، من غير حصول مفسدة، وإن امتحنوهن فوجدن صادقات، أو علموا ذلك منهن من غير امتحان، فلا يرجعوهن إلى الكفار، ﴿لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن﴾ فهذه مفسدة كبيرة في ردهن راعاها الشارع، وراعى أيضاً الوفاء بالشرط، بأن يعطوا الكفار أزواجهن ما أنفقوا عليهن من المهر وتوابعه عوضاً عنهن، ولا جناح حيننذ على المسلمين أن ينكحوهن ولو كان لهن أزواج في دار الشرك، ولكن بشرط أن يؤتوهن أجورهن من المهر والنفقة، وكما أن السلمة لا تحل للكافر، فكذلك الكافرة لا تحل للمسلم أن يمسكها ما دامت على كفرها، غير أهل الكتاب، ولهذا قال تعالى: ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر الإمساك

بعصمتها(٣)، فالنهي عن ابتداء تزويجها أولى، ﴿واسألواماً أنفقتم ﴾ أيها المؤمنون، حين ترجع زوجاتكم مرتدات إلى الكفار، فإذا كان الكفار يأخذون من المسلمين نفقة من أسلمت من نسائهم، استحق المسلمون أن يأخذوا مقابلة ما ذهب من نسائهم(١) إلى الكفار، وفي هذا دليل على أن خروج البضع من الزوج متقوم، فإذا أفسد مقسد نكاح امرأة رجل، برضاع أوغيره، كان عليه ضمان المهر، وقوله: ذلكم الحكم الذي ذكره الله وبينه لكم يحكم به بينكم (٥)، ﴿ والله عليم حكيم) فيعلم تعالى، ما يصلح لكم من الأحكام، ويشرع لكم ما تقتضيه الحكمة (1).

وقوله: ﴿وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار ﴾ بأن ذهبن م تدات ﴿ فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا > كما تقدم أن الكفار إذا كانوا يأخذون بدل ما يفوت من أزواجهم إلى المسلمين، فمن ذهبت زوجته من المسلمين إلى الكفار وفاتت عليه، لزم أن يعطيه المسلمون من الغنيمة بدل ما أنفق (٧).

﴿واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾ فإيمانكم بالله يقتضى منكم أن تكونوا ملازمين للتقوى على الدوام.

﴿١٢﴾ ﴿يها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم﴾ هذه الشروط المذكورة في هذه الآية تسمى «مبايعة النساء» اللاق [كن] يبايعن على إقامة الواجبات المشتركة، التي تجب على الذكور والنساء في جميع الأوقات.

في ب: فعلى المسلمين أن يعطوه

من الغنيمة بدل ما أنفق.

في ب: وبينه لكم حكم الله بينه لكم ووضحه.

في ب: فيشرعه بحسب حكمته (1)

في ب: زوجاتهم. (1)

نى ب: ولا تبعة. (١)

في ب: كان ذلك. **(Y)** 

كذا في ب، وفي أ: بعصمها. (٣)

وأما الرجال، فيتفاوت ما يلزمهم بحسب أحوالهم ومراتبهم وما يتعين عليهم، فكان النبي على معتمل ما أمره الله به، فكان إذا جاءته النساء يبايعنه، والتزمن بهذه الشروط بايعهن، وجبر قلوبهن، واستغفر لهن الله، فيما يحصل منهن من التقصير (۱)، وأدخلهن في جملة المؤمنين بأن ﴿لا يشركن بالله شيئاً بأن (۲) يفردن الله أوحده] بالعبادة.

﴿ولا يقتلن أولادهن﴾ كما يجري لنساء الجاهلية الجهلاء.

ولا يرزنين كما كان ذلك موجوداً كثيراً في البغايا وذوات الأخدان، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن والبهتان: الافتراء على الغير أي: لا يفترين بكل حالمة، مسواء تعملقت بهسن وأزواجهن "، أو سواء تعلق ذلك بغيرهم، ولا يعصينك في معروف أي: لا يعصينك في معروف به، لأن أمرك لا يكون إلا بمعروف، ومن ذلك طاعتهن [لك] في النهي عن ومن ذلك طاعتهن الثياب، وخش الرجوه، والدعاء بدعاء (١) الجاهلية.

﴿فبايعهن﴾ إذا التزمن بجميع ما

﴿ واستخفر لهن الله عن تقصيرهن ، وتطييباً لخواطرهن ، ﴿ إِن الله غفور ﴾ أي: كثير المغفرة للعاصين ، والإحسان إلى المذنبين التائبين ، ﴿ رحيم ﴾ وسعت رحمته كل شيء ، وعم إحسانه البرايا .

و ۱۳ ﴾ ﴿ يَا أَيْهَا اللَّهِ مِنْ آمَسُوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من

أصحاب القبور > أي: يا أيها المؤمنون، إن كنتم مؤمنين بربكم، ومتبعين لرضاه ومجانبين لسخطه، ولا تتولوا قوماً غضب الله عليهم وانما غضب عليهم لكفرهم، وهذا شامل لجميع أصناف الكفار. ﴿قد عيسوا من الآخرة > فليس لهم منها نصيب، فاحذروا أن تولوهم فتوافقونهم على شرهم وكفرهم "، فتحرموا خير الآخرة كما حرموا.

[وقوله:] ﴿ كما يئس الكفار من أصحاب القبور ﴾ حين أفضوا إلى الدار الآخرة، ووقفوا على حقيقة الأمر (٢٠) منها. ويحتمل أن المعنى: قد يئسوا من الآخرة أي: قد أنكروها وكفروا بها، مساخط الله وموجبات عذابه وإياسهم من الآخرة، كما يئس الكفار المنكرون للبعث في الدنيا من رجوع أصحاب القبور إلى الله تعالى.

تم تفسير سورة الممتحنة، والحمد لله رب العالمين

## تفسير سورة الصف [وهي] مدنية

﴿١ - ٣﴾ ﴿بسم الله السرحسن الرحيم سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم \* يما أيها اللذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون \* كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ وهذا بيان لعظمته تعالى وقهره، وذل جميع الخلق (٧) له تبارك وتعالى، وأن جميع من في السماوات والأرض يسبحون

بحمد الله ويعبدونه ويسألونه حوائجهم، ﴿وهو العزيزِ﴾ الذي قهر الأشياء بعزته وسلطانه، ﴿الحكيم﴾ في خلقه وأمره، ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ أي: لم تقولون أ الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه، وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون به ومتصفون به، فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟ أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟ ولهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه، قالً تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسُ بِالْبُرُ وَتُنْسُونُ أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴿ وقالُ شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه،

﴿ ٤ ﴾ ﴿إِن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيانٌ مرصوص، هذا حث من الله لعباده على الجهاد في سبيله وتعليم لهم كيف يصنعون وأنه ينبغي [لهم] أن يصفوا في الجهاد صفاً متراصاً متساوياً، من غير خلل يقع(^) في الصفوف، وتكون صفوفهم على نظام وترتيب به تحصل المساواة بين المجاهدين والتعاضد وإرهاب العدو وتنشيط بعضهم بعضاً، ولهذا كان النبى علية إذا حضر القتال، صف أصحابه، ورتبهم في مواقفهم، بحيث لا يحصل اتكال بعضهم على بعض، بل تكون كل طائفة منهم مهتمة بمركزها وقائمة بوظيفتها، وبهذه الطريقة تتم الأعمال ويحصل الكمال.

﴿٥﴾ ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ: يحصل من التقصير منهن.

<sup>(</sup>٢) في ب: بل.

<sup>(</sup>٣) في ب: مع أزواجهن.

<sup>(</sup>٤) في ب: بدعوى.

<sup>(</sup>٥) في ب: وشركهم.

<sup>(</sup>٦) في ب: وشاهدوا.

<sup>(</sup>٧) في ب: الخلق له.

<sup>(</sup>٨) في ب: يحصل.

لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله تلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين [أي:] ﴿ وَإِذَ قَالَ مُوسَى لقومه ﴾ موبخاً لهم على صنيعهم، ومقرعاً لهم على إذيته، وهم يعلمون أنه رسول الله: ﴿ لَمْ تَوْذُونني ﴾ بالأقوال والأفعال ﴿ وقد تعلمون أني رسول الله إليكم ﴾

والرسول من حقه الإكرام والإعظام، والانقياد(١) بأوامره، والابتدار لحكمه.

وأما أذية الرسول الذي إحسانه إلى الخيليق فوق كيل إحسان بعد إحسان الله، ففي غاية الوقاحة والجراءة والزيغ عن الصراط المستقيم، الذي قد علموه وتركوه، ولهذا قال: ﴿ فَلَمَّا زَاعُوا ﴾ أي: انصرفوا عن الحق بقصدهم ﴿أَزَاعُ الله قلوبهم ﴾ عقوبة لهم على زيغهم الذي اختاروه لأنفسهم ورضوه لها، ولم يوفقهم الله للهدى، لأنهم لا يسليق بهم الخسيسر، ولا يصلحون إلا للشر، ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ أي: الذين لم يزل الفسق وصفاً لهم، لا (؟) لهم قصد في الهدى، وهذه الآية الكريمة تفيد أنَّ إضلال الله لعباده، ليس ظلماً منه، ولا حجة لهم عليه، وإنما ذلك بسبب منهم، فإنهم الذين أغلقوا على أنفسهم باب الهدى بعدما عرفوه، فيجازيهم بعد ذلك بالإضلال<sup>(٣)</sup> والزيغ الذي لا حيلة لهم في دفعه وتقليب القلوب [عقوبة لهم وعدلاً منه بهم] كما قال تعالى: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في √طغيانهم يعمهون﴾.

﴿٦ - ٩ ﴾ ﴿وإذ قال عيسى ابن

مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين \* ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدى القوم الظالمين \* يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون \* هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴿ يقولُ تعالى مخبراً عن عناد بنى إسرائيل المتقدمين، الذين دعاهم عيسى ابن مريم، وقال لهم: ﴿يَا بِنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رسول الله إليكم اي: أرسلني الله لأدعوكم إلى الخير وأنهاكم عن الشر، [وأيدني بالبراهين الظاهرة]، ومما يدل على صدقى، كوني ﴿مصدقاً لما بين يدي من التوراة ﴾ أي: جئت بما جاء به موسى من التوراة والشرائع

السماوية، ولو كنت مدعياً للنبوة،

لجئت بغير ما جاءت به المرسلون،

ومصدقاً لما بين يديُّ من التوراة أيضاً ،

أنها أخبرت بي وبشرت، فجئت وبعثت

مصداقاً لها ﴿ ومبشراً برسول يأتي من

بعدي اسمه أحمله وهو: محمد بن

عبد الله بن عبد المطلب النبي

الهاشمي .

فعيسى عليه الصلاة والسلام كالأنبياء (1) يصدق بالنبي السابق، ويبشر بالنبي اللاحق، بخلاف الكذابين، فإنهم يناقضون الأنبياء أشد مناقضة، ويخالفونهم في الأوصاف والأخلاق، والأمر والنهي ﴿فلما جاءهم﴾ محمد على الذي بشر به عيسى ﴿بالبينات﴾ أي: الأدلة الواضحة،

الدالة على أنه هو، وأنه رسول الله [حقاً].

﴿قالوا﴾ معاندين للحق مكذبين له ﴿هذا سحر مبين﴾ وهذا من أعجب العجائب، الرسول الذي [قد] وضحت رسالته، وصارت أَبْيَنَ من سحره، فهل في الخذلان أعظم من هذا؟ وهل في الخذلان أعظم من هذا الافتراء، الذي نفى عنه ما كان معلوماً من رسالته، وأثبت له ما كان أبعد الناس منه؟

﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب مهذا وغيره، والحال أنه لا عذر له، وقد انقطعت حجته، لأنه ﴿يدعي إلى الإسلام﴾ ويبين له ببراهينه وبسينات، ﴿واللهُ لا يهدى السقسوم الظالمين﴾ الذين لا يزالون على ظلمهم مستقيمين، لا تردهم عنه موعظة، ولا يرجرهم بيان ولا برهان، خصوصا هؤلاء الظلمة القائمين بمقابلة الحق ليردوه، ولينصروا الباطل، ولهذا قال الله عنهم: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم أي: بما يصدر منهم من المقالات الفاسدة، التي يردُون بها الحق، وهي(٦) لا حقيقةً لها، بل تزيد البصير معرفة بما هم عليه من الباطل ﴿والله متم نوره ولوكره الكافرون، أي: قد تكفل الله بنصر دينه، وإتمام الحق الذي أرسل به رسله، وإشاعة (٧) نوره على سائر الأقطار، ولو كره الكافرون، وبذلوا بسبب كراهتهم كل سبب يتوصلون (^) به إلى إطفاء نور الله فإنهم مغلوبون.

وصاروا بمنزله من ينفخ عين

<sup>(</sup>١) في ب: والقيام.

<sup>(</sup>٢) في ب: ليس.

 <sup>(</sup>٣) كذا في ب، وفي أ: بالضلال.

<sup>(</sup>٤) في ب: كسائر الأنبياء.

<sup>(</sup>٥) في ب: أبلغ.

<sup>(</sup>٦) كذًا في ب، وفي أ: التي.

<sup>(</sup>٧) في ب: وإظهار.

<sup>(</sup>A) في ب: كل ما قدروا عليه مما يتوصلون.

الشمس بفيه (١) ليطفئها، فلا على مرادهم حصلوا، ولا سلمت عقولهم من النقص والقدح فيها.

ثم ذكر سبب الظهور والانتصار للدين الإسلامي، الحسي والمعنوي، فقال، ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق﴾ أي: بالعلم النافع والعمل الصالح.

بالعلم الذي يهدي إلى الله وإلى دار كرامته، ويهدي لأحسن الأعمال والأخلاق، ويهدي إلى مصالح الدنيا والآخرة.

ودين الحق أي: الدين الذي هو يدان به، ويتعبد لرب العالمين الذي هو حق وصدق، لا نقص فيه، ولا خلل يعتريه، بل أوامره غذاء القلوب والأرواح، وراحة الأبدان، وتبرك نواهية سلامة من الشر والفساد (٢) فما الحق، أكبر دليل وبرهان على صدقه، وهو برهان باق ما بقي الدهر، كلما ازداد به العاقل تفكراً، ازداد به فرحاً وتسراً.

وليظهره على الدين كله أي: ليعليه على سائر الأديان، بالحجة والبرهان، ويظهر أهله القائمين به بالسيف والسنان، فأما نفس الدين، فهذا الوصف ملازم له في كل وقت، فلا يمكن أن يغالبه مغالب، أو يخاصمه مخاصم إلا فلجه وبلسه، وصار له الظهور والقهر، وأما المنتسبون إليه، فإنهم إذا قاموا به، واستناروا بنوره، واهتدوا بهديه، في واستناروا بنوره، واهتدوا بهديه، في مصالح دينهم ودنياهم، فكذلك لا يقوم لهم أحد، ولا بد أن يظهروا على أهل الأديان، وإذا ضيعوه واكتفوا منه بمجرد الانتساب إليه، لم ينفعهم منه بمجرد الانتساب إليه، لم ينفعهم

ذلك، وصار إهمالهم له سبب تسليط الأعداء عليهم، ويعرف هذا، من استقرأ الأحوال ونظر في أول المسلمين وآخرهم.

﴿١٠ ـ ١٤﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم \* تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون \* يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم \* وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين \* يا أبها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين مذه وصية ودلالة وإرشاد من أرحم الواحين لعباده المؤمنين، لأعظم تجارة، وأجلّ مطلوب، وأعلى مرغوب، يحصل بها النجاة من العذاب الأليم، والفوز بالنعيم المقيم، وأتى بأداة العرض الدالة على أن هذا أمر يرغب فيه كل متبصر، ويسمو إليه كل لبيب، فكأنه قيل: ما هذه التجارة التي هذا قدرها؟ فقال ﴿تؤمنون بالله ورسوله

ومن المعلوم أن الإيمان التام هو التصديق الجازم بما أمر الله بالتصديق به، المستلزم لأعمال الجوارح، ومن أجل أعممال الجوارح الجمهاد في سبيل الله (٢٠)، فلهذا قال: ﴿وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم بأن تبذلوا نفوسكم ومهجكم لمصادمة أعداء الإسلام، والقصد نصر دين الله وإعلاء كلمته، وتنفقون ما تيسر من

بِسَارِهُ الْمَالِمُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

أموالكم في ذلك المطلوب، فإن ذلك، ولو (٤) كان كريها للنفوس شاقاً عليها، فإنه ﴿خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ فإن فيه الخير الدنيوي، من النصر على الأعداء، والعز المنافي للذل والرزق الواسع، وسعة الصدر وانشراحه.

وفي الآخرة الفوز<sup>(٥)</sup> بشواب الله والنجاة من عقابه، ولهذا ذكر الجزاء في الآخرة، فقال: ﴿يغفر لكم دُنوبكم وهذا شامل للصغائر والكبائر، فإن الإيمان بالله والجهاد في سبيله، مكفر للذنوب، ولو كانت

﴿ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ أي: من تحت مساكنها [وقصورها] وغرفها وأشجارها، أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من خر لذة يتغير طعمه، وأنهار من خر لذة ولهم فيها من كل الثمرات، ﴿ومساكن طيبة في جنات عدن﴾ أي: جمعت كل طيب، من علو وارتفاع، وحسن بناء وزخرفة، حتى إن أهل الغرف من أهل

<sup>(</sup>١) في ب: ومثلهم كمثل من ينفخ عين الشمس.

 <sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: وترك للنواهي التي تعاطيها سبب الشر والفساد.

<sup>(</sup>٣) في ب: التي من أجلها الجهاد في سبيله.

<sup>(</sup>٤) في ب: وإن كان.

<sup>(</sup>٥) في ب: والخير الأخروي بالفوز.

الما المنافعة عن التوريد وتبخير المن الما إن رسول القد البكر مُسدَدًا المنافعة المنافعة عن التوريد وتبخير المن المعدى المنه والحمد المنه والحمد المنافعة ال

TO SOL OOT LONG عليين، يتراءآهم أهل الجنة كما يتراءي الكوكب الدري في الأفق الشرقي أو الغربي، وحتى إن بناء الجنة بعضه من لبن ذهب [وبعضه من] لبن فضة، وخيامها من اللؤلؤ والمرجان، وبعض المنازل من الزمرد والجواهر الملونة بأحسن الألوان، حتى إنها من صفائها يري ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، وفيها من الطيب والحسن ما لا يأتي عليه وصف الواصفين، ولا خطر على قلب أحد من العالمين، لا يمكن أن يدركوه حتى يروه، ويتمتعوا بحسنه وتقرّ أعينهم به، ففي تلك الحالة، لولا أن الله خلق أهل الجنة، وأنشأهم نشأة كاملة لا تقبل العدم، لأوشك أن يموتوا من الفرح، فسبحان من لا يحصى أحد من خلقه ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه عباده (١١)، وتبارك

الجليل الجميل، الذي أنشأ دار النعيم، وجعل فيها من الجلال والجمال ما يبهر عقول الخلق ويأخذ بأفندتهم.

وتعالى من له الحكمة التامة، التي من جملتها، أن الله لو أرى الخلائق الجنة حين خلقها (٢)، ونظروا إلى ما فيها من النعيم لما تخلف عنها أحد، ولما هناهم العيش في هذه الدار المنغصة، المشوب نعيمها بالمها، وسرورها (٢)، حما.

وسميت الجنة جنة عدن، لأن أهلها مقيمون فيها، لا يخرجون منها أبداً، ولا يبغون عنها حولاً، ذلك الثواب الجزيل، والأجر الجميل، الفوز العظيم، الذي لا فوز مثله، فهذا الثواب الأخروي.

وأما الثواب الدنيوي لهذه التجارة، فذكره بقوله: ﴿وأخرى تحبونها ويحصل لكم خصلة أخرى تحبونها وهي: ﴿نصر من الله ﴿ [لكم] على ﴿ وفتح قريب ﴾ تتسع به دائرة الإسلام، ويحصل به الرزق الواسع، فهذا جزاء المؤمنين المجاهدين، وأما المؤمنون من غير أهل الجهاد، [إذا قام غيرهم بالجهاد] (\*) فلم يؤيسهم الله تعالى من فضله وإحسانه، بل قال: ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ أي: بالثواب العاجل والآجل، كل على حسب إيمانه، وإن كانوا لا يبلغون مبلغ المجاهدين في سبيل الله، كما قال النبي ﷺ في المناس

في الجنة مئة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله"(٥)

ثم قال تعالى: ﴿ يَا أَيَّهَا الذَّينَ آمنُوا كُونُوا أَنْصَارَ الله ﴾ [أي:] بالأقوال والأفعال، وذلك بالقيام بدين الله، والحرص على إقامته (١٦) تنفيذه على الغير، وجهاد من عائده ونابذه بالأبدان والأموال، ومن نصر الباطل بما يزعمه من العلم ورد الحق، بدحض حجته، وإقامة الحجة عليه، والتحذير منه.

ومن نصر دين الله، تَعَلَّمُ كتاب الله وسنة رسبوله، والحث على ذلك، [والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر].

ثم هيج الله المؤمنين بالاقتداء بمن قبلهم من الصالحين بقوله: ﴿ كما قال عيسي ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله أي: قال لهم عارضاً ومنهضاً (٧٠): من يعاونني ويقوم معي في نصري لدين الله، ويدخل مدخلي ويخرج غرجي؟

فابتدر الحواريون، فقالوا: ﴿نحن أنصار الله﴾ فمضى عيسى عليه السلام على أمر الله ونصر دينه، هو ومن معه من الحواريين، ﴿فَآمنت طائفة من بني والحواريين، ﴿وكفرت طائفة﴾ منهم، والحواريين، ﴿وكفرت طائفة﴾ منهم، فنا لله منوا على الكافرين، ﴿فَأَيْدُنَا الذَّيْنَ آمنوا على عدوهم﴾ أي: قويناهم ونصرناهم عليهم.

﴿فَأُصِيحُوا ظاهرين﴾ عليهم وقاهرين [لهم]، فأنتم يا أمة محمد

<sup>(</sup>١) في ب: أحد من خلقه.

 <sup>(</sup>۲) في ب: أنه لو رأى العباد الجنة.

<sup>(</sup>٣) في ب: وفرحها.

<sup>(</sup>٤) زيادة من هامش ب.

في ب جاء بدلاً من هذا الحديث ما يلي: [كما قال النبي ﷺ: (من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، وجبت له الجنة)
 فعجب لها أبو سعيد الخدري \_ راوي الحديث \_ فقال: أعدها عليً يا رسول الله، فأعادها عليه ثم قال: (وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض) فقال: وما هي يا رسول الله قال: (الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله)

<sup>(</sup>٦) في ب: تنفيذه.

<sup>(</sup>٧) في ب: قال لهم منبهاً.

كونوا أنصار الله ودعاة دينه، ينصركم الله كما نصر من قبلكم، ويظهركم على عدوكم.

تمت وله الحمد(١)

### تفسير سورة الجمعة [وهي] مدنية

﴿١﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم أي: يسبح لله وينقاد لأمره، ويتألهه ويعبده، جميع ما في السماوات والأرض، لأنه الكامل الملك، الذي له ملك العالم العلوي والسفلي، فالجميع ماليكه وتحت تدبيره، ﴿القدوس﴾ المعظم، المنزه عن كل آفة ونقص، ﴿العزيز﴾ القاهر للأشياء كلها، الحكيم
في خلقه وأمره.

فهذه الأوصاف العظيمة بما تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

﴿٢ \_ ٤ ﴾ ﴿ هنو النذي بنعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين \* وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم \* ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وألله ذو الفضل العظيم المراد بالأميين: الذين لا كتاب عندهم، ولا أثر رسالة من العرب وغيرهم، عن ليسوا من أهل الكتاب، فامتن الله تعالى عليهم منة عظيمة أعظم من منته على غيرهم، لأنهم عادمون للعلم والخير، وكانوا في ضلال مبين، يتعبدون للأشجار والأصنام والأحجار، ويتخلقون بأخلاق السباع الضارية، يأكل قويهم ضعيفهم، وقد كانوا في غاية الجهل بعلوم الأنبياء،

فبعث الله فيهم رسولاً منهم، يعرفون نسبه وأوصافه الجميلة وصدقه، وأنزل عليه كتابه، ﴿يتلوعليهم آياته ﴾ القاطعة الموجبة للإيمان واليقين، ﴿ويزكيهم ﴾ بأن يحثهم على الأخلاق الفاضلة، ويفصلها لهم، ويزجرهم عن الأخلاق الرذيلة، ﴿ ويعلمهمُ الْكتابِ والحُكمة ﴾ أي: علم القرآن (٢) وعلم السنة، المشتمل ذلك علوم الأولين والآخرين، فكانوا بعد هذا التعليم والتزكية منه أعلم الخلق، بل كانوا أثمة أهل العلم والدين، وأكمل الخلق أخلاقاً، وأحسنهم هدياً وسمتاً، اهتدوا بأنفسهم، وهدوا غيرهم، فصاروا أثمة المهتدين، وهداة المؤمنين (٣)، فلله عليهم ببعثه هذا الرسول على أكمل نعمة، وأجلّ منحة، وقوله: ﴿وآخرين منهم لمَّا يلحقوا بهم اي: وامتن على آخرين من غيرهم أي: من غير الأميين، عمن يأتي بعدهم، ومن أهل الكتاب، لما يلحقوا بهم أي: فيمن باشر(٤) دعوة الرسول، ويحتمل أنهم لما يلحقوا بهم في الفضل، ويحتمل أن يكونوا لما يلحقوا بهم في الزمان، وعلى كل، فكلا المعنيين صحيح، فإن اللين بعث الله فيهم رسوله وشاهدوه وباشروا دعوته، حصل لهم من الخصائص والفضائل ما لا يمكن أحداً أن يلحقهم فيها، وهذا من عزته وحكمته، حيث لم يترك عباده هملاً ولا سدى، بل ابتعث فيهم الرسل، وأمرهم ونهاهم، وذلك من فضل ألله العظيم، الذي يؤتيه من يشاء من عباده، وهو أفضل من نعمته عليهم بعافية البدن وسعة الرزق، وغير ذلك

من النعم الدنيوية، فلا أعظم من نعمة

الدين التي هي مادة الفوز، والسعادة

الأبدية .

حافقالغنالغنالتخام ل يُسَيِّحُ يَنْءِمَا فِي اَلْمَسَكَوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَيَا فِي ٱلْقُدُّوسِ الْعَرِيزِ الْمُتَكِيمِ ۞ هُوَالَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأَمْتِ عِن رَسُولًا مِنْهُ رِّتُلُواْعَلَيْهِ مَ الْلِيْهِ وَيُزَكِّيهِ وَيُعَلِّهُ مُوَالَّهِ مُوالَّكِنَابُ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُواْمِن قَبْلُ لِي صَلَالِ مُبِينِ ۞ وَمَلخَدِينَ مِنْهُمْ لَآيَا لَحَقُوا بِهِمْ وَهُوَا لَعَجِيزَ آنْحَيَكِهُ ۞ ذَاكِ فَضَلَّ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَكَأُهُ وَاللَّهُ دُو ٱلْفَصِّيلِ ٱلْعَظِيمِ ۞ مَثَلُ ٱلَّذِينَ جْمَلُواْ التَّوْرِينَةَ ثُرَّلَزَيَخِيلُوهَا كَمَثَلَ الْجِمَارِيَخِيلُ أَسْفَالْأُ بِشْهَ مَثُلُ ٱلْفَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِعَايَتِ ٱللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِ عَالْقَوْمَ ا الفَالِمِينَ ۞ قُلْ يَنَأَيْهَا ٱلَّذِينَ هَادُوۤا إِن رَعَنتُوۤا أَكُوۡ أَوْلِيٓآ اُ اللَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ مَتَمَنَّوا ٱلْمَوْتَ إِن كُمْتُمُ صَادِ قِيرَ ﴾ القَّرِيْتَمَنَّوَيْهُ وَأَبَدًا مِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَهَهُ عَلِيمٌ وَالظَّلِمِينَ ﴿ لَّ قُلْ إِذَا ٱلْمُوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُمُ مُلَاقِيكُمُّ ثُوَّرُونُونَ الله عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْتِثُكُمُ عَاكَمُتُمُ تَعْمَلُونَ ۞ OND ON CONCER

﴿٥ ـ ٨) ﴿مثل اللَّهِ مَعْلُوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارأ بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله والله لا يهدى القوم الظالمين \* قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين \* ولا يتمنونه أبدأ بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين \* قبل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون لل ذكر الله منته على هذه الأمة، الذين ابتعث فيهم النبي الأمي، وما خصهم الله به من المزايا والمناقب، التي لا يلحقهم فيها أحدوهم الأمة الأمية الذين فاقوا الأولين والآخرين، حتى أهل الكتاب، الذين يزعمون أنهم العلماء الربانيون والأحبار المتقدمون، ذكر أن الذين حملهم الله التوراة من اليهود وكذا النصاري، وأمرهم أن يتعلموها ويعملوا بما فيها<sup>(ه)</sup>، وأنهم لم يحملوها ولم يقوموا بما حملوا به، أنهم لا فضيلة لهم، وأن مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل فوق ظهره أسفاراً

في ب: تم تفسيرها والحمد لله رب العالمين. (1)

في ب: علم الكتاب. **(Y)** 

في ب: وقادة المتقين. (٣)

كذا في ب، وفي أ: باشروا. (1)

<sup>(0)</sup> في ب: ويعملوا بها.

الكند المنظمة المنطقة المنطقة المنظمة من والمنطقة المنطقة المنطقة الكند الكند

CHELLER TO SEE SHIP TO SEE

من كتب العلم، فهل يستفيد ذلك الحمار من تلك الكتب التي فوق ظهره؟ وهل يلحق به فضيلة بسبب ذلك؟ أم حظه منها حملها فقط؟ فهذا مثل علماء اليهود (١٠)، الذين لم يعملوا بما في التوراة، الذي من أجله وأعظمه والإيمان بما جاء به من القرآن، فهل استفاد من هذا وصفه من التوراة إلا الخيبة والخسران وإقامة الحجة عليه؟ فهذا المثل مطابق لأحوالهم.

بشس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صدق رسولنا وصدق ما جاء به .

﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾
أي: لا يرشدهم إلى مصالحهم ما دام
الظلم لهم وصفاً والعناد لهم نعتاً،
ومن ظلم اليهود وعنادهم، أنهم
يعلمون أنهم على باطل، ويزعمون أنهم
على حق، وأنهم أولياء الله من دون
الناس.

ولهذا أمر الله رسوله، أن يقول لهم: إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم على الحق، وأوليا، لله: ﴿فتمنوا الموت﴾ وهذا أمر خفيف، فإنهم لو علموا أنهم على حق لما توقفوا عن هذا

في ب: علماء أهل الكتاب.

(1)

(٢)

التحدي الذي جعله الله دليلاً على صدقهم إن تمنوه، وكذبهم (٢) إن لم يتمنوه، ولل لم يقع منهم مع الإعلان لهم بذلك، علم أنهم عالمون ببطلان ما هم عليه وفساده، وله ذا قال: ﴿ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم من الذنوب والمعاصي التي يستوحشون من الموت من أجلها، ﴿والله عليم بالظالمين فلا يمكن أن يخفي عليه من طلمهم شيء، هذا وإن كانوا لا يتمنون الموت بما قدمت أيديهم، ويفرون (٢) منه [غاية الفرار]، فإن ذلك لا ينجيهم، بل لا بد أن يلاقيهم الموت الذي قد حتمه الله على العباد وكتبه عليهم.

ثم بعد الموت واستكمال الآجال،

يرد الخلق كلهم يوم القيامة إلى عالم الغيب والشهادة، فينبثهم بماكانوا يعملون، من خير وشر، قليل وكثير. ﴿ ٩ - ١١ ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسموا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون \* فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تىفىلىحىون \* وإذا رأوا تجارةً أو لىهـوأ انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين للله يأمر تعالى عباده المؤمنين بالحضور لصلاة الجمعة والمبادرة إليها، من حين ينادي لها والسعى إليها، والمراد بالسعى هنا: المبادرة إليها والاهتمام لها، وجعلها أهم الأشغال، لا العَدْوُ الذي قد نهي عنه عند المضى إلى الصلاة، وقوله: ﴿ودروا البيع﴾ أي: اتركوا البيع، إذا نودي للصلاة، وامضوا إليها.

ودي للصلاه، والمصوا إليها. فإن ذلكم خير لكم من اشتغالكم بالبيع، وتفويتكم الصلاة الفريضة التي هي من آكد الفروض.

﴿إِنْ كنتم تعلمون﴾ أن ما عند الله خير وأبقى، وأن من آثر الدنيا على

الدين، فقد خسر الخسارة الحقيقية، من حيث ظن أنه يربح، وهذا الأمر بترك البيع مؤقت مدة الصلاة، ﴿فَإِذَا قَضِيت الصلاة فانتشروا في الأرض﴾ لطلب المكاسب والتجارات، ولما كان الاستغال في التجارة مظنة الغفلة عن ذكر الله، أمر الله بالإكثار من ذكره، فقال: ﴿واذكروا الله كثيراً﴾ أي: في حال قيامكم وقعودكم وعلى جنوبكم، ﴿لملكم تفلحون﴾ فإن الإكثار من ذكر الله أكبر أسباب الفلاح.

﴿ وإذا رأوا تجارة أو لَهُوا انفضُوا البها ﴾ أي: خرجوا من المسجد حرصاً على ذلك اللهو و [تلك] التجارة ، وتركوك قائماً ﴾ تغطب الناس، وذلك: [في] يوم جعة بينما النبي على يخطب الناس، إذ قدم المدينة عير تحمل تجارة ، فلما سمع الناس بها وهم في المسجد، انفضوا من المسجد، وتركوا النبي يكل يخطب استعجالاً لما لا ينبغي أن يستعجل له ، وترك أدب، ﴿قل ما عند الله من الأجر والثواب، لمن لازم الخير وصبر فصبر قسه على عبادة ربه .

﴿خيرٌ من اللهو ومن التجارة﴾ التي، وإن حصل منها بعض المقاصد، فإن ذلك قليل منغص، مفوت لخير الآخرة، وليس الصبر على طاعة الله مفوتاً للرزق، فإن الله خير الرازقين، فصن اتقى الله رزقه من حيث لا يحتسب.

وفي هذه الآيات فوائد عديدة:

منها: أن الجمعة فريضة على جميع المؤمنين، يجب عليهم السعي لها، والمبادرة والاهتمام بشأنها.

ومنها: أن الخطبتين يوم الجمعة فريضتان (٤) يجب حضورها، لأنه فسر الذكر هنا بالخطبتين، فأمر الله بالمضي إليه والسعى له.

ومنها: مشروعية النداء ليوم الجمعة والأمر به.

ومنها: النهي عن البيع والشراء بعد

<sup>(</sup>٣) في ب: بل يفرون.

كذا في ب، وفي أ: أو كذبهم. ﴿ ٤) ﴿ فَم

<sup>(</sup>٤) في ب: فريضة.

\_\_\_\_

نداء الجمعة، وتحريم ذلك، وما ذاك إلا لأنه يفوت الواجب ويشغل عنه، فدل ذلك على أن كل أمر ولو كان مباحاً في الأصل، إذا كان ينشأ عنه تفويت واجب، فإنه لا يجوز في تلك الحال.

ومنها: الأمر بحضور الخطبتين (۱) يوم الجمعة، وذم من لم يحضرهما، ومن لازم ذلك الإنصات لهما.

ومنها: أنه ينبغي للعبد القبل على عبادة الله، وقت دواعي النفس لحضور اللهو [والتجارات] والشهوات، أن يذكرها بما عند الله من الخيرات، وما لمؤثر رضاه على هواه.

تم تفسير سورة الجمعة ، ولله الحمد والثناء (٢)

#### تفسير سورة المنافقين<sup>(۲)</sup> مدنية

﴿١ - ٦﴾ ﴿بسب الله السرحسن الرحيم إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقينُ لكاذبون \* اتخذوا أيمانهم جُنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون \* ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون \* وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون \* وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لزوا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون \* سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تسغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي المقوم الفاسقين ﴾ لما قدم النبي ﷺ المدينة، وكثر المسلمون في ألمدينة واعتز

الإسلام بها(٤)، صار أناس من أهملها من الأوس والخمزرج، يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، ليبقى جاههم، وتحقن دماؤهم، وتسلم أموالهم، فذكر الله من أوصافهم ما به يعرفون، لكي يحذر العباد منهم، ويكونوا منهم على بصيرة، فقال: ﴿إِذَا جَاءَكِ المُنَافِقُونَ قالوا﴾ على وجه الكذب: ﴿نشهد إنك لرسول الله الله وهذه الشهادة من المنافقين على وجه الكذب والنفاق، مع أنه لا حاجة لشهادتهم في تأييد رسوله، فإن ﴿الله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون في قولهم ودعواهم، وأن ذلك ليس بحقيقة منهم.

﴿ اتَّخَذُوا أَيِمَانِهُمْ جِنَةً ﴾ أي: ترساً يتترسون بها من نسبتهم إلى النفاق.

فصدوا عن سبيله بأنفسهم، وصدوا غيرهم بمن يخفى عليه حالهم، ﴿إنهم ساء ما كانوا يعملون حيث أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، وأقسموا على ذلك وأوهموا صدقهم، ﴿ذلك ﴾ الذي زين لهم النفاق ﴿ب﴾ سبب ﴿أنهم ﴾ لا يثبتون على الإيمان.

بل ﴿آمنواشم كفروا فطبع على قلوبهم﴾ بحيث لا يدخلها الخير أبداً، ﴿فهم لا يفقهون﴾ ما ينفعهم، ﴿وإذا يعون ما يعود بمصالحهم، ﴿وإذا من روائها ونضارتها، ﴿وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾ أي: من حسن منطقهم تستلذ لاستماعه، فأجسامهم وأقوالهم معجبة، ولكن ليس وراء ذلك من الأخلاق الفاضلة والهدى الصالح، شيء، ولهذا قال: ﴿كأنهم خشب مسئدة﴾ لا منفعة فيها، ولا ينال منها إلا الضرر المحض، ﴿يحسبون كل

THE SECURITY OF THE SECOND SEC الوَاذَاقِيلَ لَمُنْهُ مَنَا لَوَالِسَنَغَفِرَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَوْارُهُ وسَهُمْ يُّ وَرَأَتَتُهُ وَيَصُدُّونَ وَهُمِ مُّسُنَّكُمْرُونَ ﴾ صَوَّآهُ عَلَيْسُومُ ﴿ أَسْتَغَفَرْتِ لَمُنْدَ أَوْلَةِ تَسْتَغَفِرْ لَكُوْ لَن يَعَفِرُ أَلَّهُ لَكُمُ لِكَ أَلَّهُ ﴾ لَا يَدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ ۞ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَانْفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ حَسَرَاْلِينُ التكورة والأزم ولكيز المكفيقين لايفقهون ۞ يَتُولُونَ لَيْن رَّجَعْنَ ٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُغْرِجَنَ ٱلْمُعْنُّ مِنْهَا ٱلأَذَلُّ وَيَعْوَالْمِسَزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَالْمُقُومِينِ وَلَكِكَ ٱلْنَئِفِقِينَ لَايَمْ لَمُونَ ۞ يَالَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَالْلَهِمُ أُ أَمَوَ لُكُمُ وَلَا أَوْلَدُكُوْعَنَ ذِكْرِاللَّهُ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَيْكَ هُمُ ٱلْخَيْرُونَ ۞ وَأَنفِقُوا مِن مَارَزَقَتَكُم مِن قَبْلِ أَن يَأْقِ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيْقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخِّرْتَفِيَّ النَّا أَمْلِ قِيبِ فَأَصَّدُقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّلِيمِينَ ۞ وَلَن وُوَخِرَاللَّهُ وَمُسَّا إِذَاجَاءَ أَجَلُهُ أَوَاللَّهُ خَيِيرُيمَاتَعَمَلُونَ ۞ 

صيحة عليهم) وذلك لجبنهم وفزعهم وضعف قلوبهم، والريب الذي في قلوبهم (٥) يخافون أن يطلع عليهم.

فهؤلاء ﴿هم العدو﴾ على الحقيقة، لأن العدو البارز المتميز أهون من العدو الذي لا يشعر به، وهو مخادع ماكر، يزعم أنه وَلي، وهو العدو المبين، ﴿فَاحَذُرهُم قَأْتُلُهُم اللهُ أَنَّى يؤفَّكُونَ﴾ آي: كيف يصرفون عن الدين الإسلامي بعدما تبينت أدلته واتضحت معالمه، إلى الكفر الذي لا يفيدهم إلا الخسار والشقاء ﴿وإذا قيل ﴾ لهؤلاء المنافقين ﴿تعالوا يستغفر لكم رسول الله ﴾ عما صدر منكم، لتحسن أحوالكم، وتقبل أعمالكم، امتنعوا من ذلك أشد الامتناع، و ﴿لُووا رؤوسهم﴾ امتناعاً من طلّب الدعاء من الرسول، ﴿ورأيتهم يصدون ﴾ عن الحق بغضاً له ﴿وهم مُستكبرون ﴾ عن اتباعه بغياً وعناداً، فهذه حالهم عندما يدعون إلى طلب الدعاء من الرسول، وهذا من لطف الله وكرامته لرسوله، حيث لم يأتوا إليه، فيستغفر لهم، فإنه

<sup>(</sup>١) كذا في ب، وفي أ: الخطبة.

<sup>(</sup>٢) في ب: بمن الله وعونه والحمد لله رب العالمين.

<sup>(</sup>٣) كذا في النسختين.

<sup>(</sup>٤) في ب: وكثر الإسلام فيها وعز.

<sup>(</sup>٥) وفي ب: وضعف قلوبهم وريبها.

THE REPORT OF THE PARTY OF THE \_\_إِفْعَالِةَ فَزَالِيَكِيْمِ يُسَبَحُ يَقِومَا فِي ٱلْسَكَوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضَ لَهُ ٱلْمُثْلُكُ وَلَهُ ٱنْحَمَّدُ وَهُو عَلَى كُلِ شَيْءِ قَلِيرً ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فِينَكُو كَافِرٌ وَمِنكُمُ مُؤْمِنُّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْسَلُونَ بَصِيرُ ۞ خَلَقَ ٱلسَّمَوَ سَتِ وَٱلْأَصَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُوْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُوْ وَالَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۞ يَعَلَّمُا فِي ٱلمستكوَّتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَالَيْرُونَ وَمَاتَعْلِنُونَ وَٱلْمَةُ عَلِيمُ لِذَاتِ ٱلشُدُودِ ۞ أَلْرَيَانِكُورَ مَوْا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَن لَ فَذَا قُواْ وَكَالَ أَمْرِهِمْ وَلِمُنْزِعَذَاكُ أَلِيدُ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنْفُكَانَتَ تَأْفِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبَيْنَاتِ فَعَالُواْ أَبَشَرْيَهَ مُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلُّواْ وَآمَلُواْ وَأَسْتَغَهَ إِلَيْهُ وَاللَّهُ عَيْنُ مِيدٌ ۞ زَعَدُ الَّذِينَ كَلَرُوۤ إِلَى أَن يُبْعَثُواْ فُلْ بَالْ وَدَبِّ لَتُعَثَّنَّ ثُرَّكَنَّبُوُّنَّ مِمَا عَمِلْتُمُّ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.وَالنُّورِاُلَّذِى أَنْزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ مِمَا تَعْسَلُونَ حَيِدٌ۞ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ أَجْمَيْعٌ ذَاكِ يَوْمُ النَّفَ أَنُّ وَمَن يُوْمِنُ بِأَلَّهِ وَيَعْمَلُ صَلِيمًا يُكُفِّرُ عَنْهُ سَيِّنَا إِنِهِ، وَيُنْجِلُهُ جَنَّتٍ تَجْرِي مِن تَحْيِهِكَا ٱلْأَنْهَا رُخَلِينَ فِيهَا أَبَكَأُ ذَالِكَ ٱلْغُوزُ ٱلْمَعْلِيمُ ۞ غزوة المريسيع، حين صار بين بعض TO THE POT TO THE PARTY OF THE المهاجرين والأنصار بعض كلام كدر سواء أستغفر لهم أم لم يستغفر لهم فلن يغفر الله لهم، وذلك لأنهم قوم فاسقون، خارجون عن طاعة الله، مؤثرون للكفر على الإيمان، فلذلك

> ﴿إِنَّ الله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾. ﴿٧ ـ ٨﴾ ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون \* يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز مسنسهسا الأذل ولله السعسزة ولسرسسولسه وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون وهذا من شدة عداوتهم للنبي على والمسلمين، لما رأوا اجتماع أصحابه وائتلافهم، ومسارعتهم في مرضاة الرسول ﷺ، قالوا بزعمهم الفاسد:

لا ينفع فيهم استغفار الرسول، لو

استغفر لهم كما قال تعالى: ﴿استغفر

لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم

سبعين مرة فلن يغفر الله لهم

﴿ لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا﴾ فإنهم \_بزعمهم \_لولا أموال المنافقين ونفقاتهم عليهم، لما اجتمعوا في نصرة دين الله، وهذا من أعجب العجب، أن يدعى هؤلاء المنافقون الذين هم أحرص الناس على

خذلان الدين، وأذية المسلمين، مثل هذه الدعوي، التي لا تروج إلا على من لا علم له بحقائق الأمور(١١)، ولهذا قال الله رداً لقولهم: ﴿ولله حزائن السماوات والأرض > فيؤق الرزق من يشاء، ويمنعه من يشاء، ويبسر الأسباب لمن يشاء، ويعسرها على من يشاء، ﴿ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ فلذلك قالوا تلك المقالة، التي مضمونها أن خزائن الرزق في أيديهم، وتحت مشيئتهم. ﴿ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) وذلك في

الخواطر، ظهر حينتذ نفاق المنافقين، وأظهروا ما في نفوسهم(٢). وقال كبيرهم عبد الله بن أي ابن سلول: ما مثلنا ومثل هؤلاء \_يعنى المهاجرين \_ إلا كما قال القائل: (غذَّ كلبك يأكلك<sup>(٣)</sup>. وقال: لئن رجعتا إلى المدينة

رزقهم الله الذي يسره لهم (٧) ويسر ﴿لِيخرجن الأعز منها الأذل﴾ بزعمه لهم أسبابه . أنه هو وإخوانه من المنافقين الأعزون، وأن رسول الله ومن معيه (٤) هيم الأذلون، والأمر بعكس ما قال هذا المنافق، فلهذا قال [تعالى:] ﴿ولهُ العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ فهم الأعزاء، والمنافقون وإخوانهم من الكفار [هم] الأذلاء. ﴿ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ [ذلك] فلذلك زعموا أنهم الأعزاء، اغتراراً بما هم عليه من الباطل، ثم قال

﴿٩ - ١١﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون \* وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأل أحدكم الوت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين \* ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير

بما تعملون ﴾ يأمر تعالى عباده المؤمنين بالإكثار من ذكره، فإن في ذلك الربح والفلاح، والخيرات الكثيرة، وينهاهم أن تشغلهم أموالهم وأولادهم عن ذكره، فإن محبة المال والأولاد مجبولة عليها أكثر النفوس، فتقدمها على عبة الله، وفي ذلك الخسارة العظيمة، ولهذا قال تعالى: ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أى: يلهه ماله وولده، عن ذكر الله ﴿فَأُولَتُكُ هِم الخاسرون ﴾ للسعادة الأبدية، والنعيم المقيم، لأنهم آثروا ما يفني على ما يبقى، قال تعالى: ﴿إِنْمَا أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم وقوله: ﴿وأنفقوا مما رزقناكم للدخل في هذا، النفقات الواجبة، من الزكاة والكفارات(٥)، ونفقة الزوجات، والمماليك، ونحو ذلك، والنفقات المستحبة، كبذل المال في جميع المصالح، وقال: ﴿ مِما رزقناكم للدل ذلك على أنه تعالى، لم

يكلف العباد من النفقة ما يعنتهم ويشق

عليهم، بل أمرهم بإخراج جزء(٦) مما

فليشكروا الذي أعطاهم، بمواساة إخوانهم المحتاجين، وليبادروا بذلك، الموت الذي إذا جاء، لم يمكن العبد أن يأتي بمثقال ذرة من الخير، ولهذا قال: ﴿من قبيل أن ياتي أحدكم الموت فيقول﴾ متحسراً على ما فرَّط في وقت الإمكان، سائلاً الرجعة التي هي محال: ﴿ رب لولا أخرتني إلى أجل قريب اي: لأتدارك ما فَرَّطْتُ فيه، ﴿فَأَصَّدُّق﴾ من مالي، ما به أنجو من العذاب، وأستحق به جزيل الثواب، ﴿ وأكن من الصالحين ﴾ بأداء المأمورات كلها، واجتناب المنهيات، ويدخل في هذا، الحج وغيره، وهذا السؤال والتمني، قد فات وقته، ولا يمكن تداركه، ولهذا قال: ﴿ ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ﴾ المحتوم لها ﴿والله

في ب، مما رزقهم ويسره ويسر

أسبابه.

في ب: بالحقائق.

(1)

كذا في ب، وفي أ: الكفارة. (0)

كذا في ب، وفي أ: أمرهم بجزء. **(1)** 

في ب: ومن اتبعه. (1)

في ب: وتبيّن ما في قلوبهم. **(Y)** 

في ب: سمّن كلبك. (٣)

خبير بما تعملون من خير وشر، فيجازيكم على ما علمه منكم، من النيات والأعمال.

#### تم تفسير سورة المنافقين، ولله الحمد

#### تفسير سورة التغابن [وهي] مكية

﴿١ \_٤﴾ ﴿يسبم الله السرحسن الرحيم يسبح لله ما في السماوات وما **فى الأرض له الملك وله الحمد وهو على** كل شيء قدير \* هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بمأ تعملون بصير \*خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير \* يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) هذه الآيات [الكريمات]، مشتملات على جملة كثيرة واسعة، من أوصاف الباري العظيمة، فذكر كمال ألوهيته تعالى، وسعة غناه، وافتقار جميع الخلائق إليه، وتسبيح من في السماوات والأرض بحمد ربها، وأن الملك كله لله، فلا يخرج مخلوق عن ملكه، والحمد كله له، حمد على ما له من صفات الكمال، وحمد على ما أوجده من الأشياء، وحمد على ما شرعه من الأحكام، وأسداه من النعم.

وقدرته شاملة، لا يخرج عنها موجود، فلا يعجزه شيء يريده، وذكر أنه خلق العباد، وجعل منهم المؤمن والكافر، فإيمانهم وكفرهم كله بقضاء الله وقدره، وهو الذي شاء ذلك منهم، بأن جعل لهم قدرة وإرادة، بها يتمكنون من كل ما يريدون من الأمر والنهي، ﴿والله بما تعملون بصير﴾ فلما ذكر خلق الإنسان المكلف المأمور المنهي، ذكر خلق الإنسان المكلف المخلوقات، فقال: ﴿خلق السماوات

والأرض اي: أجرامهما، [وجميع] ما فيهما فأحسن خلقهما، ﴿بِالحق﴾ أي: بالحكمة والغاية المقصودة له تعالى، ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ كما قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) فالإنسان أحسن المخلوقات صورة، وأبهاها منظراً. ﴿ وإليه المصير ﴾ أي: المرجع يسوم القيامة، فيجازيكم على إيمانكم وكفركم، ويسألكم عن النعم والنعيم، الذي أولاكموه (١٠)، هل قمتم بشكره، أم لم تقوموا بشكره؟ ثم ذكر عموم علمه، فقال: ﴿يعلم ما في السماوات والأرض السسرائسر والظواهر، والغيب والشهادة. ﴿ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور ﴾ أي: بما فيها من الأسرار الطيبة، والخبايا الخبيشة، والنيات الصالحة، والمقاصد الفاسدة، فإذا كان عليماً بذات الصدور، تعين على العاقل البصير، أن يحرص ويجتهد في حفظ باطنه، من الأخلاق الرذيلة، واتصافه بالأخلاق الجميلة.

﴿٥ \_ ٦﴾ ﴿أَلَمْ يَأْتُكُمْ نَبِأُ الَّذِينَ كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم \* ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننأ فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد﴾ لما ذكر تعالى من أوصافه الكاملة العظيمة، ما به يعرف ويعبد، ويبذل الجهد في مرضاته، وتجتنب مساخطه، أخبر بما فعل بالأمم السابقين، والقرون الماضين، الذين لم تزل أنباؤهم يتحدث ما المتأخرون، ويخبر مها الصادقون، وأنهم حين جاءتهم الرسل(٢) بالحق، كذبوهم وعاندوهم، فأذاقهم الله وبال أمرهم في الدنيا، وأخراهم فيها، ﴿ولهم عذاب أليم﴾ في [الدار] الآخرة، ولهذا ذكر السبب في هذه العقوبة، فقال: ﴿ ذلك ﴾ النكال والوبال، الذي أحللناه بهم

بأنهم ﴿كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ أي: بالآيات الواضحات، الدالة على الحق والباطل، فاشمأزوا واستكبروا على رسلهم، فقالوا: ﴿أَبْسُر يَهِدُونَنا﴾ أي: فليس لهم فضل علينا، ولأي: شيء خصهم الله دوننا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده الله فهم حجروا فضل الله ومنته على أنبيائه أن يكونوا رسلاً للخلق، واستكبروا عن الانقياد لهم، فابتلوا بعبادة الأحجار والأشجار ونحوها (فكفروا) بالله (وتولوا) عن طاعة الله، ﴿واستغنى اللهِ ﴾ عنهم، فلا يبالي بهم، ولا يضره ضلالهم شيئاً، ﴿والله غني حميد﴾ أي: هو الغني، الذي له الغني التام المطلق، من جميع الوجوه، الحميد في أقواله وأفعاله وأوصافه.

﴿٧﴾ ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ يجبر تعالى عن عناد الكافرين، وزعمهم الباطل، وتكذيبهم بالبعث بغير علم ولا هدى يقسم بربه على بعثهم، وجزائهم بأعمالهم الخبيثة، وتكذيبهم بالحق، أوذلك على الله يسير ﴾ فإنه وإن كان عسيراً، بل متعذراً بالنسبة إلى الحلق، فإن قواهم كلهم لو اجتمعت على إحياء ميت [واحد]، ما قدروا على ذلك.

وأما الله تعالى، فإنه إذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون، قال تعالى: 
ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون .

﴿ ٨﴾ ﴿ فَآمَنُوا بِاللهُ ورسوله والنورُ الذي أَنْزِلنا واللهُ بِما تعملون خبير ﴾ لما ذكر تعالى إنكار من أنكر البعث، وأن ذلك [منهم] موجب كفرهم بالله وآياته، أمر بما يعصم من الهلكة

<sup>(</sup>١) في ب: أولاكم.

<sup>(</sup>٢) في ب: رسلهم.

والشقاء، وهو الإيمان بالله ورسوله وكتابه(١)، وسماه الله نوراً، فإن النور(٢) ضد الظلمة، وما في الكتاب الذي أنزله الله من الأحكام والشرائع والأخبار، أنوار يهتدي بها في ظلمات الجهل المدلهمة، ويمشى بها في حندس الليل البهيم، وما سوى الاهتداء بكتاب الله، فهي علوم ضررها أكثر من نفعها، وشرها أكثر من خيرها، بل لا خير فيها ولا نفع، إلا ما وافق ما جماءت به الرسل، والإيمان بالله ورسوله وكتابه، يقتضى الجزم التام، واليقين الصادق بها، والعمل بمقتضى ذلك التصديق، من امتثال الأوامر، واجتناب المناهي (٣)، ﴿والله بما تعملون خبير﴾ فيجازيكم بأعمالكم الصالحة والسيئة.

﴿٩ - ١١﴾ ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم \* والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير يعنى: اذكروا يوم الجمع الذي يجمع الله به الأولين والآخرين، ويقفهم موقفاً هائلاً عظيماً، وينبئهم بما عملوا، فحينتذ يظهر الفرق والتفاوت بين الخلائق، ويُرْفعُ أقوامٌ إلى أعلى عليين، في الغرف العاليات، والمنازل المرتفعات، المشتملة على جميع اللذات والشهوات، ويخفض أقوامٌ إلى أسفل سافلين، محل البهم والنغم، والحزن، والعذاب الشديد، وذلك نتيجة ما قدموه لأنفسهم، وأسلفوه أيام حياتهم، ولهذا قال: ﴿ ذلك يوم التغابن، ٠

أي: يظهر فيه التغابن والتفاوت بين الخلائق، ويغبن المؤمنون الفاسقين، ويعرف المجرمون أنهم على غير شيء،

وأنهم هم الخاسرون، فكأنه قيل: بأي: شيء يحصل الفلاح والشقاء والنعيم والعذاب؟

فذكر تعالى أسباب ذلك بقوله: ﴿ومن يؤمن بالله ﴿ [أي : ] إيماناً تاماً شاملاً لجميع ما أمر الله بالإيمان به، ﴿ويعمل صالحاً ﴾ من الفرائض والنوافل، من أداء حقوق الله وحقوق عباده. ﴿ يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وتختاره الأرواح، وتحن إليه القلوب، ويكون نهاية كُل مرغوب، ﴿خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾ ﴿والَّذِينَ كَفُرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنا﴾ أي: كفروا [بها] من غير مستند شرعى ولا عقلي، بل جاءتهم الأدلة والبينات، فكذبوا بها، وعاندوا ما دلت عليه.

﴿ أُولِنُكُ أُصِحَابِ النَّارِ خَالَدِينِ فَيِهَا وبئس المصير﴾ لأنها جمعت كل بؤس وشدة، وشقاء وعذاب.

﴿١١ – ١٣﴾ ﴿ميا أصباب مسن مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهدِ قلبه والله بكل شيء عليم \* وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين \* الله لا إله إلا هو وعلى الله فكيتوكل المؤمنون﴾ يقول تعالى: ﴿مَا أَصَابِ مِنْ مَصِيبَةِ إِلَّا بإذن الله ﴾ وهذا عام لجميع المصائب، فسى السنسفس، والمال، والسولد، والأحباب، ونحوهم، فجميع ما أصاب العباد فبقضاء الله وقدره، قد سبق بذلك علم الله [تعالى]، وجرى به قلمه، ونفذت به مشيئته، واقتضته حكمته، والشأن كل الشأن، هل يقوم العبد بالوظيفة التي عليه في هذا المقام، أم لا يقوم بها؟ فإن قام بها، فله الثواب الجزيل، والأجر الجميل، في الدنيا والآخرة، فإذا آمن أنها من عنَّد الله، فرضي بذلك، وسلم لأمره، هدى الله

قلبه، فاطمأن ولم ينزعج عند المصائب، ب كما يجري لمن (٤) لم يهد الله قلبه، بل

يرزقه الله الشبات عند ورودها<sup>(ه)</sup> والقيام بموجب الصبر، فيحصل له بذلك ثواب عاجل، مع ما يدخر الله له يوم الجزاء من الثواب<sup>(٦)</sup>، كما قال تعالى: ﴿إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ وعلم من هذا أن من لم يؤمن بالله عند ورود المصائب، بأن لم يلحظ قضاء الله وقدره، بل وقف مع مجرد الأسباب، أنه يخذل، ويكله الله إلى نفسه، وإذا وكل العبد إلى نفسه، فالنفس ليس عندها إلا الجزع والهلع، الذي هو عقوبة عاجلة على العبد، قبل عقوبة الأخرة، على ما فرط في واجب الصبر. هذا ما يتعلق بقوله: ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ في مقام المصائب الخاص، وأما ما يتعلق بها من حيث العموم اللفظي، فإن الله أخبر أن كل من آمن أي: الإيمان المأمور به من (٧) الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وصدق إيمانه بما يقتضيه الإيمان من القيام بلوازمه وواجباته، أن هذا السبب الذي قام به العبد أكبر سبب لهداية الله له في أحواله وأقواله وأفعاله(^)، وفي علَّمه وعمله.

وهذا أفضل جزاء يعطيه الله لأهل الإيمان، كما قال تعالى في الأخبار: أ أن المؤمنين يشبتهم الله (٩) في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وأصل الشبات: ثبات القلب وصبره، ويقينه عند ورود كل فتنة، فقال: ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) فأهل الإيمان أهدى الناس قلوباً، وأثبتهم عند المزعجات والمقلقات، وذلك لما معهم من الإيمان.

[وقوله:] ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا

في ب: في أقواله وأفعاله وجميعً أحواله .

في ب: كما قال تعالى مخبراً أنه

يثبت المؤمنين.

**<sup>(£)</sup>** في ب: ممن.

كذا في ب، وفي أ: عندها.

<sup>(1)</sup> في ب: من الأجر العظيم.

**<sup>(</sup>V)** في ب: وهو.

في ب: الإيمان به، وبرسوله، وبكتابه.

<sup>(</sup>٢) في ب: لأن النور.

في ب: النواهي. (٣)

الرسول أي: في امتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، فإن طاعة الله وطاعة رسوله، مدار السعادة، وعنوان الفلاح، ﴿فَإِنْ تُولِيتُم ﴾ [أي] عن طاعة الله وطاعة رسوله، ﴿فَإِنْما على رسولنا البلاغ المين ﴾ أي: يبلغكم ما أرسل به إليكم، بلاغاً يبين لكم ويتضح وتقوم (١١) به عليكم الحجة، وليس بيده من هدايتكم، ولا من ويسابكم من شيء، وإنما يحاسبكم على القيام بطاعة الله وطاعة رسوله، أو عدم ذلك، عالم الغيب والشهادة.

والله لا إلى إلى هو أي: هو المستحق للعبادة والألوهية، فكل معبود سواه فباطل، ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ أي: فليعتمدوا<sup>(٢)</sup> عليه في كل أمر نابهم، وفيما يريدون القيام به، فإنه لا يتيسر أمر من الأمور إلا بالله، ولا سبيل إلى ذلك<sup>(٣)</sup> إلا بالله، حتى يحسن العبد ظنه بربه، ويتق به في كفايته الأمر الذي اعتمد ويتق به، وبحسب إيمان العبد يكون توكله، فكلما قوي الإيمان قوي التوكل

(14 - 10) (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم \* إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر من الله للمؤمنين، من الاغترار بالأزواج والأولاد، فإن بعضهم عدو لكم، والعدو هو الذي يريد لك الشر، ووظيفتك الحذر عمن هذا وصفه أن والنفس مجبولة على عبة الأزواج والأولاد، فنصح تعالى عباده أن توجب لهم هذه المحبة الانقياد لطالب الأزواج والأولاد، ولو كان فيها ما فيها من المحذور الشرعي (13)، ويها ما فيها من المحذور الشرعي (13)، ورغبهم في امتثال أوامره، وتقديم

مرضاته بما عنده من الأجر العظيم المشتمل على المطالب العالية والمحاب الغالية : وأن يؤثروا الآخرة على الدنيا الفانية المنقضية، ولما كان النهي عن طاعة الأزواج والأولاد، فيما هو ضرر على العبد، والتحذير من ذلك، قد يوهم الغلظة عليهم وعقابهم، أمر تعالى بالحذر منهم، والصفح عنهم والعفو، بأون في ذلك من المصالح ما لا يمكن حصره، فقال: ﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾ لأن الجزاء من جنس العمل.

فمن عفا عفا الله عنه، ومن صفح صفح الله عنه، ومن غفر غفر الله له، ومن عامل الله فيما يحب، وعامل عباده كما يحبون وينفعهم، نال محبة الله ومحبة عباده، واستوثق له أمره.

﴿١٦ ـ ١٦﴾ ﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شع نفسه فأولئك هم المفلحون \* إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم \* عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم﴾ يأمر تعالى بتقواه، التي هي امتشال أوامره واجتناب نواهيه، ويقيد (٢) ذلك بالاستطاعة والقدرة.

فهذه الآية تدل على أن كل واجب عجز عنه العبد، أنه يسقط عنه، وأنه إذا قدر على بعض المأمور وعجز عن بعضه، فإنه يأتي بما يقدر عليه، ويسقط عنه ما يعجز عنه، كما قال النبي عليه النبي المرادة المرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم».

ويدخل تحت هذه القاعدة الشرعية من الفروع، ما لا يدخل تحت الحصر، وقوله: ﴿واسمعوا﴾ أي: اسمعوا ما يعظكم الله به، وما يشرعه لكم من الأحكام، واعلموا ذلك وانقادوا له، ﴿وأطيعوا﴾ الله ورسوله في جميع

ESTERIOR TO THE PROPERTY OF TH وَالَّذِنَ كَفَرُواْ وَكُذَّهُما بِعَائِينَنَّا أَوْلَتِكَ أَصْحَبُ النَّادِ خَيْدِينَ فِيهَا وَيِلْنَ ٱلْمَصِيرُ۞ مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ الَّامادُن اَللَّهُ وَمَن يُوْمِنُ مِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَ مُوْاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيدٌ ۞ وَأَطِيعُوا اللَّهُ وَأَطِيعُوا الرَّمُولَ فَإِلَيْتُ فَإِنَّمَا عَلَارَسُولِنَا ٱلْبَكَاءُ ٱلْمُبِيثُ ۞ الْقَمُ لَآ إِلَّا هَإِلَّا هُوَّوَعَلَ ٱللَّهِ فَلْيَنَوَكَ لَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَاسَنُواْ إِنَّ مِنْ أَزُواجِكُمْ وَأَوْلَا يِكُرْ عَكُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ مَان تَعَفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَعْدِرُوا فَإِتَ اللَّهَ عَنُورٌ تَيْهِدُ ۞ إِنَّمَا أَمْوَلُكُمْ وَأَوْلَاكُمْ مِنْتُهُ وَاللَّهُ عِندَهُ ۥ أَخِرُ عَظِيرٌ ۞ فَأَنَّكُوا اللَّهُ مَا أَسْتَطَعْتُمُ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِ قُواْخَيْرًا لِأَنْفُيكُمُ وَمَن يُوقَ شُحَ تَفْسِهِ وَ فَأُولَتِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ إِن تُقْرِضُوالَقَهُ ا فَرْضًا حَسَنَا يُصَلِّعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورُ حَلِيدُ ﴿ عَلِمُ الْعَبِ وَالشَّهَلَةِ ٱلْعَرِيدُ ٱلْعَرِيدُ الْعَرِيدُ الْعَرَيدُ الْعَرَيدُ الْعَر के संवेशिक्षित्र है ।

أموركم، ﴿وأنفقوا﴾ من النفقات الشرعية الواجبة والمستحبة، يكن ذلك الفعل منكم خيراً لكم في الدنيا والآخرة، فإن الخير كله في امتثال أوامر الله تعالى، وقبول نصائحه، والانقياد لشرعه، والشر كله، في غالفة ذلك.

ولكن ثمَّ آفة تمنع كثيراً من الناس، من النفقة المأمور بها، وهو الشع المجبولة عليه أكثر النفوس، فإنها تشع بالمال، وتحب وجوده، وتكره خروجه من اليد غاية الكراهة.

فمن وقاه الله شر شع نفسه بأن سمحت نفسه بالإنفاق النافع لها خاولئك هم المفلحون لانهم أدركوا المطلوب، ونجوا من المرهوب، بل ونهي عنه، فإنه إن كانت نفسه شحيحة، لا تنقاد لما أمر به العبد، ولا تخرج ما قبلها، لم يفلح، بل خسر الدنيا والآخرة، وإن كانت نفسه نفساً سمحة والآخرة، فإنها ليس بينها وبين فعل لمرضاة الله، فإنها ليس بينها وبين فعل مع مع فته إليها، والبصيرة بأنه مُرض لله مع مع فته إليها، والبصيرة بأنه مُرض لله مع مع فته إليها، والبصيرة بأنه مُرض لله مع فته إليها، والبصيرة بأنه مُرض لله مع فته إليها، والبصيرة بأنه مُرض لله مع فته إليها، والبصيرة بأنه مُرض لله

<sup>(</sup>٤) في ب: يكون توكله قوة وضعفاً.

<sup>(</sup>٥) في ب: هذه صفته.

<sup>(</sup>٦) في ب: التي فيها محذور شرعي.

<sup>(</sup>٧) في ب: وقيد.

 <sup>(</sup>۱) في ب: بلاغاً بيناً واضحاً فتقوم.
 (۲) كذا في ب، وفي أ: يعتمدوا.

<sup>(</sup>٣) كذا في ب، وفي أ: لذلك.

CONTRACTOR OF STREET \_\_\_\_المَّهَ الرَّمَزَ الرَّجَيْمِ إِلَّا يَنَّانُهُا النَّبِيُّ إِذَاطَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِقُوهُنَّ لِيدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ الْمِدَةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبِّكُمْ لَا تُخْرِجُهُ هُنَّ مِنْ يُوتِهِنَّ وَلَا يَحْرُجُنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةِ مُّبَيِّنَةً وَتِلْكَ حُدُودُٱللَّهُ وَمَن سَعَيَدٌ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْتُ أُ لَانَذْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ۞ فَإِذَا بَلَغَرِ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بَمَعْدُوفِ أَوْكَارِقُوهُنَّ مِعَدُرُوفِيِّ وَأَشْهِدُواْ ذَوَى عَدْلِ مِنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلنَّهَادَةَ يَقَّوْ ذَالِكُمْ يُوعَظَّى بِهِ ء مَن كَاتَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيُوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مُخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَخَلَيبُ وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَ أَلَهِ فَهُوَكَسْبُهُ وَإِن ٱللَّهَ بَلِلْعُ أَمْرِهُ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَّرًا ﴿ وَٱلَّتِي بَيِسْزَمِنَ ٱلْجِيضِ مِن نِسَا يَكُمُ إِنِ ٱلنِّبْتُ رَفِعَ لَهُ مَنْ لَكُنَّةُ أَشْهُر وَالَّتِي لَهُ يَحِضْنُ وَأُوْلَتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَصَعَنَ مَمْلَهُ يَّ وَمَن يَنْهِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَّهُ مِنْ أَصْرِهِ لِيُسْرًا ۞ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ وَإِنَّ كُوْ وَمَن يَنَّقِ أَللَّهُ يُكَيْرُعَنْهُ سَيِّعَانِهِ ، وَيُعْظِمْ لَهُ وَأَجْرًا ۞

تعالى، وبذلك تفلح وتنجح وتفوز كل

ثم رغب تعالى في النفقة، فقال: ﴿إِن تَقْرَضُوا اللَّهُ قَرَّضًا حَسَنًا ﴾ وهـ كل نفقة كانت من الحلال، إذا قصد بها العبد وجه الله تعالى وطلب مرضاته، ووضعها في موضعها ﴿يضاعفه لكم﴾ النفقة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

﴿و﴾ مع المضاعفة أيضاً ﴿يعْقر لكم بسبب الإنفاق والصدقة ذنوبكم، فإن الذنوب يكفرها الله بالصدقات والحسنات: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات).

﴿والله شكسور حسليم > حسليم لا يعاجل من عصاه، بل يمهله ولا يهمله، ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى. والله تعالى شكور يقبل من عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه الكثير من الأجر، ويشكر تعالى لمن تحمل من أجبليه المشياق والأثبقيال، ونياء(١ بالتكاليف الثقال، ومن ترك شيئاً لله، عوضه الله خيراً منه.

﴿عالم الغيب والشهادة﴾أي: ما غاب عن العباد من الجنود التي لا يعلمها إلا هو، وما يشاهدونه من المخلوقات، ﴿العزيز ﴾ الذي لا يغالب ولا يمانع، الذي قهر كل الأشياء، ﴿ الحكيم ﴾ في خلقه وأمره، الذي يضع الأشياء مواضعها.

تم تفسير التغابن [ولله الحمد]

#### تفسير سورة الطلاق [وهي] مدنية

﴿١ - ٣﴾ ﴿ بسبم الله السرحين الرحيم يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلوقهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً \* فإذًا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجاً \* ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قلد جعل الله لكل شيء قدراً ﴿ يَقُولُ تَعَالَى مخاطباً لنبيه ﷺ وللمؤمنين:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِي إِذَا طَلَقْتُمَ النَّسَاء ﴾ أي: أردتم طلاقهن ﴿فَ التمسوا لطلاقهن الأمر المشروع، ولا تبادروا بالطلاق من حين يوجد سببه، من غير مراعاة لأمر الله.

بل ﴿طلقوهن لعدتهن﴾ أي: لأجل عدتهن، بأن يطلقها زوجها وهي طاهر، في طهر لم يجامعها فيه، فهذا الطلاق هو الذي تكون العدة فيه واضحة بيّنة، بخلاف ما لو طلقها وهي حائض، فإنها لا تحتسب بتلك الحيضة التي وقع فيها الطلاق، وتطول عليها العدة بسبب ذلك، وكذلك لو

لا يؤمن حملها، فلايتبين و [لا] يتضح بأي: عدة تعتد، وأمر تعالى بإحصاء العدة، أي: ضبطها بالحيض إن كانت تحيض، أو بالأشهر إن لم تكن تحييض، وليست حاملاً، فإن في إحصائها أداء لحق الله، وحق الزوج المطلق، وحق من سيتزوجها بَعْدُ. [وحقها في النفقة ونحوها] فإذا ضبطت عدتها، علمت حالها على بصيرة، وعلم ما يترتب عليها من الحقوق، وما لها منها، وهذا الأمر بإحصاء العدة، يتوجه [للزوج](٢)، وللمرأة، إن كانت مكلفة، وإلا فلوَليُّها، وقوله: ﴿واتقوا الله ربكم﴾ أي: في جميع أموركم، وخافوه في حمق الزوجات المطلقات،

طلقها في طهر وطيء فيه، فإنه

**﴿ولا يُخرجن﴾** أي: لا يجوز لهن الخروج منها، أما النهى عن إخراجها، فىلأن (٤) المسكن يجب على النزوج للزوجة (٥)، لتكمل فيه عدتها التي هي حق من حقوقه.

ف ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن﴾ مدة

العدة، بل يلزمن بيوتهن (٢٦) الذي طلقها

زوجها وهي فيها.

وأما النهي عن خروجها، فلما في خروجها من إضاعة حق الزوج وعدم

ويستمر هذا النهي عن الخروج من البيوت والإخراج إلى تمام العدة .

﴿ إِلا أَن يأتين بفاحشة مبيئة ﴾ أي: بأمر قبيح واضح، موجب لإخراجها، بحيث يدخل على أهل البيت الضرر من عدم إخراجها، كالأذى بالأقوال والأفعال الفاحشة، ففي هذه الحال يجوز لهم إخراجها، لأنها هي التي تسببت لإخراج نفسها، والإسكّان فيه جبر لخاطرها، ورفق بها، فهي التي أدخلت الضرر على نفسها(٢)، وهذًا في المعتدة الرجعية، وأما البائن، فليس لها سكني واجبة، لأن السكن تبع

- (٤) كذا في ب، وفي أ: فإن.
  - كذا في ب، وفي أ: يجب للزوجة (0)

(٣) في ب: بل تلزم بيتها.

(1)

(٢)

في ب: وأنواع التكاليف.

زيادة من هامش: ب.

(٦) في ب: عليها.

....

للنفقة، والنفقة تجب للرجعية دون البائن، ﴿وتلك حدود اللهِ [أي:] التي حدها لعباده وشرعها لهم، وأمرهم بلزومها والوقوف معهاء ﴿ومن يتعد حدود الله ﴾ بأن لم يقف معها، بل تجاوزها، أو قصر عنها، ﴿فقد ظلم نفسه ﴾ أي: بخسها حظها، وأضاع نصيبه من اتباع حدود الله التي هي الصلاح في الدنيا والأخرة. ﴿لا تدري لعل آلله يحدث بعد ذلك أمراً ﴾ أي: شرع الله العدة، وحدد الطلاق بها، لحكم عظيمة: فمنها: أنه لعل الله يحدث في قلب المطلق الرحمة والمودة، فيراجع من طلقها، ويستأنف عشرتها، فيتمكّن من ذلك مدة العدة، أو لعله يطلقها لسبب منها، فيزول ذلك السبب في مدة العدة ، فيراجعها لانتفاء سبب الطلاق.

ومن الحكم: أنها مدة التربص، يعلم براءة رحمها من زوجها.

وقوله: ﴿فَإِذَا بِلَغُنْ أَجِلَهِنَ ﴾ أي: إذا قاربن انقضاء العدة، لأنهن لو خرجن من العدة، لم يكن الزوج غيراً بين الإمساك والفراق. ﴿فأمسكوهن بمعروف﴾ أي: على وجه المعاشرة وجه الضرار، وإرادة الشر والحبس، فإن إمساكها على هذا الوجه لا يجوز، لا عدور فيه، من غير تشاتم ولا تحاصم، ولا قهر لها على أخذ شيء من

حيه. ﴿وأشهدوا﴾ على طلاقها ورجعتها ﴿ذوي عـدل مـنكـم﴾ أي: رجلين مسلمين عدلين، لأن في الإشهاد الذكور، سداً لباب المخاصمة، وكتمان كل منهما ما يلزمه بيانه.

﴿ وَأَقْسِمُ وَالْهُ أَيْمًا السَّهِدَاءَ

﴿السهادة شُهُ أي: ائتوا بها على وجهها، من غير زيادة ولا نقص، واقصدوا بإقامتها وجه الله وحده (١)، ولا تراعوا بها قريباً لقرابته، ولا صاحباً لمحبته، ﴿ ذلكم ﴾ الذي ذكرنا لكم من الأحكام والحدود ﴿ يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ فإن من يؤمن بالله واليوم الآخر، يوجب له ذلك(٢) أن يتعظ بمواعظ الله، وأن يقدم لآخرته من الأعمال الصالحة ما تمكن منها، بخلاف من ترحل الإيمان عن قليه، فإنه لا يبالى بما أقدم عليه من الشر، ولا يعظم مواعظ الله لعدم الموجب لذلك، ولما كان الطلاق قد يوقع في الضيق والكرب والغم، أمر تعالى بتقواه، وأن (<sup>(٣)</sup> من اتقاه في الطلاق وغيره، فإن الله يجعل له فرجاً ومخرجاً.

فإذا أراد العبد الطلاق، ففعله على الوجه الشرعي، بأن أوقعه طلقة واحدة، في غير حيض ولا طهر قد وطىء فيه أن فإنه لا يضيق عليه الأمر، بل جعل الله له فرجاً وسعة يتمكن فيها من مراجعة النكاح (٥٠)، إذا ندم على الطلاق، والآية، وإن كانت في سياق الطلاق والرجعة، فإن العبرة بعموم اللفظ، فكل من اتقى الله تعالى، ولازم مرضاة الله في جميع احواله، فإن الله يشيبه في الدنيا والآخرة.

ومن جملة ثوابه أن يجعل له فرجاً وخرجاً من كل شدة ومشقة، وكما أن من اتقى الله جعل له فرجاً وخرجاً، فمن لم يتق الله، وقع في الشدائد والأعلال، التي لا يقدر على التخلص منها والخروج من تبعتها، واعتبر ذلك بالطلاق، فإن العبد إذا لم يتق الله فيه، بل أوقعه على الوجه

الَّهِ يَكُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُ مِن وُجُدِكُمُ وَلَالْفَسَآزُوهُنَّ لِلْفَسَيْقُولُ عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلَنتِ مَثْلَ فَأَنِفَقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعُنَ مَلَّهُنَّ فَإِنْ أَيْضَعَنَ لَكُوْفَنَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَغَرُواْ بَيْنَكُمْ عِتَعُرُفَطِّ وَإِن تَعَاسَرْتُهُ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥ أَخْرَىٰ ۞ لِينُفِقُ ذُوسَعَةِ مِن سَعَيْدٍ. وَمَن قُدِرَعَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْمُدُغِقْ مِثَآءَاتَنهُ ٱللَّهُ لَا يُكُلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا الْامَآءَانَاهَأُ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَعُسْرُفُسُرُ ۞ وَكَأَيْنَ مِن قَرْيَةٍ عَتَتَ عَنْ أَمْرِ دَيْهَا وَرُسُلِهِ عَلَسَبْنَهَا حِسَالًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَهُا عَذَابَا ثُكُولَ ۞ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَلَيْمَةُ أَمْرِهَا خُسَرًا ۞ أَعَدَا لَقَهُ لَمُمْ عَذَا لَا شَدِيدًا فَأَنْقُوا اللَّهَ يَأُولِ ٱلْأَلْبُ إِلَّذِينَ المَنُوْأَقَدَ أَرْلَ اللَّهُ إِلَيْكُوذِكُونَ لِي رَّسُولَا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ الْسِياللَّهِ مُيتنت لِيُحْرَجُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعِيلُوا الصَّلِحَتِ مِنَ الظُّلُكَ إِلَى ٱلنَّورْوَمَن يُؤْمِن بِأَلْقِو تَيَّمَلُ صَلِيحًا يُدَّخِلُهُ جَنَّاتٍ تَعْرِى مِن تَحْيَمُ ٱلْأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدُّ أَحْدَ أَحْسَنَ ٱللَّهُ أَدِرُوقًا ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَنْبَعَ سَنَوَتِ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنَكُلُ الْأَمْرُينَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَتَ إِنَّ اللَّهُ عَلَىكُ إِنْنَىءِ قَلِيرٌ وَأَنَّاللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ ثَنَّىءٍ عِلْمُأْتُ 020 001 EDROVA

المحرم، كالثلاث ونحوها، فإنه لا بد أن يندم ندامة لا يمكنه استدراكها(٢٦) والخروج منها.

وقـوله: ﴿ويسرزقه من حيث لا يحتسب﴾ أي: يسوق الله الرزق للمتقي، من وجه لا يحتسبه ولا يشعر

ومن يتوكل على الله أي: في أمر دينه ودنياه، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ويثق به في تسهيل ذلك ﴿فهو حسبه ﴾ أي: كافيه الأمر الذي توكل عليه به، وإذا كان الأمر في كفالة الغني القوي من كل شيء، ولكن ربما أن الحكمة الإلهية اقتضت تأخيره إلى الوقت بالغ أمره أي: لا بد من نفوذ قضائه بالغ أمره أي: لا بد من نفوذ قضائه وقدره، ولكنه ﴿قدجعل الله لكل شيء قدراً ﴾ أي: وقتاً ومقداراً، شيء قدراً إلى التعدا ولا يقصر عنه.

و 1 \_ ق أ واللاتي يشسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعلتهن

<sup>(</sup>١) في ب: وجه الله تعالى.

<sup>(</sup>٢) في ب: فإنَّ الإيمان بالله، واليوم الآخر يوجب لصاحبه.

<sup>(</sup>٣) في ب: ووعد من.

<sup>(</sup>٤) في ب: ولا طهر أصابها فيه.

<sup>(</sup>٥) في ب: يتمكن بها من الرجوع إلى النكاح.

<sup>(</sup>٦) في ب: لا يتمكن من استداركها.

سين التجارية المتعاقدة التجارية المتعاقدة التجارية التجا

ثلاثة أشهر واللاثي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً \* ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً لا ذكر تعالى أن الطلاق المأمور به يكون لعدة النساء، ذكر تعالى العدة، فقال:

واللائي يئسن من المحيض من نسائكم بأن كن يحضن، ثم ارتفع حيضهن، لكبر أو غيره، ولم يُرْجَ رجوعه، فإن عدتها ثلاثة أشهر، جعل لكل شهر، مقابلة حيضة.

﴿ واللائي لم يحضن ﴾ أي: الصغار السلائي لم يعضن ﴾ أي: الصغار والبالغات (١) اللاتي لم يأتهن حيض بالكلية، فإنهن كالأيسات، عدتهن ثلاثة أشهر، وأما اللائي يحضن، فسذكسر الله عسدتهن فسي قسوله: ﴿ والطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾. [وقوله:] ﴿ وأولات الأحمال

أجلهن أي: عدتهن ﴿أن يضعن هملهن أي: جميع ما في بطونهن ، من واحد، ومتعدد، ولا عبرة حينئذ بالأشهر ولا غيرها، ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ﴾أي: من اتقى الله تعالى، يسر له الأمور، وسهًل عليه كل عسير. ﴿ذلك ﴾[أي:] الحكم الذي بينه الله لكم ﴿أمر الله وتقوموا به وتعظموه.

﴿ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً﴾أي: يندفع عنه المحذور، ويحصل له المطلوب.

﴿٦ - ٧﴾ ﴿اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى \* لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلاما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً ﴾ تقدم أن الله نهى عن إخراج ألطلقات عن البيوت، وهنا أمر بإسكانهن، وقدر الإسكان(٢) بالمعروف، وهو البيت الذي يسكنه مثله ومثلها، بحسب وبجد النزوج وعسسره، ﴿ولا تبضاروهمن لتضيقوا عليهن أي: لا تضاروهن عند سكناهن بالقول أو الفعل، لأجل أن يمللن، فيخرجن من البيوت قبل تمام العدة، فتكونوا أنتم المخرجين لمهن وحناصل هنذا أنبه نهني عن إخراجهن، ونهاهن عن الخروج، وأمر بسكناهن، على وجه لا يحصل عليهن

ضرر ولا مشقة، وذلك راجع إلى العرف، ﴿وإن كن ﴿أَي: المطلقات ﴿أُولَاتِ حَمَلِ فَأَنْفَقُوا عِلَيْهِنِ حِتَّى يضعن حملهن وذلك لأجل الحمل الذي في بطنها، إن كانت بائناً، ولها ولحملها إن كانت رجعية، ومنتهى النفقة حتى يضعن حملهن (٣)، فإذا وضعن حملهن، فإما أن يرضعن أولادهن أو لا، ﴿فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن﴾المسماة لهن، إنْ كان مسمى، وإلا فأجر المثل، ﴿وائتمروا بينكم بمعروف﴾أي: ليأمر كل واحد من الزوجين ومن غيرهما الآخر بالمعروف، وهو كل ما فيه منفعة ومصلحة في الدنيا والآخرة، فإن الغفلة عن الاتّتمار بالمعروف، يحصل فيه(٤) من الشر والضرر، ما لا يعلمه إلا الله، وفي الانتمار تعاون على البر والتقوى، وتما يناسب هذا المقام، أن الزوجين عند الفراق وقت العدة، خصوصاً إذا ولدلهما(٥) ولدفي الغالب يحصل من التنازع والتشاجر لأجل النفقة عليها وعلى الولدمع الفراق، الذي في الغالب ما يصدر إلا عن بغض، ويتأثر منه البغض شيء

فكل منهما يؤمر بالمعروف، والمعاشرة الحسنة، وعدم المشاقة والمخاصمة(٧)، وينصح على ذلك.

﴿وإن تعاسرتم ﴾ بأن لم تتفقوا (^) على إرضاعها لولدها، فلترضع (^) له أخرى غيرها ﴿فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف ﴾ وهذا حيث كان الولد يقبل نُدي غير أمه، فإن لم يقبل إلا ثدى أمه، تعينت لإرضاعه،

<sup>(</sup>١) في ب: أو البالغات.

<sup>(</sup>٢) في ب: إسكانهن.

 <sup>(</sup>٣) في ب: إلى وضع الحمل.

<sup>(</sup>٤) في ب: فيها.

<sup>(</sup>٥) في ب: بينهما.

<sup>(</sup>٦) في ب: الذي لا يحصل في الغالب إلا مقروناً بالبغض فيتأثر من ذلك شيء كثير.

<sup>(</sup>٧) في ب: والمنازعة.

<sup>(</sup>A) في ب: بأن لم يتفق الزوجان.

<sup>(</sup>٩) في ب: فسترضع له أخرى.

ووجب عليها، وأجبرت إن امتنعت، وكان لها أجرة المثل إن لم يتفقا على مسمى، وهذا مأخوذ من الآية الكريمة من حيث المعنى، فإن الولد لما كان في بطن أمه مدة الحمل، ليس له خروج منه(١)، عينٌ تعالى على وليه النفقة، فلما ولد، وكان يمكن (٢) أن يتقوت من أمه ومن غيرها، أباح تعالى الأمرين، فإذا كان بحالة لا يمكن أن يتقوت إلا من أمه كان بمنزلة الحمل، وتعينت أمه طريقاً لقوته، ثم قدر تعالى النفقة، بحسب حال الزوج، فقال: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ﴾ أي: لينفق الغنى من غناه، فلا ينفق نفقة الفقراء.

و من قدر عليه رزقه اي: ضيق عليه ﴿ فلينفق مما آتاه الله ﴾ من الرزق. ﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ﴾ وهذا مناسب للحكمة والرحمة الإلهية حيث جعل كلاً بحسبه، وخفف عن المعسر، وأنه لا يكلفه إلا ما آتاه، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، في باب النفقة وغيرها. ﴿سيجعل الله بعد عسر يسرأ وهذه بشارة للمعسرين، أن الله تعالى سيزيل عنهم الشدة، ويرفع عنهم المشقة، ﴿ فَإِنْ مَعَ الْعَسر يسراً \* إن مع العسر يسراً .

﴿٨ \_ ١١ ﴾ ﴿وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً \* فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً \* أعد الله لهم عذاباً شديداً فاتقوا الله يا أولى الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً \* رسولاً يتلوعليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدأ قد أحسن الله له رزقاً ﴾ يخبر تعالى عن إهلاكه الأمم العاتية، والقرون المكذبة للرسل أنَّ كثرتهم وقوتهم، لم تنفعهم (٣) شيئاً، حين جاءهم الحساب الشديد، والعذاب الأليم، وأن الله أذاقهم من

العذاب ما هو موجب أعمالهم السيئة، ومع عذاب الدنيا، فإن الله أعد لهم في الآخرة عذاباً شديداً ، ﴿ فَاتَّقُوا اللهُ يا أولى الألباب أي: يا ذوى العقول، التي تفهم عن الله آياته وعبره، وأن الذي أهلك القرون الماضية بتكذيبهم، أن من بعدهم مثلهم، لا فرق بين الطائفتين، ثم ذكر عباده المؤمنين بما أنزل عليهم من كتابه، الذي أنزله على رسوله محمد على البخرج الخلق من ظلمات الكفر والجهل والعصية، إلى نور العلم والإيمان والطاعة، فمن الناس من آمن به، ومنهم من لم يؤمن [به]، ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً ﴾ من الواجبات والمستحبات.

﴿ يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴾ فيها من النعيم المقيم، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ﴿خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً ﴾ [أي:] ومن لم يؤمن بالله ورسوله، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.

﴿١٢﴾ ﴿اللهُ اللهُ على سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾ [ثم] أخبر [تعالى] أنه خلَّق الخلق من السماوات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن قيهن، وما بينهن، وأنزل الآمر، وهو الشرائع والأحكام الدينية التي أوحاها إلى رسله لتذكير العباد ووعظهم، وكذلك الأوامر الكونية والقدرية التي يدبر بها الخلق، كل ذلك لأجل أن يعرفه العباد ويعلموا إحاطة قدرته بالأشياء كلها، وإحاطة علمه بجميع الأشياء فإذا عرفوه بأوصافه المقدسة وأسمائه الحسنى، وعبدوه وأحبوه وقاموا بحقه، فهذه الغاية المقصودة من الخلق والأمر معرفة الله وعبادته، فقام بذلك الموفقون من عباد الله الصالحين، وأعرض عن ذلك الظالمون المعرضون

[تم تفسيرها والحمد لله]

اليَّنَايُّهَا الَّذِيرَ عَامَنُواْ قُولُوا إِلَى اللَّهِ قَوْبَةً نَصَّوَحًا عَسَىٰ رَجُكُمُ أَنْ تُكُفِّرَ عَنَكُمْ سَيْعَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّتِ تَحْيِهِ مِن تَعْيَمَا ٱلأَنْهَارُيُوْمَ لا يُغْذِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّ وَٱلَّذِيكَ ءَامْنُواْ مَعَكُّمُ وْرُهُمْ يَسْتَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِ رَوَبالْقَلْيَهِ رَبَعُولُوكَ رَبَّناً أَيُّمْ لَنَا وُرَنَا وَاغْفِرُ لِنَا أَأَنَكَ عَلَى كَلَ مَنْ وَقِيدً ﴿ يَنَأَيُّهَا ٱلْنَيْنُ جَهِدِ ٱلْكُفَّارَوَ ٱلْمُنْفِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِ وْمَأْوَنَعْمُ جَهَ مُرَّةً وَبِنْسَ ٱلْمَصِيرُ ۞ صَرَّبَ اللَّهُ مَنْكُ لِلَّذِيبَ كَفَنُواْ أمِّرَأَنَ وَج وَأَمْرَأَتَ لُولِ كَانْنَا تَحْتَ عَسْبُنَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا مَدَيْكَ مِنْ فَكَ اَنْكَاهُمَا فَكَذَّ يُغِيْبَ اعْنَهُ كَامِنَ اللَّهِ شَيْنًا وَقِيلَ أَدْخُ لَا النَّكَارُ مَعَ الدَّيْظِينَ ۞ وَضَرَبَ آلَةُ مُشَكِّلًا لِلَّذِينَ وَامْتُواْ امْرَأَتَ فِرْغَوْبَ إِذْ فَالْتُ رَبِّ آن لي عِندَادَ يَيْنَا فِي الْجَنَدَةِ وَنَجْنِي مِن فِرْعُوْ وَعَكَيْلِهِ ، وَيَعْفِي مِنَ الْقَوْمِ الفَّلَالِمِينَ ۞ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَتَ ٱلْمَيِّ أَحْصَلَتْ فَرْجَهَكَ الْمُفَخِّنَ إِنِيهِ مِن زُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَكْتِ رَبِهَا وَكُنْ مِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَالِيْدِينَ ۞ A DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF THE PROPERTY

#### تفسير سورة التحريم [وهي] مدنية

﴿١ \_ ٥﴾ ﴿ سِم الله السرحمين الرحيم يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم \*قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم \* وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنباك هذا قال نبأن العليم الخبير \* إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير \* عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائسات عابدات سائحات ثيباتٍ وأبكاراً هذا عتاب من الله لنبيه محمد على نفسه سريته «مارية» أو شُرب العسل، مراعاة لخاطر بعض زوجاته، في قصة معروفة، فأنزل الله [تعالى] هذه الآيات ﴿ يا أيها النبي ﴾ أي: يا أيها الذي أنعم الله عليه بالنَّيوة والوحي والرسالة ﴿ لم تحرم ما أحل الله لك من الطيبات التي أنعم الله بها عليك وعلى أمتك.

الذي المنافعة المناف

﴿ تبتغي ﴾ بذلك التحريم ﴿ مرضاة أزواجك والله غفور رحيم ﴾ هذا تصريح بأن الله قد غفر لرسوله، ورفع عنه اللوم، ورحمه، وصار ذلك التحريم الصادر منه سبباً لشرع حكم عام لجميع الأمة، فقال تعالى حاكماً حكماً عاماً في جميع الأيمان:

وقد فرض الله لسكسم تحسلة أيمانكم (١) أي: قد شرع لكم، وقدر ما به تنحل أيمانكم قبل الحنث، وما به الكفارة (٢) بعد الحنث، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إلى أن قال: ﴿فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم ﴾.

مَن حرم حلالاً عليه، من طعام أو شراب أو سرية، أو حلف يميناً بالله، على فعل أو ترك، ثم حنث

أو أراد الحنث، فعليه هذه الكفارة المذكورة، وقوله: ﴿والله مولاكم﴾ أي: متولي أموركم، ومربيكم أحسن تربية، في أمور دينكم ودنياكم، وما به تعلم الشر، فلذلك فرض لكم تعلم المحكيم﴾ الذي أحاط علمه بظواهركم وبواطنكم، وهو الحكيم في جيع ما خلقه وحكم به، فلذلك شرع لكم من الأحكام، ما يعلم أنه موافق لمصالحكم، ومناسب لأحوالكم.

[وقوله: ] ﴿وإِذْ أُسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً عال كثير من المفسرين: هِي حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، أُسَّرُ لها النبي على حديثاً، وأمر أن لا تخبر به أحداً، فحدثت به عائشة رضى الله عنهما، وأخبره الله بذلك الخبر الذي أذاعته، فعرَّفها ﷺ ببعض ما قالت، وأعرض عن بعضه، كرماً منه على وحلماً، ف ﴿قالت ﴾ له: ﴿من أنبأك هذا﴾ الخبر الذي لم يخرج منا؟ ﴿قال نبَّأْنِ العليم الخبير ﴾ الذي لا تخفى عليه خافية ، يعلم السر وأخفى، [وقوله:] ﴿إِن تَتُوبًا إِلَى اللهِ فقد صغت قلوبكما ﴾ الخطاب للزوجتين الكريمتين من أزواجه ﷺ عائشة وحفصة رضي الله عنهما، كانتا سبباً لتحريم النبي على نفسه ما يحبه، فعرض الله عليهما التوبة، وعاتبهما على ذلك، وأخبرهما أن قلوبهما(۳) قد صغت أي: مالت وانحرفت عما ينبغي لهن، من الورع والأدب مع الرسول على واحترامه، وأن لا يشققن عليه، ﴿وإن تظاهرا عليه أي: تعاونا(٤) على ما يشق

عليه، ويستمر هذا الأمر منكن،

﴿ فَإِنَ اللّه هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير أي: الجميع أعوان للرسول، مظاهرون، ومن كان هؤلاء أعوانه (٥٠) فهو المنصور، وغيره ممن يناوته مخذول (١٠) المرسلين، حيث جعل الباري نفسه [الكريمة]، وخواص خلقه، أعوانا لهذا الرسول الكريم.

وهذا فيه من التحذير للزوجتين الكريمتين ما لا يخفى، ثم خوفهما أيضاً بحالة تشق على النساء غاية المشقة، وهو الطلاق، الذي هو أكبر شيء عليهن، فقال: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن﴾ أي: فلا ترفعن عليه، فإنه لو طلقكن، لم يضق(٧) عليه الأمر، ولم يكن مضطراً إليكن، فإنه سيلقى (٨)، ويبدله الله أزواجاً خيراً منكن، ديناً وجمالاً، وهذا من باب التعليق الذي لم يوجد، ولا يلزم وجوده، فإنه ما طلقهن، ولو طلقهن، لكان ما ذكره الله من هذه الأزواج الفاضلات، الجامعات بين الإسلام، وهو القيام بالشرائع الظاهرة، والإيمان، وهو: القيام بالشرائع الباطنة، من العقائد وأعمال القلوب.

السقنوت هو دوام السطاعة واستمرارها، ﴿تائبات﴾ عما يكرهه الله، فوصفهن بالقيام بما ﴿ثيبات وأبكاراً﴾ أي: بعضهن ثيب، وبعضهن أبكار، ليتنوع ﷺ فيما يحب، فلما سمعن رضي الله عنهن هذا التخويف والتأديب، بادرن إلى رضا رسول الله ﷺ، فكان هذا

<sup>(</sup>١) في ب: فقال تعالى: ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ وهذا عامٌ في جميع أيمان المؤمنين.

<sup>(</sup>۲) فی ب: وما به تتکفر.

<sup>(</sup>٤) في ب: تتعاونا.

<sup>(</sup>٥) في ب: أنصاره. . .

<sup>(</sup>٦) في ب: وغيره أن يناوئه فهو مخذول.

<sup>(</sup>٧) في ب: لا يضيق.

<sup>(</sup>٨) في ب: سيجد.

الوصف منطبقاً عليهن، فصرن أفضل نساء المؤمنين، وفي هذا دليل على أن الله لا يختار لرسوله ﷺ إلا أكمل الأحوال وأعلى الأمور، فلما اختار الله لرسوله بقاء نسائه المذكورات معه دل على أنهن خير النساء وأكملهن.

﴿ ₹ ﴿ حِيا أَيها النّين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون ﴾ أي: يا من مَنَّ الله عليهم بالإيمان، قوموا بلوازمه وشروطه.

ف ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ موصوفة بهذه الأوصاف الفظيعة، ووقاية الأنفس بإلزامها أمر الله، والقيام بأمره امتثالاً، ونهيه اجتناباً، والتوبة عما يسخط الله ويوجب العذاب، ووقاية الأهل [والأولاد]، أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه، وفيما يدخل أعمت ولايته من الزوجات والأولاد وغيرهم عن هو تحت ولايته وتصرفه.

ووصف الله الناربهذه الأوصاف، ليزجر عباده عن التهاون بأمره، فقال: ﴿وقودها الناس والحجارة﴾ كما قال تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون). ﴿عليها ملائكة غلاظ شداد﴾ أي: غليظة أخلاقهم، عظيم (٢) انتهارهم، يفزعون بأصواتهم، ويخيفون(٣) بمرآهم، ويهينون أصحاب النبار بقوتهم، ويمتثلون(٤) فيهم أمر الله، الذي حتَّم عليهم العذاب(٥) وأوجب عليهم شدة العقاب، ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ وهذا فيه أيضاً مدح للملائكة الكرام، وانقيادهم لأمر الله، وطاعتهم له في كل ما أمرهم به.

﴿٧﴾ ﴿يا أيها اللذين كفروا

لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون أي: يوبخ أهل النار يوم القيامة بهذا التوبيخ، فيقال لهم: ﴿يا أَيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم ﴿ وَأَي : ] فإنه ذهب وقت الاعتذار، وزال نفعه، فلم يبق الآن إلا الجزاء على الأعمال، وأنتم لم تقدموا إلا الكفر بالله، والتكذيب بأياته، ومحاربة رسله وأوليائه.

﴿٨﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيثاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيءً قدير﴾ قد أمر الله بالتوية النصوح في هذه الآية، ووعد عليها بتكفير السيئات، ودخول الجنات، والفوز والفلاح، حين يسعى المؤمنون يوم القيامة بنور إيمانهم، ويمشون بضيائه، ويتمتعون بروحه وراحته، ويشفقون إذا طفئت الأنوار، التي تعطي المنافقين، ويسألون الله، أنّ يتمم<sup>(٢)</sup> لهم نورهم، فيستجيب الله دعوتهم، ويوصلهم ما(٧) معهم من النور واليقين، إلى جنات النعيم، وجوار الرب الكريم، وكل هذا من آثار التوبة النصوح.

والمراد بها: التوبة العامة الشاملة للذنوب كلها، التي عقدها العبد لله، لا يريد بها إلا وجهه (^) والقرب منه، ويستمر عليها في جميع أحواله.

﴿٩﴾ ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واخلظ عليهم ومأواهم جهنم وبنس المصير ﴾ يأمر [الله] تعالى نبيه ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين، والإغلاظ عليهم في ذلك، وهذا شامل لجهادهم بإقامة الحجة [عليهم ودعوتهم] بالموعظة الحسنة (٩)، وإبطال

ما هم عليه من أنواع النضلال، وجهادهم بالسلاح والقتال لمن أبى أن يجيب دعوة الله وينقاد لحكمه، فإن هذا يجاهد ويغلظ له، وأما المرتبة الأولى، فتكون بالتي هي أحسن، فالكفار والمنافقون لهم عذاب في الدنيا، بتسليط الله لرسوله وحزبه [عليهم و] على جهادهم وقتالهم، وعذاب النار في الآخرة وبئس المصير، الذي يصير إليها كل شقى خاسر.

﴿١٠ ـ ١٢﴾ ﴿ ضرب الله مشلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين \* وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين \* ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين المذان المثلان اللذان ضربهما الله للمؤمنين والكافرين، ليبين لهم أن اتصال الكافر بالمؤمن وقربه منه لا يفيده شيئاً، وأن اتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئاً مع قيامه بالواجب عليه.

فكأن في ذلك إشارة وتحذيراً لزوجات النبي على عن المعصية، وأن اتصالهن به على لا ينفعهن شيئاً مع الإساءة، فقال:

وضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا أي: المرأتان وتحت عبدين من عبادنا صالحين وهما نوح ولوط عليهما السلام.

﴿فَخَانتاهما ﴾ في الدين ، بأن كانتا على غير دين زوجيهما ، وهذا هو المراد بالخيانة ، لا خيانة النسب والفراش ، فإنه ما بغت امرأة نبي قط ، وما كان الله ليجعل امرأة أحد من أنبيائه

في ب: بالعذاب. (٨) في ب: إلا وجه الله.

<sup>(</sup>٩) كذا في ب، وفي أ: بإقامة الحجة

والموعظة الحسنة .

<sup>(</sup>ه) نے

<sup>(</sup>٦) في ب: يتم.

<sup>(</sup>٣) في ب: ويزعجون.(٧) في ب: بما.

<sup>(</sup>٤) في ب: وينفذون.

<sup>(</sup>١) في ب: وفيمن يدخل.

<sup>(</sup>٢) في ب: شديد.

بغياً، ﴿فلم يغنيا﴾ أي: نوح ولوط ﴿عنهما﴾ أي: عن امرأتيهما ﴿من الله شيئاً وقيل﴾ لهما ﴿ادخلا النار مع الداخلين﴾.

﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون﴾ وهي آسية بنت مزاحم رضى الله عنها ، ﴿إِذْ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجّني من فرعون وعمله ونجّني من القوم الظالمين) فوصفها الله بالإيمان والتضرع لربها، وسؤالها لرما أجل الطالب، وهو دخول الجنة، ومجاورة الرب الكريم، وسؤالها أن ينجيها الله من فتنة فرعون وأعماله الخبيثة، ومن فتنة كل ظالم، فاستجاب الله لها، فعاشت في إيمان كامل، وثبات تام، ونجاة من الفتن، ولهذا قال النبى على: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». [وقوله:] ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها ﴾ أي: صانته وحفظته عن الفاحشة، لكمال دیانتها، وعفتها، ونزاهتها.

﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾ بأن نفخ جبريل [عليه السلام] في جيب درعها، فوصلت نفخته إلى مريم، فجاء منها عيسى ابن مريم [عليه السلام]، الرسول الكريم والسيد العظيم.

﴿وصدقت بكلمات ربها وكتبه ﴾
وهذا وصف لها بالعلم والمعرفة، فإن
التصديق بكلمات الله، يشمل كلماته
الدينية والقدرية، والتصديق بكتبه،
يقتضي معرفة ما به يحصل التصديق،
ولا يكون ذلك إلا بالعلم والعمل،
[ولهذا قال] ﴿وكانت من القانتين﴾
اي : المطيعين لله، المداومين على
طاعته (١) بخشية وخشوع، وهذا
وصف لها بكمال العمل، فإنها
رضى الله عنها صديقة، والصديقية:

هي كمال العلم والعمل. تمت ولله الحمد

#### تفسير سورة الملك [وهي] مكية

﴿١ - ٤ ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير \* الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور \* الذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور \* ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسشا وهو حسير ﴾ ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ أي: تعاظم وتعالى، وكثر خيره، وعم إحسانه، من عظمته أن بيده ملك العالم العلوي والسفلي، فهو الذي خلقه، ويتصرف فيه بما شاء، من الأحكام القدرية، والأحكام الدينية، التابعة لحكمته، ومن عظمته، كمال قدرته التي يقدر بها على كل شيء، وبها أوجد ما أوجد من المخلوقات العظيمة، كالسماوات والأرض.

وخلق الموت والحياة أي: قدر لعباده أن يحييهم ثم يميتهم؛ وليبلوكم أيكم أحسن عملا أي: أخلصه وأصوبه، فإن (٢) الله خلق عباده، وأخرجهم لهذه الدار، وأخبرهم أنهم سينقلون منها، وأمرهم ونهاهم، وابتلاهم بالشهوات المعارضة لأمره، فمن انقاد لأمر الله وأحسن العمل، أحسن الله له الجزاء في الدارين، ومن مال مع شهوات النفس، ونبذ أمر الله، فله شر الجزاء.

وهو العزيز أالذي له العزة كلها، التي قهربها جميع الأشياء، وانقادت له المخلوقات.

والغفور) عن المسيئين والقصرين والمذنين، خصوصاً إذا تابوا وأنابوا، فإنه يغفر ذنوبهم، ولو بلغت عنان السماء، ويستر عيوبهم، ولو كانت

مل الدنيا، ﴿الذي خلق سبع سماوات طباقاً﴾ أي: كل واحدة فوق الأخرى، ولسن طبقة واحدة، وخلقها في غاية الحسن والإتقان، ﴿ما ترى في خلق المرحمن من تفاوت﴾ أي: خلل ونقص.

وإذا انتفى النقص من كل وجه، صارت حسنة كاملة، متناسبة من كل وجه، في لونها وهيئتها وارتفاعها، وما فيها من الشمس والقمر والكواكب النيرات، الثوابت منهن والسيارات.

ولما كان كمالها معلوماً، أمر [الله] تعالى بتكرار النظر إليها والتأمل في أرجائها، قال:

﴿فارجع البصر﴾ أي: أعده إليها، ناظراً معتبراً ﴿هل ترى من فطور﴾ أي: نقص واختبلال، ﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ والمراد بذلك: كثرة التكرار ﴿ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾ أي: عاجزاً عن أن يرى خللاً أو فطوراً، ولو حرص غاية الحرص.

ثم صرح بذكر حسنها، فقال:

﴿٥ - ١٠ ﴾ ﴿ولقد زينا السماء
الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً
للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير \*
وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم
وبئس المصير \* إذا ألقوا فيها سمعوا
لها شهيقاً وهي تفور \* تكاد تميز من
الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم
خزنتها ألم يأتكم نذير \* قالوا بلى قد
جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من
وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في
أصحاب السعير ﴾

أي: ولقد جملنا ﴿السماء الدنيا﴾ التي ترونها وتليكم، ﴿بمصابيع﴾ وهي النجوم، على اختلافها في النور والضياء، فإنه لولا ما فيها من النجوم، لكان سقفاً مظلماً، لا حسن فيه ولا جال.

ولكن جعل الله هذه النجوم زينة

طاعة الله.

<sup>(</sup>١) في ب: أي المداومين على (٢) في ب: وذلك أن.

للسماء [وجمالا]، ونوراً وهداية يهتدي بها في ظلمات البر والبحر، ولا ينافي إخباره أنه زين السماء الدنيا بمصابيح، أن يكون كثير من النجوم فوق السماوات السبع، فإن السماوات شفافة، وبذلك تحصل الزينة للسماء الدنيا، وإن لم تكن الكواكب فيها، ﴿وجعلناها﴾ أي: الصابيح ﴿رجوماً للشياطين الذين يريدون استراق خبر السماء، فجعل الله هذه النجوم حراسة للسماء عن تلقف الشياطين أخبار الأرض، فهذه الشهب التي ترمى من السنجوم، أعدها الله في الدنيا للشياطين، ﴿واعتدنا لهم ﴾ في الآخرة ﴿عداب السعير ﴾ لأنهم تمردوا على الله، وأضلوا عباده، ولهذا كان أتباعهم من الكفار مثلهم، قد أعد الله لهم عذاب السعير، فلهذا قال: ﴿وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير ﴾ الذي يهان به أهله (١) غاية الهوان، ﴿إذا ألقوا فيها ﴿ على وجه الإهانة والذل ﴿سمعوا لها شهيقاً أي: صوتاً عالياً فظيعاً، (تكاد غيز من الغيظ) أي: تكاد على اجتماعها أن يفارق بعضها بعضاً، وتتقطع من شدة غيظها على الكفار، فما ظنك ما تفعل بهم، إذا حصلوا فيها؟!! ثم ذكر توبيخ الخزنة لأهلها، فقال: ﴿كلما ألقي قيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ﴾؟ أي: حالكم هذا واستحقاقكم النار، كأنكم لم تخبروا عنها، ولم تحذركم النذر منها، ﴿قالوا بلي قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير ﴾ فجمعوا بين تكذيبهم الخاص، والتكذيب العام بكل ما أنزل الله ولم يكفهم ذلك، حتى أعلنوا بضلال الرسل المنذرين وهم الهداة المهتدون، ولم يكتفوا بمجرد الضلال، بل جعلوا ضلالهم ضلالاً كبيراً، فأيُّ عناد وتكبّر وظلم يشبه هذا؟

**﴿وقالوا﴾** معترفين بعدم أهليتهم للهدى والرشاد: ﴿ لُو كِنَا نُسْمِعِ أُو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ فنفوا عن أنفسهم طرق الهدي، وهي السمع لما أنزل الله، وجاءت بـ الرسل، والعقل الذي ينفع صاحبه، ويوقفه على حقائق الأشباء، وإبثار الخير، والانزجار عن كل ما عاقبته ذميمة، فلا سمع [لهم] ولا عقل، وهذا بخلاف أهل اليقين والعرفان، وأرباب الصدق والإيمان، فإنهم أيدوا إيمانهم بالأدلة السمعية، فسمعوا ما جاء من عند الله، وجاء به رسول الله علماً ومعرفة وعملاً.

والأدلة العقلية: المعرفة للهدى من الضلال، والحسن من القبيح، والخير من الشر، وهم في الإيمان ـ بحسب ما منَّ الله عليهم به من الاقتداء بالمعقول والمنقول، فسبحان من يختص بفضله من يشاء، ويمن على من يشاء من عباده، ويخذل من لا يصلح للخير.

قال تعالى عن هؤلاء الداخلين للنار، المعترفين بظلمهم وعنادهم:

﴿١١﴾ ﴿فاعترنوا بذنبهم فسحقاً الأصحاب السعير ﴾ أي: بُغُداً لهم وخسارة وشقاء.

فما أشقاهم وأرداهم، حيث فاتهم ثواب الله، وكانوا ملازمين للسعير، التي تستعر في أبدانهم، وتطلع على أفئدتهم!

﴿١٢﴾ ﴿إِن اللَّذِينَ يَحْشُونَ رَبِّهِم بالغيب لهم مغفرة وأجرٌ كبير، لا ذكر حالة الأشقياء الفجار، ذكر حالة السعداء الأبرار(٢)، فقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ يخشون ربهم بالغيب كاأي: في جميع أحوالهم، حتى في الحالة التي لا يطلع عليهم فيها إلا الله، فلا يقدمون على معاصيه، ولا يقصرون فيما أمر به'``، ﴿لهم مغفرة ﴾ لذنوبهم، وإذا غفر الله ذنوبهم، وقاهم شرها، ووقاهم عذاب

REAL OF THE PROPERTY OF THE PR وَأَيرُوا قَوْلَكُوْ أُوا جَهَرُواْ بِعِيِّ إِنَّهُ بَيْلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۞ ٱلاَيْعَلَا مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِفُ ٱلْخِيرُ ۞ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُوا لِأَرْضَ ذَلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِهَا وَكُلُوا مِن رَزَقِيَّةٍ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ۞ ءَ أَمِنتُهُمِّن فِي ٱلسَّمَاءِ أَن يَغْمِيفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ مَّوُرُ۞ أَمَّ أَمِنتُ مُنَّ فِي السَّمَاءِ أَن يُرْمِيلَ عَلَيْكُرُ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَدِيرِ ۞ وَلَقَدُكُذَبَ ٱلَّذِينَ مِن قَيْلِهِمْ فَكَيْفَكَانَ نَكِيرٍ ۞ أَوَلَرْيَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُ مُرصَّفَلَتٍ وَيَقْبِضَنَّ مَا يُتْسِكُهُنَّ إِلَّا الْزَحْنُ إِنَّهُ رِجُلُ مَنْ وِبَصِيرٌ ۞ أَمَّنْ هَلَا الَّذِي هُوَجُنْدٌ لَكُرْيَصُرُكُم مِن دُونِ الزَّحِنَ إِنَّ الْكَلْهُرُونَ إِلَّا فِي غُرُودٍ ۞ أَمَّنْ هَذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُرُ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلِ لَجُواْفِ عُمُّتِ وَنَفُورِ ﴾ أَفَن يَمْشِي مُيكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ وَأَهْدَى أَمَّن يَتْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيرٍ ٥ قُلْهُوَ ٱلَّذِي أَنشَأَكُمُ وَجَعَلَ لَكُوالسَّفَعَ وَالْأَصْرَوَالْأَقْيَةَ قَلِيلاَمَاتَشْكُرُونَ ۞ قُلْهُوَالَّذِي ذَرَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَالَّذِي تُحْتَرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَلَذَا ٱلْوَعَدُ إِن كُثُمُّ مَا لِي قِينَ الله الله الله الله الله والمناقبة والمناقبة الله الله والمناقبة الله والمناقبة الله والمناقبة الله والمناقبة والمنا ON TORONO TORONO

الجحيم، ولهم أجر كبير وهو ما أعده الله لهم في الجنة، من النعيم القيم، والملك الكبير، واللذات [المتواصلات] والمشتهيات، والقصور [والمنازل] العاليات، والحور الحسان، والخدم والولدان.

وأعظم من ذلك وأكبر رضا الرحمن، الذي يحله الله على أهل الجنان (٤٠).

﴿١٤ ـ ١٤﴾ ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور \* ألا يملم من خلق وهو اللطيف الخبير♦ هذا إخبار من الله بسعة علمه، وشمول لطفه، فقال: ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به ﴾ أي: كلها سواء لديه ، لا يخفى عليه منها خافية، ف ﴿إِنَّهُ عليم بذات الصدور ﴾ أي: بما فيها من النيات والإرادات، فكيف بالأقوال والأفعال، التي تسمع وترى؟!

ثم قال \_مستدلاً بدليل عقلي على علمه -: ﴿ أَلَا يُعلُّمُ مِنْ خَلَقٌ ﴾ فمن خلق الخلق وأتقنه وأحسنه، كيف لا يعلمه؟! ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ الذي لطف علمه وخبره، حتى أدرك السرائر والضمائر، والخبايا [والخفايا والغيوب]، وهو الذي ﴿يعلم السر

في ب: التي يهان بها أهلها.

**(Y)** 

<sup>(</sup>٣) في ب: ولا يقصرون عمّا أمرهم (٤) في ب: الذي يحله على ساكني

في ب: ذكر وصف الأبرار السعداء .

الجنان.

مَنْ اَرْوُهُ وَلِمُنَةُ مِيتِتْ وَمِوْهُ الْمِنْ كَدُهُ وَاوَقِلَ مَنَا الّذِي كُشُهُ

هِ مِنْ مَنْ عُرِالْكَ عَرِيْ مِنْ الْمَنْ يَكُو الْمُلْكِينَ اللّهُ وَمِنْ اللّهِ عَلَيْهُ وَالْمَنْ اللّهِ عَلَيْهِ وَمِنْ اللّهِ عَلَيْهِ وَمِنْ اللّهُ عِنْ اللّهِ عَلَيْهِ وَمِنْ اللّهُ عِنْ اللّهُ عَلَيْهِ وَمِنْ اللّهُ عَلَيْهِ وَمُنْ اللّهُ عَلَيْهِ وَمِنْ اللّهُ عَلَيْهِ وَمِنْ اللّهُ عَلَيْهِ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ عَلَيْهِ وَمِنْ اللّهُ وَمُنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمُنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَاللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَاللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ الللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِيلًا اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِيلًا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمِنْ الللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ ولِلْمُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّ

STATE OF THE PARTY OF THE PARTY

وأخفى ومن معاني اللطيف، أنه الذي يلطف بعبده ووليه، فيسوق إليه البر والإحسان من حيث لا يشعر، ويعصمه من الشر من حيث لا يحتسب، ويرقيه إلى أعلى المراتب بأسباب لا تكون من [العبد] على بال، حتى إنه يذيقه المكاره، ليتوصل بها إلى المحاب الجليلة، والمقامات النبيلة.

TOND TOND IN MORE TO

﴿ ١٥﴾ ﴿ هنو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ أي: هو الذي سخر لكم الأرض وذللها، لتدركوا منها كل ما تعلقت به حاجتكم، من غرس وبناء وحرث، وطرق يتوصل بها إلى الأقطار النائية والسلدان الشاسعة، ﴿ فامشوا في مناكبها ﴾ أي: لطلب الرزق والمكاسب.

﴿وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾
أي: بعد أن تنتقلوا من هذه الدار التي جعلها الله امتحاناً، وبلغة يتبلغ بها إلى الدار الآخرة، تبعثون بعد موتكم، وتحشرون إلى الله، ليجازيكم بأعمالكم الحسنة والسيئة.

﴿17 ـ 17﴾ ﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور \* أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف

نذير \* ولقد كذّب الذين من قبلهم فكيف كان نكير هدا تهديد ووعيد لمن استمر في طغيانه وتعدّيه، وعصيانه الموجب للنكال وحلول العقوبة، فقال: ﴿ المنتم من في السماء ﴾ وهو الله تعالى، العالى على خلقه.

﴿أَن يُخسف بكم الأرض فإذا هي تمور﴾ بكم وتضطرب، حتى تتلفكم وتهلككم (١٠).

﴿أُمُ أُمنتُم مِن فِي السماء أَن يُرسل عليكم حاصباً ﴾ أي: عذاباً من السماء ويصبكم، وينتقم الله منكم ونستعلمون كيف نذير ﴾ أي: كيف يأتيكم ما أنذرتكم به الرسل والكتب، فلا تحسبوا أن أمنكم من الله أن يعاقبكم بعقاب من الأرض ومن السماء ينفعكم، فستجدون عاقبة أمركم، سواء طال عليكم الزمان (٢) أو قصر، فإن من قبلكم، كذبوا كما كذبتم، فأهلكهم الله تعالى، فانظروا كيما بالعقوبة الدنيوية قبل عقوبة الآخرة، بالعقوبة الدنيوية قبل عقوبة الآخرة، فاحذروا أن يصيبكم ما أصابهم.

﴿١٩﴾ ﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم صافاتٍ ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير﴾ وهذا عتاب وحث على النظر إلى حالة الطير التي سخرها الله، وسخر لها الجو والهواء، تصف فيه أجنحتها للطيران، وتقبضها للوقوع، فتظل سابحة في الجو، مترددة فيه بحسب إرادتها وحاجتها.

﴿ما يمسكهن إلا الرحمن﴾ فإنه اللذي سخر لهن الجو، وجعل أجسادهن وخلقتهن (٣) في حالة مستعدة للطيران، فمن نظر في حالة الطير واعتبر فيها، دلته على قدرة الباري وعنايته الربانية، وأنه الواحد الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ﴿إنه بكل شيء بصير﴾ فهو المدبر لعباده بما يلق بهم، وتقتضيه حكمته.

﴿٢١ \_ ٢١﴾ ﴿أَمِّن هذا الذي هو جندٌ لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور \* أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور ، يقول تعالى للعتاة النَّافرينُ عن أمره، المعرضين عن الحق: ﴿أمن هذا الذي هو جندٌ لكم ينصركم من دون الرحمن ﴾ أي: ينصر كم إذا أراد بكم الرحن سوءاً، فيدفعه عنكم؟ أي: من الذي ينصركم على أعدائكم غير الرحمن؟ فإنه تعالى هو الناصر المعز المذل، وغيره من الخلق لو اجتمعوا على نصر عبد، لم ينفعوه مثقال ذرة، على أيُّ عدوٌّ كان ، فاستمرار الكافرين على كفرهم، بعد أن علموا أنه لا ينصرهم أحد من دون الرحمن، غرور وسَفَّةً.

﴿أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه ﴾ أي: الرزق كله من الله، فلو أمسك عنكم رزقه، فمن الذي يرسله لكم؟ فإن الخلق لا يقدرون على رزق أنفسهم، فكيف بغيرهم؟ فالرازق المنعم، الذي لا يصيب العباد نعمة إلا منه، هو الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، ولكن الكافرون ﴿لُوا ﴾ أي: استمروا ﴿ في عتو ﴾ أي: قسوة وعدم لين للحق ﴿ ونفور ﴾ أي: شرود عن الحق.

﴿٢٢﴾ ﴿أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سوياً على صراط مستقيم﴾ أي: أيُّ الرجلين غارقاً في الكفر قد انتكس قلبه، فصار الحق عنده باطلاً، والباطل حقاً؟ ومن كان عالماً بالحق، مؤثراً له، عاملاً به، يمشي على الصراط المستقيم في أقواله وأعماله وجميع أحواله؟ فبمجرد النظر وأعماله وجميع أحواله؟ فبمجرد النظر بينهما، والمهتدي من الضال منهما، والمحدي من الضال منهما، والأحوال أكبر شاهد من الأقوال.

﴿٢٣ ـ ٢٦﴾ ﴿قـل هـو السذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفتدة قليلاً ما تشكرون \* قل هو

<sup>(</sup>۱) في ب: حتى تهلكوا وتتلفوا.

السذي ذرأكسم فسى الأرض وإليه تحشرون \* ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين \* قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذيرٌ مبين﴾ يقول تعالى \_مبيناً أنه المعبود وحده، وداعياً عباده إلى شكره، وإفراده بالعبادة ــ: ﴿قُلُّ هُو الذي أنشأكم أي: أوجدكم من العدم، من غير معاون له ولا مُظاهر، ولما أنشأكم، كمل لكم الوجود بالسمع والأبصار والأفئدة، التي هي أنفع أعضاء البدن(١)، وأكمّل القوى الجسمانية، ولكنه (٢<sup>)</sup> مع هذا الإنعام ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ الله، قليل منكم الشاكر، وقليل منكم الشكر.

﴿قل هو الذي ذراكم في الأرض﴾ أي: بثكم في أقطارها، وأسكنكم في أرجائها، وأمركم، ونهاكم، وأسدى عليكم من النعم، ما به تنتفعون، ثم بعد ذلك يحشركم ليوم القيامة، ولكن هذا الوعد بالجزاء، ينكره هؤلاء المعاندون ﴿ويقولون﴾ تكذيباً:

﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ جعلوا علامة صدقهم أنْ يخبروا(٣) بوقت مجيئه، وهذا ظلم وعناد، فإنما العلم عند الله لا عند أحد من الخلق، ولا ملازمة بين صدق هذا الخبر وبين الإخبار بوقته، فإن الصدق يعرف بأدلته، وقمد أقام الله من الأدلة والبراهين على صحته ما لا يبقى معه أدنى شك لمن ألقى السمع وهو شهيد.

﴿۲۷ ـ ۲۰﴾ ﴿فلمارأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون \* قل أرأيتم إن أهلكني ألله ومن معى أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم \* قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين \* قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورأ فمن يأتيكم بماء معين﴾ يعني أن محل تكذيب الكفار وغرورهم به حين كانوا في الدنيا، فإذا

كان يوم الجزاء، ورأوا العذاب منهم ﴿ رَلُّفَةً ﴾ أي: قريباً، ساءهم ذلك وأفظعهم، وقلقل أفئدتهم، فتغيرت لـذلـك وجـوهـهـم، ووبـخـوا عـلي تكذيبهم، وقيل لهم هذا الذي كنتم به تكذبون، فاليوم رأيتموه عياناً، وانجلي لكم الأمر، وتقطعت بكم الأسباب ولم يبق إلا مباشرة العذاب.

ولما كان المكذبون للرسول ﷺ، [الذين] يردون دعوته، ينتظرون هلاكه، ويتربصون به ريب المنون، أمره الله أن يقول لهم: أنتم (١٤) وإن حصلت لكم أمانيكم (٥٠)، وأهلكني الله ومن معي، فليس ذلك بنافع لكم شيئاً، لأنكم كفرتم بآيات الله، واستحقيتم العذاب، فمن يجيركم من عذاب أليم قد تحتم وقوعه بكم؟ فإذاً، تعبكم وحرصكم على هلاكي غير مفيد، ولا مجد عنكم

ومن قولهم، إنهم على هدي، والرسول على ضلال، أعادوا في ذلك وأبدوا، وجادلوا عليه وقباتلوا، فأمر الله نبيه أن يخبر عن حاله وحال أتباعه، ما به يتبين لكل أحد هداهم وتقواهم، وهو أن يقولوا: ﴿ آمنا به وعليه توكلنا الإيمان يشمل التصديق الباطن، والأعمال الباطنة والطاهرة، ولما كانت الأعمال، وجودها وكمالها، متوقفةٌ على التوكل، خص الله التوكل من بين سائر الأعمال، وإلا فهو داخل في الإيمان، ومن جملة لوازمه كما قال تعالى: ﴿وعلى الله فتركلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ فإذا كانت هذه حال الرسول وحال من اتبعه، وهي الحال التي تتعين للفلاح، وتتوقف عليها السعادة، وحالة أعدائه بضدها، فلا إيمان [لهم] ولا توكل، علم بذلك من هو على هدى، ومن هو في ضلال مبين.

سَنِسَهُ عَلَا تَحْتَظُوهِ ۞ إِنَّا لِمُوْنَعُ كَأَبِلُوْنَا أَصْفَ ٱلْجَنَّةِ إِذَا أَسْسُواْ لَيْصَرِمُنَّهَا مُصِّيحِينَ ۞ وَلَا يَسَتَثُونَ ۞ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآبِتُ مِن رَّيْكَ وَفَيْ نَآيِمُونَ۞ فَأَصْعَتْكَأَلْصَرِيم ۞ فَنْنَادَوْأَمُصْبِعِينَ۞ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ مَرْفِكُمُ إِن كُنْمُ صَرِيعِينَ ۞ فَأَصْلَقُواْ وَهُمْ يَنْحَفَتُونَ۞ أَنَالًا يَدْخُلُنَّهَا ٱلْيُوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ۞ وَغَدَوْلُ عَلَ حَرْدِقَادِينَ۞ فَلْتَارَأُوْهَا عَالْوَاْ إِنَّا لَمَنَا لُونَ۞ بَلْ عَنْ عَرُومُونَ۞ عَالَاْ وَسَطَحُ أَلَرَأَهُ لِكُولُولُسُبَعُونَ ۞ قَالُواْسُتُبَحَنَ رَيْنَا إِنَّاكُنَّا طَلِينَ ۞ فَأَقِلَ بَعْشُهُمْ عَلَ يَسْفِرَنَكُومُونَ ۞ َالْوَلْقُولَانَا إِنَّا كُمَّا عَلَيْهِينَ۞ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلْنَا حَيْرُا مِنْهَا إِنَّا إِلَارَبْنَا زَعِبُونَ ۞ كَذَٰ إِن ٱلْعَدَابُ وَلَعَدَابُ الْإِحْرَةِ أَحْبُرُ فِكَافُوا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّالِمُنَّقِينَ عِندَتَهِمْ جَنَّتِ ٱلنِّعِيرِ۞ أَفَهَمَّ لَأَلْسُلِينَ كَالْخُرِينَ۞ مَا لَكُو كَيْنَ تَعَكُّنُونَ۞ أَوْلَكُو كِنَتْ فِيهِ نَدْرُسُونَ الله المُونِيولَ المُعْتَرُونَ ﴿ أَمْ لَكُو أَيْنَ عَلَيْنَ الْإِلْمَ فُولًا يَوْمِ ٱلْقِينَمَةُ إِنَّ الْمُولَا عَنْكُمُونَ ﴿ سَلَهُمُ أَنْهُم مِذَالِكَ زَعِيمُ ۞ أَمْ لَمُنْ شُرَكَنَّهُ فَلْمَانُوا بِشُرَكَ إِنْهِمُ لَا كَانُوا صَدِينَ ١ إِلَّ يَوْمَ يُكْتَفُ عَن سَاقِ وَيُنْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۞ DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

ثم أخبر عن انفراده بالنعم، خصوصاً بالماء الذي جعل الله منه كل شيء حيّ، فقال: ﴿قبل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً ﴾ أي: غائراً ﴿فمن يأتيكم بماء معين الشربون منه، وتسقون أنعامكم وأشجاركم وزروعكم؟ وهذا استفهام بمعنى النفى أي: لا يقدر أحد على ذلك غير الله

تمت ولله الحمد(٦)

#### تفسير سورة ن وهي مكية

﴿١ - ٧﴾ ﴿ بسم الله السرحسن الرحيم ن والقلم وما يسطرون \* ما أنت بنعمة ربك بمجنون \* وإن لك لأجراً غير ممنون \* وإنك لعلى خلق عظيم \* فستبصر ويبصرون \* بأيكم المفتون \* إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين لله يقسم تعالى بالقلم، وهو اسم جنس شامل للأقلام، التي تكتب بها [أنواع] العلوم، ويسطربها المنثور والمنظوم، وذلك أن القلم وما يسطرون به من أنواع الكلام، من آيات الله العظيمة، التي تستحق أن يقسم الله بها، على

(٦) في ب: تم تفسير سورة الملك

والحمد لله.

في ب: أن يخبروهم.

في ب: إنكم. (٤)

في ب: أمنيتكم. (0)

في ب: وهذه الثلاثة هي أفضل (٣) أعضاء البدن.

في ب: ولكنكم.

خينة ألمتشرَفر تعقيمُهُ وَلَهُ وَقَدَّكُ وَالْمَالِمُ عَنْ اللَّهُ اللَّهُ وَوَمُّ كِلَمُونَ ﴿ فَذَنِ وَمَن كِنْكُ بُهُ لِمَا لَمُنَّا لَمُنْكِدِي مَتِينُ ﴿ الْمَسْتَلَمْهُ وَمُحْمِنِكُ مِنْ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَمَن كَذَنِي مُنْفَاقُونَ ﴿ الْمُسْتَلَمُ الْمُنْكُونَ ﴾ المُسْتِقُ اللَّهُ وَمُن اللَّهُ الْمُلِلْمُ الللْلِلْ الللْلِلْمُ الللْلِلْمُولِلِلْمُؤْلِلْمُولِلِلْمُؤْلِلْمُؤْلِلِ

は国政党 ないのでは、

الْمَالَةُ ۞ مَا اَمَالَةُ ۞ وَمَا أَدْرِيكُ مَا أَمْالَةُ ۞ كَدَّبُ الْمُوْرِعَادُ إِلْمَالِيَّةِ ۞ الْمَا الْمُؤْوِلُولُولِيَّا اللَّالِيَةِ ۞ وَمَا مَاكِ اللَّهِ الْمُؤْوِلِيِّعِ مَرْمَةً عَلَيْهِ مِنْ مَعَ الْمَوْرِيِّ اللَّهِ مِنْ مَعَ الْمَوْرِيقِ مَنْ لِسَالِ وَمُنْسِيَّةً أَيْنِيةً أَيْنِيلًا أَيْنِيةً أَيْنِيةً أَيْنِيةً أَيْنِيلًا أَيْنِيلِيلًا أَيْنِيلًا أَيْنِيلًا أَيْنِيلِكُولِيلًا أَيْنِيلُوا أَيْنِيلُوا أَيْنِيلًا أَيْنِيلًا أَيْنِيل

براءة نبيه محمد على ما نسبه إليه أعداؤه من الجنون، فنفى عنه الجنون(١١)، بنعمة ربه عليه وإحسانه، حيث منَّ عليه بالعقل الكامل، والرأى: الجزل، والكلام الفصل، الذي هو أحسن ما جرت به الأقلام، وسطره الأنام، وهذا هو السعادة في الدنيا، ثم ذكر سعادته في الآخرة، فقال: ﴿وإِنْ لَكَ لأجراً ﴾ أي: عظيماً، كما يفيده التنكير، ﴿غير ممنون﴾ أي: [غير] مقطوع، بل هو دائم مستمر، وذلك لما أسلفه النبي على من الأعمال الصالحة ، والأخلاق الكاملة، ولهذا قال: ﴿وَإِنْكُ لَعَلِّي خُلُقَ عَظْيُمِ﴾ أي: عالياً به، مستعلياً بخلقك الذي من الله عليك به، وحاصل خلقه العظيم، ما فسيرتبه به أم المؤمنين [عيائيسة - رضى الله عنها \_] لمن سألها عنه، فقالت: «كان خلقه القرآن»، وذلك نحو قوله تعالى له: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم الآية]، ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) وما أشبه ذلك من الآيات الدالات على اتصافه ﷺ بمكارم

الأخلاق، و [الآيات] الحاثّات على الخلق العظيم (٢)، فكان له منها أكملها وأجلَّها، وهوٰ في كل خصلة منها، في الذروة العليا، فَكَانَ عِلَىٰ سهلاً ليناً، قريباً من الناس، مجيباً لدعوة من دعاه، قاضياً لحاجة من استقضاه، جابراً لقلب من سأله، لا يجرمه، ولا يرده خائباً، وإذا أراد أصحابه منه أمراً وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليساً له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوى عنه بشرّهُ، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال 選.

فلما أنزله الله في أعلى المنازل من جميع الوجوه، وكان أعداؤه ينسبون إليه أنه بجنون مفتون، قال: ﴿ فستبصر ويبصرون \* بأيكم المفتون﴾ وقد تبين أنه أهدى الناس، وأكملهم لنفسه ولغيره، وأن أعداءه أضل الناس [وشر الناس] (٣) للناس، وأنهم هم الذين فتنوا عباد الله، وأضلوهم عن سبيله، وكفى بعلم الله بذلك، فإنه هو المحاسب المجازى.

و ﴿ هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وهذا فيه تهديد للضالين، ووعد للمهتدين، وبيان لحكمة الله، حيث كان يهدي من يصلح للهداية، دون غيره.

﴿٨ ـ ١٦ ﴾ ﴿فلا تطع المكذبين \* ودوا لو تدهن فيدهنون \* ولا تطع كل حلافٍ مهين \* هماز مشاء بنميم \* مناع للخير معند أثيم \* عنل بعمد ذلك زنيم \* أن كان ذا مال وبنين \* إذا تنلى عليه آياتنا قال أساطير

الأولين \* سنسمه على الخرطوم > يقول الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿فلا تطع المكذبين الذين كذبوك وعاندوا الحق، فإنهم ليسوا أهلاً لأن يطاعوا، لأنهم لا يأمرون إلا بما يوافق أهمواءهم، وهم لا يسريدون إلا الباطل، فالمطيع لهم مُقْدِمٌ على ما يضره، وهذا عام في كل مكذب، وفي كل طاعة ناشئة عن التكذيب، وإن كان السياق في شيء خاص، وهو أن المشركين طلبوا من النبي على أن يسكت عن عيب آلهتهم ودينهم، ويسكتوا عنه، ولهذا قال: ﴿ودوا﴾ أي: المشركبون ﴿لوتدهن أى: توافقهم على بعض ما هم عليه، أما بالقول أو بالفعل أو بالسكوت عما يتعين الكلام فيه، ﴿فيدهنون ﴾ ولكن اصدع بأمر ألله، وأظهر دين الإسلام، فإن تمام إظهاره بنقض ما يضاده، وعيب مايناقضه، ﴿ولا تطع كل حلاف﴾ أي: كثير الحلف، فإنه لا يكون كذلك إلا وهو كذاب، ولا يكون كذاباً إلا وهو ﴿مهينَ﴾ أي: خسيس النفس، ناقص الهمة، ليس له همة (٤) في الخير، بل إرادته في شهوات نفسه الخسيسة . ﴿ هَمَازُ ﴾ أي : كثير العيب [للناس] والطعن فيهم (ة)، بالغيبة والاستهزاء، وغير ذلك.

﴿مشّاء بنميم ﴾ أي: يمشي بين الناس بالنميمة ، وهي: نقل كلام بعض الناس لبعض ، لقصد الإفساد ﴿منّاع للخير ﴾ الذي يلزمه القيام به من النفقات الواجبة والكفارات والزكوات وغير ذلك ، ﴿معتل على الخلق في ظلمهم ، في الدماء والأموال والأعراض (٢) ﴿اليم ﴾ أي: كثير الإثم والذبوب المتعلقة في حق الله تعالى ﴿عتل بعد ذلك ﴾ أي: غليظ شرس الخلق قاس غير منقاد للحق ﴿ذَنبِم ﴾ أي: دَعِي ، ليس له أصل و [لا] مادة ألنا الناس الناس المناس والا] مادة

<sup>(</sup>٤) في ب: ليس له رغبة.

<sup>(</sup>٥) كذا في ب، وفي أ: في الناس.

<sup>(</sup>١) في ب: عنه ذلك.

<sup>(</sup>٢) في ب: على كل خلق جميل.

<sup>(</sup>٣) زيادة من هامش ب.

<sup>(</sup>٦) في ب: يظلمهم في دماثهم وأموالهم وأعراضهم.

ينتج منها الخير، بل أخلاقه أقبح الأخلاق، ولا يرجى منه فلاح، له زنمة أي: علامة في الشر يعرف بها.

وحاصل هذا، أن الله تعالى نهي عن طاعة كل حلاف كذاب، خسيس النفس، سيىء الأخلاق، خصوصاً الأخلاق المتضمنة للإعجاب بالنفس، والتكبر عن الحق وعلى الخلق، والاحتقار للناس، كالغيبة والنميمة، والطعن فيهم، وكثرة المعاصى.

وهذه الآيات \_وإن كانت نزلت في بعض المشركين، كالوليد بن المغيرة أو غيره، لقوله عنه: ﴿أَنْ كَانْ ذَا مِالْ وبنين \* إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين أي: لأجل كشرة ماك وولده، طغى واستكبر عن الحق، ودفعه حين جاءه، وجعله من جملة أساطير الأولين، التي يمكن صدقها وكذبها \_ فإنها عامة في كل من اتصف بهذا الوصف، لأن القرآن نزل لهداية الخلق كلهم، ويدخل فيه أول الأمة وآخرهم، وربما نزل بعض الآيات في سبب أو في شخص من الأشخاص، لتتضح به القاعدة العامة، ويعرف به أمثال الجزئيات الداخلة في القضايا

ثم توعد تعالى من جرى منه ما وصف الله، بأن الله سيسمه على خرطومه(١) في العذاب، وليعذبه عذاباً ظاهراً، يكونَ عليه سمة وعلامة، في أشق الأشياء عليه، وهو وجهه.

﴿١٧ ـ ٣٣﴾ ﴿إنا بلوناهم كما بلونيا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين \* ولا يستثنون \* فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون﴾إلى آخر القصة يقول تعالى: إنا ً بلونا هؤلاء المكذبين بالخير وأمهلناهم، وأمددناهم بما شئنا من مال وولد، وطول عمر، ونحو ذلك، مما يوافق أهواءهم، لا لكرامتهم علينا، بل ربما يكون استدراجاً لهم من حيث لا يشعرون(٢)، فاغترارهم بذلك نظير

في ب: من حيث لا يعلمون.

(1)

**(Y)** 

اغترار أصحاب الجنة، الذين هم فيها شركاء، حين زهت ثمارها وأينعت أشجارها، وآن وقت صرامها، وجزموا أنها في أيديهم وطوع أمرهم، [وأنه] ليس ثُمَّ مانع يمنعهم منها، ولهذا أقسموا وحلفوا من غير استثناء، أنهم سيصرمونها أي: يجذونها مصبحين، ولم يدروا أن الله بالمرصاد، وأن العذاب سيخلفهم عليها، ويبادرهم إليها.

﴿ فطاف عليها طائف من ربك﴾ أى: عذاب نزل عليها ليلاً ﴿وهم نائمون فأبادها وأتلفها وفأصبحت كالصريم أي: كالليل المظلم، ذهبت الأشجار والشمار، هذا وهم لا يشعرون بهذا الواقع الملم، ولهذأ تنادوا فيما بينهم لما أصبحوا يقول بعضهم لبعض: ﴿اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين \* فانطلقوا ﴾ قاصدين له (٣) ﴿وهم يتخافتون﴾ فيما بينهم، ولكن بمنع حق الله، ويقولون: ﴿لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين أي: بكروا قبل انتشار الناس، وتواصوا مع ذلك، بمنع الفقراء والمساكين، ومن شدة حرصهم وبخلهم، أنهم يتخافتون سِذا الكلام مخافتة، خوفاً أن يسمعهم أحد، فيخبر الفقراء. ﴿وغدوا ﴾ في هذه الحالة الشنيعة، والقسوة، وعدم الرحمة ﴿على حرد قادرين أي: على أمساك ومنع لحق الله، جازمين بقدرتهم عليها، ﴿ فلما رأوها ﴾ على الوصف الذي ذكر الله كالصريم، ﴿قالوا ﴾من الحيرة والانزعاج. ﴿إنالضالون ﴿[أي: تائهون] عنها، لعلها غيرها، فلما تحققوها، ورجعت إليهم عقولهم، قالوا: ﴿بل نحن محرومون ﴾منها، فعرفوا حينئذ أنه عقوبة، ف ﴿قال أوسطهم أي: أعدلهم وأحسنهم طريقة: ﴿ أَلَمُ أَقُلُ لَكُمْ لُولًا تَسْبِحُونَ ﴾ أى: تنزهون الله عما لا يليق به، ومن ذلك، ظنكم أن قدرتكم مستقلة،

فلولا استثنيتم فقلتم: «إن شاء الله»، وجعلتم مشيئتكم تابعة لمشيئة الله، لما جرى عليكم ما جرى، فقالوا ﴿سبحان ربنا إنا كنا ظالمين أي: استدركوا بعد ذلك، ولكن بعدما وقع العذاب على جنتهم، الذي لا يرفع، ولكن لعل تسبيحهم هذا، وإقرارهم على أنفسهم بالظلم، ينفعهم في تخفيف الإثم ويكون توبة، ولهذا تدموا ندامة عظيمة، ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ♦فيما أجروه وفعلوه، ﴿قَالُوا يَا وَيَلْنَا إِنَا كُنَا طَاغِينَ ﴾ أي: متجاوزين للحدفي حق الله وحق عباده، ﴿عسى ربنا أنَّ يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون الله أن يبدلهم خيراً منها، ووعدوا أنهم سيرغبون إلى الله، ويلحون عليه في الدنيا، فإن كانوا كما قالوا، فالظاهر أن الله أبدلهم في الدنيا خيراً منها، لأن من دعا الله صادقاً، ورغب إليه ورجاه، أعطاه سُؤلُّه.

قال تعالى مبيناً (٤) ما وقع: ﴿ كَذَلْكُ السعداب ﴿ [أي:] الدنسيوي لمن أتبي بأسباب العذاب أن يسلب الله العبد الشيء الذي طغي به وبغي، وآثر الحياة الدنيًّا، وأن يزيله عنه، أحوج ما يكون

﴿ولعذاب الآخرة أكبر ﴾من عذاب الدنيا ﴿ لُو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ فإن من علم ذلك، أوجب له الانزجار عن كل سبب يسوجب المعمذاب ويحمل العقاب (م).

﴿٤١ ـ ٤١) ﴿إِن للمتقين عند ربهم جنات النعيم \* أفنجعل المسلمين كالمجرمين \* ما لكم كيف تحكمون \* أم لكم كتاب فيه تدرسون \* إن لكم فيه لما تخيرون \* أم لكم أيمان عليناً بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون \* سلهم أيهم بذلك زعيم \* أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين كغبر تعالى بما أعده للمتقين للكفر والمعاصي، من أنواع

<sup>(</sup>٣) في ب: لها.

في ب: معظماً. (1)

في ب: على الخرطوم.

في ب: كل سبب يوجب العقاب ويحرم الثواب.

النعيم والعيش السليم في جوار أكرم الأكرمين، وأن حكمت تعالى لا تقتضي أن يجعل المسلمين (١) القانتين لربهم، المنقادين لأوامره، المتبعين لمراضيه كالمجرمين الذين أوضعوا في معاصيه، والكفر بآياته، ومعاندة رسله، وعاربة أوليائه، وأن من ظن أنه يسويهم في الثواب، فإنه قد أساء لحكم، وأن حكمه حكم باطل، ورأيه (١) فاسد، وأن المجرمين إذا ادعوا ذلك، فليس لهم مستند، لا كتاب فيه يدرسون [ويتلون] أنهم من أهل الجنة، وأن لهم ما طلبوا وتخيروا.

وليس لهم عند الله عهد ويمين بالغة إلى يوم القيامة أن لهم ما يحكمون، وليس لهم شركاء وأعوان على إدراك ما طلبوا، فإن كان لهم صادقين، ومن المعلوم أن جميع ذلك منتف، فليس لهم كتاب، ولا لهم عهد عند الله في النجاة، ولا لهم شركاء يعينونهم، فعلم أن دعواهم باطلة فاسدة، وقوله: ﴿سلهم أيم بلك زعيم﴾أي: أيم الكفيل بهذه الدعوى الفاسدة، فإنه لا يمكن التصدر بها ولا الزعامة فيها (٣).

ساق ويسدعسون إلى السسجسود فلا يستطيعون \*خاشعة أبصارهم فلا يستطيعون \*خاشعة أبصارهم السجود وهم سالمون أي: إذا كان يوم القيامة، وانكشف فيه من القلاقل أوالبزلازل] والأهوال ما لا يدخل تحت الوهم، وأتى الباري لفصل القضاء بين عباده ومجازاتهم، فكشف عن ساقه الكريمة التي لا يشبهها عن ساقه الكريمة التي لا يشبهها وعظمته ما لا يمكن التعبير عنه، وعظمته ما لا يمكن التعبير عنه، فحيننذ يدعون إلى السجود شه، فحيننذ يدعون إلى السجود شه،

يسجدون لله، طوعاً واختياراً، ويذهب الفجار والمنافقون ليسجدوا فلا يقدرون على السجود، وتكون ظهورهم كمسياصي البقر، لا يستطيعون الانحناء، وهذا الجزاء من جنس عملهم، فإنهم كانوا يدعون في الدنيا إلى السجود لله وتوحيده وعبادته وهم سالمون، لا علة فيهم، فيستكبرون عن ذلك ويأبون، فلا تسأل يومئذ عن حالهم وسوء مآلهم، فإن الله قد سخط عليهم، وحقت عليهم كلمة العذاب، وتقطعت أسبابهم، ولم تنفعهم الندامة ولا الاعتذاريوم القيامة، ففي هذا ما يزعج القلوب عن المقام على المعاصى، و [يوجب] التدارك مدة الإمكان.

ولهذا قال تعالى ﴿21\_٢٥﴾ ﴿ فَذَرِنِ وَمِنْ يَكُذُبُ بِهِذَا الْحَدِيثُ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون \* وأملى لهم إن كيدي متين \* أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون \* أم عندهم الغيب فهم يكتبون \* فاصبر لحكم ربك ولاتكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم # لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم \* فاجتباه ربه فجعله من الصالحين \* وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون \* وما هو إلا ذكر للعالمين ﴿ أَي: دعني والمكذبين بالقرآن العظيم، فإن على جزاءهم، ولا تستعجل لهم، ف وسنستدرجهم من حيث لا يعلمون فنمدهم بالأموال والأولاد، وتسمدهم في الأرزاق والأعمال، ليغتروا ويستمروا على ما يضرهم، فإن هذا من كيد الله لهم، وكيد الله لأعدائه، متين قوي، يبلغ من ضررهم وعذابهم فوق كل مبلغ<sup>(1)</sup>.

﴿أَم تسألهم أَجراً فهم من مغرم مثقلون﴾ أي: ليس لنفورهم عنك، وعدم تصديقهم لما جئت به، سبب يوجب لهم ذلك، فإنك تعلمهم، وتدعوهم إلى الله، لمحض مصلحتهم، من غير أن تطلبهم من أموالهم مغرماً يثقل عليهم.

﴿أم عندهم الغيب فهم يكتبون ﴾ ما كان عندهم من الغيوب، وقد وجدوا فيها أنهم على حق، وأن لهم الثواب عند الله، فهذا أمر ما كان، وإنما كانت حالهم حال معاند ظالم، فلم يبق الا الصبر لأذاهم، والتحمل لما يصدر منهم، والاستمرار على دعوتهم، ولهذا قال: ﴿فاصبر لحكم ربك ﴾ أي: لما قدري، يصبر على المؤذي منه، ولا يُتَلقِّى بالسخط والجزع، والحكم الشرعي، يُقابَل بالقبول والتسليم، والانقياد التام لأمره.

وقوله: ﴿ولا تكن كصاحب الحوت، وهو يونس بن متى، عليه الصلاة والسلام أي: ولا تشابهه في الحال التي أوصلته، وأوجبت له الانحباس في بطن الحوت، وهو عدم صبره على قومه الصبر المطلوب منه، وذهابه مغاضباً لربه، حتى ركب في البحر، فاقترع أهل السفينة حين ثقلت بأهلها أيهم يلقون لكي تخف بهم، فوقعت القرعة عليه، فالتقمه الحوت وهو مليم، [وقوله] ﴿إذْ نادي وهو مكظوم أي: وهو في بطنها قد كظمت عليه، أو نادي وهو مغتمًّ مهتم، بأن قال: ﴿لا إِله إلا أنت سبحانك إن كنت من الظالمن♦. فاستجاب الله له، وقذفته الحوت من بطنها بالعراء وهو سقيم، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين، ولهذا قال هنا: ﴿ لُولًا أَنْ تَدَارَكُهُ نَعْمَةً مِنْ رَبِّهُ لَنَبِّدُ

<sup>(</sup>١) في ب: المتقين.

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: ورأي.

<sup>(</sup>٣) في ب: بهذه الدعوى التي تبين بطلانها فإنه لا يمكن أحداً أن يتصدر بها، ولا يكون زعيماً فيها.

<sup>(</sup>٤) في ب: وعقوبتهم كل مبلغ.

بالعراء ﴾ أي: لطرح في العراء، وهي الأرض الخالية ﴿وهـو مــذمـوم ﴾ ولكن الله (١٠ تغمده برحمته، فنبذ وهو معدوح، وصارت حاله أحسن من حاله الأولى، ولهذا قال: ﴿فاجتباه ربه ﴾ أي: اختاره واصطفاه ونقاه من كل كلر، . ﴿فجعله من الصالحين ﴾ أي: الذين صلحت أعمالهم وأقوالهم ونياتهم ، [وأحوالهم] فامتثل نبينا عمد عليه أمر ربه، فصبر لحكم ربه صبراً لا يدركه فيه أحد من العالمين.

فجعل الله له العاقبة ﴿والعاقبة للمتقين﴾ ولم يدرك أعداؤه فيه إلا ما يسوؤهم، حتى إنهم حرصوا على أن ينفيهم، من حسدهم وغيظهم وحنقهم، هذا منتهى ما قدروا عليه من الأذى الفعلي، والله حافظه وناصره، وأما الأذى القولي، فيقولون فيه أقوالاً، بحسب ما توحي إليهم قلوبهم، فيقولون تارة «مجنون»، وتارة «ساحر»، وتارة «شاعر».

قال تعالى: ﴿وما هو إلا ذكر للعالمين﴾ أي: وما هذا القرآن الكريم، والذكر الحكيم، إلا ذكر للعالمين، يتذكرون به مصالح دينهم ودنياهم. تم تفسير سورة القلم، والحمد لله رب العالمين

#### تفسير سورة الحاقة وهي مكية

﴿١ - ٨﴾ ﴿بسم الله السرخسن الرحس الله السرخسن الرحيم الحاقة \* ما الحاقة \* وما أدراك ما الحاقة \* وما أدراك بالقارعة \* فأما ثمود فأهلكوا بريح صرصر عاتية \* سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل

كذا في ب، وفي أ: ولكنه.

كذا في ب، وفي أ: أي:

خاوية \* فهل ترى لهم من باقية ﴾ ﴿ الحاقة ﴾ من أسماء يوم القيامة، لأنها تحق وتنزل بالخلق، وتظهر فيها حقائق الأمور، ومخبآت الصدور، فعظم تعالى شأنها وفخّمه، بما كرّره من قوله: ﴿ الحاقة \* ما الحاقة \* وما أدراك ما الحاقة﴾ فإن لها شأناً عظيماً، وهو لاّ جسيماً، [ومن عظمتها أن الله أهلك الأمم المكذبة بها بالعذاب العاجل](٢)، ثم ذكر نموذجاً من أحوالها الموجودة فِي الدنيا المشاهدة فيها، وهو ما(١) أحله من العقوبات البليغة بالأمم العاتية، فقال: ﴿كذَّبِتُ ثُمُودِ﴾ وهم القبيلة المشهورة، سكان الحجر، الذين أرسل الله إليهم رسوله صالحاً عليه السلام، ينهاهم عما هم عليه من الشرك، ويأمرهم بالتوحيد، فردوا دعوته وكذبوه، وكذبوا ما أخبرهم به من يوم القيامة، وهي القارعة التي تقرع الخلق بأهوالها، وكذلك عاد الأولى، سكان حضرموت، حين بعث الله إليهم رسوله هوداً عليه الصلاة والسلام، يدعوهم إلى عبادة الله [وحده]، فكذبوه، وكذبوا بما أخبر (٥) به من البعث، فأهلك الله الطائفتين بالهلاك المعجل(٦): ﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية﴾ وهي الصيحة العظيمة الفظيعة، التي انصدعت منها قلوبهم، وزهقت لها أرواحهم فأصبحوا موتى لا يُرى إلا مساكنهم وجثثهم، ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر﴾ أي: قوية شديدة الهبوب، لها صوت أبلغ من صوت الرعد [القاصف]، ﴿عاتية ﴾ [أي:] عتت على خزانها، على قول كشير من المفسرين، أو عتت على عاد، وزادت على الحدكما هو الصحيح، ﴿سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً﴾ أي: نحساً وشراً فظيعاً عليهم، فدمرتهم وأهلكتهم، ﴿فترى القوم فيها

صرعی ای: هلکی موتی، ﴿كأنهم أعجاز نخل خاویه ای: كأنهم جذوع النخل التي قد قطعت رؤوسها الخاویة، الساقط بعضها علی بعض، ﴿فهل تری لهم من باقیه ﴾ وهذا استفهام بمعنی النفی المتقرر.

﴿٩ \_ ١٢ ﴾ ﴿وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة \* فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية \* إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية \* لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية ﴾ أى: وكذلك غير هاتين الأمتين الطاغيتين، عاد وثمود، جاء غيرهم من الطغاة العتاة، كفرعون مصر، الذي أرسل الله إليه عبده ورسوله موسى [ابن عمران] عليه الصلاة والسلام، وأراه من الآيات البينات، ما تيقنوا بها الحق، ولكن جحدوا وكفروا، ظلماً وعلواً، وجاء من قبله من المكذبين، ﴿والمؤتفكاتِ﴾ أي: قرى قوم لوط، الجميع جاؤوا ﴿ بِالْحَاطِئةُ ﴾ أي: بالفعلة الطاغية، وهي(٧) الكفر والتكذيب، والظلم والمعاندة، وما انضم إلى ذلك من أنواع الفواحش (٨) والفسوق، ﴿فعصوا رسول ربهم الله وهذا اسم جنس أي: كل من هؤلاء كذَّبَ (٩) الرسول الذي أرسله الله إليهم. فأخذ الله الجميع ﴿ أَحْدَةُ رَابِيةً ﴾ أي: زائدة على الحد والمقدار، الذي يحصل به هلاكهم، ومين جملية أولينيك، قيوم نيوح، أغرقهم الله في اليم حين طغي [الماء عملى وجمه الأرض، وعملا عملى مواضعها الرفيعة .

وامتنَّ الله على الخلق الموجودين بعدهم أن الله حملهم ﴿في الجارية﴾ وهي السفينة في أصلاب آبائهم وأمهاتهم، الذين نجاهم الله، فاحدوا الله واشكروا الذي نجاكم

(V)

في ب: هو.

(1)

**(Y)** 

<sup>(</sup>٤) كذا في ب، وفي أ: ومما.

<sup>(</sup>۵) في ب وأنكروا ما أخبر به.

<sup>(</sup>٦) في ب: العاجل.

<sup>. 4.</sup> 

<sup>(</sup>A) في ب: المعاصي.(٩) في ب: كذبوا.

يصيبوهم. (٣) من هامش أ.

حين أهلك الطاغين، واعتبروا بآياته الدالة على توحيده، ولهذا قال: والمراد النجعلها أي: الجارية، والمراد جنسها، لكم ﴿تذكرة﴾ تذكركم أول سفينة صنعت، وما قصتها، وكيف نجى الله عليها من آمن به واتبع رسوله، وأهلك أهل الأرض كلهم، فإن جنس الشيء مذكّر بأصله.

وقوله: ﴿وتعيها أذن واعية﴾ أي: تعقلها أولو الألباب، ويعرفون المقصود منها ووجه الآية بها.

وهـذا بـخـلاف أهـل الإعـراض والغفلة، وأهل البلادة وعدم الفطنة، فإنهم ليس لهم انتفاع بآيات الله، لعدم وعـيـهـم عـن الله، وفـكـرهـم بآيات الله(١).

﴿ ١٣﴾ ـ ١٨﴾ وقوله: ﴿فَإِذَا نَفْخَ في الصور نفخة واحدة \* وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة \* فيومنذ وقعت الواقعة \* وانشقت السماء فهي يومئذ واهية \* والملك على أرجاتها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية \* يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ لما ذكر ما فعله تعالى بالمكذبين لرسله، وكيف جازاهم وعجل لهم العقوبة في الدنيا، وأن الله نجّى الرسل وأتباعهم، كان هذا مقدمة لذكر الجزاء الأخروي، وتوفية الأعمال كاملة يوم القيامة، فذكر الأمور الهائلة التي تقع أمام القيامة، وأن أول ذلك أنه ينفخ إسرافيل ﴿في الصور﴾ إذا تكاملت الأجساد نابتة، ﴿نفخة واحدة﴾ فتخرج الأرواح، فتدخل كل روح في جسدها، فإذا الناس قيام لرب العالمين.

﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحسدة﴾ أي: فستستست الجسبسال

واضمحلت، وخلطت بالأرض، ونسفت على الأرض، فكان الجميع قاعاً صفصفاً، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، هذا ما يصنع بالأرض وما عليها، وأما ما يصنع بالسماء، فإنها تضطرب وتمور وتتشقق ويتغير لونها، وتهي بعد تلك الصلابة والقوة العظيمة، وما ذاك إلا لأمر عظيم أزعجها، وكرب جسيم هائل أوهاها وأضعفها.

﴿والملك﴾ أي: الملائكة الكرام ﴿على أرجائها﴾ أي: على جوانب السماء وأركانها، خاضعين لربهم، مستكينين لعظمته.

ويعمل عرش ربك فوقهم يومئذ شمانية أملاك في غاية القوة، إذا أتى للفصل بين العباد، والقضاء بينهم بعدله وقسطه وفضله، ولهذا قال: ويومئذ تعرضون على الله ولا تخفى منكم خافية لا من أجسامكم وأجسادكم (٢)، ولا من أعمالكم السهادة.

ويحشر العباد حفاةً عُراةً عُرلاً، في أرض مستوية، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، فحيننذ يجازيهم بما عملوا، ولهذا ذكر كيفية الجزاء، فقال:

﴿ ١٩ - ٢٤ ﴾ ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه \* إني ظننت أني ملاق حسابيه \* فهو في عيشة راضية \* في جنة عالية \* قطوفها دانية \* كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ وهؤلاء هم أهل السعادة، يُغطَونَ كتبهم التي فيها أعمالهم الصالحة بأيمانهم، تميزاً لهم، ورفعاً لمقدارهم،

ويقول أحدهم عند ذلك من الفرح والسرور، ومحبة أن يطلع الخلق على ما مَنَّ الله عليه به من الكرآمة: ﴿ هاؤهم اقرؤوا كتابيه أى: دونكم كتابي فاقرؤوه، فإنه يبشر بالجنات، وأنواع الكرامات، ومغفرة الذنوب، وستر العيوب، والذي أوصلني إلى هذه الحال، ما منَّ الله به على من الإيمان بالبعث والحساب، والاستعداد له، بالمكن من العمل، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ظننت أنى ملاق حسابيه ﴾ أي: أيقنت، فالظن \_ هنا \_[بمعنى] اليقين، ﴿فهو في عيشة راضية♦ أي: جامعة لما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وقد رضوها، ولم يختاروا عليها غيرها. ﴿ فَي جِنة عالية ﴾ المنازل والقصور، عالية المحل. ﴿قطوفها دانية﴾ أي: ثمرها وجناها، من أنواع الفواكه، قريبة، سهلة التناول على أهلها، ينالها أهلها، قياماً وقعوداً ومتكثين، ويقال لهم إكراماً: ﴿كلوا واشربوا ﴾ أي: من كل طعام لذيذ، وشراب شهي، ﴿ هنيئاً ﴾ أي: تاماً كاملاً، من غير مكدر ولا منغص.

وذلك الجزاء حصل لكم ﴿ بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ من الأعمال الصالحة \_ وترك الأعمال السيئة (٣) \_ من صلاة، وصيام، وصدقة، وحج، وإحسان إلى الخلق، وذكر شه، وإنابة الله.

فالأعمال جعلها الله سبباً لدخول الجنة، ومادة لنعيمها، وأصلاً لسعادتها.

﴿ ٢٥ ـ ٣٧﴾ ﴿ وأما من أوق كتابه \* بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه \* ولم أدر ما حسابيه \* يا ليتها كانت القاضية \* ما أغنى عني ماليه \* هلك عني سلطانيه \* خذوه فغلوه \* ثم

<sup>(</sup>١) في ب: وتفكرهم بآياته.

<sup>(</sup>٢) في ب: لا من أجسادكم وذواتكم.

 <sup>(</sup>٣) هكذا في المخطوطتين وقد جاءت جملة: (وترك الأعمال السيئة) بين جملة (الأعمال الصالحة) وتفصيل تلك الأعمال فصار في
الكلام نوع إيهام مما دفع إلى تأخير جملة: وترك. في الطبعات السابقة، وقد جعلت الكلام كما هو مع الإشارة إلى أنها جملة
معترضة.

رب العالمين \* ولو تقول علينا بعض الأقاويل \* لأخذنا منه باليمين \* ثم لقطعنا منه الوتين \* فما منكم من أحد عنه حاجزين \* وإنه لتذكرة للمتقين \* وإنا لنعلم أن منكم مكذبين \* وإنه لحسرة على الكافرين \* وإنه لحق اليقين \* فسبح باسم ربك العظيم > أقسم تعالى بما يبصر الخلق من جميع الأشياء وما لا يبصرونه، فدخل في ذلك كل الخلق، بل يدخل<sup>(١٦)</sup> في ذلك نفسه المقدسة، على صدق الرسول بما جاء به من هذا القرآن الكريم، وأن الرسول الكريم بلغه عن الله تعالى، ، ونزه الله رسوله عما رماه به أعداؤه، من أنه شاعر أو ساحر، وأن الذي حملهم على ذلك، عدم إيسانهم وتذكرهم، فلو آمنوا وتذكروا، لعلموا ما ينفعهم ويضرهم، ومن ذلك، أن ينظروا في حال محمد ﷺ، ويرمقوا أوصافه وأخلاقه، لرأوا أمراً مثل الشمس يدلهم على أنه زسول الله حقاً، وأن ما جاء به تنزيل رب العالمين، لا يليق أن يكون قول

يعذب هذا العذاب الفظيع، فبئس العذاب والعقاب، وواحسرة من له التوبيخ والعتاب، فإن السبب الذي أوصلته إلى هذا المحل: ﴿إِنَّهُ كَانَ لا يؤمن بالله العظيم﴾ بأن كان كافراً بربه، معانداً لرسله، رادّاً ما جاؤوا به من الحق، ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ أي: ليس في قلبه رحمة يرحم بها الفقراء والمساكين، فلا يطعمهم [من ماله]، ولا يحض غيره على إطعامهم، لعدم الوازع في قلبه، وذلك لأن مدار السمعادة ومادتها أمران: الإخلاص لله، الذي أصله الإيمان بالله، والإحسان إلى الخلق، بوجوه الإحسان، الذي من أعظمها، دفع ضرورة المحتاجين، بإطعامهم ما يتقوتون به، وهؤلاء لا إخلاص ولا إحسان، فلذلك استحقوا ما استحقوا، ﴿ فليس له اليوم ها هنا ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ حيم ﴾ أي: قريب أو صديق يشفع له، لينجو من عذاب الله، أو يفوز بثواب الله: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع♦.

وليس له طعامٌ إلا من غسلين وهو صديد أهل النار، الذي هو في غاية الحرارة، ونتن الريح، وقبح الطعم ومرارته لا يأكل هذا الطعام الذميم ﴿ إِلَّا الْحَاطِسُونَ ﴾ اللَّذِينَ أَخْطُؤُوا الصراط المستقيم، وسلكوا سبل الجحيم (٥)، فلذلك استحقوا العذاب الأليم.

(۳۸ - ۲۰) وفيلا أقسم بما تبصرون \* وما لا تبصرون \* إنه لقول رسول كريم \*وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون \* ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون \* تنزيل من

الجحيم صلوه \* ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه \* إنه كان لا يؤمن بالله العظيم \* ولا يحض على طعام المسكين \* فليس له اليوم هاهنا حميم \* ولا طعام إلا من غسلين \* لا يأكله إلا الخاطئون، مؤلاء أمل الشقاء، يُعْطُونَ كتب أعمالهم السيئة(١) بشمالهم تمييزاً لهم وخزياً، وعاراً وفضيحة، فيقول أحدهم من الهم والغم والخزي(٢) : ﴿ يِا لِيتنِّي لم أوت كتابيه لأنه يبشر بدخول النار، والخسسارة الأبديسة، ﴿ وَلَمْ أَدْرُ مِنا حسابیه ای: لیتنی کنت نسیاً منسیاً، ولم أبعث وأحاسب، ولهذا قال: ﴿يا ليتها كانت القاضية ﴾ أي: يا ليت موتتي هي الموتة التي لا بعث بعدها.

ثم التفت إلى ماله وسلطانه، فإذا هو وبال عليه، لم يقدم منه لأخرته، ولم ينفعه في الافتداء من عذاب الله (٢٠)، فيقول: ﴿ مَا أَغْنَى عَنِي مَالِيهِ ﴾ أي: ما نفعني لا في الدنيا، لم أقدم منه شيئاً، ولا فَي الآخْرة، قد ذهب وقت نفعه.

﴿ هلك عنى سلطانيه ﴾ أي: ذهب واضمحل، فلم تنفع الجنود الكثيرة، ولا العُدد الخطيرة(1)، ولا الجاه العريض، بل ذهب ذلك كله أدراج الرياح، وفاتت بسببه المتاجر والأرباح، وحنضر بندله الهموم والغموم والأتراح، فحينئذ يؤمر بعذابه فيقال للزبانية العلاظ الشداد: ﴿ خُدُوهُ فغلوه ﴾ أي: اجعلوا في عنقه غلاً يخنقه، ﴿ثُمُّ الجحيم صلوه ﴾ أي: قلبوه على جرها ولهبها، ﴿ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً به من سلاسل الجحيم في غاية الحرارة، ﴿فاسلكوه﴾ أي: انظموه فيها بأن تدخل في دبره وتخرج من فمه، ويعلق فيها، فلا يزال

في ب: كتبهم المشتملة على أعمالهم السيئة. (١)

في ب: الحزن. (٢)

في ب: ولا ينفعه لو افتدى به من العذاب. (٣)

في ب: فلم تنفع الجنود ولا الكثرة ولا العَددُ ولا العِدَدُ. (1)

في ب: وسلكوا كل طريق يوصلهم إلى الجحيم. (0)

فى ب: بل دخل. (٦)

النافيان ٧٠ الولالعال النافيا فَلَيْسَلَهُ ٱلْيُوْمَ هَهُنَا جَيدٌ ۞ وَلَاطَعَامُ إِلَّهِنْ غِسْلِينِ ۞ لَّا يَأْكُمُهُ إِلَّهُ إِلَّا ٱغْطَانُونَ ۞ فَلَآ أَقْسِمُ عِالْبُصِرُونَ ۞ وَمَالَانْتُصِرُونَ۞ إِنَّهُ لَفَوْلُ رَسُولِ كَيْمٍ ۞ وَمَا هُوَبِقَوْلِ شَاعِمٌ قِلْيلًا مَّا نُوْمِنُونَ۞ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنَ قَلِيلًا مَا لَذَكُّرُونَ ۞ نَيْزِيلٌ مِن زَبِّ ٱلْعَلَمِينَ۞ وَلَوْنَقَوْلَ عَلِنَا بَعْضَ ٱلْأَفَاوِيلِ ۞ لَأَخَذَنَامِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۞ ثُرُلُقَطَعَنَامِنْهُ ٱلْوَيْنَ۞ فَمَا مِنكُمُ مِنْ لَحَدِعَنْهُ حَجِينَ ۞ وَلِفَدُلْمَذَ كُونِينَ ۞ لِلْمُنْقِينَ ۞ وَإِنَّا لَنَعَلَمُ أَنَّ مِنكُمْ ثُكَلِّينِينَ ۞ وَإِنَّمُلْحَسْرَةُ عَلَى ٱلْكَفِينَ ۞ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ۞ فَسَيْحٌ إِلَّهُ مِرَئِكَ ٱلْعَظِيرِ۞ <u> سِنْ وَالْعَلِيْنِ ﴿</u> مِلْقَوَالِتَمْ الْحَيْدِ سَأَلَ سَآيِنُ إِعَدَابِ وَاقِعِ ۞ لِلْكَنْفِينَ لَيْسَلَمُدَافِعُ ۞ مِنَ اللَّهِ ذِى ٱلْمَارِجِ ۞ مَعَرُجُ ٱلْمَلَتِهِ كَةُ وَٱلزُّوحُ إِلَيْهِ فِيوْمِ كَانَ مِقْدَارُهُ خَسِينَ أَلْفَ سَتَقِي فَأَصْبِرْصَ بُرَاجَيمِيلان إِنَّهُ مُ يَرَفَهُ مُعِيدًا ۞ وَزَيْهُ قِيبًا ۞ يَوْمَ كُونُ ٱلنَّمَا يَكُلْهُ إِلَّهُ اللَّهُ إِلَّ ۞ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَالْحِقِينِ ۞ وَلَايَسَتَلْ بَعِيدُ مُرَحِيدُ عَلَيْ

CASSIS NO RESIDENCE

البشر (۱) بل هو كلام دال على عظمة من تكلم به، وجلالة أوصافه، وكمال تربيته لعباده، وعلوه فوق عباده، وأيضاً، فإن هذا ظن منهم بما لا يليق بالله وحكمته فإنه لو تقول عليه (۱) وأفترى ﴿بعض الأقاويل﴾ الكاذبة، الوتين﴾ وهو عرق متصل بالقلب، إذا القطع، مات (۱) منه الإنسان، فلو قدر أن الرسول حاشا وكلا - تقول أخذ عزيز مقتدر، لأنه حكيم، على كل أخذ عزيز مقتدر، لأنه حكيم، على كل أخذ عزيز مقتدر، لأنه حكيم، على كل أمنه الباحل له دماء من خالفه يمان الله أباح له دماء من خالفه وأموالهم، وأنه هو وأتباعه لهم وأموالهم، وأنه هو وأتباعه لهم النجاة، ومن خالفه فله الهلاك.

فإذا كان الله قد أيد رسوله بالمعجزات، وبرهن على صدق ما جاء به بالآيات البينات، ونصره على أعدائه، ومكنه من نواصيهم، فهو أكبر شهادة منه على رسالته، وقوله: ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ أي: لو أهلكه، ما امتنع هو بنفسه، ولا قدر أحد أن يمنعه من عذاب الله.

(١) في ب: قولاً للبشر.

(٢) في ب: علينا.

(٣) في ب: هلك.

﴿ وإنه ﴾ أي: القرآن الكريسم لتذكرة للمتقين ﴾ يتذكرون به مصالح دينهم ودنياهم، فيعرفونها، ويعملون عليها، يذكرهم العقائد الدينية، والأخلاق المرضية، والأحكام الشرعية، فيكونون من العلماء الربانين، والعباد العارفين، والأئمة الهديين، ﴿ وإنا لنعلم أن منكم مكذبين ﴾ به، وهذا فيه تهديد ووعيد

للمكذبين، فإنه سيعاقبهم على تكذيبهم

بالعقوبة البليغة، ﴿وَإِنَّهُ لَحُسْرَةُ عِلَى

الكافرين﴾ فإنهم لما كفروا به، ورأوا ما

وعدهم به، تحسروا إذ لم يهتدوا به، ولم

ينقادوا لأمره، ففاتهم الثواب،

وحصلوا على أشد العذاب، وتقطعت

بهم الأسباب. 

﴿ وإنه لحق اليقين ﴾ أي: أعلى مراتب العلم، فإن أعلى مراتب العلم، القين وهو العلم الثابت، الذي

واليقين مراتبه ثلاثة، كل واحدة أعلى مما قبلها:

لا يتزلزل ولا يزول.

أولها: علم اليقين، وهو العلم المستفاد من الخبر.

ثم عين اليقين، وهو العلم المدرك بحاسة البصر.

ثم حق اليقين، وهو العلم المدرك بحاسة الذوق والمباشرة.

وهلذا القرآن الكريسم، بهذا الوصف، فإن ما فيه من العلوم المؤيدة بالبراهين القطعية، وما فيه من الحقائق والمعارف الإيمانية، يحصل به لمن ذاقه حق اليقين.

﴿ فسبّح باسم ربك العظيم ﴾ أي: نزهه عما لا يليق بجلاله، وقدّسه بذكر أوصاف جلاله وجاله وكماله.

تم تفسير سورة الحاقة، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، على كماله وأفضاله وعدله.

## تفسير سورة سأل سائل وهي مكية

﴿ ١ - ٧﴾ ﴿ بسسم الله السرحسن الرحيم سأل سائل بعذاب واقع \* لكافرين ليس له دافع \* من الله ذي المعارج \* تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمين الف سنة \* فأصبر صبراً جميلاً \* إنهم يرونه بعيداً \* ونراه قريباً ﴾ يقول تعالى مبيناً لهم المعاندين، واستعجالهم لعذاب الله، استهزاء وتعنتاً وتعجيزاً:

وسال سائل افي: دعا داع، واستفتح مستفتح وبعذاب واقع \* للكافرين لاستحقاقهم له بكفرهم وعنادهم وليس له دافع \* من الله أي: ليس لهذا العذاب الذي استعجل به من استعجل من متمردي المسركين، أحد يدفعه قبل نزوله، أو يرفعه بعد نزوله، وهذا حين دعا المشركين أخارث القرشي أو غيره من الخارث القرشي أو غيره من المشركين (أكان فقال: واللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو انتنا بعذاب أليم إلى آخر الآيات.

فالعذاب لابدأن يقع عليهم من الله، فإما أن يعجل لهم في الدنيا، وإما أن يؤخر عنهم إلى الآخرة (٥)، فلو عرفوا الله تعالى، وعرفوا عظمته، وسبعبة سلطانيه، وكيميال أسيمائيه وصفاته، لما استعجلوا ولاستسلموا وتأدبوا، ولهذا أخبر تعالى من عظمته ما يضاد أقوالهم القبيحة، فقال: ﴿ذَي المعارج \* تعرج الملائكة والروح إليه أي: ذو العلو والجلال والعظمة، والتدبير لسائر الخلق، الذي تعرج إليه الملائكة بما دبرها (٢) على تدبيره، وتعرج إليه الروح، وهذا اسم جنس يشمل الأرواح كلُّها، برُّها وفاجرها، وهذا عند الوفاة، فأما الأبرار، فتعرج أرواحهم إلى الله، فيؤذن لها من سمآء

- (٦) في ب: بما جعلها.
- ٥) في ب: وإما أن يدَّخر لهم في الآخرة.

في ب: المكذبين.

إلى سماء، حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله عز وجل، فتحيّي ربها وتُسلم عليه، وتحظى بقربه، وتبتهج بالدنو منه، ويحصل لها منه الثناء والإكرام، والبر والإعظام.

وأما أرواح الفجار، فتعرج، فإذا وصلت إلى السماء استأذنت فلم يؤذن لها، وأعبدت إلى الأرض.

ثم ذكر المسافة التي تعرج إلى الله فيها الملائكة والأراوح (1)، وأنها تعرج في يوم بما يسر لها من الأسباب، وأعانها عليه من اللطافة والحفة وسرعة السير، مع أن تلك المسافة على السير المعتاد مقدار خمسين ألف سنة، من ابتداء العروج إلى وصولها، ما حُد لها، وما تنتهي إليه من الملأ الأعلى، فهذا الملك العظيم، والعالم الكبير، علويه وسفليه، جميعه قد تولى خلقه وتدبيره، العلي الأعلى، فعلم أحوالهم وتدبيره، والباطنة، وعلم مستقرهم وسمتودعهم، وأوصلهم من رحمته وبره ورزقه (٢)، ما عمهم وشملهم، وأجرى عليهم حكمه القدري، وحكمه الشرعي، وحكمه القدري،

فبؤساً لأقوام جهلوا عظمته، ولم يقدروه حق قدره، فاستعجلوا بالعذاب على وجه التعجيز والامتحان، وسبحان الحليم الذي أمهلهم وما أهملهم، وآذوه فصبر عليهم، وعافاهم ورزقهم.

هذا أحد الاحتمالات في تفسير هذه الآية [الكريمة]، فيكون هذا العروج والصعود في الدنيا، لأن السياق الأول يدل على هذا.

اسيان الدون يدن على المدا. ويحتمل أن هذا في يوم القيامة، وأن الله تبارك وتعالى يُظهِرُ لعباده في يوم القيامة، من عظمته وجلاله وكبريائه، ما هو أكبر دليل على معرفته، مما يشاهدونه من عروج الأملاك والأرواح، صاعدة ونازلة،

بالتدابير الإلهية، والشؤون في الخليقة (٣).

في ذلك اليوم الذي مقداره خسون ألف سنة من طوله وشدته، لكن الله تعالى يخففه على المؤمن.

وقوله: ﴿فاصبر صبراً جميلاً﴾ أي: اصبر على دعوتك لقومك صبراً جميلاً، لا تضجّر فيه ولا ملل، بل استمر على أمر الله، وادع عباده إلى توحيده، ولا يمنعك عنهم ما ترى من عدم انقيادهم، وعدم رغبتهم، فإن في الصبر على ذلك خيراً كثيراً، ﴿إنهم يرونه بعيداً \* ونراه قريباً ﴾ الضمير يعود إلى البعث، الذي يقع فيه عذاب السائلين بالعذاب أي: إن حالهم حال المنكر له، أو الذي غلبت عليه الشقوة والسكرة، حتى تباعد جميع ما أمامه من البعث والنشور، والله يرآه قريباً، لأنه رفيق حليم لا يعجل، ويعلم أنه لا بد أن يكون، وكل ما هو آت فهو قريب. ثم ذكر أهوال ذلك اليوم وما يكون

﴿٨ ـ ٨٨﴾ ﴿يوم تكون السماء كالمهل \* وتكون الجبال كالعهن \* ولا يسأل حميم حميماً \* يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه \* وصاحبته وأخيه \* وفصيلته التي تؤويه \* ومن في الأرض جميماً ثم ينجيه \* كلا إنها لظى \* ننزاعة للشوى \* تدعو من أدبر وتول \* وجم فأوعى \*

فيه، فقال:

أي: ﴿ يُومِ ﴾ القيامة، تقع فيه هذه الأمور العظيمة فـ ﴿ تكون السماء كالمهل ﴾ وهو الرصاص المذاب، من تشققها، وبلوغ الهول منها كل مبلغ.

سقفها، وبلوع الهول منها كل مبلغ . ﴿ ٩ ﴾ ﴿ وتكون الجبال كالعهن ﴾ وهو الصوف المنفوش، ثم تكون بعد ذلك هباء منثوراً، فتضمحل، فإذا كان هذا القلق والانزعاج لهذه الأجرام الكبيرة الشديدة، فما ظنك بالعبد

Station v Williams يُتَصَرُّونَهُمُّ يُوَدُّلُلُمْ مُلُوْيَهُ تَدَى مِنْ عَذَابِ يَوْمِهِ زِبَيْدِ هِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۞ وَفَصِيلَتِهِ أَلَقَ ثُقُوبِهِ۞ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُوُّ يُنجِيهِ ۞ كُلَّا أَمَّا لَظَى ۞ زَاعَةُ لِلنَّوَىٰ ۞ نَدْعُواْ مَنْ أَذَبَرُ وَتُولِّكُ ۞ وَجَمَعَ فَأُوتَى ۞ • إِنَّ ٱلْإِسْدَنَ خُلِقَ هَلُوعًا @إِذَامَتُهُ ٱلنَّنَرُجَرُوعًا ۞ وَإِذَامَتَهُ ٱلْغَيْرُمَنُوعًا ۞ إِلَّا ٱلْصَلِينَ۞ ٱلَّذِينَ هُرَعَلَى صَلَائِمْ مَآكُونَ۞ وَٱلَّذِينَ فِي أَمْهَارُ حَقُّ مَعَلُومٌ ۞ لِلسَّكَ إِلِى وَٱلْمَحْرُومِ ۞ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيُّومِ ٱلدِّينِ ۞ وَٱلَّذِينَ هُرِمِنَ عَنَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ۞ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونِ۞ وَٱلَّذِينَ مُرْلِفُرُوجِهِمْ حَفِظُونَ۞ إِلَّا عَلَيْٓ أَزْوَجِهِمْ أَوْمَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُمَلُومِينَ ۞ فَتَن ٱبْتَغَي وَرَّتَهُ ذَلِكَ ۗ فَأُوْلَئِهَكَ هُزُالْقادُونَ۞ وَالَّذِينَ هُمَ لِأَمْنَتَهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَعُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُرِيشَهَدَتِهِمْ فَآيَوُنَ ۞ وَالَّذِينَ هُمَّ عَلَى سَلَاتِهُمْ يَعَافِظُونَ ۞ أُوْلَيْكَ فِجَنَّتِ مُكُومُونَ۞ فَالِ ٱلَّذِينَ ٱلْأَرُولِقِلُكَ مُهْطِعِينَ ۞ عَنِ ٱلْيَعِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ۞ أَيَطْمَتُحُ كُلُّ أَمْرِي مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَجَنَّةَ نَعِيمٍ ۞ كَلَّا إِنَاخَلَفْنَهُم مِمَّا يَعْلَمُونَ ۞ TO DESCRIPTION OF STREET

الضعيف الذي قد أثقل ظهره بالذنوب والأوزار؟

أليس حقيقاً، أن ينخلع قلبه وينزعج لبه، ويذهل عن كل أحد؟ ولهذا قال: ﴿ولا يسأل حميم حميما \* يبصرونهم ﴾ أي: يشاهد الحميم، وهو القريب حميمه، فلا يبقى في قلبه متسع لسؤال حميم عن حاله، ولا فيما يتعلق لبعشرتهم ومودتهم، ولا يهمه إلا نفسه، ﴿ولو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه \* ﴿ولو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه \* وصاحبته ﴾ أي: زوجته ﴿واخيه \* وأي: التي جرت عادتها في الدنيا أن ونصياته ويعين بعضها بعضاً، ففي يوم القيامة، لا ينفع أحد أحداً، ولا يشفع أحد أحداً، ولا يشفع

بل لو يفتدي [المجرم الستحق للعذاب] بجميع ما في الأرض ثم ينجيه لم ينفعه ذلك.

﴿كلا﴾ أي: لا حيلة ولا مناص لهم، قد حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون<sup>(1)</sup>، وذهب نفع الأقارب والأصدقاء.

<sup>(</sup>١) في ب: تعرج فيها الملائكة والروح إلى الله.

<sup>(</sup>۲) في ب: وإحسانه.

<sup>(</sup>٣) في ب: والشؤون الربانية.

<sup>(</sup>٤) في ب: قد حقت عليهم كلمة ربك.

STATE OF THE PROPERTY OF THE P فَلَا أَقْسِهُ مِنَ لَلْشَرْفِ وَلَلْغَرْبِ إِنَّا لَهَا رُونَ ۞ عَلَى أَن بُرَزِلَ خَيْرًا عَنْهُمْ وَمَاغَنُ بِمَدْ بُوفِينَ ۞ فَذَرُهُمْ يَخُوخُواْ وَيَلْعَبُواْ حَقَّىٰ لِلْقُواْ يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۞ يَوْمَ يَغْرُجُونَ مِنَ ٱلْخَيْدَاثِ بِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى ضُبُ وُحِنُونَ ﴿ خَيْمَةً أَضَرُ فُمْ رَهَقَهُمْ فِلْةً ذَٰ إِلَى ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي كَانُوا يُوعِدُونَ ﴿ BARRED BARRET إِنَّا أَرْسَلُنَا فُوحًا إِلَى قَيْمِهِ ۚ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْفِيهُمْ عَذَابُ أَلِيرٌ ۞ قَالَ يَنَقُومِ إِنِّ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ أَن أَعَبُدُواللَّمَا وَأَتَقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۞ يَغْفِرُلكُمْ مِن ذُوْبِكُمْ وَوُجَزَرُمُ إِلَّ أَجَلِ مُسَمِّينًا إِنَّ أَجَلُ اللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤْخِذُ كُوكُ مُسُمُّ مَّعَ لَمُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّ دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَازًا ۞ فَلَتَ يَرَوْهُو دُعَكَ إِيَ إِلَّافِكَاذَا ۞ وَإِنِّ كُنَّادَعَوْتُهُمْ لِنَغْيِرَ لَمُتَجَعَلُواْ أَمَيْعَهُمْ في مَاذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْلِينَا بَهُمْ وَأَصَرُوا وَأَسْتَكُمْرُوا أَسْيَكُمُ أَلَ ۞ ثُرَّالِهَ دَعَوَتُهُمُّرِجِهَا وَ۞ ثُرَّالِيَّ أَعَلَتُ لَمَّةُ وَأَسْرَدُتُ المُنْهُ إِسْرَارُاكِ فَمُلْتُ أَسْتَغَفِرُواْرَيْكُمْ إِنْكُواْ مَنْ عَلَالُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ OND OV. BONED

﴿إنها لظي \* نزاعة للشوى، أي: للأعضاء الظاهرة والباطنة من شدة

﴿تسدعسو﴾ إليها (٢) ﴿مسن أدبر وتولى \* وجمع فأوعى ﴾ أي: أدبر عن اتباع الحق وأعرض عنه، فليس له فيه غرض، وجمع الأموال بعضها فوق بعض وأوعاهاً، فلم ينفق منها فإن النار تدعوهم إلى نفسها، وتستعد للالتهاب

﴿١٩ \_ ٣٥﴾ ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً \* إذا مسه الشر جزوعاً \* وإذا مسه الخير منوعاً \* إلا المصلين \* الذين هم على صلاتهم دائمون \* والذين في أموالهم حتٌّ معلوم \* للسائل والمحروم \* والذين يصدقون بيوم الدين \* والذين هم من عذاب ربهم مشفقون \* إن عذاب ربهم غير مأمون \* والذين هم لفروجهم حافظون \* إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين \* فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون \* والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون \* والذين هم بشهاداتهم قائمون \* والذين هم على صلاتهم يحافظون \* أولئك في جنات

مكرمون، وهذا الوصف للإنسان من حيث هو وصف طبيعته الأصلية، أنه هلوع. وفسر الهلوع بأنه: ﴿إذا مسه الشر جزوعاً﴾ فيجزع إن أصابه فقر أو مرض، أو ذهاب محبوب له، من مال أو أهل أو ولد، ولا يستعمل في ذلك الصبر والرضابما قضى الله، ﴿وإذا مسه الخير منوعاً فلا ينفق مما آتاه الله، ولا يشكر الله على نعمه وبره، فيجزع في الضراء، ويمنع في السراء. ﴿إلا المصلين ﴾ الموصوفين بتلك الأوصاف، فإنهم إذا مسهم الخير شكروا الله، وأنفقوا مما خولهم الله، وإذا مسهم الشر صبروا واحتسبوا.

وقوله: [في وصفهم] ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون، أي: مداومون عليها في أوقاتها بشروطها ومكملاتها.

وليسوا كمن لا يفعلها، أو يفعلها وقتاً دون وقت، أو يفعلها على وجه ناقص. ﴿والذين في أموالهم حق معلوم، من زكاة وصدقة ﴿للسَائلِ ﴾ الذي يتعرض للسؤال، ﴿والمحروم﴾ وهو المسكين الذي لا يسأل الناس فيعطوه، ولا يفطن له، فيتصدق عليه.

﴿والذين ينصدقون بيوم الدين﴾ أي: يومنون بما أخبر الله به، وأخبرت به رسله، من الجزاء والبعث، ويتيقنون ذلك، فيستعدون للآخرة، ويسعون لها سعيها. والتصديق بيوم الدين، يلزم منه التصديق بالرسل، وبما جاؤوا به من الكتب.

﴿ واللَّذِينَ هِم مِن عَلَابِ رَجِم مشفقون اي: خائفون وجلون، فيتركون لذلك كل ما يقربهم من عذاب الله. ﴿ إِن عذاب ربهم غير مأمون﴾ أي: هو العذاب الذي يخشى يحافظون، بمداومتها على أكمل ويحذر.

> ﴿والذين هم لفِروجهم حافظون﴾ فلا يطؤون بها وطأ محرماً، من زنتى، أو لواط، أو وطء في دبر، أو حيض، ونحو ذلك، ويحفظُونها أيضاً من النظر

إليها ومسها، ممن لا يجوز له ذلك، ويتركون أيضاً، وسائل المحرمات الداعية لفعل الفاحشة .

﴿ إِلَّا عَلَى أَزُواجِهِم أَو مَا مَلَكُتُ أيمانهم ﴾ أي: سرياتهم ﴿فإنهم غير ملومين، في وطئهن، في المحل الذي هو محل الحرث، ﴿ فمن ابتغي وراء ذلك اي: غيس الزوجة وملك اليمين، ﴿فأولئك هم العادون ﴾ أي: المتــجـــاوزون مـــا أحـــل الله إلى مـــا حرم الله، ودلت هذه الآية على تحريم [نكاح] المتعة، لكونها غير زوجة مقصودة، ولا ملك يمين.

﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون، أي: مراعون لها، حافظونُ مجتهدون على أدائها والوفاء بها، وهذا شامل لجميع الأمانات التي بين العبد وبين ربه، كالتكاليف السرية، التي لا يطلع عليها إلا الله، والأمانات التي بين العبد وبين الخلق، في الأموال والأسرار، وكذلك العهد، شامل للعهد الذي عاهد عليه الله، والعهد الذي عاهد عليه الخلق، فإن العهد يسأل عنه العبد، هل قام به ووفاه، أم رفضه وخانه فلم يقم به؟ أ

﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ أي: لا يشهدون إلا بما يعلمونه، من غير زيادة ولا نقص ولا كتمان، ولا يحابي فيها قريباً ولا صديقاً ونحوه، ويكون القصد بها(٣) وجه الله.

قال تعالى: ﴿وأقيموا الشهادة شُهُ ﴿ يِا أَيُّهَا الَّذِينِ آمِنُوا كُونُوا قُوامِينَ بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾ .

﴿والــذيــن هــم عــلي صـــلاتهـــ وجوهها، ﴿أُولَئك﴾ أي: الموصوفون بتلك الصفات ﴿في جنات مكرمون ﴾ أي: قد أوصل الله لهم من الكرامة والنعيم المقيم ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون.

في ب: تدعو إلى نفسها.

في ب: القصد بإقامتها.

في ب: أي: النار التي تتلظى تنزع من شدتها للأعضاء الظاهرة والباطنة .

وحاصل هذا، أن الله وصف أهل السعادة والخير بهذه الأوصاف الكاملة، والأخلاق الفاضلة، من العبادات البدنية، كالصلاة، والمداومة عليها، والأعمال القلبية، كخشية الله الداعية لكل خير، والعبادات المالية، والمعقائد النافعة، والأخلاق الفاضلة، ومعاملة الله، ومعاملة خلقه، أحسن وأسرارهم (١٦)، والعفة التامة بحفظ عهودهم وأسرارهم (١٦)، والعفة التامة بحفظ المفروج عما يكره الله تعالى.

﴿٣٦\_٣٩﴾ ﴿ قمال الذين كفروا قبلك مهطعين \*عن اليمين وعن السمال عزين \* أيطمع كل أمرى، منهم أن يدخل جنة نعيم \* كلا إنا خلقناهم مما يعلمون ﴾ يقول تعالى، مبيناً أغترار الكافرين: ﴿ فمال الذين كفروا قبلك مهطعين ﴾ أي: مسرعين قطعاً متفرقة، وجماعات متوزعة (٢٠٠٠). كل منهم بما لديه فرح.

﴿أيطمع كل أمرىء منهم أن يدخل جنة نعيم﴾ بأي: سبب أطمعهم، وهم لم يقدموا سوى الكفر، والجحود برب العالمين، ولهذا قال: ﴿كلا﴾ [أي:] ليس الأمر بأمانيهم، ولا إدراك ما يشتهون بقوتهم.

﴿إِنَا خَلَقْنَاهُم مَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والتراثب، فهم ضعفاء، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

﴿ ٤ - ٤٤ ﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون \* على أن نبدل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين \* فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون \* يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون \* خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون في هذا إقسام منه تعالى بالمشارق والمغارب، للمشمس والقصر

والكواكب، لما فيها من الآيات الباهرات على البعث، وقدرته على تبديل أمثالهم، وهم بأعيانهم، كما قال تعالى: ﴿وننشئكم فيما لا تعلمون﴾ ﴿ وما نحن بمسبوقين ﴾ أي: ما أحد يسبقنا ويفوتنا ويعجزنا إذا أردنا أن نعيده، فإذا تقرر البعث والجزاء، واستمروا على تكذيبهم، وعدم انقيادهم لآيات الله ﴿فَلَرُهُمْ يَخُوضُوا ويلعبوا اي: يخوضوا بالأقوال الباطلة، والعقائد الفاسدة، ويلعبوا بدينهم، ويأكلوا ويشربوا، ويتمتعوا ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ فإن الله قد أعد لهم فيه من النكال والوبال ما هو عاقبة خوضهم ولعبهم. ثم ذكر حال الخلق حين يلاقون يومهم (٣) الذي يوعدون، فقال: ﴿يُوم يخرجون من الأجداث♦ أي: القبور، ﴿سراعاً﴾ مجيبين لدعوة الداعي، مهطعين إليها ﴿كأنهم إلى نصب يوفضون أي: [كأنهم إلى عَلَم] يؤمون ويسرعون(١٤) أي: فلا يتمكنون من الاستعصاء للداعي، والالتواء لنداء المنادي، بل يأتون أذلاء مقهورين للقيام، بين يدي رب العالمين. ﴿خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة﴾ وذلك أن البذلية والتقبلق قيد ملك قىلوبىم، واستولى على أفشدتهم، فخشعت منهم الأبصار، وسكنت منهم الحركات، وانقطعت الأصوات. فهذه الحال والمآل، هو يومهم ﴿الدِّي كانوا يوعدون﴾ ولا بد من

#### تفسير سورة نوح عليه السلام وهي مكية

الوفاء بوعد الله [تمت والحمد لله].

﴿١ ـ ٢٨﴾ ﴿بسم الله السرحمين الرحمين الرحمي إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك ﴿ الله وَمِهُ إلى قومه أن أندر الله في هذه السورة سوى قصة نوح وحدها لطول لبثه في قومه، وتكرار دعوته إلى التوحيد، ونهيه عن الشرك، فأخبر

في ب: ويقصدون.

(٣)

تعالى أنه أرسله (٥) إلى قومه، رحمة بهم وإنذاراً لهم من عذاب الله الأليم، خوفاً من استمرارهم على كفرهم، فيهلكهم الله هلاكاً أبدياً، ويعذبهم عذاباً سرمدياً، فامتثل نوح عليه السلام لذلك، وابتدر لأمر الله، فقال: ﴿يا قوم إن لكم نذير مبين ♦ أي: واضح النذارة بيّنهاً، وذلك لتوضيحه ما أنذر به وما أنذر عنه، وبأي: شيء تحصل النجاة، بين جميع ذلك بياناً شافياً، فأخبرهم وأمرهم بزبدة ما يأمرهم به (٢٦)، فقال: ﴿أَنْ أَعْبِدُوا اللهِ وَاتَّقُوهُ ﴾ وذلك بإفراده تعالى بالتوحيد والعبادة، والبعد عن الشرك وطرقه ووسائله، فإنهم إذا اتقوا الله غفر ذنوبهم، وإذا غفر ذنوبهم، حصل لهم النجاة من العنداب، والفوز بالشواب، ﴿ويوْخركم إلى أجل مسمى ﴾ أي: يمتعكم في هذه الدار، ويدفع عنكم الهلاك إلى أجل مسمى أي: مقدر [البقاء في الدنيا] بقضاء الله وقدره [إلى وقت محدود]، وليس المتاع أبداً، فإن الموت لا بد منه، ولهذا قال: ﴿إِنْ أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون لل كفرتم بالله، وعاندتم الحق، فلم يجيبوا لدعوته، ولا انقادوا لأمره، فقال شاكياً لربه: ﴿ رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً \* فلم يزدهم دعائي إلا فرارا﴾ أي: نفوراً عن الحق وإعراضاً، فلم يبق لذلك فائدة، لأن فائدة الدعوة أن يحصل جميع المقصود أو بعضه، ﴿وإن كلما دعوتهم لتغفر لُهِم ﴾ أي: لأجل أن يستجيبوا، فإذا استجابوا، غفرت لهم، فكان هذا محض مصلحتهم، ولكنهم أبوا إلا تمادياً على باطلهم، ونفوراً عن الحق، ﴿ جعلوا أصابعهم في آذانهم ﴿ حذر سماع ما يقول لهم نبيهم نوح عليه السلام، ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ أي: تغطوا بها غطاء يغشاهم، بعداً عن الحق وبعضاً له، ﴿وأصرُوا﴾ على كفرهم وشرهم، ﴿واستكبروا﴾ على

**في ب: اليوم.** (٥) **في ب: أنه أرسل نوحاً.** 

<sup>(</sup>٦) في ب: وأمرهم بأصل ذلك.

<sup>(</sup>١) في ب: وحفظ حقوقهم وأماناتهم.

<sup>(</sup>٢) في ب: متنوعة.

الحق ﴿استكباراً﴾ فشرُّهم ازداد، وخيرهم بَعُدَ.

وشم إن دعوتهم جهاراً أي:
بمسمع منهم كلهم، وثم إن أعلنت
لهم وأسررت لهم إسراراً كل هذا
حرص ونصح، وإتيانهم بكل باب يظن
أن يحصل منه المقصود (۱)، وفقلت
استغفروا ربكم أي: اتركوا ما أنتم
عليه من الذنوب، واستغفروا الله

﴿إنه كان غفاراً ﴾ كثير المغفرة لن تاب واستغفر، فرغبهم بمغفرة الذنوب، وما يترتب عليها من حصول الثواب، واندفاع العقاب.

ورغبهم أيضاً بخير الدنيا العاجل، فقال: ﴿ ويرسل السماء عليكم مدرارا﴾ أي: مطراً متتابعاً، يروي الشعاب والوهاد، ويحيي البلاد والعباد. ﴿ ويمددكم بأموال وبنين ﴾ أي: يكثر أموالكم التي تدركون بها ما تطلبون من الدنيا وأولادكم، ﴿ ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ﴾ وهذا من أبلغ ما يكون من لذات الدنيا ومطالبها.

﴿مالكم لا ترجون لله وقاراً ﴾ أي: لا تخافون لله عظمة، وليس لله عندكم قدر، ﴿وقد خلقكم أطوارًا ﴾ أي: خلقاً [من] بعد خلق، في بطن الطفولية، ثم التمييز، ثم الشباب، إلى آخر ما وصل إليه الخلق (٢)، فالذي انفرد بالخلق والتدبير البديع، متعين أن يفرد بالعبادة والتوحيد، وفي ذكر ابتداء خلقهم تنبيه لهم على الإقرار بالمعاد، وأن الذي أنشأهم من العدم قادر على أن يعيدهم بعد موتهم.

واستدل أيضاً عليهم بخلق السماوات التي هي أكبر من خلق الناس، فقال: ﴿ أَلْم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا﴾ أي:

كل سماء فوق الأخرى، ﴿وجعل الشمر فيهن نوراً ﴾ لأهل الأرض ﴿وجعل الشمس سراجا ﴾.

ففيه تنبيه على عظم خلق هذه الأشياء، وكثرة المنافع في الشمس والقمر الدالة على رحمته وسعة إحسانه، فالعظيم الرحيم، يستحق أن يعظم ويحب ويعبد ويخاف ويرجى، ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً ﴾ حين خلق أباكم أدم وأنتم في صلبه، وثم يعيدكم فيها) عند الموت (ويخرجكم إخراجاكه للبعث والنشور، فهو الذي يملُّك الحياة والموت والنشور، ﴿والله جعل لكم الأرض بساطا ﴾ أي: مبسوطة مهيأة للانتفاع بها، ﴿لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً ﴾ فلولا أنه بسطها، لما أمكن ذلك، بل ولا أمكنهم حرثها وغرسها وزرعها، والبناء، والسكون على ظهرها.

وقال نوح > شاكياً لربه: إن هذا الكلام والوعظ والتذكير ما نجع فيهم ولا أفاد: ﴿ إنهم عصوني > فيما أمرتهم به ﴿ واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً > أي: عصوا الرسول الناصح اللذال على الخير، واتبعوا اللأ والأشراف الذين لم تزدهم أموالهم ولا أولادهم إلا خساراً أي: هلاكاً وتفويتاً للأرباح، فكيف بمن انقاد لهم وأطاعهم؟! ﴿ ومكروا مكراً كُبارا >

أي: مكراً كبيراً بليغاً في معائدة الحق. ﴿ وقالوا ﴾ لهم داعين إلى الشرك منين له: ﴿ لا تنذرن آلهتكم ﴾ فدعوهم إلى التعصب على ما هم عليه من الشرك، وأن لا يدعوا ما عليه فقالوا: ﴿ ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾ وهذه أسماء رجال صالحين، لما ماتوا، زين الشيطان لقومهم أن يصوروا صورهم، لينشطوا \_ بزعمهم \_ على الطاعة إذا

رأوها، ثم طال الأمد، وجاء غير أولئك فقال لهم الشيطان: إن أسلافكم يعبدونهم، ويتوسلون بهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم، ولهذا أوصى رؤساؤهم للتابعين لهم، أن لا يدعوا عبادة هذه الآلهة (٣).

وقد أضلوا كثيراً أي: وقد أضل الكبار والرؤساء بدعوتهم كثيراً من الخلق، ﴿ولا ترد الظالمِن إلا ضلالهم عند عوتي إياهم بحق، لكان مصلحة، ولكن لا يزيدون بدعوة الرؤساء إلا ضلالاً أي: فلم يبق محل لنجاحهم ولا لصلاحهم، ولهذا ذكر الله عذابهم وعقوبتهم الدنيوية والأخروية، فقال:

وعاخطيئاتهم أغرقوا في اليم الذي أحاط بهم وفأدخلوا ناراً في البعر فذهبت أجسادهم في الغرق، وأرواحهم للنار والحرق، وهذا كله بسبب خطيئاتهم، التي أتاهم نبيهم نوح ينذرهم عنها، ويخبرهم بشؤمها ومغبتها، فرفضوا ما قال، حتى حل بهم النكال، وفلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً في ينصرونهم حين نزل بهم الأمر الأمر، ولا أحد يتقدر يعارض القضاء والقدر.

وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا له يدور على وجه الأرض، وذكر السبب في ذلك، فقال: ﴿إِنك إِن تَذْرِهِم يَضَلُوا عَبَادُكُ وَلا يَلْدُوا عَلَيْهِ السلام الله الله وإنما قال نوح - عليه السلام - ذلك، لأنه مع كثرة نخالطته إياهم، ومزاولته لأخلاقهم، لا جرم أن الله استجاب دعوته (ع)، فأغرقهم أجمين، ونجى دعوته ومن معه من المؤمنين،

﴿رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل

<sup>(</sup>١) في ب: بكل طريق يظن به حصول المقصود.

<sup>(</sup>٢) في ب: ثم إلى آخر ما يصل إليه الخلق.

<sup>(</sup>٣) في ب: هذه الأصنام.

<sup>(</sup>٤) في ب: فلهذا استجاب الله له دعوته.

بيتي مؤمناً ﴾ خص المذكورين لتأكد حقهم وتقديم برهم، ثم عمم الدعاء، فقال: ﴿وللمؤمنين والمؤمنات، ولا تزد الظالمين إلا تبارا﴾ أي: خساراً ودماراً و هلاكاً .

[وألحمد لله]

## تفسير سورة قل أوحي إلي [وهي] مكية

﴿١ - ٢﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً \* بهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً ﴾ أي: ﴿قُلِ ﴾ يا أيها الرسول للناس ﴿أُوحِي إِلَى أَنَّهِ استمع نَفْرِ مِنِ الْحِنِ﴾ صرفهم الله [إلى رسوله] لسماع آياته، لتقوم عليهم الحجة، [وتتم عليهم النعمة] ويكونوا نذراً (١<sup>١)</sup> لقومهم.

وأمر الله رسوله، أن يقص نبأهم على الناس، وذلك أنهم لما حضروه، قالوا: أنصتوا، فلما أنصتوا، فهموا معانيه، ووصلت حقائقه إلى قلومه، ﴿ فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجبا ﴾ أي: من العجائب الغالية، والمطالب

﴿٢﴾ ﴿يهدى إلى السرشد والرشد: اسم جامع لكل ما يرشد الناس إلى مصالح دينهم ودنياهم، ﴿ فَأَمِنا بِهِ وَلَنْ نَشُوكُ بِرِينًا أَحِدًا ﴾ فجمعوا بين الإيمان الذي يدخل فيه جميع أعمال الخير، وبين التقوي، [المتضمنة لترك الشر] وجعلوا السبب الداعي لهم إلى الإيمان وتوابعه، ما علموه من إرشادات القرآن، وما اشتمل عليه من المصالح والفوائد

واجتناب المضار، فإن ذلك آية عظيمة، وحجة قاطعة، لمن استنار به، واهتدى بهديه، وهذا الإيمان النافع، المثمر لكل خير، المبنى على هداية القرآن، بخلاف إيمان العوائد، والمربى والإلف تم تفسير سورة نوح عليه السلام ونحو ذلك، فإنه إيمان تقليد تحت خطر الشبهات والعوارض الكثيرة، ﴿وأنه تعالى جدرينا ﴾ أي: تعالت عظمته وتقدست أسماؤه، ﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولداً ﴾ فعلموا من جد الله وعظمته، ما دلهم على بطلان من يزعم أن له صاحبة أو ولداً، لأن له العظمة الكمال(٢) في كل صفة كمال، واتخاذ الصاحبة والولدينافي ذلك، لأنه يضاد كمال الغني.

﴿وأنه كان يقول سفيهنا على الله

شططا أي: قولاً جائراً عن

الصواب، متعدياً للحد، وما حمله على

ذلك إلا سفهه وضعف عقله، وإلا فلو

كان رزيناً مطمئناً لعرف كيف يقول. ﴿٥﴾ ﴿وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا الله أي: كنا مغترين قبل ذلك، وغرنا القادة (٣) والرؤساء من الجن والإنس، فأحسنا بهم الظن، وظنناهم (٤) لا يتجرؤون على الكذب على الله، فلذلك كنا قبل هذا على طريقهم، فاليوم إذ بان لنا الحق، رجعنا إليه (٥)، وانقدنا له، ولم نبال بقول أحد من الناس(٦) يعارض

الهدى . ﴿٦﴾ ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾ أي: كان الإنس يعبدون الجن ويستعيذون بهم عند المخاوف والأفزاع (٧)، فزاد الإنس الجن رهقا أى: طغياناً وتكبراً، لما رأوا الإنس

一般を表する。 一般の一般の الرُّبِيلِ السَّمَاءَ عَلِيَكُمْ مِنْدَرَادًا ۞ وَتُحْدِذُكُمْ مَأْمُولُ وَيَهَىٰ وَيَحْعَل لَكُرْجَنَّتِ وَيَغِعَلِلُهُ أَنْهَالِ مَالَكُو لَانْيَعُونَ لِلْهِ وَقَارًا ۞ وَقَدْ خَلَقَكُمُ أَطْوَارًا۞ أَلَوْتَرَوْاْكَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَوَتِ طِبَاقًا ۞ وَجَعَلَ ٱلْقَـمَرَفِيهِنَ ثُورًا وَجَعَلَ الثَّمْ مِرَاجًا ۞ وَاللَّهُ أَلَيْتَكُوْمِنَ ٱلْأَرْضِ نَهَافًا۞ تُرُّهُمُ ذُكُوفِهَا وَيُخْرِجُكُو إِخْلِجًا ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُوا لَأَرْضَ بِسَاطًا ۞ لِتَسْلُكُ وَامِنَا شُمُلًا فِجَاجًا۞ قَالَ فُحُ زَّتِ إِنَّهُمْ عَصَوْفِ وَأَتَّبَعُواْ مَن لَّرْيَزِوْهُ مَالُهُم ﴾ وَوَلَدُهُۥ إِلَّاحْسَازَا۞ وَمَكُرُواْمَكُواكِتُبَارَا۞ وَقَالُوالْاَمْذُرُنَّ عَالِهَتَكُوهُ وَلَاتَذُنُ وَذًا وَلَاسُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۞ وَقَدْ أَضَالُواْ كَيْرِاً وَلَاتَزِدُالظَّالِي رَبِ إِلَّاصَلَا ۞ تتما خطيتنه فأغمه أغمهوا فأذخ أوانازا فكرتيج دوا كمكرين دويزاتلو أَنْسَازًا ۞ وَقَالَ نُوْحٌ زَنِ لَاتَذَرْعَلَى ٱلأَرْضِ مِنَ ٱلْكَفِينَ وَيَارًا ۞ إِنَّكَ إِن تَذَرُّهُمْ مُرْضِيهُ أُواعِبَ أَدَكَ وَلَا يَبِادُ وَالْإِلَا فَاجِرًا كَفَّارًا ۞ زَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلَوْلِدَى ۚ وَلَمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِثُ مُّ اللَّهُ وَيِلْمُوْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ وَلَانْزِوالظَّلِمِينَ إِلَّابَارُاهِ TO SECULATE OF THE SECULATION OF THE SECULATION

يعبدونهم، ويستعيذون بهم، ويحتمل أن الضمير في زادوهم يرجع إلى الجن ضمير الواو (٨٦) أي: زاد الجن الإنس ذعراً وتخويفاً لما رأوهم يستعيذون بهم، ليلجئوهم إلى الاستعادة بهم، فكأن الإنسى إذا نزل بواد مخوف، قال: «أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء

﴿وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً ﴾ أي: فلما أنكروا البعث، أقدموا على الشرك والطغيان.

﴿وأنا لمسنا السماء ﴾ أي: أتيناها واختبرناها، ﴿فُوجِدْنَاهَا مُلَّتُتُ حُوسًا شديداً ﴾ عن الوصول إلى أرجائها [والدنو منها]، ﴿وشهبا ﴾ يرمي بها من استرق السمع، وهذا بخلاف عادتنا الأولى، فإنا كنا نتمكن من الوصول إلى خبر السماء.

﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فنتلقف من أخبار السماء ما شاء الله، ﴿ فَمِن يستمع الآن يجدله شهاباً

<sup>(1)</sup> في ب: منذرين لقومهم.

في ب: والجلال. (٢)

<sup>(</sup>٣) في ب: عزتنا السادة والرؤساء.

في ب: وحسبناهم. (1)

في ب: سلكنا طريقه. (٥)

في ب: من الخلق. (٢)

في ب: كان الإنس يعوذون بالجن عند المخاوف والأفزاع، ويعبدونهم. (V)

في ب: ويحتمل أن الضمير وهي الواويرجع إلى الجن. (A)

الفراف الناف النا

المَنَايِةِ وَفَن وَقِينَ بِرَيِّهِ وَفَلا يَعَافُ بَعَث اوَلارَهَ قَالَ

MODERAL ON MORECO.

رصدا ﴾ أي: مرصداً له، معداً لإتلافه وإحراقه أي: وهذا له شأن عظيم، ونبأ جسيم، وجزموا أن الله تعالى أراد أن يحدث في الأرض حادثاً كبيراً، من خير أو شر، فلهذا قالوا: ﴿وَأَنَا لا ندري أَشَرُ أريد بمن في الأرض أم أراد هذا، لأنهم رأوا الأمر تغير عليهم تغيراً وأنكروه، فعرفوا بفطنتهم، أن هذا الأمر يريده الله، ويحدثه في الأرض، وفي هذا بيان لأدبهم، إذ أضافوا الخير وفي هذا بيان لأدبهم، إذ أضافوا الخير مع الله.

﴿وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك أي: فساق وفجار وكفار، ﴿كنا طرائق قددا ﴾ أي: فرقاً متنوعة، وأهواء متفرقة، كل حزب بما لديهم فرحون.

﴿ وَأَنَا ظَنْنَا أَنْ لَنْ نَعْجَزُ اللهُ فَي الْأَرْضُ وَلَىٰ نَعْجَزُهُ هُوبا﴾ أي: وأنا في وقتنا الآن تبين لنا كمال قدرة الله وكمال عجزنا، وأن نواصينا بيد الله، فلن نعجزه في الأرض ولن نعجزه إن هربنا وسعينا بأسباب الفرار والخروج عن قدرته، لا ملجاً منه إلا إليه، ﴿ وَأَنَا لمَا سَمَعَنَا الْهَدَى ﴾ وهو القرآن الكريم، الهادي إلى الصراط المستقيم،

وعرفنا هدايته وإرشاده، أثّر في قلوبنا فر (آمنا به) .

ثم ذكروا ما يرغب المؤمن فقالوا: ﴿فمن يؤمن بربه ﴾ إيماناً صادقاً ﴿فلا نجاف بخساً ولا رهقاً ﴾ أي: لا نقصاً ولا طغياناً ولا أذى يلحقه (١)، وإذا سلم من الشر حصل له الخير، فالإيمان سبب داع إلى حصول كل خير وانتفاء كل شر.

﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون﴾ أي: الجائرون، العادلون عن الصراط المستقيم.

﴿ فمن أسلم فأولتك تحروا رشدا ﴾
أي: أصابوا طريق الرشد، الموصل لهم إلى الجنة ونعيمها، ﴿ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ﴾ وذلك جزاء على أعمالهم، لا ظلم من الله لهم، فإنهم ﴿ لو استقاموا على الطريقة ﴾ المثلى ﴿ لأسقيناهم ماء غدقا ﴾ أي: هنيئاً مريئاً، ولم يمنعهم ذلك إلا ظلمهم وعدوانهم. ﴿ لنفتنهم فيه ﴾ أي: لنختبرهم فيه ونمتحنهم، ليظهر الصادق من الكاذب.

﴿ ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعدا﴾ أي: من أعرض عن ذكر الله، الذي هو كتابه، فلم يتبعه ويُنقد له، بل غفل عنه ولهي، يسلكه عذاباً صعداً أي: شديداً بليغاً.

﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ أي: لا دعاء عبادة، ولا دعاء مسألة، فإن المساجد التي هي أعظم عال العبادة، مبنية على الإخلاص لله، والخضوع لعظمته، والاستكانة لعزته، والمستكانة لعزته، يسأله ويتعبد له ويقرأ القرآن كاد الجن من تكاثرهم عليه أن يكونوا عليه لبدا أي: متلبدين متراكمين، حرصاً على سماع ما جاء به من الهدى.

﴿قل﴾ لهم يا أيها الرسول، مبيناً حقيقة ما تدعو إليه:

﴿إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً ﴾ أي: أوحده وحده لا شريك له، وأخلع ما دونه من الأنداد والأوثان، وكل ما يتخذه المشركون من دونه.

﴿قَـل إِنّ لا أمـلـك لـكـم ضـراً ولا رشداً﴾ فإني عبد ليس لي من الأمر ولا من التصرف شيء.

﴿٢٢﴾ ﴿قل إنّ لن يجيرني من الله أحد﴾ أي: لا أحد أستجير به ينقذني من عداب الله، وإذا كان الرسول الذي هو أكمل الخلق، لا يملك ضراً ولا رشداً، ولا يمنع نفسه من الله آسيئاً] إن أراده بسوء، فغيره من الخلق من باب أولى وأحرى، ﴿ولن أجد من دونه ملتحدا﴾ أي: ملجأ ومنتصراً ليس لي مزية على الناس، إلا أن الله خصني بإبلاغ رسالاته ودعوة الخلق إلى الله، وبهذا(٢) تقوم الحجة على الناس،

ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدأ وهذا الراد به المعصية الكفرية، كما قيدتها النصوص الأخر المحكمة.

وأما مجرد المعصية، فإنه لا يوجب الخلود في النار، كما دلت على ذلك آيات القرآن، والأحاديث عن النبي عليه سلف الأمة وأثمة هذه الأمة.

وحتى إذا رأوا ما يوعدون أي: شاهدوه عباناً، وجزموا أنه واقع بهم، ونسيعلمون في ذلك الوقت حقيقة المعرفة ومن أضعف نياصراً وأقبل عنداً لا ينصرهم غيرهم ولا أنفسهم ينتصرون، وإذ يحشرون فرادى كما خلقوا أول مرة، وقل لهم إن سألوك [فقالوا] «متى هذا الوعد»؟: وإن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا أي: غاية طويلة، فعلم ذلك عند الله، ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ﴾ من الخلق، بل انفرد بعلم الضمائر والأسرار والغيب، وإلا بعلم الضمائر والأسرار والغيب، وإلا

<sup>(</sup>١) في ب: فقالوا: ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً﴾ أي: من آمن به إيماناً صادقاً فلا عليه نقص ولا أذى يلحقه.

<sup>(</sup>٢) في ب: ودعوة خلقه إليه وبذلك.

ا وَإِنَّامِنَا ٱلمُسُدِّونَ وَمِنَا ٱلْقَلِيمُ لُونَّ فَهُزَا أَسْلَرَ فَأُولَاكِ تَحَرَّوْا الله وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّالَةُ اللَّاللَّالَةُ اللَّاللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ ال وَأَلِّوانَسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقِيةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَّانَّا عَدَقًا ﴿ لِنَفْيِنَ الْحُرْ فِيهُ وَمَن يُعْرِضَ عَن ذِكْرِ رَبِهِ يَسَلُّكُ مُ عَذَابًا صَعَكُ الْ وَأَنَّ ٱلْمُسَجِدَيِّةِ فَلَاتَدْعُواْ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿ وَأَنَهُ لَمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدَاتِ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلِآ الْشْرِكُ بِهِ : أَحَدَا ۞ قُلْ إِنِّ لاَ أَمْلِكُ لَكُوْمَتُزًا وَلِارَ شَدَا ۞ قُلْ إِنِّ الَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدُّ وَلَنُ أَجِدَ مِن دُونِدٍ ـ مُلْتَحَدًّا ۞ إِلَّا بَلَغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَكَلَيْهِ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَ لَهُ مَارَجَهَ فَرَ خَلِيرِكِ فِيهَا أَبِدًا ﴿ حَنَّى إِذَا رَأُواْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعَكُونَ مَنْأَخْعَفُ نَاصِرًا وَأَفَلُ عَكَدًا ۞ قُلُ إِنْ أَدْرِعَ ۖ أَقِيبٌ مَّا و المُعَدُون أَمْ يَعِمَلُ لَمُرَدِّ أَمَدًا ﴿ عَلِمُ ٱلْمَدِينَ مِلْ الْمُعْلِمِرُ الْمَالُونِ الْمَ ا عَلَىٰ غَيْدِهِ وَآلَحَدُا ۞ إِلَّا مَنِ ٱرْتَصَىٰ مِن زَّمُعُولِ فَإِنَّهُ كِيسَلُكُ مِنْ بَيْنِ بَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ مِرْصَدًا ۞ لِيُعَلِّمَ أَنْ هَذَا لَلْمَوْالِ سَلَاتِ وَ اللَّهُ مُ وَأَحَاظُ بِمَالَّذِهِمُ وَأَحْصَىٰ كُلِّ فَنَيْءِ عَلَيَّاهِ

OZZADZ WEGRZEON

الوصف حصل من رسول الله عين أكرمه الله برسالته، وابتدأه بإنزال [وحيه بإرسال] جبريل إليه، فرأى أمراً لم ير مثله، ولا يقدر على الثبات له إلا المسلون، فاعتراه في ابتداء ذلك (٢٠) انزعاج حين رأى جبريل عليه السلام، فأتى إلى أهله، فقال: «زملوني زملوني زملوني وهو ترعد فرائصه، ثم جاءه جبريل، فقال: «اقرأ»، فقال: «ما أنا بقارىء»، فغطه حتى بلغ منه الجهد، وهو يعالجه على القراءة، فقرأ على الوحي، حتى عليه الرحي، حتى علية الرحي، حتى علية الرحي، حتى بلغ مبلغاً ما بلغه أحد من المرسلين.

فسبحان الله، ما أعظم التفاوت بين ابتداء نبوته ونهايتها، ولهذا خاطبه الله بهذا الوصف الذي وجد منه في أول أمره.

فأمره هنا بالعبادات المتعلقة به، ثم أمره بالصبر على أذية أعدائه (٧)، ثم أمره بالصدع بأمره، وإعلان دعوتهم إلى الله، فأمره هنا بأشرف العبادات، وهي السصلاة، وبآكد الأوقات له القلوب، وتفرح به أولو الألباب، وتظهر به شعائر الإسلام، وينقمع به أهل الأوثان والأصنام.

ومنها: شدة حرص الجن لاستماع الرسول ﷺ وتراكمهم عليه.

ومنها: أن هذه السورة، قد استملت على الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وبينت حالة الخلق، وأن كل أحد منهم لا يستحق من العبادة مثقال ذرة، لأن الرسول محمداً على إذا كان لا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً، بل ولا يملك لنفسه، علم أن الخلق كلهم كذلك، فمن الخطأ والغلط (٣) كلهم كذلك، فمن الخطأ والغلط (٣) مع الله.

ومنها: أن علوم الغيب قد انفرد الله بعلمها، فلا يعلمها أحد من الخلق، إلا من ارتضاه الله وخصه (٤) بعلم شيء منها.

> تم تفسير سورة قل أوحي إلي، ولله الحمسد<sup>(ه)</sup>

#### تفسير سورة المزمل [وهي] مكية

﴿ ١ - ١١﴾ ﴿ بسم الله السرحمن الرحيم يا أيها المزمل \* قم الليل إلا قليلاً \* نصفه أو انقص منه قليلاً \* أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً \* إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً \* إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلاً \* إن لك في النهار سبحاً طويلاً \* واذكر السم ربك وتبتل إليه تبتيلاً \* رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً \* واصبر على ما يقولون والمجرهم هجراً جميلاً \* وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلاً والمذرل: المتغطي بثيابه كالمدثر، وهذا

من ارتضى من رسول أي: فإنه يخبره بما اقتضت حكمته أن يخبره به، وذلك لأن الرسل ليسوا كغيرهم، فإن الله أيدهم بتأييد ما أيده أحداً من الخلق، وحفظ ما أوحاه إليهم حتى يبلغوه على حقيقته، من غير أن تتخبطهم حقيقته، ولا(١١) يزيدوا فيه أو ينقصوا، ولهذا قال: ﴿فإنه يسلك من ينقصوا، ولهذا قال: ﴿فإنه يسلك من يعفظونه بأمر الله؛ ﴿ليملم بذلك يعظه لهم من الأسباب، ﴿وأحاط بما لليهم أي: بما عندهم، وما أسروه وأحلنوه، ﴿وأحصى كل شيءعدا ﴾.

وفي هذه السورة فوائد كثيرةً:

منها: وجود الجن، وأنهم مكلفون مأمورون مكلفون منهيون، مجازون بأعمالهم، كما هو صريح في هذه السورة.

ومنها: أن رسول الله على رسول إلى الجن ، كسما هدو رسول إلى الجن (٢٠) ، فإن الله صرف نفر الجن ليستمعوا ما يوحى إليه ويبلغوا قومهم.

ومنها: ذكاء الجن ومعرفتهم بالحق، وأن الذي ساقهم إلى الإيمان هو ما تحققوه من هداية القرآن، وحسن أدبهم في خطابهم.

ومنها: اعتناء الله برسوله، وحفظه لما جاء به، فحين ابتدأت بشائر نبوته، والسماء محروسة بالنجوم، والشياطين قد هربت عن أماكنها، وأزعجت عن مراصدها، وأن الله رحم به الأرض وأهلها رحمة ما يقدر لها قدر، وأراد بهم ربهم رشدا، فأراد أن يظهر من دينه وشرعه ومعرفته في الأرض، ما تبتهج

<sup>(</sup>١) في ب: من غير أن تقر به الشياطين فلا.

<sup>(</sup>٢) في ب: مبعوث إلى الجن كما هو مبعوث إلى الإنس.

<sup>(</sup>٣) في ب: من الخطأ والظلم.

<sup>(</sup>٤) في ب: واختصه.

<sup>(</sup>٥) في ب: تم تفسيرها والحمد لله رب العالمين.

<sup>(</sup>٦) في ب: فاعتراه عند ذلك.

<sup>(</sup>٧) في ب: على أذية قومه.

العناقة الذي المنطقة الذي المنطقة المن

وأفضلها، وهو قيام الليل. ومن رحمته تعالى، أنه لم يأمره بقيام الرام كرام ما تراك الرام الر

TORESON WILLIAM EST

ومن رحمته بعالى، أنه لم يامره بهيام الليل كله، بل قال: ﴿قم الليل إلا قليلا﴾ ثم قدر ذلك، فقال: ﴿نصفه أو انقص مشه﴾ أي: من النصف ﴿قليلا﴾ بأن يكون الثلث ونحوه ﴿أو زد عليه﴾ أي: على النصف، فيكون الثلثين ونحوها.

﴿ورتّل القرآن ترتيلا ﴾ فإن ترتيل القرآن به يحصل التدبر والتفكر ، وتحريك القلوب به ، والتعبد بآياته ، والتهيؤ والاستعداد التام له ، فإنه قال : ﴿إِنَا سنلقي عليك قولاً ثقيلا ﴾ أي : وحي إليك هذا القرآن الثقيل أي : العظيمة معانيه ، الجليلة أوصافه ، وما كان بهذا الوصف ، حقيق أن يتهيأ له ، ويتفكر فيما يشتمل عليه . ثم ذكر الحكمة في أمره بقيام الليل ، فيه بعد النوم ﴿هي أشد وطأ وأقوم فيه بعد النوم ﴿هي أشد وطأ وأقوم قيلا ﴾ أي : أقرب إلى تحصيل (١) قيسلا ﴾ أي : أقرب إلى تحصيل (١) مقصود القرآن ، يتواطأ على القرآن (٢) القلب واللسان ، وتقل الشواغل ،

ويفهم ما يقول، ويستقيم له أمره، وهذا بخلاف النهار، فإنه لا يحصل به هذا المقصود (٢٠٠)، ولهذا قال: ﴿إِن لك في النهار سبحاً طويلا﴾ أي: تردداً على حواتجك ومعاشك، يوجب اشتغال القلب، وعدم تفرغه التفرغ التام، ﴿واذكر اسم ربك﴾ شامل لأنواع الذكر كلها ﴿وتبتّل إليه تبتيلا﴾ أي: انقطع إلى الله تعالى، فإن الانقطاع إلى الله والإنابة إليه، هو الانفصال بالقلب عن الخلائق، والاتصاف بمحبة الله، وكل ما يقرب إليه، ويدني من رضاه.

﴿رب المشرق والمغرب﴾ وهذا اسم جنس يشمل المشارق والمغارب [كلها]، فهو تعالى رب المشارق والمغارب، وما يكون فيها من الأنوار، وما هي مصلحة له من العالم العلوي والسفلي، فهو رب كل شيء وخالقه ومدبره.

﴿لا إله إلا هو﴾ أي: لا معبود إلا وجهه الأعلى، الذي يستحق أن يخص بالمحبة والتعظيم، والإجلال والتكريم، ولهذا قال: ﴿فَاتَخَذُهُ وَكِيلا﴾ أي: حافظاً ومدبراً لأمورك كلها.

فلما أمره الله بالصلاة خصوصاً، وبالذكر عموماً، وذلك يحصل للعبد ملكة قوية في تحمل الأثقال، وفعل الثقيل (أ) من الأعمال، أمره بالصبر على ما يقول فيه المعاندون له ويسبونه أمر الله، لا يحصده عنه صاد، ولا يرده راد، وأن يهجرهم هجراً بحيلاً، وهو الهجر حيث اقتضت المصلحة الهجر الذي لا أذية فيه، فيقابلهم (٥) بالهجر والإعراض عنهم فيقابلهم (٥) بالهجر والإعراض عنهم وعن أقوالهم التي تؤذيه، وأمره

بجدالهم بالتي هي أحسن.

﴿وذرني والمكذبين﴾ أي: اتركني وإياهم، فسأنتقم منهم، وإن أمهلتهم فلا أهملهم، وقوله: ﴿أُولِي النعمة﴾ أي: أصحاب النعمة والغنى، الذين طغوا حين وسع الله عليهم من رزقه، وأمدهم من فضله كما قال تعالى: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى \* أن رآه استغنى﴾ ثم توعدهم بما عنده من العقاب، فقال:

﴿١٤ \_ ١٤﴾ ﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً \* وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً \* يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبأل كثيباً مهيلاً أي: إن عندنا ﴿أَنْكَالاً﴾ أي: عذاباً شديداً، جعلناه تنكيلاً للذي لا يزال مستمراً على الذنوب (٢٠). ﴿ وجحيما ﴾ أي: ناراً حامية ﴿وطعاما ذا غصة ﴾ وذلك لمرارته وبشاعته، وكراهة طعمه وريحه الخبيث المنتن، ﴿وعذاباً أليما﴾ أي: موجعاً مفظعاً، وذلك ﴿يوم ترجف الأرض والجبال﴾ من الهول العظيم، ﴿وكانت الجبال﴾ الراسيات الصم الصلاب ﴿كثيباً مهيلا﴾ أي: بمنزلة الرمل المنهال المنتثر، ثم إنها تبس بعد ذلك، فتكون كالهباء المنثور.

(17-14) ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً \* فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً يقول تعلى: احمدوا ربكم على إرسال هذا النبي الأمي العربي البشير النذير، الشاهد على الأمة بأعمالهم، واشكروه وقوموا بهذه النعمة الجليلة، وإياكم أن تكفروها، فتعصوا رسولكم، فتكونوا كفرعون حين أرسل الله إليه موسى بن عمران، فسدعاه إلى الله، وأصره بالتوحيد، فلم يصدقه، بل عصاه،

<sup>(</sup>١) في ب: حصول.

<sup>(</sup>٢) في ب: علية:

<sup>(</sup>٣) في ب: فإنه لا تحصل به هذه المقاصد.

 <sup>(</sup>٤) في ب: وفعل المشق.

 <sup>(</sup>٥) في ب: بل يعاملهم.
 (٦) في ب: على ما يغضب الله.

فأخذه الله أخذاً وبيلا أي: شديداً

﴿١٧ ـ ١٨﴾ ﴿فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً \* السماء منفطر به كان وعده مفعولاً ﴾ أي: فكيف يحصل لكم الفكاك والنجاة من يوم القيامة، اليوم المهيل أمره، العظيم قدره(١)، الذي يشيب الولدان، وتذوب له الجمادات العظام، فتتفطر به السماء وتنتثر به نجومها ﴿كان وعده مفعولاً أي: لا بدمن وقوعه، ولا حائل دونه.

﴿١٩﴾ ﴿إِن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ﴾ [أي:] إن هذه الموعظة التي نبأ الله بها من أحوال يوم القيامة وأهواله(٢)، تذكرة يتذكر بها المتقون، وينزجر بها المؤمنون، ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ﴿ أَي: طريقاً موصلاً إليه، وذلك باتباع شرعه، فإنه قد أبانه كل البيان، وأوضحه غاية الإيضاح، وفي هذا دليل على أن الله تعالى أقدر العباد على أفعالهم، ومكّنهم منها، لا كما يقوله الجبرية: إن أفعالهم تقع بغير مشيئتهم، فإن هذا خلاف النقل والعقل.

﴿٢٠﴾ ﴿إِنَّ رَبِّكَ يَمَلُّمُ أَنْكُ تَقُومُ أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون ني الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضأ حسنأ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرأ واستغفروا الله إن الله غفور رحيم > ذكر الله في أول هذه السورة أنه أمر رسوله بقيام نصف الليل، أو ثلثه أو ثلثيه، والأصل أن أمته أسوة له في الأحكام، وذكر في

فى ب: خطره.

في ب: وأهوالها.

(١)

**(Y)** 

(٣)

هذا المُوضع، أنه امتثل ذلك هو وطائفة معه من المؤمنين.

ولما كان تحرير الوقت المأمور به مشقة على الناس، أخبر أنه سهل عليهم في ذلك غاية التسهيل، فقال: ﴿واللهُ يقدر الليل والنهار♦أي: يعلم مقاديرهما وما يمضى منهما ويبقى.

﴿علم أن لن تحصوه ﴾ أي: [لن] تعرفوا مقداره من غير زيادة ولا نقص، لكون ذلك يستدعى انتباهاً وعناء زائداً أي: فخفف عنكم، وأمركم بما تيسر عليكم، سواء زاد على المقدر أو نقص، ﴿ فَاقْرُووا مَا تَيْسُرُ من القرآن أي: مما تعرفون ومما لا يشق عليكم، ولهذا كان المصلي بالليل مأموراً بالصلاة ما دام نشيطاً ، فإذا فتر أو كسل أو نعس، فليسترح، ليأتي الصلاة بطمأنينة وراحة.

ثم ذكر بعض الأسباب المناسبة للتخفيف، فقال: ﴿علم أن سيكون منكم مرضى كيشق عليهم صلاة ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه، فليصل المريض المتسهل عليه (٣)، ولا يكون أيضاً مأموراً بالصلاة قائماً عند مشقة ذلك، بل لو شقت عليه الصلاة النافلة، فله تركها [وله أجر ماكان يعمل صحيحاً]. ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله أي: وعلم أن منكم مسافرين يسافرون للتجارة، ليستغنوا عن الحلق، ويتكففوا عن الناس (٤) أي: فالمسافر، حاله تناسب التخفيف، ولهذا خفف عنه في صلاة الفرض، فأبيح له جمع الصلاتين في وقت واحد، وقصر الصلاة الرباعية.

وكذلك ﴿آخرون بقاتلون في سبيل الله فاقرؤوا ما تيسر منه ﴿ فَذَكَرُ تعالى تخفيفين، تخفيفاً للصحيح المقيم، يراعي فيه نشاطه، من غير أنَّ يكلفُ عليه تحرير الوقت، بل يتحرى الصلاة الفاضلة، وهي ثلث الليل بعد نصفه

Can Hilliam v Schlieblich إِنَّ رَبَّكَ يَعْدُ أَنَّكَ تَعُومُ أَدْنَا مِن ثُلُثَى ٱلَّتِل وَنِصْفَمُ وَثُلْثُمُ وَطَآبِفَةً إَ عِنَ الَّذِينَ مَعَكُ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ أَيُّلَ وَالنَّهَ أَيْعِلَ أَن لَن تُحْسُوهُ فَالرَّعَلَيكُو فَاقْرَهُ وَأَ مَا لِيُسَرِّعِنَ ٱلْقُرْدَ إِنْ عَلِمَ أَن سَيْكُونُ مِنكُمْ مَرْضَى وَالعَرُونَ يَصَّرِيُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْنَعُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاحُرُونَ يُقَلِّلُونَ فِي سَجِيلِ ٱللَّهِ فَاقْرَءُ وَأَمَا لَيْسَرَمِنْهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوةَ وَءَالُواْ ٱلزَّكُوةَ وَأَقْرِضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِنْ خَيْرِيِّجِدُوهُ عِندَاللَّهِ هُوَخَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَسَفُورٌ تَجِيمٌ ۞ وَ اللَّهُ اللَّ التَّالَيُّا الْتَقَرُّ ۞ قُرُقَانِدُ ۞ وَرَبِّ فَكَيْرَ ۞ وَيْبَاكَ فَلَتِرْ ۞ الوَّالْتُحْرَقَا ْهِحُرْ ۞ وَلَا غَنْن تَسْتَكُورُ ۞ وَلِرَيْكَ فَأَسْبِرْ ۞ فَإِنَالُهُرَ إِنَّالْنَاقُونِ ۞ فَلَالِكَ يَوْمَ ذِيَّوْمُ عَسِيرُ ۞ عَلَىٰ أَكُنْفِينَ غَيْرُيَسِيرِ ٥ ذَرْفِ وَكُنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا ۞ وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَا تَعْدُوكَا ا ﴿ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴿ وَمَهَدَثُ لَهُ مُتَهِيدًا ﴿ ثُرَيَّكُمُ مُ أَنَّ أُزِيدً

المُ اللَّهُ إِنَّهُ كَانَ لِأَيْكُونَا عَنِيلًا ۞ سَأَرْمِقُهُ مُصَعُودًا ۞

TOWN ON WORK OF THE

وتخفيفاً للمريض أو المسافر، سواء كان سفره للتجارة، أو لعبادة، من قتال أو جهاد، أو حج، أو عمرة، ونحو ذلك<sup>(ه)</sup>، فإنه أيضاً يراعي ما لا يكلفه، فلله الحمد والثناء، الذي ما جعل على الأمة في الدين<sup>(1)</sup> من حرج، بل سهل شرعه، وراعي أحوال عباده ومصالح دينهم وأبدانهم ودنياهم.

ثم أمر العباد بعبادتين، هما أم العبادات وعمادها: إقامة الصلاة، التي لا يستقيم الدين إلا بها، وإيتاء الزكاة التي هي برهان الإيمان، وبها تحصل المواساة للفقراء والمساكين، و لهذا قال:

﴿وأقيموا الصلاة ﴾ بأركانها، وشروطها، ومكملاتها، ﴿وأقرضوا الله قرضاً حسنا ﴾ أي: خالصاً لوجه الله، من نيةٍ صادقة، وتثبيتاً من النفس، ومال طيب، ويدخل في هذا، الصدقة الواجبة والمستحبة، ثم حث على عموم الخير وأفعاله، فقال: ﴿ وَمَا تَقَدُّمُوا لَأَنْفُسُكُمْ من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً ﴾ الحسنة بعشر أمثالها، إلى أ سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

في ب: ويتكففوا عنهم. (1)

في ب: أو لعبادة من جهاد أو حج (0) أو غيره.

في ب: ما يسهل عليه.

في ب: حيث لم يجعل علينا في الدين .

إِنَّهُ فَكُرِّ وَفَدَّرَ ۞ فَقُيلَ كَيْفَ فَدَّرَ ۞ ثُرَّفُولَ كَيْفَ فَدَّرَ ۞ ثُرَّفَطَرَ ٥ أُمَّ عَبْسُ وَيُسَرَى ثُمَّ أَدْثِرُ وَأَسْتَكُثِرَ فَقَالَ إِلَّهُ هَذَا إِلَّا مِعْ فَوْثُرُ الله وَاللَّهُ وَلِمُ الْبُشَرِ اللَّهُ مَا أَصْلِيهِ مَعَرَى وَمَا أَدْرَاكَ مَاسَعَرُ اللَّهِ اللَّهِ مَاسَعَرُ اللَّهُ مَاسَعَرُ اللَّهِ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَلًا اللَّهُ مَا مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللّ لَاثِقْ وَلَانَدُ ١٥ لَوَّالَتَهُ لِلْبُشَرِ عَلَيْهَ لِشَعَةً عَشَرَ وَمَاجَعَلْنَا أَصْبَ النَّادِ الْامَلَيْكَةُ وَمَا يَعَلْنَاعِذَ ثَهُمْ إِلَّافِنَةُ لِلَّذِينَ كَثُرُوا لِسَنَيْهَنَ ٱلَّذِينَ أُوثُواْ ٱلْكِنَابَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ عَامَنُواْ إِيَنَا ۚ وَلَا يَرْبَابَ ٱلَّذِينَ أُوثُواْ ٱلْكِنَابَ وَٱلْمُوْمِنُونٌ وَلِيَعُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِ مِرْمَضٌ وَٱلْكَيْرُونَ مَانَا أَرَادَ أَنَهُ بِهِنَا مَثَلًا كُنَّاكِكَ يُعِيلُ أَلَهُ مَنْ يَشَكَّهُ وَيَهْدِى مَن يَشَكَّهُ وَمَايَمْ لَمُجُنُودَ رَبِّكَ إِلَّاهُوُّ وَمَاهِى إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ۞ كَلَّا وَٱلْغَمَرِ ۞ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْرٌ ۞ وَالشَّيْعِ إِنَّا أَسْعُرَ۞ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُرِ۞ نَيْهِ اللِّمَرِ ۞ لِنَ مُنتَدَمِنكُولُ يَتَعَدُّمُ أَوْيَناكُرُ ۞ كُلُّ فَفِين مَاكْسَبَتْ رَهِينَهُ ﴿ إِلَّا أَصْبَ الْيِينِ ﴿ فِبَخَّتِينَسَكَ أُونَ ٤ عَنِ ٱلْجُرِيدِةَ ۞ مَاسَلَكَ كُرُفِ سَقَرَ ۞ قَالُوَالْرَنْكُ مِنَ ٱلْمُتِيلِينَ ۞ وَلَوْنَكُ نُطُعِمُ ٱلْمِسْكِينَ۞ وَكُنَّا غَوْسٌ مَعَ ٱلْمَاآمِنِينَ ۞ وَكُنَا نَكُونُهُ يَرُومُ الدِّينِ ۞ حَقَىٰ أَتَنَا ٱلْمَقِينُ ۞ TO DO TO SO TO SO

وليعلم أن مثقال ذرة من الخير في هذه الدار، يقابله أضعاف أضعاف أضعاف الدنيا، وما عليها في دار النعيم المقيم، من اللذات والشهوات، وأن الخير والبر في هذه الدنيا، مادة الخير والبر في دار القرار، وبذره وأصله وأساسه، فوا أسفاه على أوقات مضت في الغفلات، وواحسرتاه على أزمان تقضت بغير الأعمال الصالحات، وواغوثاه من قلوب لم يؤثر فيها وعظ بارتها، ولم ينجع فيها تشويق من هو أرحم بها منها(۱).

فلك اللهم الحمد، وإليك المستكى، وبك المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا بك.

﴿واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾ وفي الأمر بالاستغفار بعد الحث على أفعال الطاعة والخير، فائدة كبيرة، وذلك أن العبد ما يخلو من التقصير فيما أمر به، إما أن لا يفعله أصلاً أو يفعله على وجه ناقص، فأمر بترقيع ذلك بالاستغفار، فإن العبد يذنب آناء الليل والنهار، فمتى لم

يتغمده الله برحمته ومغفرته، فإنه هالك.

# تم تفسير سورة المزمل<sup>(۲)</sup>

#### تفسير سورة المدثر [وهي] مكية

﴿١ - ٧﴾ ﴿بسم الله السرحسن الرحيم يا أيها المدثر \* قم فأنذر \* وربك فكبر \* وثيابك فطهر \* والرجز فاهجر \* ولا تمنن تستكثر \* ولربك فاصبر ﴾ تقدم أن المزمل والمدثر بمعنى واحد، وأن الله أمر رسوله ﷺ ، بالاجتهاد في عبادة الله القاصرة والمتعدية، فتقدم هناك الأمر له بالعبادات الفاضلة القاصرة، والصبر على أذى قومه، وأمره هنا بإعلان الدعوة <sup>(٣)</sup>، والصدع بالإنذار، فقال: ﴿قُم اللهِ الله الناس بالأقوال والأفعال، التي يحصل بها المقصود، وبيان حال المنذر عنه، ليكون ذلك أدعى لتركه، ﴿وربك فكبر﴾ أي: عظمه بالتوحيد، واجعل قبصدك في إنذارك وجه الله، وأن يعظمه العباد ويقوموا بعبادته.

﴿وثيابك فطهر﴾ يحتمل أن المراد بثيابه، أعماله كلها، وبتطهيرها تخليصها والنصح بها، وإيقاعها على أكمل الرجوه، وتنقيتها عن المبطلات والمفسدات، والمنقصات من شرك ورياء، [ونفاق]، وعجب، وتكبر، وغفلة، وغير ذلك، مما يؤمر العبد باجتنابه في عباداته.

ويدخل في ذلك تطهير الثياب من النجاسة، فإن ذلك من تمام التطهير للأعمال خصوصاً في الصلاة، التي قال كثير من العلماء: إن إزالة النجاسة عنها شرط من شروط الصلاة.

ويحتمل أن المراد بثيابه، الثياب

المعروفة، وأنه مأمور بتطهيرها عن [جميع] النجاسات، في جميع الأوقات، خصوصاً في الدخول في الصلوات، وإذا كان مأموراً بتطهير الظاهر، فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن.

خهره المصامر من عام عهره الباطن. ﴿ والرجز فاهجر ﴾ يحتمل أن المراد بالرجز الأصنام والأوثان، التي عبدت مع الله، فأمره بتركها، والبراءة منها ومما نسب إليها من قول أو عمل.

ويحتمل أن المراد بالرجز أعمال الشر كلها وأقواله، فيكون أمراً له بترك الذنوب، صغيرها وكبيرها (٤٠)، ظاهرها وباطنها، فيدخل في ذلك الشرك وما دونه.

﴿ولا تمنن تستكثر﴾ أي: لا تمنن على الناس بما أسديت إليهم من النعم الدينية والدنيوية، فتتكثر (٥) بتلك المنة، وترى لك [الفضل] عليهم بإحسانك المنة، بل أحسن إلى الناس مهما أمكنك، وائسَ [عندهم] إحسانك، ولا تطلب أجره إلا من الله تعلى، واجعل من أحسنت إليه وغيره على حد

﴿ولربك فاصبر﴾ أي: احتسب بصبرك، واقصد به وجه الله تعالى، فامتثل رسول الله ﷺ لأمر ربه، وبادر إليه، فأنذر الناس، وأوضح لهم بالآيات البينات جميع المطالب الإلهية، وعظم الله تعلل، ودعا الخلق إلى تعظيمه، وطهر أعماله الظاهرة والباطنة من كل سوء، وهجر كل ما يبعد عن الله من الأصنام وأهلها، والشر وأهله، وله المنة على الناس بعد منة الله من غير أن يطلب منهم بعد منة الله منهم أسمية أسمي

<sup>(</sup>١) في ب: أرحم بها من نفسها.

<sup>(</sup>٢) في ب: تم تفسيرها والحمد لله.

<sup>(</sup>٣) في ب: بالإعلان بالدعوة.

<sup>(</sup>٤) في ب: صغارها وكبارها.

<sup>(</sup>٥) في ب: فتستكثر.

<sup>(</sup>٦) في ب: وهجر كل ما يعبد من دون الله وما يبعد منه.

على ذلك (١) جزاء ولا شكوراً، وصبر لله أكمل صبر، فصبر على طاعة الله، وعن معاصى الله، وعلى أقدار الله المؤلمة (٢)، حستى فاق أولى العزم من المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

﴿٨ ـ ١٠﴾ ﴿ فَاإِذَا نَاسَقُورُ فَاعِي الناقور \* فذلك يومئذ يوم عسير \* على الكافرين غير يسير ﴾ أي: فإذا نفخ في الصور للقيام من القبور، وجمع الخُلق(٣) للبعث والنشور. ﴿فذلكَ يومئذ يوم عسير الكثرة أهواله وشدائده ﴿على الكافرين غير يسير﴾ لأنهم قد أيسوا من كل خير، وأيقنوا بالهلاك والبوار .

ومفهوم ذلك أنه على المؤمنين يسير، كما قال تعالى: ﴿يقول الكافرون هذا يوم عسر 🌣 .

﴿١١ ـ ٣١) ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً \* وجعلت له مالاً ممدوداً \* وبنين شهوداً \* ومهدت له تمهيداً \* ثم يطمع أن أزيد \* كلا إنه كان لآياتنا عنيداً \* سأرهقه صعوداً \* إنه فكر وقدر \* فقتل كيف قدر \* ثم قتل كيف قدر \* ثم نظر \* ثم عبس وبسر \* ثم أدبر واستكبر \* فقال إن هذا إلا سحرٌ يؤثر \* إن هذا إلا قول البشر \* سأصليه سقر \* وما أدراك ما سقر \* لا تبقى ولا تذر \* لواحة للبشر \*عليها تسعة عشر \*وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين أمنوا إيمانا ولايرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا

يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكري للبشر﴾ هذه الآيات، نزلت في الوليد بن المغيرة، معاند الحق، والمبارز لله ولرسوله بالمحاربة والمشاقة، فذمه الله ذماً لم يذمه (٤) غيره، وهذا جزاء كل من عاند الحق ونابذه، أن له الخزي في الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى، فقال: ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً ﴾ أي:

خلقته منفرداً، بلا مال ولا أهل، وِلا غيره، فلم أزِل أنمِيه وأربيه (<sup>ه)</sup>، ﴿وجعلت له مألاً ممدوداً﴾ أي: كثيراً ﴿و﴾ جعلت له ﴿بنين ﴾ أي: ذكوراً ﴿شهوداً﴾ أي: دائماً حاضرين عنده، [على الدوام] يتمتع بهم، ويقضي بهم حوائجه، ويستنصر بهم.

﴿ ومهدت له تمهيدا ﴾ أي: مكنته من الدنيا وأسبابها، حتى انقادت له مطالبه، وحصل على(٦) ما يشتهي ويسريد، ﴿ أَسُم ﴾ مع هذه النعم والإمدادات ﴿ يطمع أن أزيد ﴾ أي: يطمع أن ينال نعيم الآخرة كما نال نعيم الدنيا. ﴿كلا﴾ أي: ليس الأمر كما طمع، بل هو بخلاف مقصوده ومطلوبه، وذلك لأنه ﴿ كَانَ لأَياتُنا عنيدا أي: معانداً، عرفها ثم أنكرها، ودعته إلى الحق فلم ينقد لها ولم يكفه أنه أعرض وتولى عنها، بل جعل يحاربها ويسعى في إبطالها، ولهذا قال عنه:

﴿إِنَّهُ فَكُر ﴾ [أي:] في نفسه، ﴿وقدُّر﴾ ما فكر فيه، ليقول قولاً يبطل به القرآن .

﴿ فقتل كيف قدر \* ثم قتل كيف قدر الله قدر أمراً ليس في طوره، وتُسَوَّر على ما لا يناله هنو و [لا] أمثاله، ﴿ثم نظر﴾ ما يقول، ﴿ثم

فَمَانَفَعُهُمْ شَفَعَهُ ٱلشَّفِعِينَ ۞ فَمَا لَحَيْحَنِ ٱلنَّفَكِرَةَ مُعْمِضِينَ ۞ كَأَنَّهُمْ مُرُّدُّتُ تَنفِرَةً ۞ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ۞ بَلْ يُرُيدُكُلُّ أَمْرِي مِنْهُمْ أَن يُؤْنَى مُعُفَا مُنَشَرَةً ۞ كَلَّابَلَ لَا يَعَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ۞ كُلَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةً ۞ فَنَ شَآءَ ذَكَرُهُ.۞ وَمَا يَذَكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَآءَ اللَّهُ هُوَأَهُ لُ النَّـ غُوَى وَأَهُ لُ الْغُهِ فَي إِلَّا أَن يَشَآءَ اللَّهُ هُوَأَهُ لُ النَّهُ عُورَةً ۞ التكافئي \_مِالْقَوَالْزَفَرُ الْرَجَيْمِ لَا أَفْهِ مُرْبَوْما لَقِينَمَة ۞ وَلَا أَفْهِ مُوالتَفْهِ رَالْوَامَةِ ۞ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنْسُنُ أَلَى خِمْمَ عِظَامَهُ ۞ مَلَ قَلِيدِينَ عَلَيَ أَن لُسَوْقَ بَنَالَهُ۞ بَلْ يُبِيدُ ٱلإِسْنَوُ لِيفَجُرُ أَمَامَهُ ۞ يَسْعَلُ أَيَانَ يَوْمُ الْمِيْسَةِ ۞ وَامْ الْمِمْسُرُ ۞ وَخَمَفَ ٱلْفَتْرُ۞ وَيُعِمَ الفَّمْسُ وَالْفَتْرُ۞ بَعُولًا الإِسْنُ يُومِيذِ أَنْ ٱلْمُثَرِّ ۗ كُلَّا لَاوَدَ ۞ إِلَى رَبِكَ يَرْمَ بِالْكُ تَشَدُّ ۞ بُنْبَوْلُ ٱلإنسَنُ وَمَهِدِ عِاقَدَمَ وَأَخْرَ الإنسَنُ عَلَى تَفْسِهِ عَبِيدِ رَفِي مِنْ وَلُوۡ أَكُنَّ مَمَاذِيرَهُ۞ لَا نُحْرِكُ بِدِرِلِسَانَكَ لِنَجْلَ بِدِرَ ۞ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْدَ اللهِ ۞ فَإِذَا قَرَأَتُهُ فَأَنَّيْعَ قُرْءَ اللهُ ۞ فُرُالِدً عَلَيْنَا بَيَاتَهُ۞ CONTRACTOR OF CONTRACTOR

> عبس وبسر، في وجهه، وظاهره نفرة عن الحق وبغضاً له، ﴿ثم أدبر﴾ أي: تولى ﴿واستكبر﴾ نتيجة سعيه الفكري والعملي والقولي، أن قال: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سحر يؤثر \* إن هذا إلا قول البشر أي: ما هذا كلام الله، بل كعلام البشر، وليس أيضاً كلام البشر الأخيار، بل كلام الفجار منهم والأشرار، من كل كاذب سحار.

فتبًا له، ما أبعده من الصواب، وأحراه بالخسارة والتباب!!

كيف يدور في الأذهان، أو يتصوره ضمير كل إنسان، أن يكون أعلى الكلام وأعظمه، كلام الرب العظيم، الماجد الكريم، يشبه كلام المخلوقين الفقراء الناقصين؟!

أم كيف يتجرأ هذا الكاذب العنيد، على وصفه كلام المبدىء المعيد(٧).

فماحقه إلا العذاب الشديد والنكال، ولهذا قال تعالى:

﴿سأصليه سقر \* وما أدراك ما سقر \* لا تبقى ولا تذر♦ أي:

في ب: أربيه، وأعطيه.

أراد الله بهذا مثلاً كذلك يضل الله من

(0)

في ب: أن يطلب عليهم بذلك. (1)

في ب: وصبر لربه أكمل صبر، فصبر على طاعة الله وعن معاصيه، وصبر على أقداره المؤلمة. (٢)

في ب: الخلائق. (٣)

في ب: لم يذم به غيره. (1)

في ب: وحصل له. (٦)

في ب: على وصفه بهذا الوصف لكلام الله تعالى. (V)

كَلَّابَلُ نُحِيُّونَ ٱلْمَاجِلَةَ ۞وَتَذَرُونَ ٱلْآخِزَةَ ۞ وُجُوهٌ يَوْمَهِ نَّاضِرَةً ۞ إِلَارَيَهَا ۚ اَخِلَةً ۞ وَوُجُوهُ يَوْمَهِ إِبَاسِرَةً ۞ فَظُنُ أَن يُفْعَلَ إِيهَا فَاقِرَةٌ ۞ كُلّآ إِذَا لِلَفَتِ ٱلذَّافِينَ۞ وَقِيلَ مَنْ زَاق۞ وَعَلَنَ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ @وَالْتَفَتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِي إِلَى رَبِكَ يَوْمَهِ ذِٱلْسَاقُ ۞ فَلَا صَدَّقَ وَلَاصَلِّن۞ وَلَكِنَكَذَبَ وَقَوَلُ۞ ثُرَّدَهَبَ إِلَّهَ أَهْلِهِۦ يَنْمَعَلَىٰ ۞ أَوْلَ لَكَ فَأُولَكِ ۞ ثُرَّأُولَ لَكَ فَأُولَكِ ۞ أَيَعْسَبُ ٱلإنسَنُ أَن يُتَرَكَ سُدًى ۞ ٱلْرَيْكُ نُطْفَةَ مِن مِّينَ يُعَنَّى ۞ لَهُ كَانَ عَلَقَةُ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ فَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَّرَ وَٱلْأَنْثَىٰ ۞ أَلَيْسَ دَالِكَ بِقَلَدِرِ عَلَىٰ أَن يُحْتِي ٱلْمَوْقَ ٢٠ عَلَأَنَ عَلَ أَلِهِ مُنْ مِن مِن مِنَ اللَّهُ مِن لَوَيكُن مُنْ عَامَنَكُورًا ۞ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِسْ مُنّ عِنْ فُلْفَةِ أَمْشَاحِ نَبْنَلِهِ فَحَتْلُنَهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿ إِنَّا هَدَيْنَهُ ٱلسَّبِيلَ

إِمَّا شَاكِرُكُوا مَّا كَفُورًا ۞ إِنَّا أَعْتَدُ مَا لِلْكُورِينَ سَكُسِ لَا وَأَغْلَلَا وَسَحِيرًا

٥ إِنَّ ٱلأَثْمَارُ رَشْرُيُونَ مِن كَأْسِ كَانَ مِنَاجُهَا كَافُورًا ۞

TO DE TON OVA PORTE

· SENETH SENETH SENETH

لا تبقى من الشدة، ولا على المعذب شيئاً إلاَّ وبلغته، ﴿لوَّاحة للبشر﴾ أي: تلوحهم [وتصليهم] في عذابها، وتقلقهم بشدة حرها وقُرُّها. ۗ

﴿عليها تسعة عشر﴾ من الملائكة، خزنة لها، غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما

﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ وذلك لشدتهم وقوتهم.

﴿وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ﴾ يحتمل أن المراد: إلا لعذابهم وعقابهم في الآخرة، ولزيادة نكالهم فيها، والعدَّاب يسمى فتنة، [كما قالُ تعالى: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾] ويحتمل أن المراد: أنا ما أخبرناكم بعدتهم، إلا لنعلم من يصدق ومن يكذب، ويدل على هذا، ما ذكر بعده في قوله: ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ﴾ فإن أهل الكتاب، إذا وافق ما عندهم وطابقه، ازداد يقينهم بالحق، والمؤمنون كلما أنزل الله آية، فأمنوا بها وصدقوا، ازداد إيمانهم، ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ أي: ليزول الخائضين \* وكنا نكذب بيوم الدين \* عنهم الريب والشك، وهذه مقاصد حتى أتانا اليقين \* فما تنفعهم شفاعة جليلة، يعتني بها أولو الألباب، وهي الشافعين \* فما لهم عن التذكرة

كل وقت، وكل مسألة من مسائل الدين، ودفع الشكوك والأوهام التي تعرض في مقابلة الحق، فجعل ما أنزله الله على رسوله محصلاً لبهذه الفوائد(١١) الجليلة، وعميزاً للكاذبين من الصادقين، ولهذا قال: ﴿وليقولُ الذين في قلوبهم مرض الى: شك وشبهة ونفاق. ﴿والكافرون ماذا أراد الله بهذا مشلا ، وهذا على وجه الحيرة والشك، والكفر منهم بآيات الله، وهذا وذاك من هداية الله لمن يهديه، وإضلاله لمن يضل، ولهذا

﴿ كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء﴾ فمن هداه الله، جعل ما أنزله الله على رسوله رحمة في حقه، وزيادة في إيمانه ودينه، ومنَّ أضله، جعل ما أنزله على رسوله زيادة شقاء عليه وحيرة، وظلمه في حقه، والواجب أن يتلقى ما أخبر الله به ورسوله بالتسليم، فإنه لا يعلم جنود ربك من الملائكة وغيرهم ﴿ إِلَّا هُو ﴾ فإذا كنتم جاهلين بجنوده، وأخبركم بها العليم الخبير، فعليكم أن تصدقوا خبره، من غير شك ولا ارتياب، ﴿ وَمَا هِي إِلَّا ذُكْرِي لِلْبِشْرِ ﴾ أي: وما هذه الموعظة والتذكار مقصوداً به العبث واللعب، وإنما المقصود به، أن يتذكر [به] البشر ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه .

والليل إذ أدبر \* والصبح إذا أسفر \* إنها لإحدى الكبر \* نذيراً للبشر \* لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر \* كل نفس بما كسبت رهينة \* إلا أصحاب اليمين \* في جنات يتساءلون \* عن الجرمين \* ما سلككم في سقر \* قالوا لم نك من المصلين \* ولم نك نطعم المسكين \* وكنا نخوض مع السعي في اليقين، وزيادة الإيمان في معرضين \* كأنهم حمر مستنفرة \*

فرت من قسورة # بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشرة \* كلا بل لا يُخافون الآخرة \* كلا إنه تذكرة \* فمن شاء ذكره \* وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل الشقوى وأهل المغفرة ﴾ ﴿كلاً ﴾ هنا بمعنى: حقاً ، أو بمعنى «ألا» الاستفتاحية، فأقسم تعالى بالقمر، وبالليل وقت إدباره، والنهار وقت إسفاره، لاشتمال المذكورات على آيات الله العظيمة، الدالة على كمال قدرة الله وحكمته، وسعة سلطانه، وعموم رحمته، وإحاطة علمه والمقسم عليه قبوله: ﴿إنها ﴾ أي: النبار ﴿لإحدى الكبير﴾ أي: لإحدى العظائم الطامة والأمور الهامة، فإذا أعلمناكم بها، وكنتم على بصيرة من أمرها، فمن شاء منكم أن يتقدم، فيعمل بما يقربه من ربه، ويدنيه من رضاه، ويزلف من دار كرامته، أو يتأخر [عما خلق له و] عما يحبه الله [ويرضاه]، فيعمل بالمعاصي، ويتقرب إلى نار جهنم، كما قال تعالى: ﴿وقل الحق من ربكم، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفرُ ﴾ الآية .

﴿ كُلِّ نَفْسُ بِمَا كُسِبِتَ ﴾ من أعمال السوء وأفعال الشر، ﴿ رهينة ﴾ بها موثقة بسعيها، قد ألزم عنقها، وغل في رقبتها، واستوجبت به العذاب، ﴿ إِلَّا أَصِحِابِ اليمسين ﴾ فإنهم لم يرتهنوا، بل أطلقوا وفرحوا ﴿في جنات يتساءلون \*عن المجرمين ﴿ أي: في جنات قد حصل لهم بها جميع مطلوباتهم، وتمت لهم الراحة والطمأنينة، حتى أقبلوا يتساءلون، فأفضت بهم المحادثة، أن سألوا عن المجرمين، أي: حال وصلوا إليها، وهل وجدوا ما وعدهم الله تعالى؟

فقال بعضهم لبعض: «هل أنتم مطلعون عليهم»، فاطلعوا عليهم في وسط الجحيم يعذبون، فقالوا لهم: ﴿ ما سلككم في سقر ﴾ أي: أي شيء أدخىلكم فيسها؟ وبمأي: ذنب استحققتموها؟ فرقالوا لم نك من

الصلين \* ولم نك نطعم السكين > فلا إخلاص للمعبود، [ولا إحسان] ولا نفع للخلق المحتاجين.

﴿وَكَنَا نَحُوضَ مِعِ الْخَاتُضِينَ﴾ أي: نخوض بالباطل، ونجادل به الحق، ﴿وكنَا نَكَذَب بيوم الدينَ﴾ هذا آثار الخوض بالباطل، [وهو] التكذيب بالحق، ومن أحق الحق، يوم الدين، الذي هو محل الجزاء على الأعمال، وظهور ملك الله وحكمه العدل لسائر الخلق.

فاستمرينا على هذا المذهب الفاسد<sup>(۱)</sup> ﴿حتى أتانا اليقين﴾ أي: المرت، فلما ماتوا على الكفر تعذرت حينلذ عليهم الحيل، وانسد في وجوههم باب الأمل، ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ لأنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى، وهؤلاء لا يرضى الله أعمالهم (۱).

فلما بين الله مآل المخالفين، ورهب ما (<sup>(۲)</sup> يفعل بهم، عطف على الموجودين بالعتاب واللوم، فقال: ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين﴾ أي: صادين غافلين عنه!

﴿كأنهم﴾ في نفرتهم الشديدة منها ﴿حَرْ مستنفرة﴾ أي: كأنهم حمر وحش نفرت فنفر بعضها بعضا، فزاد عدوها، ﴿فرت من قسورة﴾ أي: من أسد ورام يريدها، أو من أسد ونحوه، وهذا من أعظم ما يكون من النفور عن الحق، ومع هذا الإعراض وهذا النفور، يدعون الدعاوى الكبار.

فيريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشرة في نازلة عليه من السماء، يزعم أنه لا ينقاد للحق إلا بذلك، وقد كذبوا، فإنهم لو جاءتهم كل آية لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، فإنهم

جاءتهم الآيات البينات التي تبين الحق وتوضحه، فلو كان فيهم خير لآمنوا، ولهذا قال: ﴿كلا﴾ أن نعطيهم ما طلبوا، وهم ما قصدوا بذلك إلا التعجيز، ﴿بل لا يخافون الآخرة﴾ فلو كانوا يخافونها، لما جرى منهم ما

جرى.

﴿كلا إنه تذكرة ﴾ الضمير إما أن يعود على هذه السورة، أو على ما استملت عليه [من] هذه الموعظة، ﴿فمن شاء ذكره ﴾ لأنه قد بين له السيل، ووضح له الدليل.

﴿وما يذكرون إلا أن يشاء الله فإن مشيئته (٤) نافذة عامة، لا يخرج عنها حادث قليل ولا كثير، ففيها رد على القدرية، الذين لا يدخلون أفعال العباد تحت مشيئة الله، والجبرية، الذين يزعمون أنه ليس للعبد مشيئة، ولا فعل حقيقة، وإنما هو مجبور على أفعاله، فأثبت تعالى للعباد مشيئة حقيقة وفعلاً، وجعل ذلك تابعاً لمشيئته، هو أهل أن يتقى ويعبد، لأنه الإله هو أهل أن يتقى ويعبد، لأنه الإله يغفر لمن اتقاه واتبم رضاه.

تم تفسير سورة المدثر ، ولله الحمد<sup>(ه)</sup>

#### تفسير سورة القيامة [وهي] مكية

﴿١-٢﴾ ﴿بسم الله السرحسن الرحيم لا أقسم بيوم القيامة \* ولا أقسم بالنفس اللوامة \* أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه \* بل قادرين على أن نسوي بنانه \* بل يريد الإنسان ليفجر أمامه \* يسأل أيان يوم القيامة﴾ ليست "لا» [ها] هنا نافية،

[ولا زائدة] وإنما أي بها للاستفتاح والاهتمام بما بعدها، ولكثرة الإتيان بها مع اليمين، لا يستغرب الاستفتاح بها، وإن لم تكن في الأصل موضوعة للاستفتاح.

فالقسم به في هذا الموضع، هو القسم عليه، وهو البعث بعد الموت، وقيام الناس من قبورهم، ثم وقوفهم ينتظرون ما يحكم به الرب عليهم، هو لا أقسم بالنفس اللوامة وهي جميع النفوس الخيرة والفاجرة، سُمّيت «لوامة» لكثرة ترددها وتلومها، وعدم عند الموت تلوم صاحبها على ما عملت (٢٦)، بل نفس المؤمن تلوم صاحبها على ما صاحبها في الدنيا على ما حصل منه، عمن تفريط أو تقصير في حتى من الحقوق، أو غفلة، فجمع بين الإقسام بالجزاء، وعلى الجزاء، وبين مستحق الجزاء.

ثم أخبر مع هذا، أن بعض المعاندين يكذب بيوم القيامة، فقال: ﴿ أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ﴾ بعد الموت، كما قال في الآية الأخرى: ﴿قال من يحيى العظام وهي رميم)؟ فاستبعد من جهله وعدوانه قدرة الله على خلق عظامه التي هي عماد البدن، فرد عليه بقوله: ﴿بلي قادريىن على أن نسوى بنانه ﴾ أي: أطراف أصابعه وعظامه، المستلزم ذلك لخلق جميع أجزاء البدن، لأنها إذا وجدت الأنامل والبنان، فقد تمت خلقة الجسد، وليس إنكاره لقدرة الله تعالى قصوراً بالدليل الدال على ذلك، وإنما [وقع] ذلك منه أن قصده وإرادته أن يكذب (٧) بما أمامه من البعث. والفجور: الكذب مع التعمد.

<sup>(</sup>١) في ب: الباطل.

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: ولا يرضى أعمالهم.

<sup>(</sup>٣) في ب: وبين ما يفعل بهم.

<sup>(</sup>٤) في ب: فإن مشيئة الله.

<sup>(</sup>٥) في ب: تمت ولله الحمد والمنة.

<sup>(</sup>٦) في ب: على ما فعلت.

<sup>(</sup>٧) في ب: لأن إرادته وقصده التكذيب.

ثم ذكر أحوال القيامة فقال:

⟨۷-01⟩ ﴿فإذا برق البصر \*
وخسف القمر \* وجمع الشمس
والقمر \* يقول الإنسان يومئذ أين
المفر \* كلا لا وزر \* إلى ربك يومئذ
المستقر \* ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم
وأخر \* بل الإنسان على نفسه
بصيره \* ولو ألقى معاذيره ﴾.

أي: إذا كمانت القيامة برقت الأبصار من الهول العظيم، وشخصت فلا تطرف كما قال تعالى: ﴿إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار \* مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواه ﴿ وحسف القمر ﴾ أي: ذهب نوره وسلطانه، وجمع الشمس والقمر ﴾ وهما لم يجتمعا الله تعالى، فيجمع الله بينهما يوم القيامة، ويخسف القمر، وتكور الشمس، ثم يقذفان في النار، ليرى العباد أنهما عبدان مسخران، وليرى من عبدهما أنهم كانوا كاذبين.

﴿يقول الإنسان﴾ حين يرى تلك القلاقل المزعجات: ﴿أين المفر﴾؟ أين الخلاص والفرار مما طرقنا وأصابنا(١)؟

﴿كلالا وزر﴾ أي: لا ملجاً لأحد دون الله، ﴿إلى ربك يمومشدُ المستقر﴾ لسائر العباد، فليس في إمكان أحد أن يستتر أو يهرب عن ذلك الموضع، بل لا بد من إيقافه ليجزى بعمله، ولهذا قال: ﴿ينبا الإنسان يومئذ بما قدّم وأخّر﴾ أي: بجميع عمله الحسن والسيىء، في أول وقته وآخره، وينبأ بخبر لا ينكره، ﴿بل وقالنسان على نفسه بصيرة﴾ أي: شاهداً وعاسباً، ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ فإنها معاذير لا تقبل، ولا تقابل ما يقرر به العبد(\*)، فيُقرُ به، كما قال تعالى:

﴿اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ .

فالعبد وإن أنكر، أو اعتذر عما عمله، فإنكاره واعتذاره يفيدانه شيئاً، لأنه يشهد عليه سمعه وبصره وجيع جوارحه بما كان يعمل، ولأن استعتابه قد ذهب وقته وزال نفعه: ﴿ فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون﴾ .

(17 ـ 17) (لا تحرك به لسانك لتعجل به \* إن علينا جمعه وترآنه \* فإذا قرأناه فاتبع قرآنه \* ثم إن علينا بيانه كان النبي الله إذا جاءه جبريل بالرحي، وشرع في تلاوته عليه، بادره النبي الله من تلاوة جبريل إياه، فنهاه الله عن هذا، وقال: (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه).

وقال هنا: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به ﴾ ثم ضمن له تعالى أنه لا بد أن يحفظه ويقرأه، ويجمعه الله في صدره، فقال: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه ﴾ فالحرص الذي في خاطرك، إنما الداعي له حذر الفوات والنسيان، فإذا ضمنه الله لك، فلا موجب لذلك.

﴿ فَإِذَا قَرَأَنَاهُ فَاتَبِعَ قَرَآنَهُ ﴾ أي: إذا كمّل جبريل قراءة ما أوحى الله (٢٦) إليك، فحينتذ اتبع ما قرأه وأقرأه.

وشم إن علينا بيانه أي: بيان معانيه، فوعده بحفظ لفظه وحفظ معانيه، وهنذا أعلى ما يكون، فامتثل عليه لأدب ربه، فكان إذا تلا عليه جبريل القرآن بعد هذا، أنصت له، فإذا فرغ قرأه.

وفي هذه الآية أدب لأخذ العلم، أن لا يبادر المتعلم المعلم قبل أن يفرغ من<sup>(١)</sup> المسألة التي شرع فيها، فإذا فرغ منها سأله عما أشكل عليه، وكذلك إذا

كان في أول الكلام ما يوجب الرد أو الاستحسان، أن لا يبادر برده أو قبوله، حتى يفرغ من ذلك الكلام، ليتبين ما فيه من حق أو باطل، وليفهمه فهماً يتمكن به من الكلام عليه.

وفيها: أن النبي ﷺ كما بين للأمة ألفاظ الوحي، فإنه قد بين لهم معانيه.

﴿٢٠ ـ ٢٠﴾ ﴿كــلابِـل تحـيـون الماجلة \* وتذرون الآخرة \* وجوه يومئذناضرة \* إلى ربها ناظرة \* ووجوه يومئذ باسرة \* تظن أن يفعل ما فاقرة الى: هذا الذي أوجب لكم الغفلة والإعراض عن وعظ الله وتذكيره أنكم ﴿تحبون العاجلة﴾ وتسعون فيما يحصلها، وفي لذاتها وشهواتها، وتؤثرونها على الآخرة، فتذرون العمل لها، لأن الدنيا نعيمها ولذاتها عاجلة، والإنسان مولع بحب العاجل، والآخرة متأخر ما فيها من النعيم المقيم، فلذلك غفلتم عنها وتركتموها، كأنكم لم تخلقوا لها، وكأن هذه الدار هي دار القرار، التي تبذل فيها نفائس الأعمار، ويسعى لها آناء الليل والنهار، وجذا انقلبت عليكم الحقيقة، وحصل من الخسار ما حصل.

فلو آثرتم الآخرة على الدنيا، ونظرتم للعواقب نظر البصير العاقل لأنجحتم، وربحتم ربحاً لا خسارة معه، وفزتم فوزاً لا شقاء يصحبه.

ثم ذكر ما يدعو إلى إيثار الآخرة، ببيان حال أهلها وتفاوتهم فيها، فقال في جزاء المؤثرين للآخرة على الدنيا: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ أي: حسنة بهية، لها رونق ونور، مما هم فيه من نعيم القلوب، وبهجة النفوس، ولذة الأرواح، ﴿إلى ربها ناظرة﴾ أي: تنظر إلى ربها ناظرة﴾ أي: تنظر إلى ربها ناظرة﴾ أي: تنظر إلى ربها ناظرة أي: منهم إلى ربها على حسب مراتبهم: منهم

<sup>(</sup>١) في ب: والفكاك مما طرقنا وألم بنا.

<sup>(</sup>٢) في ب: بل يقرر بعمله.

<sup>(</sup>٣) في ب: إذا أكمل جبريل ما يوحى إليك.

<sup>(</sup>٤) في ب: أن لا يبادر المتعلم للعلم قبل أن يفرغ المعلم.

<sup>(</sup>٥) في ب: أي ينظرون إلى ربهم.

من ينظره كل يوم بكرة وعشيا، ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة، فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وجاله الباهر، الذي ليس كمثله شيء، فإذا رأوه نسوا ما هم فيه من النعيم، وحصل لهم من اللذة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، ونضرت وجوههم، وازدادوا جمالاً إلى جمالهم، فنسأل الله الكريم أن يجعلنا معهم.

وقال في المؤثرين العاجلة على الآجلة: ﴿وجوه يومئذ باسرة ﴾ أي: معبسة ومكدرة (١١) خاشعة ذليلة ﴿تظن أن يفعل بها فاقرة ﴾ أي: عقوبة شديدة، وعذاب أليم، فلذلك تغيرت وجوههم وعبست.

﴿٢٦ \_ ٤٠ ﴾ ﴿كلا إذا بلغت التراقى \* وقيل من راق \* وظن أنه الفراق \* والتفت الساق بالساق \* إلى ربك يومنذ المساق \* فلا صدق ولا صلى \* ولكن كذب وتولى \* ثم ذهب إلى أهله يتمطى \* أولى لك ا فأولى \* ثم أولى لك فأولى \* أبحسب الإنسان أن يترك سدى \* ألم يك نطفة من منئ يمنى \* ثم كان علقة فخلق فسوى \* فجعل منه الزوجين الذكر والأنشى \* أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتي﴾ يعظ تعالى عباده، بذكر حال المحتضر عند السياق(٢)، وأنه إذا بلغت روحه التراقى، وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر، فحيتنذ يشتد الكرب، ويطلب كل وسيلة وسبب، يظن أن يحصل به الشفاء والراحة، ولهذا قال: ﴿وقيل من راق﴾ أي: من يرقيه، من الرقية، لأنهم انقطعت آمالهم من الأسباب العادية، فلم يبق إلا الأسباب الإلهية (٣).

ولكن القضاء والقدر، إذا حتم وجاء فلا مردله، ﴿وظن أنه الفراق﴾ للدنيا.

﴿والتفت الساق بالساق ﴾ أي: اجتمعت الشدائد والتفت، وعظم الأمر وصعب الكرب، وأريد أن تخرج الروح التي ألفت البدن (٤) ولم تزل معه، فتساق إلى الله تعالى، حتى يجازيها بأعمالها، ويقررها بفعالها.

فهذا الزجر، [الذي ذكره الله] يسوق القلوب إلى ما فيه نجاتها، ويزجرها عما فيه هلاكها.

ولكن المعاند الذي (٥) لا تنفع فيه الآيات، لا يزال مستمراً على بغيه وكفره وعناده.

﴿ فِلا صِدِّق ﴾ أي: لا آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ﴿ولا صلى \* ولكن كذب الحق في مقابلة التصديق، ﴿وتولى عن الأمر والنهي، هذا وهو مطمئن قلبه، غير خائف من ربه، بل يذهب ﴿إلى أهله يتمطى اي: ليس على باله شيء، توعده بقوله: ﴿ أُولَى لَكُ فَأُولَى \* ثُم أولى لك فأولى) وهذه كلمات وعيد، كررها لتكرير وعيده، ثم ذكّر الإنسان بخلقه الأول، فقال: ﴿ أَيُّسِبِ الْإِنسَانِ أن يسترك سدى أي: معطلالا)، لا يتومر ولا ينهي، ولا يُشاب ولا يُعاقَب؟ هذا حسبان باطل، وظن بالله بغير ما يليق بحكمته.

خلق الإنسان هذه [وطوره إلى] الأطوار المختلفة ﴿بقادر على أن يحيي الموتى﴾ بلى إنه على كل شيء قدير.

تم تفسير سورة القيامة، ولله الحمد والمنة، وذلك في ١٦ صفر سنة ١٣٤٤ (٧٧).

المجلد التاسع من تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن لجامعه الفقير إلى الله: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أمين.

# تفسير سورة هل أتى على الإنسان وهي مكية

﴿ ١ - ٣﴾ ﴿ بسم الله الرحن الرحيم هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً \* إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً \* إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ ذكر الله في هذه السورة الكريمة أول حالة الإنسان ومبتدأها ومتوسطها ومنتهاها.

فذكر أنه مر عليه دهرٌ طويل، وهو الذي قبل وجوده، وهو معدوم بل ليس مذكوراً.

ثم لما أراد الله تعالى خلقه، خلق [أباه] آدم من طين، ثم جعل نسله مسلسلا ﴿من نطفة أمشاج﴾ أي: ماه مهين مستقذر ﴿نبتليه﴾ بذلك، لنعلم هل يرى حاله الأولى، ويتفطن لها أم ينساها وتغره نفسه؟

فأنشأه الله، وخلق له القوى الباطنة والظاهرة، كالسمع والبصر، وسائر الأعضاء، فأتمها له وجعلها سالمة يتمكن بها من تحصيل مقاصده.

ثم أرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب، وهذاه الطريق الموصلة

<sup>(</sup>١) في ب: كدرة.

<sup>(</sup>٢) في ب: بذكر المحتضر حال السياق.

 <sup>(</sup>٣) في ب: فتعلقوا بالأسباب الإلهية.

<sup>(</sup>٤) في ب: أن تخرج الروح من البدن الذي ألفته.

<sup>(</sup>٥) كذا في ب، وفي أ: التي.

<sup>(</sup>٦) في ب: أي مهملاً.

<sup>(</sup>٧) في ب: والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وسلم.

إلى الله<sup>(۱۱)</sup>، ورغَّبه فيها، وأخبره بما له عند الوصول إلى الله .

ثم أخبره بالطريق الموصلة إلى الهلاك، ورهبه منها، وأخبره بما له إذا سلكها، وابتلاه بذلك، فانقسم الناس إلى شاكر لنعمة الله عليه، قائم بما لنعمة الله عليه، أنعم الله عليه بالنعم الله ينه والدنيوية، فردها، وكفر بربه، وسلك الطريق الموصلة إلى الهلاك.

ثم ذكر تعالى حال الفريقين عند الجزاء فقال:

﴿ ٤ ـ ٢٢ ﴾ ﴿إِنَا أَعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً \* إِنَّ الأَبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً ﴾ إلى آخر الثواب أي: إنا هيأنا وأرصدنا لمن كفر بالله، وكذب رسله، وتجرأ على المعاصي ﴿سلاسِلَ ﴾ في نار جهنم، كما قال تعالى: ﴿ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ﴾ .

﴿ وَأَعْلَالُ مِنْ لِمِهِ أَيْدَيْهُمْ إِلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ ا

﴿ وَسَعَيرا ﴾ أي: ناراً تستعربها أجسامهم، وتحرق بها أبدانهم، ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها، ليذوقوا العذاب ﴾ وهذا العذاب العدون فيه سرمدا.

وأما ﴿الأبرار﴾ وهم الذين برت قلوبهم بما فيها من عبة الله ومعرفته، والأخلاق الجسميلية، فبرت جوارحهم (٢)، واستعملوها بأعمال البر، أخبر أنهم ﴿يشربون من كأس﴾ أي: شراب لذيذ من خر قد مزج بكافور أي: خلط بكافور اليبرده ويكسر حدته، وهذا الكافور [في غاية اللذة]، قد سلم من كل مكدر ومنغص، موجود في كافور الدنيا،

فإن الآفة الموجودة في الأسماء التي ذكر الله أنها في الجنة وهي في الدنيا تعدم في الآخرة (٣).

كساقال تعالى: ﴿في سدر خضود \* وطلح منضود ﴾ ﴿وأزواج مطهرة ﴾ ﴿لهم دار السلام عند ربهم ﴾ ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴾.

﴿عيناً يشرب بها عباد الله أي: ذلك الكأس اللذيذ الذي يشربون به، لا يخافون نفاده، بل له مادة لا تنقطع، وهي عين دائمة الفيضان والجريان، يفجرها عباد الله تفجيرا، أنى شاؤوا، وكيف أرادوا، فإن شاؤوا صرفوها إلى البساتين الزاهرات، أو إلى الرياض الناضرات، أو بين جوانب القصور والمساكن المزخرفات، أو إلى أي: جهة يرونها من الجهات المونقات. وقد ذكر(1) جملة من أعمالهم في أول هذه السورة، فقال: ﴿ يُوفُونُ بالنذر ﴾ أي: بما ألزموا به أنفسهم لله من النذور والمعاهدات، وإذا كأنوا يوفون بالنذر، وهو لم يجب (٥) عليهم، إلا بإيجابهم على أنفسهم، كان فعلهم وقيامهم بالفروض الأصلية، من باب أولى وأحرى، ﴿ويخانون يوماً كان شره مستطيراً أي: منتشراً فاشياً، فخافوا أن ينالهم شره، فتركوا كل سبب موجب لذلك، ﴿ويطعمون الطعام على حبه ﴾ أي: وهم في حال يحبون فيها المال والطعام، لكنهم قدموا محبة الله على محبة نفوسهم، ويتحرون في إطعامهم أولى الناس وأحوجهم، ﴿مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴿

ويقصدون بإنفاقهم وإطعامهم وجه الله تعالى، ويقولون بلسان الحال: ﴿إِنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا﴾ أي:

لا جزاء مالياً، ولا ثناء قوليا.

﴿إِنَا نَجَافُ مِن رَبِنَا يُوماً عِبُوساً﴾ أي: شديد الجهمة والشر ﴿قمطريراً﴾ أي: ضنكاً ضيقا، ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم﴾ فلا يحزنهم الفزع الأكبر، وتتلقاهم الملائكة [هذا يومكم الذي كنتم توعدون].

ولقاهم أي: أكرمهم وأعطاهم ونضرة في وجوههم ووسرورا في قلوبهم، فجمع لهم بين نعيم الظاهر والباطن، ووجزاهم بما صبروا على طاعة الله، فعملوا ما أمكنهم منها، وعن معاصي الله، فتركوها، وعلى أقدار الله المؤلمة، فلم يتسخطوها، وجنة جامعة لكل نعيم، سالمة من كل مكدر ومنغص، ووحريرا كما كل مكدر ومنغص، ووحريرا كما ولعل الله إنما خص الحرير، لأنه ولعل الله إنما خص الحرير، لأنه لباسهم الظاهر، الدال على حال صاحبه.

﴿متكشين فيها على الأراثك﴾ الاتكاء: التمكن من الجلوس، في حال الرفاهية والطمأنينة [الراحة]، والأرائك هي السرر التي عليها اللباس المزين، ﴿لا يرون فيها﴾ أي: في الجنة ﴿ولا زمهريرا﴾ أي: برداً شديداً، بل جميع أوقاتهم في ظل ظليل، لا حرولا برد، بحيث تلتذ به الأجساد، ولا تنالم من حرولا برد.

﴿ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا أي: قربت ثمراتها من مريدها تقريباً ينالها، وهو قائم، أو قاعد، أو مضطجع.

ويطاف على أهل الجنة أي: يدور [عليهم] الخدم والولدان (١٦) ﴿ باتنية من فضة وأكواب كانت قواريرا \* قوارير من فضة ﴾ أي: مادتها من فضة،

 <sup>(</sup>١) في ب: الطريق الموصلة إليه وبينها.

<sup>(</sup>٢) في ب: أعمالهم.

<sup>(</sup>٣) في ب: الموجودة في الدنيا تنعدم من الأسماء التي ذكرها الله في الجنة.

<sup>(</sup>٤) في ب: ثم ذكر.

<sup>(</sup>٥) في ب: الذي هو غير واجب.

<sup>(</sup>٦) في ب: ﴿ويطاف عليهم﴾ أي: يدور الولدان والخدم على أهل الجنة.

[وهي] على صفاء القوارير، وهذا من أعجب الأشياء، أن تكون الفضة الكثيفة، من صفاء جوهرها، وطيب

معدنها، على صفاء القوارير.

﴿قدروها تقديرا﴾ أي: قدروا الأواني المذكبورة على قدر ريم من من الأنها لو زادت نقصت لذتها، ولو نقصت لم تف بريم (١).

ويحتمل أن المراد: قدرها أهل الجنة بنفوسهم بمقدار يوافق لذتهم، فأتتهم على ما قدروا في خواطرهم، فويسقون فيها أي: في الجنة، من كأس، وهو الإناء الملوء من خر ورحيق، ﴿كان مزاجها﴾ أي: خلطها فرنجيلا﴾ ليطيب طعمه وريحه.

﴿ عيناً فيها ﴾ أي: في الجنة، ﴿ تسمى سلسبيلا ﴾ سميت بذلك لسلاستها ولذتها وحسنها.

﴿ويطوف﴾ على أهل الجنة، في طعامهم وشرابهم وخدمتهم.

طعامهم وسرابهم وخدمتهم.

ولدان مخلدون أي: خلقوا من الجنة للبقاء، لا يتغيرون ولا يكبرون، وهم في غاية الحسن، ﴿إذا رأيتهم من منتشرين في خدمتهم ﴿حسبتهم ﴿ من الحدة أهل الجنة، أن يكون خدامهم الولدان المخلدون، الذين تسرر رؤيتهم، ويدخلون على مساكنهم، أمنين من تبعتهم، ويأتونهم بما يدعون وتطلبه نفوسهم، ﴿وإذا رأيت ثم أي: هناك في الجنة، ورمقت ما هم فيه ورايد، والمعرا من النعيم ( أي . ﴿ رأيت نعيماً وملكاً كبيراً ﴾ فتجد الواحد منهم، عنده من القصور والمساكن والغرف المؤينة المؤخرفة، ما لا يدركه الوصف،

ولديه من البساتين الزاهرة، والثمار

الدانية، والفواكه اللذيذة، والأنهار

الجارية، والرياض المعجبة، والطيور المطربة [المشجية]، ما يأخذ بالقلوب، ويفرح النفوس.

وعنده من الزوجات، اللاتي هن في غاية الحسن والإحسان، الجامعات لجمال الظاهر والباطن، الخيرات الحسان، ما يملأ القلب سروراً، ولذة وحبورا، وحوله من الولدان المخلدين، والخدم المؤبدين، ما به تحصل الراحة والطمأنينة، وتتم لذة العيش، وتكمل الغبطة.

ثم علاوة ذلك ومعظمه، الفوز برؤية (٢) الرب الرحيم، وسماع خطابه، ولذة قربه، والابتهاج برضاه، والخلود الدائم، وتزايد ما هم فيه من النعيم كل وقت وحين، فسبحان الملك خزائنه، ولا يقل خيره، فكما لا تنفد لأوصافه، فلا نهاية لبره وإحسانه، فعد جللتهم ثياب سندس خضر﴾ أي: قد جللتهم ثياب السندس والإستبرق الأخضران، اللذان هما أجل أنواع الحرير، فالسندس: ما غلظ من الديباج (٤)، والاستبرق: ما رق منه.

العيب ، والمسبول القارض التعلق المسبول المنطقة المنطقة المسلود الفضة المنطقة المسلود الفضة المنطقة المسلود المنطقة ا

وقوله: ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهورا﴾ أي: لا كدر فيه بوجه من الوجوه، مطهراً لما في بطونهم من كل أذى وقذى.

﴿إِنْ هِذَا﴾ الجزاء الجزيل والعطاء الجميل ﴿كان لكم جزاء ﴾ على ما أسلفتموه من الأعمال ، ﴿وكان سعيكم مشكورا ﴾ أي: القليل منه ، يجعل الله لكم به من النعيم المقيم ما لا يمكن

DENIE VI PERIODE عَيْنَاتِشْرَكُ بِهَاعِبَادُاللَّهِ يُفَجِّرُونَهَالَغِيرًا ۞ وُفُونَ بِالنَّذْرِ وَتَعَافُونَ وَ مَا كَانَ شَرُهُ مُسْتَطِيرًا ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبُو مِسْكِنا وَمَتِهَا وَأَسِيرًا إِنَّا أَغُلُومُكُمْ وَجِواللَّهِ لَازْيِدُمِن كُرْجَزَّةَ وَلَا شُكُورًا ﴿ إِنَّا غَنَاكُ مِن زَّيِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَعْطَ مِزَكِ فَوَقَعُهُمُ أَقَهُ شَرَّ ذَلِكَ ٱلْيَوْدِ وَلَقَنْهُمْ نَضَرَةً وَمُرُوزًا ﴿ وَجَزَنْهُم عَاصَرُواْجَنَّةً وَجَوِيرًا ٥ مُتَكِدِينَ فِهَا عَلَى ٱلْأَرْآبِكِ لَايْرُونَ فِيهَا شَمْسَا وَلَازَمْهَ بِإِنَّ وَدَانِيَةً عَلَيْهِ مُظِلَالُهَا وَذُلِلَتُ قُطُوفُهَا نَذْلِلًا ۞ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِعَانِيَةِ مِنْ فِضَةِ وَأَحُوابِ كَانَتْ قَوَادِيزًا ۞ قَوَادِيزَاْمِن فِضَةِ فَلَرُوهَا عَيْنَافِي وَيُسْفَوْزُ فِيهَا كَأْسُاكَانَ مِنَاجُهَا لَيْجَيِلُاكِ عَيْنَافِيهَا شُتَنَىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَنَّ غَلَّهُ وَنَ إِذَا رَأَيْنَهُمُ حَسِنَتُمْ لُولُوا مِّنْهُورًا ۞ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُرَرَأَيْتَ شِيمًا وَمُلْكًا كَمِيرًا ۞ عَلِيَعُمْ بْيَابُ سُندُس خُفْرٌ وَاسْنَبْرَقُ وَحُلُوا أَسْاوِرَون فِضَةٍ وَسَفَعَمُ رَيْحَ مَثَرُانِا مَلْهُولًا ۞ إِذْ هَلَناكَانَ لَكُرْجُزَلَة وَكَانَ سَعْبِكُمْ مَشْكُورًا ﴿ إِنَّا غَمَنُ زَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرِّوَانَ نَمْزِيلًا ۞ فَأَصْرِ لِمُكْمِرَ زِيكَ وَلِانْفِلِمْ مُّ مِنْهُمْ النَّا أَوْكُنُورًا ۞ وَاذَكُّرُ أَسْمَرَيِّكَ بُحْمُرةً وَأَسِيلًا ۞ DESCRIPTION OF THE PROPERTY

وقوله تعالى لما ذكر نعيم الجنة ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فيه الوعد والوعيد، وبيان كل ما يحتاجه العباد، وفيه الأمر بالقيام بأوامره وشرائعه أتم القيام، والسعي في تنفيذها، والصبر على ذلك.

ولهذا قال: ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آلماً أو كفورا﴾ أي: اصبر لحكمه القدري، فلا تسخطه، ولحكمه الديني، فامض عليه، ولا يعوقك عنه عائق.

﴿ولا تطع﴾ من المعاندين، الذين يريدون أن يصدوك ﴿آثماً﴾ أي: فاعلا إثماً ومعصية ولا ﴿كفورا﴾ فإن طاعة الكفار والفجار والفساق، لا بد أن تكون في المعاصي، فلا يأمرون (٥) إلا بما تبواه أنفسهم.

ولما كان الصبر يساعده القيام بعبادة الله (۲)، والإكثار من ذكره، أمره الله بذلك، فقال: ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا﴾ أي: أول النهار وآخره، فدخل في ذلك، الصلوات

<sup>(</sup>١) في ب: لم تكفهم لريهم.

<sup>(</sup>٢) في ب: أي رمقت ما أهل الجنة عليه من النعيم الكامل.

<sup>(</sup>٣) في ب: برضا.

<sup>(</sup>٤) في ب: ما غلظ الحرير.

 <sup>(</sup>٥) في ب: لا بد أن تكون معصية لله لأنهم لا يأمرون.
 (١) في ب: يستمد من القيام بطاعة الله.

الفاقات الفاق الفاق الفاق المنظمة الم

المكتوبات وما يتبعها من النوافل، والذكر، والتسبيح، والتهليل، والتكبير في هذه الأوقات.

﴿ومن الليل فاسجد له ﴾ أي: أكثر [له] من السجود، ولا يكون ذلك إلا بالإكثار من الصلاة(١٠).

وسبحه ليلا طويلا وقد تقدم تقييد هذا المطلق بقوله: (يا أيها المزمل \$ قم الليل إلا قليلا الآية (٢): [وقوله] (إن هؤلاء أي: المكذبين لك أيها الرسول بعدما بينت لهم الآيات، ورغبوا ورهبوا، ومع ذلك، لم يفد فيهم ذلك شيئاً، بل لا يزالون يؤثرون (العاجلة ويطمئنون إليها، ويسملون (وراءهم أي: أمامهم فيوماً تقيلا وهو يوم القيامة، الذي وقال تعالى: (يقول الكافرون هذا يوم وسرة).

فكأنهم ما خلقوا إلا للدنيا والإقامة فيها.

وحمل استدل عليهم وعلى بعثهم بدليل عقلي، وهو دليل الابتداء، فقال: ونحن خلقناهم أي: أوجدناهم من العدم، ووشددنا أسرهم أي: أحكمنا خلقتهم بالأعصاب، والعروق، والأوتار، والقوى الظاهرة والباطنة، حتى تم الجسم واستكمل، وتمكن من كل ما الحالة، قادر على أن يعيدهم بعد موتهم لجزائهم، والذي نقلهم في هذه الدار لليق به أن يتركهم إلى هذه الدار سدى، لا يؤمرون، ولا ينهون، ولهذا ولا يثابون، ولا يعاقبون، ولهذا

﴿بدلنا أمثالهم تبديلا أي: أنشأناكم للبعث نشأة أخرى، وأعدناكم بأعيانكم، وهم بأنفسهم أمثالهم.

﴿إِنْ هَذَهُ تَذَكَرَةَ ﴾ أي: يتذكر بها المؤمن، فيتفع بما فيها من التخويف والترغيب.

﴿ فَمَنْ شَاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾ أي: طريقاً موصلاً إليه، فالله يبين الحقد والهدى، ثم يخير الناس بين الاهتداء بها أو النفور عنها، مع قيام الحجة عليهم (٣)، ﴿ وما تشاؤون إلا أن عليهاء الله فإن مشيئة الله نافذة، وإن الله كان عليماً حكيما ﴾ فله الحكمة في هداية المهتدي، وإضلال الضال.

﴿يدخل من يشاء في رحمته ﴾ فيختصه بعنايته، ويوفقه لأسباب السعادة ويهديه لطرقها.

﴿والظالمين﴾ الذين اختاروا الشقاء

على الهدى ﴿أعدلهم عذاباً اليما﴾ [بظلمهم وعدوانهم].

> تم تفسير سورة الإنسان، وله الحمد والمنة(<sup>1)</sup>

## تفسير سورة المرسلات وهي مكية

(١-٥١) ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا \* فالعاصفات عصفاً \* والناشرات نشراً \* فاللقيات ذكراً \* فاللقيات ذكراً \* عذراً أو نذراً \* إنما توعدون لواقع \* فإذا النجوم طمست \* وإذا السماء فرجت \* وإذا الجبال نسفت \* وإذا الرسل أقتت \* لأي: يوم أجلت \* ليوم الفصل \* ويل يومئذ للمكذبين الفصل \* ويل يومئذ للمكذبين أقسم تعالى على البعث والجزاء اللائكة التي يرسلها الله تعالى بشئونه الملائكة التي يرسلها الله تعالى بشئونه الشرعة ووحيه إلى رسله.

و ﴿عرفه ﴾ حال من الموسلات أي: أرسلت بالعرف والحكمة والمصلحة، لا بالنكر والعبث.

﴿ فالعاصفات عصفا ﴾ وهي [أيضاً] الملائكة التي يرسلها الله تعالى، وصفها بالمبادرة لأمره، وسرعة تنفيذ أوامره، كالريح العاصف، أو: أن العاصفات، الرياح الشديدة، التي يسرع هبوبها، والمناشرات نشراً يحتمل أنها الملائكة (٢) ، تنشر ما دبرت على نشره، أو أنها السحاب التي يُنشِر بها الله الأرض، فيحييها بعد موتها، وفالملقيات ذكرا ﴾ هي الملائكة، تلقي أشرف الأوامر، وهو الذكر الذي

<sup>(</sup>١) في ب: وذلك متضمن لكثرة الصلاة.

<sup>(</sup>٢) في ب: أكمل الآيات ﴿نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه﴾.

<sup>(</sup>٣) في ب: إقامة للحجة لبهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيَّ عن بينة.

<sup>(</sup>٤) في ب: تمت ولله الحمد.

<sup>(</sup>٥) في ب: على الأعمال.

<sup>(</sup>٦) في ب: يحتمل أن المراد بها الملائكة.

يرحم الله به عباده، ويذكرهم فيه منافعهم ومصالحهم، تلقيه إلى الرسل، ﴿عَدْراً أَو نَدْرا﴾ أي: إعداراً وإنذاراً للناس، تنذر الناس ما أمامهم من المخاوف، وتقطع معذرتهم

﴿إِنَّمَا تُوعِدُونَ ﴾ من البعث والجزاء على الأعمال ﴿لواقع﴾ أي: متحتم وقوعه، من غير شك ولا ارتياب.

فلا يكون لهم حجة على الله.

فإذا وقع حصل من التغير للعالم والأهوال الشديدة ما يزعج القلوب، وتشتدله الكروب، فتنطمس النجوم أي: تتناثر وتزول عن أماكنها وتنسف الجبال، فتكون كالهباء المنثور، وتكون هي والأرض قاعاً صفصفا، لا تري فيهًا عوجاً ولا أمتا، وذلك اليوم هو اليوم الذي أقتت فيه الرسل، وأجلت للحكم بينها وبين أممها، ولهذا قال:

﴿ لأي: يوم أجُلت ﴾ استفهام للتعظيم والتفخيم والتهويل.

ثم أجاب بقوله: ﴿ليوم الفصل﴾ [أي:] بين الخلائق، بعضهم لبعض، وحساب كل منهم منفرداً، ثم توعد المكندب بهذا اليوم، فقال: ﴿ويسل يومئذ للمكذبين﴾ أي: يا حسرتهم، وشدة عذابهم، وسوء منقلبهم، أخبرهم الله، وأقسم لهم، فلم يصدقوه، فاستحقوا(٢) العقوبة

﴿١٦ \_ ١٩﴾ ﴿أَلَمْ نَهِ السَّلَّكُ الْمُ الأولين \* ثم نتبعهم الآخرين \* كذلك نفعل بالمجرمين \* ويل يومئذ للمكذبين ﴾ أي: أما أهلكنا المكذبين السابقين، ثم نتبعهم بإهلاك من كذب من الآخرين، وهذه سنته السابقة واللاحقة في كل مجرم لا بدمن عذابه <sup>(۳)</sup>، فلم لا تعتبرون بما ترون

وتسمعون؟ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ بعدما شاهدوا من الآيات البينات، والعقوبات والمثلات.

﴿٢٠ \_ ٢٤﴾ ﴿أَلَم نَخْلَقَكُم مِنْ مَاء مهين \* فجعلناه في قرار مكين \* إلى قدر معلوم \* فقدرنا فنعم القادرون \* ويلُّ يومُّنذُ للمكذبين ﴾ أي: أما خلقناكم أيها الآدميون﴿من ماء مهين﴾ أي: في غاية الحقارة، خرج من بين الصلب والترائب، حتى جعله الله ﴿ فَي قرار مكين﴾ وهو الرحم، به يستقر وينمو ﴿إلى قدر معلوم﴾ ووقت مقدر، ﴿فقدرنا﴾ أي: قدرنا ودبرنا ذلك الجنين، في تلك الظلمات، ونقلناه من النطّفة إلى العلقة، إلى المضغة، إلى أن جعله الله جسداً، ثم نفخ فيه الروح، ومنهم من يموت قبل

﴿فنعم القادرون﴾ [يعنى بذلك نفسه المقدسة] حيث كان قدراً تابعاً للحكمة، موافقاً للحمد(٤).

﴿ويل يومئذ للمكذبين ﴾ بعدما بين الله لهم الآيات، وأراهم العبر والبينات.

﴿ ٢٥ ـ ٢٨﴾ ﴿ أَلَمْ نَبِحِعِلَ الأَرْضَ كفاتاً \* أحياء وأمواتاً \* وجعلنا فيها رواسى شامخات وأسقيناكم ماءً فراتاً \* ويل يومئذ للمكذبين ﴾ أي: أما امتننا<sup>(ه)</sup> عليكم وأنعمنا، بتسخير الأرض لمصالحكم، فجعلناها ﴿ كفاتا ﴾ لـكـم، ﴿أحـياء ﴾ فـي الـدور، ﴿ وَأَمُواتًا ﴾ في القبور، فكمَّا أن الدور والقصور من نعم الله على عباده ومنته، فكذلك القبور، رحمة في حقهم، وستراً لهم، عن كون أجسادهم بادية للسباع وغيرها.

ٱلْوَغَلْقَكُمُ مِن مَّآءِمُهِينِ۞ فَعَلَنْتُهُ فِي قَرَارِمَكِينِ۞ إِلَىٰ فَكَدِرِ مَعَلُومِ ۞ فَقَدَزَنَا فَيَعْمَ ٱلْقَدِرُونَ ۞ وَيُلَّ يُوْمَ إِذِ لِلْمُكَذِينَ ۞ أَرْبَغِهَ لَ الْأَرْضَ كِنَانًا ﴿ أَخِياآءَ وَأَمْوَنًا ۞ مَجَعَلْتَ افِيهَا رَوَسِي شَيْهِ خَنْتِ وَأَسْقَيْنَكُمْ مَّآءَ فُرَاتًا ۞ وَيُلَّ يَومِهِ ذِ ٱلْمُكَذِيبَنَّ۞ ٱنطَلَقُوٓا إِلَىٰ مَاكُتُتُم بِهِ عَنَّكَذِبُونَ ۞ ٱنطَلِقُوٓا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي تُلَاثِ شُعَبِ۞ لَاظَيِلِ وَلَايُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ۞ إِنَّهَا تَرَى يِشَرَدِ كَالْقَصْرِ ۞ كَأَنْهُ وَمَلَتُ صُفْرٌ ۞ وَوَلَّ يُؤْمِهِ ذِلِلْهُ كَذِيبِنَ ۞ هَذَا يَوْمُ لَا يَطِقُونَ ۞ وَلَا يُؤْذَنُ لَمَدُ فَيَعَنَذِرُونَ۞ فَالَّ يَوْمَهِ ذِ لِلْمُكَدِّيِينَ۞ هَلَا يَوْمُ ٱلْمَصْلِّ مَعْنَاكُمْ وَٱلْأَوْلِينَ۞ فَإِن كَانَ لَكُوْكُيدٌ فَكِيدُ ونِ ۞ وَمَلْ يَوْمَهِ فِي الْكَكِنِينَ ۞ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالِ وَعُيُونِ ۞ وَفَوَكَهَ يَمَّا يَشْتَهُونَ ۞ كُلُواْ وَاشْرَعُ الْمَيْتَا يِّاكُنْمُ تَعْمَلُونَ۞ إِنَّاكَذَلِكَ جَيْهِا ٱلْمُحْسِنِينَ۞ وَيَّلُّ يَوْمِ إِلِلْمُكَذِينَ ۞ كُلُواْوَتَمَنَّعُواْ فَلِيلًا إِنَّكُمْ غُوْمُونَ۞ وَثُلُّ يَوْمَهِ ذِلِلْمُكَذِينَ ۞ وَاذَافِلَ لَمُمُ أَرْكَعُواْ لَا يَزَكُمُونَ ۞ وَيْلُّ يَوْمَهِ ذِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۞ فِمَأْيّ حَدِيثِم بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۞ ON TOTAL ON

ترسى الأرض، لئلا تميد بأهلها، فثبتها الله بالجبال الراسيات الشانحات أي: الطوال العراض، ﴿وأسقيناكم ماء فراتا ﴾ أي: عنباً زلالا، قال تعالى: ﴿ أَفْرَأُيتُمُ المَاءُ الذي تشربون \* أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون الله لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون﴾.

﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ مع ما أراهم الله من النعم، التي انفرد الله بها، واختصهم بها، فقابلوها بالتكذيب.

﴿ ٢٩ \_ ٣٣ ﴾ ﴿ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون \* انظلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب \* لا ظليل ولا ينغنني من اللهب \* إنها ترمى بشرر كالقصر \* كأنه جمالة صفر \* ويل يومئذ المكذبين ﴿ هذا من الويل الذي أعد [للمجرمين] للمكذبين، أن يقال لهم يوم القيامة: ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكنبون مم فسر ذلك بقوله: ﴿انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب﴾ ﴿وجعلنا فيها رواسي﴾ أي: جبالاً أي: إلى ظل نار جهنم، التي تتمايز في

في ب: أعذارهم. (1)

في ب: فلذلك استحقوا. (٢)

في ب: عقابه. (٣)

في ب: لأن قدره تابع لحكمته موافق للحمد. (1)

في ب: أمامننا. (0)

TO THE REAL WASHINGTON نَوْلَالِكِيَّا ﴾ نِسْرِينِي الْمِثْلِثِينِ إِنْوَالِكِيْرِ الْمُثَالِّينِ إِنْوَالِكِيْرِ الْمِثْلِثِينِ إِنْوَالِكِيْرِ الْمُثَالِ ﴿ عَمَّ بِشَآ اللهِ اللهِ عَنِ ٱلنَّابِ ٱلْعَظِيرِ ۞ ٱلَّذِى هُرَفِيهِ مُغَلِفُونَ ۞ الكَّسْيَعْلَمُونَ۞ ثُرُّ كَلَّاسَيْعَلَمُونَ۞ أَلْرَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَادَا۞ وَٱلْجِهَالَ أَوْتَادَا ۞ وَخَلَقَنَكُواْ زُوْجًا ۞ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۞ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ إِنَاكُما ۞ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَمَعَاتُنَا ۞ وَبَعَيْنَا فَوْقَكُمْ تَسَبُّعَاشِدَادًا ۞ وَجَعَلْنَا سِرَاجَاوَهَاجًا ۞ وَأَنْزَلْنَا لِمَنَّ ٱلْمُعْمِرَتِ مَآءَ ثَجَاجًا ۞ لِنُحْزِجَ بِدِيحَبًا وَنَبَاتًا ۞ وَجَنَاتٍ أَلْفَافًا۞ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِكَانَ مِيقَلْنَا۞ يَوْمَ يُنْفَخُ فِٱلصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْرُاجًا۞ وَفُحَتِ ٱلسَّمَآةُ فَكَانَتَ أَبُوْكِا۞ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَّابًا ۞ إِنَّ جَهَنَّ كَانَّ مِرْصَادًا۞ لِلْطَلِغِينَ مَعَابًا۞ لَبِيْنِ فِيهَا أَحْقَابًا۞ لَآيَدُوفُونَ فِيهَا بَرْدَا وَلَا شَرَابًا ۞ إِلَّاحِيمًا وَغَنَاقًا۞ جَزَّآءُ وِفَاقًا۞ إِنَّهُمُ كَاثُواً لَايَرْجُونَحِكَابًا ۞ وَكَذَّبُواْ بِعَالَيْنَاكِذَاكِ أَابًا۞ وَكُلَّ ثَنَّهِ أَحْسَيْنَاهُ كِنْبُا ۞ فَذُوقُواْ فَلَن نِّزِيدَكُمْ إِلَّاعَلَابًا ۞ TORONO MATERIALO

خلاله ثلاث شعب أي: قطع من النار أي: تتعاوره وتتناوبه وتجتمع به.

﴿لا ظليل﴾ ذلك النظل أي: لا راحة فيه ولا طمأنينة، ﴿ولا يغني﴾ من مكث فيه ﴿من اللهب﴾ بل اللهب قد أحاط به، يمنة ويسرة ومن كل جانب، كما قال تعالى: ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل﴾.

﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين﴾ .

ثم ذكر عظم شرر النار، الدال على عظمها وفظاعتها وسوء منظرها، فقال:

﴿إنها ترمي بشرر كالقصر \* كأنه جمالة صفر ﴾ وهي السود التي تضرب إلى لون فيه صفرة، وهذا يدل على أن النار مظلمة، لهبها وجرها وشررها، وأنها سوداء، كريهة المرأى(١١)، شديدة الحرارة، نسأل الله العافية منها [من الأعمال المقربة منها].

﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾

﴿٣٥ ـ ٤٠﴾ ﴿هـــــذا يــــوم لا يـنطقون \*ولا يـؤذن لـهـم فيعتذرون \*ويل يومئذ للمكذبين \*

هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين \*
فإن كان لكم كيد فكيدون \* ويل
يومئذ للمكذبين > أي: هذا اليوم
العظيم الشديد على المكذبين ،
لا ينطقون فيه من الخوف والوجل
الشديد ، ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون >
أي: لا تقبل معذرتهم ، ولو اعتذروا :
﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا
معذرتهم ولا هم يستعبون > .

﴿هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين كه لنفصل بينكم ، ونحكم بين الخلائق ، ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُم كَيد ﴾ تقدرون على الخروج من ملكي ، وتنجون به من عذابي ، ﴿فكيدون ﴾ أي: ليس لكم قدرة ولا سلطان ، كما استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ .

ففي ذلك اليوم، تبطل حيل الظالمين، ويضمحل مكرهم وكيدهم، ويستسلمون لعذاب الله، ويبين لهم كذبهم في تكذيبهم فويل يومئد للمكذبين،

﴿١٤ ـ ٥٤﴾ ﴿إن المتقين في ظلال وعيون \* وفواكه تما يشتهون \* كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون \* إنا كذلك نجزي المحسنين \* ويل يومئلًا للمكذبين ﴾ لما ذكر عقوبة المكذبين ، ذكر ثواب (٢) المحسنين ، فقال : ﴿إنَّ المحسنين ، فقال : ﴿إنَّ المتصفين المتقين ﴾ [أي : ] للتكذيب ، المتصفين بالتصديق في أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم ، ولا يكونون كذلك إلا بادائهم الواجبات ، وتركهم المحرمات .

﴿في ظلال﴾ من كثرة الأشجار المتنوعة، الزاهية البهية. ﴿وعيون﴾ جارية من السلسبيل، والرحيق وغيرهما، ﴿وفواكه مما يشتهون﴾ أي: من خيار الفواكه وطيبها، ويقال لهم: ﴿كلوا واشربوا﴾ من المآكل الشهية،

(٣)

والأشربة اللذيذة، ﴿هنيناً﴾ أي: من غير منغص ولا مكدر، ولا يتم هناؤه، حتى يسلم الطعام والشراب من كل آفة ونقص، وحتى يجزموا أنه غير منقطع ولا زائل، ﴿بما كنتم الموصل لكم إلى هذا النعيم (") المقيم، وهكذا كل من أحسن في عبادة الله وأحسن إلى عباد الله، ولهذا قال: ﴿إِنَا كَذَلِكُ نَجْزِي المحسنين \* ويل يومئذ للمكذبين﴾ ولو لم يكن لهم من هذا الويل إلا فوات هذا النعيم، لكفى به حرماناً وخسراناً ('').

﴿ كلوا وتمتعوا قليلاً الكم بحرصون \* ويل يسومسند للمكذبين \* وإذ قيل لهم اركعوا لا يركعون \* ويل يومند للمكذبين \* فبأي: حديث بعده يؤمنون ﴾ هذا تهديد ووعيد للمكذبين ، أنهم وإن أكلوا في الدنيا وشربوا وتمتعوا باللذات، وغفلوا عن القربات، فإنهم باللذات، فغلوا عن القربات، فإنهم المجرمون، يستحقون ما يستحقه المجرمون، فستنقطع عنهم اللذات، وتبقى عليهم التبعات، ومن إجرامهم أنهم إذا أمروا بالصلاة التي هي أشرف العبادات، وقيل لهم: ﴿ واركعوا ﴾ امتنعوا من ذلك.

فأيُّ إجرام فوق هذا؟ وأيُّ تكذيب يزيد على هذا؟!!

﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ ومن الويل عليهم أنهم تنسد عليهم أبواب التوفيق، ويحرمون كل خير، فإنهم إذا كذبوا هذا القرآن الكريم، الذي هو أعلى مراتب الصدق واليقين على الإطلاق.

﴿فبأي: حديث بعده يؤمنون﴾ أبالباطل الذي هو كاسمه، لا يقوم عليه شبهة فضلاً عن الدليل؟ أم بكلام كل مشرك كذاب أفاك مين؟

فليس بعد النور المبين إلا دياجي

في ب: إلى جنات النعيم. (٤) في ب: حزناً وحرماناً.

<sup>(</sup>١) في ب: كريهة المنظر.

<sup>(</sup>٢) في ب: ثواب.

الظلمات، ولا بعد الصدق الذي قامت الأدلة والبراهين على صدقه إلا الكذب الصراح والإفك المبين (١) الذي لا يليق إلا بمن يناسبه.

فتبّاً لهم، ما أعماهم! وويحاً لهم، ما أخسرهم وأشقاهم!

نسأل الله العفو والعافية [إنه جواد ريم. تمت].

## تفسیر سورۃ عم وهی مکینة

﴿١-٥﴾ ﴿بـسـم الله السرحمـن المعظيم \* الذي هم فيه مختلفون \* كلا العظيم \* الذي هم فيه مختلفون \* كلا سيعلمون ﴾ أي: عن أي: شيء يتساءل المكذبون عنه، بآيات الله؟ ثم بين ما يتساءلون عنه، فقال: ﴿عن النبأ العظيم \* الذي هم فيه مختلفون ﴾ أي: عن الخبر العظيم، وانتشر فيه خلافهم على وجه التكذيب والاستبعاد، وهو النبأ الذي لا يقبل المشك ولا يدخله الريب، ولكن المكذبون بلقاء ربهم لا يؤمنون، ولو الليم.

ولهذا قال: ﴿كلا سيعلمون \* ثم كلا سيعلمون﴾ أي: سيعلمون إذا نزل بهم العذاب ما كانوا به يكذبون، حين يُدَعُون إلى نار جهنم دعًا، ويقال لهم: ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون﴾.

ثم بين (٢) تعالى النعم والأدلة الدالة على صدق ما أخبرت (٢) به الرسل، فقال:

﴿٦ - ١٦) ﴿ أَلُمْ نَسجِ عَسَلُ الْأَرْضُ

مهاداً \* والجبال أوتاداً \* وخلقناكم أزواجاً \* وجعلنا نومكم سباتاً \* وجعلنا الليل لباساً \* وجعلنا النهار معاشاً \* وبنينا فوقكم سبعاً شداداً \* وجعلنا سراجاً وهاجاً \* وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً \* لنخرج به حباً ونباتاً \* وجناتِ ألفافاً ﴾ أي: أما أنعمنا عليكم بنعم جليلة، فجعلنا لكم ﴿الأرض مهادا﴾ أي: عهدة مهيأة (٤) لكم ولصالحكم، من الحروث والمساكن والسيل. ﴿والجيال أوتادا﴾ تمسك الأرض لئلا تضطرب بكم وتميد، ﴿وخلقناكم أزواجاً ﴾ أي: ذكوراً وإناثاً من جنس واحد، ليسكن كل منهما إلى الآخر، فتكون (٥) المودة والرحمة، وتنشأ عنهما الذرية، وفي ضمن هذا الامتنان، بلذة المنكح.

وجعلنا نومكم سباتا أي: راحة لكم، وقطعاً لأشغالكم، التي متى تحادت بكم أضرت بأبدانكم، فجعل الله الليل والنوم يغشى الناس، لتنقطع (1) حركاتهم الضارة، وتحصل راحتهم النافعة.

﴿وبنينا فوقكم سبعاً شدادا أي: سبع سموات، في غاية القوة، والصلابة والشدة، وقد أمسكها الله بقدرته، وجعلها سقفاً للأرض، فيها عدة منافع لهم، ولهذا ذكر من منافعها الشمس، فقال: ﴿وجعلنا سراجاً وهاجا ﴾ نبه بالسراج على النعمة بنورها، الذي صار كالضرورة للخلق، وبالوهاج الذي فيه الحرارة على حرارتها وما فيها من المصالح (٧).

﴿وأنزلنا من المصرات ﴾ أي: السحاب ﴿ماء تُجاجا ﴾ أي: كثيراً حداً.

ELEUTY SYSTEM إِذَا الْمُنْقِينَ مَفَازُ ۞ حَدَاتِينَ وَأَعَنَبُ ۞ وَكُواعِبَ أَثْرَا ۞ وَكُلْسًا دِ مَا قَا ۞ لَا يَسْمَعُونَ فِيَا لَغُوا وَلَا كِذَبَّا۞ جَزَّاءُ مِن زَبِكَ عَطَلَةُ حِسَابًا ﴿ زَبِّ ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَايِنَهُمَّا ٱلزَّحَنَّ لَا يَعْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الزُّوحُ وَالْلَكَتِيكَةُ صَفَّا ۖ لَا يَعَكَلُونَ إِلَّامَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْنَ وَقَالَ صَوَايًا ۞ ذَالِكَ ٱلْتُومُ ٱلْحَقُّ فَنَ شَلَّة ٱلْخُذَ إِلَىٰ رَبِيهِ مَنَابًا ۞ إِنَّا أَنذَرْنَكُمْ عَذَا الْإِيبَا يَوْمَ يَنظُمُ ٱلْمَرْءُ مَاقَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَالَيْتَن كَيْنَ تُرَبَّا ۞ अधिशिष्ट وَالنَّذِعَاتِ عَمَّا ﴾ وَالنَّاشِطَاتِ مَثْطًا ﴿ وَالنَّبِحَاتِ سَبْحًا ۞ فَالسَّبَقَنْتِ سَبْقَا۞ فَالْمُتِزَنِ أَمْرًا۞ وَمَ رَبُّحُفُ الْأَبِحَةُ ۞ تَتْبَعُهَا ٱلَّادِفَةُ ۞ قُلُوبٌ يَوْمَدِ وَلِحِكَةً ۞ أَبْصَارُهَا خَيْعَةً ۞ يَقُولُونَ أَءِنَا لَسَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَلِوْرَةِ ۞ أَءِذَاكُنَا عِظْمُ الْحِيْرَةُ ۞ قَالُواْ لِلْكَ إِذَا كَرَّةً خَايِرَةٌ ۞ فَإِنَّمَا مِنَ رَجْرَةً وَعِدَةً ﴿ فَإِنَّا هُمُ إِلْسَاهِ رَوْكَ عَلَ أَلَكَ كَدِيثُ مُوسَى ﴿ DESTRUCTION SORTED

﴿لنخرج به حباً﴾ من بُرُ وشعير، وذرة وأرز، وغير ذلك عما يأكله الآدميون.

﴿ونباتاً﴾ يشمل سائر النبات، الذي جعله الله قوتاً لمواشيهم، ﴿وجنات الفافا﴾ أي: بساتين ملتفة، فيها من جميع أصناف الفواكه اللذيذة.

فالذي أنعم عليكم بهذه النعم العظيمة (^^)، التي لا يقدر قدرها، ولا يحصى عدها، كيف [تكفرون به و] تكذبون ما أخبركم به من البعث والنشور؟! أم كيف تستعينون بنعمه على معاصيه وتجحدونها؟!!

(۱۷ - ۳۰ (ان يوم الفصل كان ميقاتاً \* يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً \* وفتحت السماء فكانت أبواباً \* وسيرت الجبال فكانت سراباً \* إن جهنم كانت مرصاداً \* للطاغين مآباً \* لابثين فيها أحقاباً \* لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً \* إلا

<sup>(</sup>١) في ب: الذي قامت عليه الأدلة والبراهين القاطعة إلا الإفك الصراح والكذب المبين.

<sup>(</sup>٢) في ب: ثم ذكر.

<sup>(</sup>٣) في ب: على ما جاءت به الرسل.

ري . (٤) في ب: مذللة.

<sup>(</sup>٦) في ب: لتسكن.

 <sup>(</sup>٧) في ب: الذي صار ضرورة للخلق، وبالوهاج وهي: حرارتها على ما فيها من الإنضاج والمنافع.

<sup>(</sup>٨) في ب: الجليلة.

E E E E E E إِذْ نَادَنَهُ رَبُّهُمُ الْوَادِ ٱلْقُنِّينِ مُلُوى ۞ أَذْهَبِ إِلَىٰ فِرْيَوْنَ إِنَّهُ مُلْغَلَى فَأَرَنُهُ ٱلْآَرَةُ ٱلْكُبْرَيٰ۞ فَكُذَّبُ وَعَصَىٰ۞ ثُمَّ أَنْبَرَيْسَعَىٰ۞ خَشَرَ فَادَىٰ ١٨ فَقَالَ أَنْ أَرَّهُمُ ٱلْأَعْلِينَ فَأَخَذُهُ ٱللَّهُ ثَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأَفَلَةُ ۞ إِنَّ فِ ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِيَن يَغْفَيَّ ۞ ءَأَن تُرَأَ شَدُّ خَلُقًا أَمِرَا لَسَمَلَةً بَنَنَهَا۞رَفَعُ سَمْكُهُا فَسَوَيْهَا۞ وَأَغْطَشُ لِيَلُهَا وَأَخْرَعَ مُعْكَمْهَا ۞ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَلَما ﴿ أَخْرَمَ مِنْهَا مَآءَ هَا وَمُرْعَلَهَا @ وَآجِيَالَ أَرْسَلَهَا ۞ مَنْهَا أَكُوُ وَلِأَمْنَكُونُ ۚ وَإِذَا جَلَةَتِ ٱلطَّآمَةُ ٱلْكُبْرَىٰ ۞ يَوْمَ يَتَذَكُّرُ ٱلْإِنسَانُ مَاسَعَىٰ ۞ وَجُيْرَيْتِ ٱلْجَيْجِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۞ فَأَمَّا مَن طَغَيٰ ۞ وَءَاتُرَكُحُيُوَّ ٱلدُّنْيَا۞ فَإِنَّ الْجُمْحِيرِ فِي ٱلْمَأْوَىٰ ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِيهِ وَيَعَى النَّفَسَ عَنِ الْمُوَىٰ ۚ فَانَ الْجُنَّةَ مِنَ لَلْأُوىٰ ۞ يَسْتُلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَعَا ﴿ فِيمَ أَنَ مِن ذِكْرَنِهَا ۞ إِنْ زَيْكَ مُنْلَمَا هَا ۞ إِثْمَا أَنْتَ مُنْذِرُ ﴿ مَن يَغْفَ هَا ۞ كَأَنَّهُمْ وَمُرْزُونُهَا لَرُيَلِينُوا إِلَّاعِينَيَّةُ أَرْضُهُمَا ۞ 

ACTION ON PORCEO حميماً وغساقاً \* جزاء وفاقاً \* إنهم كانوا لا يرجون حساباً \* وكذبواً بآياتنا كذاباً \* وكل شيء أحصيناه

كتاباً \* فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة الذي يتساءل عنه المكذبون، ويجحده المعاندون، أنه يوم عظيم، وأن الله جعله ﴿ميقاتا﴾ للخلق ﴿ينفخ في الصور فتأتون أفواجا المويجري فيه من الزعازع والقلاقل ما يشيب له الوليد، وتنزعج له القلوب، فتسير الجبال، حتى تكُون كالهباء المبثوث، وتشقق(١٦) السماء حتى تكون أبوابا، ويفصل الله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم بين الخلائق بحكمه الذي لا يجور، وتوقد نار جهنم التي أرصدها الله وأعدها للطاغين، وجعلها مثوى لهم ومآبا، وأنهم يلبثون فيها أحقاباً كثيرة،

> المفسرين: ثمانون سنة. وهم إذا وردوها(٢) ﴿ لا يدوقون فيها برداً ولا شرابا ﴾ أي: لا ما يبرد

و «الحقب» على ما قاله كثير من

جلودهم، ولا ما يدفع ظمأهم.

﴿إِلا حميما ﴾أي: ماء حاراً، يشوي وجوههم، ويقطع أمعاءهم، ﴿وغساقا ﴾ وهو صديد أهل النار، الذي هو في غاية النتن، وكراهة المذاق، وإنما استحقوا هذه العقوبات الفظيعة جزاءً لهم ووفاقاً على ما عملوا من الأعمال الموصلة إليهم، لم يظلمهم الله، ولكن ظلموا أنفسهم، ولهذا ذكر أعمالهم، التي استحقوا بها هذا الجزاء، فقال: ﴿ إنهم كانوا لا يرجون حساما ﴾ أي: لا ينومنون بالبعث، ولا أن الله يجازي الخلق بالخير والشر، فلذلك أهملوا العمل للآخرة.

﴿ وَكَذِيهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ أَي : كَذِيوا بها تكذيباً واضحاً صريحاً وجاءتهم البينات فعاندوها .

وركل شيء من قليل وكثير، وخير وشر (أحصيناه كتابا) أي: كتبناه (٢) في اللوح المحفوظ، فلا يخشئ المجرمون أنا عذبناهم بذنوب لم يعملوها، ولا يحسبوا أنه يضيع من أعمالهم شيء، أو ينسى منها مثقال ذرة، كما قال تعالى: ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين عما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب

ريك أحداً ﴿ ﴿ فَ فُوقِهِ إِنَّهُ أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ هُـذَا العذاب الأليم والخزي الدائم وفلن نزيدكم إلا عذابا ، وكل وقت وحين يزداد عدَّابهم [وهذه الآية أشد الآيات فى شدة عذاب أهل النار أجارنا الله

و٣١\_٣١) وإن المستقين مفازاً \*حدائق وأعناباً \* وكواعب أتراباً \* وكأساً دهاقاً \* لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً \* جزاءً من ربك عطاء حساباً له لذكر حال المجرمين، ذكر مآل المتفين، فقال: ﴿إِن المتقين مفازاً ﴾ أي (٤): الذين اتقوا سخط ربهم، بالتمسك بطاعته، والانكفاف عماً يكرهه (٥) فلهم مفاز ومنجي، وبُعُدُّ عن النار، وفي ذلك المفاز لهم المائق كاوهى البساتين الجامعة لأصناف الأشجار الزاهية، في الثمار التي تتفجر بين خلالها الأنهار، وخص الأعناب لشرفه وكثرته في تلك

ولهم فيها زوجات على مطالب التقوس ﴿كُواعِبِ﴾: وهي: النواهد اللاي لم تتكسر ثديهن من شبابهن، وقوتهن، ونضارتهن<sup>(</sup>

الحدائق.

والأتسراب): اللاي على سن واحد متقارب، ومن عادة الأتراب أن يكنّ متآلفات متعاشرات، وذلك السن الذي هن فيه ثلاث وثلاثون سنة، في أعدل سن الشباب(٧).

﴿ وكأسا دهاقا ﴾ أي: مملوءة من رحيق، لذة للشاربين، ﴿لا يسمعون فيها لغواكه أي: كلاماً لا فائدة فيه ﴿ وَلا كَذَابِا ﴾ أي: إثماً.

كما قال تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لغواولا تأثيماً \* إلا قيلاً سلاماً سلاما ،

وإنما أعطاهم الله هذا الثواب الجزيل [من فضله وإحسانه] ﴿جزاء من ربك لهم ﴿عطاء حساماً ﴾ أي: بسبب أعمالهم التي وفقهم الله لها، وجعلها ثمناً لجنته ونعيمها (^).

**فى ب: وتنشق.** (1)

في ب: فإذا وردوها. **(Y)** 

في ب: أثبتناه. (٣)

كذا في ب، وفي أ: فقال: إن المتقين. (1)

ني ب: عن معصيته. (0)

كذا في ب، وفي أ: وهي الناهد التي لم ينكسر ثديها من شبابها ونضارتها وقوتها. (T)

في ب: أعدل ما يكون من الشباب. **(V)** 

فى ب: وجعلها سبباً للوصول إلى كرامته. **(A)** 

﴿٣٧ ـ ٤٠) ﴿رب الــــمــاوات تعالى

والأرض وما بينهما الرحن لا يملكون منه خطاباً \* يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحن وقال صواباً \* ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً \* إنا أنذرناكم عذاباً قريباً يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا أي: الذي أعطاهم هذه العطايا هو ربم الله أي أطاهم هذه العطايا هو ربم خرب السماوات والأرض الذي رحمته خلقها ودبرها فالرحمن الذي رحمته وسعت كل شيء، فرباهم ورحمهم،

ثم ذكر عظمته وملكه العظيم يوم القيامة، وأن جميع الخلق كلهم ذلك اليوم ساكتون لا يتكلمون ولا يملكون منه خطابا إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا، فلا يتكلم أحد إلا بهذين الشرطين: أن يأذن الله عن الكلام، وأن يكون ما تكلم به وابا، لأن ﴿ ذلك اليوم ﴾ هو الذي لا يروج فيه الباطل، ولي ينفع فيه الكذب، وفي ذلك اليوم السلام، الذي هو أشرف الملائكة (١) السلام، الذي هو أشرف الملائكة (١) والمائكة أن أيضاً يقوم الجميع ﴿ والملائكة ﴾ أيضاً يقوم الجميع ﴿ والملائكة ﴾ أيضاً يقوم الجميع ﴿ والمناذن لهم الله به (١) .

فلما رغَّب ورهَّب، وبشَّر وأنذر، نال:

﴿ فِمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا ﴾ أي: عملاً، وقدم صدق يرجع إليه يوم القامة.

﴿إِنَا أَنْدُرِنَاكُم عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ لأنه قد أزف مقبلاً، وكل ما هو آت فهو قريب.

﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ﴾ أي: هذا الذي يهمه ويفزع إليه، فلينظر في هذه الدنيا إليه (٣)، كما قال

تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إنَّ الله خبيرٌ بما تعملون ﴾ الآيات.

فإن وجد خيراً فليحمد الله، وإن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، ولهذا كان الكفار يتمنون الموت من شدة الحسرة والندم.

نسأل الله أن يعافينا من الكفر والشر كلّه، إنه جواد كريم.

> تم تفسير سورة عم، والحمد لله رب العالمين

## تفسير سورة النازعات وهي مكية

﴿١٤١٤ ﴿ وَبِسِمَ اللهِ السِرحِسِن الرحيم والنازعات غرقا \* والناشطات نشطاً \* والسابحات سبحاً \* فالسابقات سبقاً \* فالمدبرات أمراً \* يوم ترجف الراجفة \* تتبعها الرادفة \* قلوب يومئذ واجفة \* أبصارها خاشعة \* يقولون أثنا لمردودون في الحافرة \* أإذا كنا عظاماً نخرة \* قالواً تلك إذا كرة خاسرة \* فإنما هي زجرة واحدة \* فإذا هم بالساهرة > هذه الإقسامات بالملائكة الكرام، وأفعالهم الدالة على كمال انقيادهم لأمر الله، وإسراعهم في تنفيذ أمره، يحتمل أن المقسم عليه، الجزاء والبعث، بدليل الإتيان بأحوال القيامة بعد ذلك، ويحتمل أن المقسم عليه والمقسم به متحدان، وأنه أقسم على الملائكة، لأن الإيمان بهم أحد أركان الإيمان الستة، ولأن في ذكر أفعالهم هنا ما يتضمن الجزاء الذي تتولاه الملائكة عند الموت وقبله وبعده، فقال: ﴿والنازعات غرقا): وهم الملائكة التي تنزع الأرواح بقوة، وتغرق في نزعها حتى تخرج الروح، فتجازى بعملها.

٨٠ سُبُولَةِ عَبُسِينَ عَالَمَ حاققا لتغكزا لتجنير عَبَسَ وَتُوَلِّنَ ۞ أَن جَلَّهُ هُ ٱلْخَمْعَىٰ ۞ وَمَالُدُرِيكَ لَعَلَّهُ مَزَّكِّنَّ ۞ أَوْ يَذَّكُّرُ فِيَنَفَعَهُ الذِّكْرَيِّ اللَّهِ أَمَّامَ إِسْتَغَنَّ ۞ فَأَنتَ لَهُ قَصَلَكُ هُ وَمَا عَلَيْكَ أَلَا يَزَّكُّ ۞ وَأَمَّا مَن جَأَةُ لَهُ يَسْعَىٰ ۞ وَهُوَ يَغْشَىٰ ۞ فَأَتَ عَنْدُنَالَغَيْنِ ۞ كُلَّا إِنَّهَا لَذَكِرَةٌ ۞ فَيَ شَأَدَ ذَكَّرُهُ۞ فِيصُفِ مُكَّرِّمَةَ ﴿ مَرْفُوعَةِ مُّطَهِّرَةِ ۞ بِأَيْدِى سَفَرَةِ ۞ كِزَارِرَوَ ۞ قُلِزَا أَلْإِنسَنُ مَّا ٱلْفُرَوُ۞ مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ۞ مِنْ تُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَعَدَّرُهُ۞ ثُرُّ ٱلسَّبِيلَيْتَرَبُ۞ ثُرَّأُمَانَمُوا فَبْرَمُ۞ ثُرَّانَا شَآءَ أَنشَرُمُ۞ كُلاكًا يَقْضِ مَا أَمْرَهُ ۞ فَلِنَظُرُ ٱلإِنسَانُ إِلَى طَعَامِوة ۞ أَنَّا صَبَّبَنَا ٱلْكَآءَ صَبًّا ٥ ثُرَفَقَقَنَا ٱلأَرْضَ مَقَالَ فَأَنْتَنَافِيَا حَبَّا۞ وَعَنَّهَا وَقَضْبًا ۞ وَزَيْنُونَا وَغَفَلَا۞ وَحَنَآ إِنَّ غُلْبًا۞ وَفَلِكُمْ فَرَّابًا۞ مَّنْكَا لَكُمُّ وَإِنْمُنْكِكُوكُ فَإِذَاجَلَةَتِ ٱلصَّاغَةُ ۞ يَوْءَ يَوْأَلْمُزُومِنَ أَخِهِ ۞ وَأَقِهِ ، وَأَبِيهِ ۞ وَصَهْجَنِهِ ، وَيَنْهِ عِ الكُلِّ آمْرِي فِنْهُمْ وَمَهِ ذِسَأَنَّ يْنْنِدِ ۞ وُمُوهُ يُومَهِ وْمُسْفِرَةٌ ۞ صَاحِكَةٌ مُسْتَبْنِرَةً ۞ وَوُجُوهٌ المُ يَوْمَدِ يَعَلَيّا غَبُرُهُ ۞ وَمَعْهَا مَنْوَ ۞ أُولَتِكَ هُوَ الْكَمْرُو ٱلْجَوْرُ ۞ 

﴿والناشطات نشطا﴾: وهم الملائكة أيضاً، تجتذب الأرواح بقوة ونشاط، أو أن النزع يكون لأرواح المؤمنين، والنشط لأرواح الكفار.

﴿والسابحات﴾ أي: المترددات في السهواء صعوداً ونزولاً ﴿سبحا﴾ ﴿قالسابقات﴾ لغيرها ﴿سبقا﴾ فتبادر لأمر الله، وتسبق الشياطين في إيصال الله حسسى إلى رسسل الله حسسى لا تسترقه (٢٠).

﴿فالمدبرات أمرا﴾ الملائكة، الذين وكلهم الله أن يدبروا كثيراً من أمور العالم (٥) العلوي والسفلي، من الأمطار، والنبات، والأشجار، والحيوانات، والجنة، والنار [وغير ذلك] ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ وهي قيام الساعة، ﴿تتبعها الرادفة﴾ أي: الرجفة الأخرى التي تردفها وتاتي تلوها، ﴿قلوب يومثل واجفة﴾ أي: موجفة ومنزعجة من شدة ما ترى وتسمم.

﴿ أَبِصارِها خاشعة ﴾ أي: ذليلة حقيرة، قدملك قلوبهم الخوف،

<sup>(</sup>١) في ب: أفضل الملائكة.

<sup>(</sup>٢) في ب: إلا بإذنه.

<sup>(</sup>٣) في ب: فلينظر في هذه الدار ما قدَّم لدار القرار.

<sup>(</sup>٤) في ب: لئلا تسترقه.

<sup>(</sup>٥) في ب: الذين جعلهم الله يدبرون كثيراً من أمور العالم.

المنافقة ال

واذهل أفئدتهم الفزع، وغلب عليهم التأسف [واستولت عليهم] الحسرة.

يقولون أي: الكفار في الدنيا، على وجه التكذيب: ﴿ إِذَا كِنَا عَظَامًا نخرة﴾ أي: بالية فتاتا.

﴿قالوا تلك إذاً كرّة خاسرة ﴿ أي: استبعدوا أن يبعثهم الله ويعيدهم بعدما كانوا عظاماً نخرة، جهلاً [منهم] بقدرة الله، وتجرّؤا عليه.

قال الله في بيان سهولة هذا الأمر عليه: ﴿فَإِنَّمَا هِي رُجِرة واحدة﴾ ينفخ فيها في الصور .

فإذا الخلائق كلهم ﴿بالساهرة﴾ أي: على وجه الأرض، قيام ينظرون، فيجمعهم الله ويقضي بينهم بحكمه العدل ويجازيهم.

﴿١٥ ـ ٢٦﴾ ﴿هل أتباك حديث موسى \* إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى \* اذهب إلى فرعون إنه طغى \* فقل هل لك إلى أن تزكى \* وأهديك إلى ربك فتخشى \* فأراه الآية الكبرى \* فكذب وعصى \* ثم أدبر يسعى \* فحشر فنادى \* فقال أنا ربكم الأعلى \* فأخذه الله نكال الآخرة

والأولى \* إنَّ في ذلك لسعبرةً لمَن يخشى \* يقول [الله] تعالى لنبيه عمد ﷺ: ﴿ هِلْ أَتَاكُ حديث موسى ﴾ وهذا الاستفهام عن أمر عظيم متحقق وقوعه.

أي: هل أتاك حديثه ﴿إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى﴾ وهو المحل الذي كلمه الله فيه، وامتنّ عليه بالرسالة، واختصه بالوحي والاجتباء (١) فقال له: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغي﴾ أي: فانهه عن طغيانه وشركه وعصيانه، بقول لين، وخطاب لطيف، لعله ﴿يتذكر أو يخشى﴾

﴿فقل﴾ له: ﴿هل لك إلى أن تركى﴾ أي: هل لك في خصلة حميدة، ومحمدة جميلة، يتنافس فيها أولو الألباب، وهي أن تُزَكِّي نفسك وتطهرها من دنس الكفر والطغيان، إلى الإيمان والعمل الصالح؟

﴿وأهديك إلى ربك﴾ أي: أدلك عليه، وأُبيّنُ لك مواقع رضاه، من مواقع سخطه.

﴿ فتنخشى ﴾ الله إذا علمت الصراط المستقيم، فامتنع فرعون مما دعاه إليه موسى.

﴿فَأَرَاه الآية الكبرى﴾ أي: جنس الآية الكبرى، فلا ينافي تعددها ﴿فَأَلَقَى عصاه فإذا هي تعبان مبين \* ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾. ﴿فَكْذُبِ ﴾ بالحق ﴿وعصى ﴾ الأمر، وشم أدبر يسعى ﴾ أي: يجتهد في مبارزة الحق ومحاربته، ﴿فَحَشَر ﴾ جنوده أي: جمعهم ﴿فنادى \* فقال ﴾ المم الأعلى ﴾ فأذعنوا له، وأقروا بباطله حين استخفهم، وأقروا بباطله حين استخفهم، وأفاخذه الله نكال الآخرة والأولى أي: صارت عقوبته (٢) دليلاً وزاجراً، ومبينة لعقوبة الدنيا والآخرة، ﴿إن في ومبينة لعقوبة الدنيا والآخرة، ﴿إن في ذلك لعبرة لمن يخشى ﴾ فإن من

يخشى الله، هو الذي ينتفع بالآيات والعبر، فإذا رأى عقوبة فرعون، عرف أن كل من تكبر وعصى، وبارز الملك الأعلى، عاقبه في الدنيا والآخرة، وأما من ترحلت خشية الله من قلبه، فلو جاءته كل آية لم يؤمن [بها].

﴿٢٧ \_ ٣٣﴾ ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها \* رفع سمكها فسواها \* وأغطش ليلها وأخرج ضحاها \* والأرض بعد ذلك دحاها \* أخرج منها ماءها ومرعاها \* والجبال أرساها \* متاعاً لكم ولأنعامكم > يقول تعالى مبيناً دليلاً واضحاً لمنكري البعث ومستبعدي إعادة الله للأجساد: ﴿ أَنتم الله البشر ﴿ أَشد خلقاً أَم السماء ﴾ ذات الجرم العظيم، والخلق القوي، والارتفاع الباهر ﴿بناها﴾ الله، ﴿ رفع سمكها ﴾ أي: جرمها وصورتها، ﴿فسواها﴾ بإحكام وإتقان يحير العقول، ويذهل الألباب، ﴿وَأَعْطُشُ لِيلِهَا ﴾ أي: أظلمه، فعمت الظلمة [جميع] أرجاء السماء، فأظلم وجه الأرض، ﴿وأخرج ضحاها﴾ أي: أظهر فيه النور العظّيم، حين أتى بالشمس، فامتد (٣) الناس في مصالح دينهم ودنياهم.

﴿والأرض بعد ذلك﴾ أي: بعد خلق السماء ﴿دحاها﴾ أي: أودع فيها منافعها.

وفسر ذلك بقوله: ﴿أخرج منها ماءها ومرعاها \* والجبال أرساها﴾ أي: ثبتها في الأرض.

فَدَحْيُ الْأرض بعد خلق السماء، كما هو نص هذه الآيات [الكريمة].

وأما خلق نفس الأرض، فمتقدم على خلق السماء كما قال تعالى: ﴿قل أَإِنكُم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾ إلى أن قال: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض أنتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا

<sup>(</sup>١) في ب: وابتعثه بالوحي واجتباه.

<sup>(</sup>٢) في ب: أي جعل الله عقوبته.

<sup>(</sup>٣) في ب: فانتشر.

**طائع**ين﴾ <sup>(۱)</sup>.

فالذي خلق السماوات العظام وما فيها من الأنوار والأجرام، والأرض الكثيفة الغبراء، وما فيها من ضروريات الخلق ومنافعهم، لا بدأن يبعث الخلق المكلفين، فيجازيهم على أعمالهم، فمن أحسن فله الحسنى، ومن أساء فلا يلومن إلا نفسه، ولهذا ذكر بعد هذا القيام الجزاء (٢)، فقال:

(18 - 13) ونإذا جاءت الطامة الكبرى \* يوم يتذكر الإنسان ما سعى \* وبرزت الجحيم لمن يرى \* فأما من طغى \* وآثر الحياة الدنيا \* فأن الجحيم هي المأوى \* وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى \* فإنّ الجنة هي المأوى أي: إذا جاءت القيامة الكبرى، والشدة العظمى، التي يهون عندها كل شدة، فحينذ يذهل الوالد عن ولده، والصاحب عن صاحبه [وكل عب عن وليده، ويبنه]. و ويتذكر الإنسان ما سعى في الدنيا، من خير وشر، فيتمنى زيادة مثقال ذرة في حسناته، ويغمّه ويجزن مئتاته.

ويعلم إذ ذاك أن مادة رسحه وخسرانه ما سعاه في الدنيا، وينقطع كل سبب ووصلة كانت في الدنيا، سوى الأعمال.

﴿وبرزت الجحيم لمن يرى﴾ أي: جعلت في البراز، ظاهرة لكل أحد، قد برزت (٣) لأهلها، واستعدت لأخذهم، منظرة لأمر ربها.

﴿ فأما من طنى ﴾ أي: جاوز الحد، بأن تجرأ على المعاصي الكبار، ولم يقتصر على ما حده الله.

﴿ وآثر الحياة الدنيا ﴾ على الآخرة،

فصار سعيه لها، ووقته مستغرقاً في حظوظها وشهواتها، ونسي الآخرة وترك العمل لها.

﴿ فَإِنْ الجَحِيمِ هِي المَّاوِي ﴾ [له] أي: المقر والمسكن لمن هذه حاله ، ﴿ وَأَمَا مَن حَافَ مَقَامٍ رَبِهِ ﴾ أي: خاف القيام عليه ومجازاته بالعدل ، فأثّر هذا الخوف في قلبه . فنهى نفسه عن هواها الذي يقيدها ( عن طاعة الله ، وصار هواه تبعاً لما جاء به الرسول ، وجاهد الهوى والشهوة الصادين عن الخير ، ﴿ فَإِن المُحِنةِ ﴾ [المشتملة على كل خير وسرور ونعيم] ﴿ هِي المَّاوِي ﴾ لمن هذا وصفه .

﴿٤٦ ـ ٤٦﴾ ﴿يسألونك عن الساعة أيّان مرساها \* فيم أنت من ذكراها \* إلى ربك منتهاها \* إنما أنت منذر من يخشاها \* كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) أي: ' يسألك المتعنتون المكذبون بالبعث وعن الساعة ﴾ متى وقوعها و ﴿ أيان مرساها، فأجابهم الله بقوله: ﴿فيم أنت من ذكراها ﴾ أي: ما الفائدة لك أ ولهم في ذكرها ومعرفة وقت مجيئها؟ فليس تحت ذلك نتيجة، ولهذا لما كان علم العباد للساعة ليس لهم فيه مصلحة دينية ولا دنيوية، بل المصلحة في خفائه عليهم، طوى علم ذلك عن جميع الخلق، واستأثر بعلمه فقال: ﴿إِلَّى رَبُّكُ مِنتهاها ﴾ أي: إليه ينتهي علمها، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغته يسألونك كأنك حفى عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٥)

إنما نذراتك [نفعها] لمن يخشى مجيء الساعة، ويخاف الوقوف بين يديه، فهم الذين لا يهمهم سوى الاستعداد لها والعمل لأجلها.

وأما من لا يؤمن بها، فلا يبالي به ولا بتعنته، لأنه تعنت مبني على العناد والتكذيب، وإذا وصل إلى هذه الحال، كان الإجابة عنه عبثاً، ينزه الحكيم عنه [تمت] والحمد لله رب العالمين.

#### تفسیر سورة عبس وهی مکیة

(۱-۱۰) ﴿بسم الله السرحمن البرحيم عبس وتولى \* أن جاءه الأعمى \* وما يدريك لعله يزكى \* أو يذكر فتنفعه الذكرى \* أما من استغنى \* فأنت له تصدى \* وما عليك ألا يزكى \* وأما من جاءك يسعى \* وهو يخشى \* فأنت عنه تلهى ﴾ وسبب نزول هذه الآيات الكريمات، أنه جاء رجل من المؤمنين أعمى يسأل النبى ﷺ ويتعلم منه.

وجاءه رجل من الأغنياء، وكان على حداية الخلق، وكان على حداية الخلق، فمال على إلى الغني، وصد عن الأعمى الفقير، رجاء لهداية ذلك الغني، وطمعاً في تزكيته، فعاتبه الله بهذا العتاب اللطيف، فقال: ﴿عبس﴾ إلى: ] في وجهه ﴿وتولى في بدنه، لأجل مجيء الأعمى له، ثم ذكر الفائدة في الإقبال عليه، فقال: ﴿وما يدريك لعله أي: الأعمى ﴿يزَّكِي ﴾؟ أي: يتطهر عن الأخلاق الرذيلة، ويتصف بالأخلاق الجميلة؟

﴿أُو يِذُكُر فَتَنفَعه الذكري) اليه أي: يتذكر ما ينفعه، فيعمل (١) بتلك الذكري.

﴿إِنَّمَا أَنْتُ مَنْذُر مِنْ غِشَاهًا ﴾ أي:

 <sup>(</sup>١) وقع هنا سبق قلم من الشيخ ـ رحمه الله ـ فقال: إلى أن قال ﴿ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات﴾ وصواب ذلك ما أثنته.

<sup>(</sup>٢) في ب: ذكر بعد هذا قيام الساعة ثم الجزاء.

<sup>(</sup>٣) في ب: هيئت.

<sup>(</sup>٤) في ب: الذي يصدها.

<sup>(</sup>٥) وردت الآية ناقصة في وسطها من نسخة (أ) ووردت ناقصة من آخرها من نسخة ب فأتممتها.

<sup>(</sup>٦) في ب: فينتفع.

وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، فإقبالك على من جاء بنفسه مفتقراً لذلك منك(١)، هو الأليق الواجب، وأما تصديك وتعرضك للغنى المستغنى الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك أن لا يزكى، فلولم يَتزَكَّ، فلست بمحاسب على ما عمله من الشر.

فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: "لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة»، وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من

﴿١١ ـ ٣٢ ﴿ وَكُلَّا إِنَّهَا تَذْكُرُهُ \* فمن شاء ذكره \* في صحف مكرمة \* مرفوعة مطهرة \* بأيدى سفرة \* كرام بررة \* قتل الإنسان ما أكفره \* من أي: شيء خلقه \* من نطفة خلقه فقذره \* ثم السبيل يسره \* ثم أماته فأقبره \* ثم إذا شاء أنشره \* كلا لما يقض ما أمره \* فلينظر الإنسان إلى طعامه \* أنا صبينا الماء صباً \* ثم شققنا الأرض شقاً \* فأنبتنا فيها حباً \* وعنباً وقضباً \* وزيتوناً ونخلاً \* وحداثق غلباً \* وفاكهة وأبّاً \* متاعاً لكم ولأنعامكم ﴿ يقول تعالى: ﴿كلا إنها تَذْكُرةُ ﴾ أي: حقاً إن هذه الموعظة تذكرة من الله، يذكر بها عباده، ويبين لهم في كتابه ما يحتاجون إليه، ويبين الرشد من الغي، فإذا تبين ذلك ﴿فمن شاء ذكره ﴾ أي: عمل به، كقوله تعالى: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر 🎙 .

ثم ذكر محل هذه التذكرة وعظمها ورفع قدرها، فقال: ﴿في صحف مكرمة \*مرفوعة > القدر والرتبة ﴿مطهرة﴾ [من الآفاق و] عن أن تنالها أيدي الشياطين أو يسترقوها، بل هي

﴿ بأيدى سفرة ﴾ : وهم الملائكة [الذين هم] السفراء بين الله وبين عباده، (كرام) أي: كثيري الخير والبركة، ﴿ ورقه قلون مأعمالهم .

وذلك كله حفظ من الله لكتابه، أن جعل السفراء فيه إلى الرسل الملائكة الكرام الأقوياء الأتقياء، ولم يجعل للشياطين عليه سبيلاً، وهذا مما يوجب الإيمان به وتلقّيه بالقبول، ولكن مع هذا أبي الإنسان إلا كفوراً، ولهذا قال تعالى: ﴿قتل الإنسان ما أكفره ﴾ لنعمة الله، وما أشد معاندته للحق بعدماتين، وهو ما هو؟ هو من أضعف الأشياء، خلقه الله من ماء مهين، ثم قدر خلقه، وسواه بشراً

سويا، وأتقَّن قواه الظاهرة والباطنة.

﴿ثم السبيل يسره﴾ أي: يسر له الأسباب الدينية والدنيوية، وهداه السبيل، [وبينه] وامتحنه بالأمر والنهى، ﴿ثم أماته فأقبره ﴾ أي: أكرمه بالدفن، ولم يجعله كسائر الحيوانات التي تكون جيفها على وجه الأرض، ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشره ﴾ أي: بعثه بعد موته للجزاء، فالله هو المنفرد بتدبير الإنسان وتصريفه سذه التصاريف، لم يشاركه فيه مشارك، وهو مع هذا م لا يقوم بما أمره الله، ولم يقض ما فرضه عليه، بل لا يزال مقصراً تحت الطلب.

ثم أرشده تعالى إلى النظر والتفكر في طعامه، وكيف وصل إليه بعدما تكررت عليه طبقات عديدة، ويسره له، فقال: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه \* أنا صبينا الماء صبّاً ﴾ أي: أنزلنا المطرعلي الأرض بكثرة، ﴿ثم شققنا الأرض للنبات ﴿شقاً \* فأنبتنا فيها ﴾ أصنافاً مصنفة من أنواع الأطعمة اللذيذة، والأقوات الشهية ﴿حِياً﴾ وهذا شامل لسائر الحبوب على اختلاف أصنافها، ﴿وعنباً وقضبا﴾: وهو القت، ﴿وزيتوناً ونخلا﴾ وخص هذه الأربعة لكثرة فوائدها ومنافعها.

﴿وحدائق غليا﴾ أي: بساتين فيها

الأشجار الكثيرة الملتفة، ﴿وفاكهة وأتا الفاكهة: ما يتفكه فيه الإنسان، من تين وعنب وخوخ ورمان، وغير

والأبِّ: ما تأكله البهائم والأنعام، ولهذا قال: ﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ التي خلقها الله وسخرها لكم، فمن نظر في هذه النعم، أوجب له ذلك شكر ربه، وبذل الجهد في الإنابة إليه، والإقبال على طاعته، والتصديق بأخباره.

﴿٣٣ ٢٤ ﴿ وَالْسِاءَ الصاخة \* يوم يفر المرء من أخيه \* وأمه وأبيه \* وصاحبته وبنيه \* لكل امرىء منهم يومئذ شأنّ يغنيه \* وجوه يومئذ مسفرة \* ضاحكة مستبشرة \* ووجوه يومئذ عليها غيرة \* ترهقها قترة \* أولئك هم الكفرة الفجرة > أي: إذا جاءت صيحة القيامة، التي تصخ لهولها الأسماع، وتنزعج لها الأفئدة يومئذ، عما يرى الناس من الأهبوال وشيدة الحباجية لسياليف الأعمال، ﴿ يِهِ المرء ﴾ من أعز الناس إليه، وأشفقهم لديه، ﴿من أخيه \* وأمه وأبيه \* وصاحبته اي : زوجته ﴿وبنيه ﴾ وذلك لأنه ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ أي: قد أشغلته نفسه، واهتم لفكاكها، ولم يكن له التفات إلى غيرها، فحينئذ ينقسم الخلق إلى فريقين: سعداء وأشقياء، فأما السعداء، فوجوههم [يومثذ] ﴿مسفرة ﴾ أي: قد ظهر فيها السرور والبهجة، من ما عرفوا من نجاتهم، وفوزهم بالنعيم، وضاحكة مستبشرة \* ووجوه الأشقياء ﴿يومثذ عليها غبرة \* ترهقها > أي: تغشاها ﴿قترة﴾ فهي سوداء مظلمة مدلهمة، قد أيست من كل خير، وعرفت شقاءها وهلاكها.

﴿ أُولِنُكُ ﴾ الذين بهذا الوصف ﴿ هم الكفرة الفجرة ﴾ أي: الذين كفروا بنعمة الله، وكذبوا بآيات الله،

وتجرؤوا على محارمه.

<sup>(</sup>١) في ب: مفتقراً لذلك مقبلاً.

نسأل الله العفو والعافية، إنه جواد كريم [والحمد لله رب العالمين].

## تفسير سورة التكوير [وهي] مكية

﴿١٤١﴾ ﴿بسب الله السرحسن الرحيم إذا الشمس كورت \* وإذا النجوم انكدرت \* وإذا الجبال سيرت \* وإذا العشار عطلت \* وإذا الوحوش حشرت \* وإذا البحار سجرت \* وإذا النفوس زوجت \* وإذا الموؤودة سشلت \* بأي: ذنب قتلت \* وإذا الصحف نشرت \* وإذًا السماء كشطت \* وإذا الجحيم سعرت \* وإذا الجنة أزَّلفت \* علمتُ نفس ما أحضرت﴾ أي: إذا حصلت هذه الأمور الهائلة، تميز الخلق، وعلم كل أحد ما قدمه لآخرته، وما أحضره فيها من خير وشر، وذلك إذا كان يوم القيامة تكور الشمس أي: تجمع وتلف، ويخسف القمر، ويلقيان في النار، ﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾ أي : تغيرت، وتساقطت (١١) من أفلاكها، ﴿وإذا الجبال سيرت﴾ أي: صارت كثيباً مهيلاً، ثم صارت كالعهن المنفوش، ثم تغيرت وصارت هباء منبثاً، وسيرت عن أماكنها، ﴿وإذا العشار عطلت﴾ أي: عطل الناس حينثذ نفائس أموالهم التي كانوا يهتمون لها ويراعونها في جميع الأوقات، فجاءهم ما يذهلهم عنها، فنبه بالعشار، وهي النوق التي تتبعها أولادها، وهي أنفس أموال العرب إذ ذاك عندهم، على ما هو في معناها من كل نفيس .

﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ أي: جمعت ليوم القيامة، ليقتص الله من بعضها لبعض، ويرى العباد كمال عدله، حتى إنه ليقتص من القرناء للجماء (٢٠)، ثم يقول لها: كوني تراباً.

﴿ وإذا السِلْحَارِ سَجْرَتُ ﴾ أي:

أوقدت فصارت على عظمها ناراً

﴿وإذا النفوس زوجت ﴾ أي: قرن كل صاحب عمل مع نظيره، فجمع الأبرار، والفجار مع الأبرار، والفجار مع الفجار، وزوج المؤمنون بالحور العين، وهذا كقوله تعالى: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا ﴾ ﴿وسيق الذين اتقوا رجم إلى الجنة زمرا ﴾ ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾.

﴿وإذا الموؤودة سئلت ﴾ وهي التي كانت الجاهلية الجهلاء تفعله من دفن البنات وهن أحياء من غير سبب، إلا خشية الفقر، فتسأل: ﴿بأي: ذنب قتلت ﴾ ومن المعلوم أنها ليس لها ذنب، ففي هذا توبيخ وتقريع لقاتليها(٣).

﴿وإذا الصحف﴾ المستملة على ما عمله العاملون من خير وشر وشر ﴿نشرت﴾ وفرقت على أهلها، فآخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره.

وإذا السماء كشطت أي: أزيلت، كما قال تعالى: فيوم تشقق السماء بالغمام في فيوم نطوي السماء كطي السجل للكتب فوالأرض جيعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه .

وما أحضرت أي: ما حضر لديها من الأعمال [التي قدمتها] كما قال تعالى: ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾.

وهذه الأوصاف التي وصف الله بها يوم القيامة، من الأوصاف التي تنزعج لها القلوب، وتشتد من أجلها

THE STATE OF THE S إِذَا التَّنَاتُةُ النَّطَرَةُ ۞ وَلَذَا ٱلْكُوْلِكُ أَسَّكُونَ ۞ وَإِذَا ٱلْمِحَارُ فَيُرَتَ ۞ وَلِذَا ٱلْقُبُورُيُعُ مِّرَتَ ۞ عَلِمَتَ نَفْسٌ مَا فَتَمَتَ وَأَخْرَتُ ۞ يَتَأَيُّهُا ٱلْإِنْكُنُ مَاغَرُهُ بِرَيْكَ ٱلْكَرِيرِ۞ ٱلَّذِي خَلَقَكَ مْنَوَىكَ فَعُمُلَكَ ۞ فِي أَيْ صُورَةِ مَاشَآءَ رَكَبَكَ ۞ كَلَّا أَ مِنْ تُكَذِيوُكَ بِالدِّينِ ۞ وَمَاذَّ عَلَيْكُمُ لَحَفِظِينَ۞ كِرَامًا كَيْبِينَ۞ يَمْلُمُونَ مَالَفَعَلُونَ۞ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَيْ نَبِيرِ۞ وَاذَالْفُهُ لَا يُوجِيهِ يَسْلَوْنَهَا يَوْمُ الدِّينِ ۞ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِمُنَآبِيِينَ ۞ وَمَآ أَدْرَيْكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۞ ثُرُّمَّ ٱلْذَرَيْكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۞ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسُ لِيَقْسِ شَيْئًا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَهِ ذِيلَهِ ۞ المنافقة الم \_وأفقأ التَمْزَأ لرَجَتِم وَيْلُ لِلْمُعْلِمَفِينَ ۞ ٱلْذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْعَلَى ٱلنَّابِرِيْسَتَوْفُونَ۞ ﴿ وَإِذَاكَ الْوَهُمْ أُوزَوْهُمْ يُخْدِرُونَ ۞ أَلَا يَطُنُ أُوْلَيْكَ أَنْهُمُ المَّ مَتْمُوفُونَ ۞ لِيَوْمِ عَظِيمِ ۞ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ إِنِ ٱلْمَلْمِينَ ۞ OND TO THE OWN AND THE OWN AND

> الكروب، وترتعد الفرائص، وتعم المخساوف، وتحسث أولي الألسباب للاستعداد لذلك اليوم، وتزجرهم عن كل ما يوجب اللوم، ولهذا قال بعض السلف: من أراد أن ينظر ليوم القيامة كأنه رأي عين، فليتدبر سورة ﴿إذا الشمس كورت﴾.

بالخنس \* الجوار الكنس \* والليل إذا عسعس \* والصبح إذا تنفس \* إنه لقول رسول كريم \* ذي قوة عند ذي العرش مكين \* مطاع ثم أمين \* وما صاحبكم بمجنون \* ولقد رآه بالأفق المبين \* وما هو على الغيب بضنين \* وما هو بقول شيطان رجيم \* فأين تذهبون \* إن هو إلا ذكر للعالمين \* لمن شاء منكم أن يستقيم \* وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ أقسم تعالى ﴿بالخنس﴾ وهي الكواكب التي تخنس أي: تتأخر عن سير الكواكب المعتاد إلى جهة المشرق، وهي النجوم السبعة السيارة: «الشمس»، و «القرمر»، و «الرهرة»، و «المشــــــــري»، و «المريـــخ»، و «زحل»، و «عطارد»، فهذه السبعة

<sup>(</sup>۱) في ب: وتناثرت.

<sup>(</sup>٢) في ب: حتى إنه يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء.

<sup>(</sup>٣) في ب: ولكن هذا فيه توبيخ وتقريع لقاتليها.

LENGTH TARGETTE كَلَّا إِنَّ كِتُلَا الْفُجَّارِ لِنَي سِجِينِ ۞ وَمَا أَدْرَيْكَ مَاسِجِينٌ ۞ كِنَتُ مَرَقُومٌ ۞ وَيُرْرُومَ لِلْمُكَدِّبِينَ ۞ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلِدِينِ۞ وَمَا يُكُونُ بِهِ ۗ إِلَّا كُلُّ مُعْنَدَ أَثِيرِ۞ إِذَا لُتُلَا عَلَيْهِ مَا يَثُنَا قَالَ أَسَطِيرًا لأُوَّالِينَ ۞ كَلَّابَلْ زَانَ عَلَ قُلُوبِهِمِ مَّا كَاوُأْ يَكْسِبُونَ ۞ كُلَّ إِنَّهُ مُ ثَنَ يَهِمْ وَمَهِ إِنْ مُتَعِمُونَ۞ ثُرَّ إِنَّهُ لَسَالُوا الْجَدِيمِ ۞ ثُرُيْقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُتُتُم بِهِۦ تُكَوْبُونَ۞ كُلَّ إِنَّ كِنْبَ ٱلأَبْرَارِ ۚ لَقِي عِلْيِينَ ۞ وَمَا أَدْرَيكَ مَاعِلَيُونَ ۞ كِنَابٌ مَرْقُومٌ ۞ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّقُونَ ۞ إِذَا ٱلْأَبْرَارَ لِي نَعِيمِ ۞ عَلَى ٱلْأَرْآبِكِ يَنْظُرُونَ ۞ لَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِ مُوْضَرَةً ٱلنَّهَ بِيرِ۞ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ تَخْلُوهِ۞ خِنَمُمُوسُكُ وَفِي ذَالِكَ فَلْيَتَنَافِسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ۞ وَمِزَاجُمُهُ مِننَسْنِيمِ۞ عَيْنَايَشَرَبُ بِهَا الْمُقَرِّعُونَ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجَرَمُوا كَافُواْمِرَ ٱلَّذِينَ المَوْائِصَةَ حَكُونَ ﴿ وَإِذَا مَرُواْ بِمُ يَتَعَامَرُهُنَ ۞ وَإِذَا ٱنْقَالَبُواْ إِلَىٰ أَهْلِهِمُ أَنْقَالُهُوا فَيَهِينَ۞ وَإِذَا رَأُوْهُرُ قَالْوَا إِنَ مَنْوُلِا إِلَهُ لَصَالُّونَ ۞ وَمَا أَرْسِلُواْ عَلَيْهُ رَحَفِظِينَ ﴿ فَأَلْتُومُ ٱلَّذِينَ ءَامَتُوالِمِنَ ٱلْكُفَّارِيضَ حَكُونَ ﴾ 

لها سيران .

سير إلى جهة المغرب مع باقي الكواكب والأفلاك(۱)، وسير معاكس لهذا من جهة المشرق تختص به هذه السبعة دون غيرها.

فأقسم الله بها في حال خنوسها أي: تأخرها، وفي حال جريانها، وفي حال كنوسها أي: استتارها بالنهار، ويحتمل أن المراد بها جميع النجوم (٢) الكواكب السيارة وغيرها.

﴿والليل إذا عسعس﴾ أي: أدبر، وقيل: أقبل، ﴿والصبح إذا تنفس﴾ أي: بانت علائم الصبح، وانشق النور شيئاً فشيئاً حتى يستكمل وتطلع الشمس، وهذه آيات عظام، أقسم الله وحفظه من كل شيطان رجيم، فقال: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ وهو جبريل عليه السلام، نزل به من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وإنه لتنزيل رب لعالمين \* على المغالمين \* على قلك تكون من المنذرين﴾

ووصفه الله بالكريم لكرم أخلاقه،

وكثرة خصاله الحميدة، فإنه أفضل الملائكة، وأعظمهم رتبة عند ربه، ﴿ وَأَعْظُمُهُمْ مِنْ اللهُ بِهِ .

ومن قوته أنه قلب ديار قوم لوط بهم فأهلكهم .

﴿عند ذي العرش﴾ أي: جبريل مقرب عند الله، له منزلة رفيعة، وخصيصة من الله اختصه بها، ﴿مكين﴾ أي: له مكانة ومنزلة فوق منازل الملائكة كلهم.

﴿مطاع ثم ﴾ أي: جبريل مطاع في الملأ الأعلى، لديه (٥) من الملائكة القربين جنود، نافذ فيهم أمره، مطاع وأيه، ﴿أمين﴾ أي: ذو أمانة وقيام بما أمر به، لا يبزيد ولا ينقص، ولا يتعدى ما حُدَّ له، وهذا [كله] يدل على شرف القرآن عند الله تعالى، فإنه بعث به هذا الملك الكريم، الموصوف بتلك الصفات الكاملة. والعادة أن الملوك لا ترسل الكريم عليها إلا في أهم المهمات، وأشرف الرسائل.

ولما ذكر فضل الرسول الملكي الذي جاء بالقرآن، ذكر فضل الرسول البشري الذي نزل عليه القرآن، ودعا إليه الناس، فقال: ﴿وما صاحبكم﴾ وهو محمد ﷺ ﴿بمجنون﴾ كما يقوله أعداؤه المكذبون برسالته، المتقولون عليه من الأقوال، التي يريدون أن يُطفؤوا بها ما جاء به ما شاؤوا وقدروا عليه، بل هو أكمل الناس عقلاً، وأجزلهم رأياً، وأصدقهم لهجة.

﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ أي: رأى محمد ﷺ جبريل عليه السلام بالأفق البين، الذي هو أعلى ما يلوح للبصر.

﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ أي: وما هو على ما أوحاه الله إليه بمتهم

يزيد فيه أو بيقص أو يكتم بعضه، بل هـو على أمين أهـل الـسـمـاء وأهـل الأرض، الذي بلغ رسالات ربه البلاغ ولا فقير، ولا رئيس ولا مرؤوس، ولا ذكر ولا أنشى، ولا حضريً ولا بدوي، ولذلك بعثه الله في أمة أمية، باهلة جهلاء، فلم يمت على حتى متفرسين، وأحبارا متفرسين، إليهم الغاية في العلوم، واليهم المنتهى في استخراج الدقائق واليهم، وهم الأساتذة، وغيرهم والفهوم، وهم الأساتذة، وغيرهم

وما هو بقول شيطان رجيم كلا ذكر جلالة كتابه (٢) وفضله بذكر الرسولين الكريمين، اللذين وصل إلى الناس على أيديهما، وأثنى الله عليهما اثنى، دفع عنه كل آفة ونقص مما أثنى، دفع عنه كل آفة ونقص مما يقدل شيطان رجيم أي: في غاية البعد عن الله وعن قربه، ﴿فأين تلهبون﴾ أي: كيف يخطر هذا ببالكم، الصدق بمنزلة الكذب، الذي هو أنزل عليون إوأرذل] وأسفل الباطل؟ هل الماكو، انقلاب الحقائق.

﴿إِنْ هُو إِلاْ ذَكِرُ لَلْعَالَمِنَ ﴾ يتذكرون به ربهم، وما له من صفات الكمال، وما ينزه عنه من النقائص والرذائل [والأمثال]، ويتذكرون به الأوامر والنواهي وحكمها، ويتذكرون به الأحكام القدرية والشرعية والجزائية، وبالجملة، يتذكرون به مصالح الدارين، وينالون بالعمل به السعادتين.

﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم ﴾ بعدما

<sup>(</sup>١) في ب: مع سائر الكواكب والفلك.

<sup>(</sup>٢) في ب: الكواكب.

<sup>(</sup>٣) في ب: بدت.

<sup>(</sup>٤) في ب: أقسم الله عليها لقوة سند القرآن.

<sup>(</sup>٥) في ب: لأنه.

<sup>(</sup>٦) كذا في ب، وفي أ: جلالته.

تبين الرشد من الغي، والهدى من الضلال.

﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ أي: فمشيئته نافذة، لا يمكن أن تعارض أو تمانع.

وفي هذه الآية وأمثالها، ردَّعلى فِرقتي القدرية النفاة، والقدرية المجبرة كما تقدم مشلها [والله أعلم والحمد لله].

# تفسير سورة الانفطار [وهي] مكية

﴿ 1 - 0 ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم إذا السماء انفطرت \* وإذا الكواكب انتثرت \* وإذا البحار فجرت \* وإذا القبور بعثرت \* علمت نفس ما قدمت وأخرت ﴾ أي: إذا انشقت السماء وانفطرت، وانتثرت (١) نجومها، وزال جالها، وفجرت البحار فصارت بحراً واحداً، وبعشرت القبور بسأن أخرجت (١) ما فيها من الأموات، وحشروا للموقف بين يدي الله للجزاء على الأعمال.

فحينئذ ينكشف الغطاء، ويزول ما كان خفياً، وتعلم كل نفس ما معها من الأرباح والخسران، هنالك يعض الظالم على يديه إذا رأى أعماله باطلة، وميزانه قد خف، والمظالم قد تداعت إليه، والسيئات قد حضرت لديه، وأيقن بالشمقاء الأبدي والسعداب السرمدي (٣).

و [هنالك] يفوز المتقون، المقدمون لصالح الأعمال بالفوز العظيم، والنعيم المقيم، والسلامة من عذاب الجحيم.

﴿٦ ـ ١٢﴾ ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم \* الذي خلقك فسواك فعدلك \* في أي: صورة ما شاء ركبك \* كلابل تكذبون

بالدين \* وإن عليكم لحافظين \* كراماً كاتبين \* يعلمون ما تفعلون > يقرل تعالى معاتباً للإنسان المقصر في حق ربه، المتجرىء على مساخطه (١٤): ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم > أتهاوناً منك في حقوقه؟ أم احتقاراً منك لعذابه؟ أم عدم إيمان منك بجزائه؟

أيس هو ﴿الذي خلقك فسواك﴾ في أحسن تقويم؟ ﴿فعدلك﴾ وركبك تركيباً قويماً معتدلاً، في أحسن الأشكال، وأجمل الهيئات، فهل يليق بك أن تكفر نعمة المنعم، أو تجحد إحسان المحسن؟

إن هذا إلا من جهلك وظلمك وعنادك وغشمك، فاجمد الله أن لم يجعل صورتك صورة كلب أو حمار، أو نحوهما من الحيوانات [فلهذا قال تعالى في أي صورة ما شاء ركبك)

[وقوله:] ﴿كلابل تكذبون بالدين ﴾ أي: مع هذا الوعظ والتذكير، لا تزالون مستمرين على التكذيب بالجزاء.

وأنتم لا بدأن تحاسبوا على ما عملتم، وقد أقام الله عليكم ملائكة كراماً يكتبون أقوالكم وأفعالكم ويعلمون أفعالكم، ودخل في هذا أفعال القلوب، وأفعال الجوارح، فاللائق بكم أن تكرموهم وتجلوهم وتحرموهم.

﴿١٣ ـ ١٩﴾ ﴿إِن الأبرار له في المعلى نعيم \* وإن الفجار لفي جحيم \* يصلونها يوم الدين \* وما هم عنها بغائبين \* وما أدراك ما يوم الدين \* يوم ادراك ما يوم الدين \* يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومتذ شه المراد بالأبرار، القاتمون بحقوق عباده، الملازمون

الاستان المنظرة المنظ

للبر، في أعمال القلوب وأعمال الجوارح، فهؤلاء جزاؤهم النعيم في القلب والروح والبدن، في دار الدنيا [وفي ذار] البرزخ و [في] دار القرار.

﴿ وَإِن الفجار ﴾ الذين قصروا في حقوق الله وحقوق عباده، الذين فجرت قلوبهم، ففجرت أعمالهم ﴿ لَفِي عَذَابِ اللهم، في دار الدنيا و [دار] البرزخ وفي دار القرار ﴿ يصلونها ﴾ ويعذبون [بها] أشد العذاب ﴿ يوم الدين ﴾ أي: يوم الجزاء على الأعمال.

وما هم عنها بغائبين اي: بل هم ملازمون لها، لا يخرجون منها. ووما أدراك ما يوم الدين \* ثم ما أدراك ما يوم الدين الديل ففي هذا تهويل لذلك اليوم الشديد الذي يحير الأذهان.

﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ﴾ وليو كانت لها قريبة [أو حبيبة] مصافية، فكل مشتغل بنفسه لا يطلب الفكاك لغيرها.

﴿والأمر يومئذ شه فهو الذي يفصل بين العباد، ويأخذ للمظلوم حقه من ظالم [والله أعلم].

<sup>(</sup>١) في ب: وتناثرت.

<sup>(</sup>٢) في ب: بأن أخرج.

 <sup>(</sup>٣) في ب: إذا رأى ما قدمت يداه وأيقن بالشقاء الأبدي والعذاب السرمدي.

<sup>(</sup>٤) في ب: المقصر في حقه المتجريء على معاصيه.

المنافقة ال

# تفسير سورة المطففين وهي مكية<sup>(۱)</sup>

ويل للمطقفين \* الذين إذا اكتالوا على ويل للمطقفين \* الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون \* وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون \* ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون \* ليوم عظيم \* يوم يقوم الناس لرب العالمين \* وويل > كلمة عذاب، ووعيد (٢) ﴿ للمطففين وفسر الله المطففين بقوله (٣) ﴿ الذين إذا اكتالوا على الناس ﴾ أي: أخذوا منهم وفاء عما ثبت لهم قبلهم يستوفونه كاملاً من غير نقص.

فرواذا كالوهم أو وزنوهم أي: فواذا كالوهم أو وزنوهم أي: إذا أعسطوا الناس حقهم، الذي فينسرون أي: ينقصونهم ذلك، إما بمكيال وميزان ناقصين، أو بعدم ملء المكيال والميزان، أو نحو ذلك، فهذا سرقة [لأموال] الناس (٥٠)، وعدم إنصاف [لهم] منهم.

واذا كان هذا الوعيد<sup>(٢)</sup> على الذين وإذا كان هذا الوعيد<sup>(٢)</sup> على الذين يبخسون الناس بالمكيال والميزان، فالذي يأخذ أموالهم قهراً أو سرقة،

أولى بهذا الوعيد من المطففين. ودلت الآيـة الكـريــمـة، عـلى أن

الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له، يجب عليه أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات، بل يدخل في كما أن المتناظرين قد جرت العادة أن كل واحد [منهما] يحرص على ما له من الحجج، فيجب عليه أيضاً أن يبين ما لا يعلمها]، وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا الموضع يعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه، وتواضعه من كبره، وعقله من سفهه، نسأل الله التوفيق

ثم توعد تعالى المطففين، وتعجب من حالهم وإقامتهم على ما هم عليه، فقال: ﴿الايسظن أولئك أنهم مبعوثون \* ليوم عظيم \* يوم يقوم الناس لرب العالمين \* فالذي جرأهم على التطفيف عدم إيمانهم باليوم الآخر، وإلا فلو آمنوا به، وعرفوا أنهم يقومون بين يدي الله، يحاسبهم (٩) على القليل والكثير، لأقلعوا عن ذلك وتابوا منه.

لكل خير .

راح الفجار الفجار الفي سجين \* وما أدراك ما سجين \* لفي سجين \* وما أدراك ما سجين \* للمكذبين \* الذي يكذبون بيوم الدين \* وما يكذب به إلا كل معتبر الدين \* وما يكذب به إلا كل معتبر الأولين \* كلا بل ران على قلوبهم ما الأولين \* كلا بل ران على قلوبهم ما يومئذ لمحجوبون \* ثم إنهم لصالوا يومئذ لمحجوبون \* ثم إنهم لصالوا المحيم \* ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون ﴾ يقول تعالى: ﴿كلا إن كتاب الفجار ﴾ [وهذا شامل لكل فاجر] من أنواع الكفرة والمنافقين، والفاسقين

المكذبين بأنهم (۱۰) ﴿الذين يكذبون بيوم الدين أي: يوم الجزاء، يوم يدين الله فيه الناس بأعمالهم.

ومستقرهم في معادهم.

﴿ وما يكذب به إلا كل معتد ﴾ على عارم الله ، متعد من الحلال إلى الحرام . ﴿ النَّهِ مَا اللَّهُ مَا فَهَذَا الذَّى مُحمله عدوانه على التكذيب ،

﴿لَفِي سَجِّينَ﴾ ثم فسر ذلك بقوله:

﴿وما أدراك ما سجّين \* كستاب

مرقوم اي: كتاب مذكور فيه

أعمالهم الخبيثة، والسجين: المحل

الضيق الضنك، و "سجين" ضد

«عليين» الذي هو محل كتاب الأبرار،

وقد قيل: إن «سجين» هو أسفل

﴿ويل يومئذ للمكذبين ﴾ ثم بين

الأرض السابعة، مأوى الفجار

كما سيأتى.

الذي يحمله عدوانه على التكذيب، ويوجب ويحمله [عدوانه على التكذيب ويوجب له] كبره رد الحق، ولهذا ﴿إذَا تتلى عليه صدق ما جاءت به رسله، كذبها وعاندها، ﴿وقال﴾: هذا ﴿أساطير وأخبار الأمم الغابرين، ليس من عند الله تكبراً وعناداً.

وأما من أنصف، وكان مقصوده الحق المبين، فإنه لا يكذب بيوم الدين، لأن الله قد أقام عليه من الأدلة حق اليقين، وصار لقلوبهم مشل الشمس للأبصار (۱۱)، بخلاف من ران على قلبه كسبه، وغطته معاصيه، فإنه خجوب عن الحق، ولهذا جوزي على ذلك، بأن حجب عن الله، كما حجب قلبه في الدنيا عن آيات الله، في المالوا الجحيم ثم يقال لهم توبيخاً

- (٦) في ب: وعيداً.
- (٧) في ب: يدخل في ذلك.
  - (٨) في ب: الحجة.
- (٩) في ب: أنهم سيقومون بين يدي الله فيحاسبهم.
- (١) في ب: وهي مدنية.
  - (۲) في ب: وعقاب.
     (۳) في ب: بأنهم.
    - (٤) في ب: لهم.
- (٥) كذًا في ب، وفي أ: سرقة للناس.

- (۱۰) في ب: ثم بينهم بقوله
- (۱۱) في ب: وصار لبصائرهم بمنزلة
  - الشمس للأبصار .

وتقريعاً: ﴿ هذا الذي كنتم به تكذبون ﴾ فذكر لهم ثلاثة أتواع من العذاب: عذاب الححيم، وعذاب التوبيخ، واللوم.

وعذاب الحجاب من رب العالمين، المتضمن لسخطه وغضبه عليهم، وهو أعظم عليهم من عذاب النار، ودل مفهوم الآية، على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة، ويتلذذون بالنظر إليه أعظم من سائر اللذات، ويبتهجون بخطابه، ويفرحون بقربه، كما ذكر الله ذلك في عدة آيات من القرآن، وتواتر فيه النقل عن رسول الله.

وفي هذه الآيات، التحذير من الذنوب، فإنها ترين على القلب وتغطيه شيئاً فشيئاً، حتى ينظمس نوره، وتموت بصيرته، فتنقلب عليه الحقائق، فيرى الباطل حقاً، والحق باطلاً، وهذا من بعض (١٦) عقوبات الذنوب.

﴿١٨ ـ ٧٧﴾ ﴿كــلا إن كـــــاب الأبرار لفي عليين \* وما أدراك ما عليون \* كتاب مرقوم \* يشهده المقربون \* إن الأبرار لفي نعيم \* على الأرائك ينظرون \* تعرف في وجوههم نضرة النعيم \* يسقون من رحيق محتوم \*ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون \* ومزاجه من تسنيم له ذكر أن كتاب الفجار في أسفل الأمكنة وأضيقها، ذكر أن كتابّ الأبرار في أعلاها وأوسعها، وأفسحها وأن كتابهم المرقوم ﴿يشهده المقربون﴾ من الملائكة الكرام، وأرواح الأنبياء، والصديقين والشهداء، ويُنوِّه الله بذكرهم في الملأ الأعلى، و «عليون» اسم لأعلى ألجنة، فلما ذكر كتابهم، ذكر أنهم في نعيم، وهو اسم جامع لنعيم القلب والروح والبدن، وعلى الأرائك أي: [على] السرر المزينة بالفرش الحسان.

﴿ينظرون﴾ إلى ما أعد الله لهم من

النعيم، وينظرون إلى وجه رسم الكريم، ﴿تعرف﴾ أيها الناظر إليهم ﴿ فِي وَجُوهِم نَصْرة النعيم ﴾ أي: بهاء النعيم (٢) ونضارته ورونقه، فإن توالى اللذة والسرور(٣)، يكسب الوجه نوراً وحسناً وبهجة.

﴿يسقون من رحيق﴾ وهو من أطيب ما يكون من الأشربة وألذها، ﴿مُحْتُومِ﴾ ذلك الشراب، ﴿ختامه مسك﴾ يحتمل أن المراد مختوم عن أن يداخله شيء ينقص لذته، أو يفسد طعمه، وذلك الختام الذي ختم به مسك.

ويحتمل أن المراد أنه [الذي] يكون في آخر الإناء، الذي يشربون منه الرحيق حثالة، وهي المسك الأذفر، فهذا الكدر منه، الذي جرت العادة في الدنيا أنه يراق، يكون في الجنة بهذه المثابة، ﴿ وقى ذلك ﴾ النعيم المقيم، الذي لا يعلم مقداره وحسنه إلا الله، ﴿ فليتنافس المتنافسون ﴾ أي: يتسابقوا في المبادرة إليه والأعمال الموصلة إليه، فهذا أولى ما بذلت فيه نفائس الأنفاس، وأحرى ما تزاحت للوصول إليه فحول

• (۲۷ ـــ ۲۸) ومزاج هذا الشراب من تسنيم، وهي عينٌ ﴿يشرب بها المقربون ﴾ صِرْفاً، وهي أعلى أشربة الجنة على الإطلاق، فلذلك كانت خالصة للمقربين، الذين هم أعلى الخلق منزلة، وممزوجة الصحاب اليمين أي: مخلوطة بالرحيق وغيره من الأشربة اللذيذة.

﴿٢٩ ـ ٣٦ ﴾ إنَّ اللَّذِينِ أَجِرِمُوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون \* وإذا مروا بهم يتغامزون \* وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين \* وإذا رأوهم قالوا إنْ هؤلاء لضالون \* وما أرسلوا عليهم حافظين \* فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون \* على الأرائك ينظرون \* هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون للا ذكر تعالى جزاء المجرمين

وجزاء المؤمنين<sup>(١)</sup>، و [ذكر] ما بينهما من التفاوت العظيم، أخبر أن المجرمين كانوا في الدنيا يسخرون بالمؤمنين، ويستهزؤون بهم، ويضحكون منهم، ويتغامزون بهم عند مرورهم عليهم، احتقاراً لهم وازدراء، ومع هذا تراهم مطمئنين، لا يخطر الخوف على بالهم، ﴿وإذا انقلبوا إلى أهلهم، صباحاً أو مساء ﴿انقلبوا فكهين﴾ أي: مسرورين مغتبطين (٥)، وهذا من أعظم (٦) ما يكون من الاغترار، أنهم جمعوا بين غاية الإساءة والأمن (٧) في الدنيا، حتى كأنهم قد جاءهم كتاب من الله وعهد، أنهم من أهل السعادة، وقد حكموا لأنفسهم أنهم أهل الهدى، وأن المؤمنين ضالون، افتراء على الله، وتجرؤاً على القول عليه بلا علم.

قال تعالى: ﴿وما أرسلوا عليهم حافظين ﴾ أي: وما أرسلوا وكلاء على المؤمنين ملزمين بحفظ أعمالهم، حتى يحرصوا على رميهم بالضلال، وما هذا منهم إلا تعنت وعناد وتلاعب، ليس له مستندولا برهان، ولهذا كان جزاؤهم في الآخرة من جنس عملهم، قسال تعمالي: ﴿فَمَالِيومِ ﴾ أي: يسوم القيامة، ﴿ اللَّهِ من الكفار يضحكون وحين يرونهم في غمرات العذاب يتقلبون، وقد ذهب عنهم ما كانوا يقترون، والمؤمنون في غاية الراحة والطمأنينة ﴿على الأرائك﴾ وهي السرر المزينة، ﴿ينظرون﴾ إلى ما أعد الله لهم من النعيم، وينظرون إلى

وجه ربهم الكريم .

﴿ هِ ل ثُوِّبِ الْكِفَارِ مِا كِنَانُوا يفعلون♦أي: هل جوزوا من جنس عملهم؟

فكما ضحكوا في الدنيا من المؤمنين ورموهم بالضلال، ضحك المؤمنون منهم في الآخرة، ورأوهم (٨) في العذاب والنكال، الذي هو عقوبة الغي والضلال.

(٢)

والمسرات والأفراح.

<sup>(</sup>٤) في ب: المحسنين.

كذا في ب، وفي أ: مغبوطين. (0)

في ب: من أعظم. (1) في ب: أي بهاءه.

في ب: فإن توالى اللذات (٣)

في ب: وهذا أشد. (7)

في ب: مع الأمن. (V)

في ب: حين رأوهم. (A)

نعم، ثوبوا ما كانوا يفعلون، عدلاً من الله وحكمة، والله عليم حكيم.

# تفسير سورة الانشقاق وهي مكية

﴿١ - ١٥﴾ ﴿بسم الله السرحسن الرحيم إذا السماء انشقت \* وأذنت لربها وحقت \* وإذا الأرض مدت \* وألقت ما فيها وتخلت \* وأذنت لربها وحقت \* يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه \* فأما من أوتى كتابه بيمينه \* فسوف يحاسب حساباً يسيراً \* وينقلب إلى أهله مسروراً \* وأما من أوى كتابه وراء ظهره \* فسوف يدعو ثبوراً \* ويصل سعيراً \* إنه كان في أهله مسروراً \* إنه ظن أن لن يحور \* بلي إن ربه كان به بصيرا > يقول تعالى مبيناً لما يكون في يوم القيامة من تغير الأجرام العظام: ﴿إِذَا السماء انشقت ﴾ أي: انفطرت وتمايز بعضها من بعض، وانتثرت نجومها، وخسف بشمسها وقمرها.

﴿وأذنت لربها﴾ أي: استمعت لأمره، وألقت سمعها، وأصاخت لخطابه، وحق لها ذلك، فإنها مسخرة مدبرة تحت مسخر ملك عظيم، لا يعصى أمره، ولا يخالف حكمه.

﴿وإذا الأرض مدت﴾ أي: رجفت وارتجت، ونسفت عليها جبالها، ودك ما عليها من بناء ومعلم، فسويت، ومدها الله تعالى مد الأديم، حتى صارت واسعة جداً، تسع أهل الموقف على كثرتهم، فتصير قاعاً صفصفاً لا ترى فيه عوجاً ولا أمناً.

﴿ وَأَلَقَتُ مَا فَيِهَا ﴾ من الأموات الكنوز.

﴿ وَتَخلَت ﴾ منهم، فإنه ينفخ في الصور، فتخرج الأموات من الأجداث إلى وجه الأرض، وتخرج الأرض كنوزها، حتى تكون كالأسطوان العظيم، يشاهده الخلق، ويتحسرون

على ما هم فيه يتنافسون، ﴿وأذنت لربها وحقت \* يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه ﴾ أي: إنك ساع إلى الله، وعامل بأوامره ونواهيه، ومتقرب إليه إما بالخير وإما بالشر، ثم تلاقي الله يوم القيامة، فلا تعدم منه جزاء بالفضل إن كنت سعيداً، أو بالعدل إن كنت شقياً (1).

ولهذا ذكر تفصيل الجزاء، فقال: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ وهم أهل السعادة.

﴿٨﴾ ﴿فسوف بحاسب حساباً يسيراً﴾ وهو العرض اليسير على الله، فيقرره الله بذنوبه، حتى إذا ظن العبد أنه قد هلك، قال الله [تعالى] له: ﴿إِنِي قد سترتها عليك في الدنيا، فأنا أسترها لك اليوم».

﴿ وينقلب إلى أهله ﴾ في الجنة ﴿ مسروراً ﴾ لأنه نجا من العذاب وفاز بالثواب، ﴿ وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ﴾ أي: بشماله من خلفه (٢).

﴿ فسوف يدعو ثبورا ﴾ من الخزي والفضيحة ، وما يجد في كتابه من الأعمال التي قدمها ولم يتب منها ، ﴿ ويصلى سعيرا ﴾ أي : تحيط به السعير من كل جانب ، ويقلب على عذابها ، وذلك لأنه في الدنيا ﴿ كان في أهله مسرورا ﴾ لا يخطر البعث على باله ، وقد أساء ، ولم (٣) يظن أنه راجع إلى ربه وموقوف بين يديه .

﴿بلى إن ربه كان به بصيرا ﴾ فلا يحسن أن يتركه سدى، لا يؤمر ولا ينهى، ولا يثاب ولا يعاقب.

﴿١٦ ـ ٢٥ ﴾ ﴿ فَـلا أقـسم بالشفق \* والليل وما وسق \* والقمر إذا اتسق \* لتركبن طبقاً عن طبق \* فما لهم لا يؤمنون \* وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون \* بل الذين كفروا يكذبون \* والله أعلم بما يوعون \* فبشرهم بعذاب أليم \* إلا

الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجرً غير ممنون، أقسم في هذا الموضع بآيات الليل، فأقسم بالشفق الذي هو بقية نور الشمس، الذي هو مفتتح الليل، ﴿والليل وما وسق، أي: احتوى عليه من حيوانات وغيرها، ﴿والقمر إذا اتسق﴾ أي: امتلاً نوراً بإبداره، وذلك أحسن ما يكون وأكثر منافع، والمقسم عليه قوله: ﴿لتركبن﴾ [أي: ] أيها الناس ﴿طبقاً عن طبق﴾ أي: أطواراً متعددة وأحوالاً متباينة، من النطقة إلى العلقة، إلى المضغة، إلى نفخ الروح، ثم يكون وليداً وطفلاً، ثم تميزاً، تم يجرى عليه قلم التكليف، والأمر والنهي، ثم يموت بعد ذلك، ثم يبعث ويجازي بأعماله، فهذه الطبقات المختلفة الجارية على العبد، دالة على أن الله وحده هو المعبود، الموحد، اللدبر لعباده بحكمته ورحمته، وأن العبد فقير عاجز، تحت تدبير العزيز الرحيم، ومع هذا، فكثير من الناس لا يؤمنون فووإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون اى: لا يخضعون للقرآن، ولا ينقادون لأوامره ونواهيه، ﴿بِلِ النِّينِ كَفروا يَكْذِبُونِ ﴾ أي: يعاندون الحق بعدما تبين، فلا يستغرب عدم إيمانهم وعدم انقيادهم للقرآن، فإن المكذب بالحق عناداً، لا حيلة فيه، ﴿واللهُ أعلم بما يوعون ﴾ أي: بما يعملونه وينؤونه سرأ، فالله يعلم سرهم وجهرهم، وسيجازيهم بأعمالهم، ولهذا قال: ﴿فبشرهم بعذابِ أليم﴾ وسميت البشارة بشارة، لأنها تؤثر في البشرة سروراً أو غماً.

فهذه حال أكثر الناس، التكذيب بالقرآن، وعدم الإيمان [به].

ومن الناس فريق هداهم الله، فأمنوا بالله، وقبلوا ما جاءتهم به الرسل، فأمنوا وعملوا الضالحات.

فهؤلاء لهم أجر غير ممنون أي: غير

<sup>(</sup>١) في ب: جزاء بالفضل أو العدل، بالفضل إن كنت سعيداً، وبالعقوبة إن كنت شقياً.

<sup>(</sup>٢) في ب: من وراء ظهره.

<sup>(</sup>٣) في ب: ولا.

رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

#### تم تفسير السورة ولله الحمد

# تفسير سورة البروج وهي مكية

﴿١ - ٢٢﴾ ﴿بسبم الله السرحسن الرحيم والسماء ذات البروج \* واليوم الموعود \* وشاهد ومشهود \* قتلُ أصحباب الأخدود \* النبار ذات الوقود \* إذ هم عليها قعود \* وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود \* ومأ نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد \* ألذي له ملك السماوات والأرض والله على كل شيء شهيد \* إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق \* إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير \* إن بطش ربك لشديد \* إنه هو يبدىء ويعيد \* وهنو النفيفور البودود \* ذو النعيرش المجيد \* فعال لما يريد \* هل أتاك حديث الجنود \* فرعون وثمود \* بل الذين كفروا في تكذيب \* والله من ورائهم محيط \* بل هو قرآن مجيد \* فى لىوح محفوظ ﴿ والسماء ذات البروج أي: [ذات] المنازل المشتملة على منازل الشمس والقمر، والكواكب المنتظمة في سيرها، على أكمل ترتيب ونظام دال على كمال قدرة الله تعالى ورحمته، وسعة علمه وحكمته.

﴿واليوم الموعسود﴾ وهسو يسوم القيامة، الذي وعد الله الخلق أن يجمعهم فيه، ويضم فيه أولهم وآخرهم، وقاصيهم ودانيهم، الذي

مقطوع، بل هو أجر دائم مما لا عين لا يمكن أن يتغير، ولا يخلف الله الميعاد .

﴿وشاهد ومشهود﴾ وشمل هذا كل من اتصف مذا الوصف أي: مُنِصر ومُنْصَر، وحاضر ومحضور، وراء

والمقسم عليه، ما تضمنه هذا القسم من آيات الله الباهرة، وحكمه الظاهرة، ورحمته الواسعة، وقيل: إن المقسم عليه قوله: ﴿قتل أصحاب الأخدود) وهذا دعاء عليهم بالهلاك.

و «الأخدود»: الحفر التي تحفر في الأرض.

وكان أصحاب الأخدود هؤلاء قومأ كافرين، ولديهم قوم مؤمنون، فراودوهم للدخول(١) في دينهم، فامتنع المؤمنون من ذلك، فشأقّ الكافرون أخدوداً [في الأرض]، وقذفوا فيها النار، وقعدوا حولها، وفتنوا المؤمنين، وعرضوهم عليها، فمن استجاب لهم أطلقوه، ومن استمر على الإيمان قذفوه في النار، وهذا في غاية المحاربة لله ولحزبه المؤمنين، ولهذا لعنهم الله وأهلكهم وتوعدهم فقال: ﴿قتل أصحاب الأخدود أنم فسر الأخدود بقوله: ﴿النار ذات الوقود \* إذ هم عليها قعود \* وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾ وهذا من أعظم ما يكون من التجبر وقساوة القلب، لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها، ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب، وحضورهم إياهم عند إلقائهم فيها، والحال أنهم ما نقموا من المؤمنين إلا خصلة (٢) يمدحون عليها، وبها سعادتهم، وهي أنهم كانوا يؤمنون بالله العزيز الحميد أي: الذي له

٤ وَالنَّمْلَةِ وَاللَّادِقِ ۞ وَمَا أَدْرَىكَ مَا ٱلطَّادِقُ۞ ٱلْجَيِّمُ ٱلنَّاقِ ۞ إِنكُلُّ عَشْرِ تَنَاعَلَيْهَا عَافِظُ ۞ فَلْنَظُ إِلَّالِاسْنُ مِيَّمُ فُلِقَ ۞ خُلِقَ مِن مَّكَو دَافِق إِن يَغْرُجُ مِنْ مِن ٱلصَّلْبِ وَالتَّرْآبِ ﴿ إِنَّهُ مَكَّانَ مُعِيدِ مَلْقَالِدٌ ﴿ وَمَنْتِوَ ٱلسَّرَآتِينِ فَالَدُمِن قُوَّةِ وَلَانَاصِرِ وَٱلسَّمَآ وَنَارَأُوتِمِ ٥ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّنْعِ ۞ إِنَّهُ لِقَوَّلُ فَصَدُّ ۞ وَمَا هُوَ بِالْخُتْلِ ۞ إِنَّهُ يَكِيدُونَ كَيْنَا ۞ وَأَكِدُكُيْنَا ۞ فَهُوا الْكَفِينَ أَمْهِ لَمُرْوَقِيًّا ۞ होती हैं। इंग्लंबर के अपने के स्वर्ध \_أمِّالْتَمْ َالْتَمْ الْتَمْ الْتَمْ الْتَمْ الْتَمْ الْتَمْ الْتَمْ الْتَمْ الْتَمْ الْتَمْ الْتُمْ الْمُلْتِي الْتُمْ الْتِمْ الْتُمْ الْتِمْ الْتَمْ الْتِمْ الْتِلْمِ الْتِمْ الْتِمْ الْتِمْ الْتِمْ الْتِمْ الْتِمْ الْتِمْ الْتِمْ الْتِمْ الْ سَبْحِ أَسْعَرَيْكَ ٱلْأَعْلَى ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَّىٰ ۞ وَٱلَّذِي ٓ أَخْرَمَ ٱلْمُزْعَىٰ ۞ فِيمَالَهُ عُنَّاهُ أَخْرَىٰ ۞ سَنُفَرْ عُكَ فَلَا تَنتَقَ ۞ إِلَّامَاشَآءَ اللَّهُ إِنَّهُ مِعَ لَرَاجُهُمْ وَمَا يَغْفَلُ ۞ وَيُنْتِمُكُ النِيْسُرَى ٥٠ مَنْزُكُواد مُفَعَبَ النِحْرَيِ ٥٠ سَيَدُكُرُ مِن يَعْتَىٰ ٥٠ الرَسَّةَ مَنْهُمُ الْأَشْقَ ۞ ٱلَّذِي يَسْلَ النَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۞ ثُرَّلَا يَمُونُ فِيهَا الله عَيْنَ ﴿ فَدُ أَفْلَمَ مَن تَذَكُّ ۞ وَذَكُرُ أَمْ مَ زَيْهِ مَصَلًا ۞

العزة التي قهر بها كل شيء، وهو حميد في أقوالة وأوصافه وأفعاله .

﴿اللَّذِي لِلهِ مِلْكُ السَّمَاوات والأرض، ﴾ خلقاً وعبيداً، يتصرف فيهم تصرف المالك بملكه (٣)، ﴿والله على كل شيء شهيد) علماً وسمعاً وبصراً، أفلا خاف هؤلاء المتمردون على الله، أن يبطش بهم العزيز المقتدر، أوماعلموا أنهم جميعهم ماليك ش(٤)، ليس لأحد على أحد سلطة، من دون إذن المالك؟ أو خفي عليهم أن الله محيط بأعمالهم، مجاز لهم على فعالهم (°°)؟ كلا إن الكَّافر فيَّ غرور، والظالم في جهل وعمى<sup>(٦)</sup> عن سواء السبيل.

شم وعدهم وأوعدهم، وعرض عليهم التوبة، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) أى: العذاب الشديد المحرق.

قال الحسن رحمه الله: انظروا إلى هذا الكرم والجود، هم قتلوا أولياءه

في ب: على الدخول. (1)

<sup>(</sup>٢) في ب: حالة.

<sup>(4)</sup> ني ب: يتصرف فيهم بما يشاء.

في ب: أفلا خاف هؤلاء المتمردون عليه أن يأخذهم العزيز المقتدر، أو ما علموا كلهم أنهم مماليك لله. (1)

<sup>(0)</sup> في ب: مجازيهم عليها.

<sup>(7)</sup> في ب: والجاهل في عمى وضلال.

TO STEEL AND STREET SECTION AND STREET مِنْ قَوْمِرُونَ أَخْتِوْهُ ٱلدُّنْيَا ۞ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْوَرَا إِنَّ هَلِنَا لَغِي السُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۞ مُعُفِ إِبْرَاهِ مِرْوَمُوسَىٰ ۞ المنتاخ المنتاخ المنتاخ عَلَ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْفَنْشِيَةِ ۞ وُجُوهٌ يُؤْمَ يَخْمِهُ أَخْفِهُ مَ عَامِلَةً نَّاصِيةً۞ضَهَ إِنَارًا حَامِيةً۞ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنِ ٱلِيَةِ ۞ لَيْسَ لَمُتَعَلَّمَامُ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ۞ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْفِي وَبُعِعَ ۞ وُجُوهُ وَمُ مِهِ ذِنَّاءِ مَدَّ ۞ لِسَعْيِهَ ارَاضِيَةٌ ۞ فِي جَنَّهُ عَالِيَةِ ۞ لَانتَسَتُمُ فِيهَا لَلْفِيَّةُ ۞ فِيهَا عَيْنُجَارِيَّةٌ ۞ فِهَاسُرُرُ مَنْ فُرِعَةً ۞ وَأَحْوَاتِ مَوْضُوعَةً ۞ وَمُمَارِقُ مَضَفُولَةً ۞ وَزَرَانُ مِنْوُونَةُ الْآلِيَظُرُونَ إِلَى الْإِيلِكَيْفَ وَلَقَتْ ٥ وَإِلَى ٱلسَّمَآ وَكُفَ رُفِعَتْ ﴿ وَإِلَى أَلِمُهَالِكَ عَنِفُ بَتْ ﴿ وَالَ ٱلأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۞ فَذَكِّرا أَمَّا أَتَ مُذَكِّرٌ ۞ أَسْتَ عَلَيْهِم عُيَيْنِطِي إِلَّا مَن قَوَلَى وَكُفَرَ فِي مُعَذِّبُهُ اللَّهُ ٱلْمُعَالَبَ الْكَ ٱلأَحْبَرُ إِنَّ إِنَّ إِنَّ الْمِنْ فَأَنَّ عَلَيْنَا حِنْ اللَّهِ فَي الْمُعْدُونُ اللَّهِ اللَّهِ TO DETONION DE CONTRE DE C

وأهل طاعته، وهو يدعوهم إلى التوبة. ولما ذكر عقوبة الظالمين، ذكر ثواب المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهِينَ آمنوا﴾ بقلوبهم ﴿وعملوا الصالحات﴾ بجوارحهم ﴿لهم جنات تجري من

تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير ﴾ الذي حصل به الفوز(١) برضا الله ودار کر امته .

﴿إِن بِطش ربك لشديد﴾ أي: إن عقوبته لأهل الجرائم والذنوب العظام [لىقىويىة] شىديىدة، وهنو بىالمرصناد للظالمين، كما قال الله تعالى: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾.

وإنه هو يبدىء ويعيد اي: هو المنفرد ببإبداء الخللق وإعادته، فلا مسسارك لنه فني ذلنك(٢)، ﴿وهنو الغفور﴾ الذي يغفر الذنوب جميعها لمن تاب، ويعفو عن السيئات لمن استغفره وأناب.

﴿الودود﴾ الذي يحبه أحبابه محبة لا يشبهها شيء فكما أنه لا يشابهه شيء في صفات الجلال والجمال، والمعاني والأفعال، فمحبته في قلوب خواص خلقه، التابعة لذلك، لا يشبهها شيء من أنواع المحاب،

ولهذا كانت محبته أصل العبودية، وهي المحبة التي تتقدم جميع المحاب وتغلبها، وإن لم يكنُّن غيرها تبعاً لها، كانت عذاباً على أهلها، وهو تعالى الودود، الوادُّ لأحبابه، كما قال تعالى: ﴿ يحبهم ويحبونه﴾ والمودة هي المحبة الصافية، أ وفي هذا سر لطيف، حيث قرن «الودود» بالغفور، ليدل ذلك على أن أهل الذنوب إذا تابوا إلى الله وأنابوا، غفر لهم ذنوبهم وأحبهم، فلا يقال: بل تغفر ذنوبهم، ولا يرجع إليهم الود، كما قاله بعض الغالطين.

طعامه وشرابه وما يصلحه، فأضلها في أرض فلاة مهلكة، فأيس منها، فاضطجع في ظل شجرة ينتظر الموت، فبينما هو على تلك الحال، إذا راحلته على رأسه، فأخذ بخطامها، فالله أعظم فرحاً بتوبة العبد من هذا براحلته، وهذا أعظم فرح يقدر .

فلله الحمد والثناء، وصفو الوداد، ما أعظم بره، وأكثر خيره، وأغزر إحسانه، وأوسع امتنانه!! ﴿ذُو العرش المجيد﴾ أي: صاحب العرش العظيم، الذي من عظمته، أنه وسع السماوات والأرض والكرسي، فهي بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقّاة في فلاة، بالنسبة لسائر الأرض، وخص الله العرش باللذكر، لعظمته، ولأنه أخص المخلوقات بالقرب منه تعالى، وهذا على قراءة الجر، يكون «المجيد» نعتأ للعرش، وأما على قراءة الرفع، فإنَّ المجيد نعت ش(")، والمجد سعة الأوصاف وعظمتها.

وفعال لما يريد الله أي: مهما أراد شيئاً فعله، إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، وليس أحد فعالاً لما يريد

فإن المخلوقات، ولو أرادت شيئًا، فإنه لا بد لإرادتها من معاون وممانع،

والله لا معاون لإرادته، ولا ممانع له مما

ثم ذكر من أفعاله الدالة على صدق ما جاءت به رسله، فقال: ﴿ هِل أَتَاكُ حديث الجنود \* فرعون وثمود) وكيف كذبوا المرسلين، فجعلهم الله من المهلكين، ﴿بِلِ الذِّينِ كَفُرُوا فِي تكذيب أي: لا يزالون مستمرين على التكذيب والعناد، لا تنفع فيهم الآيات، ولا تُجدى لديهم العظات، ﴿والله من ورائهم محيط ﴾ أي: قد أحاط بهم علماً وقدرة، كقوله: ﴿إِنَّ ربك لبالمرصاد، ففيه الوعيد الشديد بل الله أفرح بتوبة عبده حين للكافرين، من عقوبة من هم في يتوب، من رجل له راحلة، عليها قبضته، وتحت تدبيره. ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ أي: وسيع المعاني عظيمها، كثير الخير والعلم، ﴿ فِي لُوح محفوظ ﴾ من التغيير والزيادة والنقص، ومحفوظ من الشياطين، وهو اللوح المحفوظ الذي قد أثبت الله فيه كل شيء.

وهذا يبدل على جبلالية البقرآن وجزالته، ورفعة قدره عند الله تعالى، والله أعلم.

#### تم تفسير السورة

# تفسير سورة الطارق وهي مكية

﴿١ \_ ١٧﴾ ﴿بسب الله السرحسن الرحيم والسماء والطارق \* وما أدراك ما الطارق \* النجم الثاقب \* إن كل نفس لما عليها حافظ \* فلينظر الإنسان مم خلق \* خلق من ماء دافق \* يخرج من بين الصلب والتراثب \* إنه على رجعه لقادر \* يوم تبلي السرائر \* فما له من قوة ولا ناصر \* والسماء ذات الرجع \* والأرض ذات الصدع \* إنه لقول فصل \* وما هو بالهزل \* إنهم يكيدون كيداً \* وأكيد كيداً \* فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ﴾ يقول [الله]

تعالى: ﴿والسماء والطارق﴾. ثم فسر الطارق بقوله: ﴿النجم

<sup>(1)</sup> في ب: حصل لهم الفوز.

فى ب: فلا يشاركه فى ذلك مشارك. **(Y)** 

فى ب: فإنه يكون نعتاً ل**ل**ه. (4)

all and our language

ونيسرك لليسرى \* فذكر إن نفعت الذكرى \*سيذكر من بخشى \* ويتجنبها الأشقى \* الذي يصلى النار الكبرى \* ثم لا يموت فيها ولا يحيى \* قد أفلح من تزكى \* وذكر اسم ربه فصلى \* بل تؤثرون الحياة الدنيا \* والآخرة خير وأبقى \* إن هذا لفي الصحف الأولى \* صحف إبراهيم وموسى كالمر تعالى بتسبيحه المتضمن لذكره وعبادته، والخضوع لجلاله، والاستكانة لعظمته، وأنّ يكون تسبيحاً، يليق بعظمة الله تعالى، بأن تذكر أسماؤه الحسنى العالية على كل اسم بمعناها الحسن العظيم (٤) ، وتذكر أفعاله التي منها أنه خلق المخلوقات فبسواها، أي: أتقنها وأحسن خلقها، ﴿والذي قدر﴾ تقديراً، تتبعه جميع المقدرات ﴿فهدى﴾ إلى ذلك جميع المخلُّوقات.

وهذه الهداية العامة، التي مضمونها أنه هدى كل مخلوق لمصلحته، وتذكر فيها نعمه الدنيوية، ولهذا قال فيها: ﴿وَالذِي أَخْرِجِ المرعى﴾ أي: أنزل من السماء ماء فأنبت به أنواع (٥) النبات والعشب الكثير، فرتع فيها الناس والبهائم وكل حيوان (٦) ، ثم بعد أن

وتصير الأمور علانية، ﴿فما له من قوة﴾ يدفع بها عن نفسه (٢)، ﴿ولا ناصر﴾ خارجي (٣) ينتصر به، فهذا القسّمُ على حالة العاملين وقت عملهم وعند جزائهم.

ثم أقسم قسماً ثانياً على صحة القرآن، فقال: ﴿والسساء ذات الرجع \* والأرض ذات الصدع ﴾ أي: ترجع السماء بالمطر كل عام، وتنصدع الأرض للنبات، فيعيش بذلك الآدميون واليهائم، وترجع السماء أيضاً بالأقدار والشؤون الإلهية كل وقت، وتنصدع الأرض عن الأموات، ﴿إنه أي: القرآن ﴿لقول فصل أي: حق وصدق، بَيْنٌ واضح.

﴿ وما هو بالهزل﴾ أي: جد ليس بالهزل، وهو القول الذي يفصل بين الطوائف والمقالات، وتنفصل به الخصومات.

﴿إنها أي: المحسنبين للرسول على وللقرآن ﴿يكيدون للرسول على وللقرآن ﴿يكيدون كيدا﴾ ليدفعوا بكيدهم الحق، ويؤيدوا الباطل، ﴿وأكيد كيدا﴾ لإظهار الحق، من الباطل، ويعلم بهذا مَنِ الغالب، فإن الآدمي أضعف وأحقر من أن يغالب القوي العليم في كيده، ﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويدا﴾ أي: قليلاً، فسيعلمون عاقبة أمرهم، حين ينزل بهم العقاب.

تم تفسير سورة الطارق، والحمد لله رب العالمين

#### تفسیر سورة سبح وهی مکیة

﴿١٩-١٩ ﴿بسم الله السرحمين الرحميم سبح اسم ربك الأعلى \* الذي خلق فسوى \* والذي قدر فهدى \* والذي أخرج المرعى \* فجعله غثاء أحوى \* سنقرئك فلا تنسى \* إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى \*

الثاقب﴾ أي: المضيء، الذي يثقب نوره، فيخرق السماوات [فينفذ حتى يرى في الأرض]، والصحيح أنه اسم جنس يشمل سائر النجوم الثواقب.

وقد قيل: إنه «زحل» الذي يخرق السماوات السبع وينفذ فيها (١١) ، فيرى منها.

وسمي طارقاً، لأنه يطرق ليلاً، والمقسم عليه قوله: ﴿إِنْ كُلْ نَفْسَ لمَا عليها حافظ﴾ يحفظ عليها أعمالها الصالحة والسيئة، وستجازى بعملها المحفوظ عليها، ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾ أي: فليتدبر خلقته ومبدأه، فإنه مخلوق ﴿من ماء دافق﴾ وهو الذي والشرائب يحتمل أنه من بين المصلب والسرائب يحتمل أنه من بين صلب الرجل وترائب المرأة، وهي ثدياها.

ويحتمل أن المراد المني آلدافق، وهو مني الرجل، وأن محله الذي يخرج منه ما بين صلبه وتراثبه، ولعل هذا أولى، فإنه إنما وصف الله به الماء الدافق، هو والذي يحس [به] ويشاهد دفقه، هو مني الرجل، وكذلك لفظ التراثب فإنها للرجل، بمنزلة الثديين للأنشى، فلو أريدت الأنثى، فلو والثدين، ونحو ذلك، والله أعلم.

فالذي أوجد الإنسان من ماء دافق، غرج من هذا الموضع الصعب، قادر على رجعه في الآخرة، وإعادته للبعث معناه، أن الله على رجع الماء المدفوق في الصلب لقادر، وهذا وان كان المعنى صحيحاً فليس هو المراد من المية، ولهذا قال بعده: ﴿ويوم تبلى السرائر﴾ أي: تختبر سرائر الصدور، السرائر أي: تختبر سرائر الصدور، على صفحات الوجوه قال تعلى: ﴿ويوم تبين وشر تبين وجوه وتسود وجوه ففي على صفحات الوجوه قال تعلى: ﴿ويوم تنظهر عاكان في القلوب من الأمور، ولا تظهر عياناً للناس، وأما في القيامة، تنظهر عياناً للناس، وأما في القيامة، فيظهر براً الأبرار، وفجور الفجار، في

في ب: وينفذها.

(1)

<sup>(</sup>٣) في ب: من خارج.

من خارج. (٥) في ب: أصناف.

<sup>(</sup>٤) في ب: بمعناها العظيم الجليل.

يل. (٦) في ب: وجميع الحيوانات.

<sup>(</sup>٢) في ب: أي من نفسه يدفع بها

الخالفان و المناف المن

TOWNSON WORKS

استكمل ما قدر له من الشباب، ألوى نباته، وصَوَّح عشبه، ﴿فجعله غثاء أحوى﴾ أي: أسود أي: جعله هشيماً رميماً، ويذكر فيها نعمه الدينية، ولهذا امتنَّ الله بأصلها ومنشأها(١)، وهو القرآن، فقال: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ أى: سنحفظ ما أوحينا إليك من الكتاب، ونوعيه قلبك، فلا تنسى منه شيئاً، وهذه بشارة كبيرة من الله لعبده ورسوله محمد على أن الله سيعلمه علماً لا ينساه، ﴿إلا ما شاء الله ) ما اقتضت حكمته أن ينسيكه لمصلحة بالغة، ﴿إنه يعلم الجهر وما يخفي﴾ ومن ذلك أنه يعلم ما يصلح عباده أي: فلذلك يُشرع ما أراد، ويحكم بما يريد(٢)، ﴿ونيسرك لليسرى ﴾ وهذه أيضاً بشارة كبيرة (٣)، أن الله ييسر رسوله ﷺ لليسري في جميع أموره، ويجعل شرعه ودينه يسرأ (١٤).

﴿ فَلَكُمْ ﴾ بشرع الله وآياته ﴿ إِنْ نَفْعَتُ الذَّكُرِي ﴾ أي: ما دامت الذكري مقبولة ، والموعظة مسموعة ، سواء

حصل من الذكرى جميع المقصود أو بعضه.

ومفهوم الآية أنه إن لم تنفع الذكرى، بأن كان التذكير يزيد في الشر، أو ينقص من الخير، لم تكن الذكرى مأموراً بها، بل منهياً عنها، فالذكرى ينقسم الناس فيها قسمين: منتفعون وغير منتفعين.

فأماً المنتفعون، فقد ذكرهم بقوله: ﴿سيدٌكر من يخشى﴾ الله تعالى، فإن خشية الله تعالى، وعلمه بأن سيجازيه على أعماله (٥)، توجب للعبد الانكفاف عن المعاصي (٦) والسعي في الخيرات.

وأما غير المنتفعين، فذكرهم بقوله: ﴿ويتجنبها الأشقى \* الذي يصلى النار الكبرى ﴾ وهي النار الموقدة، التي تطلع على الأفشدة، ﴿ثم لا يموت فيها ولا يحيى ﴾ أي: يعذب عذاباً أليماً، من غير راحة ولا استراحة، حتى إنهم يتمنون الموت فلا يحصل لهم، كما قال تعالى: ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ﴾.

ودبح من طهر نفسه ونقاها من الشرك وربح من طهر نفسه ونقاها من الشرك والظلم ومساوى الأخلاق، ﴿ودكر الله السم ربه فسملى أي: اتسصف بذكر الله وانصبغ به قلبه ، فأوجب له العمل بما يرضي الله ، خصوصا الصلاة ، التي هي ميزان الإيمان ، فهذا معنى الآية الكريمة ، وأما من فسر قوله : ﴿تركى بمعنى أخرج زكاة قلم الفطر ، وذكر اسم ربه فصلى ، أنه صلاة العيد ، فإنه وإن كان داخلاً في اللفظ وبعض جزئياته ، فليس هو المعنى المداد .

ر عدد. ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا ﴾ أي: تقدمونها على الآخرة، وتختارون نعيمها

النغص المكدر الزائل على الآخرة، ووالآخرة خير وأبقى و اللآخرة خير وأبقى و اللآخرة وأبقى و اللّه وابقى و الله وابقى لكونها دار خلد وبقاء وصفاء، والمدنيا دار فناء، فالمؤمن العاقل لا يختار الأردأ على الأجود، ولا يبيع لذة ساعة، بترحة الأبد، فحب الدنيا وإيثارها على الآخرة رأس كل خطيئة، وإيثارها على الآخرة رأس كل خطيئة، المباركة، من الأوامر الحسنة، والأخبار صحف إبراهيم وموسى واللذين هما أشرف المسلين، سوى (النبي عمد صلى الله عليه وسلم.

فهذه أوامر في كل شريعة، لكونها عائدة إلى مصالح الدارين، وهي مصالح في كل زمان ومكان.

تم تفسير سورة سبح، ولله الحمد

# تفسير سورة الغاشية وهي مكية

﴿١٦ ـ ١٦﴾ ﴿ بِسبم الله السرحمين الرحيم هل أتاك حديث الغاشية \* وجوه يومئذ خاشعة \* عاملة ناصبة \* تصلى ناراً حامية \* تسقى من عين آنية \* ليس لهم طعام إلا من ضريع \* لا يسمن ولا يغني من جوع \* وجوه يومئذ ناعمة \* لسعيها راضية \* في جنة عالية \* لا تسمع فيها لاغية \* فيهاعين جارية \* فيها سرر مرفوعة \* وأكنواب منوضوعة \* ونمارق مصفوفة \* وزرابي مبثوثة > يذكر تعالى أحوال يوم القيامة وما فيها من الأهوال الطامّة، وأنها تغشى الخلائق بشدائدها، فيجازون بأعمالهم، ويتميزون [إلى] فريقين: فريقاً في الجنة، وفريقاً في السعير.

<sup>(</sup>۱) فی ب: ومادتها.

<sup>(</sup>٢) كذا في ب، وفي أ: يحكم بما أراد، ويحكم بما يريد.

<sup>(</sup>٣) في ب: أخرى.

<sup>(</sup>٤) كذا في ب، وفي أ: يسيراً.

<sup>(</sup>٥) في ب: والعلم بمجازاته على الأعمال.

<sup>(</sup>٦) في ب: الانكفاف عمّا يكرهه الله.

<sup>(</sup>٧) في.ب: بعد.

فأخبر عن وصف كلا الفريقين، فقال في [وصف] أهل النار: ﴿وجوه يومئذ﴾ أي: يوم القيامة ﴿خاشعة﴾ من الذل والفضيحة والخزي.

﴿عاملة ناصبة ﴾ أي: تاعبة في العذاب، تُجرُّ على وجوهها، وتغشى وجوههم النار.

ويحتمل أن المراد [بقوله:] ﴿ وجوه يومئذ خاشعة \* عاملة ناصبة ﴾ في الدنيا أهل عبادات وعمل، ولكنه لما عدم شرطه وهو الإيمان، صاريوم القيامة هباء منثوراً، وهذا الاحتمال وإن كان صحيحاً من الكلام، بل الصواب المقطوع به هو الاحتمال الأول، لأنه قيده بالظرف، وهو يوم القيامة، ولأن المقصود هنا الاحتمال جيان وصف أهل النار عموماً، وذلك بيان وصف أهل النار عموماً، وذلك بيان حال الناس عند غشيان الخاشية، بيان حال الناس عند غشيان الغاشية، بيان حال الناس عند غشيان الغاشية، فليس فيه تعرض لأحوالهم في الدنيا.

وقوله: ﴿تصلى ناراً حامية﴾ أي: شديداً حرها، تحيط بهم من كل مكان، ﴿تسقى من عين آنية﴾ أي: حارةٌ شديدة الحرارة ﴿وإن يستغيثوا يخاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه﴾ فهذا شرابهم.

وأما طعامهم، فد فليس لهم طعام إلا من ضريع \* لا يسمن ولا يغني من جوع > وذلك أن القصود من الطعام أحد أمرين: إما أن يسد جوع صاحبه ويزيل عنه أله، وإما أن يسمن بدنه من الهزال، وهذا الطعام ليس فيه شيء من هذين الأمرين، بل هو طعام في غاية المرارة والنتن والخسة، نسأل الله العافية.

وأما أهل الخير، فوجوههم يوم

القيامة ﴿ناعمة﴾ أي: قد جرت عليهم نضرة النعيم، فنضرت أبدانهم، واستنارت وجوههم، وسروا غاية السرور، ﴿لسعيها﴾ الذي قدمته في الدنيا من الأعمال الصالحة، والإحسان ثوابه مدخراً مضاعفاً، فحمدت عقباه، وذلك أنها ﴿في جنة﴾ جامعة لأنواع النعيم كلها، ﴿عالية﴾ في علها ومنازلها، فمحلها على علين، ومنازلها مساكن غرف مبنية يشرفون منها على ما أعد الله لهم من الكرامة.

اللذيذة، المثمرة بالثمار الحسنة، السهلة التناول، بحيث ينالونها على أي: حال كانوا، لا يحتاجون أن يصعدوا شجرة، أو يستعصي عليهم منها ثمرة. ﴿لا تسمع فيها ﴾ أي: الجنة فضلاً عن الكلام المحرم، بل كلامهم كلام حسن [نافع] مشتمل على ذكر الله تعالى، وذكر نعمه المتواترة عليهم، و [على] الآداب المستحسنة (٢) بين التعاشرين، الذي يسر القلوب، ويشرح الصدور.

﴿قطوفها دانية ﴾ أي: كثيرة الفواكه

ويسرح مستورو. ﴿ فيها عين جارية ﴾ وهذا اسم جنس أي: فيها العيون الجارية التي يفجرونها ويصرفونها كيف شاؤوا، وأثى أرادوا.

﴿فيها سور مرفوعة ﴾ و «السرر» جمع «سرير»، وهي المجالس المرتفعة في ذاتها، وبما عليها من الفرش اللينة الوطيئة.

﴿وأكوابِ موضوعة﴾ أي: أوانِ ممتلئة من أنواع الأشربة اللذيذة، قد وضعت بين أيديهم، وأعدت لهم، وصارت تحت طلبهم واختيارهم،

يطوف بها عليهم الولدان المخلدون. ﴿ونمارق مصفوفة ﴾ أي: وسائد من الحرير والإستبرق وغيرهما مما لا يعلمه إلا الله، قد صفت للجلوس والاتكاء عليها، وقد أريحوا عن أن يضعوها، ويَصُفُّوها بأنفسهم.

﴿١٦﴾ ﴿وزرابُي مبثوثة ﴾ والزرابي [هي:] البسط الحسان، مبثوثة أي: مملوءة بها مجالسهم من كل جانب.

﴿١٧ ــ ٢٦﴾ ﴿أَفُّلا يَسْظُرُونَ إِلَى الإبل كيف خلقت \* وإلى السماء كيف رفعت \* وإلى الجبال كيف نسسبت \* وإلى الأرض كسيف سطحت \* فذكر إنما أنت مذكر \* لست عليهم بمصيطر \* إلا من تولي وكفر \* فيعذبه الله العذاب الأكبر \* إن إلينا إيابهم \* ثم إنّ علينا حسابهم > يقول تعالى حثّاً للذين لا يصدقون الرسول ﷺ، ولغيرهم من الناس، أن يتفكروا في مخلوقات الله الدالة على توحيده: ﴿أَفَلَا يُنظِّرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفُ خلقت﴾ أي: [ألا] ينظرون إلى خلقها البديع، وكيف سخرها الله للعباد، وذللها لمنافعهم الكثيرة التي يضطرون إليها .

﴿وإلى الجبال كيف نصبت ﴾ بهيئة باهرة، حصل بها استقرار الأرض<sup>(٣)</sup> وثباتها عن الاضطراب، وأودع الله فيها من المنافع [الجليلة] ما أودع.

﴿ وَإِلَى الْأَرْضَ كَيفُ سَطَحَتَ ﴾ أي: مدت مدأ واسعاً، وسهلت غاية التسهيل، ليستقر الجلائق (٤) على ظهرها، ويتمكنوا من حرثها وغراسها، والبنيان فيها، وسلوك الطرق الموصلة (٥) إلى أنواع المقاصد فعا.

واعلم أن تسطيحها لا ينافي أنها كرة مستديرة، قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها، كما دل على ذلك

<sup>(</sup>١) في ب: جزء قليل بالنسبة إلى أهل النار.

<sup>(</sup>٢) في ب: الحسنة.

<sup>(</sup>٣) في ب: الاستقرار للأرض.

<sup>(</sup>٤) في ب: العباد.

<sup>(</sup>٥) في ب: طرقها.

النقل والعقل والحس والمشاهدة، كما هو مذكور مغروف عند أكثر (1) الناس، خصوصاً في هذه الأزمنة، التي وقف الناس على أكثر أرجائها بما أعطاهم الله من الأسباب المقربة للبعيد، فإن التسطيح إنما ينافي كروية الجسم الصغير جداً، الذي لو سطح لم يق له استدارة تذكر.

وأما جسم الأرض الذي هو في غاية الكبر والسعة (٢)، فيكون كروياً مسطحاً، ولا يتنافي الأمران، كما يعرف ذلك أرباب الخبرة.

﴿فَلْكُر إِنَّمَا أَنْتَ مَلْكُر ﴾ أي: ذكر الناس وعِظهم، وأنذرهم وبشرهم، فإنك مبعوث لدعوة الخلق إلى الله وتذكيرهم، ولم تبعث مسيطراً عليهم، مسلطاً موكلاً بأعمالهم، فإذا قمت بما عليك، فلا عليك بعد ذلك لوم، كقوله تعالى: ﴿وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾.

وقوله: ﴿إِلا مِن تُولَى وَكَفُر﴾ أي: لكن من تولى وكفر بالله لكن من تولى عن الطاعة وكفر بالله ﴿فيعذبه الله العذاب الأكبر﴾ أي: الشديد الدائم، ﴿إِنْ إِلَينا إِيابِهم﴾ أي: رجوع الخليقة (٣) وجمعهم في يوم القيامة.

﴿ثم إن علينا حسابهم ﴾ فنحاسبهم على ما عملوا من خير وشر.

آخر تفسير سورة الغاشية ، والحمد لله رب العالمين

# تفسير سورة الفجر وهي مكية

﴿١ - ٥﴾ ﴿بسم الله السرحمين الله وليال عشر \* السرحيم والفجر \* وليال عشر \* والشفع والوتر \* والليل إذا يسر \* مل في ذلك قسم لذي حجر﴾ الظاهر أن المقسم به هو المقسم عليه، وذلك جائز مستعمل، إذا كان أمراً ظاهراً مُهِماً، وهو كذلك في هذا الموضع.

ً فأقسم تعالى بالفجّر، الذي هو آخر الليل ومقدمة النهار، لما في إدبار الليل

وإقبال النهار، من الآيات الدالة على كمال قدرة الله تعالى، وأنه وحده المدبر<sup>(1)</sup> جميع الأمور، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ويقع في الفجر صلاة فاضلة معظمة، يحسن أن يقسم الله ولهذا أقسم بعده بالليالي العشر، بما، ولهذا أو [عشر] ذي الحجة، فإنها رمضان، أو [عشر] ذي الحجة، فإنها ليال مشتملة على أيام فاضلة، ويقع فيها من العبادات والقربات ما لا يقع في غيرها.

روفي ليالي عشر رمضان ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، وفي نهارها، صيام آخر رمضان الذي هو ركن من أركان الإسلام.

وفي أيام عشر ذي ألحجة ، الوقوف بعرفة ، الذي يغفر الله فيه لعباده مغفرة يحزن لها الشيطان ، فما رُئِيَ الشيطان أحقر ولا أدحر منه في يوم عرفة ، لما يرى من تَنَزُّلِ الأملاك والرحمة من الله لعباده ، ويقع فيها كثير من أفعال الحج والعمرة ، وهذه أشياء معظمة ، مستحقة لأن يقسم الله بها .

﴿والسليل إذا يسسر﴾ أي: وقست سريانه وإرخائه ظلامه على العباد، فيسكنون ويستريحون ويطمئنون، رحمة منه تعالى وحكمة.

﴿ هل في ذلك ﴾ الذكور ﴿ قسم لذي حجر ﴾ أي: [لذي] عقل؟ نعم، بعض ذلك يكفي، لن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

اللى السمع وهو سهيد.

(٣ - ١٤) ﴿ أَمْ تَرَ كِيفَ فَعَلَ رَبِكُ

بعاد \* إرم ذات العماد \* التي لم يخلق
مثلها في البلاد \* وثمود الذين جابوا
الصخر بالواد \* وفرعون ذي
الأوتاد \* الذين طغوا في البلاد \*
فأكثروا فيها الفساد \* فصب عليهم
ربك سوط عــذاب \* إن ربك
ربك سـوط عــذاب \* إن ربك
لبالمرصاد ﴾ يقول تعالى: ﴿ أَمْ تَرَ اللهُ مِنْ اللهُ المُعروفة
الطاغية، وهي ﴿ إرم ﴾ القبيلة المعروفة
في اليمن ﴿ ذات العماد ﴾ أي: القوة

الشديدة، والعتو والتجبر، ﴿التي لم غلق مثلها ﴾ أي: مثل عاد ﴿في البلاه ) أي: في جميع البلدان [في القوة والشدة]، كما قال لهم نبيهم هود عليه السلام: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ﴾.

﴿وثمود الذين جابوا الصخر بالواد﴾ أي: وادي القرى، نحتوا بقوتهم الصخور، فاتخذوها مساكن، ﴿وفرعون ذي الأوتاد ﴾ أي: [ذي] الجنود الذين ثبتوا ملكه، كما تثبت الأوتاد ما يراد إمساكه بها، ﴿الذين طغوا في البلاد ، هذا الوصف عائد إلى عاد وثمود وفرعون ومن تبعهم، فإنهم طغوا في بلاد الله، وآذوا عباد الله، في دينهم ودنياهم، ولهذا قال: ﴿فَأَكِثُرُوا فَيِهَا الفُسادِ ﴾ وهو العمل بالكفر وشُعبه، من جميع أجناس المعاصى، وسعوا في محاربة الرسل وصد النَّاس عن سبيلٌ الله، فلما بلغوا من العتو ما هو موجب لهلاكهم، أرسل الله عليهم من عذابه ذنوباً وسوط عذاب، ﴿إن ربك لبالمرصاد) لن عصاه (٥) يمهله قليلاً، ثم يأخذه أخذ عِزيز مقتدر.

(١٥ - ٢٠) ﴿ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن \* وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن \* كلا بل لا تكرمون اليتيم \* ولا تحاضون على طعام المسكين \* وتأكلون التراث أكلاً لا وتحبون المال حباً جماً ﴾ يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان من حيث هو ، وأنه يظن الحالة التي تقع فيه تستمر ولا تزول، ويظن أن إكرام الله في يندن وقربه منه ، وأنه إذا ﴿قدر عليه رزقه ﴾ أي: ضيَّقه ، فصار بقدر قوته رزقه ﴾ أي: ضيَّقه ، فصار بقدر قوته لا يفضل منه ، أن هذا إهانة من الله لا يفضل منه ، أن هذا إهانة من الله

<sup>(</sup>۱) في ب: كثير.(۳) في ب: الخلائق.

<sup>(</sup>٢) في ب: الذي هو كبير جداً واسع. (٤) في

<sup>(</sup>٥) في ب: لمن يعصيه.

<sup>(</sup>٤) في ب: وأنه تعالى هو المدبر.

له، فرد الله عليه هذا الحسيان: بقوله ﴿كلا أي: ليس كل من نَعَمْتُه في الدنيا فهو كريم على، ولا كل من قدرت عليه رزقه فهو مهان لدي، وإنما الغني والفقر، والسعة والضيق، ابتلاء من الله، وامتحان يمتحن به العباد، ليرى من يقوم له بالشكر والصبر، فيثيبه على ذلك الثواب الجزيل، ممن ليس كذلك فينقله إلى العذاب الوبيل.

وأيضاً، فإن وقوف همة العبد عند مراد نفسه فقط، من ضعف الهمة، ولهذا لامهم الله على عدم اهتمامهم بأحوال الخلق المحتاجين، فقال: ﴿ كلا بل لا تكرمون اليتيم ﴿ الذي فقد أباه وكاسبه، واحتاج إلى جبر خاطره والإحسان إليه.

فأنتم لا تكرمونه بل تهينونه، وهذا يدل على عدم الرحمة في قلوبكم، وعدم الرغبة في الخير .

﴿ وَلا تَحَاضُونَ عَلَى طَعَامُ السَّكِينَ ﴾ أي: لا يحض بعضكم بعضاً على إطعام المحاويج من المساكين والفقراء، وذلك لأجل الشح على الدنيا وعبتها الشديدة المتمكنة من القلوب، ولهذا قال: ﴿وتَأْكُلُونَ السِّرَاثُ﴾ أي: المال المخلف ﴿ أَكِلا لَمَّا ﴾ أي: ذريعاً، لا تېقون على شيء منه.

﴿وَتَحْبُونُ الْمَالُ حَبًّا جَمًّا﴾ أي: كثيراً شديداً، وهذا كتقوله تعالى: ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ﴿ كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة).

﴿٢١ ـ ٣٠) ﴿كسلا إذا دكست الأرض دكاً دكاً \* وجاء ربك والملك صفاً صفاً \* وجيء يومئذ بجهنم يومشذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكري \* يقول يا ليتني قدمت لحيات \* فيومنذ لا يعذب عذابه أحد \* ولا يبوثيق وثباقيه أحد \* يا أيتها النفس المطمئنة \* ارجعي إلى ربك راضية مرضية \* فادخلي في

عبادي \* وادخلي جنتي ﴿ كلاَّ أَي : ليس [كل] ما أحببتم من الأموال، وتنافستم فيه من اللذات، بباق لكم، بل أمامكم يوم عظيم، وهول جسيم، تدك فيه الأرض والجبال وما عليها حتى تجعل قاعاً صفصفاً لا عوج فيه ولا أمت.

ويجيء الله تعالى لفصل القضاء بين عباده في ظلل من الغمام، وتجيء الملائكة الكرام، أهل السماوات كلهم، صفاً صفا أي: صفاً بعد صف، كل سماء يجىء ملائكتها صفا، يحيطون بمن دونهم من الخلق، وهذه الصفوف صفوف خضوع وذل للملك الجبار، ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ تقودها الملائكة بالسلاسل.

فإذا وقعت هذه الأمور في ﴿يومئذ يتذكر الإنسان > ما قدمه من خير

﴿وَانَّى لَهُ الدُّكري﴾ فقد فات أوانها، وذهب زمانها، يقول متحسراً على ما فرط في جنب الله: ﴿ يَا لَيْتُنِّي قدمت لحيات، الدائمة الباقية، عملاً صالحاً، كما قال تعالى: ﴿يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتي ليتني لم أتَّخذ فلاناً خليلا).

وفي الآية دليل على أن الحياة التي ينبغي السعى في أصلها وكمالها(١١)، وفي تتميم لذاتها، هي الحياة في دار القرار، فأنها دار الخلد والبقاء، ﴿فيومئذ لا يعذب عذابه أحد﴾ لن أهمل ذلك اليوم ونسمي العمل له، ﴿ولا يوثق وثاقه أحد﴾ فإنهم يقرنون بسلاسل من نار، ويسحبون على وجوههم في الحميم، ثمُّ في النار يسجرون، فهذا جزاء المجرمين، وأما رسله، فيقال له: ﴿ يِا أَيْتُهَا النَّفُسِ

٩ حافقال فألغ ألتضع اً وَٱلشَّمَي وَضَعَهَا ۞ وَٱلْقَعَرِإِذَا لَلَهُ ۞ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَلُهَا ۞ وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَدُهَا۞ وَٱلسَّكَآءِ وَمَا بَنَعَهَا۞ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَعَنَهَا ۞ وَنَفْسِ وَمَاسَوَّنِهَا ۞ فَأَلْمُهُمَا لِغُورُهَا وَتَفُونَهَا ٥ قَدْأَفْلَتَمَنَ زَكَلَهُا ۞ وَقَدْخَابُ مَن دَسَلَهَا۞ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغُونِهَآ۞ إِذِ ٱنْبُعَثَ أَشْفَىٰهَا۞ فَقَالَ لَمُّتُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ أَلَتُهِ وَسُقِّنَهَا ۞ فَكُذَّبُوهُ فَعَكَرُوهَ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَمَوَّنَهَا ۞ وَلَا يَعَافُ عُقَبَهَا ۞ مِأَفَهَا لِأَفَرُالِكَهُمُ الْ وَأَلْثِلْ لِمَا يَتَنْتَى ۞ وَالنَّارِ لِمَا يَعَلِّنْ ۞ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكُرُ وَٱلْأَحْقَ ۞ و إِذَ سَعْيَكُولَنَكَ فَإِن فَأَمَّا مِنْ أَعْطَى وَأَتَقَافٍ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْفَافِ الله فَسَنُيَتِرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنْ يَعِلَ وَاسْتَغْفَىٰ ۞ وَكَذَبَ بِٱلْحُسْنَىٰ الله و مَسَنُيْتِهُ وُلِلْمُسْرَىٰ ۞ وَمَايُمُوعَنَّهُ مَالُهُ وَإِذَا مَّرْدَيْنَ ۞ إِنَّ عَلَيْنَا اللهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ وَاذْ لَنَا ٱلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَ فِي فَانَدُرْتُكُرُ وَارَا لِلْقَلِ الله AND THE CONTRACTOR OF THE CONT

أوليائه وأحبابه ﴿راضية مرضية﴾ أي: راضية عن الله، وعن ما أكرمها به من الثواب، والله قد رضي عنها.

﴿ فَادِحُلِّي فَي عَبَادِي \* وَادْخُلِّي جنتي﴾ وهَّذا تُخاطب به الروح يوم القيامة، وتخاطب به في حال الموت [والحمد لله رب العالمين].

# تفسير سورة لا أقسم بهذا البلد(٢) مكية

﴿ ١٠ - ٢٠﴾ ﴿ بسسم الله السرحسن الرحيم لا أقسم بهذا البلد \* وأنت حل بهذا البلد \* ووالد وما ولد \* لقد خلقنا الإنسان في كبد \* أيحسب أن لن يقدر عليه أحد " يقول أهلكت مالاً لبدا \* أيحسب أن لم يره أحد \* ألم نجعل له عينين \* ولساناً وشفتين \* وهديناه النجدين \* فلا اقتحم العقبة \* وما أدراك ما العقبة \* فكُ رقبة \* أو إطعامٌ في يوم ذي مسغبة \* من اطمأن إلى الله وآمن بـ وصدق يتيما ذا مقربة \* أو مسكيناً ذا متربة \* ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر المطمئنة ﴾ إلى ذكر الله، الساكنة [إلى] وتواصوا بالمرحمة \* أولئك أصحاب حبه، التي قرت عينها بالله . ﴿ ارجعي الميمنة \* والذين كفروا بآياتنا هم إلى ربك﴾ الذي رباك بنعمته، وأسدى أصحاب المشـأمــة \* عــليهــم نــارُّ عليك من إحسانه ما صرت به من مؤصدة ﴾ يقسم تعالى ﴿ بهذا البلد ﴾

(٣) في ب: سورة البلد.

في ب: السعي في كمالها (٢) في ب: وقت السياق والموت.

الإنسانية الأالخنق ( الذي كذب وقال ( وتبجئب المنافق الذي وتبجئب المنافق الذي كذب وقال ( وتبجئب المنافق الذي والمنافق المنافق المنافق

الأمين، الذي هو مكة المكرمة، أفضل البلدان على الإطلاق، خصوصاً وقت حلول الرسول شخ فيها، ﴿ووالد وما ولد﴾ أي: آدم وذريته.

المسريشرك فإذا فرغت فأنسب والدرية فأرغب

والمقسم عليه قوله: ﴿لقد خلقنا الانسان في كبد﴾ يحتمل أن المراد بذلك ما يكابده ويقاسيه من الشدائد في الدنيا، وفي البرزخ، ويوم يقوم الأشهاد، وأنه ينبغي له أن يسعى في عمل يريحه من هذه الشدائد، ويوجب له الفرح والسرور الدائم.

وإن لم يفعل، فإنه لا يزال يكابد العذاب الشديد أبد الآباد.

ويحتمل أن المعنى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، وأقوم خلقة، مقدر (۱) على التصرف والأعمال الشديدة، ومع ذلك، [فإنه] لم يمشكر الله على هذه النعمة [العظيمة]، بل بطر بالعافية وتجبّر على خالقه، فحسب بجهله وظلمه أن هذه الخال ستدوم له، وأن سلطان تصرفه لا ينعزل، ولهذا قال تعالى: ﴿أيحسب لا ينعزل، ولهذا قال تعالى: ﴿أيحسب

أن لن يقدر عليه أحد ويطغى ويفتخر بما أنفق من الأموال على شهوات نفسه، و ﴿يقول أهلكت مالاً لُبدا﴾ أى: كثيراً، بعضه فوق بعض.

وسمى الله تعالى الإنفاق في الشهوات والمعاصي إهلاكاً، لأنه لا ينتفع المنفق بما أنفق، ولا يعود عليه من إنفاقه إلا الندم والخسار والتعب والقلة، لا كمن أنفق في مرضاة الله في سبيل الخير، فإن هذا قد تاجر مع الله، وربح أضعاف أضعاف ما أنفق.

قال الله متوعداً هذا الذي يفتخر بما أنفق في الشهوات: ﴿أَيْسِبُ أَنْ لَمْ يَرِهُ السَّهُواتِ: ﴿أَيْسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَيْسِبُ أَنْ لَمْ يَرَاهُ وَيَحْلَمُ هَذَاءُ أَنْ الله لا يراه ويحاسبه على الصغير والكبير؟

بل قدراه الله، وحفظ عليه أعماله، ووكل به الكرام الكاتبين، لكل ما عمله من خير وشر.

ثم قرره بنعمه، فقال: ﴿ أَلَمْ نَجَعَلَ لَهُ عَيْنِنَ \* وَلَسَانًا وَسَفَتِينَ ﴾ للجمال والبصر والنطق، وغير ذلك من المنافع الضرورية فيها، فهذه نعم الدنيا، ثم قال في نعم الدين: ﴿ وهدينا والشر، النجدين ﴾ أي: طريقي الخير والشر، بينا له الهدى من الضلال، والرشد من الغد.

فهذه المنن الجزيلة، تقتضي من العبد أن يقوم بحقوق الله، ويشكر الله على نعمه، وأن لا يستعين بها على معاصيه (٣)، ولكن هذا الإنسان لم يفعل ذاك.

(۱۱ ﴾ ﴿فلا اقتحم العقبة ﴾ أي: لم يقتحمها ويعبر عليها، لأنه متبع لشهواته (٤).

. وهذه العقبة شديدة عليه، ثم فسر [هذه] العقبة بقوله: ﴿فَكُ رَقِبُّ﴾ أي:

فكها من الرق، بعتقها أو مساعدتها على أداء كتابتها، ومن باب أولى فكاك الأسير المسلم عند الكفار.

﴿أُو إطعام في يوم ذي مسغبة ﴾ أي: مجاعة شديدة، بأن يطعم وقت الحاجة أشد الناس حاجة، ﴿يتيما ذا مقربة ﴾ أي: جامعاً بين كونه يتيماً فقيراً ذا قرابة، ﴿أُو مسكيناً ذا مقربة ﴾ أي: قد لزق بالتراب من الحاجة والضرورة، ﴿ثم كان من اللين آمنوا ﴾ أي: آمنوا بقلوبهم بما يجب الإيمان به، وعملوا الصالحات بجوارحهم من كل قول (٢) وفعل بجوارحهم من كل قول (٢) وفعل بالصبر ﴾ على طاعة الله وعن معصيته، وعلى أقدار الله المؤلمة بأن يحث بعضهم بعضاً على الانقياد لذلك، والإتيان به كاملاً منشرحاً به الصدر، مطمئنة به

﴿وتواصوا بالمرحمة ﴾ للخلق، من إعطاء عتاجهم، وتعليم جاهلهم، والقيام بما يحتاجون إليه من جميع الحينية والدنيوية، وأن يحب لهم ما يكره لهم ما يكره لهم ما يكره لنفسه، أولئك الذين قاموا بهذه هذه العقبة ﴿أولئك أصحاب الميمنة ﴾ لأنهم أدوا ما أمر الله به من حقوقه وحقوق عباده، وتركوا ما نهوا عنه، وهذا عنوان السعادة وعلامتها.

﴿والذّين كفروا بآياتنا ﴾ بأن نبذوا هنده الأمور وراء ظهورهم، فلم يصدقوا بالله، [ولا آمنوا به]، ولا عملوا صالحاً، ولا رحوا عباد الله، ﴿والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشامة \*عليهم نبار مؤصدة ﴾ أي: مغلقة، في عمد عمدة،

<sup>(</sup>۱) في ب: يقدر.

<sup>(</sup>٢) في ب: أيظن.

<sup>(</sup>٣) في ب: على معاصى الله.

 <sup>(</sup>٤) في ب: لهواه.

<sup>(</sup>٥) سبق قلم الشيخ فزاد في الآية ﴿وعملوا الصالحات﴾ فحذفت الزيادة في الآية وأبقيت التفسير.

<sup>(</sup>٦) في ب: فدخل في هذا كل قول.

قدمدت من ورائها، لئلا تنفتح أبوابها، حتى يكونوا في ضيق وهم وجوه (٢) الانتفاع. وشدّة [والحمد الله].

### تفسير سورة والشمس وضحاها وهي مكية

﴿١ - ١٥﴾ ﴿بسم الله السرحسن الرحيم والشمس وضحاها \* والقمر إذا تلاها \* والنهار إذا جلاها \* والليل إذا يغشاها \* والسماء وما بناها \* والأرض وما طحاها \* ونفس وماسواها \* فألهمها فجورها وتقواها \* قد أفلح من زكاها \* وقد خاب من دساها \* كذبت ثمود بطغواها \* إذ انبعث أشقاها \* فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها \* فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها \* ولا يخاف عقباها ﴿ أقسم تعالى بهذه الآيات العظيمة، على النفس المفلحة، وغيرها من النفوس الفاجرة، فقال:

﴿والشمس وضحاها ﴾ أي: نورها، ونفعها الصادر منها، ﴿والقمر إذا تلاها ﴾ أي: تبعها في المنازل والنور، ﴿والنهار إذا جلاها﴾ أي: جلى ما على وجه الأرض وأوضحه، ﴿والليل إذا يغشاها ﴾ أي: يغشى وجه الأرض، فيكون ما عليها مظلماً.

فتعاقب الظلمة والضياء، والشمس والقمر، على هذا العالم، بانتظام وإتقان، وقيام (١) لمصالح العباد، أكبر دليل على أن الله بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه المعبود وحده، الذي كل معبود سواه فباطل.

﴿والسماء وما بناها ﴾ يحتمل أن «ما» موصولة، فيكون الإقسام بالسماء وبانيها، الذي هو الله تبارك وتعالى، ويحتمل أنها مصدرية، فيكون الإقسام بالسماء وبنيانها، الذي هو غاية ما يقدر من الإحكام والإتقان والإحسان، ونحو ذلك قوله: ﴿والأرض وما طحاها الله أي: مدها ووسعها، فتمكن

الخلق حينئذ من الانتفاع بها، بجميع

﴿ونفس وما سواها﴾ يحتمل أن المراد نفس سائر المخلوقات الحيوانية، كما يؤيد هذا العموم، ويحتمل أن المراد بالإقسام بنفس الإنسان المكلف، بدليل ما يأتي بعده .

وعلى كُلُّ ، فالنفس آية كبيرة من آياته التي حقيقة بالإقسام بها<sup>(٣)</sup>، فإنها في غاية اللطف والخفة، سريعة التنقل [والحركة] والتغير والتأثر والانفعالات النفسية، من الهم، والإرادة، والقصد، والحب، والبغض، وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثال لا فائدة فيه، وتسويتها على هذا الوجه (٤) آية من آيات الله العظيمة .

وقوله: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ أي: طهر نفسه من الذُّنوب، ونقاها من العيوب، ورقَّاها بطاعة الله، وعلاَّها بالعلم النافع والعمل الصالح.

﴿وقد خاب من دساها ﴾ أي: أخفى نفسه الكريمة، التي ليست حقيقة بقمعها وإخفائها، بالتدنس بالرذائل، والدنو من العيوب والاقتراف للذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدسيها.

﴿ كَذَّبِت تُمود بطغواها ﴾ أي: بسبب طغيانها وترفعها عن الحق، وعتوها على رسل الله(٥)، ﴿إِذْ انْبِعِثْ أشقاها﴾ أي: أشقى القبيلة، [وهو] «قدار بن سالف» لعِقرها حين اتفقوا على ذلك، وأمروه فأثَّر لهم.

﴿ فقال لهم رسول الله ﴾ صالح عليه السلام محذراً: ﴿ناقة الله وسقياها ﴾ أي: احذروا عقر ناقة الله، التي جعلها لكم آية عظيمة، ولا تقابلوا نعمة الله عليكم بسقى لبنها أن تعقروها، فكذبوا نبيهم صالحاً ﴿ فعقروها ، فدمدم عليهم ربهم بذنبهم) أي: دمر عليهم وعمهم بعقابه، وأرسل عليهم الصيحة من

٥٥ يُولُوالِينَ السَّالِينَ السَّالِينَ السَّالِينَ السَّالِينَ السَّالِينَ السَّالِينَ السَّالِينَ السَّالِينَ وَالْتِينِ وَالْزَنْوُنِ ۞ وَمُورِسِينِينَ۞ وَهَذَا ٱلْبَلَوا لَأَسِينِ ۞ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِي أَحْسَن تَقْوِيرِ ثُرُّرُودَ ذَنَاهُ أَسْفَلَ سَكَفِلِينَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَيلُوا المَسْلِحَتِ فَلَهُ مُ أَبْرُعَ يُرْمَنُونِ ۞ فَمَا يَكُذَبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۞ أَلْيَسَ اللَّهُ بِأَحْكِمُ ٱلْحَكِمِينَ ۞ (A) CALAINEE (MARKET MARKET MA حِلْقَوَالِتَعْزَالِيَدِ آقراً إلسه رَيْكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِنْ عَلَقِ ۞ أَقراً وَرَبُّكَ ٱلْأَكُونِ ﴾ ٱلَّذِي عَلِّي ٱلْقَلِي ۞ عَلَّمُ ٱلإنسَنَ مَا لَرَيْقَاتُ ۞ كُلَّا إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَيَظْفَرَ ۞ أَن زُمَاهُ أَسْتَغْفَرَ ۞ إِنَّ إِلَّا رَبِّكَ ٱلرُّجْعَيَّ ۞ أَرَيْتَ ٱلْدىيَّعَان عَمَّا إِذَا سَلِّن الْوَيْتِ إِذَكَانَ عَلَى لَلْمَنَى اللهُ الْمَرَ ﴿ إِلَا تُعْزَقُ ۞ أَرَّيْتَ إِن كَذَّبَ وَقُولًا ۞ أَلْرَيْمَا إِلَىٰ آفَهُ يَرَىٰ ۞ كَلَّالُهِن الله الله المنافقة المالية والماسية كالله خلطة والمنافقة الديدة الله عَنْدُعُ الزَّانِيَّةَ ٥ كُلَّا لَا تُعْلِعْهُ وَأَسْجُدُ وَأَفْرَبِ ٥ OZDADIOW EGROED

فوقهم، والرجفة من تحتهم، فأصبحوا جاثمين على ركبهم، لا تجد منهم داعياً

﴿ فسواها ﴾ عليهم أي: سوى بينهم بالعقوبة (٢) ﴿ولا يُعان عقباها، أي: تُبعَتُها .

وكيف يخاف من هو قاهر، لا يخرج عن قهره وتصرفه مخلوق، الحكيم في كل ما قضاه وشرعه؟

تمت ولله الحمد

## تفسير سورة والليل وهي مكية

﴿١ - ٢١﴾ ﴿ بسبم الله السرحسن الرحيم والليل إذا يغشى \* والنهار إذا تجلى \* وما خلق الذكر والأنثى \* إن سعيكم لشتى \* فأما من أعطى واتقى \* وصدق بالحسنى \* فسنيسره لليسري \* وأما من بخل واستغنى \* وكذب بالحسنى \* فسنيسره للعسرى \* وما يغنى عنه ماله إذا تردى \* إن علينا للهدى \* وإن لنا للآخرة والأولى \* فيأنيذرتكم نياراً تلظى \* لا يصلاها إلا الأشقى \* الذي كذب وتولى \* وسيجنبها الأتقى \* الذي يؤتي ماله يتزكى \* وما لأحد عنده من نعمة تجزى \* إلا ابتغاء

- في ب: يحق الإقسام بها.
- في ب: على ما هي عليه. (1)
- (٣)
- كذا في ب، وفي أ: وانتظام. (٢) في ب: أوجه.

في ب: في العقوبة.

في ب: على رسولهم.

المناف ا

وجه ربه الأعلى \* ولسوف يرضي) هذا قسم من الله بالزمان الذي تقع فيه أفعال العباد على تفاوت أحوالهم، فقال: ﴿والليل إذا يغشي ﴾ [أي: يعم] الخلق بظلامه، فيسكن كل إلى مأواه ومسكنه، ويستريح العباد من الكد والتعب، ﴿والنهار إذا تجلى للخلق، فاستضاؤوا بنوره، وانتشروا في مصالحهم، ﴿وما خلق الذكر والأنشى﴾ إن كانت «ما» موصولة، كأن إقساماً بنفسه الكريمة الموصوفة، بأنه (١) خالق الذكور والإناث، وإن كانت مصدرية، كان قسماً بخلقه للذكر والأنثي، وكمال حكمته في ذلك أن خلق من كل صنف من الحيوانات التي يريد بقاءها ذكراً وأنثى، ليبقى النوع ولا يضمحل، وقادكلا منهما إلى الآخر بسلسلة الشهوة، وجعل كلاً منهما مناسباً للآخر، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وقوله: ﴿إِن سعيكم لشتى ﴾ هذا [هو] المقسم عليه أي: إن سعيكم أيها المكلفون لمتفاوت تفاوتاً كثيراً، وذلك

بحسب تفاوت نفس الأعمال ومقدارها والنشاط فيها، وبحسب الغاية المقصودة بتلك الأعمال، هل هو وجه الله الأعلى الباقي؟ فيبقى السعي له (٢) ببقائه، وينتفع به صاحبه، أم هي غاية مضمحلة فانية، فيبطل السعي ببطلانها، ويضمحل باضمحلالها؟

وهذا كل عمل يقصد به غير وجه الله تعالى، بهذا الوصف، ولهذا فصًل الله تعالى العاملين، ووصف أعمالهم، فقال: ﴿فأما من أعطى﴾ [أي] ما أمر به من العبادات المالية، كالزكوات، والكفارات والنفقات، والإنفاق في وجوه الخير، والعبادات البدنية كالصلاة، والصوم ونحوهما.

والركبة منهما، كالحج والعمرة، [ونحوهما] ﴿واتقى﴾ ما نهي عنه، من المحرمات والمعاصي، على اختلاف أجناسها.

﴿وصدّق بالحسنى ﴾ أي: صدّق بد «لا إله إلا الله وما دلت عليه، من جميع العقائد الدينية، وما ترتب عليها من الجزاء الأخروي.

﴿فسنيسره لليسرى ﴾ أي: نسهل عليه أمره، ونجعله ميسراً له (٢٠ كل خير، ميسراً له ترك كل شر، لأنه أتى بأسباب التيسير، فيسر الله له ذلك.

﴿وأما من بخل ﴾ بما أمر به، فترك الإنفاق الواجب والمستحب، ولم تسمح نفسه بأداء ما وجب شه، فترك عبوديته جانبا، ولم ير نفسه مفتقرة غاية الافتقار إلى ربها، الذي لا نجاة لها ولا فوز ولا فلاح، إلا بأن يكون هو محبوبها ومعبودها، الذي تقصده وتتوجه إليه، وحب الله على العباد التصديق به من أوجب الله على العباد التصديق به من

العقائد الحسنة، ﴿فسنيسره للعسرى﴾ أي: للحالة العسرة، والخصال الذميمة، بأن يكون ميسراً للشر أينما كان، ومقيضاً له أفعال المعاصي، نسأل الله العافية.

وما يغني عنه ماله الذي أطغاه واستغنى به، وبخل به إذا هلك ومات، فإنه لا يصحبه إلا عمله الصالح (١).

وأما ماله [الذي لم يخرج منه الواجب] فإنه يكون وبالأعليه، إذ لم يقدم منه لآخرته شيئاً.

﴿إِن علينا للهدى﴾ أي: إن الهدى المستقيم طريقه، يوصل إلى الله، ويدني من رضاه، وأما الضلال، فطرق مسدودة عن الله، لا توصل صاحبها إلا للعذاب الشديد.

وإن لنا للآخرة والأولى ملكاً وتصرفاً، ليس له فيهما مشارك، فليرغب الراغبون إليه في الطلب، ولينقطع رجاؤهم عن المخلوقين، وفانذرتكم ناراً تلظّى أي: تستعر وتتوقد، ولا يصلاها إلا الأشقى \* الذي كذب بالخبر (وتولى عن الأمر.

﴿وسيجنبها الأتقى \* الذي يؤتى ماله يتزكى بأن يكون قصده به تزكية نفسه، وتطهيرها من الذنوب والعيوب (٥)، قاصداً به وجه الله تعلل، فدل هذا على أنه إذا تضمن الإنفاق المستحب ترك واجب، كدين ونفقة ونحوهما، فإنه غير مشروع، بل تكون عطيته مردودة عند كثير من العلماء، لأنه لا يتزكى بفعل مستحب يفوت عليه الواجب.

﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى ﴾ أي: ليس لأحد من الخلق على هذا الأتقى نعمة تجزى إلا وقد كافأه بها،

<sup>(</sup>١) في ب: بكونه.

<sup>(</sup>٢) في ب: العمل له.

<sup>(</sup>٣) في ب: أي نيسر له أمره، ونجعله مسهلاً عليه.

<sup>(</sup>٤) في ب: فإنه لا يصحب الإنسان إلا عمله الصالح.

<sup>(</sup>٥) في ب: والأدناس.

CONTRACTOR OF THE PROPERTY OF

جَزَّا وَهُمْ عِندَرَتِهِ مُرَحَنَّتُ عَدْنِ تَجْدِي مِن تَعْنِهَا ٱلْأَنْهُ رُخَالِدِينَ

فِيهَا أَبُكَأْرُضِي اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْعَنْهُ ذَالِكَ لِمَنْ خَيْسَ رَبُّهُ

إِذَا زُلُولَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَا لَمَا ۞ وَأَخْرَ حَبِ ٱلْأَرْضُ أَنْسَ الْمَا ۞

وَقَالَ ٱلْإِنسَانُ مَا لَكَ اللَّهِ يَوْمَهِ ذِيْحُكِ ثُلَّا أَخْبَ ارْهَا ۞ بِأَنَّ

دَيَّكَ أَوْحَىٰ لَحَانَ يَوْمَهِ إِيَصْدُرُالْكَاسُ أَشْسَاتًا لِيُسْرُواْ

أَعْكَلَهُمْ ۞ فَنَ يَعْسَلُ مِنْقَالَ ذَرَّةٍ خَسَيْرًا يَسَرَّهُ ۞

المنظامة الم

البلدان، التي جبيت لك أموالها

فالذى أزال عنك هذه النقائص،

سيزيل عنك كل نقص، والذي

أوصلك إلى الغنى، وآواك ونصرك

[ولهذا قال:] ﴿ فَأَمَا الْيَسْيِمِ

فلا تقهر﴾ أي: لا تسيء معاملة

اليتيم، ولا ينضق صدرك عليه،

ولا تنهره، بل أكرمه، وأعطه ما

تيسر، وأصنع به كما تحب أن يصنع

﴿وأما السائل فلا تنهر ﴾ أي:

لا يصدر منك إلى السائل كلام (٧)

يقتضي رده عن مطلوبه، بنهر وشراسة

خلق، بل أعطه ما تيسر عندك أو رده

وهذا يدخل فيه السائل للمال،

والسائل للعلم، ولهذا كان المعلم مأموراً بحسن الخلق مع المتعلم،

ومباشرته بالإكرام والتحنن عليه، فإن

في ذلك معونة له على مقصده، وإكراماً

لمن كان يسعى في نفع العباد والبلاد.

بولدك من بعدك.

بمعروف [وإحسان].

وهداك، قابل نعمته بالشكران.

وخراجها.

وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَ الْ ذَرَّةِ شَكَرًا يَكُوهُ ﴿

\_أغَهَ الْتَغَرَّالِ يَحْدِ

\_ إِفَوَالِتَغَيَّرَالِيَكِيْمِ

وربما بقى له الفضل والمنة على الناس، فتمحض عبداً لله، لأنه رقيق إحسانه وحده، وأما من بقي(١) عليه نعمة للناس لم يجزها ويكافئها، فإنه لا بدأن يترك للناس، ويفعل لهم ما ينقص [إخلاصه].

وهذه الآية، وإن كانت متناولة لأبي بكر الصديق رضى الله عنه، بل قد قيل إنها نزلت في سببه، فإنه \_ رضى الله عنه ما لأحد عنده من نعمة تجزي، حتى ولا رسول الله ﷺ، إلا نعمة الرسول التي لا يمكن جزاؤها، وهي [نعمة] الدعوة إلى دين الإسلام، وتعليم الهدي ودين الحق، فإن لله ورسوله المنة على كل أحد، منةً لا يمكن لها جزاء ولا مقابلة، فإنها متناولة لكل من اتصف جذا الوصف الفاضل، فلم يبق لأحد عليه من الخلق نعمة تجزى، فبقيت أعماله خالصة لوجه الله تعالى.

ولهذا قال: ﴿إِلَّا ابتغاء وجه ربه الأعلى \* ولسوف يرضي كه هذا الأتقى بما يعطيه الله من أنواع الكرامات والمثوبات، والحمد لله ربّ العالمين.

# تفسير سورة والضحي وهي مكية

﴿١١-١١﴾ ﴿بسم الله السرحسن السرحيم والتضحي \* والتليل إذا سجى \* ما ودعك ربك وما قلى \* ولسلاّخبرة خبيبرٌ ليك مين الأولى \* ولسوف يعطيك ربك فترضى \* ألم يجدك يتيماً فآوى \* ووجدك ضالاً فهدى \* ووجدك عائلاً فأغنى \* فأما اليتيم فلا تقهر \* وأما السائل فلا تنهر \* وأما بنعمة ربك فحدّث﴾ أقسم تعالى بالنهار إذا انتشر ضياؤه بالضحي، وبالليل إذا سجى وادلهمَّت ظلمته، على اعتناء الله برسوله عليه، فقال: ﴿ما ودَّعك ربك ﴾أي: ما تركك منذ اعتنى بك، ولا أهملك منذ

رباك ورعاك، بل لم يزل يربيك أحسن تربية، ويعليك درجة بعد درجة.

﴿ وما قلا ﴾ ك الله أي: ما أبغضك منذ أحبك، فإن نفى الضد دليل على ثبوت ضده، والنفي المحض لا يكون مدحاً، إلا إذا تضمن ثبوت كمال، فهذه حال الرسول على الماضية والحاضرة، أكمل حال وأتمها، محبة الله له واستمرارها، وترقيته في درج<sup>(٢)</sup>

وأما حاله المستقبلة، فقال: ﴿وللآخرة خير لك من الأولى أي: كل حالة متأخرة من أحوالك، فإن لها الفضل على الحالة السابقة.

فلم يزل ﷺ يصعد في درج المعالي (٢٠)، ويمكن له الله دينه، ويستصره على أعدائه، ويسدد له أحواله، حتى مات، وقد وصل إلى حال لا يصل (٤) إليها الأولون والآخرون، من الفضائل والنعم، وقرة العين، وسرور القلب.

ثم بعد ذلك، لا تسأل عن حاله فى الآخرة، من تفاصيل الإكرام، وأنواع الإنعام، ولهذا قال: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضي ﴾ وهذا أمر لا يمكن التعبير عنه بغير هذه العبارة الجامعة الشاملة.

ثم امتن عليه بما يعلمه من أحواله (٥) [الخاصة] فقال: ﴿ أَلَمْ يُجِدُكُ يتيماً فآوي أي: وجدك لا أم لك، ولا أب، بل قد مات أبوه وأمه وهو لا يدبر نفسه، فآواه الله، وكفله جده عبد المطلب، ثم لما مات جده كفّله الله عمه أبا طالب، حتى أيده الله بنصره وبالمؤمنين.

﴿ ووجدك ضالاً فهدى ﴾ أي: وجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمَّك ما لم تكن تعلم، ووفَّقك لأحسن الأعمال والأخلاق.

- **في ب:** ما وصل.
  - كذا في ب، وفي أ: الأحوال. (0)
  - في ب: فأغناك الله بما فتح عليك. (7)
- (٧) في ب: لا يصدرك منك كلام للسائل.

في ب: بقيت. في ب: درجات. **(Y)** 

(1)

فی ب: درجات. (٣)

الكمال، ودوام اعتناء الله به. وَٱلْمَادِيَتِ صَبْحًا ۞ فَٱلْمُورِيَتِ قَدْمًا ۞ فَٱلْمُغِيرَتِ مُبْهِحًا ۞ قَأْثُرُنَ بِهِ مَقْعًا ۞ فَوَسَطَلَ بِهِ ، جَمَعًا ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَ ﴿ ارَيْعِهِ لَكَنُودُ ۞ وَانَّهُ عَلَى ذَاكِ لَشَهِيدُ ۞ وَإِنَّهُ لِحُتِ الْمُنْرِلْسُكِيدُ ۞ ﴿ أَفَكَا يَعْلَمُ إِذَا بُشْرُرَمَافِ الْعُبُورِ ۞ CANDA "I EDERED **﴿ووجدك عائلاً﴾** أي: فقيراً ﴿ فَأَعْنَى ﴾ بما فتح الله عليك (١) من



المنافعة وبك [وهذا يشمل] ووفراً يشمل] النعم الدينية والدنيوية ﴿فحدث أَنْ على الله بها، وخصصها بالذكر إن كان هناك مصلحة.

وإلا فحدث بنعم الله على الإطلاق، فإن التحدث بنعمة الله داع لشكرها، وموجب لتحبيب القلوب إلى من أنعم بها، فإن القلوب مجبولة على معبة المحسن.

# تفسير سورة ألم نشرح [لك ُ صدرك] وهي مكية

﴿١ - ٨﴾ ﴿بسم الله السرحمن السرحيم ألم نشرح لك صدرك \* ووضعنا عنك وزرك \* الذي أنقض ظهرك \* ورفعنا لك ذكرك \* فإن مع العسر يسراً \* إن مع العسر يسراً \* فإذ مع العسر يسراً \* فإذ مع أنصب \* وإلى ربك فارغب يقول تعالى - عمتناً على رسوله -: ﴿أَمْ نَشْرِح لَكُ صدرك﴾ أي: نوسعه لشرائع الدين والدعوة والإقبال على الآخرة ، وتسمهيل والإقبال على الآخرة ، وتسمهيل الخيرات ، فلم يكن ضيقاً حرجاً ، منسطاً .

﴿ ووضعنا عنك وزرك ﴾ أي: ذبك

﴿الذي أنقض﴾ أي: أثقل ﴿ظهرك﴾ كما قال تعالى: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾. ﴿ورفعنا لك ذكرك ﴾ أي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك أشناء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يذكر الله إلا ذكر معه رسوله على، كما في الدخول في الإسلام، وفي الأذان والإقسامة والخطب، وغير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكر رسوله محمد على.

وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره، بعد الله تعالى، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبياً عن أمته.

وقوله: ﴿فإن مع العسر يسرا \* إن مع العسر يسرا ﴾ بشارة عظيمة، أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه، حتى لو دخل العسر جحر ضب لـدخل عليه اليسر فأخرجه، كـما قال تعالى: ﴿سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾ وكما قال النبي ﷺ: ﴿وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا ».

وتعريف «العسر» في الآيتين، يدل على أنه واحد، وتنكير «اليسر» يدل على تكراره، فلن يغلب عسر يسرين. وفي تعريفه بالألف واللام، الدالة

وفي تعريفه بدلت وانارم، الناك على الاستغراق والعموم يدل على أن كل عسر \_ وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ \_ فإنه في آخره التيسير ملازم له.

ثم أمر الله رسوله أصلاً، والمؤمنين تبعاً، بشكره والقيام بواجب نعمه، فقال: ﴿فَإِذَا فَرَعْت فَانصب﴾ أي: إذا تفرغت من أشغالك، ولم يبق في قلبك ما يعوقه، فاجتهد في العبادة والدعاء.

**(وإلى ربك)** وحده **(فارضب)** أي: أعظم الرغبة في إجابة دعائك وقبول عباداتك (١٠).

ولا تكن ممن إذا فرغوا وتفرغوا لعبوا وأعرضوا عن ربهم وعن ذكره، فتكون من الخاسرين.

وقد قيل: إن معنى قوله: فإذا

فرغت من الصلاة وأكملتها، فانصب في الدعاء، وإلى ربك فارغب في سؤال مطالبك.

واستدل من قال بهذا القول، على مشروعية الدعاء والذكر عقب الصلوات المكتوبات، والله أعلم بذلك تحت ولله الحمد.

### تفسير سورة والتين وهي مكية

(١-٨) ﴿ بسم الله السرحمن الرحيم والتين والزيتون \* وطور سينين \* وهذا البلد الأمين \* لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم \* ثم وحدموا المصالحات فلهم أجر غير عنون \* فما يكذبك بعد بالدين \* أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ ﴿ التين المعسروف، وكذلك ﴿ الزيتون ﴾ أقسم بهاتين المسجرتين، لكثرة منافع شجرهما وثمرهما، ولأن سلطانهما في أرض الشام، عل نبوة عيسى ابن مريم عليه السلام.

﴿وطور سينين﴾ أي: طور سيناء، على نبوة موسى ﷺ، ﴿وهذا البلد الأمين﴾ وهي الكرمة، محل نبوة عمد ﷺ. فأقسم تعالى بهذه المواضع المقدسة، التي اختارها وابتعث منها أفضل النبوات (٢) وأشرفها.

والمقسم عليه قوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾أي: تام الخلق، متناسب الأعضاء، منتصب القامة، لم يفقد عما يحتاج إليه ظاهر أأو باطنا شيئا، ومع هذه النعم العظيمة، التي ينبغي منه القيام بشكر ها، فأكثر الخلق منحر فون عن شكر المنعم، مشتغلون باللهو واللعب، قدر ضوا لأنفسهم بأسافل الأمور، وسفساف الأخلاق، فردهم الله في أسفل سافلين أي: أسفل النار، موضع العصاة المتمردين على ربهم، إلا من شأله عليه بالإيمان والعمل الصالح، والأخلاق الفاضلة العالية، ﴿فلهم﴾

بذلك المنازل العالية، و ﴿ أَجرِ غيرِ مَعْنُونَ ﴾ أي: غير مقطوع، بل لذات متوافرة، و أفراح متواترة، و نعم متكاثرة، في أبدِ لا يزول، و نعيم لا يحول، أكلها دائم وظلها، ﴿ فما يكذبك أيها الإنسان بيوم الجزاء على الأعمال، و قدر أيت من آيات الله الكثيرة ما به يحصل لك اليقين، ومن نعمه ما يوجب عليك أن لا تكفر بشيء مما أخبرك به، ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ فهل تقضي حكمته أن يترك الخلق سدى يُعاقبون ؟ ولا يُشابون و لا يُشابون و لا يُعاقبون؟

أم الذي خلق الإنسان أطواراً بعد أطوار، وأوصل إليهم من النعم والخير والبر ما لا يحصونه، ورباهم التربية الحسنة، لا بدأن يعيدهم إلى دار هي مستقرهم وغايتهم، التي إليها يقصدون، ونحوها يؤمون. تمت وشه

## تفسير سورة اقرأ [وهي] مكية

﴿١-٩١﴾ ﴿بسم الله السرحين الرحيم الله السرحين الرحيم اقرأ باسم ربك الذي خلق \* خلق الإنسان من علق \* اقرأ وربك الأكرم \* الذي علم بالقلم \* علم الإنسان ما لم يعلم \* كلا إن الإنسان المبعى \* أن رآه استغنى \* إن إلى ربك الرجعى \* أرأيت الذي ينهى \* عبداً الهدى \* أو أمر بالتقوى \* أرأيت إن كان على المبدى \* أو أمر بالتقوى \* أرأيت إن كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية \* كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية \* ناصية كلا لا تطعه واسجد سندع الزبانية \* كلا لا تطعه واسجد واقترب \* هذه السورة أول السور الله ﷺ.

فإنها نزلت عليه في مبادىء النبوة، إذ كان لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، فجاءه جبريل عليه الصلاة السلام بالرسالة، وأمره أن يقرأ،

في ب: بإرسال الرسل.

فامتنع، وقال: قما أنا بقارىء فلم يزل به حتى قرأ. فأنزل الله عليه: ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ عموم الخلق، ثم خص الإنسان، وذكر ابتداء خلقه ﴿ من علق ﴾ فالذي خلق الإنسان واعتنى بتدبيره، لا بد أن يدبره بالأمر والنهي، وذلك بإرسال الرسول إليهم (١)، وإنزال الكتب عليهم، ولهذا ذكر (٢) بعد الأمر بالقراءة، خلقه (٣) للانسان.

ثم قال: ﴿ اقرأ وربك الأكرم ﴾ أي: كثير الصفات واسعها، كثير الكرم والإحسان، واسع الجود، الذي من كرمه أن علم بالعلم (٤٠). و ﴿ علم بالقلم \* علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ فإنه تعالى أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئاً، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، ويسر له أسباب العلم.

فعلمه القرآن، وعلمه الحكمة، وعلمه بالقلم ، الذي به تحفظ العلوم، وتضبط الحقوق، وتكون رسلاً للناس تنوب مناب خطابهم، فلله الحمد والمنة، الذي أنعم على عباده بهذه النعم التي لا يقدرون لها على جزاء ولا شكور، ثم منّ عليهم بالغني وسعة الرزق، ولكن الإنسان - لجمهله وظلمه \_إذا رأى نفسه غنياً، طغى وبغي، وتجبر عن الهدي، ونسى أن إلى ربه الرجعي، ولم يخف الجزاء، بل ربما وصلت به الحال أنه يترك الهدى بنفسه، ويدعو [غيره] إلى تركه، فينهى عن الصلاة التي هي أفضل أعمال الإيمان. يقول الله لهذا المتمرد العاتي: ﴿أرأيت﴾ أيها الناهي للعبد إذا صلى ﴿إِنْ كَانَ ﴾ العبد المصلي ﴿على الهدى ﴾ العلم بالحق والعمل به، ﴿أَو أُمرِ﴾ غيره ﴿بالتقوى﴾ .

فهل يحسن أن ينهى من هذا وصفه؟ أليس نهيه من أعظم المحادّة لله والمحاربة للحق؟ فإن النهي لا يتوجه إلا لمن هو في نفسه على غير الهدى، أو كان يأمر غيره بخلاف التقوى.

التاليان المستال المس

﴿ أَرأَيت إِن كَذَب ﴾ الناهي بالحق، ﴿ وتولى ﴾ عن الأمر، أما يخاف الله ويخشى عقابه ؟ ﴿ أَمْ يعلم بأن الله يرى ﴾ ما يعمل ويفعل؟

ثم توعده إن استمر على حاله، فقال: ﴿كلا لَمْنُ لَم ينته ﴾ عما يقول ويفعل ﴿لنسفعن بالناصية ﴾ أي: لنأخذن بناصيته، أخذاً عنيفاً، وهي حقيقة بذلك، فإنها ﴿ناصية كاذبة خاطئة ﴾ أي: كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها.

ولل المقاب (٥) والديه الذي حق عليه العقاب (٥) والديه أي: أهل مجلسه وأصحابه ومن حوله، ليعينوه على ما نزل به، وسندعوا الزبانية أي: خزنة جهنم، لأخذه وعقوبته، فلينظر أي: الفريقين أقوى وأقدر؟ فهذه حالة المناهي وما توعد به من العقوبة، وأما إلى هذا الناهي ولا ينقاد لنهيه، فقال: والمدا لله الما تلهيه أي: ] فإنه لا يأمر والسجد لربك واقترب منه في والقربات، فإنها كلها تُذني من رضاه وتقرب منه.

وهذا عام لكل ناه عن الخير ومنهى

(1)

<sup>(</sup>٣) في ب: بخلقه.

<sup>(</sup>٤) في ب: بأنواع العلوم.

<sup>(</sup>٢) في ب: ولهذا أتي.

<sup>(</sup>٥) في ب: العذاب.



عنه، وإن كانت نازلة في شأن أبي جهل حين نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة، وعبث به (١١) وآذاه. تمت ولله الحمد

## تفسير سورة القدر [وهي] مكية

(١ - ٥) ﴿ بسم الله السرحسن الرحسن الرحم إنا أنزلناه في ليلة القدر \* وما أدراك ما ليلة القدر \* يبد أدراك ما ليلة القدر \* يبذل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر \* سلام هي مطلع الفجر ﴾ يقول تعالى مبيناً لفضل القرآن وعلو قدره: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ كما قال تعالى: ﴿إنا أنزلناه أي ليلة القدر ، ورحم الله بها العباد [في] ليلة القدر ، ورحم الله بها العباد رحمة عامة ، لا يقدر العباد لها شكراً.

وسميت ليلة القدر، لعظم قدرها وفضلها عند الله، ولأنه يقدر فيها ما يكون في العام من الآجال والأرزاق والمقادير القدرية.

ثم فخم شأنها، وعظّم مقدارها، فقال: ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ أي: فإن شأنها جليل، وخطرها عظيم،

﴿ليلة القدر خير من الف شهر﴾ أي: تعادل من فضلها ألف شهر، فالعمل الذي يقع فيها، خير من العمل في ألف شهر [خالية منها]، وهذا عا تتحير فيه (٣) الألباب، وتندهش له العقول، حيث منَّ تبارك وتعالى على هذه الأمة الضعيفة القوة والقوى، بليلة يكون العمل فيها يقابل ويزيد على ألف شهر، عمر رجل معمر عمراً طويلاً، نيفاً وثمانين سنة.

﴿تنزّل الملاثكة والروح فيها ﴾ أي: يكثر نزولهم فيها ﴿من كل أمر \* سلام هي ﴾ أي: سالمة من كل آفة وشر، وذلك لكثرة خيرها، ﴿حتى مطلع الفجر ﴾ أي: مبتداها من غروب الشمس ومنتهاها طلوع الفجر (\*).

وقد تواترت الأحاديث في فضلها، وأنها في رمضان، وفي العشر الأواخر منه، خصوصاً في أوتاره، وهي باقية في كل سنة إلى قيام الساعة.

ولهذا كان النبي على الله عتكف ويكثر من التعبد في العشر الأواخر من رمضان، رجاء لليلة القدر [والله أعلم].

## تفسیر سورة لم یکن وهي مدنية

♦١ – ٨﴾ ﴿بسم الله السرحسن المرحيم لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم مطهرة \* فيها كتب قيمة \* وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما بعبدوا الله خلصين له الدين حنفاء ليعبدوا الله خلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة \* إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية \* إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك

هم خير البرية \* جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه في يقول تعالى: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ أي: [من] اليهود والنصارى ﴿والمشركين ﴾ من سائر أصناف الأمم.

﴿منفكِين ﴾ عن كفرهم وضلالهم الذي هم عليه أي: لا يزالون في غيهم وضلالهم، لا يزيدهم مرور السنين (٥٠) الا كفراً.

﴿حتى تأتيهم البينة ﴾ الواضحة ، والبرهان الساطع ، ثم فسر تلك البينة في قسال : ﴿رسسول مسن الله ﴾ أي : أرسله الله ، يدعو الناس إلى الحق ، وأنزل عليه كتاباً يتلوه ، ليعلم الناس الحكمة ويزكيهم ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ، ولهذا قال : ﴿يتلو صحفاً مطهرة ﴾ أي : عفوظة عن قربان الشياطين ، لا يمسها إلا المطهرون ، لأنها في أعلى ما يكون من الكلام .

ولهذا قال عنها: ﴿فيها﴾ أي: في تلك الصحف ﴿كتب قيمة﴾ أي: أخبار صادقة، وأوامر عادلة تهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فإذا جاءتهم هذه البينة، فحينثذ يتبين طالب الحق عن ليس له مقصد في طلبه، فيهلك من هلك عن بينة، ويجيا من حيً عن سنة.

وإذا لم يومن أهل الكتاب لهذا الرسول وينقادوا له، فليس ذلك ببدع من ضلالهم وعنادهم، فإنهم ما تفرقوا واختلفوا وصاروا أحزاباً ﴿إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ التي توجب لأهلها الاجتماع والاتفاق، ولكنهم لرداءتهم وذالتهم، لم يزدهم الهدى إلا ضلالاً، ولا البصيرة إلا عمى، مع أن الكتب كلها جاءت بأصل واحد ودين واحد، فما أمروا في سائر الشرائع إلا أن يعبدوا ﴿الله مخلصين له الدين﴾ أي: يعبدوا ﴿الله مخلصين له الدين﴾ أي:

كذا في ب، وفي أ: تنتهي من (٥) في ب: الأوقات. غروب الشمس إلى طلوع الفجر.

<sup>(</sup>١) في ب: وعذبه.

<sup>(</sup>٢) في ب: ابتدأ بإنزال القرآن.

<sup>(</sup>٣) كذا في ب، وفي أ: به.

قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله، وطلب الزلفى لديه، ﴿حنفاء﴾ أي: معرضين [ماتلين] عن سائر الأديان المخالفة لدين المتوحيد. وخصّ الصلاة والزكاة، [بالذكر] مع أنهما داخلان في قوله: ﴿لِعبدوا الله مخلصين﴾ لفضلهما وشرفهما، وكونهما العبادتين اللتين من قام بهما قام بجميع شرائع الدين.

﴿وذلك﴾ أي: التوحيد والإخلاص في الدين، هو ﴿دين القيمة﴾ أي: الدين المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، وما سواه فطرق موصلة إلى الجحيم.

ثم ذكر جزاء الكافرين بعدما جاءتهم البينة، فقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ كَفُرُوا مِنْ أَهُلُ الدِّينَ كَفُرُوا مِنْ أَهُلُ الكتاب والمشركين في تار جهنم﴾ قد أحاط بهم عذابها، واشتد عليهم عقابها، ﴿خالدين فيها﴾ لا يفتر عنهم العذاب، وهم فيها مبلسون، ﴿أُولئك هم شر البرية﴾ لأنهم عرفوا الحن وتركوه، وخسروا الدنيا والآخرة.

﴿إِن الذين آمنوا وعملوا الصالحات الحسيد البرية ﴾ لأنهم عبدوا الله وعرفوه، وفازوا بنعيم الدنيا والآخرة، ﴿جزاؤهم عند ربهم جنات عدن ﴾ أي: جنات إقامة، لا ظعن فيها ولا رحيل، ولا طلب لغاية فوقها، ﴿تجري من تحتها الأنهار فيالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه، بما قاموا به من مراضيه، ورضوا عنه، بما أعد لهم من أنواع الكرامات وجزيل المثوبات من أنواع الكرامات وجزيل المثوبات ربه أي: لمن خاف الله، فأحجم عن معاصيه، وقام بواجباته (١)

#### [تمت والحمد لله]

(٢) في ب: الزلزلة.

# تفسير سورة إذا زلزلت<sup>(۲)</sup> وه*ي* مدنية

﴿١ - ٨﴾ ﴿بـسـم الله السرحمـن الرحيم إذا زلزلت الأرض زلزالها \* وأخرجت الأرض أشقالها \* وقال الإنسان ما لها \* يومئذ تحدث أخبارها \* بأن ربك أوحى لها \* يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم \* فمن يعمل مثقال ذرة شراً يره ينبر تعالى عما يكون يوم القيامة، وأن ينبر تعالى عما يكون يوم القيامة، وأن الأرض تنزلزل وترجف وترتج، حتى يسقط ما عليها من بناء وعَلَم (٣٠).

فتندك جبالها، وتُسوَّى تلالها، وتكون قاغاً صفصفاً لا عوج فيه ولا أمت.

﴿وَأَخْرِجَتَ الأَرْضِ أَثْقَالُها﴾ أي: ما في بطنها، من الأموات والكنوز، ﴿وقال الإنسان﴾ إذا رأى ما عراها من الأمر العظيم مستعظماً لذلك: ﴿ما لها﴾؟ أي: أيُّ شيء عرض لها؟

﴿يسومسئسة تحسدت الأرض ﴿أخبارها أي: تشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها من خير وشر، فإن الأرض من جملة الشهود الذين يشهدون على العباد بأعمالهم، ذلك ﴿بأن ربك أوحى لها ﴾ [أي] وأمرها أن تخبر بما عمل عليها، فلا تعصي لأمره (٤٠).

﴿يومئذ يصدر الناس﴾ من موقف القيامة، حين يقضي الله بينهم ﴿المِوا وَاللهُ مِنْ اللهُ اللهُ عَلَمُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَمُ اللهُ مَا عَمَلُوا أَعِمَالُهُم ﴾ أي: ليريهم الله ما عملوا من الحسنات والسيئات، ويريهم جزاءه موفراً.

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره \* ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ وهذا شامل عام للخير والشر كله، لأنه إذا رأى مثقال الذرة، التي هي أحقر

(٣)

الأشياء، [وجوزي عليها] فما فوق ذلك من باب أولى وأحرى، كما قال تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً، وما عملت من سوء تودلو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾.

وهذه الآية فيها غاية الترغيب في فعل الخير ولو قليلاً، والترهيب من فعل الشر ولو حقيراً.

## تفسير سورة العاديات وهي مكية

﴿١-١١﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا \* فالموريات قدحاً \* فالموريات صبحاً \* فالرن به نقماً \* فوسطن به جمعاً \* إن الإنسان لربه لكنود \* وإنه على ذلك لشهيد \* وإنه لحب الخير لشديد \* أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور \* وحصل ما في الصدور \* إن ربهم بهم يومثلٍ لخبير أقسم الله تبارك وتعالى بالخيل، لما فيها من آيات الله الباهرة، ونعمه الظاهرة، ما هو معلوم للخلق.

وأقسم [تعالى] بها في الحال التي لا يشاركها [فيه] غيرها من أنواع الحيوانات، فقال: ﴿ والعاديات ضبحاً﴾ أي: العاديات عدواً بليغاً قوياً، يصدر عنه الضبح، وهو صوت نفسها في صدرها عند اشتداد العدو<sup>(ه)</sup>. **﴿فالموريات﴾** بحوافرهن ما يطأن عليه من الأحجار ﴿قدحاً ﴾ أي: تقدح<sup>(1)</sup> النار من صلابة حوافرهن [وقوتهن] إذا عدون، ﴿فالمغيرات﴾ على الأعداء ﴿صبحاً﴾ وهذا أمر أغلبي، أن الغارة تكون صباحاً، ﴿ فَأَثْرُنْ بِهِ ﴾ أي: بعدوهن وغارتهن ﴿نقعاً﴾ أي: غباراً، ﴿فوسطن به﴾ أي: براكبهن ﴿جمعاً﴾ أي: توسطن به جموع الأعداء، الذين أغار عليهم.

والمقسم عليه قوله: ﴿إِن الإنسان لربه لكنود﴾ أي: لمنوعُ للخير الذي

(٤) كذا في ب، وفي أ: ولا ستعصي. (٦) في ب: تنقدح.

<sup>(</sup>١) في ب: بما أوجب عليه.

في ب: ومَعْلَمْ. (٥) في ب: عدوها.

عليه لربه<sup>(١)</sup>.

فطبيعة [الإنسان] وجبلته، أن نفسه لا تسمح بما عليه من الحقوق، فتؤديها كاملة موفرة، بل طبيعتها الكسل والمنع لما عليه من الحقوق المالية والبدنية، إلا لمن هداه الله وخرج عن هذا الوصف إلى وصف السماح بأداء الحقوق، الإنسان على ما يعرف من نفسه من المنع والكند لشاهد بذلك، لا يجحده ولا ينكره، لأن ذلك أمرٌ بيّنٌ واضح. أي: إن العبد لربه لكنود، والله شهيد أي: إن العبد لربه لكنود، والله شهيد على ذلك، ففيه الوعيد، والتهديد الشديد، لمن هو لربه كنود، بأن الله عليه شهيد.

﴿ وإنه ﴾ أي: الإنسان ﴿ لحب الخير ﴾ أي: المال ﴿ لشديد ﴾ أي: كثير الحب للمال.

وحبه لذلك، هو الذي أوجب له ترك الحقوق الواجبة عليه، قدم شهوة نفسه على حق (٢) ربه، وكلُ هذا لأنه قصر نظره على هذه الدار، وغفل عن الآخرة، ولهذا قال حاثاً له على خوف يوم الوعيد:

﴿أَفُلَا يعلم﴾أي: هلاً يعلم هذا المغتر ﴿إذَا يعشر ما في القبور﴾أي: أخرج الله الأموات من قبورهم، لحشرهم ونشورهم.

﴿وَخُصِّل ما في الصدور﴾أي: ظهر وبان [ما فيها و] ما استتر في الصدور من كمائن الخير والشر، فصار السر علانية، والباطن ظاهراً، وبان على وجوه الخلق نتيجة أعمالهم.

﴿إِن ربِهِم بِهم يومثل لخبير﴾أي: مطلع على أعمالهم الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، ومجازيهم عليها. وخص خُبره (٣) بذلك اليوم، مع أنه خبير بهم في كل وقت، لأن المراد

بذلك، الجزاء بالأعمال (٤)، الناشيء عن علم الله واطلاعه.

# تفسير سورة القارعة [وهي] مكية

﴿١١ ـ ١١﴾ ﴿ بسبم الله السرحسن الرحيم القارعة \* ما القارعة \* وما أدراك ما القارعة \* يوم يكون الناس كالفراش البثوث \* وتكون الجبال كالعهن المنفوش \* فأما من ثقلت موازينه \* فهو في عيشة راضية \* وأما من خفت موازيّنه \* فأمه هاوية \* وما أدراك ما هيه \* نارٌ حامية ﴾ **﴿القارعة﴾من أسماء يوم القيامة،** سميت بذلك، لأنها تقرع الناس وتزعجهم بأهوالها، ولهذا عظم أمرها وفخمه بقوله: ﴿القارعة \*ما القارعة \* وما أدراك ما القارعة \* يوم يكون الناس) من شدة الفزع والهول، **﴿كالفراش المبثوث﴾**أي: كالجراد المنتشر، الذي يموج بعضه في بعض، والفراش: هي الحيوانات التي تكون في الليل، يموج بعضها ببعض لا تدري أين توجه، فإذا أوقد لها نار تهافتت إليها لضعف إدراكها، فهذه حال الناس أهل العقول، وأما الجبال الصم الصلاب، فتكون وكالعهن المنفوش﴾أي: كالصوف المنفوش، الذي بقى ضعيفاً جداً، تطير به أدنى ريىح، قال تىعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب، ثم بعد ذلك تكون هباء منشوراً، فتضمحل ولا يبقى منها شيء يشاهد، فحينئذ تنصب الموازين، وينقسم الناس قسمين: سعداء وأشقياء، ﴿فَأَمَا مِنْ ثقلت موازينه﴾ أي: رجحت حسناته على سيئاته ﴿فهو في عيشة راضية ﴾ في جنات النعيم.

﴿وأما من خفت موازينه ﴾ بأن لم

تكن له حسنات تقاوم سيئاته، ﴿فأمه هاوية﴾أي: مأواه ومسكنه النار، التي من أسمائها الهاوية، تكون له بمنزلة الأم الملازمة كما قال تعالى: ﴿إِنْ عَذَاهِا كَانْ عُرَاماً﴾.

وقيل: إن معنى ذلك، فأم دماغه هاوية في النار أي: يلقى في النار على رأسه.

﴿ وما أدراك ماهيه ﴾ وهذا تعظيم لأمرها، ثم فسرها بقوله هي: ﴿ ناو حامية ﴾ أي: شديدة الحرارة، قد زادت حرارتها على حرارة نار الدنيا سبعين ضعفاً. نستجير بالله منها.

# تفسير سورة ألهاكم التكاثر وهي مكية

﴿١ ـ ٨﴾ ﴿بــــم الله السرحمان الرحيم الهاكم التكاثر \* حتى زرتم المقابر \* كلا سوف تعلمون \* ثم كلا سوف تعلمون \* كلا لو تعلمون علم اليقين \* لترون الجحيم \* ثم لترونها عين اليقين \* ثم لتسألن يومئذ عن النعيم، يقول تعالى موبخاً عباده عن اشتغالهم عما خلقوا له من عبادته وحده لا شريك له، ومعرفته، والإنابة إليه، وتقديم محبته على كل شيء: ﴿ السهاكم ) عسن ذلك المذكسور ﴿ التكاثر ﴾ ولم يذكر المتكاثر به، ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون. ويفتخر به المفتخرون، من التكاثر في الأمــوال، والأولاد، والأنــصــار، والجنود، والخدم، والجاه، وغير ذلك مما يقصد منه مكاثرة كل واحد للآخر، وليس المقــصــود بــه الإخــلاص له تعالى (٥).

فاستمرت غفلتكم ولهوتكم [وتشاغلكم] ﴿حتى زرتم القابر﴾ فانكشف لكم حينئذ الغطاء، ولكن

<sup>(</sup>١) في ب: الله عليه.

 <sup>(</sup>۲) في ب: على رضا ربه.

<sup>(</sup>٣) في ب: خبرهم.

<sup>(</sup>٤) في ب: المراد بهذا الجزاء على الأعمال.

 <sup>(</sup>a) في ب: وليس المقصود منه وجه الله.

بعدما تعذر عليكم استثنافه.

ودل قوله: ﴿حتى زرتم المقابر﴾ أن البرزخ دارٌ مقصودٌ منها النفوذ إلى الدار الباقية (١)، لأن الله سماهم زائرين، ولم يسمهم مقيمين.

فدل ذلك على البعث والجزاء بالأعمال (٢)، في دار باقية غير فانية، ولهذا توعدهم بقوله: ﴿كلا سوف تعلمون \* ثم كلا سوف تعلمون \* كلا لو تعلمون علم اليقين﴾ أي: لو تعلمون ما أمامكم علماً يصل إلى القلوب، لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة.

ولكن عدم العلم الحقيقي، صيَّركم إلى ما ترون، ﴿لترون الجحيم﴾ أي: لتردن القيامة، فلترون الجحيم التي أعدها اللكافرين.

﴿ثم لترونها عين اليقين ﴾ أي: رؤية بصرية، كما قال تعالى: ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً ﴾.

﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ الذي تنعمتم به في دار الدنيا، هل قمتم بشكره، وأديتم حق الله فيه، ولم تستعينوا به على معاصيه، فينعمكم نعيماً أعلى منه وأفضل.

أم اغتررتم به، ولم تقوموا بشكره؟ بل ربما استعنتم به على معاصي الله، فيعاقبكم على ذلك، قال تعالى: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون﴾ الآية.

## تفسير سورة والعصر [وهي] مكنة

٣ - ٣ ﴿ ﴿ بسسم الله السرحسن المرحيم والعصر \* إن الإنسان لفي خسر \* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا

بالصبر أقسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار، عمل أفعال العباد وأعمالهم أن كل إنسان خاسر، والخاسر ضد الرابح.

والخسار مراتب متعددة متفاوتة :

قد يكون خساراً مطلقاً، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم.

وقد يكون خاسراً من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات:

الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به.

والعمل الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده<sup>(٣)</sup>، الواجبة والمستحبة.

والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح أي: يوصي بعضهم بعضاً بذلك، ويحثه عليه، ويرغّبه فيه.

والتواصي بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة.

فبالأمرين الأولين يكمل الإنسان (3) نفسه، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة، يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالربح [العظيم].

# تفسير سورة الهمزة وهي مكية

﴿١ - ٩﴾ ﴿بسم الله السرحسن الله السرحسن الرحيم ويل لكل همزة لمزة \* الذي جمع مالاً وعدده \* يحسب أن ماله أخلده \* كلا لينبذن في الحطمة \* وما أذراك ما الحطمة \* نار الله الموقدة \* التي تطلع على الأفتدة \* إنها عليهم مؤصدة \*

في عمد ممدة ﴿ ويل ﴾ أي: وعيد، ووبال، وشدة عذاب ﴿ لكل همزة لزة ﴾ الذي يهمز الناس بفعله، ويلمزهم بقوله، فالهماز: الذي يعيب الناس، ويطعن عليهم بالإشارة والفعل، واللماز: الذي يعيبهم بقوله.

ومن صفة هذا الهماز اللماز، أنه لا همّ له سوى جمع المال وتعديده والغبطة به، وليس له رغبة في إنفاقه في طرق الخيرات وصلة الأرحام، ونحو ذلك، ويحسب بجهله ﴿أن ماله أخلده في الدنيا، فلذلك كان كده وسعيه كله في تنمية ماله، الذي يظن أنه ينمي عمره، ولم يدر أن البخل يقصف الأعمار، وأن البر يزيد في العمر.

﴿كلالينبذن﴾ أي: ليطرحنَّ ﴿في الحطمة ﴾ وما أدراك ما الحطمة ﴾ تعظيم لها، وتهويل لشأنها.

ثم فسرها بقوله: ﴿نار الله الموقدة﴾ التي وقودها الناس والحجارة ﴿التي﴾ من شدتها ﴿تطلع على الأفشدة﴾ أي: تنفذ من الأجسام إلى القلوب.

ومع هذه الحرارة البليغة هم عبوسون فيها، قد أيسوا من الخروج منها، ولهذا قال: ﴿إنها عليهم مؤصدة﴾ أي: مغلقة، ﴿في عمدِ﴾ من خلف الأبواب ﴿عددة﴾ لئلا يخرجوا منها ﴿عليها أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾.

[نعوذ بالله من ذلك ونسأله العفو والعافية].

## تفسير سورة الفيل وهي مكية

﴿١ \_ ٥﴾ ﴿بـسـم الله الـرحمـن الرحمـن الله الرحمـن الرحم الرحم الرحم المال الم

 <sup>)</sup> في ب: بحقوق الله وحقوق عباده. (١) في ب: العبد.

<sup>(</sup>١) في ب: الآخرة.

<sup>(</sup>٢) في ب: على الأعمال.

كعصف مأكول أي: أما رأيت من قدرة الله وعظيم شأنه، ورحمته بعباده، وأدلية تبوحييده، وصيدق رسبوليه محمد ﷺ، ما فعله الله بأصحاب الفيل، الذين كادوا بيته الحرام وأرادوا إخرابه، فتجهزوا لأجل ذلك، واستصحبوا معهم الفيلة لهدمه، وجاؤوا بجمع لا قِبلَ للعرب به، من الحبشة واليمن، فلما انتهوا إلى قرب مكة، ولم يكن بالعرب مدافعة، وخرج أهل مكة من مكة خوفاً على أنفسهم منهم، أرسل الله عليهم طيراً أبابيل أي: متفرقة، تحمل حجارة محماة من سجيل، فرمتهم بها، وتتبعت قاصيهم ودانيهم، فخمدوا وهمدوا، وصاروا كعصف مأكول، وكفى الله شرهم، ورد كيدهم في نحورهم، [وقصتهم معروفة مشهورة] وكانت تلك السنة الستى ولد فيها رسول الله على، فصارت من جملة إرهاصات دعوته، ومقدمات(١١) رسالته، فلله الحمد والشكر.

# تفسير سورة لإيلاف قريش وهي مكية

(1 - 3) (بسم الله السرحمن الرحيم لإيلاف قريش \* إيلافهم رحلة الشتاء والصيف \* فليعبدوا رب هذا البيت \* الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف قال كثير من المفسرين: إن الجار والمجرور متعلق بالسورة التي قبلها أي: فعلنا ما فعلنا بأصحاب الفيل لأجل قريش وأمنهم، واستقامة مصالحهم، وانتظام رحلتهم في الشتاء لليمن، والصيف للشام،

فأهلك الله من أرادهم بسوء، وعظم أمر الحرم وأهله في قلوب العرب، حتى احترموهم، ولم يعترضوا لهم في أي: سفر أرادوا،

في ب: الربوبية بالبيت.

فى ب: أدلة.

في ب: يخاف.

(1)

(٢)

(٣)

(٥) في ب: مخلون بأركانها.

(٦) في ب: الذم والوعيد.

(٧) في ب: ببذله والسماح به.

كُذَا في ب، وفي أ: الذين ملتزمون. (٨) في ب: إطعام.

ولهذا أمرهم الله بالشكر، فقال: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت ﴾ أي: ليوحدوه ويخلصوا له العبادة، ﴿الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ فرغد الرزق والأمن من المخاوف، من أكبر النعم الدنيوية، الموجبة لشكر الله

فلك اللهم الحمد والشكر على نعمك الظاهرة والباطنة، وخص الله بالربوبية البيت (٢)، لفضله وشرفه، وإلا فهو رب كل شيء.

## تفسير سورة الماعون [وهي] مكية

﴿١-٧﴾ ﴿بسم الله السرحمين الرحيم أرأيت الذي يكذب بالدين \* فذلك الذي يدع اليتيم \* ولا يحض صلى طسمام المسكين \* فويل ما للمصلين \* الذين هم عن صلاتهم ساهون \* الذين هم يسرآءون \* ويمنعون الماعون﴾ يقول تعالى ذاماً لمن ترك حقوقه وحقوق عباده: ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين﴾ أي: بالبعث والجزاء، فلا يؤمن بما جاءت به الرسل.

فُذلك الذي يدع اليتيم أي: يدفعه بعنف وشدة، ولا يرحمه لقساوة قلبه، ولأنه لا يرجو شواباً، ولا يخشئ (٣) عقاباً.

ولا يحض غيره ﴿على طعام السكين ومن باب أولى أنه بنفسه لا يطعم المسكين ، ﴿فويل للمصلين ﴾ أي: الملتزمون (٤) لإقامة الصلاة ، مضيعون لها ، تاركون لوقتها ، مفوتون لأركانها (٥) ، وهذا لعدم اهتمامهم مأمر الله حيث ضيعوا الصلاة ، التي السهو عن الصلاة ، هو الذي يستحق والسهو عن الصلاة ، وأما السهو في صاحبه الذم واللوم (٢) ، وأما السهو في

الصلاة، فهذا يقع من كل أحد، حتى من النبي ﷺ

ولهذا وصف الله هؤلاء بالرياء والقسوة وعدم الرحمة، فقال: ﴿الذين هم يراؤون﴾ أي: يعملون الأعمال لأجل رئاء الناس.

﴿٧﴾ ﴿ويمنعون الماعون﴾ أي: يمنعون إعطاء الشيء، الذي لا يضر إعطاء الشيء، الذي لا يضر إعطاؤه على وجه العارية، أو الهبة، كالإناء، والدلو، والفأس، ونحو ذلك، مما جرت العادة ببذلها والسماحة به (٧٠).

فهؤلاء \_لشدة حرصهم \_يمنعون الماعون، فكيف بما هو أكثر منه.

وفي هذه السورة، الحث على إكرام (^^) اليتيم، والساكين، والتحضيض على ذلك، ومراعاة الصلاة، والمحافظة عليها، وعلى الإخلاص [فيها و] في جميع الأعمال.

والحث على [فعل المعروف و] بذل الأمور الخفيفة، كعارية الإناء والدلو والكتاب، ونحو ذلك، لأن الله ذم من لم يفعل ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، والحمد لله رب العالمين.

# تفسير سورة الكوثر وهي مكية

﴿١-٣﴾ ﴿بسسم الله السرحسن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر \* فصل لربك وانحر \* إن شانتك هو الأبتر﴾ يقول الله تعالى لنبيه عمد ﷺ تمتنأ عليه: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ أي: الخير الكثير، والفضل الغزير، الذي من جملته، ما يعطيه الله لنبيه ﷺ يوم القيامة، من النهر الذي يقال له «الكوثر»، ومن الحوض (٩٠).

طوله شهر، وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته كنجوم (١١٠) السماء في

<sup>(</sup>٩) كذا في ب، وفي أ: ومن الحوضالذي يقال له: الكوثر.

<sup>(</sup>١٠) في ب: عدد نجوم السماء.

كثرتها واستنارتها، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً.

ولما ذكر منته عليه، أمره بشكرها فقال: ﴿فصلُ لربك وانحر﴾ خصّ هاتين العبادتين بالذكر، لأنهما من أفضل العبادات وأجلّ القربات.

ولأن الصلاة تتضمن الخضوع [في] القلب والجوارح لله، وتنقلها في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به.

﴿إِن شَانِتُكَ ﴾ أي: ميغضك وذامك ومنتقصك ﴿هو الأبتر﴾ أي: المقطوع من كل خير، مقطوع العمل، مقطوع الذكر.

وأما محمد ﷺ، فهو الكامل حقاً، الذي له الكمال المكن في حق المخلوق، من رفع الذكر، وكشرة الأنصار والأتباع ﷺ.

## تفسير سورة الكافرون

﴿١ - ٦﴾ ﴿بسب الله السرحسن الرحيم قل يا أيها الكافرون \* لا أعبد ما تعبدون \* ولا أنتم عابدون ما أعبد \* ولا أنا عابد ما عبدتم \* ولا أنتم عابدون ما أعبد \* لكم دينُكم ولي دين﴾ أي: قل للكافرين معلناً ومصرحاً ﴿لا أعبد ما تعبدون ﴾ أي: تبرًّأ مما كانوا يعبدون من دون الله، ظاهراً وباطناً.

﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ لعدم إخلاصكم لله في عبادته (۱)، فعبادتكم له المقترنة بالشرك لا تسمى عبادة، ثم كرر ذلك ليدل الأول على عدم وجود الفعل، والثاني على أن ذلك قد صار وصفاً لازماً.

ولهذا ميز بين الفريقين، وفصل بين الطائفتين، فقال: ﴿لَكُم دينكم ولي

دين ﴾ كما قال تعالى: ﴿قل كل يعمل على شاكلته ﴾ ﴿أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء ثما تعملون 🤄 .

# تفسير سورة النصر وهي مدنية(٢)

﴿١ - ٣﴾ ﴿بسم الله السرحسن الرحيم إذا جاء نصر الله والفتح \* ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً \* فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كنان تواباً ﴾ في هذه السورة الكريمة، بشارة وأمر لرسوله عند حصولها، وإشارة وتنبيه على ما يترتب على ذلك.

فالبشارة هي البشارة بنصر الله لرسوله، وفتحه مكة، ودخول الناس في دين الله أفواجاً، بحيث يكون كثير منهم من أهله وأنصاره، بعد أن كانوا من أعدائه، وقد وقع هذا المبشر به، وأما الأمر بعد حصول النصر والفتح، فأمر الله رسوله أن يشكر ربه على ذلك، ويسبح بحمده ويستغفره، وأما الإشارة، فإن في ذلك إشارتين: إشارة لأن يستمر النصر لهذا الدين (٣)، ويزداد عند حصول التسبيح بحمد الله واستغفاره من رسوله، فإن هذا من الشكر، والله يقول: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم الله وقد وجد ذلك في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في هذه الأمة لم يزل نصر الله مستمراً، حتى وصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دين من الأديان، ودخل فيه ما لم يدخل في غيره، حتى حدث من الأمة من مخالفة أمر الله ما حدث، فابتلاهم الله (٤) بتفرق الكلمة، وتشتت الأمر، فحصل ما حصل.



يخطر بالبال، أو يدور في الخيال

وأما الإشارة الثانية، فهي الإشارة إلى أن أجل رسول الله عِينَ قد قرب ودنا، ووجه ذلك أن عمره عمر فاضل أقسم الله به.

وقد عهد أن الأمور الفاضلة تختم بالاستغفار، كالصلاة والحج، وغير

فأمر الله لرسوله بالحمد والاستغفار في هذه الحال، إشارة إلى أن أجله قد انتهى، فليستعد ويتهيأ للقاء ربه، ويخت عسره بأفيضل ما يجده صلوات الله وسلامه عليه.

فكان على يتأول القرآن، ويقول ذلك في صلاته، يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي.

## تفسير سورة تبت [وهي] مكية

﴿١ - ٣﴾ ﴿بسبم الله السرحسن [ومع هذا] فلهذه الأمة، وهذا الرحيم تبت يدا أبي لهب وتب \* ما الدين، من رحمة الله ولطفه، ما لا أغنى عنه ماله وما كسب \*سيصلى

في ب: إخلاصكم في عبادتكم لله. (1)

في ب: وهي مكية. **(Y)** 

<sup>(</sup>٣) في ب: إشارة أن النصر يستمر للدين.

<sup>(1)</sup> في ب: فابتلوا.



نارا ذات لهب \* وامرأته حمالة الحطب \* في جيدها حبل من مسد > أبو لهب هو عم النبي على وكان شديد العداوة [والأذية] للنبي على فلا فيه دين، ولا حمية للقرابة وتبحه الله \_فذمه الله بهذا الذم العظيم، الذي هو خزي عليه إلى يوم القيامة، فقال:

﴿ تبت يدا أي لهب﴾ أي: خسرت يداه، وشقي ﴿ وتب ﴾ فلم يربح، ﴿ ما أغنى عنه ماله ﴾ الذي كان عنده وأطغاه، ولا ما كسبه فلم يرد عنه شيئاً من عذاب الله إذ نزل به، ﴿ سيصلى ناراً ذات لهب ﴾ أي: ستحيط به النار من كل جانب، هو ﴿ وامرأته حمالة الحطب ﴾ .

وكانت أيضاً شديدة الأذية لرسول الله على تتعاون هي وزوجها على الإثم والعدوان، وتلقي الشر، وتسعى غاية ما تقدر عليه في أذية الرسول على وتجمع على ظهرها من الأوزار بمنزلة من يجمع حطباً، قد أعد له في عنقه حبلاً ﴿من مسد﴾أي: من له في

أو أنها تحمل في النار الحطب على

زوجها، متقلدة في عنقها حبلاً من مسد، وعلى كل، ففي هذه السورة، آية باهرة من آيات الله، فإن الله أنزل هذه السورة، وأبو لهب وامرأته لم يلكا، وأخبر أنهما سيعذبان في النار ولا بد، ومن لازم ذلك أنهما لغيب والشهادة.

#### تفسير سورة الإخلاص [وهي] مكية

﴿١ - ٤﴾ ﴿بسم الله السرحين السرحيم الله احد \* الله السمد \* لم يلد ولم يولد \* ولم يكن له كفوا أحد﴾ أي: ﴿قل﴾ قولاً جازماً به، معتقداً له، عارفاً بمعناه، ﴿هو الله أحد﴾ أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحدا المنفرد بالكمال، الذي له العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل.

والله الصمد اي: المقصود في جميع الحوائع. فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في العليم الذي قد كمل في علمه، الحليم الذي قد كمل في حلمه، الرحيم الذي لكمل في رحمته الذي] وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه، ومن كماله أنه فحل يلد ولم يولد الكمال أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أعاله، تبارك وتعالى.

فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات.

### تفسير سورة الفلق [وهي] مكية

(1 - ○) ﴿ بسسم الله السرحمن برب الناس ومالكهم وإلههم، من الرحيم قل أعوذ برب الفلق \* من شر الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ما خلق \* ومن شر غاسق إذا وقب \* ومادتها، الذي من فتنته وشره، أنه

ومن شر النقائات في العقد \* ومن شر حاسد إذا حسد أي: ﴿قل ﴾ متعوذا ﴿أعوذ ﴾ أي: ألجأ وألوذ، وأعتصم ﴿برب المفلق ﴾ أي: فالق الحب والنوى، وفالق الإصباح.

﴿من شر ما خلق﴾ وهذا يشمل جميع ما خلق الله، من إنس، وجن، وحيوانات، فيستعاذ بخالقها من الشر الذي فيها، ثم خص بعدما عم، فقال: ﴿ومن شرّ غاسق إذا وقب﴾ أي: من شر ما يكون في الليل، حين يغشى الناس، وتنتشر فيه كثير من الأرواح الشريرة، والحيوانات المؤذية.

﴿وَمن شر النفائات في العقد﴾ أي: ومن شر السواحر، اللاتي يستعن على سحرهن بالنفث في العقد، التي يعقدنها على السحر.

ومن شرحاسد إذا حسد والحاسد: هو الذي يجب زوال النعمة عن المحسود فيسعى في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب، فاحتيج إلى الاستعادة بالله من شره، وإبطال كيده، ويدخل في الحاسد العاين، لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس، فهذه السورة، تضمنت الاستعادة من جميع أنواع الشر، عموماً وخصوصاً.

ودلَّت على أن السحر له حقيقة يخشى من ضرره، ويستعاذ بالله منه [ومن أهله].

#### تفسير سورة الناس وهي مدنية<sup>(۱)</sup>

﴿١-٢﴾ ﴿بسسم الله السرحسن الرحيم قل أعوذ برب الناس \* ملك السناس \* إله الناس \* من شر الوسواس الخناس \* الذي يوسوس في صدور الناس \* من الجنة والناس﴾ وهذه السورة مشتملة على الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادّتها، الذي من فتنته وشره، أنه

يوسوس في صدور الناس، فيحسن [لهم] الشر، ويريهم إياه في صورة حسنة، وينشط إراداتهم لفعله، ويقبح لهم الخير ويثبطهم عنه، ويريهم إياه في صورة غير صورته، وهو دائماً بهذه الحال يوسوس ويخنس أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان به على دفعه.

فينبغي له أن [يستعين و] يستعيذ ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم.

وأن الخلق كلهم داخلون تحت الربوبية والملك، فكل دابة هو آخذ بناصيتها.

وبألوهيته التي خلقهم لأجلها، فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم، الذي يريدأن يقتطعهم عنها ويحول بينهم

وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: ﴿من الجنة والناس).

والحمد لله رب العالمين أولاً الصالحات. وآخراً، وظاهراً وباطناً.

> ونسأله تعالى أن يتم نعمته، وأن يعفو عنا ذنوباً لنا حالت (١١) بيننا وبين كثير من بركاته، وخطايا وشهوات ذهبت بقلوبنا عن تدبر آياته.

ونرجوه ونأمل منه أن لا يحرمنا خير ما عنده بشر ما عندنا، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، ولا

وصلى الله وسلم على رسوله محمد

يقنط من رحمته إلا القوم الضالون.

وعلى آله وصحبه أجمعين، صلاة وسلاما دائسمين متواصلين أبيد الأوقات، والحمد لله الذي بنعمته تتم

تم تفسير كتاب الله بعونه وحسن توفيقه، على يدجامعه وكاتبه، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله المعروف بابن سعدى، غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين، وذلك في غرة ربيع الأولّ من سنة أربع وأربعين وثلثمائة وألف من هجرة محمد ﷺ (٢)

في ب: ذنوبنا التي حالت. (1)

في ب: ووقع النقل في شعبان ١٣٤٥ ربنا تقبل منا واعف إنَّك أنت الغفورُ الرحيم. (٢)

# الملاحسق

١ ـ أصول وكليات من أصول التفسير وكلياته لا يستغني عنها المفسر للقرآن.

٢ ـ تفسير الآيات التي اختلفت فيها النسختان..



### اضول وكليّات مِن اصول التفسير وكليّاته لايستغني عَنْها المُفَسر للقرآن<sup>(١)</sup>

النكرةُ في سياق النفي، أو سياق النهي، أو الاستفهام، أو سياق الشرط، تَعمُّ، وكذلك المفرد المضاف يعم، وأمثلة ذلك كثيرة.

فمتى وجدت نكرة واقعة بعد المذكورات، أو وجدت مفرداً مضافاً إلى معرفة، فأُثبِتْ جميعَ ما دخل في ذلك اللفظ، ولاتعتبر سببَ النزول وحده، فإن «العبرة بعموم اللفظ، لابخصوص السبب».

وينبغي أن تنزل جميع الحوادث والأفعال الواقعة، والتي لاتزال تحدث، على العمومات القرآنية، فبذلك تعرفُ أن القرآن تبيانُ لكل شيء، وأنه لايحدث حادث، ولايستجد أمر من الأمور، إلا وفي القرآن بيانه وتوضيحه.

ومن أصوله أن الألف واللام الداخلة على الأوصاف، وعلى أسماء الأجناس، تُفيدُ استغراق جميع ما دخلت عليه من المعانى.

ومن كليات القرآن، أنه يدعوا إلى توحيد الله ومعرفته، بذكر أسماء الله، وأوصافه، وأفعاله الدالة على تفرده بالوحدانية، وأوصاف الكمال، وإلى أنه الحق، وعبادته هي الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل، ويبين نقص كل ما عُبدَ من دون الله من جميع الوجوه.

ويدعو إلى صحة ما جاء به الرسول محمد ﷺ وصدقه، ببيان إحكامه، وتمامه، وصدق إخباراته كلها، وحسن أحكامه. ويبين ما كان عليه الرسول ﷺ، من الكمال البشري الذي لايلحقه فيه أحدٌ من الأولين والآخرين، ويتحداهم بأن يأتوا بمثل ما جاء به إن كانوا صادقين.

ويُقرر ذلك بشهادته تعالى بقوله وفعله وإقراره إياه، وتصديقه له بالحجة والبرهان، وبالنصر والظهور، وبشهادة أهل العلم المنصفين. ويقابل بين ما جاء به من الحق في أخباره وأحكامه، وبين ما كان عليه أعداؤه، والمكذبون به، من الكذب في أخبارهم، والباطل في أحكامهم، كما يقرر ذلك بالمعجزات المتنوعة.

ويقررالله المعاد بذكر كمال قدرته، وخلقِه للسموات والأرض، اللتين هما أكبر من خلق الناس، وبأن الذي بدأ الخلق قادر على إعادته من باب أولى، وبأن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى. ويذكر أيضاً أيامه في الأمم، ووقوع المثلات التي شاهدها الناس في الدنيا، وأنها نموذج من جزاء الآخرة.

ويدعو جميع المبطلين من الكفار والمشركين والملحدين بذكر محاسن الدين، وأنه يهدي للتي هي أقوم، في عقائده وأخلاقه وأعماله، وبيان ما لله من العظمة والربوبية، والنعم العظيمة. وأن مَنْ تفرد بالكمال المطلق، والنعم كلها، هو الذي لاتصلح العبادة إلا له، وأن ما عليه المبطلون، إذا مُيز وحقق وُجد شراً وباطلاً، وعواقبه وخيمة.

ومن أصول التفسير، إذا فهمتَ ما دلَّت عليه الآيات الكريمة من المعاني مطابقة وتضمناً، فاعلم أن لوازم هذه المعاني، وما لاتتم إلا به، وشروطها وتوابعها، تابعةٌ لذلك المعنى، فما لايتم الخبر إلا به،

<sup>(</sup>١) هذه الخاتمة جعلها الشيخ ــ رحمه الله ــ في آخر الجزء الخامس لمّا طبع في حياته، وقد جعلتها في خاتمة التفسير.

فهو تابع للخبر، وما لايتم الحكم إلا به، فهو تابع للحكم، وأنَّ الآيات التي يُفهم منها التعارض والتناقض، ليس فيها تناقض ولاتعارض، بل يجب حمل كل منها على الحالة المناسبة اللائقة بها. وأن حذف المتعلقات، من مفعولات وغيرها، يدل على تعميم المعنى، لأن هذا من أعظم فوائد الحذف، وأنه لا يجوز حذف ما لايدل عليه السياق اللفظي، والقرينة الحالية، كما أن الأحكام المقيدة بشروط أو صفات تدل على أن تلك القيود، لابد منها في ثبوت الحكم.

إذا أمر الله بشيء كان ناهياً عن ضده، وإذا نهى عن شيء كان آمراً بضده، وإذا أثنى على نفسه بنفي شيء من النقائص؛ كان إثباتاً للكمال المنافي لذلك النقص. وكذلك إذا أثنى على رسله وأوليائه ونزههم عن شيء من النقائص، فهو مدح لهم بما يضاد ذلك النقص، ومثله نفي النقائص عن دار النعيم، يدل على إثبات ضد ذلك.

ومن الكليات؛ أنه إذا وضح الحق وظهر ظهوراً جلياً، لم يبق للمجادلات العلمية والمعارضات العملية محل، بل تبطل المعارضات، وتضمحل المجادلات.

ما نفاه القرآن؛ فإما أن يكون غير موجود، أو أنه موجود، ولكنه غير مفيد ولانافع.

الموهوم لايدفع المعلوم، والمجهول لايعارض المحقق، وما بعد الحق إلا الضلال.

ذكرالله في القرآن الإيمان والعمل الصالح في مواضع كثيرة رتب عليهما من الجزاء العاجل والآجل والآثار الحميدة شيئاً كثيراً، فالإيمان هو: التصديق الجازم، بما أمر الله ورسوله بالتصديق به، المتضمن لأعمال الجوارح.

والعمل الصالح هو: القيام بحقوق الله، وحقوق عباده، وكذلك أمر الله بالتقوى، ومَدَح المتقين، ورتَّب على التقوى حصول الخيرات، وزوال المكروهات. والتقوى الكاملة: امتثال أمر الله وأمر رسوله، واجتناب نهيهما وتصديق خبرهما.

وإذا جمع الله بين التقوى والبر ونحوه، كانت التقوى اسماً لتوقي جميع المعاصي، والبر اسماً لفعل الخيرات، وإذا أفرد أحدهما، دخل فيه الآخر.

وذكر الله الهدى المطلوب في مواضع كثيرة، وأثنى على المهتدي، وأخبر أن الهدى بيده، وأمرنا بطلبه منه، وبالسعي في كل سبب يحصل الهدى، وذلك شامل لهداية العلم والعمل.

فالمهتدي: من عرف الحق، وعمل به، وضده الغي والضلال، فمن عرف الحق ولم يعمل به فهو الغاوي، ومن جهل الحق فهو الضال.

أمر الله بالإحسان، وأثنى على المحسنين، وذكر ثوابهم المتنوع في آيات كثيرة. وحقيقة الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وأن تبذل ما تستطيعه من النفع المالي والبدني والقولي إلى المخلوقين.

وأمر بالإصلاح وأثنى على المصلحين، وأخبر أنه لايضيع ثوابهم وأجرهم.

والإصلاح هو: أن تسعى في إصلاح عقائد الناس وأخلاقهم. وجميع أحوالهم، بحيث تكون على غاية ما يمكن من الصلاح، وأيضاً يشمل إصلاح الأمور الدينية، والأمور الدنيوية، وإصلاح الأفراد والجماعات، وضد هذا الفسادُ.

والإفساد، قد نهى عنه، وذم المفسدين، وذكر عقوباتهم المتعددة، وأخبر أنه لايصلح أعمالهم الدينية والدنيوية.

أثنى الله على اليقين، وعلى الموقنين، وأنهم هم المنتفعون بالآيات القرآنية، والآيات الأفقية.

واليقين أخص من العلم، فهو: العلم الراسخ، المثمر للعمل والطمأنينة.

أمر الله بالصبر، وأثنى على الصابرين، وذكر جزاءهم العاجل والآجل في عدة آيات، نحو تسعين موضعاً، وهو يشمل أنواعه الثلاثة: الصبر على طاعة الله، حتى يؤديها كاملة من جميع الوجوه، والصبر عن محارم الله حتى ينهى نفسه الأمارة بالسوء عنها. والصبر على أقدار الله المؤلمة، فيتلقاها بصبر وتسليم، غير متسخط في قلبه ولابدنه ولالسانه.

وكذلك أثنى الله على الشكر، وذكر ثواب الشاكرين، وأخبر أنهم أرفع الخلق في الدنيا والآخرة.

وحقيقة الشكر هو: الاعتراف بجميع نعم الله، والثناء على الله بها، والاستعانة بها على طاعة المنعم.

وذكر الله الخوف والخشية، في مواضع كثيرة. أمر به، وأثنى على أهله، وذكر ثوابهم، وأنهم المنتفعون بالآيات، التاركون للمحرمات.

وحقيقة الخوف والخشية: أن يخاف العبدُ مقامه بين يدي الله، ومقامه عليه، فينهى نفسه بهذا الخوف عن كل ما حرم الله.

والرجاء: أن يرجو العبد رحمة الله العامة، ورحمته الخاصة به. فيرجو قبول ما تفضل الله عليه به من الطاعات، وغفران ما تاب منه من الزلات، ويعلق رجاءه بربه في كل حال من أحواله.

وذكر الله الإنابة في مواضع كثيرة، وأثنى على المنببين، وأمر بالإنابة إليه. وحقيقة الإنابة: انجذاب القلب إلى الله، في كل حالة من أحواله، ينيب إلى ربه عند النعماء بشكره، وعند الضراء بالتضرع إليه، وعند مطالب النفوس الكثيرة بكثرة دعائه في جميع مهماته، وينيب إلى ربه، باللهج بذكره في كل وقت.

[والإنابة أيضاً: الرجوع إلى الله، بالتوبة من جميع المعاصي، والرجوع إليه في جميع أعماله وأقواله، فيعرضها على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فتكون الأعمال والأقوال، موزونة بميزان الشرع](١).

أمر تعالى بالإخلاص، وأثنى على المخلصين، وأخبر أنه لايقبل إلا العمل الخالص.

وحقيقة الإخلاص: أن يقصد العامل بعمله وجهَ الله وحده وثوابه. وضده: الرياء، والعمل للأغراض نفسية.

نهى الله عن التكبر، وذم الكبر والمتكبرين، وأخبر عن عقوباتهم العاجلة والآجلة.

والتكبر هو: رد الحق، واحتقار الخلق، وضد ذلك التواضع، فقد أمر به، وأثنى على أهله، وذكر ثوابهم، فهو قبول الحق ممن قاله، وأن لايحتقر الخلق، بل يرى فضلهم، ويحب لهم ما يحب لنفسه.

العدل، هو: أداء حقوق الله، وحقوق العباد.

والظلم: عكسه، فهو يشمل ظلم العبد لنفسه بالمعاصي والشرك وظلم العباد في دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

الصدق، هو: استواء الظاهر والباطن في الاستقامة على الصراط المستقيم، والكذب بخلاف ذلك.

حدود الله هي: محارمه، وهي التي يقول فيها ﴿تلك حدود الله فلا تقربوها﴾، ويراد بها ما أباحهالله وحلله، وقدره، وفرضه، فيقول فيها ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾.

الأمانة هي: الأمور التي يؤتمن عليها العبد. فيشمل ذلك أداء حقوقالله، وخصوصاً الخفية، وحقوق خلقه كذلك.

العهود والعقود، يدخل فيها التي بينه وبينالله، وهو: القيام بعبادةالله مخلصاً له الدين، والتي بينه وبين العباد من المعاملات ونحوها.

<sup>(</sup>١) ما بين القوسين في هامش النسخة بخط مغاير لخط الشيخ ... رحمه الله ..

الحكمة والقوام فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي.

والإسراف والتبذير، مجاوزة الحد في الإنفاق. والتقتير والبخل عكسه: التقصير في النفقات الواجبة.

المعروف: اسم جامع لكل ما عرف حسنه ونفعه شرعاً وعقلاً، والمنكر عكسه.

الاستقامة: لزوم طاعة الله، وطاعة رسوله على الدوام.

مرض القلب هو: اعتلاله، وهو نوعان: مرض شكوك في الحق، ومرض شهوة للأمور المحرمة.

النفاق: إظهار الخير، وإبطان الشر، فيدخل فيه النفاق الاعتقادي والنفاق العملي.

القرآن، كله مُحكمٌ، وأحكمت آياته من جهة موافقتها للحكمة، وأن أخباره أعلى درجات الصدق، وأحكامه في غاية الحسن. وكله متشابة، من جهة اتفاقه في البلاغة والحسن، وتصديق بعضه لبعض وكمال اتفاقه.

ومنه محكم ومتشابه، من جهة أن متشابهه ما كان فيه إجمال أو احتمال لبعض المعاني. ومحكمه، واضح مبين صريح في معناه، إذا رُدَّ إليه المتشابه، اتفق الجميعُ، واستقامت معانيه.

معية الله التي ذكرها في كتابه، نوعان:

معية العلم والإحاطة، وهي: المعية العامة، فإنه مع عباده أينما كانوا.

ومعية خاصة، وهي: معيته مع خواص خلقه بالنصرة، واللطف، والتأييد.

الدعاء والدعوة، يشمل دعاء العبادة، فيدخل فيه كل عبادة أمر الله بها ورسوله.

ودعاء المسألة، وهو: سؤال الله جلب المنافع، ودفع المضار.

الطيبات: اسم جامع لكل طيب نافع، من العقائد، والأخلاق، والأعمال، والمآكل، والمشارب والمكاسب. والخبيث ضد ذلك.

وقد يراد بالخبيث: الرديء، وبالطيب: الخيار كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم، ومما أخرجنا لكم من الأرض﴾(١).

النفقة، تشمل النفقة الواجبة: كالزكاة، والكفارة، ونفقة النفس، والعائلة، والمماليك، والنفقة المستحبة: كالنفقة في جميع طرق الخير.

التوكل على الله والاستعانة به، قد أمرالله بها، وأثنى على المتوكلين في آيات كثيرة.

وحقيقة ذلك: قوة اعتماد القلب على الله في جلب المصالح، ودفع المضار الدينية والدنيوية، مع الثقة به في حصول ذلك.

العقل الذي مدحه الله وأثنى على أهله، وأخبر أنهم هم المنتفعون بالآيات. هو: الذي يفهم، ويعقل الحقائق النافعة ، ويعمل بها، ويعقل صاحبه عن الأمور الضارة، ولذلك قيل له: حِجْر، ولُب، ونُهى، لأنه يحجر صاحبه وينهاه عما يضره.

العلم هو: معرفة اُلهَّدى بدليله، فهو معرفة المسائل النافعة المطلوبة، ومعرفة أدلتها وطرقها،التي تهدي إليها.

والعلم النافع هو: العلم بالحق والعمل به، وضده الجهل.

لفظ «الأمة» في القرآن على أربعة أوجه: يراد به «الطائفة من الناس» وهو الغالب. ويراد به «المدة»،

 <sup>(</sup>١) لم يتم الشيخ \_ رحمه الله \_ الآية، وبتمامها يتضح مراده، وتمامها قوله تعالى: ﴿ ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن
تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد﴾.

ويراد به «الدين» و«الملة»، ويراد به «الإمام» في الخير.

لفظ «استوى» في القرآن على ثلاثة أوجه: إن عُدِّيَ بِ«على» كان معناه العلو والارتفاع، ﴿ثم استوى على العرش﴾

وإن عُدِّي بِوَالِي، فمعناه قصد، كقوله: ﴿ثم استوى إلى السماء فسواهنَ سبع سموات﴾ .

وإن لم يُعَدُّ بشيء، فمعناه "كَمُلِّ، كقوله تعالى ﴿ولما بلغ أشده واستوى﴾ إ

«التوبة» ورد في آيات كثيرة الأمر بها، ومدح التائبين وثوابهم، وهي: الرجوع عما يكرهه الله ظاهراً وباطناً، إلى ما يحبهالله ظاهراً وباطناً.

الصراط المستقيم، الذي أمر الله بلزومه وأثنى على المستقيمين عليه، هو: الطريق المعتدل الموصل إلى رضوانالله وثوابه، وهو متابعة النبي ﷺ في أقواله وأفعاله وكل أحواله.

الذكر لله الذي أمر به، وأثنى على الذاكرين، وذكر جزاءهم العاجل والآجل هو: عند الإطلاق، يشمل جميع ما يقرب إلى الله: من عقيدة، أو فكر نافع، أو خلق جميل، أو عمل قلبي أو بدني، أو ثناء على الله، أو تسبيح ونحوه، أو تعلم أحكام الشرع الأصولية والفروعية، أو ما يعين على ذلك، فكله داخل في ذكر الله.

#### فصيل

وقد تكرر كثير من أسماء الله الحسنى في القرآن بحسب المناسبات، والحاجة داعية إلى التنبيه إلى معانيها الجامعة، فنقول:

قد تكرر اسم «الرب» في آيات كثيرة.

و «الرب»: هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم. وأخص من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم. ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل، لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة.

«الله»: هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال.

«الملك، المالك»: الذي له الملك فهو الموصوف بصفة الملك، وهي صفات العظمة والكبرياء، والقهر والتدبير، الذي له التصرف المطلق في الخلق والأمر والجزاء، وله جميع العالم العلوي والسفلي، كلهم عبيد ومماليك، ومضطرون إليه.

«الواحد، الأحد»: وهو الذي توجّد بجميع الكمالات، بحيث لايشاركه فيها مشارك. ويجب على العبيد توحيده، عقلاً، وقولاً، وعملاً، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة.

«الصمد»: وهو الذي تقصده الخلائق كلها في جميع حاجاتها، وضروراتها وأحوالها ، لما له من الكمال المطلق في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

•العليم، الخبير»: وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والأسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلايخفى عليه شيء من الأشياء.

«الحكيم»: وهو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره، الذي أحسن كل شيء خلقه ﴿ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾. فلايخلق شيئاً عبثاً، ولايشرع شيئاً سدى، الذي له الحكم في الأولى والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لايشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده، في شرعه، وفي قدره وجزائه.

والحكمة: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيلها منازلها.

«الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب،

هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدل كلها على اتصاف الرب بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه، التي عم بها جميع الوجود، بحسب ما تقتضيه حكمته.، وخص المؤمنين منها بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، قال تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون﴾ الآية.

والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار حمته.

(السميع) لجميع الأصوات، باختلاف اللغات على تفنن الحاجات.

«البصير» الذي يُبصر كل شيء وإن دقَّ وصغر، فيبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء. ويُبصر ما تحت الأرضين السبع، كما يبصر ما فوق السموات السبع. وأيضاً سميع بصير بمن يستحق الجزاء بحسب حكمته، والمعنى الأخير يرجع إلى الحكمة.

«الحميد» في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأغمال أتمها وأحسنها، فإن أفعاله تعالى دائرة بين الفضل والعدل.

«المجيد، الكبير، العظيم، الجليل» وهو الموصوف بصفات المجد، والكبرياء، والعظمة، والجلال، الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجل وأعلى. وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه، قد ملتت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله، والخضوع له والتذلل لكبريائه.

«العفو، الغفور، الغفار» الذي لم يزل، ولايزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفاً، كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه، وقد وعد بالمغفرة والعفو لمن أتى بأسبابها، قال تعالى: ﴿وَإِنِي لَغفَار لَمَن تَابِ وآمَن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾

«التواب» الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين، فكل من تاب إلى الله. توبة نصوحاً، تاب الله عليه، فهو التائب على التائبين أولاً بتوفيقهم للتوبة والإقبال بقلوبهم إليه، وهو التائب عليهم بعد توبتهم قبولاً لها، وعفواً عن خطاياهم.

«القدوس، السلام» أي: المعظم المنزه عن صفات النقص كلها، وأن يماثله أحدٌ من الخلق، فهو المتنزه عن جميع العيوب، والمتنزه عن أن يقاربه أو يماثله أحدٌ في شيء من الكمال ﴿ليس كمثله شيء﴾ ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ ﴿هل تعلم له سمياً﴾ ﴿فلاتجعلوالله أنداداً﴾

فالقدوس كالسلام، ينفيان كل نقص من جميع الوجوه، ويتضمنان الكمال المطلق من جميع الوجوه، لأن النقص إذا انتفى ثبت الكمال كله.

«العلي الأعلى» وهو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه، علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو القدر والصفات، وعلو القهر. فهو الذي على العرش استوى، وعلى الملك احتوى. وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال اتصف، وإليه فيها المنتهى.

«العزيز» الذي له العزة كلها: عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع. فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته.

(القوي، المتين) هو في معنى العزيز.

«الجبار» هو بمعنى العلي الأعلى، وبمعنى القهار، وبمعنى «الرؤوف» الجابر للقلوب المنكسرة، وللضعيف العاجز، ولمن لاذ به ولجأ إليه.

(المتكبر) عن السوء والنقص والعيوب، لعظمته وكبريائه.

«الخالق، البارىء، المصور» الذي خلق جميع الموجودات وبرأها وسوَّاها بحكمته، وصورها بحمده وحكمته، وهو لم يزل ولايزال على هذا الوصف العظيم.

«المؤمن» الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال، وبكمال الجلال والجمال، الذي أرسل رسله وأنزل كتبه بالآيات والبراهين، وصدق رسله بكل آية وبرهان، يدل على صدقهم وصحة ما جاؤوا به.

«المهيمن»: المطلّع على خفايا الأمور وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيء علماً.

«القدير» كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سوَّاها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئاً قال له «كن فيكون»، وبقدرته يقلب القلوب، ويصرفها على ما يشاء ويريد.

«اللطيف» الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك الخبايا والبواطن والأمور الدقيقة، اللطيف بعباده المؤمنين، الموصل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه، من طرق لايشعرون بها، فهو بمعنى «الخبير» وبمعنى «الرؤوف».

«الحسيب» هو العليم بعباده، كافي المتوكلين، المجازي لعباده بالخير والشر، بحسب حكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها.

«الرقيب» المطلّع على ما أكنته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير.

«الحفيظ» الذي حفظ ما خلقه، وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ أولياءه من وقوعهم في الذنوب والهلكات، ولطف بهم في الحركات والسكنات، وأحصى على العباد أعمالهم وجزاءها.

**«المحيط»** بكل شيء علماً، وقدرة، ورحمة، وقهراً.

«القهار» لكل شيء، الذي خضعت له المخلوقات، وذلت لعزته وقوته وكمال اقتداره.

«المُقيت» الذي أوصل إلى كل موجود ما به يقتات، وأوصل إليها أرزاقها وصرفها كيف يشاء بحكمته وحمده.

«الوكيل» المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته، الذي تولى أولياءه، فيسرهم لليسرى، وجنبهم العسرى، وكفاهم الأمور. فمن اتخذه وكيلاً كفاه ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾.

«ذو الجلال والإكرام» أي: ذو العظمة والكبرياء، وذو الرحمة والجود، والإحسان العام والخاص، المكرم لأوليائه وأصفيائه، الذين يجلونه ويعظمونه ويحبونه.

«الودود» الذي يحبُ أنبياءه ورسله وأتباعهم، ويحبونه، فهو أحب إليهم من كل شيء، قد امتلأت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفندتهم إليه وداً وإخلاصاً وإنابة من جميع الوجوه.

«الفتاح» الذي يحكم بين عباده بأحكامه الشرعية، وأحكامه القدرية، وأحكام الجزاء، الذي فتح بلطفه بصائر الصادقين، وفتح قلوبهم لمعرفته ومحبته والإنابة إليه، وفتح لعباده أبواب الرحمة والأرزاق المتنوعة، وسبب لهم الأسباب التي ينالون بها خير الدنيا والآخرة ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾

«الرزاق» لجميع عباده، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها. ورزقه لعباده نوعان:

رزق عام، شمل البِّرُّ والفاجر، والأولين والآخرين، وهو رزق الأبدان.

ورزق خاص وهو رزق القلوب، وتغذيتها بالعلم والإيمان.

والرزق الحلال الذي يعين على صلاح الدين، وهذا خاص بالمؤمنين، على مراتبهم منه، بحسب ما تقتضيه حكمته ورحمته.

«الحكم، العدل» الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة بعدله وقسطه. فلايظلم مثقال ذرة، ولا يحمّل أحداً وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه ويؤدي الحقوق إلى أهلها، فلا يدع صاحب حق إلا أوصل إليه حقه، وهو العدل في تدبيره وتقديره ﴿إن ربى على صراط مستقيم﴾.

«جامع الناس» ليوم لاريب فيه، وجامع أعمالهم وأرزاقهم، فلايترك منها صغيرة ولاكبيرة إلا أحصاها، وجامع ما تفرّق واستحال من الأموات الأولين والآخرين، بكمال قدرته، وسعة علمه.

«الحيُّ القيُّوم» كامل الحياة والقائم بنفسه. القيوم لأهل السموات والأرض، القائم بتدبيرهم وأرزاقهم، وجميع أحوالهم، ف«الحي»: الجامع لصفات الذات، و«القيوم» الجامع لصفات الأفعال.

«النور» نور السموات والأرض، الذي نوَّر قلوب العارفين بمعرفته والإيمان به، ونَوَّر أفئدتهم بهدايته، وهو الذي أنار السموات والأرض بالأنوار التي وضعها، وحجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

«بديع السموات والأرض؛ أي: خالقهما ومبدعهما، في غاية ما يكون من الحسن والخلق البديع، والنظام العجيب المحكم.

«القابض الباسط» يقبض الأرزاق والأرواح، ويبسط الأرزاق والقلوب، وذلك تبع لحكمته ورحمته.

«المعطي، المانع» لامانع لما أعطى، ولامعطي لما منع، فجميع المصالح والمنافع منه تطلب، وإليه يرغب فيها، وهو الذي يعطيها لمن يشاء، ويمنعها من يشاء بحكمته ورحمته.

«الشهيد» أي: المطَّلع على جميع الأشياء. سمع جميع الأصوات خفيها وجليها، وأبصر جميع الموجودات دقيقها وجليلها صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوه.

«المبدىء، المعيد» قال تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾، ابتدأ خلقهم ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، ثم يعيدهم ليجزي الذين أحسنوا بالحسنى، ويجزي المسيئين بإساءتهم. وكذلك هو الذي يبدأ إيجاد المخلوقات شيئاً فشيئاً، ثم يعيدها كل وقت.

«الفعّال لما يريد» وهذا من كمال قوته ونفوذ مشيئته وقدرته، أن كل أمر يريده يفعله بلاممانع ولا معارض، وليس له ظهير ولاعوين، على أيّ أمر يكون، بل إذا أراد شيئاً قال له "كن فيكون». ومع أنه الفعال لما يريد، فإرادته تابعة لحكمته وحمده، فهو موصوف بكمال القدرة، ونفوذ المشيئة، وموصوف بشمول الحكمة، لكل ما فعله ويفعله.

والغني، المغني، فهو الغني بذاته، الذي له الغنى التام المطلق، من جميع الوجوه والاعتبارات لكماله، وكمال صفاته، فلايتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولايمكن أن يكون إلا غنياً، لأن غناه من لوازم ذاته، كما لايكون إلا خالقاً، قادراً، رازقاً، محسناً، فلا يحتاج إلى أحد بوجه من الوجوه، فهو الغني، الذي بيده خزائن السموات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة. المغني جميع خلقه غنى عاماً، والمغنى لخواص خلقه بما أفاض على قلوبهم من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية.

«الحليم» الذي يَدِرُ على خلقه النعم الظاهرة والباطنة، مع معاصيهم وكثرة زلاتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم، ويستعتبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي ينيبوا.

«الشاكر، الشكور» الذي يشكر القليل من العمل، ويغفر الكثير من الزلل. ويضاعف للمخلصين أعمالهم بغير حساب، ويشكر الشاكرين، ويذكر من ذكره، ومن تقرب إليه بشيء من الأعمال الصالحة،

تقرب الله منه أكثر.

«القريب، المجيب» أي: هو تعالى القريب من كل أحد، وقربه تعالى نوعان: قرب عام من كل أحد، بعلمه، وخبرته، ومراقبته، ومشاهدته، وإحاطته. وقرب خاص، من عابديه، وسائليه، ومحبيه، وهو قرب لاتدرك له حقيقة، وإنما تعلم آثاره، من لطفه بعبده، وعنايته به، وتوفيقه وتسديده. ومن آثاره الإجابة للداعين، والإنابة (العابدين، فهو المجيب إجابة عامة للداعين مهما كانوا، وأين كانوا، وعلى أي حال كانوا كما وعدهم بهذا الوعد المطلق، وهو المجيب إجابة خاصة للمستجيبين له المنقادين لشرعه، وهو المجيب أيضاً للمضطرين، ومن انقطع رجاؤهم من المخلوقين وقوي تعلقهم به طمعاً ورجاء وخوفاً.

«الكافي» عباده جميع ما يحتاجون ويضطرون إليه، الكافي كفاية خاصة من آمن به، وتوكل عليه، واستمد منه حوائج دينه ودنياه.

«الأول، والآخر، والظاهر، والباطن».

قد فسَّرها النبي ﷺ تفسيراً جامعاً واضحاً، فقال: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء».

«الواسع» الصفات والنعوت ومتعلقاتها، بحيث لايُخصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه. واسع العظمة والسلطان والملك، واسع الفضل والإحسان، عظيم الجود والكرم.

«الهادي، الرشيد» أي: الذي يهدي ويرشد عباده إلى جميع المنافع، وإلى دفع المضار، ويعلمهم ما لايعلمون، ويهديهم لهداية التوفيق والتسديد، ويلهمهم التقوى، ويجعل قلوبهم منيبة إليه منقادة لأمره.

وللرشيد معنى بمعنى الحكيم، فهو الرشيد في أقواله وأفعاله، وشرائعه كلها خير ورشد وحكمة، ومخلوقاته مشتملة على الرشد.

«الحق» في ذاته وصفاته، فهو واجب الوجود، كامل الصفات والنعوت، وجوده من لوازم ذاته، ولاوجود لشيء من الأشياء إلا به. فهو الذي لم يزل ولايزال بالجلال والجمال والكمال موصوفاً، ولم يزل ولا يزال بالإحسان معروفاً.

فقوله حق، وفعله حق، ولقاؤه حق، ورسله حق، وكتبه حق، ودينه هو الحق، وعبادته وحده لاشريك له هي الحق، وكل شيء ينسب إليه فهو حق. ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير﴾

﴿ وقل الحق من ربكم، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ ﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال ﴾ ﴿ قل جاء الحق وذهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً ﴾

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم إلى يوم الدين.

قال ذلك وكتبه العبد الفقير إلى ربه عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر السعدي غفر الله له ولوالديه، ومشايخه، وأحبابه، وجميع المسلمين آمين.

<sup>(</sup>١) كذا في الأصل ولعلها: (الإثابة) والله أعلم.

	•	

﴿ ٢٣٨ ـ ٢٣٩﴾ ثـم قـال تـعـالـى: ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا ش قانتين \* فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ يأمر تعالى بالمحافظة ﴿ على الصلوات ﴾ عموماً، وعلى ﴿ الصلاة الوسطى ﴾ وهي العصر خصوصاً.

والمحافظة عليها: أداؤها بوقتها، وشروطها، وأركانها، وخشوعها، وجميع ما لها، من واجب ومستحب.

وبالمحافظة على الصلوات، تحصل المحافظة على سائر العبادات، وتفيد النهي عن الفحشاء والمنكر، خصوصاً إذا أكملها كما أمر بقوله: ﴿وقوموا لله قانتين﴾، أي: ذليلين مخلصين خاشعين، فإن القنوت دوام الطاعة مع الخشوع،

﴿٢٣٩﴾ وقوله: ﴿فإن خفتم﴾ حذف المتعلق، ليعم الخوف من العدو، والسبع، وفوات ما يتضرر العبد يفوته فصلوا، ﴿رجالا﴾ ماشين على أرجلكم.

ويدخل في قوله: ﴿فإذا أمنتم فاذكروا الله ﴾ تكميل الصلوات، ويدخل فيه أيضاً، الإكثار من ذكر الله، شكراً له على نعمة الأمن وعلى نعمة التعليم، لما فيه سعادة العبد.

وفي الآية الكريمة، فضيلة العلم، وأن على من علمه الله ما لم يكن يعلم الإكثار من ذكر الله.

وفيه الإشعار أيضاً أن الإكثار من ذكره، سبب لتعليم علوم أخر، لأن الشكر مقرون بالمزيد.

ثم قال تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصيةً لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم﴾.

﴿٢٤﴾ اشتهر عند كشير من المفسرين، أن هذه الآية الكريمة، نسختها الآية التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾، وأن الأمر

كان على الزوجة، أن تتربص حولاً كاملاً، ثم نسخ بأربعة أشهر وعشر.

ويجيبون عن تقدم الآية الناسخة، أن ذلك تقدم في الوضع، لا في النزول، لأن شرط الناسخ أن يتأخر عن المنسوخ، وهذا القول لا دليل عليه.

ومن تأمل الآيتين، اتضح له أن القول الآخر في الآية، هو الصواب، وأن الآية الأولى في وجوب التربص أربعة أشهر وعشراً، على وجه التحتيم على المرأة، وأما في هذه الآية فإنها وصية لأهل الميت، أن يبقوا زوجة ميتهم عندهم، حولاً كاملاً، جبراً لخاطرها، وبراً بميتهم، ولهذا قال: ﴿وصية لأزواجهم﴾، أي: وصية من الله لأهل الميت، أن يستوصوا بزوجته، ويمتعوها ولا يخرجوها.

فإن رغبت أقامت في وصيتها، وإن أحبت الخروج فلا حرج عليها، ولهذا قال: ﴿ فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن ﴾، أي: من التجمل واللباس. لكن الشرط، أن يكون بالمعروف، الذي لا يخرجها عن حدود الدين والاعتبار، وختم الآية بهذين الاسمين العظيمين، الدالين على كمال العزة، وكمال الحكمة، لأن هذه أحكام صدرت عن عزته، ودلت على كمال حكمته، حيث وضعها في مواضعها اللائقة

﴿ ٢٤١ـ ٢٤٢﴾ ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين ۞ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون﴾ لما بيّن في الآية السابقة، إمتاع المفارقة بالموت، ذكر هنا أن كل مطلقة، فلها على زوجها، أن يمتعها ويعطيها ما يناسب حاله وحالها، وأنه حق، إنما يقوم به المتقون، فهو من خصال التقوى الواجبة أو المستحبة.

فإن كانت المرأة لم يسم لها صداق، وطلقها قبل الدخول، فتقدم أنه يجب عليه بحسب يساره وإعساره.

وإن كان مسمى لها، فمتاعها نصف المسمى.

وإن كانت مدخولاً بها، صارت المتعة مستحبة، في قول جمهور العلماء.

ومن العلماء من أوجب ذلك، استدلالاً بقوله: ﴿حقاً على المتقين﴾، والأصل في «الحق؛ أنه واجب، خصوصاً وقد أضافه إلى المتقين، وأصل التقوى واجبة.

فلما بين تعالى هذه الأحكام الجليلة بين الزوجين، أثنى على أحكامه وعلى بيانه لها وتوضيحه، وموافقتها للعقول السليمة، وأن القصد من بيانه لعباده، أن يعقلوا عنه ما بينه، فيعقلونها حفظاً، وفهماً، وعملاً بها، فإن ذلك من تمام عقلها.

﴿٢٤٣﴾ ﴿الم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ أي: ألم تسمع بهذه القصة العجيبة الجارية على من قبلكم من بني إسرائيل، حيث حل الوباء بديارهم، فخرجوا بهذه الكثرة، فراراً من الموت، فلم ينجهم الفرار، ولا أغنى عنهم من وقوع ما كانوا يحذرون، فعاملهم بنقيض مقصودهم، وأماتهم الله عن آخرهم، ثم تفضل عليهم، فأحياهم، إما بدعوة نبي، كما قاله كثير من المفسرين، وإما بغير ذلك.

ولكن ذلك، بفضله وإحسانه، وهو لا زال فضله على الناس، وذلك موجب لشكرهم لنعم الله بالاعتراف بها وصرفها في مرضاة الله، ومع ذلك فأكثر الناس قد قصروا بواجب الشكر.

وفي هذه القصة، عبرة بأنه على كل شيء قدير، وذلك آية محسوسة على البعث، فإن هذه القصة معروفة منقولة، نقلاً متواتراً عند بني إسرائيل ومن اتصل بهم، ولهذا أتى بها تعالى، بأسلوب الأمر الذي قد تقرر عند المخاطين.

ويحتمل أن هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم خوفاً من الأعداء، وجبناً عن لقائهم، ويؤيد هذا أن الله ذكر بعدها الأمر بالقتال وأخبر عن بني إسرائيل أنهم كانوا مخرجين من ديارهم وأبنائهم.

وعلى الاحتمالين فإن فيها ترغيباً في الجهاد، وترهيباً من التقاعد عنه، وأن ذلك لا يغني عن الموت شيئاً. ﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾.

﴿ ٢٤٤. ٣٤٠ ﴿ وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم ۞ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسنا فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون﴾ جمع الله بين الأمر بالقتال في سبيله بالمال والبدن لأن الجهاد لا يقوم إلا بالأمرين، وحث على الإخلاص فيه، بأن يقاتل العبد، لتكون كلمة الله هي العليا، فإن الله العبد، لتكون كلمة الله هي العليا، فإن الله

﴿سميع﴾ للأقوال، وإن خفيت، ﴿عليم﴾ بما تحتوي عليه القلوب من النيات الصالحة وضدها.

وأيضاً، فإنه إذا علم المجاهد في سبيله، أن الله سميع عليم، هان عليه ذلك، وعلم أنه بعينه ما يتحمل المتحملون من أجله، وأنه لا بد أن يمدهم بعونه ولطفه.

وتأمل هذا الحث اللطيف على النفقة، وأن المنفق قد أقرض الله المليء الكريم، ووعده المضاعفة الكثيرة، كما قال تعالى: أمثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم.

ولما كان المانع الأكبر من الإنفاق خوف الإملاق، أخبر تعالى أن الغنى والفقر بيد الله، وأنه يقبض الرزق على من يشاء، ويبسطه على من يشاء، فلا يتأخر من يريد الإنفاق خوف الفقر، ولا يظن أنه ضائع، بل مرجع العباد كلهم إلى الله، فيجد المنفقون والعاملون أجرهم عنده مدخراً، أحوج ما يكونون إليه، ويكون له من الوقع العظيم، ما لا يمكن التعبير عنه.

والمراد بالقرض الحسن: هو ما جمع أوصاف الحسن، من النية الصالحة، وسماحة النفس، بالنفقة، ووقوعها في محلها وأن لا يتبعها المنفق مناً ولا أذى؛ ولا مبطلاً ومنقصاً.

﴿٢٤٦﴾ ﴿ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله إلى آخر القصة. يقص الله تعالى هذه القصة على الأمة، ليعتبروا وليرغبوا في الجهاد، ولا ينكلوا عنه، فإن الصابرين صارت لهم العواقب الحميدة في الدنيا والآخرة، والناكلين خسروا الأمرين.

فأخبر تعالى أن أهل الرأي من بني إسرائيل وأصحاب الكلمة النافذة؛ تراودوا في شأن الجهاد، واتفقوا على أن يطلبوا من نبيهم أن يعين لهم ملكاً؛ لينقطع النزاع بتعيينه، وتحصل الطاعة التامة، ولا يبقى لقائل مقال.

وأن نبيهم خشي أن طلبهم هذا، مجرد كلام لا فعل معه، فأجابوا نبيهم بالعزم

الجازم، وأنهم التزموا ذلك التزاماً تاماً، وأن القتال متعين عليهم، حيث كان وسيلة لاسترجاع ديارهم؛ ورجوعهم إلى مقرهم ووطنهم.

﴿٣٤٧﴾ وأنه عين لهم نبيهم طالوت ملكاً، يقودهم في هذا الأمر الذي لا بد له من قائد يحسن القيادة، وأنهم استغربوا تعيينه لطالوت، وثم من هو أحق منه بيتاً وأكثر مالاً.

فأجابهم نبيهم: إن الله اختاره عليكم؛ بما آتاه الله من قوة العلم بالسياسة؛ وقوة الجسم، اللذين هما آلة الشجاعة والنجدة، وحسن التدبير، وأن الملك ليس بكثرة المال؛ ولا بكون صاحبه ممن كان الملك والسيادة في بيوتهم، فالله يؤتي ملكه من ساء.

﴿٢٤٨﴾ ثم لم يكتف ذلك النبي الكريم بإقناعهم بما ذكره! من كفاءة طالوت! واجتماع الصفات المطلوبة فيه حتى قال لهم: ﴿إِنْ آية ملكه أَنْ يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون﴾، وكان هذا التابوت قد استولت عليه الأعداء.

فلم يكتفوا بالصفات المعنوية في طالوت، ولا بتعيين الله له على لسان نبيهم، حتى يؤيد ذلك هذه المعجزة، ولهذا قال: ﴿إِنْ فِي ذلك لآية لكم إِنْ كنتم مؤمنين﴾، فحينئذ سلموا وانقادوا.

﴿٢٤٩﴾ فلما ترأس فيهم طالوت، وجندهم، ورتبهم، وفصل بهم إلى قتال عدوهم، وكان قد رأى منهم من ضعف العزائم والهمم، ما يحتاج إلى تمييز الصابر من الناكل، فقال: ﴿إِنْ الله مبتليكم بنهر﴾ تمرون عليه وقت حاجة إلى الماء.

﴿ فمن شرب منه فليس مني ﴾ ، أي: لا يتبعني ؛ لأن ذلك برهان على قلة صبره، ووقور جزعه، ﴿ ومن لم يطعمه فإنه مني ﴾ لصدقه وصبره، ﴿ إلا من اغترف غرفة بيده ﴾ ، أي: فإنه مسامح فعا.

فلما وصلوا إلى ذلك النهر وكانوا محتاجين إلى الماء، شربوا كلهم منه ﴿إلا قليلاً منهم﴾ فإنهم صبروا ولم يشربوا.

﴿فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا﴾ أي: الناكلون أو الذين عبروا:

﴿لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾.

فإن كان القائلون هم الناكلين، فهذا قول يبررون به نكولهم، وإن كان القائلون هم الذين عبروا مع طالوت، فإنه حصل معهم نوع استضعاف لأنفسهم، ولكن شجعهم على الثبات والإقدام أهل الإيمان الكامل حيث قالوا: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كشيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ بعونه وتأييده، ونصره، فئبتوا، وصبروا لقتال عدوهم جالوت وجنوده.

﴿وَآتِــاهُ اللهُ﴾، أي: داود ﴿الـــمــلــكُ والحكمة﴾ النبوة والعلوم النافعة، وآتاه الله الحكمة وفصل الخطاب.

﴿٢٥١﴾ ثم بين تعالى، فائدة الجهاد فقال: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم بعض لفسدت الأرض﴾ باستيلاء الكفرة والفجار، وأهل الشر والفساد.

﴿ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ حيث لطف بالمؤمنين، ودافع عنهم وعن دينهم، بما شرعه وبما قدره.

﴿٢٥٢﴾ فلما بين هذه القصة قال لرسوله ﷺ: ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين﴾.

ومن جملة الأدلة على رسالته، هذه القصة، حيث أخبر بها وحياً من الله، مطابقاً للواقع، وفي هذه القصة عبر كثيرة للأمة.

منها: فضيلة الجهاد في سبيله، وفوائده، وثمراته، وأنه السبب الوحيد في حفظ الدين، وحفظ الأوطان، وحفظ الأبدان والأموال، وأن المجاهدين، ولو شقت عليهم الأمور، فإن عواقبهم حميدة كما أن الناكلين، ولو استراحوا قليلاً، فإنهم سيتعبون طويلاً.

ومنها: الانتداب لرياسة من فيه كفاءة، وأن الكفاءة ترجع إلى أمرين: إلى العلم الذي هو علم السياسة والتدبير، وإلى القوة التي ينفذ بها الحق، وأن من اجتمع فيه الأمران فهو أحق من غيره.

ومنها: الاستدلال بهذه القصة على ما قاله العلماء، أنه ينبغي للأمير للجيوش،

أن يتفقدها عند فصولها، فيمنع من لا يصلح للقتال، من رجال وخيل وركاب، لضعفه، أو ضعف صبره، أو لتخذيله، أو خوف الضرر بصحبته، فإن هذا القسم ضرر محض على الناس.

ومنها: أنه ينبغي عند حضور البأس، تقوية المجاهدين، وتشجيعهم، وحثهم على القوة الإيمانية، والاتكال الكامل على الله، والاعتماد عليه، وسؤال الله النثبيت، والإعانة على الصبر والنصر على الأعداء.

ومنها: أن العزم على القتال والجهاد غير حقيقته، فقد يعزم الإنسان، ولكن عند حضوره، تنحل عزيمته، ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ: ﴿أَسَالُكُ النباتُ فِي الأمر، والعزيمة على الرشد».

فهؤلاء الذين عزموا على القتال، وأتوا بكلام يدل على العزم المصمم، لما جاء الوقت، نكص أكثرهم، ويشبه هذا قوله على الفضاء الرضا بعد القضاء المكروه للنوس، هو الرضا الحقيقي.

﴿٢٥٣﴾ وقوله تعالى ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾ يخبر الباري أنه فاوت بين الرسل في الفضائل الجليلة، والتخصيصات الجميلة، بحسب ما من الله واليقين الراسخ، والأخلاق العالية، والبقين الراسخ، والأخلاق العالية، والنفم العميم،

فمنهم من اتخذه خليلاً، ومنهم من كلمه تكليماً، ومنهم من رفعه فوق الخلائق درجات.

وجميعهم لا سبيل لأحد من البشر إلى الوصول إلى فضلهم الشامخ.

وخصً عيسى ابن مريم أنه آناه البينات الدالة على أنه رسول الله حقاً، وعبده صدقاً، وأن ما جاء به من عند الله كله حق، فجعله يبرىء الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، وكلم الناس في

المهد صبياً، وأيده بروح القدس، أي: بروح الإيمان.

فجعل روحانيته فائقة روحانية غيره، فحصل له بذلك القوة والتأييد، وإن كان أصل التأييد بهذه الروح عاماً لكل مؤمن، بحسب إيمانه، كما قال: ﴿وأيدهم بروح منه﴾، لكن ما لعيسى أعظم مما لغيره، لهذا خصه الله بالذكر.

وقيل: إن روح القدس ــ هنا ــ جبريل، أيده الله بإعانته ومؤازرته، لكن المعنى هو الأول.

ولما أخبر عن كمال الرسل، وما أعطاهم من الفضل والخصائص، وأن دينهم واحد، ودعوتهم إلى الخير واحدة، وكان موجب ذلك ومقتضاه، أن تجتمع الأمم على تصديقهم، والانقياد لهم، لما آتاهم من البينات التي على مثلها يؤمن البشر، لكن أكثرهم انحرفوا عن الصراط المستقيم، ووقع الاختلاف بين الأمم.

فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، ووقع لأجل ذلك الاقتتال الذي هو موجب الاختلاف والتعادي، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى، فما اختلفوا، ولو شاء الله أيضاً \_ بعدما وقع الاختلاف الموجب للاقتتال \_ ما اقتتاوا.

ولكن حكمته، اقتضت جريان الأمور على هذا النظام بحسب الأسباب، ففي هذه الآية أكبر شاهد على أنه تعالى، يتصرف في جميع الأسباب المقتضية لمسبباتها، وأنه إن شاء أبقاها، وإن شاء منعها، وكل ذلك تبعّ لحكمته وحده، فإنه فعال لما يريد، فليس لإرادته ومشيئته ممانع ولا معارض ولا معاون.

﴿٢٥٤﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون﴾ يحتُّ الله المؤمنين على النفقات، في جميع طرق الخير؛ لأن حذف المعمول، يفيد التعميم، ويذكرهم نعمته عليهم، بأنه هو الذي رزقهم، ونوع عليهم النعم، وأنه لم يأمرهم بإخراج جميع ما في أيديهم، بل أتى بد "من" الدالة على التبعيض، فهذا مما يدعوهم إلى على التبعيض، فهذا مما يدعوهم إلى

ومما يدعوهم أيضاً إخبارهم أن هذه النفقات، مدخرة عند الله في يوم لا تفيد

فيه المعاوضات بالبيع ونحوه، ولا التبرعات، ولا الشفاعات، فكل أحد يقول: ما قدمت لحياتي.

فتنقطع الأسباب كلها، إلا الأسباب المتعلقة بطاعة الله والإيمان به، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا، وهم في الغرفات آمنون)، ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً﴾.

ثم قال تعالى: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾، وذلك لأن الله خلقهم لعبادته، ورزقهم وعافاهم، ليستعينوا بذلك على طاعته، فخرجوا عما خلقهم الله له، وأشركوا بالله، ما لم ينزل به سلطاناً، واستعانوا بنعمه على الكفر، والفسوق، والعصيان، فلم يبقوا للعدل موضعاً، فلهذا حصر الظلم المطلق فيهم.

﴿٢٥٥﴾ ﴿الله لا إلىه إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيدهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ أخبر ﷺ أن هذه الآية أعظم آيات القرآن، لما احتوت عليه من معاني التوحيد والعظمة، وسعة الصفات للباري تعالى.

فأخبر أنه ﴿اللهِ الذي له جميع معاني الألوهية، وأنه لا يستحق الألوهية والعبودية إلا هو، فألوهية غيره، وعبادة غيره باطلة.

وأنه ﴿الحي﴾ الذي له جميع معاني الحياة الكاملة، من السمع والبصر، والإرادة، وغيرها، والصفات الذاتية.

كما أن ﴿القيوم﴾ تدخل فيه جميع صفات الأفعال، لأنه القيوم الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام بجميع الموجودات، فأوجدها وأبقاها، وأمدها بجميع ما تحتاج إليه في وجودها وبقائها.

ومن كمال حياته وقيوميته، أنه

﴿لا تسأخذه مسندة﴾، أي: نسعاس ﴿ولا نوم﴾؛ لأن السنة والنوم، إنما يعرضان للمخلوق، الذي يعتريه الضعف، والعجز، والانحلال، ولا يعرضان لذي العظمة والكبرياء والجلال.

وأخبر أنه مالك جميع ما في السماوات والأرض، فكلهم عبيد لله مماليك، لا يخرج أحد منهم عن هذا الطور، ﴿إِن كُلُ مِن فِي السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً﴾، فهو المالك لجميع الممالك، وهو الذي له صفات الملك والتصرف، والسلطان، والكبرياء.

ومن تمام ملكه أنه لا ﴿ يشفع عنده ﴾ أحد ﴿ إلا بإذنه ﴾ ، فكل الوجهاء والشفعاء عبيد له مماليك ، لا يقدمون على شفاعة حتى يأذن لهم. ﴿ قَلْ لله الشفاعة جميعاً ، له ملك السعوات والأرض ﴾ والله لا يأذن لأحد أن يشفع إلا في من ارتضى ، ولا يرتضي إلا .توحيده ، واتباع رسله ، فمن لم يتصف بهذا ، فليس له في الشفاعة نصس .

ثم أخبر عن علمه الواسع المحيط، وأنه يعلم ما بين أيدي الخلائق، من الأمور المستقبلة، التي لا نهاية لها ﴿وما خلفهم﴾ من الأمور الماضية التي لا حد لها، وأنه لا تخفى عليه خافية ﴿يعلم خانة الأعين وما تخفى الصدور﴾.

وأن الخلق لا يحيط أحد بشيء من علم الله ومعلوماته ﴿إلا بما شاء له منها وهو ما أطلعهم عليه من الأمور الشرعية والقدرية، وهو جزء يسير جداً مضمحل في علوم الباري ومعلوماته، كما قال أعلم الخلق به، وهم الرسل والملائكة: ﴿

ثم أخبر عن عظمته وجلاله، وأن كرسيه، وسع السماوات والأرض، وأنه قد حفظهما ومن فيهما من العوالم بالأسباب والنظامات، التي جعلها الله في المخلوقات.

ومع ذلك فـ ﴿لا يؤوده﴾، أي: يثقله حفظهما، لكمال عظمته، واقتداره، وسعة حكمته في أحكامه.

﴿وهو العلي﴾ بذاته، على جميع مخلوقاته، وهو العلي بعظمة صفاته، وهو العلي الذي قهر المخلوقات، ودانت له الموجودات، وخضعت له الصعاب،

وذلت له الرقاب.

﴿العظيم﴾ الجامع، لجميع صفات العظمة والكبرياء، والمجد والبهاء، الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء، وإن جلت عن الصفة، فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلى العظيم.

فآية احتوت على هذه المعاني التي هي أجلّ المعاني، يحق أن تكون أعظم آيات القرآن، ويحق لمن قرأها، متدبراً متفهماً، أن يمتلى، قلبه من اليقين والعرفان والإيمان، وأن يكون محفوظاً بذلك من شرور الشيطان.

﴿٢٥٦﴾ ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾ هذا بيان لكمال هذا الدين الإسلامي، وأنه لكمال براهينه، واتضاح آياته، وكونه هو دين العقل والعلم، ودين الفطرة والحكمة، ودين الصلاح والإصلاح، ودين الحق والرشد، فلكماله وقبول الفطرة له، والرشد، فلكماله وقبول الفطرة له، إنما يقع على ما تنفر عنه القلوب، ويتنافى مع الحقيقة والحق، أو لما تخفى براهينه وإياته، وإلا فمن جاءه هذا الدين، ورده يقبله، فإنه لعناده.

فإنه قد تبين الرشد من الغي، فلم يبق لأحد علر ولا حجة، إذا رده ولم يقبله، ولا منافاة بين هذا المعنى، وبين الآيات الكثيرة الموجبة للجهاد، فإن الله أمر بالقتال ليكون الدين كله لله، ولدفع اعتداء المعتدين على الدين.

وأجمع المسلمون على أن الجهاد ماض مع البر والفاجر، وأنه من الفروض المستمرة الجهاد القولي والجهاد الفعلي. فمن ظن من المفسرين أن هذه الآية تنافي آيات الجهاد، فجزم بأنها منسوخة فقوله ضعيف، لفظاً ومعنى، كما هو واضح بين لمن تدبر الآية الكريمة، كما

نبهنا عليه.

ثم ذكر الله انقسام الناس إلى قسمين: قسم آمن بالله وحده لا شريك له، وكفر بالطاغوت ـ وهو كل ما ينافي الإيمان بالله من الشرك وغيره ـ، فهذا قد استمسك بالعروة الوثقى، التي لا انفصام لها، بل هو مستقيم على الدين الصحيح،

حتى يصل به إلى الله؛ وإلى دار كرامته. ويؤخذ القسم الثاني، من مفهوم الآية، أن من لم يؤمن بالله، بل كفر به، وآمن بالطاغوت، فإنه هالك هلاكاً أبدياً، ومعذب عذاباً سرمدياً.

وقوله: ﴿والله سميع﴾، أي: لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، وسميع لدعاء الداعين، وخضوع المتضرعين.

﴿عليم﴾بما أكنته الصدور، وما خفي من خفايا الأمور، فيجازى كل أحد بحسب ما يعلمه، من نياته وعمله.

﴿٢٥٧﴾ ﴿الله ولي السنيسن آمسنسوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ هذه الآية مترتبة على الآية التي قبلها، فالسابقة هي الأساس، وهذه هي الثمرة.

فأخبر تعالى أن البذين آمنوا بالله وصدقوا إيمانهم، بالقيام بواجبات الإيمان، وترك كل ما ينافيه، أنه وليهم، يتولاهم بولايته الخاصة، ويتولى تربيتهم، فيخرجهم من ظلمات الجهل والكفر والمعاصي والغفلة والإعراض، إلى نور العلم واليقين والإيمان، والطاعة والإقبال الكامل على ربهم، وينور قلوبهم بما يقذفه فيها من نور الوحي والإيمان، وييسرهم للسرى، ويجنهم العسرى.

وأما الذين كفروا، فإنهم لما تولوا غير وليهم، ولأهم الله ما تولوا لأنفسهم، وخذلهم، ووكلهم إلى رعاية من تولاهم، ممن ليس عنده نفع ولا ضر، فأضلُوهم وأشقوهم، وحرموهم هداية العلم النافع والعمل الصالح، وحرموهم السعادة، وصارت النار مثواهم، خالدين فيها مخلدين.

اللهم تولنا فيمن توليت.

﴿٢٥٨﴾ ﴿ألس تر إلى الذين حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ يقص الله علينا من أنباء الرسل والسالفين، ما به تتبين الحقائق، وتقوم البراهين المتنوعة على التوحيد.

فأخبر تعالى عن خليله إبراهيم هي حيث حاتج هذا الملك الجبار، وهو نمرذ (۱) البابلي، المعطل المنكر لرب العالمين، وانتدب لمقاومة إبراهيم الخليل ومحاجته في هذا الأمر، الذي لا يقبل شكا، ولا إشكالاً، ولا ريباً، وهو توحيد الله وربوبيته، الذي هو أجلى الأمور وأوضحها.

ولكن هذا الجبار، غره مُلكه وأطغاه، حتى وصلت به الحال إلى أن نفاه، وحاج إبراهيم الرسول العظيم، الذي أعطاه الله من العلم واليقين، ما لم يعط أحداً من الرسل، سوى محمد ﷺ.

فقال إبراهيم مناظراً له: ﴿ ربي الذي يحيي ويميت ﴾ أي: هو المنفرد بالخلق والتدبير، والإحياء والإماتة، فذكر من هذا الجنس أظهرها، وهو الإحياء والإماتة، فقال ذلك الجبار مباهتاً: ﴿ أَنَا أُحيي وأميت ﴾ ، وعنى بذلك أني أقتل من أردت قتله، وأستبقى من أردت استبقاءه.

ومن المعلوم أن هذا تمويه وتزوير، وحيدة عن المقصود، وأن المقصود أن الله تعالى هو الذي تفرد بإيجاد الحياة في المعدومات، وردها على الأموات، وأنه هو الذي يميت العباد والحيوانات بآجالها، بأسباب ربطها وبغير أسباب.

فلما رآه الخليل مموهاً تمويها، ربما راج على الهميج الرعاع، قال إبراهيم ملزماً له بتصديق قوله إن كان كما يزعم: 

إذان الله يأتي بالشمس من المشرق، فأت بها من المغرب، فبهت الذي كفرك، أي: وقف، وانقطعت حجته، واضمحلت

وليس هذا من الخليل انتقالاً من دليل إلى آخر، وإنما هو إلزام لنمرود، بطرد دليله إن كان صادقاً، وأتى بهذا الذي لا يقبل الترويج والتزوير والتمويه.

فجميع الآدلة: السمعية، والعقلية، والفطرية، والفطرية، تد قامت شاهدة بتوحيد الله، معترفة بانفراده بالخلق والتدبير، وأن من هذا شأنه، لا يستحق العبادة إلا هو، وجميع الرسل متفقون على هذا الأصل العظيم، ولم ينكره إلا معاند مكابر، مماثل لهذا الجبار العنيد، فهذا من أدلة التوحيد.

﴿ ٢٥٩ ـ ٢٦٠﴾ ثـم ذكر أدلة كـمـال القدرة والبعث والجزاء، فقال: ﴿أُو كَالَّذِي مرٌ على قرية وهي خاوية على على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك أية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ۞ وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم﴾.

هذان دليلان عظيمان، محسوسان في الدنيا قبل الآخرة، على البعث والجزاء، واحدٌ أجراه الله على يد رجل شاك في البعث على الصحيح، كما تدل عليه الآية الكريمة، والآخر على يد خليله إبراهيم.

كما أجرى دليل التوحيد السابق على يده، فهذا الرجل مر على قرية قد دمرت تدميراً، وخوت على عروشها، قد مات أهلها وخربت عمارتها، فقال \_ على وجه الشك والاستبعاد \_: ﴿أَنَى يحيي هذه الله بعد موتها﴾؟، أي: ذلك بعيد، وهي في هذه الحال، يعني: وغيرها مثلها، بحسب ما قام بقلبه تلك الساعة.

فأراد الله رحمته ورحمة الناس، حيث أماته الله مائة عام، وكان معه حمار، فأماته معه، ومعه طعام وشراب، فأبقاهما الله بحالهما كل هذه المدد الطويلة، فلما مضت الأعوام المائة، بعثه الله، فقال: ﴿كم لبثت؟ قال: لبثت يوماً أو بعض يوم﴾ وذلك بحسب ما ظنه، فقال الله: ﴿بل لبثت مائة عام﴾، والظاهر أن هذه المجاوبة على يد بعض الأنباء الكرام.

ومن تمام رحمة الله به وبالناس، أنه أراه الآية عياناً، ليقتنع بها، فبعدما عرف أنه ميت قد أحياه الله، قيل له: ﴿فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه﴾، أي: لم يتغير في هذه المدد الطويلة، وذلك من آيات قدرة الله، فإن الطعام والشراب ـ

خصوصاً ما ذكره المفسرون: أنه فاكهة وعصير ـ لا يلبث أن يتغير، وهذا قد حفظه الله، مائة عام، وقيل له: ﴿انظر إلى حمارك﴾، فإذا هو قد تمزق وتفرق، وصار غظاماً نخرة.

﴿وانظر إلى العظام كيف ننشزها ، أي: نرفع بعضها إلى بعض، ونصل بعضها ببعض، بعدما تفرقت وتمزقت، ﴿ثم نكسوها ﴾ بعد الالتئام ﴿لحماً ﴾، ثم نعيد فيه الحياة.

﴿فلما تبين له﴾ رأي عين لا يقبل الريب بوجه من الوجوه، ﴿قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾.

فاعترف بقدرة الله على كل شيء، وصار آية للناس، لأنهم قد عرفوا موته وموت حماره، وعرفوا قضيته، ثم شاهدوا هذه الآية الكبرى، هذا هو الصواب في هذا الرجل.

وأما قول كثير من المفسرين: إن هذا الرجل، مؤمن أو نبي من الأنبياء، إما عزير أو غيره، وأن قوله: ﴿أَنَّى يحيي هذه الله بعد موتها﴾، يعني: كيف تعمر هذه القرية بعد أن كانت خراباً، وأن الله أماته، ليريه ما يعيد لهذه القرية من عمارتها بالخلق، وأنها عمرت في هذه المدة، وتراجع الناس إليها، وصارت عامرة، بعد أن كانت دامرة - فهذا لا يدل عليه اللفظ، بل ينافيه، ولا يدل عليه المعنى.

فأي آية وبرهان، برجوع البلدان الدامرة إلى العمارة، وهذه لم تزل تشاهد، تعمر قرى ومساكن، وتخرب أخرى، وإنما الآية العظيمة في إحيائه بعد موته، وإحياء حماره، وإبقاء طعامه وشرابه، لم يتعفن ولم يتغير.

ثم قوله: ﴿فلما تبين له﴾ صريح في أنه لم يتبين له إلا بعدما شاهد هذه الحال الدالة على كمال قدرته عياناً.

﴿٢٦٠﴾وأما البرهان الآخر، فإن إبراهيم قال طالباً من الله، أن يريه كيف يحيي الموتى، فقال الله له: ﴿أُولَم تَوْمن﴾ ليزيل الشبهة عن خليله.

﴿قال﴾ إبراهيم: ﴿بلى﴾ يا رب، قد آمنت أنك على كل شيء قدير، وأنك تحيى الموتى، وتجازي العباد، ولكن أريد

أن يطمئن قلبي، وأصل إلى درجة عين اليقين.

فأجاب الله دعوته، كرامة له، ورحمة بالعباد، ﴿قَالَ: فَخَذَ أُربِعة مِن الطير﴾ ولم يبين أي الطيور هي، فالآية حاصلة بأي نوع منها، وهو المقصود، ﴿فصرهن إليك﴾ أي: ضمهن، واذبحهن، ومزقهن.

﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً، ثم ادعهن، يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم﴾.

ففعل ذلك، وفرق أجزاءهن على الجبال، التي حوله، ودعاهن بأسمائهن، فأقبلن إليه، أي: سريعات، لأن السعي: السرعة، وليس المراد أنهن جئن على قوائمهن، وإنما جئن طائرات، على أكمل ما يكون من الحياة.

وخص الطيور بذلك، لأن إحياءهن أكمل وأوضح من غيرهن.

وأيضاً أزال في هذا كل وهم، ربما يعرض للنفوس المبطلة، فجعلهن متعددات أربعة، ومزقهن جميعاً، وجعلهن على رؤوس الجبال، ليكون ذلك ظاهراً علناً، يشاهد من قرب ومن بعد، وأنه نحاهن عنه كثيراً، لثلا يظن أن يكون عاملاً حيلة من الحيل، وأيضاً أمره أن يدعوهن فجن مسرعات.

فصارت هذه الآية أكبر برهان على كمال عزة الله وحكمته.

وفيه تنبيه على أن البعث فيه يظهر للعباد كمال عزة الله وحكمته وعظمته وسعة سلطانه، وتمام عدله وفضله.

﴿ ٢٦١ - ٢٦١﴾ ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاه والله واسع عليم ۞ الذين ينفقون مأ أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ هذا أنفقوا من الله لعباده في إنفاق أموالهم في سبيله، وهو طريقه الموصل إليه، فيدخل في هذا إنفاقه في ترقية العلوم النافعة، وفي الاستعداد للجهاد في سبيله، وفي الاستعداد للجهاد في سبيله، وفي المجاهدين وتجهيزهم، وفي جميع المشاريع الخيرية النافعة للمسلمين.

ويلي ذلك الإنفاق على المحتاجين، والفقراء والمساكين.

وقد يجتمع الأمران، فيكون في النفقة

دفع الحاجات، والإعانة على الخير والطاعات، فهذه النفقات مضاعفة، هذه المضاعفة بسبعمائة إلى أضعاف أكثر من ذلك، ولهذا قال: ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾، وذلك بحسب ما يقوم بقلب المنفق، من الإيمان، والإخلاص التام، وفي ثمرات نفقته ونفعها، فإن بعض طرق الخيرات يترتب على الإنفاق فيها منافع متسلسلة، ومصالح متنوعة، فكان الجزاء من جنس العمل.

ثم أيضاً ذكر ثواباً آخر للمنفقين أموالهم في سبيله، نفقة صادرة، مستوفية لشروطها، منتفية موانعها، فلا يتبعون المنفق عليه منا منهم عليه، وتعداداً للنعم، وأذية له، قولية أو فعلية.

فهؤلاء ﴿لهم أجرهم عند ربهم ﴾ بحسب ما يعلمه منهم، وبحسب نفقاتهم ونفعها، وبفضله الذي لا تناله، ولا تصل إليه صدقاتهم.

﴿ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾، فنفى عنهم المكروه الماضي، بنفي الحزن، والمستقبل بنفي الخوف عليهم، فقد حصل لهم المحبوب، واندفع عنهم المكروه.

﴿٢٦٣﴾ ﴿قول معروف ومغفرة خيرٌ من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم﴾ ذكر الله أربع مراتب للإحسان: المرتبة العليا: النفقة الصادرة عن نية صالحة، ولم يتبعها المنفق مناً ولا أذى.

ثم يليها قول المعروف، وهو: الإحسان القولي بجميع وجوهه، الذي فيه سرور المسلم، والاعتذار من السائل إذا لم يوافق عنده شيئاً، وغير ذلك من أقوال المعروف.

والثالثة: الإحسان بالعفو والمغفرة، عمن أساء إليك، بقول أو فعل.

وهذان أفضل من الرابعة، وخير منها وهي التي يتبعها المتصدق الأذى للمعطى، لأنه كدر إحيانه وفعل خيراً وشراً.

فالخير المحض \_ وإن كان مفضولاً \_ خير من الخير الذي يخالطه شر، وإن كان فاضلاً، وفي هذا التحذير العظيم لمن يؤذي من تصدق عليه، كما فعله أهل اللؤم والحهل.

﴿واللهُ تعالى ﴿غني﴾ عن صدقاتهم، وعن جميع عباده.

﴿حليم﴾ مع كمال غناه، وسعة عطاياه، يحلم عن العاصين، ولا يعاجلهم بالعقوبة، بل يعافيهم ويرزقهم، ويدر عليهم خيره، وهم مبارزون له بالمعاصي.

﴿ ٢٦٤\_ ٢٦٢﴾ ثم نهى أشد النهى عن المن والأذى، وضرب لذلك مثلاً، فقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن باله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين \* ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطلٌ والله بما تعملون بصير \* أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾ ضرب الله في هذه الآيات ثلاثة أمثلة: للمنفق ابتغاء وجهه، ولم يتبع نفقته مناً ولا أذي، ولمن أتبعها مناً وأذي، وللمرائي.

﴿٢٦٥﴾ فأما الأول، فإنه لما كانت نفقته مقبولة مضاعفة، لصدورها عن الإيمان والإخلاص التام ﴿ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم﴾، أي: ينفقون، وهم ثابتون على وجه السماحة والصدق، فمثل هذا العمل ﴿كمثل جنة بربوة﴾، وهو المكان المرتفع، لأنه يتبين للرياح والشمس، والماء فيها غزير.

فإن لم يصبها ذلك الوابل الغزير، حصل طل كاف، لطيب منبتها، وحسن أرضها، وحصول جميع الأسباب الموفرة لنموها وازدهارها وإثمارها. ولهذا ﴿آتت أكلها ضعفين﴾، أي: متضاعفاً.

وهذه الجنة التي على هذا الوصف، هي أعلى ما يطلبه الناس، فهذا العمل الفاضل بأعلى المنازل.

﴿٢٦٦﴾ وأما من أنفق لله، ثم أتبع نفقته مناً وأذى، أو عمل عملاً، فأتى بمبطل لذلك العمل، فهذا مثله مثال صاحب هذه الجنة، لكن سلط عليها ﴿إعصار﴾ وهو الربح الشديدة ﴿فيه نار فاحترقت﴾، وله ذرية ضعفاء، وهو

ضعيف قد أصابه الكبر.

فهذه الحال من أفظم الأحوال، ولهذا صدر هذا المثل بقوله: ﴿ أيود أحدكم ﴾ ، إلى آخرها بالاستفهام المتقرر عند المخاطبين فظاعته، فإن تلفها دفعة واحدة، بعد زهاء أشجارها، وإيناع ثمارها، مصيبة كبرى.

ثم حصول هذه الفاجعة \_ وصاحبها كبير قد ضعف عن العمل، وله ذرية ضعفاء، لا مساعدة منهم له، ومؤنتهم عليه \_ فاجعة أخرى، فصار صاحب هذا المثل، الذي عمل لله، ثم أبطل عمله بمناف له، يشبه حال صاحب الجنة، التي جرى عليها ما جرى، حين اشتدت ضرورته إليها.

المثل الثالث: الذي يرائي الناس، وليس معه إيمان بالله، ولا احتساب لثوابه، حيث شبه قلبه بالصفوان، وهو الحجر الأملس، عليه تراب يظن الرائي أنه إذا أصابه المطر، أنبت كما تنبت الأراضي الطيبة، ولكنه كالحجر، الذي أصابه الوابل الشديد، فأذهب ما عليه من التراب، وتركه صلداً.

وهذا مثل مطابق لقلب المراثي، الذي ليس فيه إيمان، بل هو قاس لا يلين ولا يخشم.

فهذا أعماله ونفقاته لا أصل لها، تؤسس عليه، ولا غاية لها، تنتهي إليها، بل ما عمله، فهو باطل، لعدم شرطه.

والذي قبله بطل بعد وجود الشرط، لوجود المانع، والأول مقبول مضاعف، لوجود شرطه الذي هو الإيمان والإخلاص والثبات، وانتفاء الموانم المفسدة.

وهذه الأمثال الثلاثة، تنطبق على جميع العاملين، فليزن العبد نفسه وغيره بهذه الموازين العادلة، والأمثال المطابقة.

﴿وتلك الأمثال نضربها للناس، وما يعقلها إلا العالمون﴾ .

﴿ ١٦٧ ـ ٢٦٧﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد \* الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم﴾ يحث الباري عباده على الإنفاق مما كسبوا في التجارات، ومما أخرج لهم من الأرض،

من الحبوب والثمار، وهذا يشمل زكاة النقدين، والعروض كلها، المعدّة للبيع والشراء، والخارج من الأرض، من الحبوب والثمار، ويدخل في عمومها الفرض والنفل.

وأمر تعالى أن يقصدوا الطيب منها، ولا يقصدوا الخبيث، وهو الرديء الدون، يجملونه لله، ولو بذله لهم من لهم حق عليه، لم يرتضوه ولم يقبلوه إلا على وجه المغاضاة والإغماض.

فالواجب إخراج الوسط من هذه الأشياء، والكمال إخراج العالي، والممنوع إخراج الرديء، فإن هذا لا يجزى، عن الواجب، ولا يحصل فيه الثواب التام في المندوب.

﴿واعلموا أن الله غني حميد﴾، فهو غني عن جميم المخلوقين، وهو الغني عن نفقات المنفقين، وعن طاعات الطائمين، وإنما أمرهم بها، وحثهم عليها، لنقعهم، ومحض فضله وكرمه عليهم.

ومع كمال غناه، وسعة عطاياه، فهو الحميد فيما يشرعه لعباده من الأحكام الموصلة لهم إلى دار السلام.

وحميدٌ في أفعاله، التي لا تخرج عن الفضل والعدل والحكمة، وحميد الأوصاف، لأن أوصافه كلها محاسن وكمالات، لا يبلغ العباد كنهها، ولا يدركون وصفها.

﴿٢٦٨﴾ فلما حثهم على الإنفاق النافع، ونهاهم عن الإمساك الضار، بين لهم أنهم بين داعيين:

داعي الرحمن، يدعوهم إلى الخير، ويعدهم عليه الخير، والفضل والثواب العاجل والآجل، وإخلاف ما أنفقوا.

وداعي الشيطان، الذي يحثهم على الإمساك ويخوفهم، إن أنفقوا أن يفتقروا، فمن كان مجيباً لداعي الرحمن، وأنفق مما رزقه الله، فليبشر بمغفرة الذنوب، وحصول كل مطلوب، ومن كان مجيباً لداعي الشيطان، فإنه إنما يدعو حزبه، ليكونوا من أصحاب السعير، فليختر العبد أي الأمرين أليق به.

وختم الآية بأنه ﴿واسع عليم﴾، أي: واسع الصفات، كثير الهبات، عليم بمن يستحق المضاعفة من العاملين، وعليم بمن هو أهل، فيوفقه لفعل الخيرات، وترك المنكرات.

﴿٢٦٩﴾ ﴿يوتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما ينكر إلا أولوا الألباب﴾ لما ذكر أحوال المنفقين للأموال، وأن الله أعطاهم، ومن عليهم بالأموال التي يدركون بها النفقات في الطرق الخيرية، وينالون بها المقامات السنية، ذكر ما هو أفضل من ذلك، وهو أنه يعطي الحكمة من يشاء من عباده، ومن أراد بهم خيراً من خلقه.

والحكمة هي العلوم النافعة، والمعارف الصائبة، والعقول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال.

وهذا أفضل العطايا، وأجلّ الهبات، ولهذا قال: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾؛ لأنه خرج من ظلمة الجهالات إلى نور الهدى، ومن حمق الانحراف في الأقوال والأفعال، إلى إصابة الصواب فيها، وحصول السداد، ولأنه كمل نقسه بهذا الخير العظيم، واستعد لنفع الخلق أعظم نفع، في دينهم ودنياهم.

وجميع الأمور لا تصلح إلا بالحكمة، التي هي وضع الأشياء مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام والإحجام.

ولكن ما يتذكر هذا الأمر العظيم، وما يمرف قدر هذا العطاء الجسيم. ﴿إلا أولو الألباب﴾ وهم أهل العقول الوافية، والأحلام الكاملة، فهم الذين يعرفون النافع فيعملونه، والضار فيتركونه.

وهذان الأمران، وهما بذل النفقات المالية، وبذل الحكمة العلمية، أفضل ما تقرب به المتقربون إلى الله، وأعلى ما وصلوا به إلى أجلّ الكرامات.

وهما اللذان ذكرهما النبي على بقوله: 
«لا حسد إلا في اثنتين، رجل آناه الله مالاً 
فسلطه على هلكته في الحق، ورجل 
آناه الله الحكمة فهو يعلمها الناس».

﴿ ٢٧٠\_ ٢٧٠﴾ ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نفرتم من نفقة للظالمين من أنصار ۞ إن تبدوا الصدقات فتحماً هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير﴾ يخبر تعالى، أنه مهما أنفق المنقون أو تصدق المتصدقون، أو نفر الناذرون، فإن الله يعلم ذلك.

ومضمون الإخبار بعلمه، يدل على المجزاء، وأن الله لا يضيع عنده مثقال ذرة، ويعلم ما صدرت عنه، من نيات صالحة، أو سيئة، وأن الظالمين الذين يمنعون ما أوجب الله عليهم، أو يقتحمون ما حرم عليهم، ليس لهم من دونه أنصار، ينصرونهم ويمنعونهم، وأنه لا بد أن تقع بهم العقوبات.

﴿٢٧١﴾ وأخبر أن الصدقة إن أبداها المتصدق، فهي خير، وإن أخفاها، وسلمها للفقير، كان أفضل، لأن الإخفاء على الفقير، إحسان آخر.

وأيضاً فإنه يدل على قوة الإخلاص، وأحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله: «من تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

وفي قوله: ﴿وإِن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾ فائدة لطيفة، وهو أن إخفاءها خير من إظهارها، إذا أعطيت للفقين.

فأما إذا صرفت في مشروع خيري، لم يكن في الآية، ما يدل على فضيلة إخفائها، بل هنا قواعد الشرع، تدل على مراعاة المصلحة، فربما كان الإظهار خيراً، لحصول الأسوة والاقتداء، وتنشيط النفوس على أعمال الخير.

وقوله: ﴿ويكفر عنكم من سيئاتكم﴾ في هذا: أن الصدقات يجتمع فيها الأمران:

حصول الخير، وهو: كثرة الحسنات والشواب والأجر، ودفع الـشـر والـبـلاء الدنيوي والأخروي، بتكفير السيئات.

﴿والله بما تعملون خبير﴾، فيجازي كلأً بعمله، بحسب حكمته.

﴿٢٧٢﴾ ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقون من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾ أي: إنما عليك \_ أيها الرسول \_ البلاغ، وحث الناس على الخير، وزجرهم عن الشر، وأما الهداية، فبيد الله تعالى.

ويخبرهم عن المؤمنين حقاً، أنهم لا ينفقون إلا لطلب مرضاة ربهم، واحتساب ثوابه، لأن إيمانهم يدعوهم إلى ذلك، فهذا خير وتزكية للمؤمنين،

ويتضمن التذكير لهم بالإخلاص.

وكرر علمه \_ تعالى \_ بنفقاتهم، لإعلامهم أنه لا يضيع عنده مثقال ذرة: ﴿وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾.

﴿ ٢٧٣ ـ ٢٧٤﴾ ﴿للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم \* الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرأ وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعني أنه ينبغي أن تتحروا بصدقاتكم الفقراء، الذين حبسوا أنفسهم في سبيل الله، وعلى طاعته، وليس لهم إرادة في الاكتساب، أو ليس لهم قدرة عليه، وهم يتعففون، إذا رآهم الجاهل ظن أنهم أغنياء ﴿لا يسألون الناس إلحافاً ﴾، فهم لا يسألون بالكلية، وإن سألوا اضطراراً، لم يلحفوا في السؤ ال .

فهذا الصنف من الفقراء، أفضل ما وضعت فيهم النفقات لدفع حاجتهم، وإعانة لهم على مقصدهم وطريق الخير، وشكراً لهم على ما اتصفوا به من الصبر، والنظر إلى الخالق، لا إلى الخلق.

﴿٢٧٤﴾ ومع ذلك، فالإنفاق في طرق الإحسان وعلى المحاويج حيثما كانوا، فإنه خير وأجر، وثواب عند الله، ولهذا قال تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

فإن الله يظلهم بظله يوم لا ظل إلا ظله، وإن الله ينيلهم الخيرات ويدفع عنهم الأحزان والمخاوف والكريهات.

وقوله: ﴿فلهم أجرهم عند ربهم﴾، أي: كل أحد منهم بحسب حاله.

وتخصيص ذلك، بأنه عند ربهم، يدل على شرف هذه الحال، ووقوعها في الموقع الأكبر، كما في الحديث الصحيح: "إن العبد ليتصدق بالتمرة من كسب طيب فيتقبلها الجبار بيده، فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل العظيدة.

﴿ ٢٧٥ـ ٢٨١﴾ ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما

البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ١ يمحق الله الربا ويُربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم \* إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون \* يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ﴿ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون \* وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ لما ذكر الله حالة المنفقين وما لهم من الله، من الخيرات، وما يكفر عنهم، من الذنوب والخطيئات، ذكر الظالمين أهل الربا والمعاملات الخبيثة، وأخبر أنهم يجازون بحسب أعمالهم، فكما كانوا في الدنيا في طلب المكاسب الخبيثة كالمجانين، عوقبوا في البرزخ والقيامة، أنهم لا يقومون من قبورهم، إلى يوم بعثهم ونشورهم ﴿إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس♦، أي: من الجنون والصرع.

وذلك عقوبة، وخزي وفضيحة لهم، وجزاء لهم على مراباتهم ومجاهرتهم بقولهم: ﴿إنما البيع مثل الربا﴾، فجمعوا - بجراءتهم - بين ما أحل الله، وبين ما حرّم الله، واستباحوا بذلك الربا.

ثم عرض تعالى العقوبة على المرابين وغيرهم، فقال: ﴿فمن جاءه موعظة من ربه﴾، بيان مقرون به الوعد والوعيد.

﴿فانتهى﴾ عما كان يتعاطاه من الربا ﴿فله ما سلف﴾ مما تجرأ عليه وتاب منه.

﴿ وأمره إلى الله ﴿ فيما يستقبل من زمانه، فإن استمر على توبته، فالله لا يضيع أجر المحسنين.

﴿ومن عاد﴾ بعد بيان الله وتذكيره وتوعده لآكل الربا ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ في هذا أن الربا موجب للدخول النار والخلود فيها، وذلك لشناعته، ما لم يمنع من الخلود مانع الإيمان.

وهذا من جملة الأحكام التي تتوقف على وجود شروطها، وانتفاء موانعها، وليس فيها حجة للخوارج، كغيرها من آيات الوعيد.

فالواجب أن تصدق جميع نصوص الكتاب والسنة، فيؤمن العبد بما تواترت به النصوص، من خروج من في قلبه أدنى مثقال حبة خردل من الإيمان، من النار.

ومن استحقاق هذه الموبقات لدخول النار، إن لم يتب منها.

﴿٢٧٦﴾ ثم أخبر تعالى أنه يمحق مكاسب المرابين، ويربي صدقات المنفقين، عكس ما يتبادر لأذهان كثير من الخلق، أن الإنفاق ينقص المال وأن الربا يزيده، فإن مادة الرزق وحصول ثمراته من الله تعالى، وما عند الله لا ينال إلا بطاعته وامتثال أمره.

فالمتجرىء على الربا، يعاقبه بنقيض مقصوده، وهذا مشاهد بالتجربة، ﴿ومن أصدق من الله قبلاً﴾.

﴿والله لا يحب كل كفار أثيم﴾، وهو الذي كفر نعمة الله، وجحد منّة ربه، وأثم بإصراره على معاصيه.

ومفهوم الآية، أن الله يحب من كان شكوراً على النعماء، تائباً من المآثم والذنوب.

﴿ ٢٧٧﴾ ثم أدخل هذه الآية بين آيات الربا، وهي قوله: ﴿إِن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾، الآية، لبيان أن أكبر الأسباب لاجتناب ما حرم الله من المكاسب الربوية تكميل الإيمان وحقوقه، خصوصاً إقامة الصلاة، وإبتاء الزكاة، فإن الصلاة تشهى عن الفحشاء والمنكر، وإن الزكاة إحسان إلى الخلق، ينافي تعاطي الربا، الذي هو ظلم لهم، وإساءة عليهم.

﴿٢٧٨﴾ ثم وجه الخطاب للمؤمنين، وأمرهم أن يتقوه، ويذروا ما بقي من معاملات الربا، التي كانوا يتعاطونها قبل ذلك، وأنهم إن لم يفعلوا ذلك، فإنهم محاربون لله ورسوله، وهذا من أعظم ما يدل على شناعة الربا، جيث جعل المصر عليه، محارباً لله ورسوله.

﴿٢٧٩﴾ ثم قال: ﴿وإن تبتم﴾ يعني من المعاملات الربوية.

﴿فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون﴾

الناس بأخذ الربا ﴿ولا تُظلمون﴾ ببخسكم رؤوس أموالكم.

فكل من تاب من الربا، فإن كانت معاملات سالفة، فله ما سلف، وأمره منظور فيه، وإن كانت معاملات موجودة، وجب عليه أن يقتصر على رأس ماله، فإن أخذ زيادة، فقد تجرأ على الربا.

وفي هذه الآية، بيان لحكمة الربا، وأنه يتضمن الظلم للمحتاجين بأخذ الزيادة، وتضاعف الربا عليهم، وهمو واجب

إنظارهم.

( ۲۸۰ ) ولهذا قال: (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة )، أي: وإن كان الذي عليه الذي عليه الدين معسراً ، لا يقدر على الوفاء، وجب على غريمه أن ينظره إلى

وهو يجب عليه إذا حصل له وفاء بأي طريق مباح، أن يوفي ما عليه.

وإن تصدّق عليه غريمه براسقاط الدين كله أو بعضه فهو خير له، ويهون على العبد، التزام الأمور الشرعية، واجتناب المعماملات الربوية، والإحسان إلى المعمرين، علمه بأن له يوماً يرجع فيه إلى الله، ويوفيه عمله، ولا يظلمه مثقال ذرة، كما ختم هذه الآية بقوله:

﴿ ٢٨١﴾ ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله، ثم توفى كل نفس ما كسبت، وهم لا يظلمون ﴾.

﴿ ٢٨٢\_ ٢٨٣﴾ ثم قال تعالى: ﴿يا أبها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهیدین من رجالکم فإن لم یکونوا رجلین فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء

عليم \* وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم.

احتوت هاتان الآيتان، على إرشاد الباري عباده في معاملاتهم إلى حفظ حقوقهم بالطرق النافعة والإصلاحات التي لا يقترح المقلاء أعلى ولا أكمل منها، فإن فيها فوائد كثيرة.

منها: جواز المعاملات في الديون، سواء كانت ديون سلم أو شراء مؤجلاً ثمنه، فكله جائز؛ لأن الله أخبر به عن المؤمنين، وما أخبر به عن المؤمنين، فإنه من مقتضيات الإيمان وقد أقرهم عليه الملك الديان.

ومنها: وجوب تسمية الأجل في جميع المداينات وحلول الإجارات.

ومنها: أنه إذا كان الأجل مجهولاً، فإنه لا يحل، لأنه غرر وخطر، فيدخل في الميسر.

ومنها: أمره تعالى بكتابة الديون.

وهذا الأمر قد يجب، إذا وجب حفظ المحق، كالذي للعبد عليه ولاية، كأموال اليتامى، والأوقاف، والوكلاء، والأمناء، وقد يقارب الوجوب، كما إذا كان الحق متمحضاً للعبد، فقد يقوى الوجوب وقد يقوى الاستحباب، بحسب الأحوال المقتضية لذلك.

وعلى كل حال، فالكتابة من أعظم ما تحفظ بها هذه المعاملات المؤجلة، لكثرة النسيان، ولوقوع المغالطات، وللاحتراز من الخونة الذين لا يخشون الله تعالى.

ومنها: أمره تعالى للكاتب أن يكتب بين المتعاملين بالعدل، فلا يميل مع أحدهما لقرابة ولا غيرها، ولا على أحدهما لعداوة ونحوها.

ومنها: أن الكتابة بين المتعاملين من أفضل الأعمال، ومن الإحسان إليهما، وفيها حفظ حقرقهما، وبراءة ذممهما كما أمره الله بذلك، فليحتسب الكاتب بين الناس هذه الأمور، ليحظى بثوابها.

ومنها: أن الكاتب لا بد أن يكون عارفاً بالعدل، معروفاً بالعدل؛ لأنه إذا لم يكن عارفاً بالعدل؛ لأنه إذا لم يكن معتبراً عدلاً عند الناس رضياً، لم تكن كتابته معتبرة، ولا حاصلاً بها المقصود، الذي هو حفظ الحقوق.

ومنها: أن من تمام الكتابة والعدل فيها، أن يحسن الكاتب الإنشاء، والألفاظ المعتبرة في كل معاملة بحسبها، وللمرف في هذا المقام، اعتبار عظيم.

ومنها: أن الكتابة من نعم الله على المعباد التي لا تستقيم أمورهم الدينية ولا الدنيوية إلا بها، وأن من علمه الله الكتابة، فقد تفضل عليه بفضل عظيم، فمن تمام شكره لنعمة الله تعالى، أن يقضي بكتابته حاجات العباد، ولا يمتنع من الكتابة، ولهذا قال: ﴿ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله﴾.

ومنها: أن الذي يكتبه الكاتب، هو اعتراف من عليه الحق، إذا كان يحسن التعبير عن الحق الذي عليه، فإن كان ليحسن ذلك \_ لصغره، أو سفهه، أو جنونه، أو خرسه، أو عدم استطاعته \_ أملى عنه وليه، وقام وليه في ذلك مقامه. ومنها: أن الاعتراف من أعظم الطرق، التي تثبت بها الحقوق، حيث أمر الله تعالى أن يكتب الكاتب، ما أملى عليه من عليه الحق.

ومنها: ثبوت الولاية على القاصرين، من الصغار والمجانين، والسفهاء ونحوهم.

ومنها: أن الولي يقوم مقام موليه، في جميع اعترافاته المتعلقة بحقوقه.

ومنها: أن من أمنته في معاملة، وفرضته فيها، فقوله في ذلك مقبول، وهو نائب منابك، لأنه إذا كان الولي على القاصرين ينوب منابهم، فالذي وليته باختيارك وفوضت إليه الأمر، أولى بالقبول، واعتبار قوله وتقديمه على قولك عند الاختلاف.

ومنها: أنه يجب على الذي عليه الحت \_ إذا أملى على الكاتب \_ أن يتقي الله، ولا يبخس الحق الذي عليه، فلا ينقصه في قدره، ولا في وصفه، ولا في شرط من شروطه، أو قيد من قيوده، بل عليه أن يعترف بكل ما عليه من متعلقات الحق، كما يجب ذلك إذا كان الحق على غيره له، فمن لم يفعل ذلك، فهو من المطففين الباخسين.

ومنها: وجوب الاعتراف بالحقوق الجلية والحقوق الخفية، وأن ذلك من أعظم خصال التقوى، كما أن ترك الاعتراف بها من نواقض التقوى ونواقصها.

ومنها: الإرشاد إلى الإشهاد في البيع، فإن كانت في المداينات، فحكمها حكم الكتابة كما تقدم، لأن الكتابة هي كتابة الشهادة، وإن كان البيع بيعاً حاضراً، فينبغي الإشهاد فيه، ولا حرج فيه بترك الكتابة، لكثرته وحصول المشقة فيه.

ومنها: الإرشاد إلى إشهاد رجلين عدلين، فإن لم يمكن، أو تعذر، أو تعسر، فرجل وامرأتان، وذلك شامل لجميع المعاملات، بيوع الإدارة، وبيوع الديون، وتوابعها من الشروط والوثائق وغيرها.

وإذا قيل: قد ثبت أنه على قضى الشاهد الواحد مع اليمين، والآية الكريمة ليس فيها إلا شهادة رجلين، أو رجل وامرأتين، قيل: الآية الكريمة، فيها إرشاد الباري عباده إلى حفظ حقوقهم، ولهذا أتى فيها بأكمل الطرق، وأقواها، وليس فيها ما ينافي ما ذكره النبي على من الحكم بالشاهد واليمين.

فباب حفظ الحقوق في ابتداء الأمر، يرشد فيه العبد إلى الاحتراز والتحفظ التام، وباب الحكم بين المتنازعين، ينظر فيه إلى المرجحات والبينات، بحسب حالها.

ومنها: أن شهادة المرأتين، قائمة مقام الرجل الواحد، في الحقوق الدنيوية، وأما في الأمور الدينية \_ كالرواية والفتوى \_ فإن المرأة فيه، تقوم مقام الرجل، والفرق ظاهر بين البابين.

ومنها: الإرشاد إلى الحكمة في كون شهادة المرأتين عن شهادة الرجل، وأنه لضعف ذاكرة المرأة غالباً، وقوة حافظة الرحا..

ومنها: أن الشاهد لو نسي شهادته، فذكره الشاهد الآخر، فذكر أنه لا يضر ذلك النسيان، إذا زال بالتذكير لقوله: ﴿أَن تَضلُّ إحداهما الأخرى﴾، تضلُّ إحداهما الأخرى﴾، ومن باب أولى، إذا نسي الشاهد، ثم ذكر من دون تذكير، فإن الشهادة مدارها على العلم واليقين.

ومنها: أن الشهادة لا بد أن تكون عن علم ويقين، لا عن شك، فمتى صار عند الشاهد ريب في شهادته \_ ولو غلب على ظنه \_ لم يحل له أن يشهد إلا بما يعلم.

ومنها: أن الشاهد ليس له أن يمتنع، إذا دعي للشهادة، سواء دعي للتحمل أو

للأداء، وأن القيام بالشهادة من أفضل الأعمال الصالحة، كما أمر ألله بها، وأخبر عن نفعها ومصالحها.

ومنها: أنه لا يحل الإضرار بالكاتب، ولا بالشهيد، بأن يدعيا في وقت أو حالة، تضرهما.

وكما أنه نهي الأهل المحقوق والمتعاملين، وأن يضار الشهود والكتاب، فإنه أيضاً نهي للكاتب والشهيد، أن يضار المتعاملين أو أحدهما.

وفي هذا أيضاً أن الشاهد والكاتب \_ إذا حصل عليهما ضرر في الكتابة والشهادة \_ أنه يسقط عنهما الوجوب.

وفيها التنبيه على أن جميع المحسنين الفاعلين للمعروف، لا يحل إضرارهم، وتحميلهم ما لا يطيقون، فرهل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾؟

وكذلك على من أحسن وفعل معروفاً، أن يتمم إحسانه بترك الإضرار القولي والفعلي بمن أوقع به المعروف، فإن الإحسان لا يتم إلا بذلك.

ومنها: أنه لا يجوز أخذ الأجرة على الكتابة والشهادة، حيث وجبت، لأنه حق أوجبه الله على الكاتب والشهيد، ولأنه من مضارة المتعاملين.

ومنها: التنبيه على المصالح والفوائد المترتبة على العمل بهذه الإرشادات الجليلة، وأن فيها حفظ الحقوق والعدل، وقطع التنازع والسلامة من النسيان والذهول، ولهذا قال: ﴿ ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا ﴾ ، وهذه مصالح ضرورية للعباد.

ومنها: أن تعلم الكتابة من الأمور الدينية، لأنها وسيلة إلى حفظ الدين والدنيا وسبب للإحسان.

ومنها: أن من خصه الله بنعمة من النعم، يحتاج الناس إليها، فمن تمام شكر هذه النعمة، أن يعود بها على عباد الله، وأن يقضي بها حاجتهم، لتعليل الله النهي عن الامتناع عن الكتابة، بتذكير الكاتب بقوله: ﴿كما علمه الله﴾، ومع هذا: "فمن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجة أخيه، كان الله في حاجة الم

ومنها: أن الإضرار بالشهود والكتاب، فسوق بالإنسان، فإن الفسوق هو الخروج عن طاعة الله إلى معصيته، وهو يزيد وينقص، ويتبعض، ولهذا لم يقل: «فأنتم فساق، أو «فاسقون»، بل قال: ﴿فإنه

فسوق بكم﴾ فبقدر خروج العبد عن طاعة ربه، فإنه يحصل به من الفسوق، بحسب ذلك.

واستدل بقوله تعالى: ﴿واتقوا الله وسيلة إلى ويعلمكم الله أن تقوى الله وسيلة إلى حصول العلم، وأوضح من هذا قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ﴾، أي: علماً تفرقون به بين الحقائق، والحق والباطل.

ومنها: أنه كما أنه من العلم النافع، تعليم الأمور الدينية المتعلقة بالعبادات، فمنه أيضاً، تعليم الأمور الدنيوية المتعلقة بالمعاملات، فإن الله تعالى، حفظ على العباد أمور دينهم ودنياهم، وكتابه العظيم فيه تبيان كل شيء.

﴿٢٨٣﴾ ومنها: مشروعية الوثيقة بالحقوق، وهي الرهون والضمانات، التي تكفل للعبد حصوله حقه، سواء عامل برأ أو فاجراً، أميناً أو خائناً، فكم في الوثائق من حفظ حقوق، وانقطاع منازعات.

ومنها: أن تمام الوثيقة في الرهن، أن يكون مقبوضاً، ولا يدل ذلك على أنه لا يصح الرهن إلا بالقبض، بل التقييد بكون الرهن مقبوضاً، يدل على أنه قد يكون مقبوضاً، تحصل به الثقة التامة، وقد لا يكون مقبوضاً، فيكون ناقصاً.

ومنها: أنه يستدل بقوله: ﴿فرهان مقبوضة﴾ أنه إذا اختلف الراهن والمرتهن في مقدار الدين الذي به الرهن، أن القول قول المرتهن، صاحب الحق، لأن الله جعل الرهن وثيقة به، فلولا أنه يقبل قوله في ذلك، لم تحصل به الوثيقة لعدم الكتابة والشهود.

ومنها: أنه يجوز التعامل بغير وثيقة، ولا شهود، لقوله: ﴿فإن أمن بعضكم بعضاً، فليؤد الذي التمن أمانته ﴾، ولكن في هذه الحال يحتاج إلى التقوى والخوف من الله، وإلا فصاحب الحق مخاطر في حقه، ولهذا أمر الله في هذه الحال، من عليه الحق، أن يتقى الله ويؤدي أمانته.

ومنها: أن من ائتمنه معامله، فقد عمل معه معروفاً عظيماً، ورضي بدينه وأمانته، فيتأكد على من عليه الحق، أداء الأمانة من الجهتين: أداء لحق الله، وامتثالاً لأمره، ووفاء بحق صاحبه، الذي رضي بأمانته، ووثق به.

ومنها: تحريم كتم الشهادة، وأن كاتمها قد أثم قلبه، الذي هو ملك الأعضاء، وذلك لأن كتمها، كالشهادة بالباطل والزور، فيها ضياع الحقوق، وفساد المعاملات، والإثم المتكرر في حقه، وحق من عليه الحق.

وأما تقييد الرهن بالسفر .. مع أنه يجوز حضراً وسفراً .. فللحاجة إليه لعدم الكاتب والشهيد.

وختم الآية بأنه ﴿عليم﴾ بكل ما يعمله العباد، كالترغيب لهم في المعاملات الحسنة، والترهيب من المعاملات السيئة.

﴿٢٨٤﴾ ﴿لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ يخبر تعالى، بعموم ملكه لأهل السماء والأرض، وإحاطة علمه بما أبداه العباد، وما أخفوه في أنفسهم، وأنه سيحاسبهم به، فيغفر لمن يشاء، وهو المنيب إلى ربه، الأواب إليه ﴿إنه كنان للأوابين غفوراً﴾.

ويعذب من يشاء، وهو المصرّ على المعاصي، في باطنه وظاهره.

وهذه الآية لا تنافي الأحاديث الواردة في العفو، عما حدث به العبد نفسه، ما لم يعمل أو يتكلم، فتلك الخطرات التي تتحدث بها النفوس، التي لا يتصف بها العبد ولا يصمم عليها، وأما هنا فهي العزائم المصممة، والأوصاف الثابتة في النفوس، أوصاف الخير، وأوصاف الشر، ولهذا قال: ﴿ما في أنفسكم﴾، أي: استقر فيها وثبت، من العزائم والأوصاف.

وأخبر أنه ﴿على كل شيء قدير﴾، فمن تمام قدرته، محاسبة الخلائق، وإيصال ما يستحقونه من الثواب والعقاب.

أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير \* لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حمّلته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ثبت عنه ﷺ

أن من قرأ هاتين الآيتين في ليلته كفتاه، أي: من جميع الشرور، وذلك لما احتوتا عليه من المعاني الجليلة، فإن الله أمر في أول هذه السورة الناس بالإيمان، بجميع أصوله في قوله: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾، الآية.

وأخبر في هذه الآية، أن الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين، آمنوا بهذه الأصول العظيمة، وبجميع الرسل، وجميع الكتب، ولم يصنعوا صنيع من آمن ببعض، وكفر ببعض، كحالة المنحرفين من أهل الأديان المنحرفة.

وفي قرن المؤمنين بالرسول 囊، والإخبار عنهم جميعاً بخبر واحد، شرف عظيم للمؤمنين.

وفيه أنه ﷺ مشارك للأمة في توجه الخطاب الشرعي له، وقيامه التام به، وأنه فاق المؤمنين، بل فاق جميع المرسلين في القيام بالإيمان وحقوقه.

وقوله: ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾، هذا التزام من المؤمنين، عام لجميع ما جاء به النبي ﷺ من الكتاب والسنة، وأنهم سمعوه سماع قبول وإذعان وانقياد، ومضمون ذلك تضرعهم إلى الله في طلب الإعانة على القيام به، وأن الله يغفر لهم ما قصروا قيه من الواجبات، وما ارتكبوه من المحرمات، وكذلك تضرعوا إلى الله في هذه الأدعية النافعة، والله تعالى قد أجاب دعاءهم على لسان نبيه ﷺ فقال: قد فعلت،

فهذه الدعوات مقبولة من مجموع المؤمنين قطماً، ومن أفرادهم، إذا لم يمنع من ذلك مانع في الأفراد، وذلك أن الله رفع عنهم المؤاخذة في الخطأ والنسيان، وأن الله سهل عليهم شرعه غاية التسهيل، ولم يحملهم من المشاق، والآصار، والأغلال، ما حمله على من قبلهم، ولم يحملهم فوق طاقتهم، وقد غفر لهم ورحمهم، ونصرهم على القوم الكافرين. فنسأل الله تعالى، بأسمائه وصفاته، وبما من به علينا من التزام دينه، أن يحقق لنا ذلك، وأن ينجز لنا ما وعدنا على لسان

ويؤخذ من هنا قاعدة التيسير، ونفي الحرج في أمور الدين كلها.

نبيه، وأن يصلح أحوال المؤمنين.

وقاعدة العفو عن النسيان والخطأ، في

العبادات، وفي حقوق الله تعالى.

وكذلك في خقوق الخلق من جهة رفع المأثم، وتوجه الذم.

وأما وجوب ضمان المتلفات، خطأ أو نسياناً، في النفوس والأموال، فإنه مرتب على الإتلاف بغير حق، وذلك شامل لحالة الخطأ والنسيان، والعمد.

تم تفسير سورة البقرة، ولله الحمد والثناء، وصلى الله على محمد وسلم.

# تفسير سورة آل عمران وهي مدنية

﴿١-٢﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم الله الله إلا هو الحي القيوم \* نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل \* من قبل للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام \* إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السسماء \* همو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ ﴿المَهُمن الحروف التي لا يعلم معناها إلا الله.

(٢ - ٧) فأخبر تعالى أنه ﴿الحي﴾ كامل الحياة، ﴿القيوم﴾ القائم بنفسه، المقيم لأحوال خلقه، وقد أقام أحوالهم الدنيوية والقدرية، فأنزل على رسوله محمد ﷺ الكتاب بالحق، الذي لا ريب فيه، وهو مشتمل على الحق شهد بما شهدت به، ووافقها، وصدق من جاء بها من المرسلين.

وكذلك ﴿أَنْزَلَ التوراة والإنجيل﴾. ﴿٤﴾ ﴿من قبل﴾ هذا الكتاب ﴿هدى للناس﴾.

وأكمل الرسالة وختمها بمحمد ريد الله به الخلق، وكتابه العظيم الذي هدى الله به الخلق، من الضيلات، واستنقذهم به من الجهالات، وفرق به بين الحق والباطل، والسعادة والشقاوة، والصراط المستقيم، وطرق الجحيم، فالذين آمنوا به واهتدوا، حصل لهم به الخير الكثير، والثواب العاجل والآجل.

و (إن الذين كفروا بآيات الله التي التي بينها في كتابه وعلى لسان رسوله (لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام) ممن عصاه.

﴿٥﴾ ومن تمام قيوميته تعالى، أن علمه محيط بالخلائق ﴿لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾ حتى ما في بطون الحوامل.

﴿٦﴾ فهو ﴿الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾ من ذكر وأنثى، وكامل الخلق وناقصه، متنقلين في أطوار خلقته وبديع حكمته، فمن هذا شأنه مع عباده، واعتناؤه العظيم بأحوالهم، من حين أنشأهم إلى منتهى أمورهم لا مشارك له في ذلك \_ فيتعين أنه لا يستحق العبادة إلا هو.

﴿لا إله إلا هو العزيز﴾ الذي قهر الخلائق بقوته، واعتز عن أن يوصف بنقص أو ينعت بذم ﴿الحكيم﴾ في خلقه وشرعه.

﴿٧ ـ ٨﴾ ﴿هـ والذي أنـزل عـلـيـك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلُّ من عند ربّنا وما يذكّر إلاّ أولوا الألباب ۞ ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إن هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ يخبر تعالى عن عظمته، وكمال قيوميته، أنه هو الذي تفرد بإنزال هذا الكتاب العظيم، الذي لم يوجد ـ ولن يوجد ـ له نظير أو مقارب في هدايته، وبلاغته وإعجازه، وإصلاحه للخلق، وأن هذا الكتاب يحتوي على المحكم الواضح المعانى البين، الذي لا يشتبه بغيره، ومنه آيات متشابهات، تحتمل بعض المعاني، ولا يتعين منها واحد من الاحتمالين بمجردها، حتى تضم إلى المحكم.

فالذين في قلوبهم مرض وزيخ، وانحراف، لسوء قصدهم، يتبعون المتشابه منه، فيستدلون به على مقالاتهم الباطلة، وآرائهم الزائفة، طلباً للفتنة، وتحريفاً لكتابه، وتأويلاً له على مشاربهم ومذاهبهم ليضلوا ويضلوا.

وأما أهل العلم الراسخون فيه، الذين وصل العلم واليقين إلى أفتدتهم، فأثمر لهم العمل والمعارف ـ فيعلمون أن القرآن كله من عند الله، وأنه كله حق، محكمه ومتشابهه، وأن الحق لا يتناقض ولا يختلف.

فلعلمهم أن المحكمات، معناها في

غاية الصراحة والبيان، يردون إليها المشتبه، الذي تحصل فيه الحيرة لناقص العلم، وناقص المعرفة.

فيردون المتشابه إلى المحكم، فيعود كله محكماً، ويقولون: ﴿آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر﴾ للأمور النافعة، والعلوم الصائبة ﴿إلا أولوا الألباب﴾، أي: أهل العقول الرزينة.

ففي هذا دليل على أن هذا، من علامة أولي الألباب، وأن اتباع المتشابه، من أوصاف أهل الآراء السقيمة، والعقول الواهية، والقصود السيئة.

وقوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾: إن أريد بالتأويل معرفة عاقبة الأمور، وما تنتهي وتؤول إليه، تعين الوقوف على ﴿إلا الله عيث هو تعالى المتفرد بالتأويل: معنى التفسير، ومعرفة معنى الكلام، كان العطف أولى، فيكون هذا مدحاً للراسخين العلم، أنهم يعلمون كيف ينزلون نصوص الكتاب والسنة، محكمها ومتشابهها.

ولما كان المقام مقام انقسام إلى منحرفين ومستقيمين، دعوا الله تعالى أن يثبتهم على الإيمان، فقالوا: ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا ﴾، أي: لا تملها عن الحق إلى الباطل.

﴿بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة ﴾، تصلح بها أحوالنا ﴿إنك أنت الوهاب ﴾، أي: كثير الفضل والهبات.

وذلك أن الله تعالى ذكر عن الراسخين، أنهم يسألونه أن لا يزيغ قلوبهم، بعد إذ هداهم، وقد أخبر في آيات أخر الأسباب التي بها تزيغ قلوب أهل الانحراف، وأن ذلك بسبب كسبهم، كقوله: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾، ﴿ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم﴾.

﴿ونقلب أفتدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ .

فالعبد إذا تولى عن ربه، ووالى عدوه، ورأى الباطل ورأى البحق، فصدف عنه، ورأى الباطل فاختاره، ولاه الله ما تولى لنفسه، وأزاغ قلبه، عقوبة له على زيغه، وما ظلمه الله، ولكنه ظلم نفسه، فلا يلم إلا نفسه الأثارة بالسوء، والله أعلم.

﴿٩﴾ ﴿وربنا إنك جامع الناس ليوم لا
 ربب فيه إن الله لا يخلف الميعاد﴾ هذا

من تتمة كلام الراسخين في العلم، وهو يتضمن الإقرار بالبعث والجزاء، واليقين التام، وأن الله لا بد أن يوقع ما وعد به، وذلك يستلزم موجبه ومقتضاه، من العمل والاستعداد لذلك اليوم، فإن الإيمان بالبعث والجزاء، أصل صلاح القلوب، وأصل الرغبة في الخير، والرهبة من الشر، اللذين هما أساس الخيرات.

﴿١٠ ـ ١١﴾ ﴿إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار \* كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب ﴾ لما ذكر يوم وكذب رسول الله، لا بد أن يدخلوا النار ويصلوها، وأن أموالهم وأولادهم، لن تغني عنهم شيئاً من عذاب الله، وأنه والعقوبات، ما جرى على فرعون وسائر والعقوبات، ما جرى على فرعون وسائر بذنوبهم ﴾ وعجل لهم العقوبات الدنيوية، متصلة بالعقوبات الاخزوية.

﴿والله شديد العقاب﴾، فإياكم أن تستهينوا بعقابه، فيهون عليكم الإقامة على الكفر والتكذيب.

﴿١٣ ـ ١٣﴾ ﴿قلل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد \* قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئ سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾ وهذا خبر وبشرى للمؤمنين، وتخويف للكافرين، أنهم لا بد أن يغلبوا في هذه الدنيا، وقد وقع كما أخبر الله، فغلبوا غلبة لم يكن لها مثيل ولا نظير.

وجعل الله تعالى ما وقع في «بدر» من آياته الدالة على صدق رسوله، وأنه على الحق، وأعداءه على الباطل، حيث التقت فنتان، فئة المؤمنين لا يبلغون إلا ثلاث مئة وبضعة عشر رجلاً مع قلة عددهم، وفئة الكافرين، يناهزون الألف، مع استعدادهم التام في السلاح وغيره، فأيد الله المؤمنين بنصره، فهزموهم بإذن الله، ففي هذا عبرة لأهل البصائر.

فلولا أن هذا هو الحق الذي إذا قابل الباطل أزهقه واضمحل الباطل لكان ـ

بحسب الأسباب الحسية \_ الأمر بالعكس. ﴿١٤ \_ ١٥﴾ ﴿زيِّـن لـلناس حـب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب \* قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد﴾ أخبر تعالى في هاتين الآيتين، عن حالة الناس في إيثار الدنيا على الآخرة، وبين التفاوت العظيم، والفرق الجسيم بين الدارين، فأخبر أن الناس زُيّنت لهم هذه الأمور، فرمقوها بالأبصار، واستحلوها بالقلوب، وعكفت على لذاتها النفوس، كل طائفة من الناس تميل إلى نوع من هذه الأنواع، قد جعلوها

· فهذا ﴿متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾.

هي أكبر همهم، ومبلغ علمهم، وهي ــ

مع هذا \_ متاع قليل، منقض في مدة

﴿١٥﴾ ثـم أخبر عبن ذلك بأن المتقين لله ، القائمين بعبوديته ، لهم خير من هذه اللذات، فلهم أصناف الخيرات، والنعيم المقيم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولهم رضوان الله الذي هو أكبر من كل شيء.

ولهم الأزواج المطهرة، من كل آفة ونقص، جميلات الأخلاق، كاملات الخلائق، لأن النفي يستلزم ضده، فتطهيرها من الآفات، مستلزم لوصفها بالكمالات.

﴿والله بصير بالعباد﴾ فييسر كلاً منهم لما خلق له، أما أهل السعادة، فييسرهم للعمل لهذه الدار الباقية، ويأخذون من هذه الحياة الله النيا، ما يعينهم على عبادة الله وطاعته، وأما أهل الشقاوة والإعراض، فيقيضهم لعمل أهل الشقاوة، ويرضون بالحياة الدنيا، ويطمئنون بها، ويتخذونها قراراً.

﴿17 ـ 17﴾ ﴿الذين يقولون ربّنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار \* الصّابرين والصّادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾ أي: هؤلاء

الراسخون في العلم، أهل العلم والإيمان، يتوسلون إلى ربهم بإيمانهم، لمغفرة ذنوبهم، ووقايتهم عذاب النار، وهذا من الوسائل التي يحبها الله، أن يتوسل العبد إلى ربه، بما من به عليه من الإيمان والأعمال الصالحة، إلى تكميل نعم الله عليه، بحصول الثواب الكامل، واندفاع العقاب.

﴿١٧﴾ ثم وصفهم بأجمل الصفات: بالصبر الذي هو حبس النفوس على ما يحبه الله، طلباً لمرضاته، يصبرون على طاعة الله، ويصبرون عن معاصيه، ويصبرون على أقداره المؤلمة.

وبالصدق بالأقوال والأحوال، وهو استراء الظاهر والباطن، وصدق العزيمة على سلوك الصراط المستقيم، وبالقنوت الذي هو دوام الطاعة، مع مصاحبة الخشوع والخضوع، وبالنفقات في سبيل الحيرات، وعلى الفقراء، وأهل الحاجات، وبالاستغفار، خصوصاً وقت الأسحار، فإنهم مدوا الصلاة إلى وقت السحر، فجلسوا يستغفرون الله تعالى.

﴿٨٨﴾ ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ هذه أجل الشهادات الصادرة من الملك العظيم، ومن الملائكة، وأهل العلم، على أجل مشهود عليه، وهو توحيد الله، وقيامه بالقسط، وذلك يتضمن الشهادة على جميع الشرع، وجميع أحكام الجزاء.

فإن الشرع والدين، أصله وقاعدته، توحيد الله وإفراده بالعبودية، والاعتراف بانفراده، بصفات العظمة والكبرياء، والمجد، والعز، والقدرة، والجلال، وبنعوت الجود، والبر والرحمة، والإحسان، والجمال، وبكماله المطلق الذي لا يحصي أحلامن الخلق، أن يحيطوا بشيء منه، أو يبلغوه، أو يصلوا إلى الثناء عليه، والعبادات الشرعية، والمعاملات وتوابعها، والأمر والنهي، كله عدل وقسط، لا ظلم فيه ولا جور، بوجه والإحكام، والجزاء على الأعمال الصالحة والسيئة، كله قسط وعدل.

﴿قل أي شيء أكبر شهادة؟ قل الله﴾، فتوحيد الله، ودينه، وجزاؤه، قد ثبت

ثبوتاً لا ريب فيه، وهو أعظم الحقائق وأوضحها، وقد أقام الله على ذلك من البراهين، والأدلة ما لا يمكن إحصاؤه وعده.

وفي هذه الآية فضيلة العلم والعلماء؛ لأن الله خصهم بالذكر، من دون البشر، وقرن شهادتهم بشهادته، وشهادة ملائكته، وجعل شهادتهم من أكبر الأدلة والبراهين على توحيده ودينه وجزائه، وأنه يجب على المكلفين قبول هذه الشهادة العادلة الصادقة.

وفي ضمن ذلك: تعديلهم، وأن الخلق تبع لهم، وأنهم هم الأثمة المتبوعون، وفي هذا من الفضل والشرف، وعلو المكانة، ما لا يقادر قدره.

﴿٩٩﴾ ﴿إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلاّ من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فإنّ الله سريع الحساب يخبر الدين والله الله الله أي: الدين الله سواه، ولا مقبول غيره، الذي لا دين لله سواه، ولا مقبول غيره، هو ﴿الإسلام ﴾، وهو الانقياد لله وحده، قال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلمن يقبل منه، وهو في الآخرة من فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾، فمن دان بغير دين الإسلام، فهو لم يدن لله حقيقة، لأنه لم يسلك الطريق الذي شرعه على ألسنة رسله.

ثم أخبر تعالى، أن أهل الكتاب يعلمون ذلك، وإنما اختلفوا، فانحرفوا عنه عناداً وبغياً، وإلا فقد جاءهم العلم المقتضي لعدم الاختلاف، الموجب للزوم الدين الحققي.

ثم لما جاءهم محمد على عرفوه حق المعرفة، ولكن الحسد والبغي والكفر بآيات الله، هي التي صدتهم عن اتباع الحق.

﴿ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب﴾، أي: فلينتظروا ذلك فإنه آت، وسيجزيهم الله بما كانوا يعملون.

﴿٢٠﴾ ﴿فإن حآجوك فقل أسلمت وجهي شه ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد﴾ لما بين أن الدين الحقيقي عنده الإسلام، وكان أهل الكتاب قد

شافهوا النبي على المجادلة، وقامت عليهم الحجة، فعاندوها، أمره الله تعالى عند ذلك، أن يقول ويعلن: أنه قد أسلم وجهه، أي: ظاهره وباطنه، لله، وأن من اتبعه كذلك، قد وافقوه على هذا الإذعان الخالص.

وأن يقول للناس كلهم، من أهل الكتاب، والأميين، أي: الذين ليس لهم كتاب، من العرب وغيرهم: إن أسلمتم فأنتم على الطريق المستقيم، والهدى والحق، وإن توليتم فحسابكم على الله، وأنا ليس علي إلا البلاغ، وقد أبلغتكم وأقمت عليكم الحجة.

(٢١ - ٢٧) ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم ﴿ وَلِسُكُ الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين أي الذين جمعوا بين هذه المشرور: الكفر بآيات الله، وتكذيب رسل الله، والجناية العظيمة على أعظم الخلق حقاً على الخلق وهم الرسل، وأثمة المهدى، الذين يأمرون الناس بالقسط، الذي اتفقت عليه الأديان والعقول.

﴿٢٢﴾ فهؤلاء قد ﴿حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾، واستحقوا العذاب الأليم، وليس لهم ناصر من عذاب الله، ولا منقذ من عقوبته.

﴿ ٣٣ ـ ٣٥ ﴾ ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون \* ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار كانوا يفترون \* فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ أي: ألا تنظر وتعجب من هؤلاء ﴿ الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ﴾ ، و ﴿ يدعون إلى كتاب الله الذي يصدق ما أنزله على رسله.

﴿ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون﴾ عن اتباع الحق، فكأنه قبل: أي داع دعاهم إلى هذا الإعراض، وهم أحق بالاتباع، وأعرفهم بحقيقة ما جاء به محمد ﷺ؟ فذكر لذلك سبين:

أمنهم، وشهادتهم الباطلة لأنفسهم بالنجاة، وأن النار لا تمسهم إلا أياماً

معدودة حددوها بحسب أهوائهم الفاسدة، كأن تدبير الملك راجع إليهم، حيث قالوا: ﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى﴾، ومن المعلوم أن هذه أماني باطلة، شرعاً وعقلاً.

والسبب الشاني: أنهم لما كذبوا بآيات الله وافتروا عليه، زين لهم الشيطان سوء عملهم، واغتروا بذلك، وتراءى لهم أنه الحق، عقوبة لهم على إعراضهم عن الحق، فهؤلاء كيف يكون حالهم \_ إذا جمعهم الله يوم القيامة، ووفى العاملين ما عملوا، وجرى عدل الله في عباده، فهنالك لا تسأل عما يصلون إليه من العقاب، وما يفوتهم من الخير والثواب، وذلك بما كسبت أيديهم: ﴿وما ربك بظلام

وقل اللهم مالك الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الحيم من الحيد نشاء بغير حساب المرتمالي نبيه هي أصلاً، وغيره تبعاً \_ أن يقول عن ربه، معلناً بتفرده بتصريف الأمور، وتدبير العالم العلوي والسفلي، واستحقاقه المحكم، وأنه يؤتي الملك من يشاء، ويعز من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء،

فليس الأمر بأماني أهل الكتاب، ولا غيرهم، بل الأمر أمر الله، والتدبيره، له، فليس له معارض في تدبيره، ولا معاون في تقديره، وأنه كما أنه المتصرف بمداولة الأيام بين الناس، فهو المتصرف بنفس الزمان.

﴿٧٣﴾ ﴿توليج الليل في النهار وتوليج النهار في الليل﴾ أي: يدخل هذا على هذا، ويتريد في هذا، ما ينقص من هذا، ليقيم بذلك مصالح خلقه.

ويخرج الحي من الميت، كما يخرج الزروع والأشجار المتنوعة من بذورها، والمؤمن من الكافر، والميت من الحي.

كما يخرج الحبوب والنوى، والزروع والأشجار، والبيضة من الطائر، فهو الذي

يخرج المتضادات، بعضها من بعض، وقد انقادت له جميع العناصر(١١).

وقوله ﴿بيدُكُ الخير﴾، أي: الخير كله منك، ولا يأتي بالحسنات والخيرات إلا الله، وأما الشر، فإنه لا يضاف إلى الله تعالى، لا وصفاً، ولا اسماً، ولا فعلاً، ولكنه يدخل في مفعولاته، ويندرج في قضائه وقدره.

فالخير والشر، كله داخل في القضاء والقدر، فلا يقع في ملكه إلا ما شاءه، ولكن الشر لا يضاف إلى الله، فلا يقال: "بيدك الخير والشر»، بل يقال: "بيدك الخير» كما قاله الله، وقاله رسوله.

وأما استدراك بعض المفسرين حيث قال: «وكذلك الشر بيد الله» فإنه وهم محض، ملحظهم، حيث ظنوا أن تخصيص الخير بالذكر، ينافي قضاءه وقدره العام، وجوابه ما فصلنا.

وقوله: ﴿وترزق من تشاء بغير حساب﴾، وقد ذكر الله في غير هذه الآية الأسباب التي يُنال بها رزقه كقوله: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾.

فعلى العباد أن لا يطلبوا الرزق، إلا من الله، ويسعوا فيه بالأسباب التي يسرها الله وأباحها.

﴿٢٨﴾ ﴿لا يتخد المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾ هذا نهي من الله، وتحذير للمؤمنين، أن يتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، فإن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، والله وليهم.

﴿ومن يفعل ذلك﴾ التولي، ﴿فليس من الله في شيء﴾، أي: فهو بريء من الله، والله بريء منه، كقوله تعالى: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾.

وقوله: ﴿إِلا أَن تتقوا منهم تقاة﴾، أي: إلا أن تخافوا على أنفسكم في إبداء العداوة للكافرين، فلكم \_ في هذه الحال \_ الرخصة في المسالمة والمهادنة، لا في التولي الذي هو محبة القلب، الذي

تتبعه النصرة .

﴿ويحذركم الله نفسه﴾، أي: فخافوه واخشوه، وقدموا خشيته على خشية الناس، فإنه هو الذي يتولى شؤون العباد، وقد أخذ بنواصيهم، وإليه يرجعون وسيصيرون إليه، فيجازي من قدم خوفه ورجاءه، على غيره بالثواب الجزيل، ويعاقب الكافرين، ومن تولاهم بالعذاب الوبيل.

﴿٢٩ ـ ٣٩﴾ ﴿قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير \* يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد﴾ يخبر تعالى بإحاطة علمه بما في الصدور، سواء أخفاه العباد، أو أبدوه، كما أن علمه محيط بكل شيء، في السماء والأرض، فلا تخفى عليه خافية.

ومع إحاطة علمه، فهو العظيم القدير على كل شيء، الذي لا يمتنع عن إرادته موجود.

﴿٣٠﴾ ولما ذكر لهم من عظمته وسعة أوصافه، ما يوجب للعباد أن يراقبوه في كل أحوالهم، ذكر لهم أيضاً، داعياً آخر إلى مراقبته وتقواه، وهو أنهم كلهم صائرون إليه، وأعمالهم \_ حينئذ، من خير وشر \_ محضرة.

فحينئذ يغتبط أهل الخير، بما قدموا لأنفسهم، ويتحسر أهل الشر إذا وجدوا ما عملوه محضراً ويودون أن بينهم وبينه أمداً. بعداً.

فإذا عرف العبد أنه ساع إلى ربه، وكادح في هذه الحياة، وأنه لا بد أن يلاقي ربه، ويلاقي سعيه، أوجب له أخذ الحفر، والتوقي من الأعمال التي توجب الفضيحة والعقوبة، والاستعداد بالأعمال الصالحة، التي توجب السعادة والمثوبة، ولهذا قال تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾، وذلك بما يبدي لكم من أوصاف عظمته، وكمال عدله وشدة نكاله، ومع شدة عقابه، فإنه رؤوف رحيم.

ومن رأفته ورحمته، أنه خوف العباد،

وزجرهم عن الغي والفساد، كما قال تعالى \_ لما ذكر العقوبات \_: ﴿ ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون﴾ ، فرأفته ورحمته، سهّلت لهم الطرق، التي ينالون بها الخيرات، ورأفته ورحمته، حذرتهم من الطرق التي تفضي بهم إلى المكروهات.

فنسأله تعالى أن يتمم علينا إحسانه بسلوك الصراط المستقيم، والسلامة من الطرق، التي تفضى بسالكها إلى الجحيم.

﴿٣١ ـ ٣٦﴾ ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ۞ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾ هذه الآية هي الميزان، التي يعرف بها من أحب الله حقيقة، ومن ادعى اللك دعوى مجردة، فعلامة محبة الله، اتباع محمد ﷺ، الذي جعل متابعته وحميع ما يدعو إليه، طريقاً إلى محبته ورضوانه، فلا تنال محبة الله ورضوانه وثوابه، إلا بتصديق ما جاء به الرسول من واجتناب والسنة وامتثال أمرهما، واجتناب

فمن فعل ذلك، أحبه الله، وجازاه جزاء المحبين، وغفر له ذنوبه، وستر عليه عيوبه، فكأنه قيل: ومع ذلك، فما حقيقة اتباع الرسول وصفتها؟

﴿٣٣﴾ فأجاب بقوله: ﴿قل أطيعوا الله والرسول﴾ بامتثال الأمر، واجتناب النهي، وتصديق الخبر، ﴿فَإِنْ تُولُوا﴾ عن ذلك، فسهـذا هـو الـكفر، والله ﴿لا يـحـب الكافرين﴾.

﴿٣٣ \_ ٣٤﴾ ﴿إِن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين \* ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾ إلى آخر القصة.

شة تعالى من عباده أصفياء، يصطفيهم ويختارهم، ويمن عليهم بالفضائل العالية، والنعوم النافعة، والأعمال الصالحة، والخصائص المتنوعة، فذكر هذه البيوت الكبار، وما احتوت عليه من كمل الرجال، الذين حازوا أوصاف الكمال، وأن الفضل والخير، تسلسل في ذراريهم وشمل ذكورهم ونساءهم، وهذا

<sup>(</sup>١) قدم الشيخ ـ رحمه الله ـ هذا الجزء من الآية، وقد آثرتُ إبقاءه على ما هو عليه، مع التنبيه إلى هذا التقديم.

من أجلّ مننه وأفضل مواقع جوده وكرمه.

﴿والله سميع عليم﴾ يعلم من يستحق الفضل والتفضيل، فيضع فضله حيث اقتضت حكمته.

﴿٣٤ ـ ٣٦﴾ فلما قرر عظمة هذه البيوت، ذكر قصة مريم وابنها عيسى ﷺ، وكيف تسلسلا من هذه البيوت الفاضلة، وكيف تنقلت بهما الأحوال، من ابتداء أمرهما إلى آخره، وأن امرأة عمران، قالت \_ متضرعة إلى ربها، متقربة إليه بهذه القربة التي يحبها، التي فيها تعظيم بيته وملازمة طاعته \_: ﴿إني نذرت لك ما في بطني محرراً﴾، أي: خادماً لبيت العبادة، المشحون بالمتعبدين.

﴿ فتقبل مني ﴾ هذا العمل، أي: اجعله مؤسساً على الإيمان والإخلاص، مثمراً للخير والشواب، ﴿ إنك أنت السميع العليم. فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنش. ﴾.

كان في هذا الكلام، نوع تضرع منها، وانكسار نفس حيث كان نذرها بناء على أنه يكون ذكراً، يحصل منه من القوة والخدمة والقيام بذلك، ما يحصل من أهل القوة، والأنثى بخلاف ذلك، فجبر الله قلبها، وتقبل الله نذرها، وصارت هذه الأنثى، أكمل وأتم من كثير من الذكور، بل من أكثرهم، وحصل بها من المقاصد، أعظم مما يحصل بالذكر، ولهذا قال:

﴿فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً﴾، أي: ربيت تربية عجيبة، دينية، أخلاقية، أدبية، كملت بها أحوالها، وصلحت بها أقوالها وأفعالها، ونما فيها كمالها، ويسر الله لها زكريا كافلاً.

وهذا من منة الله على العبد، أن يجعل من يتولى تربيته من الكاملين المصلحين.

(٣٧ - ٣٩) شم إن الله تعالى أكرم مريم وزكريا، حيث يسر لمريم من الرزق الحاصل بلا كد ولا تعب، وإنما هو كرامة أكرمها الله به.

إذ ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب﴾ وهو محل العبادة، وفيه إشارة إلى كثرة صلاتها وملازمتها لمحرابها، ﴿وجد عندها رزقاً﴾، هنيئاً معداً.

﴿قال يا مريم أنى لك هذا؟ قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير

حساب) .

فلما رأى زكريا هذه الحال، والبر واللطف من الله بها، ذكره أن يسأل الله تعالى حصول الولد، على حين اليأس منه، فقال: ﴿رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء \* فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبحيى مصدقاً بكلمة من الله ، المحمد أي: الكلمة التي من الله «عيسى ابن

فكانت بشارته بهذا النبي الكريم، تتضمن البشارة بـ "عيسى" ابن مريم، والتصديق له، والشهادة له بالرسالة.

فهذه الكلمة من الله، كلمة شريفة، اختص الله بها عيسى ابن مريم، وإلا فهي من جملة كلماته التي أوجد بها المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿إِن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون﴾.

وقوله: ﴿وسيداً وحصوراً﴾، أي: هذا المبشر به وهو يحيى، سيد من فضلاء الرسل وكرامهم: ﴿والحصور»، قيل: هو الذي لا يولد له، ولا شهوة له في النساء، وقيل: هو الذي عصم وحفظ من الذنوب والشهوات الضارة، وهذا أليق المعنين.

﴿ونبياً من الصالحين﴾، الذين بلغوا في الصلاح ذروته العالية.

﴿ ٤٠﴾ ﴿قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر؟! ﴾ ، فهذان مانعان ، فمن أي طريق \_ يا رب \_ يحصل لي ذلك ، مع ما ينافي ذلك ؟!

﴿قال كذلك الله يفعل ما يشاء﴾، فإنه ـ كما اقتضت حكمته جريان الأمور بأسبابها المعروفة، فإنه قد يخرق ذلك، لأنه الفعال لما يريد، الذي قد انقادت الأسباب لقدرته، ونفذت فيها مشيئته وإرادته، فلا يتعاصى على قدرته شيء من الأسباب، ولو بلغت في القوة، ما بلغت.

﴿٤١﴾ ﴿قال رب اجعل لي آية ﴾ ليحصل السرور والاستبشار، وإن كنت \_ يا رب \_ متيقناً ما أخبرتني به، ولكن النفس تفرح، ويطمئن القلب إلى مقدمات الرحمة واللطف.

﴿قَالَ آيَتُكُ أَلا تَكُلُمُ النَّاسُ ثُلاثَةً أَيَامُ إِلاّ رَمَزاً﴾، ﴿وَ﴾ في هذه المدة ﴿اذكر ربك كثيراً وسبِّع بالعشي والإبكار﴾، أول النهار

وآخره، فمنع من الكلام في هذه المدة، فكان في هذا، مناسبة لحصول الولد من بين الشيخ الكبير، والمرأة العاقر.

وكونه لا يقدر على مخاطبة الآدميين، ولسانه منطلق بذكر الله، وتسبيحه، آية أخرى.

فحينئذ حصل له الفرح والاستبشار، وشكر الله، وأكثر من الذكر والتسبيح بالعشايا والأبكار.

وكان هذا المولود من بركات مريم بنت عمران، على زكريا، فإن ما منَّ الله به عليها، من ذلك الرزق الهني، الذي يحصل بغير حساب، ذكره وهيجه على التضرع والمنؤال، والله تعالى هو المتفضل بالسبب والمسبب، ولكنه يقدر أموراً محبوبة على يد من يحبه، لرفع الله قدره، ويعظم أجره.

﴿٤٤﴾ ثم عاد تعالى إلى ذكر مريم، وأنها بلغت في العبادة والكمال، مبلغاً عظيماً، فقال تعالى: ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك﴾، أي: اختارك، ووهب لك من الصفات الجليلة، والأخلاق الجميلة.

﴿وطهرك من الأخلاق الرذيلة، ﴿واصطفاك على نساء العالمين ، ولهذا قال ﷺ: "كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام».

﴿٣٤﴾ فنادتها الملائكة عن أمر الله لها بذلك، لتغتبط بنعم الله، وتشكر الله، وتقوم بحقوقه، وتشتغل بخدمته، ولهذا ألت الملائكة: ﴿يا مريم اقنتي لربك﴾، أي: أكشري من الطاعة، والخضوع والخشوع لربك، وأديمي ذلك ﴿واسجدي واركعي مع الراكعين﴾، أي: صلي مع المصلين، فقامت بكل ما أمرت به، وبرزت، وفاقت في كمالها.

ولما كانت هذه القصة وغيرها من أكبر الأدلة على رسالة محمد في حيث أخبر بها مفصلة محققة، لا زيادة فيها ولا نقص، وما ذاك إلا لأنه وحي من الله العزيز الحكيم، لا بتعلم من الناس \_ قال تعالى \_: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك، وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم﴾، حيث جاءت بها أمها،

فاختصموا أيهم يكفلها، لأنها بنت إمامهم ومقدمهم، وكلهم يريد الخير والأجر من الله، حتى وصلت بهم الخصومة إلى أن اقترعوا عليها، فألقوا أقلامهم مقترعين، فأصابت القرعة زكريا، رحمة من الله به وبها.

فأنت \_ يا أيها الرسول \_ لم تحضر تلك الحالة لتعرفها، فتقصها على الناس، وإنما الله نبأك بها، وهذا هو المقصود الأعظم من سياق القصص أنه يحصل بها العبرة، وأعظم العبر، الاستدلال بها على التوحيد والرسالة، والبعث وغيرها من الأصول الكبار.

﴿6 ٤﴾ ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾، أي: له الوجاهة، والجاه العظيم في الدنيا والآخرة عند الخلق.

ومع ذلك فهو - عند الله - من الممقربين، الذين هم أقرب الخلائق إلى الله المخالفة المادة وهذه بشارة لا يشبهها شيء من البشارات.

ومن تمام هذه البشارة أنه: ﴿ يكلم الناس في المهد﴾ ، فيكون تكليمه آية من آيات الله ، ورحمة منه بأمه وبالخلق، ﴿ وَ كَذَلَكَ يَكَلّمُهُم ﴿ كَهَلاً ﴾ ، أي: في حال كهولة ، وهذا تكليم النبوة والدعوة والإرشاد.

فكلامه في المهد، فيه آيات وبراهين على صدقه ونبوته، وبراءة أمه مما يظن بها من الظنون السيئة، وكلامه في كهولته، فيه نفعه العظيم للخلق، وكونه واسطة بينهم وبين ربهم، في وحيه، وتبليغ دينه وشرعه.

ومع ذلك فهو ﴿من الصالحين﴾ الذين أصلح الله قلوبهم بمعرفته وحبه، وألسنتهم بالثناء عليه وذكره، وجوارحهم بطاعته وخدمته.

﴿٤٧﴾ ﴿قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر﴾، وهذا من الأمور المستغربة ﴿قال كذلك الله يخلق ما يشاء﴾ ليعلم العباد أنه على كل شيء قدير، وأنه لا ممانم لإرادته.

﴿إِذَا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون \* ويعلمه الكتاب﴾، أي: جنس الكتب السابقة، والحكم بين الناس،

ويعطيه النبوة.

﴿٤٩﴾ ﴿و﴾ يجعله ﴿رسولاً إلى بني إسرائيل﴾، ويؤيده بالآيات البينات، والأدلة القاهرة حيث قال: ﴿أَنِي قد جَنْتُكم بآية من ربكم﴾ تدلكم أني رسول الله

وذلك ﴿أي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وأبرىء الأكمه﴾، وهو ممسوح العينين، الذي فقد بصره وعينيه، ﴿والأبرص، وأحيي الموتى بإذن الله، وأنبتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لآية لكم إن كنتم مؤمنين. ومصدقاً لما بين يدي من الآيات مؤمنين الخوارق المستغربة التي والبراهين الخوارق المستغربة التي لا يمكن لغير الأنبياء الإتيان بها، والرسالة التوراة، ودين الأنبياء السابقين، وهذا أكبر الأدلة على صدق الصادقين.

فإنه لوكان من الكاذبين، لخالف ما جاءت به الرسل، ولناقضهم في أصولهم وفروعهم، فعلم بذلك أنه رسول الله، وأن ما جاء به حق لا ريب

وأيضاً فقوله: ﴿ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾، أي: ولأخفف عنكم بعض الآصار، والأغلال.

(٥) ﴿ فاتقوا الله وأطيعون \* إن الله ربي وربكم فاعبدوه ﴾ ، وهذا ما يدعو إليه جميع الرسل، عبادة الله وحده لا شريك له، وطاعتهم .

وهذا هو الصراط المستقيم الذي من يسلكه أوصله إلى جنات النعيم، فحينئذ اختلفت أحزاب بني إسرائيل في عيسى، فمنهم من آمن به واتبعه، ومنهم من كفر به وكذبه، ورمى أمه بالفاحشة كاليهود.

﴿٥٢﴾ ﴿فلما أحسّ عيسى منهم الكفر﴾ والاتفاق على رد دعوته، ﴿قال﴾: نادباً لبني إسرائيل على مؤازرته ﴿من أنصاري إلى الله، قال الحواريون﴾، أي: الأنصار.

﴿نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾، وهذا من منة الله عليهم، وعلى عيسى، حيث ألهم هؤلاء الحواريين، الإيمان به، والانقياد لطاعته،

والنصرة لرسوله.

﴿٣٥﴾ ﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول﴾، وهذا التزام تام للإيمان، بكل ما أنزل الله، ولطاعة رسوله.

﴿فَاكتبنا مع الشاهدين﴾ لك بالوحدانية، ولنبيك بالرسالة، ولدينك بالحق والصدق.

﴿٤٥﴾ وأما من أحس عيسى منهم الكفر وهم جمهور بني إسرائيل، فإنهم ﴿مكروا﴾ بعيسى ﴿ومكر الله بهم، ﴿والله خير الماكرين﴾، فاتفقوا على قتله وصلبه، وشبه لهم شبه عيسى.

﴿٥٥﴾ فقبضوا على من شبه لهم به، وقال الله لعيسى: ﴿إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا﴾، فرفعه الله إليه، وطهره من الذين كفروا، وصلبوا من قتلوه، ظانين أنه عيسى، وباؤوا بالإثم المظهم.

وسينزل عيسي ابن مريم، في آخر هذه الأمة حكماً عدلاً، يقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويتبع ما جاء به محمد شخ ويعلم الكاذبون غرورهم وخداعهم، وأنهم مغرورون مخدوعون.

وقوله: ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾، المراد بمن اتبعه: الطائفة التي آمنت به، ونصرهم الله على من انحرف عن دينه.

ثم لما جاءت أمة محمد ﷺ، فكانوا هم أتباعه حقاً، فأيدهم الله ونصرهم على الكفار كلهم، وأظهرهم بالدين الذي جاءهم به محمد ﷺ: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾، الآية.

ولكن حكمة الله عادلة، فإنها اقتضت أن من تمسك بالدين، نصره الله النصر المبين، وأن من ترك أمره ونهيه، ونبذ شرعه، وتجرأ على معاصيه، إنه يعاقبه ويسلط عليه الأعداء، ﴿والله عزيز حكيم﴾.

وقوله: ﴿ثم إليَّ مرجعكم، فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾.

و ٥٦ ٥٦ لا فقد بين ما يفعله بهم، فقال: وفأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين \* وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب

الظالمين﴾.

وهذا الجزاء عام لكل من اتصف بهذه الأوصاف، من جميع أهل الأديان السابقة.

ثم لما بعث سيد المرسلين، وخاتم النبيين، ونسخت رسالته، الرسالات كلها، ونسخ دينه، جميع الأديان، صار المتمسك بغير هذا الدين، من الهالكين.

﴿٥٨﴾ وقوله تعالى: ﴿ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم). أي: هذا القرآن العظيم، الذي فيه نبأ الأولين والآخرين، والأنبياء والمرسلين ـ هو آيات الله البينات، وهو الذي يذكر العباد كل ما يحتاجونه، وهو الحكيم المحكم، صادق الأخبار، حسن الأحكام.

﴿ ٥٩ - ٦٢ ﴾ ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ١ الحق من ربك فلا تكن من الممترين \* فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين \* إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم لما ذكر قصة مريم وعيسى ونبأهما الحق، وأنه عبد أنعم الله عليه، وأن من زعم أن فيه شيئاً من الإلهية، فقد كذب على الله، وكذب جميع أنبيائه، وكذب عيسى ﷺ، فإنه الشبهة التي عرضت لمن اتخذه إلهاً، شبهة باطلة، فلو كان لها وجه صحيح، لكان آدم أحق منه، فإن خلق من دون أم ولا أب، ومع ذلك، فاتفق البشر كلهم، على أنه عبد من عباد الله، فدعوى إلهية عیسی، بکونه خلق من أم بلا أب، دعوی من أبطل الدعاوي.

﴿٦٠﴾ وهذا هو الحق الذي لا ريب فيه، أن عيسى \_ كما قال عن نفسه: ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربى وربكم)، وكنان قند قندم عبلى النبي ﷺ وفد نصاري نجران، وقد تصلبوا على باطلهم، بعدما أقام عليهم النبي ﷺ البراهين بأن عيسى عبد الله ورسوله، حيث زعموا إلهيته.

﴿٦١﴾ فوصلت به وبهم الحال، إلى أن أمره الله تعالى أن يباهلهم، فإنه قد

متعاهم منه.

فدعاهم رسول الله على إلى المباهلة، بأن يحضر هو وأهله وأبناؤه، وهم يحضرون بأهلهم وأبنائهم، ثم يدعون الله تعالى، أن ينزل عقوبته ولعنته على الكاذبين، فتشاوروا هل يجيبونه إلى ذلك؟

فاتفق رأيهم أن لا يجيبوه، لأنهم عرفوا أنه نبى الله حقاً، وأنهم \_ إن باهلوه \_ هلكوا، هم وأولادهم وأهلوهم، فصالحوه وبذلوا له الجزية، وطلبوا منه الموادعة والمهادنة.

فأجابهم ﷺ ولم يحرجهم، لأنه حصل المقصود من وضوح الحق، وتبين عنادهم حيث صمموا على الامتناع عن المباهلة، وذلك يبرهن على أنهم كانوا ظالمين.

﴿٦٢﴾ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ هذا لهو القصص الحق﴾، أي: الذي لا ريب فيه، ﴿وَإِنَّ اللَّهِ لَهُو الْعَزِيزِ﴾، الذي قهر بقدرته وقوته جميع الموجودات، وأذعنت له سكان الأرض والسماوات.

ومع ذلك فهو ﴿الحكيم﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها(١).

﴿٦٤﴾ ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ هذه الآية الكريمة، كان النبى ﷺ يكتب بها إلى ملوك أهل الكتاب، وكان يقرأ أحياناً في الركعة الأولى من سنة الفجر: ﴿قُولُوا آمنا باللهِ ،

ويقرأ بها في الركعة الآخرة من سنة الصبح، لاشتمالها على الدعوة إلى دين واحد، قد اتفق عليه الأنبياء والمرسلون، واحتوت على توحيد الإلهية المبنى على عبادة الله وحده، لا شريك له، وأن يعتقد أن البشر وجميع الخلق كلهم في طور البشرية، لا يستحق منهم أحد شيئاً من خصائص الربوبية، ولا من نعوت الإلهية. فإن انقاد أهل الكتاب وغيرهم إلى هذا

فقد اهتدوا.

و ﴿إِن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا

اتضح لهم الحق، ولكن العناد والتعصب مسلمون)، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكافرون﴾ إلى آخرها.

﴿ ٦٥ ـ ٦٨﴾ ﴿يا أمل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون \* ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين \* إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ﴾ كانت الأديان كلها، اليهود والنصاري، والمشركون، وكذلك المسلمون كلهم، يدعون أنهم على ملة إبراهيم.

فأخبر الله تعالى أن أولى الناس به، محمد ﷺ وأتباعه، وأتباع الخليل، قبل

وأما اليهود والنصاري، والمشركون فإبراهيم بريء منهم، ومن ولايتهم، لأن دينه، الحنيفية السمحة، التي فيها الإيمان بجميع الرسل، وجميع الكتب، وهذه خصيصة المسلمين.

وأما دعوي اليهود والنصاري، أنهم على ملة إبراهيم، فقد علم أن اليهودية والنصرانية، التي هم يدعون أنهم عليها، لم تؤسس إلا بعد الخليل.

فكيف يحاجون في هذا الأمر، الذي يعلم به كذبهم وافتراؤهم؟! فهب أنهم حاجوا فيما لهم به علم، فكيف يحاجون في هذه الحالة؟ فهذا قبل أن ينظر ما احتوى عليه قولهم من البطلان، يعلم فساد

وفي هذه الآية دليل على أنه لا يحل للإنسان أن يقول أو يجادل فيما لا علم له

وقوله: ﴿والله ولى المؤمنين﴾، فكلما قوي إيمان العبد، تولاه الله بلطفه، ويسره لليسري، وجنبه العسري.

﴿ ٦٩ ع ٧٤ ﴿ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون \* يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون \* يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل

وتكتمون الحق وأنتم تعلمون \* وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النار واكفروا آخره لعلهم يرجعون \* ولا تؤمنوا إلا لمن تبع مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم \* يختص برحمته من يشاء والله والمفضل العظيم \* هذا من منة الله على هذه الأمة، حيث أخبرهم بمكر أعدائهم من أهل الكتاب، وأنهم - من حرصهم على إضلال المؤمنين - ينوعون المكرات الخيية.

فقالت طائفة منهم: ﴿آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار﴾، أي: أوله، وارجعوا عن دينهم آخر النهار، فإنهم ـ إذا رأوكم راجعين، وهم يعتقدون فيكم العلم استرابوا بدينهم، وقالوا: لولا أنهم رأوا فيه ما لا يعجبهم، ولا يوافق الكتب السابقة، لم يرجعوا.

هذا مكرهم، والله تعالى هو الذي يهدي من يشاء، وهو الذي بيده الفضل، يختص به من يشاء، فخصَّكم \_ يا هذه الأمة \_ بما لم يخص به غيركم.

ولم يدر هؤلاء الماكرون أن دين الله حق، إذا وصلت حقيقته إلى القلوب، لم يزدد صاحبه \_على طول المدى \_ إلا إيماناً ويقيناً.

ولم تزده الشبه، إلا تمسكاً بدينه، وحمداً لله، وثناء عليه حيث منَّ به عليه. وقداعه: ﴿أَن وَقَدَ أَحِدُ مِثْلُ مَا أُوتَتِم

وقولهم: ﴿أَن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم﴾، يعني: أن الذي حملهم على هذه الأعمال المنكرة، الحسد والبغي، وخشية الاحتجاج عليهم.

كما قال تعالى: ﴿وَدُ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً، حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق﴾، الآية.

﴿ ٧٥- ٧٥﴾ ﴿ ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ♦ بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين﴾ يخبر تعالى عن أهل الكتاب، أن منهم طائفة أمناء، بحيث لو أمنته على قناطير من التقود، وهي المال

الكثير، يؤده إليك، ومنهم طائفة خونة، يخونك في أقل القليل، ومع هذه الخيانة الشنيعة، فإنهم يتأولون بالأعذار الباطلة فيقولون: ﴿ليس علينا في الأميين سبيل﴾، أي: ليس علينا جناح إذا خناهم واستبحنا أموالهم، لأنهم لا حرمة لهم.

قال تعالى: ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ أن عليهم أشد الحرج، فجمعوا بين الخيانة وبين احتقار العرب، وبين الكذب على الله، وهم يعلمون ذلك، ليسوا كمن فعنل ذلك جهالاً.

ثم قال تعالى: ﴿بلى﴾، أي: ليس الأمر كما قالوا.

فإنه ﴿من أوفى بعهده واتقى﴾، أي: قام بحقوق الله، وحقوق خلقه، فإنّ هذا هو المتقي، والله يحبه.

أي: ومن كان بخلاف ذلك، فلم يف بعهده وعقوده، التي بينه وبين الخلق، ولا قام بتقوى الله، فإن الله يمقته، وسيجازيه على ذلك أعظم النكال.

﴿٧٧﴾ ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم أي: إن الذيئ يشترون الدنيا بالدين، فيختارون الحطام القليل من الدنيا، المنكوثة، فهؤلاء ﴿لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾، أي: قد حق عليهم شوابه، ووجب عليهم عقابه، وحرموا ثوابه، ومنعوا من التزكية، وهم التطهير.

بل يردون القيامة، وهم متلوثون بالجرائم، متدنسون بالذنوب العظائم.

﴿٨٧﴾ ﴿وإن منهم لفريقاً يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ أي: وإن من أهل الكتاب فريقاً هم محرفون لكتاب الله، ﴿يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب﴾، وهذا يشمل التحريف اللفظي، والتحريف اللفظي،

ثم هم \_ مع هذا التحريف الشنيع \_ يوهمون أنه من الكتاب، وهم كذبة في

ذلك، ويصرحون بالكذب على الله، وهم يعلمون حالهم وسوء مغبتهم.

﴿ ٧٩- ٨٨ ﴿ ﴿ ما كان لبسسر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما الملائكة والنبين أرباباً أيأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ أي: يمتنع ويستحيل كل الاستحالة لبشر من الله عليه بالوحي والكتاب والنبوة، وأعطاه الحكم الشرعي والملائكة واتخاذهم أرباباً، لأن هذا هو الكفر، فكيف، وقد بعث بالإسلام المنافي للكفر من كل وجه، فكيف يأمر بضده؟!!

هذا من الممتنع، لأن حاله وما هو عليه، وما من الله به عليه من الفضائل والخصائص، تقتضي العبودية الكاملة، والخضوع التام لله الواحد القهار.

وهذا جواب لوفد نجران، حين تمادى بهم الغرور، ووصلت بهم الحال والكبر، أن قالوا: أتأمرنا \_ يا محمد \_ أن نعبدك؟ حين أمرهم بعبادة الله وطاعته، فبين الباري انتفاء ما قالوا، وأن كلامهم وكلام أمثالهم في هذا ظاهر البطلان.

﴿ ٨١ ٢٨﴾ ﴿ وإذ أخذ الله ميشاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم من الشاهدين الله فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ هذا إخبار منه تعلى أنه أخذ عهد النبيين وميئاقهم كلهم، بسبب ما أعطاهم ومن به عليهم، من بحق الله وتوفيته، أنه إن جاءهم رسول بحق الله وتوفيته، أنه إن جاءهم رسول التوحيد والحق والقسط والأصول التي اتفقت عليها الشرائع، أنهم يؤمنون به، وينصرونه.

فأقروا على ذلك، واعترفوا، والتزموا وأشهدهم، وشهد عليهم، وتوعد من خالف هذا الميثاق.

وهذا أمر عام بين الأنبياء أن جميعهم طريقهم واحد، وأن دعوة كل واحد منهم، قد اتفقوا وتعاهدوا عليها، وعموم ذلك أنه أخذ على جميعهم الميثاق، بالإيمان،

والنصرة لمحمد ﷺ.

فمن ادعى أنه من أتباعهم، فهذا دينهم الـذي أخـذه الله عــلــيــهــم، وأقــروا بــه واعترفوا.

فمن تولى عن اتباع محمد، ممن يزعم أنه من أتباعهم، فإنه فاسق خارج عن طاعة الله، مكذب للرسول الذي يزعم أنه من أتباعه، مخالف لطريقه.

وفي هذا إقامة الحجة والبرهان، على كل من لم يؤمن بمحمد على من أهل الكتب والأديان، وأنه لا يمكنهم الإيمان برسلهم، الذين يزعمون أنهم أتباعهم، حتى يؤمنوا إمامهم وخاتمهم على .

﴿ ٨٣ - ٨٨﴾ ﴿ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرها وإليه يرجعون \* قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي بين أحد منهم ونحن له مسلمون \* ومن بين أحد منهم ونحن له مسلمون \* ومن يتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الخرة من الخاسرين﴾ قد تقدم في سورة البقرة أن هذه الأصول التي هي أصول الميمان التي أمر الله بها هذه الأمة، قد اتفقت عليها الكتب والرسل، وأنها هي الفرض الموجه لكل أحد، وأنها هي الدين المراسلام الحقيقي، وأن من ابتغي غيرها، وفالإسلام الحقيقي، وأن من ابتغي غيرها، فعمله مردود، وليس له دين يعول عليه.

فمن زهد عنه، ورغب عنه، فأين يذهب؟ إلى عبادة الأشجار والأحجار والنيران؟ أو إلى اتخاذ الأحبار والرهبان والصلبان، أو إلى التعطيل لرب العالمين؟، أو إلى الأديان الباطلة، التي هي من وحي الشياطين؟ وهؤلاء كلهم ـ في الآخرة ـ من الخاسرين.

﴿ ٨٦ ٩٩﴾ ﴿ كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين ۞ أولئك جزآؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ۞ خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ۞ إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ۞ إن لذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لذين كفروا وماتوا وهم كفارٌ فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به

أولتك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين لله يعني: أنه يبعد كل البعد، أن يبعدي الله قوماً عرفوا الإيمان، ودخلوا فيه، وشهدوا أن الرسول حق، ثم ارتدوا على أعقابهم، ناكصين ناكثين؛ لأنهم عرفوا الحق فرفضوه.

ولأن من هذه الحالة وصفه، فإن الله يعاقبه بالانتكاس، وانقلاب القلب جزاء له، إذ عرف الحق فتركه، والباطل فآثره، فولاه الله ما تولى لنفسه.

فهؤلاء ﴿عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴿ خالدين في اللعنة والعذاب ﴿لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾ إذا جاءهم أمر الله لأن الله، عمرهم ما يتذكر فيه من تذكر، وجاءهم النذ.

ثم إنه تعالى استثنى من هذا الوعيد، التائبين من كفرهم وذنوبهم، المصلحين لعيوبهم، فإن الله يغفر لهم ما قدموه، ويعفو عنهم ما أسلفوه.

﴿٩١﴾ ولكن من كفر وأصر على كفره، ولم يزدد إلا كفراً حتى مات على كفره، فهؤلاء هم الضالون عن طريق الهدى، السالكون لطريق الشقاء، وقد استحقوا بهذا العذاب الأليم، فليس لهم ناصر من عذاب الله، ولو بذلوا مل الأرض ذهباً ليفتدوا به، لم ينفعهم شيئاً، فعياذاً بالله من الكفر وفروعه.

﴿٩٢﴾ ﴿لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون رما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم وعليم يعني: لن تنالوا وتدركوا البر، الذي هو اسم جامع للخيرات، وهو الطريق الموصل إلى الجنة، حتى تنفقوا مما تحبون، من أطيب أموالكم وأزكاها.

فإن النفقة من الطيب المحبوب للنفوس، من أكبر الأدلة على سماحة النفس، واتصافها بمكارم الأخلاق، ورحمتها ورقتها.

ومن أدل الدلائل على محبة الله، وتقديم محبته على محبة الأموال، التي جبلت النفوس على قوة التعلق بها، فمن أثر محبة الله على محبة نفسه، فقد بلغ الذروة العليا من الكمال، وكذلك من أنفق الطيبات، وأحسن إلى عباد الله، أحسن الله إليه ووفقه أعمالاً وأخلاقاً، لا تحصل بدون هذه الحالة.

وأيضاً فمن قام بهذه النفقة على هذا

الوجه، كان قيامه ببقية الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، من طريق الأولى والأحرى، ومع أن النفقة من الطيبات، هي أكمل الحالات، فمهما أنفق العبد من نفقة قليلة أو كثيرة من طيب أو غيره، فإن الله به عليم.

وسيجزي كل منفق، بحسب عمله، سيجزيه في الدنيا بالخلف العاجل، وفي الآخرة بالنعيم الآجل.

﴿ ٩٣- ٩٤﴾ ﴿ كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة على الله الكنب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون﴾ من جملة الأمور التي قدح فيها اليهود بنبوة عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم، أنهم زعموا أن النسخ باطل، وأنه لا يمكن أن يأتي نبي يخالف الذي قبله.

فكذبهم الله بأمر يعرفونه، فإنهم يعترفون بأن جميع الطعام \_ قبل نزول التوراة \_ كان حلالاً لبني إسرائيل، إلا أشياء يسيرة حرمها إسرائيل، وهو: يعقوب عليه السلام \_ على نفسه ومنعها إياه لمرض أصابه.

ثم إن التوراة، فيها من التحريمات التي نسخت، ما كان حلا قبل ذلك شيء كثير. قل لهم - إن أنكروا ذلك -: ﴿فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ بزعمكم أنه لا نسخ ولا تحليل ولا تحريم.

وهذا من أبلغ الحجج، أن يحتج على الإنسان بأمر يقوله ويعترف به ولا ينكره، فإن انقاد للحق، فهو الواجب، وإن أبى ولم ينقد بعد هذا البيان، تبين كذبه وافتراؤه، وظلمه وبطلان ما هو عليه، وهو الواقع من اليهود.

﴿٩٥﴾ ﴿قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ أي: قل صدق الله في كل ما قاله، ومن أصدق من الله قيلاً وحديثاً، وقد بيّن في هذه الآيات، من الأدلة على صحة رسالة محمد ﷺ، وبراهين دعوته، وبطلان ما عليه المنحرفون من أهل الكتاب، الذين كذبوا رسوله، وردوا دعوته، فقد صدق الله في ذلك، وأقنع عباده على ذلك، ببراهين وحجج، تتصدع لها الرجال، وتخضع لها الرجال.

فتعين عند ذلك على الناس كلهم، اتباع ملة إبراهيم، من توحيد الله وحده لا شريك له، وتصديق كل رسول أرسله الله، وكل كتاب أنزله، والإعراض عن الأديان الباطلة المنحرفة.

فإن إبراهيم كان معرضاً عن كل ما يخالف التوحيد، متبرتاً من الشرك وأهله.

﴿ ٩٦ـ ٩٧﴾ ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين 
فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان 
آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع 
إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن 
العالمين وضعها الله في 
وأنه أول البيوت التي وضعها الله في 
الأرض لمبادته، وإقامة ذكره، وأن فيه من 
البركات، وأنواع الهدايات، وتنوع 
المصالح والمنافع للعالمين - شيء كثير، 
وفضل غزير، وأن فيه آيات بينات، تذكر 
بمقامات إبراهيم الخليل، وتنقلاته في 
الحج، ومن بعده تذكر بمقامات سيد 
الرسل وإمامهم.

وفيه الأمن<sup>(١)</sup> الذي من دخله كان آمناً قدراً، مؤمناً شرعاً وديناً.

فلما احتوى على هذه الأمور التي هذه مجملاتها، وتكثر تفصيلاتها ـ أوجب الله حجه على المكلفين المستطيعين إليه سبيلاً، وهو الذي يقدر على الوصول إليه بأي مركوب يناسبه، وزاد يتزوده، ولهذا أتى بهذا اللفظ الذي يمكنه تطبيقه على جميع المركوبات الحادثة، والتي

وهذا من آيات القرآن، حيث كانت أحكامه صالحة لكل زمان وكل حال، ولا يمكن الصلاح التام بدونها، فمن أذعن لذلك وقام به، فهو من المهتدين المؤمنين، ومن كفر، فلم يلتزم حج بيته، فهو خارج عن الدين، ومن كفر، فإن الله غني عن العالمين.

﴿ ٩٩\_ ٩٩﴾ ﴿قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون \* قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون﴾ لما أقام فيما تقدم، الحجج على أهل الكتاب ـ مع أنهم قبل ذلك، يعرفون

النبي على كما يعرفون أبناءهم - وبئخ المعاندين منهم بكفرهم بآيات الله، وصدهم الخلق عن سبيل الله، لأن عوامهم تبع لعلمائهم، والله تعالى يعلم أحوالهم وسيجازيهم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه.

﴿ ١٠٠ ـ ١٠٠﴾ ﴿ با أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين \* وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم﴾ لما أقام الحجج على أهل الكتاب، ووبخهم بكفرهم وعنادهم، حذر عباده المؤمنين عن الاغترار بهم، وبين لهم أن هذا الفريق منهم، حريصون على إضراركم وردكم إلى الكفر بعد الإيمان.

ولكن \_ ولله الحمد \_ أنتم \_ يا معشر المؤمنين \_ بعدما من الله عليكم بالدين، ورأيتم آياته ومحاسنه ومناقبه وفضائله، وفيكم رسول الله الذي أرشدكم إلى جميع مصالحكم، واعتصمتم بالله وبحبله، دينكم، لأن الدين الذي بني على هذه الأصول والدعائم الثابتة الأساس، المشرقة الأنوار، تنجذب إليه الأفئدة، ويأخذ بمجامع القلوب، ويوصل العباد إلى أجل غاية، وأفضل مطلوب.

﴿ومن يعتصم بالله﴾، أي: يتوكل عليه، ويحتمي بحماه، ﴿فقد هُدي إلى صراط مستقيم﴾، وهذا فيه الحث على الاعتصام به، وأنه السبيل إلى السلامة والعدادة.

﴿ ١٠٠ ـ ١٠٠﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا القوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون \* واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون \* ولتكن منكم أمة بدعون لعلكم تهتدون \* ولتكن منكم أمة بدعون عن الممنكر وأولشك هم المفلحون عن ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب

عظيم﴾ هذه الآيات فيها حث الله عباده المؤمنين أن يقوموا بشكر نعمه العظيمة، بأن يتقوه حق تقواه، وأن يقوموا بطاعته، وترك معصيته، مخلصين له بذلك، وأن يقيموا دينهم، ويستمسكوا بحبله الذي أوصله إليهم، وجعله السبب بينهم وبينه، وهو دينه وكتابه، والاجتماع على ذلك وعدم التفرق، وأن يستديموا ذلك إلى الممات.

وذكّرهم ما هم عليه قبل هذه النعمة، وهو: أنهم كانوا أعداء متفرقين، فجمعهم بهذا البدين، وألف بين قلوبهم، وجعلهم إخواناً، وكانوا على شفا حفرة من النار، فأنقذهم من الشقاء، ونهج بهم طريق السعادة.

﴿كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ إلى شكر الله والتمسك بحبله، وأمرهم بتتميم هذه الحالة، والسبب الأقوى الذي يتمكنون به من إقامة دينهم، بأن يتصدى منهم طائفة يحصل فيها الكفاية.

﴿يدعون إلى الخير﴾ وهو الدين، أصوله، وفروعه وشرائعه.

﴿ويأمرون بالمعروف﴾ وهو ما عرف حسنه شرعاً وعقلاً.

﴿وينهون عن المنكر﴾ وهو ما عرف قبحه شرعاً وعقلاً.

﴿وأولئك هم المفلحون﴾ المدركون لكل مطلوب، الناجون من كل مرهوب.

ويدخل في هذه الطائفة أهل العلم والتعليم، والمتصدون للخطابة ووعظ الناس، عموماً وخصوصاً، والمحتسبون الذين يقومون بإلزام الناس بإقامة الصلوات، وإيتاء الزكاة، والقيام بشرائع الدين، وينهونهم عن المنكرات.

فكل من دعا الناس إلى خير على وجه العموم، أو على وجه الخصوص، أو قام بنصيحة عامة أو خاصة، فإنه داخل في هذه الآية الكريمة.

ثم نهاهم عن سلوك مسلك المتفرقين، الذين جاءهم الدين والبينات، الموجب لقيامهم به، واجتماعهم، فتفرقوا واختلفوا وصاروا شيعاً، ولم يصدر ذلك عن جهل

<sup>(</sup>١) مراد المؤلف ـ رحمه الله ـ في أي من الحرم: الأمن وقد غيرت الكلمة في المطبوع إلى: وفيه الحرم الذي من دخله.

وضلال، وإنما صدر عن علم وقصد سيىء، وبغى من بعضهم على بعض، ولهذا قال: ﴿وأولئك لهم عذاب عظيم﴾.

﴿ ١٠٦ - ١٠٧﴾ ثم بيَّن متى يكون هذا العذاب العظيم، ويمسهم هذا العذاب الأليم، فقال: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون \* وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾.

يخبر تعالى، بتفاوت الخلق يوم القيامة، في السعادة والشقاوة، وأنه تبيض وجوه أهل السعادة، الذين آمنوا بالله، وصدقوا رسله، وامتثلوا أمره، واجتنبوا نهيه، وأن الله تعالى، يدخلهم الجنات ويفيض عليهم أنواع الكرامات، وهم فيها

وتسود وجوه أهل الشقاوة، الذين كذبوا رسله، وعصوا أمره، وفرقوا دينهم شيعاً وأنهم يوبخون، فيقال لهم: ﴿أَكْفُرْتُم بِعَدُ إيمانكم ﴾، فكيف اخترتم الكفر على

﴿فَذُوقُوا العَذَابِ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿ ١٠٨\_ ١٠٩﴾ ﴿ تسلسك آيسات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلمأ للعالمين \* وله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور) يشنى تعالى، على ما قصه على نبيه من آياته، التي حصل بها الفرقان بين الحق والباطل، وبين أولياء الله وأعدائه، وما أعده لهؤلاء من الثواب، وللآخرين من العقاب، وأن ذلك مقتضى فضله وعدله، وحكمته، وأنه لم يظلم عباده، ولم ينقصهم من أعمالهم، أو يعذب أحداً بغير ذنبه، أو يحمل عليه

ولما ذكر أن له الأمر والشرع، ذكر أن له تمام الملك والتصرف والسلطان، فقال: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض والى الله ترجع الأصور﴾، فيحازي المحسنين بإحسانهم، والمسيئين

وكثيراً ما يذكر الله أحكامه الثلاثة مجتمعة يبين لعباده أنه الحاكم المطلق، فله الأحكام القدرية والأحكام الشرعية،

والأحكام الجزائية، فهو الحاكم بين عباده في الدنيا والأخرة.

ومن سواه من المخلوقات، محكوم عليها ليس لها من الأمر شيء.

﴿ ١١٠ـ ١١١﴾ ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون \* لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون مذا تفضيل من الله لهذه الأمة بهذه الأسباب، التي تميزوا بها وفاقوا بها سائر الأمم، وأنهم خير الناس للناس، نصحاً، ومحبة للخير، ودعوة، وتعليماً، وإرشاداً، وأمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، وجمعاً بين تكميل الخلق، والسعي في منافعهم، بحسب الإمكان،

وبين تكميل النفس بالإيمان بالله، والقيام

بحقوق الإيمان.

وأن أهل الكتاب، لو آمنوا بمثل ما آمنتم به، لاهتدوا وكان خيراً لهم، ولكن لم يؤمن منهم إلا القليل، وأما الكثير، فهم فاسقون، خارجون عن طاعة الله، وطاعة رسوله، محاربون للمؤمنين، ساعون في إضرارهم بكل مقدورهم، ومع ذلك، فلن يضروا المؤمنين إلا أذى باللسان، وإلا فلو قاتلوهم، لولوا الأدبار، ثم لا ينصرون.

وقد وقع ما أخبر الله به، فإنهم لما قاتلوا المسلمين، ولوا الأدبار، ونصر الله المسلمين عليهم.

﴿١١٢﴾ ﴿ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤو بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانو يعتدون ﴿ هذا إخبار من الله تعالى أن اليهود ضربت عليهم الذلة، فهم خاتفون أينما ثقفوا، ولا يؤمنهم شيء إلا معاهدة، وسبب يأمنون به، يرضخون لأحكام الإسلام، ويعترفون بالجزية .

أو ﴿بحبل من الناس﴾، أي: إذا كانوا تحت ولاية غيرهم ونظارتهم، [كما شوهد

حالهم سابقاً ولاحقاً، فإنهم لم يتمكنوا في الوقت الأخير من الملك المؤقت في فلسطين، إلا بنصر الدول الكبرى، وتمهيدهم لهم كل سبب](١).

﴿وبِاوُوا بِغضبِ مِن اللهِ اللهِ أَي: قد غضب الله عليهم، وعاقبهم بالذلة والمسكنة، والسبب في ذلك كفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء بغير حق، أي ليس ذلك عن جهل، وإنما هو بغي

تلك العقوبات المتنوعة عليهم ﴿بما عصوا وكانوا يعتدون﴾، فالله تعالى لم يظلمهم ويعاقبهم بغير ذنب، وإنما الذي أجراه عليهم بسبب بغيهم وعدوانهم، وكفرهم وتكذيبهم للرسل، وجناياتهم الفظيعة .

﴿ ١١٣ ـ ١١٥﴾ ﴿ليسوا سوآء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ۞ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين \* وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين﴾ لما ذكر الله المنحرفين من أهل الكتاب، بيِّن حالة المستقيمين منهم، وأن منهم أمة مقيمين لأصول الدين وفروعه .

﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف♦، وهو الخير كله، وينهون عن المنكر وهو جميع الشر. كما قال تعالى: ﴿ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) .

و ﴿يسارعون في الخيرات ﴾ والمسارعة إلى الخيرات، قدر زائد على مجرد فعلها، فهو وصف لهم بفعل الخيرات، والمبادرة إليها، وتكميلها بكل ما تتم به من واجب ومستحب.

ثم بین تعالی أن كل ما فعلوه، من خير قليل أو كثير، فإن الله تعالى سيقبله، حيث كان صادراً عن إيمان وإخلاص، ﴿فلن یکفروه﴾، یعنی: لن ینکر ما عملوه، ولن

﴿والله عليم بالمتقين﴾، وهم الذين قاموا بالخيرات، وتركوا المحرمات،

قد يشكل ـ على القارىء ـ هذا الموضع إذ هو عن ملك اليهود لفلسطين مع أن الشيخ ألَّف التفسير قبل ذلك، ولكن هذه الجمل الموضوعة بين القوسين المركنين زيادة من هامش النسخة، لعل الشيخ كتبها بعد سنين من كتابته التفسير، والله أعلم.

لقصد رضا الله، وطلب ثوابه.

( ١١٦ - ١١١ ) ﴿إِنَّ الذَيْنَ كَفُرُوا لَنَ تَعَنِي عَنهُم أُمُوالُهُم ولا أُولاهُم مِن الله شيئاً وأُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون \* مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون بين تعالى: أن رسله، أنه لا ينقذهم من عذاب الله منقذ، رسله، أنه لا ينقذهم من عذاب الله منقذ، شافع، وأن أموالهم وأولادهم، التي كانوا يعدونها للشدائد والمكاره، لا تفيدهم شيئا، وأن نفقاتهم التي أنفقوها في الدنيا، شيئا، وأن نفقاتهم التي أنفقوها في الدنيا، لنصر باطلهم، ستضمحل.

وأن مثلها ﴿كمثل﴾ حرث أصابته ﴿ريح﴾ شديدة ﴿فيها صر﴾، أي: برد شديد، أو نار محرقة، فأهلكت ذلك الحرث، وذلك بظلمهم فلم يظلمهم الله ويعاقبهم بغير ذنب، وإنما ظلموا أنفسهم.

وهذه كقوله تعالى: ﴿إِن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلون .

﴿ ١١٨\_ ١١٩﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون \* ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيط قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور إن تمسسكم حسنة تسؤكم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما تعملون محيط﴾ هذا تحذير من الله لعباده عن ولاية الكفار؛ واتخاذهم بطانة، أو خصيصة وأصدقاء، يسرون إليهم، ويفضون لهم بأسرار المؤمنين، فوضح لعباده المؤمنين، الأمور الموجبة للبراءة من اتخاذهم بطانة بأنهم لا يألونكم خبالاً، أي: هم حريصون غير مقصرين، في إيصال الضرر بكم، وقد بدت البغضاء من كلامهم، وفلتات ألسنتهم، وما تخفيه صدورهم، من البغضاء والعداوة، أكبر مما ظهر لكم من أقوالهم وأفعالهم.

فإن كانت لكم فهومٌ وعقول، فقد وضع الله لكم أمرهم.

وأيضاً، فما الموجب لمحبتهم واتخاذهم أولياء وبطانة، وقد تعلمون منهم الانحراف العظيم في الدين وفي مقابلة إحسانكم؟

فأنتم مستقيمون على أديان الرسل، تؤمنون بكل رسول أرسله الله، وبكل كتاب أنزله الله، وهم يكفرون بأجل الكتب، وأشرف الرسل، وأنتم تبذلون لهم من الشفقة والمحبة، ما لا يكافئونكم على لا يحبونكم، وهم يداهنونكم وينافقونكم، فإذا لقوكم قالوا آمنا، وإذا خلوا مع بني جنسهم، عضوا عليكم الأنامل، من شدة الغيظ والبغض لكم ولدينكم.

قال تعالى: ﴿قل موتوا بغيظكم﴾، أي: سترون من عز الإسلام وذل الكفر ما يسوؤكم، وتمونون بغيظكم، فلن تدركوا شفاء ذلك بما تقصدون.

﴿إِنَّ اللهُ عليم بذات الصدور﴾، فلذلك بيَّن لعباده المؤمنين، ما تنطوي عليه صدور أعداء الدين من الكفار والمنافقين.

﴿إِن تمسسكم حسنة ﴾ عز ونصر وعافية وخير ﴿تسوهم، وإن تصبكم سيئة ﴾ من إدالة العدو، أو حصول بعض المصائب الدنيوية ﴿يفرحوا بها ﴾، وهذا وصف العدو الشديد عداوته.

لمًا بين تعالى شدة عداوتهم، وشرح ما هم عليه من الصفات الخبيثة، أمر عباده المؤمنين بالصبر، ولزوم التقوى، وأنهم إذا قاموا بذلك، فلن يضرهم كيد أعدائهم شيئاً، فإن الله محيط بهم وبأعمالهم وبمكائدهم، التي يكيدونكم فيها.

وقد وعدكم عند القيام بالتقوى، أنهم لا يضرونكم شيئًا، فلا تشكوا في حصول ذلك.

﴿ ١٢١\_ ١٢٣﴾ ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوّى، المؤمنين مقاعد للقتال﴾، إلى آخر القصة. وذلك يوم «أحدا حين خرج ﷺ بالمسلمين، حين وصل المشركون \_ بجمعهم \_ إلى قريب من «أحدا. فنزّلهم ﷺ منازلهم، ورتبهم في مقاعدهم، ونظمهم تنظيماً عجيباً، يدل على كمال رأيه وبراعته الكاملة في فنون السياسة والحرب، كما كان كاملاً في كل

﴿والله سميع عليم﴾، لا يخفى عليه شيء من أموركم.

﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾ وهم بنو سلمة وبنو حارثة، لكن تولاهما الباري بلطفه ورعايته وتوفيقه.

﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ فإنهم إذا توكلوا عليه، كفاهم وأعانهم، وعصمهم من وقوع ما يضرهم، في دينهم ودنياهم.

وفي هذه الآية ونحوها، وجوب التوكل وأنه على حسب إيمان العبد، يكون توكله، والتوكل هو اعتماد العبد على ربه في حصول منافعه، ودفع مضاره، فلما ذكر حالهم في «أحد» وما جرى عليهم من المصيبة، أدخل فيها تذكيرهم بنصره، ونعمته عليهم يوم «بلر» ليكونوا شاكرين لربهم، وليخفف هذا هذا، فقال: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾ في عددكم وعددكم، فكانوا ثلاثمائة، وبضعة عشر، في قلة ظهر، ورثاثة سلاح، وأعداؤهم يناهزون الألف، في كمال العدة والسلاح.

﴿ فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾ الذي أنعم عليكم بنصره.

﴿إِذْ تقول﴾ مبشراً ﴿للمؤمنين﴾ مثبتاً لجنانهم: ﴿الن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين \* بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا ﴾، أي: من حملتهم هذه بهذا الوجه.

﴿يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾، أي: معلمين علامة الشجعان.

واختلف الناس، هل كان هذا الإمداد حصل فيه من الملائكة، مباشرة للقتال، كما قاله بعضهم، أو أن ذلك تثبيت من الله لعباده المؤمنين، وإلقاء الرعب في قلوب المشركين كما قاله كثير من المفسرين.

ويدل عليه قوله: ﴿وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾، وفي هذا أن الأسباب لا يعتمد عليها العبد، بل يعتمد على الله.

وإنما الأسباب وتوفرها، فيها طمأنينة للقلوب، وثبات على الخير.

﴿ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين﴾، أي: نصر الله لعباده المؤمنين، لا يعدو أن يكون قطعاً لطرف

من الكفار، أو ينقلبوا بغيظهم، لم ينالوا خيراً، كما أرجعهم يوم الخندق، بعدما كانوا قد أتوا على حرد قادرين، أرجعهم الله بغيظهم خائين.

﴿١٢٨﴾ ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ لما أصيب ﷺ يوم (أحدا وكسرت رباعيته، وشج في رأسه، جعل يقول: (كيف يفلح قوم، شجوا وجه نبيهم، وكسروا رباعيته، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وبين أن الأمر كله لله، وأن الرسول ﷺ ليس له من الأمر شيء، لأنه عبد من عبيد الله، والجميع تحت عبودية ربهم، مدبرون لا مدبرون.

وهؤلاء الذين دعوت عليهم، أيها الرسول، أو استبعدت فلاحهم وهدايتهم، إن شاء الله تاب عليهم، ووفقهم للدخول في الإسلام، وقد فعل، فإن أكثر أولئك هداهم الله فأسلموا.

وإن شاء عذبهم، فإنهم ظالمون، مستحقون لعقوبات الله وعذابه.

﴿١٢٩﴾ ﴿وقه ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم﴾ يخبر تعالى، أنه هو المتصرف في العالم العلوي والسفلي، وأنه يتوب على من يشاء، فيغفر له، ويخذل من يشاء، فيغفر له، ويخذل

﴿والله غفور رحيم ﴾ فمن صفته

اللازمة، كمال المغفرة والرحمة، ووجود مقتضياتهما في الخلق والأمر، يغفر للتائبين، ويرحم من قام بالأسباب الموجبة للرحمة، قال تعالى: ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾.

تم الجزء المجلد الأول من تيسير الرحيم الرحمن في تفسير القرآن بخط مؤلفه عبد الرحمن الناصر بن سعدي ٩ ربيع أول ١٣٤٣ غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم ويليه المجلد الثاني أوله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا

فهرس أسماء السور 9٧٥

## فهرس أسماء السور

تفسير سورة يَس	تفسير سورة الفاتحة
تفسير سورة الصافات ٧٠٠	تفسير سورة البقرة
تفسیر سورة ص	تفسير سورة آل عمران ١٢١
تفسير سورة الزمر ٧١٧	تفسير سورة النساء ٢٦٣
تفسير سورة المؤمن (غافر) ٧٣١	تفسير سورة المائدة ٢١٨
تفسير سورة فصلت	تفسير سورة الأنعام ٢٥٠
تفسير سورة الشورى ٢٥٧	تفسير سورة الأعراف ٢٨٣ ٢٨٣
تفسير سورة الزخرف	تفسير سورة الأنفال
تفسير سورة الدخان ٧١/	تفسير سورة براءة (التوبة) ٣٢٨
تفسير سورة الجاثية	تفسير سورة يونس
تفسير سورة الأحقاف ٧٩/	تفسير سورة هود
تفسير سورة القتال (محمد ﷺ) ٨٧/	تفسير سورة يوسف
تفسير سورة الفتح	تفسير سورة الرعد ٤١٢
تفسير سورة الحجرات٩٩	تفسير سورة إبراهيم ٤٢١
تفسير سورة قَ	تفسير سورة الحجر
تفسير سورة الذاريات	تفسير سورة النحل
تفسير سورة الطور	تفسير سورة بني إسرائيل (الإسراء) ٤٥٣
تفسير سورة النجم	تفسير سورة الكهف ٤٦٩
تفسير سورة اقتربت (الانشقاق) ٢٣ ٢٣	تفسير سورة مريم ٤٨٩
تفسير سورة الرحمن ٢٨٠٠٠٠٠٠٠	تفسیر سورة طَــه
تفسير سورة الواقعة ٣٢	تفسير سورة الأنبياء
تفسير سورة الحديد ٣٧	تفسير سورة الحج ٥٣٢
تفسير سورة قد سمع الله (المجادلة) ٤٣	تفسير سورة المؤمنون ٧٤٥
تفسير سورة الحشر ٢٠٠٠، ١٤٨٠	تفسير سورة النور
تفسير سورة الممتحنة	تفسير سورة الفرقان ٧٧٥
تفسير سورة الصف	تفسير سورة الشعراء ٩٨٥
تفسير سورة الجمعة	تفسير سورة النمل
تفسير سورة المنافقون	تفسير سورة القصص ٢١١ ٢١١
تفسير سورة التغابن ٢٦٠	تفسير سورة العنكبوت
تفسير سورة الطلاق	تفسير سورة الروم
تفسير سورة التحريم ٧٢.	تفسير سورة لقمان
تفسير سورة الملك (تبارك) ٧٥	تفسير سورة السجدة
تفسير سورة نَ (القلم) ٧٨	تفسير سورة الأحزاب ٢٥٧ ٦٥٧
تفسير سورة الحاقة	تفسير سورة سبأ
اً تفسير سورة سأل سائل (المعارج) ^ .	تفسير سورة فاطر

477

# فهرس أسماء السور

979	تفسير سورة ألم نشرح لك صدرك (الشرح)	فسير سورة نوح
979	تفسير سورة التين	فسير سورة <b>ق</b> ل أوحي إلي (الجن)    .  .  .  . ۸۹۰
	تفسير سورة اقرأ (العلق)	فسير سورة المزمل
	تفسير سورة القدر	فسير سورة المدثر
941	تفسير سورة لم يكن (البينة)	فسير سورة القيامة ٨٩٨
927	تفسير سورة إذا زلزلت (الزلزلة)	فسير سورة الإنسان (الدهر)
	تفسير سورة العاديات	فسير سورة المرسلات
	تفسير سورة القارعة	فسير سورة عمّ (النبأ)
	تفسير سورة الهاكم التكاثر (التكاثر)	فسير سورة عبس
	تفسير سورة العصر	فسير سورة التكوير
	تفسير سورة الهمزة	فسير سورة الأنفطار
377	تفسير سورة الفيل	فسير سورة المطففين
940	تفسير سورة لإيلاف قريش (قريش)	فسير سورة الانشقاق
940	تفسير سورة الماعون	فسير سورة البروج
940	تفسير سورة الكوثر	فسير سورة الطارق
947	تفسير سورة الكافرون	نسير سورة سبح (الأعلى)
777	تفسير سورة النصر	فسير سورة الغاشية)
947	تفسير سورة تبت (اللهب)	فسير سورة الفجر ٢٠٠٠.٠٠٠ ٩٢٣
940	تفسير سورة الإخلاص	فسير سورة لا أقسم بهذا البلد (البلد) ٩٢٤
	تفسير سورة الفلق	نسير سورة والشمس وضحاها (الشمس) ٩٢٦
	تفسير سورة الناس	نسير سورة الليل
		سب سدرة الفرح